
العربي
عدد ممتاز
شعبان ١٣٨٣
يناير (كانون الثاني) ١٩٦٤
العدد ٦٢
داخل
هذا
خريطة العالم
هدية
منفصلة



حضارات سادت ثم بادت

[illegible] وهذا الرسم تقدمه الجمعية الجغرافية [illegible]

The National Geographic Society [illegible]



عزيزي القارئ

طلبت أسواق الوطن العربي

11,000 نسخة

من هذا العدد الممتاز

مع تحياتي

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

عروبة :

ذرة وفضاء :

طب وعلوم

تاريخ وتاريخ اشخاص :

شعر .. وشعراء :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء
ALARABY — No. 62 January 1964 — P.O.B. 748 — KUWAIT
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٦٤١١ ـ تلغرافيا «العربي»
الإعـــــلانات : يتفق عليها مع الإدارة ـ قسم الإعلانات
المراســــلات : تكون باسم رئيس التحرير

خريطة العالم ، فضلناها كبيرة ، لهذا لزم قسمتها نصفين ، نصف مع هذا العدد ، والنصف الآخر مع عدد أول فبراير .

ويأتي بعد ذلك فهرس « العربي »
من السنة الأولى الى نهاية السنة الخامسة (الأعداد ١ ــ ٦١)

ثمن العدد

الكويت	١١٠ فلوس	العراق	١٢٠ فلسا	السودان	١٠ قروش
الخليج العربي	٢ روبية	لبنان	١٠٠ قرش	ليبيا	١٥ قرشا
السعودية	٢ ريال	الأردن	١٠٠ فلس	تونس	٢٠٠ فرنك
اليمن	٢,٥ شلن	سورية	١٠٠ قرش	الجزائر	٢٠٠ فرنك
		ج.ع.م.	١٠ قروش	المغرب	٢٠٠ فرنك

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



«الكازار» غير مسجد قرطبة !

● انى من قراء « العربي » .. منذ ولادتها ومن المعجبين بها والمقدرين للجهود التى تبذلونها لتنفيذها بكل نافع ودسم ومفيد . لقد جعلتموها ، منذ البداية ، ينبوعا خيرا يستقى منه العربي في كل مكان ، الطفل والشاب والكهل والشيخ على حد سواء ، حتى اصبحت الزاد الروحي الذي كنا متعطشين اليه ، والمجلة العلمية والثقافية والانسانية المثلى التى تضاهي افضل المجلات العالمية وارقاها .

اقمت في مدريد زهاء عامين واستهوتني كثيرا الفراديس من كتب اثار العرب في اسبانيا ، وان المس الرمم المعمورة لا في الارض الاسبانية فحسب بل في الشعب الاسباني النبيل ، في طبعه ولغته ايضا . ولدى اطلعت على مقال الاستاذ انيس الخوري المقدسي في عدد تشرين الثاني : « جولة في الفردوس المفقود : الاندلس » واسترعى انتباهي خطأ غريب فيه . فالمقطع المنشور على الصفحة (٣٦) معنون هكذا : « جامع قرطبة الشهير » فقد ظننت بادىء الامر ان تبويب المقطع على الشكل الذي ظهر فيه خطأ مطبعي بسيط ، وان المقصود هو : « الكازار وجامع قرطبة الشهير » . ولكن الكاتب كرر الخطأ في بحثه اذ قال : « تزدان قرطبة من اثار العرب جامعها الشهير (الكازار) اي القصر وهو عظيم جدا الخ .. »

فارجو يا سيدي التنبيه الى انه لا توجد لاي قصر من قصور اسبانيا الاثرية العربية منها وغير العربية اية علاقة بمسجد قرطبة الفريد ، الذي اطلق الاسبان عليه منذ بدء تشييده في القرن الثاني اسما عربي الاصل وهو : « Mezquita » اي « المسجد » وهو معروف بهذا الاسم في كتب السياحة والتاريخ وتسميته هذه شائعة منذ القديم في بلاد العرب على كل شفة ولسان .

ان في قرطبة وضواحيها قصورا وقلاعا ، عربية الاصل متعددة ، منها « قلة القصر الجميل » المعروفة تحت اسم Castilla De Bel Alcazar ، والقصر الجديد اي Alcazar Neura ، الذي اصبح في الوقت الحاضر سجنا ، والقصر العتيق Alcazar Vilja الذي اطلق اسمه على حي باكمله بالقرب من المسجد الخالد ، الخ .. الخ .. ولا يوجد اي ارتباط فني او تاريخي اطلاقا بين تلك القصور والقلاع وبين مسجد امراء بني امية وخلفائهم في قرطبة .

ارجو معذرتي ان اطلت انما الحرص على بيان الحقيقة التاريخية من جهة ، والخوف من التباس الامر على القراء من جهة ثانية ، قد دفعاني لرجاء القائمين على مجلتنا الغالية بالتصحيح .

دمشق — سلمى الحفار الكزبري

الربا الذى حرمه وارباح الاموال المودعة في

● قرات ما نشرته « العربي » بالعدد ٥٩ منسوبا لفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر في موضوع الربا وفوائد رأس المال المودع في المصارف وصناديق التوفير ، وفيه « ان المحتاج يجوز له الاقتراض بالربا ، وان المزارعين تشتد حاجتهم في زراعتهم والتجائهم الى ما يعيشون به الارض والزراعة » .

ولست اجد حرجا في الاختلاف في الرأي مع استاذنا الاكبر ، اطال الله بقاءه ونفع المسلمين بعلومه ، فقد تعلمنا منه نقد آراء بعض الفقهاء السابقين الذين يلجون بعيدا عن النص . فنحن نسلم ان المحتاج المضطر يجوز له الاقتراض بالربا ، ولكن ماهي درجة الحاجة ومدى الاضطرار ؟ لو اننا بحثنا في السنة المطهرة لوجدنا ان رسول الله قد حدد وبين درجة الاضطرار التى تبيح المحرم ، فقد قيل لرسول الله : « انا تكون في

فائز يتبرع بجائزته ليمسح بها آلام المحتاجين

● وصلتني اشارة من وزارة الارشاد والانباء بالكويت بفوزي باحدى جوائز مسابقة « العربي » العدد ٩٠ فشكرا لما تفضلتم به من اهتمام بالفائزين، ويسعدني ان اتبرع بقيمة جائزتي لمن هو احق بها وأولى . فامسحوا بها دموع بائس او اعمروا بها جوعان او اخوة عرب لنا في العراء ، اجعلوها مني لهم جائزة او خففوا بها الم مرض عضال الخ بنفس بشرية فاجعلوها مني له دواء ، فاني لاتالم لانين هؤلاء ويسعدني ان امد لهم يد الرحمة من طريق الجوائز . ولقد شغلتها حسنة وان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب والسلام .

محمد عبد التواب قايد

سفط النور ـ الفشن

خطأ مطبعي

● في مقال الاخ مصطفى الشهابي عن المرحوم « محمد كرد علي » المنشور بالعدد ٦٠ من « العربي » ، ورد بالعمود الثاني من صفحة ٢٩ (عمر بن مسعدة) وصحته « عمرو بن مسعدة » وفي العمود الاول من صفحة ٣٠ (الرسالة العذراء لابن المدبر) وصحتها « لابن المدبر » .

وجاء في حديث الشهر لرئيس التحرير بصفحة ١٠ (أين الهرمان من بنيانه) وصحتها (اين الذي الهرمان من بنيانه) .

وهذه كلها اخطاء مطبعية ما نظنها فاتت القارىء اللبيب .

الاسـلام شيء

المصارف وصندوق التوفير شيء آخر

الارض بمسيلها المخصبة ، حتى تحل لنا الربا؟ قال عليه السلام : « اذا لم تصطبحوا او تغتبقوا او تجتفئوا بقلا » . فهل وصلت حال المزارعين الى هذه الدرجة من الحاجة التي تصل الى مرتبة الاضطرار ؟ ما اظن الجواب الا سلبا ونفيا ..

وهل من الاضطرار الذي يحل الربا ان تكون للانسان دار ذات اربع غرف فيشترى ارضا واسعة يشيد عليها دارا ذات ثماني غرف مثلا ، ولا يجد المال فيقترض من احد المصارف كما يفعل الكثيرون ؟!

ولقد حدثنا التاريخ ان الربا كان مستنكرا في كثير من المجتمعات ، ونص الفلاسفة الاقدمون على تحريمه ، ما قل منه وما كثر ، نهى عنه السولون واضع قانون اثينا القديم ، ونهى عنه افلاطون في كتابه « القانون » ، كما نهى عنه ارسطو حين قال : « كيف يتصور ان يلد الدرهم والدينار درهما آخر او دينارا آخر ؟ لقد ولدته الطبيعة عقيما ، ويجب ان يبقى كذلك » .

كما اخذ الفوائد على الاموال المودعة في المصارف او صناديق التوفير فهو من الربا المحرم ، وقد نصت على ذلك لجنة الفتوى التابعة للازهر حيث قالت « ان اخذ فائدة من رأس المال المودع في صندوق التوفير او احد المصارف محرم ، من الربا المحرم بالكتاب والسنة والاجماع » ..

ولقد سبق لاستاذ الاكبر ان اورد رأيا يخالف ما نشرته « العربي » منسوبا اليه حيث قال : « ومنهم من يميل الى اعتباره ضرورة من الضرورات بالنسبة للامة فقد دخلت بذلك في قاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » ، وهذا ايضا مغالطة ، بينا ان صلاح الامة لا يتوقف على

البقية على صفحة ١٥٠

الحياة ذكرى

٥ سنوات

في العيد الخامس لميلاد العربي

بقلم رئيس التحرير

■ تمضي الأيام ، وتمضي الأشهر والسنون ، وتطوى كلها طياً على ما يجرى فيها من أحداث .

والذى كتبته الأقدار ، يتكشف ويمضي ، لم لا تكون منه الا الذكرى . كالخط الذى يخطه الاصبع فى الماء ، يحرك الماء الساكن قليلا ، ويصرّج سطحه المستوى قليلا ، ثم ينبسط سطحه ، صفحةً بيضاء ملساء ، ثم كأنّ الذى كان لم يكن .

وكخط فى الماء ، خط فى الرمل ، حتى تذروه الريح . وما أسرع ما تذرو .

يستثنى من ذلك ما تخطه على الورق الأقلام .

بين الكتابة والكلام

ان القلم نعمة .

وان الورق نعمة .

وان المداد نعمة .

ذلك لان الذى تسطره الأقلام ، بمدادها ، على الاوراق ، يأبى أن تطويه الأيام مع أحداثها هكذا طياً .

ان الكلام نعمة ، لأنه يؤدى الى الآذان السامعة بثمرات العقول . والعقول بلا كلام كالأكمام التى لم تتفتح من أزهارها بعد ، أو كالحقاق المغلقة على الجوهر . واللسان مفتاحها .

ولكن الكلام يفنى . تفنيه الدقيقة التى قيل فيها ، ويقبر الفكر الذى احتواه . والكتابة تبقّيه وتحييه ، لا عاما او اعواما ، ولكن قرونا قد تتطاول .

اننا بالكتابة استمعنا الى أجدادنا كما لو قد حدّثونا وهم بيننا أحياء ، واستمعنا الى أجداد أجدادهم . وبالكتابة نزلت الينا ذخائر العقول على القرون . وبالكتابة نورّثُ ولنورّث زهرات عقولنا لأبنائنا والأحفاد ، وأحفاد الأحفاد ، ممن سوف لا نرى أبدا . مواريثُ تهبط من أجيال الى أجيال ، ضنٌ أن يجمع

بينها الزمان ، فجمعتها الكتابة والكتاب على المائدة الواحدة ، رغم الزمان والمكان .

العيد الخامس لميلاد « العربي »

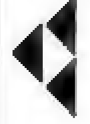
فنحن اذ نحتفل اليوم بالعيد الخامس لميلاد « **العربي** » انما نحتفل بتدشين جزء من هذا الميراث المكتوب ، ولننوه بتلك الجهود التي بذلتها فئة كريمة من كتاب العرب ، لمجلة العرب ، في هذه السنوات الخمس المواضي. تلك الجهود التي سجلت بعض صور من الثقافة في تلك الحقبة القصيرة من الزمن : صور من الفكر ، وصور من الحياة الحاضرة ، او انفعالات انفعل بها من جراء ذلك اصحابها ، وترددت اصداؤها في قرائهم ، فأوحت اليهم بحياة الغد ، في الوطن العربي ، كيف تكون ، وكيف يجب أن تكون . انهم كتاب لا يكتبون اخبار الزمان واحداثه ، فلهذه الصحف الجارية ، وانما هم يصفون اصداء هذه الأحداث اذ تتردد في قلوب لهم وعقول.

ليس كاحتفال بالعيد الخامس

ولقد سبق ان احتفلنا بميلاد « **العربي** » الاول ، فالثاني ، فالثالث ، فالرابع ، ولكن احتفالنا بذكرى ميلاده الخامس له شأن غير الذى مضى . ذلك لأن الخمسة هي اصل الأرقام والأعداد.

ان الطفل يعد على اصابعه ، فيقف عند الخمسة ، ثم ينتقل الى اليد الثانية فيقف عند العشرة ، وما العشرة الا خمستان ، او هي يدان .

ووقف الناس عند العشرة فاسموها



مقدسا ، ووقفوا عند المائة فسموها قرنا . وطلبوا وقفة أصغر واقصر فكانت الخمسة . اتخذها المخططون مقياسا لخططهم ، واتخذها الناشرون لتوقيت حسابهم . وجعلوا فهارسهم سنوية ، فلما ارادوا تكتيلها جعلوها خمسية .

الفهرس الجامع

وقد اقتدينا بهم ، فجمعنا ما نشر فى « العربى » ، فى السنوات الخمس الماضية ، فى فهرس جامع ، وضمناه فى آخر هذا العدد ، وصنفناه تصنيفا . ومنه يرى المتصفح مقدار الجهد الذى بذله كتاب العرب لمجلة العرب ، كم ساعات الى مكاتبهم قعدوا ، وكم ليال سهروا ، وكم كتب قراوا ، وكم منها تزودوا .

الكتاب صنوف

والكتاب صنوف . منهم بادىء ، يكتب عفو الخاطر ، فهو لهذا يستطيع ان يكتب ما يكتب فى مقهى ، او ملهى ، او عند شاطىء ، وهو يكتب كما يتكلم . ومن هؤلاء البادئين من يظلون بادئين حياتهم . ومن الكتاب من صعدوا سلم الثقافة اولا ، وعانوا تحصيلها ، وتمرسوا بفكرها ، وتمرسوا ببحوثها . وهؤلاء لا يكتبون الا فى ركن من اركان مكتبة عامرة فتخرج كتابتهم تثقل فى الميزان .

واكثر كتاب « العربى » من هؤلاء ، وبهذا احتفظت « العربى » بمستوى ، لا اقول انه من الرفعة بارفع مكان ، ولكنى اقول انه مستوى له احترامه ، وله تقديره عند قارئيه .

تقدير القراء : (١٠٠٠٠٠) نسخة

ودليل ذلك اقبال قراء « العربى » على قراءته ، وازدياد اعدادهم على السنين .

ان « العربى » سلعة ، وليس عليه من باس ان يكون سلعة تباع وتشترى ، كالطعام والشراب وسائر حاجات الحياة ، رفيعها والخفيض . وبوصفها سلعة ، نقصد ان نقول انها تباع فى الأسواق الحرة ، يقبل عليها مشكورا من يقبل ، ويعرض عنها معذورا من يعرض . ولقد زاد المبيع من « العربى » الى ان بلغ فى الأشهر الماضية ٨٠٠٠٠ نسخة او ما دونها . وهذا رقم فى القياس كبير . وطلبنا من الموزعين أن يمدونا بالأرقام لهذا العدد الممتاز ، عدد أول يناير ، فزاد الذى طلبوه على مائة الف نسخة زيادة كبيرة .

ورأينا ان نقف فى تزويدهم عند ١٠٥٠٠٠ نسخة . وهذا رقم لم تبلغه مجلة شهرية عربية ثقافية قط . ولوددنا لو كانت بلغته . فنحن فى هذا الأمر لا ننفس على احد سبقا . انه سبق فى خير امتنا . انه سبق فى خير العرب .

والقراء صنوف

وكما ان الكتاب صنوف ، فكذلك القراء صنوف .

ولقد ذكرنا ان من الكتاب ، لا سيما البادئين ، من يخطفون فى كتابتهم خطفا . فلهؤلاء القراء الخاطفون . والقراءة الخاطفة اصبحت ضرورة من ضرورات هذه الحياة السريعة الخاطفة . وانا نفسى امارس الخطف فى القراءة ، وانتفع

ومن ذلك قراءة الأخبار – ولو في صحيفة واحدة – كل صباح ، حيثما كنت من بلاد الدنيا .

ولكن « العربي » ، والمجلات الأخرى من أمثاله ، ليس لقراءتها ، أغلب الظن ، الصباح ذو الحركة الخاطفة ، ولكن لها المساء في ركن الدار الهادىء . وليس كل قارىء يستطيع هذا ، وليس كل قارىء تعوّد هذا ، ولا هو بصابر عليه . ولست أشك في أن قراء « العربي » قد تعودوه ، فهم قراء استيعاب .

والقراء ، بحكم الطبع ، أمزجة شتى .

ومن أجل هذا جعلنا ما تضمنته « العربي » ، كل شهر ، ألوانا شتى .

ان ضوء الشمس الأبيض ينحل من ألوان للطيف شتى ، منها الأحمر والأخضر والأصفر . وكذا الثقافة لها طيفها الذي تنحل إليه . ترى ذلك من الفهرس الذي يتصدر « العربي » كل شهر .

الثقافة اليوم : ليست أدبا فحسب

ومن الناس من لم يعرف الثقافة الا أدبا ، ومن لم يعرف من الأدب الا أبا نواس والبحتري والطغرائي . وصراحة يتحامق مع « العربي » اذا لم يجده كله غزلا وهجوا ورثاء . أو أن فلانا سرق هذا البيت من علان . وحق لهذا أن يتحامق ويتحامق . انه فتى لم يتطور ، أو لعله شيخ لم يجاوز الزمان .

ان العالم الذي ألفه هؤلاء الناس قد مات ، وظلوا هم بعده أحياء . أو لعلها البيئة هي التي ظلت حية ، متخلفة من عالم مات وفات . والعالم الذي نحسن فيه لا زال للأدب فيه لا شك موضع خطير ، مع فارق : أن معالجته تغيرت تغيرا كبيرا . ثم انه أصبح لا يعرض نفسه فرضا على الثقافة فيملأ صفحاتها جميعا .

وأنا لا أتحدث هنا عن بلد بذاته ، عربي أو غير عربي ، ولكني أتحدث عن الدنيا العريضة الواسعة بشتى ثقافاتها ، وعلى اختلاف مدنياتها ، وتباين أساليبها لبلوغ حياة أفضل .

عشرات أخرى من علوم وفنون

لقد ظهر ، الى جانب الأدب ، عشرات أخرى من العلوم والفنون ، لا بد أن يستقي منها الانسان النامي ليكون في هذا العصر مثقفا . ان الثقافة حاجة الزمان ، لا عبث الزمان ومسلاته .

والعلم ، صفة هذا الزمان

ومن تلك الفنون التي زاحمت الأدب ، فزحمته ، العلم ، بل العلوم ، وهي أفانين شتى . وتعددت صفوف العلوم في المدارس ، وتراجعت صفوف الآداب ، فلكل صف من أدب ، خمسة أو ستة من علوم ، ذلك استعدادا للمد الذي أشرق على الشعوب بعلومه ، خاصتهم والعامة . وحتى الصبية ، في الشعوب المتقدمة ، حصيلتهم من علم أضعاف حصيلتهم من آداب . وهم يحصلونها في بيت ، وفي محط ، وفي كل سبيل . ومجلات الصبية مليئة بمحاصيل العلوم وما يتصل بها أكثر من أي شيء آخر .

« العربي » وسّع الأدب والعلم ، وفنونا من الثقافة أخرى

ومع هذا ، « فالعربي » لم يطغ على

ادب»، فضيق عليه ليتسع المجال لعلم. ان « العربي » ما يزال يجعل للأدب النصيب الأوفر. فلقد جعل للغة العربية فيه موضعا، وجعل للأدب الصرف موضعا، من عربي وغربي، وجعل للشعر والشعراء. ولم ينس التمثيل وهو اكثر اساليب الأدب شيوعا في العالم كله.

و« العربي » لم يحاب العلم، وكان احق بالمحاباة، استجابة لمطالب العصر الحاضر. فنشر منه ما استحدث من اخبار، وعرض بعض وجوه العلم، قديمها والجديد. وجعل للطب وانباء الطب واستحداثات الطب، مثل ذلك.

ووزع « العربي » سائر صفحاته بعد ذلك، وهي الكثير الأكثر، أبوابا شتى: عروبة، تاريخ، تاريخ رجالات العرب ونسائهم. وجعل للمرأة واسرتها بابا. واستطلاعات الوطن العربي جعل لها بابا وابوابا، وجعل للدين بابا، والرأي، من عربي وغربي، جعل لكل مرآته. ولم ينس الكتب، ولم ينس وسائل اخرى للتثقيف والترفيه.

الوان شتى كان لا بد منها — قد نستزيدها — ما دام أن القراء امزجة شتى.

ان « العربي »، دائرة معارف، او هكذا نهدف بها أن تكون، في حدود المستطاع.

وغير كتّاب « العربي » وغير قرائه ..

ولقد نذكر كتّاب « العربي » فنحمد لهم ما كتبوا.

ولقد نذكر قراء « العربي » فنحمد لهم انهم اقبلوا.

ولا يفوتنا ان نذكر فئات اخرى، لولاها، ما كان للذي كتب الكاتب، او قرأ القارئ، ظهور في الأسواق وخروج.

ومن تلك الفئات الفئة التي تجمع.

ومن تلك الفئات الفئة التي تطبع.

وتلك الأخرى التي تصور الصور، اعدادا للطبع: ان الصور التي يأتي بها المصور، بكتب عدساته المصورة، ما كتب لتخرج في رسمها وبرونقها الملون الجميل، لولا فئة اخرى تقوم فتنقل هذه الصور على صفحات المعادن لونا لونا، ثم هي تحفرها حفرا. ثم تأتي فئة اخرى فتنقلها الى الأوراق، طبعا طبعا فوق طبق، ودقة لا تأذن بتزحزح لون عن لون مقدار شعرة.

الى هؤلاء الفئات، من العاملين، نزجي الشكر، فلهم لا شك في رواج « العربي » ونشر ثقافته فضل غير منكور.

ومن وراء هؤلاء جميعا لا ننسى الشجرة الكبيرة التي قام عليها هذا البناء كله: اولئك الرجال الذين خططوا اول الأمر « العربي »، اذ هو فكرة، واولئك الذين صرّفوا بعد ذلك الأمور ويصرفون، وبذلوا الأموال ويبذلون. اولو الأمر الذين جعلوا من « العربي » اداة لغاية، هي الاسهام في خدمة العرب والعروبة، بنشر الثقافة، متفوقة، لا عوج فيها ولا ميل.

واخيرا، وليس آخرا، شكر الله على توفيقه، فالأمور لا يكاد يكفي التخطيط لانجاحها. لابد من مطاوعة الأقدار. ■■

احمد زكي

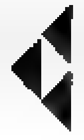
تراثنا العربي

دعامة من دعامات الوحدة العربية

بقلم : الدكتور فاخر عاقل

استاذ علم النفس بجامعة دمشق

■ إن العرب في تطلعهم الى تحرير حاضرهم وبناء مستقبلهم لا بد لهم من بناء وحدتهم على أسس متينة من وعي عميق وفهم ناقد وادراك ذكي لماضيهم وحاضرهم وصورة مستقبلهم المنشود . والتربية هي أهم الوسائل لهذه الغاية وأنجع الطرق المؤدية الى هذا الهدف ؛ ولذلك كان لا بد لهم من بناء نظامهم



التربوي الموحد يوحي من تراثهم الغني وحاضرهم الآلم ومستقبلهم الزاهر ان شاء الله .

ولا شك ان التراث العربي دعامة كبرى من دعائم الوحدة العربية ومقوم من أهم مقوماتها . والحق ان التراث العربي المشترك كان معبرا عن وحدة العرب في السابق ومظهرا لعبقريتهم وحافظا للصلة بينهم . ولعل اخطيء حين اقول بان المثقفين العرب قد تعارفوا دوما من خلال ادبهم وعلومهم وتاريخهم وعاداتهم وتقاليدهم وتواصلوا بهذه الاسباب جميعا !!

ومن هنا كانت اهمية نظر العرب في تراثهم وتفهمهم اياه وحدبهم عليه واعمالهم يد التنقيب والبحث في رحابه بغية التعرف عليه والتعريف به .

ولست احب ان انتقل من مقدمتي هذه دون ان اذكر بان اي نظام تربوي لاية امة لا يمكن أن يكون اصيلا صحيحا هادفا مفيدا الا اذا قام على أساس من تراثها وبعد نظر الى واقعها وتحسس لمستقبلها ، فالتراث اذن اول قاعدة يقوم عليها اي نظام تربوي أصيل لاية امة حريصة على أن تبني ذاتها وتمدها لغد مشرق .

تراث غني متنوع

ومن حسن حظ العرب ان يكون لهم تراث لا يفوقه تراث . والذي احب ان الفت النظر اليه هاهنا هو ان التراث العربي ليس ادبيا فحسب كما يخيل لبعض الناس ولكنه — بالاضافة الى الأدب — تراث علمي واجتماعي ايضا ، بل قل انه تراث حيوي فيه كل المناحي التي تكون للحياة الحية الدائمة .

ان التراث العربي في علم الحرب — مثلا — لا يقل عنه في علم الكيمياء او الفيزياء ، وهو في كليهما لا يزيد عليه في الفلسفة والدين والاجتماع والأدب ، بل والطعام والشراب والصناعة وغير ذلك من وجوه الحياة المختلفة .

والمتأصل للحياة العربية في مختلف عصورها لايملك الا أن يعجب بالمنجزات العربية في كل ميدان ، ذلك بأن الحياة العربية كانت حياة غنية متفتحة على العالم شرقه وغربه ، شماله وجنوبه ، تأخذ من كل مكان وتعطي لكل قوم فتنمي وتغتني وتكون بنفسها تراثا ضخما من العلم والأدب والفن وطرائق الحياة .

والناظر في كتبنا القديمة ، كتب التاريخ وكتب الأدب وكتب العلم وكتب الفلسفة ، لا يملك الا أن يشعر بعميق الاعتزاز وشديد الغبطة لما كانت عليه الحياة العربية من غنى بالمثل العليا والعادات الحميدة والتقاليد الرفيعة .

ولا يغرن القارىء ما يرد في كتب التاريخ أحيانا من خلاف بين الملوك وحروب بين القادة العسكريين الدخلاء وتطاحن بين الاقطار التي عصفت بها ريح الفرقة ، فان وراء ذلك كله حضارة مزدهرة ومدنا عامرة وشعوبا يقظة ومدارس مكتظة وبيمارستانات تعج بأهل العلم ورجال الانسانية ، ومكتبات متخمة بنفائس الفكر ، وجوامع تضيق بالمتعبدين ، وحمامات تخلص الجسد من ادرانه ، وغيرها من مظاهر العمران والتقدم والحضارة .

وكل ما في الأمر ان المؤرخين — في معظم الاحيان — ارخوا للحكام ولم يؤرخوا للشعوب .

تراثنا المجهول

والسؤال الذي نطرح في هذا المقام هو : هل نعرف تراثنا ؟

وحين اطرح هذا السؤال لا اقصد بالمعرفة هذه المعرفة السطحية التقريبية التي يتباهى بهما بعض متعلمينا ، ولا اتوجه به الى العامة وسواد الناس ، ولكني أقصد بالمعرفة تلك المعرفة الصحيحة العميقة الذكية ، واتوجه به الى الخاصة المتخصصة . وبتعبير آخر فانني اتساءل عما اذا كنت انا نفسي

أعرف تراث قومي في التربية وعلم النفس ، وهل أعرفه معرفة تليق بي بوصفي عربياً متخصصاً بعلم النفس والتربية ، وهل أعرفه بحيث أستطيع أن أدل عليه في بعض عصوره أو نواحيه أو تطوراته ، في نقاط قوته ومواطن ضعفه ، وبالنسبة لأزمنة المختلفة وكذلك بالنسبة لهذا الزمان ؟ هل أعرف أصوله وأسسه وما أخذ وما أعطى وما أضاف ؟ هل أعرفه بحيث أستطيع أن أعرف به بني قومي وأبناء الأقوام الأخرى وأدلهم على ما ساهم فيه أسلافي من خدمة للإنسانية في ميدان تخصصي ؟!

ومثل هذا السؤال وارد بالنسبة للأديب والقاضي والطبيب والمهندس والفنان وعالم الطبيعة وعالم الرياضة وعالم الكيمياء ، وسواهم من المتخصصين .

ويؤسفني أن يكون جوابي بالنفي ، فأنا لا أعرف عن تراثنا العربي في مجال تخصصي إلا لمحات ولا ألم إلا بشذرات ، وإني لأستحي من هذا الجهل . ولعل أنكى ما في الأمر أني أعرف عن التراث الإنكليزي أو الفرنسي أو الأمريكي بل وحتى الألماني والروسي ، أكثر بكثير مما أعرف عن التراث العربي .

ولقد ألتمس لنفسي العذر فأقول إن الاطلاع على تراث الأمم الأخرى أمر ميسور لأن المكتبات زاخرة بالمراجع والبحوث التي تدل على هذا التراث ، ولكني أعلم علم اليقين أن ثمة علماء وباحثين وضعوا هذه البحوث وكتبوا هذه المراجع وأن علماء آخرين أكملوا ما بدأوه وأن من واجبي أنا أن أبدأ ليأتي اللاحقون فيكملوا ما بدأت .

وإني لأعلم — بعد ذلك — أن كل محاولة للعرب أن يسهموا في أي ميدان من ميادين المعرفة يجب أن يسبقها ويرافقها إحياء لتراثهم في هذا الميدان ليتصل ما انقطع ويستأنف السير ما توقف .

تعرّفُ التراث منهجيٌّ ثم مرحلة تعريف

والحق أن البحث في التراث العربي الفني يجب أن يتم على مرحلتين ، مرحلة تعرف ثم مرحلة تعريف . ومن نافلة القول أن نذكر بأن التعرف والتعريف يجب أن يكونا منهجيين علميين منظمين ، فلا يكفي أن يطلع الراغب في إحياء تراثه على هذا التراث المتخصص اطلاعاً سريعاً ولن ينقله كله أو بعضه إلى قرائه من أبناء قومه أو أبناء الأقوام الأخرى ، إنه إن فعل ذلك حري بأن يقع فيما وقع فيه الكثيرون ممن حاولوا — مطلعين — الاطلاع على تراثهم ولكنهم لم يصبروا عليه ولم يضعوه في إطاره الزماني فما كان منهم إلا أن تورطوا في القول بأنه تراث ضحل لا يستحق أن نحييه بل من المصلحة ألا نحييه !

لنذكر أولاً أن تقسيم العلوم وتصنيفها كانا في الماضي على نحو يختلف عنه في زماننا الحاضر . فأنت إذا التمست كتاباً عربياً في علم النفس — مثلاً — بالمعنى الحديث المتخصص المتميز لم تقع على مثل هذا الكتاب ، وإذا وقعت على كتاب بعنوان يوحي بأنه من علم النفس وجدت أن معالجة الموضوع فلسفية ميتافيزيقية لا تمت إلى النفس السلوكي التجريبي الحديث بصلة .

على أنك إذا ذكرت بأن علم النفس لم يترك الفلسفة إلا في أخريات القرن الماضي وأنه كان حتى ذلك الزمن جزءاً لا يتجزأ من الفلسفة أدركت السبب في تمازج الفلسفة وعلم النفس . ثم إنك لو صبرت على كتب الفلسفة العربية ، وشأنها في ذلك شأن غيرها من كتب الفلسفة للأمم الأخرى ، لرأيت أن في تضاعيف هذه الكتب الكثير من النظريات والآراء النفسية الصحيحة ، أو الصالحة بمقياس زمننا والتي كانت تعتبر صحيحة بمقياس الزمن الذي كتبت فيه ، والتي تعتبر — في كل حال — تاريخاً لعلم النفس .

ولنذكر ثانياً : أن تراثنا إما ضائع ، أو مبعثر ، أو موجود في مواضع ومصادر تبدو للوهلة الأولى — وبالقياس العصري — غريبة . إنك تجد مثلاً أن مقدمة ابن خلدون — وهي مقدمة لكتاب تاريخ — تحتوي — فيما تحتوي — على آراء ونصائح تربوية ذات أهمية بالغة ، كما تجد أن الغزالي قد ضمن (إحياءه لعلوم الدين) آراء في التربية والتعليم والتثقيف يمكن أن نفاخر بها أية أمة من الأمم .

ولنذكر ثالثاً : أن التراث العربي — ككل تراث — لا يمكن فصله عن زمانه ومكانه وظروفه . لقد ازدهر هذا التراث في زمان محدود ، وفي أمكنة معروفة ، وفي ظروف معينة فكان صورة صادقة

للمجتمع الذي اوجده وللامة التي خلفته وللوطن التي ابدعته . لقد اخذ اجدادنا ممن سبقهم ولم يميعوا ، ولقد تمثلوا ما اخذوا ولم يكتموا ، ولقد الموا تراث البشرية ولم يجهلوا . ولذلك فلا يضيرنا ان يكون الفيلسوف العربي الذي قد اخذ من الفيلسوف اليوناني الذي ، وذلك لانه تمثل ما اخذ وزاد عليه ووهبه فيما بعد للغرب الذي سار في نفس المراحل فتمثل وزاد ثم وهب. وهذا ناموس الكون وتلك حال الحضارات واولئك مصادر الحضارة العالمية .

والمهم كل المهم بعد هذا ان نعرف – نحن العرب – ما لنا (وما علينا) وان نتعرف على تراثنا ومصادره ومواريثه وان نعرف به وبمصادره ومواريثه . وكل ذلك بطريقة علمية منهجية منظمة دقيقة .

اخذ وعطاء

ان بعض المقيدين منا – ولا اقول المتزمتين – ينعون على امتنا اخذها من الغرب او الشرق وتنكرها لماضيها وخروجها على تقاليدها . واني لاجد في هذا خلطا بين امرين . اما الاخذ من الغرب او الشرق فلا لوم عليه ولا تثريب .

قد يكون في الدنيا شيء اسمه حضارة غربية او شرقية ، فرنسية او روسية او صينية او هندية ، ولكنْ فيها ايضا شيء اسمه حضارة عالمية هي جماع كل الحضارات وساع كل الثقافات ونحن من هذا العالم لا نستطيع ان نعيش بمعزل عنه ، بل وليس من مصلحتنا ان نعيش بمعزل عنه . ولقد اعطينا هذا العالم في الماضي والزمنا فلا علينا ان أخذنا في الحاضر بغية ان نعود فنعطي في المستقبل .

واني لاؤمن اعمق الايمان انه ما من منصف يستطيع ان ينكر علينا مساهمتنا في الماضي وحقنا في ان ناخذ – في الحاضر – على ان نعود فنعطي في المستقبل . واني لموقن بان ما يسمى بالحضارة الغربية ليس الا نتاجا للتراث البشري الكامل بما فيه التراث العربي ، وبهذا يكون لنا الحق الحق في ان نفيد – نحن وسوانا – من هذا التراث كما افادوا هم من تراثنا . واني لمتاكد بان عقلاءهم – على الاقل – لا ينكرون علينا هذا الحق الصريح .

وأما التنكر للماضي والخروج على التقاليد والتخلي عن الاصالة فأمر معيب ما في ذلك من شك ، بل وامر مضر لنا وللانسانية : ان لنا ماضيا نستطيع ان نفاخر به اية امة ماضية مهما علا شأنها، وانه لماض مشرف في كل ميدان وفي كل منحى . ثم ان لنا تقاليد نقدر ان نزهو بها على كل صاحب تقاليد. ولست اقول هذا مباهاة او ادلالا ولكني اقوله تقريرا لواقع وتوكيدا لحق . ثم اني اعلم ان ماضينا – ككل ماض – فيه بعض ما لا يسر وان تقاليدنا – ككل تقاليد – فيها بعض ما يجب التخلص منه ولذلك فاني عن التفاخر بعيد .

على انني اصر على ان اصالتنا حق وواجب ، وهي خير وضرورة : انها حق لانها واقع ، وهي واجب للاخذه على عاتقنا المبرر وهي خير وضرورة لان الحضارة العالمية بحاجة لكل لون بل ان مصلحتها ان تتعدد الوانها وتختلف – بعض الشيء – ازاهيرها .

ومن اجل تقدمنا ولحاقنا بركب الانسانية المتسارع ، ومن اجل اداء قسطنا في الحضارة العالمية والتقدم البشري ، ومن اجل اصالتنا واصالة التراث العالمي فلنا اندعو للتعرف على تراثنا الماضي والتعريف به بعيدا عن كل تفاخر جاهل وخيلاء فارغة وعصبية عمياء .

نقد بعد دراسة وتحليل

والآن فلا بد لنا من ان نتعرف على تراثنا ، والذي اقصده من هذا التعرف ليس مجرد الاطلاع بل التعرف الناقد المتبصر . ان تراثنا ككل تراث فيه الغث وفيه السمين . فيه الصالح وفيه الطالح ، واني لاعتقد – مخلصا – ان سمينه اكثر من غثه وان صالحه اكثر من طالحه ، ولذلك كان من واجب كل عربي واع وقادر ان يغوص على هذا التراث وان يجري في طلبه حتى اذا وجده اعمل فيه نظره ففرق بين جيده ورديئه فنوه بالجيد وعرف به وحث على التمسك به ، واشار الى الرديء وحض على نبذه .

خذ مثلا ما يسمى (بالطب العربي) او (الطب البلدي). انه ولا شك خلاصة خبرة طويلة تحدرت الينا من ماضينا ، من اعمال اسلافنا وخبراتهم وما نقلوه عن غيرهم ، وانتقلت الى مجتمعنا الحاضر من مجتمعاتنا السالفة . وانت

حين ننظر الى موقف الناس من هذا الطب نجدهم واحدا من اثنين قلما يكون لهما ثالث : واحد يؤمن بهذا الطب ويلجأ الى هذه الوصفات ويعتقد انها صحيحة لا شك فيها ، وآخر يعتقد انها خاطئة مضرة لا فائدة منها . ولكن حاجتنا الى ثالث هو طبيب متخصص يعمل النظر في هذه الوصفات ويدرسها دراسة علمية نقدية في ضوء مكتشفات العلم الحديث ومقولاته فيقر ما كان منها صحيحا مفيدا وينبه الى ما كان منها ضارا او غير نافع على الاقل . ولقد تواترت الانباء في الاعوام الاخيرة عن توفر الاطباء الهنود والصينيين وسواهم من اهل الحضارات القائمة على دراسة طبهم القومي والافادة منه في عصرنا الحاضر فلم لا يشارك اطباؤنا في هذا ؟ ولم لا يعمل اساتذة الطب في كليات الطب العربية على الافادة من تراثنا الطبي الضخم فيؤدوا الانسانية خدمة كبيرة ويعرفوا بالتراث العربي ويساعدوا المجتمع العربي على التخلص من كثير من الوصفات والخرافات التي تضر بالصحة الخاصة والعامة ؟

لقد سمعت ان بعض اساتذة الطب المصريين بدأوا هذا فعرضي لهم وارجوا ان يشاركهم فيه اساتذة الطب في العراق وسورية ولبنان وغيرها من البلاد العربية التي فيها كليات الطب .

اقول هذا بالنسبة للطب وانا اعلم ان مثله صحيح في كل ميدان من ميادين المعرفة البشرية التي ساهم العرب فيها جميعا بالنشاط والثمرة مشرفة .

عاطفة وعقل وعمل

لقد كانت مواقفنا من تراثنا حتى الآن مواقف عاطفية فنحن (قد ورثنا المجد امجادا) ونحن كنا (ارحم الفاتحين) ونحن الذين صنعنا الانسانية الابجدية والارقام ، ونحن الذين اخترعنا الجبر ، **ونحن .. ونحن .. ولكن .. متى ؟ واين ؟ وكيف ؟**

وهذه هي الاسئلة التي لا نعرف لها جوابا ، واذا كان فاقد الشيء لا يعطيه فان الذي لا يعرف لا يستطيع ان يعرّفه ولذلك فان العرب ما زال يعتقد ان (اوغست كونت) هو اول من وضع علم الاجتماع ويجهل أن (ابن خلدون) قد سبقه الى ذلك — ضمن امكانيات زمانه وظروفه — وهذا العرب ما زال يعتقد ان مكتشف الدورة الدموية طبيب انكليزي مع ان ابن النفيس كشف جزءا منها ؛ وغير ذلك من المكتشفات والمخترعات التي قدمها العرب للانسانية .

لا شك ان العاطفة ينبوع فياض ومصدر دافق من مصادر الانطلاق والخلق والابداع ، ولا شك في ان العاطفة القومية حق وواجب وان التفاخر بالاسلاف واعمالهم من طبيعة الانسان،ولكن العاطفة التي لا يدعمها عقل اشبه ما تكون بزبد البحر لا يلبث ان يذهب جفاء ؛ بل ان العاطفة العمياء ضررها اكبر من نفعها لا سيما وانها تستفرغ القوى وتصرف الطاقة وتترك صاحبها خائر العزم راضيا عن نفسه دون مبرر . اما العاطفة العاقلة الهادفة فمصدر الطاقة ومنبع العمل وحافز الى الهدف وشاحذ الهمة .

ثم ان العمل المثمر الصحيح ، لا يكون الا لهدف معقول وغاية مرسومة وبعد ادراك الوسائل والغايات وفهم المقدمات والنتائج . وكل هذا صحيح بالنسبة لموقفنا من تراثنا ، ان تعرفنا على تراثنا وتعريفنا به ليس غاية في حد ذاته وليس هدفا عاطفيا يقصد منه مجرد التفاخر وانما هو واسطة الى غاية اهم ، وسبيل الى غرض اسمى .

المستقبل الزاهر

وهذا الغرض السامي هو المستقبل الزاهر الذي يليق بهذا التراث العظيم من جهة وبامكانياتنا المادية من جهة اخرى .

ان الماضي يستطيع ان يكون عبئا ثقيلا ومثبطا للهمم وقاتلا للعزائم كما يستطيع ان يكون حافزا ودافعا . انه يستطيع ان يكون عبئا اذا نمنا عليه واكتفينا بالتفاخر به واعتقدنا انا عظماء بماضينا فلا نحتاج الى ما يستحقه حاضرنا او مستقبلنا . كما انه يكون مثبطا اذا استفرغ الاعتزاز بعواطفنا واستنزف قوانا واشعرنا بنوع من الرضى المستكين، شأننا في ذلك شأن عائلة ماجدة تعيش على قديم امجادها وتكتفي من حاضرها بالتشنيع على ذوي المجد الطريف والهزء بهم والاحتقار لشأنهم بالرغم مما يستمتعون به من قوة وما تشكو هي من ضعف . ولا يخفى ان هذا العمل انما يعبر عن فشل يستره صاحبه بالتظاهر بالاحتقار والترفع

ولكنه تفاخر لا يجور على احد بالرغم مما قد يقابل به هذا الصاحب من مجاملة على طريقة (ارحموا عزيز قوم ذل) وما أصعب الرحمة على المرحوم !! .

وهذا الماضي يمكن ان يكون حافزا الى التشمير عن سواعد الجد وتدارك ما فات واللحاق بركب التقدم ومعالجة الخطأ الحاضر وبناء المستقبل الجيد ليناسب الماضي الأمجد وهذا ما يجب ان نسعى اليه ونعمل له .

ان تعرفنا على تراثنا يجب ان يستهدف هدفين واضحي المعالم مليئي التحديد :

أولهما معرفة هذا التراث والتعريف به .

ثانيهما : حمل هذا التراث منطلقا الى المستقبل .

اما التعرف على هذا التراث فامر ضروري لأسباب عقلية وسائية ، فنحن حين نتعرف على تراثنا نتعرف على ذواتنا ، نتعرف على حقيقتنا عارية وكما هي ، بخيرها وشرها ، بجمالها وقبحها ، بما لها وما عليها .

واني لأزعم بانه بدون هذا التعرف لا نستطيع أن نبني مستقبلنا ونعجز عن وضع خططنا لهذا المستقبل ونعتل في تحديد دورنا الذي سنلعبه في هذا العالم وفي حضارته وتقدمه .

ولعلي لا أبالغ اذ ادعي باننا ـ نحن العرب ـ فشلنا حتى الآن في ايجاد اصالتنا لأننا فشلنا في التعرف على ذواتنا وذلك بسبب من جهلنا لماضينا وبالتالي لحاضرنا .

ولأعد مرة أخرى الى شكوانا المرة الأليمة من تعصبنا للعرب وتعصبنا بحضارته وانسياقنا وراء نسبه وعصبنا على انفسنا تقليدنا الأعمى .

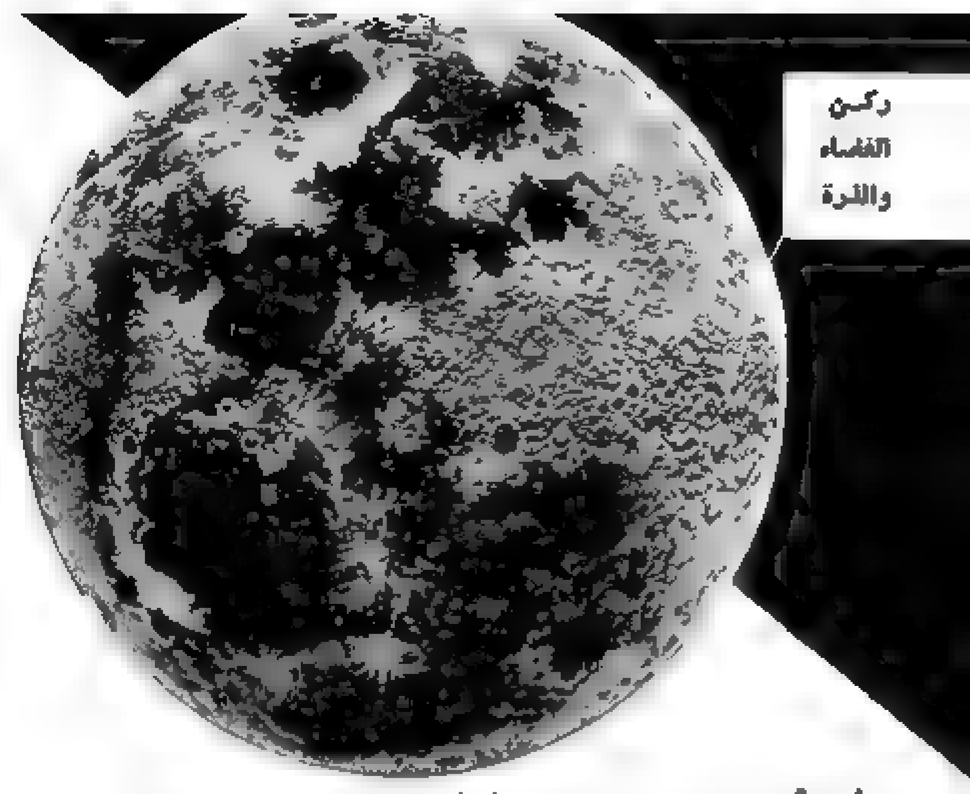
واني وان كنت اعتقد ـ جازما ـ بان جزءا من هذه الشكاية صحيح وجزءا آخر غير صحيح مما قد ألمحت اليه حين قلت فيما سبق من ان حضارة العرب ليست تراثه وحده ولا ملكه وحده ولا نتاجه وحده وانها أقرب الى ان تكون حضارة عالمية لنا فيها نصيب ، ولكني اعتقد ايضا ان واحدا من أهم أسباب انسياقنا الأعمى في هذا الميدان وفي سواه يعود الى اننا نجهل انفسنا . نجهل ماضينا كما نجهل حاضرنا وكما نجهل مستقبلنا ، فالأمة التي تعرف من هي ، ما كانت ، وما تحب أن تكون ، لا يمكن أن تنحرف الى غير ما تريد ، ومن هنا كانت دعوتنا الى وجوب التعرف على تراثنا والتعريف به ، انه تعرف وتعريف نقصد بهما تحديد بداياتنا ، وينتقل بعد ذلك الى تحديد حالنا الحاضر ليتوصل فيما بعد الى رسم مستقبلنا وتخطيط آمالنا .

هذه قاعدة عامة سليمة تنطبق علينا انطباقها على كل امة ناشئة تعي حاضرها وتتمثل مستقبلها ، غير اننا نمتاز نحن العرب بماض مجيد وتراث تليد وحضارة عريقة تستطيع جميعها أن تحفزنا الى تحسين حاضرنا والتطلع الى مستقبل زاهر لنا ، ولذلك فنحن نستطيع أن نفخر بهذا الماضي وان نعتز به ، ولكننا اذ نعمل ذلك يجب أن نعمله نتيجة لمعرفة عميقة واستهدافا لغرض نبيل .

هذا ، ولا يفوتني في ختام هذا المقال ان اشير الى ان تعرفنا على تراثنا وتعريفنا به ليس واجبا قوميا فحسب ولكنه قبل هذا وبعده واجب انساني حضاري، ذلك بان تراثنا ليس ملكا لنا وحدنا وانما هو ملك للانسانية التي ننتسب اليها والنوع الذي نتحدر منه فمن حق هذه الانسانية ومن حق النوع البشري ان يتعرف على هذا التراث وان يحدد علاقاته بما سبقه وما لحق به وان يفاخر به معنا .

هذا هو الموقف الذي اري ان نتخذه من تراثنا ، وهذه هي عموميات الخطة الواجب اتباعها ـ في نظري ـ لاحياء هذا التراث ويبقى ان ننطلق الى مهمتنا جادين وامين متحمسين لان العمل جدير بالهمم القعساء والعقول النيرة والعواطف الذكية .

فاخر عاقل



خروشوف يعود بروسيا إلى:

سباق القمر

■ للوصول الى القمر ، بين الولايات المتحدة وروسيا ، قصة قصيرة طريفة .

انقسم راى الولايات فى امر محاولة ارسال رجال من رجال الفضاء ، فى مركبات لهم ، ترفعها من الارض فى اول امرها الصواريخ ، الى القمر .

كان راى رئيس الولايات السابق ايزنهاور ، رايا معارضا . وكانت معارضته فيها شيء من الطرافة : قال انه من العبث محاولة الوصول الى القمر .

وجاء رئيس الولايات الراحل . كندى ، واعلن رايه فى الذهاب الى القمر اعلانا . قال فى مايو عام ١٩٦١ « **نحن لا نقبل ان يكون لنا فى الفضاء المحل الثانى** . » . واذ جعل الامر سباقا بينه وبين الروس ، وجعل منه مسألة تتصل بكرامة الدولة ، حمل معه اكثر نواب الامة .

وضربوا موعدا

وضرب علماء الامريكان لذلك موعدا ، اعلنه كندى ، فكان عام ١٩٧٠ ، عاما تطأ فيه الامريكان القمر ، يهبطون عليه

بأرجلهم ، ويعودون منه .

وتمضي السنة التالية ، وتتضخم ميزانية التحضير لنزول القمر . تضخمت في الولايات حتى صار المشروع يكلف ٢٠ ألف مليون دولار .

ولم يعلم أحد كم بلغت تكلفة هذا السباق عند الروس .

بسبب الحصاد تخرج الروس من سباق القمر

لم يجيء هذا العام ، عام ١٩٦٣ ، وينتصف ، ويمضي بعد انتصافه ، فاذا الروس يشكون قلة الحصاد . واذا بهم يبيعون الذهب لأوروبا وغير أوروبا لشراء ما تخلفت عنه زراعتهم من انتاج القوت . واذا خروشوف يطلب من الولايات أن تبيعه الملايين من أطنان الغلال ، ويعلن في نفس الوقت تقريبا خروج روسيا من سباق القمر ، ويتمنى للولايات المتحدة الوصول اليه ويبارك مجهودها

جـدل قديم

واهتزت الولايات لذلك ، واستيقظ في الولايات الجدل القديم عن مشروع الهبوط على سطح القمر .

أما المعارضون فأعادوا معارضتهم لمشروع أبولو Apollo ، مشروع النزول على سطح القمر ، وما تتطلبه من كلفة باهظة ، لو أنها تحولت عن هذه الغاية ، لنفعت غايات أمس وأنفع ، ولنفعت تكون للكبرياء الأمريكية أرفع . وهم يقولون ان القمر لا خير فيه ، وانه من حجر لا ينفع . وهم يقولون ان العلم ، يأتي به رجل ينزل على سطحه ، يمكن استفادته بمركبات ترسل الى القمر أو تدور حوله لا انسان فيها ، وانما فيها العدسات ترى والأجهزة تسجل .

وأما المناصرون فأخذوا يشككون في نوايا الروس ، وأنهم انما قالوا ما قالوا لتثبيط همم الأمريكان، وذلك ليمضوا هم في سبيلهم الى القمر في خفاء ودون اعلان . ويمضي المناصرون ، فيعددون ما صنعت بحوث القمر للأمريكان من كشوف علمية ، وأخرى تكنيكية ، ما كانت لتكون لولا هذه البحوث ، وأنه التقدم العرفاني تجنيه الولايات منها ، أدى ذلك الى النزول الى القمر أو لم يؤد .

الحقيقة البالغة

وفي هذا الجدل ظلت الحقيقة البالغة تطل برأسها . فهذه البحوث لا شك قدمت الأمريكان تقدما عظيما . ونضرب بالصواريخ مثلا : كانت عقدة العقد في تفوق الروس على الأمريكان قوة صواريخهم . كان الروس يطلقون الأقمار الاصطناعية وزنها بالأطنان ، والأمريكان يطلقونها ووزنها بالأرطال . واليوم ؟ آخر علم لنا أن الصاروخ ساترن Saturn أو زحل ، ذلك الذي أعدوه ليحمل المركبة الفضائية برجالها الى القمر ، جربوه منذ قليل ، فخرجت الأرقام تقول انه ، ولو لم يكن له الا جزآن يصعدان به على مرحلتين فقط بدل المراحل الثلاث المعهودة ، فانه له من قوة الرفع ما يستطيع أن يرفع مركبة وزنها مائة طن الى السماء ، أو يزيد !! صار هذا الصاروخ الأمريكي أقوى صاروخ في العالم ، وبز الروس . هكذا قال الأمريكان .

ولئن بز الأمريكان الروس ، أو حتى لو أنهم ساووهم (وهناك رأي يقول بالمساواة) ، فلهذا البز أو حتى المساواة ، ثمرات فوق ثمراته العلمية ، تلك الثمرات السياسية ، وهي ثمرات للروس والأمريكان ، وللدنيا العريضة ، معا . أعني ثمرات السلام ، وخفوت أصوات التهديد بحرب لا تبقي ولا تذر .

أدرك الأمريكان ، من خلال هذا السباق ، ضخامة ذلك الحقل الذي كان ، أدركوا ما جاءت به بحوثهم في عالم العلم والتكنية ، وعالم السياسة ، من ثمرات ، فأبوا أن يخذل منهم خروج الروس من ميدان السباق ، فلا يواصلون العمل للنزول على سطح القمر .

وقال الأمريكان : الروس خرجوا من السباق عن عجز وعن فقر

وزادوا على ذلك ما اتهم الروس .

قالوا ان الروس لم يخرجوا من السباق عن تقوى الله . انما خرجوا عن عجز . عجز اقتصادي ، وخراب زراعي ، وفشل عقائدي !!

الصاروخ الذاهب الى القمر

● وقد سموه ساترن Saturn ، ومعناه زحل ، وهو كذلك اسم اله من آلهة اليونان، واضافوا اليه انه الخامس Saturn V ، لأنه خامس تصميم له واقوى تصميم ، وهو الذي سوف يستخدم لارسال رجل أو رجال الى القمر .

والصورة لغطاء مكور ، هو غطاء خزان الوقود ، وهو اسطواني الشكل ، حتى اذا انطبق عليه انضموه في جداره . بقي ان نقول ان قطر هذا الخزان الاسطواني ١ امتار .
ان ساترن الخامس أقوى صاروخ في الدنيا .

خروشوف يعلن انه ما خرج من سباق القمر

ظن الأمريكان والروس في أحسن مكان منذهم يثير الارتياع . فخرج خروشوف عليهم يقول ان روسيا لم تنصرف ابدا عن هدفها للوصول الى القمر ، وان الذين زعموا ذلك أساءوا فهما . وقال

– انا من صعوباتنا الاقتصادية ، فانتم أيها الامريكان تتكلمون عنها دائما ان ننصرف عن برامجنا من اجلها . ان كل الذي اقوله في هذا الصدد ان اطلب اليكم ان تكفوا عن ترديد هذه الاقوال ، فاقتصادنا جيد ، وهو اليوم جيد ، وغدا جيد ، وهو في المستقبل اجود مما كان في امسه دائما ابدا !! .

واستشهد خروشوف في احاديثه هذه الأخيرة بالقمر الاصطناعي الاخير الذي اطلقه الروس ، ذلك بسبوطنيك رقم (Polyot 1.1) ، وهو قمر امكن الروس تغيير مساره وهو في الفضاء ، واشهد بالاقمار انها اذا اتخذت مدارا ظلت فيه فلا تستطيع بعد ذلك ان تغير وجهته انسان . وامكان توجيه الانسان لمركبة الفضاء ، حيثما شاء ، سواء كان هذا الانسان راكبا في المركبة ، أو هو يوجهه وهو على سطح الأرض . امكان التوجيه هذا له صلة وثيقة بمشروع الهبوط على القمر . ان مركبة انت تقودها كما تشاء ، غير مركبة تحملك رغما منك الى ما هي تشاء .

هل من تعاون بين الروس والامريكان

ومن الطريف في هذا الصدد ان اشار الرئيس كندي الى احتمال تعاون الأمريكان والروس في بحوث النزول على القمر . وعقب خروشوف على هذا بالرضا . ولكنه ربطه بروابط سياسية تتصل بارتخاء التوتر الدولي ، وبخطوات لا بد تخطى في ميدان منع التسلح . وهو اصرح على عادته الفكهة ان تذهب الى القمر رجل فضاء روسي وصحبته فتاة فضاء امريكية!! ولا شك هو يريد مداعبته .

وفي روسيا قال الاستاذ الروسي بلاجونرافوف Blagonravov ان رأي اهل الاختصاص انه بعد نزول الروس الى القمر ، ونزول الامريكان ، يمكن ان يتعاون البلدان في هذا السبيل .

وفي امريكا قال الدكتور درايدن Dryden ، مدير هيئة الفضاء الأمريكية N.A.S.A. ، ان مطالبة الدولتين بالتعاون في هذا السبيل الآن معناه الغاء برامجهم القائمة الآن جميعا ، وبدئهم من جديد في الصعود . وهذا لا يكون .

والمعنى المستفاد من كل هذا ان الدولتين ماضيتان ، كلاً على حدة ، تعملان للذهاب الى القمر بجهد لم يكد ان ينال منه كل هذه الأحداث شيئا ، رغم النفقة الباهظة التي قد تبلغ حد الاعجاز .



احتجاج فى غير محله

عن جريدة « نيويورك هيرالد تريبيون »

● حكومة بون (المانيا الغربية) تحتج بشدة لان المستر مكنمارا (الولايات المتحدة) قد قرر توفير ملايين الدولارات وذلك عن طريق تخفيض القوات الامريكية المرابطة فى المانيا الغربية . ونحن نرى ان حكومة بون تكثر من الاحتجاج ، وكثيرا ما يكون هذا الاحتجاج فى غير محله ، كما هو فى مثل هذه الحالة . ان ما قرره المستر مكنمارا هو نقل بعض الالوية من الجنود ، مع الاحتفاظ بالاسلحة النووية ، والطائرات ، وحاملات الطائرات ، والجنود المتخصصين لهذه الاسلحة .

ان ادعاء بون بان وجود هذه الالوية التى قرر مكنمارا سحبها من المانيا ، سيجعل روسيا تفكر مرتين قبل الاقدام على عمل شىء ، هو ادعاء لا اساس له من الصحة ، ذلك لان القوات الامريكية والانجليزية الموجودة فى المانيا الغربية كافية لصد اى هجوم . ثم ان المهم فى اى حرب قادمة ليس عدد الجنود ، بل كفاية آلات الحرب الحديثة .

نصيحة نزجيها لحكومة بون هى : لا تكثرى من الاحتجاج دون ان يكون هناك مبرر لهــذا الاحتجاج .



مكنمارا — ايرهارد

الغنى

عن جريدة « سبيكتيتور »

● ترى هل وصلت الى علمك قصة مرض جورج بروس ؟

ان بروس هذا ليس سوى عامل زراعى من الفلاحين ، كان مريضا مرضا كان من الممكن ان يودى بحياته

لقد انذره الاطباء ان حياته فى خطر محقق ، ما لم يكن احد اقاربه مستعدا لان يقدم له كلية سليمة تحل محل كليته المريضة . انه ولا شك مطلب عسير ، وتضحية لا ننتظرها من اقرب قريب





رئيس الوزراء متى يتكلم بصراحة ؟

اللورد هيوم — المستر ولسون



من جريدة « الصنداي اكسبريس »

● نحن ننتظر من المستر اليك دوجلاس هيوم ان يتكلم بصراحة ووضوح ، ردا على تحدى المستر هارولد ولسون حول موقف الحكومة البريطانية من السوق المشتركة اذ ما زال هناك شك وقلق في بريطانيا حول سياسة الحكومة تجاه اوروبا .

ولقد اعطى المستر ولسون لرئيس الوزراء الفرصة لابعاد هذه المخاوف .

فليتكلم رئيس الوزراء مرة ، ولتكن الاخيرة ،معلنا ان حكومته لا تفكر ، في اي حال من الاحوال، في الانضمام الى السوق الاوروبية المشتركة .

وانا لمنتظرون ، ونرجو الا يطول الانتظار .

* * *



قبل ان يفوت الاوان

من جريدة « دالاس مورنينج نيوز »

هذه نشرة طبية تهم نظرنا جميع سكان العالم.

تقول هذه النشرة : ان المستر ميكويان ،والمستر سوسلوف كبير المشرفين على الامور النظرية السياسية في روسيا ، مريضان مرضا خطيرا .

وبعبارة اخرى فان اثنين من الرجال الستة الذين يتزعمون روسيا قد يختفيان في المستقبل القريب عن المسرح السياسي . وهذا يقودنا الى التساؤل : ماذا يحدث لو اصيب خروشوف بالمرض الآن ؟ وماذا يحدث لو اضطر خروشوف الى تسليم زمام السلطة الى زعيم روسي معاد للغرب ؟

الا يثير مجرد التفكير في هذا الامر نوعا من الرعشة ؟

هذا ما لا نشك فيه ، اذ الواضح لنا ان خروشوف لا يريد الحرب .

وفي رأينا ان ما يجب على الغرب فعله ، هو انتهاز فرصة وجود خروشوف في الحكم من اجل تخفيف حدة التوتر الدولي وذلك بعقد الاتفاقيات والمعاهدات التى تهدف الى سلامة وطمأنينة الجنس البشرى .

الباقى ..

ومع هذا فان الذى حدث هو ان تقدم من اقارب هذا العامل ستة اشخاص – وكلهم يعتمدون في كسب رزقهم على صلاحيتهم البدنية – وعرضوا انفسهم لان تجرى عليهم العملية . وهكذا تم انقاذ حياة بروس

والسؤال الذى يلح على منذ ان قرأت هذا الخبر هو : ترى كم من اقاربنا مستعد لان يقوم بمثل هذه التضحية من اجلنا ؟

ان جورج بروس عامل فقير اذا قسنا ثروته بمقياس المال . ولكن الواقع انه غنى جدا .. غنى بحب اولئك الذين يحيطون به ، وهذا هو الغنى [illegible]

حفيدات بلقـ

ملكات عظيمات مسلمات حكمن اليمن فى غابر الايام

كانت منهن من هى أعظم ملكة عربية فى الاسلام

بقلم : الدكتور محمود الغول

الاستاذ المساعد للغات السامية بجامعة سانت اندروز – اسكتلنده

حكم اليمن دول شتى ، كان من بينها دولتان شهيرتان ، دولة بنى نجاح الحبشى ، وكانت سنية المذهب ، ودولة بنى صليح ، وكانت فاطمية تحكم تحت سيادة الخلفاء الفاطميين فى مصر . اما دولة بنى نجاح فلم يسد من نسائها امراه لها فى التاريخ ذكر . واما دولة بنى صليح فكان منها نساء عظيمات ، اشهرهن اروى بنت احمد ، « اعظم ملكات العرب فى الاسلام » ، كانت قارئة كاتبة ، تحفظ الاخبار والاشعار ، ساست الملك ولعبت بالرجال . وماتت عن نيف وتسعين عاما ، فزالت الدولة بزوالها.

■ ملكة سبا مذكورة فى القرآن الكريم .

وملكة سبأ مذكورة كذلك فى العهد القديم من الكتاب المقدس .

ورغم أن القصة فى كلا الكتابين مختصرة الا انها تشير الى مكانة تلك الملكة الرفيعة والى عظمة ملكها وبسطة سلطانها .

وقد استهوت قصتها الناس أصحاب الاخبار فى القديم والحديث فبنوا حولها من القصص والأساطير ما ليس له أصل فى القرآن الكريم ولا فى العهد القديم . فسماها الاخباريون من العرب بلقيس ، وهو اسم لم تعرف به فى أى من الكتابين ، ونسجوا حول ذلك الاسم تاريخا واخبارا ما زالت صحتها تفتقر الى الدليل . وقد صعب بعض الباحثين فى تاريخ العهد القديم أن يكون للعرب ملكة تحكمهم فى ذلك العهد السحيق ، فرأمنه أن وُجد بعد البحث ، أن الدراسات الأثرية كشفت فى أخبار البابليين وغيرهم عن وجود عدد وافر من الملكات حكمن فى بقاع مختلفة من بلاد العرب فى تلك الأزمنة القديمة .

أما العرب من أهل العصور الاسلامية فلم يصل الى علمهم خبر تلك الملكات اللواتى حكمن فى شمال جزيرة العرب فى تلك العصور السحيقة – اللهم الا الزباء فى عهد ليس ببعيد من الاسلام – فجعل بعضهم يتشبث بأهل اليمن لانهم


لیس

حكمتهم امرأة . وكان هؤلاء المتندرون بين هازل يريد أن يجد شيئا يمزح به ، وبين جاد يعجب كيف يرضى رجال أن تحكمهم امرأة ، واعمى أن رأيهم هذا حق لا يمحص ، مؤيدين وهمهم هذا بحكم واقوال مأثورة اخترعوها ، على الأغلب ، بعضهم لرشاد لبعض .

مكانة المرأة بين العرب

أما اليوم فالناس يسارعون الى نشر ما انطوى من اخبار شهيرات النساء في العصور العربية الماضية يدفعهم الى ذلك في أحيان كثيرة منهم أن يثبتوا ويبينوا للناس أن مكانة المرأة بين العرب لم تكن ضعة وهوانا ، وأن الفضل بين نسائهم ثابت مشهور . وأظن القارىء العربي اليوم ألف أسماء كثيرات من شهيرات النساء العربيات في المشرق والمغرب في عصور الحضارة العربية السابقة ، ولكن يخيل الي أن حديث بلقيس في اليمن قبل الاسلام قطع على ذكر شهيرات النساء في اليمن بعد الاسلام ، بحيث لم ينتشر لهن في أزماننا هذه ذكر الى جانب غيرهن من شهيرات نساء العرب في الأقطار الأخرى . والواقع الذي يؤسف له ، ولكن ينبغي أن نقر به ، هو أن جهل القارىء العربي بأحوال اليمن وتاريخه لا يقف عند الجهل بشهيرات نسائه بل يعدو ذلك الى أمور أهم وأعم . ولكن ليس ذلك موضوع حديثنا هنا .

عرفت اليمن زمن الاسلام دولا قوية وحضارات زاهية ، وعرفت ضمن تلك الدول نساء شهيرات قد لا يصل الى مكانة بعضهن كثيرات من شهيرات نساء العرب خارج اليمن . وأهم هذه الدول دولة بني زياد (٢٠٤ — ٤٠٧ هـ) ، ثم دولة الصليحيين (٤٣٩ — ٥٣٢ هـ) ، وقد عاصرتها ونازلتها دولة بني نجاح الحبشيين بتهامة وزبيد (١) ([illegible] هـ) ثم دولة بني رسول (٦٢٦ — ٨٥٨ هـ) . وكان للمرأة في هذه الدول شأن ومكانة ، ولا سيما في دولة الصليحيين التي يكاد تاريخها أن يكون في الواقع تاريخ امرأتين .

دولة بني زياد

ينتسب بنو زياد الى زياد بن أبيه ، أو ابن أبي سفيان ، عامل معاوية المشهور . وقد ولى المأمون العباسي أحدهم ، وهو محمد بن زياد ، اليمن حين قامت فيه الفتن عام ٢٠٤ للهجرة ، فقام بالأمر على وجه سليم ، وأحسن هو وأولاده السياسة والسيرة في الناس . ثم اتصلت الولاية في بنيه حتى صارت دولة لهم .

وانتهى الأمر في بداية القرن الرابع للهجرة الى واحد من أحفاده اسمه أبو الجيش بن زياد ، بلغ الثمانين من عمره في الملك ، ومات عام ٣٧١ . وقد اضطربت الدولة في أيامه واستقل بعض الأعمال عن الدولة ، ولم يبق له سلطان على الأطراف البعيدة عن زبيد (١) عاصمة دولتهم .

هند بنت أبي الجيش بن زياد

ولما مات هذا الشيخ خلف ولدا صغيرا انتقل اليه الملك تحت رعاية أخته هند بنت أبي الجيش .

وكان بنو زياد قد أكثروا من استعمال المماليك والعبيد من الحبشة فصار لهؤلاء السلطان الحقيقي في الدولة .

وقد انتهت رياسة هؤلاء الحبشة الى عبد من النوبة اسمه الحسين بن سلامة أثبت كفاءة عظيمة فرد دولة بني زياد الى سابق قوتها ومنعتها ، ونشر العدل والرخاء في اليمن بحسن سياسته وصلاح سيرته ، ويقول فيه عمارة اليمني مؤرخ اليمن « وأخبار حسين ومحاسنه باليمن مجلدات بل مخلدات » .

ولكن يبدو أن ولاء هؤلاء المماليك كان في الدرجة الأولى الى هند أخت الطفل فلما مات الملك حوالي تاريخ وفاة الحسين بن سلامة عام ٤٠٢ للهجرة ، انتقل الملك الى طفل آخر تحت رعاية هند عمته وكان من بين قواد الحبشة رجل شديد الولاء لهند اسمه نجاح ، فأحفظ ذلك عليه قائدا آخر ينافسه واغتنم فرصة غياب نجاح هذا عن زبيد عام ٤٠٧ فقتل هندا والملك الطفل ابن أخيها . وبذلك زالت دولة بني زياد . ولكن نجاحا زحف بعد ذلك على زبيد وأخذها وقتل خصمه القاتل ،

---

(١) زبيد مدينة في اليمن على الطريق الواصل بين عدن ومكة تبعد نحو ٢٥ كيلومترا من البحر الأحمر .

وصارت له الدولة في زبيد وفي ما كان لها من الأعمال ، وباحتلاله زبيد بدأت دولته ودولة ابنائه المعروفة بدولة بني نجاح .

الى بقيت هند بنت أبي الجيش صاحبة الكلمة الأولى بين بني زياد قرابة اربعين سنة ، ورغم ان السلطة الحقيقية لم تكن في يدها الا انه لا شك ان قدرتها وحنكتها هما اللتان استطاعتا ان تحفظا اسم الدولة على الاقل تلك الفترة الطويلة . ولولا حقيقة مكانتها وهيبتها لما احتاج ذلك القائد القادر ان يقتلها . وسنجد هذه الظاهرة ، ظاهرة الولاء لسيدة من اهل بيت الملك ، حين يضعف امر الرجال منهم او يغيبون امرا كثير التكرر في تاريخ اليمن في الدول الثلاث الكبرى التالية .

اسماء بنت شهاب

استقر الملك لنجاح الحبشي في زبيد وتهامة وانتشرت في بقية اليمن دويلات وحركات محلية . وما لبث ان ظهر من بينها رجل يقوم بالدعوة الفاطمية في اليمن هو علي بن محمد الصليحي .

بدأ امر الصليحي في الجبال شمالي اليمن عام ٤٢٩ للهجرة ، وسرعان ما استفحل امره فاستطاع ان يستولي على جميع اليمن وقضى على اعظم خصومه ، نجاح الحبشي ، بأن احتال لسمه على يد جارية اهداها اليه ، وكان ذلك عام ٤٥٢ .

ويجمع المؤرخون ان الصليحي كان يشرك معه في امره زوجته السيدة اسماء بنتَ شهاب ، أولى الرائدتين الصليحيتين في تاريخ الدولة الصليحية .

ورغم ما يذكره المؤرخون عن ورع علي بن محمد الصليحي وتقشفه في شبابه وانقطاعه لتنظيم امر دعوته ، الا انهم يذكرون انه هام بحب اسماء هذه ، فلما خطبها من ابيها ، وكان من اصحابه ، اشتط عليه في المهر ، لان اباها ، كما يقول المؤرخ عمارة ، كانت تراها لا تصلح الا لملك . فاستعان الصليحي على مهرها بواحد من كرام الحبشة في زبيد ، فاستطاع ان يتزوجها . ولعل هذه القصة مما شاع على الالسن بعد علوّ نجم الصليحي ، وعلو شأن السيدة اسماء . وقد بلغ من مكانتها في دولة زوجها انه كان يخطب لها على المنابر فيخطبُ اولا للمستنصر ، الخليفة الفاطمي في مصر ، ثم لعليٍّ الصليحي ، ثم لزوجته اسماء فيقال : اللهم وأدمْ ايام الحرة الكاملة السعيدة كافلة المؤمنين .

وكانت اذا حضرت مجلسا لا تستر وجهها عن الحاضرين . وفيها يقول احد شعراء زمانها :

وسَمَتْ في السماء سُمْكاً نجوم
لم تَدَعْ من معالم البخل رسْما
قلتُ الا جمعوا ليقتبسَ عرشا
دَسْتُ اسماء من ذُرا النجم اسمى

ويقول عمارة المؤرخ فيها : « وكانت اسماء من الكرم والسؤدد والجوائز السنية الجزيلة للشعراء والصلات الواسعة في سبيل المروءة والخير ، بحيث يمدح اولادها واخوتها وبنو عمها بمفاخرها » .

سعيد بن نجاح يفتك بالصليحي ويأسر اسماء بنت شهاب

وفي عام ٤٥٩ه ودولة الصليحيين في اوج مجدها خرج علي بن محمد الصليحي حاجا في موكب عظيم من الامراء والكبراء المقربين لدولته ، وكان معه زوجته اسماء هذه . وكان هو وخاصة اهل بيته متخلفين عن الموكب قليلا ، فيلتقيهم سعيد بن نجاح الحبشي بجماعة من اعوانه الحبشة ويقتل الملك الصليحي وجملة خاصته واسر النساء بعد ان استخلص ابن احد امراء الصليحيين من سعيد .

حمل سعيد الاحول ، كما كان يعرف ، السيدة اسماء الى زبيد وجعلها اسيرة . ورغم انه نصب راس زوجها المقتول وراسَ اخيها على رمحين ، جعلهما امام الطاق الذى تنظر منه ، جريا على عادة تلك العصور في نصب رؤوس الاعداء المقتولين اعلانا بمصيرهم ، رغم هذا لم يشهد احد من المؤرخين انه اساء معاملة السيدة اسماء في شخصيتها .

بقيت اسماء في الاسر ولم يستطع ابنها الملك المكرم ، الذى ولي الملك بعد ابيه الصليحي ، ان يثبت قوته من جديد وان لم يستطع ان يردها نجمت عليه في كل مكان حتى في صنعاء عاصمة ملكه. ولكنه استطاع بطول الصبر والمثابرة ان يثبت قوته من جديد وان لم يستطع ان يردها الى ما كانت عليه زمن ابيه .

يقول المؤرخون ان السيدة اسماء احتالت عام

٤٦٠) في ارسال كتاب الى ابنها المكرم ، جعلته في رغيف ، واسلمته الى رجل ضعيف فوصله الى المكرم وهي تقول فيه : « اني صرت حُبلى من العبد الاحول ، فأن ادركتني قبل ان اضع ، والا فهو العار الذي لا يزول » . فلما وقف المكرم على الكتاب ، جمع الناس واوقفهم عليه ، فضجوا بالبكاء وثارت الحفائظ ، وسار المكرم من صنعاء في ثلاثة الاف فارس بعد ما حالفهم وخطبهم ، وزحف على زبيد فاحتلها بعد قتال مرير وهرب سعيد الاحول بن نجاح ومن معه الى دهلك ، وهي جزيرة قريبة من سواحل الحبشة في البحر الاحمر .

ولما دخل الجيش المنتصر زبيد ، كان ابنها اول من وصل اليها ، فسلم عليها ، وبعدها دخل الجيش واستعرضته « وهي في الطاق لا تستر وجهها ، وذلك عادتها في ايام زوجها ، لتسمو قدرها عما يحتجب منه النساء » . ويقول عمارة بعد ذلك : (ولم يكن قولها في كتابها : « انا حاملة من العبد » صحيحا ، وانما ارادت ان تثير حفيظته).

أعظم ملكات العرب في الاسلام

وتختلف الاخبار فيما جرى بعد هذه الوقعة ، فبعضها يقول ان المكرم واصل القتال والنظر في شؤون الدولة ، وبعضها يقول انه اصيب بشيء من فالج يوم استنقذ امه من زبيد ، وان الامر انتقل الى يد امه اسماء بنت شهاب ثم الى يد زوجته ، اعظم ملكات العرب في الاسلام ، السيدة الحرة الملكة اروى بنت احمد . ومهما يكن من خلاف في حقيقة ما تلا عام ٤٦٠ مباشرة الا ان المتفق عليه ان المكرم قعد به المرض وصار الامر الى زوجته الملكة الحرة واستبدت بالامر كله بعد وفاة امه اسماء عام ٤٦٧ .

مولد اروى بنت احمد

وُلدت الملكة الحرة عام ٤٤٠ ، وتقول الاخبار ان اسماء بنت شهاب تولت تاديبها وتهذيبها . والاخبار كثيرة عن ما كان يبدو عليها من مخايل النجابة والهمة في صغرها ولعل معظمها مما تزيده الناس فيما بعد ليوافق ما راوه فعلا من عظمة مكانتها وعلو همتها .

ومما يؤسف له ان التواريخ مضطربة متضاربة في هذه الحقبة ، وقد يذكر بعض الاخبار تاريخا لمولدها ويذكر خبر آخر تاريخا لها بعد ذلك بعشرين سنة . ولكن يبدو بعد التمحيص ان المكرم احمد بن علي الصليحي تزوجها عام ٤٥٨ ، قبل مقتل ابيه بعام . وفي عام ٤٦٠ بعد استنقاذ امه من زبيد ، بدت عليه عوارض الفالج .

وينسب اليها بعض المؤرخين الفضل في حياكة مؤامرة عام ٤٦١ استطاعت بها ان تستدرج سعيدا الاحول بن نجاح – وكان هو قاتل ابيه – ونصبت له كمينا اهلكته فيه هو وجيشه واعادت زبيد وتهامة الى الصليحيين . ولكن يستبعد بعض الباحثين ان يكون لها يد في ذلك ويبينون ان الذي قتل سعيدا انما هو المكرم قبل ان يقعده المرض . ولعل هذا هو الاصح ، ولكن نسبة الامر الى الملكة الحرة قد ترجع الى اختلاط الاخبار على الناس فيما بعد ، ولا سيما بعد ان اقترن اسم الملكة الحرة بكل فعل مجيد في دولة الصليحيين منذ قيام المكرم بالحكم .

ولا شك ان الملكة الحرة شاركت في امور الدولة منذ اصاب المرض زوجها ، فلما ماتت امه السيدة اسماء « فوض الامر الى زوجته هذه ، الملكة السيدة اروى بنت احمد ، واستروح الى السماع والشراب ، واستبدت الملكة السيدة اروى بنت احمد بالامر » .

ثم يقول عمارة : « ويقال انها استعفته في نفسها وقالت له : ان امرأة تراد للفراش لا تصلح للتدبير ، فدعني وما انا بصدده ، فلم يفعل » .

اروى تخرج من صنعاء في جيش جرار

عندها ارتحلت من صنعاء في جيش جرار وتركته في صنعاء ، وجعلت مركز ملكها ودولتها في ذي جبلة ، في وسط جبال اليمن المنيعة ، وهناك بقيت عاصمتها الى عام موتها سنة ٥٣٢ . ثم ما لبثت ان الزمت المكرم بالرحيل من صنعاء الى ذي جبلة حيث بقي في الواقع حبيس بيته معزولا من الناس والدولة حتى مات عام ٤٧٧ .

وبموت المكرم اتخذ وضعها على راس الدولة شكلا جديدا . فقد كان زوجها اوصى بالامر من بعده الى امير من اهل قرابته هو ابو حمير سبأ بن احمد الصليحي ، ولكن الملكة الحرة كانت تعلم ان سبأ هذا من قوة الشخصية بحيث لا يترك لها يدا في الدولة . ولما كانت دولة الصليحيين تقر بالطاعة للخليفة الفاطمي في مصر فقد كتبت

الملكة اثر موت زوجها ، وكان ذلك سبيلا لانقطاعه التام عن الناس ، الى ان جاءها سجل من الخليفة الفاطمي المستنصر بالامامة لولدها علي بن المكرم مكانه وكان علي هذا في العاشرة من عمره ، وطبيعي ان الامر كله كان في يد امه الملكة .

سبأ بن احمد الصليحي ينازع اروى

سكت سبأ عن حقه في الملك ، ولكن غضبه من ضياع فرصته جعل الملكة الحرة تعزل عنه بعض انصارها من اصحاب الاعمال لتشاغله عنها ، ثم استفتت الخليفة المستنصر في الامر بما كانت ترسل اليه من الاخبار حتى ارسل سجلا الى السلاطين « يحثهم فيه على تناسي الاحقاد بوجوب طاعة الملكة الحرة وابنها الملك علي بن المكرم » .

ولكن الملك الصغير توفي بعد قليل ، وكان اخوه الاصغر قد مات قبله . وعندها رأى سبأ بن احمد ان يعود المطالبة بحقه . ولكنه كان يخشى سطوة الملكة الحرة في البلاد ومكانتها عند الخليفة الفاطمي ، فاحتال لنفسه هذه المرة بان خطبها لنفسه . فرفضت ذلك وأبت منه ، فجمع جموعه ليهددها ، وجمعت جموعها لتقاومه . وكاد ينشب القتال لولا ان اخا الملكة لامها اشار على سبأ ان يرسل الى الخليفة يطلب الملكة الحرة منه لنفسه ففعل .

اروى تستجيب لرغبة الخليفة

وعاد رسولاه من مصر ومعهما كتاب من الخليفة المستنصر الى الملكة الحرة بانه زوجها من سبأ ابن احمد الصليحي ، وجرت في حضرتها محاورة طريفة بينها وبين رسول المستنصر اوردها عمارة في تاريخه . ويلفت النظر خطاب المستنصر الملكة في صدر الرسالة اذ يقول : « امير المؤمنين يقرأ السلام على الحرة الملكة السيدة الرضية الطاهرة الزكية ، وحيدة الزمن ، سيدة ملوك اليمن ، عمدة الاسلام ، ذخيرة الدين ، عصمة المؤمنين ، كهف المستجيبين ، ولية امير المؤمنين ، وكافلة اوليائه الميامين »

وقد رضخت لرغبة الخليفة الفاطمي وعقدت قرانها على سبأ بن احمد ولكن لم يكن بينه وبينها عشرة ورحل عنها صبيحة الزواج ولم يعد . وقد اقرته الملكة الحرة في مباشرة الدعوة الفاطمية في اليمن وفي كثير من امور الدولة ، ولكنها بقيت سيدته وكان الخليفة يكاتبها مباشرة .

سبأ يموت ، فتصبح أروى سيدة البلاد

فلما مات عام ٤٩١ لم يبق غيره من بيت الصليحيين لطالب حق ، فعهدت الملكة الحرة بمنصب الدعوة من امور الدولة وولته داعيا لا ينازعها في الملك وصارت سيدة البلاد المقرة لها بالطاعة مباشرة دون ستار من ملك ، ولو صورة .

وطبيعا لم تكن الاحوال في الدولة الصليحية على خير ما تكون ، اذ اضطرت الملكة ان تترك الاعمال والحصون الى المستولين عليها من الامراء وزعماء القبائل ما داموا مقرين لها بالطاعة . ولكن اهم ما اضعف دولة الصليحيين كان رجوع تهامة وزبيد الى ملك بني نجاح الحبشي عام ٤٦٢هـ عليهم جياش ابن نجاح ، اعظم ملوكهم ، وكان ملكا شاعرا ، وهو مؤلف التاريخ المشهور « المفيد في اخبار زبيد » . وقد عاش جياش حتى حوالى عام ٥٠٠ في قوة ومنعة ، وكان كثير من اهل اليمن يميلون احيانا مع بني نجاح على الصليحيين ، لان بني نجاح كانوا من انصار السنة ، يوسعون على الفقهاء والعلماء ، وقد جعلوا زبيد من اكبر مدن العلم في ذلك الحين .

أروى تسأل الخليفة مستشارا

ولما رأت الملكة معظم رجالها المخلصين يخطفهم الموت ، اما قتلا في الحرب واما بحكم الشيخوخة رأت ان تستعين بالخلافة الفاطمية في مصر لترسل لها مستشارا يرعى امور الدولة ، وكان ذلك عام ٥١٣ ، وعمرها فوق السبعين .

فجاء رجل اسمه ابن نجيب الدولة ، فالقت اليه مقاليد الامور ، وسار سيرة حسنة مدة خمس سنوات ، الى ان سولت له نفسه محاربة بني نجاح في تهامة ، فهزموه هزيمة منكرة ، وفر ، ثم رجع الى الملكة بعد ايام بعد ان كانت الاشاعة طارت بقتله .

ولما ابدت الملكة الحرة رضاها عنه ومساندته ، اثار ذلك حفيظة رجالها الآخرين فدسوا فيه عندها وفرقت الملاحة بينهما وتطاول على مقامها بان رماها بالخبل وقال :

— « لقد خرفت واستحق مثلي ان يحجر عليها

ويبدو أن الملكة علمت بذلك فعرضت عليه رجالها ، فحاصروه في الجند ، ولم يستطع الدفاع عن نفسه . فاستخفت بها ، فقاتلته ، واحتالت في فك الحصار فتمكن الناس من الجند . فقيل لابن نجيب الدولة : « هل أبصرت هذا التدبير الذي غلب ابن حرب ؟ » فركب اليها في « ذي جبلة » وانتصل واعتذر .

واخيرا تخلصت من ابن نجيب الدولة حين سخط عليه الخليفة الفاطمي الآمر واستدعاه الى مصر ، ولا يبعد ان ذلك تم بعلم الملكة ورأيها ، فاخذ الى مصر وغرق عند باب المندب بعد اعتقاله عام ٥٢٠ .

أروى تموت في أوج ملكها

وعاشت الملكة بعد ذلك حتى ٥٣٢ في هيبة الملك وجلال المقام رغم علو سنها ، ولم يكن يسلم ولاء الناس للصليحيين الا شخصها ، فلما ماتت عام ٥٣٢ عن تسعين ونيف زالت الدولة بزوالها . وقد ماتت عن ثروة مالية جليلة ، وقد أوصت بمجوهراتها ولعلها للامام الطيب المستتر التي ماصرت نحوله في وصية حفظت لنا ، ووصف هذه المجوهرات والتحف يبهر ويشي الدهشة من حصولها كلها لها .

ووصف عمارة الملكة الحرة فقال : « واما صفتها فكانت بيضاء حمراء مديدة القامة معتدلة البدن الى السمن أقرب ، كاملة المحاسن ، جهورية الصوت ، قارئة كاتبة ، تحفظ الاخبار والاشعار والتواريخ » .

ويقول غيره من المؤرخين ، انه كان يقال لها بلقيس الصغرى لرجاحة عقلها وحسن تدبيرها ، ويقول الباحثون ان الخليفة المستنصر الفاطمي كان رفعها الى مقام الحجة في سلسلة الدعوة الفاطمية وهي مرتبة فوق الدعاة ، فلم من يعترض على رفع أنثى الى مرتبة الحجة ونقض عزلة انصار لها قاموا يدافعون عن كرامة الاناث ، وان لهن فضلا لا ينكر اذا تميزن بالصفات الحميدة الموفورة .

ولقد يكون من خطل الرأي بعد الكلام عن امرأة في مكانة الملكة الحرة ان نطيل الكلام في نساء أخريات لم يكن لهن شأن يطول شأنها ، وانما كن من نساء الملوك ، ولعبن دورا في ايام ذويهن المتصلين به ان يؤثرن على مجرى الحوادث فترة قصيرة .

دول لم تشهد النساء ذكرا

اما دولة بني نجاح فلم تشهد النساء ذكرا ومقاما الا في آخر ايامها حين صار الملك الى اطفال صغار واستبد بالملك الوزراء من العبيد . وكان آخر الوزراء سرور أبو محمد الفاتكي ، من اسرة من الحبشة ، كان من موالي الحرة أم فاتك الملك ، فلما توفي ابنها ، وقام مكانه ابن عم له ، بقي سرور هذا صاحب الكلمة العليا ، وبقي ولاؤه لسيدته ، وكان يعاملها معاملة الملكة الفعلية ، يستشيرها في كل امور الدولة ، وكان اذا حضر بين يديها ينظر خداه بالارض اكراما لها .

ولما قتل سرور هذا عام ٥٥١ انتهت دولة بني نجاح بالزوال ، وزالت فعلا بعد ثلاث سنوات على يد علي بن مهدي الحميري .

واود ان اختم الكلام هنا بذكر امرأتين من بني رسول . وبنو رسول جماعة من الاكراد أي الجراكسة ، ومن اليهم من المماليك الذين انتشروا في الدولة الاسلامية منذ قيام السلاجقة الاتراك والايوبيين ، وكانوا جنودا محترفين ، يخدمون من دفع لهم اجرا يقبلونه ، او يتشاورون في طاعة من ملكة رقابهم بالاسترقاق . وقد ادعى بنو رسول نسبا عربيا الى الغساسنة ، وما زال الناس في اليمن يسمونهم « بني غسان » حين يذكرون شيئا من التاريخ .

صلاح الدين الأيوبي يضم اليمن الى دولته

بعد ان اضطربت الاحوال في اليمن بزوال دولة الصليحيين ، ثم دولة بني نجاح ، أرسل صلاح الدين الأيوبي من مصر من احتل اليمن وضمها الى دولته : وكان ذلك عام ٥٦٨ . وكان بنو رسول اول امرهم في اليمن في خدمة الامراء الايوبيين .

وفي عام ٦٢٦ استطاع عمر بن علي رسول ان يستقل باليمن عن الايوبيين ، ونشر دولته على اليمن كله ، وكان ملكه قويا عظيما ، فلما مات عام ٦٤٧ في جبال اليمن الجنوبية قتلا بيد مماليكه سار اولئك المماليك الى ابن اخ له اسمه فخر الدين فجعلوه ملكا ، وزحفوا الى مدينة زبيد عاصمة تهامة وثاني مدينة في دولة بني رسول اهمية بعد تعز . وقد تخطى المماليك ابناء عمر الثلاثة حين بايعوا ابن اخيه ، وكان ابنه الاكبر

يوسف في الهجم في شمال اليمن، وكان خاصم اباه لانه كان يفضل عليه اخويه الصغيرين من زوجته الثانية .

وهنا انحصت المشهد امرأة قوية غيرت وجه تاريخ تلك الحقبة .

بلقيس الصغرى

كان اسم المقتول بنت في زبيد اسمها ، او يكنى عنها ، « بالدار الشمسي » وهو اسلوب في الكنية من كريمات النساء كان شائعا في ذلك العصر الا نسب الى الطواشي الذي كان يقوم على خدمتها.

كانت هذه السيدة في حدود الثلاثين او اقل ، فلما علمت بموت ابيها وتولية ابن عمها ، وزحف المماليك على زَبيد ، قامت لتجمع الرجال،واطلقت الاموال وحصنت المدينة ، واغلقت ابوابها ، وصمدت للحصار ، وراسلت اخاها يوسف فجاء بعد عمه . فلما رأه المماليك اعدما اليهم ، ورأوا ان لا حيلة لهم في فتح زبيد ، خافوا وهربوا . فدخل زبيد منتصرا، وسرعان ما استقر له الامر في جميع انحاء الدولة . والواقع ان يوسف لم يكن اول الامر يطمع في ان يصل اليه الملك ، ولكن هذه المرأة لم ترد ان يكون الملك لاحد غير اخيها الشقيق هذا فكان لها ما ارادت .

والملك المظفر هذا ان يكون من اعظم ملوك بني رسول ، وملكه ٤٧ سنة ، وكان لاخته مقام كبير في دولته ، كما كان لها مشاركة في الحكم والتدبير .

ولما ماتت اخته هذه بعده بعام ، عام ٦٩٥ قال الامام المطهر بن يحيى ، امام الزيدية الذي كان باليمن : « ماتت بلقيس الصغرى » .

سيدة اخرى من بني رسول

ماتت « الدار الشمسي » بوهجها الخطير في منتصف القرن السابع للهجرة . وبعد قرن من الزمن ، في منتصف القرن الثامن ، ظهر لسيدة اخرى من بني رسول ، كانت الاقدار تخبىء لها على السنين ، ان تلعب دورا اكبر محفوفا بمخاطر اكثر في صيانة ملك ابنها السلطان المجاهد .

تولى السلطان المجاهد الملك عام ٧٢١ ، وعمره اربع عشرة سنة ، وكان التدبير في ملكه لامه المعروفة كناية « بجهة صلاح » ، نسبة الى الطواشي القائم بخدمتها . لم اليت المجاهد مع الايام انه ملك كفؤ قادر ، فقهر خصومه ومنافسيه واستقام له الامر . وفي عام ٧٥١حج السلطان المجاهد ، وبينما هو في مكة حصل نزاع بين اشراف مكة ، وكان بعضهم يوالي سلطان اليمن ، وبعضهم يوالي سلطان المماليك في مصر ، واتسعت الفتنة ، فقبض امير الركب المصري عليه واخذه اسيرا الى مصر .

هنا برزت والدته الى الميدان من جديد . فقد علمت بان سارت صحبة خواصها من الرجال والجند الى مكة ، واسترجعت كثيرا من اموال ابنها ، ومن الخيل والبغال والخصي والجمال والآلات ، مما كان نهب بعد القبض عليه ، ثم عادت متوجهة الى اليمن في موكب عسكري ودخلت تعز عاصمة الدولة عام ٧٥٢ ، واخفت القبض على ابني ابنها خشية ان يخطر لاحدهما القيام على ابيه الغائب والاستيلاء على الملك . وبذلت لسور البلاد ولبس الجند لتقاتل الخارجين ونشر الامن في البلاد حتى عاد السلطان المجاهد الى اليمن بعد غيبة اربعة عشر شهرا . ولما وصل استقبلته مواكب من الجند عظيمة ، وانتهت عصيبة الظهرا عن الدولة .

ويقول الخزرجي ، مؤرخ دولة بني رسول ، في معرض الترحم عليها بعد موتها عام ٧٦٢ ، ان حكمها مدة غياب ابنها كان فترة عدل واحسان وخصب وامان . ثم يقول : « ولها آثار حسنة في الدين ، وكانت تحب العلماء والصلحاء وتكرمهم وتجلهم وتعظمهم ، وكانت تزور بيوت الناس تتفقدهم بالعطايا الوافرة . وقل ان يأتي الزمان بمثلها . وما احقها بقول ابي الطيب المتنبي حيث يقول :

ولو كان النساء كمن فقدنا
لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال

ولعل في ايراد الخزرجي لهذين البيتين اللذين قيلا في رثاء ام سيف الدولة ، اكثر من صدى ، فقد كانت هذه السيدة ، ام السلطان المجاهد ، من اهل حلب ، رحل ابوها الى اليمن ، وكان عالما فاضلا ، فتزوجها الملك المؤيد ، والد المجاهد في اليمن .

محمود علي الغول
اسكتلندة



لفظة لها معنيان :

عند الناس معنى ، وعند الأطباء آخر

■ كانت المحكمة منعقدة ، والنظارة ترى وتسمع ، ووالد الفتاة ووالدتها حاضرين بين الحاضرين .

ووقف الشاهد يدلي بشهادته .

وسأله القاضي : انك تذكر الهستيرية وتقول ان هذه الفتاة تبدي اعراضها على انها مصابة بها . فكيف كان ذلك ؟

قال الطبيب الشاهد : آسف ان كان في تعبيري شيء من الابهام . ان الهستيرية لفظ له معنيان ، معنى يجري على ألسنة الناس ، ومعنى يجري على ألسنة الاطباء ، من بشريين ونفسانيين ، وبينهما اختلاف . ولكن يجمعهما انهما حالتان معيبتان .

قال القاضي . فحدثنا اولا بالمعنى الذي يجري على ألسنة الناس .

قال الشاهد : ان الرجل منا ، وان المرأة خاصة ، توجد في ظروف تخرجها من طبيعتها العادية الهادئة ، فتنفعل انفعالا شديدا يظهر في حركاتها ، وفي صوتها ، الى درجة تكاد ان تكون جنونا ، ويكون ذلك من خوف وذعر شديدين ، ويكون عن غضب بالغ ، يدفع بها ، او يدفع به الى تحطيم كل ما وجده حتى اعلى شيء يعثر به . ومن اسباب ذلك الحزن البالغ . امرأة تموت ولدها فتلطم وجهها ، وتمزق ثيابها ، وتشد شعرها ، وقد تخرج الى الشارع هائمة لا هدف لها الا البعد عن مكان الكارثة الى الهواء الطلق تزفر فيه الساخن الحارق من انفاسها .

قال القاضي : سمعنا بالهستيرية تسري في بعض الجماهير اذ تحتشد ..

قال الشاهد : هذه من تلك ، كلاهما انفعال شديد يخرج بالناس عن الوعي ، فينطلقون لغرائزهم الصماء . مثال ذلك حريق في السينما ، ما تكاد تعلو شرارة ، او يقال حريق ، حتى يهتاج الناس ، ويضطربون طلبا للأبواب ، في غير نظام ، ويدوس بعضهم بعضا ولا يبالي ، او هو لا يشعر بما يصنع . انه يطلب النجاة باي اسلوب ، ولو بالاسلوب الذي يؤخر الوصول الى النجاة ، ويكون فيه سد المخارج وانغلاقها ، وضياع الارواح .

ومن هستيرية الجماهير ، وقوعهم تحت سيطرة الخطباء ، في الشدة التي مهدت احوالها الى سرعة اثارة الناس ، فقد يبلغ الخطيب من القوة ما يحمل الناس على فقد صوابهم ، فيموجون يصرخون ، ويحرقون ويهدمون ، تحت الغضب الشديد ، الهدم والتخريب . وقد يكونون ، افرادا في حياتهم العادية ، قوما رزينين محترمين . ولكن قام الغضب فيهم ، في هذا الظرف الخاص ، بسد ما بين الانفعال والعقول . فقد يمسك العاقل منهم على السلم ، يمد به على الغضب ، فيذبح بها الانسان كما يذبح البهيم . ثم ينقضي التهاتر ، فلا يكاد يدرك ما صنع ، كيف صنعه ، وكيف استطاعه .

مهلا يا سيدي القاضي معنى الهستيرية التي تجري على ألسنة الناس . وانا اذ قلت ان هذه الفتاة مصابة بالهستيرية ، فما قصدت أبدا ذلك المعنى الذي يجري على ألسنة الناس .

قال القاضي : حدثنا باختصار عن الهستيرية معناها الذي عند الاطباء .

قال الشاهد : ان الهستيرية عند الاطباء اضطراب نفساني ، مظهره عصبية انفعالية ، يصاحبها خلل في وظائف الجسم . مثال ذلك فقدان الاحساس في اجزاء من الجسم لا تتفق مع توزع الاعصاب الحسية وانتشارها فيه . فقد تفقد اليد حسها . وقد تفقد القدم ، وقد تفقد الرجل . وقد تتعرض اجزاء الجسم ، من الخصر الى اعلى ، الى فقدان الاحساس . وهذه ظواهر لا تتفق ابدا مع فقدان الحس الذي يصيب المرضى بسبب تغير عضوي .

ومن مظاهر الهستيرية حدوث شلل في نواحي الجسم تفقد به الحركة . وقد شلل نصف الجسم ، وقد يشل عضو بذاته . ومع ذلك تظل الحركات الانعكاسية سليمة ، ولا تضمر العضلات . وهذا يتنافى مع امراض الشلل الجسماني العضوي المعروف .

الى غير ذلك من الامراض .

والعجب في هذه الامراض انها تشبه كثيرا باعراض الامراض العضوية الاخرى المعروفة . فهي تجهد الطبيب المعالج في التعرف عليها .

القاضي : الهستيرية اذن مرض ؟

الشاهد : ان الهستيرية لا تعتبر عند الاطباء مرضا قائما بذاته يتصل بعضو من الاعضاء ، ولكن مجموعة أعراض تظهر في صور مصدرها اضطراب في النفس .

القاضي : وما الدليل على ان الهستيرية سببها اضطرابات نفسية ؟

الشاهد : من ادلتها .. ولا اقول دليلها ، انها حالات اصابت الجنود في

الحروب عندما وقعت لهم أزمات نفسية حادة. جندي في الخط الأمامي، بين الحياة والموت، يصيبه الذعر فيريد أن يهرب. ويمنعه من الهرب الخوف من وصمة الجبن. فيصاب على الفور، وبدون إنذار، بشلل في رجليه، أو يصيب العمى عينيه. فلا يستطيع أن يقف، ولا يستطيع أن يرى. ويحمل إلى ما وراء خط النار، حيث الأمن والراحة. وما بالجندي ادعاء. إنه الشلل الهستيري المعروف، وإنه العمى الهستيري، ذانِ اللذان اشتهر أمرهما في الحربين العالميتين الماضيتين. ومثل هذا يحدث في الأزمات النفسية في الحياة السلمية، في حوادث الطريق والمحن التي تصيب العمال في المصانع.

ومن الأدلة على أن هذه الأمراض سببها النفس، لا الفساد في أجهزة الجسم، أنه يمكن إحداثها بالتنويم الذي أسموه بالمغناطيسي. يقترح المنوِّم على المنوَّم أنه مصاب بشلل في ذراعه اليمنى، فيحاول المنوَّم تحريكها فلا تتحرك. أو أنه لا يرى شخصا قاعدا في الحجرة كان يراه، فإذا به لا يراه إذا هو أمر بأن لا يراه. إنه عندئذ يرى مقعدا خاليا. إن الاقتراح بالشلل، أو بالعمى، يأتي في هذه الحالة من المنوِّم. وأما في الحالة الهستيرية التي يصاب بها الناس، فاقتراحها يأتي من داخل أنفسهم، من صميمها، على غير وعي.

القاضي: ألاحظ أنك تتحدث عن الهستيريا كأنها هي تصيب الذكور والإناث على حد سواء. وكأني أذكر أنها تصيب الإناث خاصة.

الشاهد: هكذا كان يزعم القدماء. حتى بلوتارك المؤرخ الإغريقي، وهو عاش بين العام الأول والثاني الميلادي، ذكر أنه حدث في المدينة القديمة بآسيا الصغرى، ملتس Miletus، حدث بها، بغتة وبدون إنذار، أن فتياتها أصابتهن جميعا ذات مرة أزمة نفسية رغبن فيها عن الحياة ووددن الموت، وحاولن الانتحار بسبب الهستيريا. وظلت هذه العقيدة ملتصقة زمانا، أن الهستيريا تصيب النساء وحدهن. وساعدها على إبقاء أن أعراض الهستيريا تصيب الإناث المراهقات في سنوات البلوغ. وحتى اسم الهستيرية Hysteria متخذ من الاسم الإغريقي للرحم، وهو Hystera، يحسبان أنه تحول يجري في الرحم عند البلوغ يسبب كل هذه الأعراض. ثم اتضح أن هذه الأعراض تصيب الرجال كما تصيب النساء.

قال القاضي: هل عندك ما تقوله فوق هذا حتى تستمرئ الفتاة التحلل. هل عندك ما لا نود أن تسمعه الفتاة!

قال الشاهد: نعم. عندي أن هذه الفتاة كان لها تاريخ مع أمها عسير شديد. وأمها أمرتها تتقبل عرسها، وكان في نفسها منه عزوف شديد. فوقعت بين عاملين متعارضين، الرضى بالذي تريده وتصر عليه أمها، وبين الرفض الذي تصر عليه هي نفسها. فالذي وقع لها يوم الزفاف من فقدان الذاكرة كان المخرج الذي اختارته الطبيعة للصراع الذي وقع في أطوائها

القاضي: ولكن ما القول في خروج الفتاة من منزلها، وغيابها الأسابيع، وهي في انتظار كامل لوعيها!

الشاهد: هذا لا يتعارض مع فقدان الذاكرة، ولكنه يأتلف مع رغبة النفس غير الواعية، في البعد عن مكان اصطرعت فيه الرغبتان، الرضا بالزوج ورفضها إياه. ومن حالات ضياع الذاكرة حالات يتصرف فيها صاحب الذاكرة الضائعة تصرفا عاديا معقولا كأن لم يصبه شيء. وأذكر من هذه الحالات حالة مذكورة في السجلات: قسيس فقد ذاكرته، وتحول من بلدته، وذهب ولم يعرف أحد عنه بعد ذلك شيئا. وبعد عدة أشهر وجدوه يشتغل في عمل لا يمت إلى عمله الأصلي بشيء، ومنه يتكسب. وحدثوه فيما كان من أمره، فلم يذكر من ماضيه شيئا. لقد كان أسدل على ماضيه حجاب كثيف. فهذا هو كل ما عندي يا سيدي القاضي.



أمرت جواريها فضربن على خمسين وترا فتزلزلت الدار ثم غنت هي على عودها فجرت من العيون الدموع

بقلم : خليل الهنداوى

● كانت جميلة مغنية ، قبل أن تكون جميلة وسيمة ، ساعد جمالها على تأثير غنائها في النفوس ، وفيها يقول عبد الرحمن بن أرطاة .

ولكن جميلة زين النسا … اذا جئتها ملئت ودها
، اذا هي تزدان للمخرج … بوجه منير لها ، أبلج

المصادفة هيأت لجميلة الغناء

وما كانت جميلة الا مولاة أنصارية ، دفعها الى الغناء ميل طبيعي الى الغناء والتنغيم بينها وبين نفسها . والمصادفة هي التى هيأت لها ذلك . وما أكثر ما توجه المصادفات أهل العبقرية الى هياكلهم التي خلقوا لها . وهي لا تريد أن تدعي بأن غناءها وحي عبقرية أو نتاج درس ، وانما تردُّه الى هذه المصادفة وتسكت . على أن المصادفة وحدها لن تكون مخصبة أبدا اذا لم تنزل أرضا فيها أسباب الخصب والتوليد . سئلت جميلة : أنى لك هذا الغناء ؟ فقالت : « والله ما هو الهام ولا تعليم .. » فما هو اذا ؟ أيغني الالهام وحده في الفن ؟ أيغني التعليم وحده أيضا ؟ حقا ان الفن لا يمكن أن يكون واحدا مستقلا من هذين الاثنين . قالت : « ولكن جارا لنا كنت أسمعه يغني ، ويضرب بالعود فلا أفهمه ، فأخذت تلك النغمات ، فبنيت عليها غنائي . » انه هو التقليد . ومن لم يضرب في التقليد لا يصل الى سر الابتكار .. وقالت : « فجاءت نغماتي أجود من تأليف ذلك الغناء ، تعلمت والفيت » . ذلك لأن العبقري — لا يقف عند التقليد — وانما تحفزه معارج يتنقل فيها حتى يأتي ذلك اليوم الذي يكشف به عن نفسه ، وتتجلى له عبقريته . فاذاً بكل ما كان عنده يمسي قشورا ... لأنه مكتسب ، وما في نفسه وحدها ، ما بان وما لم يبن هو الجدير بأن يعبر عما في نفسه .

جمال جميلة

كانت جميلة تجمع من حسن الخلقة ،

ورقة الحلق والطبع . ما يزيد أنوثتها قوة . ولحنها تأثيرا . وقد جاءنا أن أمرت كانوا يطلبون في المغني أن [illegible] جميل الطلعة . حسن الزي . لأن [illegible] الوجه يكمل جمال الصوت . فكيف في المغنية التي تلائم بين رقة الصوت ورقة الجمال ؟

مرح جميلة وتواضعها

وكانت الى ذلك مرحة . شديدة المرح . والمرح . لعمري . من صفات [illegible] حياة وحركة . حتى يصل على [illegible] هذا [illegible] تزود مجالسها البكة . ويغلب عليها شيء من التواضع الذي يكره المدح [illegible] وما أدري . أيهما أحسن [illegible] با [illegible] أن النبي صلعم ، قال : « احثوا في وجوه المداحين التراب » .

أدب جميلة وثقافتها

[illegible] الرسالة المغنية بدونها . هذه الثقافة هي التي أنمت فيهم الذوق المرهف في الفن والحياة . حتى باتت عباراتهم تحيا حياة خاصة . وتدلي بمدلولات خاصة . من ذلك : « حتى دعت جميلة لزوارها [illegible] حرائجه . والأنس بمحادثته

جميلة ، على الرغم من مرحها ، تبكي سامعيها

وهذه الروح التي تؤثر المرح . هذه الروح قد يغلب عليها الجانب العاطفي الشجي في بعض ألحانها . فهي تقول حين سمعت أبياتا لعمرو بن أحمر في عمر بن الخطاب : « والله لأعملن فيها لحنا لا يسمعه أحد أبدا الا بكى » . ويقول من سمعه منها : « وصدقت [illegible] »

وكانت جميلة ذواقة نقادة

يبدو من أخبار جميلة أنها لم تكن مغنية فحسب . بل كانت ـ بطبيعة ذوقها النافذ ـ نقادة [illegible] الحكم على الأذواق . وتكون لآرائها قيمة [illegible] المغنين والمغنيات . فاستمتعتهم واستمعوها ، وحكموا لها ، وحكمت لهم . ولهذه الأحكام ـ عندي ـ قيمة فنية خاصة لأنها تدل على اتجاهات الأذواق الفنية ، والألحان الصوتية في ذلك العصر [illegible] أراني أذهب الى أبعد من هذا المدى في [illegible]



ليس لها مدلول فني خاص . ولكنها مع ذلك تحمل بعض البوادر التي صار بها الترجيع . بحسن الصوت وما تأتيه نفوس ــ أو بالأحرى ــ لأهواء النفوس . وجوده التأليف وحسن النظم مع عذوبة الغناء ، كلها أشياء تعد من عمود الغناء في ذلك العصر . بل هي من عمود الغناء في كل عصر ، لأن هذا كله إذا اجتمع للإنسان ، ولم تجتمع له هذه الملاءمة للنفوس وهواها ، والمعاني وصداها ، لم يجتمع له شيء .

ونريد أن نتوسع في مدى هذه الأحكام لأنها عندي كما قدمت ، تعبر عن مذاهب الغناء في ذلك العصر .

وأحكام أخرى لجميلة على المغنين

ذكر صاحب الأغاني :

« في مجلس اجتمع فيه جماعة من حذاق أهل الغناء ، غنى معبد لحنا من صنعه ، قالت جميلة : ما عدوت أظن بك ، ولا تجاوزت الطريقة التي أنت عليها .. وغنى مالك ، فقالت : جميل ما قلت ، وحسن ما نظمت ، وإن صوتك يا مالك لما يزيد العقل قوة ، والنفس طيبا ، والطبيعة سهولة ، وما أحسب أن مجلسنا هذا إلا سيكون علما في آخر الزمن متواضعا . والخبر ليس كالمشاهدة ، والواصف ليس كالمعاين » .

ولا أحسب جميلة مغالية في كل هذا ، ولا يدل هذا الكلام إلا على تفشي ملازمها النفس ، ولاءم منها عاداته ، فهي تحب لحنها ، وتقدر ما يترك هذا الفن من أثر في نواحي النفس . حتى إذا غنت لهؤلاء الحذاق سمعت للبيت زلزلة ، وللدار همهمة . حتى يقول عمر بن أبي ربيعة « لله درك يا جميلة . ماذا أعطيت . أنت أول الغناء وآخره ... » .

الغناء الجوقي كان في عصر جميلة

ومن عجيب الغناء في ذلك العصر أن يكون فيه الغناء الجوقي ، وأن تجمع هذه الجماعة الجواري ليعزفن لحنا واحدا ، ويغنين صوتا واحدا ، وهي تضع لذلك شروطا وأسبابا عميقة تحير هذا الجمع .

من ذلك : أقبلت جميلة على نافع وبديح ، فقالت : أحب أن تغنياني صوتا واحدا ، فغنيا جميعا بصوت واحد ونحن واحد ، حتى إذا انتهيا قالت جميلة « هواكما والله واحد ، وغناؤكما واحد » ثم أقبلت على العراقيين الثلاثة فقالت : غنوا صوتا واحدا ، فاندفعوا فغنوا .. فقالت : « ما رأيت أشبه بغنائكم من اتفاق أرواحكم » . فأين هذه الروح النفسية من مغنين مجتمعين ، ومتفرقين ، لا يجمع بينهم إلا نقر الآلات ، وأرواحهم شتى غير مؤتلفة .

حينما تزلزلت الدار وجرت دموع العيون

وفي يوم ضربت جميلة بستارة ، وأجلست الجواري كلهن ، فضربن على خمسين وترا ، فتزلزلت الدار ، ثم غنت على عودها وهن يضربن على ضربها ، فدمعت أعين كثير منهم حتى بل ثوبه ، وسقط الصعداء وقال : بنفسي أنت يا جميلة .

اقرأ هذا الخبر فاتمثل فيه صورة الأوبرا الحديثة ، تعزف آلاتها إحدى سمفونيات سميولن الرقيقة ، التي لا تخاطب الجسد ، وإنما تخاطب الروح ، وتوقظ فيها من أحاسيس ومشاعر يعرفها من استحالت قلوبهم وعواطفهم إلى أوتار . وهذا هو ــ عزف الخلود ــ الذي يبقى أثره ، ويرفع النفس وقعه .

مجالس جميلة

كانت أيام الغناء مواسم يأتيها الناس من أطراف قريبة وبعيدة . تقام في البيوت والمجالس الجامعة . يقبل عليها الشعراء والعلماء والأمراء والأثرياء والمحافظون ، لأنها مواسم الأدب والغناء . وبفضلها

شاهدنا الرقة الحجازية تتمثل في الخلق والأدب والشعر .

واني واصف لك احد هذه المجالس التي تجلت فيها ارستقراطية الفن . قال ساط : جلست جميلة يوما تلو مائدة فيها . وجعلت على رؤوس جواريها شعورا مسدلة كالعناقيد الى اعجازهن ، وألبستهن انواع الثياب المصبغة ، ووضعت فوق الشعور التيجان ، وزينتهن بأنواع الحلى ، ووجهت الى عبد الله بن جعفر تسربره « اني في مجلس هيأته . لا يحسن الا بك ، ولا يتم الا معك ، ولا يصلح ان ينقل من موضعه ، ولا يسلك به غير طريقه ». جلس عبد الله ، وقامت على رأسه ، وقامت الجواري صفين قائم عليها . فحلت عن بعد . ثم دعت لكل جارية بعود ، وأمرتهن بالجلوس على كراسي صغار قد اعدتها لهن . فضربن ، وغنت عليهن ، وغنى جواريها على غنائها . فلما ضربن جميعا قال عبد الله : ما ظننت أن مثل هذا قد يكون . وانه لمما يفتن القلوب .

اما مجالسها التي اقامتها بعد عودتها من الحج فهي مجالس جديرة بالذكر ، لانها مجالس انتصر فيها الفن واستوى فيها الغناء ملكا غير متوج . اقامتها جميلة ومن معها من المغنيات والمغنين ثلاثة أيام متتابعة جنت فيها المدينة وطربت . وهي لا تدري المشي في موكب حج أم في مهرجان غناء .

شهادة شيخ « ذو علم وفقه » في الغناء

على ان الحكم على الغناء بانه ايحل ام يحرم ، هو حكم يختلف فيه الناس . وجميلة نفسها تشك يوما في الغناء ، فتجمع الناس في دارها ، لتقص عليهم رؤيا أفزعتها وأرعبتها ... « ولست اعرف ما سبب ذلك ، وقد خفت أن يكون قرب أجلي ، وليس ينفعني الا صالح عملي . وقد رأيت أن اترك الغناء كراهة ان يلحقني منه شيء عند ربي ». فوجم الناس بين محبذ ، وآسف ، حتى قام شيخ منهم ذو سن وعلم وفقه وتجربة وانطلق يقول : « ان الغناء من اكبر اللذات وأسر للنفوس من جميع الشهوات ، يحيي القلب ، ويزيد في العقل ، ويسر النفوس ، ويفسح في الرأي ، وييسر به العسير ، وتفتح به الجيوش ، ويذلل به الجبارون حتى يمتهنوا أنفسهم عند استماعه ، ويبرىء المرضى ومن مات قلبه وعقله وبصره ، ويزيد أهل الثروة غنى وأهل الفقر قناعة ورضا باستماعه ، فيعزفون عن طلب الأموال . من تمسك به كان عالما ، ومن فارقه كان جاهلا ، لأنه لا منزلة ارفع ولا شيء أحسن منه . فكيف يستصوب تركه ! ولا يستعان به على النشاط في العبادة ! » .

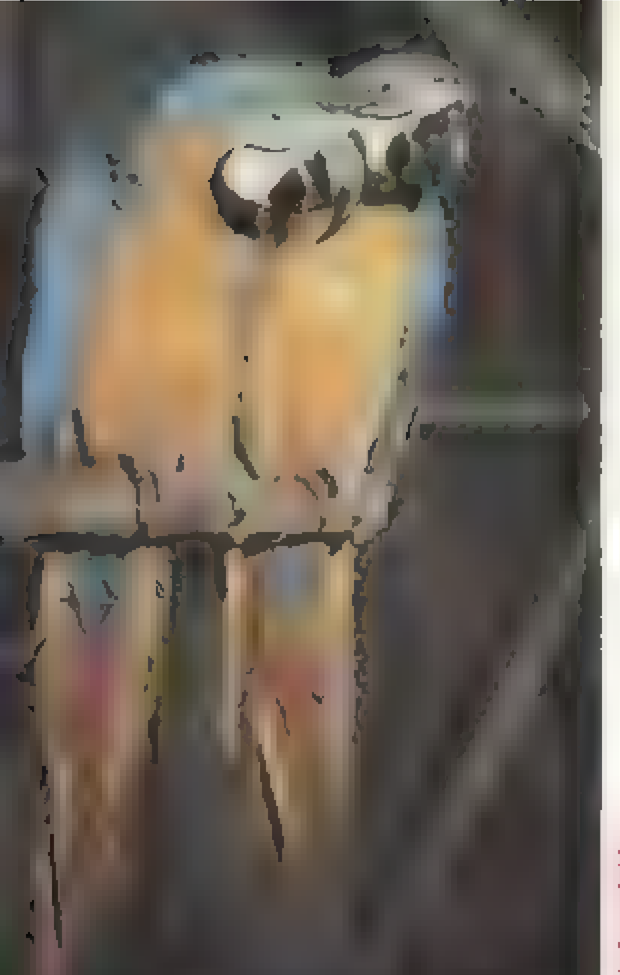
كم قرأت لمحدثين وقدماء في فضل الغناء ، فما رأيت كلمة تذهب في المدى ، وتشرف على الغاية أسمى وأجل من هذه الكلمة التي ان دلت على شيء فهي تدل على ما أشربت به روح العرب الحجازية من محبة للفن وحباء به ، وارتياح اليه . وهي ان دلت على شيء فهي تدل على ان القوم لم ينظروا الى الفن وسيلة الى الشهوات ، ولا ذريعة الى الملذات . وانما هو آلة لإحياء القلوب ، وسرور النفس وشفاء المريض . فاذا بهذا المجلس الذي اجتمع ليسمع توبة جميلة ، يجتمع ليسمع صوت جميلة ، ويفرح فرحا جديدا بانتصار الفن والغناء ... وليس الغناء الا صناعة كسائر الفنون جميعها تميل الى الخير والفضيلة وتميل الى الشر والرذيلة ، بحسب نفس صاحبه . فيقول الشيخ بعد استماعه لجميلة « حسن والله . أمثل هذا يترك ؟ فبم تتشاهد الرجال ؟ لا والله لا كرامة لمخالف الحق » . ثم قام وقام الناس معه ، وقال : « الحمد لله الذي لم يفرق جماعتنا على اليأس من الغناء ولا جحود فضيله . وسلام عليك ورحمة الله يا جميلة » .

■■

خليل الهنداوي

حلب





الببغاء الماكو الأحمر (١٠٠) ، وهو من أكبر الببغاوات حجما وأطولها ذيلا وأزهاها ألوانا ، ولكنه ليس من أكثرها كلاما وثرثرة .

إلى اليسار ، وهذان زوجان من جنس الببغاء ، فصيلة الماكو ، كبيرة الحجم ، طويلة الذيل ، زاهية الألوان . وترى من تقارب الزوجين مدى ظاهرا من الولاء الزوجي الذي هو سمة الببغاوات . ولا بأس أن نذكر أن فصيلة الماكو تتألف من نحو ١٥ جنسا ، وموطنها البرازيل والباراجواي



الببغاوات

بقلم الدكتور أحمد زكي

اسأله ، يجب ... قلت : ماذا اسأل ؟

قال : اسأله كيف هو ؟ فسألت كيف انت ؟ ماذا به يجيبني : وكيف انت ؟

لم اعجب لهذا الجواب ، لأني أعرف انهم هكذا علموه .

واذا بصبي يلقي عليه نفس السؤال : كيف انت ؟

واذا بالببغاء يغضب فيجيب ، بلغة تلك البلاد : عليك اللعنة .

هنا كان العجب . السؤال واحد ، واختلف الجوابان .

في الريف ، في بيت عالم نفساني

وتحدث من هذا لرجل عالم نفساني ، يبحث في نفسانية الحيوانات . وكان في داره الريفية عديد منها من كل صنف . فحدثني الى ببغاء كان يؤويه . قال هذا الببغاء علمناه ما لو سمعته لحسبت ان له من الذكاء بعض ما للانسان . واشار الى تابع له ، فخرج التابع ، واذا به يدق جرس الباب الخارجي . واذا بالببغاء يصيح ، عند سماع الجرس ، ويقول : تفضل ، اهلا وسهلا (بلغة تلك البلاد ايضا) . وخرج صاحبي النفساني من حجرة الببغاء ، وكانت هي هي حجرة الطعام في المنزل ، واشار الى الببغاء بيده مودعا ، كأنه مفارق ، وفتح قبضته ، فاذا بالببغاء يصيح : مع السلامة .

قال العالم النفساني : قد تظن ان هذا الببغاء يفهم ، وان به ذكاء .

قلت : لا اظن بل اوقن ان في الحيوانات جميعا ذكاء ، وفيها فهما ، ولكني ما احسب ان فهمهم يبلغ هذه الغاية ، وانما هو تعليم وتدريب .

قال صاحبي : نعم . هو تعليم وتدريب ، وهي اقوال يقولها الببغاء في المناسبات الصحيحة ، ولكن هذا يدل على ان له ، على الأقل ، من الذكاء ما يربط به بين الكلام الذي ينطق به والظرف المناسب الذي يقال فيه .

قلت : لا بد كذلك من تدريب الببغاء على المناسبات ، والا ما نطق .

قال صاحبي : نعم ، لا بد من تعليم لربط ما ينطق به بمناسباته . اما اذا انت تركته يسمع ما يسمع ، ويقول ما يقول ، فهو سوف ينطق بالذي يسمع ، من حسن او قبيح ، ولا يبالي . وهو كثيرا ما يفضح اهل البيت ، فيفشي عنهم ما قد يقولون في خلواتهم ، فيكشف عنهم الستر من حيث لا ينتظرون .

قلت : وجود الببغاء عنده يدفع الى تعلم الناس الأدب .

قال صاحبي : يعلمهم الحيطة .

واستطرد صاحبي عالم الحيوان النفساني يقول :

الببغاوات لا تقلد الا صوت الانسان

والغريب في امر هذه الببغاوات ـ من تعتبد منها الكلام ، فليست كلها تعتيده ـ الغريب في امرها انها لا تتكلم وهي طليقة في غاباتها . انها تصوت ، وتصوت ، وتصك الآذان بصراخها ، ولكنها لا تقلد اصوات غيرها من الطيور او الحيوانات . لا بد من البيت ، ومن بني آدم ، لتقول كلاما مما يقول الناس . الأسر اولا في البيت ، وصحبة الانسان تحت سقف البيت ، ثم تقليد صوته .

قلت : انها الفة الانسان تعلمها الكلام .

قال : بل لعل الوحشة . وحشة الأسر ، تعلمها الالفة . ان الانس ، وانس الحيوانات منها ، لا تزال في اعماقنا ديجورا من دياجير الظلام . ان الانفس لها روابط ، بعضها ببعض . والوحدة تقطع هذه الروابط . والانفس تأبى قطعها ، فهي تمد باطراف هذه الروابط المقطوعة ، على الوحدة ، لترتبط بأي نفس اخرى ، ولو كانت نفس انسان .

محاولات في اللغة فاشلة

واستطرد صاحبي يقول :

ومن تلك الروابط رابطة الصوت . ان الصوت عند كل حيوان معبر . الكلب ينبح لصاحبه . يريد أن يقول شيئا ، أن يفهمك ويفهمني شيئا . والقطة تهر عند الغضب، ولو كانت انسانا لشتمت، وهي تطلب الطعام فتصوت صوتا خفيفا فيه معنى التوسل والاسترحام . انها تريد أن تقول، ولكنها لا تستطيع . وهكذا سائر الأصوات. محاولات في اللغة فاشلة ولكنها ذات معنى . وهي فشلت لأن الحيوانات لم يكن لها ما للانسان من اجهزة الكلام : فم اجوف ، وبه لسان ، من ورائه حلق، يتصل بانف ، من ورائها جميعا صدر للهواء نافخ . وعضلات تتحرك في تجاويف ، لتحدث ، وفقا لعلم الصوت، الكلام حروفا ساكنة، وحروفا للعلة . وقد أمكننا أن نسجل أصوات السماوات على اشرطة تبينا منها أن في افواهها وحلوقها مقدرة على ابداع الساكنات من الحروف ، ولكن يتعذر عليها ابداع العلات. وبالطبع وراء الكلام المخ لربط الأصوات بالمعاني . المهم أن السماوات — من يحسن منها الكلام — انما يحسنه لما أعطاه الله في خلقه من أدوات أقرب ما تكون تشكلا وتهيئا لاحداث الأصوات .

قلت : حسبت ان بعض القردة تنطق كلاما .

قال : نوع واحد من القردة استطاع ان ينطق كلمتين او ثلاثا ، بجهد جاهد . ذلك الأورانج اوتان .

أنس الانسان بالحيوان : أنس متبادل

قلت : اعود الى الببغاء فاسأل ، ما الذي يحمله على الكلام وهو آكل شارب هانيء ؟

قال صاحبي العالم النفساني : الوحدة . اذكر أن أكثر بني الناس الذين يتعلمون بالحيوانات ، يؤوونها ، ويصطحبونها ويصادقونها ، من قطط ، ومن كلاب ، ومن نحو خمسين أخرى من مستأنس الحيوان. انما هم المتوحدون المتوحشون، والمتوحدات المتوحشات ، من بني الانسان. عانس أو أرملة تعيش وحيدة، تؤوي قطة أو كلبا . امرأة مهجورة ، ورجل شيخ . كل هؤلاء يوحشهم سكون البيت وسكونه ، يطلبون الحركة يرونها ، ويطلبون الحركة يسمعونها. فتكون الالفة التي تقوم بين انسان وحيوان .

ومن هذه الفة الببغاوات . قرأت أن امرأة نيفت على الثمانين ، عاشت وحيدة مع ببغائها ، يؤنس وحدتها ، وتؤنس وحدته ، فلما ماتت أوصت عليه بيتها ومالا لمعاشه حتى يموت . ووقف البيت في سبيل البلدية ، بلدية مدينة مسرول ، هكذا على ما أذكر . لا يستطيع أحد هدمه لاستحداث طريق حتى يموت الببغاء وما أطول عمره .

قلت : ذكرت يا صاحبي ألفة تقوم بين الانسان والحيوان .

قال : نعم ، نعم ، الفة مشتركة . ان الببغاوات أكثر كلاما عندما تغيب صاحبها أو صاحبتها . ففي غيبة الصاحب يؤنس الببغاء وحشته بالكلام، ان الكلام صوت ، والصوت ايناس .

ومضى صاحبي النفساني يشابه بين الببغاء من الطير والطفل من بني الناس، فالطفل كذلك يتحدث لنفسه، ويصوت، في غيبة أمه ، طلبا للأنس من وحشة .

في الببغاوات : خضرة وصفرة وحمرة

ولنترك حديث الصديق العالم النفساني لنعود الى الكلام فيما يثيره النظر الى الببغاوات ، وتأملها ، في الانسان من معان ليس كلها بالواضح .

ومن ذلك ألوانها : الحمرة والزرقة والخضرة والصفرة ، كلها يجاور بعضها بعضا ، في تناسق معجب مريح .

والحيوانات جميعا ليس فيها ما هو أزهى لونا، وأكثر زواقا من الببغاوات .

والأكثر من ذات الألوان في الحيوانات الأسماك.

والأكثر من ذات الألوان في الحيوانات الرجاليات،



هنا رسم لرسام [illegible] جمع فيه ، في اسفل ، بين الببغاء الاحمر الامريكي ، والماكو الاحمر ، وقد مر ذكره ، ثم في الاعلى ، الى اليمين ، زوج من الببغاوات الاجنبية ، وهما دائما معا الى جنب ، كما نذكر في المقال ، ثم الببغاء الكوكاتو [illegible] الاسفل الى [illegible] ، وهو ينشر ريشه فوق رأسه ، فيقص ، [illegible] والطير ساكن هادئ . وهذه الببغاوات الاخرى تسكن المناطق الاسترالية ، وتطير منها [illegible] ، سربا واحدا ، فتهبط على حقول الحبة فيطرقها تخريبا .

ولكن أين هي جميعا من ألوان الببغاوات ؟!
ويتراءى في أمر اللون سؤلان غامضان ، متى يحصل صنائعه هذه الألوان ، في هذه الأجسام خاصة ، ومتى يحصل بعدائها .

اختلفت الألوان ، والطعام واحد

إن أجسام الببغاوات تصنع هذه الألوان ، من أحمرها وأزرقها وأصفرها ، من طعام ، ولا يختلف طعام الببغاوات عن سائر أطعمة الطير : إنه الحب ، وإنه البذق ، وإنه الفاكهة . والحيوان ، من الطير ، يأكل كل هذا ، وهو لا يتلون . فيتك واحدة . إنها واحدة يكمن وراءها سر الخلق جميعا . في هذه الظاهرة وفي ألف من الظواهر الأخرى .

للببغاوات الخضرة والحمرة ، ولسائر الطير السواد والبياض

[illegible]
الخارجات ما لسماء ؟ .

ويتوجه بعض السؤال ناحية السمك ، ذلك الذي يتلون . لابد لهذا اللون ، ولو في السمك وحده ، من غاية . ندرك ذلك من أن اللون لا معنى له إلا مع الضياء . فلا يتلون من السمك إلا الذي يعيش من البحور في سطوح الماء . وهو لا يتلون في أعماق البحار حيث الظلام كامل .

أن اللون أداة تصنع حيث تجوز رؤيته ، وهو لا يصنع حيث لا تجوز ، لأن صناعته عند ذلك عبث باطل . إنه لا يصنع اعتباطا . إنه يصنع أداة ليرى . فلماذا ؟ ما الغرض ؟ ما الهدف . فهذه هي الثانية .

أعمار الببغاوات

وأعمار الببغاوات ، كأعمار سائر الطير ، يحوطها الكثير من الغموض . ذلك أن الطير على حالته الطبيعية من الإطلاق والحرية ، لا يعيش حياته كلها سالما . إنه يصاب ، أو يقتل أو يؤكل . حرية ؟ نعم . ولكن مع الحرية التحقق للضعيف ، والحذر من القوي ، والحرب القائمة الدائمة . وفي الإسار الضمان الأوثق ، وحتى على الأسر اختلف الناس في تقدير أعمار الببغاوات ، لا سيما ذوات



هذا الببغاء هو الببغاء الأمروي الأخضر ، وهو بلا شك صاحب الرتبة الأولى في الكلام والثرثرة .

الأعمار الطويلة التي تطاول عمر الإنسان.

إن الببغاوات ستوقفهم كذلك أعمارها، إنها تطول وتقصر تبعا لأنواعها.

ولكن يمكن القول عموما إن أعمارها، مع اختلاف أنواعها، تتراوح بين ١٥ عاما والثمانين من الأعوام.

الببغاوات ذوات أمومة وأبوة صادقة

والببغاوات يسكن الذكر منها إلى الأنثى، وتسكن الأنثى إلى الذكر، ويظل ولاؤهما قائما دائما. وهي تنتج الأولاد، وتقوم الأم بحضانة بيضها، ويزودها الأب بالغذاء يأتي به إلى عشها في تجويف الشجر، فيطعمها إياه، ثم يخرج ليعود. وأتوب في شقوق الشجر، تلك عادة الطيور ذوات اللون الناصع الفاضح، تبحث دائما لعشها، عند البيض والحضانة، عن مكان من الشجر أخفى حتى لا تبدي ألوانها لأعدائها فتنم عليها.

ويخطر السؤال عند ذكر هذا: هل يعي الطير ما يعمل؟، وهل يتحرك إلى أي شيء بهدف؟ أغلب الظن أن ذلك الشيء الذي أسميناه بالغريزة يقوم بهدي الطير ويحميه.. فخطط جرى عاما في تخطيط هذا الكون وتدبير أمور حياته. والغريزة كثيرا ما أغنت عن فهم وعن علم.

والببغاوات تؤكل !!

هكذا يعمل بها الرجال الذين يعيشون حيث تعيش الببغاوات في الغابات الاستوائية. وهي عندهم طعام حسن. أما ريشها فيتخذون منه زينة!

وقوم يعضون الجمال المبني على احتمال الغنى. واتساع معدة، مرة، خير من اتساع عين، مرارا. أو لعل الكثرة ترخص الغالي. فلو أن الذهب كثر لكانت له قيمة الحجر.

ومن هؤلاء المطربين سكان الغابات، من يصطاد الببغاوات بنار يشعلونها تحت مساكنها من الشجر، ومع النار الصموغ والأبخرة المخدرة. ويصعد الدخان إلى هذه الطيور فتسقط فاقدة الوعي.

فيأخذونها، ويصبون على رؤوسها الماء، فتعود إلى الحياة.

الببغاوات أجناس مئات

والببغاوات أجناس مئات، ليست كلها الزاهية ألوانها أشد الزهو، وليس كلها المتكلم الذي يحسن الكلام، وليست كلها ذوات طباع واحدة، ولكن تجمعها صفات أصيلة كثيرة تجعل منها في تقسيم الحيوانات قسما قائما بذاته يعرف برتبة الببغاوات.

وهذه الأجناس أسماؤها ليست بالعربية، ولعل السبب في ذلك أن مواطنها ليست عربية، فهي توجد في المناطق الاستوائية، في أمريكا وأفريقيا وآسيا، وفي استراليا ونيوزيلندة، وفي الجزر التي شمالها.

وقد نذكر منها الببغاء الماكو Macaw والببغاء الكوكاتو Cockatoo، والببغاء الأخضر الأمزوني.

ونجدها في الصور المرفقة.

الببغاوات الأحبة

وأخص بالذكر ببغاوات كان لي بها تجربة طويلة، تلك الببغاوات التي يطلق عليها الإنجليز اسم Love Birds أي طيور



منقار الببغاء: فكه الأعلى متحرك، وأما الأسفل ففيه تجويف يمسك بالحب والبندق ... وفي المنقار القوة التي تكسر أشد البذور صلابة.

الحب ، ويسميها الفرنسيون
Les Inseparables
اى التى لا تفترق ابدا . وبين هذين الاسمين ، ارى ان نسميها بالعربيه ، في ميبة اسم لها ، بالببغاوات الاحبه .

وهي ببغاوات قدر الكف ، تعيش اثنين اثنين ، ذكر وانثى (انظر الصور) ، يتعاونان على الحياة ، ويؤنس احدهما وحدة الاخر في مظاهر للود بادية ، ويتلاعبان ، واحسبهما يتمازحان ، ويتشغلب احدهما ، ولعله الذكر على موده وبدور ، فتنظر الانثى اليه مغتبطه .

ثم مات احد الزوجين

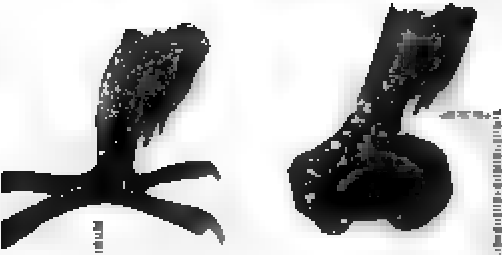
وعاش الزوجان معا في قفصهما السنة بعد السنة ، عشرة اعوام او نحوها . واذا باحدهما يصاب ، واذا به يموت . وظل الببغاء الباقي ساكتا حزينا ، قد قبع في ركن القفص لا يتحرك وتربص به الموت . فبهذا جرى العرف في هذه الببغاوات . وقيل لنا اتوه بمرآة تؤنس من وحشته . والغريب انها ايقظت فيه الحركة فاخذ يرى فيها خيالا لمثل نفسه فيحسبه المرآة بمنقاره منقور . ويعود يفعل . واحيته المرآة من موات . ثم هفا .

وطلبنا لهذا الببغاء صاحبا او صاحبة

وطلبنا له الزوج او الزوجة . لم ندر اى الاثنين سبق به الموت . وذاهبنا الى بائع الطير ، فنظر اليه واعطانا اخا له او اختا على الفور ، ولا يقول لنا ايهما الانثى او ايهما الذكر . سر المهنة !

ولم نستطع من اصدقاء ومن كتاب ، ان نعرف كيف يتعرفون على الذكر ، هكذا على الفور . لا بد هناك من علامة ظاهرة بينه . وكنت اعلم ان اللون مما يميز الذكر من الانثى في بعض الطيور . ولكن اشتبهت علينا الالوان .

حتى وقعت من منذ شهر واحد ، بطريق الصدفة المحضة ، على السر الخبيء ، وانا اقرا في كتاب غير مطروق عرضا . قال مؤلفه وهو يصف الببغاوات



بهذه الاصابع الاربع يمسك الببغاء بفروع الشجرة فلا يفلت منها ، ولا تفلت منه . وترى الاربع الاصابع مبسوطة ، اثنتان منها تتجهان الى امام ، واثنتان الى الخلف ، الموصلة بهذا الغرض .

الاحبة . اذ في اعلى منقارها نقطة زاهيه اللون ، صفراء ، او هي غير زاهية دكناء . فالزاهية للذكر ، والداكنة للانثى .

اناقة في الطعام نادرة

ومن غريب امر هذه الببغاوات الاحبه ، تلك التي تعيش لذلك زمانا ، انها كانت تطعمها ، فيما تطعم ، حبوبا خاصه ، تشترى من السوق لها خاصه ، صغيره ، صفيله غير مقشوره ، فتقوم الببغاوات بقشرها في براعه تلفت الانظار . فلا تبقى في القشر الحبه مدوره واحده لم يمسها منقار . وكله في مكانه ، في المرود ، لم يبرحه . اناقه في الطعام نادره .

صحبة الطيور صحبة للحياة

ان صحبة الطير صحبة للحياة . وهي تزيد الفهم ، وتليّن المزاج ، وتحيي في القلب الالفة صافية ، وتحل في الانفس الكثير من العقد ، وتمزج ابهم ، وتذهب بالوحشة . ونفقد الصبي الفه من طير او غير طير ، فيبكي ، ويتعلم في تكاثه اول درس من دروس الحياة ، واحق درس بمثابة ان الحياة انما هي صور حاطفة تتعاقب في تبدل سريع ، موت من بعد حياة ، وحياة من بعد موت ، ولا يبقى آخر الامر غير وجه الله خالدا ، مشرقا ، غامضا ، يقظ الحركة كما يبسط السكون ، في دوره لا تكاد تنتهي ابدا .

■■

احمد زكي

الحسن البصري

• رقيق ولد في أحضان

• يعرّض بالحجاج في بعض خطبه



• دخل اعرابي البصرة فسأل صفوة من الناس من سيد هذا المصر ؟

فقالوا : الحسن البصري .

فقال : بم ساد اهله ؟

قالوا : استغنى عما في أيديهم من دنياهم ، واحتاجوا الى ما عنده من أمر دينهم .

فقال الاعرابي : لله دره ، هكذا فليكن السيد حقا .

الحسن ولد رقيقا وأمه أمة

ان ذلك السيد حقا ، الذي حكم الناس بأنه سيد البصرة ، وكان فيها الحجاج الثقفي ، ومن قبل كان زياد بن عبيد الذي سمي في التاريخ بزياد بن ابيه ، لم يكن قرشيا حتى يكون له سيادة قريش ، ولم يكن عربيا ، حتى يكون له فخر العرب ، ولم يولد على الحرية حتى يكون له شرف السيادة الطبيعية ، بل ولد على

أم المؤمنين ، وتنشأ بين الصحابة ولمت بعين

ولا يخشاه ، ويستدعيه فيجيبه بأعقول ويقول حسبنا الله

بقلم
الشيخ
محمد ابو زهره

اسرى ، فكان أبوه رقيقا وامه أمة ، وولد مهما ، ولكنه نال السيادة بشرف العلم ، وبشرف الدين ، وبشرف الخلق ، وبسره القناعة ، وثروة الزهادة .

الحسن ولد في احضان ام المؤمنين

كان والد الحسن من اسرى فارس ، واسمه يسار ، وامه واسمها خيرة من السبايا ، وقد الت ملكيتها الى السيدة ام المؤمنين ام سلمه زوج النبي صلى الله عليه وسلم . وقد ولد الحسن في احضان ام سلمه ، فتربى في بيت من احضان النبوة ، وقامت عليه ام المؤمنين تحفظها وتتعهدها ، حتى انه يروى انها عهدت بطيها ، فيروى ابن خلكان ان امه كانت تغيب في البيت لحاجة لام المؤمنين ، فاذا بكى الطفل اعطته ام سلمه ثديها تعلله به الى ان تجيء امه ، وربما در عليه بعض اللبن .

ولقد اعتقته ام سلمه التي الت اليها ملكيته بها لامه ، ولكن العتق لم يقطعه عنها ، بل انها عد به بعداء روحي مما علمته من الرسول ، ومن امثال حكمتها ، فقد كانت معروفة بين نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحكمة في القول والعمل ، فهي التي اشارت على الرسول الكريم في صلح الحديبية بان يبدا هو بالتحلل من احرامه بالنحر عندما طلب الى المحرمين معه ان يتحللوا ، فتلكئوا ، فلما نحر النبي صلى الله عليه وسلم بإشارتها تبعه جميع المحرمين .

الحسن نشأ في عهد الخلفاء والتابعين

نشأ الحسن الحكمة ، من فم ام سلمة وهو في المهد وما زال الحسن البصري ، او الحسن ابن يسار يشدو في الحكمة والمعرفة والدين حتى بلغ مرتبة السيادة حقا .

ولد الحسن في سنة ٢١ ، اي في السنين الاخيرة من حكم امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، والتقى بالصحابة في عهد عثمان ، وتلقى عليهم ، واخذ عنهم ، واخص في اخذه بمواعظ الرسول ، وسير السابقين ، حتى اذا جاء عهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب ، كان قد بلغ الرابعة عشرة من عمره وكان بالمدينة «عش» الصحابة وموطن العلم ، يوم مقتل ذي النورين عثمان رضي الله عنه ، وكان في حضرة سيف الاسلام علي حتى علمه مقتل عثمان ، فذكر الحسن ان عليا رفع يده الى السماء وقال : « اللهم لم ارض ، ولم امالىء » .

وقد استمر الحسن في طلب علم الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم معتزا به اخذا ممن التقى بهم ، وقد التقى بالكثير ، وانه ليقول : « لقيت ثلاثمائة من الصحابة منهم سبعون بدريا » .

تلقى علمه من هؤلاء ، وكان حفيا بمعرفة سير السابقين من الرسل واخبارهم ، كما جاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وكما روي عن الصحابة ، وكما تلقاه من اهل الديانات الاخرى مصفيا ما ياخذ من هؤلاء ، فلا ياخذ ما ينقله عنهم من غير فحص واختيار . وقد شاع القصص في اخر عصر الخلفاء الراشدين وطول العصر الاموي ، فكان لكل مدينة في ذلك العهد الاخير قاص كما كان لها فقيه ، وقاض .

ولقد كان القصاص يلتقطون الخرافات



بالحقائق ، والأوهام بالعقول ، ولقد وجدت الاسرائيليات طريقها الى المسلمين عنهم ، ولذلك حارب الامام علي رضي الله عنه ذلك النوع من القصص ، وكان يدخل المسجد فيخرج من يتكلمون بالقصص المبني على الأوهام . ودخل مسجد الكوفة مرة ، فوجد الحسن البصري يقص قصصه ، فوقف قريبا منه فترة ليسمع الى ما يقول ثم تركه ، وهذا يدل على ان الامام الأعظم لم يجد في قصصه ما يمنع ، فأقره ، ويدل على ان الحسن كان ينتقي الأخبار .

مصادر علم الحسن

تضافرت أسباب جعلت من الحسن عالما مخلصا نقي القلب ، ونقي الاعتقاد ، وترجع هذه الأسباب الى شيوخه وعصره ، وصفاته .

اما شيوخه ، فقد كانوا الصحابة الذين تلقوا على النبوة ، وشاهدوا الرسول ، وعاينوا منازل الوحي ، ومدارك النبوة . وقد التقى بصحابتهم في المدينة ، وفي الكوفة والبصرة ، وقبس من علم علي بن ابي طالب ومن هديه ومن حكمته ومواهب بلاغته ، وباشراق بيانه ، فكان من بعده ابلغ من تكلم بالحكمة وفصل الخطاب .

واما عصره ، فقد التقى فيه نوعان من العلم ـ احدهما ـ علم النبوة الذي حمله الذين التقى بهم من الصحابة كعبد الله بن عمر وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل ـ وثانيهما ـ علوم قد توردت على العقل العربي من الاختلاط بالامم وتركات الحضارة القديمة والديانات السالفة ، وكان في هذا يتخذ النوع الأول من العلم سبيلا لانتقاء ما يؤخذ من الثاني ، فما كان يأخذ منه الا ما يتفق مع الهدي الاسلامي ، والمأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وما اخذ به السلف الصالح رضوان الله تبارك وتعالى عنهم .

في عصر الحسن ظهر التشيع والتفرق ، ومناهج الفقه أخذت تتميز

وفي عهده نشأت نابتة التفرق ، ووجدت نحل مختلفة بين المسلمين ، ففي عهده ظهر التشيع لآل علي ، معتدلا ومنحرفا ، وفي عهده ظهر الخوارج بعنفهم ولجاجتهم وتشددهم ، واخذهم بظواهر الألفاظ ، واندفاعهم فيما يحسبون انه الاعتقاد السليم . ثم في العصر الذي عاش فيه اخذت المناهج الفقهية تتميز ، فكان فقه العراق وعلى رأسه عبد الله بن مسعود ، ثم علقمة ، وابراهيم النخعي ، وحماد بن ابي سليمان ، وعلى مائدة هؤلاء تربى ابو حنيفة النعمان . وفي المدينة كان الفقه الحجازي ، وعلى رأسه عبد الله بن عمر ، وسعيد بن المسيب ، ونافع مولى عبد الله ابن عمر ، وابن شهاب الزهري ، ومن مائدتهم تغذى مالك ، وهكذا اخذت في عصر الحسن المدارس الفقهية تتبين مناهجها ، وكلها يلتمس ينبوعه من علم الرسول وما تلقاه صحابته والاختلاف انما هو في التخريج والتفريع .

وقد آتى الله الحسن من الصفات ما جعلته مكتملا في عصره مع ما تهيأ من اسباب مكنته من اخذ العلم من منابعه .

آنس يحيل الى الحسن بعض مسائله

فقد كان ذا ذكاء مدرك عميق ، لا يكتفي بالنظرة الاولى ، بل يرددها مرتين ، ولقد بلغ في هذا الذروة ، حتى ان بعض شيوخه من الصحابة كان يحيل عليه ما يجيئه من اسئلة في الدين ، سئل "آنس" ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي عمر طويلا ، عن مسألة ، فقال : سلوا مولانا الحسن ، فقيل له : انقول ذلك ؟ فقال: سلوا مولانا الحسن فانه سمع وسمعنا ، وحفظ ونسينا .

وكان مع هذه الذاكرة الواعية غير جامد على فكره ، بل كان يجتهد فيما يعرض له من مسائل ، وله فكر مستقل ، استطاع ان يحتفظ باستقلاله مع اتباع علم السلف في وسط الفتن التي وقعت ، والنحل التي ظهرت ، والآراء التي اقتحمت .

ما خشي الحسن الحجاج ، طاغية العراق

وكان شجاعا في ابداء رأيه من غير ان يتعرض لإثارة الفتن ، وكان ذلك في العصر الأموي ، والحجاج الذي رضي لنفسه ان يأخذ وصف قطاف الرؤوس ، وفي الوقت الذي قال فيه حاكم المسلمين الذي سمى نفسه خليفة الله : « من قال لي اتق الله قطعت عنقه » ، في هذا الوقت نطق الحسن البصري بالحق ، من غير جمجمة ولا اضطراب . سأله الحجاج الطاغية

قائلا . ما تقول في علي وعثمان ؟ وهو يريد النيل من علي ، فاجابه الحسن : اقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك ، قال فرعون لموسى « ما بال القرون الاولى ؟ قال علمها عند ربي » .

ولا شاء الحسن ان يزدلف لأمير المؤمنين

ويروى انه في وقت خروج الخوارج على الخلفاء من بني امية واشتدادهم عليهم سأله بعض اهل الشام يريد احراجه فقال له : مع من تكون ، امع الخارجين ام مع امير المؤمنين؟ فاجابه الحسن من غير تردد ولا تلكؤ : لا تكن مع هؤلاء ولا مع هؤلاء ، فقال الرجل ملحا في القول : « ولا مع امير المؤمنين يا ابا سعيد؟ فغضب الحسن وخطبه ثم قال : ولا مع امير المؤمنين يا ابا سعيد ، نعم ، ولا مع امير المؤمنين » .

الحسن يتعرض بالحجاج فيستدعيه

اجاب الحسن تلك الاجابة في وقت كان يزدلف بعض الفقهاء الى الحكام باباحة دماء الابرياء .

وقد كان يعرض بالحجاج كثيرا في مواعظه لعربيا يقترب من التصريح ، ولا يخشى في الله لومة لائم ، فيقول والحجاج يبني مدينة واسط :

« يعمد أحدهم الى قصر فيشيده ، والى فرش فينجده ، والى ملابس ومراكب فيحسنها ، ثم يحف به ذباب طمع ، وفراش نار ، و ... من سره فيقول انظروا ماذا صنعت !! فقد رأينا ... المغرور ، فكان ماذا يا افسق الفاسقين ، اما اهل السماوات فقد لعنوك ، وأما اهل الارض فقد مقتوك ... » .

يقول ذلك في موعظة طويلة كلها على هذا النحو ، ويبلغ ذلك الحجاج ، فيقول لحاشيته من اهل الشام : « أيتحدى عبد البصرة وأنتم حضور فلا تنكرون » . ثم يحضر الحسن ، ويقول له : « اما لامري عليك حق حين قلت ما قلت » . فيقول له الحسن : « يرحمك الله ايها الامير ، ان من خوفك حتى تبلغ أمنك ، ارفق بك ممن أمنك حتى تبلغ خوفك . والامر بيدك ، السمع والطاعة ، فافعل الاولى بك ، وعلى الله متوكل ، وهو حسبنا ونعم الوكيل » .

ويراه من هذا القول انه يقرن الشجاعة بالقول الهادىء ، فهو حكيم في شجاعته ، كما هو حكيم في قوله ، ولذلك يستحي الحجاج الثقفية من ان يعاقبه ، حتى لا يقال عنه انه يؤثر العقاب على العفو .

الحسن كان زاهدا ، واقبل على الحلال من طيبات الحياة

والحسن كان زاهدا في عرض الدنيا ، طالبا للآخرة ، وكان ذا وجدان قوي ، يغلب الخوف على الرجاء ، يستصغر ما يعمل من حسنات ، ويستكثر ما يكون من هفوات ، يتعرف عيوب نفسه ولا يغفل عنها ، ولا يحصي حسناته ، بل يستقلها .

ومع زهادته وعفته ، لم يكن راغبا عن الحلال ، لا يبتعد عن المباح من اللذائذ ، فلا يحرم ما احل الله تعالى ، وكان لا يرضى عن عمل المتقشفين الذين لا يتناولون الحلال زهدا ، حضر الحسن مرة وليمة فيها حلواء ، فلما قدمت امتنع بعض الحاضرين عنها زهادة ، فقال له الحسن : كل يا لكع ، فلنعمة الله عليك في الماء البارد اعظم من نعمته عليك في الحلواء » .

لانه يرى ان الزهد ليس هو الامتناع عن طيبات الحياة كان يرى الاعتدال في كل شيء ، فيرى الاعتدال في طلب اللذة ، كما يرى الاعتدال في العبادة ، فيؤدي الفرائض والسنن المكتوبة ، وما يستطيع من نوافل الطاعات . وسأله بعض معاصريه عن رجلين : احدهما تفرغ للعبادة ، والآخر اشتغل بالسعي على عياله ، ايهما افضل؟ فقال الحسن : « ما اعدل الرجلان » .

الحسن كان يستحسن الغناء

ولم يكن الحسن معتزلا للناس بل كان مختلطا بهم ، يسألونه عن شئونهم ، وعما يجري في جموعهم وهو يجيبهم ، ولا يحرم شيئا الا اذا ثبت لديه بالدليل القاطع تحريمه ، ولذا قالوا : انه ما كان يحرم الغناء الذي لم يختلط بآثم ، بل كان يستحسنه اذا لم يثر فتنة في النفس ، ولقد قال بعض معاصريه : « ادركت ثلاثة يستحسنون الغناء الحسن البصري والشعبي والنخعي » .

وواسى اليهود والنصارى

وكان الحسن مع هذه الصفات التي رفعته الى مرتبة الصديقين غير متعصب تعصبا يجعله يمقت اهل الديانات الاخرى ، فكان يفتح صدره لكل

شخص مهما تكن ديانته ، واستوحى من حقائق الاسلام الدعوة الى السلام والمحبة ، ولهذا كان يحضر دروسه اليهود والنصارى ، ويواسيهم ويعزيهم ان كان ما يوجب العزاء . ويروى ان نصرانيا من المترددين على دروسه قد مات فذهب الى اخيه يعزيه ، وقال له : « اثابك الله على مصيبتك ثواب من اصيب بمثلها من اهل دينك » .

ويراه في هذا العزاء السمح كان لبقا .

فصاحته لفتت السيدة عائشة ام المؤمنين

وكان الحسن فصيحا في العربية ، نشأ نشأة عربية ، وان كان من اصل فارسي ، فقالوا انه نصيح بوادي القرى . وقد مارس الوعظ ، وعمل على الدعوة الى الحق ، حتى آتاه الله القول المبين ، قال فيه الاعمش فقيه العراق ومحدثه : « ما زال الحسن يعني بالحكمة حتى نطق بها » . وقد قال بعض معاصريه اذا سمعه « لله دره ، انه لفصيح اذا لفظ ، فصيح اذا وعظ » . ولقد كان الحجاج يرى انه اخطب اهل البصرة .

وهو في خطبه ومواعظه ذو لفظ سهل متخير عذب ، قد جمعت معاني الدين والورع والتقى . وقد سمعته ام المؤمنين عائشة يتكلم ، فقالت « ومن هذا الذي يتكلم بكلام الصديقين » .

قوة شخصيته

بهذه الصفات يعد الحسن البصري من اقوى رجال الفكر الاسلامي شخصية ، واشدهم نفوذا ، اجلته العامة ، ورفعته الخاصة ، وهابه الحكام ، واستحيا من سمته الفسقة الظلمة .

وكان ذا سمت حسن ، في مظهره الجسمي قوة وجمال ، ومع ذلك كان سيدا في ذات نفسه ، قد استولى على اهوائه فجعلها امة ذلولا ، فكان ذا خلق قوي ، لا يطلب من الناس امرا الا اذا كان هو اسبق الى الاخذ به . قيل لبعض اصحابه الملازمين له : بأي شيء بلغ الحسن فيكم ما بلغ ، وكان فيكم علماء وفقهاء .

فقال . كان اذا امر بشيء أعمل الناس له ، واذا نهى عن شيء اترك الناس له ، ولم ار احدا قط سريرته اشبه بعلانيته منه .

وبهذه الشخصية القوية كان له اثر في كل الفرق الاسلامية التي ظهرت في عصره ، وكل فرقة تدعي انه منها ، فالمعتزلة يدعون انه كبيرهم ، واهل السنة يعدون انه منهم ، وهو بين الفقهاء والمحدثين الوعاظ في الرعيل الاول .

علمه وآراؤه

كان الحسن من اعلم السلف بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وسيرة الصحابة ، واخبار السابقين ، وكان من المحدثين الذين نقلوا علم الرسول عن طريق الصحابة ، وكان من الفقهاء المدركين ، وكان سيد الوعاظ ، وكان من الذين خاضوا بعض الخوض في علم العقائد الذي كان يتحدث عن القول فيه الفقهاء والمحدثون ، وهو بمجموع هذه العلوم كان فريدا . ولكنه في الحديث لم يبلغ مبلغ كبار كسعيد بن المسيب وسعيد بن جبير ، ونافع مولى عبد الله بن عمر ، وعكرمة مولى عبد الله بن عباس والاعمش . ولم يبلغ في الفقه مبلغ ابراهيم النخعي ، ولا علقمة ، ولا ابن شهاب الزهري ، وبلغ في الوعظ والتأثير في الناس ما لم يبلغ احد منهم ذلك .

ولذلك لم تؤثر عنه مجموعة فقهية كالتي اثرت عن غيره ، كما لم تؤثر مجموعات روايات من الاحاديث كالتي اثرت عن غيره من التابعين .

ولكن اثرت عنه مع مواعظه آراء في اصول الدين ، وهي ان لم تجمع في مكان واحد ، تجدها ثابتة في كلامه ، وان كانت منثورة فيه .

عند الحسن : ان المعرفة مقياس الاخلاق الفاضلة

فهو يرى ان الايمان الصادق يدفع الى العمل ، ويشبه كلامه في هذا كلام سقراط في قوله ان المعرفة الصحيحة تدفع الى الاخلاق المستقيمة ، حتى اعتبر مقياس الاخلاق الفاضلة هو المعرفة ، وان ذلك الرأي مثبت في كلام الحسن ومن امثلة قوله في اجابة من سأله عن الرجل يذنب ، ثم يتوب ، ثم يذنب ثم يتوب ، فهو يقول « ما اعرف هذا من اخلاق المؤمنين » . ومن ذلك قوله ايضا . « ان الرجل اذا طلب القرآن والعلم لم يلبث ان يرى ذلك في خشوعه ، وزهده ، وحلمه ، وتواضعه » .

واذا كان الايمان يستلزم العمل حتما ، فان

مرتكب الكبيرة من الذنوب المصر عليها لا يمكن أن يكون عند الحسن مؤمنا ، إلا إذا تاب توبة نصوحا ، وأخلص من بعدها في العمل لله تعالى .

مسألة مرتكب الكبائر شغلت أهل عصر الحسن البصري

ومسألة مرتكب الكبيرة شغلت العصر الذي عاش فيه الحسن ، فمن وقت أن خرج الخوارج على الإمام علي بن أبي طالب ، وكفروه ، لأنه قبل التحكيم بينه وبين معاوية ، واعتبروا ذلك كبيرة - في زعمهم - توجب الكفر ، تكلمت في مرتكب الكبيرة كل الفرق الإسلامية .

فالخوارج كما ترى كفروه .

والمعتزلة قالوا إنه ليس بمؤمن ولا بكافر ، بل هو في منزلة بين الإيمان والكفر ، ويصح أن يقال عنه إنه مسلم ، وهو مخلد في النار إن لم يتب توبة نصوحا .

والمرجئة قالوا : إنه مؤمن عاص ، ولكن كان منهم أهل البدع الذين قالوا إنه لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة ، فهو ابن كان مقصرا فهو غير مؤاخذ ، ورحمة الله وسعت كل شيء .

ومن أولئك المرجئة من لم يغلوا في بدعة ، فإنهم قالوا إن تاب توبة نصوحا فإن الله يقبل توبته ، كما وعد سبحانه بذلك ، وإن لم يتب فهو في أمر الله ومشيئته ، إن شاء عاقبه بما ارتكب ، وإن شاء غفر له ، وإن الله يغفر الذنوب جميعا إن شاء ، وينسب ذلك القول إلى أبي حنيفة النعمان ، بل إنه لا يوجد في المأثور من أقوال أئمة الفقه ما يعارضه .

وكان رأي الحسن غير هذه الآراء جميعا ، فهو يرى أن المذنب الذي لا يتوب توبة نصوحا لا يوجد عنده أصل الإيمان ، بل يعده منافقا في إعلانه الإيمان ، وهو غير مؤمن ، وهو يقول في ذلك : « الناس ثلاثة مؤمن وكافر ومنافق ، فأما المؤمن فقد ألجمه الخوف وقومه ذكر العرض (أي يوم القيامة) ، وأما الكافر فقد قمعه السيف وشرده الخوف ، وأما المنافق ففي الحجرات والطرقات يسرون غير ما يعلنون ، ويضمرون غير ما يظهرون ، فاعتبروا إنكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة » .

ومسألة الجبر والاختيار شغلت عصر الحسن

وهناك مسألة أخرى شغلت عصر الحسن أيضا ، وهي مسألة الجبر والاختيار ، فالجهم بن صفوان ومن معه ، ادعوا أن الإنسان مجبر غير مخير ، ولا إرادة له فيما يفعل ، بل ينسب الفعل له ، وهو من الله . والمعتزلة قالوا إن العبد يخلق أفعاله بنفسه ، وهو محاسب بها ، وذلك بقوة أودعها الله تعالى إياه ، وبها كان الحساب والثواب والعقاب .

والحسن قال إن الحسنات بتوفيق الله ، والمعاصي بعمل العبد ، وهو يقول في ذلك : « كل شيء بقضائه وقدره إلا المعاصي » ، ويريد من ذلك أن المعاصي لا يرضاها الله تعالى .

وعند الحسن أن معاوية اغتصب الخلافة

والحسن كان يرى أن الخلافة انتهت بالراشدين ، وأن معاوية اغتصبها ، وأنه ليس في بني أمية عادل إلا عمر بن عبد العزيز ، ومع ذلك كان لا يدعو إلى الخروج عليهم ، ويمتنع عن معاونة الخارجين ، لأنه يرى أن وجود حكومة أولى بالاتباع من الفوضى ، لأنه كان يرى أن الفتن يقع فيها من المظالم ما لا يقع من حاكم مستبد في سنين ، وكان يرى في هذا أن الحكام لون من ألوان الشعب ، فإن استقاموا استقاموا . ووجد قوما يدعون على الحجاج ، فقال أخشى أن عزل الحجاج أو مات أن تولى عليكم القردة والخنازير ، « كما تكونون يولى عليكم » .

وكانت فيه محبة آل علي ، فإنه عندما بلغه مقتل الحسين رضي الله عنه بكى وانتحب ، وقال : « واحسرتاه ، ملأ أمور هذه الأمة ، عشن ابن دعيها من سميتها ، اللهم كن له بالمرصاد ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » .

واخيرا هذه صورة غير واضحة عن الحسن البصري ، سيد البصرة وواعظها ، وقد استمر يعظ ويرشد أكثر من سبعين سنة ، إذ عاش نحو التسعين ، من سنة ٢١ إلى سنة ١١٠ ، وودعته البصرة كلها ، وذكره المسلمون أجمعون ، فرضي الله عنه في الصديقين .

محمد أبو زهرة

طرائف عربية

الرأى والشجاعة

● أتى قوم من العرب شيخا لهم قد [illegible] [illegible] [illegible] بما ندرك به الثأر ، ونمحو به عنا العار

فقال : الضعف [illegible] همتى ، ولكن [illegible]

أمنيــة

● قال الجاحظ : مرض علي بن عيسى الريحاني ، فدخلت عليه عائدا وقلت له : ما تشتهي يا أبا الحسن ؟

فقال [illegible]

الاعمش وامرأته

● وقع بين الأعمش وامرأته وحشة ، فسأل بعض أصحابه [illegible] [illegible] [illegible]

فقال له الاعمش

ــ [illegible]

لم يدع لراجع مرجعا

● قال خالد بن صفوان : دخلت على [illegible] حتى كنت أقرب الناس إليه ، ثم تنفس الصعداء ، وقال : يا خالد ، رب خالد جلس مجلسك هو أشهى الىَّ حديثا [illegible]

فعلمت أنه أراد خالدا القسري . فقلت : أفلا تعيده يا أمير المؤمنين ؟

فقال : هيهات إن خالدا أدل فأمل ، ولم يدع لراجع مرجعا [illegible]

[illegible]

أبيات لأبى العتاهية

أنلهـــو وأيامنـــا تذهـــب
ونلعـب والمـوت لا يلعـب ؟!

عجبت لـذي لعبٍ قـد لهـا
عجبـــت وما لـى لا أعجب

أيلهــو ويلعــب مَـن نفســه
تمــوت ومنزلـــه يخــرب ؟!

ظريف ومغنيتان

● [illegible] والاخرى [illegible] ... فاذا اخذت الاخرى تغني ، فقد يحيط قميصه [illegible]

طمع اشعب

[illegible] هل خلق اطمع منك ؟

قال [illegible] [illegible] جئت به ؟ [illegible] قلت : نعم .

[illegible] ثم ماذا ؟ .. قلت : لا . قالت : ثم ماذا ؟ .. قلت : م : فأمي [illegible]

جواب أحمق

● [illegible] ما سميت فرسك ؟ [illegible] سميته الاعور .

الى الاعماق

[illegible]

عبيد الله السعودي

محاورة بين المنصور ومعن بن زائدة

قال ابو جعفر المنصور لمعن بن زائدة [illegible]

قال [illegible] امير المؤمنين

قال [illegible]

قال [illegible]

قال [illegible]

قال : هي لك ، يا امير المؤمنين .

قال : فأي الدولتين احب اليك ، هذه ام دولة بني امية ؟

قال : ذلك اليك ، يا امير المؤمنين ، ان زاد برك علي برغم كانت دولتك احب الي .

نرى كل ما ساءنا دائما
على كل ما سرنا يغلب
نرى الليل يطلبنا والنهار
ولم ندر [illegible]
أحاط الجديدان جمعا بنا
فليس لنا عنهما مهرب
وكل له مدة تنقضي
وكل له أثر يكتب



الوعي الاجتماعي

عن مجلة « الفكر » ـ تونس

● أهم شيء يتحتم بثه في الأفراد والجماعات على حد سواء هو الإيمان بالعدل والمساواة والعمل بمقتضاهما .

فالعدل نوعان . في الأفراد أولا ، إذ يجب إعطاء كل ذي حق حقه بدون تحيز قد تحمل عليه المنفعة الشخصية أو الميل أو الأهواء . وفي المجتمع ثانيا ، إذ يجب التسهيل لكل فرد في أن يرقى بنفسه على قدر استعداده ، فلا يكون المجتمع عادلا إلا إذا توافرت لكل طائفة من الناس وسائل رقيهم .

والعدل كثيرا ما يقترن بالمساواة . ورغم أن المساواة التامة صعبة المنال لاختلاف الناس في قواهم وملكاتهم ، فإنها واجبة التحقيق ، لا من الناحية القانونية فحسب ، وإنما كذلك من الناحية الاقتصادية والاجتماعية أيضا وخاصة المساواة في الفرص .

ويجب من جهة أخرى بث روح التعاون إذ أن التعاون بين الأفراد لا بد منه للحياة وكلما تقدم الناس في الحضارة كانت حاجتهم الى التعاون أشد بسبب كثرة الحاجات والمطالب التي تستوجب توزيع الأعمال وتخصيص كل طائفة بعمل . والملاحظ في هذا الشأن أنه لا يصح أن يسمح بالتعاون بين الأفراد إذا كان في ذلك ضرر بالأمة كما يحدث في الاحتكار مثلا .

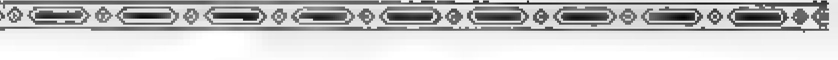
وما العدل والمساواة والتعاون إلا صفات المواطن الصالح ، والمجتمع المتماسك الذي يسعى لبنائه على أساس التطور والرقي والازدهار .

الفارابي

عن مجلة « العلوم » ـ بيروت :

● يركز الفارابي بحثه في المدينة الفاضلة على ثلاث نقاط : النظام الفاضل ، والرئيس الفاضل ، والمواطن الفاضل .

أما النظام الفاضل فينبغي في رأيه أن أن يستخرج من نظام الأعضاء في الجسد الواحد . فكما أن لكل عضو في الجسد وظيفة خاصة يؤديها على أتم وجه ، فهكذا ينبغي أن يكون لكل فرد في المجتمع وظيفة خاصة يقوم بها كما يجب . وكما أن أعضاء الجسد ، على اختلاف وظائفها ، تتعاون على أتم وجه ، فيكون بذلك صلاح الجسد ، فهكذا ينبغي للأفراد في المجتمع ، على اختلاف مهامهم ،



نحن وامريكا والمنطق

عن جريدة « المنار » ــ القدس .

● لماذا التعجب من موقف امريكا ؟ ولماذا الاستنكار الذي افتعل فجأة ، بين مندوبينا وحكوماتنا من بيــان المندوب الامريكي حول اللاجئين .. ؟

لقد كان حكام امريكا متفقين مع انفسهم من اول يوم من اليوم الذي كافح فيه ترومان الى حد « الرشوة » لاقرار التقسيم ، ثم الى الضمان الدولي لحدود الدولة الجديدة، الى اليوم الذي كافح فيه ايزنهاور لملء الفراغ بالشرق الاوسط،الى اليوم الذي دعا فيه مندوب كندي صراحة الى دمج اللاجئين في الحياة الاقتصادية للدول العربية .

واذا كانت بريطانيا قد وصلت بالصهيونية الى نقطة البدء ، والى التمهيد ، ثم الى الخلق والتكوين،فقد تلقفت امريكا هذه البذرة الصهيونية من اول يوم في حضانة دولاراتها واموالها، ونفوذها، وكان شعار حكامها دائما : « خلقت اسرائيل لتبقى » ! ..

ونحن نسمع هذا الشعار يردده حكام امريكا،وفي الاخص في مواسم انتخاباتهم ، نسمعه صريحا واضحا يزلزل القلوب ، ويصك الاسماع،ومع ذلك نروغ من مواجهة هذا الموقف الصريح الواضح بالضحك على شعوبنا وخداع انفسنا :« لا .. لا يمكن ان يكون هذا الموقف النهائي لزعيمة العالم الحر .. انها الدعاية الصهيونية اللعينة .. او انها احدى تكتيكات الامريكان يتركونها بعد حين .. ! » .

والامة الفاضلة

أن يتعاونوا على ما فيه الخير للجميع ، وكما أن أعضاء الجسد تخدم بعضها بعضا وتخضع جميعها للقلب ، فهكذا ينبغي لجميع الأفراد في المجتمع أن يتعاونوا وأن ينقادوا لتوجيهات الرئيس .

وأما **الرئيس الفاضل** فينبغي ، في رأيه ، أن يتميز بأمرين : جودة الإدراك ، ويقظة الوجدان ، فيكون جامعا لخصال الفلاسفة وصفات الأولياء ، يضيف إلى ذلك اثنتي عشرة صفة تؤمن له الهيبة والوقار بين الناس ، وتتحقق به العدل والتحري في الأحكام . ولا يغيب عن الفارابي أن اجتماع هذه الخصال لشخص واحد ليس من الأمور السهلة . فإذا ما تعذر اجتماع هذه الخصال لشخص واحد وجب أن تلتمس في أقل عدد ممكن من رجال العصر ، فيكونون مجتمعين رئيسا ومربيا ، وإلا فسدت المدينة الفاضلة وانتهى أمرها .

أما **المواطن الفاضل** فيشترط فيه الفارابي أن يكون مدركا للحقائق ، متصفا بالفضيلة ، إما عن طريق الإدراك الشخصي ، والاقتناع البرهاني ــ إذا كان من أهل البصائر النيرة ــ وإما على سبيل التشبيه والتمثيل ، فالتزام الطاعة للمرشدين وقبول التوجيهات الصحيحة إن كان من جمهور الناس . وهكذا يلتقي في نظام الفارابي أهل المدينة الفاضلة في تنظيم واحد ، يحقق سعادتهم بوسائل متعددة

مسابقة العدد

١٠ مدن

وجوائز ١٠٠ دينار

● مسابقة هذا العدد عبارة عن اسماء ١٤ مدينة وبلدة معروفة من ١٤ قطرا عربيا مختلفا .

يتكون كل اسم منها من خمسة احرف ، اثبتنا منها في الجدول الذي الى يسار هذا الكلام ، حرفين فقط من اسم كل مدينة ، ورمزنا للاحرف الناقصة بنقط ، وكتبنا امام كل مجموعة اسم القطر الذي تقع فيه المدينة .
والمطلوب هو ان تكتب اسماء عشر مدن كاملة فقط ، لتربح احدى الجوائز .

اسم المدينة					القطر
ع	•	•	ر	•	السودان
•	ك	•	ا	•	المغرب
ا	•	•	•	ن	ج. ع. م.
•	هـ	•	ا	•	الجزائر
ب	•	•	•	ت	تونس
•	ن	•	ا	•	اليمن
ش	•	•	•	م	حضرموت
ا	•	•	•	ى	الكويت
ب	•	•	ى	•	سورية
•	ع	•	ب	•	لبنان
د	•	•	•	م	السعودية
ك	•	•	•	ك	العراق
•	م	م	•	•	الاردن
•	ز	ر	•	•	ليبيا

شروط المسابقة

١ ـ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٦٥ من هذا العدد .

٢ ـ يكتب على الظروف عبارة ـ « مسابقة العربي ـ العدد ٦٢ » .

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر فبراير (شباط) ١٩٦٤ .

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا ..

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ..

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير ..

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، لكل منها ٥ دنانير ..

وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة الاقتراع .

ترسل الاجابات مباشرة بعنوان مجلة «العربي» صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربي .



ابن مردنيش

زعيم القومية الأندلسية

تحدى دولة الموحدين ربع قرن من الزمان

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ حينما عبر المرابطون ، سادة المغرب ، بقيادة عاهلهم يوسف بن تاشفين ، في أوائل سنة ٤٧٩هـ-١٠٨٦م إلى شبه الجزيرة الإسبانية استجابة لصريخ ملوك الطوائف ، عقب سقوط طليطلة في يد إسبانيا النصرانية ، وإنقاذا للأندلس مما كان يتهددها من خطر السقوط والفناء ، كان المفروض أن هذا

العبور للجحافل المغربية ، لم يكن سوى جهاد في سبيل الله، وعمل انقاذ محضر ، تبادر من بعده شبه الجزيرة الى بلادها .

ولقد تم هذا الانقاذ بانتصار الجيوش المرابطية والاندلسية المتحدة على جيوش اسبانيا النصرانية في موقعة الزلاقة الحاسمة (رجب ٤٧٩ هـ) ، وانقشع الخطر الذي كان يهدد الاندلس وملوك الطوائف الى حين ، وعاد البطل المرابطي ــ يوسف بن تاشفين ــ على رأس قواته ، مكللا بغار الظفر .

الاخوة المنقذون ينقلبون اعداء فاتحين

بيد انه لم تمض أعوام قلائل ، حتى انقلب الاخوة المنقذون الى اعداء فاتحين ، وعبر يوسف في قواته الى شبه الجزيرة مرة أخرى ، وقامت جيوشه باجتياح ممالك الطوائف واحدة بعد أخرى ، وهكذا بسط المرابطون حكمهم على الاندلس ، وغدت الاندلس بعد ذلك ولاية مغربية من ولايات الدولة المرابطية الكبرى .

المرابطون في الاندلس

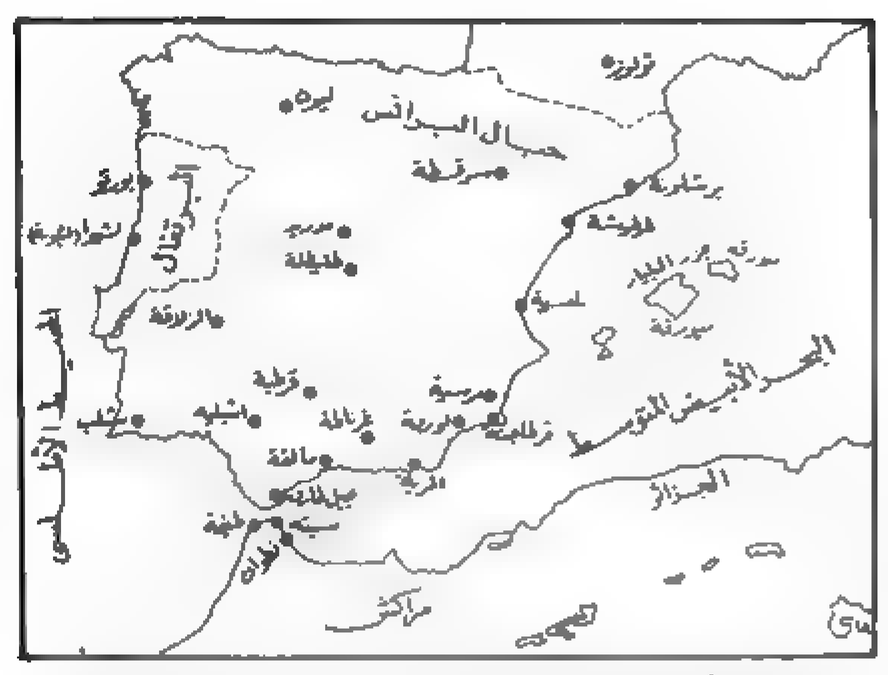
ولبثت الاندلس تحت حكم المرابطين زهاء نصف قرن . وبالرغم مما بذله المرابطون خلال هذه المدة من الجهود العسكرية المتوالية في محاربة اسبانيا النصرانية وحماية الاندلس من عدوانها ، فان الامة الاندلسية لم تنس انها قد فقدت استقلالها وحرياتها ، ولم تستطع ان تروّض نفسها على قبول نير هذا الحكم الجديد ، خصوصا وقد كان حكمهم يتسم بأساليبه الخشنة المتزمتة التى لا تلائم طبائع امة كالامة الاندلسية، تمتاز بمستواها الحضاري الرفيع .

قيام الموحدين وظفرهم بالدولة المرابطة في المغرب ، واثر ذلك في الاندلس

فلما تطورت الحوادث بالمغرب ، وبطش المهدي محمد بن تومرت بتشير دعوته الجديدة ، ضد الدولة المرابطية ، ثم يثير عليها هو وصحبه الموحدون حربا لا هوادة فيها ، ولما ان ظفر الموحدون اخيرا بالقضاء على الدولة المرابطية بالمغرب ، والقضاء دولتهم على انقاضها ، كان لهذا الانقلاب العظيم صداه في الاندلس ، فقامت الثورة ضد المرابطين في معظم القواعد الاندلسية . وكان طبيعيا ان يتجه زعماء الثورة الى الاستغاثة بالموحدين واستدعائهم الى شبه الجزيرة . وكان الموحدون من جانبهم يرون ان الاندلس ، وقد كانت ولاية مرابطية، يجب ان تغدو ولاية موحدية، وهكذا عبر الموحدون بجيوشهم الى شبه الجزيرة ، واستولوا تباعا على قواعد الاندلس الغربية والوسطى ، وجعلوا اشبيلية قاعدة حكمهم . وهكذا تخلصت الاندلس من حكم المرابطين ، لتقع تحت نير دولة مغربية بربرية جديدة ، هي الدولة الموحدية .

شرق الاندلس يصمد للموحدين

كان ذلك حوالي سنة ٥٤٥ هـ (١١٥٠ م) . وكانت الثورات الاندلسية المتوالية التى قامت في الغرب وفي اشبيلية Sevilla ، وقرطبة Cordoba وغرناطة Granada ومالقة Malaga وغيرها قد خبت تباعا امام زحف الموحدين ، واستقرارهم سادة في تلك القواعد . ولكن شرق الاندلس كان له شأن آخر . اجل قامت الثورات ايضا في شرق الاندلس ضد المرابطين ، وانهار سلطانهم في تلك المنطقة الشاسعة التى تمتد من طرطوشة Tortosa شمالا حتى مرسية Murcia ولورقة Lorca جنوبا ، ولكن الثورة في الشرق كانت ثورة من طراز آخر . كانت ثورة اندلسية حقة لا تبغي بديلا بالحكم المرابطي ، ولا تسعى الى استقدام



خريطة اسبانيا ، وقد ظهرت فيها مواقع المدن التي جاء ذكرها في المقال

الموحدين ومحالفتهم بل ترمي الى تحرير الاندلس والتخلص من كل نير أجنبي .

صراع على الزعامة في شرق الاندلس ينتهي بزعامة ابن مردنيش

وقد اضطرمت الثورة في الشرق ، في نفس الوقت الذي اضطرمت فيه في باقي القواعد الاندلسية ، ولكنها ما كادت تظفر بالقضاء على الحكم المرابطي ، حتى تحولت الى صراع محلي على الزعامة . وكان مسرح هذا الصراع بالأخص في مدينتي بلنسية Valencia ومُرسية Murcia وكان محوره بالأخص ثلاث شخصيات ، هم سيف الدولة بن هود ، وابن عياض ، ومحمد بن سعيد ابن مردنيش . أما ابن هود ، وهو سليل بني هود ملوك سرقسطة القدماء ، فكان يعتمد على عراقة أسرته ، وعلى صفته الملوكية ، في بسط سلطانه على الشرق واحياء تراثه الملوكي ، وكان له أنصار يدعون لرياسته وفي مقدمتهم ابن عياض قائد جند بلنسية ، ولكنه قتل في معركة نشبت بين المسلمين والنصارى في سنة ٥٤٠ هـ . وعلى أثر مصرعه أعلن ابن عياض الدعوة لنفسه ببلنسية ، وكان نائبه بها صهره محمد بن سعد بن مَرْدَنيش . ونجح ابن عياض كذلك في أن يبسط حكمه على مرسية ، وعلى سائر منطقة الشرق . واستمر يحكم تلك المنطقة بلا منازع مدى عامين ، الى أن لقي مصرعه في معركة نشبت بينه وبين القشتاليين (٥٤٢ هـ) . وعندئذ سعى نائبه وصهره ابن مَرْدَنيش فأعلن للناس أن ابن عياض قد اختاره للامارة من بعده ، فبايعه الناس في بلنسية ثم في مرسية ، وهكذا نجح ابن مردنيش في اجتناء سلطان الشرق كله ، وكانت رياسته للشرق ايذاناً ببدء صفحة جديدة من الصراع بين الاندلس الثائرة وبين الموحدين ، وهو صراع عنيف ظل يضطرم زهاء عشرين عاماً ، ويلتهم منطقة الشرق كلها ، سائر مواردها وقواتها .

ابن مردنيش يتزعم شرق الاندلس في ثورة أندلسية خالصة ضد المرابطين والموحدين جميعا

كانت الثورة في شرقي الاندلس ، أقوى مثلا ،

واسعي جنوبا ، واشتد مراسها منها في الغرب ، وكانت تسيطرها منذ البداية فكرة قومية عميقة ، هي الفكرة الأندلسية الخالصة ، فكانت تضطرم ضد المرابطين والموحدين معا ، بنفس العنف والإصرار ، وكانت العوامل الجغرافية والعسكرية تشد من أزرها ، وتضاعف مقدرتها على المقاومة ، فقد كانت قواعدها الرئيسية بعيدة عن متناول الجيوش الموحدية ، وكان اتصالها بالبحر يمدها بوسائل وامكانيات خاصة . وكان وقوعها على مقربة من الممالك النصرانية ، يتيح لها بسبب الاتصال المستمر بملوك النصارى ، ومحالفتهم والاستنصار بهم ، وكانت هذه الوسيلة ، بالرغم مما يحيط بها من ملابسات ذميمة ، تعتبر في تلك الأونة من الخطط المشروعة ، في مقاومة الغزاة المحتلين مرابطين كانوا أم موحدين . وثمة عامل آخر في استمرار الثورة وصمودها في شرقي الأندلس هو انحصار زعامتها ، وتركيزها مدى أعوام طويلة في شخصية واحدة قوية ، كانت تجمع حولها خيوط المقاومة ، وكان يحدوها إيمان عميق بالفكرة الأندلسية ، تلك هي شخصية محمد بن سعد بن مردنيش ، أعظم ثوار الأندلس ضد الموحدين ، وأشدهم مراسا ، وأعتاهم كفاحا .

ابن مردنيش ، عروبته وأرومته

أن ابن مردنيش الذي حمل لواء هذا الصراع الشهير ضد الموحدين ، ولبث طيلة اضطرامه ، صامدا كالصخرة الصامدة ، لا تفتر له همة ، ولا يهادن ولا تلين قناته ، حتى طواه الموت ، هو شخصية من أغرب شخصيات التاريخ الأندلسي تمثل كل خلال العصر ورذائله في نفس الوقت . وهو أبو عبد الله محمد بن سعد بن محمد بن سعد الجذامي بن مردنيش ، أصله من الثغر الأعلى ، ومولده في سنة ٥١٨ هـ (١١٢٤م) ، وإذن فقد كان حينما تولى إمارة شرقي الأندلس فتى في نحو الرابعة والعشرين من عمره . وقد كان أبوه سعد بن محمد بن مردنيش ، واليا لإفراغة أيام المرابطين ، وظهر بفائق شجاعته وبسالته في مدافعة النصارى .

وقد لفت ابن مردنيش أنظار الباحثين باسمه ولقبه ، وصفاته الغريبة، فهو وفقا لاسمه المعروف جذامي أو تجيبي أو بعبارة أخرى عربي الأرومة. بيد أن في لقبه وهو ابن مردنيش ، وفي صفاته وسلوكه أيضا ، ما يحمل على الريب في هذه النسبة . والأغلب الظن أنه ينتمي الى «المولدين» أو بعبارة أخرى اسباني الأصل ، دخل أجداده في الإسلام ، فأصبح ينتمي الى ذلك العنصر المسلم الدخيل ، الذي كان يكون شطرا له خطره من الأمة الأندلسية ، والذي لعب في تاريخها أعظم دور ، ولا سيما أيام الفتن والثورات القومية ؛ ويرى البحث الحديث أن مردنيش انما هو تحريف للاسم الاسباني « مرتينث » Martinez أو Martiniz أي (ابن مرتين) . ومن جهة أخرى فان صفات ابن مردنيش وسلوكه ، حسبما تصورها لنا الرواية العربية ، تؤيد هذا الظن في انتمائه الى عنصر المولدين ، فقد كان شغوفا بالتشبه بالنصارى (القشتاليين) ، في الزي والملابس والسلاح واللجم والسروج ، وكان يجيد اللغة القشتالية ، ويؤثر التحدث بها ، وكان يضم الى جيشه كثيرا من النصارى كالمرتزقة من القشتاليين والقطلان والبشكنس ، ويبني لهم الأحياء والمعسكرات ويزودها بأسباب الرفاهية والحانات ، وكان يغدق عليهم الصلات الوفيرة من المال والاقطاعات . وقد كان من جراء هذا الانفاق الفادح على المرتزقة النصارى ، أن اشتط ابن مردنيش في فرض المغارم والرسوم الفادحة على رعاياه المسلمين . وكان النصارى يسمونه بالملك (لب) Rey Lope أو Lobo أي الذئب ، وقد أطلق عليه هذا الاسم الأخير لما كان يتسم به من الإقدام والشجاعة .

ابن مردنيش يسالم الممالك النصرانية ليتفرغ لحرب الموحدين

واستمر محمد بن سعد بن مردنيش يتغلب على بلنسية ومرسية ، سيد شرقي الأندلس كله ، وامتد سلطانه من أحواز طرطوشة حتى قرطاجنة ولورقة جنوبا . ولما كان من الواضح أنه لايستطيع أن ينصرف الى توطيد سلطانه في تلك المنطقة الشاسعة الهامة ، إلا إذا أمن جانب النصارى ، وهم جيرانه من الشمال والغرب ، واستطاع بذلك أن ينصرف الى مقاومة الموحدين الذين جازت جيوشهم ، فقد رأى أن تكون مسالمة الممالك النصرانية والملوك النصارى ، شعاره الذي لايحيد

عنه ، وأن يعقد معها التحالف كلما سمحت بذلك الفرص ودعت الضرورات .

وجمعت الأقدار بين ابن مردنيش ونظيره ابن همشك

وجمعت الأقدار بين ابن مردنيش ، وبين زعيم أندلسي آخر يشبهه في كثير من صفاته وميوله ، وكان له في محالفته أكبر عضد في مضاعفة صولته وتوطيد سلطانه، هو ابراهيم بن مفرج بن همشك، وهو مثل ابن مردنيش شخصية تتميز بصفاتها الخاصة ، فهو من أصل نصراني صريح ، وأسلم جده مفرج على يد أحد ملوك بني هود ، وكان مقطوع إحدى الأذنين ، فكان النصارى اذا رأوه في القتال عرفوه وقالوا « هامشكه Hemochco » ومعناه مقطوع الأذن ، فغلب عليه ذلك وعرف بابن همشك .

وانقلب ابراهيم بن همشك في خدمة القشتاليين والمرابطين ، وكان جنديا مظفرا ، وافر الشجاعة والجرأة ، ولما اندلع لهيب الثورة في قواعد الأندلس الوسطى ، اشترك في تلك الفتن وخدم هذا الفريق وذاك . ولما اتسع نطاق الثورة بالشرق ، وظهر محمد بن سعد في بلنسية ومرسية ، اتصل به وحالفه وزوج ابن سعد بن مردنيش ابنته صفية ، وكانت من أجمل نساء عصرها، فتوثقت بينهما الروابط ، وغدا ابن همشك في الواقع من أكبر قواد العسكر وأوفرهم جرأة وشجاعة ، وقد استطاع أن يبسط سلطانه على منطقة جيان ، وأن يخوض فيما بعد مع الموحدين عدة حروب ووقائع هامة .

ابن مردنيش ينتزع غرناطة من الموحدين ، ويمزق صفوفهم

وكان ابن مردنيش في الوقت الذي يتوالى فيه قدوم الجيوش الموحدية الى شبه الجزيرة ، ويضطرد تقدمها نحو أواسط الأندلس ، يعمل من جانبه على توطيد سلطته في منطقة الشرق الشاسعة ويستعد للصراع مع الموحدين بكل ما وسع ، وكان خلال الاضطراب العام الذي شمل القواعد الوسطى قد استطاع أن يدفع فتوحه غربا حتى بسطة ووادي آش ، وأن يواجه بذلك القوات الموحدية في غرناطة . وهنا بدأ الصراع بين ابن مردنيش والموحدين ، وكان الموحدون يقدرون ما كان عليه ابن مردنيش وحليفه ابن همشك من قوة وبأس وموارد ضخمة ، ولكنهم لم يكونوا قد استعدوا بعد للمعركة تمام الاستعداد ، ومن ثم فقد استطاع ابن همشك في البداية أن ينتزع منهم غرناطة ، ثم اشتبكت قوات ابن مردنيش وابن همشك وحلفاؤهم من النصارى في معركة طاحنة مع الموحدين هزم فيها الموحدون ، ومزقت صفوفهم ، وهلك قادتهم ، وذلك في مكان في فحص غرناطة يعرف بمرج الرقاد (٥٥٦ هـ - ١١٦١ م)

تأتي النجدة للموحدين فيهزمون ابن مردنيش

وجرت هذه النكبة في نفس الخليفة عبد المؤمن، فبعث في الحال جيشا موحديا كبيرا ، عبر الى شبه الجزيرة ، واستعد ابن مردنيش ومعه فرقة من حلفائه النصارى وصهره ابن همشك للقاء الموحدين ، وهنا نشبت بين الفريقين معركة طاحنة أخرى فوق جبل السبيكة المشرف على غرناطة ، وكان النصر فيها للموحدين (سنة ٥٥٧ هـ) فارتد ابن مردنيش وابن همشك مهزومين بقواتهما وسار الأول صوب مرسية ، وسار الثاني الى جيان .

اشتد القتال بين ابن مردنيش والموحدين وانتهى بهزيمته تحت جنح الظلام

وانتقل الصراع بين ابن مردنيش والموحدين ، بعد ذلك الى قطاع قرطبة ، وكانت حملات ابن مردنيش المتوالية تهدد سلطان الموحدين في عاصمة الخلافة القديمة . ونشبت بين الفريقين معارك متوالية، وكان فيها التفوق للموحدين ، واستمرت الجيوش الموحدية في زحفها نحو الجنوب الشرقي خلال المنطقة التي يسيطر عليها ابن مردنيش ، ما بين بسطة ولورقة . وكان ابن مردنيش يرقب هذا التقدم الموحدي المطرد صوب عاصمته مرسية بمنتهى الجزع ، ويبذل كل ما وسع لقتال خصومه وردهم ، ولكن الموحدين استطاعوا

الوصول الى حصن مرسيه دون مشقة ، واخذت بوادر الانفصال عن طاعة ابن مردنيش وتفسخه تبدو شيئا فشيئا ، وتنحل الحصون والبلاد الخاضعة لسلطانه في طاعة الموحدين . وكان ابن مردنيش قد حشد سائر قواته ومنها فرقة من النصارى على مقربة من غرب مرسيه ليحول دون تقدم الغزاة الى عاصمته . وفي يوم الجمعة السابع من ذي الحجة سنة ٥٦٠ هـ (١٥ اكتوبر سنة ١١٦٤ م) ، وصلت القوات الموحدية الى موضع قريب من محلة ابن مردنيش يعرف « بفحص الجلاب » . وسرعان ما التقى ابن مردنيش بقواته على الموحدين ، ونشبت بين الفريقين معركة هائلة استمرت طوال اليوم وقاتل الفريقان اروع قتال ، ثم رجحت كفة الموحدين في النهاية ، ففتكوا بجيش ابن مردنيش وقتلوا منه مقتلة عظيمة ، وسقط من الموحدين كذلك عدد جم من القتلى ، ومنهم عدة من القادة والاشياخ ، وارتد ابن مردنيش في فلوله الى كل قريب ، ثم فر تحت جنح الظلام مسرعا الى مرسيه ، فامتنع بها .

ابن همشك
حليف ابن مردنيش
يعلن الطاعة للموحدين

وكانت موقعة الجلاب بمثابة النهاية في ثورة ابن مردنيش وصراعه مع الموحدين ، بيد انه لم يجنح الى مهادنة او مسالمة ، بل ظل صامدا متمسكا بموقفه ، وهو يتأهب لاستئناف الصراع مع الغزاة ، ولكن تيار الحوادث كان اقوى من ان يجارى ، ذلك ان الموحدين ، بعد ان شغلوا حينا بحروبهم في البرتغال عن متابعة الصراع مع ابن مردنيش ، عادوا فآثروا القيام بضربتهم الحاسمة ضد مملكة الشرق . وكان قد حدث عندئذ تصدع خطير في الجبهة الشرقية التي يقودها ابن مردنيش وصهره وقائده الاول ابراهيم بن همشك ، وذلك لاقدام ابن مردنيش على طلاق زوجته صفية بنت ابراهيم بن همشك بعد ان بالغ في ايذائها واهانتها ، فلجأت الى كنف ابيها ، وخشي ابن همشك فوق ذلك من غدر ابن مردنيش وانتقامه ، فالتجأ الى الموحدين ، واعلن دخوله في طاعتهم (سنة ٥٦٤ هـ) ، وكان ذلك اكبر مشجع للموحدين على اعتزامهم مهاجمة ابن مردنيش وتحطيم سلطانه .

عاملان حطما قوى ابن مردنيش

وكان ابن مردنيش منذ هزيمته في فحص الجلاب ، قد اضطربت شئونه واخذت تنضب قواه وموارده . وكان من اهم العوامل في تحطيم قوى ابن مردنيش ، اولا مبالغته في الاعتماد على محالفة النصارى ، وثانيا خروج قادته ووزرائه عليه ، فاما العامل الاول ، فقد كان امرا طبيعيا تمليه الظروف المحيطة بابن مردنيش وثورته على الموحدين . وقد كانت ثورة ابن مردنيش ، فضلا عما يحركها من الاطماع السياسية ، تمليها بواعث وطنية ، هي التي دفعت سائر القواعد الاندلسية الى الثورة على المرابطين ، وقد كان الموحدون خلفاء المرابطين في التغلب على الاندلس ، فكانت ثورة ابن مردنيش على الموحدين استمرارا لنفس الثورة ونزولا على نفس البواعث . وكان النصارى الاسبان حلفاء طبيعيين لابن مردنيش ، في هذا الصراع ضد العدو المشترك ، اعني الموحدين ، الوافدين على شبه الجزيرة من وراء البحر . ولم يغفل ابن مردنيش اهمية هذا العامل في اجتذاب النصارى الى محالفته وحشدهم في صفوفه . واما العامل الثاني في تحطيم قوى ابن مردنيش فهو خروج قادته ووزرائه عليه ، وفي مقدمتهم ابراهيم ابن همشك اعظم قادة الاندلس في ذلك العصر . وقد خرج عليه ايضا عدة من قرابته وولاته ، الذين اضناهم كفاحه وعسفه ، وصموده المستمر ضد هذه القوى المتزايدة من الموحدين .

الموت يجيء ابن مردنيش
داخل عاصمته المتداعية
ليخلصه من ورطته

كان ابن مردنيش يعاني من هذه الظروف والمتاعب القاسية ، حينما وضع الموحدون خططهم لانزال ضربتهم الاخيرة به . وفي اوائل سنة ٥٦٦هـ (١١٧١ م) سارت الجيوش الموحدية ثانية صوب مملكة الشرق ، ومعهم حليفهم الجديد ابن همشك . وفي خلال ذلك كان ابن مردنيش يبذل اقصى جهوده للدفاع الاخير ، ولكن بوادر الانهيار اخذت تتوالى في مملكة الشرق ، واخذت قواعدها وبلادها المختلفة تتسابق الى طاعة الموحدين :

بسطة ، لورقة ، الش ، الجزيرة وغيرها ، ثم

ضرب الموحدون الحصار حول مرسية . وكان ابن مردنيش يخرج منها بقواته من آن لآخر ويشتبك مع الموحدين في معارك طاحنة ، وكان أخوه الرئيس أبو الحجاج يوسف بن سعد يتولى الدفاع عن بلنسية . ولكن غير الخاتمة ، كانت تبدو خلال هذه الجهود الأخيرة لتابعه صراع طال أمده ، ونضبت موارده . وكان ابن مردنيش مع ذلك قد صمم أن يموت مدافعا عن ثورته ، وعن سلطانه وعن شعوره ، فلم تمض بضعة أشهر أخرى حتى جاء الموت محققا لأعز أمانيه . وتوفي محمد بن سعد بن مردنيش داخل عاصمته مرسية في العاشر من شهر رجب سنة ٥٦٧ هـ (٦ مارس سنة ١١٧٢ م) وهو في الثامنة والأربعين من عمره . وقد ثارت حول وفاته عدة روايات نضرب عن ذكرها لضعفها من الناحية التاريخية .

بموت ابن مردنيش سقطت دولة تحدت دولة الموحدين ربع قرن من الزمان

وكان موت ابن مردنيش نذيرا بانهيار دولته الشامخة ، وسيطرة الموحدين عليها واستكمالهم بذلك لسيادتهم على سائر أراضي الأندلس . هذه الدولة التي استطاع ابن مردنيش بعزمه وجرأته وشجاعته ، أن ينشئها في شرقي الأندلس ما بين طرطوشة شمالا ، والمرية جنوبا ، وما بين شاطىء البحر شرقا ، وجيان غربا ، والتي لبثت زهاء ربع قرن تمثل سلطان الأندلس ، واستقلالها القومي ، وتتحدى سلطان الموحدين وجيوشهم ، المتدفقة من وراء البحر . ولقد كان ابن مردنيش في الواقع يمثل بثورته ضد الموحدين كل ما كانت تبثه الأندلس القديمة من الآلام والآمال القومية التي لبثت تجيش بها منذ استولى المرابطون على قواعدها ، وفرضوا سيادتهم عليها ، وهي تلك السيادة التي ورثها الموحدون عنهم ، وعملوا على توطيد دعائمها . ولم يك ثمة ما ينتقص من تلك الثورة القومية لثورة ابن مردنيش ، من الناحية المعنوية ، سوى عامل واحد ، هو إسراف ابن مردنيش في مصادقة النصارى ومحالفتهم ، واعتماده على عونهم ، بيد أن هذا العامل كانت تبرره من بعض النواحي ، والظاهر من واقعه وملابساته ، أحداث العصر وظروفه ، التي سبق أن أشرنا إليها ، ومن ثم فإن المؤرخ يستطيع على ضوء هذه الأحداث والظروف ، أن يصف ابن مردنيش بزعيم القومية الأندلسية .

وقد كانت ثورة ابن مردنيش آخر محاولة لتحدي سلطان الموحدين وسيادتهم على الأندلس ، ولم يبق بعد انهيارها للموحدين منازع ، وامتد سلطانهم بذلك على سائر أنحاء شبه الجزيرة الأندلسية ، واستمرت تحت حكمهم زهاء ثمانين عاما أخرى . ■

محمد عبد الله عنان

فهم المنصور

● لما دخل أبو جعفر المنصور « المدينة » قال للربيع : ابغني رجلا عاقلا عالما بالمدينة ليقفني على دورها ، فقد بعد عهدي بديار قومي . فالتمس له الربيع فتى من أعقل الناس وأعلمهم ، لكن لا يبتدىء بالخبر حتى يسأله المنصور فيجيبه بأحسن عبارة ، وأجود بيان ، وأوفى معنى . فأعجب المنصور به وأمر له بمال ، فتأخر عنه ، ودعته الضرورة إلى استنجازه ، فاجتاز ببيت عاتكة فقال : يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص : « يا بيت عاتكة الذي أتعزل.. » فأنكر المنصور في قوله وقال : لم يخالف عادته بابتداء الإخبار ، دون الاستخبار ، إلا لأمر . وأقبل يردد القصيدة بيتا بيتا حتى انتهى إلى قوله فيها :

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم مذق(١) اللسان يقول ما لا يفعل

فقال : يا ربيع ، هل أوصلت إلى الرجل ما أمرنا له به ؟ فقال : أخرته عنه لعلة . وذكرها الربيع . فقال له المنصور : عجله له مضاعفا .

(١) مذق اللسان يمزج الجد بالهزل

شاعر العرب الشيخ «دريد» يخطب والخنساء تخالف أباها

بقلم : الدكتور احمد احمد بدوى

استاذ البلاغة والنقد الادبى بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

■ اما الشاعر فدريد بن الصمة ، الفارس الشجاع ، يقول عنه صاحب الاغانى « كان اطول الفرسان الشعراء غزوا ، وابعدهم اثرا ، واكثرهم ظفرا ، وايمنهم نقيبة عند العرب ، واشعرهم ، ادرك الاسلام فلم يسلم ، وقتل يوم حنين ، فى السنة الثامنة للهجرة . »

واما الشاعرة فالخنساء ، واسمها تماضر بنت عمرو بن الشريد ، اشهر شواعر العرب ، عاشت اكثر عمرها فى الجاهلية ، وادركت الاسلام فاسلمت ، وماتت سنة اربع وعشرين من الهجرة .

دريد يعجب بالخنساء

ويروى المؤرخون انهما ان دريدا احب الخنساء ، عندما رآها يوما تداوى ابلا لها قد اصابها الجرب ، ولم تكن مصيبة يومئذ بثيابها ، فابدت هذه الثياب محاسنها ، ومضى الشاعر مفتونا بها ، يردد قوله

حيّوا تماضر واربعوا (١) صحبى
وقفوا فإن وقوفكم حسبى

ما إن رأيت ولا سمعت به
كاليوم طالى أينق (٢) جرب

متبذلاً تبدو محاسنه
يضع الهناء مواضع النُّقْب (٣)

متحسراً نضح الهناء به
نضح العبير بريطة العَصْب (٤)

أخناس قد هام الفؤاد بكم
واعتاده داءٌ من الحب

---

(١) اربعوا : [illegible] - (٢) أينق : جمع ناقة - (٣) تبذل : ترك الاحتشام والتصون - الهناء : القطران [illegible] النقب [illegible]
الاثر من طيب - العصب : ضرب من الثياب المخططة



فسليهم عني خناس إذا ... عض الجميع الخطب ما خطبي؟

والأبيات برغم قلة عددها، تنبئ عن حب عنيف، وإعجاب بالغ: أما الحب العنيف فيدل عليه استهلاله لصحبه، وكأنما يستوقفهم ليعينوه على حمل ما أثقل كاهله وملأ قلبه.

إنها صيحة استغاثة ممن وقع في أمر عظيم.

ويدل على هذا الحب العنيف أيضا أن الشاعر تخير للتعبير عنه كلمة « الفؤاد » فهو ليس شيئا من الإجمال، ولكنه بالغ التأثير، قد أحس به الشاعر قويا، مؤلما، مسيطرا كما يسيطر الفؤاد.

وأما الإعجاب البالغ فتدل عليه هذه الصيحة التي يعلن بها أنه لم ير من قبل، ولم يسمع أن هناك من له جمال هذه الآنسة (١) التي تعالج تلك النوق الجربانات.

والغالب أنها، وهي تطلي النياق الجرب، لم تكن تخشى أن تراها عين رقيب ينظر إليها، فلم ترتد ثيابا سابغة.

إن الشاعر لم يشم رائحة القطران تنبعث به مواضع الجرب، ولكنه أحس به عبيرا يملأ الجو برائحته المسك الذكية، وإذا دل ذلك على شيء فإنما يدل على شعور بجمال الحبيبة عندما أثرها أريج الحب، فرأى في كل رائحة طيبا، وذلك إحساس طبيعي يحس به المحب، إذ يرى في كل شيء جمالا.

ويختم الشاعر أبياته مقدما نفسه لهذه الجميلة الفاتنة، وهو هنا لا يريد أن يتحدث هو عن نفسه، فربما عدته كاذبا أو مبالغا، ولكنه يطلب منها أن تسأل الناس عنه إذا اشتدت خطوب الزمان، مطمئنا إلى أن الناس سوف يحدثونها عن كرمه وشجاعته، وإباء نفسه، مؤمنا بأنها سوف تعجب به، وتجزيه حبا بحب.

لقد عبرت الأبيات عن التجربة التي هاجت قلب الشاعر، ورأينا صيحاته مصورة لفؤاده الهائم.

دريد يخطب الخنساء فترفضه

ويروون أن الشاعر عندما أصبح، غدا على أبيها، فخطبها إليه، فقال له أبوها: مرحبا بك أبا قرة، إنك للكريم لا يطعن في حسبه، والسيد لا يرد عن حاجته، ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها، وأنا ذاكرك لها، وهي فاعلة.

ثم دخل إليها، وقال لها: يا خنساء، أتاك فارس هوازن، وسيد بني جشم: دريد بن الصمة، يخطبك، وهو من تعلمين. (ودريد يسمع قولهما)

فقالت: يا أبت، أتراني تاركة بني عمي مثل عوالي الرماح، وناكحة شيخ بني جشم، هامة اليوم أو غد (٢)!

فخرج إليه أبوها، فقال: يا أبا قرة، قد امتنعت، ولعلها أن تجيب فيما بعد.

فقال: قد سمعت قولكما، وانصرف.

معاوية يتدخل .. والخنساء تأبى!

ولعل الأمر كان ينتهي عند هذا الحد، لولا أن أخاها معاوية أراد أن يزوجها منه، فأبت، وقالت: « لا حاجة لي به »

(١) الآنسة: الفتاة. (٢) يقال: فلان هامة اليوم أو غد: إذا كبر وأشرف على الموت.

فأراد معاوية أن يكرهها ، وكان أخوها صخر في غزاة له ، ولو كان حاضرا لكان نصيرها في الرفض ، فهو دائما نصيرها ما عاش ، قالت :

تباكرني «حميدة» (١) كلّ يوم
بما يُولي (٢) «معاوية بن عمرو»
فلا أعطي من نفسي نصيباً
فقد أودى الزمان إذاً بصخر
أتكرهني ، (هُبلت) (٣) ، على دريد
وقد أحرمت سيد آل بدر
معاذَ الله يرضعني حَبرْكى
قصير الشبر من جُشَم بن بكر (٤)
يرى عداً ومكرمة أتاها ،
إذا عشي الصديق جريم تمر (٥)
ولو أمسيت في جُشَم هديّاً
لقد أمسيتُ في دنسٍ وفقر (٦)

وإذا كانت أبيات « دريد » تدل على الحب الشديد فأبيات « الخنساء » تدل على الرفض العميق الساخط .

ولقد أبغضت الشاعرة هذا الإلحاح عليها في كل يوم من جانب أخيها معاوية « تباكرها بحميدة » في كل صباح .

وتعلن الشاعرة أنها ليست وحدها ، بل إن إلى جانبها أخاها « صخراً » ، فهي ليست ضعيفة ولا واهنة ، ما دام حيا ، وهي لذلك تحتفظ بحقها كاملا في اختيار شريك حياتها . لقد أبت أمس أن تتزوج سيد آل بدر ، وهي اليوم كذلك ترفض « دريداً » أن يكون زوجا لها ، فهو ليس بأرفع قدرا من خطيبها الأول .

لقد أبانت عن هذا البغض العميق عندما رأيناها تدعو على أخيها معاوية أن تثكله أمه .

تجمعت كل مظاهر النفور في تلك العبارة « معاذ الله » ، كأنه شيء يستعاذ منه بالله .

وتمضي الشاعرة مبينة أسباب هذه النفرة ، فدريد في نظرها ، لا يتمتع بجمال حسي ولا خلقي ، وليست أسرته مشرفة أن يدخل في عدادها . وليست ثروة « دريد » بجالبة لها الغنى ، ولا مبعدة عنها شبح الفقر .

إنها ترى « دريدا » لا يتمتع بخلقة جميلة ، فهو قصير الرجلين ، طويل الظهر ، ليس جوادا ، ولكنه قليل العطاء ، يعد كرما ومجدا أن يقدم لصديقه العشاء تمرا يابسا .

دريد يرد على الخنساء

لقد كانت « الخنساء » صريحة في رفضها ، معللة أسباب هذا الرفض ، معلنة حقها في أن تختار لنفسها من تشاء ، وربما دفعها البغض إلى التجني على الرجل ، مما اضطره إلى أن يدافع عن نفسه بقصيدة يقول فيها :

لِمَن طَلَلٌ بذات الخِمس أمسى
عفا بين العقيق فبطن ضرس (٧)
أشبّهها غمامة يوم دَجْن
تلألأ برقُها ، أو ضوءَ شمس (٨)
فأقسمُ ما سمعت كوجد عمرو
بذات الخال من جنّ وإنس (٩)
وقاكِ الله يا ابنة آل عمرو
من الفتيان أمثالي ونفسي

---

(١) لعل « حميدة » زوج أخيها معاوية - (٢) يولي : يوصي (٣) هبلته أمه : ثكلته (٤) يرضعني : يتزوج بي .
(٥) الحبركى : قصير الرجلين طويل الظهر - الجريم - التمر اليابس - (٦) الهدي : العروس .
(٧) ذات الخمس : والعقيق ، وبطن ضرس : مواضع - (٨) الدجن : الغيم الشديد (٩) الخال

فلاتَلِدي ولا يَنكحكِ مثلي
إذا ما ليلةٌ طرقَتْ بنَحْسِ

لقد علم المراضعُ في جُمادى
إذا استعجلْنَ عن حَزٍّ بنَهْسِ(١٠)

بأنّي لا أبيت بغير لحمٍ
وأبدأ بالأراملِ حين أُمسي

وأنّي لايُهِرُّ الضيفَ كلبي (١١)
ولا جاري يبيت خبيثَ نفْسِ

إذا عُقَبُ القدورِ عُدِدْنَ مالا
تحبُّ حلائلُ الأبرامِ عِرسي(١٢)

وتزعم أنّي شيخ كبير
وهل خبّرتُها أنّي ابن أمسِ

تريد شرنبثَ القدمين شَثْناً
يُباشرُ بالعشائر كلّ كِرْسِ (١٣)

وما قصرت يدي عن عُظْمِ أمرٍ
أهُمُّ به،ولا سهمي بنِكْسِ (١٤)

وما أنا بالمُزَجّى حين يسمو
عظيمٌ في الأمور ، ولا بوَغْسِ(١٥)

لقد كان الشاعر رقيقا في رده على الخنساء فلم يعبها باي لون من الوان العيب ، كما عابته هي . ولعله استوحى مقدمة قصيدته من حبه الملتهب ، فمضى يشبه لألاء وجه الحبيبة بتلألؤ البرق في يوم مطير ، او بضوء الشمس الساطع ، ويقسم انه ما سمع بحب في الجن والانس كهذا الحب الذي يحمله قلب عمرو لحبيبته .

ويمضى في الحديث لها كما تصورها الحبيبة ، والليالي السوداء ، الى الزواج منه ومن امثاله ، ولعله بذلك يعود الى نفسه وسنه ، فلا يرى انه جدير بأن يظفر بها ، وانها لا تتزوج من مثله الا اذا دفعتها نوازل الايام .

ولكن ذلك لم يمنع الشاعر من ان يضع الامر في نصابه ، وان يصور لها نفسه على حقيقتها .

لقد كان يظن عندما تحدث اليها في ابياته الاولى ان شعره بين قومه سوف تحثها على الاعتراف بمجده ، ولكن عاص ظن تنسبه الى البخل والفقر ، ومن اجل ذلك عنى الشاعر بالرد عليها فيهما ، كما عنى بالرد عليها في حديثها عنه بانه واهن كبير السن .

ودعوى كبر سنه لم تتحدث عنها الخنساء في شعرها الذي اوردناه : فلعله مما نسبه الرواة ، او ان الخنساء لم تذكره في الحديث الذي دار بينها وبين ابيها اراد الشاعر ان يبين وجهة نظره فيه .

وتمثل الشاعر في الرد على البخل والفقر ، فذكر انه في الشتاء القارس ، حين يشتد البرد، وتجوع المراضع ، فيلححن على اكل اللحم ، لا ينضجنه ، ولكنهن يعجلن عليه في عجل ، ويتعرقن ما على العظام منه .

ان « دريدا » لا يخلو بيته حينئذ من اللحم ، وهو يسجل ذلك في بساطة ، ليبرهن على غناه .

اما كرمه فيدل عليه بمظاهر عدة :

منها انه لا يبدأ بنفسه في تناول هذا اللحم ، ولكنه يبدأ بالارامل اللائي فقدن الزواجين .

ومنها انه كثير الضيفان ، حتى ان كلبه قد الف رؤيتهم ، فلا ينبح اذا رآهم ، لانه لا يفرق بين صاحب البيت وضيوفه الوافدين .

ومنها ان جاره لا يحقد عليه ، ولا يبيت مطوي

شامة في الخد (١٠) الحز : القطع . والنهس : تعرق ما على العظم واجترامه بمقدم الاسنان (١١) اي لا ينبح الكلب في وجه الضيف ، لانه يألفه (١٢) عقب القدور : ما التصق بأسفلها من تابل وغيره . والابرام : الذين لا يدخلون مع القوم في الميسر ، لبخل او فقر (١٣) الشرنبث : الغليظ . والشثن : الخشن . والجدائر : الحظائر . والكرس : ما تكرس اي صار بعضه فوق بعض (١٤) النكس : الرجل الضعيف لا خير فيه (١٥) المزجي : الضعيف . والوغس : الذليل

الكلب على ضيفه منه ، لأنه لا يستأثر بشيء دونه ، بل يشركه معه في كل ما يناله من الخير .

ومنها انه اذا اشتدت الأزمة في الحي ، حتى اصبحت الأشياء التافهة ذات قيمة ، اجتمع الفقراء زوجته ، لأنها تقدم اليهن ما يحفظ عليهن الحياة .

تلك هي المظاهر التي تؤكد كرمه ، يضعها لكي ينفي عن نفسه تهمة البخل ، التي رمته بها الخنساء ، فهو لا يجد مكرمة ومجدا أن يقدم لضيفه التمر الرديء ، كما زعمت .

ولعل الشاعرة قد اختارت كلمة « الصديق » ، لتوحي بها الى انه بخيل ، واذا اضطر الى تقديم طعام فلن يكون ذلك الا لصديق يعرفه ، لا لغريب ضيف ينزل به ، واذا قدم لهذا الصديق طعاما فلن يكون هذا الطعام سوى رديء التمر .

والشاعر هنا يرد عليها بأنه لا يقدم رديء التمر ولكنه يقدم اللحم في الليالي الموحشة للفقراء ، وانه يفتح بيته للضيفان ، حتى ان كلبه لا ينبح اذا رآهم ، لا لصديق فحسب يضطر ان يحتفي به ، ولا يقتصر خيره على الضيفان ، ولكن الجار ايضا يرعى جواره لكرمه .

فاذا شغل الشاعر نفسه من الحديث عن كرمه ، وكان البخل من اشد ما يرمى به العربي ، انتقل الى الحديث عن صغر السن . وهو لا يخفى انه قد علت سنه ، وانه لم ينكر انه حدث صغير ، وانها انما تريد رجلا قويا . ليت شعري هل اراد الشاعر او كان من غير قصد منه ، ان يصور هذا الشاب القوى في صورة غير محببة الى النفوس ، عندما صوره كالبطل الكمي ، خشنا ، يعلو بيضه، ويحمل الأثقال !

اما « دريد » فيسجل لنفسه ان كبر سنه لم يحل بينه وبين ان يظفر بما يريد من عظائم الأمور ، لأنه ليس بالضعيف ولا بالذليل .

لقد شغل الشاعر نفسه بهذا الرد ، وكأنما كان يتحدث الى نفسه ، بعد ان خاب امله ، يريد ان يقنعها بأنه ليس بذلك الرجل الذي اهانته « الخنساء » او كأنه يريد ان يسجل للناس صفاته ، حتى لا يؤثر فيهم ما اتهمته به الشاعرة.

ولم يثر « دريد » امورا لم تثرها « الخنساء » في شعرها او حديثها ، فلم يحدثنا عن سيادته وشجاعته ، وكان من الممكن ان يتحدث عنهما . ولكنا نلاحظ انه ترك الحديث عن الموازنة بينه وبين سيد آل بدر الذي رفضت « الخنساء » ان تتزوج به حين تقدم اليها خاطبا ، فلعل هذه الموازنة ليست في صالح الشاعر .

ويروي صاحب الأغاني انه قيل « للخنساء » بعد ان انشأ « دريد » هذه القصيدة : « الا تجيبينه ؟ » .

فقالت : لا اجمع عليه بين ان ارده واهجوه .

ولكن يظهر ان هذه القصيدة بقيت آثارها في نفسها ، حتى انها انشأت قصيدة على وزنها ورويها ترثي بها اخاها صخرا ، بعد موته ، وفيها تقول :

يؤرقني التذكر حين أمسي
ويردعني مع الأحزان نُكسي
على صخر ، وأي فتى كصخر
ليوم كريهة ، وطعان حِلْسِ

ولا عجب فقد كانت تعتمد على صخر في انه سيكون عونها في رفضها الزواج من هذا الشيخ الهرم .

أحمد أحمد بدوي

اخطر رجل السوء

● قال الاصمعي سمعت اعرابيا يعظ رجلا وهو يقول : ويحك ان فلانا وان ضحك اليك ، فانه يضحك منك ، ولئن اظهر الشفقة عليك ، فان عقاربه لتسري اليك ، فان لم تتخذه عدوا في علانيتك ، فلا تجعله صديقا في سريرتك .



تحيتي إليها

تلك التي علمتني أن الحياة عذبة حلوة

بقلم : اسمى طوبى

■ كانت صاحبتي جميلة ... ذلك الجمال الذي لا يعترف بالمقاييس المصطلح عليها .. فلاذا شئت وصف جمالها لم تقل .. لها عينان لوزيتان، وأنف كحبة الفستق، وفم كلوزة حمراء .. بل قلت هي جميلة باسمة، وصمتّ .. ذلك لأن جمالها لم يكن مستمداً من مثل هذه الأوصاف بل كان يكمن في بسمة طيبة لا تفارق محياها حتى في أقسى الظروف .. كان جمالها في روحها فكأنها استخرجت من الحياة أعمق معانيها وعاشتها بكل دقائقها .. كانت صاحبتي تحب حياتها . وقد عدت إلى معجم اللغات لأرى ما تعني بالتدقيق كلمة « حيه » فاذا بها هكذا : « الأرض الحيه هي الخصبة النبات » .. وكانت هي أرضاً خصبة النبات حقاً

سألتها مرة .. أأسعدتك الحياة .. أجابت : وهل رأيت محبوباً لا يسعد حبيبه .. ؟ قلت : أوتحبينها إلى هذا الحد .. ؟ قالت : كلنا نحب الحياة يا رفيقتي .. نحبها منذ أن يتكون العقل فينا فنهرب حتى من حبل يجرّ لئلا يكون أفعى مؤذية ، ولكن معظمنا لا يدرك عمق هذا الحب المتغلغل في كيانه .

واستطردت صاحبتي تقول .. حبنا للحياة لا يتجلى بأعمق معانيه إلا يوم يوشك أن يمسها خطر طارىء أو تجرحه أو ما أشبه ذلك .. في تلك اللحظات تتبدى الدنيا أمامنا جميلة باسمة .. تبدو حلوة غالية ، وننسى تماماً كل ما عانيناه من غدرها ، ونغفر لها كل ما حملتنا من محنتها .. في تلك اللحظات تسرع دقات قلوبنا أسى على فقدها .. ونلوم أنفسنا أننا لم نستغلها ولم نستمتع بها كما يجب .. إذاً لم لا نبتدىء من الآن .. ؟

وكنت أصغي .. واستمرت صاحبتي

تدلل على حبنا للحياة قائلة :

ـ ألم تتحدثي مرة الى شيخ فان وترى تعلقه بالدنيا ..؟ انه يتمسك بها كما يتمسك الغريق بالحبل .. يتمنى ـ وبالله كم يتمنى ـ لو يعود الى الوراء اعواما .. لو يعودون به الى الطفولة ويأخذون كل ما يملك .. ولكن ما نفع التمني . ان الاجل المحتوم يحل به فاذا به يغادر الحياة وفي العين دمعة وفي النفس لوعة .

وذلك المريض المدنف .. قد يكون مقعدا يطل على الدنيا من نافذة ضيقة ولكنه يقنع بالنافذة ، او الكرسي يجر عليه الى الحديقة .. او قد يكون مصابا بعلة لا شفاء منها ، ولكنه يظل يخادع نفسه ويأمل .. الم تعرفي عن عالم من علماء الداء العضال ، اصيب به ، فلم يشأ ان يصدق على سعة علمه انه الداء اياه ، بل ظل حتى الدقائق الاخيرة يصرح بأنه سيشفى لان ما به قابل للشفاء .. هكذا ظلت الحياة تناديه وظل يصغي الى النداء .. ويشتاقها .

وحتى الاعمى الذي لم ير من الدنيا شيئا يتمسك بالدنيا .. لا ينتحر .. ولا يترك الحياة الا مرغما ..

قلت لصاحبتي : والمنتحرون الذين رخصت الدنيا في نظرهم .. ؟

قالت : أسمعت بمنتحر أنقذ في اللحظات الاخيرة فأعاد الكرة .. ؟

قلت : لم اسمع .

قالت : اما انا فقد عرفت شابا فشل في حبه وتحطم مستقبله فتناول السم .. فلما انقذ في الوقت المناسب كانت اول جملة تلفظ بها « انها لحظة جنون تملك المرء » .. ثم لم يعد الى الانتحار مع ان الاسباب التي اقدم بسببها ما زالت باقية .

وصمتنا لحظة ثم عادت صاحبتي تم .. أنا يا رفيقتي كذلك الحطاب الذي ظل يخرج مع الفجر ليحتطب ، وصول صغاره السبعة وأمهم ، ثم يعود مساء ، فينام كالحيوان المتعب لكي يصبح فيحتطب من جديد .. وفي يوم قائظ وقف المسكين أمام حمل الحطب ليمسح عرقه المتساقط ثم هتف من اعماقه .. ما هذه الحياة الشقية .. يا عزرائيل تعال لترحني منها .. وبغتة انتصب عزرائيل امامه قائلا هاأنذا لانك دعوتني .. وهلع قلب الحطاب المسكين فقال مراوغا مستخذيا : لقد .. لقد دعوتك يا سيدي لترفع معي حمل الحطب هذا الى ظهري ..

هكذا نحن نحب الحياة .. وهكذا كلما تذكرنا كم مر من اعوام العمر نحاول حتى بيننا وبين أنفسنا ان نقتطع بعض هذه الاعوام لان كثرتها تقربنا من النهاية المحتومة .

قلت : والاشواك والمتاعب .. ؟

قالت وهي تبسم بسمتها الحلوة : نحن يا رفيقتي لم نستشر عندما قدمنا الى هذه الدنيا .. لم تسأل ما هي شروطكم لتصلوا وتشرفوا الدنيا بقدومكم .. فلما اشترطنا ان تكون كلها ازاهير فواحة .. مزقت الاشواك اقدامنا ، مسحطنا ..

لقد جئنا دون ان نستشار .. ورسم خط سيرنا كذلك .. وسنمضي ايضا دون ان نستشار ، فلم لا نجعل الرحلة ممتعة .. ؟

قلت : لئن رضي المكره ، وصبر المغلوب على أمره ؟

قالت ابدا .. بل رضي من يعرف انها سنة الطبيعة فلا ورد بلا شوك : ثم تصوري سماء لا غيمة فيها .. وربما

على مدار الاعوام .. افلا يمحو هـذا الروتين الطبيعي روعة الجمال .. ؟

ثم هبى انه رضى المكره أملا في الرضى بما قسم الله مصيلة .. وهـل اذا مصيبا يردد قائمة طويله مريضة بالنكبات والمصاعب تصبح الحياة اسعد .. ؟

وراقبت صاحبتي بعد ذلك فما رايتها تخلت عن بسمتها ولا انحنت تحت ثقل ..

كانت ترسم وزوجها خطة ، لم توفر لها كل عوامل النجاح ، ومتى نجح هو سعدت لانها كانت الصخرة التي سندته .

تمر على صغير بصبر ، ومتى نمى سعدت ، لان صبرها كوفيء .

تعارك المصاعب بعزيمة جبارة ، ثم تستمتع بلذة الفوز بعد الجهاد .

تؤدي واجبها المنزلي بدقة ، ثم تعتز اعتزاز من يعشق الكمال ويتحدى النقص .

كان يسعدها الشعور بانها اقدر من الكثيرات على المثابرة في سبيل العمل المثمر .

كان فيها كل نكران الذات وكل عطاء الارض الحية .. مع لذة هي لذة من يشعر بان العطاء اثمن من الاخذ .

كانت تركض في مضمار الحياة ... تزيع بقدميها الحجارة والعراقيل ولكنها لا تلهث ولا تتذمر ..

تشحذ ذكاءها وتفكر بعمق ، ثم تسعدها متعة الابتكار والانتاج .

وكانت في كل خطواتها هـذه ترى الجمال في الاشياء وتسعد به .

وانتشر ظلها علي .. كنت قبل رفقتها كذلك الراعي الذي ظل في اعالي الجبال اعواما لا يرى الجمال حوله ، حتى التقى مرة بعالم نبات يبحث عن الازاهير الغريبة .. وبغتة سمعه يصيح به .. ايها الراعي تعال الي تعال الى هنا .. واقبل الراعي .. ووضع العالم منظاره المكبر فوق زهرة غبدت اروع ما تكون الاشياء .

وقال العالم .. هل رايت ما اجملها . فبكى الراعي وهو يجيب : كم من مرة دسنت على امثالها .. لم اكن اعلم انها بهذا الجمال .

وهكذا كان شاني وصاحبتي هذه .. وضعت المنظار المكبر امامي فاريتني جمال الحياة .. وعلمتني ، لا ان استمتع به وحدي ، بل كذلك ان امتع به من حولي .

كنت قبل ان اعرفها ارسم البسمة على شفتي في المناسبات اطبعها طبعا .. ثم انزعها متى سمتني جدران غرفتي .. ولكنني اليوم اصبحت ارى الحياة عذبة .. تزينها ذكريات الامس ، وآمال الغد .. ولكن اعذب ما فيها هو .. اليوم .. الساعة الحاضرة .

وتساءلني بعد ذلك : كيف توجد بعض النسوة هكذا ، كانما هن بركة لازواجهن واولادهن ومحيطهن كله ؟ فاجيبك . ذلك ما حيرني حتى سمعت صاحبتي تتغنى بشعر ايليا ابي ماضي مرة وهي تعمل .

ابن مـا يدعى ظلامـا
يا رفيق العمـر ايـن ؟
ان نـور الله في القلـ
ـب وهـذا مـا اراه

سوف احيا

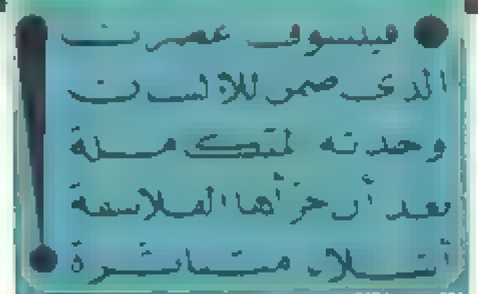
يومها علمت ان وراء كل هذه العظمة النسائية كلمة السر وهي : الله ..

بيروت ـ اسمى طوبى



إرنست كاسيرر

• الفيلسوف الألماني الذي أهملته جامعات بلاده ودعته جامعات الولايات المتحدة أستاذا بها!



بقلم
الدكتور زكي نجيب محمود
أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

ميدان الفلسفة المعاصرة تنقسمه معسكرات رئيسية أربعة ، تختلف فيما بينها اختلافات بعيدة المدى في الفروع ، وتتحد كلها في الأصول العميقة ، ومن هذه الأصول العميقة المشتركة تتكون ثقافة عصرنا في اللباب والصميم ، وما هذه الأصول المشتركة التي نجد فيها مفتاح ثقافة عصرنا ، إلا الثورة بأشكال مختلفة على فلسفة كانت لها السيادة من قبل ، وهي فلسفة هيجل .

مذهب هيجل

ومؤدى المذهب الهيجلي هو أن الكون كله ، بجميع من فيه وما فيه ، إن هو إلا تعبير عن «روح» مطلق لا تحده حدود ولا تقيده قيود ، فهذا «المطلق» الروحاني في جوهره ، إنما يتبدى ويكشف عن نفسه في مظاهر العالم التي ندركها بحواسنا ، فلئن كان العالم المحسوس متطورا من مراحل أدنى الى مراحل أعلى ، فما ذلك إلا طور في كشف «الروح المطلق» عن نفسه كشفا متدرجا ، كأنما هو الشريط المطوى يبسط نفسه بسطا ليبدو منه ما قد كان خافيا ، وليس الكون على هذا المذهب بمختلف عن كائن عضوى حى واحد ذى رغبات وأهداف ـ ومعنى ذلك بعبارة واضحة هو أن هذه الأفراد والمفردات التي تصادفها من حولك لا تزيد على وسائل تخدم «الكل» في تحقيقه لأهدافه .

ثورة على مذهب هيجل ، اتخذت صورا اربع

وجاءت ثقافة القرن العشرين لتثور على فلسفة كهذه تطمس الافراد طمسا لا يجعل لها وجودا مستقلا بذاته ، لكن الثورة اتخذت صورا عدة اهمها الاربعة التي اشرت اليها ، والتي ازدهر كل منها في رقعة معينة من رقاع الارض :

ففي انجلترا سادت فلسفة « تحليلية » تحلل المدرك الى عناصره والفكر الى افراده ، وعلى رأس تلك الفلسفة كان « مور » و « رسل » .

وفي امريكا قامت فلسفة « براجماتية » تجعل « الحق » في النتائج الناجحة في التطبيق ، أي ان « الحق » ليس كائنا اعلى من هؤلاء الناس في مشاكلهم التي تنشأ في مجالات البحث العلمي والحياة اليومية .

وفي القارة الاوروبية — فرنسا بصفة خاصة — نشأت فلسفة تغوص في ذات الانسان الفرد غوصا تستكشف به كنهها ، ومن ثم كانت الفلسفة الوجودية في فرنسا التي تعلي وجود الافراد وجودا خارجيا حقيقيا على الماهيات المجردة التي كان يظن انها تسبق هؤلاء الافراد في وجودهم العيني ، وتحدد لهم صورة ذلك الوجود تحديدا مسبقا لا مناص لهم من الخضوع له .

وفي الروسيا سادت فلسفة ماركسية تثور على الفلسفة الهيجلية بصورة اخرى ، وهي ان تسلم بمذهبه الجدلي في تطور الكون المتماسك ، لكنها تجعل ذلك الكل هو مجموعة البشر في سيرها خلال مراحل التاريخ ، بدل ان كان عند هيجل هو « الروح الكلي المطلق » . فالفلسفة الماركسية « جدلية » (أي ان سير التطور يجري من « الموضوع » الى « نقيض الموضوع » ثم الى التأليف بين النقيضين ، وهكذا دواليك) اقول ان الفلسفة الماركسية « جدلية » كفلسفة هيجل، لكنها جدلية « مادية » تجعل التطور منصبا على البشر وحياتهم العملية ، لا جدلية « فكرية » تجعل التطور منصبا على « العقل » وما يدور فيه .

ثورة على فلسفة كنت

ارأيت — الآن — كيف التقت هذه الفلسفات المعاصرة كلها في بغضها « المطلق » الذي اراد له هيجل ان يكون هو الحقيقة كلها ، وفي اهتمامها بالفرد وحياته على هذه الارض ؟ لكن هذا الاهتمام بالفرد البشري كما هو كائن فعلا ، وكما هو يحيا ويفكر ، قد وجد سبيله ايضا في ثورة اخرى على عمانويل كنت بدل ان تنصب على هيجل بفلسفته ولذلك سمي اصحابها — وهم من الالمان — بالكنتيين الجدد ، وهذا المقال حديث في احدهم واشهرهم ، وهو ارنست كاسيرر Ernest Cassirer فكيف كان ذلك ؟

نشأة كاسيرر

ولد ارنست كاسيرر في مدينة برسلاو Breslau بالمانيا عام ١٨٧٤ لاسرة تشتغل معظمها بالتجارة ، وكان الغلام في صباه مرحا ذا خيال مبدع تبدى في العابه مع اقرانه ، ولم تكن تبدو عليه في بدايته علامات تشي بأن مصيره الى حياة التأمل الهادىء العميق ، لكنه لم يكد يزور جده لامه الذي كان يعيش على مبعدة من برسلاو ، حتى شهد في داره مكتبة ضخمة ، لم يكن له بمثلها عهد ، فكانت صفوف الكتب امام عينيه ، وطريقة جده في الحديث الثقافي المطول في مجلسه ، حافزا الى حياة جديدة ، كأنما قلب صفحة من حياته وبدأ صفحة ، فقد مضى عهد المزاح واللعب ، وجاء عهد العمل الجاد المتصل الذي سرعان ما اظهر منه في مدرسته طالبا لفت اليه الانظار .

وحان حين دخول الجامعة فالتحق بجامعة برلين ، وكان عمره عندئذ ثمانية عشر عاما ، وكان موضوع التخصص الذي اختاره بادىء الامر هو القانون ، ولم يكن اختياره هذا الا ارضاء لرغبة ابيه التاجر ، ولذلك لم يلبث كاسيرر ان استجاب لصوت في دخيلة نفسه ، وترك دراسة القانون لينصرف الى الفلسفة والى الادب والفن . انصرف الى هذه الدراسات وفي ذهنه مسائل اشكلت عليه كان يرجو ان يجد منها الجواب المقنع ، لكنه واأسفاه لم يجد في اساتذة برلين العمق الذي يبتغيه ، فراح ينتقل من جامعة الى جامعة ، من برلين الى ليبزج ، ومن ليبزج الى هيدلبرج ومن هيدلبرج عائدا الى برلين لما سمع ان محاضرا ناشئا ممتازا يجيد المحاضرة في فلسفة كنت .

وسمعت من شاعرنا المعاصر المجيد في غضون حديثه عبارة كأنها وردت بغير قصد ، الا انها

« ان أحسن المؤلفات من فلسفة كنت هي بلا شك كتب هرمان كوهين (في جامعة ماربورج) ، لكنني لا بد أن أعترف بأنني لا أفهمها » ، فماذا يصنع الفتى كاسيرر الا أن يسرع بعد المحاضرة الى مكتبة فيشتري كتب كوهين هذا ، ثم ينكب عليها انكبابا لا يلبث معه حتى يغادر برلين الى ماربورج ليحضر على هذا المؤلف الناضج في فهمه وفي عمله. وسرعان ما برز كاسيرر بين الطلاب حتى لقد قال كوهين في ذكرياته عنه : « انني أحسست من فوري انني بازاء طالب أعلم من أن يتعلم مني شيئا » ، ذلك أن كاسيرر كان قد طالع في الفلسفة مطالعات واسعة ، ووهبه الله ذاكرة لا تضيع شيئا مما حفظت ، فكان في استطاعته أن يتلو من الذاكرة صفحات بعد صفحات مما قد قرأه ، لا في ميدان الفلسفة وحدها ، بل كذلك من الأدب الذي كاد لا يترك من روائعه رائعة لم يقرأها بمثل هذا الحفظ العجيب ، ولم يكن هو الحفظ السلبي الذي يعي وكفى ، بل هو الحفظ الايجابي الفعال الذي يستخدم المادة المحفوظة استخداما ينتهي به الى خلق وابداع .

كتابه : مشكلة المعرفة

جاوز كاسيرر الثلاثين بسنتين ، واذا هو يستوقف أنظار المشتغلين بالفلسفة في أرجاء العالم كله بمجلدين يخرجهما في « مشكلة المعرفة » يستعرض فيهما استعراض المتمكن القدير صورة الفكر الأوروبي كيف تطور حتى بلغ قمته في فلسفة كنت ، ومرت بعد ذلك خمس عشرة سنة فأتبع المجلدين بثالث يعرض فيه ما بعد كنت . ثم لما رحل أخيرا الى أمريكا (١٩٤١) أعد مجلدا رابعا يكمل به الرواية الى آخر فصولها .

كتابه : الجوهر والأداء

على أن هذا المؤلف العظيم ان دل على علم غزير ، فلم يكن هو المؤلف الذي أخرج عبقرية الرجل في أتم صورها ، وقد بدأت ملامحها القوية تظهر في كتاب آخر أخرجه وهو في السادسة والثلاثين ، عنوانه « الجوهر والأداء » ، فكان هذا الكتاب أول ما ترجم للفيلسوف الى لغات كثيرة منها الانجليزية والروسية ، وخلاصة الفكرة هي أن حقيقة الانسان ليست في جوهر ساكن ، بل في أداء هو فعل ، وذلك أن الفلسفة قد لبثت ألفي عام من قبل ذلك تأخذ بمنطق أرسطو في مدركات العقل ، وهو منطق يبنى على أن العقل الانساني انما يصل الى المعاني الكلية بوساطة التجريد من الجزئيات المحسوسة . فمثلا : كيف يصل العقل الى الفكرة الكلية العامة « منضدة »؟ انه يصل اليها بعد أن تدرك العين مناضد مختلفة ، منها المربع ومنها المستطيل ، ومنها ما لونه كذا وما لونه كيت ، فيطرح العقل من حسابه الجوانب المختلفة في مدركات المناضد ، ليستبقي الجوانب المشتركة وحدها فتكون هذه الجوانب المشتركة هي المعنى الكلي لكلمة منضدة وهو في استخراجه لمدركات المناضد انما يعتمد على أوجه « الشبه » التي تجعل منها أعضاء من مجموعة واحدة .

وهنا يتدخل كاسيرر باعتراضه القوي : وكيف للعقل بادئ ذي بدء أن يعرف بأن الشيء الأول الذي وقعت عليه العين هو من نوع الشيء الثاني الذي وقعت عليه العين أيضا ؟ انه اذا قلنا انه يعرف ذلك لما بينهما من « شبه » كنا كمن يسير في دائرة مفرغة ، لأن ذلك معناه أننا قد عرفنا النوع قبل أن نعرف الأفراد ، ثم اذا بنا نزعم أننا لم نعرف النوع الا بعد أن رأينا الأفراد ! فماذا ــ مثلا ــ لو قارن المنضدة الأولى بمقعد أو بفنجان أو بقبضة من هواء ؟ لماذا قارنتها « بمنضدة » ثانية الا أن يكون في العقل قدرة سابقة على الفاعلية النشيطة التي تعرف كيف « تختار » الأشياء من الأشياء فتقارن بينها ، واذن فالعقل حقيقته فاعلية وأداء قبل أن يكون جوهرا ذا كيان قائم بذاته .

وبعد أن يبحث كاسيرر هذا الجانب في كتابه « الجوهر والأداء » أخذ يقارن مقارنات دقيقة بين أنواع المدركات العقلية في شتى فروع العلم ، فلكل علم مدركات أساسية يقوم عليها بناؤه : فالرياضة مدركات العدد ، والطبيعة مدركات المكان والزمان والطاقة ، وهكذا ، فكيف تتغير البنية المنطقية في هذه المدركات من علم الى علم ، فاذا ما انتقلنا ــ مثلا ــ من العلوم الرياضية ومدركاتها الى العلوم الفيزيائية ومدركاتها تكون قد انتقلنا من ضرب من الأداء العقلي الى ضرب آخر وكذلك اذا انتقلنا من العلوم الفيزيائية الى علوم الحياة وهكذا . وانه ليقال ان كاسيرر في تحليله هذا التحليل العميق ، كان أول من أدرك ــ في تاريخ الفكر الانساني ــ طبيعة المدركات العقلية في مجال الكيمياء .

جامعة هارفارد تعرض على كاسيرر استاذية الفلسفة بها

ولكن هل كان هذا الانتاج الفلسفي الممتاز ليغير من وضعه في بلده ـ المانيا ـ شيئا ؟ كلا ! فامر الحياة في هذا الصدد عجب من العجب ، فالاساتذة جميعا سلموا بتقديره والثناء عليه ، حتى اذا ما كان الامر امر مناصب لم تتقدم اليه جامعة واحدة بمنصب الاستاذية ، ورغم الرجل العامل الجاد الامين ينتج الفلسفة الجديدة ، وهو مغتبط بما ينتجه ، والعالم من حوله مقدر لفضله ، الا اصحاب الكلمة في توزيع المناصب على مستحقيها . وكم يذكر لنا التاريخ حالات يجيء فيها العرفان والتقدير من غير الاهل . وهكذا كانت جامعة هارفارد بالولايات المتحدة اول جامعة ترسل الى كاسيرر تعرض عليه كرسي الاستاذية في الفلسفة .

كتابه الصور الرمزية

ومضت السنون بعد ذلك بما فيها من احداث الحرب العالمية الاولى والعشرة الاعوام التي تلتها، وها هنا خرج كاسيرر على العالم بثمرة عبقريته الفلسفية كلها ، واعني كتابه «الصور الرمزية» . وسنعود اليه بعد قليل .

تنقله بين الجامعات

فانتخب على اثر ذلك استاذا فمديرا لجامعة هامبرج . ثم نشبت الحرب العالمية الثانية فوصل بالهجرة من المانيا ، فعينته جامعة اكسفورد استاذا بها ، وكذلك جامعة جتبرج بالسويد . وبعد ان قضى فيهما حينا ، عبر المحيط ملبيا دعوة جامعة ييل هناك في الولايات المتحدة ، ومنها الى جامعة كولمبيا بنيويورك حيث وافاه الاجل عام ١٩٤٥ ، بعد ان اصدر كتابا اخيرا عنوانه « مقالة في الانسان » (ترجم الى العربية) لخص فيه معالم فلسفته كلها .

بين كاسيرر والفيلسوف كنت

الذا ان كاسيرر ـ كغيره من فلاسفة هذا العصر ـ يعبر عن ثقافة زمنه التي محورها البعد عن التجريد والتركيز على الانسان في تعينه وفي وجوده الحي ولكنه ـ على خلاف فلاسفة العصر ـ قد جعل ركيزته « عمانويل كنت Kant » الذي عني طول حياته بدراسته ، ثم راح آخر الامر يعدل من نتائجه بحيث يجعلها اكثر ملاءمة لروح عصرنا . وشرح ذلك ان « كنت » في كتابه « نقد العقل الخالص » كان قد اضطلع بتحليل العمليات « العقلية » المعرفة ، التي لا بد للعقل ان يلوم بها لكي يتاح له ان يبلغ الحقائق العلمية ، فان مستطاع الانسان ان يصوغ المعادلات الرياضية التي لا شك في يقينها ، وكذلك في مستطاعه ان يصوغ قوانين العلوم الطبيعية ـ كقانون الجاذبية مثلا ـ وهي ايضا قوانين لا شك في يقينها من وجهة نظره ، التي هي نفسها وجهة نظر علماء الطبيعة في القرنين السابع عشر والثامن عشر .

راى للفيلسوف ديفد هيوم

وكان تاريخ الفلسفة قد شهد فيلسوفا انجليزيا ـ هو ديفد هيوم David Hume ـ شهده وهو يتصدى لليقين المزعوم لقوانين العلم ، ليخرج بنتيجة عجيبة ، الا وهي ان الحقائق العلمية ما دامت مستندة الى مشاهدات الحواس فيستحيل منطقيا ان توصف باليقين، لان ما تشاهده الحواس قد كان يمكن عقلا ان يكون على صورة اخرى غير التي هو عليها بالفعل، فلئن كان الحجر الملقى يميل نحو السقوط الى الارض بفعل الجاذبية كما تدل المشاهدات ، فليس عند العقل المحال ما يمنع ان كانت تكون حال الاشياء على غير هذا الوضع ، بحيث نلقي بالحجر فيميل نحو الصعود الى اعلى بدل الهبوط الى اسفل ، اي ان كل ما في وسعنا اثباته هو اننا قد شاهدنا الامور على هذا النحو المعين لا على نحو سواه ، ولكن فلا يقين ولا حتم يقضي بضرورة ان تجري الطبيعة هذا المجرى في كل آن .

الفيلسوف كنت ينقض راى هيوم

ولو صدق هذا الذي زعمه هيوم لاهتز بناء العلم كما كان اهل العلم يتصورونه، فكان لابد لفيلسوف آخر يأخذ هذا الزعم مأخذ الجد ، ليكشف عما قد يكون مغموسا فيه من مواضع الخطأ ، وكان هذا

الفيلسوف هو عمانويل كنت ، الذي قال ان هيوم قد ايقظه من سباته الفكري .. نعم ، لو كانت الحواس بمشاهداتها هي وحدها ابواب العلم الطبيعي ، لوجب ان ننتهي الى النتائج التي انتهى اليها هيوم ؛ لكن الامر ليس كذلك ، فالحواس تأتينا بالمادة الخام من احاسيس تسلك الينا هذا الطريق او ذاك ، اذ تهجم الاحاسيس على العين والاذن والجلد وغيرها ، فتصل الينا خليطا ، ولو وقف الامر عند هذا الحد لما كانت معرفة ، لكن هنالك وراء الحواس « عقلا » لا بد ان يكون قد جهز بمقولات ــ او قوالب ــ تنصب فيها مادة الاحساسات فتكون بذلك علما سويا ، كما تنسق حروف الطباعة فوق صفحات الكتاب على نسق معلوم فاذا هي معان لا مجرد احرف مفككة متناثرة ويخلص « كنت » من هذا الى انه لا بد للمعرفة العلمية من جانبين : احساسات تجيء الى حواسنا من خارج ، ومقولات عقلية تنظم تلك الاحساسات وهي مفطورة في فطرتنا من داخل ، ولولا الاولى لظلت المقولات فارغة من المضمون ، ولولا الثانية لاصبحت الاحساسات كومة مهوشة عمياء بغير معنى معقول .

كاسيرر يتمم رأي كنت

وجاء صاحبنا ارنست كاسيرر لا لينقض « كنت » بل ليضيف اليه ويتممه ، فليس الانسان عقلا صرفا كما صوره « كنت » ، والا لذهبت جوانب كثيرة من ثقافته هباء مع الريح . فانظر الى ثقافة الانسان على طول التاريخ وفي كل مجتمع ، تجدها نسيجا من اشياء كثيرة لا غنى له عن واحد منها ، فهو ان يكون بحاجة الى الجانب العلمي العقلي الذي اقتصر كنت على تحليله وتركيبه ، الا انه كذلك بحاجة الى « الفن » والى « الاساطير » والى « اللغة » والى « التاريخ » والى « الدين » والى غير ذلك كله من جوانب يستحيل عليه ان يحيا بغيرها ، فهل شهدت شعبا واحدا ــ همجيا كان او متحضرا ــ عاش بغير فن؟ عاش بغير دين ؟ عاش بغير اسطورة ؟ عاش بغير لغة؟ عاش بغير تاريخ يرويه ؟ وليست هذه « علوما » تنصب في مقولات العقل الخالص ، والذن فلا مناص من التسليم بان فطرة الانسان اوسع من مجرد العقل الخالص ، وانه لا تفضيل في تلك الفطرة بين جانب وجانب ، لانها كلها مطلوبة لحياته وضرورية لحضارته ، وتلك الجوانب الكثيرة هي التي يطلق عليها كاسيرر اسم « الصور الرمزية » او قل انها القوالب التي تصاغ فيها هذه المواد كلها ، والتي يتخذ منها الانسان رموزا يهتدي بها في هذا المسلك او ذاك من مسالك حياته .

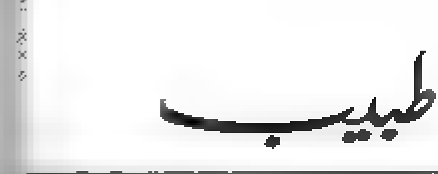
كاسيرر فيلسوف واسع الاطلاع غزير العلم

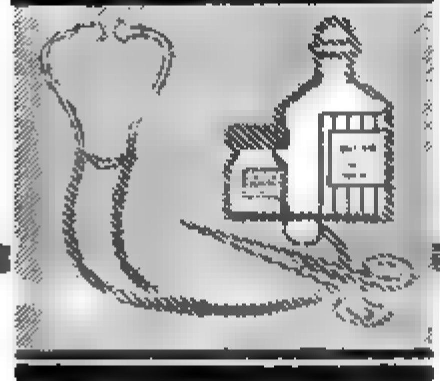
وكانت المهمة الكبرى التي اضطلع باداتها كاسيرر هي ان يحلل هذه الصور تحليلا يستقصي فيها كل شيء حتى الجذور ، ولبث في الفترة الممتدة بين عامي ١٩٢٣ و١٩٢٩ يعد المجلدات الثلاثة التي اصبحت آخر الامر هي كتابه العظيم « الصور الرمزية » الذي افاض في تفصيلات الشواهد التي ساقها فيه افاضة لم يكن يستطيعها الا رجل في مثل سعة اطلاعه وغزارة علمه ، لانه اذا زعم لك زعما من هذا الجانب او ذاك من فطرة الانسان الاصيلة ، ساح بك سياحة طويلة في كل ما قد شهده التاريخ من حضارات وثقافات فكأنما الآداب كلها والاساطير كلها والديانات كلها والعلوم كلها ، والتاريخ كله ملك يمينه ورهن اشارته .

كاسيرر يضمن للانسان الوحدة المتكاملة

أما بعد ، فلئن كان التعصب لناحية واحدة من نواحي الانسان واهمال كل ما عداها ضربا من العمى ، لا يرده الى حكمه العقل الا النظرة التي تضم شتى النواحي لتجعل منها نسيجا واحدا متكاملا ينطلق من الانسان وحدة متماسكة البناء : عقلا وعاطفة ، وروحا وبدنا ، وصحوا وحلما ، وحاضرا وماضيا ، فان ارنست كاسيرر بين فلاسفة عصرنا هو الذي ضمن للانسان هذه الوحدة المتكاملة بعد أن تحولت على أيدي سواه اشلاء متناثرة .

زكي نجيب محمود





الدواء : متى يشرب قبل الطعام ، ومتى بعده ؟

● يكتب الطبيب على الدواء انه يؤخذ قبل الطعام ، واحيانا يكتب انه يؤخذ بعده. وكثيرا ما انسى فآخذ بعد الطعام ما قيل انه يؤخذ قبله ، والعكس كذلك . فهل من ضرر كبير . ثم الاسبرين ، هل آخذه مع الطعام ، ام قبله ، وهل مع الماء او بدون الماء . انهم يقولون انه مع الماء افضل ؟

ـ الطبيب لا يكتب ما يكتب على الدواء عبثا . والفرق بين أخذ الدواء قبل الطعام وبعد الطعام واضح . فقبل الطعام المقصود به أن الدواء يؤخذ والمعدة فارغة . وبعد الطعام يقصد به انه يؤخذ والمعدة مليئة .

فاذا كان الدواء يؤثر على جدران المعدة ، فهو يعطى بعد الطعام ليخفف الطعام من هذا الاثر . وكذلك هو يعطى بعد الطعام اذا اريد أن يمتصه الجسم ببطء . اما اذا هو اعطى قبل الطعام فمعنى ذلك انه يراد من الجسم أن يمتصه بسرعة ، ليحدث الاثر المطلوب بسرعة . ومثل ذلك الاسبرين ، يؤخذ عند الصداع ، والمنوم يؤخذ لينيم الانسان ، او يهدئه ويسكنه

اما الماء الذى يشرب مع الدواء ، فيكون لتخفيف اثره فى المعدة الفارغة ولكى يذوب فى هذا الماء اذا هو دخل المعدة . والحبوب والاقراص الجافة يحسن دائما ان تبلع مع الماء خشية أن تقف فى المرىء فتلتصق به ، وقد وقعت بسبب ذلك حوادث غير لطيفة .

والسوائل من الادوية قد تشرب بعد تخفيفها فى الماء ، لأن اثرها فى جدران المعدة غير مستحب . وكذا الخمور

ابنتى تعرق عرقا شديدا

● ابنتى ، وهى فى سن البلوغ ، تعرق عرقا شديدا فوق اللازم . فهل لهذا سبب؟ وهل له علاج . ويجب أن اقول اننا لم نلاحظ عليها ذلك من قبل ؟

ـ معقول جدا أنك لم تلاحظى هذا عليها من قبل ، والذى اغلب الظن أن كثرة العرق هذه من المظاهر التى تصاحب المراهقة . ففى المراهقة ، وهى انتقال من حال الى حال ، تجرى فى الجسم تغيرات كثيرة تتم من هذه النقلة العجيبة من الصبى الى البلوغ . ومن ذلك كثرة العرق . والذى فسوف يزول هذا بتقدمها فى السن على الأرجح . كل ما عليها الآن ان تغسل ما تحت ابطها كل يوم بالصابون . وهناك ادوية ترسل رائحة العرق تستطيع شراءها من الصيدلى ، وهى ناعمة .

وفى ثورة البلوغ تنفع الادوية المسكنة استنصحى الطبيب اذا لزم الامر .

المخطرة ، كالوسكي والكبيك وأضرابهما ، وهي توجد أحيانا دواء . فهذه لا بد من تحميتها لأنها تهيج الغشاء المخاطي الذي يبطن المعدة . وهي عدا ذلك، أعني كحولها ، أسرع الأشياء امتصاصا وجريانا بالدم .

مراتب المطاط ومراتب القطن أيهما أفضل

● **اشتريت مرتبة حديثة ، متأثرا بالاعلان عنها . وهي مرتبة من الكاوتشوك. وهي مريحة للجسم ، ولكنها لا تمتص الرطوبة سريعا . فهل كل المراتب التي من الكاوتشوك تبقى هكذا رطبة ؟ وما هي أفضل المراتب ؟**

ـ الكاوتش أو الكاوتشوك هي اللفظة الافرنجية التي اسمها بالعربية «المطاط» . والمطاط لا يمتص الرطوبة ، فهي تبقى عليه من الخارج . اما الرطوبة التي أنت احسستها من مرتبة المطاط فهي رطوبة جسمك انت لم يمتصها المطاط ، فبقيت في غطاء الفراش الذي لا بد كان بين المرتبة وجسمك .

ان مراتب المطاط مريحة ، لأنها تهبط مع الجسم حيث يثقل الجسم ، وتهبط هبوطا حيث يخف . وهي تستخدم في المستشفيات عندما تعجز المرضى قدرتهم على حبس بولهم . فالبول يبلي المراتب الأخرى . ويوضع عادة بين أجسام هؤلاء المرضى والمرتبة غطاء من قماش ، أو بطانية قديمة ، تمتص البول اذا انساب .

اما عن افضل المراتب فهي التي تصنع من القطن أو القش أو غير ذلك من الالياف النباتية ، بداخلها زنبركات من المعدن ، تهبط تحت الضغط ، وتقل هبوطا مع ضغط الجسم القليل . فهي تريح . واذا اصابها ، عبر الأغطية التحتانية التي بين المرتبة وجسم النائم ، شيء من الرطوبة فهي لا تلبث أن تجف بتبخر الماء .

اولادي طال حملي اياهم زمنا أكثر مما وجب

● **ذكرتم في العدد « العربي » الماضية الأسباب التي تؤدي بالطفل الى الخروج من بطن امه قبل الاوان ، ولريد ان اعرف سبب بقاء الطفل في بطن امه بعد الاوان . ذلك اني من اولئك الامهات اللاتي حملن اطفالهن اكثر مما وجب . اني دقيقة جدا في حسابي ، ولا يمكن ان يعزى قولي هذا الى خطأ في الحساب . فطفلي الأول مكث ثلاثة اسابيع فوق زمنه المقدر لذلك ، وقد اعطاني الطبيب من الحقن الشيء الكثير ، وشربت زيت الخروع مرات كثيرة ، هذا بالاضافة الى الحمامات الساخنة المتصلة . واخيرا قرر الطبيب ان يشق الحاجز وفي اليوم التالي نزل الطفل .**

ووقع مثل هذا في ولدي الثاني وفي الثالث .

فما الذي يؤخر نزول الاطفال هكذا ؟ ، يقولون انه قلة حركة الام ، او قلة حركة الاطفال . اني اشك في كليهما . وهذا يتناقض ما انا عليه من حركة ، وما عليه الاطفال .

ـ آسف ان يكون سؤالك ليس له جواب حاسم ، فحتى الى اليوم لا ندري العوامل التي تؤدي الى اطلاق الأم في سبيل التخلص من الطفل وقد اكتمل الحمل . كل الذي نعرفه بيقين أن من الامهات من يسقطن حملهن قبل الأوان ، ومنهن من يلدن أولادهن بعد الاوان . وأنت من هؤلاء . وبما ان حملك يتأخر ثلاثة اسابيع ، فلا تقلقي اذا وجدت حملك القادم يتأخر تلك المدة لا سيما وأن ما انتجت من أطفال هم على حال من الصحة كاملة . اننا نعرف امرأة انتجت خمسة اطفال صحاح سلام . ولكن بعد تأخر خروج الطفل ٨ اسابيع فوق المقدر من حمل سائر الامهات . وهذا مثل ينفي عنك القلق .

المأكولات المخزونة في العلبة كم تبقى صالحة؟

● نحن نعيش في بلد من بلدان الخليج صغير ، السـل فيه الخضر والمأكولات عامة موسطر فيه الى تناول الأطعمة المعلبة ، ومنهـا اللحوم والأسـماك . واحيانا نخزنهـا الشهرين والثلاثة واكثر من ذلك احيانا ، فهل هناك ضرر من أكلها بعد اختزانها الطويل .

ـ لا ضرر أبدا على الصحة من ذلك ، على شرط ان تكون العلبة التي بها الطعام ملأتها شركة محترمة مأمونة اتبعت الوسائل الصحية المعروفة عند التعليب ، واخرجت علبا محكمة السد حقا ، لا يخرج منها شيء ولا يدخل اليها شيء مهما صغر . وبالطبع مع ذلك التعقيم .

هذا من حيث عدم اضرار الطعام بالصحة . وهذا ينطبق على الطعام ولو اختزنته في المكان الملائم سنين ، فكيف بالأشهر التي تحدث عنهـا .

ولكن من ذلك اللون ، والطعم ، فهذه الأشياء قد يمسها التغير . فاللبن المركز في العلب يغمق لونـه اذا طـال في العلبة تخزينه . وبعض الفيتامينات تقل مقداره . ولكن الطعام تكون على العموم ، من حيث التغذية ، الكفاية فيه تكاد تبقى كاملة . فاختزن لعدلك من الطعام عند الحاجة ، كما تختزن من صالح الأعمال .

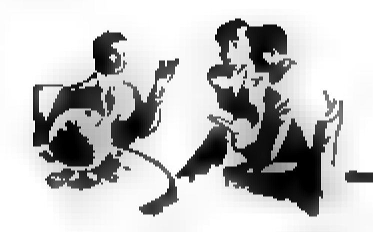
حبوب منع الحمل هل لها اضرار

● أعلم أن الأدوية الجديدة تحتاج الى زمن للتجربة حتى يستطيع الأطباء أن يقولوا ان هذا الدواء نافع أو غير نافع، وعلى الأخص ان يقولوا انه لا يضر الجسم ، فهل مضى على حبوب منع الحمل زمن كاف يصح الحكم فيه عليها بأنها اولا نافعة، ثم انها غير ضارة. انا لم اتعاطاها ، ولكني اريد ان اتأكد اولا !

ـ كتبنا الكفاية في «العربي» عن حبوب منع الحمل، تتعاطاها المرأة . فهي حبات عشرون ، تأخذ المرأة التي لا تود حملا منها حبة كل يوم، بدءا في اليوم الخامس من بعد توقـف الحيض ، أي من بدء الدورة الشهرية ، وتنتهي في اليـوم العشرين . ثم يجيء الحيض بعد أيام من هذا التوقف ، لتتم به الدورة التي هي نحو اربعة اسابيع .

وقد مضى على تعاطي هذه الحبوب الى اليوم نحو سبع سـنوات ، وهي ازدادت انتشارا عجيبا في هذه السنوات الأخيرة من هذه السبع ، فظهر من هذه التجربة الواسعة أنها أفضـل الطرق لضبط الحمل ، ولم يدع أحد ، له حق التطبيع وعنده الفهم والعلم اللازم ، انه وقع للجسم بسببهـا أضرار ، الا عوارض كشيء من الصداع أو شيء من الميل الى النهوع يصيب بعض النساء احيانا ، عند البدء ، ثم لا يبقى بعد ذلك منه شيء .

وبالطبع قد تثار مسـألة الرغبة في الحمل تأتي بعد الرغبة في منع الحمل . فهذه لا تقف هذه الأعراض في سبيلها . ما على المرأة الا أن تقف تعاطي هـذه الحبوب تحت رعاية طبه ، وقد انشئت في بعض الدول العربية الواعية مراكز للارشاد ، ترشد الأمهات بالمجان في هذا السبيل .



دردشـة

حكمـة على لسان الحيوان

● بلع ذئب عظما نشب في حلقه، فلجأ الى كركي، وجعل له اجرا ان هو أخرج العظم بمنقاره. فادخل الكركي رأسه في فم الذئب واخرج العظم، ثم قال له هات الأجرة.

قال له الذئب

- الست ترى انك ادخلت راسك في فمي، ثم اخرجته سالما !!

فيلسوف ينصح ولده

● قال فيلسوف ينصح ولده

- عندما يصادفك قاطع طريق، يسألك نقودك او حياتك.. اما اذا صادفتك امرأة فانها لا تقبل الا الاثنين معا.

شاعر يسرق من اجل الالهام

● اتهم شخص بسرقة جهاز رش الماء في احدى الحدائق. وفي المحكمة دافع عن نفسه بأنه شاعر، ويحتاج جهاز الرش لرش الماء على نافذته ليستمد الالهام منه، اذ انه نظم قصيدة عن المطر.

تعليم الحساب.. والاطفـال

● ان الشيء المحزن في تعليم الحساب، هو انه يدرس بطريقة سيئة، فهو يحطم عقل الطفل، والى حد ما، كباره. فالاطفال، من تعليمهم الحساب، لايوافقون على الهذيان المطلق، اما بعد ذلك فانهم يفعلون. فبدلا من ان ينظر الاطفال الى الاشياء ويفكروا فيها، فانهم يعمدون الى الحدس والتخمين، يحدوهم الأمل في ارضاء المدرس او الممتحن.

د.و. سوير. بروفيسور الرياضيات بجامعة ويزليان الامريكية

فلذات أكبادنا

● يبدأ الاولاد حياتهم بحب أهلهم. وعندما يكبرون، يبدأون بمحاسبتهم. وفي بعض الاحيان فقط يسامحونهم

اوسكار وايلد

الشخص المحبوب

● اذا اردت أن تكون شخصا محبوبا لدى المجتمع، فعليك بقبول تعلم أشياء كثيرة تعرفها على يد أناس يجهلونها.

شامفور



عمامة محمد عبده

● اشتهر الشيخ محمد عبده أيام توليه القضاء بأنه اذا اراد الحكم على متهم بالبراءة ازاح عمامته الى الوراء عن رأسه، واذا اراد الحكم بالسجن او ما شابه، مال بالعمامة الى الامام بحيث تغطي نصف جبهته. ووقف ذات يوم ليتلو حكما على متهم، فمد يده الى عمامته.. فصاح المتهم: والنبي ما توجهها القدام!



لا احـــد يدري ؟

• كان عند القائد الفرنسي الشهير « فوش » سائق اسمه « بيار » ، وكان كلما عاد السائق الى منزله سأله الجيران : متى تنتهي الحرب يا بيار ؟

فيجيب : المرشال لم يقل شيئا .

وذات مساء اقبل الجيران يسألونه كعادتهم ، هل تكلم المرشال ؟

فقال بيار : **نعم تكلم ، ولكن ليسألني متى تنتهي الحرب يا بيار ؟!**

وجهات نظر . .

* **كان** الناس قديما يخافون من المكروبات العالقة بالنقود الورقية والمعدنية ، ولكن النقود هذه الايام تخرج من ايديهم بسرعة ولهذا فلا يوجد هناك خطر من التلويث .

قــالوا . . .

• **اذا اردنا الحقيقة** فان جميع الرجال هم من صنع انفسهم ، ولكن الذين يعترفون بهذه الحقيقة هم الرجال الناجحون فقط .

بل اكن

• **ان** اخفاءك السن عن زوجتك ، كمحاولة اخفاء طلوع النهار عن الديك .

لو والتر

• **اذا كان** لدى المرء مستمعون حسنو الاستماع ، فان ذلك يشبه وجود تيار كهربائي بين المرء ومستمعيه .

الشاعرة البريطانية
اديث سيتويل

• بعض الرجال يقعون في الحب ولا يخرجون منه الا بالزواج ممن يحبون .

ملي ميري

مشكلة !

• **ما اصعب الامر حينما يكون الانسان عاشقا**

واذا استمر يغطي حبيبته بالعبارات الجميلة فانها ستشعر بالغرور .

واذا توقف عن مديحها واطرائها فانها ستعتقد انه لا يحبها .

واذا عاد من جديد يكيل لها الثناء والمديح والغزل فانها ستشعر بانها افضل منه وانه لا يصلح لها .

• **عندما** يقترب الشبه بك وبين صورتك في جواز سفرك ، فهذا يعني انك اصبحت حقا في حاجة الى القيام باجازتك . .

تريستان برنار

* **وراء** كل رجل ناجح يجد امرأة تشكو من انها ليس لديها ما ترتديه .

* **ووراء** كل رجل ناجح يوجد امرأة تقول له دائما انه مخطىء .

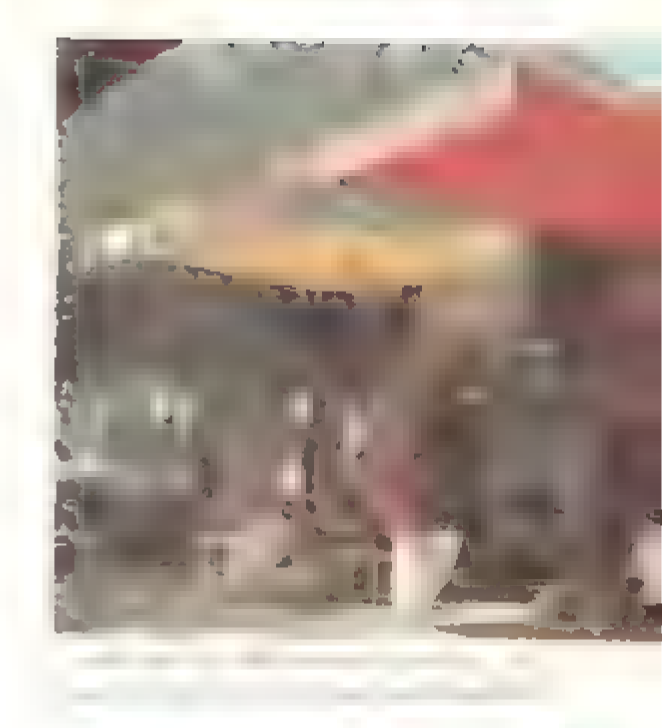
* لا نستطيع ان نفهم لماذا تصر المرأة على مساواة اجرها باجر الرجل . ان كل ما عليها ان تفعله لتحصل على اجر الرجل كاملا هو ان تتزوجه .

* اللهو كالتأمين تماما . اذ كلما تقدم بك العمر . . كلما كلفك ذلك اكثر

* معظم الرجال سيقلعون عن كذبهم لو تجنبت زوجاتهم ارهاقهم بالاسئلة

* لا يمكن للانسان ان يعيش في هذه الدنيا دون ان يخطىء والشخص الذي لا يخطىء لا يعمل شيئا وهذا بحد ذاته خطأ .





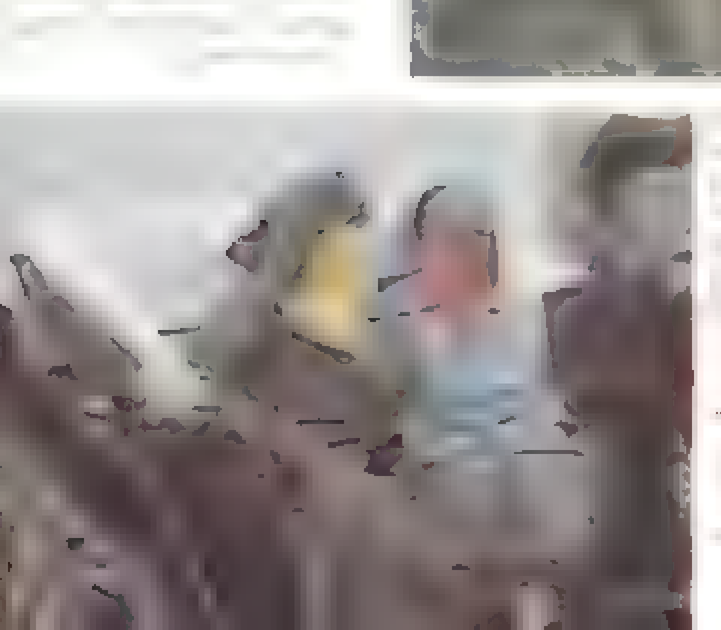


رف وطنك أيها العربي

مراكش



قام بهذا الاستطلاع



زبال وصوره « اوسكار »

■ [illegible]

[illegible]

ان اوروبا وامريكا تعرفانها جيداً . بينما ما زال [illegible] نحن العرب نجهلون كل شيء عنها ، حتى اسمها ؛ نطلقه في بعض الاحيان على المغرب كله [illegible] مدينة واحدة ؟

[illegible] ٨٠ [illegible] نحو [illegible] ملايين نسمة من سكان المغرب عام ١٦٧٨

ومع هذا [illegible] في عدد سكان [illegible] مراكش ما زالت مدينة المغرب الثانية [illegible]

مدينتان في مدينة

[illegible]

[illegible]

[illegible] قاموس عام ١٩١٣ عن [illegible] ونصف من المدينة القديمة خوف من الاحتكاك بين الوافدين الجدد من مستعمر واجنبي ، وبين أهل المدينة [illegible] ، « المدينة المحروسة » ، كما كانوا [illegible] عنها

[illegible]



[illegible]

شارع محمد الخامس





المرابطين .. لقد تمكن هذا السلطان من ابتاع مجموعة من قبيلة المصامدة لتبيعه ارضها ، الواسعة عند سفح جبال اطلس السوداء المكللة رؤوسها بالثلوج البيضاء .. وعلى العصور بدأت حبات الثمر تتكاثر ، وارتفع مسجد للصلاة وقصبة صغيرة لاختزان المال والسلاح .

وكانوا يطلقون على الموضع الذي استقر فيه " مراكش " [illegible]

[illegible]

كانت نقطة يقف عندها اللصوص لقطع طريق القوافل . والمارون كانوا يخطرون رفاقهم بتلك الكلمة ، فعرف الموضع باسمها : مراكش .

السور يخنق المدينة

وظلت المدينة ممتدة على رمال الصحراء ، حتى تولى الخلافة علي بن يوسف بعد وفاة والده ، فادار عليها السور " الذي استغرق العمل فيه ثمانية اشهر وتكلف ٧٠ الف دينار في عام ٥٢٦هـ .

وما زال هذا السور الكئيب ، المشيد بالطين والاحجار والرمال ، قائما حتى اليوم على نفس النمط القديم ، اللهم الا من بعض الفتحات التي استحدثت فيه ، كي لا يختنق اهل المدينة الذين ظلوا يعيشون محتبسين بداخله مدة ٨٠٠ سنة تقريبا .

ويرتفع داخل هذا السور اجمل واشهر اثر في المغرب العربي كله هو " الكتبية " انها مئذنة او صومعة ، كما يسمونها ، لجامع قديم اندثر ، واقيم آخر جديد مكانه .. وسميت بهذا الاسم لانه كان يجلس تحتها نحو ٢٠٠ بائع من بائعي الكتب القديمة .

مدينة الكتبية

لقد اوحت هذه الصومعة — التي هي الشقيقة البكر لصومعتي حسان في الرباط ، والجيرالدا باشبيليا في الاندلس — بمختلف الابتهالات الى الكتاب والمفكرين ، الذين وصل الشان ببعضهم بها الى درجة تسمية المدينة باسمها اي " مدينة الكتبية ..



اندثر جامع الكتبية القديم ، الذي اقيم عام ١١٤٦م ، وليقام لرتفع مكانه جامع حديث ، يتميز بالبساطة ، وبابوابه الثلاثة العالية من الزخرفة ..

اين ذهبت المجوهرات ؟

والواقع ان " الكتبية " بالغة الروعة دقيقة النقوش ، رشيقة القوام .. ومقاساتها هي التي تضفي عليها هذه المسحة من الرشاقة ، وخاصة الجزء العلوي منها الذي ينتهي بسيخ حديدي ، به اربع كرات ضخمة من النحاس الأصفر المذهب ، وتروي القصص الكثيرة عن اصل هذه الكرات ، في احداها يقولون انها كانت مصنوعة من اللآلىء والجوهرات التي وهبتها زوجة السلطان ابويعقوب المنصور لهذا الغرض ، وكانت هناك قوى خفية ظلت تحرس هذه الجوهرات وتورد كل من يحاول لمسها مورد الهلكة !!

وهنا تقف القصة ، او الاسطورة ، دون أن تفصح عن اسم الشخص الذي نزع هذه المجوهرات من مكانها الذي كانت فيه !!

لقد مضى على " الكتبية " ثمانية قرون وهي شامخة مرتفعة متحدية انواء الزمان .. ان المرء يمكنه ان يراها من بعد ٨٠ ميلا في الايام الصافية فهي بمثابة الشارة لتلك الواحة التي تعيش

كشفت الحفريات التي تجري بالقرب من «المدرسة اليوسفية» عن آثار قصور وحقول قديمة، يرجع تاريخها الى أيام علي بن يوسف، من سلاطين المرابطين .

وسط رمال الصحراء (انظر المزيد من التفاصيل عن الصومعة مع صورتها المنشورة على صفحة ٩٧).

عيد دائم

وفي المساء ترتفع أصوات الطبول عالية ، من ساحة واسعة قرب « الكتبية » فتذهب الهدوء الثقيل ، المتعب ، الذي يسيطر على المدينة طول النهار ..

ان ما يجري في هذه الساحة يتطابق تماما مع ما نشهده في كل عيد شعبي بالشرق العربي ، ولكنه يختلف بكونه عيدا يوميا دائما يعمل على مساندة عاصمة الجنوب في محاولتها المستميتة لجذب انظار اكبر عدد ممكن من السياح .

ويبدأ الاحتفال مساء كل يوم على مسرح الساحة التي كانت تعلق على جدران منازلها رؤوس الثوار بعد اعدامهم ، حتى تجففها الشمس !! ويقولون ان هذا هو سبب تسمية الميدان باسم « ساحة جامع الفناء » .

احتراج !

وما تكاد الساعة تقترب من الخامسة مساء حتى يتدافع الاهالي من كل حدب على الساحة فيختلطوا بالسياح الذين يسجلون بعدساتهم وآلاتهم منظر رواة القصص الواقفين وسط حلقات من الناس المرقصين ، يروون لهم بطلاقة لسان عجيبة قصصا واحاديث ، ليس لهما بداية او نهاية ، او حتى اي معنى او مغزى !!

وننتقل العدسة الى حلقة اخرى ، رجال سود البشرة ينقرون على الدفوف ويرقصون رقصا صاخبا ..وفجأة يتوقف دق الطبول ويتوقف الرقص الصاخب وتتجه الانظار الى رئيس الحلقة الذي ينتزع طاقيته ويتقدم بها صوب السائح الممسك بآلة التصوير .. ويرتبك هذا المسكين فالانظار كلها متجهة اليه ، فيمد يده الى جيبه ويدفع ما وجده فيه الى الطاقية ، ويصفق الناس معبرهم ، وتعود اصوات الدفوف فترتفع .. ويتابع الراقصون رقصهم الصاخب السريع..

شريط الحياة

وتتابع الحلقات والناس من حولها ينظرون مسحورين : هنا في ركن منزو يتحمس شيخ لناي هادئ، يرقص على نغماته حية من ذوات الاجراس .. وهناك مسحور بالات شعبية يلون المدائح النبوية .

وفجأة ، يرتفع صوت امرأة عاليا، لقد اضاعت ابنها وسط هذه الكتل البشرية التي تروح وتغدو دون هدف او غاية .

وترتفع اصوات اجراس اللاعبين لتختلط باصوات الزمار وصراخ الاطفال .. بينما يتزاحم الناس ويتدافعون لرؤية النشال الذي ضبط وهو ينشل حافظة النقود من جيب رجل يصر على اقتياده الى مركز الشرطة ، واهل الخير يحاولون اقناعه بالعفو عنه .

لماذا سمي بالذهبي ؟

ومن ساحة « جامع الفناء » تستطيع الدخول



الى القصبة ، التي بناها السلطان السعدي احمد المنصور « الذهبي » في القرن الثاني عشر الميلادي .

ان مراكش قد شهدت تحت حكم السعديين ابهى عصورها الذهبية .. فهم الذين اعادوها عاصمة للبلاد ، بعد ان نقلت اسرة بنو مرين العاصمة من مراكش الى فاس .

وفي عهد ابي العباس احمد المنصور امتدت امبراطورية السعديين حتى شملت النيجر والسودان ، وكانت الكنوز الهائلة ، التي حملها معه ابو العباس المنصور الى مراكش سببا في تكنيته بـ « الذهبي » اشادة بحكمه الزاهر الذي لم تشهد له مراكش مثيلا

وقد بنى « الذهبي » في مراكش قصر «البديع» الذي كان آية من آيات الفن الرفيع ، اختلط فيه الذهب والمرمر مع خشب الارز والفسيفساء والرخام المنقوش .. ولكنه هدم بعد ٧٥ عاما على انشائه ولم يتبق منه حاليا سوى اطلال تقام فيها حفلات الفنون الشعبية في الشتاء ، كتلك التي تقام بين اطلال الآثار بعلبك في لبنان .

المرمر ثمنه السكر : وزنة بوزنة

ومن الآثار الرائعة الفنية من هذا العصر : مقابر السعديين .. انشأها « الذهبي » خلف الحائط الجنوبي من الجامع الذي شاده في القصبة

ان رفات جميع حكام السعديين — ما عدا خمسة منها — تقبع في هذه المقبرة الفخمة المبنية بالرخام الايطالي النقي ..

لقد اشترى « الذهبي » هذا الرخام من التجار الايطاليين بطريقة المقايضة ، فكان يدفع لهم وزنا من السكر مقابل وزنه من الرخام ..

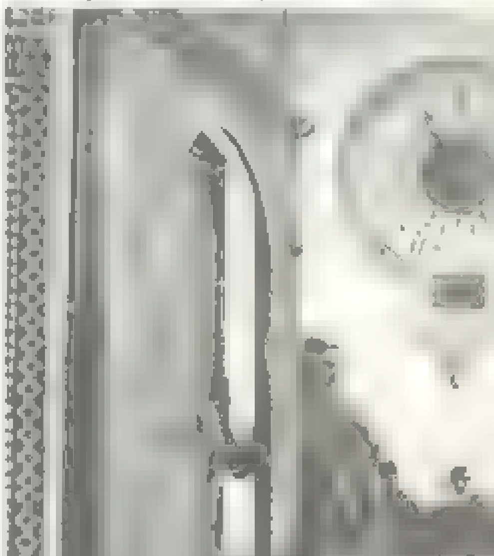
عقد على اغصان الاشجار

والى جانب هذه المقابر تكثر الاضرحة التي يقصدها الناس للنذور ، فيربطون العقد في حديد شبابيكها ، وعلى اغصان الاشجار التي تظلل قبور الاولياء السبعة ، الذين يعرف بافضالهم رجال الجيل القديم من اهل مراكش ..



جانب من مدرسة بن يوسف ، التي اسسها السلطان المريني ابو الحسن ، في القرن الرابع عشر ، وهي من تحف فن البناء القديم المزخرف [illegible] تقام فيه حلبة كلية بن يوسف .

مدرسة بلقباس القرآنية ، وتضم ضريح سيدي بلعباس السبتي ، احد الاولياء السبعة الذين تزخر بهم مراكش . وساحة الحائط المصلاة هي من الآثار التي تفتخر بها هذه المدرسة ، التي بناها السلطان السعدي عبد الله ابو فارس عام ١٦٠٥



لكل باب طابع خاص

وسائر الحصابات تحت سور المدينة امام البوابات الكبيرة التي تميز كل منها بطابع البيئة المحيطة بها . فالداخل من باب دكالة او الخميس (نسبة لسوق الخميس) لا يسمع الا اللغة العربية لان افراد القبائل المقيمة في هذه المنطقه كلهم من العرب .

اما الداخل من باب اغمات او ايلان فلن يسمع الا من يتكلم اللهجة البربرية المخلوطه بالعربية ، لان القبائل التي من اصل بربري ، تقيم في هذه الجهات .

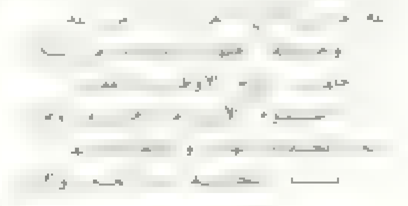
ايـن التصنيع ؟

وهكذا يعيش سكان مراكش : مزيج من عرب وبربر انصهروا في بوتقة واحدة ليكونوا سكان مدينة مراكش الذين يزدادون ببطء ظاهر .. لقد كانوا ... ٢١٥ نسمة عام ١٩٥٢ ولم يزيدوا في عشر سنوات سوى ١٨ الف نسمة ، فاصبحوا ... ٢٤٣ نسمة في عام ١٩٦٢ بينما تضاعف عدد سكان الدار البيضاء والرباط خلال نفس المدة .

ان موجة التصنيع ، التي تجتاح المدينتين الاخريين ، والتي لم تحظ منها مراكش بشيء ، هي السبب المباشر في هذا الركود عند السكان .

هكذا قال ابن بطوطه

ويقولون ، ان اهل مراكش يرحبون بالضيف ، والظاهر ان هذه الصفة قد اتصفت بهم من يوم ان ذكر عنهم ابن بطوطه هذه الابيات من الشعر :



جلود .. والوان ساتنه

وتسير الحياة في هذه المدينة في انعطاف :



استغرق العمل في بناء قصر الباهية ٧ سنوات (١٨٩٤ ــ ١٩٠٠) ، فجاء تحفة تجمع بين الفن المغربي والاندلسي . وشيده الوزير با احمد ، ثم اتخذه ممثل فرنسا مقرا له ايام الاحتلال ، واصبح (اليوم) مع حديقته الكبيرة قصرا للضيافة

وهذه « دار سي سعيد » [illegible] الوزير [illegible] ، ولقد اصبحت متحفا يضم مختلف التحف العربية القديمة ، من اسلحة وسجاد ، وحرف وجلود ، ومجوهرات







العبادة والصناعة الشعبية القديمة ..

العبادة : وايلفنا في كثرة الاضرحة ، والمساجد التي تزيد عددها عن ١٢ مسجدا جامعا .

اما الصناعات الشعبية فالمدابغة تاتي في المقدمة ، وخاصة دباغة جلد الماعز الذي ما زالت تستعمل في دبغه نفس الطرق القديمة : وهم يصفرونه بعد دبغه بوضعه في احواض بها عصارة ولون ساني ، ياخذونه من الاشجار التي تنبت في جبال الاطلس ..

الأبيت والاوزكيط

وصناعة الزرابي (السجاد) هي الصناعة الشعبية الثالثة لدبغ الجلود ، ويصنعونها من صوف الغنم والجمال ، المصبوغ بالالوان الثابتة كذلك .. واجملها صفرة القاسات هادئة ولكنها رائعة الصنع لا تجد لها مثيلا في بقية مدن المغرب.

انها انت قراكش من القبائل المقيمة في جبال الاطلس ، ويطلقون على هذا مختلف الاسماء ، مثل « الشيشاوة » وهي السجادة ذات الرسوم الهندسية ، و « الجلاوة » وهي المخططة بخطوط سوداء ، و الابيت والاوزكيط ، وتتميزان بالوانهما اللامعة ..

اسواق بالجملة

وتستطيع ان تعثر على النتاج هذه الصناعات الشعبية في اسواق المدينة القديمة التي تعج بالمتفرجين والمشترين.. انها اسواق لم تتغير كثيرا عن اسواق القرن الخامس عشر ، ففيها يمكنك ان تعثر على كل شيء : كتب قديمة ، وتحف ،

الى الشمال : هذه المنازل حلزونية طيبة لعله « الدلو » في مراكش ، وهي المنازل

داخلية ، وناعورة مياه ، واسقف غرفها مصنوعة من خشب شجر الارز ابرطرف ،





صهريج المنارة

ومصنوعات جلدية ، وعطور محلية ، واقمشة ..

وتختص كل حارة في نوع معين .. فهذا سوق الصباغين ، وهذا سوق الجلود ، وذاك سوق البلغ .. وسوق النحاس .. والعطارين .. الخ ..

انها تعني الحياة الصاخبة التي شهدتها ستكرر في كل مدينة عربية تزورها .. ولكن الاختلاف هنا يكمن في الناس الذين يسيرون ومعهم جمالهم وحميرهم ، جاءوا بها صعودا من جبال اطلس حيث يعيشون ، فتراهم يتجولون في اسواق المدينة التي تغطيها القصب واغصان الشجر .

نخيل وثلوج

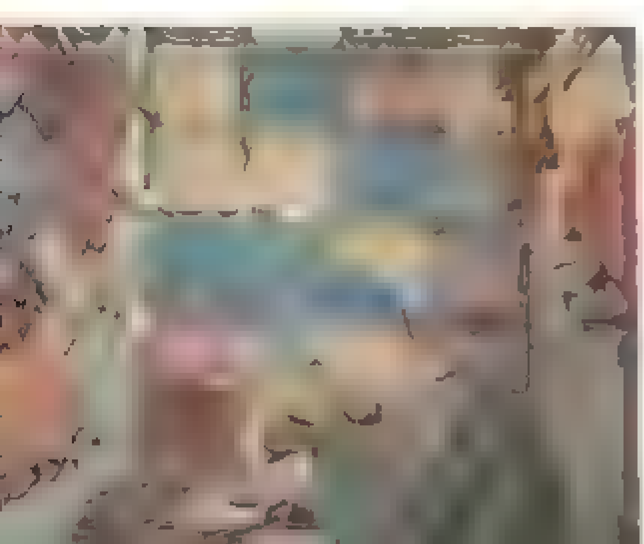
ومن الظواهر العجيبة في هذه المدينة جمعها بين النقيضين .. فالمعروف ان النخيل ينمو في المناطق الحارة .. ولكننا هنا نجده ينبت في البلد الحار ، نعم .. ولكن الى جانبه جبال عالية مغطاة بالثلوج !! .

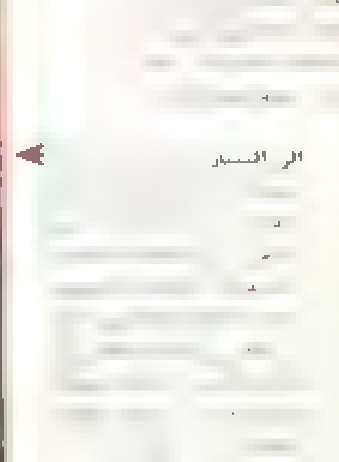
والمرابطون هم اول من جلب النخيل الى هذه المدينة ، وقد جلبوه من موريتانيا وغرسوه هنا فتكاثر حتى اصبحت مساحة المنطقة المزروعة ١٢ الف هكتار تضم ما يزيد عن ١٠٠ الف نخلة ..

الاكدال .. والزيتون والرمان

والى جانب مزارع النخيل ، تتميز مراكش بحدائقها الكبرى ابو سعة ، وفي مقدمتها حدائق المنارة ، واكدال الباهية ، والاكدال المليئة باشجار الزيتون المثمرة ، التي بدأ الموحدون غرسها في القرن الثاني عشر ، ثم تولت العناية بها حتى اصبحت وكبرت ، في عهد الدولة العلوية ،







الى اليسار

واصبحت محاطة بسور طوله اربعة كيلومترات ، والى جانب اشجار الزيتون توجد اشجار البرتقال والليمون ، واليوسفي ، والتين ، والرمان ، والخوخ ، والاجاص (الكمثرى) والتفاح والعنب .

الموحدون والخطارات والجن !

ان مراكش تعتمد على جبال اطلس لمدها بالماء ، وهو يجلب اليها بطريقة تشبه طريقة جلب المياه الى واحة البريمي في الجزيرة العربية ، مع فارق واحد ، هو ان اهل البريمي يقولون ان الجان هم الذين حفروا السهم تحت الارض ، اما في مراكش فان حافريها معروفون انهم الموحدون الذين حفروها في القرن الحادي عشر .

والسر في هذه الآبار او « الخطارات » كما يسمونها ، انها سلسلة آبار محفورة على ابعاد متساوية متصل بعضها ببعض تحت الارض بقناة متدرجة ، تجلب الماء من بعد عشرات الكيلومترات تقريبا من المدينة ..

انها نهر صناعي باطني صنعته يد الانسان ، على عمق ٤٠ مترا تحت سطح الارض !

اشرب وشوف

وتكثر الحمامات العامة في المدينة القديمة ، واكبرها حنفية سيدي العباس ، وتضم ٣ احواض يسقى منها الانسان والحيوان .

ومن اشهر عيونها عين الموسى ، وعين «اشرب وشوف» ، اى اشرب وانظر الى النقوش والزخرفة الجميلة المنقوشة فوق الحنفية .

وفي جنوب المدينة يمر نهر تنسيفت الذي يمتلئ بالماء عند ذوبان الثلوج فيروى حقولها الجنوبية التي تنتج احلى انواع العنب ، الا انه عندما تجف لم يطلع هذا النهر سيره نحو المحيط الاطلسي ليصب فيه .

والعجيب في مراكش ازدحامها بالزوارع رغم عدم وجود نهر يمر فيها ! بل لقد بدات النافورات تحتل الميادين الكبيرة ، كما في النافورتين اللتين بجوار فندق المامونية والمنارة .

تشرشل في المامونيه

وعلى ذكر الفنادق ، لا بد ان نذكر ان مدينة مراكش تضم ١٥ فندقا .. ياتي في طليعتها فندق المامونيه ، وهو من فنادق الدرجة الممتازة المبنية على الطراز الاندلسي العربي ، وينزل به تشرشل ورؤساء الدول والملوك في كل مرة يحضرون فيها الى مراكش .

الجليز عمرها ٥٠ عاما

وتقع اغلب هذه الفنادق الحديثة الجديدة التي ناهز الخمسين من عمرها ، اذ بناها الفرنسيون في تسييرها عام ١٩١٢ خارج اسوار المدينة القديمة ، على ارض صحراوية تحت سفح قمة جبل يدعى جليز ، الذي هو جزء من سلسلة جبال الحلالات .

لقد اعطى هذا الجبل اسمه للمدينة الحديثة ، فاصبحت تعرف « بالجليز » .

ان « جليز » هذه يمكن اعتبارها مدينة بذاتها ، لان كل شيء فيها يختلف عن مراكش القديمة .. شوارعها فسيحة واسعة تصل الى عرض ٤٠ مترا احيانا .. وعماراتها عالية مرتفعة ، وبواديها





ومطاعمها ومتاجرها ، وكل شيء فيها يختلف عن مدينة يوسف بن تاشفين ..

لقد بنيت « الحلبير » على نمط حديث لتصبح مدينة للسياح ، وقد نجحت الى حد كبير ، في تحقيق الهدف من بنائها .

ربيع دائم

واكثر مشجع للسياح على الحضور الى مراكش هو جوها الساحر الصافي ، ومناخها المعتدل ، شمسها في الشتاء مثل شمس الصيف في اوربا.

ويعود الفضل في تلطيف حرارة الجو ، الى سلسلة جبال اطلس ، التي تحمي المدينة من الرياح الصحراوية الحارة ..

لا تركب الطائرة ..

واحسن موعد لزيارة مراكش هو في الفترة الممتدة من نوفمبر الى مايو ، ويمكنك ان تصل للمدينة بسهولة ويسر ، فهي مرتبطة مع العالم



مخطوط منتظمة للطيران تمر بالدار البيضاء .. ولكنى لا أنصحك باخذ الطائرة لانها تسير بسرعة بينما عاصمة الجنوب يجب رؤيتها على مراحل متعددة . من داخل السيارات والحافلات التى تسير بخطوط منتظمة على طرق برية واسعة ربطتها بجميع مدن المغرب ، كما يمكنك ان تستعمل القطار الكهربائي الذى يقطع المسافة من مراكش للدار البيضاء (٢٤٤ ك.م) فى ٤ ساعات .

شمس وثلج !

ان مراكش تعيش تسعة شهور من كل عام مع السياح الذين يأتونها من جميع الارجاء .

ويقوم هؤلاء السياح برحلات الى ضواحي المدينة .. ففى الوقت الذى تسطع الشمس فيه على مراكش تتساقط الثلوج على قمم الجبال المشرفة عليها ، مما يتيح للسائح فرصة قضاء وقت ممتع فى التزلج على الثلج .



معظم السياح الذين يزورون مدينة مراكش فى [illegible] ... [illegible] منطقة ويبعدون المغرب عن المدينة وهذه المنطقة مركز لرياضات الشتاء ، تبعد ٦٥ كيلومترا عن مراكش ... حتى يوم ... فوق سطح ارتفاعه ٢٦٦٤ مترا

واقرب مكان لهذه الرياضة يبعد ٦٥ كيلومترا عن مراكش ، واليه يتجه السياح لممارسة هواياتهم ، انه منطقة « اوكيمدن » اهم مركز لرياضات الشتاء فى المغرب ، وترتفع ٢٦٥٠ مترا عن سطح البحر .

ويوجد نظام جميل متبع فى هذه المنطقة لتلافى حوادث السيارات . فالصعود يتم فى الصباح من الساعة ٨ حتى الساعة ١١ صباحا ، والنزول يتم بعد الظهر من الساعة ٣ حتى الساعة ٦ مساء .. ويوم السبت ممنوع النزول من المنطقة .. !!

وبفضل هذا النظام امكن تلافى جميع حوادث السيارات .

صيد الحمام والرقص

ويجد السائح فى مراكش الحديثة كل ما يبغيه فهناك نادٍ للتنس ، وآخر للجولف ، وثالث لصيد الحمام ، ورابع لكرة القدم ، ومسابح للسباحة ، وسبع دور للسينما ، و٦ اندية للرقص ، فضلا عن الكازينو الكبير ..

حلم المدينة

ان الليل فى مراكش هادىء فى مجموعه ، والشمس لا تغرب قبل ان تعكس على المدينة أشعتها الذهبية ، فيصطبغ كل ما فى المدينة ، بالوان الشفق الحمراء .. ورويدا رويدا تختفى ظل صومعة الكتبية ، ولكنها لا تكف مهمله ابدا ، فسرعان ما تسلط عليها الاضواء لتكسبها جمالا وروعة ، تجعلك تظن انها اصبحت ارشق مما فى الصباح .

ان مراكش تنام وهى تحلم بصوت مرتفع .. انها تحلم باليوم الذي تعود لها فيه امجادها السابقة ، ويصبح عدد سكانها ٨٠٠ الف نسمة ، كما كانوا فى الماضي .. منذ ستة قرون . ■■

سليم زبال



أهل الهوى

■ شفّه البعد فأضحى قلقا — يسهر الليل حزينا أرقا
يسأل الأنجم عن محبوبه — ولأيام خلتْ ما افترقا
أين ولّى ، والهوى في فجره ، — بُرعمٌ يحوي شذا والعبق
قلبه البكرُ جديدٌ في الهوى — لسواه أبداً ما خفقا
وعلى الثغر بقايا قُبَلٍ — فاترات لا تسُدّ الرمقا

***

ومضت أشهرٌ كانت أدهرا — والهوى جرّعه كأسَ الشقا
فكسا الوجهَ شحوبٌ قاتل — وذوى الغصنُ الذي قد أورقا
وبكى .. وانهمرَ الدمع على — وجنتين كادتا أن تُحرقا
إنه يبقى على آماله — علّه يصحو على أحلى لقا .

***

وتلقّى منه ما طمأنه — بعد لأيٍ فاستعاد رونقا
إنها أولى رسالات الهوى — حملتْ وُداً وفنا شيّقا
نعرُه نمَّ أعلى أسطُر — أتُراه لا يُجيد المنطقا ؟!
قبّل الحبرَ وكم من مثله — لثمَ الحبر وضمّ الورقا

***

هكذا أهل الهوى في حبّهم — ليلهما يومٌ ويومٌ نلتقا ■■

خازن عبود
بيروت لبنان

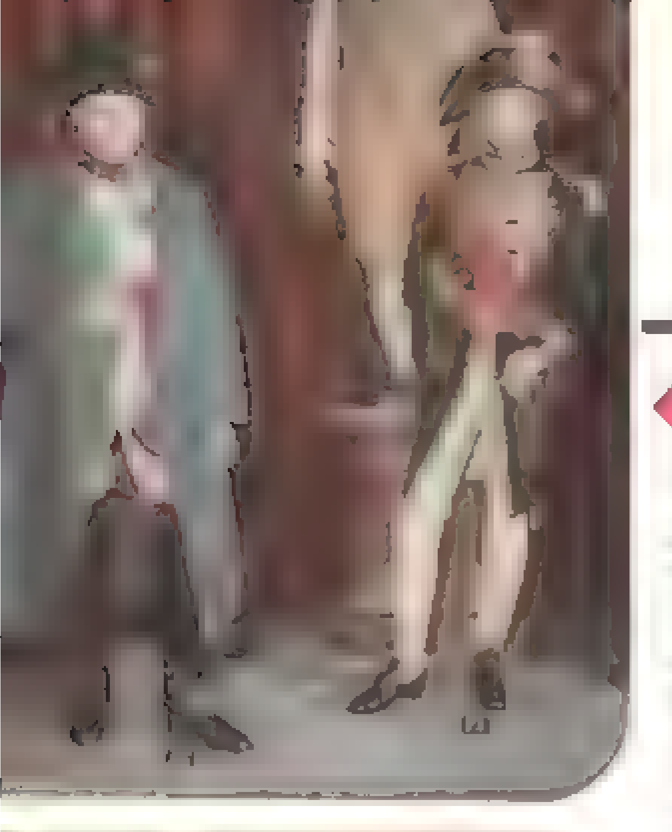
كانوا يقدمون لها رؤوس المشاهير بعد إعدامهم لتصنع منها

ماري أنطوانيت

Marie Antoinette

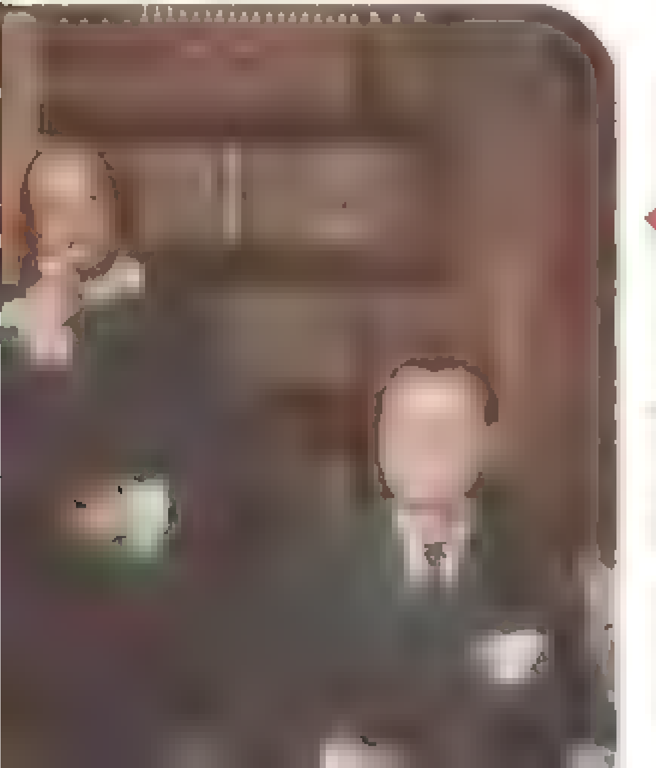
(البقيه على صفحه ١١٠)





نماذج بالشمع

نابليون ونيلسون
Napoleon & Nelson



شكسبير وسومرست موم
Shakespeare & Somerset Maugham





فولتير

(١٦٩٤ – ١٧٧٨)

- [illegible] في باريس من أسرة [illegible] ، واتخذ لنفسه عام ١٧١٨ اسم « فولتير » ، يوقع به كتاباته .
- هجر باريس [illegible] الاضطهاد وعاش في برلين ١٧٥١ [illegible] من فردريك الأكبر
- [illegible] السلطات الفرنسية من العودة الى فرنسا فأقام في جنيف
- عاد الى باريس وهو في سن الرابعة والثمانين
- [illegible] هذا التمثال له مدام توسو قبل وفاته [illegible]

دكنز Dickens

(١٨١٢ – ١٨٧٠)

- [illegible] في طفولته [illegible]
- عمل في الصحافة واشتهر بمقالاته المعروفة باسم « [illegible] » [illegible]
- وجه الأنظار بكتاباته الى ما يعانيه الفقراء من حياة [illegible] ، وكتب [illegible] من شهر قصصه « أوليفر تويست » و « دافيد كوبرفيلد » وقصة مدينتين

[illegible]

خيرا من أن تعود الى أهلها في [illegible]

[illegible]

حوادث الإنسانية [illegible]

تماثيل الشمع الدكتور كورتيس [illegible]

[illegible]

سحقا ، كان يؤمه أفراد الأسرة المالكة ، وعلية القوم ، ورجال الأدب والفن ، وكان في متحفه هذا نحو [illegible] تماثيل لهم

[illegible]



برنارد شو Bernard Shaw

(١٨٥٦ — ١٩٥٠)

- ولد في دبلن ، ولم ينل من التعليم الا قليلا .
- ارتحل الى لندن عام ١٨٧٦ ، وفيها انضم الى الجمعية الفابية ، واصبح اللسان الناطق بدعوتها الاشتراكية .
- بدا حياته الادبية بكتابة مقالات نقدية في الموسيقى والمسرح،واشتهر بكتاباته العميقة .
- كتب للمسرح واشتهر . ومسرحياته فيها نقد لاذع للمجتمع الانجليزي .

كوربس وازداد شهرة . ودعا الى مدرسة الفرنسية شقيقة الارملة واسمها لتعيش معه . وتددا وحدته .

وعهد كوربس ماري ، انه شقيقة [illegible] ورعاية ، وتاها ، واخذ يعلمها [illegible] شمائيل بعد ان ادرك استعدادها الفطري ومواهبها . وقد اثبتت ماري انها موهوبة [illegible]

وقد حلمت برامه ماري اليها المجتمع الباريسي المترف ، والعائلة المالكة .

(البقيه على صفحة ١١٤)

شارلي شابلن Charlie Chaplin

- ولد في لندن عام ١٨٨٩ . وبدأ بالظهور على المسرح وعمره خمس سنوات .
- ذهب الى امريكا عام ١٩١٠ ، وظهر في السينما عام ١٩١٣ ، وبعد هذا التاريخ صار اسمه علما على الافلام الصامتة .
- ومن اشهر افلامه الاولى « اضواء المدينة » .
- في عام ١٩٤٠ ظهر لاول مرة في فلم ناطق وهو فلم The Great Dictator
- شارلي شابلن متعدد المواهب : يكتب قصة الفلم،ويضع موسيقاه ، ويخرجه.





مهتما غاندي

(١٨٦٩ – ١٩٤٨)

من عائلة ارستقراطية ، ودرس الحقوق في لندن .

● بعد أن انهى دراسته عمل محاميا في جوهانسبرغ بجنوب افريقية (١٨٩٣

● وقاد غاندي حملة منظمة لمقاومة الاضطهاد الذي كانت تعانيه الاقلية الهندية في جنوب افريقية ، وذلك على الطريقة الهندوسية التي هي المقاومة السلبية وهي الطريقة التي استعملها فيما بعد في الهند في مقاومته للاستعمار الانجليزي

● ولعب الدور الرئيسي في المفاوضات التي ادت الى استقلال الهند عام ١٩٤٧

● وقتل احد المتعصبين من الهندوس في ٣ ... ١٩٤٨ ، بسبب ... المساعدة ... السلمي .

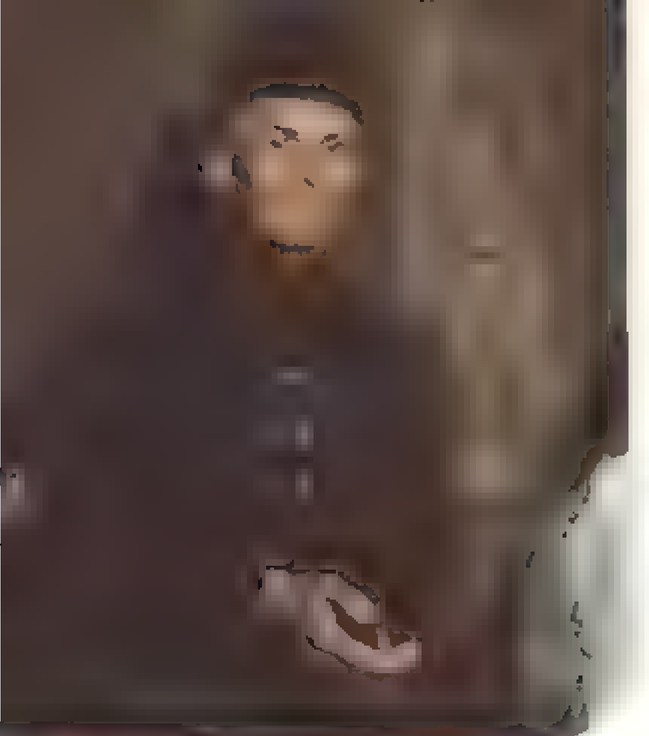
ابراهام لنكولن

Abraham Lincoln

(١٨٠٩ – ١٨٦٥)

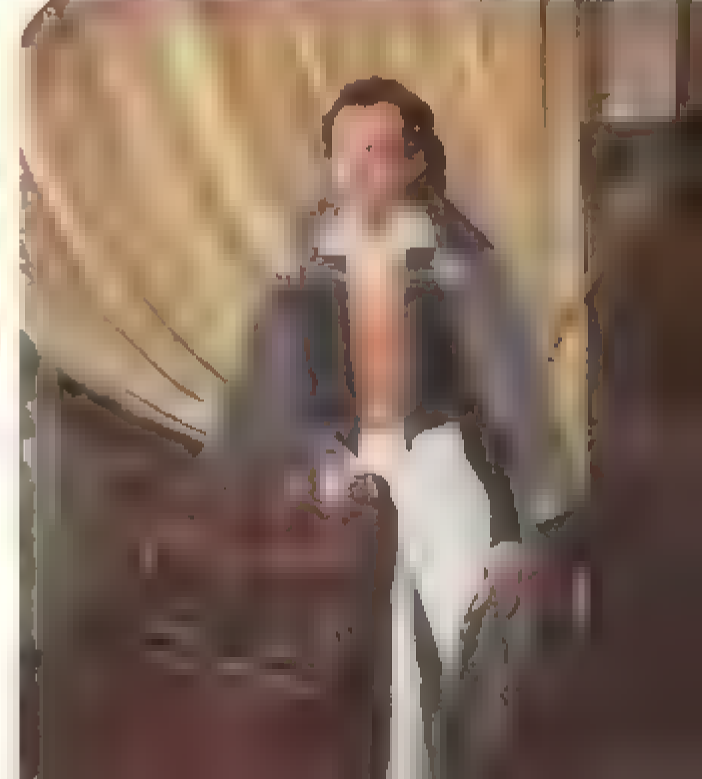
● الرئيس [illegible]

● [illegible]



محمد علي جناح

(١٨٧٦ — ١٩٤٨)



لورد بيرون Byron

(١٧٨٨ — ١٨٢٤)

واصبحت صديقه لسيداته . . . [illegible] اقرب صديقة اليها هي اليصابات، شقيقه الملك لويس السادس عشر ، التي طلبت منها أن تقيم معها في فرساي . [illegible] اقامة ماري لم تصرفها عن قضاء اكثر ساعات النهار في المتحف، تصنع التماثيل.

وفي عام ١٧٨٣ حظي اليها الزعيم الامريكي بنجامين فرنكلين لتصنع له تمثالا . [illegible] زال هذا التمثال قائما في المتحف بلندن. وقد كان فرنكلين في باريس سفيرا لدولته الحديثه الاستقلال ، وكان يبذل كل براعته السياسية للحصول على قرض لبلاده.

واشتعل اوار الثوره الفرنسيه ، ولم [illegible] راس ماري من المقصله غير براعتها في صنع التماثيل : فكانت تقاد يوميا من السجن الى قاعدة المقصلة . [illegible] [illegible] اليها بالرؤوس المقطوعه لتصنع لها نماذج من الشمع تعلق في ارجاء باريس ليراها الفرنسيون ، ويشهدوا سقوط الطغاة .

وهكذا كتب عليها أن تشهد نصيبها المقصله وهي تجز اعناق من احبت : رؤوس اليصابات ، وماري انطوانيت ، ولويس السادس عشر . . الخ .

برنارد توسو يصلح من هندام تمثال جدته .. ولا يمضي صباح دون أن يمر بالتمثال ، ليطمئن على انه في احسن حال ..



[illegible] في سبتمبر [illegible] ١٧٩٣ [illegible] [illegible] [illegible]

ولكن الدنيا اصبحت غير الدنيا التي عرفتها : فقد ذهب من احبت ، حتى خالها النهمه الثوره . ولم تجد حولها من الاصدقاء غير فرانسوا توسو ، وهو مهندس . وفي عام ١٧٩٥ تم زواج ماري بالسيد توسو ، واصبحت تعرف باسم « مدام توسو » . وولد لها منه ولدان [illegible]

وضاقت مدام توسو بالحياة في باريس ، فحملت معها ابنها الاكبر وعددا من تماثيلها ، وارتحلت الى انجلترا . واشترت عربات لنقل التماثيل ، واخذت تجول في المدن البريطانية ، وتقيم فيها معرضها المتنقل . وقد لقيت في بريطانيا اقبالا منقطع النظير ، واثرت ثراء كبيرا . وعندما بلغت سن السبعين وجدت أن الوقت قد حان لاقامة معرض ثابت ، لأن صحتها لم تعد تحتمل الاسفار ، فاختارت لندن مقرا لها .

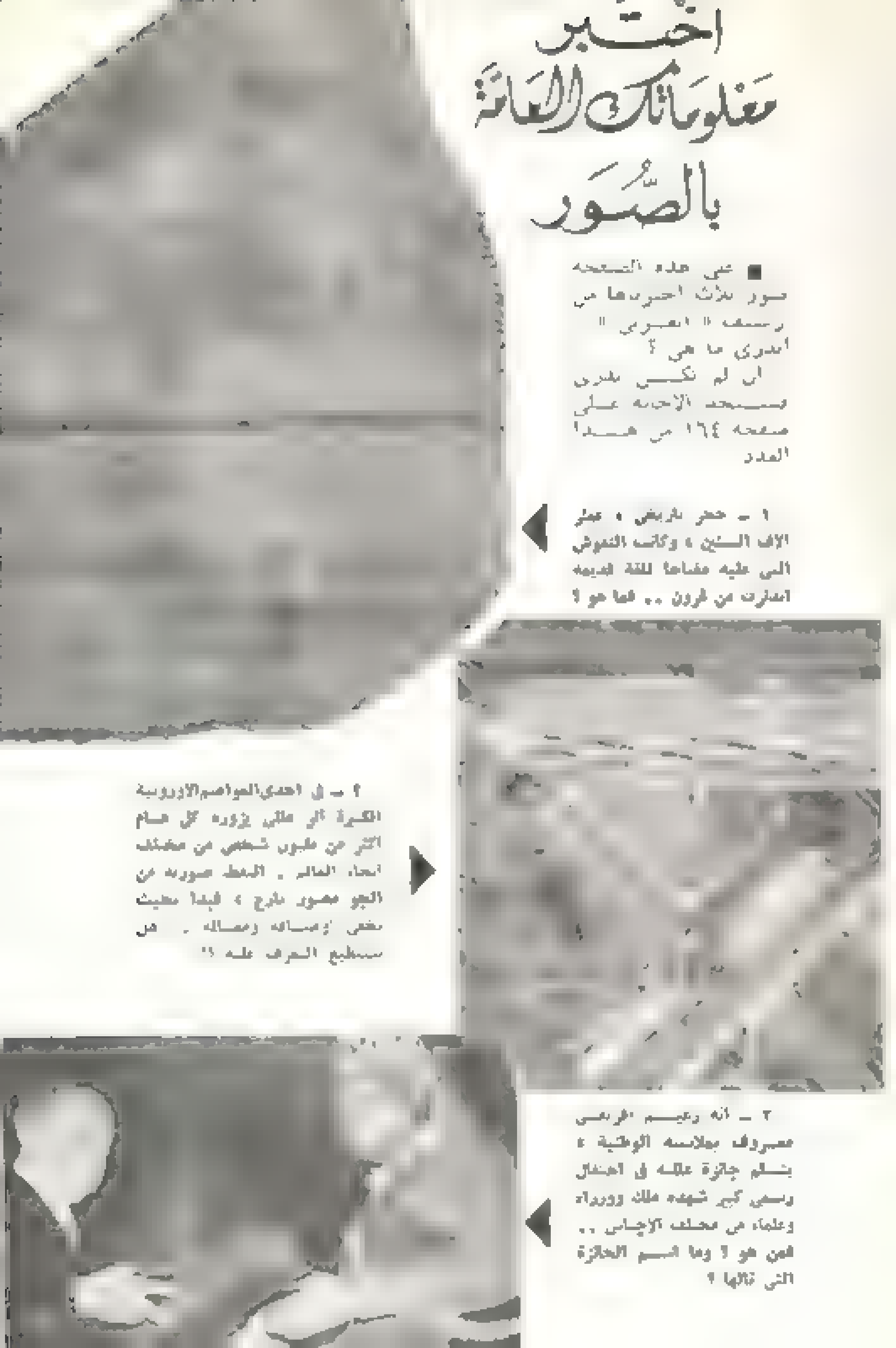
وفي عام ١٨٤٢ قررت أن تعتزل حياتها العملية ، بعد أن تصنع لنفسها تمثالا وهي [illegible] وفي ١٦ [illegible] ابريل (نيسان) ، توفيت هذه السيدة الموهوبة . وعندما حمل جثمانها الى مقره الاخير في تشيلسي Chelsea بلندن كانت الشوارع غاصه بالناس ، واشترك في تشييع جثمانها عشرات الالوف . [illegible] المتحف [illegible] واصبحت صناعة التماثيل الشمعية حرفه يتوارثها الابناء عن الآباء .

وقد تعرض المتحف لحريقين : اولهما [illegible] ١٩٢٥ [illegible]

[illegible] مدام توسو في [illegible] من ابرز معالم العاصمة البريطانية [illegible]

اختبر معلوماتك العامة بالصور

■ في هذه الصفحة صور ثلاث اخترناها من أرشيف "العربي" أتدري ما هي؟
إن لم تكن تدري ستجد الإجابة على صفحة ١٦٤ من هذا العدد



١ - حجر تاريخي، عمره آلاف السنين، وكانت النقوش التي عليه مفتاحا للغة قديمة اندثرت من قرون .. فما هو؟

٢ - في إحدى العواصم الأوروبية الكبرى أثر عالمي يزوره كل عام أكثر من مليون شخص من مختلف أنحاء العالم. اللقطة مصورة من الجو بمصور بارع، فبدا بحيث يخفي أصالته وجماله. هل تستطيع التعرف عليه؟

٣ - إنه زعيم إفريقي معروف بملابسه الوطنية، يتسلم جائزة عالمية في احتفال رسمي كبير شهده ملك ووزراء وعلماء من مختلف الأجناس .. فمن هو؟ وما اسم الجائزة التي نالها؟



بقلم: الدكتور نبيه عاقل

أستاذ التاريخ بجامعة دمشق

■ أرجو أن أوضح منذ البدء أن ما سأتناوله بالبحث في هذا المقال ليس الحياة الاجتماعية في قصور سلاطين بني عثمان، ولا أخبار سيدات الحريم وعلاقاتهن بعضهن مع بعض أو مع الخصيان، ولكني سأحاول دراسة الأشخاص الذين كانوا يمارسون السلطان الفعلي في قصوره، وأن أضعهم في مراتبهم، وأن أبين أعمالهم وواجباتهم ووظائفهم باعتبارهم يشكلون العنصر الأساسي من عناصر الأجهزة الحاكمة العثمانية.

القصر كان يمول الدولة بالرجال

فالقصر كان المنبع الهام الذي يمول الدولة بالموظفين الكبار ورجال الجيش، كما كان المدرسة التي تعلم سكان السلطنة في مختلف أقطارهم وأمصارهم آداب السلوك والمعاشرة وأصول التخاطب والتعامل، وذلك عن طريق بعثه إلى هذه الأقطار والأمصار الذين ربوا بين جدرانه وصقلتهم الحياة فيه

عاملان وجها الحياة في القصر

لقد سيطر على الحياة في القصر السلطاني عاملان وجها سير الحياة فيه وطبعاه بطابع خاص ميزه عن غيره من القصور الملكية المعاصرة.

هذان العاملان هما: وجود الحريم، ومراعاة التقاليد الفارسية القديمة في أصول السلوك السلطاني.

الحريم

أما وجود الحريم فمصدره أن عادة حجاب المرأة عادة شرقية قديمة لها تاريخها العريق في بعض حضارات الشرق الأوسط القديمة، وقد جاء الإسلام فيما بعد وأقرها وفرض الحجاب

• كبير الخصيان

ثالث رجل في الدولة

• رئيس البستانية يعدم رجال القصر غير المخلصين

على النساء . ومع مرور الايام وتطور المؤسسات الاجتماعية انقلب الحجاب عند العثمانيين الى عزلة تامة للمرأة ، وسجن كامل لها ، يمنع اي اتصال بينها وبين العالم الخارجي .

فالحريم اذن كان الاداة العثمانية لتطبيق فكرة الحجاب التي فرضها الاسلام على المرأة ، وكلمة « حريم » ، كما هو معروف ، ذات صلة وثيقة من الناحية اللغوية بفكرة « التحريم » ، وقد ادى « تحريم » الاختلاط الى نشأة « الحريم » كمؤسسة اجتماعية لها حدودها وقوانينها ومفهومها من الناحية التطبيقية .

بقية اجزاء القصر ، معد للحريم

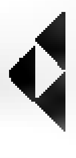
وهكذا افرد السلاطين جزءا من قصرهم وجعلوه حريما ، اما بقية اجزاء القصر فكانت تتألف من قسمين اساسيين ، قسم يمكننا ان نعتبره بمثابة مسكن خاص للسلطان لا يدخله الا هو وخاصة خدمه ، وقسم آخر للاستقبال واقامة الاحتفالات وعقد الاجتماعات ، وهو مفتوح لرجال الدولة واعيان الرعية والوفود الاجنبية وما شابه ذلك .

ولا يدخل المسكن الخاص ودار الحريم الا السلطان وخصيانه وقهرماناته . ويصل بين هذين الجزءين من القصر جزء وسط يعرف باسم الـ « ما بين » ، ويتكون من عدة غرف يتهيأ فيها السلطان لدخول الحريم ، كأن يرتدي ثياب الراحة او يمشط شعره او يستكمل زينته ليدخل على حرمه .

وكما كانت ابنية القصر او « السراي » مقسمة الى عدة اقسام فقد كان ساكنوها ايضا اصنافا وانواعا ، واهم هذه الاصناف

ساكنات الحريم

الحريم هو الجزء من القصر السلطاني الذي تسكنه نساء السلطان ومحظياته واطفالهن الصغار وبعض الخصيان الذين يقومون بخدمتهن. وقد كانت عادة السلاطين الاول الا يتزوجوا الا اميرات مسلمات او نصرانيات ، والا يجمعوا تحت عصمتهم الا الحليلات الاربع اللواتي اباحهن الشرع



للرجل المسلم . وكان آخر من سار على هذا النهج السلطان محمد الفاتح .

اما من جاء بعده من السلاطين فقد هجروا عادة الزواج واكتفوا بالشرْبات لا يتخذون منهن اكثر من اربع في اول الامر ، ويعاملونهن معاملة الزوجات رغم عدم وجود عقد زواج يربطهم بهن .

القادنات

وكان لقب الشرْبة « القادن » وتعتبر « القادنات » ارفع سكان الحريم من النساء منزلة . فقد كان لكل منهن جناحها الخاص وخدمها الخاصون ، ولا ترى القادنات الاخريات الا في المناسبات والاحتفالات الرسمية .

وارفع القادنات مقاما اقدمهن في صحبة السلطان ويليها في المرتبة من ينضم بعدها الى الصحبة السنية . ويترتب على قدمها وعلو مقامها ازدياد مخصصاتها المالية على مخصصات زميلاتها المتأخرات عنها .

والقادن التي تنجب الاولاد اعلى مقاما من التي لا تنجب ، واذا انجبت صبيا فقد ضمنت لنفسها الحظوة التامة عند مولاها واصبح اسمها « خاصكي سلطان » اي « المفضلة عند السلطان » وكان الناس يلقبونها بالسلطانة ، وهو لقب مخصص لبنات السلطان فقط . اما القادنات اللواتي ينجبن البنات فيصبح اسمهن « خاصكي قادنه » وهن دون الـ « خاصكي سلطان » . وافضل ما تطمح به القادن هو ان يصبح احد اولادها سلطانا فتحمل حينئذ لقب « والدة سلطان » ، وتتمتع بارفع مركز نسائي في الدولة ، ويصبح من حقها ان تتوجه بالخطاب الى الوزير الاعظم مباشرة دون ما حاجة لوسيط .

والجواري ، وهن طبقات

ويلي القادنات في المرتبة اربع طبقات من الجواري اعلاها الطبقة المسماة باسم الـ « غديكلي » التي تنتخب القادنات من بين افرادها ، كما ان بعض جواري هذه الطبقة يصبحن وصيفات شرف للسلطان ويتولين خدمته او يتسلمن وظيفة خازن دار الحريم .

ويلي هذه الطبقة طبقة ثانية ، مهمة افرادها خدمة والدة السلطان والقادنات واولادهن .

اما الطبقة الثالثة من الجواري فهي طبقة الجواري المتدربات اللواتي الحقن بالحريم مجددا ويجري تدريبهن على القراءة والكتابة والخياطة والتطريز والموسيقى والغناء والرقص حتى يستطعن الالتحاق بالطبقات الاعلى حين تدعو الحاجة ويتوفر الشاغر .

اما الطبقة الرابعة فهي طبقة جواري الخدمة ولا تستطيع الواحدة منهن ان ترتفع عن طبقتها هذه ، بعكس زميلاتها في الطبقات الاعلى .

كانت نساء الحريم اجنبيات ، واغلبهن اوروبيات

كانت كل نساء الحريم من الجواري الاجنبيات ، وكن في غالبيتهن من الاوروبيات اللواتي أسرن في الحروب التي خاضتها الجيوش العثمانية ضد الدول الاوربية .

وقد اشتهر من هؤلاء الجواري الاوربيات الاصل : خرم سلطانه شرْبَة السلطان سليمان القانوني التي عرفها الاوربيون باسم روكسلانا ، والتي كانت من اصل روسي .

ثم والدة السلطان محمد الثالث التي كانت من سبايا البندقية .

ووالدة مراد الرابع وابراهيم التي كانت سبية يونانية .

جواري القفقاس

وبعد نهاية القرن السادس عشر اتجهت تجارة الجواري الى القفقاس واخذت اعداد كبيرة من الجواري القفقاسيات تتدفق على العاصمة العثمانية ومنها الى القصر السلطاني .

وقد اعجب السلاطين بالقفقاسيات كثيرا وذلك لجمالهن وذكائهن وبراعتهن في شؤون الخدمة ، وكن يلحقن بالحريم وهن صغيرات لا يزيد عمر الواحدة منهن عن العاشرة او الحادية عشرة ، فيدربن ويربين حتى يصبحن اهلا لخدمة السلطان او صحبته . وكثيرا ما كن

رجال الدولة يهدون السلطان جواري أكثر حسنا ، وذلك بعد تدريبهن وتثقيفهن وصقل مواهبهن ، فيتقبل السلطان الهدية وينعم على صاحبها اذا صادفت من نفسه قبولا .

السلاطين تعتق الجواري

وكثيرا ما كان السلاطين ينعمون على جواريهم بالعتق ، فتصبح الواحدة منهن حرة تستطيع الزواج من أي شخص تريد وتترك الحريم .

واذا توفي السلطان كان من حق قادناته اللواتي لم ينجبن أولادا أن يتمتعن بحريتهن وأن يتزوجن من يرغبن من الرجال . وكان كبار رجال الدولة يحبذون الزواج من قادنات السلطان المتوفى لما لهن من نفوذ في الدولة ولما لاتصالاتهن ومداخلاتهن من أهمية في تثبيت مركز الزوج أو رفع شأنه .

نفوذ نساء الحريم

وتتناسب أهمية القادن ونفوذها مع ضعف شخصية السلطان واستعداده للتأثر بآراء من حوله من نساء وخدم . وقد وصل نفوذ نساء الحريم أوجه زمن السلطان ابراهيم ، فقد استطاعت احدى جواريه ، لشدة ما لها من تأثير عليه، أن تنال حكم مقاطعة من المقاطعات، وأن تنيب عنها في ادارتها شخصا غيرها، لأنه لم يكن مسموحا لنساء الحريم مهما كانت طبقتهن أن يغادرن القصر إلا اذا صحبهن السلطان في رحلة من رحلاته أو أمرهن بالانتقال معه الى أحد قصوره الصيفية خارج العاصمة . حتى انه لم يكن يسمح لهن في أغلب الأحيان بتعدي جدران دار الحريم الى جزء آخر من أجزاء القصر ، ولا بد لهن من استئذان السلطان نفسه اذا أردن الخروج الى حدائق القصر .

واذا سُمح لهن ، ونادرا ما كان يحصل ، فان حراسة شديدة تقام حول الحدائق ويمنع اقتراب أي شخص منها حتى لا تمتد الأنظار الفضولية اليهن .

مباني الحريم تشبه مستعمرة صغيرة

كانت مباني الحريم تضم الى جانب بيوت القادنات والجواري بعض الساحات المكشوفة والحدائق الصغيرة ، كما تضم جناحا خاصا بالسلطان يتكون من عدة غرف للنوم وقاعة كبيرة للاستقبال وحمام خاص .

وكان لكل من القادنات ولوصيفة الشرف وللقازنة دار الحريم حمامها الخاص ، أما بقية الجواري فكان لهن جميعا حمام مشترك واحد .

ويشبه الحريم مستعمرة صغيرة تتألف من عدد من البيوت والحدائق والساحات يسكنها نساء السلطان وجواريه وأولاده وخدمه ، ولا يدخلها من الرجال سواه . ويعامل السلطان في هذه المستعمرة النسائية بأسمى معاني الاجلال والاحترام ، فلا ترفع واحدة من النساء عينيها لتلتقي بعينيه ، واذا سمعن وقع خطواته عليهن أن يختبئن وألا يظهرن إلا اذا دعاهن . وحتى تعرف ساكنات الحريم أن السلطان قادم اليهن كان يلبس خفا نعله من الفضة اذا مشى به فوق الرخام أخرج صوتا معينا تعرفه سلفا فيستعددن للقيام .

الخصيان في دار الحريم

وكان الخصيان هم الذين يحرسون دار الحريم ويقومون بادارة الكثير من شؤونها . ومنذ مطلع القرن الخامس عشر ، وحتى نهاية القرن السادس عشر ، كان أغلب خصيان الدار من البيض ، ومن أصل قفقاسي كجواري الدار أنفسهن . وأثناء حكم مراد الثالث استلم ثلاثة من الخصيان السود مناصب هامة في الحريم . ومنذ ذلك الحين أخذت أعداد كبيرة منهم تدخل الدار وأصبح لهم الرئاسة على البيض .

الوزير الأول يحاول الغاء الخصيان

وفي سنة ١٧١٦ حاول الوزير الأول الداماد جورلولو علي باشا أن يلغي استعمال الخصيان في

القصر السلطاني فأوقف بيع خصي العبيد السود وبعثهم الى وسط القصر . ولما توفي علي باشا هذا عادت تجارة الخصيان السود الى الازدهار وتدفقت اعداد كبيرة منهم على قصور السلطان وازداد نفوذهم لحد كبير وتدخلوا في شؤون الدولة واسلمهم السلاطين مقاليد الامور .

رئيس الخصيان ثالث رجل في الدولة

وقد اصبح رئيسهم الذي كان يعرف باسم « دار السعادة آغاسي » أو « قزلار آغاسي » اكبر موظفي القصر ، واحتل المركز الثالث في الدولة بعد السلطان والصدر الاعظم . وكان الصدر الاعظم وشيخ الاسلام لا يستطيعان مقابلة السلطان الا بعد المرور برئيس الخصيان الاسود هذا . اما الخصيان البيض فقد اقتصرت مهامهم على اعمال الخدمة ، واوكل الى السود امر حماية الحريم والاشراف على شؤونهن كما أوكل الى رئيسهم « القزلار آغاسي » الاشراف على أوقاف الحرمين الشريفين ، وكانت هذه الوظيفة من قبل من اختصاص رئيس الخصيان البيض .

عدد الخصيان

وقد بلغ عدد الخصيان السود المستخدمين في حريم السلطان في القرن الثامن عشر ٢٠٠ خصي ، يضاف اليهم عدد آخر كان يقوم بالخدمة في قصور السلطان الاخرى وفي اجنحة الاميرات العازبات وقصور الاميرات المتزوجات .

وكان هؤلاء الخصيان ينتقون من بين العبيد الذين تحضرهم القوافل القادمة الى مصر من دارفور وسنار وغيرهما . وكان الأطفال منهم يخصون قبل وصولهم الى مصر عند موقع قرب أسوان . ويقوم بعملية الخصي أشخاص من القبط لأن الشريعة الاسلامية تحرم هذه العملية .

وبعد أن يلتحقوا بالقصر تبدأ عملية تثقيفهم وتدريبهم على الخدمة وآداب السلوك من قبل معلميهم من بني جنسهم ، ويتولون اثناء تدريبهم حراسة ابواب دار الحريم ، وينامون في مهاجع مخصصة لهم قرب الدار . وبعد أن يتموا تدريبهم ودراستهم يمرون بمراتب مختلفة في السلم المهني ، تبدأ بعضوية الحرس وتنتهي بمنصب رئيس هذا الحرس . ويتولون اثناء ذلك خدمة الخادمات ، ويرتقون منها الى وظائف اعلى قد تصل الى مرتبة «القزلار آغاسي» التي تعادل رتبة الوزير في الدولة .

عناصر الخدمة داخل القصر

واذا تجاوزنا دار الحريم وسكانها واحوالهم ومراتبهم ، وانتقلنا الى القسم الثالث من اقسام القصر حيث يقيم الخصيان البيض والوصفاء لوجدنا أن سكان هذا القسم شباب لا تزيد سن أكبرهم عن الخامسة والعشرين . ويطلق على الوصيف اسم ايج آغا أو ايج اوغلان حسب سنه فاذا كان كبيرا كان من فئة الـ ايج آغا ، واذا كان حدثا ومستجدا في الخدمة فهو ايج اوغلان .

وكان الاشراف على الوصفاء من اختصاص الخصيان البيض ، فحين توكل الى بعضهم مهمة الخدمة في جناح من اجنحة القصر او عند بعض سكانه ، كان احد الخصيان البيض يشرف عليهم ويكون مسؤولا عنهم . ويدعى رئيس الخصيان البيض باب السعادة آغاسي أو قبي آغاسي أي رئيس البوابة . وقبل أن ينتزع منه مكانته رئيس الخصيان السود كانت له رئاسة امور دار الحريم والاشراف على شؤونها . ويتبع الى قبي آغاسي فريق من الخصيان البيض يبلغ عددهم اربعين خصيا ، كما يتبع الخصي المسؤول عن الخدمة في الاجنحة اربعون آخرون يوزعهم في مهام الخدمة المختلفة .

وينام الخصيان في مهاجع جماعية ، ويرأس كل عشرة وصفاء خصي أبيض ، اما رؤساء الخصيان فيفرد لكل منهم جناح خاص .

قواعد الخدمة الداخلية وآداب السلوك

كان السلطان محمد الفاتح هو أول من وضع اصول وقواعد الخدمة الداخلية ، ولما جاء

السلطان سليم الأول وفتح سورية ومصر ، تعرف على آداب السلوك في قصور سلاطين المماليك فيها فادخل بعض التعديلات على تنظيمات الخدمة الداخلية في بلاطه ، والبسها ثوبا من الأبهة والتفخيم ، سيما وانه حصل على البردة النبوية الشريفة ، واتخذ لنفسه صفة خليفة المسلمين . وكان السلطان بايزيد الثاني ، والد السلطان سليم ، قد أسس مدرسة لتدريب الوصفاء وتعليمهم ، هي مدرسة غلطة سراي ، يدخلها الى أربع أو خمس سنوات ويتخرجون منها بعد مدة قد تطول أو تقصر حسب قابلياتهم واستعدادهم للتعلم .

وبعد تخرجهم من هذه المدرسة ينتقلون الى القصر السلطاني فيتابعون دراستهم وتدريبهم على أيدي درجات من الخصيان البيض والوصفاء المدربين الذين لا تقل أعمارهم عن الثلاثين والذين لهم خبرة ومعرفة كافية بآداب السلوك وأصول الخدمة . وبعد انتهاء تدريبهم ودراستهم ينقلون للعمل في الأقسام الثانوية من القصر ، فاذا ما أظهروا براعة ومقدرة استطاعوا الوصول الى منصب خادم السلطان الخاص .

موظفون بالقصر آخرون

ويجدر الاشارة هنا الى ان القصر السلطاني كان يحوي الى جانب هؤلاء الوصفاء والخصيان موظفين كبيرين هما : المسؤول عن المؤن ، والمسؤول عن الخزينة الخاصة ، كما كان يحوي عددا من الموظفين الاختصاصيين الذين تتناول واجباتهم أمورا تهم السلطان شخصيا ، كالحلاقين والمسؤولين عن « العمامة » والموسيقيين والخدم والأقزام ، والصم الذين يقومون بحمل رسائل السلطان أو يحضرون مقابلاته مع شخصيات الدولة لحمايته دون أن يفهموا ما يجري بينه وبينهم من أحاديث .

ويبلغ عدد الخدم الخاصين بالسلطان أربعين خادما ، ويسمى الواحد منهم « خاص أوضه لي » ومهمتهم حلاقة ذقنه ومساعدته في ارتداء ملابسه وخدمته اثناء طعامه وغير ذلك . ويرأسهم رئيس يعرف باسم « السلحدار آغا » أي حامل السيف. وقد احتل « السلحدار آغا » ، اعتبارا من مطلع القرن الثامن عشر ، مركزا رفيعا في القصر وأصبح له الاشراف على جميع شؤون الخدمة الداخلية عوضا عن رئيس الخصيان البيض ، وغدت مهمة الخصيان البيض ورئيسهم تقتصر على الاشراف على الوصفاء وتدريب المستجدين منهم .

وقد شهد القصر السلطاني اشكالا عديدة من الصراع الخفي والتسلط والمؤامرات بين رجال الخدمة الداخلية العديدين ، وكانت نتائج هذا الصراع علو قدر فئة لمدة من الزمن على حساب الفئات الأخرى تسعى خلالها هذه الفئات المغلوبة لاسترداد مكانتها عن طريق التآمر وتدبير المكائد فاما أن تفلح واما أن تتردى الى درك أسفل . وقد لعبت نساء الحريم في هذا الصراع دورا بارزا تحفظ لنا بعض أخباره كتب التاريخ العثماني . واذا كنا لا نريد الدخول في تفاصيل هذا الصراع وأخباره ، فانا نستطيع القول بكل ثقة وتأكيد أن الدولة العثمانية لم تجن منه الا شوكا وحنظلا وانه كان من بين العوامل التي نخرت في جسدها وعجلت نهايتها .

عناصر الخدمة خارج القصر

اشتمل الجهاز المسؤول عن الخدمة الخارجية على عدد كبير من الموظفين ، بعضهم يسكن داخل حدود القصر السلطاني ، وبعضهم يسكن خارجه .

وكان على رأس هذا الجهاز عدد من أصحاب الوظائف يحملون رتبة الآغا ، بينهم : حامل العلم ، والمسؤول الأكبر عن الخيول السلطانية ، ورئيس البوابين ، ورئيس البستانية .

حامل العلم

ويعتبر حامل العلم أعلى موظفي الخدمة الخارجية ، وهو المسؤول عن اللواء السلطاني ، والجوقة الموسيقية العسكرية التابعة للقصر ، والمراسلين الذين يحملون رسائل السلطان المختلفة .

المسئول عن الخيول

اما المسؤول الأكبر عن الخيول فكان له الاشراف على الاصطبلات التابعة للقصر والمراعي المخصصة لخيول السلطان والتي تقع على جانبي البوسفور. ويليه في الرتبة مسؤول أصغر عن الخيول ومهمته

حيوانات النقل والمركبات التي يستعملها السلطان في تنقلاته .

رئيس البوابين

وكما هو متوقع فان مسؤولية رئيس البوابين هي حراسة بوابات القصر ومراقبة الداخلين الى القصر والخارجين منه . وقد عهد اليه فيما بعد بالاشراف على الاحتفالات التي تقام في القصر . ويشترك معه في هذه المسؤولية الوزير الأعظم الذي ما لبث ان احتكر هذه المهمة لنفسه واقصى عنها رئيس البوابين .

رئيس البستانية

ولا ينتظر المرء ان يكون لرئيس البستانية اهمية تذكر ، ولكن الواقع كان عكس ذلك اذ انه كان من اكبر موظفي الخدمة الخارجية ومقامه يلي مقام حامل العلم مباشرة . ولعل السبب في ذلك يعود الى انه كان المشرف على استجواب واعدام موظفي القصر الذين يشك السلطان في ولائهم ، ولانه كان يقوم على رأس جهاز يتألف من الفي رجل يعملون في البستنة وفي اعمال اخرى . وقد جند هذا العدد الكبير من الرجال اول الامر لاستصلاح الاراضي الوعرة التي قام عليها القصر السلطاني وتحويلها الى حدائق وبساتين تتناسب مع جمال القصر وبهائه .

وبعد ان انهى الرجال هذه المهمة غدا عمل الكثيرين منهم بعيدا عن الزراعة كل البعد ، فاصبح بعضهم يقوم بمهمة حراسة مباني القصر المختلفة وبعضهم يشرف على أمن البوابات الكثيرة التي تؤدي الى القصر ، وبعضهم يحرس موانيء القرن الذهبي والبوسفور وبحر مرمرة . وكان الفريق الذي يشرف على شؤون الامن في الموانيء يقوم بمهام الشرطة المحلية ويراقب عمليات شحن السفن وتفريغها ويمنع التهريب ويهتم بالحرائق ومجاري المياه وما شابه ذلك . وقد عين السلطان بعضهم كحرس خاص ، او عهد اليهم بقيادة السفن الخاصة به . وكان لرئيس البستانية الى جانب الاشراف على هذا الجيش من الموظفين مهام اخرى ، كتمويل مطابخ القصر بالاغنام والدواجن والطيور ورفع القمامة والاشراف على ممتلكاته

والمهرجين والسحرة والموسيقيين الذين يؤنسون القصر لتسلية السلطان وحاشيته .

الأمنـــاء

وتلي طبقة الاغوات طبقة الامناء التي تحتوي خمسة « امناء » اهمهم « الشهراميني » أي متسلم المدينة ، و « الضرب خانة اميني » اي متسلم دار المسكوكات ، و « المطبخ اميني » ، اي المشرف على المطابخ السلطانية ، و« اربا اميني » اي المسؤول عن الشعير ، و « المعرق شهرياري اميني » اي المسؤول عن المؤن . ومن هم دون الامناء من موظفين لا اهمية كبيرة لهم ويتبعون الاغوات والامناء او العمال وغيرهم من موظفي القصر الكبار . ويمكننا ان نذكر ضمن هذه الفئة السقائين والخياطين والفرانين والحطابين وغيرهم من اصحاب المهن .

سكان القصر لم يحملوا له الولاء

وهكذا فقد كان القصر أهم المؤسسات الاجتماعية والسياسية في الدولة العثمانية ، وكان بعناصره ورجالاته المصنع الكبير الذي يمول الدولة باداريها وعسكريها وأدمغتها المحركة . ولا بد من الملاحظة في ختام هذا المقال أن الكثير من ساكني هذا القصر كانوا من أصل أجنبي ، مما يستنتج منه أن عددا كبيرا ممن وقعت بين أيديهم مقدرات الدولة كانوا لا يحملون لها ولاء المواطنة وإخلاص ذي النسب . بل كثيرا ما كانت أحقادهم أو مصالحهم هي منارتهم في تصرفاتهم وأعمالهم . وقد أدى هذا الى أسوأ النتائج سيما حين ضعفت أجهزة الدولة وقل اهتمام السلاطين بشؤون البلاد . ومع استشراء هذا الداء كانت الدولة العثمانية تنتقل من دور الرجل المريض الى دور الرجل الذي يدق أبواب الأبدية بكلتا يديه . ■■

نبيه عاقل

١٦٠٠ مسجداً في الكويت

تحدثت عن تطور النهضة الدينية والمعمارية في البلاد

■ قبل تأسيس وزارة الأوقاف كانت المساجد في الكويت يبنيها رجال الخير في البلاد، ولهذا كان كل مسجد يسمى باسم الرجل الأول الذي شاده، وكان امام المسجد أو المؤذن يقوم بخدمة المسجد والانفاق عليه من الايرادات التي يحصلها من أوقاف المسجد حيث لكل مسجد يخصه لابد من انشاء أوقاف له من بيوت ودكاكين لينفق عليه من ريع هذه الأوقاف في شراء الفرش وفي أجور الامام والمؤذن وغير ذلك من النفقات التي يحتاجها المسجد من أعمال الصيانة. وفي تلك الفترة من تاريخ البلاد كان لا بد للمسئولين عن الحكم وزعماء البلاد



واحل الراى فيهما من التفكير في تأسيس مؤسسة حكومية ترعى المساجد واوقافها ، وكذلك الاوقاف الاهلية الموقوفة على القرية او الخيرية منها ، ونتيجة لهذا التفكير تأسست دائرة الاوقاف العامة منذ ١٥ عاما تقريبا وشكل مجلس لها ليتولى شئونها . ولكن لا بد من تعيين مدير للدائرة ... واتجهت الرغبة انذاك نحو السيد الحاج عبد الله العبد الرحمن الصموعي ، الذى هو وكيل وزارة الاوقاف الحالى ، وهو الذى باشر عمله بتصريف شئون الدائرة بالتعاون مع اعضاء مجلس الاوقاف .

٧٢ مسجدا تصبح ١٦٠ مسجدا

وقد كان عدد المساجد حينذاك ٧٢ مسجدا منها ٥٩ مسجدا في داخل المدينة ضمن حدود سورها الذى رفع الآن ، و ١٤ مسجدا موزعة على قرى الكويت .

اما اليوم فاصبح في الكويت من المساجد الجمعة الراتبة ١٦٠ مسجدا منها ٦١ مسجدا داخل مدينة الكويت القديمة ، و ٢٩ مسجدا في ضواحي العاصمة ، و ٥ مساجد في مدينة الاحمدى ، واربعة في جزيرة فيلكا ، و ٦١ مسجدا في القرى والمناطق الاخرى .

والنية متجهة الى انشاء ٤٨ مسجدا جديدا في المناطق السكنية الجديدة خلال الخمس السنوات القادمة . وجميع المساجد في دولة الكويت تلقى عناية فائقة من وزارة الاوقاف ، وذلك من ناحية اعمال الصيانة ، وتجديد المفروشات وما تحتاج اليه من مكبرات الصوت والمراوح الكهربائية وغير ذلك من الامور . وكل مسجد له امام ومؤذن .

لقد سبق ان اشرنا الى اوقاف المساجد ويرجع



[illegible] بة الشويخ ويقام فيه صلاة الجمعة ويؤمه المدرسون والطلاب وسكان المناطق المجاورة لثانوية الشويخ والمدرسة منها



مسجد العداد ، وهو [illegible]

مسجد القطيبي : احد المساجد التي انشأت وزارة الأوقاف في قرى الكويت في منتصف عام ١٩٥٥

ان يوضح أن معظم المساجد في الكويت لها اوقاف من بيوت ودكاكين ، وقد تناولت اعمال التنظيم في مدينة الكويت اغلب هذه الأوقاف فأزالتها ، ونتيجة لذلك قامت الوزارة ، من المال المتحصل من التعويض عن هذه العقارات ، بشراء عقارات لحساب المساجد التي اشترت الحكومة اوقافها ، وحاليا يوجد لدى الوزارة ٦ عمارات لحساب اوقاف المساجد .

وكذلك يوجد عدد من البيوت والدكاكين المستقله موزعة في المدينة والقرى وهي ٩١ بيتا و ١٦٣ دكانا .

ومما يجدر الاشاره اليه ان وزاره الأوقاف لها ميزانيه مخصصه كسائر ميزانيات وزارات الدوله حيث ان الحكومة هي التي تتولى مسئولية الانفاق على انشاء المساجد وصيانتها وكذلك اوقافها ودفع رواتب موظفي الوزارة وبقية المصروفات الاخرى كما ان جميع ايرادات الوزارة التي تحصلها من العقارات الموقوفة على المساجد توردها لحساب الخزانة العامة (وزارة المالية والصناعة) .

طراز مباني المساجد وتطورها في الكويت

لقد سبق ان اشرنا الى ان المساجد في الكويت كان







شيدها رجال الخير بالبلاد ، وبعد ما سعت وزارة الأوقاف الى تجديد نسبة كبيرة من هذه المساجد بالاضافة الى المساجد الجديدة . ومن هنا يتضح ان المساجد القديمة بالبلاد قد بنيت على الطريقة البدائية ولم يراع فيها اي طراز معماري من الطرز المعروفة ، ولكن يمكن القول انها تشبه مقاربة للمساجد الاولى التي بنيت في صدر الاسلام .

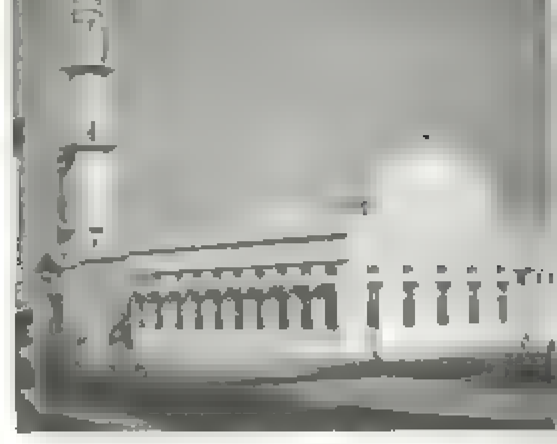
وقد روعي في بنائها ان تكون ملائمة للجو في الكويت فتنقسم الى خلوة ، وليوان ، وحوش مكشوف تؤدى الصلاة في كل منها في الوقت الذى يلائمه

نماذج لبعض المساجد ..

والآن سنعرض بعض نماذج المساجد لأخذ فكرة عن التطور الذى طرأ عليها .

– مسجد السوق الكبير : هذا المسجد يعتبر من اكبر المساجد داخل المدينة القديمة ، ويتسع لحوالي ثلاثة آلاف مصل ، وهو يتوسط المنطقة التجارية ، لهذا فان الوزارة تقيم فيه جميع احتفالاتها الدينية ، وقد بنيت مئذنته على الطراز العربي الفاطمي ، وزينت محرابه وجدرانه بالآيات





مسجد السوق الكبير : ويقع في شارع الأمير داخل مدينة الكويت . وقد جددته وزارة الأوقاف العامة قبل عشر سنوات وبلغت تكاليف تجديده حوالي خمسين ألف دينار . وهو من أكبر مساجد الكويت اذ يتسع لحوالي ثلاثة آلاف شخص ، وقد بنيت مئذنته على الطراز العربي الفاطمي

العراقية الكريمة والنقوش البديعة ، وقد جددت الوزارة بناءه في سنة ١٩٥٢ م .

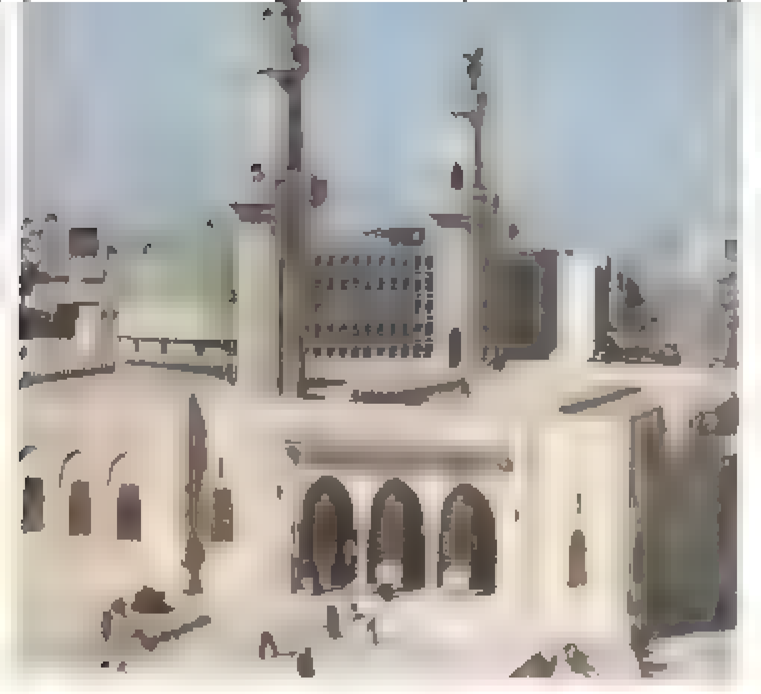
١ ـ مسجد الشملان : ان هذا المسجد من المساجد الحديثة التي بنتها وزارة الأوقاف في سنة ١٩٥٦ م .

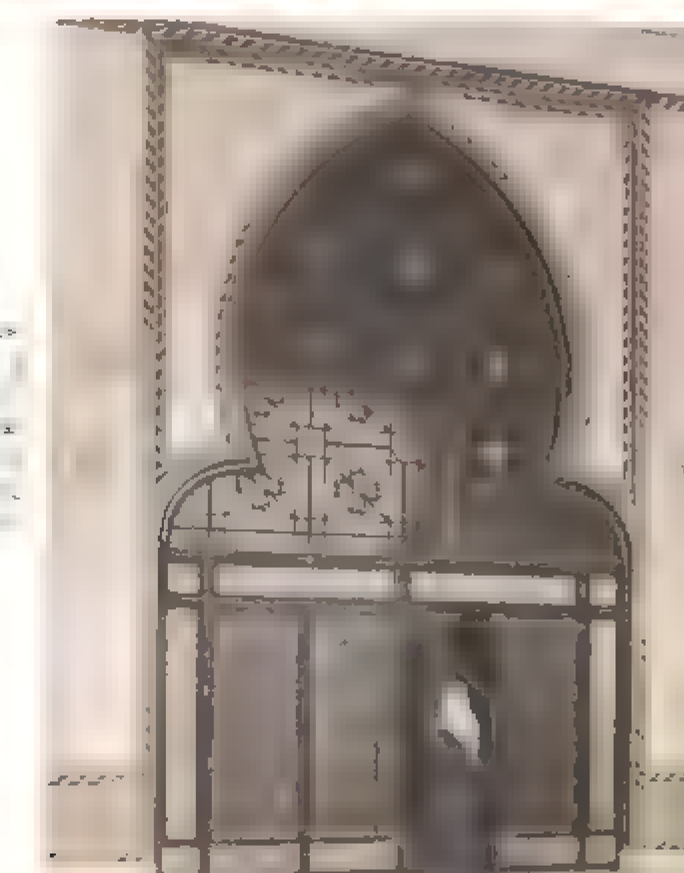
وقد روعي في بنائه الطراز العربي الفاطمي ، وقد زيد على ذلك الطراز الصافة مئذنة ثانية ، حيث أن المساجد في ذلك العصر لم تبن الا بمئذنة واحدة ، ولكن بسبب وضع المسجد في ميدان بوسط المدينة بنيت له مئذنتان لتجميله .

٢ ـ مسجد العبوان : لقد بني هذا المسجد في سنة ١٩٥٦ م ، وقد روعي في بنائه الطراز العربي المبسط ، ويمكن القول انه مشتق من الطراز الاندلسي مع بعض التغيير البسيط .

٤ ـ مسجد ضاحية الدسمة : ان طراز ساحة هذا المسجد يشابه كثيرا طراز المساجد التي أنشئت في تركيا ، وهي مقتبسة من مسجد أيا صوفيا بالآستانة ، وطرازها المعماري فريد . والجمال المعماري في هذا المسجد قائم من حيث ان سقفه وقبته لا تحملان على أعمدة اطلاقا .

هذا أحد المساجد الحديثة في الكويت ؛ ويرى في الصورة مكان الوضوء والمئذنة والنبر .





نتيجة مسابقة العدد الستين

الأسماء المطلوبة .. والفائزون بالجوائز

■ على الرغم من ان أسئلة هذه المسابقة كانت تدور حول بعض المعلومات الأولية التي يجب ان يحيط بها كل عربي ، الا ان الكثيرين ممن اشتركوا الاجابة عنها قد تخبطوا في اجاباتهم تخبطا واضحا . فاخطأ بعضهم في أسماء بعض رؤساء الدول العربية ، واخطأ آخرون في أسماء الدول التي تقع فيها بعض المدن التي كانت موضوع السؤال الثالث فقال بعضهم ان طبرق في تونس ، وقال غيرهم ان بنزرت في المغرب ، او ان فاس في الجزائر ، وان وهران في ليبيا !

مع ان الاجابة الصحيحة لهذا السؤال هي :

الظهران : السعودية . المنصورة : ج.ع.م . عطبرة : السودان . بيت لحم : الاردن . القامشلي : سورية . كركوك : العراق . طبرق : ليبيا . بنزرت : تونس . وهران : الجزائر . فاس : المغرب . الاحمدي : الكويت .

وفي السؤال الخامس خلط اكثر المشتركين في المسابقة بين امارات الخليج العربي وامارات الجنوب العربي ، فذكروا ان من بين امارات الخليج : عمان ، وعدن ، وحضرموت ، وكلها من امارات الجنوب العربي .. اما امارات الخليج المطلوب ذكر اربع منها فهي : البحرين ، قطر ، ابو ظبي ، دبي ، الشارقة ، ام القيوين ، عجمان ، الفجيرة ، رأس الخيمة . وعاصمة كل منها تحمل اسم الامارة التي هي عاصمتها ، عدا البحرين وعاصمتها المنامة ، ثم قطر وعاصمتها الدوحة .

وباجراء عملية القرعة بين الاجابات الصحيحة فاز بالجوائز كل من :

١ ـ الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا : فازت بها الطالبة فريال محمد عبد العزيز ـ متوسطة الكاظمية للبنات ـ الكرخ ـ بغداد ـ العراق .

٢ ـ الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا : فاز به علي عبد الرحمن محسن ـ ثانوية حنتوب ، داخلية ، دبيك ـ واد مدني ـ السودان

٣ ـ الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير : فاز بها خالد زعرب ـ ص.ب ١٤٥١ بيروت ـ لبنان .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، لكل منها ٥ دنانير فاز بها :

١ ـ عتيمي رشاد عتيمي : كلية الطب ـ جامعة بيزا ـ ايطاليا .

٢ ـ رشيد عبد الصمد : ص.ب ١٨٥ ـ الكويت

٣ ـ حارب مسعود : بواسطة ممثل الحاكم لشؤون النفط ، جزيرة داس ـ ابو ظبي ـ ص.ب ٢٢٠ بواسطة البحرين .

٤ ـ سميح حسن باكير : كلية الهندسة ـ جامعة الاسكندرية ـ الاسكندرية ـ ج.ع.م

٥ ـ محسن غانم : المجلس الاعلى للعلوم ـ شارع ابي العلاء ـ دمشق ـ سورية .

٦ ـ فؤاد محمد مؤمنة : زقاق الوزير ـ سوق الليل ـ مكة المكرمة ـ السعودية .

٧ ـ يعقوب يوسف كايد جبارة : للقبيبة ـ الاردن

٨ ـ سليم عوض العيشان : مدرسة ناصر الثانوية ـ غزة ـ فلسطين .

وسترسل الجوائز الى مستحقيها ■



اللغة العلمية الاولى

● [illegible] الإنكليزية هي الاكثر استخداما [illegible] في مؤتمر [illegible] [illegible] استخدمت في ٢٥ [illegible] ٢٠٥ [illegible] منها ٢٤٢ رسالة مكتوبة ، و ٢٠٥ مقالة منطوقة ..

[illegible] الاولى ١٢٠ [illegible] ١٢٧ [illegible] ٤٧ [illegible] ٤٥ [illegible] ٢٤ و ٢٤ .

[illegible] في هذه البلاد

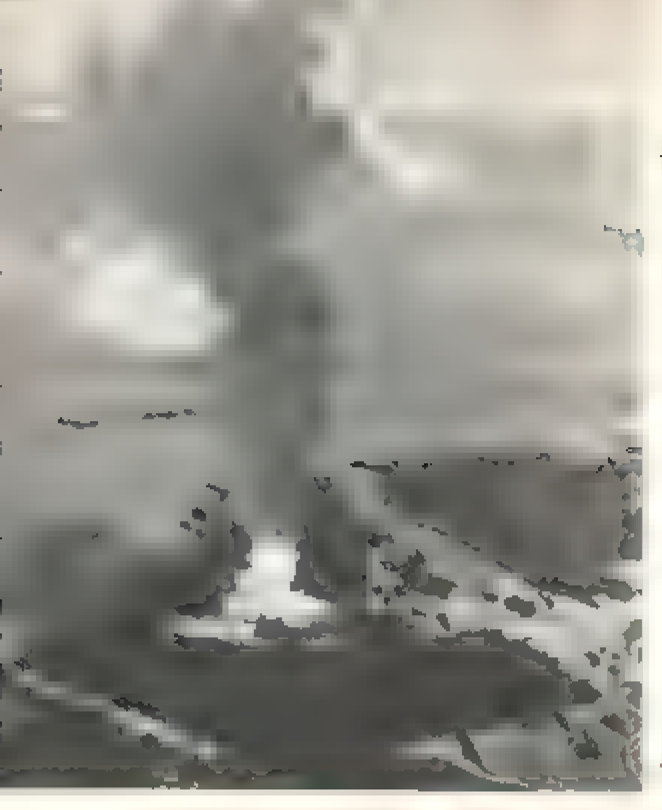
راى للمناقشة :

هل «بلوغ الصبيه» هذه الايام ، ياتي حقا ابكر مما كان؟

● هذا ما سبق ان اوردناه . ولكن قام السير هربيس ولش Walshe [illegible] السن ، الذي كان يقع عند ذلك .

[illegible] ١٧ عاما في الماضي الى ١٣ عاما في العصر الحاضر .

[illegible] بين ١٣ وبين ١٧ [illegible]



بركان هذا ؟

● لا . . ليس هذا بركان . انما هو محرك صاروخى تجرب الولايات المتحدة قوة دفعه عند اشتعاله بكلفورنيا. فهو سوف يستخدم في رفع الصاروخ «تيتان الثالث ج» الى السماء ؛ في مرحلته الاولى ، هو واحد له في مثل قوة دفعه .

ان طول هـذا المحرك الصاروخي ٢٣ مترا ؛ ووقوده ليس بالسائل ؛ وانما هو صلب من بدرة البروبلوجول ؛ وقوة دفعه بلغت ٥٠٠ طن ، ولهبه امتد ٦٠ مترا الى السماء .

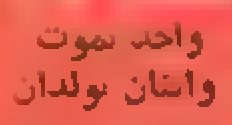
٢٧٥٠٠٠ شخص يعملون في العلم والتكنولوجيا بالولايات

● عكف [illegible]
في [illegible]
السكان عامة،او حتى زيادة عدد العمال.

[illegible]

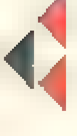
العلماء الاجتماعيون [illegible]
وخص المهندسين [illegible]
[illegible]
وخص مدرسي العلوم والرياضة ٢٥٠٠٠
[illegible]

[illegible]



واحد يموت واثنان يولدان

● نعم ، هذا ما يجرى الآن في الدنيا ، فرد يموت، مقابل اثنين يولدان .
فالى متى تظل هذه الزيادة قائمة ، وماذا يكون من امر الناس على الارض؟



الروس ، يعزفون عن بلوغ القمر ، الى حين ؟

● العالم الفلكي اللاسلكي البريطاني الشهير ، السير برنارد لفل Bernard Lovell عاد في اواخر الصيف الماضي من روسيا ، بعد ان طاف فيها نحوا من ١٢٠٠٠ ميل ، زار فيها المراصد الفلكية اللاسلكية ومحطات تتبع الاجرام الفضائية الصناعية . وهو قال عند عودته ، وقيل ان يفصح الروس عن شيء من ذلك ، ان الروس لا يفكرون بارسال رجل الى القمر ، وبهذا يتركون للامريكان امر السباق ، لا يسابقون فيه الى القمر احدا . وقال فيما قال ان العلماء الروس لا يرون انه من المرغوب فيه ، من الوجهة العلمية او سواها من الوجهات ، ارسال رجل الى القمر في المستقبل المنظور . وهم يعتقدون انهم يستطيعون ان يحصلوا على كل ما يرغبون من معلومات عن القمر بارسال الادوات الناظرة والحاسبة والمسجلة ، يرسلونها الى اجرام الفضاء بدل الانسان . ومما مثوا عليه وجهة نظرهم هذه امران الامر الاول . صعوبة وقاية رجل الفضاء من اشعاع ينطلق من الشمس نتيجة ثورة عاصفة فيها . والامر الثاني : صعوبة الرجوع برجل الفضاء مرة اخرى الى الارض .



هذا ما ارتاه العالم الانجليزي بعد عودته من روسيا . ثم حدث بعد ذلك احداث قلبت الامور ظهرا لبطن (راجع ركن الفضاء والقمر في هذا العدد) .

الماء .. الماء
حاجة الناس منه تزيد ، وموارده لا تكفي !

● العقد هو عشر سنوات . وفي العشر السنوات التي تبدأ من أول يناير ١٩٦٥ سيبدأ تنفيذ خطة عالمية لدراسة الماء العذب ، وحركته بين الجو والارض



وفي الارض اذ يجري في الانهار الى البحار ، وما يجري منه كذلك الى باطن الارض فتكون منه المياه الباطنة التي تصل اليها حفر الآبار .

ان محصول الكرة الارضية من الماء كثير ، ولكن سكان الارض يتكاثرون كل عام ، وحاجاتهم الى الماء تزداد ، في زراعة وفي صناعة ، وفي الشئون المتصلة بالصحة والتغذية عامة . وسيأتي وقت ليس بالبعيد يصبح الماء فيه عزيز المنال بالمقدار الذي تعوده الانسان .

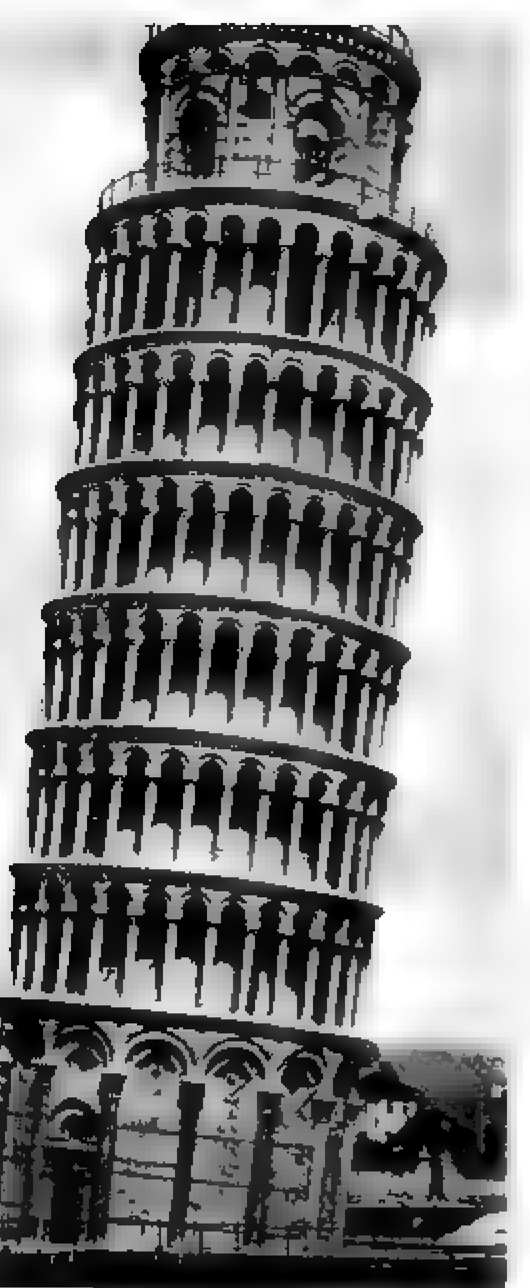
وسيقوم بهذا المسح ، وهذه الدراسة ، علماء الامم جميعا متعاونين ، وقد طلع عدد الامم المشتركة في هذه الدراسة العلمية . ومما تشترك منظمة اليونسكو ، والاتحاد الدولي للمسح الارضي والطبيعة الارضية ، وغير هذه من الجمعيات .

انفصام الشخصية بعض الجنون

● انفصام الشخصية مرض عقلي من اشد الامراض. ان المريض به ينفصم عن الحياة الخارجية ، ويعيش في نفسه في عالم خيالي من صنع نفسه . ولعل لنا في هذا المرض كلمه أطول في المستقبل.

والخبر الذي نورده هنا ان هيئة الصحة العالمية خرجت ، بعد تحقيقات عديدة ، على ان احتمال الاصابة بهذا المرض بين الناس يبلغ واحدا من مائة . فاذا كان احد الابوين مصابا به ، زاد احتمال اصابة الاولاد به فصار نحوا من ١٠ في المائة . اما اذا كان الابوان كلاهما مصابا به ، فاحتمال الاصابة تبلغ ٥٠ في المائه .

ان هذا المرض نوع من الجنون ، وقانا الله شره .



برج بيزا : احتمال انهدامه في اي ساعة

● انه البرج الشهير بمدينة بيزا Pisa بشمال ايطاليا . انه برج بدأوا بناءه في القرن الثاني عشر الميلادي ، واتموه في القرن الرابع عشر ، وهو ذو طبقات ثمانية ، يحوط كل طابق اقواس تحملها اعمدة من رخام . وهذا البرج مزار من مزارات ايطاليا الشهيرة ، يقصد اليه كل سائح في ايطاليا ليراه . والعجيب فيه ميله ، وهو مع الميل لا يسقط . ان ارتفاعه ١٨٠ قدما ، وقطره ٥١ قدما ، ومحوره مال عن الخط الراسي بمقدار ١٤ قدما . وهذا الميل لم يكن مقصودا عند بنائه . فهو مال لضعف الارض التي قام عليها .

والخبر الجديد في هذا ان الاستاذ الايطالي لمبو مرتعزيان اعلن ان هذا البرج على وشك السقوط ، وذلك لان الضغط الجانبي ، الذي يحدثه الجزء العلوي من البرج اليوم على مابيس من ارض تحته ، قد بلغ ١٠ كيلوجرامات في السنتي متر المربع الواحد ، مع ان هذه الارض المفروض فيها ان لا تحتمل اكثر من ٨ اعراممن عشرة من الكيلو الواحد .

العلم ومكانه فى الدولة

● ثورة على التقاعس عن استخدام العلم فى الصناعة وسائر صنوف الانتاج ، تقوم هذه الأيام فى انجلترا ، من حيث نموها الاقتصادي ، ذلك الذي يكاد أن تتخلف عن سائر أمم الغرب . ولقد حمل حرب العمال المعارض ، فى هذا الصدد، على حكومة المحافظين حملة شعواء . ورد وزير العلم ، اللورد هلشام ، ردا عنيفا باسم المحافظين ، فيه نقاط نافعة .

منها أن حقائق العلم الحاضرة وما يكتشف منها ، فيها اليوم الكفاية كل الكفاية لدفع التكنولوجيا ودفع الصناعة الى الامام . ولكن يجب على الصناعيين أن يطلعوا عليها ويتدبروها للاستفادة منها .

ومنها انه ليس فى الحكومة ، أية حكومة ، وزارة واحدة تستطيع أن تقوم باستخدام كشوفات العلم فى شتى المجالات الاقتصادية . فهذا الواجب لا بد أن يعم . فتقوم وزارة الزراعة باستخدام العلم فى تقدم الزراعة . وتقوم وزارة الصناعة فى استخدام العلم فى تقدم الصناعة ، وتقوم وزارة الصحة بتقدم الصحة والطب . وهلم جرا .

ومنها أن وزارة العلم انما تقوم بالتخطيط العام ، برسم سياسة العلم ، ومراقبة تطبيقه فى سائر الوزارات . والمناسقة بين خططها هذه التنمية وخطة البلاد الاقتصادية .

الحبوب المانعة للحمل

● يقول استاذ من اساتذة الاجتماع فى جامعة شهيرة ، ان الذين ابتدعوا حبوب منع الحمل بذلوا كل جهودهم العلمية فى معمل الكيمياء ومعمل وظائف الاعضاء والجهاز التناسلي وكيف يعمل . ونسوا مجالا من اهم المجالات ، ذلك المجال النفساني عند المرأة .

وهو يقول انه لا بد من دراسة الدوافع التي تنزع بالمرأة الى انجاب الاولاد ، والحد الذي تريد ان تقف عنده ، اولا تريد ان تقف .

وهو يقول ان هذه الدوافع تختلف باختلاف البيئة ، من متحضرة ، ومن متخلفة ، وبمقدار ما بها من ثقافة ، وبمقدار ما تختلف هذه الثقافات .

وهو يقول لا بد من تحضير المرأة نفسيا ، قبل أن نعلمها كيف تستخدم هذه الحبوب جثمانيا . ويجب أن نمهد لهذا الأمر فى المجتمعات الانسانية ، على اختلاف العقائد ، واختلاف العادات . ويجب أن نرد امر المنع ، منع الحمل ، لا الى ما يصيب العالم من كثرة السكان ، فهذا ما لا يهمها اكثر سكان الارض ، ولا هو يهمه ، فهو لا يباليه ، ولكن لا بد من رده الى نفع قريب ، يتصل بصحة المرأة ، وصحة ابنائها وزيادة الغذاء الذي يتوفر لها ولابنائها وزيادة الكساء والراحة المعيشية من كل وجه .

ماذا يهم امرأة فى السنغال او فى الهند او حتى فى روما ان يصبح سكان الارض خمسة ملايين او عشرين مليونا .

عقوبة تأتي بسبب اطلاق النسل ما أبعدها عن خاطر كل امرأة من نساء الدنيا .

نقد كتاب الشهر

٣ أحداث كوّنت : جيتّه أديب ألمانيا الكبير

بقلم : الدكتور محمود السمره

■ اندريه موروا André Maurois اديب فرنسي مشهور ، عرف بكتبه التي ذاعت وانتشرت من : شلي (١٩٢٣) ودزرائيلي (١٩٢٧) ، وبيرون (١٩٣٠) ، وفولتير (١٩٣٢) ، وديكنز (١٩٣٤) ، وشاتوبريان (١٩٣٨) ، وجورج صاند (١٩٥٢) ، وفيكتور هوجو (١٩٥٣) . ولاندريه موروا قصص عديدة ، وكتب في فن الحياة . كما انه ترجم لنفسه في كتابين صدرا في عامي ١٩٢٢ و ١٩٤٢ (١) .

واندريه موروا هو الاسم الادبي لهذا الاديب الفرنسي المشهور ، اما اسمه الحقيقي فهو اميل هيرزوج Herzog . وقد ولد موروا عام ١٨٨٥ ، ودرس الفلسفة . وكان في الحرب العالمية الاولى ضابط ارتباط بين القوات الانجليزية والفرنسية . وارتحل في الحرب العالمية الثانية الى الولايات المتحدة الامريكية وبقي فيها الى عام ١٩٤٦ حيث عاد الى وطنه .

ومنذ عـــام ١٩٣٨ واندريه موروا عضو في الاكاديمية الفرنسية ، وخير ما صدر عنه من دراسات « الأدب الفرنسي الحديث » (١٩٤٦) لسورات ، و « اندريه موروا » (١٩٥٢) لدروا (٢) .

★ ★ ★

واخر كتاب صدر لاندريه موروا بالانجليزية هو هذا الكتاب الذي نقدمه ، وقد صدر عام ١٩٦٠ ، وكان هذا الكتاب قد صدر قبل ذلك

---

1 - I remember, I remember , Call No Man Happy

2 - D. Saurat, Modern French Literature M. Droit, André Maurois



بالفرنسية عام ١٩٥٧ . والكتاب في ثلاثة عشر فصلا يتناول كل فصل موضوعا مستقلا . والفصل الأول دراسة للكتابة كفن وفيه توجيهات للكتاب الناشئين . أما الفصول التالية فتتناول بأسلوب رشيق ممتع جوانب من فولتير ، وجان جاك روسو ، وستندال ، وبلزاك ، وفلوبير ، وبروست ، وجيبه ، وجياكومو ليوباردي ، وتولستوي ، وتشيكوف ، ونيكولاي جوجول ، وترجينف .

والصفة البارزة في كل هذه الفصول هي انها مغرية بالقراءة ، واذا بدأ القارىء بمطالعتها لا يستطيع ان يتركها ، لان الكاتب يعرض هذه الموضوعات عرضا جذابا مشوقا . ولا ينقص من قيمة هذه الفصول ان كثيرا من المعلومات التي فيها معروفة عند الدارسين . ان اندريه موروا يتناول الحقائق المتناثرة ، فيكسبها حياة ، وخير مثال على ذلك الفصل الذي أفرده للشاعر الإيطالي ليوباردي Leopardi فهذا الفصل لا يعدو ان يكون في مادته تلخيصا لكتاب اوريجو Origo عن هذا الشاعر ، ولكن اندريه موروا يعرض هذه المادة في أسلوب رشيق ، ويسلط عليها أضواء ولمسات جديدة،بحيث تبدو شيئا جديدا ترضى به النفس اكثر من رضاها عن كتاب (اوريجو) .

* * *

وهناك صفة أخرى بادية في هذا الكتاب هي التواضع : فاندريه موروا يتناول هذه الشخصيات التي يدرسها بحنو وحب ، ويدعو القارىء الى ان يحبها ، ويبين له بطريق غير مباشرة كلاما هي جديرة بحبه واعجابه . ونحن لا نجد في هذه الدراسات ذلك التعالي الشائع عادة عند النقاد ، في محاولتهم لاظهار تفوقهم وسعة معرفتهم . كما يورد المؤلف ادق التعليقات واعمقها دون ان يقدم لها بما يوحي بانه انما يأتي بشيء جديد ذي قيمة ، كما يفعل اكثر الكتاب عادة .

والواضح من طبيعة هذا الكتاب ان من الصعب تناوله كله ، ولهذا احببت ان أقف عند فصل منه ، ذلك هو الفصل الذي يتناول فيه جانبا من حياة « جيته » اديب ألمانيا الكبير .

* * *

بحق الآن في عام ١٧٧٥ ، ولد فرانكفورت ، والفتى يوهان كسبر جيتهJohann KasparGoethe في سن السادسة والعشرين . انه فتى موهوب ، وهو يعرف هذا . يعرف منذ ان كان ابن ست سنوات انه لن يكون انسانا عاديا ، اذ يروى عنه انه قال وهو في هذه السن : « ان الهة الحظ تسير في ركابي ولن تتخلى عني » .

وكان جيته انيقا ، جذابا ، يهوى الجمال اينما وجد : في الطبيعة والإنسان . وكان الى جانب هذا ذا مزاج حاد ، ويتمتع بحيوية لا تعرف الكلل . اما المرأة فقد عاش حياته متنقلا من هوى الى هوى ، لان الحب كان عنده ضرورة لابداعه . ولهذا كانت قصص النساء اللواتي شغلن بحبه كثيرة ، ولم يكن يحس ازاء هذا بتأنيب الضمير ، وكان يقول : « ان من القواعد التي وضعتها العناية الالهية هي الا يسمح للاشجار بالوصول الى السماء » !

* * *

ومع هذا فقد احب جيته وتعذب ، وكاد في مطلع شبابه ان يقدم على الانتحار من اجل من احب : فقد تزوجت فتاته شارلوت باحد اصدقائه ، لانه رفض ان يتزوجها ايمانا منه بان الزواج يقتل مواهبه . وعزم جيته على الانتحار ، واخذ يقضي الليالي وخنجره بجانبه ، ولكنه بدلا من ان ينتحر ، افرغ انفعالاته في قصة من روائع القصص العالمي ، هي القصة الشهيرة « آلام فرتر » وجعل البطل في آخرها ينتحر لان فتاته تزوجت من غيره . وقد كان لهذه القصة دوي كبير في اوروبا كلها ، حتى اقدم كثير من الشبان الفاشلين في حبهم على الانتحار بعد قراءتها . اما جيته فقد شفته هذه القصة من حبه ، لانه افرغ فيها كل عواطفه ، وقد قال بعد

الفراغ منها : « لقد تألمت كثيرا ، ولكن الألم كان كالنسمة التي أصلحت نفسي ، وأثارت مواهبي .. وها أنا أعود كما كنت ، سليما معافى » .

★ ★ ★

وقد نشأ جيته في عصر كان الأدب الرومانسي في أوجه ، وهو أدب ثائر على المجتمع القائم ، ثائر على الأدب الكلاسيكي الملتزم بالعقل ، مؤمن بالنفس البشرية ، بما فيها من صخب وعنف ، وقد جعل هذا الأدب همه الكشف عن أعماق هذه النفس . وكان جيته ، وهو في سن السادسة والعشرين ، رأس هذه المدرسة الأدبية ، ومن المؤمنين أن باستطاعة الإنسان القوي أن يشكل هذا العالم كما يريد .

وقد بعث جيته المتمرد الثائر الخوف عليه في نفوس أصدقائه ومحبيه ، حتى قال صديقه لافاتر Lavater : « إن جيته كتلة من العنف ، والأحاسيس المرهفة ، والخيال الخلاق ، ولكنه يبدو وكأنه يمتطي ظهر نمر زخار قد يقذف به على الصخور في أية لحظة ، ويحطمه . وكان جيته يدرك هذا في نفسه فقد قال : « إنني أحس بنفسي في خضم الحياة ، كموج البحر الهائج الذي يلقي بنفسه على الصخور بعنف » .

هكذا كان جيته في عام ١٧٧٥ ، وهو في السادسة والعشرين .

وكان من الممكن أن تعصف هذه الثورة العاتية بهذا النبوغ الفذ قبل الأوان ، لو لم تتول العناية الإلهية ابنها الأثير بالرعاية ، وتضع في طريقه فتاة وأميرا ، وسيدة .

★ ★ ★

أما الفتاة فهي آنا اليزابيث شونمان Schoenman ابنة أحد أصحاب البنوك في فرانكفورت ووريثة ثروته الطائلة . وقد عرفت في أشعاره باسم ليلي Lili . التقى بها عام ١٧٧٥ وشهرته تملأ أوروبا بعد نشر « آلام فرتر » ، وقصائده على كل شفة ، والصالونات الأدبية تسعى إلى اجتذابه ، ولكنه يترفع عن تلبية دعواتها ، حتى لا تجرفه تفاهات المجتمع . وكلما ازداد بعدا ، اشتد بالناس حب الاستطلاع لمعرفة سر هذا العبقري . ولكنه كان أحيانا ودون ترتيب سابق ، يفاجئ أحد هذه الصالونات بزيارة قصيرة ، ثم ينسل ليترك الناس أكثر حيرة من ذي قبل .

وفي إحدى هذه الزيارات المفاجئة التقى بآنا اليزابيث ابنة السبعة عشر ربيعا ، الباهرة الجمال ، ذات العينين الجميلتين البريئتين . كانت تعزف لحنا موسيقيا ، فلما رآه نظرت إليه ، ووقف أمامها لا يستطيع أن يحول نظره عنها ، فكان حبا من النظرة الأولى .

وتكررت زياراته لها في قصرها ، وباحت له بمكنون قلبها . قالت له :

« عندما نظرت إليّ تلك اللحظة قرأت في عينيك الحب ، فتصورت أن بإمكاني أن أحبك بشهرتك وبريقك وشبابك . ولكن الله عاقبني بأن جعلني أسيرة هواك »

أحب جيته آنا اليزابيث حبا جارفا جعله لا يطيق البعد عنها ، وكانت — وهي الوارثة الغنية — تعيش وسط دوامة من النشاط الاجتماعي : حفلات ، ورقص ، وصالونات أدبية ، وانطلاق في الطبيعة .

وهكذا أهمل العبقري المتوحد النافر للمجتمعات ، وأصبح من أجلها عضوا نشيطا فيها .

وقد أدرك جيته هذا في نفسه ، فكان يكتب لأصدقائه ، واصفا هذا التحول ، معجبا به ، مندداً بوحشيته الماضية .

وقد عاد حب هذه الفتاة على جيته بفائدة كبيرة ، فقد هذب هذا الحب من نفسه الثائرة المتحللة من كل القيود ، ومشكلاتها ، ودفعه إلى المجتمع الإنساني ليعرفه على حقيقته .

واستبد به الهوى ، حتى عرض على الفتاة الزواج ، وتمت خطبتهما على الرغم من معارضة

أهلها الأثرياء ، ومعارضة أهله الذين كانوا يرون في الزواج فساداً على ميوله .

ويبدو أن الشيطان المستقل لمفيستوفيلس جيته، ظل به يرتجف رعباً من تصور نفسه وقد استقر في قصر مترف يحيط به الإبتذال ، والزوجة ، والحياة الرتيبة الثقيلة .. وثارت نفسه ، وحاول التخلص دون أن يسيء للفتاة التي أحبها . كتب إلى صديق واصفاً حالته النفسية فقال : « إنني مشدود إلى هذه الطفلة الجميلة البريئة برابطة الملائكة ، وهذه الرابطة تبعث الشقاء في نفسي لأنها تأسرني ، وتحيلني إلى طفل ، وتسلبني حريتي لست أستطيع الفكاك ! »

وقد استطاع ذلك أخيراً : فقد هرب منها ، ومن حبها ، ومن فرانكفورت كلها ، ليكون الوزير الأول لدوق فيمر Weimar . ولكنه هرب بعد أن أصبح الإنسان الاجتماعي وتخلص من وحشية شبابه .

* * *

ارتحل جيته ليكون الناصح الأمين لدوق فيمر شارل أوغسطس ، الشاب ابن الثامنة عشرة ، الذي ورث الحكم عن والدته النبيلة . وكان هذا الشاب ذكياً ، راغباً في الإصلاح ، عاشقاً للعلم والمعرفة ، التقى بجيته فأعجب به إعجاباً فاق كل حد . وأرسل إليه عربته الملكية لتنقله إليه . ولو لم تكن نفس جيته قد تهيأت بالتحول الذي طرأ عليه بسبب حبه لآنا اليزابيث ، لما قبلت بمثل هذا المنصب الاجتماعي والسياسي الخطير .

وقد عاد اتصال جيته بشارل أوغسطس على دوقية فيمر الألمانية بفائدة دونها أي فائدة ، فقد اكتسبت من اسم جيته شهرة طبقت أرجاء أوروبا كلها . والدليل على الدور الفكري الذي لعبته هذه الدوقية الصغيرة أثناء وجود جيته فيها ، ما كتب عن هذه الفترة من كتب متلاحقة . وما زالت فيمر تحت ظل جيته موضوعاً محبباً إلى نفوس الكتاب حتى هذه الأيام .

والثابت أن جيته قد قضى سنواته الخمسين في هذه الدوقية ينعم بالسعادة ، وفيها اكتملت عبقريته ، وهو نفسه يعترف بأن جو فيمر الذي هيأه له الأمير شارل أوغسطس كان من العوامل الكبرى التي أعانته على الإبداع . وهو نفسه الذي كان يؤمن منذ طفولته بأن آلهة الحظ تسير في ركابه ، كان يؤمن أيضاً أن العربة الملكية التي نقلته من هيدلبرج ، بعد هربه من فرانكفورت ، إلى فيمر ، لم تكن غير عربة حظ أرسلتها إليه آلهة الحظ التي آمن بها منذ طفولته .

كان شارل أوغسطس وهو أصغر من جيته بثماني سنوات ، محباً للشعر ، والعلوم ، والفنون ، حريصاً على تحقيق العدل في إمارته . وكان لجيته تأثير كبير فيه : فهو الذي صاغ له عقله في القالب الذي يريد ، وهو الذي وجهه حتى جعل من فيمر مركز الفكر والإشعاع في كل أوروبا . وأصبح جيته الرجل الأول في الإمارة ، فعلاً ، وإن كان الثاني اسماً .

وقد أفادته هذه التجارب المتنوعة في أدبه ، ووسعت من أفقه : فهو بحكم وظيفته مضطر لدراسة العلوم ، ومشاكل التعدين ، وطبيعة الحيوان من أجل تحسين نسل المواشي . كما كان مضطراً أيضاً للاهتمام بالزراعة ، وشق الطرق ، وتوجيه المسرح الوجهة الفنية الصحيحة، وتدريب الجيش ، وإصلاح القوانين . هنا في فيمر تألق جيته كأديب من أعظم أدباء العالم ، وكمصلح قل له نظير في دنيا الواقع .

* * *

ووراء جيته في فيمر كانت هناك سيدة تهيء لعبقريته الانطلاق والتحليق ، تلك هي شارلوت فون شتاين Stein ، زوجة رئيس الحرس . ويصف الدارسون هذه السيدة بأنها كانت عاقلة حكيمة ، نبيلة الخلق ، مرهفة الأحاسيس عميقة التدين ، أحبها جيته لأن وجودها كان يبعث في

بلسه سلاما وطمأنينة . اما هي فقد اسعدها ان يختارها جيته من بين كل النساء ، وسمحت له ان يزورها في قلعتها كل يوم .

ولقد وصف جيته حبه لها وصفا جميلا : فشبه نفسه بالسيل العرم المتدفق من قمم الجبال ، حتى اذا حط في البركة الهادئة طغى هدوء البركة على عنف السيل ، فكأن البركة الهادئة تبتلع السيل العرم. وهكذا كانت هي بهدوئها ، وصفاء روحها ، تسلبه ما فيه من تمرد وثورة . فلقد علمته كيف يضحي بالجسد في سبيل الروح .

وهذا الصفاء الذي نعم به جيته مكنه من ان يبدع اروع الاشعار .

★ ★ ★

هذا هو جيته اديب المانيا الكبير، اختاره القدر ليكون احد نوابغ العالم ، ومهد السبل امام عبقريته لتتفتح وتبدع : فارسل اليه في شبابه فتاة فيها براءة الطفولة لتجره الى المجتمع الانساني وهو المتوحد المتمرد ، ووضعه في طريق امير اعجب به فهيأ له كل ظروف الابداع في ميدان الادب والاصلاح ، ورماه بامرأة علمته ان صفاء الروح مقدم على ملذات الجسد . والقدر اذا اراد ان يبدع انسانا فذا هيأ لذلك الاسباب .

محمود السمرة



أخبار الغناء والمغنين في الأندلس

(١٣٨ ــ ٥٣٩ هـ) : الدكتور احسان عباس
بيروت

● بحث مدعوم بالمصادر يتناول : الغناء في الاندلس قبل زرياب ، زرياب والغناء في الاندلس، الغناء بعد زرياب ، الغناء في عصر امراء الطوائف والمرابطين ، الاندلسيون والغناء ، الصلة بين الغناء العربي وغير العربي .

الهندسة والمهندسون

تأليف هارولد كري ــ ترجمة محمد توفيق محمود ــ دار الفكر العربي ومؤسسة فرنكلين ــ القاهرة

● يشرح من هو المهندس ، واين يتلقى دراساته وكيف يتم تدريبه ، وما هي الاعمال التي يقوم بها المهندس . ويشرح فيما يشرح تصميم الآلات الجديدة ، وبناء الطرق ، وانشاء العمارات ، وتخطيط المدن .. الخ

الطب الحديث

مارجوريت كلارك ــ ترجمة الدكتور محمد ظاهر
دار الفكر العربي بالقاهرة ومؤسسة فرنكلين

● « المؤلفة من كبار الكتاب الذين تخصصوا في تحرير انباء العلوم الطبية بصفة خاصة .. وهذا الكتاب يضم انباء التقدم الهائل في ميدان الطب في السنوات العشر الاخيرة لتكون في متناول جمهور القراء من غير المشتغلين بمهنة الطب » .

تاريخ المغرب الكبير (الجزء الثاني)

محمد علي دبوز ــ البابي الحلبي بالقاهرة

● كتاب قيم يتناول الفتح الاسلامي للمغرب حتى نهاية الدولة الاموية فيه . من فصوله . غزوة عقبة بن نافع ، بناء القيروان ، ولاية حسان ابن النعمان على افريقية وفتوحه، اسباب صعوبة فتح المغرب ، نشأة ولاية المغرب الاسلامية وتنظيم حسان لها ، ولاية موسى بن نصير ، فتح الاندلس، طارق بن زياد ، الاسباب النفسية لثورة البربر على الامويين ... الخ .

نماذج بشرية من العصور الوسطى

ايلين يبور ـ ترجمة محمد توفيق حسين
مؤسسة فرنكلين ودار الثقافة ـ بيروت

● « كتاب يؤرخ للحياة الاجتماعية في القرون الوسطى بمختلف جوانبها ، ونواحيها ، ويصور حياة الطبقات المختلفة تصويرا مطبقا لنصوص الوثائق » .

ما اقل الثمن

محمود سيف الدين الايراني

● مجموعة من القصص القصيرة فيها : القطار منتصف الليل ، الحب الاول ، الاعرج ، علبة الزجاج ، نحو النور ، ما اقل الثمن ، امرأة ، الرجل الطيب ، انسان لا جريرة له ، اقوى من الموت ، الجارة الحسنة ، لماذا يغضب البحر ، الافعى ، الحاج مصطفى ، زنجي في باريس .

صغير واسرته

تأليف لويز لنسكي ـ ترجمة نفيسة جوهر ـ القاهرة

● كتاب للطفل المبتدىء في القراءة . صوره كثيرة ، وكلامه قليل . والصور تصور الاسرة في عملها ولهوها كيف تكون ، وكيف يسود التعاون والتفاهم افرادها .

هكذا يشتغل التلفزيون

تأليف جين بومرت بندك ـ ترجمة زكي عبدالمجيد
مكتبة الجوادي ـ بغداد

● وهو يبدأ بالتلفزيون من بداية العرض التلفزيوني في الاستديو الى نهاية عملياته في غرفة السيطرة الرئيسية .

السكان والسياسة الدولية

تأليف فيليب هوسر ـ ترجمة الدكتور
جميل حسن خليل ـ القاهرة

● كتاب يعالج ما تثيره كثرة السكان من مشاكل سياسية واقتصادية واجتماعية كثيرة ، ويتناول السياسات السكانية التي تشكلت في الشرق والغرب .

ابك يا بلدي الحبيب

الن باتون ـ ترجمة جورج طرابيشي ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق

● كتاب يروي قصة الصراع بين البيض والسود في جنوب افريقية . « وقد بذلت فيه جهدي الكشف عن جانبي هذه المشكلة الانسانية : خوف الانسان الابيض الاقل عددا في القارة السوداء ، وشقاء الانسان الاسود الذي انتزع من عشيرته ، ودفع الى عالم جديد لا يروح منه سوى كده » .

كيف تكون رائدا ناجحا

تأليف كنيث ولز ـ ترجمة سيد عبد الحي مرسي
كتاب رقم ١ من « سلسلة دراسات سيكلوجية ـ كيف نقيم الاعمال » ـ القاهرة

● يصف كيف يكون الانسان في المجتمع الانساني ، قائدا في مجموعة ، وتابعا في مجموعة اخرى . فهو يبحث الصلة بين القيادة والتبعية . وما شابه ذلك في مدرسة ، وأسرة ، ومصنع ، ونقابة ، وامة .

تنمية الثقة بالنفس

تأليف جلبرت ريد ـ ترجمة الدكتور محمد أحمد النتام ـ من سلسلة دراسات سيكلوجية رقم ٥١ القاهرة

● يبين المؤلف اسباب ضعف الثقة بالنفس ، كما يناقش معالجة مواطن هذا الضعف بحسب عرضها .

تدريب قادة الجماعات

تأليف جمعية تعليم الكبار الامريكية ـ ترجمة الدكتور محمد صلاح الدين اسماعيل
كتاب رقم ٢ في « سلسلة العلاقات الانسانية » القاهرة

● كتاب يدرس موضوع القيادة في المجتمع الديمقراطي ، ويبحث أحسن الطرق لاختيار القادة وتدريبهم وطبقا لما للقيادة اليوم من اثر بالغة تتصل بمستقبل الانسانية من حيث سلام ورفاهية او حرب ودمار .

خمر وشعر

سامي الكيالي — حلب

● يعرض القسم الأول لرأي الجاحظ في الخمر، ثم تلي هذا قصائد ومقطوعات من الشعر العربي في الخمر منذ العصر الجاهلي الى القرن العشرين.

إنجازنا التربوي منذ الاستقلال

كتابة الدولة للتربية القومية — تونس

● كتاب في ثلاثة أقسام: إصلاح التعليم ووضع نظام تربوي جديد، التخطيط العشري للتعليم وإحصائيات تربوية، وملاحق وملحقات.

علم الأحياء الدقيقة

تأليف ويليام بوون سارلز وثلاثة علماء آخرين ترجمة دكتور صلاح الدين طه وأربعة زملاء له آخرين — القاهرة

● كتاب يشرح حياة هذه الأحياء الصغيرة وعلاقتها بحياة النبات والحيوان والانسان. وهو مذيل بمعجم للمصطلحات الانجليزية ومقابلها المصطلحات العربية.

كيف نرقب السماء

تأليف فرنكلين برانلي — ترجمة الدكتور محمد جمال الدين الفندي — مكتبة نهضة مصر ومؤسسة فرنكلين — القاهرة

● يبحث في مبادئ علم الفلك ويضم عددا من التوجيهات الواضحة ما يمكن من تصميم آلة تمكن من رصد الكواكب، ويسير بالقارئ خطوة خطوة حتى يستطيع تصميم المزاول وغيرها من أدوات الفلك. وفيه بيانات عن الشمس والقمر والكواكب والنجوم.

غاريبالدي، أبو إيطاليا الحديثة

تأليف ماريا دالبورت — ترجمة علي أدهم — القاهرة — العدد السابع من « معالم الطريق »

● كتاب يعرض شخصيات واحداثا غيرت مجرى التاريخ. وغاريبالدي، على ما هو معروف، هو موحد ايطاليا، تلك التي كانت ممزقة دويلات. فموضوعه من الوجهة العربية يرمز الى معنى خاص جليل.

التفكير التأملي

تأليف جوردن هلفش وفيليب سميث — ترجمة السيد محمد العزاوي والدكتور خليل إبراهيم شهاب — القاهرة

● الكتاب يبحث في التفكير التأملي، بحسبانه طريقة ومنهجا لكل من أراد أن يواجه مشكلاته كالمهندس والمحامي والطبيب والعامل، وكل ذي شخصية قيادية صغيرا كان أو كبيرا. وهو بهذا مرجع في فلسفة التربية وطرق التدريس عامة.

المسبوكات

تأليف ف. ت. مرلد — ترجمة الدكتور محمد زكي عمر — القاهرة

● إنه كتاب في سباكة المعادن، والسباكة جزء أصيل من صناعة اليوم. والكتاب يعطي صورا مفصلة عن العملية نفسها، وهو يفيد المهندس المختص، وكل مهندس، والعامل. وفي نهاية الكتاب قائمة بالمصطلحات الانجليزية، ومقابلها في العربية، وهذا كسب للغتنا كبير.

رحلات كريستوفر كولمبس

تأليف كريستوفر سيبوري — ترجمة رجالي نجيب عطار — القاهرة

● كتاب يصف الرحلات الاربع التي قام بها المكتشف الشهير، وما لقي فيها، وعلى الأخص ما لقي بعد عودته منها من السجن وما وضع في يديه من أغلال. هذا الرجل هو فاتح الباب الأول الى هذه المدنية الأمريكية المارجة المعاصرة.

مرجع في صناعة النماذج

تأليف الكسندر ف. هاتل — ترجمة زكي راضي ومحمد عبد الفتاح القناص — القاهرة

● كتاب يبحث في صناعة النموذج الذي عليه يشكل الشيء المصنوع المسبوك. وصناعة النماذج علم بذاته. والكتاب بالطبع للرجل المختص من مهندس أو عامل. وبذيل الكتاب مصطلحات مستخدمة في هذه الصناعة. وهذا تقليد جديد جرت عليه مؤسسة فرانكلين، صاحبة هذا الكتاب، خدمة للغة العربية والعلم، ولا سيما في هذا الدور الذي يتجه فيه العرب الى تصنيع بلادهم.



لا يكون نبذه ذنباً عند الله :

● المأساة التي أطرحها عليكم اليوم ليس لها شبيه . إنها مأساة رجل أهمل زوجته وأولاده ليشبع غريزته الجنسية على صورة غير مشروعة ، حتى لقد باع كل ما يملك ، بما في ذلك البيت ليهبه لدى صديق له ، وأخيرا طرد من وظيفته شر طردة !

من كتب إليكم هذه الرسالة وأنا أطأطئ رأسي خجلا . فهذا الرجل هو أبي ، والذي يدعو إلى التعجب ، بل إلى العار ، هو أنه مصاب بالشذوذ الجنسي ، مع أنه باعتباره مدرسا كان ينبغي أن يكون أمينا على أولاد الناس . فضلا عن أن أمنا أصغر منه سنا ، وقد كانت في شبابها على جانب من الجمال غير قليل .

ولقد استبد به داؤه إلى حد أنه كان ينفق كل راتبه على الصحبة والغلمان المنحرفين ،

كذب المنجمون ولو صدقوا

يوم القيامة : متى هو ؟!

● هل صحيح أن بعض الرهبان والرهبان يستطيعون التنبؤ بنهاية العالم من عبارات وعلامات وردت في الكتب المقدسة ؟ وهل صحيح أن بعض الفلكيين يستطيعون ذلك بحساب الطوالع والنجوم ؟

القاهرة — محمد أنور عادل

— المسلم به أولا أن « علم الساعة » من العلوم التي اختص الله بها نفسه .. أما العلامات فقد وردت في كل الكتب السماوية، ولكن المهم توقيتها فالتوقيت الذي في هذه الكتب يختلف عن مقاييسنا في التوقيت .. وفي القرآن الكريم « أن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » و « في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ». وغير ذلك من الآيات.

ومن الغريب أن واحدا أثار ضجة في أمريكا سنة ١٨٢٦ ، إذ تنبأ بأن العالم ينتهي في ٢ ابريل ١٨٤٣ ، وشغل الرأي العام الأمريكي — لا سيما في نيو انجلند — حوالي ١٤ سنة . فقد كان ليقدم قوي الحجة والبرهان. وقد درس التوراة دراسة دقيقة خرج منها بهذا التحديد ، واستطاع أن يقنع الآخرين ، لا سيما وأن بعض العلامات التي حددها للساعة — كرات من النار في السماء ، وزلازل ، وثورات في أرجاء العالم — ظهرت فعلا. وعندما اقترب الوعد الذي حدده، قصد الأمريكيون إلى المرتفعات وإلى المقابر ، وراحوا ينتظرون .. وحرق كثير منهم ممتلكاتهم .. والبعض على

ثم استلبها إلى أثاث البيت قبلهم ، بينما في ذلك الفراش الذي كنا ننام عليه … ولولا … من الأكبر كان يكفي لتعليمي ولإعالة أمتي السكينة لم وجدت ما … به … ولك … من دراستي الثانوية بسبب العمل بوظيفة متواضعة ، لأتعاون مع أخي الأكبر على القيام بواجب أمتنا ، ولكي أخفف عنه عبئه ولو قليلا .

وقد حاولت أن يردع هذا الوالد من فيه … فلم … ولم … مسالمة وشفقت اضطررنا لأن نترك له البيت … وحي … … ومركز … الذي يعيش فيه … وأصبح … في وجهه بعد الذي عمله … وحتى طرد من وظيفته شر طردة !

نحن الآن مسترضعون من تلك المشاعر المؤذية التي كانت تطالعنا كل يوم ، وإن كان مجرد انتسابنا إليه … لكن هناك شيئا واحدا … ويؤرق ضميرنا أن … ذلك هو خوفنا من عقاب الله إذا ما أصررنا على … والدنا وعقوقه ؟

فهل يغفر الله لنا هذا العقوق ؟ أم أننا مطالبون بالبر به رغم كل ما يرتكبه في حقنا وفي حق الله والدين والمجتمع !

الابن الحزين « ع »

— إذا كانت عقوبة الزنا في الشرع هي الجلد مائة جلدة أو الرجم حتى الموت ، فاعلم أن عقوبة ما يأتيه والدكما من شذوذ أشد وأنكى بإجماع الفقهاء ..

وإذا كان الله قد أوجب علينا طاعة الوالدين والبر بهما والإحسان إليهما ، فإنه سبحانه لا يرضى أن يكون لمثل هذا الأب أي حق على أولاده ، إذا كانوا استنفدوا كل الوسائل في ردعه ، وخاصة بعد أن ذهب في غوايته إلى حد بيع أثاث بيته وفراشه لينفق ثمنهما على الصبية والغلمان ، وهو الظلم المفروض أن يكون قدوة حسنة لغيره من الناس .

ربما يقول قائل إنه بعد أن فصل من وظيفته فقد حق على ولديه أن ينفقا عليه ، لكن لا الشرع ولا القانون ولا العرف يرضى أن يشقى الأبناء ليستولي الأب على ثمرة كدهم كي ينفقه في معصية الله !

هذا هو حكم المنطق .. أما حكم الشرع فنتركه لرجال الدين ، إن كان لديهم ما يفتون به في هذه المسألة خلاف ذلك .

في النفوس إلى حد الانتحار . ولما لم يحدث شيء في ١٨٤٣/٤/٣ ، زعم النبي — وكان يدعى « وليم ميلر » — أنه أخطأ في التقويم الذي اتبعه لحساب الموعد ، وحدد التاريخ الصحيح ١٨٤٤/٣/٢١ . ومرة أخرى هاجت مخاوف الناس ، ثم لم يحدث شيء . فعاد وحدد التاريخ ١٨٤٤/١٠/٢٢ . ومن العجيب أن عدد الذين صدقوه ازداد . وجاء ذلك اليوم ولم يحدث شيء ، اختفى ، ولا يدري أحد ماذا كان مصيره .

ومنذ بضع سنوات قامت ضجة مماثلة في إيطاليا أثارها أحد رجال الدين هناك ، فخرج الناس من بيوتهم أفواجا إلى قمم الجبال ، ثم مر اليوم الذي حدده لقيام القيامة دون أن تقوم !

وحقا « كذب المنجمون ولو صدقوا » !

التحكم في جنس الجنين لا سند له من العلم حتى الآن !

● كثيرا ما يتساءل المتسائلون : ألا يمكن التحكم في جنس الجنين ؟ ويكون الجواب دائما « لا » !

أما أنا فأقول « نعم » .. أقولها بعد طول تفكير وتجارب طيلة أربعين سنة ، ومع أناس كثيرين ممن استلزم … ومتاويتهم لمن يريد أن يسأل ، وإن كنت لم أصل بعد إلى التعليل العلمي لهذه النتائج .

إن هذه النظرية تجعل من السهل التحكم في الجنس من أيسر طريق ، فيما هذا العمل

الأول فلا حيلة لنا فيه ، فهو أساس النظرية ونقطة الانطلاق فيها ..

فالمرأة تستعد للحمل غالبا بعد الحيضة الأولى التي تأتي بعد الرضاع أو أثنائه . فاذا وقع الحمل بعد الحيضة الأولى كان المولود أنثى ، واذا وقع بعد الحيضة الثانية كان المولود ذكرا ، واذا وقع بعد الثالثة كان المولود أنثى ، وبعد الرابعة كان ذكرا ، وهكذا ..

هذه التجارب أجريتها مع كثيرات : مع زوجتي ومع أقربائي ومعارفي وكثيرين من أهل بلدي طرابلس، فكانت النتائج دائما تثبت صدق نظريتي، ولو كان للزوجين ٧ بنات او اكثر !!

وما أظنكم تنكرون أهمية هذا الحدث العلمي فيما لو ثبتت هذه النظرية .. فما قولكم ؟

طرابلس — محمد كامل البابا

ـ كل ما نستطيع ان نقوله ان هذه النظرية لا سند لها قط من العلم حتى الآن ..

واوراق اليانصيب : ما حكمها؟

● اطلعت في العدد الأخير من مجلة « العربي » الغراء على البحث القيم الذي نشرتموه عن الربا ، وأود استكمالا للبحث الفقهي عن ربح أوراق اليانصيب ، هل هو من الربا المحرم والكسب غير المشروع ؟!

ثم ما هو حكم الشرع في الجوائز التي تصدرها بعض الشركات التجارية لتشتري بضائعها بطريق الاقتراع ؟!

الكويت — أحمد محمد صالح

ـ للأستاذ الإمام محمد عبده فتوى معروفة في أرباح اليانصيب التي تصدرها الهيئات والجمعيات لأغراض خيرية ، وتقول الفتوى ان هذه الأرباح ليست رباء فهي حلال لا حرمة فيها .

ونظن ان هذا الرأي يمكن ان ينسحب على الجوائز التي تصدرها المحال التجارية او الشركات على بضائعها لترويجها . على ان هناك من يقول ان هذه وتلك لا تخرج عن كونها نوعا من المقامرة المحرمة . ولسنا نرى في ذلك مقامرة او تحريما . فأنت في هذه المحلات تشتري ما تشاء وتدفع ثمنه جزاء وفاقا . اما الجائزة فغير فائض ، بمثابة الشكر على التشجيع ، يصيبك او يصيب غيرك .

نابليون .. وذات النطاقين

● (١) متى ولد نابليون بونابرت ؟ ومتى توفي ؟ وما هي المعارك التي خاضها ؟ وهل صحيح انه لم يهزم قط ؟

(٢) من هي ذات النطاقين ؟

مع شكري العميق .

شيخة ابراهيم الجناحي
العديلية ـ الكويت

ـ ولد نابليون في كورسيكا عام ١٧٦٩ .

وتوفي عام ١٨٢١ .

من أشهر حملاته تلك التي وجهها الى ايطاليا عام ١٧٩٦ ومصر عام ١٧٩٨ وفلسطين في نفس السنة ، ثم روسيا عام ١٨١٢ .

ليس صحيحا انه لم يهزم قط .

فقد أخفق أمام أسوار عكا .

واضطر الرجوع من روسيا مكسورا .

وانهزم أخيرا في واترلو .

ثم نفي الى سنت هيلانة ، وفيها توفي .

اما « ذات النطاقين » ، فهي السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق ، صاحب رسول الله في الغار . وقد نشرنا عنها مقالا بالعدد ١٥ من « العربي » فارجعي اليه ان شئت .

جائزة تنتظر صاحبها

● فاز السيد نبيل فتية باحدى جوائز مسابقة العدد ٦٠ من « العربي » فارسلت وزارة المالية بدولة الكويت صكا مسحوبا على ليودز بنك ليمتد ـ لندن ، بالعنوان الذي ورد في اجابته (بلتنغ سبلتند بنابولي ـ ايطاليا) ولكن الصك أعيد لعدم وجود صاحبه بالعنوان المذكور .

نرجو منه ان يوافينا بعنوانه الحقيقي والا ضاع حقه في الجائزة .

حذار من الذئاب !

● اني اقرأ مجلة «العربي» المحبوبة بانتظام، واعمل دائما على نشرها بين صديقاتي وزميلاتي واقرأ باهتمام وبهجة ركن «انت تسأل ونحن نجيب» فلما تلوت رسالتكم بعنوان : «أيتها العذارى.. حذار من الذئاب» ثارت مواجعي وركبتني الهموم، وجئت أعرض عليكم مشكلتي واستشيركم فيها..

فأنا فتاة جامعية، بي رجل نتبادل معا شعور الصداقة، ونتنزه معا، ونتداول بيننا الأحاديث بكل أدب وحشمة، لكنه لم يفاتحني بحبه، مع أني احبه كثيرا، وأتمنى لو جمعنا رباط الزواج المقدس. ولست أكتمكم أني ما كنت أفرغ من قراءة ما كتبتم عن «الذئاب» حتى ساورتني شكوك أن يكون ممن يستخف بصداقتي، وليس له من ورائها هدف سوى تمضية أوقات الفراغ ؟

كيف أستطيع معرفة حقيقة نواياه ؟ أأصارحه بحبي ؟ أم أقطع صلتي به ؟ أشيروا عليّ بما أفعل، وشكرا.

طب   س . أ . س

— إياك أن تبدئي أنت بحديث الحب.. ولكن أقلّي من مقابلتك إياه، والخروج معه، فإن كان فتى عابثا انصرف عنك الى غيرك، وإن كان رجلا فاضلا، فسيسعى إليك، وبمقدورك أن تفهميه بأن الناس بدأوا يتحدثون عنكما، وأن حديثهم سيؤثر لا ريب على سمعتك كفتاة، خاصة وأنكما لستما مرتبطين بخطبة أو زواج.. وبهذه الطريقة تفتحين له باب الحديث في الزواج إن كان يفكر فيه، وإلا.. فمرة أخرى «حذار من الذئاب»!

أسعار «العربي» لم تتغير
ولكنه خطأ مطبعي غير مقصود

● مجلة «العربي» من أكثر المجلات المحبوبة عند القراء، ودليل ذلك أنهم يحجزون نسختهم من عند البائع قبل أول كل شهر ليقرأوا مقالاته الشيقة والاستطلاعات الحافلة بالصور الملونة الجميلة التي تنقل صورة واضحة من الوطن العربي، وآخرها استطلاع صنعاء الذي ذكر لنا أخبارا عن اليمن لم نكن نعرفها نحن أبناء اليمن نفسها.

إنكم بهذا العمل الجليل قد أكملتم رسالة العربي السامية في تعريف العرب ببعضهم.. لأن كل قارئ عربي أصبح يستطيع بفضل استطلاعاتكم أن يتعرف على الوطن العربي كله لهذا وأقبل على اقتناء نسخ العربي شهريا..

وأخيرا أريد أن أسألكم سؤالا : لماذا رفعتم سعر «العربي» من ٢ر٠ شلن الى ٢ر٥ شلن في اليمن ؟ هل هدفكم هو زيادة الربح من أبناء الجنوب ؟

وهل تعلم ادارة «العربي» أن العدد رقم ٨٨ قد بيع بسعر ١٠ شلنات في عدن مع أن ثمنه ٢ر٠ شلن !

منصور احمد حزام الصمادي
الروضة ـ علا ـ عدن

— شكرا يا سيد احمد على اعجابك الذي نعتز به. أما مسألة زيادة السعر، فلم يخطر ببالنا أن نزيد من أرباحنا على حساب أبناء الجنوب. ولعلك قد لاحظت أن ما حدث كان خطأ مطبعيا تلافيناه في العدد التالي مباشرة.. أما عن بيع «العربي» في السوق السوداء بعشرة شلنات فهذا أمر عائد الى القارئ الذي نرجوه ألا يدفع أكثر من السعر المحدد على الغلاف. وسنعمل ما في وسعنا لزيادة كمية النسخ المرسلة الى عدن حتى يستطيع كل قارئ أن يحصل على نسخته دون أي زيادة في الأسعار..

اتقـوني .. واتقوا شـري

● ما اطلبكم ، مع كثرة ما يردكم من مشاكل القراء ، هو طلبتم مشكلة كمشكلتي ... اريد مشكله من نوع غريب ، نادر الوقوع ، وان تكن من اخطر ما يخطر ببال انسان !

انا لست مريضا ... دكتور جيكل ومستر هايد ، أي مصيبتي كمصيبته ، بل شر من مصيبته !

هذا ، منذ تخطيت طور الطفولة ، تتقمصني روح شريرة ، لا اشك في انها روح شيطان خبيث وقد بدأ هذا الشيطان لعبه بأن غرس في نفسي الحسد ... ثم نشّأ الحقد والكراهية .. احسد كل انسان ناجح ، فكنت في بداية الامر احسد المتفوقين من زملائي في المدرسة الابتدائية على تفوقهم ونجاحهم وبدلا من ان احسدهم كما يحسدهم ... حتى اتفوق عليهم ، بدأت احقد عليهم ، ثم اكرههم ، ومن هنا بدأت اخطر مراحل المشكلة ... وهي ان اعمل على تحطيم الآخرين والحيلولة دون نجاحهم بأي ثمن وبأي اسلوب ... اذكر اني كنت اسهر الليالي لا لاذاكر دروسي بل لاسرق زملائي من مذاكرة دروسهم ، وكان كل واحد منهم عدوي عدوا لا يشفى له صدر ، رغم ان ذلك يكون غالبا على حسابي !

ولما كبرت وتركت الدراسة ، اتجهت الى تحطيم كل من ابناء بلدي ... فقد اوتيت قدرة على الاقناع عجيبة كأنها المغناطيس ... فكنت اجرهم الى حانات الشراب وموائد القمار ، كي اتلذذ برؤيتهم ينفقون اموالهم في ابواب غير مشروعة ، وينصرفون عن مواصلة ما يريد في نجاحهم ، ويعيشون على ما يجر عليهم العار والفشل !

واتسع مجال العمل امامي عندما اخذ احد الاثرياء ... ومعارفي وجيراني يلجأون الى استشارتي في مشاكلهم ... ولست ادري سرا اذا قلت لكم اني قد احسنت استغلال هذه الثقة اسوأ استغلال ، واوقعت عددا من الكثيرين منهم مما كان ... وتحطيم ... مستقبلهم فكان ذلك من دواعي ابتهاجي واغتباطي ، رغم انني في بعض الحالات كنت ابذل الكثير من مالي للوصول الى اهدافي !

واليوم احس بأن النار التي اوقدت طوال السنين الماضية قد بدأت تحرقني ، واحس ... المستور بانعدام ... وما ... من ... الى الدين تارة والى الانتحار تارة اخرى ،

اليوم خمر .. وغدا امر !

● كثيرا ما نقرأ في المجلات الادبية اشعارا لامرئ القيس الذي تقول احدى هذه المجلات انه اشعر شعراء العرب في الجاهلية .. وقد قرأت اخيرا ان من اقواله المأثورة ، « اليوم خمر وغدا امر » ، فماذا تقصد بهذه العبارة ؟ وفي اي المناسبات قالها ؟ وفي اي مناسبة وردت وما هي اشهر قصائده ؟ وما هو نسبه ؟ والى اي القبائل ينتمي ؟!

حمدة عبد الرحمن
البحرين

ـ امرؤ القيس هو سيد شعراء الجاهلية وزعيمهم في التفنن في الوان الشعر وضروبه حتى قيل فيه : بدأ الشعر بملك ، وختم بملك ..

اسمه حندج بن حجر بن الحرث بن عمرو بن حجر بن معاوية بن ثور الكندي . وامه فاطمة بنت ربيعة بن الحارث، اخت « كليب » و « المهلهل » التغلبيين . فهو يمتّ الى النسب ، نزاري الشمال.

ولد في ديار بني اسد بنجد ، وترعرع في احضان الملك ، اذ كان ابوه ملكا على بني اسد وغطفان .

ونشأ نشأة المترفين من ابناء الملوك ، يلهو ويلعب ويعاقر بنت الحان ويشبب بالنساء ، وكانت له مجون وقالات ... ومجون ... يوصفها قصائده ، وقد تعدى في معظمها حدود الادب والاحتشام ،

وخاصة في الكتب النفسية التي تعالج مختلف المشاكل ، بل ذلك لم ينفع في استئصال سرطان الشر الذي يجري في نفسي فاصبحت لا مفر لي الا اذا رأيت امامي ضحية تتطلب لارشاداتي ومساعدتي وجهودي ."

واخيرا جئت اليكم لعلي أجد لديكم علاجا ينقذني من هذا الحسد والحقد والشر الذي يملأ نفسي ، فتمدون الي يدكم بذلك ابدا لا انساها ابدا وتخلصوني من عذاب الضمير، وتتداركون المجتمع به بيشاد باسمه من شروري واضراري ."

دمشق (. . . .)

ـ شفاك الله .. وكان في عون اهلك واصدقائك ان كان قد بقي لك اصدقاء .. وفي مجتمعنا تعيش فيه ، تلك النزوة الشريرة التي تملكتك والتي ستوردك في النهاية موارد التهلكة التي ساقت اليها الكثير من ضحاياها !

ولكن لا تيأس من رحمة الله .. وما دمت قد بدأت تحس بشعور الندم فالأمل كبير في شفائك مما انت فيه ، والذي يرجع ولا ريب الى جذور نفسية قديمة ، الكبت يلويها في اعماقك وانت طفل ، لسبب او لآخر قد لا تذكره الآن او تتبينه ، وظلت تنمو شيئا فشيئا لانها لم تجد من يستأصلها في الوقت المناسب ، فالمرض هذا الشذوذ الذي يصطرع الآن في نفسك ، فسارع الى احدى العيادات النفسية واعرض على الطبيب مشكلتك كما هي ، فهو يستطيع ان يعينك على التخلص من هذا الشيطان الذي يمرح في اعماق نفسك ، ولا تكتف بمطالعة الكتب النفسية ، فقليلا ما يستطيع [illegible] فهمه ، بل لا بد من طبيب يوجهك وينصح لك ، ويحل عقدتك ..

والله معك ..

● طلال الفاوي ـ البصرة

ـ علتك نفسية ، هي بعض رواسب الحادث المفزع الذي شهدته منذ خمسة عشر عاما ولم تستطع ان تنساه .. اما الآلام العضوية التي تشكو منها فقد تكون ناتجة عن علتك النفسية ، فكثيرا ما تترتب بعض الامراض العضوية عن مرض نفسي ، فراجع طبيبا نفسانيا اولا ..

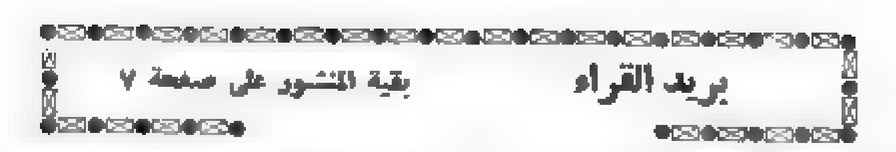
فطرده ابوه بعد ان افحش في غزله وافرط في مباذله .

اما عبارته المأثورة ، « اليوم خمر وغدا امر » فليست من قصيدة ، وانما قالها يوم جاءه النعي بنبأ مقتل ابيه بيد علباء بن الحارث الذي طعنه ولم يجهز عليه ، فكتب وصيته ودفع بها الى احد رجال حاشيته وقال له : « انطلق الى ابني نافع ، فان جزع وبكى فاله عنه، واستقر بنيّ واحدا واحدا . فمن لم يجزع منهم فادفع اليه وصيتي وخيلي وسلاحي » ، فانطلق عامر الى اولاده ، وكلما نعاه الى واحد منهم بكى وحثا على رأسه التراب ، فتركه ومضى الى غيره ، حتى اتى امرأ القيس وكان يشرب الخمر ويلاعب احد ندمائه ، فلما نعى اليه عامر اباه ، لم يلتفت اليه ، بينما امسك نديمه عن اللعب . فصاح به امرؤ القيس: « اضرب » .. فضرب ، حتى اذا انتهى اللعب قام الى عامر فسأله عن تفاصيل مصرع والده فاخبره بها ، فقال قولته المشهورة " ضيعني صغيرا وحملني دمه كبيرا .. لا صحو اليوم ولا سكر غدا .. اليوم خمر ، وغدا امر » ثم اقسم لا يذوق اللحم او الخمر او يدّهن او يغسل رأسه او يأوي الى امرأة حتى يقتل من بني اسد مائة ، الى آخر قصته المعروفة .

اما اشهر قصائده فمعلقته التي مطلعها :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وهي القصيدة التي كان بها اول شاعر وقف واستوقف ، وبكى واستبكى ، وذكر الاحبة والديار ، في صدر بيت واحد من الشعر !



هذا التعامل ، وان كل محاولة يراد بها اباحة ما حرم الله او تبرير ارتكابه بأي نوع من انواع التبرير بدافع المجاراة للاوضاع الحديثة او الغربية والانخلاع من الشخصية الاسلامية ، انما هي جرأة على الله وقول عليه بغير علم ، وضعف في الدين » .

والخلاصة ان احكام الاسلام واضحة جلية لا لبس فيها ولا غموض ، وليس معنى كون الاسلام صالحا لكل زمان ومكان ان احكامه يجب ان تصاغ خصيصا لما يريده الناس ، وان كان حراما بنص صريح .

قاضي بغداد

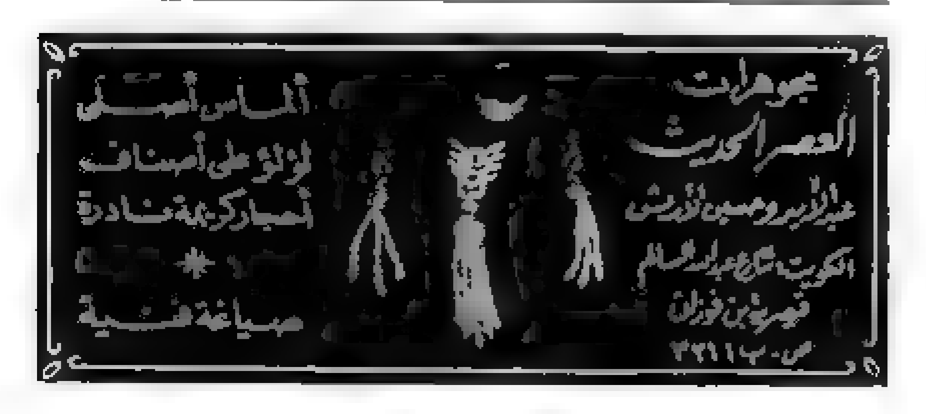
علاء الدين خروفة

« العربي » : مع احترامنا لرأي لجنة الفتوى بالازهر ، ولرأي فضيلة قاضي بغداد ، نود ان نسأل اين هو النص على تحريم ارباح رأس المال المودع في المصارف او صناديق التوفير ، او اسهم الشركات وسنداتها ؟!

ان الذين يتحدثون عن الربا من متقدمين في التاريخ او متأخرين ، انما يتمثلون مثلا واحدا هو الذي شاع بين الناس : رجل فقير مضطر ، يقترض من آخر موسر . ولا شك ان الفقير كل الفقر أن يكون هذا القرض دون فائدة ، « فلكم رؤوس اموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون » . فيكفي ان يستطيع المعسر سداد الدين ، وهذا هي الرحمة والانسانية والتعاطف . ولكن الذي نتساءل عنه شيء غير هذا - شيء يتصل بنظام البنوك والشركات فيما بعد الامة . فهو لا يقترض رجلا مضطرا او محتاجا او معسرا ، وصندوق التوفير سواء في البنوك أو البريد ، وكذلك الشركات التي يسهم الناس فيها بوضع اموالهم فيها ، تقوم باستغلال هذه الاموال ، تربح من هذا الاستغلال ١٠٪ او اكثر ، تدفع لصاحب المال ٤٪ على الاكثر ويبقى لها ٦٪ او اكثر ، فهل في هذه الحالة يقال للمسلم ان هذا حرام ، بل عليك ان تبحث ايداع اموالك في بنك او شركة ، ان لا تأخذ منها اية فائدة ، بل دع البنك او الشركة تنفرد بالفائدة دونك . أهذا هو العقل ، أم هو السفه ؟!

وكيف نستدل بآراء القدماء ، وهم لم يكونوا يعرفون نظام الشركات ولم تكن عندهم بنوك او صناديق توفير . لا عند افلاطون ولا ارسطو ولا لوثر ، ولا عند الذين تحتج بأقوالهم من فقهاء المسلمين ؟

ثم لماذا نرى كثيرا من الناس اذا طلب اليهم ان يبدوا رأيا في موضوع ، لا يبحثونه موضوعيا ، بل يكون كل همهم الاحالة الى آراء السابقين ،



ونحن نعرف أن الإمام أبا حنيفة عندما طلب اليه أن يحيل الى آراء السابقين قال كلمته المشهورة « نحن رجال وهم رجال » !!

وأخيرا فإن الربا الذي حرمه الإسلام هو الذي يتقاضاه المقرض الموسر من المقترض المعسر ، وهذا شيء لا خلاف في استهجانه وتحريمه ، أما أرباح الأموال التي يودعها أصحابها في البنوك والشركات وصناديق التوفير ، فشيء آخر لم يخطر أبدا ببال السابقين الأولين ، ولو عرض لهم لقالوا فيه قولة العقل والمنطق ... فلماذا نعتمد ما قالوا على أشياء لم يعرفوها ولم يكونوا حاضريها !!

البارزانيـة

● يعجبني من الدكتور محمود السمرة تعقيبه للكتب الحديثة بين الفينة والفينة ونقده لها على أعمدة « العربي » الزاهية نقدا علميا . وقد اطلعت على مقاله الثمين عن كتاب « القضية الكردية » في العدد السابق ونسبة الأخوين البارزانيين الملا احمد والملا مصطفى الى الشيخ عبد السلام البارزاني وهل هو والدهما كما ذكر الأستاذ محمود الدرة في كتابه آنف الذكر أو أنه شقيقهما كما ذكرت في كتابي المعروف « تاريخ الوزارات العراقية » ج ٣ صفحة ١٧٠ فوجدت أن أزيل الالتباس بالإيضاح الآتي على أمل أن يجد له متسعا في حقول « العربي » اليانعة .

فقد سكن البارزانيون القسم الجنوبي من منطقة الزيبار المنيعة في شمال العراق في زمن غير محدد ، وكان الشيخ تاج الدين من أبرز شيوخهم كما كان الشيخ عبد السلام من أشهر أحفاده إلا أنه أخذ بالطريقة النقشبندية ونشرها بين أتباعه ومريديه وقد أعقبه ولده الشيخ محمد وقام بالأمر من بعده . وتوفي الشيخ محمد عن خمسة أولاد هم : الشيخ عبد السلام والشيخ احمد والشيخ صديق والشيخ مصطفى والشيخ محمد سعيد والده والمشتهر باسم « بابو » والكل من هؤلاء الاخوة الخمسة أولاد وأحفاد معروفون في المنطقة الشمالية .

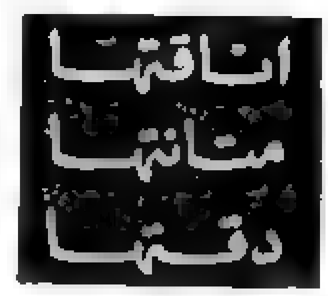
وبعد هذا يتضح أن ملا احمد وملا مصطفى هما شقيقا الشيخ عبد السلام الأصغر الذي أعدمته الحكومة التركية ، وهؤلاء الثلاثة من أحفاد الشيخ عبد السلام الأكبر .

السيد عبد الرزاق الحسني ــ بغداد

ساعات

وست اند

هي الأولى في



THE FAMOUS WATCH
IN THE MIDDLE EAST

WEST END

وست اند

خير معين لنجاحك في أعمالك



الوكيل العام بالشرق الأوسط

يعقوب يوسف البهبهاني

ساحة الصفاة - الكويت - هاتف ٣٧٧٠ - ص.ب ٣٣٤

عيون

قصة للكاتب الهندى

ف . ت . محم

● كل من ارتوا عيونا تبصر ، يضحكون عندما يرونني . وبعضهم يطلقها قهقهة مجلجلة . وكم لديهم من قصص مضحكة يروونها عني .

ولكنني اعرف ما يقولون ، وما يجعلهم يضحكون مني ضحكا عاليا كما لنهق الحمير .

ومن اسباب ضحكهم انني — انا الاعمى — كانت لي حبيبة . وانني — فوق هذا — تزوجتها !

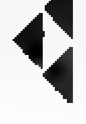
اما كيف اصبحت عاشقا وزوجا ، فهذه قصة عجيبة ، خليقة بضحكهم . واذا اردت ان تفهم سر العجيب ، فانهم يسالونك ان تلقي نظرة الي" .. لكن ! .. سأقف امامك لتلقي نظرة الي" ، فما الغريب في خلقتي ؟ .. انني مخلوق بشرى ، على اية حال !

انني رجل قصير ، في سواد الفحم ، وقد اوتيت اطرافا غير متناسقة . ورأس الضخم يتوج منكبي ودمامتي . فلي وجهي عينان مستديرتان في فجوتين عميقتين ، وانف" افطس ، وفم" واسع كفم الضفدع ، وجبين ضيق بين اذنين كبيرتين .

كما ان هناك معالم شتى من تهشم الجدري — الذي اصابني في الثانية عشرة من عمري — تهمسه في اتمام تشويه وجهي . وقد ادى ذلك الى حدث لي في صغرى الى عاهة في ساقي اليمني . فالعمى انني مجموعة مؤلفة من القبح . ويقولون انني — لاول وهلة — ابدو للناظر اشبه بقرد اسود .

ولكن منظر القرد لا يضحك الناس عادة . انما يجيئهم الضحك حين يتبينون ان هذا الحيوان الشبيه بالقرد ليس الا انسانا مثلهم او . ولقد سمعت رجلا يقول لزميل له وانا امر بهما يوما ' « هذا الرجل يذكرني بالحصان بولدام » . ومع انني لست احدب فانني لم افهم ما عند الرجلين لاحتج على ما سمعت . فليس لي — على اية حال — ان اعترض على الناس التي او الشخص الذي لا اعرفه . ومهما يكن ، فان ضحكهم مني قد انقضى على الكثير من نفسي .

ولكم انكمش على نفسي حين ارى امرأة تخطر في الشارع في ابهى الثياب ، لان النساء يتشبهن



حتى على الفور ، كما يشيع البراعمة تشوهًا عند رؤية بومة . ولا أدري مدى محنتي الثقيلة إلا حين بلغت في أوائلي أن يحترمني النساء ، ولن يحترمن مشاعري كانسان ، فإني قد رزقت مثل الناس تذوق الجمال، ويحترمن مشاهدة الحسن، ولكن الدنيا تأبى إلا أن تعتبر هذا مني جرما لا يغتفر .

ولعلني لا أغالي إن قلت إن العالم بطبيعته صريحة ، إنه ليس لأمثالي أن يعيشوا فيه . وأنا أتذكر هذا أيضا .

مات والدي قبل أن تتفتح ذاكرتي ، ولذلك لم أعرف لي أهلا سوى أمي . فإلى أي مدى كان للوراثة أثر علي ؟.. وأيهما كان المسئول عن دمامتي الأليمة الرهيبة ، أهو أبي أم هي أمي ؟.. لا ، فلست أملك أن ألومهما . ولماذا ألومهما ؟.. لقد وُلدت وانتهى الأمر .

ولقد حاولنا أن نصون كيان الأسرة .. أنا الذي لم أكبر ، وأمي التي لم تكبر . ألم يكن لهذه الشجرة العالية أن تنبت فروعا جديدة ، وأن تبقى حية ؟

وبدا الشعور بالأسرة ـ وهو شعور طبيعي لدى الإنسان الذي خلق بفطرته اجتماعيا ـ بدا يظهر على أمي السانحة ، حين سألتني : « ألا ينبغي أن تأتيني بعروس يا بني ؟ » .. ولم يكن سؤالها مفاجأة لي . فأجبت وأنا أطمئن قلبي المثقل : « بلى يا أماه .. عندما يأون الأوان » .

وبادرت باستشارة العجائز من جاراتها ، فدامت المشورة أياما ، كانت تعود في نهاية كل منها ، ووجهها يحمل أسارير الألم ، حتى باتت أمرها مشكلة تشغلني . وكنت أسألها كل يوم : « ماذا بك يا أماه ؟ » ، فكانت تقول : « لا شيء. ولا » « لا شيء » هكذا ، لكن قلب الأم يخفي أسى وشجونا .

وانقضى أسبوعان ، ثم كفت أمي عن المشروع. وبدا الذين لم يكبروا يضحكون مني ـ من قبل ـ يضحكون للنظر . وظل كهل في رثائه لي : « مسكين ! .. لكم حاولت أمه جاهدة أن تأتيه بعروس . فلماذا تخلق أمثالنا هكذا يا رب ؟! » . وأدركت للنظر أن « الأطفال لا يحولون الغراب إلى يمامة » ، كما يقول المثل .

* * *

ولنعد إلى قصة حياتي ..

أخيرا ، وجدت حبيبة !! .. ولعل صبرك أيها القارئ قد بدأ ينفد ، وأنت تترقب قصة غرامي .. قصة الحقيقية !.. كنت أقول إني لن أحب، ولن أكون محبوبا .. أليس هذا أمرا طبيعيا ؟ .. والحق أن قصة غرامي رائعة ، فيها شابة أحبتني ثم تزوجتني ، في حافلة أنيقة بمظهري الذي كان يصرف عني العيون ، ويثير القرف الطويل .

كان جهد أمي لتظفر بكنة لها قد انتهى إلى فشل . فما من امرأة ترضى أن تكون زوجة لقرد بشري . ولعنت وطأة هذا الفشل وقعت أمي صريعة العلل المألوفة في الكبر ، فلم يقدر لها منها برء . أمي التي اشتاقت أن تخلف عرائس الفرح يلمسالم حفلتها العليلة.. أمي العزيزة التي أبقتني مشدودا إلى هذه الدنيا بخيط حبهما اللاهي .. أمي العزيزة التي كانت مصدر حياتي ، والتي كانت تجد في دمامتي البشعة قبسا من الجمال .. أمي هذه تموت بأوصابها وتخلفني وحيدا ..

ثم حدثت المعجزة .. طرقات عصا ثقيلة على درجات سلم بيتي ، ثم صوت فتاة تقول : « أما من شيء لمتسولة يا سيدي ! » وأردفت تقول : « إنني لا أبصر يا سيدي » ! وتطلعت إليها ، ثم إلى عينيها.. كان منظرها مؤثرا . ونسيت نفسي وأنا أقول في خاطري : « مسكينة ! .. إنها شابة بعينين غير مبصرتين .. تعيش حياة لا تملك فيها سوى السمع واللمس » .

ولم تكن مليحة ، لكن جسمها المتناسق أولى سحر الشباب . يا للمسكينة ! .. لقد ثار قلبي بحالها ، فقلت لها في عذوبة : « لك أن تدخلي، وأن تجلسي » . وشرعت تتحسس طريقها إلى الباب ، فنهضت وأخذت بيدها . وكانت أول مرة ألمس فيها يد شابة بقلب الملهوف الشاعر بالنشوة. وصدت الفتح الرحيب. كانت عيناها ـ المنحرفتين ـ قد احتفلت بوجهها على غير حفل ، ولم يكن صدرها الناهد بمنأى عني . وقبل أن يمسني الخاطر ، وجدتني أرتجف كالقرد ، وشعرت بشفتي تتيبسان ، وبأطرافي تتحول تحولا عصبيا ، وبقلبي تتسارع .. وقدتها إلى مقعد في طرف الشرفة ، وقلت : « اجلسي ! » .. وأعطيتها شيئا من الطعام الذي كنت قد طهوته ، و« روبية » فوق ذلك .

قالت إنها كانت تدعى « ليلا » ، وإنها تقيم مع أمها في كوخ من القش بقرب مصنع كبير في

المدينة . فدعوتها وهي تتهيأ للانصراف الى ان تعود مرة اخرى .

وكثر ترددها على مسكني ، حتى اصبح عادة . وكنا نتجاذب اطراف الحديث في كل الامور . واحسست بانني بدأت اتخلف من هموم فؤادي وحياتي . واخذت لحظات الحياة تحلو لي .

يا لحسنا « ليلا » ! .. لو انهما كانتا مبصرتين لزادتاها جمالا . اليست نظرة المرأة كفيلة بأن تودي بعقل الرجل ؟ .. ومع انني لم اكن اعرف هذا الا من تجارب الغير ، فقد كان بوسعي ان ادرك معناه . ولكن قلبي الجائع ليهتف من نزوات . فلو كانت لليلا عينان .. ! ولا يعني هذا انني لم اكن ادرك سخف هذه الامنية . فقد كان من المحتمل الا اصبح مشغولا لو انها اوتيت عينين مبصرتين .. بل لو انها اضطرت الى التسول في هذه الحال ، لما كان من المحتمل ان اقبل حتى اكثر من الصدقات .. كلا ! ما كانت عيناها ــ الا ذلك ــ لتسمحا لها ان تزورني وتحدث الي كل يوم .

هكذا كنت افكر دون ان اطمئن ، فقد كنت انسانا كغيري .

ولاحظ الناس لقاءنا المتكرر ، ولكن احدا لم يضبطنا اياه . فانا الفرد بشري كنت هدفا لسخريتهم واستهزائهم . وما قصة حبي لعمياء لتمنحهم بمادة جديدة للضحك ، وقد استثارهم الطلاء الشنيع بالعمى .

وفي ذات يوم قلت لليلا : « ما رأيك يا ليلا في ؟ » . وانقلبت ابتسامتها المسحية الى اشراق واضح . فسمت الي : « انني احبك يا ليلا ! » . واجابت بصوت خافت : « هل سمعتني اقول انك رجل سيء ؟ » . وشعرت بالصدق في جوابها فطار قلبي فرحا . وسألتها في فورة العاطفة دون ما تمهل : « هل تميلين الي ؟ » . فنكست رأسها حياء ، ولم تنبس ببنت شفة . وشعرت بان كل ما للحياة من فتنة قد تجمع في هذا النظر . وما ان انصرفت ، حتى رحت اهتف باسمها : « ليلا ! » .. اخيرا اصبح لي ــ انا الآخر ــ في هذه الدنيا الواسعة الموحشة ، اسم اهتف به .. اسم شخص ارتقبه في فرح . وبعد ان كانت الحياة تبدو خاوية كريهة ، تراءت لي عذبة ممتعة . الم اكن سعيد الحظ ؟

ان الذين يضحكون مني امعانا في . فهب انهم شوا في ذهن « ليلا » افكارا عن دمامتي ؟ .. ام ترهم قد فعلوا ذلك فعلا ! .. من يدري ؟ .. ولكن كيف لها ان تفرق بين الجمال الجذاب والقبح المنفر وهي لا تستطيع ان تفرق بين النهار والليل؟ . كانت قد اخبرتني بانها ولدت مكفوفة البصر . ولست اقول ان هذا كان من حظي ، ولكن أراه كان من نكد حظها !

وجاءت « ليلا » في اليوم التالي .. وكنت افكر في زواجنا .. ما السبيل اليه ؟ .. الا ينبغي ان يشهد الارتباطين اي رجل واية امرأة ، رجل من رجال الدين ، يكون بمثابة مندوب الرب ؟ .. ولكن ما من مندوب كهذا كان يقبل ان يعقد زواجا بين مسلم ومتصوفة . وكان لهذا سبب ، فان لهؤلاء المندوبين نظرة دينية يصفونها بأنها « روحية » . ولم اكن و « ليلا » متكافئين في نظرهم ، ومن ثم ابوا ان يبذلوا اي عون ، بالرغم مما اعلم من ان في الدنيا من النساء ما يفوق عدد الرجال .. ومع انه لم تكن ثمة من تقبل الزواج مني سوى « ليلا » .

وسألتها : « هل تقبلين الزواج مني يا ليلا ؟ » . وشعرت بانها اجفلت . ولا ريب ان نوعي صلتها قد جعلها تتردد . وقالت : « ماذا تقول ؟ » .. كان لعطف هذه المتسولة العمياء حد . فعدت اقول : « يكفي ان تعطي انت الشان يا ليلا ، وقد ارسلك الله الي . وما الطبقات والفوارق الا من صنع الانسان » .

وظلمت الى شفتيها الرتعشتين صابرا ، وقد ساورني شعور القاتل وهو يرتقب حكم القاضي .. اجل ، كان عليها ان تقرر اذا كنت اعيش ام اموت .. ولاذت بالصمت . الم يكن لهذا الصمت معنى واضح ؟ .. وعدت اقول : « كلمني يا ليلا .. انني اريد ان استمتع بصحابتك ، فعديني بأن تسعديني » .

وقالت اخيرا : « ساقبل .. ما اكثر ما سمعت من امور يقولها الناس عنى بازدراء . سمعتهم بعد فهم يقولون : « ماهي الا خليلة الرجل القرد » .. فانت ــ في قولهم ــ خلو من الجمال » .

ــ وما شعورك انت يا ليلا ؟

فمضت تقول : « لست اعرف الجمال الذي عنه يتحدثون ، ولا رأيت القرد يوما . ولذلك فلست احفل بقولهم . فكان الامر يتغير لو انهم قالوا انك

اجمل رجل في الدنيا !.. انما ارى الدنيا بقلبي .. وبقلبي أرى الحسن والقبح . وانك لمسلم وانا مسيحية . فما دمت لا تجد مانعا ، فلست ـ انا الاخرى ـ اجد مانعا ، فقد كنت احسب انه ما من احد في هذه الدنيا يرضى ان يحبني مخلصا ولكن .. » فتساءلت في لهفة : « ولكن » ماذا ترى في الاستمرار ؟ » .

قالت : هناك « لكن » كبيرة وراء مهنة التسول .. فلست اتناسى الابوة التي اقعدها الله وكنا نمس .. لقد ظلنا التحيت العجب ، برغم انني عمياء .. ولكن وراء التسول كان يضحك في شماتة شيطانية ، وهو يرى معطفي ومحفظتي خاويتين ، الا ما عدت به فارغا ، بعد ان اقضي اليوم كله في الاستجداء . وكنت انظر الى الاستسلام لاصحاب الشهوات الذا ما سعوا في جوف الليل ، ولا جدوى لان ابقى استكثارا ، فما من رجل يضع صدقة في وعاء متسولة شابة توجه الاحسان ولقد كنت معتقد ـ في بادىء الأمر ـ من هذا القبيل ، فالغفر لي .. اما اليوم ، فلست احترم انسانا سواك .

ووجمت لحظة ماطرقا ، وسادنا الصمت . ثم قلت في النهاية : « انها قصة ثانية الرجل البليغة يا ليلا .. فلن افكر فيها بعد الآن » . ولم انبس ببنت شفة .

★ ★ ★

وبعد ايام تم الزواج ، فكانت له ضجة في قريتي . الا اننا بدون وساطة اي من رجال الدين ، وقفنا ـ هي وانا .. ليلا وعبد الله ـ وتعاهدنا عهدا صامتا بان نكون شريكين في الحياة .

وازدادت ضجة القوم حولنا ارتفاعا . وكانت عائلة فيلهنة عالية عندما انبلت « ليلا » وامها لتقيما معي . واتبرأ منا اولئك الذين اقاموا انفسهم اوصياء على المجتمع . فلن الناس لم يدركوا ان وراء قصة الحب والزواج اللذين يتأججان . وقلت محاولا ان اسري عن ليلا : « دعي الناس يضحكوا ما شاءوا ، فهم ولا بد مصعوقون» .

ومدانا نعيش معا . ولست ازعم ان حياتنا الزوجية كانت سعيدة .. كانت تمثل الانصياع الجنوني لانسانيتنا . فلن التقاليد الطائفية والدينية والاجتماعية احاطتنا بسياج انفصالي رهيب . فلم تكن نتلقى عونا او تعاونا من احد .

ولم يداخلنا شك في ان بوسعنا ان نعيش هانئين ، فقد كنا على استعداد لمجابهة الصعاب .

ثم ، انا « ليلا » تحمل .. ولم يقم قبح شكلي ولا عمى « ليلا » حاجزين دون ذلك . وتجاهلنا القيل القال وسخريتهم ، وشعرت بفرح لم اكن اتوقعه يوما في حياتي . فقد صرت حبيبا وزوجا ، وها انذا ساصبح ابا . وحمدت الله العظيم .

ولكن « ليلا » اصيبت بمرض قبل مولد الطفل بشهرين . ودعوت طبيبا فحصها . وتوسلت اليه ان ينقذها ، فقال: « ليس مرضها بالامر الخطير ، وسابرئها منه . وبعد هنيهة سألني : « أعمياء منذ مولدها ؟ » . ولما اجبت مؤكدا فحص عينيها مرة اخرى ، وقال وهو مستغرق في التفكير : بوسعي ان ارد اليها بصرها بجراحة . ولكن هذا مستحيل في الوقت الراهن . فلتسترد صحتها عقب الوضع اولا » .

وهزت كلمات الطبيب قلبي ، وشبابي ، وحياتي ! .. يقول ان بوسعه ان يرد لعيني « ليلا » الابصار ؟ .. اتراها ـ حين تبصر ـ سترتجف ذعرا اذ تراني وهي تعرف انني « رجل ذو قلب » جدير بالمحبة .. هل ستظل على حبها واحترامها لي بمجرد ان تبصر ؟ .. ما الذي ينبغي ان اقوله للطبيب ؟ .. وهممت ان اصيح « كلا ، ليست عيناها بحاجة الى الابصار » . ولكن الكلمات انبعثت من فمي : « ان الطبيب يقول ان علاج بصرك ميسور يا ليلا » . ورحت اردد ـ دون وعي ـ ما سمعته من الطبيب . كيف اقوى على ان ابين لها ان ارتداد بصرها قمين بان يحطم حياتي ؟ .. اي شيء يضمن به المرء في سبيل الاحتفاظ ببصره ؟ .. ولكن « ليلا » ـ التي كانت تفهم اني تعلم الفيصل لكن تلم بالناحية العضوية في نفسي . فقالت : « اذا كان من الممكن ان استرد بصري فلاسترده . لا اشعر بالاغتباط ! .. يقينا انك ستزداد حبا لي اذا ما مكنت بوسعي ان اراك .. وطفح وجهها بالسرور برغم سقامها . اكان هذا راجعا الى ان حياة جديدة كانت تتكون في احشائها؟

وكتب لي الطبيب الدواء ووصف لي استعماله وقال : « تعال اذا ما ارتدت اليها عافيتها بعد الوضع ، وساحدثك عن الجراحة اللازمة » .

وكانت « ليلا » هادئة الطبع ، ولكن عاصفة كانت تحتدم في اعماقها . وراح عقلي يضطرم

بالأفكار العبثة ، فذهبت الى طرف الشرفة وجلست . لم أكن أحظى بالطمأنينة الا في كرسي الصغير هذا ، ولكنه بات مهددا بالانهيار .. الا ما أصغر دنياي ! ..« كلا . أبدا . لن ترد البصر الى عيني ليلا . أواه ، يا طبيب ! .. انك تتآمر مع أصدقائي الحاقدين على قتلي ، ولكني سأقتلكم أولا . لماذا ألقيت النار على حياتنا ؟ .. ولكن ، كلا .. لا تثريب عليك ، فواجبك أن تعالج الأمراض ، والعمى من أسوأ الأمراض ، فليس بوسعك أن تتخلى عنه .. وقد تستطيع أن تهبها الإبصار . انك لا تعرف شيئا عن حياتي .. قد يقدر لليلا أن تبصر ، فعسى أن يمنحها الله هذه النعمة الكبرى التي لا غنى للانسان عنها. ولكن ، فلأصبح رمادا قبل أن يتحقق هذا ... قبل أن تعرف المقصود بـ « القرد البشري » ، الا ذلك قد أعيش في ذاكرتها كشخص غني بالحب. ترى هل يبقى حبنا الراهن لي ، والجمال الذي تراه لي الى الأبد ؟ » .. هكذا راح فؤادي يردد :

* * *

ووضعت « ليلا » مولودا ذكرا . واضطرب المجتمع ازاء مولد طفل غير شرعي . وانهمك البعض بالبقال . أليس الأمر أغرب مما يمكن تصوره ؟ .. لقد كان الطفل الذي ولد لأب دميم وأم عمياء بريئا من كل عيب ، ورث عن « ليلا » شكلها ، ومني عيني .

ونادت « ليلا » ، فذكرتني بما كانت التمست قد أقرتني بألا أبرح : فهل نذهب الى الطبيب؟. ولم تبد أية عاطفة أثارتها كلماتها في فؤادي. وقلت كلانا : « أجل لقد نسيت . سنذهب اليوم لأستجلي الأمر » . وكنت أدرك انني أكذب . كنت كمن تتخبطه الأنواء وسط المحيط . وخرجت ، ثم عدت بعد ساعتين لأقول . « لقد مات الطبيب». وكان هذا كل ما وسعني قوله . بل لقد كنت أحس عاجزا من أن أقول هذا على التعاقب . ولم أستطع أن أبدي الأسى الذي كان ينبغي علي سوانا لوجهك أن أشعر به لموت الطبيب . الطبيب الذي وعد بأن يزيل عن عينيها الحجاب . وكنت مضطرا الى أن أكتم في فؤادي القانع سرا خلقته الأثرة والأنانية . وكان حبا أقل من أن يطلق ، فلذا الذي فعلته حرصا على هنائي يقوض راحة بالي ما حييت .

وتوالت الأيام كأنها الجحيم .. الى ثالث يوم ، عدت الى البيت ، فرأيت منظرا فتت فؤادي . كانت أم « ليلا » قد نسيت رفع وعاء نحاسي كبير من الحجرة . وبينما كانت « ليلا » منطلقة نحو مهد الطفل الذي بكى ، وهي لا تحمل العصا التي اعتادت أن تتحسس بها طريقها تعثرت فاصطدمت بحافة الباب ، وأخذ الدم ينساب منها غزيرا ، فهرعت بها الى المستشفى .

أتساورك الآن رغبة في الضحك ؟ .. لم أعد أشكو من شيء . ومن ذا الذي يحفل بشكواي ؟

« ليلا » يا حياتي .. يا دنياي ! .. وناداني أحد الأطباء ، فقال لي : « لا بد أنها سقطة قوية .. فالجرح خطير جدا » . واقتربت من ليلا وهي تتلوى ألما . وتحدثت اليها ، فقالت باكية : « هل جئت ؟ .. انني راحلة . ليتني أستطيع رؤيتك بعيني » .

وبدت لي رغبتها الأخيرة معاكسة لمبتغاي . أكانت متحسرة على موت الطبيب ؟ .. انها لم تذكر شيئا . فقلت لها : « ليس بالأمر الكبير أن تريني بعينيك يا ليلا . ألم تريني بقلبك الكبير الصافي ؟ .. لولاك أنت الوحيدة بين هذه الضيعة التي رأتني حق الرؤية ، فالناس لا يستطيعون رؤية بعضهم بعضا بالعيون ، فابقي يا عزيزتي وحبيبتي تلمسا ، ولن تلبث أن تندمل » .

وابتسمت لي ، ثم ساد الصمت برهة . وكانت الشمس قد انحدرت نحو المغيب . وشرعت أنفاسها تتعب وأنا المذنب .. كان سري الشيء يحاول أن ينطلق . ولم أعد أطيق بقاء . وأقبلت أم « ليلا » فوضعت الطفل الى جوار أمه . وربما الطفل الصغير يبكي ، ولعل الجو الحزين كان يثقل على أنفاسه . وشرعت أم « ليلا » في البكاء هي الأخرى . وشعرت بالحيرة والعجز .

وصعدت روح « ليلا » النقية في هدوء ولطف. ولست أذكر ما فعلت إثر ذلك . وكأني بوجيب قلبي قد توقف ، بينما التغير في كياني شيء آخر. وكانت الشمس قد غابت تماما ، وادلهم الظلام .

والذين لا يفقهون ما تحت دمامتي من مشاعر ، والذين لا يفهمون قصة حبي الغريب ، لا يزالون يضحكون حين يرونني . أما أنا فأتساءل أحيانا : « ترى كيف كانت تصبح قصتي ، لو انني كنت أعمى أنا الآخر » ؟!

ترجمة : محمد بدر الدين خليل



قلم باركر الجديد . . .

• شخصي جدا

قلم باركر في بي

مصنوع خصيصا ليلائم اسلوبك بالكتابة من اي زاوية .

ان كتابتك ، كبصمات اصابعك ، خاصة بك وحدك دون غيرك . فطريقتك في مسك القلم ، والقوة التي تستعملها للضغط على القلم ، والزاوية التي تكتب منها ـ كل هذه تجعل من كتابتك شيئا يختلف تماما عن كتابات الآخرين ، وتجعل من كتابتك شيئا خاصا بك وحدك . ان اكثر الاقلام صممت لتلائم الشخص العادي ولا تلائم في الحقيقة الذي يعتز بكتابته .

اقرأ الآن كيف يلائم قلم باركر في بي نفسه ليناسبك

باستطاعتك ادارة الريشة لتلائم بالضبط طريقتك في الكتابة ، والزاوية التي تكتب منها . ولا يهم ابدا ان كنت تكتب باليد اليمنى او باليد اليسرى لأن باستطاعتك ان تضبط بسهولة الريشة على الزاوية التي تكتب منها .

باستطاعتك ان تختار الريشة المناسبة لاسلوبك في الكتابة ابتداء من الريشة الرفيعة جدا (ريشة المحاسبة) الى الريشة العريضة (ريشة الموظف الاداري) ، وبين هاتين الريشتين ريش عديدة لتلائمك ، وجميعها مصنوعة من الذهب الصلب عيار ١٤ قيراطا ، ويمكن تركيبها بكل سهولة .

المسكة المخططة المربعة تهيء مكانا لراحة اناملك للتخفيف من تعب الكتابة . وكذلك ترتاح يدك وترتخي مما يجعلك تكتب كل كلمة وسطر بصورة جميلة وبرشاقة طبيعية .

اكتشف بنفسك كيف يمكن ان يصبح قلم باركر في بي اداة كتابتك الخاصة . وسيساعدك البائع في اختيار الريشة المناسبة لك بالضبط وسيريك ايضا كيف يعبأ قلم باركر في بي بسهولة ونظافة وهي صفة اخرى للكتابة الممتعة التامة .





باركر

صانعو اكثر الاقلام المرغوبة في العالم

شركة اقلام باركر جينزفيل ، وسكونسن الولايات المتحدة الامريكية .

الآن بحجم كنج سايز الكامل



كرافن فلتر

مستوردة من انجلترا

كرافن فلتر كنج سايز هي السيجارة ذات التوازن التام بين الفلتر والتبغ التي تجمع بين فلتر متقن سهل التنفس وخليط منتقى بعناية من التبغ الفرجيني الناضج ، لتمنحك مذاق ألطف وأغنى بنكهة كاملة .. كرافن فلتر كنج سايز تأتيكم من انجلترا ، إنتاج أحدث مصنع للسجاير في العالم .



- توازن مثالي بين الفلتر والتبغ لإعطاء نكهة ألطف وأغنى



تضحك الدنيا معك .. ابك تبكِ وحدك

الجـواب .. !

● رفضت الفتاة طلب الفتى حينمـا عرض عليها الزواج . وفي اليوم التالي بعث اليها برسالة مع رسول قال فيها .

في الوقت الذي تقرئين فيه هذه الرسالة فان جسدي سيكون في اعماق النهر . ان الحياة بدونك لا تساوى شيئا ولذلك فانني لا استطيع العيش بدونك . تذكرى انني كنت دائما احبك .

فاصفر وجه الفتاة وقالت بحـزن : لقد قتل نفسه !

ولكنهـا لاحظت ان الرسول ما زال واقفا فسألته : ماذا تنتظر .

فاجاب : ان الشـاب الذى سلمني الرسالة طلب مني ان انتظر الجواب !

تعريف صحيح

● سأل ابن رجل الاعمال والده عما يعنيه الافلاس بالضبط .

فقال الاب : ان الافلاس يا ولدى هو ان يضع الرجل فلوسه في جيوب بنطلونه ويجعل دائنيه يأخذون معطفه !

اتفاقية مدهشة

● ارسلت المدرسة هذه المذكرة الى والدى الطفل في بداية السنة الدراسية :

ـ اذا وعدتمـا بان لا تصـدقا كل شيء يقوله ابنكما عما يحدث في المدرسة فانني اعد بان لا اصدق كل شيء يقول انـه حدث في البيت !

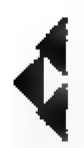
لا داعي للخوف !

● الزبون : متأسف ولكنني لا أحمل نقودا لادفع ثمن الوجبة التي تناولتها .

صاحب المطعم : لا بأس في ذلك . سنكتب اسمك على الحائط وتستطيع ان تدفع حينما تاتي في المرة القادمة .

الزبون : لا تفعل ذلك لان كل شخص سيرى اسمي .

صاحب المطعم : لن يرى اسمك احد ، لاننا سنعلق معطفك فوق الاسم ليغطيه!



جواب شافٍ

● كانت احدى النساء تخطب في جمعية نسائية وتدعو حكومة بلادها للسماح بهجرة ابناء اللاجئين الى بلادها لتبنيهم . فوقفت سيدة وسألتها : هل تقبلين ان تتبني طفلا قبل رؤيته ؟

فاجابت الخطيبة : انني لم ار اطفالي مطلقا قبل ان انجبهم ؟

راس الأسرة !

● الاول : اريد بالتأكيد ان اعرف كيف تعيش انت وزوجتك على وفاق تام لان هذا امر غير عادي .

الثاني : هذه مسألة بسيطة . انـنا نسير على خطة معينة فهي تتخذ القرارات غير الهامة وانا اتخذ القرارات الهامة .

الاول : هـذا معقـول ولكن ما هي القرارات الهامة والقرارات غير الهامة .

الثاني : القرارات غير الهامة هي التي تتعلـق بموعد رجوعي الى البيت ، وبمصروف الجيب خاصتي وأين نقضي الاجازات . اما القرارات الهامة ـ وهنا انتصب في جلسته ـ فهي مثلا : هـل يسمح للصين بدخول الامم المتحدة ام لا ؟

سر ..

● خصمان سياسيان جلسا يتحدثان فقال احدهما : هناك اكثر من مائة طريقة لجمع الفلوس ولكـن ليست هناك الا طريقة واحدة لجمع الفلوس بالحلال .

فسأله الثاني : وما هي هذه الطريقة ؟

فقـال الاول : كنت اعـرف انك لا تعرفها .

اضحك

وجهة نظـــر

● القاضي : قل لي ماذا فعلت من خير للانسانية ؟

المجرم : انني السبب في ابقاء ثلاثة او اربعة من رجال التحري في وظائفهـم بانتظام .

اسرع من الصوت

● الاول : قد ثبتت ان طائرتنا تطير بسرعة تتجاوز سرعة الصوت .

الثاني : كيف عرفت ذلك .

الاول : لان المضيفة صفعتني قبل ان افوه بكلمة .

عقوبة خفيفة

● حينما بلغ الطفل ســـن دخـــول الروضـه اخذته امه الى المديرة ورجتها ان تعامله بكل رقة ولطف لانه حـــساس جدا ولم يعاقب ابدا .

ولكن المديرة احتجت بأن هذه المعاملة لن تفيد الطفل ابدا . وفكرت الأم قليلا واقترحت الحل الآتي .

ــ اذا اساء ابني السلوك ما عليك الا ان تصفعي التلميذ الذي يجلس بجانبه فان هذا سيرعبه !



اختبر معلوماتك العامة بالصور

الاجابات الصحيحة للاسئلة الثلاثة المنشورة على صفحة ١١٥

١ — هذا الحجر التاريخي اسود اللون ، طوله ثلاث اقدام وسبع بوصات وعرضه قدمان وست بوصات وسمكه عشر بوصات ، موجود الآن في المتحف البريطاني ، وكان المفتاح الى لغة مصر القديمة وحضارتها .

لقد عثر عليه ضابط فرنسي في مصر عام ١٧٩٩ وعليه مرسوم صادر من الكهنة المجتمعين في ممفيس بلغات ثلاث هي اليونانية والهيروغليفية والمصرية الشعبية القديمة .

وقد استطاع الشاب العبقري جان فرانسوا شامبليون ان يحل الرموز الهيروغليفية لمعرفته اللغتين اليونانية والمصرية الشعبية القديمة .

ويعرف هذا الحجر باسم « حجر رشيد » ، فقد عثر عليه على بعد اربعة اميال من بلدة رشيد الواقعة بالقرب من مصب نهر النيل الغربي .

٢ — هذه الصورة هي — كما تقول احدى كبريات الصحف الفرنسية — صورة « عجوز ما زالت تحب الغزل » !

انها صورة « برج ايفل » في باريس ، فانشاء البرج الذي استغرق بناؤه ٢١ شهرا ، وتكلف مليوني دولار ، حتى اذا ما انتهى العمل فيه تعرض لنقد الساخطين ، ومنهم الكاتب الفرنسي الكبير « جي دي موباسان » الذي قال : « سأرحل



(كوبون) ترفق مع الرد

الاسم

العنوان

من باريس لأنني مللت النظر الى هذا الهيكل المعدني ! » .

وقد بدأ المهندس الفرنسي جوستاف ايفل في بناء البرج عام ١٨٨٧ ، وبلغ عدد الذين زاروه عام ١٨٨٩ نحو مليوني شخص .. اما متوسط عدد زواره فهو مليون ونصف مليون سنويا .

وبلغ ارتفاع البرج ٩٨١ قدما ، وليس في العالم الا ثلاثة مبان اعلى منه هي : امبيرستيت ، وكرايزلر ، وبرج تليفزيون طوكيو .

٢ ـ كان البرت جون لوثولي ، زعيم قبائل الزولو السابق في جنوب افريقيا ، احد الذين فازوا بجائزة نوبل للسلام هذا العام ، فكان بذلك اول افريقي يفوز بهذه الجائزة العالمية . وها هو ذا يتسلم الجائزة من رئيس لجنة السلام النرويجية ، في الاحتفال الذي اقيم لذلك في « اوسلو » ، وحضره الملك اولاف ملك النرويج ووزراؤه وكثير من رجال العلم والادب من مختلف بلاد العالم .

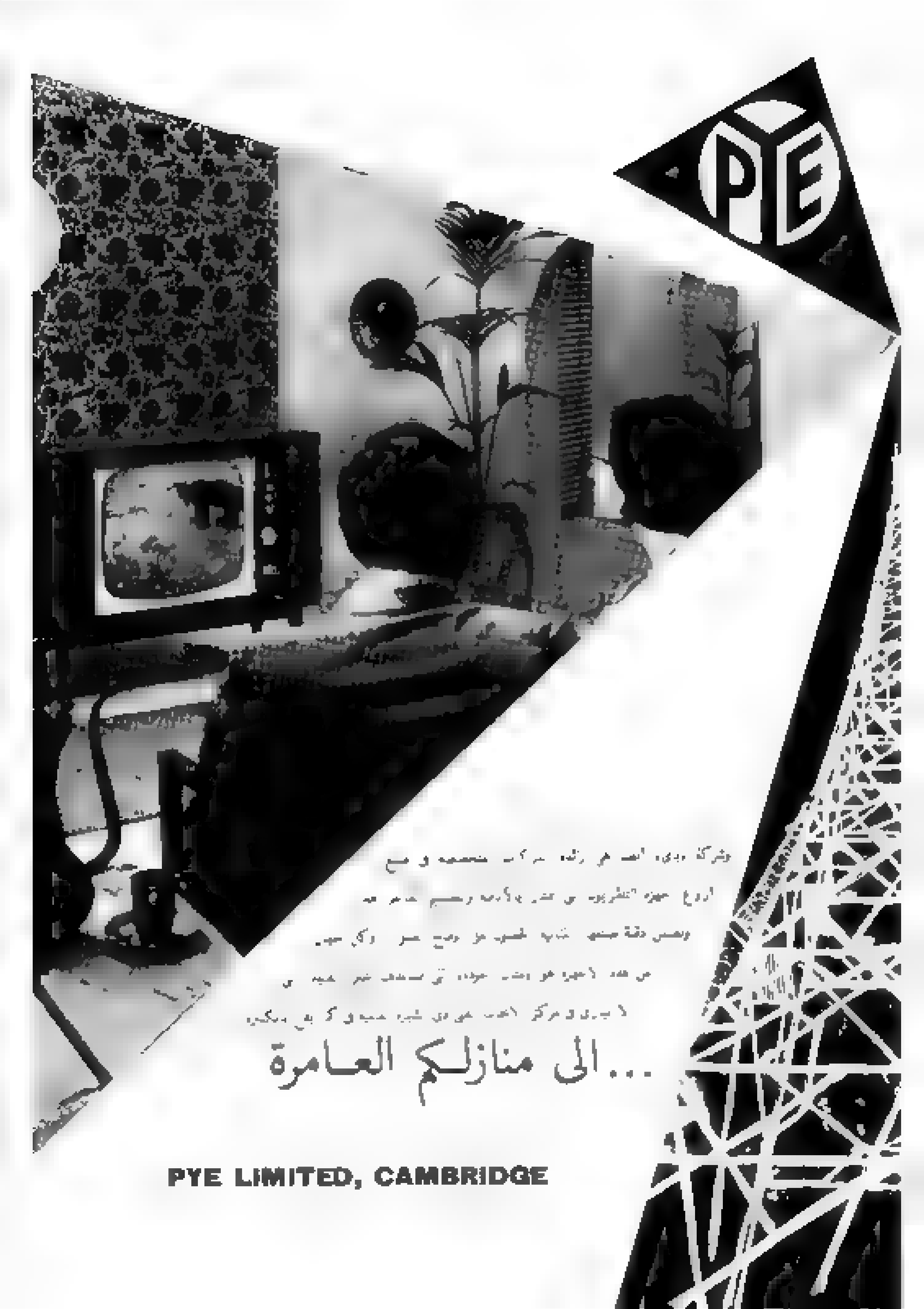
ومما يذكر ان حكومة جنوب افريقيا لم توفد مندوبا عنها لحضور الاحتفال بتكريم احد رعاياها ، بل انها لم تسمح له بمغادرة البلاد لاكثر من عشرة ايام فقط سافر خلالها الى اوسلو حيث تسلم الجائزة وعاد .

■■


عِشْ سعيداً بدون ألم
بتناول أسبيرين
BAYER
اسبيرين هو الاسم المسجل
لمستحضر الماني الأصلي.
تأكد بأنك تستعمل
اسبيرين باير الأصلي الألماني
الصنع.
التي تحمل علامة باير.
يزيل الآلام
٢- يخفض الحرارة
٣- يعيد النشاط والعافية
اسبيرين باير لا يؤثر في القلب ولا يضر المعدة

پای تصنع جميع المعدات
اللازمة للتلفزيون الكامل




PYE
...الى منازلكم العامرة
PYE LIMITED, CAMBRIDGE

عَصْرُ النَّهْضَةِ الإيطَالِيَّة

الوثيقة الثانية

[illegible]

[illegible]

١٥ مليون عائلة

[illegible]

إيطاليا في السوق المشتركة

[illegible]

[illegible]

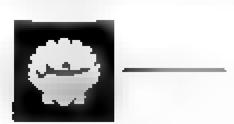
أمنيات

[illegible]

المستقبل

[illegible]

[illegible]



شل والنفط العالمي

[illegible]

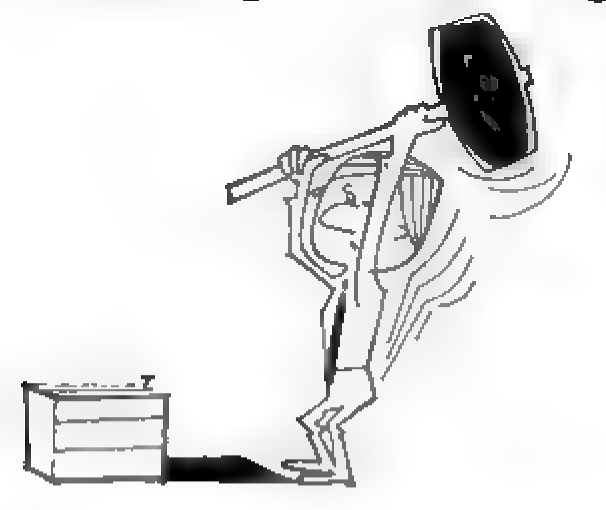
مصانع وأرقام

[illegible]

إعتمد دائماً على شل

[illegible]



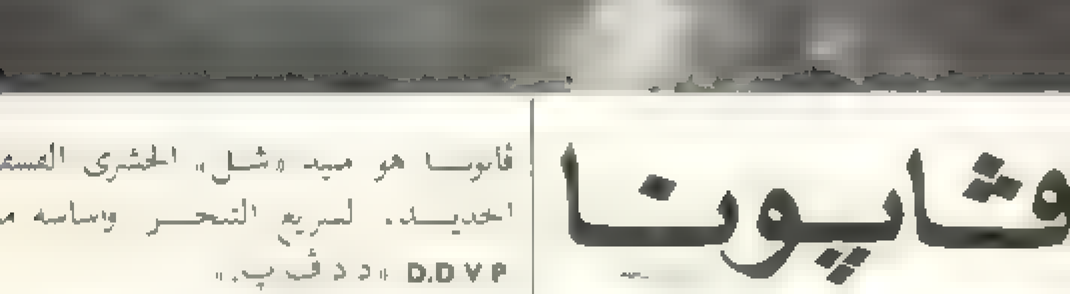


ساعتي رومر انت فخري

انها ساعة . يعكس فيها الذوق الرفيع وتظهر شخصية حاملها
انها الساعة المشهورة الاسم والسمعة التي تجمع العالم بأسره على تقديرها
ساعة رومر وحدها تجمع الصفات التالية جودة متناهية



زيني معصمك بساعة رومر


وشاپونا
ڤاپونا هو مبيد «شل» الحشري المسـ
الحديد. لسريع التحر وساسه مـ
D.D.V.P «د د ڤ پ.»

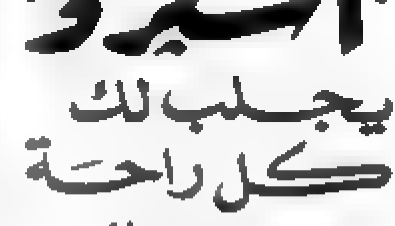



شل الكيماويات

صداع، أوجاع وآلام، حمى، رشح وانفلونزا؟

'أسبرو' يعيد لك الصحة...





إذا أصبت بألم لا يمكن أن تخففه قليلاً، بل إنك تحتاج إلى الراحة الناجعة التي يحققها لك 'أسبرو'. تذكر أن 'أسبرو' هو الدواء الذي يستعمله أكبر عدد من الناس في العالم كله، أكثر من أي دواء آخر لإزالة الألم وتخفيض الحمى. اجعل 'أسبرو' في متناول يدك على الدوام

١ يزيل الصداع
٢ يخفض الحمى
٣ يهدئ الأعصاب
٤ يخفف الأوجاع
٥ يقصر أجل الرشح

K/3/AA

'أسبرو' يجلب لك كل راحة!

العربي

العدد ٦٣
رمضان ١٣٨٣
فبراير
(شباط) ١٩٦٤



مع هذا العدد

بقية
خريطة العالم
+
العربي الصغير

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

عرسان من صور
ملابس الرقص الشعبي

نظر الصفحة (٨١)

الثمن

كويت
الخليج العربي
سعودية
...
...راق
...نان
...ردن
...ورية
ج ع م
...سودان
...يبيا
...نس



حضارات سادت
ثم بادت

« لو لم اكــن الاســكندر
لوددت ان اكون ديوجين »

صفحة ٨٣



[illegible]

عزيزى القارىء

ـ اليك قصه العرب اليوم فى كلمات :

■ منابع نهر الاردن التى فى البلاد العربية
الحاصبانى فى لبنان
[illegible]
[illegible]
[illegible] المحتلة

معنى هذا ان ٧٧٪ من مياه نهر الاردن تنبع فى الاراضى العربية .

وان ٢٣ [illegible] من مياه نهر الاردن تنبع
فى [illegible] المحتلة

■ [illegible]

والعرب لا بد ان يردوا على تحويل بتحويل ، وعلى اغتصاب بمنع اغتصاب . والماء ماؤهم ، وهو فى ارضهم . والحقوق انما تؤخذ فى هذه الدنيا غلابا .

■ [illegible] ■■

المحرر

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

القسم العام

استطلاعات صحفية مصورة

علوم وطب

أدب ولغة

شعر وشعراء

فلسفة

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء
ALARABY – No. 63 February 1964 P.O.B. 748 – KUWAIT
العنوان بالكويت: صندوق بريد ٧٤٨ – تلفون ٢٦٦١١ – تلغرافيا «العربي»
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة – قسم الإعلانات
المراسلات: تكون باسم رئيس التحرير





صورة الغلاف

● الغناء والرقص الشعبي يجمعها الانسان في لبنان في كل مكان . وفي الصورة فتاتان من فرقة الفن الشعبي في صنور احداهما ترتدي زي القروية ، والاخرى زي رجل القرية ، وهما تقومان بتأدية احدى الرقصات الشعبية .

(انظر الاستطلاع ص ٨١)

عروبة

تاريخ وتاريخ اشخاص

ركن المرأة :

قصص

كتب

منوعات

ثمن العدد : الكويت ١١٠ فلوس سواحل الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية و ٣ آنات العراق ١٢ فلساً ، سورية ١ قرش لبنان ١ قرش الأردن ١ فلس السعودية ٢ ريال السودان ١ قروش ج ع م ١ قروش تونس والجزائر والمغرب ٢ فرنك اليمن ٣ آنات ليبيا ١٥ قرشا

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يرسل طالب الاشتراك مع ودع (؟) لجنة العالم في البلد الذي هو فيه وتكون المجلة رأسا من المشترك والموزع



الدين لا يمنع الاعتماد على الحساب والمراصد في تحديد بدء الأشهر العربية والصيام والأعياد

● عقد في تونس في شهر ديسمبر الماضي مؤتمر إسلامي لتوحيد بدء الشهور العربية ، نظراً لما يحدثه الخلاف على بدء صوم رمضان ، وبالتالي على أعياد المسلمين ، من اضطراب يقع في كثير من السنين ، فيبدأ الصيام في بعض البلاد متأخراً أو متقدماً بحجة تعذر رؤية الهلال استناداً الى الحديث الشريف «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته» ، مع أن المسافة بين البلاد الإسلامية وخاصة في الجزيرة العربية وما جاورها ، لا تبرر القول باختلاف المطالع ، لأنها واقعة على خطوط متقاربة ، مما يجوز معه بدء الصيام فيها جميعا ، متى ثبتت رؤية الهلال في احداها .

وأنا وإن لم أعرف ما انتهى إليه مؤتمر تونس في صدد هذه المشكلة ، أحب أن أنبه الى أنه لا سبيل الى توحيد بدء الشهور العربية الا بالحساب وخاصة في هذا العصر الذي تقدمت فيه العلوم الحديثة بحيث أصبح من أيسر الأمور تحديد مواعيد الكسوف والخسوف . وهذا لا يتنافى قط مع قول الرسول الكريم «صوموا لرؤيته وافطروا لرؤيته» ولا مع ما علل به الرسول ذلك من قوله «نحن أمة أمية ، لا نحسب ولا نكتب» . فقد كان ذلك لحكمة ظاهرة وهي غلبة الأمية في الأمة في ذلك العصر ، فلم يكن الاعتماد اذ ذاك على الحساب والكتابة ممكنا . أما اليوم وقد وجدت المراصد الفلكية ، وتقدم العلم تقدما محسوسا ملموسا ، فمن الجهل الفاضح أن يقع الخلاف على بدء شهر الصوم والأعياد ما دامت الأمة قد خرجت من أميتها ، بل يجب الأخذ في اثبات ذلك بالحساب وحده ، وبذلك تتوحد كلمة المسلمين في شأن من أهم شؤونهم التعبدية والاجتماعية ، فضلا عن أن القول باعتبار المطالع يستلزم اعتبار الحساب والاعتماد عليه باعتراف فقهاء الشافعية أنفسهم ، وهم الذين يقولون باعتبار المطالع ولو أنهم زعموا أن الشرع يأبى الأخذ بأقوال المنجمين ، ونسوا أن المسألة لم تعد مجرد تنجيم ، وإنما هي مسألة حساب ومراصد ثبت أنها تستطيع رؤية ما لا يراه النظر المجرد .

أقول هذا لمناسبة حلول شهر الصوم المبارك ، واقتراب عيد الفطر ، أعاده الله على أمتنا العربية والأمة الاسلامية فائضة بالخير والبركات .

« مسلم »

ما قل ودل !

مجلة العربي
أشبه براتب الموظف
كلاهما يظهر أول الشهر
ويختفي أول الشهر

الزقازيق — المهندس الزراعي
E ٠ ع ٠ م سعيد اسماعيل الجبرف

ذو القرنين هل هو « كورش الأكبر » ؟

● اطلعت في العدد ٦١ من مجلتكم الغراء على اجابة المجلة على سؤال لأحد قرائها من « ذي القرنين » ، وبهذه المناسبة استأذنكم في ان اشير هنا الى البحث العلمي القيم الذي قام به العلامة المحقق المرحوم ابو الكلام ازاد وزير المعارف الهندي حول هذا الموضوع فقد اعتمد رحمه الله في بحثه على ما جاء في مصدنا الأول في القرآن الكريم مفسرا الآيات الواردة بهذا الصدد تفسيرا علميا دقيقا اعتمد فيه على الآثار التاريخية المكتشفة في تخت جمشيد (برسيبوليس) وآثار تاريخية اخرى ، وقد خرج من تحقيقه ذلك برأي قاطع في ان ذا القرنين ليس الا « كورش الأكبر » مؤسس الاسرة الاخمينية ومنشيء الامبراطورية الايرانية .

وتفضلوا بقبول فائق التحية .

« الكويت »

حسن قراقوزلك

الملحق الصحفي بالسفارة الايرانية

اهو « ترحيل » أم « تهجير »

● يستعمل بعض الكتاب في هذه الايام كلمة « تهجير » في معرض الحديث عن ترحيل اهالي النوبة ، ولم ار عند رجوعي الى المعاجم اللغوية ما يتمشى مع هذا المعنى الشائع ، ولم يرد عن العرب « التهجير » بمعنى الترحيل بتاتا ، جاء في القاموس المحيط للفيروزابادي في مادة « هجر » ، وهجر تهجيرا واهجر وتهجر : سار في الهاجرة ، والتهجير في قوله صلى الله عليه وسلم « المهجر الى الجمعة كالمهدي بدنة » وقوله « ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا اليه » بمعنى التبكير الى الصلوات وهو المضي في اوائل اوقاتها وليس من الهاجرة ، وعلى غراره جميع المعاجم والمصادر اللغوية .

ولعل الكتاب الذين آثروا هذه الكلمة في صيغتها هذه « التهجير » انطلقوا من كلمة الهجرة او المهاجرة وهي الخروج من بلد الى بلد آخر ، ولكن مع هذا التقارب العظيم في الاشتقاق تحول اللغة العربية دون الموافقة عليها لأن المعول في اللغة السماع عن العرب ولم يسمع منهم لفظ كلمة التهجير بالمعنى الذي اصطلح عليه كتابنا اليوم .

وعلى ضوء هذا فالصواب ان يقال الترحيل او التسفير بدلا من التهجير .

عبد الله بن يحيى العلوي

« العربي » : لا يا سيدي والا جمدت اللغة ، والى جانب السماع يوجد القياس .

الحلة .. والفرات

● ورد في ركن « نحن نسأل وانت تجيب » ان مدينة الحلة تقع على نهر الفرات ، والواقع ان مدينة الحلة تقع على نهر يسمى بنهر الحلة ويسميه العامة في هذه المنطقة « شط السيل » وهو يتفرع من نهر الفرات الاصلي عند سدة الهندية التي يتفرع الفرات عندها الى اربعة فروع :

١ — نهر الحلة او شط السيل الذي تقع عليه مدينة الحلة .

٢ — نهر الحسينية الذي تقع عليه مدينة كربلاء .

٣ — جدول بني حسن .

٤ — جدول الجورجية .

وبعد ان تتفرع هذه الفروع من نهر الفرات يتجه الى الكوفة مارا بمدينة الهندية ، حتى اذا ما وصل الى ناحية الكفل يتفرع الى فرعين كبيرين رئيسيين هما شط الكوفة « الفرات الاصلي » وشط الشامية وبعد ذلك يلتقي الفرعان قرب قضاء السماوة فيكونان مستقل نهرا واحدا .

نوري جواد كاظم الخاقاني

قضاء الهندية الحلة



سؤالان خطيران

١ - أنت تكتب عن أمجاد العرب

بقلم رئيس التحرير

■ تحدثت واتحدث عن العرب : كيف أخذوا العلم واخذوا الفلسفه عن الاغريق . كيف ترجموا ما وقع في ايديهم من ذلك ، وكيف بني العلم فيهم ، على شتى صنوفه ، وبعث الفلسفة على شتى اضرابها ، تعيش بين ظهرانيهم ، من القرن الثامن الميلادى ، الى القرن الرابع عشر فما وراءه . وهى جميعا ، من علم وفلسفه تنمو وتزدهر ، ثم هى تعود آخر الامر الى أوروبا ، فتحيا فيها مع النهضة الاوروبية الحديثة التى كان منها هذه المدنية الحديثة التي ننعم بها اليوم .

سؤالان خطيران

ويكتب لي كاتب يسأل انت تكتب في امجاد العرب ام امجاد الاسلام ؟

ويكتب لي كاتب آخر يسأل : اذا كان هذا هو حرص العرب على العلوم والفنون ، فما بال دار الكتب بالاسكندرية ، وما كان لعمرو بن العاص بأمر الخليفة عمر فيها ؟

امجاد العرب ام امجاد الاسلام ؟

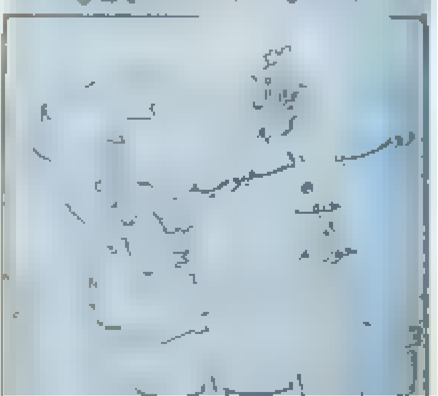
ان هذا السؤال سؤال خطير . ولم يكن صاحب السائل اول سائل له . والفرنجه ، لقي الكثير منهم هذا المعضل وهم يكتبون عن العرب . سألوا أنفسهم : عن العروبة هم يكتبون أم عن الاسلام ؟ لهذا وجب ان يكون لهذا السؤال جواب حاسم ، تنأى به عما صاحب التاريخ من رياح السياسة عاصفة .

٢ - ما بال ما صنع عمرو بن العاص بمكتبة الاسكندرية ؟

أم أمجاد المسلمين ؟

والحق [illegible] لنحدد [illegible] [illegible] بينهما ، وهو تعويل أمجاد العرب ، [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] الأردن فنعلم أنه مسلم عربي [illegible] [illegible] في أبي عبد الله محمد [illegible] [illegible] الخوارزمي ، فنعلم أنه مسلم من خوارزم ، وهي في عصرنا الحاضر خيفا KHIVA ، في الاتحاد السوفييتي جنوب بحر آرال ، وتقول في أبي [illegible]


خوارزم ، هي اليوم ضمن بلاد التركمان بالاتحاد السوفييتي



فنعلم أنه جاء من بلخ ، فهو مسلم [illegible]

وانت من ناحية أخرى تقول في ثابت ابن قرة ، عالم الهندسة الكبير ، فنعلم أنه صابيء . وتقول في حنين بن اسحق ، فنعلم أنه نصراني . وتقول في السكري العربي « ما شاء الله » ، هذا اسمه ! فنعلم أنه يهودي مصري .

دولة دينها الإسلام ، ولسانها العربية

[illegible] الدولة العربية كانت دولة عجيبة [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] والنزعات العنصرية، والخلافات الدينية ، فوق ما ارتفعت أمم من قبلها وأمم من بعدها . انها دولة دينها الاسلام ، ولسانها عربي ، فهي اسلامية عربية معا . على الرغم من خلاف نجده عند طائفة نحريها بين العروبة والاسلام ، فليست العروبة اسلاما كلها ، وليس الاسلام عروبة كله .

وضمت الدولة العربية الإسلامية ، كل ما هو عربي ، ومن هو عربي ، مسلما كان ، أو مسيحيا كان ، أو يهوديا أو صابئا . وضمت الدولة الاسلامية العربية [illegible]

مسلما ، عربيا كان أو أعجميا ، ما بقيت اللغة العربية له لسانا ناطقا أو كاتبا .

اتساع الأفق ، وسماحة القلب

ونحن قد نذكر مجدا للعرب ، في علم ، وفي رياضة ، وفي فلك ، وفي هندسة ، وفي جبر ، وفي كيمياء ، وفي خواص ما أنبت الله في الأرض من نبات ، وما أحيا على ظهرها من حيوان .

ونحن قد نذكر مجدا للعرب في فلسفة ، وفي بحث أصول الفكر ، وفي كشف أمزجة الأنفس وخلجاتها .

ونحن قد نذكر مجدا للعرب في أدب ، ومجدا في تشريع وقانون .

ولكن هناك مجد أكبر من كل مجد ، وأعظم من كل مجد ، وهو تمهيد لا بد منه للسبق في هذه الميادين جميعا ، ذلك اتساع الأفق ورحابة الفكر وسماحة القلب ، فلا يضيق شيء منها بالعرفان ، بأي لسان جاء ، ومن أي صقع جاء ، وبأي زي تزيا وبأي ثياب .

ويزيد في مجد العرب ، في هذا المعنى ، أن صفة الاتساع هذه ، وصفة الرحابة ، لم تكن صفة الشعب وحده ، بل كانت صفة الخلفاء ، وهم القمة . وليس أدعى للدهشة ، للمفكرين منا في هذه العصور الحاضرة ، التي تحرر فيها الفكر وساد العباد ، من أن يتصوروا المأمون مثلا ، وقد تعمم بعمامة الإسلام ، ثم هو يقعد للمذاكرة مع كل ذي فكر ، على اختلاف دين ، واختلاف نشأة ، حتى واختلاف لسان . ومتى عاش المأمون ؟ عاش قبل أن يتحرر الفكر الأوروبي بقرون وهو مات قبل اليوم بألف عام ، وبضع مائة من الأعوام .

قال النبي ، صلوات الله عليه ، اطلبوا العلم ولو في الصين . وطلبه خلفاء بني العباس في الصين وفي غير الصين . وهل أشهى من تصور العالم الفلكي الهندوكي ، منكا ، يدخل الى بلاط الخليفة المنصور ، ليؤدي اليه بالذي عنده من علم ؟ ومن دعاه ؟ ومن سعى به الى بلاط الخليفة ؟ انه أبو إسحق إبراهيم بن حبيب بن سليمان الفزاري ، المسلم العربي ، وكان مثله فلكيا ، ومع هذا لم تدخل الغيرة الى قلبه .

ان هذه الروح هي التي سادت العرب قديما ، وهي الروح التي يجب أن تسودهم اليوم . وهي لا شك سائدة .



الاسكندر الأكبر منشىء مدينة الاسكندرية وهو غزا مصر عام ٣٣٢ ق . م

انها المجد الأول الذي يفتح لسائر الأمجاد بابا .

وما أيسر على على الأمة العربية ، وقد فتحت في هذا الأمس البعيد للمجد بابا ، أن تفتح له اليوم ، في هذا العصر الحديث ، أبوابا . تفتحها بالنية الصادقة ، وبالعمل المتواصل ، وبعون الله ، وبمشيئته ، والله في عون العبد ما دام العاملون ثقته .

عمرو بن العاص ومكتبة الاسكندرية

ثم نأتي على السؤال الخطير الثاني : ماذا صنع عمرو بمكتبة الاسكندرية ؟

وهو سؤال خطير لا يسمعه سامع حتى يتوقف ، ليجيب عنه ؟

نعم ، انها الفرية القديمة التي افتراها المفترون عن العرب عندما دخلوا مصر غزوا . قالوا انهم ما بلغوا الاسكندرية حتى جعلوا من كتبها طعاما للنيران .

ومكتبة الاسكندرية مكتبة في التاريخ عظيمة ، نشأت مع نشأة المدينة عام ٣٣٢ قبل الميلاد ، ولولاها علماء كرماء بقي اسمهم على التاريخ خالدا .

وجاء عمرو بن العاص الاسكندريه بعد انشائها بألف عام تقريبا ، جاء يغزوها . وأبت المدينة غزوا ، فحاصرها

اربعة عشر شهرا . وكتب عمرو الى الخليفة عمر بن الخطاب يصف الاسكندرية بأن بها اربعة آلاف قصر ، واربعة آلاف حمام ، واثني عشر الف بستان ، واربعمائة من المسارح والملاهي.

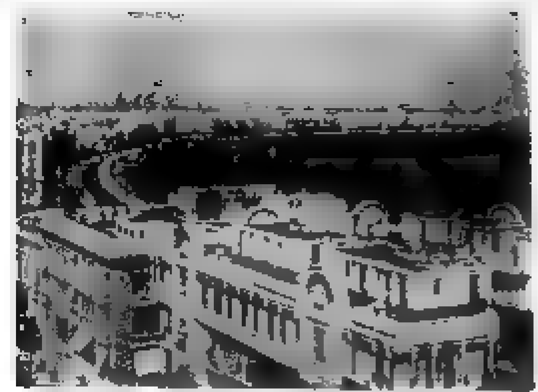
وتقول الفرية التاريخية ان عمرا بن العاص ظل بعد ذلك ، وبتوجيه عمر ، ستة اشهر يوقد مواقد هذه الحمامات بما وجد في تلك الدار ، دار الكتب ، من كتب ومن أوراق .

عبد اللطيف البغدادي ، اول من اشاع الفرية ، في ساعة غفلة

وانت تطلب هذه الفرية في التاريخ ، اين ظهرت ، ومتى ظهرت ، فتعلم أن الذي قالها أول من قال ، عربي ، هو عبد اللطيف بن يوسف ، موفق الدين ، البغدادي . وتسأل عن القرن الذي عاش فيه فتعلم انه ولد في بغداد عام ١١٦٢ ميلادية ، ومات فيها عام ١٢٣١ . فهو اذن جاء هذه الدنيا بعد فتح العرب مصر بنحو ستة قرون .

وتعلم عبد اللطيف في بغداد ، وذهب الى الموصل فعمل فيها حينا ، ثم ذهب الى القدس بعد أن غزاها صلاح الدين ، وعلم في جامع دمشق . ومات صلاح الدين فذهب البغدادي الى القاهرة ، معلم في الازهر . وكتب عن مشاهداته بمصر كتابا تضمن شيئا من نباتاتها ، وشيئا من حيواناتها ، وشيئا من آثارها ، وشيئا عن كيف يبني المصريون سفنهم ، وعن كيف يطحنون ، وعما جرى في مصر من حوادث ، فقد كان البغدادي طبيبا ، وعالما بطبائع الاشياء ، من الجوامد والاحياء ، وذا فلسفة كذلك . وكان له في كل شيء باع ، وهو معجزة من معاجز العرب في كل مكان وزمان .

وتسأل : فكيف جاءه علم ما كان بالاسكندرية ، فتعلم أنه سار اليها ، وفي المكس هبط على مقدار عظيم من عظام ، من بقايا جثث انسانية ، فأخذ يبحث فيها ، ويعد الفقرات التي بظهورها ،



الاسكندرية كما هي اليوم

وخالف جاليتوس فيما قال .

مبدأ أبو محمد ، ذلك الذي ظهرت هذه الفرية اول ظهور في كتابه . ولم يكن كتاب علم ، ولم يكن كتاب بحث ، ولم يكن كتاب تحقيق ، كان كتاب مشاهدات ، كان كتابا مما يكتبه أهل الرحلات عن رحلاتهم . فهو يكتب ما يرى ، وهو يكتب ما يسمع ، لا ما يحقق .

فهذه الفرية جاءته لا شك من سماع شائعة مما تشيع بغير اساس .

ومتى جاءته ؟ جاءته بعد ما زعمته الفرية من حرق مكتبة الاسكندرية بنحو ستة من القرون .

وكتب أبو محمد ما كتب ، في غفلة ساعة ، وما أسرع ما تناقله الناقلون . وعدوه على انه حقيقة من حقائق التاريخ . وبلغت هذه الفرية آذانا مريضة ، فما أسرع ما صدقتها قلوب مراض .

المؤرخ الانجليزي الشهير ، جيبون ، ينكر هذه الفرية

وكتب المؤرخ الانجليزي الشهير ، جيبون Gibbon (١٧٣٧ — ١٧٩٤ م) مؤلفه الشهير عن سقوط الدولة الرومانية .

وذكر فيه أن هذه الفرية لقنها على المسلمين أبو الفرج العبري في تاريخه « مختصر الدول » ، وهو ترجم الى اللغة اللاتينية فتلقفها أهل الغرب من العرب فأذاعوها .

ومتى كان ذلك ؟

بعد نحو ستة قرون من فتح العرب لمصر . وعلى التحقيق في النصف الثاني

من القرن الثالث عشر الميلادي ، اي بعد وفاة عبد اللطيف البغدادي . ولعله نقلها عنه .

وفي اثناء هذه القرون الستة الاولى ، من بعد فتح العرب مصر ، كتب مؤرخو العرب عن الاسكندرية ما كتبوا ، فلم نجد ذكرا واحدا لحريق الاسكندرية ، ذلك الذي زعموا ان عمرا بن العاص قام به ، بتوجيه عمر . وكان اولى ان يذكر .

حتى رينان ، كاره الاسلام انكر هذه الفرية

حتى الفيلسوف الفرنسي رينان Renan ، كاره الاسلام والمسلمين،معاها قال : « انه لا يعتقد ان عمر امر باحراق خزانة الاسكندرية ، لانها كانت احرقت قبل ذلك بزمان طويل .

وهو يشير بذلك الى ما قال غيره من المؤرخين الغربيين من ان «هذهالدعوى من الاغلاط التاريخية العظيمة ، اذ لم تكن لهذه الخزانة ، التي قيل انه كان بها نحو ٧٠٠٠٠٠ مجلد ، اثر عندما فتح العرب مدينة الاسكندرية عام ٦٤٠ ميلادية . فعلى عهد البطالسة ، قبل الفتح العربي ، اصبح امر هذه الخزانة الى ضعف : قسمت شطرين ، جعل كل شطر منهما في مكان مستقل ، محرق الاول قضاء وقدرا عندما استولى الامبراطور الروماني يوليوس قيصر على الاسكندرية عام ٤٧ قبل المسيح ، وذهب القسم الثاني ـ وكان جعل في معبد سيرابيس ـ Serapis على يد الاسقف توفيل Theophile بعد ذلك التاريخ باربعمائة سنة،بناءعلىالامر الصادر من الامبراطور الروماني ثيودسيوس Theodosius (٣٧٩ ـ ٣٩٥ م) بالقضاء على جميع المعابد الوثنية » .


يوليوس قيصر (١٠١ ـ ٤٤ ق . م) وهو في اثناء غزوه الاسكندرية تسبب الحريق في مكتبتها

والمؤرخ الكبير ، جورج سارتن نفى هذه الفرية

وا قرأ لكاتب مؤرخ امريكي عظيم حديث،جورج سارتن Sarton ،لا تجمعه بالعرب دماء . ولا تجمعه انساب . فاراه يقول : لا بد لاثبات ان العرب حرقوا هذه المكتبة في القرن السابع الميلادي ، من اثبات اولا انها كانت موجودة في هذا القرن السابع الميلادي . وهذا الوجود فيه شك عظيم . فاغلب الظن ان المسيحيين اتلفوا على الاقل جانبا كبيرا منها قبل ان يجيئها المسلمون ، وقبل ذلك بقرون . فقد كانت خزانة لعلم وثني . وهي كانت قد اهملت اهمالا ، فعلى احسن فرض ، لا يكون ابقى عليها القرن السابع ، يوم غزاها العرب ، الا وهي صغيرة ضئيلة حقيرة بالنسبة لما كانت عليه في غابر القرون .

هذا ما يقال في هذه الفرية ، وقد قال في دعمها من اهل الغرب الكثيرون ، ودائرة المعارف البريطانية تقول انها خبر فيه شك كثير .

انها شائعة كانت فماتت ، وما اسرع ما تموت بالتحقيق الشائعات . وهي اليوم غير ذات موضوع ، وهي اليوم لا تشغل لاحد بالا . ■■

احمد زكي



بقلم : الدكتور محمد فتحي الشنيطي
استاذ الفلسفة المساعد بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

● تعد مشكلة الحرية من أهم المشكلات الفلسفية ، فهي حجر الزاوية في تأمل الانسان من قديم الزمان الى أيامنا هذه . وقد اكتسبت هذه المشكلة في المذاهب الفلسفية المعاصرة بخاصة عمقا وأبعادا وألوانا لم تكن لها من قبل . ولذلك لا نكاد ننظر في لوحة هذه المذاهب حتى نرى بؤرة الاهتمام فيها الانسان وحريته .

فالفلسفة البرجمية فلسفة تعتز بالانسان وتشيد بالدور البطولي الذي ينهض بأدائه في الحياة من حيث انه يجدد ويبدع ، ومن حيث ان طاقاته الخلاقة لا تنفد . وتعتز هذه الفلسفة بالفردية الانسانية ، وترى أن صقل هذه الفردية وتعزيزها ، يؤديان حتما الى شد أزر الجماعة وتدعيم كيانها .

والفلسفة الوجودية تجعل الانسان محور اهتماماتها ، وتتصدى لأزمة المصير الانساني ، فتفسر ذلك القلق المشبوب الذي يصاحب الانسان دوما في رحلة الحياة العسيرة ، بأن الانسان حين خرج الى هذا العالم دُفع اليه دفعا دون أن تكون له حرية الاختيار وعلى هذا فهو في حياته يحاول أن يعوض ما فاته متوخيا تحقيق كيانه بتأكيد حريته .

والفلسفة الماركسية تفسر الوجود الانساني تفسيرا ماديا اقتصاديا فهناك حتمية Determination عامة شاملة تتولى الانسان منذ فجر التاريخ ، وتتقلب به

بين مختلف الأوضاع الاقتصادية نتيجة لاختلاف أنماط حياته التي تعتمد أساسا على وسائل الانتاج. فالمجتمع تشكل، لا لأن هنالك قيما عليا ومثلا تجذب أبناءه اليه؛ ولا لأن هنالك معنويات وأهدافا ومفاهيم يقال عنها أنها منبثقة من الروح.. فليس ثمة روح ولا دين ولا اله! فهذا كله ثمرة مخيلة مرحلية سوف تمضي عن حركة المجتمع الدائمة، بوحي الانحراف بأبناء هذا المجتمع الى طريق يبتعدون فيه عن العمل والكفاح والنضال من أجل الرفاهية والسعادة للجميع. فليس في الماركسية مشكلة الحرية بمعنى من المعاني التي نجدها عند البرجسونيين او الوجوديين.. فالحرية هنا هي الجماعة بأسرها.. هي الكفاح الذي يشد الأفراد في كل يعمل على تحقيق مجتمع الغد حيث تختفي البرجوازية، وتطمس الطبقة، وتزول الفوارق التي تقيم الحواجز بين الناس، ويسود السلام والمحبة والوئام.

مشكلة الحرية في عصر الذرة والفضاء

وفي عصرنا هذا، عصر الذرة والفضاء، تتجلى هذه المشكلة أروع ما تكون، وتلقى عليها الأضواء من مختلف الزوايا. فالتقدم العلمي تحقق بفضل ذلك المنهج الذي يلتزم بالموضوعية وينظر الى الظواهر على أنها علاقات متماسكة مترابطة، فمجال العلم هو دون منازع مجال الحتمية الخالصة. ولم يقتصر المنهج العلمي على المجالات المادية فحسب بل انطبق على المجالات الانسانية أيضا. ولما كان هذا المنهج يتطلب في ذاته ومن ذاته ايمانا بحتمية الروابط بين الظواهر فليس هنالك ما يدعو لاثارة مشكلة الحرية. بيد ان هذا قد يصح لو اقتصر الأمر على العالم المادي، أو على الجانب المادي في الانسان من حيث كيانه العضوي وطاقاته الحيوية واستعداداته الغريزية. ولكن حين نواجه التصرف الانساني والحكمة الانسانية يعز علينا أن نربط بين هذا التصرف كنتيجة وبين مقدماته من دوافع ورغبات وبيئة ووراثة كأسباب وعلل. فمهما بذلنا من جهد في البحث عن الشواهد والدلائل على تلك الروابط الوثيقة بين المقدمات والنتائج في التصرف الانساني، فاننا ما برحنا نقف مشدوهين أمام سر الحياة الانسانية الحرة.

ومن هنا كانت مشكلة الجبر والاختيار مشكلة عريقة في التراث الانساني تتعدد حولها وجهات النظر. فلئن كان هنالك قول باختيار مطلق، فان هنالك رد على هذا القول يستند الى البيئة الاجتماعية والى المقومات الوراثية والى الدوافع والحوافز الوجدانية. واذا كان الرأي بالجبر المطلق فان الرد عليه بالكرامة الانسانية وبالمسئولية التي تنطوي في صميمها على الحرية: فكيف يكون الانسان مسئولا عن تصرف لا يد له فيه!

ان الحرية في التصور ستظل مشكلة شأنها شأن مشكلات الوجود والمعرفة وسائر المشكلات التي يثيرها العقل فتجعل للفكر الانساني حيويته المتجددة وتمكن له من الانطلاق الذي لا يقف عند حد.

الأخلاق .. والحرية

ولعل الفيلسوف الألماني « امانويل كانت » قد مس مشكلة الحرية حين جلا في روعة دور الواجب في حياة الانسان. ولذلك نراه حريصا على أن تأتي التجربة الأخلاقية محققة الشمول والعموم والضرورة تحقيق التجربة الطبيعية لها. فان قانون الواجب هو ذلك الاطار العام الشامل الكلي الذي لا يمكن تصور تجربة أخلاقية الا في كنفه. وعلى ذلك فالعمل الأخلاقي لا يتم الا بأمر مطلق غير مشروط بشرط، ولا يتحقق الا اذا كان صادرا عن نية طيبة غير متعلق بهوى أو غرض أو منفعة.

ففي صميم الأخلاق ـ كما هو واضح ـ التزام تام، فكيف يمكن أن نتحدث عن الحرية في نطاق هذا الالتزام؟ ثم كيف يجوز الحديث عن الانسان وعن الأخلاق الا على أساس أن الانسان حر مسئول؟ هنا هو المأزق الذي نواجهه، ولا مخلص لنا منه الا بتفسير الالتزام الأخلاقي على نحو تكون الحتمية فيه مختلفة عن تلك التي نلاحظها في القانون الطبيعي. فالالتزام الأخلاقي هنا يلقي على كاهلنا مسئولية ما يصدر عنا من أعمال، ومعنى المسئولية

ان الاعمال التي تصدر عنا في نطاق الواجب متوقفة علينا ، ومعنى هذا بالتالي اننا احرار ، ويترتب على ذلك ان الحرية وثيقة الصلة بالاخلاق .

الا اننا من حيث كوننا بشرا لنا هذا الوجود الحسي الذي يربطنا بالزمان والمكان . فافعالنا الجزئية تعبر عن احساساتنا وعواطفنا عن آلامنا وآمالنا واحلامنا .. عن ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا . ولكننا من حيث كوننا كائنات اخلاقية ينبغي لكل منا ان يؤدي الواجب لذاته ، لا من حيث هو فرد ، ولا من حيث كونه يمثل الانسانية جمعاء في شخصه . فالفرد في لحظة ادائه للواجب يشرع لذاته وللانسانية قاطبة . فهو في لحظة ادائه للواجب لا يؤدي عملا الى زوال ، كأي عمل من تلك الاعمال التي نؤديها في نشاطاتنا الواقعية بل يتوخى ان يكون عمله قدوة عامة .. عملا خالدا عاما مطلقا يصلح في كل زمان ومكان . فالالتزام الاخلاقي هنا متعال على الزمان ، ولذلك لا يصح ان نضفي عليه صفة الحسية .

وعلى ضوء ما تقدم ينبغي ان نضع في اعتبارنا أن حياتنا العاطفية ليست هي كل شيء . وانما هنالك الحياة في عمقها وصميمها .. هنالك الحياة على الحقيقة ، أعني الحياة الاخلاقية ، وهي التي تتمثل فيها كرامة الانسانية وعزتها . وهذه الحياة الأخلاقية حياة متعالية ، لأنها لا يمكن ان تكون مصدر عزة للانسانية كلها الا اذا تعالت على ظروف الزمان والمكان . ومن هنا فالأخلاق حرية خالصة ، لأننا لا يمكن أن نتحدث عن كرامة الانسان والانسانية الا اذا كانت الانسانية في نظرنا هي الحرية ، والا اذا كان الانسان ، وهو يتصرف ، مسئولا عن تصرفه واعيا به لا آلة منفذة .

واذا سلمنا بالحرية على هذا النحو أمكننا أن نشيد بالدور البطولي الذي يؤديه الانسان من أجل السلام والحب . فالبطولة معنى اخلاقي كريم ينطوي على التضحية والايثار ومحبة الخير للغير . والبطولة معناها الجهاد من اجل مستقبل أفضل ، فهي تستلهم حافزها من الربط بين الانسان والانسانية في عروة وثقى بحيث يتعاطف مع القضايا النبيلة

ويحرص على كرامة الانسان من حيث هو في كل زمان ومكان .

الحرية مقيدة بسلطة المجتمع

والرأي السليم بصدد مشكلة الحرية ، على تعقدها ، يتمثل في نظرة تكاملية تجمع بين تصور حرية انسانية نقية خالصة ، من جانب ، وبين ربط هذا التصور بالمقتضيات العملية في حياة الفرد والجماعة على حد سواء ، من جانب آخر . وليس ثمة شك في ان الحرية هي النقطة المحورية التي تدور حولها حياة الانسان .

والحرية في صميم معناها هي تحقيق لارادة الانسان ، التي لا بد وان تسترشد بعقله وتسوحي ضميره وتستلهم حبه للخير . ذلك لأن الانسان يمتاز على الحيوان بالبصيرة والفهم ، والقدرة على التحكم في غرائزه والسمو بها ، والوقوف في وجه اهوائه بالتعالي عليها . واما الحيوان فيندفع حين يثور ، وتصرفه اعمى خاضع لنداء العصبية الملحة .

فاذا نظرنا على ضوء هذا التفسير للحرية ، تبينا ان الحيوان يمكنه ان يعيش في الارض سعيدا ، مستجيبا لغرائزه بطريقة اعتباطية . اما الانسان فله قيمه التي يعتز بها ، ومبادئه الاخلاقية الكريمة التي لا يحيد عنها ، وله ضميره اليقظ وايمانه العميق ، بالقدرة الالهية السامية المدبرة . فاذا كانت كرامة الانسان في حريته ، فلا بد لتحقيق هذه الكرامة من ان يأتي مفهوم الحرية متجاوبا مع ما يليق بالانسان من رويـة واناة وتبصر . فتتم الحرية في حدود الخير للجماعة الانسانية التي يعيش في كنفها ، وتتوافق افعاله مع تكامل المجتمع الانساني كله .

واذا جاز لنا القول بأن حرية الحيوان مطلقة لا واعية ، وجب ان نقول ان حرية الانسان مقيدة واعية . ولا غرابة في كونها مقيدة فيما ما تستلزمه طبيعة الحياة الانسانية . وسلطة المجتمع تشكل حرية الانسان منذ طفولته ، فرعاية الأب وحنان الأم ، ثم المدرسة والاندماج في الحياة الاجتماعية على اوسع نطاق ، كل هذا يفضي الى نضج الوعي على أساس احترام النفس والغير .

ومن هنا يقترن مفهوم الحرية بسلطة المجتمع .

والسلطة في معناها الاصلي (باللاتينية Auctoritas) تدل على الرعاية والانماء والتحسين والانشاء . والسلطة الحقيقية تتمثل في رب الاسرة المربي والطبيب . ويستهدف القانون الوضعي هذا الهدف المتمثل في المعنى الاصلي للسلطة . فالقانون يرمي الى تحقيق الخير للناس جميعا في ظل الحدود العامة التي يطبقها والتي تكفل لكل فرد حريته بما لا يؤذي حقوق الآخرين ، وبما لا يجعل البعض يطغى على البعض الآخر .

ان المصدر الاصلي لكل سلطة هو الاطمئنان والثقة وايماننا بالله ويقيننا في هذا العالم مركز نشاطه ومحور نظامه ومبعث تطوره .

فالسلطة منبثقة من ذوات انفسنا بحيث انها تعبيرا اصيلا عن الحرية التي تكفل التكامل الاجتماعي وتحول دون طغيان بعضنا على البعض الآخر واستبداده .

فالحرية على ذلك لا يستقر لها مفهوم واضح الا اذا ارتبطت بسلطة المجتمع . وسلطة المجتمع تنحرف عن مضمونها السليم اذا لم تعمد الى تأييد الحرية وتعزيزها برفع شأن الكرامة الفردية . الا ان حرية الفرد وسلطة المجتمع امران متلازمان لا غنى لأحدهما عن الآخر . ولا ينشأ التعارض بينهما الا حين تنقلب الحرية فوضى وعكسها ، وتستحيل السلطة طغيانا ، فتضطرب موازين الحياة الاجتماعية باهدار كرامة الانسان . ومن هنا يمكننا ان نقول ان الحرية من حيث التطبيق تتمثل في التوازن بين الحقوق والواجبات .

بين الحقوق والواجبات

فنحن منذ نعومة اظفارنا نسعى الى تصرف علاقتنا في هذا العالم ، ومنزلتنا من البيئة الاجتماعية التي تكتنفنا . ويشرع الوالدان والمربون في تعهدنا بالتربية والتوجيه . يلجئون الى اللين احيانا ويلوذون بالشدة احيانا اخرى . ويقصدون من هذا الى تلقيننا درس الحياة الخالد : ليس العالم طوع بناننا ، وليس في استطاعتنا ان نرضي رغباتنا كلها ولا ان نحقق مطالبنا جميعها ، في غير ما تيه ودون ما ترف . ان الطفل يفكر اول ما يفكر في ذاته ، وسلوكه منذ البداية سعي الى ارضاء نفسه دون ادراك لما حوله . وبقدر ما ينمو بقدر ما تتسع دائرة واجباته وتضيق دائرة حقوقه ، ويفهم ان الحياة الانسانية تجاذب وتفاهم ، واخذ وعطاء وتراض وقبول .

الواجبات مقدمة على الحقوق

لذلك يذهب معظم فلاسفة الاخلاق والباحثين الاجتماعيين الى ان الواجبات مقدمة على الحقوق . وذلك لان الواجبات هي التي تقوم كيان الجماعة وهي التي تبني للاجيال القادمة مستقبلا افضل واكمل . بل ان الحقوق لا تتحدد الا بفضل اداء الواجبات على الوجه المرضي . فما لم يؤد الطبيب واجبه لما نعم المريض بحق العلاج ، وما لم ينهض المعلم برسالته لما نال التلميذ حق التعليم . وما لم يخلص الموظف العام في عمله لما استطاع المواطن ان ينتفع بحقوقه المختلفة في المرافق والخدمات العامة .

ان الاحساس بالواجب هو الذي يمهد الطريق للحصول على الحقوق العامة ولذلك صدق من قال . ان بداية النهضة في امة هي بداية احساس ابنائها بالواجب . ولا يمكن ان يكون الواجب مثمرا الا اذا اداه الانسان رغبة لا رهبة . فحب الانسان لواجبه يفضي الى شعوره بالسعادة في حياته . بينما اداء الواجب خشية العقاب يجعل صاحبه مريضا يجرع كأس الشقاء .

الا ان الحياة واجب وحق وهما متكاملان . فلا تكاد تحقق واجبا حتى نرى في اعطافه حقا ، ولا نكاد ننفذ الى لب حق من الحقوق حتى يتجلى لنا واجب من الواجبات . فالجندي يؤدي واجبه حين يشترك في معركة الجندية وهو في الآن نفسه ينعم بحقه في ان يكون مواطنا كريما شريفا . والفنان يؤدي واجبه حين يقدم لنا لحنا او رسما او تمثالا ، وهو في عين الوقت ينعم بحقه في التلذذ بثمرة ابداعه .

وبعد فالتوازن بين الحقوق والواجبات هو اكمل اطار للحرية الانسانية تصورا وتطبيقا . وبفضل هذا التوازن تستقر اوضاع الحياة الاجتماعية ، ويسمو الوعي الاخلاقي بين ابناء الامة فيكون مستقبلها افضل واكرم من حاضرها ، وتلك سنة العزيز الحكيم . ■

محمد فتحي الشنيطي

الدولة الإسلامية

كيف تقسمت إلى دول مستقلة لما ضعفت الخلافة العباسية

- الدولة البويهية في فارس والري وأصفهان
- الدولة السامانية في خراسان وبلاد ما وراء النهر
- الدولة الغزنوية في غزنة وهراة والهند

بقلم : الدكتور محمد جمال الدين سرور

أستاذ التاريخ بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

● انقسمت الدولة الإسلامية منذ القرن الثالث الهجري إلى مناطق نفوذ للعناصر العربية والفارسية والتركية.

فصار العرب يحكمون الأندلس والموصل وحلب.

ويتولى زمام الحكم في فارس والري وأصفهان والجبل بنو بويه وهم فرس.

كما حكم السامانيون وهم من أصل فارسي خراسان وبلاد ما وراء النهر.

وكان يسيطر على بلاد الهند والأفغانستان آل سبكتكين الأتراك حيث أسسوا الدولة الغزنوية.

وكان كل عنصر من هذه العناصر العصبية يطبع البلاد التي يحكمها [illegible] [illegible] الحكم والتمكين بالوسائل [illegible]. أما الأتراك، فكانوا [illegible] [illegible] ليدعموا حكمهم، ويتعصب كل فريق منهم لطائفة من قوادهم، كالبدو في تعصبهم للقبائل، ويتعصبون لمذهب أهل [illegible] [illegible] [illegible] لبني جنسهم، وهم إلى جانب ذلك سريعو التأثر بالحضارة، وإذا تحضروا غلب الترف على حياتهم كما كان شأن

العرب الذين وفدوا الى الاندلس ، والفاطميين بعد انتقالهم من المغرب الى مصر .

انقسام الدولة الاسلامية ، اراح الناس من سطوة الاتراك وظلمهم

كانت الدولة الاسلامية في ايام استئثار الاتراك بالنفوذ دون خلفاء بغداد قد تطرق الى نظامها المالي الفساد والاضطراب ، فساءت جباية الخراج وصارت الضرائب تباع لاشخاص على سبيل الالتزام ، فيشتد عسفهم بالناس حتى يبتزوا اضعاف الاموال المطلوبة منهم . وقد ترتب على ذلك فقدان التوازن بين الايرادات والمصروفات مما حمل بعض القائمين بامر الادارة المالية في الدولة الى معالجة هذه الحالة بفرض ضرائب جديدة والامعان في المصادرات لسد نقصان العجز . وكلما ساءت الحال كثر العزل والتولية في المناصب الحكومية .

وكانت دواوين الخراج في الولايات الاسلامية تقوم مقام خزائن للدولة ، فيصرف منها النفقات اللازمة لادارة شئون تلك الولايات واعطيات الجند ، ثم يحمل ما يبقى الى بيت المال العام بحاضرة الخلافة ، فينفق منه جزء على مصالح الدولة ، ويصرف جزء آخر في تحقيق رغبات الخلفاء والامراء ، بينما ظل فريق من عامة الشعب يرزح تحت اوضاع اقتصادية واجتماعية سيئة ، فلما انقسمت الدولة الاسلامية الى اقطار مستقلة تمتع كثير منها بالطمأنينة والرخاء اكثر مما كانت هذه الاقطار تنعم به ايام سلطة بعض خلفاء بني العباس الضعاف ، فاستمتع كل قطر بما يرد الى بيت ماله من الاموال ، وبذل كل حاكم جهده في سبيل توطيد دعائم دولته ، وصارت ايرادات الدول المستقلة المتجمعة من الخراج والجزية وغيرهما من الموارد ، ينفق جزء كبير منهما في اصلاح مرافقها ، كما عني حكام هذه الدول بتنمية موارد الثروة في دولهم مما ساعد على توفير وسائل المعيشة لرعاياهم وانتعاش الحياة الاقتصادية في بلادهم .

ظل الوطن الاسلامي رغم انقسامه ، وطنا واحدا

ولم يؤد انقسام الدولة الاسلامية وتعدد الخلفاء الى ضيق في معنى الوطن الاسلامي ، بل صارت كل الاقاليم الاسلامية تؤلف مملكة واحدة سميت مملكة الاسلام ، وقامت فيها وحدة سياسية لا تتقيد بالحدود السياسية الجديدة . وكان المسلم يتمتع بحق المواطن في جميع انحاء هذه المملكة ، فلا يتعرض احد لحريته الشخصية ويستطيع ان يتنقل بين اطراف الاقطار الاسلامية دون أن يمسه أحد بسوء .

اما رعايا دار الحرب وهي التي يقيم فيها اعداء الدولة الاسلامية ، فلا يستطيعون دخول اراضي هذه الدولة الا بأذن ، وفي هذه الحالة يقال له مستأمن . واذا دخلها بدون أمان فلا يمكن حمايته، وبذلك يعرض حياته للخطر .

كذلك لم يترتب على انقسام الدولة الاسلامية الى دول مستقلة تدهور الحضارة في تلك الدول بل على العكس فان الاقطار الاسلامية كانت بعد استقلالها عن الخلافة في بغداد منيعة الجانب وافرة العدة ، عظيمة الخيرات، فحالة مصر تحت حكم الطولونيين والاخشيديين والفاطميين كانت أسعد منها ايام ولاة العباسيين . ولما اتيح للاندلس الاستقلال في عهد العصر العباسي، ازدهرت فيها الحضارة واسهمت في تقدم العلوم والآداب ، ولو انها عاشت تحت حكم الدولة العباسية لما بلغت ما وصلت اليه .

دولة الحمدانيين

ظهر النفوذ العربي في الشام والجزيرة

منذ ضعفت السلطة المركزية في بغداد في أواخر القرن الثالث الهجري ، فأخذت القبائل العربية في صحراء الشام ووادي الفرات ، تحط رحالها وتحتل المدن وتكون دويلات ، فكونت قبيلة تغلب دولة الحمدانيين في الموصل وحلب .

وكان الحمدانيون منذ أقاموا دولتهم بالموصل في مستهل القرن الرابع الهجري أمراء شبه مستقلين . أما في حلب حيث أسسوا دولة أخرى ، فنجد أن سيف الدولة استطاع أن يعلن استقلاله وإن ظل يعترف بسلطة الخلفاء الاسمية،لكنه لم يدفع لهم جزية لأنه اعتبر حامي المسلمين من الروم .

وقد عني الحمدانيون بتنظيم شئون دولتهم ، فاتخذوا الوزراء أسوة بالخلفاء ليكونوا عونا لهم في إدارة شئون الدولة ، وكان هؤلاء الوزراء يخضعون للأمراء الحمدانيين خضوعا تاما حتى أصبحوا مجرد كتاب يعاونونهم في تنظيم الدواوين ، كما اتخذ الحمدانيون عمالا ينوبون عنهم في إدارة أقاليم ولايتهم .

كذلك أحاط الحمدانيون أنفسهم بشيء من الأبهة وخاصة سيف الدولة في حلب الذي كان بلاطه أزهى بلاط في عصره ، كما عرف أنه اتخذ سريرا في مجلسه بالقصر ، وهذا المظهر ــ كما يقول ابن خلدون ــ انتحله سائر حكام المسلمين في الشرق والغرب ، فجعلوا في قصورهم سريرا ومنبرا وأرائك لجلوسهم عليها مرتفعين عن غيرهم من الجالسين .

السامانيون : خراسان وما وراء النهر

ومن الدول المستقلة التي قامت في شرق الدولة الاسلامية على يد عناصر فارسية : الدولة السامانية التي أقامها السامانيون في خراسان وما وراء النهر (٢٦١ ــ ٣٨٩ هـ) ، وأصلهم فرس من بلخ . وكان جدهم سامان من أسرة نبيلة تنتسب الى بهرام جور . وقد عرف الخليفة المأمون منزلتهم ، فعين أولاد أسد بن سامان الأربعة ولاة على سمرقند وفرغانة والشاش وهراة .

اشتهر من بين السامانيين نصر بن أحمد بن أسد بن سامان الذي ولاه الخليفة العباسي بلاد ما وراء النهر سنة ٢٦١ هـ ، فاتخذ سمرقند مركزا له ، ولم يلبث أن ازداد نفوذه بحيث أصبح في استطاعته أن يولي من يشاء من قبله على بلاد ما وراء النهر ، فولى أخاه اسماعيل بن أحمد على بخارى ،وتمكن اسماعيل من القضاء على عصابات اللصوص التي كانت تتألف من الفلاحين المتذمرين ، كما عمل على استرضاء الفلاح دون أن يعتمد عليهم .

ولما توفي نصر سنة ٢٧٩ هـ آلت زعامة السامانيين الى أخيه اسماعيل، فعمل على تدعيم نفوذ الدولة السامانية، واستطاع أن يبسط سلطانه على بلاد خراسان ، وأرسل اليه الخليفة المعتضد بالخلع وولاه بلاد ما وراء النهر ،كذلك تمكن اسماعيل من الاستيلاء على بلاد طبرستان ، وضم الري الى حوزته ، وبذلك امتدت حدود دولته من ناحية الغرب.

تسلط الأتراك يضعف الدولة

أخذت بوادر الانحلال تظهر في الدولة السامانية منذ منتصف القرن الرابع الهجري بسبب وقوع النزاع بين أفراد البيت الساماني وضعف الأمراء السامانيين وخروج القواد والعمال عليهم . وكان لاعتماد السامانيين على الأتراك في جيوشهم ــ وهم من العناصر التي ثبت خطرها على الدول المعاصرة لهم ــ أثره في اضعاف دولتهم والتعجيل بزوال حكمها ، ذلك أن هؤلاء الأتراك ما لبثوا أن تقلدوا المناصب العالية في الجيش والادارة المدنية ، وأصبحوا خطرا عليهم بسبب السلطات الواسعة التي استأثروا بها .

تقسمت الدولة السامانية اربعة اقسام

ازدهرت خراسان وما وراء النهر في عهد السامانيين . وكانت خراسان تنقسم الى اربعة اقسام : قسم عاصمته نيسابور ، وقسم عاصمته مرو ، وثالث عاصمته هراة ، ورابع عاصمته بلخ .

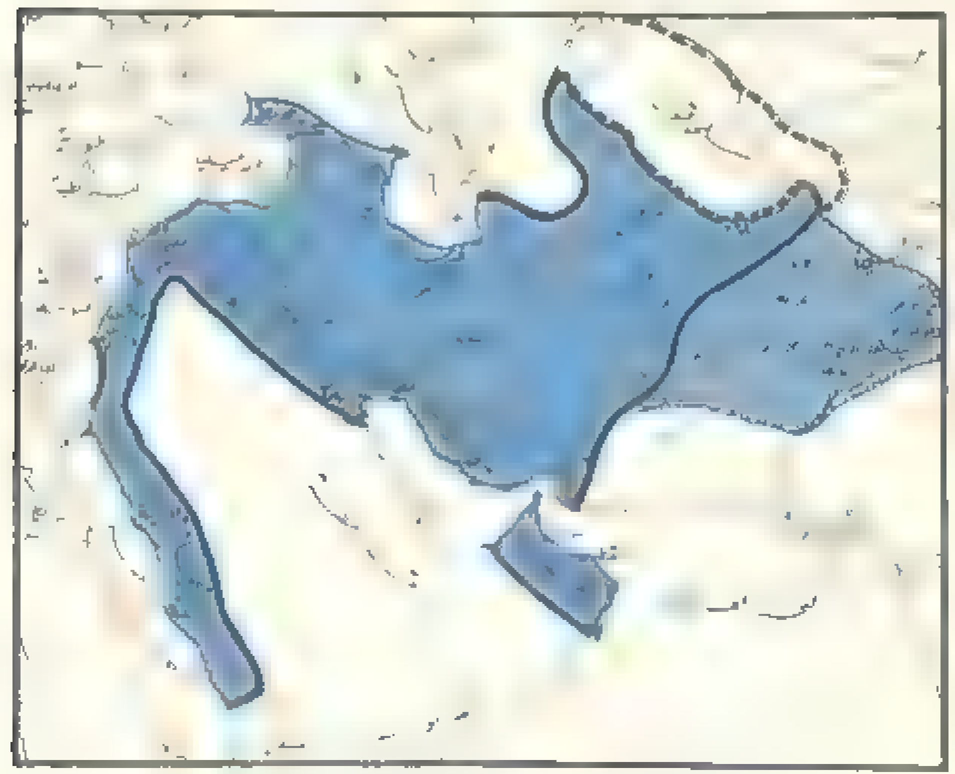
اما بلاد ما وراء النهر فتنقسم الى خمسة اقسام : الصغد أو السغد وله عاصمتان وهما بخارى وسمرقند ، والى الغرب من الصغد خوارزم ، والقسم الثالث صغانيان او سغانيان ، والرابع فرغانة ، والخامس الشاش .

الدولة السامانية في أوجها

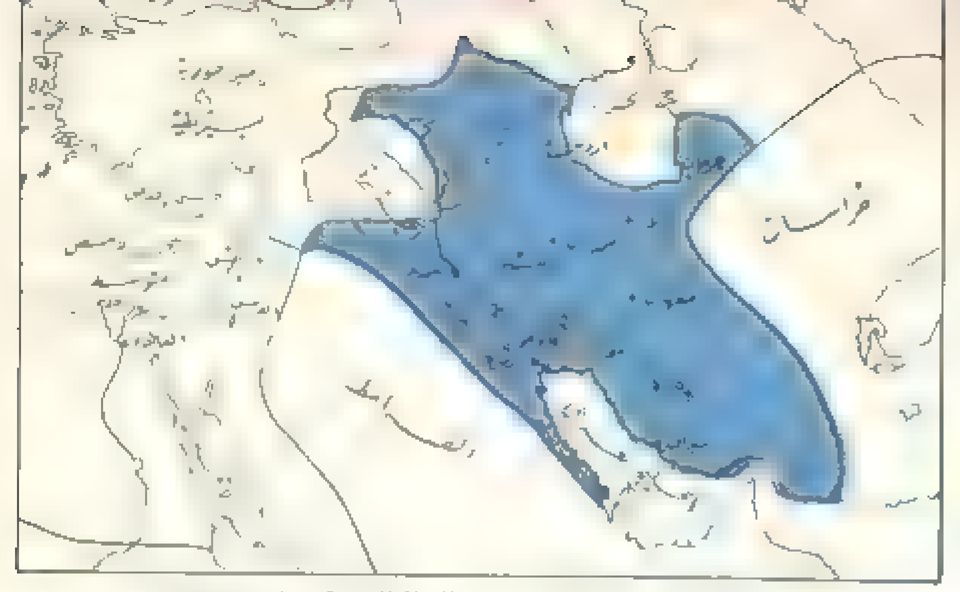
وقد بلغ نفوذ [illegible] في أواخر القرن الثالث الهجري حيث كانت بلاد ما وراء النهر والجبل وايران تحت سلطانهم . وكان بداخل حدود دولتهم ولايات تكاد تكون مستقلة ، مثل سجستان . وهذه البلاد كانت تحت [illegible]

وقد اضطر السامانيون بسبب اتساع [illegible]

وقد رحل المقدسي الى اقليم خراسان وما وراء النهر في العهد الساماني وقال في وصفه أهل خراسان : انهم أشد الناس تفقها ، وبالحق تمسكا ،



خريطة يبين الجزء الكبير الملون منها امتداد الدولة السلجوقية
– الجزء الشرقي الملون امتداد الدولة الغزنوية



خريطة يبين الجزء الملون فيها امتداد الدولة البويهية (٩٤٥ [illegible]

وهم بالخير والشر أعلم ... ورسومهم تخالف رسوم أقاليم العرب . كما حدثنا عن مجلس المظالم بنيسابور بقوله : انها كانت تعقد في كل يوم أحد وأربعاء بحضرة صاحب الجيش أو وزيره وحوله القاضي والعلماء والاشراف ، فكل من رفع اليه قضية أنصفه . وامتدح المقدسي * سيرة السامانيين في الحكم ، فقال : انهم من أحسن الملوك سيرة ، هذا فضلا عما عرف منهم من اجلال للعلم وأهله : فقد كان من رسومهم الا يكلفوا أهل العلم تقبيل الأرض بين أيديهم . وقال عنهم ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان : « انه كان يغلب عليهم العقل والدين والعلم » .

نشأة الدولة الغزنوية

أما عن ظهور الدولة التركية ، فان الاتراك بعد أن قوى سلطانهم في الدولة الاسلامية في القرن الثالث الهجري ، أخذوا يتطلعون الى أن تكون لهم السيادة في المناطق التي انتشر فيها نفوذهم فجعلت أطماعهم في الاستقلال بالولايات الشرقية منذ استعان بهم السامانيون في [illegible] من الموالي الأتراك الذين [illegible] ثم أقصي عن منصبه وعاد الى غزنه حيث [illegible] أبيه في حكمها سنة ٣٥٢هـ ، وأقام بها امارة مستقلة ؛ لكنه لم يلبث أن توفي ، فخلفه ابنه اسحق ، وهكذا [illegible] فآل أمر ما بيده الى [illegible] سنة ٣٦٧هـ (٩٦٦م) .

[illegible]

* هو أبو عبد الله المقدسي [illegible] ٣٧٥هـ (٩٨٥م) . وهو أحد الجغرافيين الرحالة العرب المشهورين . ومن كتبه كتاب « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » ـ المحرر

انتصاراته التي احرزها في فتوحه ان يضع أساس الدولة الغزنوية . ●

محمود الغزنوي

يعد محمود بن سبكتكين من اشهر رجال هذه الدولة ؛ بل من اشهر اعلام الاسلام . وكان اول من تلقب من الغزنويين بلقب سلطان بعد ان كان يلقب بلقب امير . وقد لقبه الخليفة القادر بالله العباسي « يمين الدولة وامين الملة » ، وظهرت هذه الالقاب على السكة التي كانت تحمل اسمه .

بدأ محمود الغزنوي عهده بوضع يده على مملكته الصغيرة التي ورثها عن ابيه، كما فتح بلاد الغور فيما بين غزنه وهراة ، ونشر الاسلام بين أهلها ، وأزال سلطان البويهيين في الري واصبهان . ولم تقتصر جهوده على فتح البلاد في فارس وخراسان ، بل ولى وجهه شطر بلاد الهند التي رأى فيها ميدان الجهاد الاكبر ، فغزاها سبع عشرة مرة في مدى سبعة وعشرين عاما فيما بين سنتي ٣٩١ ـ ٤١٧ هـ (١٠٠٠ ـ ١٠٢٦ م) . وكان يرمي من غزو هذه البلاد الى نشر الاسلام فيها .

الغزنوي يتخذ لاهور مقراً لحكمه

اتخذ محمود الغزنوي لاهور مقرا لحكومته بالهند ، وعين بها نائبا عنه ، واتسعت رقعة دولته حتى اصبحت تضم شمال الهند شرقا والعراق العجمي غربا وخراسان وطبرستان وعاصمتها بلخ وجزءا من بلاد ما وراء النهر في الشمال ، وسجستان في الجنوب .

خلفاء محمود يواصلون سياسته

واصل خلفاء السلطان محمود الغزنوي سياسته في توجيه حملاتهم لفتح بلاد الهند وكان من أهم نتائج هذه الفتوح نشر الاسلام،كما وجهوا اهتمامهم الى القضاء على قوات السلاجقة في خراسان والغور في بلاد الافغان ، وخانات الترك في بلاد ما وراء النهر ، وامتدت دولتهم من لاهور الى سمرقند واصفهان .

وعلى الرغم من أن ظهور الدولة الغزنوية ادى الى انتقال السيادة والنفوذ من العنصر الفارسي الى العنصر التركي، فان حكومة هذه الدولة لم تختلف اختلافا كبيرا عن الحكومة السامانية، فلقد حافظت على كيانها بقوتها الحربية .

تفكك الدولة الغزنوية

فلما وهنت هذه القوة، تطرق الضعف الى الاجزاء التي كانت تتألف منها الدولة الغزنوية ، وهذا ما حدث بعد وفاة السلطان محمود الغزنوي ، فانفصلت المقاطعات الشرقية من حاضرة الغزنويين . أما في الشمال والغرب ، فان خانات التركستان وسلاجقة فارس بسطوا سلطانهم على أملاك الدولة الغزنوية ، وفي الوسط استولى أمراء الغور الافغان ـ وعلى رأسهم محمد الغوري ـ على غزنه وما حولها، ثم ساروا بجنودهم الى الهند ليحافظوا على أملاك المسلمين هناك ، فغزوا اقليم الهند والبنجاب ، وقضوا على نفوذ الغزنويين في لاهور . ■

محمد جمال الدين سرور

● هو ناصر الدولة سبكتكين ، جد الدولة الغزنوية ، وهو أول ملك خراسان وغزنة وأحد ملوكهم للهند . وقد توفي ودفن في غزنة عام ٣٧٧هـ (٩٩٧ م) ، وكان سني المذهب تقيا . وكان له ولدان ، اسماعيل ومحمود . اختلفا على الحكم من بعد أبيهم ، وفاز محمود الغزنوي ، وهو من أشهر رجال هذه الدولة ـ العربي .

٥ شعراء .. وجوائز ١٠٠ دينار

■ اخترنا لهذه المسابقة) شعراء معاصرين «وشاعرة » من اجزاء مختلفة من الوطن العربي ، قدمنا كلا منهم في بضعة اسطر تيسّر للقارىء معرفته ، خمسناها بعض ابيات من مأثور شعره ، نشر معظمها في اعداد سابقة من «العربي»

حاول ان تعرف هؤلاء الشعراء ، فقد يحالفك الحظ وتكسب احدى الجوائز .

● اول هؤلاء الشعراء هو اكبر شعراء عصره واعظمهم شهرة . عرف حياة الترف في قصور الملوك والامراء ، كما عرف مرارة النفي الذي امضى فيه بضع سنوات .. كان في شبابه رجل دنيا يرى المتاع بما فيها من نعم غاية الحياة ، فلما تقدمت به السن انكشف عن نفس عامرة بالايمان ، حتى لقد اثرت قصائده الدينية بكثير مما نظم في مختلف المناسبات ..

قدم للمسرح العربي عددا من المسرحيات الشعرية الخالدة قال في احداها على لسان بطلتها العربية العاشقة .

انا ميلرية الهوى احمل الحب
وان متُّ بالصبابة جهدي
ابتغي من سكينتي سعدي
في الليالي ولا ارى كسعدي
لم تطلب بالحب مثواه قبلي
كبدي ولن تطاب بعدي

فمن هو ؟ وما اسم تلك المسرحية ؟

● في عام ١٩٢٠ تألق في سماء سورية نجم شاعر شاب ، اثر قصيدة صور فيها احتلال الفرنسيين لوطنه ، فما زالوا يطاردونه حتى اضطروه للهجرة الى حيفا ثم الى عمان ، فالقاهرة حيث اخرج طائفة من الكتب اهمها قاموس يحوي تراجم اشهر « الاعلام » العرب والمستعربين .

حكم عليه الفرنسيون بالاعدام غيابيا مرتين ، لكن الله لم يمكنهم منه ، وهو الآن يعمل سفيرا لدولة عربية غير دولته ، في دولة عربية ثالثة ..

من روائع شعره ابيات يقول فيها :

انا في عراقي كما يتيه هواك لي
كيف يحبك يا دمشق وجود
لم انا منك قبل ، ولا لتريه
ما انت الا ربيعي المعهود

ولقد هجرتك حين حال بي الأذى
ما للأباة على الهوان قعود

فمن هو ؟

● عرف الوطن العربي في هذه الحقبة المعاصرة من تاريخه عددا غير قليل من الشاعرات المجيدات ، تقف منهن في الطليعة شاعرة تعبر بشعرها الذي تضمنته ثلاثة دواوين ، عما يعانيه شباب هذا الجيل من قلق وضياع ، وهروب من الواقع الأليم الذي يعيشونه هذه الايام ، وخاصة ابناء وطنها السليب : فلسطين !

نستمع اليها تقول في احدى روائعها :

ارانا نطرح الاعلام نمضي منطلق
نظل الموسم سبنا بالذي نحمل من هم السنين!
اترى من اجل هذا نحن نحيا !
ما الذي ننتظر !
ما الذي نحيا له
نحن قد يطلؤنا وهم نسميه الطموح
نكدح العمر ونشقى ثم كي نرفد الذرى
نجري ونسعى
لنعوق الآخرين
ثم نهدأ !
لا نعقل من العزلة الكبرى ، من الكآبة ، نهب
لمعاني العمر !

فمن هي ؟

● يوم بدأ ينشر شعره في الصحف ، استقبلته الاوساط الادبية بكثير من التحفظ ، لما فيه من غرابة على الشعر العربي ، ولاستعماله بعض الالفاظ السوقية بدلا من اللفظ المنتقى الرصين .

اما الاوساط الشعبية فقد اقبلت على شعره والتهمت دواوينه التي تعاقبت في سمائه ، اقبالا منقطع النظير ، لما فيها من تمرد على بعض التقاليد !

استمع اليه وهو يخاطب « دمشقنا » :

[illegible]

لك ما شئت [illegible] ومصرع .. ثم بعد .. صعدة بعده !

لك [illegible] وجهه ، وعلى الزوف أسير ، وشوقه وأمجاد !

أي ، أمنحك من [illegible] ، فصحو واستريح يا [illegible]

هل عرفته ؟

● أما هذا فشاعر من طراز آخر .. شاعر لم يدخل مدرسة ، ولم يتعلم حتى قواعد الصرف والنحو والعروض .. بل هاجر الى البرازيل وهو غلام يافع ، بحثا عن لقمة العيش ، كان يأكلها تارة مغموسة بالعرق وتارة بالطين ! حتى قال

« ونشرب مما تشرب الخيل تارة
وطورا يعاف الخيل ما نحن نشرب »

من روائع شعره القومي قوله في احدى استغاثاته :

عليكم سلام الله يا آل يعرب
متى ينتهي [illegible] الغالب ؟
اليس لكم يا قوم بعد ، [illegible]
[illegible] لأعلام السيادة [illegible] !

[illegible]
[illegible] الوطني حقيقة والعواصم ؟

فمن هو ؟؟

شروط المسابقة

١ ـ ترفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٤٥ من هذا العدد .

٢ ـ يكتب على الظروف عبارة ـ « مسابقة العربي ـ العدد ٦٣ » .

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر مارس (آذار) .

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي

الجائزة الأولى ٢٠ دينارا ..
الجائزة الثانية ٢٠ دينارا ..
الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .
٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ..

وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

ترسل الاجابات مباشرة بعنوان مجلة « العربي » صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربي .

نتيجة مسابقة العدد ٦١

■ كان المطلوب هو ضم أجزاء المربع الأربعة المنفصلة ، بعضها الى بعض ليعود المربع كما كان على النحو الذي يبينه الرسم .

وقد أجريت عملية الاقتراع على الجوائز بين الاجابات الصحيحة فأسفرت عما يأتي

الجائزة الأولى وقيمتها ٢٠ دينارا [illegible]
الملازم الأول قاسم محمد عبد القادر [illegible] الأولى ـ لواء الأميرة عالية ـ الأردن .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ [illegible]
محمد وليد حمامي (طالب سوري [illegible] في [illegible] ـ يوغوسلافيا .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير [illegible]
يوسف جابر [illegible] البوت ـ [illegible]

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من

١ ـ نوري جابر السرحان ـ قسم [illegible] وزارة البريد والبرق والهاتف ـ الكويت

٢ ـ الاستاذ محمد أحمد فرج من [illegible] الأزهر : [illegible] نيابة كفر الشيخ الكلية [illegible] على [illegible] ـ كفر الشيخ ـ ج ع م

٣ ـ الرامية جاسم محمد أمين ـ محلة باب البيض الشرقي رقم الدار [illegible] ـ الموصل ـ

[illegible] العزيز حامد : حي الرحبة [illegible] ـ السعودية

[illegible] المنعم محمد أحمد قسم الله : [illegible] ٣/٢/[illegible] أم درمان ـ السودان .

[illegible] الله ابراهيم الزياني : [illegible] البحرين

[illegible]

٧ ـ خالد محمد الجعري [illegible]

[illegible]

٨ ـ علي رجب الفار [illegible]

[illegible]

وسترسل الجوائز الى مستحقيها .



ابن أبراهام لنكلن

المنكوب الذى شهد مصرع ثلاثة من رؤساء الجمهورية

■ لو ان كاتباً قصصياً حاول [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] افتقد جو الواقعية في القصة ..

ولكن بكتاب « روبرت [illegible] [illegible]

[illegible]

كان « روبرت » في حوالي الثانية والعشرين من عمره عندما اطلق [illegible] الرصاص على ابيه « ابراهام لنكلن » ، وهو في المسرح عشية انتصار ولايات الشمال على ولايات الجنوب الامريكي في الحرب الاهلية الامريكية .

ومثلما كان الرجل الذي اوقف حياته على تحرير العبيد وتوحيد الولايات الامريكية ، مسجى على فراشه ، في غيبوبة الموت ، انهارت اعصاب زوجته « ماري تود لنكلن » ، فابتعدت عن فراشه ، وظل « روبرت » بجوار ابيه ساهراً يستعرض في ذهنه كيف انه لم يتمتع بقرب هذا الاب كثيراً .. فقد كان لنكلن كثير التغيب عن اسرته في حداثة روبرت ، اذ كان موزعاً بين جولاته السياسية ، والتنقل بين المحاكم ليرافع

من موكليه ، فقد كان محاميا .. فلما بدأ ان يستقر سنة ١٨٨١ ، انتظر « روبرت » — وقد بلغ الثانية عشرة — الى ان يرحل عن البيت ليدرس في « نيوهامبشاير » ، ثم في جامعة هارفرد Harvard .. وقبل ان يفرغ تماما من دراسته ، كان الاب قد تولى رئاسة الجمهورية ، فاستأثرت مهام الدولة بالشطر الاكبر من اوقاته ..

★ ★ ★

وكان « روبرت » من خواطره القليلة ، عندما فاضت روح ابيه .. فتماسك — برغم صغر سنه وفداحة النكبة — وخرج ليقود امه في رفق حزين كي تودع الزوج الحبيب .. وكان الموقف قاسيا على « ماري » فانهارت ، حتى ان الطبيب اضطر الى ان يعطيها مخدرا لتنام ، الى ان حان موعد اداء الجنازة ..

ولم تتحسن اعصاب «ماري» منذ ذلك الحين .. اما « روبرت » ، فقد استطاع الشباب ، بحيويته وطموحه ، ان يمكنه من التغلب على آثار الصدمة .. فمضى يشق طريقه في الحياة ، فلم تنقض ست عشرة سنة ، حتى كان وزيرا للحربية في حكومة رئيس الولايات جيمس جارفيلد ..

ولكنا لا نريد ان نستبق الحوادث ، بل يحسن ان نمضي فيها تباعا .. فعندما بلغ « روبرت » الثامنة والعشرين من عمره ، كان قد اصبح محاميا بارزا .. ولم يلبث ان تزوج .. وكانت امه في رحلة طويلة ، تتنقل خلالها في ربوع اوربا ، مصطحبة ابنها الاصغر « تاد » ، وكان في الثامنة عشرة من عمره .. وكان هذا الابن الاصغر ، الى جانب « روبرت » كل من بقي لها بعد وفاة ولدين آخرين ، وبعد مصرع زوجها ..

وما ان علمت « ماري » ان ابنها يوشك ان يصبح ابا ، فتصبح هي — بالتالي — جدة ، حتى بادرت بالعودة الى امريكا . ولكن « تاد » اصيب خلال عبور المحيط ببرد قاس ، ظل يلازمه حتى قضى عليه فمات بعد شهرين ..

★ ★ ★

كانت هذه آخر صدمة تقوى « ماري » على احتمالها . فان احداث الحياة كانت قد اوهنت اعصابها وحطمتها .. لقد منيت في صغرها بوفاة امها ، فعاشت حياة مضطربة بين بيت ابيها — حيث كانت السيادة لزوجة ابيها بعد امها — وبيت اختها الكبرى كاترين ، وبيت جدتها لامها.

ولم تكن « ماري » ذات جمال صارخ . وكانت تهتم بالكتب والخيل والمشاركة في المناقشات السياسية — في منتدى ابيها — اكثر من اهتمامها بالرجال .. وكانت الى ذلك لاذعة اللسان ، حادة الطبع نتيجة لظروف حياتها .. فاخذت تشهد اقرانها يتزوجن تباعا ، دون ان يتقدم احد لزواجها .

وبدلا من ان تستسلم لليأس — وهو لا بد قد ادركها — اخذت تتسلى بعواطفها ، وتشغل في طموحها ، حتى انها جعلت « البيت الابيض » غايتها في الحياة .. وبات اقصى احلامها هو ذلك الرجل الذي رجت ان تلقاه يوما ويستطيع ان يصل بها الى هذا المقر الرسمي لرئيس الجمهورية .. ومع ان كثيرا من الشبان ذوي المراكز السياسية ، مشهورين — فيما بعد — بهروا شخصيتها ، وسعة افقها ، وذلاقة لسانها .. الا ان احدا منهم لم يرق في عينيها ، اذ لم تكن تجد فيهم الطموح وقوة العزيمة اللازمين لتحقيق احلامها ..

★ ★ ★

وعثرت اخيرا على فتاها المنشود الآن « ابراهام لنكلن » ..

وبالرغم من انه كان فقيرا ، من اسرة مغمورة لاتصارع امرها ، الا انه كان ذا شخصية قوية مسيطرة ، ومنطق بارع ، وحجة مقنعة .. وكان محاميا عصاميا ، نشأ من لا شيء ، واستطاع ان يعلم نفسه ، وان يصبح محاميا وعضوا في المجلس التشريعي لولايته ، ومرشحا لمجلس الشيوخ .. وبالرغم من انه كان طويل الوجه والساقين ، غير جميل ، فريسة للهزال ونوبات الاكتئاب ، الا انه كان شهيرا في النضال ، امينا في ممارسة القانون ، لا يدافع عن متهم ما لم

يظن الى انه مظلوم حقا .. وكان – الى جانب هذا – يشاركها كراهية الرق وبيع العبيد بيع الدواب ..

وقام بينهما حب ارهق اعصابها ايما ارهاق .. حب متأرجح بين الرغبة والرهبة .. فقد ظل « لنكلن » يكتم عاطفته طويلا ، حتى اذا غلبته هذه العاطفة وصارح « ماري » الحب ، عاد يتباعد ، فقد كان لا يملك سوى ان يفكر في فقره وديونه ، في حين انها كانت من اسرة ميسورة الحال ، يشغل افرادها مراكز محترمة في الحياة والمجتمع .. ولكن الحب غلب ، فعاد .. ووعدها ان يعلنا خطبتهما .. ولكنه في اليوم المحدد ، تراجع وتركها للاحزان والهواجس .. اتراه لم يكن راغبا ، وهي التي تهالكت عليه وحاولت ان تجره جرا ؟ .. ولكنها كانت تؤمن من انه احبها ، فكيف تفسر تصرفه الجارح لكرامتها ؟ .. وهكذا راحت الحيرة والحسرة تعصفان بها وتفريان اعصابها ، حوالي عشرين شهرا ، توالت عليها الامراض خلالها .. ولكن الحب انتصر في النهاية ، وتزوجا ..

★ ★ ★

وعندما حملت لاول مرة ، قال لها زوج اختها الطبيب ، وهو يفحصها : « لقد كنت تعانين مرضا حقيقيا خلال الشهور العشرين التي تعرضت فيها للانفعالات والهواجس والآلام .. وها قد وضع زواجك من ابراهام حدا للمرض ، ولكن هذا لا يعني ان اعصابك قد برأت » .

وبهذه الاعصاب المرهقة تحملت الصدمة عندما اكتشفت ان احدى عيني ابنها الاول « روبرت » قد شذت انسانها الى احد الاركان ، نتيجة اختلال في اعصاب هذه العين ، فهو لا يحسن الافادة منها .. وبهذه الاعصاب احتملت المتاعب التي كانت تعترض حياة زوجها ، وتحملت لتشجعه على المضي في الكفاح .. وبهذه الاعصاب كانت تتحمل تغيبه عن البيت في جولاته السياسية والقضائية .. وكانت تتحمل المضايقات المالية .. وعندما انتقل زوجها الى واشنطن لاول مرة – حين اصبح عضوا في الكونجرس – فلم تحب الحياة التي كانت تحلم بها ، اذ لم تكن لهما علاقات اجتماعية تذكر ، وكانا مضطرين للاقامة في نزل – « بسبون » – كانت في البداية ، في شبه عزلة ..

ثم نكبت في ولدين من اولادها ، وشهدت زوجها يقتل ، كما اسلفنا ، وهو جالس الى جوارها في المسرح .. ثم فقدت ابنها « تاد » ..

★ ★ ★

كان لا بد بعد كل هذه الاحداث ان تنهار اعصابها ، وان ينعكس انهيارها على عقلها ، فيتمثل في تصرفات غريبة .. كانت تنفق جزافا في اقتناء اشياء لا سبيل لان تنتفع بها ، ثم تقع في مضايقات مالية نتيجة ذلك .. وكانت تتوهم ان « روبرت » – ابنها الاكبر ، الذي بقي لها – في خطر دائم .. ومع انها رفضت ان تقيم معه في داره ، او ان تزوره ، فانها كانت تبرق اليه كل يوم لتطمئن على سلامته .. ثم اقدمت على بيع بعض امتعتها الخاصة بالمزاد ، في الوقت الذي تبين فيه « روبرت » انها تحمل سندات مالية قيمتها ٥٦ الفا من الدولارات ، لا تقدر قدرها .

ازاء هذا لم يبق لدى « روبرت » شك في اختلال عقل امه ، فخشي عليها من تصرفاتها ، واستشار بعض الاهل في امرها فاقروه على الا مفر من ان يعهد بها الى مصحة للامراض العقلية .. وكان لزاما ان يستصدر امرا قضائيا بالحجر عليها ، فوقف في المحكمة يروي تصرفات امه وهو يبكي ..

وكان هذا التصرف من الابن الوحيد الباقي ، اقسى على « ماري » من كل شيء .. وهيأ لها اضطراب عقلها انه قد فضحها واذلها وشهّر بها ، فظلت السنوات السبع الاخيرة من حياتها غاضبة عليه .. وماتت سنة ١٨٨٢ ، دون ان تغفر له .

★ ★ ★

وبالرغم من هذه النكبات ، كان « روبرت » موفقا في حياته فاصبح من اشهر محامي الشركات

الكبرى ، ولكنه ظل – منذ مصرع ابيه – يتجنب السياسة ومعاركها ومناصبها ، الى ان اضطر – في سنة ١٨٨٠ – الى مناصرة الجنرال « يوليسيس جرانت Grant » في المعركة الانتخابية التي حاول فيها ان يحمل الحزب الجمهوري على ان يرشحه لرئاسة الجمهورية فترة ثالثة . ولكن الحزب رشح « جيمس جارفيلد Garfield » دونه ، واذا « جارفيلد » يقدم على عمل غير مرتقب ، اذ اختار « روبرت لنكلن » – مناصر مزاحمه – وزيرا للحربية في حكومته .

وذات يوم ، كان على « روبرت » ان يرافق رئيس الجمهورية في احدى رحلاته ، ولكن ظروفا فوق ارادته ، اضطرته الى التخلف ، فهرع الى محطة السكة الحديدية ليحظر الرئيس قبل ان يتحرك القطار ..

وفي اللحظة التي وصل فيها ، شهد ضابطا متعطلا عن الخدمة ، يرمي الرئيس بالرصاص فيقضي عليه ..

وتذكر مصرع أبيه ، فضاعف ذلك من وقع الصدمة على نفسه .. ولكنه لم يملك سوى ان يقبل رجاء « تشستر آرثر » – خليفة جارفيلد – عندما آثره دون بقية اعضاء حكومة الرئيس الراحل ، بالبقاء في وزارته .. وعندما اوشكت فترة حكم « آرثر » على نهايتها ، حاول اقطاب الحزب الجمهوري ان يغروا « روبرت » بترشيح نفسه للرئاسة .. وكانت الاحتمالات ترجح فوزه، ولكنه رفض باصرار .. ولعله كان معترفا لآرثر بفضل ايثاره .. أو ربما كان متأثرا بما شهده من مصرع لنكلن وجارفيلد ..

★ ★ ★

على انه قبل بعد ذلك – وفي سنة ١٨٨٩ – منصب الوزير المفوض للولايات المتحدة في بريطانيا.

واستقر في هذا المنصب اربع سنوات راضيا .. الى ان فجعه القدر في ابنه الوحيد – وليس الاوحد ، اذ كانت له ابنتان غيره .. فقد مات هذا الابن وهو يدرس في فرنسا ، وكان قد بلغ السابعة عشرة ..

واشتد الحزن بروبرت ، فاعتزل منصبه في سنة ١٨٩٣ ، وعاد الى امريكا ليتفرغ لاعماله الخاصة .. وابتعد كل الابتعاد عن الاجتماعات الرسمية والسياسية ، ولم يستجب للدعوات الا نادرا .. ومن هذه الدعوات النادرة ، حفل افتتاح معرض « مجموعة الدول الامريكية » في مدينة « بفالو » – بولاية نيويورك – في « سبتمبر سنة ١٩٠١ .

وكأنما ساقه الحظ لحضور هذا الحفل ليشهد مصرع رئيس ثالث من رؤساء الجمهورية ، هو « ماكنلي McKinley » .

وفي هذه المرة اقسم الا يقابل رئيسا للجمهورية قط .. وظل بر بقسمه حتى حانت منيته في ٢٥ يوليو سنة ١٩٢٦ .

★ ★ ★

كان « روبرت » قد انهمك في اعمال الشركات ، فاصاب ثروة طائلة ، وظفر برئاسة مجالس ادارات عدد من الشركات الكبرى .

ولكن كل هذه الاحداث لم تمر دون ان تترك اثرا في تركيبه العقلي والنفسي ..

وقد تمثل هذا الاثر في غيرة عمياء تولته ازاء سيرة ابيه ، فكان يرفض الحديث عنه الى الناس ، برغم ما وجه اليه من دعوات .. وكان ينتقد اللاذع نقد اي مساس بلنكلن فيما يكتبه الغير ..

وكان اشد مظاهر غيرته ، احتفاظه باوراق ابيه في حرص البخيل على كنزه ، فرفض كل محاولة بذلها المؤرخون والصحفيون ورجال الكونجرس والحكومةوالجامعات للاطلاع عليها. وعندما اشتد عليه الالحاح ، قرر ان يودع الاوراق مكتبة الكونجرس مع تحفظ غريب ، هو ان لا تفتح الا بعد ٢١ سنة من وفاته ..

وقد مات في سنة ١٩٢٦ . وعندما تسنى الاطلاع على الاوراق في سنة ١٩٤٧ ، ظهر انها لا تلقي الضوء – اكثر مما كان موجودا – على حياة لنكلن كرئيس للجمهورية ، ولا على دوره في الحرب الاهلية ، ولا على علاقته بزوجته ماري تود لنكلن.

وكان اكبر دليل على اضطراب « روبرت » العقلي ، ما شهد به صديقه الدكتور « نيكولاس موراي بتلر » – الذي كان عميدا لجامعة كولمبيا – من انه فاجأه مرة وكان قد تأخر في الاطلاع على الاوراق ، فوجده يحرق قسطا منها ! ■■

هذه الأرض التي نعيش عليها

كم نعرف عنها.. وكم نريد أن نستزيد

يخرقون الأرض، ليروا بأعينهم ما فيها.. "وليطمئن قلبي"

بقلم الدكتور أحمد زكي

■ جواب هذا السؤال الذي في رأس المقال، سوف نقف على [illegible]

زارع الأرض
اكتفى من علم الأرض بعلم تربتها

هذا زارع يزرع الأرض، للحب [illegible] والبقل تارة، وللشجر تارة.

فهذا لا يهمه من علم الأرض إلا علم تربتها، بالمقدار الذي تمسكه تلك الجذور، عميقة أو ضحلة، في الأرض.

أما ما تحت ذلك فلا يعنيه منه أن يكون [illegible] بتصريف ماء يسقي به أرضه. وهو لا شك أكثر طلبا لمعرفة ما في السماء بعد ذلك المطر الذي يرجوه من الأرض. لأن السماء تمطر فتسقي زرعه. وهو يريد علم السماء بمقدار ما تسخو أو تمنع من سحبها، فهو [illegible] السحاب [illegible].

[illegible] دقيقة جدا، تضمه أمثاله، هي كل هم الإنسان الأول من علم الأرض،

الأرض بندقة عمرها [illegible]

وزنها ... ٦ ملايين مليون مليون طن

بالزلازل كشف العلماء عن بطن الأرض

لطعامه وكسائه ، ولتربية حيوانه . وقد يزيد عمقا في الارض يطلب الماء حين نَزْء الماء .

وبأتي السبب الأكبر من علم الأرض باستخلاص الحجر من قشرتها

وجاء الرجل يبني مساكنه فوجد في حجر تلك القشرة القاسية ، أو هو وجدها في تربتها ، في طينها ، محروقا أو غير محروق . لم تهبط به حاجة المسكن دون ما هبطت به في الارض حاجة الطعام والشراب .

ثم حفر الإنسان عن المعدن والفحم والزيت

ووقع هذا الانسان على ألوان من الارض ، وجدها تنالح فتخرج ما أسماه المعادن : الحديد والنحاس وأشباه لهما . ووجدها أول الأمر عند سطح الارض ، ثم وجدها تغوص فغاص وراءها . وبدأ يتعلم كيف يحفر وكيف يتعمق .

ثم جاء الفحم وجاء الزيت آخر الأمر وامتد زمانه

وبالمعادن ، ومنها أجسام الآلات والمكنات ، وبالفحم والزيت ، ومنهما طاقة المحركات وروح هذه الآلات والمكنات ، قامت الصناعات المكانيكية ، وعلى الصناعات قامت هذه المدنية (١) .

يتراءى من ذلك ، ولو ظاهرا ، أن هدف الانسان الأول كان النفع والفائدة يجنيها من تعمقه في الارض .

ورجال طلبوا علما خالصا

ولكن الى جانب هؤلاء الرجال ، كان رجال هدفهم الأول علم هذه الارض ، علم هذه القشرة الارضية . كان من ذلك نفع أو لم يكن نفع . وساحوا في الارض فوجدوا السهوب ، ووجدوا الهضاب ، ووجدوا الجبال ووجدوا الوديان .

ووجدوا ان الارض في كثير من تلك المواقع ، في القديم من الأزمان ، قد تكسرت قشرتها ، وعلا منها ما علا ، وهبط ما هبط ، وبقي قائما على سيفه ما بقي . فكشفت الارض بذلك عن طبقات في قشرتها عميقة ما كان في مقدور الانسان أن ينقلها هذا النقل ، أو أن يزعجها هذا الازعاج ، كما فعلت هذه القوى الهائلة المزلزلة للطبيعة .

وفي القرن الماضي ، القرن التاسع عشر ، تفرغ رجال من أهل العلم لدراسة ما انقلب هكذا رأسا على عقب من طبقات

---

(١) هذه كلها خطوات نقلت العيش من بساطته التي كانت ، الى تعقده الذي هو كائن . وهنا سائر السؤال : هل صار الانسان بهذا أحسن حالا ؟

وليس من أحد يستطيع أن يجيب على هذا جوابا شافيا صادقا . لأن الجواب الصادق الشافي لا يمكن أن يصدر الا عن رجل مارس هذا وهذا . وهذا لم يتح لانسان . والذين يتحولون عن حياة المدينة المعقدة الحاضرة ، الى حياة القرية البسيطة ، يحسبون أنهم انتقلوا من حال الى حال وما فعلوا . فهي الريف الذي انتقلوا اليه أخذت مرافق المدينة أقصى ما تكون ، أو هذا ما تكون ، ولكن كذلك عند ما تكون . والفرق هو في أنهم خلفوا عقدها في المدينة ، وتمتعوا في القرية بثمرات هذه العقد من بعيد .

بتلك ما كشفوا فيه عن الأرض

سطح الارض، وما عراه من سطح الارض الماء، وما عراه الريح والهواء . وبدأ علم الارض .. علم طبقاتها .. علم الجيولوجيا، بدأ يتشكل علما مستقلا له برامجه ،وله الاسلوب العلمي الذي كان قد صار لسائر فروع العلم اسلوبا .

وخرج لنا هؤلاء العلماء ، علماء القرن الماضي ، باشياء كثيرة من قشرة هذه الارض الغريبة ، ليس من اقلها ان الكثير منها رواسب تكونت في قيعان بحار ، وبعضها بحول . والكثير من هذه الطبقات احتوى بقايا من تلك الاحياء التي عاشت في تلك الازمان ، وحفظتها الطبقات ومضا بعد زمن . ومن هذه خرج العلماء بتاريخ سطح الارض الاحياء ... عصرا عن سطح الارض ، مرتبة عصرا من فوق عصر ، في حقبة من الزمان امتدت الى نحو ٥٠٠ مليون عام .

ومن مقارنة هذه الاحياء،ومن تتابعها، خرج العلماء بنظرية النشوء والارتقاء .

نتائج نافعة وغير نافعة

ستقول نتائج غير نافعة لا تشبع من جوع .

واقول نعم ، بالرغم مما كان لها من نتائج ، نافعة تشبع من جوع ، خرجت من جوانبها ، لا تعنيني ... هنا شيء نكتب .

اقول نعم ، انها غير نافعة ، بمعنى ذلك النفع الذي لا يكون الا اذا هو اتصل بغذاء او كساء او مسكن ، او بلذة من لذائذ الاجسام .

ثم اقول بل هي نافعة نفعا فوق كل هذه المنافع لانها تتصل بلذة من لذائذ العقل والروح، ذلك التطلع الطبيعي الذي تتطلعه عقول بني الناس بحكم فطرتهم، ودرجات من الرقي الانساني معروفة ... بعض ... منه .

وهنا اعود الى السؤال الذي هو عنوان هذا المقال : كم تعرف من الارض التي انت عليها ، وكم تريد ان تستزيد ؟

واعود الى الجواب الذي بدأت به هذا المقال : هذا يتوقف على من انت ؟

فانت ، ان كنت ممن يرى ان المعرفة يجب ان تقف حيث يقف النفع ، فلك ذلك .

وانت وان كنت ممن يرى ان المعرفة لا تقف عند ذلك ، بل لها الكون اجمع موضعا يجول فيه العقل ويصول ، فلك ذلك .

وانت تكون بهذا من الرعيل الذي لا يكتفي بممارسة الحياة،ويريد ان يكشف عن سر الحياة ، وسر الوجود ، وسر هذا الكون ، وما وراءه .

كشف العلماء ظاهرا من الارض فاشتاقوا الى علم باطنها

من اجل هذا ما كاد العلماء يعرفون من سطح الارض،ومن قشرتها، ما عرفوا، حتى امتد بهم الطموح الى الكشف عن باطن الارض .

ولكن ما السبيل ؟ ما الوسيلة ؟ والارض كالبندقة المصمتة التي لا تكسر . بندقة ؟! انها بندقة قطرها ٨٠٠٠ ميل .

وينطوي القرن التاسع عشر ، ويبدأ القرن العشرون ، ويدرج ، ويظهر من

العلماء رجال" جدد" يمارسون علماً جديداً .

علم الزلزلة

انه علم الزلزلة . علم بدأ يكشف زلازل الارض ، أين تقع من سطح الارض [illegible] تقع ؟ ومتى تقع ، وفي أية ساعة [illegible] دقيقة ، وأية ثانية ؟

ان الزلزلة سببها توتر يحدث في طبقات الارض ، فاذا هو زاد على الحد [illegible] عن نفسه بان حطم هذه الطبقات [illegible] ، ويحدث هذا في [illegible] هزات [illegible] من حوله [illegible] الى [illegible] الارض [illegible] وجهه ، كل مذهب [illegible] الماء تقذف فيه بالحجر .

وصنع العلماء اجهزة لرصد هذه الهزات ، وهي من اسطوانات او اشباه لها ، دوارة ، تدور مع ساعات [illegible] بها ، وعليها الورق تكسوها ، فهو دوار كذلك . ويأتي قلم ، طرف منه مربوط بالارض يحس هزاتها ، وطرفه الآخر على هذا الورق الدوار يخط . وهو يخط خطا مستقيما حين لا تهتز الارض ، وهو يخط خطا متذبذبا وفقا للهزة الارضية [illegible] .

انه جهاز يرسم هزات الارض على ورق ، فيصف لنا نوعها ، رسما .

وهو جهاز يرسم هذه الهزات والورق [illegible] مع [illegible] ، فهو يسجل في أي [illegible] في أي ثانية ، ومتى [illegible] .

وهو جهاز [illegible] اجهزة يكشف كذلك [illegible] ، من اي جهة [illegible] ، لا يدخل في [illegible] فوق ذلك .

وتتعاون محطتان للرصد أو أكثر ، على سطح الارض . ومن اتجاهاتها المرصودة تتحدد عند العلماء موقع زلزلة بأكثر ما يمكن من ضبط .

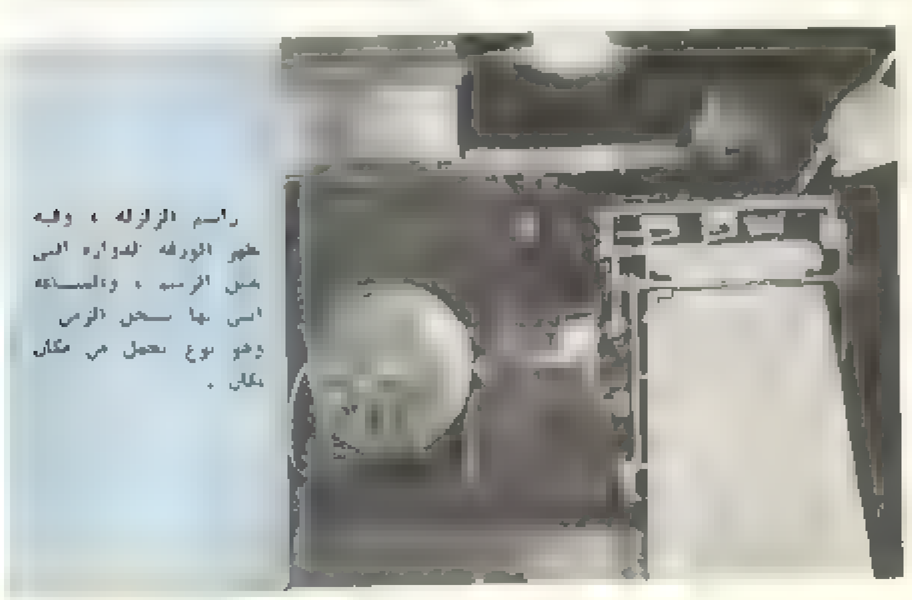
وسموا هذا الجهاز براسم الزلزلة Seismograph

وسموا الرسم الناتج برسم الزلزلة Seismogram

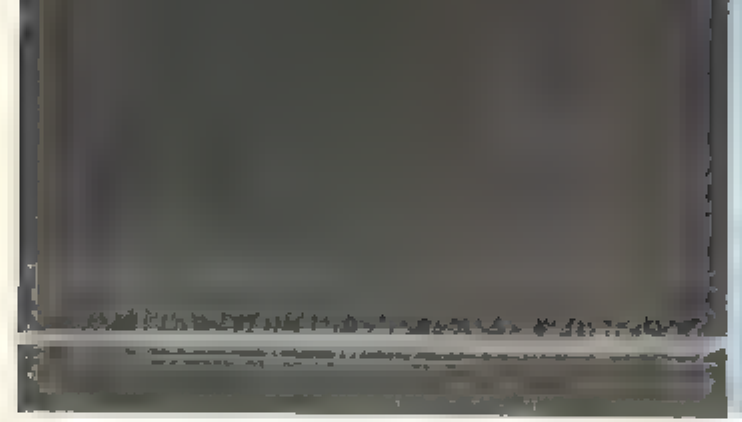
والعلم بهذه سموه علم الزلزلة . Seismology

علم الزلزلة يكشف باطن الارض

[illegible]



راسم الزلزلة ، وفيه تظهر الورقة الدوارة التي تحمل الرسم ، والساعة التي بها تسجل الزمن وهو نوع يحمل من مكان لمكان .



رسم الزلزلة التي سجلها الجهاز الراسم للزلازل الذي وقع في شمال اليابان في ٢ مايو ١٩٣٩ .

وهو هنا بريئا ثم تورط ، وكشف عما لم يكن مقدرا له ان يكشف عنه : كشف عن باطن الارض .

درس العلماء هذه الموجات الناتجة عن هذه الزلازل فعرفوا انها [illegible]

[illegible]

الارض طبقات ، طبقة من فوق طبقة

[illegible]

تمتد نحو ١٨٠٠ ميل نحو أوسط الأرض، وتعرف بصلاة الأرض، وهي تلف الأرض لفا (انظر الشكل) . وهي طبقة عجيبة حقا . ان الموجات الزلزالية تمر بها كما تمر بالصخر الأصم ، ومع هذا توجد دلائل تدل على أنها غير ثابتة الشكل ، ففيها الحركة ، ولو بطيئة كالحركة التي تشاهد في الزفت . ان الزفت صلب . ولكن ، اترك منه قرصا على سطح مدة من الزمن ، تجده ينساح في بطء شديد .

ويأتي من بعد صلاة الأرض ، قلب الأرض أو لبها . وهو عبارة عن كرة ، قطرها ٢١٥٠ ميلا وهي منطقتان ، خارجية وداخلية (انظر الشكل) .

أما الخارجية فسمكها ١٣٠٠ ميل ، وهي منصهرة .

وأما الداخلية ، وهي في أوسط الكرة ، فنصف قطرها ٨٥٠ ميلا . وهي صلبة أو هكذا يعتقد العلماء اليوم .

ونجمع ١٣٠٠ + ٨٥٠ = ٢١٥٠ ميلا ، وقلب الأرض ، بمنطقتيه ، تتألف من حديد ، أو من حديد ومعه النيكل .

والفرق بين المنطقتين ، فرق ضغط ، فالمنطقة الأعمق واقعة تحت ضغط جعل من السائل صلبا ، أو شيئا لعل له صفات الصلب .

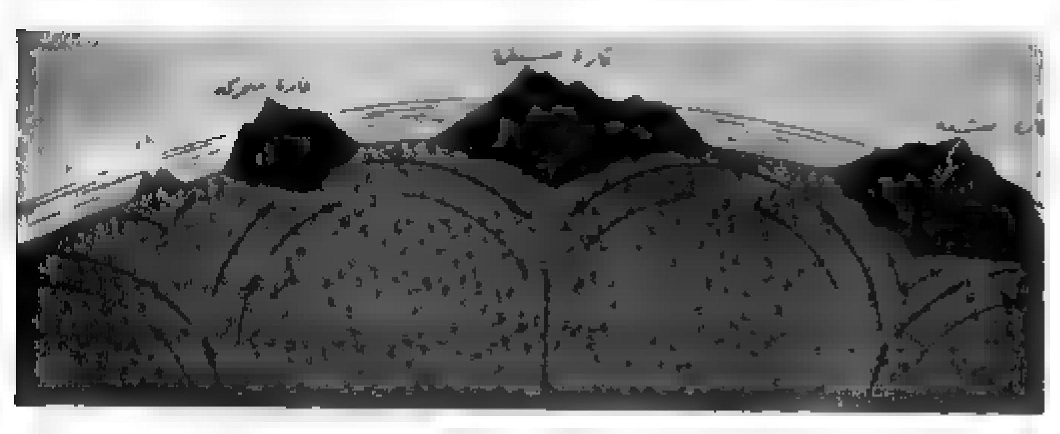
انها المادة في ظروف من حرارة ومن ضغط لم يألفها الانسان ، والكثير منها الحدس والظن .

كيف كشف العلماء سيولة بطن الأرض

ان الذبذبة الزلزالية أنواع ، منها نوعان أصيلان :

ذبذبة تسري كأمواج تحدثها أنت في الحبل المشدود أفقيا ، بهزه . تصعد فيها أجزاء الحبل وتهبط ، والموجة تسري في طوله . فحركة الأجزاء تحدث عمودية على طريق اتجاه سريان الموجة الذي هو على طول الحبل .

وذبذبة تتحرك فيها أجزاء المادة التي تجري فيها الذبذبة في نفس الاتجاه الذي تسير فيه الموجة . مثال ذلك رجال مائلة



تلتقي النظريات بأن صلابة الأرض ، تلك التي في القشرة الأرضية ، شيء كالزفت ، فيه الصلابة التي تقضي بسريان الموجات الزلزالية فيه ، ومع هذا فيه الليونة التي صلابة الزفت ، واذن فالصلابة في حركة ، وفيها تيارات ، تتعاون احيانا فتشد القارة العائمة فيها (كما في أوسط الشكل) ، أو تتخالف اتجاهاتها ، فتنقسم القارة نصفين (كما في أيمن الشكل) ، أو هي تقرب ما بين قارة وقارة (كما في أيسر الشكل) . وتقول النظرية ان أوروبا وافريقيا من ناحية والقارة الأمريكية من الناحية الأخرى ، كانتا شيئا واحدا ، ثم تصدع ، وجاء بينهما الماء (المحيط الأطلسي) .

وقفوا صفا واحدا ، مرابطين متكاتفين تدفع الرجل الاول بعيدا عنك ، فتجرى الهزة فى الرجال ، وطريقها طول الخط الذى هم فيه واقفون . ثم تشد هذا الرجل الاول اليك ، فتجرى هزة فى الرجال ، بحوك ، طريقها الخط الذى هم به واقفون . الرجال فرادى يهتزون ، ولكن فى نفس اتجاه الموجة .

ومثل الصنف الاول من الامواج ، امواج البحر . وامواج بشعاع الشمس .

وتسمى بالامواج العرضية .

ومثل الصنف الثانى من الامواج ، امواج الصوت .

وتسمى بالامواج الطولية .

وهزات الارض من هذه ومن تلك .

كلاهما يحدث مع الزلازل الا تمر فى الصخر . والموجات الطولية ، تلك التى تشبه أمواج الصوت تصل اسرع من الموجات العرضية .

وهكذا عرفهما والتقطهما علماء الزلازل ، وعرفها رواسمها .

ثم تحدث الزلازل بعده المدى ، باينهم موجها الطولى ، وتختلف موجها العرضى . لماذا ؟

ويكشف السر ان الموج العرضى يفنى فى السوائل .

واذن فحيث انقطع الموج العرضى ، فلم يصل الى راسمات الزلازل ، اعرف شىء فى باطن الارض سائل .

انه لب الارض السائل .

وقدروا عمقه .

وانقسم بذلك باطن الارض الى عباءة ارض ، صلبة ، عمقها ١٨٠٠ ميل ، والى لب سائل يأتى من تحتها ، ثم سائل فى حكم الصلب * .

فى باطن الارض حرارة وضغط

ان الارض حارة ، نعنى ذلك عند نزولنا فى أعماقها . انها تزيد على الارجح بمعدل ٣٠ درجة مئوية لكل كيلو متر عمقا .

ونعلم ان البراكين يخرج طفحها وهى فى نحو ١١٠٠ درجة مئوية .

ومن العلماء من قدر درجة الحرارة فى أوسط الارض فكانت ٢٠٠٠ درجة . وكانت ٣٠٠٠ درجة ، وكانت ٤٠٠٠ درجة

وحرارة الارض مصدرها العناصر المشعة ، واشهرها اليورانيوم والراديوم . انها تتحول الى عناصر اخرى ، وهى فى سبيل ذلك تخرج الطاقة فتطلق ، وتخرج الحرارة .

وقدروا الضغط على عمق ٢٠٠٠ كيلو متر من السطح فكان تقدير الضغط حوالى او هو ٧٠ طن على البوصة المربعة الواحدة . وعند مركز الارض يبلغ حساب الضغط ثلاثة امثال هذا ونصف مثل . ولا عجب فالارض كبيرة . والارض ثقيلة .

ان الارض حجمها ٢٦٠٠٠٠ مليون ميل مكعب

وان الارض ثقلها ٦٠٠٠ مليون مليون مليون طن .

قلب الارض من حديد ونيكل

ومتوسط كثافة الارض على هذا هو ٥ر٥ . اى انها اثقل من الماء بمثل هذا العدد من المرات ، ولكن متوسط كثافة صخور القشرة الارضية هو ٦٧ر٢ .

فلا بد ان الكثافة الكبرى هى فى قلب الارض . فلا بد أن يتألف هذا القلب من اثقل المعادن الشائعة فى الارض . والرأى

---

* الزلزلة ، تحدث فى الارض طبعا ، او يحدثها العلماء اصطناعا ، ليكشفوا بها عن باطن الارض . هذه الزلزلة يصطنعها العلماء اليوم اصطناعا ليكشفوا بها ، بمثل هذا الاسلوب ، عن وجود الزيت فى باطن الارض . وهذا مثل للعلم ، كيف يبدأ بحثا هدفه المعرفة الخالصة ، ثم يخرج منه ما ينفع الناس .

قشرة الأرض
سمكها ٢ – ٢٥ ميلا
تحت القارات وسمكها
أميال تحت المحيطات

غلاف الأرض
سمكها ٨٠ ميل

طبقة كبريتيدات
وأكسيدات

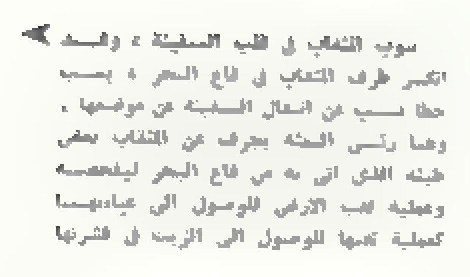
لب الأرض الخارجي ،
من حديد وشكل مصهور

لب الأرض الداخلي
من حديد وشكل متجمد

مقطع للكرة الأرضية
يكشف عن باطنها



قطعة حصل عليها الباحثون من قاع البحر عند جزيرة جوادلوب ، وهي من صخر البازلت ، بعد شقها وصقلها .



ثقب الثقاب في قلب السفينة ، وقد انكسر طرف الثقاب في قاع البحر ، بسبب خطأ نتج عن انتقال السفينة عن موضعها ، وهنا نرى البعثة يخرجون الثقاب بحثا عن عينة الطين التي أتى بها من قاع البحر ليفحصوه وعملية ثقب الأرض للوصول الى أعماقها كعملية ثقبها للوصول الى الزيت في قشرتها



السائد ان لب الارض تتألف من الحديد. والحديد يوجد بكثرة في القشرة الارضية. وهو يزداد كلما هبطنا في الارض. والحديد من اكثر العناصر مقدارا في الشمس. والشهب بها الكثير من الحديد. وللارض مغناطيسية، والمغناطيسية صلتها بالحديد معروفة.

اشياء كثيرة عن باطن الارض، اكثرها سادة النظريات، لا المرئيات، ويجب ان نقول بعد ذكر الكثير منها «والله اعلم».

الحقيق منها الثابت هو ما اخرجته التجربة، وما كشفت عنه الاجهزة، والذي فيه ازمنة ما بين بعد ذلك التفسير، والتقريب والتبعيد.

يثقبون الارض

وفي ظل هذه النظريات التي تحيطها الريب، والتفسيرات التي تخالطها الشكوك، ذكر العلماء من امثالهم ما يفيد معنى المثل العربي: «وما راء كمن سمعا». وقرروا ان يروا بأعينهم ما خفي في احواء الارض.

ولكن كيف يكون ذلك؟

يكون بأن يثقبوا الارض، يثقبوا قشرة الارض حتى يصلوا من تحت القشرة الى لب الارض.

قرر العلماء ذلك في مؤتمر الاتحاد الدولي لعلم الجيولوجيا والفزياء الجيولوجية، الذي اجتمع بمدينة تورنتو بكندا عام ١٩٥٧، بعد ان كان تكوّن هذا الرأي عند جمهور العلماء وشاع.

واجتمع المؤتمر مرة اخرى في هلسنكي، بفنلندة، عام ١٩٦٠، واكدوا ذلك القرار.

وهو قرار بثقب الارض، والنزول بهذا الثقب فوق ما نزل الانسان بامثاله في سطح الارض، ودراسة ما يخرج من هذا الثقب، من طبقات القشرة، طبقة طبقة. ففي صفحات هذه القشرة كتب الزمان تاريخ الارض. ويدخل الثقب في بعد القشرة في غشاء الارض، ويفحص العلماء صخورها. ومن صخورها يعرفون تاريخ هذا الباطن، وهم يربطون هذا الباطن بتركيب سائر الكواكب، وبالذي في الشمس من عناصر. فعندهم ان هذه المادة انما قدمت مما قدمت منه قديما، وقديما جدا، سائر الكواكب، والشمس.

الامريكان والروس يثقبان الارض

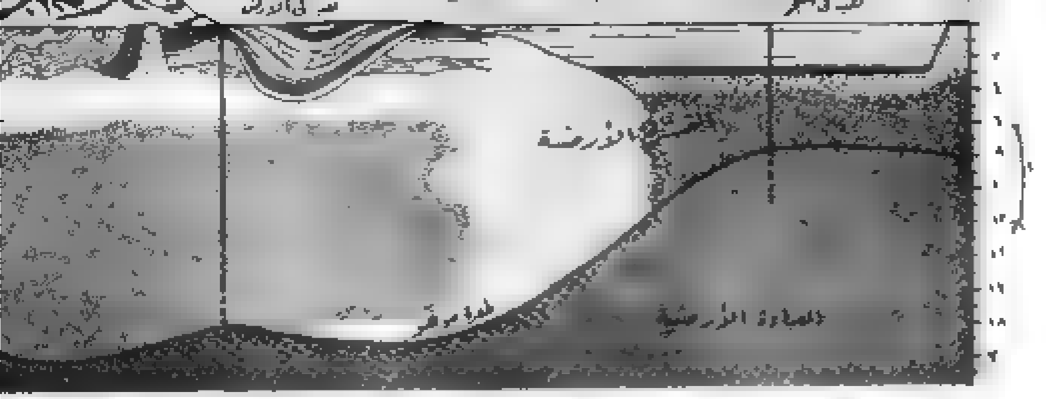
وتصدى لهذا العمل الجبار الدولتان الجبارتان الثريتان في هذا العصر: الامريكان والروس.

واختار الامريكان موضعا يثقبون فيه الارض، فكان اعماق المحيطات، لان قشرة الارض في هذه الاعماق ارق منها تحت القارات، فوصولهم الى الماءة يكون اسرع: ستة اميال او دون ذلك قدرا.

واختار الروس سطح الارض الذي يمشي عليه الناس، فهو سطح القارات، للثقب. وثقوبهم لا بد تكون اطول وابعد واشق، ولكن منها تستفاد دراسة طبقات القشرة الارضية السميكة التي تصنع القارات.

ما صنع الامريكان الى اليوم في ثقب الارض

وقام الامريكان عام ١٩٦١ بتجارب في ثقب في البحر عديدة، هدفها استطلاع الطريقة المثلى التي ينتهون اليها آخر الامر، في خرق الارض، واستدامة الخرق، الى ان يصلوا الى الماءة. وكان من ذلك تجربتهم التي اجروها في البحر على بعد ٢٠ ميلا من ميناء سان دياجو، بكلفورنيا. وفيها انزلوا ٣١٠٠ قدم من



هذا الشكل لتوضيح كيف تختلف قشرة الارض ، من حيث السمك ، وهي تحت القارة ، عنها وهي تحت المحيطات . انها ارق تحت المحيطات . ومن اجل هذا كان ثقب الارض للوصول الى صخور عباءة الارض في قاع المحيط اقرب . وهذا ما هدف اليه الامريكان . وهدف الروس الى ثقب الارض من فوق سطحها الجامد سطح القارات . والموجات الزلزالية تجري في الارض ، فاذا هي بلغت الحد ما بين القشرة الارضية ، وعباءة الارض ، تغيرت صفاتها وتغير اتجاهها وسرعتها ، لا بالتدرج ، ولكن فجاة ، لاختلاف الطبقتين . وقد اكتشف هذا ، في اوائل هذا القرن العالم اليوغوسلافي موهوفوريسيك Mohovericic ، او اختصارا موهو Moho . لهذا عرف الحد بين الطبقتين باسم طفرة موهو ، وذلك لانقلاب صفات الموجة عندها بالطفرة لا بالتدرج . وسمى الامريكان مشروع ثقب الارض عندهم بمشروع موهو .

انابيب الفولاذ في ماء المحيط وحده قبل ان يصلوا الى قاعه .

ومن هناك اتجهوا الى جزيرة جوادا لوب Guadalupe ، في الجنوب ، عند المكسيك ، في المحيط الهادي ايضا ، وهناك ثقبوا ، واستخرجوا ، من عمق نحو ٦٠٠ قدم تحت قاع البحر ، قطعا من البازلت .

والتجارب الى اليوم لا تزال جارية .

وآخر اخبار وصلتنا عن عمل الامريكان خرقهم قاع البحر ، عند جزيرة بورت ريكو ، بالبحر الكاريبي ، وهي احدى جزر الهند الغربية . وحصلوا من تحت هذا القاع على الصخر المعروف بالسربنتين Surpentine ، وقد اثار هذا الكشف نفاشاق عالم « علم الارض » كثيرا .

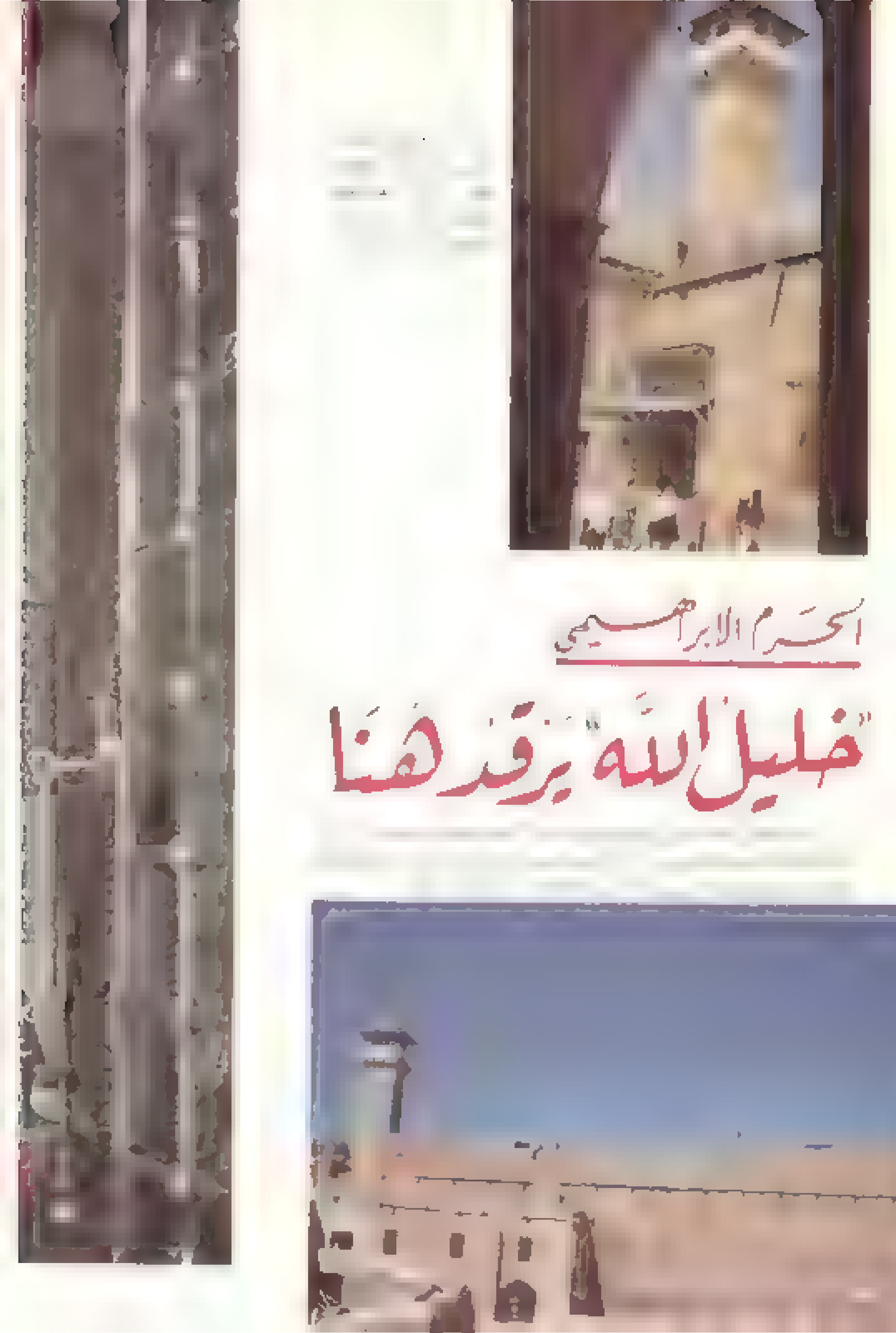
ما صنع الروس

والروس لم يتخلفوا عن الميدان . انهم اتخذوا الارض الجامدة ، لا البحر ، مكانا للثقب كما ذكرنا .

وقد اعلن الاستاذ الروسي الشهير ، فلاديمير بيلوسوف Belousov ، في اغسطس عام ١٩٦٣ ، ان الروس ثقبوا في خمس مواضع من الارض ، وانه من المنتظر ان يذهبوا في باطن الارض الى ما بين ستة اميال ، وتسعة اميال ، وذلك في نحو ٣ اعوام الى خمسة .

وزاد الاستاذ بيلوسوف ، العالم الارضي ، فقال : انه باتخاذ الروس الارض لا البحر مكانا للثقب ، لا يكون هناك تنافس بيننا وبين الامريكان . وقال : ان هذا العمل مليء بالصعوبات ، ولا نزال نعالجها وتتخطاها عقبة من بعد عقبة . والمشروع به ، هذا قيمته العلمية الرفيعة ، ومنافع للناس . فهو قد يكشف لنا من اين نتوقع وجود المعادن في طبقات الارض ■■

احمد زكي


الحرم الابراهيمي
"خليل الله" يرقد هنا



■ اختار الله تعالى ابراهيمَ نبياً ، فادّى ابراهيم الامانة ، وبلّغ الرسالة ، ودعا الى عبادة الله وترك عبادة الاوثان . ولكن هذه الدعوة ، شأن دعوة باقي الانبياء والرسل ، لم تلق اذناً صاغية عند قومه ، ولم يقف الامر عند هذا الحد بل أخذ القوم في تعذيبه وتهديده ، واجمعوا آخر الامر على القائه في النار ليحرقوه . وكان نبياً مؤمناً بنبوته فلم يتخاذل او يتراجع ، واقتحم النار عن ايمان وعقيدة في سبيل رسالته . ولكن الله جلت قدرته امر النار ان تكون عليه برداً وسلاماً . ونجاه الله وابن اخيه لوطاً من « أور الكلدانية » . وكانت تقع فيما يسمى الآن بالعراق ، الى الارض التي بارك الله فيها للعالمين ، ارض فلسطين .

انتقاله الى مصر والحجاز

استقر ابراهيم في فلسطين بعض الوقت ، وحدث جوع في الارض فارتحل ابراهيم جنوباً الى مصر ، ومن هناك اتجه الى الحجاز ، وقام مع ولده اسماعيل من زوجته هاجر ببناء البيت وبالقاعدة صرح الكعبة الشريفة التي يتجه اليها المسلمون بقلوبهم خاشعين خمس مرات كل يوم في صلواتهم . وفي ذلك يقول الله تعالى : « واذْ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيلُ ، ربنا تقبّلْ منا انك انت السميع العليم » .

وترك ابراهيم زوجته هاجر ، مع ولدهما اسماعيل ، في ارض الحجاز ، وخاطب عند ذلك ربه قائلاً : « ربنا اني اسكنتُ من ذُرّيتي بوادٍ غير ذي زرع عند بيتكَ المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

العودة الى فلسطين

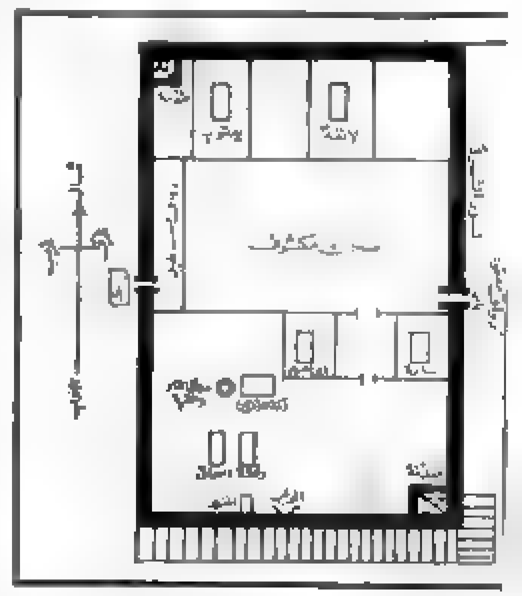
ترك ابراهيم الحجاز وعاد الى ارض فلسطين حوالي سنة ١٩٠٠ قبل الميلاد . وفي الموقع الذي تقوم عليه مدينة الخليل الآن ، اشترى من عفرون الحيثي ، بأربعمائة شاقل فضة ، حقله الذي في المكفيلة . « جاء في العهد القديم تكوين ٢٣ : ١٧ الحقل ، والمغارة التي فيه ، وجميع الشجر الذي في الحقل ، اصبح ملكاً لابراهيم . ودفن ابراهيم زوجته سارة في مغارة المكفيلة » .

واسلم ابراهيم روحه ، ومات بشيبة صالحة شيخاً وقد بلغ من العمر مئة وخمساً وسبعين سنة ، ودفن في مغارة المكفيلة حيث دفنت زوجته سارة من قبله .

وبعده دفن في المغارة نفسها اسحاقُ ولد ابراهيم ، وزوجته رفقه Rebecca كما دفن فيها يعقوب بن اسحاق وزوجته لائقه او « ليئة » Leah .

الحرم الابراهيمي

حول هذه المغارة ـ مغارة المكفيلة ـ التي تضم ابراهيم جدّ الانبياء ، الذي كان « امة قانتاً لله حنيفاً وما كان من المشركين » وتضم كذلك رفات ذريته اسحاق ويعقوب وزوجاتهم ، اقام النبي سليمان سوراً ضخماً . ونجد من المراجع ما يقول ان سليمان عليه السلام قد امر الجن ببناء ذلك السور . وفي قول ثالث ان بانى السور هو هيرودس Herodus . وبعض الروايات تقول ان القديسة هيلانة والدة الامبراطور الروماني قسطنطين هي التي امرت ببنائه .



رسم تقريبي للحرم الابراهيمي الشريف يبين السور والمئذنتين وأماكن اضرحة الانبياء وزوجاتهم والمحراب والمنبر ودكة المؤذنين ومدخل الغار .

قبر ابراهيم ، ويعرف بالخليل لقوله تعالى «واتخذ الله ابراهيم خليلا» فهي قبر يحتبرون . وحبرون هو الاسم الذي كان يطلق قديما على ما يعرف الآن بمدينة الخليل ، وكانت تعرف في عهد الفتوحات العربية الاسلامية باسم « مشهد الخليل » .

وصف عام للحرم الابراهيمي

يشاهد الزائر الى الحرم الشريف اول ما يشاهد سوره الضخم المبني من الحجارة الصلدة البالغة الضخامة التي قد يصل طول الواحد منها سبعة امتار وارتفاعه مترا ونصف المتر . ويعلو السور جزء يحتوي على شرفات ، وقد بني هذا الجزء في وقت لاحق على بناء السور ، وهو بناء عربي اسلامي محض .

والحجارة الضخمة التي بني بها السور منحوتة الاطراف مصقولتها ، الا أوسط الوجه الظاهر منها فقد ترك بارزا مخشوشنا قليلا . وقد وضع بعضها فوق بعض بدون ملاط .

ويعلو السور مئذنتان : احداهما في الشمال منه ، وثانيتهما في جهة الغرب .

ويؤدي الى داخل الحرم بابان ، يقع احدهما في الجهة الجنوبية الغربية ، ويقع ثانيهما في الجهة الشمالية الغربية ، يتصل منها الى مرقى عظيمة تؤدي الى رواق معقود في الجهة الشرقية يحتوي على باب صغير للحرم في وسط السور الشرقي .

فاذا دخلت الحرم من الباب الصغير الموجود في وسط السور الشرقي رأيت على يمينك صحنا مكشوفا ينقسم الثلث الى قسمين غير متساويين ، احدهما في الجنوب ، ويحتوي على الجامع المعقود الذي يضم ضريحي ابراهيم وسارة ، في قسمين متساويي الاضلاع ، بينهما رواق مربع صغير ، معقود له في جداره الجنوبي باب زينت جوانبه بالفسيفساء ، يدخل منه الداخل الى الجامع .

المحراب والمنبر

ويتصدر الجامع محراب بديع الصنعة مرخم زين اعلاه بالفسيفساء الذهبية ، وفوقه فتحت نافذة ركب فيها زجاج ملون .

والى جانب المحراب يرتفع منبر يعود تاريخه



المدخل الرئيسي للحرم الشريف . وكان محرما لليهود في الماضي الوصول الى العتبة السابعة وهذا احدى اسوار الخارجية وعند تلك العتبة كانوا يقفون يبكون ويولولون ويلقون بالرسائل من ثقب في السور الضخم الى جهة البئر

ولذا كان الخلاف يثور حول بقاء السور العظيم الذي اقيم فوق المغارة ويبلغ طول ضلعه ١٩٨ قدما وعرض ضلعه ١١٢ قدما وارتفاعه ٤٠ قدما فان الامر الذي لا خلاف فيه انه اقيم فوق مغارة المكفيلة التي دفن فيها ابراهيم عليه السلام وزوجته وذريته .

القائلون بدفن ابراهيم في الخليل

لم يثبت لابراهيم الخليل قبر غير هذا القبر الموجود في المغارة، وقد اخذ المؤرخ المشهور الحافظ ابن حجر الهيثمي ، الذي عاش في اوائل القرن التاسع الهجري ، بالاجماع والتواتر على صحة وجود القبر في هذه المغارة ، وقال في ذلك شعرا

ومن تعظم مقابرهم مساوي
يقينا غير هذا مسكن الرسول
وفي حبرون ابراهيم ...
به رسل كرام والحبيب

وقد حرى بذلك انه لم تعلم مواقع مقابر الانبياء والرسل ، فيما عدا قبري محمد صلى الله عليه وسلم وابراهيم عليه السلام على وجه الجزم واليقين . اما قبر محمد فهي المدينة المتواترة عرفانا









الى سنة ٤٨٤ للهجرة وهو مصنوع من خشب الجوز التركي المحفور ، وبعض الواحه الامامية من خشب الابنوس وهي مطعمة بالعاج تطعيما يُعد غاية في الفن والاتقان .

وتقول الكتابة الكوفية التي حفرت فيه انه صنع في زمن المستنصر بالله ابي تميم معد الخليفة الفاطمي بمصر لبوضع في مشهد عسقلان ... ابي النجم بدر الجمالي ... في مسجد عسقلان المكان الذي قيل ان رأس الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما موجود فيه

وفي عام ١٩٣٦ اثر السوس في بعض الواح المنبر الخشبية ، فاهتم المجلس الاسلامي الاعلى بالامر ، واحضر مهندسا مصريا قام باصلاح المنبر ، واستغرق العمل فيه ثلاث سنوات ، وتم اصلاحه على نسق ما كان عليه دون تغيير او تبديل . ومنها الكلمات المحفورة عليه بالخط الكوفي المذهب على مدخل المنبر وهي :

« بسم الله الرحمن الرحيم نصر من الله وفتح قريب ... عبده ووليه معد ابي تميم ... عليه وعلى آبائه الطاهرين وابنائه البررة الاكرمين ، صلاة باقية الى يوم الدين ... امر بعمل هذا المنبر السيد الاجل امير الجيوش ، سيف الاسلام ، ناصر الامام ، كافل قضاة المسلمين ، وهادي دعاة المؤمنين ، ابي النجم بدر المستنصري ، ... واسبغ ظلال نعمته على المؤمنين ، ادام الله قدرته واعلى كلمته . للمشهد الشريف ، بثغر عسقلان ، مسجد مولانا امير المؤمنين ابي عبد الله الحسين بن علي بن ابي طالب . في شهور سنة اربع وثمانين واربع مائة »

ويعد هذا المنبر من اقدم منابر العالم الاسلامي واجملها وابدعها . وكان السلطان صلاح الدين الايوبي قد امر بنقله من ثغر عسقلان بفلسطين بعد تحريره ليحفظ بمقام ابراهيم عليه السلام .

دكة المؤذنين

في الجهة المقابلة للمنبر والمحراب توجد دكة المؤذنين مرفوعة على عشر من الرخام ، وبالقرب من الدكة توجد قبة جميلة ترتفع على اعمدة فوق مدخل الغار . وباب الغار او المغارة مستدير وهو من الرخام ، وله غطاء من النحاس ايضا فيه قنديل معلق فوق فوهته .



مصلى النساء ومحرابه من القاشاني (تركي) ويعتبر آية من آيات الفن ، وفي وسط الرواق المستطيل الذي يوجد فيه مصلى النساء باب يؤدي الى ضريح يوسف عليه السلام الموجود خلف السور



مصحف شريف مكتوب بخط اليد ويرجع عهده الى سنة ٧٣٢ هجرية وهو محفوظ في مقام يوسف عليه السلام . وقد كتب برسم السلطان الملك الناصر ابي سعيد محمد ...

قالوا في الحرم الابراهيمي الشريف

يقول الاصطخري في (المسالك والممالك): «و الحبرون مدينة صغيرة تعرف بمسجد ابراهيم عليه السلام، وفي المسجد الذي تجمع فيه الجمعة قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب عليهم السلام صفا، وقبور نسائهم صفا بحذاء كل قبر من قبورهم قبر امرأة صاحبه».

ويقول ابن بطوطة: «مسجدها، اي الخليل، ابنى المسجد ... فيه قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب ويقابلها قبور ثلاثة هي قبور ازواجهم».

ويقول ابن بطوطة ايضا: «ومما ذكره اهل العلم دليلا على كون القبور الثلاثة الشريفة هنالك ما نقله من كتاب علي بن جعفر الرازي الذي سماه: المسفر للقلوب عن صحة قبر ابراهيم واسحاق ويعقوب ... اسند فيه الى ابي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما اسري بي الى بيت المقدس مر بي جبريل على قبر ابراهيم فقال: انزل فصل ركعتين، فان هنا قبر ابيك ابراهيم، ثم مر بي على بيت لحم وقال: انزل فصل ركعتين، فان هنا ولد اخوك عيسى عليه السلام، ثم اتى بي الى الصخرة».

«ولما لقيت بهذه المدينة المدرس الصالح المعمر الامام الخطيب برهان الدين الجعبري احد الصلحاء المرضيين والائمة المشهورين، سألته عن صحة كون قبر الخليل هنالك فقال لي: كل من لقيته من اهل العلم يصححون ان هذه القبور قبور ابراهيم واسحاق ويعقوب وقبور زوجاتهم، ولا يطعن في ذلك الا اهل البدع، وهو نقل الخلف عن السلف، لا يختلف فيه».

وفي (معجم البلدان) يقول ياقوت الحموي: «... فيه، اي الخليل، قبر الخليل ابراهيم عليه السلام، في مغارة تحت الارض، وهناك مشهد وزوار وقوام في الموضع وضيافة للزوار، وبالخليل سمي الموضع واسمه الاصلي حبرون، وقيل حبرى».

الاضرحة

اقيمت الاضرحة في ساحة الحرم، هي ضريح ابراهيم، يقابله ضريح زوجته سارة، ويفصل بينهما رواق. وفي وسط الجزء الثاني داخل الجامع ضريحا لسيدنا اسحق، وتقابله ضريح زوجته رفقة في غرفتين مرتفعتين صغيرتين متقابلتين.

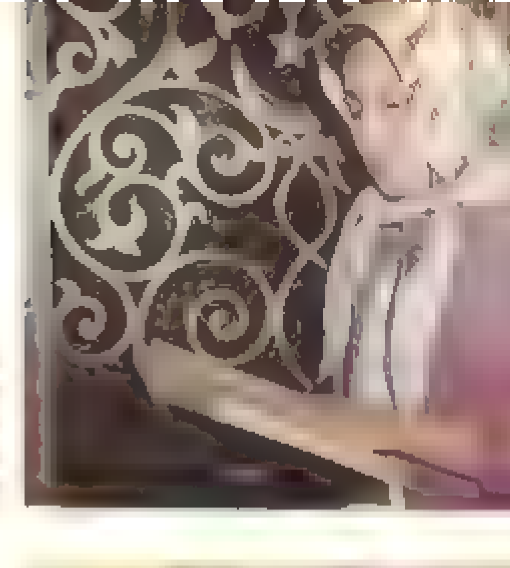
وفي القسم الثاني من البناء الواقع في الجهة الشمالية من الحرم يوجد ضريح لسيدنا يعقوب، وآخر لزوجته لائقة، في قبتين متقابلتين ايضا بينهما رواق.

وبين الجزئين الشمالي والجنوبي من البناء رواق مستطيل الى الجهة الغربية فيه مصلى للنساء. وفي وسط هذا الرواق باب يؤدي الى ضريح سيدنا يوسف عليه السلام، نقل اليه بعد وفاته في مصر. وهذا الضريح موجود داخل قبة جميلة واقعة خلف السور وملاصقة له من جهة الغرب، ويؤدي الى هذا الضريح باب فتح في السور.

الغار الشريف

تقع مراقد الانبياء في داخل المغارة، او الغار الشريف كما يسمونه. وما الاضرحة العليا الا اشارات لهذه المراقد. وللمغارة ثلاثة ابواب او مداخل: اثنان منها مسدودان، احدهما بازاء المنبر، والثاني بين ضريحي اسحق وزوجته. اما الثالث فهو كما ذكرنا موجود تحت القبة وله غطاء من النحاس. ولم يدخل هذه المغارة احد منذ اكثر من سبعمائة سنة.

ويذكر ياقوت الحموي نقلا عن الهروي انه قال: «دخلت القدس في سنة ٥٦٧، واجتمعت فيه وفي مدينة الخليل بشيخ حدثوني ان في سنة ٥١٣، في ايام بردويل انخسف موضع في مغارة الخليل، فدخل اليها جماعة من الفرنج باذن الملك، فوجدوا فيها ابراهيم واسحق ويعقوب، عليهم السلام، وقد بليت اكفانهم، وهم مستندون الى الحائط، وعلى رؤوسهم قناديل ورؤوسهم









مكشوفة ، فيجد انطاكي انهم لم يسدوا الموضع . بل وقرأت على المستشفى " ان رجلا يقال له الارمني قصد زيارة الخليل ، واهدى لقيم الموضع هدايا جزيلة ، وسأله ان يمكنه من النزول الى جثة ابراهيم عليه السلام ، فقال له اما الآن فلا يمكن ، لكن اذا اقمت الى ان يمضي الجفل ويمضي الزوار فعلت " . فلما انقطعوا قلع بلاطة هناك ، واخذ معه مصباحا ، ونزلا في نحو سبعين درجة الى مغارة واسعة ، والهواء يجري فيها ، وبها دكة عليها ابراهيم ، عليه السلام ، ملقى ، وعليه ثوب اخضر ، والهواء يلعب بشيبته ، والى جانبه اسحاق ويعقوب ، ثم اتى به الى حائط المغارة فقال له : ان سارة خلف هذا الحائط ، فهم ان ينظر الى ما وراء الحائط فاذا بصوت يقول : اياك والحرم ! قال : فعدت من حيث نزلت » .

الحرم في عهدين

بني سور الحرم في زمن بعيد في القدم كما اسلفنا ، وقام بعض ملوك البيزنطيين ببناء بيعة لهم على جزء من الحرم وزاد اليهود كنيسا غيرهم . ويذكر صاحب الانس الجليل ان على المسجد العالي (الفخري) هو بقية من بناء الروم ، وانهم الذين فتحوا باب السور بعد ان بقي مسدودا مدة طويلة . على هذا كان حال الحرم في العهد السابق على الاسلام .

ولما فتح العرب فلسطين في ايام الخليفة عمر بن الخطاب قام المسلمون بترميم مقام ابراهيم عليه السلام ، وكان الفرس قد خربوه في احدى غاراتهم سنة ٦١٤ ميلادية .

وفي عهد الدولة الاموية تم تشييد القباب التي فوق مراقد ابراهيم ويعقوب وزوجتيهما .

اما في العصر العباسي فقد فتح الخليفة المهدي باب السور العالي من جهة الشرق وبنيت له المراقي الجميلة من ناحيتي الشمال والجنوب ، وامر المقتدر بالله ببناء القبة التي على ضريح يوسف الصديق .

احتل الصليبيون مدينة الخليل ، وجعلوا منها اسقفية ، كما حولوا الحرم الى كنيسة . ولكن صلاح الدين الايوبي استعاد المدينة منهم عام ١١٨٧ م ، وجلب المنبر الفاطمي من عسقلان ، ووضعه في الحرم ، كما عمر المحراب ودكة المؤذنين .

واعاد الملك الظاهر بيبرس بناء مسجد الخليل وعمل له الشرفات الموجودة فوق السور . وقد حظر هذا الملك على غير المسلمين دخول الحرم .

وقام الملك المنصور قلاوون بترخيم الحجرة الشريفة الخليلية سنة ٦٨٦ هجرية . وادخل ابنه السلطان محمد الناصر من العمارة والزينة على المسجد ما جعله من افخم مساجد الدنيا وذلك على يد الامير تنكز ، كافل الممالك الشريفة الشامية . فهو الذي رخم جدران المسجد وزين محرابه بالرخام والفسيفساء ووضع بالطاقين زينتا بالزجاج الملون . وهو الذي شيد القبة اللطيفة التي فوق باب القلعة الشريف . والى هذا العهد ايضا يرجع انشاء الرواق الشرقي ، والابواب المزخرفة والسبيل التي بجوار الحرم .

ويعدد اليعموري ، ناظر اوقاف الخليل ، في زمن السلطان الظاهر برقوق بناء ضريح سيدنا يوسف عليه السلام بعد ان فتح له بابا في السور الغربي .

اوقاف الحرم الابراهيمي

للحرم الشريف اوقاف كثيرة من جميع خلفاء المسلمين وملوكهم ، وهي منتشرة . وقد اوقفت الضياع والعقارات على نفقة الحرم الابراهيمي وتعميره . وهناك اثنتا عشر قرية في لواء الخليل ، وقرى كثيرة يبلغ عددها ثلاثين في الوية اخرى يقع معظمها الآن في الجزء المغتصب من فلسطين ، موقوفة وقفا صحيحا على الحرم الابراهيمي بحجج شرعية ثابتة ومحفوظة في صندوق في الحرم اسمه « صندوق السجل » . وهناك عشر عائلات خليلية تقوم على خدمة الحرم ، منها المشايخ والمدرسون والمؤذنون والسدنة وحاملو الاعلام . وقد منحت هذه العائلات شرف خدمة الحرم منذ حوالي سبعمائة سنة .

والحرم تديره مديرية الاوقاف العامة التي يرأسها سماحة قاضي قضاة الاردن وتقوم هذه المديرية بانفاقه وتعيين موظفي الحرم .

الخلاصة

هذه قصة الخليل ، النبي الكريم ، اوردنا فيها ما تواتر على السنة الناس والمؤرخين ، ومنها ما هو بين الظن واليقين والله اعلم . ■■

التداوى بالأعشاب قديما وحديثا

يحدثنا التاريخ القديم عن :

٣٠ نوعا لعلاج السـ
و ١٠٠ لعلاج الجـ
و ١٠٠ أخرى للتخفيف وط
وعشرات لتهدئة الأعصاب ونحو الستين لعلاج المعدة

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر
مدير جامعة الكويت

■ ربما كان التداوى بالاعشاب قديما قدم الانسان نفسه ، فقد عرف الانسان منذ آلاف السنين بفطرته ، كما عرف بخبرته ، كيف يستفيد من هذه النباتات التى تنمو من حوله لا فى غذائه فحسب، بل وايضا فى شفاء ما كان يصيبه من امراض . فقد علم بالتجربة ، أن هذا النبات يزيل آلام معدته ، وأن هذا الآخر يهدىء من اعصابه أو يشفيه من الصداع، أو يخفف من اثر الحمى .

ولقد رويت اساطير كثيرة عن الخصائص العلاجية لبعض النباتات ، ويتردد دائما القول بأن الله الذى خلق الداء خلق له الدواء، وان كل أرض تنبت من أنواع النبات ما يشفى الامراض والعاهات التى تحل بقاطنيها . والى أوائل القرن الحالى ، بل وفى كثير من جهات العالم ، ما زال العلاج بالاعشاب هو السائد ، بل هو العلاج الذى لايعرف سواه .

سموا الأطباء بالعشابين

وقديما لقب الاطباء بالعشابين ، لأنهم يعرفون خصائص الأعشاب ، وطرق التداوى بها، فابقراط الملقب بابى الطب، وديسقوريدوس ، وجالينوس ، وابن



سينا الملقب بالشيخ الرئيس ، وداود الأنطاكي وابن البيطار ، والغافقي،وغيرهم من مشاهير الأطباء على مر التاريخ ،انهم جميعا عشابون،حذقوا معرفة الصفات العلاجية للاعشاب ، وطرائق تحضير العقاقير النافعة منها .

الاعشاب عند الأمم القديمة الغابرة

ويحدثنا التاريخ،ان الهنود والصينيين والمصريين القدماء والاغريق، والآشوريين والبابليين ، قد سجلوا كثيرا من معارفهم عن الخصائص العلاجية لمئات من الأنواع النباتية ، فيذكر الهنود قوائم نباتات عديدة تصلح لعلاج هذا المرض او ذاك فهناك اكثر من ثمانين نوعا لعلاج الزكام، ونحو المائة لتخفيف وطأة الحمى ، ومائة اخرى لعلاج الجروح ، وعشرات لتهدئة الاعصاب،ونحو الستين تستعمل مليّنات، ونحو المائة لعلاج المعدة ، وغيرها للروماتيزم وهكذا . ولكل منطقة نباتاتها العلاجية واعشابها الدوائية ، ولكل قبيلة معتقداتها المتوارثة جيلا بعد جيل. كذلك يروى أن احد اباطرة الصين القدماء وصف نحو ٢٥٠ نوعا من النباتات ذات القيمة العلاجية وقد ضمنها اول كتاب صيني عن التداوي بالأعشاب وكان ذلك سنة ٢٧٠٠ ق. م. كما الف احد العشابين الصينيين مؤلفا يقع في نحو الخمسين جزءا فيه ما يزيد على الف نوع نباتي ، وصف فيه طرائق التداوي بها .

وتدل مخطوطات البردي ، على ان المصريين القدماء ، قد استعملوا الاعشاب في التداوي منذ نحو خمسة آلاف سنة. وقد وجد في مخطوطة « ايبرز » مجموعة تزيد على ثمانمائة وصفة لمختلف الامراض، وقد عرف البابليون كذلك الصفات العلاجية لمئات الأنواع النباتية، وقد ذكر في قانون «حمورابي» المنقوش على الحجر حوالي سنة ٢٠٠٠ ق. م. ، بعض من الفوائد العلاجية لكثير من النباتات وطرائق استعمالها في التداوي .

والدواء عند الاغريق

ثم انتقلت هذه المعلومات الى الاغريق، والى ابقراط « ابي الطب » في القرن الخامس قبل الميلاد،ثم الى «ثيوفراستس» في القرن الرابع قبل الميلاد ، حيث وصف كل منهما مئات الانواع النباتية ، وفوائدها العلاجية كما وصف ديسقوريدوس في القرن الاول الميلادي نحو خمسمائة نبات، وقد ظل مؤلفه مرجعا للعلماء العرب مئات السنين من بعده . وفي القرن الثاني الميلادي ظهر بالاسكندرية رائد آخر من رواد التداوي بالاعشاب ، ذلك هو « جالينوس » الذي ما يزال اسمه علما على كثير من المستحضرات والهيئات التي احتفظت باسمه ، عرفانا بفضله على هذا الفن العلاجي . ويروي التاريخ اخبار جمعيتين علميتين ، تكونتا في اليونان القديمة،احداهما «ريزوتومي» والاخرى « فارماكوبالي » مهمة الاولى جمع الاعشاب والجذور التي ثبت نفعها كعلاج ، ومهمة الأخرى تحضير الدواء من هذه الاجزاء او العقاقير النباتية .

وجاء دور العرب

ودار الزمن دورته ، وتناول العلماء العرب الكرة ، فتداولوها ابرع مداولة ، بعد ان جمعوا هذه المعارف والمعلومات من الاغريق، والهند والصين . لقد برعوا في ترجمتها وتدوينها ، وجعلوها سهلة ميسرة ، لمن شاء ان ينهل من وردها ، بعد ان كانت محتكرة لدى فئات بعينها. ونشروا هذه المعلومات في ارجاء امبراطوريتهم التي امتدت من مشارق

الصين شرقا الى بلاد الأندلس غربا . وانتشرت كتب ابن سينا والرازي والغافقي والبغدادي وداود وابن البيطار والقزويني وغيرهم ، وانها لتحوي الكثير من المعلومات المفيدة عن الخصائص العلاجية لكثير من الاعشاب والنباتات . وعرفت « دكاكين » الطب في بغداد والموصل ، ودمشق والقاهرة وقرطبة ، البذور والجذور والثمار والأوراق الجافة لنحو الف وخمسمائة نوع نباتي ، تستعمل في التداوي ، وعرف القائمون على امر هذه « الدكاكين » طرائق تحضير هذه الوصفات من طحن ودق ومزج وطبخ وما اليها .

وقد ظلت كتب الطب او التداوي بالاعشاب ، أنفس ما يقتنى ، وظلت الطب الأمر حكرا لدى القادرين ورجال الاديرة ، فراجت تجارتها ، وكثر تداولها ، وشاع استعمالها والانتفاع بما فيها .

اوهام واساطير

ومن المحقق ان بعض الاوهام وكثيرا من الاساطير ، قد لازمت استعمال بعض هذه الاعشاب او تلك النباتات ، ولكن المحقق كذلك ان كثيرا جدا مما ذكر من الصفات العلاجية لاغلب النباتات صحيح في جملته وتفصيله ، وان ما يستخلص منها من جواهر فعالة وعناصر مفيدة ، هو اساس تحضير كثير جدا من الادوية الحديثة . اما الاوهام والاساطير ، فمن امثلتها ما يذكر من نبات معين وان لجذره شكل الانسان ، فهو يشفي جميع امراضه ، وان ورقة نبات آخر تشبه الكبد فلا بد انها تشفي امراض الكبد ، وان ورقة نبات معين تشبه القلب فلا بد انها تنفع في علاج أمراض القلب ، الى غير ذلك مما لا تخلو منه هذه الكتب القديمة من معتقدات ، والغريب انها انتقلت جيلا بعد جيل ، وتناولها علماء افاضل ، لا شك انهم شايعوا العامة ، في معتقداتهم حول هذه النباتات أو تلك . كان يقال ان نباتا تهتز أوراقه بحركة معينة ، فلا بد انه ينفع في علاج امراض الرجفة وان نباتا ينمو في الصخر فلا شك انه يفتت الحصى في الكلى .

ثبت الاعشاب من امريكا

وكثيرا ما تحوي كتب الأقدمين الى جانب الوصف المسهب للنبات ـ حتى لا يختلط بين نافع وضار ـ تحوي توصيات بشأن طريقة جمع الاجزاء النباتية المستعملة في العلاج ، وزمان قطفها ، وطريقة استعمالها . ثم كان اكتشاف امريكا منذ بضعة قرون ، فاضاف روادها الى مجموعة النباتات العلاجية ، ثبتا جديدا مما ينمو هنالك ، واستعمله الهنود الحمر في التداوي ، وكذلك جمعت معلومات كثيرة عن فوائد بعض النباتات في العلاج من امريكا الجنوبية والمكسيك وجزر الهند الغربية وغيرها .

استخلاص الجواهر الفعالة من النباتات الطبية

وفي القرن التاسع عشر ، نشط الكيميائيون في استخلاص الجواهر الفعالة من النباتات الطبية وتحضيرها في المختبرات على نطاق واسع ، فاستخلص « المورفين » « والاستركنين » « والايميتين » « والاتروبين » « والافيدرين » وغيرها وغيرها من عشرات ومئات المستحضرات ، وعرفت صفاتها وحددت جرعاتها وانها جميعا خلاصات نباتية ، انها الجواهر الفعالة ، ذات الفائدة العلاجية في نباتات واعشاب طبية ، عرفها الاقدمون ، واعطوا وصفا دقيقا لها .

ثم نشط الكيميائيون مرة أخرى منذ اواخر القرن التاسع عشر ، لاستبدال

المركبات الكيمائية بالعقاقير الطبيعية ، فقد عمدوا الى تحليل هذه المركبات ، ومعرفة صيغها الكيمائية ، وحددوا عناصرها وبحثوا في تخليقها ، فكانت نصرا مؤزرا للعلم والطب والانسانية على السواء ، واستغلت رؤوس أموال كبيرة ، في شركات ضخمة للصناعات الكيمائية الدوائية ، لصناعة هذه المستحضرات الطبية ، ونشرها في العالم أجمع بأسعار زهيدة ، ليتمتع بها الناس على اختلاف أوطانهم وأقدارهم وقدراتهم .

فليس من شك في أن العلم ، قد نقل في العصر الحديث ، استعمال الكينا في علاج الملاريا عن الأقدمين الذين استعملوا لحاء شجرة الكينا في علاج هذا المرض ، ثم استخلص الكيمائيون في منتصف القرن التاسع عشر الكينين من لحائها ، ورأوا أنه الجوهر الفعال في العلاج ، ثم انتشرت المزارع الواسعة للكينا في كل بلد ، يسمح مناخه بزراعة أشجارها في جاوه وجزر الهند الشرقية ، واستطاع الكيمائيون بعد ذلك أن يصنعوا « الأتبرين » في علاج الملاريا بديلا للكينين ، ثم استحدثت بديلات أخرى كثيرة في العلاج

ولعلنا نذكر عقار الكورتيزون ، وما صاحب كشفه من ضجة عظيمة في خمسينيات هذا القرن . وقد استعمله الأطباء في علاج الأمراض الروماتيزمية والنقرس ، وكان غالي الثمن باهظ النفقة ، ثم عرف أنه يمكن استخلاص مادته الأساسية من نبات معين . ثم أدت بحوث أخرى الى كشف نبات آخر يفيد في هذه الناحية ، وتوالت البحوث ليمكن استخلاص هذا العقار العجيب من عدد كبير من النباتات .

والمبيدات الحيوية استخلصوها من نباتات

وثمة نباتات أخرى كثيرة كان يستعملها الأقدمون في علاج كثير من الأمراض ، استطاع العلم أن يكشف سر جواهرها الفعالة ، وأن يطلب طريقة استخلاص العقار ، وتحديد زمان ومكان استخلاصه وطرائق تكثير النباتات الطبية ، حتى تفي بحاجات الانسان العلاجية لمختلف الأمراض ، ولعلنا نذكر في هذا المقام قصة البنسلين ، الذي اكتشفه « فلمنج » في ثلاثينيات هذا القرن ، واستعمل للعلاج في أربعينياته الأولى وها هو ذا اليوم قد غدا محور علم قائم بذاته ، هو علم المبيدات الحيوية ، ومركز صناعات كيمائية هائلة لأعداد كبيرة من المضادات من بنسلين ، وستربتوميسين ، وكلوروميستين وغيرها كثير ، أصبح في مقدور العلماء تخليقها وتصنيعها على نطاق واسع ، وكانت قبل مستحضرات نباتية صرفة تستخلص من أعفانها النباتية ، وكانت غالية الثمن باهظة النفقة ، وإذا بها الآن ، بفضل العلم ، سهلة التداول ، يسيرة التناول ، قليلة النفقة .

لقد استطاع الانسان ، بفضل العلم أن يستغني عن الاستعمال المباشر لهذه النباتات أو تلك ، التي كان يبذل الكثير من الجهد والنفقة في سبيل الحصول عليها . وركز العلم جواهرها الفعالة في برشامات أو كبسولات أو حقن ، وصنعها بكميات هائلة تفي بحاجات الانسان ، وأنها لفي متناول يده . وبذلك غدت وسائل العلاج سهلة ميسورة ولعلها أغلب الأمر مأمونة ، ما أراد الله البرء والشفاء .

ومع ذلك فما زال في ميدان التداوي بالأعشاب متسع لجهود العلماء والباحثين ، يعكفون على دراسة ما أودعها الخالق من عناصر البرء وأسباب الشفاء يستخلصونه ، ثم يصنعونه في مختبراته ليعم نفعه وينتشر استعماله . ■

عبد الحليم منتصر

الوحدة الثقافية

قبل الوحدة الاقتصادية والسياسية

بقلم

محمد العربي الخطابي

جيلنا الحاضر، جيل متعدد الثقافات
مشتت الأهداف متنافر الأهواء والنزعات

■ تمتاز الثقافة العصرية الحية [illegible]

[illegible] هدفها تحقيق حياة أفضل للانسان تتيح له تحرير نفسه من البؤس المادي، والبؤس الفكري كذلك، وتفتح امامه ابواب التطور والارتقاء.

وانا حينما ننظر حولنا الآن ونحيط الامة العربية [illegible] [illegible] [illegible] الحياة [illegible] [illegible] محصورون [illegible] يمتازون بأصالة فكرية وشعورية تجعل منهم والذين صالحين للأجيال المتطلعة الى الثقافة القومية التي ننشدها. فاننا نصادف مزيجا متنافرا من المثقفين في جهات متعددة من الوطن العربي، وخاصة في البلاد التي نالت استقلالها حديثا.

ولا ننسى ان نفهم مما قلناه عن هذه الاتجاهات الثقافية [illegible] كثيرا من شبابنا. انى آخذ عليهم [illegible] آخذ انعدام الاصالة او انعدامها في نفوسهم، واقتصارهم على الاخذ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

لا بد ان نخطط لثقافة موحدة

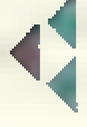
ومن البديهي انه لن تتوحد اهدافنا ما لم نتفق على الافكار الاساسية التي يجب ان ننطلق منها لصنع [illegible] والتي لا تكون الا ثمرة منهج [illegible] مخطط، سلفا، باحكام ودراية وتعمق في معرفة طبيعة الامة التي نبتغي توحيدها، وسبر اغوارها التاريخية والاجتماعية وقيمها الروحية، مع الاحاطة التامة بالانقلاب الكبير الذي احدثه تقدم العلوم [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] وحده، فالاقتصاد في معناه الشامل لون من الوان السلوك البشري واسلوب في التفكير مثلما هو نظام للانتاج [illegible] لمنافع المادية، وهو خاضع، نوعا ما، للقيم الثقافية والفكرية العامة.

[illegible] [illegible] [illegible] البلاد التي تطمح الى هذه الوحدة

الوحدة الثقافية، والقيم الروحية

[illegible] الدول [illegible] [illegible]



الروحية والفكرية والسياسية كالقرآن والحديث النبوي وكتب المذاهب والفقه وعلم الكلام والأدب واللغة قد جمعت العرب تحت ظل حكومة واحدة في فترات مختلفة من التاريخ أكثر مما جمعتهم الجيوش والاعلام .

وكان في وسع العالم والأديب والفيلسوف والطبيب أن ينتقلوا بين مختلف أنحاء العالم العربي يستقرون في أية بقعة يطيب لهم المقام بها حيث يجلسون للتدريس أو القضاء أو الافتاء ، أو يتفرغون للتأليف من غير أن يشعروا بوجود حدود مادية أو حواجز معنوية ، وكذلك كان شأن الطلاب .

فمن الأعلام البارزين الذين لا تقترن أسماؤهم اللامعة بمسقط رأسهم وحده بل بالعالم العربي كله ـ إن لم نقل العالم الاسلامي ـ الغزالي وابن رشد وابن طفيل والادريسي وابن خلدون والسلاني والمتنبي والمعري وغيرهم من العلماء والأدباء والفقهاء ، وكل هؤلاء الذين ذكرناهم قد تنقلوا بين عدد من حواضر العرب وجلسوا للتدريس أو الافتاء أو القضاء ، وتركوا في كل مكان حلوا به ذكرا لم يبل مع الزمن . فالامام الشاذلي ـ مثلا ـ الذي انطلق من المغرب من احدى القرى الصغيرة بالشمال لمغاربا أسس مذهبا في التصوف شاع في الشرق العربي أكثر من شيوعه في المغرب ، وكذلك الشأن في غيره من الأعلام الكبار .

وكانت المذاهب الفقهية والمدارس الأدبية والأفكار الفلسفية أو الصوفية تجد صداها البعيد في كل بلاد العرب والمسلمين حيث يكون لها أنصار وشارحون ، أو معارضون منتقدون ومهاجمون . فمدرسة البصرة ومدرسة الكوفة في النحو قد انتقلتا الى كل مكان ، وأفكار الشيعة والمعتزلة وآراء الفارابي وابن سينا وابن رشد والغزالي والبيروني والخوارزمي وابن عربي عرفت ودرست في الشرق والغرب ، والموشحات انتقلت من الغرب الى الشرق ، كما أن معالم التجديد الذي عرفه الشعر على يد أبي نواس وبشار والمتنبي هبت على القاهرة ودمشق وقرطبة والقيروان والعسان وفاس ، كما تناقلت مختلف البلاد العربية الألحان والأوزان الموسيقية والزخارف والنقوش والصناعات اليدوية الفنية ، وبالجملة كان هناك تجاوب في الأفكار وأسس ثقافية مشتركة لم تعقها عن النمو والازدهار سوى حملات المغول البربرية وسيطرة الترك ، وأخيرا الاستعمار الغربي .

لا تعارض بين القومية والانسانية

ومما لا جدال فيه أن آفاق الثقافة قد اتسعت في عصرنا الحاضر وأصبحت ملكا مشاعا لجميع الأمم . غير أنه بالرغم من هذا المظهر الكوني للثقافة العصرية فلا بد لك من التسليم بحقيقة واضحة هي تعدد منابع الثقافة البشرية ، واصطباغ ثقافة كل أمة بلونها القومي الخاص الذي يميزها عن غيرها ، ولا ينفي عنها صفة الشمول والانسانية . لذلك كان الصبغة القومية « اللاعصرية » لثقافة أمة ما أمر ضروري تحتمه الظروف الخاصة والمقومات التاريخية والجغرافية والاقتصادية لكل أمة من الأمم . وهذه الثقافات المتميزة تتلاقى في النهاية وتتفاعل ثم تتكاتف ، فتصبح ملكا مشاعا للبشر جميعا .

والثقافة العربية ، كما هو معلوم لم تكن قط منكمشة على نفسها ولم تتخذ في وقت من الأوقات طابعا عدوانيا أو موقفا متزمتا ، لقد أخذت وأعطت ، تأثرت وأثرت ، وأضافت أشياء الى التراث الانساني الكبير .

فاذا كنا ندعو الآن الى بعث الثقافة العربية بعثا جديدا يعيد لها اشراقها وحيويتها بمجهود العرب أجمعين ، فانما لا ندعو الى فكرة قومية متعصبة ضيقة ، وما نريده هو أن نساهم في الازدهار الثقافي البشري العام مساهمة البلد بفكر مبدع وشعور أصيل ، لأننا لا نرضى أن نبقى في معترك الحياة الثقافية المتجددة مجرد ببغاوات تقلد .

لقد عاشت معظم البلاد العربية زمنا غير يسير في ظلمات البؤس والجهل ، وتحت وطأة الاستبداد الداخلي والاستعمار الخارجي ، حتى تبلدت المشاعر وتزمتت العقول وتوقف العرب عن مسايرة الزمن الوثاب المتطور .

وكان عهد الاستعمار عهدا مائسا ـ كما وكيفا ـ في المجال الثقافي الذي يعنينا الآن ، ولو أنه كان بمثابة الصدمة

التي تعيد الذاكرة الى ماقبلها . فمن ناحية الكم لم يتح لنا خلال فترة طويلة من السيطرة الأجنبية على بلادنا ، أن نحصل على الحد الأدنى من التعلم والتثقيف ، كما أننا من ناحية الكيف ، قد استهدفنا وخاصة في المغرب العربي، لفترة محمومة ومدبرة على عقولنا ومقوماتنا الصالحة الثابتة ، وفي مقدمتها لغتنا . وبذلك قتلت في نفوس عدد من الذين تمكنوا من التعلم تعليما عاليا أو متوسطا بذرة الانطلاق الفكري والشعوري الأصيل التي تتلاءم مع فطرتنا الحية وخصائصنا المميزة ، وما زلنا نعاني من آثار تلك الفترة الوبيلة الى اليوم .

ولولا جماعة من الرائدين الأوفياء أشعلوا الضوء الأحمر في هذه البقعة أو تلك من بلاد العرب بما آتاهم الله من سلامة الفطرة وصدق الحدس وسعة الفكر وادراك لسر التطور لأضاعت الأمة العربية شخصيتها بضياع لغتها ، ولفقدت بالتالي قيمها المثلى التي هي سر وجودها .

الدعوة المعاصرة الى الانبعاث الثقافي

ان دعوة الانبعاث الثقافي والاجتماعي واحياء التراث القومي قد امتزجت بالعمل الدائب من أجل التجديد والتطور واستشراف آفاق العلم والمدنية ، وانتعشت النهضة العربية — وخاصة في المشرق — على يد طائفة من الدعاة المصلحين والمفكرين ، ففتحت أمام اللغة العربية — التي هي سر ثقافتنا القومية — سبل الحياة العصرية فعرفت نهضة ما تزال تنمو وتترعرع .

وقد آن الأوان أن تتوحد جهود العرب في المشرق والمغرب لوضع أسس متينة صالحة لوحدة ثقافية شاملة تكون بمثابة الدعامة الموطدة للصرح الشامخ الحصين الذي نريد تشييده .

أسس تقوم عليها وحدة الثقافة

ومن الأسس التي أرى أنه لا بد منها لبناء الوحدة الثقافية المنشودة :

— وضع ميثاق عربي يرسم خطوطا رئيسية مشتركة لأهداف التربية والتعليم في العالم العربي ووسائل تحقيقها .

— تعريب مناهج التعليم وتوحيد الكتب الدراسية وجعلها صالحة للناشئة العربية في كل مكان .

— تنسيق أعمال نشر الثقافة بين المواطنين العرب بوضع مخطط شامل تشترك فيه جميع الأقطار العربية لتنظيم حركة التأليف والترجمة والنشر ، وتشجيع الفنون والآداب والعلوم ، واقامة المعارض المتنقلة وتبادل الفرق الموسيقية والمسرحية ، والاشتراك في وضع موسوعات عربية للفنون والمأثورات الشعبية والعلوم الانسانية .

— تأسيس مجمع عربي موحد يضم رجال اللغة والأدب والفن البارزين في العالم العربي غايته خدمة اللغة العربية ورفع مستوى الأدب ، وتوحيد جهود علماء اللغة الرامية الى وضع المعاجم الضرورية الوافية بأغراض ومتطلبات الحياة العصرية .

— تعزيز المكتب الدائم لتنسيق حركة التعريب في العالم العربي وامداده بالامكانات والكفاءات حتى يصبح منظمة معتمدة وذات نفوذ في كل ما يختص بتوحيد المصطلحات العلمية والحضارية والفنية والصناعية والزراعية في العالم العربي ، واقرار المصطلحات الجديدة المتفق عليها ونشرها بمختلف الوسائل .

ان على الجامعة العربية والوحدة الثقافية أن يكرسا القسط الأكبر من جهدهما وعملهما للشؤون الثقافية سعيا وراء الوحدة المنشودة ، ولتصبح الوحدة الثقافية رباطا متينا يعتصم به العرب في المشرق والمغرب حتى تتعانق القلوب وتتآلف الأفكار ، وتتحقق المشاعر في أجواء المرونة السمحة والانسانية المثلى . وهذه أيضا أمانة في عنق المثقف العربي الواعي : أن يكرس جهده ونضاله ومواهبه لخدمة الثقافة العربية المتحررة الكاملة بتحقيق وحدة الصف والهدف .

■

الرباط   **محمد العربي الخطابي**



صاحب كتاب "العمدة"

الكتاب الواحد الباقي، الذى خلد ذكره

بقلم : الدكتور طه الحاجرى

أستاذ اللغة العربية وآدابها بجامعة الاسكندرية

● في الفصل الذى قدمناه عن أسد ابن الفرات (١) رأينا صورة مقاربة من الحياة العقلية في افريقية في القرن الثانى للهجرة . ولم تكن هذه الحياة تمثل — آنذاك — في أقوى اتجاهاتها وأبرز صورها الا في النشاط الدينى والعلمى . فقد كان هذا النشاط هو الذى يطبع الحياة الفكرية في افريقية بطابعه وتسمها بميسمه .

وفي افريقية ، في القرن الرابع الهجرى ، انتقل النشاط الادبي الى صميم الحياة

أما النشاط الأدبي فلم يكن أتيح له بعد أن يستقل بنفسه ، أو ينزل من هذه الحياة منزلة ظاهرة متميزة ، فقد كان أمرا جانبيا ، يقع على هامش هذه الحياة ، ولم ينتقل الى صميمها ويحتل المكان الجدير به فيها الا في القرن الرابع الهجرى بعد أن اكتملت أسبابه ، وتهيأت لمجتمع عوامل نضجه ، كما أصبح للمغرب العربى

---

(١) مجلة العربي ، العدد ٥٤ (مايو ١٩٦٣)

ابن ابراهيم النهشلي ، وعلي بن محمد الايادي التونسي .

بين القرن الرابع ، والقرن الخامس ، نشأ ابن رشيق

وفي اواخر هذا القرن نشأ صاحبنا الذي نقصر هذا الفصل للحديث عنه ، نشأته الاولى ، ثم تم تمامه ، وظهرت شاعريته ، وبرزت مظاهر شخصيته في القرن الخامس .

المدينة التي ولد فيها ابن رشيق

ونشأته الأولى هذه تشير الى ظاهرة جديدة في تاريخ الحياة الادبية في المغرب العربي وهي امتداد هذه الحياة الى ما وراء المغرب الادنى ، وتعدد بنيانها ومراكزها ، فلم يعد النشاط الادبي مقصورا على القيروان او تونس ، بل اخذ يستحدث مراكز اخرى له ، منها مدينة « المسيلة » التي نشأ فيها ابن رشيق ، وهي قاعدة المغرب الاوسط ، او ما كان يسمى الذاك بلاد الزاب ، ويطلق عليه الآن اسم « الجزائر » .

ان هذه المدينة هي احدى المدن التي انشأتها الدولة الفاطمية في المغرب العربي ، في أول قيامها . اختطها ولي عهد هذه الدولة ، محمد بن عبيد الله المهدي . وكان ابوه قد وجهه الى اقليم الزاب ليقر به سلطانه ، ويقمع بعض الثورات الناشبة فيه ، حتى اذا فرغ من شأنه ، وتم له ما اراد ، اختط هذه المدينة لتكون قاعدة هذا الاقليم بدلا من مدينة طبنة ، وعهد الى علي بن حمدون الاندلسي ببنائها ، ثم اطلق عليها اسم « المحمدية » نسبة الى ولي العهد الى جانب اسم « المسيلة » ، ذلك الاسم الذي يرجع ــ فيما نحسب ــ الى اصل قديم .

ولم تلبث هذه المدينة ان نمت وازدهرت ، وخاصة في عهد اميرها جعفر بن علي بن حمدون ، وقد آلت



كيانه السياسي المستقل ، واخذت تتضح ملامح شخصيته ، وذلك في عهد الدولة العبيدية ، او الفاطمية ، التي استطاعت ان تجعل من المغرب العربي دولة كبرى تقع بين دولة الامويين في الاندلس ودولة العباسيين في المشرق .

كان للمغرب ، في القرن الرابع الهجري ، شعراء مذكورون

ففي هذا القرن الرابع كان للمغرب شعراؤه المذكورون ، سواء من أتيح لشعره أن يغالب ما تعرضت له الآثار الادبية في المغرب خاصة من ظروف ، فنلمحه في صورة قريبة من الكمال ، كابن هانيء الاندلسي ، ومن تعرض شعره للضياع ولكن القليل الذي بقي لنا منه يدل عليه ، ويومىء الى قدره كعبد الكريم

إليه إمارتها بعد أبيه الذي تولى — كما رأينا — بناءها . وكان معتزا بهـا ، جاعلها مناط همته ، ووجه إليها طموحه كله ، حتى استطاع أن يجعل منها مركزا من أول المراكز الأدبية في المغرب العربي ، تعلقا بالأدب وتشجيعا للأدباء ورعاية لهم واستثارة لمواهبهم . وفيها برزت شاعرية ابن هانىء الأندلسي ، ومنها صدرت قصائده الرنانة في مدح هذا الأمير ، ومنها تهيأ لمكانه الذي أتيح له بعد ، في البلاط الفاطمي ، والذي جعل شعره يدوي في أنحاء المغرب كله .

هذه هي المدينة التي ولد فيها الحسن ابن رشيق ، سنة ٣٩٠ هجرية .

أسرة ابن رشيق

وإذا لم تكن الأسرة التي خرج منها صاحبنا من الأسر التي تصطنع الأدب أو الحياة الفكرية عامة إذ كانت من الأسر العاملة ، فقد كان أبوه رشيق صائغا ، فقد يمكن القول بأن في الصياغة جانبا فنيا لأنها تقتضي — على أي حال — نزوعا جماليا وأن ابن رشيق كان ينطوي على نزعة فنية جاءته من هذه الناحية .

وكان رشيق مولى روميا ، وكان هؤلاء الموالي قد أتيح لهم ، منذ وُلّي الفاطميون الأمر في إفريقية ، أن يظفروا بالحظوة عندهم ، وأن يتولوا بعض المناصب الأثيرة لديهم (كجوهر وجوذر وقيصر ومظفر وميسور ومسرور) وكان ذلك من شأنه أن يثير طموح هذه الطبقة عامة ، ويحفز أفرادها إلى اتخاذ الوسيلة لنيل ما بلغه هؤلاء ، فلعل ذلك كان مما أغرى رجلا كرشيق أن ينشىء ابنه نشأة أدبية ، فلعل ذلك يفتح له السبل إلى بعض تلك المناصب ، أو يهيئه لنيل تلك الحظوة .

ومهما يكن من أمر فقد اتجه الحسن بن رشيق في مدينة المحمدية تلك الوجهة الأدبية ، فجعل يراوح في هذه المرحلة من حياته بين العمل مع أبيه في الصياغة ، والتماس الثقافة في صورها المختلفة بالقدر الذي تتيحه هذه المدينة . وما أسرع ما ظهرت مواهبه وانبثقت طاقاته ، وعرف طريقه الذي ينبغي أن يشقه . ولكن هذه المدينة كانت لا تقدم لطامحه ما تقنع به ، فجعل يطمح ببصره إلى حيث يجد لمواهبه وطاقاته ميدانا أرحب ، ومجالا أخصب وفرصا للتبوغ أوفر . ولا ريب أنه كان يتمثل إذ ذاك مدينة القيروان ، يتوفر فيها على الدرس ، ويستكمل فيها تعليمه ، ويستتم بذلك مكونات شخصيته الأدبية التي يرجو أن تهيأ له ، ويتهيأ بذلك المجد الأدبي الذي ما زال يتبرج له ويداعب خياله .

وما زال ذلك الطموح به حتى مضى إلى القيروان سنة ٤٠٦ .

ابن رشيق في القيروان

وفي القيروان بدأ ابن رشيق مرحلة جديدة من حياته وإن كانت مرحلة متعددة الألوان والصور ، وقد امتدت أربعين عاما ، أي منذ دخلها سنة ٤٠٦ ، شابا يافعا في السادسة عشرة من عمره ، إلى أن تركها مهاجرا إلى المهدية ، سنة ٤٤٧ ، كما سنرى بعد ، شيخا مشارف الستين .

وقد بدأ هذه المرحلة بالتردد على حلقات العلم ومجالس الدرس والأندية الأدبية . وكانت القيروان تزخر إذ ذاك بطائفة كبيرة من أعلام العلماء وأئمة الأدب كأبي الحسن القابسي وأبي عمران الفاسي من رجال الحديث وأئمة الفقه ، وأبي عبد الله القزاز ، من شيوخ النحو وأساطين العربية ، وأبي إسحاق الحصري من الأدباء وعلماء الأدب ، فجلس ابن رشيق إليهم ، وأخذ عنهم ، ووثق صلته بهم ، وقد وجد فيهم ما كان يطمح إليه ، حتى اكتملت جوانب حياته العقلية ، وتفتحت شخصيته العلمية ، كما وجدت شخصيته في هذه الآفاق العقلية الفسيحة ، وفي الآثار الأدبية المختلفة التي أقبل عليها رواية ودرسا وتذوقا ، ما أمد هذه الشاعرية ونماها .

ابن رشيق يتصل بابن أبي الرجال

وكما بدأ ابن رشيق بانتقاله إلى القيروان مرحلة جديدة في حياته ، كذلك بدأ المغرب في الوقت نفسه مرحلة جديدة بوفاة الأمير باديس ، وانتقال الإمارة إلى ابنه المعز ، وكان ما يزال

صبيا صغيرا في الثامنة من عمره يتعهده الاوصياء والمربون ، ويتولون باسمه امور الدولة . وكان من بين هؤلاء رجل اديب شاعر ، هو ابو الحسن علي بن ابي الرجال ، استاذ الامير الصغير ووالده ومستشاره وصاحب ديوانه ، فقد جمع بذلك بين الأدب والسلطان ، وكان بذلك محتل الادباء في قصر المعز بن باديس ، ومن ذلك كان معقد آمالهم ومطمح ابصارهم .

واكبر الظن أن شخصية ابن ابي الرجال كانت من اول ما مثل في خاطر ابن رشيق منذ دخل القيروان ، ومن اول ما جعل يهزه ، ويغري طموحه صعودا من المجد الادبي تتراءى له وتثير فيه شتى الخواطر . كما يغلب على الظن ان اسمه لم يكن غريبا عنه ، فقد كان ابن ابي الرجال ينزل احدى مدن المغرب الاوسط ، وهي مدينة تاهرت ، وابن رشيق في المحمدية يشعر الوانا من الادب . ولعل مما كان يحفظ اذ ذاك من شعر المعاصرين هذه الابيات الرقيقة التي قالها ابن ابي الرجال وهو في تاهرت ، ينفس بها عن شوقه الى اهله بالقيروان . (وقد رواها هو بعد في كتاب العمدة مشيدا بها) .

ولي كبد مكلومة من فراقكم
أطامنها صبرا على ما أجنّت
تمنّكم شوقا إليكم وصبوة
عسى اللهُ أن يدني لها ما تمنّتِ
وعينٍ جفاها النوم واعتادها البكا
إذا مرّ ذكرُ القيروانِ استهلّتِ

ابن رشيق يصل الى الأمير المعزّ بن باديس ، ويصبح من شعرائه

ويمثل هذه الابيات اتخذ ابن ابي الرجال في نفس ابن رشيق صورة ادبية فاتنة ، فما ان مضى الى القيروان ، وعرف مكانه في قصر المعز ، حتى تطاولت اليه آماله واخذ يلتمس الوسيلة اليه الى ان اتيح له ان يعقد صلته به ، وقد ظفر برعايته له وتقديره اياه .

وطالما اخذ يعالج صناعة الشعر ، بصوغه قصائد يمدح بها الامير المعز بن باديس ، حتى بلغ من ذلك المبلغ الذي مكن له من ان يعدّ في شعراء الامير ، وان يكون له مكانه في الديوان الذي يتولاه ابن ابي الرجال ، فله في كل مناسبة قصيدة يمنّ في تدبيجها . وقد بقيت لنا من هذه القصائد بقايا قليلة ، مما اورد في كتابه « العمدة » او ما نقل من كتابه « انموذج الزمان » ، او ما جاء في بعض المصادر الاخرى . ولعل من خير ذلك دلالة على صناعته الشعرية ما بقي لنا من قصيدته التي انشدها بمناسبة الهدية التي اهداها الخليفة الفاطمي في مصر الى المعز ، سنة ٤٢٢ ، ولدينا منها بقية صالحة ، تبلغ نحو الاربعين بيتا ، اوردها القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه « الذخائر والتحف (١) » ، وصف فيها طرائف هذه الهدية وصفا رائعا ، كقوله في صفة الزرافة :

تخشّها بين الخوانق مِشْيةٌ
بادٍ عليها الكِبْرُ والخُيَلاء
وتمدُّ جيدا في الهواء يزينه
فكأنه تحت اللواء لواء
حطّت مآخرها وأشرف صدرها
حتى كأن وقوفَها إنحناء
وتخيرت دون الملابس حُلّةً
غيْثٌ بصنعةِ مثلِها صنعاء
لونا كلون النبل إلا أنه
حليٌ ، وجزّع بعضه الخلاءُ
أو كالسحاب المكفهرةُ خيّطت
فيها البروق وشقُّها إيماء
أو مثل ما صدئت صفائح جوْشن
وجرى على حافاتهن جلاء

ابن رشيق يصبح من جلساء الامير

ثم ترقى في صلته بالامير مرحلة اخرى ، فاصبح

(١) وهو الكتاب الاول في سلسلة التراث العربي التي تصدرها وزارة الارشاد والانباء في الكويت



خريطة تبين موقع المهدية والقيروان [illegible] أهم الأماكن التي عاش فيها ابن رشيق [illegible]

من أصحاب مجلسه ، ومن أهل سمره ومنادمته ، وقد رشحه لهذا ومكنه منه ثقافته الأدبية الواسعة ، وبديهته الحاضرة . وكان من زملائه في هذا المجلس شاعر قيرواني آخر من طبقته ، هو ابن شرف ، فكان في اجتماعهما في هذا المجلس ، وحرص المعز على أن يثير مواهبهما ، ويحفز قواهما الفنية ويستخرج أقصى ما عندهما ، ما بعث فيه ألوانا من النشاط والحيوية .

خصومة بين ابن رشيق وابن شرف

كما كان من اجتماع الرجلين في مجلس الأمير أن نشأ بينهما نوع من المنافسة ، لم تلبث أن تحولت الى شيء من المباينة والمجافاة ، ثم تطورت فصارت مخاصمة وملاحاة . ولكن خصومة الأدباء ـ ولو أنها شيء يبعث الأسف ـ خصومة خبيثة غالبا . وكذلك كان شأن هذه الخصومة بين ابن رشيق وابن شرف ، وان ضاعت آثارها بين ما ضاع من صور الحياة الأدبية في المغرب العربي ، الا أن ما أتيح لنا من أخبار الرجلين يدل على أن كلا منهما جعل يحطب الآخر فيما ينشره من قصيد وما يؤلفه من كتب ، كما أبقت لنا هذه الأخبار بعض أسماء الكتب التي كتبها ابن رشيق ينقد فيها ابن شرف ويهاجمه ، وكان لها ـ ولا ريب ـ أثرها في الحياة الأدبية في القيروان .

وكما كانت هذه الكتب أثرا من آثار هذه الخصومة ومظهرا من مظاهرها ، فانها كانت تمثل وجها من وجوه النشاط الأدبي والنقدي لابن رشيق ، الى جانب ما أقبل عليه وأخذ نفسه به من التصنيف والتأليف في مسائل اللغة وموضوعات الأدب ، كأنه لم يرض لنفسه أن يكون شاعرا فحسب ، وأن ينصرف الى قرض الشعر ونظم القصيد يقتصر نفسه عليه ، فقد كان حريصا على أن يتحقق له بالعلم ما كان تحقق له بالشعر ، وأن يأخذ مكانه في الحياة بين علماء الشعر والعربية الى جانب ما أتيح له من مكان بين الشعراء ، وأن يكون لهذه الثقافة التي أقبل عليها منذ نشأته الأولى في المحمدية ، وأوغل فيها منذ انتقل الى القيروان ، مظهرها في شخصيته الأدبية المنتجة .

كتابه : العمدة في محاسن الشعر وآدابه

وهكذا جعل ابن رشيق يكتب الكتب ، ويسجل لنفسه مجدا أدبيا رفيعا بفضل ما أخرج منها ، ككتاب « العمدة في محاسن الشعر وآدابه » ، فقد أتيح لهذا الكتاب من حفاوة العلماء به وتقديرهم له واقبالهم عليه ، ما خلده وخلد ابن رشيق معه ، وأكبر الظن أنه لولا هذا الكتاب وما أتيح له من منزلة لذهب ابن رشيق في غمرة الأدباء المغمورين من معاصريه .

كتابه : أنموذج الزمان في شعراء القيروان

والواقع أن كتاب « العمدة » هو الأثر الأدبي الوحيد الباقي من آثاره ، الى جانب رسالته الصغيرة التي سماها « قراضة الذهب » ، أما سائر هذه الآثار فقد ضاعت ، وكان من أهمها في تقدير مؤرخ الأدب كتاب « أنموذج الزمان في شعراء القيروان » ، وقد كان جديرا ، لو أنه بقي ، أن يجلو لنا صورة من الحياة الأدبية في افريقية في القرن الرابع والخامس ، نحن في أشد الحاجة اليها فيما نحاول من ذلك . وقد ظل زمنا طويلا وهو يعتبر أهم مرجع للتعريف بأئمة هذه الحياة

من الشعراء . ونستطيع أن نرى ما يمثله في الفصول التي اقتبسها بعض الكتب منه وأوردتها منه ، كرحلة الشجاني وفتوكات الوصيفات ، ونعيم الطيب ، ونثار الأزهار .

آثاره الشعرية

وكما ضاعت آثار ابن رشيق الكتابية ضاعت آثاره الشعرية التي كان يضمها ديوان على حدة ، وانما بقيت منها بقايا منثورة هنا وهنا في مطاوي الكتب . وقد عني العلامة الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي الاستاذ بجامعة عليكرة بالتقاطها بمظانها في مظانها ، وسجلها مرتبة بحسب قوافيها في مجموعة سماها : « النتف من شعر ابن رشيق وابن شرف » .

نكبة القيروان : انتهت مرحلة من حياته وبدأت مرحلة

ومهما يكن من أمر هذه البقايا الباقية من شعره وكتبه ، فانها ــ الى جانب كتاب العمدة وكتاب قراضة الذهب ــ تمثل لنا شاعرية مرهفة واحساسا بالحياة وما تضطرب به دقيقا ، كما تمثل لنا نشاطا موفورا وانتاجا خصبا لعمر حياته. وما زال ذلك شأنه حتى أطبقت على القيروان الكارثة التي دبرها الفاطميون لها ، اذ ساقوا الأعراب اليها ، فزلزلتها ونهارت منها ، ثم ما تبع ذلك من مغادرة المعز بن باديس لها الى المهدية ومعه حاشيته وخاصته ومنهم صاحبنا ابن رشيق سنة ٤٤٧ .

ابن رشيق بين المهدية وصقلية

وبهذا انتهت هذه المرحلة الطويلة من حياة ابن رشيق ، وبدأ مرحلة جديدة مختلفة كل الاختلاف عنها ، امتدت ستة عشر عاما ، امضاها بين المهدية وصقلية .

ابن رشيق في المهدية

واذا كنا لا ندري كم من الزمن أمضى في المهدية قبل أن يتحول منها الى صقلية ، فالذي لا شك فيه انه أمضى فيها أوقاتا عصيبة عانى فيها مضاضة الحياة ومرارة الذكريات :

ذكريات المأساة التي حاقت بالقيروان ، والنكبة التي انقضت عليها وفرقت أهلها وتكرت صور الحياة فيها ، وقد جعلت هذه الصور البشعة الروعة الشديدة وتزاوجه وتضاعف عليه ما كان يعانيه في مهاجره ، كما أخذت تعرض لشاعريته فتثيرها ، فتردد أصداؤها ، على الشعر الذي نرى صورة منه في بعض ما بلغنا من شعره ، مصورا ما تعرض له أهل القيروان في محنتهم هذه من تنكيل وتقتيل ، ومن سباء وجلاء ، بمثل قوله :

والمسلمون مقسّمون تنالهم
أيدي العصاة بذلة وهوانِ
ما بين مضطهدٍ وبين معذّبٍ
ومقتّلٍ ظلمًا وآخر عانِ
يستصرخون ، فلا يُغاث صريخهم
حتى إذا سئموا من الأرنانِ
فادوا نفوسهم ، فلما أنفدوا
ما جمّعوا من صامت وصوانِ
واستخلصوا من جوهر وملابس
وطرائف وذخائر وأوانِ
هربوا بكل وليدة وفطيمة
وبكل أرملة وكل حصانِ
وبكل بكر كالمهاة غريرة
تمشي العفوف بطرفها الفتانِ
خَوْدٍ منعّمة الوشاح كأنها
قمر يلوح على قضيب البانِ

فاذا اراد ان يستأنف شيئا من اسلوب حياته التي كان يحياها في القيروان ، فيراجع حياة القصر ومدح المعز ومجالس السمر ، لم يكن شيء من ذلك بتهيئا له على الصورة التي يرضاها . فلم يعد يجد من الأمير ما كان يجده عنده من قبل ، فقد تغير كل شيء وتحول ، ولم يبق للمعز شيء من سلطانه الواسع ومجده البالغ ، الا التافه اليسير وقد حوت النكبة التي حاقت به وببلاده والقلق الذي يساوره وهو يرى سفن العدو

لجوب البحر متلونة مهددة ، الى شخص متجهم برم ، تثيره اقل بادرة ، ويسخطه ادنى شيء ، ويريبه كل ما حوله .

وقد تعرض ابن رشيق لاثر هذه الحالة النفسية التي كانت مسيطرة على المعز ، وكان آخر ما واجهه من ذلك حين دخل عليه ذات صباح وقد اعد قصيدة اراد ان ينشده اياها ، فوجده في متصلاه ، « والرقاع عليه ترد ، والشموع بين يديه تتقد » ، فما ان بدا في انشاده ، وكان قد جعل مطلع قصيدته هذا البيت .

تثبت ، لا يخامرك اضطراب
فقد خضعت لعزتك الرقاب

حتى ثارت ثائرة المعز ، والتهب غضبه ، واخذ يصيح به قائلا : « صه ! متى عهدتني لا اتثبت ؟! انا لم تجئنا الا بمثل هذا فمالك لا تسكت عنا ؟! » ثم لم يكتف بهذه الكلمات الثائرة المهتاجة حتى امر بالرقعة التي فيها القصيدة فمزقت ، ثم قذفت الى النار فاحرقت .

وكان هذا ايذانا بالقطيعة بين المعز وابن رشيق كما كان ايذانا بتخطي القصر في المهدية من البقية الباقية من تقاليده الادبية . وبهذا بلغت المحنة التي عاناها ابن رشيق غايتها ، وقد علم علم اليقين الا مكان له في القصر ، وان المهدية لم تعد المكان الذي يستطيع البقاء فيه ، وقد كان يعلل نفسه من قبل ببعض التعلات حين كان يعرض له خاطر الرحيل ، كما فعل زميله ابن شرف ، اما الآن فلا بد له من ان يترك المهدية ويلتمس مكانا آخر يقضي فيه بقية ايامه .

ابن رشيق في صقلية

وكان ذلك المكان الآخر الذي اتجه اليه هو الذي مضى اليه من قبل ابن شرف ، وهو صقلية . وهناك التقى الرجلان اللذان كانا على رأس الحياة الادبية في افريقية ، وكان التقاؤهما مبعث مرور وغبطة للادباء والمتأدبين في صقلية ، وقد سعوا لازالة ما قد يكون في نفسيهما من بقايا تنافس ، فتصافيا .

ولكن الحياة في صقلية لم تكن آمنة ولا راضية . فقد اخذ السلطان الاسلامي يتقلص فيها وتتابعت غارات النرمنديين عليها ، وكثر تواثبهم على اطرافها واستلابهم بلادها ، وفسدت اخلاق الناس فيها

فسادا كبيرا وساءت معيشتهم ، كما يصور ذلك ابن حوقل ، وكان قد زارها في هذه الفترة بعينها ، فلم يلبث ابن شرف ان ضاق بها وكره المقام فيها ، فاعتزم ان يمد هجرته الى الاندلس ، وودّ لو صاحبه ابن رشيق في رحلته اليها فعرض عليه الامر ورغبه فيه ، فلم تهش له نفسه : لعل حالته النفسية كانت قد بلغت من الركود بحيث لم يكن ينشط لشيء، او لعله كان يتخوف من ركوب البحر ومكابدة اهواله التي صورها في شعر له حين رحل من المهدية الى صقلية ، وقد عبر عن خوفه منه في بيتيه المشهورين :

البحر صعب المرام مر
لا جعلت حاجتي إليه
أليس ماء ونحن طين ؟
فما عسى صبرنا عليه ؟ !

وعدا الى انه كان سيىء الرأي في الاندلس ، لا يراها الا بلدا ممزقة ، وامراء متهالكة ، ومثورا من الصور المريضة كالدمية متكبرا مطلقة ، فزاده ذلك انصرافا عنها وانشد قائلا :

مما يزهدني في أرض أندلس
أسماء معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها
كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

فمضى ابن شرف اليها وحده وبقي ابن رشيق في صقلية ، وقد جعل مستقره فيها مدينة مازره ، واخلدت نفسه للتهيب بعض الشيء حين رأى اميرها يحتفل به ويتخذه استاذا له ، ويقرأ عليه كتبه . وفي اثناء ذلك مات المعز بن باديس ، فاهتزت نفسه وانطلقت شاعريته برثائه ، وقد صور موته كأنه متوجعة في نفسه .

وامتد العمر بابن رشيق تسع سنين بعد وفاة المعز بن باديس ، ثم وافاه اجله في مدينة مازره قبل ان تسقط هذه المدينة في يد النرمنديين بعام واحد ، فانحسر بسقوطها عن صقلية ظل الدولة الاسلامية ، وان بقيت بعد ذلك دهرا اسلامية الطابع والثقافة .

طه الحاجري

صَنَمُ الحُب

■ لم أنأ عن «ميّ» سلوانا ولا تيها … «فمَيُّ» معبودتي من بعد باريها !
وليس في الحب من تيه ومن صلَف … لدى عميد أبي النفس عاليها !
فيه دلالٌ حليٌّ القلبَ مُطلَقه … ولا فيه أسيرَ الروح عانيه !
إني أراعي عهود الحب صادقة … إن كان ثمّةَ غيري لا يراعيها !
لو أبعدوني عن «ميٍّ» لأسلوها … وبت عنها قصيَّ الدار ، نائيها
وتوّجوني مليكا ، لا شريك له … في العرش ، يحكم في الدنيا وأهليها
ورفرفوا الخلد في أرجاء مملكتي … وسلسلوه على شتّى نواحيها
وأرسلوا الحُور أصباحا منشورة … وضّاءةَ الحسن ، تسبي لبَّ رائيها
تموج بالرونق الضاحي وبهجته … تثنّى ، مموّهةً بالسحر تمويها
أبيتُ إلا «مهاة» لا تعادلها الدنيا ، ولا الملأُ الأعلى يواريها !
«ميٌّ» راجحةٌ عندي على الملأ الأعلى وما فيه ، والدنيا وما فيها !

* * *

نأيت عنها وفي الأحشاء متجمّرةٌ … البعدُ يضرمها ، والشوق يذكيها !
قالوا النوى يطفئ الأشواق ، ويحهمُ … فنار قلبي زادت في تلظّيها !
ما العاشقون سواءٌ في تولّههم … ولا النفوس سواءٌ في تفانيها !
وليس من يدّعي الأشواق عن وطَر … كمن يكابدها أو من يعانيها !
شط المزارُ بميّ عن مرابعها … وظلت الروح روحي في مغانيها
بالله يا روحُ ، إمّا هِمتِ مولّهة … وارتعت من حولها السُمّار سكّيها !
فرهبة الليلة الليلاء تذهلها … ووحشة الظلمة الدكناء تشجيها
ومن تكن مثل «ميّ» في نعومتها … فإنما أليفُ الأشياء يؤذيها !

* * *

يا «ميُّ» إن النوى ليست تغير من … حبّ الشريف ، وإن أربت عواديها !
شهرٌ ... وترجع أيامُ اللقاء لنا … زهراءَ تنعَم في ضاحي لياليها !

جورج سلستي — بيروت

الأمثال والأساطير العربية

ابنهمت أصولها التاريخية، فخلق القصاصون

بقلم: الدكتور محمد مصطفى هدارة

المدرس بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية

■ المثل في اللغة هو الشيء الذي يضرب لشيء مثلا، فيجعل مثله.

ويقال: تمثل بالشيء أي ضربه مثلا.

وقد يكون المثل بمعنى الصورة، ومنه قوله عز وجل: « فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ».

ومثل له الشيء: بمعنى صوره حتى كأنه ينظر اليه، ومن هنا جاء اشتقاق المثال. والتمثال أيضا، وهو الشيء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله.

وهذا المعنى وهو المطابقة بين الأصل والصورة هو الذي دعا اللغويين الى القول بأن ظل كل شيء تمثاله.

الأمثال تراث تعتز به كل أمة

والأمثال التي تضرب لمطابقة الواقع، والقصد الى العبرة، تراث تعتز به كل أمة، لأنه يعبر عن الحكمة في أحلى صورها وأدق معانيها، ويكشف عن معدنها الثمين الذي يشع بنور الحقيقة، في أجمل تعبير وأبدع تصوير.

الأمثال عليها يعتمد مؤرخو الآداب

والأمثال صورة رائعة من صور النثر الفني يعتمد عليها مؤرخو الآداب في فهم أسرار اللغات وتراكيب العبارات، وألوان المجاز وبدائع الايجاز، لأن التغير نادر ما يصيبها، فهي تبقى على صورتها الأصلية التي قيلت بها في غابر الأزمان بسبب ما فيها من ايجاز في المبنى واعجاز في المعنى، تدور بسببهما على الألسنة حتى يتساح لها الاستقرار في كتاب. والمثل ليس مرادفا للحكمة، فمن الطبيعي أن يكون كل مثل حكمة، ولكن ليس من الضروري أن تكون كل حكمة مثلا.

الغموض .. وجمال الأسرار تتبدى فيه :

لها أصولاً أسطورية..!

الايجاز : اهم اركان المثل

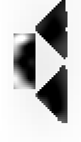
ومنذ زمن بعيد جعل ارسطو الايجاز اهم اركان المثل ، ولهـــذه النظرة أوفى نصيب من الصحة . اذ لا يتصور المرء مثلا لا يحمل كثيرا من المعنى في قليل من اللفظ .

وقد أضاف ابو عبيد القاسم بن سلام (المتوفى عام ٢٢٤ هـ) وهو من أوائل الذين دونوا الأمثال العربية في كتاب ، صفتين أخريين الى جانب ايجاز اللفظ ، هما : اصابة المعنى وحسن التشبيه . ثم اضاف ابراهيم النظـــام الفيلسوف المعتزلي صفة رابعة وهي جودة الكناية ، وهو لم يتصـــور الحقيقة حتى اعتبر الأمثال نهاية البلاغة .

الأمثال العربية تبهمت اصولها ، فخلق القصاصون لها اصولا اساطير

وتعد الأمثال العربية من اقـــدم بقايا النثر العربي ، واغلبها كان سائدا ــ فيما يبدو ــ في الجاهلية يتردد على الألسنة ليصيب كبد الحقيقة في موضع الحكم ومفصل الخطاب . وكثير من هذه الأمثال يشير الى احداث ووقائع معينة حدثت في عصور انطوت في القـــدم ، وغابت في زوايا النسيان ، ولكنها لم تعدم مع ذلك قصاصا ورواة اخبار يخلقون من العدم وجودا ، ومن الخيال حقائق او هكـــذا تتراءى للناس .

وربما يكون في نشــأة اقاصيصهم ظل باهت من الواقع ، ولكن رواياتهم مــع ذلك تخرج لنا من الأمثال أساطير ترجع وقائعها الى اقـــدم العصور بالنسبة لتاريخ الأمة العربيـــــة ، ولا تخرج في مدلولها عما يجب أن تكون عليه الاسطورة من التعبير عن بعض الأفكار في صـــور محســوسة ، القصد منها العبرة والمغزى الخلقي . وقـــد يكون الرواة وأصحاب الاقاصيص او الاساطير معذورين فيما ذهبوا اليه ، اذ تبقى بعض هذه الأمثال عبارات اشبه بلغز يحتـاج المرء الى ان يكد ذهنه ليفهم ما وراءه ، ولهذا وجدوا أنفسهم مضطرين الى الكشـــف عن



غوامضه وازاحة المساء الذي يجلله ، بحوك الاقاصيص التي تصوره وتشرحه وتضعه في مكانه التعبيري الصحيح .

العلاقة بين الامثال والاساطير

اما ارتباط اقاصيصهم بالمبيئات فيمكن رده الى طبيعة الامثال نفسها ، فالحكمة التي هي لب الامثال تقترن منذ اقدم عصورها عند جميع الشعوب بالغيبيات والاسرار الخفية ، والافكار الغامضة المثيرة . تلك اذن هي العلاقة بين الامثال والاساطير : علاقة في طبيعة نشأة كل منهما ، وفي الوظائف التي تؤدي ، والتقاء على ايدي القصاص للشرح والتعليل . وربما يتجاوزون ذلك الى التشويق والاثارة وجلب المتعة الى النفوس ، فالقاص قد يضيف من عنده بعض الاحداث والملابسات ليبلغ ما يريد . ولا شك في ان هذه الصلة القوية بين الامثال والاساطير تتمثل لنا في اقاصيص كثيرة من ادبنا العربي ، ترامت الينا من القصاص الاقدمين ، اهمها :

قصة الزباء .

وقصة النعمان .

وقصة الحية والفاس .

وقصة لقمان .

قصة الزباء عند مؤرخي الرومان

اما الزباء فاخبارها مختلطة اشد الاختلاط ، ويتضح لنا ذلك من المقارنة بين اقوال مؤرخي الرومان والعرب . فاسمها زنوبيا او زينب او الزباء ، وهذا الاسم الاخير في رأي احد المستشرقين مشتق من اسم زبوى امير جيوش الملكة ولعل العرب كانوا يخافون هذا الامير اكثر من الملكة نفسها فاطلقوا اسمه عليها ، وصار هو بطل القصة . وفي رأي هذا الباحث أن تدمر التي ذكرت مسرحا للقصة ذكرت عرضا فقط ، ثم انتقلت الاحداث الى مدينتين على الفرات لم تسمّ ، بل ذكر انهما متصلتان بنفق في حصنيهما وفي التربة بينهما . وقد تولدت قصة هذا النفق من حفر الخندق عن عمق في سور تدمر ، فحاولت زنوبيا أن تهرب منه عندما فتح اورليانوس المدينة .

قصة الزباء عند مؤرخي العرب

وقصة الزباء كما وردت في كتابات المؤرخين العرب بايجاز ان جذيمة ، وكان من ملوك العرب في ارض العراق ، جمع جموعا وحارب عمرا بن ظرب ، وهو ملك عربي من العماليق في ارض الجزيرة ومشارف الشام ، فقضى عليه ، وتولت ابنته الزباء الملك من بعده ، مطالبة بثاره من جذيمة ، واحتالت احتيالا لتثير الحرب عليه ، ولكن اختها ربيبة ، وكانت ذات رأي ودهاء ، صرفتها عن الحرب ، فارسلت الرسل الى جذيمة ليجمع ملكه الى ملكها ، فطمع في ذلك وايده ناصحوه ما عدا قصير بن سعد ، ولكنه لم يستمع اليه ، وذهب الى الزباء فقتلته . فملك من بعده ابن اخته عمرو بن عدي الذي طالب بثأر خاله . وهنا يتدخل قصير فيجدع انفه (وفي هذا وضع المثل « لأمر ما جدع قصير انفه ») ويضرب الآثار ظهره ، ثم يذهب الى الزباء مدعيا ان عمرا بن عدي احدث به ذلك . وبعد ان يجعلها تثق به تماما ، يتمكن من ادخال عمرو ورجاله فوق الجمال ، ويتيح له فرصة قتل الزباء ، لولا انها تسارع بتناول السم ليكون موتها بيدها لا بيد عمرو .

هذا هو الهيكل الاسطوري لهذه

القصة التي كانت شائعة فيما يبدو منذ وقت بعيد في العصر الجاهلي ، لاننا نجد اشارات كثيرة اليها عند بعض الشعراء الجاهليين كالمتلمس وعدي بن زيد والمخبل السعدي وابي خراش الهذلي ومتمم بن نويرة . وربما يتعدى ذكر هذه القصة الاشارات كما في قصيدة عدي ابن زيد التي ذكرها الطبري ويروى فيها عدي القصة باكملها ، واول هذه القصيدة .

ابدَلَت المنازل أم عُنيبا
تقادمَ عهدُها أم قد بليا

ولعل ذكر هذه الاشعار في خلال رواية القصة نوع من التأكيد بصدقها ، حرص عليه واضعوها ليدخلوا في روع القارىء والسامع قديما انها حقيقة واقعة . فهذه الاشعار التي ينبغي ان تكون موضع شك كبير .

بقصة الزباء بضعة وعشرة من الامثال

ويتردد في خلال هذه القصة الواحدة عدد من الامثال ينسب الى ابطالها ، جذيمة ، وقصير ، والزباء ، وعمرو بن عدي ، وقد بلغ هذا العدد في رواية المفضل الضبي ثلاثة عشر مثلا . وفي رواية الطبري سبعة عشر ، وفي رواية الميداني ثمانية عشر .

وواضح ان تفصيلات هذه القصة قد وضعت بعناية لتفسير هذه الامثال التي يبدو بعضها غامضا اشد الغموض ، لولا مكانه في القصة .

« شب عمرو عن الطوق »

فاذا سمعنا «شب عمرو عن الطوق» مثلا لم ندر حقيقة ما يعنيه ، ولكن تفصيلات القصة تذكر ان عمرا ابن اخت جذيمة حملوا له وهو طفل حليا من فضة وطوقا ، فكان أول عربي ألبس طوقا فيما يقول الرواة .

« بيدي لا بيدك يا عمرو »

والمثل الآخر «بيدي لا بيدك يا عمرو» يعمم على حقيقته في موضعه من تلك الاسطورة حين وقف عمرو بن عدي وبيده السيف في انتظار خروج الزباء من النفق السري ، فلما ادركت انها مقتولة لا محالة سارعت الى ما تخفيه من سم تستعين به على انهاء حياتها قائلة هذا المثل .

بقة تركت الراى

ومثل ثالث في هذه الاسطورة ايضا وهو « بقة تركت الراى » يتعذر فهمه الا حينما نعلم أن قائله هو قصير بن سعد ، وأن بقة كانت من المدن التي تقع في مملكة جذيمة ، وانه كان مقيما بها حين نصحه قصير بألا يذهب الى الزباء .

الزباء ، عربية هي ؟

اما الحقائق التاريخية في اسطورة الزباء فهي مختلطة لا يمكن الوثوق باي منها ، فالمؤرخون لهم آراء كثيرة في أصل الزباء ونسبها واسرتها ، فمنهم من ذهب الى انها مصرية ، ومنهم من ذهب الى انها من العماليق ، ولكن الذي عليه اكثرهم انها عربية الاصل . اما اسمها فيقول الاستاذ جواد علي ان الكتابات التدمرية لم تشأ الاعلان عن اسم ملكة تدمر ، بل ذكرتها باسم بث زباي أي بنت زباي وهو اسم والد الملكة فحذفت كلمة بت التي هي بنت في العربية ، وقلب الحرف الأخير وهو الياء في كلمة

رباى وصير همزة فاصبح الاسم رباء ، وهكذا عرفت ملكه تدمر باسم الزباء .

قصة النعمان

اما قصة النعمان بن امرىء القيس اللخمي ، وهو من ملوك الحيرة ، حيث ولدت امثال كثيرة ركبت عليها قصص واساطير ، فقصته قائمة على مثل واحد هو « جزاء سنمار » تشرحه وتكشف غامضه .

وتقول القصة ان النعمان ابتنى قصرا اسماه الخورنق ، وكان الذى اشرف على بنائه رجل من ابناء الروم اسمه سنمار ، فلما اتمه أراد ان يباهي بدقته واحكام صنعته ، فقال للنعمان : انى اعرف موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله ، فقال له النعمان : ايعرفها احدٌ غيرك ؟ فقال : لا ، فقال : لا جَرَمَ ، لأدعنها وما يعرفها احد . ثم امر به فرُمي من اعلى القصر فقد تقطع . ومن هنا ضرب به المثل : جزاء سنمار .

اسطوره الحيه والفاس

واما اسطوره الحيه والفاس فقد روى المفضل الضبي انهم زعموا ان اخوين كانا فيما مضى فى ابل لهما ، فاجدبت بلادهما ، وكان قريبا منهما واد فيه حية قد حمته من كل احد ، فقال احدهما للآخر : يا فلان ، لو انى اتيت هذا الوادي المكلىء فرعيت ابلى واصلحتها ، فقال له اخوه : انى اخاف عليك الحية ، الا ترى ان احدا لم يهبط ذلك الوادى الا اهلكته . قال . فوالله لاهبطن . فهبط ذلك الوادى فرعى ابله به زمانا ، ثم ان الحية لدغته فقتلته . فقال اخوه : ما فى الحياة بعد اخي خير ، ولاطلبن الحية فاقتلها ، او لاتبعن اخي . فهبط ذلك الوادى ، فطلب الحية ليقتلها ، فقالت له الحية : ألست ترى انى قتلت اخاك ، فهل لك فى الصلح ، فأدعك بهذا الوادى ، فتكون به ، واعطيك ما بقيت دينارا فى كل يوم . قال : افاعلة انت ؟ قالت : نعم . قال : فانى افعل . فحلف لها واعطاها المواثيق لا يضيرها ، وجعلت تعطيه كل يوم دينارا ، فكثر ماله وكثرت ابله حتى كان من احسن الناس حالا . ثم انه ذكر اخاه فقال : كيف ينفعني العيش وانا انظر الى قاتل اخي فلان . فعمد الى فاس فاحدّها ، ثم قعد لها ، فمرت به ، فتبعها ، فضربها فاخطأها ودخلت الجحر ، ووقع الفاس بالجبل فوق جحرها فاثر فيه ، فلما رأت ما فعل قطعت عنه الدينار الذي كانت تعطيه ، فلما رأى ذلك وتخوف شرها ندم ، فقال لها : هل لك فى ان نتواثق ونعود الى ما كنا عليه ، فقالت : كيف اعاودك وهذا اثر فاسك ، وانت فاجر لا تبالي العهد ، فكان حديث الحية والفاس مثلا مشهورا من امثال العرب .

ويرى الدكتور عبد المجيد عابدين ان هذا المثل ليس عربيا اصلا وان ظهرت على هيئته مسحة شعبية او بدوية ، ولعل فى هذا الرأى نصيبا كبيرا من الصحة ، ولكن الثقافات القديمة وخاصة الشرقية منها ، كانت تختلط وتتمازج بحيث لا يمكن الفصل بينها بصورة قاطعة .

ولقمان نسبت اليه كثير من الامثال والاساطير

واما عن لقمان فهو من اشهر حكماء العرب ولعله اكثرهم شهرة لما عرف من اخباره وامثاله فى البيان والحلم والحكمة ونسبت له امثال كثيرة نسجت حولها الاقاصيص والاساطير حتى بدا

هو نفسه أسطورة يختلف حولها الرواة والمؤرخون، ويفترقون في كل ما يتعلق به، حتى في صورته الجسمية، فبعضهم يقول إنه كان عملاقا كبير الرأس قويا قوة خارقة حتى ليضرب به المثل فيقولون «أشدّ من لقمان»، وإنه عاش عمر سبعة نسور، وأن كل نسر منها عاش ثمانين سنة، أي أنه عاش خمسمائة وستين سنة. وفي بعض الروايات تصل سنه إلى أكثر من ثلاثة آلاف عام. وكان لُبَد آخر هذه النسور، وبه ضرب المثل في طول العمر فقالوا: «أخنى الأبدُ على لُبَد». ونسبوا للقمان حدة البصر حتى أنه لما كبر وضعف بصره كان يميز بين الذكر والأنثى من ولد الذرّ، ويبصر أثر الذرة السوداء على الصفا في الليلة المظلمة! ثم هو أكول نهِم وكأنه ليس من البشر، وهم بهذا يضربون المثل: «تجشّأ لقمان من غير شبع»، وهو يضرب، كما يقول الميداني، لمن يدّعي ما ليس يملك. وزعموا أن لقمان هذا كان يتغدّى بجزور ويتعشّى بآخر. وواضح مما تقدم أن هيكل الأسطورة وتفصيلاتها إنما وُضعت، شأنها في ذلك شأن بقية الأساطير التي مرت بنا، لتوضيح الأمثال وشرحها.

أما حقيقة لقمان التاريخية فالأمر مختلط فيها أشد الاختلاط، والذي عليه أقدم المؤرخين أنه لقمان بن عاد، وهي القبيلة اليمنية التي كانت تسكن الأحقاف. وقد وجد المحققون في بعض الأمثال المنسوبة إلى لقمان بعض الآثار اللغوية التي تؤيد مصدرها العربي الجنوبي، فمن أمثاله: «اترك الشر كما يتركك». ويقول أبو هلال العسكري إن «كما» لغة في «كيما». ومما لا شك فيه أن لقمان هذا غير لقمان الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، وقد اهتدى إلى هذه الفكرة معظم الباحثين المحدثين، فلا عبرة إذن بالخلط الذي وقع فيه بعض كتابنا الأقدمين، وهم في ذلك معذورون فعن لقمان تكثر الأقوال والمزاعم، وفي أسطورته تتعدد الأمثال، ومنها قسم كبير يتصل بموقفه من المرأة، وبأحداث معينة وقعت له مع نسائه ونساء غيره، ولكن هكذا شأن الأساطير، إنها تخلط بين الحقيقة والخيال، ولا بأس بهذا ما دامت تكشف لنا عن معادن الحكمة في الأمثال، وتفسر لنا ما يغيب عنا فهمه، وما يعتبر في إدراكنا لغزا من الألغاز، حتى تأتي الأسطورة بتفصيلاتها فتضع بين أيدينا مفاتيح الإبهام، وتثير في نفوسنا — في الوقت ذاته — روعة الخيال وسحر الغموض وجمال الأسرار التي كانت تكمن في ضمير ما سلف من الأزمان.

محمد مصطفى هدارة

الغِنَى يغيِّر الحال

قال أبو القاسم الصاحب بن عباد:

إذا رأيت امرأ في حال عسرته
مصافيا لك ما في وده خللُ
فلا تمَنَّ له أن يستفيد غنى
فإنه بانتقال الحال ينتقل



لماذا يتجاهل ديجول الامم المتحدة ؟

من جريدة « الاهرام » — القاهرة

● الرئيس الفرنسي شارل ديجول لا يكتفي بالتعالي على الولايات المتحدة الامريكية ، وعلى الحكومة البريطانية ، ولا يكتفي بوضع الخطة تلو الخطة لفرض زعامته على اوروبا الغربية .

بل يتعالى كذلك على الامم المتحدة ذاتها ويتجاهل احدى الخطب التي القاها اخيرا بقوله « تلك الهيئة التي تسمى الامم المتحدة » .

وقال في خطاب آخر : « ستسير فرنسا في طريق مستقل عن الامم المتحدة ، وحلف الأطلنطى او حتى عن اوروبا الموحدة ، اذا اقتضت مصالحها الخاصة ذلك » .

ولهذا الموقف الذي يصر ديجول على اتخاذه من الامم المتحدة عدة اسباب لعل اهمها انه عاجز عن ان يقف من الولايات المتحدة موقف الند للند في مجلس الامن والجمعية العامة ، وعاجز عن منافسة الاتحاد السوفييتي ، بل عاجز عن كسب انتباه الدول الافريقية والآسيوية التي اصبحت قوة ضخمة .

وترجع ثورة ديجول على الولايات المتحدة بالذات الى خمسة اعوام مضت . ففي شهر سبتمبر من عام ١٩٥٨ ارسل الى كل من واشنطون ولندن مذكرة يطالب فيها بان تعد فرنسا دولة كبرى في دوائر حلفاء الغرب ، وان تعتبر عضوا في النادي الذرى اى ان تكون على قدم المساواة مع الولايات المتحدة وبريطانيا في مضمار الانتاج النووى ، بيد ان الولايات المتحدة رفضت ذلك الطلب .

اما غضب ديجول على الاتحاد السوفييتي فمرده الى ان موسكو قبلت التفاوض مع واشنطن ولندن لتحريم التجارب الذرية جزئيا ، دون ان تفكر في اشراك فرنسا في المفاوضات . ولهذا رفض ديجول توقيع الميثاق الذى ابرم في موسكو يوم ٥ اغسطس الماضى .

ان ديجول الذى عرف بالتشامخ والكبرياء لا يستطيع ان « يهضم » هذا كله ، ولا يستطيع ان يتصور كيف لا تعتبر فرنسا دولة كبرى يجب ان يكون لها صوت مسموع في الامم المتحدة ، ولهذا يصب غضبه على الهيئة الدولية ، ويتجاهلها ، ويعلن استقلاله عنها ما دامت لا ترعى مصالح فرنسا الخاصة .

مصلحة المانيا

من جريدة « فلسطين » :

● ان مصلحة المانيا التي وضعها ايرهارد فوق اي مصلحة اخرى ، تؤكد حقيقة كنا دائما نحاول ابرازها ، هي : ان صداقات اديناور الشخصية مع عدد من الصهاينة ، وخاصة ناحوم غولدمان ، وشعوره بأن اليهود ساعدوا في انقاذه — كما قال هو غير مرة — كانت هي التي تحدد مواقفه ، والدافعه الى

يلزمنا تعمق

من جريدة « البلاد » جدة .

● حياتنا الاجتماعية مليئة بالفارقات والمساواة . اذا نظرت الى كيفيتها وجدتها في صراع لا يقر الهدنة ولا يقبلها ، ولعل ذلك في كل مجتمع من مجتمعات الشرق .. الا ان ارتفاع الصوت وانخفاضه هنا يعقد مشكلاتنا بشكل مخيف جدا .

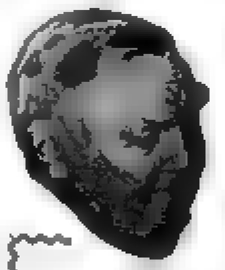
نحن دائما في حالتي صراع .. وحمى ، وفي مثل هاتين الحالتين ، لا يمكن لاي مجتمع ان يتفوق على مشكلاته ، فكيف اذن يتسنى له حلها بالحقيقة التي لا تعرف الشك هو اننا نحن هنا في بلادنا لم نحاول ان نتغلب على مشكلاتنا ولم نحاول ان نتعمق في احداثنا اليومية التي نطلق عليها : « مشكلات » .

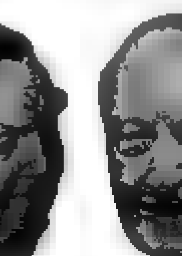
لقد قلت اكثر من مرة ان على مفكرينا مسئولية بلورة افكار الامة بما يتلاءم مع تقاليدها السليمة وعاداتنا الحقة ، ولن يحقق مفكرونا هذه الرسالة النبيلة الا بنزولهم من الصوامع الى حيث الواقع الذي نعيشه احنيهم فلعلها ترفع الامة الى مستوى مفكريها .. وهناك مسئولية اخرى قد تكون اكثر ضخامة واشد جسامة من الاولى على مفكرينا ، الا وهي وضع حلول مناسبة للمشكلات الكثيرة التي نتخبط في مهاويها .. ولا اظن تسمية المشكلات ووضعها يغنيان على من نطلق عليهم « مفكرين » فهل يشرف رجالنا ومسئولونا من ذوي وذوات الرأي السليم والتفكير البناء التي العصيب والمخيلة الخلاقة في ايجاد درب ... مشاكلنا ويقيادتنا الى حيث الواقع الملموس ربما ..

مشكلة الانسان العربي المعاصر

من مجلة « الوعي » ـ الدار البيضاء

● اذا كان القرنان الثاني والثالث عشر يمتازان بكونهما يمثلان دورا رئيسيا لدراما الانسان العربي من اجل الخلاص ، كما قال جون هرمان راندال فيمكننا ان نقول والقرن بان الانسان العربي المعاصر يمارس لعبة ادواره ، واشدها ، في دراما « الفكر » والاستقلال .. ان وقوف الانسان العربي كمتفرج طيلة اجيال ، ثم دوره كانسان مسلوب الارادة طيلة اجيال اخرى ، جعل التراث العربي يفقد مثقل الظهر بمبررات من الظلم والتأخر حتى الخجل ، وعليه ان يحمل الكثير من اجل الخلاص ، عليه ان يصارع في عدة واجهات في آن واحد ، وان يقوم بعدة عمليات : عملية بناء ذاته من جديد ، وعملية « غسل » افكار شبابه من الضياع الوهمي الذي هو نفس « ضياع » الاجيال السابقة في خضم قصص البطولات الخيالية . فليس المهم ان نعرف فقط خطر الغزو الاجنبي ، وليس المهم كذلك ان نعرف باننا في حاجة الى بناء ذاتنا من جديد ، كما انه ليس من المهم ايضا ان نستشعر في انفسنا الضياع ، ولكن الاهم من كل ذلك هو ان نقدر قوة الخصم المواجه لنا ونستعد له ، وان نعمل بجد على انتشال انفسنا من الضياع .





خدمة اسرائيل لا المانيا ، في اجراءاته

اما الآن ، وابرخود تخرج من مثل هذه الصداقات ، ونفسه مرتاحة من تأثير « الاحتلال » اليهودي ، فقد باتت مصلحة المانيا هي التي تقرر المواقف والاجراءات

وهذا وحده هو الذي طلبه من المانيا ، لانها في هذه الحالة تعرف ان مصلحتها تقف جنبا الى جنب مع المصلحة العربية ، لا مع مصلحة اسرائيل



• كان روسيا ولكن كان جده لأمه حبشيا
• اشتراه سفير الروس من سوق الرقيق صبيا، وأهداه للقيصر

هو للروس كشكسبير للانجليز..

بقلم: علي ادهم

■ اسكندر بشكين Pushkin هو أعظم الشعراء الروسيين غير مدافع، وهو شاعر روسيا المعبر عن عواطفها وخوالجها وسماتها النفسية، ولون مزاجها وتطلعاتها الروحية.

ومكانته في الأدب الروسي مكانة شكسبير في الأدب البريطاني، وجيتي Goethe في الأدب الألماني، ودانتي Dante في الأدب الايطالي.

وقد يكون مستواه في الأدب العالمي دون مستوى هؤلاء الثلاثة، ولكن المرجح انه أقرب الى نفوس الروسيين من جيتي الى نفوس الألمان، وأحب اليهم وأعز عليهم من شكسبير في نفوس البريطانيين ودانتي في نفوس الايطاليين.

وهو في الوقت نفسه أشد الشعراء الروسيين استعصاء على الترجمة وأظلمهم ناسه له. وليس ذلك لصعوبة أسلوبه، ووعورة مصطلحاته وخفاء معانيه، وانما سبب ذلك بلوغ أسلوبه في اللغة الروسية حد الكمال وغاية الاتقان، مما يجعل المتصدي لترجمته الى اية لغة أخرى مقصرا في أدائه مهما أوتي من المقدرة والتمكن.





بشكين هضم الآداب الأوروبية ، وصنع منها أدبا روسيا واحدا

وبشكين مثل سائر الشعراء العظام الصادقي العبقرية لا يمتاز بما يصح أن نسميه بالاكتفاء الذاتي في الانتاج الأدبي ، فقد اطلع على الأدب الفرنسي وتزود منه وعرف الأدب الانجليزي معرفة جيدة ، والأدب الايطالي والأدب الألماني ، وأفاد من اطلاعه على الأدب الأوروبي بوجه عام وظل مثابرا على هذا الاطلاع حتى أيامه الأخيرة ، ولكنه ظل مع ذلك روسيا خالصا في صميمه ، وقد استطاع أن يطبع هذه المؤثرات جميعها بالطابع الروسي ، ويضفي عليها صفة الشخصية ، أي أن يهضمها جميعها ويحولها الى أجزاء من كيانه ، ويمزجها بطبيعته ويجعلها جزءا من تقاليد الأدب الروسي .

اعلام سبقوه ، مهدوا له الطريق

ولم يكن مجيء بشكين كذلك فلتة من الفلتات أو بدعة ليس لها مقدمات ، فقد سبقه رجال أعلام مهدوا له السبيل وأزالوا من طريقه بعض العقبات . ومجيء العبقريين الأفذاذ يسبقه في العادة ارهاصات وطوالع تدل على نضوج العقول وسابقيهم وتلقي وحيهم ، وبشكين هو رائد الأدب الروسي الحديث ولكنه مع ذلك ثمرة عصره ، وقد جاء محمولا على تيار النهضة التي بدأها المصلح الكبير والعاهل الخطير بطرس الأكبر

ويمتاز شعر بشكين بالبساطة المعجزة ، والاحكام غير المتكلف . ومع شدة عنايته بتثقيف شعره وتجويد أدبه فقد كان يبدو لقرائه كأنه جاء عفوا بغير تعب ولا استكراه ، وكان بشكين نفسه رجلا مشبوب الحماسة قوى العاطفة كريم النفس ، وكانت أشعاره المحكمة السبك الجيدة الرصف تنم على ما وراءها من عاطفة متأججة وحرارة قوية .

بشكين ، وجده الحبشي

ولد بشكين في ٢٦ مايو سنة ١٧٩٩ بمدينة موسكو من اسرة نبيلة قديمة ، ولكنها لم تكن في وقت ميلاده واسعة الثراء .

وكانت والدته حفيدة هانيبال ، وهو احد ابناء الامراء الاحباش .

كان القرصان في أواخر القرن التاسع عشر قد هاجموا شواطىء الحبشة واسروا جماعة من الاطفال من بينهم طفل في الثامنة من عمره ، وابحروا بهم الى الاستانة ، وهناك عرضوهم للبيع في سوق الرقيق .

وكان هذا الغلام الحبشي من نصيب سفير روسيا في الاستانة . وقد رأى هذا السفير ان يقدم هذا الغلام الحبشي هدية للقيصر بطرس الاكبر ، وقد اعجب به القيصر ومنحه فضل رعايته واسماه ابراهيم هانيبال ، واشرف بنفسه على تعليمه وتنشئته .

وقد وصف بشكين نفسه في قصته المشهورة التي لم يتم فصولها وهي قصة « زنجي بطرس الاكبر » ـ كيف تولى بطرس الاكبر بنفسه زواج هانيبال من سليلة احدى الاسرات الروسية العريقة ، وقبول الأسرة هذا الزواج وهي مرغمة ترضية للقيصر واستجابة لامره .

وواضح من ذلك ان الدم الافريقي الحار كان يجري بعظم الوراثة في عروق هذا الشاعر الكبير . وقد اتخذ بعض العلماء من ذلك دليلا من ادلة نقض نظرية التفوق الجنسي التي كان يتمسك بها فريق من علماء الاجناس والسلالات ، والمتأمل في صورة بشكين يتضح له كان اجعد الشعر غليظ الشفتين بارز الصدغين فوراثته الافريقية ظاهرة في معارف وجهه كما هي ظاهرة في اخلاقه وسماته النفسية وآثاره الادبية .

كتب قرأها

ولم تظهر بوادر سرعة نضجه الفكري الا حينما بلغ التاسعة من عمره . فقد استولى عليه حينئذ نهم شديد في القراءة والاطلاع ، فقرأ كتاب بلوتارخس عن اعيان الرومان واليونان ، والالياذة والاوديسة ، والكتب الفرنسية التي وجدها في مكتبة والده ، وقد وهب ذاكرة قوية واعية .

التحاقه بمعهد أنشأه القيصر

ومن المراحل الحاسمة في حياته التحاقه في سنة ١٨١٢ بمعهد « تسارسكويه سيلو » الذي انشأه القيصر الاسكندر الاول في سنة ١٨١١ لتخريج الشبان الناشئين من ابناء الاسر الروسية القديمة ليعهد اليهم بعد ذلك في تولي المناصب الكبرى في الحكومة القيصرية ، وكانت مدة الدراسة في هذا المعهد ست سنوات يستكمل فيها الطالب ثقافته ويشتوي الثانية ، وكان هذا المعهد على مسيرة عشرة اميال من بطرسبرج .

بشكين جاءته الشهرة مبكرة

وقد ظل بشكين في اثناء دراسته مثابرا على الاطلاع ، وكان فولتير هو الشاعر الحبيب الى نفسه في هذه الفترة ، وبدأ يقرض الشعر ، وكانت اولى محاولاته الشعرية باللغة الفرنسية ثم باللغة الروسية بعد ذلك . وقد احتذى نماذج الشعراء الفرنسيين ، كما ترسم خطوات معاصريه من الشعراء الروسيين امثال زوكوفسكي ، وكارمزين ، وغيرهما من ابناء العصر النابهين . وسرعان ما ظهر تفوقه في النظم وامتياز اسلوبه حتى اجتذب التفات مشاهير شعراء عصره والى حماستهم فابدوا اعجابهم به وتقديرهم له ، فكان الشاعر زوكوفسكي الذي يكبره في السن ، والذي سبقه الى الشهرة يزوره في معهده ويقرأ عليه اشعاره . وواضح من ذلك ان الشهرة جاءته مبكرة ودون ان يبذل في سبيلها جهدا كبيرا .

مشاركته حياة المجتمع الصاخب في بطرسبرج

وكان سلوكه الشخصي وهو في هذا المعهد مثل سلوك زملائه من ناشئة فتيان الاسر الارستقراطية ، وهو التحلل من قيود الآداب ، والانطلاق بغير عقال

في طلب المتعة والانغماس في شتى ضروب اللهو وألوان العبث .

وكان الطلبة من خريجي هذا المعهد يلتحقون بوظائف في الحكومة . فلما تخرج بشكين التحق بإحدى هذه الوظائف في وزارة الخارجية ، وانتهز هذه الفرصة للمشاركة في حياة المجتمع الراقي في العاصمة ، بطرسبرج عهد ذاك ، تلك الحياة الصاخبة المرحة المسرفة في طلب المتعة والإمعان في اللهو ، فكانت له مغامرات غرامية لا تعد . واقبل على الشراب ولعب القمار ، وكانت له في المبارزة جولات كثيرات .

طبيعة آثاره الأدبية

وبرغم انغماسه في هذه الحياة العابثة اللاهية كان مع ذلك غير مقصر في موالاة الاطلاع ، والاستزادة من المعرفة والعمل على انماء مواهبه ، وصقل ملكاته الفنية ، وتوسيع آفاقه الفكرية .

ونظم في هذه الفترة قصيدته القصصية «رسلان ولدميلا Rouslan And Ludmila » وهي طليعة آثاره الأدبية الكبيرة ، وهي قصة رومانسية عن مدينة كييف Kief القديمة جيدة النظم بارعة القافية خلابة الأسلوب ، وقد تلقاها جمهور القراء بالحماسة والإعجاب . وبلغ من تقدير الشاعر جوكوفسكي لها أن كتب الى بشكين بعد اطلاعه عليها وعلى صورته اهداء الى بشكين « الى التلميذ المنتصر من الأستاذ المهزوم » .

على أن بعض النقاد المتشددين قد وجهوا اللوم الى الشاعر لأنه تناول في منظومته الأساطير الشعبية الروسية غير الجديرة بشاعريته . وتأثر بشكين بالأدب الفرنسي ظاهر في هذه القصيدة ، ومهما يكن من الأمر فإن اشتغال بشكين بنظمها مع قصائد أخرى يدل على أنه في تلك الفترة كان يشعل الشمعة من طرفيها فيجمع بين الجد واللهو .

يقول بقتل الطغاة ، فينفيه القيصر

وكان ضمن ما نظمه بشكين في هذه الفترة قصيدة عن الحرية أشاد فيها بقتل الطغاة المستبدين ، كما نظم بعض المقطعات المتضمنة هجاء اركتشيف والسخرية به ، وهو أحد مستشاري القيصر المقربين . وكان الرقيب على طبيعة الحال لا يسمح بنشر هذا النوع من الشعر ، ولكن جرت العادة في ذلك العصر أن تنتقل النسخ الخطية لمثل هذا الشعر من يد الى يد . وتكاثرت الإشاعات حول اسم بشكين من جراء ذلك حتى بلغت مسامع القيصر فأمر بنفيه الى جنوب روسيا في سنة ١٨٢٠ .

نفي بشكين ، انقاذ بشكين

والواقع أن هذا النفي كان لبشكين نعمة في طي نقمة فقد ازدهرت طبيعته الحالمة في مناظر بلاد القوقاز الرائعة وبين كروم شبه جزيرة القرم وما بها من أشجار السرو وأشجار الغار . وانتقل بعد ذلك الى كيشينيف Kishinev عاصمة بسرابيا Bessarabia التي انتزعت من الأتراك سنة ١٨١٢ ، وفي اثناء اقامته في كيشينيف ظل يتابع التيارات السياسية في داخل روسيا واتصل ببعض جماعة الديسمبريين .

وكان أسلوب حياته في هذه الفترة لا يختلف من أسلوب حياته في العاصمة ، فكان وقته مقسما بين الاطلاع وقرض الشعر وبين الميسر والمغامرات الغرامية والاشتباك في المبارزات .

نقله من كيشينيف الى اوديسا ووقوعه في حب امرأة الحاكم

ونقل من كيشينيف الى اوديسا ، وكان رئيسه بها حاكم مقاطعة بسرابيا الكونت فورنتسوف ، وكان رجلا شديد الكبرياء كثير الاعتداد بنفسه ، ويعامل من هم دونه في ترفع وازدراء ولم يستثن من هذه المعاملة الشاعر الصغير الطموح المعتز بأدبه وحسبه ونسبه ، وساءت العلاقات بينهما . ومما زاد الخصومة بينهما اشتعالا أن صاحبنا الشاعر ، الذي كان فؤاده على الدوام رهينة الفوالي الحسان ، وقع في غرام زوجة الحاكم الحسناء ، ويروى أنها كانت الأنموذج الذي صاغ على مثال شخصية تاتيانا في روايته الشعرية المشهورة « يوجين اونيجين » Eugene Onegin . وقد انتهت اقامته في الجنوب بإبعاده بموجب أمر قيصري الى ضيعة والدته في ميخايلوفسكايه .

قصائده وهو في منفى في جنوب روسيا وتأثره بالشاعر الانجليزي بيرون

وفي اثناء اقامته في الجنوب نظم من قصائده

الطوال قصيدة أسير القوقاز ، وقصيدة نافورة باغشي سراي ، وقصيدة النور .

وكان متأثرا في هذا الدور من أدوار حياته الأدبية بشعر بيرون وشخصيته الثائرة المتمردة ، ولكنه مع ذلك لم يكن من هؤلاء الذين مضوا يقلدون بيرون تقليدا أعمى ، وغاية ما في الأمر أن بيرون كان من المؤثرات التي أثرت في أدبه دون أن تطغى على شخصيته ، وإنما كانت وقودا لعبقريته الخلاقة . ولا نزاع في أن تصوير بيرون لشخصيته الارستقراطي الثائر دون جوان، الذي وهب حياته في النهاية لتحرير اليونان من ربقة الحكم التركي، كانت تستهوي خيال الشاب الروسي الارستقراطي الراغب في الحرية لبلاده ولغيرها من بلاد العالم.

قصيدة «النَّوَر»

وتعد قصيدة «النَّوَر» من خير قصائده ، وقد شاهد الشاعر من حياة هذه الطائفة في اثناء اقامته ببسارابيا ، ورأى كثرة تنقلاتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، وبطل هذه القصة «اليكو» رجل عرف الدنيا وخبرَ الناس وسئم الحضارة ولجأ الى معاشرة النَّوَر وانضم الى زمرتهم ، وأحب فتاة منهم ، ولكنها لم تبادله حبا بحب ومكثت وخدعته ، وآثرت عليه فتى من فتيان قومها . وفي ذات ليلة لقيهما معا ، فلم يستطع كبح غضبه واخفاء نيران حقده فقتلهما معا . والعجيب أن القبيلة اكتفت بابعاده . وقال له والد الفتاة «إننا قوم مستوحشون وليست عندنا قوانين ، ولكننا لا نحب أن نعيش مع رجل سفاح القتل. وأنت لم تولد لمثل هذه الحياة الطليقة لأنك لا تريد الحرية لنفسك ، ونحن قوم لسنا من الشر في شيء وإن هان ، وقلوبنا منطوية على الرحمة ، وأنت فتى غليظ القلب غير هياب ولا وجل ومن الخير أن ترحل عنا» .

أفاد من مربيته العجوز بقية والدته

وفي أثناء الفترة العصيبة والنكبة وجد في مربيته العجوز خير صديق ، وقد اعترف بأنه مدين لها بفرط حبه للأساطير الشعبية الروسية والقصص والحكايات الخيالية التي أفاد منها بعد ذلك في بناء ما ألف من القصص والأساطير .

قصيدته التاريخية : بوريس جودينوف

وقد أعقب تأثره ببيرون اعجابه الشديد بشاعرية شكسبير الذي كشف له عن آفاق أكثر سعة واتساعا، وقد ظهر تأثره به في قصيدته التاريخية «بوريس جودينوف» ، وموضوعها مستمد من كتاب كرامزين عن تاريخ روسيا . وهي تتناول حياة ديمتريوس المزيف الذي ادعى أنه ابن ايفان الرهيب القتيل . وهذه القصيدة التاريخية حافلة بالمواقف الدرامية والحوار الشائق ، وقد أحب هذا الطالب بالعرش مارينا البولندية وأحبته هي لأنها ظنته ابنَ ملك متوج . وفرطُ حبه لها جعله يصرح من غشامته فصارحها في أحد مواقف القصيدة بحقيقته ، فأجابت بأنها ستقطع علاقتها به ما دام الأمر كذلك ، ولكنه في هذا الموقف يرتفع فوق العار والهزيمة ويرد عليها قائلا : «إني برغم كوني دعيا دجالا قد وُلدت لأكون ملكا ، وإني أحد الملوك الذين صنعتهم الطبيعة ، وإني أتحداك فتحدثي على الملأ من هذه الكلمة ، وحدّثي الناسَ جميعهم بالسر الذي أفضيتُ به اليك فانك لن تجدي بينهم مصدّقا».

وينتصر عليها بهذه الصراحة .

وهذه القصيدة ، التاريخية الحافلة ، على النمط الشكسبيري، لا لأنها تحاول تقليد شكسبير وإنما لأنها في بعض مواقفها ترتفع الى مستوى التخيل الصادق الذي ارتفع اليه شكسبير أكثر من أي شاعر آخر .

وتمتاز لغة بشكين في هذه القصيدة بالبساطة ومجافاة التكلف . ولم تطبع هذه القصيدة إلا في سنة ١٨٣١ ، ولم تظفر حين ظهورها بتقدير النقاد شأن بعض الآثار الأدبية العظيمة التي لا تظهر للنقاد محاسنها من أول وهلة .

وفاة القيصر ، الاسكندر الأول

وفي أواخر شهر نوفمبر سنة ١٨٢٥ سمع بشكين نبأ وفاة القيصر الاسكندر الأول فجأة وهو في طريقه من شبه جزيرة القرم الى تاجنروج Taganrog على بحر أزوف ، وأن أخاه قسطنطين قد اعتلى بعده عرش القياصرة . ولم يلبث قسطنطين أن تخلى عنه لأخيه نيقولا .

حياة الاسكندر الاول

ولقد كانت حياة القيصر الاسكندر ملأى بالغرائب والمتناقضات ، ولقد بدا في اوائل عهده ميالا الى التقدم والمبادىء الحرة . وصادق نابليون ثم اختلف معه . وهاجم نابليون في عهده روسيا وانتصر على الجيوش الروسية في معركة بورودينو ، ودخل بعدها موسكو دخول المنتصر الظافر . ولقد اثار ذلك شعور الروسيين القومي ، ووحد صفوفهم ، وجعلهم يلتفون الى جانب القيصر على اختلاف مشاربهم وتباين نزعاتهم لرد عدوان الغير على بلادهم .

الجنود الروس يعودون من القارة الأوروبية يحملون للحرية والدستور

ولقد اشتركت الجيوش الروسية في القضاء على سيطرة نابليون في القارة الاوروبية ، وعاد كثير من ضباط الجيش الروسي الى بلادهم بعد ان عاشوا في الخارج ردحا من الزمن ، وحفلت نفوسهم بافكار الغرب عن الحرية والدستور والحكم الملكي المقيد .

وتأثر القيصر الاسكندر بالسياسي الرجعي النمساوي مترنيخ ومال الى الرجعية بكليته ، وتنكر لمبادىء الحرية وخيب الامال التي كانت معلقة عليه وصوبة حكمه .

ظهور جماعة الثوار ، الديسمبريين

وكان ذلك سببا لظهور الجماعة المعروفة بجماعة الديسمبريين ، وهم فريق من ضباط الجيش كانوا يطالبون بالدستور وتحرير المزارعين الارقاء. ولقد اتصل بهم بشكين . ولكن بعده عن العاصمة لم يمكنه من مشاركتهم مشاركة كاملة ، كما انهم من ناحيتهم لم يفضوا اليه بسر تآمرهم على احداث الانقلاب الذي كانوا يتطلعون اليه لانهم ادركوا انه ليس فيه طبيعة المتآمرين وليس له المقدرة على طول الاحتفاظ باسرار السياسة ومسيراتها الخفية .

ولم يكد القيصر نيقولا يعتلي العرش حتى قام الديسمبريون في اليوم الرابع عشر من شهر ديسمبر سنة ١٨٢٥ بمحاولتهم لقلب نظام الحكم والمناداة بالحريات الدستورية ، وكان القيصر الجديد رجلا شديد الوطأة صلب الارادة فامر باخماد الثورة في مهدها ، ولم يتورع عن استعمال القسوة التنكيلية ، وقدم المتآمرون للمحاكمة . ولقد شنق خمسة من زعماء محاولة الانقلاب ، ونفي مائة وعشرون منهم الى سيبيريا. وظل القيصر نيقولا طوال حكمه يناهض الافكار الحرة ويضطهد الاحرار وينكل بهم حتى عد عهده من اقسى عصور الحكم في روسيا واشدها ظلما .

عرف القيصر لبشكين اتصاله بالديسمبريين

وبرغم صلة بشكين ببعض الديسمبريين البارزين فان الحكومة القيصرية لم تجد دليلا على ادانته واشتراكه في حركة محاولة الانقلاب ، واغتنم بشكين هذه الفرصة ليطلب العفو عنه وانكار صلته بالدسمبريين .

ورأى القيصر نيقولا ان يغتفر للشاعر ذنبه ، ويعمل على تقريبه ، ويوليه رعايته ، فدعاه الى مقابلته واحسن لقاءه .

القيصر يخدع بشكين ، فينخدع

وليست هناك معلومات مفصلة عما دار بين الشاعر والقيصر من الاحاديث ، ولقد بدا القيصر الماكر الذي كان يحسن التمثيل لبشكين رجلا صريحا حسن النية ميالا الى الآراء التقدمية . ويروى انه ذكر لبشكين انه كان مضطرا الى التزام الشدة مع الديسمبريين توطيدا لعرشه ، ولكنه لا ينوي بحال من الاحوال الاستمرار في متابعة هذه الخطة . وقال للشاعر انه سيعفيه من عنت الرقباء على النشر ويجعل من نفسه رقيبا على آثاره الادبية .

وخرج بوشكين من حضرته مزهوا بتقدير العاهل الكبير للشعر والشعراء . وكان يعرض ما تجود به قريحته من الاشعار على الرقابة الملكية بدلا من عرضها على الرقيب العادي ، وكان الواسطة بينه وبين القيصر هو بنكندورف رئيس الشرطة السرية .

بشكين متهم بالتنكر لمبادئه العليا

ولقد كانت علاقة بشكين بالقيصر مدعاة لاتهامه

بالتنكر لتلك المثل العليا وتزوجه الى الحرية ، ولكن الواقع ان بشكين لم يكن بطبيعته من المشتغلين بالسياسة ، وكان يريد ان تتاح له الفرصة لمباشرة جهوده الادبية في جو هادىء . وفضلا عن ذلك كان قد جال في خاطره انه يستطيع بقدرته الشعرية ان يحسن توجيه القيصر الى ناحية الخير والاصلاح والتقدم .

ولم يكن بشكين من طراز الخائنين المتملقين ، وقد اخذ يدرك ما احاطه به القيصر من قيود خفية ، وما وراء رعايته من انتقاص لحريته ، فطلب السماح له بالسفر الى القوقاز ، فلم يقبل طلبه ، وسأل القيصر الحصول على اجازة للذهاب الى خارج روسيا فلم يجب طلبه ، وكانت حجة القيصر في ذلك انه يُعنى بشأنه وانه اعرف منه بالنافع له .

وفي ربيع سنة ١٨٢٩ احب فتاة عمرها سبع عشرة سنة وهي نتاليا جونشاروفا ، وطلب يدها ، فرُفض طلبه ، فذهب يائسا الى القوقاز واشترك في حملة اخضاع بعض القبائل الجبلية الثائرة على حكومة القيصر ولما عاد من هذه الرحلة طلب اليه بيان الدوافع التى حدت به على السفر الى القوقاز دون الحصول على اذن من القيصر .

وفي ربيع سنة ١٨٣٠ عاد بشكين الى طلب يد الحسناء الفاتنة التى ملأ حبها نفسه ، واجيب طلبه في هذه المرة . ولما عرض اعتزامه الاقتران بها على القيصر وافق على ذلك ، وزوده بالنصائح والتحذيرات ، واصبحت علاقته بالقيصر بعد ذلك شديدة التعقيد ، ويقول باكولافرن في كتابه « المدخل الى الرواية الروسية » ان هناك من الاسباب ما يدعو الى الاعتقاد بان القيصر كان مهتما بزوجة الشاعر اكثر من اهتمامه بالشاعر .

وقد اتم بشكين بعد زواجه روايته الشعرية « يوجين اونيجن » السابقة الذكر ، وهي تعد من ابدع الطرائف الادبية في الادب الروسي ، وهي تصف المجتمع الروسي الذى عاصره بشكين وصفا صادقا واقعيا ، واونيجن بطل هذه الرواية يمثل شبان بطرسبرج في ذلك العهد ، وكان ابوه من كبار الموظفين ، وقد نشأ نشأة ارستقراطية وعرف آداب المجتمع ودرس مختلف الفنون الاوروبية ، واتقن الحديث باللغة الفرنسية ، وكان شديد العناية بملابسه ، ويستطيع الخوض في شتى الموضوعات ، ويتخير النكات البارعة ، ويطرب الامثال المناسبة ، وقد جمع بين الاطلاع على كتب هوميروس وآراء آدم سميث في الاقتصاد .

ويموت والده تاركا مجموعة من الديون ، ولكن احد اعمامه يدعوه الى الريف وقد اشرف على الموت . وحينما يصل أونيجن الى الريف يكون عمه قد اسلم الروح ، ويجد نفسه وارثا لضيعة هذا العم ، ويستولى عليه الملل من حياة الريف الرتيبة ، وينعقد حينذاك مودة احد جيرانه الشبان من اهلها وهو الشاب لنسكي ، وهو شاعر شديد التحمس لشعر شيلر وغيره من الكتاب الالمانيين ، ودارس لفلسفة « كنت » ، ويقدم لنسكي أونيجن لاسرة « لارين » المجاورة لهما ، وهي اسرة مكونة من ارملة وبنتيها ، وكان لنسكي قد احب الفتاة الكبرى "أولجا" ، وكانت فتاة مرحة تحب اللهو والصخب ، على خلاف اختها الصغرى تاتيانا الحالمة التى كانت لا تميل الى اللهو والمرح ، وتؤثر العزلة والانطواء على النفس ، ويجتذب منظر أونيجن واناقته قلب تاتيانا الخجول ويثير في نفسها عاطفة الحب ، ويجعلها تعتقد انها قد وجدت فتى أحلامها ، ولا تلبث ان تكتب اليه رسالة تعترف فيها بحبها له وايثارها اياه ولكن أونيجن يصارحها في لهجة خالية من الحرارة بانه قد خَبَر الحياة ولم يعد في حالة تسمح له بقبول حب خالص مثل حبها ، وانه غير جدير بهذه الهبة الكريمة ولا يملك ان يقدم لها مقابلا . وقد تلطف في ابلاغها ذلك حتى لا يجرح شعورها ، ونصحها بان تقمع مشاعرها وان تقتصد مستقبلا في ابداء عواطفها ، حتى لا تقع في حبائل احد المخادعين العابثين بقلوب العذارى . وقد عانت تاتيانا شعورها واحتملت الصدمة الاليمة وتماسكت وتجلدت . واتفق ان اقامت بعد ذلك السيدة لارين حفلة راقصة ، وكان بين من دعتهم لحضورها لنسكي الذى صار خطيبا لأولجا ، وصديقه أونيجن ، وقد حضر الحفل جماعة من علية القوم وزهرات المجتمع ، وفي ذلك الحفل دعا أونيجن أولجا خطيبة صديقه لتشاركه مراقصته ، ورقص معها عدة رقصات متتالية ، ومن بينها رقصة نصف الليل التى كانت قد وعدت بها خطيبها . واثارت مراقصتها لهذا الشاب الوسيم الانيق غيرة خطيبها لنسكي واغضبته ، فلما انتهت

الرقصة لم يستطع مغالبة غضبه ، واتهم صديقه بأنه يحاول أن يسلبه حب خطيبته ، وحاول أونيجين عبثاً أن يهدئ غضبه ، ويزيل حقده ، ولكنه أبى أن يستمع إليه أو أن يقبل عذره ، وتحداه أن يبارزه في اليوم التالي . والتقيا في الصباح الباكر ، وأسفرت المبارزة عن مصرع لنسكي . ولما رأى أونيجين أن صديقه قد لقي نحبه حزن على فقده ، وندم على سلوكه ، ووبخه ضميره ، ولم يستطع البقاء في الضيعة لأن صورة صديقه كانت ما تنفك تطارده . وغادر المقاطعة وأخذ يتنقل في مختلف الأقطار ، وهو يحاول أن ينسى هذه المأساة الجسيمة ويرفه عن خاطره الكئيب ، ولكنه لم يوفق في ذلك ، وظل قلق النفس موجع القلب مهتاج الخاطر . وعاوده الحنين إلى بلاده وزيارة مسرح مأساته ، فلما قدم العاصمة بطرسبرج أقبل عليه أصدقاؤه القدامى مرحبين مبتهجين بعودته ، والتفوا حوله في البقاء ينعم حيناً من الزمن بعد غيابه الطويل . وتلقى دعوة إلى حضور حفلة راقصة في قصر أحد النبلاء ، وكان يدعى الأمير جريمين ، وأغراه أصدقاؤه بقبول الدعوة وكان قد أصبح زاهداً في حضور أمثال هذه الحفلات ، ليلبي الدعوة ويذهب إلى حافل، وفيما هو يطوف بغرف القصر لقنا حائراً ؟ تبرح ذاكرته المجزرة الفكتلة يلمح بين الحضور سيدة حسناء باهرة الجمال ترتدي ثياباً فاخرة وتتزين بأنفس الجواهر وأغلى الحلي تتنقل بين صفوف الحضور والمدعوات في رشاقة مستحبة وجلال يجذب الأنظار ، ويدرك أونيجين أن هذه السيدة هي ربة الدار ، ويعرف بعد أن يتأمل في وجهها قليلاً أنها صاحبته وجارته القديمة ، ولكنها لم تكن الفتاة الحالمة البريئة فقد أصبحت سيدة مكتملة الأنوثة فاخرة القامة يحبها زوجها الأمير حباً يقرب من العبادة برغم ما بينهما من تفاوت كبير في السن ولا يألو وسعاً في سبيل إسعادها. وأثار رؤيتها في نفس أونيجين شعوراً عاصفة فيشعر بحب شديد لها ونزوع إلى التقرب منها ونيلها حبه وهيمنه ، ويقبل عليه الأمير جريمين ويقدمه إلى زوجته الحسناء في زهو واعتزاز . ويلقاه ثانياً بشيء من الفتور ولا تخفي سابق معرفتها به ، ثم تبتعد عنه في صحبة زوجها . ويتبين أونيجين أنه مفتون بهذه السيدة، ويأسى على الفرصة التي أفلتت منه في الماضي ، ويعجز عن مقاومته كتمان حبه ، ويعتزم أن يبوح لها بهواه مهما احتمل في هذا السبيل ، ويترصدها في ناحية خالية وينتهز فرصة اقترابها ويسرع إليها مبدياً لها حبه ولهيبه ويناشدها أن تبادله حباً بحب لترد عليه سعادته الضائعة وهدوء نفسه المفقود ، فتذكره في مرارة بما سبق أن صدر منه ، فيجثو على ركبتيه ملتمساً الصفح عن ذنبه ، فتصارحه بأنها لا تزال محتفظة في نفسها بحبها له ولكنها مع ذلك مصرة على الوفاء لزوجها المتفاني في إسعادها وإدخال السرور على قلبها . وتعلن انهيار مقاومتها فتبتعد عنه مودعة ، ويملأ اليأس قلب أونيجين فيضع يده في جيبه ويخرج مسدساً ويسدده إلى رأسه ويخر على الأرض ميتاً من فوره .

روايته « ابنة الضابط »

ويطرق بشكين ميدان البحث التاريخي فيعنى بتاريخ الثائر بوجاتشيف ، الذي تزعم ثورة الفلاحين في عهد الملكة كاترين الثانية ويزور المناطق التي حدثت فيها الثورة مثل مدينة أورنبرج ومدينة قازان . ويقابل بعض الأحياء المتقدمين في السن الذين عاصروا هذه الحركة الثورية . وقد كان بوجاتشيف ادعى أنه بطرس الثالث زوج الملكة كاترين الثانية المختفي .

وقد وصف بشكين أحداث هذه الثورة في روايته « ابنة الضابط » وقد جرى فيها على طريقة السير والتر سكوت Scott في رواياته التاريخية وكتب قصصاً أخرى مثل قصته بيوتر فيليكي وملكة البستوني والليالي المصرية والعاصفة الثلجية وغير ذلك من القصص والأقصوصات التي تمتاز جميعها بإحكام السبك وبراعة التصوير .

مؤامرة لتلويث سمعة بشكين

وبينما كان الشاعر العظيم مثابراً على التأليف وماضياً في سبيل إثراء الأدب الروسي بمختلف عبقريته وطرائف فنه تلقى رسالة بالبريد نصها : « هيئة كبار قواد فرقة « حمقى القرون » وفرسانها اجتمعوا برئاسة رئيس الفرقة نارشكين ووافقوا بالإجماع على اختيار الكسندر بشكين

مساعدا لرئيس فرقة حملة القرون ومؤرخا للفرقة - سكرتير الفرقة الدائم س.ت.ج. بورسن » .

وكانت الاشارة المقصودة بهذه الاهجية واضحة ، فديمتري ناريشكين الذي ذكر اسمه بوصفه رئيسا للفرقة كان يشغل أحد المناصب الكبيرة في بلاط القيصر اسكندر الاول لانه كان زوج عشيقة القيصر ، والكونت بورسن كان كذلك من الذين ساعدهم على التقدم بفضل العلاقة السامية بزوجته المحبوبة في اكتساب العطف السامي واستمالة القلوب في اليسر وحسن التدبير . وكانت السيدة ناتالي زوجة بشكين تتألق بين الرائعات في الجمال والاخذ بمجامع القلوب ، وكذلك في الضعف البشري حسب القول بعض الناس ، وراجت اشاعات مضمونها انها اشعلت نيران الحب في قلب القيصر نيقولا الاول ، وكان من المنتظر اذن ان يرشح زوجها الترقية في فرقة حملة القرون .

ولم يكن هناك دليل قاطع على ان السيدة ناتالي لم تكن وفية لزوجها ، وربما كان بشكين على حق في محاولته الدفاع عن سمعتها ، ولكن الشيء المؤكد هو انها وشقيقتها صادفتا في اثناء خريف سنة ١٨٣٦ شابا فرنسيا جميل الصورة اسمه جورج دانتيز ، واظهرتا ميلا خاصا اليه ، وكان البارون هيكرن السفير الهولندي قد اعجب بهذا الشاب وتبناه واضاف اسمه الى اسم الشاب فصار اسمه دانتيز هيكرن .

وحينما تلقى الشاعر بشكين قرار ضمه الى فرقة « حملة القرون » عرف ان وراء هذه الحملة لتلويث سمعته والنيل من شرفه البارون هيكرن ، وكان يعلم ان زوجته عرضت سمعتها للقيل والقال بصداقتها البريئة لدانتيز ، ووجد ان ذلك كله ينطوي على مؤامرة مدبرة من الاب والابن المتبنى لهدم مكانته والولوغ في عرضه وجعله اضحوكة بين الناس ، ولم يجد بشكين ازاء ذلك بدا من دعوة الشاب دانتيز الى المبارزة .

وبذلت محاولات غير مجدية للتوفيق بين الخصمين ولكنها لم توفق ، ووقعت المبارزة في فبراير سنة ١٨٣٧ ، واصيب فيها الشاعر بجرح مميت ، وطلب القيصر من الحكومة الهولندية استدعاء وزيرها ورفض مقابلته قبل رحيله .

وبرغم التحريات الدقيقة وقفت المسألة عند هذا الحد وذلك بالرغم من ان كل انسان كان يعلم ان الاهجية التي اثارت الشاعر قد صدرت عن جماعة البارون هيكرن ، ولكن اسم مؤلفها الحقيقي ظل مجهولا . وكان الاشتباه في اسم مؤلفها موزعا بين كثير من الشخصيات منهم جاجارين والامير بطرس دلجوروكوف .

وفتر الاهتمام بتحري الحقيقة في امر تأليف الاهجية ، وبعد مرور خمس وعشرين سنة على الحادثة كتب مؤلف رسالة عنوانها « ايام بشكين الاخيرة » ذكر فيها ان دلجوروكوف هو مؤلف الاهجية ، وكان دلجوروكوف حينذاك في لندن فكتب ردا شديد اللهجة ينكر فيه انكارا حاسما كتابة الاهجية .

وفتر اهتمام الباحثين بهذا الموضوع مرة اخرى لعدم وجود الدليل الكافي .

وظلت المسألة معلقة حتى سنة ١٩٢٧ ففي تلك السنة عرضت على احد خبراء الخطوط في ادارة البحوث الجنائية بلينينجراد (بطرسبرج سابقا) نسختان اصليتان من الاهجية التي مر عليهما تسعون سنة ومعهما امثلة من خط هيكرن وجاجارين ودلجوروكوف ، وقضى الخبير بان الاهجية مكتوبة بخط دلجوروكوف برغم تكلفه اخفاء ذلك الخط في الكتابة .

وهكذا مات الشاعر العبقري نتيجة مؤامرة من رجل مسن خليع

ويرى من ذلك ان مصرع شاعر روسيا العظيم واحد شعراء العالم المعدودين كان نتيجة مؤامرة وضيعة دبرها رجل مسن خليع فاسد الاخلاق هو الوزير الهولندي البارون هيكرن واشترك فيها شاب مدلل مفتون خامل الذكر تافه القيمة وامير وضيع النفس مطبوع على الكذب والوقيعة والدس .

وقد قضى الشاعر العظيم نحبه وهو لم يجاوز السابعة والثلاثين من عمره ، فكانت وفاته خسارة فادحة للأمة وللانسانية جميعا . ■■

علي ادهم



■ كان مقدونيو الشمال ، في نظر الاثيني المثقف ، جماعة من البرابرة ، الا لم يظهر بينهم كتاب او فنانون او فلاسفة من ذوي المكانة الرفيعة ، الا انه خرج من مقدونيا قائد عسكري كان من اكثر القادة العسكريين في العالم نجاحا في جميع العصور : ذلك هو الاسكندر الاكبر .

وكان يعاصر الاسكندر ، وان كان اكبر منه سنا ، الفيلسوف الساخر ديوجين المعروف بالكلبي، اشهر الفلاسفة الساخرين . ولد ديوجين في سينوب Sinop بآسيا الصغرى سنة ٤١٢ق.م وتوفي في كورنث Corinth سنة ٣٢٣ق.م

ذهب ديوجين الى اثينا واصبح احد تلامذة انتستيني Antisthenes الذي كان يعلم تلامذته بان على الرجل العاقل الذي يسعى لان يكون سعيدا ، ان يحافظ على نفسه . وطريقة المحافظة على النفس هي ان يمقت الثروة والقوة ، والفنون ، والعلوم ، وجميع متع الحياة. وعملا بهذه النصيحة كان ديوجين كثيرا ما يكبح جماح شهيته بتناول لردأ انواع الطعام . ولم يكن يعتبر طلب الصدقة حاطا من كرامته . وكان يمشي أثناء النهار في شوارع اثينا حافي القدمين لا يرتدي غير جلباب بسيط ، ويحمل بيده عصا ، وعلى ظهره مخلاة . ولم تكن حماقات الناس تفلت من سخريته ، فقد كان يلعن الرذيلة والفساد علنا ، وبطريقة تهكمية لاذعة .

وكان ديوجين يمضي الصيف في كورنث ، والشتاء في اثينا . وقد تمت المقابلة الشهيرة بينه وبين الاسكندر ،كما وصفها بلوتارخ ، والتي تبينها هذه اللوحة ، في كورنث ، بينما كان ديوجين يجلس على قارعة الطريق يصطلي بحرارة الشمس .

لقد ذهل الاسكندر لقلة المبالاة وعدم الاكتراث اللذين اظهرهما ذلك المتسول الذي يرتدي الاسمال البالية ، فما كان منه الا ان وقف وخاطب ديوجين قائلا « انا الاسكندر الاكبر » !

فرد عليه الفيلسوف : « وانا ديوجين الكلبي » !

فقال الاسكندر « اطلب ما تشاء » .

فكان جواب ديوجين : « انني لا اطلب شيئا سوى ان تذهب ، فأنت تحجب الشمس عني » !

فوجيء الاسكندر بهذا الجواب ، وقال قوله المشهور : « لو لم اكن الاسكندر ، لوددت ان اكون ديوجين » .

■■

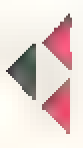


اعرف وطنك أيها العربي

صُور

قام بهذا الاستطلاع سليم بسيسو وصوره (أوسكار)

المدينة التي خطت الصفحات الأولى من التاريخ القديم



وسيطرت على تجارة العالم قبل ثلاثة آلاف من السنين

■ ان صور ، بالنسبة للقارىء العادي ، مجرد اسم لمدينة في لبنان ، يقترن اسمها بصيدا ، كما لو كانا اسمين مترادفين او اسمين لمدينة واحدة . وكثيرون يجهلون تحديد موقع هاتين المدينتين ، أيتهما في الجنوب وايتهما الى الشمال .. تماما كما يختلط الامر بالنسبة لشقيقتين توأمين تصعب معرفة احداهما من الاخرى ..

صور كما تبدو من بعيد

خرجنا من صيدا .. متجهين صوب الجنوب مارين بقرى الغازية والزهراني ، وصرفند ، والخيزران ، والساريه ، وابو الاسود ، والقاسمية . واخيرا بدت لنا مدينة صور ممتدة داخل البحر على شكل شبه جزيرة ، او هي تماما كما وصفها ياقوت الحموي « داخلة في البحر مثل الكف على الساعد يحيط بها البحر من جميع جوانبها الا الرابع الذي منه شروع بابها . »

ها نحن الآن على ابواب صور .. المدينة التي احتلت في التاريخ مركز الصدارة والتي شهدت من العز والسؤدد والرفاهية والثراء ما لم يتيسر الا لقلة من المدن في العالم .. والتي لحق بها من الدمار والخراب على ايدي الغزاة الفاتحين المتلاحقين ما يهون بجانبه ما لحق باية مدينة اخرى . ذلك انها كانت كالسد المنيع تتحطم عند اسواره موجات الفتوحات العارمة .. وشهوات الغزاة الفاتحين واطماعهم .

معنى كلمة « صور »

هذه هي صور « احصن الحصون التي على شط البحر » كما وصفها كتاب « المسالك والممالك » . ثم ها هي بلادها صـور ... وقرأنا عداد السيارة فاذا بنا على بعد ٨٥ كيلومترا من بيروت الى جهة الجنوب .

والصور « لغة » هو القرن ينفخ فيه او البوق كما قال المفسرون في قوله تعالى « ونفخ في الصور» وفي قول آخر ان اللفظة سامية معناها « الصخرة » .

سرنا بمحاذاة البحر .. في شارع طويل يقال له شارع المدخل وهو يمتد من الحي المعروف بالبص الى قلب المدينة ، وعلى يميننا البحر بمياهه الزرقاء تفصلها عنا رمال صفراء اقرب الى التبر منها الى التراب ، وعلى يسارنا بمحاذاة الشارع الطويل انتشرت المباني والمحلات التجارية.

مقارنة صور بعاصمة البرازيل السابقة

لقد لفت نظرنا بشكل خاص توغل هذا الرأس البري في داخل البحر ... وقد يكون هذا من صنع الطبيعة وحدها .. او قد يكون من صنع الانسان. فذكرنا ما كنا قد قرأناه عن ريودي جانيرو عاصمة البرازيل السابقة وكيف انها هي الاخرى واقعة على ساحل خليج ، وممتدة داخل البحر ، ولكن ذلك الامتداد كان صناعيا ، لان المدينة كانت قد انشئت على رقعة من الارض بين البحر والجبال، وازدهرت المدينة وزاد عدد سكانها فراح البناؤون يكتسحون التلال القائمة خلف المدينة ويزيلون صخورها واتربتها ويلقونها في البحر .. وخلقوا بذلك شبه جزيرة اصطناعية لتتسع لسكان ريو البالغ عددهم ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة .

كذلك لم يكن امتداد صور من عمل الطبيعة كما سنبين ذلك فيما بعد .. كما ان عدد السكان ما كان ليستوعبه ، فهم الآن لا يزيدون على الثلاثين الفا منهم ٢٠ الفا من السكان الاصليين و ١٠ الاف من اللاجئين العرب الفلسطينيين الذين نزحوا من الفردوس الضائع « فلسطين » واقاموا في مخيمات ثلاثة هي الرشيدية ، وبرج الشمالي ، والبص ، ليكونوا على مقربة من منازلهم وقراهم وبيوتهم ومزارعهم في القطر العزيز .

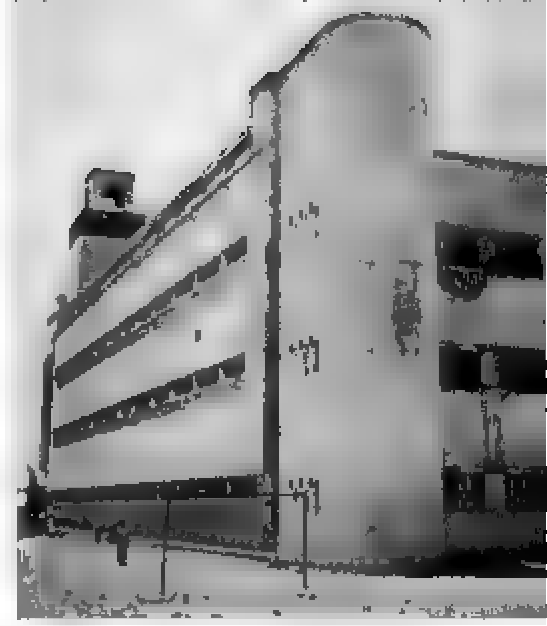
صور في عهد الفينيقيين

اسس الفينيقيون صور في الالف الثالث قبل الميلاد . وفي قول آخر انها اسست في القرن الخامس عشر قبل الميلاد على ساحل البحر ، وكانت مدينة، وهي في نفس الوقت دولة ذات سيادة واستقلال وتجارة مزدهرة .. وكان لها ميناءان احدهما شمالي ، ويعرف بالميناء الصيداوي ، وآخر جنوبي ، ويعرف بالميناء المصري .

وكانت توجد داخل البحر جزيرة صغيرة ، او هي صخرة كبيرة ، تحمي ميناء صور من امواج البحر وتياراته القوية . وكانت مرسى امينا للمراكب تحميها من هيج البحر وشدة انوائه ، كما كانت ملجأ يحتمي فيه السكان زمن الحرب ، ومخزنا للبضائع وترسانة للاسلحة وما شابهها .

الاسكندر يحاصر صور

وجه الاسكندر الاكبر المقدوني قلب الفرس في



المكتبة الجعفرية – وهي مؤسسة اهلية – تعتبر أضخم مدرسة في المدينة .. أسسها آية الله الامام المجتهد السيد عبد الحسين شرف الدين سنة ١٣٥٧ هجرية وتشرف على ادارتها وتتولى أوقافها الجمعية الخيرية الجعفرية .وهذه المكتبة للذكور وملحق بها في مبنى أخرى مدرسة اعدادية للبنات .

معركة اسوس ٣٣٣ بآسيا الصغرى ، وسار جنوبا ووجهته مصر ، وطلب من صور ، كما طلب من سائر النواحي ، أن تفتح أبوابها امام جيوشه ليحول دون استخدام الاسطول الفارسي لها.ولكن اهالي صور رفضوا الاذعان ، فضرب حصارا حول المدينة .. كان ذلك سنة ٣٣٢ ق.م.

وكانت الممالك والامصار تنهار بسرعة خاطفة امام الاسكندر ، القائد الشاب الذي لم يكن عمره يتجاوز الثانية والعشرين ، والذي يعد من اعظم القادة والفاتحين في التاريخ .

كانت صور الحديثة مبنية على الجزيرة الصخرية التي تبعد نصف ميل تقريبا عن البر حيث كانت تقوم صور القديمة .

ووقفت صور عقبة كأداء في طريق القائد العظيم . نعم .. لقد كانت سيدة الشاطىء اللبناني ، وكان اسطولها اكبر الاساطيل في البحر الابيض المتوسط ، وحصونها من اقوى الحصون وامنعها .

ولم يكن الاسكندر يملك اسطولا فعمد الى هدم مدينة صور البرية واستخدم انقاضها وركامها في ردم البحر في المضيق الذي يفصل بين الجزيرة والبر . ولكن ذلك لم يجده فتيلا ، لان الاسكندر عرف انه بدون مساعدة اسطول لا يستطيع اسر الصوريين لان طريق البحر مفتوحة امامهم .فجمع من صيدا ورودس وقبرص وسولي ومالوس اسطولا مؤلفا من ٢٢٠ سفينة حربية،وبعد حصار مرير دام ٧ اشهر ، استولى على صور ، وقتل ٨٠٠٠ من سكانها . ونفذ حكم الاعدام فيما بعد بثلاثة الاف آخرين ، واسر ٣٠ الفا وباعهم بيع العبيد ، وعمل على توطين مستعمرين جدد بدل اهل البلاد الاصليين .

وهكذا نرى ان امتداد صور داخل البحر انما كان من صنع الانسان .. ولكن ليس لاغراض عمرانية ، بل لاهداف عسكرية ، الغاية منها فرض السيطرة .

في المدينة

دخلنا المدينة وقصدنا مكتب « القائم مقام » نتعرف اليه ونستقي منه من المعلومات ما يلزمنا قبل بدء العمل .

حدثنا « القائم مقام » بشيء من الافاضة عن صور .. قديمها وحديثها ، شأنه في ذلك شأن كل من تسأله عن صور ، فانه لا بد عائد بك الى الوراء ثلاثة آلاف سنة او اربعة قبل ان يحدثك عن حاضر المدينة ومستقبلها .

الصوريون وعلاقتهم بالبحر والتجارة

علم مثلا « ابا جورج » رئيس البلدية الذي سارع بالحضور الى « القائم مقامية » حينما علم بوجودنا .

حدثنا ابو جورج عن اهالي صور ، وقال انهم اشد بحارة في العالم مراسا واكثرهم جلدا وتحملا ... ولا تقل النساء الصوريات في ذلك عن الرجال . ويضرب لذلك مثلا المركب المحمل بالدقيق الذي ارتطم بالصخر .. وكان البحر وقتها هائجا والامواج عالية .. فنزلت النساء جنبا الى جنب مع الرجال الى البحر ، وسبح الجميع في اتجاه المركب وعادوا الى الشاطىء وكل واحد منهم يحمل كيس دقيق ليضعه بمكان أمين ، ويعود او تعود من جديد لتخليص كيس ثان وثالث ، وهكذا الى ان تم افراغ حمولة المركب بكاملها .





ولنسله صور ما الرجال من المهارة والقوة في السباحة وركوب الأهوال .

واهالي صور يعتبرون رجال البحر المتوسط ، وهم يتحلون باخلاق عالية ومستوى رفيع في كل ما يمت الى البحر والملاحة من تقاليد وعادات بصلة .

اغاثة المستغيث

فاذا مر مركب غريب – ولنقل مركب يشمل ضمنه السفن الكبيرة والصغيرة على حد سواء – وارسل استغاثة لنفاد الوقود او لتعطل في المحركات ، او بسبب هياج البحر وهو الأمر الكثير الوقوع بسبب التيارات الجوية القوية، فان البحارة الصوريين يندفعون نحو السفينة بحزم وقوة غير مبالين بالاخطار وينجدون المركب ويسحبون بحارته . واكثر من هذا فانهم – على فقرهم – ينزلون هؤلاء البحارة ضيوفا عليهم في بيوتهم الى ان يتمكنوا من استئناف رحلتهم .

عندما ينتهي الصيف

وعادات اهل صور لها ارتباط بالبحر وثيق . ففي ١٤ سبتمبر (ايلول) من كل سنة ينتهي موسم الاستحمام في البحر لان الصيف يكون قد اوشك على الانتهاء ، فيقيم الاهلون في ذلك التاريخ احتفالات ومهرجانات تبدأ من الساعة الثانية عشرة ليلا حتى الصباح على الشاطىء زرافات زرافات ، يدخنون الارجيلة ويحتسون القهوة ويلتهمون الطعام ويسبحون للمرة الاخيرة في البحر .. وبهذا ينتهي موسم الاستحمام .

ولا تفوتنا الاشارة الى ان الانسجام والتعاون والوحدة الوطنية لها جذور عميقة متينة راسخة بين البحارة في صور ، والتعايش بين الطوائف المختلفة قلما تجد له مثيلا في مكان آخر ، فالشيعي والسني والروم الكاثوليكي والارثوذكسي والماروني .. يحس الواحد منهم باحاسيس الآخرين ، واذا اصيب احدهم بمصيبة شاركه الآخرون وساعدوه على اي شكل كانت المساعدة التي هو بحاجة اليهـا .

في الميناء

رحنا نجوب ارجاء الميناء لنرى ما تبقى من تلك السيادة البحرية والأسطول التجاري العظيم الذي كان لصور قبل آلاف السنين . ولشد ما ادهشنا اننا لم نر في الميناء سوى قوارب صغيرة لصيد السمك لا يزيد عدد الراسي منها في المياه وما هو في عرض البحر على مائة قارب .. وعرفنا ان هناك مائتي عائلة تعيش على صيد السمك . وسمك صور متنوع ولذيذ . والصوريون صيادون ماهرون لانهم يتوارثون هذه المهنة أبا عن جد ، ويورثونها لاولادهم واحفادهم . والطريف في الأمر ان الصياد لا يميل الى تبديل هذه المهنة باخرى مهما كان نوعها حتى ولو كانت تدر عليه اموالا اكثر .

الصادرات والواردات

وتدخل ميناء صور المراكب الكبيرة التي تسير بقوة المحركات وتتراوح حمولتها بين ١٠٠ او ٢٥٠ طنا وهذه المراكب تنقل البضائع من صور الى الاسكندرية وبورسعيد وتركيا وقبرص وغـزة ، وتصدر التين والخروب والزعتر . لقد تقلصت تجارة صور وانحصرت بهذه المواد .. لم نعد نسمع بالحرير الصوري الذي كان يتغنى به الشعراء . فهذا لوقان Lucan الشاعر الروماني الذي ولد في قرطبة باسبانيا سنة ٣٩ ميلادية يحدثنا في قصائده واشعاره ان كليوباترا ظهرت في احدى الحفلات لابسة ثيابا من الحرير الملهاف من صنع الصوريين الماهرين .. كما لم نعد نسمع بالاحجار الكريمة وصبغ الارجوان التي كانت تشتهر به صور . وهي الآن لا تصدر شيئا مما كانت تصدره قبل الف سنة، وهو السكر والخرز، والاواني الخزفية ، والزجاجية كما ذكر المقدسي الجغرافي الفلسطيني . وتستورد صور البصل والبطيخ والبطاطس من مصر .

وتقوم الى جانب صناعة الصيد صناعات متصلة بها كصناعة شباك الصيد والقوارب .

جولة في احياء المدينة

مررنا مخترقين احياء صور : الجامع والمنارة ، والمسيحية ، والجورة ، والرمل، واحياء اخرى سميت باسماء بعض الطوائف كحي الكاثوليك وحي الموارنة مثلا .

توجد في صور عشرة احياء لكل حي « مختار » ، وهو الى حد ما يشبه العمدة او شيخ الحارة . والى جانب المختار مجلس اختيارية مكون من ستة



مكتب قائم مقام صور أو دار القائم مقامية أو « السرايا » كما يسمونها هناك . وهي تضم أيضا مركز الدرك المنوط به حفظ الأمن

اعضاء. وينتخب لكل حي مختار ومجلس اختياري. والناخبون هم القيدون في جداول انتخاب نواب البرلمان .

توغلنا داخل الأحياء القديمة .. وتصورنا أننا سندخل منطقة خرابا تعشش فيها الغربان وينعق فيها البوم ، ولكننا في كل ركن من أركان هذه الأحياء وفي كل زقاق كنا نرى طلاب المدارس بالبستهم النظيفة ، والطالبات يرتدين الدرسي الموحد المصمم بالنسبة لكل مدرسة، أما الشوارع فنظيفة ومبلطة ، ولو أن بعض الشوارع التي حول منطقة الآثار والمقبرة الجمعرية ما زالت ترابية . وكانت امارات الصحة والنشاط تبدو على الوجوه . وقدر لنا أن نلقي نظرة على بعض بيوت الحي واغلبها مفتوحة الأبواب ، فكانت هي الأخرى نظيفة، وفي بعضها ساحات مكشوفة لسمح لأشعة الشمس بالتسلل داخل حجراتها وتسترعي النظافة والترتيب وحسن الذوق انتباه الناظر .

تذكرنا في الحال ما كتبه ناصر خسرو العالمية الاسماعيلي الفارسي الأصل عن صور حينما مر بها في طريقه الى الحج قبل تسعة قرون . قال خسرو : « أسواق صور الزاهرة المكتظة بالبضائع والسلع على غاية من النظافة ، وحوانيتها أبنية ذات خمس أو ست طبقات . أما سكان صور فاكثرهم من الشيعة ، والمدينة مجهزة بالماء الذي يصلها من الجبال في قناة مرتفعة » .

أما اليوم فلا توجد سوى عمارة واحدة حديثة من ست طبقات وهي افخم عمارة في المدينة ، بها مصاعد كهربائية ومياه باردة وساخنة ، واجهزة هاتف في كل شقة منها .

كذلك تحدث عن نظافة صور الرحالة الأندلسي ابن جبير الذي مر بها في سنة ١١٨٤ قائلا : « وجدت صور عظيمة في تحصيناتها التي يضرب بها المثل ، ووجدت أن أسواقها أحسن نظافة من أسواق عكا » .

المشاريع العمرانية

وميزانية بلدية صور ، التي تعتني من بين ما تعتني به ، بشؤون النظافة ، تقرب من نصف مليون ليرة لبنانية للسنة المالية ١٩٦٣/١٩٦٢ . وتنوي البلدية تعبيد جميع الطرقات الداخلية ، وعمل أرصفة للشوارع وبناء دار جديدة مقرا لها. ومن مشاريع البلدية أيضا توسيع الشارع القديم في المدينة وعمل كورنيش يربط المدينة من جهتها الجنوبية بطريق « صور ـ الناقورة » على حدود لبنان ـ فلسطين . وكذلك فتح ثلاثة شوارع في الأحياء القديمة . وتدرس الحكومة امكانية بناء مساكن شعبية في منطقة حي البص ، وانشاء ملاعب رياضية ، وبناء فندق في منطقة الآثار .

ولصور مجلس بلدي مؤلف من ١٤ عضوا من أهل المدينة ينتخبهم ناخبو المدينة عامة وليس على نظام الأحياء كما هو الحال في مجالس الاختيارية .

ومدينة صور هي مركز « القضاء » الذي يسمى باسمها .. أي « قضاء » صور الذي يضم ٦٥ قرية يقطنها ٨٠ الفا من أهل البلاد الأصليين و٢٠ الفا من النازحين الفلسطينيين . ورجل الادارة الأول في القضاء يعرف بالقائم مقام .

الازدهار الاقتصادي والمقتربون

لفت نظرنا بشكل واضح وجود كثرة بصورة في مدينة صور معظمها انشيء حديثا .. وكان لابد لنا من الاستفسار عن هذه الظاهرة لأن وجود مثل هذه الكثرة دليل على وجود مبالغ كبيرة من النقود المتداولة ، وهذا بدوره يدل على الرخاء والانتعاش . وجرتنا هذه الظاهرة الى ظاهرة أخرى. كنا في جلسة بمنزل السيد ميشيل صابونجي من أعيان صور ضمت لفيفا من السيدات والرجال ،



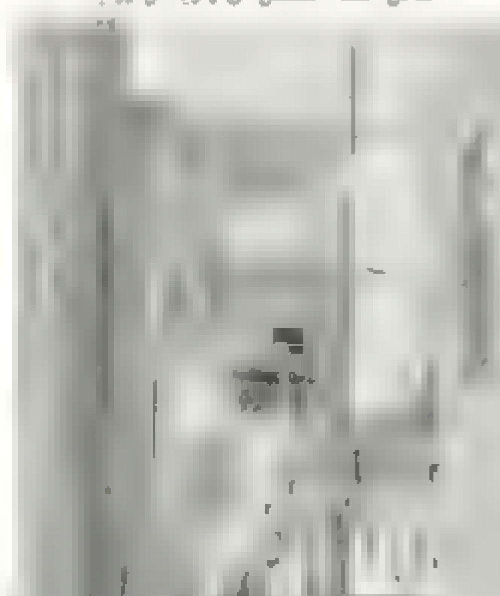


واكدوا كلهم انه لا يوجد بيت في صور الا وله مغترب واحد او اكثر من افراده .. وهذا المغترب اما ان يكون ابا او اخا او ابنا او زوجا . ولقد انتشر ابناء صور في القارتين الامريكيتين وفي افريقيا وامارات الخليج العربي . ولا عجب فقد عرفت موجات هجرة اجدادهم قبل عشرين قرنا على الامبراطورية الرومانية اذ وجدت جالية صورية كبيرة ولمتية جدا في مدينة بوزولي قرب روما وفي مدينة اوستيا على مصب نهر التيبر . وتزاحم التجار والجنود .. والموسيقيون واصحاب الخانات والباعة المتجولون من صور وغيرها الى المدن الاوروبية حتى قال الكاتب الروماني جوفينال (١٤٠ م) : « ان نهر العاصي السوري يصب مياهه في نهر التيبر منذ امد بعيد ، جالبا اليه معه لغته وعاداته والآلة الموسيقية : الناي والقيثارة ذات الاوتار » .

من مغتربي صور من طالت غربته وزادت على نصف قرن ، ومنهم من لم يعد اطلاقا الى بلده ، ومنهم من اغترب قبل ايام او هو سيغترب بعد ايام او اسابيع .

ومنهم من صادفه التوفيق والحظ ، ومنهم من خاب سعيه ولم يحصل الفرص من اغترابه .

احد الازقة في صور القديمة ويلاحظ انه يتيح تدخل اشعة الشمس كل زاوية من زواياه



والمغتربون الذين اصابوا ثراء كبيرا عادوا واشتروا مساحات شاسعة من الاراضي ، وحولوها الى مزارع وبساتين اختصت بزراعة الحمضيات ، فبعضهم يزرع ارضه برتقالا وينجح .. فيقلده الآخرون ويحققون علوه .. وهذا ما حصل قبل ثماني سنوات في اجزاء اخرى من لبنان حيث انتشرت زراعة التفاح بمثل هذا السبب ، ولهذا من الصعب وجود اسواق لتصريفه .

والحنين الى الوطن ملتصق بالمغترب التصاق الروح بالجسد . وفي مقهى ابي صالح عند اطراف صور الى جهة الشمال ، طالعتنا قطعة زجاجية معلقة داخل اطار على احد جدران المقهى من الداخل نقلنها :

يا مهاجر وبشتاقلك
الوف كيلو مترات ما بيني وبينك
ارجع للوطن وانظر عمران الجنوب
حتى ترى ما سمعته بأذنيك

الى ان يقول :

وسهلي من عوينه ليمون بساتينها المشهورة
سلوق ضمها وبرداع تلكهما المطيرة
وبصور القديمة بتشوف الزهرا المطيعة
قصور وتماثيل عالي من الازال مطمورة

والى جانب زراعة الحمضيات التي ازدهرت خلال السنوات الست الماضية تقوم زراعة الموز والتبغ وهي تشكل المورد الاول لصور وضواحيها . والفضل كل الفضل يعود الى مشاريع الري ومنها مشروع رأس العاصية الذي هو جزء من مشروع الليطاني .

والنتيجة الحتمية لهذا الازدهار ارتفاع اثمان الاراضي الزراعية بشكل خيالي ، فقد ارتفع ثمن الدونم (١٠٠٠ متر مربع) من ٧٥ ليرة لبنانية الى ١٠٠٠ ليرة . والجنيه الاسترليني يساوي نحو $8\frac{1}{2}$ ليرات .

وهناك فريق آخر من المغتربين ثقته في تقدم المدينة ومستقبلها يزعزعها الشك وتشغلها الريبة ، ولهذا فهم يحجمون عن استثمار رؤوس اموالهم في الزراعة او الصناعة او التجارة او التعمير .. بل هم يودعونها في البنوك لقاء فوائد مضمونة رغم ضآلتها .. وبهذه الطريقة تتجمد الاموال ولا تعود على البلد بالخير المرتجى منها .

وتقدر قيمة المحاصيل الزراعية ما بين ١٠ ـ ١٥ مليون ليرة لبنانية سنويا لا تستهلك صور منها الا



سبة ضئيلة اما الباقي ، فيشحن الى بيروت او يصدر الى الاقطار العربية وبلدان اوروبا .

معلومات عامة عن صور

والناظر الى صور يلاحظ كثرة عدد المقاهي وهي تزيد على ١٥ مقهى وفيها من دور السينما ٤ ، واحدة قديمة وثلاث جدد .

وفي صور مستشفى حكومي واحد به ٤٠ سريرا كما يوجد فيها مستشفى آخر اسسته الهيئة العربية العليا سنة ١٩٤٨ .

ولا يزيد عدد الاطباء والمحامين والمهندسين والصيادلة على عدد اصابع اليد الواحدة لكل مهنة من هذه المهن .

وتشرب صور من نفس مورد الماء الذي كانت تستقي منه قبل الاف السنين وهو رأس العين .. وهو نبع يقع على مسافة ٧ كيلومترات جنوبي صور ، ويبقى منسوب الماء فيه ثابتا لا ينقص . اما الطاقة الكهربائية التي تستخدم في الانارة فتستمد من بيروت .

وفي صور نهضة تعليمية

وفي صور في هذه الايام نهضة علمية تسهم فيها الحكومة بمدارسها الاميرية والطوائف بمدارسها الاهلية الخاصة . فللحكومة مدرسة ثانوية وأخرى متوسطة للبنين ومدرسة ابتدائية للبنات .

اما المدارس الاهلية الخاصة فهي الكلية الجعفرية وهي ثانوية كاملة ، ومدرسة البنات الاعدادية التابعة للكلية الجعفرية، وهناك مدرسة النجاح للبنين والنجاح للبنات وهما متوسطتان ، ويوجد كذلك مدرسة الاتحاد الثانوية وهي للبنين والبنات . ومدرسة راهبات القديس يوسف .. الى غير ذلك من مدارس طائفية للبنين او البنات او مختلطة تضم الجنسين

الجمعيات الخيرية والمؤسسات

يوجد في صور عدد من الجمعيات الخيرية والأدبية منها :

جمعية البر والاحسان ولها نشاط كبير في الحقل الاجتماعي وتقوم الآن باعداد لايواء الايتام والعجزة وتعليم بعض الحرف اليدوية وقد عملت هذه الجمعية على القضاء على التسول وذلك بأن اجرت احصاء شاملا للمعوزين وقدمت لهم المعونة اللازمة .

ومنها جمعية تجار صور وتضم تجارا يهدفون الى النهوض بالتجارة وتقدم المدينة وازدهارها اقتصاديا ، وجمعية الاتحاد الثقافي والاجتماعي وتهتم بالنهضة الثقافية والفكرية والعلمية في المدينة .



الأرجوان الصوري



وللنساء جمعيتان. كجمعية الشابات المسلمات وغاياتها الاهتمام بالنهضة النسائية وبدور المرأة في المجتمع ، وجمعية الصليب الأحمر وتشرف على مستوصف لمعالجة المرضى الفقراء .

أما عن الأندية الرياضية ، فتوجد منها ثلاثة : نادي التضامن الرياضي ونادي الشعلة ، ونادي العيلة ، وهي ذات مستوى رياضي رفيع .

ومن الشخصيات التي تفخر بها صور آية الله الإمام المجتهد السيد عبد الحسين شرف الدين الذي أنتج بضعة عشر سفرا في الإمامة والفقه والحديث والكلام وكان مرجعا للفتوى والقضاء . وتوفي في الأيام الأخيرة من عام ١٩٥٧ عن عمر يناهز التسعين عاما ، ودفن في النجف الأشرف .

كذلك المطران شكر الله خوري – مطران الطائفة المارونية – الذي توفي قبل خمسين عاما وقد أنشأ مطرانية من جيبه الخاص .

صور قبل الإسلام وبعده

دخلنا منطقة الآثار وهي رقعة واسعة من الأرض يحيط بها سور مرتفع . دخلنا تلك المنطقة وفي مخيلتنا لمحات من تاريخ المدينة العريقة . لقد خضعت للمصريين في الفترة من ١٦٠٠ – ٩٢٨ ق.م ولهذا سمي ميناؤها الجنوبي بالميناء المصري . ولما أصبحت مدن الساحل اللبناني دولا مستقلة كانت صور إحدى هذه المدن ما بين ٩٢٨ و ٧٨٦ ق.م. وبعدها خضعت للآشوريين ٢٧٠ سنة ومن بعدهم للبابليين من سنة ٦٠٥-٥٣٨ قبل الميلاد . وحكمها الفرس قرنين من الزمن . وقد حاصرها شلمناصر خمس سنوات وتوفي وهو يحاصرها ، كما دمرها آشور بانيبال وحاصرها نبوخذ نصر برا وبحرا ثلاث عشرة سنة . وفي كل مرة أصيبت فيها بكارثة كانت تمسح جروحها .. وبمجرد أن تندمل تلك الجروح تعود صور الى النمو والازدهار كسابق عهدها بسرعة مدهشة .

وظلت صور تحت حكم اليونان بعد أن دمرها الإسكندر المقدوني وبعدهم حكمها الرومان وأهداها انطونيو هدية الى كليوباترا .

ثم افتتح المسلمون صور عام ٦٣٦ ميلادية على يد معاوية وأخيه يزيد أيام خلافة عمر بن الخطاب، وجعلها هشام بن عبد الملك قاعدة بحرية .

وظلت في حكم المسلمين الى أن استولى عليها الصليبيون سنة ١١٢٤ ولكن العرب عادوا فاستردوها منهم في سنة ١٢٩١ .

ما خلفته الأمم في صور من آثار

والذي لا شك فيه أنه كان لكل من هذه الأمم الغالبة حضارتها وثقافتها وفنها ، وقد تركت في صور شيئا من آثار ذلك .

وفي المنطقة الأثرية نشاهد الفوروم الروماني والشوارع المبلطة بالفسيفساء ومدارج هيكل روماني وتوابيت يونانية وتماثيل وأواني خزفية . وقابلنا عند مدخل المنطقة الأثرية رجلا يحمل صندوقا رصت فيه الأواني الخزفية الصغيرة وقطع النقود المعدنية القديمة وهو يعرضها علينا بأسعار بخسة . وعملية البيع هذه ليست رسمية ولا ندري كيف وصلت تلك الأشياء الى أيدي الباعة الجوالين .

وسمعنا من يقول أن مديرية الآثار تفكر في استملاك مدينة صور كلها لتجعلها منطقة أثرية سياحية لأن المدينة الحالية تقوم على أنقاض مدن تتابع بناؤها ، أحدثها فوق أنقاض التي سبقتها . والفكرة ، إن صحت ، صائبة إذا أمكن تنفيذها ونقل سكان مدينة بكاملها الى موقع جديد قريب .. فتحل عليهم بركة سلامهم من سكانها على مر العصور .. عن طريق السياحة وما تدره هذه الصناعة من فوائد .

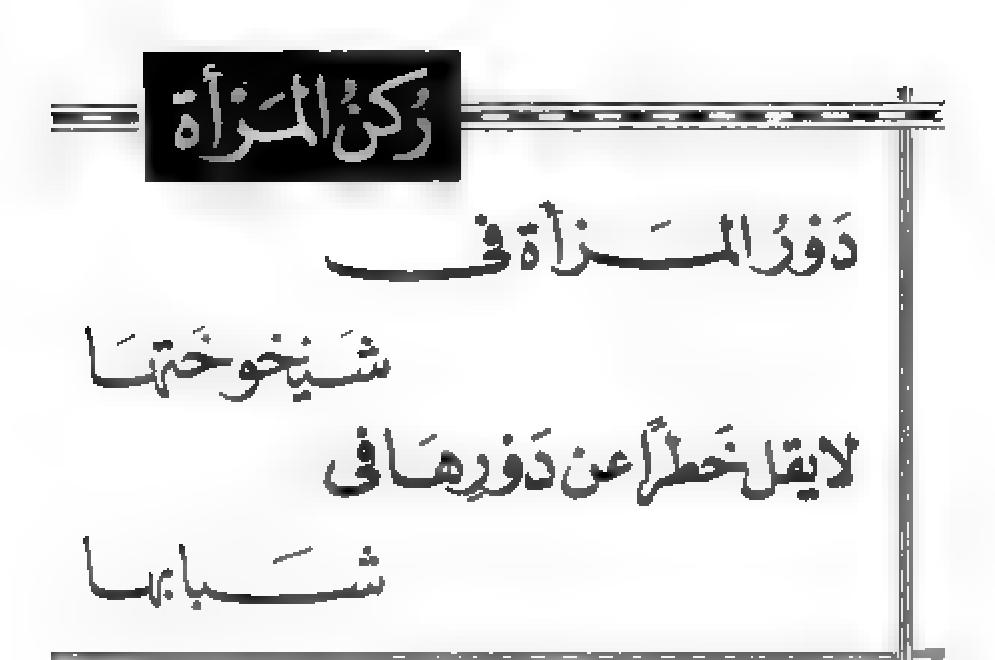
الفن الشعبي

وبينما نحن نتنقل بين الآثار بطرب ولهفة رأينا مجموعتين من الفتيات الصوريات أحداهما مكونة من شابات في شرخ الصبا ، وثانيتهما من فتيات صغار في أعمار الزهور . فقد لفت انتباهنا تعدد ألوان الفساتين الزاهية وعرفنا أنهن أفراد فرقة صور الشعبية يتدربن على الرقص الشعبي تحت إشراف المدربة ليشاركن في احتفالات صيدا خلال مهرجان الربيع .

والفن الشعبي من رقص وغناء منتشر في لبنان في مدنه وقراه في جباله وسهوله .. ألا تسمع في كل مكان أغاني فيروز ووديع الصافي وترى صورا مصغرة لفرقة الأنوار وفرقة مهرجانات بعلبك الدولية .

ولا غرابة في ذلك فالفنون الشعبية تنبع من صميم المجتمع وطبيعة البلد .. وهنا في لبنان يتزاوج البحر الحالم والتربة الخصبة التي تنمو فيها هذه الفنون وتترعرع . ■

سليم بسيسو



● قالت الزوجة الشابة وهي تتنهد : « الشباب ! .. لقد مللته ، إنه مرحلة حافلة بالمسئوليات والمتاعب .. لن يصدقني أحد إذا قلت إنني أستعجل الشيخوخة ! » .

وقالت صديقتها التي تجتاز أواسط العمر : « ما هذا المنطق العجيب يا أختاه ! »

فعادت الزوجة الشابة تقول : « أتمنى أن أكون قد فرغت من المسئوليات والمطالب التي يفرضها شاغل زوجي وانهماكه في أعماله ، إذ تكون الشيخوخة قد حدت من هذا الانهماك وذلك النشاط .. وأكون قد فرغت من مسئوليات أولادي ، إذ يصبحون كبارا قادرين على رعاية أنفسهم .. فأخلد إلى راحة الجسم وراحة البال » .

وكنت أنصت إلى الحديث ، فقد كنا في جلسة عائلية ..

ووجدتني أضحك .. فالتفتت الزوجة الشابة نحوي ، وقالت : « تضحك ! .. إن الرجل لا يكاد يدرك مدى ما تلقاه زوجته من عناء »

وقلت في تلطف : « معاذ الله أن ينكر رجل فضل المرأة ، أيا كانت أو زوجة .. فهي أفضل نعمة أنعم الله بها على الرجل .. إنما يضحكني أن تظني أن مهمتك تنتهي بكبر أولادك وشيخوخة زوجك ... »

وصاحت : « ... أسطورة مزعومة ! » .

فقلت : « بل فضل مزعوم ... فضل مزدوج أنعم الله به على المرأة ، إذ جعلها النصف اللطيف الذي يرعى الرجل ويعنى به في كل أطوار حياته ... إنها رعاية تشغل بها المرأة طيلة عمرها ، فلا يستبد بها السأم ، أو يسلمها الشعور بأنها لم تعد ذات نفع أو ذات دور هام في الحياة » .

وبلهجة التساؤل المأثورة في « كليلة ودمنة » هتفت : « وكيف كان ذلك ؟ » .

ولم أجب بالرد المأثور : « زعموا أن ... » فإن ما رحت أحدثها به لم يكن زعما ، وإنما هو مجموعة من الحقائق ...

الرجل في الشيخوخة يحتاج الرعاية

فالواقع أن دور المرأة في شيخوخة

الزوج قد لا يقل من دورها الذى تقوم به فى شبابه وشبابها ..

ذلك لأن الرجل – واعنى بذلك الرجل القوي الشخصية – يجتاز فى شيخوخته مرحلة حافلة باضطرابات نفسية لا قبل له بدفعها .. فهو اولا يشعر بأن سني العمر تجري ، وأن عوامل الضعف تتغلب عليه ، لذلك تدفعه غريزة « حب البقاء » الى ان يدفع عنه نهاية العمر ، ظنا منه – دون أن يفطن – أن هذا بوسعه ... وهو يسرف فى تمرده على عوامل الضعف ، ليوهم نفسه – على الاقل – بأنه لا يزال قويا .. وينسى أن للعوامل الطبيعية التى تتحكم فى جسم الانسان سلطانا فوق كل ارادة .. وان ما يبذله من جهد ليهزم الضعف انما يزيد من ارهاق ذهنه ، ويحمل اعضاء جسمه واجهزته فوق ما تطيق ..

ومن ناحية اخرى ، يشعر الرجل ذو الأهداف فى الحياة بأن العمر يولى وهو بعد لم يحقق كل اهدافه .. وكلما حقق هدفا ، اضافت الرغبة والطموح اهدافا جديدة دون ان يفطن .. وبقوة دفع الرغبة فى تحقيق هذه الأهداف يضاعف من جهوده ومن اجهاده ، غير حافل بما يشكل قواه الذهنية والعضلية من انهاك .

من هنا كانت رعاية المرأة من اهم المستلزمات للرجل فى شيخوخته .. وهو – فى هذه السن – اشد احتياجا للمرأة التى شاركته الشطر الاكبر من حياته ، منه الى اية امرأة اخرى ، اذ انها تكون قد درست شخصيته وعرفت طباعه وعاداته .. وبذلك تكون اقدر الناس على ان تسوسه وتروض العناد الذى يتملكه ، وصعوبة الراس والتصلب فى الرأى ، اللذين يكتسبهما فى كبر سنه ، نتيجة العوامل النفسية التى اسلفناها ، ونتيجة شعوره بأن له من المعرفة والخبرة بالحياة والتجربة ما يجعله اقدر على تكييف اموره بنفسه .. وبأنه – فى هذه السن – يجب أن يملى رغباته وارادته ، لا أن ينساق لما يعرضه عليه غيره ..

كيف تروض الزوجة زوجها ؟

والمرأة الحاذقة هى التى تعرف كيف تروض زوجها ، وتوجهه الى ان يراعى القواعد الصحية التى يتطلبها عمره .. فهو يحتاج فى هذه السن الى غذاء متوازن التكوين .. فضلا اسراف فى الدهون والدسم لأن معدته وجهازه الهضمى لا يعودان فى مثل نشاطهما وطاقتهما السابقين .. ولأن المواد الدهنية تساعد على مضاعفة تعرضه لتصلب الشرايين .. كما انها – والمواد السكرية – تساعد على السمنة ، وهو يحتاج الى تجنب ازدياد وزنه حتى يستطيع المشي فى نشاطه دون جهد كبير .. وحتى لا يغريه ثقل وزنه بالتكاسل والاقلال من الحركة .. وهو فى شيخوخته يحتاج الى ساعات نوم كافية.. فى النوم يعطى الجسم فرصة لتجديد الخلايا المستهلكة كما يحتاج الى فترات من الراحة والاسترخاء ، فان هذا يجنب القلب الاجهاد المتواصل لمدد طويلة .. والمواظبة على رياضة المشي – لا سيما فى الهواء الطلق – عظيمة النفع له ، على شريطة الا يسرف فى الحركة حتى يتعب ..

ومن اهم الأمور ، حمل الرجل – فى شيخوخته – على الاقلال من المكيفات .. المباح منها – كالشاي والقهوة والتدخين – وغير المباح ، كالخمور ..

ولكن الاهم من هذا كله ، ان تستطيع الزوجة أن تروض زوجها على هذه الأمور دون أن تثير عناده وتمرده ، ودون ان تسبب له انفعالات قد تكون ابلغ ضررا ..

غيري عاداته ولكن .. دون ان يشعر

ولعل السيدة « كلمنتين » زوجة

الزعيم البريطاني مستر «ونستون تشرشل» ــ التي شاركته حياته ٥٤ سنة ــ خير مثال للزوجة التي نجحت في ترويض زوجها في شيخوخته، برغم ما عرف عن تشرشل من صلابة في الرأي، ومن رفض لأي املاء أو لأية تعليمات تفرض عليه ..

ومن الأمثلة التي تضربها مسز تشرشل لزوجات المسنين، أن زوجها اصر في أول نوفمبر (تشرين الثاني) من العام الأسبق، على حضور حفل العشاء السنوي لمنتدى كان قد أسسه منذ عام ١٩١١ باسم «النادي الآخر Other Club .. هكذا اسمه» ولم يكن تشرشل قد حضر حفلا أو سهر خارج الدار،منذ أصيب بكسر في احدى فقراته اثر انزلاقه قبل ذلك بثلاثة اشهر وبضعة أيام .. فضلا عن انه طعن في السن، وتكالبت عليه العلل .. فهو اليوم قد دخل عامه التسعين .

وكاد الأطباء والمتوفرون على العناية بتشرشل أن يجننوا ازاء اصراره على حضور الحفل . ولكن زوجته قالت لهم: «لا تخافوا عليه .. انما الخوف يكون من محاولتكم حمله على تغيير عاداته .. وان الشيء الوحيد الذي اتمسك به هو أن يأوي لفراشه في منتصف الليل تماما» .

ودعت السيدة اليها رئيس طهاة فندق «سافوي» ــ الذي تقام فيه المادبة السنوية عادة ــ وبحثت معه الأطعمة والمشروبات التي يجوز لزوجها أن يتناولها بصفة استثنائية، دون أن يتعرض لأية متاعب .. وهكذا اتاحت لزوجها برغم سنه ومرضه أن يمارس عادة أصبحت من التقاليد التي يحرص عليها ويجد فيها متعة وبهجة .. حتى اذا كانت الساعة الحادية عشرة والنصف

أرسلت خطة تذكرة مهمة الى مستر مكميلان ــ رئيس الوزراء السابق واحد اعضاء المنتدى ــ بان هي الا بضع دقائق حتى نهض مستر مكميلان واقترح أن يشربوا نخب الملكة .. وكانت هذه اشارة الى انتهاء الحفل .

اللباقة هي السلاح الاوحد

من هذا ترين يا سيدتي مدى لباقة مسز تشرشل في حمل زوجها على مراعاة ما يناسب صحته في شيخوخته، دون أن تشعره بان ثمة قيودا مفروضة عليه .

ولقد كانت اكثر لباقة في رعايته عقب حادث الانزلاق الذي ادى الى اصابة احدى فقراته .. فقد حرصت على الا يشعر بما الم به من عجز عن التنقل في البيت، فبذلت كل احتياط وتصميمات ارض الحجرات، لتجعلها مستوية سهلة فلا يتكبد في حركته عليها عناء .. وتحت ستار تجديد البيت ادخلت مصعدا انيقا مريحا يتجنب زوجها صعود الدرجات .. ولما كانت تعرف شغفه بالماء، حتى انه يقضي في حوض الحمام فترتين طويلتين في النهار، فقد أبدلت الحوض القديم بآخر لايحتاج تشرشل الى رفع قدميه عاليا لبدخله .. كما تسبب في حساب الحمام مقابض نحاسية انيقة، زعمت انها من قبيل الزينة، وهي تقصد أن يستعين بها في نهوضه وجلوسه ..

وبعد .. ارأيت يا سيدتي أن المرأة المخلصة لذاتها ولرسالتها كامرأة في الحياة، لا تخلد الى الراحة في كبرها، وانما تجد من الواجبات ما يدفع عنها سأم البطالة والشعور بانها لم تعد ذات نفع ؟

(يقر)

طرائف عربية

طفلي عند محدث

● [illegible]

[illegible]

ام المؤمنين عن النبي انه كان يحب

[illegible]

الصلاة والسلام : اذا وضع العشاء

وحضرت الصلاة فابدأوا بالعشاء ،

وقول عائشة : ليس من البر الصوم

في السفر .

احذر رجل السوء

● قال الاصمعي سمعت اعرابيا يعظ رجلا وهو يقول : ويحك ان فلانا وان ضحك اليك ، فانه يضحك منك ، ولئن اظهر الشفقة عليك ، فان عقاربه لتسري اليك ، فان لم تتخذه عدوا في علانيتك ، فلا تجعله صديقا في سريرتك .

كلام الاعراب

● [illegible]

[illegible]

الود المستقيم من الفؤاد السقيم .

[illegible]

الرأي ابوابا منسدة .

قصص تروى عن مغفلين

كان جامع بن وهب الصيدلاني من اعظم الناس غفلة ، اشترى مرة ثلجا كثيرا ، فقيل له : انه كثير ، فقال : اريد ان امصه وارمي بثفله .

لكل سؤال جواب

● [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

حكم

● [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

قال لا . قال فاقلل مما تعرف .

✱ [illegible] «جامع الصيدلاني»

في الشر ، فقال لها :

اللهم آمين

● قال [illegible]

اللهم لا تحرمني خير ما عندك [illegible]

[illegible]

نفس ابية

قال معن بن اوس الهذلى :

لعمرك ما أدرى وإنى لأوجلُ / على أينا تأتى المنيةُ أول
وإنى أخوك الدائمُ الودّ لم أحُل / إذا نابَ خطبٌ أو نبا بك منزل
وإن سؤتنى يوما صبرت إلى غد / ليُعقب يومٌ آخرٌ منك مُقبلُ
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته / على طرف الهجران إن كان يعقل
ويركبُ حد السيف من أن تضيمه / إذا لم يكن عن شفرة السيف مزحل
وكنتُ إذا ما صاحبٌ رام ظنتى / وبدّل سوءا بالذى كان يفعل
قلبتُ له ظهر المجنّ ولم أدم / على العهد إلا ريثما يتحوّل
إذا انصرفت نفسى عن الشئ لم تكد / إليه بوجه آخر الدهر تُقبل

الجمل الصغير يدعو على الاخشيد

● [illegible] على حماره ، فرأى الناس محتشدين لرؤية موكب الاخشيد فتوسط الجموع وصاح :

ـ ما هذه الاشباح الواقفه ، والتماثيل العاكفه ، سلطت عليها قاصفة ، يوم ترجف الراجفه تتبعها الرادفه .

فقال له رجل : انه الاخشيد يمر [illegible]

[illegible]

[illegible] ولا حاجبان ، ولا نابع ولا ناسان ! لا قبل الله له صلاة ، ولا قرب له زكاة .

[illegible]

بافيـــة

[illegible]

* قعد احد المعلمين ليكسر لوزه فزلقت من تحت الحجر فقال :

ـ كل شيء يفر من الموت حتى البهائم !

* كتب بعضهم الى صديق له : بسم الله الرحمن الرحيم وجعلني الله فداءك ، لولا علة ميتها لسرت اليك حتى اعرفك بنفسي والسلام .



عقدتان تتحكمان في رئيس الوزراء

من جريدة «الصنداي تلغراف».

● سير الك دوجلاس، رئيس الوزراء، شجاع، نبيل، ودود، ولكن هذه الصفات لا تبدو للمواطنين، وتبدو لهم منه وجهه الآخر.

فهو يبدو لهم غير محب لمجلس العموم، شاكا فيه، وهذه عقدة سير اليك الأولى.

وهو يعرف ويكره كل ما يحاط به رئيس الوزراء من تعظيم وتبجيل هو حق طبيعي له، وإن لم يكن يبذل في سبيل ذلك ما يستحق من أجله التعظيم والتبجيل. وهذه عقدته الثانية.

بعد كان ينتظر من رئيس الوزراء أن يسعى لإثبات أهليته بالاتصال بمئات المواطنين، وشرح سياسته، ولكنه بدلا من هذا اكتفى بالاحتجاب عن الأعين إلا إذا اضطر للظهور. ولا نغالي إذا قلنا إن جولات الرئيس جونسون، على حداثة عهده في الحكم، قد فاقت جولات سير الك بكثير.

إن المعارضين، قبل المؤيدين، يعتقدون أن رئيس الوزراء لو تغلب على هاتين العقدتين، لكان رئيسا ناجحا، ولكن هل يستطيع؟

بريطانيا والسوق الأوروبية المشتركة

من جريدة «الصنداي اكسبريس»:

● كان الاعتقاد السائد بين فئة من الخبراء منذ أن انضمام بريطانيا للسوق الأوروبية المشتركة، ضرورة لا بد منها. وحجتهم في ذلك أن عدم انضمام بريطانيا للسوق الأوروبية سيعني في المستقبل عزلتها عن أوروبا، وهبوط صادراتها عموما وخاصة إلى أوروبا، وارتفاع نسبة العاطلين عن العمل.

ولقد هز الخبير الثقة، والسياسي المحايد، لورد جلادوين Gladwyn، رأسه، وقال بكل ثقة: «إننا إذا لم ننضم إلى السوق الأوروبية المشتركة، فستحل بنا الكارثة، وسنصبح على هامش الأحداث، لأن أمريكا وروسيا ستتفاوضان مع دول السوق الست، دون أن تلتفتا إلينا».

وهذا ما كان يقوله دعاة الانضمام إلى السوق الأوروبية.

فما حقيقة الموقف الآن؟

تقول الإحصائيات إن العاطلين عن العمل قد هبطت نسبتهم هبوطا واضحا، بدلا من الزيادة المنتظرة.

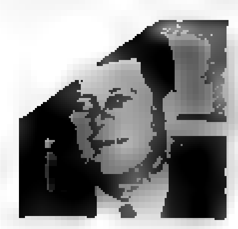
كما زادت صادراتنا، وخاصة إلى أوروبا، بدلا من انخفاضها.

وكان الفضل الأول في توقيع اتفاقية حظر









خروشوف بعد مقتل كندي

من جريدة « واشنطن بوست » .

● اذا كان العالم قد تألم لمقتل الرئيس كندي ، فان مستر خروشوف كان أول المتألمين ، وذلك بسبب اتفاقهم الذي تم مؤخرا . وليس هناك من سبب يدعونا الى أن نشك في أن المستر خروشوف مازال يحمل الرغبة نفسها ، وانه يود أن تقوم تقارب بينه وبين الرئيس جونسون كالذي كان بينه وبين الرئيس الراحل .

فقد عد الرئيس الروسي عدوه للرئيس كندي يوم كان الاعتقاد السائد أن روسيا متفوقة على الولايات المتحدة في ميدان الصواريخ والفضاء ، ويوم كانت الصين بملايينها التي لا تحصى تقف الى جانبه .

ترى هل يغير خروشوف سياسته وقد اصبح اقل قوة بعد انقلاب الصين عليه ؟ لا نظن ذلك . ولكن هذا لا يعني أن خروشوف غير مستعد للتهديد بالقوة اذا دعت الحاجة .

وما نرجوه هو ان يعد الرئيس جونسون يده للرئيس الروسي من اجل خير البشرية والسلم العالمي

الواجب اولا

من مجلة « سبكتيتور » :

● لقد اضيف الى قائمة المفلسين اسم جديد ، هو اسم بريان جونز Brian Jones وبريان جونز هذا ليس من كبار رجال المال ، ولكنه صبي لا يزيد عمره عن ١٦ سنة .

اما كيف اعلن هذا الصبي افلاسه فهو انه اصاب فتاة باضرار عن غير قصد ، فحكمت له المحكمة بتعويض قدره ... جنيه ، يدفعها الصبي . ولكن المحامي ارشد هذا الصبي الى ان يعلن افلاسه وانه لا يستطيع ان يدفع هذا المبلغ من اجرة البالغ اربعة جنيهات في الاسبوع .

هل سمعتم اسوا من هذه النصيحة ؟ وهل رايتم شرا من محام يشجع صبيا على التخلي عن التزاماته ؟ لقد كان باستطاعة الصبي أن يتحمل المسؤولية ويقوم بسداد المبلغ حسب امكانياته ، ولا شك ان هذه الامكانات ستتحسن بعد سنوات قليلة وعندها سيملأ الغبطة والرضى نفس هذا الصبي لانه استطاع ان يفي بهذه الالتزامات .

ان اول درس يجب ان نعلمه للصغار هو ان يقوموا بواجبهم كاملا مهما كان الثمن .

التجارب النووية تعود الى بريطانيا نتيجة لاتصالها المستمر بكل من روسيا واميركا من اجل هذا . هذا هو واقعنا الآن .

فماذا كان سيحدث لو انضممنا الى السوق المشتركة ؟

كنا الآن نقف الى جانب المانيا عدوتنا التقليدية ضد فرنسا حليفتنا التقليدية بسبب الخلاف بينهما حول المنتجات الزراعية .

وكنا الآن اعضاء في مؤسسة على وشك الانهيار التام !

وهذه حقيقة اعترف بها مؤخرا حتى اللورد جلادوين .



الكويت

هل تستقي من:

مياه شط

[illegible]

من خطاب سمو امير الكويت عند افتتاح مجلس الامــــة

فما الذي نعرفه عن «شط العرب»

من اين ينبع ؟ واين مصبه؟ وما مقدار المياه التي تجري فيه ؟

ثم كيف يمكن مد مياهه الى الكويت وما هي الوسائل التي تقترحها وزارة الكهرباء لهذا الغرض ؟

[illegible] لا في الكويت وحدها ، و[illegible] في [illegible] العربي كله من وطنا العربي الكبير .

ان مشروع مد مياه شط العرب من العراق الى الكويت ، يعتبر من المشاريع [illegible] [illegible]



وفي هذا المقال يطالع القارئ تفصيلات أولية لمشروع سفرة « العربي » ... لأول مرة ..

٧٠ مليارا من الأمتار المكعبة يحملها شط العرب !

عند بلدة القورنة، حيث توجد شجرة قديمة يرجع إلى عهد آدم "تسمى ... " يتعادل نهرا دجلة والفرات ، فيتجهان ... نحو الجنوب في مجرى ... الى الخليج العربي .

وهذا المجرى الموحد للنهرين يبلغ طوله ١٨٠ كيلو مترا ، ويطلقون عليه بمعظمه « نهر شط العرب » ... وأهم ظاهرة فيه هي تأثره بعمليتي المد والجزر بالخليج العربي الذي يصب فيه مياهه.

ويبلغ تصريف مياه نهر دجلة ١٤٠٠ متر مكعب من الماء في الثانية أي ٤٤ مليارا من الامتار المكعبة في السنة .

بينما متوسط تصريف نهر الفرات ٨٢٤ مترا مكعبا من الماء في الثانية ، أي ٢٦ مليارا من الأمتار المكعبة في السنة .

أي ٧٠ مليارا من الامتار المكعبة يحملها نهر شط العرب معه سنويا ..

اسطول لنقل الماء !

ظلت الكويت ، حتى عام ١٩٥٢ ، تعتمد اعتمادا كليا على مياه شط العرب، فكان اسطول سفنها العربية القديمة ، من نوع « البوم » ، يتجه في فترات غير منتظمة ــ تعتمد على الحاجة ، والطقس ، والظروف السياسية ــ الى شط العرب ليعود ، داخل البراميل الخشبية ، مياها عذبة غير معقمة تحتاج الى غليها ، لتطهيرها من الميكروبات قبل استعمالها .

ولم يكن مجموع ما تحمله هذه السفن يتعدى السبعين أو الثمانين الف جالون من الماء في اليوم الواحد .

٧ ملايين جالون تشربها الكويت يوميا

وفي بداية عام ١٩٥٣ توقف اسطول نقل الماء عن العمل اذ صار للماء العذب في الكويت مصادر ٣ مصادر :

١ ــ بدأت المقطرات الحديثة (١) في تقطير ماء الخليج المالح .

٢ ــ ثم أوصلت الانابيب لنقل مياه منطقة الروضتين (٢) الى العاصمة .

٣ ــ وأخيرا بدأ استعمال الكهرباء لعزل الأملاح عن المياه الجوفية المالحة (٣) .



١ ــ ٢ ــ ٣ راجع أعداد « العربي » رقم ٥٩،٤٨، ٥٧ لزيادة التفاصيل عن هذه المشاريع .

وهكذا أصبح لدى الكويت حوالي ١١ مليون جالون من الماء العذب يوميا ..

والى جانب هذا يجري العمل بهمة لانهاء مشاريع المياه في كل من « أم العيش » ، والشويخ ، والشعيبة ، التي ستضيف نحو سبعة ملايين جالون من الماء العذب الى الاحدعشر مليونا السابقة.

هنا تقتير .. وهناك تبذير !

تعب .. وعرق .. ومجهودات جبارة ومصاريف باهظة تبذل للحصول على كل قطرة من الماء العذب .. بينما على مسيرة كذا ميلا ، تندفع مياه شط العرب العذبة في محاولة جنونية لتغطية مياه الخليج المالحة ، فتلقي فيه يوميا أكثر من عشرة ملايين متر مكعب تضيع هباء ، اذ تظل مياه هذا الخليج على ملوحتها لا تتأثر أو تتغير .. بينما الأرض المجاورة ، الكويت ، وفيها تربة واسعة تصلح للزراعة ، تصرخ وتستنجد تطلب الماء .

عودة الروح

وفي مطلع عام ١٩٥٤ بدأت الكويت بضع الدراسات لجلب هذه المياه الطبيعية العذبة الى اراضيها ، فقام المستشارون العالميون بوضع التقارير والدراسات المفصلة عن كل ما يتطلبه هذا المشروع.

وبدأت مناقشة هذه التقارير ، وتعاقبت الأيام ، وظهرت متاعب عديدة في الأفق ، فمرت السنون ، ومرت معها الأزمات المفتعلة التي اختلقها عبدالكريم قاسم بين العراق والكويت ... وعاد الحديث يدور من جديد لجلب مياه شط العرب الى الكويت . وبدأت الصحف تنشر العناوين العريضة بذكر الناس بأمر هذه المياه ، التي كادت عوامل الزمان تنسج عليها خيوط النسيان ..

الفرق بين الأمس واليوم

واخرجت الملفات والتقارير ، وأزاح عنها الغبار ليبدأ المختصون دراستها من جديد .. وسرعان ما ظهر قدمها وعدم مطابقتها لحالة البلاد الحاليه ..

فالمنطقة الشمالية من الكويت كانت ـ ساعة وضع هذه التقارير ـ منطقة صحراوية جرداء .. أما اليوم فقد ظهر فيها الماء والنفط ومعه الغاز الثمين وشق فيها طريق بديع .. وأصبحت فيها مساكن للموظفين .

امور كثيرة تبدلت لصالح المشروع .. فالتقارير الأولى كانت تشير مثلا الى ضرورة توصيل الغاز من حقل الريث ، حقل البرقان الذي يبعد ٢٢٠ كيلو مترا الى مناطق مد الانابيب ليستخدم في محطات ضخ المياه .. اما اليوم فالغاز اصبح على بعد كيلومترات

والطريق الجديد سيسهل عملية النقل المختلفة ويجعلها أسرع .. والخزان الأرضي الكبير ومحطة الضخ والأنابيب التي اقيمت لضخ مياه الروضتين الى العاصمة ، سيمكن استعمالها لخزن وتوصيل قسم كبير من الماء المستخرج جلبها من شط العرب ..

ضمان داخلي يعتمد عليه

ان التقرير القديم وضع في وقت لم يكن لدى الكويت فيه أي كمية تذكر من المياه العذبة داخل أراضيها . الأمر الذي كان سيعرضها لأعظم المخاطر في حالة انقطاع المياه لأي سبب كان . أما الآن فلدى الكويت محطات جبارة للتقطير . ولديها مياه الروضتين ، التي تؤمن حدا ادنى يمكن اللجوء اليه في حالة وقوع أي اضطراب في الخط .. أي ان الكويت اصبح لديها ضمان داخلي كبير يمكنها الاعتماد عليه ..





جلب مياه شط العرب
يوفر للكويت ملايين الجنيهات

ان معمل التقطير يقوم بتقطير مياه الخليج العربي المالحة ليحولها الى مياه عذبة .. وتبلغ تكاليف تقطير الالف جالون (٤,٥ من الامتار المكعبة) اكثر من ثلاثمائة فلس او مليم . ومياه الروضتين وام العيش تكلف حوالي ١٥٠ فلسا لكل الف جالون .

بينما يقدرون ثمن الالف جالون التي سيحملها مشروع شط العرب .. باقل من ٩٠ فلسا .

اي ان التكاليف ستنخفض الى اقل من الثلث !!

لغة الارقام

وتشير التقديرات الى ان الكويت تستهلك حاليا سبعة ملايين جالون من الماء العذب يوميا (المتر المكعب ٢٢٢ جالونا) .. واذا استمر ازدياد السكان وامتداد العمران على نفس النمط ، فان حاجة البلاد ستصل الى ٤٠ مليون جالون من الماء يوميا بعد عشر سنوات .. وبعض الاحصاءات تؤكد ان اقصى كمية من الماء العذب يمكن ان يصل اليها انتاج المقطرات القديمة والحديثة ، وآبار الروضتين سيكون ١٨ مليون جالون في اليوم الواحد. وهذا لن يكون قبل منتصف عام ١٩٦٥

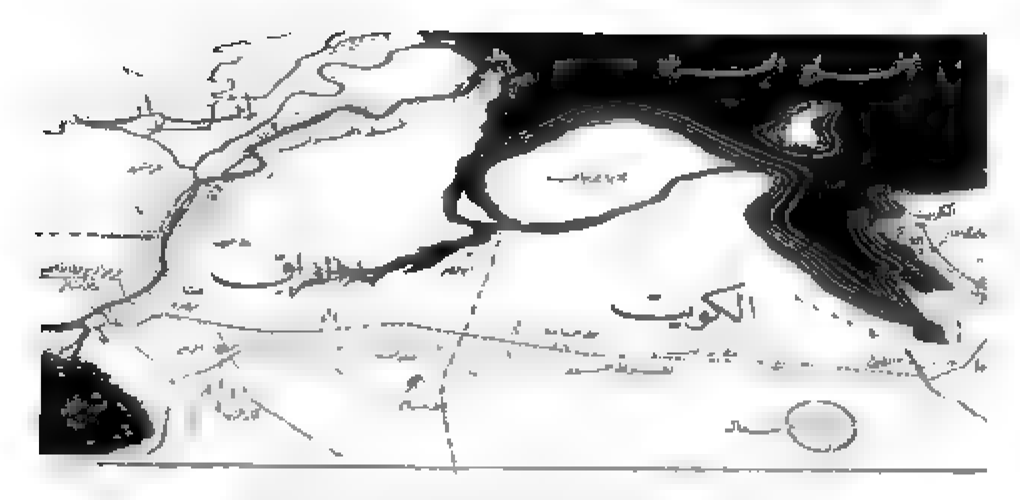
وهنا تبدو حاجة الكويت الماسة الى مصادر جديدة لجلب الماء لتغطية الحاجة خلال العشر السنوات القادمة ومقدارها ٢٢ مليونا من الجالونات .. عدا الحاجة للزراعة .

ارخص المصادر واكبرها

ان زيادة مقطرات الماء ممكنة ، لكنها ليست الطريقة العملية الاقتصادية المثلى ، لانه قد ثبت ان جلب مياه شط العرب هو اكبر ، وارخص ، واسهل مصدر لتأمين حاجة البلاد من الماء العذب، مهما ازداد الطلب واشتد الضغط على الماء ..

٥٪ فقط !

ويقدر الخبراء حاجة الكويت للمياه العذبة ، خلال العشرين او الخمس والعشرين سنة القادمة بنحو ١٠٠ مليون جالون يوميا لمختلف الاغراض، اي بنسبة ٥٪ فقط من كمية المياه التي يصبها شط العرب في الخليج يوميا ، بينما الاستهلاك الحالي للمياه العذبة لا يتعدى السبعة ملايين جالون يوميا .



هكذا تخيل الرسام الطريق الذى سيمر فيه خط الانابيب المقترح مده ، لسحب مياه شط العرب من العراق الى الكويت . وسيكون طول هذه الانابيب نحو ١٨٠ كيلو مترا تتخللها محطات لضخ الماء

لماذا تعتبر الانابيب اكثر ملاءمة من شق قناة

اما عن كيفية نقل هذه الكمية من الماء الى الكويت .. فالراى ان تنقل بالانابيب لعدة اسباب ، اهمها ارتفاع تكاليف حفر القناة وصيانتها، مع تعرض المياه للتبخر الشديد ، بسبب ارتفاع الحرارة فى الصيف ، وكذلك تعرضها للعواصف الرملية التى تهب على المنطقه ..

على مرحلتين

وسيتم مشروع جلب المياه ، عند الموافقة النهائية ، على مرحلتين :

المرحلة الاولى يجلب عندها ٦٠ مليون جالون يوميا ، بواسطة خط انابيب واحد او اثنين ، يساعد مادها على الجريان محطات الضخ والكهرباء اللازمة وغيرها على اساس امكانيه ضخ ضعف الكمية فى المستقبل عند الحاجة .

٤٠ شهرا لانجاز المشروع

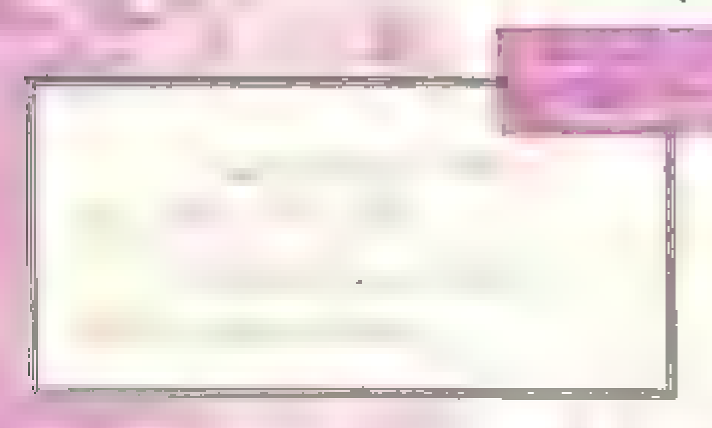
اما عن المدة اللازمة وتكاليف انشاء هذه الخطوط مع محطاتها ، فلا يمكن الاعتماد على الاوقات والتكاليف التى ذكرها التقرير ، لان العوامل التى استجدت على المنطقة ، والتى سبق ذكرها ، تجعل من الضرورى اعادة النظر فى هاتين النقطتين .. ولكنهم يقدرون المدة التى يستغرقها انجاز هذا المشروع نحو ٤٠ شهرا اعتبارا من تاريخ بدء المباشرة بالتنفيذ ..

العقدة تنحل ..

ان مشروع مد مياه شط العرب الذى تقوم مجلس الوزراء الكويتى ومجلس التخطيط بدراسته الآن ، سيخلق كويتا اخرى .. تتحول رمالها الصحراء الى جنات خضراء .. ويفك عقدة المشكله التى ظلت جاثمة على الكويت منذ كانت الكويت !!

"ديك الجن"

عصف به حب "ورد" فأسلمت على يديه وتزوجها
ثم اتهم دابه وبها فقتلها ولم ينخب له دمع بعدها



بقلم : الدكتور
محمد محمود الحسن

■ اسم غريب ، وهو بعض ... حالة بين الشعراء جد غريبة

أما الاسم الحقيقي لهذا الشاعر — الذي تعتبر قصة حياته أشبه بمأساة حقيقية — فهو عبد السلام بن رغبان .

وإذا كانت مأساة عبد السلام فيها بعض الغرابة فإن في حياته كلها جوانب أخرى من الغرابة ... منها

أنه ولد في الشام ، وفي حمص بالذات ، سنة ١٦١ هـ . وعاش نحوا من ٧٥ عاما لم يبرح فيها نواحي الشام ، ولا وفد إلى العراق ، ولا إلى غيره ، ولا قصد بشعره الخلفاء والأمراء والوزراء في بغداد ، ولا تصدى لأحد منهم ، على عادة الشعراء في ذلك الوقت من حياة الدولة العباسية وازدهارها ، إذ كان كل هؤلاء الشعراء يفدون من الأقاليم ومن البادية إلى بغداد ليظفروا بالثراء من طريق الحياة في ظل بلاط الخلافة وقصور وجهاء الدولة وقوادها .

حبس نفسه فحبس شعره معه

وليس من شك في أن إقامة عبد السلام الدائمة



في الشام حرمته من الشهرة كما حرمت شعره من الذيوع والشيوع بين الناس ، أي ان انحصار هذه الإقامة وحبسه نفسه في هذا الاقليم كان سببا مهما في ضيق المجال الذي لعب فيه ذكره وشعره ، وفي قلة الفنون والأغراض التي تناولها هذا الشعر ، كما كان سببا في توفر خصائص معينة وسمات خاصة له في الحس والنفس يمكن ان توصف ـ عامة ـ بالشامية . وعلى الرغم من ان القليل من شعره الذي بين أيدينا يدلنا على ان شعره جيد ، كما ان الرواة ، والنقاد يرون فيما كتبوه عنه انه شاعر مجيد ، فان شعره لم يحظ بالنقد ، ولم يصل الينا منه الا النزر اليسير ، فظل هو وشعره ، كلاهما غريبين في ذلك العصر ، وظلا غريبين في كتب الأدب والتاريخ التي أرخت الشعراء وجمعت شعرهم ، وأغلب الظن انه سيظل غريبا على قراء العربية غير المتخصصين .

شعره اقتصر على فنين : الغزل والرثاء

ومن وجوه الغرابة في حياته وشعره ان هذا الشعر ، كما ذكرنا لم تتعدد له الأغراض ولم تتنوع به طرائق الانشاء ، لأننا نعرف ان معظم شعره اقتصر ـ سوى بعض المدائح ـ على فنين من فنون الشعر هما الغزل والرثاء ، والكثرة للرثاء .

وهذا الرثاء يصور الفاجعة او المأساة في حياة ديك الجن .

ديك الجن يحب جارية

وتبدأ القصة حينما احب جارية نصرانية من اهل حمص ، اسمها وَرْد ، فهويها واشتهر بحبها ، وذاع هواه ايامها بين الناس ، وتمادى به الامر حتى غلب عليه وذهب به . فلما اشتهر بها دعاها الى الاسلام ليتزوج بها ، فاجابته لعلمها بحقيقة رغبته فيها ، واسلمت على يده فتزوجها وهو يقول فيها قبل زواجه بها

انظرْ الى شمس القصور وبدرها
والى خزاماها وبهجة زَهرها
لم تبك عينك ابيضا في اسود
جمع الجمالُ كوجهها في شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها
من ريقها من لا يحيط بخبرها
وتمايلتْ فضحكتُ من أردافها
عجبا ، ولكني بكيت لخصرها

وليس من شك في ان ديك الجن، ابو عبدالسلام، قال شعرا كثيرا في هذه الفتاة التي احبها قبل ان يتزوجها ، وظل متيما بحبه لها ورغبته في الحصول عليها ، حتى استطاع ان يحثها على الاسلام ، ويتزوج بها .

يترك « حمص » الى « سلمية »

وعاش عبد السلام مع محبوبته وَرْد ، زوجين متحابين ترفرف عليهما اجنحة المحبة والسعادة ، ولكن الأمور لم تجر على هواهما ، ولا الريح بما تشتهي سفينهما ، اذ اعسر عبد السلام وساءت الاحوال به واختلت ، فطلب المال من غير حمص ، ورحل الى سلمية ، تاركا زوجته وردا ، ومضى يقصد بعض الوجوه يمدحه ليحصل على ما يفرج كربته من عطاء احمد بن علي الهاشمي . ويبدو ان عبد السلام كان قد اعتاد كلما المت به ضائقة ، ان يترك حمص ويقصد احمد هذا واخاه جعفر فيظفر منهما بالمال ثم يعود الى بلده حمص .

تشيعه وشعوبيته

والظاهر ان مدحه اياهما كان جزءا من تشيعه، لان الصاحب ذكر لنا انه كان يتشيع تشيعا حسنا ، وكان في نفس الوقت شعوبيا شديد العصبية على العرب ، يقول : ما للعرب علينا فضل ، جمعتنا واياهم ولادة ابراهيم صلى الله عليه وسلم ، واسلمنا كما اسلموا ، ومن قتل منهم رجلا منا قتل به ، ولم نجد الله عز وجل فضلهم علينا اذ جمعنا الدين .

ومن المعروف انه كانت في هذا العصر حركة

شعوبية ضد العرب وحكمهم فالشيعة بين الموالي، ومنهم عبد السلام هذا ، كان القصد منها ازالة دولة العرب وسلطانهم ، واقامة حكم غير عربي ، او حكم فارسي على وجه التخصيص . ومن هنا نستطيع ان نفسر وجها من وجوه حياة ديك الجن حين حبس نفسه في بلاد الشام ولم يقصد غيرها من اقاليم الدولة الاسلامية وخاصة العراق حيث كان يقيم الخليفة العباسي ويظهر سلطانه هناك بقوة ووضوح وسلطان الامراء والوجوه من العرب، وحين لم يطلب المال عن طريق مديحهم بشعره . ولا شك ان خوفه الشديد هو الذي فرض عليه هذا الحبس . ومن المعروف ايضا ان التشيع كان احدى الطرائق التي يتستر بها عبد السلام واضرابه من الشعوبيين المتعصبين خوفا من سلطان الخلافة وبطشها بهم وبأمثالهم من ذوي الميول الهدامة في الدولة . ومن الادلة ايضا على تشيع ديك الجن ان له مراثي كثيرة في الحسين ابن علي منها قصيدة كان يناح بها على الحسين.

مؤامرة تحاك حول زوجته ، في غيبته

وسعود الى زوجته ورد بعد ان تركها في حمص، ومضى الى سلمية ، ليحصل على بعض المال من اجل عيشه وعيشها معه ، فتجد انها تلك في بيتها وفية لزوجها المحب الغائب ، حريصة على عرضه ، امينة على شرفها وشرفه ، ولكن مؤامرة كانت تحاك في الخفاء دون علمها أو علم زوجها .

فقد كان لعبد السلام ابن عم يدعى ابا الطيب، وكان بينهما ضغن قديم ، حتى ان عبد السلام كان يهجوه بشعره في بعض الاحيان . وسبب هذا الضغن غير واضح بالنسبة لنا وان كنا نرجح ان ابا الطيب هذا كان يكره من ابن عمه عبد السلام ان يكون عاشقا لجارية نصرانية ثم زوجا لها . ويدلنا على ذلك انه لما ترك عبد السلام زوجته ومضى ، فاقام مدة طويلة في سلمية في كنف احمد ابن علي الهاشمي واخيه جعفر ، استهدف ابو الطيب وردا وجعلها هدفا لشائعات خبيثة تنال من عرضها وشرفها ، ولم يهمه انه بذلك انما ينال من عرض ابن عمه وشرفه ايضا .

يروي ابو الفرج ان ابا الطيب « اذاع على تلك المرأة التي تزوجها عبد السلام انها تهوى غلاما له ، وقرر ذلك عند جماعة من اهل بيته وجيرانه واخوانه، وشاع ذلك الخبر حتى اتى عبدالسلام، فكتب الى احمد بن علي شعرا يستأذنه في الرجوع الى حمص ويعلمه ما بلغه من خبر المرأة من قصيدة اولها :

إن ريب الزمان طال انتكاثه
كم رمتني بحادث أحداثه

يقول فيها :

ظبيٌ ألـي كليـي حمل شحناء
وسوادي سريره وكيانه

جنة أن يحون عهدي وأن
يضحي لغيري حجوله ورعاثه

ومدح احمد بعد هذا . وهي قصيدة طويلة ، فأذن له .

ديك الجن يعود الى حمص

فعاد الى حمص . وقدر ابن عمه وقت قدومه ، فارصد له قوما يعلمونه بموافاته باب حمص ، فلما وافاه خرج اليه مستقبلا ومسفا على تمسكه بهذه المرأة بعد ما شاع ذكرها بالفساد ، واشار عليه بطلاقها ، واعلمه انها قد احدثت في غيبته حادثة لا يجمل به معها المقام عليها.ودس الرجل الذي رماها به ، وقال له : اذا قدم عبد السلام ودخل منزله فقف على بابه كأنك لم تعلم بقدومه، وناد باسم ورد ، فاذا قال من انت ؟ فقل انا فلان . فلما نزل عبد السلام منزله والقى ثيابه سألها عن الخبر ، واغلظ عليها فاجابته جواب من لا يعرف من القصة شيئا .

ديك الجن يقتل زوجته

فبينما هو في ذلك اذ قرع الرجل الباب،فقالت من هذا ؟ قال انا فلان، فقال لها عبد السلام : يا زانية ، زعمت انك لا تعرفين من هذا الامر

شيئا . ثم اخترط سيفه فضربها به حتى قتلها ، وقال في ذلك :

لك نفس مؤاتية والمنايا معادية
أيها القلب لا تعد لهوى البيض ثانية
ليس برق يكون أخلب من برق غانية
خنت سري ولم أخنك فموتي علانية

عندما تكشفت الحقيقة لديك الجن

وبلغ الأمير الخبر ، فطلبه ، فهرب إلى دمشق ، فأقام بها أياما . وكتب أحمد بن علي إلى أمير دمشق أن يؤمنه ويتحمل عليه بإخوانه حتى يستوهبوا جنايته . فقدم حمص ، وبلغه الخبر على حقيقته وصحته ، واستيقنه ، فندم، ومكث شهرا لا يستفيق من البكاء ، ولا يطعم إلا ما يقيم رمقه . وقال في ندمه على قتلها :

يا طلعة طلع الحمام عليها
وجنى لها ثمر الردى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطالما
روى الهوى شفتي من شفتيها
قد بات سيفي في مجال وشاحها
ومدامعي تجري على خديها
ما كان قتليها لأني لم أكن
أبكي إذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها
وأنفت من نظر الحسود إليها

وعلى هذا النحو ظل عبد السلام يذرف الحزن والأسى ، باكيا زوجته ومحبوبته وردا بعد أن تأكد من أنها كانت ضحية وشاية رخيصة ، وأنها كانت خير زوجة تحفظ حق زوجها وتصون كرامته في غيابه عنها . وجعل يردد الشعر الرثاء والبكاء والندم ، بما يفيض من ذوب نفسه حرقة ولوعة وألما :

أشفقت أن يرد الزمان بغدره
أو أبتلى بعد الوصال بهجره
قمر أنا استخرجته من دجنة
لبليتي وجلوته من خدره
فقتلته وبه علي كرامة
ملء الحشى وله الفؤاد بأسره
عهدي به ميتا كأحسن نائم
والحزن يسفح عبرتي في نحره

يستنفد مراثيه في بكاء ورد

وأحسب أن ديك الجن ، عبد السلام ، ما علم البكاء والرثاء إلا مثل هذه المأساة أو هذه الفاجعة ، إذ يروى أنه استنفد شعره بعد ذلك في مراثي ورد ، فجاءت أشعاره في هذا المجال قطعا من نفسه وذَوْبا من قلبه وحسه . وأحسب أيضا أن قصيدته التي قالها في رثاء الحسين ابن علي ، ومر بنا ذكرها منذ حين ، إنما جاءت بعد هذه الفاجعة فسارت بين الناس وجعلوا يرددونها وينوحون بها .

يفزع من حزنه الى ضروب من المجون

ولعله أراد بعد ذلك أن يتعزى عن المصاب الذي ألم به ففزع يتسلى بضروب من المجون وضروب من الخلاعة ، إذ يحدثنا ابن أخ له يدعى أبا وهب الحمصي فيقول : كان عمي خليعا ماجنا منعكفا على القصف واللهو ، متلافا لما ورث عن آبائه وما اكتسب بشعره من أحمد وجعفر ابني علي الهاشميين . كما كان ابن عمه أبو الطيب يعظه وينهاه عما يفعله ، ويحول بينه وبين ما يؤثره ويركبه من فعاله ، وربما هجم عليه وعنده قوم من السفهاء والمجان وأهل الخلاعة فيستخف به. وكأن ابن عمه هذا كان يشعر بعظم الجرم الذي ارتكبه في حقه وبأنه السبب فيما آلت إليه حال عبد السلام من إسراف في المجون والخلاعة والسفه فأراد أن يكفر عن بعض جرمه بأن ينصح ابن عمه ويخرجه من السير في هذا الطريق المهلك ويوقفه عن المضي فيه إلى غايته .

وعشق غلاما

ومما يذكر عنه في هذا المجال ، مجال المجانة

والخلاعة ، انه عشق غلاما من اهل حمص يقال له بكر ، وجعل يقول فيه الشعر متغزلا فيه ، ومن ذلك قوله فيه وقد جلسا يوما يتحدثان الى ان غاب القمر :

دَعِ البدرَ فليغربْ فأنت لنا بدر
اذا ما تجلّى من محاسنك الفجرُ

اذا ما انقضى سحر الذين ببابل
فطرفك لي سحرٌ وريقك لي خمرُ

ولو قيل لي قم فادعُ احسنَ من ترى
لصحتُ بأعلى الصوت : يا بكرُ يا بكرُ

ولم يكن غزل عبد السلام بالمذكر بدعا في ذلك العصر ، وانما كان ذلك شيئا فاشيا بين الشعراء الذين طرقوا هذا الغرض من موضوعاته واكثروا من القول فيه ، لان الغلمان من الموالي والرقيق كانوا قد انتشروا في كل مكان ، فلم يخل منهم قصر كبير ، ولا دار وجيه ، ولا حانة خمر ، ولا سوق نخاسة . وكانوا يتسمون في هذا العصر بالملاحة والانوثة بما فتن الشعراء بهم الى الدرجة التي كانوا فيها لا يعشقون الجارية الا اذا كانت غلامية المظهر والملبس ، وزعيمهم في هذا الباب الشاعر المشهور الحسن بن هانيء ، ابو نواس .

ابو نواس يزور ديك الجن وهو في طريقه الى مصر

ومن الطريف ان ابا نواس زار ديك الجن في حمص حينما اجتاز بها في طريقه الى مصر قاصدا مدح الخصيب . وكان ديك الجن حينما سمع بوصوله قد استخفى منه خوفا ان يظهر لابي نواس انه مقصر بالنسبة اليه ، فقصده ابو نواس في داره وهو بها ، فطرق الباب واستأذن عليه ، فقالت الجارية : ليس هو هنا ، فعرف مقصده ، فقال لها : قولي له اخرج ، فقد فتنتَ اهل العراق بقولك :

مُورَّدةٌ من كفِّ ظبي كأنما
تناولها من خدِّه فأدارها

فلما سمع ديك الجن ذلك خرج اليه واجتمع به واضافه .

فابو نواس يغريه بزيارة ديك الجن الا اجادته في فن الخمر وغزل الغلمان ، من مثل قوله :

وسَلْ عن عظيم الوزر كل عظيمة
اذا ذكرت خاف الحفيظان نارها

وقم انتَ فاحثث كأسها غيرَ صاغر
ولا تسق الا خمرها وعقارها

فقام تكاد الكأس تحرق كفه
من الشمس او من وجنتيه استعارها

التلهي والمجون لم يصرفا ديك الجن عن محنته في زوجته

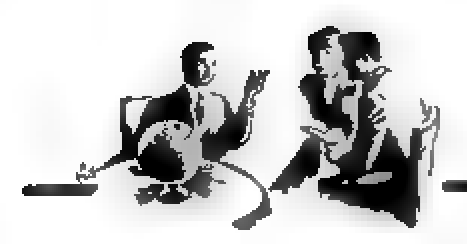
على ان ذلك كله لم يغير من طريق ديك الجن بعد محنته التي ظل يذكرها ويرددها ولم تلهه عنها وسائله في التلهي عنها . وظل بعد هذا اشعاره في البكاء والرثاء اجود شعره بما ينفثه فيها من زفرات حارة وانفاس ملتهبة حامية ، حرقة على ورد ، حتى انه ما رثا بها احدا من الناس غير ورد .

بين ديك الجن وابي تمام

ولا غرو ان يكون ابو تمام منافسا لديك الجن في فن الرثاء ، ولو ان ديك الجن تأخر الى ان مات ابو تمام ورثاه . وكان ابو تمام ، وهو شاعر ناشئ ، قد قصد ديك الجن يعرض عليه اشعاره الناشئة ، فاعطاه ديك الجن درجا كبيرا فيه كثير من شعره وقال له : يا فتى تكسب بهذا واستعن به على قولك . ونما ابو تمام ، وذاع صيته في ارجاء الدولة الاسلامية ، ومات ، بينما استاذه ديك الجن كان لا يزال حبيس خوفه لا يبرح الشام ، منطويا على نفسه في حمص ، منطويا على الام مأساته ، وذكرى زوجته ومحبوبته .

■■

محمد محمود الدش



دردشة

ضابط حاضر البديهة



● قام ونستون تشرشل بصفته وزيرا للبحرية في أوائل الحرب العالمية الثانية بزيارة تفتيشية لإحدى السفن الحربية. وكانت قد أجريت تعديلات غير عادية في بحارة السفينة. فاقترب تشرشل من ضابط صغير الرتبة مسؤول عن أحد الأقسام وقال له: إني أعتقد أنك تعرف أسماء جميع الرجال الذين يعملون معك في القسم.

وكان السؤال مباغتا له، فارتبك. ولكنه تمالك نفسه بسرعة وقال: نعم يا سيدي.

فسأله تشرشل: ما اسم هذا الرجل؟

فأجاب الضابط: آرثر سميث، يا سيدي.

ولاحظ تشرشل فترة التردد القصيرة قبل الإجابة، فشك في الأمر، والتفت إلى الرجل وسأله عن اسمه. فجاء الرد من بين شفتي البحار وبتمام سرعة «اسمي آرثر سميث، يا سيدي!».

نصيحة

● هناك فترتان في عمر الرجل يجب عليه فيهما ان يفكر في الزواج: في العشرين، حينما لا يكون يعرف ماذا سيحدث له، وفي الثمانين، حينما لا يهتم بما يحدث له!

السعادة الحقة

● «إذا أردت أن تسعد رجلا فلا تعمل على زيادة ثروته، ولكن حاول أن تقلل من رغباته».

(سنيكا)

محام ذكي

● قال المحامي في معرض الدفاع عن موكله المتهم بالسرقة: إن موكلي لم يرتكب جريمة ما، وكل ما هنالك أنه كان مارا بتلك الشرفة المطلة على الطريق، فامتدت يده اليمنى إلى الصندوق الذي كان بها وأخذته. ولا شك في أنكم توافقونني على أن اليد ليست سوى عضو من الأعضاء الكثيرة في الجسم. فمن العدالة ألا تؤخذ الأعضاء كلها بجريمة عضو واحد منها!

فقال له رئيس المحكمة: إن حجتك منطقية جدا، ولذلك تقضي المحكمة بحبس يد المتهم اليمنى التي سرقت الصندوق سنة مع الشغل. وهو حر في أن يصحبها أو لا يصحبها إلى السجن!

وشد ما كانت دهشة القضاة إذ رأوا المتهم يخلع ذراعه الصناعية ثم يتركها على منصة المحكمة ويخرج من القاعة!

الشاعر لافونتين

● دعا الأمير « دي كونديه » الشاعر لافونتين لتناول العشاء عنده ، فنسي الشاعر الموعد ، فغضب الأمير لهذا الاهمال الذي عده اهانة له .

وتذكر لافونتين بعد أيام أنه أخل بواجب اللياقة ، فذهب الى قصر الأمير للاعتذار ، وعندما رآه أدار له ظهره ، فاقترب منه لافونتين قائلا : لقد كذب الذين قالوا انك غاضب علي يا سمو الأمير !

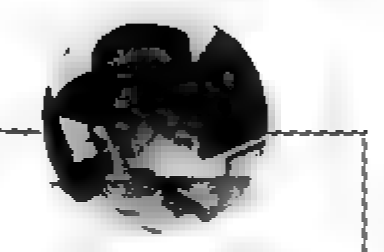
قال الأمير : وكيف ذلك ؟

قال لافونتين : لأنك تدير لي ظهرك ، وأنا أشهد أنك لا تدير ظهرك للعدو ، بل تقابله بصدرك .

وكان هذا كافيا لارضاء الأمير .

اديسون في الثمانين

● كان توماس اديسون يعمل بدون كلل أو ملل ، وفي عيد ميلاده الثمانين اقترح عليه أحد أصدقائه أن الوقت قد حان كي يخفف من ساعات عمله وأن يجد له هواية ما كلعبة الجولف مثلا . فأجابه اديسون : انني لم أبلغ من العمر عتيا حتى الآن



نصيحة من شو تجعلها أشهر ممثلة على المسرح

● ذهبت ممثلة ناشئة الى برنارد شو وسألته أن يعطي لها رأيه في قدرتها على التمثيل . وبعد أن مثلت أمامه عدة أدوار ، أغرق في الضحك ثم قال :

انصحك يا بنيتي بالزواج ، وأن يكون لك طفلان أو ثلاثة ، وتمرسي قليلا بمشاكل الحياة ، وعندئذ ربما تصبحين قادرة على أن تمثلي .

فعلت . وعادت الى المسرح بعد غيبة دامت خمس سنوات ، فصارت سيبيل ثورندايك ، أشهر ممثلات المسرح الانكليزي .

قراءة البخت

● اثناء محاكمة احدى قارئات البخت العرافات في الولايات المتحدة الأمريكية وعدها القاضي بأنه سيوقف تنفيذ الحكم اذا استطاعت أن تعرف عدد الأيام التي قررت المحكمة الحكم عليها بها .

فقالت العرافة . ثلاثون يوما .

وقال القاضي : كلا ... بل خمسة وعشرون يوما .

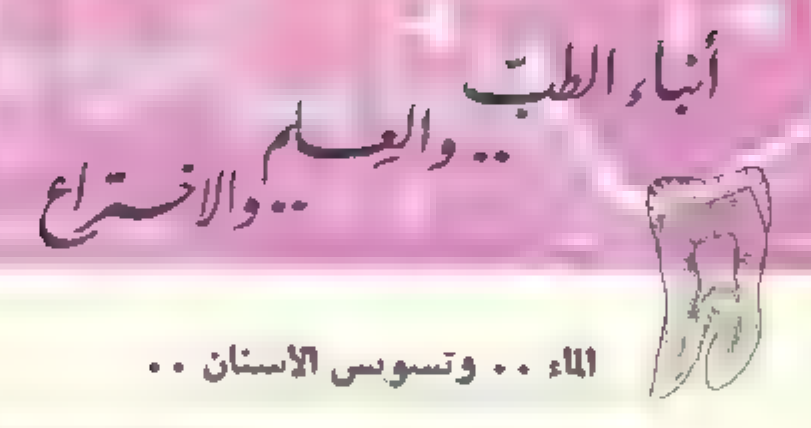
ونفذت عليها العقوبة وأمضت مدة في السجن .

ان قراءة البخت او العرافة فن من الفنون قديم قدم البشرية ، ومع ذلك فهي ما زالت منتشرة في بلاد كثيرة حتى يومنا هذا . فهناك الملايين من الرجال والنساء يلجأون الى العرافين ليسألوهم عما يخبئه لهم المستقبل بين طياته .

وتقول الاحصائيات ان في فرنسا اليوم ما يقرب من خمسة وثلاثين ألف عراف يستشيرهم مائة ألف شخص على الأقل يوميا . والاستشارة العرافية رخيصة التكاليف ، فالجلسة الواحدة قد تكلف خمسة جنيهات .

وقراءة البخت من الأعمال الرائجة والمربحة في اليابان ، حتى ان كبار رجال الأعمال الذين يعتزمون عقد صفقات كبيرة ، وممثلات السينما اللواتي تعرض عليهن العروض للقيام بأدوار البطولة في الأفلام ، كثيرا ما يقصدون العرافين سعيا وراء المشورة والنصح . وما زال أناس كثيرون حتى يومنا هذا يؤمنون بقراءة البخت .

وقد تفرغ الألوف من اليابانيين ، نساء ورجالا تفرغا تاما لقراءة البخت . ومن هؤلاء العرافين من كسب ثروة ضخمة من العرافة ، فهم يعيشون في قصور فخمة .. وزبائنهم هم مشاهير رجال المال والأعمال والسياسة .



الماء .. وتسوس الاسنان ..

● من الامور التي اثارت جدلا طويلا في الاوساط العلمية معالجة ماء الشرب الذي توزعه السلطات على الناس في المدن وقد [illegible] انها تدخل في الجسم فلا تضر به . وانما هي تحمي مادة الاسنان من التسوس اذ تقوم عادة بمنع الكروبات التي تدخل الى الفم مع الطعام من اتلاف المياه التي تغطي الاسنان فتحميها ، اذ تكسوها من ظاهرها .

ان هذه المادة التي تضاف الى ماء الشرب هي مزيج من [illegible] عنصر الفلور ، وهو اخ للعنصر المشهور عنصر الكلور . فهي اذن فلوريد . وهذا الفلوريد ، ككثير من المواد ، سام اذا اعطي بكميات كبيرة . نافع في حفظ الاسنان اذا اعطي بكميات قليلة . وهو يضاف الى ماء الشرب بنسبة جزء واحد فقط في مليون جزء من الماء .

وقد اتبعت كثير من البلدان ، [illegible] ، والسويد ، والدانمرك ، وكندا ، [illegible] ، والنرويج واليابان ، وغير هؤلاء ، اتبعت رأي الجانب الطبي الموافق على اضافة ملح الفلور الى الماء فقامت بفلورة مياهها التي تفرقها على الناس .

والطريف الحديث من الاخبار انه جاء الدور على مدينة تورنتو الكبرى بكندا ، ان تنظر في فلورة ماء شربها . وكان لا بد من استفتاء اهل المدينة تفلور او لا تفلور؟ ووافق على الفلورة ١٩٠٠٠٠ صوت ، وعارض ١٧٠٠٠٠ صوت . ومضت سلطات الماء بالبلديات تفلور الماء .

ولكن ما كادت السلطات تعمل ذلك حتى قامت شركة تبيع [illegible] جهازا للترشيح ، يستخدمه المعترضون على الفلورة في بيوتهم ، فيمتص الفلوريد من الماء !!

نقل الدم عند الجراحه

● في الجراحات الكبرى ، وجراحات العظام خاصة ، يحتاج المريض احيانا الى [illegible] بدم يؤخذ من شخص آخر . ومن اجل هذا كانت بنوك الدم المحفوظ في المستشفيات .

ولكن الدماء متنوعة، ولا يمكن نقل دم من شخص الى شخص اختلفت نوعيتهم . ولهذا يفحص دم المريض ليعرف اولا من اي مجموعة من مجموعات الدم هو ، ليجهز له دم مختار من هذه المجموعة لاستخدامه عند الجراحة .

والتجربة التي نذكرها [illegible] هي تجربة [illegible] [illegible] ، وعند تفحص [illegible]



من اكبر اسباب
ارتفاع ضغط الدم

● انها دراسة اجريت في قبائل الزولو بجنوب افريقيه .

والزولو هناك طائفتان ، طائفه تسكن المدن ، وطائفة تسكن الريف . ووجد ذلك البحث على ان اهل المدن اكثر ارتفاع ضغط عن اهل الريف . وتسبب الباحث ذلك الى قسوة حياة الزولو في المدن ، والى وقع التفرقة العنصرية على انفس الناس . ووجد ان ارتفاع الضغط له اسباب تتعلق بالسن ، وبالجنس من ذكورة وانوثة ، وبالسمنة ، وبالزواج والعزوبة

[illegible]

[illegible]

ومن ذلك سن اليأس ، فهو يزيد الضغط في الريف ، ولا اثر له مثل ذلك في المدن . ويعلل هذا بان سن اليأس يورث المرأة الهم ، ذلك انه انذار بفقد القدرة على الاسال ، وهذا له شأنه في الريف .

وقد وجد الباحث ، فيما وجد ، ان الهم والشجي من اكبر اسباب ارتفاع [illegible]

[illegible]

منك واليك

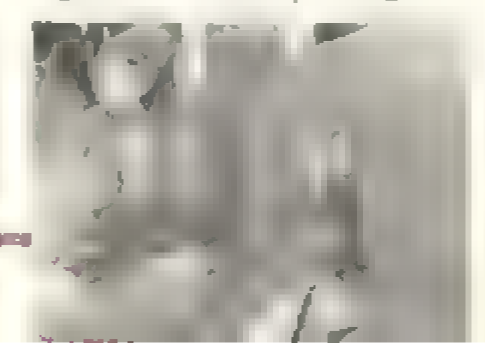
مرضها بسببه صمام القلب الواقع بين البطين الايسر والاذين الذي فوقه . كان ضيقا ووجب توسيعه .

وكشفوا عن فصيلة دمها ، فوجدوه من فصيلة ا . وكان عندهم من هذا الدم المخزون الكثير ، ولكن دمها كان به عامل آخر نادر الوقوع في الدم ، واشياء اخرى ، تغير بها لو ادخل الى دمها دم الفصيلة « ا » العادي .

وامام هذا اعادوها الى البيت .

ثم قرأ الجراحون مقالة في مجلة طبية شهيرة عن امكان امداد المريض بدم من دمه هو عند الحاجة . وطلبوها ، وفي بضعه ايام اخذوا منها نحو ٣ ارطال من دمهما . واجريت العملية بعد ذلك . اعطيت من دمها هي لا من دم غيرها . ونجحت التجربة تماما .

ويقول الاطباء ان هذا الدم هو اسلم دم يستخدم في تدعيم دم المريض عند الحاجة ، دمه هو نفسه . ويقولون ان هذا ممكن في العمليات غير المستعجلة اعني العمليات التي تأذن بالوقت اللازم لجمع الدم من المريض نفسه .





خسوف القمر .. وكسوف الشمس

● خسوف القمر يحصل عندما يكون القمر بدرا ، ويقع من الارض فى الناحية الأخرى المقابلة لموضع الشمس منها . بشريطة ان يصادف ان الثلاثة الاجرام تقع على خط مستقيم واحد . وعندئذ تلقى الارض ظلها على القمر ، فتحجب عنه اشعة الشمس ، فيظلم . كل هذا دلتنا عليه بمبادئ علم الجغرافيا الذى درسناه فى المدارس . ولكن يجب ان نؤكد هنا ان كل سكان الارض لا يرون خسوف القمر ، وان بعضا يراه كاملا ، وبعضا يراه بعضا . والصورة تمثل ابى من سطح الارض ، من خطوط عرضها،رأى الانسان خسوفا وقع فى الخامس والسادس منشهر يولية الماضى ، وكم رأى منه .

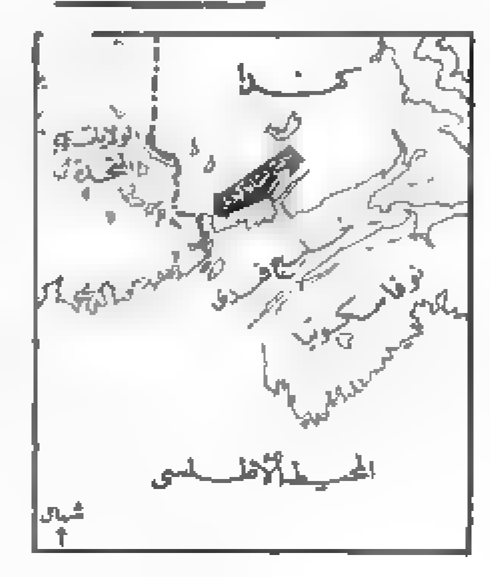
والجديد فى هذا الأمر أن العلماء انتهزوا فرصة هذا الخسوف ، فقاسوا على البعد درجة حرارة الجزء الذى اظلم من القمر بواسطة « الاشعة تحت الحمراء » ، واستنتجوا من ذلك القدرة التى بتربة القمر على توصيل الحرارة ، ووجدوا ان هبوط الحرارة وقع سريعا وفجأة ، فقد نزل فى بضع دقائق من + ١٢٠ درجة الى - ١٠٠ درجة . ومن هذا استنتج العلماء ان القدرة على توصيل الحرارة ، فى سطح القمر ، اضعف منها فى صخور الأرض الف مرة ، وهذا يناقض الرأى الذى ارتآه العلماء من ان سطح الأرض يتألف من تراب دقيق شديد الالتصاق بعضه ببعض .

وحدث بعد خسوف القمر ، بنصف شهر قمرى ، اى فى العشرين من يوليو هذا الماضى ، ان وقع كسوف الشمس ، اذ توسط القمر بين الأرض والشمس . واعطى ذلك فرصة للعلماء ان يقيسوا القوة التى تجتذب بها الشمس الارض ، قياسا غاية فى الدقة ، والى الآن لم تظهر نتائج هذا . ولكن نذكر ان العلماء قاموا بمثل هذا القياس فى الكسوف الذى وقع فى ١٥ فبراير من عام ١٩٦١ ، وخرجوا بان القمر ، اذ يتوسط بين الأرض والشمس ، لا تأثير له مطلقا على

العلم الذى تحقق : حتى من المـد والجزر يستمدون

● انه خليج بساماكودى Passamaquoddy فى الشرق من امريكا الشمالية ، بين الولايات المتحدة وكندا ، وهو فرع من خليج فندى Fundy ، أكثر مياه الأرض ارتفاع مد ، فعنده يصل الموج فى ارتفاعه الى ٥٠ قدما .

وهذا الخليج يصلح أن يختزن فيه الماء والمد مرتفع ، ثم هو تطلق منه من مخارج معلومة ، فيندفع وهو فى طريقه خارجا تربينات تدير مولدات تولد الكهرباء .





الجاذبية التى تشد الشمس بها الارض اليها . وعلما له علاقة بالرأى الذى يقول ان جاذبية الارض ، قوة كقوة المغناطيسية ، تتمثل فى امواج .

ولقد نزيد فنقول ان العلماء انتهزوا فرصة هذا الكسوف الماضى فصعدوا لدراسته فى طائرات بمالة سريعة ، احلقوا بها يلاحقون القمر فى مساره فى السماء ، فرأوا خسوفه زمنا اطول من زمن اهل الارض . وهم رأوه وقد تخلفوا عن نحوهم من الطبقة الهوائية ٧٥ فى المائة منها ، ولهذا فوائد ليست تجنى على سطح الارض .

القــدرة : كهربـــاء

وقد حسبوا فوجدوا انه يمكن انتاج الكهرباء منه بمعدل مليون كيلووط ، لا سيما فى ساعات الاستهلاك القصوى ، ما بين ٥ ، ٦ مساء .

وقد تقدمت حكومة الولايات بهذا المشروع الى الرئيس الراحل كندى ، فوافق عليه ، وبقى ان توافق عليه حكومة كندا .

وكلفة المشروع الف مليون دولار .

وليس هذا المشروع بجديد فهو حلم راود الولايات منذ ٤٤ عاما . وقد راود احلام الرئيس الراحل روزفلت، وتقدمت حكومته به الى مجلس الشيوخ الامريكى فرفضه ، وكان ذلك عام ١٩٢٥ ، بحجة تكلفته المرتفعة . اما اليوم فيقرر المهندسون ان التكلفة هبطت كثيرا بسبب تقدم العلم والتكنيك معا .

وكالامريكان يوجد عند الروس مشروع كهذا ، ويوجد عند فرنسا .

والعرب اليس عندهم ذراع مايمتلىء ثم يفرغ ؟

كم دقيقة تستطيع أن تحبس أنفاسك تحت الماء ؟

● يعلم العلماء الباحثون أن حيوانات الأرض ، ومنهم الإنسان ، إذا غطسوا في الماء ، واحتبست أنفاسهم ، فانقطع بذلك تزويد مخهم بالأكسجين الهواء عن طريق التنفس ، فإن تلفاً يحدث في المخ تلف لا يمكن إصلاحه إذا زاد عن أربع أو خمس دقائق .

ولكنهم علموا كذلك أن من الطير ما يغوص في الماء وراء السمك ليتعلق به . وهذه الطيور تستطيع الصبر تحت الماء أكثر من عشر دقائق .

كذلك هم علموا أن عجل البحر Seal ، وهو حيوان من ذوات الدم الحار ، يستطيع أن يبقى تحت الماء أكثر من عشرين دقيقة . كذلك الحوت ، وهو أيضاً حيوان ذو دم حار (الأسماك ليست من ذوات الدم الحار) ، يستطيع أن يبقى تحت الماء ساعة أو ساعتين .

والسؤال : كيف تستطيع هذه الحيوانات المائية البقاء في الماء فوق ما يستطيع الإنسان ؟

وقد قام الدكتور شولندر Scholander بإجراء تجارب على عجول البحر اتضح له منها أنه عندما ينغمس عجل البحر في الماء يهبط عدد ضربات قلبه إلى العشر ، وكذلك اتضح أن هذا يحدث للإنسان بدرجة أقل .

ومعنى ذلك أن الدورة الدموية تقل سرعتها في الجسم .

ووجد أن الدورة الدموية تقل سرعتها على الأخص في الأطراف ، في هذه الحيوانات وهي تحت الماء ، وفي الإنسان ، وكذلك هي تقل في الأمعاء وفي الكليتين ، وفي كل مكان من الجسم ، إلا المخ ، وإلا الرئتين والقلب ، لأن على هذه جميعا مدار الحياة .

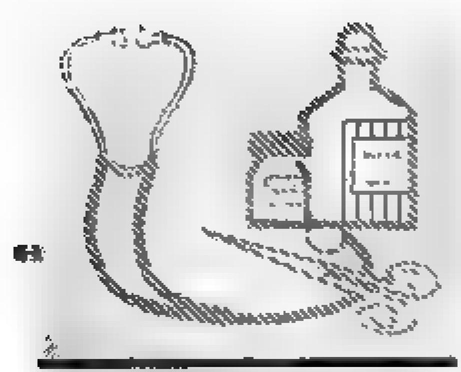
يعرفون كم في الرحم من توائم ، من قبل ولادة

● إنه جهاز جديد ، ترانستور ، يكشف عن ضربات قلب الجنين وهو في رحم أمه . يوصل طرفان لهذا الجهاز بجسم الأم ، فيحملان ما يخرج مع ضربات قلب الطفل من تيار كهربائي ضئيل ، يحملانه إلى جهاز إذاعي للبث ، فيتحول فيه إلى موجات إذاعية ، طول موجتها نحو بضعة أمتار ، فتلتقط بأي جهاز راديو للموجات القصيرة لا يبعد عن مكان الأم أكثر من مائة متر .

وبهذا يتبين السامع كم قلبا في الرحم يدق .

ويمكن استخدام هذا الجهاز في الأسبوع الرابع عشر أو الخامس عشر من الحمل ، لا قبل ذلك .

ويقول مخترع هذا الجهاز إن به يمكن الاطلاع على حالات الأطفال وهي في الأرحام ، وتتخذ الآن ، بناء على ذلك ، الإجراءات التي سوف تمكن الولايات المتحدة من إنقاص عدد الأطفال المشوهي الخلق الذين يولدون مشوهين ، ذلك العدد الذي يبلغ نحوا من ١٦٠٠٠٠ في الولايات كل عام .





الأسرة

الصيام ، ياتي قصدا او قسرا

ـ الصيام فريضة عند الكثيرين من اهل الاديان ، فنرجو ان تخبرنا عما يصنع الصيام بجسم الانسان وما يصنع امتناع الطعام والشراب ؟ وما الاغراض التي توخى من الصيام والامتناع عن الاكل والشرب ؟

● اما الاغراض التي تتوخاها الاديان مشتركها لأهل الاديان فهم احق مانقول فيها . وهم اقدر . اما نحن فما نستطيع أن نتحدث عن الوجهة الطبية .

ان الصيام هو الامتناع عن الطعام ، وهو الامتناع الذي يمارسه بعض الناس ومنهم الاطباء ، يوما او اكثر كل فترة من الزمان . والاصل في هذا عندهم أن الجهاز الهضمي في الجسم يرهق عادة بالطعام ارهاقا . ولما كان لكل شيء يوم راحة ، وجب ان يكون للجسم كذلك وقت راحة من طعام . والاجسام تصح لا شك على هذا .

اما امتناع الطعام قسرا ، كالذي يعوق الحوادث والكوارث ، كضلال طريق في صحراء ، او انحباس في منجم ببطن الارض ، واما امتناع الطعام كذلك قصدا ، كامتناع بعض الناس عنه احتجاجا على غبن او مظلمة ، فهذا امتناع يؤدي في النهاية اذا هو اتصل الى الموت . .

ان الجسم ، اذ يحيا ، يحرق من غذائه . وتتلف خلاياه فيركب هو جديدا غيرها ، من غذائه كذلك . فان لم يدخله غذاء ، عمد الى المخزون فيه ، ومنه يتغذى ، والنتيجة تحول الجسم على الايام ، وضعف ، ثم موت .

ويزيد في فترة الحياة التي يتربص بها الموت ان يكون عند الشخص المكروب وفرة من ماء .

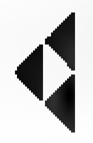
ويعجل بالموت اجتماع اشياء اربعة : امتناع طعام . امتناع شراب . برد قارس . مثل مجهود جثماني في محاولة التخلص من مأزق ما .

احتمال الحمل عند الخمسين

ـ انا امرأة حول الخمسين من العمر ، وقد توقفت العادة عندي منذ ست سنوات فهل بعد هذه السنوات ، وفي هذه السن ، يمكن ان يجيئني الحمل ؟

● ان الحمل في هذه السن ليس ممتنع الوقوع ، ولكن يكاد ان يكون عدم وقوعه مؤكدا في حالتك هذه بعد توقف العادة كل هذه السنوات .

ان احتمال وقوع الحمل اقل من واحد في الالف في كل سنة يحصل فيها الزوج بالزوجة في السن ما بين التاسعة والاربعين والثانية والخمسين للزوجة ، ولا احتمال اصلا بعد توقف العادة ست سنين .



في هذه الحالة قد يأتي الموت بعد أيام ثلاثة أو أربعة .

وفي السجلات أن مدانين في سجن سجن أتسد أضربوا عن الطعام ، ثم فتح بعد أسبوع ، وكانوا في حالة غير سيئة ، وذلك لوفرة الماء الذي كان لديهم .

وفي السجلات كذلك أن الثائر الوطني الإرلندي « مكسويني » ، عمدة بلدة كورك ، في حربه لتحرير بلده ارلنده ، امتنع عن الطعام في عام ١٩٢٠ احتجاجا ولم يمت إلا بعد ٧٤ يوما . ولكن بالطبع اتخذ الانجليز في هذه الحالة كل الاحتياطات التي تربطه برمق الحياة حتى ... ثم اضمحل ، ومات الرجل البطل .

ولعله يذكر في هذا الباب أن الصائم ، الذي طال صومه ، يجب أن لا يعود سيرته الأولى من الطعام إلا بالتدريج : أخف الطعام أولا ، ثم الخفيف ، ثم الأثقل ... وهلم جرا .

قدمك في حذائك ، تريك إياها الأشعة السينية

ـ ذهبت يوماً في أوروبا إلى مخزن كبير يبيع الأحذية ، وبعد أن اخترنا له الحذاء المناسب ، وضع البائع رجله في جهاز ، ثم ضغط على شيء ، فاذا صورة رجل ابني تظهر لنا ، بالأشعة السينية ، في أوسط الحذاء . وعرفنا من ذلك أن القدم وقعت من الحذاء في راحة ، وفي سعة كافية .

ولكن قال لي طبيب يعمل بالأشعة بعد ذلك أن التعرض للأشعة هو لا يرضاه أبدا . فما الرأي ؟

● هذا الجهاز ، ويسمى Pedoscope شائع الاستعمال في أمكنة الأحذية الكبيرة في أوروبا . ولا شك هو يساعد على الحكم في أن قدما ما توافق حذاء ما . والتعرض لهذه الأشعة لا يستمر غير

الحقنة الشرجية والإمساك

ـ أنا يصيبني الإمساك أحيانا، وطريق التخلص منه استخدام الحقنة الشرجية. فهل هذه العادة مضرة ؟ وهل هي تدعو إلى الكسل في الأمعاء ؟

● كل شيء في اعتدال مقبول . وبعض الإمساك في اعتدال كذلك واجب . فمن الناس من تحدث أنفسهم بأنهم قد أصابهم الإمساك إذا هي لم تذهب كل يوم إلى بيت الراحة للإفراغ . ذلك أن الإفراغ قد يتأخر يوما ، وقد يتأخر يومين ، ولا يعد هذا التأخر مرضا . أما إذا هو زاد على ذلك فقد وجب علاجه .

ولا ضرر من استخدام الحقن الشرجية شريطة أن لا تصيب المستعمل جرح من استخدامها . وهي لا تؤلف عند الاعتدال في استخدامها عادة لا تفرغ الأمعاء إلا بها . وهي لا تصيب الأمعاء بالشلل فيمنعها من العمل كما تفعل كثير من المسهلات ولكن كذلك من الخير بلع ملعقة أو ملعقتين من البارافين أو نحوه، فهذه الزيوت تزلق الطعام في سيره في الأمعاء وتحفظ بمقدار من الماء يسهل مسيره . كذلك السنامكي ، نحو من الحدتة ، نافعة . ولا ضرر منها ، وهي لا تؤلف عادة ، ولا تشل الأمعاء عند من يحسن استخدامها .

وغير ذلك . لا بد من تناول الطعام الذي يبقى في الأمعاء فضلات . خضر . فاكهة . واشرب ما فيه الكفاية . وامش وتحرك . واقصد إلى المراح في وقت لا يختلف .

برهة من الزمن .. مصبح نواة، ثم تختفي الصورة .

وأمام نبع هذه الاشعة وقصر مدة التعرض لها ، وان الطفل والرجل والصبي والفتاة مما لا تشترى حذاء كل شهر ، امام كل هذا ارى من الغلو في النصيحة ان نقول بان لا نعرض الاطفال للاشعة السينية ابدا .

الاظافر ، ما فائدتها ، وما علاجها ، وكم طولها اذا هي لم تقص ؟

● ما فائدة الاظافر ، واذا تركها الانسان بغير قص ، فماذا يحدث لها ؟

● اظافر رجلي صارت لهيئة وجافة وهي اقرب الى الثخانة منه الى القص . فما سبب هذا المرض الذي يعتريها ؟

— نجيب على السؤالين معا . اما الاظافر وفائدتها ، فهي تتضح من تذكرنا ماذا عند الحيوانات من اظافر . ان عندها المخالب ، وعند بعضها الاظلاف .

والمخالب تستخدم سلاحا عند الدفاع ، والاظلاف ، كاظلاف الجديان والخرفان ، تحمي مادة الارجل اللينة عند السير .

والاظفار عند الانسان لها هدفان اثنان هدفا : فهي تحمي اطراف الاصابع اللينة ، وهي تستخدم عند الدفاع ، نعرف ذلك مما يحدث احيانا عندما يتشاجر رجل مع امرأة . ان اول شيء يخطر لها في الدفاع استخدام اظافرها مخالب تجرح بها وجه الرجل ، لا سيما عينيه .

اما ان اظافر الرجل تزداد سمكا ، فهذا يحدث على الكبر عادة ، وفي ابهام الرجل على الاكثر . وهو سبب عدم القص . ولهذا اسباب كثيرة غير كبر السن ، او مع كبر السن . فقد يكون الاساس الذي ينمو منه الظفر داخل الجلد قد اصابه عور . وقد يكون هذا بسبب جفاف الجلد نفسه ، فالمعروف بالطبع ان الظفر كالشعر، ينمو من الجلد . وقد يصاب الظفر بالنباتات الصغيرة المعروفة بالفطريات . ولا بد ان نذكر ان علاج الاظافر، واستشفاف امراضها، ومعالجتها لا يزال له موضع في الطب مختلف ظاهر . وعلى كل حال ، اذا استعصى على الطب علاج شيء من نحافة الظفر او خشانته ، عالجه المريض في صالونه . بالتنظيف ، وبالقص ، وبالمبرد احيانا . او عالجه صاحبه في بيته اذا هو عرف ان يصنع به ما يصلحه في حدود الفن المعروف .

اما عن الظفر ، ماذا يحدث له اذا ترك من غير قص ، فالرأي انه قد يطول ، حتى يبلغ احيانا بضع بوصات .

الاثداء ترتخي من بعد ارضاع

— انا انجبت ثلاثة اطفال ، وارضعتهم ثديي هذين . وقد لاحظت ان الثديين يصغران بعد رضاعة كل طفل ولا يعودان الى امتلائهما . فهل لهذا عندكم تفسير ؟

● ان الفتاة التي لم ترضع بعد ، يكون لها ثديان كبيران نسبيا ، وذلك للدهن الذي الذي تجمع فيهما . اما اذا هي ارضعت ، واطالت رضاعة ، فان الغدد التي تفرز الدم في الثدي تزداد ويزداد نسيجها حجما ، فتضغط على الشحم فيضمحل . فاذا انتهى الرضاع ، صغرت هذه الغدد الى احجام صغيرة حقا . وصغر معها الثدي ، واسترخى واستطال .

[illegible]





اعداد : هنري مطر

ولد ابسن في قرية صغيرة من اعمال النرويج في عام ١٨٢٨ ، ولم يتسن له ان يتلقى تعليما عاليا بالمعنى الصحيح لضيق ذات اليد ، فاضطر ان يعمل كاجير لصيدلي في بلدته الصغيرة وهو لم يتعد الخامسة عشرة من العمر . وكان ابسن يمقت عمله هذا اشد المقت . وكان يشعر في قرارة نفسه بان مجاله الرحب الفسيح هو ميدان الادب والشعر . ولهذا كان يعكف في اوقات فراغه وكلما سمحت له الفرصة العابرة ، على نظم القصائد وهو بعد في اول ربيع الشباب .

وفي عام ١٨٥١ حنا عليه الدهر حينا ، فنال بعض ما كان يتمنى . فقد انتقل الى بلدة برجن Bergen في النرويج ، واثر اهتمام عليه القوم فيها ، فاختاروه ليشرف على اعداد الروايات المسرحية لمسرح المدينة ، وظل ابسن يشغل هذا المركز حتى عام ١٨٥٧ . ولم يستطع ابسن ان ينال حظوة خاصة لدى مجتمع الطبقة البرجوازية السائد آنذاك في « برجن » ، بل لقد اثار نقمة المجتمع عليه وسخطه لجرأته في القول والنقد ، وخاصة في روايته المسرحية « كوميديا الحب » . وكان لابسن فيما لاقاه من جحود وعزوف اسوة في كبار ائمة الادب الذين سبقوا

عمرهم بمراحل والشواطئ بعيدة ، أشاق الشاعر الانكليزي شلي Shelley ، فآثر ابسن ان يرحل عن وطنه فترة من الوقت تجول في انحائها لربوع ايطاليا الساحرة الجميلة ، تلك الربوع التي طالما كانت ملاذا لامثاله من الادباء والفنانين . ثم التى عصا الترحال في المانيا ، واقام اكثر وقته في مدينة ميونيخ ما بين عامي ١٨٦١ الى ١٨٩١ . وكان ان انتج هذا الزمن القاسي عليه ، الذي قضاه اشبه ما يكون بالمنفى ، اشهر رواياته المسرحيه امثال بير جنت Peer Gynt والمحنة « Brand » وروايه اعمدة المجتمع » .

وفي عام ١٨٩١ عاد الى وطنه ، وكان الناس قد بدأوا يعترفون بفضله ، فقضى اواخر حياته في هدوء وطمأنينة الى ان وافاه اجله في عام ١٩٠٦ بعد مرض دام اربع سنوات كاملة وهنت قواه الجسديه والعقليه معا .

ابسن مجدد الأدب المسرحي في أوروبا

ويعتبر ابسن بحق مجدد الادب المسرحي في اوروبا بعد ان نزل هذا الادب الى ادنى الدركات ، ذلك ان ابسن آثر ان يتخلص من الدراما غير التقاليد التراكم الذي جعل منها دراما ميكانيكية روتينية تهتم بالشكل والمبنى دون الروح والحس . وكان محور مسرحيات ابسن يرتكز الى فكرتين اساسيتين جعل منهما الكاتب هدفه المنشود .

اما الفكـــرة الاولى فايمـــانه العميق بقيمة النفس البشرية ، ذلك الايمان الذي دفعه ساعيا بكل ما اوتي من جهد فكري لاعلاء حرية الفرد ولاصراره على ان الفرد ، انما ما اتاحت له حريته الصحيحة ان يختار طريق البعث بواسطة الثقافة الرفيعة والخلق القويم المتين ، سعى الى انقاذ نفسه ، ومن ثم عمل على تطوير المجتمع واصلاحه وانقاذه .

اما الفكرة الثانية فهي تمسكه بقيمة الحب العقلى الخالص من شوائب النفاق والانانية والتمويه . واعتقد ابسن ان غاية ما يصيب الفرد الانساني من مأساة في هذه الحياة انما هو حرمانه من ان يهب وان ينال مثل هذا الحب الحقيقي سواء بسواء

وقد عدّ ابسن عصره الذي عاش فيه متشائما موحشا . ولكنه كان في الحقيقة من اكبر المتفائلين ، لا بالنسبة لعصره وحده ، ولكن بالنسبة الى أمله في الانسانية وما يستطيع الانسان عمله في سبيل بناء مستقبل افضل ومجتمع امثل يقوم على الصحة والصدق .

روايه أعمده المجتمع

ظهرت روايته هذه في عام ١٨٧٧ . وقد يرى النقاد ، كما ارى ، انها ليست بخير رواياته المسرحية اطلاقا . فهو لا يصل فيها الى ذروة التعبير الشعري الرمزي الرفيع كما وصل في رواية اخرى له هي « البطة البرية The wild Duck » ، وكذلك لم يبلغ في اعمدة المجتمع ذروة العنف المسرحي كما بلغه في « المحنة » . على ان « اعمدة المجتمع » مع ذلك يمكن اعتبارها احدى مسرحياته الخالدة ، وذلك لاهميتها الاجتماعية والفنية والتاريخية .

فمن الناحيتين التاريخية والفنية ، اصبحت « اعمدة المجتمع » مثلا يحتذى ونموذجا تعاقب على غراره الروايات المسرحية الاجتماعية خلال السبعين او الثمانين عاما التي تلت ظهورها .



ولقد تأثرت المسرحيات العالمية ، وخاصة الامريكية منها ، بحبكتها المسرحية ، ولم تتحرر من سلطانها الا حديثا ، أي بعد الحرب العالمية الثانية حين اتجهت المسرحية اتجاها واضحا نحو التكوين السيكولوجي الصرف وما يقتضيه هذا التكوين من اعتماد الكاتب المسرحي في الدرجة الاولى على الحوار النفسي الداخلي دون التقيد بتسلسل الحوادث النظامي ، أو بوحدتي الزمان والمكان التقليديين .

اما من الناحية الاجتماعية ــ وهنا تبرز أهمية أعمدة المجتمع اذ هي بحق رواية اجتماعية قبل كل شيء ــ فقد قصد ابسن أن يصور بوساطتها المجتمع البرجوازي في بيئة صغيرة اجتماعية هي بيئة بلدة صغيرة في الريف النرويجي . لم يكن يهم ابسن في عرض هذه البيئة أن يصورها تصويرا فوتوغرافيا دقيقا ، وانما همه أن يطلق تيارا من الثورة التحررية على المجتمع تدعو الى الانطلاق الاخلاقي القويم والى تحرير الفرد من رواسب مفاهيم الطبقة البرجوازية السائدة والى الهاب روح الصدق والنزاهة والمحبة الكامنة في النفس البشرية .

وتدور حوادث الرواية في بلد صغير كما اسلفنا أي انه ينكمش على نفسه وأن يحافظ على هذا الانكماش لاعتقاده انه مجتمع مثالي لا يأتيه الباطل من خلفه أو من بين يديه .

ويقف على رأس هذا المجتمع عميده وراعيه « كارستن برنك Bernik » ربيب الطبقة المذكورة وموجه البلد اقتصاديا وثقافيا وخلقيا . لمـا « برنك » وترعرع على الاحتكار والانتهازية والتمويه والخداع ، وسيطر بثروته على البلد مع نفر من محتكري التجارة البحرية فيه . وعونه ماله الوفير في أن يوهم الناس والاهلين انه مثال الرائد الاجتماعي الصالح . فرأى الجميع ، في حياته المنزلية القائمة على تحكمه وسيطرته وكبته لحرية المرأة ، رأوا في ذلك المثل الأعلى الذي لا بد وان يحتذى .

وامعانا في التمويه فقد استطاع « برنك » أن يجد في رورلند R ö l u n d ، معلم القرية الأول ، عونا له يساعده على فرض نوع من التوجيه الخلقي على نساء البلد يحذرهن فيه من خطر التفكير في التغيير والانعتاق .

والمؤلف في أول المسرحية قد لمس نوعا من الثورة على الركود المخيم على البلد في شخص « مارتا » شقيقة « برنك » بالذات اذ كانت تطمح الى مجتمع أمريكا الخارجي . فلا يسارع « رورلند » الى تحذيرها مخاطبا اياهـا : « لا يخدعنك هذا المظهر الصاخب ، فانه يتكالب الناس على مصالحهم الذاتية فيرتدون عرض دون ما يرجون . أما نحن فننعم في مجتمعنا بالهدوء والدعة والطمأنينة . وما ذلك الا بفضل شقيقك « برنك » وما رسمه من مثل أعلى في حياته المنزلية وما رفعه من أعلام المثالية في هذا البلد » .

ثم كان هدوء ولكن ليس من النوع الصالح السليم . فقد اخفى الهدوء تحت ستاره الكثيف بناء متداعيا قام على أساس من الخداع والتدجيل وعلى سلسلة من الاكاذيب . وتركزت رذائل الخداع والتدجيل والتمويه في شخص « برنك » الذي كان قد بنى مجده على الاحتيال والاجرام . فقد تورط في أول حياته في فضيحة أخلاقية وعلاقة آثمة مع ممثلة مغمورة تدعى « مسز دورف Dorf » ليقضي نزوة شبابه . وعندما كاد زوج الممثلة السكير أن يكتشف هذه العلاقة الآثمة وما كان سيجره هذا الكشف من فضح أمر « برنك » أمام خطيبته ، رأى « برنك » أن يلبس الاثم زورا وبهتانا لصهره العتيد الشاب « يوهان » . وقد قبل هذا الشاب التضحية في سبيل شقيقته المخطوبة آنذاك «البرنك» ، فاختفى من مسرح البلدة ، وفر الى أمريكا بصحبة شقيقته الكبرى « لونا هيسل Lona Hessel » . وتمادى برنك في التورط بالخداع فأذاع الشائعات حول «يوهان» زعم فيها انه هرب ليغطي جريمته ، وليغطي أيضا اختلاسه قدرا كبيرا من المال من والدة « برنك » . أما لونا هيسل فقد آثرت الفرار مع أخيها يوهان بعد أن خذلها « برنك » في حبه لها ، وبعد أن تخلى عنها مفضلا عقد خطبته على شقيقتها الصغرى بتي « Betty » ، وقد آل الى هذه الاخيرة ميراث كبير رأى برنك فيه أكبر عون يساعده على تغطية وضع أسرته المالي المتدهور ، ويحفظه عز مجده المالي والاجتماعي التليد . كذلك تورط برنك في جرائم أخرى مالية أتاحت له احتكار الملاحة البحرية والتجارة الداخلية عندما فكر في مد خط سكة حديد داخلي بعد أن اشترى الاراضي التي كان

سيعود بها الملف بثمن بخس توهما منه أن يرتفع ثمنها عند اتمام الخط وانتعاش التجارة عليه .

ولكن هل دام لبرنك ما أراد ؟ ان نقطة التحول أتت عندما عادت « لونا هيسل » برفقة أخيها يوهان ثانية وعلى حين غرة الى موطنهما الأصلي . وهنا يبدأ عمل تيار الثورة الأخلاقية المتحررة الصافي ممثلا في شخص « لونا » وما اتصفت به من صراحة في القول وصدق في العاطفة وحب سابق ما تزال تكنه نحو برنك . تعود « لونا » لتحصر مهمتها في كشف القناع وهتك الستار . ويقابلها مجتمع البلدة الصغيرة الآسن بالتخلف والضيق الى حد أن « رورلند » معلم الجيل الزعوم يأمر بانزال الستائر في منزل برنك كيلا يتلوث ذلك المنزل برؤية المارين القادمين من أمثالها . الا أن « لونا » وقد تسلحت بسلاح الحق والصدق لا تخشى أمرا . وتقتحم المنزل فيلمح رورلند لها من امتعاضه من عودتها ويقول : « ليست العودة الى الوطن مناسبة سعيدة بالمرة » فترد عليه « لونا » بسخرية لاذعة : « اقرأ أنجيلك يا حضرة الكاهن المحترم كل صباح ! ما أشد ما تبرح للنفحات أصابتكم من رائحة كريهة تزكم الأنوف . كأني بهذه الستائر الكتان الطويل . علوا لم أعثر على هذه الرائحة في جسم المسيح . أولأنكم قد أسدلتم الستائر . ولكن سرعان ما أشرق الضياء فيه عندما ترون أخي يوهان الذي رأى النور . اني أريد أن أخرجكم الى الهواء الطلق النقي » .

نعم لقد آلت « لونا » على نفسها أن تسرد الكرامة الى النفس البشرية . فتحاول أن توقظ ضمير برنك وتختلي به كلما سنحت لها الفرصة وتسلط عليه لاذع قولها . ويحاول برنك التهرب من لهيب أسئلتها ولكن عبثا ما يحاول . ولقد صفعته « لونا » عندما قالت له مرة : « لقد عشت طوال الخمسة عشر عاما المنصرمة على كذبة في سبيل المجتمع » . فيتساءل برنك في عجب : « على كذبة » ؟ فتجيب « لونا » « ماذا تعرف زوجتك عن كل ما كان مخبأ عنها قبل زواجك منها .

برنك : وهل تتصورين أن أقدم على البوح لها بذلك فتجرح كرامتها .

لونا : وهل أنت سعيد حقا في حياتك العائلية ؟

برنك : طبعا ان « بتي Betty » امرأة عاقلة طيبة . تعلمت أن تكيف نفسها حسب رغباتي ولن تحاول تعريجها عن نظرياتها القريبة في الحب . وانا فقد أصبح بيتنا مثلا يحتذيه اخواننا من المواطنين .

لونا : ولكن هؤلاء المواطنين لا يعلمون شيئا عن الأكذوبة . انها ليست أكذوبة واحدة . بل ثلاث أكاذيب . الأكذوبة علي ، والأكذوبة على يوهان ، والثالثة على « بتي Betty » .

« لقد جئت الى هنا لأساعدك كيما تقف على أرض ثابتة من الصخر . كنت آمل أن أجد فيك بقية من ضمير . ولكنني لن أيأس أو أقطع الأمل » .

حقا انها لم تيأس . لقد أعد برنك بعد حديثه هذا مؤامرة اجرامية كبرى لاغراق أخيها يوهان على سفينة مبحرة الى أميركا عندما قرر يوهان أن يترك موطنه ثانية مع حبيبته « دينا » ابنة « مسز دورف » . وهو عما قريب سيجني أعظم انتصار له لسلطه ليوهان . ولكنه رجل نفسي لا يستطيع أن يتخلى عن الاجرام مثله في ذلك مثل « مكبث » ، بطل شكسبير ، ذلك الذي قادته جريمته الأولى الى التورط في الدم والانغماس به . نعم كان برنك رجلا تعسا بالرغم من الاحتفال الرائع الذي قررت البلدة أن تقيمه له اعترافا بفضله عليها . فهو يصرح قبيل هذا الاحتفال للونا قائلا : « ما أشد ما أشعر به من الوحدة والعزلة هنا . ماذا جنيت من خدمتي المجتمع غير العطارة النفس » . فتسأله لونا : « أما آن لك الا أن تمزق الستار ؟ » فيجيب . « لا أستطيع . لقد فات الأوان بالنسبة لي . انما لي أمل واحد برأوسي ، ذلك هو ولدي أولاف . فقد يتمكن من بعدي أن يخرج الى نور الحقيقة فيشيد بناء يرفرف عليه السعادة والثقة » .

وحتى هذا الحبل الأخير من الأمل تقطعه لونا عندما تضرب ضربتها صائحة في وجه برنك :

« سحقا لهذا التراث نورثه لولدنا . انه قائم على اساس من الغش والخديعة » .

ولشد الاقدار أن تساعد « لونا » على تعزيز آخر خيط في حبل امل برنك . فقد نما الى « برنك » ان ابنه « اولاف » قد هرب من منزله وصمم على الرحيل مع يوهان وحبيبته دينا على نفس الباخرة التي كان برنك قد دبر مؤامرة اغراقها . فيجن جنونه وتزيده هذه الصدمة الى صوابه سيما بعد ان يكتشف ان امرأته « بتي » التي طالما احتقرها واتهمها بالتفسخ والاهمال ، قد تمكنت من العثور على ابنه اولاف وبرده الى المنزل . ولذا يقابل برنك الجماهير الزاحفة الى بيته لازجاء المديح والهدايا ، يقابلها بالحقيقة ويكشف عن حياته الماضية ويبرىء ساحة يوهان ، ويعترف بتجنيه على المجتمع عن طريق انتهازية وحشية ، ويهتك الستر عن مؤامرته بشأن خط سكة الحديد ، ومن مؤامرته الاخرى بشأن اغراق الباخرة ، ويقرر ان ينزوي في منزله بعيدا عن صخب المجد الزائف ، وقد تم خلاص نفسه وعادت اليه ثقته بالحب الخالص نحو زوجته وابنه بسمو المحبة الصادقة التي حملتها له « لونا » طوال حياتها .

الحبكة الفنية لمسرحية اعمدة المجتمع

بقي لنا ان نبحث في الناحية الفنية الصرفة في روايتنا وان نتساءل عن العوامل التي اعتمد عليهما ابسن في بناء قصته وطرحه في قالب مسرحي .

هل اعتمد مثلا على الزمانية وما تنطوي عليه من ترابط منطقي وتسلسل منتظم للحوادث بحيث يأخذ بعضها برقاب بعض ، وبحيث تتم في فترة اراد لها اصحاب المسرح التقليدي ان لا تتجاوز يوما واحدا أو يومين على سبيل التجاوز . وهل اعتمد ابسن على الوحدة المكانية الكلاسيكية بحيث حصر حوادث الرواية وتجاوب شخصياتها في مكان واحد محصور ؟ ثم الى اي حد اعتمد ابسن ايضا وحدة العمل التي تقضي بان يكون هناك محور رئيسي تتفرع عنه الاعمال المختلفة التي يقوم بها شخصيات الرواية وبان يكون في المسرحية حبكة رئيسية واحدة لا غير . واخيرا هل اخضع ابسن الحوار المسرحي لمتطلبات هذه الوحدات الكلاسيكية الثلاث أم تجاوز كل ذلك وادخل نوعا من الحوار الجديد جعله العنصر الرئيسي في المسرحية لا الفرع الخاضع للقواعد المسرحية الاخرى .

الوحدة المكانية في الرواية

والاجابة عن جميع هذه الاسئلة تقرر بسرعة وبشيء من البسر ان ابسن تقيد بالوحدة المكانية الى ابعد حد . فجميع حوادث الرواية تجري في نفس المكان في بلدة نرويجية صغيرة وحتى حوالي منزل المستر برنك : في داخله او في حديقته او بالقرب منه .

وحدة العمل في الرواية

كذلك تقيد ابسن بوحدة العمل الى حد كبير . فجعل من شخصية برنك المحور الرئيسي لجميع ما يصدر في المسرحية من اعمال . فجميع شخصيات الرواية تلتقي في تعاملها مع هذا المركز الواحد . وقد يرى البعض ان هناك تيارا خفيا معاكسا لهذا التيار المنحرف الذي يتعمده برنك نحو التحرر والجريان . واعني بذلك تيار العلاقة الغرامية التي قامت بين « يوهان » وبين « دينا » ابنة مسز دورف ، وكلاهما يمثلان الجيل الصاعد ، وما يعقده المجتمع المتطور على هذا الجيل من آمال كبار في اصالة بنائه . الا ان التمعن في الحبكة الحركية المسرحية يجد أن هذا التيار الخفي انما هو متصل اشد الاتصال بتيار برنك الرئيسي . ف « يوهان » صهر برنك واضحيته الرئيسية . ودينا ابنة مسز دورف التي كان لبرنك معها علاقات سرية في بدء حياته العملية . ودينا ، كذلك ، عاشت في كنف برنك بعد أن مات والداها .

واذا كان ابسن يتقيد بالوحدة المكانية والوحدة الحركية الى هذا الحد فمن الطبيعي ان تأتي حوادث المسرحية متصلة اتصالا منطقيا حتميا يفرضه واقع الوحدة المكانية والوحدة الحركية .

الحوار في المسرحية كان وسيلة المؤلف الكبرى

الآن فهل نعتبر اعمدة المجتمع مسرحية كلاسيكية

بكل ما في الكلمة من معنى ؟ والجواب على هذا السؤال يستدعي منا كثيرا من التفكير وامعان الفكر لئلا نقع في الزلل . واذا ما اردنا مثل هذا الاعمال الفكرى فلا بد لنا من أن نلاحظ أن ابسن لم يكن كاتبا كلاسيكيا بل كانت مشاعره مع الحركة الرومانطيقية الثائرة على الكلاسيكية . ويتضح اتجاه ابسن الرومانطيقي في انه ركز اهتمامه على كشف الطبيعة البشرية وسبر اغوار النفس بدلا من أن يجعل من روايته بناء ميكانيكيا . يدلنا على ذلك اعطاؤه الاهمية الكبرى للحوار الذي يقوم بين شخصيات الرواية بحيث جعل هذا الحوار هو الاصل لا الفرع الذي تتحكم فيه الوحدات الكلاسيكية المسرحية . ونحن عندما نقرا المسرحية لا نهتم بالوحدة المكانية او الحركية او الزمانية بقدر ما نهتم بالسؤال شخصيات الرواية المختلفة وما تكشف عنه الاقوال من نفسيات هذه الشخصيات . لقد جعل ابسن الحوار المسرحي وسيلته الكبرى ليترك بوساطتها كل شخصية تتكلم عن نفسها وكأنها تجري نوعا من الحوار الداخلي النفسي الذي نسمعه في المسرحيات الحديثة . فبرنك لا يحدث الناس بحبيب على غيره في اغلب الاحيان ، بل ليتخلص في اندفاع نفسي باطني في نوع من التبرير لما يفعله . وهو اشد ما يكون انغماسا في هذا التبرير الذاتي عندما يقف على اعتاب اشد الاعمال اجراما . وكأنه بذلك يريد أن يسكت صراعا داخليا يعتمل في نفسه مصدره الضمير . ولونا تستطيع في الحوار الذي يكشف عن مكنون نفسها ومحبتها وسخريتها اللاذعة التي تلجأ اليها مرارا وتكرارا كشيء متصل مع ما تعيش به نفسها من حب الاصلاح والانقاذ يظهر على السطح كفقاقيع الماء الغالي الجياش . و « دينا » تتحدث دائما عن ثورتها على النفاق المعاصر لها انها تحب وتطلعها الى الانتقال الى عالم جديد فسيح حر يتسم بالصدق وطيب السريرة .

رولند هو الشخصية الوحيدة النكرة التي لم يصبها التغير ابدا

أما رولند معلم الجيل الحديث وكلامه هو الحديث الديالكتيكي الوحيد . والحق أنه قد درب نفسه على اتخاذ نهج النقاش المنطقي والاستهزاء اللاذع . ودرب نفسه على كبت عناصر الخير في نفسه ، ولذلك فقد صدق ما يطلب به الثورة ما اجاد التعريض والغمز . ولهذا كان حديثه بحكم العادة لا يكشف ابدا باطنيا تحت نطاق الوعي . حتى في علاقته مع « دينا » التي يحبها حبا فيظهر من حديثه انه انما يضفي عليها شرفا ومنة في تنازله الى حبها وهي ابنة المرأة الساقطة . وكأنما اراد ابسن ان يحمي شخصية رولند كليا وأن يحمي مع ذلك حديثه الباطني الداخلي . ولذلك فرولند هو الشخصية الوحيدة التي تدعو الى الرثاء وهو الذي يمثل عنصر التراجيديا الحقيقية في المسرحية . فهو قد فقد حسه وتبلد الى حد انه لا يتوقع من برنك الا يراه عن كثب ليتهم وان لعنته بالجنون عندما اعترف بأخطائه ورجع عن غيه . وكأنما لم يشأ رولند ان يحطم الصنم الذي ظلا عبده ، ولم يشأ ان يصدق ان مجتمعه كان في حاجة الى اصلاح ، ولم يشأ ان يعترف ان الحب ليس منة بل هو صدق وتضحية وتواضع وبساطة وايثار ، فخسر هذه جميعها ، خسر الصنم الذي كان يحرق البخور امامه ، والمجتمع الذي كان احد اعمدته ، والحب الذي ظن انه اتقنه . وكانت نهايته نهاية محزنة تدعو الى الاشفاق والرثاء .

الرمزية في المسرحية

واخيرا فقد شاء ابسن أن يدخل شيئا من الرمزية في روايته المسرحية بان جعل من السفينة التي اراد برنك أن يغرقها بمن عليها رمزا لشبح الموت الذي يريد أن يقضي على عنصر الخير فيرتد خاسرا امام قوة هذا العنصر وينتصر الخير على الشر . وهذه الرمزية هي نفحة شاعرية تربط ابسن بالرومانطيقية ، كما ربطت قصيدة كولريدج Colebridge « الملاح العتيق » بعالم سحرى رومانطيقي اخاذ قلما اتيح لغيره من الشعراء . وهذه الرمزية طورها ابسن في روايته التالية « البطة البرية » ويصوغ منها اطارا شعريا جميلا رقيقا يحيط بتلك المسرحية .

هنري مطر
دار المعلمين ــ عمان



غاريبالدى

موحد إيطاليا

بقلم : الدكتور محمود السمرة

■ فى تاريخ كل أمة رجال نقشت أسماؤهم على صفحات القلوب ، لما قدموا لأمتهم من خدمات . ومن هؤلاء الرجال جيوسيبى غاريبالدى Garibaldi منشىء إيطاليا الحديثة ، وموحدها .

ولقد كتبت عن غاريبالدى كتب عديدة من أشهرها مؤلف المؤرخ الشهير تريفليان G. M. Trevelyan فى ثلاثة أجزاء صدرت عام ١٩٠٧ و١٩٠٩ و١٩١١ على التوالى ، و « صانعو إيطاليا الحديثة » لماريوت J. Marriott (١٨٨٩) ، ثم هناك أيضا مذكرات غاريبالدى نفسه (١) . وآخر ما صدر عن غاريبالدى هو كتاب « أسد كبريرة » لجون باريس (٢) ، وهو الكتاب الذى نقدمه . وقد استغرق مؤلفه فى إعداده خمسا وعشرين سنة .

ولهذا الكتاب ميزات وعليه مآخذ .

فمن ميزاته أنه يصحح كثيرا من التفسيرات التى وردت فى كتاب تريفليان ، والتى أثبت البحث التاريخى بطلانها . كما أنه يكشف لأول مرة عن والتى كانت مجهولة عند الدارسين المتقدمين ، وأسلوب المؤلف حى ، عامر بالفكاهة .

ومع هذا ففى الكتاب عيوب بادية : فالقارىء يخرج من الكتاب ليتساءل : ترى ما هى الأسباب التى جعلت غاريبالدى خالدا ؟ إن الكتاب لا يجيب عن هذا ، مع أن توضيح سر عظمة غاريبالدى يجب أن يكون هو الموضوع الرئيسى فى كل دراسة تكتب عنه .

ويبدو لى أن المؤلف لم يستطع أن يهضم جيدا الأحداث التى كونت غاريبالدى ، ولهذا ملأ كتابه بقصص كثيرة تروى عن غاريبالدى وسلفه ، وهى كثيرات . وفى الكتاب رومانسية وبعد عن التحقيق التاريخى ، والموضوعية . والعجيب بعد هذا أن يخلو الكتاب من الخرائط إلا من خريطة واحدة لا قيمة حقيقية لها .

* * *

ومن هو غاريبالدى ؟

ليس هنا مجال قصى حياة غاريبالدى ، ولكن هذا لا يمنعنا من الوقوف عند أبرز أحداث حياته ، لننتقل بعد هذا إلى بيان الأسباب التى جعلت منه بطلا خالدا .

(1) Autobiography of G. Garibaldi, Translated by A. Werner 1889.

(2) John Parris, The Lion of Caprera.



في الرابع من شهر ... جيوسيبي غاريبالدي في نيس من أسرة فقيرة ، الأب يعمل بحارا ، وكانت نيس في ذلك العهد ... مدينة ايطالية ، وإن كانت ... .

ولم يتلق الطفل جيوسيبي من التعليم إلا قليلا ، وأصبح بحارا وهو لم يعد الثالثة عشرة من العمر ، وطوف بين موانيء البحر المتوسط من أقصى الشرق الى أقصى الغرب .

وفي أحد الأيام رست سفينته في ميناء مرسيليا ، ونزل الصبي غاريبالدي الى المدينة ، ودخل الى احدى الحانات ، ليجد على مائدة مجموعة من الشباب الايطاليين يتناقشون بصوت عال ، فانضم اليهم . ولأول مرة سمع بوجود منظمة تدعى باسم « ايطاليا الفتاة » ، وعلى رأسها شاب اسمه « مازيني Mazzini » . كان أحد الشبان متحمسا لهذه المنظمة ، ولكن واحدا من الجالسين قاطعه قائلا : وماذا تعني بايطاليا ؟ هل تعني مملكة بيمونت ؟ أم مملكة نابلي ؟ أم ولايات البابا ؟ .. فأجابه الأول : انني أعني ايطاليا الجديدة .. ايطاليا المتحدة التي تضم جميع الايطاليين ..

ويقول غاريبالدي عن هذا اللقاء ... كان نقطة تحول في حياته ... الذي كان لا يطمع في أكثر من أن يكون ربان سفينة ، تفتحت امامه آفاق جديدة « ولم أحس بالنشوة التي أحس بها كولومبس ... لاحت له الارض بعد ضياع ... فلم أتمالك نفسي من أن ألتف بحرارة على هذا الشاب » .

★ ★ ★

حقا ، لقد كانت كلمة ايطاليا غريبة على السمع ، إلا أن ما يعرف الآن باسم ايطاليا كان مقسما الى ممالك وإمارات عدة : فهناك مملكة بيمونت أقصى الشمال ، وهي الجزء الوحيد من ايطاليا الذي كان يحكمه ملك ايطالي ، أما سائر ايطاليا فكان مقسما الى ولايات تحكمها النمسا ، والبابا ، ومملكة نابلي ، حكما استبداديا قويا ، ... الأمل الوحيد في تحرير ايطاليا هو كسر شوكة الحكام المستبدين ، وجعل الايطاليين أمة واحدة متحررة .

وتعلق الشاب غاريبالدي بفكرة ايطاليا الموحدة ، وكانت خطة رجال « ايطاليا الفتاة » ، التي أصبح غاريبالدي عضوا فيها ، أن يقيموا جمهورية في بيمونت ، ومنها يسعون لتحرير باقي أجزاء ايطاليا . وأعلنت المنظمة الثورة في فبراير (شباط) ١٨٣٤ ، ولكنها فشلت ، وتفرق رجالها ، وهرب غاريبالدي متخفيا ، ليقرأ في الصحف عندما وصل الى فرنسا أنه قد حكم عليه بالموت .

★ ★ ★

وجاب غاريبالدي أوروبا كلها ، والتحق بإحدى السفن متوجها الى البرازيل . وهناك شارك في الحركات التحررية التي من أهمها تكوينه فرقة من الايطاليين الموجودين في مونتفيديو عاصمة أرجواي ، لصد عدوان الأرجنتين عن هذه البلاد

الصغيرة . وقد عرفت هذه الفرقة التي الفها غاريبالدي باسم « القمصان الحمر » ، وهي فرقة اشتهرت في هذه الحرب ، كما كان لها الدور الاول في تحرير ايطاليا وتوحيدها فيما بعد .

وقد عرفت هذه الفرقة بهذا الاسم صدفة : فعندما كون غاريبالدي فرقته بحث لها عن ملابس رخيصة ، فلم يجد ارخص من قمصان حمر من الصوف موجودة بكميات كبيرة في مخازن مونتفيديو وكانت هذه القمصان قد صنعت لتباع لعمال مذابح الماشية في الارجنتين ، واختير لها اللون الاحمر حتى لا يظهر عليها دم الماشية عند الذبح . فلما نشبت الحرب بين الارجنتين واورجواي بقيت هذه القمصان في المخازن . وقد اشتهرت فرقة « القمصان الحمر » وطبقت شهرتها اوروبا ، وعلى راسها قائدها غاريبالدي .

وكان غاريبالدي وهو في منفاه على صلة مستمرة بمتزيني واعضاء « ايطاليا الفتاة » ... التي اخذ نشاطها يمتد ، واعضاؤها يتزايدون . وكان اكثر الاعضاء من المتعلمين في المدن الكبيرة من المعلمين والاطباء واساتذة الجامعات والكتاب والفنانين. اما كبار الملاك واصحاب المناصب فكانوا يريدون بقاء الاحوال على ما هي عليه . وكانت افكار هؤلاء الشبان عن ايطاليا التي يريدون خلقها مختلفة ، ولكنهم مع هذا حافظوا على اتصال بعضهم ببعض ، وعلى اتصالهم بمتزيني الذي كان في لندن . وقد ترامت اليهم اخبار شجاعة غاريبالدي ورجاله ذوي القمصان الحمر في امريكا الجنوبية ، فاتجهت قلوبهم اليهم بحب واعتزاز .

وفي عام ١٩٤٧ بدا اولئك الشبان بالثورة من اجل حرية بلدهم، وارسلوا الى غاريبالدي ليعود الى ارض الوطن مع رجاله ، فلم يتلكأ ، وبادر الى تلبية النداء الذي ظل يطلبه مدة اثنتي عشرة سنة ، ومعه ستون من رجاله لابسي القمصان الحمر .

وفي معركة تحرير ايطاليا برز اسم غاريبالدي، واصبح عند الايطاليين رمز الحرية ، ورمز ايطاليا الموحدة ، وطغى اسمه على اسم متزيني . وليس هنا مجال تتبع معارك غاريبالدي ، وما لقي على ايدي الساسة من عنت ، وما تعرض له من تشرد ونفي مرات، وما لقيه في حروبه من جراح واصابات، ولكن الامر الذي لا نستطيع ان نمر به دون ان نشير اليه هو احتلاله بقوة قوامها الف رجل جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا ، واستيلاؤه على مملكة نابلي . لقد ابدى غاريبالدي ورجاله في هذه الحرب بسالة فائقة ، وعرفت هذه الحملة باسم « الالف » ، وبهذا الاسم ظلت في الاغاني والقصائد والقصص .

وقد ابحرت هذه الحملة في ليلة الخامس من شهر مايو « ايار » ١٨٦٠ ، وليلة الابحار كتب غاريبالدي في مذكراته : « يا ليلة الخامس من مايو ... ان جلالك يملأ القلوب ، فبك يتقدم رجالي لتحرير المستعبدين .. ان الالف من هؤلاء الشبان من جنودي هم ابطال حرب الحرية ، واني لفخور بهم ، واثق من انني استطيع ان افعل اي شيء حتى المستحيل » .

وكان بين الالف ابن غاريبالدي مينوتي ، وكان حينئذ ابن تسعة عشر عاما .

★ ★ ★

ان غاريبالدي ما زال حتى اليوم يعيش في قلب كل ايطالي ، وفي قلب كل انسان محب للحرية والكرامة الانسانية . ولقد اكتسب غاريبالدي كل هذا التعظيم لما تحلى به من صفات كالقائد والانسان.

لقد جاهد من اجل الحرية، وكان على استعداد لان يبذل حياته في سبيلها . ولا تعني الحرية عنده حرية ايطاليا فقط ، وان كانت هذه تأتي اولا ، ولكنه كان نصير الحرية في كل مكان . ومن اقواله:

« ان من يذود عن بلاده ويدافع عن حريتها ليس الا جنديا يقوم بواجبه ، اما الذي يقدم دمه فداء لكل شعب يناضل من اجل حريته ، فهو اكثر من جندي .. انه بطل » .



خريطة تبين تقسيم ايطاليا قبل توحيدها

وهو من أنصار العدالة الاجتماعية ، فقد هاجم الاستغلال ، وجعل واجب الحكومات الأول رفع مستوى الشعب خلقيا ، وفكريا ، وصحيـــا ، والناس عنده انما يمتازون بما فيهم من كفاءات ، وهذه الكفاءات متفاوتة في الدرجة حتى تنتهي بالقائد الذي هو أكفأ الجميع . وهذا القائد يختاره الشعب ليحكم حكما فرديا واضعا نصب عينيه مصلحة الشعب . ومن حق الشعب أن يعزله متى شاء .

ويشترط في هذا القائد الحاكم أن يحيا حياة بســيطة زاهدة . وقد طبق غاريبالدي هذا على نفســه في حياته ، فاشترى أرضا في جزيرة كبريرة ، وهي جزيرة صخرية جرداء تقع الى الشمال من جزيرة سردينية ، وبنى بيديه فيها كوخا خشبيا بسيطا ، وكان الناس يجدونه فيهـا يقتلع بيديه الصخور ، ويحرث الأرض الصلبة ، ويتعهد مواشيه بنفسه . وكان في المعركة يلبس كرجال فرقته دون أي تمييز ، ويواسيهم كمـــا يواسي الوالد أبناءه ، ويبكي حينما يموتون قتلى في المعركة .

وقد انهالت الألقاب والهبات على غاريبالدي فرفضها جميعا . عرض عليه الملك فكتور عمانوئيل قلعة ملكية ، وسفينة ، وضياعا ، وألقابا لأبنائه ، وصداقا لابنته ، فرفض هذا كله ، وعاد بعد أن أدى واجبه نحو وطنه ليعيش في كبريرة حياة الزهد والتقشف بالتين . وفي عام ١٨٧٥ منحه المجلس الايطالي مليون ليرة ، وراتبا سنويا قدره خمسون ألف ليرة ، فرفضهما قائلا : « لو أخذتها فلن تعرف عيناي النوم ، ولن أستطيع أن أرفع رأسي خجلا » . !

ويشترط في هذا القائد ، في رأي غاريبالدي ، أن يكون مقداما ، لا يكلف جنوده أمرا الا ويكـون هو على رأسهم . وهكذا كان . لقد كان موقف رجاله القليلي العدد حرجا وخطرا في احــدى المعارك في صقلية ، فتجرأ أحد ضباطه ، وعرض عليه أن ينسحبوا ، فما كان من غاريبالدي الا أن أجابه بالطمئنان : « اننا أتينا الى هنا لنصنع ايطاليا أو نموت » . وكان غاريبالدي في موقفه هذا على حق ، لأن انسحاب الفرقة في تلك المعركة كان من الممكن ، في رأي المؤرخين ، أن يضـــر بمستقبل ايطاليا أكثر من الضرر الناجم عن ابادة الفرقة بأسرها في المعركة .

وهذا التفاني والاخلاص هو الذي كان يجعل المواطنين يتحمسون للانخراط في فرقته مع انه لم يكن يملك شيئا يقدمه لهم سوى الموت في سبيل قضية تحرير ايطاليا ، اذا لزم الامر . وقد كان مجرد ظهور غاريبالدي مع رجاله ذوي القمصان الحمر كافيا لبعث الثقة والطمأنينة في نفوس المواطنين . وقد كتب احد الشاهدين يقول : « حينما كان غاريبالدي يمر بقرية كنت لا تقول انك ترى قائدا ، بل صاحب ديانة جديدة يتبعه جماعة من المتحمسين » .

وكان يخاطب الجماهير المحتشدة بصوته الهادئ العذب قائلا : « تعالوا الي . ان من يظل قابعا في بيته لجبان . ولكن ليس عندي ما اعدكم به سوى التعب والمشقة والمعارك ، والانتصار او الموت ».

ان هذه الروح التي بثها غاريبالدي في نفوس الايطاليين ، هي التي كانت تدفع حتى الشباب المترف الى اللحاق به . وقد ذكر انجليزي انه سأل احد شباب مدينة ميلانو النبلاء عن سبب التحاقه بغاريبالدي ، مؤثرا الشقاء على حياته المترفة ، فاجابه : « منذ اسبوعين استولى علي اليأس ، وفررت الى القمصان الحمر ، وجاء غاريبالدي ووضع يده على كتفي ، وقال لي بصوته الهادئ : « تشجع .. اننا نحارب من اجل بلادنا » فاحسست وكأنه قد نفخ في روحا جديدة لا تعترف بالتعب » !

وتجاوز تعلق الايطاليين بغاريبالدي درجة الحب الى التقديس ، فعندما كان يمر بالقرى كانت النساء يحضرن اطفالهن ليباركهم ، وكان المواطنون يحتشدون ليتباركوا بلمس طرف ثيابه مستبشرا يمر ممتطيا حصانه الابيض . وذهبوا الى ابعد من هذا فادعوا ان لمسة يده تبرئ الاعمى ، وتشفي المقعد . اما هو فكان يرد على كل هذا التقديس قائلا : « ليس عندي ما اعدكم به سوى التعب والمشقة والمعارك ، والانتصار او الموت » .

★ ★ ★

ولقد تجاوز حب غاريبالدي حدود ايطاليا عبر اوروبا ، ووصل الى امريكا . فعندما اعتزل غاريبالدي في كابريرا ، كان معجبون من امريكا واوروبا يأتون لزيارته ، حتى ان شركة ملاحية سيرت سفينة بين جنوه وكابريرا لتنقل المعجبين . وعندما كان يرقد في الفراش بسبب شظية اصابته في احدى المعارك ، التف حوله حشد من المعجبين من شتى انحاء العالم ، وانهالت عليه الرسائل وعلب السيجار الفاخر ، وشتى انواع الهدايا من بقاع مختلفة من العالم . وحضر لمعالجته ما لا يقل عن ثلاثة وعشرين جراحا ، حضروا من فرنسا وانجلترة ، وروسيا ، ومن كل اجزاء ايطاليا ، حتى ان ليدي بالمرستون Palmerston وبالمرستون نفسه ارسلا اليه الهدايا .

★ ★ ★

ولقد عاش غاريبالدي حياته كلها ومعارضا للاغتيال السياسي ، وكان في هذا مخالفا لكريسبي. ولقد عرض كريسبي على غاريبالدي فكرة اغتيال نابليون الثالث ملك فرنسا ، فرفض الاقتراح بشدة وقال : « ان ايطاليا ستتحد ، لا شك في هذا .. ولكن لا عن طريق خنجر يطلقه خائن في الظلام » !

★ ★ ★

هذا هو غاريبالدي الذي خلد وعاش في نفوس الاحرار ، وغاريبالدي هذا هو ما كنا نود ان نراه في كتاب جون باريس ، لا غاريبالدي صاحب الغراميات الكثيرة .

ولا ينقص من قيمة غاريبالدي أن تكون له غراميات وأخطاء، فالإنسان إنما يؤخذ بمجموعه وأثره، وقد كان أثره كبيراً جداً في تاريخ القرن التاسع عشر.

ولغاريبالدي رأي في المرأة والحب طريف. روُيت له مرة قصة فتى انتحر بسبب فشله في الحب فقال: «يا للمجنون أن ينتحر إنسان من أجل امرأة، فالنساء في الدنيا كثيرات. إنني عندما تعجبني امرأة أقول لها: إنني أحبك فهل تحبينني؟ فإذا رفضت حيي قلت لها: يا لسوء حظك!!»

وغاريبالدي ليس من المتقيدين بالطقوس الدينية في الزواج، فقد عاشت زوجاته معه الواحدة بعد الأخرى، قبل أن يكون قد تم قرانهما. كما أن جميع أولاده قد ولدوا قبل أن تكون مراسيم الزواج قد تمت.

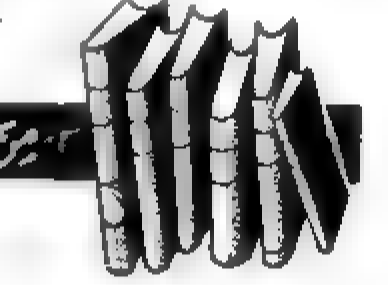
★ ★ ★

وهناك جانب خاف من حياة غاريبالدي، ذلك هو أنه عكف في أخريات حياته على كتابة القصص فكتب «كليليه Clelia» وقصتين أخريين جعل موضوعيهما حملته على صقلية (3) ولكن هذه القصص رديئة البناء الفني.

★ ★ ★

واليوم يرقد أسد كبريرا في مثواه في جزيرته التي أحبها، وليس على قبره سوى كلمة واحدة هي «غاريبالدي». وبجانب الضريح يقف حارس إيطالي لا يفارقه ليل نهار، منذ وفاته في الثاني من يونيه «حزيران» ١٨٨٢، وكأن الحارس يخشى أن يصحو الأسد من نومه فيثور الشر، ويمضي ليسمع في الصدور ■■

محمود السمرة



الإسكيمو

تأليف رونالد الريلانة، وترجمة عفاف فؤاد
رقم ١٢ من سلسلة الألف كتاب ـ القاهرة

● كتاب للصغار، يصف الصور، ويصف الكلام، يقدم لهم فكرة واضحة عن حياة قبيل الإسكيمو الذين يسكنون منطقة القطب المتجمد الشمالي.

من خيوط الحياة

سامي الكيالي ـ حلب

● في هذا الكتاب: من قصص الصلات بين الشرق والغرب، الطيوفا الشعراء، أحزان شاعر، عبرة الكواكبي، رحلة الكواكبي..

أمل الأشقياء

حسني سمار ـ الإسكندرية

● قصة تحوي بين دفتيها أخوات لها ثلاث، قصد الكاتب بالربط بينها إلى خلق لون من الترابط الفكري في ذهن القارئ.

(3) Cantoni il Volontario: I Mille

الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني

تأليف جون ديوي ـ ترجمة الدكتور
محمد لبيب ـ القاهرة

● المؤلف فيلسوف تربوي امريكي شهير . وهو في هذا الكتاب يبحث في الطبيعة الانسانية بجوانبها كلها ، معتمدا بذلك على الواقع وعلى العلم الحديث ، وهو بذلك يساعد على فهم السلوك الانساني وتفسير ظواهر الاخلاق عند الناس . ويذيل الكتاب قائمة بالمصطلحات الانجليزية ومقابلها العربي . وحبذا لو فعل كل مؤلف وناشر هذا خدمة للغتنا العاصرة .

دولة الادارة

تأليف فريتز مورشتين ماركس ـ ترجمة
ابراهيم علي البرلسي ـ القاهرة

● كتاب يدرس لمشكلات الموظفين او يناقش بالتفصيل الاتجاهات المتعددة في اعداد الموظف العام وتدريبه واختياره ، كما يناقش فلسفة الخدمة الحكومية ، وما تتعرض له من ضغط في ظل الرأسمالية والاشتراكية على السواء . وهو يستمد من التجارب الالمانية والبريطانية واليابانية خاصة .

ديوان احمد رفيق المهدوي

المطبعة الأهلية ـ بنغازي

● ولد الشاعر عام ١٨٩٨ وتوفي عام ١٩٦١ ، من قصائد الديوان: فراق وشكوى ، جراح القلب الشعر والشعراء ، عيد الورد ، جاء الربيع ، وطني وحبيبي .. الخ .

تقدم العرب في العلوم والصناعات

عبد الله بن العباس الجراري ، دار الفكر العربي ـ القاهرة

● كتاب فيه تقويم للحياة العربية كلها ، بل هو نظرة شاملة لنواحي الحضارة العربية ،وكشف عن مآثر العرب في ميدان العلم والتقنية ، وعن مدى ما تعلمه الأوروبيون منهم .

الشعر والتجربة

ارشيبالد مكليش ـ ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي
مؤسسة فرنكلين ودار اليقظة العربية ـ بيروت

● مؤلف هذا الكتاب من رواد الشعر الامريكي المعاصر ، حفلت حياته واعماله بتجارب واختبارات في حقول متعددة اهلته للخوض بشكل متفرد في مواضيع الشعر ، والتحدث عن التجربة الانسانية كما يعرفها الشاعر .

بغداد مدينة السلام ، الجزء الاول

ريتشارد كوك ـ ترجمة فؤاد جميل
والدكتور مصطفى جواد ـ بغداد

● كتاب جامع لتاريخ بغداد وخططها القديمة ، من فصوله : تأسيس المدينة ، ايام الصفاء ، لمحور بغداد ، العباسيون المتأخرون ، الطوفان المغولي .. الخ .

دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية

الكي ـ ترجمة الدكتور محمود زايد ـ مؤسسة
فرنكلين ودار العلم للملايين ـ بيروت

● كتاب في ستة فصول هي : التاريخ بين العلوم الاجتماعية ، عرض لبعض مفهومات ووجهات نظر في العلوم الاجتماعية ، مشكلات التحليل التاريخي ، الكلي والتاريخ ، الاساليب النظرية والممارسة ، العلوم الاجتماعية ومشكلة التركيب التاريخي .

تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب

الجزء الرابع ، القسم الاول : لابن الفوطي ،
حققه الدكتور جواد علي . نشر وزارة الثقافة ،
دمشق

● تاريخ الالقاب عند العرب والمسلمين واسع الميدان ، وقد الف فيه المتقدمون والمتأخرون ، ولكن هذا الكتاب لا يزال يحتل الصدارة في هذا الفن من فنون التاريخ ،وهو من تأليف ابن الفوطي البغدادي المولود ببغداد سنة ٦٤٢ هـ والمتوفى بها سنة ٧٢٣ هـ .



حدثت يا فلسطين فقد — شفنا الوجد لما خفق السدود
واستبد الشوق في أنحائنا — فأعيدي سالف المجد أعيدي
وابعثي النخوة في أسد الحمى — ورجال ـ يصنعون المجد ـ صيد
يؤثرون الموت في ساح الوغى — وعواليها على عيش العبيد
يحتقرون الذل في أصفاده — ويطيحون بأسلاك الحدود
لايهابون صواريخ العدى — لا ولا يخشون طاقات الحشود
وإذا ما النار في آفاقهم — غشيتهم هتفوا هل من مزيد
يافلسطين اهتفي ثم احتمي — بهم يأتوك بالعزم الوطيد
إنهم فتيان صدق هرعوا — بعتاد ونار وحديد
وهمُ دحر الأعاريب إذا — أعطش الليل وهم خير جنود
فاسألي الأمجاد عنهم عنهمُ — في ذرى أوراس أو في بورسعيد
واذكري بطشتهم في خصمهم — صاحب العدة والجيش العديد
حين أردوا بغيه في غضبة — أحرقت سورتها كل مريد
مزقوا أوصاله في هزمة — ذكرتنا عصفة ابن الوليد
هزمة صارت على الدهر صدى — ومنارات لتمزيق الحسود
أسندتها صرخة الأحرار في — مغرب الأرض وفي الشرق الصمود
أيدوا الحرية السمحاء إذ — أيدوا الأحرار في الرأي السديد
هكذا الأحرار في أسلافهم — هكذا الأحرار عشاق الصمود

* * *

يافلسطين كأني بالحمى — زلزل الأرض على الخصم اللدود
فاعصفي بالقيد لا تنتظري — أحبطي كيد أعاديك وزيدي
أطلقي الألحان في رحب القرى — واهتفي بعزمات العُرب عودي
وانشري في الأفق أعلام الهدى — وتغني بالبطولات وجودي

فاضل خلف
سفارة دولة الكويت ـ تونس



فهم العلم شيء وفهم الأدب شيء آخر

● ان أحب العلم ، وأحب أخباره ومواضيعه ، واستطيع استيعاب الكثير مما يأتي في العربي من ذلك ، ولكني لا استطيع ان افهم كل شيء مما تكتبون ، فهل يمكن ان يبسطوا هذا الذي لا افهمه أكثر من ذلك ؟ اني رجل تعلمت وأني مغرم بقراءة العلم لأني أعلم ان عالم المستقبل عالم علم .

س ... الكويت

ـ يتضح من كتابك التي تركت فيه مدرستك الابتدائية ، على الرغم من عوامل الثلاثين ، لم تواصل الدراسة الثانوية ، من هنا جاءت مشكلتك في استيعاب كل ما تقرأ من العلم ، ان التبسيط العلم مما يظل الكاتب عنده مترفقا ، والا أصبح هو الجهل بعينه . ان العلم غير الأدب التقليدي ، انك تقرأ في الأدب عن ناس وعن حياة ناس ، فتفهم كثيرا (الا اذا ما فاتك اللغة وما فاتك ما حصلت من تعليم سابق ، فحتى الأدب يحتاج الى سبق قراءة وسبق مدرسة وتعلم) . وانت تفهم الكثير من الأدب لأنك مارست حياة الناس ، وجربت مشاعرهم والعواطف ، وخبرت الحياة عامة . ولكن العلم حصيلة دراسة متراكمة ، كالدور من البيت لا يقام الا على دور تحته متين . فمثلا اذا حدثتك عن خبر في الكهرباء يتعذر علينا ان نعود بالموضوع بعيدا الى الوراء ، فنشرح ما هو الفلك وما الأثير وما الجهد وما الى ذلك . هذه امور مدرسية لا بد ان يحصلها القارىء « العربي » وغير « العربي » قبل ان يقرأ . والنقطة عندك يكون ، لا نقص في المقروء ولكن نقص في القارىء ، وظروف عنده كاتب العلم ان يتنزل بموضوعه العلمي الى مرتبة الاطفال . ومن الرجال في هذا الشأن اطفال . والذنب ليس ذنبهم وانما هو ذنب ظروفهم . وقى الله الرجال شر فوات فرص التعليم ، فهو فوات يظل المرء يعانيه طول حياته .

هل تطلق المرأة زوجها ؟

● نقرأ في بعض الصحف احيانا ان امرأة ما ، طلقت زوجها . فكيف تطلق المرأة زوجها ؟ وهل يتفق هذا مع قواعد الاسلام ، أم أنه لا يقع الا في المجتمعات غير الاسلامية ؟

الرياض — عبد الله سعيدان

ـ الطلاق في الاسلام من حق الرجل ، ولا يملك احد ان يسلب منه هذا الحق الا في حالتين :

(١) ان يطلق عنه القاضي ، سواء في حضوره او في غيابه ، اذا توفرت الاسباب الشرعية الداعية للطلاق .

(٢) ان يكون هو قد جعل للزوجة الحق في ان تطلق نفسها ان شاءت ، اما باشتراط ذلك في عقد الزواج ، او بورقة مستقلة ، عند انشاء العقد ، او بعد انعقاده في اثناء الحياة الزوجية .

وفي هذه الحالة يجوز للزوجة ان تطلق نفسها من زوجها طلقة واحدة رجعية ، كما يجوز لها ان تراجعه بعدها وتراجعها ، وليس لها ان تكرر ذلك الا اذا كان قد اذن لها في التكرار كأن ينص على ان لها ان تطلق نفسها متى شاءت وكلما شاءت .

« وعلى الذين يطيقونه فدية »

● صمت رمضان الماضي ما عدا أيام الحيض وهي ثمانية ، وبما أنني متحرجة الصحة ولا أقوى على الصيام ، خصوصا أن لدي أربعة أطفال يتطلبون مني جهدا كبيرا ، فإني أسأل : هل يجوز لي أن أدفع الفدية التي نص عليها القرآن بدلا من الصيام ، وكيف ، وما هي حدودها ؟

هـ . أ . م

— من القواعد الشرعية التي ليس فيها خلاف أن الدين يسر لا عسر . قال تعالى في نفس الآية الكريمة التي فرض بها صوم رمضان « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .. وتقدير اليسر والعسر في الصيام بنوع خاص يرجع إلى ضمير الإنسان ذاته وما يحسه من نفسه ، مهما أفتى المفتون أو رخص المترخصون .. ففي الحديث الشريف « سل قلبك وإن أفتوك ، وإن أفتوك ، وإن أفتوك ، والبر ما اطمأنت إليه النفس ، والإثم ما حاك في الصدر وكرهت أن يطلع عليه الناس » .

ومن المبادئ المقررة وجوب قضاء الصوم على من فاته في رمضان ، كلا أو بعضا ، بعذر صحي أو شرعي يبيح له الإفطار ، كالمرض والسفر والحيض والنفاس ، وفي هذه الحالات يجب القضاء يوما بيوم ، عملا بقوله تعالى « فعدة من أيام أخر » .

أما من يشق عليه الصوم لسبب خارج عن إرادته كالضعف الشيخوخة والمرض المزمن والحمل والإرضاع المتواليين ، إذا خيف على صحة الحامل أو الجنين أو المرضع أو الرضيع ، ومن كان يحس في الصوم بمشقة ترهقه أو ضرر يلحقه ، أو يخشى وقوعه — لا عن مجرد وهم أو تخيل — فهؤلاء أبيح لهم الإفطار دون قضاء ، واكتفى منهم بالفدية . قال تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » ... والإطاقة هنا لا يعبر بها عن اليسر والسهولة ، بل عن العسر ومشقة الاحتمال ..

والفدية هي أن يطعم الإنسان بدلا من كل يوم أفطره مسكينا واحدا ، بما يشبعه في وجبتين ، من طعام متوسط ..

فاحتكمي في الأمر ضميرك دون سواه . فإن كنت تستطيعين الصوم في سهولة ويسر ، فلا بد من الصيام ، ولا بد من القضاء . وإن كنت « تطيقين » الصوم — أي تحتملينه ولكن في مشقة وعسر أو مع خشية الضرر من يقين أو غلبة ظن — فقد رُفع عنك التكليف بالصوم وأبيح لك الإفطار مع الفدية .

والله أعلم .

المرأة : رئيسة جمهورية ؟

● خطت المرأة في السنوات الأخيرة في سبيل مساواتها بالرجل خطوات جبارة أشبه ما تكون بالقفزات ، فبعد أن كانت تقنع بوظائف التدريس أو التمريض رأيناها صحافية وطبيبة ومحامية ومهندسة .. ونائبة في البرلمان ، ثم وزيرة ، ورئيسة للوزراء !

ترى هل يأتي الوقت الذي نراها فيه رئيسة للجمهورية ؟

الكويت — حسنية عبد الرحمن

— مهلا يا آنسة فلا داعي للتعجل .. فقد يحدثنا التاريخ أنه منذ ١٠٠ عام ، رُشحت امرأة لرئاسة الجمهورية في الولايات المتحدة الأمريكية .. وكان ذلك عام ١٨٧٢ قبل أن تبلغ معركة المساواة بين الجنسين مرحلتها الحاضرة !

ففي ذلك العام رشح حزب الشعب ، وهو حزب كان يمثل الهيئات التقدمية المتطرفة ، سيدة اسمها فكتوريا كلافلين وودهل ، لرئاسة الجمهورية في الولايات . لكنها لم تفز ، لأن حزب الشعب كان من الأحزاب الصغيرة ، بالقياس إلى الحزبين الديمقراطي والجمهوري اللذين يتناوبان الحكم في الولايات !





● كثر الحديث في الشهور الأخيرة عن البوذية والبوذيين ، بسبب سياسة التمييز العنصري التي كانت تنتهجها حكومة فيتنام الجنوبية، مما حمل بعض كهنتهم على احراق انفسهم احياء، احتجاجا على تلك السياسة ، ثم ما اعقب ذلك من انقلاب انتهى الى قتل رئيس الدولة وشقيقه .. فما هي البوذية ؟ هل هي دين سماوي ؟ وهل كان بوذا نبيا او رسولا ؟ وفي أي عهد ظهر ؟ والى اي شعب أرسل ؟ ولماذا لم يرد ذكره في الكتب السماوية ؟

بيروت : م . ت

شقراء ـ سعودية: عبدالعزيز عبدالرحمن الحميدي

ـ لم يدّع بوذا انه رسول او نبي ، بل كان ينهى اتباعه عن ان يزعموا تجسد الالوهية ، ويقول لهم انه ليس الا انسانا يبحث عن « الحقيقة » وينشد للبشرية حياة افضل ، خالية من الآلام والاحزان ، وذلك عن طريق الاخلاق الفاضلة التي كانت عماد دعوته ومحور تعاليمه .

أمير .. وابن ملك

ولد « بوذا » عام ٥٦٣ قبل الميلاد ، واسمه الامير « سدهارتا ساكايا موني جوتاما » ، اذ كان ابوه «سودهودانا جوتاما» ملكا لمقاطعة الساكية « S a k y a » في سهول نهر الغانج بالهند . وقد قضى سني طفولته الاولى في قصر « كابيلافستا » الملكي حتى بلغ الثانية عشرة ، ثم عهد به والده الى كبار الكهنة ليعلموه اسرار الديانة الهندوسية « البراهمية » بالاضافة الى ما ينبغي ان يتعلمه امير ملكي سيخلف اباه على العرش. وفي السادسة عشرة زوّجه ابوه الاميرة « يوسودهارا » فعاش معها كأسعد ما يكون حتى بلغ الثلاثين . ولم يكن حتى هذه السن يعرف شيئا عن الآلام البشرية من فقر ومرض وشيخوخة ، بل كان يظن الناس جميعا في مثل سعادته ، حتى كان يومٌ خرج فيه الى السوق دون ان يصحب معه من حاشيته التي كانت ترافقه كلما غادر القصر الا حارسه الامين « شانه » ، فاذا هو يرى ـ ولاول مرة في حياته ـ رجلا مريضا يتلوى من الالم ، وشيخا هرما اعجزه الكبَر عن المشي ، واخيرا رأى ميتا يشيع جثمانه الى القبر . وكان كلما رأى منظرا من تلك المناظر سأل حارسه عن سببه ، فاذا هو يخرج من اجابته بان المرض والشيخوخة وغيرهما مما يتعرض له الانسان انما هي سنة الحياة ، وان الموت هو النهاية المحتومة للجميع.

البحث عن « الحقيقة »

وعاد الامير الشاب الى القصر حزينا مهموما ، يفكر في ما تعانيه البشرية من آلام كان يجهلها ، وظل مستغرقا في تأملاته اياما ايقن بعدها ان كل ما تعلمه على ايدي الكهنة باطل لا اصل له ، وان هناك « حقيقة كبرى » خفيت عنهم وعنه !

ايقن بطلان ما تعلّموه من ان « براهما » هو الذي خلق العالم ، وانه هو « الروح الاعظم » وفي الثالوث الاقدس : الخالق ، والحافظ ، والمدمر » !

واعتقد أن العالم قديم أزلي ، لا أول له ، ولا يمكن أن تكون له نهاية ..

واعتقد أن الآلهة التي يعبدها قومه لا تملك القوة لتغيير قوانين الطبيعة التي لا تؤثر فيها الصلوات والقرابين ، فلا داعي لعبادتها أو تقديسها .. وأن « الفيدا » وبقية كتب الهند المقدسة ، ليست مقدسة !

واعتقد كذلك أن تقسيم الناس الى طبقات أربع الكهنة فالملوك فالصناع فالعامة ، تقسيم خاطئ ، لا عدالة فيه ، فالناس هنا أخيار أو أشرار ، وليس الشر أو الخير بتفاوت الطبقات ولا وقفا على طبقة دون طبقة ..

يهجر الإمارة ليحيا حياة التيه !

وظل الأمير في أفكاره وتأملاته أياما .. وذات ليلة ألقى على زوجته وطفله نظرة أخيرة وهما نائمان ، وتسلل من القصر الى حيث خلع حياة الملك والإمارة ، وحلق شعره ، وارتدى لباس النساك ، وبدأ حياة التيه والتأمل ، يريد الوصول الى « الحقيقة » عن طريق التقشف والزهد وتطهير النفس والجسد .. وبعد سنوات من التيه بين الجبال والقفار والغابات ، واتته لحظة « الاشراق » تحت شجرة عرفت فيما بعد باسم شجرة « بو » .. ومن ثم راح يبشر بتعاليمه التي تتلخص في أن « الاعتدال » أو « الطريق الوسط » هو وحده طريق الخلاص من الآلام البشرية ، فلا إغراق في الملذات والشهوات ، ولا إسراف في تعذيب الجسد والروح ، بالجلوس على المسامير أو النوم على شظايا الزجاج كما يفعل بعض الكهنة وفقراء الهنود .

الأركان الثمانية

وقد أقام « بوذا » دعوته على ثمانية أركان : الإيمان الصحيح ، والنوايا الحسنة ، والسلوك الحميد ، والعمل الصالح ، والتفكير المتيقظ ، والكلمة الطيبة، ومساعدة الضعفاء ، ثم الاستغراق في التأملات الروحية الصالحة .. ثم هذه ترتكز على المبادئ الخمسة الفاضلة وهي : « لا تقتل، لا تزن ، لا تسرق ، لا تكذب ، لا تشرب خمراً ».

وسرعان ما ذاع أمر هذا الحكيم وتعاليمه عن دعاه الناس « بوذا » أي « الرجل المستنير » ، وأقبلوا على أتباعه من كل حدب وصوب ، ومن بينهم ملوك وأمراء وكهنة من مختلف الديانات التي كانت منتشرة في ذلك الحين ، حتى بلغوا عدة ملايين ..

ومات « بوذا » عام ٤٨٣ (ق.م) وعمره ثمانون عاما ..

أتباعه يخالفونه .. ويؤلهونه

ولم يمض على موته الا قليل حتى اختلف أتباعه حول تعاليمه التي ما لبثت أن اختلط بها كثير من الشوائب والبدع التي شوهتها ، وخرجت بها عن جوهرها ، وراح بعض الكهنة يزعمون ألوهية « بوذا » ويقولون أن الإله الأعظم تجسد فيه ليخلص العالم من خطاياه ، ويمنح الغبطة للحزانى والراحة للمتعبين ، مع انه هو نفسه كان يوصي أتباعه قائلا : « لا تؤمنوا بي كممثل لله على الأرض ، ولا تعبروني الها . فانما أنا انسان مثلكم أنشد الحقيقة الأبدية ، فاذا كان كلامي موافقا للعقل والمنطق فاتبعوني » ..

البوذيون وتناسخ الأرواح

ويؤمن البوذيون بتناسخ الأرواح ، ويزعمون أن « بوذا » قبل أن يصبح « الرجل المستنير » تقمصت روحه ٥٢٠ جسدا: ٤٢ منها أجساد آلهة، و٨٠ أجساد ملوك .. وانه في بعض مرات التقمص كان لصا أو طاهرا أو حصانا أو لبانا أو ضفدعة!! وانه كان في كل هذه التحولات عاقلا وحكيما ..

٢٥٠ مليونا أو يزيدون

ويتراوح عدد البوذيين في العالم بين ١٥٠ ، ٢٥٠ مليونا .. عدا بضعة ملايين أخرى محسوبة على الهندوس وأتباع كونفوشيوس وطاويها وغيرهم من مختلف الديانات .

والعجيب حقا في البوذية انه ليس في الهند — مسقط رأس بوذا — الا القلة من أتباعها ، بينما تعيش الأغلبية في الصين واليابان وسيلان وتايلاند وبورما والهند الصينية وكوريا ومنغوليا وغيرها .. عدا ١٦٥٠٠٠ يعيشون في الولايات المتحدة الأمريكية ..

« إيفان » : الرهيب !

● من هو « إيفان الرهيب » ؟ ولماذا سمي الرهيب ؟!

الاسكندرية　　　　　حمدي الشاطري

ـ إيفان الرهيب هو قيصر روسيا في الفترة ما بين سنتي ١٥٣٣ ـ ١٥٨٤ م .

وقد سمي الرهيب لأنه خلال السنوات الاحدى والخمسين التي تربع فيها على عرش روسيا قتل آلاف الرجال بحروبه ، وعذب الآلاف من الرجال والنساء والاطفال ، من شعبه واقاربه على السواء ، في معاركه السياسية .

يروى انه غضب مرة على ابنه الأوحد الذي لم يرق له فستان زوجة ذلك الابن ، فما كان الا ان ضربه بأداة حديدية ، فقتله .. وكان كل ما تولاه من اثر لمصرع ابنه ان قال : « انى آسف لما حدث » !

والعجيب في الامر ان الشعب كله اعلن الحداد طالما مختارا عند موته ، لأنه استطاع ان يجمع شتات روسيا تحت سلطان واحد ، ولأنه كان عظيما وراغبا في اصلاحاته الداخلية ..

مؤلف « حياة محمد »

● في اي سنة توفي الدكتور محمد حسين هيكل ، مؤلف كتاب « حياة محمد » ؟

القاهرة　　　　　محمد حسين فاضل

● متى توفي الدكتور محمد حسين هيكل ؟ وما هي الكتب التي اصدرها غير « حياة محمد » ؟ وشكرا

جامعة بغداد　　　　　محمد عبد المجيد امين

ـ توفي الدكتور محمد حسين هيكل في الثامن من ديسمبر عام ١٩٥٦ . اما الكتب التي اصدرها فهي

رواية « زينب » ـ وهي اولى مؤلفاته ـ وعشرة ايام في السودان ، وثورة الادب ، وجان جاك روسو .. وهذه كلها صدرت قبل « حياة محمد » .. كما صدر له بعدها « في منزل الوحي » و« الصديق ابو بكر » و « الفاروق عمر » ومذكرات في السياسة المصرية و « هكذا خلقت » وهي الرواية التي ختم بها حياته الادبية ، كما بداها من قبل برواية « زينب » .

خطيبي .. هل هو اخي ؟!

● تقدم ابن خالتي الكبرى لخطبتي بعد ان تفاهمت وإياه على الزواج ، وكان كل منا من حب صاحبه له . لكن خالتي فاجأتنا بأنها ارضعت امي ، اي اختها ، مع ابنها الاكبر شقيق خطيبي ، وانها لذلك تمانع في هذا الزواج !

فهل من سبيل للتخلص من هذا الاشكال خصوصا وان امي لم ترضع مع خطيبي بل مع شقيقه الاكبر ؟

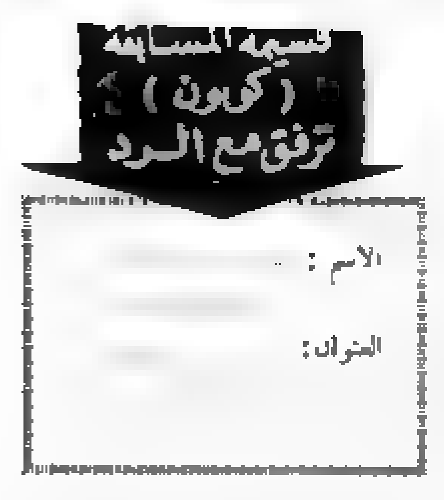
الكويت　　　　　بلسمة ...

ـ قبل الاجابة عن سؤالك لا بد من التحقق من امرين :

اولهما ان تكون امك قد رضعت من خالتك من يقين ، وليس رضاعها منها مجرد ظن وتخمين.

ثانيهما ان تكون امك قد رضعت من امه القدر المحرم للزواج ، وهو ما يقدره الشافعية بخمس رضعات معلومات مشبعات ، وما يقدره الامامية بخمس عشرة رضعة كاملة ، لا تفصل بينها اية رضعة من امرأة اخرى ، وهو ما كان المغفور له الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الازهر يميل الى تغليبه ، اذ كان يرى رحمه الله ان مدة الرضاعة يجب ان تمتد وقتا تشعر معه الرضيعة بمعنى الامومة التي وردت في قوله تعالى «وامهاتكم اللاتي ارضعنكم» ، وكان يقول ان ذلك لا يتوفر في الرضعات الخمس او الرضعات المعدودات المتفرقات .

فاذا تحقق ان والدتك رضعت من خالتك بالفعل ، ومن يقين ، عددا من الرضعات المشبعات المعلومات غير المتفرقات ، فانت لا تحلين لابن



اشعب

● كثيرا ما اقرأ في مجلة « العربي » عن اشعب وخصوصا في باب طرائف عربية.. فمن هو اشعب وما هي جنسيته وفي اي عصر عاش ؟

نابلس – الاردن   فاطمة عبدالرحمن محمود

– كان اشعب مولى للخليفة الثالث عثمان بن عفان . ولد عام ٦٣١م ، ونشأ في المدينة ، وكان حسن الصوت ، شديد الطمع ، كثير الطلب ، طفيليا ، حتى ضرب به المثل في التطفل والطمع .

دائرة المعارف المهنية

● في ختام مقال متراجمه بالعدد ٩٨ بعنوان « مساعد ليس عندنا مثلها » خبر عن دائرة معارف وصلت العربي ، اسمها

1963 Careers Encyclopedia

تصف مهن الحياة وحرفها وتعرفها ودرجة الثقافة التي تتطلبها كل منها ووسائل التحضير لها والتدريب عليها والكسب الذي ينتظر منها ، والعنوان الذي يستزيد منه طالب الحرفة او المهنة معرفة او نصيحة .

فهل لمجلتنا الحبيبة أن تنشر اسم مؤلف دائرة المعارف المذكورة او مؤلفيها ، واسم ناشرها ، والمدينة والدولة التي نشرت فيها ؟ خدمة لنا ولأمثالنا من الشباب الذي يريد ان يشق طريقه في الحياة ؟

محمد طارق حلمي   يوسف غوشه
حلب   القدس
طلال شربتي ونايف عبد السلام
كلية الحسين – عمان

– العنوان المطلوب هو :

1963 Careers Encyclopedia .
Edited by
G. H. Chaffe and P.J. Edmonds
Publisher Macmillan and Cleaver
Ltd - London

تي . اي . لورنس

● قرأت كثيرا من الكتب والمقالات التي تناولت حياة « لورنس » الذي يتحدثون عنه بوصفه صديقا للعرب .. كما شهدت فلما سينمائيا عرض اخيرا عن قصته ومغامراته .. والذي ادهشني في كل ما قرأت او شهدت انهم لم يذكروا اسمه كاملا .. كل ما ذكروه هو انه « تي . اي . لورنس : T. E. Lawrence » .. فهل تتفضلون بالافادة عن اسمه الكامل ، وعن حقيقة شخصيته ؟

القاهرة   اسماعيل رأفت

– اسمه الكامل : « توماس ادوارد لورنس » ولد عام ١٨٨٨ ، ومات في حادث انقلاب موتوسكل كان يركبه عام ١٩٣٥ – وهو الابن الثاني لخمسة غير شرعيين للسير توماس روبرت تشابمان

خالتك لأنه اصبح بذلك اخا لأمك ، واصبحت بالنسبة له من « بنات الاخت » اللواتي يحرمهن القرآن بنص صريح . ويستوي في ذلك ان تكون امك قد رضعت مع خطيبك او مع اخيه الاكبر ، لأن التحريم قائم سواء اتحد زمن الرضاعة أم اختلف . والقاعدة الشرعية التي ارساها الحديث تقول : « يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » ..

ويبقى بعد ذلك سؤال . هل انت واثقة من ان خالتك صادقة فيما تقول ؟!

اخشى ان تكون قد ابتكرت حكاية ارضاعها لشقيقتها – وهو امر قليل الحدوث – كي تحول دون زواج ابنها منك ، اما كراهية فيك او في امك والديك !!

باوون » وستيث « الساحل في ايرلندة » من « سارة مادن » مربية بناته الاربع من زوجته الشرعية .

في بداية الحرب العالمية الاولى التحق بادارة المخابرات السرية للجيش البريطاني في مصر . وفي عام ١٩١٦ التحق بالقوات العربية في ثورتها على الحكم التركي ، ولكنه اخفق في اقناع دول الحلفاء بمنح العرب استقلالهم في مؤتمر الصلح بباريس ، فاعتزل حينا في انجلترا .

تطوع بعد ذلك في السلاح الجوي البريطاني باسم « ج . هـ . روس » فلما اكتشف امره تحول الى سلاح الدبابات باسم « ت . ا . شو » ، ثم اتخذ هذا الاسم ، اسم شو ، رسميا بقضية واجراءات قانونية عام ١٩٢٥ .

اما اسم « لورنس » فقد كان الاسم الذي انتحله ابوه ، سير توماس روبرت تشابمان بعد ان هجر زوجته ورحل الى ويلز ليعيش مع « سارة مادن » حياة زوجية دون زواج شرعي لان زوجته رفضت الموافقة على الطلاق .

آدم .. والتفاحة !

● هل كان آدم نبيا او رسولا حتى يقرن اسمه في بعض الكتب بعبارة « صلى الله عليه وسلم » التي لا تقال الا للانبياء والمرسلين !

وكيف كان آدم نبيا ومع ذلك عصى ربه واكل التفاحة !

مصر الجديدة مصطفى عبد الوهاب

ـ لم يكن آدم رسولا بطبيعة الحال ، لانه يوم خلقه الله لم يكن في الارض من البشر سواه هو وحواء .. لكن ذلك لا يمنع ان يكون نبيا مُوحى، بشرط ان يكون النبي رسولا ..

ونحن اذ نقرن اسمه بعبارة « صلى الله عليه وسلم » فمن قبيل الاحترام الواجب من الابناء لابيهم الاكبر وتحية له . ولان هذه العبارة ليست وقفا على الانبياء والرسل ، بدليل قول الله تعالى



عن نفسه وهو يخاطب خلقه من البشر : « هو الذي يصلي عليكم وملائكته » ولم يقل « على الانبياء والرسل منكم خاصة » !

اما ان الشجرة التي نهى الله آدم عن ان يقربها هو وحواء كانت شجرة تفاح ، وان الثمرة المحرمة كانت تفاحة ، فليس عليه دليل قاطع ، لان الكتب السماوية لم تجزم بانها تفاحة ، بل منها ما عبر عنها بالثمرة ، ومنها ما عبر عنها بالفاكهة ، وهي في القرآن « الشجرة » .

ردود خاصة :

● الآنسة زاهية العثمان : سوريا

— تستطيع صديقتك اجراء العملية التي تتطلبها حالتها ، في القاهرة بدلا من اوروبا ، حيث هناك اخصائيون عالميون في جراحة العيون ، وفي التجميل

● م . م . الاردن

— فقد احدى العينين ابصارها لا يمنع من دخول الجامعة ، ما دامت العين الاخرى سليمة وهناك اطباء حكوميون ومنهم اطباء عيون — ممن فقدوا ابصار احدى العينين ولم يمنعهم ذلك من دراسة الطب او التخصص او التوظف

● عمر احمد صالح : الخرطوم

— الزلل حرافة لا تشير الى مرض [illegible] عرض نفسك على طبيب للامراض العصبية

● الآنسة اماني حسن ، عمان

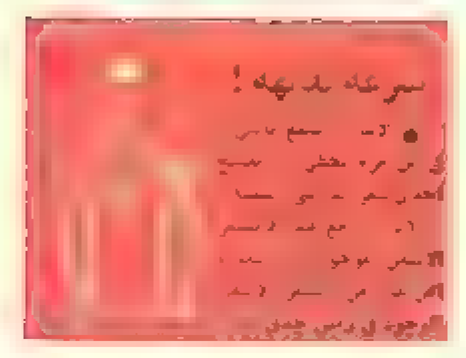
[illegible] احمد في [illegible] بعنوان « [illegible] » [illegible] من مصري الاعلام [illegible] الى عدد الزلل [illegible] اذا صدقت — [illegible] [illegible] كما [illegible] احمد ، مع [illegible] بالسعادة والهداية والتوفيق



* * *

* * *

* * *





بالمراسلة !

● شاهد شرطي المرور سيارة تسير بشكل يعرّض حياة الناس للخطر ، فأوقف السائق وسأله : لماذا تسوق بهذه الطريقة !

فاجاب السائق : انني اتعلم قيادة السيارة .

فسأله الشرطي : ولكن كيف تتعلم بدون مدرب؟!

فكان جواب السائق : انني اتعلم قيادة السيارة بالمراسلة !!

شيء طبيعي !

● كان الجند يتدربون على « تدريب البصر » ، فسأله الضابط ان يعد الجنود الموجودين على مسافة بعيدة جدا .

فقال الجندي : انهم ستة عشر جنديا وشاويش .

فسأله الضابط : صحيح ! ولكن كيف عرفت ان هناك شاويشا !

فرد الجندي قائلا : لان الجنود يقومون باعمال الحفر ، اما الشخص الواقف الذى لا يقوم باى عمل فهو الشاويش !

الخطأ المتوقع !

● اعطى رجل ابنه الصغير دينارا بمناسبة العيد ، فذهب الابن الى البقال وطلب منه تبديل الدينار بفكة . واخذ الصبي العملة الصغيرة الى بقال آخر وطلب منه اعطاءه دينارا بدلا منها . وكرر عملية الصرف عدة مرات . فلاحظ والده ذلك ، فناداه وسأله عن سبب تكرار صرف الدينار ، فقال الابن : سيخطىء احد البقالين ان عاجلا وان آجلا في عد النقود ، ولن اخطىء انا ابدا !! .

طريق طويل !

● وصلت السكرتيرة الى المكتب متأخرة عن موعد العمل ساعة بكاملها . وكانت ملابسها ملطخة بالدم وممزقة . فلما رآها المدير سألها : « اين كنت » ؟

فأجابت : لقد سقطت من الدور السادس .

فقال المدير : وهل استغرق سقوطك ساعة كاملة ؟ !

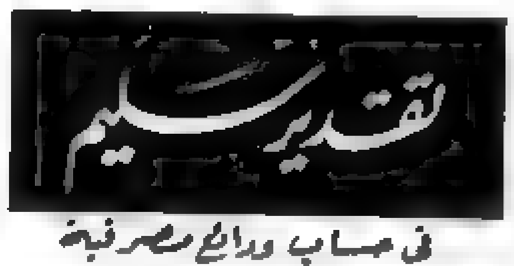


تهنئة قلبية !

● قام المرشح الساقط في الانتخابات بحضور حفلة اقيمت تكريما لخصمه الذي فاز عليه . وفي نهاية الحفلة طلب منه ان يلقي كلمة فقال :

« اشكر اصدقائي الذين نافسوني بصدقهم . لقد قالوا انهم سيهزمونني بشكل احمق ، وقد فعلوا » !







ان بنك لومبارد يقدم ضمانا ماليا حقيقيا وسعر فائدة مقداره ٥٪ – وهو اعلى سعر فائدة مضمون واكيد وتجنيه نقودك . لا تخصم ضريبة الدخل المفروضة في المملكة المتحدة . ان نقودك تنمو طول الوقت ولا تتاثر كليا بالظروف الاقتصادية وتتم السحوبات بسهولة حسب الشروط التي تضعها والحصول على ٥٪ سنويا فان الايداع الادنى الاولي هو ١٠٠ جنيه واقل مدة للايداع والنسبة للسحب هي ستة اشهر ان ودائعك في بنك لومبارد يدعمها راس المال الاحتياطي الذي يزيد عن ... ... ١٢ مليون جنيه استرليني .

اكتب الآن الى المدير العام للحصول على نسختك من كتيب « حساب الودائع المصرفية » رقم A. O. 182

المؤسسة المصرفية والمالية العالمية

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office,

Lombard House, Curzon Street, Park Lane, London, W 1

GROsvenor 4111 (30 lines)




انتظام
وقوة
وهكذا
ساعات
فافر ـ لوبا
FAVRE-LEUBA
GENÈVE
علامة
الثقة
فخر الصناعة السويسرية ، تعمل في كل الأجواء ، وترضي جميع الأذواق..
نسائي و رجالي
الوكلاء العامون
العراق
عبد الجبار لطيف الساعاتي
شارع الرشيد ـ بغداد
البحرين
يوسف أحمد الساعي وشركاه
الكويت
محمد عبد الله الشهاب



مؤسسة الاجهزة الالكترونية
تجارة عامة - استيراد - تصدير
وكلاء
شركة
سيرا
اجهزة راديو
تلفزيون
آلات تسجيل
SIERA
الكويت ص.ب: ٢٤٤٩ - برقياً "ترانسستر"

---

١٠ أسبابْ تجعَل من شاحنات دودج فُاركو أفضل ما تشتريه


D100 Sweptline Pickup


D100 Town Panel


WM 300 Power Wagon Pickup


NCT 800 Tractor G.C.W. 40,000 lbs.


D400 GVW 15,000 lbs.



[illegible] GVW [illegible] lbs.



[illegible] GVW [illegible] lbs.

استمرار [illegible] هام جداً بالنسبة [illegible] [illegible] الكبير [illegible] الشاحنات [illegible] كرايزلر . [illegible] دودج وفارجو [illegible] الشاحنات [illegible] ٧٦٠٠٠ ليبرة GCW [illegible] الهندسة [illegible] شركة كرايزلر [illegible] عاما [illegible]

عام ١٩٦٤ [illegible] سيارات دودج وفارجو [illegible] العربات [illegible]

[illegible] الشاحنات [illegible] دودج وفارجو [illegible] ٢٥٠٠٠ ليبرة GVW [illegible] ٢٢٥٠٠ ليبرة GVW [illegible] ٥٣٠٠٠ ليبرة GVW [illegible] ٧٦٠٠٠ ليبرة GCW [illegible] ٢٧٠٠٠ ليبرة GVW [illegible] ٣٣٥٠٠ ليبرة GVW ، [illegible] ليبرة GVW ، [illegible] ٥٥٠٠٠ ليبرة GCW .



[illegible] Crew Cab





[illegible] Tractor GCW [illegible] lbs.



W500 GVW [illegible] lbs.

شركة "كرايزلر انترناشيونال" جنيف ، سويسرا .




555
FILTER KINGS
555
ثلاث خمسات
فلتر كنج سايز
ستيت اكسبريس - أحسن سيجارة في العالم

يكره التوقف

لا يمكنك الاستغناء عن جهاز التلفزيون الصغير "سوني" سوني في الليل عندما يأتي وقت النوم وبعد ذلك فانك سوف تجده لجانبك دائماً بالقرب منك . تأخذه معك اينما تشاء في اية غرفة من منزلك في المصانع ، في الرحلات ، في سيارتك وانت تقوم بالرحلة او اي مكان آخر حيث يمكنك ان تضعه ٨ ارطال من روائع الاجهزة الالكترونية لشركة "سوني" . جهاز التلفزيون "سوني" يعمل على التيار الكهربائي المنزلي ، على بطارية السيارة ١٢ فولت ، وعلى تيار بطارية الخاصة . وأينما تستعمل جهاز التلفزيون "سوني" ستعجب بفاعليته الثابتة ، حتى ولو كنت في سيارة متحركة ، وبدقته ووضوح صورته

سوني



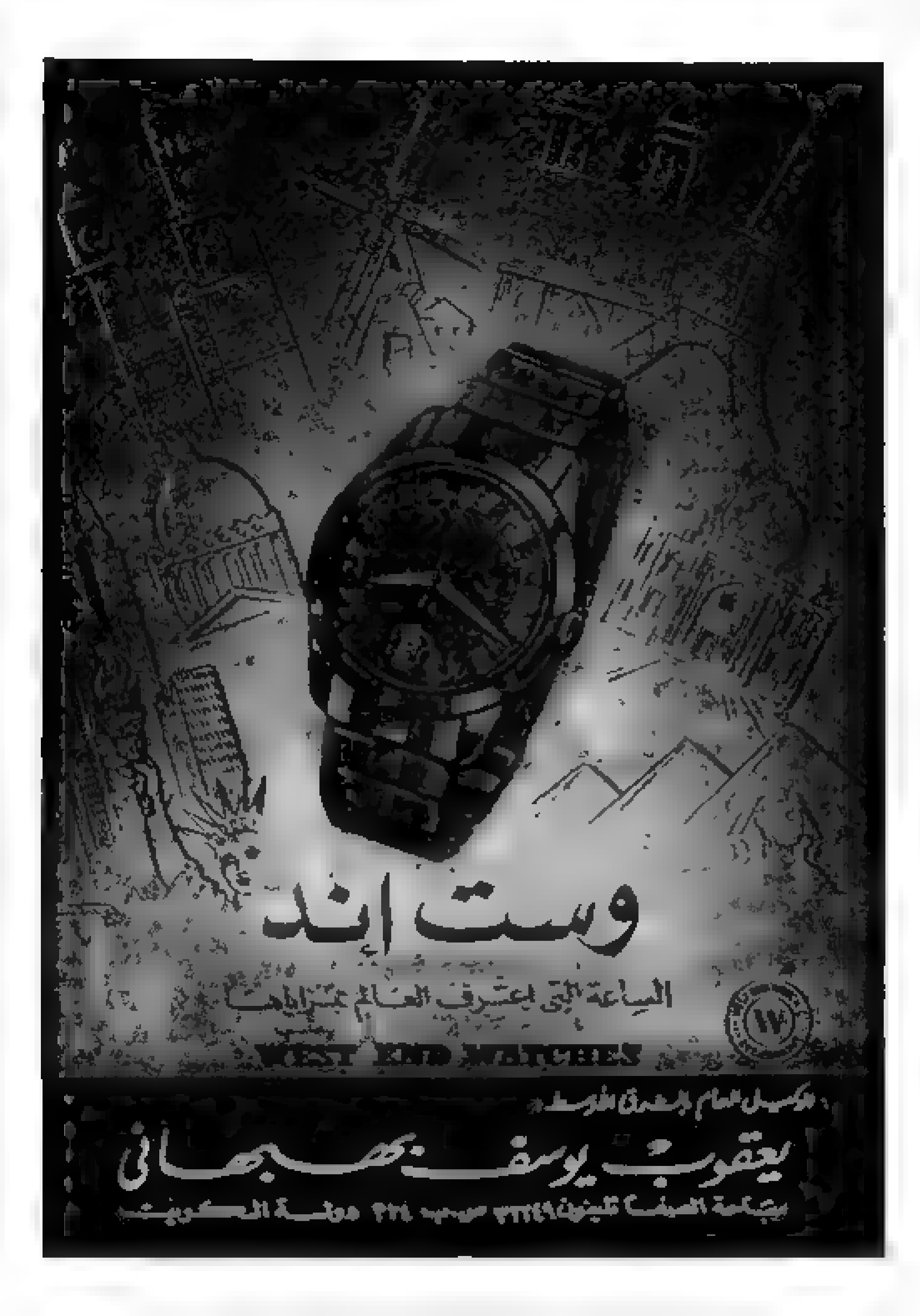
١٣٧٢

في جميع أرجاء العالم...
كرافن كنج سايز فلتر

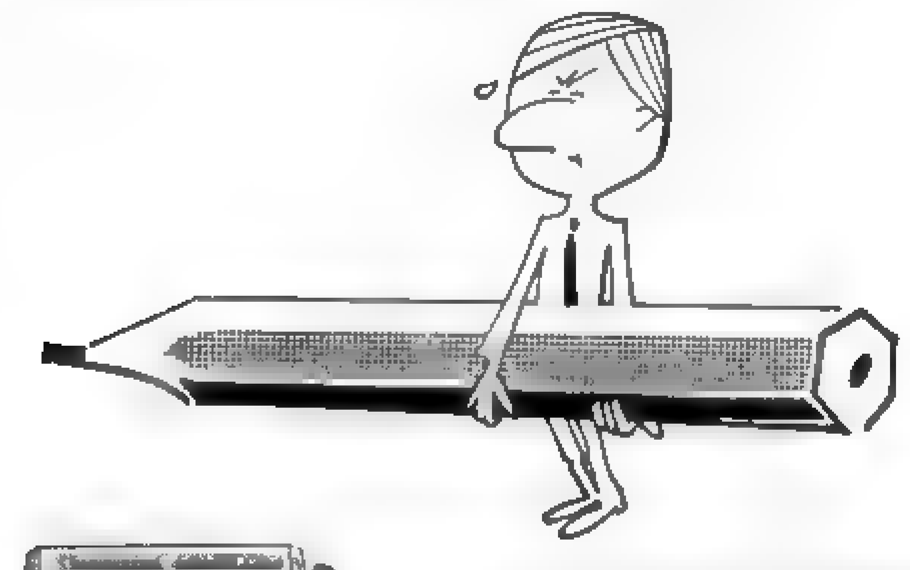


التوازن المثالي بين الفلتر والتبغ لإعطاء نكهة ألطف وأنقى

مصنوعة في انجلترا


وست إند
الساعة التي يعترف العالم بامتيازها
WEST END WATCHES
الوكيل العام بالشرق الأوسط
يعقوب يوسف بهبهاني
بناية الصيف تليفون ٣٢٢٤٩ ص.ب ٢٢٤ دولة الكويت

هل هذه هي الأداة المناسبة؟





تحول اليوم نشاط المتاجر والمصانع في العالم إلى الحركة المطلوبة لتحقيق التقدم السريع والانتاج المجدي

ان شئت الصدق، هل في مكتبكم الآلة التي تستجيب لاحتياجاتكم بحسب اليومية؟ وهل تعلمون كم يوفر من الوقت استعمالكم آلة حاسبة فاسيت؟

CI-13



فاسيت هي اسهل آلة حاسبة، تمارس طريقتها خلال ١٥ دقيقة،

مصنوعة من الفولاذ الاسوجي المشهور الذي يضمن متانتها مدى الحياة.

مليون آلة فاسيت تؤدي حاليا الخدمات الحسابية في جميع انحاء العالم

الكويت ...
العراق ...
عدن، شركة ...
سوريا، شركة ... دمشق
السودان، السيد ...
الأردن، ... عمان
الظهران ...
لبنان، شركة التجارة ... ص.ب ... بيروت
ليبيا ...
الرياض ...

الميزانية العمومية

للبنك العربي (المحدود)

كما هي في ٣٠/٩/١٩٦٣

الموجودات	دينار
نقد في الصندوق والبنوك	٥٢٢٤٤٢٢٩٠
سندات حكومية	٩٥٨٨٦٢
اسهم شركات	٢٠٣٢١٦١
اسهم مؤسسات تابعة	٨٦٢١٤٧
اوراق مخصومة	٥٨٥٧١٦٤
حسابات مدينة	٢٤٢٥١٧٧٨
تعهدات العملاء مقابل كفالات	
واعتمادات تجارية (له مقابل)	١٩٤٢٢٣٦٠٥
عقارات (بعد الاستهلاك)	١٣٤٥٦٣٧
الات (بعد الاستهلاك)	٤١٠١٨٦
موجودات اخرى	٣٩٩٨٣٢٦
مجموع الموجودات	**١١٠٦٦٢١٥٤**

المطلوبات	دينار
ودائع وحسابات اخرى	٧٧١١٩١٠٩٥
شيكات مقبولة	٣٧٢٦٩٨
كفالات واعتمادات (له مقابل)	١٩٤٢٢٣٦٠٥
مطلوبات اخرى واستدراكات	٢٨٥٠٧٥٦
المجموع	٩٩٧٥٢١٥٤
رأس المال المصرح والمدفوع كاملا	
٣٧٫٥٠٠ سهم تأسيس	٣٧٥٠٠٠
(١٠ دنانير للسهم)	
٥١٢٫٥٠٠ سهم عادي	٥١٢٥٠٠٠
(١٠ دنانير للسهم)	
رأس المال الاحتياطي	٣٤٢٠٠٠٠
الاحتياطي الخاص	١٨٤٠٠٠٠
ارباح غير موزعة	١٥٠٠٠٠
المجموع	١٠٩١٠٠٠٠
مجموع المطلوبات	**١١٠٦٦٢١٥٤**

(هذه الميزانية لا تشمل ارقام الفروع السورية المؤممة)

BRITAIN'S LEADING EXPORT CIGARETTE

تزيد صادرات بريطانيا
سجاير روثمان كنج ساي
على صادراتها من أي نـ
آخر من السجاير .
أينما تذهب تجد روثمان
في ١٢٠ قطرًا في خمس قارات
على ظهر البواخر في البحار السـ
في أكثر من ٩٠ خطا جويًا رئيسيًا
شارك الملايين في الاستمتاع بتدخين
روثمان كنج سايز
الأولى في بريطانيا - الأولى في العا





الأستراليون يصنعون اليوم الفولاذ والسيارات

سُبُل العيش لم تعد تنحصر في تربية الأغنام

مرّت حقبة من الزمن كانت خلالها أستراليا تكاد تعتمد في معيشتها على الزراعة فقط. فكانت صادراتها تقتصر على الأصواف والحبوب والفضة والسكر والمعادن التي كانت [illegible] تحت رحمة أسعار السلع العالمية

١- غير أن صادرات أستراليا اليوم [illegible] ٨٠٪ من صادراتها [illegible] في التصنيع بأسرع ما يمكن

٢ وإذا [illegible] على أستراليا الجديدة، [illegible] إلى [illegible] على [illegible] الطائرات [illegible] من [illegible] والتكييف [illegible] بالهواء والترسيخ الصناعي

صناعات جديدة
تجتذب مليوناً من المهاجرين

٣- بعدما وضعت الحرب أوزارها، وجدت أستراليا [illegible] في حاجة إلى الصناعات، وكانت بحاجة إلى المهاجرين... وكانت بحاجة إلى صناعات أكثر لتوفير العمل لهذه الكثرة من المهاجرين [illegible]

٤- ومنذ أوائل الخمسينات بشكل [illegible] خلال ١٠ سنوات استوعبت أستراليا مليوناً من المهاجرين، وارتفعت قيمة الإنتاج الصناعي [illegible] ٢ ٪

٥- أصبح اليوم في أستراليا ٢٠٪ من الأيدي العاملة [illegible] في الصناعة، أي حوالي [illegible] النسبة المئوية الحالية في الولايات المتحدة الأمريكية

الطلب العظيم على النفط

٦- أسهمت الصناعات الجديدة، علاوة على ٣ ملايين من السيارات والشاحنات، في زيادة هائلة في الطلب على النفط، وذلك بنسبة ١١٠٪ في بحر ١٠ سنوات

٧- [illegible] هذا الطلب [illegible] النفط ومعامل التكرير [illegible] إلى ٢٣ مليون طن في السنة، وشيدت مع معامل التكرير [illegible]، صناعة جديدة واسعة النطاق هي الكيماويات النفطية

٨- [illegible] للبحث عن النفط، وفي عام ١٩٦٢ أنفقت شركات النفط ١٨٦ مليون دولار أمريكي [illegible] [illegible]، [illegible] على الأهمية التي يعلقها [illegible] على النفط المنتج محلياً بالنسبة إلى الاقتصاد الوطني

اتجاه النظر نحو آسيا

٩- [illegible] الأستراليون اليوم [illegible] [illegible]، [illegible] أنظار الكثيرين منهم [illegible] نحو آسيا

١٠- بالرغم من أن دراسة اللغات والحضارة الآسيوية [illegible] جديدة [illegible] الأسترالي، [illegible] الأكاديمية [illegible] السريعة، فإن [illegible] بهذه الأمور آخذ بالنمو

١١- [illegible] مشروع [illegible]، [illegible] من الطلبة الآسيويين [illegible] في جامعات أستراليا وكلياتها [illegible]، [illegible] القارة العظيمة [illegible]

فرص أستراليا الطبيعي لتصريف البضائع - آسيا، المحيط الهادئ، والقارتان الأمريكيتان

١٢- [illegible] أستراليا [illegible] الشركات [illegible] بأساليب اقتصادية جديدة، وتجارات جديدة [illegible] على المحيط الهادئ

١٣- كل ذلك يشير إلى المستقبل. [illegible] [illegible] المحيط الهادئ [illegible] أستراليا [illegible] [illegible] بعد [illegible] في العالم كله.)

١٤- [illegible] المحيط الهادئ [illegible]، والنشاط، والتجارات [illegible] [illegible] [illegible] لك [illegible]!



منظر مرور مألوف وقد تكتظ بسيارات القادمين من الضواحي
للعمل في المدينة • يوجد لكل ٢ سكان في أستراليا
ويوجد لكل ٣ من السكان سيارة

صداع، أوجاع وآلام،
حمى، رشح وانفلونزا؟

"أسبرو" يعيد لك الصحة..

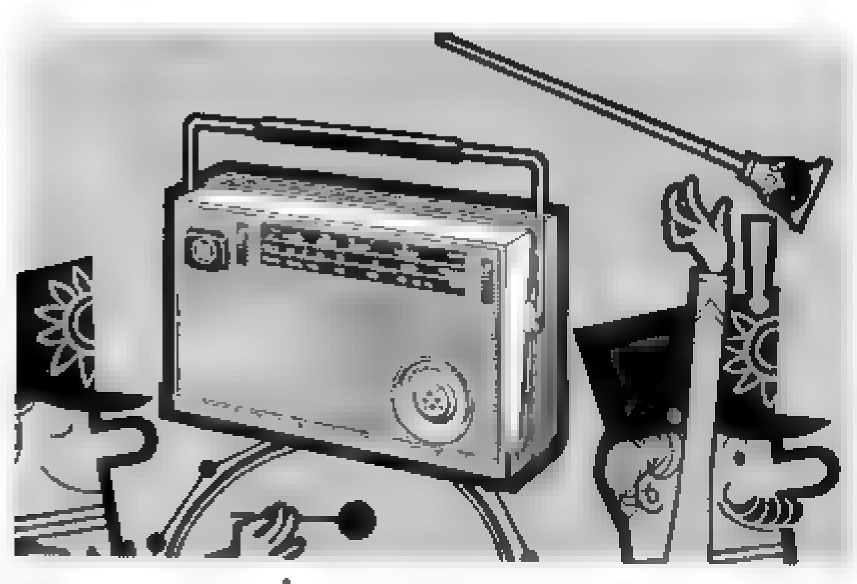


لأن "أسبرو" يجلب لك كل راحة!

١ يزيل الصداع
٢ يخفض الحمى
٣ يهدئ الأعصاب
٤ يخفف الأوجاع
٥ يفيد أهل الرشح

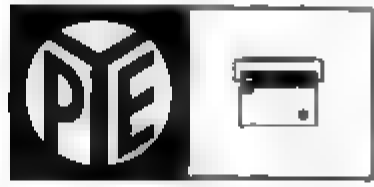
إذا أصبت بألم وترغب أن صحتك تمتاز، هل أنت سامعت الى الراحة السابقة التي يحققها لك أسبرو. تذكري أن "أسبرو" هو الدواء الذي يستعمله أكبر عدد من الناس في العالم كله. أرجح الى دواء آخر لإزالة الألم وتخفيض الحمى. إعملي أسبرو معك بيدك على الدوام

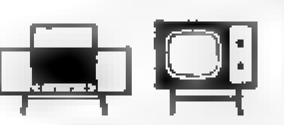
"أسبرو" يجلب لك كل راحة!

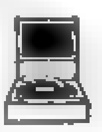


مرحبا في
عالم باي العجيب

ان أجهزة الراديو الترانزيستور القابلة للحمل طراز "باي" هي أروع وأحدث الأجهزة تصميما. وتقدم الشركة مجموعة واسعة من أشهر الأجهزة العالمية للاستريوغرام وأجهزة الاسطوانات والتلفزيون والأجهزة القابلة للحمل التي تم تصميمها وصنعها في مدينة كمبريدج، مركز البحوث العلمية. فعليكم بزيارة موزع هذه الأجهزة لمشاهدة عالم "باي" العجيب. وعند شرائكم "باي" فانما تحصلون على أحسن الأجهزة البريطانية.







باي أثرى الأجهزة القابلة للحمل

شاهدوا المجموعة الكاملة
لدى الموزع


العربي
٢٦
صفحة
٤
ألوان
+
العربي الصغير
جوائز
١٢٠٠
ـنار سنويا
عروسة من تونس
الثمن
السودان



الكاتب المصري مع أعوانه ، في الأسرة الخامسة ويرى رئيس الكتاب يكتب على ورق البردي ما يمليه عليه الرجل الواقف من رجال طبقة الكتاب المصري والجهة الرئيس النبيه . وفوق أذن الرئيس قلم ثان ، وإلى جانبه خط بطرفه محبرة يمسح بها القلم عند الحاجة ، وحوله أوعية فيها الحبر والماء ، واللفائف البردية التي انتهى من كتابتها — انظر صفحة 151 من هذا العدد .

حضارات سادت ثم بادت

عزيزي القارىء :

■ في الخامس والعشرين من الشهر الثاني ، هـذا الذي اكتب فيه ، تحل ذكرى ميلاد سمو الأمير عبد الله السـالم الصباح ، أمير دولة الكويت ، وهي ذكرى عاطرة ، تعطرها دائما مآثر له تذكر كل عام وتشكر .

ولعل من مآثر هذا العام مأثرة برزت ' مآثر هذا العام وسابق الأعوام ، ذلك النصيب الذي قام به سموه في المؤتمر الأكبر والأخطر والأجمل الذي لم تشهد الأمة العربية له مثيلا منذ قرون ، مؤتمر ملوك العرب والرؤســاء ، الذي توّجنـا بصور منه رأس هذا العدد .

ونحن قد نذكر لسموه ، ما قام به ، باسمه وباسم دولة الكويت ، من نصيب جزل في تحمل تبعات أقرها المؤتمر ، ولكن فوق ذلك ، وقبل ذلك، نذكر له نصيبه الأجزل من السعي بالود بين أخوة عزّاهم الودّ زمانا ، على ذلك الأسلوب البسيط الظريف الحبيب ، الذي يستمد قوته ، لا بالخوض في متاهات الجدل والمنطق ، ولكن من وشائج القربى وحسب العروبة الذي منه رضعنا جميعا . فكان ذلك الصفاء الذي عم وشاع ..

حفظ الله الأمة العربية على الصفاء وعلى الوفـاء ، ووهب زعماءهـا التوفيق من عنده ، من ملوك ورؤساء .

المحرر

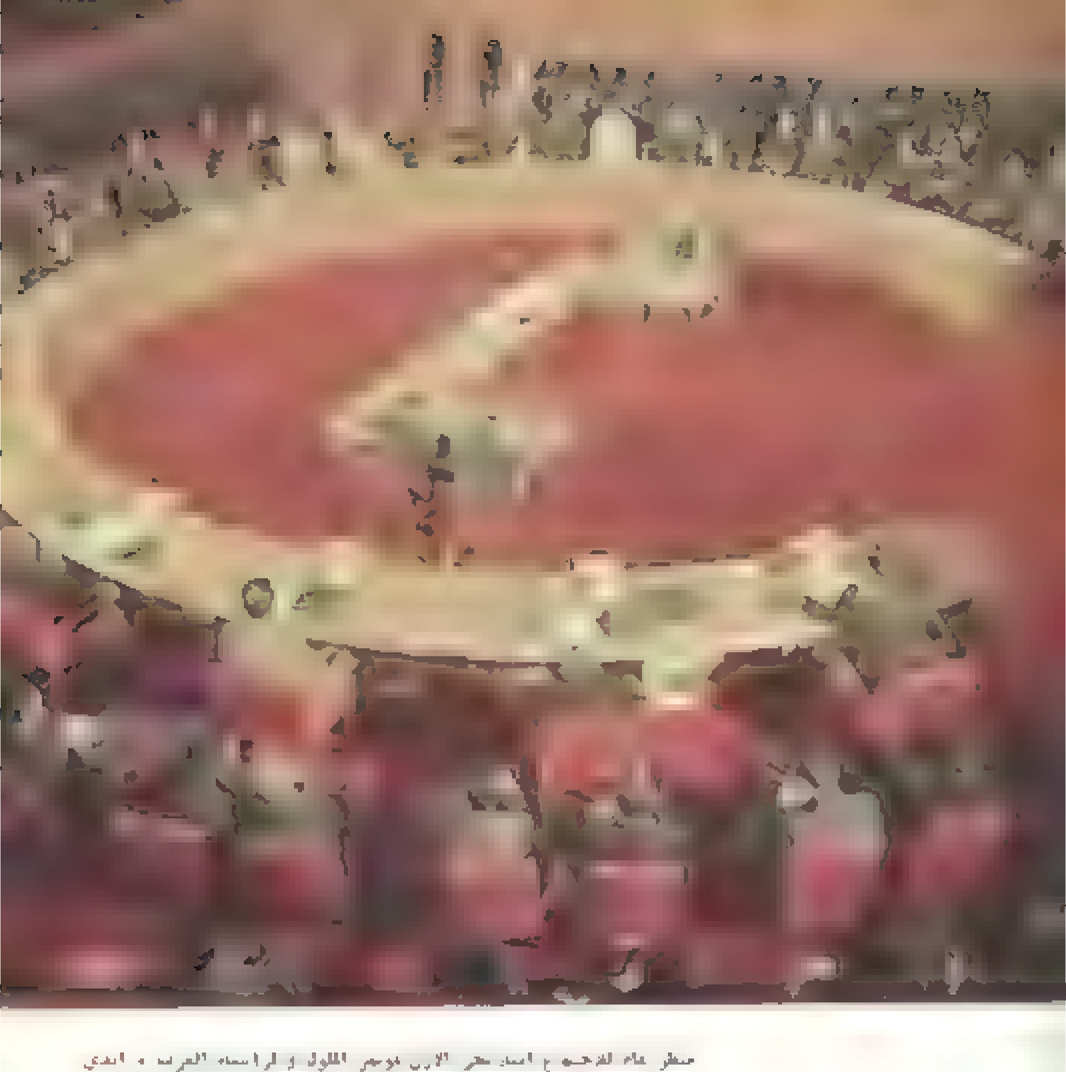
أنقذ العرب مرونة الزعماء
وأنه ليس حب على الزمن
بباق، ولا بغضاء..

مؤتمر القمة العربي

بقلم رئيس التحرير



الوحدة العربية الكاملة، لا تقوم كما



منظر عام للاجتماع الاستثنائي لمؤتمر الملوك والرؤساء العرب الذي عقد في مقر الجامعة العربية بالقاهرة يوم الأحد ١٢ مارس ١٩..

و « العربي » الحاضر يحضر بعد غياب دولي

تقوم الصلاةُ • جامعةً شاملة ..



إن أقداماً مست الأرض في القرن العشرين فلا تتركها ترعى المر والحنظل من

ولكن لا بد من سجل

ولقد سجل المؤتمر ...



لابد أن تحمل رؤوسها معها زرع ماضيات القرون

صورتان للاقطاب ... الى اليمين؛ في طريقهم الى مقر الاجتماع .. والى اليسار؛ في الشارع من مقر الجامعة العربية الى فندق سميراميس.

ولقد سجل للمؤتمر اتفاقه على ابعاد الكيان الفلسطيني، تجسيداً للقضية الكبرى التي بقيت زمانا كالسحابة تتشكل اشكالا شتى مع كل ريح، وهذا

الخبر الاكبر

باحجة . وانه التربة اللازمة اذا كان يرجى للشعر العربي ازدهار ، ويرجى لازهاره اثمار .

رجاء جاء من بعد يأس

ولقد راد فرحة العرب في استقبال هذا الصفاء ، انه جاء من بعد يأس .

« قال رب انى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا ، قال كذلك قال ربك هو على هين ، وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا »

عز الصفاء على العرب ، كما عز على زكريا الولد .

ثم وقعت المعجزة .

ولكل معجزة الهام .

وانا لا ارى الذى كان الا الهاما ، لانه ما كان يمكن ان يكون ، مع شدة تلك العداوة التى كانت والمعصاة ، صفاء ، الا ان تتدخل ارادة الله .

وارادة الله لا تسقط كتابا من السماء ، وانما هي الوحي توزع ، انصبة شتى ، على الملوك والرؤساء . دعا الداعي فاستجابت له قلوب بارادة الله مؤمنة ، ولعروبتها مخلصة ، ولحكم الاقدار ووحدة المصير مسلمة ، زمامها طيعة راضية .

مرونة الانسان الفرد

ان شق الفرد الانساني طريقه في الحياة ، على ازدحامها ، وعلى اختلاطها ، وعلى ركمها وتعقدها ، ليس بالامر السهل . وهو يزود بالكثير قبل النزول الى هذا المعترك الصارخ الصاخب . يتزود في المدارس بثروة شتى من علم ومعارف ويتزود في اللغة بالحكم الكثيرة التى تضمن له النجاح وتؤمنه من الزلل ، وهو يحصل فيما يحصل الكثير من سير الاشخاص وتاريخ الامم ، حتى يتجنب عند اقتحام الحياة مواقع الزلل . ويدخل الفرد الانساني الحياة من بعد هذا فيقتحمه اقتحامها ، والصرف بلواعيه سبحا في مائها ، والرفس بعضيه رغم امواجها ، يعلمه هذا الاقتحام القاسي من حقائق الحياة فوق ما كان في الدرس من علم .



سيادة الرئيس جمال عبد الناصر يستقبل سمو الامير عبد الله السالم الصباح عند وصوله الى مطار القاهرة .

وسعيد هو ذلك الفرد الانساني الذى تريه الاقدار اين رتق الحياة بالعدم .

وسعيد هو ذلك الفرد الانساني التى تغريه الاقدار بالاقرار بهذا الزلل .

وتتم سعادة هذا الفرد الانساني اذا كان من اولئك الموهوبين الذين اعطتهم الاقدار مزاجا انسانيا عزيز المثال ، لا يجد معه على النفس غضاضة في الرجوع عن خطأ ، تلك هي المرونة التى تتمرن وتلين ولتتجه بصاحبها الى الخير دائما .

ومرونة الانسان الزعيم

وكالفرد الانساني زعماء الانسان ، حيثما حلوا ، وفي اى مكان .

انهم يخرجون الى الزعامات مزودين بعلم ، ومزودين بمعرفة ، ومزودين باخبار الامم ، وتاريخ الرجال ، وقصص الحروب ، انتصاراتها والهزائم . ويخرجون الى الحياة اعم ما تكون ، واشمل ما تكون ، واعقد ما تكون ، على صهوة تلك الزعامة . وهم يقتحمون على تلك الصهوات ميادين انسانية جماعية شتى ، فيصاحبهم التوفيق احيانا . ومن طبائع التوفيق الذى يصاحب الانسان احيانا انه يتخلف احيانا .



كان سمو امير الكويت واسطة خير كثير في مؤتمر القمة . وتراه في الصورة والى جانبه جلالة الملك سعود فسيادة الرئيس عبد الناصر .

والزعيم النابغ ، الجدير بالزعامة ، هو هذا الذي يدرك انه افتقد التوفيق في أول لحظة يحتمى التوفيق فيها ، ولا يكبر عليه ان يمسك بلجام جواده . ويعود ادراجه في وضح النهار ، يبحث عن التوفيق اين ذهب .

انها المرونة السياسية التي افتقدها زعماء امم فاودت بها وبهم .

وانها المرونة السياسية التي فطن لها زعماء امم ، وارتفعوا بشجاعتهم الى مستوى القمات العليا ، ضحوا بأنفسهم وبأسمائهم ، وكسبوا من وراء ذلك نصر عظيم .

ولقد كان عند ملوك العرب والرؤساء أسباب لا شك فيها ، كانت من القوة بحيث يمكن ان يتعلل بها المتعلل فلا يستجيب للدعوة الصارخة التي دعا بها الداعي ، في عيد النصر الماثل ، في الثالث والعشرين من ديسمبر ، ببورسعيد . ولعل كان عند الداعي نفسه أسباب ، لا شك فيها ، كانت من القوة بحيث تحبسه عن دعوة . ولكن الجميع احتفظوا من المرونة ، التي هي جزء لا يتجزأ من كل زعامة تتحلى لها من الخير العام هدفا ، بالقدر الكبير الكثير .

وبهذا نجح المؤتمر .

وبهذا انتعشت العروبة في كل أرجاء الوطن

وان كان للعرب في مستقبلهم رجاء ، فهو رجاء يبنى فيما يبنى على بقاء هذه المرونة عند الزعماء .

وهو مستقبل يبنى كذلك على ادراك انه ليس من سباق على الزمن ولا قضاء .

وهو يبنى على ادراك ان تحريك الكتل الانسانية وانقاذها للخير ، في كل الارجاء وتحت كل الاحوال ليس له طريق واحد سواء لا طريق غيرها .

وهو يبنى كذلك على ادراك ان الزمن عامل قوى في كل عمل يرجى او يخاف . ان هذا هو قانون الطبيعة في جوامد الأشياء . اضع العسل في الماء فيذوب في لحظة . واضع السكر في الماء فيحتاج الى لحظات مسحوقا ، والى اكثر من لحظات بلورات . واضع الملح في الماء فيحتاج الى دقائق . ولا انسى ان الحجر لا يذوب ابدا .

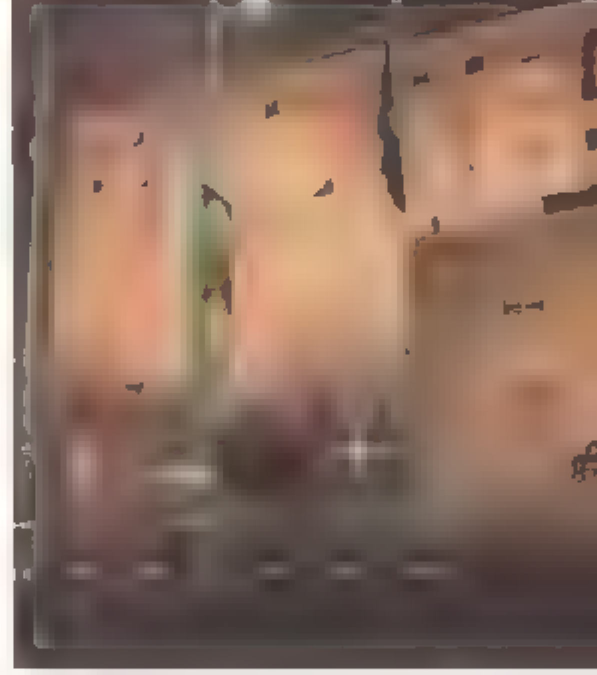
وعامل الزمن في الأشياء هو تماما كعامل الزمن في الاحياء . من الناس من يتحول في عشر سنين . ومن الناس من يتحول في عشرين . و نظر في بعض الناس فيطلبني اليأس فأقول ومن الناس من لا تحولهم القرون . وهذا قول خاطئ لانه باليأس مقرون .

الوحدة الكاملة ، لا تقوم كما تقوم الصلاة جامعة شاملة

ان الصفاء الذي اشاعه مؤتمر القمة العربي ، في الجو العربي ، لم يكن رغبة مالها الناس بالتمني ، رفع العرب بها اكفهم الى السماء فاستجابت لهم ، على الفور ، الدعاء .

ان السماء لا تستجيب لدعاء الا ان عمل له الداعي أولا فوق هذه الارض . ولقد نظرنا في اسباب العكر الذي كان ، فرضناها قواعد تترك لكل بلد امتثنه في ايدي رجاله . ونواصي ، ولكن على الرفق . ونجعلها حلقة سباق ، تتسق فيها الجياد الضامرات العضليات في كل







مرفق من مرافق الحياة . وفي خطة السلام يعلم أصحاب الحياد الشيء الكثير .

واختصارا نعود الى المزاج العربي الذي كان سائدا عام ١٩٥٦ حين لم تكن بين العرب روابط الا روابط قلوب . حتى مع الاعتداء المسلح فاهتز له الوطن العربي بمثل ما لم تكن ترجى له أخيرا أن يهتز والدعوة الى « الوحدة الشاملة » قائمة مسمعة تصم الآذان .

لقد علمتنا الأيام ـ على الأقل هذا ما علمتني اياه أنا الأيام ـ أن الوحدة لا يمكن أن تقوم هكذا جامعة شاملة ، كما تقوم الصلاة ، يدعو اليها الداعي جامعة شاملة .

ان الوحدة تكون وحدة ثقافية

وان الوحدة تكون وحدة اقتصادية .

وان الوحدة تكون وحدة دفاعية .

وان الوحدة تكون وحدة سياسية .

وان الوحدة تتم آخر الأمر ، على صورة من صور شتى ، فتتسم بأنها وحدة كاملة شاملة .

وحدات أولى مرغوبة

والوحدة الثقافية أولى الوحدات المرغوبة . وهي أسهل شيء تحققا في مثل عالمنا العربي . لسان واحد ، وتاريخ واحد ، وعادات موروثة واحدة ، وجهاد واحد للخروج من تخلف ، أثاره في الوطن العربي كله واحدة . والثقافة تتآلف ولكن لا تسمح بها الا الحرية التامة .

والوحدة الاقتصادية كالوحدة الثقافية خطرا . الثقافة حاجة الروح ، والاقتصاد حاجة البدن .

ولعل حاجة الأبدان أكثر ربطا للأقوام من حاجة الأرواح . والوحدة الاقتصادية العربية بالطبع لا تسد الابواب على أسواق الدنيا الواسعة العريضة .

ثم بعد ذلك الوحدتان ، الدفاعية والسياسية ، ولهما أهداف سواء . وهما في مستقبل العرب ضرورة فيهما للعرب النشر ، أو فيهما الانطواء .

الصفاء صفاءان

ولكن هذا الصفاء الذي تم ، بين دول الوطن العربي ، لا تحصل منه الفائدة كاملة ، الا أن يتم مثله صفاء في داخل كل دولة عربية ، والا أن يتم مثله صفاء بين الوطن العربي جملة وما يجاوره من أمم الأرض شتى .

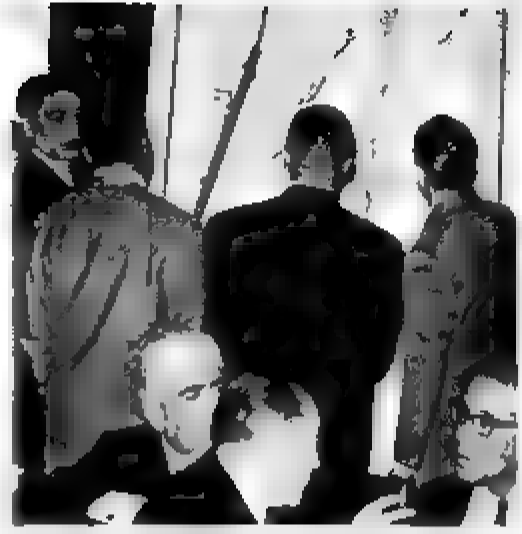
الصفاء الداخلي

ففي داخل القطر العربي الواحد قد نجد الجفوة قائمة بين الطبقة والطبقة . حتى ونحن نحاول بحق ازالة الفوارق الطبقية المؤسسة على الارث دون الكفاية ، ليحل التعاون آخر الأمر محل التنازع ، وتحل المحبة محل الكراهية والبغضاء . وكذلك نجد الجفوة مستحكمة بين الطائفة والطائفة ، والنحلة والنحلة . ونجد أقلاما ، ونجد ألسنة ، جعلت من اشعال نار العداوة والبغضاء رزقا لها ثابتا في الحياة . فهذه الأقلام يجب أن تقصف ، وهذه الألسنة يجب أن تحرق أفواهها ، ويجب أن لا يصدر عنها المقتدر بأنه الرأي الحر يجب أن يترك طليقا ... ان الرأي الحر يجب أن لا يترك طليقا لا سيما في جماهير لم تبلغ بعد حد الكفاية من وعي . ان الرأي الحر ليس من جنسه الهدم والتخريب .

الصفاء الخارجي

ويجاور الوطن العربي ، مشرقه ومغربه ، أمم تجاورها . ومنها أمم جمع التاريخ بيننا وبينها قرونا ، وقسم الزمان بيننا وبينها أرزاقه وأرزاءه ، حصصا ضروريا . وهذه الأمم ، وكل أمة ، هي اليوم في العالم الواسع العريض للعرب قوة . وأقرب الأمم استجابة لنا ، أمم جمعت الدولة العربية الكبرى الماضية بيننا وبينهم ، وجمع في الحاضر بينا الجوار .

ونعادي هذه الأمم لانحيازها ، وحق لنا ، وأي حق . وحق لنا هذا في الماضي خاصة ، لضرورات ماضية كانت قائمة ، ولكنا اليوم لا نعادي كل أمة تنحاز وذلك لضرورات حاضرة من صنع هذه الأيام الحاضرة . ولكنا كذلك لا نعادي تلك



خبراء العرب يطالعون مخطط تحويل نهر الأردن بمقر الجامعة العربية وقد امسك الدكتور محمد أحمد سليم بالمؤشر يواصل الشرح .

الامم الاخرى الكبرى الأصيلة التى انحاز هؤلاء اليها وكنا أولى بمجاملاتها لاصالتها .

والكتاب ، واساتذة الجامعات ، واساتذة التاريخ خاصة ، مغرمون بتقليب صفحات التاريخ ، ونشر ما يزيد صلاتنا ببعض هذه الأمم حفاء . احداث تتصل فى القديم الاقدم ، بعصر المأمون ، وما سبقه وما تلاه ، وحتى بابن المقفع ، شعوبيته وعروبته او اسلامه وولبثه ، وننسى انها اجيال طواها التراب ، وجاء من بعد الاجيال اجيال . وننسى ، ان كان هنالك اوزار ، انه لا تزر وازرة وزر أخرى . ان هذه العصور ماتت ، ودفنت وفنيت ، الا حبرا على ورق فى كتب ، ولكنها تثار لتحدث احنا فى القلوب حاضرة .

ولاى هدف ؟

للتحريب . والتحريب جوابه تحريب مثله . وتسوء الامور .

والحاضر له مشاكله . والعرب لهم عند امم مجاورة حقوق لا يمارى أحد فيها ، ولا يضعف مرور الزمان من المطالبة بها . والحلال بيّن والحرام بيّن . ولكن فى التعقل واحترازه ، لا سيما اذا استحى به نفس الماضي بعيده والقريب ، بعض الحق ، وفيه بعض الحق وكأنه الباطل . وفيه بعض الباطل وكأنه الحق . وخصومة الانسان للانسان ، واقعة فى كل زمان ومكان ، ولكن يهدى منها ، ويلين من مرارتها ، ويقربها من المصالحة على سلام ، التركيز على الحقائق الاصيلة دون الملحقات ، على الحقائق الراهنة ، التى تستمد قوتها من الصحيح الحاضرة التى لا نقال فيها : ولكن لعل ابوك من قبلك ، وفعل جدك . .

وكلمة نقولها للعرب كلمة نقولها للآخرين : ان اقداما مست الارض فى القرن العشرين ، يجب ان تحمل رؤوسها معها ، فلا تتركها ترعى المر والحنظل من زرع ماضيات القرون . ●

ووسعت سماحتنا ، بل وصداقتنا ، امم الارض ، من ابيضها واصفرها ، واسودها واسمرها ، مسيحيها ومسلمها والوثنى ، وهذا شىء جميل ، فكيف لا تتسع لشعوب شاركتنا فى صنع امجاد لنا ولهم قديمة ، وقاسمتنا اوزار الزمان حاضرة .

دعوة للصفاء عامة

ان هذه دعوة للصفاء العام ، بين الاقطار العربية ، وفى داخل هذه الاقطار ، وبين هذه الاقطار جملة وتلك الشعوب التى تعيش عند اطراف الوطن العربى ، وليست منه ، ولكن يجمعها وإياه تاريخ متصل طويل وعواطف قائمة عميقة ، وهى نريد ان تمد الينا يدا ما مددنا اليها يدا .

انها حاجة العصر . واكره ان اقول وانها حاجة العرب خاصة فى محنتهم الحاضرة .

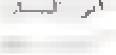
والمرونة التى امسكت بلجام الفرس فعكست وجهته ، واخذت تبحث عن التوفيق الذى فاتها ، جديرة بان تمسك اللجام مرة اخرى لتبحث عن التوفيق كله حيثما كان من الأرض .

احمد زكي

● بعد كتابة ما تقدم جاءت الاخبار بان السيد المشير رئيس الجمهورية العربية سيقوم بزيارة باكستان بدعوة من رئيس الجمهورية الباكستانية ، وان وزير الخارجية العراقية قبل دعوة لزيارة ايران ليشرح لها قرارات مؤتمر القمة









لا تنسوا هؤلاء الشهداء

● في باب « نحن نسأل وانت تجيب » في العدد ٦١ عن عدد الشهداء الذين اعدمهم الجلاد السفاح جمال باشا التركي لاحظت ان اسماءهم جاءت ناقصة لانكم ذكرتم كثيرين واغفلتم ثلاثة فيهما من اعلام الجهاد واركان الحركة العربية كالشهيد سليم الاحمد عبد الهادي ، الزعيم الفلسطيني وعضو حزب اللامركزية في جبل نابلس ، وقد اشتهر بوصيته التي احتفظ بصورة عنها وفيها يقول « اكتب هذه الوصية في الساعة الثامنة ونصف من ليلة السبت الواقعة في ١٢ شوال سنة ٣٣٣ عربية حيث حكم علي بالموت في الساعة التاسعة من الليلة المذكورة ، اعني انني اكتب هذه قبل موتي بنصف ساعة . واني مسرور بلقاء الله سبحانه وتعالى » والوصية ذات خط جميل يدل على استجماع صبري الذهن في ساعة الموت الرهيب .

والشهداء صالح حيدر رئيس بلدية بعلبك ، والشاب علي الارمنازي صاحب جريدة العاصي في حماه ، ومسلم عابدين ، ومحمود العجم ونايف تللو . وكلهم من اعضاء حزب اللامركزية . وقد اعدموا في القافلة الاولى .

واسمحوا لي كذلك ان اذكر الشهداء الخمسة الذين لم تذكروهم في شهداء القافلة الثانية : جلال البخاري ، وسيف الدين الخطيب (من اركان المنتدى الادبي في الاستانة) ، ورشدي الشمعة نائب دمشق في البرلمان العثماني ومن اركان الحركة العربية ، وشهيد آخر هو من رواد النهضة العربية الاولين الذين تفخر فلسطين بانجابهم ، هو الدكتور علي النشاشيبي بن الحاج عمر النشاشيبي . وكان طبيبا بيطريا وهو احد اقطاب الجمعية القحطانية ومؤسس جمعية الوطنية في نابلس القدس ، وقد اتهم بكونه « يشوق الى استقلال العرب » على حد تعبير المحكمة العرفية .

ولعله يلفت نظركم انني عنيت هنا بتعريف الشهيدين سليم الاحمد عبد الهادي والدكتور علي النشاشيبي خاصة . وما ذلك الا لان الشهيدين العظيمين قد غفل عن ذكرهما معظم مؤرخي الحركة العربية اولا ، ولان استشهادهما وهما فلسطينيان قد دل على ان حركتنا العربية في مطلع فجرها لم تكن اقليمية وان فلسطين لم تتوان في تضحية ، ولم تقصر في فداء منذ اشرفت الحركة القومية حتى يومنا هذا .

طهران — اكرم زعيتر

انا غير مؤمنة بالمساواة

● انا احدى بنات حواء — ولكني مع ذلك لا اؤمن بالمساواة بين المرأة والرجل .. فالرجل رجل ، والمرأة مرأة .. والله سبحانه وتعالى اعلم بما خلقنا حيث خلقنا جنسين مختلفين ..

فلماذا نطالب بالمساواة بالرجل .. الذي نشعر بانه غير منا ، ولماذا نريد ان نساوي انفسنا به ؟

ام لاننا جنس غير مرغوب فيه فهو يحاول التمثل بمن هو احسن منه واعلى !

لم نفترض جدلا ان المرأة حصلت على هذه المساواة المزعومة .. فهل هذا شيء جميل !؟ هل تريد المرأة ان تشارك الرجل في الاعمال الشاقة المتعبة لكي تكون لها عضلات قوية ؟ او هل تريد ترك بيتها واطفالها لزوجها الذي ينتظرها في البيت وقد غسل الصحون وطبخ الطعام واعتنى بالاولاد ؟ او هل تريد الجلوس على المقاهي للاستراحة فترة من الزمن بعد عناء النهار ؟ ؟؟؟

ماذا تريد من هذه المساواة ؟!

وايهما احسن ، والطف واجمل في نظر المجتمع؟ الانثى الرقيقة ، اللطيفة ، الوديعة .. الانثى

فقيه الشيعة الاكبر يؤيد راى شيخ الازهر فى ارباح الاموال المودعة بالمصارف وصندوق التوفير

● بمناسبة ما نشرته مجلة « العربى » فى صفحة المختار لفضيلة قاضى بغداد يعترض فيه على راى فضيلة الاستاذ الاكبر المرحوم الشيخ محمود شلتوت فى تحليل الارباح التى تدفعها البنوك وصناديق التوفير عن الاموال التى يودعها بها اصحابها ، وقول قاضى بغداد ان راى الشيخ الاكبر مخالف لراى لجنة الفتوى بالازهر بتحريم هذه الارباح بالكتاب والسنة والاجماع ، احب ان اضيف الى ردكم عليه ان اكبر فقهاء الشيعة فى العالم الاسلامى والمرجع الاعلى لهم ، اية الله العظمى المرحوم حاج آقا حسين البروجردى سبق ان افتى بمثل ما افتى به المرحوم الاستاذ الاكبر محمود شلتوت ، اى بان الارباح التى تدفعها المصارف وصناديق التوفير برضاها واختيارها للذين يودعون اموالهم فيها ليست من الربا ، وهى لذلك ليست حراما ..

وقد وردت هذه الفتوى فى كتاب آية الله القمى « جامع الفروع » بالصفحة ٢٥ من الطبعة السابعة ، فليرجع اليها من شاء ..

الكويت « ابو فلاح »

بين الرجل والمراة !

التى تستقبل زوجها المتعب المكدود وترد عنه هم النهار . الام الرؤوم التى تسهر على اطفالها فلذ كبدها من عطفها وحنانها وتحل مشاكلهم وتمسح دموعهم ، وتجعل من بيتها جنة سعيدة .. ام تلك التى تخرج من الصباح تاركة بيتها كما هو ، ثم تعود ظهرا مع زوجها او ربما بعده ، فتعد الطعام السريع ، ثم تاخذ قسطها من الراحة ، وبعد ذلك تعود لمغادرة الدار ثانية ، لا تعلم عن اطفالها شيئا ، ولا تسال زوجها عن متاعبه ومشاكله ، لانها هى الاخرى لديها من المشاكل ما يكفيها ؟

بربكن يا بنات جنسى : ايتهما احسن ؟!

انا لا ارى باسا من اشتغال المراة بعمل يلائمها ويناسب تكوينها الجسمانى وطبيعتها الانثوية ولكن حذار من مجرد التفكير فى المساواة بالرجل ... لان الرجل يختلف بتكوينه الجسمى عن المراة اختلافا لا ننكره .. فالانثى انثى ، بطبيعتها الحلوة الجميلة ، وقوامها المتشوق الذى لا يجوز ان تشوهه العضلات ، وبشرتها التى تلسعها الشمس والتراب ، والتعب والسهر ، ولا اظن امراة ترضى ان تضحى بانوثتها وجمالها فى حين ان غايتها القصوى ان تكون موضع اعجاب الرجل لا ان تكون مساوية له .. فيقال عنها : انها رجل !!

فلتكف المراة عن حديث المساواة ، وحسبها فخرا انها هى التى تصنع الرجل .. وبامكانها ان تخوض معترك الحياة كامراة لها كيانها وشخصيتها لا كشبيه رجل او ذيل له .. انها تستطيع ان تكون كل شىء وتساهم فى كل عمل بشخصيتها الفريدة المتفردة لا بالشخصية المزدوجة التى تجعلها حتما تفقد حتى طبيعتها الاولى .. ان من حقها ان تنادى بحقوقها كما شاءت ، ولكن يجب ان لا تقول : اننى اريد ان اساوى الرجل ..

وليكن معلوما انى انادى بحقوقى ، وانى موظفة كذلك ، ولكنى لا انادى ولا اطلب المساواة ابدا .. ابدا .. لانى واثقة من استحالة حدوثها ... والسلام ..

بلقيس عبد الله الحميدى
بغداد ـ الطبية ـ شيوخ

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات وآداب :

تاريخ وتاريخ أشخاص :

تربيـة :

طب وعلوم :

دين :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت

والوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 64 March 1964 — P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تليفون ٢٦٤٠١ تلغرافيا «العربي»

الإعـــــلانات : يتفق عليها مع الإدارة ـ قسم الإعلانات

المراسـلات : تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

● شقت المرأة التونسية المعاصرة طريق النهضة في خطى ثابتة بعد أن ظلت ترسف في قيود الجهالة بضعة قرون .. فهي اليوم تحتل مكانتها في الجامعة ودواوين الحكومة والشركات والمؤسسات وفي المصنع والحقل مع الرجل جنبا الى جنب ، وسواء بسواء .. بل انها سبقت الى احراز بعض المكاسب الثورية اذ استطاعت ان تفك قيد الطلاق ، وتتخلص من تعدد الزوجات ، مما لا يزال امنية الكثيرات من بنات حواء . (اقرأ الاستطلاع على صفحة ٤٧)

ثمن العدد : بالكويت ١٠٠ فلوس سائر الخليج وعمان ... ؟ روبية أو ٣ شلن . العراق ١٢٠ فلسا . سورية ١٠٠ قرش . لبنان ١٠٠ قرش . الاردن ١٠٠ فلس . السعودية ٢ ريال . السودان ١٠ قروش ج ع م ١٠ قروش تونس والجزائر والمغرب ٢٠٠ فرنك . اليمن ٣ شلن ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات . للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه ويكون التعامل رأسا بين المشترك والموزع .



الوطنية الحقة

من مجلة « الصقور »

● عندما كنت الصق البنطلون القصير كنت اطلب من ابي ان ينادي بالهتاف لنا بحنجرتي !
ولما لبست البنطلون الطويل اكتشفت ان بلادي لم تعد في حاجة الى هتاف الحناجر .. انها في حاجة الى هتاف العقول !
وعندما تهتف الحناجر ، تملأ الدنيا صراخا !
وعندما تهتف العقول ، تملأ الدنيا عملا !
ولهذا يجب ان نعلم اطفالنا الهتاف الجديد !
يجب ان نعلمهم ان حب الوطن ليس مجرد الهتاف له ، وانما بالعمل له والبناء فيه !
واذا كان الطفل اضعف من ان يبني .. فيجب ان نعلمه ان حب الوطن يكون بالمحافظة على كل ما فيه من ابنية واشجار وجمال !
يجب ان نعلمه ان الذي يحب وطنه لا يلوث جدران المباني بالكتابة عليها !

يجب ان نعلمه ان الشجرة التي يراها في الطريق هي جزء من وطنه ، وانه اذا قطع اغصانها ، فانه يعزل جزءا من وطنه الحبيب !

يجب ان نعلمه ان الشارع الذي يمشي فيه هو قطعة من وطنه .. ولذلك يجب ان يحافظ على نظافة هذا الشارع .. وان هذا الشارع هو علم من اعلام بلاده .. فاذا لوثه ، فهو يلوث علم بلاده!

يجب ان نعلمه ان الضجيج يؤذي سمعة بلاده .. وانه اذا اراد ان يرفع سمعتها بين الامم فيجب ان يسهم بضجيجه في هدوئها !

يجب ان نعلمه ان يحب مدرسته ويحافظ على نظافتها لانها جزء من وطنه ! والا يقطف الازهار من الحدائق ، لان هذه الحدائق هي بعض جمال وطنه ! يجب ان نعلمه ان يحرس فانوس النور ، لا ان يطلقه بالحجارة والطوب !

السلطة الرابعة

من جريدة « العرب » . بغداد

● قيل ان الصحفي يولد وفي رأسه الفكرة ، وفي فمه الكلمة ، وفي يده القلم . وقيل ان مهنة الصحافة موهبة فطرية تنمو بالدراسة والاطلاع والتجربة الناضجة وحاسة سادسة، حيث يستشعر الصحفي من خلالها ما يدور في المجتمع والعالم من ابناء واحداث وقضايا السلطة الهامة .. وقيل ان الصحفي يذيب اعصابه وأفكاره ويعمل اثناء الليل والنهار ، ليقدم للبشرية في البشرية ، اضخم واسرع خدمة في عالم اصبحت بفضل هذا التطور العلمي المدهش اشبه ما تكون بحبة خردل ..
قيل كل هذا في الصحفي،رئيس تحرير،

ثقافتنا والثقافات العالمية

من مجلة « الثقافة » القاهرة

● ان ثقافتنا ينبغي ان تكون ثقافة قومية ولغتنا العربية ينبغي ان تحتل المكان الأول . ونحن في هذا انما نحرص على ان تكون لنا ثقافتنا المتميزة المعبرة عن قيمنا وتراثنا ، وعن حاضرنا ومستقبلنا . ولا بد ان يكون واضحا تماما ان اي اتجاه ضد استخدام لغتنا العربية واحلالها في المكان الاول انما هو اتجاه استعماري مغرض ، وان مثل هذا الاتجاه ، وان كان يبدو في ظاهره احيانا انه لا يصدر الا عن عجز عن تقدير اصالة لغتنا العربية وتراثها وكفايتها في مواجهة كافة الاحتياجات في مجالات العلم والثقافة ، الا انه في الحقيقة يمثل احتقارا للقيم الوطنية والقومية ذاتها .

ان جميع الفرص يجب ان تتاح امام لغتنا العربية لكي تؤثر في الثقافة العالمية وتتأثر بها ، وفي هذا المجال تعتبر ترجمة الانتاج الثقافي وسيلة هامة ، سواء في ذلك ترجمة الكتب والمؤلفات العالمية الى اللغة العربية ، او ترجمة روائع ثقافتنا وادبنا وفكرنا العربي الى اللغات الاجنبية .

كذلك ينبغي العمل على توفير فرص التبادل الثقافي بين الامة العربية وغيرها من الامم ، فان هذا كفيل بايجاد تفاعل مثمر بين مختلف الثقافات .

مشكلة اخلاق

من جريدة « الانوار » ـ بيروت :

● مئات المقالات كتبت في معالجة ازمة السير ، وعشرات الاجتماعات عقدها المسؤولون في محاولات لحل هذه الازمة المستعصية ، وقرارات عديدة صدرت ، وان كانت قد خففت الى حد ما من حدة الازمة الا انها لم تتوصل الى الحل النهائي .

ولمشكلة السير وجه آخر ، هو وجهها التنظيمي المتعلق بنا نحن .. ابناء الشعب .. والسائقين .

ابناء الشعب .. مطلوب منهم ان يعبروا عبر الممرات المسورة وحسب تعليمات الاشارة الضوئية .

والسائقون .. مطلوب منهم ان يتوقفوا عند الاشارة الحمراء وان لا يطلقوا الزمورة بمناسبة وبدون مناسبة .. ومع ذلك ماذا نرى ؟

ـ المشاة لا يحلو لهم قطع الطريق الا خارج الممرات المسورة ، ويتباهون بانهم استطاعوا قطع الطريق في زحمة مرور السيارات ، ولا يتعظون بمراتك الذين يتساقطون بين عجلات السيارات .

ـ السائقون لا يستطيعون ضبط اعصابهم فينطلقون باقصى سرعة ، ويجتازون المفارق بسرعة جنونية وقاتلة احيانا رغم وجود الاشارة الضوئية الحمراء .. ولا يحلو لهم التزمير الا عند المستشفيات والفنادق والمؤسسات العامة .

الان .. المشكلة .. مشكلة اخلاق قبل كل شيء .

او مندوبا للاخبار ، او كاتبا او ناقدا او غير ذلك من الاعضاء الذين تضمهم أسرة الصحافة ، ونعرفهم بوجوههم وسحناتهم وملامحهم من اثر الحركة والدوران ، والطاقات العصبية التي تستنفد في سبيل (صاحبة الجلالة) الصحافة ، او صاحبة (السلطة الرابعة) في الدولة !

واذا كان أمر الصحفي ورسالة الصحفي كذلك ـ وهو كذلك ـ فان الوسط من حول هذا (الجندي المجهول) مدعو الى معاملة هذا الجندي الصحفي بالمثل او ببعض المثل ، وأن يساعده أيضا على قطع طريقه الشاق الطويل ، ويمكنه أيضا من تسليط أضواء الصحافة على مجريات الامور والاحداث العامة والخاصة ، وان يقدم له المفاتيح لفتح الابواب ، اذا كان في هذا التقديم خدمة للناس والدولة والمجتمع بوجه عام ..

ولكن المؤسف بعد هذا وذاك ان يعيش الصحفي في بلادنا على ازمات وجدانية ومعنوية متلاحقة وان توصد بعض الابواب الرسمية والشعبية من دونه ، وان تتخوف ابعض الجهات والاشخاص منه حتى كالامر البديهي وهو القلم ! او كأنه اللص مع انه صاحب القلم الذي يحميها من اللص !

هذه ذكرتنا ، عن الصحفي ، بمفهومه وطبيعته وموضوعيته ، ومستواه .. فهل تفتح له بعد الآن الابواب والقلوب !

نتيجة مسابقة العدد ٦٢

أسماء الفائزين بالجوائز

■ بلغ عدد الاجابات التي تلقيناها لمسابقة العدد الثاني والستين رقما قياسيا حطم جميع الأرقام التي سجلتها المسابقات الماضية .

وقد ذكر معظم المتسابقين أسماء المدن الأربع عشرة كلها . كما رسم الطالب حسين عبد الله بقبيلة بتوجيهي الآداب بثانوية العزيزية ، بمكة المكرمة ، مجموعة من الخرائط للأقطار العربية بين عليها مواقع المدن موضوع المسابقة ، ولكن الحظ قد أخطأه ، اذ تخطته القرعة عند السحب الى غيره من المتسابقين .

ولأول مرة تلقينا اجابات من سيام « تايلاند » من القارىء عبد الرحمن العمران في بانجكوك .

وبعث قارىء عربي يدعى خوروش غالب يقيم ببلوبس باجابة صحيحة ، ورجانا في حالة فوزه بإحدى الجوائز أن تحول لاسم اللاجىء (الياس عدبلي — الحصن — الاردن) وتلك لا ريب عاطفة نبيلة ومشكورة .

ومن الدنمارك تلقينا عدة اجابات صحيحة بينها اجابة من « نودين كوبواي ده ميركارد » باللغة العربية وبخط جميل .

وقد أجريت القرعة بين الاجابات الصحيحة فأسفرت عن النتيجة الآتية .

الجائزة الأولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها مشوي مرزوق : الجيش الكويتي — الفوج السادس — سرية اللاسلكي الأولى : الكويت .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها سعيد مقداد : المجلس الأعلى للتخطيط — الرياض — السعودية .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : سعيد علي كموان : ديوان المحاسبة — طرابلس الغرب — ليبيا .

٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ — فوزي أمين الجندي : المدرس بمدرسة سعد زغلول الابتدائية — كفر الشيخ — ج ، ع ، م

٢ — سمير محمد : الطابيات — اللاذقية — سوريا .

٣ — الطالب الفلسطيني مالك محمود حسون : كلية الهندسة بجامعة كراتشي — باكستان

٤ — عبد اللطيف ابراهيم التميمي جانب الكرخ محلة خضر الياس — بغداد — العراق .

٥ — حكمة زيادة : ابو سمرا ، بناية حلمي الصفدي — طرابلس — لبنان .

٦ — عبد العزيز محمد سليمان — جمارك بورسودان — السودان

٧ — ابراهيم محمد الصديق : الحي الجامعي — غرفة رقم ١٣٩ — ظهر المهراز — فاس — المغرب

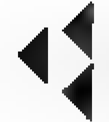
٨ — جانيت ماجد القاسمي : ص.ب رقم ٣٠ — الشارقة — الخليج العربي .

أبو الحسن الأشعري

بدأ بالاعتزال
ثم مال الى اهل السنة
ولكن ابقى على اسلوب
المعتزلة في الجدل

بقلم : الشيخ محمد ابو زهرة
استاذ الشريعة بجامعة القاهرة

● اتسعت فرجة الخلاف في الفكر الاسلامي بين الفقهاء والمحدثين وبين المعتزلة ، الذين كوّن واصل بن عطاء مذهبهم ، وكانوا يفكرون في فهم العقيدة تفكيرا فلسفيا ، ولا يعتمدون في أصول الاعتقاد الا على القرآن لا يتعدونه ، ويؤولون بعض ألفاظه على مقتضى العقل ، ويجادلون في الاسلام بحكم المنطق ، ويدفعون انحراف المنحرفين بالبرهان العقلي ولا يعتمدون على شيء سواه واستمكن سلطانهم في عهد المأمون والمعتصم والواثق ، وكان منهم كبار القائمين بأعمال الدولة ، وشاعت عنهم فكرة القول بخلق القرآن ، وتكفير من لم يقلها ، وعزل القضاة والمفتون الذين لا يقولونها ، واضطهد الفقهاء والمحدثون الذين لا يرددونها ، ويستجيبون لدعاتها ، ونزل الأذى بإمام السنة احمد بن حنبل رضي الله عنه .



دولة المعتزلة أدالها المتوكل ، ولكن بقى الاعتزال في الناس جدلا

وجاء المتوكل بعد الواثق فأدال من دولة

الاعتزال ، وانزلهم من عليائهم ، ولدعي اليه الفقهاء والمحدثين ، وكان هؤلاء يفكرون في العقيدة على منهاج المعتزلة ، فيعتمدون في عرضها على كتاب الله تعالى يأخذون بظواهره من غير تأويل ، ويعتمدون على السنة ، فما صح منها من اخبار في العقائد سواء اكان متواترا او كان آحادا ، فهم يقولون ان الله يرى يوم القيامة ، ولا يؤولون آيات الرؤية ، ومنهم من يقول ان لله يدا ، لان النص القرآني يقول : « يد الله فوق ايديهم » . وهكذا يأخذون بالنص ، ولا يحكمون فيه العقل ، ولكنهم يفردون التنزيه لله من مشابهة الحوادث والمخلوقات . « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » . ولا يستطيعون مجادلة الخصوم الا بنصوص القرآن ، ولا يسلكون مسلك العقل في الاستدلال ، لان المنطق نزعة فلسفية لا يرضونها ، ولا يرتضونها ، وبذلك لا يستطيعون الدفاع عن الاسلام ضد المنحرفين والغالين لان مدافعهم النصوص ، وهي لا تروع الا منه من يؤمن بها ابتداء ، ولا بد قبل الايمان من حكم العقل .

واذا كان المعتزلة قد خلت منهم دور الحكم بعد الواثق ، فلم يخل منهم دور العقل ، فاذا فقدوا نصرة السلطان ، فانهم لم يفقدوا نصرة البرهان ، ولسنسم يكن الفقهاء والمحدثون بقادرين عليهم ما داموا ينهجون من النصوص منهاج العقل .

ابو الحسن الاشعري ، وابو منصور الماتريدي ، توسطا بين اهل السنة واهل الاعتزال

كان لا بد بحكم المنطق من وجود ناس يتوسطون بين الفريقين ، ويخرجون بمنهاج بين المنهاجين ، وقد وجد اولئك ، ولكن في نطاق ضيق ، حتى كان الامامان ابو الحسن الاشعري وابو منصور الماتريدي ، فقد ظهر الاول في العراق وكان شافعيا ، وظهر الثاني في سمرقند ، وكان حنفيا .

نشأة ابي الحسن الاشعري

ولد ابو الحسن الاشعري ، من اسرة عربية تنتمي الى الاشاعرة الكرام الذين مدحهم النبي صلى الله عليه وسلم لفضل معاونتهم في يسرهم وعسرهم .

وتربى بالبصرة في حضانة اسرة عربية توارث منها العزيمة القوية ، والارادة الماضية ، وكانت البصرة موطن الاعتزال ، وموطن فرق الشيعة ، والمكان الذي التقى فيه العقل العربي ، بالعلم الهندي واليوناني ، وهي كما تطل على البادية العربية بصفائها ، وتحتضنها الحضارة بروائها ، قد التقى فيها ايضا العلم العميق والصفاء الذهني فالتقى علم الاسلام النقي الصافي ، بالفلسفات المختلفة ، والآراء المتباينة ، والاهواء والانحرافات.

درس في نشأته علوم الاسلام الاولى ، فحفظ القرآن وطائفة من الاحاديث ، وقدرا من الاحكام الفقهية يتعرف منها اوامر دينه ، وكان من الممكن ان يسلك مسلك الفقهاء والمحدثين ، ولكن كان علم هؤلاء علم رواية وفروع الاحكام ، وتخريجها على اصولها من الكتاب او السنة او القياس الفقهي ، بالحاق امر غير منصوص على حكمه بامر آخر منصوص لاشتراكهما في الوصف الذي يعتبر علة للحكم .

ابو الحسن يتتلمذ للجبائي شيخ المعتزلة

وكان في نفسه نزوع الى الدراسات العقلية في ظل المبادئ الاسلامية ، ولم يجد هذا الا عند المعتزلة ، فقد كانوا يدرسون العقائد الاسلامية ، ويؤيدونها بالبرهان العقلي ، ويؤولون كل ما جاء في القرآن على مقتضى حكم العقل المحض ، ان خالفه ظاهر القرآن في بعض آياته .

تتلمذ اذن ابو الحسن لشيخ من شيوخ المعتزلة وكان امامهم بالبصرة في عصره ، هو ابو علي الجبائي ، فلازم درسه ، ولكنه لم يكن تلميذا كبقية التلاميذ يتبعون شيخهم فيما ينتهي اليه ، او على الاقل يرجعون بالنسبة لاستاذهم الاتباع دون الابتداع ، بل كان ذلك التلميذ النابه يناقش شيخه في كل ما يعرض من مسائل ، واحيانا تنتهي مناقشة التلميذ للشيخ باسكاته وحيرته في الجواب.

التلميذ ابو الحسن يناقش شيخه

وتقص بعض القصص من مذاكرة التلميذ لشيخه . كان الجبائي ككل المعتزلة يرون ان الله تعالى لا يمكن ان يكون منه الا الاصلح الذي تدركه

مقررتنا ؛ فهــــم يحكمون بعقولهم على الاشياء بالحسن ، او القبح ، ثم يوجبون أن يفعل الله ما يرونه هم أصلح . ولكن التلميذ لم يفهم هذا ، كيف تقرر نحن الامر ، ثم نقرر أنه يلزم أن يقع ، فثارت بينهما المناقشة الآتية : ـ

قال التلميذ : ما قولك في ثلاثة : مؤمن وكافر وصبي . فما الله تعالى صانع بهم ؛ ويكون فيه الاصلح لهم .

قال الشيخ . المؤمن لمن اهل الدرجات ، والكافر من اهل الدركات ، والصبي من اهل النجاة .

قال التلميــــذ : فان اراد صبي ، بعــد موته صبيا ، ان يكون من اهل الدرجات هل يمكن ؟

قال الشــيخ . لا ، بل يقال له : ان المؤمن انمـا نال هذه الدرجة بالطاعة وليس لك مثلها .

قال التلميذ . فان قال الصبي : التقصير ليس مني ، فلو احييتني كنت عملت الطاعات كعمــل المؤمن .

قال الشيخ : يقول الله تعالى كنتُ اعلم انك لو بقيت لعصيتَ وعوقبتَ فراعيت مصلحتك وأمتك قبل ان تنتهي الى سن التكليف .

قال التلميذ : فلو قال الكافر علمتَ حالي كما علمتَ حاله ، فهلا راعيت مصلحتي مثله ، فسكت الشيخ .

وان هذه المناقشة لتنتهي بــلا ريب الى ان المصلحة التي تلزم مراعاتها في جانب الله تعالى ليست هي المصلحة التي نقدرها بعقولنا ، وانما تكون هذه المصلحة بتقدير الله العزيز العليم الذي لا يخفى عليه شيء في السماء ولا فـــي الارض .

الاشعرى ، لم يستغرق الاعتزال عقله

وان الذي يمكن ان يقدر في حياة الاشعرى ، وهو يعيش في ظل المعتزلة ويرضع من افاويقهم ، انه كان لا يســتغرق الاعتزال عقله ، بل انه يفكر التفكير المستقل ، والتفكير الحر يجعله ينقب عن الآراء انى تكون ، وعن الافكار حيثما تكون . وكذلك لم تمنعه دراســة الاعتزال من دراسة آراء الفقهاء والمحدثين في الحلقات ، وقد كان يدرسها بين عاطفة مترددة ، لا بين ســاخطة معتقدة .

وكان كلما تقدمت به السن او كلما تفتح فكره يســتنكر من آراء المعتزلة شيئا ، حتى اذا وصل الى الاربعين وبلغ اشده ، وهي السن التي يكتمل فيها العقل والجسم ، وجد نفسه بعيدا عن الاعتزال بقلبه وعقله .

وقد اخذ من بعد ذلك يراجع بين ما يعتنقه المعتزلة وبين ما يعتنقه الفقهاء والمحدثون،مستمسكين فيمعظم حكمهم بالمنقول من القرآن ومن الرسول،ومكث زمنا يوازن بينهما وكل منهما من حق،وانتهى بعد الموازنة وانتهى الى انه ان الاحتياط في الاعتقاد ما يسير اليه الفقهاء والمحدثون ، ولكن ينقصهم الاعتماد على العقل في تقرير ما يقررون ، فانه لا بد لبيان الحق من نص يثبته ، وبرهان عقلي يقربه ويؤيده ، ولا بد للدفاع عنه من منطق عقلي يسدد السهام الى الخصوص .

وعلى اي حال قد فارق الاعتزال ، وان لم ينضو تماما تحت سلطان الفقهاء والمحدثين .

« من عرفني فقد عرفني »

بعد ان انتهى الى هجر آراء المعتزلة ، وان لم يهجر مناهجهم في الاستدلال ، ذهب الى المسجد الجامع في البصرة ، ورَقِيَ المنبر ثم قال :

« ايها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني انا اعرفه بنفسي . انا فلان بن فلان . كنت اقول بخلق القرآن وان الله تعالى لا يرى بالابصار ، وان افعال الشر انا افعلها ، وانا تائب مقلع ، متصد للرد على المعتزلة ، مخرج لفضائحهم .

« معاشر الناس :

انما تغيبت عنكم هذه المدة لاني نظرت فتكافأت عندي الادلة ، ولم يترجح عندي شيء على شيء ، فاستهديت الله تعالى ، فهداني الى اعتقاد ما اودعته كتبي هذه ، وانخلعت من جميع ما كنت اعتقد ، كما انخلعت من ثوبي هذا » .

وانخلع من ثوب كان عليه ، ودفع الى الناس كتبــه .

ولا شك ان هذا التحول قد اضاف الى الفقهاء

والمحدثين ناصرا قويا ، ورجلا مهر في الكلام وفي الاستدلال . وان ما كتبه ابتداء من بعد ذلك يدل على انه كان متأثرا بالامام احمد بن حنبل ، وموقفه من المعتزلة ، وقد كانت حياته وأصداء مواقف الامام أحمد لا تزال تردد في التاريخ ، حيث لقي الأشعري من لقوه ، فقد كانت وفاة الامام احمد سنة ٢٤١ هـ ، وحياة الاشعري كانت ما بين ٢٦٠ ، ٣٢٤ هـ — فهو يقول في مقدمة كتابه « الإبانة » :

« ديانتنا التي ندين بها التمسك بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وما روى عن الصحابة والتابعين ، وبما كان عليه أحمد بن حنبل ، نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته ، ونحن عمن خالف قوله مجانبون ، لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق عند ظهور الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به المبتدعين وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمه الله تعالى من امام مقدم ، وكبير مفهم ورحمته على جميع أئمة المسلمين » .

آراؤه

وقد شرح خلاصة آرائه عند انتقاله ابتداء شرحا منطقيا في مقدمة كتابه «الابانة» . وخلاصة آرائه في هذا الكتاب :

أ — انه يرى أن بعض الصالحين تكون له آية ، أي علامة تدل على مكانته عند الله ، وهو ما يسمى كرامة الأولياء ، وقد أنكر المعتزلة ذلك ، وخصها الشيعة بالأئمة ، فقد قالوا ان المعجزات تجرى على أيديهم كما تجرى على الأنبياء ، بيد انهم لا ينزل عليهم الوحي .

وان الصوفية يرون اثبات الكرامة للصالحين ، بيد ان الفلاسفة المحققين منهم يطلبون الاستقامة ، بأن يسيروا على ما أمر به الشارع سيرا مستقيما ، ولا يطلبون الكرامة ، ويقول قائلهم في دعائه اللهم هبنا الاستقامة بدل الكرامة لأن الكرامة تستحق من العبد الشكر ، والاستقامة يرجو بها العبد الأجر

ب — ويرى أن كل ما جاءت به السنة ، سواء أكانت أحاديث متواترة أم كانت غير متواترة ، حجة تثبت بها العقائد ، فحديث الخبر يجب اعتقاده ، وغير ذلك من الأمور التي جاءت بها السنة ، لأنه ما دامت صحة الحديث قد ثبتت بالطرق التي يلتزمها العدلون في الرواية فهو حجة في العمل والاعتقاد ، اذ لا فرق بينهما في الاثبات . ولا معنى لأن يعمل بالحديث ، وينكر الأخذ بمثله في الاعتقاد .

ولكن هل يكفر من لا يأخذ بأحاديث الآحاد ؟ — يظهر أن الأشعري ، وهو شافعي المذهب لا يكفره ، لأن الامام الشافعي يقرر في الرسالة أن العلم قسمان ، علم يثبت في الظاهر والباطن ، وهو العلم الذي يكون طريقه قطعيا ، فهو يلزم في الاعتقاد والعمل ، وعلم يثبت في الظاهر دون الباطن ، وهو ما يكون دليله ظنيا ، فهو يلزم في العمل الظاهر ، دون الاعتقاد ، ويعد من هذا القسم ما يكون طريقه خبر الآحاد .

فاذا كان الأشعري أوجب الاعتقاد بحديث الآحاد ، فهو لا يكفر من لا يعتقد بما جاء فيه .

جـ — والأشعري يأخذ بظواهر النصوص ، فيعتقد رؤية الله يوم القيامة ، وكان يرى أولا أن لله وجها ليس مثل وجوهنا ، ويدا ليست كأيدينا ، وان هذا هو منهاج أحمد بن حنبل الذي اختاره في هذا الباب اماما له أولا .

هـ — وأبو الحسن الأشعري يرى أن الأشياء ليس لها قبح ذاتي ، ولا حسن ذاتي ، انما التحسين والتقبيح من عمل الشارع وحده .

وسنجد أن كثيرين من السنيين يخالفونه في الأمرين الأخيرين ، وقد رجع عن أولهما .

و — وهو يرى أن مرتكب الكبيرة ليس مخلدا في النار ، ولكن يعاقب بمقدار ما أذنب ، الا انه يتغمده الله برحمته فيغفر له أو يعفو ، لحسنات قام بها ، كما قال تعالى : « ان الحسنات يذهبن السيئات » ، وان عاقب فبالعدل وان عفا فبالرحمة .

الأشعري أخذ من المعتزلة مناهجهم في الجدل

والأشعري مع انه يأخذ بالنقل ، متواتره وغير متواتره ، قد أخذ من المعتزلة مناهجهم في الجدل ومنازلة المهاجمين للاسلام ، بأخذهم بالمنطق والبرهان ، وهو بهذا يتخذ العقل خادما للنصوص ، ولا يجعل النصوص محكومة بالعقل ، فهي فوق العقل ، والعقل أداة تقريبها والدفاع عنها .

وقد تصدى للمجادلة في ميدانين ، احدهما داخلي ، وهو الرد على المعتزلة ، وكان يطعن بمثل حجتهم ، وينهج طريقهم في الاستدلال فيحاربهم بمثل اسلحتهم ، ولا يقف عند النصوص في الدفاع ، بل يقلب القول ويصرفه مقلبا عن النصوص .

اما الميدان الثاني ـ الخارجي : فقد تصدى للرد على الفلاسفة والباطنية من الشيعة الذين كانوا يشيعون ما يوهن العقائد الاسلامية ، والقرامطة الذين قوى امرهم ، وسال سيلهم في آخر القرن الثالث واول القرن الرابع الهجري ، وغيرهم ممن لا يفحمه الا الاقيسة المنطقية ، ولا يقنعه الا دليل العقل .

والحق انه قد ضعف شأن المعتزلة في النصف الثاني من القرن الثالث ، وما يليه ، وقد كان لهم بلاء حسن في الدفاع عن الاسلام ضد الذين يهاجمونه ، ويشككون الناس في حقائقه ، ولكن الميدان لم يخل ، فقد حمل الاشعري في العراق ومن جاء بعده لواء الدفاع عن الاسلام ، وحق القول : انه كلما افل للاسلام نجم بزغ له نجم آخر .

كتب ابو الحسن الاشعري

والاشعري قد اوتي ملكات جعلته في الذروة من المناظرين ، فهو مناظر ذو همة ، وهو قوى البيان بالقلم واللسان ، فكتبه التي كتبها بعد ترك الاعتزال وقبله تتسم بالصفاء والاسلوب البليغ المحكم ، وتفيض بقوة الايمان بما يقول .

وله كتب الفها في الاعتزال ، واخرى بعده ، وكلا النوعين يدل على الاحاطة الكاملة والعمق في التفكير . ومن كتبه التي كتبها قبل ان يترك المعتزلة كتابه مقالات الاسلاميين ، وعباراته بينة واضحة ، واحسب انه اجمع كتاب للفرق الاسلامية التي ظهرت الى القرن الثالث الهجري .

وله كتب بعد ترك الاعتزال منها كتاب الابانة ، ولعله اول كتاب كتبه بعد الانتقال الى معسكر الفقهاء والمحدثين ، فان التأثر بهم واضح ، كالشأن فيمن ينتقل من ميدان الى ميدان متأثرا بالمنهاج الذى انتقل اليه ، فان نشوة الانتقال تكون قوية . ولكن بعد ان يستقر في الميدان يفكر في الجو الذى انتقل اليه تفكيره المستقل الذى تغذى بمادة ، لا يجمدها في القالب الذى اوى اليه .

ولذا جاء كتابه ـ اللمع ـ من بعد ذلك معدلا بعض آرائه التي قالها في الابانة ، فهو في الابانة كان يمنع تأويل اليد بالقدرة ، والوجه بالذات ، ويلزم الأخذ بظواهر النصوص ، ولكن في اللمع يقرر ذلك التأويل وهو في الحقيقة ليس بتأويل ، ولكنه اخذ بمجاز مشهور ، والمجاز المشهور لا يعد تأويلا ، ومن ذلك المجاز قول العربي : وضع الامر بيده على القدرة ، فلا يراد الحقيقة ، بل يراد السلطان ، وكذلك الامر « يد الله فوق ايديهم » .

منزلة الاشعري
في اهل زمانه ، ومن بعدهم

● نال الاشعري منزلة كبيرة عند الحكام في زمانه ومن بعده ، حتى ان صلاح الدين الايوبي كان حريصا على ان يحفظ اولاده منظومة تتضمن آراء الاشعري .

ولم يقتصر تقديره على الحكام ، بل صارت آراؤه عقيدة المسلمين او اكثرهم ، بل كان العلماء لفرط تقديرهم لا يتبعونه فيما وصل اليه من نتائج فقط ، بل ان من كبارهم من اوجب اتباعه في الادلة التي ساقها . ومن كان يخالف الاشعري يعرض للنقد الشديد ، فتعرض الغزالي الى اللوم عند بعضه ، وتعرض ابن تيمية للمحن عند مخالفته .

وتعرض ابن حزم الاندلسي للأذى عندما هاجمه .

وفي الجملة ترك الاشعري آثارا واضحا في علم العقائد ، كما ترك ائمة الفقه آثارا بينة في علم الفروع .

والله هو الموفق ، وهو الهادى الى سواء السبيل . ■■

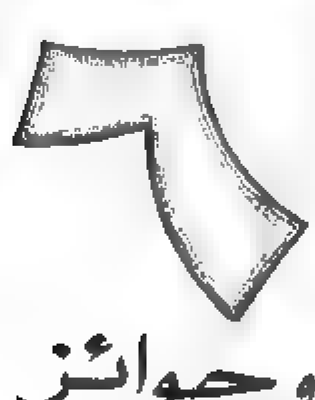
محمد ابو زهرة





١ — . . . . .　　٢ — . . . .





وجوائز





٥ — . . . . .　　٦ — . . . .

● لا تعتمد مسابقة هذا العدد على ما يملك القارىء من ثقافة أو ذكاء ، بقدر ما تعتمد على ما تتمتع به ذاكرته من قوة ..

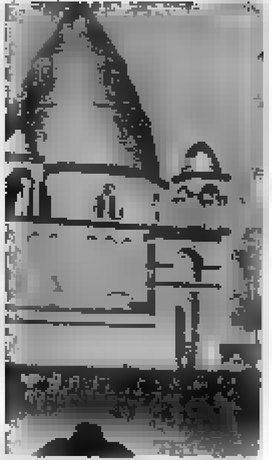
إنها تتألف من مجموعة من الصور التي سبق أن نشرتها « العربي » في استطلاعاتها عن أجزاء الوطن العربي الكبير . ولا بد أنه بقي منها في ذاكرة القراء الشيء الكثير .

فأمامك ٨ صور ، من ثمانية أقطار عربية ، تمثل بعض معالم الوطن العربي ، سواء أكانت أماكن دينية أو مرافق حيوية أو آثارا عفت عليها القرون .

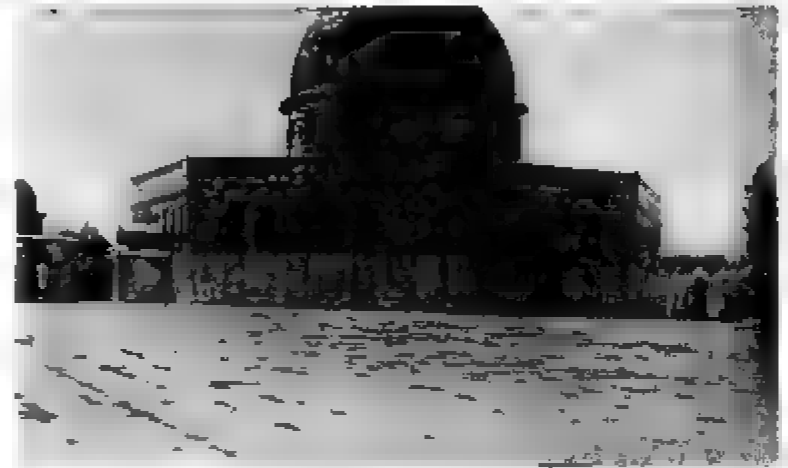
اذكر أسماء ٦ فقط من هذه المعالم ، مع اسم المدينة التي يقع فيها كل منها ، فقد يسعدك الحظ وتربح جائزة .

شروط المسابقة

١ — يرفق بالإجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٤ من هذا العدد . وكل إجابة لا ترفق بها القسيمة تستبعد .



١ —

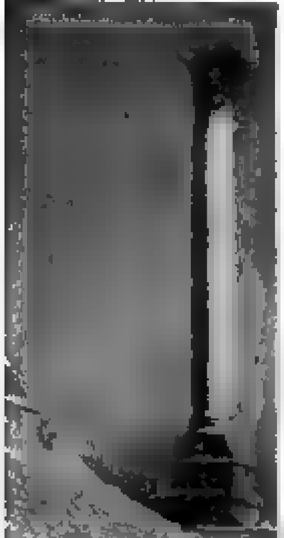


٢ —

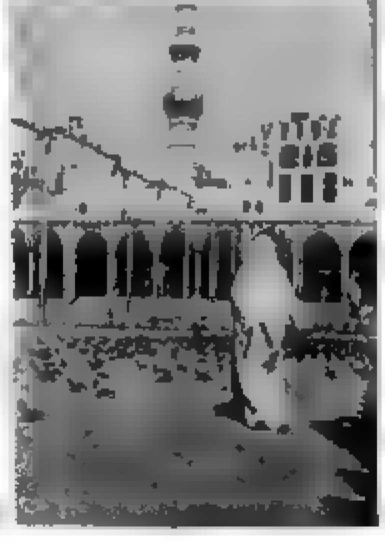
العربي



١٠٠ دينار



٨ —



٧ —

٢ — يكتب على الظروف عبارة — « مسابقة العربي — العدد ٦٤ » .

آخر موعد للاجابة

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر ابريل (نيسان) ١٩٦٤ . وترسل الاجابة مباشرة بعنوان مجلة «العربي» . صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربي وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريقة القرعة .

الجوائز ١٠٠ دينار

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي .

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا ..

الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا ..

الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير ..

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، لكل منها ٥ دنانير ..



ضرب الأطفال

هل نعود اليه

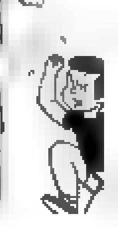
كيف تعامل طفلك اذا اخطأ او اساء التصرف او كان مهملا « الشقاوة » ؟ اتتغاضى عن اخطائه وشقاوته ، ام تعنفه ثم تضربه؟ وكيف يكون ضربك اياه؟ اتضربه بعنف وقسوة ، ام [illegible]

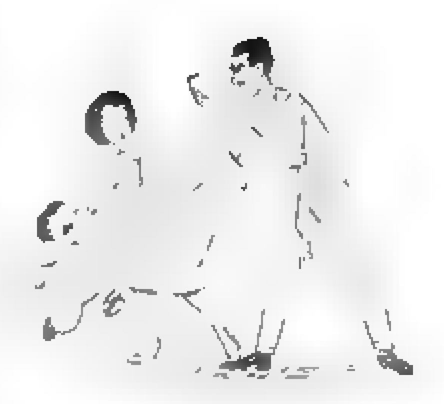
هذه كلها اسئلة تتزاحم في رأس كل اب وام ، فلا يجد احدهما لها جوابا شافيا .. ولذا تقدم لك « العربي » في هذا المقال احدث ما وصل اليه علماء النفس والاجتماع والتربية في هذا الشأن.

● ورد في احصاء امريكي حديث ان نسبة المجرمين بين الاحداث الذين لم يتجاوزوا الثامنة قد ارتفعت بصورة واضحة ، حتى انهم هم المسؤولون عن نصف ما يرتكب في الولايات المتحدة من [illegible]

والواقع ان تمرد اليافعين والاحداث على البيت والمدرسة ظاهرة انتشرت في المجتمع الامريكي ، لا سيما في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، ثم تسربت عدواها الى المجتمعات الأوروبية، ونقلتها السينما والصحافة والقصص الى المجتمعات الاخرى ، ومنها مجتمعنا العربي .

ويكاد رجال التربية وعلم النفس وعلم الاجتماع في امريكا وأوروبا يجمعون على ان من أهم اسباب هذه الظاهرة ، اتجاه نظريات التربية بعد الحرب العالمية الاولى الى سياسة الاغضاء عن اغلاط الطفل ، وتجنب العقاب البدني ، بزعم





في تربيتهم ؟

الخوف من ان يصاب الطفل بعقد نفسية .

وقد خرج اخيرا عالم نفسي امريكي ـ هو الدكتور « بيتر كرانفورد » Peter Cranford ـ بنظريته في التربية والتأديب ، اقامها على التجارب والخبرة .. وهي تدعو للعقاب البدني ، ولكن في حدود معينة ، رسمها نتيجة دراسة علمية وواعية دقيقة .

رجعة الى منشأ تحريم الضرب

بدأت هذه السياسة في اول القرن الحالي ، عندما نشر « جون ديوى » Dewey رسالة له بعنوان « علم النفس وتطبيقه اجتماعيا » ، دعا فيها الى اقامة التعليم على اسس من علم النفس ، بحيث تراعى فيه ميول الطفل ورغباته ، قبل ان يراعى حشو رأسه بالمعلومات ، فهو في طفولته يسعى لتكوين العادات التي ستلازمه في كبره . وقد وجدت

هذه الفكرة تأييدا كبيرا عندما طلع العالم النمساوي « فرويد » Freud في سنة ١٩٠٩ بنظرته التي تجعل « الجنس » عاملا مسيطرا في تكوين شخصية المرء . وبين مدى الضرر النفسي الذي يتعرض له الطفل من جراء ما يلقاه في طفولته من معاملة ..

وامتزجت آراء « ديوى » و« فرويد » في اذهان الناس في اعقاب الحرب العالمية الاولى ، حرب عام ١٩١٤ ـ ١٩١٨م ، واحيطت بهالة زينت للتربويين ان التسامح مع الطفل ، وتركه يعمل ما يشاء ليجرب الخطأ والصواب من تلقاء نفسه ، يستوجبان تجنب الضرب كوسيلة من وسائل التربية .. !

ديوى وفرويد ينتقدان تطبيق آرائهما

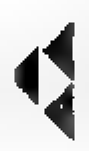
وكان اغرب ما في الامر ان « ديوى » و « فرويد » نفسيهما ، لم يذهبا الى ذلك .. ولقد هالهما هذا الاتجاه عندما بدات نتائجه الاولى في العقد الثالث من هذا القرن ، اى عندما شب الجيل الذى تنشأ على هذه التعاليم .

قال « ديوى » في كتابه « التجربة والتربية » :ـ

« ان الاغراق في التساهل مع الطفل اثرا مستمرا ينمي في نفسه المطالبة تلقائيا بأن يترضى الكل رغباته ونزواته في المستقبل .. وهذا من شأنه ان يجعله غير كفء لمعالجة المواقف التي تتطلب جهدا ودأبا للتغلب على ما يعترضه من عقبات .. » .

وكذلك قال :

« ... ان الافتقار الى آداب السلوك في بعض المدارس التقدمية يرجع ـ الى حد ما ـ الى شغف الاطفال بالمضى فيما يفعلون .. ولكنه يمثل كذلك اخفاقهم في تعلم درس من اهم دروس الحياة :



ذلك هو التكيف والتوافق مع البيئة التي تحيط بهم ، ومع المجتمع » .

ولم يكن « فرويد » أقل من « ديوي » انتقادا للاتجاهات التربوية التي بنيت على آرائه ، فكتب يقول :

« ان المهمة الرئيسية للتربية هي أن يتعلم الطفل كيف يسيطر على غرائزه . فمن المستحيل أن نكفل له الحرية التامة في أن يطيع كافة نوازعه دون قيود .. اذ أن هذا يجعل حياة الوالدين لا تطاق ، ويوقع بالأطفال أنفسهم أبلغ الضرر .. ومن ثم فوظيفة التربية هي أن تمنع ، وتردع .. وقد أدت هذه المهمة بنجاح يدعو للاعجاب ، في كافة الأزمان . ولكننا علمنا من التحليل النفسي أن كبت الغرائز بالتالي ، هو الذي يؤلف خطر المرض العصابي « Neurosis » .

رجال التربية اشفقوا من المسئولية

لم يشأ رجال التربية أن يتحملوا أوزار العقد النفسية التي أنذر بها « فرويد » ، فاتجهوا الى أسهل حل .. وهو اطلاق الحرية للطفل في عمره ليرضي نزواته ونوازعه ، مع التوجيه الرفيق ، الذي يساعده ــ اذا ما كبر ــ على أن يصلح من عاداته ، ونسوا أن التوجيه الرفيق وحده لا يمكن أن يحول الطفل عن عمل سيئ ، ما دام يجد فيه متعة ومسرة . فان الطفل لم يؤت العقل الناضج الذي يجعله يتدبر ما يلقى اليه من توجيه ، ويقتنع به ، ولا العزيمة التي تجعله يتحول عن العمل السيئ ، مضحيا بما يجده من متعة ولهو ...

« عصا التأديب » انزلها الى الأرض اله

كما انهم تجاهلوا ــ في الوقت ذاته ــ من عبارة أوردها « فرويد » في حديثه الذي أبدى فيه قلقه من نتائج الاتجاهات التربوية الجديدة .. اذ قال : « **فوظيفة التربية هي أن تمنع ، وتردع ...** »

وقد أدت التربية هذه الوظيفة بنجاح يدعو للاعجاب ، في كافة الأزمان .. ولو أنهم تدبروها لوجدوا أن التربية ــ قبل أن يطلع « فرويد » بنظريته في التحليل النفسي ــ كانت تقوم على أساس « الجزاء والعقاب » .

فكان قدماء المصريين يعتقدون أن الاله « توت » ــ رب التعليم والمعرفة ــ قد أنزل على الأرض « عصا التأديب » .. وكان الاغريق يؤمنون بالجزاء والعقاب في التربية ، وكذلك كان الرومان ، حتى لقد ذهب الخطيب الروماني كاتو Cato الى أن للأب الحق في أن يأمر بموت ابنه اذا استعصى على الاصلاح .

ولقد قال الفيلسوف القديس « توماس الاكويني Thomas Aquinas » ــ في القرن الثالث عشر ــ أن بعض الأولاد لا يرتدعون بمجرد الكلام « لذلك كان لزاما كبحهم عن الشر بالقوة والخوف » .. وقال الفيلسوف « هيجل Hegel » ، في القرن التاسع عشر ، أن عقاب الأطفال لا يستهدف العدالة بقدر ما يستهدف صدهم عن ممارسة حرية لا تزال الطبيعة تعمل في تكوينها ..

ولو أننا تركنا التاريخ ، ورجعنا الى الأديان ، لوجدنا الكتب السماوية حافلة بالترغيب والترهيب . تعد المستقيمين بالجنة ، وتنذر المسيئين بالنار .. وفي تربية الصغار بالذات ، أوصت معظم العقائد ــ السماوية منها وغير السماوية ــ بالعقاب والضرب كوسيلة للتأديب .

حيرة بين الردع والنتائج النفسية

وهذا كله يؤيد ما قاله « فرويد » **من أن التربية القائمة على المنع والردع والقمع قد نجحت في كافة الأزمان « نجاحا يدعو للاعجاب » ..**

فما الحل اذن؟ وكيف يمكن التوفيق

بين ذلك وبين قوله : « ولكننا علمنا من التحليل النفسي ان هذا القمع بالذات ، هو الذي يؤلف خطر المرض النفساني»!!

لقد شغلت هذه المشكلة اذهان كبار المشتغلين بالتربية الذين حاولوا ان يجدوا لها حلا ، واخيرا خرج العالم النفسي الامريكي ، الدكتور بيتر كرانفورد ، بنظرية وسط ، اقامها على التجارب والخبرة ، وما اسفرت عنه دراساته الواسعة واستفتاءاته للآباء والامهات والمشتغلين بالتعليم وعلماء النفس .. فضلا عن انه ، ككل عالم يتبع الاسلوب العلمي اجرى عددا من التجارب لتطبيق نظريته قبل ان يدعو لها !

وتقوم نظرية كرانفورد على اساس العقاب البدني ، ولكن في حدود معينة ، وبشرط ان يقترن بالمكافأة والتشجيع .. اي انها جمعت بين الجزاء والعقاب معا ، في منهج دقيق مدروس .

وقد اسمى كرانفورد نظريته « الجزاء المتكرر » . واساسها ان للتأديب ثلاث طرق : **مكافأة الطفل على حسن السلوك وهذه اضعف الطرق ، وعقابه على سوء سلوكه ، وهذه افضل ، ثم الجمع بين المكافأة والعقاب ، وهذه هي احسن الطرق الثلاث .**

وهكذا رد كرانفورد التربية والتهذيب الى اصلهما القديم : الجزاء ، والعقاب .

سياسة « الجزرة والعصا »

ويقول كرانفورد ان طريقة « الجزاء المتكرر » احدى ما تكون بين سن الثانية وسن الثالثة عشرة .. فبعد هذه السن الاخيرة ، يدخل الصغير طور المراهقة ، ويتطلب الامر تعديلات جديدة .. وفي الوقت نفسه كلما نكر الوالدان بالتاديب استمرت في وعي الطفل عادات سليمة ، صحيحة ، تتأصل وترسخ متلازمة بقية عمره ..

ويصف «كرانفورد» طريقته بانها جديرة بأن تسمى « الجزَرة والعصا » ، فهي تشبه الطريقة التقليدية التي بها يسامي الحل الصيد .. التلويح له « بالجزرة » باحدى اليدين ، والتلويح بالعصا باليد الاخرى ... ولكني افضل أن تسميها « الترغيب والترهيب » حفظا لكرامة الانسان من أن يشبه بالخيل .. الترغيب بالمكافأة والارهاب بالعقاب.

ومن الحدود التي وضعها «كرانفورد» لطريقته ، **هو ان تأخير المكافأة وتأخير العقاب يذهبان بجدوى الطريقة ... لذلك يجب على اي من الوالدين ان يبادر بضرب الطفل فور ارتكابه الذنب ، ومكافأته بمجرد ان يصدر عنه تصرف حسن ، دون انتظار او ارجاء ، لكي يستقر في ذهن الطفل اقتران المكافأة بالاحسان ، والعقاب بالاساءة .**

واهم تلك الحدود جميعا هو ان



العقاب ليس **للانتقام** ، وانما **للتوجيه والارشاد** .. ولذلك يحسن أن يكون ضربة واحدة على مقعده ، يعصا خفيفة ، أو باليد في كل مرة يخطيء فيها .. فاذا كرر الخطأ فضربة أخرى ، لا أكثر .. وان أعاد فثالثة .. وهكذا ..

وقد دلت التجربة على أن الطفل العنيد لا يلبث أن يرعوي بعد المرة الخامسة عشرة على الأكثر . وضربة ضربة واحدة خمس عشرة مرة ، أجدى وأجدى من خمس عشرة ضربة مرة واحدة .. لأنه في الحالة الأخيرة لن يلبث أن ينسى الدرس بعد أن يزول ألم الضربة في حين أن الحالة الأولى تذكره ـ في كل مرة يخطيء فيها ـ بالعقاب ، فلا يلبث أن يرعوي ..

الضرب أصول يجب أن تراعى

وهذه الضربة الواحدة لا يتركها « كرانفورد » مطلقة ، بل انه يضع لها حدودا .. الا يجب أن يصحب الوالد ـ أو الوالدة ـ الغضب تماما ، وهو يمارسها ، حتى لا ينقلب التأديب الى عنف وقهر .. ذلك لأن المراد أن تكون الضربة رمزا يسوء الطفل دون أن يؤذيه ، حتى يستقر في ذهنه اقتران الألم بالعمل السيء .. وبالنسبة لعقلية الطفل يكفي هذا الرمز لاشعاره بالألم .

ولكي تكون الضربة أوقع أثرا في نفس الطفل ووعيه ، يجب أن يقترن بما يبين استياء الوالد ، كنظرة الاستياء . ومع التكرار الذي توصي به الطريقة ستقترن هذه النظرة يوما ـ في ذهن الطفل ـ بالخطأ والعقاب .. ومن منا ـ نحن أبناء الجيل الذي تجاوز سن الأربعين ـ لا يذكر وقع نظرة الوالد في نفسه عندما كان يخطيء في صغره ؟

وما لم يتبع الوالد الضربة الأولى بضربة ثانية ، عندما يعود الابن للخطأ ، فان تأثير العقاب يضعف ويفقد جدواه .

وكذلك الأمر بالنسبة للجزاء أو المكافأة ، يجب أن يكافأ الطفل فور احسانه ، وليست المكافأة بحجمها ، بل ان قطعة من الحلوى تكفي .. فالمهم أن تتكرر بتكرار الاحسان ، ليستقر في ذهن الصغير أن الجزاء مقترن بحسن السلوك أو التصرف .. « وقطعة من الحلوى فور الاحسان ، أفضل من دراجة ذات ثلاث عجلات يوعد بها عندما يحين عيد الميلاد » . على حد تعبير « كرانفورد » .

الضرب يريح الطفل من الحيرة

ولقد أثبتت التجارب التي أجراها « كرانفورد » لتطبيق نظريته ، أن العقاب البدني أخف وطأة على الطفل ـ من حيث رواسبه النفسية ـ من العقاب الانفعالي Emotional ، كأن تؤنب الطفل بقول لاذع تتعمد أن يؤلمه ، أو كأن تنظر غاضبا في وجهه فترة ، أو كأن تقاطعه الأم برهة لا تكلمه فيها أو تتجهم له خلالها ..

كذلك هو أخف وطأة من الحيرة التي تكتنف الطفل في محاولته التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ .. فقد خرج الدكتور « كرانفورد » من تجاربه بأن الطفل لا يجب أن يتحمل وطأة هذا التمييز فهو يشعر في مرارة نفسه ـ وان لم يفطن الى كنه هذا الشعور ـ بطمأنينة في أن يتولى أحد والديه البت في الأمر .. لذلك فنحن بطريقة « الجزاء المتكرر » نترك له حرية الاختيار والتجربة ، ثم نبت في الأمر فنريه الصواب من الخطأ .

وبهذا نكفل للطفل الوقاية النفسية طيلة عمره ، اذ نروضه على العادات اللازمة ، متوسلين بالتأديب ، فنحميه من نفسه ومن نوازعه .. نبني فيه عادات تعمل من تلقاء نفسها في توجيهه في مواقف الحياة ، دون الحاجة ـ في المستقبل ـ الى وعيد أو ترغيب ... وبذلك نعده اعدادا صحيحا لمواجهة صعاب الحياة وأخطارها . ■



أحسن ما قيل

في رأى عبد الملك بن مروان

■ كان عبد الملك بن مروان في سمره مع أهل بيته ، وولده ، وخاصته ، فقال لهم : ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر ، وليفضل رأى تفضيله .

فأنشدوا وفضلوا ، فقال بعضهم : النابغة ، وقال بعضهم : الأعشى . فلما فرغوا قال : أشعر الناس واللهمن هؤلاء الذي يقول، وأنشد هذه الأبيات(وهي لمعن بن أوس) :

وذي رَحِمٍ قلَّمت أظفار ضغنه ... بحلمي عنه وهو ليس له حِلْمُ
صبرت على ما كان بيني وبينه ... وما تستوي حرب الأقارب والسِّلْمُ
ويشتم عرضي في المغيب جاهداً ... وليس له عندي هوانٌ ولا شتمْ
إذا سُمْتُه وصل القرابة سامني ... قطيعتها تلك السفاهةُ والإثم
ويسعى إذا أبني ليهدم صالحي ... وليس الذي يبني كمن شأنه الهدم
يود لو انى مُعدِم ذو خَصاصة ... وأكره جهدي أن يخالطه العُدْمْ
ويعتدُّ غنما في الحوادث نكبتي ... وما إنْ له فيها سناءٌ ولا غُنْم
فما زلت في ليني له وتعطفي ... عليه كما تحنو على الولد ... الأم
وخفْضي له مني الجناح تألُّفا ... لتُدنيَه مني القرابةُ والرحم
وصبري على أشياء منه تُريبني ... وكظمي على غيظي وقد ينفع الكظم
لأستلَّ منه الضِّغْن حتى سللتهُ ... وقد كان ذا ضغن يضيق به الحزم
رأيت انثلاما بيننا فرقعته ... برفقي أحيانا وقد يُرقَع الثلم
وأبرأت غل الصدر منه توسعا ... بحلمي كما يُشفَى بالأدوية الكَلْم
فأطفأت نار الحرب بيني وبينه ... فأصبح بعد الحرب وهو لنا سلم



نحن ، دافعي الضرائب ، نعترض !

من جريدة « الصنداي اكسبريس » :

● غادر لندن الى هنكونج ، خصوصي اعضاء مجلس ادارة شركة الطيران البريطانية عبر البحار ، وبرفقته زوجته في زيارة ترفيهية .

ونعت نتساءل : وما الغريب في مثل هذا الخبر ؟

نعم ! لا غرابة في ان يسافر رجل وامرأته لقضاء الشتاء في هنكونج ، ولكن الغرابة هي ان ثمن التذكرتين في الدرجة الاولى انما دفعه انا وانت ، وكل دافع ضرائب في هذا البلد .

ان شركة الطيران البريطانية عبر البحار مدينة للخزينة العامة بمبلغ ٨٠ مليون جنيه ، وهو مبلغ اقتطعناه جميعا من حاجاتنا وحاجات عائلاتنا ، ولكن الشركة تتصرف بعد كل هذا تصرف الموسر المثل ثرائه ، فتجعل لكل عضو من اعضاء ادارتها الحق في أن يسافر مجانا على خطوط الشركة كما يشاء والى أي مكان يشاء ، كما تجعل له الحق في أن يصطحب معه زوجته او اى انسان على حساب الشركة ايضا .

والعجيب بعد كل هذا أن يصرح مدير الشركة مؤخرا بانه سيطلب من الحكومة اعفاء الشركة من هذا الدين . ونحن بدورنا نقول للمدير : « انما نحن دافعي الضرائب ، سنقف في وجه طلبه هذا . والواجب عليه ان يضع حدا لهذه الحماقات قبل ان يتقدم بمثل هذا الطلب » .

السجن اصلاح

من جريدة « الصنداي تلغراف » .

● من المبهج ان نقرأ في التقارير الرسمية ان نسبة من حكم عليهم بالسجن في عام ١٩٦٣ اقل ٢٧٪ من العام الذي سبقه . ومن المبهج ايضا ان نقرأ في هذه التقارير نفسها ان نسبة المحكوم عليهم بالسجن او بغرامات آخذة في الهبوط عاما بعد عام ، خلال العشر السنوات الماضية .

ونحن هنا لا نريد ان نذهب بعيدا لنستقصي اسباب هذا الانخفاض ، ولكن مع هذا نحب ان نشير الى ان ما يلقاه السجين من توجيه واصلاح وهو في السجن ، كان له تأثير كبير في تهذيب نفسه ، وجعله مواطنا صالحا .

وتقول التقارير الرسمية ان كل سجين يكلف الدولة ..٥ جنيه سنوياً، وليس هذا بالكثير، اذا كانت النتائج هي ما نرى .

خطوة نباركها

من « ملووكى جيرنل » :

● .« بليونا من الدولارات ، هذا هو معدل ميزانية التسلح السنوية في بلادنا ، الولايات المتحدة ، وهي ميزانية يقرها الكونجرس دون أن يتوقف لحظة . ولكن يبدو أن هذه الميزانية ستنخفض انخفاضا ملحوظا في السنوات القادمة ، فقد عين الكونجرس لجنة للبحث في وسائل الحد من التجارب النووية دون أن يعرض هذا الحد البلاد الى الخطر ، كما تبحث اللجنة في الطريقة التي يمكن أن تتطور فيها الصناعة في بلادنا بحيث تصبح صناعة مناسبة لبلاد تتطلع الى أن يعم السلم العالم دون أن يؤثر هذا في الكيان الاجتماعي ، ويهدد بانتشار البطالة .

لقد كانت الصناعة في بلادنا منذ ٢٥ سنة ، حتى الآن ، صناعة قائمة على اساس ان الحرب منتظرة في اية لحظة ، ولهذا كان جزء من هذه الصناعة موجها الى الانتاج الحربي ، وتحسين ادوات الحرب .

انما نحيي الكونجرس على هذه الخطوة الطيبة، التي تفسح للبشرية بابا ، نأمل ان تفضي الى السلم الذي طالما اعتقد امرا مستحيلا .

هدف الجامعة

من جريدة الاوبزرفر :

● يشتد الجدل بين المسؤولين والمختصين في هذه الأيام حول دور الجامعات في بلادنا : هل دورها تخريج صفوة قليلة من المتعلمين لثقافة عالية كما هي الآن ؟ أم أنها يجب أن تتطور وتتسع وتفتح أبوابها لعدد كبير من الراغبين في الدراسة الجامعية بحيث يصبح هدفها خلق مجتمع مثقف ؟.

وانصار الرأي الأول يرون أن الكثرة في الخريجين تعني التدني في المستوى . كما أن كثرة الطلبة ستؤدي الى ارهاق الأساتذة ، وصرفهم عن البحث ، الذي هو رسالة الجامعة الأولى .

وفي رأينا أن أساتذة الجامعات الذين يدرسون نحو سبع ساعات في الاسبوع، الذي ساعات العمل فيه ٤٤ ساعة ، يستطيعون أن يتحملوا تدريس ثلاث أو أربع ساعات زيادة في الاسبوع دون أن تضر هذه الزيادة بأبحاثهم .

وهناك حقيقة يتجاهلها أنصار الرأي الأول ، هي أن بعض رجال الجامعة متميزون في البحث دون أن يكونوا متميزين في التدريس ، والعكس أيضا صحيح .

والسؤال الآن هو : لماذا لا نجعل فئة من رجال الجامعة همها الأول البحث العلمي ، وفئة أخرى شبه متفرغة للتدريس ؟!

ارهارد وتوحيد المانيا

من جريدة « الاوبزرفر »

● لقد اثبت المستشار ارهارد ، ووزير خارجيته الدكتور شرودر ، انهما ابعد نظرا من الرئيس السابق الدكتور اديناور ، فهما يحاولان ان يقيما علاقات طيبة مع الغرب والشرق . كما ان ارهارد ابدى استعدادا للتفاهم مع المانيا الشرقية على جدار برلين ، وايد مفاوضات التقارب القائمة بين امريكا وانجلترة من جهة ، وروسيا من جهة اخرى .

ولكن هناك امر لا يبرح ذهن ارهارد ، وهو توحيد المانيا . فالظاهر جليا ان تحقيق هذه الوحدة هو ما يسيطر على تفكير ارهارد منذ ان تسلم زمام الحكم . ونحن نخشى أن يعرقل موقف ارهارد هذا الاتفاق مع روسيا في مجالات اخرى .

ورأينا ان تساهل ارهارد في مسألة توحيد المانيا الآن ، سيؤدي الى الاتفاق على امور كثيرة معلقة ، وهذه الاتفاقيات ستكون خطوات الى الامام تقرب يوم عودة الامور الى طبيعتها في المانيا الموحدة .

بعد ٣٦ عاماً تصبح الذرة مصدراً لجميع القوى

الى اسفل : وزراء خارجية امريكا وبريطانيا وروسيا يوقعون وثيقة الحد من التجارب النووية ، وذلك في ذكرى اسقاط اول قنبلة ذرية على هيروشيما في اغسطس ١٩٤٥ .



الطب والعلم
في عام ١٩٦٣

■ ان الأحداث اللامعة التي وقعت في عام ١٩٦٢ كثيرة ، لان هذا العام الذى انطوى لم يقصر عن سائر الاعوام في محصول حصيلته من العلم ، على ايدى الباحثين في سائر الامم . وقد ذكرنا الكثير من ذلك في بحر هذا العام المترحل .

التجارب الذرية

من تلك الأحداث حدث يتصل مباشرة بحياة الكثير الاكثر من الناس ، نعنى به الاتفاق الذى وقعت الولايات المتحدة،ووقعه الاتحادالسوفييتى، ووقعه معهما اكثر من مائة امة ، بوقف التجارب الذرية الا ما كان منها في بطن الارض الصلبة . وهو حدث لا يدرك قيمته كاملة الا العارفون ، والعارفون بما سبقه من جهود كثيرة . جهود بعضها الدبلوماسي ، وبعضها التنفسى ، وبعضها العلمى . وهى جهود كان لا بد منها للوصول الى هذه النتيجة بسبقها فتح باب الى ابواب تنفتح من بعدها . ولقد احدث هذا الحدث الدبلوماسى التنفسى العلمى في الامم ارتياحا كبيرا حدا بهم جميعا ان يلقوا نظرة ما وراء هذا الباب من ابواب يطرقونها ، ويطرقونها في غير قعود . والروس والامريكان يطالبون جميعا ، وباخلاص ، بالذهاب الى ما وراء هذه الخطوة من خطوات،ولى هذا خير للعالم كثير ، والعلم خاصة بمنطلقات تتفرق سبيل

القمر كان يدور حول الشمس ثم استولت عليه الأرض !



طائرة جديدة تفوق سرعتها سرعة الشمس

بريستول ١٨٨ وهي الطائرة البريطانية التي اطلقوها بقصد التجربة، فعادلت سرعتها ضعفي سرعة الصوت

التهلكة ، سوف يتحول الكثير منها الى البحث العلمي النافع السلمي في شتى مرافق الحياة .

وبحوث الفضاء

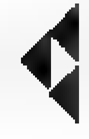
وبحوث الفضاء ، المتصلة بالسلم ، جرى فيها الشيء الكثير . فالولايات المتحدة انهت مشروع مركري Mercury ، وذلك بأن لف رائد الفضاء الامريكي كوبر Cooper بمركبته حول الارض ٢٢ مرة ، في نفس الوقت تقريبا الذي صنع فيه الروس مثل ذلك ، بأن اتم رائد فضائهم الذكر ، الكولونيل بيكوفسكي ، دورانه في مركبة الفضاء (فستك الرابعة) ٨١ مرة حول الارض ، بينما اتمت رائدة فضائهم الانثى ، فالنتينا تريشكوفا الدوران حول الارض ٤٨ مرة ، ونزل الاثنان الى الارض سويا.(انظر الصور على الصفحة التالية)

وأفادت هذه التجارب الفضائية بنصيبها في ربط العواطف الانسانية ، فما لبثت فالنتينا ، رائدة الفضاء ، أن تزوجت برائد سابق ، هو اندريان نيكولاييف . وتقول الشائعة انهما سيكونان أول زوجين يصعدان معا الى الفضاء في مركبة واحدة.

وكما في الفضاء فكذلك في الهواء

ومن الاحداث القيمة الهامة التي تتصل بعيش الانسان من قريب ، ما جرى ويجرى في عالم الهواء ، في الطيران ، من طائرات ركاب أو طائرات بضائع .

فقد تم الاتفاق في هذا العام ، بين عدة جوانب، على التقدم بالطائرات خطوة كبيرة ، مؤداها أن تبلغ هذه الطائرات من حيث السرعة مثلين من سرعة الصوت ، أى نحو ١٥٠٠ ميل في الساعة ، أو تزيد . واذا علمنا أن الشمس ، عند خط الاستواء ، تدور حول الارض بسرعة ١٠٠٠ ميل في الساعة ، ادركنا مقدار هذه السرعة المأمولة ، انها تفوق سرعة الشمس في دورانها حول الارض .





● من سوف يصل الى « عباءة الارض » اولا ؟ — ● الحصبة

ويعني هذا ان الطائرة تسابق الشمس فتسبقها في الاقطار التي تمر بها وهي قادمة غربا .

وقدروا لظهور هذه الطائرات في الجو موعدا هو عام ١٩٧٠ .

وفي الاذاعة والتلفزة

ان هذه الطائرات ستقرب لا شك المسافات بين سكان الارض . فالمسافة بين نيويورك مثلا ولندن ٣٤٦٠ ميلا ، وبينها وبين باريس ٣٦١٠ ميلا ، وبينها وبين القاهرة نحو ٥٠٠٠ ميل ، فالطائرات المرجوة سوف تقطع تلك المسافات فيما بين ساعتين الى ٣ ساعات تقريبا ، لا سيما والمطلوب لهذه الطائرات ، لا سرعة نصف سرعة الصوت ، ولكن مثلين ونصفا وحتى ثلاثة امثال من سرعة الصوت .

وزاد وزيد في تقريب الناس بعضهم من بعض، حتى كأنهم يعيشون في صعيد واحد ، ما جرى في الاذاعة والتلفزة عن طريق القمر الصناعي « تلستار » Telstar وسنكوم Syncom واضرابهما، فقد ربطا الارض، وسيربطانها بالاذاعة والتلفزة معا .

وكل هذا نشرناه في « العربي » في حينه .

وفي الذرة

وخطا العلم في شئون الذرة خطوات طويلة كثيرة .

على الجانب العملي ، الجانب النفعي ، منها ، خطا العلم خطوات جبارة في انتاج الطاقة الكهربائية من الذرة حتى قيل انه لن يأتي ختام هذا القرن، ويأتي عام ٢٠٠٠ ميلادي ، حتى تصبح الذرة مصدر القوى جميعها التي تكون عند ذاك في الولايات المتحدة . وكالولايات ، روسيا وبريطانيا وسائر الامم المتقدمة .

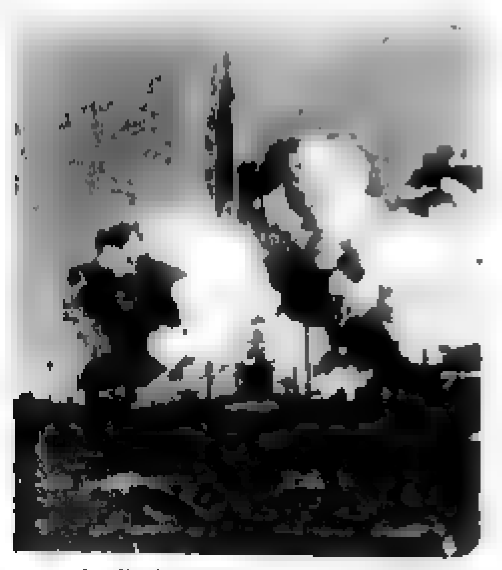
وختام هذا القرن لم يبق على بلوغه غير ٣٦ عاما .

واستخدام الذرة السلمي في الزرع والضرع

وفي الجانب النظري البحث عن الذرة ، من حيث الاجزاء الصغيرة الغاية في الصغر التي تتألف منها نواتها . هذا الجانب يعتمد على اجهزة جبارة تقوم بتحطيم هذه النواة . وهذه الاجهزة تسمى بالمعجلات ، لانها تزيد في سرعة اجزاء نووية لتصل بها الى سرعات هائلة ، تطلقها فتقذف قذيفتها الذرة فتحطمها. ومن الحطام الناتج يستنتج العلماء الشيء الكثير ، الشيء الذي لا بد ان يخرج منه فوق ما خرج الى اليوم عن الذرة من منافع .

وقد وُضعت في هذا العام خطط لمعجلات اسرع من المعجلات السريعة الموجودة . خطط لصنع معجلات اكبر قدرة . وقد خصصوا لبناء واحدة منها ١٢ الف مليون ريال .

وهذا جانب من جوانب الذرة الاخلى عن



الصاروخ الجبار اطلس ، يرتفع الى الفضاء بالبحار الفضائي الامريكي « كوبر » ، يدور بمركبته بعد ذلك مرات عديدة حول الارض وذلك في مايو ١٩٦٣

والملاريا .. هــل قضي عليهمــا ؟!

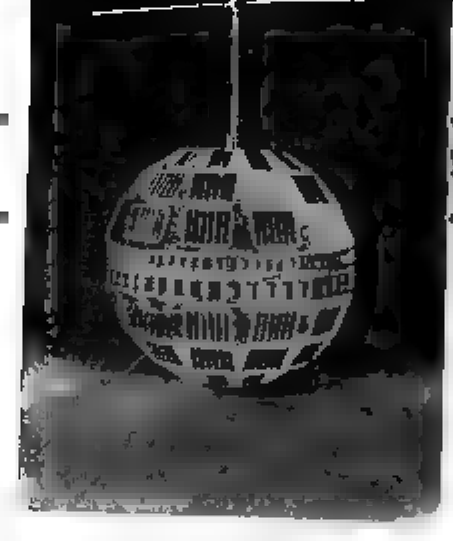
الجمهور ، على اطلاقه ، لانه موغل في شئون الذرة ايغالا كبيرا . ولكنه من الجوانب التي قد تحـــدث اخر الامر دويا فوق ما احدثت القنبلة الذرية الاولى .

وكما في اعماق الفضـاء فكذلك في اعماق الارض

كذلك تقدمت بحوث خرق الارض .. خرق قشرتها ليكشف ما تحت هذه القشرة .

ان بحوث الســماء تقدمت كثيرا ، وتأخــرت الارض، وهي الاقرب الينا ، ولعلها الانفع . فلا لا بد من اجراء مقابلة تحفظ للعلم توازنه .

ان النظريات التي تحكى عما في باطن ارضنا هذه ، التي نعيش فوقها ، كثيرة ، ولكنها نظريات غير مستقرة . وهي متضاربة . ويؤكد الصحيح



التلســتار ، ذلك القمر الصناعي الذي طلعوه ، فدار حول الارض ، والمعلوم منه محطة اذاعية يرسلون اليها الاذاعة من الولايات المتحدة فترتد اصداؤها عبر القمر الى الارض

منها ، ويطمس بزيف الزائف ، نظرا يلقيها العلماء على صنوف الصخور التي يستخرجهــا الثاقبون للارض ، طبقة من بعد طبقة ، الى عمق خمسة اميال ، او ستة في قاع البحر ، حتى يصلوا الى الطبقة التي تلي بعد القشرة ، تلك التي اسموها « حلة الارض » .

ويقوم الامريكان بخرق الارض في قاع المحيطات .

ويقوم الروس بخرق الارض يابسين في ارض القارات ، فتكشفهم لا شك سيكون اعمق لينالوا به « حلة الارض » .

وفي الطب : بديل المورفين

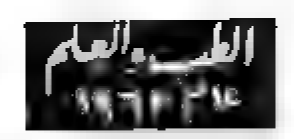
وكما في الطب جرت ابحاث وجرت احداث كثيرة ، ليس من اقلها ايجاد بديل للمورفين .

ان المورفين عقار من انفع العقاقير . يعرف ذلك كل من اجريت له جراحة في جسمه ، اطلقتها الام ، لم يذهب بها ويسكنها غير حقنة المورفين . بل غير الجراحة فحقنة المورفين لا تنكر ، فالآلام الانسان اسبابها عديدة ، وظروفها مختلفة ، ولعل اسوأ شيء في الحياة آلامها .

ولكن المورفين اذا اسطروا لاستعماله استقرت له في الجسم حاجة فيصبح الجسم يطلبه .



سيدة الفضاء فالنتينا تريشكوفا ورجل الفضــاء اندريا نيقولايف ، في لحظة زواجهما وذلك بعد مغامرتهما الباهرة التي كانت في الفضاء



● الانسان عاش على الارض منذ مليون سنة ـ ● انفجار في مجرة

ويصبح المريض بذلك عادة لا يمكن التخلص منها ، ويصبح ادمانا ، ويصبح الطب شرا .

ومن اخبار هذا العام المنصرم انهم اوجدوا للمريض عقارا بديلا ، سموه بنتازوسين Pentazocine يذهب بالألم ، ولكنه لا يولد في متعاطيه عادة تعاطيه .

وفي الطب : لقاح للحصبة

ومن نتائج هذا العام الطبية لقاح يقي من الحصبة .

ان الحصبة مرض لا يكاد طفل ان ينجو منه ، لشدة عدواه . والصعوبة فيه التمريض . ومن الصعوبة فصل الطفل عن اخوته واخواته ، وكثيرا ما عرفنا الامهات ، اذا اصاب احدا من اولادها الحصبة ، جمعتهم جميعا لينالوا نصيبهم منها دفعة واحدة ، حتى يكون التمريض مرة واحدة ، للجميع .

فاول من يشكر الباحثين هذا اللقاح الواقي هم الامهات ، وسيزيد شكرهن عندما يمضي الزمان في تأكيد ان اللقاح واق حقا ، وتضطرد الوقاية على السنين .

وفي الطب : القضاء على الملاريا

وفي هذا العام اعلنت السلطات الصحية القضاء على الملاريا في اوروبا كلها ، وهذا غنم للبشرية كبير . ولا تزال هذه السلطات العالمية تجاهد في تخليص سائر الارض منها ، وهي وشيكة الوصول الى غاياتها ، ما اضطرد الوعي في الامم التي اسميناها بالنامية .

وفي الطب : استبدال اعضاء مريضة في الاحياء باعضاء سليمة من الموتى

وكان انجح هذه الاستبدالات استبدال الكلية الفاسدة بكلية غير فاسدة من شخص وافاه اجله . ولقد خطا الطب في هذا السبيل خطوات ناجحة تبشر بخطوات بعدها اكثر نجاحا . والاسباب التي تتصل بالحصانة ، تلك التي من اجلها يرفض الجسم قبول عضو غريب صحيح بدل عضو مريض فيه ، استبانوا الكثير منها .

والتخلف العقلي في الناس بحثوه

وعقل الباحثون ان يكون التخلف العقلي في الناس اكثر شيوعا مما حسبوا . وبحثوا في اسبابه ، وردوا الكثير منه الى نقص يصيب المولود عند الولادة ، والى غير ذلك من الاسباب . وادرك العلماء خطورة هذه البحوث ، لا من الوجهة الانسانية فحسب ، ولكن كذلك من الوجهة الانتاجية والاقتصادية ، فصاحب العقل المتخلف عالة على اهله وعلى بلده وعلى الناس جميعا . وكان من اول الامم التي ادركت هذه الخطورة الولايات المتحدة ، فقد رصدت لبرنامج يمتد ٤ سنوات مبلغ ٣٢٩ مليون دولار تنفق في اقامة مراكز الصحة العقلية تقام في ارجاء الولايات



الديناصور هو اسم لصنف من الزواحف القديمة التي سكنت الارض يوما ما ثم انقرضت .

بالسماء وقع منذ ١ ١/٢ مليون سنة

للبحث والعلاج معا . والمهم في هذا ان التخلف العقلي اعترف به مرضا كسائر الامراض ، تتفق الدول على بحوثه وعلى علاجه .

وبالاحصاء والفحص وجد العلماء ان الاطفال الذين ينشأون في بيوت ليس فيها كتب ، ولا موسيقى ، ولا سائر الوسائل الثقافية المعروفة ، هؤلاء الاطفال ينشأون متخلفين عقليا ولو لم يصبهم عند الولادة سوء .

وفي العلم القديم للانسان ...

واكتشف العلماء ، بطريقة التاريخ ، بواسطة عنصري البوتاسيوم والارجون ، ان الآباء الذين منهم انحدر الانسان الحاضر ، عاشوا فوق هذه الارض منذ نحو مليونين من السنوات . والمعروف في علم الجيولوجيا ان الانسان كان على هذه الارض منذ مليون عام .

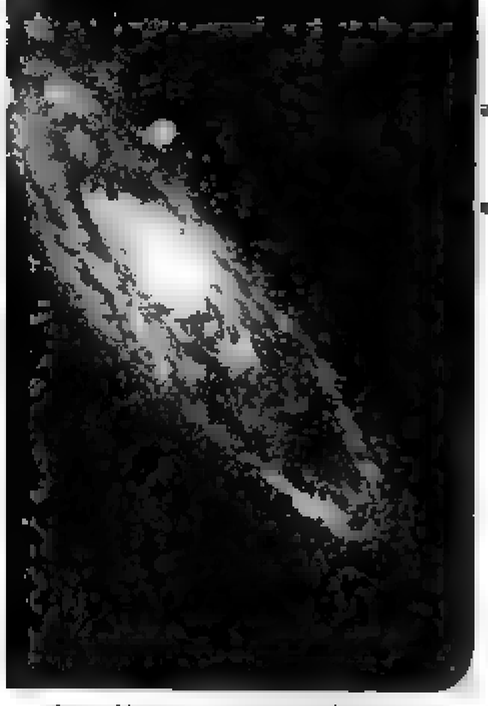
وبالتاريخ بطريقة الفحم ، وتطبيقها على ما خلف الانسان من مصنوعات وهو يمارس العيش ، اكتشف العلماء ان الانسان وجد في امريكا منذ ٣٢،٠٠٠ سنة ، اي منذ مدة هي ضعف الزمن الذي كان يعتقده العلماء في هذا الامر قبل ذلك .

ومن بقايا عظام من عظام لحيوانات شتى ، من تلك التي نألف ، وتلك التي لا نعرف ، اي منقرضة ، اكتشفت في افريقيا ، استنتج العلماء ان افريقيا كانت مهد الحيوانات الوحشية الاولى ، لا آسيا ، ولا اوروبا .

وفي محجر من محاجر مقاطعة دورست بانجلترا اكتشف العلماء آثار اقدام ، فحصوها فعلموا انها اقدام الحيوان المنقرض ديناصور Dinosaur وقد عاش على الارض منذ ١٤٠ مليون عام .

وفي علم الفلك : انفجار وقع منذ ١,٥ مليون عام

واكتشف العلماء اكبر انفجار عرف في الدنيا ، ذلك الذي وقع في المجرة المعروفة بالحرف والرقم (M - 82) ، وهي مجرة تبعد عن مجرتنا بمقدار



مجرات السماء ملايين ، وبكل مجرة ملايين النجوم ، ومن مثل هذه مجرات « درب التبانة » ، واقرب مجرة الى مجرتنا ، مجرة اندروميدا تلك التي وقع فيها الانفجار المتبق منذ ١/٢ ١ مليون عام ، ولم يبلغنا خبره الا هذه الايام

ستين مليون مليون مليون ميل ، وهي تتألف من ملايين النجوم .

ووقع هذا الانفجار في هذه المجرة منذ ١,٥ مليون من السنين ، ولكن لم يصلنا خبره الا هذه الايام ، اكتشفته تلسكوبات مراصد امريكا ، او بالتعيين تلسكوب مرصد جبل بولومار ، بكلفورنيا ومرآته قطرها ٢٠٠ بوصة . وهو استغرق هذا المليون والنصف من السنين ليصلنا خبره فالضوء يحتاج لهذا الزمن للوصول من هذه المجرة الى الارض .

وليس معنى هذا ان كل نجوم هذه المجرة انفجرت ، فنجومها متباعدة بعضها عن بعض ، كتباعد نجوم مجرتنا تلك التي نراها منتشرة من فوق هذه الارض .

والطريف ان العلماء ينسبون ما يصل الارض من الاشعة الكونية ، الى انفجار في النجوم ،



● ٣٢٩ مليون دولار لمكافحة التخلف العقلي في امريكا

والغبار في هذه المجرة خاصة . فالذي يخرج منها من مادة (هي ثورانات ذرات) يبلغ مقداره نحو ٥ ملايين شمس من شمسنا هذه ، وهي تندفع اليها أشعة ، بسرعة ٢٠٠ مليون ميل في الساعة !

وفي علم الفلك : أول كوكب يكتشف خارج المجموعة الشمسية

نعم . اكتشفوه خارج أسرة شمسنا هذه ، واسموه Barnard Star B وهو جسم مظلم أكبر من المشتري ، كوكب شمسنا المعروف، مرة ونصف مرة .

واكتشاف هذا الكوكب يثبت أن للنجوم (الشموس) كواكب كالتي لشمسنا . والله أعلم لا تكون فيها حياة كحياتنا أو مشابه لها !

وفي علم الفلك : فلزات الأرض أصلها من القمر

هذه نظرية جديدة تحدثوا عنها عام ١٩٦٣ : ان القمر لم يكن يدور في فلك الأرض ، وانما كان يدور في فلك الشمس ، فهو كان كوكبا لها . ثم اقترب من الأرض فجذبته واقتنصته من الشمس فدار حولها ، وصار قمرها . ثم هو ثقل بما حمل ، فتساقطت اجزاؤه الفلزية على الأرض ، بفعل الجاذبية ، فكانت الفلزات التي نعيش عليها . ومن هنا جاء بعض الاهتمام بثقب خروق في الأرض ، وكذلك الاهتمام بالوصول الى القمر ، ومقارنة مادة هذه بمادة ذاك ، لمعرفة هل هي واحدة حقا ؟ !

وفي علم الفلك : بعد جديد للمجرة « اندروميدا »

انها أقرب المجرات الى مجرتنا ، وبها البلايين من النجوم كما بمجرتنا. وقد قدروا بعدها عنا من جديد فكان ٢٫٢ مليون سنة ضوئية . والضوء يسير بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية ، فهو يسير في العام (السنة الضوئية) ٦ مليون مليون ميل. وإذن فهذه المجرة تبعد عنا مقدار ٦ مليون مليون ميل مضروبة في ٢٫٢ مليون سنة . أي تبعد عنا بمقدار ١٣٫٢ مليون مليون مليون ميل .

وفي علم الفلك : مجرتنا عمرها يمتد الى ١٥ ألف مليون عام

هذه طريقة جديدة تعتمد على التاريخ بالنشاط الاشعاعي للذرات ، والذرة هنا هي ذرة العنصر رينيوم Rhenium . وقد استخدموه لتاريخ مجرتنا فوقع عمرها ما بين ١٠ الى ١٥ ألف مليون عام .

وفي علم الفلك : أول بقع الشمس

وفي هذا العام ظهرت أول بقع الشمس ، تؤذن بقرب ابتداء الشمس في نشاطها الموعود الذي يتزايد حتى يبلغ غايته ، ثم يتناقص حتى يبلغ بالشمس أهدأ حال ، وذلك في دورة تمتد نحوا من ١١ عاما .

وستزداد هذه البقع على السنين ، وستزداد عواصف الشمس فتبلغ مداها ما بين عام ١٩٦٧ وعام ١٩٦٩ .

وفي سائر العلوم

وفي علم الوراثة اكتشفوا الكثير ، وكادوا أن يصلوا الى سر من أسرارها العميقة .

وفي الكيمياء ، وفي الفيزياء ، وفي الهندسة والتقنية . وفي غير ذلك كشف العلماء الكثير ، مئات ، مئات ، كلها آثار لوامع .

ويضيق المقام من تناول كل هذا ، وكثير مما تركنا يتطلب اسهابا في العلم لتنشر خطاه على هذه الصفحات .

■■

أ . ز

المرأة التونسية



قيدت الطلاق .. وتخلصت من تعدد الزوجات

وتحطمت بشجاعة ما اعترض طريقها من عقبات

- تعدد الزوجات .. الغوه !

الطلاق .. مبدوه ، وحلوه بيد القاضي !

بنت الطاعة .. فقد الطاعه !

الاطفال المشردون .. خلت منهم الطرقات !

النصف الحلو المشلول .. تحرر واصبح عضوا فعالا متحركا ، يساهم في بناء تونس الحديثة !

مكاسب كبار حققتها المرأة التونسية في تاريخها المعاصر ، تلك التي لم تتجاوز الثامنة من الاعوام .

ان ما كان دائما يخيف من تحرر المرأة هو مبالغة المرأة وتطرفها فيما تأخذ به من تحرر .. ولكن المرأة التونسية استطاعت تحطيم العوائق التي تحول



كانت المرأة التونسية ، قبل الاستقلال ، تتحمل والمقاومة الايجابية وجمع المال واعداد الطعام للمجاهدين وتخبئتهم وتوزيع جهدها الوطني. تقمصت المرأة التونسية وبرهنت بحكم خطيتها ، حتى اصبحت جميع سيدات واميات ! وهـذه الصورة التقطت لبعض السيدات

دون تطورهـا ، وفي نفس الوقت كانت بمنأى عن الانتقادات المعروفة ، لانتهاجها سبيلا وسطا في ثورتها الهادئة ، فهي لم تسىء استعمال حريتها ، وتطلعت الى تجارب نساء العالم ونهضتهن ، فأخذت منهـا ما رأته مناسبا لها ، ومرحتـه بالجميل من عاداتها وتقاليدها ، فجاءت ولتنها الحالية الرائعة ، تلك التي باركها الرجل التونسي قبل أن تباركها المرأة .

يوم فاصل

ان ١٣ أغسطس ١٩٥٦ هو اليـوم الفاصل في تاريخ المرأة التونسيةالحديثة .. فيه انتقلت الى مرحلة جديدة من حياتهـا ، اذ منحهـا قانون الاحوال الشخصية جميع حقوقها الانسانيـة فأصبح لهـا حق الانتخاب ، وحـق الاشتراك في المجالس النيابية ، وحرّم تعدد الزوجات ، وقيد الطلاق ..

الزوجة الاولى تطلق الزوجة الثانية !

كانت المرأة في تونس تعيش في ظـل فتوى جريئـة صدرت في القرن الثاني عشر الهجرى من علماء القيروان . كانت هذه الفتوى تقول :

عند تحرير عقد الزواج يجوز المخطوبة شرط يتنازل بمقتضاه الزوج عن حقه في عصمة لزوجته الثانيـة لزوجته الاولى ، فيجعل لهـا « حق تحريمها » ، اى ان الزوجة الثانية تكون تحت رحمة تصريح بسيط تفوه به الزوجـة الاولى فتفصل عرى الزوجية بين الزوج والزوجة الثانية، ويعبر عن هـذا الشرط في الاصـطلاح بلفظة : « الجعـل التحريمي » .. ويكتب نص الفقرة ، التي تضاف لعقد الزواج ، هكذا

« وبعد انعقـاد الزواج وابرامه طاع الزوج لزوجته بأن جعل أمر الثانية بيدها تطلقها متى شاءت وكيف شاءت » .

وهذا النص كان يكتب في صيغة عقد الزوجة الاولى ، فيصير حقا من حقوقها

.. وكان يكفي لممارسـة هذا الحق ، أن تذهب الزوجة الاولى للمأمور وتقول له :

« انى بموجب ما لى من حق بموجب الصيغة الزواج طلقت الزوجة الثانية لزوجي » ـ !!! ـ

ان هذه الفتوى قد وقفت مانعا دون تعدد الزوجات بعض الشيء ، وخاصـة في القيروان ، ولكن لم يكن معمولا بها كثيرا ، لانها تجيز ولا تفرض ، ولرغبة الرجال عنها ..

ولكن قانون الاحـــوال الشخصيه الجديد حسم الامر ، فجاء مانعا الزواج بأكثر من واحده ، في لفظ صريح واضح.

الغاء « انت طالق »

اما عن الطلاق فقد جعله في يد الزوج والزوجة على حد سواء ، ولكن لا يمكنهما

في الحركة القومية العامة بالمظاهرات والاحتجاجات مستجاهدين .. وعندما تحقق الاستقلال وأرادت البلاد بمجوهراتها وحليها . ومن لم تكن تملك مجوهرات تونس « اقرطا » بعون « دبلة » رغم انهن متزوجات يقدمن مجوهراتهن لرفع شأن الجيش

التصرف في هذا الحق الا بعد موافقة القاضي ..

وهكذا لم تعد كلمة « انت طالق » هي التي تتحكم في مصير الاسرة !

فرع في كل ولاية

من هذه النقطة بدأت انطلاقة المرأة التونسية فاسست الاتحاد النسائي القومي لرفع مستوى المرأة التونسية في المدن والحقول والقرى ، والدفاع عن حقوقها .

وبدأ الاتحاد اجتماعه الاول بخمسة وعشرين عضوا .. وهو يضم اليوم ٦٠ ألف سيدة !! يعملن في ١٣ فرعا .. فقد أصبح للاتحاد فرع في كل ولاية من تونس !

رئيسة الاتحاد تتحدث ..

ومن هذا الاتحاد خرجت عشرات الأفكار وانشئت عشرات المشاريع ..

ورئيسة هذا الاتحاد هي السيدة « راضية حداد » انها كتلة من النشاط صريحة جريئة .. لا تداري او تجامل ، بل تسمي الاشياء باسمائها بصراحة رائدة .. تصغي الى السؤال .. ولا تنتظر نهايته بل تقاطع كلماته بعبارات سريعة واعية .

قلنا : يقولون ان التونسية الودرن ..

قالت مقاطعة : معذرة .. فالمرأة في تونس هي نفس المرأة في الشمال والجنوب والشرق والغرب تعمل لرفع شأنها وشأن بلادها .. أما « المرأة الموديرن » التي تستيقظ ظهرا بعد سهرات حمراء والجلوس في الصالونات للدردشة وشرب السجاير ولعب الورق لقتل الملل فهذه لم يعد لها وجود في بلادنا .. لقد ثرنا على هذه التقاليد وقضينا عليها ..

قلنا : الان هل يمكننا معرفة نشاط المرأة الحالي ؟

قالت : عليكم ان تتجولوا لتروا بأنفسكم مدى العمل الذي تقوم به وتحكموا .. واقترح عليكم زيارة « المعهد القومي » بالذات ..

قلنا : ما رأيك في الغاء تعدد الزوجات وتقييد الطلاق ؟ ..

قالت : ما دامت العائلة متحللة ، فلا تقدم يرجى لاي بلد .. ولا يختلف اثنان في أن تعدد الزوجات فيه انهيار لجميع القيم الاجتماعية .. لقد كانت شوارعنا ملأى بالايتام المشردين .. والمنازل تعشش فيها المآسي التي تنجم عن الزواج بالجملة والطلاق الخاضع للامزجة .

وأنا لا اظن أبدا أن الدين الاسلامي يهدف الى خراب البيوت بل العكس هو الصحيح فقد قيد الله تعدد الزوجات بقيود ثقال وضرب حوله نطاقا محكما اذ قال : « **فان خفتم الا تعدلوا فواحدة** »

وقال : « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » .

أما الطلاق فيكفي أن الرسول قال : انه ما خلق الله شيئا أبغض اليه من الطلاق !

ان هدفنا بسيط واضح : اننا نريد سعادة الأسرة لتستطيع أن تبني هذا الوطن على خير الأسس .. لقد كنت أقدر تعداد سكان تونس بمليونين ، أما اليوم فقد انضم اليهما مليونان جديدان يمثلان مجموع نساء تونس اللواتي كن يعشن على هامش الحياة . ويمكننا أن نقول الآن بكل فخر ان عدد سكان تونس هو اربعة ملايين نسمة يعملون جميعا دون فرق بين امرأة ورجل ..

قلنا : ما هي المجالات التي دخلتها المرأة التونسية ؟



السيدة راضية حداد ... سيدة بيت ، وأم لأربعة أولاد ... ورئيسة للاتحاد القومي النسائي التونسي الذي يضم أكثر من ١٠٠ ألف عضوة .

قالت : لقد دخلت المرأة جميع مجالات الحياة تقريبا .. فهي عضوة عاملة مع مجلس الأمة (السيدة راضية هي أول نائبة دخلت المجلس سنة ١٩٥٩) ونحن على ثقة من أن عددنا سيزداد كثيرا بعد الانتخابات التي ستجري هذا العام . وهناك ٢١ امرأة تم انتخابهن للمجالس البلدية في مختلف انحاء الجمهورية ، فأصبح هناك أكثر من امرأة في كل مجلس بلدي . فضلا عن القاضيات ورئيسات الدوائر والمشرفات الاجتماعية والمدرسات ..

قلنا : .. ومع كل هذا فما زلنا نرى بعض النساء يغطين وجوههن بحجاب أسود ؟!

قالت : في سنة ١٩٢٦ حاول المستعمرون الفرنسيون أن يعملوا على اجتذاب المرأة التونسية الى صفوفهم باخراجها من مجتمعها التونسي العربي التقليدي الى مجتمع أوربي يتنكر للعروبة والقومية .. وتمثلت محاولات الاستعمار هذه في الدعوة لرفع الحجاب والسماح بالاختلاط ، وفتح باب التعليم أمام الفتاة على مختلف المستويات .. وكاد الشباب أن ينخدع بهذه المحاولة ، ولكن محاميا صغيرا في ذلك الوقت فطن لهذا الخطر الداهم ، فقام بدعوة حازمة للابقاء على المرأة داخل مجتمعها ، ومنع ارتمائها في هذا المحيط المجهول الذي مهده الاستعمار لابتلاعها .. وكان هدف هذا المحامي الصغير — الذي هو حاليا رئيس جمهوريتنا — استبقاء أمر تطوير المرأة الى حين ارتفاع كابوس التسلط الاستعماري ..

وهكذا كان أول عمل قامت به حكومة الشعب بعد توقيع وثيقة الاستقلال هو

٧ طالبة في مدرسة مهج الناصا الثانوية



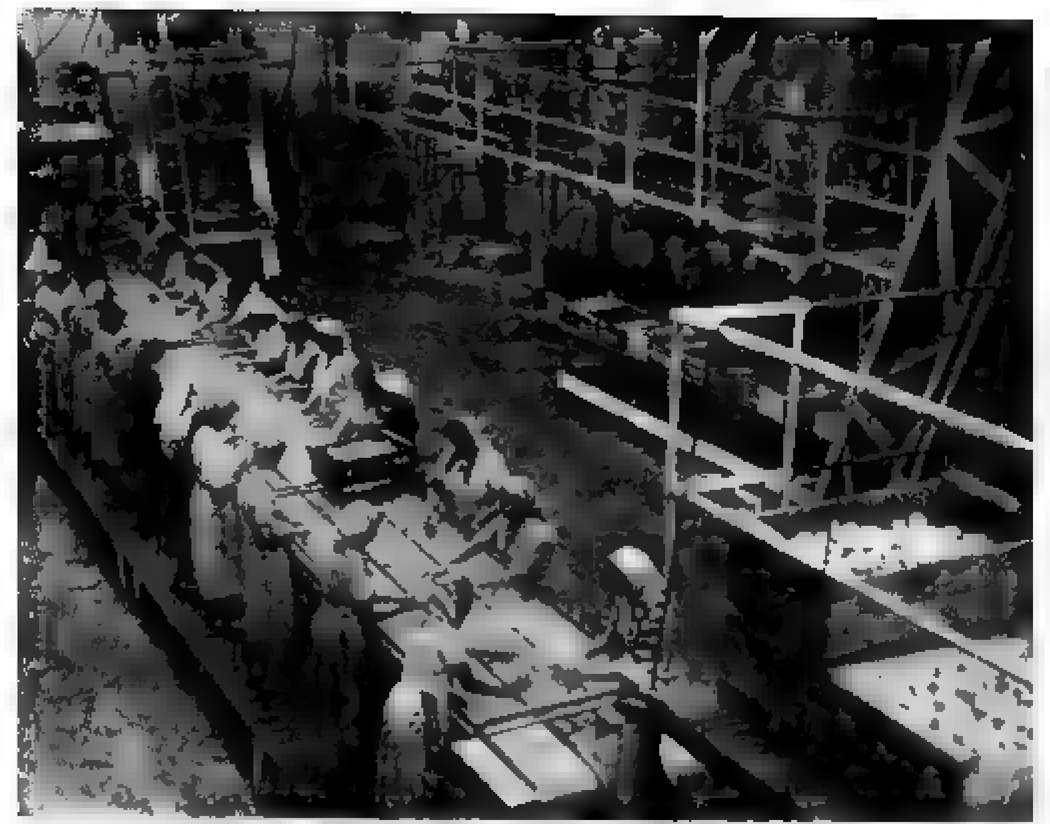
مشهد من المعهد الرشيدي ، الذي يعمل للمحافظة على الفنون الموسيقية التونسية ، فرع يعمل لاحياء وتطوير الفنون الشعبية التونسية ، وترى هنا « ربة » و « فرقة » تؤدي رقصة شعبية تعتمد على الاصوات الموسيقية الشجية ، التي تصدر عن نافخه في « المزود » الذي يشبه موسيقى القرب ، ومعه دقات على الطبلة

امداد القانون المالي الذي نظم الاسرة . ثم دعا رئيس الجمهورية النساء الى خلع الحجاب فاستجابت له المرأة التونسية ، وبدأت في خلع الحجاب تدريجيا فلم تعد تجده على وجوه طالبات المدارس والمثقفات . وهذا شيء طبيعي لانه عندما تعمل المرأة وتنشط وتخرج من منزلها ، فالحجاب يزول بمفرده تلقائيا ..

حتى السجينات يعملن ..

واتجهنا الى « الملبس القومي » ودخلنا وكأننا في خلية نحل : مقصات آلية تعمل في تقطيع الاثواب الزرقاء بسهولة ويسر ، وكأنها السكين تقطع الزبد . ان هذه الآلات تبسط العمل وتضاعف الانتاج .. وبعد قص القماش ينقل الى قسم الخياطة حيث يفصل ويربط بعضه ببعض ليكون اللباس المطلوب ..

ان « الملبس » لم يتعد الخامسة من عمره ، ومع هذا أصبح عدد فروعه ٤٥ فرعا ، منتشرة في مختلف انحاء تونس ، تعمل على فتح باب العمل الشريف أمام المرأة التونسية ومعه الربح المعقول ،



مجموعة من نساء التونسيات يعملن في مصنع لتعليب الفواكه والخضراوات ويفضل ... يستطيع هذا المصنع تعبئة ثلاثة آلاف طن من المعلبات في السنة ، تشمل المشمش والطماطم ، والفلفل ، ... والفلفل الأحمر ، وكلها من محاصيل الأرض التونسية . هذا فضلا عن شراب الليمون و البرتقال

تجعلها تشترك في بناء نهضة البلاد الاقتصادية .

حتى السجينات لم تترك بدون عمل، فقد فتح « الاتحاد القومي » فرعا له في السجن الذي سويس لتمكين النسوة اللواتي ساقتهن الأقدار الى السجون من ممارسة العمل الشريف ، خلال المدة المحكوم عليهن بها .

« ان طلبات الشغل » وعمل اللاتي تنهال بالجملة على ادارة التي تعددت فروعه ، وزاد عدد عاملاته فاصبحن اكثر من خمسة آلاف عاملة ..

الغزل .. وتبرعات

ومثل آخر لنشاط المرأة مصنع الصوف « بالمرسى » الذي تعمل به ٢٥٠ امرأة . وقد أصبح انتاجه يغمر الأسواق المحلية، التي تقبل عليه لجودته الزائدة.

وتقول السيدة سعيدة ساسي رئيسة منظمة الاتحاد القومي : .. « والى جانب عملنا في الصناعة فاننا نقوم بتقديم الاعانات في صورة ثياب واحذية للعائلات المعوزة والتلاميذ الفقراء فيما بين السادسة والرابعة عشرة .. اما الاطفال دون هذه السن فتابعون لمنظمة دار الرضيع التي انبثقت من الاتحاد القومي النسائي » .





ممنوع التمرد !



ثورة على الجمود

إن مجتمعاتنا العربية تكبلها التقاليد والعادات، منها القديم ومنها المدسوس ومنها المستورد

[illegible]

[illegible] وعلى العادات المعيقة، تعمل جاهدة على تحطيمها واحدة تلو الأخرى ..

ويمكننا بكل بساطة أن ندرج المرأة التونسية بين أعضاء الفريق الثاني، فهي [illegible] تقدمها وحداثتها ..



في تونس العاصمة، يطلقون على لباس المرأة الأبيض كلمة «سفساري» وفي ولايات الوسط «العباية» وفي الجنوب «محوك» لأنه يخفي وجه المرأة ..



الأصل العربي في :

مأثوراتنا الشعبية

بقلم : فؤاد جميل
استاذ بكلية التربية ـ جامعة بغداد

إن المأثورات الشعبية ، المعروفة عند الفرنجة بـ (Folklore) ، في الأقطار العربية اليوم ، وإن كانت جانباً من الثقافة المحلية في المدينة والريف والبادية، فهي بمجموعها تمثل ، بالوجود الأساسي العام للوطن العربي ، ما في ذلك شك . ذلك انها وشيجة حية بين الطبقة الشعبية في كل قطر ومثيلتها في القطر الآخر ، فاذا كانت « المأثورات الشعبية » عاملا فعالا ذا خطر في بناء الوحدة العربية الشاملة الراسخة . وعلى ذلك لا يصح لدارسيها ان يفسروا اية ظاهرة مأثورية شعبية في اي قطر عربي على « المستوى الاقليمي » فحسب ، الا كان من العلم اللازم التعمق فيها ورد جذعها الى اصلها العربي او الانساني . وكل شيء ينبغي ان يرجع الى اصله .

وذكرت الاصل الانساني ، فالعلامة (ينلي) نظرية تقول بوحدة المأثورات الشعبية في المجتمع البشري لتشابه العوامل النفسانية لدى الشعوب كافة .

المأثورات العربيةطبعتها طوابع محلية

قلنا ان من الخطأ ان تعرض « المأثورات الشعبية » في الاقطار العربية على اساس محلي لا سرعان ما يتضح خطل ذلك والامر ، على سبيل المثال لا الحصر ، ان احد دارسيها العرب المعروفين قد بنى دراسته للسيرة الهلالية ، وهي من المأثورات الشائعة في اغلب الاقطار العربية ، على اساس محلي « مصري » ، ولعله كان محفوزا الى ذلك بالظاهر المحلي لها ، ولكنه سرعان ما تبين له انها ، بوضعها العام واشخاصها ووقائعها ومثاليتها (ايديولوجي) ، عربية الاصل والمحتوى والصور ، وان اختلفت فيها الفروع والتفاصيل وتلونت بألوان الطابع المحلي للقطر الذي مرت به او رويت فيه .

المضيف منزل الفنون الجميلة في القبيلة

في المأثورات الشعبية تقوم اليوم عندنا ، الى حد ما ، مقام « الفنون الجميلة » عند اسلافنا ، وكان اولئك الاسلاف يطلقونها على الفنون الشعرية الغنائية الثلاثة . وان النادي العربي الاول للمأثورات الشعبية هو المضيف وفيه كان القوم وما زالوا على ذلك يدأبون ، يتحلقون حول موقده ، ويروون مآثر القبيلة في ايامها الغر المحجلة ، ايام الغزو الجاهلي او الجهاد الاسلامي،



وما كان من فرسانها وصناديدها من ضروب الشجاعة والاقدام . وقد يروون مآثر اجوادها في الأيام الجامدة والأزمان الناحسة والسنين العجاف، والأيام العازبة ، وقد تقص في التضييف هذه الاقاصيص وتنشد القصائد وتروى الامثال ويفشى مثلى النص ، وكل ذلك يبعث في القوم النشوة والحيوية والأمل العذب واليقين الرصين، ولعلك بفعل هذه المأثورات الشعبية ، وترى في مضيف القبيلة عندما يلح على نفوس اصحابها الرهط هم ويلحق بجزائهم الصارمة كرب وراء كرب ، فهي تذكى الهمم وتنشط العزائم وتذهب الهم .

بعد المضيف جاء المقهى

وبانتقال القبائل العربية من البادية والريف الى المدينة اصبح المقهى سليل المضيف ، يمثل النادي الأول للمأثورات الشعبية في المدينة ، كما اصبح حتى القبيلة ممثلا بالطرف او المحلة او الحارة او الدرب ، فلا غرو اذا تكيف المتحضرون من سكان المدينة بالمقهى كتكيف المتشردين والبدو بالمضيف ، فالتكيف هذا مستقر في اعماق اللاشعور منهم . ولا غرو اذا احب المختلفون الى المقهى في ليالي رمضان الطويلة ، ورمضان ساهر الليل نائم النهار ، اذا احبوا الاستماع الى قصص البادية ، قصص البطولة والكرم والفضائل العربية الكبرى ممثلة بقصة عنترة ، وابى زيد الهلالي ، وسيف بن ذي يزن وغيرها ، ولا غرو اذا شغفوا في المحافل العامة الاخرى ، بالمحرم الحرام ، بسرد قصة واقعة الطف الفاجعة كربلاء التي تجمع الى اجلال آل النبي (صلعم) اكبار الاستشهاد في سبيل الحق . وهذا لا يقتصر على قطر عربي واحد بل يشمل كثيرا من الاقطار العربية واسلافنا من (الوطن العربي) هي الآن ، ويا للأسف ، تحت حكم غير عربي ، كما في (الاسكندرونة) و (عربستان) التي تسكنها قبائل كعب وتميم وبني طرف وخيكان العربية وغيرها . فانك تجد مثل المأثورات الشعبية المارة الذكر شائعة فيها نابضة ، ويكتنف السواد الاعظم من الشعب بها كتفا شديدا .

القصاصون والاخباريون

هذا وان « القاص » الشعبي » الذي يعرفه كثير من اقطار الوطن العربي اليوم قديم الأصل العربي ايضا . فالسمعاني في (الانساب) يحدثنا عنه ، ويقول : « يقال لمن يروي الحكايات والنوادر : الاخباري » . وما زالت كلمة اخباري شائعة دائمة على السنة العامة في العراق ، وتدل على معنى « القاص » عينه ، ولعلها شائعة بنفس المعنى في الاقطار العربية الاخرى. ولعل السبب في اختلاف ما يقصه قاص في قطر عربي عما يقصه قاص عربي في قطر آخر ، على وحدة في أصل القصة ، يرجع الى ان السير والملاحم والحكايات الشعبية لم تنقل من جيل الى جيل على غرار انتقال سائر المأثورات الشعبية ، وانما نقلتها الذاكرة ورواها هؤلاء القصاص تبعا لتحمسهم الشخصي الميول سامعيهم من الناس، وتقربا لمشاعرهم ، واستجابة لذلك كله . لذلك ضاعت منها اشياء ، وخالطت الروايات فيها تبعا لاختلاف الاوضاع المحلية ، وهكذا اصبحت تروى بشيء من الاختلاف في التفاصيل والفروع التي لا تودى بالاصل العربي ابدا . ولكن عبارة « يا سادة .. يا كرام ! » التي بها يفتتح القاص الشعبي روايته ، الى اعتلاء كرسيه المرفوع في المقهى او المحفل العام وتجمع السامرين حوله ، ما زالت تتردد في مقاهى بغداد والقاهرة ولبنان وسورية اليوم وفي غيرها من الاقطار العربية الاخرى .

وما من شك في ان السير والملاحم والحكايات الشعبية التي تترجم اخبار الفرسان واحاديث العشاق والعصيان شاعت وتشيع كمأثورات شعبية في الاقطار العربية لانها صادفت هوى في القلب العربي المرهف وطبعه الانساني الاصيل أولا ، ولانه ورثها عن ابائه الاقدمين ، فاصلها ، على التحقيق واحد .

والمأثورات عن الاطفال في البلاد العربية واحدة

وانت تسمع من صبيان العراق وصباياه هذا الذى يسمى بـ « التواليات المتعاقبة » ، اى التي تتصل كل قصة منها على الاخرى ، فيتنقل فيه الى هذا الذى رواه الجبرتي من انه منذ ٢٠٠ سنة تقريبا (القرن الثامن عشر الميلادى والحادى عشر الهجرى) سمع الاطفال ينشدون :

« احدثكم حدوته ، مالزبيب ملتوتة ، حلمت

ما آكلها حتى يجي التاجر ، والتاجر فوق السطوح ، والسطوح عاوز سلم ، والسلم عند النجار ، والنجار عاوز مسمار ، والمسمار عند الحداد ، والحداد عاوز بيضة ، والبيضة بطن الفرخة ، والفرخة عاوزه قمحة ، والقمحة في الاجران ، والاجران عاوزة المدراس » .

ثم يرجع القول الى صبية العراق وصباياه فنسمعهم يقولون حتى اليوم : «يا خشبة نودي نودي ، ستكبلي على جدودي ، جدودي سافروا مكة ، جابولي ثوب وكعكة ، والكعكة وين أخبيها ، أخبيها بجيب الصندوق ، والصندوق يريد مفتاح ، والمفتاح عند الحداد ، والحداد يريد فلوس ، والفلوس عند العروس ، والعروس بالحمام ، والحمام يريد قندبل ، والقنديل واقع بالبير ، والبير يريد حبل ، والحبل عند العاموس ، والعاموس يريد حشيش ، والحشيش يريد مطر ، والمطر بيد الله .. لا اله الا الله » .

فها انت ذا ترى ان الاصل حتى في مأثورات الاطفال واحد مع تغير طفيف فيما يرد فيها من اسماء واشياء .

الموال في المأثورات الشعبية

والاغاني الشعبية من « المأثورات الشعبية » أيضاً . وانت تسمع في العراق ، وفي مصر ، وفي لبنان ، وفي سورية ، وفي غيرها من الاقطار العربية (المَوَّال) ، واصله عربي واحد ، وان اختلفت تفاصيله . لقد انتشر الموال ، اول مرة ، وذاع اسمه وشاع بين عمال (واسط) ، المدينة العربية العريقة الكبرى في سواد العراق ، واتخذوا منه ما اتخذه قدماء العرب من (الرجز) : شعر العمل والكد . وكان الفلاحون والعملة وسائر المهين يختمون كل صوت من هذا الغناء بـ (يامَوَّاليا) اشارة الى مستخدميهم وسادتهم فغلب عليه الاسم الذي عرف به . وقد اشتهر المَوَّال باسم البغدادي ونسب اليهم فقيل (موال بغدادي) . وزعموا ان صنائع البرامكة اخذوا يرددونه كثيراً اثر مصرع سادتهم بعد غضبة الرشيد الفظيعة وفتكه بهم ، ففيه شكاة ، وفيه لوعة ، وفيه اسى ، ومن هذا القبيل ما روي على لسان جارية من جواري البرامكة ترثي به مولاها .

مالك كــ فيهـا بعدْ بحـسـدك دوس
خـراب لا للـزّا تصـــلح ولا للعرّس
فاين عينك تنظر كيف فيهـا الفرس
تحكم وألسنة الـدّاح فيهـا خرّس

يا مواليا (تعني يس يرمك)

وشاع هذا المواليا او الموال في مصر ويُروى منه قديماً :

طـرقت بــاب الخبـا ، قالت ، من الطارق
فقلت « مفتــون » ، لا ناهبٌ ، ولا سارقٌ !

تبـســمت ، لاح من ثغـرها بـارقٌ
رجعت حيـران في بحر أدمعـي غارق !

الغزل بالمذكر في الشعر العامي

ويشيع في كثير من الاقطار العربية اليوم « الغزل بالمذكر » في الشعر الفني العامي ، والشعر هذا من مأثوراتنا الشعبية ، ولهذا النوع من الغزل حديث ، وارجو مخلصاً ، قبل ان اتطرق اليه ان يعني الى قوال ، لأن الاعراف العربية الاصيلة تنكره ، والرجولة العربية تأباه ، ما في ذلك شك . والاصل التاريخي الذي انحدر منه شعرنا الفني العامي من هذا القبيل ان الغلمان والمخنثين في العصر العباسي كثروا في الكوفة والبصرة وبغداد ، وكانوا يتحلون بحلي الاناث ، ويتزيون بأزيائهن ، ويمشون في مشيتهم تقليداً لهن . واستملح ذلك من لا مروءة له من أهل المجون واللهو ، واصبحت الجواري يتشبهن بالغلمان والمخنثين هؤلاء .

وتردى بعض الشعراء في غزل المذكر وصار من علامات الظرف (كذا !) بينهم الا يكون للشاعر والفتى ابداً ، فلام يتغزل به ، وبقي ذلك حتى زمن قريب .

وهناك تفسير لطيف آخر لشيوع الغزل بالمذكر في اغانينا الشعبية ، وهو تفسير ينطبق على المزايا العربية الاصيلة والشهامة والحفاظ على الاعراض عندنا . فانت تعلم ان العرب الاصلاء جد حريصين على طهارة الارحام والعفة الجنسية ، وانهم لم يعرفوا الشهوة الجنسية للعبث ، وانما للزواج الحلال والخلف الصالح . فكان الرجل من ابناء الجيل الماضي ، وقد تكون لذلك اثارة

اليوم ، اذا احب فتاة وتغزل بها او غنى بذكرها، خاف على سمعتها وشرفها من فلتة السوء ان تتلاقفها الالسن ، وان بعض الظن اثم ، لذلك كان القوم يعمدون الى هذا الغزل بالمذكر صرفا للذهن عن الفتاة المقصودة ودفعا لعاير الشك والشبهات ، وهذا قد يكون تفسير آخر لشيوع الشعر الغلماني الفني في مأثوراتنا الشعبية ، وهو ، على ما ظنت ، تفسير ينسجم مع شمائلنا العربية كما نرى . بينما التفسير الأول مرجعه الى بدعة طرأت على المجتمع العباسي وظهرت بفعل الزندقة والشعوبية والمزدكية والمذاهب الشعوبية والاباحية الاخرى .

الأزجال في المأثورات الشعبية

وانت تسمع (الأزجال) التي تغنى بها أغانينا الشعبية الشائعة في كثير من أقطارنا العربية اليوم . وتكاد تكون اغراض هذا الشعر العامي الفني ، الزجل ، او الزهيري على ما يسمى في العراق اليوم نسبة الى شاعر شعبي اشتهر به وهو مثلا جابر الزهيري ، هي نفس اغراض الشعر العربي الفصيح منذ القديم . كما ان كثيرا من معانيه هي نفس معاني هذا الشعر العربي الفصيح مع ملاءمة للظروف المحلية في كل اقليم . واصل هذه الأزجال ان الشعراء الذين نشأوا في المجتمع العربي الذي فشت فيه العامية حاولوا ان يجعلوا شعرهم الفني منتزعا من البيئة الخاصة، معبرا باللهجة المحلية في كل بلد من بلدان العرب ليكون مؤثرا في نفوس سامعيه منتزعا من صميم حياتهم متجاوبا مع احاسيسهم ومشاعرهم .وقد شجعهم على ذلك الحكام العرب الذين عشت بهم البلدان هذه . وبلغ الأمر مداه حتى ان شاعرا عربيا عراقيا فحلا فصيحا اخذ ينظم الأزجال ، ولعله فعل ذلك تظرفا ، ويرفع أواخر الكلمات التي يقف عندها ، كما في العامية المصرية . انه صفي الدين الحلي ، صاحب كتاب : العاطل الحالي والمرخص الغالي في الأزجال والموالي . انه صاحب الأزجال الغزلية الرقيقة اللطيفة ، ومنها ما نظمه للشهاب الدين احمد في دمشق :

ايش تجد لك يقتلي عطفة ياللي تشتفر
لو تدع ما تبقى من عمري كان عليك تنفتر
بالله يستعبد القلوب يا لطيف اللطف
جل من لطفك ومن حسنك بالعقل الكثيف
وجمع فيك مع علة انسانك كل معنى ظريف
فظ ما طلب من الجمال معنى الا فيك نلحظو
لو تحسب من قديم جمال الله كان تسرقو

وارسال هذا الزجل الى من في الشام دليل على شيوعه هناك ، وتذوق الناس فيها لمثله ، فهو ، على ما نرى خفيف ليس فيه ثقل ، ولا ينبو على الذوق السليم .

والأمثال العربية في المأثورات الشعبية

والأمثال العامية السائرة والأقوال الدائرة هي من فنون المأثورات الشعبية . انها تتردد بكثرة على لسان السواد الأعظم من الشعب العربي . وهي ، وان اختلفت في بعض الفاظها او صيغها او تراكيبها ، تعكس لنا الصفات الانسانية الأصيلة التي امتاز بها المجتمع العربي في مختلف الأقطار العربية من جهة ، وتجلي المزايا القومية التي امتاز بها أبناء هذا الشعب العريق من جهة أخرى .

قيل ان الحارث بن كلدة الثقفي كان يصادق كسرى انو شروان ، فسأله الأخير ان يعرف مزايا العرب الأصيلة قائلا : « ما الذي يحمده من أخلاقها ـ أي أخلاق العرب ـ ويعجبك من مذاهبها وسجاياها ؟ »

أجاب الحارث : « انفس سخية ، وقلوب جرية ، ولغة فصيحة ، وانساب صحيحة ، واحساب شريفة ، لا يرام منهم ولا يضام جارهم ، ولا يستباح حريمهم ، ولا يذل كريمهم ، مطعمو الطعام في الجدب ، يمرق الكلام من افواههم اعذب من هواء الربيع »

فاستوى كسرى جالسا وخاطب الحارث بقوله « لله درك من عربي ، لقد اعطيت علما وفطنة وفهما ، وكذا العاقل من احكمته التجارب » .

ولما كانت الأمثال السائرة والأقوال الشعبية الدائرة بعامة ، وأبنائه ، هي خلاصة تجارب الأمم وجماع مثلها العليا ، ومستودع كثير من صفحات تاريخها ، لم يكن مندوحة من أن تسمع الكثير من الأمثال العامية والأقوال الدائرة على لسان السواد الأعظم من الشعب في العراق

مثلاً في سورية أو مصر أو السودان أو لبنان أو تونس أو أي قطر عربي آخر . فما دام الأصل العربي واحداً ، لأن المثل الأعلى واحد والتجارب مشتركة فالمثل في هذا القطر يجب أن يكون له صنو في القطر الآخر .

وليس من غرضي أن استقصي الأمثال والأقوال السائرة في جميع الأقطار العربية وأقارنها بالأصل الثابت على النظير ، وأقرن الصنو بالصنو ، فذلك عمل يستنفد العمر فيه وقد لا ينتهي ولكني سأضرب الأمثال على ما ذهبت إليه وقصدت بها التمثيل لا الحصر ، بطبيعة الحال .

قره قوش وحكمه

ان العربي يكتنف بالحرية كلما شمخها ، والحرية صفة مميزة لوطنه الأصلي الطليق : الجزيرة العربية، فلذلك نجده يثور على الاستبداد والحكم الجائر والتعسف فيمقت ذلك كله بـ(حكم قره قوش) ، وانت تسمع القول السائر هذا في الملهى البغدادي ، والحارة المصرية ، والنهج التونسي ، والشارع الدمشقي الخ ... وقره قوش كلمة تركية معناها « الطير الأسود » ، وتطلق على النسر . وقره قوش صاحب الحكم المشار اليه هو بهاء الدين الأسدي، الذي استخدمه صلاح الدين الأيوبي ، بطل الاسلام ، وأمره بأن يبني قلعة تشرف على القاهرة من جبل المقطم ويبني حولها سوراً ، فجمع العمال على ما يُروى ، وارخص لهم الأجر واثقلهم بالعمل ، وأزال كل ما اعترض دونه من المساجد والقبور والقصور ، وارتكب ، على ما يروى أيضاً ، كثيراً من ألوان الشدة ، فابغضه الناس، وكتب أحدهم كتاباً يجرح به أعماله ويصفها بالخروج عن الحق والشريعة السمحاء فشاع وذاع اسمه على ألسنة السواد الأعظم من الشعب العربي وانحدر ذلك الى أيامنا هذه . وقيل انه كان بريئاً مما روى عنه . ولكن « قد قيل ما قيل ... » . واستقر القول السائر (حكم قره قوش) في مأثوراتنا الشعبية وأصله قصة واحدة .

والمثل السائر والقول المأثور يحكي ، في الأغلب الأعم ، قصة . وقد ورد بهذا المعنى في القرآن الكريم .

الأمثال العامية أصولها عربية

وقيل ان في العربية الفصحى من الأمثال ما تزيد على .... ، وجلها أصول لأمثالنا العامية (المأثورة) . فأنت تسمع في الشعر العربي الفصيح جرح الأحبة عندي غير ذي ألم ، فينتقل لحنك الى القول العراقي السائر : ضرب الحبيب زبيب أو جان عصا رمان . وأنت تسمع في العراق : لطيم بسوق الغزل ، يضرب للنكرة من الناس، وتسمع صنوه في لبنان : دوّر على لطيم في سوق الغزل ، وتسمع المثل نفسه بمصر : مين يعرف عيشة في سوق الغزل . وقيل في تأويله وتبيان أصله العربي البدوي أن البدو يأتون الى المدن يجلبون كبرى زوجاتهم معهم ، ويطلب على السائلين لطيم ، وبعد أن يفترقا يبدأ الزوج بالسؤال عن زوجته فيضحك الناس ويقولون له اذهب واسأل عنها في سوق الغزل .

وشاع على ألسنة العامة في العراق هذا القول : جزة مجزوزة بجراب مشدود ، لا ينقص ولا يزيد ، يضرب للرزق الشحيح لا أمل في نمائه ، وتسمع نظيره في نجد : بيض مجزوز ، بجراب مشدود .

كما تسمع في الأقوال العامة في العراق : السلام يجر الكلام والكلام يجر طبيخ .

وهذا معروف في لبنان بلفظه أيضاً وقيل في بيان أصله : كانت تزرع قطعة أرض يزرعها بطيخاً وكان الناس يمرون به في أرضه ويسلمون ثم يتحدثون اليه ، فيقدم لهم البطيخ . ورأى أخيراً انهم يحسنون السلام لهذه الغاية فصمم على عدم رد التحية ، لأنها ستأتي على بطيخه بعد حين .

وانت تسمع في الأمثال العامية العراقية : القملة بعين أمه غزال ، وتسمع صنواً له في المصرية العامية : القرد في عين أمه غزال . وفي الأمثال التونسية العامية : كل قرد في عين امه غزال . وهو يضرب فيما لروابط القربى من أثر في تحبيب القريب .

وتسجل الأمثال العراقية العامية: شاور الأكبر منك والأزغر منك وارجع على عقلك ، وهو يضرب للتدليل على أهمية الاستشارة ، ووجوب الركون

اليها والاخذ بما يمليه عقل الانسان نفســـه ، وهذا ينقل ذهنك الى البيت الفصيح الشائع :

اذا بلــغ الرأى المشـــورة فاستعن
برأى نصــــيح او نصــيحة حــازم !

ثم يرجع الفكر كرة اخرى الى مثل له في سورية : شاور اكبر منك واصغر منك وارجع لرأيك . وانت قد قرأت الحــديث الشريف : ان لصاحب الحق مقالا ، فنسمع صداه في الاقوال العراقية السائرة : صاحب الحق مدلل وفي المثل السورى صاحب الحق سلطان وفي المثل المصرى صاحب الحق عينه قوية .

العازف على الربابة

وفي ماثوراتنا الشعبية هذا المثل الجميــل العازف على الربابة يحث القلب على ولعها ، وكانت في الاصل ذات وتر واحد ، نغمات حزينة متهادية متواصلة لا تخلو من رقة وحنين . انها تساير صوت العازف ولحناته ، ولذلك تهوى اليها افئدة كثير من الناس ، ومن العادة على وجاهى في اغلب الاقطار العربية لانها تمثل وجهة مزاجهم وتروح عن النفس باستجابة انغامها الى « مكبرات » السنين الطوال الغابرة . على الشعر الغنائى الذى ينشده المغنى الجميــل العازف على الربابة اشادة بالفروسية والكرم العربى والشجاعة ومدح النبى المختار والتشفع به والصلاة والسلام عليه .

والاساطير والخرافات الواحدة شائعة بين السواد العربى

والاساطير والخرافات الشعبية ، وما يدور حولها من حكايات ، وما يتصل بها من معتقدات وتمائم ورُقى ونشر وطيرة وتفاؤل واستخارة، وما يشتق منها من عادات وتقاليد واوهام ، كلها من المأثورات الشعبية . انها شائعة اليوم بين ابناء السواد الاعظم من الشعب العربى شيوع مثيلاتها ونظيراتها في الشعوب والاقوام الانسانية الاخرى. وانها في الاغلب الاعم منحدرة من اصل واحد في لتراثنا العربى ، يدلك على ذلك ما ورد في هذا الباب في كتاب الحيوان للجاحظ وخريدة العجائب لابن الوردى والحيوان للدميرى وعجائب المخلوقات للقزوينى و الهوامل والشوامل للتوحيدى وغيرها . وليس من همنا ، بطبيعة الحال ، ان نستقصى جميع ما يدخل في هذا الباب، وفي جميع الاقطار العربية اليوم ، لرجعها الى الاصــل العربى الاكيد ، فذلك موضوع يتطلب المجلد الضخم ، ولذا سنكتفى بالامثلة الدالة التالية من العصر في هذا المقام .

فالســعلوة ، على ما تسمى عند عامة العراق ـ وتشيع لها نظيرات في بلدان العرب الاخرى ـ هى السعلاة او الدامية او الغولة في كتب اجدادنا الاولين ، وهى التى كانت ، وما زالت العامة ترعب اولادها بها .

ومن هذا القبيل ما ورد في حوادث سنة ٣٠٤ الهجرية :

فلقد وقع ببغداد اضطـــراب عظيم لحادثة الحيوان الخرافى الذى كانت العامة تسميــه (الزبزب) ، ومع انه كان شيئا موهوما فلقد كانت العامة تخافه كثيرا وتوهم انها تراه ليلا على السطوح ، وانه يأكل اطفالها ، وربما عض يد الرجل وثدى المرأة فقطعهما ، فكان الناس في سبب الشدة المذكورة يتحارســون ويتزاعقون ويضربون بالطست والصوانى (وما زالت هذه العادة شائعة بين بعض ابناء السواد الاعظم من الشعب في العراق وفي غيره اثناء خسوف القمر). وارتبكت بغداد لهذه الحادثة واتفق ان اصحاب الســلطان صادوا في احدى الليالى حيوانا ابلق قصير اليدين والرجلين فقالوا هــذا هو الزبزب ، وصلبوه على الجسر فسكن الناس .

والغلام اذا سقطت سنه في ماثوراتنا الشــعبية اليوم ، قذفها الى الشمس قائلا : خذى سن الحمار واعطينى سن الغزال ، وهى عادة لا تقتصر على قطر عربى واحد اليوم ، ولهذه العادة اصل عربى فلقد ورد ان الغلام العربى قديما كان يقول : ابدليني بها سنا احسن ولتجر في ظلمها ، ضحيا ، اياة ذاى شمسك ، وزعموا

انه ان فعل ذلك لمن على لسانه الحرج ، والى هذا يشير طرفة في بيته :

بدلتـــه الشمس من منبتــــــــــه
بــردا أبيض مصــــــقول الأشـــر

* * *

واخترع البغداديون قديما القلل وكان وانتشر بعد ذلك الى سائر الأقطار العربية ، وسمي بهذا الاسم لأنهم تكلمـــوا به الحكايات والأساطــير والخرافات والتراجمات ، فكان قائله يحكي ما قال وكان ، وما زالت له آثاره اليوم في مأثوراتنا الشعبية ، فانت تسمع مثلا حدوتة الديك الأخضر في مصر تبدأ على لسان القاص الريفي : كان يا ما كان يا سعد يا كرام ما يحلى الكلام الا في ذكر النبي عليه الصلاة والسلام ، كان ...

خيال الظــل

وكان أبناء الجيل الماضي ، على ما يحدثنا به من ادركوه لنحن أبناء هذا الجيل ، يستمتعون قبل ان تغزو اقطار العرب: السينما بما كان يسمى قره قوز ، وهو ضرب من التمثيل الهزلي كان يعرض في المقاهي العامة ، واصله العربي خيال الظل . وخيال الظل هذا يستند الى الرواية ، وكان من ملاهي القصر ايام دولة الفاطميين بمصر، وهو لعبة تتخذ أشخاصها من جلد وتحرك بعصا من وراء ثوب ابيض مشدود فيظهر خيالها فيه . وقيل ان الملك الناصر صلاح الدين في القرن السادس الهجري اخرج من يعاني خيال الظل للقاضي الفاضل فسأله الملك الناصر : « كيف رأيت ! »

قال : « رأيت دولا تمضي ودولا تأتي ، ولما طوى الازار طي السجل للكتب ، اذا المحرك واحد » . فاخرج بلاغته هذا الجد من هذا الهزل .

ومن كتاب (سلك الدرر) بيتان منسوبان الى الامام الشافعي (رض) وهما في خيال الظل وما قيل في معناه :

رأيت خيال الظــل أكبر عبرة
لمن هـــو في علم الحقيقة راقي
شخــوص وأشــباح تمـــر وتنقضي
وتفنى جميعـــا والمحرك باقي

وأولع الترك بعد ذلك بهذه اللعبة كثيرا . وذكر ابن اياس في القرن العاشر للهجرة ان السلطان سليما العثماني لما فتح مصر شهد (خيال الظل) ، ومثلت له فيه قصة مقتل (طومان باي) آخر سلاطين المماليك ، فسر السلطان لذلــك ، وطلب الى صاحب الخيال ان يمضي الى الآستانة . وفي القرن الحادي عشر سافر بعض الفنانين من اصحاب خيــال الظل الى الآستانة ليشتركوا في حفلات الابتهاج بزفاف ابنة السلطان احمد ، وكان هؤلاء الفنانون هم (الرئيس داود المناوي) و (الشيخ سعود) فمثلوا هناك روايات اعجب بها السلطان العثماني .

ويذكر مؤرخو هذه اللعبة ان أحد السلاطين العثمانيين امر بابطالها واحراق شخوصها وكتب على اللاعبين العهود الا يعودوا لها . ولكن الوقائع التاريخية عنها تثبت انها بقيت في بغداد ، وفي غيرها من حواضر دنيا العرب ولم تمت الا عندما غزت السينما الاقطار العربية ، اي انقراض الامبراطورية العثمانية في اوائل القرن العشرين .

ويقول صاحب كتاب شفاء الغليل ان الذي اخترع الخيال الراقص رجل اسمه (جعفر) ، وتثبت الشواهد التاريخية انهم كانوا يطلقون على الرسوم التي تمثل الشخصيات والابطال اسم (الشخوص) ، وانهم كانوا يطلقون على كل فصل من فصول الروايات التي يمثلها (خيال الظل) اسم (بابة) . وكانت كلمة (الخايل) ـ وما زالت مستعملة في مصر ولبنان حتى اليوم ـ والخيالي تطلق على من يدير شؤون هذه اللعبة التمثيلية .

وان هذه الروايات التي تمثل كانت تحتوى على الشعر والزجل ، وكانت تتضمن نقـــدا لبعض الاوضاع وسخرية ببعض الناس . وقد افلتت من يد عوادي الزمن بعض شخوص هذه اللعبة ، وهي من جلد ، وتسربت الى متاحف الغرب ، كما بقي كتاب (طيف الخيال لابن دانيال) شاهدا على اصلها العربي .

فؤاد جميل

طرائف عربية

اعرابى على مائدة الحجاج

● [illegible] الحجاج . فلما قدمت الحلوى ، ترك الحجاج الاعرابي حتى اكل منها لقمة ثم قال :

من اكل هذا ضربت عنقه !

فامتنع الحاضرون كلهم عن الأكل.

[illegible]

الظن واليقين

● قال مروان بن الحكم [illegible] اني اظنك احمق !

فقال [illegible] ؟

قال مروان [illegible]

قال الرجل [illegible] احمق ما يكون الشيخ اذا استعمل ظنه !

اشعب ووالي الحجاز

● [illegible] اشعب وهو صبي [illegible] كان والي الحجاز سائرا في الطريق ، فسأله

هل تعرف القراءة يا غلام ؟

فقال نعم

فسأله ان يقرأ شيئا ، فقال :

انا فتحنا لك فتحا مبينا .

فسر الامير من هذا الجواب واعطاه دينارا .. فرفض اشعب ان يقبل الدينار . فسأله الامير عن سبب رفضه ـ فقال اشعب :

اخاف ان يضربني ابي ..

فقال الامير [illegible] الامير هو الذي اعطاني الدينار ..

فقال اشعب : انه لن يصدقني .

فقال الامير ولماذا ؟

فسكت اشعب لحظة ثم قال لأن [illegible] عطيه الملوك !

حزم

● قال رجل للمهدي عندي نصيحة يا امير المؤمنين .

[illegible]

قال : لك يا امير المؤمنين .

[illegible]

كلمة صدق

دعا أعرابي فقال: اللهم إني أعوذ بك أن أفتقر في عافية، أو [illegible] في [illegible]، أو [illegible] في عزة، أو أضطهد والأمر لك.

صيد الظباء حرام

[illegible]

(قيس بن الملوح)

أبيات فى قاض

[illegible]

واحدة بواحدة

● أتى رجل وادعى أنه نبى الله [illegible]

فقال: [illegible]

قال: [illegible]

قال: نعم

قال: [illegible]

قال: [illegible] الأعلى كما عمل فرعون!! وأنا أصيرها ثعباناً.

المهدى

[illegible] والسلامة مع العدو أكثر منها مع المحبة. [illegible] ولا [illegible] إذا [illegible].



■ أنا مـاردٌ عـالي الجبينْ أنا صرخـةُ الحـق المُبينْ
أنـا صـخرة قـد حطّمتْ حُـطَط البغاة المعتدين
أنـا في زوايـا خيمـتي الـسو داء أهـزأ بالسنـين
وتمُدُّنـي بالقمـة الـ ـمـاء أيـدي الظالمين
لـكي الـين ولا ألـين

***

قَسَماً بتُربـك يـا بـلادي قَسَمَ المشوقِ إلى الجلادِ
قسماً بقُدسـك ، بالدمـا ء المُهْرَقات على الوهـادِ
ما دلـني يـومي وصـلـ ـى الأمس أوسمةُ الجهـاد
مـل الرقـادَ سـوادُ ليـلي حتى ينادبني المنادي

***

للفجـر يـبزُغ فارقُـبي يـا أمتي الحدثَ الخطيرْ
جـيشٌ وأعـلامٌ تـبـ ـرُعلى مني ذوّي النفيرْ
الفجـر يـبزغ إنّـهُ ميلاد فجر للأسير



آمنت بالوطن الكبير   وليمح العار الكبير

***

الفجر يا حلم الجدو   د وصيحة الحر الشهيد
عرق المشانق في المجا   زر في السهول على الجرود
هبوا أطلوا من أعا   ليكم على الفجر العتيد
فبشرى دمكم لنا   عز الكرامة والخلود

***

يا ظلم يا جاني على   الأحرار تشريدا وتنكدا
أحسبت أنك مستطيـ   ـع أن ترد الحر عبدا
أنسيت أنا نسل من   ملكوا الدنى شهبا وأسدا
يا ظلم رد تجريحا   حتى يثير القدح وقدا

***

قسما بتربك يا بلادي   قسم المشوق إلى الجهاد
مل الرقاد سواد ليلي   فمتى ينادي المنادي ■■

سمير طوبي — بيروت





عند الفيلسوف

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم

أستاذ علم الجمال المساعد بكلية الآداب - القاهرة

■ اذا كان لكل علم موضوع يبحث فيه ، فان موضوع علم الجمال هو « العمل الفني » . وحينما يدرك « العمل الفني » لذاته ، فان علماء الجمال يطلقون عليه اسم « الموضوع الجمالي » . ولكن الاختلاف قائم بين علماء الجمال حول طبيعة هذا « الموضوع الجمالي » : فهل هو موضوع واقعي عيني ، أو هو ظاهرة نفسية ذاتية هي ذاتية الناظر فيه ؟

وربما كان الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون Bergson (١٨٥٩ - ١٩٤١ م) في مقدمة الباحثين الذين نسبوا الى الموضوع الجمالي طابعا واقعيا عينيا . وقد ذهب برجسون الى أننا لا ندرك في العادة من الأشياء الا ماله ارتباط مباشر بمصالحنا ، ومن ثم فاننا لا نفهم الحياة الا من خلال علاقاتها بحاجاتنا . ولكن الفن هو الذي يجيء فيجعلنا نرى الواقع ذاته ، لا لذواتنا !

والفنان - في رأي برجسون - انسان حاد البصر ، حاد البصيرة ، عميق الحدس ، يملك قدرة هائلة على ادراك ما يفوتنا في العادة ادراكه ، نظرا لأننا مشغولون بالعمل والتصرف العملي في الحياة ، في حين أنه هو مستغرق في النظر والتأمل .

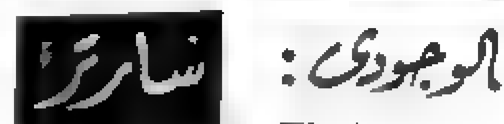
ولكن ، على الرغم من أن ادراك الجمال أو الخبرة الجمالية تنأى بنا عن دائرة المنفعة العملية فانها لا تقودنا الى عالم الحلم أو دنيا الخيال ، بل هي تعيد اتصالنا بعالم الواقع ، وتنفذ بنا الى أعماق الحقيقة . فليس « الموضوع الجمالي » مناسبة للتهرب من العالم ، أو الارتماء في أحضان فردوس الأحلام ، بل هو - على العكس تماما - أداة فعالة لتوثيق صلاتنا بالواقع ، ولإزاحة النقاب عن عيوننا حتى نشهد الحقيقة التي تكمن من وراء تهاويل الحياة الحسية . ولما كانت ضرورات العمل هي التي تحدد في العادة منظورنا الى الوجود ، فان من شأن الخبرة الجمالية أن تنفذ بنا الى باطن الحياة ، وأن تكشف لنا عما في الوجود من « الهم » . وهذا هو السبب في أن برجسون يضع « الفن » على قدم المساواة مع « الفلسفة » ، لأن الفن « عين ميتافيزيقية » فاحصة ، تستطيع أن تتخطى الظاهر ، وتعبر أسوار الواقع ، وتنفذ الى القرار العميق للوجود نفسه !

وهكذا ارتبط الفن في نظر برجسون بالواقع ، وتوثقت الصلة عنده بين « الموضوع الجمالي » و « العالم الطبيعي » ، حتى لقد صار « العمل الفني » في نظره مجرد نتيجة طبيعية تتولد عن الاحتكاك المباشر بالواقع . .

بين برجسون وسارتر

وأما الفيلسوف الوجودي المعاصر جان بول





سارتر Jean-Paul Sartre ، فقد الأمر لديه على التقابل تماما مما رأيناه لدى برجسون — ! حقا ان سارتر يفرق — كما فعل برجسون — بين مستوى الحلم ومستوى الفعل ، ولكن معنى الخبرة الجمالية يختلف عنده اختلافا كبيرا عن معناها عند برجسون . وآية ذلك ان « الواقعي » في رأي سارتر لا يمكن ان يكون « جميلا » على الاطلاق ، بل ان « الجمال » صيغة خاصة تخلع على الموضوع ضربا من « اللاواقعية »! وانت حين تنظر الى اي موضوع ما ، من وجهة نظر جمالية ، فان هذا الموضوع سرعان ما يفلت من الوجود في العالم الواقعي ، او شغل حيز في المكان ، فضلا عن انك لا تعود تهتم به باعتباره موضوعا نفعيا ذا قيمة عملية . ومعنى هذا ان الموضوع يصبح منفك كما لو كان منطويا وراء ذاته ، ومن ثم فانك لا تعود تقوى على لمسه ، وكأنما هو قد أصبح دون متناولك ، فلم يعد في وسعك سوى ان تستشعر بإزائه ضربا من الاحساس الأليم بالعجز عن امتلاكه لقاصمته .

والحق ان الجمال — في نظر سارتر — انما ينتمي الى عالم آخر هو « عالم التخيلة » ، على نحو ما يكشف لنا عنه الابداع الفني . وليس الابداع سوى تلك القوة الانسانية التي تظهرنا على طبيعة « الوعي » البشري ، باعتباره مصدرا لذلك « العدم » الذي تفرزه الحرية وتقذف به صميم الوجود الخارجي ! وحينما يقرر سارتر ان الانسان يحلم على العالم الخيال والفن ، فانه لا يعني بذلك ان ثمة عالما علويا يصدر عنه الابداع الفني ، وانما هو يعني ان الموضوع الجمالي يستخرجنا الى عالم لا واقعي ، دون ان تكون هناك سماء افلاطونية يحيا فيها مثال الجمال . !

« ان الصورة — فيما يقول سارتر — تتجلى امامنا باعتبارها انفلاتا مستمرا ، او غيابا مستديما ... ولكن حذار من ان نتوهم انها توجد في عالم آخر ، كما لو كانت تحيا في سماء معقولة . اجل ، هي لا توجد — مثلا — كالماهيات ، خارج الواقع ، او خارج الوجود ، وانا لا التمسها في الواقع مطلقا ، وانما انا التمست اليها في عالم الوهم فقط » . والآن ادراك الجمال — في نظر سارتر — لا بد من ان يستند الى التخيل ، كما انه لا يمكن ان يتحقق الا في عالم لا واقعي .

... لقد كان برجسون يقول ان « الجميل » ينأى بنا عن مستوى « النافع » ، ولكنه لم يذهب قط الى ان « الجميل » يقذف بنا الى « اللاواقعي » . وهكذا بقي « الموضوع الجمالي » عند برجسون سبيلا هاما للوصول الى « الوجود » بينما راح سارتر يقول ان العيان الفني نفسه لا يخرج عن كونه فعلا من افعال ذلك « الوعي » الذي يحمل عن طريقه « العدم » على العالم ! وعلى حين ان برجسون كان يعد « الحدس » الفني حركة واعية تنقلنا من « الرمز » الى « الواقع » ، اصبح سارتر يقرر ان كل عمل فني انما هو في جوهره احالة الى « اللاواقع » !

الموضوع الجمالي بوصفه موضوعا متخيلا

وهنا يصح لنا ان نتساءل : ما هو نوع « الوجود » الذي ينسبه سارتر الى « الموضوع الجمالي » ؟ أهو الوجود العيني الذي يتسم به اي شيء من الاشياء ، ام هو الوجود الذهني الذي يتسم به اي تصور من التصورات ؟ هذا ما يرد عليه سارتر بقوله ان نوع «الوجود» الذي يختص به «الموضوع الجمالي» هو «الوجود المتخيل»، لان ما يركب هذا الموضوع ويدركه انما هو الوعي البشري الذي يستطيع عن طريق المخيلة ان يضعه باعتباره « لا واقعيا » .

وهذه النظرية التي يقدمها لنا سارتر في تفسير « الموضوع الجمالي » تستند الى نظريته العامة في الخيال ، وهي تلك النظرية التي يوحد فيها بين « المخيلة » و « الحرية » ، على اعتبار ان المخيلة هي القدرة على وضع العالم ورفعه ، او اثباته ونفيه في آن واحد . وهذا ما عبر عنه سارتر بقوله : « ان المخيلة هي الشعور بأسره ، من حيث هو قادر على تحقيق حريته » ، أعني انها

الشعور من حيث هو قادر على تجاوز الواقع ، وفرض دعائمه الخاصة على صميم بناء العالم الخارجي .

ولكن ، ماذا عسى أن يكون هذا « اللاواقعي » الذي يتحدث عنه سارتر ؟ أليس في الامكان أن يكون « اللاواقعي » أي شيء كائنا ما كان ، كما قد يحدث مثلا فيما نشهده أثناء الحلم أو في بعض حالات الهذيان ؟ واذا صح ما يقوله سارتر من أن الموضوع الجمالي « لا واقعي » فهل يجوز أن يكون كل ما هو « لا واقعي » موضوعا جماليا ؟ واذا كان كل حالم هو ـ بمعنى من المعاني ـ فنان ، فهل يكون معنى هذا أنه لاحاجة بنا الى التردد على المتاحف أو المسارح ، ما دام كل ما قد نشهده هناك لن يكون بالضرورة سوى شيء واقعي ؟ . . .

كل تلك أسئلة قد تثيرها في أذهاننا نظرية سارتر في « لا واقعية » الموضوع الجمالي .

ولكن من المؤكد أن سارتر لا يوافق مطلقا على القول بأن كل « حلم يقظة » هو صورة من صور « الابداع الفني » : فان الموضوع الجمالي في رأيه لا يمكن أن يتجلى أمام أنظارنا ، الا حينما نكون في حضرة « العمل الفني » . ولئن كان سارتر يحصر مهمة « المخيلة » في رفض « الادراك الحسي » ، الا أنه مع ذلك يربط « المخيلة الجمالية » بالادراك الحسي . وعلى الرغم من أن في استطاعة الوعي عن طريق « التخيل » أن يقوم بعملية سلب أو انكار للمدرك الحسي ، الا أن الوعي لا يمارس هذه القدرة بطريقة تعسفية محضة ، بل يظل ظهور « التخيل » مشروطا دائما بالموقف الخاص للوعي في داخل العالم . وآية ذلك أن « الواقعي المدرك » ـ وهو ما يطلق عليه سارتر اسم المعادل الحسي ـ سواء أكان ألوانا أم أنغاما أم ألفاظا . أعني ذلك « الشيء » الذي يمكن أن يدرك بأبصاره كالآلة ، انما هو الذي يدعو « الوعي » الى تخيل « اللاواقعي » ، دون أي تطاول من جانبه على تلقائية هذا الوعي أو الشعور . ولا يقوم « الواقعي » بمهمة « المعادل الحسي » الا حين يكف عن أن يكون « مدركا » لذاته .

والحق أن « الصورة » لا تبرز الا فوق « أرضية » العالم ، كما أن « المخيلة » تستلزم « الادراك الحسي » ، وان كانت في الوقت نفسه ترفضه أو تنكره .

ويضرب لنا سارتر مثلا فيقول ان السمفونية السابعة هي بلا شك « لا واقعي » ، ولكن هيهات أن يمثل أمامنا هذا « اللاواقعي » ، ما لم نوجد في احدى صالات العزف الموسيقي ، وما لم تكن آذاننا متفتحة لسماع الانغام الموسيقية . ولئن كان «التخيل» هو بمثابة انكار أو سلب للمدرك الحسي ، الا أن « المدرك » هو الواسطة أو الاداة الضرورية لقيام « التخيل » بدوره الأساسي ، دون أن يكون في وسع « المدرك » مع ذلك توجيه « التخيل » أو تحديد مطالبه .

ولكن ، اذا كانت السمفونية السابعة هي ما أتخيله عندما أستمع الى بعض الانغام الموسيقية ، لا ما أسمعه بالفعل ، فما الذي يمنعني من أن أصنع بدلا منها شتى أحلام اليقظة التي تثور في نفسي بمناسبتها ، مهما كان من غرابتهما أو انحرافها ؟

واذا كان شارل الثامن هو الموضوع الجمالي ، لا اللوحة التي تقع عليها عيناي من رسمه ، فما المانع اذن من توسيع دائرة هذا الموضوع ، بحيث لا تمتد اليه شتى الارتباطات الذهنية أو المعاني التداعية التي قد يثيرها في نفسي شارل الثامن ؟

أليس من الواجب اذن أن يكون « الموضوع الجمالي » شيئا أكثر من مجرد « لا واقعي » ؟ أو بعبارة أخرى ، ألا يحق لنا أن نقول عن « الموضوع الجمالي » انه أيضا « شيء » بمعنى الكلمة ؟

شيئية الموضوع الجمالي . . .

اذا كان لكل موضوع جمالي « معادل حسي » هو الذي يستثير الخيال لدى الشعور ، فان العناصر المتخيلة مع ذلك لا بد من أن تمتزج بالسمات الحسية التي يمتاز بها هذا المعادل الحسي ، حتى يتحرك « الموضوع الجمالي » بتمامه في صميم هذه الصورة المحسوسة . ويسوق سارتر مثلا يوضح به هذه الحقيقة فيقول ، انه حينما يتم أداء السمفونية السابعة على الوجه الأكمل ، فان المرء لا بد من أن يجد نفسه وجها لوجه أمام هذه السمفونية ، وكأنه في حضرتها

شخصيا ! ولكن ، ماذا عسى أن تكون الصورة في صميم شخصيتها ؟ ...

انها – فيما يقول سارتر شيء ، بمعنى انها حقيقة عينية ماثلة امامنا ، وهي تتمتع بضرب من الاستمرار في الزمان ، فضلا عن انها تملك مقاومة بوجه ما من الوجوه . فاذا ما تساءلنا هل هذا الشيء واقعي أم غير واقعي ، كان رد سارتر على هذا التساؤل انه خارج عن نطاق الواقع . ومعنى هذا ان الموضوع الجمالي « لا واقعي » ، ولكنه مع ذلك شيء عيني . ولكن ، كيف يكون هذا الموضوع لا واقعيا ، مع كونه في الوقت نفسه شيئا عينيا ؟ اليس ثمة تعارض بين طابعه اللا واقعية » وطابع « الشيئية » ؟ هذا ما يرد عليه سارتر بقوله ، اننا عندما نتحدث عن « شيئية » العمل الفني ، فاننا نفكر في ذلك العنصر الواقعي الحسي الماثل في صميم الموضوع الجمالي (كالاصباغ المستعملة في التصوير ، أو الأنغام الصادرة عن الجوقة الموسيقية .. الخ) . وأما حينما نتحدث عن « لا واقعية » العمل الفني ، فاننا نتجه بأنظارنا نحو ذلك العنصر الخيالي المفارق الذي يحلق فوق الخبرة الجمالية ، وهو ما يعبر عنه « المعنى » الخصب الثري الذي هيهات لأي تذوق فني أن يستوعبه . فهناك اذن ضرب من الابهام أو الغموض في كل عمل فني : لأنه من جهة موضوع حسي ماثل امامنا بجملته ، ولكنه من جهة اخرى معنى « لا واقعي » يفلت بالضرورة من قبضة كل ادراك حسي .

الصلة بين المدرك والمتخيل

ولئن كان سارتر يقرر أن ثمة صلة وثيقة – في داخل الموضوع الجمالي – بين المدرك الحسي والمتخيل اللا واقعي ، الا انه لا يجعل من الواحد منهما معادلا دقيقا للآخر ، ما دامت الصلة بينهما ليست صلة مساواة أو تماثل . والحق ان المصور حين يرسم لوحة ، فانه لا « يحقق » صورته الذهنية في صميم هذه اللوحة ، بل هو يقدم لنا « معادلا محسوسا » يمكن كل فرد من تكوين تلك الصورة لنفسه من خلال ادراكه لذلك المظهر المادي . وتبعا لذلك فانه لا بد من تصور اللوحة باعتبارها مجرد شيء مادي يسري فيه بين الحين والآخر (اعني كلما وقف منه المتأمل موقف التخيل) عنصر « لا واقعي » هو على وجه التحديد « الموضوع » الذي أريد تصويره . ولكن هذا الشيء الذي صنعه الفنان ، والذي يتم تحقيقه احيانا بفضل تضافر القائمين على ابقائه ، انما هو مجرد وسيلة تتيح للخيال فرصة الظهور بحيث ان الادراك الحسي ليبدو في خاتمة المطاف مجرد مناسبة للتخيل .

وهنا قد يحق لنا أن نتساءل : كيف يتسنى للشيء المدرك أن يثير على وجه التحديد تلك الصورة المعينة التي طافت بذهن الفنان ، دون غيرها من الصور الأخرى ؟ واذا كان التأمل الجمالي هو مجرد « حلم مستثار » ، فكيف السبيل الى التحكم في مثل هذا الحلم ؟ الا يلزم أن يكون « التخيل » نفسه ماثلا من ذي قبل بوجه ما من الوجوه في الشيء المدرك ، بحيث يكون ثمة « بناء موضوعي » يقابل الصورة المدركة ادراكا ذاتيا ؟ ... يبدو لنا أن العلاقة القائمة بين الشيء الواقعي والشيء اللاواقعي لا يمكن أن تكون مجرد علاقة عرضية حادثة بين « مدرك » و « متخيل » ، بل هي لا بد من أن تكون علاقة ضرورية ثابتة بين قرينتين (معنى ، أو بين الشارة ودلالته . ولكن لا موجب لتحويل التعارض القائم بين الشكل والمضمون الى ثنائية جامدة بين « مدرك » و « متخيل » ، كما انه لا موضع للتضحية بوحدة الموضوع الجمالي في سبيل عنصر التخيل ، وكأن هذا العنصر وحده هو الذي يحتكر كل سر الظاهرة الجمالية .

ومهما كان من غموض « الموضوع الجمالي » ، خصوصا بسبب ما فيه من معنى خفي قد لا يسهل استخراجه منه ، فانه لا بد لنا من أن نتذكر دائما أن الموضوع كله – بما فيه من مدرك ومتخيل – هو الظاهرة الجمالية ، لا العنصر التخيلي منه وحده دون باقي العناصر الأخرى .

.. نقد نظرية سارتر في الموضوع الجمالي

ونحن نأخذ على نظرية سارتر في الجمال مأخذين :

الأول انه يقيم هذه النظرية على مذهبه في الخيال ، فيوحد بين الموضوع الجمالي والموضوع المتخيل (في اللوحة مثلا) بوصفه متخيلا ، وكأن من شأن اللوحة التي يرسمها الفنان لشخصية ما من الشخصيات أن تحيلنا بالضرورة الى الأصل ،

فندرك هذا الأصل في الصورة بفضل وساطة اللوحة ، وفقا لعلاقة هي في جوهرها شبه سحرية ! ولكن الواقع أننا ندرك الموضوع الممثل في العمل الفني دون أية إحالة إلى الأصل ، بل دون حاجة إلى القيام بأية عملية من عمليات التخيل .

والمأخذ الثاني الذي نأخذه على سارتر هو أنه يقيم تطابقا غير مشروع بين « اللاواقعي » و « المتخيل » . حقا إن في استطاعتنا أن نقول (بطريقة ساذجة) إن الفن لا واقعي ، وذلك لأن من الواضح أن موضوع العمل الفني لا يوجد وجودا فعليا في العالم الخارجي ، ما دام هملت Hamlet الذي يمثله الممثل لورنس أوليفر ، أو بارو ، ليس هو هملت الحقيقي ، وما دمنا لسنا في حاجة إلى فتح مظلاتنا حينما نستمع إلى عاصفة السمفونية السادسة ! ولكن في استطاعتنا أن نقول — بصورة أعمق — إن الموضوع الجمالي « لا واقعي » لفرط ما فيه من واقعية ، أعني أنه « لا واقعي » لاستحالة بلوغه أو استيفائه . وآية ذلك أن في شخصية هملت التي تمثل أمامي ، وفي أنغام السمفونية السادسة التي تعزف على مسامعي ، شيئا يبعث بي إلى أبعد كثيرا أو أن يمكن من تفسيره ، لأنني أشعر بما في العمل الفني من ثراء ، وأحس في الوقت نفسه بما في مواطنه من خفاء . ولكن إذا ما كان هذا « اللاواقعي » فإنه لا يصدر عن وعي مستغرق في التخيل ، أعني عن شعور غافل شارد الفكر ، بل هو يصدر عن وعي متأمل متيقظ ملتفت إلى الإدراك الحسي لعالم الأشياء . وإذا كان « اللاواقعي » — بوصفه معنى الموضوع الجمالي — ليس شيئا متخيلا ، فذلك لأنه « باطن في صميم ذلك الموضوع » ، وبالتالي فإنه لا يمكن أن يدرك إلا فيه . ومعنى هذا أن « المعنى » كامن في صميم الشيء . ولما كان الموضوع الجمالي وحدة لا تتجزأ ، فإن المعنى اللاواقعي فيه هو نفسه « شيء » ، لأنه موجود في صميم الواقع ، أعني في الشيء المدرك ، مثله في ذلك كمثل النفس التي لا توجد إلا في البدن ، ولا تستكشف إلا من خلال البدن .

ولئن كان الموضوع الجمالي يستلزم بالضرورة شعور التأمل الذي يضمن له التحقق ، إلا أن هذا الشعور نفسه لا يركب معنى ذلك الموضوع ، بل هو يكتشفه فيما يدركه . فليس أبعد عن الصواب إذن مما قاله سارتر من أن الشعور هو الذي يخلق الموضوع الجمالي حينما يعزم على تخيله ، فيقيم بذلك علاقة تعسفية بين التصوير والموضوع الممثل على اللوحة ! حقا إن فصل الشعور ضروري لقيام عملية التذوق الفني ، كما أن وحدة الموضوع الجمالي لا بد من أن تظل معلقة على الإدراك الحسي ، ولكن هذا لا يعني أن الشعور يرفض التصوير لكي يحل محله الموضوع المصور ، بل معناه أنه يحقق التصوير حينما يكتشف فيه الموضوع المصور . ولا شك أن سارتر حينما بالغ في تقرير الثنائية القائمة بين المدرك والمتخيل ، أو بين التأمل الحسي والموضوع الجمالي ، فإنه لم يزد المشكلة إلا تعقيدا على تعقيد ! ولكن هذا لا يعني أن نهيب بضرب من « الواحدية الجمالية » الساذجة بحل تلك الثنائية ، فنلغي الخيال لحساب الإدراك الحسي ، وإنما لا بد لنا من أن نتذكر دائما أن الموضوع الجمالي « شيء » و « معنى » في وقت واحد ، وأن كلا من « الشيء » و « المعنى » في هذه الحالة إنما يوجد خارج ذاتي ، وبفضل ذاتي في الآن نفسه .

فلسفة الأدب عند سارتر ...

ولكن فلسفة سارتر الجمالية لم تتوقف عند مجرد بحث طبيعة « الموضوع الجمالي » ، بل هي قد امتدت أيضا إلى مشكلات أدبية أربع عبر عنها سارتر في الجزء الثاني من كتابه « المواقف » على النحو التالي : « ما هو الأدب ، وما هي الكتابة ، ولماذا نكتب ، ولمن نكتب ؟ » وقد أجاب سارتر على هذه المشكلات الأربع إجابة المفكر الملتزم الذي يهمه حاجات عصره ، ويحاول الاستجابة لمواقف الإنسان المعاصر في مجتمع ما بعد الحرب . وهو يقول في ذلك بصراحة : « إن الكاتب لا يستطيع أن يكتب عن المجتمع البشري ، ولا عن الإنسان المجرد في كل العصور ، والتاريخ « اللا زمني » ، بل هو يستطيع أن يكتب عن الإنسان بأسره في عصره ولمعاصريه » . وقد قدم لنا سارتر في هذه الدراسة صفحات رصينة تدور في معظمها حول « علم الاجتماع الأدبي » ، فراح يدرس موقف الأديب الفرنسي في القرن السابع عشر ، ثم في القرن الثامن عشر ، وأخيرا في القرن الماضي . ولكن على الرغم مما في تحليلاته من عمق ، فإن الطابع الالتزامي الذي غلب على ملاحظاته قد وسمها بمسحة التحيز أو عدم النزاهة ، فلم يعد في وسعنا أن

تدخل دراسته هذه في عداد الدراسات الجمالية العلمية بمعناها الدقيق . ونحن لا ننكر ما في هذه الدراسة من نظرات أدبية طلقة ولكننا لا نستطيع أن نلحقها بأبحاث علم الجمال . وربما كانت أصالة فلسفة الأدب عند سارتر أوضح ما تكون في دراسته للابداع الفني في مضمار النثر ، ولكنها أصالة الفيلسوف الذي يهمه أن النثر هو أولا وقبل كل شيء وجهة نظر العقل ، وأن الكتابة هي طريقة معينة من طرق الالتزام أو إرادة الحرية .

وقد كتب سارتر صفحات طويلة رائعة عن وظيفة الأدب الاجتماعية ، والعلاقة الجدلية المتبادلة بين الكاتب والقارىء ، وصلة الأدب بالعمل ، ومسئولية الأديب عن الكتابة أو عدم الكتابة .. الخ . وكل هذه الصفحات (التي ترجمت أخيرا الى لغتنا العربية) قد أصبحت اليوم في متناول القارىء العادي ، فليس ما يدعو الى تلخيصها أو الاجتزاء بخطوطها العامة . ولكن ما يستوقفنا منها على وجه الخصوص انما هو فهم سارتر لعملية تآزر الذات والموضوع لدى الفنان الذي يقوم بعملية الابداع . وسارتر يلاحظ هنا أن الملاحظ في الادراك الحسي (مثلا) أن الموضوع يكون عادة هو الشيء الجوهري ، بينما تبقى الذات بمثابة شيء غير جوهري . ولكن الذات تنشد الحصول على رتبة جوهرية ، فليس بدعا أن نراها تتجه نحو الخلق أو الابداع ، وعندئذ لا شك أن تصبح هي الشيء الجوهري ، بينما يصبح الموضوع شيئا غير جوهري . ويستطرد سارتر فيتحدث عن صلة الأديب بالقارىء ويقول أن العمل الأدبي لا يبلغ تمامه ، الا اذا وضع الكاتب نصب عينيه أنه يكتب ليواجه نفسه أمام حرية القارىء . ومعنى هذا أنه ليس ثمة فن الا للآخرين وبواسطة الآخرين . وليست عملية الكتابة أو القراءة نفسها سوى مركب أو مؤلف من الادراك الحسي والابداع الفني .

سارتر يفرق بين النثر والشعر

وسارتر يفرق بين النثر والشعر ، فيقول أن النثر أدب ملتزم ، في حين أن الشعر أدب غير ملتزم . والأصل في هذه التفرقة أن الشاعر في رأي سارتر يتوقف عند الألفاظ كما يتوقف المصور عند الألوان ، أو الموسيقار عند الأنغام . وأما الناثر فهو يستخدم الألفاظ ولا يقدمها ، أو هو يلزم نفسه في عالم اللغة دون أن ينطوي على اتخاذ موقف الصمت . والواقع أن المعنى – بالنسبة الى الشاعر – مصبوب في قالب اللفظ ، مستوعب في جرس الكلمة ، فهو أشبه ما يكون بشيء حيي أزلي غير مخلوق ! واللغة – في نظر الشاعر – بناء من أبنية العالم الخارجي ، فهو لا يرى في الكلمات رموزا تشير الى بعض مظاهر هذا العالم ، بل صورا واقعية لتلك المظاهر . وعلى حين أن الانسان العادي الذي يتحدث ، واقف خلف الكلمات ، على مقربة من الأشياء ، نجد أن الشاعر يهدف الى الكلمات في حد ذاتها . فالكلمة في نظره هي بمثابة فخ ينصبه في شباكه بعض الحقائق الهاربة ! ومن هنا فان الألفاظ الشعرية تجتمع بفضل بعض الارتباطات السحرية القائمة على التوافق والتنافر ، مثلها في ذلك كمثل الألوان أو الأنغام حين تتجاذب أو تتنافر . وهذا هو السبب في أن الانفعال نفسه سرعان ما يستحيل على يد الشاعر الى شيء ، ومن ثم فانه لا يلبث أن يصبح في عداد الأشياء . وأما لدى الناثر – على العكس من ذلك تماما – فان عملية الكتابة انما تعني توضيح الانفعالات والقاء الأضواء عليها . وعلى حين أن الكلمات عند الشاعر هي أشياء ، نجد أنها لدى الناثر دلالات أو اشارات الى موضوعات . واذا كان من السخف أن نطالب الشاعر بالالتزام ، فان من طبائع الأمور أن يكون الكاتب ملتزما ، ما دام الكاتب قد اختار الكتابة مشروعا له في الحياة .

وهكذا وضع سارتر النثر في جانب ، وشتى الفنون الأخرى من شعر وتصوير وموسيقى ونحت في جانب آخر ، وكأنّ الالتزام وقف على الكاتب وحده ، أو كأنّ في استطاعة سائر الفنون الأخرى أن تستقل عن كل غاية اجتماعية .

زكريا ابراهيم
جامعة القاهرة



اعرف وطنك

ايمن العنزي

مدينة المعتصم التي انتزعت الزعامة من بغداد - انقلب اسمها سر



قام بهذا الاستطلاع :

سليم زبال

وصوره :

« أوسكار »

من رأى الى ساه من رأى





■ سامراء .. مدينة المعتصم التي انتزعت الزعامة من بغداد فأصبحت أحدوثة الزمان في هاتيك الأيام إذ « لم يكن في الأرض أحسن ولا أجمل ولا أوسع ملكا منها » ..

لقد ظلت قبلة الأنظار أكثر من أربعة وخمسين عاما .

ثم سرعان ما هبت عليها ريح النسيان فيبست الأشجار واندرست القصور ، وتداعت البيوت .. وكادت معالم المدينة أن تضيع في ظلمات القرون ..

لولا ضوء من الإيمان كان ينير الطريق إليها بين آن وآن ، فيأتيها الحجاج من الأفغان والصين والهند والباكستان وإيران أفواجا يزورون فيها سردابا مقدسا يسمونه : « سرداب الغيبة » .

« ويستند بعض الكتاب والمؤرخين الى الشيعة أمرا غريبا وهو أنهم يعتقدون أن المهدي ، الإمام الثاني عشر ، دخل هذا السرداب وأنه سيخرج ، وأنه الآن فيه ، لا يأكل ولا يشرب حتى يأتي زمن خروجه ..

بينما لا يقول الشيعة بأكثر من غيبته من هذا السرداب وأنه سيخرج من مكة المكرمة ، أو من موضع آخر ، فيملأ الأرض قسطا وعدلا ، بعدما ملئت ظلما وجورا » (1)

وهكذا كان « سرداب الغيبة » وضريح الإمام الهادي ، وابنه الحسن العسكري ، سببا في الحفاظ على سامراء من الفناء حتى الآن ..

تاريخها في اسمها !

وكلمة سامراء هي سجل لتطور هذه المدينة التي بدأ المعتصم بالله أصغر أبناء هارون الرشيد ، بناءها عام ٢٢١هـ ـ ٨٣٥ م .

وأول ما تتبادر الى الأذهان سؤال : لماذا عمد المعتصم الى بناء عاصمة جديدة ، بينما لم يكن قد مضى على بناء بغداد ، تلك التي بناها جده المنصور ، أكثر من خمسين عاما ؟ .

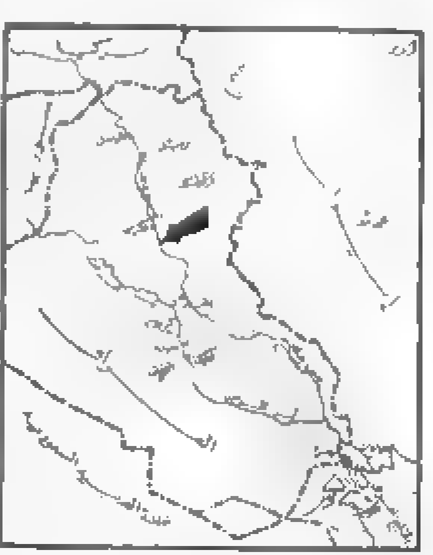
والاجابة على هذا السؤال نتركها للمؤرخ اليعقوبي كما ذكرها في « كتاب البلدان » . قال :

« كان المعتصم أول من أنشأ جيشا من المماليك الذين اشتراهم النخاسون من أسواق تركستان ، حتى بلغ عددهم ٧٠ ألفا ، بين غلمان وفرسان ، فكان وجود هذا الجيش الكبير في عاصمته بغداد لا يخلو من الخطر ، وكان أولئك الأتراك الأعاجم إذا ركبوا الدواب ، ركضوا فيصدمون الناس يمينا وشمالا ، فيثب عليهم الشعب فيقتلون بعضا ، ويتشاجرون دائما ..

« وخرج المعتصم من بغداد يبحث عن موقع جديد حتى وصل الى مكان سر من رأى الحالي ، فوجد ديرا وقف عنده وحادث رهبانه قائلا : ما اسم هذا الموضع ؟ .. قالوا : من كتبنا نعرف أنه كان مدينة سام بن نوح ، وأنه سيعمر بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر . فقال : أنا والله أبنيها وأنزلها » .

وانتقل اليها المعتصم مع عسكره فشيد

(1) نقلا عن كتاب العراق قديما وحديثا للأستاذ المؤرخ عبد الرزاق الحسني صفحة ١١ .



خريطة العراق ، وقد ظهرت فيها مدينة سامراء ، إنها تبعد على الخريطة ١٢٠ كيلومترا عن بغداد . ولكن هذا البعد لا يمنعها من أنها منطقة تابع للواء بغداد من الناحية الإدارية .

فيها القصور الجميلة . والاسواق والثكنات والساحات ، والحدائق التي استحضر لها الاشجار من كافة الارجاء ، وبعد الانتهاء منها اعجب بمنظرها فاسماها « سر من رأى » . .

السرور ينقلب الى استياء

واستمرت « سر من رأى » مركزا للخلافة ثمانية من خلفاء بني العباس . كان آخرهم الخليفة المعتمد ، فقد قرر المعتضد اعادة مقر الخلافة الى بغداد فانتقل اليها عام ٢٧٩ هـ ـ ٨٩٢ م ، ومعه كنوز « سُرَّ من رأى » ونقودها ، وكل اسباب الحياة فيها . . فهجرها الناس وتركوها . . فكان كل من يمر باطلالها الخربة يتحسر عليها . . حتى حرفوا اسمها فصار « ساء من رأى » . ومع الايام حوروه فاصبح سامراء .

اين مجدها ؟

ووسط اطلال سامراء وما فيها من الخرائب والاكوام ، وقفنا نتذكر ايامها الخوالي . . أيام العز والمنعة والنخوة والسلطان التي مرت بها هذه المدينة منذ اكثر من الف عام ، وتعرفنا على حالها الحاضرة .

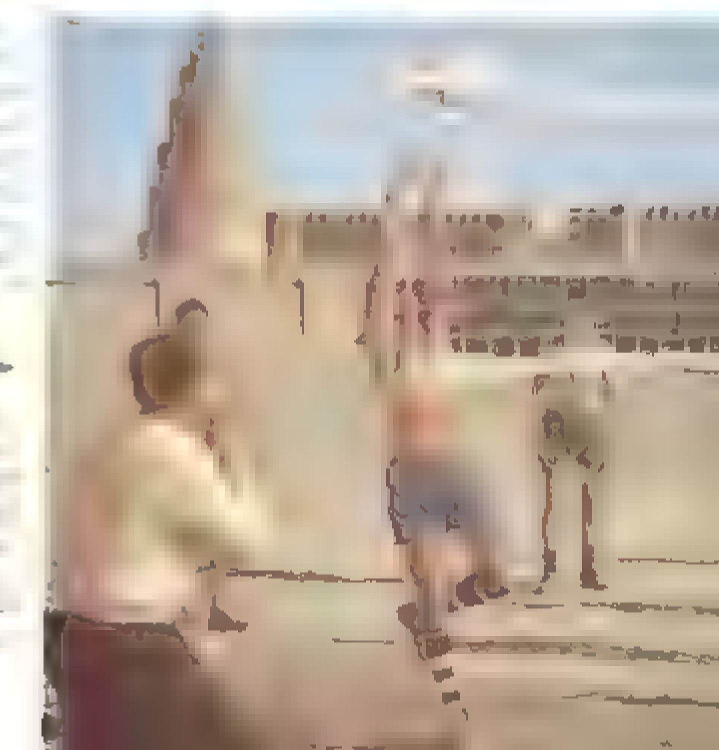
ان من يقرأ تاريخ سامراء القديم ، تصيبه الذهول عندما يرى ما صارت اليه ويتساءل:اين مجدها؟ اين سطوتها؟ . . اين معتصمها ؟ . اين واثقها ؟ . اين متوكلها ؟ . اين منتصرها ؟ . اين مستعينها ؟ . اين معتزها ؟ . اين مهتديها ؟ . اين معتمدها . . ؟ .

اين هم هؤلاء الخلفاء العباسيون الثمانية الذين حكموها اكثر من اربعة وخمسين عاما ؟ . واين آثارهم ، تلك التي لم يبق منها اليوم سوى اطلال فوق رمال . كقصر العاشق ، والمعشوق ، ودار الخلافة ؟ حتى البركة المصنوعة التي تعج بها البحيرة جفت وكادت ان تندثر .



سرداب الغيبة [illegible] [illegible] تحيط به [illegible] [illegible] سيستخدم احفاده كمقر للرحال في [illegible] باب الغيبة ، ويستخدم [illegible] كمقر [illegible] ومن جهة [illegible] الكهرباء الى داخل السرداب ، [illegible] درج للسرداب ويرى [illegible] السيد [illegible] سادن الروضة العسكرية يهبط على الدرج [illegible] في [illegible] الرحال داخل السرداب تحت الارض







كيلومتران بعد ٢٥ كيلومترا ...
كيلومترين فقط ، تبدو عليها سامراء الجديدة التي خلف ...

لمن شيد سد الثرثار ؟

ان سامراء ما تزال حتى اليوم ، تدفع غالبا ثمن تغلبها القديم على بغداد ، ومحاولتها الجريئة لانتزاع مركز الصدارة منها . ويتمثل هذا الثمن في مظاهر التخلف الذي تكاد ان تحس كل مرافقه الحيوية اليوم ..

ان اصابع الاتهام يرفعها اهل المدينة صوب بغداد ، باعتبارها المسؤول الاول عن هذا التخلف .

ولكن بغداد لا تقر هذا الاتهام ، وتسرى بدافع من نفسها فتقول :

— ما بال سامراء لا تكف عن الشكوى ؟ لقد شيدنا عند مدخلها سد الثرثار العظيم ! أفلا يكفيها هذا ؟!

وترد سامراء بقولها : حقيقة ان بغداد شيدت سد الثرثار عندي .. ولكن لمن شيدته ؟ .. لقد شيدته عندي لتقي نفسها من الغرق !!

وحقا ان بغداد ذاقت الامرين من مياه دجلة ، تلك التي كادت ان تغرقها عام ١٩٥٤ ، وفي العام الماضي ، عام ١٩٦٣ ، حال سد الثرثار دون اغراقها مرة اخرى . فقد حجز عن بغداد كمية من المياه تقدر بنحو ٦٧ الف مليون من الامتار المكعبة .. فقد ارتفعت مياه دجلة في عام ١٩٦٣ ارتفاعا لم تشهد له مثلا منذ ٤٠ عاما ..

وسد الثرثار على كل حال معجزة من

البلهارسيا من السد ..

ومع هذا فتتابع اهل سامراء الشكوى ، يقول لنا طبيب سامراء ... : بعد سد الثرثار ، وتحويل مجرى دجلة ، تكونت عند سامراء بحيرة ماؤها راكد ، عرضت الصبية بالساحة فيها فاصيبوا بمرض البلهارسيا ، وهو مرض لم تكن تعرفه اهل سامراء من قبل

من التصدير الى الاستيراد

ويشكو احد المزارعين بسامراء فيقول ان حجز مياه دجلة خلف السد تسبب في غرق اراض لنا كنا نزرعها « رقي » وكرسنه وخضراوات ، ونصدرها الى كركوك والسليمانية والموصل وبغداد والبصرة ايضا ..

واليوم نحن نستورد اكثر تلك الخضر من تلك البلاد ! فالسد كان نعمة .. ولكن نقمة ما ..

كهرباء .. وظلام

ويرتفع صوت احد المهندسين من اهل سامراء يواصل الشكوى

— ان الفائدة التي كان يمكن ان تجنيها هذه المدينة من السد هي الكهرباء ، ولكن حتى هذا المشروع اوقف تنفيذه ، فنحن ننظر الى المياه المندفعة من فتحات السد الست والاربعين ،



محرومين من هذه الطاقة الحيوية التي تضيع هباء، والتي كان ولا يزال في امكانها ان تدير توربينات محطة لتوليد الكهرباء قدرتها ١٠٠ الف كيلوواط، بينما تغرق احياء المدينة التي يعيش اليوم في ظلام، لا ضياء للناس فيه، ولا للشوارع والبيوت، الا من القرويين.. ان الثلاجات الكهربائية والمكيفات الهوائية لا وجود لها في سامراء لعدم وجود التيار الكهربائي الكافي لتشغيلها..



مقابر بالمقبلة

حتى التجارة..

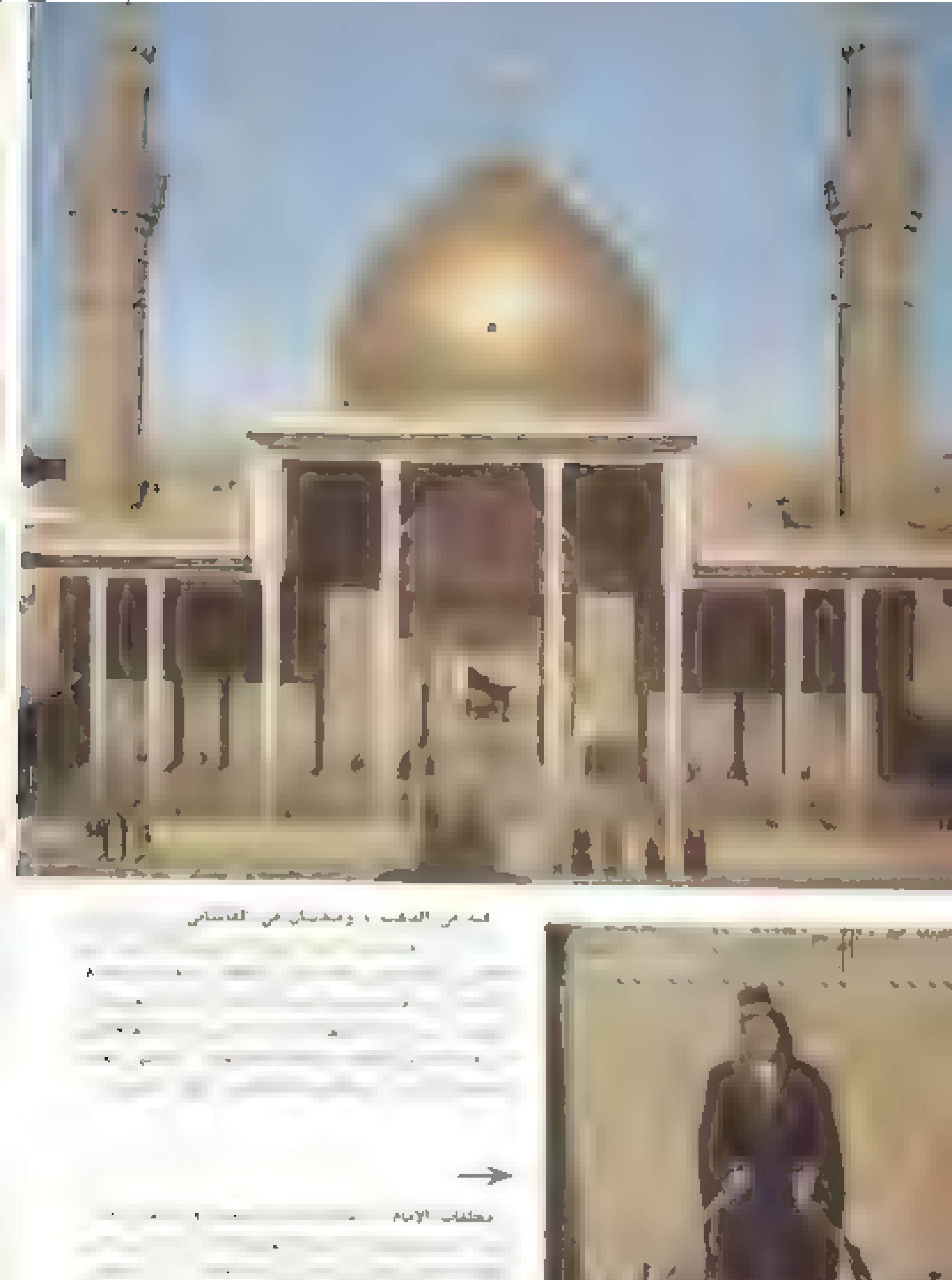
وفي التجارة قال لنا احد تجار سامراء:

ان من اعجب اعاجيبه انه لا يحق لنا ان نستورد اي شيء من خارج العراق الا عن طريق تجار بغداد، لترتفع اسعار الحاجيات في سامراء.. والحجة في ذلك اننا لسنا اعضاء في الغرفة التجارية في بغداد!..

عصر الخان والسكانيا!

وبعد الاستماع الى كل هذه الاتهامات، بدأنا جولتنا في المدينة، التي تقول البيانات الرسمية ان عدد سكانها كان ١٦ الف نسمة عام ١٩٥٧، بينما يقدرهم ابناء المدينة حاليا بنحو ٢٥ الف نسمة..

ان المتجول في شوارع سامراء







وارضها بهوله الجو العريب الذى نعيش مععهده المدينة نكاد ان ينسى انه نعيش معها في القرن العشرين !! انها ما زالت تعيش في عصر الخان ...

جمال معنا

... المراة ، وزوار سامراء لا ... نساءها ابدا ، فالشوارع محرمة عليهن .. واذا ما مرن بها فهن محجبات داخل عباءات سوداء من قمة الراس الى ... القدمين.

وسالنا عن تعليم المراة فقيل لنا انه في عام ١٩٥٣ بدأت محاولة لتعليم البنات ولكن بعض الاهالي هاجموا المدرسة واحرقوا المكاتب والكتب والدفاتر وكانوا يهاجمون اباء الطالبات في الشوارع ويشيرون اليهم ويصيحون : هذا والد ...

سبع مقعد للطالبات

كان عدد الطالبات في ذلك الوقت لا يتعدى العشرة من بنات ... وعندما قامت المظاهرات واحرقت الادوات ، اجبرت الطالبات على البقاء في منازلهن .. ولم يعدن الى مدرستهن الا بعد ان قام المرحوم السيد عبدالوهاب البدري باقناع الثائرين من تعليم البنات بين كبرا او بدعه ، ولكنه تطور لسامراء مدينة هذا العصر ، وبعد عدة اجتماعات استطاع السيد عبد الوهاب اقناع الاهالي فاستجابوا لدعوته ، وعندما اعيد فتح المدرسة كانت جميع ... لتبدع في ... التلميذات المحجبات ...

واليوم اصبحت في سامراء ٤ مدارس لتعليم البنات ، تضم اكثر من الف طالبة ... تدرسهن في مدارس ذات ... ولو انها ضيقة ، لا تسمح بأي نشاط ... او خارجي !

حتى السيارات التي تنقل الطالبات في العادة من منازلهن الى المدرسة لا وجود لها فتضطر الطالبة للسير مسافة ٣ الى ٤ كيلومترات حتى تصل الى مدرستها .

ومع كل هذا ، فهذه المدينة ، بهذا ... التطور الذى لا يحتاج الا الى التوجيه السليم والعادة المخلصة .

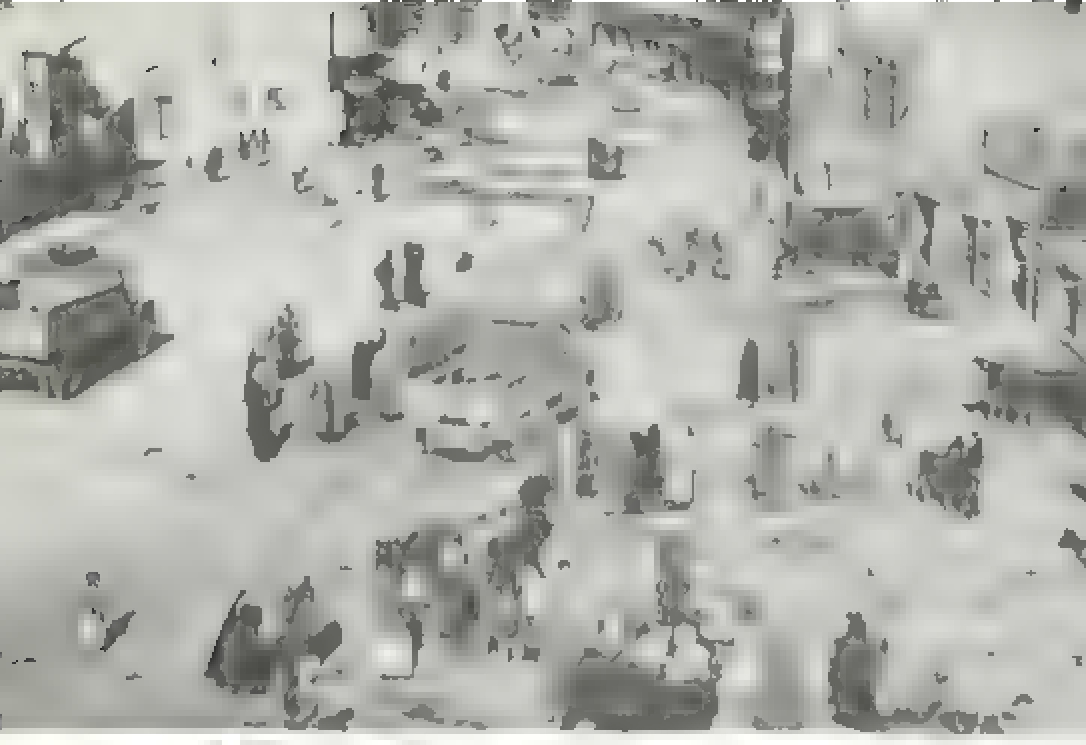
اين تقضى السهرة ؟

من الطريف ان عددا كبيرا ... المدارس هن اليوم متزوجات او مخطوبات .. واصبح للفتيات المتعلمات الحق في ابداء رأيهن في خطيبهن الذي دائما يكون من ابناء العمومة او الاقرباء الاقربين

... وسبب الاقبال للمتعلمات ١١ الى ...



... و« الخان » هو مكان يزوره المسافرون للاستراحة قبل « اختراع » الفندق !! .. وفي سامراء ١٤ خانا ، يأتي اليها زوار الحضرة في اوقات الزيارات مع عائلاتهم ، فيستعملون الاسرة والاواني النحاسية ، ويدفعون لصاحب الخان ٣٠ فلسا يوميا عن كل شخص !!



ويجمعونه صباح كل يوم تجار [illegible] الذين يسمون
الخروف الواحد بأربعة دنانير وسهلت سامراء [illegible] صوفها الى الموصل لغزله، وجلدها الى بغداد لدبغه، اما سامراء فتكتفي بأكل اللحم السمين!

عرسا — فوالدها هو الذي يختار لها زوجها، ويحتم عليه أن يختاره من [illegible]

[illegible]

بقضين الساعات في الأحاديث التي تدور أغلبها حول السياسة العربية ومشاكلها.

أما السينما فلا أثر لها في سامراء فالأهالي يمنعون انشاء دار للسينما أو ملهى أو محل لبيع المشروبات في هذه المدينة المقدسة.

ولكن المرأة في سامراء قد تفعل مثل ما تفعل شقيقتها في مدينة الخليل في الأردن — تقصد الى أقرب مدينة — بغداد في العراق — والقدس في الأردن — فتضع عباءتها في السيارة وتنزل الى الدهشة الكبيرة لمشاهدة أفلامها السينمائية.

إن سامراء تبعد ١٢٠ كيلومترا عن بغداد وهي متصلة بها بطريق معبد تقطعه السيارة في مدة ساعة. والقطار السريع يسير بينهما مرتين يوميا، ويقطع المسافة في مدة ساعتين، تحملها الأسرة بصبر سمح أفرادها بمشاهدة الأفلام في دور السينما ببغداد!!..

.. لأن الشاشة صغيرة!

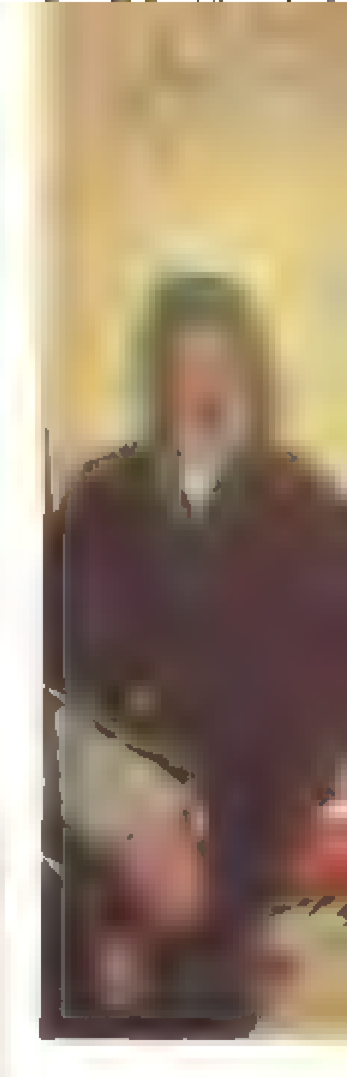
[illegible]

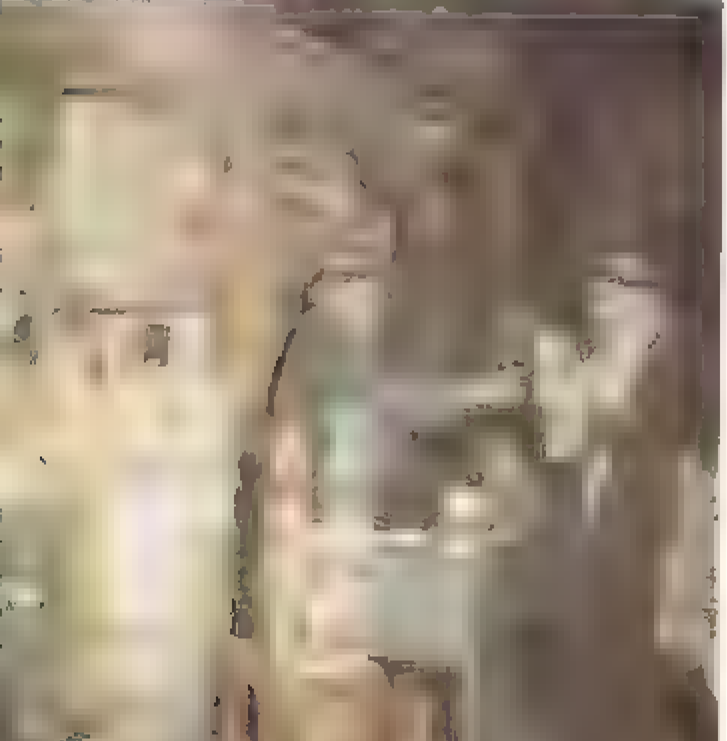
عرض هذه الأفلام وقد جاءها التصريح بمواعيده، نظرا لأن [illegible] المكينة تبعد عن الحضرة.. ولأن شاشة العرض [illegible]

التلفاز موجود في منازل بعض العائلات، وهي لا تستعمله الا عندما يكون الجو رطبا فيستطيع ان ينقل











دار الخليفة المعتصم ...

[illegible]

[illegible]

... للمغضوب عليهم

[illegible]

يعرفون أن البلدة ... من هذا ، وأن

[illegible]

بغداد ..

[illegible]

إلى ... المئذنة الملوية

[illegible]

حيث المتوكل مع مسجده المسمى « جامع أبي دلف » .





[illegible] في كعبة ... كتلة اللحم المخلوطة بالطماطم المسلوقة .. ان اكبر ما تعانيه المرأة عند الطبخ هو مشكلة الماء وخاصة في الصيف حيث يوزع الماء على نصف المدينة في يوم ثم يقطع عنه في اليوم الثاني ليوزع على النصف الآخر وهكذا .. والماء يصل الى المنازل بدون تعقيم ، فتعمد ربات البيوت الى اضافة قطعة من « الشب » لترويقه . ويبلغ عدد المشتركين في الماء الذين يستعملون الماء ٩٢٥ مشتركا فقط ، بينما يقدرون عدد السكان بـ ٤٥ الف نسمة

الحياة في سامراء ، وتظل « الروضة » محاطة بالاكواخ والاطلال ، رغم وجود مشروع لشق طريق حولها ، ذلك الذي مر منذ اكثر من عشر سنوات ، ولم يبت فيه الى اليوم .

مسئولية اهل سامراء

على ان مسئولية اهل سامراء ، فيما اصابها من تدهور على المحور شيء لا يماري فيه احد ..

انهم منقسمون الى ٢١ قبيلة او عشيرة ، يحفظون انسابهم واجدادهم حفظا تاما ، وما يكاد احدهم يطمئن اليك ، حتى يبدأ بعرض شجرة عائلته معددا اسماء اجداده التي تتسلسل عبر السنين والقرون حتى تتصل نسبها بآل البيت الاطهار !!

انهم يقولون ان هذه العشائر جاءت من المدينة المنورة بالحجاز ترافق ركب الامام علي الهادي ، حين امر الخليفة جعفر المتوكل باشخاصه واحضاره من المدينة المنورة الى سامراء ، لان قوما دعوا بالخلافة له ، بينما المتوكل خليفة ، فظل الامام الهادي معتقلا في سامراء الى ان توفي .. وظلت العشائر تعيش في سامراء وتتناسل حتى يومنا هذا ..

ولكن رغم انحدارها من اصل واحد ، وتصاهرها ، فهي لا تزال منقسمة الى سبع سائل ولبنة ، كل منها يسكن حيا خاصا من المدينة ..

ومساوىء هذا النظام القبلي اكثر من ان تعداد ، تجدها كامنة تعرقل كل خطوة تخطوها المدينة الى الامام .

وقد امتد هذا النظام الى خدم الحضرة العظيمة التي يرقد فيها الامامان علي الهادي وولده الحسن العسكري ، فخدم الحضرة كل منهم يتبع قبيلة مختلفة ، ومنعا لاي احتكاك بينهم فان خدم كل



[illegible] عندما اتجهت مجلة «العربي» لتصوير مدارس البنات ، كانت مديرة كل معهد تطلب من اللواتي لا يرغبن في التصوير ، أن يتنحين الى ركن في الفناء ، وكان عدد المنسحبات كل مرة ، يزيد عن النصف ، وحينما كانت العدسة تلتقط صورا لبعض الطالبات ، انحرفت قليلا والتقطت هذه الصورة خطأ ! انها للطالبات المنسحبات . وقد ارتسمت على وجوههن تعبيرات مختلفة من الدهشة .. الى الهلع .. الى التردد مع بعض الرضا .. والتسامح .

سلة يتولون خدمة العتبة مدة أسبوع، لتأخذ مكانهم في الاسبوع الذي يليه خدم [illegible] من قبيلة أخرى [illegible] وهكذا

وكتفرقة بين الاحياء ، تفرقة بين الاموات

ولا تقتصر التفرقة على الاحياء ، بل تمتد الى الاموات !! فسامراء تضم سبع مقابر ، كل واحدة منها تابعة لقبيلة ، تدفن فيها موتاها !!

وقد حاولت بلدية سامراء اصلاح الوضع فعمدت الى انشاء مقبرة موحدة [illegible]

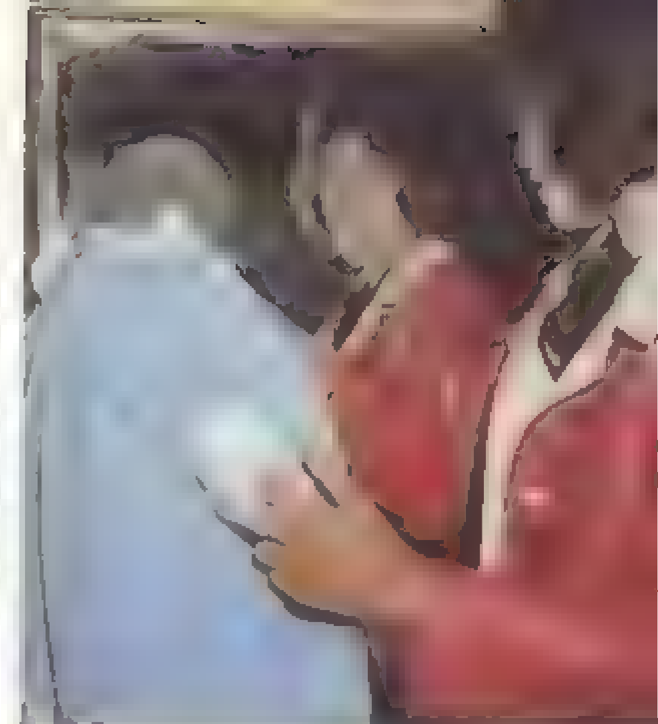
على المقابر القديمة ، لمنع الاهالي من دفن [illegible] هناك !

والموظفون متهمون

[illegible] هذا النظام العشائري [illegible] له الموظفون في الدهشة .. فكل [illegible] ، حتما ، قبيلة من قبائل السبع ، فاذا حاول القيام بأي تجديد او تغيير ، فان افراد القبائل الاخرى يقفون في وجهه ويتهمونه بانه يحاول استغلال وظيفته تشيعا لقبيلته ! [illegible]

ـ نحن عائلة محافظة فاذا كانت عندك افكار حديثة فعليك ان تسويها في مكان غير هذا ، بعيدا عن مدينتنا ..

وهكذا تصطدم المبادرة عند الموظف الى الاصلاح !





السفور ممنوع في سامراء

خوارق عادات، وكرامات

[illegible]

[illegible] في هذه المكانا حلقات [illegible]

[illegible] سامراء وادخال الحراب [illegible]

[illegible] .. وهي مناظر معروفة [illegible] من بلدان الشرق [illegible]

وسألنا السيد شكوري شيخ الرفاعية [illegible] هذه القوة الخارقة فاجاب

[illegible]

[illegible] حاء بورقة صفراء طويلة جدا يقرأ منها سلسلة نسب عشيرته حتى وصل الى موسى الكاظم، وعلي بن ابي طالب رضي [illegible] كلامه قائلا: «ان ما نفعله [illegible]

من اجل حياة افضل

[illegible]

واذا صعد المرء فوق مئذنة الملوية (راجع الصورة وشرحها ص ٩١) تكشف له منطقة صحراوية [illegible] جرى العمل فيها في ركن منها .. انه مصنع سوف يكون جديدا لانتاج السلع ومشتقاته .. ان الآمال الكبار معقودة بهذا المصنع بحسبانه نواة لسامراء صناعية جديدة، تقوم حول هذا المصنع الاول، [illegible] ... ٤٠٠ منزل لايواء الاعضاء عامل



[illegible] هو المكان المفضل لاهل سامراء يقضون فيه اوقاتهم بالليل والنهار، لانعدام وسائل الترفيه او التسلية في المدينة. ويقع عند الحافي في المدينة (المقهى) ... لكل .. شخص جرسا.

سيارة ابن بطوطة :: حدثت بين قائمقام سامراء وامين مكتبتها العامة حول هدية الكتب القيمة التي استلمتها المكتبة من الاستاذ ساطع الحصري .. وتضم المكتبة ٣٢٢٨ كتاباً ، وتملك سيارة ابن بطوطة وهي مكتبة متنقلة بين القرى المحيطة بسامراء تنقل اليها الكتب للاطلاع والقراءة .

[illegible] اجمل ما فيها ، ساحتها العدد .. ان اعضاء البلدية حائرون ، لا يدرون من اين يبدأ الاصلاح ! .. ان العمل كثير ، لكن الوارد شحيحة .. والذي يثير الاستغراب ان ارقام ميزانيات بلديات القرى المحيطة بسامراء تفوق ارقام ميزانية بلدية سامراء!



الذين سوف يعملون فيه ..

واختير لهذا المصنع ، نواة سامراء الجديدة ، مكان بعيد عن سامراء العاصرة ، وذلك تحايلاً على قانون عدم .. فالمكان المختار بعيد عن الحضرة [illegible] كل وسائل الحياة العصرية ، التي يمنع القانون من قيامها في كل مدينة مقدسة .

من الزخرفة الى البنسلين

ان هذا المصنع الذي سيبدأ عمله في نهاية ١٩٦٥ سيكفي حاجة العراق من البنسلين ومشتقاته ، وبعض شيء [illegible] في سامراء [illegible] حظه [illegible] في هذه المدينة ، فهي مدينة لم تكن [illegible] فهي اشتهرت في التاريخ [illegible] وبفسيفسائها الجميلة

ارزاق سامراء

ان اهالي سامراء يعيشون على تجار

[illegible]

بغداد ، التي تاخذ يومياً نحو اربعة الاف راس من الغنم .. وهذا يجعل لبغداد فضلاً يجب ان تذكره سامراء !

ويحترف اغلب ابناء هذا البلد مهنة الزراعة ، وقد عمد الكثيرون الى انشاء شركات لتأجير الجرارات ذات المحركات الروليه للفلاحين او يبيعهم اياها ..

وعلى هذه الجرارات قامت بسببه مصانع صغيرة لاصلاحها .

ومن الطريف ان المتجول في المدينة يقرأ كلمات : مصنع المعتصم .. وشارع المعتصم .. ومدرسة المعتصم .. وسوق المعتصم .. الخ .. ولا غرابة في هذا فالمعتصم هو باني سامراء ، ولذا فان اهلها ما زالوا يعترفون بفضله ، ويطلقون اسمه على كثير من مرافق المدينة التي تعيش على امجاد ماضيها ، ورمزاً للوفاء والاعتراف بالجميل

■■

سليم زبال



أول سد على نهر دجلة

من تاريخنا العربي المجيد

المرأة والعقيدة

ام علقمة تقول للحجاج :

انت في عيني اصغر من ذباب !

عمرة بنت النعمان ، تقول لمصعب بن الزبير ، وقد ارادها ان تتبرأ من زوجها بعد قتله

كيف أتبرأ من رجل يقول ربي الله

بقلم : الفة الادلبي

■ التفسير اللغوي لكلمة عقيدة هو : ما يعتقده ما عقد عليه القلب والضمير . يتراءى لنا من هذا التفسير ان العقيدة في حاجة الى عاطفة تنبع …

الوحدة العربية بين العقل والعاطفة

الناس في أن في الوحدة العربية الخير كل الخير لأمة العرب . فلا يمكن أن يرقى العرب الى مصاف الأمم التي حققت نصرا حضاريا رفيعا الا بتحقيق الوحدة العربية .

أما من حيث العاطفة باللغة والتاريخ والتقاليد ، والتلهف الى اعادة أمجاد الامبراطورية العربية – التي يعتز بها العرب كافة – الى سابق عهدها من العزة والازدهار ، والعطاء الانساني ، هذا كله يجعل بين العرب تعاطفا ، ويربط الأقطار العربية بعضها ببعض ويوحد أهدافها .

أما الذي يخشى منه هو أن تتأثر العاطفة ببعض العوامل التي تحد من اندفاعها ومن ثم تضمحل العقيدة ويكون الانحراف .

المرأة أخلص لعاطفتها من الرجل فأقل انحرافا

ولما كانت المرأة أقوى عاطفة من الرجل ، وأخلص لعاطفتها منه ، كانت أقل انحرافا منه ، في عقيدتها الوحدوية . ولعل بعدها من الاغراءات التي يتعرض لها الرجل بحكم ما يمارس من الأعمال جعلها بمأمن من الانزلاق الذي يتعرض له الرجال . هذه الظاهرة دعتني لأن أبحث عن جذورها في تاريخ المرأة العربية ، فالتاريخ كما يعرف مؤلف كتاب « تاريخ الثورات » « علم من حيث أنه يروي الحوادث ويعللها في تتابعها ، ولكنه يجب أن يكون فنا من حيث اسقاط العبرة ، والبحث على القدوة ، ونحن حين نستمد قوة من الماضي نستمد بذلك قوة أخرى من المستقبل » . فلنعد الى عمق التاريخ ولنستمد من بطولة المرأة العربية وصدق عقيدتها قوة نحن أحوج ما نكون اليها في ظروفنا الحاضرة .

البلجاء وعبيد الله بن زياد

كانت البلجاء مجتهدة من الخوارج ، وما عرف التاريخ فئة متفانية في عقيدتها كهؤلاء الخوارج . فلما أمعن فيهم القائد عبيد الله بن زياد قتلا وتعذيبا جاء البلجاء أحد زملائها ، أبو بلال ، ينصحها أن تتوارى ويقول لها :

– ان هذا المسرف في نفسه الجبار العنيد قد ذكرك – يقصد عبيد الله بن زياد –

قالت :

– ان يأخذني غيري أشقى بي ! .. أما أنا فما أحب أن يعنت أحد بسببي .

فوجه اليها عبيد الله بن زياد ، فأتي بها ، ثم أمر أن تقطع يداها ورجلاها وأن يرمى بها في السوق . وظلت تنزف أمام الناس حتى ماتت ثابتة على عقيدتها . وكم قتل وعذب من هؤلاء الخارجيات وظللن رغم ذلك كالبلجاء ثابتات على عقائدهن وفيات لها .

أم علقمة والحجاج

جيء بأم علقمة الخارجية الى الحجاج بن يوسف ، وهي من ربات الفصاحة والشجاعة وقوة الحجة ، فقيل لها : ان أردت النجاة فوافقيه بالمذهب .

قالت :

– لقد ضللت اذن ! وما أنا من المهتدين .

قال لها الحجاج :

– لقد خبطت الناس بسيفك خبط عشواء يا عدوة الله .

قالت :

– لقد خفت الله خوفا صيرك في عيني أصغر من ذباب .

وكانت منكسة الرأس ، فقال لها :

– ارفعي رأسك وانظري الي .

[redacted]

– أكره أن أنظر الى من لا ينظر الله اليه .

كانت هذا القول للحجاج الذي أرعب الحجاز والعراق ، وقتل مئات الألوف من الناس ، ولكن على ما يبدو لم يرعب أم علقمة هذه . كانت عقيدتها تمدها بشجاعة لا حد لها ، وأمر الحجاج أن تقتل . فقتلت وهي باقية على عقيدتها .

غزالة والحجاج

وما فتئ الحجاج ذلك الجبار العنيد يتصف بالجبن ، اذ لما اقتحمت عليه غزالة الحرورية الكوفة ، على رأس جيش كبير من الفرسان ما يقارب الثلثين من النساء قد اعتقلن الرماح وتقلدن السيوف ، فاضطر الحجاج أن يتحصن في قصر الامارة ، فعيره أحد الشعراء قائلا :

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة
فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلّا برزت إلى غزالة في الوغى
بل كان قلبك في جناحي طائر

وظلت غزالة تجاهد في سبيل عقيدتها سنين طويلة حتى استشهدت .

النساء بين علي ومعاوية

وما يحدثنا التاريخ عن حرب اندفعت فيها المرأة العربية بحماسة وعقيدة بعد غزوات النبي (صلعم) كتلك الحرب التي نشبت بين علي رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان . كان عليّ على حق فانحاز إليه عدد كبير من النساء كن يدافعن عن الحق بجرأة قد يفتقر إليها بعض الرجال . ولما استتب الأمر لمعاوية أخذ يستقدم إليه هؤلاء النسوة ليحاسبهن أو يعاتبهن على ما أبدين نحوه من كره . ثم يحاول أن يستميل قلوبهن بحلمه وتسامحه ، وبما يبذل لهن من جوائز وعطايا . فما من واحدة منهن تنصلت من فعلها ، أو تبرأت من قولها ، بل كن يجابهن معاوية وهو أمير المؤمنين في مجلسه ، وبين أعوانه وحجابه ، بجرأة تبعث على الدهشة .

ذكّر معاوية سَوْدة بنتَ عمارة حين وفدت عليه بشعر قالته يوم صفين تمدح به عليا وتذم معاوية وتحض أباها على قتاله ، فقالت له في غير هيابة ولا وجل :

— إي والله لقد قلت ما قلته وما مثلي من رغب عن الحق واعتذر بالكذب .

قال لها معاوية : وما الذي حملك على ذلك ؟
أجابته بصراحة لا لبس فيها :

— حبّ عليّ ، واتباع الحق .

ولما أمر لها بالعطاء سألته قائلة :

— ألي خاصة أم لقومي عامة ؟

قال معاوية : مالك ولغيرك ؟

فأجابته : هي والله الفحشاء واللؤم ! ... إن لم يكن عدلا شاملا وإلا فأنا كسائر قومي .

لقد سبقت هذه المرأة البسيطة التي ملأ الإيمان قلبها فيلسوف المعرة أبا العلاء حين قال قولته الإنسانية الخالدة

فلا هطلت عليّ ولا بأرضي
سحائب ليس تنتظم البلاد

وبين عمرة وزوجها مجاشع

كانت عمرة زوجة مجاشع الخارجي ترى وجوب الاشتراك بالحرب ، وكان زوجها يرى القعود عنها ، فاضطرت أن تتركه وشأنه وتلتحق بالمحاربين من الخوارج ، وكتبت إليه تقول

أبلغ مجاشع إن رحلت فإنني
بين الأسنة والسيوف محلي
أرجو السعادة لا أحاذر ساعة
حتى إذا ما جئتها تتحول
ورضيتَ خِدْرَيْ والفراش لكاعب
في الحيّ ذات دمالج وحجول

لقد ضحت عمرة ببيتها وزوجها في سبيل الدفاع عن عقيدتها .

وعمرة بنت النعمان

وما من حادثة تدل على وفاء المرأة العربية وتمسكها بعقيدتها كحادثة عمرة بنت النعمان بن بشير الأنصارية ، زوجة المختار الثقفي .

كان مصعب بن الزبير قد قتل زوجها ، وأراد مصعب أن يتهم المختار الثقفي في دينه ليتحلل من قتله ، فجاء بزوجته عمرة وطلب منها أن تتبرأ منه ليتخذها كشاهد عليه . ولكن عمرة كانت ذات عقيدة ووفاء ، فأبت أن تتبرأ من زوجها . فأمر مصعب أن توضع عمرة في حفرة ، ووقف السياف على رأسها شاهرا سيفه ، وبجانبه وقف مصعب يحثها على أن تتبرأ من زوجها ، فتارة كان يهددها بالقتل ، وتارة يغريها بالمال والجاه ، وهي تقول غير آبهة لوعوده ، ولا مبالية بالشر الذي يحيط بها .

— كيف أتبرأ من رجل يقول ربي الله ؟! كان صائمٌ نهاره ، قائمٌ ليله ، قد بذل دمه لله ولرسوله . شهادة أرزقها ثم أتركها ؟! اللهم إني متبعة لنبيك ، وابن بنته ، وأهل بيته ، وشيعته .

فأمر مصعب السيافَ أن يضربها بالسيف ، فضربها ثلاث ضربات حتى ماتت باقية على العقيدة والوفاء .

وفيها يقول الشاعر عمر بن أبي ربيعة :

إن من أعجب الأعاجيب عندي
قتل بيضاء حرة عطبول
قتلوها ظلما على غير جرم
إن لله درها من قتيل

العربي – العدد الرابع والستون

كتب القتـــل والقتـــال علينا
وعلى الغانيـات جر الذيول

والعطبول هي المرأة الفتية الجميلة الطويلـة العنق .

الأدب العربي لم يمجد في المرأة غير جمالها وفتنتها

ولما كان الشيء بالشيء يذكر ، كان لا بد لنا أن نقول أن على أدبنا العربي مأخذا كبيرا . فشعراؤنا القدامى لم يمجدوا في المرأة الا جمالها وصباها وفتنتها .

اما بطولتها ووفاؤها ، وتمسكها بعقيدتهـا ، واستشهادها في سبيلها فعلها كان يوحي ذلك اليوم شيئا . فلو لم تكن عمرة بنت النعمان هذه بيضاء عطبولا ، أي فتاة جميلة طويلة العنق ، لما وجد الشاعر قتلها ، من غير ذنب جنته ، من أعجب الاعاجيب ! ..

ان العجيب حقا هو أن هذا الشاعر ، الذي يقول كتب القتل والقتال علينا ، ما عرف عنه أنه قاتل كما قاتلت النساء المقاتلات في عصره ، انما عرفناه يجر ذيوله وراء كل حسناء قالها ابدا.

ملهمة الشعراء

وفي موازنة لذلك لا بد لنا أن نسجل مأثرة لأدبائنا المحدثين الذين بداوا ينظرون الى المرأة شريكة للرجل ، لها ماله من حقوق ، وعليها ما عليه من واجبات . وان ما كتب عن جميلة بوحيرد وحدها لو جمع لكان أكثر من ديوان . وقد انتخبتها جمعية الأدباء في دمشق ملهمة لشعراء عصرها ، وارسلت اليها هدية وهي في سجنها ، وما شغلت جميلة لانها ستة او فاتنة ، وانما مجدت لمرتبتها البطولي وعقيدتها الراسخة ، وما جميلة الا رمزا لبطولة المرأة العربية في الجزائر وهي قد استطاعت ان تفرض احترامها على العرب وغير العرب من أمم .

وما أحسبني ذكرت الا غيضا من فيض من جهاد المرأة العربية وتمسكها بعقيدتها مما يوجب الحصر وانما ضرب الأمثال .



جميلة بوحيرد

وكما تمتحن المرأة العربية في عقيدتها امتحان في ولدها

وقد رأينا أن المرأة العربية حين كانت تمتحن في سبيل العقيدة كانت تقبل على الاستشهاد راضية مطمئنة ، او تتحمل السجن والعذاب بصبر جميل عجيب . كذلك كان شأنها حين تمتحن بولدها فلا تتوانى ابدا من التضحية به . كانت عقيدتهـا القوية تنتصر على غريزة الأمومة ، اقوى الغرائز تمكنا بالمرأة

الخنساء تدفع اولادها للاستشهاد

لقد بعثت الخنساء أولادهـا الأربعـة الى الاستشهـاد في حرب القادسية . ولما بلغها نبأ استشهادهم قالت قولتها المشهورة

ـ « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم وارجو ان يجمعنى بهم فى مستقر رحمته »

ولم ترثهم ، وهي الشـاعرة الجياشة العاطفة التي رثت أخاها صخرا حين قتل بمراث لا مثيل لها في أدبنا العربي . بكت الخنساء وابكت كل من

قرأ مراليها ، وما ذلك الا لان صخرا هذا لم يقتل في سبيل عقيدة ، أو هدف اسمى ليعوض بلوغ الهدف عن فقده ويكون تعزية لاخته الوالهة به .

وأسماء بنت أبي بكر كان كذلك شأنها

كذلك كان شأن أسماء بنت أبي بكر حين جاء ابنها عبد الله بن الزبير يستشيرها بعد أن خذله جنده وأهله ، أيمضي في الحرب حتى يستشهد ، أم يستسلم لأعدائه ؟ ولم تتخاذل الأم العجوز العمياء ، ولم تستطع عاطفة الأمومة أن تحملها على التضحية بالكرامة في سبيل السلامة ، فقالت له هذا القول الجبار :

– القتل يا بني أحسن ، كم خلودك في الدنيا ؟

أليست أسمى مراتب الشجاعة حين تقول الأم لابنها

– القتل أحسن .

وغير الزعيمات ، نساء أخريات

ولم يذكر لنا التاريخ من هؤلاء النساء ذوات الشجاعة والعقيدة الا الزعيمات أو ذوات الشأن منهن ، أما الشجاعات الأخر فتعرفهن الا في المراجع القيمة الأدبية . مع أن هناك الكثيرات من النساء اللواتي استشهدن أو سجن وعذبن في سبيل الثبات على العقيدة ولم يصلنا من أخبارهن شيء .

ورد في مروج الذهب للمسعودي أنه حين مات الحجاج بن يوسف وجد في سجونه أعداد من النساء كثيرة ، فلم سجن هؤلاء النسوة كلهن ؟ مما لا ريب فيه أن أكثرهن قد سجن في سبيل عقائدهن السياسية مما يثبت لنا أن المرأة العربية كانت تعمل في سبيل القضايا العامة عملا ايجابيا .

الماضي سبيل الانطلاق الى المستقبل

ان العودة الى الماضي سبيل الى الانطلاق في المستقبل ، وكلما ازداد وعيا ازداد تعلقنا بتراثنا أندى منه بعد العدوة والبعد .

ان أمتنا العربية تمر الآن في ظروف حرجة عصيبة يقتضي الانتصار عليها أن ندرس مصادر القوة فيها لم نستغلها الى أبعد حد ، فهل استطاعت المرأة العربية في العصر الحاضر أن تستمد من ماضيها المجيد قدوة وقوة فتعمل على تحقيق الوحدة العربية التي هي السبيل الوحيد للانطلاقة العربية الشاملة ؟

يؤسفنا أن نقول ان ايماننا العميق بقضيتنا الذي يشع في نفوسنا كنور الله ، لم يبرز الى حيز العمل بصورة تتناسب مع حرارة هذا الايمان ، ومع رصيدنا التاريخي الكبير .

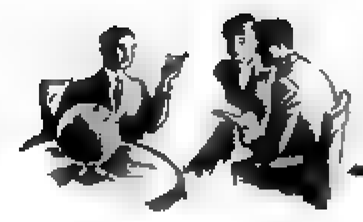
الحاجة الى منظمات نسائية

ان عمل المرأة في سبيل تحقيق الوحدة العربية لم يعد على ما نعلم كتابة مقالة ، أو القاء محاضرة ، أو اذاعة حديث . وهذا كله قليل الجدوى . بينما تستطيع المرأة أن تدعم الوحدة العربية دعما فعالا اذا قامت بتأسيس منظمات نسوية في جميع البلاد العربية تسعى الى تحقيق الوحدة عن طريق التوعية والتوجيه وتهيئة الأفكار ، يتغلغل أفرادها بين جميع الطبقات وبخاصة الطبقات المتخلفة في الريف والمدينة .

ولعل قائلا يقول ان هذه الطبقة التي نعنيها بالمتخلفة أشد تمسكا بالوحدة من غيرها . وردنا على هذا القول هو : ان اندفاع هذه الطبقة انما هو اندفاع عاطفي فقط لم يصل الى مرحلة العقيدة التي هي في حاجة الى توافق تام بين العاطفة والعقل الواعي وعيا يؤهله لفهم مشكلات البلاد العربية وتطورها بين حين وآخر ، واذا لم تدعم العاطفة بهذا الوعي حتى تصبح عقيدة ، يخشى عليها أن تتلاشى امام أول صدمة كما تتلاشى رغوة الصابون دون أن تترك أي أثر .

وكم نتمنى أن تنبثق هذه المنظمات ، التي تعمل خالصة مخلصة من أجل الوحدة العربية ، عن اتحادات الجمعيات في البلاد العربية ، فغايتنا المنشودة لا تتضمن صدق العقيدة ، ولا اندفاع الشباب وتحمسه ، انما يتضمن تنظيم العمل ، والثبات عليه . واننا على يقين بأن هذه الدعوة ستجد صدى عند نساء العرب كافة لضرورة الحاجة اليها .

■



دردشة

طريقة فعالة للقضاء على مزعجات التلفون

● ابتكر عمدة مدينة ممفيس بولاية تنيسى فى الولايات المتحدة الامريكية طريقة فعالة لوضع حد للمكالمات الهاتفية معه فى منزله فى ساعات الليل المتأخرة .

وتتلخص هذه الطريقة بانه حينما يرن جرس التلفون فى المنزل يسارع احد الخدم بالرد ، ويسأل المخاطب عن رقم تلفونه ، ويقول له ان العمدة سيتصل به فى صباح اليوم التالى الباكر .

وينفذ العمدة هذا القول بدقة ويتصل بجميع الاشخاص الذين كانوا قد طلبوه فى الليلة الماضية من جهاز التلفون الموضوع فى سيارته ، اثناء ذهابه الى عمله فى الساعة السادسة صباحا .

ويقول العمدة : كانت هذه الطريقة فعالة .. اذ لم اتلق اية مكالمة متأخرة مرة ثانية من نفس الشخص .

الشريط هدية

● ذهبت سيدة انيقة الى مخزن يصنع القبعات لكواكب السينما ، وقالت انها تريد قبعة فى الحال ، لتلبسها فى حفلة دعيت اليها . فأخذ صاحب المخزن مترين من شريط ولفهما على شعرها ، وقال : اليك القبعة يا سيدتى !

ونظرت المرأة فى المرآة فأعجبت بما رأت وصاحت : مدهشة ! كم ثمنها ؟

فقال صاحب المخزن : خمسة وعشرون دولارا .

فقالت : ولكن هذا ثمن باهظ لمترين من الشريط !

فحل صاحب المخزن الشريط عن رأسها ، ووضعه بين يديها وقال :

ـ اما الشريط فانى اقدمه اليك هدية !

حارس يحذر من لمس الجدران

● عهد الى رايك جديس فى الحرب العالمية الاولى ان يتولى اجراء التوفير اللازم فى اقسام الحكومة البريطانية ، فلاحظ مرة فى احد دهاليز الوزارات حارسا يرتدى ثوبا رسميا ، فسأل عنه فقيل له :

ـ انه واقف ليحذر الناس من لمس الجدران .

وقد تبين لجديس بعد بحث مستفيض ان زوجة احد الوزراء جازت ذلك الدهليز منذ ٣٢ سنة يوم كان دهان الجدران طريا ، فلمس كمها الجدار ، فعلق به الدهان ، فصدر الامر فى مساء ذلك اليوم بتعيين حارس يحذر الناس من لمس الجدران !

كيف تحفظ السر ؟

● ان افضل طريقة لجعل المرأة تحافظ على السر هى ان تخبرها بأن كل الناس تعرفه .

وجهات نظر

- انا استسلمت حينما تكون مخطئا فانت ذكي . اما اذا استسلمت حينما تكون على حق فانت متزوج .
- المرآة هي الشيء الوحيد في العالم الذي لا يخاف من المرأة .
- قبل ان تقول بان فلانا قد نال حظا سعيدا في حياته ، اصبر قليلا كي تعرف كيف مات .
- المرأة تصف رجلا بانه ضعيف الارادة عندما ينفذ رغبات امرأة اخرى ، ولكنها تصفه بقوة الارادة وحسن التدبير عندما تتمكن من ارضائه لتنفيذ ما تريد !
- مسكين هو الشخص الذي يعرف كل شيء ولا يجد من يقول له ما يعرف .
- ما اقسى المرأة التي عمرها سر ، وطفولتها معطل .
- الحياة قاسية ولكن تصور كم تكون قاسية لو لم تستطع ان تنام اثناءها !
- حينما لا يوجد اي شخص يخالفك الرأي فانك اما ان تكون خارق الذكاء او رئيسا .

الامهات مرض

● دعي احد اطباء الاطفال الى مأدبة عشاء .. فالتف حوله الامهات المدعوات ورحن يمطرنه بطائفة من الاسئلة الخاصة بصحة اطفالهن .. واتفق ان سألته احداهن : ما هو المرض الرئيسي للاطفال ؟

فقال في عصبية ظاهرة : الامهات !

لويس الرابع عشر يقرض الشعر

● كان لويس الرابع عشر يحب الشعر ويقرضه ويتحمس عند نظمه ، ومرة نظم قصيدة قال له رجال بلاطه انها من احسن الشعر ، فاراد ان يعرضها الى الناقد الكبير «بوالو» وكان معروفا بجرأته وصراحته . ولما قرأ بوالو القصيدة طالبه ان ذيلها بقوله :

« ان جلالتكم لا يستحيل عليكم شيء ، وقد اردتم يا مولاي ان تنظموا قصيدة رديئة ، فجاءت بفضل همتكم وارادتكم اردأ القصائد قديما وحديثا !! » .

● يقول بعض الناس ان من غير المعقول ان ان معتقدنا لا يمكن اثباته ولكن كل خطوة خطوناها في مرحلة التطور التي سلكناها كانت على اعتقاد كهذا الاعتقاد .

كريستوفر فراي

رؤساء لم يتخرجوا من الجامعة

● هل تعلم ان تسعة من رؤساء الولايات المتحدة الامريكية لم يلتحقوا بالجامعة . وهؤلاء هم واشنطن ، جاكسون ، فان بورين ، تيلور ، فيلمور ، لنكولن ، جونسون ، كليفلاند ، وآخرهم ترومان .





المصريون يدحرون المغول في: معركة عين جالوت

ويطاردونهم حتى الفرات بعد أن جاوزوا الحد في التخريب واستباحة الحرمات

بقلم : حسن الامين

■ لا أحسب أن أمة نكبت بمثل ما نكبت به العرب والمسلمون في الغزو المغولي الذي بدأه جنكز وأكمله هولاكو. ولا أحسب أن شعبا استهدف لمثل ما استهدفت له الشعوب التي جثمت على طريق هؤلاء الغزاة الراعيين ، الذين تجاوزوا كل حد في القتل والتدمير والعهر والاباحة ، والذين أنسوا وينسون بأهوالهم كل ما سطره التاريخ من أهوال!

فلم تكن غايتهم توسيع ملك وحكم شعوب وامتلاك بلاد ، مما يمكن أن تكون غاية كل فاتح مجتاح ، ولا كان الدافع لهم حب السيطرة والتحكم والاقتناء ، بل كان الدافع حقد الوثنية على التوحيد ، وكره الجهل والعماية للعلم والهدى !!!

ومن هنا لم ينفع الناس مقاومة ولا تسليم ، ولم ينجدهم أمان ولا ايمان ، فالمدافعون المرموقون يبادون ، والصالحون المستأمنون يقتلون ؛ ثم بعد كل ذلك احراق للكتب واستئصال للعلماء !

ومضى هولاكو على هذا السبيل ، فدمر ايران وقوض العراق ، ثم تقدم الى الشام مستهدفا مصر لتعم كارثته وتطغى مصيبته ..

وبينما هو يهم بالخطوة الجديدة



اذ علمه بنعي أخيه ومليكه (منككوقا آن)
وتراءى أليه أن نزاعا بين أهله يوشك أن
يحل ، فلم يشأ أن يستأثر غيره بسيادة
الموقف الجديد ، فآب الى بلاده مخلفا
جيوشه الكثيفة على أهبتها لغزو مصر
بقيادة قائد من أشرس قواده اسمه
(كيتوبوقا) .

التهديد

وأنفذ قبل رحيله نذيرا الى حاكم
مصر ، مع واحد وأربعين رجلا من رجاله
الغلاظ .

وكانت أنباء انتصاراته قد عمت الدنيا
كلها ، وكانت جيوشه ثملة بأسها ،
وكان الناس في كل مكان يوقنون بالفشل
إن قاوموه ، بعد أن كسر في زحفه ما لم
يكسر ، وفتح ما لم يفتح !

في هذا الجو المشحون بمعنى الانهزام
المملوء بالرعب ، المفعم بالانخذال ، مضى

وفده يحمل الى حاكم مصر هذا الكتاب:

« ان الله تعالى قد رفع شأن جنكيز خان واسرته ، ومنحنا ممالك الأرض برمّتها ، وكلاًّ من يتمرّد علينا ويعصي امرنا يقضى عليه ، مع نسائه ، وابنائه ، واقاربه ، والمتصلين به ، وبلاده ورعاياه ، كما بلغ ذلك اسماع الجميع . اما صيت جيشنا الذي لا حصر له فقد بلغ الشهرة كقصة رستم واسفنديار . فاذا كنت مطيعا كخدم حضرتنا، فارسل الينا الجزية ، واقدم بنفسك واطلب الشحنة ، والا فكن مستعدا للقتال » .

الكتاب

وكانت كل جملة في هذا الكتاب صحيحة صادقة ، فقد دانت لهم ممالك الارض ، وكل من تمرّد عليهم قضي عليه وخرّبت بلاده . وشهرة جيشهم المنتصر كانت اعرف من أن ينوه بها . وكبراء الناس قد صاروا خدم الحضرة المغولية ! .

هذا هو الانذار المخيف الذي حمله الواحد والأربعون مغوليا الى السلطات المصرية ، وهذا هو التهديد المروّع الذي وصل الى القاهرة ! .

وهبط الوفد مصر جبّارا متكبرا ، يزلزل بروعته العزائم ويوهي الهمّم . هبط مصر وهبط معه تاريخ اسود من الانتصارات الكاسحة ، وماض يشع من التسلط المهول ، كانا كافيين للتسليم والخذلان ، لولا ان جابههما حميّة شماء ورجولة أنوفة وبطولة فذاء !

وكان قد سبق الوفد المغولي الى مصر وفود المنهزمين في البلاد الأخرى ممن الذين اطاحت بهم الضربات المغولية فتساقطت بلادهم ، البلد بعد البلد ، فتجمعوا كلهم في مصر لاجئين اليها .

وها هم المغول يلاحقونهم الى القاهرة وينازلونهم على النيل .

مؤتمر عسكري

كان الامر اخطر من أن يقطع فيه انسان واحد . وكانت مصر آخر معقل اذا هوت ، لم تقم بعدها قائمة . لذلك لم يجرؤ رجل فرد ، مهما أوتي من سداد الرأي وقوة العزم ، ان يتفرّد بالقرار . فجمع الحاكم المصري ، الملك المظفر قطز ، مؤتمرا عسكريا ، كان في محاوراته ونقاشه في أرفع مستوى عرفه التاريخ من الاجتماعات العسكرية والمؤتمرات الحربية . وجرت المداولة فيه بصراحة كاملة اقتضتها خطورة الموقف .

قال الحاكم المصري للمؤتمرين ،وكانوا في اكثريتهم من القواد اللاجئين :

« لقد توجه هولاكو من توران (1) الى ايران بجيش جرار ، ولم يكن لاي مخلوق من الخلفاء والسلاطين والقواد طاقة على مقاومته ، واستولى على جميع البلاد ، ثم جاء الى دمشق ، ولو لم يبلغه نبأ اخيه لالحق مصر بالبلاد الأخرى ومع هذا فقد ترك في هذه النواحي كيتوبوقا ، وهو كالاسد الهصور والتنين القوي في الكمين، واذا قصد مصر فلن يكون لاحد قدرة على مقاومته . فيجب أن نسبروا الامر قبل فوات الفرصة » .

مناقشة الموقف

هذا هو البيان الموجز الذي افتتح به الحاكم المصري الملك المظفر مؤتمره العسكري .

انه يبسط الامر على حقيقته لايحاول ان يهوّل ولا ان يهوّن ، ومن خير ما فيه هذه الشورى ، أو اذا شئت بلسان العصر الحاضر هذه الديموقراطية السليمة .

---

(1) البلاد الواقعة في شمال شرقي ايران

فبالرغم من ان المتكلم هو صاحب مصر، والجيوش جيوشه ، والبلاد بلاده ، والعواقب تعود عليه وعلى بلاده وبالرغم من انه مستطيع ان يعرض الراى الذى يريده، اما تسليم او قتال ، فانه لم يشأ الا ان يشرك حتى ممثلى البلاد الاخرى فى الراى وان يستمع اليهم .

اصغى المؤتمرون الى بيان الحاكم المصرى بشغف واستيعاب ، فكان اول المجيبين ناصر الدين قيمرى ، فقال من جملة كلام له :

ان البلاد الممتدة من تخوم الصين الى باب مصر هى الآن كلها فى قبضة هولاكو ، فلو ذهبنا اليه نطلب الامان ، فليس فى ذلك عيب وعار، ولكن تناول السم بخداع النفس واستقبال الموت امران يختلفان عن حكم العقل ، انه ليس بالانسان الذى يطمأن اليه ، وهو لا يفى بعهده وميثاقه ، فانه قتل فجأة خورشاه ، وحسام الدين عكه ، وصاحب اربل ، بعد ان اعطاهم العهد والميثاق ، فاذا سرنا اليه فسيكون مصيرنا مصيرهم » .

فرد الحاكم المصرى :

« ان كافة بلاد ديار بكر وربيعة والشام ممتلئة بالنائحات والمتفجع ، واصبحت البلاد من بغداد حتى الروم خرابا يبابا ، وقضى على جميع من فيها من حرث ونسل ، فلو اننا تقدمنا لقتالهم فسوف تخرب مصر خرابا تاما كغيرها . وينبغى ان نختار مع هذه الجماعة التى تريد بلادنا ، واحدا من ثلاثة . الصلح او القتال او الجلاء عن الوطن . اما الجلاء عن الوطن فامر متعذر، ذلك لانه لايمكن ان نجد مقرا لنا الا المغرب وبيننا وبينه مسافات بعيدة »

القرار الاخير

كان يبدو من لهجة الحاكم المصرى انه ميال الى المسالمة ، ولكن الحقيقة ان المسالمة لم تكن من رايه ــ كما نرى فيما بعد ــ ولكنه لم يشأ ان يفرض الحرب ، بل فضل ان تكون قرار جماعى او ان يعرض الامر اليه ، وعندئذ يقررها اعتمادا على التعويض ، وهكذا كان .

فقد رد ناصر الدين القيمرى قائلا :

« وليس هناك مصلحة ايضا فى مصالحتهم لانه لا يوثق بعهودهم » .

واذن فقد اصبح الطريق ممهدا لاتخاذ قرار مشرف . ان المسؤول عن مصر يبرهن على استحالة الجلاء . والقيمرى يبرهن على استحالة المصالحة . ولكن من راى آخر باستطاعته أن يبرهن على عقم المقاومة ، على انه بعد الرايين السابقين ، وما فيهما من وضوح ، لم يعد باستطاعة هذا الراى الاخير الا ان يلجلج دون أن يفصح . لذلك رايتنا بعض الحاضرين ــ وكان معظمهم قد ذاق مرارة الهزيمة امام هولاكو فخمدت عزائمهم وضعفت هممهم ومالوا الى التسليم ــ يقولون لصاحب مصر قطز :

ــ ليس لنا قدرة ولا طاقة على مقاومتهم فمر بما يقتضيه رايك ؟

فقال الملك المظفر :

ــ ان الراى عندى هو ان نتوجه جميعا الى القتال . فاذا ظفرنا فهو المراد والا فلن نكون ملومين امام الخلق .

وكانت كلمته حاسمة ، فقرّ الراى على وجوب المقاومة . وراى بعضهم ان يفاجئوا المغول بامر يدل على العزم والمضى فى القتال دون هوادة فاشاروا بقتل رسل المغول . فاستصوب الملك هذا الراى وامر بصلب الرسل فى الليل .

ولقائل ان يقول :

وما ذنب الرسل ، والرسل فى كل الشرائع لا تقتل ! ..

ولكن الذى يطالب بمثل هذا ينسى ان

المغول انتهبوا الشرائع،وغدروا بالرسل، وخانوا المستأمنين ، ونقضوا العهود ، وان كل ما يمكن ان يرهب هؤلاء القوم هو حلال في كل شرعة صحيحة ، وان الامر كما قال علي ابن ابي طالب : الوفاء لاهل الغدر غدر عند الله ، والغدر باهل الغدر وفاء عند الله .

المغول على ابواب مصر

كانت طلائع المغول قد وصلت الى غزة، وكان قد عسكر فيها جيش قوي بقيادة القائد المغولي (بايدر) ، وكان هذا القائد يتهيب الهجوم على مصر ، فلما اتاه خبر صلب الرسل ارتاع لذلك وتردد في التقدم، ورأى ان يراجع قائده الأعلى (كيتوبوقا) الذي كان يعسكر بالقرب من مدينة بعلبك ، فاستشاط هذا غيظا وأمر (بايدر) بأن لا يتقدم قبل وصوله .

ولكن المصريين كانوا قد تحولوا عن الدفاع وعزموا على ان يبدؤوا بالهجوم، فاقتحم جيشهم غزة وطاردوا (بايدر) حتى نهر العاصي (١) . فزاد هذا التحدي من غضب كيتوبوقا واسرع بجيوشه لتأديب المصريين والقا من نفسه مطمئنا الى جبروت قواه .

المعركة الفاصلة

وكان المصريون موقنين أن الشجاعة وحدها لا تحسم الموقعة وان الاستماتة لا تكفي لرد الاعداء ، فلا بد من اعمال الرأي لأن الجيش القادم جيش خطر ، كثير العدد ، واضح الشجاعة ، مرهوب الجانب . لهذا تعمد الملك المظفر اعمال الحيلة فدس جيشه في كمين نصبه محكمة، وخرج هو ببضعة آلاف يقابل المغول وجها لوجه في عين (جالوت) ، فرشقته سهام المغول رشقا عنيفا ، وكروا عليه كرة زلزلته عن مواقعه فانهزمت جنوده وتراجع ، فتعقبه المغول واعملوا السيف في المصريين المنهزمين فعملوا منهم كثيرا، ولكن لم تلبث ان خرجت عليهم الكمائن المصرية من ثلاث جهات فصدمتهم صدمة عنيفة صمدوا لها من العصر الى منتصف النهار (٢) واستقتل الفريقان ، ولكن المفاجأة المصرية اثمرت ثمارها في زعزعة صفوف المغول ، فلم تلبث بشائر النصر ان لاحت للمصريين ، ولم تلبث الجموع المغولية ان اخذت بالتصدع ، ولم تلبث الهزيمة ان حاقت بها .

وابى (كيتوبوقا) ان ينهزم وآثر الموت على الفرار ، وصمد يجالد بسيفه جلادا عنيفا،ولكنه في النهاية سقط اسيرا وسيق مكبلا الى الملك المظفر ، فشتمه مذكرا اياه بالدماء التي سفكها والعهود التي نكثها . فعاد المغولي يهدد ويتوعد قائلا من جملة كلامه : « ستطأ سنابك خيل المغول من اذربيجان حتى ديار مصر ، وستحمل رمال مصر في مخالي خيولهم الى هناك . ان لهولاكو ثلاثمائة الف فارس مثل كيتوبوقا ، فافرض انه نقص واحد منهم » .

ولكن رأس كيتوبوقا طاح من جسده، ومضى المصريون يطاردون المغول في الديار الشامية ويطردونها منهم حتى بلغوا شاطىء الفرات (٣)

ومضى تهديد كيتوبوقا في الهواء ، ولم يكتب لسنابك خيل هولاكو أن تعود فتطأ تراب الشام ورمال مصر مرة ثانية .

■

حسن الأمين

بيروت

---

(١) جامع التواريخ (٢) نفس المصدر (٣) المصدر السابق .



بقلم : حسن الجداوى
المحامى لدى محكمة النقض ـ القاهرة

● يفخر الانجليز بنظامهم القضائى ـ وخاصة الجنائى ـ ويعتقدون انه لا يدع مجالا لأى خطأ او ظلم لهم لا يسمون المتهم الذى يأخذ بها غيرهم من أن المتهم بريء حتى تثبت ادانته فحسب بل ان مجرد الاتهام لا يوجه الى شخص الا بعد التثبت من ادانته ولا يقدم للمحاكمة الا بقرار من محلفين ولا تجرى محاكمته ـ اثناء المحاكمة ـ او مطالبته بالدفاع عن نفسه الا بعد ان يتقدم الاتهام بادلة مقنعة . وكثيرا ما ارتاب القضاة محاكمات لأن أدلة الاتهام لم تقنعهم .

ومع ذلك فجميع هذه الضمانات لم تحل دون وقوع أخطاء قضائية صارخة ذهب ضحيتها أبرياء منهم من انتقل الى الدار الآخرة يشكو لخالقه ظلم الانسان لأخيه الانسان ، ومنهم من ذاق فى هذه الدنيا مرارة الاتهام الظالم وفقد حريته لفترة من الزمن طالت أو قصرت .. وفقد فضلا عن ذلك سمعته وثروته وصحته ومركزه فى الهيئة الاجتماعية بغير ذنب جناه

ومن الذين كانوا كبش فداء لأخطاء القضاء الانجليزى مجموعة من الناس حركتوا وكذبوا سوف تعرض قضاياهم على صفحات هذه المجلة الفريدة فى العالم العربى ونبدأ هذه السلسلة بقصة

« وليام هربرت والاس »

رجل فى الثانية والخمسين من عمره . من سكان ليفربول . وكيل شركة تأمين يتقاضى عمولة عن العمليات التى يأتى بها . متزوج . وليس له اولاد. ايراده السنوى يكفيه ويزيد ! وقد اقتصد مبلغا من المال لمستقبله . يقيم وزوجته جوليا ـ التى تزوجها منذ ستة عشر عاما ـ أى سنة ١٩١٥ ـ الى نحن الآن فى عام ١٩٣١ ـ فى منزل صغير من المنازل التجارية ؛ له حديقة صغيرة امامه وحوش خلفى . وهما متحابان على اتم وفاق وانسجام . هى فتاة والدية تتحدث الفرنسية بطلاقة . وهو رجل علم دقيق . درس الكيمياء ودرسها . يحرص على كتابة مذكرات يومية ؛ وهوايته لعبة الشطرنج . وفى يوم ١٩ يناير ١٩٣١ كان عليه الدور ليشترك فى مباراة شطرنج تقام فى نادى الشطرنج الذى يعقد جلساته فى أحدى مقاهى المدينة .

ووصل والاس الى النادى فى الساعة ٧٫٤٥ مساء وما كاد يبدأ اللعب حتى اقبل عليه كابتن النادى ـ المستر صامويل بيتى ـ وقال له :

ـ مستر والاس . عندى رسالة تليفونية لك من شخص اسمه كوالترو .

وقال والاس : « كوالترو ؟ من هو كوالترو ؟! »

واجاب بيتى : « اذا كنت لا تعرفه فانا ايضا لا أعرفه ولكنه طلب منك ان تقابله غدا الساعة ٧٫٣٠ مساء برقم ٢٥ منولف جاردنز ايست ـ انفيلد . وهو يقول ان الأمر متعلق بعملك وقد اقترحت

عليه أن يتحدث بعد قليل ، فاستعد للاحتفال بعيد ميلاد ابنته الواحد والعشرين » .

لم يكن والاس يعرف شخصا باسم كوالترو ، ولا اين توجد منلوف جاردنز ايست (شرق) ، وان كان اعتقد انها لا بد قريبة من شارع منلوف. فكتب الاسم والعنوان في مذكرته ، واستمر في اللعب وكسب المباراة بعد ساعتين . ثم توجه الى منزله ويدوي لزوجته موضوع المكالمة وما قد ينتظره منها من عمل مربح .

وكان اعتاد والاس كلما خرج في المساء وراء زوجته بمطردها بالمنزل ان يخرجهن الباب الخلفي. ففي الساعة السابعة الا ربعا من مساء ٢٠ يناير ١٩٣١ حمل معه الأوراق التي اعتقد انه بحاجة اليها ، واتجه الى الباب الخلفي حيث ودع زوجته ، واوصاها بان تغلق الباب بالمزلاج ، ووعدها بان غيابه لن يطول الا بالقدر اللازم .

وبدأ يتحرى عن العنوان الذي يقصده بمجرد ركوبه الترام . سأل الكمساري ان كانت وجهته منلوف جاردنز ايست (شرق) ، واكد عليه وهو ينقده الثمن ان ينزله حيث يمكنه ان يذهب الى العنوان المقصود ، واستبدل تراما باخر ، وسأل عن منلوف جاردنز . وحين نزل من الترام وجد نفسه في منلوف جاردنز وست (أي غرب) . فذهب الى رقم ٢٥ ونال الجرس وسأل عن كوالترو فاجيب بانه غير معروف وانهم لا يعرفون مكانا باسم منلوف جاردنز ايست (شرق) .

ولكنه لم يستطع ان يهمل ذلك امام صراحة الرسالة التي ابلغت اليه ووضوحها ، فاخذ يقرأ اسماء الشوارع المحيطة ويسأل كل من يقابله ويتلقى الاجابة نفسها. وقابل احد رجال البوليس ووجه اليه السؤال نفسه فقال له انه لا يوجد شارع بهذا الاسم . ولما كان يطبعه مثابرا مثل كل المشتغلين بالتأمين ـ سأل رجل البوليس ان كان يعرف شخصا باسم كوالترو ، واخبره ان شخصا بهذا الاسم يقيم في ٢٥ منلوف جاردنز ايست اتصل تليفونيا الى ناديه وحدد له موعدا بخصوص عملية تأمين . وقال رجل البوليس انه لا يعرف الاسم ولا الشارع .

وخطر ببال والاس انه ربما استطاع الاستعانة بدليل عناوين المدينة المرسل الى مكتبة ترشده اليها ربما يجد فيها دليلا . ووجد والاس ان الفترة ضيقة اذا كان يستطيع ان يصلها قبل موعد اغلاق المكتبة ، ونظر الى ساعته وقال انها لم تصل الى الثامنة بعد .. وواقبه رجل البوليس انها الثامنة الا ربعا .

واتجه والاس الى المكتبة وطلب ان يطلع على دليل العناوين . وكان الضيق قد استولى عليه لما لقي من مصاعب في سبيل العثور على عنوان العميل ولانه تأخر عن الموعد المحدد . وقال لعاملة المكتبة : « هل تعرفين ما الذي أبحث عنه ! » .

كان السؤال سخيفا لا محل له . ولكنه كان قد بدأ يضطرب . فلما اجابته علما بانها لا تعرف قال : أبحث عن رقم ٢٥ منلوف جاردنز ايست على امل ان ترشده هي وتوفر عليه عناء البحث .. وقالت السيدة انه لا وجود لهذا المكان . وبدت عليه علائم الاضطراب واخذ يبحث عن اسم كوالترو فلم يجده في الدليل .

وعجبة بما ينتابه ذعر . اتراه موضع سخرية احد السخفاء ؟ ولماذا يسخر منه ؟ لبعض الناس افكار سخيفة ولكن ما الذي يستفيده انسان من ارساله يجوب شوارع ليفربول بحثا عن عنوان لا وجود له ؟!

ولكنه رأى مع ذلك مواصلة البحث وتذكر ان رئيسه مستر كرو يسكن تلك الضاحية فاتجه الى منزله وطرق الباب ولكنه لم يتلق ردا .

ويئس من طول البحث وقرر العودة لمنزله وقد اخذ القلق يستولي عليه لانه لا يعرف سببا للسخرية منه ـ ان كان الامر سخرية . بالطبع ربما كان الشخص قد اخطأ في العنوان ولكن حتى لو حدث ذلك فان اسم كوالترو كان لابد ان يوجد في دليل عناوين ليفربول .

ثم بدأ يسأل نفسه: كيف استطاع هذا الكوالترو ان يعرف انه يستطيع ان يتصل به في النادي ؟ ولماذا ؟ كانت كل نتيجة هذه السخرية ان ابعدته عن منزله واضاعت عليه امسية سمرة ممتعة مع زوجته جوليا . لماذا اراد انسان ان يعمل ذلك ؟ لماذا اراد ابعاده عن منزله ؟ .

لقد كان هو وجوليا يخشيان دائما اللصوص ولذلك كان ينبه عليها باحكام اغلاق الباب خلفه

فهو يحتفظ دائما ببعض المال .. انك تقرأ عن لصوص يقومون بمثل هذه الالاعيب لابعاد الرجل عن داره ليتفردوا بزوجته .. وها هي جوليا قد مضى عليها بمفردها في المنزل ساعتان .

★ ★ ★

وهكذا تضاعف قلقه وارتيابه حتى وصل الى منزله . اتجه الى الباب الامامي فوجد صعوبة في فتحه.واعتقد ان جوليا دفعت المزلاج من الداخل. ثم اتجه الى الباب الخلفي فلم يستطع فتحه ايضا. لا بد ان تكون جوليا قد اغلقته بالمزلاج كما نبه عليها . فاخذ يطرق الباب بقبضة يده . ولكن جوليا لم ترد .

وسيطر على اعصابه ولم يترك القلق يتسلط عليه .. ربما تكون قد خرجت لتلقي خطابا في صندوق البريد . او لعلها مستغرقة في النوم . وانه لا يكون الباب الخلفي مغلقا من الداخل اذ لا يتصور ان تغلق البابين من الداخل وهي تتوقع عودته. ان المفتاح في بعض الاحيان يتوقف. ربما كان ذلك هو كل ما حدث .

واخذ يحاول فتح الباب من جديد . وفي هذه الاثناء اقبل عليه جيرانه آل جونستون . وقالت له مسز جونستون : « مساء الخير يا مستر والاس ? .

ولكن القلق الذي كان متسلطا عليه جعله يقول لها : « هل سمعت شيئا غير عادي ? » .

وقالت مسز جونستون : « لا . لماذا السؤال ? هل حدث شيء ? » .

وشرح لهم الصعوبة التي يجدها في فتح الباب، وطلب اليه جونستون ان يحاول مرة اخرى ، واقترح ان يأتي بمفتاح منزله – لان هذه المفاتيح يحل بعضها محل البعض الآخر احيانا .

وجرب والاس مفاتيحه مرة اخرى فانفتحت ، وقال والاس ها قد انفتح الباب ثم دخل الى منزله .

ونادى على جوليا في المطبخ فلم يجبه احد . واعتقد انها قد تكون نائمة فصعد الدرج ووجد السرير في الغرفة الامامية غير مرتب ولكن لا اثر لزوجته . فعاد ادراجه في الظلام واشعل عود ثقاب ليوقد النار .

وعندها ابصر جوليا ملقاة على الارض .

وكانت اول فكرة تبادرت الى ذهنه انها مغمى عليها . ولكنه رأى ما يشبه بركة من الدماء ؛ وليس – وقد اخذ الرعب منه ماخذا – ان الامر اخطر بكثير مما تصوره . واوقد الغاز بيد ترتعش . ورأى برأس جوليا جرحا عميقا . يا للهول . وانحنى يجس نبضها فلم يجد لها نبضا. ونظر الى وجهها فتبين انها فارقت الحياة .

وجرى يطلب نجدة حين آلت ساعة نجدة . اتجه الى الباب الخلفي حيث كان جونستون وزوجته لا يزالان واقفين وقال لهما : « تعاليا . انظرا . لقد قتلت ! » .

كان يشعر دائما برباطة جأشه . ولكنه امام هذه المصيبة لن يبدو هادئا مسيطرا على اعصابه . فاشعل سيجارا لمجرد ان يفعل شيئا ، اذ كان لا بد له من عمل شيء والا انهارت قواه . وابعد جونستون وزوجته من امام جثة جوليا واتجها به الى المطبخ . وتحسبا من احتمال حدوث سرقة . فاخذ يبحث عما اذا كان قد فقد شيء . وصعد السلم فوجد خمسة جنيهات في موضعها لم تمس .

وذهب جونستون يستدعي البوليس وبقي هو مع مسز جونستون بالمنزل . لم يستطع البقاء في المطبخ فعاد الى غرفة الاستقبال . ووجد عنده القدرة على ان ينظر الى جثة زوجته . حمل نفسه على النظر اليها فوجدها ملقاة على معطف مطر (ماكنتوش) عرف انه معطفه ولم يعقل كيف وصل هذا المعطف الى ذلك المكان . ثم عاد الى المطبخ ، واقترحت مسز جونستون التي كانت متوترة الاعصاب اشعال النار لمجرد عمل شيء يشغل بالا ..

★ ★ ★

وقال والاس : « لقد حدث امر فظيع يا حضرة الضابط » .

والقى الكونستابل نظرة على جثة جوليا وتساءل : « كيف حدث هذا ؟ »

واخذ والاس يشرح موضوع ذهابه الى منلوف جاردنز للبحث عن العنوان الذي كان يبحث عنه ، وعودته ، والصعوبة التي وجدها في فتح الباب ثم عثوره على الجثة ، وكان الكونستابل يصغي ولا

يكتب شيئا لم يدخل الجميع الى المنزل . وعند نزولهم من الدور العلوي كان رئيس الكونستابل قد وصل ، ثم حضر غيره من رجال الشرطة من بينهم رئيس المباحث « مور » . وطافوا مرة أخرى في انحاء المنزل ، ووجهوا للزوج اسئلة تتصل بالصعوبة التي وجدها في فتح الباب ، والمعطف الماكنتوش ، ومشاعره وتصرفاته حين اكتشف الجثة .. هل ولول ؟ هل صرخ ؟ فاجاب بالنفي : « لقد صدمت العبارة وكنت اطمع في القطعة استطيع الافلات منها » .

واخيرا وبعد الساعة الحادية عشرة بقليل اشار عليه رئيس المباحث بان لا يبيت في المنزل ويبحث له عن مكان يمضي فيه ليلته لدى صديق او شقيقة زوجته .

★ ★ ★

ما السبب . ليتهم تركوه وحده يبكي جولياه . ولكنهم صاروا يستدعونه الى نقطة البوليس ، وفي كل مرة يقابل شخصا جديدا يمطره باسئلة جديدة . رئيس المباحث مور ، ورئيس المباحث تومامي . والمفتش جولد وغيرهم . وكان كل اقواله يقولها تسجل ويطالب منه ان يوقع عليها ويوصف بانها « افادات » . وكان الكونستابل الذي حضر في اول الامر قد دون ما علق بذاكرته واعتبرت هذه الافادات ايضا .

وبعد يومين من موت جوليا اخبره رئيس المباحث تومامي انه تبين ان المكالمة التليفونية مصدرها كابينة تبعد ٤٠٠ ياردة من منزله . وبدا على رئيس المباحث انه ـ لسبب ما ـ يعتبر هذا الاكتشاف ذا مغزى خاص . وكان مهتما اشد الاهتمام بموضوع المكالمة التليفونية .

وخطر على بال والاس ان رئيس المباحث يعتقد ان المكالمة التليفونية مضللة او انها مزاح سمج من احد الناس . ووافقه والاس . وعندئذ قال رئيس المباحث « ربما كانت مقصودة » . وتركه ـ وحده ـ يحل هذا اللغز .

★ ★ ★

ليست مزاحا ولكنها مضللة او مقصودة ؟ كيف يمكن ان تكون مضللة او مقصودة ؟ وما وراء هذا القول ؟

وأدرك والاس لحظة ما عناه رئيس المباحث . بل لعله ادرك من البداية ولكنه ابى ان يصدقه .

ومع ذلك فعليه ان يجابه الامر الواقع مهما كان عظيما . ان رئيس المباحث يعتقد ـ او على الاقل يتصور ـ انه ـ هو ـ وليام والاس ـ الذي تحدث بالتليفون ـ بعد ان غير صوته ـ وترك رسالة الى بيتي كما لو كانت موجهة اليه هو ـ والاس ـ . وفعل ذلك ليمنح نفسه فسحة من الوقت بحثا عن عنوان لا وجود له ليثبت بذلك ليته في وقت ومكان ارتكاب حادث قتل زوجته بينما هو ـ والاس ـ الذي قتلها .

كيف امكن ان يخطر مثل هذا الخاطر ببال شخص ايا كان .

طبيعي ان يخطر ببالهم ان يكون قد قتل جوليا لان الاتهام يتجه ـ اول ما يتجه ـ في مثل هذه الجنايات ـ الى الزوج . لقد خطرت له تلك الفكرة منذ البداية ولكنه لم يحملها ابدا على محمل الجد لانها فكرة لا يمكن تصورها . ان الناس جميعهم يعلمون انه هو وجوليا زوجان سعيدان متحابان يخلص كل واحد منهما للآخر .

[illegible]



فكيف جاز لاحد ان يتصور ... ؟ ومع ذلك فقد قال رئيس المباحث عن المحادثة التليفونية انها « ربما كانت مفتعلة » وذلك ما رمى اليه .

وقابل والاس في الغداة بيتي بطريق الصدفة عند محطة الاوتوبيس فخطرت له فكرة ان يقضي على ذلك الشك الفظيع . لقد ترك والاس منزله - يوم الحادث - بعد السابعة بقليل . وقال مستر بيتي انه تلقى المحادثة التليفونية « في السابعة او بعدها بقليل » . فاذا بقي الامر على هذا الوضع يكون من المحتمل ان يكون هو - اي والاس - مصدر الحديث التليفوني ... بالنسبة للوقت على الاقل . اما اذا ثبت ان المحادثة كانت في الساعة السابعة تماما اصبح مستحيلا ان يكون هو الذي تحدث لانه غادر المنزل بعد السابعة .

واختمرت الفكرة لديه ووجد انها حل موفق فقال للمستر بيتي « بخصوص المحادثة التليفونية هل تستطيع ان تحدد وقتها بالضبط ؟ »



فلما اجابه بيتي : « السابعة او بعدها بقليل »

قال له : « الا تستطيع ان تحدد الوقت اكثر من ذلك ؟ » فقال بيتي انه لا يستطيع . وهكذا انتهت فترة بعثت موفقة . وكان ذلك من سوء الحظ .

وكان سوء الحظ اكثر مما تصوره والاس ، فقد دعاه في اليوم التالي رئيس المباحث مور الى محطة البوليس ، ووجد معه المفتش جولد ، ولدهشته انهما احيطا علما بموضوع حديثه في الشارع مع بيتي . كان واضحا ان بيتي قد ابلغهما به ، ولكنه حديث عابر تافه لا قيمة له ولا يتصور ان ينقل المستر بيتي الى البوليس التبليغ عنه ، لا بد اذا ان شخصا سأله : « ماذا كان مستر والاس يقول لك ؟ »

ومعنى ذلك انه هو - والاس - موضوع تحت المراقبة وكي يتحدث الى بيتي .

لا بد اذا ان الشك فيه اصبح قويا حتى تتبعه عيون البوليس اينما ذهب . ففكر في ان يفند حديثه مع بيتي - الذي ادرك الآن سخافته - كل قيمة . وخطر بباله - ومعه حق - ان هذا الموضوع اشبه بلعبة الشطرنج . اذا لعبت بحركة خاطئة ، استغلها خصمك ، فلا بد لك من ان تبذل اقصى مهارتك في الحركة التالية لتصحح موقفك ..

فلما سأله رئيس المباحث عن اهمية ذلك قال - واعتقد ان اجابته ماهرة لتصحيح الاوضاع - : « لقد خطرت لي فكرة .. وكل واحد منا تخطر له افكار لقد كان ذلك امتحانا مني لنفسي فيما لا يجب ؟ .. ولم يبد على مستر مور انه اقتنع .. فطلب منه ان يزيد الامر ايضاحا .

قال : « لا استطيع . اني اعترف ان ذلك كان مني مغفلا » .. ولكن لم يظهر ان مور اقتنع .

★ ★ ★

وسارت الامور . مزيد من الاسئلة ، ومزيد من التلميحات . والمشاجرات تتكرر . وملاحظات تؤخذ والقرارات تقدم اليه ليوقع عليها . حتى اختلطت المسائل في فكره واصبح لزاما عليه ان ينتبه ويتذكر ما قاله عن كل موضوع منذ ايام . فاذا تضاربت اقواله في اتفه الامور وجد من يقول

« لكنك قلت منذ ثلاثة أيام » '' ويبرز له الزائرة السابق .

وتلاحقت الأمور لدرجة أنه لم يعد يذكر جوليا . شغله عنها انشغاله بما يمر بخاطر المحققين من شكوك ، وماذا يقصدون بهذا السؤال أو ذاك .. بينما كان يجب أن يتركوه يفكر في جوليا .

★ ★ ★

وذات يوم قبضوا عليه وحضروه ووجهوا اليه تهمة قتل زوجته عمدا . كانت صدمة له ــ رغم انه كان قد توقعها ــ وقال : « ماذا عساي ان أقول في هذه التهمة التي انا بريء منها ! » .

وبدأت محاكمته في الثاني والعشرين من ابريل . وشعر بالرعب الشديد لأول مرة في حياته وهو يسمع الى كاتب الجلسة يوجه الحديث للمحلفين : « ان المتهم الماثل امامكم ، وليام هربرت والاس متهم بالقتل العمد ، وذلك انه في يوم ٢٠ يناير سنة ١٩٣١ بمدينة ليفربول قتل جوليا والاس ووجهت اليه التهمة فأنكرها وهو يضع نفسه بين يديكم انتم مواطنيه ، فابحثوا ما اذا كان مذنبا أو غير مذنب وقرروا ذلك بعد سماع ادلة الاتهام » .

وبدأ ممثل الاتهام مرافعته ثم وجه كلامه الى المحلفين

يرى الاتهام ان الذي تحدث عبر التليفون الكابينة ــ هو المتهم نفسه ..

قد تظنون ان الشخص الذي تكلم وحدد ذلك الموعد اراد ابعاد المتهم عن طريقه في الليلة التالية ؟ وقد تقتنعون بأنه اراد أن يحمل الناس على الاعتقاد ان شخصا ما اراد ان يبعده في الليلة التالية !

قد تحسبون أن الاحاديث مع سواقي الترام وغيرهم امور طبيعية .. وقد تتبينون انها ليست طبيعية !

قد تعيرون اهتماما خاصة بواجهة اطراع الساعة لكي يؤكد لرجل الشرطة الوقت الذي ظلا فيه ؟

ترى لماذا خطره الشك لأن شخصا اعطاه عنوانا خاطئا ؟؟؟ من الصعب تفسير ذلك .

لنفرض انكم سوف تنتهون الى انه لم تكن هناك صعوبة حقيقية في فتح ابواب المنزل عند ذلك تجدون انفسكم امام شخص كان يستطيع ــ بكل سهولة ــ فتح الابواب ولكنه تظاهر بانه لم يستطع فتحها

وربما لاحظتم منه صرخة الم وحزن مرير ؟ لتنظر ما الذي حدث ؟ خرج وقال : « تعاليا انظرا لقد قتلت » .

وقد يتبادر الى فكركم في السؤال الموجه لمستر بيتي والمحادثة التالية مع البوليس توحي بان المتهم كان يعد دفاعه . فلماذا تصور نفسه في خطر ؟ وما الذي عناه بقوله « خطرت لي فكرة وكأنما تخطر له افكار » .

سيقول لكم الشهود لمن كان قد ظهر بمظهر الزوج المكسور الجناح أو انه كان ــ في الظاهر على الأقل ــ هادىء الاعصاب ؟

فاذا تبينتم أن الادلة المقدمة لكم تؤدي حتما الى نتيجة لا مجال للشك فيها في ان هذا الرجل لسبب لا نستطيع ان نفسره قتل زوجته في تلك الليلة فلن تترددوا في اداء واجبكم .

★ ★ ★

ولم يعط والاس المحاكمة في عدم ترك الشهود يدلون بما لديهم من معلومات بغير حاجة الى تلك الاسئلة والاجابات التي بدت له مجرد اضاعة للوقت . كذلك السؤال الذي وجه الى خادمة المقهى .

س ــ ما حجم ذلك المقهى ؟ هل هو مكان فسيح؟

ج ــ نعم

س ــ وبه عدد كبير من الطاولات ؟

ج ــ نعم

س ــ وبه نادي شطرنج يشغل بعض الطاولات في ايام معينة ؟

ج ــ نعم

ما دخل هذا في موضوع التهمة ؟ ومع ذلك كانت هذه الاسئلة ضرورية لمعرفة كيف استطاع كوالترو ، ان كان اسما حقيقيا ، ان يعرف ان المتهم سيكون بالمقهى يوم ١٩ يناير . فقد كان نادي الشطرنج يقيم مباريات في امسيات مختلفة وكان يوجد كشف معروضا بالمقهى به اسماء المتبارين والاوقات المحددة لهم . كان في متناول اي شخص يدخل المقهى ليتناول قدحا من القهوة او يراه .

بهذه السهولة امكن حل هذا اللغز والخيام

كثيرة اخرى كانت غير واضحة في البداية .

ومع ذلك فان ممثل الاتهام كان يحاول كل اجابة ليجعلها تبدو موضع شك مريع . وفسر يقول للمحلفين « انه لجنون غريبا ... »

ومضى الاتهام في هذه السياسة . يبسط ابسط الاعمال واكثرها وضوحا لامتحان قاس وينظر اليها من عدة جوانب ويهيم بها اهتمام الكلب بعظمة من العظم ثم يقول عنها انها تثير الاستغراب ضمن مواضع الاستغراب — وبالتالي من مواضع الشك الكبير — ان المتهم حين قيل له انه لا يوجد ما يسمى مثلوف جارلتز ايست اسمر يبحث ويسأل قبل ان يعمل نهائيا . ولكن اليس ذلك هو ما يفعله الانسان في اغلب الاحيان ؟ تقول زوجتك ان بائع اللبن الذي يوزعه في الصباح لم يحضر . فتقول لها « حقا !! » ، وتذهب لترى بنفسك . لا شاكا في اقوال زوجتك ، ولا متهما لها بالكذب ، ولكن لمجرد التأكد . كل واحد منا يفعل ذلك . ولكن حين يوصف بالغرابة — في ساحة المحكمة — انك لم تتقبل قول زوجتك دون مراجعة يصبح الامر غريبا . ولانه غريب فلا بد انه يخفي دوافع مجهولة ... مما يثبت ادانته .

ثم كانت هناك التناقضات الغريبة في اقراراته .

فحين خرج من منزله قاصدا مثلوف جارلز ايست اوصلته جوليا الى الباب الخارجي تودعه واوصاها بان تغلق الباب بالمزلاج . انه يذكر ذلك بوضوح . ولكن غير الآن انه كان قد قال في احدى اقراراته — امام الكونستابل التي كتبها فيما بعد — « وصلت زوجتي والمست الباب حتى بالمزلاج » . بينما قال في اقرار آخر « واغلقت زوجتي الباب ولا اذكر ان كانت قد وضعت المزلاج ام لا » .

وصف هذا التضارب بانه غريب ، ولم يبد على احد انه يظن ان هذا هو الامر الطبيعي . فقد قال لجوليا ان تغلق الباب بالمزلاج . والمرجح انها لا بد فعلت فهي دائما تفعل امثال هذه الامور حين يطلبها منها ... ولكنه فكر في الامر بعد ذلك فوجد انه لا يستطيع الجزم بانه سمع المزلاج يغلق فقال ذلك .. وكان صادقا دقيقا . ولكن دقته اتخذت دليلا ضده . وقال ممثل الاتهام للمحلفين .

« انه تتعمدون ان من الغريب موضوع كلما يفترض فيه ان يتذكر الانسان جميع التفاصيل بوضوح لانها الحالة الاخيرة فلماذا يصدر عنه قولان متناقضان ؟ » .

ومع ذلك فهناك الشيء الذي غيره سمح لهم بالوقوع في اخطاء لم يعرها احد اي اهتمام ... ذلك لانهم لم يكونوا داخل قفص الاتهام ... هناك مثلا رجل اسمه ماكفول — استاذ علم الطب الشرعي بجامعة ليفربول — وممتحن التشريح الطبي بجامعات جلاسجو وادنبره ومانشستر وبرمنجهام . فاذا كان انسان مطالبا بان يكون دقيقا في تعبيراته فهو ذلك الانسان . لقد وقف يدلي بشهادته عن علامات تشريحية ، خاصة بتيبس رمي يحدث عريبا « بعد ساعتين من الوفاة » . وقال له ممثل الاتهام « اليست تقصد ثلاث ساعات ؟ » .

فاجاب البروفسور بهدوء « نعم ثلاث ساعات » .

ولم يقل احد ان فلتة اللسان هذه — او هذا التناقض ، امر غريب يدعو للدهشة . ولم ينظر احد للبروفسور بريبة كما لو كان يستحق الشنق .

وعلى هذا النمط تجري الامور . اما اذا دخلت قفص الاتهام فكل امر صغير لا اهمية له عند الآخرين يحسب عليك .

وكثر الكلام حول المعطف الذي وجد تحت جثة جوليا . لقد قال مسز جونسون انه معطفه ، وقال الكونستابل انه معطفه . وقال لرجال آخرين من رجال البوليس نفس القول . فلما سأله رئيس المباحث مور « هل هذا معطفك ؟ » ، شعر — امام كثرة الاسئلة ان ملكيته للمعطف موضع شك فاحتاط في اجابته هذه المرة وقال جوابا ليس فيه انكار الملكية للمعطف ، بل تأكيد لها ، ولكن هذه الاجابة امسكت عليه واتخذت ضده ككل شيء في القضية . فقد وقف رئيس المباحث مور يدلي بشهادته امام المحكمة فقال : « سألته ان كان المعطف معطفه فاطرق قليلا ووضع يده اليسرى على ذقنه ، ونظرت اليه تظل صامتا نحو نصف دقيقة ثم قال « ان كان به رقعة في الداخل فهو معطفي » . ووجدت الرقعة ، فقال « نعم ، معطفي » » .

فلما سأل محامي الدفاع رئيس المباحث مور فيما بعد لماذا استغرب ما حدث ، قال :

« كان يجب ان يقول على الفور معطفي »

فلما سأله المحامي : « ماذا تستنتج من تردده

مع أنه ترد من البداية تهمة الشخص ثلاثة منهم من رجال البوليس أن المختطف مسطحه ؟ » .

قال : « أنه بدأ يعتقد أن المختطف خطر » .

وهكذا انقلب الأمر الطبيعي اتهاما له . ولم يفكر أحد ــ ولا حتى محامي الدفاع أن يسأل : « لماذا يكون غريبا أن يبحث هو وبدلق في البحث عن سلوك جاردنر ايست » ولا يكون غريبا أن يسأل ــ هو أربع مرات ــ عن ملكيته المختطف ؟

وتراجع محاميه فقال .

« ستبين لكم بكل سهولة أن تصرفات هذا الرجل في يومي ١٩ و ٢٠ يناير كانت تصرفات رجل طبيعي ، وانه ــ اذا كان قد دبر وارتكب تلك الجريمة النكراء ، فقد استمر في هذين اليومين يتصرف دون أن تظهر عليه أية دلائل ارتباك .

« لعب الشطرنج لمدة ساعتين ، بينما على حسب نظرية الاتهام ، في جيبه تلك الرسالة المعدة لارتكاب الجريمة.ومع هذا لست البلهاء، بل ان هذه الرسالة صدرت منه ــ وانها الخطوة الأولى لترتيب جريمة قتل زوجته ، فأي نوع من الشطرنج كان يلعب وأي نوع من التركيز الذي تتطلبه اللعبة كان يقوى عليه ؟

« وفي ليلة الجريمة التي تمت دليلا فلم توجد به آثار دماء ، لا في ملابسه ولا في يديه ولا في وجهه ولا في حذائه . ومع ذلك فما من شك ان القاتل ملوث بالدماء الغزيرة .

« لا يوجد أي دليل الا شكوك البوليس .

« ما مصلحته في التظاهر بأن الباب استعصى على الفتح ؟ انه لم يكن يعرف أن جوستون وزوجته سوف يقبلان عليه ؟

« أرجوكم أن لا تنسوا حب والاس لزوجته وانعدام كل باعث على الجريمة ... اسمحوا لي ... أعيذكم ما عرفتموه من سمو أخلاقه ورقة شعوره . ومع ذلك فهذا هو الرجل الذي يطلبون منكم أن تحكموا عليه بأنه قاتل ..

★ ★ ★

وانتقل والاس من قفص الاتهام الى مقعد الشهود ليوجه اليه محاميه بعض الأسئلة .. لم يستجوبه ممثل الاتهام . وفي هذا الدور صمم والاس أن يكون دقيقا في اجاباته ــ فقد عودته دراساته العلمية أن يكون دقيقا ــ تلك الدقة التي لم يستطع التخلص منها حتى بعد أن تبين أن اجاباته الدقيقة تعود كلها ضده .

قال له محاميه : « ... ... مسحوبة ... هذا السؤال البيت ... من ومصحب تلك عن زوجتك في تلك الليلة ؟

كان هذا أهم سؤال في المحاكمة وكان المتوقع أن تكون اجابته « لا مطلقا . » » ولكن مثل هذه الاجابة لا تكون دقيقة كل الدقة فلذلك أجاب : « أظن انني اثناء خروجي من الباب الخلفي ربت على كتفها كما أفعل كل مرة ، وقلت لها لن أتأخر الا بالقدر الضروري » .

وتبين على الفور أن رده لم يكن موفقا . حتى محاميه انتفض وقال : « ليس ذلك ما عنيته . هل فعلت شيئا لايذائها ؟ » .

عندئذ قال : « لا .. لا .. بكل تأكيد » .

وتساءل هل سيحسب عليه انه احتاج لأن يسأل مرتين لينفي التهمة . ولكن كيف يطلب منه أن لا يقول الحقيقة . والواقع انه وضع يده على زوجته في تلك الليلة بتلك الطريقة فأجاب بما أجاب به احتراما للحقيقة والدقة .

ولم تصادفه بعد ذلك أية صعوبة في الرد على اسئلة محاميه . ولكن الصعوبة بدأت حين بدأ ممثل الاتهام يستجوبه . كان في صوته عدوء وصداقة وعطف سرعان ما اختفت . كان عليه أن يحتاط كل الاحتياط لأن بعض تلك الأسئلة أريد بها خداعه والبعض الآخر أريد بها اغاظته وتهييج أعصابه .

س ــ « أننا نعلم أن مستر كوالترو حين تحدث في التليفون مساء يوم الاثنين كان على مسافة بضع مئات من الياردات من منزلك ؟ » .

ج ــ « لا أدري »

س ــ « لقد سمعت انه كان يتحدث من كابينة التليفون العمومي ؟ » .

ج ــ « الظن أنه تحدث من هناك ولكني لا أعرف » .

س ــ « هل تشك في أن المحادثة تمت من الكابينة ؟ » .

ج ــ « أمام الأدلة المقدمة لا أشك » .

س ــ « حسنا ، اذا تستطيع أن تقول للمحلفين

هل من شك في أن المقصود من هذا الرقاعة به ولكنه كان قد صمم (كما قال فيما بعد) أن لا يسمح لأحد أن يثير غضبه وانه يجب أن يقابل التهمة الخطيرة بكل ما يستطيعه من تركيز وضبط النفس .

ومن المتاعب الاخرى التى تعرض لها أن الامور كانت تأخذ « مسا » وتوجه اليه اسئلة عن الصعوبة التى وجدها فى فتح الابواب فيركز تفكيره على هذا الموضوع ليتذكر بالدقة جميع التفاصيل وما صدر عنه من اقوال واقرارات تتعلق بالابواب والاكر . فاذا بسؤال يوجه اليه من المحلف فيضطر لتغيير تركيز افكاره وينتقل من الابواب الى المحلف الذى لم يكن يفكر فيه . لقد كان هذا امتحانا عسيرا .

★ ★ ★

ومع هذا شعر بانه مسيطر على الموقف . وانتهت شهادته وادلى كثيرون باقوالهم فبينوا انه اذا كان هو الذى قتل جوليا فلم يكن لديه من الوقت - لارتكاب تلك الجريمة والتخلص من آثارها ومن السلاح الذى استعمله الا ربع ساعة على الاكثر .. فبدا الاطمئنان الى النتيجة يدخل قلبه .

وعلق محاميه على اقوال الشهود بقوله :

« أود أن أضيف لكل ما سمعتموه أن تصرفاته كشاهد اقسم اليمين « هي تصرفات رجل بريء كل البراءة .

« حضرات المحلفين . هل تديرونه بتهمة القتل؟ هل تعتقدون أن مثله يقدم على مثل هذا العمل ! »

كيف يمكن أن لا يشعر والاس بالاطمئنان الكامل . لقد اقتربت الزمنة وقارب الكابوس الجاثم على صدره أن ينقشع . وسوف يقرر المحلفون - لا محالة - انه غير مذنب ويردون له حريته .

★ ★ ★

ولكن ممثل الاتهام وقف يترافع من جديد :

« انني مضطر أن اعرض عليكم - من جانب الاتهام - أن علاقة هذا المتهم بالحديث التليفوني مسألة متينة اثبتتها الدلائل كلها . وان الدليل على تصرفات هذا الرجل حين عاد الى منزله يمضي قويا على أنه لم يتصرف تصرف الرجل البريء

« هل تصدقون لحظة أنه لم يتمكن من فتح الباب ! هل تصدقون أنه لم يستطع فتح الباب الخلفي ! ان الوقائع تتحدث بنفسها . لقد قال في اول الامر انه لم يستطع فتح الباب . ولكن مستر جونستون وزوجته حضرا « وعرض مستر جونستون أن يحضر مفتاح منزله اذا احتاج الامر « فاذا بالباب يفتح .. بقدرة قادر » .

واخذ والاس يتطلع الى وجوه المحلفين فوجد ان كلام الاتهام وقعا قويا عليهم . واحس ان الاتهام يعرض وجهة نظره في قوة واقناع أكثر بكثير من الدفاع . وطريقة العرض هذه هي التي اثرت في المحلفين وحولتهم عن الادانة . فلم يصمدوا يصيرون بلا « لان الوقائع حركت وحورت وجعلت ليبدو « غريبة « وا غريبة « ولا يبدو عليهم انهم يقدرون ان الزوج الذى عاشر زوجته في سعادة وانسجام ستة عشر عاما لا يستطيع - ولا تطاوعه نفسه - على قتلها . ولكنهم وقعوا تحت سحر حجج الاتهام القوية .

وهكذا فقد والاس كل ثقته . ولم يعد لديه اي امل الآن . واعتقد ان حياته قد انتهت .

ولكن وقت اصدار المحلفين لقرارهم لم يأن بعد اذ لا بد ان يسبقه تلخيص من القاضي لكل ما جرى في جلسات المحاكمة . ولكن اى فائدة تنتظر من تلخيص القاضي بعد ان قرأ قرار المحلفين . قال القاضي :

« حضرات المحلفين . لقد استمعنا من جميع فصول هذه المحاكمة الا الفصل الاخير .. ان هذه الجريمة - فيما اتصوره - لا مثيل لها في تاريخ الجرائم .. » .

أخذ والاس يفكر في أن كل ذلك كلام مردد لا أهمية له ولا معنى له . ولكنه دهش اذ وجد أن القاضي لا يكتفي بذكر المراوغات والحجج بل يقدم ادلة جديدة لم يتعرض لها الاتهام .. ولا الدفاع .

« لقد قيل ان ما من أحد كان يستطيع ان يعرف - بطريق الجزم - أن المتهم سيكون في النادي في تلك الليلة . وربما لم يكن احد يستطيع ان يعرف بطريق الجزم ولكننا نسلم وجود لوحة معروفة في النادي .. عليها اسماء اللاعبين . وواضح منها انه قد حدد لعب المتهم تلك الليلة .. ويبدو لي، وان كان الامر من اختصاصكم وحدكم « أن في الادلة ما يشير الى انه من الجائز ان يكون شخص آخر قد علم تحركات المتهم المنتظرة واطمأن

الى أنه يستطيع أن يتعرف على أسامي طبعه ذاك » .

« وقدمت لكم أدلة من الصوت الذي تحدث في انتيبون .. أن من الصعب جدا على رجل مثل المستر بيتي أن لا يتعرف على صوت المتهم ـ مهما حاول انتحاله ـ أو أن المتهم هو الذي حدثه في انتيبون » .

« أما عن المحادثة التي جرت بين المتهم ومستر بيتي بخصوص مطالبته له بتحديد موعد المحادثة فلا يجوز أن تعد دليلا يدين المتهم » .

وكان المحلفون يصغون الى القاضي باهتمام زائد يسجلونه بنظراتهم ويصغون اليه بكلياتهم . فما من شك أن أقواله سيكون لها أثر كبير في قرارهم . وعاد الأمل يراود والاس .

قال القاضي :

« حين يلفتون نظركم الى بعض التناقضات في أقوال المتهم فانني لا أملك الا أن أقول انه بصراحته وأقواله كانت واضحة كل الوضوح وفي غاية الدقة .. ويبدو لي أن من الغريب أيضا كانت بهذه الصراحة وبتلك الدقة . »

« ويجب أن تدخلوا في حسابكم ما اذا كان الوقت القصير الذي ترك له ، والذي قد لا يزيد على عشر دقائق ، يكفي المتهم لو أنه ارتكب جريمته .. لقد كان أمامه الكثير .. ومع ذلك عثر عليه بعد ذلك بملابسه كاملة لا يبدو عليه أي أثر لانزعاج أو قلق وهو في الترام .. فلا بد أن يكون قد تصرف بسرعة البرق . وليس معنى ذلك أنه لم يرتكب الجريمة ولكن يجب أن تتريثوا في تقدير ذلك كله » .

★ ★ ★

وكان والاس وهو يستمع الى هذه الأقوال التي فاه بها القاضي وكأنه محاميه ـ محام فصيح لبق مقنع ـ قد راوده الأمل وعادت الثقة الى نفسه . ما من شك أن المحلفين لن يقتنعوا بصحة الاتهام وسوف يتبعون هذا الرأي الصريح الشريف . الذي يقول لهم بصراحة « ان المتهم بريء » !

كيف يمكنهم أن يقولوا عكس ذلك ؟ كيف يقولون : « لا » ، اننا وجدناه مذنبا ! » .

أو لعلهم سيقولون ذلك !!!

ونظر والاس من جديد الى وجوه المحلفين يقرأ ما تخفيه عيونهم . وتصور انهم لا شك قد تأثروا بأقوال القاضي واقتنعوا بها . واستمر القاضي :

« من أي ناحية نظرتم الى الأمر فان من الصعب القول ـ وان كان الأمر مرجعه كله اليكم ـ ان من الممكن توجيه الاتهام لشخص بذاته . هل تستطيعون الجزم بأن من المستحيل أن يكون شخص آخر قد ارتكب الجريمة ؟ اذا لم تقتنعوا ولم يثبت لديكم بما يكون اعتقادكم التام فان واجبكم أن تقرروا أن المتهم غير مذنب ، أما اذا كنتم قد اقتنعتم بادانته فان واجبكم أن تقرروا ما استخلصتموه من الأدلة التي قدمت اليكم طوال هذه الأيام الثلاثة .

« تدارسوا الموضوع اذا وقرروا هل ترون أن المتهم مذنب أو غير مذنب ؟ » .

★ ★ ★

وانسحب المحلفون الى غرفتهم ليتداولوا في قرارهم .

ويصف لنا والاس احساساته في تلك الفترة الحرجة فيقول :

« وقادني الحراس ونزلوا بي الى ممر أسفل المحكمة .. وبدأت لحظات من توتر الأعصاب . أسائل نفسي كلما مرت الدقائق من غير أن أدعى لسماع القرار ـ فيم يتناقش المحلفون ؟

ومرت أربعون دقيقة كأنها الدهر بطيئة .. ثم دعيت ووقفت مرة أخرى في قفص الاتهام .

« كيف أستطيع أن أعبر عن شعوري ؟ كل ما أذكره أن فكرة واحدة تسلطت علي واخذت علي مشاعري .. هي أن أحافظ على كرامتي أيا كان القرار .

« وكانت لحساب من بالقاعة متوترة مثلي ، وخيم عليها صمت رهيب . ثم التفت كاتب الجلسة وسألهم ان كانوا قد أجمعوا على قرارهم ؟ فكان رد رئيسهم : مذنب بالاجماع .

« والى هذه اللحظة لا أدري ماذا قلت »

(ولكن الثابت في المحاضر انه حين سئل ان كان لديه ما يقوله ليحول دون صدور حكم عليه بالاعدام ، قال : لست مذنبا ولا أريد أن أزيد على ذلك قولا) .

« كنت أرسل النظر في فراغ لا نهائي ولا أرى شيئا . ولم يعلق القاضي على قرار المحلفين ثم نطق في صوت بطيء خفيض بحكم الاعدام . وختمه بقوله « وليرحمك الله » وقال القسيس « آمين » بصوت بدا لي أكثر حمونا » .

« ودفعوني دفعا سريعا الى الدرج الهابط ، ثم

الى بزرانة اسفل المحكمة ، واحضروا لى مشانق لم استطع حتى مجرد النظر اليه .. وبعد نحو الساعة نقلوني الى السجن ، وفي هذه المرة الى الزنزانة المخصصة للمحكوم عليهم بالاعدام . ووجدت نفسي محاطا بعدد من رجال السجن ايسوني الملابس الرمادية التي نص عليها القانون لامثالي . وتملكني منذ ذلك يأس مرير ، وفقدت ـ لأول مرة ـ السيطرة على اعصابي لطلبي اسكاتي ».

« وظلت اعصابي متوترة من ليلة السبت التي صدر فيها الحكم الى منتصف يوم الاثنين ، وجاءت المفاجأة الكبرى حين زارني محافظ السجن وأبلغني أن يوم تنفيذ حكم الاعدام قد تحدد ... » .

« ومر اسبوعان . ثم ابلغوني اخيرا بتحديد يوم ١٨ مايو لنظر الاستئناف ، ونقلوني الى سجن آخر ».

★ ★ ★

وكان القانون الجنائي الصادر في عام ١٩٠٧ يبيح الاستئناف ضد حكم الادانة او ضد تقدير العقوبة . واستئناف الادانة يرتكز على سبب واحد هو أن يكون القاضي قد تحيف في عرض ملخص القضية على المحلفين . وواضح أن ذلك لم تكن حالة قضية والاس ، فقد كان تلخيص القاضي في صالح المتهم ، ولكن المحلفين تجاهلوه .

ومع ذلك فان القانون نص يبيح لمحكمة الاستئناف أن تقبل الاستئناف وتلغي الحكم اذا اعتبرت أن قرار المحلفين لا يستند على الأدلة المقدمة في الدعوى .. بشرط أن تبين المحكمة أن خطأ قضائيا قد وقع .

ومن النادر أن يستند الى هذا النص في جريمة قتل . وأندر من ذلك أن ينجح هذا الاستناد فلم يحدث منذ صدور القانون سنة ١٩١٧ حتى سنة ١٩٣١ ـ أي في مدى ربع قرن ـ أن قدم استئناف مستند الى هذا النص .

★ ★ ★

ويروي لنا والاس في مذكراته التي ظلا قرائها بعد ذلك :

١٨ مايو ـ يوم استئنافي . ذهبت الى المحكمة في الساعة ١٠٫٣٠ صباحا . الحديد في يدي . ولكن بملابسي العادية . في الساعة ١١ مثلت امام المحكمة . بعد خمس ساعات تأجلت القضية واعادوني الى السجن .

١٩ مايو ـ رفع رئيس القضاة الجلسة للمداولة بعد استماعهم لمرافعات الدفاع والاتهام ، واخرجوني خارج القاعة الى ممرات المحكمة فلبثت اذرعها ذهابا وايابا لمدة ساعات تتنابني فترات امل ويأس وكانت اعصابي مشدودة لأقصى الحدود .

ثم عاد القضاة واعادوني للقفص ... وساد القاعة صمت مهيب . لا من حركة تسمع ولا ورقة تطوى . وبعد فترة بدت لي دهرا اخذ قاضي القضاة يتلو حكمهم . لم استطع متابعة كل ما قاله . كل ما اذكره انني سمعت' منه احدى عباراته وشعرت بأعصابي متوترة لا احس بما هو حولي الا بشعوري بأن القاضي يطويه بطويه وصوته خافت كأنه يصدر من مكان بعيد بعيد ! ثم سمعته يقول

« قبلت المحكمة الاستئناف والغت الحكم »

وانقلب سكون القاعة فجأة الى حركة ، وبدا هتاف من المقاعد سرعان ما اختفى .. وتبينت انني كسبت المعركة وصرت حرا .

ويشرح لنا والاس ـ في مذكرات تالية ـ ما عاناه خلال هذه الاشهر الاربعة وما لحق به بعد حكم البراءة .

« لم اكن اتصور ان الحزن والقلق سيقبضان علي .. لا سبيل لمردهما الي .. والعذاب الماضي .. حتى القبض على القاتل الحقيقي لن يعيدني ولن يعيد السكينة الى نفسي ! » .

وقد شغلني بشعور الوحدة هذا كما شغلني بما احس به من نظرة الناس اليه .

« الحق أنه لا مفر لي من التحول عن العودة الى عملي بليفربول نهائيا . فسوء ظن الناس بي اقوى مما تصورت .. لقد وجدت جميع جيراني ضدي » .

« قابلت جورج العجوز . ظهر لي أن هذا الجيران المتحجر يجعلني الضحك الي .. اعتقد أن هذا الاحساس مصري سوف يستمر .. ولن استطيع أن اتغلب عليه .. اعصابي كلها قد انهارت .. وتملكني يأس قاتل .. وقلبي الحسرة والتمزق » .

ولم يمض على براءته اقل من سنتين حتى ساءت حالته الصحية وقضى نحبه شهيد خطأ قضائي لم يخفف من اثره أن محكمة الاستئناف استطاعت ان تصححه وتنقذ المحكوم عليه من حبل المشنقة .

حسن الجباوى

القاهرة

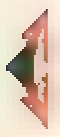




قصر السلام

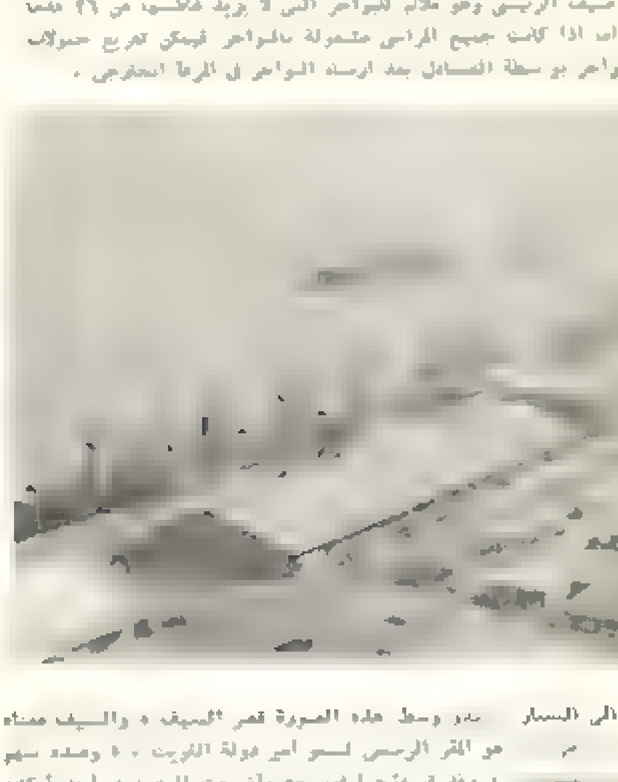






الى اسفل: ميناء الكويت : يستطيع مرفأ الكويت أن يستقبل البواخر التي يبلغ طولها ٦٠٠ قدم ، وفيه أربعة مراس عميقة مجهزة [illegible] حمولة ١٢ رافعة منها عشر للرافعة الزاحفة ، والاربعة الباقية [illegible] ٦٥ قدما .. وتنقل الروافع البضائع المرفوعة الى الارصفة ، ومن الارصفة تنقل اما الى مستودعات مؤقتة عددها اربعة ، طول الواحد منها ٤٤٠ قدما وعرضه ١٠٠ قدم ، واما الى مناطق التخزين في المنطقة المجاورة للميناء . وهناك في المياه رصيف جانبي طوله ٨٠٠ قدم ، على الطرف الغربي للرصيف الرئيسي ، لرسو البواخر ذات الغاطس المحدود . وهناك رصيف آخر طوله ٤٠٠ قدم للبواخر الصغيرة التي لا يزيد غاطسها عن ١٢ قدما . وهناك رصيف مؤقت الى الشرق من الرصيف الرئيسي وهو ملائم للبواخر التي لا يزيد غاطسها عن ٢٦ قدما .. اما اذا كانت جميع المراسي مشغولة بالبواخر فيمكن تفريغ حمولات البواخر بواسطة الصنادل بعد ارساء البواخر في المرفأ الخارجي .

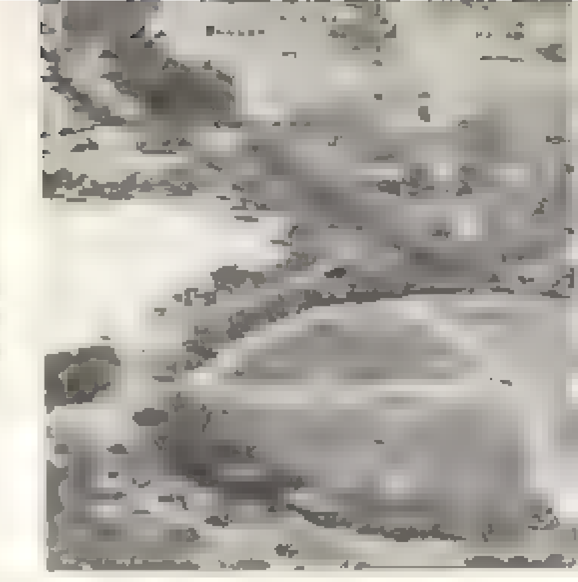


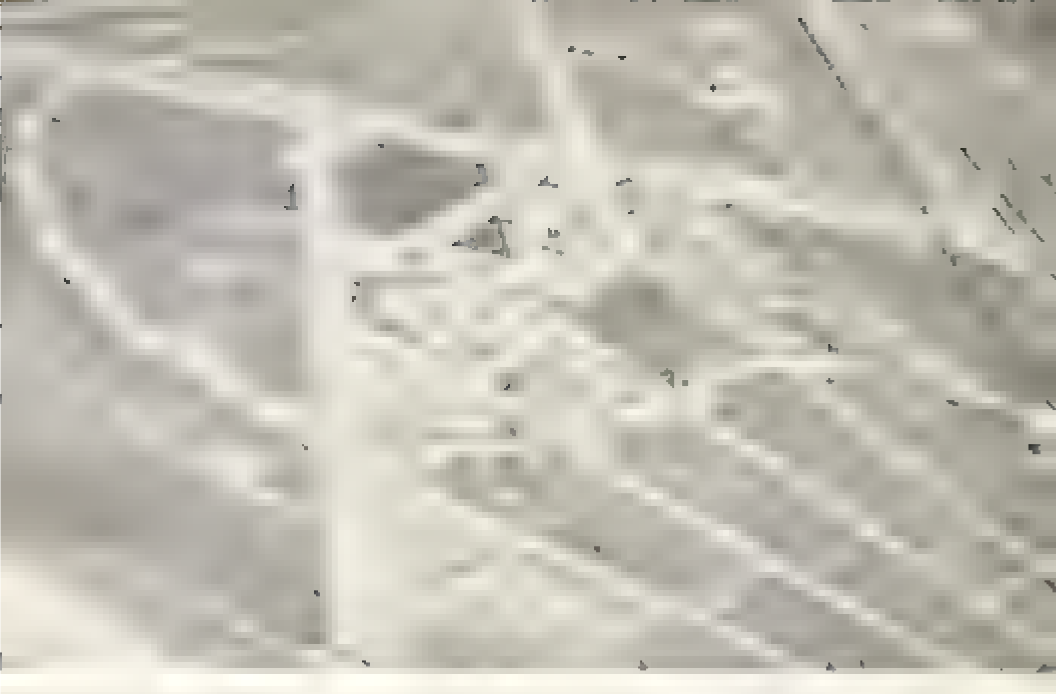


الى اليسار: [illegible] وسط هذه الصورة قصر السيف ، والسيف معناه [illegible] هو المقر الرسمي لسمو أمير دولة الكويت ، وعدد [illegible] . وقد تم مؤخرا توسيعه واضيفت اليه ، في احد اركانه منارة عالية ، على رأسها ساعة جميلة ، وفي هذا القصر يتقدم أوراق اعتماد سفراء الدول الى صاحب السمو . ويشغل مجلس الوزراء الكويتي جزءا من هذا القصر . وبجانب القصر وزارة الجمارك والموانئ ، وهو ميناء غير كبير ، توجد الى جانبه سفائن متفاوتة في [illegible] المرفأ القديم . ولا تزال هذه المنطقة تصل اليها الخضر والفواكه وسائر الحاجات الواردة من خارج البلاد .

● الكويت من الجو

[illegible]





رئة المدينة : كانت هذه الارض الى ما قبل ثلاث سنوات مقبرة مهجورة ولكن يد الاعمار امتدت اليها لتحولها الى هذه الحديقة الجميلة ، ويتوسط الحديقة بركة ماء على شكل مثلث تحيطه تلال
وبالبركة نوافير ترسل الماء رذاذا تسلط عليه الانوار الملونة في الليل فيبدو سحرا جلالا . وحول البركة ممر مرصوف بالحصى على شكل متعرج ، تحوم حوله المزارع . وللحديقة خمسة مداخل ويحيط بها سور من الحديد المطروق المزخرف بالنحاس طوله ٧٠٠ متر ، ويفصل بينها وبين شارع فهد السالم ، الى البحر ، موقف للسيارات يتسع لـ ٢٥٠ سيارة . وللحديقة قسم مخصص للاطفال . وفي مسطحاتها الخضراء واحواض الزهور تبدو في مقدمة الكويت رئة تتنفس منها وتوفر لسكانها الراحة والبهجة

الى اليسار : محطة تقطير مياه البحر كما تظهر من الجو . وهي ثاني اضخم محطة تقطير في العالم . وقد انشئت اسس اول محطة لماء البحر في هذه المنطقة في مارس ١٩٥٣ وكانت طاقتها الانتاجية آنذاك مليون جالون في اليوم . اما الآن فتوجد خمس وحدات للتقطير تنتج سبعة ملايين جالون من الماء يوميا . وهناك الناقلات الظاهرتان في الصورة بحاجة الى عمق ٦٠ قدما على البحر ولا تستطيعان الوصول الى ظاهرة تنتج ماء الخليج الى محطة التقطير في الساحل بواسطة انابيب ضخمة مركبة فوق الشاطئ وهما مصنوعتان من الحديد . وتبلغ تكاليف انتاج الالف جالون في هذه المحطة دولارا واحدا وتجري الابحاث في التخطيط الى استخدام الغاز الطبيعي الذي ينتج في الكويت عند استخراج البترول ، وتستهلك المحطة ٣٠ مليون قدم مكعب من الغاز يوميا .

المدرج الهلالي : رسم ٤٧

في اليسار : صورة لقطة من المدينة حلة ، تجمع فيها عدة من أبنية تضم مرافق معروفة ــ (أ) وزارة الإرشاد والأنباء ، وفي الدور الثاني منه مجلة العربي ، وفي دورها الأول والأرضي مطابع الدولة التي تقوم بطباعتها ، (ب) وزارة الكهرباء والماء ، (جـ) وزارة الأشغال العامة ، (د) الثانوية المتوسطة للبنين ، [illegible]



مبنى البلدية : ويقع عند تقاطع شارع عبد الله السالم والهلالي . ونلاحظ في ساحته الصخرة والنافورة والتمثال . في مقدمة الصورة ثلاثة صالات ذات صفحة وحدة تدور حول الصخرة والنافورة والتمثال ، ونرى النادي في مقدمة الصورة الى اليسار حيث مجلس الأمة ، تشغل غرفة الكويت المبنى الأخرى



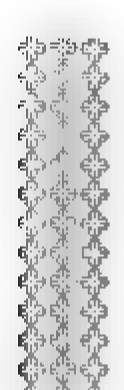


الى اليمين : مستشفى الصباح : من الجو ، وهو اكبر واحدث مستشفيات الكويت ، وقد صمم بصورة حيث روعي الشكل من الاتساع دون حسبما لسكن الاطباء الروحيين الذين يعملون في المستشفى .. وتبلغ مساحة الارض المقامة عليها المباني ٢٢٥٥٥ متر مربعا اي مساحة الارض الكلية للمباني والحدائق ومواقف السيارات ٧٤ الفا ، وقد استغرق بناء هذا المستشفى سنتين وبلغت كلفته [illegible]

في ١٩٦٢/٣/٢ [illegible]

مقطوعات شعرية

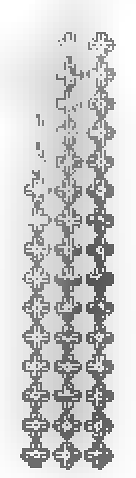
للدكتورة عاتكة الخزرجي



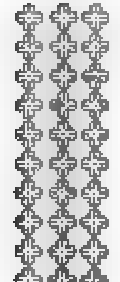
حيرة

تفديكَ روحي ألفَ مرة
لله بُعْدُكَ ما أمَرَّهْ . !
إنّي أكادُ أجنُّ منكَ .. فهل إليكَ اليومَ نظره .؟!
إنّي ليُمرِضُني الفراقُ وأتَّقي في الحبِّ شرَّهْ ..!
وأعوذ من صرْفِ الزمانِ ولستُ آمنُ منه مكره .!
كيفَ السبيلُ ؟! وبيننا قدرٌ يهابُ القلبُ أمرَهْ. ؟!
ومتى نعود ؟! متى أراكَ ؟ ونلتقي في الله مرَّهْ ..؟!

شكوى

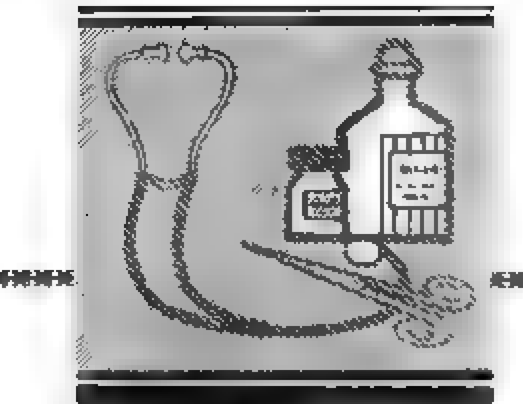


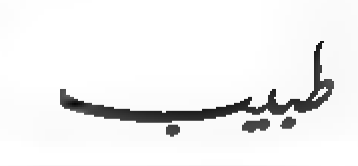
إنّي لأستحييكَ ياسيِّدي
أنْ بِتُّ أشكوكَ وأشكو إليكْ .!
حسبُكَ أنْ قد ضاقَ بي مرقدي
من لهفةِ الروحِ ووجدي عليكْ ..
واحسرتا أتلفتُهُ من يدي
قلباً .. أما لي من شفيعٍ لديكْ ؟
حسبُكَ أنْ أشمَتَّ بي حُسَّدي
وذي حياتي كلُّها في يديكْ ..!



عفاف

أحال بالورد من أنفاسه نسَماً
فأنثني إنْ عبير الورد حيَّاني
وكم تعفَّفتُ عن تقبيل وجنته
لأنَّها وحبيب الروح سيَّان .!





طبيب الأسرة

الرضاعة من الثدي، ام من الزجاجة ؟

— تدل الظواهر على أن الأطفال الذين يرضعون اللبن من بزازة الزجاج هم دائما في صحة جيدة، فلماذا ينصح الأطباء الأمهات بإرضاع الأطفال من الثديين، وهو مجهود كبير يكلف الأم عناء كبيرا ؟

● ان الأطباء ينصحون دائما بالارضاع من ثدي الأم، ويقولون انه لا بديل له، ويبررون وجهة نظرهم هذه بأمور عدة، منها أن الاحصاء دل على أن الأطفال الذين يموتون في سنتهم الأولى، ٨٥ في المائة منهم رضعوا من الزجاجة. وفي احصاء آخر شمل ٩٧٤٩ طفلا ارضعتهم امهاتهم من الثديين بلغت الوفاة فيهم ١ر١٥٤ في المائة فقط، واحصاء آخر شمل ١٧٠٧ طفلا ارضعتهم الزجاجة، بلغت الوفاة فيهم ٨ر٤٤ في المائة.

واحصاء آخر، في مستشفى لامراض الأطفال شهير، دخله في عام واحد ١٦٧ طفلا مصابين بالتهابات معدية معوية، هؤلاء لم يكن فيهم غير طفل واحد فقط ارضعته أمه من ثديها.

ويذكر الأطباء المختصون أيضا أن ارضاع الثدي يحمي من الاصابة بالاسهال الصيفي، ومن الاصابة بالكساح الباكر.

ولبن الأمهات عندهم أسهل هضما، ودرجة حرارته أوفق درجة، وهو لا يتلوث بالمكروب. ومص الطفل لثدي أمه عملية تهدف الى حسن تشكيل فمه.

والارضاع يفيد الأم، فهي تصح عليه، وهي تنظم حياتها وطعامها ونومه، والتنظيم ذو فائدة. والأم، على الرضاع أقرب الى عودتها الى حالتها الطبيعية التي كانت عليها قبل الولادة.

سل المواشي هل يصيب الانسان

— أعلم أن بعض المواشي يصيبها السل، فهل في أكل هذه المواشي خطر من انتقال السل من طريق أكل لحومها.

● أن بعض المواشي يصاب بسل المواشي، وهو مرض له نسب بسل الانسان، وهو خطر على الانسان. ومكروبه يشيع في الناس عن طريق لبن الأبقار وأشباهها، وما يصنع من هذه الألبان. وفي الأمم الحية تفحص المواشي بكاشف السل المعروف بالتوبركلين، وضعه العالم البكتريولوجي كوخ. وفي الولايات المتحدة يعدم البهيمة التي تصاب بالسل، وتعقم زريبتها تعقيما شاملا كاملا قبل أن يحلها غيرها.

أما من حيث اللحوم المصابة فأكلها غير مأمون إلا اذا هي طبخت طبخا جيدا يقتل المكروب الذي فيها، وعلى الأخص في الريف البعيد حيث الرقابة الصحية ليست دائما كاملة كل الكمال.

كرات الدم الحمراء لاتصنعها الكبد

ــ قيل لي ان كرات الدم الحمراء ، التي تصيب الانسان بفقر الدم ، سببها ان الكبد لا تصنع منها الكفاية . فهل هذا صحيح ؟

● لا بد انك تقصدين ان تقولي «كرات الدم الحمراء التي يصيبه النقص في عددها الانسان بفقر الدم » .

أما الكرات فهي تصنع في مخ العظام بجسم الانسان، وذلك لأن الكرة الحمراء لا تعيش الى الأبد . ان عمرها يبلغ في المتوسط ١٢٠ يوما او نحو ذلك ، فهي تفنى ، واذا لا بد من تجديد الذاهب منها وتجديده كل يوم اذا شئنا ان تبقى أعداد هذه الكرات ثابتة كافية تقوم في الجسم بوظيفتها . ومعنى هذا ان جزءا من ١٢٠ جزءا من هذه الكرات لا بد ان يتجدد كل يوم . ومعنى هذا انه لا بد ان يصنع في مخ العظام كل يوم ما بين ٤٠٠٠٠ الى ٥٠٠٠٠ كرة حمراء لكل مليمتر مكعب من الدم .

ومحلل الدم يستطيع ان يعد هذه الكرات المجددة في الدم كل يوم ، ومن عددها نستنتج ان كان مخ العظام قائما بعمله ناشطا فيه او غير ذلك .

السمك أم اللحم اكثر غذاء ؟

ــ لماذا كان السمك ارخص من اللحم ، وايهما به الغذاء الاكثر للجسم ؟ .

● نعم ، السمك في عمومه ارخص من اللحم في عمومه .

وهذا يتفق مع ما لكل منهما من قدرة على الوفاء بتغذية الانسان .

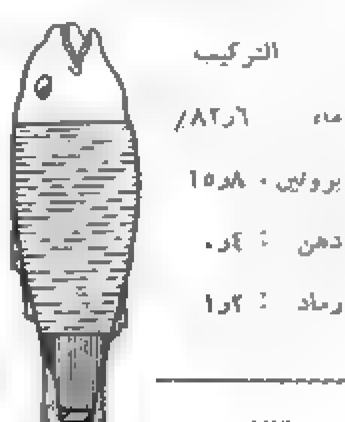
ولكن لا تفهم من ذلك دائما ان اثمان الاطعمة وانخفاضها بسبب من قدرتها الغذائية وحدها ، ارتفاعا او انخفاضا ، ولكن من ظروف كثيرة اخرى منها قدر الوارد من الطعام في السوق وتكلفة اتاحته .

واللحم ليس كله نمطا واحدا ، ولا السمك .

فاذا نحن قارنا السمك المعروف بالقد ، وهو يمثل اغلب الانواع الشائعة العادية في الاسواق ، باللحم المتخذ من اضلاع الخراف مثلا ، خرجنا بنتيجة هذه المقارنة المصورة بالشكل التالي :

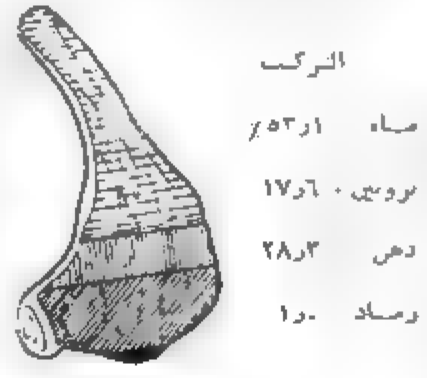
سمك القد الرطل يعطي ٣٠٠ سعر غذائي .

لحم الضبع الرطل يعطي ١٤٧٥ سعرا غذائيا



التركيب

ماء	٨٢ر٦٪
بروتين	١٥ر٨
دهن	٠ر٤
رماد	١ر٢



التركيب

ماء	٥٣ر١٪
بروتين	١٧ر٦
دهن	٢٨ر٣
رماد	١ر٠



تألمت بطنى ، فأخذت مسهلا

ـ ذكرت عند الطبيب انى شعرت بألم فى بطنى ، فأخذت مسهلا ، فطلب منى ان لا افعل ذلك الا بعد التأكد من سبب هذا الالم الذى فى بطنى ، فما الذى يعنيه الطبيب من ذلك ؟

● الطبيب يعنى انه فى بعض الاحوال يكون المسهل خطرا جدا ، ومن الامثلة الظاهرة لذلك التهاب الزائدة الدودية ، ومن اعراضها آلام فى البطن . وهذه الزائدة عبارة عن عضو صغير يخرج من الامعاء الغلاظ فى الجزء الأول منها ، وليس له فى الظاهر عمل ذو بال فى الجسم ، فاذا أصابها عدوى فالتهبت وتحولت الى مثل تحول البثرة الصغيرة الى الدمل ، فعندئذ قد يسبب المسهل الشديد انفجارا فى هذا الموضع وهو على هذه الحالة ، فتنتشر مكروبه فى الجسم ، ولا سيما فى الغشاء المغطى للأحشاء المعروف بالبريتون فيصيبه الالتهاب ، وهو التهاب خطير .

لهذا ينصح الاطباء الناس دائما بان لا يتعاطوا مسهلا وفى البطن ألم شديد .



هل عندى فقر دم ؟

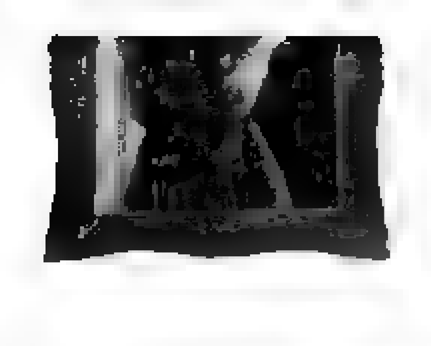
ـ حلل الطبيب دمى فوجد به عدد كرات الحمراء ٤٫٢٠٠٫٠٠٠ كرة ، فما معنى هذا ، وهل معناه ان عندى فقرا فى الدم . وهل يتغير مقدار هذه الكرات الحية ولاسيما بتقدم السن ؟

● عدد الكرات الحمراء التى يصرح بها المحلل هو عددها الذى يجده فى المليمتر المكعب من الدم . ومتوسط هذه الكرات فى الرجل السليم ٥٫٠٠٠٫٠٠٠ كرة تزيد او تنقص بمقدار ٧٠٠٫٠٠٠ كرة على الصحة ايضا . ومتوسط عدد هذه الكرات فى المرأة اقل من ذلك ، فهو ٤٫٥٠٠٫٠٠٠ ، يزيد او ينقص بمقدار ٥٠٠٫٠٠٠ كرة .

وعدد الكرات فى الطفل الوليد اعلى من هذه الاعداد قليلا ، ولكنه يهبط فى الشهر الثانى الى نحو ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ ويبقى عند نحو هذا الرقم عدة أشهر ، ثم يأخذ فى الازدياد الى ٤٫٥٠٠٫٠٠٠ من العام الاول الى البلوغ .

اما فقر الدم فالشخص يعتبر فقيرا فى الدم ، على العموم ، اذا نقص عدد كراته الحمراء عن ٤٫٠٠٠٫٠٠٠ .

والى جانب عدد الكرات الحمراء يوجد مقدار ما فيها من الصبغ الاحمر ، من الهيموجلوبين ، فهذا اذا نقص مقداره فى الدم من ١٢ر٥ جرام فى كل ١٠٠ سنتيمتر مكعب من الدم عُدَّ صاحبه فقير دم . ومقداره فى الرجل السليم يبلغ عادة ١٥ جراما ، ودون ذلك قليلا فى المرأة .



امرأتان

وصف إحداهما غربيٌّ فجرَّدَ وعمَّمَ ..

ووصف الأُخرى عربيٌّ

بقلم : ظافر القاسمي

■ فأما المرأة الأولى فغربية النجار باريسية الثمار، بهية الألوان، رائعة التركيب.

ووصفها كاتب فرنسا الأكبر في القرن التاسع عشر، شاتوبريان (١) Chateaubriand فحلق وأجاد، وجاء بالمعجب المطرب، وصنع منها بلاغته فنونا من الإبداع والإمتاع، قل أن ماثلها الأشباه، أو فارسها النظائر. تلك هي «مدام ريكاميه (٢) «Madame Récamier»

كتاب أندريه موروا عن شاتوبريان

قرأت هذا الوصف في الكتاب النفيس الذي ألفه «أندريه موروا» عن شاتوبريان. وما أعرفني قرأت أو سمعت مثل هذا الوصف في هذا الوصف الممتع الذي قرأت في آداب اللغة الفرنسية.. وما أظن أن أحدا وفق أكثر مما وُفق شاتوبريان في وصف الروعة التي تعتري



شاتوبريان

المحبين، وتأخذ عليهم طرائق حسهم وشعورهم وعقلهم جميعا، فيخرجون من مألوف القول، وتند على أقلامهم تعابير قد لا يستسيغها المتزمتون من الرجال، ويرون فيها انحرافا عن تقديس المفاهيم، إن لم يروا فيها الكفر الصراح.

ترجمة، هي دون الأصل الفرنسي

وأنا محاول في هذه الأسطر القليلة أن أنقل هذا الوصف الرائع إليك، إلى لغة العرب، ويعنيني أن بينها وبين الأصل الفرنسي كثيرا من الفوارق، وإني مهما وفقت في الأمانة والدقة، فلن أبلغ مبلغ كاتبها العظيم من البلاغة والعمق.

وصورتان

شخص وخصص ..


مدام ريكامييه

وحسبي أنني أحاول ، وحسبك أن تفهم محاولتي .

وإن كنتَ ممن رزقهم فقه هذه اللغة ، فارجعْ إلى الأصل الفرنسي من الكتاب . ولست أشك في أنك واجد فيه ما لا يمكن أن تجده في ترجمة أية لغة من اللغات . ويقيني أنك مستمتع بقراءة هذا الكتاب العظيم في اختيار الألفاظ ، كالجوهري النقاد ، وفي سبك الجمل ، بأسلوبه السحري الساحري ، حتى كأنك تستمع إلى لحن موسيقي ساحر ، من ألحان الخلود .

قال مؤلف الكتاب ، أندريه موروا

« وفي بيت مدام دوستال De Stael (٣) رأى — أي شاتوبريان — ذات يوم مدام ريكامييه Recamier ، وكانت أجمل

---

(١) شاتوبريان (١٧٦٨ — ١٨٤٨ م) ، هو الكاتب الفرنسي الشهير ، ساح في أمريكا ، وعاد إلى فرنسا والثورة الفرنسية قائمة . وترك فرنسا ليعيش في انجلترا عام ١٧٩٢ . وعاد إلى فرنسا عام ١٨٠٠ ، ولكن ساءت ما بينه وبين نابليون . ثم عمل سفيرا لفرنسا في لندن بعد عودة حكم آل بربون ، ثم وزيرا للخارجية من عام ١٨٢٢ إلى عام ١٨٢٤ . تحققت شهرته الأدبية بنشره كتاب « العبقرية المسيحية » (١٨٠٢م) . وقد ألحق بهذا الكتاب روايته ، الأولى أتالا « Atala » ، والثانية رينيه René . وقد اشتهر الكاتب بقوة خياله وبصفات أسلوبه . وكان أثره بالغا في الحركة الرومانسية — العربي .

(٢) هي جين فرانسواز برنارد ريكامييه (١٧٧٧ — ١٨٤٩ م) ، إحدى شهيرات نساء فرنسا ، اشتهرت بقوة روحها ، وبجمالها ، وبصالونها الذي كان يجتمع فيه بوابه رجال فرنسا ونساؤها ، بعد عودة آل بربون إلى الحكم . كانت صديقة مخلصة الود للكاتب شاتوبريان . والصورة التي لها بهذه الصفحات مأخوذة عن صورة زيتية لها في متحف اللوفر بباريس — العربي

(٣) كاتبة فرنسية شهيرة ، كان لها أثر كبير في الحركة الرومانسية في فرنسا . كانت تنزع إلى الآراء الحرة ، اضطهدها نابليون ثم ساقها إلى الجيلوبين — العربي .

امرأة في عصرها ، وكان سبق ان قدمه اليها « كريستيان دولا ميبون » ولكنه كان عند ذلك ما زال وحشيا لم يكد يخرج من غاباته،فلم يجرؤ على أن يرفع عينيه الى هذه المرأة المحوطة بالعابدين مما رآها . وبعد أن نشر قصته « اتالا Atala » استقبلته مدام دوستال في بيتها ذات صباح ، وبينما كانت وصيفتها تلبسها ثيابها في داخل البيت ، دخلت عليه مدام ريكاميه فجاءة ، وكانت ترتدي ثوبا من الحرير الابيض .

وهنا ننقل موروا ما كتب شاتوبريان عن هذا اللقاء حرفا بحرف :

« كنت لا أكاد أجيبه،وعيناي معلقتان بمدام ريكاميه (1) . وكنت اسائل نفسي: هل كنت أرى صورة لطهر العذارى ، أو للذة . انني لم أخترع أبدا شيئا مماثلا . واصابني انبهار لم أعرف له مثيلا في أي وقت قط . ان اعجابي العاشق قد تحول الى غضب على نفسي . واظن انني دعوت الله في أن يطيل عمر هذا الملاك ، وفي أن ينزع منه قليلا من ألوهيته،لتضيق المسافة فيما بيننا . انني حينما كنت أحلم في (سلفيد Sylphide) كنت أسبغ على نفسي كل صفات الكمال لكي أحوز اعجابها ، اما حينما كنت افكر في مدام ريكاميه،فقد كنت أجرّدها في بعض معالمها لاقرّبها مني . كان واضحا انني كنت أحب الحقيقة أكثر مما كنت أحب الخيال » .

هذه هي الصورة العابرة التي رسمها شاتوبريان للمرأة التي شغلت الناس ، وملأت الدنيا في القرن التاسع عشر ، وحملت المسيو هريو Herriot (١٨٧٢ ـ ١٩٥٧) رئيس مجلس نواب فرنسا ، واحد أعضاء الاكاديمية الفرنسية الاربعين الخالدين ، على أن يخصص لها كتابا ، سماه « مدام ريكاميه واصدقاؤها » ، وقال في مقدمته : انما يمر من وراء حياة هذه المرأة جميع ما اضطربت فيه فرنسا خاصة ، واوروبا عامة ، خلال القرن التاسع عشر،من شؤون السياسة والعقل والأدب والعلم (*) .

الست ترى معي أن هذه الصورة التي رسمها شاتوبريان قد تغني من الناحية العاطفية ، عن كتاب او عن كتب ، وانه قد جمع في أسطرها القليلة ، كثيرا من المعاني التي قد تضيق عنها المجلدات الضخام ؟

انظر الى انبهاره حين رآها ، والى اعجابه العاشق ، الذي دفعه الى الثورة على نفسه ، وهو أحد النبلاء الأباة الذين لم تلن لهم قناة ، ولم يعرفوا في حياتهم الملق أو الخضوع ، فلما كان لا بد من خضوع ترك باريس وهاجر الى لندن احتفاظا بحريته وكرامته .

وتأمل معي هذا التردد بين طهر العذارى وبين اللذات ، كلاهما قد توحي به صورة هذه المرأة الفريدة ، حتى يحار رجل كشاتوبريان بأيهما يمسك ، والى أيهما يتجه !

وما هذا الشعور الغريب الذي ينتاب الكاتب العظيم ، فيحمله على أن يدعو الله لينزع عنها قليلا من صفات الألوهية التي سكبها فيها ؟ وما هذا الاضطراب

(1) شبيه لهذا قول أبي صخر الهذلي .

فما هو إلا أن أراها فجاءة فأبهت لا عرفٌ لديّ ولا نكرُ

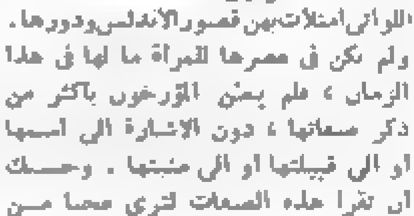
(*) المسيو هريو مات حديثا . والكتاب المشار اليه كان الاطروحة التي قدمها لنيل الدكتوراه عام ١٩٠٤ ـ العربي .

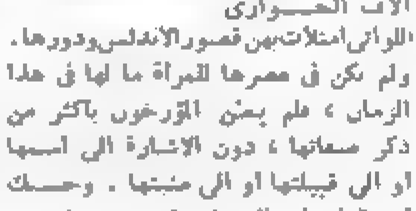
العميق الذي يكرهه على أن يجردها من بعض مفاتنها لتضيق مسافة العطف فيما بينه وبينها!

إن شاتوبريان قد صور في هذه الأسطر القليلة أروع صورة لأروع امرأة!

المرأة الثانية

وأما ثانيتهما، فلست أدري هل هي عربية النسب، شرقية المنبت، أم أنها من بنات الفرنجة، أو من أولاد الأعاجم، نحن لا نعرف شيئاً من اسمها، ولا عن أصلها، وكل ما حفظه لنا التاريخ عنها أسطر قليلة، قرأتها في نص اليوم الذي قرأت فيه وصف (مدام ريكاميه)، في الكتاب النفيس الذي خلف لنا بعض أجزائه الأمير شكيب أرسلان رحمه الله، وأدركته المنية قبل اتمام أجزائه الأخرى. ذلك الكتاب الذي سماه «الحلل السندسية في الأخبار الأندلسية».





الأمير شكيب أرسلان

لم تكن المرأة الثانية التي أحدثك عنها إلا جارية من آلاف الجواري اللواتي امتلأت بهن قصور الأندلس ودورها. ولم تكن في عصرها للمرأة ما لها في هذا الزمان، فلم يعن المؤرخون بأكثر من ذكر صفاتها، دون الإشارة إلى اسمها أو إلى قبيلتها أو إلى منبتها. وحسبك أن تقرأ هذه الصفات لترى معنا من العجب، ولتدرك أن هذه المرأة، إذا كانت عربية (وهو ما أشك فيه لأنها جارية تباع وتشترى) فهي دليل على نبوغ المرأة العربية وتقدمها. وإذا كانت أعجمية، فهي دليل أيضاً على انتشار الثقافة العربية وأثرها العميق في الشعوب المستعربة. ومهما يكن من أمر، وسواء أكانت هذه المرأة شرقية أم غربية، فهي إنسانة من ولد آدم، والرسول العربي الأعظم يقول: كلكم لآدم، وآدم من تراب. فإذا كان قد بقي لنا شيء من مفاخرنا في الأندلس، فإنها من صنع الناس، عرباً كانوا أو مستعربين.

لقد أشار الأمير شكيب رحمه الله إلى هذه الجارية في موضعين من كتابه، مما يدلك على أنها استأثرت ببعض اهتمامه. وهو نقل ما جاء عن الجارية من كتاب (البيان المغرب، في أخبار ملوك الأندلس والمغرب) لابن عذاري(١) وقد جاء فيه:

«اشترى ابن الأصلع جارية الطبيب أبي عبد الله الكناني بثلاثة آلاف دينار. قال ابن حيان في تاريخه: لم يُرَ في زمانها أخفّ منها روحاً، ولا أسرع حركة، ولا أطيب أعطافاً، ولا أطيب صوتاً، ولا أحسن غناء، ولا أجود كتابة، ولا خطاً، ولا أبدع أدباً، ولا أحضر شاهداً، مع السلامة من اللحن في كتابتها وغنائها، لمعرفتها بالنحو واللغة والعروض، إلى المعرفة بالطب، وعلم الطبائع، ومعرفة التشريح، وغير ذلك مما يقصر عنه علماء الزمان. وكانت محسنة في صناعة الثقاف(٢)، والمحاولة بالتراس، واللعب بالرماح والسيوف والخناجر المرهفة،

(١) هو محمد بن عذارى المراكشي مؤرخ عاش في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي. كتابه المذكور نشر في ليدن عام ١٨٤٨.

(٢) صناعة تقويم الرماح أي تثقيفها.

لم يسمع له في ذلك بنظير ولا مثيل ولا عديل ».

فهل ترى ، وقاك الله الفتنة ، أعجب من هذه الصورة وأغرب ؟

ولقد كنت أحدث نفسي وأنا أقرأ هذه الكلمات عن شعور الأمير رحمه الله حين اختارها فيما اختار لكتابه ، وإذا به قد اعاني من التساؤل ، فكتب في الحاشية ما نصه : هذه المرأة ريحانة وقهرمانة معا .

ومع هذا التعليق الموجز ، يتضح لك ما اختلج في نفس الأمير من مشاعر ، وما اضطرم في نفسه من أحاسيس .

الصورتان معا

ولست ابغي الى المقارنة بين الصورتين فما بينهما وجه للمقارنة . ولكني لا احب أن تعوتني الاشارة الى انهما رائعتان فنانتان ، كل واحدة منهما على طريقة قوم من الناس .

واذا كان لي ان استخلص شيئا من الصنيعين ، فانني لا أجد مفرا من ان اشير الى هذا الخلاف الواضح في الطريقة بين قوم وقوم ، ولست أرده الى اختلاف العصر ، وانما ارده الى اختلاف الطبائع ، والى افتراق في الخصائص .

ولست ازعم ان هذا المثل يصح ان يكون قاعدة تبني عليها دراسة طبائع الشعوب وخصائصها ، ولكنه قرينة صالحة ، قد يأتي بها الذين يهتمون بهذا النوع من الدراسات في أبحاثهم هذه .

هذا الاختلاف ، وذلك الافتراق ، هو في نظري ميل الغربيين على الأعم الأغلب الى التجريد والتعميم ، وحرص الشرقيين على الأعم الأغلب على التخصيص والتشخيص .

ففي الصورة الاولى لم يشأ مبدعها أن يدلك على مواضع الفتنة في صورته ، ولا أن يحدد لك على وجه الدقة ألوان حسنها ، ولا فنون مزاياها ، وانما تركك أنت تستخلص من المفردات التي ألقاها اليك ما يزينه لك خيالك ، وما يوحي اليك الهامك ، على النحو الذي ترى فيه الفتنة ، وتتصور فيه السحر .

وفي الصورة الثانية ، أخذ الكاتب بيدك ، وسار معك خطوة خطوة ، ليدلك على ما ترى وما لا ترى ، يعدد لك الصفات ، ويكاد يرقم المزايا ، كأنه احصائي احتصاصي ، لا يغادر موضعا من جمال الا ذكره ولا بارقة من حسن الا أشار اليها ، ولا فضيلة الا نعتها .

وانا لست أرى أن أدب الفرنسيين خاصة ، والأوروبيين عامة ، قد خلا من مثل هذا الوصف الذي تركه لنا ابن عبادي . كذلك لست ازعم أن أدبنا قد خلا من التجريد والتعميم . ولكني اضرب مثلا أرى انه قد يستقيم للنقد المطلق الضيق ، فيما اذا اردنا تطلب الشائع ، واستبعاد النادر .

وسواء أكان هذا أم ذاك ، فانه اذا كان هم الأدب والفن ، تنمية الشعور بالجمال ، وصقل الأذواق ، والتقرب من المثل الأعلى ، فاني أرى أن الصورتين على ما بينهما من خلاف تتممان بعضهما بعضا ، وتمتعان في القلب رقيق العاطفة ، وتنشران عبقا من الأرج ، لا يكاد يطيف بالمرء ، حتى يرفعه عن أوضار المادة ، ويربطه بالملأ الأعلى .

ظافر القاسمي



قصة للكاتب الايطالي لويجي بيرانديلو

الحرب

لزاما على المسافرين الذين غادروا روما بقطار الليل السريع ، أن يتخلفوا في محطة فابريانو الصغيرة حتى الفجر ، تمهيدا لاستئناف رحلتهم بالقطار المحلي الصغير ، العتيق ، الذي يربط الخط الرئيسي ومدينة « سولمونا » .

وعند الفجر ، دخلت مركبة من مركبات الدرجة الثانية ، أثقل الدخان والأنفاس هواءها ، الذي قضى خمسة أشخاص ليلتهم فيها ، امرأة بدينة في ثياب سوداء ، وكأنها حزمة غير متناسقة . وتبعها زوجها وهو يلهث . وكان رجلا ضئيل الجسم ، نحيفا ، ضعيفا ، ذا وجه شاحب شحوب الموتى ، وعينين ضيقتين لامعتين ، يتراءى فيهما الخجل والضيق .

ولما استقر أخيرا في مقعده ، شكر المسافرين اللذين ساعدوا زوجته وأفسحوا لها مكانا ، ثم التفت الى المرأة محاولا أن يخفض ياقة معطفها ، متسائلا متجاملا « ألست بخير يا عزيزتي ؟ » .

وبدلا من أن تجيبه زوجته بالشكر ، رفعت ياقة معطفها ثانية ، حتى كانت تمس عينيها ، لتخفي وجهها ، فتمتم الزوج وعلى شفتيه ابتسامة حزينة : « هكذا الدنيا » .

واحس بأن من واجبه أن يطلع رفاق السفر على أن زوجته المسكينة جديرة بالعطف والرثاء ، لأن الحرب كانت في سبيل انتزاع ولدها الوحيد منها . فتى في العشرين من عمره ، أوقفا عليه حياتهما ، وهجرا بيتهما في « سولمونا » ، ليتبعاه الى روما ليكمل دراسته ، ثم لما وقعت الحرب سمحا له بأن يتطوع فيها ، بعد أن اطمأنا الى أنه لن يرسل الى الجبهة قبل ستة أشهر على الأقل . ولكن ها هما قد تلقيا الآن برقية تقول أنه قد طُلب للسفر خلال ثلاثة أيام، وسألهما أن يلحقا اليه ليودعاه .

وكانت المرأة تلوي وتتململ تحت المعطف الفضفاض ، وتزداد انفعالا — في بعض الأحيان — فتبدو كالحيوان الهائج . فقد كانت تشعر بأن كل هذه الإيضاحات التي جاء بها زوجها غير كافية لأن تثير ظلا من العطف لدى أولئك القوم الذين كانوا — في الغالب — في مثل موقفها .

قال واحد منهم ، وكان يصغي بانتباه : « يجدر بكما أن تشكرا الله لأن ابنكما انما طلب اليه أن يذهب الى جبهة القتال ، أما ابني فقد ذهب في أول يوم من أيام الحرب. وقد عاد مرتين ليتداوى من جراحه ، وفي كل مرة كان يُرَدّ الى الجبهة ثانية » .

وقال آخر . « وما قولكم في حالي ؟ .. ان لي ابنين وثلاثة أخوة في الجبهة » .

فخرج الزوج عن صمته ليقول : « ولكن هذا ابننا الأوحد » .

— وما الفارق ؟ .. انك قد تفسد وحيدك بالاسراف في الرعاية والحب ، ولكنك لا تستطيع أن تحبه أكثر مما تحب أولادك الآخرين اذا كان لك سواه . ان الحب الأبوي ليس كالخبز يمكن أن تجزئه وتقسمه على الأولاد بالتساوي . فالأب يولي أولاده كل حبه دون تفرقة ، سواء أنجب واحدا أو أنجب عشرة . واذا كنتُ أتألم الآن من أجل ولديَّ الاثنين ، فلست أقاسي كلا منهما بنصف أساي ، بل انني أقاسي الأسى مضاعفا » .

فزفر الزوج المتحرّج قائلا : « صدقتَ .. صدقت .. ولكن هبْ — ولنا نرجو ألا يحدث لك هذا — هب أن والد الاثنين فقد واحدا منهما .. انه اذن لسيجد في الآخر عزاء . أما .. »

وأجاب الآخر متأثرا : « أجل ، سيبقى له ابن يعزيه ، ولكنه — من ناحية أخرى — ابن لا بد للأب من أن يعيش لأجله . في حين أن الأب ، اذا الابن الواحد يستطيع أن يموت اذا ما مات ابنه، فيضع حدا لحزنه . فأي الوضعين أسوأ ؟ .. ألا ترى أن حالي أسوأ من حالك ؟ » .

وكان في المسافرين مسافر آخر ، بدين ، أحمر الوجه ذا عينين محتقنتين ، بالهتين القلتين ، يسمع . فقاطع المتحدث قائلا « هذا هراء ! » .

كان يبتسم .. ولكنما كانت عيناه الجاحظتان تدوران بعنف ، لأن به حيوية لا يكاد يقوى جسده الواهن على احتمالها .. وعاد يردد ، وهو يحاول أن يحجب فمه بيده ليتستر على سنتين اقتلعتا في مقدم فمه : « هراء وأي هراء . أتحسبون أننا نلد أولادنا ونمنحهم الحياة من أجل مصلحتنا نحن خاصة ؟! »

فحملق المسافرون الآخرون فيه واجمين . وزفر الذي ذهب ابنه للجبهة منذ اليوم الأول ، وقال : « أصبت . ان أولادنا ليسوا ملكا لنا ، فهم ملك الوطن .... » .

فزمجر المسافر البدين ذو العينين الجاحظتين ، وقال : « وي ! .. هل نحن نفكر في الوطن عندما نمنح أولادنا الحياة ؟.. انما يولد أبناؤنا لأننا.. لأنهم لا بد أن يولدوا . وهم حين يقدمون الى الحياة يستولون على حياتنا . هذه هي الحقيقة. انما نحن ملك لهم ، ولكنهم ليسوا ملكا لنا البتة. فاذا بلغوا العشرين ، أصبحوا كما كنا نحن تماما في تلك السن . فقد كان لكل منا أب وأم ، ولكن كانت هناك أشياء أخرى نشتغل بها كذلك .. نساء ، سجائر ، نزوات ، وروابط جديدة .. والوطن طبعا ، فكان لزاما أن نجيب دعوته لو أنه دعانا ونحن في العشرين ، ولو اعترض الأب والأم.. واليوم لا يزال حب الوطن عارما طبعا ، ولكن حبنا لأولادنا أقوى منه . فهل بيننا هنا من لا يقبل راضيا أن يحل محل ابنه في الجبهة اذا استطاع ؟ » .

وسيطر الصمت ، واخذ كل يهز رأسه موافقا .

فاستأنف البدين حديثه قائلا : « فلماذا — اذن — لا نقدر مشاعر أولادنا وهم في العشرين ؟ .. أليس الطبيعي أن يشعروا في سنهم هذه حب الوطن — وأنا أتكلم عن الأولاد الصالحين طبعا — فوق حبهم لنا ؟ .. أليس من الطبيعي أن يكون الأمر كذلك ، وهم — برغم كل شيء — لا بد يرون فينا كهولا وشيوخا لم يعودوا قادرين على الحركة ، ومن الواجب أن يمكثوا في البيت ؟ .. واذا كان

الوطن وجود ، واذا كان الوطن ضرورة كالخبز الذي لا بد لنا ان نأكله لئلا نموت جوعا ، فلا بد ان يكون هناك من يذهب للذود عنه . ولهذا يذهب اولادنا حين يبلغون العشرين ، وهم في غير حاجة الى الدموع ، لانهم اذا ماتوا فانما يموتون متحمسين وسعداء .. وانا اتكلم عن الاولاد الصالحين طبعا . واذا مات شخص وهو شاب وسعيد ، ولم يبتل بالاشياء الكريهة في الحياة — السأم ، الآلام ، خيبة الآمال ، فماذا نريد له اكثر من هذا ؟ .. فليكف كل امرئ منا عن البكاء ، وليضحك كما اضحك .. او — على الاقل — ليحمد الله كما احمده لان ابني ارسل لي قبل موته ، يقول انه كان يموت راضيا ، وقد ختم حياته احسن ختام كان يتمناه ، وهذا هو السر في انني لم احفل حتى بارتداء ثياب الحداد عليه ... » .

وهز الرجل سترته الخفيفة المصنوعة من الجلد — وكأنه يريهم ثيابه — وشفته الشاحبة ترتجف فوق سنتيه الناقصتين ، وعيناه جامدتان وراء طبقة من ثلج رقراقة . ثم اطلق ضحكة حادة كان من المحتمل ان تؤخذ مأخذ الصرخة المدوية .

وقال الآخرون يكررونه : « هو كذلك .. هو كذلك » .

وكانت المرأة المكومة في ركنها — تحت معطفها — قد حاولت طيلة الاشهر الثلاثة الماضية ان تجد في كلمات زوجها واصدقائها ما يخفف عنها اساها العميق .. ان تجد شيئا يريها كيف تروض الام نفسها على ان ترسل ابنها ولو لمجرد خطر محتمل ، مع الموت .. ولكنها لم تكن قد وجدت كلمة واحدة في كل ما كان قيل لها ، وزادها حزنا انها لم تجد شخصا واحدا يشاطرها شعورها . فكذلك خيل اليها .

اما الآن فكلمات المسافر هذا قد اذهلتها ، بل افحمتها . فقد تحققت ان الذنب لم يكن ذنب الذين كانوا حولها ، فليسوا هم الذين عجزوا عن ان يفهموها ، وانما هي التي لم تستطع ان ترقى الى صف اولئك الآباء والامهات الذين راحوا يروضون انفسهم — بدون بكاء — لا على رحيل ابنائهم فحسب ، بل على موتهم .

ورفعت رأسها ، ومالت عن ركنها ، واخذت تصغي للتفصيلات التي راح البدين يدلي بها لزملائه عن طريقة استشهاد ابنه — في سبيل وطنه — وهو سعيد ، غير نادم ولا متحسر . وخيل اليها انها وقعت على دنيا لم تحلم بها يوما .. دنيا كانت مجهولة لديها .. وسرها ان تسمع كل امرئ يشترك في تهنئة الرجل البدين ، الوالد الباسل ، الذي كان يتكلم عن موت ابنه بهذه الفلسفة .

وفجأة ، التفتت اليه متسائلة ، وكأنها تستيقظ لتوها من حلم : « اذن .. فقد مات ابنك حقا » .

وحملق الجميع فيها . والتفت الرجل كذلك ينظر اليها ، متفرسا في وجهها بعينيه الجاحظتين الباهتتين الشحمتين . وظل يتفرس ، وكأنما فطن الآن فقط — وبهذا السؤال غير المناسب — الى ان ابنه قد مات حقا .. وانه ذهب الى الابد !

واضطربت اساريره بانفعال شديد ، وانجهم وجهه ، ثم انتزع منديلا من جيبه في عجلة .. ولدهشة كل امرئ انطلق ، مجهشا ببكاء مسموع مزق قلوب الحاضرين جميعا . ■

ترجمة : محمد بدر الدين خليل



نقد كتاب الشهر

ألدوس هكسلى

(١٨٩٤ - ١٩٦٣)

الأديب الذى أفزعه مستقبل الجنس

بقلم: الدكتور محمود السمرة

■ فى الثانى والعشرين من شهر نوفمبر الماضى (١٩٦٣)، فنى الدوس هكسلى Aldous Huxley بمرض السرطان عن تسعة وستين عاما، بعد ان قدم للمكتبة الانجليزية خلال اربعين سنة، اكثر من خمسين كتابا بين قصص، ومسرحيات، ومقالات، واشعار، ونقد، وفلسفة.

والدوس هكسلى من عائلة علم وادب: فهو حفيد توماس هكسلى العالم البيولوجى الشهير وللعيد داروين، وشقيق العالم المعروف جوليان هكسلى، وابن بنت شقيق الشاعر ماثيو ارنولد. وقد كان الدوس يطمح الى ان يكون عالما كجده واخيه، الا انه اصيب وهو طالب فى كلية ايتون بمرض فى عينيه، افقده البصر كلية، وجعله يعيش فى ظلمة دامسة مدة عامين. ولكن العلاج، ان كان قد رد اليه البصر، الا انه لم يشفه تماما، فعاش طيلة حياته بعينين مجهدتين.

وبعد ان انهى الدوس دراسته فى كلية ايتون التحق بجامعة اكسفورد ليدرس الأدب الانجليزى القديم والأدب الاغريقى واللاتينى، بعد ان حال ضعف عينيه بينه وبين دراسة الطب.

وفى عام ١٩١٩ تزوج فتاة بلجيكية كانت لاجئة فى بريطانيا. وعمل بعد هذا فى مجلة «الثيوم» و «فوج» و «هيتى فير»، وكتب فيها مقالات فى مواضيع مختلفة: مقالات فى الأدب والنقد، وفى السجاد العجمى وتزيين الغرف! وفى راى هكسلى ان العمل الصحافى مفيد للكاتب الناشىء، لانه اشبه بفترة تمرين يكتسب فيها الكاتب الاسلوب السلس السهل الذى هو من مقتضيات الصحافة كما انه يعوده ان ينظر الى الامور نظرة شاملة من عدة زوايا، وذلك بسبب اضطراره الى الكتابة فى اى موضوع يمكن ان تطلبه منه المجلة.

وبين عامى ١٩٢٣ و ١٩٣٠ عاش هكسلى فى ايطاليا برفقة صديقه دى. اتش. لورنس Lawrence وزار امريكا الوسطى عام ١٩٣٤، وبدا منذ التطواف اخيرا قرر الاستقرار عام ١٩٣٧ فى كاليفورنيا.

وفى ١١ مايو ١٩٦١ حلت بهكسلى كارثة كانت فى رايه اسوا ما حل به فى حياته: فقد اكلت النيران على بيته والتهمته بما فيه من تحف ثمينة، ومخطوطات نادرة، وكتب قيمة، واوراق خاصة لا تعوض. وقد نجا هو وزوجته من النيران باعجوبة، ولم يستطع ان ينقذ الا مخطوطة قصته «جزيرة». وقد اتت هذه النار على اربعة وعشرين



« لا مكان للمجتمع السليم ، في عالـم شرير مريض !! »

بيتا في قلب هوليود ، ودمرت ارضا مساحتها ١٢٠٠ فدان .

وعاش هكسلي حياته وهو يؤمن ان الكتابة واجب يومي مفروض عليه ، ولهذا فانه كان يخصص للكتابة خمس ساعات كل يوم في الصباح وقبل الغداء . اما الليل فللقراءة . ويقول هكسلي انه قد اعاد كتابة ما صدر له من مؤلفات عددا كبيرا من المرات قبل ان يرضى عنها ويرسلها للنشر ، ولكنه بعد ان يدفع بها الى الناشر لايعود اليها ابدا . ولا يهمه ما يقوله النقاد فيها .

اما قصصه فانه يكتبها فصلا فصلا ، دون ان تكون في ذهنه عند البدء سوى الصورة العامة للقصة .

وقد وقع هكسلي في شبابه تحت تأثير ثلاثة من الكتاب الفرنسيين هم : اناتول فرانس France ومارسيل بروست Proust واندريه جيد Jide ولكنه يقول انه عندما عاد اليهم بعد ان تعدى طور الشباب ، اصيب

بخيبة امل ، وخاصة بالنسبة لألدوس هكسلي الذي لم يعد ، في رأيه ، يطاق هذا العصر .

* * *

ووسط انتاج هكسلي الغزير المتنوع تتفرد بالتميز ثلاثة كتب هي « عالم جديد شجاع » و « العودة الى عالم جديد شجاع » (١٩٥٩) و« جزيرة » ١٩٦٢ (١) وهي كتب تتناول أزمة الانسان المعاصر ، ومستقبله وكيف ينتظر أن يكون .

والتفكير في مستقبل الانسان ، وما يخبئه له المستقبل ، ورَسْمُ الطريق لمستقبل افضل ، من الموضوعات التي استأثرت باهتمام الفلاسفة منذ أفلاطون في « جمهوريته » (القرن الرابع قبل الميلاد) حتى ألدوس هكسلي في « جزيرة » (١٩٦٢) . والواقع ان الكاتب الذي يتناول مستقبل الجنس البشري ليس معنيا بالمستقبل بل بالحاضر ، فهو انما يجسد في كتابه العوامل الفاعلة في تطور الانسان، الحسنة منها والسيئة، فكأنه بهذا يخاطب البشر قائلا لهم : « انظروا هذا هو واقعكم ، وهذا الواقع سيؤدي بكم الى مثل هذا المستقبل » . ولا يعني هذا بالضرورة ان رأي الكاتب صحيح بل الأرجح انه غير صحيح . واذا ألقينا نظرة على ما صدر من كتب عن مستقبل الجنس البشري ، منذ القرن التاسع عشر حتى الآن ، يبدو لنا واضحا صواب هذا الرأي الذي نراه .

* * *

ولكنّ هناك فرق بين كتّاب القرن التاسع عشر وكتاب القرن العشرين : فبينما نجد كتاب القرن التاسع عشر متفائلين ، متطلعين الى مستقبل زاهر ينعم فيه البشر بالسعادة ، نرى عند كتاب القرن العشرين تشاؤما عاما ، فهم لا ينتظرون للبشر في المستقبل سوى الهلاك .

ومن أشهر الكتاب الذين يصوّرون روح القرن التاسع عشر وما ساده من تفاؤل اتش.جي. ولز H. G. Wells ووليم موريس Morris وادورد بلامي Bellamy وروبرت بلاتشفورد Blatchford

فقد كتب ولز قصصا طوباوية تصور عالم المستقبل وقد سكنته الرفاهية والسعادة والطمأنينة ومنها قصته « الزمن الآلة Time Machine » (١٨٩٤) التي تقع أحداثها في عام ٨٠٢٧٠١ ، وذلك بسبب التقدم الصناعي . والذي جعل ولز يؤمن مثل هذا الايمان العميق بالعلم ، وانه كفيل بتحقيق السعادة للبشر ، انه هو نفسه كان عالما ، كما ان الذي شجعه على هذا الاعتقاد ما شهده بعينيه من تقدم سريع في الميادين العلمية . ولكن ولز غاب عن باله ان العلم لم يوجه لخدمة سعادة الانسان ، وانما استحال الى نقمة تهدد الجنس البشري بالفناء ، وهذا ما احسسنا به جميعا ، منذ ابتداء هذا القرن . ولماذا حدّد ولز هذا العام القريب ، عام ٨٠٢٧٠١ ، ليتحقق فيه المستقبل السعيد ؟ هذا ما لا نجد جوابا عليه .

ومثل هذا الايمان بالعلم نجده عند برنارد وولف Wolfe في قصته « لمبو ٩٠ Limbo 90 » فهو يتخيل البشر عام ١٩٩٠ وقد اتخذوا لهم أطرافا صناعية بدلا من أطرافهم الانسانية .

* * *

ومن الكتاب الذين ظهر في كتاباتهم تشاؤمية القرن العشرين ، تشسترتون Chesterton في قصته « الكرة والصليب » (١٩١٠) ، وهي قصة ضعيفة البناء الفني . وفي رأي تشسترتون ان أزمة المستقبل هي أزمة الدين ، وتدور أحداث القصة بين كاثوليكي متدين ، وملحد ، هو ابن هذه البيئة العلمية الصناعية ، وتنتهي القصة بسيطرة حزب سياسي على مقاليد الأمور ، فينكل بهما ، لأن الجهل العصر لا يرضيه . أزمة المستقبل عند تشسترتون ، اذاً ، هي أزمة الدين أولا تنتهي بسيطرة حزب سياسي يتحكم بالآراء ، ويكمم الأفواه ، والطرفان في الضحية سواء

(1) Brave New World , Brave New World Revisited, Island

وظهر بعد هذا كتاب بعنوان « ١٩٨٤ » لجورج اورويل Orwell ، وازمة المستقبل عنده هي ازمة نظام سياسي حزبي سلب الحياة بهجتها، وحرم الانسان حريته . يقول احد ابطال قصته لرفيقه ، وهو قول يلخص لنا رأى اورويل في المستقبل : « اذا اردت منى ان اعطيك صورة لهذا المستقبل ، فان اوضح صورة له في نظرى هي صورة انسان ملقى على الارض ، وقد وقف فوقه انسان آخر يسحق فيه بحذائه » !

ونجد هذا التشاؤم نفسه في كتابي انجوس ولسون ونيفل شت (٢) . فنيفل شت يتصور ان حربا ذرية قد اشتعلت فدمرت نصف الكرة الشمالي ، ولكن الهلاك يهدد سكان نصف الكرة الجنوبي ايضا ، فالاشعاع الذرى يتجه نحوهم ، وهم منتظرون في الرعب في انتظاره .

★ ★ ★

والذي لا شك فيه ان خير ممثل لروح التشاؤم من المستقبل التي سادت هذا القرن ، نجده في كتاب الدوس هكسلي « عالم جديد شجاع » ، وهذا الكتاب رد عنيف على طوباوية ولز ، وقد حدد هكسلي تاريخ ملكه بالقرن السابع بعد فورد، ملك السيارات ، امعانا في التهكم من ايمان ولز بالعلم وانه سيحقق السعادة للبشر !

ان هكسلي يصور عالم المستقبل في كتابه هذا وقد سيطر فيه العلم : فالبشر فيه هم ابناء البوانق ، وكلمة ام قد حذفت من القاموس لانه لا وجود لها في واقعهم ولذلك فهم يشعرون بالواجهم دهشة عندما يسمعون بهذه الكلمة من قادم غريب وجد نفسه فجأة بينهم ، ويطلقون عليه اسم « المتوحش » ، لانه ابن امرأة لا ابن بوتقة .

ويعود هكسلي ثانية في عام ١٩٥٩ ليعالج الموضوع من جديد في كتابه « العودة الى عالم جديد شجاع » على ضوء التطورات التي حدثت في العالم خلال السنوات الماضية . وهو في كتابه هذا يؤكد ان العالم يسير نحو الهاوية لاسباب اخرى ، تضاف الى سيطرة العلم على الانسان ، وهو الموضوع الذى عالجه في كتابه السابق .

ان ازمة الانسان في كتابه هذا متعددة الجوانب: فهي ازمة ناجمة من المفاهيم الخاطئة ، والوعي الناقص، والزيادة المطردة في عدد السكان زيادة مذهلة . وفي رأيه ان هذا كله سيؤدى حتما الى القضاء على الحكم الديمقراطى ليحل محله الحكم الديكتاتورى الذى تذوب فيه ارادة الفرد . وهذه هي خاتمة المأساة . وهنا يسود المجتمعات القلق الاقتصادي ، وتعظم الثورة كلما سنحت بوادرها ، وهذا بدوره سيساعد على تركيز السلطة في يد فئة تحكم بالعنف والبطش .

ويقترح هكسلي للحيلولة دون هلاك الانسان ان تقوم هناك حركات جادة تسعى الى تطهير فكر الانسان مما فيه من مفاهيم خاطئة، ووعي ناقص، وذلك بالتوجيه والاقناع . كما انه يرى ان على الجنس البشرى ان يسارع الى تحديد النسل بحيث لا يزيد عدد المواليد عن عدد الوفيات . ومثل هذه المقترحات يصعب تطبيقها ، اذ كيف يمكن حمل الناس على تحديد النسل مثلا ، والانسان ما زال حتى اليوم يخضع للغريزة في هذا الجانب من حياته ؟! ان البشر لم يستطيعوا ان يتفقوا حتى على ما هو ادنى من هذا بكثير .

ويعود هكسلي في عام ١٩٦٢ الى الموضوع للمرة الثالثة ، ولكن لا ليرسم لنا صورة لاهوال عالم المستقبل ، بل ليقيم دولة مثالية في جزيرة تقع في مكان ما قريب من اندونيسيا ، فكأنه في قصته الجديدة هذه المسماة « جزيرة » يقول لنا : هذا هو المجتمع الانساني الذى ارجو ان يتحقق على هذه الارض . وجزيرة هكسلي جميلة ، وسكانها مكتملو الاجسام ، جذابون ، يدينون بدين هكسلي الذى هو مزيج من الصوفية واليوجا . ورغم غنى الجزيرة بالنفط؟! فان اهلها يرفضون استنباطه، ويسدون حاجاتهم والتزامات دولتهم ، باستخراج

(2) Angus Wilson, The Old Men at the Zoo; Nevil Shute, On The Beach.

جزء من اللعب الذي تكلف به مناهجهم ، وتحسين طرق الزراعة . وتحديد النسل مطبق في هذه الجزيرة ، والتلقيح الصناعي امر شائع فيها ، ولكن من لقاح صفوة رجالات الجزيرة عقلا وجسما ، وهو لقاح يحفظ في انابيب في جو مناسب . وكل فرد في هذه الجزيرة يجد حاجته من الطعام ، وينال حظه من التعليم المناسب له على احدث الاساليب التربوية . وسكان هذه الجزيرة لا يعرفون الامراض النفسية ، ولا التوترات العصبية ، ولا يشكون من الظلم الاجتماعي ، ولا الحكم الديكتاتوري . فكل فرد فيهم سعيد ، وهذه السعادة نتيجة العناية بهم في اجسادهم ونفوسهم .

ولكن هذه الجزيرة الصغيرة السعيدة تثير جشع جاراتها القوية الطامعة في ثرواتها النفطية ، الكارهة لهذه السعادة المطلة على الارض ، فتهاجمها وتحتلها وتقضي على هذا الحلم الجميل . وما يريد ان يقوله هكسلي في هذه القصة هو انه لا مكان للمجتمع السليم في عالم شرير مريض .

* * *

وهكسلي الاديب مهتم بدراسة العلوم اهتمامه بكل فروع المعرفة الانسانية ، فهو بسعة اطلاعه اشبه بموسوعة متحركة من الادب والعلم معا ، ويستطيع ان يتحدث في العلم حديث الخبير المتخصص ، كما هو في الادب .

وقد استهوته في حياته فكرة استحضار نوع من الخواطر اذا تناوله المرء حلق احلامه ، وارضى نفسا ، واخصب خيالا . ومن اجل هذا كان يقضي الساعات الطويلة في التفكير ، منكبا على استحضار هذا النوع من الخواطر . وقد توصل اخيرا الى استحضار نوعين من الخواطر هما الميسكالين والليسيرجيك اسيد .

وكان اول من اوحى لهكسلي بهذه الفكرة طبيب نفساني بريطاني اسمه همفري اوزموند . وكان هذا الشاب يقوم بتجارب تهدف الى معرفة اثر انواع من المخدرات في فئات مختلفة من الناس . ولما سمع هكسلي بهذا الطبيب الذي كان يعيش في كندا ، سارع الى الاتصال به ، وقدم نفسه له ليجري عليه التجارب . ثم اصبح هو نفسه بعد هذا متحمسا الى دراسة اثر العقاقير المخدرة في صنوف البشر .

وقد وصف هكسلي تجاربه في هذا الميدان في كتابه « ابواب الادراك الحسي The Doors of Perception » (١٩٥٤) . ومن النتائج التي توصل اليها ان هناك فروقا شاسعة في ردود فعل الناس الى هذين المخدرين ، ولكن الثابت عنده ان ايا من هذين المخدرين يجعل المرء اكثر ادراكا للناس حوله ولحياته ، كما يجعل المرء يحس ان الكون الرحيب حولنا ليس هو الكون الوحيد للوجود .

وهذا المخدر يعين الموهوبين على الابداع ، سواء منهم الادباء او العلماء ، ولكنه لايستطيع ان يخلق من غير الموهوبين موهوبين ، وان كان يزيد في ادراكهم .

ويتساءل هكسلي : ترى لماذا نجد ان بعض الناس تبقى عقولهم متفتحة حتى سن الشيخوخة ، ولماذا يفقد غيرهم هذا التفتح في سن مبكرة ؟

وفي رايه ان هذه مشكلة تقع ضمن اختصاص الكيمياء الحيوية ، وان باستطاعة الكيمياء الحيوية علاج مثل هذه الحالات ، اذا وجد المتخصصون المخلصون وتوفروا على دراسة هذه المشكلة .

* * *

لقد قال هكسلي عن نفسه : « ان من المزعج ان يعيش المرء في القرن العشرين مشتغلا بثقافة مناسبة للقرن السابع عشر » . وكان بهذا ظالما لنفسه ، لانه في الحقيقة قد جمع في نفسه من المعارف الانسانية اقصى ما يستطيع ان يعيه اي انسان . ■

محمود السمرة



من الكتب التي وصلتنا

المملكة العربية السعودية

امين المميز ــ بيروت

● يروي المؤلف في كتابه هذا مشاهداته في المملكة العربية السعودية

الاهرامات المصرية

تأليف الدكتور أحمد فخري ــ ترجمة الدكتور احمد فخري ــ مؤسسة فرنكلين ومكتبة الانجلو المصرية

● هذا الكتابلا يتناول اهرام الجيزة فحسب، وانما يعالج الاهرامات جميعها ، ما يوجد منها في الجيزة ، وما يوجد منها في جبانة منف ، وابي رواش ، وزاوية العريان ، وابي صير ، وغير ذلك من المناطق الاثرية الشهيرة .

الحمل والولادة

للدكتور مصطفى الخالدي ــ بيروت

● من فصول الكتاب : تاريخ الولادة ، تشريح الاعضاء التناسلية والحوض، فيزيولوجية الحمل، علامات الحمل واعراضه ، نمو الجنين شهرا بعد شهر ، طعام وغذاء الحامل ، العناية بالحامل ، الطبيب والحامل ، زمن الولادة وعلاماتها .. الخ

تقدم التعليم العالي في العراق

حسين الدجيلي ــ مطبعة الارشاد ــ بغداد

● يتناول هذا الكتاب بالدراسة الموضوعات التالية : عرض تاريخي ، جامعة آل البيت ، تأسيس الجامعة قبل تشريعها ، تأسيس مجلس التعليم العالي ، تأسيس جامعة بغداد .

نفحات الخليج

عبد الله سنان محمد ــ مطبعة حكومة الكويت

● ديوان من الشعر الوطني الاجتماعي والوجداني من قصائده : كويت العرب ، القلب، عيد الفطر ، الاعتراف المزعوم ، حيا للكفاح ، الجزائر ، بورسعيد ، الدستور ، الهندية ، ذات الربيع ..

ينابيع الحياة

اسحق اسيموف ــ ترجمة الدكتور ثابت جرجس نصيف،مؤسسة فرنكلين ومكتبة نهضة ــ بيروت

● كتاب في اربعة ابواب هي : الحياة والنوع ، الحياة والخلية ، الحياة والجزيء ، الحياة .

شخصيات القدر

دونالد كلوليس بيتي ــ مكتبة النهضة ــ بغداد

● كتاب يعرض تراجم لاكثر من اربعين شخصية من الشخصيات المشهورة في العالمين العربي والغربي في مختلف المجالات .

الامثال الشعبية في قلب جزيرة العرب ثلاثة اجزاء

عبد الكريم الجهيمان ــ بيروت

● كتاب في امثال قلب جزيرة العرب ، وهو مرتب ترتيبا ابجديا .

الفنون الادبية وأعلامها

انيس المقدسي ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت

● يتناول هذا الكتابعرضا عاما للفنون النثرية في ادبنا الحديث ، وهو يتناول بالاكثر الاعلام الراحلين . وتتناول فصول الكتاب ما يلي من الفنون الادبية : المقالة ، الخطابة ، القصة ، السيرة ، النقد .



منطق امرأة !

● كان الزوج يقود السيارة ولما وصل الى تقاطع الطرق خفف السرعة، وسأل زوجته أن تنظر الى جهة اليمين لترى ان كانت هناك سيارات قادمة من تلك الجهة .

فالتفتت الزوجة .. وقالت : **كلا**

وسكتت قليلا وانطلق الزوج بسيارته ،

فاذا بالزوجة تكمل جوابها : **ولكن توجد سيارة شحن واحدة !**



سبب رئيسي !

● سلم مدير المحل التجاري بطاقة الى احد الزبائن تمثيلها، والاجابة على سؤال واحد فيها، وهو ما هو السبب الرئيسي الذي يجعلك تشتري بضاعتنا ! فامسك الزبون القلم وكتب على البطاقة



ـ السبب الرئيسي الذي جعلني اشتري منتجاتكم هو زوجتي !!

مثل مخيف

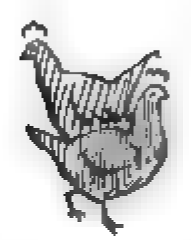
● المزارع : اريدك يا ابني ان تأكل في المطبخ اثناء موسم الحصاد، ولكن لا مع العمال المستأجرين .

الابن : لماذا يا ابي ؟ الا يليق بي ان آكل معهم .

المزارع : ليس هذا هو الموضوع ، ان شهيتك للاكل تعتبر مثلا مخيفا !!



تضحك الدنيا معك ابك تبك وحدك



كي يحيا الاطباء !

● ان ثلث الطعام الذي تأكله يبقيك حياً ، والثلثين الاخرين يبقيان الاطباء احياء !

سؤال .. لا يتغير

● يعيش الرجل العشرين سنة الاولى من حياته وهو يسمع امه تسأله الى اين هو ذاهب .

وبعيش السنوات التي تليها وهو يسمع زوجته تسأله نفس السؤال !

اجرة سفر !

● دخل رجل مطعما وطلب دجاجة . فسأله الجرسون هل تريد دجاجة بلدية ام مستوردة ؟

فسأل الزبون : وما هو الفرق ؟

فاجاب الجرسون : الدجاجة المستورده تكلف ١٠٠ فلس اكثر .

فرد الزبون : اريد دجاجة بلدية ، لماذا ادفع اجر سفر الدجاجة الاخرى الى هذه البلاد !



حزانى .. في عيد الام

● كلما اقترب شهر مارس من كل عام احسست وكأنما يدك نفسي صفحة من الحزن ما تلبث أن تثقل وتثقل وتثقل حتى اذا ما اقبل اليوم الحادي والعشرون من هذا الشهر ، حتى ارمي لدروب ، واسودت الدنيا في عيني ، فكرهت الحياة بالرغم من كل ما يشيع فيها الربيع من متعة وجمال

لأن سيدة في الثلاثين أو نحوها ، أي في السن التي تجد كل سيدة فيها نفسها وقد اصبحت اما لطفلين او ثلاثة او اكثر ، يملأون عليها حياتها ودنياها ، تفرح بكبرهم وهو ذاهب الى مدرسته وملاعبهم وهو يلعب في الشارع مع لداته ، وباسمهم وهو يداعب ثديها اثناء الرضاع . بينما انا لا احد حولي كبيرا ولا صغيرا ، ولدا ولا ابنة ، فاذا اقبل عيد الام هرع الاطفال والكبار يقدمون لامهاتهم الهدايا والقبلات ، وأنا انظر اليهم وقلبي يتقطع لرؤيتهم حسرات !

ان في العالم الآن مؤلفة من ملايين اللواتي حرمن نعمة الذرية يكرهن شهر مارس ، وعيد الام بالذات ، ويتفطر قلوبهن كلما رأين من يعرفن من الامهات يحتفلن بما سوف يقدمه اليهن ابناؤهن وبناتهن من هدايا في عيد الام ، بينما لا يجد نحن التاعسات حتى من يطبع على خدودنا قبلة وهو يقول : كل عام وأنت بخير .. يا أمي !

كيف نغفل الذين ابتدعوا بدعة عيد الام هذه ، عن ان هناك عشرات الآلاف ، بل مئاتها ، حرمتهن الطبيعة نعمة الامومة !

كيف غفلوا عن ان « عيد الام » الذين ابتدعوه ان كان يدخل السرور على قلوب آلاف وملايين الامهات ، فهو في الوقت نفسه يصيب بالاسى التعسات ـ بالاضافة الى اقرانا من المحرومات من نعمة الامومة ـ قلوب آلاف وملايين أخرى من الابناء والبنات ، اختطف الموت امهاتهم فهم ليسوا اقل منا حسرة في هذا العيد كلما رأوا ابنا يقدم لامه هدية ، أو اما تطبع على خد ابنها قبلة .. فبدلا من أن يشاركوا في هذا العيد ، يتحملون منه مآتما يجددون فيه البكاء على المرحومات الراحلات !

فلماذا لا تطالبون بالغاء هذا العيد ، بل هذه البدعة المنكرة من بدع الغرب ، لتجنبوا بذلك من قست عليهن الطبيعة مثلي ، اللوعة والحسرة والدموع ومرارة الحرمان !

الاسكندرية « هدى »

ـ صدقيني يا سيدتي اذا اقول لك مخلصا انني ارثي لك ، واقدر ظروفك واحس بمدى ما تعانينه من جراء ازمتك ، ولا اقول محنتك ... لكن الا توافقينني على انك قد ذهبت في نقمتك الى حد يكاد يصمك بالانانية وحب الذات !؟

الانك حرمت نعمة الامومة تريدين ان ينسى العالم كله فضل الامهات وتضحياتهن وما يعانينه من اجل تنشئة اطفالهن تنشئة طيبة ليجعلن منهم مواطنين صالحين ، يساهمون في بناء مجتمعهم ، وتشييد مجد اوطانهم !

ثم لماذا تيأسين من رحمة الله ، ولا ييأس من رحمة الله الا الكافرون !؟

تقولين انك في الثلاثين او نحوها .. وانا اعرف سيدات لم يرزقن اطفالا الا عندما كن على عتبات

بدوي فوق السبعين ، له اربع زوجات ويريد ان يشتري فتاة في السادسة عشرة !

● اطرح على مجلتكم مشكلتي راجيا أن تساعدوني على حلها .

انا رجل بدوي اعيش في البادية ، عمري تجاوز السبعين عاما ، وعندي من النساء اربع تحت عصمتي ، وكلهن امهات ، لاولاد وبنات . ولكني رأيت فتاة تبلغ من العمر ستة عشر ربيعا واريد ان اضمها الى زوجاتي . وبما ان الدين لا يسمح للانسان بالزواج باكثر من ٤ نساء ، فانا لا اعرف ماذا أصنع . ولو طلقت احدى زوجاتي الاربع ، لسيخطف اطفالها ..

علما باني راودت اهل الفتاة على ان يبيعوها لي ، فهل في ذلك من غضاضة شرعا ؟

ع . م . م .

— اي رجل انت يا هذا ؟!

تجاوزت السبعين ، ولك اربع زوجات ، فلا تكتفي بهن — وكل واحدة منهن الكفاية كل الكفاية — ثم تريد ان تضم اليهن خامسة !!

خامسة في السادسة عشرة .. اي في عمر واحدة من حفيداتك يا متجاوز السبعين ! وليتك تكتفي بذلك .. بل تراود اهلها على ان يبيعوك اياها بيعا !

اي انك تريد ان تعود بعالم القرن العشرين ، عالم الذرة والصواريخ وسفن الفضاء ، الى اشد العهود ظلما وظلاما : عهد الرقيق !!

ان مجرد زواج رجل في مثل سنك بفتاة في السادسة عشرة وحده جريمة لا تغتفر !

ومجرد تفكيرك في الزواج ، وعندك اليوم اربع نساء ، هو الآخر جريمة لا تغتفر !

اما تفكيرك في ان تشتري فتاة في السادسة عشرة ، بالمال ، لتضمها الى حريمك تحايلا منك على الشرع الشريف ، فتلك لعمري هي كبرى الكبائر التي يجب ان تنال عنها العقاب اشد العقاب ، لا في الآخرة وحدها ، بل هنا في الدنيا !

ولو ان اهل الفتاة وافقوك على جريمتك ، لوجب ان يشاركوك ما يجب ان ينزل بك من عقاب ..

الاربعين .. ومنهن من قد مضى على زواجهن اكثر من عشرين عاما لم ينجبن خلالها ولدا ولا بنتا !

ام تحسبين ان الله قد اغلق دونك انت وحدك ابواب رحمته ؟

ثم أليس خيرا من هذا النواح والعويل ، والنقمة والحقد ، ان تجعلي من عيد الام فرصة انسانية تفيضين فيها من حنانك المختزن ، على اولئك اليتامى الذين تقرأين عنهم في رسالتك المفجوعة ، فتعوضيهم في هذه المناسبة عما فقدوا وفقدن من حنان الامهات .. الفاقدات !

افعليها ، ولو مرة في العام ، فقد تتحقق المعجزة ، ويجزيك الله بما تفعلين ان تصبحي في العام المقبل اما تحتفلين مع العالم كله بعيد الامهات ..

ومن يدري .. فقد يهبك الله من فضله عشرة من الاولاد والبنات !

جحا .. وحماره

● كثيرا ما نسمع بعض الناس يتحدثون عن «جحا» ونوادره وحماره ، ويروون عنه قصصا غاية في الطرافة .. فمن هو «جحا» هذا ؟ وفي أي عصر عاش ، وفي أي البلاد كان يقيم ؟ !

أم انه ، كما سمعت بعضهم يقول ، شخصية خيالية لا وجود لها في عالم الحقيقة ؟

كويت   ابراهيم الصالح

ـ ليس «جحا» شخصية خيالية .. فقد كان انسانا كبقية الناس ، مع فارق واحد ، هو انه لم يكن شخصا واحدا ، بل كان اكثر من شخص ، عاش في اكثر من عصر ، وفي اكثر من بلد !

ولقد كان «جحا» في مختلف شخصياته المتعددة ، وبلدانه المختلفة ، والعصور التي ظهر فيها ، شخصية ظريفة ساخرة ، متباهية احيانا ولكن عن تصنع لا عن طبيعة ، يهزل صاحبها في كلامه ويتظاهر بالغفلة ، ويمزج هزله بالجد ، ولا يقول الا حقا ..

اما تعدد شخصيات «جحا» فراجع الى ان اكثر من شعب ، وفي اكثر من عصر كانت تحظ من ظرفائها شخصا او اكثر ، وتلبسه «الشخصية الجحوية» وتجعل منه رمزا للسخرية اولا ، وللفكاهة ثانيا . وتنسب اليه او تلصق به الكثير من النوادر والطرائف والحكم التي يبتكرها بعض اعلام الفكاهة والادب الساخر ، ليرفهوا عن الشعب ، ويخففوا عنه همومه او ينتقدوا ظلم الحكام او غلاء الاسعار او انتشار الرشوة والمحسوبية ولكن بطريقة لا تعرضهم للعقاب ، فلا تلبث هذه النوادر ان تنتشر بين الناس وكأنها حقيقة واقعة !

وقد عرفت البلاد العربية اكثر من «جحا» واحد .. وان يكن اعظم جحواتنا شهرة «ابو الغصن دجين بن ثابت» الذي عاش في الكوفة ايام ابي مسلم الخراساني الذي هزم الدولة الاموية واقام الدولة العباسية مكانها ، اي في القرن الثاني للهجرة .. فلم يلبث ان اشتهر امره واطلقوا عليه اسم «جحا» وراحوا ينسبون اليه كل دعابة او فكاهة يستظرفونها ، فاذا هو يصبح علما على هذا الفن من فنون الفكاهة في الشرق يتناقل الناس نوادره جيلا بعد جيل الى ظهر «جحا تركيا» نصر الدين خوجة في القرن الثامن الهجري وساعده معاصره لتيمورلنك طاغية التتار على ذيوع صيته ، ورواج فكاهاته ، واصبح شخصية عالمية ما تزال ينسب اليه معظم النوادر الجحوية، القديمة والحديثة على السواء !

وهناك غير جحا تركيا : «ارتين» جحا الارمن، و «جوبري» جحا لندن ، وفلاحنه جحا ارلندة و «ال» جحا المانيا ، ثم جحا روسيا وجحا الصين وغيرهم ممن لا تحضرنا الآن اسماؤهم .

بالانجليزية .. أم بالفرنسية ؟

● أخي يريد ان يدرس الطب بعد ان يحصل على الشهادة الثوجيهية . فبل تنصحونه بأن يختار اللغة الانجليزية في دراسته أم اللغة الفرنسية ؟؟ ولماذا ؟

علما بأنه سيدرس في البلاد التي تتكلم اللغة التي سيختارونها له ، ونحن محتارون مثله ، لا ندري اي اللغتين يختار !

وأي الجامعات افضل لدراسة الطب بهذه اللغة او تلك ؟

وهل صحيح ان اي جامعة للطب تحتوي على قسمين ، احدهما فرنسي والثاني انجليزي ؟؟

حلب ـ سوريا   وليد ..

ـ عن الفقرة الاخيرة من سؤالك : لا نعرف جامعة او كلية تدرس باللغتين الفرنسية والانجليزية معا .

اما النصيحة التي نسديها لاخيك فهي ان يدرس الطب باللغة التي يتقنها اكثر من اختها . واذا كان لا بد من المفاضلة ، فليدرس بالانجليزية لانها اكثر تداولا في الاوساط العلمية عامة ، والطبية خاصة ، ولان كليات الطب في انجلترا من احسن كلياته في العالم ، ان لم تكن بالفعل احسنها جميعا .

لا طلاق لسكران

● منذ سنة أو نحوها حلفت على زوجتي بالطلاق بالثلاث أن لا تزور بيت أهلها ، وكنت وقتها ثملا الى درجة أنني لم أعلم باليمين الا بعد أن أخبرتني بها زوجتي في اليوم التالي

فما هي الطريقة التي تستطيع بها زوجتي أن تعود لزيارة أهلها دون أن يقع الطلاق ، علما بأنني حسن الصاحب

س. ع بالعراق

— اليمين التي حلفتها على زوجتك اما أن تكون صيغتها « اذا ذهبت الى بيت أهلك فأنت طالق بالثلاث » وهذا هو الطلاق المعلق . واما أن تكون قد قلت لها « عليّ الطلاق بالثلاث ألا تزوري بيت أهلك » وهذا هو الحلف بالطلاق . وقد اتفق أغلب الفقهاء على أن الطلاق المعلق لا يقع ، خصوصا اذا كان بقصد التخويف أو التحذير ولم يكن الزوج كارها لزوجته أو راغبا في التخلص منها .

وحتى الذين يقولون بوقوع الطلاق المعلق اذا ما خالف الشخص المحلوف عليه ، فانه يقع طلقة واحدة رجعية ، ولو كان بلفظ الثلاث أو الثلاثين!

أما الحلف بالطلاق — الصيغة الثانية — فليس إطلاقا للطلاق بل هو يمين وحلف لا أثر له في الحياة الزوجية .. والصيغتان على أي حال من لغو القول الذي لا يترتب عليه أثر من الآثار ، وقد أخذ بهما القانون في بعض البلاد الاسلامية .

فسواء صدرت منك هذه اليمين وأنت سكران أو في كامل قواك العقلية ، فلا أثر لها في حياتكما الزوجية وتستطيع زوجتك أن تذهب الى بيت أهلها وقتما تشاء !

وعلى كل حال فالقاعدة الشرعية هي أن طلاق السكران لا يقع ..

في مرض الموت

● مريض طلق زوجته ثم مات في ذلك المرض : هل ترثه هذه الزوجة أم أن الطلاق يعتبر نافذا ؟ أفيدونا ولكم خالص الشكر .

مراكش — مغربية   أبو جمال علي

— من المبادئ القانونية المسلم بها أن كل تصرف يصدر عن المحتضر في مرض الموت يقع باطلا .

وقد اختلف في تعريفات مرض الموت ، ولكنهم اتفقوا على أن يترك للقاضي تقديره وتقدير انطباقه على المريض الذي تعرض تصرفاته عليه .

أما طلاق المريض مرض الموت ومن في حكمه ، فان كان رجعيا فله حكم الطلاق الرجعي كاملا ، واذا مات في العدة ورثته الزوجة لأن الطلاق الرجعي لا يمنع التوارث في العدة ، ولو كان الطلاق صحيحا حين أوقعه .

أما الطلاق البائن فانه يمنع الميراث في الصحة ، ويمنعه عند الشافعي أيضا في المرض . أما عند الحنفية فلا يمنع ، وحجتهم أن عثمان بن عفان ورّث من طلقها عبد الرحمن بن عوف في مرضه الذي مات فيه ، ولم يستنكر ذلك عليه أحد من الصحابة .

وعند ابن حنبل أن لزوجة المطلق في مرض موته الذي قصد بطلاقه الفرار من الميراث ، يكون لها حق الارث ، ولا ينقطع هذا الحق الا اذا تزوجت قبل موته ، وذلك ليترتب عليه قصده ، وهو الفرار من توريثها . وهي لذلك ترثه ما لم يوجد مانع يقطع فرص قيام الزوجية بينهما قطعا تاما .

وعند مالك أن حقها في الارث لا ينقطع حتى ولو تزوجت قبل موته ، ما دام قد ثبت قصده الآثم بالتهرب من توريثها ، ودلت القرائن على أنه كان يقصد حرمانها من الميراث .

وتميل الأغلبية الى رأي الحنفية ، وبه تأخذ محاكم الأحوال الشخصية في معظم البلاد الاسلامية.

ردود خاصة

● المخدوعة : الكويت

— رسالتك مما لا يجوز نشره .. وعلى كل حال فأنت مشتركة في تحمل مسؤولية ما حدث.

● **معلمة من لبنان**

ـ ما تحب وانه من عملك ، مجدته معك الى طبيب او طبيبة .. فنقل ماعده شواد ، والذي [illegible]

هذه السواد

● **سالم حمد** [illegible]

[illegible]

بعد امام المصريين ، كما في الكسائي امام مذهب الكوفيين

● **فايز مصطفى ابو عرجا : الكويت**

ـ ليس ما لاحظته خطأ مطبعيا كما وصفته ، بل سهوا عن ما وضعته . فلم يقل ان مدار السرطان في منتصف الكرة الشمالي احد سواك

● **فيصل الشريف : عدن**

ـ قد يكون الاطباء الذين اسعفهم هم اخصائيين . فاستشر اخصائيا في جراحة العيون كالدكتور عبد المحسن سليمان او غيره من اساتذة امراض العيون بالقاهرة وهم كثيرون .

● **محمد الفواز الصميل: المعرف ـ السعودية**

ـ موسى الذي رباه فرعون هو النبي موسى اما موسى الذي رباه جبريل ، والذي ورد في الشطر الاول من بيت الشعر الذي اشرت اليه انه كافر فهو موسى السامري ، الذي انتهز فرصة غياب موسى عن قومه ليضلهم ويدعوهم لعبادة عجل صنعه لهم !

● **محمد الصالح الدبطر : الدمام ـ السعودية**

ـ نقل الدم من شخص آخر لا يحرم الزواج بينهما ، بعكس الرضاعة .

● **محمد اسامي : دمشق**

ـ القصيدة التي تسأل عنها للشاعر يحيى ابا الحسن التهامي . وسنعمل على ارسال نصها الكامل اليك بعد فراغنا من نشرها في « العربي » .

● **احمد علي بن محمود : الدوحة ـ قطر**

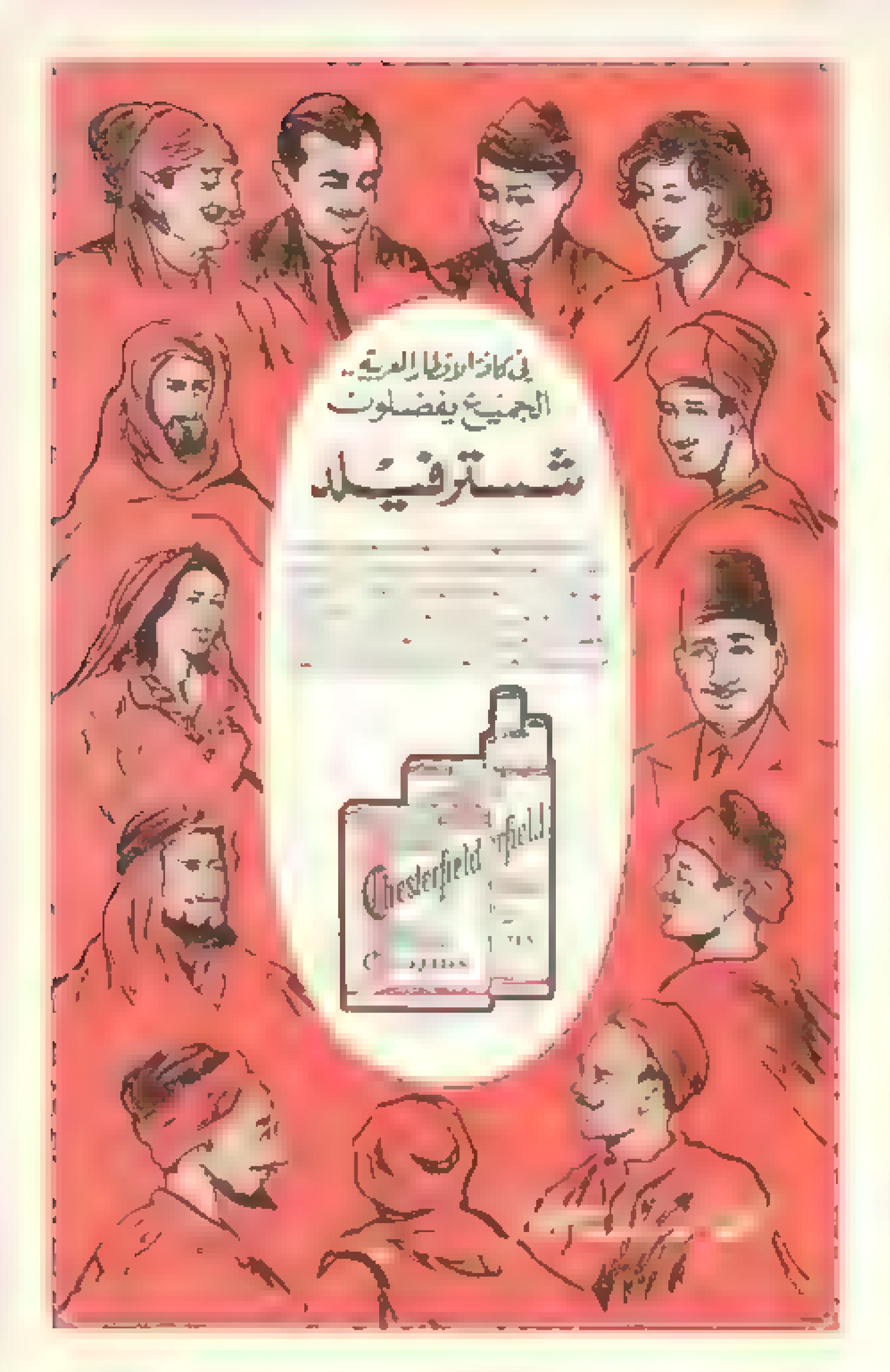
ـ المهلب من كبار قواد بني امية . حمل بالحرب الى بلاد الباكستان والهند ثم الى سمرقند ، ناصر عبد الله بن الزبير ، ثم بايع عبد الملك بالخلافة ، وظفر بالخوارج الازارقة ، وتوفي عام ٧٠٢ م .

الكاتب المصري

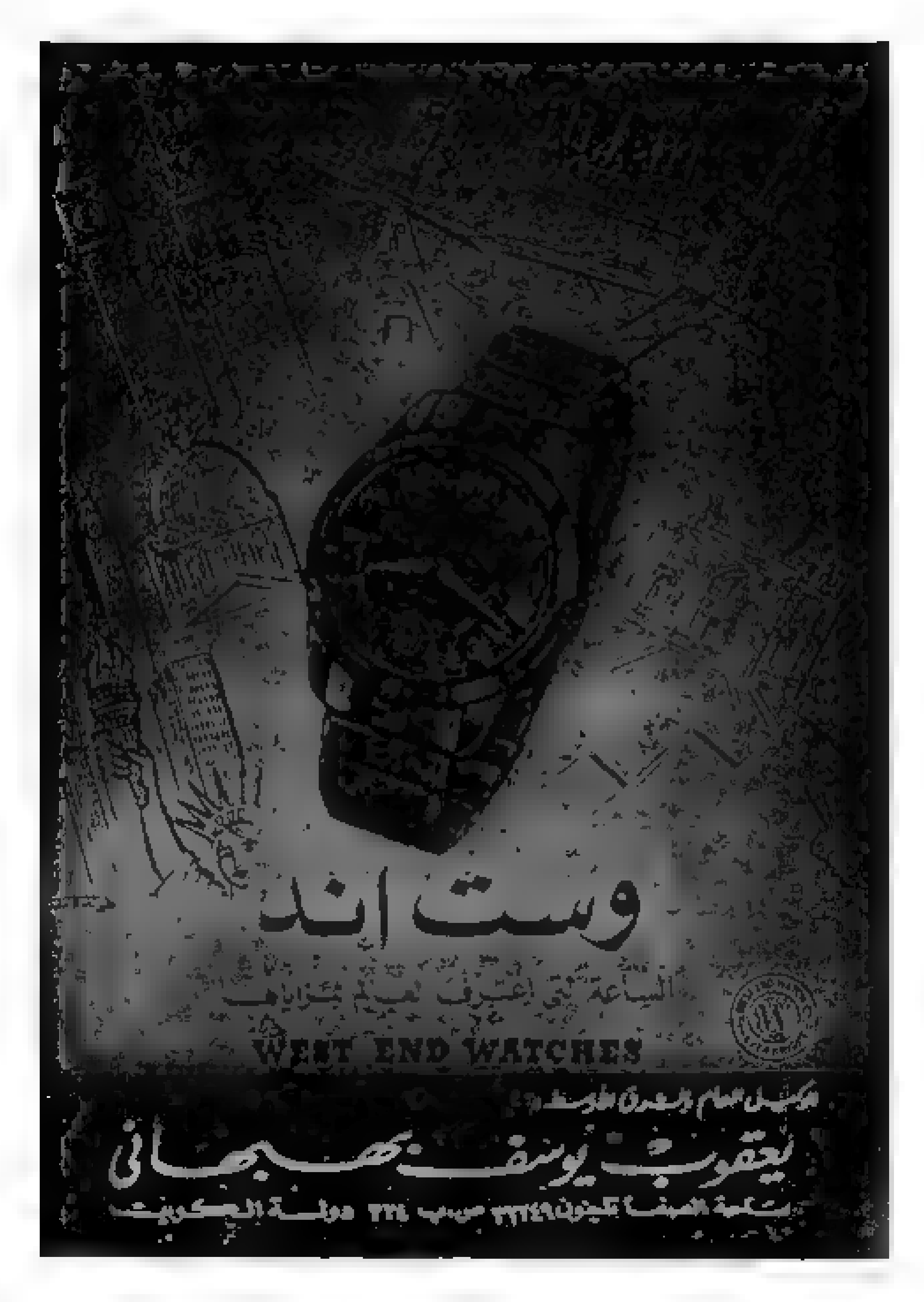
● كان وظيفة الكاتب في مصر القديمة وظيفة مرموقة مربحة . وسعيد الحظ من الشباب من يستطيع ان يلتحق بمدرسة في « منفيس » ، والاسعد منه حظا من يستطيع بعد تخرجه من هذه المدرسة ان يلتحق بمدرسة الكتاب العليا في « طيبة » . وكان يشترط في الكاتب بعد تخرجه ان يجيد القراءة والكتابة ، والرسم ، وان يكون واسع الاطلاع على علم اللغة وآدابها ، وتاريخ البلاد، متمكنا من علم الحساب، وعارفا بالقانون،ومسك الدفاتر ، وعلم المساحة والرسم المعماري .

وبعد ان ينال الشاب شهادة الكاتب يصبح واحدا من رجالات الطبقة المثقفة من موظفي الدولة ، ومعنى هذا ان طريق الترقي في وظائف الدولة يصبح مفتوحا امامه ، فاذا اثبت كفاءة استطاع ان يرقى الى اعلى وظيفة في الدولة .

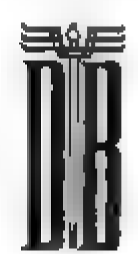
وكان الكتاب يستعملون اقلاما من البوص دقيقة السن ، ويكتبون على ورق البردي الممتاز ، في خطوط عمودية من اليمين الى الشمال ، ويضعون محبرة الحبر في اجواف صغيرة من المرمر . والكتاب في الرسم « ص؟ » يسجلون محصول احد الصناع من الكتان الذي اشتهرت به مصر القديمة، وتتدلى من عنق رئيسهم ، الجالس امامهم ، سلسلة في طرفها الختم الرسمي الذي يختم به السجلات .



في كافة الاقطار العربية
الجميع يفضلون
شسترفيلد
Chesterfield

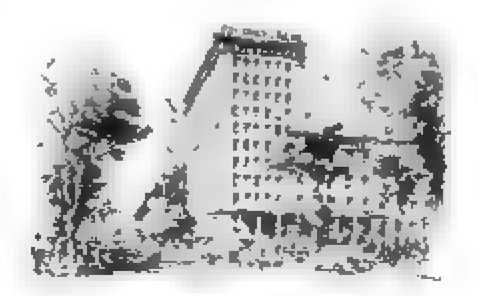

وست اند
WEST END WATCHES
الوكيل العام بالشرق الأوسط
يعقوب يوسف بهبهاني
شارع الصفاة تلفون ٤٢٣٤٩ ص.ب ٣٢٦ دولة الكويت


مؤسسة الأجهزة الألكترونية
تجارة عامة - استيراد وتصدير
وكلاء مصانع وشركات - وكلاء شركة
توشيبا
أجهزة راديو ترانزستور - غسالات
ثلاجات - وكافة المنتوجات الكهربائية
العنوان : الكويت ص.ب ٢٤٤٩ - برقيا : ترانزستور



افتتاح مكتب تمثيل درسدنر بنك في بيروت

[illegible]



مبنى درسدنر بنك في مدينة فرانكفورت بالمانيا الغربية

BRITAIN'S LEADING EXPORT CIGARETTE

تزيد صادرات بريطانيا م
سجاير روثمان كنج ساي
على صادراتها من أي نو
آخر من السجاير.
أينما تذهب تجد روثمان،
في ١٢٠ قطرًا في خمس قارات
على ظهر البواخر في البحار السب
في أكثر من ٩٠ خطًا جويًا رئيسيًا.
شارك الملايين في الاستمتاع بتدخين
روثمان كنج سايز
الأولى في بريطانيا - الأولى في العالم





المشكلة: كيف توجد مصدراً لتعليم الطاقات لهونغ كونغ معجزة عيد؟
الجواب: باء الطاقات على أسطحة عمارات السكن

مُعجِزة هونغ كونغ اليوميَّة

تيسير العيش الطيب لـ ٣ ½ مليون نسمة فوق صخرة عطشى صغيرة

هونغ كونغ، كما يعرفون، بلد لا يعرف النوم. ففي هذا البلد الذي هو عبارة عن مدينة رأسمالية هائلة تقوم على جزيرة تجاه ساحل الصين الجنوبي، ملايين من الناس يؤدون أعمالهم، ويؤدونها دائماً بحرص وحساب لا يتمتع معه بصباح شخص ...

١ - في السنوات العشر الأخيرة عرفت هونغ كونغ بمواصفات ... بلا ... الموجة من المهاجرين واستطالت من ... التجارة الحرة في مركز للصناعة، وعرفت المدينة التي احتمت بها الاعتصار الذي عرف باسم ... ومع ذلك كله، كانت ... في عام ١٩٦٢ أكثر ... (بزيادة ١١ في المائة)

تجارة هونغ كونغ

٢ - مضى على هونغ كونغ وقت لم تكن فيه تعتمد على شيء سوى ميناء كان أسرع موانئ الشرق، لا يعطي خدمة للمصنوعات ... وكان ... بمطمورة ...

٣ - لو كان أن تتأسس، فهي هذا الميناء في طرف الطريق ... هونغ كونغ ... على إنشاء بعض الصناعات، وكان عدد المشاريع الصناعية بها عام ١٩٤٩ لا يزيد على ... فصار اليوم ... من المشاريع ... ٧٥ ... مرحلة ... الداخلي

٤ - إن مصنوعات هونغ كونغ ... المصنوعات ... أجهزة ... الساعات ... يصنعون ... الصوف ... الورق والطباعة ... والخشب والحرير ... ويشكون ... بأسرع ما ... في ... أجور ... ٢٧٦ ... عام ١٩٦٢

مصدر الطاقة الوحيد

٥ - تشتري هونغ كونغ ... من الزيت ... الأربعة أرباعه ... ويعد الزيت ...

سحب الكهرباء التي تشغل ... مصانع هونغ كونغ ... التي ... ٦ - في ... التي ... هونغ كونغ ... بالوقود ... تقدمت في ... المياه ... للمصانع ...

سكان الشقق

٧ - كانت ... في العمل ... إسكان ... شركات ... صحية للسكن ... أنه ... مساكن ... إلى الطابق ... وبعد ... والمصانع ... أسطحها المدارس وملاعب الأطفال

الأطفال في كل مكان

٨ - تحول هونغ كونغ ثلاث مرات في كل يوم ... الأطفال ... ٧٥٠ ألف طالب ... المدارس ... على ... إلى مستقبل ...

٩ - والواقع أن ... هونغ كونغ ... الذين ... أن ... ثقافية ... عليها ... الزيت ... التي ...

والوظائف، ... على ... من ... والزيت من أسرع مصادر الطاقة ... بصناعة ... ١٥ سنة

... هذا ... أن تكون ... من صناعة ... مثل هذه المصادر ... الكبيرة ... الوقود ... سعر ... المركبات ... من ... الطاقة ...

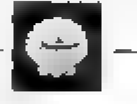
حقائق وأرقام

والبيان ... في ... الوقود في ... ١١ مليون ... ١٣ ... الرئيسية ... أكثر من ... في جميع ... ٦ ... من ... الأنواع ... الوقود والمنتجات ... الشركات

المعتمد دائماً على شل

... شل ... في جميع ... الوقود ... ومن ... على ... شل ... التي ...

وشل ... هونغ كونغ ... الطاقة ... الطاقات ... على ... شل ...



شل للزيت العالمي

... هونغ كونغ ... من الوقود ...





ان حساب ودائع مع مصارف لومبارد المحدودة يمنحك الراحة الفكرية التامة . لن تخصم اية ضريبة دخل مفروضة في المملكة المتحدة من نقودك تتراكم طوال الوقت ولا تتأثر ابدا بالاحوال الاقتصادية ويمكن اجراء السحوبات بسرعة وفقا للشروط الموضوعة عند فتح الحساب . ولكي تحصل على ٥٪ سنويا فان الحد الادنى للوديعة الاولية هو ١٠٠ جنيه استرليني (ان الحد الادنى للفترة بين الايداع والاشعار بالسحب هي ستة اشهر ولكن الثلاثة جنيه قابلة للسحب عند الطلب . ان الاستثمار مع مصارف لومبارد المحدودة يدعمه راس المال المدفوع والاحتياطي فيما يزيد على ١٢،٠٠٠٠٠٠ جنيه .

اكتب الآن الى المدير العام للحصول على تفصيلات اخرى وعلى نسختك من « حساب الودائع » الكتيب رقم A. D. 182

المؤسسة المصرفية والمالية العالمية

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office: Lombard House, Curzon Street, Park Lane, London, W.1. GROsvenor 4111 (30 lines)

التقدّم

مع

ــر

لم يسبق ابداً ان كانت قيادة السيارات بمثل هذه اللذة والسهولة .. ولم يسبق ان وجدت سيارات بأناقة وفخامة سيارات كرايزلر الجديدة ! انظر اليها ! انها رشيقة ممشوقة القد وجميلة المنظر . وتبدو حزينة كئيبة لوقوفها في مكانها بسبب قدرتها الفائقة على القيام بالمعجزات . كل واحدة منها تدعوك الى الجلوس وراء مقودها . والانطلاق بعيداً نحو الافق . وحسب ظننا بكم نعتقد بأن هذه تكون فرصتكم التي تنتظرونها لشراء سيارة صنع كرايزلر . فاختر الطراز الذي تفضله .

فاليانت ١٩٦٤

انه الطراز الذي يجمع بين الأداء الأكثر [illegible] والراحة والمتعة [illegible]

دودج دارت ١٩٦٤

[illegible]

بلايموث ١٩٦٤

[illegible]

[illegible]

دودج ١٩٦٤

[illegible]

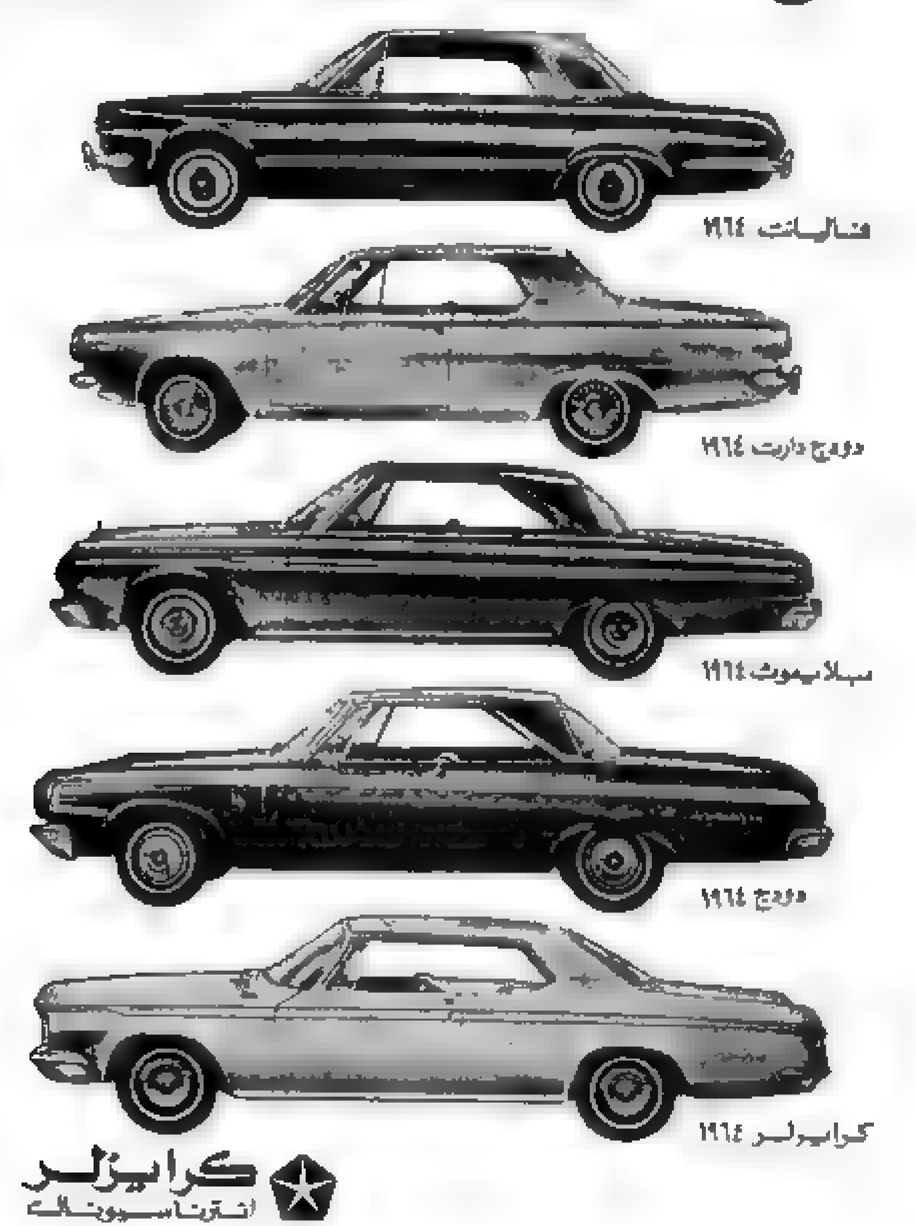
كرايزلر ١٩٦٤

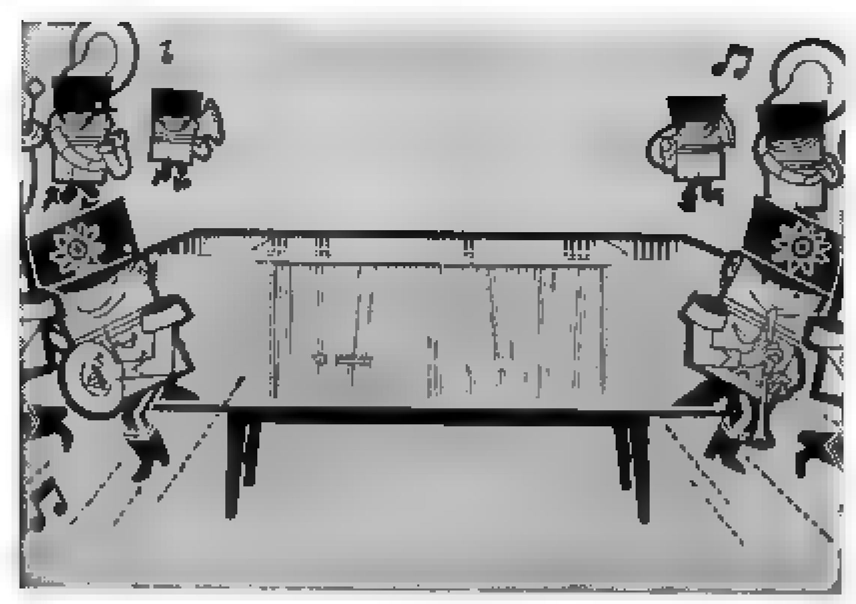
[illegible]

فاليانت - دارت - بلايموث - دودج - كرايزلر - امبريال

سل بوكيل بلدتك أو اكتب الى كرايزلر انترناسيونال ، جنيف - سويسرا

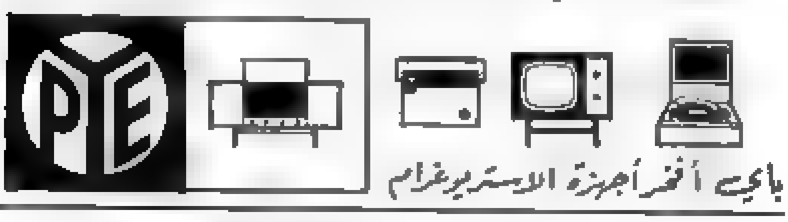
واقتن سيارة عام ١٩٦٤
صنع كرايزلر كوربوريشن





رحباً في عالم "باي" العجيب

ان اجهزة الاستريوغرام طراز "باي" هي أروع وأحدث الاجهزة تصميما . وتقدم الشركة مجموعة واسعة من اشهر الاجهزة العالمية للاسطوانات والتلفزيون والاجهزة القابلة للحمل التي تم تصميمها وصنعها في مدينة كمبريدج بانكلترا مركز البحوث العلمية . فعليكم بزيارة موزع هذه الاجهزة لمشاهدة عالم "باي" العجيب ، وعند شرائكم "باي" فانما تحصلون على احسن الاجهزة البريطانية.



شاهدوا المجموعة الكاملة
لدى الموزع

أسبيرين

في ٣

أشكال مختلفة كل منها ذو مفعول ثلاثي

❶ أسبيرين قرص كبير (٠,٥ غرام) أنبوب ٢٠ حبة بعبوته التقليدية، (الذي يصفه الأطباء عادة)

❷ أسبيرين قرص اعتيادي (٠,٣ غرام) ٥ علاقات حمراء كل منها ٦ أقراص ضمن علبة حمراء.

❸ أسبيرين الاطفال قرص صغير (٠,١ غرام) ٥ علاقات بيضاء في كل منها ٦ أقراص وردية اللون ضمن علبة حمراء، مصحوبة تلائم أعمار الاطفال، بطعم السكر اللذيذ ليتناولوه بسهولة ...

أسبيرين

في كل من أشكاله الثلاثة يحتفظ بمفعوله الثلاثي المعروف فهو:

١- يزيل الآلام

٢- يخفض الحرارة

٣- يعيد النشاط والعافية



أسبيرين لا يضر القلب ولا يؤثر في المعدة

عش سعيداً بدون ألم بتناولك أسبيرين

سيجارة ڤايسروي - سيجارة الرجل العصري

VICEROY

من بين أنواع السجاير العديدة التي يفيض بها العالم،
يختار الرجل العصري سيجارة ڤايسروي - سيجارة الذوق الراقي!



صداع، أوجاع وآلام،
حمى، رشح وانفلونزا؟

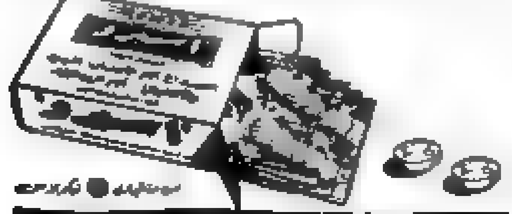
'أسبرو' يُعيد لك الصحة...



'أسبرو'
يجلب لك
كل راحة

إذا أحسست بألم فقد يكفي أن تخففه قليلاً، بل إنك تحتاج إلى الراحة التامة التي يحققها لك 'أسبرو'. تذكر أن 'أسبرو' هو الدواء الذي يستعمله الكثيرون من الناس في العالم كله، أكثر من أي دواء آخر لإزالة الألم وتخفيض الحمى. اجعل 'أسبرو' في متناول يدك على الدوام

١ يزيل الصداع
٢ يخفض الحمى
٣ يهدئ الأعصاب
٤ يخفف الأوجاع
٥ يقصر أجل الرشح



K/5/AA

'أسبرو' يجلب لك كل راحة!

هل هذه هي الأداة المناسبة؟



تحوّل اليوم نشاط المعامل والمصانع في العالم الى الحركة المنظمة الميكانيكية للعمل السريع والانتاج المجدي

اما بشأن المكتب فهل في مكتبكم الآلات اللازمة لاعمالكم الحسابية اليومية؟ وهل تعلموا كم يوفر من الوقت استعمالكم آلة فاسيت الاوتوماتيكية؟

تحققوا من ذلك بأنفسكم باستعمال فاسيت (Facit) التي يمكن وضعها تحت تصرفكم مدة اسبوعا كاملا دون اي مقابل



فاسيت هي اسهل آلة حاسبة، تمارس طريقتها خلال ١٥ دقيقة.

مصنوعة من الفولاذ الاسوجي المشهور الذي يضمن متانتها مدى الحياة.

ملايين آلة فاسيت تؤدي حاليا الخدمات الحسابية في جميع انحاء العالم

الكويت، دي سوزا اخوان - شارع الشيخ فهد - ص.ب ١٤١

عدن، شركة فلسطين للتجارة - المعلا - ص.ب ٢٨٦

البحرين، السيد مؤيد احمد المؤيد - ص.ب ٢١ - المنامة

الأردن، السيد الفرد فرح - ص.ب ١٣١٦ - عمان

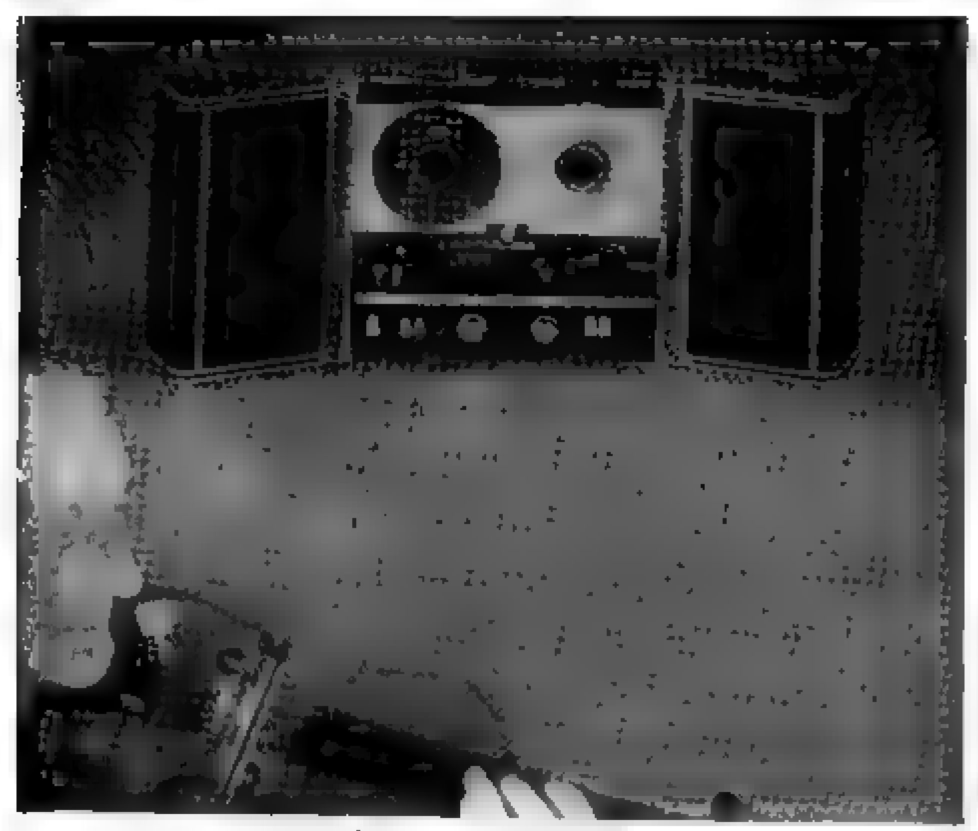
العراق، الشركة السويدية الشرقية - شارع الرشيد ١٥/٤٤١ - بغداد

سوريا، شركة قيصي ومريم للتجارة - ص.ب ٢٤٤٢ - دمشق

السودان، السيد طوروس بوسكيان - ص.ب ١٢٧ - الخرطوم

الخبر، السيد احمد بن علي العويس - ص.ب ١١٤

لبنان، شركة التجارة العالمية - شارع الفرنسي - ص.ب ٤٧٣ - بيروت





العدد ١٢٨٣
ابريل

٢٠
صفحة

الصغر

جوائز

١٢٠

١١٠٠٠٠ نسخة



عزيزي القارىء

تاتينا من القراء رسائل عدة تتصل بالامور الآتية :

● عدد اول يناير معه هدية هي خريطة العالم . مع كل عـــدد خريطة . اتضح لنا قلة قليلة جدا من الباعة بان الاعداد التي وصلتهم كانت خالية من الخريطة . ثم عادوا فباعوها مستقلة من بعد ذلك . .

ونحن نأسف لهذا ، ولا نرى له حلا !

● الاعداد الماضية يطلبها كثيرون فاتهم تحصيلهـــا في الوقت المناسب لسرعة نفاد العربي في اسواقهم . لا سبيل الى الحصـــول على مثل هذه الاعداد الا بالاتصال بالموزع العام في البلد الذي يقيــم فيه طالبوها .

● وكذلك يتصل بهؤلاء الموزعين في كل ما يتعلق بالاشتراك في مجلة العربي ، داخل الوطن العربي وقد نشرنا على الصفحة الخامسة اسماء متعهدي توزيع العربي في مختلف اجزاء الوطن العربي فليرجع اليها من شاء .

« المحرر »

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

لغات وآداب :

طب وعلوم :

فلســفة :

دين :

تاريخ :

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت

ALARABY ·· No. 65 April 1964 — P.O.B 748 - KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٦٤١١ تلغرافيا «العربي»
الاعــــــــلانات : يتفق عليها مع الادارة ـ قسم الاعلانات
المراســــــلات : تكون باسم رئيس التحرير

الكويت : وكالة المطبوعات عبد الله حرمي وشركاه ـ **ج.ع.م** : توزيع الأخبار ـ **سوريا** : عبد الرحمن الكيالي ـ **العراق** : مكتبة المثنى قاسم محمد الرجب ـ **الأردن** : رجاء العيسى ـ **السودان** : زكي بطليموس ـ **تونس** : مكتبة المنار ـ **المغرب** : مكتبة الوحدة العربية ـ **لبنان** : الشركة العربية للتوزيع ـ **ليبيا** : سمير ابو رجائي ـ **العربية السعودية** : **الرياض** : عبد الله باحمدان ـ **الخبر** : ناصر السالم باجبع ـ **الطائف ومكة** : صالح محمد جمال ـ **جدة** : أحمد حامد دحيل ـ **المدينة** : محمد زين العابدين شيوة ـ **عدن** : محمد قائد محمد ـ **البحرين** : ابراهيم محمد عبيد ـ **قطر** : عبد الله حسين نعمة ـ **دبي** : الرستماني الحميدي ـ **حضرموت** : مكتبة الشعب بالمكلا

ثمن العدد : بالكويت ١١ فلوس مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٢٫٥ شلن ـ العراق ٤٢ فلسا ـ سورية ١٠٠ قرش ـ لبنان ١٠ قرش ـ الأردن ١٠٠ فلس ـ السعودية ٢ ريال ـ السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش ـ تونس ٢٠٠ مليم ـ الجزائر والمغرب ٢٠٠ فرنك اليمن ٢٫٥ شلن ـ ليبيا ٥٠ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأســـا بين المشترك والموزع



اشبيلية .. وقرطبة

● قرأت في العدد ٦٢ تعقيب السيدة سلمى الحفار الكزبري على مقال الاستاذ انيس الخوري المقدسي عن الاندلس . فلاحظت انها صوبت بعضها ورد في المقال واهملت البعض الآخر ، اذ انه جاء في الصفحة ٣٥ من العدد ٦٠ تحت عنوان « اشبيلية والعمد على الله » ما يأتي

« ... وهي تبعد عن قرطبة نحو ٢٥٠ ميلا نحو الجنوب الغربي ... » .

والحقيقة ان اشبيلية تبعد عن قرطبة نحو ١٤٠ كيلو مترا فقط . وقرطبة تتوسط مدن الاندلس الرئيسية الثلاث مالقا وغرناطة واشبيلية ولا تبعد عنها بمسافات كبيرة وهذا ما دفع الامويين الى اتخاذها عاصمة لهم ايام حكمهم .

وهناك ملاحظة اخرى لا تخفى على كل من زار الاندلس ، بلد المجد المفقود ، وهي ان الصورة المنشورة في الصفحة ٣٩ من العدد ٦٠ على انها صورة احد المنازل القديمة في الاندلس كنموذج للدار العربية ذات الصحن المكشوف ، تتوسطه بركة ماء وحوله غرفة ارضية واخرى ذات شرفات ، هذه الصورة بالذات هي جانب من جوانب قصر الحمراء الذي يطلق عليه الاسبان اسم : الهمبرا Al Hambra وهي لا تنفصل عنه وتسمى عادة (حوش الريحان) كما تسمى بقية الاجزاء باسماء اخرى كقاعة السفراء وقاعة الاختين وساحة الاسود وغيرها . ويصعب مثل هذا البناء في ابنية المدن الاندلسية .

الدار البيضاء — مصطفى سهيل عاشور

متى نسترد

● لا شك في ان الشعب العربي قد قطع في السنوات الاخيرة شوطا بعيدا في التخلص من آثار الاستعمار السياسي ، واصبح في معظم اقطاره يتمتع بالحرية والاستقلال . لكننا مع ذلك ما نزال — في كثير من اجزاء الوطن العربي — نعاني من آثار الاستعمار الروحية والاخلاقية والثقافية وهي اشد خطرا من آثاره المادية ، اقتصادية كانت او عسكرية .

واول ما نلاحظه ان عددا كبيرا جدا من الشبان والشابات يحاولون تقليد شباب الغرب تقليدا اعمى ، فيما يزعمون انه من مظاهر التقدم والرقي ، مع انه يتنافى مع عاداتنا العربية وتقاليدنا الموروثة .

انا لا انكر ان من تقاليدنا ، ما لم يعد يصلح لمسايرة روح العصر ، وخاصة فيما يتصل بالمرأة ، ولكن ليس معنى ذلك ان تحاول المرأة العربية — سيدة كانت او آنسة — ان تقلد الغربية في كل شيء ، حتى في مباذلها !

ولنا العبر الحديث اليوم على بعض ما نشاهده في بيروت ، وما لا اظنه الا مشاهدنا في غيرها من

« التقييم » خطأ .. وصوابه « التقويم »

● شاع في عصرنا الحديث استعمال كلمة « التقييم » بمعنى تقدير القيمة ، وإذا كنا نسمع هذا الاستعمال اللغوي من كتاب الصحف فلا عجب عليه ، فإنما لا نستغرب مقالات أهل اللغة والبيان. لقد قرأت في مجلة الرسالة مقالاً للأستاذ أحمد حسن الزيات عنوانه « النقد للأدب تقويم وتقييم » وفي كتاب « التجارب حياته » للأستاذ أمين الخولي جاء في صفحة .) « واعتقد أن القارئ الفطن سيجد حين يحاول ذلك التقييم الخ » . وفي مقال نشر بجريدة أخبار اليوم عنوانه « الصوم جهاد ومجاهدة » للدكتور محمد البهي الخولي وزير الأوقاف وشئون الأزهر جاء فيه ما يأتي : « أن « تقييم » شهر رمضان لا يأتي مما يفعله المسلمون في عهدنا اليوم وإنما يجب أن يكون هذا التقييم من المبدأ نفسه ، ثم يستطرد في استعمال هذه الكلمة في موضع آخر فيقول سيادته « لكن لو حاولنا « تقييم » عبادة الصوم مما يفعله اليوم ليعد الصوم في نظري عرفاً يكون عادة .. الخ » .

أن استعمال كلمة التقييم بمعنى التثمين والتقدير من أمثال الأساتذة الزيات والخولي والبهي وكلهم كانوا أساتذة يقومون على تقويم اللغة ، شيء يدعو إلى التساؤل ، فلم يرد في كتب اللغة مادة « قيم » بل « قوم » « التقويم » بمعنى إزالة عوجه ، وقوم السلعة ثمنها وقدر قيمتها .. جاء ذلك في مختار الصحاح والقاموس المحيط والمصباح المنير والمعجم الوسيط . وهذا ما أردت التنبيه إليه لعلي ألقى عند أحد منهم وجه الصواب فيه .

السيد أحمد المصري — دسوق

خصيتنا ؟

العواصم العربية .. فقد أصبحت الفتاة العربية لا ترى مانعاً من أن تخرج في صحبة شاب أو أكثر ، وترتاد معهم مختلف الأماكن والنوادي ، ولا تجد غضاضة في مراقصتهم ، بل وحتى في احتساء الخمر معهم في بعض الأحيان ! وذلك وإن كان يبدو طبيعياً أو عادياً بالنسبة للفتاة الغربية « المتحررة » — أو « المتحللة » بعبارة أصح ، فإنه لا يتناسب مع مواقفنا الشرقية وتقاليدنا العربية ، التي تعتمد على الشرف والفضيلة ومكارم الأخلاق .

وكم كنت أحب لو أن الفتاة العربية بدلا من أن تقلد الغربيات في تلك الرذائل ، عمدت إلى تقليدهن في تواضعهن وبساطة ثيابهن .. فأنت لا ترى الطالبة العربية وهي ذاهبة إلى كليتها أو مدرستها في كامل زينتها تحسبها دمية ، أو فتاة ، أو عارضة أزياء !

وثمة ظاهرة ثالثة ليست أقل خطراً . تلك هي حرص الكثيرات والكثيرين من شباب العرب ، وخاصة في الطبقة المثقفة ، على استعمال التعبيرات الأجنبية في أحاديثهم .. فأنت هنا ، في بيروت مثلا ، لا تكاد تسمع حديثاً عربياً خالصاً ، سواء في المتاجر أو الفنادق أو الحفلات والسهرات .. بل لا بد من تطعيم الحديث ببعض العبارات أو الكلمات الفرنسية ، والفرنسية الركيكة في بعض الأحيان ، لا لشيء إلا ليثبت المتحدث أو المتحدثة إلمامه بالفرنسية !

أنا لا أعترض على تعلم اللغات الأجنبية ، بل على العكس أرى أنه لا بد أن يتعلم الإنسان أكثر من لغة ، ولكن اعتراضي ينصب على إهمال لغتنا القومية في مجالسنا الخاصة وحياتنا اليومية ، في حين لا تكاد تجد أجنبياً في بلادنا ، أو في بلاده ، إلا ويعتز بلغته القومية ولا يتكلم غيرها إلا مضطراً !!

لقد كنا قديما نلتمس الأعذار لهذه الظواهر الخطرة على قوميتنا وأخلاقنا لأننا كنا نرزح تحت نير الاستعمار .. أما وقد تحررنا من هذا الاستعمار فقد آن الأوان لكي نتحرر من كل ما خلفه لنا من آثار ، فنبني وطننا الجديد بالمفاهيم التي تحفظ لنا قوميتنا وتتفق مع ما ورثنا من فضائل وتقاليد.

بيروت — بثينة الطيبي



■ الرَّبيعُ مِهرَجانُ الحياةِ

■ الكِيانُ الفِلسطِينيُّ نَسمَعُ فيه

■ مجامِعُ اللُّغةِ العربيَّةِ ثلاثةٌ : إنتاجٌ مُبعثَر

الناس ثم يصحون . وهم يصحون من بعد نوم أنشط ما يكونون ، وأكثر ما يكونون على الحياة إقبالا .

الطبيعة تنام وتصحو

وكذلك الطبيعة ، هذه التي خلقها الله ، لها النوم عادة .

وهي تنام الأشهر . فتلك أشهر الشتاء .

ثم تأخذ تتحرك في فراشها وتتقلب ، وتدب فيها اليقظة كما تدب اليقظة في الرجل المستيقظ . وتستغرق في استتمام يقظتها أشهرا . فتلك هي أشهر الربيع .

ثم هي من بعد استيقاظ تأخذ تتهيأ للحياة أسرع ما تكون رجلا ، وأقوى ما تكون بالرجل عضلا ، وأكمل ما تكون بالعضل قوة . وهي في هذا تحصل ، وهي في هذا تجدّ . وهي من الشمس الساطعة تأخذ ، ومن أشعتها الحرارة تسرق . وهي تختزن لأيام تأتي من بعد ذلك أقل كسبا . وهي تستمر تفعل ذلك الأشهر . فتلك أشهر الصيف .

ثم يعتري الطبيعة من بعد رجولة كهولة تخطو بها الرِّجل الجارية وتخفف من وطئها القدم الساعية ، وتدب في



الأكبر

للشاكين ، ونرفض المشككين

ووحدة مفقودة ـ وحياة غير عريض

اطرافها الخمول من بعد نشاط ، وتثقل اجفانها فيضيق ما بينهما من بعد اتساع ، وتستمر على ذلك أشهرا . فتلك اشهر الخريف .

ثم تأوي الطبيعة الى فراشها مرة اخرى ، فتنام .

وتنام لتستيقظ . وهكذا دواليك .

الطبيعة يطول نومها ويقصر باختلاف مواقع الناس من الارض

واختلاف الطبيعة هذا يحس به اهل الشمال على هذه الارض أكبر احساس ، ويحس اهل الجنوب على هذه الارض أكبر احساس . أما الذين هم من هذه الارض على استواء ، بين شمالها وجنوبها ، فما يكادون أن يحسوا من الطبيعة يقظة او نوما . ان الطبيعة عندهم تكاد أن تكون في مهرجان دائم

ونحن العرب نقع بين هؤلاء وهؤلاء . فالطبيعة عندنا تنام شتاء ولكنها أقل اغفاءة . وهي من اجل هذا أسرع يقظة . وهي لا تكاد تستيقظ حتى تقوم تعمل للحياة ؛ فربيعنا ، ربيع العرب ، ربيع قصير . ومع هذا ، وعلى الرغم من هذا ، هو ربيع أي ربيع . ربيع تعلن عن مجيئه الزهر ، ويغني لدخوله الطير .

وجعلوا البيض رمز الربيع

ولكل بلد يوم في احتفال بربيع ، هو عندها عيد .

وجعلوا البيض رمزا لهذا العيد ، وما أوفقه رمزا ، وما أجمله رمزا . فالبيض رمز الحياة . ان البيض فجر الحياة ، أو هو الاشراقة الاولى لصباح الحياة . وما أسرع ما تنفقس البيض فتخرج منه الافراخ كتاكيت ، صفراء سوداء رقطاء ، ملهاء ، تدب على الأرض لاول مرة دبيب الحياة .

وتنقر الارض .

وانت تتساءل : من علمها النقر ؟

وتلتقط الحب .

وانت تتساءل : من علمها التقاط الحب ؟

وتجري وراء أمها تتقي بها وتحتمي ، وتتساءل : من علمها أن العيش على هذه الارض يحتاج الى وقاية وحماية .

ان من البيض ، ومن أشباه البيض ، تخرج الحياة .

والربيع موعدها .

الحب علة الحياة

ان الربيع ربيع الحب ، عند كل ما دب على هذه الأرض .

عند كل ما دب على جلمد سطحها ، أو طار في هوائها ، أو سبح في مائها .

ويجري الحب في الأحياء . وبعض يدري . وبعض لا يدري .

بعض يتجاذب وهو لا يدري أنه يتجاذب ، ولأي غاية . فذلك هو الزهر .

وبعض يتجاذب ويحس في خاصره انجذابا ، ويحس لهذه الجاذبية شدة وهيمنة . فذلك هو الطير ، وكل ذي جناح ، وكل ذي زعنفة ، وكل ذي قدم . انه يحس بحاضرها في يومه ويغفل عن أعقابها في غده . ثم تكتشف الأنثى أن الطبع قد فعل فيها ما فعل . ولا أحسب أنها تستطيع أن تربط الأسباب بمسبباتها ، ولا أن تربط ما يحدث في يومها هذا الأخير بأمسها ذلك البعيد . ان هنالك من يتولى هذه الشئون عنها ، بأدق مما تتولاه ، وبأفعل مما تستطيع أن تفعل ، وبأفهم مما تستطيع هي أو أحد من الخلائق أن يفهم .

وعلى رأس هؤلاء الخلائق الانسان . مدار السنة عنده كله ربيع ، وكله حب ، وكله انتاج . وهو أفهمهم للذي يأتي . ويعلم أن هذا من ذاك . وأكثر ربطا للمسببات بأسبابها . وانما هو في حمى الحب يرتفع بأحاسيس الحب الى سماء من صنعه هو فيسعد بها عن حقيقة الأرض ، حقيقة الخلق . حتى يحسب التقاء الذكر بالأنثى ، بأنه التمس ... ألتمس شيء ، وأعقد شيء يلتقي به الفكر المتأمل في الكون والكائنات . هكذا يفهمه الانسان أحيانا .

ومن الناس من يجعل من الحب شهوة ، يعب منها ، ويتنقل ، وفي سبيلها يأكل من كل لون ، ويجلس على كل مائدة ، ويقوم منها جميعا غير شبعان .

ومن الناس من يجعل الحب فوق الشهوة ، ويخلق حبا باطلا ، ويبعد بالحب عن غايته في الكون ، تلك وصل الحياة . ويسميه حبا عذريا ، وما في محيط الخلق شيء كان أو يكون عذريا .

الحب وصل الحياة ، على الطهارة .

فلا ارتفاع به في متاهات من الخيال يمنع الوصول الى الغاية .

ولا الهبوط به الى لذاذة ، عابرة تسخر بالحياة ، وبصانع هذه الحياة ، ومخططها .





صورة تاريخية لجانب من احد اجتماعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة وقد عكف بعض الاعضاء على الكتابة، وهم من اليمين الاساتذة : ابراهيم بيومي مدكور، عبدالحميد العبادي، زكي المهندس، عبدالوهاب عزام ، احمد حسن الزيات ، توفيق الحكيم ، محمد توفيق دياب ، عباس محمود العقاد ● .

مجامع اللغة العربية ثلاثة :

● انتاج مبعثر ● وحدة مفقودة ● وجاه غير عريض

● اجتمع مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة من ٢٤ فبراير ، الى ٧ مارس ، آذار ، وقد القيت فيه محاضرات ، ونوقشت فيه اقتراحات . ولكن اهم من هذا كله ان آلافا من المصطلحات مرت بين يدي اعضائه ، مجتمعين في مؤتمر ، هي ثمرات اعمال لجان ظلت تجتمع الاسابيع، طوال هذا العام المنصرم.

وتيرة واحدة، جرى عليها المجمع هذا العام ، كما جرى في سوابقه من الاعوام.

وفي نفس الوقت الذي كان مؤتمر مجمع اللغة العربية القاهري مجتمعا ، انتظم في بغداد عقد مؤتمر عربي آخر ، هدفه الثقافة بين الدول العربيه ، ضم وزراء التربيه في هذه الدول

وقبل ان ينفض اجتماع مجمع اللغه العربية بالقاهرة ، اجتمع كذلك مؤتمر الاعلام العربي ، في القاهرة ، ولا يزال في اجتماعه ، وانا اكتب هذا .

ثلاثه مؤتمرات ، تسالني ما الداعي الى ربطها كلها في هذه الكلمه معا .

والجواب اني اربطها للذي بينها من ترابط .

ان اجهزة الاعلام العربي منصرفة ، على ما ارى ، اكبر انصراف ، الى اعلام غير العرب بالذي يجري عند العرب ، والظاهر ان هذه الأجهزة لا تكاد تعنى باعلام الدول العربيه بالذي يجري في الدول العربيه الأخرى وهذا مؤتمر اللغه العربيه اجتمع ولم يكن احد يعلم

● بعد كتابة هذا المقال واخذه سبيله الى الطبعة ، فوجئنا بنعي صديقنا الكاتب العربي الكبير عباس محمود العقاد .. بعثه الجمهوريه العربية المتحدة في ساعة متاخره من ليلة الثاني عشر من مارس (آذار) فلم نملك في هذه اللحظة الناقلة اكثر من ان نلفت نظر القارىء الى هذه الصورة التي كانت قد اعدت من قبل لتنشر مع المقال ، وفيها صورة الكاتب الكبير في اقصى اليسار .. رحم الله الفقيد رحمة واسعة .

عنه وعن سائحه شيئا . واعطت الصحف من النشر حيزا من مائة جزء مما تعطى لبعض الحفلات الرياضية التي هي من الدرجة الثانية .

وهذا مؤتمر توحيد الثقافة ، اجتمع فيه وزراء التربية جميعا ، وانفض ، ولم نقرأ عنه في الصحف الجارية الا اسطرا ، جاز لأي كاتب أن يكتبها من قبل انعقاد المؤتمر .

ثم رابطة اخرى تربط بين مؤتمر مجمع اللغة ومؤتمر توحيد الثقافة بين الدول العربية

ان مؤتمر التوحيد اجتمع ، ونشرت الصحف شيئا مقتضبا من مقرراته ولم يكن فيها شيء من توحيد اللغة العربية بين اقطار الوطن العربي .

ان الثقافة وعاؤها اللغة ، فلتوحيد الثقافة لا بد من أن تتوحد اللغات واللغة العربية الآن في أقطار العروبة غير واحدة . واعني لغة التعليم ، لغة الدراسة ، لغة المدرسة ، والجامعة ولغة الثقافة العامة . حتى لغة المدينة ، اللغة اليومية لغة البيت ، لغة الصالون ، والمخزن ، وحجرة النوم ، والمطبخ ، والسيارة ، والمصنع ، والمزرع ، لا تكاد تأخذ الكاتب في تناولها ليفهم بها أهل العروبة جميعا حتى يتعثر .

والمفروض في هذا أن تقوم مجامع اللغة بهذه الشئون ، تهيء لها ، وتنظم ، وتدبر . ولنا من هذه المجامع مجمع في القاهرة ، ومجمع في دمشق ، ومجمع في بغداد ، والمكتب الدائم لمؤتمر التعريب بالمغرب .

ولكل من هذه الجهات الاربع جهود محمودة .

ولكنها جهود مبعثرة .

فانا ، ولي صلة بالمجامع الثلاثة . لا اكاد احصل على المصطلح الذي اريد ، مما صنعت هذه المجامع ، ان كانت صنعته ، الا بالجهد الجهيد .

المصادر متفرقة . وهي في اوراق للمجمع الواحد مشتتة . حتى الصنف الواحد منها موزع ، فأنت لا تدري مكانه .

والمعنى الثاني من العثرة ، يتضح في تعثر الانتخابات الثلاثة ، فهي لا يجمعها جامع .

وعدا هذا وذاك فهي ليس عليها اتفاق . فالمصطلح القاهري ، غير الدمشقي ، غير البغدادي ، وانت لا تستطيع ان تقول حتى هذا ، لانه ليس هناك وسيلة الى مقارنة هذا بهذا . لن تجد بسهولة ما تريد ان تقارن .

ثم امر الالتزام . ليس هناك التزام قائم في مدرسة أو جامعة ، يلزم بمصطلح واحد يلتزم به الجميع ، ويتفاهم به الجميع . وحتى لو جاز أن يكون هناك على المصطلحات اتفاق ، فليس هناك سلطة عليا تلزم ، كتلك التي توجد في المجالات السياسية واخواتها الاقتصادية .

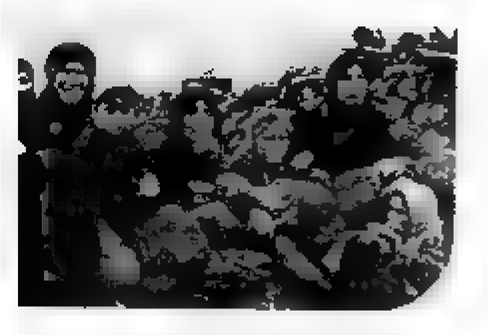
والصحافة ، حتى تلك التي تحزم بعض امورها الدولة ، تجول في مجال المصطلحات بما تهوى وتصول ، لانه يأتيها كل يوم جديد لا بد أن تضع له اللفظ العربي الجديد ، وهي لا تستطيع أن توقف عجلات المكنات الطابعة حتى يأتيها اسعاف من المجامع .

وكيف تستطيع المجامع ، بامكاناتها القاصرة وميزانياتها القاصرة ، ونظمها القاصرة ، أن تسعف الصحف في يوم ، وهي قاصرة عن اسعاف المدارس والناس في سنين .

ومع هذا ، فالصحافة صانعة اللغة . ان قوتها في نشر الكلمة الجديدة تساوي قوى ألف من المجامع مجتمعة باساليب اعلامها الضعيفة القاصرة .

ولكم خطر ببالي أن يدخل مختارون من رؤساء التحرير بالصحافة مجامع اللغات ، أو أن يكون للصحافة مجامع لغات خاصة بها تشرف عليها الدولة ، حتى تلاحق النهضة اللغوية في الوطن العربي سائر النهضات .

ان اللغة العربية في حاجة الى نهضة ثورية ، لا لتهبط بها الى العامية ، ولكن لترفعها الى مستوى المسئولية ، مسئولية نشر المدنية ، ونشر العلم ، والتكنية ،



وكل معنى جديد من المعاني الحضارية ، والابقاء على الوحدة العربية ، بتجديد لسانها ، فلا ينطلق انطلاقا في شئون من الحياة عزيزة علينا قديمة ، ثم هو يسحم استحماما في شئون من الحياة لنا حاضرة .

نسمع فيه للشاكين ونرفض المشككين

● الكيان الفلسطيني كان من الموجات التي أنتجها مؤتمر القمة العربي ، مؤتمر ملوكهم والرؤساء . وهو كسائر المقررات الاخرى أخذ سبيله الى التنفيذ ، ولسير الى غاته ، سيرا سهلا حثيث يتعثر بما لقيه من تحرج في البلد الأم التي عوقت حرءا من فلسطين ، تلك المملكة الاردنية التي هي نقطة الحال المطلق الاول والاقرب الى الغاية الكبرى . وسوف تحد الحركة المرتد من استحرج في كل بلد عربي يذهب اليه الداعون من بعد ذلك .

ولقد شكا الشاكون من بعض التفاصيل ، وقد حق لكل شاك ان يشكو ، وحق لأولي الامر دائما ان يصغوا . وفي معترك الآراء الحرة تنشع الفكرة بأحسن ما تتقدم به فيها المتقدمون .

يشككون في الكيان ، يكون او لا يكون

ولكن غير الشاكين المشككون الذين ياحدون ، في هذا الدور من العمل ، يجادلون في هذا الكيان يكون أو لا يكون .

وكذلك الذين يوحون للناس بأن يرتابوا في النيات ، لا سيما نيات القائمين بالأمر ، أو الداعين له او الساندين اياه .

حتى لقال بعضهم ان الكيان معناه تصفية القضية الفلسطينية بزحزحتها تحط على أكتاف الفلسطينيين ، ولو كان المراد ان تحط على أكتاف الفلسطينيين وحدهم دون أكتاف الآخرين من شعوب العرب ودولهم ، لصدق قولهم ، ولكن أحدا لم يقل بذلك .

الذي يشكك في نية الزعماء انما يعصف بفكرة التحرير من اساسها

ان القائلين بأن القضية الفلسطينية تعني تصفية كيان لفلسطين ، انما يشككون في نية الزعماء من ملوك ورؤساء . والذي يشكك على هذا النحو في نية الزعماء ، في مقاصد الشعوب العربية في الأمة العربية التي يمثلها هؤلاء الزعماء . انما يقوم هو بعينه بتصفية القضية الفلسطينية ، ويحقق بذلك ، منذ ساعة نطق بهذا التشكيك ، ومن قبل ان يكون كيان . . ذلك لأنه لا تحرير لفلسطين بغير العون الاكبر يأتي من شعوب الوطن العربي ، فالذي يشكك في نيات هذه الشعوب ، وهي بالضرورة وبحكم الواقع ممثلة في نوايا ملوكهم والزعماء ، انما يعصف بفكرة التحرير كلها من اساسها .

صفة الممثلين لفلسطين

ثم هم يشككون في انتخابات تجري لاختيار الممثلين لفلسطين . اما ان يكون للفلسطينيين ممثلون ، فأمر لا شك فيه . واما ان يكون ذلك من اختيار — هو اختيار الخطر — او انتخاب حر ، فأمر لا شك فيه ايضا . اما صفة الرجل الذي نختار ، فنعدها بعض الواصف لها بضرورة التريث . ثم لا نلبث أن نقع عنده أن من الخطأ ان يكون الثراء أساس اختيار . ومن الخطأ ان يكون علو المنصب . ولكن كذلك من الخطأ ان تكون الفقر وحده أساس اختيار أو تكون وضاعة المنصب وحدها اساسه ، ولا ان تكون الجهل ، ولا أن يكون التحمس الفاحج من دون روية . وخير من يمثل

الفلسطينيين ، لا سيما بين النازحين ، الفلسطيني المنوّر ، المطّلع على شئون الحياة عامة ، وعلى الحركات السياسية خاصة ، ويحسن أن لا يكون من يسوء الحال في البلد الذي قد نزح اليه بحيث يعتريه ذلك بالقسوة،ويكسبه فتور الهمة. الذي يختار لا بد أن يكون من أولئك الذين لا يزال يصاحبهم القلق الذي يصحب كل نازح عن دياره ، ولا يزال يصاحبهم الحقد الذي يصاحب الذاكر لتخريب داره واغتيال أهله واغتصاب أرضه ، واخراجه على أسواء السائق من المنابت التي ظلت قرونا منابت رزقه ، والمراحات والمغادي التي غدا فيها وراح العدد العديد من آبائه وأجداده ، دهرا طويلا ، وكان من حقه أن تواري في تربتها آخر الأمر عظامه .

المشكلة الفلسطينية مشكلة عربية في المقام الاول

ثم يجب أن لا ينسى أحد أن المشكلة الفلسطينية لا تخص الفلسطينيين وحدهم ، ولا من أخرجوا من ديارهم وحدهم ، وانما هي مشكلة عربية في صميمها . انها مشكلة فلسطينية ، نعم ، ولكنها مشكلة اسرائيلية في المقام الأول . ان اسرائيل ليست الا « كوما » زرعتها الدول الغربية الاستعمارية في المنطقة العربية ، تماما كمثل ما زعمت أمريكا أن كوبا انما زرعتها الدول الشرقية ، وروسيا خاصة، في المنطقة الكاريبية وما وراءها من مجتمعات مارقة لاتينية .

ولا يجب أن ينسى أن المشكلة الفلسطينية ليست معادلة جبرية ، فيها مجهول واحد ، هو س . اذن لكان من أبسط الأشياء حلها .

انها معادلة جبرية ذات مجاهيل عدة : س ، ص ، ع ، ل ، م ...

وكل مجهول جبري يطلب معادلة . وتتعدد المجاهيل فتتعدد المعادلات ، بهذا تقضي قواعد الجبر والحساب .

وهذه المعادلات لم تحضر بعد ، ولم تتكشف بعد ، وأولو الأمر منا لا يزالون يتحسسون الطريق ، وهو طريق وعر ، دقيق في بعض جوانبه ، حساس ، سواء في داخل البلاد أو خارجها ، لا تسهّل السير فيه صرخات العزة الفاضبة ولو مخلصة غاية الاخلاص ، ولا الصيحات تأتي من رجال لا يقع على أكتافهم الثقيل من التبعات .

وقد تتجهز هذه المعادلات، وتتكشف، وتحل آخر الأمر ، ثم يتضح أن س ليست بأكثر هذه المجاهيل مقدارا ، ولا بأثقلها وزنا .

هدفان : قريب ، وأقل قربا

ان الذين خططوا للمشكلة جعلوا لها هدفين : قريبا ، وأقل قربا .

أما الهدف القريب فالانتفاع بروافد النهر ، نهر الأردن ، بما يفسد على اسرائيل خطة التوسع الذي سبيله الماء . وهذا يتطلب الحماية ، والحماية تتطلب الجيوش ، الجيوش العربية . وقد تنشأ من ذلك حرب. وللقادة الرأي أولا وآخرا، لأنهم أبصر بالأمور ، وهم يتحملون التبعات . وهذا هو النظام ، وغيره الفوضى .

أما الهدف الأقل قربا ، فاعادة الأرض السليبة الى أهلها ، وطرد اللصوص . وهذا يأتي ، من حيث الزمن والتخطيط ، لا من حيث الخطورة ، في الخط الثاني . وهو زمن يعطي العرب الفرصة للتحضير والتجهيز . فالحروب لا يدخلها الداخل مجازفة . ولا يدخلها لمجرد شفاء غلة . ومستقبل العرب جملة ، لا يقامر به ، في حرب سريعة متشرة ، تدفع اليها وتحض عليها العاطفة الهائجة ، في سبيل نصر يوهمون الناس بأنه نصر سريع ، ثم يتكشف،بالذي يأتي للاعداد من أمداد ، أنه خذلان ذريع . ومن الذريع تتعلم ولكم خذل الحق في الدنيا،خذلته القوى العاجزة .

ان النصر المؤكد ، المدبّر ، المخطط له ، آت لا شك فيه . آت على الصبر ، وعلى الحذر في غير خوف . وعلى الروية في ايمان بقوة العرب المتزايدة على الأيام .

احمد زكي ■■

مسابقة العدد

لكي لا ننسى !

وجوائز ١٠٠ دينار

■ يشهد العالم العربي في هذه الأيام أحداثاً سيسجلها التاريخ ، لأنها هي نفسها من الأحداث التي تكتب التاريخ.

وفي طليعة هذه الأحداث تكتل الصفوف العربية من جديد ، ملوكاً ورؤساء وشعوباً وحكومات ، من أجل الدفاع عن حقوق عرب فلسطين وعودتهم إلى الوطن السليب ..

وتساهم «العربي» هذه المرة بمحاولة متواضعة للتذكير ببعض جوانب تلك المأساة ، وما صاحبها أو ترتب عليها ، لكي لا ننسى ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين.

١ - كان ما وعد بلفور له بمثابة حجر الزاوية في مأساة فلسطين .. ففي أي تاريخ صدر هذا الوعد المشؤوم ؟

٢ - في أي تاريخ أعلن قيام إسرائيل كدولة ؟

٣ - ما هي أول دولة اعترفت بقيام إسرائيل ؟ ومن كان رئيس تلك الدولة في ذلك الحين ؟

٤ - في الجولة الأولى من حرب فلسطين كان النصر حليف الجيوش العربية حتى كانت الهدنة الأولى ، وبعدها انقلبت الأوضاع ، وكانت الهزيمة وكان الضياع .. ففي أي تاريخ عقدت تلك الهدنة المشؤومة ؟

٥ - على أثر تأميم قناة السويس اشتركت إسرائيل مع بريطانيا وفرنسا في محاولة إجرامية لغزو مصر ، وانتهت بفشل الدول الثلاث كما هو معروف .. ففي أي تاريخ وقع العدوان الثلاثي على مصر ؟

٦ - بالإضافة إلى الدول العربية ، ما تزال هناك بعض دول غير عربية ، شرقية وغربية لم تعترف بعد بإسرائيل . اذكر اثنين من هذه الدول على الأقل ، إحداهما شرقية ، والأخرى غربية .

٧ - ما اسم الأمين العام لجامعة الدول العربية الذي عاصر مأساة فلسطين في حرب عام ١٩٤٨ ؟

● ٥ أسئلة .. على الأقل

والمطلوب من المشتركين في هذه المسابقة الإجابة عن خمسة أسئلة على الأقل من هذه الأسئلة السبعة .

شروط المسابقة

١ - يرفق بالإجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ٥١ من هذا العدد

٢ - يكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربي - العدد ٦٥ »

● آخر موعد لوصول الإجابات إلينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر مايو (أيار) .

● تمنح الفائزين جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الأولى ٣٠ ديناراً
الجائزة الثانية ٢٠ دينار
الجائزة الثالثة ١٠ دنانير
٨ جوائز مالية قيمتها ٤٠ ديناراً ، لكل منها ٥ دنانير

وعند تعدد الإجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

ترسل الإجابات مباشرة بعنوان مجلة «العربي» صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربي ■■

تلتقي أنظار الناس جميعا على الشيء الجميل فتتفق على جماله ، ثم يبدأ اختلاف الرأي فيما بينهم حين يبدأون في التفسير والتعليل ، فماذا في هذا الشيء أو ذاك قد جعله في أعين الناس جميلا ؟ أهو — في نهاية التحليل — ما ينفع الناس في حياتهم الكاملة ؟ أم هو صورة بنائه وتكوينه بغض النظر عما ينفع وما لا ينفع ؟ أم هو شيء غير هذا وذاك ؟

أفلوطين في تاسوعاته

إن لكل فيلسوف عن هذا السؤال جوابه الذي يتفق وفلسفته العامة ، وسنختار لك اليوم أفلوطين Plotinus ، وهو ولد بصعيد مصر سنة ٢٠٥ ميلادية .

إننا نستطيع أن نلخص رأيه في الجمال في كلمة واحدة ، هي « الروح » ، فالشيء جميل بمقدار ما يعبر بمادته عن روح الإله الخالق الواحد . كان أفلوطين يكتب أو يملي على عجل ، ثم يدع لتلميذه بورفوريوس Porphyry مراجعة الأوراق ، فلما توفي أفلوطين ، جمع بورفوريوس رسائله وقدم لها بترجمة لحياة أستاذه ، وقد قسم تلك الرسائل ستة أقسام ، جعل في كل قسم منها تسع رسائل (مجموع الرسائل أربع وخمسون رسالة) ولذلك سميت بالتاسوعات ، وفي إحدى هذه الرسائل ترى رأيه في الجمال مبسوطا في سلاسة ووضوح نادرين . فماذا يقول ؟

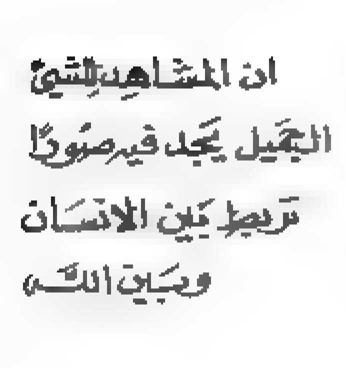
الجمال المرئي والمسموع

الحاستان اللتان تتأثران بالجمال هما حاستا البصر والسمع ، على أن الأشياء الجميلة قد تكون جميلة في ذاتها كما هي الحال في الأعمال الفاضلة ، وقد تكون جميلة بمشاركتها في مبدأ أسمى ، هو المبدأ الذي يخلع عليها جمالها بمقدار مشاركتها فيه . وإن الرواقيين ليزعمون أن هذا المبدأ الذي يكسب الجميل جماله هو تناسب الأجزاء وتناسق الألوان ، ولو صح ما يزعمون لما وصفنا بالجمال إلا الأشياء المركبة من جملة عناصر ، لأن التناسب والتناسق لا يكونان — بالبداهة — إلا بين أكثر من شيء واحد . وأما إذا

ليس الجمال متناسقة أعداد ولا قياس أبعاد



نظرنا إلى عنصر واحد بسيط ، أو إلى لون واحد بسيط ، لما رأينا فيه جمالا ؛ عندئذ لا نستطيع أن نقول — مثلا — أن لون الذهب جميل ، أو أن النغمة الواحدة جميلة . ودع عنك الجمال الذي نراه في مجالات الفكر والأخلاق والروح ، لأن هذه كلها مجالات قد لا تكون كائناتها مركبة حتى يجوز لنا أن نقول أن في عناصرها تناسبا وتناسقا ؛ وذلك لأن التناسب والتناسق صفتان كميتان يتناولان المقادير العددية ومقاييس





الفنان العظيم لا يحاكي الطبيعة وانما يخلق خلقا جديدا !

بقلم الدكتور
زكي نجيب محمود
استاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

الاشياء ، واذن فهما لا يطمئنان على الحقائق الروحية ما دامت هذه الحقائق لا عدد فيها ولا قياس .

كلا ، فما الجمال في الاشياء الجميلة الا صفة يدركها مدرك ان بينها وبين الجانب الروحي فينا شبها من حيث الجوهر . وعلى عكس ذلك الشيء الذى نصفه بالقبح ، انما هو شيء يحمل صفة تتنافر مع حقيقة ارواحنا . فالاشياء الجميلة تذكر الروح فينا بطبيعتها الروحانية ، وذلك لان هذه الاشياء كلها تشترك في « الصورة » المستمدة من عالم الروح . واذا ما خلا شيء من تلك « الصورة » كان قبيحا ، واذا شئت لغة اقرب الى الافهام، فقل ان هذه « الصورة » انما هي قوة دلالة الشيء على المصدر الالهى ، أليست « الصورة » تعمل على تنسيق الاجزاء وتوحيدها في كيان واحد ؟ ثم أليس معنى ذلك هو أن « الوحدة » التي تجمع الكثرة برباط يوحدها هي سر جمال الشيء ومن هنا تكون الوحدة في اعلى

مراتبها الا « الواحد » الذي انبثقت منه شتى الكائنات ؟ واذن فادراك الوحدة في الشيء هو ضرب من الصعود الى الحقيقة الالهية الاولى

الجمال غير المرئي والمسموع

واترك مستوى المرئي والمسموع الى المستوى الذي لا يتوقف فيه جمال الشيء على بصر او على سمع ، وهناك تدرك الروح ما جمال الشيء بغير استخدامها للحواس اذ يكفيها ان تجد شبها بينها وبين ما ترى ، ولكن متى يكون هذا الشبه قائما ؟ انه يكون قائما حين يخلو الشيء من كل اضافة لا تجانس ماهيته وطبيعته ، وعندئذ تواجه الروح الخالصة ماهية «خالصة» ، على ان روح الانسان البراني قد لا تكون خالصة ، وعندئذ لا تكون روحا جميلة وبالتالي لا يتاح لها ان ترى جمالا ، وذلك حين تشوبها العواطف الجموح ، فتكون كأنها الجسم قد تلطخ بالطين ، فلا مندوحة لصاحبها — اذا اراد تخليصها وتنقيتها — من ان ينزع عنه أوشابها ، ووسيلة هذا التطهير الروحي هي — كما قال أفلاطون في محاورة فيدون — اصطناع السلوك الفاضل ، فالسلوك الفاضل هو بمثابة تطهير الروح من أدرانها ، وحينئذ تصبح صورة خالصة ، أو تصبح معنى خالصا ، قوامه روحاني خالص ولا أثر للجسد المادي فيه ، وحينئذ أيضا تصبح الروح الصافية الخالصة شبيهة بالله ، وفي هذه المشابهة جمالها الحق ، وبالروح الحسنى بصفتها تدرك الجمال في الأشياء الجميلة .

الجمال لا صلة له بالحساب والأبعاد

كلا ، ليس الجمال صفة حسابية تقاس ابعادها لتكشف لنا ما في الشيء من تناسب بين اجزائه ، انما هو في مقدار دلالة الأشياء على روح خالقها او قل هو في قوة التعبير الذي عبر به العقل الكبير عن نفسه تعبيرا محسوسا تراه العين او تسمعه الأذن ، فصور الجمال المختلفة ضروب مختلفة اختارها الروح الكلي حين اراد ان يطبع ماهيته على المادة فيصنع منها هذا الشيء الجميل او ذاك ، فصاحب الروح الصافية والنفس الحساسة اذا ما شهد شيئا وتأمله فوجد في طيه « معنى » يربط له نفسه بينه وبين الله ، او قل بينه وبين سائر الكون ، فهو عندئذ انما يشهد جمالا ، لأنه يشهد شبها بين الشيء المحسوس من جهة والأفكار العقلية من جهة أخرى .

الجمال مرده آخر الأمر الى الروح ، لا الى المادة

ان الأشياء الجميلة في هذه الدنيا ، ما كانت لتكون كذلك عند المشاهد اياها لولا ان كل شيء منها يندرج تحت نموذج في عالم الروح ، فكائنات الأرض « نسخات » من كائنات السماء ، وادراك الجمال فيها معناه ادراك ما قد اندس في ثناياها من هذه الكائنات السماوية ، فبرغم ان العين هي التي ترى الشيء الجميل ، الا انها تراه لكي تترك العقل بعدئذ يجاوز السطح المرئي الى ما وراءه من معنى كامن ، وبهذا يكون الجمال مرده الى الروح لا الى المادة ، الى العقل لا الى الحواس ، الى التأمل لا الى المشاهدة بالبصر ، ولهذا لم يكن الجمال أمرا مرهونا بمزاج الفرد الواحد المشاهد ، بحيث يجوز ان يختلف الافراد في تمييز الجميل من القبيح بل هو امر عام يدركه كل ذي بصيرة على حد سواء . نعم ان الفرد الواحد يقدر الشيء حين يراه « مرساه » الى نفسه — أي شبيها بها — ولكنه لم يكن هو الذي خلع عليه الجمال

بميوله الشخصية ونزواته ، بل الذى خلع عليه جماله هو الذى خلقه وصاغه ليكون أداة تعبر عن حقيقته ، وما على الانسان الفرد الا أن « يدرك » ما هنالك ، لا أن يوجده من عدم ، فكأنما الانسان الفرد المشاهد للشىء الجميل يجد من ذلك الشىء حلقة تربط بينه وبين الله ، وذلك حين يرى صورة الله مطبوعة على الشىء ، ثم يرى الشبه بينها وبين صورة نفسه ، لأن أنفس الناس انما انبثقت من النفس الكلية ، وعلى غرارها جاءت .

ليس الفنان من يحاكى الطبيعة

وننتقل من هذه المبادىء الطبيعية العامة المجردة ، الى الفنان الذى ينتج لنا اللوحة الجميلة أو القصيدة من الشعر أو غيرهما من ألوان الفنون ، فبأى مقياس نقيس قيمة فنه ؟ انما نقيس ذلك بمقدار ما قد وفق فى تجسيد « الحق » وفحوى المبدأ أن الفنان العظيم لا يحاكى الطبيعة أبداً ، بل يخلق بخياله خلقاً جديداً يبث فيه « الحق » ، فلئن كانت المحاكاة تنقل ما قد صادفه الفنان فى حياته ، فالخيال يخلق للفنان ما لم يره فى حياته قط . ان الفنان العظيم لينظر بعين بصيرته الى النماذج العقلية التى كان الله قد طبع صورتها على الأشياء المحسوسة ، ينظر اليها ليستلهمها مخلوقاً جديداً يخلقه هو فى فنه بأن يطبع صور تلك النماذج العقلية على مادته ، حتى لا يكون فرق جوهرى بين خلق الله وخلق الفنان من حيث طبع المادة بصورة معينة ، فتتمخض عن كائن جميل . ان الفن خلق بأدق معنى لهذه الكلمة ، بل بأسمى معنى لها وأدومها بقاء على الزمن . فهنالك من القيم الروحية ما يمس يكشف سره وجوهره الا عن طريق الفن ، وذلك لأن الفنان يتمتع فى خلقه بحرية لا تتوافر لسواه من أفراد الناس حين ينشطون فى مناشط حياتهم اليومية أو حياتهم المهنية ، لما يحيط هذه الحياة أو تلك من قيود وحدود لا يتقيد بها الفنان وهو يقيم بناءه الفنى .

خلاصة الرأى عند افلوطين

خلاصة الرأى عند افلوطين — نسوقها لتتضح فى ذهن القارىء قبل أن ننتقل الى مرحلة التطبيق — هى أن الشىء الجميل جميل لما يكون فيه من روح ومعنى يحملانه وسيطاً يصل الانسان المتأمل بالله ، لأن الجانب الروحانى المعنوى فى الشىء الجميل شبيه بالروح الالهى من جهة وبالروح الانسانى من جهة أخرى ، ولذلك كانت النشوة عند الاستغراق فى الشىء الجميل قريبة من نشوة المحب التى تملأ نفس المحب فى نفس حبيبته ، فهل رأيت محباً صادقاً يلتمس فى حبيبته جانباً ظاهراً كالشكل واللون والقوام ؟ انما تراه دائماً يلتمس فيها روحاً خافياً عن الأعين ، روحاً لا لون له ولا شكل ولا قوام ؛ وحتى ان أعجب العاشق بما فى معشوقته من خصائص بدنية كتناسق أجزاء جسدها ، فهو فى الحقيقة يعجب بهذه الخصائص لما هو مستتر وراءها من « صورة » تدرك بالعقل ولا تدرك بالحواس .

ما الفرق بين قطعة الحجر قبل أن يمسها ازميل الفنان وبعد أن يمسها ؟ بديهى أن الحجر لا يستمد جماله بعد نحته من كونه حجراً ، والا لتساوى التمثال المنحوت فى قيمته الجمالية مع أى حجر آخر فى مثل حجمه ووزنه ، بل يستمدها من الصفة التى أضافها الفنان اليه ، وهى صفة لم تكن فى قطعة الحجر بادىء ذى بدء ، بل كانت فى نفس الفنان — لا من حيث هو كائن ذو عينين ويدين بل من حيث هو كائن ذو خيال ، ففى

خيال الفنان كانت تكمن الصورة الحية التى سينقلها بإزميله الى قطعة الحجر ، وإذن فقطعة الحجر بعد نحتها تمثالا انما استحدثت جمالها من الروح ـ اى مـن الخيال ـ لا من اية ظاهرة مادية في الحجر او في غيره من اشياء .

ان الجمال ـ في الفن وفي الطبيعة على السواء ـ ليستقي قيمته كلها من كونه وسيلة تبرز الروح الالهي في جوهرها وصميمها ، فترى هذا الروح مشعا خلال القطعة الفنية او خلال المنظر الطبيعي ، مشعا من التمثال أو من الصورة أو من مقطوعة الشعر او الموسيقى ، ولو كان الامر امر تناسب في الأجزاء الظاهرة من الجسد او من المادة المستخدمة في البناء الفني ، لكان الوجه الجميل جميلا وهو حى كما هو جميل وهو ميت على السواء ، لكن لا ، ان العبرة كلها هي بما وراء السطح الظاهر من روح ومعنى .

تمثال نفرتيتى ، مثل للذى اراده افلوطين من الجمال

ونتنقل الآن الى امثلة تطبيقية لهذه الفلسفة الجمالية التى عرضناها ، أول مثل اسوقه هو تمثال اجمع رجال الفن على تقديره ، الا وهو تمثال نفرتيتى المعروف ، فاين سر جماله ؟ اهو في كونه كتلة من الحجر الجيرى ، ام هو في المعانى الكامنة وراء ملامحه ؟ الا ترى سر جماله هو في طائفة كبيرة من المعاني والقيم تتزاحم عليك وانت تتأمله ، منها هذه الانفة التى تترفع عن ظواهر الطلاعة والاستهتار الرخيص ، ولكنها انفة تجيء في هدوء ، صادرة من نفس مرسلة على سجيتها ، فلا تكلف فيها ولا تصنع ، ان في الوجه قوة روح ومضاء عزيمة وارادة ، لعلهما بايحاء من وضوح ملامحه ومن بروز عظام الخدين والذقن ، ولكنه وضوح تنبسط فيه الاسارير ولا تتجهم ، فالجبهة مشرقة والفم رقيق باسم في هدوء وفي وداعة ، والعنق طويل يوحى اليك بالرشاقة المصاحبة لجلال العظمة الآمرة المسيطرة ، فهل في وسعك ان تنظر الى راس نفرتيتى نظرة فيها ابتذال أو سخرية ؟ هل في وسعك أن تنظر الى هذا الراس ولا يرتسم في خيالك الوجود الذكى اليقظ الواعى المرهف الحساس ؟ هل في وسعك أن تنظر اليه ثم تشعر بالعبث والتفاهة والاغلال والفوضى ؟ لا أظن ذلك ، وكل ما سيطوف بذهنك وانت تنظر اليه متأملا هو صفات مما ننسبه للكائن الالهى في سموه وسمائه ، ومما يتشوق الانسان الى محاكاته فيها ، وذلك هو الجمال الحق بالمعنى الذى اراده افلوطين كما فهمناه وشرحناه .

الكوميديا الالهية مثل آخر للجمال عند افلوطين

ونسوق مثلا آخر من روائع الادب العالمي : الكوميديا الالهية لدانتى Dante فاى شيء ندرك حين ندرك فيها جمالا ؟ اهو مجرد الارتحال في ارجاء الجحيم وفي الاعراف ثم الفردوس ؟ ام هو النفاذ خلال تفصيلات الرحلة الى ما يكمن وراءها من روح ومعنى ؟ ان رحلة دانتى في قصيدته الكبرى هذه تبدأ بان يجد نفسه ضالا في غابة مظلمة لا يهتدى فيها الى مسلك يخرجه منها الى حيث الفضاء والنور ، الا شعاعا ضئيلا يتسلل اليه خلال ثغرة فيها ، فيسرع على هداه لعله ينجو قبل أن يغرب ، لكنه لا يلبث أن يجد وحوشا ثلاثة تسد عليه الطريق ، ذئبة واسدا وفهدا ، فيرتد الى الظلام يتخبط فيه من جديد ، الى أن يصادف



فرجيل يطلب منه الأخذ بيده الى طريق النجاة ، لكن فرجيل يبين له أن طريق الخلاص طويل تكتنفه الصعاب ، فلا بد له أولا من اجتياز درجات الجحيم كلها قبل أن يصعد الى الاعراف حيث يتطهر ، وعندئذ فقط يستطيع الصعود الى الله . لكن هداية فرجيل تنتهي عند الاعراف وستتولى هدايته بعدئذ الى الشهود الالهي روح حبيبته بياترتش .

ذلك هو المخطط العام للرحلة ، لكن المتأمل في تفصيلات القصيدة وفي طريقة بيانها ، سرعان ما يجد نفسه قد سما الى منزلة روحانية لعلها هي المنزلة التي أرادها الشاعر لنفسه وللناس ، وفي هذا السمو الى مرتبة الروح سر جمال الكوميديا الالهية ، فما الغابة المظلمة التي وجد نفسه فيها الا حياة الخطيئة والرذيلة والشر التي عاشها الشاعر وهو بعد بين الاحياء على وجه الارض ، وما الضوء الذي تسلل اليه واغراه بمحاولة الخلاص الا قبس من الله ، لكن أين النمر والوحوش الثلاثة تسد عليه الطريق ؟ وهي رموز مأخوذة من سفر ارميا لترمز الى الرذائل الاساسية الثلاث كما أوردها أرسطو ، وهي رذيلة الجشع حين تنحرف الغريزة ، وهذه هي الذئبة ، ورذيلة الضراوة والافتراس حين تنحرف شجاعة القلب عن حدها المعقول ، وهذا هو الأسد ، ثم رذيلة الغش والخداع حين ينحرف الذكاء عن طريق الخير الى حيث المكيدة والغدر ، وهذا هو الفهد . فلما أن التقى فرجيل به ليهديه ، كان رمزا لما ينبغي للخلف أن يتمسك به من تراث السلف ، فعلى هداه أسلافنا نستطيع أن نشق طريقنا الى مستقبل مرجو مزدهر . كما يرمز كذلك فرجيل الى حكمة العقل ، ولذلك فلن يهديه هذا الحكيم العاقل الا الى حد محدود ، وهو الخروج من الجحيم الى حيث الاعراف . وأما الطريق من الاعراف الى الله فتلزم لها هداية من نوع آخر غير حكمة العقل ، يلزم لها الحب ، ويلزم لها القلب ، ويلزم لها الايمان ، ولذلك فالهداية عندئذ متروكة لمن ترمز عند دانتي الى الحب والقلب والايمان ، الا وهي متروكة لبياترتش بعد أن فرغ « العقل » (أي فرجيل) من مهمته الى آخر حدودها المستطاعة .

وماذا أقول لك في مرامي هذه القصيدة الكبرى ، الا أن تقرأها مشروحة لترى بنفسك كيف يكمن سر جمالها في الصعود بك وراء تفصيلاتها الظاهرة الى حيث القيم الاخلاقية والروحية ، الى حيث الوجود الالهي الخالص وذلك هو مكمن الجمال في كل شيء جميل ، على مذهب افلوطين .

■■

زكي نجيب محمود



رئيس الوزراء الصامت

من جريدة « الصنداى اكسبريس » :

● عجيب والله صمت رئيس الوزراء ، فى الوقت الذى ينتظر منه الجميع أن يتكلم ، ويرفع صوته موضحا سياسة حكومته وحزبه تجاه بعض الأمور المعلقة .

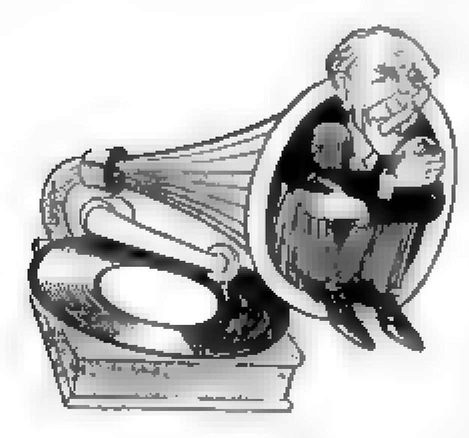
لقد تعرض حزب المحافظين لنكسات متعددة ، وهجوم شديد ، وكان ينتظر من سير « اليك » أن يقود السفينة المشرفة على الغرق الى بر السلامة ، ولكنه آثر الصمت المطبق . أتراه يرى السلامة فى الصمت ؟

كيف ينتظر رئيس الوزراء أن يفوز حزبه فى الانتخابات القادمة ، وهو لم يكلف نفسه عناء الخروج من قوقعته التى سجن نفسه فيها منذ أن تولى الوزارة ؟ لقد ذهب بعض المهتمين بمصير هذا البلد الى القول أن رئيس الوزراء لا يدرك تماما خطورة المشاكل الداخلية والخارجية التى يجابهها . ونحن لا نحب أن نشارك هؤلاء رأيهم ، ونغلو فى التقليل من شأن رئيس الوزراء ، ولكن مع هذا نحب أن نسمع منه أجوبة شافية توضح سياسة حكومته وحزبه تجاه بعض القضايا التى تهمنا . ومن هذه القضايا .

● ترى هل ستجدد حكومة المحافظين اذا فازت فى الانتخابات القادمة محاولتها للدخول فى السوق الاوروبية المشتركة ؟

● وهل ستبقى على تبعيتها الحالية للسياسة الامريكية ، رغم ما منيت به هذه السياسة من فشل ؟

● وهل ستخطو خطوة جريئة تحفظ لبريطانيا



كرامتها أمام التحالف الجديد بين ديجول والصين ؟

● وهل ... الخ ؟

نريد من رئيس الوزراء جوابا شافيا ، يكذب الشائعات المتواترة ، والقائلة : أن الوساطة لا الكفاءة ، هى التى جاءت به الى سدة الرئاسة .

وانا لمنتظرون .

زعامة امريكا للعالم الغربى .. خرافة

من مجلة « نيوز ويك » :

● اذا كانت المخترعات النووية قد جعلتنا نعيش فى رعب دائم ، فانها أيضا قد جعلت أمر



ديجول العملاق

عن جريدة « ... » ... ـ مدريد .

● كل الدلائل تشير الى ان ديجول ، رئيس الجمهورية الفرنسية الجديد ، مصمم على ان يصل فرنسا الى دولة من الدرجة الاولى ، تستطيع ان تقول بملء فيها كلمة « لا » لكل من الولايات المتحدة وروسيا . انه الآن يرفض ان يكون تابعا للسياسة الامريكية في جنوب شرقي آسيا ، كما رفض من قبل محاولة امريكا ان تجعل فرنسا في الدرجة الثانية ، بعد بريطانيا ، في سياسة القارة الاوروبية .

ان ديجول بعد الانتصارات في السياسة الاوروبية قد اثبت انه يستطيع ان يسير سياسة بلاده كما يهوى ، مستقلا تمام الاستقلال عن اي نفوذ خارجي . وهو الآن يمد يده لا الى الصين فقط ، بل الى دول جنوب شرق آسيا وهي فيتنام وكمبوديا ، وتايلاند ، واندونيسيا . كما يمد يده الى المنطقة العربية المترامية الاطراف ، والى الدول الافريقية ، وحتى لدول امريكا اللاتينية .

انها سياسة تدل على بعد نظر الجنرال ، وهي ولا شك ، سياسة ستعجب بها الدول الصغيرة التي تريد ان تحيا بعيدة عن نفوذ اي من الغرب او الشرق .

نشوب حرب شاملة في المستقبل شبه مستحيل ، ذلك لأن كلا من المعسكرين الغربي والشرقي يعرف ان الحرب معناها الدمار التام للمحاربين اولا ، وللعالم ثانيا . وهكذا كانت المخترعات الذرية ، في رأينا ، نعمة للجنس البشري .. ولكنها نعمة خالية من الامن يحجبها عنا ما نعانيه من خوف.

والدول ، خارج الولايات المتحدة وامريكا تعرف هذه الحقيقة ، وهي ان الحرب الشاملة شبه مستحيلة . كما تعرف ايضا انها تستطيع الاستفادة من التنافس القائم بين الشرق والغرب . وهذا يفسر لنا لماذا لم نعد قادة المعسكر الغربي الناطق الكلمة ، فنحن لم نستطع حتى الآن ان نقنع حلفاءنا في اوروبا بمقاطعة كوبا والصين ، ونحن لم نجد من هؤلاء الحلفاء ايضا اذنا صاغية لكل ما قدمناه من مقترحات بشأن اتحاد اوروبا ، ونحن لا نستطيع حتى ان نحول دون دخول تركيا واليونان في حرب ، اذا ارادتا ذلك مع انهما حليفتان لنا .

هذه الحقائق تقول لنا ان زعامة والشكل للعالم الغربي ليست الا خرافة .

منطق لا نقبله

من جريدة « الاوبزرفر » :

● وزير خارجية امريكا المستر « رسك » ، عاتب على دول غرب اوروبا ، بل وغاضب .

وسر عتبه وغضبه ان هذه الدول تتجر مع كوبا. والاتجار مع كوبا ، في رأي مستر رسك ، « اخطر من الاتجار مع اية دولة شيوعية لأن نظام كاسترو يهدد النفوذ الامريكي في امريكا اللاتينية » .

وهذا منطق من مستر رسك قد نقبله ، لو كان يرى المرء ما يراه لنفسه . وهذه برلين الغربية شاهدة على ذلك . ان المنطق نفسه هو المنطق الذي تتذرع به روسيا في مطالبتها بضرورة جلاء القوات الغربية ، ومنها الامريكية ، عن برلين الغربية

كلمة نهمس بها في اذن مستر رسك قائلين له : اذا اردت من حلفاء امريكا ان يطيعوها ، فان اول ما يجب عليك عمله هو ان تقنعهم بأن مصلحتهم تهمك كما تهمك مصلحة امريكا نفسها . فاذا جلست هذا اذا ايدوا الله وعودهم .



لِمَ الهجرُ والصدُّ؟

للشاعر : احمد السقاف

يا حبيبي قلْ لي لِمَ الهجرُ والصدُّ … وأنا في هواك باكٍ مسهَّدْ؟

أنت عندي كلُّ الحياةِ وإني … نسعدُ ما لمتُ والله يشهدْ

إن يكن قد أتاك عني كلامٌ … فكلامُ الوشاةِ زورٌ مفنَّدْ

أنت في ناظري أعزُّ من النو … رِ وأنت النعيمُ بل أنت أزيدْ

كيف ترضى لي العذابَ فقلبي … في همومٍ والفكرُ مني مشرَّدْ

وطعامي قد عفتُه ومنامي … لم أذقه، وكلُّ عيشي منكَّدْ

وعلى العكسِ أنت في كل يومٍ … نزهةٌ حلوةٌ وحالٌ مجدَّدْ

أيُّ ذنبٍ جنيتُ حتى أُجازى … بأبي أنتَ - بالشقاءِ المؤبَّدْ؟

سائلِ الشارعَ الذي فيه دارٌ … أنت فيها على الصبيحِ مسوَّدْ

كم حوالي، أطوفُ حولك حتى … خالني الساكنان يتعبَّدْ

رِقَّ لي، بالذي براك من الحسـ … ـنِ وسوّاك فرقداً أيَّ فرقدْ

بالقوامِ الرشيقِ بالسحنةِ الزهـ … ـراءِ بالناعسين بالثغرِ بالخدّْ ■



ابراهيم النظّام



صار المعتزلة من بعده عيالا عليه

"طالب العلم لا يكون كحاطب ليل"

"الشك سبيل الانسان الى كل يقين"

بقلم : ابراهيم قطان

■ « الاوائل يقولون في كل الف سنة رجل لا نظير له ، فان صح ذلك فابو اسحق ابراهيم النظام من اولئك » .

« الجاحظ »

ابو اسحق ابراهيم بن سيار بن هانىء البصري، من ائمة المعتزلة ، ومن كبار علماء الكلام الاعلام ، ومن الشعراء المجيدين . تبحر في علوم الفلسفة واطلع على اكثر ما كتبه رجالها من طبيعيين والهيين . وانفرد بآراء خاصة واصبح صاحب مذهب خاص وله اتباع من المعتزلة اطلق عليهم « النظامية » نسبة اليه .

كان النظام آية في النبوغ وحدة ذهن ، وصفاء قريحة ، واستقلال فكر ، وسعة اطلاع ، وغوصا على المعاني الدقيقة ، وصياغة لها في احسن لفظ واجمل بيان .

تتلمذ للعلاف في الاعتزال ، ثم انفرد عنه وكون مذهبا خاصا ، وعاش في بغداد حينا ، ومات وهو شاب في نحو السادسة والثلاثين من عمره ، وكان استاذ الجاحظ .

كان للنظام ناحيتان بارزتان : ناحية ادبية وناحية كلامية .

فهو من ناحيته الادبية قد عرف بالغوص على المعاني الرقيقة الدقيقة ، وصوغها في قالب قريب .

بين النظام والخليل بن احمد

روى انه دخل على الخليل بن احمد وهو صغير، وفي يد الخليل قدح زجاج ، فقال له الخليل : صف هذه الزجاجة ، قال : أبمدح أم بذم ؟ قال بمدح ، قال : تريك القذى ، ولا تقبل الأذى، ولا تستر ما وراءها ، قال : فذمها ، قال : يسرع اليها الكسر ولا تقبل الجبر . قال : فصف لي هذه النخلة ، وأومأ الى نخلة في داره . فقال : بمدح أم بذم ؟ قال : بمدح ، قال : هو حلو مجتناها ، باسق منتهاها ، فاخر أعلاها ، قال : فذمها . قال : صعبة المرتقى ، بعيدة المجتنى ، محفوفة بالأذى . فقال الخليل : « يا بني نحن الى التعلم منك أحوج » .

من لطائف نثره

وقد أثر عنه نثر لطيف جذبته قصيرة ، فقد ذكر عنه عبد الوهاب الثقفي ، فقال فيه : « هو أحلى من أمن بعد خوف ، وبرء بعد سقم ، ومن خصب بعد جدب ، وغنى بعد فقر ، ومن طاعة المحبوب ، وفرج المكروب ومن الوصال الدائم والشباب الناعم » .

ومن كلامه وقد سمع وقع الصواعق ودوي الريح : اللهم ان كان عذابا فاصرفه ، وان كان صلاحا فزد فيه ، وهب لنا الصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء . اللهم ان كانت منحة فمن علينا بالعصمة ، وان كان عذابا فمن علينا بالمغفرة .

رأيه في الجود بالمال

وكان كريما يجود بماله ، وله نص يوجب الإنفاق ، وكان السلطان يصله بالكثير ، فاذا اجتمع له مال حبس لنفسه ما يكفيه . وفرق الباقي في أبواب المعروف . وقد عوتب في ذلك فقال : « من حق المال علي أن أطلبه من معدنه ، وأصيب به الفرصة عند أهله ، ومن حقي عليه أن يقيني السوء بنفسه ويصون عرضي بابتذاله ، ولا يفعل ذلك الا بأن أسمح به . ألا ترى ذا الضيعة ما أدوم تعبه ، وأقل راحته ، وأخس حظه ، وأشد غمه ، ثم هو بين سلطان يرعاه ، وذوي حقوق يشكونه ، وأكفاء ينافسونه ، وولد يرقبون فراقه ، قد بعث عليه الغنى من سلطانه الحسد ، ومن أكفائه العداوة ، ومن ذوي الحقوق الذم ، ومن الولد الملل ، وذو البلغة قنع فدام له السرور ، ورفض الدنيا فسلم من المحذور ، ورضي بالكفاف فتنكبته الحقوق » .

مع العلاف في زيارة عزاء

وحكي عنه قال : مات لصالح بن عبد القدوس ولد فمضى أبو الهذيل العلاف والنظام معه ، وهو غلام حدث . فكان صالح متوجعا على ولده واسفه فقال أبو الهذيل . لا أعرف لجزعك وجها . فقال صالح : يا أبا الهذيل انما أجزع عليه لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك . فقال أبو الهذيل : وما كتاب الشكوك ؟ قال : كتاب وضعته ، من قرأه شك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن ، وفيما لم يكن حتى يظن انه قد كان ، فقال له النظام : فشك أنت في موت ابنك واعمل على انه لم يمت وانه حي ، وشك أيضا في انه قد قرأ هذا الكتاب وان لم يكن قرأه . فبهت صالح .

ومن كلامه يخاطب بعض الكتبة : « اذا كان في جيرانك جنازة وليس في بيتك دقيق ، فلا تحضر الجنازة ، فان المصيبة عندك أكثر منها عند القوم ، وبيتك أولى بالمأتم » .

لماذا اشتهر بالنظام

واما شهرته بالنظام فأشياعه يقولون انها من اجادته نظم الكلام ، وخصومه يقولون انه كان ينظم الخرز في سوق البصرة ، وهو له شعر دقيق نحا فيه نحوا خاصا في دقة المعنى وحسن السبك ، ومما تقدم من أقواله وشعره يترجح ان شهرته بالنظام من اجادته نظم الكلام سواء أكان نثرا أم شعرا . وما ضره لو كان ينظم الخرز في سوق البصرة .

ومن بعض شعره

ومن شعره قوله

ذكرتك والراح في راحتي
فسبب المدام بدمعي غزير

فلن ينفذ الدمع غرض الأسى
بكيتك العشي بدموع تمير

وقوله:

يا تارك جسدي بغير فؤاد
أسرفت في الهجران والإبعاد
ان كان يمنعك الزيارة أعين
فادخل اليّ بعلة العواد
ان العيون على القلوب اذا جنت
كانت بليتها على الأجساد

ويقول:

حسر البنفسج الا ان فيه رعاعا
من نحس ليس في حلال ولا سفر
ومنظر في الوجه القبيح محبه
فيكسوه حسنا بابه آخر الدهر

وقال:

توهمه طرفي فآلم خده
فصار مكان الوهم من نظري أثر
وصافحه قلبي فآلم كفه
فمن صفح قلبي في أنامله عقر
ومر بقلبي خاطرا فجرحته
ولم أر جسما قط يجرحه الفكر
يمر فمن لين وحسن تعطف
يقال به سكر وليس به سكر

وهكذا نراه يتفلسف في شعره ونثره فتلذ معانيه ، ولجود الفاظه ، وكان يعجبه ابو نواس للطف معانيه ورقة طبعه ، ويقلده احيانا ويقربه الى نفسه .

قال الجاحظ : « سمعت النظام يقول – وقد انشد شعر لابي نواس – : كان هذا الفتى جمع له الكلام فاختار احسنه » . يعني ابا نواس .

كان النظام واسع الثقافة

كان النظام اديبا رقيق الطبع ، دقيق المعاني ، يعجبه القول الحسن والكلام الطيب . ويقول الشعر الرقيق ، والنثر المنتقى . وقد كان ذا ثقافة واسعة : فمن ثقافة ادبية ، فهو يحفظ كثيرا من الاشعار والاخبار ، ومن ثقافة دينية ، فقد روى المرتضى « انه قرأ القرآن والتوراة والانجيل وتفسيرها » ، الى معرفة فقهية واسعة في الاحكام والفتيا ، الى ثقافة فلسفية ، فقد قرأ بعض كتب ارسطو ورد عليه . ذكر جعفر بن يحيى البرمكي ارسطو ، فقال النظام قد نقضت عليه كتابه ، فقال جعفر كيف وانت لا تحسن ان تقرأه ! فاستطع النظام يذكر منه شيئا وينقض عليه ، فتعجب منه جعفر » .

عقلية النظام وخلقه

صور الجاحظ نفسية النظام وعقليته تصويرا حسنا ، وقد كان اعرف الناس به واكثر خلطة له . قال في كتاب الحيوان يصفه بالصدق فيقول « كان ابراهيم مأمون اللسان قليل الزلل والزيغ في باب الصدق . ثم عابه عيبا عقليا دقيقا فقال » انه كان جيد القياس ، جيد الاستنباط ، ولكنه لا يتحرى الدقة فيما يقيس عليه . فهو يظن الظن ثم يقيس عليه ، وينسى ان بدء امره كان ظنا ، فلو كان بدل تصحيح القياس يلتمس تصحيح الاصل لكان ذلك اولى . وكان يحكي حكاية المستبصر المتيقن ، ولكنه كان لا يقول سمعت ولا رأيت ، والسامع لا يشك انه امتحنه بنفسه مع انه لم يسمعه ولم يمتحنه » . فالجاحظ يعيبه بسرعة الجزم بالمسائل الاصلية قبل التثبت منها ، فاذا عمل القياس والاستنباط اتى بالعجب العجاب ، ولكنه يتهمه بانه مع صدقه ، « كان اضيق الناس صدرا بحمل سر ، وكان شرا ما يكون اذا يؤكد عليه صاحب السر الخ .. » .

الشك والتجربة عند النظام

واما عقليته فهي عقلية غريبة سابقة لزمنها ، فيها الركنان الاساسيان اللذان سببا النهضة الحديثة في اوروبا ، وهما الشك والتجربة . اما الشك فقد كان يعتبره النظام اساسا للبحث فكان يقول : « الشاك اقرب اليك من الجاحد ، ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شك ، ولم ينتقل احد من اعتقاد الى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك » .

واما التجربة فقد استخدمها كما يستخدمها الطبيعي او الكيماوي في معمله اليوم .

يسقي الخمر للكلاب والأبقار

ومن طريف ذلك انه اتصل بمحمد بن علي بن سليمان من الامراء العباسيين ، فشاركه النظام في عملية لطيفة هي ان يسقي الخمر للحيوانات ليرصد نتائج ذلك . فجربوها على كل عظيم الجثة كالابل والجواميس والبقر ، ثم على الخيل العتاق والبراذين ، ثم على الظباء والشاء ، ثم على النمر والثعلب وابن عرس ، ثم اتوا بعلو فكان يحتال على الافاعي حتى يصب في حلقها بالاقماع . وشاهدوا فعل الخمر في هذه الاجناس المختلفة ،

وساعده على ذلك ميل الامير وجاهه ، حتى احتالوا على اسد فسقوه ليعرفوا مقداره في الاحتمال .
« قال النظام اني لم اجد في جميع الحيوان اصلح سكرا من الظبي ، ولولا انه من السرف لكنت لا ازال اسقي الظبي حتى اسكره وارى طرائف ما يكون منه » .

رأيه في الطيرة والاحلام والجن والغيلان

وكذلك جرب على ذكر النعام كيف يبتلع الجمر والحجارة المحماة ، والحديد والزجاج والحصى وغيرها ، وفي هذه الاعمال مثل من امثلة البحث العلمي والتجربة الصحيحة الدقيقة . ثم هو ابعد ما يكون عن الخرافات ، يبحث الامور بعقله في هدوء وطمأنينة ، ويجتنب اوهام العوام ، ويقيم على ذلك الادلة ، فهو لا يؤمن بطيرة ، ولا احلام، وهو يعرض لما روي في الشعر العربي من احاديث الجن والغيلان ، وان بعض الاعراب سمعوهم وصادقوهم ، فيحلل ذلك تحليلا نفسيا دقيقا في حديث طويل لا يتسع المقام له ، ومن اراد فليرجع الى كتاب الحيوان للجاحظ .

وهو يقول :
طالب العلم لا يكون كحاطب ليل

وعندما تكلم عن الكتب كان كمن يضع منهجا بديعا للدرس، فيتألم من يسير في تعلمه على طريقة حشو المعلومات في الذهن حشوا بدون تدبر ولا تمحيص ، ويرى ان موقف طالب العلم من الكتب يجب الا يكون كحاطب ليل ، بل ينبغي ان يتخير مما فيها ولا يسمح ان يدخل في نفسه الا الجيد المنتقى . ويقول " ان الكتب لا تحيي الموتى ، ولا تحول الاحمق عاقلا ، ولا البليد ذكيا ، ولكن الطبيعة اذا كان فيها ادنى قبول فالكتب تشحذ وتفتق وترهف وتشفي . ومن اراد ان يعلم كل شيء فينبغي لاهله ان يداووه ، فمن كان ذكيا حافظا فليقصد الى شيئين او الى ثلاثة اشياء ، ولا ينزع عن الدرس والمطارحة ولا يدع ان يمر على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ما قدر عليه من سائر الاصناف فيكون عالما بخواص ، ويكون غير غفل من سائر ما يجري فيه الناس .

فهو يرى ان العالم يجب ان تكون له ثقافة عامة فيأخذ من كل شيء بطرف ، وثقافة خاصة وهي ان يتخصص في بعض المواضيع ويتعمق فيها ويتبحر .

النظام وعلم الكلام

كثر البحث في العقائد في العصر العباسي الاول، وتشعب الكلام فيه ، واتخذ الوانا جديدة لم تكن ايام النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا في زمن الصحابة الاولين ، واخذت هذه البحوث تتركز حتى تكون منها علم جديد يساير سائر العلوم التي نشأت في ذلك العصر وهو علم الكلام .

وخاض المسلمون في هذا العلم واحتموا فيه لانه يتعلق بالجدل ومقاومة الملاحدة والمتفلسفين والزنادقة ، وكان للمعتزلة من اهم الفرق التي بحثت في علم الكلام بما اثاروا من مسائل ، وبسطوا من شرح ، ووضعوا من اصول .

اصول خمسة تجمع بين المعتزلة

وللمعتزلة مبادىء يكادون يشتركون فيها جميعا ، ومبادىء خاصة ببعض رؤسائهم . فاما المبادىء العامة التي يكاد المؤرخون يجمعون عليها فخمسة اصول .

(١) القول بالتوحيد (٢) القول بالعدل (٣) القول بالوعد والوعيد (٤) القول بالمنزلة بين المنزلتين (٥) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال الخياط (احد زعماء المعتزلة في القرن الثالث) : « وليس يستحق احد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالاصول الخمسة (وهي التي ذكرناها) فاذا كملت فيه هذه الخصال فهو معتزلي » .

وقد كان لهم فضل كبير في وضع اسس علم الكلام ، وعلم الجدل ، والمناظرة ، كما انهم كانوا المنفذ الاول الذي دخل منه فلاسفة المسلمين الى الفلسفة اليونانية ، لان المعتزلة اول من استعان بالفلسفة اليونانية ، واستغلوا منها في تأييد نزعاتهم . فاقوال كثيرة من النظام وابي الهذيل والجاحظ وغيرهم ، بعضها نقل نقلا من اقوال فلاسفة اليونان ، وبعضها دخله شيء من التعديل .

النظام يرد على الدهريين

وقد اهتم النظام بالدفاع عن الاسلام ، والرد على الملحدين ، وخصص جزءا من زمنه في الرد على الدهريين ، وهم فرقة كانت منتشرة في زمن

النظام في العراق وغيره ، لا تؤمن بدين ، ولا تقر بالله ، ولا تؤمن الا بالمحسوس ، ولا تعتقد ان وراء هذا العالم المادي عالما . فلا معاد ولا ثواب ولا عقاب ، ونسبتهم الى الدهر اخذا من حكاية الله عنهم قولهم : « وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » .

فهم يقولون بقدم العالم وابديته ، وما يحدث في العالم فانما يحدث بقوانينه الطبيعية . فهم أشبه بما نسميهم اليوم بالماديين او الطبيعيين ، وهؤلاء قدماء وقد تسلسل الرد عليهم من اليونانيين القدماء الى فلاسفة القرون الوسطى ، ومنهم المعتزلة ، وعلى رأسهم النظام الى العصور الحديثة وفي مقدمتهم جمال الدين الافغاني في رسالته الرد على الدهريين .

وقد بقيت لنا من ردود النظام على الدهريين بعض فقر حفظها لنا الجاحظ في كتاب الحيوان ، فحكى عن النظام انه قال : « ان الدهرية قالت في عالمنا هذا الطويل ، فمنهم من زعم انه من اربعة اركان ، حر وبرد ويبس وبلة ، وسائر الاشياء نتائج وتركيب وتوليد . وجعلوا هذه الاربعة اجساما . ومنهم من زعم ان هذا العالم من اربعة اركان : ارض وهواء وماء ونار ، وجعلوا الحر والبرد واليبس والبلة انما هي لهذه الجواهر ، ثم قالوا ان سائر الارابيح والالوان والاصوات انما هذه الاربعة على قدر الاخلاط والقلة والكثرة والرقة والكثافة الخ .. » .

ثم اطال الرد عليهم ، وكان رده من الناحية الطبيعية العقلية ، كما رد على الديصانية[1] بقولهم « ان اصل العالم انما هو من شيئ وظلام ، وان الحر والبرد ، واللون والطعم والصوت والرائحة ، انما هي نتائجهما على قدر امتزاجهما » . وقد ادى هذا البحث مع هؤلاء وهؤلاء وغيرهم الى اثارة مسائل طبيعية كثيرة . وقد اطال الجاحظ في شرح مذهب النظام وزاد هو على نظريته ، وداخل بين كلامه وكلامه مما لا يسعه المقام .

وبحث النظام في مسألة الجزء الذي لا يتجزأ (او الذرة كما نسميه بالعربية اليوم) ، وهي فلسفة دار حولها الجدل طويلا في الفلسفة اليونانية ، والف النظام في ذلك كتابا سماه « الجزء » وأقام البراهين على انكاره ، فكان رأيه انه لا جزء الا وله جزء ، ولا بعض الا وله بعض ، ولا نصف الا وله نصف ، وان الجزء جائز تجزئته أبدا ولا غاية له في باب التجزؤ » .

وبحث في اشياء كثيرة طبيعية يطول شرحها ، كبحثه في الاعراض وماهيتها ، وفي الانسان هل هو الروح فقط او الروح والجسم ، وفي الاصوات والخواطر ، وفي النار والنور ، وفي العلل والتولد والطفرة والحركة والسكون الخ ..

كان يخطىء ارسطو والثنويين والطبيعيين

وعلى الجملة فان النظام كان شخصية غريبة حقا ، يشعر هو بقوة شخصيته وقوة عقليته فلا يريد ان يقف امامها شيء ، فقد كان جبارا في عقله وتفكيره وقوله لا يرضى عن الفقهاء في كثير من اقوالهم ، حتى ولا يرضى عن المعتزلة في مجموعهم ، ويهجم على اكبر الفلاسفة فلا يعترف لهم بسلطان ، فيخطىء ارسطو ، ويخطىء الثنويين ويخطىء الطبيعيين . وهكذا كان عقله فوق عواطفه ورأيه وفكره فوق رأي الفقهاء ، يريد ان يخضع كل شيء للمنطق ، وفاته ان الدنيا منطق وفن ، والانسان عقل وشعور ، والحياة رأي وعاطفة .

وقد كان المعتزلة بعده عيالا عليه ، قال الجاحظ : « لولا مكان المتكلمين لهلكت العوام من جميع الامم ، ولولا مكان المعتزلة لهلكت العوام من جميع النحل ، فان لم اقل ولولا اصحاب ابراهيم وابراهيم النظام لهلكت العوام من المعتزلة ، فاني اقول انه قد انهج لهم سبيلا ، وفتق لهم امورا ، واختصر ابوابا ظهرت فيها المنفعة وشملتهم بها النعمة » .

رأي الجاحظ في النظام

لا يمكن لرجل عنده هذه الحرية في التفكير ، والقوة في الجدل والنطق والرد على كثير من معاصريه ان يسلم من اقوال الناس ، فقد كان الجاحظ معجبا به غاية الاعجاب ، يكبره ويحترمه ويمدحه ويجله ، فهو من تلاميذه واصحابه واهل معتقده ، ولولا الجاحظ لضاع كثير من علم النظام واقواله ، ومع هذا فاننا نرى الجاحظ لا يتمالك بعد ان حكى عنه بعض تصريحاته الجريئة

---

(١) نسبة الى الفيلسوف السرياني باردیصانس Bardesanes ، وهو مؤسس مذهب لا أدري Agnostic وعاش ما بين القرن الثاني والثالث الميلادي

في نقد بعض الاحاديث الى يقول : « لا رحم الله النظام ولا من يقول بقوله » .

رأي ابن قتيبة في النظام

والمحدثون يكرهونه كرها عميقا ، لانه يهاجمهم، وهم يصورونه فاسقا سكيرا ، فيقول ابن قتيبة : « وجدنا النظام شاطرا من الشطار ، يغدو على سكر ، ويروح على سكر ، ويبيت على جرائرها ، ويدخل في الأدناس ويرتكب الفواحش والشائنات، وهو القائل :

ما زلت آخذ روح الزق في لطف
واستبيح دما من غير مجروح
حتى انثنيت ولي روحان في جسدي
والزق مطرحٌ جسما بلا روح »

وهذان البيتان لابي نواس وليسا للنظام وهما موجودان في ديوان ابي نواس، وهذا دليل التحامل عليه ، ان ينسب اليه ما ليس له .

ابو نواس يهجو النظام

وصاحب الأغاني يصوره محبا لجمال الغلمان ، وابو نواس يهجوه بقوله

لــولا لابراهيـــم هـــجـــرا
علـــى رمضـــانَ وأكبـــر
إن قلت : ما تشرب ؟ قال : خمرا
أو قلت : ما تزرع ؟ قـــال : [illegible]
أو قلت : ما ترجب ؟ قال : سحـــرا
أو قلت ما تقرون ؟ قـــال : خسرا
أصـــلاه ربي لهبا وجمـــرا

وأبو نواس لا يقصدُ بهجوه الهجو في هجائه مقياس الصدق،فقد هجا كثيرين ، وهذه الصفات التي عددها من ابرز صفاته هو . وكذلك قال فيه السمعاني في كتاب الأنساب .

رأي الشهرستاني في النظام

وقال عنه الشهرستاني ، أي عن النظام ، ، في الملل والنحل، انه قد طالع كثيرا من كتب الفلاسفة وخلط كلامهم بكلام المعتزلة ، وانفرد عن اصحابه بمسائل ، والأكثر ميله ابدا الى تقرير مذاهب الطبيعيين منهم ، اي الفلاسفة ، دون الالهيين ، وأورد آراءه التي انفرد بها ورد عليها بإسهاب .

رأي ابن نباتة في النظام

وقال ابن نباتة في شرح رسالة ابن زيدون الهزلية : « شيخ من كبار شيوخ المعتزلة والمتهم ، متقدم في العلوم ، شديد الغوص على المعاني ؛ وانما انقاد الى المذاهب التي استشنعت منه لدقته وتدقيقه ، فانه كان قد اطلع على كثير من كتب الفلاسفة ومال في كلامه الى الطبيعيين منهم ، والالهيين ، فاستنبط من كلامهم رسائل ومسائل وخلطها بكلام المعتزلة وانفرد بها عنهم الخ » . وقال في مكان آخر : لم يخل من سقطات عدّت عليه لكثرة اصابته .

رأي المعتزلة في النظام

اما المعتزلة فانهم ينكرون هذا كله ويجعلونه من وضع المحدثين والتجلان ، ويمجدون للنظام دينه ، ومواقفه في الدفاع عن الاسلام ، فقد رد على المحرمين والملحدين،وقضى حياته هو وامثاله في حياطة التوحيد ونصرته .

النظام في سكرة الموت

قال الخياط في الانتصار : « ولقد اخبرني عدة من اصحابنا ان ابراهيم النظام رحمه الله قال وهو يجود بنفسه : اللهم ان كنت تعلم اني لم اقصر في نصرة توحيدك ، ولم اعتقد مذهبا من المذاهب اللطيفة الا لاشد به التوحيد ، فما كان منها يخالف التوحيد فأنا منه بريء ، اللهم فان كنت تعلم اني كما وصفتُ ، فاغفرْ لي ذنوبي وسهّل عليّ سكرة الموت .

وقيل له وهو في مرضه ، وفي يده قدح مملوء من بعض الادوية ، ما حالك ؟
فقال :

اصـبـحـت في دار بليـــات
ادفــــع الآفـــات بالآفـــات

ومهما قيل فيه فان له مكانته الخطيرة في تاريخ الفكر الاسلامي لما قدم من خدمات في الذود عن الاسلام ومحاربة اصحاب الأهواء والنزعات عن الملاحدة .

توفي في بغداد سنة احدى وعشرين ومائتين للهجرة وله من العمر ستٌ وثلاثون سنة . رحمه الله .

ابراهيم قطان



■ أخطأ معظم الذين اشتركوا في هذه المسابقة في اسم أكثر من شاعر من الشعراء الخمسة الذين تدور حولهم ، وهم احمد شوقي ومسرحيته مجنون ليلى ، وخير الدين الزركلي ، وفدوى طوقان ، ونزار قباني ، وإلياس فرحات ، فمنهم من قال ان الشاعر الذي عنيناه بالسؤال رقم ٢ هو عمر ابو ريشة ومنهم من قال ان الشاعر المعني بالسؤال الخامس هو « الشاعر القروي » ..

وقد أجريت القرعة بين الاجابات الصحيحة فكانت نتيجتها كما يلي

الجائزة الاولى وقيمتها ثلاثون دينارا فاز بها **المهندس الزراعي عاطف محمد شريف** — شارع مطعم الدولة — بني سويف : ج.ع.م

الجائزة الثانية وقيمتها عشرون دينارا فازت بها **الآنسة فريال نافع أحمد** — مدرسة ... الثانوية بالزرقاء : الأردن

الجائزة الثالثة وقيمتها عشرة دنانير فاز بها **... عبد الواحد محمد** — محلة باب المسجد رقم الدار ٦٩٣ الموصل : العراق

٨ جوائز عينية قيمتها أربعون دينارا ، كل منها خمسة دنانير ، فاز بها كل من السادة

١ — **الملازم محمد احمد العبسي** : الضابط بمخفر كيفان — الكويت

٢ — **حسن عبد الله القرشي** — المكتب الخاص — وزارة المالية والاقتصاد الوطني — الرياض — السعودية

٣ — **الطالب الفلسطيني عاكف حرب محمود حسين** — كلية الهندسة بكراتشي — الباكستان

٤ — **السيدة سميرة حقي** — برن — سويسرا

٥ — **السيدة يرمين جميل** — ... مهاجرين — دمشق — سوريا

٦ — **محمود عبد الله نجم** كلية الآداب والتربية — بنغازي — المملكة الليبية

٧ — **الآنسة اسيا النعوي سعدان ...** بطرف محمد محمد المهدي ... ص.ب ١٤ الخرطوم بحري — السودان

٨ — **خليل يوسف حداد** كفر حونة — لبنان الجنوبي

وسترسل الجوائز الى مستحقيها .

● القط يطلب الرزق فردا .. سبيله فيه المخلب والناب

● إن جاءه سهلا فبها .. وإلا عمد فيه إلى انتهاب واغتصاب

● القط بين آباء ذوي فضول .. ذوي فهم وذكاء ، ذوي صبر يطول

بقلم الدكتور أحمد زكى

● قلت سأكتب في القط .

قال صاحبي : وهل في القط بقية من علم لا يعرفها الناس ، وهو أقرب الحيوانات إليهم ، وألصقها بهم صباح مساء ؟

قلت : كم عمرا للقط ؟

فأجاب واجما

قلت : وكم سنا للقط ؟

فأجاب واجما

قلت : فكم تلد القطة ؟

فأجاب واجما

قلت : هل يأكل الخضر ؟

فأجاب واجما

قلت : فكم سنة يعيش القط ؟

فأجاب واجما

قلت : أيهما أقدم ، القط أم الإنسان ؟

فأجاب واجما

قلت : هل يحزن القط ويفرح وهل يبكي ويضحك ؟

وهنا تفكر قليلا ، وضحك ، وحسب السؤال مزاحا ؟

بعد هذا رأيت أن القط موضوع جدير بالكتابة .

وإنما أكتب في القط فلا أدري من أي باب أدخل ، فالأبواب كثيرة ومتفرقة ، ومآرب الناس في القط مختلفة .

القط اسم مشترك بين الأمم

فاللغوي يبدأ بحثه في القط باسمه . القط ؟ من أين جاء ؟ وفي أي لغة ؟ وهو يبحث فيدرك وشيكا أنه اسم وجد من



القط ، وهو من الفصيلة السنورية . وهذه صورة للقط المستأنس العادي المنزلي ، قصير الشعر . فروته مخططة ومرقطة . وتكون بيضاء وسوداء ورمادية وبرتقالية واخلاطا من هذه .



الفهد ، وهو من الفصيلة السنورية . ويكون أسود اللون . قارن بينه وبين القط : النظرة الفاحصة . الوجه المستدير . الأذن القصيرة . الأنف . الفم . الشوارب . الفرو المرقط .

قديم في أكثر من لغة . فهو في العربية قط . وظهر في الرومانية القديمة كاتس Catus ، وهو في الإيطالية اليوم كاتو Gatto ، وهو في الألمانية كتسه Catze وفي الانجليزية كات Cat ، وفي الفرنسية Chat وفي النوبية سمّي القط منذ بضعة آلاف من السنين قادس .

ولهذا التشابه المتواتر بين هذه الأسماء للقط معنى عند المؤرخين . فهم لهذا ولغير هذا ، يرون أن القط كان بريا مستوحشا في بلاد النوبة،ثم استأنسوه . واستأنسه المصريون القدماء منذ أكثر من ٥٠٠٠ عام قبل الميلاد وقدّسوه . ومنه انتقل القط الى أوروبا والى الشرق القريب ، وانتقل معه اسمه .

ونذكر المصريين وتقديسهم للقط نذكر أن القطط حظها من الانسان ، في شتى العصور ، لم يكن حظا سواء . المصريون القدماء قدسوها،وأهل أوروبا في العصور المتوسطة حرموها ، لا سيما السوداء منها ، يحسبان أن الساحرات كانت تتقمص أجسادها .

والنبي قال : دخلت امرأة النار في قطة حبستها ، فلا هي أطعمتها ، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض .

ومن بين رجال اليوم من يلوي عنق القطة ، اذ يضبطها وهي تسرق . وهي انما تسرق لما عزها طلب الرزق الحلال .

ومن الأمم اليوم من اتخذ القطط نزلاء في بيوتهم ، فهي بعض الأسرة ، لها راتب من غذاء . وصنعت المصانع للقطط الطعام ، وأعلن أصحابها عنه في صحفهم

ولعماراتهم، كما ستشوه للإنسان . فصل* من العيش ربما عزّ على من ليس عندهم من الرزق أفضال .

مكان القطط في مراتب الحيوان

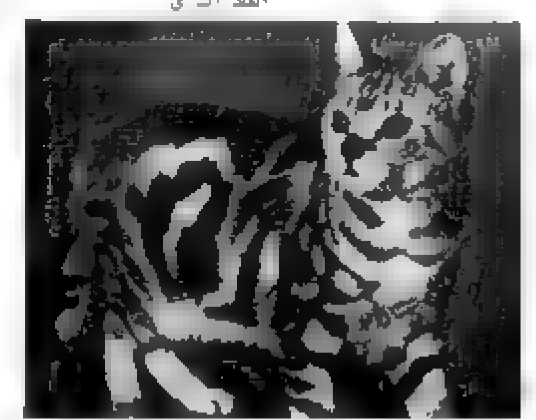
وعالم الحيوان من يحلو عنده بالقطط الصلة القائمة بين صنوفها ، فالحيوانات عنده ، كالسلم الموسيقي ، لكل نغمة فيه موضع ، ومن التشابه ينخلق اللحن الذي تطرب له العقول وتهتز بأكثر ما تهتز به الأسماع .

وعالم الحيوان لا يبلغ في تصنيفه الحيوانات إلى رتبة آكلات اللحوم ، يدخل فيها القطط والكلاب والضباع والدببة وعجول البحر .

ثم هو يعود إلى التقسيم هذه مرة أخرى فيبلغ بها إلى فصيلة القطط Family Felidae

ويحسب أن هذه الرتبة مقصورة على قطط منازلنا ، وهنا أنت تخطئه خطأ كبيرا . فالأسد في العلم قطة Felinae والنمر قطة Felis tigris والفهد قطة ، والقطة البرية قطة بالطبع ، وكذا السنانير .

ولست في حاجة إلى علم الحيوان ليقول لك إن هذه الحيوانات تجمعها فصيلة واحدة ، هي فصيلة القطط . يكفيك أن تنظر متمعنا في وجه نمر ، ثم في وجه قط البيت ، لتدرك ما بينهما من شبه قريب : شبه تجده في النظرة الثاقبة ، في الوجه المستدير ، في الشوارب الطويلة والآذان القصيرة . وتترك الوجه تعود بعينيك إلى سائر الجسم فلا يضعف الشبه أبدا : الجلد اللين ، المخلب والرائك ، القدم والمخلب ، الذيل ، القمة والزخمة .



[illegible]

ويتأكد الشبه بالدخول في التفاصيل ووصف الطباع . وسوف أصف القط فيما يلي ، فعليك أن تذكر ، ما الذي أصف به القط ، الأسد والنمر والفهد وأشباهها .

إن تسمية هذه الفصيلة بفصيلة القطط ، وتسمية أفرادها كالأسد والنمر والقط ، بالقطط ، يؤدي إلى خلط عظيم .

وقد هرب علماء الأفرنج من هذا الخلط باتخاذ الاسم اللاتيني فيلس Felis ، وجعلوه باللاتينية القط، اسما علميا لأفراد هذه الفصيلة. فالفيلس الأسد هو الأسد ، والفيلس النمر هو النمر ، والفيلس القط هو القط .

ونحن جديرون بأن نتخذ اسم السنور (وهو القط لغة) اسما لأفراد هذه الفصيلة ، مقابل لفظة فيلس اللاتينية ، دفعا للبس ، فنقول الفصيلة السنورية .

وكذلك فعل الأمير مصطفى الشهابي ، والذي سمى الأسد علميا السنور الأسد ، والنمر السنور النمر ، وهلم جرا .

مكان القط في أطواء الزمان

ومن همّ العالم الجيولوجي ، عالم الأرض ، عالم طبقاتها ، أن يكشف في أي الطبقات ، من حديثها والقديم، توجد هذه من بقايا الحيوانات. وإذ هو علم تاريخ هذه الطبقات استطاع تعيين الزمن الذي عاشت فيه هذه الحيوانات على الأرض أو في البحر. وقد كشف العلماء في العصر الجيولوجي الأيوسيني Eocene period منذ ٤٠ مليون عام ، عن صنف من حيوان خالوه أبا للفصيلة السنورية من قط وأسد ونمر .

ولكن دارسي العصر الجيولوجي الأوليجوسيني Oligocene Period كشفوا عن آباء صريحة للقطط ، والدببة ، والكلاب . وهذا العصر يمتد في القدم ما بين ٣٦ الى ٢٤ مليون عام مضت.

وجاء بعد ذلك العهد الحديث الذي يمتد في القدم مليون عام . وفيه ظهر الإنسان .

---

* سبب اختلاف معنى اسم النمر بين العربية وعدمه أساس ، فالذي يسميه الإفرنج Tiger تسميه العربية النمر ، وتسميه العامية النمر ، وهو الحيوان المخطط ، وقد استخدمنا في هذا المقال الاسم الشائع بين الناس

ومن هنا يتضح عدالة الانسان وفهم القط وحيوانات الفصيلة السوريه عامه .

فهذا ما يقول به العلماء .

القط من اطرى الحيوانات اجساما ، واقواها

ان اول ما تتميز به الحيوانات عند النظر اجسامها .

وجسم القط صغير حقا ، ولكنه من اطرى الاجسام واكثرها مرونة ، وهو مع هذا من اقواها، مقارنة حجم بحجم .

وهو يمتاز بقوة عضله ، وبالقدرة على التحكم فيه ، وبسرعة هذا التحكم . فالقط يقفز القفزة التي لو قفز الانسان مثلها ، لرفعته فوق اسطح المنازل ، ولو لطابق واحد .

والقط انت ترفعه من الارض ، ولو قريبا منها، ثم تتركه يسقط وبطنه فوق ظهره فيستطيع ان يعدل من وضعه في لحظة ، ويسقط دائما على اقدامه الاربع .

وانت تطارده في المنزل ، في الحجرة المزدحمة بالاثاث ، فيجرى بسرعة البرق ، ولا يمس شيئا من طرفها فيسقط ويتحطم .

وتسال عن سبب ذلك ، فتعلم ان بجسم القط ما يزيد على ٥٠٠ عضلة يتحكم القط فيها ، واكثر من ٢٣٠ عظمة ، وان فقرات ظهره تبلغ نحو الخمسين !

والجلد ؟ جلد القط كالثوب الفضفاض . فالجسم يتحرك داخله في حركات عنيفة واسعة ، ثم هو لا يتأذى .

وجلد القط مكسو بالشعر ، طويلا او قصيرا، وهنا تصنف القط . فالقط المصرى والسودانى ذو شعر قصير . والقط الفارسى ذو شعر طويل.

أسنان القط

وفكا القط مزودان بأسنان شحيحة ، ٢٤ في الصغر، و٣٠ في الكبر، وانياب القطط كالخناجر ، تدخلها في فريسته دخلا .

وعلى الجانبين من فكيه اسنان طاحنة لتحزيز اللحم وكل ما خشن واستعصى من الطعام .

وفك القط مستدير من امام . وغير ذلك فك الكلب والذئب



اصابع القط والمخالب

والقط بالطبع يمشى على اربع .

والى سائلك : هل سمعت قطا أبدا يدخل الحجرة ، او يخرج منها ، او يمشى اليك منها ؟ انك لا تسمعه لأنه يمشى وكأنما لبست اقدامه وسائد من قطن .

ان للقط ١٨ مخلبا ، يحملها ١٨ اصبعا . خمسة مخالب في كل قدم من امام ، واربعة مخالب في كل قدم من خلف .

والقط يمشى على اصابعه ، وهو يطوى فيها مخالبه طيا . والقدمه على حجره فلا تحس لاقدامه الا مس الحرير .

ولكل قدم من امام ، ومخالبها مطوية ، عمل اليد . فالقط يستطيع بها ان يمسك الاشياء ، ويقربها من فمه . وبها ينظف وجهه واذنيه . وبها يضرب فريسته ضربة شديدة اذا شاء كما يلكم الانسان الانسان بيده . وهو قد يلعب بالكرة ويدفعه الضاربة لها . والمخالب في كل هذا في غيبة . فاذا جد الجد واحتاج الى مخالبه ، سلها كما يسل الانسان سيفه من غمده .

القط لا يرى في الظلام اذا اكتمل

ونسمع ان القط يرى في الظلام .

والحقيقة انه ليس في الدنيا عين ترى في الظلام كامل . ان العين خلقت للنور فلا بد من نور مهما قل .

وانسان عين القط ينفتح على اوسعه في الليل والنور قليل ، حتى ليملأ العين . ولا تنس ان الليل ذو نور مهما ، وان للنجوم نورا .

وانسان عين القط يضيق أكثر ما يضيق في النهار والنور شديد ساطع ، حتى ليصبح كالشق ضيق واستطال .

وهو بين هذا الضيق وذلك السعة ، يعدل من وضع انسان عينه بحيث يأذن بالكفاية من ضوء تدخل العين .

وعين القط تختلف ألوانا . والعجيب انه كثيرا ما يحدث ان يختلف لون عين عن لون أختها .

أذن القط تسمع ما لا يسمع انسان

وللقط أذن هي أرهف ما تكون سمعا ، وهي تسمع ما لا يسمع الانسان موجات فوقه كثيرة .

والقط يمهر في استبانة الصوت من أي جهة يجيء . وهو بالعادة يتعرف على صاحب الصوت من أهل البيت . ويعرف على صوت السيارة . ويفرق بين صوتها وصوت سيارة الجار ، فلا يسرع الا اليها .

واصوات تخرج من المطبخ ، يسمعها القط ولو ضعيفة ، ومن بعيد ، وقبل ان تدركها أو دون أن تدركها ، أذن الانسان .

ولسان القط مخشوشن وملعقة في آن

وللقط لسان به نتوءات حادة معقوفة ، تتجه بمقدمها نحو الحلق . وبهذا اللسان ينظف القط فروه . وبه يلعق الماء واللبن ، وقد قلب الملعقة ، وبه ينزع اللحم قشطا من على العظام .

ويذكر العلماء ان القط من أنظف الحيوانات . فهو يلعق فمه بعد طعام ، وهو يقضي الوقت الطويل في تنظيف رأسه ووجهه وسائر فروه .

شوارب القط

وللقط شوارب طويلة ، عند جذورها أعصاب حساسة . وبها يهتدي في الظلام .

القط يأكل اللحم والخضراوات

والقط من آكلات اللحوم ، واللحم والسمك طعامه الأول . ولكنه يأكل الحشيش والخضراوات . ومن القطط ، ما يحب عصير الفاكهة وحتى الفاكهة نفسها من مثل العجور والشمام .

والقط يحب اللبن طبعا ، وما يخرج من اللبن .

والقط لا يأكل الا وجبتين في اليوم . وهو في حاجة الى الأملاح المعدنية فاذا خلا الطعام منها ، عمدت القطة الى أكل صغارها ، كما تفعل الكلاب أحيانا وتفعل الخنازير .

ومعدة القط أوسع نسبيا من معدة غيره من الحيوانات ، وهي تسع لعدة قطع من اللحم تبلع







قطة شارترو ، وهي فرنسية ، منسوبة الى دير شارترو وهو الدير الواقع في احضان الجبال المسماة بهذا الاسم . فهناك نشأ هذا النسل من القطط وربي . ويتميز بحلاوة طبعه . ومع هذا فهو صياد للفئران عظيم .

كما هي ، فالقط لا يشبع . والقط يستطيع الصوم اسبوعا دون ضرر كبير .

القط له عمر واحد ، لا سبعة اعمار

والقط يعيش في المتوسط ١٤ عاما ، ولكن من القطط ما يعيش ١٨ و ١٩ و ٢٠ ، وفوق ذلك سنين .

وحديث الناس يجري بأن للقطط سبعة أعمار، ولعل ذلك لسرعتها وخفتها وبهما تتجنب المخاطر . ولكن من القطط ما يموت اشنع موتة وهو في عمر الأزهار .

القطط من اكثر الحيوانات اخصابا

والقط الذكر يبلغ فيما بين الشهر التاسع والعاشر من ولادته

والقطة الانثى تبلغ فيما بين الشهر الخامس والثامن .

والقطة تعشر ، فتستعد لانتاج الولد ما بين ٢ ايام الى ١٥ يوما مرتين او ثلاث مرات في العام. وهي تلد في المرة الواحدة ٤ اطفال في المتوسط ، وانسي بذلك قطة البيت العادية التي اقتناها نحن العرب واصلها الافريقي .

ومعنى هذا ان القطط ، اذا لم تجمع ، ملأت الدنيا قططا . على الامم التي ترعى مصالح الانسان والحيوان معا ، بدأت حركة لا ترضى عن كثرة انتاج القطط ثم تشردها الذي ينتج عن ذلك، فانطلقت تطالب بتعقيم بعض الذكور والاناث على السواء . وهذا ميسور عندهم ، لان لكل قط معهم بيتا .

حمل القطط وولادتها

ومدة الحمل عند قطة البيتتبلغ عادة ٥٥ يوما.

ومن الولائد التوائم ، توائم متطابقة وغير متطابقة . اما المتطابقة ، وهي التي تخرج من بيضة واحدة تلقحت ، فتولد متساوية في الجنس من ذكر وانثى ، وفي الوزن ولون الشعر والعين وفي الطباع . انها قوانين الخلق تعمل واحدة في حيوان او انسان .

والقط الوليد ينزل اعمى ، اصم ، ولكنه

بحس بالمس ، ثم يسرد ما احوزه تباعا في ايام .

والقطة الام تحفظ ابناءها حيث الضوء قليل ، وحيث الهدوء . واذا عبث بهم عابث فوق مايجب، حملتهم بأسنانها من جلد أعناقها حملا ، واحدا من بعد واحد ، الى حيث ترجو لهم الراحة والامان .

أمومة القطط عارمة

والقطة أمومة عارمة ، فهي تدفع عن أولادها وتستقتل . وقد تفقد القطة أولادها فترضع الصغار التي فقدت أمهاتها ، من كلب أو أرنب أو سنجاب أو نحو ذلك .

عندما يلتقي قط بقط

ان القط يعيش فردا ، واحدا وحيدا ، يجاهد في الحياة ، اذا لم يكن له بيت يؤويه ، او اذا كان مستوحشا ، اعتمادا على نفسه . انه ليس له اب يعين أو أم أو أخ أو أخت . انه يطلب الزاد اقتصابا حيثما وجده .

ومن اجل هذا يجعل القط ، من حيث ما يجود فيه من الأرض ، منطقة خاصة بنفسه ، هو سيدها دون سائر القطط . فاذا استأنس قط فيه



صاحب السيادة هذه . وقد يحتمل أن يمر غيره به في أرضه فيتغاضى . ولكن ، اذا التقى القط الذكر بقط ذكر مثله ، فالغالب الغالب أن يقوم بينهما القتال . ويزداد هذا اذا كان بالقرب منهما أنثى .

يلتقيان : فتجري بينهما نظرتان فاحصتان قد تستمر بالتحديق . ثم يزيد نفسهما ويزيد صراخهما . ثم اذا بأحدهما يلقي على وجه الآخر بلطمة قوية من يده ، فاذا بالمظلوم يلوذ بالفرار. ان القط يقر بالهزيمة

ولكم رأيت قطا يتقاتل امام قط ، ثم يتراجع حتى لم يبق له مكان يتراجع فيه . ثم يكتفي المهاجم بسطوته عليه ويحصر من طوله . ويتخذ المغلوب فرصة ذلك فيخرج من ركنه ويفر ، لاسيما ان كان اصغر سنا او اضعف جسما . ولكني كذلك كثيرا ما رأيت النحيل يتحدى الضخم ، فعرفت أن الشخصية توجد في القطط قوية كما توجد في الرجال .

والعجيب ان القط لا يأتي القط في حرب من ورائه . انه يأتيه وجها لوجه . ويعطيه الزمن ليستعد .

وما رأيت قطا نازع قطا ، فأبى الآخر النزاع ، وولاه غير حافل ، حتى حسم بذلك نزاعا جاز أن يقوم بينهما .

عندما يلتقي قط بفار

وغير ذلك عندما يلتقي قط بفار

ان القط يتلصص نحو فريسته ، يأتيها من ورائه ، على الدوام لا يستحب خطورها ابدا . ثم هو يقفز على ظهرها ، ويتناول أول ما يتناول بأسنانه أعناقها ، فينال بذلك مقاتلها .

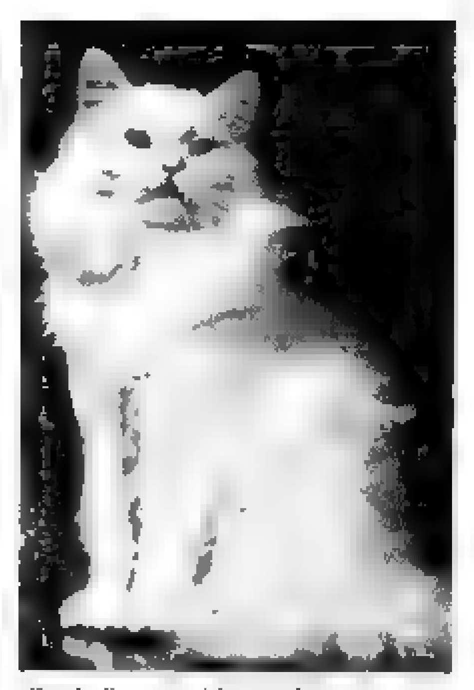
وكالقط في ذلك الأسد والنمر وسائر الفصيلة .

وافراد هذه الفصيلة لا يجتمع اثنان منها أو ثلاثة أو عشرة في مطاردة فريسة كما تفعل الكلاب والذئاب .

ان القط والاسد والنمر تصيد صيدها فرادى، واحد للفريسة واحدة ، يتلصص لها حتى يقفز عليها .

عندما يلتقي قط بكلب

واذا التقى قط بكلب ، فتعداد القط ، فكثيرا ما سوقف الكلب ليستمر في عواقب الأمور . انسبها



بالليل . فالقط في الليل أبصر من الكلب .

وقد يهرب القط ويتسلق الشجر ، ولا يستطيع الكلب تسلقا .

فإذا تحرجت الأمور ، ولم يكن للقط مهرب ، نام على ظهره ، واخذ يدفع بمخالبه .

ومن غريب امر القطط انها اذا غضبت هزت ذيلها .

ومن غريب امر الكلاب انها اذا رضيت هزت ذيلها .

ويعزو بعض الباحثين كثيرا من الشجار الذي يكون بين القط والكلب الى انهما يقع بسبب سوء التفاهم هذا . يهز الكلب ذيله فيحسب القط انه في اهتياج .

على ان الكلب والقط يعيشان على الصفاء في البيت الواحد .

كان لنا كلب وقطة منذ عشر من السنين وعشر . وركبنا السيارة وركب الكلب . واذا به يرى قطتنا يأتيها في الشارع كلب غريب من ورائها . فاذا به يقذف بنفسه من السيارة اختارة طولا ، ويقع على الكلب . وهربت القطة .

وأمن الكلب القطة ولم تأمن له قط . وكانت تمر به ، فيشيح بوجهه الناحية الأخرى توكيدا لها بالأمان . ان للحيوانات عقولا بها شبه من عقول الرجال .

ألفة القط المكان والانسان

والقط ، حتى قط البيت ، يألف ارضه . انها ارض الناحية . يدور فيها كل يوم ، وفي أوقات لا تكاد تختلف .

وهو يتعرف عليها بأنفه .

وهو يدرك الذي الذي يصل اليه فلا يتعداه خشية ان لا يقدر على العودة . ويقال انه بحاسة الشم يهتدي ويعود .

هنا في الكويت

وعرفت هنا من قط كان يصحبني كلما خرجت امشي . ولكنه كان يتوقف على بعد ٢٠٠ متر من البيت . مع ان المنزل بعيد عن الضجة ، والاهتداء في الناحية أيسر .

والقط يألف اهل المنزل . فاذا فارق الأهل منزلا واضطر القط لاختيار ، بقي في المنزل .

وقع لنا هذا ونحن نترك بلدنا اجنبيا لأوروبا مسا فيه سنين . وادرك القط ان الرحيل وشيك فأخذ يموء في هلع . ولما تعطفنا وطلبناه

على أن يغادر البيت . ولكنه جرى وراء السيارة
جسيع ؟ لم تلطف .

البيت عنده والناحية أولى . والناس يتعوض عنهم بثاني . وأوصينا به من خلفنا في المنزل خيرا .

القط شخصية ، والقط ذكاء

يا للإنسان ، ما أشد كبرياءه !

فإذا ذكرت الشخصية ، فهم أنه هو المقصود بها . أو ذكرنا الذكاء فهم أننا إياه نعني .

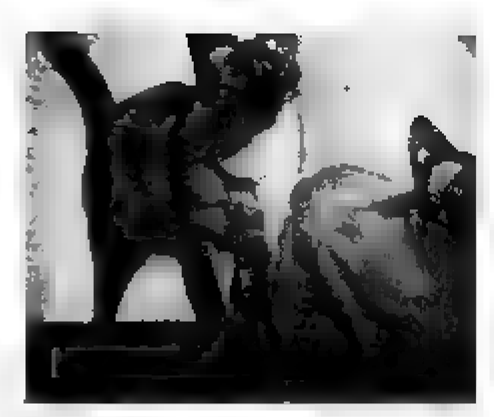
وينسى أن الحيوانات إنما خلقت على مثال الإنسان ، ولو اختلفت درجات .

إن من الحيوانات ما يفرح ، وإن من الحيوانات ما يحزن ، وإن من الحيوانات ما يفهم ويستجيب ويعي ويعمل ، ولو لم يستطع نطقا .

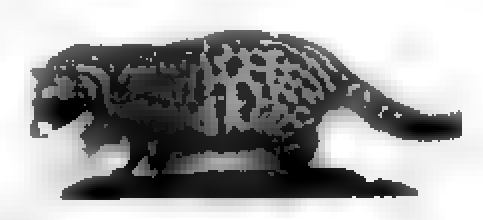
والقط خرج عنه كتاب منذ سنوات للعالم الباحث الألماني ، هو بول لي هوسن Paul Leyhausen شرح فيه نفسية القط شرحا وافيا . ولم يبق الكتاب في السوق طويلا حتى اختفى .

ذكاء القط

أما ذكاء القط ، ووعيه فسيوردلي ماكرفان .
فمن ذلك أنه يعرف من يألفه من بني الناس



[illegible]



[illegible]











فيضرب ، ويضرك من لا يألفه فيبعد ، وتحدثه فيدرك ان كنت راضيا ، وتحدثه فيدرك ان كنت غاضبا .

وقطة انست الى زمانا . وذات مرة رأت لها ان تأخذ يدي بين اسنانها وتعض . واقول لها ابعد . فتخف عضا . ثم تعود ، فاصيح بها محذرا لتكف . انها تفهم .

وهي تأتيك وقت الطعام في ساعة لا تختلف ، فكأنما هي تحمل ساعة على معصمها . وتقرب الطعام الذي تعطيها اياه ساخنا ، فلا تتركه . انها تصبر . انها تعلم ان الساخن يبرد ، وان الزمن ماض في ذلك . وتظل تنتظره حتى يصبح مستطابا.

وتمنعها من الشيء الا تأتيه ، فتحتال له ، وتأتيه دورانا .

والقطة تذكر ، والذاكرة بعض الذكاء . وقد ذكروا قطة غابت عن اصحابها ست سنوات. فلما عادت اليهم ، عرفت السكن القديم ، وعرفت اهله ، وبدأت تمسح بهم وتصيح . وذهبت بعد ذلك الى ركنها المختار الذي كانت تعودت ان تركن اليه عند كل هدوء .

شخصية القط

وللقط شخصية لا تخفى على احد .

انه يطيع ، ولكن الى حد . ويحتفظ باستقلاله الى مدى بعيد . ويأبى ان يدفع الى شيء دفعا . انه اقل من الكلب مع اصحابه انسجاما واحتراما.

وبالقط فضول . امسه شيئا ملففا ، فلا يزال يعبث به حتى يفتحه ويرى ما فيه .

والقط يغضب حتى تقول ما اشد غضبه . وهو يرضى ويلطف حتى تقول ما ارقه وما احلاه . ومن علامة رضاه وطيب حاله انبساطه على الارض وله طوى قدميه تحت صدره .

وهو يخص بوده بعض افراد الاسرة ، والى هذا المختار او المختارة يؤوب في كل وقت راحة .

والقط غيور . يحزن اكبر الحزن اذا دخل البيت قط آخر يأخذ اهل البيت باعزازه .

ويتأثر القط وينفعل حتى لتدمع له عين . بهذا قال الباحثون القائمون على دراسته .

القطط قبيل واحد

لو كنا نقول العلماء هي نوع Species واحد ، يجمعها الجنس Genus او الفصيلة Family مع السباع الاخر ، كالاسد والنمر وما اليهما .

والقطط نوع واحد مهما اختلفت الوانها واحجامها والفراء . ودليل النوع الواحد عند علماء الحيوان انها تتناسل معا .

ولكن القطط ، وهي نوع واحد ، انسال وضروب . ولكل ضرب متميز منها صفات تميزه جملة ، من قصر شعر او طول ، ومن اختلاف لون مع تخطط او تبقع او ارقط ، ومع صغر حجم او كبر ، الى غير ذلك من صفات . ومن انسال القطط وضروبها السيامي ، والتركي ، والفارسي والبورمي والحبشي . وهذه الانسال خرجت من بلادها الاولى وصارت تنسل في اوروبا وامريكا انسالا « صافية » ، ولها معارض مشهورة مشهورة .

احمد زكي

الشاعر الذي أحوجه سمعه إلى ترجمان

عوف بن محلم الخزاعي

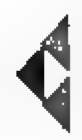
صدق في شعره، ووفى لوليه وأخلص لصاحبه أمره
فلما هرم واشتد حنينه لأهله رق له ورده إلى وطنه

بقلم : الدكتور محمد مصطفى هدارة

المدرس بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية

■ يعتبر القرن الهجرى في تاريخ حياة الشعر العربى من أخصب فتراته الزاهرة بفرسان حلبة الشعر ، الفياضة بأجمل الأشعار التى تعبر عن أحاسيس النفس البشرية ، وتتغور في أعماقها لترسم أرق المشاعر وأدق الخلجات .

وقد ملأت أسماعنا أسماء شعراء هذه الفترة الذين استطاعت شهرتهم في عصرهم ، وفرضوا أنفسهم على التاريخ الأدبى حتى يومنا هذا ، من أمثال بشار بن برد ، وأبى نواس ، وأبى العتاهية وأضرابهم ممن وقرت شهرتهم في نفوس الناس ، وبقيت أشعارهم مصدر إلهام العربية في كل زمان ومكان .



يبدو أن هناك طائفة من الشعراء عاصرت أولئك الأعلام، وأحرزت في عصرها من الشهرة ما كفل لها الذيوع والإعجاب، ولكن حظها وقف بها عند حدود عصرها، فلم تتجاوز أسماع الناس بعده إلا لماماً، ولم تلق أشعارها الذيوع الجماهيري إلا بالبيت أو البيتين — وللأشعار حظوظ والشعر كالناس سواء بسواء — فظلت أسماء هذه الطائفة من الشعراء رهينة بطون الكتب وصفحات المؤرخين. وها نحن أولاء نجلو اليوم مثلاً من هذه الطائفة التي لم ترزق مع شعرها الجيد الشهرة الواسعة.

كان أبو مُحلّم (أو أبو المنهال في رواية أخرى) عوف بن محلم الخزاعي من أهل حران، وقيل أسوم من رأس العين، وهي تقع بين حران ونصيبين، وأصله من قبيلة بني سعد، فهو إذن شاعر عربي في ذلك العصر الذي كانت فيه كثرة الشعراء من غير العرب. ولعل خمول ذكر عوف راجع إلى هذه العصبية الشعوبية من جانب رواة الشعر، وكان أكثرهم أيضا من الموالي ذوي الأصول الأعجمية.

ويفيض رواة الأدب والأخبار في ذكر محاسن صفات عوف بن محلم، فهو من الشعراء الظرفاء، وهو صاحب أخبار ونوادر ومعرفة بأيام الناس، وهو من البلغاء الفصحاء والشعراء الظرفاء، وهو إلى جانب ذلك كله سخي على الطعام، صاحب شراب ولهو وخلاعة، وصاحب فضل على الأصدقاء وأصاغر الشعراء، يعطيهم جميعا ويصلهم ويبرهم.

نحن إذن بإزاء شخصية شاعرة، لها كل ما للعربي من شمائل وصفات، فصاحبها يمتاز بالكرم والفتوة وبلاغة القول وفصاحة اللسان، إلى جانب علمه بالأخبار والنوادر والأيام، وهو معدود في عصره من كبار الشعراء، وإلا ما ذكر له الرواة فضله على أصاغر الشعراء وأخذه بيدهم.

ومما يؤكد هذه الصفة أيضا قول ابن المعتز عن شعره: «كله مختار ليس فيه بيت ساقط ولا ناقص».

اتصال عوف بكبير قواد الخليفة المأمون

ويبدو أن عوف بن محلم أراد أن يلتمس الشهرة في ظلال أحد القادة البارزين في عصره حيث يمكن أن يجد المال والجاه، فعلقت حباله بحبل طاهر بن الحسين، أكبر قواد الخليفة المأمون، الذي أحرز له الانتصار على أخيه الأمين، وعلى أكثر أعدائه ووطد دعائم ملكه. ولا ندري متى وأين تم الاتصال بين عوف بن محلم وطاهر بن الحسين، وكل ما روته لنا الأخبار في ذلك الصدد أن عوفا كان واقفا على الجسر (ولعل ذلك في بغداد)، وطاهر في حراقة ينحدر إلى دار السلطان. والحرّاقة سفينة فيها مرامي نيران يرمى بها العدو. فقال عوف رافعا صوته بهذه الأبيات الرقيقة:

عجبت لحرّاقة ابن الحسيـ
ـن كيف تسير ولا تغرقُ
وبحران من تحتها واحدٌ
وآخر من فوقها مطبقُ
وأعجب من ذاك عيدانها
وقد مسّها كيف لا تورقُ

واستحسنت هذه الأبيات الجميلة الفني قلب طاهر، فدعاه لصحبته واختاره لمنادمته، فكان لا يفارقه في سفر ولا حضر. وكان إذا سافر فهو صديقه يحادثه ويسامره، وإذا أقام فهو جليسه يذاكره العلم ويدارسه كما يقول ابن المعتز.

ولو أننا قلبنا صفحات تاريخ تلك الفترة لمعرفة موعد اتصال عوف بن محلّم بطاهر ابن الحسين لأدركنا أن هذا الاتصال لا بد أن يكون قد تم بعد أن ألقت الخلافة قيادها للمأمون عام ١٩٨هـ. وفي تلك السنة ولّى المأمونُ طاهرَ بن الحسين الموصلَ والجزيرة والشام والمغرب، ثم استدعاه في عام ٢٠٤ هـ إلى بغداد وقلده ولاية خراسان والمشرق، وظل في ولايته تلك حتى قضى نحبه في عام ٢٠٧ هـ كما يذكر الطبري. فلو أن عوف ابن محلم اتصل به في الشام منذ ولي أمره في حدود عام ١٩٨ هـ، يكون قد ظل في صحبته زهاء عشر سنوات، وهي فترة معقولة يؤيدها منطق الأحداث التاريخية التي أشرنا إليها، ولهذا نشك في قول ابن المعتز أن عوفا أقام مع طاهر ثلاثين سنة لا يفارقه، إلا إذا كان قد صحبه قبل ظهوره على مسرح السياسة في الحقبة التي ذكرناها.

عوف وهب قلبه للطاهري الجميلان

ومما لا شك فيه أن عوف بن محلم كان إبان صحبته لطاهر — التي بدأت في وقت مبكر على رواية ابن المعتز — شاعرا مادحا، ونديما سامرا، يعيش بعواطفه، ويتغنى بمحاسنه، يهب قلبه

للعذارى الجميلات ويتغزل فيهن شابة حوامل (؟)، فهو يقول

وسميرة علقتها
كأس من العنس الكبار
كالبدر الا انها
تمشي على ضوء النهار
قالت: عمار قد علا
ك فقلت ذا غير العيار
هذا الذي نقل الهمو
م الى القبور من الديار
يا هند ارأيت ليـ
لا يسير بلا نهار
قالت ذهبت بحجتي
عني بحسن الاعتذار

وكان ذلك العصر زاخراً بألوان الفتن التي تسبي قلب الشاب وتحيل حياته الى فنون من اللهو والعبث، فهو يقطع لياليه بالهوى العابث الذي لا يقضي على حياته، وكيف لا، والميل الهوى يدعو الى الترف والظرف الاجتماعي في هذا العصر، كما تدعو اليه الآراء الجديدة التي استحدثها الغلاة الاباحيون من ذوي الحركات الهدامة الذين ارادوا هدم مقومات المجتمع الاسلامي آنذاك. وقد ساعد على احداث ذلك كله وجود الجواري الاجنبيات بوفرة في المجتمع، وقد دربن منذ نعومة اظفارهن على التدله والخلاعة وسلب عقول الرجال. ويصف لنا عوف احدى لياليه العابثة بقوله:

وكم ليلة طابت وطاب بها الهوى
الى ان بدا او كاد مسلخ الفجر
فما عدلتها ليلة ذات نعمة
ولا ليلة الاضحى ولا ليلة النحر
اذا هي قيست بالليالي وجدتها
يكاد يساوي فضلها ليلة القدر
تمليتها حتى الصباح بطفلة
مصورة أبهى من الشمس والبدر
قتول بعينيها، خلوب بدلها
سلوب لألباب الرجال، وما تدري

عوف يجدّ في حبه أحيانا

ونجد عوفا يجدّ في حبه أحيانا، فنلمح من خلال أبياته نار الهوى ترعى في فؤاده، وهو يكشف لنا عن هوى صادق عميق، صادفه في حياته العابثة التي اشرنا الى طرف منها، وان كان عبثها لم يصل به الى حد الشذوذ الذي وصل اليها بعض شعراء ذلك العصر، من امثال ابي نواس والحسين بن الضحاك وغيرهما، وهذا الهوى الذي نلمحه في شعر عوف لا ينم عن نزوة عابرة او عبث طارىء، ولكن يبدو انه قد تمكن منه، وربطت بذره فيه فما استطاع له ردا، ولعجز في امره. فمحبوبته لا تواصله ولا تجزيه حبا بحب، ولا هو يستطيع ان ينتزع هواها من فؤاده فماذا يصنع ؟. انه يلجأ الى المحبين من قبله ينشد عندهم الجواب، عسى ان يكون في جعبة تجاربهم دواء يشفيه مما به. ولم تكن حكمتهم التي اشاروا بها عليه في حكمة ابي نواس من قبله (وداوني بالتي كانت هي الداء). فالحب لا يذهبه الا الحب، والا فليس امامه غير اليأس القاتل، الذي ربما يحمله على الصبر والسلوى، او يحمله على الموت. يقول عوف

سألت المحبين الذين تحملوا
تباريح هذا الحب في سالف الدهر
فقلت لهم: ما يذهب الحب بعدما
تشبث ما بين الجوانح والصدر
فقالوا: شفاء الحب حب يزيله
لأخرى او نأي طويل على الهجر
او اليأس حتى تذهل النفس بعدما
رجت طمعا، واليأس عون على الصبر
فيملك من حبه، أمالك رحمة
ولا بك عني من توان ولا فتر
وعللتني حينا، وحينا أمنتني
فأفنيت عمري بالاماني والنشر

الشراب في عصر عوف

ولعل عوف بن محلم كان يستعين على نسيان حبه بالكأس يذيب فيها همه، ولعله كان يجد من نعم الترف واستكمالا لحياته العابثة اللاهية ان يستعين بالشراب شأن الكثرة الغالبة من اهل عصره الذين هيأت لهم اسباب وعوامل مختلفة سبل التحلل من اثم الخمر. ففي جانب شيوع الترف وتسلط التأثيرات الاجنبية على حضارة المجتمع الاسلامي، وخاصة في جانبها المادي، وجدت فرق مذهبية كثيرة تتصرف تصرفا واسعا في مسائل المنع والتحريم، ولها رأي في درجات الآثام، ما يكبر منها وما يصغر، وفي عفو الله

ومدى التسامح لهذا الإثم أو ذاك ، حتى لقد ادعى بعض المعتزلة أن آيات القرآن الكريم لا تدعو الى تحريم الخمر، وانما نهى الله عن شربها كذبا ! هذه العوامل وغيرها جعلت الخمر سهلة ميسرة في المجتمع الاسلامي ، وجعلت الاقبال عليها بمطالبه والتحرج الديني يزول شيئا فشيئا .

ويبدو أن عوف بن محلم كان نديما لطاهر بن الحسين يسامره ويذاكره، وهما متفقان على الشراب، لا يقطعهما عنه صلاة أو دعاء . يقول عوف في ذلك

فما زالت الكأس تغتالنا
وتذهب بالأول الأول
الى أن توافت صلاة العشا
ء ونحن من السكر لم نعقل
فمن كان يعرف حق النعيـ
ـم وحق الجليس فلا يجهل
وما أن جرت بيننا مزحة
تهيج مراء على السلسل

حياة عوف لم تكن كلها عبثا

ولم تكن حياة عوف بن محلم عبثا خالصا كما قد يتبادر الينا من الأشعار التي سقناها ، ولكن هذا العبث كان ضئيلا في شخصيته لو أننا قسناه بمقاييس عصره . أما الأشعار التي تكشف لنا عن جانبه الجاد ، فلا بد أن تكون كثيرة اذ صحب طاهر بن الحسين سنوات طويلة ، وطاهر ، كما نعلم من كتابات المؤرخين ، لم يقر له قرار منذ تولى قيادة جيوش المأمون ، فهو دائم التنقل لمواصلة الحرب والجهاد ضد أعداء الدولة الطامعين فيها ، ولا بد أن عوفا كان يتغنى بانتصارات طاهر في هذه الحروب التي طالما تغنى بها الشعراء المعاصرون له . ولكن مما يبعث على الأسف أن لا نجد أشعار عوف في طاهر ، وكل ما نجده له من شعره الجاد أبيات يتغنى فيها بتحمل نفسه ، فهو ذو حلم ، ولكنه يغضب حين يمس عرضه ، وهو يبسط كفه لمن يريد سلامه ، ويستطيع أن يميز بين الخبيث والطيب، وهو خبير أن الرجال ليسوا بأقوالهم بل بأفعالهم ، وهو بعد ذلك كله يبذل وده لمن أراد ، وعداوته لمن استكبر . يقول

واني لذو حلم على أن سورتي
اذا هزني قوم حميت بها عرضي
وان طلبوا وُدّي عطفتُ عليهم
ولا خير فيمن لا ينول ولا يفضي
وما كل ذي غش يضرك غشه
ولا كلُّ من تؤتى كرامه يرضي
ومعترض في القول عزب قوله
وطب له لبس الغضاء كما يغضي
ركبت به الأهوال حتى تركته
بمنزل ضنك لا يلذ ولا يمضي
واني لأحرى بالكرامة أهلها
وبالحقد حقدا في الشدائد والخفض

شعر عوف صورة صادقة من نفسه

والواضح أن شعر عوف بن محلم مطابق لحياته في جوانبها المختلفة ، فهو صورة صادقة من نفسه لا زيف فيها ولا طلاء . فاذا حدثنا الرواة عن ميله الى العبث وجدنا من شعره ما يؤيد قولهم ، واذا اتضحوا لنا جوانب شخصيته الجادة ادركنا أن شعره يمثله لم يكن شعر شاعر يهيم بالقول في كل مسلك ، ولكنه لا يشعر الا بما فيه ، بل يصعب علينا أن نسمي مثل هذه الأبيات التي مرت بنا شعرا ، فهي مجرد تحليل دقيق لشخصية صاحبها . وما دام الرواة قد تحدثوا عن بر عوف بن محلم بأصدقائه وحدبه عليهم ، فهم صادقون . فهذا عوف يطلعنا على صفاء قلبه وعدم تلونه للأصدقاء في حال العسر واليسر، وكيف انه لا يخونهم ويبقى صديقهم دائما ويتقي لومهم ، يقول :

واني لمن أحببت حصنٌ دائم
ولست بذي لونين أسودَ أبلق
مدوف(1) يرى الخلان منه تلونا
له خلق عند اللقاء ممزق
مخالط اخوانا له بملاقة
وشر الأخلاء الخئون الملق
واني لأستحيي الصديق واتقي
وكل امرئ لا يتقي اللوم أحمق

عبد الله بن طاهر يمسك بعوف نديما

واذا كانت كتب الرواة والمؤرخين لم تحفظ لنا شيئا من أشعار عوف في طاهر بن الحسين ، فقد حفظت لنا بعض أشعاره في عبد الله بن طاهر، ويذكرون في معرض الحديث عن صحبة ابن محلم لآل طاهر أن عوفا حين اتصل بطاهر بن الحسين

(1) المدوف : المخلوط ويقصد هنا المتلون وخلقه

خلف أهله وراءه في مسقط رأسه ، وظل بعيدا عنهم طوال صحبته لطاهر وتنقله معه في الآفاق وكلما استبد به الحنين اليهم وألح وطلب منه الإذن في الإلمام بهم فلا يجيبه الى ذلك ، ويعوضه عن بعد الأهل والأحباب بالجزيل من المال . فلما مات طاهر ظن عوف أنه قد استرد حريته من نديمه بعد أن فرق الموت بينهما ، فأراد أن يلحق بأهله ويمضي الى بلده فيستمتع بما أغدقه الله عليه من مال كثير ، ولكن عبد الله بن طاهر الذي خلف أباه في مكانته عند المأمون ، وفي ولاياته التي كانت له ، رأى أن يمضي على سنة أبيه في الابقاء على نديمه ، بل أنزله فوق المنزلة التي كانت له عند أبيه . ويذكر الرواة من أسباب ذلك أن عبد الله بن طاهر كان من أدب الناس وأعلمهم بأيام العرب ، وأجودهم قولا للشعر وطلبا له ، فكان يعلم مكانة عوف ومنزلة شعره في عصره وقيمة مدائحه فيه، ولهذا استمسك به وأغدق عليه، فانطلق عوف يشكو بفضل عبد الله وأبيه وأجداده آل مصعب ، يقول فيهم :

بنو مصعب للملك في السلم زينة
وفي الحرب دون الملك بيض بواتر
وحول رواق الملك من آل مصعب
ليوث لأمثال الليوث هواصر
فما حال عن ود الخليفة طاهر
ولا زال حتى غيبته المقابر
وخلف عبد الله للملك ناصرا
وهل مثل عبد الله للملك ناصر
فتى لو أسرت نفسه كفر نعمة
لحاربها حتى تسيح الضمائر

عوف يزكي طاهر وابنه عند الخليفة

وفي تلك الأبيات نجد عوفا يحاول في مديحه لعبد الله أن يزكيه عند الخليفة وأن يبرئ أباه طاهرا من تهمة شق عصا الطاعة عليه . وهذه الإشارة تؤكد حقيقة تاريخية ذكرها الطبري في أحداث سنة سبع ومائتين وهي السنة التي مات فيها طاهر وكان واليا على خراسان . ذلك أنه صعد الى المنبر يوم الجمعة فخطب ، ولما بلغ الى ذكر الخليفة أمسك عن الدعاء له فقال : « اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أولياءك، واكفها مؤونة من بغى فيها وحشد عليها ، بلم الشعث وحقن الدماء وإصلاح ذات البين».

فاستطار عامل بريد خراسان بحكم وظيفته ـ وكان حاضرا الصلاة ـ أن يبعث الى المأمون ، ولولا موت طاهر في اليوم التالي لخلعه المأمون ، فقد ذكر أحد شهود مجلسه أنه لما أتاه نعي طاهر قال « لليدين وللفم ، الحمد لله قدمه وأخرنا » .

ومن هنا يتضح لنا أهمية وجود شاعر قوي مثل عوف بن محلم يؤيد عبدالله بن طاهر بمدائحه، ويعلن عن تمسكه به بعد أن كثرت الأقاويل لسبب طاهر ، وهم المأمون بتنحية أبنائه عن اختصاصاته التي كانت له في حياته . وتوالت مدائح عوف في عبد الله بن طاهر ، وكلها فرائد رائعة سببت منها شخصية ابن محلم القوية ، بل إن لصلته في آل طاهر ذكرنا بصلة المتنبي بسيف الدولة، وقد أشار الى ذلك من قبل صاحب شذرات الذهب الذي قال : « غير أن عوفا لم يلحقه طمع أبي الطيب الذي فارق له بني حمدان » . يقول عوف في إحدى مدائحه :

اليك ، فما حظي لعمري بعاثر
ولا أجلي أن حم عني بقاصر
أعف وأستحيي وأني لمعسر
تستر عثاتي على متفاقري
وإني لآبى الضيم غير ضارع
فأدنو به من صاحبي ومحاوري
لساني وقلبي شاعران كلاهما
ولكن وجهي مفحم غير شاعر
ولو كان وجهي شاعرا أكسب الغنى
ولكن وجهي مثل وجه ابن طاهر
فتى يختشي أن يخدش اللؤم عرضه
ولا يختشي حد السيوف البواتر
غليل(1) وقد أمددت دلوي ببحره
ولا عيب في ورد البحور الزواخر

كان عوف أمير الشعراء

وكانت مكانة عوف في حاشية عبد الله بن طاهر تشبه منصب أمير الشعراء أو رئيسهم ، ومثل تلك المنزلة كانت للرقاشي عند البرامكة ، وكانت لغيره في دوائر الأمراء والقادة . ويكون لرئيس الشعراء هنا حق الولاية والإشراف على كل شاعر يأتي لمدح الأمير ، بل كان له في بعض الأحيان أن يمنع من يشاء من الإنشاد وله أن يحدد المكافأة التي يستحقها كل شاعر . وكان عوف في مكانته

(1) الغليل : الشديد العطش .

هذا محبوبا من الشعراء لأنه كان تبعها صادقا، ولم يكن حاقدا أو طامعا . قدم مرة شاعر على عبد الله بن طاهر يقال له دَوْخ من البصرة فمدح عبد الله بقصيدة ومدح فيها عوفا بأبيات وقد أنزله عنده وأحسن اليه : فلما سمع عوف أبياته وجدها ضعيفة جدا ، قال : أنشدني ما قلت في الأمير ، واستدل بما سمع على ضعف أسلوب الرجل ، فأنشده ، فقال . لا توصلها اليه ، فان الأمير بصير بالشعر ، وهو يقول منه الجيدَ القوي ، ومثل هذا الشعر لا يقع منه موقعا يحمدك ، ولكني أقول فيه مديحة فانتحلها وأنشده بها . فأبى دوخ وظن أنه يقول ذلك حسدا . وكان الرجل ورعا لا يفطن لعيب نفسه فقال له عوف : شأنك الآن وما تريد . فأنشد دوخ قصيدته عبد الله ، فقال له : بمثل هذا الشعر يلاقى الملوكُ والأمراء ؟! أيقبل مثل هذا حر ؟! وردها عليه . فصار الى عوف وشكا اليه ، فقال له : ألم أنصحك ؟ ألم أقل لك انه لا يقبل مثل هذا الشعر ؟ . فلما دخل عوف على عبد الله ، قال ويحك يا أبا محلم ، أما سمعت شعر هذا القادم علينا منا ؟ قال عوف بلى أعز الله الأمير قد سمعته ونصحت له فلم يقبل .

وفي هذه الحادثة يقول عوف ساخرا .

أنشدني دَوْخٌ مديحا له
فقلت شعرا ؟! قال لي : فابشر !
فعلت لما أن بدا منشدا
كأنني في [illegible] العسكر
فقلبت ردني ، وتمتمته
وابتلع في أصبعي من العيش !

عوف يشتد به الحنين لأهله

وعلى الرغم من هذه المكانة العالية التي كانت لعوف عند عبد الله بن طاهر الا ان الشوق كان قد استبد به ، فافتقد أهله وأصحابه ، ونزعت نفسه الى وطنه ، فبدا في مدائحه لعبد الله ابن طاهر يذكر وطنه وأهله ويتحدث عن كبر سنه، وكيف ان شبابه قد ولى في خدمة آل طاهر ، وان له ان يستريح في أحضان بلده وبين أهله . وحدث في احدى المناسبات أن قدم عوف على عبد الله فعادله ، فقال له عبد الله : كم سنك ؟ فلم يسمع عوف ، وكانت السن قد علت به وأضعفت سمعه ، فلما أراد أن يقوم قال عبد الله للحاجب خذ بيده ، فلما توارى قال له الحاجب ، ان الأمير سألك : كم سنك ؟ فلم تجبه ، فقال له : لم أسمع،ردني الى الأمير، ودنى الى الأمير فرده ، فوقف بين يديه وقال له :

يا ابن الذي دانَ له المشرقان
وألبس الأمنَ به المغربان
انَّ الثمانين ـ وبلغتها ـ
قد أحوجتْ سمعي الى ترجمان
وأبدلتني بالشطاط (١) انحنا
وكنت كالصعدة تحتَ السنان
وعوضتني من زماع (٢) الفتى
وهمه همَّ الهجين الهدان(٣)
وقاربت مني خطا لم تكن
متقاربات وثنت من عناني
وأنشأت بيني وبين الورى
عنانة من غير نسج العنان (٤)
ولم تدع فيَّ لمستمتع
الا لساني ، وبحسبي لسان
وهمتُ بالأوطان وجدا بها
وبالغواني أين مني الغواني
فقربا بي ـ بأبي أنتما ـ
من وطني قبل اصفرار البنان
وقبل منعاي الى نسوة
أوطانها حران فالرقمتان
سقى قصور الدياخ الحيا
من بعد عهدي وقصور الميان
فلم وكم من دعوة لي بها
أن تتخطاها صروف الزمان

وهذه القصور التي ذكرها عوف في شعره كلها بمرو ونيسابور ، وهي مساكن آل طاهر ، وكان عوف قد ألفها لكثرة تنقله فيها ومقامه معهم فيها ولذلك يحنو لها ، وهو في الوقت ذاته يلمح لعبد الله برغبته في ترك صحبته والعودة الى أهله ووطنه . ولكن عبد الله لم يستجب له وظل به ظنا في صحبته حتى كان عام خروجه الى خراسان بعد أن رضي المأمون عنه وأعاد اليه ولاية أبيه ، وكان ذلك في عام ٢١٤ هـ .

---

(١) الشطاط : الاعتدال وحسن القوام
(٢) الزماع : المضاء في الأمر
(٣) الهدان : الأحمق
(٤) العنان ومفرده عنانة : سحاب

عبد الله يخرج بعوف الى خراسان

وكان عبد الله قد صحب عوفا في قفلته وجعله عديله يسامره ويحادثه ، فلما شارف الركب الري وقد ادلجوا سحرة ، اذا بقمري يغرد على شجرة بالشجي صوت وارق نغمة ، فالتفت عبد الله الى عوف فقال : يا ابا محلم ! اما تسمع هذا الصوت ، ما ارقه واشجاه ! قاتل الله ابا كبير الهذلي حيث يقول :

ألا يا حمام الأيك فرخك حاضر
وغصنك ميّاد ففيم تنوح ؟

قال عوف : احسن والله ابو كبير واجاد ايها الامير، كان في هذيل اربعون شاعرا مذكورا معدودا سوى المتوسطين، وكان ابو كبير من افخرهم واقدرهم على القول . قال عبد الله : عزمت عليك الا اجزت هذا البيت. قال عوف : اصلح الله الامير، شيخ مسن واحمل على البديهة وعلى معارضة مثل ابي كبير وهو من قد علمت ! قال عبدالله عزمت عليك وسالتك بحق طاهر الا فعلت ، فانشا يقول

أفي كل عام غربة ونزوح
أما للنوى من ونية فتريح
لقد طلح البين المشت ركائبي
فهل أرين البين وهو طليح
وأرقني بالري نوح حمامة
فنحت وذو اللب الحزين ينوح
على أنها ناحت ولم تذر عبرة
ونحت وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما
ومن دون أفراخي مهامه فيح
ألا يا حمام الأيك فرخك حاضر
وغصنك ميّاد ، ففيم تنوح !
أفق لا تنح من غير شيء فانني
بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوعا فشطت غربة دار زينب
فها أنا أبكي والفؤاد قريح
عسى جود عبد الله أن يعكس النوى
فتضحى عصا التسيار وهي طريح
فان الغنى يدني الفتى من صديقه
وعدم الغنى بالمقترين طروح

وهكذا ابان عوف في هذه الابيات حبه العميق لوطنه بعد ان علت به السن وتراكمت على ظهره السنون ، وفرقت النوى بينه وبين اهله ، فكانت حمامة الأيك بعين لشواقه وحبيس دمعه ، وبراءه يتلطف لعبد الله بن طاهر في طلب ترك صحبته ورده الى اهله واصحابه في وطنه .

عبد الله يرق للشيخ فيرده لاهله

وقد فهم عبد الله ما اراد ، بل استعبر ورق له عندما سمع ابياته الرقيقة ، فقال : يا ابا محلم ، ما احسن ما تلطفت لحاجتك واستاذنت في الرجوع الى اهلك وولدك . وامر له بثلاثين الف درهم . وفي اقوال اخرى انه اعطاه ستين الف دينار . ويزيد صاحب تاريخ بغداد عليهما مركبا وكسوة . ويعقب صاحب معجم البلدان (مادة الري) على هذه الرواية بقوله : ان خاصة عبد الله اقبلوا عليه يلومونه ويقولون . اتجيز ايها الامير شاعرا في مثل هذا الموضع المطمع ستين الف دينار ولم تملك سواها ، فقال اليكم عني فاني قد استحييت من الكرم ان يسمي بي جملي وعوف يقول : عسى جود عبد الله ، وفي ملكي شيء لا ينفرد به .

وهكذا جمع عوف ثروة من مديحه لطاهر ولابنه عبد الله الذي صحبه بعد وفاة ابيه سبع سنوات كما هو واضح من الاحداث التاريخية .

ولم يشأ ابن المعتز ان يجعل نهاية عوف سعيدة بعودته ثريا الى اهله وولده ووطنه ، ولكنه جعل لها نهاية مثيرة اذ قال انه ودع عبدالله وخرج من عنده على اسرع حال ، فلما كان في بعض الطريق عاجلته منيته فلم يصل الى اهله ، واتصل الخبر بعبد الله فاشتد ذلك عليه وجزع له ، لان عوفا لم يطلبه لامر شوقه الذي كشف عن ناحيته في ابياته الاخيرة . ولكننا نشك في النهاية التي وضعها ابن المعتز لحياة عوف ، فقد انبأنا من المصادر التاريخية ان خروج عبد الله بن طاهر من العراق الى خراسان ومعه عوف كان في عام ٢١٤ هـ . ونحن نعلم من صاحب فوات الوفيات ان عوفا قد توفي في حدود العشرين والمائتين هـ ، فهو اذن قد عاد الى وطنه ، ولقي اهله وصحبه ، وسعد بهم وسعدوا به ، ونعم بثرائه وتنعموا زهاء ست سنوات ، حتى فرقت بينه وبينهم تلك الشعوب التي تفرق بين الناس اجمعين ، وانطوت صفحة عوف بن محلم بعد ان حقق الله امله بلقاء اهله والاياب الى وطنه . ■

محمد مصطفى هدارة

طرائف عربية

فكاهة عن أشعب

● جلس أشعب وهو صبي مع قوم يأكلون .. فبكى ، فسألوه : مالك تبكي ؟

فقال : الطعام ساخن !

فقالوا : دعه حتى يبرد ..

فقال : أنتم لا تدعونه !

رد على شاتم

● قال أبو علي الفضل بن جعفر التميمي لشخص شاتمه : والله ما نعيا عن جوابك ، ولا نعجز عن مسابك ، ولكنا نكون خيرا لشبيه مثلك ، ونحفظ منه ما أضعته ، فاشكر توفيرنا ما وفرنا منك ، ولا يغرنك بالجهل علينا حلمنا عنك .

اعرابية تنصح ابنا لها مسافرا

● قال أبان بن تغلب : شهدت اعرابية توصي ولدا لها أراد سفرا وهي تقول : أي بني ، اجلس أسمعك وصيتي ، وبالله توفيقك .

قال أبان : فوقفت مستمعا لكلامها مستحسنا لوصيتها ، فإذا هي تقول : أي بني إياك والنميمة ، فإنها تزرع الضغينة ، وتفرق بين المحبين . وإياك والتعرض للعيوب فتتخذ غرضا . وإياك والجود بدينك والبخل بمالك . وإذا هززت فاهزز كريما يلن لهزتك ، ولا تهزز اللئيم فإنه صخرة لا يتفجر ماؤها ، ومثّل لنفسك مثال غيرك ، فما استحسنتَ من غيرك فاعمل به ، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه ، فإن المرء لا يرى عيب نفسه .

كثير عزة عند عبد

● دخل كثير يوما على عبد الملك بن مروان فقال : نشدتك هل رأيتَ أعشق منك ؟

فقال : يا أمير المؤمنين .. لو سألتني بحقك لأخبرتك ، نعم بينا أنا أسير في بعض الفلوات إذا أنا برجل قد نصب حبالته ، فقلت له : ما أجلسك ها هنا ؟ قال أهلكني وأهلي الجوع ، فنصبت حبالتي لأصيب لهم ولنفسي ما يكفينا سحابة يومنا هذا . أرأيت إن أقمت معك فأصبنا صيدا أتجعل لي منه جزءا ؟ قال : نعم . فبينما نحن

يا نوح !

● كان رجل يسمى نوحا ، وكان له صديق نهاه فلم يقبل . فأمر السلطان بقتله فصلب ، فمر به صديقه فقال له : يا نوح ! ما حصلت من السفينة الا على الصاري !

اقوال ماثورة

* قال عيينة بن حصن بن حذيفة لعثمان رحمه الله : عمر كان خيرا لى منك : أرهبنى فأتقانى ، وأعطانى فأغنانى .
* من كان له من نفسه واعظ ، كان من الله عليه حافظ .
* ليس يعد حكيما من لم يكن لنفسه خصيما .

الغنى والفقر

متى ما يرى الناسُ الغنيَّ وجارُهُ ... فقيرٌ ، يقولوا عاجزٌ وجليدُ
وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى ... ولكن أحاظٍ قسِّمت وجدودُ
وان امرأ يمسي ويصبح سالما ... من الناس ، الا ما جنى ، لسعيدُ

(عبد الرحمن بن حسان)

الجاحظ وابن ابى دؤاد

* كان الجاحظ مائلا عن ابن ابي دؤاد الى محمد بن عبد الملك الزيات ، فلما نكب محمد ابن عبد الملك أدخل الجاحظ على ابن ابي دؤاد مقيدا ، فقال له ابن ابي دؤاد : والله ما علمتك الا متناسيا للنعمة ، كفورا للصنيعة ، معددا للمساوي .

فقال الجاحظ : خفض عليك اصلحك الله ، فوالله لأن يكون لك الامر علي خير من ان يكون لي عليك ، ولأن اسيء وتحسن ، احسن في الاحدوثة من ان احسن فتسيء ، ولأن تعفو عني على حال قدرتك علي ، اجمل بك من الانتقام مني .

فعفا عنه .

فى اي شيء كنا منذ الصباح!

* كان فى «بغداد» رجل قد ركبته ديون كثيرة وهو مفلس ، فأشار القاضي بألا يقرضه أحد شيئا ، ومن اقرضه فليصبر عليه ، ولا يطالبه بدينه . وأمر القاضي أعوانه بأن يطوفوا بالرجل فى الأسواق ليعرفه الناس ، ويتحرزوا من معاملته .. فاستأجر الرجل بغلا يركبه لهذه المهمة ، فلما فرغ من الطواف فى البلد ووصل الى باب داره وأراد أن ينزل ، قال له صاحب البغل :

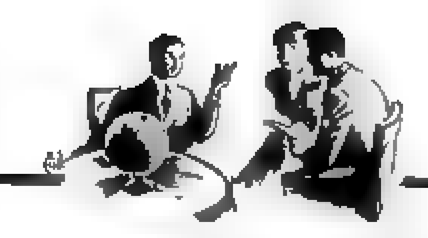
ـ اعطنى أجرة بغلى ..

فقال له : يا أحمق ، فى اى شيء كنا منذ الصباح ؟!

الملك بن مروان

كانت لنا ظبية ، فخرجنا متصيدين فمر اليها فحلها واطلقها . فقلت : ما حملك على هذا؟ قال : دخلتني لها رقة لشبهها بليلى ، وانشأ يقول :

أيا شبه ليلى لا تراعي فانني ... لك اليوم من وحشيةٍ لصديق
اقول وقد اطلقتها من وثاقها ... لأنت لليلى ما حييت طليق



دردشة

من قصص الحرب العالمية الثانية

● لما حلقت الطائرات البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية في جو بوهيميا ومورافيا والقت على اهليهما المنشورات ، امر رجال السلطة الالمانية اهل البلدين بان يسلموهم كل ما يعثرون عليه من تلك المنشورات . فما كان من بعضهم الا ان الصقوا نماذج منها في الطرق والساحات والصقوا بجانب كل منشور اعلانا جاء فيه : كل من وجد منشورا من المنشورات التي نرى نموذجا منها ، عليه ان يسلمه فورا الى السلطات الالمانية والا عرض نفسه لعقاب شديد !



الضرائب والنظام الديمقراطي

● من أهم مزايا العيش في نظام ديمقراطي اننا لنا القول الفصل فيما يختص بكيفية دفعنا الضرائب : نقدا ، أو بواسطة شيك او حوالة مالية !!



يغيرها حتى لا تتسخ !

● سمع سعد زغلول احدهم يطعن في بعض الاشخاص الذين تنقلوا بين الاحزاب ، فقال لمن حوله :

ــ بالعكس انا شايف انه من اصحاب المبادىء النظيفة . . .

فدهش الحاضرون وسألوه : وكيف ذلك ؟

فاجابه : لانه دائما يغيرها حتى لا تتسخ !!



كلهم اعداء

● اعتقل تاجران سويسريان في اليابان فاحضرا الى موظف ياباني فابتسم معتذرا وقال : انا اعلم انكما محايدان ، ولكنكما عدوان محايدان .

فقال أحدهما : اذاً ماذا تعد الامريكيين والبريطانيين ؟

قال : أعدهم أعداء محاربين .

فقال أحد السويسريين : والايطاليين والالمان ؟

فقال الياباني : اعداء مترددين .

ماذا تفعل عندما تسقط القنابل

● سألت « مرغريت ايتكن » خادمتها العجوز في لندن : ماذا تفعل حين تسقط القنابل ، أتبرح فراشها ، أم تلزمه ، أم تذهب الى المخبأ ، أم تظل حيث هي لا تتحرك ؟

فقالت : كنت فيما مضى ألزم الفراش ولكنني أبرحه الآن . ولما سألتها : لماذا ؟ قالت : المسألة بسيطة يا سيدتي ، نحن ندفع نفقات هذه الحرب ، ولذا يحسن بنا أن نشاهد ما ندفع نفقته !

تمثال روسيني

● عندما علم الموسيقار روسيني أن بعض المعجبين بموسيقاه من الفرنسيين اقاموا له تمثالا سألهم : كم يكلف التمثال ؟

قالوا : عشرة ملايين فرنك .

فصرخ قائلا : انني استطيع ان اقف مكان التمثال طول حياتي بنصف هذا المبلغ !

الجميلات وغير الجميلات .. ممنوعات

● يفسر السير توماس بيتشام ، قائد الفرقة الموسيقية الشهير سبب رفضه استخدام موسيقيات من النساء بقوله : اذا كن جميلات فانهن يصرفن افكار الموسيقيين الرجال عن التركيز ، اما اذا لم يكن جميلات ، فانهن يصرفنني انا .

نوعان من النساء

● هناك نوعان من النساء .
نوع يستطيع ان يتحدث ويتحدث في اى موضوع .
ونوع لا يحتاج الى اى موضوع ليتحدث فيه !

كل منا يهمه امر وطنه



● كان لويد جورج يخطب في « لنكشير » بانكلترا ، مبينا وجوب منح كل من ارلندا واسكتلندا وويلز استقلالا اداريا ، ويظهر أن هذا الرأى لم يرق لأحد النواب فقاطع الرئيس وقال متهكما

ـ اجل ! واستقلال ذاتي لجهنم ايضا .

فاجابه لويد جورج :
انت محق يا صديقي ، فكل منا يهمه امر وطنه !!

عادات غريبة في الزواج

هناك عادات غريبة تروى عن الطرق التي تتم بها الزواج في بعض بقاع العالم .

● فالمحارب الصومالي يضرب عروسه اثناء احتفالات الزواج ليجعلها تسلم منذ البداية بانه سيكون السيد المطاع في البيت .

● وفي الاقاليم الريفية من جزيرة غرينلاند تسود الاعراس اسلوب انسان الكهف الاول اذ كان يذهب الى بيت عروسه ويجرها من شعر راسها الى ان يوصلها الى الكنيسة .

● والعروس في جزر كوك تسير الى الكنيسة على بساط من الآدميين ، اذ حسب تقاليد تلك الجزر يستلقي شباب قرية العروس على الارض ووجوههم الى اسفل ، وتدوس العروس في سيرها على ظهورهم حتى تصل الى المكان الذي تقام فيه الاحتفالات .

● والعروس في بورما تطرح اثناء الاحتفال ارضا وتقوم رجل عجوز بثقب اذنيها فتصرخ وتتوجع وتطلق الصرخات المدوية ولكن ليس هناك من يسمع لان الفرقة الموسيقية تبدأ بالعزف باصوات صاخبة تغطي على صرخات العروس .

● وتصبغ العروس في جزيرة جاوة اسنانها باللون الاسود وتقبل قدمي زوجها اثناء حفلات الزواج كدليل على استعدادها لخدمته طيلة حياتها .

● وابسط طقوس الزواج واقلها تعقيدا تلك الطقوس التي تمارسها قبيلة بجزيرتو في جنوب المحيط الهادي ، ففي تلك الجزيرة يذهب الخطيبان الى عمدة القرية فيمسك هذا برأسيهما ويدفعهما بعضا ببعض وبهذا يتم الزواج .



التنويم ليس سحراً أو شعوذة

بقلم : الدكتور فاخر عاقل
أستاذ علم النفس بجامعة دمشق

■ اقترن التنويم في أذهان الناس بأعمال وظواهر جعلته في نظر معظمهم أقرب الى السحر وخوارق الطبيعة ، وأدخلته في مفاهيم جماعتهم من الشعوذة والدجل . ولكن للتنويم وجها علميا كل الاختلاف عما يظن عامة الناس وما يحسبه جماعتهم ، وعن هذا الوجه العلمي سأحاول أن أتحدث في مقالي هذا معرّفا به تعريفا علميا ، ذاكرا شيئا عن تاريخه والتجارب التي أجريت عنه ، وواصفا مظاهره محددا حدوده مفسّرا بالنظريات التي تعلله والتطبيقات التي له في مجالات الطب وعلم النفس .

كلمتان

هذا وتفرق اللغات الاجنبية عادة بين كلمتي Hypnotism التي ترجمتها بالتنويم ، واستعملتها عنوان لمقالي هذا والتي تعني ، فن احداث حالة نوم) ، وبين Hypnosis التي أترجمها بالنوم الذي يحدثه هذا الفن وهي كلمة يونانية تعني النوم فعلا . ولقد كان أول من وضعها واستعملها وأشاعها العالم الانكليزي برَيد Braid لأسباب سنعرض لها .



فقابليه للايحاء مبالغ فيها واتصال مستمر بالمنوِّم . »

فان هلمنت ، اول من اهتم بالتنويم

ويبدأ تاريخ التنويم بمعناه العلمي عام ١٨٤٢ ، وذلك حين اوجد له العالم الانكليزي بريد Braid التسمية التي نوهت بها في المقطع السابق . بيد ان بعض الحوادث والحالات المتشابهة في السوية ، والشبيهة لما يحدث في حالة التنويم ، قد لوحظت في معظم بلاد العالم ومنذ القدم العصور . ومهما يكن من ذلك فان الاهتمام الجدي بموضوع التنويم لا يرجع الى ابعد من الحربات القرن السادس عشر حين قال العالم فان هلمنت (١) Van Helmont ان سائلا مغناطيسيا يشع من الناس جميعا ويمكن جعله مؤثرا في نفوس الآخرين واجسامهم عن طريق العمل الارادي .

مسمر « والمغناطيسية الحيوانية

ولقد انتشر هذه النظرية فيما بعد ان تبنى

بل ظاهرة أصيلة لا يكتنفها غموض أو أسرار!

على اني احب ان انبه الى ان النوم المقصود هنا، والذي يشبه النوم العادي، يختلف عن النوم الطبيعي اختلافا بينا كما سيظهر من كلامي فيما بعد .

وثمة كلمتان لا بد من الالمام بهما منذ بداية هذا المقال وهما المنوِّم (بالكسر) واقصد بها الشخص الذي يحدث حالة النوم ، والمنوَّم (بالفتح) واريد بهما الشخص الذي يقع في حالة النوم .

ولقد اختلف العلماء اختلافا كبيرا في تعريف النوم الذي اتحدث عنه ، ولعل اقرب تعريف الى الصحة العلمية هو : « حالة نفسية مصطنعة تعرض على المخلوق ، وهي تشبه النوم وتتميز

حماسا ووجه اثر اعمال ميسمر Mesmer الذي اخترع تعبير « المغناطيسية الحيوانية » مشيرا به الى السائل الذي ادعى فان هلمنت انه يشع من الناس . ومسمر هذا طبيب نمساوي ولد عام ١٧٣٤ ، وادعى عام ١٧٦٦ انه بالامكان خزن المغناطيسية الحيوانية في الجمادات التي تلامس الاشخاص الذين يملكون مثل هذه المغناطيسية ، وان ملامسة هذه الجمادات ، ولا سيما المعادن منها ، تشفي المرضى !

ومن هنا كانت تسمية هذا النوع من الطب بالمسمرية Mesmerism نسبة الى ميسمر . والى ان اوجد (بريد) التسمية الجديدة فقد كان الاسم الشائع هو المسمرية . ولقد بلغت الضجة التي اثارها مسمر واتباعه ، لا سيما بعد ان قال

(١) فان هلمنت طبيب وكيماوي بلجيكي ، درس العقاقير وكشف عن السائل المغناطيسي (١٥٧٧ – ١٦٤٤ م)

بانتقال المغناطيسية الحيوانية بالملامسة ، وعقد لذلك حلقات اختلط فيها الجنسان عاريين . ولما بلغت الضجة حدا دعا المجمع العلمي في باريس الى تأليف لجنة نظرت في الأمر ، وقررت عام ١٧٨٤ رفض وجود سائل مغناطيسي وشجبت الدجل الواسع والفجور الفاضح اللذين كانا يشوبان اجتماعات اتباع مسمر ، وان كانت لم تنكر النوم (المغناطيسي) وامكان شفاء بعض الامراض بواسطته .

« برتران » يعيد الثقة الى التنويم

ولقد قل اهتمام الناس بالمغناطيسية الحيوانية اثر هذا التقرير حتى اعادها الى الاذهان طبيب فرنسي اسمه الكسندر برتران Alexandre Bertrand بأن استخدمها طبيا ، فحمل هذا لجنة جديدة من المجمع الطبي الفرنسي عام ١٨٣١ على النظر في الأمر والخروج بتقرير اكثر تأييدا وعطفا ، وحينئذ شاع استعمال التنويم في كثير من الاوساط الطبية الاوروبية ، وذلك باستثناء انكلترا ، فقد حاول فيها طبيب مشهور واستاذ في كلية الطب الافادة من المغناطيسية الحيوانية في تطبيقاته الطبية ، فمنعه قرار من مجلس كليته في جامعة لندن سنة ١٨٣٨ من تنويم مرضاه فاستقال وحرم على نفسه المرور من امام باب الكلية او مستشفاها طيلة حياته .

« بريد » يعطي التنويم اصالته

وفي عام ١٨٤١ بدأ الطبيب الانجليزي جيمس بريد James Braid يهتم بأمر التنويم ، وكان حين بدأ يعتقد ان التنويم محض دجل ، ولكنه ما كاد يشهد تجربة من تجارب التنويم حتى قرر ان يقوم هو نفسه ببعض التجارب ، وحينئذ اقتنع بصحة التنويم ، ولكن الجمعية الطبية البريطانية رفضت عام ١٨٤٢ ان تستمع الى تقريره عن الموضوع ، فدعا هو الى اجتماع تلا فيه تقريره ، وبذلك اعاد الى التنويم اعتباره واعطاه صفته العلمية بعد ان اعطاه اسمه الجديد على ما سبق ان ذكرنا .

والجدير بالذكر ان خصوم « بريد » لم يكونوا من الاطباء الجاهلين فقط ، فقد كانوا ايضا من الدجالين المشعوذين الذين شعروا بأن نظريات « بريد » وتطبيقاته ، وما سينجم عنها من تنقية للتنويم من اوشاب الدجل ، ستحرمهم ثقة الجمهور فراحوا « المغناطيسية » التي كانت تدر عليهم ارباحا طائلة ، ولعل اكثر ما ازعجهم من « بريد » اصراره على ان العلاج بالتنويم يجب ان ينحصر في الاطباء المؤهلين له .

فرويد واهتمام فرنسا بالتنويم

وفي فرنسا اعلن العلامة شارل ريشيه Charles Richet عام ١٨٧٨ انه يعتبر ظاهرة التنويم اصيلة . ثم قام العالم الشهير شاركو Charcot باستخدام التنويم في علاج الهستيريا ، وكذلك فعلت مدرسة « نانسي » . وقد حمل هذا الطبيب الشاب (سيجموند فرويد Sigmund Freud) على الحضور الى فرنسا من النمسا ، ودفعه الى تبني التنويم طريقة في العلاج النفسي ، ولكنه اضطر الى التخلي عنها فيما بعد لاسباب لا مجال لذكرها في مقالنا هذا .

وفي عام ١٨٩٢ اقرت لجنة بريطانية خاصة ، الفتها الجمعية الطبية الملكية ، اصالة ظاهرة التنويم وقيمتها في شفاء المرضى مما دفع الاوساط الطبية المترددة الى الاعتراف بالتنويم .

التنويم والايحاء

في التعريف الذي اقترحته للتنويم قلت انه « حالة نفسية مصطنعة تتميز بقابلية الايحاء وتطلق له » . والواقع ان التنويم ايحاء بالنوم وحث عليه ، والذي شاهد منوما يقوم بعمله ، ولا سيما اذا كان ينوم النائم للمرة الاولى ، يلاحظ ان العملية كلها مجموعة ايحاءات . واذا كنت لا استبيح لنفسي ان اصف بالتفصيل طريقة التنويم ومراحلها والاوامر التي تعطى اثناءها حرصا مني على الا يستعملها من لا يجب ان يستعملها ، فاني لا ارى ضيرا من ذكر ان عملية التنويم هي ـ في جوهرها ـ سلسلة ايحاءات تؤول الى النوم ، ثم الى تنفيذ بعض الاوامر او النواهي .

ومن هنا كان اختبار الافراد بالنسبة لقابليتهم للتنويم ، وهو اختبار يحسن القيام به قبل تجربة التنويم الفعلي ، انما هو اختبار لقابليتهم للايحاء وتقبلهم اياه .

ومن هنا ايضا كان في كل ايحاء نوع من التنويم والتوجيه الى الوجهة التي يحبها المنوم . ومن هنا كذلك كانت الرقصات الايقاعية لبعض القبائل المتوحشة والقائمين بحفلات الزار محتوية على الكثير من الحالات التنويمية للقائمين بها او لشاهديها .

أمثلة من الظواهر التجريبية

ولعل في الإشارة إلى بعض الحوادث التجريبية التي يقوم بها بعض المنومين توكيدا لما قلت . على أن من الجدير بالملاحظة أن محاولة هذه الأمور من قبل غير المجرب الخبير أمرا خطيرا ، قد تكون له عواقب وخيمة .

من هذه التجارب مثلا تجارب « التصلب » Catalepy ذلك بأنه من الممكن إحداث تصلب العضلات عند النوم بإيحاءات كالتالية :

« ذراعك يتصلب تدريجيا ، لقد أصبح كالقضيب من فولاذ ، إنك عاجز عن تحريكه .»

ويلاحظ أن كل هذه الأقوال إيحاءات تعطي ثمرة يفيد منها الذين يجرون الاستعراضات في المسارح ، وهي حوادث ثابتة لا جدال فيها .

ومن هـذه التجارب ضبط الحواس . فمن الممكن أن يُطلب إلى النوم عدم سماع أي صوت إلا صوت المنوم ، وبذلك ينقطع المنوم عن كل ما في العالم الخارجي ، ويرهف سمعه حتى يسمع أشد الهمسات خفوتا ومن بعد بعيد حين يرسلها إليه المنوم . كما أن من الممكن إلغاء الشم والذوق واللمس والحس بالألم (مما يسمح بإجراء عمليات جراحية دون ألم) ، بل ومن الممكن زيادة حدة البصر وإيهام النوم برؤية أشياء خيالية ، وزيادة حسه بالألم ، وإلغاء الشعور بالجوع والعطش ، وكل ذلك بالإيحاء .

كذلك من الممكن الإيحـاء للمنوم تقمص شخصيات مختلفة ، شريطة ألا يكون في هـذا التقمص مـا يخالف عقله الباطن ويتنافى مع مطالب هذا العقل . كذلك يمكن إعادة المنـوم إلى طفولته ، أو إلى مراحل سابقة من حياته عن طريق الإيحاء ، فإذا أوحيـه إلى مرحلتين مختلفتين وطولب بكتابة رسالتين ، لاحظنا الفروق في الإملاء والتهجئة وتركيب الجمل بما يتناسب في كل رسالة مع المرحلة التي أعيد إليها .

الإيحاء بعد التنويم

ويعتبر هذا الإيحاء من الناحية التجريبية أهم أنواع الدراسات التي قدمها التنويم . وليس المقصود بهذا النوع من الإيحاء ذلك الذي يتحقق بعد استيقاظ النوم ، وإنما المقصود الذي يعطى للمنوم وهو في حالة النوم العميق ويطلب إليـه تنفيذه بعد الاستيقاظ .

هذا وإذا كان المنوم من النوع المناسب فـإن التجارب التي أشرت إليها في الفقرة السابقـة يمكن أن يوحى بها ويطلب المنوم أن ينفذها بعد أن يستيقظ . وفي كل الأحوال فإن من المناسب أن يكتفي المنوم في البدء بطلب أشياء بسيطة يقوم بها المنوم بعد الاستيقاظ بوقت قصير ، ثم تزداد درجة تعقيد هذه الأشياء تدريجيا ، كمـا تزداد المدة الفاصلة بين الاستيقاظ والتنفيذ .

وهكذا فمن الممكن أن يقول المنوم للمنوم إنه بعد عشرين دقيقة من استيقاظه ستضعف قدرته على الكلام بحيث يعجز عن الكلام تماما مدة عشر دقائق ، يعود بعدها إلى حالته الطبيعية وقدرته الكلامية العادية وسيتم الأمر على النحو المطلوب .

ومثل هذا يمكن أن يحدث إذا أوحى المنوم برؤية أشياء وهمية، أو عدم رؤية بعض الأشخاص أو الأشياء أو غير ذلك .

ويحسن أن حواس النوم تبقى سليمة ، وكل ما في الأمر أنه يتوهم أو لا يحس ، وإن كان يحس ؛ أي أن إحساساته تبقى صحيحة سليمة ولكنه يمنع من إدراك معانيها ومدلولاتها . هذا ويجب التنبيه إلى أن النوم لا يتذكر شيئا من الطلب الموحى به لا سيما إذا أمر بذلك ، لكنه إذا نوم مرة ثانية تذكر كل شيء . كما يجب التنبيه إلى أنه بهذه الطريقة يمكن أن يطلب إليه أن يلعب دور الوسيط مع الأرواح ، وحينئذ يقوم بهذه المهمة غير شاعر ولا متذكر ، مما يمكن المنوم الدجال من زعم الاتصال بالأرواح .

المدة بين الإيحاء والتنفيذ

والسـؤال الأول الذي يطرأ على الذهن في هـذا الصدد هو : ما طول المدة التي يمكن أن تفصل بين الإيحاء والتنفيذ ؟ والحق أن الجواب القاطع عن هذا السؤال صعب ، ذلك بأن الأمر يتوقف على شدة الإيحاء وطبيعة المنوم ونوع العمل المطلوب وغير ذلك من العوامل ، وقد سجلت حالات كان الفاصل فيها دقائق كمـا كان شهورا . على أن المهم أن نشير إلى أن بعض المنومين يمتلكون قدرة لا شعورية غريبة على حساب الوقت الفاصل للقيام بالعمل بدقة تامة ؛ فإن أخطاء بعضهم — في هـذا الخصوص — لا تكاد تذكر وتقل حتى عن الأخطاء العصابية الاحتمالية .

والسؤال الثاني الذي يخطر في البال هو

هل يكون الانسان سويا حين يعطى ايحاء بعد تنويمه ؟

ان الجواب على هذا السؤال عسير ، ولكنني استطيع ان اقول ان حالة التنويم تتراوح آنئذ بين الحالة التنويمية الواضحة والحالة السوية التامة .

للايحاء التنويمي حدود لا يتجاوزها

وبعد ان وصلت هذا الموضع من الحديث يحتم علي ان اشير الى حدود الايحاء التنويمي ، ذلك بأن ما قدمت في الفقرة السابقة قد يحمل بعض القراء على الاعتقاد بأن في استطاعة المنوم ان يخضع المنوم لارادته وان يوحي اليه بما يشاء ، والواقع ان هذا بعيد . ان المنوم يرفض تنفيذ كل ايحاء يتنافى مع مبادئه الاخلاقية (بمعناها الواسع وليس بمعناها الجنسي فقط) .

سيدة ترفض ذبح كلبها

هذا واحب ان انبه في هذا المقام الى ان التنويم مستحيل اذا لم يتعاون المنوم مع المنوم ، وحتى لو تعاون المنوم في المرة الاولى ورفض في المرة الثانية فان حالة النوم الخفيف التي قد تعرض على المنوم لا تحتم عليه تنفيذ اوامر المنوم ، ومن هنا كانت ضرورة موافقة ايحاءات المنوم لمبادىء المنوم والا تمرد هذا الاخير . وفي تجربة اجراها العالم (كدون Cuddon) ناول فيها السيدة التي نومها حقيبة بعدما موهما اياها انها كلبها العزيز عليها ، ثم اعطاها قلمها الذي اوهمها انه مدية ، ثم طلب اليها ذبح كلبها ، وبعد ان قبلت الايحاءين الاولين رفضت ذبح الكلب ، وبكت ولم تعد الى حالتها الطبيعية الا بعد ان اوحي اليها خلافه عكس ما اوحي به في البداية . ولعل اطرف ما في الامر ان هذه السيدة نفسها رفضت التصريح بعمرها رغم الحاح المنوم وتبيانه ضرورة معرفة عمرها للحصول على جواز سفر لها : ترى هل يخالف التصريح بالعمر المبادىء الاخلاقية للنساء ؟!

سيدة ترفض كشف ثديها

ومن غرائب الامور ان المنوم يرفض في حالة النوم احيانا ما يقبل في حالة اليقظة ، لقد رفضت امرأة منومة ان تكشف صدرها لطبيبها الذي يعالجها والذي طالما كشفت له عن صدرها في حالة اليقظة ، ولما اوقظت وطولبت بكشف صدرها للطبيب فعلت ، قد يكون تعليل ذلك الحذر الغريزي الذي تتمتع به المرأة في مثل هذه الاحوال .

وهنا يحسن التساؤل عما اذا كان في الامكان حمل منوم على القيام بجريمة وهو في حالة النوم او بعد اليقظة بناء على ايحاء اعطي له اثناء تنويمه ؟!

متى يقوم المنوم بجريمة توحي اليه

لقد سبق ان قلت ان المنوم يرفض العمل بالايحاءات المخالفة لمبادئه الاخلاقية ولذلك فانه لن يقبل الايحاء باقتراف جريمة الا اذا كان من نوع ابدي يقترف مثل هذه الجريمة في حالة اليقظة ، فاذا كان كذلك كان من المحتمل ان يقوم بالجريمة او يحاول القيام بها . على انه يجب ان يكون في حالة النوم العميق حين يوحى اليه بمثل هذه الجريمة .

ومن المناسب ان اذكر هنا بأن اكتشاف المجرم المنوم اسهل من اكتشاف المجرم العادي وذلك لتركيز انتباه المجرم المنوم على الجريمة وغفلته عما في المحيط من ظروف قد تؤدي الى فضحه او القبض عليه . كما ان من المناسب ان اذكر بأن مثل هذا المجرم يقوم بعمله غير واع ولا قاصد وبصورة آلية ، واذا كان المنوم قد اقترح عليه بعض الاحتياطات فانه يتخذها ، ولكن هل في استطاعة المنوم ان ينبأ بجميع ما قد يطرأ من ظروف ؟ واستطيع ان اؤكد ان صعوبات اخفاء الجريمة الموحى بها كبيرة لدرجة ان اي منوم عاقل يتردد كثيرا قبل الاقدام على مثل هذا العمل .

لا يتسع المقام لبسط التجربات المختلفة التي

تعلل ظاهرة التنويم ، وهاك فسأكتفى بذكر أهمها ثم أقف عند واحدة منها يبدو لى أقرب إلى الصحة والعقل .

ويمكن تلخيص النظريات التى حاولت تعليل ظاهرة النوم واجمال هذه النظريات فى ثلاثة أصناف : (١) النظريات المرضية (٢) النظريات الفسيولوجية (٣) النظريات النفسية .

النظريات المختلفة فى تفسير التنويم

اما **النظرية المرضية** فاشهر من قال بها العالم الفرنسى (شاركو) واتباعه ، وهى ترى ان هذا النوع من النوم انما هو حالة مرضية اصطناعية يحمل عليها الاشخاص المصابون بالهستريا فقط ، وانها تحدث نتيجة لمؤثرات حسية فقط ، ودون علم من المنوم . ولعل من المفيد ان اذكر ان القائلين بهذه النظرية كانوا من العاملين فى مستشفى يهتم بالهستريا وانهم لم ينجحوا فى تنويم مرضاهم الا فى حالات قليلة .

والنظريات الفسيولوجية

واما **النظرية الفسيولوجية** ويقول بها علماء من مثل برامويل Bramwell وسواه فتقول بأن حوادث التنويم ترتد الى اسباب فيسيولوجية عصبية . ان بعضهم يردها الى ايقاف وظائف المراكز والعقد العصبية فى الدماغ ، وبعضهم يردها الى شلل هذه المراكز العصبية بتأثيراته المؤثر او الى تعب هذه المراكز بسبب الضغط او غير ذلك من الاسباب . ولعل اهم الردود على هذه النظرية هو عدم حصول النوم نتيجة هذه المؤثرات فقط ، بل بمؤثرات وطرائق اشرت اليها فى مطلع كلامى .

واما **النظرية النفسية** فانها اقربها الى الصواب ، وهى تعلل حادثة النوم بعمل العقل الباطن والحياة اللاشعورية على النحو التالى : الحياة النفسية اللاشعورية حقيقة واقعة لا مجال لنكرانها ، والحياة الشعورية — على بساطة شأنها — تلعب دور الموجه والرقيب ، وتستخدم قوى الذكاء والخبرة فى مواجهة الظروف الطارئة للحياة . ولكن هذه الحياة الشعورية قد تتوقف — كما هو الحال اثناء النوم — عن عملها هذا تاركة للحياة اللاشعورية الواسعة العبقرية العمل . والحياة اللاشعورية هذه (أو العقل الباطن) هى التى تقبل الايحاء سواء فى حالة التنويم أو فى الاحوال العادية ، وهى ترسل ما تلقته من ايحاءات الى النفس الشاعرة فى الاحوال السوية ، أو تنفذ هذه الايحاءات بذاتها ودون استئذان الحياة الشاعرة فى حالة التنويم .

وهكذا يكون النوم ، النوع الذى نتحدث عنه ، حالة تتوقف خلالها كل معارضة من النفس الشاعرة لتقبل النفس غير الشاعرة ايحاءات المنوم وتنفيذها الا فى الاحوال التى تتعارض فيها هذه الايحاءات مع مبادىء المنوَّم ، ويكون هذا النوم مشابها للنوم العادى ظاهريا ، ولكنه فى الواقع يختلف عنه اختلافا بينا كما وضح لنا حتى الآن .

التنويم فى الطبين الجسدى والنفسى

استعمل الطبيب (ايسديل Esdail) — وجاراه فى هذا عدد عديد من الأطباء — التنويم لتخدير المرضى واجراء العمليات الجراحية دون ألم . ولا شك فى أن اكتشاف الكلوروفورم قد قلل من قيمة التنويم فى هذا الخصوص .

التنويم لمنع آلام الولادة والجراحة

وفى الولايات المتحدة الامريكية يستعمل اليوم بعض الأطباء التنويم لمنع الآلام المخاض والوضع والاطمئنان النفسى ، لا سيما وان الايحاء عن طريق التنويم يدفع الوالدة الى اطاعة أوامر الطبيب والقيام بالأعمال التى تسهل عملية الولادة . وقد استعمل التنويم فى بعض مستشفيات الولايات المتحدة أخيرا لاجراء العمليات الجراحية .

ونلاحظ هنا أن من ميزات اجراء العمليات الجراحية تحت تأثير التنويم

تمكين المنوم من أن يطلب إلى المنوم عدم الشعور بالألم بعد أنتهاء العملية والاستيقاظ ، وفي هذا تخفيف على المريض . ومما يجدر ذكره ان منع الألم بواسطة التنويم امر ممكن الحدوث لا بصدد العمليات فحسب ، بل بالنسبة الى كل الالام . لكن اخماد الالام لا يعني الشفاء ، والألم ـ في الأصل ـ دليل المرض ، ومنبه الى خطورته ، ولذلك فان منع الالم لا يكون مفيدا الا في بعض الأحوال .

التنويم والاضطرابات العصبية

ولا تتجلى فائدة العلاج بالايحاء التنويمي في ميدان ما كتجليها في شفاء الاضطرابات الوظيفية العصبية ، اما في الميادين الأخرى ففائدته هي في تخفيف الألم فقط .

هذا والتنويم مفيد أيضا في علاج المخاوف المرضية والقلق المرضي ، واعني بذلك المخاوف والقلق التي يعرف المريض انها لا تنهض على أساس معقول ، كمثل الخوف من الأماكن الواسعة المفتوحة ، أو الأماكن المغلقة ، والأرق ، وصعوبة تركيز الانتباه ، وسواها .

ثم ان التنويم طريقة ناجحة في تمتيع المريض بالنوم الطويل العميق مما يجنب المريض استعمال المنومات وما ينجم عن هذا الاستعمال من الأخطار . على أن من الواجب ان أذكر انه ليس من المحتم دوما نجاح العلاج ودوام أثره ، ولذلك فقد يكون من المناسب تكراره عدة مرات ، كما ان من المفيد ان يطالب المنوم باعادة ايحاءات المنوم لنفسه قبل النوم العادي .

ادمان التدخين والخمر والانحراف

ويستخدم التنويم في شفاء بعض الناس من بعض العادات السيئة كالتدخين وادمان الخمر . ولا بد في مثل هذه الأحوال من صبر طويل وتكرار للايحاءات للحصول على نتائج ايجابية ، كما لا بد من تعاون المريض وارادته الفعالة وتكراره الايحاءات لنفسه .

وقد اثبت التنويم فائدته في علاج بعض الأشخاص المصابين بازدواج الشخصية وأعادتهم الى شخصيتهم العادية السوية .

واخيرا فان بعض المحللين النفسيين يستعملون التنويم للكشف عن الحياة اللاشعورية لبعض المرضى وتشخيص عقدهم النفسية والايحاء اليهم بالعلاج اللازم . والمعروف ان (فرويد) نفسه اكتشف ان ثمة مرضى لا يمكن تنويمهم ، وحينئذ يكون التنويم غير ذي فائدة بالنسبة اليهم ، ولذلك فقد اقترح طريقة المشهورة في التراخي والتمدد على مقعد مريح في غرفة هادئة التنوير ، والتحدث الحر المرسل او الموجه ، وتحليل الأحلام والخواطر وغير ذلك من طرائقه المعروفة .

والخلاصة

فان التنويم ـ بحد ذاته ـ عملية واضحة بسيطة ، والنوم الناتج عنها ظاهرة اصيلة لا يكتنفها غموض أو اسرار ، وهي تعلل بالايحاء . ومن الممكن الافادة منها للغاية مشروعة .

اما ما يقال عن كشف النوم للغيب والمجهول ، ومعرفة الماضي او المستقبل ، او عن معجزات التنويم في شفاء الأمراض والدفع الى القيام بأعمال خارقة ، فأمور تتحدد بالحدود التي اشرت اليها ، ومتى تعدتها دخلت في حيز الدجل والكسب غير المشروع .

والملحوظ بعد هذا ان التنويم الذي احتل شأنا عظيما في النصف الثاني من القرن الماضي تراجع عن هذه المكانة وبدأ يأخذ محله الصحيح ، لا سيما وان الطبين ، الجسدي والنفسي ، اصبحا يملكان اليوم من المعارف والطرق والأساليب والمستحضرات ما يمكنهما من الاستغناء عن التنويم أو التقليل من شأنه الى حد بعيد .

فاخر عاقل

أغنية في الكفرون

على غير ما قصد .. سمع الشاعر كأسه [illegible] جارته الصغيرة على النبع ..

لا تلومي ولومي القدحا … أسكرته نغمة فانتشحا
قطرة شاعرة حنت إلى … شطئ السحر فصارت فرحا
نجمة بيضاء فرت من يدي … فهنيئاً في ندامى مطرحا
شمرة ورد على ربع الصفاء … لامس الورد الندى فانفتحا
ما على أوراقه إن رشفت … همسة من عمري أو قدحا؟
من عينيها والدمى وتر … في نهدي ... إن تصفق مترحا؟
سكر نطفل على أعينكم … وبحنه سكران مدانجرحا؟

* * *

غزل الكفرون أحلام الدنا … فتساءل أحصره واتشحا
وتعبانا هواه حيتة … ما حنتني غصنت فيه وصحا
ونقلنا حلبت في موسم … من [illegible] للحب يختال الضحى
رد هدى الشمس عن أقداحه … أنحني السمر ملأى المرحا
ردها [illegible] التعنرا … [illegible] أصلاعه واسترحا
حسب [illegible] نسعب [illegible] … [illegible] كرم بعدها لا استحى
حسن السمع وحورياته … [illegible] والسمع [illegible] لن نبرحا
نعصر الشعر مصفى فسلا … وموازين والعتاب منحسب

* * *

اسقني يا ناقر الدف الهوى … زنبع الكفرون زهو زنبحا
مد لي من صمتيه شركا … وتحدثني [illegible] هدة أسمحا
لم أقاوم لا تلمني كيف؟ … هو والسحر عسى اصطلحا
مارست الجرح من عاصفة … حضن هيهات الصب أن جرحا
ها هنا كل حصاة شاعر … كل عنقود قصيد فصحا
موجة حمراء عامت بالشذا … من شذا أنا هنا كي تسبحا
أنا روح ضاع .. لموا غيمة … تعلو [illegible] منسرحا

سليمان العيسى — الكفرون

• إحدى القرى في سوريا

مشروع الموحدين لغزو مصر :

● هل بالغ ابن جبير فيما زعم • وصل

● بلغت دولة الموحدين ذروة قوتها في عهد خليفتها يعقوب المنصور

كما بلغت مصر ذروة قوتها في عهد صلاح الدين

● استنصر صلاح الدين الخليفة المنصور

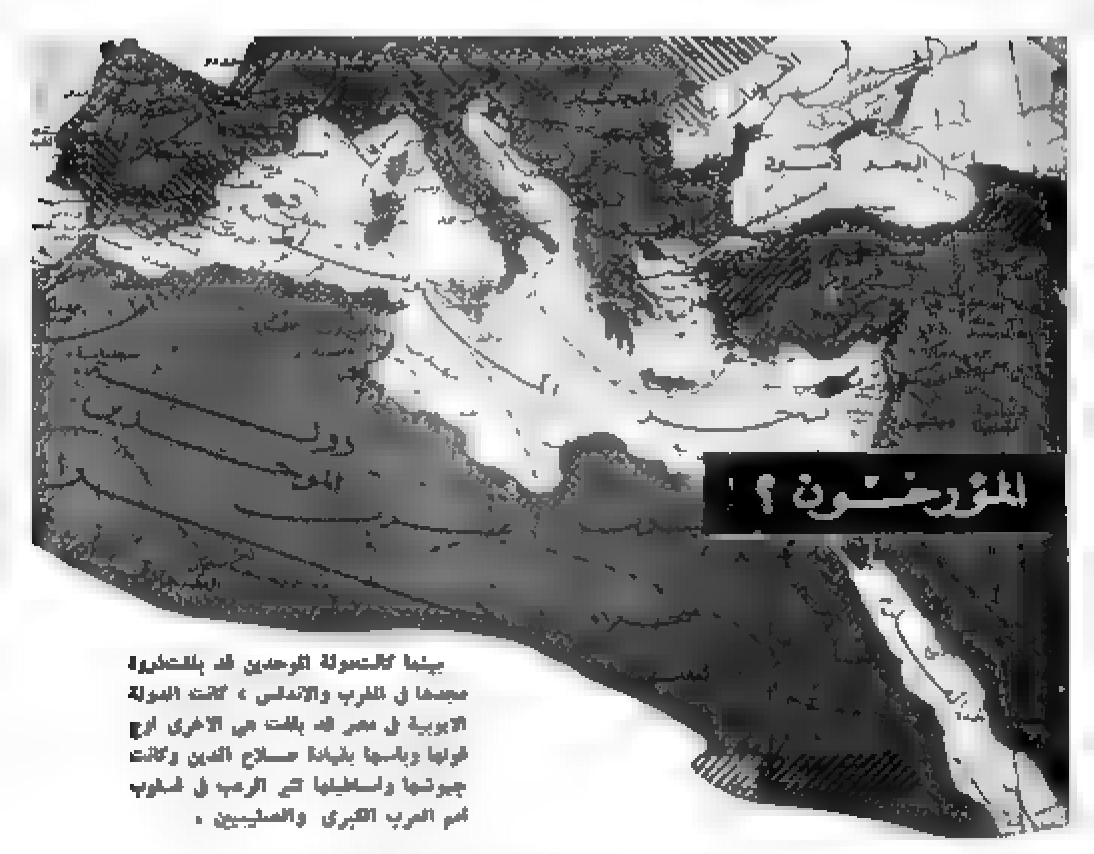
بقلم : محمد عبد الله عنان

■ بلغت الدولة الموحدية الكبرى ، التى قامت بالمغرب والأندلس ، على أساس الدعوة المهدية ـ دعوة المهدى محمد بن تومرت ـ ذروة عظمتها وقوتها فى عهد الخليفة أبى يوسف يعقوب المنصور ، الذى تولى الخلافة منذ سنة ٥٨٠ هـ (١١٨٤م) حتى وفاته سنة ٥٩٥هـ (١١٩٩م) وكان ألمع حادث فى عهده ، انتصاره الباهر فى موقعة الأرك العظيمة على جيوش قشتالة فى سنة ٥٩١ هـ (١١٩٤ م) .

هذا الحشد القوى الظاهر ، تقترن باسمه مسألة من مسائل التاريخ الغامضة ، التى لم تفطن اليها معظم الروايات المتأخرة ، والتى تجد مع ذلك صداها القوى ، فى بعض الروايات والنصوص المعاصرة ، ونعنى بذلك بذلك مشروع الموحدين ونيتهم فى غزو مصر .

دعوة المهدى بن تومرت

وقد قامت دعوة المهدى بن تومرت على نظرية دينية أخلاقية اجتماعية هى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وهو كان خلال رحلته الدراسية بالمشرق



بينما كانت دولة الموحدين قد بلغت ذروة مجدها في المغرب والاندلس ، كانت الدولة الايوبية في مصر قد بلغت هي الاخرى اوج قوتها وبأسها بقيادة صلاح الدين وكانت جيوشها واساطيلها تثير الرعب في قلوب امم الغرب الكبرى والصليبيين .

الصليبيين فلا يعقل أن يغزو المنصور ديار المصريين

يتخذ من هذه النظرية شعاره أينما حل ، ففي سنة ٥١١ هـ اخترق محمد بن تومرت مصر للمرة الثانية في طريق عودته الى المغرب ، ونزل بالاسكندرية ، واقام بها حينا يتلقى دروسه على العلامة ابي بكر الطرطوشي . وهنا نشط الى بث دعوته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واشتد في ذلك ، وخرج من القول الى العمل ، بالتعرض للناس وزجرهم حتى حدث من جراء ذلك شغب ، قيل انه كان سببا في حمل الوالي على نفي ابن تومرت من المدينة . وعلى اي حال فقد غادر ابن تومرت مصر وثغرها ، وهو يحمل عن الحياة الاجتماعية المصرية ، وما يتخللها من ضروب البدع ، وعن المجتمع المصري ، وما يجنح اليه من ضروب المتعة والرفاهية ، واللهو والمرح ، أسوأ الفكر ، واقسى الاحكام .

وشاء القدر ان يكتب الظفر لدعوة ابن تومرت ، وأن تقوم الدولة الموحدية بالمغرب ، وشعارها التوحيد ، واحياء الشريعة ومحاربة البدع ، على انقاض الدولة المرابطة التي نعتتها دعوة المهدي ، بالاغراق في الضلال ومخالفة أحكام الكتاب والسنة ، والخروج على شريعة الاسلام .

الخليفة الموحدي يعقوب المنصور

وكان الخليفة يعقوب المنصور ، وهو ثالث الخلفاء الموحدين ، بعد جده الخليفة عبد المؤمن ابن علي ، وابيه الخليفة ابي يعقوب يوسف ،

يجمع الى عظمة السلطان السياسي ، رسوخ العقيدة ، وشدة الحرص على احكام الشريعة وسننها ، وبالرغم من انه لم يكن من الغلاة في تقدير تراث المهدي بن تومرت وتعاليمه ، وقد احدث ما يمكن ان يسمى انقلابا حقيقيا في ميدان المذهب والعقيدة في الدولة الموحدية فانه كان يشدد في تطبيق احكام الشريعة على حقيقتها ، وفي الدعوة الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واقامة الحدود حتى في اهله وعشيرته ، وكان يذهب في ذلك الى حدود بعيدة ، حتى قيل انه عاقب على شرب الخمر بالقتل ، وكان يشدد في الزام الناس باقامة الصلوات الخمس ، ويأمر بالمناداة عليها ، ويعاقب على تركها .

الى يعقوب المنصور ينسب مشروع فتح مصر

وهذا الخليفة الموحدي التقي الورع ، الحريص على احياء الشريعة وسننها ، هو الذي ينسب اليه مشروع فتح مصر ، وضمها الى الامبراطورية الموحدية ، لانها كانت في نظر الموحدين ، منذ ايام امامهم المهدي بن تومرت ، بلدا يغرق في الضلالات والبدع ، وتشيع فيه المنكرات ، والاستهتار باحكام الشريعة ، ولم يكن ذلك قول رواية عابرة ولكنه بالعكس مشروع ينوه به غير واحد من المؤرخين الرواة .

ما قال الرحالة ابن جبير في ذلك

فيقول لنا المراكشي وهو مؤرخ موحدي النزعة ، ومعاصر لعهد المنصور في كتابه « المعجب » انه « قد بلغه من غير واحد ان المنصور صرح للموحدين بالرحلة الى الشرق ، وانه كان يذكر البلاد المصرية ، وما فيها من المناكر والبدع ، ويقول نحن ان شاء الله مطهروها . ولم يزل هذا عزمه الى ان مات » .

ما قال الرحالة ابن جبير في ذلك

بيد انه يوجد الى جانب هذا النص الموجز ، نص اوفى ، واكثر تفصيلا ، فيما يذكره لنا الرحالة الاندلسي ابن جُبَيْر ، في رحلته ، عن هذه النية الموحدية في غزو مصر ، وصداها في مصر ذاتها . وابن جبير ، معاصر ايضا للمنصور ، ومن اولياء الدولة الموحدية ، وممن خدموها ، وازجوا اليها المدائح الكثيرة . وقد قام ابن جبير برحلته الاولى الى الشرق في سنة ٥٧٨هـ (١١٨٢م) وفيها ادى فريضة الحج وجاور بمكة ثم عاد الى الاندلس . وقام برحلته الثانية الى المشرق في سنة ٥٨٥ هـ (١١٨٩ م) . وعاد الى المغرب ، ثم رحل للمرة الثالثة في سنة ٦٠٢ هـ (١٢٠٥م) وجاور بمكة وبيت المقدس ، وتوفي في الاسكندرية في سنة ٦١٤ هـ (١٢١٧ م) .

ابن جبير يحمل على احوال المشرق العربي

ويحمل ابن جبير في رحلته ، بالجملة على احوال البلاد الشرقية ولا سيما ما كان يقع في مصر ، بلاد الحجاز من الظلم المجحف ، وانتهاب اموالهم ، ويضرع الى الله في ان تنقمع هذه البدع المجحفة بالمسلمين « بسيوف الموحدين انصار الدين ، وحزب الله اولي الحق والصدق ، والذابين عن حرم الله عز وجل والغائرين على محارمه ، والجادين في اعلاء كلمته ، واظهار دعوته ، ونصر ملته » .

ثم يقول ابن جبير في التنديد باحوال المشرق ووصف السلامة « وليتحقق المتحقق ، ويعتقد الصحيح الاعتقاد ، انه لا اسلام الا ببلاد المغرب ، لانهم على جادة واضحة ، وما سوى ذلك مما بهذه الجهات المشرقية فاهواء وبدع ، وفرق ضالة وشيع ، الا من عصمه الله عز وجل من اهلها ، كما انه لا عدل ولا حق ولا دين على وجهه ، الا عند الموحدين اعزهم الله ، فهم آخر ائمة العدل في هذا الزمان ، وكل من سواهم من الملوك في هذا الاوان ، فعلى غير الطريقة يعشرون تجار المسلمين كانهم اهل ذمة ، ويستجلبون اموالهم بكل حيلة ، ويركبون طرائق من الظلم لم يسمع بمثلها ، اللهم الا هذا السلطان العادل صلاح الدين ، الذي قد ذكرنا سيرته ومناقبه ، لو كان له اعوان على الحق » .

ابن جبير ينوه بصدى الدعوة الموحدية في مصر

والمهم من ذلك ما ينوه به ابن جُبَيْر من صدى الدعوة الموحدية بمصر ، وانتشارها بصورة تدعو الى الدهشة ، ومن ان اهل مصر ، بل كلهم

يرمزون بذلك رمزا خفيا ، ويسندون ذلك الى آثار حدثانية وقعت بايدى بعضهم وانذرت بالشىء من الكوائن ... ولم يبق الا القضية المعينة من تملك الموحدين لهذه البلاد ، فهم يستطلعون بها صبحا جليا ، ويقطعون بصحتها ، ويرقبونها ارتقاب الساعة التى لا يمترون فى انجاز وعدها ، فشاهدنا من ذلك بالاسكندرية ومصر وسواهما ، مشافهة وسماعا ، امرا غريبا ، يدل على ذلك الامر العزيز ، امر الله الحق ودعوته الصدق. ونمى الينا ان بعض فقهاء البلاد المذكورة ، وزعمائها ، قد حبر خطبا اعدها للقيام بين يدى سيدنا امير المؤمنين (يريد الخليفة الموحدى) وهو يرتقب ذلك اليوم ارتقاب يوم السعادة ، والله عز وجل ييسرها من كلمة ، ويقربها من دعوة ، انه على ما يشاء قدير » .

وكان للمهدى بمصر اصحاب يؤمنون بدعوته

ونستطيع ان نربط بين هذه الاقوال ، التى يصف فيها ابن جبير صدى الدعوة الموحدية بمصر ، ويعرب عن امله فى امتلاك الموحدين لها ، وذلك خلال مروره بها سنة ٥٧٩هـ (١١٢٨م) اعنى قبيل عهد الخليفة المنصور بقليل ، وبين ما ذكره الفقيه ابو القاسم الامين المصرى فى كتابه المسمى « بالانساب فى معرفة الاصحاب » ، ونقله البيذق مؤرخ المهدى ، عن اصحاب المهدى بمصر ، فقد ذكر لنا من هؤلاء الاصحاب المصريين واحدا وخمسين رجلا باسمائهم ، وقال انهم « كانوا من اعيان بلادهم ، وانهم كانوا سامعين لقوله (اى قول المهدى) مجيبين لامره مؤمنين به ، مختارين صحبته ، مؤازرين لحقه ، مطيعين لصحبته » .

فكرة غزو مصر سبقت الى المهدى بن تومرت ، قبل يعقوب المنصور

ويستخلص مما تقدم ، ومن اقوال ابن جبير خاصة ، انه كانت توجد ثمة فكرة موحدية لغزو مصر ، والاستيلاء عليها ، وتطهيرها من « البدع » وان هذه الفكرة ترجع الى ما قبل عهد المنصور ، بل هناك ما يدل على انها ترجع الى عصر المهدى ذاته ، فقد رأينا كيف كان المهدى اتخذ مقامه بالاسكندرية يبشر بدعوته للامر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وكيف انه كان يبالغ فى ذلك الى حد انه وقع من جراء تصرفاته شغب ترتب عليه اخراجه منفيا من المدينة ، بل قيل اكثر من ذلك ، وهو ايضا مما يرويه لنا المراكشى فى كتابه « المعجب » وهو ان المهدى قال ذات يوم لاصحابه فيما قال ووعدهم به ، وكانوا يجلسون تحت شجرة خروب قبالة تواجه مسجد تينملل (وهى عاصمة المهدى) : « ليُبْصِرَنَّ منكم من طالت حياته ، امراء مصر مستظلين بهذه الشجرة ، قاعدين تحتها » . وهذه الفكرة الموحدية لافتتاح مصر قد تبلورت فيما يبدو فى عهد الخليفة يعقوب المنصور ، واتخذت طابعا قويا ، وذلك لما ابداه المنصور من حزم ، وتوسع عظيم فى اهباته العسكرية ، وما وُفق اليه من انتصارات باهرة فى شبه الجزيرة الاسبانية ولا سيما فى معركة « الارك » الكبيرة (سنة ٥٩١ هـ) وهى التى سحقت فيها الجيوش القشتالية ، ورفعت سمعة الموحدين العسكرية الى ذروتها .

ومصر ، فى ذلك العهد ، كيف كانت ..

بيد انه يجب لكى نقدر مدى هذه الفكرة ـ فكرة الموحدين فى فتح مصر ـ ، من الرصانة ، ان نذكر ما كانت عليه مصر ، فى الوقت الذى يشير اليه ابن جبير فى حديثه .

مصر كانت ، تحت قيادة صلاح الدين فى الذروة من القوة

فقد كانت مصر فى ذلك العهد ، العهد الذى انتهى فيه بقيادتها الى الملك الناصر صلاح الدين ، قد بلغت اوج قوتها وبأسها ، وكانت جيوشها واساطيلها الزاخرة ، قد احرزت على الصليبيين سلسلة من الانتصارات الباهرة ، وقضت على المملكة اللاتينية الصليبية فى بيت المقدس ، واصبحت قوتها مثلا للروع بين امم الشرق الكبرى .

صلاح الدين استنصر بعاهل الغرب يعقوب المنصور

اجل ان الملك الناصر صلاح الدين ، حينما

هزمت جيوش الغرب واساطيله الضخمة الى الشام ، عقب افتتاحه لبيت المقدس (٥٨٣هـ) كان قد فكر في ان يستنصر بعاهل الغرب الخليفة يعقوب المنصور ، الذي يمده بشطر من الاساطيل الموحدية لتعاونه على رد عدوان الصليبيين ، وكان قد ارسل بالفعل الى الخليفة الموحدي رسالة بليغة بهذا المعنى ، مدبجة بقلم القاضي الفاضل، وذلك في سنة ٥٨٥هـ ، ولما لم يستجب المنصور الى ندائه ، عاد في العام التالي (٥٨٦هـ) فبعث اليه سفارته الشهيرة على يد وزيره ابن منقذ يكرر نفس الصريخ ، ويشرح للخليفة ما يواجهه من عدوان الحشود الصليبية الضخمة ، البرية والبحرية . وكان الخليفة المنصور يشتغل يومئذ بالحرب في اراضي البرتغال . فلما عاد الى مراكش ، استقبل السفير المصري ، ووقف على مضمون سفارته ، ولكنه اعتذر بعدم امكان الاستجابة الى صريخ زميله عاهل الشرق .

ما استنصر صلاح الدين
يعقوب المنصور عن وهن وضعف

اجل قام صلاح الدين بهذا السعي لدى الخليفة الموحدي ، ولكن ذلك لم يكن عنوان الضعف او الوهن ، ولكنه كان عنوان فكرة نبيلة ، هي فكرة التضامن الاسلامي ، والتعاون المشترك في مكافحة العدو المشترك ، والجهاد المشترك في سبيل الله .

ان صحت النية في غزو مصر
فما كانت الا حلما

ولم يكن ثمة ريب في ان الموحدين كانوا يعرفون ما كانت عليه مصر من القوة ، وضخامة الموارد والحشود البرية والبحرية في هذا العهد ، فكيف نستطيع مع ذلك ان نؤمن بان الموحدين كانوا يحتضنون مشروع افتتاح مصر بصورة جدية ، وان الخليفة المنصور ، كان حسبما يخبرنا المراكشي ، ينوي تنفيذ هذا المشروع الضخم ؟ اكبر الظن ان مثل هذا المشروع ، ان كان ، لم يكن سوى امنية تعيش بأذهان الموحدين ، وهم في ذروة حماستهم الدينية . امنية ربما كانت تطبعها في نفس الوقت الوافر من الاطماع السياسية الضخمة في فتح قطر عظيم كمصر ، كانت ثرواته وموارده الزاخرة تجتذب انظار دولة قوية عظيمة كالدولة الموحدية .

سابقة الفاطميين
هل اغرت الموحدين ؟

ولقد كان ثمة سابقة بارزة، وهي الفتح الفاطمي لمصر ، وهو ايضا مشروع دولة مغربية قوية ، تسير غازية خلال القفر ، وتفتح هذه الدرة الخضراء ـ مصر ـ بايسر امر . ولكن شتان بين العصرين وبين الظرفين . وذلك ان مصر كانت في عصر صلاح الدين ، وايام المنصور ، اعظم دول المشرق واقواها ، فلم يكن من المعقول ان يفكر الموحدون في غزو مثل هذه الامبراطورية الاسلامية الضخمة التي تحطمت على صخرة قوتها الراسخة حملات الصليبيين المتوالية . ومن جهة اخرى فان قصور الموحدين في هذا الوقت بالذات ، عن القضاء على ثورة بني غانية في افريقية بصورة حاسمة ، واستمرار هذه الثورة المتجددة ايام المنصور ، ومن بعده اعواما طويلة، يقطع بان فكرة غزو مصر ، ان كانت ، لم تكن لدى الموحدين سوى امنية خيالية بعيدة المنال .

وابن جبير ، لعل اتباع المهدى في مصر خدعوه

كذلك يلوح لنا ان ما يذكره الرحالة ابن جبير عن انتشار فكرة الغزو الموحدي بمصر ، وما كان يحس به الناس من ذلك الامر ، وما كان يخالجهم من امل في تحقيقه ، انما هو مبالغة ترجع الى ولاء ابن جبير للدولة الموحدية التي خدم في ظلها ونشأ برعايتها . والغالب الغالب ان ابن جبير تلقى اخباره من بعض الغلاة المتعصبين من اتباع المهدي وانصاره بمصر ، فصورها على انها تعبير في الحالة النفسية للامة المصرية ، وهو ما يعتبر في نظرنا من ضروب المغالاة التي لا يوجد ما يسوغ الاخذ بها او الاعتقاد في صحتها .

محمد عبد الله عنان

مِن بَيت الحِكمَة ..

إلى دَار الحِكمَة

بقلم: الدكتور عبد الحليم منتصر

مدير جامعة الكويت

المؤرخون على ان دور الكتب، قد ادت في العصر الاسلامي الزاهر، ما تؤديه معاهد العلم والجامعات في العصر الحاضر. فقد كانت الكتب قبل اختراع الطباعة ان هي الا مخطوطات غالية الثمن لا يطيق اقتناءها الا الاغنياء، ومن حسن حظ العلم والحضارة الاسلامية، ان لما عدد من هؤلاء القادرين من محبي العلم الى انشاء المكتبات، واباحة الاستفادة منها لجمهور الراغبين في الاستزادة من المعرفة، فعرفت مكتبات خاصة كثيرة كان لها شأن أي شأن.

منها «خزانة الحكمة» التي انشأها على بن يحيى المنجم في ضيعة له بالقرب من بغداد، ويروي ياقوت أن الناس كانوا يقصدونها من كل بلد، يتعلمون منها الوانا من العلم وضروبا من المعرفة، والكتب مبذولة لهم، والصيانة مشتملة عليهم، والنفقة في كل ذلك من مال «على ابن يحيى».

ومنها «دار العلم» التي انشأها بالموصل، ابو القاسم جعفر بن محمد ابن حمدان الموصلي، جعل فيها خزانة كتب، ووقفها على كل طالب علم، واذا جاءها غريب معسر، اعطاه صاحب الدار ورقا وورقا. ومكتبة «ابن سوار» بالبصرة. ومكتبة «خالد بن يزيد» وهو اول من عرفت له مكتبة في الاسلام فيما يروي «كرد علي»، فقد عنى باخراج كتب القدماء، واحضر جماعة من فلاسفة اليونان وامرهم بنقل الكتب الى اللغة العربية. ومن هذه المكتبات الخاصة: مكتبة «الناصر لدين الله» و «المعتصم بالله» و «الفتح بن خاقان» و «حنين ابن اسحق» و «المعطى» و «ابن الخشاب» و «الاصفهاني» و «ابن العميد» وغيرها كثير.

مكتبة الاسكندرية

اما المكتبات العامة، فلعل اشهرها فيما يروى «مكتبة الاسكندرية» التي كانت ملحقة بجامعة الاسكندرية القديمة، والتي انشأها البطالمة في القرن الثالث



قبل الميلاد ، والتي احترقت في عهد قيصر ، ويروى انه كان بها آنئذ نحو خمسمائة الف مجلد ، وقد نقل اليها « انطونيو » ما كان بمكتبة « برجامون » بآسيا الصغرى من كتب . ويقال انه بلغت نحو مائتي الف مجلد ، اهداها « انطونيو » الى « كليوباطرة » ليعوضها بعض الخسارة عن حرق مكتبة الاسكندرية .

وهناك مكتبتان ، يزدهي بهما العصر الاسلامي ، هما « بيت الحكمة » في بغداد و « دار الحكمة » بالقاهرة .

بيت الحكمة

انشأ « بيت الحكمة » هارون الرشيد ، ووصل النشاط فيه ذروته في عهد « المأمون » حيث نشطت الترجمة ونقل العلوم من اللغات اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والآرامية . وكان الرشيد قد نقل اليه ما وجده من كتب في أنقرة وعمورية وبلاد الروم التي غزاها المسلمون . وقلد « يوحنا بن ماسويه » الاشراف على ترجمة الكتب القديمة ، كما عين المأمون « سهل بن هارون » مشرفا على هذه المكتبة ، وكانت بها مجموعات من الكتب اليونانية أهديت الى المأمون من صاحب جزيرة قبرص ، وأخرى جاءته من القسطنطينية ، كان المأمون قد طلبها من ملك الروم . وقد صنفت الكتب حسب موضوعاتها ، واختير لها المترجمون ممن لهم خبرة معينة بهذه الموضوعات ، التي يترجمونها ، فضلا عن اجادتهم للغتين العربية واليونانية .

ومن مشاهير المترجمين في عهد الرشيد « أبو سهل الفضل » و « يوحنا ابن ماسويه » و « ابن البطريق » و « حنين بن اسحق » و « عمر بن الفرخان » و « ثابت بن قرة » وغيرهم . وكان بالمكتبة نساخ يؤتى لهم بالكتب لينقلوا صورا منها ، واذا عنى صاحب الكتاب ، اتصل النساخ به ، وكان النساخ يتداولون العمل ليلا ونهارا .

وقد بلغت مكتبة بيت الحكمة أوجها في عصر المأمون . لقد كانت بمثابة مركز علمي ممتاز ، شمل علوم الطب والفلسفة والحكمة ، وكان المأمون مثال الخليفة العالم الذي يحب العلم وقته ورعايته ، يعطف على العلماء ويزين بهم مجالسه ، ويغدق عليهم . قيل انه كان احيانا يدفع وزن ما يترجم ذهبا . وكان المأمون أول من نادى بأن لا يكون نشاط بيت الحكمة موقوفا على سخاء الخلفاء والأمراء ، فهيأ للعلماء أرزاقا يتقاضونها من أوقاف ثابته .

ويعتبر بيت الحكمة أول مكتبة عامة ذات شأن في العالم الاسلامي ، انفقت عليها الدولة العباسية بسخاء ، كان يجتمع فيها العلماء للدرس والبحث ، ويلجأ اليها الطلاب للقراءة والتعلم ، ومن أسف أن أهمل المعتصم شأن هذه المكتبة العظيمة ، وتوالت الأحداث بعد ذلك ، الا انها ظلت محتفظة بكيانها الى أن داهم التتار بغداد ، فدالت دولة هذا المعهد العظيم ، الذي لعب دورا عظيما في نقل العلوم والمعارف الأجنبية الى اللغة العربية .

دار الحكمة

أما « دار الحكمة » فقد أنشأها بالقاهرة الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥ هـ . ويروى المؤرخون أن قد حملت اليها الكتب من خزائن القصور ، وحمل اليها من خزائن الحاكم من الكتب ما لم ير مثله مجتمعا لأحد الملوك أو الخلفاء قط . وأجرى الحاكم بأمر الله الأرزاق على من في دار الحكمة من العلماء والفقهاء والأطباء ، وأباح دخولها للناس للقراءة والكتابة والنسخ والتعلم والترجمة ، كما أباح عقد الاجتماعات العلمية ، فيحضر العلماء للمناظرة في المسائل العلمية . وكان الحاكم حريصا على حضور هذه الاجتماعات بنفسه ، وكان يخلع على العلماء الخلع السنية . وقد أوقف الحاكم بأمر الله على بيت الحكمة أوقافا عظيمة ، وكان يؤكد أنها أبدية ، لا يوهيها تقادم السنين . لولا أن الزمن الدوار كان

لها هي الأخرى بالرصاد ، فدالت دولتها في القرن السادس الهجرى .

المؤرخ بلتون يصف المكتبات العربية العامة

ويروى المؤرخ « بلتون » الكثير من مدى اهتمام المسلمين بأبنية المكتبات العامة، فيقول كان البناء مزودا بحجرات متعددة ، تربطها أروقة فسيحة ، وكانت الرفوف مثبتة بالجدران لتوضع فيها الكتب ، وكانت تخصص بعض الأروقة للاطلاع ، كما تخصص أماكن للنسخ ، وأخرى لعقد حلقات الدراسة والمناظرة ، ويروى غيره أن ثمة حجرات تخصص للموسيقى ، يلجأ اليها المطالعون للترفيه وتجديد النشاط ، وكانت جميع الحجرات باحرة الأثاث والرياش ، وقد فرشت الأرض بالأبسطة ، وأرخيت على النوافذ والأبواب الستائر الجميلة ، وثمة ستارة سميكة تغطى المدخل ، حتى تحول دون دخول تيارات الهواء البارد في الشتاء .

المقريزى يشيد بدار الحكمة

وكذلك يروى « المقريزى » أن دار الحكمة بالقاهرة ، لم تفتح أبوابها للجماهير الا بعد أن فرشت وزينت وزخرفت ، وعلقت على جميع أبوابها وممراتها الستور ، وعين لها القوام والخدم . يقول وكان البناء عظيما جدا، اذ كانت هذه الخزائن برسم الكتب في سائر العلوم أربعين خزانة ، تتسع الواحدة منها لنحو ثمانية عشر ألف كتاب وكانت الرفوف مفتوحة ، والكتب في متناول الجميع ويستطيع الراغب أن يحصل على الكتاب الذى يريده بنفسه ما تيسر له ذلك ، فاذا ضل الطريق استعان بأحد المناولين .

فهارس منظمة

وكان بهذه المكتبات فهارس منظمة ، يروى ابن سينا والحسن بن سهل ، والبيهقى وابن الجوزى وغيرهم من دقة هذه الفهارس الشىء الكثير ، وكانت الاستعارة مباحة،فما قيود يسيرة لتنظيم العمل ، وأحيانا يطلب الى المستعير أن يدفع ضمانا،ولكن بعض العلماء وأفاضل الناس من دفع هذا التأمين .

وكان يتولى أمانة هذه المكتبات علماء ممتازون من أمثال سهل بن هارون وكان أمينا لبيت الحكمة ، و « على بن محمد الشابشتى » وكان أمينا لدار الحكمة .

ماذا كان يؤول اليه الحال لو بقيت هاتان المكتبتان تؤديان وظيفتهما في نشر العلم والمعرفة في ربوع الوطن العربى ، لقد كان لهما فعل السحر في اذكاء روح النهضة العلمية في المشرق والمغرب العربيين على السواء ، في الوقت الذى كانت فيه أوروبا غارقة ما تزال في دياجير الجهالة والظلام . وقد كانت هذه الحقبة التى ازدانت بهاتين المكتبتين من أزهى عصور الحضارة العلمية الاسلامية، وسطع في سمائها عدد من العلماء ، ممن يزدهى بهم العلم في كل عصر وآن ، ممن نقلوا ودونوا معارف الاغريق ، وزادوا عليها وأضافوا اليها ، وممن ابتكروا في علوم الطب والفلك والكيمياء ، والجبر والطبيعة والنبات والحيوان والمعادن وما اليها من معارف ، وذلك بطبيعة الحال بالاضافة الى العلوم الدينية واللغوية ، وممن نقل علماء أوروبا، بل ظلت كتب بعضهم هى العمدة عند أهل الصناعة في كثير من جامعات أوروبا في القرون الوسطى ، وكان بعضها يدرس في تلك الجامعات حتى القرن السابع عشر .

لو كتب لهذه النهضة العلمية التى شع نورها من بيت الحكمة في بغداد ، ودار الحكمة في القاهرة ، أن يبقى ضوءها متوهجا خلال قرون الظلام التى رانت على الوطن العربى من التتار والترك والاستعمار الغربى ، لكان وطننا العربى قائد هذه النهضة العلمية التى يندد بها الغرب علينا في هذه الأيام .. ■■

عبد العظيم منتصر



بقلم : محمد مرسى الخولى

■ يحفل تاريخ الأدب العربى بالمطارحات العلمية التى كانت تتناول كل فن على أيدى المتخصصين فيه. وتبدو تلك الظاهرة واضحة فى القرنين الثانى والثالث ، حين بدأ العلماء فى وضع قواعد العلوم عامة ، وإرساء دعائمها قبل البدء فى تدوينها على ما انتهى اليه الرأى السليم فيما بينهم بعد إعمال النظر وإجالة الفكرة والاستناد على أسمى الوارد والخبر الصحيح .

وكانت اللغة بموادها المختلفة من الساحة التى اشتد إقبال العلماء على تناولها بالبحث والنظر ، فضلا عن أنها الناحية الأثرية التى لا يخشى الباحث فيها من الوقوع فى مزالق الزلل ومهاوى الضلال ، فقد اشتدت الضرورة الى تدوينها بعد أن اختلطت الأمة العربية بغير المتكلمين بلسانها من الشعوب .

ولهذا فقد امتلأت محافل علماء اللغة — فى البصرة والكوفة وبغداد — بالمنا

من المناظرات التي كانت تبحث عن الحقيقة وتنشد المعرفة ، وهي في اثناء ذلك تثير في النفس الكثير من المتعة بما تحوي من طرافة .

ويحفظ لنا تاريخ تلك المناظرات اللغوية ومحافلها ، شخصية عالم كبير ، كان من أقوى المناظرين شكيمة وارسخهم قدما ، حتى ليصح ان يطلق عليه لقب : المناظر الذي لم يهزم قط ، ذلك هو علي ابن حمزة الكسائي .

الكسائي ، ومنزلته العلمية

يحتل الكسائي منزلة سامية بين علماء عصره ، فهو شيخ أئمة الكوفة في النحو ، واحد القراء السبعة المشهورين في الامصار ، ومن اوائل من اسهموا في وضع قواعد العربية وارساء دعائمها .

ومن المعروف انه نشأ بالكوفة ، ونال مركز الصدارة بين علمائها ، ثم رحل الى بغداد حيث استفاضت شهرته فيها ، وعرف له الخليفة المهدي هذه المكانة فاسند اليه مهمة تثقيف ولده الرشيد ، ولما تولى الرشيد الخلافة عهد اليه بمهمة تأديب ولديه : الامين والمأمون ، فقام الكسائي باداء المهمة على خير وجه ، الا رفعه الرشيد بعدها من طبقة المعلمين والمؤدبين الى طبقة الجلساء والمؤنسين .

اتجالسني وانت تلحن

ومن العجيب ان الرجل الذي وصل الى هذه المرتبة ، قضى شبابه كله وصدرا من كهولته ، وهو ابعد الناس عن العلم ، ولو ان عرّافا اسرّ اليه بانه سيصبح من أئمته في المستقبل لظنه يسخر منه او يهزأ به ، ولكن الذي حدث ان الكسائي ، وكان يذهب كثيرا لمجالسة صديق له من العلماء ، ذهب ذات مرة الى صديقه هذا ، وهو في حالة شديدة من التعب والارهاق ، فلما سأله الرجل عن حاله ، قال الكسائي : لقد عَيِيتُ ، فاظهر الرجل اشمئزازه وسخطه من هذه الكلمة وقال له : اتجالسني وانت تلحن ؟ فقال الكسائي كيف لحنت ؟ فقال له : ان كنت اردت من انقطاع الحيلة والتحير في الامر ، فقل عَيِيتَ مخففا ، وان كنت اردت من التعب ، فقل : أعْيَيْتُ .

فانف الكسائي من هذه الكلمة ، ثم قام من فوره ذاك ، فقال : من يعلم النحو ؟ فارشدوه الى معاذ بن مسلم الهراء ، فلزمه حتى انفد ما عنده .

من اين اخذت علمك هذا

ثم لم يكتف الكسائي بما اخذه عن استاذه من علم كان كفيلا على التحقيق الا يجعله يقع فيما استنكفه من نفسه من لحن ، ويبدو ان نفسه قد تفتحت للعلم ، وطمح بآماله الى بلوغ مرتبة اعلى من مرتبة الذي اخذ بعضهم عليه زلة الوقوع في اللحن ، فرحل الى البصرة حيث جلس في حلقة عالمها الكبير الخليل بن احمد ، وقد ادهشه ما يتمتع به الخليل من وفرة العلم واتساع المعرفة ، فسأله في لحظة من لحظات اعجابه به مأخوذا : من اين اخذت علمك هذا ؟ فاجاب الخليل : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة . وسرعان ما كان الكسائي يشد رحاله الى تلك البوادي ، يسمع عن اعرابها من غريب اللغة ونوادرها ما انفد في كتابته خمس عشرة قنينة حبر ، سوى ما حفظ ، ورجع بعد ذلك الى الكوفة ، وقد وعى من العلم الشيء الكثير .

أولى مناظراته العلمية
اهمز الحوت كما اهمز الذئب

لم يكن الكسائي بعد ذلك في حاجة الى شيء الا ان يعترف له جمهور أهل العلم في الكوفة بما حصله من علم حتى يجد له مكانا لالقاء دروسه في المسجد الجامع ، وكان أقصر الوسائل الى ذلك لديه ، هو ان يخوض غمار مناظرة مع أحد الأعلام على مرأى من جمهورهم ، حتى يعترفوا بحقه في ذلك .

ويروي خلف بن هشام البزاز ـ أحد تلامذته ـ ان الكسائي دخل مسجد السبيع بالكوفة مع أذان الفجر ، وكان حمزة بن حبيب الزيات ، أحد قراء الأمصار السبعة الأعلام ، يتصدر للاقراء فيه . وكان من عادته ان يجلس لتلامذته بعد الصلاة يستمع الى قراءتهم مصححا لهم وموجها ، فلما قضيت الصلاة تقدم الكسائي للقراءة بين يديه ، فابتدأ بسورة يوسف ، فلما بلغ الى قصة الذئب ، قرأ : « فأكله الذيب » بغير همز ، فرمقه القوم بأبصارهم ، وقال له حمزة مصححا ما سبق به الكسائي : وكذلك أهمز الحوت في قوله تعالى : « فالتقمه الحوت » ؟ قال : لا ، قال : فلم همزت الذئب ولم تهمز الحوت ؟ وهذا فأكله الذئب وهذا فالتقمه الحوت ؟ فرفع حمزة بصره الى خلاد الأحول أنبغ تلامذته ، فتقدم اليه في جماعة من أهل المجلس ، فناظروا فلم يصيبوا شيئا ، فقال خلاد : أفدنا يرحمك الله ، فقال الكسائي : [illegible] في هذا أنك اذا نسبت الرجل الى الذئب تقول : قد استذأب الرجل ، ولو قلت : قد استذاب بغير همز لكنت انما نسبته الى الهزال ، تقول : استذاب الرجل ، اذ استذاب شحمه ، من غير همز ، واذا نسبته الى الحوت : تقول : استحات الرجل ، أي كثر أكله ، لأن الحوت يأكل كثيرا ، ولا يجوز فيه الهمز . وفيه معنى آخر : لا تسقط الهمزة من فرده ولا من جمعه ، وأنشدهم :

أيها الذئب وابنه وأبوه
أنت عندي من أذؤب ضاريات

وحقق الكسائي بهذه المناظرة ما كان يهدف اليه ، فقد اعترف له جمهور أهل العلم في الكوفة بما كان يرجوه ، ومازالت مكانته العلمية بينهم تعلو حتى أصبحت له الصدارة على علمائها الى أن فارقها الى بغداد .

احدى مناظراته في بغداد

رحل الكسائي الى بغداد لتتبعه شهرته كعالم فذ من علماء اللغة ، وكان عليه لكي يقرر هذه الحقيقة ويزيدها تأكيدا أن يخوض كثيرا من المناظرات النحوية التي كان يخرج منها كلها غالبا منتصرا .

وقد حدث ذات مرة أن اجتمع الكسائي وأبو يوسف القاضي عند الرشيد ، فجعل أبو يوسف يذم النحو ويقول : وما النحو ؟ فأظهر الكسائي دهشته واستياءه لصدور هذا القول عن عالم مثله ، وقال له : ما تقول في رجل قال لرجل : أنا قاتل غلامك ، وقال له آخر : أنا قاتل غلامك ، أيهما كنت تأخذ به ؟ قال : آخذهما جميعا ، فقال له هارون : أخطأت ، وكان له علم بالعربية فاستحيا ، وقال : كيف ذلك ؟ قال الكسائي : الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال : أنا قاتلُ غلامِك بالاضافة لأنه فعل ماض ، وأما الذي قال : أنا قاتلٌ غلامَك بالنصب فلا يؤخذ لأنه مستقبل لم يكن بعد ، كما قال الله عز وجل : « ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله » ، فلولا ان التنوين مستقبل ما جاز فيه غدا .

قصة العقرب والزنبور

ولعل أشهر مناظرة خاضها الكسائي في بغداد ، هي تلك المناظرة المعروفة ، التي جرت بينه وبين سيبويه امام النحاة البصريين ، على مشهد من العلماء في مجلس البرامكة ، وهي تتلخص في ذلك السؤال الذي وجهه الكسائي الى سيبويه قائلا : كيف تقول : كنت اظن ان العقرب اشد لسعة من الزنبور فاذا هو هي ، او فاذا هو اياها ؟ فقال سيبويه : اقول فاذا هو هي ، ولا يجوز النصب . فقال له : اخطأت ، العرب ترفع ذلك وتنصبه . وحينئذ اصر سيبويه على رأيه ، وصمم الكسائي على ورود الوجهين . وكان ان استدعى يحيى بن خالد البرمكي الاعراب الواقفين على بابه لتحكيمهم في الامر ، فشهدوا ان القول ما قال الكسائي .

هذه هي خلاصة المناظرة الشهيرة ، التي كان من نتيجتها ان ترك سيبويه بغداد ، ورحل الى قريته « البيضاء » في فارس ، ثم لم يلبث بعد ذلك ان مات وهو في ريعان رجولته حزينا آسفا .

هل كانت تمثيلية مرتبة ؟

ولا شك ان ما مني به الرجل من فشل ، ثم انزواءه وموته ، كان لهما اكبر الاثر في اعطاء هذه المناظرة اكثر مما تستحق من نقاش وجدل ، فقد انبرى انصار سيبويه لمهاجمة الكسائي والحط من شأنه ، فاتهموه بالجهل ، وقالوا : ان هذه المناظرة لم تكن الا تمثيلية مرتبة احكم وضعها مع الاعراب الذين شهدوا معه وقبضوا ثمن شهادتهم قبل الادلاء بها ، وان الكسائي خشي على مكانته من خصمه ففعل ذلك وهو يعلم ان الحق ليس معه . الى غير ذلك من التهم التي يطول بنا الامر لو اوردناها ، واوردنا الردود عليها .

والواقع ان الرجل كما يتضح من تاريخ حياته العلمية يبدو اكبر من ان يسلك هذا المسلك في سبيل النيل من خصمه ، وقد ادلى في مناظرته معه بما كان يعتقده صوابا ، ومما صح لديه من كلام العرب حتى قبل ان يعرف ان ثمة مناظرة ستجري بينهما في يوم من الايام . ونظرة الى مذهب مدرسة الكوفة في النحو توضح لنا الرأي الذي ادلى به الكسائي ، فمن المعروف ان مذهبهم في اللغة يقوم على الفسحة والتوسع فيها ، ولهذا فهم مثلا يعتبرون الشاذ والضرورة من كلام العرب ليسا خطأ — وان كانا قليلين — ويجيزون القياس عليهما بناء على ذلك ، على حين ان مدرسة البصرة التي يمثلها سيبويه تتشدد في ذلك وتأبى الاعتراف بغير المتواتر الكثير الورود من الكلام ، وما عداه خطأ لا يجوز القياس عليه ، وقد ادلى كلا الرجلين بما يؤمن به وما صح عنده من غير حاجة الى تواطؤ من الكسائي مع الاعراب لتقرير شيء لم يرد في كلام العرب اختلاقا وكذبا ، وكيف وهو الذي شهد له معاصروه بالصدق والعلم . يقول ابن الاعرابي : ما جربت على الكسائي في كذبة قط . ويقول اسحق الموصلي : ما رأيت اعلم بالنحو قط منه ، ولا احسن تفسيرا ، ولا احذق بالمسائل .

المناظرة المزعومة

ولعل من اطرف المفتريات التي حاكها خصوم الكسائي في حقه ، هي تلك المناظرة التي يروون انها جرت بينه وبين اثنين من المتكلمين الحذاق ، وانه قد هزم فيها هزيمة ساحقة .

فقد ذكر عبد الرحمن بن علي اليزدادي اللغوي في كتابه «جلاء المعرفة» ان ابراهيم النظام وضرارا الكوفي اجتمعا بين يدي الرشيد فتناظرا في القدر حتى دقت مناظرتهما على بعضهما ، فقال لبعض غلمانه اذهب بهذين الى الكسائي

حتى تناظرا بين يديه ثم يخرجا من المجلس معهما ، فلما صارا في بعض الطريق ، قال النظام لضرار : أنت تعلم أن الكسائي لا يحسن شيئاً من النظر وإنما معوّله على النحو والحساب ، ولكن تهيىء له مسألة نحو وأهيىء له مسألة حساب فنشغله بهما ، ألا لا نأمن أن يسمع منا ما لم يسمعه ولم يبلغه فهمه ، أن ينسبنا إلى الزندقة . فلما صارا إليه سلما عليه ، ثم بدأ ضرار فقال : أسألك ـ أصلحك الله ـ عن مسألة في النحو . قال : هاتها ، قال : ما حد العامل والمعمول به ؟ قال الكسائي : حد العامل الرفع أبداً ، وحد المعمول به النصب أبداً . قال : فكيف تقول ضرب زيدٌ ؟ قال : ضرب زيدٌ . قال : فلم رفعت زيداً وقد شرطت أن المعمول به منصوب أبداً ؟ قال : لأنه لم يسمّ فاعله . قال له : إذن أخطأت في العبارة إذ لم تقل إن من المعمول من إذا لم يسمّ فاعله كان مرفوعاً .

ثم تقدم بعد ذلك إبراهيم النظام فقال : أسألك ـ أصلحك الله ـ عن مسألة من الحساب . قال : قل . قال : كم جذر عشرة ؟ قال : أجمع الحُسّاب على أنه لا جذر لعشرة . قال : فهل علم الله جذرها ؟ قال : الله عالم كل شيء . قال : فما أنكرت أن يكون الله إذ علم كل شيء ألقاه إلى نبي من أنبيائه ، ثم ألقاه ذلك النبي إلى صفي من أصفيائه فلم يزل ذلك العلم يمضي حتى صار علم جذر عشرة عندي ، وأكون أعلم جذرها ، ولا تعلمه أنت وتكون مخطئاً فيما قلت .

وتقول القصة بعد ذلك : إن الكسائي التفت إلى الغلام ، وقال له : اذهب بهذين إلى أمير المؤمنين فقل له : إنهما زنديقان كافران بالله العظيم . ولكن الغلام ـ وكان لبيباً حصيفاً ـ أحسن العبارة عنهما عند الرشيد فأمر لهما بجائزة سنية وصرفهما .

ونظرة واحدة إلى سذاجة المادة التي كوّنت منها تلك المناظرة تظهر بجلاء ضعفها وافتعالها . ويقول ياقوت الذي نقل القصة عن ذلك الكتاب المفقود : إن هذه الحكاية عندي مصنوعة باردة ، وإنما كتبتها لكوني وجدتها بخط رجل عالم .

آخر مناظرة له

بعد المناظرة التي جرت بين الكسائي وسيبويه ، يمكننا أن نقول : إن سيبويه كان ولا شك آخر الشخصيات العظيمة التي ناظرها الكسائي ، فقد كان أنبغ من أنجبهم العصر من رجالها بعد الخليل ، وحسبه مكانة أنه صاحب « الكتاب » الذي لم يؤلف في العربية أتم ولا أكمل منه حتى الآن .

وقد عاش الكسائي بعد ذلك علماً شامخاً معترفاً بنبوغه ووفرة علمه من علماء عصره جميعاً ، ويتضح ذلك بجلاء من قصة مناظرة ، لعلها آخر مناظرة جرت بينه وبين أحد من العلماء ، وهو الفرّاء .

يقول الفرّاء : مدحني رجل من النحويين فقال لي : ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في النحو ؟ فأعجبتني نفسي فأتيته فناظرته مناظرة الأكفاء ، فكأني كنت طائراً يغرف من البحر بمنقاره .

وقد مات الكسائي في سنة تسع وثمانين ومائة ، وهي السنة التي مات فيها الفقيه الكبير محمد بن الحسن الشيباني ، وكانا معاً في صحبة الرشيد في رحلة بالري ، فحزن الخليفة عليهما حزناً شديداً ، وعبر عن حزنه وتقديره بقوله : دفنت الفقه والنحو في يوم واحد بالري . ■■

محمد عرسي الخولي
معهد المخطوطات ـ جامعة الدول العربية بالقاهرة



قام بهذا الاستطلاع
سليم بسيسو

وصوره
((اوسكار))

● هل يتصور انسان وجود مدينة ليس فيها من لم يتناول اسمها او في يومه طعاما يعمر او لقامه ؟ وهل يتصور احد مدينة يقرب عدد سكانها من اربعين الف نسمة ولا يوجد فيها سينما حتى هذه السنة ، سنة ١٩٦٤ ؟ ان هذه المدينة موجودة فعلا . انها مدينة الخليل ، او خليل الرحمن ، او مشهد الخليل ، كما اسماها العرب عند فتح فلسطين في اوائل العهد الاسلامي ، وكان اسمها قبل ذلك حبرون .

لا بد وان هناك سببا لعدم وجود اثر للجوع في هذه المدينة ، ولعدم وجود دور للسينما ، وكذلك لعدم وجود خمر تشرب ، او مكان لمار يلعب او ملهى او ناد ليلي . والسبب واضح وهو ان هذه المدينة قد انبثقت حول الحرم الابراهيمي الشريف ولهذا الحرم مكانته وقدسيته وحرمته وقد اوقفت عليه الاوقاف الكثيرة منذ اوائل الفتح الاسلامي ، وخصص ريع هذه الاوقاف لخدمة الحرم ، وصيانته واعماره ، واطعام الطعام لكل من يطلبه من اهل المدينة او الغرباء في كل يوم .





موقعها

« على سمت بيت لحم ، في الجنوب ، مدينة صغيرة ... في وهدة بين جبال كثيرة ، كثيفة الأشجار . وأشجار هذه الجبال ، وسائر جبال فلسطين وسهلها ، زيتون وتين وجميز وعنب » .

بهذا وصفها الاصطخري في المسالك والممالك

وقال فيها ابن بطوطة : « مدينة صغيرة المساحة كبيرة القدر ، حسنة المنظر ، عجيبة المخبر ، في بطن واد » .

تقع مدينة الخليل على بعد ٢٠ ميلا الى الجهة الجنوبية الغربية من القدس ، وترتفع عن سطح البحر بحوالي ثلاثة آلاف قدم ، وتربطها بالقدس طريق معبدة ، كما كانت تربطها ببئر السبع ، في جنوب فلسطين ، طريق معبدة أيضا . ومن هناك كانت الطريق تتفرع الى فرعين : احدهما يصلها بغزة ، والآخر يصلها بالقاهرة . ولكن كارثة فلسطين، واحتلال اليهود لجزء من الوطن العربي، قد فصل بين الخليل وبين هذه الأجزاء من الوطن العربي .

كانت المسافة بين الخليل وبئر السبع تقرب من خمسين كيلو مترا ، ومن بئر السبع الى غزة مثلها أو أقل قليلا . وكانت السيارة تقطع المسافة من الخليل الى غزة في ساعتين من الزمن لا تزيدان .

أما اليوم فالمسافر من الخليل ، ووجهته غزة ، عليه أن يسافر بالسيارة الى القدس في ساعة على الأقل ، ومن مطار قلنديا القريب من القدس ، يستقل الطائرة ، وبعد طيران ساعتين يهبط بالقاهرة . ومنها يأخذ القطار يقطع به شبه جزيرة سيناء ليصل الى غزة بعد ثماني ساعات . أي أصبح الوقت احدى عشرة ساعة بعد أن كان ساعتين، وأصبحت المسافة أطول من ألف كيلومتر ، ولم تكن في السابق تزيد عن مائة ، وأصبحت أجرة الانتقال حوالي خمسة وعشرين دينارا وكانت في السابق أقل من ربع الدينار .. مع أن المدينتين لم تنتقلا من مكانيهما ولم تتغيرا. ولكن شيئا ما قد تم . فبعد أن كانت فلسطين عربية خالصة ، ألفا وبضع مئات من السنين ، دبر الاستعمار وحلفاؤه الصهيونيون وحضروا وفعلوا أبشع جريمة عرفها تاريخ البشرية منذ أن كان على وجه هذه الأرض بشر . واغتصب الصهيونيون جزءا من فلسطين العربية ، وفصلوا الخليل التي يرقد فيها أبو الأنبياء ابراهيم ، عن غزة التي يرقد فيها هاشم جد خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

تاريخها

مدينة الخليل من أقدم مدن العالم. تقول التوراة انها ـ وكان اسمها حبرون ـ بنيت قبل تنيس عاصمة مصر السفلى بسبع سنين ، أي حوالي سنة ١٧٠٠ ق.م. وورد ذكرها في التوراة قبل دمشق . وحكم منها نبي الله داود أكثر من سبع سنين . وقد دمرها الرومان وأحرقوها بقيادة

جامع الشيخ علي البكاء ويقع في محلة الشيخ بالخليل ، وقد بنيت مئذنته في عهد المنصور بن قلاوون قبل ٦٦٠ عاما





كنيسة المسكوبية وقد أنشأها المسكوب (الروس) في عهد الاستعمار بالقرب من بلوطة ابراهيم وهي مشيدة بالأحجار الحمراء والرمادية المائلة الى السواد

فسباسيان Vespasian كما خربها الفرس سنة ٦١٤ ميلادية . ودخلها المسلمون في عهد الفتوحات الاسلامية الأولى فانتعشت وازدهرت وأصبحت مدينة هامة . واستولى عليها الصليبيون وجعلوا منها اسقفية لاتينية سنة ١١٦٧ ، وبعد عشرين سنة أي في سنة ١١٨٧ استردها منهم السلطان صلاح الدين الأيوبي . وقد احتلتها القوات البريطانية في الحرب العالمية الأولى في ٩/١٢/ ١٩١٧ .

نزلها سيدنا ابراهيم . وتقول التوراة في هذا الصدد : « فنقل ابرام خيامه وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التي في حبرون » . وابرام هو الاسم الذي كان يسمى به ابراهيم حتى بلغ من العمر تسعا وتسعين سنة ، وفي تلك السن تذكر التوراة أن الله سبحانه قال له : « ان اسمك لا يدعى بعد ابرام بل يكون اسمك ابراهيم » .

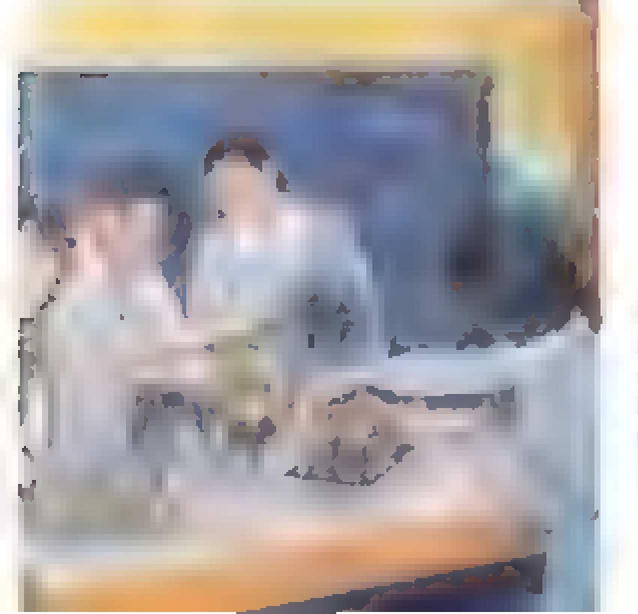
والمكان الذي أقام فيه ابراهيم عند بلوطات ممرا يعرف الآن باسم (نمرة) ويقع في الجهة الشمالية من المدينة .

جو المدينة ومحاصيلها

تمتاز الخليل والمنطقة المحيطة بها بجو رائع : فهواؤها جاف ونسيمها عليل وهي مصيف ممتاز ، لا يزيد معدل الحرارة فيها في شهر يوليه على ٣٠ درجة مئوية . ويحدث الخصب في الأراضي الصخرية فقيل ان سلسلة الجبال الممتدة من الخليل جنوبا حتى رام الله شمالا بفلسطين هي أفضل منطقة في العالم كله وأكثرها ملاءمة للبساتين بالأراضي الصخرية .

ولا غرابة في ذلك فجبالها بعيدة عن البحر الأبيض المتوسط ، وهي مكسوة بأشجار الزيتون والعنب والتين والخوخ والتفاح والمشمش واللوز . أما في الشتاء فجوها بارد وتسقط فيها الثلوج في بعض السنين وقد يصل ارتفاع الثلج بها الى علو نصف متر .

وتشتهر الخليل بمحاصيلها الزراعية ، ففيها من الفواكه كل ما تشتهي النفس ، وتزرع في أراضيها أجود أنواع الكمثرى . وتمتد بساتين الفاكهة والخضر المحيطة بالمدينة الى مسافة قد تصل الى سبعة كيلومترات . وزراعة العنب في الخليل قديمة قدم المدينة نفسها ، ولذلك نجد أهل الخليل يتفننون في صناعة مشتقات العنب : فهو يؤكل فاكهة ، أو يعصر ويطبخ على شكل رقائق مرصعة بالمستوير ويعرف بالملبن ، أو يطبخ على



شكل مربع ويعرف بعنب طبيخ ، أو كما يلفظه الخليليون « عنطبيخ » . ومنه يصنع أيضا الدبس .

وللاستفادة مما منحت به الطبيعة على هذه المدينة من هواء لطيف عليل وخصب في التربة والمحاصيل فان جزءا كبيرا من أهل الخليل يقضي أشهر الصيف في البساتين الواقعة خارج المدينة وتعرف « بالكروم » ، فيكسبون بذلك صحة ونشاطا فضلا عن توافر الرزق من سكان المدن الأخرى .

امتداد الخليل

الخليل ، ككل مدينة قديمة أخرى ، تتألف من بلدين : البلد القديم ، والبلد الجديد . أما البلد القديم فأبرز ما يميزه الأسواق والمساكن ، والشوارع فيه ضيقة متعرجة ، وأبنيته من الحجارة المصرية تتلاصق سطوح المنازل وترتفع الى دورين وثلاثة . والمباني القديمة ذات القباب في السفح الشرقي من الوادي الضيق متصل بعضها ببعض لا يفصلها شيء ، حتى الشوارع والأزقة التي تجري بينها مسقوفة بعقود تربط المباني بعضها ببعض . وتوجد من حين لآخر منافذ في سقوف الشوارع ينسل منها شعاع الشمس فيرتمي على الأرض أمام المارة بصيصا من نور . وتقوم على جوانب الشوارع الدكاكين المملوءة بالبضائع المختلفة التي تسد طريق العابرين أو تكاد . وهذه الشوارع والأزقة مرصوفة بالحجارة ، وربما كانت هي نفس الحجارة التي كان يسير فوقها الناس أيام صلاح الدين وقبله .

ولقد كان لزيادة عدد السكان وتضاعفهم ، من عشرين ألفا الى أربعين ألفا ، في فترة قصيرة ، وازدهار المدينة في شتى النواحي والمجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية أثر فعال في مساحة المدينة . فأخذت تزحف متوسعة في مختلف الاتجاهات، وقامت المباني الحديثة وسط الحدائق الجميلة، وقفزت المدينة ، طفرة واحدة ، ألف سنة من حيث فن البناء وطراز العمارة . ومن أحياء الخليل حي سارة ، وحي أبي الدهيسن ، ومحلة قيطون ، ووادي التفاح ، والمشارقة النحتا ، وحارة القزازين ، وجبل جوهر ، وجبل بيلون وفيه حي الشيخ علي البكا ، الذي يوجد فيه جامع يحمل نفس الاسم ، وحي القلعة .

مدينة طابعها ديني

يصلي أهل الخليل بأخلاق طيبة . والخليل



« بركة السلطان » ، أنشأها أحد سلاطين المماليك على الطريق [illegible] ومورد للمارة ، وتتجمع مياهها من الأمطار ، وتستخدم [illegible]

مدينة ذات طابع اسلامي وفيهم قلة من الاخوة المسيحيين العرب يبلغ عددهم نحو مئة وعشرين شخصا . واهلها اوفياء كرماء وعلى جانب كبير من الشجاعة والاقدام .

ولعل طبيعة بلدهم الجبلية منحتهم النشاط والقوة والصبر والجلد وحب العمل ، كما ان خصب تربتها بثروة عليهم من النعم ما يجعلهم يجودون بما جاد الله به عليهم . وعيشهم الى جوار الحرم الابراهيمي جعلهم يتمسكون بالدين ويبتعدون ما امكن عن المعاصي . ومن الظواهر البينة في المدينة كثرة تسمية الابناء باسماء الانبياء ، فاسماء ابراهيم ، ومحمد ، ويعقوب ، ويوسف ، وخليل شائعة جدا .

الزواج في الخليل ، ومراسمه

ويزوج اهل الخليل اولادهم وبناتهم في سن مبكرة خشية الغواية وفساد الاخلاق . وقد اطلعنا على نشرة احصائية حديثة جاء فيها ان ١٧ فتاة قد تزوجن واعمارهن ١٢ او ١٤ عاما فقط . وبمناسبة الزواج تقام الافراح لمدة ثلاثة ايام . وتتم الزيجات عادة يوم الجمعة ليلة السبت . وهناك من يفسر هذه العادة بان كلمة السبت من الثبت – اي الثبات – تعطي للزواج سببا . ويتفاءلون لذلك بان الزواج سيكون ثابتا راسخا . وتقضي مراسم الزواج بان تذهب النساء على شكل موكب الى دار العروس ، ويحضرنها معهن الى باب دار العريس ، فتضع العروس على هذا الباب غصنا اخضر قبل دخولها . اما العريس فيزف من الحرم الشريف بعد صلاة العشاء الى بيته ، وهناك يتركه اصدقاؤه ، وهو يدخل بعد ذلك البيت ويجلس على منصة مرتفعة يسمونها « العرش » ، وتدخل العروس بثياب الزفاف وعلى رأسها اكليل ابيض محلى باللآلىء ، وعلى وجهها حجاب من « التل » وهو نوع من « الشاش » الابيض ، فيتقدم العريس ويكشف عن وجهها الحجاب ، وتعطيه هي من يدها قطعة حلوى كي تصبح ايام زواجهما حلوة .

ويفرح الاهالي بالمولود الذكر ، ويقيمون الحفلات لولادته ولختانه . الا ان هذه العادات أخذت تخف تدريجيا ولا يتمسك بها من الناس الا الذين يرون ان القديم يجب ان يبقى على قدمه .



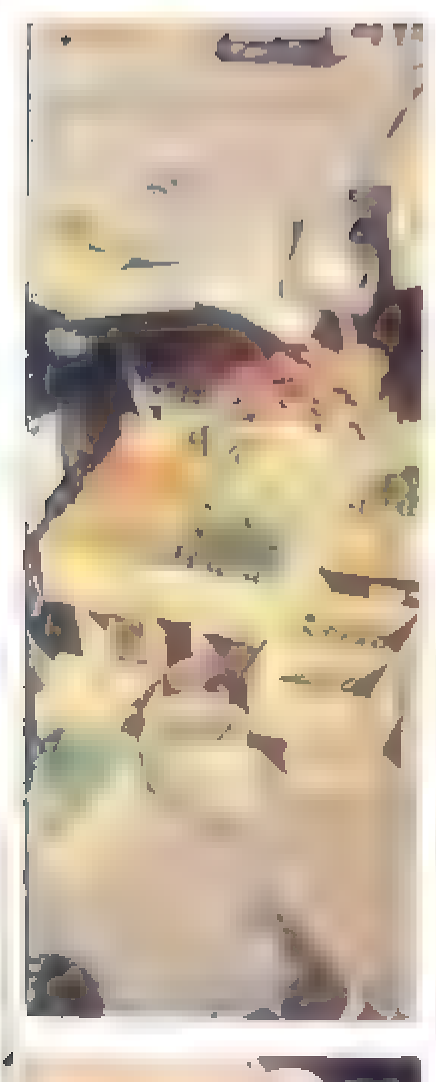
ازياء جيلين : جيل حديث وجيل متوسط وهذه هي سنة الحياة ... سنة التطور والارتقاء

ازياء النساء والرجال في الخليل

اما زي اهل الخليل فخليط من الازياء البعيدة في القدم والازياء الحديثة وما بينها ، او هي ازياء ثلاثة اجيال متعاقبة . فالعجائز من النساء يرتدين ما يسمى بالفراخة وهي من الحرير الاصلي ، لونها ازرق وفوقها الشنبرة وهي بيضاء اللون . وتغطي الرأس والجسم حتى الكعب ، وتعقد اطرافها الى الخلف من اسفل . وغطاء الوجه منديل ليس شفافا ولا يستشف ما تحته وهو في الغالب مزركش .

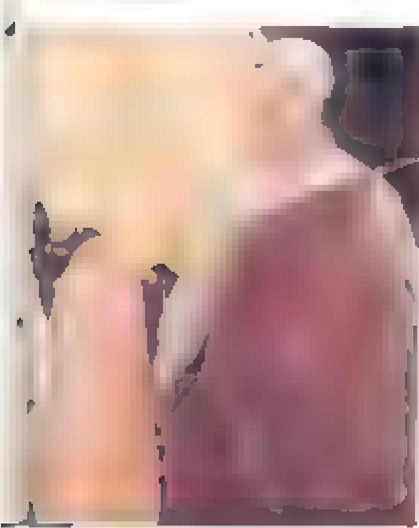
اما السيدات المتوسطات السن فيلبسن الملايات او « الكابات » .

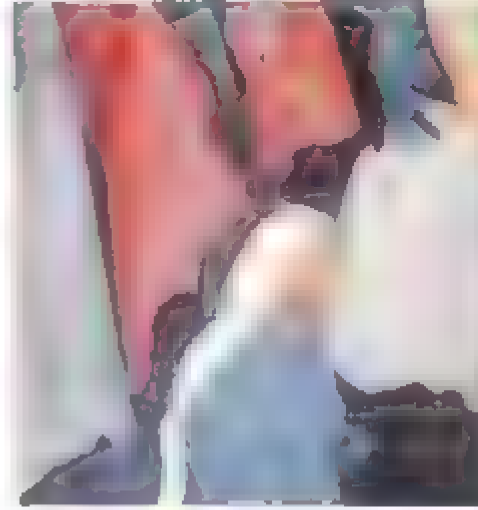
وترتدي الفتيات الشابات ، وهن طالبات











المدارس الثانوية والجامعات والمدرسات والموظفات والطبيبات ، الملابس العصرية ، ومن سافرات لا يضعن حجابا . والحجاب كذلك في طريقه الى الزوال في هذه المدينة كما زال في غيرها من المدن . ولكن الوقت اللازم لذلك قد يطول هنا أكثر من أي بلد آخر ، ذلك لان غالبية الناس هنا تتعصب للقديم وتستنكر كل فكرة مستحدثة ، ولا تقبلها الا بعد درس وفحص وتمحيص ، لا يأخذون الاشياء التي أخذها غيرهم على علاتها بل لابد أن يدرسوها هم أنفسهم ويمروا بنفس الدور الذي مر به غيرهم في غير اسراع .

كذلك يتدرج لبس الرجال من قديم الى متوسط فحديث . يضع الشيوخ المتقدمون في السن على رؤوسهم طرابيش بدون شيء ، حمراء اللون ، لها شرابة كثيفة زرقاء ، ويلف حول الطربوش قماش من « الروزة » السادة أو المشجرة . ويرتدون « قمبازا » لونه في الغالب أزرق داكن ، ويربطون وسطهم بزنار يطوونه أكثر من مرة حتى يبدو بارزا ويحوي مكانا أمينا لحفظ الساعات أو محافظ النقود . وفوق القمباز معطف من الصوف طوله ثلاثة أرباع القمباز . وفوق هذا وذاك عباءة من الوبر أو غيره .

أما أهل الجيل الثاني من الرجال فيرتدون فوق القمباز معطفا وعلى الرأس يضعون الطربوش العادي أو الكوفية والعقال .

وشباب اليوم وهم الاطباء والمدرسون والشباب المثقفون وغيرهم فيرتدون الملابس التي تسمى « بالملابس الافرنجية » وهم حاسرو الرؤوس .

الدواوين والزوايا والتكايا

الدواوين أو الديوانيات نظام قائم بذاته . فلكل عائلة في الخليل تقريبا ديوانها الخاص بها ، وهو عبارة عن مكان يجتمع فيه أفراد العائلة من الذكور في أفراحهم وأحزانهم وفي الاعياد والمناسبات الاخرى التي تهم العائلة كمجموعة . والديوان ملك للعائلة كلها ومفروش على حسابها كما أن نفقاته توزع على أفراد العائلة كل حسب مقدرته المادية . وعلاوة على ذلك فالديوان يستخدم كمضافة ينزل فيه ضيوف العائلة وأصدقاؤها .

والزوايا أمكنة منعزلة تجمع فيها جماعات من



أساس المباني القديمة وفي قسم منها كان «حارة اليهود» .. ولكن أهل الخليل هدموها ولم يسكنها أحد منهم

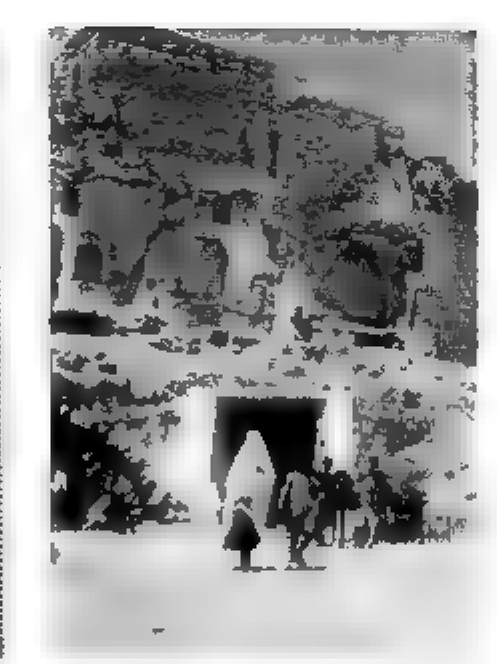
الزهاد الذين انقطعوا لعبادة الله . وفي الخليل الآن عدد من هذه الزوايا ، زال الى جانبها عدد آخر واندرست آثاره .

أما التكايا فهي الاماكن التي يطعم فيها الطعام . وفي الخليل تكية تسمى بتكية سيدنا ابراهيم وهي من أقدم التكايا في الاسلام وما زالت تقدم يوميا بعد صلاة الظهر السماط المعروف بـ « الدشيشة » وهو قمح مطبوخ . وفي لواء الخليل وحده أوقفت على هذه التكية عشر قرى ـ هذا خلاف القرى الموقوفة عليها في ألوية أخرى ـ ويقدم سكان هذه القرى عشر محصولاتهم الزراعية للوقف .

وبسبب وجود الدواوين والزوايا والتكايا لا تجد المدينة نفسها في حاجة الى الفنادق مع أنها مركز لعشرات القرى التي حولها . وعدد الفنادق ضئيل جدا لا يتعدى الاثنين وهما فندقان لا يرقيان بحال من الاحوال الى فنادق الدرجة الثانية . كما أن عدد المطاعم في المدينة قليل .

النهضة التعليمية

اشتهرت الخليل منذ القدم بمدارسها . فمنذ نشوء الازهر الشريف وعدد ليس بالقليل من



يعيش جماعة من اليهود فأطلق عليه اسم بعد ثورة سنة ١٩٢٩ وطردوا اليهود من مدينتهم منذ ذلك التاريخ

اهالي الخليل يؤمّون الجامعة الازهرية انتهالا للعلم من مورده. وكان هؤلاء العلماء يعودون الى الخليل ليعقدوا حلقات التدريس في المسجد الابراهيمي . وتأسست حول المسجد مدارس كثيرة بلغ عددها قبل سبعمائة سنة سبعا وعشرين مدرسة . اما اليوم فمجموع عدد مدارس البنين والبنات الحكومية عشرون مدرسة ، واذا اضفنا اليه عدد المدارس الاهلية وهي خمس ، ما وصلنا الى عدد المدارس قبل سبعة قرون .

ومجموع طلبة المدارس في الخليل ٧٨٠٠ ، منهم ٤٨٤٩ من الذكور و ٢٩٥١ من الاناث اي حوالي خمس السكان البالغ عددهم حسب الاحصاء العام الاخير الذي اجري في ١٨ نوفمبر ١٩٦١ اي قبل اكثر من سنتين ، ٣٧٨٦٨ نسمة منهم ١٩٤٩٩ من الذكور ١٨٣٦٩ من الاناث .

وفي الخليل مدرسة « الحسين بن علي » ، اقدم مدرسة ثانوية في الاردن ، وتقتصر على الصفوف الثانوية ، وبها ٩٠٠ طالب . وقد حققت هذه المدرسة نتائج باهرة في امتحانات الثانوية العامة . وقد حصل احد طلابها وهو بدوي اسمه سليمان عواد الصانع ، من عرب بئر السبع ، على كأس سباق الضاحية الذي تبارى عليه جميع مدارس المملكة . ومسافة هذا السباق ٥ كيلومترات ، وقد قطعها سليمان في ١٥ دقيقة و ٧ ثوان .

وهناك مدرسة ثانوية للبنات ، وهي حكومية ، ونتائج الامتحانات فيها لا تقل عن نتائج مدرسة الذكور ، وكان ترتيبها الثانية بين مدارس البنات في المملكة من حيث النجاح ، وفيها ٣٦٠ طالبة ، موزعات على ثلاثة صفوف اعدادية ، وثلاثة صفوف ثانوية .

ومما يستلفت الانتباه بشكل خاص ان غالبية البنات شعرهن طويل وهو على شكل جدائل ، كما ان اكمام ملابسهن طويلة ، وقلة منهن يرتدين ملابس بنصف كم . وبعض من يلبسن الحجاب وهن خارج ابواب المدرسة .

رابطة الجامعيين

وهناك جمعيتان لهما ارتباط وثيق بالتعليم .

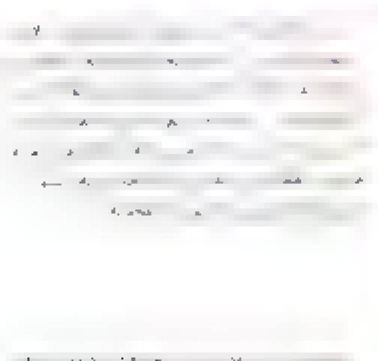
الاولى : رابطة الجامعيين : وهي جمعية خيرية تأسست قبل عشر سنوات، اعضاؤها من الجامعيين وعددهم ٣٢ عضوا . واول اغراض هذه الرابطة تشجيع التعليم .

ومن اغراضها ايضا تقديم المساعدات المادية والادبية للطلاب ، وكذلك القيام باي عمل يستهدف رفع مستوى الحياة الاجتماعية والعلمية في لواء الخليل . وقد ساعدت الرابطة منذ تأسيسها مائة وخمسين طالبا جامعيا . وتشكل المساعدة مادية ، وتقدم للطالب قرضا يسدده بعد التخرج والتحاقه بعمل ، على اقساط شهرية حسب امكانياته . وترصد هذه الاموال من جديد لمساعدة طلاب آخرين .

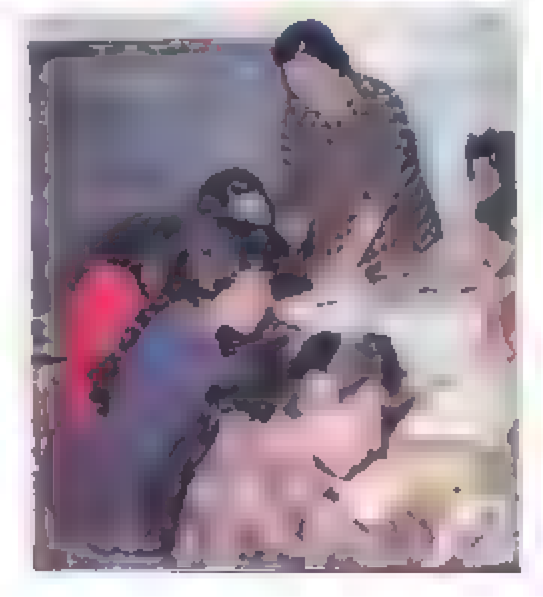
وقد انشأت الرابطة قبل ثماني سنوات معهدا تدرس فيها مواد شهادة التوجيهي المصرية ، تخرج منه اكثر من خمسمائة طالب وطالبة .

كذلك اسست الرابطة مكتبة عامة استأجرت لها بناء حديثا ، وفي اقل من سنة واحدة كان في المكتبة ثلاثة آلاف كتاب . وروّاد المكتبة هم كل من يرغب في القراءة من اهل المدينة . ولكل من الذكور والاناث ايام مخصصة لارتياد المكتبة . وتحتوي









الكتبة على مخطوطات منها «ألفية ابن مالك» وشرح الآجرومية» و«حياة الحيوان الكبرى» للدميري» وتشريع الأحكام وغيرها.

المكتبة المتنقلة

في كل مدرسة من المدارس مكتبة، ولكن هذه المكتبات لا تضم عددا كبيرا من الكتب، ولهذا نشأت فكرة انشاء مكتبة متنقلة تابعة لوزارة التربية والتعليم الغرض منها تزويد الطلاب بقراءة خلاف المنهاج المقرر، لتنمية حب المطالعة كي تصل الى الهواية. وهي تسد حاجات الطلبة في جميع مراحل الدراسة.

وطريقة الاستفادة من هذه المكتبة تتم على النحو التالي: يحصى عدد الصفوف في مدارس لواء الخليل وترسل لهذه المدارس كتب تتناسب مع مستوى صفوفها بمعدل ١٠ نسخ من كل كتاب. وتعاد الكتب بعد شهر ونصف لتعطى لمدرسة اخرى، بينما تاخذ المدرسة التي اعادت الكتب ما اعادته مدرسة اخرى. وبتبادل الكتب بين المدارس من جهة، وبين الطلاب من الجهة الاخرى في المدرسة الواحدة والصف الواحد، يستطيع الطالب ان يقرأ حوالي اربعين كتابا اثناء السنة الدراسية خارج منهاج الدراسة.

الجمعيات الخيرية

وفي الخليل جمعيات خيرية يرعاها العدد الوافي، منها، غير رابطة الجامعيين، جمعية سيدات الخليل، وجمعية الهلال الاحمر، وجمعية رعاية الاطفال الاسلامية. وتتعاون هذه الجمعيات فيما بينها تعاونا وثيقا من اجل تحقيق الغايات والاغراض التي انشئت من اجلها.

وتنفق اموال الجمعيات في شتى الوجوه كاعانة العائلات الفقيرة وفتح صفوف لتعليم الاميين، وتعليم الاسعاف الاولي، وتعليم الفتيات التطريز والخياطة واشغال الابرة.

وقد امست حاجة هذه الجمعيات الى الموارد ملحة. ويأمل القائمون والقائمات عليها في ان يساهم ابناء البلد الموجودون في الخارج في تمويل هذه الجمعيات حتى تتمكن من تحقيق اغراضها على احسن وجه واكمل صورة.

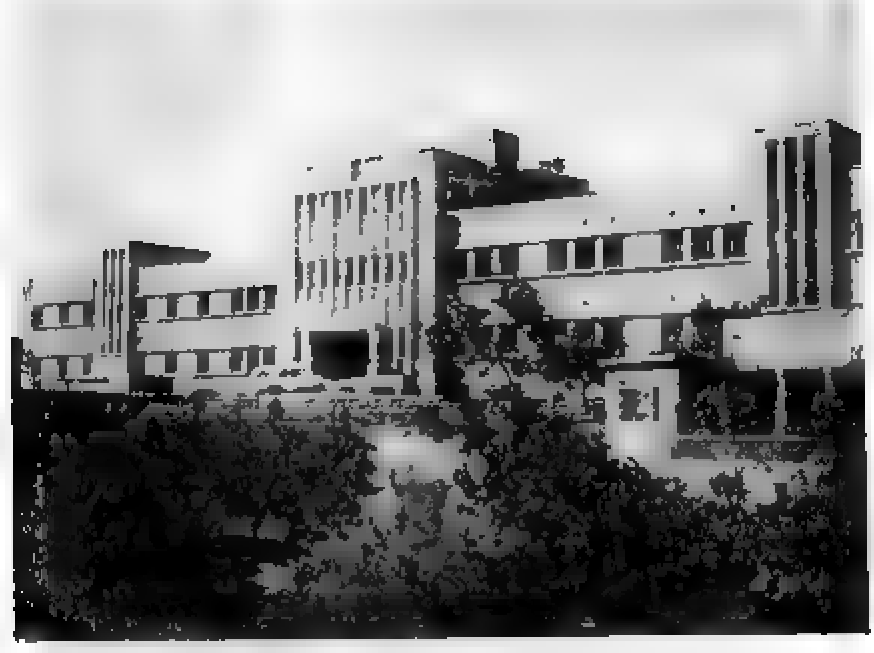
الخليل والحركات الوطنية

ساهم اهل الخليل بنصيب وافر في الثورات العديدة التي اوقد عرب فلسطين نيرانها منذ فرضت عصبة الامم الانتداب البريطاني على فلسطين وما جاء به ذلك الانتداب من سياسة تهدف الى خلق وطن قومي لليهود في فلسطين. ولهذه الاحداث قصص يطول ذكرها.

واشترك لواء الخليل اشتراكا فعالا في ثورة عام ١٩٣٦ وفي جبالها استشهد البطل سعيد العاص على يد القوات البريطانية.

في مرحلة متطلبة لتحويل الكتل الطينية بين يدي الفاخوري إلى أباريق وجرار وأصص





مستشفى الأميرة عالية الحكومي بالخليل ، وبه مائة سرير ، وقد تأسس قبل ستة سنوات ، وصالح به الأعمال و الرجال والنساء وبه قسم للعمليات الجراحية

الخليليون وحرب سنة ١٩٤٨

على اثر صدور قرار التقسيم في نوفمبر ١٩٤٧ ، وهو نفس الشهر الذى كان قد صدر فيه وعد بلفور قبل ذلك بثلاثين سنة ، حصلت اشتباكات دموية بين العرب واليهود، الاولون يريدون فلسطين عربية خالصة للعرب، والآخرون يريدون استخلاص الاسلاب التي خصصتها لهم قرارات التقسيم والتى لم يكن لهم اى حق فيها ، بل ولم يكونوا يحلمون في الحصول عليها .

كان اليهود يخططون للمستقبل منذ سنوات فاقاموا مستعمرات بين القدس والخليل في مواقع ستراتيجية يسيطرون منها على الطريق الرئيسى الوحيد . وكانت مستعمرة كفار عصيون اكبر تلك المستعمرات واهمها ، اذ كانت حصنا اكثر منها مستعمرة سكنية . ولقد شكلت المستعمرة خطرا كبيرا على الطريق ، وقطعوا اكثر من مرة للحول دون اى اتصال بين القدس والخليل ، ولكن العرب كانوا يعيدون فتح الطريق في كل مرة ، واخيرا وجدوا انه لا بد من الاستيلاء على كفار عصيون مع ما في ذلك من صعوبة وما يستلزمه من تضحيات جسام . وقام الجيش العربى الاردنى بالاشتراك مع المتطوعين من الاهالى باحتلال مستعمرة كفار عصيون في الفترة ما بين ١٢ و ١٥ مايو ١٩٤٨ واحتلوها . وكان من بين اسراهم فيها ابنة وزير خارجية اسرائيل السابق موشه شاريت .

لواء الخليل ونتائج حرب فلسطين سنة ١٩٤٨

فقد قضاء الخليل نتيجة للحرب الفلسطينية ست عشرة قرية نذكر منها . برقوسيا ، بيت نتيف ، بيت جبرين ، الدوايمه ، رعنا ، زكريا ، ذكرين ، زيتا ، عجور ، القبيبة ، كدنا ، مغلس . كما فقد عرب قضاء الخليل ما يقرب من

نصف ابراهيم . وفيما يلي ما كان عليه الحال قبل الحرب .. وبعدها .

في سنة ١٩٤٧ : كان العرب يملكون ٥٢١٢٥٨ فدانا . وكان اليهود يملكون ١٠٣٣ فدانا . وفي سنة ١٩٤٩ : أصبح العرب يملكون ٢٦٧٢٥٠ فدانا . وأصبح اليهود يملكون ٢٧٦٩٤٥ فدانا .

وبدلا من الارض المفقودة ، استقر على الارض العربية الباقية اكثر من ثلاثين الف لاجيء تتألف اكثر من خمسة آلاف اسرة ، يعيشون الآن على أمل واحد هو العودة ، ولا سبيل اليها الا باسترداد الوطن المغصوب ، كي يصل عرب فلسطين ما انقطع بين ماضيهم المجيد ومستقبلهم المشرق .

الصناعات المحلية

اشتهر اهل الخليل بالتجارة فهناك جالية خليلية كبيرة في القدس تقدر بعشرة آلاف شخص ، ومنهم كبار التجار . كذلك توجد في الجمهورية العربية المتحدة جالية تقدر بمثل هذا العدد . وكنت ترى الخليليين هناك يمارسون اليوم في تجارة البقالة وكانت أحسن البقالات في القاهرة ليومنا أن لم تكن لخليليين ، او من هم من اصل خليلي .

وعلاوة على التجارة اقام اهل الخليل في مدينتهم صناعات محلية ، منها صناعات ما زالت بدائية كما كانت قبل مئات السنين ، ومنها صناعات حديثة تستخدم فيها احدث الآلات العصرية . ومن الصناعات الرائجة والناجحة صناعة الموازين التي يتم انتاجها في الخليل وتتراوح قوتها من ٥٠ كيلو جراما الى خمسين طنا لوزن سيارات « اللوري » . وبالرغم من انه لم يمض على قيام هذه الصناعة سوى اثني عشر عاما الا انها استطاعت ان تسد حاجة البلاد وان تصدر كميات من انتاجها الى الاقطار العربية .

وفي الخليل اكبر شركتين للنسيج في الاردن ، تقومان بانتاج الملابس الداخلية والاقمشة الكتانية والقطنية والحريرية والبطانيات .

ولوفرة وجود المحاصيل الزراعية قامت صناعة تعليب الخضار والفواكه بواسطة احدث الآلات . ومن منتوجاتها . معلبات الطماطم ، ومربيات المشمش والتفاح والخوخ والسفرجل والتين ، ومعلبات البازيلا والبامية والفاصوليا وزيت العنب ، وكذلك شراب الليمون والبرتقال والتوت .

وهناك صناعات تقليدية قديمة اشتهرت بها المدينة كصناعة الاواني الفخارية والزجاجية ، وصناعة دبغ الجلود والفراء . وفي الخليل ثمانية محلات لصنع الفراوي . ويستورد جلد الغنم المستعمل في هذه الصناعة من قبرص ومن ذبائح المدينة والقضاء . وتباع الفروة الواحدة ـ والزبائن هم السائحون وأبناء البلاد لشدة البرد ـ من ٥ الى ٦ دنانير .

ماذا في الخليل ايضا ؟

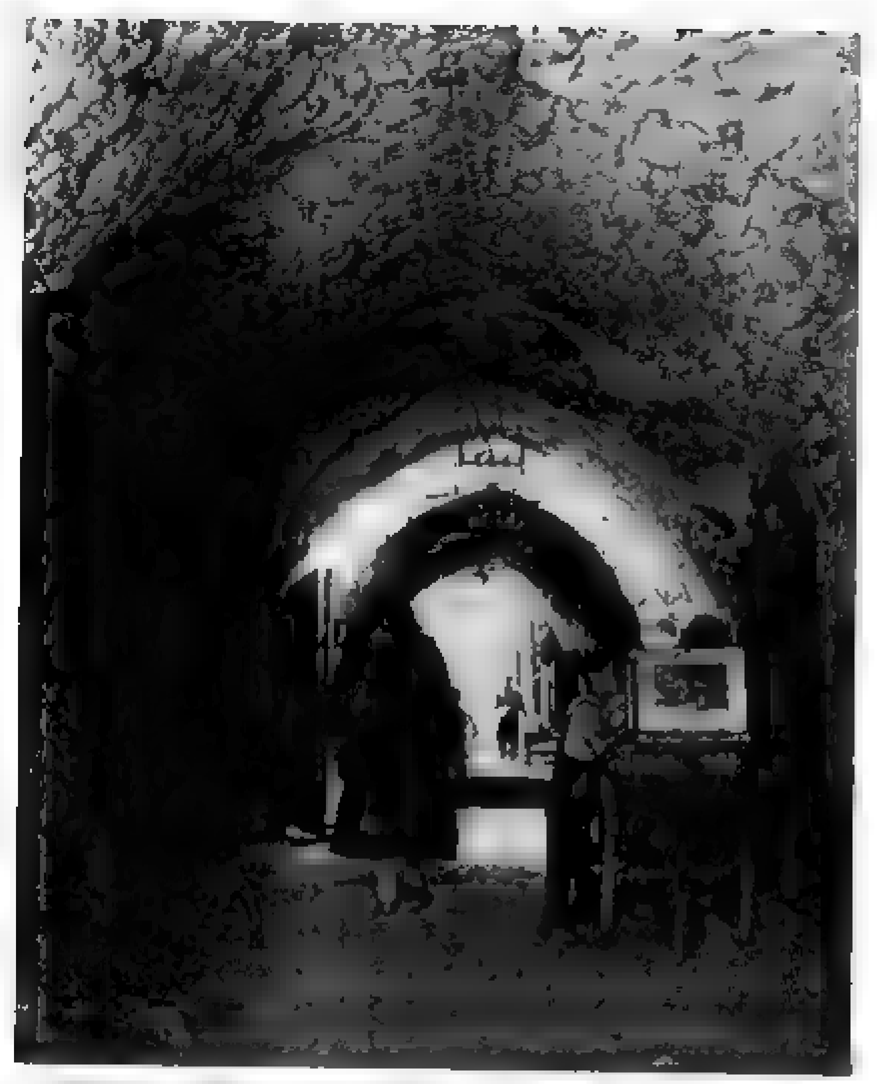
وفي الخليل اشياء كثيرة لا بد من ذكر بعضها . هناك « حرم الرامة » عند مدخل المدينة الى جهة الشمال ، وهو بقايا سور يقال ان الملك سليمان بناه ليكون هيكلا ولكنه لم يكمله . وهناك ايضا بلوطة ابراهيم في موقع « ممرا » حيث ضرب ابراهيم خيامه قبل ما يقرب من اربعين قرنا .

وفي الخليل ايضا كنيسة المسكوبية ، وهي عبارة عن دير وكنيسة بنيا في عهد القياصرة الروس قبل اكثر من نصف قرن ، بالقرب من بلوطة ابراهيم ، وفي المكان الذي استراحت فيه مريم والمسيح عليهما السلام عندما هربت بابنها مع يوسف النجار الى ارض مصر .

واخيرا وليس آخرا نرى في الخليل بركة السلطان ، وهي بركة طولها خمسون مترا وعرضها خمسون مترا وعمقها ١٢ مترا وقد انشأها سلاطين المماليك ليجمع فيها ماء المطر ليستقي منها الحجاج في طريقهم الى الحجاز .

الخليل كلواء

والخليل مركز لواء يعرف بلواء الخليل . والرجل الاداري الاول فيه هو المتصرف . وفي



أسواق مسقوفة بالعقود الحجرية تعود الى آلاف السنين ... ومع ذلك فقد حدثت في السقف [illegible]
الاسلاك الكهربائية [illegible]

الخليل قائد منطقة منوط به حفظ الأمن . وفيها من الدوائر : الصحة والمالية والمحاكم والزراعة والبيطرة والمواصلات والجمارك والاراضي والاصلاح الريفي والمصرف الزراعي وكلها مرتبطة بوزاراتها في عمان

وفي المدينة مستشفيان احدهما حكومي والآخر تابع للارسالية مار لوقا .

ويمثل عن الخليل نواب في مجلس النواب الاردني واعيان في مجلس الاعيان ومن هذين المجلسين يتكون مجلس الامة او البرلمان .

وكذلك يكون للخليل وزير في كل وزارة تتولى الحكم في الاردن . [redacted]

سليم بسيسو



اقدم قرن ذرى عال على المقاعد

هذا القاعل احتل اليوم على المقاعد !

النجوم تشيخ كما يشيخ الناس

ال الشيخوخة ، وانطوى على نفسه انطواء .

وهذا النجم صاحب صغير لا يرحه ، عرف بالشعرى اليمانية ب

طوله ٢٠٠ بوصة أي

ومن توهج حرارته قدروا حجمه .

أصبح هذا في موجز "علوم الفضاء"

الدخان هل نشرع

تجرت في انجلترا قانون لدفع الدخان

وقد راج في امريكا بعض المراجعات المرجحة انحطرا الحد من التدخين ، وهي تتضمن

التلفاز والعين

● يقول الباحثون انه لا ضرر من مشاهدة التلفاز على العين ، وانما الضرر يقع على الأطفال الذين لم تتكون بعد عندهم القيم التي تتصل بحوادث المشاهد التي يشهدونها مبلورة .

مثال ذلك ان المناظر التي تثير في الكبار الرحمة ، قد تفقد هذه الاثارة عند الطفل الذي لم تتكون بعد عنده معاني الرحمة التي تحصل بالنمو وممارسة الحياة . ويزيد في ضياع هذه الاثارة التكرار ، والتعود على النظر الى البؤس دون كبير اهتزاز له .

كذلك مشاهد الاعتداء التي يأتي بها التلفاز تؤثر في الأطفال تأثيرا مباشرا ، بمعنى انهم ، في الحياة ، عندما يعترضهم مثل هذه المواقف ، يكون رد الفعل عندهم هو نفس هذا النمط من الاعتداء .

وكمشاهد الشر ، فكذلك مشاهد الخير ، تؤثر فيهم اثرها الطيب

من اجل هذا كان لا بد ، عند هؤلاء الباحثين ، من العناية في اختيار المشاهد التي يشهدها الأطفال خاصة .

ومن مكاسب الأطفال ، من مشاهدة التلفاز ، كسب في المحصول اللغوي ، يسبقون به من لا يشاهدونه .

اضرار ومنافع ، لا بد من الموازنة بينهما

والحق انه ليس كل ما ينفع الأطفال ، ينفع الرجال ، في تلفاز كان او اذاعة او سينما ، وبالطبع ولا في كتاب .

اول مدينة تضيئها الكهرباء الذرية

● انها مدينة فارستا Farsta بالسويد بالقرب من العاصمة ، استكهلم . انها تستمد النور للاضاءة والحرارة للدفء من الذرة ، وقد بنوا مفاعلها خارج المدينة ، وهو يبعد عنها نحو ٣ كيلومترات .



انجلترا وامريكا ما بعد من يبيه ؟

١ ــ ازالة كل مادة من الطباق تضر بالصحة . واذا استخدم في صناعة السجائر مرشح وجب ان تفحص هذا المرشح مؤسسة مسئولة

٢ ــ تغيير في بعض عادات التدخين ، ومن ذلك الاقتصار على تدخين النصف الاول من السجارة ، ورمي الثاني بسبب الذي ترسب فيه من مواد ضارة .

٣ ــ استبدال تدخين السجائر والبيبة بالسجائر .

٤ ــ عدم تشجيع المراهقين والبالغين على التدخين .

٥ ــ الحد من الاعلان عن السجائر ، واذاعة اضرارها بين الجمهور لينتبه .

٦ ــ يوضع على كل علبة سجائر مقدار ما بالسجارة الواحدة من القطران ، ومن مواد طيارة ، وكذلك من نيكوتين . وهي مادته الفعالة .

٧ ــ الحد من الاذن بالتدخين في الاماكن العامة .

٨ ــ زيادة الضريبة على الطباق .

لقاح جديد ضد الانفلونزا

● يوجد الآن لقاح ضد الانفلونزا ، يعطى كل عام ، لان حصانته من المرض ليست بالطويلة . وهو يحدث في الجسم حمى بعد التلقيح به ، ويحدث كذلك التهابا في اذرع بعض الناس بعد الحقن به .

واللقاح الجديد هو لقاح في قاعدة من زيت ، وهو لا يحدث التهابا ، ولا يصيب المحقون به بالحمى . وهو يحدث في الجسم حصانة تبقى ثماني سنوات على الاقل . وقد اذنت السلطات ببيعه في بريطانيا .

وهنالك لقاح آخر، في قاعدة من ماء ، يتألف من حطام من فيروس الانفلونزا بعد تنقيته ، وقد دلت التجارب الاولية على ان حصانته من الداء عالية . وهو لم يتجهز بعد للخروج الى السوق ، ويرجى ان تأذن بتداوله السلطات هنالك قريبا

الكوكب المشترى ،

● لا يكاد يوجد اليوم مثقف لا يعرف الرادار . انها بثات من امواج لاسلكية ، تطلق من موضع ما لتصيب هدفا ما ، ثم هي لا تلبث ان ترتد عن هذا الهدف ، صدى راجعا كصدى الصوت ، الى الموضع الذى منه انطلقت اول الامر .

وبما انها تسير ، كما يسير الضوء بسرعة ١٨٦٠٠٠ ميل في الثانية ، فقد جاز بحساب زمن ارتدادها ان يحسب الانسان بعد الهدف. هذا في مآرب اخرى عند العلماء .

والخبر الذى نورده اليوم ان الروس نجحوا في ارسال الرادار الى الكوكب المشترى، والتقاط صدى له على الارض . وكان البعد بين الارض والمشترى عندئذ ٣٧٠ مليون ميل.

عقار جديد ، ينزل بمقدار

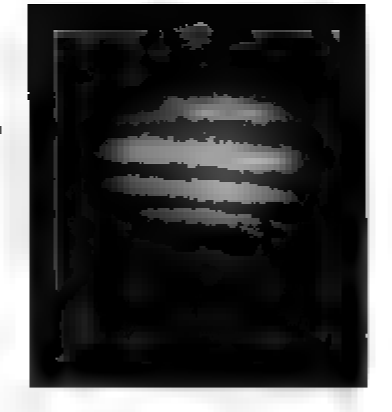
● واسمه اتروميد (س) Atromid S وله اسم آخر هو كلوفيبرات Clofibrate وهو يعطى مع الهرمون الذكرى المسمى اندروستيرون Androsterode على سبيل التجربة . وهو مستخدم في انجلترا ، وتسعى الولايات المتحدة في التحضير لاستخدامه في الولايات ايضا .

وتسأل وما الخطورة في هذا ؟

والجواب : ان الذبحة الصدرية سببها انسداد الشريان التاجي الذى

اول سفينة ذرية المانية

● تقوم المانيا الاتحادية ، بمدينة كيل Kiel ، ببناء اول سفينة تجارية لها تدفعها القوة الذرية . وستكون لحمل الخامات المعدنية ، وستكون حمولتها ١٥٠٠٠ طن ، وتقدر تكاليفها اليوم بمقدار ٥٠ مليون مارك .



يناله الانسان بالرادار!

والمشترى هو أكبر الكواكب التى تدور حول الشمس ، وأقربها عطارد ، فالزهرة ، فالأرض ، فالمريخ فالمشترى فزحل فأورانس ، فنبتون ، فبلوتو .

والموجة الرادارية التى بلغت المشترى كانت قدرتها ١٠ وطات فقط ، فلما ارتدت لم تكن لها من القدرة غير وط واحد .

فالعجيب أن يستطيع جهاز الرادار الروسى بشبه جزيرة القرم ، أن يلتقط هذه القبلة ، وهى راجعة على هذا الضعف ، وعلى هذا البعد الهائل .

والموجة استغرقت للذهاب والإياب ٦٦ دقيقة لقطع هذه المسافة .

وبالطبع كان لهذه التجربة هدف ! ذلك معرفة نوع السطح الذى يغلف الكوكب المشترى .

والمشترى هو الكوكب الرابع الذى ناله الانسان بالرادار ، والرصد عنه الرادار ، والتقط الانسان صداه على الأرض . فلقد نال الانسان بالرادار قبله عطارد ، والزهرة والمريخ . وبالطبع القمر ، وقد مسه العلماء بالرادار منذ ١٨ عاما .

• الدهن فى دم الانسان

يمدي عضلات القلب بالدم ، واذ ينسد هذا الشريان ، يتوقف القلب بغتة ، ويموت صاحبه على الفور .

وقد نسبت البحوث الحديثة انسداد هذا الشريان الى كثرة وجود مادة (الكول استيرول Cholesterol) فى الدم بكثرة . وتشير البحوث الأحدث الى اشتراك الدهون أيضا فى احداث هذا ، كدهن الزبد واللحم .

وفى سبيل البحث عن عقاقير تنزل بمقدار (الكول استيرول) فى الدم عثروا على هذا العقار الجديد وقد وجدوه أعمل فى النزول بمقدار الدهون العادية التى ذكرنا ، (وهى التى تعرف عند الكيماويين بالجلسريدات الثلاثية للأحماض الدهنية) .

وكل ما ينزل بأسباب هذا المرض الوبيل خير .



الكهرباء

بين الروس وامريكا وكندا

● شرعت كندا فى انشاء شبكة كهربائية عالية الضغط جدا ، يبلغ ضغطها ٧٠٠٠٠٠ فلط ، وسيبلغ جزء منها التمام فى عام ١٩٦٥ وتستفاد عندئذ منه الكهرباء . وعندما يحدث هذا يكون قد حدث بعد سنتين من انجاز روسيا شبكتها الكهربائية التى يبلغ ضغطها ٧٥٠٠٠٠ فلط . أما الامريكان فالظاهر انهم يريدون أن يرتفعوا فوق هذا الضغط ، فهم الآن فى سبيل تجربة خط يحمل من الضغط الكهربائى ٨٥٠٠٠٠ فلط .

وكل هذا تنافس فيما يفيد الناس ، ويزيد فى العلم ، ويوسع فى آفاق التكنيه والقدرة الصناعية .

كلية قرد مكان كلية انسان

اسباب الموت كثيرة ، ولكن من اسبابه الظاهرة ، مرض الكليتين في الشخص الواحد ، وتوقفهما عن العمل ، فالسم الماحل الذي يعقب هذا ، وفي أعقاب هذا التسمم الموت السريع .

وقد لجأ الجراحون ،كما هو معروف ،الى نقل كلية من شخص صحيح مكان كلية مريضة في شخص مريض . هذا علما بأن الكلية الواحدة تكفي الشخص الواحد لاجراء الحياة .

وقد احصى الاطباء في مؤتمر عربي لهم عدد الجراحات التي نقلت فيها كلية صحيحة من شخص سليم مكان كلية مريضة في شخص مريض . واتضح لهم أن هذه الجراحات بلغت ٢٤٤ جراحة اختلفت في مقدار النجاح الذي صحبها والصحة . فالجسم يأبى أن يدخل اليه عضو من جسم آخر . انه يدرك بفطرته انه غريب ، فيصبح بحكم خلقه موادكيمية يطارده من الجسم حتى لا يأتلف معه ، وذلك جريا على أسلوب الحصانة الذي تتبعه الاجسام نحو كل ما يدخل الجسم من أشياء غريبة . ومطاردة الجسم أقل لكلية تأتي لتوأم من توأم مطابق له ، أي توأمين تولدا من انشقاق بيضة ملقحة واحدة . ومطاردته أشد للكلية تأتي من غريب عنه بالمرة .

فمن هذه الـ ٢٤٤ حالة ، وجدوا أن ١٢٠ منها نقلت اليهم كلية من غريب حي ، أو وشك موته . فهؤلاء لم يبق منهم حيا بعد عام من الجراحة ، غير واحد .

ووجدوا أن ٩٦ منها نقلت اليهم الكليتين أقارب ، أب ، أو أم ، أو أخ أو أخت ، فهؤلاء لم يبق منهم حيا بعد عام من الجراحة غير خمسة .

ووجدوا أن ٢٨ منها نقلت الكلية فيها من توأم الى توأمه المطابق ، فهؤلاء مات منهم الى اليوم سبعة فقط ، وسائرهم ، أي ٢١ ، أحياء .

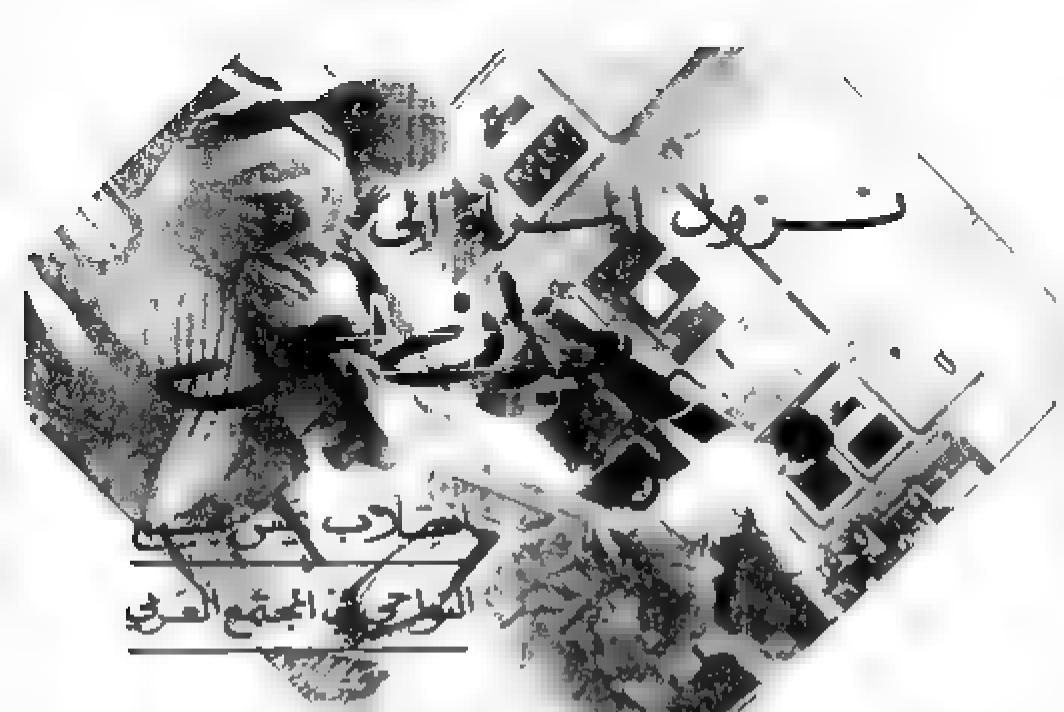
وقد اتجهت هذه الجراحات اليوم الى نقل الكلية من القردة الى الانسان . وقد أجروا عددا من هذه الجراحات ، وقد نجحت فيما يختص بالجراحة وحدها ، والاطباء اليوم في انتظار ما ستكون نتائجها فهي تحتاج الى زمن للظهور .

وهم يحاولون التغلب على كراهة الجسم الطبيعية للعضو الغريب يدخل فيه أو يضم اليه ، وذلك بالعقاقير وبالاشعاع .

وفي هذه الابحاث لا تزال تسير ، تمضي أحيانا ، وأحيانا تتعثر في ظلمات المجهول .

بريطانيا وغاز بترول الجزائر

● فرغت بريطانيا من اقامة الجسر البحري ، وذلك بجزيرة كنفي Canvey Island ، بنهر التاميز بجوار لندن . وسيستخدم هذا الجسر لنقل غاز الميثان السائل الوارد من الجزائر الى انجلترا مضغوطا في صهاريج في سفن خاصة بها . وهذه الحصة من غاز البترول الجزائري المنقولة بهذه الطريقة تبلغ عشر ما تحتاجه انجلترا من غاز الفحم .



■ انقضى الزمن الذي [illegible] دور المرأة في الحياة محصورا على [illegible] شئون البيت وانجاب النسل وتربيته وخرجت تشارك زوجها واباها واخاها العمل .. ولقد أحدث احصاءات منظمة العمل الدولية على أن بين كل ١٠٠ من العمال في العالم العربي توجد ٣٠ امرأة عاملة .. وبين كل ١٠٠ من العمال في الكتلة الشرقية ٤٠ عاملة .

وها هي ذي المرأة العربية ، تسير في هذا الاتجاه بخطوات ربما كانت اسرع من خطوات زميلاتها في الغرب أو الشرق . ذلك لأنها كانت الى سنوات قلائل قعيدة البيت ، اسيرة الحجاب رهينة التقاليد فنزولها الى ميدان العمل حدث قريب نسبيا ، ومع ذلك فقد استطاعت ان تقطع شوطا كبيرا ، لا سيما في السنوات الخمس الأخيرة . ففي الجمهورية العربية المتحدة ، بلغ عدد النساء العاملات في نهاية سنة ١٩٦١ نصف مليون امرأة من بين ٦ ملايين من العمال . وهذا العدد يزداد بمعدل ٦ في المائة سنويا .

العمل ضرورة للمرأة .. والأسرة ... والمجتمع

وهكذا لم تعد المرأة قوة معطلة في مجتمعنا العربي .. والعمل اصبح « ضرورة لها ، وتأكيدا لوجودها الانساني » ، على حد تعبير الدكتورة حكمت ابو زيد ، وزيرة الشئون الاجتماعية بالجمهورية العربية المتحدة ، في مؤتمر « المرأة العاملة » الذي عقد في القاهرة منذ اشهر ، واشتركت فيه وفود من بعض الدول العربية ، ومنها الكويت .

فلم يعد الزواج وتدبير البيت هما كل وظيفتها في المجتمع ، بل صار عليها ان تعمل وتكتسب ، لأن العمل

(١) يقيها الزلل والانحراف اذا فقدت العائل .

(٢) يمكنها من رفع مستوى معيشة الأسرة اذا كانت متزوجة .

(٣) يساعد على ضمان مستقبل الابناء اذا عجز دخل الأب عن أن يهيء لهم اسباب هذا المستقبل ، أو اذا انحرف الأب وتخلى عن مسئولياته نحوهم ..

(٤) فضلا عن أن عمل المرأة مجهود لا غنى عنه للمجتمع النامي ، في سبيل تأمين الاقتصاد

القومي ، وفي سبيل رفع مستوى معيشة المجتمع كله .

توصيات .. وضمانات

ولقد اعترفت المنظمات الدولية بمركز المرأة ، ودعت الامم المتحدة — في دورتها السابعة عشرة — الدول الى تطوير تشريعاتها لمساواة المرأة بالرجل في الفرص المتاحة والمعاملة الطيبة في الاستخدام . واوصت منظمة العمل الدولية الدول الاعضاء — في العام الماضي — بتوصيات ، اهمها :

١ — توفير افضل تعليم واحسن تدريب مهني وحرفي وفني للمرأة في الدول النامية .

٢ — توسيع مجال فرص الاستخدام للمرأة ، لا سيما في القطاعات غير الزراعية بالدول النامية ، مع تحطيم الحواجز التقليدية التي تقف ضد تشغيل المرأة .

٣ — المساواة بين المرأة والرجل في الاستخدام وفي الاجور ، وفي المعاملة بوجه عام .

٤ — حماية الامومة والسلامة الصحية للعاملات .. بانشاء دور رعاية صحية لهن ، وحضانة لاطفالهن .

٥ — تأمين التقدم المطرد للمرأة في البلاد النامية ، في المجالين الاقتصادي والاجتماعي ، وتأهيلها للاستجابة للحاجات المتغيرة التي تتطلبها التنمية القومية .

ومع الحقوق واجبات

على ان مقابل هذه الحقوق التي تطالب بها المنظمات الدولية للمرأة ، تلزم مسئوليات عليها نحو المجتمع ، اجملها مؤتمر « المرأة العاملة » في ما يلي :

١ — العمل على زيادة دخل الاسرة لرفع مستواها المعيشي بالوقوف مع الرجل جنبا الى جنب ، في العمل وفي البيت .

٢ — ان تكون مصدر قيادة والهام لاسرتها ولبنات جنسها سواء في بلدها او البلدان الشقيقة .

٣ — التمسك بالقيم الروحية النابعة من الاديان ، والقيام بدور قيادي في تنظيم الاسرة ، لاسيما فيما يتعلق بتحديد النسل وتربية النشء .

انقلاب اجتماعي .. اي انقلاب !

على ان نزول المرأة الى ميدان العمل — في الدول العربية بالذات — ليس بالظاهرة الهينة ، بل انه انقلاب من شأنه ان يمس كل نواحي حياة هذا المجتمع بالتغيير ..

علاقة المرأة بالرجل

هناك — مثلا — علاقة المرأة بالرجل ..

فقد درج المجتمع العربي على ان تكون للرجل القوامة على المرأة .. وهو الذي يعولها ، وهو الذي يدبر لها شئون حياتها .. حتى انه كان الاب ، او الاخ حالة غياب الاب ، يختار لها الزوج الذي تعيش معه بقية حياتها . وكان الرجل يصر على ان يرسم لابنته او اخته حياتها ، حتى ولو كان أميا وهي متعلمة ! .. فكيف يصبح الوضع اليوم ، وقد اصبحت المرأة تكسب على قدم المساواة مع الرجل ، ولم يعد هو العائل ، وهي العالة ؟

من الطبيعي ان السيطرة الواسعة التي كان الرجل يستمتع بها في محيط الاسرة — بوصفه ولي الامر او العائل — لم يعد لها مجال .. لم يعد للاب او الاخ — مثلا — ان يملي ارادته على ابنته او اخته — التي تعمل وتكسب — كي تتزوج شخصا معينا ، تؤمن هي بأن التفاهم بينها وبينه غير متوفر ... بل لم يعد له ان يملي عليها أن تتزوج في سن معينة ، اذا كانت هي ترى ان وقت الزواج لم يحن في الخطة التي رسمتها لحياتها ...

لا بد من تخطيط ..
ولا بد من توعية

وهذا الانتقال في الاوضاع — بين الرجل والمرأة — خليق بألا يتم بسهولة في كافة قطاعات المجتمع ... فنحن نراه واقعا في كثير من الاوساط المتعلمة المتنورة ، ولكن هناك اجزاء من المجتمع لم تزل



منه الجرأة على الانفصال على الأوضاع التقليدية والتسليم بالواقع .. كما أن هناك ، من ناحية أخرى ، فئات في المجتمع ينخفض على الفتاة فيها أن تشتغل وتنجح في تحررها من سلطان الرجل ، وفي اعدادها بوضعها الجديد .

ومن ثم فان الحاجة ملحة الى ان ينشط رجال الاجتماع والفكر ، والسلطات المشرفة على التربية والشؤون الاجتماعية وتنظيم المجتمع الى رسم برامج شاملة للتوعية والتوجيه والارشاد ، تستخدم في نشرها كافة الوسائل الممكنة وفي مقدمتها وسائل الاعلام .

مشاكل ... للمتزوجات

وهناك ناحية أخرى ليست أقل أهمية .. تلك هي علاقة المرأة العاملة المتزوجة بزوجها ..

● **المرأة العاملة**

لقد كانت مهمة الزوجة في الماضي هي انجاب النسل واعداد البيت ، بينما كانت مهمة الرجل هي كسب موارد الانفاق للاسرة ... ولكن هذا التوزيع في العمل بين الزوجين قد تغير .. بدخول المرأة ميدان العمل . ومن شأن العمل ان يعفي الزوجة من التدبير المنزلي بالدرجة التي كان عليها عندما كانت متفرغة له ... كذلك من شأنه ان يجعلها ترى ان انجاب النسل احيانا يعطلها عن الكسب ويفوت عليها فرص الارتفاع في عملها .

ثم انها قد ترى ان من حقها الاحتفاظ بكل دخلها لتنفقه على مطالبها الخاصة ، استنادا الى ان الرجل هو المكلف قانونا بالانفاق على اسرته .. وحتى انها مع قيامها بالعمل والكسب لم تعد تعالج شؤون البيت والأسرة المعالجة الكافية التي كانت حين كانت متفرغة لها ..

هذه ناحية اخرى تحتاج الى برامج للتوعية ، حتى يفهم الرجل العامل والمرأة العاملة ان المسألة مسألة تعاون وزمالة وشركة لانشاء اسرة ناجحة سعيدة ...

وعندما يصطدم عمل المرأة بحقوق زوجها !

وهناك نتائج لنزول المرأة الى ميدان العمل ، تمتد الى القانون ، والى النظم الحكومية ذاتها ..

فالأصل ان المرأة تتبع زوجها اينما ذهب ..

ولكن ماذا يحدث لو ان الزوج انتقل — بحكم عمله — الى بلد آخر ، وكانت الزوجة تشغل — في بلدها الراهن — مركزا ممتازا ، تنفتح امامه ابواب المستقبل ، بحيث يتعذر عليها التضحية به .

لقد عالجت التشريعات الادارية في بعض الدول العربية — كالجمهورية العربية المتحدة — هذه المشكلة ، اذا كان الزوجان موظفين حكوميين ، فوضعت من القواعد ما يكفل ان يكون الزوجان في بلد واحد ..

ولكن ، ماذا يحدث اذا لم يكونا موظفين حكوميين ؟

واذا ابت الزوجة ان تضحي بمركزها لتلحق بزوجها ، بينما اصر هو على حقه في ان تتبعه .. وذهبت الزوجة في موقفها الى درجة المطالبة

بالطلاق ، فتثبت الزوج بحقه الشرعي وأبى وتمسك بما يلزمها به الشرع من طاعة له !

حق تأديب الزوجة

وثمة موقف يبين مدى الحاجة الى اعادة النظر في القوانين المدنية وقوانين الاحوال الشخصية ، للتمهيد لهذا الوضع الجديد .. فالقانون مثلا يجيز للزوج حق تأديب الزوجة ، في حين ان هذه الزوجة قد تكون ارقى من زوجها منصبا ، واكثر نفوذا ، واوفر دخلا !!

وهناك آثار اخرى لنزول المرأة الى ميدان العمل ، كفيلة بأن تنعكس على حياة المجتمع كله.

واول هذه الآثار ، ان وضع المرأة الجديد سيكون أهم عامل في تحديد النسل ، لأن المرأة لم تعد متفرغة لهذه المهمة .. وتحديد النسل من شأنه أن يصرف جهود الابوين الى العناية بعدد أقل من الاولاد ، مما سيساعد على زيادة العناية بهم ، ولا سيما وقد اصبح التعليم بالمجان — في بعض مراحله على الأقل — في كثير من الدول العربية ..

عمل المرأة وازالة الفوارق بين الطبقات

وبدخول المرأة ميدان العمل ، سيصبح للأسرة موردان للدخل ، لا مورد واحد ، ومن ثم سيرتفع مستوى معيشتها .. وبالتالي ، سترقى الطبقة التي تؤلف هذه الأسرة نواتها ، وتحتل مكانة ارفع في المجتمع .. وسيتغير التقسيم الطبقي في المجتمع ، ويزداد التقارب بين طبقاته .

كذلك يلاحظ ان تفتح ابواب العمل للفتيات — في المعامل والمصانع — بدأ يقضي على فئة خادمات البيوت ، حتى اصبحت بعض الدول تعاني ازمة خادمات .. ولما كانت الزوجة لم تعد متفرغة للبيت ، فمن الطبيعي انها ستلجأ الى الأدوات الحديثة للاستعانة بها في تدبير شؤون بيتها . والى جانب ان هذا — في حد ذاته — تجديد في النظم المنزلية فان من شأنه ان يشجع الصناعة المحلية على الاتجاه الى انتاج الادوات ، والاستغناء عن استيرادها من الخارج كما حدث فعلا في بعض الدول العربية .. وهكذا يؤثر نزول المرأة لميدان العمل ، في توجيه الصناعة ، والاقتصاد القومي.

★ ★ ★

ونخلص من هذا الى تأكيد القول بأن عمل المرأة ليس مجرد ظاهرة عادية في المجتمع ، بل انه انقلاب يمس كافة نواحيه ، ويتطلب نشاطا من جميع الهيئات لمواجهته بما يجعله مصدر خير مستمر للمجتمع كله ..

لغة الأرقام .. بالنسبة للمرأة العاملة

أجرى استفتاء في ٨ مؤسسة من كافة القطاعات — بالجمهورية العربية المتحدة — بالنسبة لعمل المرأة فاسفر عن :

٦٠ في المائة من المؤسسات تفضل استخدام المرأة في الأعمال الكتابية والفنية ..

٢١ في المائة ترى الاقتصار على استخدامها في الأعمال اليدوية .

٢٠ في المائة ترى الاقتصار على استخدامها في الأعمال الآلية .

وقد تضمن الاستفتاء دراسة الاستعداد الطبيعي للمرأة في العمل ، ودلت هذه الدراسة على :

في ٤٠ حالة تتجاوز الاناث حدود الاجازات المقررة لهن بنسبة ٢٧١٪ بسبب المرض والأمومة ، في حين ان الرجال لا يتجاوزون هذه الحدود بأكثر من ٦٪

في ٣٤ حالة تبين ان مطالب المرأة تزيد كثيرا على مطالب الرجل .

في ٢٧ حالة وجدت مشكلات بسبب اشتراك الجنسين في عمل واحد .

ظهر في ٤٢ مؤسسة ان الانتاج لم يقل بعد الزواج، وفي ٥ مؤسسات ظهر انه زاد بعد الزواج .. اما اما في العشر الباقية .. فلم يتأثر الانتاج بالزواج.

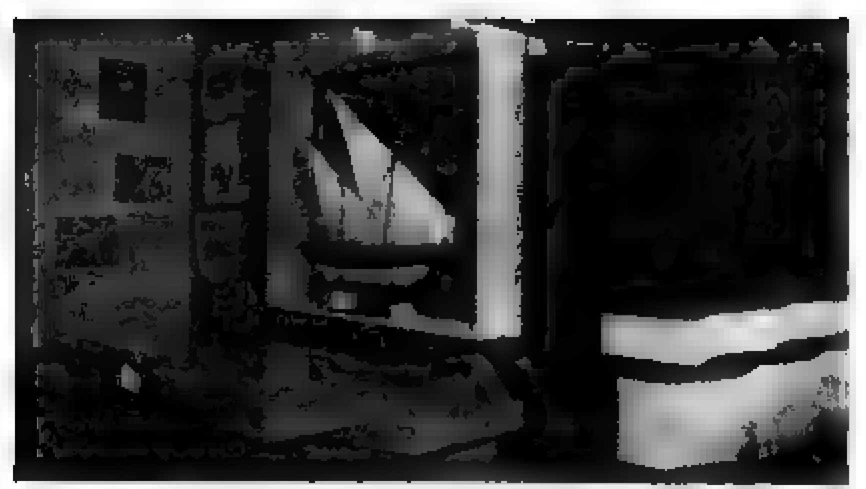


بعد أيام تشترك في معرض ميلانو العالمي

■ لا جدل في أن المعارض من أهم الوسائل التي تستطيع كل دولة بواسطتها نقل ما توصلت اليه من رقي وتقدم في ميادين الصناعة والعمران والاقتصاد الى أذهان شعوب العالم في مختلف أنحائه ، ومنذ أن لمست الكويت تلك الأهمية ، حتى عمدت مختلف أجهزتها في وزارة المالية والصناعة ، وبالتحديد في أوائل عام ١٩٦٢ ، على انشاء قسم خاص بالمعارض يقوم بالاشراف على ابراز مختلف أوجه النشاطات المثمرة تعبيرا صادقا عن مدى ما توصلت اليه الكويت في غضون الفترة القصيرة التي اجتازتها — من تقدم في شتى الميادين الاجتماعية والثقافية والعمرانية والصحية . لكن معرض تونس الدولي العاشر الذي أقيم في الفترة ما بين ١٩ اكتوبر ٦٢ و ٤ نوفمبر ٦٢ أول مساهمة فعالة .

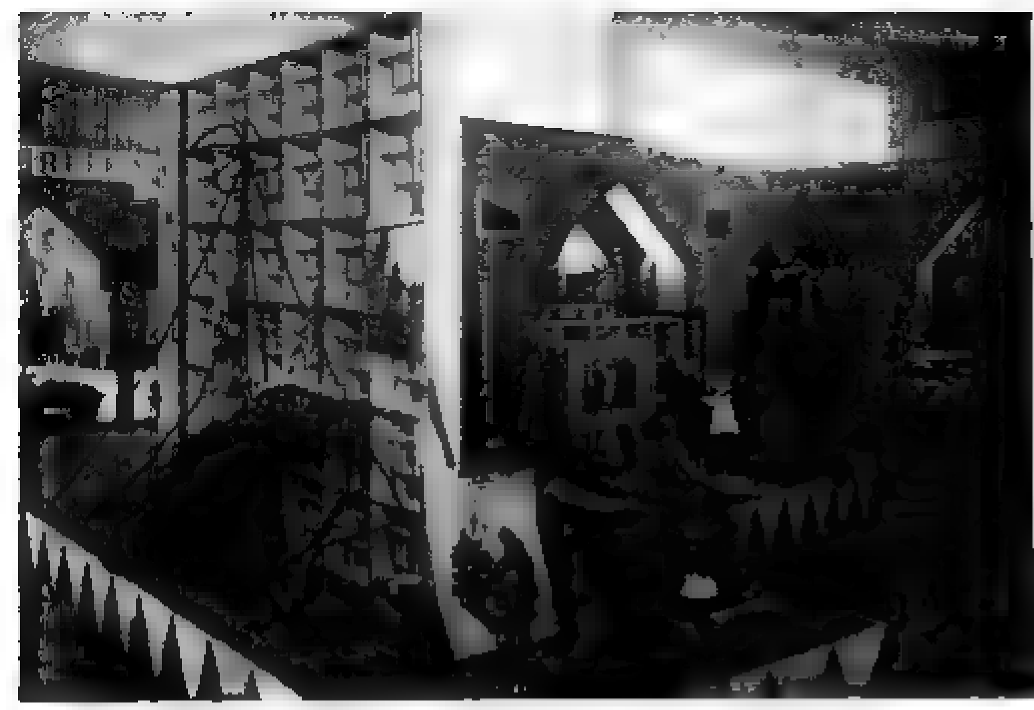
وعندما أنشئت وزارة التجارة في أوائل ١٩٦٣ كان عليها تعزيز قسم المعارض

تصميم آخر لأحد معارض الكويت ويرى فيه خريطة الكويت الواضحة .



في معرض تونس — منظر داخلي لجناح دولة الكويت في معرض تونس ويمثل السفينة الأسطول التجاري الذي كان لدولة الكويت حينما كان اقتصادها يعتمد الى حد كبير على التجارة والملاحة .

في معرض طرابلس الغرب — منظر عام للجناح الكويتي في معرض طرابلس وكتب على جانب من واجهته الامامية اسم دولة الكويت ورسمت على الجانب الآخر خريطة ورمزه لها . وفي داخل الجناح صور لانابيب النفط وبعض مظاهر العمران في الكويت



أجنحة الكويت في معرض زغرب ... وقد أبرزت فيه بشكل خاص الأدوات التي كانت تستخدم في الغوص بحثا عن اللؤلؤ الذي كان يعتبر مصدرا رئيسيا من مصادر الرزق في الكويت .

بالامكانيات المتيسرة التي تستطيع بواسطتها الاشتراك بأكبر عدد ممكن من المعارض الدولية . وبالعمل فقد تم اشتراكها في نفس العام في خمسة معارض دولية هي حسب الترتيب التالي :

معارض عام ١٩٦٣

١ — معرض طرابلس الدولي بليبيا من ٦٣/٢/٢٨ الى ٦٣/٣/٢٨ .

٢ — معرض طوكيو الدولي الخامس من ٦٣/٤/١٦ الى ٦٣/٥/٦

٣ — معرض دمشق الدولي العاشر من ٦٣/٨/٢٥ الى ٦٣/٩/٢٠

٤ — معرض زغرب الدولي بيوغسلافيا من ٦٣/٩/٧ الى ٦٣/٩/٢٢

٥ — معرض تونس الدولي الحادي عشر من ٦٣/١٠/١٨ الى ٦٣/١١/٣ .

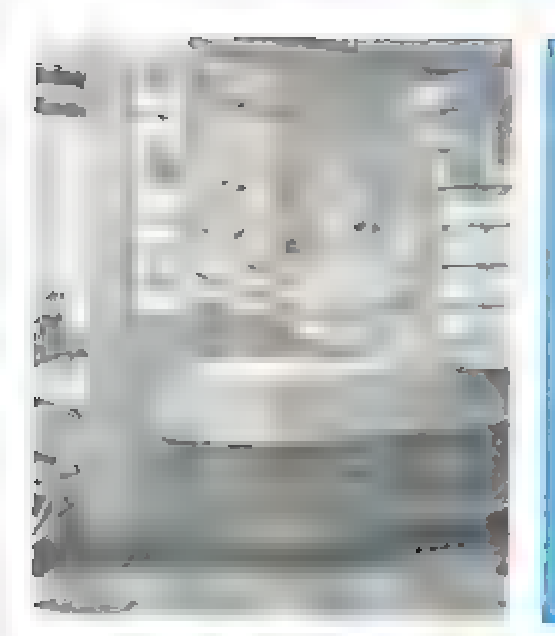
معارض عام ١٩٦٤

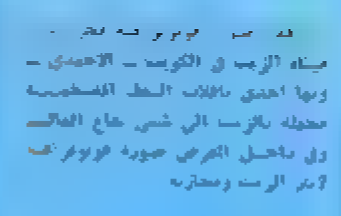
اما في السنة المالية الحالية ، ١٩٦٤ ، فقد اشتركت الكويت حتى الآن في معرض بغداد الذي اشتركت به الدول العربية وقد استمر لمدة شهر من ٦٤/٢/٨ الى ١٩٦٤/٣/٧ .

كذلك اشتركت الكويت في معرض طرابلس الدولي الذي اقيم في ٦٤/٢/٢٨ الى ١٩٦٤/٣/٢٠ .

في معرض ميلانو

كما يجري عمل الترتيبات لاشتراك دولة الكويت في معرض ميلانو الدولي الذي سيقام في المدة من ١٢ ابريل ١٩٦٤ الى ٢٥ ابريل ١٩٦٤ . وفي هذا المعرض ستكون الكويت على موعد مع ١٤٠٠٠ عارض ، من ٨٤ دولة ، فضلا عن مئات الآلاف من زواره الذين سيجدون في اشتراك الكويت فيه فرصة طيبة للوقوف





ميناء الزيت في الكويت – الأحمدي – وبها أحدث ناقلات النفط المخصصة محملة بالزيت الى شتى بقاع العالم وفي داخل المعرض صورة فوتوغرافية لأمير الكويت وصحابته

الكويت في معرض طوكيو . وتسري على أحدث واجهاته رسم فوتوغرافي لشارع عبد السالم بمدينة الكويت وما به من مبان تبرز التقدم العمراني والتجاري .



... وضع مجسم جناح الكويت في معرض ... على الطراز ...





القريب لدى تونس السيد رجب الرفاعي

على أحدث مظاهر التقدم والعمران فيها

زيارة رؤساء الدول لأجنحة الكويت



القضية الواحدة

من جريدة العرب — بغداد :

● في القرون الوسطى ، وعلى عهد الاقطاع الطاغي ، التقى في مكان ما اثنان من الفرسان وقد اختلفا على لون ترس شاهداه هناك . اذ ادعى احدهما بأن الترس اسود اللون ، وادعى الآخر بأن الترس ابيض اللون ! وأخذ الفارسان يتخاصمان فيتبارزان من جراء الاختلاف الذي حدث بينهما على هذه الصورة ، وبسبب لون الترس .. وقد تبين في الأخير أن الترس المتنازع عليه كان ذا لونين ، اذ كان احد وجهيه ابيض ووجهه الثاني اسود ، وكان كل من الفارسين محقا من جهة ، ومخطئا من جهة اخرى لأنه كان يرى احد وجهين من الترس ويغفل غافلا عن الثاني

وحكاية الترس هذه كما يرويها لنا التاريخ قد تكون مقبولة في القرون الوسطى ، وفي فترة التأخر والجهل والجمود بوسطها ، الا أن هذه الحكاية غير مقبولة مطلقا ونحن نعيش روح العصر العلمي والسياسي والاقتصادي ، ونعيش روح النقد الذاتي .. فما اكثر الفرسان او المفكرين او الساسة الذين يتنازعون فيما بينهم بسبب لون الترس ، اسود او ابيض ، وما اكثر الاحداث والنكبات التي انصبت علينا من اجل نزاعات من هذا القبيل .. !!

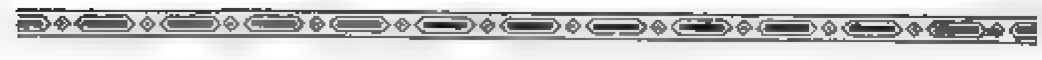
ان القضية الواحدة ، او المعادلة الواحدة قد تتداخل العوامل والاسباب فيها ، وقد تتصارع الظواهر والاختلافات عليها ، ولكن الفكر الواعي والتجربة الرائدة وحدهما هما اللذان يلقيان النور الكشاف على تلك القضية او المعادلة .. فلو تسلحنا دائما بسلاح الفكر والتجربة والحكمة والاناة ، ولو نظرنا الى الترس من كلا وجهيه وليس من وجه واحد ، لهبط رصيد الخلاف والنزاع كثيرا ، ولكانت حياتنا اكثر راحة ونعمة وسعادة ..

الصلابة الديغولية

من جريدة الكفاح — بيروت :

● هذا الجنرال البالغ من العمر ٧٤ عاما لايزال يفكر ويناضل بطموح الشباب . وهو في صلابته وعناده يحظى باعجاب خصومه [illegible] . في سبيل ايمانه تحدى بريطانيا رغم انها آوته اثناء الحرب وتحدى الجنرالات في الجزائر رغم انهم قاموا بثورة كي يأتوا به الى السلطة . وتحدى الولايات المتحدة ، رغم انها اعتبرت مجيئه خشبة الخلاص للديمقراطيات في غرب اوروبا . وانتصر في عزل بريطانيا عن السوق الاوروبية ، وفي اقامة تحالف ثنائي فرنسي ، وها هو في محاولته لاعادة اعتبار فرنسا يهم بالدخول في تقرير مصير المناطق البعيدة من العالم ، وهو في اعترافه بالصين وبحديثه عن الحياد في شرقي آسيا ومد يده للدول العربية، يجلب اليه ثقلا هائلا قد يكون له دور حاسم في تقرير مصير البشرية .

وهنا تجدر الاشارة بأن حديث الاعجاب بديغول لا يعني ابدا التسليم بكل مواقفه . ونحن العرب اذ نرحب بيد ديغول الممدودة ، لعلنا من الصلابة العربية التي تميزنا ما لا يقل عن الصلابة



التفرقة العنصرية في اسرائيل

من مجلة الهلال :

● اسرائيل دولة تقوم على التفرقة العنصرية والتفرقة الدينية معا ..

فهي تضطهد العرب المقيمين بها لأنهم عرب من جهة ، ولأنهم مسلمون ومسيحيون من جهة أخرى.

هي دولة تقوم على أساس ايجاد درجتين من المواطنين . في الدرجة الأولى تقف سلالة الدم اليهودي وحدها ، وفي الدرجـــة الثانيـــة يأتي الآخرون !

نفس الاضطهاد الذي كان يشكو منه اليهـــود في أوربا في عصور الاضطهاد ، مع انعكاس الآية .. فقط لا غير ..

هذه الحقيقة الكبرى من حقائق الحيـــاة في اسرائيل ، مجهولة تماما في العالم الخارجي .

ولا أظن أن الصحافة العربية والسياسة العربية قد بذلت كل ما في طاقتها لتأكيد هذه الحقيقة .

ثم أن هناك ما هو أعمق أثرا من الدعايـــــة الكلامية ..

فلا أدري مثلا ، لماذا لا تطلب الدول العربية من الأمم المتحدة أن ترسل لجنة دولية ، تحقق في أحوال العرب المقيمين في اسرائيل ، لجنة تسأل هذه الدولة عن هؤلاء العرب الذين تعتبرهم رعايا ما هو نصيبهم من المشروعات العامة ومن الوظائف ومن ميزات التعليم ومن فرص السفر ومن حقوق التنقل ومن الحريات العامة والخاصة ؟

ثم ان .. المقاومة السلبية التي نهض بها الزنوج في امريكا كانت كافية لأن تثير ضمير العالم كله وبالنسبة للأوضاع في دولة كبرى كالولايات المتحدة .. فلماذا لا يعمل العرب على تنظيم مثل هذه الحركة داخل اسرائيل ، لتكون نقطة بدء في لفت أنظار العالم الى حقيقة ما يجري هناك ؟ ..

الديمقراطية . ونحن نود أن نقول لديغول انه لا نفع بنا والثقة في يده ، ان مفتاح الطريق الى الصداقة العربية هو التخلي النهائي الحاسم عن مساندة الغدر الصهيوني . فاذا اقتنع الرئيس الفرنسي بهذه الحقيقة ، فحينئذ يستطيع ان يصنع الأعاجيب في الشرق الأوسط وافريقيا وآسيا .

استعمار ديمقراطي

من جريدة « فلسطين » ـ القدس

● الاكتفاء باعلان الاستياء من خطاب الرئيس الأمريكي جونسون ، موقف سلبي ، لن يفيد منه أكثر من تسجيل واقعة أخرى من سلسلة وقائع التحيز السافر الذي تتخذه الولايات المتحدة في تأييد الصهيونية وفي محاربة الحقوق والأماني العربية.

فأمريكا كانت ، وما تزال ، تقف وراء اسرائيل ، وقفة لا تدفعها الرحمة والشفقة وباعثها المصالح الخاصة لرجال السياسة ، الذين يطلبـــون التماسهم لتأييد اليهود كطريق مختصر للوصول الى المناصب السياسية ، والى كراسي الحكم .

واذا كان جونسون ، قد حذا حذو من سبقه في كرسي الرئاسة الأمريكية ، فهذا أمر عادي ، ولكنه قد تجاوز موقف التأييد لليهود ، الى موقف يصح أن نصفه بأنه ضد العرب .

لقد وقف جونسون يخطب في مأدبة حفلة يهودية ، أقيمت لجمع المال لمؤسسة صهيونية تستهدف تدريب خبراء في علم الذرة . وكان توقيت هذا الخطاب في انعقاد مؤتمر القمة العربي الذي انعقد ليبحث شؤون العدوان اليهودي على المياه العربية ، أول ما يستلفت النظر ... وكأنه جاء كرد امريكي على مؤتمر القمة !

ان هذا الاستعمار المقنع بالتحدي ، يجب أن لا يقابل منا باعلان الاستياء ، وتسيير المظاهرات الخطابية واقامة الحفلات الهوائية . انه يجب أن يقابل بعمل عربي مشترك ، يلفت النظر على الأقل الى أننا نفهم اللغة التي يخاطبنا بها جونسون ، ونعرف كيف نرد عليها بمواقفنا الدولية، ومواقفنا الاستراتيجية ، وثرواتنا الطبيعية .

بقلم: نعمان ...

سومرست موم يتحدث عن



الحياة والموت

لا منجى من الموت إلا إليه



اعتاد أن يعيش في المستقبل

ولقد اعتدت طويلا ان اعيش في المستقبل ، وجربت حتى والمستقبل الآن بالغ القصر ، الاستمتاع بـ [illegible] هذه العادة ، وسرح صديقي كلما رآني في احتمال اكمال المعجم الذي رسمته في الحياة ، ولو في وقت غير معين

الموت يمنحه الحرية المطلقه

اني اعترف بانني اسير حثيثا الى الموت ، حتى لاتمنى ان انظر اليه بعين اللهفة التي انظر بها الى احتمال حبيب . فهو يبعث في نفسي [illegible] الحافلة بالمواقف التي منحتها الحياة لي في سنواتي الماضية . اني اعلل بفكرة الموت . [illegible] لي ان الموت سيمنحني الحرية المطلقة . [illegible] اسف لفراق اصدقائي ، ولا اعتقد انا الكبرت العمر [illegible] الذين عرفتهم وصحبتهم ، ولكنه سيكون من صالحهم ان يمنحوا هم الاخر[illegible] [illegible] بعد ان ظلوا طويلا [illegible]

هو وكلابه الثلاثه في شيخوخه طاعنه

[illegible] لشيخوخة — واما الآن في الشيخوخة الطاعنة — اني اليوم مشغول بها ،، تماما كما كنت مشغولا بالحياة فيما مضى .

اني لا ازال أمشي في حديقتي بعد ظهر كل يوم ، مع » الآن » — سكرتيري » وكتبي الكبير » جورج » » وكثير كثيرين من نوع » البكين » [illegible] وحد » [illegible] » — زعمره » [illegible] — [illegible] » وهو في الرابعة عشرة

لقد اصبحت انا والكلاب ، نؤلف صورة للشيخوخة رائعة . في الشيخوخة تتراءى حتى في خطوها البطيء ونحن نسير الى البستاني لتراه قائما في عمل قد لا يرى نهايته ابدا .

لم يعد له حتى متعة العمل ليملأ بها أيامه

لقد عملت في سني عمري الخمسين الكثير . عملت اكثر مما يجوز لاي رجل ان يعمل ، وها انا ذا الآن اتمتع بالحياة التي احببتها . واحياء الشيخوخة وامتاعها يجعلان هذه الحياة لا تطاق . لقد شببت على حب العمل والآن لم يبق لي سوى متع قليلة . لم يعد لي حتى متعة العمل التي املأ بها ايامي . اني لا ازال استطيع ان استمتع بالوجبة الطيبة ، ولست [illegible] ولكن الصمم يلاحقني ، [illegible] عليّ ، وبصري لم يعد كما كان ، ولعل هذا بالذات هو اكبر ما يزعجني ، لانه يجعل القراءة عسيرة جدا عليّ .

تنازله عن مكتبته

وبالطبع انا تنازلت عن مكتبتي ، فهي اليوم [illegible] تعود اليها مني . وهذا التصرف لم يرق للمرحوم [illegible] وراءني آخر مرة . على اني [illegible] بعض الكتب لما [illegible] التي ان [illegible] بالقراءة كما [illegible] لي . [illegible] في عمري [illegible] في [illegible] يعرفني [illegible] .

لو طلب اليه ان يحيا الحياة من جديد

[illegible] في اعماق النفس عما اذا كنت اقبل ان احيا حياتي مرة اخرى . والواقع انها كانت حياة طيبة ، ولعلها كانت اطيب من حياة معظم الناس . ولكني لا ارى حاجة في تكرارها . انها [illegible] تكون مملة ، اشبه بقراءة قصة بوليسية اكون قد قرأتها من قبل . ولكن لماذا صح ان [illegible]

سومرست موم: في سطور

● ولد في ٢٥ يناير ١٨٧٤ في باريس حيث كان والده المستشار القانوني للسفارة البريطانية فيها.

● عاش بباريس السحرية ووالدته بصالونها الأدبي الذي كان يؤمه كبار الكتاب والفنانين ، ومنهم مالارميه .

● توفيت أمه وعمره ثماني سنوات فكانت وفاتها أعمق صدمة أصيب بها في حياته ، كما قال . وتوفي والده وعمره عشر سنوات .

● أرسل سومرسيت بعد وفاة والده وعاش في رعاية عمه قسيس كنيسة وايت ستيبل White Stable

● كان في طفولته يشكو من ضعف صحته وعيب في الكلام . وقد ظلت هذه العاهة ملازمة له حتى شفاه منها عام ١٩٤١ الطبيب الذي شفى الملك جورج السادس

● وكان في صباه يعاني من مرض السل .

● ولما بلغ الثامنة عشرة من العمر ذهب إلى جامعة هيدلبرج لقضاء سنة ، كان لها أثر بالغ في تكوينه ، ففيها استمع إلى محاضرات هامة من الفلاسفة وشاهد مسرحيات إبسن وزودرمان ، وتأثر بالأدب الألماني وعاد إلى إنجلترا وهو مصمم على أن يكون كاتبا

● وحاول موم بعد عودته منه ترضية عمه ، فأشار العم الذي كان يعده ليكون من رجال الدين وأخيرا وجدا حلا وسطا بأن يدرس الطب ، وهكذا التحق موم بمستشفى سانت توماس بلندن وتخرج منه عام ١٨٩٧ .

● وفي البيئة الشعبية في هذا المستشفى استوحى أول قصة له وهي « ليزا أوف لامبث » التي نشرت وهو ما زال ابن الثالثة والعشرين من عمره ، وفي السنة النهائية من دراسته . ولقد لقيت هذه القصة رواجا لا يحلم به .

في التناسخ من بعد موت ـ وهو المعتقد الذي يؤمن به ثلث أبناء الجنس البشري ـ وكان المرء أن يختار أن يعود إلى الحياة الجديدة على هذه الأرض، فقد كان يخطر لي في الماضي أنني أميل إلى خوض هذه التجربة على أمل أن أستمتع بالتجارب التي منعتني الظروف وصفاتي الخاصة ـ من ناحية وصحية ـ من أن أستمتع بها ، وأن أتعلم الأمور الصحيحة التي لم يتح لي الوقت ولا الفرصة أن أتعلمها .

ولكني الآن أرفض الرفض ، فقد نلت كفايتي . والواقع أنه لم يعد ثمة أيام أستمر فيها أنسى ما فقدت كل شيء أكثر مما يلزم .. عرفت من الناس أكثر مما ينبغي ، وقرأت من الكتب وشاهدت من الصور والتماثيل والكنائس والبيوت القديمة ، واستمعت إلى الموسيقى .. أكثر مما ينبغي . والخلود لا أشتهيه ، وأتمنى أن أموت موتا هادئا سريعا ، وإني على يقين بأن روحي ستتلاشى عندما ألفظ النفس الأخير ، وستتلاشى معها ما كان بها من عجز ومن خضوع .

تمنى لو يفرغ للأسفار ، ويحقق مناه

كنت ، منذ عهد من الزمن ، أصبو إلى سنوات أترك فيها العمل وأقبل على الأسفار . ولقد حققت بهذه السنوات ، وبلدت أرجاء كنت قد تمنيت اليها منذ ٢٠ أو ٣٠ سنة مضت . وكان من الطبيعي أن أزور هيدلبرج ثانيا ، حيث كنت أدرس في صغري . وفي خلال هذه الزيارة البارزة لهذه المدينة التقيت برجل إنجليزي طحنت صحبة صحافة ، تعلمت من طرقها الكثير من الأدب ، وهي التي علمتني السفر إلى كثير من أرجاء العالم بحثا عن الحياة . إني من هذه الأسفار استخلصت الكثير الذي عرفني لأصبح قصاصا . ولقد كان من دواعي سروري ـ في السنوات القريبة الأخيرة أن منحت لقب عضو الشرف الفخري لجامعة هيدلبرج ، إنها منحة يزدان بها رجل عجوز مثلي .

ورحلة يقوم بها إلى مراكش

إن عزمتي الآن لتصيبني ، ولكني لن آلف من

● وتخرج موم طبيبا ولكنه لم يمارس المهنة، وانصرف لكتابته، وتنقل بين اسبانيا التي أحبها، وباريس التي عشقها، ولندن التي ظلت دوما مهوى فؤاده.

● وفي عام ١٩٠٨ حقق موم نجاحا باهرا ككاتب مسرحي، حيث كانت أربع من مسرحياته تمثل على مسارح لندن في آن واحد.

● وفي الحرب العالمية الأولى عمل جاسوسا لبلاده، وكان اختياره موفقا، لأنه ككاتب يستطيع أن ينتقل من بلد الى آخر، دون أن تحوم حوله الشبهات. وعمل في بلدان الشرق الأقصى، وذهب الى الولايات المتحدة، وزار روسيا في مهمة رسمية.

● وفي عام ١٩١٦ تزوج سيدة مطلقة هي سيري Syrie، أنجبت له ابنته الوحيدة ليزا التي سماها باسم بطلة أول قصة له. وقد انفصل موم عن زوجته عام ١٩٢٧، ولم يتزوج بعدها، وقد توفيت هذه الزوجة عام ١٩٥٥.

● وفي العالمية الثانية عمل ضد النازية، فسجل اسمه من أجل هذا في قائمة غوبلز السوداء.

● وقد سجل موم الكاتب صورا من حياته الخاصة في ثلاث من قصصه هي: «العبودية الإنسانية Of Human Bondage» و«القمر وستة بنسات The Moon and Six Pence» و«كعك وجعة Cakes and Ale».

● وبالاضافة الى هذه القصص الثلاث نشر سبع عشرة قصة أخرى ما بين عامي ١٨٩٧ و١٩٤٨، وهو العام الذي أعلن فيه توقفه عن كتابة القصص.

● له مجاميع عديدة من القصص القصيرة التي تدور عليها شهرته.

● وله أيضا اثنتان وثلاثون مسرحية، وكتب أخرى تتناول مواضيع مختلفة من دراسات في النقد، الى مذكرات، ورحلات.

الأسفار. سأذهب الى مراكش، انها مدهشة تقع في بقعة من العالم كان أبي يزورها كثيرا وفيها رأى أبي التعويذة الزرادشتية التي تطرد السوء، تلك التي يراها الداخل عند مدخل داري، أو يراها على اللفافة كتبي جميعا.

رحلة عاطفية يتمناها، الى قرية في أدغال كمبوديا

وعلى ذكر هذه الآثار العتيقة التي تنافس العصر الحديث الذي نعيش فيه، وتذكرني من اللحظة الشيء الكثير، الأول التي اكتشفتها منذ قرابة أربعين عاما، وأتذكر فيها أحيانا فيتراءى لي أن الوقت قد حان لأقلعها وانطلق أهيم في جنبات الأرض.. فقد أصبحت شيخا متنقلا، ولابد من أن يأتيني الموت وأنا في رحلة تهز عاطفتي الى مكان من الدنيا أرى فيه جمالا وغبطة لم أجدهما في مكان سواه.. وأقصد بهذا القول، قرية «انجكورووات» في كمبوديا. فقد بقيت في الحياة أمنية واحدة، هي أن أعود الى هذه القرية المنسية في أدغال الشرق الأقصى. فمنذ زرتها آخر مرة – منذ حوالي العام – كنت أعتزم البقاء يوما أو اثنين، فاذا بي أمكث ثلاثة أسابيع.

إن السفر الى هناك الآن قد يقضي علي، ولكنني أكون مسرورا اذا مت في أوسط هذا الجمال الذي ينعم به ذلك المكان.

يسرني ألا أموت فقيرا

ان بيتي هذا ينتمي الى الماضي.. ولكنه لنا. ولست أشعر بميل نحوه أو نحو غيره من مظاهر الثروة. فلست أرى التعلق بمقتنياتي يطغى احتلالها الى درجة أني أأسف طويلا عليها اذا فقدتها. ولقد بيع من كتبي حتى الآن ما يزيد على ٨٠ مليونا من النسخ، ولكن النقود التي اكتسبتها منها كانت – بالنسبة لي – أشبه بحاسة سادسة ما كنت لأستمتع بالحواس الخمس الأخرى بدونها

درس لكتاب القصة

إنك لا تكتب القصة بمجرد أنك تريد كتابة قصة . إنك تنتظرها حتى تواتيك هي ... أنا لم أكتب في حياتي قصة واحدة طلبتها وإنما القصة هي التي كانت تلح على نفسي .. إنني حين أنظر إلى القصص التي كتبتها ، لا أدري كيف قدر لي أن أكتبها . الحق أنني أحس أنها لا بد قد أملتها عليّ قوى غامضة ، فلست أستطيع أن أتذكر اللحظة التي بدأت فيها مجبورا بإدراكي .

سومرست موم « قبيل التسعين
في حديث له مع ابن أخيه

وكم يسرني أنني سوف لا أموت فقيرا . إن الشيخوخة والفقر مصيبتان لو اجتمعتا . فليس يطاق أن يعتمد المرء على الإحسان ليحظى بالسقف الذي يظله واللقمة التي تقيته .

وصور الفن الرائعة التي عنده ، تخلى عنها

لقد قضيت سنوات عديدة أشتري من صور الفن ما راق لي ، ثم قدمتها واقتنيت وقت اقتنيتها اليوم وهي لم تعد في حوزتي . إن البعض يقول إن بيتي عامر بجنون هذه الصور . فإذا صح أنه كذلك ، فلست أدرك أنا ذلك . ولقد تخلصت منها تخلصت من زجاج باب الذي رسمه الفنان « جوجان » في جزيرة تاهيتي ذلك الذي اشتريته زائرا للجزيرة . إنه الآن عند شخص في أمريكا .

إن كل ما بقي لي من الصور ، إنما هي الصور المسرحية ، وهي لم تعد ملكا لي ، فقد أهديتها إلى المتحف « فكتوريا » و « ألبرت » (بلندن) ، وقد تكرم رجال المتحف فردوها إليّ — على سبيل الإعارة — إلى أن أموت .

لم يتعود أن يحفل برضاء الناس عن آرائه

إنني ما تعودت أن أحفل — وما أزال لا أحفل — أن يقرني الناس على آرائي أو لا يقروا . أنا بالطبع أرى نفسي على صواب ، وإلا ما كنت أفكر على النحو الذي تشجبه ، وأراهم على خطأ ، ولكنه لا يساورني أن كانوا هم المصيبين وأنا المخطئ .

ولقد كنت — في نظر نفسي — أعظم شخص في الدنيا .. ولكن في الواقع وعلى المستوى المعقول المقبول ، أنا لست شيئا أبدا . ولو أنني لم أوجد قط ، لما أحدث هذا في الكون اختلافا يذكر .

حياة تامة كاملة عشتها ، وتحققت

لقد خطر لي يوما — وقد بلغت الثمانين أو أي سن — أنه ما بقيت لي حياة واحدة ، فلا أعلم من هذه الحياة التي ما استطيع . ولقد رغبت في أن أرسم لحياتي منهجا ، تكون الكتابة فيه عنصرا أساسيا ، ولكنه يضم كذلك كافة ألوان النشاط اللائق بالإنسان ، حتى إذا جاء الموت أخيرا ، اختتمته به حياة تامة كاملة .

إن هذه الحياة التامة الكاملة قد تحققت فعلا ، وإني لراض بتلك النسج الكامل الذي أصنعته طويلا من الدنيا ، ليشغله سوائي في القريب . إن الخطة المرسومة لا بد أن تكمل . والفنان إذا أكمل رسمه ، ولم يجد شيئا ما يضاف إليه ليزيده جمالا تحول عنه .

نصحوه بزيارة الطبيب ، فأبى

لقد اقترحوا علي من عهد قريب أن أسافر إلى سويسرا لأزور الدكتور « نيهان » وكنت قد زرته في عيادته من قبل . ولكنني لا أرى داعيا لإطالة حياتي بعد هذه السن ، وإطالة الحياة لم يعد لها عندي وجود .

خلا رأسه من الفكر ، فألقى قلمه

ولست أرغب في أن أكتب بعد الآن ، فقد خلا رأسي من الأفكار ، ومن العقد القصصية ، ومن القصص عامة . لقد صببت على الورق من زمن كل الشخصيات التي كانت في أعماقي وفرغت منها ، وتخلصت نفسي من ثقل .

ولهذا سوف يقول الناس عندما يظهر نعيي آخر الأمر « في التيمس » : عجبا ! .. لقد حسبناه مات منذ سنين » ! .

وعندئذ سيسمع قليل من بعد حولي هذا ، وسيضحك في رقة ضحكة ساخرة غير مسموعة .

قصة للكاتب الفرنسي ألفونس دوديه

الدرس الأخير

تأخرت في ذلك الصباح عن موعد المدرسة، وكنت في أشد الخوف من التأنيب، لأن السيد هامل كان يعتزم سؤالنا فيما درسناه عن اسم الفاعل والمفعول، ولم أكن ملمًا بهما. وخطر لي — لحظة من الزمن — أن أهرب من المدرسة، وأن أتجول في الحقول.

وكان اليوم دافئًا وصحوًا، والطيور تغرد في حواشي الغابات، والبروسيون الألمان يتدربون في مرج «ريبير» وراء مصنع نشر الأخشاب. وكانت كل هذه الأمور أشد اجتذابًا لي من قواعد استخدام اسم الفاعل واسم المفعول. ولكني استجمعت قوتي لمقاومة الإغراء، وأسرعت إلى المدرسة.

ولما بلغت دار البلدية في الطريق، رأيت جمعًا من الناس يتجمعون حول لوحة الإعلانات الصغيرة، يقرأون البيانات الرسمية. وكان كل ما سيئ يعلن إلينا، خلال العامين الأخيرين، من تلك اللوحة. فمنها كنا نقرأ عن المعارك التي خسرناها، وعن الضرائب المفروضة علينا. ومنها كنا نعلم الأوامر الصادرة من القيادة. ومع أنني لم أقف مع الواقفين، فقد سألت نفسي: «أي نبأ هناك الآن من جديد؟!».

وبينما كنت أجتاز المكان مهرولًا، صاح الحداد «واشتر»، الذي كان مستغرقًا في قراءة الإعلان مع مساعده: «لا تسرع هكذا يا بني... ستصل إلى مدرستك في وقت مناسب!».

واعتقدت أنه كان يسخر مني.. فجريت في طريقي غير ملتفت إلى شيء، حتى إذا وصلت إلى حديقة السيد هامل، كنت متقطع الأنفاس.

وكان المألوف أن يبدأ الدرس في ضجيج يمكن سماعه من الشارع. فالمقاعد تفتح وتقفل، والتلاميذ يعيدون دروسهم بأعلى الأصوات، والأكف يصفقون حتى تشتد الآذان انتباهًا.. لم كانت



مسطرته الحديدية الكبيرة تدوي على مكتبه ، وهو يصيح : « صمتاً ، صمتاً ! » .

وكنت أعول على الضجيج أثناء هذه الفوضى ، والسعي إلى مقعدي متسللاً . ولكن الجميع كانوا في ذلك الصباح صامتين . كان السكون الشامل مسيطراً . واستطعت أن أرى خلال النافذة المفتوحة أن زملائي كانوا قد استقروا في مقاعدهم ورأيت السيد هامل نفسه يروح ويجيء ، ومسطرته الحديدية الصلبة تحت إبطه .

وكان لزاماً علي أن أفتح الباب ، وأن أدخل أثناء هذا الصمت العميق . ولست بحاجة إلى أن أقول إن الدم تدافع إلى وجهي ، وإن الذعر استبد بي .. والعجيب أن طلعة السيد هامل جاءت خلواً من الغضب حين شاهدني ، وقال في لطف بالغ : « أسرع بالجلوس في مكانك يا فرانز . لقد أوشكنا أن نبدأ وأنت غير موجود ! » .

والتقطت مجلسي . وما أن أفرخ عني الروع قليلاً ، حتى لاحظت أن معلمنا كان يرتدي سترته الرسمية الخضراء ، والقلنسوة الحريرية المزركشة السوداء ، التي لم نكن نراه يرتديها إلا في أيام التفتيش أو في مناسبات توزيع الجوائز والمكافآت . وفوق هذا ، كان يسيطر على زملائي خشوع غير عادي . على أن أكبر المفاجآت وأشدها دهشة وعجباً كان على المقاعد التي في الطرف الخلفي من الحجرة . فقد كانت شاغرة عادة ، ولكن القرويين جلسوا فيها - في ذلك الصباح - خاشعين مثلنا .. كان هناك العمدة الأول ، وساعي البريد السابق ، وبعض الشخصيات الهامة الأخرى . وكان الحزن يتراءى على الجميع . وقد أحضر « هوزر » كتاباً لمبادئ القراءة ، قديماً متآكل الحواف ، فوضعه مفتوحاً على ركبتيه ، واستقرت نظارتاه الكبيرتان على الصفحة .

وبينما كنت أسائل نفسي في عجب عن كل هذا ، استوى السيد هامل على منصته ، وقال يخاطبنا بنفس اللهجة الوقورة الرقيقة التي استقبلني بها :

- هذا آخر يوم أعلمكم فيه يا أولادي ، فقد جاء الأمر من برلين بأن التدريس في مدارس الألزاس واللورين يجب أن يكون كله - منذ اليوم - باللغة الألمانية وحدها . والمعلم الجديد يصل غداً . أما اليوم ، فستستمعون إلى آخر درس ألقيه عليكم بالفرنسية ، فأرجو أن تولوه أقصى انتباه .

« آخر » درس ألقاه بالفرنسية ! وأنا لم أكد أعرف كيف أكتب !! .. إذن فلن أتعلم البتة ، فقد كتب على تعليمي أن يتقطع . ولكم تحسرت في تلك اللحظة على كل دقيقة أضعتها ، وكل درس تركته سعياً خلف أعشاش الطيور حين اكتشفتها ، أو للتزحلق على جليد النهر . وإذا الكتب التي كنت أسميها قبل لحظة - جافة كئيبة ثقيلة الحمل - كتب قواعد اللغة وتاريخ التوراة - غدت الآن وكأنها وجوه أصدقاء قدامى لا أطيق وداعهم .. كما أن فكرة اعتزام السيد هامل الرحيل ، فلن أعود أراه ، أنستني وقع مسطرته والجزاءات المجحفة التي نلتها على يديه .

مسكين ! .. لقد تزيا بأجمل الثياب ، التي لم يكن يرتديها إلا في أيام الآحاد ، إكراماً لهذا الاجتماع . وبدأت أفهم سر تجمع القوم في مؤخرة حجرة الدرس . لقد بدا حضورهم في مناسبة كهذه تعبيراً عن أسفهم لأنهم لم يكونوا أكثر تردداً على المدرسة .. قبل ذلك .. كانت هذه وسيلتهم لشكر المعلم على إخلاصه في عمله خلال الأربعين عاماً الماضية ، وإعلان مشاعر التقدير والإجلال للدولة التي كان حكمها يزول .

وفيما كنت مستغرقاً في هذه الخواطر ، سمعت اسمي ينادى به . كان دوري قد حان لأتلو ما حفظت من الدرس . أواه ! .. ما كنت لأضن بشيء في سبيل أن أتمكن من أن أردد قواعد اسم الفاعل واسم المفعول - من البداية إلى النهاية - بصوت مرتفع جهوري ، ودون خطأ ما . ولكني تعثرت في الكلمات الأولى ، ووقفت واجماً في مكاني أتمايل من جنب إلى آخر ، والأسى يعتصر قلبي . ولم أجسر على أن أرفع رأسي . وسمعت السيد هامل يخاطبني قائلاً :

- « لن أوبخك يا صغيري فرانز .. فلابد أن ما ستلقاه كفاك . أجل . إننا لا نفتأ نسول لأنفسنا كل يوم : « لا يزال الوقت فسيحاً ، وسأتعلم غداً » . وها هي ذي النتائج . إن من أسوأ ما أصيب به إقليمنا « الألزاس » ، أنه كان ميالاً إلى أن يرجئ التعليم إلى الغد . فيحق لأولئك الأجانب أن يقولوا لنا اليوم : « ما هذا ؟ .. أتزعمون أنكم فرنسيون وليس بينكم من يستطيع التكلم والكتابة بلغته ؟ » .. ولست بالمقصر الوحيد في هذا ، يا بني المسكين ، فعلى كل منا يقع نصيب من اللوم .

« إن أبويك لم يبديا غيرة كافية على تعليمك ،

بل كانا يؤثران ان يرسلاك الى الغزل او لفلح الارض ، ما دام هذا يعود عليهما ببضعة دراهم فوق ما بالحسبان . ثم أليس علي أنا جزء من اللوم ؟ .. ألم أكن أرسلكم – في كثير من الأحيان – لترووا حديقتي في حين كان ينبغي أن تتوفروا على واجباتكم ؟ .. وعندما كنت أبغي صيد السمك ، ألم يكن ضميري يتحرج من أن أعفيكم من الدرس ! »

وتطرق السيد هاميل من موضوع الى موضوع فتكلم في اللغة الفرنسية قائلا انها أجمل الألسن والأوضح وأصلب اللغات في العالم ، فعلينا ان نصونها لأنفسنا ، فلا ننساها قط . وقال ان « الذي يصون لغة بلاده ، يملك المفتاح الذي يخلصها من أغلالها » .

ثم تناول كتاب قواعد اللغة ، فقرأ علينا درسه ، فدهشت لاستيعابنا إياه . فقد بدا كل ما قاله سهلا ميسورا . وما أعتقد أنني أصغيت يوما لأحد مثل إصغائي إليه الآن ، ولا أظنه أبدى يوما من طول الأناة في الشرح ما أبداه في هذه المرة . حتى لكأن المسكين كان يود الآن أن يفرغ كل ما كان يعرف قبل أن يفارقنا ، وكان راغبا في أن يحشو عقولنا ، دفعة واحدة ، بكل علمه .

وأعقب ذلك درس في الخط . وكان السيد هاميل قد أعد لهذه المناسبة بعض أشكال جديدة تمام الجدة ، وكتب عليها بخط جميل : « فرنسا الألزاس !.. فرنسا الألزاس ! » .

ولم تكن الكلمات أقل إيحاء من مرأى الأعلام الصغيرة التي كانت مثبتة الى محافرنا . وكان الناظر يرتاح الى مرآنا وقد انهمك كل منا في الكتابة ، والصمت يلفنا ، فلا يسمع سوى صرير الأقلام تجري على الورق .. حتى أصغر التلاميذ .. فقد استغرق الصغار في تتبع الخطوط المستقيمة – التي كانوا يتدربون عليها في أول عهدهم بالكتابة – في تحمس واهتمام ، وكأنها كلمات فرنسية . وكانت الحمائم ترسل هديلا خافتا على سطح المدرسة ، فقلت في نفسي وأنا استمع لها : « هل سيكون حتما عليها هي الأخرى أن تترنم بالألمانية ؟ » .

ومن وقت الى آخر ، كنت أرفع عيني عن الصفحة فأرى السيد هاميل جامدا في مقعده ، وعيناه تتفرسان كل شيء حوله ، وكأنه كان راغبا أن يثبت في ذهنه – الى الأبد – كل صغيرة في مدرسته . ولم يكن قد طرأ عليها كثير تغيير خلال الأربعين عاما التي ظل يحتل فيها مكانه هنا من حجرة الدراسة هذه ، المواجهة للفناء المعشب .. كانت المقاعد قد صقلها البلى لطول الاستعمال .. وأشجار الجوز الفتية في الفناء قد نمت ، ونبتة اللبلاب التي زرعها بيده قد لفت فروعها حول النوافذ واستطالت الى سطح المبنى .

أي أسى كان يعتصر فؤاد المسكين وهو يفكر في أنه مفارق كل هذه الأشياء ، ويسمع وقع قدمي أخته – في الطابق الأعلى – وهي تروح وتغدو ، تحزم أمتعتهما . فقد كانا راحلين في الغد دون عودة . ومع ذلك فما أروع جلده ، ولا أغفل درسا واحدا . فأردفه بدرس الخط درسا في التاريخ ، ثم أخذ الصغار يرددون معا ما كانوا يتعلمونه من مبادئ القراءة : با . بي . بو . بو . جا . جي . جو ... وفي أسفله « هوزير » – الشيخ المسن – كتاب مبادئ القراءة بين يديه ، وواضع منظاره على عينيه ، وراح يقرأ الحروف مع الصغار .. وكان هو الآخر مستغرقه وصوته يتهدج بالانفعال ، وقد بدا منظره مضحكا ، حتى أننا جميعا أوشكنا أن نضحك ونبكي في آن واحد .

آه ! .. لن أنسى ما حييت هذا الدرس الأخير !

وفجأة ، دقت ناقوس الكنيسة إيذانا بالساعة الثانية عشرة ، ووراءه أنغام الترانيم . وفي اللحظة عينها ، سمعنا صوت النفير تحت نوافذنا معلنا أن البروسيين في سبيل عودتهم من تدريباتهم . ونهض السيد هاميل من مقعده ، وقد اشتد شحوبه ، ولكنه لم يتراء لي يوما أطول مما تراءى في تلك اللحظة .

وقال : « أصدقائي .. أ .. أنا .. أنني يا أصدقائي ... » .

ولكن صوته اختنق ، فلم يستطع أن يتم عبارته .

ثم تناول قطعة من الطباشير ، وكتب بأكبر ما وسعه من خط ، وهو يضغطها بكل قوته : « تحيا فرنسا » !.. وظل واقفا عند السبورة ، ورأسه مستند الى الجدار ... ولم ينبس ببنت شفة ، ولكن الإشارة من يده قالت لنا : « انتهى الدرس ، انصرفوا ! » .

ترجمة : محمد بدر الدين خليل



بقلم : فائزة عبد المجيد

■ منذ ان اعلنت الامم المتحدة قرارها الجائر بتقسيم فلسطين ، والفتاة « حياة » معلمة القرية ، قرية دير ياسين الواقعة في ضواحي القدس ، وهي تأخذ طريقها اليها كل يوم ذهابا وايابا . لا تكاد تسمع الا نداء واحدا ينطلق مرددا فلسطين عربية ولا يمكن ان تكون لليهود .

ونصحها ذووها بالتوقف عن الذهاب الى القرية — وهي تجتاز بروحها — ريثما تهدأ الامور ، فلم تقبل النصح ، ورأت ان عليها لوقتها رسالة ولاهل القرية الطيبين عهدا . فقد اعتادت على مثلها الحبيب طالباتها ، فتيات القرية على الاسعاف الاولي وضمد الجراح ، بعد ان تدربت هي عليه في القدس منذ ان اعلن قرار التقسيم، وبثت صادق العزم فيهن للتقدم الى ساحة المعركة اذا جد الجد ، وانها سوف تكون معهن في الطليعة . أتتخلى عن رسالتها الآن في الموقف الجلل !.

وانطلقت « حياة » ذات صباح تحت وابل من الرصاص الى القرية لتواجه لحنها الرهيب . وكان هاتفا من وراء الغيب يردد ان المعركة الفاصلة قد دقت على الابواب .

نشأة قاسية

ولدت « حياة سليم البلبيسي » عام ١٩٢٠ ، لابوين فلسطينيين من عائلات نابلس ، هما « سليم البلبيسي » و « وسيلة القطب » ، وهاجرت اسرتها الى مدينة السلط . ولكن والدها ما لبث ان توفي هناك ، فانتقلت الام — مع ابنتيها الصغيرتين — الى القدس لتعيش هناك في كنف شقيق لها . ولكنها تصاب فجأة بالشلل، وتصبح طريحة الفراش . وكان هذا كافيا لتفتح الفتاة الكبرى « حياة » عينيها على الفاقة ، وليسمو عليها منذ الصغر بوادر جد وادراك عميق لمسؤوليتها . ولما كان خالها ينفق على الاسرة الصغيرة الكثير من حنانه الغامر ورعايته ، فقد تسنى لحياة ان تنتقل في المدرسة من صف الى صف بتفوق وتميز الى ان انهت السنة الثانية الثانوية . والتحقت الفتاة بعد هذا الى دار المعلمات بالقدس . ولكنها ما تكاد تخطو في تلك المدرسة خطواتها الاولى ، وتقبل بحماسة على الدراسة لتهيء لاسرتها موردا ولنفسها مستقبلا ، حتى يعود القدر فيجور عليها من جديد ، وبه فوت تخطف خالها ، وعائل اسرتها الوحيد . وتصبح المحنة الفتاة من جديد ، ولكن لتفجر فيها طاقة اخرى لتحمل الاعباء . ومن ثم نراها تعلم للبحث عن عمل تستطيع به اعالة امها العليلة وشقيقتها الصغرى . وتجد « حياة » الفرصة الوحيدة السانحة امامها في وظيفة معلمة منفردة يرأسها عليها رجال المعارف بالقدس ، وكانت مدرسة القرية قرية دير ياسين.

وحذرها الكثير من قبول المهمة — والمستعمرات اليهودية تحيط بالقرية من كل جانب — ولكنها صممت على قبولها . ولم يمض وقت طويل ، حتى اصبحت « حياة » المثل الاعلى لفتيات القرية وموضع تقدير اهلها لاخلاصها وكفاءتها .

ولكن الاحوال ما لبثت ان تغيرت حين اصدرت هيئة الامم تقسيم فلسطين ، واخذ الجو ينذر باحداث خطيرة لم يكن في الامكان ان تكون القرية الصغيرة عنها بمعزل .



وقع قرار التقسيم على عرب فلسطين

وقع القرار الجائر بقرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين ، وقوع الصاعقة على عرب فلسطين ، وسرى له البلاد من اقصاها الى اقصاها .

وتدفق طلائعها الثورية من القرى والجبال الى المدن كالأمواج المتلاطمة تشق حناجرها واناشيدها الحماسية كبد السماء . وتشهد ساحاتها ما لم تشهده منذ الفتوح العربية بواكير المرأة العربية تنزل الى الساحات لترقص مع الرجل رقصات الحرب داعية الى الكفاح والاستشهاد . وفي المدن تنتظم صفوف المرأة وحدة بروح وصف كفاح عظيم جامع . فهي اما كاتبة تلهب العصبية وتشعل العزائم ، او خطيبة في الجموع تلهب الشاعر . ومنذ اللحظة الاولى تصدت المرأة في كل بلد – كما تواضعت من القرى – للتدريب على الاسعاف وتضميد الجراح . وادت الجمعيات النسائية آنذاك واجبها اكمل اداء ، اذ تطوعت عضواتها للعمل والوقوف جنبا الى جنب مع الرجل في ثورتها المقدسة للوطن ، كما حولت مؤسساتها كافة الى مستشفيات للجرحى واعداد العدة لليوم العصيب .

ولم يكن التقسيم هو اول نكبة فلسطين ، فقد كان الانتداب البريطاني قد اخذ على عاتقه وضع البلاد في حالات سياسية واقتصادية وادارية تؤدي الى قيام هذا الوطن القومي اليهودي ، اذ كان الذي يضع القوانين للبلاد هو : « بنتويش » – احد غلاة الصهيونية – كما كان مدير التجارة والهجرة والسفر من اليهود او البريطانيين . ومنذ اول عهد الانتداب بدأت عملية انتقال الاراضي من ايدي العرب الى ايدي اليهود . وفي عهد السير هربرت صموئيل – المندوب السامي الصهيوني – الذي اخذ على عاتقه تنفيذ الوعد الذي قطعته بريطانيا على نفسها لليهود ، بلسان وزيرها بلفور لتهويد البلاد – اكثر اراضي الدولة واجودها كما منح ساكنيهم . ووضعت بريطانيا في سياستها للقضاء على عروبة الارض المقدسة وهي تفتح لليهود ابواب الهجرة ، وتسهل لهم شراء الاراضي ، مما سبب نزوح اهالي العشرات من القرى ، وتملكهم عشرات من افضل الثروة الخصبة في البلاد .

ثورات تمتد في ٣٠ عاما

وادرك اهل فلسطين من اول الامر الخطر المهدد لهم في خطره وغلت الثورة في عروقهم ، وما لبثت ان انفجرت في ٤ ابريل ١٩٢٠ ، ثم تلتها ثورة اخرى في ١ مارس ١٩٢١ . وتتابعت الثورات حتى بلغت الثماني خلال ثلاثين عاما .

وكانت اشد الثورات ، ثورة ١٩٣٦ ، وهي التي اضربت فيها البلاد كلها اضرابا شاملا برا وبحرا ، ووقفت فيها الاعمال والمدارس والمحاكم طيلة ستة شهور احتجاجا على الهجرة اليهودية . ولم تثن الشعب الفلسطيني قمع الحكومة البريطانية الثورة وسحقها بالحديد والنار . بل كان هذا داعيا له الى القيام بالكثير من عمليات التدمير ونسف القطارات والجسور .

وتميزت الثورة الاخرى العاتية التي تلتها عام ١٩٣٧ بمقاومة الشعب المسلحة ، وحكموا بالاعدام على ١٤٨ من العرب لحيازتهم الاسلحة . وفي سجن عكا ، شنقت السلطات البريطانية الثائر المجاهد : القائد الشيخ فرحان السعدي – وهو صائم في رمضان – كما نسفت اكثر من خمسة آلاف بيت ، وملأت السجون بالمعتقلين ، حتى بلغ عدد من اعتقل آنذاك ، لمدد مختلفة ، نحو خمسين الفا .

كيّ الاجساد وخلع الاظافر

وفي تلك السجون استهدف العشرون من المجاهدين ، لعذاب رهيب من كي الاجساد بالنار ،

ومن خلع الاظافر ، وتسليط الكلاب البوليسية لتنهش لحوم السجناء الاحرار . وبلغت التضحية مداها ، حين اخذ الجيش البريطاني يفتش القرى للبحث عن الثوار حتى اذا اعياه البحث ، وما من شاهد يشهد ، التجأ الى جمع الرجال في القرية ليختار منهم عدة شباب يطلق عليهم النار امام ابائهم وذويهم .

ويتجاوز عدد الشهداء في هذه الفترة ، الثلاثة آلاف ، كما يتجاوز عدد الجرحى سبعة آلاف .

كل هذا ، وفلسطين ماضية في جهادها وتضحياتها بل لقد سجلها التاريخ صفا واحدا ، اذ حينما اعلنت السلطات البريطانية انها تقتل من يلبسون الكوفية والعقال من الثوار ، لانهم ـ كما قلت ـ هم الذين يلبسون هذه الكوفية ، فما كان من رجال البلاد جميعا الا ان لبسوا هذا الزي ، وهكذا ، لبس الجميع الكوفية والعقال .

لم يكن للحق الذي ينتصر على الباطل ، الا وسيلة واحدة ، وللمظلومين ليدفع عن انفسهم الا لسان واحد ودرب ومر يستهدي فيه . كانت هذه الوسيلة هي القوة ، هي الثورة ، هي الكفاح ، وسلطت ، بدل الكلام ، القذائف ، والتحقت الشعوب بالثائر .

ثورة عام ١٩٣٨

واستمد شعب فلسطين من تاريخه وجهاده ، من حقه ودم شهدائه وعذاب سجونه ، ايمانا وعزيمة وطريقا للخلاص ، فاندفع ١٩٣٨ ، في ثورة عارمة احتل بها من مدن القدس القديمة ، الخليل ، بئر السبع وطردوا منه قوات الحكومة البريطانية ، ولم تستطع الحكومة البريطانية استعادة تلك المدن ، الا بنجدات عسكرية كبيرة .

ويستمر كفاح الشعب الفلسطيني ، ومقاومته لبريطانيا وسياستها التهويدية بالغة في جميع الميادين السياسية الثورية ، الا انه يعقد المؤتمرات الوطنية في نابلس والقدس ويافا ، لتقرير مصيره وتنظيم حركاته ، وتشكيل الوفود للدفاع عن قضيته في الخارج ، وذلك منذ اول عهد الانتداب .

وتقع المعارك اثر التقسيم في فلسطين ، وتبرز منها بطولات خالدة .

فترى شابين من بيت لحم والقدس هما : الطران داود ، وعبد النور جنحو يتلقان التفجيرات التي نسف بها الثوار ، الوكالة اليهودية بشارع جوليان في القدس ، كما نرى مجاهدا آخر يقود فرقة التفجير ، هو فوزي نافل القطب .

وخلال هذا التاريخ ، تكتب قرى فلسطين ، اروع قصص الفداء ، ويشترك في هذا النضال العظيم ، كل فتى يستطيع حمل السلاح . وتقدم النساء الرجال حليهن ليشتروا بها السلاح ، ويرهن الفتى اغلى ما يملك ليحصل على بندقية ، ويرهن بيته ، ليدفع الخطر عن وطنه .

وفي القدس ، نرى الفتى صلاح الدين ـ ولما يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ـ ينسف ثلاثة منازل يهودية تحصن في داخلها اليهود لقتال العرب ، ثم يستشهد ، وهو يحمل الفتيل لنسف الرابع .

وفي معركة القسطل التي وقعت بين جيش الانقاذ وبين اليهود ، نرى بطل هذه المعركة الشهيد عبد القادر الحسيني ، وهو على رأس فرقة المقاتلين ليحتل القسطل وقد زحفت الى المستعمرة ـ وعلى ظهورها القنابل ـ حتى اذا احكم وضعها مع رفاقه ، الا فيصيب عددا منهم . ولكنه لم يبرح مكانه ، وقد انتبه اليهود واخذوا يطلقون عليهم النار من كل جانب ، الا انه واحدا واحدا الى العسكر ، وقد استشهد فيما بعد في حادث .

ويحمل الكثير من القادة ـ بعد هذا ـ صفحات مجيدة لهذا الوطن ، فيستشهد القائد حسن سلامة ، قائد المنطقة الوسطى في يافا ، اثر معركة رأس العين ، كما يجرح قائد الخليل ابراهيم ابو دية جرحا مميتا ، واما الشاعر عبد الرحيم محمود فيحمل روحه على راحته ، فدى لارضه وعروبته ، وليختضب ترابها ، ويحقق ملحمة وشيعته :

« سأحمل روحي على راحتي
وألقي بها في مهاوي الردى
فاما حياة تسر الصديق
واما ممات يغيظ العدى »

وعبد القادر الحسيني

وفي الثامن من ابريل ١٩٤٨ ، والمعارك محتدمة ، والنار تشتعل في فلسطين من كل جانب وقادتها يتسابقون الى الموت للذود عن قدس

الوطن العربي ، وما جرحوا شرف أمتهم — بعار أو هزيمة — ، أو سقطت لهم حتى ذلك التاريخ راية من قرية أو مدينة . وفي القدس ، يتكامل مجاهدو المدينة وضواحيها — على رأسهم قائدها البطل عبد القادر الحسيني — شملاً جبارا . وتحدق عليها النجدات من كل جانب . ويتبلور ايمان فلسطين هناك متجسدا في عزائم متأججة ، ويرتفع صوت الكفاح عاليا مدويا ، وهي تحارب في كل حي من أحياء المدينة ، تنسف الشوارع والمؤسسات اليهودية والأنابيب التي تحمل الى سكانها من اليهود المياه ، وطرق المواصلات . وتتوقف كل تلك القوافل التي تحمل التموين ، فيرفع السكان سكان اليهود في القدس الجديدة الأعلام البيضاء استعدادا للتسليم . ولكن ، هل جنت فلسطين ثمار هذا النصر الذي أوشك أن يحول مجرى تاريخها ، ويطلق قدسي نضالها ؟ اللهم لا .

في خضم هذا النضال الذي تتزلزل له راسيات الهمم ، يسقط قائد القدس عبد القادر شهيدا في معركة القسطل ، بعد أن حمل راية الكفاح لوحده منذ عام ١٩٣١ .

المذبحة الحمراء في دير ياسين

أيقن اليهود ، أن قرار التقسيم ، قد زاد من موقف العرب في فلسطين ثباتا والتهابا ، وأن هذا الشعب العربي الذي هد الصعاب ، وخاض الأهوال ، ولوى عنيد الاستعمار ، بصلابته ووحدة نضاله في تلك الثورات المتتالية التي سبقت القرار ، ولم يخضع ، أو يجزع ، لن يستطيعوا أن يكونوا له ندا في المعركة . وها هو ذا في القدس ، والخليل ، وباب الواد ، كما في يافا ، وسلمة ، وياتزور ، وحيفا ، وعكا ، والطيرة ، والقبلية ، وسائر المثلث العربي ، يسدد الى مقاتلهم الضربات ويجلجل كالإعصار ليسحق كل من يغتصب وطنه .. وطنه مقر أمجاده ومستقر عظام آبائه ، وموطن ذكرياته ، وسر كيانه ووجوده ومبعث عزته .

إذن لا بد من جريمة يقترفونها ليجدوا لهم مخرجا من ذلك المأزق الرهيب ، وليخفف عنهم وطأة العرب الذين قطعوا عنهم أنابيب المياه ، وحالوا دون وصول القطارات التي كانت تحمل اليهم التموين . وكان استشهاد عبد القادر ، هو الذي قووا به ، ثم الأسلحة التي وهبوها من العسكر البريطاني .

واستقر رأي قادتهم على أن يكون هدف الجريمة دير ياسين — وهي من قرى القدس ، وتقع على بضعة أميال منها الى الغرب — ويبلغ عدد سكانها ٧٢٠ نسمة ، ويحيط بها ما يربو على مئة وخمسين ألفا من اليهود الذين يسكنون في المستعمرات . وكان بين أهلها وبين اليهود عهود جرت بينهم بالتحالف عند نشوب القتال في القدس، أن لا يعتدي أحدهم على أحد . واطمأنت دير ياسين [1] ولكن تستيقظ على هجوم طائرة تقذف بحممها البيوت الآمنة ، وخمس عشرة دبابة ومدافع تصليها نارا من الشمال والجنوب والشرق والغرب ، كما رابطت قوة أخرى عند مداخل القرية ، لتحول دون هروب السكان .

ووقعت الواقعة حين دخل اليهود القرية ، وشرعوا يفتكون بأهلها . وارتفعت صيحات الاستغاثة من كل بيت حتى آفاق السماء ، فلم يغثهم أحد — وكان الجيش البريطاني على مقربة منهم — ولم يكن في القرية سوى عدد مسلحا ، احتموا يدافعون منها دفاع الأبطال . وشهدت تلك الأرض في تلك الليلة الليلاء ، آيات من البطولة والفداء ، ونساء القرية ، يقاتلن جنبا الى جنب مع الرجال ، يحيين القوى للجهاد ، ويشددن العزائم . واستشهدت منهن : حلوة زيدان ، وقد نزلت الى المعركة تدافع دفاعا عنيفا بالسلاح ، بعد أن استشهد أمامها ابنها ، ثم زوجها ، كما أصيبت رفيقتاها جميلة صلاح ، وذيبة عطية بجراح خطيرة ، وهما تقاتلان في قلب المعركة . وكان هناك من الشهيدات الجريحات كثيرات . منهن ثلاث في طيرة بني صعب استشهدن الى جانب الرجال في ساحة الشرف ، والقرية العربية الجبارة تظل صامدة حتى بعد سقوط فلسطين بعام واحد ، وهي تقاتل وتجالد وتدفع بصدورها وعزائمها ما يربوا على اثني عشر ألف جندي يهودي وما تستسلم أو تخضع حتى تخضب كل شبر منها بالدماء .

حياة البليسي في ساحة الموت

في ليلة قاتمة تلفها الظلام والأسى — كما تلف

فلسطين طيب الثمار والعبير ـ فسجلت « حياة » من يومها على أزيز الرصاص ودوي المدافع لهيب من أوارها الى صندوق اسعاف حملته . ولم تنس أن تضع شارة الصليب الأحمر على ساعدها ، لتستطيع التنقل بين الجرحى ، وهي تؤدي واجبها الانساني .

وانطلقت « حياة » الى القرية ، قرية دير ياسين ، وهي تفكر في فتيات القرية اللواتي تدربن على الاسعاف هناك . فهي لا بد استبقتهن معها ليؤدين رسالتهن ويضمدن الجراح ، فلا شك أن هناك الآن قتلى وجراحات كثيرة ، والمعركة مستعرة اللهيب . ولم تنس ، وهي تتنقل بين الجرحى ، وتطوف بها مع الجراح ، صاحبة في رسالتها في ارض النضال ، ترد الروح لهذا عجزه عنه ، ولذاك بصحته ورباطه ، ثم تعبر الى أولئك الصبايا اللواتي علمتهن الواجب كيف يقام به ، والوطن العربي كيف يتضمد له ، فلم تجد منهن الا أشلاء متراكمة بعضها على بعض في بئر القرية . فقد ذبح اليهود ـ العصابات الاسرائيلية بالاشتراك مع منظمتي شتيرن والأرغون ٢٥٠ عربيا وعربية في هجومهم على القرية ، كان منهم اثنان وخمسون من الأمهات والمرضعات ، وخمس وعشرون امرأة من الحوامل ، وستون امرأة أخرى وفتاة . بقروا البطون بالحراب ، وانتزعوا منها الأجنة ، قتلوا الأطفال الأبرياء على مرأى من أمهاتهم وقطعوهم أرباً أرباً . وألقوا بشعر مائة وخمسين جثة مشوهة في البئر بالقرية .

وقفت « حياة » مع الناجين تؤدي واجبها بثبات واخلاص ، حتى انتهت المذبحة ، فقضت الليل طلب مهلة من الفجر حتى عصر اليوم التالي ، وباشرتها بحول اليهود لاقتحام المنزل والسلب والنهب . كانت « حياة » تنقذ الجرحى الى خارج القرية الذبيح ، وقد رأت عليها سكون الموت ، برفقة صديقة عجوز ، لتصل الى القدس عن ذلك الطريق الوحيد الوعر ، ولكنها ما كانت تتجاوز مواطن الخطر ، حتى طرق سمعها نداء خافت لجريح يستغيث بها .

عادت لتضمد له جراحه . ولكن كل ما فعلته من لحظة وصولها قد نفد ، فخلعت غطاء رأسها وراحت تمزقه وتشد به ساق الجريح الذي كان ينزف دماً . أبصرها اليهود من بعيد فظنوا أنها عربيا كانوا قد حسبوا انهم قضوا عليه ، فتقدموا نحوها براجم فأصابتها رصاصة قاتلة ، فسقطت شهيدة مع الشهداء في دير ياسين العربية .

ويخيم الظلام على القرية ـ وعلى اللهب المتصاعد من الشهداء وشاح ـ ويصحو الشاب العربي الجريح فيشهد بعد الغفلة غريبة ، فيرى اليهود يحملون الفتاة العربية بعد استشهادها . ويجيش الشعر الثائر ، وهذا شاعر الثغر ، وهاتف يهتف ، وجراح تصيح :

« سرى الدرب في الظلمة والنوم في الثرى
ودمي على ساقي ، وبي تصبر »

* * *

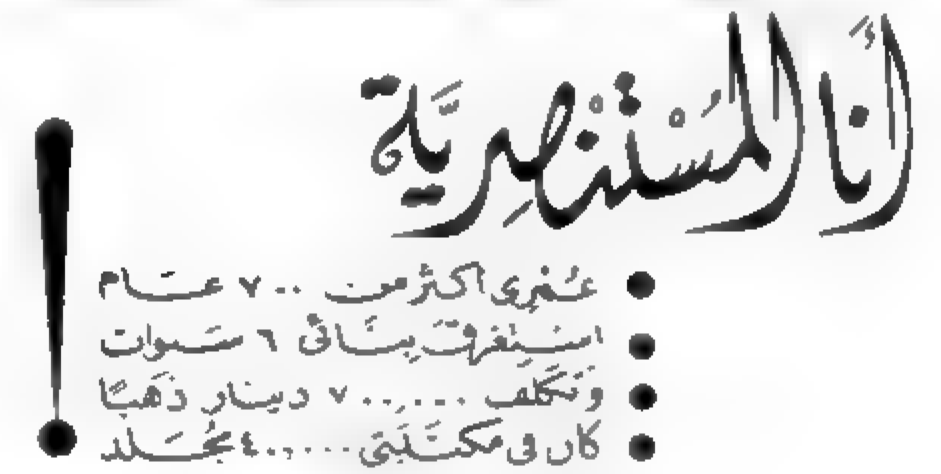
في الصباح الباكر الموافق ١٠ ابريل ١٩٤٨ ، بينما كان اليهود يحتفلون بتسجيل المجزرة الحمراء وهم يسوقون أمامهم الأسرى ممن بقي من سكان القرية العربية، دير ياسين، رجالا ونساء وأطفالا، ويطوفون بهم في شوارع القدس ، رافعي الأيدي ، حاسري الرؤوس ، حفاة الأقدام ـ وعلى مشهد من السكان العرب في الطرف الآخر من القدس ـ محصورين بالجنود المدججة بالسلاح من عصابات الهاجاناه ، في ذلك الوقت ، كان يطرق باب ذوي الفتاة الشهيدة « حياة » ، ذلك الجريح الذي كان آخر ما أنقذته . جاء حاملا لينعى أهلها سجاياها الانسانية وليبكي معهم تلك الفتاة النبيلة التي عرفت كيف تموت واقفة وهي في زهرة شبابها ، في الثامنة عشرة من عمرها .

« ... ياسين ما زال على الأفق
من دمائك يسيل عبر الحدود
... بالذكرى ، ونستعيد الأمـ
[illegible]
ما انصرمت يوما ، ولا نعد لمنسا
[illegible]
... الكفاح وأعينا الكـ
رى وسهرنا لعهدنا الموعود »

أجل ، فإن المعركة لم تنته ، وما زال الكفاح لنا شريعة ، وما زال الوطن ظامئاً ، وللمشردين عودة . ■

فخرة عبد المجيد

نسخة من خطاب النبي (ص) الى ابن ساوى امير البحرين ، ويبدو في نهايتها ختم الرسول واضحا



قام بهذا الاستطلاع : سليم زبال

● ستون الف دينار انفقها العراق لترميم مبنى قديم متهدم ، ظل مهجوراً قرابة ستة قرون ، لا يهتم به أحد ، او يحاول اصلاحه ..

ترى ما هي اهمية هذا المبنى العتيق حتى يحظى بهذه العناية بعد ذلك الاهمال الطويل ؟

انه مبنى عجيب ، طوّف وتبدل ، مرت عليه السعود والنحوس وذاق العز والذل ، وعم بطلاوة المجد ، كما ذاق مرارة النكبات ..

ولهذا المبنى القديم قصة طويلة ، فلنتركه يحدثك عن نفسه ويروي لك قصته ، بل مأساته



[illegible] « المستنصرية » [illegible] إحدى جامعات العرب الإسلامية القديمة [illegible] في سنة عام [illegible] هـ (١٢٣٣ م) [illegible] بلغت تكلفته [illegible] نحو [illegible] ألف دينار من الذهب. وقد سميت « المدرسة المستنصرية » [illegible] كانت تدرس علوم القرآن والدين واللغة والطب والرياضيات [illegible] أكثر من [illegible] عام [illegible] [illegible] أقدم جامعات العالم [illegible] [illegible] علوم

ويرجع [illegible] المستنصرية [illegible] « المستنصر بالله »



الخليفة العباسي السابع والثلاثين ، الذي دامت خلافته ١٧ عاماً

لقد جعل هذا الخليفة ، اشـــارة الانطلاق للبدء في تشييد
السنة الثانية من خلافته . ففي اوائل عام ١٢٢٧ م اســتطاع ، على
سنوات معاونة العمال ونشاطهم من الحجر ، التي تقوم عليها في
بغداد بجوار نهر دجلة ، وقد عملت على ازالة الانقاض التي كانت
وكان الخليفة ان يكون في الروعة
والابداع ، فكان كثيراً ما يشرف بنفسه على البناء ، وليساعد
لتحقيق قطع الآجر المزخرفة بعضها الى بعض ، لتؤلف في النهاية مظهراً
واحداً متماسكاً رائعاً اخاذاً



على العمال يعملون ست سنوات كاملة ، خرجت

أما المدرسة ، مزهوة بروعة الزخارف المتماسكة ، والكتابات العربية الجميلة ، والصحن الواسع المستطيل الذي ترتفع في وسطه نافورة يدفع مياهها دولاب مقام عند شط دجلة .. وعلى هذا الصحن المستطيل تطل جميع الأواوين والغرف والحجرات ، التي يضمها سائر الحجري، وكذلك المسجد والصيدلية والساعة الميزولة ..

وكان يوم افتتاحي عيدا للجميع !

اليوم هو الخامس من شهر رجب ٦٣١ هـ ـ (١٢٣٣ م.) وفيه كملت زينتي بعد أن فرغ المهندسون والبناؤون والنقاشون من صنع جدراني وساحاتي وقاعاتي ..

إن الخليفة المستنصر بالله أراد أن يجعل من هذا اليوم عيدا ، فأمر بالشاطئ في احتفال كبير يشهده بنفسه ، ويحضره العلماء وأهل الفضل وكبار البلاد ، حتى غصت ساحاتي ، على سعتها بجموعهم ..

وبدأ توزيع الهدايا ، فنال كل من ساهم في بنائي « خلعة » ..

وظن الناس أن الخلع سيقتصر توزيعها على من اشتركوا في بنائي ، ولكن الخليفة أمر بتوزيع خلع على جميع من شهد الاحتفال من العلماء والفضلاء والمدرسين والمعيدين في مختلف المعاهد والمدارس ، وكذلك الشعراء والضيوف الأجانب.

وعلى شاطئ دجلة كانت رائحة الطعام والشواء تملأ جو الاحتفال فأكل المدعوون وشربوا ، ولكن الطعام ظل وكأنه لم يمس لكثرته ، فأمر الخليفة بتوزيعه على أهل بغداد ، فلم يبق بيت من بيوت الخواص والعوام إلا وناله حصة .. » .

٨٠٫٠٠٠ مجلد من مكتبة الخليفة

وبعد المدعوون بعد الانتهاء من تناول الطعام بزيارة



أيوان الصلاة ومحراب الجامع القديم في المستنصرية القديمة ، أصبحا اليوم معرضا مفترضا لصور معاني المستنصرية والعصر العباسي وحل مرحلتين قبل اصلاحات مديرية الآثار العراقية بعدها



واجهة المستنصرية المطلة على نهر دجلة وتبدو فيها كتابة بخط ثلث جميل كبير ، جدد بعضها ايام السلطان العثماني عبد العزيز خان عام ١٨٦٥ م ، ثم أعيد تجديده بين عامي ١٩٤٦ ــ ١٩٦٠

حجراتي ، فبدأوا بالمكتبة ليشاهدوا خزينة المستنصر الي .. انها خزينة الثقافية لا تقدر بثمن لتمثل في ٨٠ الف مجلد وكتاب ومخطوط امر الخليفة بنقلها من مكتبته الخاصة الى مكتبتي.

وبعد زيارة للمكتبة اتجه المسؤول الى قاعات التدريس .. ان للاساتذة يجب ان يكونوا على مستوى عال من التحصيل العلمي ، لان التعليم سيكون اساسه التخصص ..

واعجب الزوار بطريقة تدريس الفقه ، وفق المذاهب الفقهية الاربعة : الحنفية ، والمالكية ، والحنبلية والشافعية .. فقد خصص لكل مذهب منها جناح وزاوية فكان « التلاميذ » يجتمعون حول الاستاذ الجالس على مقعد مفروش بالسجاد، وقد ارتدى حلة سوداء ، والى يمينه معيدان ، والى يساره مثلهما ، لاعادة ما يمليه الاستاذ من الدروس .. وبالاضافة الى الاساتذة والمعيدين كان هناك نواب الاساتذة .. ومن هذه العناصر الثلاثة كانت تتألف هيئة التدريس ..

وكان اساتذتي من اكبر علماء عصرهم ومنهم المؤرخون والفقهاء والمختصون بالطب والجغرافيا والفلك والرياضيات وغيرها من العلوم .

نظام الغذاء الكامل للجميع

وانتقل الزوار بعد ذلك الى مطابخي فشاهدوا المؤن والماكولات المخصصة للطلبة والاساتذة ، لان الخليفة امر بتطبيق نظام الغذاء الكامل ، لجميع الطلاب والعاملين من الاساتذة والمدرسين والمستخدمين

ولهذه المناسبة يجب ان اقول لكم انني كنت



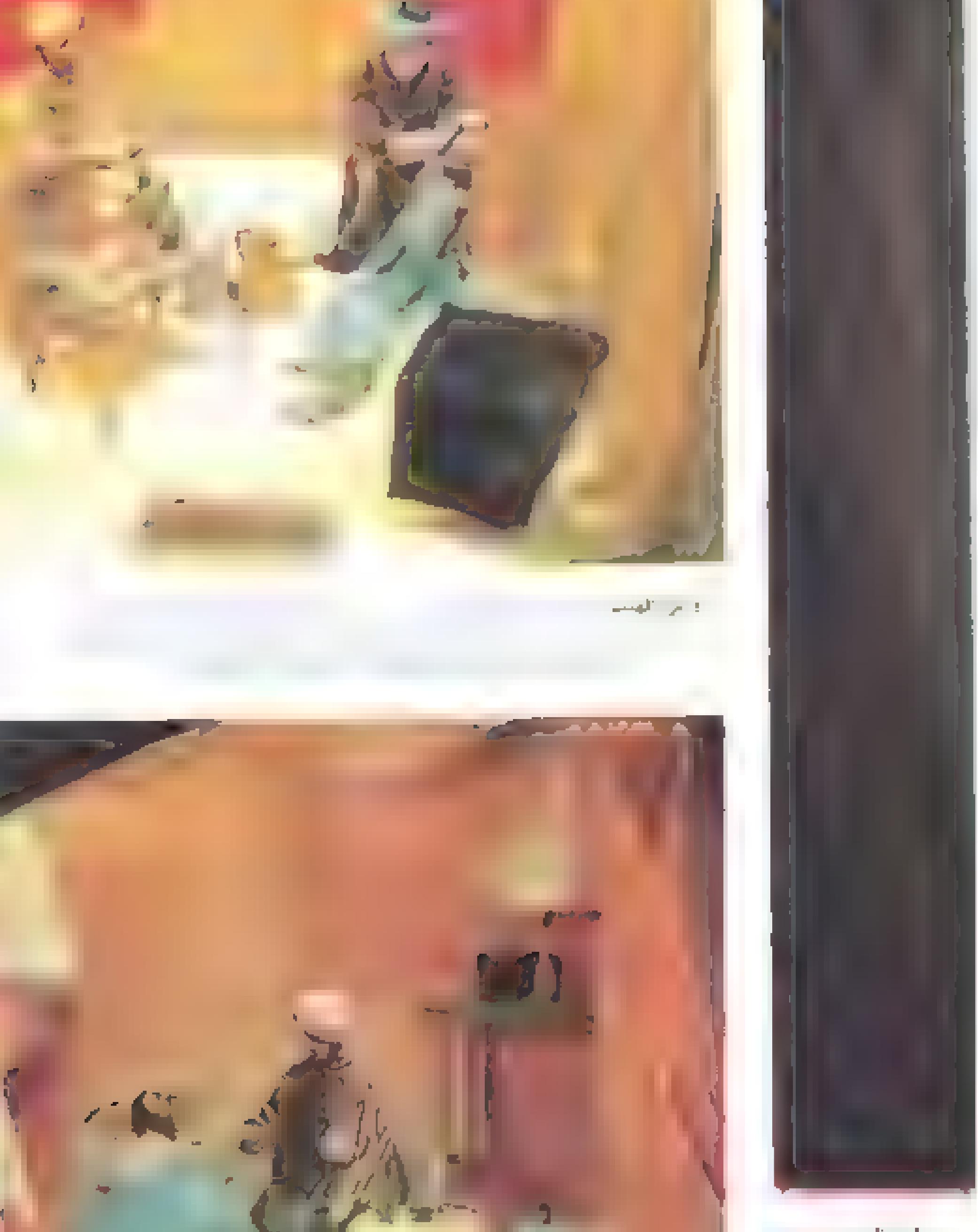
بعض المخطوطات القديمة

...مع باستقلال مالي واداري وكانت له ميزانيه خاصة تعتمد على الاوقاف الكثيرة التي اوقفت له ، والتي بلغت نحو المليون دينار كانت تعد دخلا سنويا قدره ٧٠٠,٠٠٠ دينار ذهبي ! ولاحظ ، لاحظوا القيمة الفعلية للدينار الذهبي في تلك الأيام

ساعة عجيبة !

وفي ايوان القبة ، مقابل باب الدخول ، اعجب الزوار بذهول وهم يشاهدون ساعتي العجيبة ، التي صنعت على هيئة مصغرة دائرية لها ١٢ طاقة لكل منها باب من الذهب ، وفي اسفل القنطرة من جانبيها بازان من ذهب ، وبعد مرور كل ساعة يفتح فما البازين ويسقط منهما مثقال من ذهب ، كلما سقطت بندقة انفتح احد الابواب الذهبية وتحول الى فضي ، وحينئذ تكون قد مضت ساعة زمانية .. وبهذه العملية المتقنة على ابسط شكلها وهيئتها يمكن ملاحظة واستنتاج السحرية من

(بقية المقال على صفحة ١٣٠)



معرفة الوقت بالساعات ، من تسلسل الأبواب المفتوحة

كما صنعوا لهذه الساعة شموسا من ذهب تطلع مع الشمس الحقيقية وتدور بدورتها ،حتى اذا غربت وجاء الليل طلعت بدلها أقمار مضيئة لامكان قراءة الوقت في الليل كذلك .

وانتهى الاحتفال وخرج الزوار ، وبدأ الطلبة يحصلون دروسهم ، ليتخرجوا وليصبحوا أعلاما في مختلف الاختصاصات .

وازدهرت المكتبة والبحث حتى وصل عدد مجلداتها نحو ١٠٠ ألف مجلد ، وغدت محجة للعلماء والباحثين، يقصدونها من كل مكان للاستفادة من كنوزها في أبحاثهم وتآليفهم ..ولم يكن يسمح بادارتها والاشراف عليها الا لكبار العلماء .

عصر النكبات

وبقيت مكتبتي أوج ازدهارها خلال القرنين السابع والثامن الهجريين ، كانت خلالها منارة للعلم لا تخبو

حتى جاء الملك التتري الاحمق تيمورلنك فاجتاح بغداد عام ٧٩٥هـ (١٣٩٢م) وجاء جنوده الرعاع



استعمل بعض الأهالي حجارة المستنصرية القديمة وزخارفها لتجميل مبانيهم،ونرى هنا الكتابات الأصلية التي كانت تزين المستنصرية من الجهة الغربية المطلة على النهر ، موجودة داخل مقهى مصري ، وقد أضيفت اليها ألوان وزخارف شوهتها !

في معرض الخطوط العربية القديمة وضعت هذه الصورة لخط يسمى نقش النمارة ويرجع تاريخه الى عام ٣٢٧ م.

الى بابي الجميل فخربوه وشوهوه ، ودخلوا مكتبتي فحملوا منها نفائسها وجعلوها طعمة للنيران التي اوقدوها ليطهوا عليها طعامهم ..

وخرج الجنود من رحابي بعد ان اقلقوني بصراخ صيحاتهم ، ولكنهم لم يستطيعوا ان يحرقوا جميع كتبي لكثرتها .. فكان لي في ما تبقى من هذه الكتب بعض العزاء والسلوى ..

ولكن هذا العزاء لم يدم طويلا فقد عاد ذلك التتري الاهوج فاردف غزوته الاولى بغزوة ثانية .. جاء على اثرها جنوده الى مكتبتي ونهبوا بقية كتبي ، واتلفوها طعمة للنيران ..

محاولات .. ولكن بلا طائل

وخرج التتار من بغداد وجرت محاولات كثيرة لترميمي واعادة مكتبتي الى سابق عهدها ولكن دون طائل ..

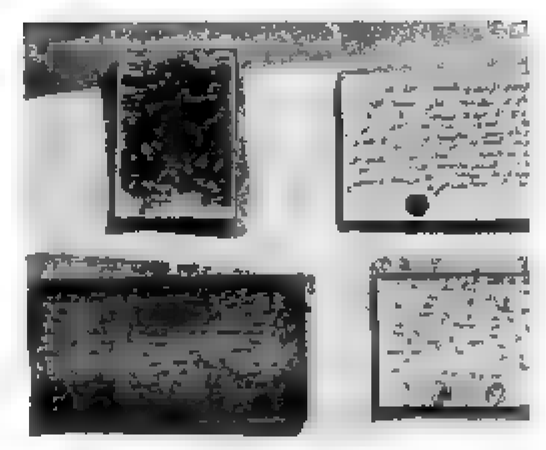
وبدا الهلال النقية يقل ، وانعدم الزائرون ، وبدأت البوم تعشش مكان كل حجر يتساقط من بنائي .. وانعدم الاصلاح حتى كان عام ٩٤٠ هـ. (١٥٣٢ م) وفيه توقف المدرسون عن التدريس ، وهجرني الطلبة نهائيا .. وبذلك اكون قد عشت ثلاثة قرون او دون ذلك .

واصبحت تكية .. ثم خانا للمسافرين !

وبعدها شهدت وجرها لراهبها الباتة ،وتلقيت بي الاحوال فالقلبت الى ما بنيت من اجله ، فصرت حصنا .. ثم تكية .. ثم خانا للمسافرين .. فمخزنا للمكوس .. فمخزنا لملابس الجنود فمسكنا لجنود احدى الكتائب ، فمكتبا لادارة الجمارك وتمادى بعض الناس في الاذى فاتخذوا من بنائي ملهى ! وعمد آخرون الى حجارتي وتلولي فراحوا ينقلونها على ظهور الحمير يستخدمونها في ابنيتهم الخاصة !

عودة الروح

واستمر الاهمال والنسيان يطبقان علي حتى جاء عام ١٩٤٦ ، وفيه استطاعت مديرية الآثار العامة ان تضع يدها في يدي ، وتخلص من الاوقاف



يشتمل معرض الخط العربي على اربع صور لخطابات يقولون ان النبي (ص) ارسلها الى بعض ملوك وزعماء الامم في عصره ، كالنجاشي في الحبشة والمقوقس بمصر ، والمنذر ابن ساوى امير البحرين وهي مكتوبة بخط تتمثل فيه اولى مراحل الانتقال من الخط النبطي المتأخر الى الكتابة العربية

بايجار طويل ، لاعادة بنائي وترميم اطلالي .

وظل المقاولون يجرون عمليات التجميل في سائر مدة اربعة عشر عاما .. والحق انهم بذلوا في ذلك جهدا مشكورا .. صحيح انهم اختصروا غرفي الى ٧٠ غرفة لكن هذا لا يهم فقد اعادوا الي على اي حال بعض جمالي ورونقي ..

لقد حاولوا في عام ١٩٦٠ ان يعيدوا الي الحياة من جديد ، فجعلوا من احدى قاعاتي مكتبة للمخطوطات نقلوا اليها ٢٢٤٠ مجلدا مخطوطا من خزانة المتحف العراقي ، وجعلوها تحت طلب الطالبين الذين كانوا يتزاحمون على مطالعتها ، وخاصة ايام الجمعة .. واحسست بعودة الروح الى هيكلي ، ولكن فرحي لم تستمر طويلا ، فسرعان ما عادوا وسحبوا مني هذه المجلدات ، حتى احسست بغصة ذكرتني بالايام السوداء التي عشتها مع جنود تيمورلنك ، وان كان قياسا مع الفارق !

وبانتقال المكتبة من رحابي عاد النسيان يسيطر على سائر التجميل من جديد .

فقالوا : « سنقيم معارض داخل المبنى وسيأتي اليه الزوار » .. وفعلا اقاموا بعض المعارض لكن معروضاتها الهزيلة لا تشجع البتة على الزيارة! فقسم الخط العربي تتناثر فيه صور فوتوغرافية قديمة لتطور الخط العربي ، بعضها بالخط الكوفي ، والبعض الآخر بالكوفي والنسخ .. وجناح الخرائط فيه نسخ من خرائط قديمة تساقطت منها الوانها فاصبحت النسخ الجديدة قديمة ! .

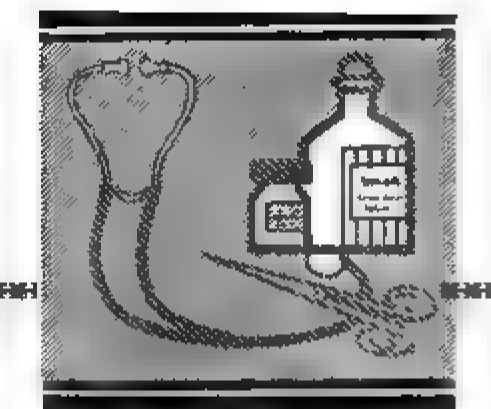
وفي ركن من غرفة الخرائط نموذج لاسطرلاب عربي مصنوع من الكرتون .. !

والشيء الوحيد الذي يمكن ان يحظى ببعض الاقبال هو اللوحات المجسمة التي صنعها فنان باكستاني ..

وعد لم ينفذ !

وقبل ان اختم قصتي ، او مأساتي ، احب ان اذكر المسئولين بتصريح كان قد اطلقه حاكم بغداد ، ووعد فيه بانه سوف يهدم الاسواق القديمة التي التصقت بي حتى يبرز جمال بنائي ويستطيع الناس والسياح ان يصلوا الي بسياراتهم بدلا من المرور وسط هذه الكتل البشرية المتزاحمة في تلك الاسواق .. فمتى يا ترى ينفذ هذا الوعد ، حتى اشعر بان الحياة قد عادت فعلا الى سائي .. واني لست مجرد اربع حوائط صماء ، تزينها زخارف من الجص قد تكون رائعة ، ولكنها هي الاخرى صماء !

سليم زبال



طبيب الأسرة

اللبن المجفف، ولبن الابقار، في ارضاع الاطفال

س - في تغذية الاطفال الرضع، هل يمكن استعمال لبن الابقار بدلا من لبن الامهات المرضعات. وهناك اللبن المسحوق فاين مكان هذا اللبن من تغذية الاطفال والتغذية عامة، لا سيما ونحن نعيش في مكان من الصحراء معزول، يعز فيه لبن البقر، ولكن يسهل الحصول على اللبن المسحوق مخزونا في العلب. وهذا اللبن المسحوق، هل هو لبن طبيعي أم تدخله الصناعة ؟

● اولا عن لبن الابقار، هذا اللبن يقوم مقام لبن الامهات لا شك في هذا، وينمو عليه الطفل نموا طبيعيا. والشرط الوحيد أن يكون مصدره بقرة سليمة غير مريضة، وأن تكون عمليات الحليب والتوزيع كذلك نظيفة، ثم تأتي من بعد ذلك طريقة الاسرة المعروفة للتعقيم. ولا بد على العموم من غلي اللبن لضمان السلامة، ثم تبريده على عجل. ولبن الابقار فيه دسم كثير، وهو للاطفال الرضع يسرع بعض دسمه. والغلي يذهب بفيتامين ج (C) من اللبن، والذي لا بد من تعويضه على الطفل.

اما اللبن الجاف او المجفف، ذلك الذي انت تسميه مسحوقا، فهو لبن طبيعي، ذهب عنه ماؤه بالتجفيف. وهو في عملية التجفيف بالحرارة يجري تعقيمه. والمتفق عليه اليوم أن طريقة تعقيمه هكذا هي أسهل طريقة للتعقيم، وانجح، واقل اضرارا لاصول التغذية التي فالبن. والتجفيف يجري بطريقتين.

في الطريقة الاولى يساق اللبن الى اسطح اسطوانات من الصلب دوارة على محاورها، يمر في داخلها بخار شديد الحرارة. واذ يمس اللبن سطح الاسطوانة الحار يتبخر ماؤه فيما بين ثانيتين او اربع. وهو اذ يمس هذا السطح الحار يعقم على الفور تعقيما تاما. وهو يلصق بالطبع جافا على سطح الاسطوانة. ولكن الاسطوانات تدور، فتمر سطوحها بسكاكين تكشط اللبن الجاف من عليها.

وفي الطريقة الثانية يرش اللبن من رشاشات في حجرات يدخلها ويمر بها هواء ساخن. ويلمس الانسان، فيتبخر الماء على الفور، ويسقط اللبن الى القاع.

واللبن المجفف بالطريقة الاولى يحتفظ بفيتاميناته. أما المجفف بالطريقة الثانية فيفقد بعض فيتاميناته. وهو شيء منتظر بسبب فعل الهواء وبه الاكسجين.

واللبن المجفف بالطريقة الاولى اسهل هضما من المجفف بالطريقة الثانية او من لبن الابقار كما هو. وذلك لأن مسه الحرارة كسر بروتينه فاشطرها الى بروتينات أسهل هضما.

ومن الى نعود أن القصور المتاحات تمده الشركات القائمة بالتجفيف باضافة تلك الفيتامينات وتزيد فيه ما تشاء من أملاح نافعة اذا شاءت.

وقد صار هذا اللبن المجفف بضاعة

كبرى لميل أكثر الامهات في بلاد العرب الى الارضاع به دون الأثداء .

الاسبرين ، له اسماء عدة

ـ يوجد في السوق عدة اصناف من الاسبرين الذي يستخدم لازالة الصداع ، وله في كل امة تصنعه اسم له خاص ، وكل يدعي له قوة خارقة في ازالة الالم الرأسي ليست لغيره فهل هذا صحيح ؟ . وعلمت من صيدلي ان الاسبرين يعطى في حالات اخرى غير الصداع .

● اقراص الاسبرين جميعها ، مهما اختلفت اسماؤها ، وتعددت البلاد التي تنتجها ، بها اساس فعال واحد ، وهو مركب كيماوي يعرف بحامض الاستيليك الاستيلي Acetyl Salicyclic Acid وعلى هذا فكل هذه الأصناف التي تذكر واحدة من حيث المحصول . ولكن قد يستحب منها ذلك القرص الذي اذا وضعته في الماء انتفش ، وهو هكذا ينتفش في المعدة فيكون اكثر ذوبانا واسرع امتصاصا وافعل .

وصحيح ان الاسبرين يستخدم في غير الصداع ، فهو يستخدم لازالة الالم ، ولخفض درجة الحرارة في الحمى ، الروماتزمية وغير ذلك .

اسباب العمى

ـ ما هي اسباب العمى ؟ وهل هناك احصائيات ترد حالات العمى الكثيرة الى اسبابها ؟

● ليس عندي حاضرا مما تسأل عنه سوى احصاء لعام ١٩٥١ اجري في انجلترا . او على الاقل هذا هو ما ورد في سجلاتها القائمة في ٣١ من شهر مارس آذار ١٩٥١ . وقد جاء بهذه السجلات ان بانجلترا وويلز ٨٦٢٨٩ من العمي :

بينهم ٤٠ طفلا عمرهم اقل من عام .

و٤٨٧ طفلا عمرهم بين العام والاربعة الاعوام .

و ١٤٤٢ عمرهم بين الاربعة والخمسة عشر عاما .

ثم ٢١٨٧٤ من البالغين الى سن السبعين .

ولكن يجب ان نقول ان هذا التسجيل تم بناء على تعريف العمى في قانونهم لعام ١٩٤٨

وهو يعرف العمى بانه الحالة التي يكون

المعدة لاتقوم بكل الهضم

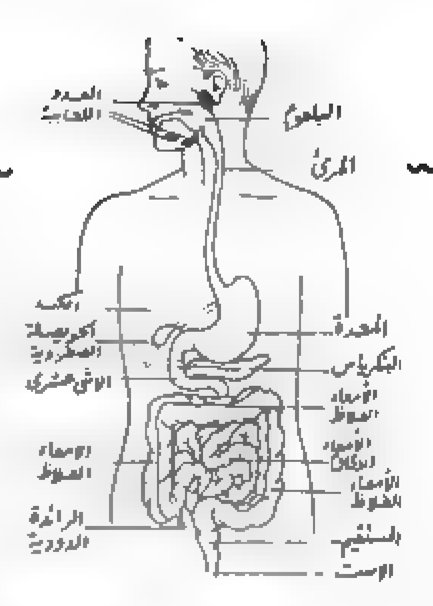
ـ المعروف ان المعدة هي عضو الهضم في الجسم ، فلم يستغرق الطعام فيها ، وايهما افضل من الوجهة الصحية ، تناول اكلة الطعام الكبرى في الغداء ام في العشاء ؟

● هذا سؤال ذو ثلاث شعب .

اما ان المعدة هي عضو الهضم في الجسم فهذا يبخس اعضاء اخرى حقوقها في الهضم ، كالامعاء . الحق ان المعدة تبدأ الهضم في الاشياء ، وهي مع هذا لا تتمه . ولنعبر ذلك ان الهضم عملية كيماوية ، وسيلتها الخمائر .

والمعدة تفرز جدرانها خميرتين ، احداهما البيبسين Pepsin ، والاخرى الرينين Rennin . اما الاولى فتهضم البروتين من لحم واشباهه ، وتحوله الى « بيتونات » ابسط تركيبا ، وهذا هضم غير كامل ، وهو يتم في الامعاء . واما الخميرة الثانية ، الرينين ، فهي كالتي بالمنفحة ، تجبن اللبن .

من هذا يتراءى ، اجمالا ، ان المعدة انما تحضّر الهضم الذي يأتي بعدها في الامعاء . والعصارة الهضمية بالطبع فيها غير ذلك حامض الكلوردريك ، وذلك لأن البيبسين لا يعمل الا في بيئة حامضية . وكذلك لأن الحمض يمنع تعفن المواد



الأخرى في الطعام . وللحامض أغراض أخرى .

وكذلك المعدة ، بهذه العملية الكيماوية ، وبعملية المخض المتواصل التي تجرى فيها ، تمزج الطعام مزجاً ، وهي تحيله الى شبه عجينة ناعمة تعرف بالكيموس Chyme . وعند احساس المعدة بتمام ذلك ، تفتح بابها الى المصران الاثنى عشرى فالأمعاء . فاذا احست جدرانها بأن في الكيموس شيئاً صلباً جامداً ، أغلقت بابها . فهم عجيب ، تصنعه لك المعدة ، وأنت لا تدرى .

المعدة اذن ، هاضمة بعض الهضم ، ولكنها ملزمة تكاد تكون طاحنة ، ولكنها تطحن بالكيمياء .

الشعبة الثانية من السؤال : في كم يتم الهضم ؟

والمقصود هنا هضم المعدة . فان كان الطعام خفيفاً ، خبزاً وزبدة ، ومربى وشاياً أو قهوة ، استغرق الهضم نحو ساعة . فان كان أثقل ، كأن تضمن لبناً وبيضاً ، أو مقداراً من اللحم قليلاً خفيفاً ، استغرق الهضم ما بين ٣ ساعات الى ٤ . أما ان كان ثقيلاً بحيث احتوى حساء ولحماً وخضراً وأرزاً وحلوى ، لم تفرغ منه المعدة الا من بعد ٦ ساعات . هذا في عموم الأحوال

والشعبة الثالثة من السؤال ، تختص بالوجبة الثقيلة ، تكون في الغداء أم في العشاء ؟

والجواب ان الوجبة الثقيلة يجب أن لا تكون . توزيع الطعام خفيفاً على الوجبات المتعددة أولى . فان كان لا بد ، فأهل أوروبا ، يخففون في الظهر لأنهم يعملون قبله وبعده . ثم يعودون الى منازلهم مساء فتكون الوجبة الأصيلة ، ولا أقول الثقيلة . فان تكن ثقيلة تولى المساء والنوم بها .

معها الشخص لا يستطيع عمل أي شيء ، يكون البصر ضرورياً في اجرائه .

أما أكثر الأسباب التي تنسب اليها العمى فهي

اظلام عدسة العين Cataract ، سبب ١٧٫٤ ٪ من مجموع الحالات .

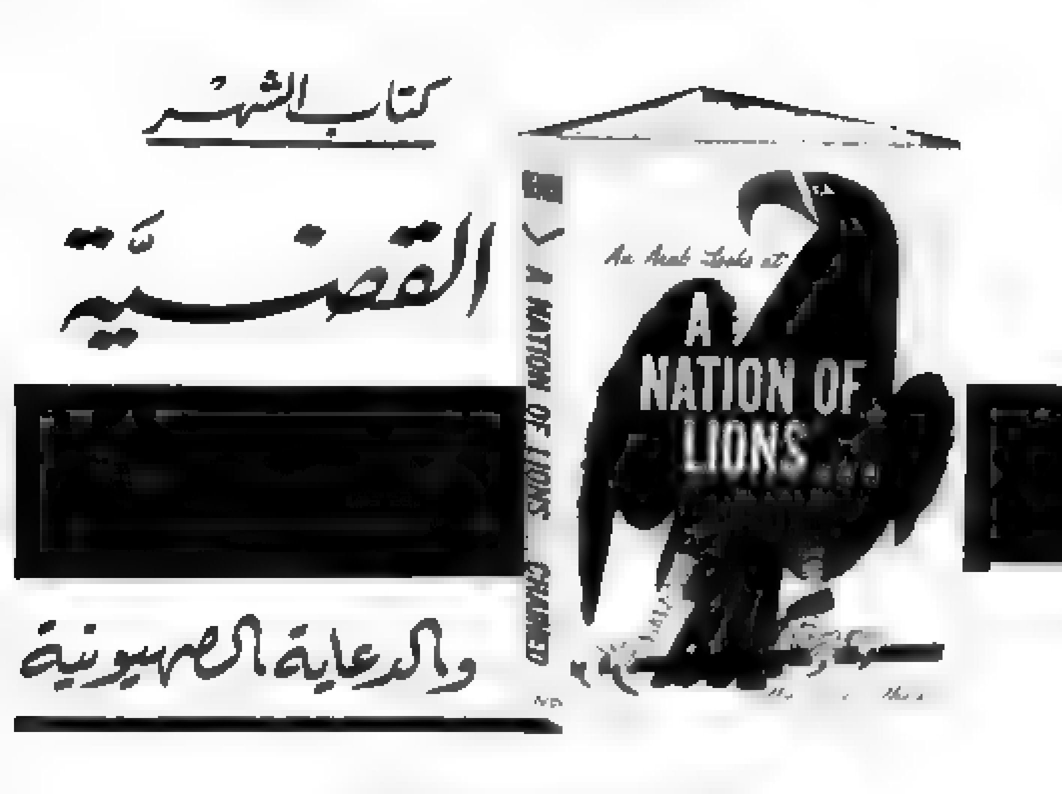
تدهور مغمى يحدث في أحسن جزء في شبكية العين ، وذلك في الشيخوخة ، وسبب ١٨٫٨ ٪ من الحالات .

والجلوكوما أو شدة التوتر في العين وسببت ١٤٫٣ ٪ من الحالات .

ومرض السكرى وسبب ٤٫٩ ٪ من الحالات .

وشذوذ عند الولادة وسبب ٥ ٪ من الحالات .

والزهرى وسبب ١ ٪ من الحالات .



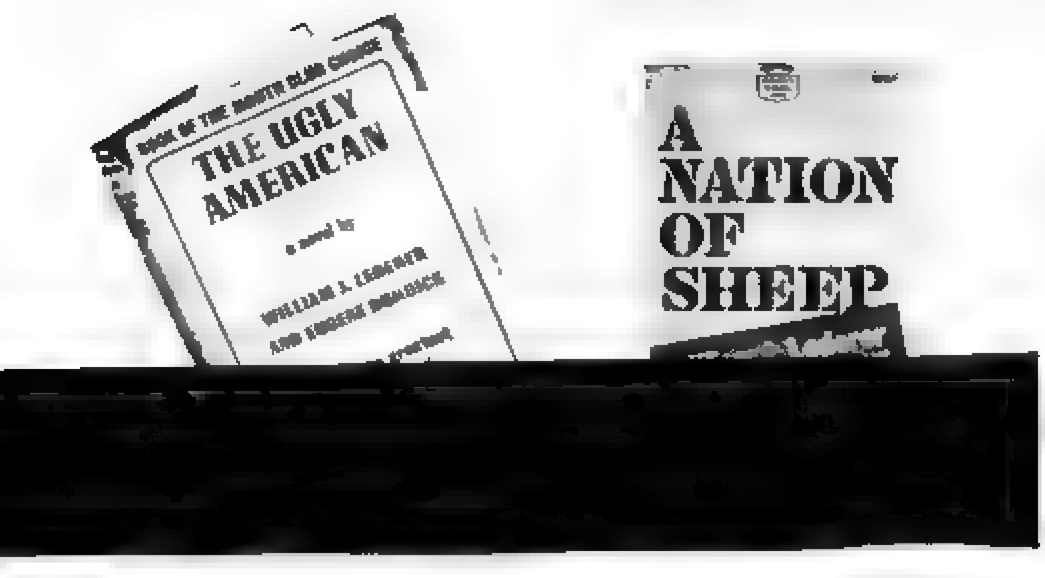
بقلم : الدكتور محمود السمرة

■ عندما صدر كتـــاب « الأمريكي الكريه » لمؤلفه لدرر وبردك (١) عــام ١٩٥٩ اضطربت الدوائر الأمريكية المسؤولة في واشنطن لما حوى من حقائق، فقد كشف هذا الكتاب لهم عن أن ممثليهم في الخـــارج لا يدركون شيئاً عن البـــلاد التي يرسلون إليها . ونحن نجد في هـــذا الكتاب دراسة موضوعية صريحة لسياسة أمريكا في الشرق الأقصى ، والأسباب التي جعلت سكان تلك المنطقة يكرهون أمريكا . وقد هلل المفكرون الأحرار ، وبعض كبار الكتاب الذين كتب لهم أن يطوفوا في العالم ، لهذا الكتاب حتى قالت الكاتبة الأمريكية الشهيرة بيرل بك Pearl S. Buck ، « لقد جاء أخيراً من يقول في سياستنا الخارجية الكئيبة التي كان يجب أن تقال ... وهذا كتاب جريء صريح ، وبمثل هذه الروح يجب أن نستقبله » .

وبعد صدور الكتاب ، انهالت الرسائل العديدة على المؤلفين تطلب المزيد من التوضيح ، فما كان من أحد المؤلفين ، وهو الكاتب لدرر ، إلا أن لبى النداء ، وأصدر كتابه الثاني « أمة من النعاج » (٢) . وفي هذا الكتاب أيضاً ينقد المؤلف السياسة الأمريكية في لاوس، وتايلاند، وفورموزا، وكوريا ، ويبين للشعب الأمريكي أن عليه أن يفهم الحقائق عن الشعوب الأخرى لا أن يبقى قطيعاً من النعاج تسيّره الدعايات والأكاذيب .

وإذا كانت الجرأة قد واتت كاتبين أمريكيين فتقدما لكشف التخبط وتردي السياسة الأمريكية في الشرق الأقصى ، فإن « الأمريكي الكريه » في

(1) The Ugly American, By Lederer and Burdick.
(2) A Nation of Sheep, By Lederer, 1961



في أمريكا

الشرق العربي يظل مجهولا عند الامريكيين أنفسهم وذلك بفضل الدعاية الصهيونية القوية والواسعة الانتشار في امريكا ، الى ان تقدم الدكتور محمد مهدى فاصدر كتابه هذا الذى نقدمه . وقد جعل المؤلف عنوان كتابه ردا على كتاب للدكتور عنوانه « امة من الاسود ... مقيدة » (٣) ، والذى يعنيه الدكتور مهدى ان الامة الامريكية امة من الاسود ، لا من النعاج ، ولكنها اسود مقيدة بقيود المعرفة الطائشة والدعايات الضالة ، وعليها ان تحطم هذه القيود .

والدكتور محمد مهدى ، عراقى ، درس في امريكا ، ونال شهادة الدكتوراه في العلوم السياسية من جامعة كاليفورنيا ، وهو الآن مدير مكتب الجامعة العربية في سان فرنسيسكو ، وهو في الوقت نفسه يشغل وظيفة استاذ مساعد في « المعهد الامريكى للدراسات الاسيوية » في سان فرنسيسكو .

وهذا الكتاب مقدمة ، وستة فصول ، ونتيجة ، وخاتمة . وهو يبدأ بمقارنة بين الحضارتين الشرقية والغربية ، ثم يرسم صورة للاسباب التى جعلت امريكا مكروهة في الشرق العربي . ولكن أهم فصل في الكتاب هو الفصل الذى يتناول فيه القضية الفلسطينية ، وفيه يبين للامريكيين خطأ الصورة التى يحملونها عن القضية الفلسطينية ، وذلك لما نالها من تشويه على أيدى الصهاينة .

وبسبب هذا الفصل رفضت خمس وعشرون دار نشر قبوله ، وحجتها في هذا ان الكتاب يعرض القضية الفلسطينية عرضا لا يرضى عنه القراء الامريكان .. وهذا الرفض يدل بوضوح على مدى قوة النفوذ الصهيونى ، والدعاية الصهيونية في امريكا . واخيرا تقدمت لنشره « مطبعة العالم الحديثة » بسان فرنسيسكو .

ولا يستطيع القارىء ان يتبين مدى ما بذل المؤلف من جهد في كتابه الا بقراءته : فهو كتاب يعتمد المنطق السليم ، والارقام ، والوثائق ، اساسا لمناقشته . ومثل هذا الكتاب هو ما تحتاج اليه القضايا العربية والقضية الفلسطينية خاصة .

الحقوق التاريخية

والادعاء الاول الذى به تبرر الصهيونية حقها في

(3) A Nation of Lions ... Chained, by Mohammad T. Mehdi, 1962.

فلسطين ، هو ان فلسطين كانت ارضا لليهود قبل الفين من السنين . ولو طبق مثل هذا المنطق لكان من حق روسيا ان تطالب بالاسكا ومن حق الهنود الحمر ان يطالبوا بامريكا نفسها ، ... الخ . ومعنى هذا ان علينا ان نغير خريطة العالم . ان الواقع يجسد لنا عزل الادعاء الصهيوني ، فلسطين عربية منذ اكثر من ثلاثة عشر قرنا .

وهذا المنطق الصهيوني منطق عجيب ، فهو باعتباره فلسطين وطنا لجميع اليهود في العالم ، وباعتباره اليهود الذين يعيشون خارج فلسطين « يهودا في المنفى » ، يخلق عند اليهودي ولاء مزدوجا : ولاء للوطن الدائم ، وولاء للوطن الذي يعيش فيه . فولاؤه في البلاد التي يحمل جنسيتها هو لهذه البلاد اولا ، في نظر حكومة هذه البلاد ، ولكنه لا يحمل في نفسه الا ولاء واحدا هو الولاء للوطن الدائم . وهذا المنطق الصهيوني يجعل من اليهودي المقيم خارج فلسطين ، غير مأمون الجانب اينما حل .

وقد اكد هذا الولاء اليهودي لاسرائيل ، رئيس وزراء اسرائيل السابق ديفيد بن غوريون ، حيث يقول : عندما يقول اليهودي في امريكا او جنوب افريقية او اي مكان ، « حكومتنا » فانه انما يعني « حكومة اسرائيل » ، وعندما يقول « سفيرنا » فانه يعني « سفير اسرائيل » ! كما قال كلاما مماثلا لهذا الدكتور ناحوم غولدمان ، المواطن الامريكي الذي لعب دورا كبيرا في السياسة الامريكية ، والصهيوني العريق الذي اعلن استعداده للتخلي عن جنسيته الامريكية ، والتجنس بالجنسية الاسرائيلية .

ومع هذا ، ففي امريكا جماعة من اليهود تنكر على اليهود هذا الحق التاريخي ، وتطلق على نفسها اسم « المجلس الامريكي لليهودية » ، فهذا المجلس يرى ان اليهودية دين لا قومية ، كما يرى ان وطن اليهودي هو الوطن الذي يقيم فيه . وفي امريكا ايضا مجلة اسمها « اخبار يهودية » تقول بما تقول به هذه الجماعة ، ويشرف عليها يهود بارزون مثل روجر بلدوين Baldwin ، وابراهام كرونباك Cronback ، ودفيد روزمان Rosman ... الخ ، ولكن صوت هاتين الجماعتين يضيع وسط ضجيج الصهيونية ولوبيها ، فلا تصل الى مسامع المواطن الامريكي .

ارض الميعاد

ومن الادعاءات الصهيونية التي اتذرع بها اليهود لاقناع الشعب الامريكي بحقه في فلسطين ، قولهم ان الله قد وعدهم في التوراة بان يرجعهم الى فلسطين . وقد لقي هذا الادعاء اذانا صاغية من المسيحيين المتدينين ، من امريكيين واوروبيين ، ونحن لو سلمنا جدلا بان مثل هذا الوعد قد ورد في التوراة ، فان الرد على هذا الادعاء نجده عند الاستاذ الفرد جيوم Guillaume ، استاذ دراسات العهد القديم في جامعة لندن سابقا ، فهو يقول « لقد تحققت هذه النبوءة التي وردت في « العهد القديم » ، فعاد اليهود الى ارض جدوده ، وبنوا اسوار القدس ، واعادوا بناء الهيكل ، وحكموا لحقبة قصيرة من الزمن . لقد تحققت هذه النبوءة ، ولا يمكن ان تتحقق مرة ثانية . وليست هناك اية نبوءة في «العهد القديم» تنص على عودة اليهود ثانية الى فلسطين بعد عودتهم من الاسر البابلي » . ومثل هذا التفسير اورده الدكتور فرانك ستاج Stagg استاذ دراسات « العهد الجديد » في نيو اورليانس ، والاب شيرمان Sherman ، الاسقف في لونغ ايلاند .

والمنطق السليم نفسه يقر بان فلسطين لسكانها العرب الذين سكنوها مدة تزيد عن ثلاثة عشر قرنا ، ولا يمكن ان يقر انها لبن غوريون البولوني الذي ربما كان اجداده من السلالات الذين تهودوا قبل بضع مئات من السنين !

الاضطهاد

والشعب في امريكا يحس بعطف على اليهود

بسبب ما لقوا على أيدي ألمانيا النازية ، ولكن هذا العطف يجب ألا يكون على حساب العرب الأبرياء في فلسطين . لأن العرب ليسوا هم الذين اضطهدوا اليهود ، فلماذا كان من حق اليهود فائدة ضد ألمانيا النازية . ولماذا يفترض في عرب فلسطين أن يكفروا عن اضطهاد هتلر لليهود ؟

لقد صور لنا الكاتب الصهيوني ليون أوريس في قصته الخروج (4) التي نالت رواجا ثم أخرجت فلما ، ما لقي اليهود من الاضطهاد في أوروبا ، ثم كيف خرجوا الى أرض فلسطين مكافحين . ولكنه لم يستطع أن يثبت أن العرب هم المسؤولون عن هذا الاضطهاد ، كما أن صيحته العنيفة جعلته يغفل الجريمة النكراء التي اقترفها أولئك الذين يريد أن يستدر عطف العالم عليهم . وقد قال المؤرخ البريطاني الشهير أرنولد توينبي Toynbee « ان جرائم الصهيونية في العرب أبشع في الإثم من جرائم النازية » .

اليهود أقدر على تحسين البلاد !

ويبرر الصهيونيون حق اليهود في فلسطين بأنهم أقدر على استصلاح الأرض ، واستخراج خيراتها ، من سكانها العرب . ونحن لو فرضنا أن اليهود فعلا أقدر من العرب على تحسين البلاد ، فإن هذا ليس مبررا لطرد أهلها العرب ، وإحلال اليهود محلهم . إن مثل هذا المنطق قد استعمله هتلر في احتلاله لبولنده . ولو صدق مثل هذا القول لكان من حق روسيا عندما أثبتت تفوقها في ميدان الصواريخ على أمريكا ، أن تطالب باحتلال أمريكا لتعلم شعبها كيف تصنع الصواريخ ، وكيف أن بالإمكان إطلاق رجل الى الفضاء !

والعجيب أن يلقى مثل هذا الكلام قبولا عند الأمريكيين . والأعجب منه أن الأمريكيين أنفسهم لا يدركون أنهم هم أنفسهم كان لهم الفضل الأول في جعل اليهود قادرين على تحسين البلاد . لقد جاد الأمريكيون على إسرائيل في العشر السنوات الأولى بمبلغ يزيد على مليوني دولار ، وهو مبلغ لو وضع حتى بين أيدي العرب لينفقوه على هذه البقعة الصغيرة من الأرض ، لجعلوا الدنيا غير الدنيا !

اليهود اشتروا أرض فلسطين !

وقد نشر اليهود بين الأمريكيين دعوى كاذبة ، وهي أنهم قد اشتروا أرض فلسطين من أهلها العرب . والصهيونية في سبيل تحقيق غاياتها تستحل اقتراف كل الآثام ، والكذب أهونها . وهذه لجنة شو الانجليزية تقول : « ان الفلاح العربي في فلسطين وطني صميم ، متحمس للنضال السياسي ضد الصهيونية والاستعمار البريطاني . ولهذا السبب فقد ثبت لنا أن معظم الفلاحين متمسكون بأراضيهم على الرغم من الظروف القاسية المحيطة بهم ، تمسكا شديدا ، ولا يقبلون التنازل عنها بأي ثمن لليهود » .

ان الاحصائيات الرسمية تقول ان اليهود كانوا يملكون من أرض فلسطين عام ١٩٢٠ ، ما نسبته ٢ر٥٪ من مجموع مساحتها البالغة ٢٧ر٠٢٧ر٠٢٢ دونما . وكانت نسبة ما اشتروه ووهبته لهم حكومة الانتداب حتى عام ١٩٤٥ لا تزيد عن ٥ر٦٢٪ من مجموع الأرض الفلسطينية . أي أن مجموع ما كانوا يملكونه حتى هذا التاريخ هو ٥ر٦٪ . وحسب أعلى التقديرات الرسمية تملك اليهود أقل من ١٪ ما بين عامي ١٩٤٥ و ١٩٤٨ . وهذا يجعل مجموع ما كانوا يملكونه لا يزيد عن ٧٪ من أرض فلسطين . والتفصيل كما يلي

٦٥٠٠٠٠ دونم امتلكها اليهود في عهد الدولة العثمانية خلال أمد طويلة .

٢٠٠٠٠٠ دونم منحتها حكومة الانتداب للوكالة اليهودية من أملاك الدولة بلا مقابل .

٢٠٠٠٠٠ دونم منحتها حكومة الانتداب لليهود بأثمان رمزية .

٦٠٠٠٠٠ دونم اشتراها اليهود في مرج ابن عامر

(4) Exodus by Leon Uris

والحولة ووادي الحوارث وما بين خليج عكا وحيفا، من ملاكها غير الفلسطينيين، وإلا فالقليل الفلسطيني، وكانت الطائفيات لعائلات سورية ولبنانية في العهد التركي .

٢٥٠,٠٠٠ دونم اشتراها اليهود من اصحابها العرب الفلسطينيين .

والعرب المقيمون الآن في اسرائيل ، وعددهم ١٨٠ الفا ، يملكون ١٢٪ من الأرض ، ومعنى هذا ان ٨٠٪ من الأرض الموجودة في اسرائيل هي ملك لأصحابها من الفلسطينيين اللاجئين ، وقد وضع اليهود يدهم عليها بالقوة . وقد أكد هذا الاحصاء تقرير لجنة هيئة الأمم عام ١٩٥١ . وجاء في هذا التقرير أيضا ان اليهود قد استولوا بالقوة على أكثر من ٤٠٠ مدينة وقرية ، و١٠ آلاف دكان ، و١٢٠ ألف دونم من بيارات البرتقال ، و ٤٠ الف دونم من الكرمة ، وما لا يقل عن ١٠ آلاف دونم من الفواكه المختلفة ، وأكثر من ٩٥٪ من مزارع الزيتون . وكل هذا الذي ذكرناه ، حسب تقرير هيئة الأمم المتحدة ، لم يدفع اليهود عليها واحدا ثمنا له !!

الإقطاعيون هم الذين يعادون اسرائيل !!

ومن الدعايات التي تلقت رواجـا في امريكا والغرب ما اذاعه اليهود من ان الاقطاعيين فقط هم الذين يعادونهم ، اما باقي الشعب الفلسطيني فتواق الى التفاهم معهم . ومما لا شك فيه ان الاقطاعيين يعادون اسرائيل ، ولكن عداء باقي أفراد الشعب من مثقفين ، وعمال ، ورجال اعمـال ، وطلاب .. لا يقل عن عداء الاقطاعيين . وقد اثبت تقارير مندوبي هيئة الأمم كذب هذا الادعاء .

العرب يعارضون قرار هيئة الأمم

ويقول اليهود ان العرب يعارضـون قـرار التقسيم الذي وافقت عليه هيئة الأمم عـام ١٩٤٧ ، وهم بهذا القول يريدون ان يظهروا العرب بمظهر المعتدين ، والمتحدين لأعلى سلطة دوليـة . حقا ان العرب يعارضون قرار التقسيم ، ولو صدر من هيئة الأمم ، كما ولا بد ان تعارض الولايات المتحدة نفسها في تقسيم الاسكا واعطاء جزء منها للروس البيض من سكانها ، او تقسيم كاليفورنيا واعطاء جزء منها للهنود الحمر . ولا شك ان كل بلاد العالم لا ترضى واحدة منها بان يقتطع جزء من ارضها ويسلخ منها . ومعارضة العرب للتقسيم تصدر من هذا المنطق الذي اقره كل القوانين ، والمفاهيم .

اشعل العرب الحرب ثم هربوا !

ويدعي اليهود ان العرب هم الذين اشعلوا الحرب ، وكانوا هم المعتدين ، ثم تركوا الارض بعد هزيمتهم ولاذوا بالفرار . وبهذا تصبح الارض ملكا لاسرائيل . وهذا الادعاء ذو شقين : اولهما : ان العرب كانوا هم المعتدين ، وثانيهما ان هربهم جعل املاكهم ملكا لاسرائيل .

اما ان العرب كانوا هم المعتدين فينقضه ما جاء في كتاب مناحم بيجن « ثورة » (٥) ، حيث يعترف ان وحشية رجاله في الفتك بالعرب العزل كانت السبب في مغادرة العرب لأرضهم . ويقول توينبي، وهو المؤرخ الثقة ، ان اليهود بوحشيتهم قد اضطروا العرب الى ترك بيوتهم واملاكهم ، واللجوء الى البلاد العربية المجاورة . وهذا القول نفسه ورد في كتاب بن غوريون (٦) .

وهل اذا ترك المرء املاكه وداره يخسر ملكيتها، ويمنع من العودة اليها ؟ هذا ما لم يقل به اي قانون دولي . وهل خسر الفرنسيون املاكهم عندما تركوها امام الغزو الالماني !!

توطين اللاجئين !

واشاعت الصهيونية في امريكا ان الدول العربية تقف في وجه توطين اللاجئين ، لانها وجدت في اللاجئين قضية مربحة ، تستطيع ان تساوم بها في المجال الدولي . ومثل هذا القول يفترض مقدما

---

(5) Revolt, by Menahem Begin.
(6) Rebirth and Destiny of Israel, 1954, pp. 530-1

ان اللاجئين ليسوا سوى ادوات صماء يُسيّرون كما تهوى الدول العربية .

والحقيقة هي ان اللاجئين انفسهم يرفضون الاستيطان . وهم مصممون على العودة . وجميع الذين تولوا رئاسة وكالة الغوث الدولية التي تعنى بشؤون اللاجئين اكدوا هذه الحقيقة . اكدها هنري لابويس Labouisse ، احد مديري وكالة الغوث ، والدكتور جون ديفيز Davis مديرها السابق . وقد جاء في احد هذه التقارير الرسمية :

« ان هؤلاء اللاجئين العرب الذين فقدوا منازلهم ، وموارد رزقهم ، ويعيشون الآن على المعونة والتبرعات نتيجة للعدوان الصهيوني على فلسطين ، ليتساءلون اليوم عن مصيرهم ، وعما يخبئه لهم القدر في طياته . انهم لا يطلبون غير العودة الى وطنهم ، والاستقرار في بلادهم ، ولا امل لهم في الحياة الا اذا اجيبت مطالبهم ، ونالوا حقهم في العودة » .

وقد اكد هذه الحقيقة ايضا كل من زار مخيمات اللاجئين من صحفيين ، وممثلين رسميين ، وزائرين .

قلعة الديمقراطية !

والدعاية الصهيونية مولعة بترديد هذه الدعوى وهي ان اسرائيل هي قلعة الديمقراطية في الشرق الاوسط ، وان الحكومات العربية حكومات ديكتاتورية . ونحن نجد هذه الدعوى تتردد على السنة الساسة من الامريكيين ، مما يدل على ان الدعاية الصهيونية قد وجدت طريقها اليهم .

ولكن هل اسرائيل ، حقا ، هي قلعة الديمقراطية في الشرق الاوسط ؟ ان الاساس الذي قامت عليه اسرائيل اساس ديني او عنصري ، يقول ان الدين اليهودي هو خير الاديان ، وان الجنس اليهودي هو افضل الاجناس البشرية . اما ان يكون الدين اساسا لقيام دولة ، فهذا مفهوم كان يمكن ان يكون مستساغا في القرن السادس عشر وما قبله . واما الايمان بالجنس اليهودي وتفوقه ، فهذه خرافة ، ومن اجل القضاء على خطر هذا المفهوم الخاطىء قامت الحرب العالمية الثانية .

لقد كان اولى بمن اطلقوا على اسرائيل اسم « قلعة الديمقراطية » ان يسموها « قلعة الحكم العنصري » .

واين الديمقراطية في اسرائيل ؟

ان العرب فيها يعيشون مواطنين من الدرجة الثانية ، لا يستطيعون الانتقال من مكان الى آخر الا باذن مسبق وتحت شروط قاسية . مع ان الارض ارضهم والبلاد بلادهم ، والصهيونية التي تحكمهم حفنة طارئة على البلاد . افهذا التفاوت بين المواطنين ، وفي الاغتصاب ، ديمقراطية !؟

الاعتراف بالواقع !

ومن اكثر الحجج البراقة لوجود اسرائيل رواجا ، القول ان اسرائيل قائمة ، ولهذا فان من العبث تجاهل وجودها . ومثل هذا المنطق يطلب من العرب التسليم بالواقع دون نظر الى شرعية هذا الواقع . لقد اقامت الصهيونية دولة بالقوة في ارض عربية ، بعد ان شردت اهلها ، واغتصبت املاكهم . فاي منطق هذا الذي يطلب من العرب التسليم بواقع ظالم ؟ ان مثل هذا المنطق قد جعل العرب يؤمنون ان اسرائيل التي قامت بالقوة لا يمكن ان تزول الا بالقوة ، وهم لهذا اليوم يستعدون .

ارى كيف يستسيغ الغرب قيام دولة لجماعة طارئة على ارض بعد تشريد أهلها ، ولا يستسيغ زوال هذه الدولة؟ان المنطق الذي لا يجد غضاضة في العمل الاول ، يجب الا يجد غضاضة في العمل الثاني ، الا اذا كان الهوى هو الحاكم ! .

★★★

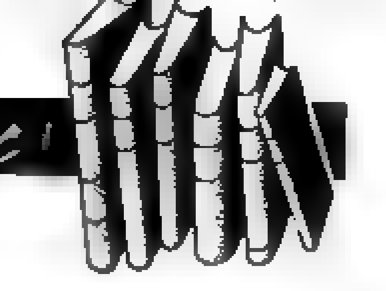
هذا طرف من التشويه الذي منيت القضية الفلسطينية على ايدي الصهيونية . وهو تشويه استساغته الصهيونية لانه يحقق لها مآربها ، ولو كان قائما على الكذب والتضليل والاكاذيب .

وماذا كانت نتيجة هذا التشويه ؟

نتيجته ان « الامريكي الكريه » الموجود في الشرق الاقصى ، موجود ايضا في العالم العربي . ومن المحال ان تزول هذه الصورة من الاذهان الا اذا استطاع هذا الامريكي ان يتخلص من الدعاية الصهيونية التي تكبل فكره ، وآمن ان الدولار لا يستطيع شراء كل شيء .

محمود السمرة

من الكتب التي وصلتنا



الشمس والقمر والنجوم

فريمان ـ ترجمة الدكتور امام ابراهيم أحمد
مؤسسة فرنكلين ومكتبة الانجلو المصرية

● ما الذي يجعل القمر يضيء ؟ وما هو النجم؟ وما الشكل الذي يبدو عليه الكرة الأرضية من الفضاء المحيط بنا ؟ هل الشمس في حالة احتراق مستمر ؟ وهل توجد حياة على أي كوكب من الكواكب الأخرى ؟

هذه أسئلة يجيب عنها هذا الكتاب العلمي الذي كتب للقراء الناشئين .

في الحضارة العربية الاسلامية والمجتمع العربي

الدكتور شوكت الشطي ـ مطبعة جامعة دمشق

● بحوث تتصل بالحركة العلمية والطبية منذ العصر الجاهلي والذي تلاه من عصور اسلامية . ويقع في نحو ٦٠٠ صفحة .

فهرس ابن عابدين

جمع وترتيب الاستاذ أحمد محمد القطر
المطبعة السورية ـ حلب

● هو فهرس ابجدي لحاشية ابن عابدين ، وهو أحد الفهارس المتفق على وضعها لموسوعة الفقه الاسلامي التي انبثق مشروعها عن مؤتمر الفقه الاسلامي الذي عقد في السوربون بجامعة باريس سنة ١٩٥١ وتولت أمرها جامعة دمشق .

كتاب الطب عند العرب في العصور الحديثة

الدكتور شوكت الشطي ـ مطبعة جامعة دمشق

● كتاب يشمل فصولا عن الطب الحديث في لبنان والعراق والكويت والسعودية والأردن .

قصة الطاقة الذرية

لورا فيرمي ـ ترجمة عمر كامل الوكيل
مؤسسة فرنكلين ومكتبة الانجلو المصرية

● يجد القارىء في هذا الكتاب قصة كان أبطالها هم أعلام العلماء ، وكانت حياتهم فيها جهدا في تواضع ، وتعاونا وتنافسا مع تضحية بالنفس ، وسيرى القارىء كيف كانت الفكرة تنتقل من رأس الى رأس ، ليكون لها في كل نقلة زيادة ونماء .

العالم يغرق

ياسين رفاعية ، دار ابن زيدون ـ دمشق

● مجموعة قصص منها : الفزع ، جدران الصمت ، بلا أحلام ، جيل الضياع ، الزوايا ، القتلى ، عالم الآخرين ، البحر ليس الزبد ، العالم يغرق .

النظام الاجتماعي في الاسلام

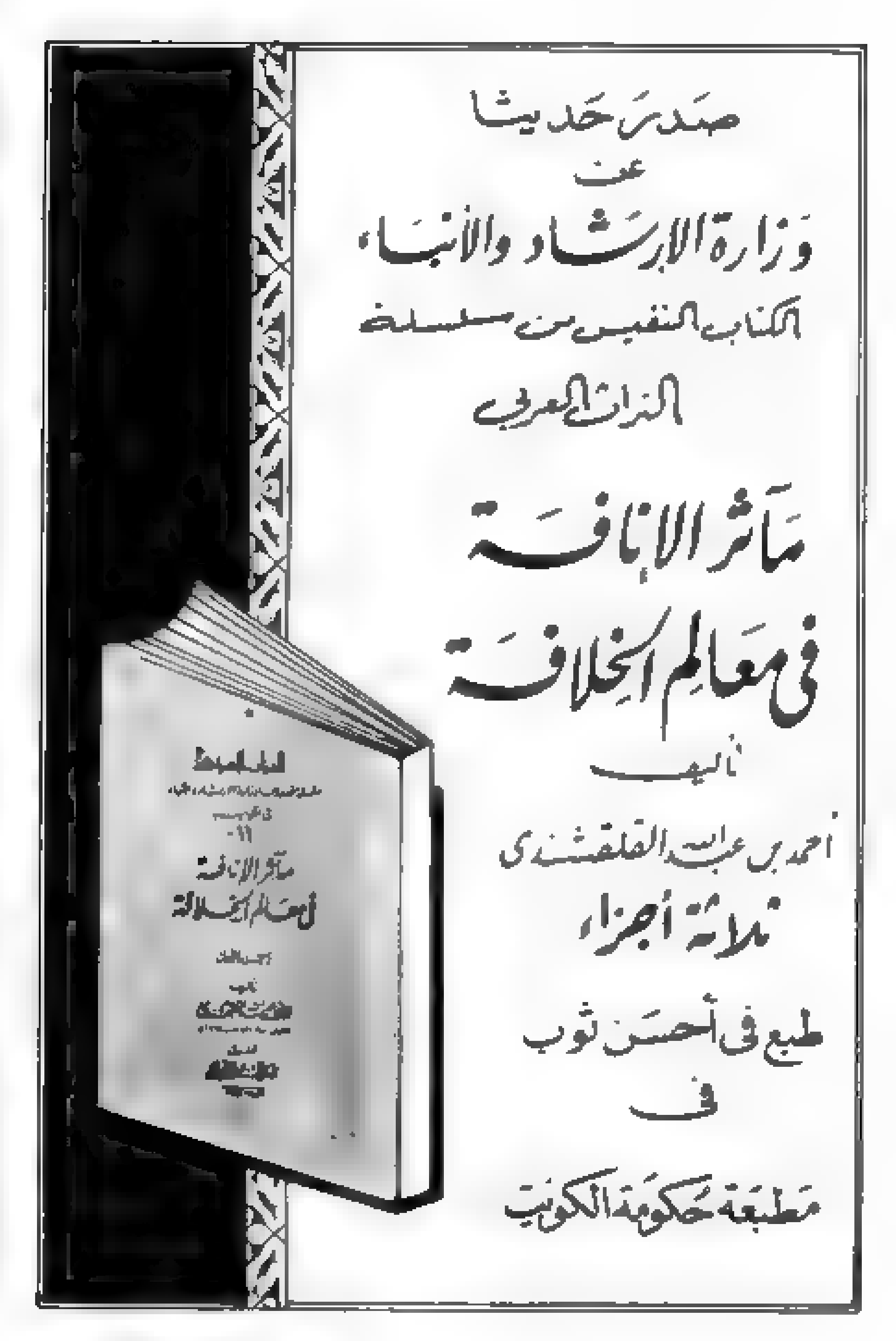
راشد الفرحان ـ الكويت

● « حاولت أن أعرض في هذا الكتاب صورا من بدء الحياة الاجتماعية للزوجين حتى انتهائها ، وما يترتب على ذلك أثناء الاجتماع والافتراق ، وذلك من وجهة نظر الاسلام ، مستدلا على كل ما أذكر بالكتاب والسنة ... »

دعوة الى السفر

الدكتور عبد السلام العجيلي ، منشورات موعداب ـ بيروت .

● « لم أرد في هذا الكتاب سوى أن أصف انطباعات نفسي أمام ما رأيته في عالم أسفاري الغريبة . » في هذا الكتاب ، رحلة الى تدمر ، قتلة من تدمر ، عشر في بغداد ، ذكريات باريسية ....


صدر حديثا
عن
وزارة الإرشاد والأنباء
الكتاب النفيس من سلسلة
التراث العربي
مآثر الإنافة
في معالم الخلافة
تأليف
أحمد بن عبد الله القلقشندي
ثلاثة أجزاء
طبع في أحسن ثوب
في
مطبعة حكومة الكويت



طفلة

للكاتبة النمسوية : (ماري شافنر)

كانت صفوف كثيرة تمشي في بطء وعناء ، على طول الطرق الممتدة الى ما لا نهاية .

وكانت الوجوه تعكس الم عصر من العصور لم يعرف ما الرحمة .

كتل بشرية لا تنقلها ايديهم من بلد الى بلد ، باحثين عن ماوى لا يرضى احد ان يمنحهم اياه .

ان الاعصار الذي عصف باوروبا في الحروب الاخيرة الطاحنة لم يكن في ميسور انسان ان يفكر في انها يمكن ان تنتهي ابدا .

في ليلة من تلك الليالي الحالكة المتزوعة انطلقت صرخة تنادي « ماما » . ثم غمرها الصمت فلم تسمعها الام .

والام والاب يضربان ، يائسين ، في الطرق الطويلة ، بحثا عن طفلهما الضائع .

ستعرف تلك التي لم يبق من تلك الصغيرة سوى ما نقل الى سمعه من حديث عنه ، انه كهذا الشرطي الذي كان يمشي ، في ليلة صافية ثلجية ، بالقنبلة الخفيفة ، فيما كان يقوم بجولته في شوارع مدينة بالسمة . ها هو ذا يبصر بطفلة صغيرة ملقاة على حافة الطريق ، بطفلة بادية الاعياء ، غير انها لا تحفل بكلماته الودية ، فحمل حزنا عميقا قد اجتاح قلبها . حسنا ، سوف يجعلها تتكلم في مركز الشرطة . وياخذ بيدها بلطف .

★★★

ويتحلق حول الطفلة نفر من رجال الشرطة ، بملابسهم الرسمية . انهم في حيرة ظاهرة ، فالطفلة تابى ان تنطق بكلمة واحدة .

ــ ولكن ، لا بد انك تعرفين اسمك على الاقل .

اجل . انها تعرف : التعريف المنهار ... ست سنوات

كانت تشتاق دائما الى لمسة من حنان ، وانت عينين تتحسس وتحضان

قالتها بوجل ، وقد ترقرقت عيناها بالدمـــع ، وحاولت ان تمسحه براحتها .

ـ والآن ، اسمعي ، قولي من هم اهلك ؟

ـ لا ادري ، حقا لا ادري .

ـ ان فتاة مثلك لا تدري من هم اهلها ، هــذا غير معقول .

وهزّ الطفلة كتفيها ، بقسوة . ويئس المفتش اليأس منها ، ولكن يخطر له ان ثمة وسيلة يجمع بها الطفلة ويعين نفسه هي : النوم .

وهكذا ، وبأيديهم الرتيكة الضخمة ، اعـــد ضباط الشرطة سريرا للطفلة التي ما عتمت ان استغرقت في نوم عميق قرير .

وعند منبلج الفجر ، تقدم المفتش من الطفلة بحذر ، وما ان فرقت عيناها حتى بنظرة حادة ، وسألها بقسوة :

ـ اين تسكنين ، يا الفريد الشيـ[illegible]

وجاء الجواب منها على الفور : [illegible] شارع مول واجالت الطفلة بصرها حولها كا[illegible] ، تحاول ان تتعرف المكان الذي انتهت اليه ، و[illegible] المفتش راحتيه رائسيا ، وقال :

ـ حسنا ، انت تعلميـــن [illegible] ، اين تسكنين ، هل يسكن اهلك هنا[illegible] ايضا ؟

ـ اوه ، لا ، ابدا .

وفاجأت الصغيرة الفريد الى الطفلة .

ـ لا ، ليسوا باهلي ، لا ادري منذا حل باهلي [illegible] ان الذي يسكن هنا[illegible] ...

وا[illegible] الكلام ، تفكر [illegible] ثم قالت بهدوء :

هو [illegible] الشيـ[illegible]

ـ أليس هو ابوك ؟

ـ كلى ، لا .

وتلصقت عيناها بالدموع .

وقال الشرطي الذي عثر عليهـــا في الشارع :

ـ خير ما نفعله هو ان اصطحبها الى عنوان ٣٦ ، شارع مول .

فقاطعه المفتش :

ـ ليس ثمّ ضرورة لهذا الجهد ، انا جربت هــذا النمط من الحوادث ، ان

الساعة تقارب التاسعة ، انظر ، هذا هو ذا آت

وسمعت جلبة في الخارج ، وفتح الباب ودخل الغرفة رجل بثياب العمل ، قد جهثم القلق محياه ، فلما راى الطفلة ، اشرق وجهه وابتسمت شفتاه ابتسامة جذلى ، وهتف الفريد[illegible]

وارتمت الطفلة [illegible] ، وحبه[illegible] الضاغط في [illegible]

قال ال[illegible] :

ـ [illegible] الطفلة العنيدة تحاول ان تدخل معتقـــدة انها لا تدري من هم اهلها .

واجاب فرنز الشتيمر :

ـ انها لا تدري ، في الواقع ، من هم اصحابها ، ولقد كانت تجهل حتى اسمي ، اي مأساة يخفيها الصدر لها

بدات القصة في عام ١٩٢٤ .

كان الجندي فرنز الشتيمر قد قدم ليقضي بين ذويه اجازة قصيرة ، وكانت زوجته قد وضعت



منذ امد قريب طفلة . وحمـــل الطفلة بذراعيه ساعات مسـتمرات ، ثم تعين عليه أن يعود الى الجبهة .

ولم تكد تمر سنة ، حتى حدث ما الجأ جموعا من البشر الى الهرب في كل سبيل من الارض ، بعضهم طُرد من حقله الذي فلحه وفلحه اجداده من قبل . وبعض طرد من بيته ، وبعض انتزع من مدينته . وانتظمتهم جميعا مواكب طويلة اتجهت الى الشرق ، ليحتجزها هناك سلك وطائل من الاسلاك الشائكة . وافترق الاهـــل ، وانقطعت الصلات .

واطلق سراح فرنز الشنيدر مـن الاسر ، وشرع يبحث عن زوجته وابنته ، وعن ماري .

وفي مدينة يلهج اهلها بلغته وجد عملا ومسكنا ، ولكنه لم يعثر على اسرته . كانت محنته ماسية حقا . كان يدور ، عبثا ، من مكتب الى مكتب . لقـــد كانت انشئت مكاتب للبحث عن التائهين ، تعلن في الصحف اسماء الغائبين وتذيعها في الراديو، ولكن هذا النداء لم يكن يصل الى كل مكان .

ووجد الشنيدر ، ذات يوم ضالته في شخص بنت صغيرة اسمها الفريد ، عثر عليها وحيدة ، لا اهل لها ، في محطة ، اثر مرور قطار من اللاجئين ، وكان يتدلى ، حول عنق الطفلة ، صفيحة معدنية نقش فيها اسمها . ولم يتسع له معرفـــة اسم امها ، وكيف تفرقت . كانت الاحداث الرهيبـة تتجاوز قدرة الفهم لدى الطفلة . ان كل ما كان في امكانها ان تقوله هو : ماما مريضة ، ذهبت . منتصحة بذلك من التذكر الحزين الذي كان على فرنز ان يتقبله .

ومرت سنتان ، كانت البنت الصغيرة خلالهمـــا مصدر سعادة فرنز الوحيدة . واليوم كان يوم عيد ميلادها السادس .

واستيقظت الفريد ، في الصباح ، فوجدت الى جانب سريرها منضدة صغيرة مغمورة بالورود توجمع لها عليها ابوها كل الدمى التي كان يقدر انهـا ستدخل البهجة الى قلبها . اقلام ذات الوان زاهية وغابة كبيرة ، ولعبة كانت تشغلها دوما : لعبـة ذات عينين تنفتحان وتنغلقان . ومضى بها ابوها ، بعد ظهر ذلك اليوم الى حديقة الحيوانات . ذلك يوم سيظل ، عمرها كله ، ماثلا في خاطرها . حتى ان كآبة مبهمة ملأت قلب الطفلة في المساء .

كان الاب والبنت جالسين الى المائدة ، وهما يتناولان طعام العشاء ، حين رن جرس البـــاب . وبادرت الفريد الى الباب وفتحته ، فرأت امامهـا سيدة مجهولة وبنتا صغيرة . وسألتها المـــرأة الغريبة :

– هل يسـكن هنا السيد فرنز اشنيدر !

ولما ردت الفريــــد بالايجاب ، جاوزت السيدة العتبة ، ممسكة بيد طفلتها ، واتجهت الى الغرفة المجاورة ، وقرعت بابهـــا ثم دخلت ، ولما تركت الباب مشرعا خلفها ، تيسر للفريد أن ترى مــــا يجري هناك ، وصاحت السيدة . فرنز .

وارتمت على صـــــدر الاب والدموع تهمي من ماقيها ، بينما يهتف فرنز مشدوها وانشأ يبكي مرددا

– ماري ، ماري ، حمدا لله ، انك حيـة ...
الفريد

وكان الشعاع الاخير موجها في الظاهر الى الطفلة التي كانت تصغي خلف الباب ، بعد ان قدميهـا تسمرتا في الارض عندما رأت الطفلة الغريبة تجيب النداء ، وتتعلق بعنق الأب ، وهو يقبلها ويضمها الى صدره مرتعشا .

وتهاوت الطفلة التي خارج الحجرة ، على وصيد الباب ، واسندت رأسها الى الجدار واخـــذت تبكي ، دون ان تدري ، على التحقيق ، ماذا جرى. ورمقت السيدة وقد ملأ الفرح محياها :

– فرنز انك لم تنس حتى عيـد ميلاد الفريد . اشتري يا الفريد ، كل هذه الهدايا لك .

واشارت الى الدمى التي اشتراها الاب لالفريد الاخرى .

وفجأة ، ادركت الفريد الحقيقة ، ادركت ان الغريبة هي زوجة الاب ، وان الطفلة الصغيرة التي كان اسمها الفريد ايضا هي ابنة الاب الحقيقية ، اما هي فلم تكن سوى لعبة من لعبات القدر .

لقد مات اهلها بعد الحرب ، وقذف بها في قلب تيار من الجموع المهاجرة ، في الطرق الطويلة حتى اقبل اليوم الذي اشرق فيه حظها ، فالتقت

في اسرة هذه الحقبة القصيرة من الزمن بأثير كان لها . وحتى امس الغابر ، لم يكن في ميسور الاب والغريب ان يعلما بالتأكيد ان ثم وشيجة تربط بينهما ، ومع ذلك عاشا سعيدين معا .

وتذكرت الاسرة المجتمعة الطفلة التابعة في المطبخ ، كانت هذه الطفلة قد اقتربت ما يكفي ان تقول : ان هذا الاب الوافر الطيبة قد وجد اسرته .

وحين خلد الجميع الى النوم ، تسللت الطفلة من السرير ، فداعبت ، بلطف شعر لعبتها المطروحة على منضدة عيد ميلادها ، وهربت من البيت .

لم يكن لديها فكرة عن المكان الذي ستذهب اليه . كل ما كانت تعرفه ان مكانها قد شغلته غيرها . لقد فقدت اليوم اباها العزيز . اما امها فقد استأثر بها الفقير الصبي ، ورأت الطفلة نفسها مهجورة .

في تلك الاثناء ، عثر الشرطي على طفلة صغيرة ، على رصيف شارع معتم .

واصغى المفتش مفكرا ، الى الرجل الذي كان يضم هذه الطفلة الى صدره بينما كان يسرد القصة ، ثم يقبل الطفلة ، وعلى شفتيه ابتسامة شجية

— والآن ، تعالي يا بنيتي ، سوف نعود الى البيت ، ان امك قد ... منذ الصباح ، وستسعدها امك مما ترجو

وهتف المفتش

— شيء جميل ، جميل جدا ... سيد انسطر قالها بصوت دقيق ، ثم تظاهر بانه كان يتكلف ذلك ، اذ لم يكن من اللائق لرجل الامن ان يفصح عن عواطف ليس لها مكان مناسب في مركز الشرطة .

■■

ترجمة وتلخيص : الدكتور بديع حقي

في جميع ارجاء العالم...

كرافن كنج سايز فلتر



التوازن المثالي بين الفلتر والتبغ لإعطاء نكهة ألطف وانقى

مصنوعة في انجلترا



قياس الزمن الدقيق
بساعات
فافر ـ لوبا
FAVRE-LEUBA
GENEVE
علامة الثقة
فخر الصناعة السويسرية، تعمل في كل الأجواء، وترضي جميع الأذواق..
نسائي ورجالي
الوكلاء العامون
العراق
عبد الجبار لطيف الساعاتي
شارع الرشيد ـ بغداد
البحرين
يوسف احمد الساعي وشركاه
ص. ب ٦١٨
الكويت
محمد عبدالله الشهاب
شارع عبد الله السالم (الجديد سابقا)
ص.ب ٢٣٨٤ ـ تلفون ٣٢٣٢٢
فرع شارع فهد السالم تلفون ٤٣٤١٥



كلاهما مر !

ـ هل دعوت مارى الى حفلتك ؟

ـ كلا ، فان زوجي لا يميل اليها ..

ـ وجورجيت ؟

ـ ولا هذه .. فان زوجي شديد الميل اليها .

بطل فى حمل الاثقال

سأل صحفي رجلا مشهورا يوم احتفاله بعيد ميلاده التسعين « ما هي الرياضة التي تمارسها لتظل بصحة جيدة ؟ » .

فأجابه الشيخ « وما حاجتي الى رياضة ، وأنا أحمل اثقال ٩٠ سنة ؟ » .

ضريبة السن ..

قالت الأم لابنتها التي كانت تتأهب للخروج « لا تنسي أن عليك أن تعودي قبل الساعة التاسعة .. »

فصاحت الفتاة في احتجاج « ولكني لم أعد صغيرة يا أماه .. »

وكان رد الأم « ولهذا بالذات اطالبك بالعودة قبل التاسعة .. »



تضحك الدنيا معك
ابك تبك وحدك





ردّ التحية بأحسن منها



— ما هذا ؟ .. يدك اليوم دافئة ، مع انك بارد عادة ..

— لا بد انك ابرد ، والا لما شعرت بدفء يدي .

له حق .. !

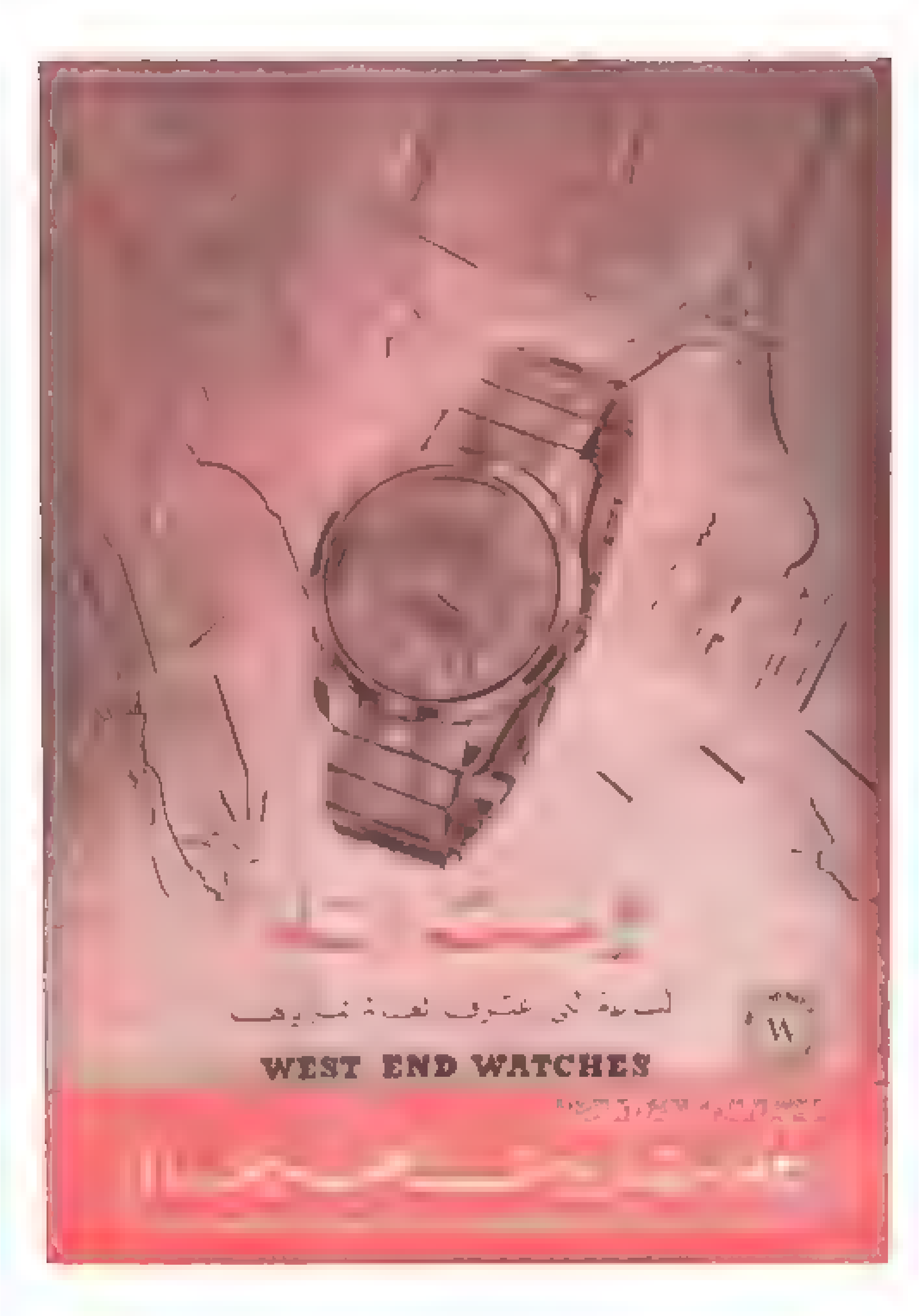
في مطعم اشتهر بحرصه على المظاهر اكثر من اي شيء ، طلب زبون قطعة من الشواء . فلما استقرت امامه ، حاول ان يعمل فيها سكينه دون جدوى . فما كان منه الا ان امسكها وراح يقضمها بأسنانه ، ومع ذلك لم يقو على اقتطاع جزء منها .. وهنا استدعى خادم المطعم وصاح فيه . « اسمع .. خذ هذه واحضر لي شواء يؤكل !! » .. فتأمل الخادم قطعة اللحم مليا وتفحصها ، ثم قال « آسف يا سيدي ، فان الشيف لن يقبل استرجاعها » !!

منتهى البرود

ضاق الرجل بخطيب ابنته الذي ظل جالسا معها في الدار حتى تجاوزت الساعة الحادية عشرة مساء .. واخيرا دفعه الضيق الى ان يقول له : « لقد اعتدنا ان نطفئ انوار البيت في الساعة العاشرة .. ولكننا تأخرنا الليلة اكراما لك » .

فقال الشاب : « ما كان ينبغي .. بوسعكم ان تطفئوها ، فلست اقرأ ، ولا هي تقرأ !! » .


في كافة الاقطار العربية
الجميع يفضلون
شسترفيلد
انها افضل حقاً!
Chesterfield
CIGARETTES


WEST END WATCHES



هـل هـذه هيَ الاداة المناسبة؟

ان المصانع والمعامل مجهزة حاليا للعمل السريع والانتاج المجدي. فهل مكتبكم. هل لديكم الالات اللازمة؟

فاسيت هي الالة الكاتبة الوحيدة التي لها كل الميزات للقيام بمراسلاتكم اليومية العديدة. تحققوا من ذلك عمليا بتجربة فاسيت الكهربائية التي يمكن وضعها تحت تصرفكم لمدة اسبوع كامل بدون مقابل.





فاسيت ET-3

مصنوعة من الفولاذ الاسوجي - سهلة الاستعمال - ذاكرة ميكانيكية فريدة من نوعها لرسم الجداول تلقائيا. بنيت التجارب التي تعادل خدمة ١٨ سنة في مصانع "فاسيت"



الكويت، دي سوزا ... - شارع ... ص.ب ١٤١

عدن، شركة ... للتجارة - المعلا، ص.ب ٣٨١

البحرين، السيد ... ص.ب ٢١ - ...

الأردن، السيد الفرد فراج - ص.ب ١٣٦٦ - عمان

العراق، الشركة العربية الشرقية، شارع الرشيد ١٨/٤٤١ بغداد

سوريا، مركز ... بناء غرفة التجارة، ص.ب ٢٤١٢ - دمشق

السودان، السيد ... ص.ب ١٣٢ - الخرطوم

الظهران، السيد ... بن علي ... ص.ب ٢٤٤

لبنان، شركة التجارة ...، شارع ... ص.ب ٤٧٣ - بيروت

ليبيا، ... (ليبيا) المحدودة ص.ب ٣٩٣ - طرابلس

المملكة المغربية، ... الرباط ... ص.ب ١٠٢

صداع، أوجاع وآلام،
حمى، رشح وانفلونزا؟

'أسبرو' يعيد لك الصحة..



لأن
'أسبرو'
يجلب لك كل راحة!

١ يزيل الصداع
٢ يخفض الحمى
٣ يهدئ الأعصاب
٤ يخفف الأوجاع
٥ يقصر أجل الرشح

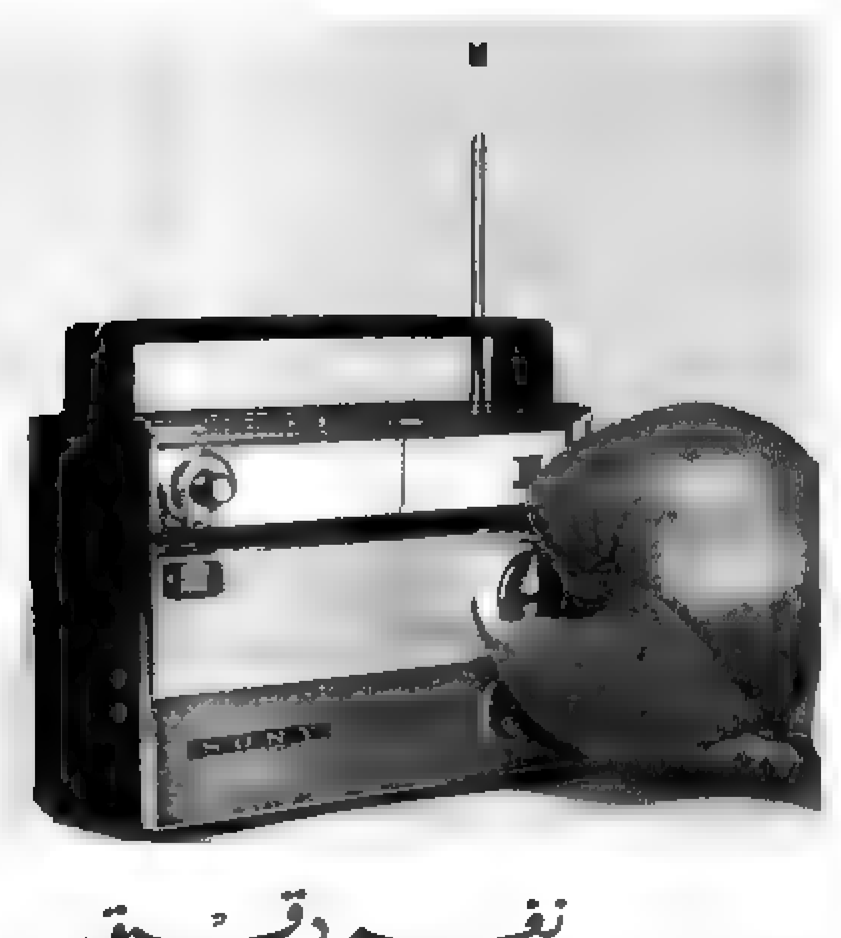
إذا أصبت بأذى فلا يكفي أن تحميه فقط، بل إنك تحتاج إلى الراحة التامة التي يجلبها لك 'أسبرو'. تذكر أن 'أسبرو' هو الدواء الذي يستعمله الملايين من الناس في العالم كله. ليس من دواء آخر لإزالة الألم وتخفيف الحمى. إجعل 'أسبرو' في بيتك على الدوام

'أسبرو' يجلب لك كل راحة!

قبطان طائرة نفاثة . من نيويورك إلى لندن – ٣٫٥٠٠ ميل – في ٦½ ساعة . طائرة تحمل مائة وأربعين راكبًا واثني عشر ملاحًا ، وثمنها خمسة ملايين دولار . عمل خطير يقوم به رجل ناجح . إنه يدخن السيجارة ذات النجاح العالمي – ثلاث خمسات فلتر كنج .



ستيت أكسبريس – أحسن سيجارة في العالم



نغم دقيق

[illegible] 911 - TR [illegible]

[illegible]

سوني

SONY

911 TR [illegible]

أسبيرين

خصيصاً للأطفال





باير تقدم لكم
أسبيرين الأطفال
الجديد
المحضّر خصيصاً بنسبة
تلائم أعمار أولادكم
وبتركيب يتناسب مع
أذواقهم فهو محلّى بطعم
الفواكه اللذيذة مما يسهّل
تناوله مذاباً أو ممضوغاً.

أسبيرين الأطفال
يحتفظ بكافة خصائص أسبيرين باير الشهير فهو

- يزيل الصداع وآلام الأذنين والأسنان
- يخفض الحرارة
- يساعد على التخلص من الرشوحات والأنفلونزا



اطلبوا أنبوب أسبيرين الأطفال بلونه الزهري [illegible] داخل العلبة الحمراء

عش سعيداً بدون ألم بتناول أسبيرين



ڤابونا

مارك مسجلة

ڤابونا هو مبيد «شل» الحشرى الفسفو... الجديد، السريع التبخر. واساسه مـ... «د.د.ف.پ.» D.D.V.P.



ڤابونا ... من أهم مزاياه مفعوله التبخيرى ونظراً لأنه يوصى باستعماله بصفة خاصة في الأماكن المغلقة ويعتبر ڤابونا أصلح ما يكون للاستعمال في الأغراض الصحية العامة والأغراض المنزلية، وعلاج الحيوانات التي تعيش داخل المنازل، وحماية البضائع المخزونة والمحاصيل المخزنة في البيوت الزجاجية ولا يقتصر مفعول ڤابونا على إبادة الحشرات بطريق الملامسة مباشرة، بل أنه يطلق أبخرة تقتل الحشرات الطائرة والمختبئة في الشقوق والمخبوءات البعيدة عن منطقة استعمال المبيد

ڤابونا مبيد قوى ... إذ أن كمية قليلة جداً منه، تكفى لإبادة الذباب والبعوض والزنابير والعث والسوس والخنافس والصراصير والنمل والسمك الفضي والبراغيث والقمل ... وكثير من ... الآفات الحشرية الأخرى.

ڤابونا مبيد مأمون ... إذ أن بخاره ... لإبادة الحشرات، تعتبر أقل بكثير جداً من المستوى الذي قد يحدث منه ضرر للإنسان أو

... يتحلل بسرعة في ... الأسطح ... لا يترك ...

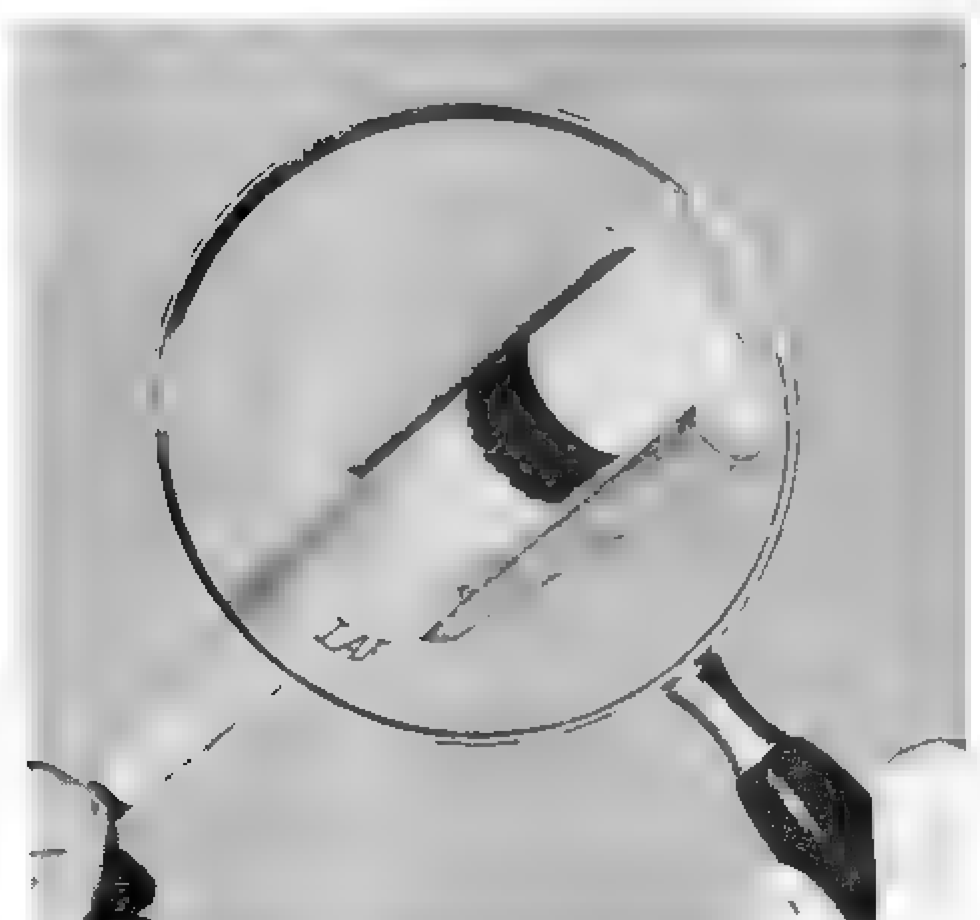
ڤابونا ليس سوى واحد فقط من مجموعة مبيدات «شل» الحشرية، ...



اتصلوا بشركة «شل» في منطقتكم لطلب مزيد من البيانات وتقديم ... الخدمة الفنية

التدخين يصبح بمتناولكم
؟

"كيت" ذي الثلاث طبقات









سيارات ١٩٦٤ من صنع كرايسلر كوربوريشن

لنا الحظ ستة من أحدث سيارات [illegible] كرايسلر كوربوريشن حيث السوق تشكل مجموعة [illegible] تتميز بخطوط تختلف من بعضها بعض [illegible] عن [illegible] للسيارات وقد [illegible] كرايزلر تحسينات هامة مجموعة [illegible] سيارات ١٩٦٤ [illegible] الجمال [illegible] تكمن في [illegible] السيارة [illegible] [illegible] للأبواب الخارجية [illegible]

شبروكي [illegible] وبالإضافة [illegible] [illegible] سيارات كرايسلر [illegible] [illegible] السابقة [illegible] أو [illegible] [illegible] فهي تحتوي على جهاز [illegible] [illegible] ومولد تيار [illegible] [illegible] سريع [illegible] كما [illegible] [illegible] سيارة







جذابة . فريدة . ممتازة

امريكية من صنع كرايزلر كوربوريشن يمكنكم ان تقتنوا [illegible] سيارات بلايموث ، دودج دارت ، كرايزلر و امبريال المزودة بضمان كرايزلر [illegible] ذات شهرة عالمية

ولكم الاختيار من بين مجموعة في معرض [illegible]

راجعوا اليوم وكيل كرايزلر او دودج



العربي

العـــدد ٦٦
ذو الحجة ١٣٨٢
مايو
(أيار) ١٩٦٤



■ في سيراكوز ، وفي القرن الثالث قبل الميلاد ، عاش العالم الإغريقي الشهير « أرخميدس » . وأرخميدس مشهور بأنه هو الذي اكتشف قانون الوزن النوعي والكثافة . وهو يرى في هذه الصورة وهو يجري تجربته للتأكد من أن الذهب الذي أعد لصنع

حضارات سادت ثم بادت

عزيزى القارىء

● حقيقة يدركها اكثر قرائنا .

وقد تخفى على القلة القليلة منهم .

تلك ان مجلة العربى فى صميمها ليست بالمجلة الادبية ، وانما هى مجلة ثقافية عامة .

والادب كان قديما يطلق على الثقافة عامة ، والتأدب عند العرب كان التثقف . وضاق معناه على الايام فهو اليوم غير ما كان بالامس .

ومجلة العربى اليوم تتألف من صنوف من الثقافة شتى ، احدها الادب ، بالمعنى الحديث ، عندما تقول الادب العربى ، والادب الانجليزى ، والروسى والصينى والفرنسى .

والادب لو حسبنا نسبة ما يرد منه فى مجلة العربى لا يكاد يزيد على عشر ما ينشر فيه .

والكتابة فى كل صنوف الثقافة هذه صارت اليوم اختصاصا .

وكتاب الادب صاروا اساتذة مختصين .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 66 May 1964 — P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت . صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٦٠٤١ ـ تلغرافيا « العربي »
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة ـ قسم الإعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● مياه عربية ، وراءها القناة التي اليها سيتحول النيل في ١٥ مايو القادم بانتهاء المرحلة الاولى في بناء السد العالي. ان هذه القناة قد حفرتها شركتها بالمعجزة لترود تلك المناطق ، التي تتحول سريعا الى اسواق عظيمة . ان المرأة العربية تتقدم الصفوف الى العمل المثمر في وقار وأدب واحتشام .

(انظر استطلاع السد العالي ابتداء من صفحة ٣٦ في هذا العدد)

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٣ر٥ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سورية ١٠٠ قرش لبنان ١ قرش . الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال السودان ١ قروش ج.ع.م ١٠ قروش . المغرب ٢٠٠ فرنك ، تونس والجزائر ٢ مليم ، اليمن ٣ر٥ شلن ليبيا ١٥ قرشا

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة المعتمد في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع



« زَبِيد » وحفيدات بلقيس

● لفت نظري ما جاء بالعدد ٦٢ من « العربي » الأخير من أن « زبيد مدينة في اليمن على الطريق بين عدن ومكة [illegible] » هذا الوصف لا ينطبق على هذه المدينة اليمانية فقد [illegible] العربي ولا يشبع رغبته ولذلك أكتب [illegible] للقارئ بذلك العرض على صفحات العربي الزاهرة

- تقع مدينة زَبيد في الشمال الغربي من بلدة « حيس » بمسافة ٣٨ كيلومترا ، والقادم اليها من البحر يشاهدها وهي تشرف على سهل فسيح يقرب مشارفها من البحر الأحمر بحوالي ٣٠ كيلومترا ، وهي ليست واقعة بين عدن ومكة بل بين « الحديدة » و « بيت الفقيه » .

ان من اول من اختط مدينة زبيد هو « محمد بن عبد الله بن زياد الأموي » بأمر المأمون الخليفة العباسي في شهر شعبان سنة ٢٠٤ هجرية . وهي مدينة كبيرة اشتهرت بالعلم والفضل والصلاح ، وتخرج من معاهدها الدينية عدد لا يحصى من العلماء . وهي حاضرة المذهب الشافعي في منطقة تهامة .

والمدينة مدورة الشكل وفي جنوبها واديها المسمى « البارد » وفي شمالها وادي « رمع » وهي تقع بين واديين .

وتعتبر زبيد النقطة الفاصلة بين سهول تهامة والمنطقة الجبلية الوعرة ، ففي الشرق من المدينة وعلى نفس الخط الذي بينها وبين البحر الأحمر تمتد ذرى الجبال الشامخة والسلاسل المزدحمة بالقرى الآهلة ، تحيط بالمدينة النخيل الباسقة والقصور الرائعة . وبينها وبين صنعاء مائة كيلومتر .

ومدينة زبيد كثيرة المياه والفواكه طيبة البساتين ، وفيها كثير من الفل الابيض والياسمين والقلائد وسائر الأزهار التي يستخرج منها أعالي زبيد العطور ، وفي المدينة صنعة النول وحياكة تصنع الثياب الفاخرة واشهرها البردة اليمانية التي لا تزال مستعملة . ويبلغ عدد سكان المدينة حوالي ١٠٠٠٠ نسمة معظمهم من اتباع الإمام الشافعي (رض) ، ومن مدينة زبيد هاجر الأوائل الى أرض السواد من العراق وسكنوا المنطقة الواقعة بين نواحي الحلة والكوت ولا يزالون يعرفون باسم (زبيد) وهم من أشهر القبائل العراقية الآن .

بغداد محمد حسن الصالحي

مؤلف كتاب « قلب اليمن »

تشابه الاسماء

● أرجو أن أعرف لماذا كان لي سمي أم أن الأمر مجرد خطأ مطبعي ؟ فقد جاء في العدد ٦١ من « العربي » يناير ١٩٦٤ في الكتب التي تصلكم كتاب « التفكير التأملي » ترجمة السيد محمد الزاوي والدكتور خليل ابراهيم شهاب . فمن هو هذا السمي ان وجد ـ فأنا لم أترجم كتابا بعد الآن .

شكرا سلفا ودامت جهودكم الجبارة .

الدكتور خليل ابراهيم شهاب

طبيب الأمراض الباطنة ـ يعقوبة ـ العراق

ـ الدكتور مترجم الكتاب هو « دكتور في التربية » وهو يعمل الآن استاذا مساعدا بكلية المعلمين بالجمهورية العربية المتحدة .

حول « سرداب الغيبة »

● أنا من عشاق مجلة « العربي » ومن الذين يترقبون طلوعها بفارغ الصبر عند مطلع كل شهر وزادها ألقاً في عيني حرصها على مراعاة العواطف . فلذا أعجبت حينما قرأت في عدد ٢٦٤ (أن سرداب الغيبة هو الذي اختفى فيه الإمام محمد المهدي ابن الحسن العسكري وذلك حسب اعتقاد الشيعة الإمامية) .

بين يديك يا سيدي مئات كتب الشيعة الإمامية تتضمن معتقداتهم اجمالاً وتفصيلاً ، وليس هناك من يقول أن الإمام المهدي اختفى في السرداب أو أنه يخرج منه ؛ وبودي لو أرشدنا الأخ المعاصر الأستاذ عبد الرزاق الحسني الى مصدر يرجع اليه .. أن السرداب المجاور لمرقد الإمامين العسكريين يقع في الدار التي يسكنها الأئمة من أهل البيت عليهم السلام ولأنه أشرف مساكنهم أصبح مزاراً لستوحى منه ذكرى ساكنيه .

وما حب الديار شغفن قلبي   ولكن حب من سكن الديارا

النجف الأشرف ــ العراق   الخطيب : جواد شبر

نسب ولد المرأة المتوفى عنها زوجها

● اطلعت بالعدد ٢٥٩ من مجلة « العربي » الغراء على سؤال سعدية الملا فاضل حول نسب الولد الذي يولد بعد ثلاث سنوات من وفاة الزوج ، وبودكم عليه يتبين مسألة فيها نظر .. والواقع أن المذاهب الاسلامية والفقهاء المسلمين اختلفوا في نسب ولد المتوفى عنها زوجها ومدة الحمل كما اختلفت التشريعات الوضعية في ذلك.

ولقد اتفق الفقهاء على أن أقل مدة للحمل هي ستة أشهر من تاريخ العقد عند الحنفية ومن تاريخ الوطء عند الجعفرية .

أما أقصى مدة الحمل ، فقد قال مالك انها خمس سنين وقال الشافعي انها أربع ، وهو رأى عند المالكية ورأى الحنابلة ، وعنهم أن أقصى مدة الحمل سنتان وهو رأى الحنفية ، وقال محمد بن عبد الحكم أن أقصى مدة الحمل سنة قمرية وقال الظاهرية أن أقصى مدة الحمل تسعة أشهر ولا تزيد عن ذلك . أما الجعفرية فقد قالوا بأن المتوفى عنها زوجها يثبت نسب ولدها اذا جاءت به لتسعة أشهر فإن ولدت لأكثر من تسعة أشهر فلا يثبت نسب ولا تقبل دعوى الورثة لو ادعوه ، كما لا تسمع دعواهم بعدم وطء الزوج لها قبل موته بمدة اذا أرادوا نفي نسب الولد عن الميت ولا تسمع دعواهم أيضاً بعدم دخول الزوج بها ان كانت تدعي الدخول اذا جاءت به لتسعة أشهر.

ولقد ترك قانون الأحوال الشخصية العراقي رقم ١٨٨ لسنة ١٩٥٩ الحكم في هذه المسألة الى الأحكام الشرعية ومنها يجرى تطبيقها حسب مذهب المتوفى .

واخذ القانون المصري رقم ٢٥ لسنة ١٩٢٩ باعتبار أن أقصى مدة الحمل سنة شمسية (٣٦٥ يوماً) بالنسبة لسماع دعوى نفقة العدة وسماع دعوى النسب وثبوت الإرث للحمل .

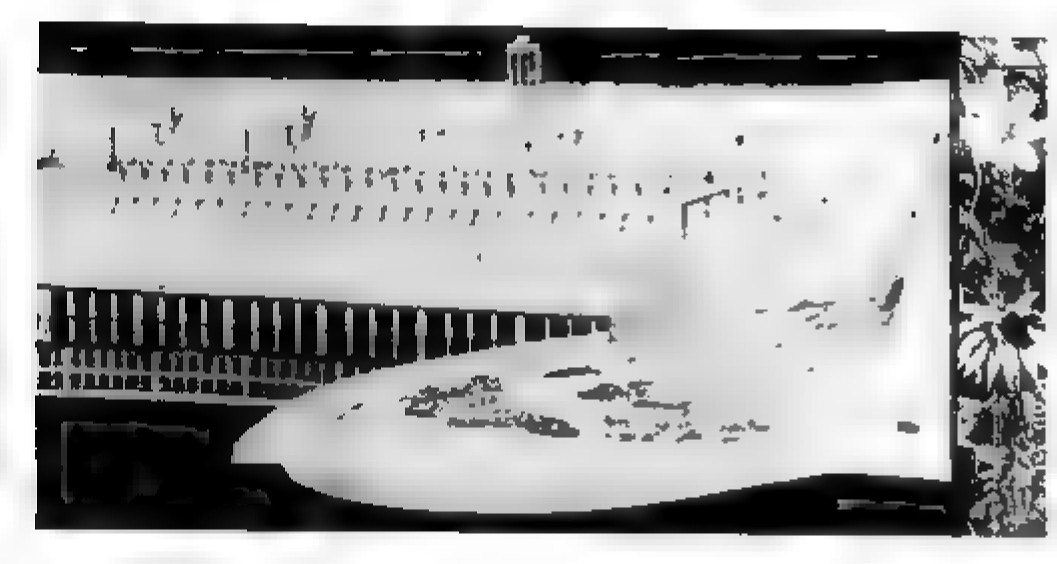
ويعلق الأستاذ محمد أبو زهرة على ذلك بقوله (وهذا قريب من مذهب ابن عبد الحكم ، وليس هو بالنص ، لأن السنة عند ذلك الفقيه المالكي هلالية ، ولأن الأساس عنده ألا يثبت النسب ان جاء الولد بعدها لا ألا تسمع الدعوى فقط).

هذه نبذة مختصرة من الحكم الشرعي في هذه القضية وعسى أن توضحها بعض التوضيح .

المحامي نافر الشيخ خزعل

هذا شهر أيار

شهر الورد والريحان



■ هذا شهر مايو ، شهر ايار ، شهر الورد والريحان .

هذا الذي قال فيه ابو العلاء :

لشتاق ايار نعوس الورى

وانما الشوق الى ورده

وايار هذا ، سيهبط الى احداثنا في التاريخ ، بانه شهر خالدة ايامه ... خالدة ذكراها . نما يوم على الزمان بحانه .

سينزل هذا الشهر الى الاعقاب بانه شهر السد العالي ، الشهر الذي ألجم فيه اطول نهر ، واقدم نهر تذكره الخلق ، الجاما . الجاما كالجام الفرس تماما . والفرس يلجم حتى لا يجري على مشيئته . والنيل جرى على مشيئته عارما عاتيا ، طوال القرون . ويفيض كل عام ، فيهرب القدماء من شطآنه ، اذ يغمرها ارضا بسطة ، ثم يعودون اليها ، يبذرون الحب ، وينتظرون الحصاد ، الى ان يعود النهر الى فتوته مرة اخرى ، والى صحوته ، والى فيضه الغزير الكثير .

هكذا كان النهر الخالد في مصر الفرعونية .

وهكذا كان النهر الخالد في مصر العربية .

ويفيض فلا يجرؤ احد أن يقف في سبيل فيضه ، كالثور الهائج ، فيرمي بمائه في البحر رميا . ذلك الماء الذي جاء بمجهود من الطبيعة كبير ، وتدبير من رب الخلق عظيم . جاء اولا من البحر ، هزجته الريح سحبا ، وماء عذبا ، فاعطته منهطله الى الارض ليعطي الزرع الماء ويعطي الانسان والحيوان مع الزرع السقيا والحياة . ذلك الماء كان يذهب الى البحر هدرا ، ساخرا بمجهود الطبيعة ، وتدبير الله ، متحديا ذكاء الانسان عبر القرون . ويحاول

والسد العالي ..

الانسان ان يقف في طريقه ، يحجز منه بعض الخير ، ويحجز منه القليل الاول ، ويعطي منه الكثير الاكثر ، كما يعطي الذهب الابريز ، ولا يصل الى احتجابه

يتحدى النيل ، واخوان اشباه للنيل في انحاء من الارض كثيرة ، تتحدى مهارة الانسان ، ان يركب صهوتها كما يركب الرجل ظهر الفرس الوحشي ، يقودها ، ويسوسها . ووجب على الانسان [illegible]

[illegible]

منه لجام ، وعلى السروج جلس رجال العلم والتكنيك والفن . وقد امسكوا من اللجامات باطرافها . يشدونها ان شاءوا فتحبس الماء ، او يرخونها ، فتجري الانهر على اعنتها .

ان للانسان ، بالعلم ، جبروتا فوق جبروت الطبيعة .

[illegible]

[illegible] من وجوه ذلك الشيء الكبير العظيم [illegible]



نعم .. الجموا النيل

نعم . الجم الانسان النيل بعلمه وعمله ، وسد عليه المسالك . فقد حبس ماؤه . حبسه السد العالي . ويجمع الماء وراء السد ، بسد الفيضان تلو الفيضان ، ليصنع اكبر بحيرة صنعها الانسان . فيها يختزن الماء . ولتصبح خزانة الماء هذه كخزانة المال ، ينفق منها بحساب .

ويخرج الماء من السد ليروي الارض العربية الطيبة . وليس له غير مخرج واحد . عليه اقيمت تربينات يديرها الماء فتنتج الكهرباء .

والماء ري وحياة ، وسعة في الارض .
والكهرباء قوة ، وصناعة ، والصناعة رفاهة وعزة .

وكل هذا فصلناه في استطلاع السد بهذا العدد من « العربي » تفصيلا .

ولم يبق الا ان اقف عند السد وقفة انظر ما توحي به الي من معان تتصل بالناس ، وتتصل بالاحداث ، وتتصل بالكيان الانساني العربي الذي يرقد اليوم على ضفاف ذلك النهر العظيم .

السد : عمارة كبرى

ومن المعاني التي يوحي بها السد ، ان السد عمارة كبرى شاءت الاقدار أن تكون بمصر ، البلد العربي . وجازت أن تكون في اي بلد عربي آخر . والعمارات الكبرى ، في اي بلد من بلاد العروبة تكون ، انما هي مكاسب تنعكس على سائر البلاد العربية . ان العمائر قوة ، والعمائر ثروة ، والقوة في مصر هي قوة وثروة لدمشق وبغداد والرياض والكويت والمغرب ، ولسائر الوطن العربي مهما بعدت اطرافه . فهذا هو معنى الوطن الواحد . قوة اخي قوة لي ، وكذلك قوة ابن عمي . والفرح بالسد اليوم ، في سائر بلاد العروبة ، فرح شامل . واللطيف الذي يذكر ان الغبطة بالسد خرجت حتى من الوطن العربي ، الى سائر المواطن الانسانية ، بحسبان ان السد عمل مجيد من اعمال الانسان الخالدة على ظهر هذه الارض .

السد : روح جديدة

ومن المعاني البسيطة الظاهرة : الجهد الذي قام به في بناء السد عماله ، وقام علماؤه ، ومهندسوه ، ومنهم طائفة كريمة من غير مصر ، تمثلت فيهم صورة حبيبة من صور التعاون بين امم الارض في هذه العصور الحديثة كيف تكون . ويوغل الانسان في هذا الجهد العارم ليصل الى ما وراءه من حوافز نفسية ، هي التي اعطت العمال الصبر ، وزادت في بذل الجهد . فلعل هذه هي اول مرة في التاريخ

الى اسفل : سد روزفلت الشهير، مقام على نهر كولورادو ، في الجنوب الغربي من الولايات المتحدة. وهو اعلى سد في النصف الغربي من الكرة الارضية ، ويبلغ ارتفاعه من اعمق نقطة في اساسه ٢٢١ مترا . وهو من الخرسانة . وهو مقوس الشكل . ومقاومته لضغط الماء يسببها هذا التقوس وكذلك ثقل السد . وهو يحجز الماء وراءه في بحيرة سعتها ٣٦٨٠٠ مليون متر مكعب ، او نحو ٣٠ مليار متر مكعب . وهي من اكبر البحيرات الاصطناعية المقامة . والسد من اضخم سدود الولايات . وهدف السد : ضبط ماء الفيضان فاتقاء اخطاره ، والري ، وانتاج الكهرباء ، وتربية الاسماك . والسد العالي باسوان له كل هذه الاهداف ، وسعة بحيرته ٣ الى ٣٠ مليارات من الامتار ، وانما ١٣٥ مليارا .





.. ولأول مرة يحس العامل العربي المصري انه يعمل لنفسه ولأخيه ولابنه ..

مصر الحديث يعمل العامل وهو يحس انه يعمل لنفسه ، ولأخيه العامل معه ، ولابنه الذي خلف في البيت فلم يقو بعد على عمل . وكذا هو يعمل لاخوان واخت يعملون في نواح من البلاد أخرى في اعمال صالحة أخرى، تعددت أشكالها، وتباعدت أماكنها ، ولكنها في الذهن جزء من بناء واحد ، هو بناء شعب عربي واحد ، يعمل ويكد ليعيش أهله سواسية بما يستحقون من أسباب للرخاء ، يتعاسمون ثماره فيما يسهم على مقدار ما بذلوا في احداثه من جهود .

روح جديدة هي وحدها كسب عظيم، يدوم إن شاء الله ، ما دامت الكفاية عند الفرد ، والعدالة في التقسيم .

والسد : صلابة قوم ، وعناد زعامة

ومن المعاني التي يوحي بها السد ، صلابة سكان مصر يوم العدوان الثلاثي، وعناد زعيمهم الضخم الذي عمد هذه الصلابة من ورائها ، كأنما يقول للناس : « العدو أمامكم ، والبحر من ورائكم » ، وليس لكم إلا القتال ، فالنصر أو الموت . وأي عدو كان !! وتسمى هذه المعركة بمعركة بورسعيد ، أو السويس ، وهي بمعركة السد أحق وأولى .

ألم يقف السد العالي وراء كل هذه الأحداث ؟!

ظلت مصر السد تعيمه، عمادا أول، وعمادا أرسخ وأشد، في بناء اقتصادها، وبالتبع بناء استقلالها . واحتاجت للمال وبعد دراسة قضي البنك الدولي بتمويله، ونقضت الولايات المتحدة ، ثم باغت وزير خارجية الولايات ، دلس ، بحكمته النادرة ، وذكائه الفذ ، باغت مصر والعالم، بالعدول عن تمويل السد وإدانة مصر على اقامته . وكان



دلس

رد الزعيم المصري ضخما ، كضخامة السد وضخامة أعدائه . قال : لا ، بملء فيه . قالها قولة صارخة اسمعت الدنيا كلها . قالها بلغة القتال ، بإعلانه مرفقا مصريا عربيا مؤمما . كان لا بد من المال، فكان القتال أظهر موارده. وكان الاعتداء المثلث ، وكانت المقاومة النادرة .

أفليست معركة بورسعيد أحق بأن يقال لها معركة السد ، السد العالي ؟

والسد : غباء ساسة غرب ، وحنكة ساسة شرق

ومن المعاني المتصلة بهذا المعنى العالث نكبة الغرب في الساسة من رجاله .

أغباء هو ؟ والله لست أدري . إن أهل الغرب ، وأمريكا خاصة ، فيهم



.. وكانت المحنة الكبرى ، محنة الاعتداء الثلاثي الغاشم ، فثارت شعوب العرب قاطبة ، في الوطن العربي الواحد ..

العلم ، وحيهم الثراء ، ولكن كذلك حيهم الغائص. والذي صنعه وزير الخارجية الامريكي كان من الغباء في أقسى درجاته. انه قرار غبي غير مجرى التاريخ .

والتقط ساسة الشرق الكرة التي رماها ساسة الغرب ، واحسنوا بها صنعا .

واليوم نحتفل بتمام الخطوة الاولى من السد العالي، ومع المحتفلين خروشوف لا جونسون ، فهل يكون في هذا المشهد لاهل الغرب درس ، وهل يكون فيه عبرة !!

ان العبرة على « حرب » اليمينيه ، تدل على ان امساء متصل، او ان الذكاء موجود ولكنه معطل ، وحسن العثور التوفيق عن القوم نعمة يعلمها الله .

والسد العالي : مسلك العروبة قوي

ومصر تتصل بالمحبين اللذين سبقا .

لم نكن في ذلك العام ، عام ١٩٥٦ ، نتحدث عن الوحدة العربية . كانت محبة بين الشعوب العربية في الوطن العربي الواحد قائمة،ولكنها كانت عائمة لايعرف احد اسادها ولا يقيس حدودها .

وكانت المحنة الكبرى ، محنة الاعتداء الثلاثي الغاشم ، فثارت شعوب العرب قاطبة ، في الوطن العربي الواحد ، بما لا اذكر في حياتي انها تأثرت بمثل هذه القوة . ومثل هذه الفتوة ابدا . ثورة ملأت اعينهم بدموع الغضب ، وتقوم الاذرع العربية تقطع موارد الزيت . وتخشى مصر العائلة على طائراتها المقبلة تهبط في السعوديه بدون استئذان . البلد واحد والنكبة واحدة ، والخلاص واحد . ومصر ، قلب العروبة النابض ، اذا أصماه العدو ، فكيف يكون لجسم الطير وصاحبه من بعد ذلك قيام ؟ انه معنى كان في قلب كل عربي ، وعلى كل لسان .

ان الاعتداء الثلاثي على بورسعيد كان مسلك العروبة .

والسد العالي كان والد هذا الاعتداء.

فلنذكر بالسد العالي مسلك العروبة الذي كان .

أحمد زكي

« معركة السد » .. و « معركة بورسعيد »



كتب كثيرة عنا

كتب كتبها الغرب عن العرب والإسلام .. كانت مئات ، فصارت ألوفاً !

بقلم : الدكتور حسين مؤنس

مدير معهد الدراسات الإسلامية بمدريد

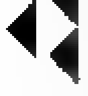
كتب المستشرقين ليست كلها شراً .. فمنهم من له على العربية فضل غير منكور

عصر العلم ، وسادة هذا العصر هم الذين يعلمون . والذين اتسموا بالأمس امبراطوريات الجيوش والأساطيل يسمون بناصعا اليوم بالعلم . وهذا يفسر لنا فيض الكتب في الغرب اليوم ، عنا وعن غيرنا ..

سيل متدفق من الكتب عنا ..

قبل الحرب العالمية الماضية كانت في أوروبا ست دور كبيرة لنشر الكتب عن العرب والاسلام والشرق عامة ، هي دور جوتر وميزونف ـ نيف (في باريس) ، ودار أوتو هاراسوفتش (في فيسبادن في ألمانيا) ، ودار بريل (في ليدن بهولاندة) ، ودار لوزاك ودار هيفر (في انجلترا). وكانت كل واحدة من هذه تنشر نحو العشرة من الكتب الجديدة في العام ، يضاف إليها نحو عشرين كتابا تنشرها الجامعات والمعاهد المتخصصة وجمعيات الاستشراق ، فكان متوسط ما يصدر من الكتب عن الشرق في أوروبا ثمانين كتابا ومجلدا يمس العرب والاسلام منها نحو النصف ، ولهذا كانت متابعة هذه الكتب يسيرة لمن توفر على دراساتها وعرف اللغات التي تنشر فيها .

وكانت هذه الكتب كلها كتب تخصص ، لا يقرؤها الا من فرغ للدراسات العربية والإسلامية،



فكان الناشرون يقصرون الطبعة على عدد متوسطه خمسمائة نسخة تباع على مدى خمس سنوات أو أكثر . ولهذا أيضا كانت قوائم كتب هذه الدور كراسات صغيرة يتجدد طبعها كل بضع سنوات ، مع اضافات قليلة .

أما اليوم فقد تغير الأمر تغيرا يسترعي النظر أصبح عدد الدور حوالي الأربعين ما بين صغيرة وكبيرة. وقامت في بلاد أوروبا وأمريكا الشمالية في كل جامعة محترمة، ونشأت معاهد تخصص كثيرة. وكل جامعة أو معهد تنشر — أو ينشر — سلسلة مطبوعات بالاضافة الى صحيفة دورية . وكل دار من دور النشر هذه تنشر في العام الواحد ما بين عشرين الى أربعين كتابا في المتوسط ، ولهذا فقد تضخمت قوائم كتب دور النشر حتى أصبحت هي الأخرى كتبا تطبع منها الوف وترسل الى الجامعات، والمكتبات العامة ومعاهد التخصص بصورة دورية كل ستة أشهر . وقد كثرت هذه القوائم وتوالت حتى أصبحت ملاحقتها أمرا عسيرا . والذين يشرفون على أقسام الدراسات الشرقية والعربية والإسلامية في المكتبات العامة ومكتبات الجامعات ومعاهد التخصص يرصدون أوقاتا معينة لقراءة فهارس الكتب واختيار ما يريدون منها ، وبدون هذا تضيع كتب كثيرة ، ويتأخر المكتبة — وقراؤها تبعا لذلك — عن ملاحقة الركب السائر دون توقف . فالقائمة الأخيرة لدار هيفر تضم ١٨٧٢ عنوانا لكتب عن الشرق والإسلام ، وقائمة دار أوتوهاراسوفتش تضم أكثر من ذلك بقليل ، ومعظم أسامي الكتب الواردة فيها تهم الدارسين والباحثين . والكتب الجيدة لا تستطيع أنت أن تقول عن واحد منها انك لا تحتاج اليه ، ورب كتاب تزهد فيه في وقته ثم تعود لحظة وأنت في سياق البحث تحس فيها أنك مستعد لدفع أضعاف ثمنه لكي يضعه بين يديك .

والأسعار تضاعفت

ثم ان أسعار هذه الكتب زادت زيادة كبيرة ، فأصغر كتاب من كتب الاستشراق أو الدراسات الشرقية لا يقل ثمنه عن جنيه أو دينار ، ومنها ما يصل ثمنه الى عشرين جنيها ، بل هناك ما يتعدى ثمنه المائة . فمن الكتب التي ظهرت سنة ١٩٦٢ كتاب جليل يسمى « رؤيا جيرونا » " La vision de Gerona " أو جيرونة كما كان العرب يسمونها ، وهو نص في الأدبية العصور الوسطى يضم أسطورة حول ما وقع بين المسلمين والنصارى في أقصى شمال اسبانيا على أول أيام الفتح العربي ، وهو يضم مئات الرسوم الصغيرة التي تعرف بالمنمنمات ، وهو من ذخائر الكتب المستعربية التي كتبها نصارى اسبانيا أيام العرب وعدد صفحاته ٥٦٨ صفحة. فهذا يباع بسعر ١٤٠ جنيها للنسخة الواحدة في مجلدين .

ومجموعة النصوص والدراسات العربية والفارسية المعروفة باسم سلسلة جيب التذكارية The Gibb Memorial Series وعدد مجلداتها ٤٥ ، صدر آخرها في العام الماضي ، تباع بسعر ٨٥٠ جنيها ! وقد حسبت متوسط ثمن الصفحة الواحدة في كتب الاستشراق التي تصدر في ألمانيا فوجدت أنه قرابة القرش والربع فالكتاب الذي يقع في ٢٠٠ صفحة مثلا يباع في حدود جنيهين ونصف ، فاذا ضم صورا وخرائط فلا مقياس للثمن في هذه الحالة .

والطريف أن هذه الكتب كلها تباع بيعا طيبا . واذا كان من الصدق القريب عند أجدادنا أن « الوراق أغلى من الجوهري » ، فان الوراقين (أي بائعي الكتب) في أوروبا وأمريكا اليوم أغلى من بائعي الجوهر بمراحل كثيرة .

والكتب من السلع القليلة التي يعلو ثمنها كلما مر الزمن ، أقصد الكتب الجيدة ، لأن الكتب غير الجيدة لا يمكن خداع الناس فيها . وربما جاز الخلاف في شأن قصة أو ديوان شعر ، أما كتب العلم والأبحاث فان قارئها يعرف قدرها لأول اطلاعه عليها . فاذا وجدت كتبيا يشكو الكساد ، فذلك لا يخرج عن ثلاثة أشياء : اما أن يكون غير عارف بصنعته ، فهو لا يعرف ما يطبع ، أو يكون جاهلا بفن التوزيع ، فهو يطبع للمخازن لا للسوق، أو يكون غير صادق فيما يقول.

الاستشراق اتسعت أسواقه

وقد اتسعت أسواق كتب الاستشراق خلال

السنوات الاخيرة السابقة عليها . ففي اوروبا وامريكا يوجد نحو ٧٠٠ مكتبة عامة ، ومكتبة جامعة ، ومعهد تخصص او قسم للدراسات الشرقية . وفي بقية بلاد الدنيا يوجد نحو ١٥٠ من هذه تهتم بكتب الاستشراق وتحرص على الحصول عليها . وبالاضافة الى ذلك هناك نحو ١٥٠ متخصصا وباحثا في كل فرع من فروع الاستشراقيات . فالناشر الاوروبي او الامريكي العارف بصنعته يضمن بيع ما بين ٥٠٠ الى ١٠٠٠ نسخة من اي كتاب جيد ينشره خلال العام الاول لصدوره ، وبيع الف اخرى خلال السنوات الخمس التالية . ففي حين ان ناشر كتب الاستشراق في الماضي كان يطبع ٥٠٠ نسخة او اقل من اي كتاب جيد ينشره ، يطبع الناشرون اليوم ٣٠٠٠ نسخة ، والخمسمائة الاولى منها تغطي نفقاته كلها والباقي بعد ذلك كسب خالص . ومن هنا فان هذه الدور في بحث مستمر عن الكتب الجيدة ، ولدى كل منها متخصص او اكثر يقرءون الكتب ويقدرون قيمتها ومتى استحسنوا منها واحدا نشروه في الحال ، لان الكسب مضمون .

الاستعمار بالعلم :
من يعلم يسود من لا يعلم ..

ثم ان الدراسات الشرقية لم تعد الآن مقصورة على المستشرقين ومعاهدهم واقسام البحث في الجامعات ، ولم يعد الاهتمام بها مقصورا على ادارات المستعمرات في الدول الاوروبية . لقد تغيرت الاحوال في اوروبا وامريكا تغيرا عميقا بعيد المدى ، والاستعمار نفسه اخذ صورا جديدة : اصبح استعمارا علميا ، اذا جاز هذا التعبير ، لم يعد استعمارا بالجيوش والاساطيل واساليب السياسة التي جرى العمل بها خلال القرن الماضي والى منتصف هذا القرن ، بل اصبح استعمارا بالعلم . اصبح استغلالا علميا لا يحتاج الى قوى عسكرية تؤيده . الذين يعلمون يستغلون الذين لا يعلمون . والذين لا يعلمون لا يستطيعون محاربة هذا اللون الجديد من الاستغلال الا اذا تعلموا . اذا كانت شركة فرنسية مثلا تنتج ادوات كهربائية جيدة ورخيصة نسبيا فهي واثقة من انها ستبيع منتجاتها الى كل من لا يستطيعون صنع مثلها ، ستبيعها بالثمن الذي تحدده ، والناس مضطرون الى الشراء ارادوا ام لم يريدوا ، لاننا في عصر لا يمكن الاستغناء فيه عن الادوات الكهربائية . وهي لن تبيع الاجهزة فقط بل سترسل معها اولئك الذين يستطيعون ادارتها واستعمالها ، ولا يستطيع بلد مثل السنغال مثلا ان يشتري محطة كهربائية الا اذا اتفق مع الشركة البائعة على ان ترسل المهندسين والاخصائيين اللازمين لادارتها . وقل مثل ذلك في كل ادوات الحضارة الراهنة ، صغيرة كانت ام كبيرة .

والبلاد الشرقية الناهضة جميعا في حاجة الى هذه الاداة التكنولوجية لديها المال اللازم لشرائها . وهي اذا اشترت شيئا عجزت عن شراء اشياء اكثر واكثر كلها لازم وضروري . والدول الاستعمارية القديمة ، وهي دول العلم اليوم ، تعرف ذلك ، ولهذا فهي تقدم المساعدة . وهي تعرض مساعداتها « الفنية » بشروط ، تحالف" اقتصادي في الظاهر ، سياسي" في الباطن . فهي اذا كانت ستعاون .. الدولة الصغيرة على انشاء المستشفى والمحطة الكهربائية ومحطة تنقية المياه والمطار ، فهي تشترط على هذه الدولة ان تشتري منها كل حاجاتها الاخرى : النسيج والسيارات والصابون والادوية واجهزة الراديو ، وتشترط ايضا ان تكون المقدمة في شراء منتجات وخامات البلد : البن او الكاكاو او القطن او الاسبستوس او البترول . وهي تقدم المعونة العلمية ايضا فتعرض انشاء المدارس والمعاهد وتتعهد بارسال المدرسين ، وفي هذا كله تجعل لغتها هي اللغة الاساسية في التدريس ، اي انها في الحقيقة « تحتكر » البلد ، اي تستعمره دون جيوش او اساطيل ، تستعمره استعمارا حقيقيا دون غزو او ارهاب .

وهذا هو الاستعمار الجديد ، وهو استعمار بالعلم والتكنيك . لهذا كله تركت البلاد الاوروبية « مستعمراتها » الماضية و « منحتها » الحرية ، لانها تعرف انها في الحقيقة لم تمنحها شيئا ، وانما وفرت على نفسها نفقات الجيوش ومتاعب

المسئوليات الاستعمارية . وما دام في الدنيا من يعلم ومن لا يعلم ، فان السبب هو الأول ، سيد في بلاده وفي بلاد الآخرين .

الاستعمار الجديد
زاد اهتمام الغرب بشئون الشرق

هذا الاتجاه الجديد وسع مجال الاهتمام بشئون الشرق وأعطاه أبعادا كثيرة ، فكل شركة صناعية في أوروبا وأمريكا تدرس شئون العالم حفاظا على مصالحها وأسواقها . وفي الماضي كانت هذه الدراسة مقصورة على وزارات المستعمرات والخارجية والدفاع ، وكانت الشركات تلجأ الى المتخصصين فيها لسؤالهم عن موارد الثروة في هذا البلد أو ذاك وامكانيات استغلالها ، أما اليوم فالشركة هي التي تبحث وهي التي تدرس ، وهي التي تفتح لنفسها الأسواق ، هي التي تعرف مثلا أن في هذه الناحية بترولا ، فعليها أن تدرس وترسل مندوبيها ليعرفوا الامكانيات السياسية والطبيعية ، وهي التي تعقد الاتفاقات على نحو يحمي مصالحها ، لأن حماية مصالحها تعتمد على عليها لا على جيوش الدولة التي تتبعها ، لأن الجيوش والأساطيل لم تعد تتحرك لحماية مصالح الشركات بعد درس تأميم قناة السويس سنة ١٩٥٦ . والشركات الغربية بالذات تحمي حقوقها في البلاد الافريقية عن طريق العلم : في كل مصنع تبنيه ، في كل جهاز تركبه ، في كل مطار تقيمه . هناك أجزاء خفية من العمل لا تعرفها الا الشركة ، وفي حالة توقف الشركة ، عن العمل يصبح المصنع أو الجهاز أو المطار شيئا من الاسمنت والحديد والالومنيوم وما اليها ، شيئا لا ينفع في أي غرض. ومنذ عشر سنوات صادرت احدى حكومات الارجنتين مصنعا ضخما لشركة سيارات مرسيدس ثم لم تستطع أن تنتج سيارة واحدة ، وأوشك المصنع على التعطل وتعرض ٩٠٠٠ من العاملين فيه لضياع الرزق ، ولهذا لم يكن هناك مفر من اعادة المصنع الى الشركة دون حرب أو ضرب .

ألوف كثيرة من الناس
تريد أن تقرأ عنا ..

ولهذا ، فهذه الشركات كلها تدرس وتقرأ ، أي فيها من يقرأ ويدرس ، فيها من تخصصهم الشركة لهذا الغرض ، وفيها من يفرض عليه عمله أن يدرس حتى لا تخطو الشركة الا على علم ، فاذا كان كتاب مثل « رحلات في بلاد العرب الصحراوية » لتشارلس داوتي قد طبع في القرن الماضي في حدود ٥٠٠ نسخة ، لأن هذا كان كافيا لرجال الاختصاص عند ذاك ، فان هذا الكتاب أعيد طبعه سنة ١٩٦١ في حدود خمسة آلاف نسخة ، لأن رجال شركات البترول ، وهم ألوف ، في حاجة الى قراءته والاستعانة به . بل لقد عمل له مختصر في نصف حجمه وسمي « جولات في جزيرة العرب » ونشر هذا العام ، والآن كانت أبحاث المستشرق الروسي بارتولد Barthold قد نشرت أوائل هذا القرن في مجلات علمية لا يقرؤها الا المهتمون بها ، فهي تجمع اليوم في سلسلة من المجلدات ويطبع منها الوف ، وقد ظهر المجلد الأول منها فعلا هذا العام ، لأن الروس وغيرهم ممن يتتبعون الأحداث في وسط آسيا لا بد أن يقرأوها . وكذلك هم يطلبون اليوم بمقالات الباحث الهولندي سنوك هورجرونيه Snook Hurgronje ، فقد جمعت وترجمت الى الانجليزية ونشرت منذ عامين ، لأنها في رأي الغربيين من أحسن ما كتب عن الاسلام . وكذلك كتاب هويد Heyd المعروف عن تجارة أوروبا مع الشرق أعيد طبعه بعد نحو نصف قرن من صدور الطبعة الأولى .

واتجهت دور النشر الى اعادة الطبعات

والتصحيح الواضح لدور النشر الأوروبية اليوم ينحش من الاهتمام بطبع كل نص جديد يظهر عن العرب والاسلام واعادة طبع ما نفدت نسخه من زمن بعيد ، مع أن اعادة الطبع هذه تتكلف التكاليف ما يتكلف ، فهم يصورون الصفحات ويطبعونها كليشيهات ليتغلبوا على مصاعب جمع الحروف العربية . ومن كبار الكتب التي ظهرت الى النور بعد طول احتجاب بهذه الصورة طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ، وجزء كبير من الوافي بالوفيات لخليل بن أيبك الصفدي ، وصفة جزيرة العرب

لابن المجاور ، وكتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ ، وتحقيق ما للهند من مقولة للبيروني ، وجداول الخوارزمي وغير ذلك كثير . وقد أسهمت في هذا العمل دار نشر عربية هي دار المثنى في بغداد ، فنشرت الكثير من هذه الكتب بتلك الطريقة .

وفي نفس الوقت يعاد طبع كتب اوروبية قديمة، وقد أشرنا الى بعض ذلك ، والباقي كثير جدا ، حتى انه ليصعب أن تجد كتابا اساسيا مما ألفه المستشرقون في القرن الماضي لا يعاد طبعه اليوم ، ومن ذلك مؤلفات اشتاينشنايدر عن حركة الترجمة من العربية الى اللاتينية فيما بين القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، وكتاب روبرت H. Roberts عن مدن آسية الصغرى ، وكتاب برتشارد H. Britchard عن مقابر «القبة» في بيت المقدس، وهو المسمى باسم « جيبون » Gibbon او كتاب اومان عن تاريخ الحربية العصور الوسطى، ومجموعة النصوص العربية التاريخية عن الحروب الصليبية وغير ذلك كثير .

وما يعجزون عن طبع نصوصه من الأصول العربية القديمة يترجمونه وينشرونه في العالم او يعيدون طباعة ما نشر منه فيما مضى ، ومثال ذلك مما تقرأ عنه في قوائم المكتبات الأخيرة : ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ، والإفادة والاعتبار لعبد اللطيف البغدادي ، وتاريخ الدولة العثمانية ليورجا وهو حافل بالنصوص التركية المترجمة، وترجمات كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة ، وترجمة سيرة ابن اسحق ، وفهرس ألفاظ القرآن لفلوجل، وفهارس الشاهنامة للفردوسي .

نظرة عامة على ما يكتب عنا اليوم

أما الكتب والمؤلفات الجديدة فكثيرة جدا ، لا تكاد تجد بلدا عربيا او حتى مدينة عربية ذات اهمية إلا وجدت عنها كتبا جديدة ظهرت هذا العام او العام الماضي ، وهذه الكتب تتناول كل شيء ، من الوصف الجغرافي او الطبوغرافي العادي الى تاريخ آخر الأحداث السياسية وتحليلها من وجهة نظر المؤلف طبعا . وكل كتاب من هذه الكتب يضم فوائد لا يستغنى عنها لأن معظمها مؤلف بناء على دراسات وزيارات وتجربة شخصية ، ولولا ما يشوبها غالبا من التحامل والنظرة الى الأمور من زاوية المصلحة الأوروبية وحدها لكانت كلها كتبا نافعة .

ومن اكبر الأمثلة على ذلك سلسلة الكتب التي تصدرها في كل عام وزارة الخارجية البريطانية عن بلاد العرب ، فهناك كتاب شامل عن الشرق الأوسط ثم هناك كتب متفرقة عن كل بلد عربي ، وكل كتاب منها يقوم بتصنيفه قسم من اقسام المخابرات البريطانية ، ويكتب على غلافه انه للاستعمال الرسمي فقط .. ، ولكنها كلها معروضة للبيع لمن يريد ، وهي كتب كلها احصائيات وبيانات ومعلومات نافعة بشرط ان يكون قارئها العربي حصيفا قادرا على تمييز الصادق من غير الصادق من مادتها .

كتب يصدرها عنا الأمريكان

وهذا التمييز غير عسير فيما يتصل بالكتب التي تصدر عن الشرق العربي في الولايات المتحدة فان الذين يصدرون هذه الكتب المعاصرة هناك أما افراد زاروا هذا البلد او ذاك من بلادنا او اقاموا فيها ، ومعلوماتهم تتوقف على مصادرهم ، ومعظمها مستقى من ناس مغرضين ، من اولئك الذين تجدهم في بعض البلاد العربية وبيروت خاصة ، ومعظمهم اجانب من ارمن ويونان او ايطاليين ممن اقاموا في البلاد العربية للتجارة وما اليها ، وعرفوا لغتها وبعض شئونها ، ولكنهم لا يفهمونها ابدا . واولئك يتبرعون بالمعلومات والبيانات لمن يطلبها من الامريكيين تقربا اليهم ، ومعظم هذه المعلومات خاطئ او سطحي . والأمريكي الذي يسمع من افواههم هذا الكلام يحسب انه وقع على ضالته المنشودة وما أسرع ما يكتب كتابا . وأنت لا تحتاج الى كبير عناء لكي تتبين قيمة ما فيه .

كتب يكتبها الفرنسيون عنا

ولا يعسر عليك كذلك أن تميز النافع من غير النافع فيما يصدر من الكتب الفرنسية ، لأن هوة عميقة تفصل الفرنسي عن العربي منذ زمن بعيد ، وهي هوة ترجع الى الحروب الصليبية . ثم تراحبت مع الأيام ، حتى اصبحت عقدة نفسية

بعد حرب السويس واستقلال المغرب العربي . والفرنسي في العادة يعرف ما يكتب ، فإن المراجع عنا في تلك اللغة كثيرة جدا ، ولهذا يندر أن نجد في كتاب الفرنسي خطأ أساسيا في تاريخ أو وصف بلد أو معالم حياة شخصية من شخصياتنا ، ولكن الخطأ يقع في التفسير والتعليق ، وهو خطأ متعمد أحيانا وغريزي أحيانا أخرى ، فمن النادر جدا أن تقرأ لفرنسي شيئا طيبا عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه حتى لو هو وجد شيئا طيبا فإن لسانه لا يطيعه في كتابته ، ولو قاله فإنه يحتاط في قوله تحفظا بالغا حتى يخيل إليك أنه يخشى الوقوع في النار . وإذا كتبوا عن العرب المعاصرين فلا يمكن لكتابتهم أن تنفصل عن الحوادث الجارية ومشاعر الفرنسيين ، فالأمر يتوقف على وقت ظهور الكتاب ، فإذا ظهر الكتاب أيام كانت تونس تطالب باستقلالها وتجاهد الفرنسيين بالعنف في إجلائهم عنها ، فإن تونس بلد سيىء جحود يسير في طريق سيىء ، وإذا صدر في ظروف مغايرة فإن تونس بلد طيب متحضر يسير في طريق النهوض الصحيح .

الكتب الإنجليزية
تكتب عنا ، أعسر تعرفا

أما الكتب الإنجليزية فإن تمييزها أعسر بكثير ولا بد لنا من أن نقرأ الكتاب من أوله إلى آخره إن كنت تريد أن تعرف وزنه وقيمته ، لأن أولئك الناس تعلموا كيف يسترون عواطفهم وكيف ينظرون إلى المسائل بعيدا عن عواطف اللحظة الراهنة ، ثم أنهم حددوا مصالحهم في الشرق الأوسط من زمن بعيد ، فهم يدافعون عن هذه المصالح في حماس ووضوح ، ولا يعنيهم غيرها ، وهم أقرب الأوروبيين إلى التعقل في تأليف الكتب ، والناشرون هناك يدققون في اختيار ما ينشرون ، ثم إن الإنجليزي يستعد دائما لإعادة النظر في آرائه فبينما نجد الفرنسي حدد موقفه من حركة العروبة فحكم عليها بأنها حركة معادية له ، ومن ثم فهي حركة ضارة ، نجد الإنجليزي لا يحكم عليها هذا الحكم القاطع بصفة نهائية ، ولهذا فإنك تجد شتى الآراء عنها في كتب الإنجليز . أضف إلى ذلك أن الإنجليزي يحب أن يسمع رأي الغير ، ولهذا فإن كثيرا من الكتب الإنجليزية من تأليف عرب ، وبعض هذه الكتب يعرض وجهة نظرنا بصراحة تامة .

والكتب الأوروبية الأخرى التي عنا

أما الكتب الألمانية والإيطالية والإسبانية المعاصرة فهي على وجه الإجمال قريبة من الإنصاف ، ومن حسن الحظ أن مشاكلنا مع هذه البلاد قليلة وقديمة وقد غطاها الزمن . وألمانيا بالذات لم يقع بينها وبين العرب مشاكل . أما إيطاليا فقد نسيت ليبيا ، وإسبانيا تحاول أن تفهمنا من جديد ، ولكنك تلاحظ مع الأسف أن بعض كتاب الألمان يتابعون بعض ما يكتبه غلاة الإنجليز والفرنسيين دون قصد في الغالب فيسيئون إلينا دون أن يشعروا .

كتب الاستشراق ليست كلها شرا ..

وما دمنا نتحدث عن هذه الكتب في مجموعها بالصراحة الواجبة بين الكاتب والقارىء ، فينبغي أن ننبه ذهن القارىء العربي إلى حقيقة هامة .

فمنذ زمن بعيد وكثير ممن لا يقرأون الكتب الغربية في لغاتها يصرون على أن كل ما كتبه المستشرقون عنا تحامل وعصبية ، حتى ثبت في أذهان بعض القراء أن كل مستشرق عدو .

وهذه فكرة خاطئة ، فإن الكثيرين جدا من المستشرقين منصفون ، وقد قالوا الحق كما تصوروه . حقيقة هناك نفر متحاملون من أمثال الروسي استبرنجر وهنري لامانس Henri Lammens والأب زويمر Zweimer ومن إليهم ، ولكن إلى جانب هؤلاء هناك أجلاء يستطيع الإنسان إلا تقديرهم واحترامهم ، وإذا وجد المسلم في كتاباتهم ما لا يرضيه فليس من الضروري أن يكون ذلك صادرا عن سوء نية ، بل هذا هو الحق كما رآه ، وما دام قد صدر فيما يكتبه عن إخلاص فنحن نحترم رأيه وإن لم يرضنا .

فقد كتب ستيفن رونسيمان Steven Runciman

كتابا كبيرا معروفا عن الحروب الصليبية جعله تاريخا للمسيحية في الشرق العربي ، ونظر الى هذه البلاد على انها كانت بلادا مسيحية انتزعها الاسلام ، وان الحروب الصليبية على هذا محاولة من المسيحية لاستعادة ما كان بيدها . وهذه وجهة نظر لا نرتضيها ، ولكنها وجهة نظر جديرة بالمناقشة الهادئة على أساس من البحث الأصيل ، واختلافنا معه ليس معناه ان كتابه لا قيمة له او انه رجل متحامل ، بل هو مؤرخ جدير بكل احترام .

وكتب آسين بلاثيوس Asin Palacios كتابا عن ابن عربي ذهب فيه الى ان اراءه الصوفية صدى لتأثره بالمسيحية في الأندلس ، وهذه وجهة نظر لا نرتضيها ، ولكنها وجهة نظر جديرة بالاحترام ، ولا ننسى ان هذا الرجل هو الذي اثبت ان دانتي اخذ مادة الكوميديا الالهية من أصول عربية .

المستشرقون خدموا لغتنا العربية

ولا ننسى كذلك ان اولئك المستشرقين خدموا لغتنا وعلومنا خدمات جليلة ، ويكفي اننا تعلمنا منهم تحقيق النصوص ونشرها ، وطريقة البحث العلمي الصحيح على أساس من النصوص ، ومهما كان في آرائهم مما لا يرضينا فهي أشياء لا تنقص من قيمة الخدمة التي قاموا ويقومون بها .

ولا اذهب الى الماضي البعيد بل اذكر طائفة من المؤلفات لا يجوز الاقلال من شأنها بحال . فمن هذه كتاب اسين بلاثيوس عن ابن حزم ، وكتابه عن الأصول العربية للكوميديا الالهية وترجمة فرانشسكو جابرييلي Francesco Gabrieli لابن بطوطة ، وهي ادق واحسن ترجمة للنص ، وقد ظهرت من عامين ، وترجمة سيرة ابن اسحق لالفرد جيوم Alfred Guillaume وترجمة اربري A. J. Arberry للقرآن ، وقد سماها « القرآن مفسرا » اي انها تفسير لا ترجمة . وقاموس العربية المعاصرة لهانز فير Hans Wehr ، وهو احسن قاموس عربي الماني ظهر في ألمانيا ، ودراسات شارل بيلا عن الجاحظ وما نشر من نصوصه ، وكتابي مونتجومري واط Montgomery Watt عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومجموعة الدراسات عن تاريخ الاسلام وحضارته التي ينشرها في ألمانيا برتولد شبولر Bertold Spuler في هامبورج ومؤلفات ليفي بروفنسال عن التاريخ الأندلسي ، ودراسات غرسيه غومس عن الأدب الأندلسي ، وكتاب يوسف شاخت J. Schacht عن أصول التشريع الاسلامي ، ومجموعة النصوص الاسلامية التي ترجمها ارثر جيفري Arthur Jeffery ونشرت في العام الماضي في مجلد كبير بعد وفاته وفهرس البحوث الاسلامية الذي ينشره بيرسون J. D. Pearson ودراسات جوستاف فون جرونباوم وغيرها كثير .

لكي نقف على اقدامنا ينبغي أن نتعلم ..

وبعد ، فان الكتب التي تصدر عنا في الغرب كثيرة جدا ، ومع اجتهادي الشديد في متابعتها الا انني اعجز عن ذلك ، فان الكتب لا يحكم عليها من عناوينها ، بل لا بد ان تقرأ بعناية ، والقراءة تتطلب الوقت والوقت قليل .

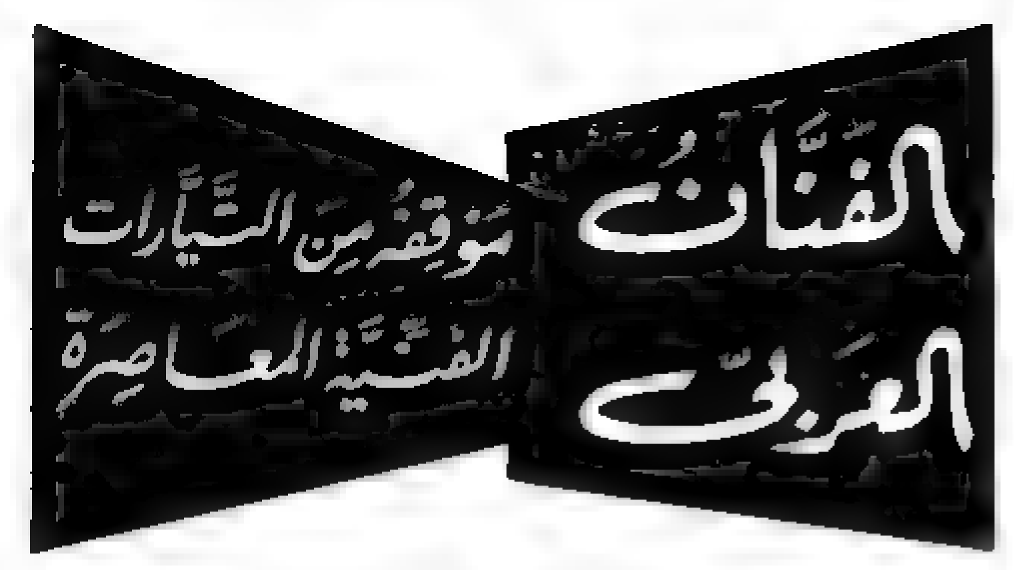
ومن اليسير ان يرمي القارىء العربي هذه الكتب كلها عن قوس واحدة ويقول : هراء وتعصب .

ولكن ذلك لا يحل المشكلة . فنحن كما قلت لك في عصر العلم . من يعلم يسود من لا يعلم ولا استثناء لهذه القاعدة .

والناس هناك من وراء البحار يدرسون كثيرا ويقرأون كثيرا ويكتبون كثيرا ، وما من كتاب يظهر عندنا الا يقرأونه هناك ، ولعلك تدهش اذا علمت ان اول من نبه الى القيمة الفنية لنصص نجيب محفوظ راهب فرنسي هو الأب جومييه : قرأ الثلاثية بين القصرين وكتب عنها بحثا فريدا ، فكان هذا فاتحة التنبه الى مكانة هذا القصصي العربي المبدع ، ومن يومها ونجم ادبنا في صعود.

فهل قرأت انت هذه الثلاثية ، وهي اعظم عمل ابداعي في ادبنا العربي بعد روائع توفيق الحكيم ؟ ■■

حسين مؤنس



بقلم : الدكتور عز الدين اسماعيل

كلية الآداب ـ جامعة عين شمس

■ من أهم المشكلات التي تصادفنا الآن في حياتنا الفنية مشكلة تحديد موقفنا من التيارات الفنية العالمية، أنأخذ بها، أم نرفضها نهائياً، أم نتوسط فنأخذ منها في حرص ونرفض منها في حرص كذلك. وهي مشكلة قديمة وليست بنت اليوم، بل ربما كانت مشكلة تقليدية يتحتم مواجهتها عندما تتشابه الظروف في الصراعات التاريخية والحضارية المختلفة. فقد سبق أن واجهت الحضارة العربية نفس المشكلة حين أخذ تراث الفكر الإغريقي يفد إلى العرب من خلال الترجمة، كما أننا واجهنا نفس المشكلة منذ مطالع القرن العشرين، حين نشطت حركة الترجمة من الآداب الأوروبية، الفرنسية والإنجليزية في البداية، ثم الآداب العالمية في وقتنا الحاضر.

هل نصنع كما صنع أسلافنا

وقد يبدو من السهل تحديد موقفنا الراهن إذا نحن أردنا أن نكتفي بعبرة التاريخ فننظر كيف نهج أسلافنا في حل هذا الموقف : كيف أخذوا من غيرهم، ولماذا أخذوا، وماذا أخذوا وماذا تركوا. وفي ضوء معرفتنا بهذا النهج الذي أتاح لأسلافنا أن يقيموا بناء متكاملا خاصا بهم من الحضارة، فكرياً وفنياً، نستطيع أن نضع الأسس العامة التي تحدد خطتنا فيما نأخذ وفيما ندع. لكن المسألة فيما يبدو ليست بهذا اليسر، إذ ينبغي علينا ـ فيما يبدو ـ أن نأخذ فكرة أن التاريخ يعيد نفسه بمنتهى الحذر. فمع أن الموقف القديم يبدو في ظاهره مشابها بل مطابقا للموقف المعاصر، فما تزال هناك فروق تاريخية وحضارية جوهرية بين الموقفين تحتم علينا أن نناقش الموقف المعاصر مناقشة خاصة، وأن نستبصر بالأسس التي يبنى عليها سلوكنا من صميم الواقع المعيش والظروف الراهنة.

فالعرب حين أخذوا قديما من الإغريق لم يكونوا يأخذون من شعب معاصر لهم في التاريخ، في حين يختلف الوضع بالنسبة إلينا في العصر الحاضر، إذ أن الشعوب التي نأخذ منها شعوب حية معاصرة ولها مشكلاتها العقلية. وقد يبدو هذا الفارق هينا إذا نظرنا إلى المسألة على أنها مجرد عملية أخذ شعب من آخر، لكنه في نظري فارق جوهري. ذلك أن موقف العرب القدماء من التراث الإغريقي كان موقف شعب يأخذ من شعب انتهى دوره التاريخي وصار نتاجه الفكري في ذمة التاريخ،

الفنون التشكيلية تجمعها لغة واحدة عالمية لا تحتاج الى ترجمة

الفن الغربي اليوم فن عالمي ، لا يمنع الفنان العربي من أصالته

يأخذ منه من يشاء ما يشاء ، دون الشعور بأي ارتباط بهذا الشعب . وبعبارة اوضح اقول : لم يكن العرب حين اخذوا عن الاغريق او غيرهم من الشعوب القديمة يخشون من تغلغل هذه الحضارات في الكيان العربي بما يطمس معالمه . اما نحن فنواجه الآن موقفا مخالفا تماما . فالشعوب التي يمكن ان نأخذ عنها شعوب معاصرة وقوية ، ومن اهم ما يعنيها أن يمتد نفوذها السياسي في اوسع رقعة ممكنة من الارض . فان كان الشعوب قد تنبهت في العصر الى هذه الحقيقة ، واخذت ترفض التبعية السياسية ، وفقد الاستعمار نفوذه السياسي فيها ، فلا اقل من استخدام وسيلة اخرى مقنعة تبدو مشروعة هي النفوذ الثقافي .

وقد تتبع هذه الدول وسائل مشروعة من الناحية الدولية فتنشيء لها في بلادنا مراكز ثقافية ومكاتب للنشر ، لكن الذي يعنيني ليس ما تقدمه هذه المكاتب من مطبوعات وانما ما نتطوع نحن بنقله واخذه ، فهذا المجال لا تتحكم فيه علاقات او مواصفات دولية معترف بها ، وانما هو نشاط مستقل الى حد بعيد . وحين نناقش موقفنا من التيارات الفكرية والفنية المعاصرة يبدو لي مناقشته في هذه الحدود ، اي حدود نشاطنا التلقائي في الاخذ بهذه التيارات ، وهو المجال الذي لا تستطيع الدولة ان تتحكم فيه الا في حالة واحدة ، هي ان تمنع ورود كل المطبوعات الاجنبية او بعضها ، وهو الشيء الذي لم تصنعه الدولة عندنا ، واغلب ظني انها لن تصنعه .

وحمى العرب قديما عصبية فكرية امدهم بها الاسلام

هذا فارق . وفارق آخر لا يقل اهمية عن الفارق الاول هو ان العرب حين اخذوا من الحضارات القديمة لم يكونوا عزلا من اي ميراث حضاري ، بل كانت بين ايديهم نظرية كونية شاملة امدهم بها الاسلام ، فكانت هذه النظرية بمثابة العصب الفكري ونقطة الارتكاز التي انطلق منها كل تفكير . ومن ثم كانت العلوم العربية ، بل الفن العربي كذلك ، شديد الصلة بهذا المركز . وحين نظر العرب في علوم الاغريق لم يأخذوا منها ما اخذوا اعتباطا او لمجرد الطرافة وانما اخذوا منها وسائل تعينهم في النهج وتوطد اركان النظرية بالفكر الانساني . ومن ثم امكن الحديث عن الحضارة العربية والتراث الفكري العربي .

نهضتنا الحديثة لم تبدأ باستيعاب تراثنا القديم

اما بالنسبة لوضعنا الراهن فالظروف مختلفة ، ذلك ان نهضتنا الحديثة لم تبدأ من البداية الصحيحة . فلم تبدأ باستيعاب تراثنا القديم والتعرف على مكونات الارضية الفكرية والروحية لكل نشاط من شأنه ان يبرز معالم شخصيتنا . ولست انكر ان محاولات مشكورة بذلت في هذا الميدان في مطالع القرن العشرين ، وانها امتدت فيما بعد الى الدراسات الجامعية ، ولكنها مع ذلك محاولات فردية وجزئية ، كان لها نصيب الالتفات الى هذه الحقيقة وان ظلت هذه الحقيقة حتى اليوم – بكل اسف – بعيدة عن ان تكون هدفا جماعيا يحتم الوصول اليه قبل نشاط آخر .

فوجئنا بالفكر الغربي يغزو ارضنا

لقد فوجئنا منذ البداية بالفكر الغربي يغزو ارضنا ويقتحم الموقف في كل واجهة ويتسرب من كل نافذة ، فالقينا عليه ، وما زلنا ، في شغف ونهم ، وهضمنا منه الكثير ، بل لعلنا صرنا موالين لاحدث التيارات الفكرية والفنية في العالم ، ولكن اين الاساس الذي نرتكز عليه فيما نأخذ وفيما ندع ؟ اين الاساس الذي يمثل



عصبتنا الفكري الروحي! ان علاقتنا المشوه بتراثنا كفيلة بأن تتركنا في مهب الرياح ، وتجعلنا عرضة لتقبل كل شيء طارىء كما هو ، دون أي استشعار بمدى جدوى ما نأخذ في تأصيل شخصيتنا وبناء كيان حضاري يمثلنا . ان أقصى ما نستطيعه هو أن نكون نسخة جوفاء من الآخرين ، ولن يكون هذا بحال من الأحوال هو الوسيلة الفعالة في اثبات كياننا الفكري والفني الذي تجد فيه الشعوب الأخرى شيئا أصيلا ومخالفا لما لديها .

العزلة امتنعت هذه الأيام

والفارق الثالث والأخير ، وهو فارق يزيد المشكلة تعقيدا ، هو أن العرب القدامى قد شكلوا وحدهم فترة تاريخية امتدت قرونا ، فكانوا يبنون وحدهم ، ولم تكن هناك منافسة من شعب آخر تعكر عليهم صفو العمل ، أو تفرض عليه وجهة بذاتها . وربما كانت هذه الظروف بعينها هي التي لاءمت قيام الحضارات القديمة ، حيث كانت الشعوب تعيش في عزلة نسبية أو كلية ، مما أتاح لكل شعب أن يتمرد ذاتها من داخله ، وبدوافع فرضتها عليه ظروف حياته ومطالبها القريبة المباشرة ، والآن فقد وجد العرب القدامى زمنا كافيا لأن يصنعوا حضارتهم ، في هدوء واطمئنان ، وأن تكون لهم زعامة الفكر الانساني طوال هذا الزمن .

أما بالنسبة لوضعنا الراهن فان الظروف التاريخية قد اختلفت ، فلم يعد بمقدور أي شعب أن يغلق دون نفسه الأبواب ، ويعتزل العالم ، وينطوي داخل ذاته لكي يجتر ما عنده ، أو يبدأ بداية جديدة . حتى الشعوب التي فرضت على نفسها هذه العزلة ما لبثت أن اضطرت لفتح الأبواب والنوافذ ، وتتيح للناس استنشاق الهواء الوافد . وكل هذا يؤكد أن الاحساس بضرورة التواصل بين الشعوب قد صار أمرا لا سبيل الى انكاره ، وأن الحياة قد تطورت بالشعوب الى نوع من « العالمية » ما زال يتأكد يوما بعد يوم .

وعلى هذا اختلفت ظروفنا الراهنة عن ظروف أسلافنا ، فليس الزمن لنا وحدنا ، وانما تشاركنا فيه شعوب أخرى كثيرة . ولسنا كذلك بحيث نستطيع الانسلاخ تماما عن هذه الشعوب ، لأن الانسلاخ يمنعنا من متابعة ما يصل اليه العالم من كشوف متلاحقة ، ويحرمنا الوجود في الاطار العالمي ، وفاعليتنا في هذا الاطار .

وبعد ، أنغلق النوافذ ، أم نفتحها وسعها؟

وبعد أن استعرضنا هذه الفروق الجوهرية بين موقفنا أمس واليوم نتساءل : ماذا يستطيع فناننا اليوم أن يصنع ؟ تراه ينصرف الى تراثه القديم يتعهده ويتشرب روحه ويستمد منه دوافعه وموضوعاته وأساليبه وطرزه ، أم يفتح النوافذ للتيارات الغربية الحديثة ويتركها تحمله معها ؟

والغريب أن مشكلتنا هذه وان تكن عامة الا أنها لا تثار في الغالب الا بمناسبة الحديث عن فنونا التشكيلية . فكثير من فنانينا التشكيليين في الوطن العربي ـ ان لم يكن معظمهم ـ قد طبقت على أعمالهم الفنية النزعات الغربية الحديثة ، من تأثرية الى رمزية الى سريالية الى تكعيبية الى تجريدية ، حتى صار الانسان لا يكاد يجد فرقا بين تصاويرهم وتصاوير غيرهم من الفنانين الغربيين . ولهذا تبرز المشكلة حادة عندما نواجه أعمالهم الفنية هذه ، لأننا لا نجد فيها أي ظل لوجودنا .

مشكلة عامة تتصل بالفنون جميعا

والحقيقة أن المشكلة ليست مشكلة الفنانين التشكيليين وحدهم ، وانما هي ـ كما قلت ـ مشكلة عامة ، ترتبط بالمثقفين والأدباء ، والفنانين على السواء . ولنضرب مثلا على هذه الأنواع الروائية المختلفة التي يكتبها أدباؤنا من قصة قصيرة الى رواية الى مسرحية ، فكل هذه الأشكال من التعبير أشكال أجنبية صرف ، أخذت عن الأدباء والكتاب الغربيين ، هذا فضلا عما قد يمثله هذا الكاتب أو ذاك فيما ينتج من هذه الأشكال من اتجاه فني مذهبي بعينه . ومع ذلك فقد صرنا نغض النظر عن هذه الحقيقة ، ولا نثير المشكلة الا اذا وقفنا أمام لوحة تجريدية مثلا لأحد فنانينا التشكيليين . وكأن الأمر يقتضينا ونحن نرفض مثل هذه اللوحة ، أن نرفض كذلك تلك الأنواع الأدبية الأخرى بشتى مذاهبها وأساليبها .

وليس هذا دفاعا عن الفنانين التشكيليين أو مهاجمة لأدبائنا وكتابنا ، فلست هنا في موقف دفاع أو هجوم ، وانما هو تأكيد لعمومية المشكلة في حياتنا الفكرية والروحية ، وأن ما ينسحب على موقف الفنان التشكيلي المعاصر ينسحب كذلك على موقف الآخرين .

متناقضات

وقد اوضحنا في خلال تحليلنا لموقفنا الراهن وموقف اسلافنا الظروف التي يعيش فيها الفنان المعاصر والاطار الذي يمكن ان يتحرك فيه . فهو اولا لا يجد مندوحة عن الاتصال بالتيارات الاجنبية، يؤيده في ذلك المبدأ السائد الذي لا يستطيع عاقل ان يرفضه وهو مبدأ : « لنفتح كل النوافذ » . وهو ثانيا مُعرَّض لأن يجرفه احد التيارات فيبيع ما قد لا يستساغ محليا او لاقليميتنا ، او ينتج ما لا حاجة لنا به ، او ما لا يتوائم مع حركة تطورنا واتجاهه . وهو ثالثا مطالب بأن يثبت وجوده في الاطار العالمي كما يثبته في الاطار المحلي . وهو رابعا مطالب بأن يمثل اولا وقبل كل شيء تراثه الخاص ويهضمه ويتخذ منه دائما نقطة الانطلاق الى ما يبدع . وهو اخيرا مطالب بأن يحجز ذلك كله في مساحة زمنية قصيرة ودون تعثر او توقف او تلكؤ .

فهل من سبيل الى حد كل هذه التناقضات ؟

الفنون التشكيلية ، لغتها عالمية

لنمعن النظر قليلا فيما هو واقع ، اى فيما ينتجه فنانونا التشكيليون ، ولنصغ الى وجهة نظرهم في اتجاههم التزايد نحو التيارات الفنية الغربية ، فهم يزعمون بأن لغة الفن لغة عالمية ، وأن القيم الفنية كذلك قيم لها نفس الطابع ، وان اعمالهم بذلك تختلف عن الفنون القولية التي تفرغ في لغة بذاتها ، فتحتاج، لكي تصبح اعمالا عالمية — الى ترجمتها الى اكبر عدد من اللغات الحية. وما دامت لغة الفنون التشكيلية لغة عالمية فانه من الطبيعي ان تنتشر الاساليب والمذاهب الفنية في كل بقاع العالم ، دون اى احتفال بمبتكرها الاول . فاذا كان براك وبيكاسو وبول كليه هم اقطاب المذهب التجريدي فان فضلهم في انهم ابتكروا هذا الاسلوب الفني الجديد الذي صار من حق كل الفنانين الآخرين ان يستخدموه في التعبير عن انفسهم . ولا يمكن ان يكون كل فنان آخر استخدم الاسلوب التجريدي في تعبيره الفني مجرد مقلد ، بعد ان دخل هذا الاسلوب ضمن معجم اساليب الفن العام . فاذا اخذ احد فنانينا التشكيليين بهذا الاسلوب واستخدمه في التعبير عن نفسه فانه يصنع هذا دون اى احساس بالتبعية ، وانما لا تعدو المسألة تفضيله هذا الاسلوب على غيره . فاذا فهمنا من الاسلوب هنا الاطار الشكلي الذي يفرغ فيه الموضوع كان في وسع فناننا ان يكون حرا في اختيار الموضوع بما تمليه عليه ظروفه الخاصة ومشاعره الخاصة .

يستطيع الفن ان يكون عالميا ، ونابعا من مجتمعه في آن

واعتقد ان وجهة النظر هذه تمهد لنا السبيل الى حل كل متناقضات الموقف . فاتصال فناننا بالتيارات الفنية الاجنبية امر مطلوب ولا يمكن كفه عنه لاى سبب من الاسباب ، لانه بذلك يفتح لنا نافذة على عالم آخر يصل بيننا وبينه . واما الخوف من ان يجرفه تيار بعينه فينساق فيه دون وعي كاف وخبرة لازمة فان هذا من شأنه ان يضعه في غربة عن مجتمعه هو الخاسر فيها لا المجتمع ، كما انه يكون بذلك عرضة للتورط في التقليد المقيت الذي ينفي اى قيمة عالمية لاعماله الفنية وهو لكي يجمع فضيلة التجاوب مع مجتمعه مع استشرافه القيمة العالمية لعمله الفني يتحتم عليه ان يخلص لنفسه اولا فيخلص بالضرورة لمجتمعه ، وعندئذ تتميز موضوعاته بالاصالة والجدة ، الامر الذي يضمن له الارتباط بمجتمعه من ناحية، ولفت العالم الى هذه الاصالة والجدة من ناحية اخرى. فليس الاسلوب وحده هو ما قد يلفت الى فنانينا انظار العالم ، لان الآخرين يعرفون هذا الاسلوب جيدا ، بل لعلهم متخمون به ، فهم على كل حال اصحابه ، وانما يشدهم اليه تلك قوة الموضوع والتنفيذ معا . واكبر عون لفنانينا على ان يبلغوا هذه الاصالة هو ان يفهموا انفسهم بوصفهم حلقة في سلسلة ممتدة من التراث الفكري والروحي لشعبنا ، وان تعبيرهم عن ذوب شخصيتهم، عن افكاره وخيالاته ، عن اوهامه ومعتقداته، عن آماله وآلامه، عن مخاوفه ومطامحه، عن فكاهته وحزنه وسخريته — هو السبيل الرشيدة الى احراز الاصالة ، بل انهم عندئذ لحريون ان يبتكروا كذلك الاساليب التي تميز لهم طابعا مستقلا ما يلبث ان يأخذ به الآخرون . فلهذا السبب كان للفن العربي القديم والفن الفرعوني والفن الصيني تأثير عالمي ، ما زال معترفا به حتى اليوم . وليدرك فنانونا بعد كل هذا انهم في سباق مع الزمن ، يحتاج منهم الى مضاعفة النشاط ، والى البذل والجدية . ■

عز الدين اسماعيل



بقلم : الشيخ محمد ابو زهرة

استاذ الشريعة بجامعة القاهرة

■ كان الحسن البصري يعقد في جامع البصرة مجلساً للقصص ، ومجلساً لدراسة المسائل التي تشغل العصر بالنسبة للعقيدة أو بالنسبة للأحكام العملية ، وكان مرة يتذاكر مع تلاميذه المقربين اليه ، في مسألة شغلت العصر ، أثارها الخارجون على الامام علي كرم الله وجهه ، وهي اعتبار مرتكب الكبيرة كافراً ، وسرى الكلام فيها من عصر علي الى العصر الأموي ، وشغلت المفكرين فيه كما شغل الخوارج الدولة بخروجهم . وبينما الحسن يذاكر تلاميذه هذه المسألة اندفع من بينهم صوت جريء قوي ، واخذ يجادله مدعياً أن مرتكب الكبيرة في منزلة بين الايمان والكفر ، فلا هو بمؤمن ولا هو بكافر ، الا أن يتوب توبة نصوحاً ، فانه ينتقل من هوة الحيرة المزلة بين المنزلتين الى منزلة أهل الايمان ، ذلك التلميذ الجريء الذي علا صوته على سيد علماء البصرة هو واصل ابن عطاء .

واصل من اصل غير عربي

وواصل هذا ليس من اصل عربي ، ولكنه من اصل فارسي من جهة ابيه ومن جهة امه ، وقد عقدت اسرته عقد ولاء لبني مخزوم من قريش ، وعقد الولاء كان امرا سائغا من كل فارسي او غير عربي بشكل عام ، يعقده غير العربي مع اسرة عربية فيكون كأحدهم يعقلون عنه الدية اذا وجبت عليه دية ، ويرثونه اذا لم يكن له وارث من اقاربه ، وكذلك يسمى غير العرب الموالي ، لانعقاد الكثيرين منهم ذلك العقد .

وكانت السيادة العلمية في هذا العصر للموالي ، ذلك انهم ابتعدوا عن السلطان والرياسة فاستبدلوا برياسة الحرب والولاية رياسة العلم والدراية ، ذلك انهم عكفوا على الدرس والبحث ، اذ رأوا فراغا فأزجوه بالدراسة والتنقيب والاطلاع والتمحيص ، فسدوا بذلك النقص بفقد السلطان ونالوا شرف المعرفة ، فالنقص قد يؤدي الى الكمال ، والحرمان قد يدفع الى كبرى الغايات .

في المدينة

وقد ولد واصل بن عطاء بالمدينة حيث كان يقيم ابواه وكانت ولادته سنة ٨٠ من الهجرة حيث كان الحكم الاسلامي قد آل الى عبد الملك ابن مروان واولاده واحفاده ، وكان الحجاج بن يوسف الثقفي حاكم العراق بحكمه حكم الخلفاء . ويظهر ان واصلا استمر بالمدينة ، وتربى تربية العلماء فحفظ القرآن واخذ من الحديث اشطرا ، ولكن لم يتجه الى دراسة الرواية ، بل اتجه الى الدراسات العقلية .

في العراق

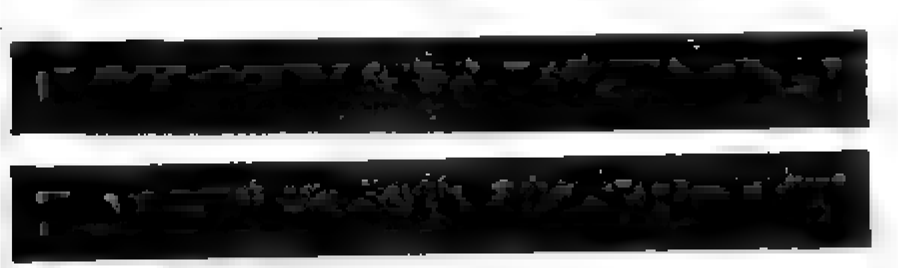
ولم تظهر عقليته متكملة الا في العراق ، والتقى



ولم تنقطع مودته ، ولم ينقص تقديره .

انتقل واصل الى العراق ، فاخذ عن بعض قادة الفكر ، ولعله اخذ من الجو العلمي بمقدار لا يقل عن الذي اخذه من الشيوخ ، فقد كان العراق مضطربا فسيحا للفكر المختلف الاشكال . كان فيه الفقه ، وكانت فيه الفلسفة ، وكانت فيه الفرق المختلفة . وكان الخوارج في باديته ، والشيعة في داخله ، وكان فيه العلم بكافة ضروبه ، ففيه علم النحو ينشأ وليدا ، ورواية الشعر تنتقل على السنة الرواة . واليه انتقل العلم اليوناني والحكمة الفارسية ، كما نرى في كتب ابن المقفع والتصوف الهندي . وهكذا كان العراق مستراداً لكل مذهب ، وبيئة خصبة لينبت فيها كل نحلة .

اخذ واصل غذاء عقليا من كل هذا ، ولم



البصرة بالاهته ، ولا تدري متى انتقل من المدينة الى العراق ، وربما كان انتقاله اليه بعد ان زالت يد الطغيان بموت الحجاج ، وذلك تقدير معقول لان الحجاج مات ، وواصل لا يزال حوالي سن المراهقة ، وما كان له ان ينتقل قبل هذه السن الا ان تكون اسرته قد انتقلت فانتقل معها ، ولم يعرف ذلك ، ولم يعرف مسوغ ظاهر لانتقالها ، الا ان يكون تأليف ولعها بثقافة اهل العراق .

انتقل واصل الى العراق ، فالتقى بكبراء الخوارج في باديته ، والتقى بزعماء الشيعة في ربوعه ، واخذ عن بعض ذرية علي كرم الله وجهه، فاخذ عن ابي هاشم، عبدالله بن محمد بن الحنفية وهو حفيد علي رضي الله عنه من غير فاطمة الزهراء ، ومحمد بن الحنفية كان غواصا عليم المعرفة اخذ قبسا كبيرا من علم ابيه مهبط النطق، فالقاه عنه ولده ابو هاشم . ثم اخذ واصل عن الحسن البصري ، وكان يلاحظه الحسن بتقريبه ، ويلتقي هو الحسن بتقديره ، ولما اختلف معه في مسألة مرتكب الكبيرة اعتزل مجلس الحسن ،

يزدوجه ازدواجا بل التقى منه، وعصر منها التقى مزيجا ، له خاصة في خواص اعتزاله ، واستسقاه فكان هو علم واصل بن عطاء ، هاضم كل ما اخذ ، ودخل في كيانه العقلي الذي لم يفارق الايمان والتدين .

كان الثغ الراء فكان يتجنبها

ومع هذه الآفاق الواسعة التي عاش فيها ، والعناصر المختلفة ، كان يراقب نفسه ، ويهذبها ، ويجنبها عيوبها ، ويعدوا شرها بشدة المؤاخذة والمراقبة ، وكان في ذلك قوي الارادة ، مسيطرا على نفسه ، فكان لارادته اثر كبير في حياته ، وقد ظهرت ارادته القوية في امرين .

احدهما : انه كان الثغ بالراء لثغا فاحشا ، فاخذ نفسه بالابتعاد عن الراء في كلامه ، فكان يجادل المجادلات الكثيرة ، ويخطب الخطب الطويلة ، ولا يسمع الراء لن تجري على لسانه ، وقد نقل الادب العربي عدة خطب له تبلغ الرتبة الاولى في البلاغة ، ولا تجد حرف الراء فيها ،

وقد ساعده على ذلك بديهة حاضرة ، ولثغة فيها الترادف الكثير ، وعلم بمناقلتها ، وله في ذلك عجائب . ويقول الجاحظ في ذلك : « لولا استفاضة هذا الخبر ، وظهور هذه الحال ، حتى صار لغرابته مثلا ، لما استجزنا الإقرار به ، والتأكيد له . ولست أعني خطبه المحفوظة ورسائله المخلدة ، لأن ذلك يحتمل الصنعة ، وإنما عنيت محاجة الخصوم ومناقلة الأكفاء ومفاوضة الإخوان » .

ثانيهما : امتناعه التام من الغضب في جدله الذي كان يدافع به عن الإسلام . وقد كان يتواصى مع إخوانه الذين يقومون بمثل رسالته أن يمتنعوا من الغضب . رأى صاحبه عمرا بن عبيد يجادله إنسان فيغضب فقال له : « يا أبا عثمان ، إياك وأجوبة الغضب فإنها متشعبة ، والشيطان يكون معها ، وله في بضاعتها همزة ، وقد أوجب الله تعالى على نبيه أن يستعيذ من همزات الشياطين .. بقوله أعوذ بك من همزات الشياطين » وإنما ناهضت أحدا ثبت في جوابه وما ينطق به لسانه، فيلحقه لوم » .

كان المجادل القوي

أعطى الله واصلا قوة جدلية لم يكن في أهل عصره من يزيد عليه فيها ، وقد كان قديرا في جدله إلى درجة ترهب خصومه ، ويتحاشون في لقائه ، وما كان جدله إلا للدفاع عن الإسلام .

وقد اختص في جدله بثلاثة جوانب لتحري الحق :

أول هذه الجوانب أنه كان يحسن الصمت في موضعه ، والقول في موضعه ، فقد كان يطيل الصمت . ومن لا يحسن الصمت لا يحسن الكلام، ولقد كان في مجلس أستاذه الحسن صامتا ، حتى إذا تكلم كان كلامه فصلا ونطقه حكما . وكان وهو صامت يتعرف حتى ما عند الآخرين من حق وباطل ، فيحسن الاستماع ، كما يحسن القول .

والجانب الثاني مقدرة واضحة على تصريف القول ، وحيله وضروبه واتجاهاته ، فلا تعتريه حبسة فكرية، إذا ادلهم الأمر. التقى مرة بالخوارج وقد كانوا يتمسكون بظواهر الألفاظ القرآنية ، ولا يغوصون في فهم معانيها ومراميها وغاياتها ، وأحاطوا به وبرفقة معه فإن قالوا لهم إنا مسلمون لا مذهب مذهبكم قتلوهم ، لأنهم في زعمهم كافرون، وإن قالوا لهم نحن منكم طلبوا الإثبات . فلما رأى واصل أنهم قد أحيط بهم قال لرفقته ، اتركوني معهم . فلما سألوه من هم : قال مشركون ممن قال الله فيهم : « وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه » ، فأجيرونا حتى نسمع ما عندكم ، ثم أبلغونا مأمنا . وبذلك نجوا جميعا ، وساروا في حراسة الخوارج حتى بلغوا مكان الأمن .

الجانب الثالث : بديهة حاضرة تأتيه أرسال المعنى في وقت الحاجة إليها ، فيحكم المعنى ويحمل الفكرة في أقل قدر من الزمان ، ويقوي ذلك علم غزير ، واطلاع واسع ، وحفظ كامل مع إدراك سليم لمعاني العقيدة .

ومع هذه الجوانب التي اختص بها في جدله ، كانت له فراسة قوية يعرف بها أغوار نفس مجادله ويدخل بها إلى قلبه ويستولي على فكره .

الزهادة وقول الحق وقوة الإيمان

كان واصل منصرفا عن مطامع الدنيا ، لا يتدلى لطلب مال ، ولا يطمع في جاه أو منصب أو ازدلاف الحكام . كانت له موارد تأتيه من تجارة الغزل ، ولذا سمي واصلا الغزال ، ولم ينقطع لهذه التجارة ، بل أناب عنه من يقوم في السوق مقامه ، وشأنه في ذلك شأن أبي حنيفة ، إلا أن أبا حنيفة لم ينقطع عن السوق انقطاعا تاما ، لأنه يلقيه في قلبه .

وفي الجملة لم يمس واصل مالا لسلطان أو بغير حق ، ولقد قال فيه الجاحظ : « لم يشك أصحابنا في أن واصلا لم يقبض دينارا ولا درهما». وفي ذلك قال بعضهم في رثائه :

ولا مس دينارا ولا مس درهما
ولا عرف الثوب الذي هو قاطعه

وكان واصل يقول في وصف المؤمن : « إذا جاع صبر ، وإذا شبع شكر » . وقد أخذ نفسه بذلك .

ولقد كان شديدا في جنب الله ، لا يمالئ صديقا في دين الله ، ولا يملق حاكما في شيء مرضاة الله . كان صديقا لبشار بن برد ، فلما عرف فيه الإلحاد ، قاطعه وبادره ، وقال فيه : « إن من الخدع حبائل الشيطان الكلمات لهذا الأعمى الملحد » .

وكان بشار يمدحه ، ويقول فيه :

تكلف القول والأقوام قد حفلوا
وحبروا خطبا ناهيك من خطب

وقــال مرتجــلا تغلي بديهتــه
كمرجل القين لما حف باللهب
وجانب الراء لم يشعر به احد
قبل التصفح والاغراق في الطلب

فلما خالفه واصل في سبيل الله انقلب الى هجائه .

في الدفاع عن الاسـلام

كان واصل كما اسلفنا من القول ذا قوة جدلية جامعا لكل الصفات التي تجعل منه خصما قويا اذا جادل . وكان ذا اجوبة مسددة قوية ، وقد جعل ذلك في امرين :

احدهما في الدفاع عن الاسلام ، وثانيهما في الدفاع عن آرائه .

اما دفاعه عن الاسلام ، فقد بدا في مناظراته لاهل النحل المختلفة والزنادقة وغيرهم ممن يهاجمون الحقائق الاسلامية ، وكان عليما بمذاهب اولئك المنحرفين ، وله تلاميذ يسد عليهم المسالك التي يعرف انهم سالكوها، ويرسل البعوث ويمد رسله بالحجج ان اعوزتهم ، ويسمع اخبارهم ويتصل بهم اتصالا فكريا مستمرا ، وقد اسلم او تاب على يده وايديهم كثيرون .

وقد كان يقيد مناظراته ويدونه ويرسلهـــا ليستأنسوا بها في مناظراتهم .

واما دفاعه عن آرائه فقد كان يفكر دائما فيما يناظره به مخالفه ، وما يقطع به السبيل على حججه . وكان يلتمس حججه من القرآن دائما ، لأنه لا يعتمد في العقائد الا على القرآن الكريم ، وكان لا يعتمد على السنة في الاستدلال للعقائد ، لأن كلها او جلها ليست اخبارا متواترة ، والاخبار غير المتواترة لا تثبت بها العقائد ، وكان يفكر في حججه من القرآن ، وهو يصلي . وقد قالت امرأته في بعض حاله : « كان واصل اذا جنه الليل صف قدميه يصلي ، ولوح ودواة موضوعان ، فاذا مرت به آية فيها حجة على مخالف جلس فكتبها ، ثم عاد في صلواته » .

مدرسة واصـل

كان لواصل مدرسة في العقائد اختصت بآراء حول العقيدة ، وبأفكار مخالفة عنها ، وتسمى هذه المدرسة بالمعتزلة وتسمى نفسها اهل العدل .

واشهر الآراء التي كان يدافع عنها واصل ، واعتنقتها مدرسته هي :

ا ـ انه يرى ان مرتكب الكبيرة ليس مؤمنا ولا كافرا ، ويصح ان يسمى مسلما ، وهو مخلد في النار اذا مات من غير ان يتوب ويقلع عن ذنبه ، وذلك لانه رأى ان عبارات القرآن في وصف المؤمن لا تنطبق على الفاسقين المصرين على فسقهم ، وان اوصاف الكافرين التي ذكرت في القرآن واحكامهم لا تنطبق على هؤلاء الفاسقين ، ولذن لا يمكن بحكم القرآن ان يكون احدهم مؤمنا، اذ لا تنطبق عليه اوصافه ، ولا كافرا اذ لا تنطبق اوصافه ، ومعاملته ، فلم يبق الا ان يكون بينهما ، وان الجنة لا يستحقها فلا يمكن الا ان يكون في النار .

ب ـ وانه يرى ان الصفات التي ذكرت في القرآن مقرونة بالذات العلية كالسميع والبصير ، والقادر والمريد ، والعليم ، ليست اشياء مغايرة للذات بحيث تتصور غير متصلة بالذات العلية ، او تتصور الذات العلية من غيرها ، بل هي والذات شيء واحد ، وهي اسماء الله تعالى ، ولله سبحانه الاسماء الحسنى .

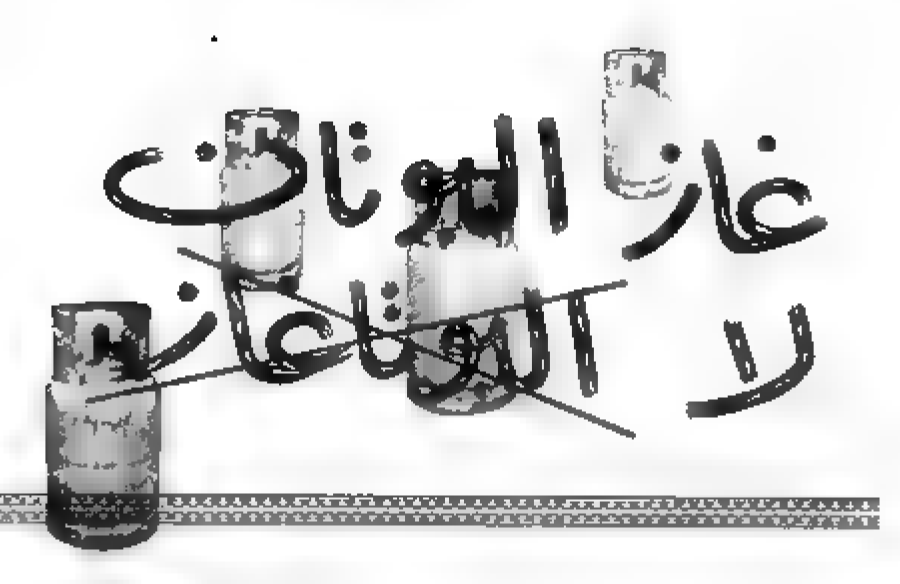
جـ ـ وكان يرى ان افعال الانسان التي يثاب عليها بقوة اودعها الله تعالى فيها ، وانه مختار فيما يفعل ، وفعله منسوب اليه لا الى الله تعالى ، فلا جبر ، بل اختيار كامل .

د ـ ويرى ان الامر ملازم للارادة ، فلا يريد الله سبحانه وتعالى امرا ينهى عنه ، ولا ينهى عن امر اراده . فالمعاصي لا تكون بارادة الله تعالى ، لانه نهى عنها ، ولا تكون الطاعات الا موافقة لارادة الله .

هذه آراء واصل التي دافع عنهـا ، وسواء أكانت حقا أم كانت باطلة ، فهي تدل على عقل يدرك مستقل ، لا يتبع غيره ، ولا يقلد أحدا ، فهو شخصية مستقلة تتلقى المعلومات من نواحيها المختلفة ، وتخرجها بعد تمثيلها في نفسه غذاء فكريا جديدا ، يتبعه الناس فيه ، وهي في جملتها آراء لا تخرج صاحبها من الاسلام ، بل في بعضها تنزيه واضح للذات العلية .

وبهذه الشخصية المستقلة وضع في صرح العلماء الممتازين ، وكان من رواد الفكر الاسلامي . فرضي الله عنه وعفا عنه .

محمد ابو زهرة



■ وللتعريف بهذا الغاز نبدأ بنظرة سريعة في أصناف الوقود المستخدمة في المنازل :

أصناف الوقود

انها فحم الخشب ، ولعله من أقدم أنواع الوقود استعمالا . ويستخدم الى اليوم في البيوت للتدفئة في الشتاء ، ولشيّ الكستنة في الليالي الباردة .

وانها الكحول ، وله مصابيحه ، وعليه قد تصنع القهوة اليوم ، ويصنع الشاي .

ولما جاء عصر البترول دخلت الى البيوت مشتقاته . وعرفنا من مشتقاته في البيت الكيروسين (ويسمى الجاز في بعض الأقطار) ، ولعب دوره الكبير في الطبخ ، وفي التدفئة ، ولا يزال .

ثم أخذ ينافسه في البيت ، من مشتقات البترول أيضا ، غاز البوتان ، مضغوطا في اسطواناته الخاصة ، وبمواقده الخاصة ، في طبخ وفي تدفئة .

وجاءت الكهرباء آخر الأمر تنافس الجميع ، ولكنها لا تزال ، من حيث القدرة الاقتصادية ، بعيدة عن متناول الكثير .

وأنا أتحدث عن الشرق خاصة ، وفي عمومه . ولهذا لا أتناول صنوفا من الوقود أخرى ، مثل غاز الاستصباح ، وياتي من تسخين الفحم الحجري بمعزل عن الهواء .

غاز البوتان لا البوتاغاز

ان البوتان غاز كيماوي بترولي ، يعرفه كل دارس للكيمياء بادئه .

ان أول ما يدرسه دارس الكيمياء العضوية ، كيمياء الحياة ، غاز الميثان . ويتألف أصغر جزء منه (جزيئه) من ذرة واحدة من الكربون (أي الفحم) وأربع ذرات من الايدروجين . ويسمى أحيانا بغاز البرك ، لأنه ينبعث في المستنقعات عند تحريك قاعها بعصا . وهذا الغاز أبسط هذه المركبات الكيماوية .

يليه أخ له أكبر منه . انه غاز الايثان . ويتألف جزيئه من ذرتين اثنتين من الكربون ، وست ذرات من الايدروجين .

يليه أخ لهما أكبر . انه البروبان ، ويتألف جزيئه من ٣ ذرات من الكربون ، ومن ٨ ذرات من ايدروجين .

ثم أخ أكبر . انه البيوتان . ويتألف جزيئه من ٤ ذرات من الكربون ، ومن ١٠ ذرات من الايدروجين (وهو صاحبنا الذي عنه نحكي الآن في هذا المقال) .

ثم مركب أكبر . انه البنتان ، ويتألف جزيئه من ٥ ذرات كربون ، ومن ١٢ ذرة

ادروجين. والبنتالفظة Penta معناها في الاغريقية خمسة . ويليه الهكسان ، ويتألف جزيئه من ٦ ذرات كربون ، و ١٤ ذرة أدروجين. والهكسا Hexa معناها بالاغريقية ستة .

وهلم جرا .

انها سلسلة لا يخفى على اللبيب الاستمرار في كتابة تراكيب افرادها .

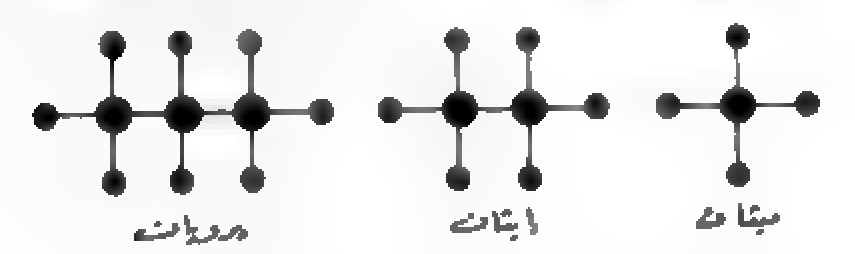
ولكن من هذه الافراد، صغيرها والكبير، يتألف زيت البترول . فهو مزيج منها .

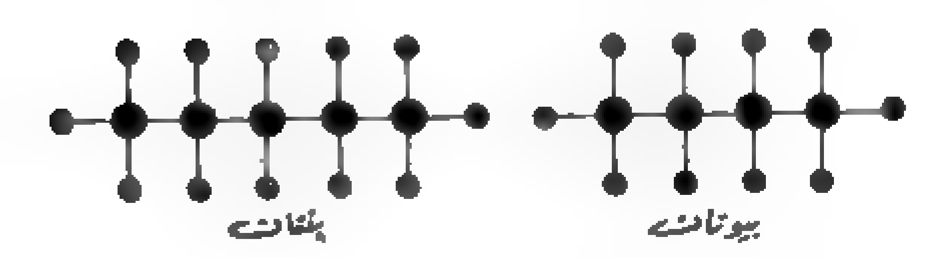
وانما هذه الافراد ، هذه المركبات الكيماوية ، هي التي تحترق فتعطي الحرارة . اما الكربون الذي بها فيعطي ثاني اكسيد الكربون ، واما الادروجين الذي بها فيعطي اكسيد الادروجين اي الماء . وكذلك تعطي سائر المحروقات .

القصة

ونعود للقصة .

الى هذا الغاز الذي يوزع على المنازل





ذرة ادروجين　　ذرة كربون

في انابيبه انما هو هذا الغاز، غاز البوتان، ومعه اخوه الأصغر ، غاز البروبان . وغلب اسم الأكبر فصار الغاز الذي يوزع على المنازل هو غاز البوتان ، لا البوتان غاز .

ان الافرنج يقدمون الصفة على الموصوف ، فيقولون مثلا الاحمر كتاب ، The Red Book ، ولكن العربية تقول الكتاب الأحمر .

والافرنج يقولون « القمة مؤتمر » The Summit Conference ، ولكن العربية تقول مؤتمر القمة

وكذلك هم يقولون بوتان غاز (بيوتا اختصار بيوتان) .

والعربية تقول غاز البوتان (او ان شئت اختصارا مغاز البوتا) . او البوتان، او البوتا . فنحن نطبخ في المنزل بالبوتان او بالبوتا . ونعرف زجاجة البوتان او البوتا .

البترول : سائله وغازه

ليس من احد لا يعرف ما زيت البترول .

انه ذلك السائل الدفين في بطن الارض ، ومعه ، او وفيه ذائبا ، يوجد غاز البترول .

وقد ذكرنا من اي المركبات يتألف البترول السائل ويتألف غازه .

انها مركبات تبدأ بالميثان ، وبجزيئه ذرة كربون واحدة ، وتسمى بمركبات مثله ، اي كربونية ايدروجينية عليا ، مثالها مركب بجزيئه ١٦ ذرة كربون و ٣٤ ذرة ايدروجين . انها سلسلة ، تتزايد .

والاربعة المركبات البسيطة الأولى غازية في الاحوال العادية ، ثم تمسي المركبات التي تليها سائلة بعد ذلك حتى اذا بلغنا الجزيء الذي به ١٦ ذرة كربون ، بدأت المركبات تكون صلبة ، ولكنها ذائبة في الذي معها من سوائل .

غاز البترول

ان هذا الغاز يوجد في بطن الارض ، مع زيت البترول ، على ثلاث حالات :

١ – اما ذائبا في الزيت ، ويخرج منه عند التقطير .

٢ – واما يوجد فوقه في محابسه في الأرض ويسمى بالغاز الطبيعي Natural Gas

٣ – وقد يوجد الغاز وحده ، ويسمى كذلك بالغاز الطبيعي .

غاز البوتان

مصدره غاز البترول .

وذلك ان غاز البترول اذا ضغط ، مع خفض درجة حرارته ، خرج منه كل مركب تسهل اسالته . ومن هذه البوتان والبروبان .

ويخلطان معا ، وعادة بنسبة ٥٠ في المائة من كل ، ثم يعبآن تحت الضغط في الاسطوانات الفولاذية المعهودة ، وعليها الصمام الضابط لها ، يعطيك منها ، في البيت ، بالقدر الذي تريد .

وغلب عليه اسم البوتان ، ولو انهما غازان ، كما قلنا ، مع اشباه وأنساب لهما ، يحترقان كاحتراقهما .

ولم يجمعوا في التحضير بينهما وبين الميثان ، الأخف ، لصعوبة اسالته تحت الظروف العادية ، ولضعفه في قدرته . ولا بينهما وبين غاز البنتان، الذي يليهما، من حيث كبر جزيئه لعلوه في سيولته .

وجمعوا بين البوتان والبروبان ، اتباعا لحكمة التي تقول خير الأمور أوسطها، فهما هينان في الاسالة، طيبان عند الاطلاق في المطابخ للاحتراق في مواقدهما الخاصة ، مواقد البوتان ، او مواقد البوتا ، لا مواقد البوتاغاز ، ذلك الاسم يذكرنا بعجمة الذين يلبسون القبعات .

والغريب انه اسم لا تجده في انجلترا ولا في امريكا ولا فرنسا فهم يسمونه الغاز الطبيعي ، او الغاز المزجج Bottled Gas ، اي الموضوع في زجاجة معدنية، او الغاز المضغوط Compressed Gas او البوتان Butane فحسب ، وهذا اسمه التجاري في فرنسا .

نتيجة مسابقة العدد ٦٤

الاجابات الصحيحة ..

■ (١) منارة الجامع النوري الكبير في الموصل : العراق ، (٢) محطة تقطير المياه في الكويت (٣) مسجد الصخرة المشرفة بالقدس (٤) قبر المهدي في السودان (٥) الاعمدة الستة لمعبد جوبيتر في بعلبك (٦) نواعير حماه (٧) المسجد الحرام (٨) عمود السواري بالاسكندرية .

هذه هي الاجابة الصحيحة لمسابقة العدد الرابع والستين .

.. والفائزون بالجوائز

وقد اجريت عملية القرعة بين الاجابات الصحيحة بمكاتب النهضة ما يلي :

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها **محمد السعد العثمان** : كلية الملك عبدالعزيز الحربية ــ الرياض ــ السعودية

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها كل من **هدى وعبد الهادي سلو** : محل احذية السيد مصطفى سلو بكلاسة ــ جسر الحج ــ حلب ــ سوريا .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها **الآنسة وفاء عبد الملك عليان** : محل السيد عبد الله عليان ــ باب الرمل ــ طرابلس ــ لبنان .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا كل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

(١) **عتيق عبد الله العتيق** : مكتب بريد الصفاة ــ الكويت .

(٢) **عبد الحميد احمد قطب** المدرس بمدرسة اسيوط الاهلية ــ شارع ثابت : اسيوط ــ ج٠ع٠م٠

(٣) **محمد سعيد عبد الغفور** : المدرسة الثانوية ــ سامراء ــ العراق .

(٤) **حسن رشدي بن حامد حشيشو** : شارع عمر بن الخطاب ــ اربد ــ الاردن .

(٥) **ناصر اليوسف** : ص.ب ٥٣٦ المنامة ــ البحرين .

(٦) **مهدي احمد بشير جسوده** : ص.ب ٨ واد مدني ــ السودان .

(٧) **عبده محمد ثابت** : دكان رقم ٣٧ تحت مسجد النور ــ الشيخ عثمان ــ عدن .

(٨) **سليمان بن حمود بن احمد الكندي** : ص.ب ١٧ مسقط ــ عمان .

مسابقة العدد!

هذه المربعات السبعة اجعلها خمسة فقط..

جوائز ١٠٠ دينار

■ هذه مسابقة سهلة ، تجمع بين التسلية واختبار الذكاء وصفاء الذهن وسلامة التفكير ، قد تبدو لك لأول وهلة عسيرة الحل ، لكنك ما تكاد تعمل فكرك وتقدح زناد عقلك ، حتى تخرج بالجواب الصحيح .

جلس حسن يقطع الوقت في انتظار وصول الطائرة التي ستقله الى الكويت ، فلم يجد ما يتسلى به سوى علبة من أعواد الكبريت بها ٢٠ عودا ، فأخذ يصل بعضها ببعض فاذا هو امام شكل هندسي تراه هنا ، يتألف من ٧ مربعات متساوية .

ولكن حسن تملكه العجب عندما وجد ان هذه المربعات السبعة قد اصبحت خمسة فقط مع انه لم يفعل اكثر من ان حرك ثلاثة اعواد كل واحد من مكانه الى مكان آخر .

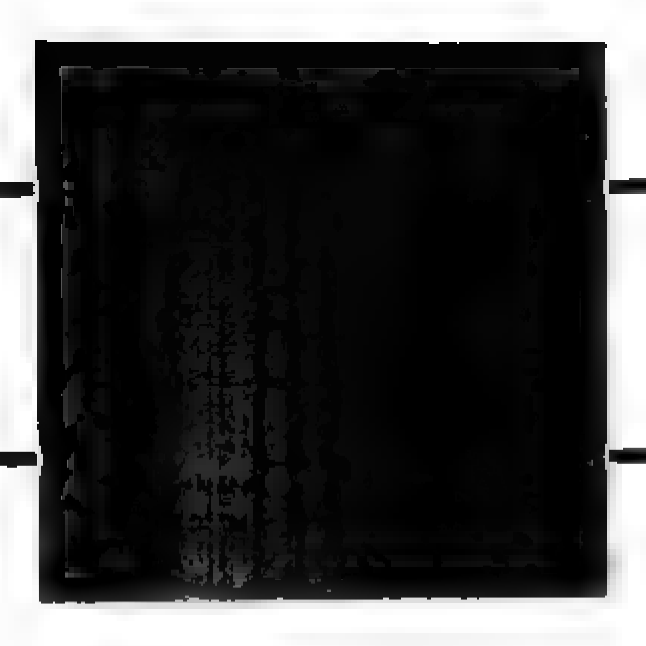
فهل تستطيع ان تعمل ما عمله بان تحول هذا الشكل المرسوم من شكل ذي سبعة مربعات الى شكل ذي خمسة مربعات .

شروط المسابقة

١ ــ ارسم الشكل الهندسي الذي تراه هنا على ورقة خارجية ، وابدأ في تحريك أعواد الكبريت ، وعندما تصل الى الحل الصحيح ، ارسمه على ورقة بيضاء ، بالقلم الرصاص أو الحبر ، وارسله الينا .

٢ ــ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٩ من هذا العدد . وكل اجابة لا يرفق بها القسيمة تستبعد .

٣ ــ يكتب على الظروف عبارة « مسابقة العربي » ــ العدد ٦٦ .



آخر موعد للاجابة

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر يونيو (حزيران) ١٩٦٤ . وترسل الاجابة مباشرة بعنوان مجلة « العربي » : صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربي .

الجوائز ١٠٠ دينار

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير

اما المبلغ المتبقي ، ومقداره ٤٠ دينارا ، فقد قسمناه الى ثمانية جوائز متساوية مقدار كل منها خمسة دنانير ، توزع على الفائزين الثمانية التالين .

واذا تعددت الاجابات الصحيحة فان اللجنة ستقوم باجراء القرعة بين الاجابات الصحيحة لاختيار اسماء الفائزين بالجوائز ..

نقترح عليك ان تبدأ في الحال بالبحث عن الحل الصحيح لهذه المسابقة ، وترسل اجابتك لنا قبل الموعد المحدد



بأبي مَغيبُ الشمس في الرَّنَدانِ ... وقد انثنتْ كالمُدْنَف النشوانِ

حيرى تقلب طرفها بكآبة ... نحو الوجود بحسرة أسيان

وقفت قبيل وداعها وتلفَّتت ... حول الرياض تلفُّتَ الولهان

وتململت بيد الغروب فأجهشت ... بدم يسيل على الرُّبى مُتوان

حوريَّةٌ جلب النعيم لزارها ... فبكت بمنهمل المدامع قان

فتحمّلتْ عجلى تلوذ بشامخ ... يزهو على الأيام ليس بفان

جبل أقام على الوهاد مُلوِّحا ... بيديه رغم تقلُّب الحدَثان

لم يخش زورات الظلام وبأسه ... فلذا إليها في ثبات جَنان

وتعانقا فجرى اللُّجَيْنُ سبائكا ... قد ذوَّبته حرارة الأشجان

ينشقُّ عن نهر تبارك نبعُهُ ... متلألئ الأذيال والأردان

ينساب كالقدر المُصيب على هُدًى ... من ورده وصُدوره الريان

مسترسلا في سيره متدفقا ... نِعَمًا يفيض بها على الوديان

متمهل الخطوات في جنباته ... تتلاحم الأغصان بالأغصان

ويداعب الأزهار وهي براعم ... خفر في شقائق النعمان
وتهب تنهل من رحيق صفائه ... والكل من خوف الفراق يعاني
تدنو إليه مقبلات ثغره ... مهما يضيع لقاهما شرقان
والشمس أدركها المغيب وغادرت ... والليل أقبل ضارباً بجران
هجرت من الأفق البعيد فسالم ... سكرى تبث روائع الألحان
رسل من البدر التمام تدفقت ... وسرت تلاطف مهجة الأكوان
وتشيع في تلك السهول بشاشة ... وترف في الوديان عهد أمان
وتهيم في الأفق الفسيح طليقة ... تسري ركائبها بغير عنان
وتذوب كالنغم الشجي رقيقة ... منسابة في المطلق المرد ب
وتمر تسكب في الوجود كؤوسها ... من كوثر صاف ومن ريحان
والبدر يلحظها بباسم ثغره ... ينثرها بصفائه الوسنان
متموم تعصر نفسها بسنائه ... وتغور في كنفه والأحضان
حتى إذا فاض الصباح بنوره ... وعصا الدجى بشعاعه الفتان
قال الرفاق أفق لكأسك ولتقم ... فلقد أضاع صوابك الزبداني
فأقمت أجمع شمل مفرط الهوى ... فإذا الهوى في قلب كل كيان
تالله ما هذا الجماد بساكن ... فانظر إليه تجده ذا خفقان
وأجل فؤادك في الوجود محققاً ... تلق مهيمناً قائماً كعيان
آمنت بالله العظيم بصنعه ... بصفاته عن مرصد الأجفان
لكنما هو في الحقيقة قائم ... في العقل، في الأعماق، في الوجدان


* الزبداني مصيف مشهور في سوريا

DB
الكويت : خالد سعود الزيد


أمس كان حلم العرب
السد العالي
صار اليوم حقيقة واقعة
حجمه ١٧ مرة حجم الهرم الأكبر . يحجز ١٧٥ ألف مليون متر مكعب



قام بهذا الاستطلاع سليم زبال وصور «أوسكار»

دخلت «العربي» في هذا الاستطلاع إلى المنطقة الشرقية التي ... منذ القدم لا تجوس سوى
ستشهد معها صفحة جديدة خطيرة من تاريخ وطننا العربي الكبير ... لقد طارت بعثة «العربي» إلى هذا

من الماء .. ويعطي ١٠ آلاف مليون ... من الكهرباء

■ لا تصدقهم عندما يقولون لك انهم سيرون سدا عاليا حجريا في أسوان .. لأن الذي سيرى هناك ليس سدا عاليا .. ومجدا شامخا لي وبكل العرب

والسد العالي هو العمل الذكاري لحركة أشرقت فيها العرب .. انه تذكار حي خلاق ، وليس مجرد حجر أصم !

ان المعجزة التي بدأت تظهر جلية واضحة في هذه المنطقة قد جعلت العالم وجعلته يقف مشدوها .. حتى روسيا لم تصدق ما سمعت فارسلت خبراءها ليستطيروا هؤلاء الجبابرة العرب ويكتشفوا سر عملهم المعجز ..

ومن السهل القول بانه « عمل معجز » ، ولكن اذا رجعنا هذا الاعجاز الى لغة الارقام ، وخاصة اذا كانت مقتبسة من تقرير الخبراء العالميين ـ لكان هذا تأكيدا وتثبيتا للمعجزة ، ويقول التقرير ارقام العمل في خزانات العالم الكبيرة فيقول :

« ان أقصى ما توصل اليه الامريكان والكنديون من أعمال حفر لمشروع شلالات نياجرا كان ٢٥٠٠٠٠ متر مكعب من الركام في الشهر . وفي مشروع جراند كولي ـ بامريكا ايضا ـ وصلت الحفر كمية تقدر ٢٢٧ الف متر مكعب في الشهر

وفي روسيا بلغ أقصى رقم للحفر ـ بمشروع براتسك ـ ٢٤٠ ألف متر مكعب في الشهر .. »

ان الدول الكبرى تعتز بهذه الارقام وتفخر بها وتعتبرها الدليل على العمل المنظم الجبار الذي قامت به .. وقد تم تسجيلها كاقصى ارقام قياسية وصل اليها العالم كله ..

وجاء دور السد العالي .. وبدأ العمال العرب بالحفر في صخور تعتبر اقسى واصلب صخور في العالم ، انها : الجرانيت ..

وارتسمت ابتسامة صفراء على شفاه خبراء العالم وهم ينظرون مشفقين أو ساخرين ، الى العامل العربي ولسان حالهم يقول : « ان أقصى ما سيتوصل اليه هذا العامل لن يتعدى ٢٠ الف متر مكعب من الحفر في الشهر ! » .

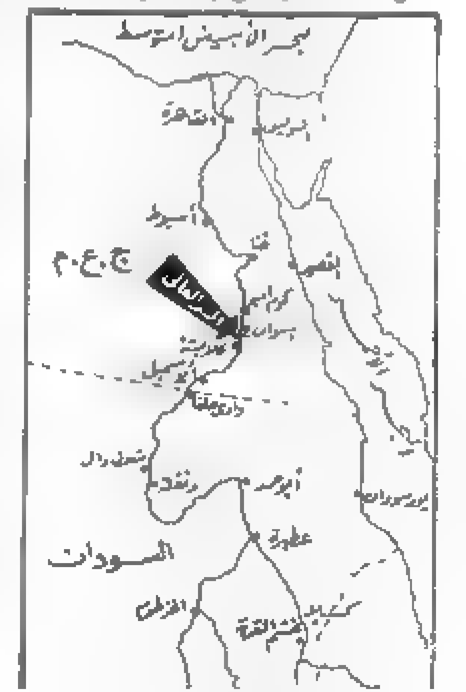
واقبل العامل العربي على عمله يفتت الصخر ويحفر الجبل .. وبدأت الارقام تتجمع وتنتشر ، واسمعوها للخبير الذي ما كاد يطالعها حتى سقط فكه دهشة واستغرابا .. واسرع بتقديمها الى رئيسه الذي طيرها برقيا الى العالم ..

والآن نص البرقية :

« توصل العامل العربي الى حفر ٥١١ الف متر مكعب من الصخور في الشهر الواحد ! »

ووضع تحت رقم ٥١١ الف خطين .. لان العامل العربي استطاع بهذا الرقم أن يضرب جميع الارقام القياسية العالمية ، ويحولها الى ارقام عادية لا تثير الدهشة !!

الى أسفل : خريطة تبين موقع السد العالي ، من مختلف البلاد التي ورد ذكرها في المقال



عربي أولا ...

وجلسنا الى جمال الدين البحراوي ، مدير عام المقاولين العرب الذين يتحملون اكبر الاعباء في بناء السد ، جلسنا اليه ليوضح السر وراء هذا الرقم الكبير فقال :

« ان هناك دائما حافزا وراء كل عامل في السد .. دائما يجعله ينتج اكثر مما هو مطلوب منه .. انه الايمان ..

« الايمان بخطورة العمل الذي يقوم به والايمان بعروبته وعروبته



فوق جسم السد العالي وقف اليوم عدد كبير من ابنائه ... هؤلاء العمال [illegible] ... العمال ... الذي [illegible] ... ان هؤلاء العمال [illegible] ... الاجيال [illegible]

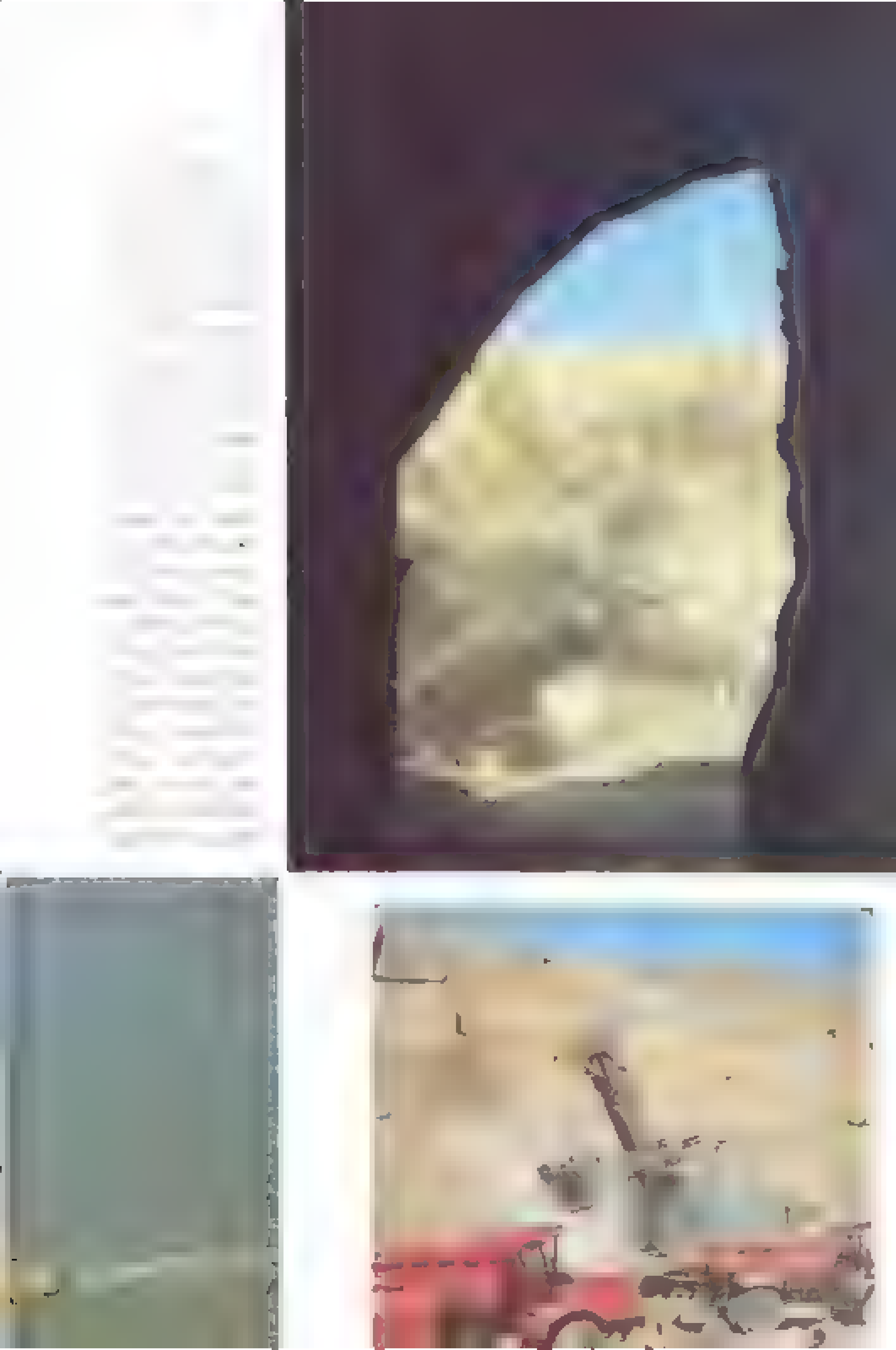
انه لا يعمل كمصري ، بل يعمل باسم كل العرب الذين ساعدوه عندما [illegible] وتم [illegible] عنه [illegible] انه [illegible] العرب [illegible] في [illegible] لانه اتم عملا صالحا من اجل [illegible] الاجيال القادمة .

١٢ عاما في اربعة اعوام !

ويستمر جمال الدين الطراوي في حديثه

فيول

[illegible] نفسي ، ونحن نستطيع [illegible] وكذلك انه لو عرض علي [illegible] في ظروف اخرى ، [illegible] العمل الذي يؤديه [illegible] باجر [illegible] سوى نصف المجهود الذي يبذله [illegible] نعمل من اجل الوطن باسره ونحن لا نحسب اليوم بالساعات ولا نحسب الاسبوع [illegible] في كل يوم ، ثلاثة





[illegible]

١٧ هرما لوقف النيل

واخذت عشرات من علامات الاستفهام تتراقص امامنا ، وخيل الينا ان « ديناموا السد » قد شاهدها معنا ، فاراد ايضاحها .

[illegible]

وسكت هنيهة ثم اخذ يقول

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

لماذا يبنون السد ؟

نعم لماذا يبنون السد ؟ ان هذا هو اول سؤال يخطر على البال .. والرد هو ان مصر اصبحت تضيق بسكانها .. الناس يتكاثرون ويتضاعف عددهم بنسبة اكبر كثيرا من الزيادة في انتاج المواد الغذائية ..

والاحصاءات التالية تعطينا فكرة واضحة عن هذا التحكم في التناسب ، بين زيادة السكان ، وزيادة المنطقة المزروعة ..

السنة	عدد السكان	المساحة المزروعة بالفدان
١٩٣٧	١٦ مليونا	٥٫٢٨٠٫٧٠٠
١٩٤٨	١٩ مليونا	٥٫٧٦١٫٣٨٩
١٩٦٠	٢٦ مليونا	٥٫٧٨٦٫٤٨٢

وعلى هذا المعدل سيكون سكان مصر عام ١٩٧٠ اكثر من ٣٠ مليونا ، اي نحو ضعف عدد سكان عام ١٩٣٧ . وبما ان اقصى رقم لاستصلاح الارض بلغ ٣٠ الف فدان في السنة ، لهذا كان التفكير في مضاعفة مساحة الارض المزروعة ضربا من الخيال .

تحديد النسل مستحيل

وفكر المسئولون في تحديد النسل ، ولكن اهل مصر ، وخاصة في الريف ، يربطون بين مسألة انجاب الاطفال وبين عقائدهم ، وتقاليدهم ، ومفهوم العلاقات العائلية عندهم ، فهم يعتبرون تحديد النسل خروجا على مشيئة الله .. الى حين .



[illegible]

خسر النيل جزءا كبيرا من حريته عندما [illegible] عليه خزان اسوان ، لكي [illegible] حل عملي لمشكلة تخزين ماء النيل .. وقد بدىء في بناء هذا الخزان عام ١٨٩٨ وانتهى في ١٩٠٢ .. وتمت تعليته مرتين : سنة ١٩١٢ وسنة ١٩٣٣ [illegible] متر مكعب من الماء .. وفي موسم الفيضان [illegible] يوليو واغسطس [illegible] تفتح عيون الخزان الـ ١٨٠ لتمرير مياه الفيضان التي تندفع [illegible] ٦ متر مكعب [illegible] [illegible] [illegible] في الاسفل [illegible] [illegible] [illegible] ولا [illegible] بعد ذلك الا بمقدار [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] اسوان [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الذي ينتج [illegible] ٢٤٥٦ مليون كيلووات [illegible]

.. والهجرة كذلك

وفكروا في الهجرة ، ولكن تمسك ابناء مصر بأرضهم وتعلقهم بها ، لا يوازيه سوى تمسك الصيني بأرضه وتعلقه بها !

النيل هو السبيل الوحيد

ونظرت مصر الى النيل ، فوجدته يلقى بنفسه منتحرا في البحر المالح ، بعد صراع عنيف ورحلة طويلة تدوم مائة وخمسين يوما ، يقطع خلالهـا ستة الاف كيلو متر ، من خط الاستـواء الى مصبه في رشيد ودمياط .

ان النيل يلقي في البحر الابيض سنويا كمية من المياه تزيد على ٣٠ مليارا (*) من الامتار المكعبة تذهب هباء .. بينما الارض الطيبة تشكو الظمأ وقلة الماء ..

والاراضي المزروعة حاليا في مصر تحتاج الى ٥٢ مليار متر مكعب من المياه لريها .. والنيل لايثبت على ايراد واحد في جميع السنين ، فمرة يأتي ايراده شحيحا ضعيفا فيذبل الزرع ، كما حدث في عام ١٩١٤ ، اذ جاء بايراد لم يتجاوز ٤٢ مليارا من الامتار المكعبة .. ومرة يأتي مزبدا هائجا فزيرا فيغرق الزرع ، كما حدث عام ١٨٧٩ ، اذ جاء حاملا ماء مقداره ١٥١ مليارا من الامتار المكعبة !!

وهذا التذبذب يجعل الانسان عبدا للطبيعة ، تتحكم فيه وتخضعه لها .. والانسـان يهدف دائما الى السيطرة على الطبيعة !!

انتقـام النيل

ومن هنا جاءت فكرة السيطرة على مجـرى النهر الجبار ، واخضاعه لارادة الانسان فكانت الجولة الاولى التي خسر فيها النيل جزءا كبيرا من حريته ، عندما اقاموا عليه خزان أسوان منذ ستين عاما ، ولكن السيطرة لم تكن تامة ، فالنهر القهور لا يعترف بالهزيمة ولا يقبلها ، بل يعمد

(*) المليار هو الف مليون .. واصل الكلمة فرنسي Milliard ومعناه [illegible]





دائما الى الثورة ، فتجمع قواه في صيف كل عام ليندفع ثائرا مزبدا هائجا ، يحاول خلع الخزان من مكانه .. ويضطر المسئولون عن الخزان ان يفتحوا بوابات الخزان بأسرها وهي ١٨٠ ، لتندفع منها المياه حرة ، وذلك خوفا من غضبتها الكبرى .. وهكذا تضيع المياه رغم هذا الخزان الكبير ، الذي اعتبر من عجائب العالم في مطلع هذا القرن ..

مطلوب [illegible]

رأى المسئولون عن [illegible] المسيطرة على [illegible] النيل نحتاج الى عمل اضخم من خزان اسوان يستطيع ان يقف بقوة امام مياه الفيضان ولا يخافها

فقالوا [illegible]

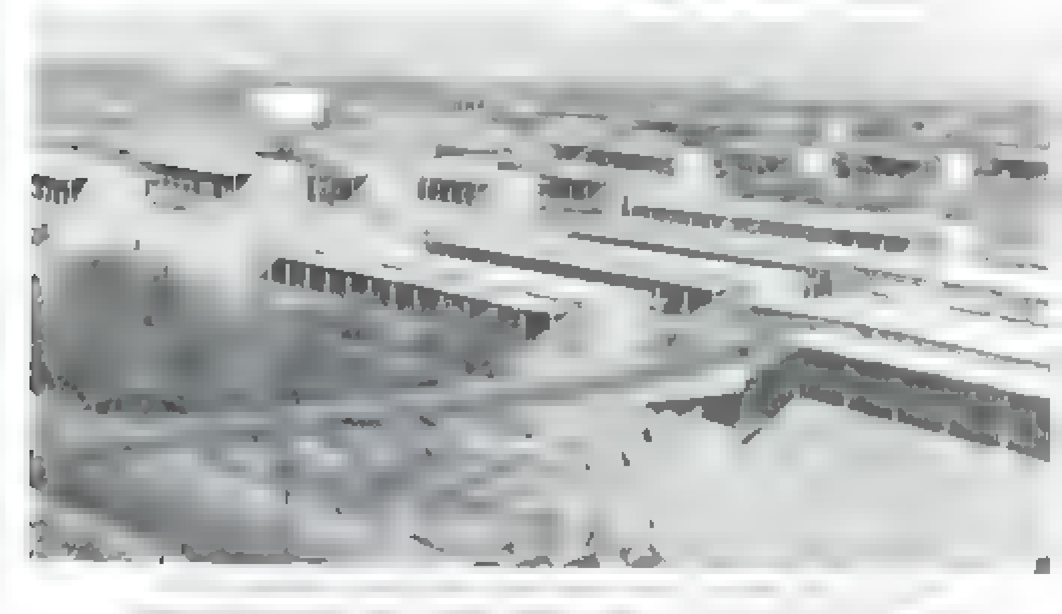
[illegible] لا [illegible] تتجمع [illegible]

[illegible]

وهذه الصورة هي ابسط الصور للسد العالي ..وبعد ان رأيت هذه الصورة اتضاحا ، اجتمع كبير خبراء السدود في روسيا وامريكا وانجلترا والمانيا وفرنسا مع الخبراء العرب لدراسة مشروع السد العالي ووضع تصميماته .

وبعد الاتفاق على البناء ، بدأت عملية البحث عن المكان الملائم ..

ان جميع مشاريع النيل الكبرى التي سبقت ، والمشروع نفسها ، تقع اكثرها خارج الجمهورية العربية .. وفكر المسئولون في وضع هذا السد في المنطقة الواقعة شمال عطبرة . ولكن كمية الصخر هناك كانت كبيرة ، فعدلوا عن المكان ..





[illegible] في السد العالي ، وسط الصورة [illegible]

واتجهوا الى ما بين حلفا وأسوان ، فاختير موقعان : أحدهما يقع على بعد ١٩ كيلو متراً جنوب أسوان عند كلابشة ، والآخر على بعد ٧ كيلو مترات جنوب أسوان . وبعد دراسات دقيقة اختير هذا الموقع الثاني كأصلح مكان لاقامة السد.

خطوط سير الغزلان

وعبر الفريق [illegible] ، [illegible] مهندساً من مصلحة المساحة المصرية ، مزودين بحقائب المعدات ، الى تلك المنطقة الصخرية الرملية التي اتخذت لونها من لون الشمس ..

كانوا يسيرون على أرجلهم في الرمال ويتسلقون بأيديهم الصخور . كانت مهمتهم شاقة لكنهم أدوها على أحسن وجه . ورسموا ٢٠ خريطة مفصلة كاملة تبين كل شيء في هذه المنطقة الجرداء ، حتى خطوط سير الغزلان كانت واضحة على الخرائط

وما زالت هذه الخرائط حتى الآن هي المرجع في مختلف أعمال السد ..

من أين نبدأ

ولكن [illegible] ؟

[illegible]

وجاء الرد : [illegible] لا يضيع الوقت ..

فقام مهندسو مصلحة المساحة المصرية برسم لعمل نفق توصيل مؤقت يؤدي الى مستوى عمق الأنفاق الفرعية ، يكون وسيلة مؤقتة لحفر هذه الأنفاق الستة ، ثم يردم بعد زوال الغرض منه .

وفي نفس الوقت بدأ العمل مستقلاً في حفر قناة التحويل ، في جنوب الأنفاق ، وكذلك في شمالها . فصارت القناة المحفورة في واقع الأمر قناتين .

وبهذا أمكن توفير [illegible] من العمل بفضل ابتداع هذا النفق المؤقت الذي تكلف ٧٠٠ ألف جنيه



الى هذا المجرى الجديد سيتحول مجرى النيل

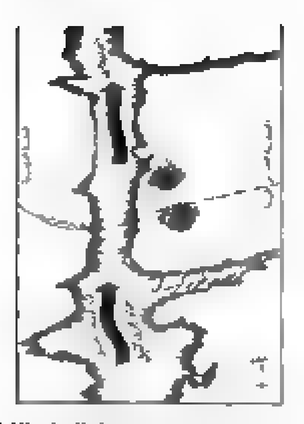


.. وبعد عبور الماء للأعماق ، بدأ مخلفه يوليه انطيراء ..

مع مراحل العمل

.. خطوة خطوة

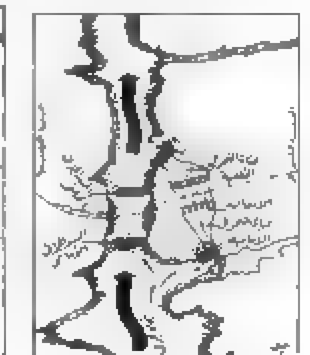
ولكي نفهم مختلف مراحل المشروع لا بد من الاستعانة بالخرائط التوضيحية العملية .

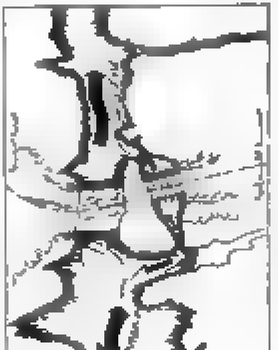


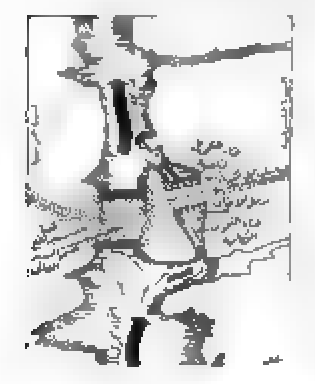
أ — ٩ يناير ١٩٦٠ : بدأ العمل الفعلي في منطقة السد ، إذ ضغط سيادة رئيس الجمهورية الرئيس جمال عبد الناصر ، ومعه جلالة ملك المغرب الراحل محمد الخامس ، ومعهما سيادة الرئيس الأسبق للجمهورية السورية ، شكري القوتلي ، فجروا معا ١٠ أطنان من الديناميت على الضفة الشرقية للنيل فارتفع في الفضاء ٢٠ ألف طن من الصخور قذفها تفجير الديناميت ، وكانت هذه بداية حفر قناة التحويل شمال خليج صغير يسمى خور كونديل ، وقد اختيرت النقطة الواقعة شمال هذا الخور لإقامة السد العالي عليها ..

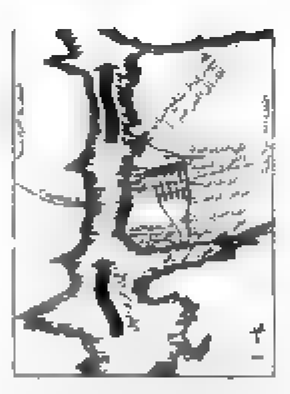
٤ — وفي ١٥ مايو القادم سيجرى بالتفجير إزالة سدين ترابيين ، وضعا مؤقتا عند مدخل قناة التحويل جنوبا ، وعند مخرجها شمالا ، ليمنعا المياه من التدفق خلال العمل ، وبعد إزالة السد الترابي المؤقت الجنوبي ستتدفق المياه منه ، وتمر من الأنفاق لتتابع سيرها . ثم يزال السد الترابي الثاني ، فتخرج المياه لتسير في مجرى النيل القديم . وحتى لا يتوقف النيل عن إمداد مصر بمائه ، خلال عملية التحويل ، فقد ترك ١٢٠ مترا من السدين ، الأمامي والخلفي ، مفتوحين ، لإرواء الأراضي .

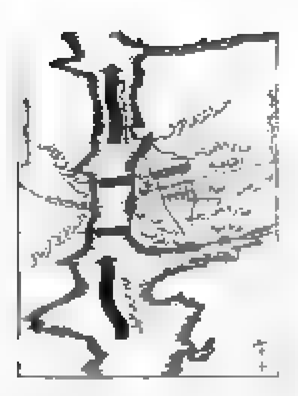
٥ — .. ولكن بمجرد اندفاع المياه في قناة التحويل ، سيبدأ العمل بأقصى سرعة لردم المنطقة الباقية من السدين الجزئيين . وستتم هذه العملية خلال ثلاثة أيام من بعد فتح قناة التحويل . أي أن مجرى النيل القديم لن يتغلق تماما إلا يوم ١٨ مايو ١٩٦٤ وبعد عملية الإغلاق هذه يبقى الفراغ بين السدين الأمامي والخلفي مملوءا بالماء الساكن ويملأ هذا الفراغ بمختلف الأحجار والمواد سيتم بناء جسم السد العالي . كما يبدو في الرسم الذي بأسفل هذا الكلام .









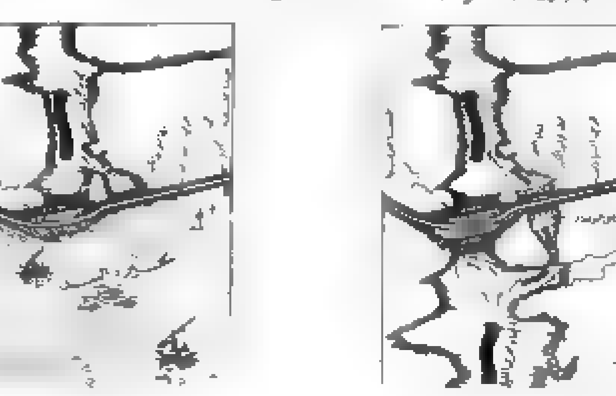


٢ ـ بدء العمل في شق قناة تحويل مجرى مياه النيل قبل البدء بإنشاء جسم السد نفسه . ومن شمال خور كوندى ابتدأ العمل شق هذه القناة . وكان الرأي الأول عمل سبعة أنفاق يمكن استعيض عنه بقناة مفتوحة ، تزداد في وسطها قطعا من الجبل ، حفر في أسفله ستة أنفاق لنقل المياه من جنوب السد لشماله . وفي نهاية الأنفاق وضعت أساسات محطة توليد الكهرباء ، أي عند النصف الشمالي من قناة التحويل . وفي نهاية المرحلة الأولى سيتم بناء أساسات المحطة فقط . أما محطة الكهرباء نفسها ومعداتها فسوف تتم عام ١٩٧٠ .

٣ ـ وفي يناير ١٩٦٣ بدأ العمل في بناء جسم السد نفسه ، فأخذت السيارات والقلابات تنقل الصخور التي نتجت عن حفر قناة التحويل ، شمالها وجنوبها ، لتلقي بها في النيل .. وبدء العمل في مد لسان من ركام الجرانيت ، سمي بالسد الجزئي الأمامي (في الجنوب) ، وهو أول كتلة من جسم السد ستعترض المياه القادمة من الجنوب،وسيكون ارتفاعها ٥٠ مترا من قاع النهر .. وفي نفس الوقت ، بدأ العمل في بناء السد الجزئي الخلفي (في الشمال) ، جنوب مخرج قناة التحويل،ووظيفته منع ارتداد المياه الخارجة من قناة التحويل الى منطقة العمل لإتمام السد..

٦ ـ إن إقفال مجرى النهر نهائيا ، كما وصفنا في شكل ٥ ، عملية ضرورية ليبدأ العمل من جديد لبناء جسم السد « العالي » ، فهو سيرتفع .. حتى يصل الى علو ١١١ مترا فوق قاع النهر ، وهذا يستغرق ٤ سنوات أخرى . ولما كانت البحيرة التي سيحجزها ستفيض على جانبي النهر جنوبا، فلقد وجب أن يمتد بناء جسم السد على اليابسة فوق شاطئي النيل ، الشرقي والغربي . وهكذا يصبح طول السد عند القمة ٣٦٠٠ متر ، بينما عرض النهر لا يجاوز ٥٢٠ مترا .

٧ ـ بعد انتهاء العمل في السد ، سترتفع المياه جنوبه وتملأ قناة التحويل وشواطئ النهر مكونة بحيرة هائلة تمتد الى الجنوب ٥٠٠ كيلومتر وتحجز ١٧٥ مليار متر مكعب من المياه .. وفوق السد ، وبطوله سيمتد طريق للسيارات عرضه ٤٠ مترا،لربط الشاطئ الشرقي بالشاطئ الغربي . وعند تمام الأمر كله لا يكون منفذ للماء الى الشمال إلا عبر الأنفاق لمحطة توليد الكهرباء .. أما جسم السد نفسه فليس فيه بالطبع أي منفذ







ماذا تم في المرحلة الاولى

وبعد هذا الاستعراض المصور السريع الكامل لعملية انشاء السد ، نسأل : ماذا تم في المرحلة الاولى ؟

ان المرحلة الاولى هي التي بدأت في ٩ يناير ١٩٦٠ ، والتي تنتهي في ١٥ مايو ١٩٦٤ . والذي تم عمله خلال هذه المرحلة هو

شق قناة التحويل [illegible] التي تحول [illegible] الشرقية والغربية

[illegible] الصخر

٢ [illegible] كل [illegible] [illegible]

٣ [illegible] محطة [illegible]

٤ ــ [illegible] السد وهي [illegible] ذلك [illegible]

٥ [illegible] في [illegible] السد [illegible]

هذه [illegible] التي [illegible] العمال [illegible] الا [illegible] التي [illegible] في [illegible] التي كانت [illegible] [illegible] كان العمل [illegible] في [illegible] التحويل والانفاق [illegible] في [illegible] [illegible] من الصورة [illegible] الاعمال





ضاحية أمين الشريف، وهو أول مدير للمقاولين العرب، وقد سقط شهيدا في ساحة العمل بالسد العالي من فرط الاجهاد. وتخليدا لذكراه أطلق اسمه على هذه [illegible] الجديدة التي أقيمت في مدينة أسوان [illegible] وهي تضم العمارات [illegible] ويسكنها الآن موظفون في السد من [illegible]

.. وماذا سوف يتم في المرحلة الثانية

اما المرحلة الثانية، وتبدأ من منتصف مايو ١٩٦٤ حتى منتصف ١٩٦٨، فتشمل

١ - الانتهاء من بناء جسم السد [illegible] ارتفاع [illegible] مترا من قاع النهر.

٢ - استكمال محطة الكهرباء [illegible]

٣ - انشاء الميناء النهري للنقل [illegible] بين مصر والسودان وذلك على أساس [illegible] البحيرة الجديدة حول السد.

٤ - انشاء شبكة نقل الكهرباء [illegible] الجمهورية حتى الاسكندرية.

يد سحرية تلمس بلد السد العالي

ان السد لم يتم العمل به بعد .. ومع هذا بدأ السد يعطي ثماره الطيبة من الآن



[illegible] المرافق التي [illegible] أسوان [illegible] السد [illegible] المقاولون العرب [illegible]

وأول من بدأ يجني هذه الثمار مدينة أسوان.

لقد مسها يد سحرية، فلى كل شارع وكل حارة تعمير وبناء، انها أسوان الجديدة التي أصبح الوصول اليها شيئا غير يسير، فالطائرات المتجهة اليها محجوزة مقاعدها كلها مقدما، وقطارات السكك الحديدية ملأنة لآخرها بأسم ركابها وشبابيكها الزائدة، والفنادق كاملة العدد طوال السنة !!

ان وجود أسوان على بعد ٧ كيلو مترات فقط من السد العالي، قد جلب لها الانتعاش والازدهار، فجزء كبير من الموظفين والعمال وجميع الزائرين للسد يقيمون في أسوان ..

كان عدد سكانها ٢٠ ألف نسمة .. فأصبحوا ١٢٠ ألف نسمة.

كان القطار يأتيها مرة واحدة في اليوم، فأصبح يأتيها ١٢ مرة في اليوم ..

كان بها مدرسة ابتدائية واحدة، فأصبح





فيها مدارس ثانوية للبنين والبنات ، وصناعية ثانوية ، وابتدائية مشتركة ، وغير هذا كثير ..

كان أهلها يهجرونها للعمل في القاهرة والسودان فأصبحت هي اليوم ملتقى هجرة أهل القاهرة والسودان !!

إن المستقبل الذي ينتظرها سيجعلها المدينة الصناعية الأولى في الجمهورية ، فعشرات المصانع ستفتح أبوابها فيها ، وفي مقدمتها مصانع الحديد والألومنيوم والماء الثقيل ..

والطرق البرية الجديدة الموصلة لها ترسم وتعد استعدادا لشقها ، وفي مقدمتها الطريق البري الذي سيربطها بشاطئ البحر الأحمر ، فيصلها بالعالم الخارجي ..

هذا بعض ما ربحته أسوان من السد العالي ..

وإلى جانب الربح توجد دائما الخسارة .. والخسارة التي نعنيها لا تتصل بالنفع المادي، ولكن بالثروات الحضارية .

من أنفس ما صنع الإنسان على الأرض

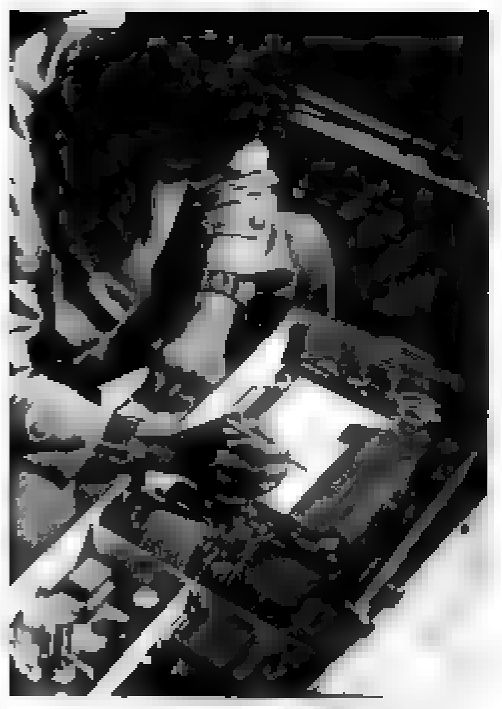
فقد استيقظ العالم ذات صباح على نداء لمدير منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) يقول فيه

« إن آثاراً حضارية ، من أنفس ما [illegible] على وجه البسيطة ، يوشك أن [illegible] في هذه الآثار [illegible] الملايين ، [illegible] العالم كله [illegible] إنها كنوز [illegible] »

واستجاب العالم لنداء مدير اليونسكو ، فجاء الخبراء الفنيون من أمريكا وروسيا وبولندا



مطاعم شعبية في منطقة السد .. وهي تقوم بتقديم ألفي وجبة طعام في اليوم ، ويحق لكل مقيم في المنطقة أن يتناول غداءه في هذه المطاعم بسعر ٣ مليم للوجبة الكاملة [illegible] وعرق السمر [illegible] والعمال [illegible] في أنشاء السد



[illegible]

وسويسرا والدانمرك واسبانيا وغيرها .. يسجلون وينقبون عن كل اثر في منطقة النوبة قبل ان يفوت الاوان ، وتغمرها المياه ، تلك التي سوف ترتفع مع ارتفاع جسم السد ..

التاريخ لا يعيد نفسه

لقد كان على المسئولين العرب في مصر الاختيار بين احد امرين : رخاء المستقبل او امجاد الماضي!

ولم يترددوا لحظة في اختيار الرخاء للمستقبل، ولكنهم يعوضون عما اقترفه المسئولون من الاجانب عام ١٩٠٢ في حق الشعب المصري، عندما استجابوا لاحتجاج علماء الآثار ، فخفضوا ارتفاع خزان اسوان من ١٠٠ قدم الى ٧٢ قدما ، بحجة المحافظة على الآثار !!

وقد علق ونستون تشرشل ، وهو ما هو ، على ذلك العمل في ذلك الوقت بسخرية لاذعة قائلا : « ان هذا القربان الذي سيسجل [illegible]

٣٠ مليون دولار لانقاذ معبد كلابشة

اما اليوم فلم ترتفع اصوات بالاحتجاج على بناء السد العالي ، على الرغم من ان بناءه يهدد آثارا اكبر قيمة من معبد فيلة الذي اغرقه خزان اسوان ..

ويجري العمل الآن لانقاذ ما يمكن انقاذه ، فمثلا تم نقل معبد كلابشه من على بعد ٥٠ كيلو مترا جنوب السد ، الى قمة جبل يشرف على جسم السد العالي وتكلفت العملية ٣٠ مليون دولار ، وقام بها خبراء من المانيا الغربية ..

تقطيع ابو سمبل !

اما معبدا ابو سمبل فقد اخذ العالم على نفسه مسئولية انقاذهما على يد هيئة اليونسكو ، التي جمعت حتى الآن مبلغ ٢١ مليون دولار من ٢٥ دولة ، منها مساهمة الجمهورية العربية المتحدة بمبلغ ١١ مليون دولار .. والمبلغ المطلوب هو ٣٦ مليون دولار ، وتواصل اليونسكو جمع المبلغ الباقي من الافراد والهيئات في جميع انحاء العالم ..

ان المهندسين متفائلون بنجاح المشروع ، لكن علماء الآثار قلقون بسبب الدقة التي تتطلبها العملية التي ستنفذ على الصورة الآتية :

سيقام سد ترابي مؤقت طوله ٤٠٠ متر وارتفاعه ١٢٥ مترا، لحماية المعبدين من مياه بحيرة السد التي



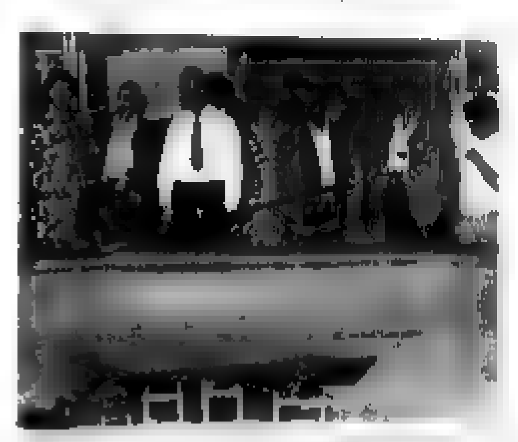


سترتفع الثناء العمل . اما النقوش والرسوم الأثرية فقد غطيت حاليا بمواد كيماوية خاصة لحمايتها اثناء عملية التقطيع، لا ستقطع التماثيل الأربعة وعمدانها الى اجزاء متساوية مرقمة ، لا يزيد وزن كل منها عن ٣٠ طنا ، وبعدها تلف كل قطعة بعناية تامة قبل نقلها بالونشات الى ظهور السيارات ، التى ستحملها الى قمة الجبل على ارتفاع ٦٤ مترا .

ومن شروط العقد عدم استعمال الديناميت في تفتيت الصخور ، وعدم استعمال الماء في تقطيع التماثيل ، حتى لا يؤثر اهتزاز الديناميت على نقوش المعبد ، ولا يؤثر الماء على الحجر الرملي الذى يتكون منه المعبد .

وسيبدا التقطيع من اعلى الى اسفل، وسيعمل في المشروع ستة آلاف عامل ومهندس ، سيبنى لهم مدينة صغيرة كاملة في هذه المنطقة النائية ..

اما بقيه الآثار ، التى لن يتمكن من نقلها ، فتجرى عملية تصويرها وتسجيل كل دقائقها قبل غرقها ..



هؤلاء الزوار الذين تراهم في الصورة ، دخلوا هذا المبنى ليطلعوا فيه على مجسـ-ـمة للسد العالى ، وترى جزءا من هذا النموذج واضحا في ارضى الكادر

علماء الآثار مستريحون

ان البحث عن آثار النوبة وتسجيلها ، يجريان منذ عام ١٩٥٨ ، والحكومتان ، العربية المتحدة والسودانية ، تقدمان تسهيلات كبيرة للباحثين .. واخيرا نشرت بعثة المعهد السويسرى بالقاهرة ومعهد الدراسات الشرقية في شيكاغو بيانا بعد رحلتهما الطويلة الموفقة من آثارها قالتا فيه

« [illegible] الارض » الاركيولوجية » وليس هناك ما يخشى عليه اذا غمرتها مياه السد العالى الى الابد »

النوبة واوروبا

وهكذا سيسدل الستار على النوبة ، تلك البلاد التى كانت تسمى قديما بلاد « كوش » ، وكان اهلها ذوى حضارات ذات معالم ، خلعوا وراءهم منها آثارا خلدها التاريخ ..

« لقد سطر « الكوشيون » صفحات خالدة في قصة حياة الانسان ، بينما كان اهل اوروبا وبريطانيا يجوبون الصخور فوق الوديان المقفرة ، ليقيموا ملجأ يحميهم من تقلبات الجو وهجمات الوحوش .. !! » .

١٧٥ مليارا ؟

ان المياه التى ستغرق هذه الآثار هى مياه البحيرة الضخمة التى سوف تتجمع وتختزن مياهها خلف السد العالي، وهذه البحيرة هى بيت القصيد من السد ، فهى خزانة الماء الكبرى التى سوف تكفى حاجة بلاد الجمهورية عندما يقل ايراد النهر على السنين او ازداد . وهى فوق ذلك سوف تقى البلاد من اخطار الفيضانات العالية ومنافيها الكثيرة المعروفة .

وستكون مساحة البحيرة عند اكتمالها خمسة آلاف كيلو متر مربع ، وتستطيع ان تستوعب كمية من المياه تبلغ ١٧٥ مليارا من الامتار المكعبة ، تأتيها من الفيضانات العادية المتكررة لمدة عشر



مياه لتحميل الصخور ! [illegible] وتلقي [illegible] حمولتها من ركام الصخور [illegible] ويستخرج هذا الركام فوق سطوانات حديدية [illegible] الذي [illegible] من ١٥ سنتيمترا ، والذي يكون مختلطا مع [illegible] من بين الاسطوانات [illegible] على حزام ناقل [illegible] الى مكان بعيد [illegible] الصخور الكبيرة فتدفع الى [illegible] وتظل [illegible] نحو خمسمائة طن ، وذلك هي أقصى حمولة [illegible] الذى [illegible] في وسط النهر فيلقي فيه بحمولته الثقيلة في الاماكن التي تحدد له [illegible] وبه ١٦ [illegible] من هذا النوع تعمل في الشحن

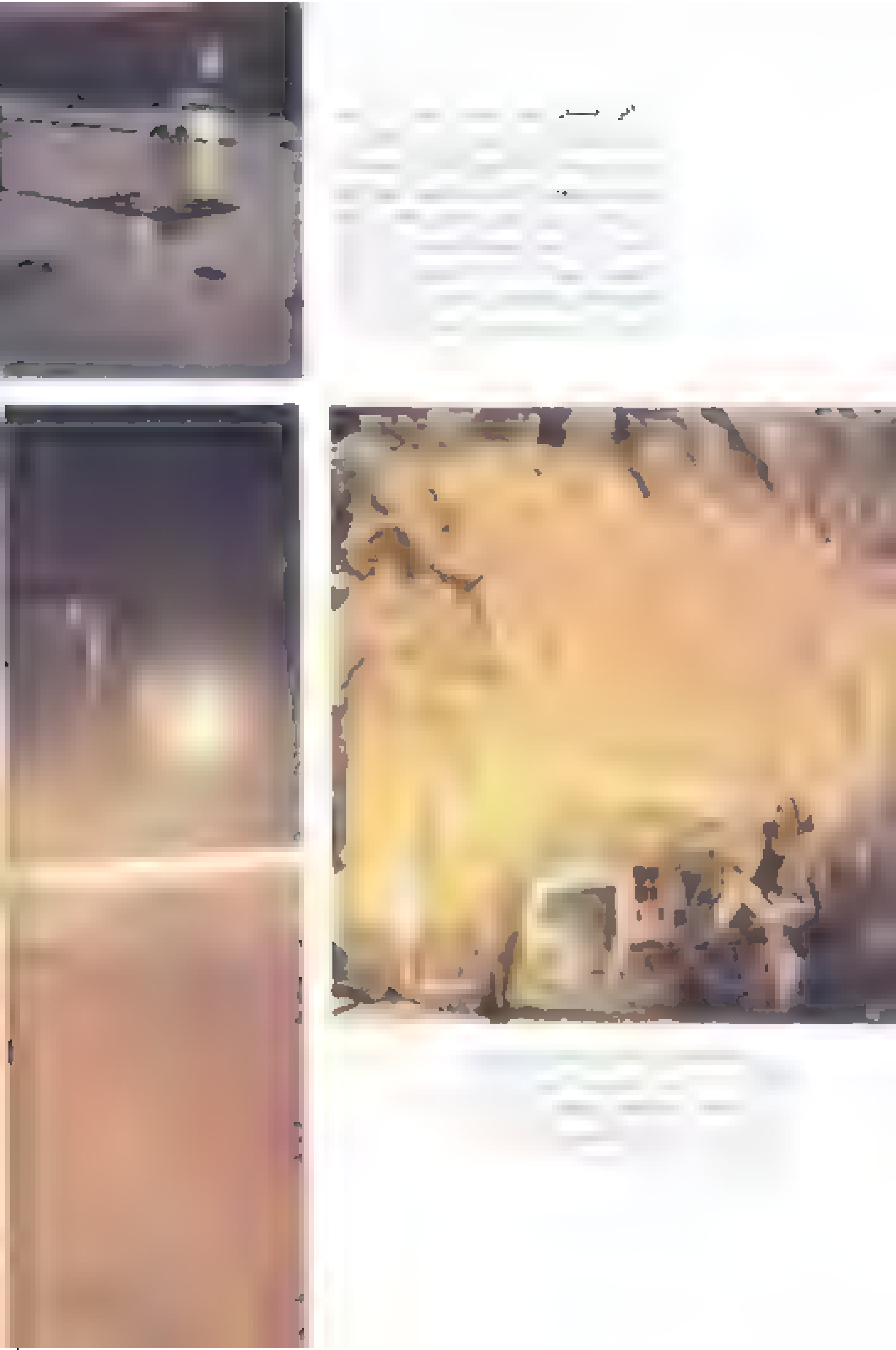
سنوات متتالية . الى انها ستسمح باتباع نظام التخزين القرني المستمر .

ولاعطائك فكرة عن حجم هذه البحيرة نقول انه لو امكن تفريغ مياه ثلاث من اكبر البحيرات الصناعية في العالم ، وصبها في بحيرتنا هذه وهي فارغة ، لما استطاعت ان تملأ سوى نصف مساحة بحيرة السد !!

الثروة السمكية تتضاعف ٧ مرات

وستجمع في هذه البحيرة ثروة سمكية هائلة ، اذ اسفرت الابحاث التي اجريت هناك ، عن وجود اصناف مختلفة من الاسماك النيلية تمتاز بضخامة الحجم ..

وعندما تمتلىء البحيرة بالماء تماما ، سيرتفع







هذه القرية الحزينة هجرها اهلها ..

بعد بضعة اشهر ستغرق هذه القرية تحت مياه بحيرة السد العالي [illegible] وهي تبعد ثمانية كيلو مترات جنوب اسوان ، وهي واحدة من قرى النوبة التي [illegible] حملوا معهم كل شيء فيها ، حتى الابواب والنوافذ ، وتركوها لمصيرها المحتوم [illegible] قرى النوبة كانت مهجورة فعلا ، حتى قبل التفكير في السد ، اذ كان [illegible] يرحلون عنها متجهين الى الشمال بحثا عن العمل ولا يمكث فيها سوى الشيوخ والنساء والاطفال

محصول الاسماك النيلية في الجمهورية العربية المتحدة الى سبعة اضعاف كميته الحالية ... وتجرى الآن الدراسات لتحسين وتوفير وسائل الصيد الحديثة ، وايجاد وسائل المواصلات لنقل الانتاج مثلوجا الى مختلف انحاء الجمهورية.

٢٥٠ كيلو في مصر و ١٥٠ في السودان

وسيكون طول هذه البحيرة ٥٠٠ كيلو متر من الشمال الى الجنوب ، ومتوسط عرضها من الشرق الى الغرب ١٠ كيلومترات واقصاه ٢٥ كيلومترا. واقصى عمق لها يصل الى ٩٧ مترا . اي انها ستغرق كل ما هو موجود على امتداد هذا المستوى من مبان ، واثار ، واراض وقرى ..

وتتقاسم الجمهورية العربية المتحدة والسودان هذه المساحة الغارقة ؛ ففي مصر منطقة طولها ٣٥٠ كيلو مترا وفي السودان منطقة طولها ١٥٠ كيلو مترا ..

يهجرون بلادهم للمرة الرابعة

ويعيش في الجزء المصري ٥٠ الف مواطن يحمل اليوم اكثرهم متاعه واتجه للاستيطان في القرى الجديدة بمنطقة كوم امبو ، شمال اسوان .. وليست هذه اول مرة يحملون فيها متاعهم ويرحلون .. فقد حملوه قبل هذا عام ١٩٠٢ عندما بني خزان اسوان . ثم حملوه ثانية وثالثة عامي ١٩١٢ و١٩٣٣ عند تعلية خزان اسوان ..

ان هذه هي المرة الرابعة التي يرحلون فيها عن ديارهم .. ان جباههم الغائرة التي يقولونها



.. ليقيموا فى هذه القرية الجديدة

[illegible]

لاهل الشمال والجنوب دائما هى

[illegible]

من اكواخ الى منازل

ولكن الواقع يخالف هذا ، فهم كانوا يعيشون فى قرى نائية معزولة عن العالم ، تمر عليهم « الباخرة البطيئة » مرة فى الأسبوع لتنقل اليهم البريد والمؤن وضروريات حياتهم . اما اليوم فيعيشون فى منازل صحية ، واماكن خصبة ، وعلى طريق السيارات ، وتحت امرتهم جميع المرافق العامة ، وماء عذب صالح مرشح . وانتظامهم يذهبون الى المدارس ويتعلمون .. لقد صرفت الجمهورية العربية حتى الآن ١٢ مليونا من الجنيهات لبناء ٣٣ قرية جديدة تضم ١٧ الف مسكن ..

واخيرا اعلن وزير الاسكان عن تقديم مواعيد تهجير اهالى النوبة عشرة ايام ، بحيث يستقر جميع الاهالى فى مساكنهم الجديدة ، فى كوم امبو ، قبل نهاية شهر مايو الحالى ..

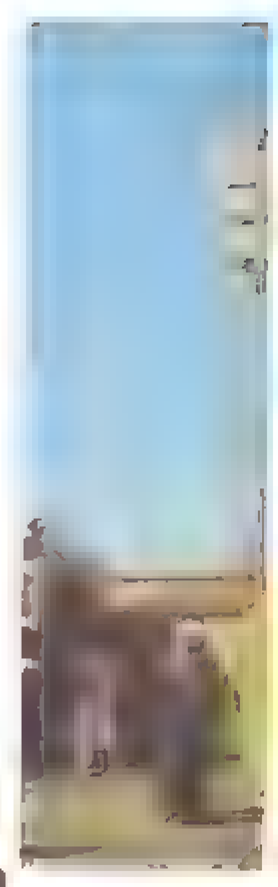
١٥ مليون جنيه للسودان ..

اما المنطقة التى ستغمرها المياه فى السودان فتمتد ١٥٠ كيلو مترا من وادى حلفا حتى شلال دال ..

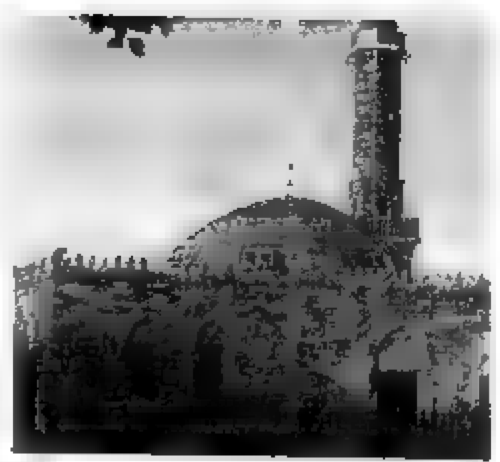
وقد دفعت الجمهورية العربية المتحدة مبلغ ١٥ مليونا من الجنيهات لحكومة السودان،بصفةتعويض للاهالى الذين ستغرق اراضيهم مياه البحيرة ، وعددهم ٦٠ الف نسمة . وقد تم تهجير جزء كبير



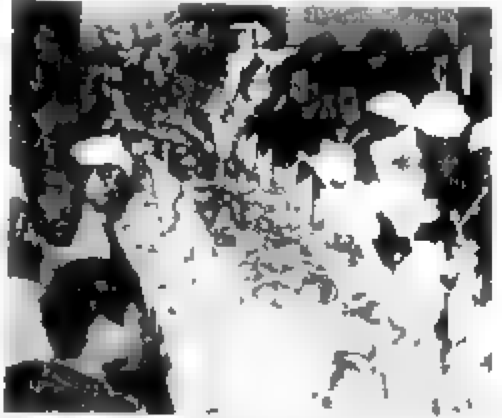








[illegible]



[illegible]

منهم الى منطقة خشم القربة حيث بنت الحكومة السودانية لهم ٢٥٠ قرية نموذجية .

وثلاثة ملايين وربع مليون فدان جديد

وستعود هذه البحيرة بفوائد عديدةعلى السودان كذلك .. فاولا : ثروة سمكية هائلة .. وثانيا التوسع في زراعة حوالي ثلاثة امثال المساحة المزروعة حاليا ، اي زيادة حوالي ثلاثة ملايين وربع مليون فدان ، وبذلك يزيد مقدار الدخل السودان من الزراعة وحدها بمقدار ٢٠٠٪ . ثالثا : التوسع في زراعة القطن طويل التيلة .

جميع الملايين صادقة !

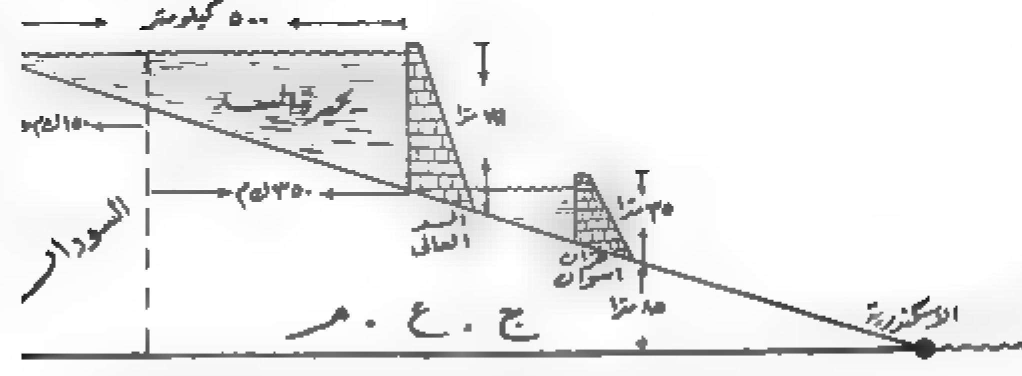
اما الفوائد التي ستجنيها مصر من السد العالي فمتعددة وكثيرة ، تأتي في مقدمتها ملايين الفدادين الجديدة المستصلحة ، التي يقدرها البعض بمليون وثلاثمائة الف فدان ، والبعض الآخر بمليونين من الفدادين ، بينما يؤكد وزير الاصلاح الزراعي بانها ستكون ٢٫٣٦٠٫٠٠٠ فدان على المدى الطويل ..

وهذا لا يشمل السبعمائة الف فدان المزروعة حاليا ، والتي ستتحول من ري حياض ، لا يعطي الا محصولا واحدا في العام ، الى ري مستديم يعطي ثلاثة او اربعة محاصيل سنويا ..

فوائد كثيرة ..

والمشاريع التي ستنجم عن البحيرة كثيرة، ومنها مشروع شق ترعتين تخرجان من البحيرة : واحدة تتجه الى الصحراء الشرقية والاخرى الى الصحراء الغربية .. ولكن هذه من المشاريع البعيدة الأجل .

وبما انه سوف يرفع عن مصر أخطار الفيضانات العالية ، فلن تكون هناك حاجة الى تعلية الجسور او تقويتها ، وبذلك تقتصد النفقات التي كانت تنفقها مصلحة الري المصري في سبيل الوقاية من الفيضانات ، وهي مبالغ باهظة تقرب من عشرة ملايين جنيه سنويا . هذا عدا تفادي



رسم يوضح موقع ابنية السد ... بالنسبة للاسكندرية ...
مستوى سطح البحر ... ومقارنة الارقام ... السد ...
النهر ، بينما لا يتعدى ارتفاع خزان اسوان ٣٥ مترا .. كما يوضح هذا الرسم ...
البحيرة التى ستتكون خلف السد والتى سيكون طولها من الشمال للجنوب ... كيلومتر
منها ٣٥٠ فى ج.ع.م و ١٥٠ فى السودان ... وهذه الاراضى كلها ستغمرها المياه

التلف الكبير الذى كان بسبب الزراعات نتيجة ترشح المياه فى ارضها .

زيادة القدرة الصناعية مرتين

ومن ناحية الكهرباء سينتج السد نحو ١٠ مليارات كيلووات ساعة فى السنة ، بينما الموجود حاليا فى جميع انحاء الجمهورية العربية لا تتعدى الخمسة مليارات .. اى ان السد سيعطى الجمهورية ضعف محصولها الحالى من الكهرباء .. وبمعنى آخر يزيد قدرتها الصناعية مثلين فوق القدرة الموجودة حاليا ..

ومعنا لهذا سيهبط سعر انتاج الكيلووات فى المناطق القريبة من السد الى نصف مليم للكيلووات بدلا من ٢٨ مليما ! وحوالى ٢ مليم فى منطقة القاهرة .

وبزيادة الكهرباء ورخصها ، ستزيد حتما الثلاجات والمراوح ، والمكيفات ، والاجهزة الاذاعية والمستقبلات التلفازية ، وهـذا يزيد فى رفاهية المجتمع .

ثروة فنية حية

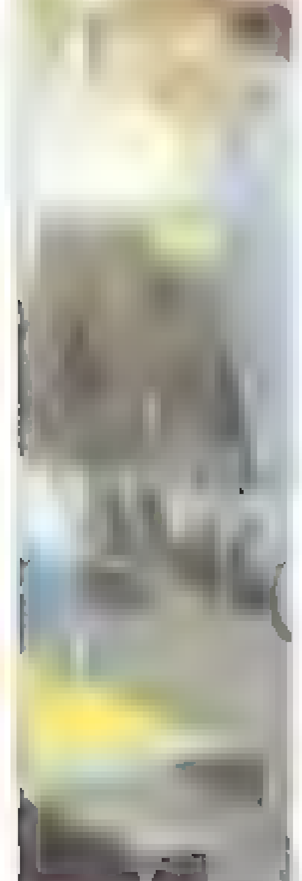
لقد كان احد كبار الاقتصاديين العرب يزور دائما ويفخر بان عنده ٢٥ عاملا فنيا يجيدون عملية اللحام بالكهرباء ، ويقول : « بهؤلاء العمال الفنيين جعلت بلدى بلدا صناعيا » .

وفى السد العالى تقوم شركة المقاولين العرب (عثمان احمد عثمان سابقا) بنحو ٦٠٪ من اعمال السد ، فهل تعرف عدد الفنيين الذين فى هذه الشركة وحدها ؟ سنعطيك بعض الارقام على سبيل المثال

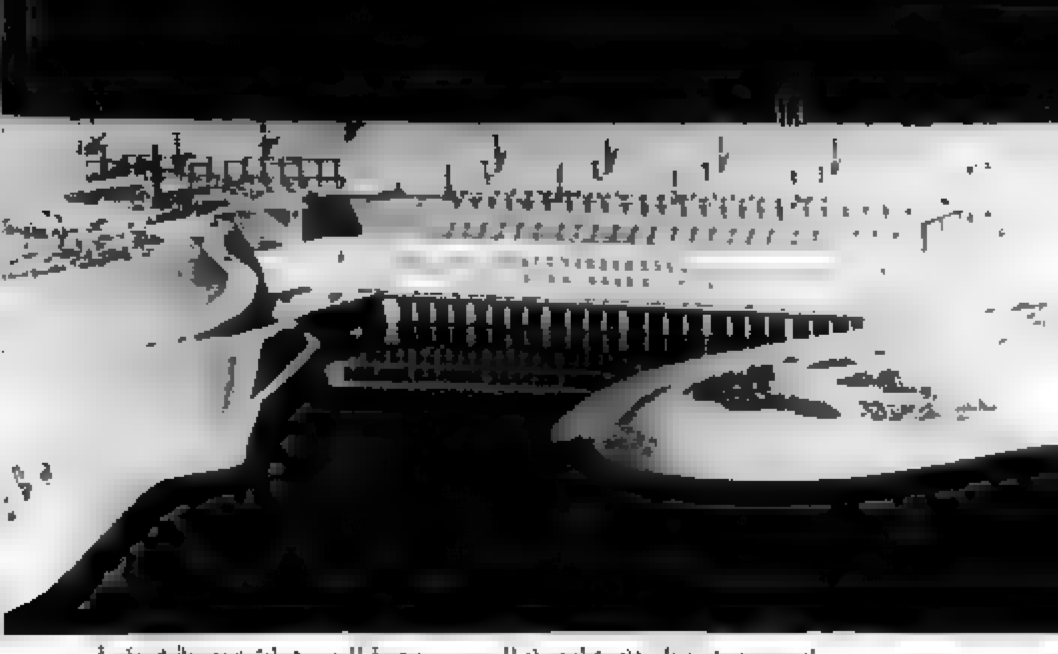
٩٧ لحام كهرباء
٨٨ لحام اكسجين
٢٥٩ كهربائيا
٢٤ لحام الطارات
٥١ سباكا
١٤٧ خراطا
٨٢٢ ميكانيكيا

وبالجملة ستضم ١٤٢٢ عاملا فنيا من الدرجة الاولى . هذا عن شركة عربية واحدة تعمل فى السد .. فكيف بسائر الشركات ؟

ان السد العالى مدرسة فنية هائلة قفزت بمصر الى حقل الصناعات وقدمت بها عشرات السنين .







لتصميم السد العالي قام به الخبراء الروس [illegible] وخبرة الروس في المشاريع المائية مقررة لا خلاف عليها ، ولكنهم لا يتصورون بالزخرفة والتجميل [illegible] وقد سمعنا بأنه ستوكل لشركة [illegible] تجميل لهذه الكتلة الضخمة بعد الانتهاء منها ! وفي هذا سألت المهندس [illegible] مدير ادارة المهندسين العرب فقال لنا [illegible] بعد الانتهاء من [illegible] كله سيسيرون داخل كهوف وممرات [illegible] ان مهمة تجميل جسم السد لن يقوم بها الا المهندسون المصريون [illegible] وهذه صورة التقطت لنموذج السد العالي كما سيكون بعد الانتهاء منه

بطاقة شرف

والسؤال الذي يدور الآن : ما الذي ستفعله بهذه القوة الفنية الهائلة ؟ واجاب وزير السد على هذا السؤال بقوله : العمل سيستمر حتى آخر ١٩٦٨ ومستقبل العاملين في السد بعد تمامه مضمون ، لانهم سيعملون في المشروعات الصناعية الكبرى ، وستكون لهم الاولوية على غيرهم ، كما سيعمل منهم ٦٠٠٠ في محطة الكهرباء ..

« ان العمل في السد العالي سيكون بطاقة شرف تمنح صاحبها الاولوية في الالتحاق بأي عمل متناسب مع خبرته .. » .

الشعب الذهبي ..

ان السد العالي سيغير مصر العليا ويعيد اليها رونقها الماضي .. وسيتسع عرض الشط الأخضر الزراعي على جانبي النيل ، وتزداد رقعة الأرض المزروعة .

ان بناء السد عمل صعب ، لكن هدفه حماية ٣٠ مليون مصري من نقص في التغذية تؤدي اليه زيادتهم المطردة ، هذا الهدف يجعل من التعب لذة .. ومن المشقة متعة !

اعجاز ..

واخيرا لا بد ان نعلم انه لا يمكن لأحد ، مهما اوتي من فصاحة البيان ، ان يبين لك ما هو السد على حقيقته ..

انه اكبر بكثير مما تظن وترى وتتصور ، ولا يمكنك ان تقدر عظمته الا اذا زرته بنفسك ، وشاهدته بعينيك قبل ان يغمره النيل .. ■■

سليم زيال



لنكلن يخطب على قبور الشهداء

ودفع دمه وروحه ثمناً لتحرير العبيد !

● قامت الحرب الاهلية الامريكية عام ١٨٦١ بين شمال الولايات وجنوبها وكان من اسباب الخصومة ، الشمال يريد تحرير العبيد والجنوب يرفض تحريرهم ، وانسحق الجنوب على شماله ، وقامت الحرب بينهما . وتولى رئيس الولايات ابراهام لنكلن ، قيادة جيوش الشمال ، وانهزم الجنوب بعد اربع سنوات عام ١٨٦٥ . في اثناء الحرب ، قام ابراهام لنكلن ، في الاحياء من جنده ، يخطب في مناسبة لدفن عشرة آلاف من المقاتلين في الحرب منهم . خطب فيهم قال :

منذ ثمانية عقود من الزمان ، وادت سبع سنين ، اقام آباؤنا المهاجرون على هذه القارة امة جديدة ، صاغوها من معنيين كريمين ، معنى الحرية ، ومعنى ان الناس انما خلقوا سواسية . والآن نحن مشتبكون في حرب اهلية عظيمة ، نجوز بها امتحاناً عسيراً ، سيقضي في مصير هذه الامة التي هكذا صنعناها . امتحان سيكون له القول الفصل في امكان استمرار وجود هذه الامة ، واية امة اخرى مثلها ، تقوم على المساواة والحرية .

نحن اليوم مجتمعون في ميدان كبير من ميادين هذا الصراع . وقد اجتمعنا لنكرس جزءاً من هذا الميدان لضحايانا ، لتستريح فيه اجسادهم ، تلك التي اراحها الموت بعد ان اتعبها الجهاد الطويل المرير . هؤلاء الضحايا الذين ماتوا لتحيا من بعدهم امة .

نصنع هذا لنمجدهم ونباركهم ولنقدسهم . ولكننا بصنعنا هذا لا نستطيع ان نسبغ على هذه الارض الكثير من التبريك والتقديس ، فقد كرّسها هؤلاء الراقدون فيها وهم باركوها وقدّسوها بما عملوا فوق ما نستطيع نحن أن نستزيد من تبريك وتقديس .

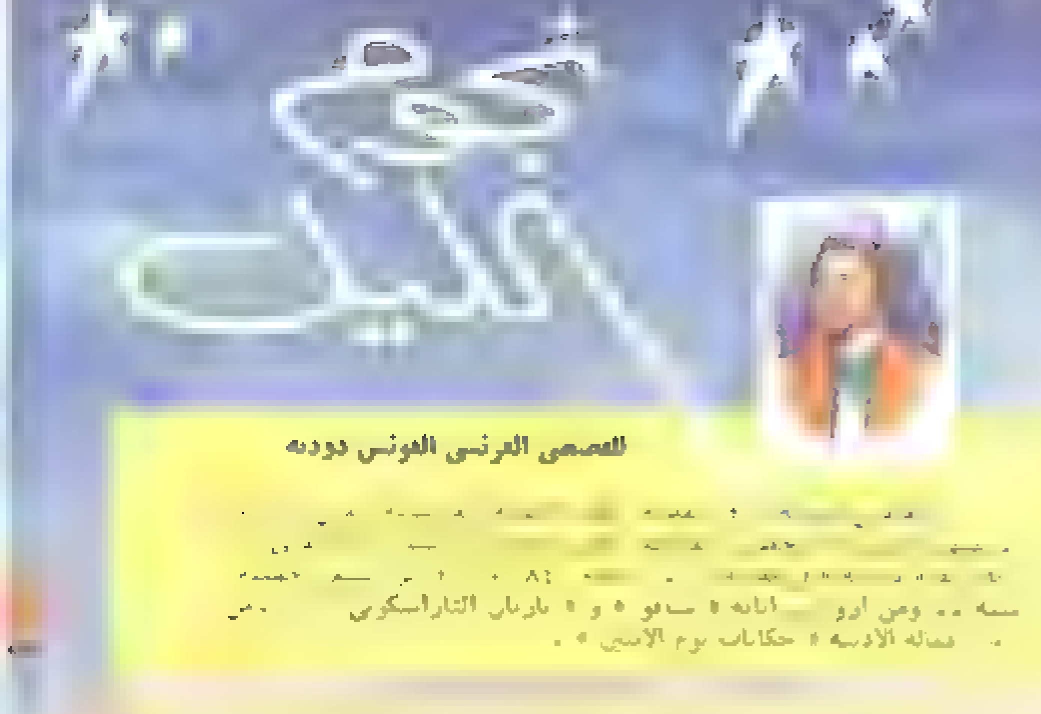
ان الكلمات الطيبة التي ننطق به هنا ، فوق قبورهم ، سوف يسمعها الناس ، ثم ما اسرع ما تنسى . ولكن اعمال هؤلاء الرجال سوف تبقى خالدة ، لن تنسى ، ما حفظ الناس جواهر هذا النضال .

ان هؤلاء المجاهدين قد افرغهم الموت مما كان قد وجب عليهم ، وبقي علينا واجبنا ، نحن الاحياء ، ان نواصل ما بدأوا الى نهايته المحتومة ، وأن نستمد من قوة ايمانهم قوة لايماننا بالاهداف التي من اجلها جاهدوا ونجاهد ، وبهذا وحده نعظمهم ، لو انهم عمروا ، على جهود بذلوها وارواح اعطوها ، لن تذهب هدراً

على هذه الامة ان تعمل مجتهدة حتى تولد هذه الحرية الجديدة التي نطلبها

وعلى هذه الامة ان تجاهد ، في ظل الله ، لتثبت لخلق الله عامة ، من بيض وسود ، ان حكومة الشعوب ، بالشعوب ، من اجل الشعوب ، لها البقاء فوق سطح هذه الارض

وكسب ابراهام لنكلن حرب الحرية ، وحرر العبيد من رقهم ، ولكن ما لبث في نشوة النصر ان انطلق عليه قاتل ، الرصاص ، وهو في مسرح فجاءه الدور ليلحق بسائر الضحايا . وذهبت اقواله ، وبقيت اعماله ، خالدة في الخالدين وعند تمثاله ، في عاصمة الولايات ، اجتمع منذ اشهر قليلة ، مئتا الف من الزنوج ، يريدون استكمال حريتهم تلك التي بناها ابراهام لنكلن ، ودفع عنها ثمناً غالياً من رجاله ، ومن نفسه .



للقصصي الفرنسي الفونس دوده

[illegible] سنة .. ومن أروع [illegible] أيامه « [illegible] » و « تارتاران التاراسكوني » [illegible] من أعماله الأدبية « حكايات يوم الأحد » .

■ كان يرعى الماشية على قمة الجبل وفي سفوحه الموحشة ، وكان يعيش في عزلة تامة مع القطيع ، لا يرى إنسانا ولا يسمع صوتا إلا فيما ندر . فقد كان يمر من حين الى حين ناسك متعبد أو بعض عمال الفحم ، وكان الراعي يشاهدهم من بعيد وهو موقن أنهم منطوون على ذواتهم لفرط إحساسهم بالوحدة حتى لقد نسوا الميل الى الكلام ، وقالوا لا يعرفون شيئا عما يجري في القرى والمدن في أسفل الجبل الشاهق تحتهم .

وكانت مؤونة الراعي تحمل اليه مرة كل خمسة عشر يوما ، على ظهر دابة ، تنبئه الأجراس الصغيرة المعلقة برقبتها بمجيئها وهي تتوغل في الجبل وتضرب في شعابه ، ولا يفتأ صبي المزرعة يحثها على السير ويحفزها لكي تظل تصعد الجبل دون تلكؤ أو تريث . وفي أحيان أخرى كانت العمة العجوز « نوراد » هي التي تسوق الدابة التي تحمل الى الراعي مؤونته المعتادة .

إلا أنه كان هناك ما هو أهم من هذا كله .

لقد كان الراعي يتلهف على معرفة ما يحدث للآنسة « ستيفانيت » ابنة أسياده أصحاب المزرعة الواسعة . لقد كانت معروفة بجمالها الباهر وحسنها الأخاذ في قريتها وفي القرى المجاورة جميعا ، فكان يستطلع أخبارها وهو يواري اهتمامه بها ، ويسأل صبي المزرعة أو العمة « نوراد » عما إذا كانت الآنسة « ستيفانيت » لا تزال تحضر حفلات الأعياد والأفراح والسهرات . وكان يجيب عما يدعوه الى الاهتمام بها ، وهو الراعي البسيط ، بأنه شاب في العشرين من عمره وأن الآنسة « ستيفانيت » أجمل من رأى في حياته .

وكان الراعي يجد السعادة في قمة الجبل ، وكان



يستشعر البهجة عندما يحدثه صبي المزرعة او العمة « برواد » بما يقع في القرى المبعثرة حول الجبل . وهكذا كان يعرف كل خمسة عشر يوما انباء الاعراس او المآتم او الحصاد في تلك النواحي.

وذات يوم من ايام الاحاد تأخر وصول المؤونة الى الراعي ، وحينما ارهف اذنيه لعله يسمع من بعيد صلصلة الاجراس المعلقة في عنق الدابة ، وحسب ان صلاة الاحد هي التي اخرت وصول المؤونة اليه ، او لعلها تقلبات الجو كانت هي السبب. وعند العصر كان الجو قد صفا وانقشعت الغيوم وانقطع المطر وبدت قمة الجبل مشرقة مزهوة بشجرها الوريق وخضرتها الناضرة . وعلى حين غرة سمع تلك الصلصلة المحببة ، صلصلة الاجراس في عنق الدابة المقبلة . وشد ما كانت دهشته بعد قليل حين لم ير صبي المزرعة او العمة « برواد » هي التي تسوق الدابة وانما كانت الآنسة « ستيفانيت » نفسها هي التي تسوقها اليه في دروب الجبل ومراقيه الوعرة .

وقالت الآنسة ستيفانيت ان صبي المزرعة مريض ، والعمة « برواد » سافرت لتزور اولادها ، فاضطرت هي نفسها ان تأتي له بمؤونته ، وقد تأخرت لانها ضلت طريقها الى الجبل

وكانت الدهشة قد عقدت لسان الراعي وهو يتأمل الحسناء في ثياب الاحد الجميلة البهيجة ، والشرائط الانيقة التي ازدانت بها ثيابها ، كما ازدانت بالاناشيط الملونة الرائعة والازاهير الفواحة بالعطر ، لقد كان يبدو عليها كأنها مقبلة من مرقص انيق وليس على ظهر دابة تصعد بها شعاب الجبل الاشم . كانت عيناه لا تنفكان تتأملان حسنها ، فانه لم يتح له ان يراها عن كثب حتى اليوم ، وهو لا يذكر قبل هذه الساعة انه شاهدها الا اختلاسا في قاعة الطعام بالمزرعة في ايام الخريف والشتاء التي لا يصحب في اثنائها قطيعه الى الجبل ، كانت اذ ذاك تمر امامه بسرعة خاطفة ، أنوفا ، متعالية ، متأبية ، متبرجة ، لا تلقي اليه بنظرة .. اما الآن فها هي امامه ، مزدانة بجمالها وحليها له ... وحده ...

وبعد ان افرغت المؤونة التي أتت له بها ، راحت تنظر من حولها في دهشة واستغراب . ثم ارادت ان ترى الحظيرة التي يأوي اليها وينام فيها ، فقادها اليها ورأت بأم عينها حشية القش التي يرقد عليها وجرة الماء التي يشرب منها وفراء الخروف المبسوط على الارض ، وبندقيته المعلقة .. وسرها ذلك وراحت تقول « وا... هنا... تعيش هنا ايها الراعي الطيب ، لا ريب في ان الحياة على هذا النحو تسئمك فماذا تراك تعمل وفي اي شيء تفكر ؟

واشتهى الراعي ان يجيبها قائلا : « انت افكر فيك يا سيدتي » ، الا ان اضطرابه كان قد بلغ حدا لم يستطع معه ان ينبس بكلمة واحدة .

ثم مضت الفتاة الجميلة من حيث اتت ، وظل الراعي يسمع وقع حوافر الدابة وصلصلة اجراسها الى ان ابتعدت وتوارت عن الانظار ، وكان الراعي مبتهجا بلحظات السعادة التي اتاحها له القدر . ولما اختفى شعاع الشمس واظلمت السماء ، واخذت قيعان الاودية تبدو معتمة او ضاربة الى الزرقة ، واخذت الاشياء تلتصق بعضها ببعض . وقد ارتفع ثغاؤها في عودتها الى حظيرتها، في هذه اللحظة سمع الآنسة «ستيفانيت» تناديه عند سفح الجبل ، فهرع اليها جازعا : فاذا هي قد ضلت طريق العودة الى المزرعة في عتمة الظلام ، وعاقها كذلك عبور النهر الذي ارتفعت مياهه بعد هطول الامطار . ولم يكن في مقدور الراعي ان يترك قطيعه ليصحب الآنسة ستيفانيت الى القرية ، ولم يكن يسعها هي ان تعود وحدها ، فما اسرع ما اعانها على الصعود الى قمة الجبل حيث اوقد نارا من اعواد الشجر تدفأت بها الحسناء الفاتنة وجففت ملابسها .

وهبط الليل ، وبدت نجومه تتوامض في فجاج السماء ، ولم تستطع الفاتنة الرائعة الحسن ان تنام فآثرت ان تجلس قرب الراعي وعلى بعد من النار الموقدة . والقى هو على كتفيها فراء ، وراح يوقد النار ، وساد الصمت ، وسكن كل

شيء حولهما . ان لليل لسحرا ، وجمالا لا يعرفهما الا من راح يسامر النجوم في ذروة الجبل العالي . ان هذا من الخفاء والسحر يستيقظ في مثل هذا الوقت من الوحدة والصمت ، ولا تعود تسمع الي نشيد الكون المنبعث من خرير المياه وحفيف الشجر الوديع ، ولا تعود العين ترى الي شعلة صغيرة من النار ، تعلو وتتألق فوق الغدران ومسايل الماء ، وانه ليخيل للمرء عندئذ ان ارواح الجبل تلتهب وتجيء حرة طليقة من كل فج ، ويقع في روعه ان همسا يسري في الهواء واحتكاكا خفيفا يحدث في الفضاء ، وان صوتا كنسيا بعيد المدى ينبعث من الغدير التلالي عند اسفل الجبل . وكانت « ستيفانيت » كلما احست بشيء من هذا التأثيرات الشعرية تزداد التصاقا بالراعي

وفي لحظة من تلك اللحظات رأت نجما ينساب ثم ينحدر منقوضا من السماء . وسألته بصوت خفيض : ما هذا ؟ .

واجابها وهو يرسم علامة الصليب فوق صدره: انه نفس تدخل الفردوس يا سيدتي

فخشعت لحظة ثم قالت : أصحيح اذن انكم سحرة ايها الرعاة ؟

وقال الراعي : ليس هذا صحيحا على الاطلاق يا ابنة الآنسة ... الا اننا نحيا فوق قمم الجبال حيث نقرب الى النجوم من غيرنا ، ونعلم بما يحدث فيها اسرع و افضل من علم سكان السهول

واستمرت مشدوهة النظر الى السماء وقد اعتمدت رأسها على راحة يدها ، ثم راحت تهمس، ما اجمل السماء ... وما أروع نجومها .. اتعرف اسماء هذه النجوم ايها الراعي ؟

فأجابها

اجل يا سيدتي هاهي المجرة ، النجوم ... لا فوق رأسينا ، ونحن نسميها في هذه المنطقة طريق القديس جاك ، وعلى مقربة منها عربة الارواح التي يعرفها الفلكيون باسم الدب الاكبر . اما الكواكب الثلاثة التي تتقدم الدب الاكبر ، وتلك الشاردة من النجوم الصغيرة الثلاثة جزء هي الارواح التي يأبى الله عليها دخول ملكوته

اما الجوزاء فها هي ، انها اكثر انحدارا من سابقاتها ... وهي التي تدلنا على الوقت ، ويكفي الآن ان القي نظرة واحدة اليها لاعلم ان الليل قد انتصف ... اما اجمل هاتيك النجوم والكواكب يا سيدتي فهي نجمتنا نحن الرعاة انها نسميها نجمة الراعي ، فهي التي تضيء لنا سبيلنا ساعة نخرج مع الماشية عند الفجر أو نعود بها مع المساء . ويبدو ان نجمتنا مغرمة برجل تلاحقه سبع سنوات كاملة لتقترن به

وقالت ستيفانيت : وهل بين النجوم والكواكب زواج ايها الراعي ؟

وقال الراعي : أجل يا سيدتي .

وفيما كان الراعي يحاول ان يشرح لها كيف يكون الزواج بين الكواكب والنجوم احس بشيء لطيف يثقل على كتفه قليلا . وكان هذا الشيء هو رأس « ستيفانيت » الذي مال على كتفه مثقلا بالنعاس . وظلت كذلك دون حراك حتى اللحظة التي شحبت فيها نجوم السماء وراحت تخبو مع الصباح الوليد . اما الراعي فلم ينفك يتأملها وهي نائمة على كتفه .

وقد هزه الاضطراب من اعماقه دون ان تساوره فكرة سوء ... واستمرت النجوم من حولهما تحث خطوها الصامت نحو المغيب ، في انتظام ووداعة ، كأنها قطيع من الاغنام ... في حين كان يخيل للراعي ان احدى نجوم الليل ، بل اجمل هاتيك النجوم وأروعها وأكثرها لألاء قد ضلت سبيلها فأتت تستريح وتنام فوق كتفه . ■■

ترجمها

محمود سيف الدين الايراني

العرب مارسوا الدبلوماسية

هكذا كانت السفارة والدبلوماسية

في الجاهلية .. وعهد الرسول

ثم في العهدين الأموي والعباسي وعند انقسام الدولة الاسلامية

بقلم : حسن فتح الباب

ماجستير في العلوم السياسية

■ الدبلوماسية في مدلولها الحديث ، تعني ادارة العلاقات الخارجية للدولة وتمثيل مصالحها قبل الحكومات والدول الاجنبية .

وهي في تعريف آخر اتخاذ الدولة من الاساليب السلمية ما يكفل تنفيذ سياستها في المجال الدولي .

وثمة معان أخرى متنوعة تستعمل فيها كلمة «الدبلوماسية»، فهي عند بعض علماء القانون الدولي العام — وقد تفرع منه القانون الدبلوماسي — استعمال الكياسة والذكاء في ادارة العلاقات الرسمية بين حكومات الدول المستقلة .

غير أن المدلول الحديث الذي أشرنا اليه هو المعنى المألوف الذي انتهى اليه تطور ذلك المصطلح منذ استخدمه الاغريق (١) قديما بمعنى الوثيقة أو الكتابة التي تطوى كما يطوى الخطاب ويبعث بها أصحاب السلطة بعضهم الى بعض في علاقاتهم الرسمية ويخلعون على حاملها امتيازا معينا .

السياسة شيء ، والدبلوماسية شيء

وعلى الرغم من أن العرب عرفوا الدبلوماسية منذ أقدم العصور ، شأنهم في ذلك شأن سائر الأمم والشعوب ، اذ كانت بينهم وبين جيرانهم سفارات شتى حفلت بأخبارها كتب السير ، وسجلتها الوثائق والأسانيد ، الا أنهم لم يعرفوا كلمة الدبلوماسية ولم يستخدموها حتى بعد استقرار تلك الكلمة في العصور الحديثة ، وكانوا يستخدمون لفظ السياسة للتعبير عن وضع الخطط السياسية ووسائل تنفيذها معا . ومازال

(١) لفظ دبلوم Diploma اليوناني ، معناه ورقة أو خطاب مطوي ومن ذلك جاء معنى الدبلوم أي الشهادة التي تعطيها المدارس والجامعات لمن أتم دراسته فيها بنجاح — العربي .



من أيام الجاهلية . .

وأوسع الأمور معنى الدبلوماسية ، فنصطلح بما نصطلح به الدبلوماسية
في العصر الحديث حتى تتأكد الروابط العلمية والسياسية والاجتماعية

بعض الساسة والكتاب حتى اليوم يستخدمون كلمة السياسة بمعنى الدبلوماسية مما أدى الى الخلط بينهما حينا والى عدم تقدير الحدود التى نصطلح به الدبلوماسية حينا آخر .

فالسياسة على معان كثيرة، لكل منها اصطلاحه في العرف الحديث ، وان جمعتها كلمة السياسة

في اللغة العربية . ومن هذه المعاني ما يلمسون بين الدول من المراسم والمحادثات التي تفضي الى عقد المعاهدات وتوثيق العلاقات ، وهو ما يطلق عليه مصطلح الدبلوماسية .

وفي ضوء هـــذا التمييز بين الدبلوماسيـــة والسياسة الخارجية ، يتبين ان الدبلوماسي هو عماد رجل السياسة في تنفيذ النهج الذي يخططه لسير الدولة بمقتضاه في علاقاتها السلمية ، حتى تستطيع ان تحقق اهدافها في جـــو من الهدوء والحكمة والاحاطة بالمصالح العامة . وقد تلجأ الدولة الى الحرب القاطعة لتنفيذ اغراضهـــا اذا فـــشلت تلك الاساليب التي تقـــوم بهـــا الدبلوماسية .

فالدبلوماسية اداة لتحقيق السياسة السلمية، في حين ان الحرب اداة لتحقيق السياسة بالقوة، ومن ثم يجمع كلا من الدبلوماسية ، والحـــرب ان كلتيهما وسيلة من وسائل السياسة الخارجية.

الدبلوماسية في الجاهلية

مارس العرب الدبلوماســـية في جاهليتهم ، فدخلوا في علاقات ودية وروابط عهدية مع جيرانهم، ومن ثم سارت البعثات والوفود بين العرب بعضهم وبعض ، وبينهم وبين غيرهم من الامم والشعوب . فالعربي بطبعه كما يقول الشاعر القديم :

حمّال الوية ، شهّاد انديـــة
قوّال محكمـــة جوّاب آفـــاق

وكانت وسائل الاتصال وانشاء العلاقات الودية وتعزيزها في الجاهلية هي الاسفار والانتقال بقوافل التجارة ، او الاجتماع في الاندية والاســـواق وشهود مواسم الحج، او سير الوفادات والشعراء الى ملوك فارس والحيرة وغسان وحمير .

وكما كانت وحدة اللغة باعثا على توثيق صلات العرب بعضهم ببعض قبل الاسلام ، فان مركزهم التجاري الممتاز بين كل هـذه الممالك والبـلاد الاخرى في الشرق والغرب والشمال ، كان باعثا على الاتصال وقيام العلاقات الدبلوماسية .

ويروي الواقدي ان قريشا في الجاهلية كانت اذا ارسلت رسولا الى بعض الملوك قالت له .

« احفظ شيئا : انتهز الفرصة ، فانهـــا خلســة ، وبتّ عند رأس الامر لا تنبه . واياك وشيئا عيبا فانه احمق وسبابه واياك والعجز فانه اوطأ مركب . وعليك بالصبر فانه سبب الظفر . ولا تعطي الخطر حتى تعرف التدبير » .

وعرف من سفارات الجاهلية سفارة عبد المطلب ابن هاشم الى ابرهة ، وهو في طريقه الى مكـة ، مفاوضا اياه على رد الابل التي استولت عليها طلائع جيوش الحبشة .

ووجد منقوشا على سد مأرب ، باليمن ما يفيد قدوم سفارات الحبشة على ابرهة من شتى الامصار والممالك سنة ٥٤٣ ميلادية ، اثر انتصاره على الحميريين وانشــائه اول دولة مسيحية باليمن . ومن المنقوش ما يلي .

« وجاءت الينا سفارة النجاشي ، وســـفارة الروم ، وسفارة ملك فارس ، ومبعوث المنذر ، ومبعوث من قبل الحارث بن جبلة ، ومبعوث ابي خير بن حابلة . جميعهم طلبوا مودتنا بقوة مــن لدن الرحمن ! » .

غير ان دبلوماسية العرب في الجاهلية ظلت قاصرة على هذه الحدود ، فلم تتسع لميدان العلاقات الدولية ما هو افسح واعم من مجرد العلاقات التجارية والودية المرتبطة بظروفها .

الدبلوماسية في الاسلام

فلما جـــاء الاسلام حـــدث تغير جذري في الدبلوماسية ، شأنها في ذلك شأن سائر الميادين من سياسية واجتماعية واقتصادية . فاصبحت منهجا ذا قواعد ونظم محددة ترسمها الدولة في تسيير علاقاتها بغيرها من الدول عبر العصـــور المختلفة .

ومن ثم نشأت الدبلوماسية الاسلامية وتطورت في اغراضها ونظمها واساليبها تبعا لتطور ظروف الدعوة الاسلامية . فاتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة اسلوبا لنشر الدعوة ، وسبيلا الى تأليف القلوب ، ودستورا في معاملاته وعلاقاته العامة في الجزيرة العربية ومع الامم والشعوب الاخرى . ويتمثل هذا الاسلوب الاصول الثابتة والقواعد المحددة التي وضعها الرسـول الكريم فكانت النهج القويم الذي اتبعه خلفاؤه من بعده في سبيل تثبيت بناء الدولة الاسلامية والدفاع عن كيانها .

وتتجلى تلك الدبلوماسية فيما سطر عليـــه السلام من كتب وما اوفد من بعوث الى القبائل العربية والى ملوك الدول المجاورة وولاتهـــا للدعوة الى الاسلام .

الدبلوماسيه فى عهد الرسول والخلفاء الراشدين

فلما كانت الهجرة الى المدينة وتحققت وحدة العرب السياسية ، وتأسست الدولة الاسلامية الأولى فى يثرب فى كنف النبى صلى الله عليه وسلم ، دخلت الدبلوماسية فى مرحلة جديدة أكثر تقدما فى شكلها ومحتواها ، فاتسعت آفاقهــــا وتوطدت أركانها ، واصبحت احدى الوســـائل الأساسية لتنفيذ السياسة الخارجية للدولـــة الناشئة .

واستخدمت الدبلوماسية فى تلك المرحلـــة اداة لتنظيم المؤتمرات والاجتماعات ، وعقـــد المعاهدات للمحالفة او الهدنة وفداء الاســرى ، او تبادل الدية وتحقيق المصالح المشتركة فى غير ذلك من الأغراض .

وبعد عصر الخلفاء الراشدين امتدادا لعهد النبى صلى الله عليه وسلم، اذ ظلت الدبلوماسية احدى وسائل الدعوة الى الاسلام ونشر رسالته ، واعلان الحرب دفاعا عن ذماره ، والتمكين له بعقد المعاهدات مع ممثلى الأمصار والمدن المفتوحة .

الدبلوماسية فى العهد الأموى

وكذلك كانت الحال فى عصر الدولة الأموية ، فاستخدمت الدبلوماسية سبيلا للدخول فى دين الله او دفع الجزية ، كما استخدمت فى تنظيم عقد الهدنة او فترات السلم ، فكانت بديلا للحرب او مساعدا لها فى تقرير سياسة الدولة الخارجية فى التوسع ونشر الدعوة الاسلامية او مقارعة اعدائها .

الدبلوماسية فى العهد العباسى

وفى عهد الخلفاء العباسيين انعكس التطور الكبير الذى عاصر هذه المرحلـــة على الدبلوماسيـــة ، فاصبحت وسيلة لتيسير تبادل العلاقات الودية بين الدولة الاسلامية وغيرها من الدول القائمـــة فى ذلك الحين . وتقدم الفن الدبلوماسى فاصبح التمثيل السياسى بين الخلفاء واباطرة الروم ذا طابع منظم ، واتسع نطاق العلاقات الدولية ، وتعددت اغراض السفارات ووظائفها بحيث اصبحت وسيلة لدعم الصلات التجارية والثقافية والعلمية ولتبادل الاسرى ، وتبادل الهدايا وفض المنازعات وعقد المعاهدات . وسارت السفارات بين الدول الاسلامية وبين القسطنطينية وروما ومملكة البلغار ودولة الفرنجة والهند والصين .

الدبلوماسيه عند انقسام الدولة العباسية

وحين انقسمت الدولة الاسلامية الى ولايات وممالك مستقلة فى نهاية عصرهـــا ، اضطلعت الدبلوماسية بمهام جديدة ، منها دعم الروابط الودية بين الخليفة فى بغداد وتلك الولايات التى كانت تتنافس فى الظفر بالحظوة لدى الخليفة تقوية لنفوذها وشدا لأزرها . وكان الخليفة يبعث بمندوبيه الدائمين الى السلاطين والأمراء المحليين لتمثيله فى ممالكهم فى نيسابور،ومرو ، والموصل، ودمشق وغيرها من العواصم . ومن هذه المهام ايضـا توحيد صفوف المسلمين والاصلاح بينهـم وتنظيم العلاقات بينهم وعقد المعاهدات والمحالفات بين سلاطينهم اذا اعتدى على ديارهم عدو اجنبى .

الدبلوماسية بين الأمويين بالأندلس ودول الفرنجة

وانشا الأمويون دولة لهـــم فى الأندلس كان عبد الرحمن الداخل اول مؤسسها . وكانت لهم علاقات دبلوماسية مع دولة الفرنجة المناهضـة لحكومتهم ، والتى انشئت من اصلاع بيزنطـة واصبحت نِدّاً منازلا لهـــا . واتخذ التمثيل الدبلوماسى فى عهد الخلفاء الأمويين فى الأندلس طابعـا منتظمـا ، واتسعت اغراض الوفادات الدبلوماسية واهدافها كما اتسعت فى عهـــود العباسيين المعاصرة للأمويين ، واصبحت تضطلع بما تضطلع به الدبلوماسية فى العصر الحديث من سعى لتأكيـــد الروابط العلميـــة والاجتماعيـة والسياسيـــة .

خصائص الدبلوماسية الإسلامية

افاد المسلمون من النظم والتقاليد الدبلوماسية عند غيرهم من الأمم مثل البيزنطيين واليونانيين والفرس والهنود فنقلوا كثيرا منها . وكانت لهم خبراتهم وتجاربهم فى هذا المضمار . ولقـد ذاع صيت سفرائهم وحكمائهم الذين استحدثوا مـن التعاليم الدبلوماسية ما زاد رصيدهم منها .

وحفلت كتب التاريخ بوصاياهم في شأن اصول السفارة وصفات السفير ووسائل اختياره واختباره ، وما ينبغي ان يكون عليه من طباع ومناقب حتى يصبح اهلا للرسالة ولتمثيل مرسله.

رسول المعتصم يخاطب ملك الروم

ومن ابلغ ما كتب في هذا المجال ما ورد في كتاب رسل الملوك لابن الفراء على لسان رسول المعتصم من قوله لملك الروم :

« ان للخلفاء عندما يتصرفون في انحاء العبيد لكل طائفة مذهب يتخصصون له ويحملون عليه ، ولا يكلفون سواه ، ولا يراد منهم غيره . فمنهم من يصلح للفتوح ، فهو يلبس السلاح ويقود الجيوش . ومنهم من يعد للقضاء ، ومنهم مثلي من يصلح ان ترفعه الخلفاء للملوك ، ويحمل رسائلهم الى مثلك من اهل الجلالة والقدر والسناء والذكر . فلولا انهم يرون وعلمهم بمناصحتي وصدقي فيما اورد واؤدي ، صادرا وواردا ، لما رأوني اهلا للتوجه فيما توجهت فيه اليك ، ولقيل لك هذا الرزل مع هذا التحمل وهذا المحل من الخلافة ، وهي من الجلالة على ما هي ».

اختيار السفراء

وقد ادرك المسلمون منذ القدم شرف السفارة واخطار السفراء ، فاختاروهم من الشخصيات البارزة في عصرها ذات الثقافة الرفيعة في العلم والادب والرجاحة والحصافة وسرعة البديهة وحسن التصرف ، ليكونوا الخير على تمثيل الخلفاء والامراء والرؤساء . ومن ثم اختير كثير من القضاة والفقهاء والعلماء والمتصوفين لاعمال السفارات . كما انتخب من موظفي الدولة كالوزراء والكتاب والاطباء من يصلح لمهام الوفادة.

وكان مقياس اختيار السفراء اهليتهم لتولي المهام الدبلوماسية وكفاءتهم فيها بغض النظر عن اديانهم ومعتقداتهم ، فاوفد بطارقة انطاكية والقدس والاسكندرية للقيام بالسفارات في بيزنطة والحبشة .

ويحسن أن نشير في هذا المقام الى ما جاء في « رسل الملوك » على لسان احد الحكماء في صفات من يصلح للسفارة وما يستحب فيه من رداء ، ونبل ، وحسن رأي ، ورجاحة عقل وتصرف ، ونزاهة عن بيع الامانة او خيانة مرسله وحذره من تجاوز ما رُسم له ، او ان يغير من اخبر الله او به من ارسل اليه .

« اختر لرسالتك في هدنتك وصلحك ومهماتك ومناظراتك والنيابة عنك رجلا حصيفا ، حوّلا قلبا ، قليل الغفلة ، منتهز الفرصة ، ذا رأي جزل ، وقول فصل ، ولسان سليط وقلب حصيف ، فطنا للطائف التعبير ، ومستقلا لما ترجو او تعول بالحزامة واصابة الرأي ، ومتطببا له بالحذر والتمييز ، سابقا الى ما يستدعيه اليه ويستدفعه عنه .. ماهر الفصاحة بتحبير العبارة قاهرة الطلاقة ، وكاتبا الى الصحيح مبرما لما نقض خصمك ، ناقضا لما ابرم ، يحيل الباطل في شخص الحق ، والحق في شخص الباطل .. جامعا مع هذا العلم القرآني والسنن والاحكام والسير .. عالما باحوال الخراج والحسابات وسائر الاعمال .. وليكن من اهل الشرف والبيوتات ، فانه لا بد مقتف آثار اوليته، محب لمناقبها ، مساو لاهله فيها .. » .

وعرفت الدبلوماسية الاسلامية نظام التمثيل السياسي الدائم ، كما عرفت التمثيل المؤقت ، وان كان النظام الاول قاصرا على اعتماد بعض مندوبي الخليفة لدى السلاطين والملوك المحليين من المسلمين . اما في علاقات الدولة الاسلامية مع الدول غير الاسلامية فلم يعرف المسلمون سوى السفارات المؤقتة ينتهي عملها بانتهاء العمل الذي توفد من اجله .

اعضاء البعثة الدبلوماسية

لم تختلف البعثات الاسلامية كثيرا عن السفارات الحديثة في مبدأ التمثيل السياسي ، فكان السفير الاسلامي يمثل رئيس دولته فيما يوفد فيه من مهام . وله حق التحدث والمفاوضة باسمه ، وله ابرام العقود والمعاهدات نيابة عنه . وكذلك كان مبعوثو الرسول صلى الله عليه وسلم الى ملوك الدول المجاورة ورؤسائها والى القبائل العربية ، وكان سفراء الخلفاء والملوك والسلاطين من بعده .

وكانت البعثة الاسلامية تتألف عادة من السفير وحاشيته . وقد تكون البعثة من اكثر من شخص لعددها وتعززها فيما اذا كانت لها اهمية خاصة وتتعلق بها تحقيق مقاصد تمس السياسية العليا للدولة ، او اذا لم تتوافر الكفاية المنشودة في

شخص واحد . فكان يوفد رجلان « احدهما صاحب سيف ، والاخر من اهل الشريعة . وقد تعزز بثالث من الكتاب . فصاحب الشريعة يقرر ما يسوغ فيها ويدفع ما لا يسوغ ، وصاحب السيف يرتب ما لا مضرة فيه على الملك وجنده ، ولا حيف فيه ولا مخاطرة . والكاتب يحفظ قوانين السياسة ورسوم الكتابات وادب المخاطبات » .

ويختلف عدد اعضاء السفارة وفقا لخطر المهمة ومكانة السفير ورئيس دولته . من ذلك ان سفارة قتيبة بن مسلم الى بلاط امبراطور الصين سنة ٩٦ هجرية قد بلغت نحو ١١ او ١٢ شخصا . وزاد عدد اعضاء البعثات زيادة كبيرة في عهود سلاطين المماليك حتى بلغت احدى سفاراتهم الى بغداد سنة ٧١٢ هجرية ــ ١٣١٢ ميلادية ١٢٤ شخصا .

ولم يكن حق ايفاد البعثات السياسية مقصورا على الخلفاء ورؤساء الدولة ، بل امتد هذا الحق حتى شمل ولاة الاقاليم والحكام المحليين . من ذلك ان معاوية بن ابي سفيان ــ وكان واليا على الشام ــ اوفد بعثة الى بيزنطة وعقد معها هدنة لمدة ثلاث سنوات . كذلك بعث الحجاج بن يوسف الثقفي الى بيزنطة ــ وكان حاكما على العراق ، سفارة مماثلة .

فاذا انجز رئيس البعثة ما اوفد له من مهام وعاد الى دولته ، كان عليه ان يحرر تقريرا بما وصل اليه من نتائج ويرفعه الى الخليفة او السلطان . وقد حفلت دار المحفوظات في الدولة العباسية بتقارير شيقة عن اراضي الدولة البيزنطية ومسالكها ومرافئها . وافادت تلك المعلومات في تيسير التبادل التجاري بين الدولتين كما حققت بعض الاغراض العسكرية .

ديوان الرسائل

انشأت الدولة الاسلامية ، في عصرها الاول ديوانا رسميا يسمى ديوان الرسائل ، اختير له اكفأ الكتاب وابرعهم . وكانت مهمتهم تحرير الكتابات الى الملوك ورؤساء الدول المجاورة واستمر هذا التقليد عهود الامويين والعباسيين . وقد اختص كتاب الرسائل بصياغة اعتماد السفراء والرد عليها ، واعداد صيغ المعاهدات وفقا للسياسة المرسومة . وانشأ هؤلاء الكتاب لغة دبلوماسية رفيعة اصبحت مع الزمن لونا رفيعا من الوان الادب لما امتازت به من بلاغة وقوة في البيان . وقد تطورت هذه الرسائل على مر العصور فلم تجمد في قوالب نثرية معينة ، واختلفت صيغتها باختلاف الغرض منها ، واختيرت عباراتها وفقا لمقتضيات الحال ، فلكل مقام مقال .

ولم يكن منها ثابتا غير الديباجة التقليدية . ففي الكتابات الى رؤساء الدول غير الاسلامية يبدأ الكتاب بالصيغة المألوفة « من ... الى ... » اما الرسائل المتبادلة بين رؤساء الدول الاسلامية بعضهم وبعض فتبدأ عادة بـ « بسم الله الرحمن الرحيم » او « باسمك اللهم » ثم يتلوها حمد الله ثم عبارة « اما بعد » ... وهكذا . هذا فضلا عما يعرف بالكتاب او خطاب الاعتماد من الفاظ التعظيم والتكبير لخليفة المسلمين وامير المؤمنين من الملوك والسلاطين . كذلك كان لانتقاء نوع الورق ولونه ونوع المداد الذي يكتب به ، اهمية ظاهرة ، يقوم بتوفيرها وتحضيرها جهاز الموظفين في ديوان الرسائل .

خطابات اعتماد السفراء

حين يتم تجهيز البعثة الدبلوماسية وتهيؤها لمغادرة الديار الاسلامية يزود رئيس البعثة بخطاب اعتماد يحرره ديوان الرسائل باسم رئيس الدولة الاسلامية مخاطبا رئيس الدولة التي اوفد اليها البعثة ، متضمنا اشخاص المبعوثين ، مبينا اسماءهم والقابهم والرغبة في اعتمادهم ممثلين له . وكان خطاب الاعتماد كذلك على مقاصد السفارة واغراضها .

ومن طريف ما يذكر في هذا الصدد ان الدول كانت تتنافس في كتابة اوراق الاعتماد على انواع ثمينة من الورق وبماء الذهب دلالة على اهمية السفارة ورفعة شأن الوفد والسفير معا ، والتماسا لاستقبالها بما يليق بها من حفاوة وتكريم .

وكانت اوراق الاعتماد تكتب بالعربية في كل من سورية والعراق ومصر ، واحيانا يحمل السفير ترجمة بلغة البلد الموفد اليه .

جوازات سفر السفراء

وكان الممثل الدبلوماسي يزود كذلك بجواز

السفر أو « ورقة الطريق » كما أطلق عليها كتاب الرسائل . وقد بدأ السفراء المسلمون في حمل هذه الجوازات ابتداء من القرن السادس الهجري مدونا عليها اسم السفير ولقبه وصفته والجهة التي يقصد اليها مع رجاء الى السلطات المختصة بتيسير انتقاله وحسن استقباله .

استقبال السفراء

وحين يصل السفير وحاشيته الى البلد التي يقصد اليها تبدأ مراسم استقباله ، حتى اذا قدم خطاب اعتماده الذي معه ربما يكون شفويا ، ومن ثم يشرع في مفاوضاته مع حاشية رئيس الدولة الوافد اليها ثم مع الرئيس نفسه . وتوفد هذه الدولة عادة بعثة دبلوماسية مماثلة ردا على ما جاءت به السفارة الاسلامية .

فاذا بلغت سفارة الدولة التي تبادل التمثيل السياسي مع الدولة الاسلامية ديار الاسلام بعد اعداد الرسائل التمهيدية لهذا الغرض ، خرج مندوبو الخليفة أو السلطان يستقبلون السفارة في أطراف الدولة ويرافقون أعضاءها الى حاضرة الاسلام . ويعد هذا الاستقبال بمثابة الموافقة على اعتماد السفير القادم فيما هو موفد من أجله . وليس ثمة سوابق — فيما عدا النادر الذي لا يقاس عليه — لرفض استقبال السفراء . ويكون هذا الرفض غالبا في حالة قطع العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين كما يحدث في أوقات الحروب . من ذلك رفض القاهرة قدوم سفراء ملك حلب سنة ٦٩٧ هجرية ، ورفض الملك الظاهر بيبرس الموافقة على استقبال سفراء الصليبيين في مصر بسبب ما كان بينهما من علاقات عدوانية .

وقد استقر على مر العصور قواعد استقبال السفراء في كل من الدولة الاسلامية وبيزنطة ابان ازدهار العلاقات الودية بينهما . وكانت ثمة مبالغة واسراف في هذه القواعد والمراسم لا تستثنى في ذلك احدى الدولتين . فكان السفراء ينزلون في مساكن تليق بهم ويجرى عليهم من النفقات والأطعمة ما يرفه به عيشهم . وكذلك يقام لهم بوظيفة المراكب حسبما تدعو الحاجة اليه .. وان كانت الطرق والمسالك تحتاج الى خفراء كان أجود أن يسير معهم الخفراء والأدلاء .

وعندما يقترب ركب السفير من عاصمة الدولة الاسلامية ، تعد الاستقبالات الفخمة وتقام الزينات ويجتمع الناس على جوانب الطرقات التي سيسلكها الى دار الضيافة : « وينزل في دار الضيافة ثلاثة أيام ، ولا يمكن الاجتماع به ، ثم يستدعى ، وقد رتبت دار الملك في ذلك اليوم . وتجتمع العساكر والجند ، ويجلس الملك على سرير الملك في أحسن أبهة وزى ، وتصطف السلحدارية حوله بالسيوف . ثم يمتد السماط وتأكل الناس الى خدمة لا آكل بهمة ، وأركان الدولة جلوس على قدر مراتبهم وقيام في الخدمة. ويدخل الرسول والحاجب معه والمهمندارية تقدمه. فاذا وصل بحيث يلمحه الملك ، يقدم (يؤدي التحية حسب المراسم المتبعة) الرسول ثم يتقدم الى وسط الدار ، ثم يتقدم الى المكان الذي يليق به لمخاطبة الملك ، « فيخدم » ، ويقف الحجاب ، والتراجم حوله ، فيبلغ سلام مرسله « ويخدم » عنه الخدمة اللائقة بهما ، فيقابل الملك تلك التحية بما يليق بها من الجواب بالقيام « والخدمة » ، أو القيام حسب ما يقتضيه حال الرسل والمرسل اليه . ثم يخرج الكتب التي معه فيلمسها على وجهه وجبهته ثم يطرحها بين يدي الملك ، فاذا أراد الملك اكرام صاحبها فليتناولها ، وليشر « بالخدمة » عند فضها وقراءة اسم مرسلها . ثم يلبث قليلا حتى يشير اليه الملك بالجلوس فيناظر ويجلس حيث يجلسه الحاجب أو أمير المجلس .. فان سأله الملك عن شيء من أحوال مرسله أجاب عنه بما ليس فيه سر ولا كتمان، ويرد ما عنده من المشافهة والأسرار الى مجلس الخلوة .. ثم يشير الى حاجبه بانصرافه الى دار الضيافة للاستراحة ، وان كان معه هدية فيخاطب الحاجب عنه الملك ، « ان الملك الفلاني قد بعث هدية يلتمس قبولها » ، فيشير الملك بحضورها ، وهي محمولة عند أقرب الأبواب ، فتعرض عليه بما فيها من دواب وجوارح وثياب ، مع ثبت يتضمن ذلك ، الا الجواري ، فلا تعرض ، بل يمضي بها الى دار الحريم بعد استلامه مع الخدام ، والقهرمانة تعرض ذلك » .

حسن فتح الباب
ماجستير في العلوم السياسية
القاهرة



بقلم الدكتور
احمد احمد بدوى

استاذ البلاغة بكلية دار العلوم
جامعة القاهرة

■ ولد عبد القاهر الجرجاني في اوائل القرن الخامس الهجري في مدينة جرجان باحدى ولايات خراسان ، من اسرة رقيقة الحال ، لم يجد معها فسحة من المال تعينها على ابنها لكي يستطيع ان يتنقل في البلاد باخذ العلم عن رجاله ، فظل في مدينته يتعلم بالقدر الذي تهيئه له تلك المدينة ، وكان يفد اليها بعض الرجال ، فياخذ العلم عنهم المنتمون الى الثقافة العالية .

ونشأ الطفل ولوعا بالعلم ، ووجد متعته في الكتب ، فاقبل عليها في شوق جامح ، وبخاصة كتب النحو والادب ، وكانت الكتب اكثر ما استمد منه عبد القاهر ثقافته ، فعكف عليها ، يقرؤها بفكر واع ، ويقف امام نصوصها في اناة ، يريد ان يعرف ما تدل عليه هذه النصوص والتحصيل ، وقد رأينا اثر هذا الاطلاع الواسع فيما نقله في كتبه عن سيبويه ، والجاحظ وابي علي الفارسي ، وابي قتيبة ، وقدامة الاسدي ، والقاضي الجرجاني ، وابي هلال العسكري

والربعي ، والزجاج ، وغيرهم من كبار المؤلفين.

ولما كان العصر الذي عاش فيه عبد القاهر عصر حروب ومغامرات بين طلاب الملك في الرقعة الواسعة التي كانت الدولة العباسية تحكمها — رأى كثير من العلماء ان الحياة الجميلة الهادئة انما تكون في ظلال العلم والمعرفة ، فانصرف اليها واخلص لها ، ووقف عليها حياته وجهوده . وكان من هؤلاء العلماء عبد القاهر ، فانا لا نعلم انه اتصل بسبب من اسباب الدنيا سوى العلم ، وربما فكر في ان يكون احد اساتذة المدرسة النظامية التي انشأها الوزير نظام الملك في بغداد سنة ٤٥٩ ، وكان هذا التفكير هو السبب الذي دفع عبد القاهر الى ان يمدح الوزير بشعر يقول فيه :

لو جئتم لو أنها
في الدنيا ما تغيرا
ومنية لو أنها
للنجم ما تغورا

ولكنه لم يعين استاذا بهذه المدرسة ، وظل في مدينته لم يفارقها الى ان مات بها سنة احدى وسبعين واربعمائة .

غير انه صار في مدينته علما من كبار العلماء ، وذاع صيته في الآفاق ، وتصدر للافادة والتأليف فشدت اليه الرحال ، وقصده الطلاب من جميع الارجاء ، يقرءون عليه كتبه ويأخذونها عنه ، وهو يملي عليهم من علمه وذكائه . ويقضي بعض وقته بتأليف كتب يودعها آراءه ونظراته .

ومع العلم كان الفقر

ومع هذا العلم الغزير ، والانتاج القيم ، نرجح ان عبد القاهر كان مقترا عليه في الرزق ، ولم تكن حياته رغدة سعيدة ، ولسنا ندري مورد رزق عبد القاهر ، وربما كان هبات بعض الاثرياء الذين الف لهم كتبه . ولكن ما تركه لنا من الشعر ينبئ بالسخط على حظ العلماء في هذه الحياة ، اذ نسمعه يقول :

كبّر على العلم ، لا ترمه
ومل الى الجهل ميل هائم
وعش حمارا تعش سعيدا
فالسعد في طالع البهائم

وقد أعجب مؤرخوه بعلمه وخلقه ، ولا يذكرون اسمه الا مقرونا بالاكبار والتبجيل .

كتابه « المختار »

وترك عبد القاهر آثارا لعلها ما كتب في النحو والبلاغة ، ونشر له « عبد العزيز الميمني » كتاب « المختار » من دواوين المتنبي والبحتري وأبي تمام . ويصدق عبد القاهر كتابه « المختار » مبينا الأساس الذي بنى عليه اختياره اذ يقول : « هذا اختيار .. عمدنا فيه لاشرف اجناس الشعر ، واحقها ان يحتفظ ويروى ، وان يوكل به الهم ، ويفرغ له البال ، وتصرف اليه العناية ويقدم في الرواية .. وذلك ما كان مثلا سائرا ، ومعنى نادرا ، وحكمة وادبا ، وقولا فصلا ، ومنطقا جزلا » .

وهو على مذهب استاذه القاضي الجرجاني في تقديم ابي الطيب على الطائيين ، ثم تقديم البحتري على ابي تمام ، ولذلك جرى في عرض مختاراته على هذا الترتيب .

ومما اختاره للمتنبي قوله :

اني لأجبن من فراق احبتي
وتحس نفسي بالحمام ، فأشجع
ويزيدني غضب الاعادي قسوة
ويلم بي عتب الصديق ، فأجزع
تصفو الحياة لجاهل او غافل
عما مضى منها ، وما يتوقع
ولمن يغالط في الحقائق نفسه
ويسومها طلب المحال ، فتطمع
أين الذي الهرمان من بنيانه
ما قومه ؟ ما يومه ؟ ما المصرع
تتخلف الآثار عن اصحابها
حينا ، ويدركها الفناء فتتبع

ومما اختاره للبحتري قوله :

ان البكاء على الماضين مكرمة
لو كان ما من انا بكيته رجعا
صعوبة الرزء تلقى في توقعه
مستقبلا ، وانقضاء الرزء ان يقع

ومما اختاره لأبي تمام قوله :

السيف اصدق انباء من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب
والعلم في شهب الارماح لامعة
بين الخميسين لا في السبعة الشهب
أين الرواية ؟ أم أين النجوم وما
صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

تعرّضــــا وأحــاديثنا ملفقــة
ليستبيح، اذا حدثت، ولاقترب
تعرّضاً بالراحة الكبرى فلم ترما
تنال الا على جسر من التعب

رسالته الشافية في اعجــاز القرآن

وله كذلك الرسالة الشافية في اعجاز القرآن.

وقد فصل عبد القاهر هدفه من الرســالة ، وانها جمل من القول في بيان عجز العرب ، حين تحدّوا ، عن معارضة القرآن ، وإذعانهم وعلمهم أن الذي سمعوه فوق القوة البشرية .

ويتعرض عبد القاهر في هذه الرســالة لبعض شبه لم أر غيره تعرض لها ، كتلك هي شبهة الانفراد بالعظمة البيانية في عصر من العصور، فلم لا يكون الرسول من هؤلاء المتفردين بعظمة البيان.

ويرد على هذه الشبهة بأن الشرف في المزية الناقضة للعادة أن يبلغ الأمر فيها الى حيث يبهر ويقهر ، حتى تنقطع الأطماع عن المعارضة ، وتخرس الألسن عن دعوى المداناة ، وحتى لاتحدث نفس صاحبها بأن يتصدى ، ولا يجول في خلد أن الاتيان بمثله يمكن .

ويذكر عبد القاهر انه كان في وقت من الأوقات مَنْ بلغ امره في العلو على أهل زمانه من تنقطع الأطماع عن معارضته ، فقد كان في وقت امرىء القيس مثلا من يباريه ، ولا يتحاشى من أن يدّعي الفضل عليه ، فقد رأى طلبة الفضل انه أشعر منه ، ولم يستقر رأي الناس على تقديم شاعر استقرارا يرفع الشك .

كما يرد على شبهة من زعم أن عجز العرب قد نشأ من أنهم لا يستطيعون التكلم في مثل معاني القرآن ، لا لأنهم لا يستطيعون مثل ذلك النظم . يرد على ذلك بأن تلك الشبهة يكون لها وجه اذا كان التحدي بأن يعبّروا عن معاني القرآن أنفسها بلفظ يشبه لفظه ، ونظم يوازي نظمه ، وهذا تقدير باطل ، فان التحدي كان الى أن يجيئوا في أي معنى شاءوا من المعاني بنظم يبلغ نظم القرآن في الشرف ، أو يقرب منه . يدل على ذلك قوله تعالى : « قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات » أي مثله في النظم وليكن المعنى مفترى .

وينتقل عبد القاهر بعدئذ الى الرد على القائلين بالصرفة ، وهو مذهب طائفة تزعم أن العرب كانوا قادرين على أن يأتوا بمثل القرآن ، ولكن الله صرفهم عن أن يأتوا بمثله ، لأنهم منعوا من الفصاحة منزلة كانوا عليها قبل نزول القرآن .

ويرى عبد القاهر ذلك رأيا لا سداد فيه ، فلو أنهم أدركوا أنهم صاروا عاجزين بعد أن كانوا قادرين ، لقالوا للرسول : انا كنا نستطيع قبل هذا الذي جئتنا به ، ولكنك قد سحرتنا ، وحلت بما جئتنا به بيننا وبين مقدرتنا على معارضته . وكان من الواجب أن يتذاكروا ذلك فيما بينهم ، وأن يشكوه بعضهم الى بعض ، فيقولوا : مالنا قد نقصنا في قرائحنا ، وحدث كلل في أذهاننا . ولكن لم يرد أن كان منهم قول في هذا المعنى .

كتابه « دلائل الاعجاز »

اما كتاب عبد القاهر : « دلائل الاعجــاز » فأحد كتابيه المهمين الخالدين . وثانيهمــا : « أسرار البلاغة » .

وقد عالج في كتابه « الدلائل » وجه اعجاز القرآن ، وأن هذا الاعجاز يكمن في بلاغته وفصاحته، وأن هذه البلاغة انما هي في نظم القرآن على هذا الأسلوب الذي نزل به ، لا في ألفاظ منفردة عن هذا النظم الذي جاء به ، ولا في أن عبارة القرآن قد جاءت على ضرب من الوزن يعجز الخلق عن أن يأتوا بمثله، ولا في الجريان والسهولة وسلامته من أن تلتقي فيه حروف تثقل على اللسان ، ولا للفواصل في أواخر الآيات ، ولا لما في القرآن من استعارة وكناية ومجاز .

ويمضي عبد القاهر في كتابه مبرهنا على رأيه:

فليس الاعجاز في معاني الكلمات المفردة ، لأنه يؤدي الى أن يكون قد تجدد في المفردات أوصاف لم تكن لها قبل نزول القرآن ، وذلك ما لم يكن، وذلك محــال ، لأنه لم يتجدد للحمد والرب والعالمين مثلا ، وصف بعد نزول القرآن لم يكن لها قبل نزوله .

ولا يجوز أن يكون الاعجاز في تركيب الحركات والسكنات ، حتى كأنهم تحدوا الى أن يأتوا بكلام تكون كلماته على تواليها في زنة كلمات القرآن لأنه يخرج الى ما تعاطاه مسيلمة من الحماقــة حينما قال : « انا أعطيناك الجماهر ، فصــل لربك وجاهر » ، وقوله : « والطاحنات طحنا ».

وكذلك لم يتحداهم القرآن الى أن يأتوا بكلام يجعلون له مقاطع وفواصل كالذي تراه في القرآن، لأنه ليس بأكثر من التعويل على مراعاة لون من الوزن .

وكذلك ليس الاعجاز في سهولة القرآن ، وخلوه مما يكد اللسان ، لأنه لو كان يصح شيء من ذلك وجب أن يكون السوقي الساقط من الكلام ، والسفساف الرديء من الشعر فصيحا اذا خفت حروفه .

وليس معنى ذلك أن عبد القاهر يأبى أن تكون متانة الحروف وسلامتها مما يثقل على اللسان داخلا فيما يؤكد أمر الاعجاز ، ولكن الذي ينكره هو أن يجعل ذلك سبب الاعجاز ، ويعده الأصل فيه .

ولا يصح أن تكون الاستعارة وأخواتها الأصل في الاعجاز لأن ذلك يؤدي الى أن يكون الاعجاز في آي معدودة في مواضع من السور الطوال مخصوصة .

الاعجاز يكمن في نظم القرآن

وهكذا انتهى عبد القاهر بعد أن قلب أمر الاعجاز على وجوهه ــ الى أن الاعجاز يكمن في نظم القرآن ، ولذلك مضى في كتابه يشرح فكرة النظم .

ولكي يوضح هذه الفكرة فرق بين الحروف المنظومة والكلم المنظومة ، فليس نظم الكلمة ناشئا عن معنى دفع اليه ، اذ لا صلة بين الكلمة ومعناها ، ولم يقتضي واضع اللغة رسما عاليا اقتضاه المعنى ، فلو أن واضع اللغة قال : « ربض » مكان « ضرب » لما كان في ذلك ما يؤدي الى فساد .

وليس الأمر كذلك في نظم الكلم ، لأنك تتبع في نظمها المعاني التي في النفس ، وليس ضم شيء الى شيء كيفما جاء واتفق ، كما حدث في نظم الكلمات المفردة ، كما ذكرنا .

ومعنى ذلك أن الاعجاز قد نشأ من أن المعنى قد فهم على نحو خاص ثم جاء اللفظ تابعا لهذا المعنى ، ومن أجل ذلك أكثر عبد القاهر من حديثه وبرهنته على أن البلاغة تعود الى المعنى وليس اللفظ الا تابعا لهذا المعنى .

مثل مضروب

ولأضرب مثلا يوضح فكرة عبد القاهر في النظم ذلك هو شيب الرأس ، فمن القائلين من يدرك مطلق ورود الشيب الى الرأس فيأتي نظمه معبرا عن هذا المعنى الذي أدركه ، فيقول « شاب رأسي » .

ومن الناس من يدرك أن الشيب قد ملأ رأسه ، فتأتي عبارته مصورة هذا الشعور أيضا فيقول « امتلأ رأسي شيبا » .

وليس في هذين التعبيرين اعجاز لأنهما عبرا عن معنى عادي ؛ وانما الاعجاز في قول القرآن : « واشتعل الرأس شيبا » لأن قائله قد أدرك معنى لا يدركه غيره من القائلين ، فقد أدرك أن الشيب يدب في الرأس دبيب النار في الحطب ، وأن هذه النار اذا اشتعلت لا تبقي على شيء ولا تذر ، كما أدرك أن الرأس هو مظهر الشباب والشيخوخة ، وأن هذا الرأس قد خلص للشيب وحده ، فقال : « واشتعل الرأس شيبا » .

ومن أجل هذا وجب أن نقف عند الألفاظ في جملها ، لندرك الأسرار التي تفهم من مجيء الكلمة على نحو خاص من تعريف وتنكير ، وفي مكان خاص من تقديم وتأخير ، وفي لون خاص من ألوان الاعراب كأن تكون مبتدأ أو خبرا أو حالا أو غير ذلك لكي ندرك المعنى الذي صورته تلك الجملة ، وتلك هي فكرة النظم عند عبد القاهر .

البلاغة اذا تعود الى أن المعنى فهم على نحو خاص ، فجاء التعبير صورة لهذا المعنى .

الألفاظ خدم للمعاني

وقد توهم كثير من الناس عندما سمع عبدالقاهر يعلن في صراحة أن الألفاظ خدم للمعاني وتابعة لها ، وأن البلاغة تابعة لها ، وأن كل فصاحة وصف بها اللفظ كان وصفه بها باعتبار معناه ــ توهم أن عبد القاهر من أنصار المعنى لا اللفظ ، وأنه على رأس المعنويين .

كما توهم عندما استمع الى قول الجاحظ : « والمعاني مطروحة في الطريق ، يعرفها العجمي والعربي ، والقروي والبدوي ، وانما الشأن في اقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، وصحة الطبع ، وكثرة الماء ، وجودة السبك ، وانما الشعر صياغة وضرب من التصوير » ــ توهم أن الجاحظ من أنصار اللفظ ، وجعله على رأس اللفظيين .

وذلك كله خطأ في التصور ، وغلط في التصوير ، فلا عبد القاهر من أنصار المعنى دون اللفظ ، ولا الجاحظ من أنصار الصياغة ، حتى المتكلف منها وما المتصنع .

والواقع أن الرجلين متفقان في النظرة الى الكلام ، وأن عبد القاهر لا يهمل الصياغة ، بل يعنى بها عناية كعناية الجاحظ ، ويدلنا على

ذلك ان عبد القاهر يستدل على مذهبه في الصياغة بكلام الجاحظ نفسه ، ويقره عليه ، ويؤمن به ، ويطول موضعه ، ويؤكد ايمانه به في غير موضع من كتابه ، مما يدل على ان الرجل كان يرى رأى الجاحظ في شأن صياغة الكلام .

ذلك ان عبد القاهر قصد الى بيان السر في بلاغة التعبير ، وان ذلك يعود الى ما بين المعاني المدلول عليها بالالفاظ من تآخ وارتباط ، فكلما كان التآخي شديدا ، وكلما كان الارتباط محكما ، وكلمـا كانت الصلة مؤازرة ، كان ارتقاء الكلام في درجات البلاغة .

الجرجاني ناصر المعنى والصياغة معا

لم يرد عبد القاهر على ذلك ، ولم يقل في اى سطر من سطور كتابه : بأن الذى اعنى به هو المعنى من حيث عمقه او سطحيته ، او من حيث شرفه او ضعته ، او من حيث عمقه او خاصيته ، او من حيث هو في حد ذاته ، ولا يعنيني بعد ذلك جاء اللفظ على اى وجه من الوجوه جيدا او رديئا ، متخاذلا او غير دقيق .

لم يقل عبدالقاهر ذلك في اى موضع من كتابه ، ولو انه قال ذلك لعددناه من انصار المعنى الذين لا يعنون بالصياغة .

ولو انه كان كذلك لقبل العديد من الكلام ، لأن له ، بلا شك ، معنى ، بل لو انه كان كذلك ما رفض كلاما يقال ، لأن كل كلام يقال معنى ، ولو انه كان كذلك لعنى بمعنى الكلام ، ودرجات هذا المعنى .

ولكنه على العكس من ذلك يعنى بالصياغة عناية لا حد لها ، ويجعل البلغاء يتفاوتون في هذه الصياغة .

بل يرى عبد القاهر ان المعنى لا يتقـدم به الشعر ، ويريد بالمعنى هنا نوع الفكرة التى يريد الشاعر ايضاحها ، حكمة او ادبا او معنى نادرا .

يقول عبـد القاهر في صراحة : واعلم ان الداء الدوى والذى اعيا امره في هذا الباب غلط من قدم الشعر بمعناه ، واقل الاحتفال باللفظ ، وجعل لا يعطيه من المزية ، ان هو اعطى ، الا ما فضـل من المعنى . يقول : ما في اللفظ لولا المعنى ، وهل الكلام الا بمعناه ؟ فأنت تراه لا يقدم شعرا حتى يكون قد اودع حكمة وادبا ، واشتمل على تشبيه غريب ، ومعنى نادر . فان مال الى اللفظ شيئا لم يعرفه غير الاستعارة ..

وان الامر بالضد اذا جئنا الى الحقائق ، والى ما عليه المحصلون ، لأنا لا نرى متقدما في علم البلاغة مبرزا في شأوها الا وهو ينكر هذا الرأى ويعيبه، ويزرى على القائل به ، ويغض منه .

وليس ذلك ناشئا من الجهل بأن المعنى اذا كان ادبا او حكمة ، او كان غريبا نادرا ، كان اشرف من غيره ، ولكن لأن التقديم اذا كان على اساس المعنى لم يكن للكلام من حيث هو شعر وكلام .

وبذلك يلتقى عبـد القاهر بالجاحظ في ان اساس التفاضل بين صناع الكلام ، ليس هو المعنى الذى يورده الاديب ، وانمـا يتفاضلون بحسن الصياغة ، واقامة الوزن ، وتخير اللفظ، وجودة السبك ، لأن ذلك يدل على ان الاديب قد احرز المعنى على نحو خاص به لم يشركه فيه سواه.

وقـد مضى عبد القاهر يوضح فكرة النظم ، فأبان ما يفيده التقديم والتأخير في العبارة ، وما يدل على الذكر والحذف ، والتعريف والتنكير، مطبقا فكرته على ابواب التشبيه والمجاز والاستعارة والكناية مبينا ان سر الجمال فيها جميعها انما هو نظمها على نحو خاص .

واورد ما يمكن ان يعترض به على هذه الفكرة ، وفند جميع هذه الاعتراضات .

القرآن ودلائل الاعجاز

وكتاب « دلائل الاعجاز » كله شرح لهذه الفكرة وتطبيق عليها . ولكننا نأخذ على عبد القاهر انه برغم ان الكتاب معنون بدلائل الاعجاز لم نجد فيه علاجا طويلا لآيات القرآن واتخاذها الاساس في تطبيق فكرته ، وكنا ننتظر منه ان يجعل القرآن هو المحور لبيـان الفصاحة والبلاغة ، وتناهى بلاغته الى ان تصل الى درجة الاعجاز . وان ذلك ليفتح بابا للموازنات بين القرآن وغيره من الكلام البليغ ، تتبين فيها سمو التعبير القرآني .

لم يتخذ عبـد القاهر القرآن الاساس الاول لبيان البلاغة والاعجاز ، بل كان يقف عند امثلة الشعر واى القرآن موقفا متشابها يعرض الفكرة ويوضحها في الشعر والقرآن على السواء . وقد يعلق على الشعر الرائع بقريب مما يعلق به على اى القرآن . وكان واجب عبد القاهر يجعل همه بيان امتياز القرآن على غيره من الكلام حتى صار معجزا لا يدانيه سواه ، يصـل الى ذلك حينا بالشرح ، واحيانا بالموازنة .

ولعل عبد القاهر بتفسيره لفكرة النظم في كتابه دلائل الاعجاز والحاحه في هذا التفسير وتكريره للشرح في فصول الكتاب كان يريد ان يضع في يدنا المقياس الذي نقيس به بلاغة القرآن ، ليركز الينا تطبيق هذا المقياس .

كتاب « أسرار البلاغة »

والى جانب كتابه : « دلائل الاعجاز » الذي تحدث فيه عن أبواب تعد من أهم أبواب البلاغة من تشبيه واستعارة ومجاز . وهي أبواب لها اتصال وثيق بعضها ببعض .

ويريد عبد القاهر من دراسته البلاغة ان يصل الى وضع القوانين الشاملة ، وبيان الاقسام في كل شيء وذكر الفروق بين العبارات ، ويرى في ذلك فائدة لا تنكر .

وهو من اجل هذا لا يقنع بادراك الفرق بين تعبير وتعبير ، بل يريد ان يصل من ذلك الى قانون شامل ، والمسائل واضحة ..

منهج عبد القاهر الجرجاني

ومنهجه في عرض افكاره انه يلح على الفكرة الحاحا شديدا ، يجمع كل ما يملكه من جهد في شرحها والتمثيل لها ، ودفع الشبه عنها ، فهو يحلل ويعرض ما يؤمن به ، ولذلك لا يضطر وسعا في رد ما يعرض لفكرته من الشبه ، وكثيرا ما يكرر الفكرة لتبينها .

ومن خصائصه الدقة في التعبير ، والالحاح في طلب الدقة ، والبعد عن المناقشات اللفظية التي ليس لها نتيجة عملية ، الا كل مناقشة تهدف الى استخلاص الحقيقة ، والوصول اليها ، وبلورة الفكرة وتوضيحها .

ولا يقف عنده عند ذكر الاحكام ، بل يبحث عن اسبابها .

ويوضح فكره بالامثلة الكثيرة ، ثم يشرحها ويحللها ، شرحا وتحليلا واسعين . بل انه في شرحه وتحليله قريب الى ذوقنا المعاصر قربا بينا .

وهو فيما يكتب ذو شخصية قوية مستقلة ، تشعر وأنت تقرؤه انك امام استاذ يقرر لك آراءه في اطمئنان وثقة ، ويعرض عليك الموضوعات مصبوغة بصبغته الخاصة ، واسلوبه الخاص .

ولا يقلل من قيمة هذه الشخصية انه استفاد من العلماء الذين سبقوه ، فرأيناه ينقل عن سيبويه ، والجاحظ ، واستاذه القاضي الجرجاني وغيرهم ، ولكنه النقل الذي يُستشهد به رأيه بعد أن يكون عبد القاهر قد أوضحه من جميع جوانبه ، والقى عليه من شخصيته . على انه قليل النقل الى درجة ملحوظة .

وربما كانت اشارات السابقين مما يفتح امامه طرقا واسعة للاستنتاج والوصول الى قواعد شاملة .

ولا يقلده عبد القاهر برأي لا يراه صوابا ، وان صدر عن عالم له مكانته فقد اورد هذه الابيات :

ولما قضينا من « منى » كل حاجة ..
ومسّح بالاركان من هو ماسحُ
وشدّت على دُهْم المطايا رحالنا
ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
اخذنا باطراف الاحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطي الاباطحُ

ويرغم ان بعض النقاد المتأخرين لا يرى في هذا الشعر اكثر من عبارات جميلة لا تحمل معنى رائعا رأى عبد القاهر فيها شعرا قوي التعبير ، ذا صورا مؤثرة ، وخواطر صحيحة قيمة .

وهكذا كان منهج عبد القاهر منهج الشخص الواثق بنفسه المطمئن الى افكاره ، المؤمن بما يقول .

لادراك الجمال لا بد من ذوق موهوب

وهو ممن يؤمنون بالفروق ايمانا عميقا ، ويؤمن بأن الذوق المصقول هو الأساس الضروري لادراك الجمال ومعرفة اسبابه ، وان ذلك طبع موهوب لا بد منه لمن يريد أن يميز بين النصوص جيدها ورديئها ، وان يفرق في الحسن بين صورة واخرى ،

والى جانب الذوق الحساس يجب ان يكون هناك ذكاء لماح يدرك ما بين العبارات من الفروق الدقيقة التي تمتاز بها العبارات ، وتختلف المعاني .

ويؤمن عبد القاهر بأن هذا الذوق الفطري لا يمكن ان يكتسب ، ولا يستطيع المربي ان يخلقه في نفس تلميذه . ولذلك يمكن أن يصل الناس الى المسائل العلمية ، وان يصل المؤلف الى اقناع الناس بها ، اما المسائل المبنية على الذوق فمن المستحيل ان توصلها الى النفوس الا اذا اعتمدت على الطبيعة الموهوبة .

وبهذا الذوق المرهف ، والذكاء المطبوع يمكن

الوصول الى معرفة العلة في الجمل .

وهو يؤمن بأن الذوق البلاغي قليل في الناس ، وذلك هو البلاء ، والداء العياء ، في نظر عبد القاهر . وكذلك يكون البلاء اذا ظن العادم لهذا الذوق أنه قد أوتيه ، وأنه ممن يستحق لأن يحكم ، وأهل للقضاء ، فيجعل يقول القول لو علم فساده لاستحيا منه .

وقد برهن عبد القاهر على ذوق بلاغي ممتاز ، وقريحة وقادة ، لدرك أسرار الجمل ، وتمييز الفروق الدقيقة بين صور الكلام ، حتى انه ليحس بأن المعنى يتألم ويتظلم اذا لم يؤد بالعبارة الصالحة .

الجرجاني أظهر في البلاغة علما جديدا

وقد تأثرت البلاغة العربية تأثرا قويا واضحا بعبد القاهر : فرسخت أركانها ، وأوحت بأفكار جديدة أضيفت اليها ، وكانت مثارا لمناقشات العلماء ، موافقين ومخالفين .

وبرغم أن جهود عبد القاهر في البلاغة جعلت صاحب « الطراز » يظن في فاتحة كتابه أن عبد القاهر واضع علم البلاغة اذ يقول : « وأول من أسس من هذا الفن قواعده ، وأوضح براهينه ، وأظهر فوائده ، ورتب أفانينه ، الشيخ العالم النحرير ، علم المحققين ، عبد القاهر الجرجاني، فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد .. وفتح أزهاره من أكمامها ، وفتق أزراره بعد استغلاقها واستبهامها ، فجزاه الله عن الاسلام أفضل الجزاء . برغم ذلك فلسنا ندعي أن عبد القاهر قد ابتكر البلاغة العربية ، وكان الواضع الأول لها ، فقد سبقته جهود مضنية في دراسة الكثير من مسائلها ، ولكن كان له الفضل في ابراز علم جديد من علومها ، هو « علم المعاني » .

ولم يكن هدف عبد القاهر يوم تكلم على النظم، وأن البلاغة تعود اليه ، وأن النظم ليس سوى توخي معاني النحو التي تعقد الصلة بين الكلم ، لم يكن يفكر الا في البرهنة على هذه الفكرة ، وتجليتها ، ودفع الشبه عنها ، ولم يدر بخلده أنه يضع في البلاغة العربية أساس علم جديد عرف بعده « بعلم المعاني » .

لقد رأى من جاء بعد « عبد القاهر » أن المسائل التي أثارها في كتاب « دلائل الاعجاز » أمور يتصل بعضها ببعض ، وترتبط كلها بالمعاني التي تستفاد من الجملة عندما توضع على نحو خاص : من تقديم أو تأخير ، وذكر أو حذف ، وتعريف أو تنكير ، وتوكيد أو عدم توكيد ، الى غير ذلك من ألوان الصياغة فربطوا بين الأبواب وسموها « علم المعاني » .

ولا ريب في أن الفضل في ابتكار هذا العلم يعود الى « عبد القاهر » وحده ، فان مسائل هذا العلم لم تدرس ولم تعالج قبله على هذا النحو الذي قام به عبد القاهر ، واذا كان لبعض مسائل هذا العلم ذكر فيما ألفه العلماء قبله ، فلم يكن ذلك سوى شذرات لا تغني ، ولا تسلب عبد القاهر ميزة ابتكار هذا العلم ، وفضيلة السبق الى دراسة موضوعاته .

لسنا نشك في أن زيادات أضيفت الى المسائل التي اهتدى اليها عبد القاهر ، ولكن هذه الزيادات كانت متأثرة بتوجيهه اليها ، وبأنه فتح الأبواب أمام الباحثين ، ليضموا الى المسائل التي ذكرها ما يشبهها ويقرب منها .

ولعل توسع عبد القاهر في الحديث عن معاني النحو ، وأن النظم ليس شيئا الا توخي هذه المعاني ، هو الذي أوحى بتسمية هذا العلم : « بعلم المعاني » .

ومما هو جدير بالذكر أن كثيرا من أمثلة عبد القاهر في كتابه : « الدلائل » قد وجد سبيله الى الكتب التي ألفت بعده في علوم البلاغة ، واذا استثنينا حديثه القصير عن الجناس والسجع الذي وضعه في صدر كتابه « أسرار البلاغة » ، والذي كان الأولى به أن يكتفي فيه بوضعه في كتاب « الدلائل» لأنه يتفق مع فكرة هذا الكتاب — اذا استثنينا هذا الحديث وجدنا مسائل الكتاب وحدة يتصل بعضها ببعض وكلها تدور حول المجاز .

فلكي يفهم المجاز لا بد من معرفة الحقيقة ، ولا بد من أن يذكر فصل يوازن فيه بين الحقيقة والمجاز .

وهذا المجاز منه ما يكون في الاسناد ، وهو المجاز العقلي ، ومنه ما يكون في الكلمة ، وهو المجاز اللغوي . والمجاز اللغوي منه ما تكون علاقته المشابهة ، وذلك الاستعارة ، ومنه ما تكون فيه العلاقة غير المشابهة،وذلك هو المجاز المرسل.

ولما كانت الاستعارة مبنية على التشبيه كان من الواجب ذكره ، لكي تفهم الاستعارة على وجهها الصحيح .

فضل الجرجاني في علم البيان

ولقد ادرك عبد القاهر هذه الصلة الوثيقة التي تربط هذه الابواب بعضها ببعض ، وادرك وجه ترتيبها الترتيب الطبيعي .

هذه الابواب ذات الصلة المتشابكة ، والتي جمعها عبد القاهر في كتاب ، معرفا باهميتها في البلاغة العربية، وظل البلغاء ينظرون اليها نظرة تقدير واعجاب ، هي التي جمع شملها من جاء بعد عبد القاهر في علم واحد دعوه « علم البيان » مضيفين اليه باب الكناية ، لصلتها بالمجاز من ناحية احتياجها الى قرينة تدل على المعنى المراد منها ، كما ان المجاز في حاجة الى هذه القرينة ، غير ان قرينة المجاز تمنع من ارادة المعنى الاصلي ، وقرينة الكناية لا تمنع من ارادة المعنى الحقيقي .

وفضل عبدالقاهر في هذه المسائل التي عرفت « بعلم البيان » يبدو في محاولته تحديدها ، وذكر اقسامها، ومعرفة اسباب بلاغتها ،والوقوف عند امثلتها ، يستوحي سر جمالها ، وذلك مجتمعا ، امر لم يقم به بلاغي قبل عبد القاهر .

ولقد صار ما وضعه عبد القاهر من مسائل هذا العلم جزءا اساسيا من علم البيان ، واذا رجعنا الى كتاب كالايضاح ، الذي اصبح تقريبا الصورة النهائية لما انتهت اليه البلاغة العربية ، وجدت اثر عبد القاهر فيه واضحة جلية ، ووجدت ما وصلت اليه مسائل البيان قد بدت فيها جهود الرجل متميزة بين ما زيد عليها من مسائل العلم.ووجدت بصفة خاصة ان عبدالقاهر، حين يجري تقسيما لباب من ابواب تلك المسائل ، انما يجريه على ما بين يديه من نماذج بليغة ، يستنتج منها ، ويجعل اقسامها مبنية عليها ، ولا يلجأ الى العقل ، ليضع اقساما عقلية ، لا حظ لها من بلاغة القول ، ولا جمال التعبير ، كما فعل من جاء بعده من علماء البلاغة .

وعلم البديع

وبقي من علوم البلاغة بعد علم المعاني وقسم البيان ما عرف باسم علم البديع الذي نما مع الزمن ، حتى اصبح كثير الفروع متشعب المسالك . وليس لعبد القاهر اثر يذكر في هذا العلم سوى ما اراد ان يثبته من ان ما يظهر ان الحسن يعود فيه الى اللفظ ، انما يعود الجمال فيه الى معناه ، كالسجع والجناس ، اما ما عدا ذلك فلا مجهود له .

اسلوبه واهل العصر الحاضر

واذا وازنا بين بلاغة عبد القاهر والبلاغة من بعده ، وجدنا الاولى خالصة للدراسة البيانية الخالصة ، لا دخل فيها للفلسفة ، ولا خضوع فيها للمنطق ، ولا لمناقشات الفلسفة والمنطق ، تلك المناقشات التي باعدت بين البلاغة العربية وبين ما كان يرجى لها من تأثير في الذوق وتربية له.

واسلوب عبد القاهر اسلوب واضح ، برغم ما قد يكون فيه احيانا من جدل ، وان كنت تحتاج الى التريث ، لفهم الاعتراض والرد عليه ، لانه رجل قوي الحجة واضح الدليل .

وهو يترك قلمه يسترسل الايضاح والتفسير، لا يتكلف سجعا ولا ازدواجا ، وان كان يأتي بالعبارة مسجوعة احيانا عندما يكون مثلي العاطفة ، ولكنه يأتي بهذا السجع الطبيعي ، لانه يراه وسيلة من وسائل نقل عاطفته الى السامع .

ويميل الى البسط في عرض ارائه ، حتى يقنع قارئه بسلامتها . ولذلك كله كان عبد القاهر قريب التناول في عصرنا الحاضر ، لاسلوبه الواضح من ناحية،ولارتكازه على النفس الانسانية في احكامه من ناحية ثانية ، ولاصالته في هذه الاحكام على النصوص التي بين يديه ، ولحسن عرضه لما يشعر به من الجمال ازاء الادب :شعره، ونثره .

وبرغم كثرة ما اثاره عبد القاهر من النقاش ، لم يكن نقاشه كنقاش البلاغيين الذين جاءوا من بعده نقاشا لفظيا مداره الاعتراض على اللفظة، او المؤاخذة على عبارة ، مما يباعد بين الدارس وبين الموضوع الذي يدرسه ، فيشتت فكره ، ويصرفه عن متابعة دراسة الموضوع ، كما ترى ذلك في الكتب البلاغية التي الفت بعد عبد القاهر .

اما مناقشة عبد القاهر فمناقشة في لب الموضوع وصميمه ، لا تبعده عن الفكرة ، ولكن تفسرها وتجلوها .

وكان هدفه الاول استثارة الذوق الى ادراك الجمال ، ثم محاولة تعليل ما يهتدي اليه الذوق ، ووضع ذلك الاثر على في قواعد وقوانين.

■

احمد احمد بدوي

الحذاء الأحمر

شريط سينمائي

للشاعر: الياس فرحان

[illegible]

يا أقرب الناس إلى قلبي
يا بسمة في ثغر بستان
يهتدي بها كل حيران
بقطرة الطل على الورد
يمسحها السرى فيستهدي
ويحترق! ماذا أسميك
كل الملاحات لقبت بي

***

الليلة القمراء والفجر
والواحة الخضراء والنهر
والبلبل الصداح والطير
[illegible]
والفن من شعر وألحان
والروض من عطر وألوان
ما حار مثل شاعر صب
في وصف ما أبدعه الحب!

***

يا عهد يا فرورة الطيب
يا من سمت عن كل [illegible]
ما كان أحلاها سويعات
كانت لنا بين المحيرات
لهو صاف ولهوا داعي

[illegible]

***

[illegible]

حتى ولو فاجأك الناعي !
أشقى ولا ألتمس السعدا
كي لا تفوتني أحسب الوعدا

***

قد كنت في التفكير غرقانا
ياليتها تُسعفني الآنا !
لما رأيت الخوف يغشاك
مما ترى في الجوِّ عيناك
تهوي قوائمُك ـ يارب
من أين جاءت هذه السحبُ ؟!
قم قبل أن يغرقنا السيلُ
قم قبل أن يُدركنا الليل .
قمنا ورُحت تنهب الأرضا
أحدقُنا مما ترى مرتعش
برقٌ كهذا البرق إنذارٌ
يُعلن أن الغيثَ مدرارٌ
ياليتَ نلقى حولنا بيتا
أو خيمة في القرب يأوينا !
والله ماخوفي على نفسي
لكن على من أدعيت تمشي !

***

لكن كعصفورين ، إذ نمشي
أقصتهما الريحُ عن العش
ضلا وعصف الريح يشتد
والغيم يسودُّ ويمتد
والغيث قد باشر تهتانه
والقبة السوداء ملآنه
حتى وصلنا كوخ صيّادِ
تملأه ضجةُ أولاد
هذا هو المأوى الذي كنا
نرجو ليمضي خوفُ عنا
قابلنا الأولادُ في الباب
مثلَ قرود دون أذناب
كانوا مع الخنزير والكلب
بالركض يلهون وباللعب
تجمعهم في ذلك القفر
آصرةُ الوحشة والفقر
كسوتهم واحدةُ الخيشِ
وحلٌّ من الرجل إلى الرأس
لاتفرق الأمُّ بلا تفكير
بين ابنها والكلب والخنزير !
رباه إن الفقر والجهلا
يستنزفان ، الروح والعقلا

***

بعد قليل جاءت الأمُّ
بالصيغة الحسناء تهتمُّ
مثلَ آمالنا ، كوبكبانه ، (١)
لكنَّ عُرْيَ العُسْرِ والذل
ليس كعُري اليُسْرِ والدلّ !
قالت لنا . عذرا ، وذا المقعدُ
عريانةً أو نصفَ عريانه
فالقطر لايلبث أن يبعد
والمقعدُ ابني لوحان
لم يعرفا فُرشاةَ دهّان
قلت اهدئي ياهند ياعيني
لسنا هنا إلا أسيرين

---

(١) Copacabana أجمل شواطئ البرازيل وأشهرها

الماء في الخارج طوفانُ
والدرب أنهارٌ وغُدرانُ
والنوم في زاوية الكوخ
أمنية تبلغ يا فُرخي !
هذا هو الشهد الذي يُحيل
دون جناه إبَرُ النحل
وهي التي تلسعنا الآنا
كي لايكون الشهد مجانا !
فافترّ لي ثغرُكِ عن بسمه
فيها عبير الورد والطعمه
بسمة من يستنكر الشهدا
فضلا عن استنكاره المُهدا !

* * *

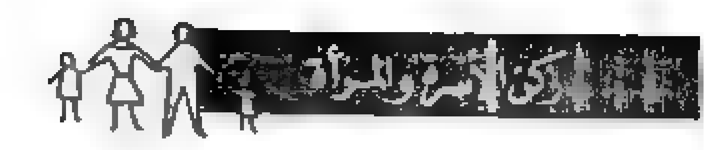
قد كنت كالعباد لم يتصلّبِ
لما وضعتُ الخدّ في منزلي
حتى اذا ما انقطع الوبلُ
والشمس عادت مثلما قبلُ
تكسو الثرى والجوّ ديباجا
يمداح في الآفاق موّاجا
أعطيتُ مما كان في جيبي
شيئا لعابرٍ غير ذي عيب
والشكر للأم رعيناهُ
يصبح بالإخلاص معناه
ثم انصرفنا لايجارينا
إلا محبٌّ فيه مدينا
نقفز فوق الماء أحيانا
والوحلُ رجلو يتقانا

تمشي قُربي مشية الأعرجْ
خوفا على (بابوجك) الأحمر !
آناً أمامي ، آنةً خلفي
آونة كفّكِ في كفّي
والحق في جنب الذي جاها
ولاتُصنع الأزهار احماها !
هذا شقيقٌ فوق منثور
رجلاك فيه موجتا نورِ
لم تُخنقا من دمع ناعمْ
إلاّ لوجه الصبر الناعمِ !

***

ثم انتهى الشوط بنا لما
أقبلت السيارة العظمى
فاحتملتنا وانثنت فورا
لاتتقي بعدا ولا غورا
حتى دنت من معبد البلدة
وانتثرتْ رُكّابُها عنده
سرتُ إلى البيت وإياكِ
ندعو ليوم ضاحكٍ باكِ
يوم سألنا الدهر إرجاعَهْ
فالعمر من ساعاته ساعَهْ
ما أضيع الأيام بالعدّ
يفصل فيها بيننا البُعدُ
عمر طويلٌ أجوفٌ مضى
لفظٌ كثير ماله معنى
كأسٌ تُقفي بمعي من الحُزنِ
عن ألف رقٍّ فارغٍ تُغني !

البرازيل — إلياس فرحات



ابن الرابعة عشر .

■ كتبت أم تقول :

« لم أعرف الحزن والأسى في حياتي قدر ما عرفته في هذه الأيام .. تصور أن ابني ، الذي حملته في أحشائي، وقاسيت الآلام في وضعه ، وغذوته وسهرت الليالي أمشي به ، وقضيت أربعة عشر عاما – هي مجموع عمره – أعنى به وأرعاه .. ابني هذا ، وهو ثالث أولادي ، قد امتنع عن الحديث إلي ، وقاطعني ، لمجرد أنني أنبته ، إذ تعود أخيرا أن يطيل لسانه في النيل من أخويه اللذين يكبرانه ، إذا اختلف معهما في أمر ..

« وإذا كان هذا مسلكه إزاء تأنيبي إياه ، وهو بعد يعتمد في حياته على أبيه وعلي ، فماذا يكون شأنه إذا كبر وأتم دراسته ، وتولى عملا ، ولم يعد عالة علينا ؟ .. إنني أخشى أن أشكوه لوالده فيعنف معه ، أو يقسو عليه ، فيزيده جموحا في شراسته .. ولكني في الوقت ذاته، أتألم أشد الألم لما يبديه من استعلاء علي، وعدم اكتراث لغضبي .. » .

سن التغير الفجائي

رسالة مؤثرة ولا شك ، فليس أقسى على قلب الأم من تصرف ابن كهذا ، وفي سنه هذه ، لا سيما وأنه لا يزال يعيش في كنف أبويه ..

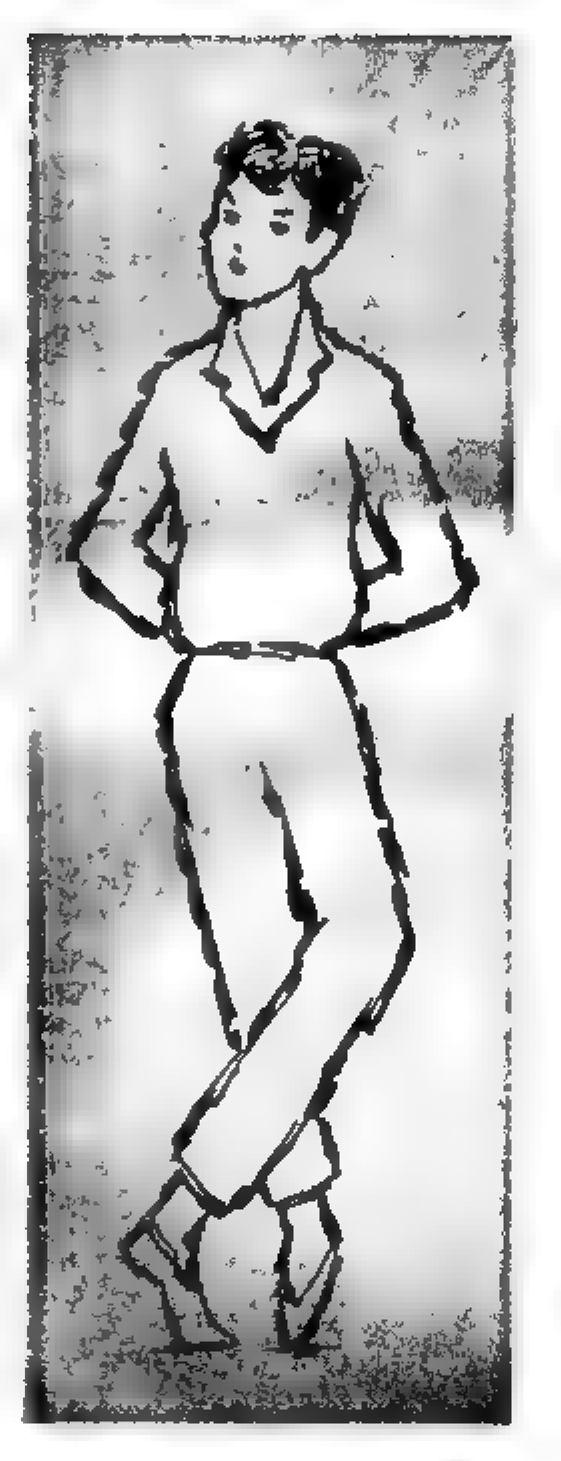
ولكن الرسالة تكشف – في الوقت ذاته – عن أن الألم العاطفي شغل الأم عن أن تتعمق في تحليل المشكلة ، لتعرف أسبابها الأولى .. وهي لو فعلت لسهل عليها علاج الموقف ..

وسن الصبي هي أول الأسباب .. سن الرابعة عشرة .. سن التغير الفجائي الذي يطرأ على الصغير وهو ينتقل إلى مرحلة المراهقة ، ويقف على أعتاب النضوج .. وقد جرت التقاليد في أسراتنا العربية على تجنب الحديث إلى الأبناء عما يصيبهم في هذه السن ، وعن إعدادهم لخوض التغير الطارئ .. فلذلك يجد الصغير نفسه – ولدا كان أو بنتا – موزعا بين الحيرة والقلق .. إذ يرى تطورا في بعض أجزاء جسمه ، كظهور الشعر تحت إبطيه ، أو في فوديه – مثلا – فلا يدري سر ظهور هذا الشعر ، أو هو عرفه من زملائه، عرفه مشوها أو غير دقيق ، نتيجة نقص معرفتهم هم الآخرين ونتيجة الآراء المنحرفة التي يسمعونها من سواهم، والتي تحول التربية التي جرينا عليها دون تبصيرهم بصحتها ..

الحيرة والقلق يثيران أعصاب الصغير

ظهور الشعر، واخشوشان الصوت، والانفعالات التي تنتاب الصبي إذا رأى فتاة ، أو مجرد صورة لأنثى في مجلة ، والأحلام الغريبة التي تراود خياله .. كل هذه الظواهر يقف إزاءها الصبي بين الفرح والخوف .. الفرح لشعوره بأنه مقبل على أن يستكمل رجولته ، والخوف من الأعراض التي تصحب هذه الظواهر ، فهو يجهل إن كانت هذه الأعراض طبيعية ، أو هي ثمرة عن اضطراب في صحته .. ومن شأن هذا الجهل أن يحمله على التوجس والقلق .. وهو – في الوقت ذاته – يخشى أن يكشف شيئا لوالديه أو يسألهما فيها ، ظنا منه أن هذا يخرج به عن نطاق الاحترام والأدب كما درج على فهمهما ..

والشعور بهذه الأعراض ، مع الحيرة والقلق ،



فى حاجة إلى الحنان والتفاهم !

كفيلة بأن تثير أعصابه ، فهو يضيق بكل شيء ، وهو يثور لأتفه الأمور ..

الشعور بالظلم والتفرقة فى المعاملة

هذا سبب .. وهناك سبب آخر ، هو أن حساسية الصبى فى هذه السن ، تجعله يشعر بأنه مظلوم أو مغبون إذا اشتم أقل تفرقة فى المعاملة بينه وبين أخوته الذين يكبرونه ، أو حتى بينه وبين أقرانه من الجيران أو من زملاء الدراسة .. وهذا الشعور بالغبن ، مع الحصيلة التى تعتمل فى نفسه من جراء التفاعلات الطبيعية التى تجرى فى كيانه ، يحملانه على التمرد ، والاحتجاج .. وكلما توغل التطور فى عملياته ، اتخذ من هذا التمرد والاحتجاج طابع الخشونة والعنف ..

ومن السهل على الصبى المراهق أن يجد ما يوحى إليه بالتفرقة فى المعاملة بينه وبين سواه فى أتفه الأمور والتصرفات التى يراها الكبار تافهة .. مجرد أن يطرى المدرس فى الصف أحد الطلبة لنشاطه ، كفيل بأن يوحى لجار هذا الطالب أن المدرس يؤثر زميله عليه .. مجرد أن يستحضر الأبوان ثوبا جيد النسيج ضاق على الأخ الأكبر ـ لسرعة نموه ـ فيفكرا فى أن يفيد منه الأخ الأصغر ، كفيل بأن يوحى لهذا أن أبويه يعطيانه فضلات أخيه .. ولو أنهما عمدا إلى الحيلة والتلطف الرقيق فى بيان محاسن الثوب واستظهار أصالته ، وحرصا بعد هذا الإيحاء على تخيير الصغير ، لنجحا فى حمله على أن يطالب بالثوب مختارا ..

اللوم العلنى يؤذى شعوره

من هذا ترين يا سيدتى ، أن « سلاطة » لسان

ابنتك ذات الأربعة عشر عاما ، وغرابتك في معاملة أخويه قد ترجع للفوارق الواضحة في المعاملة لا تفطنين انت وابوه اليها لغفلتكما عما يدور في كيانه ..

ان الصبي حين يتشاجر مع اخويه اللذين يكبرانه ، قد لا يصدر في ذلك عن حنق على هذين الأخوين ، بل انه قد يكون ضيق الصدر لتصرف صادفه في المدرسة او في الطريق ، فهو يفثأ حنقه في البيت .. وهذه حال طبيعية .. وكم من كبير يطلق العنان في بيته لرد فعل ما يلقاه في الخارج من امور تجرح شعوره او تمس كرامته !

واقسى الامور في نفس المراهق ــ في مثل هذه الظروف ــ ان يتعرض للوم او الزجر او العقاب امام اخويه اللذين يكبرانه او الذين يصغرونه .. فهو ــ في هذه الحال ــ يرى في التأنيب والعقاب استصغارا لشأنه ، وجرحا لكبريائه .. وهو اذ تدفعه العوامل الطبيعية التي تدفعه الى الخشونة والعنف ، قد يؤثر ان يمسك لسانه ويتجنب صاحب التأنيب ــ ابا او اما او مدرسا ــ حتى لا يدفعه نزق المراهقة الى الاستسلام للميل الى الخشونة والعنف نحو شخصية يحبها ويحترمها.

انه ليس شرسا ولكنه حائر

ومن ثم فان تصرفه معك يا سيدتي لا يجب ان تحمليه على محمل المفاضلة ، والاستخفاف منك ، وعدم الاكتراث لشأنه .. فابنك ــ في هذه السن ــ ليس شرسا وقحا كما يخيل اليك ، وانما هو حائر ، مسكين ، اشد ما يكون حاجة الى عطفك وحنانك وفهمك .. وبدلا من ان تتألمي منه ، او توغري صدرك عليه ، حاولي ان تفهميه وان تتفاهمي معه ..

ان مرحلة المراهقة من ادق المراحل واقساها على الصبي ، وجدير بالوالدين ان يتجنبا في خلالها الشدة معه في التأديب ، الا ان الشدة قد تحمله على تجنبهما ، فاما انطوى على نفسه ، واستسلم للشعور بالاهانة والغبن .. واما لجأ الى سواهما يشكو اليه ما به ، وهو عادة يلجأ الى زملائه الذين يشعرونه بنقص المعرفة والتجربة وقد تؤدي نصائحهم الجاهلة ــ التي تتسم بالنزق لانهم مثله يجتازون هذا الطور ــ الى انحرافه ..

وإذا رأى الأبوان انه لا بد من الشدة في تقويم الصبي لتصرف ظاهر صدر منه ، فيجب ان يحرصا على ان يكون ذلك فيما بينهما وبينه ، بعيدا عن أسماع وأنظار أخوته أو أي شخص آخر ، حتى لا يشعر بالذلة وجرح الكبرياء ..

اكتساب صداقته خير سبيل لعلاجه

ان مسئولية الوالدين ازاء الابن ــ او البنت ــ في سن المراهقة ، تفوق مسئوليتهما ازاءهما في اية سن أخرى .. وخير ما يفعلانه هو أن يسعيا للتقرب اليه ــ دون ان يمس هذا احترامه اياهما ــ الى ان يظفرا بصداقته .. والام ــ في هذه الحال ــ اقدر من الأب .. فان مشاغل الأب كثيرا ما تحول دون بذل هذا الجهد بالانتظام الواجب .. فضلا عن ان طبيعة الام ــ وهي التي يكون الابن اكثر التصاقا بها ــ وما طبعت عليه من حنان ولطف ، يسهل عليها اجتذاب ثقة الابن وطمأنينته ..

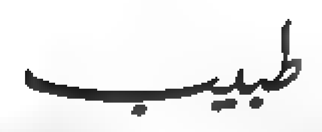
وباكتساب صداقة الابن وثقته ، تستطيع الام ان تحركه على ان يبوح لها بما يصادفه في حياته اليومية ، ويجعلها تظل على دراية بما يمر به فتواليه بالارشاد والتوجيه ..

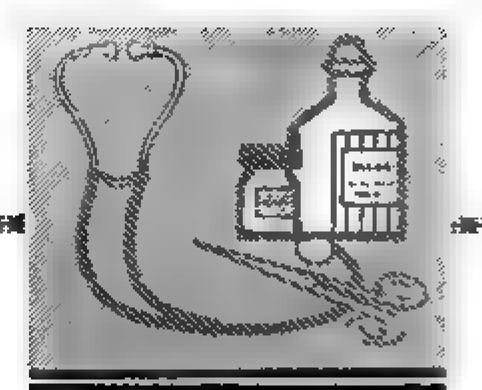
ثم ، اي شيء يمس وقار الابوة ، في ان يحاول الأب ان يشرح لابنه اسرار الطبيعة التي تتفاعل في كيانه ؟ .. ان عاقبة تأخير معرفة هذه الاسرار عن زملاء يصورونها حيرة وجهلا .

ومن الطبيعي ان هذا يتطلب من الأب ان يلم بهذه الأسرار المام صحيحا ، لا ان يخبط خبط عشواء .. وكم في المكتبات اليوم من كتب ــ عربية وغير عربية ــ تتناول هذه الموضوعات على اصول علمية مبسطة .. ومن واجب الآباء ان يعنوا بالدرس والاطلاع اللذين يساعدانهم على اداء واجب الابوة ..

احسب ــ بعد هذا ــ ان السيدة صاحبة الشكوى قد ادركت حقيقة وضع ابنها وانحرافه .. ادركت انه ليس شرسا ولا وقحا ، وانما هو حائر ، قلق ، في حاجة الى قلب حنون ، والى عقل واع ، والى شخصية تجمع بين الرفق ــ لتستطيع فهمه وتوجيهه ــ والحزم لتستطيع تأديبه بالطريقة الصحيحة اللائقة اذا دعت الضرورة .. ■

بدر الدين





اصيب والدى بالاستسقاء

ـ اصيب والدى بمرض الاستسقاء ، واضطر الاطباء الى عمل بزل له في البطن. فما هو هذا المرض ، وكيف يحدث ؟

● الاستسقاء لفظ عربي قديم ، وهو، كما هو ظاهر ، من السقي ، ومعناه تجمع ماء داخل اجزاء الجسم تجمعا غير طبيعي .

واقول غير طبيعي لان كل انسجة الجسم تغمرها السوائل ، فهي رطبة دائما ، ولكن الى حد . تأتيها السوائل من شعيرات الدورة الدموية ، فتنفذ ومعها الغذاء من جدرانها ، فتغمر خلايا الانسجة وكل فراغ بينها . وهذا اشبه بري الارض . ولكن لا بد من صرف تعقبه ، من سحب الماء الفائض . وطريق ذلك اوردة الجسم ، وكذلك الاوعية اللمفاوية . وهذا توازن لو اختل ، تجمع بسببه الماء في تجويفات الجسم وماضي . فهذا هو الاستسقاء .

وهو ليس بمرض . انه عرض ، يظهر لاسباب شتى .

فمن ذلك ضعف في جدران الشعيرات نتيجة اذى وقع للعضو الذي هي فيه ، او ضعف في الجسم عامة، او فقر في الدم الجاري في الجسم وقلة تغذيته ، او دخول سموم الى الدم نفسه . ومن اسباب الاستسقاء كذلك بطء في جريان الدم بسبب حوائل تقوم في الاوردة ، او عوائق تنقص من جريان السوائل في الاوعية اللمفاوية .

وتجمع السوائل في الاستسقاء يقع في اعضاء من الجسم شتى، وتسمى باسمها . فهو يقع في البطن ، وقد يقع في الصدر ، وقد يقع في الدماغ وهلم جرا . وقد تكون عاما .

اما العلاج فيكون بعلاج اسباب الاستسقاء ، اي علاج المرض الذي هو عرضه .

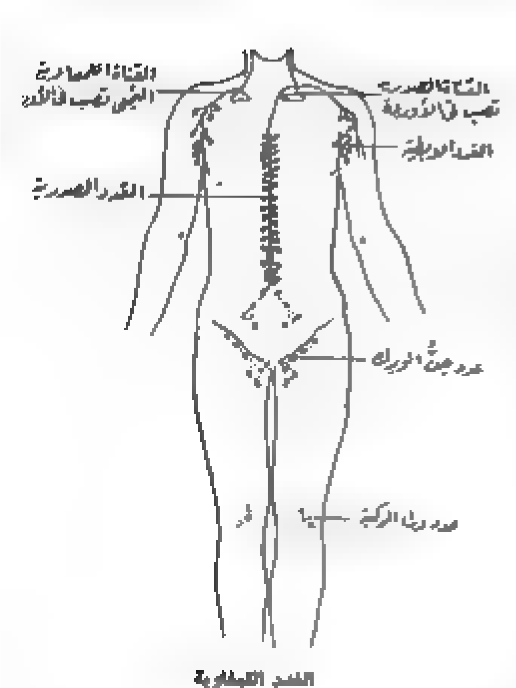
أنا مريض بالسكر ، وأريد أن أنظم طعامي

ـ أنا مريض بالبول السكري ، والدكتور لي الطبيب وجبات محدودة ، وقال لي اني استطيع ان استبدل شيئا من الطعام بشيء مساو له في مقدار ما يحتويه من المواد السكرية ، فكيف يمكن معرفة ما تحتويه الاطعمة العادية من مواد سكرية حتى يمكن الاستبدال .

● أولا يجب معرفة ما نكرره دائما من أن مكونات الغذاء الأساسية ثلاثة ، هي المواد السكرية التي أسبق ذكرها ، وهي تضم السكر بشتى أنواعه وما يتحول في الجسم بالهضم ويعطي سكرا ، ومثل ذلك النشا . ثم المواد البروتينية وهي تتمثل في مادة اللحوم أكثر ما تكون . ثم المواد الدهنية .

وهناك بعض أمثلة من محتويات بعض الأطعمة الشائعة من هذه المكونات الثلاثة ، معبرا عنها بالنسبة المئوية من وزنها ، وكل ذلك بالتقريب لأن الأطعمة تختلف بعض الشيء وتركيبها بالطبع بما فيها من ماء ومن أملاح :

	السكريات	البروتينات	الدهنيات
	٪	٪	٪
لبن البقر	٥ر٤ الى ٠ر٥	٠ر٣ الى ٥ر٣	٥ر٣ الى ٥ر٤
الزبدة	٤ر٠	٠ر١	٨٢
الجبن الجاف	٩ر١ الى ٤ر٢	٢ر٢٥ الى ٠ر٢٦	٤ر٣١ الى ١ر٣٢
اللحم البقري المطبوخ	—	٢٥ — ٣٠	٨ — ٢١
العجل المشوي (فلتو)	—	٥ر٣٠	٥ر١١
الضأن المشوي	—	٠ر٢٥	٤ر٢٠
الضأن المسلوق	—	٨ر٢٥	٦ر١٦
السمك المقلي	—	١٨ الى ٢٢	٣ر١ الى ٩ر١٨
البيض	٦ر١	٣ر١٢	٣ر١١
الخبز الابيض	٥٠	٠ر٧	٠ر١
الخبز الاسمر (دقيق كامل)	٥٥	٣ر٦	٠ر١
الارز	٨٠	٨ر٦	٦ر٠
مكرونة	٧٦	٤ر١٣	٩ر٠
بسلة خضراء	١٦	٠ر٦	٤ر٠
فاصوليا	٥٥	٠ر١٥	٣ر١
بطاطس	١٩	٠ر٢	١ر٠
موز ناضج	٢١	٢ر١	١ر٠
لـوز	١٦	٨ر١٨	٥٥
جوز عين الجمل	١٤	٦ر١٣	٦٦



الغدد اللمفاوية

طبيبنا

– شكوت من ورم في ابطي فشكى مسن الباطن ، ولما ذهبت الى الطبيب وفحص الورم ، سألني على الفور ان كان هناك في قدمي جرح . وقد كان . فكيف عرف ذلك . قال انها الغدد اللمفاوية . فما هي هذه الغدد التي كشفت عن هذا الجرح دون ان يعلم به الطبيب ؟

● الدورة الدموية معروفة : قلب ، ودم يخرج الى الجسم في شرايين ، ومن الشرايين الى شعريات ، ومن الشعريات تتغذى الخلايا والأنسجة ، ثم يعود الدم الى الأوردة الى القلب وهلم جرا .

والمهم في هذا ان الدم لا يخرج من الشعريات الى خلايا الجسم وانسجته ، وانما يخرج اليها منه سائل ، هو يحمل ، بما يلزم من غذاء لهذه الخلايا والأنسجة . ولكن ليس كله يعود الى الشعريات فالأوردة . بعضه يبقى بعد لأ ما بين الخلايا من فراغ ، ولا بد من نزحه والذي ينزحه وينقله أوعية أخرى هي التي تسمى اللمفاوية . والسائل الذي تحمله هو اللمف . وهو سائل أصفر شفاف . وهذا تسير به هذه الأنابيب الى أعلى اليدين والرجلين ، وتجتمع لتصب آخر الأمر في أوردة الدم الكبرى التي في أعلى الصدر .

فهذه الدورة تعمل أشبه شيء بمصارف المزارع من بعد ريها .

ولها عمل آخر مهم : تمتص ما انهضم في الأمعاء من الدهن ، وتذهب به الى الدم كذلك .

وهذه الأنابيب ، وهي أشبه بأوردة الدم ، تتورم فيها ، على مسافات ، غدد تتصفى عندها اللمف . ولو كان به ميكروب ، قامت أجسام في هذه الغدد بإعلان الحرب عليه . وقد تغلب على أمرها ، فتلتهب ، وتتورم .

وهذا ما حدث لك . عرف الطبيب من تورم الغدد ان عدوى ميكروبية دخلت الجسم ، وهي لا بد في حالتك دخلت الجزء الأسفل من الرجل . منطق بسيط جميل .

انا سمينة

– انا سمينة ، وثقيلة الحركة ، وقيل لي ان أضمن شيء واسلمه للنحافة هو الرجيم ، فكيف يكون ذلك .

● الرجيم هو تنظيم الطعام . وهو في حالتك الأخذ من عناصر الطعام بأدنى المحدود بدون اضرار بالجسم ، والبعد ما أمكن عن السكريات من سكر ونشا واضرابهما وكذلك عن الدهنيات . وانت واجدة في الصفحة التالية جدولا يعين على ذلك . ونصيحة الطبيب على كل حال واجبة .

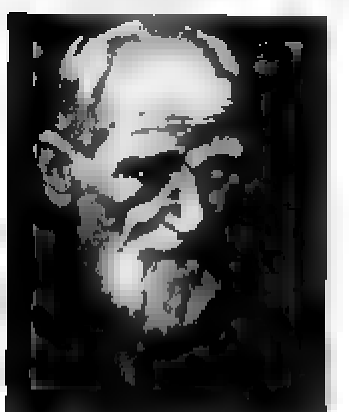


دردشة

برنارد شو يساوم ولف

● روى س . ج . ولف ، الرسام الامريكي ، انه طلب الى برنارد شو ان يأذن له برسمه فرفض فكتب اليه :

عزيزي مستر شو ، قلت مرة ان السبب الوحيد الذي حملك على أن تأذن « لرودان » أن يصنع لك تمثالا هو انك وجدت التمثال خير وسيلة لتخليد شهرتك ، وهذا يصدق على اوروبا . اما في امريكا فاقول لك انك لن تخلد فيها حتى يتاح لي أن أرسمك . واعلم أن ذلك لن يستغرق اكثر من نصف ساعة من وقتك وهذا يسير جدا .



فجاءني الرد : لي تجربة واسعة بما يطلبه المصورون والمثالون اجرا عن أعمالهم، ولكن شرطي هو أن اتقاضى منك ٣٧٥٠ دولارا لكل ساعة ، ثم انني لا أستطيع أن اتحلل من اشغالي قبل سنة .

فاحسست أن الرد المناسب كفيل بان يجدي . فكتبت له : قبلت شرطك وأما ما اتقاضاه انا عن الرسم فهو ٣٧٥٠ دولارا لكل ساعة ولا سبيل لك أن تتحلل من اشغالك وانا ارسمك ، فمتى احضر؟

وجاء الجواب : الآن .

فطرت اليه وكانت المسافة بيننا العميل .

العرج ام العمى

● سمعت سيدة متسولا اشل يمثل العرج بمشي الثقل ثم قالت مواسية: "من الاليم حقا ان يفقد المرء احدى ساقيه ، ولكن عليه ان يحمد الله على انه احسن ممن فقدوا نعمة البصر .

فقال المتسول : صدقت يا سيدتي ، فعندما كنت « اعمى » كانت الهبات التي احصل عليها اكثرها من النقود الزيفة !

نعم .. نعم .. نعم .. !

● أرسل شاب لعاملة فى متجر خطابا يسألها فيه ان كانت توافق على الزواج منه .. فاسرعت الى اقرب مكتب تلغراف واملت الموظف المختص كل ما كان معها من نقود، ثم قالت له بعد أن اعطتــه عنوان الشاب اكتب له :

نعم .. نعم .. نعم .. نعم .. وهكذا حتى يسع آخر البرقية ما اعطيتك من نقود !

اقل الوسطاء نفوذا

● تقدم شخص الى « دوق بكنجهام » (وكان مغضوبا عليه من الملك) وطلب منه أن يتوسط له لدى البلاط الانكليزى لقضاء حاجة له، ومما قاله للدوق :

— ليس لى من اعتمد عليه غير الله وانت ..

فاجابه الدوق ساخرا : اذا فقضيتك ميؤوس منها، لأنك اخترت اثنين هما اقل الوسطاء نفوذا فى البلاط !!



بسمارك يعتذر

● كان العالم الالمانى « رودولف فرشو » كثير النقد لسياسة بسمارك، مما اضطــر بسمارك ان يتحداه، ويدعوه الى المبارزة . فارسل اليه العالم يقول

— ما دمت انت المتحدى، فلى انا حق اختيار سلاح المبارزة .

ولما وافق بسمارك، ارسل اليه العالم كعكتين متشابهتين، وقال له : ان واحدة من هاتين الكعكتين ملوثة بجراثيم الكوليرا المميتة، والاخرى نظيفة من الميكروبات، فهل تتفضل بأكل احدى الكعكتين، وسآكل انا الكعكة الثانية !

فلم يسع بسمارك الا ان يعتذر ..

وجهات نظر !

❋ اليوم هو الغد الذى كنت قلقا منه بالأمس، فهل يستحــق كل هذا القلق ؟!

❋ قد يكون أفقر الناس هم احســن الأصدقاء .

❋ اذا نظرنا الى بعض الزيجات اعتقدنا بان كيوبيد كان فى بعض الاحيان أحمق .

❋ يعمل بعض الناس بكد وتعب حتى الموت كى يعيشوا عيشــة افضل !

❋ يقول احدهم : ان الكتب المثيرة ليست شيئا جديدا . انها قد انتقلت الى موائد غرف الجلوس، بعد ان كانت مخبأة تحت الوسائد .

❋ الزواج الحديث هو الزواج الذى تشتغل فيه الزوجة لكــى تستطيع شراء الملابس التى تذهب بها الى المكتب الذى تشتغل فيه .

❋ فى مقابل كل رجل يعلم ابنه الادخار توجد امرأة تعلم ابنهــا التبذير .

هيئة الامم فى رأى ساخط

● فى مؤتمر سياسى عقد فى روما، جرت المناقشات حول المهام التى تضطلع بها هيئة الأمم فقال أحد الساخطين على الهيئــة

— انها لمهمة خطيرة تلك التى تضطلع بها هيئة الأمم، ولا سيما فى حالة نشوب نزاع بين دولتين من الدول الاعضاء فيها، فهى تسعى لازالة هذا الخلاف ان كان بين دولتين صغيرتين، فاذا كان بــين دولة كبرى واخرى صغيرة فان الهيئة تسعى لازالة الدولة الصغيرة ! اما ان نشب خلاف بين دولتين كبيرتين، فان الهيئة نفسها تصبح فى خطر، اذ يتجه التفكير الى ازالتها هى !



بقلم : الدكتور نقولا زياده

الاستاذ بالجامعة الامريكية - بيروت

■ ابن زاكور من نتاج عصر من عصور المغرب الزاهر في العصور الحديثة ، اذ كان يتولى اموره المولى اسماعيل (١٠٨٢هـ/١٦٧٢م — ١١٣٩هـ/١٧٢٦م) وهو الذي وحد البلاد ورد عنها العدوان وشجع الأدب وأقام لأهله دولة .

نشأته

وابن زاكور فاسي المولد ، ويرجح الاستاذ عبد الله كنون الحسني مواليده سنة ١٠٧٥ هـ (١٦٦٤م) وقد توفي سنة ١١٢٠هـ/١٧٠٨م . وفاس كانت دوما من مراكز العلم الكبرى لا في المغرب فحسب ولكن في العالم العربي والاسلامي . ولذلك فقد اتيح لابي عبد الله محمد بن زاكور الفتى الملتمس للمعرفة ، والعلماء الأجلاء يأخذ عنهم .

وقد كان فيمن تلقى العلم عنهم في فاس احمد بن الحاج وقاضي برملة وابو علي اليوسي . لكن ابن زاكور رحل الى مراكش وتطوان والجزائر ، وكان يسعى متفتح الذهن محبا للمعرفة ، فأخذ عمن لقيهم هنا وهناك ، ومنهم ابو العباس العطار (بمراكش) والشيخ علي بركة (بتطوان) والشيخ محمد بن سعيد قدورة وعمر المنجلاتي (بالجزائر).

وبدأ ابن زاكور ينظم الشعر وهو بعد صبي على الأعتاب ، وذلك قبل رحلته التي دونها في « الزاهر البستان » . ويبدو أن تنقله زاد توجهه للارتحال تماما مع السنين ، حتى أصبح « جوابة الأقطار وجوالة الأسفار » وعلته الأسفار وسيحت صنافته وصقلت نفسه واكسبته اختبارات وتجارب كثيرة ، ولذلك نضج طبعه وجاد نثره ، لا من حيث الأسلوب فحسب ، ولكن من حيث المحتوى .



أثر أبي علي اليوسي في ابن زاكور

ويعزو الأستاذ عبد الله كنون الى اتصال ابن زاكور بأبي علي اليوسي بعض الفضل في توجيهه الأدبي . فهو يقول في ذلك : « لم هنالك عامل آخر أثر جدا في توجيهه الأدبي وطبعه بهذا الطابع اللغوي الذي ظهر به كعالم لغوي يشرح ديوان الحماسة ولامية العرب ويفسر غريبهما واشعارهما وامثالهما ، الى غير ذلك من نظم قصيدة قصائد على مذاهب شعراء البادية ومن نحا نحوهم من علماء اللغة مرتكبا فيها انواع الغريب ، وملتزما للقوافي الصعبة كالثاء المثلثة والذال المعجمة ونحوهما ، هذا العامل هو اتصاله بأبي علي اليوسي واخذه عنه وكرعه من حياض معارفه الأدبية واللغوية ونسجه على منواله في شعره ، فان ابا علي اليوسي كان ركنا من علوم اللغة والأدب ناسلا الى فنونهما من كل حدب . وقد اتى في شعره من ذلك بكل غريب ، واملأ ديوانه بما فيه متعة للغوي والأديب » .

وعلى كل فقد كان ابن زاكور يعرف لابي علي اليوسي فضله ! وكثر ما ذكره في نثره وشعره . فمن ذلك قوله عنه « واما حبر الأحبار ، وجهينة الأخبار ، ولبن القرى والامصار ، العديم النظير في سائر الأقطار ، حتى السعد بمطالع انواره كواكب نحوس ، مولانا ابو علي سيدي الحسن بن مسعود اليوسي اطال الله مدته ، وحمى من نوائب الحدثان حوزته ، فقد ورد في شوال سنة خمس وتسعين لهذه الحضرة واطارها بقدومه ابتهاجا ونضرة .. فالم بها لماما ، ونقع بها كل ظمآن الى ورده آواما ، ولعاد غزلان الجوامع على الأفئدة بردا وسلاما ، فلازمت منه بحرا زاخرا ، ونظمت من نفيس فوائده لؤلؤا فاخرا » .

ولما توفي اليوسي رثاه ابن زاكور بهذه الأبيات

يا صحبي أبصر [illegible] من دعا
[illegible] أن يعطى [illegible]
[illegible] حوض [illegible] من [illegible]
وات من [illegible] عمرها
واحسب [illegible] غائب العلم [illegible]
مات [illegible] العلم والدين [illegible]

ما قال معاصروه فيه

وابن زاكور ، مثل معاصريه ، درس الفقه والحديث والأصول والتاريخ والأدب ، وكما تعلم فقد علم . فاشتغل بالتدريس طويلا ، وبرع في هذا الفن . ويبدو أن معاصريه عرفوا له ذلك ، ودونوه ، على طريقتهم ، في غير مكان واحد ولعل شهادة الشيخ على بركة وعطية ابن الطيب العلمي كافيتان للدلالة على ذلك . فقد قال الأول « من شبا به زمام الأدب بعد الهرم ، وهب به أوان المجد والحسب وقد اشفى على العدم ، الذي ركض في مضامير البلاغة صافنات جياده ؛ وعقد عقود البراعة على لبات عصره واجياده : الجهبذ الأريب، المصقع الأديب، الثقيف اللقن المتفنن

الشاوك التقن الفقيه النبيه الزكي الوجيه ذو الفضل المعروف غير المنكور ابو عبد الله سيدي محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن زاكور » .

وحلية ابن الطيب العلمي توضح دور ابن زاكور الفاسي . فقد قال العلمي « وحيد البلاغة ، وفريد الصياغة ، الذي توسع في ارض الفصاحة الباهره ، واكثر وثوبه على حل المشكلات والغامضه ، فتصرف في الانشاء ، وعطف انشاءه على الاخبار واخباره على الانشاء ، وطرح الرجال في ميادين الارتجال ، وكثر في معركة الجدال ما شاء وجال ، فهو الذي باسمه في الاوان هتف، وهو الذي يعرف في كل العلوم من اين تؤكل الكتف ، جلس للاقراء في شبابه فأتى بيت التدريس في بابه ، وتحلى في الصلاح بأثوابه ، ولم يحسب لربوبه ولا ربابه ، فتكلم في المذهب وذهب في التحقيق كل مذهب ، واوجز ما شاء واسهب ، وطاول في الفروع ابن قاسم والشهب . وخاض في المنقول فيم المعقول ، ورفع التحقيق عندما يقول ، وتصدر في السيرة واحكم القرآن وتفسيره ، وحرر حرز امانيه وتيسيره ، وتجمل في الرواية من الدراية ، والف في الاصول ما لم يزل به بين الاقران يصول ، وقام العروض بالزوائد والفروض ، فظله منه الشواهد ، وسلم فيه من الشواهد ، واختار الراتبة عن العاقبة » .

كتب ابن زاكور

وقد ترك لنا ابن زاكور ستة عشر كتابا ورسالة ، اكثرها لم ينشر بعد . والمهم ان اكثر هذه الكتب هي في الواقع تعليقاته وشروحه وتفاسيره لبعض ما درس . فهي ، لو اردنا ان نطبق عليه ما نقوله من الاساتذة المحدثين ، محاضرات منسقة مرتبة . فقد قرأ ابن زاكور ديوان الحماسة وقلائد الشيخ ابن خاقان وبديعية الصفي الحلي ولامية العرب ، فشرح هذه لطلابه ، ودون هذه الشروح في اسفار تحدرت الينا . كما انه تعرض لامور اللغة فقرأ طلابه عليه المقصور والممدود لابن مالك ، ووضع رسالة في قصر الفصول على الفاعل والفاعل على الفصول . وهناك امور اخرى سمعها طلابه منه . ولذلك فمؤلفات ابن زاكور هي مجموع الكتب المدرسية ، لكنه في الواقع وضعها بشكل مرتب يدل على ادراك لواجبه وفهم عميق لمادته .

وصفه متنزها

وكان ابن زاكور ، فيما عدا الكتابة التعليمية يكتب بعد ان يحس ويشعر ، فتبدو عباراته وكأنها جوارحه تسيل على الورق . ولئن كان يلجأ الى السجع غالبا ، فسجعه طيب على السمع والنفس ، ومن ذلك وصفه للكيتان وهو متنزه بتطوان اذ قال :

« وهذا الكيتان من اجمل المواضع وافضل المتنزهات والمصانع ، تطرد خلال رياضه انهار ، تجري في الصباح بذائب اللجين وفي الاصيل برائق النضار ، وتسجع بأدواحه الاطيار ، الحانها نغمات الاوتار ، فقد اكتمل هواؤه ، واشتمل بالابتهاج بهاؤه ، تلبس الزهراء بطلاوة مرآه ، وتود الزهرة لو ارتدى حلاه ، وانصف جماله النفيس ، وطرازه المونق محاسن السندس ، وبدائع الخورنق لرائع النفوس في بساتينه وتحيا الارواح بشم رياحينه ، ان حل من احله الوجد بربابه ، صاح من حينه : واطرباه واسلاه لغزاله ، والفريد وريحانه من قطف ثمره باجفانه ، ونزل الله بهجراته » .

شعر ابن زاكور

وجمع ابن زاكور شعره في ديوان سماه « الروض الاريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض » . وقد نشر الاستاذ عبد الله كنون مختارات منه في المرتقى (بالمغرب) سنة ١٩٤٢ . وقد قدم ابن زاكور لديوانه ، على طريقة الكثيرين من السلف الصالح ، بخطبة مختصرة ، اشار فيها الى انه كنى فيه كثيرا مع انه كان بريئا . فهو يستعمل « النظم والراح كناية عن الطرب والارتياح ، وما يرد على القلب من الافراح » .

وكان ابن زاكور مغرما بالاماكن النزهة الجميلة ، فيزور بها ، وعندها ينطلق شعره نابضا بالحياة معبرا عن جمال الامكنة . وكان وفيا لاصدقائه ، لذلك كان شعوره بالمكان يمتزج بشوقه للصحب ، فيكون من ذلك شعر صادق جميل ، وهو من امتع شعره . فقد وصف نزهة بأبيات اربعة هي :

لنزهة فيها ما تحسب النفوس
وما يريح القلب من كل بؤس
هواؤها يحيي قتيل الأسى
وماؤها يغسل حس النفوس
وزهرها يحكيه حلي الدمى
وجوها يطلع مثل العروس

لو حلّ فيها من براه الجوى
عظّله الأنس بأنسي الكئوس

وله قصيدة طويلة يتشوق فيها الى تطوان ويتعرف الى لقيا أصحابه فيها ، مجتزىء منها بالأبيات التالية .

[illegible] من [illegible] وأدمع
[illegible] بين [illegible] ماسع
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
ومن ذي حبيب بالرياض مظلل
يبيح كما [illegible] الحبيب بأجرع
[illegible] به والشمس زال أصيلها
جمانا على سيف يبيّن متلفع
سقى مرتع الأحباب ديمة والكف
وهل غير أوطان الأحبة مرتعي
[illegible] وإن [illegible] في [illegible] قلوبا
لتطوان [illegible] ولهما [illegible]
[illegible] أباح الحسن [illegible]
وأرض على أرجائها كلّ [illegible]
اذا نفحت من جانب الجوف نفحة
[illegible]
حننا الى تلك الأباطح والربى
وشوقا الى ذاك الجمال [illegible]
[illegible] أحباب يطلون كلما
ذكرتهم [illegible] [illegible]
أحبتنا ليها هل الدهر سامح
بلقياكم قبل الطلول [illegible]
وهل لي في [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
لما [illegible] [illegible] ديمة
من الوابل [illegible] [illegible]
ويا منزل الأحباب لا زلت آهلا
بأهل العلا [illegible] بكل [illegible]
ويا جملة الأحباب منى عليكم
سلام [illegible] [illegible]

ومما يدل على انسجام ابن زاكور بالأماكن التى كان يقصدها وفرائه بالطبيعة الأبيات التالية يصف فيها البحر ، وهي من قصيدة طويلة .

البحر قد أبدى سنا [illegible]
[illegible] الأمن في [illegible]

قد خلع الحسن عليه حلى
وانتظم الإبداع في [illegible]
[illegible] [illegible] أودعت
[illegible] الأ[illegible] في [illegible]
[illegible] [illegible]
بالأزورد [illegible] من [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] على [illegible]
في [illegible] على [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] بالرقص من [illegible]
[illegible] الثوار من [illegible]
يحكي [illegible] في [illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] الى [illegible]

ولابن سهل موشحة جميلة مطلعها « ليل الهوى يقظان » وقد عارضها ابن زاكور بموشحه [illegible] فيها [illegible] . قال :

من لمتيم الغزلان
الفتك باللحظ [illegible]
[illegible]
على القلوب [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] الأ[illegible]
[illegible] الأكبر
[illegible]
[illegible] و[illegible]
[illegible]
[illegible] [illegible]
[illegible] المطلوب
[illegible] المطلوب
[illegible]
في وصلك [illegible] [illegible]

تذكر يا وسنان
يا ذا الرواء الأنضر
ليالي السلوان
تحت العريش الأخضر
وأنت في سكر
من خمر ثغر الشنب
مهيج السرور
لكل من لم يذق
لم يدر ما السرور
تثير بلا حيراني
ما بيننا نعمان
إلا أربع الأزهر
أو سجعة الورشان
على غصون الشجر
والبلبل من شجوه
يرثي لكل شجي
أرسل عن وجده
[illegible]
نحيبا في معهد
وهبة الريحان [illegible]
والورق في الأغصان
تطرب حسن [illegible]
بمطرب الألحان
عند الصباح النضر
[illegible]
بصوتها الشجي الناعم
لاحت على ساق
إلا عن الليل يبسم
من نور الإشراق
للعلم بطيب النسيم
مشتاق ذي الأشجان
[illegible]
لي الهوى بقطان
والحب [illegible]

وعلى مقربة من مكناس، في المغرب، تقوم بلدة تدعون في رقعة من الأرض لم تبخل الطبيعة عليها بأي من عناصر الجمال. التي هذا فلك يدعون فيها مقام الفاتح الأكبر ادريس بن عبد الله. وقد تشرف ابن زاكور على المقام فقال يحييه.

هذا جلال العرب
هذا محلى النسب
هذا الذي أنواره
تفوق كل كوكب
هذا الذي من أشتبه
لا يختشي من شوب
هذا الذي من زاره
ليس يسري من تعب
هذا رفيع الرتب
هذا عظيم المنصب
هذا عربي النسب
هذا شريف النسب
هذا الرضي إدريس نجـ
ـل الكامل المهذب
شمس الهدى ابن حسن
ابن حسن المنتخب
ابن علي والبتو
ل [illegible]
بنت الرسول المصطفى
المجتبى المقترب
محمد أزكى الورى
من عجم أو عرب
صلى عليه الله ما
لاح سنا الشهب
وآله وصحبه
من كل ليث محترب

وابن زاكور موشحات كثيرة، وقد كان هذا أمرا شائعا بين الأدباء، تقليدا للموشحات الأندلسية والمغربية الأقدم. ومن موشحاته ما قاله في المولى اسماعيل، سلطان المغرب في أيامه.

له هيبة الأسد ... والشيمة البرارة
وفيه حنا الغيود ... وحلم الثقات
وحلة ذي النسك ... ونفع المطر
والهمة المملكة ... وحسن القمر
بلغت منا الكلمة ... منتمي الأسرار
تميل ذوي الورى ... يعلي الهبات
أيا كوكب السعد ... وعين الحياة
لمولاي اسماعيل ... الحسن الكمود
بمدحه صار القليل ... كالدر المسلوك
وكاد من التسهيل ... على من يحوك
يتسلل بلا العقد ... ورائق النسمات
كما فاح من نجد ... لطيف النسمات

نقولا زيادة



له رأي في المرأة عجيب

■ ابن المقفع امام البلغاء وخمس عبد الحميد الكاتب، الذي قيل ان الكتابة ابتدأت به وانتهت بابن العميد. ما زال الناس منذ اكثر من [illegible] يقرؤون الباقي من آثار ابن المقفع فيعجبون بها اعجاب، لهذه السلاسة العذبة، والالفاظ الجزلة، والسهولة الممتنعة، وينسى ان ابن المقفع يوم قال

« البلاغة هي التي اذا سمعها الجاهل ظن انه يحسن مثلها »

ما كان يتصور ان ينطبق هذا القول على آثاره، اكثر من انطباقه على آثار غيره من الكتاب والمنشئين.

كليلة ودمنة

ولقد كتب لجيلنا، قبل اربعين سنة ان يصحب ابن المقفع منذ نعومة الاظفار. وتلك نعمة الله كانت [illegible]، حسن حظه معنا. فقد كان [illegible] [illegible] الى اتخاذ «كليلة ودمنة» كتابا للقراءة في السنين الاخيرة من الدراسة الابتدائية، والمرحلة الاولى من الدراسة الثانوية. ولقد كان طبيعيا ان نفتش في تلك السن المبكرة بما في «كليلة ودمنة» عن الاقاصيص، على ألسنة الحيوانات فنطرب حينا لوقائعها، ونضحك اكثر الاحيان لمفارقاتها، ولم تكن لدينا القدرة على تذوق ما في الكتاب من بلاغة، وعلى ما في طريقته في الانشاء

من سحر» ، وعلى ما في التأليف بين ألفاظه من موسيقى .

«الأدب الصغير» و «الأدب الكبير»

صحبتُ ابن المقفع منذ كان فرضاً علينا في المدارس «كليلة ودمنة» ، وكان في مكتبة أسرتي كتاب «رسائل البلغاء» ، وهي مجموعة طبعها قبل خمسين سنة الأستاذ الرئيس محمد كرد علي ، بإرشاد باعث النهضة الفكرية في ديار الشام الشيخ طاهر الجزائري . ومما فيها «الأدب الصغير» و «الأدب الكبير» لابن المقفع . وقد اعتدت أن أعود الى «الأدبين» بين الحين والحين، فأجد كل مرة فيهما ما لا أجد في غيرهما من روائع الحكم ، وتجارب الحياة ، والخبرة بالحاكم والمحكوم ، والتحليل العميق لأخلاق المجتمع ، فضلاً عن الترسل الذي يرقى الى ذروة البلاغة، التي عزت على الشبيه والنظير .

ولكن لم تفتني هذه الأيام الهوجاء فاستوقفتني نظرة ابن المقفع الى «المرأة» . والناس في هذه الأيام ، في شرقنا العربي ، يكثرون من الحديث عنها ، والخوض في شؤونها . وندر أن ترى صحيفة يومية ، أو مجلة أسبوعية أو شهرية ، ليس فيها صفحة أو صفحات عن المرأة وشؤونها ، على اختلاف برامجها ومناهجها؛ فرأيت من شأني أن أبعث رأي ابن المقفع في المرأة من مرقده ، وأن أنشره من لحده ، لا سيما وأنني لم أر باحثاً قبلي قد أولاه شيئاً من العناية ، أو تناوله بالبحث والدرس .

رأي في المرأة ينكره أكثر الناس

وسيرى أنه رأي سينكره أكثر الناس كل الإنكار وسيصفونه بالرجعية والتخلف ، هذا إذا لم يروا فيه مخالفة للطبائع الانسانية ، أو جنوحاً عن الحق الصريح الذي رسمته الشرائع السماوية والوضعية . ولعل فريقاً من الناس ، هم قلة قليلة ، يرون فيه الصواب كل الصواب . وليس من شأني في هذا البحث أن أسخط المرأة وأنصارها ، ولا أن أرضي الرجعية وغلواءها، فسواء لدي أرضي هؤلاء أم سخط أولئك ، وانما الذي يعنيني هو أن أدرس رأي ابن المقفع ، دراسة موضوعية خالصة ، ليس فيها إلا ما اقتضت صوابه . فعسى بذلك أكون قد فتحت الى عشاق النقد والأدب ، باباً من أبواب الحديث ، إن لم تكن فيه الفائدة ، فأمل أن تكون فيه المتعة !

ابن المقفع يحذر من الغرام بالمرأة

ويبدأ ابن المقفع حديثه عن المرأة بالغرام بها ، فيحذر منه ويقول :

«اعلمْ أن من أوقع الأمور في الدين ، وأنهكها للجسد ، وأتلفها للمال ، وأقتلها للعقل ، وأزراها للمروءة ، وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار ، الغرامُ بالنساء»!

فهل كان أستاذنا ابن المقفع ، جاف القلب ، مسلوب الفؤاد ، حتى نهى هذا النهي الرهيب ، عن الغرام بالنساء ، فجمع مساويه العجيبة كلها ، الغربية والشرقية ، فيمن أصيب بالعشق ، فلم يغادر ديناً ولا جسماً ولا مالاً ولا عقلاً ولا مروءة ، ولا جلالة ولا وقاراً إلا قضى عليها بالفناء والدمار ؟ ولو أن ابن المقفع خصص ولم يعمم ، لكان رأيه الى الصواب أقرب . فمن الناس من يلهب العشق بجميع جوارحه ، ويستكنه في دينه ودمه ، ويرزؤه بآلائه وآلامه . ولكن فريقاً آخر من الناس يُرهف العشقُ حسه ، ويصقل نفسه ، ويطلق لونه ، ويوسع أفقه ، ويبعث فيه الكامن من المواهب ، وينشر من محاسنه العجائب . والشواهد على ذلك كثيرة ، في بلاد الأمم وعصورها ، وقديمها وحديثها ، وشرقيها وغربيها ، فالعجبُ لهذا الاطلاق الذي أرسله ابن المقفع ، كأنه حقيقة رياضية ، وما أبعد العاطفة من العلم ، وما أبعد الشقة بين القلب والعقل .

الفقيهان العظيمان ، ابن القيم وابن حزم يفردان في حب المرأة كتابا

ولو أن ابن المقفع اعتمد على قواعد الدين ، لجانبه الصواب ، ولكان الحق عنه بعيداً ، ولا أدل على ذلك بأكثر من إمامين عظيمين ، حسن

الية الشريعة ، احدهما مشرقي : ابن القيم ، وهو من هو ، افرد الحب كتابا برأسه ، فسماه « روضة المحبين » ، والثانيهما اندلسي : ابن حزم ، امام اهل الظاهر ، خلف لنا جوهرة فريدة في الحب ، سماها « طوق الحمامة » في الالفة والالاف » ، وارجع الى هذين الكتابين ان شئت ، فسترى في اقوال هذين الامامين واقوالهما ، ما يخالف كل المخالفة تقرير ابن المقفع ، وحكمه الجاف القاسي على الغرام بالنساء .

وعند ابن المقفع : ان كل النساء عند كل الرجال سواء

وينتقل ابن المقفع بعد هذا الى انكار الوفاء عند الرجال ، والى اعتبار الرغبة عندهم جامحة الى جميع النساء فيقول :

« ومن البلاء على المغرم بهن : انه لا ينفك يأجم(١) ما عنده ، وتطمح عيناه الى ما ليس عنده منهن » !

وكأني بابن المقفع هنا لا يتحدث عن الغرام بالمرأة ، وانما يتحدث عن الغرام بالجنس . وما من شك في ان بين الناس من ينطبق عليه حكم ابن المقفع ، ولكنهم ليسوا كل الناس ، فالرجل الذي تطمح عينه الى كل امرأة رجل مريض ، والمرض حالة شاذة ، لا يصح ان تكون قاعدة عامة ، في وصف الطبائع ، وتصوير الخصائص . وقد وجد في تاريخ العاشقين من العشاق ، من جمع ولم يفرق ، وعشق ولم يتخلص ، كما رأينا في التاريخ فريق آخر من العشاق من انقطع لامرأة واحدة ، لم يشغل قلبه غيرها ، ولم يساور مشاعره احد سواها . حتى هؤلاء الفجار ، عرفنا منهم من آثر احداهن على الاخريات ، وفضلها على غيرها .

وعند ابن المقفع ان النساء طعام واحد

وليت ابن المقفع وقف عند هذا الحد من الجمود ، ومخالفة الطبائع الانسانية ، ولكنه مضى الى ابعد من هذا ، فقال في تصويره النساء بمعنى الترجمة ، متكلفات الصنعة ، ولا ابالغ اذا قلت حيوانية الغريزة ، حيث يقول :

« وانما النساء أشباه . وما يتزين في العيون والقلوب من فضل مجهولاتهن ، على معروفاتهن ، باطلٌ وخدعة . بل كثيرٌ مما يرغب عنه الراغب ، مما عنده ، افضلُ مما تتوق اليه نفسه منهن . وانما المرتغب عما في رحله (٢) منهن الى ما في رحال الناس ، كالمرتغب عن طعام بيته الى ما في بيوت الناس . بل النساء بالنساء ، اشبه من الطعام بالطعام ، وما في رحال الناس من الاطعمة اشد تفاضلا وتفاوتا مما في رحالهم من النساء » .

الخليل يشيد بعقل ابن المقفع

واني لاحار في تعليل هذا الكلام . فلقد كان ابن المقفع رجلا عاقلا وعالما ، ولو القيت نظرة عجلى على فصوله الاخرى في « الادبين » ، لرأيته ملأ ينثال منه العجب ، من العقل والعلم .

سئل ابن المقفع عن الخليل بن احمد فقال : « علمه اكثر من عقله » .

وسئل الخليل عن ابن المقفع فقال : « عقله اكثر من علمه » .

وما في هذا الكلام الذي نقلته لك عن ابن المقفع شيء من العقل ولا من العلم .

لم تكن المرأة يوما طعاما من الاطعمة

فاخبار النساء في الجاهلية والاسلام، لتدل في جملتها على ان « النساء بالنساء ، اشبه من الطعام بالطعام » . فلقد عرفنا من سير بعضهن ما اقام الدنيا واقعدها ، وما يثير الدهشة وعجبها . واذا كانت هذه سيرة القلة القليلة منهن ، فليس فيما حفلت به كتب الادب والتاريخ ، ما يدل على ان المرأة لم تكن الا طعاما من الاطعمة ، يغتذي بطعمه

(١) يأجم : يكره ويمل من المداومة عليه . (٢) الرحل : يعني المنزل

من بعض . كذلك لم نعرف ان التسلط في نظر الرجال اشباه . وما زلنا حتى في ايامنا هذه نرى الخاصة والعامة من الرجال على السواء ، يميزون بين النساء ، فلا يرضى احدهم الا بامرأة معينة ، تبعا لرأي له من صفاتها الجسدية او النفسية او العقلية ، او لبعض هذه البواعث ، او لها جميعا . واين ما نرى ونسمع ، وما نقرأ في الكتب ، من اسباب افتتان الرجال بالنساء ، في القديم والحديث ، وما يحدثنا به ابن المقفع من تشبيه المرأة بالطعام ؟

ماذا دهى ابن المقفع حتى قال ما قال ؟

لما هو سبب موقف ابن المقفع من المرأة ؟

هل كان ذلك من رواسب اصله الفارسي الذي جرت دماؤه في عروقه ؟ وهل كان الفرس الاقدمون ينظرون الى المرأة نظرة ابن المقفع اليها ؟

هل اصيب ابن المقفع في علاقته بالنساء ، بما حمله على ان يسلق المرأة بهذا اللسان الحاد ؟ لن ما في كتب التراجم ، لا يهدينا الى شيء في هذا ؟!

هل كان ابن المقفع رجلا مصابا بضعف الغريزة الجنسية ، حتى نظر الى المرأة هذه النظرة السوداء ، بدافع من الحرمان الاليم ؟

ام هل كان انسانا شاذا يرى ما لا يراه اكثر الناس ، في القديم والحديث ؟

وهل كان ابن المقفع يرى في الرجال صورة لنفسه ، ومرآة لشعوره ، فوصم الناس بما ابتلاه الله به ؟

ام هل كان ابن المقفع مجهول الاسلام ، كما روى ذلك بعض من ارخ لسيرته ، ولذلك لم ينظر الى المرأة نظر الاسلام اليها ، لان الاسلام اعتبرها مخلوقا سماويا ، كرمه اعظم تكريم ، فجعل الجنة تحت اقدام الامهات ؟

الرسول رق قلبه لمغيث خادمه فشفع له عند حبيبته

هلا ذكر ابن المقفع موقفا عظيما للرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، يوم شفع عند بريرة لمغيث؟ كان مغيث خادما للرسول ، وكانت بريرة زوجا له طلقها ، ثم ندم ، فاراد ان يعيدها فامتنعت فكان يجري وراءها ويبكي ، وهي تفر منه . ولم يجد حرجا في ان يوسط سيده الرسول ، فقال لبريرة هل لك في مغيث حاجة ؟

فاجابت بروح المؤمنة الصادقة وهل تامرني رسول الله ؟

قال لا انما انا شافع !

اين هذا من قول ابن المقفع ان النساء بالنساء شبيه من الطعام بالطعام ، ؟ الم يجد مغيث في اية امرأة اخرى في الدنيا ، شأنه في ذلك شأن المحبين كافة ، ما يغنيه عن بريرة . وقد رق له الرسول، فوسط القلب المتدفق لدى التي تيمته . وهذا من معاني رسالة الرحمة التي بعث بها محمد للعالمين ، فاين هذه الانسانية المثالية ، التي سنها الرسول ، من هذه النظرة الطعامية التي انتهى اليها ابن المقفع ؟

ظافر القاسمي

دمشق ـ (نقيب المحامين سابقا)

بيطري وضابط بوليس

● كان الطبيب البيطري في احدى المناطق ، هو ضابط البوليس ، وفي يوم دق جرس التلفون وامسكت زوجته السماعة وقالت ماذا تريد من زوجي ؟ هل تريده كطبيب او كضابط ؟ فأجاب المتحدث : اريده الاثنين معا ، فنحن لم نستطع ان نفتح فم كلبنا وبين فكيه احد اللصوص !



أنا الجارُ

● وقع الأمير الفارس، أبو فراس الحمداني، أسيراً في أيدي الروم، بعد أن أفزعهم بغاراته، فأخذوه إلى القسطنطينية، وسجنوه. وهناك في السجن نظم القصائد العديدة متشوقاً إلى والدته وزوجته وبنته، وإلى خوض المعارك من جديد ضد الروم. وقد عرفت هذه القصائد بالروميات، لأنه نظمها في بلاد الروم. وهذه أبيات من قصيدة من هذه الروميات

أما لجميلٍ عندكنّ ثوابُ ... ولا لمسيءٍ عندكنّ متابُ ؟
لقد ضلّ من تحوي هواه خريدةٌ ... وقد ذلّ من تقضي عليه كَعابُ
ولكنني — والحمد لله — حازمٌ ... أعزّ إذا ذلّت لهنّ رقابُ
ولا تملك الحسناءُ قلبي كلّه ... وإن شملتها رِقّةٌ وشبابُ
وأجري ولا أُعطي الهوى فضل مِقْوَدي ... وأهفو ولا يخفى عليّ صوابُ
صبورٌ ولو لم تبق مني بقيّةٌ ... قؤولٌ ولو أنّ السيوف جوابُ
وقورٌ وأحداثُ الزمان تنوشني ... وللموت حولي جيئةٌ وذهابُ
وألحظُ أحوالَ الزمان بمقلةٍ ... بها الصدقُ صدقٌ والكِذابُ كِذابُ
إلى الله أشكو أننا بمنازلٍ ... تحكّمُ في آسادهن ذئابُ
تمرّ الليالي ليس للنفع موضعٌ ... لديّ، ولا للمعتفين جنابُ
ولا شُدّ لي سرجٌ على ظهر سابحٍ ... ولا ضُربتْ لي بالعراء قبابُ
ولا برقتْ لي في اللقاء قواطعٌ ... ولا لمعت لي في الحروب حرابُ
ستذكر أيامي «نميرٌ» و«عامرٌ» ... و«كعبٌ» على علاتها و«كلابُ»
أنا الجارُ لا زادي بطيءٌ عليهم ... ولا دون مالي في الحوادث بابُ



بقلم : الدكتور محمد فتحي الشنيطي
أستاذ الفلسفة المساعد ــ جامعة القاهرة



وهذه المعاني وأشباهها يطلق عليها المخلصون من أعلام الفكر « القيم الإنسانية » . ويحتاج الإنسان في هذا العصر الذري الذي نعيش فيه إلى التمسك بهذه القيم ، ومضاعفة البحث في استكناه أصولها واستطلاع جذورها . ويتجلى ذلك فيما نشاهده من رغبات سياسية جامحة في مختلف بقاع الدنيا هزت الضمير العالمي على نحو لم يكن له من قبل مثيل

نزوع الشعوب المتخلفة بخلقها ، مع سبق الآخرين

وقد ظفرت بعض الشعوب العربية ، بما ظفرت به من استقلاله ، وما لا تزال تجاهد من أجل هذا الاستقلال ، فرزتها أن تعرف التقدم العلمي والمادي الهائل عند الشعوب المتقدمة في هذا المضمار ، فخطت خطوات أساسية نحو التقدم مع مجتمعات عديدة تدعى بالمجتمعات المتخلفة ، نحو اللحاق بالمجتمعات النامية شيئا فشيئا أملا وتفاؤلا بمستقبل أفضل قريب بإذن الله

الحاجة الى الاصلاح الاجتماعي

ومن هنا كانت الحاجة الى الاصلاح الاجتماعي ، وضرورة النهوض بهذا الاصلاح الاجتماعي في الأمم النامية على أسس علمية لكي تؤتي أطيب الثمار في أقصر زمن ممكن . وكثيرا ما باءت مشروعات الاصلاح الاجتماعي بالفشل ــ رغم توافر النوايا الطيبة ــ لافتقارها الى أساس علمي سليم .

مجال البحث في الشئون الاجتماعية ، مختلف عنه في العلوم الطبيعية

لقد قطعت العلوم الطبيعية شوطا بعيد المدى في تقدمها ، بفضل ضبط تجاربها والاستعانة بالملاحظة الدقيقة والاستقراء الواسع . وحاولت العلوم الاجتماعية منذ استهلال هذا القرن أن تسترشد بقواعد المنهج العلمي عساها تصل الى نتائج في مثل ما وصلت اليه تلك العلوم من دقة وضبط . فشاعت في الدراسات الاجتماعية مصطلحات علمية دالة على مفهومات محددة مثل : التفاعل ، التركيب ، الديناميكية ، المتغيرات . وغلبت الأساليب الاحصائية كأداة للبحث الاجتماعي .

بيد أن مجال البحث الاجتماعي مختلف عن قرينه في البحث الطبيعي ، فالظاهرة هنا ظاهرة مادية من الممكن التحكم فيها واخضاعها لقواعد

• البحث العلمي بحث عازل ، والبحث الاجتماعي بحث متكامل



مستوى المعيشة مستويان : مادي اقتصادي وفكري روحي

المنهج العلمي من ملاحظة وتجربة . اما موضوع البحث الاجتماعي فهو المجتمع البشري ، وهو عامة فكرية انفعالية تتميز بالمرونة والتشكل والتغير . ولذلك يستلزم البحث الاجتماعي لونا من التكامل العقلي

ولو اننا نظرنا في المنهج التجريبي العلمي لرأينا انه ينهض على تحليل ظاهرة بعزلها وضبطها والتحكم فيها . ولنأخذ على ذلك مثلا دراسة العلاقة بين حجم الغاز وضغطه ، فان هذه الدراسة تستلزم عزل الظاهرة والتحكم فيها وتحليلها ، وبذلك يمكن الوصول الى نتائج في الوسع تكرارها في نفس الاسباب والظروف وتؤدي مثل هذا البحث التجريبي الى استنباط قوانين عامة صادقة في الحالات المماثلة بغض النظر عن عوامل الزمان والمكان لا تتغير

ولكن عزل العناصر اذا جاز في الميدان المادي فهو متعذر بل مستحيل في المجال الاجتماعي . فان العناصر الاجتماعية متداخلة متشابكة متفاعلة مرتبطة فيما بينها في اعماقها ارتباطات معقدة . وعلى ذلك فهناك موقف اجتماعي متكامل لا بد من استطلاع جميع نواحيه بالبحث الاحصائي ومناقشة الاحصائيات على ضوء المقارنة والتحليل، ويستلزم ذلك من الباحث ثقافة واسعة وخبرة جامعة وصبرا طويلا .

المنهج التكاملي عند علماء الاجتماع

من اجل هذا اتجه علماء الاجتماع المعاصرون الى المنهج التكاملي بحيث ينظر للمجتمع على انه وحدة عامة تشمل عناصر عديدة ، وتستمد هذه العناصر وظائفها ودلالاتها من تفاعل هذه العناصر كلها . وفي المنهج التكاملي يستعين الباحث بالاصول العلمية المتبعة في العلوم الطبيعية ويضيف اليها الدراسات التاريخية والتحليل العقلي .

التخطيط عام وهو يستهدف جميع قطاعات المجتمع

والاصلاح غاية التخطيط ويستهدف الاصلاح الاجتماعي رخاء المجتمع بتنمية الثروة الاقتصادية والفكرية ، ويتم ذلك بتنسيق العمل بين هيئات المجتمع المختلفة من اجل هذه الغاية العامة .

والتخطيط الاجتماعي نوعان : تخطيط عام شامل للمجتمع ، وتخطيط خاص لبعض جوانبه . والتخطيط العام الشامل هو الذي يعنينا في مجتمعاتنا العربية ، وهو يعني رسم برنامج شامل طويل الاجل يختص بالاقتصاد والصحة والثقافة . وقد بدأت الدول الحديثة تسير هذا

النوع من التخطيط متزلته من مابينها ، فلم يعد هناك اصلاح مرتجل او محدود في جانب دون سائر الجوانب . فالتخطيط العام يستهدف اصلاحا تاما وبهضة شاملة للمجتمع في جميع قطاعاته .

ان التخطيط العام هو بمثابة اعادة بناء الشخصية الاجتماعية على اسس متينة متكاملة . فالشخصية الاجتماعية لمعظم الشعوب العربية أحوج ما تكون الى اصلاح عام يشمل جميع النواحي ، ولا بد أن ينهض هذا الاصلاح على اساس التخطيط المستوعب وعلى ضوء الموازنة بين احتياجات هذه المجتمعات وامكانياتها .

والتخطيط في المجتمعات حديثة النمو الزام واجبار ، وهو كذلك في مجتمعنا الاكبر ـ المجتمع العربي ـ وليس مجرد" اطارا" مذهبيا ، بل هو ارتسام غايات وتوسل" اليها بالوسائل الممكنة . ومن غاياته الأولى رفع مستوى المعيشة بين الناس .

الوعي الثقافي هو الدعامة الوطيدة لتكامل المجتمع

ويتحدد مستوى المعيشة بمعرفة مبلغ التوافق بين مطالب الانسان وحاجاته ، وبين ما يبذله من جهد من اجل اشباعها . بيد أن هذا التحديد ذاته لا يخلو من مشقة وصعوبة ، فمن الحاجات والمطالب ما هو ضروري ومنها ما هو كمالي . واذا كان ثمة نسبية في تقدير مستوى المعيشة في البيئات المتخلفة والمجتمعات النامية ، فثمة اصول عامة تكفل تحقيق حد ادنى للمستوى الانساني اللائق ماديا ومعنويا .

فلا يخفى أن مستوى المعيشة من وجهة النظر الحضارية يشمل عنصرين متلازمين متكاملين ، هما العنصر المادي والاقتصادي ، والعنصر الفكري والروحي .

ويكشف لنا البحث الاجتماعي عن الأسس الضرورية لمستوى المعيشة اللائق في التغذية والمسكن الصحي والماء النقي والطب الوقائي والعلاجي ، وتوافر الضمانات الاجتماعية ونشر التعليم وتيسير سبل الثقافة في اجهزتها المختلفة والخاصة من صحافة واذاعة وتلفزة ومسرح وسينما وما الى ذلك .

وارتفاع مستوى المعيشة لا يقتضي زيادة الدخل القومي يستلزم في الآن نفسه بث الوعي في المواطنين بحيث لا ينجرفون في تيار النشاط الاستهلاكي المسرف . فهناك اذن جانب تربوي هام ينهض على تكوين العادات الاستهلاكية المفيدة .

وفي رأينا أن الاصلاح الاجتماعي المنشود لن يأتي بنتائج مثمرة في أي قطاع من قطاعات الصحة والطب والاقتصاد ما لم ينهض على اساس توعية ثقافية واسعة النطاق .

فالثقافة هي الدعامة الوطيدة لتكامل المجتمع، وكلما ارتفع المستوى الثقافي في جماعة ما نضج الوعي، واستقرت الحياة العامة على اوضاع سليمة ، وشق المجتمع طريقه الى التقدم المتصل . وتكامل الحياة الاجتماعية انما يتحقق بتكامل شخصيات المواطنين ، واحساسهم بالتوازن السعيد بين حقوقهم وواجباتهم .

ومهما اختلف الافراد في الميول والمشارب والمهن والهوايات ، فانهم يأتلفون عند اطار ثقافي عام يؤلف بين جهودهم ويوفق بين رغباتهم ، ويربط بين بعضهم والبعض الآخر برباط وثيق . ان لكل شخصية قسماتها المتميزة لها ، وتمايز الشخصيات في المجتمع شرط اساسي لحركته وفاعليته وتطوره . بيد أن شخصيات المواطنين ، على ما بينها من تمايز ، تلتقي معا فيشملها اطار القومية التي تجمع ابناء مجتمع واحد على آمال واماني واهداف متجاوبة ومشتركة . ثم ينطلق المجتمع الى دائرة اوسع من هذا ، يلتقون في رحابها مع سائر الشعوب ، الا وهي دائرة الانسانية بقيمها العزيزة من خير وعدالة وسلام ومحبة ومساواة ومعرفة .

العناية بالتربية والتعليم

ومن هنا كانت عناية الدول الناهضة بالتربية والتعليم في المدارس والمعاهد المتخصصة والجامعات . وتتجه الدول حديثة النمو الى ذلك بالتوسع بالتعليم جنبا الى جنب مع محو الامية والتوسع في الاجهزة الثقافية كلها على تنوعها .

وليس من شك في ان التعليم في المدارس والمعاهد المتخصصة والجامعات يعد المواطنين للمساهمة مساهمة فعالة في الحياة الاجتماعية ، باداء واجباتهم في مختلف المرافق الحضارية ، ويؤدي هذا بالتالي الى ارتفاع مستوى المعيشة في مختلف جوانبها . وتعتبر الامية الصيرا (خطرا) ثمينا في حق ابناء المجتمع ، وكلما السعت دائرتها كان هذا دليلا على تخلف المجتمع ، وبالتالي تخلف مرافقه وهبوط مستواه .

ومع اختلاف التقديرات في مجال الامية فلن وسعنا ان نصطنع بالنسبة لاسماء المجتمعات العربية تقديرا متواضعا ، فنعتبر الامي من يجهل القراءة والكتابة ويتخطى الثانية عشرة من عمره . فالنهوض بالتعليم في الاقطار العربية يتوقف على هذا اجراءين ، احدهما وقائي بفرض التعليم الاجباري حتى مرحلة معينة تكفل اعداد المواطن الصالح ، والآخر علاجي بمكافحة الامية بين الكبار تمكينا لهم فيما للنظار من التحاق بغيره من المواطنين في ركب الحضارة والتقدم . والتعليم الاجباري هو القاعدة اللازمة التي ينهض عليها صرح التعليم العام ، وتختلف فترة الالزام بين الدول من خمس سنوات الى اثنتي عشرة سنة . والواجب ان يكون الهدف من هذا التعليم تزويد المواطن بالمعارف الاساسية في الميادين العلمية المختلفة وتهيئته لاداء واجباته كمواطن صالح في مجتمع ناهض .

فاذا انتقلنا الى اجهزة الثقافة العامة لرأينا ان تنمية هذه الاجهزة من كتب ومكتبات وصحف ومجلات واذاعة وتلفاز ومسرح وسينما يجب ان تسير ايضا جنبا الى جنب مع النهضة التعليمية من اجل ارتفاع مستوى الوعي الاجتماعي . ولا يخفى ان هذه الاجهزة جميعها تؤدي رسالة تربوية حضارية عميقة الاثر ، وهي تساعد على تحقيق الهدف الذي تطمح اليه الامة الناهضة الا وهو اعداد المواطن المثقف المتكامل المتجاوب في المشاعر والمواقف مع غيره من المواطنين ، والمتعاطف مع القيم الانسانية الاصيلة .

القيم الاخلاقية ضرورة لكل اصلاح

ان يقظة الوعي الاجتماعي المقترن لا محالة بالتكامل الاخلاقي . ويتمثل هذا التكامل في ظواهر اجتماعية صحيحة تتكشف في العلاقات البسيطة والمعقدة التي تجرى بين ابناء المجتمع . من ذلك مثلا النظام العام في الحياة اليومية ، من حيث الالتزام بقواعد المرور ، وانتظار الدور في ركوب السيارات العامة وامام شباك التذاكر في السينما والمسرح والملاهي ، وعدم التكالب على اختزان المواد التموينية لمجرد انتشار الشائعات بنقصها . ومن ذلك ايضا حرص الموظف على ان يكون في خدمة المواطنين ، وان يجعل من ضميره اولا وبالذات رقيبا على حسن ادائه لواجبه ، والتاني (وتفاني) المدرس في النهوض بمهمته على الوجه الاكمل ، واحساس الطبيب بان المهنة التي ربط حياته بها هي في صميمها مهنة انسانية يقصد بها الخدمة العامة قبل ان يقصد بها التكسب .

والخلاصة ، اننا نجد في جميع قطاعات المجتمع اساسا يتوقف عليه العمل الصالح وتنجح بفضله المشروعات ، هذا الاساس هو الاخلاق . ولا ريب انه كلما تقدم الوعي الاخلاقي في مجتمع نجحت المشروعات الاصلاحية فيه ، وحققت اهدافها في اقصر فترة ممكنة .

ونحن انما نوجه النظر في نظرتنا التكاملية للاصلاح الاجتماعي الى ضرورة التشبث بالقيم الاخلاقية ــ ولعل اثنا الروحي معين لا ينضب لها ــ لما نلاحظه اسفين في كثير من المجتمعات من انتشار الرشوة والاهمال والمحسوبية ، والتهريب على التكاسل والتواني . ومن هنا تأتي دعوتنا الى ان تقترن النهضة العلمية المادية بنهضة انسانية اخلاقية ، والى ضرورة الارتقاء بمرافق التربية القومية والدينية والرياضية والفنون المسرحية والموسيقية ، فان هذه جميعا وسائل وغايات لصقل شخصية المواطن وتعزيز المعاني الاخلاقية الكريمة في اعماق ذاته .

فعسى ان تتكامل الجهود لتحقيق الرخاء الاجتماعي للمواطنين العرب في ظل وحدة الماضي والحاضر والمستقبل ، وليس هذا على الله بعسير . ■■

محمد فتحي الشنيطي



التقدم الصناعي والضمان الاجتماعي

عن جريدة « نيويورك تايمس » :

● من الأمور التي نتباهى بها دوما أن الصناعة في أمريكا متقدمة عنها في أي بلد من بلاد العالم ، وأن إنتاجها الغزير يجعل المواطن يعيش في رخاء لا ينعم به أي مواطن في أي بلد آخر .

وهذا الحكم هو حكم على ظاهر الأمور .

والحقيقة هي أن في بلادنا أكثر من ٥ ملايين من العاطلين عن العمل بسبب سيطرة الآلة على مرافق حياتنا واستغنائها عن الأيدي العاملة . وتقول الإحصائيات أن معدل الزيادة السنوية في العاطلين عن العمل هي بين ٣٠ ألفا و ٤٠ ألفا .

ومعنى هذا أن التقدم الصناعي في هذه البلاد لم يجلب الرخاء للمواطن ، بل إنه يهدده كل يوم بالتعطل . ولهذا فهو محروم من أهم نعم الحياة ، أعني نعمة الاستقرار والطمأنينة . وهو ما ينعم به المواطن في الدول الأوروبية .

ومعنى هذا أيضا أن التقدم الصناعي والتكنولوجي لا تعم فائدته جميع المواطنين ، ما لم يصحبه تقدم في النظم الاجتماعية والاقتصادية . وهنا موطن الداء .

[illegible] !

عن جريدة « الصنداي اكسبريس » :

● الأمير فيليب ، زوج الملكة اليزابث ، رجل طموح ذكي .

ولكنه كزوج للملكة كتب عليه أن يعيش ضمن حدود ضيقة لا يستطيع أن يتخطاها .

لو كان الأمير فيليب جنديا لعاش على أمل أن يرقى ويرقى إلى أعلى رتبة في الجيش .

ولو كان رجل أعمال لاستخدم ذكاءه في مشاريع تدر عليه المال الوفير ، وعلى بلاده الخير العميم .



السعادة الباقيـة

عن جريدة « نيويورك هيرالد تريبيون » :

● في عام ١٩٢٠ وما بعده لمع اسم نجمة سينمائية هي ماي مري Mae Murray وكانت هذه الفتاة الجميلة العاشقة تهوى احدث الثياب والشيب ، والمثل الذي تتطلع اليه الفتيات فيقلدنها في ملبسها ، وطريقة تصفيف شعرها .
وكانت « ماي مري » تكسب ٣٥ الف جنيه في الاسبوع .
والآن تعيش ماي مري وحيدة فقيرة مريضة في أحد ملاجيء العجزة .
واني لعلى يقين من انها تتمنى لو انها لم تكن نجمة مشهورة ، ولم تكسب الملايين ، وكانت عاملة بسيطة تعيش العيش البسيط الهادىء ، لو تزوجت وانجبت ووجدت بجانبها في شيخوختها من يحيط بها الابناء والاحفاد .
في حياة هذه الممثلة عبرة تعلمنا ان السعادة التي ننشدها موجودة بين ايدينا ، ولكننا نجري دوما وراء السراب . ولكن هل من معتبر ؟

سيارات كهربائية !

عن جريدة « الصنداي تايمس » :

● توصل مجلس ادارة كهرباء الجنوب الغربي الى اختراع سيارة كهربائية . وقد لبت هذه الجريدة شاكرة دعوة المجلس للاشتراك في رحلة تقوم بها هذه السيارة الجديدة ، وكانت الرحلة ناجحة جدا .
وتحضرني الآن هذه الاسئلة .
ترى من يمول البحث العلمي الجاري الآن ، لاختراع سيارات كهربائية باعداد صحيحة للاستعمال العام ؟
وهل صحيح ما يقال من ان شركات النفط مهتمة باختراع سيارات تسير بدون بنزين ؟ وما تفسير هذا الاهتمام ؟
وهل هناك تشجيع من الدولة لمثل هذه البحوث ؟
هذه اسئلة تنتظر اجوبة صريحة .

... في صمت !؟

ولو كان مغروسا تطمح الى ان يكون ناظرا .
ولكنه بحكم واقعه لا يستطيع ان يكون الا زوج الملكة لا غير ، منذ زواجه بها الى يوم يوارى تحت الثرى .
ويبدو ان هذا الموقف الغريب يحز في نفس الامير فيليب ، حتى انه ليبوح بمكنون قلبه ، وبما يعاني من ضيق ، في مجالسه الخاصة .
والامير فيليب محروم حتى من احب حقوق الزوج الى نفسه ، اعني شعوره انه هو رب اسرته التي تضم زوجته وابناءه . فادارة شؤون اسرته هي في يد زوجته الملكة ، وفي يد آخرين لا سلطان له عليهم .
والامير فيليب محروم ايضا مما كان يتمتع به الامير البرت زوج الملكة فكتوريا ، فالامير البرت كان المستشار والناصح للملكة فكتوريا ، وكان لرايه وزن كبير . اما الامير فيليب فلا يؤخذ رايه في اي امر من الامور السياسية .
ابعد هذا يوجد من يحسد الامير الطموح الذكي ؟
تحية منا للرجل المتألم في صمت .

جنازة في السماء

بعد جنازة الأرض

■ يظهر أن رجال الفراغ يؤمنون اليوم أكبر الإيمان بأنهم إلى القمر ذاهبون، وأنهم على القمر سوف يهبطون. ومن بعد القمر سفرات أخرى بعيدة تستغرق الأيام والأسابيع والأشهر.

لهذا هم بدأوا ينظرون في كل ظرف يتوقعون، حتى في أبعد الظروف في الآونة الحاضرة من مجال الفكر.

إنهم يسألون: إن هذه الأسفار ستكون طويلة، وفيها مخاطر كثيرة، فماذا يصنع الصانع في المركبة القمرية أو المريخية، وبها الثلاثة الرجال والأربعة، إذا مات منهم واحد!

إنه خاطر خطر على بال رجال الفضاء فعلاً، أولئك المختصين ببحوثه وتوقع احتمالاته. وهم لا يتركون احتمالا إلا نظروه، ووصلوا فيه إلى غاية.

وهذا الخاطر أيضا، خاطر أن يموت فرد من رجال الفضاء، وهم في الفضاء أحدهم، ماذا يصنعون به ... هذا الخاطر تناولوه بالبحث والتفكير وجاءوا فيه بمقترحات.

الجواب الحاضر عند كل إنسان تثير هذا الخاطر، والسؤال الذي تضمنه، أن الذي يموت تلقى جثته من مركبة الفضاء، في الفضاء.

وينتقد المتفلون هذا الجواب من ناحيتين: ناحية علمية، وناحية نفسية.

أما الناحية العملية فإن جسما يلقى به من مركبة الفضاء، وهي تسير في الفضاء، لا يبعد عن المركبة. فهو يصحبها حيثما ذهبت. إنه ترك المركبة وله نفس سرعة المركبة، وله نفس اتجاهها. ولذن هو يسير، ولو وراءها، وكأنه جزء منها.

أما الناحية النفسية، فإن جسما يلقى في الفضاء الواسع العميق هكذا إلقاءً، بصرف النظر عن قوانين الطبيعة التي تعمل فيه، يورث أنفس الأحياء الباقين في المركبة، وهو لهم صديق عزيز، الكآبة والتخاذل النفسي، في حين أنهم أحوج ما يكونون إلى الأمل. والموت شر عاثر للنفوس.

والنفوس البشرية اعتادت، عند موت الأحبة أن تؤدي ما وجب لها من احترام، ومن تحية، ومن طقوس دينية، فتلتمس النفوس من عوامل اليأس القاتل، وتجد في الجو شيئا كالذي يثيره البخور المحروق والعطر المتعطر به الأحاسيس، والنوم فيه الأخيلة تصنع من الصور المتشتتة ما يغطي على حقيقة الواقع المر، وتنسى لوجه العالم المتكفهر.

من أجل كل هذا رأى بعض رجال الفضاء:

أولا: فيما يختص بمراسم الموت أن تقام الموتى في سفينة الفضاء مثل تلك المراسم التي تقام للموتى في السفن وهي بعيدة عن موانيها: تقام له الصلاة وقد وضع جثمانه في كيس مصنوع بحيث يلائم والغاية التالية، وعلى الكيس علم البلاد.

ثانيا: أما الغاية التالية فهي التي تختص بإبعاد الجثة من مركبة الفضاء حتى لا تظل



الصورة العليا للكيس الذي يحمل الجثة ، وهو مصرح بالهواء . فاذا فتح للهواء مخرجه لمرح، بحيث تتجه تلقاء الجثة نحو الشمس، اندفع الكيس بجثته اليها ، وبها يحترق آخر الأمر

الصورة الدنيا ، كالصورة الأولى ، إلا أن بها ما شبه القشة ، وهو صاروخ صغير ، يدفع بالجثة ناحية الشمس لتحترق بها . واتجاه الجثة يقترن بالصاروخ أكثر امساكا

صحبها . ويظل الراكبوها يذكرون أن الجثة إنما تصحبهم ، وانما هي تجري وراءهم .

ولقد اعتاد الأحياء على الأرض أن يعزلوا بينهم وبين موتاهم في أقرب وقت ، حتى ينقطع ما بينهم، وتنقطع الذكرى .

ورجال الفضاء يفكرون ، لإبعاد الجثة عن المركبة ، بأن يودعوها كيسا ، كالقربة ثم يغلقونه بعد ذلك . ثم هم يخرجونه خارج المركبة .

ولهم بعد ذلك طريقتان لإبعاد الجثة بكيسها .

الطريقة الأولى ، أن يكون بالكيس المتفرغ تحت الضغط مخرج للهواء الذي فيه، فاذا فتحوه عمل الهواء عمل الصاروخ، فخرج متدفقا في اتجاه، فدفع بالكيس في الاتجاه المضاد ، ذلك الذي هم يريدون أن تتجه اليه الجثة .

الطريقة الثانية أن يربطوا بالكيس صاروخا صغيرا ، أشبه بالقشة ، فاذا أطلقوه ، اتجهت الجثة ، بعد توجيهها المناسب ، الى الجهة التي يريد رجال الفضاء أن تتجهها .

بقي أمر الجهة التي تتوجه اليها الجثة .

والرأي عندهم أنها تتوجه ناحية الشمس ، فاما أن ترتطم بها آخر الأمر ، واما تدور حولها . وفي الحالتين تحرق الجثة احتراقا .

ويحرق الجثة ، أو حتى بالتفكير أن هذا سوف يكون مآلها ، تطيب أنفس أصدقاء الرجل الفقيد من ركاب مركبة الفضاء .

وسوف تعجب من قولنا « وتطيب الأنفس ...» .

وهذا حق لا مرية فيه .

انها عادة أهل الأرض .

الدفن في بطن الأرض غايته الفناء . والناس تدفن لتفنى الجثة في التراب . وهذا اكرام لها .

ومن الناس من يحرق الجثث ، كذلك اكراما لها ، ومنعا من أن يعبث بها العابثون . ولقد شاع هذا في أهل الغرب شيوعا كثيرا . ومن الكتاب الذين حضرت حرق جثتهم الكاتب الانجليزي الشهير هـ . ج . ولز ، أحرقوه في محرقة Crematorium في ضاحية شهيرة في الشمال الغربي من لندن ، بعد اقامة المراسم الدينية المعتادة . فعندهم أن الدين لا يمنع من ذلك .

لقد شغل الناس الى اليوم بجنائز الأرض .

والظاهر أن عصر الفضاء سيفرض عليهم الشغل بجنازات السماء . ■■

أنباء الطب .. والعلم .. والاختراع

المرور .. الى اليمين

● هكذا هو في اغلب بلاد العالم . السيارات ، والعربات ، والمشاة في الشارع ، في جهته الايمن ، أي ان السائر الى يمين الشارع ، ويساره الى اوسط الشارع . وفي النصف الآخر من الشارع يعكس اتجاه السير . الا في انجلترا ، وقلة قليلة جدا من البلاد الاخرى .

ومن هذه البلاد السويد .

وقد تقرر ان يبدأ السير فيها الى اليمين ، بدل الشمال [illegible] سار عام ١٩٦٦ .

[illegible]

حربه . وراحت السيارات الامريكية [illegible] هذا مع المحافظة [illegible] .

سيارة هائلة

● انها لحمل الاثقال الكبيرة [illegible] ها . وهي تزن ٣٢٨ طنا وطولها [illegible]

[illegible]

سلع الاطفال اشياء من حديد ، على غير عمد وقد استدعت شركة جنرال الكتريك اداة مغناطيسية تنزل الى المعدة وتلتقط ما ابتلع الطفل . وهذه صورة حلقة بالاشعة السينية ، ويرى الدبوس في المعدة ، وطرفه المتجه الى اسفل . والعمود الفقري ظاهر في الصورتين .

كيف بدأت الحياة على هذه الأرض

● المعروف أن الحياة ، على صورتها الأولية الأولى ، بدأت على ظهر هذه الأرض منذ أكثر من ٣٥٠٠ مليون عام ، أو بتعبير أحصر ، منذ أكثر من ٣ ١/٢ مليار من الأعوام .

والذي يبحث فيه العلماء اليوم هو كيف بدأت الحياة . والزعم الحاضر عندهم أن جو الأرض كان في أول أمره مزيجا من غاز البرك ، المعروف كيماويا بالميثان (ويتألف جزيئه من ذرة كربون وأربع ذرات أدروجين) ، ومن غاز النشادر (ويتألف جزيئه من ذرة نتروجين وثلاث ذرات أدروجين) .

فإن صح هذا ، فأول ما تحتاجه الحياة ، لتصنعه ، هو مادتها الأولى ، البروتين ، مادة اللحم .

وقد استطاع عالمان ، باستخدام الحرارة فقط ، أن يصنعا من الميثان والنشادر مواد بروتينية تشبه عن بعد مادة الحياة الأولى .

وقد سبقهما غيرهما إلى صنع هذا ، ولكنهم استخدموا ، لا الحرارة ، ولكن صورا من الطاقات ليست مما يحال وجودها ، والأرض بادئة . من ذلك التفريغ الكهربائي ، والأشعة البائية ، والأشعة الجيمية . أن استخدام الحرارة أقرب إلى المعقول . والبحوث جارية .

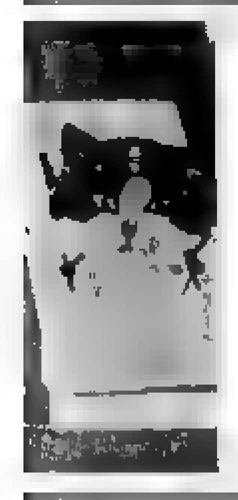
القمر الصناعي الثاني ومولده ذري

● أطلقت الولايات المتحدة من قريب قمرها الصناعي الثاني ، المزود بمولد ذري ، وذلك من قاعدة الإطلاق فاندنبرج بكاليفورنيا . والمفروض في هذا المولد أن يظل يعمل ٥ سنوات . أما القمر نفسه فالمفروض فيه أن يظل يدور حول الأرض نحوا من تسعة قرون !!

البدرة ممنوعة

● محرم على النساء ، العاملات في مصانع الأجهزة الدقيقة للشركة الأمريكية « لوك هيد » أن يمسحقوا وجوههم بالبدرة أو أن يمسوها بأية صبغة . وسبب ذلك أن حبات الأرز المستخدمة في تحضير هذه المساحيق ، وأمثالها من الدقائق ، تتسرب إلى أجهزة القياس الزائدة الدقة التي تصنعها الشركة فتعيب دقتها ، وذلك في معاملها التي صنعتها حديثا .





قطط للفضاء

● هذه صور لطائفة من القطط ، في مركز البحوث الطبية الفضائية ، تمر بتجربة من التدريب شديدة ، كالتي تجري على رجل الفضاء قبل اطلاقه في الفضاء . ومن بعد التدريب ، سنختار من هذه القطط أصلحها لارسالها الى الفضاء ، لاختبار تأثيره فيها .

ان الحياة عزيزة . ولكن حياة الانسان ، عند الانسان ، أعز من حياة الحيوان .

ومعنى آخر نستفاد من هذه التجارب . ان الاجسام ، من انسان وحيوان ، اشباه .

تراكيب متشابهه ، وكذا الوظائف . وقوانين تعمل في شتى الأحياء واحدة .

اقوى الصواريخ جميعا

● انه صاروخ ساترن Saturn . ولو ترجمنا اسمه لكان زحل . ولكنها ترجمة تحدث التباسا بين الصاروخ وبين الكوكب . فليبق « ساترن » .

وقد اطلقه الامريكان في أول هذا العام .

وقد اطلقوه وهو ذو قسمين . اما القسم الأول ، وهو يمثل المرحلة الاولى من انطلاقه من الارض ، فقد بلغت قوة دفعه ١ ١/٢ مليون رطل . وهذه كانت المرة الأولى الذى تطلق فيها هذا المحرك الصاروخي ثمانية وحداته كاملة ، لتبلغ هذا الدفع .

اما القسم الثاني من الصاروخ ، وهو يمثل المرحلة الثانية بعد استهلاك القسم الأول في المرحلة الاولى ، فوقوده من الايدروجين السائل .

وهذا الايدروجين السائل ، بحسبانه وقودا للصواريخ ، سيكون له مستقبل عظيم .

والصاروخ ، بمرحلتيه ، رفع ثقلا مقداره ١٩ طنا ، يدور به حول الارض .

ان هذا الصاروخ عندما يتم نموه ، سيكون هو الصاروخ الذى يحمل الرجال الى القمر ، في الموعد المضروب ، وهو عام ١٩٦٩ .

صلة العقل بالكيمياء

● كثيرا ما يصاب الانسان بفقدان الذاكرة ، وبخلل من صنوف أخرى تتصل بالذاكرة . وقد نجح العلماء فتشفوا من ذلك ، وذلك بحقن المصاب بمادة حامض الريبونكلييك Ribonucleic وهي مادة توجد في الخلايا الحية ، ومن مصادرها الخميرة العادية

وهذا يتفق مع الفرض النظرى الذى يقول ان الذاكرة ، والمقدرة على التحصيل عامة ، ترتبطان بالذى في خلايا المخ من مقادير هذا الحامض . فالعقل يرتبط بكيمياء المخ ، وما في المخ من كيماويات تحدد وظائف العقل .



الألم : اسوأ شيء في الدنيا

حياة بلا الم . تلك هي الحياة المثلى.

والمقصود بالألم هنا ، الم الاجسام . في اي موضع كان .

ومن مشاغل الطب الآن تخليص الانسان من آلام لا تعرف بالضبط اسبابها .

وقد تقع في أيدي الاطباء اجسام اشخاص ماتوا ، عاشوا حياتهم لا يحسون ألما ، لا عندما تجرح لهم ذقن عند الحلاقة ، أو تحرق لهم يد أو يضغط لهم ذراع . وعندئذ هم يفحصون هذه الاجسام فحصا دقيقا عسى أن يجدوا فيها شيئا غير عادي يفسر ضياع الاحساس بالألم .

اول فحص كامل لجسم انسان من هذا الصنف وقع في عام ١٩٦٠ . ولكنهم لم يجدوا في الجسم ، بعد هذا الفحص الدقيق ، ما يختلف به عن سائر أجسام الناس .

وقد وقع اخيرا للدكتور ماجي مثل هذا البحث : رجل مات بازمة قلبية . ولكنه كان ممن لا تحس اجسامهم الالام ، أيا كانت ، وانتهز الدكتور الفرصة ففحص الجسم ، ووجد ان في مقدم المخ شيئا من التغير في انسجته . ورأيه هذا ، ولكنه ، وهو الباحث الحذر ، لا يريد أن يربط هذا بذاك .

ولو صح ما ارتاب فيه الدكتور ، الأن لأمكن ازالة ألم الرجال باستقطاع ذلك الجزء من المخ . أنه باقتطاعه يذهب عن الانسان الألم . والبحوث في هذه الشؤون لا تزال جارية .

ولكن . من منا يريد جسما بلا ألم ان الألم ينذر الجسم فيعلم أن به عسر هضم . وهو ينذره فيعلم أن به ضيق أنفاس . وهو ينذره فيعلم ان قدمه أصابها الحريق . ان الألم منذر لا يستغني عنه انسان أبدا ، على هذا النحو الذي يراد به تخليص الجسم منه كله .



كفيار ...

● بعد اقامة الروس على نهر الفلجا ، بالقرب من مدينة فلجوجراد Volgograd ، سد منع الماء الذي تجمع وراءه بحيرة عظمى امتدت نحو ٦٠ كيلو متر . ففي هذه البحيرة وضع الروس ... ١٥٠ من صغار سمك الحجر Esturgeons ، وهو سمك عظيم يبلغ طول السمكة الواحدة منه سبعة امتار ، ووزنها ٢ كيلوجرام . والانثى منه تبيض ما بين ٣ الى ٤ ملايين من البيض ، ذلك المعروف باسم الكفيار (طازج) . فربي عظيم للسمك ، ومصدر جديد للكفيار .

ارتفاع الطائرات من الارض الى السماء رأسا

● كل نعلم ان الطائرات في مطار اليوم ، لكي ترتفع الى السماء ، لا بد ان تجري طويلا على ارضها ثم تأخذ في الارتفاع تدريجيا . ولا يوجد اليوم الا الهليكبتر ترتفع رأسا الى السماء . ومعنى هذا ان المطارات جميعا لا بد ان تشمل مساحات كبيرة من الارض . وكل دولة من الدول ، ذات البحوث ، تحاول ان تجد لهذا الامر حلا . والظاهر ان انجلترا قد تقدمت في هذا الميدان تقدما عظيما . فهي اهتدت الى تصميم نوع من المحركات النفاثة . تركبها اربعة اربعة في الطائرات ، ولكن فتحات هذه المحركات ، التي يخرج منها غاز الحريق الحار الذي يدفع الطائرة في عكس اتجاه خروجه ، هذه الفتحات يمكن تحريكها فيمكن توجيهها ناحية الارض ، رأسا ، او في اتجاه افقي مواز لسطح الارض ، او فيما بين هذين الاتجاهين .

وهي في اتجاهها بفتحاتها رأسا نحو الارض ، تدفع الطائرة رأسا الى السماء . وهي في اتجاهها نحو الارض ٤٥ درجة فقط تدفع الطائرة الى الرأس والامام معا . فيقتصر على كل حال المسار الذي تحتاجه الطائرة في المطار لكي ترتفع .

والمهم « كفاية » هذه المحركات . ويقال انها كفاية عظيمة ، وانها ليس فيما انتدعت الامم ما يضاهيها . وهي على وشك الانتاج في المصانع .

ان هذه البحوث خطرها عظيم كما قلنا من حيث تصغير مساحة المطارات وتقصير طولها تقصيرا كبيرا .



■ كانت دولة الكويت وما زالت بلدا غير زراعي لندرة الماء فيها ، ولكن الله حباها موقعا جغرافيا ممتازا ، جعلها الميناء الطبيعي للمناطق الواقعة في الاجزاء الشمالية من شبه جزيرة العرب ومركزا تجاريا مزدهرا .

وسكان الكويت منذ قديم الازمنة حتى يومنا هذا يعتمدون بشكل رئيسي على المواد الغذائية المستوردة وان اختلفت الكميات والانواع من وقت لآخر . لقد كان الغذاء الرئيسي الى ما قبل ربع قرن هو اللحم والارز والسمك ، تصنع منها اصناف شتى من الاطعمة ، وكانت تجارة الاستيراد تتركز في استيراد التمور من العراق والارز والقمح والسكر والشاي والقهوة ، من ايران والهند والشرق الاقصى وزنجبار وشرق افريقيا .

وكانت الجاليات الاجنبية التي تعيش في الكويت في ذلك العهد قليلة جدا حتى ان الاوروبيين والامريكيين واضرابهما كانوا في سنة ١٩٣٩ يعدون على الاصابع .

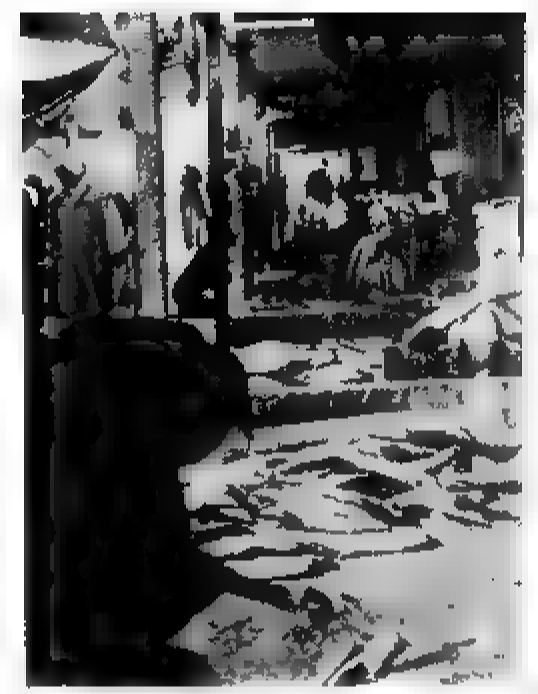
الكويت مركز لتجارة المرور

كانت سفن الكويت تبحر الى افريقيا والهند ، محملة بجلود الانعام واصوافها تأتيها من الجزيرة العربية ، لتعود محملة بالمواد الغذائية والخشب والاقمشة لتوزع على ما حولها من بلاد . وكانت تجارة مقايضة ، فكان البدوي يأتي من الصحراء الى المدينة يقايض بالماشية واصوافها والبانها وسمنها وجلودها على ما يحتاجه من غذاء ، كالارز والتمر والقهوة والشاي ، وكذلك ما يحتاجه من كساء .

كذلك الخليج العربي هو ، على ما هو معروف ، موطن لاجود انواع السمك ، فهي تعيش فيه بوفرة . ولذلك كان السكان يعتمدون على السمك كغذاء رئيسي . وكان الخليج العربي مشهورا بما فيه من اللؤلؤ الذي كان يشكل اهم موارد الرزق .

كيف كان الحال قبل نصف قرن

تحدثنا الدكتورة اليانور كالفرلي Eleanor T.



في الخليج العربي انواع عديدة من السمك تصل الى ٧٠ نوعا ولهذه الانواع موسم خاص تكثر فيه ومن أصناف السمك الممتازة الزبيدي والسبيطي والشيم والهامور والصبور والروبيان والزبيدي والسمك هذه الانواع وطرق صيده واسعاره وخصيصة ثروة الصيد وهو يباع في سوق مخصص لبيع السمك

Calverley ـ التي وصلت الكويت في اواخر شهر ديسمبر سنة ١٩١١ م في الكتاب الذي الفته عن الكويت واسمته «ايامي ولياليّ في بلاد العربية» وتقول انها حينما وصلت شاطيء الكويت لأول مرة لم تر شجرة نخيل واحدة ولا رقعة من الارض خضراء . وان ما كان يوجد في الأسواق من مواد غذائية لم يكن يتجاوز اللحوم والفراخ والانواع الممتازة من السمك . اما العسل والسلاطة والتمر وفي بعض الاحيان البامية ، فكانت جميعها تجلب من الخارج عن طريق البحر . اما شراء سلة من الطماطم فكان امرا نادرا لا يحدث الا حينما تمر بالكويت سفينة قادمة من بومباي في الهند . وتستطرد الزائرة فتقول : ان العنزة الحلوب التي كانت تحتفظ هي بها كانت تشحن اليها من بومباي ننفق على عليها ، وكانت تأكل الخبز العربي وتشرب

من حليب مجتري كانت تربيها ، كما كان يفعل معظم الناس ، يأخذها الراعي صباح كل يوم الى الصحراء لترعى ، ويعود بها في المساء ، ليقدم لها البرسيم والشعير لتكملة غذائها الذي لم تكن المراعي لتكفيه .

اما عن الزهور فتقول الزائرة انه لم يكن هناك نوع منها حتى انها اضطرت مرة ان تزين مائدة الطعام التي كانت دعت اليها بعض الضيوف بوضع برسيم في زهرية ورشه بعطر البنفسج.

التطور المفاجيء

وما لبث هذا البلد ان تطور بظهور النفط تطورا مفاجئا . واخذ عدد السكان يتزايد بسرعة مذهلة واصبحوا خليطا من مواطنين واجانب . لقد تدفق الايرانيون على الكويت لا سيما بعد تأميم النفط الايراني في مدينة عبدان ، كذلك جاء الهنود والباكستانيون باعداد كبيرة . وجاء من ابناء البلاد العربية الالاف اسهموا في تطوير البلاد واصلاحها مع اخوانهم اهل البلاد .

وفي الكويت الآن من العناصر الاجنبية جنسيات كثيرة جدا ! واصبح اهل البلد يعدون بالالوف بعد ان كانوا قبل خمسة والاثين سنة يعدون بالآحاد .

سوق الخضار المركزي الجديد الحديث الذي ... ويرصد الواردة عن طريق البر او البحر ، ر...



هكذا كانت البضائع تعرض قديما وما زالت تعرض بعض الشيء في الأسواق القديمة التي لم تتناولها معاول الهدم لاقامة أماكن حديثة محلها وستزول هذه الأسواق في يوم من الأيام قريب

التغيير شمل كل شيء

لقد تغير مع الزمن كل شيء . وتغيرت المباني

أطراف المدينة وفيه يتم توزيع الخضراوات والفواكه حدد لكل تاجر مكان خاص يعرض فيه بضاعته



والشوارع والمدارس والمستشفيات . حتى السفن التي كانت تنقل البضائع من الكويت واليها تغيرت هي الأخرى . فصارت الكويت تصدر النفط في الناقلات الضخمة ، وتستورد كل شيء بالسفن عابرة المحيطات . والميناء القديم الذي كان مرسى للسفن الصغيرة — أو المراكب الكبيرة — تغير هو الآخر وأصبح للكويت ميناء حديث يستقبل أضخم السفن .

ولم يعد نوع معين أو أنواع معينة من الغذاء هي الغذاء الرئيسي للسكان ، كما كان الحال من قبل ، بل أصبحت أنواع الأغذية متعددة بتعدد ما في الكويت من جاليات أجنبية .

وأصبحت الكويت تستورد ما يلزمها من مواد غذائية من أركان العالم الأربع ، من الدانيمارك ، واوستراليا ، واليابان ، وهولندا ، وامريكا ، واوروبا ، وافريقيا . وبعد أن حلت مشكلة الماء قامت في الكويت مزارع الدواجن والأبقار ، ومع ذلك فالكويت تستورد شهريا أكثر من نصف مليون بيضة ، كما تستورد الحليب مجففا

ومثلجًا وسائلًا طبيعيًا في زجاجات بعد تعليبه . ويستورد كذلك الدجاج والديك الرومي مثلجة مجلدة من استراليا والدانيمارك ، كما يستورد اكثر من اربعين صنفًا من اللحوم المثلجة . هذا بالاضافة الى ما يذبح في الكويت من اغنام وابقار وجمال . واكثر هذه مستورد من الخارج .

وهناك أسواق قائمة في البلاد العربية الشرقية تكاد تكون متخصصة في تزويد الكويت بما تحتاجه من خضار وفواكه ، ترد الى الكويت بالبر والبحر والجو .

والأردن هو المصدر الرئيسي لما تحتاجه الكويت من خضر كالطماطم والباذنجان والفول والفاصوليا والكوسا والبازلاء والزيتون وزيت الزيتون والتين والبطيخ والموز . ولبنان تزود الكويت بالليمون والبرتقال والتفاح وغيرها من الفواكه والخضار.

أما ايران فتزود الكويت بالثوم والبصل والبطاطس . وبعض أصناف الخضر والفواكه .

ومن الهند ترد الى الكويت كميات ضخمة من البن والتنباك .

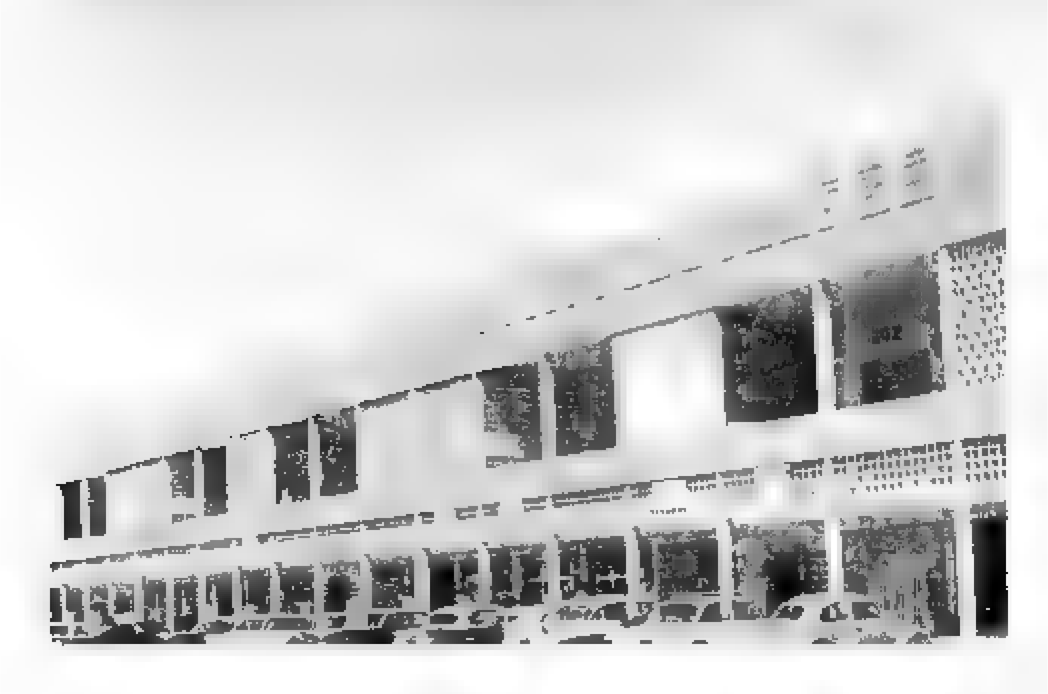
أما الطحين والسكر والأرز والشاي والسمن النباتي وغيرها من المواد فتستورد من أهم البلاد المصدرة لهذه السلع .

والى جانب الخضر والفواكه الطازجة تستورد الكويت كميات هائلة من الخضار والفواكه المعلبة والمثلجة ومن عصير الفواكه والمربيات .

فكرة عن الأسعار

يباع كرتون البيض الذي يحتوي على ٣٠ بيضة ب ٢٠٠ — ٢٥٠ فلسا للاصناف المستوردة من الدانيمارك واستراليا . أما البيض اللبناني فيباع

أصبحت الجمعيات التعاونية تلعب دورها في حياة الناس ، وفي الصورة جزء من السوق الذي تديره الجمعية التعاونية لمنطقة الشامية ، وفيه مطعم ومخبز وصالون حلاقة للرجال وآخر للسيدات [illegible] وكي ، ومحل [illegible] والعرض [illegible] ومواد [illegible] وتوزيع [illegible] وسوق [illegible] تجد فيه الى جانب المأكولات الاسطوانات وبطاقات المعايدة .





محليات تحوي خضرا وفواكه ومربيات واجبانا وبقولا مستوردة من كل مكان ، تعرض باساليب حديثة جذابة ، وتسجل على الزبون انتقاءه وهذا محل بقالة في الكويت يعج فيه الاكتظاظ والمطعم

ب ٧٥٠ فلسا لأنه ينقل بالطائرة . والرحلة البحرية من الدانيمارك او استراليا الى الكويت تستغرق شهرين .

اما الخس مثلا فيباع بسعر ٥٠ فلسا للكيلو في الجملة بينما يباع بالتجزئة بسعر ١٥٠ فلسا للكيلو . ويستورد الخس من ايران بواسطة اللنشات وتستغرق الرحلة ١٤ ساعة ويشتريه تجار الجملة بسعر يتراوح ما بين ٢٠ ــ ٣٠ دينارا للطن الواحد .

ويباع الموز الهندي بالجملة بالقطف (ويحتوي القطف على ٧٠ ــ ٨٠ حبة) بحوالي ٧٠٠ فلس . اما سعر المفرق فهو ٢٠٠ ــ ٢٥٠ فلسا للدزينة (الدستة) .

اما الخبز ، الذي لا غنى للانسان عنه ، فسعر الكيلو منه ٨٠ فلسا .

ويباع اللحم باسعار مختلفة تبعا لنوع اللحم ، هل هو لحم غنم او بقر او جمال ، وما اذا كان بعظم او بدون عظم . واما السمك فقد كان في السابق يباع بالاوقية ــ والاوقية عبارة عن ٥ ارطال انجليزية كانت ترفع الى النصف في السمك . اما اليوم وبعد ان ادخل نظام الاوزان العشرية (الكيلو واجزائه ومضاعفاته) اصبح بيع السمك بالكيلوجرام . وما زال السمك محتفظا بمكانته بين شتى اصناف الطعام .

والسمر الذي يباع به « الزبيدي » وهو اجود

انواع السمك في الكويت ٣٢٠ فلسا للكيلو .

اما عن الارز والسكر والشاي والسمن النباتي وغيرها من المواد فهذه اسعارها في الوقت الحاضر عرضة للتقلب تبعا لقانون العرض والطلب .

	فلس/دينار
ارز « بشاور » الشوال ٩٠ كيلو	٨/٠٠٠
الارز ـ امريكي الشوال ١٠٠ رطل	٢/٨٠٠
السكر ـ روماني الشوال ١٠٠ كيلو	١٠/٠٠٠
السكر ـ انكليزي الشوال ١٠٠ كيلو	١٠/٥٠٠
الشاي ـ كلكتا وسيلان الصندوق ١٠ ارطال	٢/٠٠٠
السمن النباتي ـ هولندي الكرتون (٨ علب الواحدة ٥ ارطال)	٣/٠٠٠
عصير المنجة ـ ر.ج.ح.م الكرتون (٨) علبة)	٢/٠٠٠

هذا اذا اشترى الشاري ٥٠٠ شوال او صندوق مرة واحدة . والا ازداد الثمن .

الأسواق الحديثة

كانت الخضر والفواكه تفرغ في سوق الخضر ، وكان يقع على شاطيء البحر ويسمى بالسيف . و« السيف » كلمة عربية معناها ساحل البحر. وفي منتصف مارس « آذار » من هذا العام انتقل سوق الخضر من موقعه القديم على ساحل البحر الى موقع آخر جديد على طريق بلدة الجهرة في مبان حديثة واسعة انشئت خصيصا لهذا الغرض وهي عبارة عن مبين مستطيلي الشكل يتسعان لآلاف الاطنان والصناديق المليئة بالخضر والفاكهة والبيض .

اما عن اسواق البيع بالتجزئة فقد كانت المواد الغذائية من بقالة وخضر وفواكه تباع في الاسواق القديمة الضيقة المتعرجة في المباركية ، او هي

كان الخبز العربي هو النوع الوحيد الذي كان يأكله سكان الكويت من مواطنين و [illegible] ولكن انواعه تطورت في الاخرى وهذه ستة [illegible] الاول من اليمين يسميه اصحاب الافران « [illegible] » وبعده الخبز الايراني [illegible] [illegible]





مئات والوف من قطوف الموز معروضة للبيع في سوق الجملة ، ويستورد الموز من الهند ويباع القطف الواحد من أجود انواعه بـ ٧ فلس اما النوع المتوسط والاسمر حجما فيباع بـ ٤٠٠ فلس ويباع الموز هنا بالعدد لا بالوزن والموزة الواحدة ثمنها ٢٠ فلسا تقريبا

تفرش على الارض . ولكن التقدم الذي شمل كل شيء اشمل تجارة المواد الغذائية التي احدثت اساليبها . فقامت الاسواق المركزية ، والاسواق المجمعة ، بعرض البضاعة وحفظها بنظام وترتيب ونظافة لا تقل من حيث مستواها عن اسواق العالم . واصبحت واجهات محلات البقالة زجاجية ، والبضائع مصفوفة على حاملات فولاذية على جوانب المحل وفي وسطه ، تتخللها طرقات وممرات تجعل التنقل بين مختلف اركانها ميسرا .

وحفظت الخضر والفواكه واللحوم والبيض والدجاج والايس كريم والزبدة في الثلاجات الكبيرة ذات الواجهات الزجاجية .

لقد اصبح في وسع الانسان ان يشتري كل ما يحتاج من مأكول من سوق مركزية واحدة ، يجر عربة يضع فيها ما يريد .. ويدفع الثمن تحسبه الآلة الحاسبة ، وتلف البضاعة او ترتب داخل صناديق يحملها الموظف ويوصلها الى السيارة .

الجمعيات التعاونية

نظرا لاتساع مدينة الكويت وامتدادها قامت في بعض الضواحي مراكز ، وتضم مراكز الضواحي التي انشأتها الحكومة وجعلت فيها مكتبا للكهرباء والماء ، ومسجدا ، ومسرحا ، وسوقا تؤجره الى جمعية تعاونية اعضاؤها من سكان الضاحية يساهمون في رأس مال الجمعية ، وهي تقوم بفتح مطعم ، ومخبز ، ومحل جزارة ، وحلاق (مكان للرجال وآخر للسيدات) وترزي ، ومكوجي ، ومحل لبيع الفراخ والبيض ، وآخر للسمك ، ومحل لتوزيع الثلج ، وسوق مجمع فيه كل شيء .

وهكذا تكفي الضاحية نفسها بنفسها وتستغني عن سوق المدينة ، وهي تحقق فرصا أخرى اذ تحقق للاعضاء ربحا حلالا .

هذه هي الاسواق في الكويت والمراحل التي مرت بها .. ولن تقف عند هذا الحد ، فالقافلة تسير . ■

طرائف عربية

خير الرجال

● قيل لحكيم : أي الرجال أفضل ؟ قال : الذي اذا حاورته وجدته عليما ، واذا خبرته وجدته حكيما ، واذا غضب كان حليما ، واذا ظفر كان كريما ، واذا استمنح منح جسيما ، واذا وعد وفى ، وان كان الوعد عظيما واذا شكي اليه وجد رحيما .

علامة النبوة !

● ادعى رجل النبوة فقيل له : ما علامات نبوتك ؟

قال : انبئكم بما في نفوسكم .

قالوا : ماذا في نفوسنا ؟

قال : في انفسكم انني كاذب مخادع لست بنبي !

حكمة باقية

● قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه : أعجب ما في الانسان قلبه ، فان سنح له الرجاء اذله الطمع ، وان هاجه الطمع اهلكه الحرص ، وان ملكه اليأس قتله الأسف ، وان اسعده بالرضا نسي التحفظ ، وان ناله الخوف شغله الحذر ، وان اتسع له الأمن استلبته الغرة ، وان اصابته مصيبة فضحه الجزع ، وان استفاد مالا اطغاه الغنى ، وان عضته فاقة شغله البلاء ، وان جهده الجوع قعد به الضعف ، وان افرط في الشبع كظته البطنة ، فكل تقصير به مضر ، وكل افراط له قاتل .

غزل ابي العتاهية في عتبة

● كان ابو العتاهية بالكوفة لا يسمى بذكر عتبة ، ويكتني باسمها ، فمن ذلك قوله :

قل لمن لست أستحي بأبي الشيخ وأمي
بأبي أنت قد أصبحت من أكبر همي
وأشهد أنت لأهلي ألا الأب الحبيبة لعمي
وأرادوا لي خيبة فاتفقوا حتى يعلمني
من يكن يجهل ما لا في ذلك الحب سكني
ان روحي لي بها في الكوفة جسمي

وفديناه

● ولي رجل قضاء الأهواز ، فابطأت عليه ارزاقه ، وحضر الأضحى وليس عنده ما يضحي به ولا ما ينفقه ، فشكا ذلك الى امرأته .

فقالت له : لا تغتم فان عندي ديكا جليلا قد سمنته فاذا كان الأضحى ذبحناه . فبلغ جيرانه الخبر ، فأهدوا اليه ثلاثين كبشا وهو في

« من مشى مع ظالم ليعينه ، وهو يعلم انه ظالم ، خرج من الاسلام »
(حديث شريف)

سهل بن هارون والرشيد

● دخل سهل بن هارون على الرشيد وهو يضاحك المأمون فقال : اللهم زده من الخيرات ، وابسط له من البركات ، حتى يكون في كل يوم من أيامه مربيا على أمسه ، مقصرا عن غده .

فقال له الرشيد : يا سهل من قال مثل قولك هذا شعرا ؟

فقال سهل بن هارون : يا أمير المؤمنين ما علمت أن أحدا تقدمني الى هذا المعنى .

قال : بل أعشى همدان حيث يقول :

رأيتك أمس خير بني لؤيّ ... وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غدا تزيد الخير ضعفا ... كذلك تزيد سادة عبد شمس

ذم الكذب

● قال أعرابي لابنه وسمعه يكذب : يا بني عجبت من الكذاب المشيد بكذبه ، وانما يدل على عيبه ، ويتعرض للعقاب من ربه ، فالآثام له عادة ، والأخبار عنه متضادة ، ان قال حقا لم يصدق ، وان أراد خيرا لم يوفق ، فهو الجاني على نفسه بفعاله ، والدال على فضيحته بمقاله ، فما صح من صدقه نسب الى غيره ، وما صح من كذب غيره نسب اليه ، فهو كما قال الشاعر :

حسب الكذوب من المها
نة بعض ما يحكى عليه
ما ان سمعت بكذبة
من غيره نسبت اليه

بذبح عظيم

المضحي لا نعم . فلما صار الى منزله ورأى ما فيه من الأضاحي ، قال لامرأته : من أين هذا ؟ قالت : أهدى لنا فلان ، وفلان ، وفلان .

فقال لها : احتفظي بديكنا هذا ، فانه أكرم على الله من اسماعيل بن ابراهيم لأنه افتدى بكبش واحد وقد فدى ديكنا ثلاثين !!



نحن وامريكا

من جريدة الرائد – ليبيا :

● مهما كانت السياسة الامريكية واشتطاطها فى الضغط .. ومهما كان من تأثير أصوات اليهود على سير الانتخابات الامريكية .. بل ومهما كان من أمر الضغط الامريكى على السياسة العربية .. فان قضية فلسطين سوف تبقى قضية الشعب العربى .. قضية انسان وأرض .. وفلسطين هى الارض .. والشعب الفلسطينى هو الانسان . وليس يسيرا ان يفصل الانسان عن ارضه ، وهذه حقيقة .

وحقيقة اخرى نذكرها ، ان عرب عام ١٩٦٤ غيرهم عرب عام ١٩٤٨ وما قبلها . لهم مطالب ..

وعلى الصعيد الوطنى .. او فيما يختص بالعلاقات الليبية الامريكية فانها تحتاج الى توضيح جدى ، يساعد على التفهم وادراك الواقع الليبى كما هو ، لا كما تصوره اغلب التقارير الامريكية ابعدة عن ادراك مشاكلنا وآمالنا واهدافنا .

انا لا نقول نكره امريكا وكل ما هو امريكى .. وانما نطالب بايجاد حلول تساعد على تدعيم العلاقات .. ولتعطى لامريكا الفرصة لأن تساعد الشعب الليبى على ان يظهر ويبنى وجوده ليس بالدقيق الفاسد .. والقمح المسوس والجبن النتن .. وانما على اساس العدل والمساواة ، والاعتراف بالحق الليبى فى ارضه وفى خيراته .

ولامريكا عندنا مصالح كثيرة ..

عندها ملايين الدولارات فى صحرائنا تنقب عن البترول .

وعندها قواعد عسكرية ضخمة .

ودولتنا الناشئة ارتضت أن تفتح ابوابها لامريكا وغيرها ليس خوفا او وجلا .. وانما محاولة للاستعداد لمساعدة ركب التقدم ان يسير بسرعة .. ويتجاوز الحواجز الموضوعة امامه . وانما لاحرار فى مسلكنا اذا وجد من يفهم العملية على اساس انها استجداء او ركوع او لتقبيل الاقدام الامريكية . ولا نقصد بهذا أن نطالب لانفسنا بكل الحق .. وانما نطالب بالعدل حتى لا تهضم حقوقنا .



الارنب والفار

من جريدة « فلسطين »

● الأرنب ، في الحيوانات ، سريع الحركة، يقفز في عدة اتجاهات ، فيصعب اصطياده .

والارنب في مفهوم السياسة الأمريكية هو كوبا ، البلد المعادى الصغير القائم في قلب القارة الامريكية .

وامريكا تخشى كوبا كما لا تخشى روسيا أو اي بلد آخر ، لأن الكاستروية بدأت تنتشر بسرعة في نصف الكرة الغربي ، مهددة بذلك النفوذ الامريكى ، وقبل النفوذ : المصالح الامريكية .

والارنب الكوبي الذي يزعج امريكا ، ويشغل زعماءها بالتصريحات ليل نهار ، جميل المنظر على الأقل ، كل ذنبه انه يقفز — وبسرعة — من فوق امريكا ، ومصالحها، ونفوذها ، الى بنما وبيرو وفنزويلا وجواتيمالا وهايتي ، وغيرها من دول امريكا الوسطى والجنوبية .

واذا كان هذا موقف امريكا من الارنب فماذا يكون موقفها لو كان فارا .

كما هي الحال مع اسرائيل .

ان الفار الاسرائيلي مزعج ، كريه المنظر ، فوق الاضرار التي يحدثها عن طريق المرض الذي ينشره ، والذي يتلف من طريقه القوت والملبس .

اما نحن العرب فنحاول القضاء على هذا الفار بالطعم السام ، أو بالمصيدة معه ، اذا طلب نقوم معامه في اللعبة المعروفة !

الفكرة الناجحة لا تموت

من مجلة « المصور » :

● الطوب الذي يلقيه اعداء الفكرة الناجحة لا يدفنها ! انه يزيد حلاوتها وقوتها ومناعتها ، ويحولها من حبر على ورق ، الى اهرام ضخمة ، يستحيل هدمها .

فلا تغضب من هجوم الناس حتى لو ظلموك بهجومهم !

فان الطوب قد يكسر لوحا من الزجاج ، ولكنه لا يحطم قلعة !

والأفكار الصحيحة مثل القلاع في مناعتها وصلابتها وقوتها .

والنقد اللاذع لا يمكن ان يحطم عملا ناجحا ، أو يزعزع ثقة الناس فيه ! انه يكشف للناس عن مزاياه ، ويحمسهم للدفاع عنه ، والايمان به . ولولا القسوة التي واجهها المفكرون عندما عرضوا افكارهم على الناس ، لماتت بعض هذه الافكار ، أو تأخر وصولها للملايين . فان العنف الذي استقبلت به هذه الافكار هو الذي نشرها وحولها من همسات الى صرخات تهز البشرية كلها !

فاذا لم يعارض بعض الناس افكارك ، لا تفرح .. ولا تتصور انك اقنعت كل الناس !

ان معارضة بعض الناس لفكرتك هو اكسير الحياة لها !

ولهذا أحمد الله دائما عندما اسمع صراخ الذين يعارضونني ويلعنونني !



بقلم : الدكتور محمود السمرة

■ قال العرب : ان الله عقل ، وهو المصدر لجميع العقول .

وقال ابن سينا : ان الله عقل .. ولما كان الله عقلا فالذي صدر عنه عقل ...

هذان قولان يدلان على مدى تمجيد العرب للعقل ، وهناك اقوال كثيرة اخرى تؤكد هذا التمجيد للعقل .

وهذا الكتاب الذي بين ايدينا للاستاذ قدري حافظ طوقان يتناول « مقام العقل عند العرب » ، وهو كتاب متوسط الحجم ، ولكنه ممتع ، وهو في خمسة ابواب يتناول في الباب الاول معنى العقل في الاسلام متحدثا عن مقامه في القرآن الكريم ، وعند الرسول ، والصحابة ، والفقهاء والحكماء .

ويتحدث في الباب الثاني عن الاجتهاد في الاسلام مبين تأييد الدين للاجتهاد وحرية العقل والرأي .

ويفيض في البابين الثالث والرابع في الحديث عن سلطان العقل عند المعتزلة ، ومقام العقل عند بعض الفلاسفة العلماء

وينتهي في الباب الخامس الى عرض سهب للنزعة العلمية في التراث العربي .

هذا الكتاب :
ميزات ومآخذ

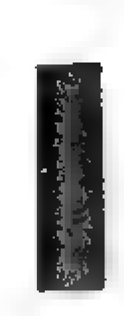
ويتميز هذا الكتاب بكثرة الرجوع الى الاصول ورد الاقوال الى اصحابها ومصادرها ، والاحاطة بجوانب الموضوع .

وخير ابواب الكتاب ، في رأيي ، الباب الثالث « سلطان العقل عند المعتزلة » ، ثم الباب الرابع « مقام العقل عند بعض الفلاسفة والعلماء » . واضعف ابوابه الباب الاول .

ويبدو لي ان تحويرا بسيطا في العنوان قد يجعله اكثر قربا من الواقع ، وهذا التحوير يقترح احلال كلمة « المسلمين » مكان كلمة « العرب » ، ذلك لان كلمة المسلمين واضحة الدلالة في التاريخ الاسلامي ، وكثير من الفقهاء والفلاسفة الذين تناولهم المؤلف كانوا مسلمين لا عربا .

اما كلمة « عرب » في التاريخ الاسلامي ، فليس فيها مثل هذا الوضوح ، وهي نفسها لها دلالات مختلفة حسب العصر الذي تقال فيه . وقد حاول الاستاذ برنارد لويس في كتابه « العرب في التاريخ » ان يحدد مفهوم كلمة « عرب » عبر التاريخ





الاسلامي فلم يوف البحث حقه من الدقة والاستقصاء ، وحاول ذلك ايضا الاستاذان جب Gibb وجرينبارم Grunebaum فكان كلاهما قصيرا .

ولي كلمة هنا ايضا في طريقة المؤلف في التأليف ، فهي طريقة قائمة على اختيار الاقوال المختلفة المعجبة ، وهذه الطريقة ليست طريقة الدارس الموضوعي ، ولكنها طريقة من يريد ان يبعث الثقة في النفوس القلقة ، وسبيل من يهدف الى التوجيه . ونحن احوج ما نكون ، في هذه الفترة من تاريخنا ، الى ابراز الجوانب المشرقة في تراثنا .

مقام العقل في القرآن الكريم

ومقام العقل في القرآن الكريم ، قيل فيه الكثير جدا ، ولكن الجانب الذي ما زال محتاجا الى مزيد من القول والتفسير هو التوفيق بين الآيات التي تبدو في ظاهرها ، متناقضة . وهذا ما تجنبه المؤلف ، ولعله تجنب طرقه لأن الطريق شائك ، أو لأنه معني بالجوانب المضيئة المشرقة فقط .

والذي لا شك فيه ان للعقل مقاما كبيرا في القرآن الكريم : فهو يحتفل بالبرهان ، ويدعو الى اعمال النظر والفكر ، ويحمل على المقلدين الذين يعطلون عقولهم ولا يستعملونها ، ويدعو الى الخروج على التقاليد البالية . وهو يأمر بالاحسان استعمال السمع والبصر والعقل للوصول الى الحقيقة . وهو في هذه الآيات انما يتبع سبيلين : سبيل المشاهدة ، وسبيل التفكير ، وهاتان هما الطريقتان اللتان تتبعان في العلم .

وفي القرآن الكريم ايضا آيات ترفع من شأن العلم والعلماء .

« ... العقل اصل ديني ... »

واقوال الرسول ، التي تنظر الى العقل نظرة تعظيم واجلال ، كثيرة . فالرسول نفسه كان يرى ان العقل اصل الدين واساسه ، وان لا دين لمن لا عقل له . ومن هذه الاقوال الكثيرة : « ... العقل اصل ديني ... » ، ويبين الرسول الكريم ان الله يأخذ بالعقل ، ويعطي به ، ويثيب ويعاقب على اساسه ، فقال : « .. اول ما خلق الله العقل فقال له : "اقبل" ، فاقبل . ثم قال له : "ادبر" ، فادبر . ثم قال الله عز وجل : وعزتي وجلالي ، ما خلقت اكرم علي منك . بك آخذ وبك اعطي ، وبك اثيب ، وبك اعاقب ... » .

وقال ايضا : « الناس يعملون الخيرات ، وانهم يعطون اجورهم يوم القيامة على قدر عقولهم » .

وكان عمر بن الخطاب اكثر الصحابة استعمالا للعقل . وللفاروق ، الخليفة الثاني لرسول الله ، دعوة صريحة الى اعمال العقل والفهم والقياس فيما لم يرد فيه نص ، فقد ورد في كتابه الى ابي موسى الاشعري

« ... ولا يمنعك قضاء قضيته اليوم ، فراجعت فيه عقلك ، وهديت فيه لرشدك ، ان ترجع الى الحق ، فان الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل . الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة . ثم اعرف الاشباه والامثال ، فقس الامور عند

ذلك ، وأبعد الى أقربها الى الله وأشبهها بالحق .. » .

والصحابة أنفسهم لم يقفوا عند النصوص ، بل رجعوا فيها الى الرأي ، وسار في طريقهم التابعون والأئمة من بعدهم . وقد سمي الفقهاء الذين جعلوا الرأي أصلا من أصول الأحكام « أهل الرأي » . وقد أطلق الفقهاء والمؤرخون على مذهب الامام أبي حنيفة اسم « مذهب أهل الرأي » ، لأنه كان للامام أبي حنيفة مقدرة واسعة على تحكيم الرأي والمنطق .

وحين قدم الامام الشافعي الى القاهرة ، غير مذهبه القديم ، وخرج على الناس بآراء جديدة . ولما سئل عن سبب ذلك قال انه رأى أشياء جديدة ، وسمع أقوالا جديدة ، دعته الى التغيير .

وبانت مدرسة أحمد بن حنبل بمبدأ اعتبار المصلحة ، وتقديم المصلحة التي يقول بها العقل على النصوص الدينية .

ولما كثر البحث في العقائد ، وتفرع الى بحوث متنوعة ، وموضوعات متعددة ، لم تكن زمن النبي أو صحابته ، أخذت هذه البحوث والموضوعات ، ولا سيما في العصر العباسي الأول ، تتركز ليتكون منها علم أطلق عليه « علم الكلام » . وهو علم يبحث في العقائد الدينية بإيراد الحجج لها ، ودفع الشبه عنها . ويقول الامام الغزالي في علماء الكلام « ان أهل هذا العلم متمسكون أولا بالأخبار والآيات ثم بالدلائل العقلية » .

والثابت أن العقل عند الفقهاء هو المرجع والمعول عليه حين لا نص في الكتاب أو السنة . وهم يرون أن التقليد الأعمى باطل في الشريعة ، وفي هذا اعزاز للعقل ورفع لشأنه . وقد بلغ بهم الاعتزاز بالعقل حدا ذهبوا فيه الى « أن قول الصحابي ليس بحجة ، ولا يجب تقليده » . واعتبر الغزالي قول الصحابي من الأصول الموهومة .

المعتزلة
« اذا تعارض النقل والعقل وجب تقديم العقل »

وفي القرن الثاني للهجرة ظهر المعتزلة ، وهم من أعظم المصلحين الدينيين الذين ظهروا في هذا القرن : فقد قالوا بسلطان العقل ، وآمنوا به ، وأطلقوا له العنان ، وجعلوه حكما في كل شيء . فالعقل عندهم هو المرجع ، وهو الأساس ، وهم يأخذون بالنقل اذا ساير العقل والبرهان العقلي . ويرفضونه اذا خالفه وناقضه ولم يحتمل تعليلا أو تأويلا .

ويقول الاستاذ أحمد أمين : « وفي رأيي انه لو سادت تعاليم المعتزلة في هذين الأمرين ـ أعني سلطان العقل وحرية الارادة ـ بين المسلمين في عهد المعتزلة الى اليوم لكان للمسلمين موقف آخر في التاريخ غير موقفهم الحالي وقد أعجزهم التسليم ، وشلهم الجبر ، وقعد بهم التواكل ... » .

وقد مهد المعتزلة الطريق لمن أتى بعدهم من أعلام الفكر وفلاسفة العرب والاسلام . والمعتزلة كذلك الفضل الأول في وضع الأسس الأولى لعلم الكلام وعلم البلاغة .

وقد وسع المعتزلة دائرة التفكير فقالوا بسلطان العقل في معرفة الخير والشر وأن الحسن والقبيح يجب معرفتهما بالعقل . ووصل بهم تمجيد العقل حدا دفعهم الى محاولة اخضاع النقل للعقل ، وتحوير العقائد الدينية بحيث توافق التعاليم الفلسفية ، ومن أقوالهم : « اذا تعارض النقل والعقل ، وجب تقديم العقل لأنه أساس النقل. » ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل كثيرا ما هاجموا النقل ، وشنوا على رواة الحديث حملات قاسية.

وقالوا ان الحسن حسن ، لا لأن الشرع أمر به ، بل لأنه حسن بذاته ، وكذلك القبيح قبيح، لا لأن الشرع نهى عنه ، بل لأنه قبيح بذاته .

وذهبوا الى « ... أن العبد قادر خالق لأفعاله، خيرها وشرها ، ومستحق على ما يفعله ثوابا وعقابا في الدار الآخرة ، والرب تعالى منزه أن يضاف اليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية ، لأنه لو خلق الظلم كان ظالما ... » .

ومن أهمها تفسير الزمخشري في كشافه ، وهذا التفسير يعد مثلا واضحا على تفسير المعتزلة. وهو حقا معتبر من كتب التفسير الأساسية .

وقد ظهر في المعتزلة مفكرون من الطراز الاول امثال واصل بن عطاء الذى يرجع اليه الفضل الاكبر في تأسيس الاعتزال على اسس علمية ، وعمرو بن عبيد ، وأبو الهذيل العلاف ، والنظام. ويرى الاستاذ احمد امين ان النظام ذو عقلية قوية سابقة لزمانها «..فيها الركنان الاساسيان اللذان سببا النهضة الحديثة في اوروبا وهما : الشك والتجربة ... » يقول النظام : «..الشاك اقرب اليك من الجاحد . ولم يكن يقين قط حتى صار فيه شك . ولم ينتقل احد من اعتقاد الى اعتقاد غيره حتى يكون بينهما حال شك ... » .

واستخدم النظام التجربة في بعض الحالات ، كما يستخدمها الكيميائي او عالم الفيزياء اليوم ، والجاحظ يروى عنه هذه المحاولة .

« ... فانه سقى الخمر للحيوانات ليرصد نتائج ذلك ، فجربها على كل عظيم الجثة : كالابل ، والجواميس ، والبقر ، ثم على الخيل العتاق والبراذين ، ثم على الظباء والشياه ، ثم على السنور والكلب وابن عرس ، ثم اتى بحاو فكان يحتال على الافاعي حتى يصب في حلقها بالاقماع ، وشاهد فعل الخمر في هذه الاجناس المختلفة ... وكذلك احتال النظام على شد مقلم الاظفار ، فسأله ليعرف مقداره في الاحتمال ... » .

والجاحظ من ابرز رجالات المعتزلة : مخلص للحق ، محب للمعرفة ، شغوف بالصدق والانصاف . وكان رائده الحق، وضالته الحقيقة، ينشد الوصول اليها من طريق التثبت والتجربة والعقل والبرهان ، ولعل خير ما قيل في الجاحظ ما قاله ابو الفضل بن العميد الوزير : « ان كتب الجاحظ تعلم العقل اولا ، والادب ثانيا ... » .

اخوان الصفاء :

« العقل اشرف الموجودات ، وافضلها بعد البارى عز وجل »

وظهرت في القرن الرابع الهجري جماعة « اخوان الصفاء » ، وهى جماعة تدعو الى المحبة والصداقة ، واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة والتعاون . وقد اقامت هذه الجماعة لها مذهبا اساسه البحث والنظر للوصول الى الحق والحقيقة والكمال . وكان اخوان الصفاء يجتمعون سرا ، ويتداولون في اجتماعاتهم البحوث الفلسفية والدينية والالهية على اختلافها ، ويتذاكرون في العلوم الرياضية والطبيعية على انواعها . وقد جعلوا من علومهم وفلسفتهم سبيلا للنفع العام والخير المشترك .

وقد صنف اخوان الصفاء مذهبهم في كتاب ذي رسائل عدتها احدى وخمسون رسالة . ويقول الاستاذ « دى بور » انهم قد نالوا حظا وافرا من الرقي الفكرى ، وان من يطلع على رسائلهم يجد فيها دعوة صريحة الى استعمال العقل ، والتمام النظر ، واعمال الفكر . والواقع انهم قد ذهبوا الى ابعد من هذا فقالوا : ان العقل اشرف الموجودات وافضلها بعد البارى عز وجل ، وهو نوعان . غريزى ومكتسب .

والحقيقة عند اخوان الصفاء واحدة مهما اختلفت اراء الفلاسفة ، وتباينت نظريات العلماء. والحكيم في رأيهم هو الذى لا يقصر الحق على واحد ، بل يبحث عنه الى وجهه فهو ضالته وهو منشده . وطالبوا في رسائلهم بان ينزل الانسان على حكم العقل لا على اقوال القائلين ، وفي ذلك ما يعصم من الخطأ ويبعد عن الزلل. ومن اقوالهم « ان اسوأ الناس مذهبا ، واخسهم رأيا ، من يعتقد امرا ويكون عقله منكرا عليه ، ونفسه مرتابة » .

الاجتهاد :

« ان من اصول الاسلام النظر العقلى لتحصيل الايمان »

والدعوة للاجتهاد دعوة لحرية العقل وحرية الرأى وتدعيم لهما . ويرى بعض الائمة من الفقهاء ورجال الدين « ... ان من اصول الاسلام النظر العقلى لتحصيل الايمان ، وتقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض .. » وهذا مبدا

هام بعيد النتائج ، لو عمل به . وقد ادرك الفقهاء أهمية الاجتهاد وخطورته ، ولهذا وضعوا للمجتهد شروطا دقيقة حتى يصح أن يكون مجتهدا .

وقد كان الاجتهاد في العصر العباسي الأول يساير روح العصر ومقتضياته ، ويتفق مع المصلحة والعقل . وفي أواخر الدولة العباسية ، وبعد سقوط بغداد ، رأى الفقهاء ، ولا سيما السنيون منهم ، سد باب الاجتهاد خوفا من الاضطهاد ، ومن اساءة الاجتهاد في وضع الاحكام التي لا تقوم على الخير المطلق ، والعدل الحقيقي ، والمصلحة العامة . ولهذا نجد أن الفقهاء السنيين قد اكتفوا بالمذاهب السنية الأربعة .

وبما أن المبررات والعوامل التي دعت الفقهاء السنيين الى سد باب الاجتهاد قد زالت ، فانه ليس من المصلحة أن يتقيد العرب والمسلمون باجتهاد الفقهاء الأقدمين . وهذا هو ما دعا الأفغاني ومحمد عبده الى الدعوة لفتح باب الاجتهاد . وقد اثبت الفقهاء من علماء الشيعة والسنة في العصور الحديثة ان الاجتهاد واجب على كل من اتصف بصفات المجتهد ، واتوا بأدلة شرعية واضحة من الكتاب والسنة والاجماع والقياس لدعم رأيهم ، وتأييد ما ذهبوا اليه من أن سد باب الاجتهاد مخالف لنصوص الشريعة ومفاهيمها وروحها ، وفي سد باب الاجتهاد تجميد للفكر والشريعة .

يقول جمال الدين الأفغاني : « ما معنى أن باب الاجتهاد مسدود ؟ . وبأي نص سد ؟ ومن قال لا يصح لمن بعدي أن يجتهد ليتفقه في الدين ، ويهتدي بهدي القرآن وصحيح الحديث والاستنتاج بالقياس على ما ينطبق على العلوم الحديثة وحاجات الزمن وأحكامه .. ؟ ان الفحول من الأئمة اجتهدوا وأحسنوا ، ولكن لا يصح أن نعتقد انهم احاطوا بكل أسرار القرآن ، واجتهادهم فيما حواه القرآن ليس الا قطرة . والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده ... » .

ويرى الأفغاني ان سد باب الاجتهاد من عوامل تأخر المسلمين ، وان على المسلمين من أصحاب العقول المرنة النيرة أن يجتهدوا ، وأن يسايروا الزمن في الاجتهاد ، وأن لا يكونوا جبناء في اذاعة ما يعتقدونه ويرونه في صالح الجماعة ، أو في جانب الحق ، حتى ولو كان ذلك مخالفا للرأي العام .

وسار على غرار الأفغاني تلميذه الشيخ محمد عبده ، فكان في فتاواه ، وفي مقالاته وتفسيره ، مجتهدا ، ودعا الى فتح باب الاجتهاد ، ومراعاة روح العصر وصرح بأن الاجتهاد « ... ضرورة عقلية ودينية .. » .

ومن علماء الدين المعاصرين الذين دعوا الى الاجتهاد بحرارة وحماسة الشيخ عبد العزيز جاويش ، والشيخ محمد مصطفى المراغي .

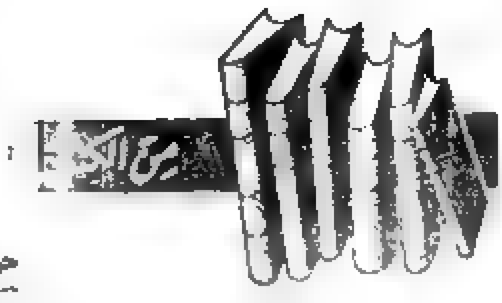
★ ★ ★

هذا هو مقام العقل عند العرب ، وقد نوه بهذه الحقيقة الاستاذ برنارد لويس ، الاستاذ بجامعة لندن ، وقال ان أوروبا تحمل دينا مزدوجا للعرب : فقد حافظ العرب على التراث الفكري والعلمي الذي خلفه اليونان ، وتوسعوا فيه ، ونقلوه الى أوروبا . ومن العرب تعلمت أوروبا طريقة جديدة في البحث ، وهي طريقة تضع العقل أولا ، وتنادي بوجوب البحث المستقل والتجربة .

ونحن في حاضرنا في أشد الحاجة الى هذه الروح التي تجلت في التراث العربي الاسلامي وسادت المعتزلة وبعض فلاسفة العرب وحكمائهم ، تلك الروح التي تمجد العقل ، وتدعو الى التجديد ، وتقدس حرية الفكر ، وتنزع الى الخلاص والانعتاق من قيود الماضي وأغلال التقليد ، وتقول بالتحرر من سلطان القدر .

ان هذه الروح هي التي تنير الطريق لحل المشاكل المعقدة التي تجابه العرب في هذه الأيام ، وتقود سيرهم . ■

محمود السمره



ديوان ابي العتاهية

دار صادر ودار بيروت

● ابو العتاهية كنية غلبت على الشاعر واسمه اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان . اما سبب كنيته بابي العتاهية ففيه قولان : احدهما ان الخليفة المهدي قال له يوما « انت انسان متحذلق متعته » فاصبحت هذه كنيته بين الناس . والقول الثاني لمحمد بن يحيى قال : « كنى بابي العتاهية لانه كان يحب الشهرة والمجون والتعته .

ديوان بهاء الدين زهير

دار صادر ودار بيروت

● ديوان ابي الفضل زهير بن محمد بن علي المهلبي ، المعروف ببهاء الدين ، ينتمي نسبه الى المهلب بن ابي صفرة . ولد بمكة او بوادي نخلة ، وهو مكان بالقرب من مكة . سنة احدى وثمانين وخمسمائة . ولما شب توجه الى مصر واتصل بالسلطان الملك الصالح . وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة .

القذيفة الطائرة

عبد الله النيهوم

● مجموعة قصص منها : ابواب الله ، عرس لا ينسى ، ورقة في شجرة ، القذيفة الطائرة ، حب في جهنم ، جسر النحلة ..

مواجهة الطفل للازمات

جورج مور Mohr ترجمة الدكتور محمد خليفة بركات — مؤسسة فرنكلين ومكتبة النهضة المصرية

● من فصول الكتاب : تشجيع الاتجاهات الاستقلالية . اقرار التجاهل . الاطفال في حاجة الى الوالدين معا . التهيؤ للمستقبل .

حول مائدة المعرفة (٨)

ترجمة عثمان نويه . مكتبة الانجلو المصرية ومؤسسة فرنكلين

● في هذه المجموعة عرض لخمسة كتب في موضوعات متفرقة هي : « التقدم والفقر » لهنري جورج ، و « السفراء » لهنري جيمس ، و« الابله » لستريندبرج ، و « السيد العميد على مائدة الافطار » لهولمز ، و « المبادىء الاولى » لسبنسر .

النشاط التلقائي والتعلم الخلاق

تأليف دارو Darrow والن Allen — ترجمة الدكتور مصطفى فهمي والدكتور مجيب اسكندر مؤسسة فرنكلين ودار النهضة العربية — القاهرة

● كتاب يتناول سلوك الاطفال وكيف يمكن تحسين قدراتهم ، والتعاون بين الاباء والمدرسين والاطفال الموهوبين وبطيئي التعلم .

رسائل في حضارة البؤس

عزة البلازجي — دمشق

● ست عشرة رسالة يكتبها المؤلف الى صديق ، يتناول فيها الانسان وقيمته ، ووجوده ، وخلقه للمأساة التي ادت الى شقائه .

الامامة في التشريع الاسلامي

محمد مهدي الاصفي — مكتبة النجاح — النجف

● محاولة لتبسيط مفهوم الامامة ، وعرضها بشكل جديد على ضوء العلوم البشرية الحديثة .

ظـــلال

عبد الكريم شمس الدين — دار الانطلاق — بيروت

● ديوان شعر فيه : تذكار . عودي الى . الى مرضع . سامحة . الى شال . صلاة . عباد . مستعودين ..

وداعا يا دمشق

ألفة الادلبي – وزارة الثقافة والارشاد القومي – دمشق .

● مجموعة قصص منها : وداعا يا دمشق ، الله كريم ، خيط العنكبوت ، سراب ، الصقيع، بوران ...

كونكاس بوربا

ماشادو دواسيس – ترجمة الدكتور سامي الدروبي – وزارة الثقافة والارشاد القومي – دمشق

● قصة من قصص الكاتب البرازيلي ماشادو دواسيس . ولد هذا الكاتب عام ١٨٣٩ في بيت من بيوت الصلصال بمدينة ريو دو جانيرو ولأسرة فقيرة معوزة . كان ابوه دهانا ، وكانت امه خادمة .

أسس النقد الأدبي عند العرب

الدكتور أحمد أحمد بدوي – مكتبة نهضة مصر

● في هذا الكتاب : موضوع النقد الأدبي ، عوامل النقد الأدبي ، نقد الشعر ، الموازنات في الشعر ، فنون الشعر ، بناء القصيدة ، مقاييس نقد النص ...

أعيـاد

عبد الله نيازي – دار الآداب

● مجموعة قصص منها : عرس ، امنيات فتى، حسن الندى ، الحضارة البيضاء ، القتيل ، قتلت اخي ...

المنهل في تاريخ الأدب العربي

ثلاثة اجزاء : يونس بن زايد الدريري –

● موجز شامل لعصور الأدب العربي .

البحرين

محمود بهجت سنان – بغداد

● كتاب جامع شامل عن البحرين في تاريخها القديم والحديث .

دور الثقافة في اعداد المديرين

روبرت جولمبين – ترجمة ابراهيم علي البرلسي – مؤسسة فرنكلين ومكتبة الانجلو المصريه

● يضم هذا الكتاب اثنين وعشرين مقالة تتناول الى التعليم الحر لتكوين المديرين المنفذين ، واعدادهم للاضطلاع بالوظيفة الادارية على مستوى عال .

الفن خبرة

جون ديوي – ترجمة الدكتور زكريا ابراهيم – مؤسسة فرنكلين ودار النهضة العربية بالقاهرة

● مؤلف هذا الكتاب من عمالقة الفكر المعاصر، وهذا الكتاب من اهم ما انتجته قريحة ديوي ، وقد كتبه ليفسر به الفنون تفسيرا يتفق مع وجهة نظره العامة .

تاريخ الحضارة الأوروبية

كلود ديلماس – ترجمة كوليت حبيب – وزارة الثقافة والارشاد القومي – دمشق

● كتاب في ثلاثة فصول هي : التطورات الكبرى في العصر الوسيط ، في فجر العصر الصناعي ، بحثا عن المستقبل .

محاضرات الموسم الثقافي

الجزء الرابع – وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق

● من محاضرات هذه المجموعة : رسالة الطب في المجتمع الحديث ، الثقافة العربية والثقافة الاجنبية ، الرمزية في الشعر ، التعليم اساس نهضتنا ، التربية والمجتمع ، ادب البطولة ..

شاعرية يوسف عز الدين

خضر عباس الصالحي – مكتبة المثنى – بغداد

● دراسة لشعر الشاعر العراقي الدكتور يوسف عز الدين .

الظمأ والينبوع

فاضل السباعي — دار الآداب — بيروت

● قصة تصور سمو خلق شاب شرقي يدرس في ألمانيا ، وصموده أمام إغراء فتاة ألمانية .

ويهدي المؤلف قصته « الى الذين ما زالوا على ايمانهم بمكارم الأخلاق.. »

رسالة في تقدم العلوم الطبية في البلاد العربية خلال القرنين الماضيين

للدكتور شوكت الشطي — مطبعة جامعة دمشق

● واسمه يدل على موضوعه ، فهو كتاب يتناول دراسات في الطب والصيدلة ، ونهضة مدارس الطب ، وما ترجم من الكتب ، وكذا المصطلحات .

معجم الألفاظ الكويتية

للشيخ جلال الحنفي البغدادي — بغداد

● معجم ابجدي للألفاظ الكويتية في الخطط واللهجات والبيئة .

امهاتنا والنضال

ابراهيم الناصر — الرياض

● مجموعة قصص منها : امهاتنا والنضال ، ابتسامة ، الزائفون ، الطلب ، الصديقة ، الحذاء السعيد ..

صحة أسرتك

ايلبوم ترجمة الدكتور ابراهيم حافظ

مؤسسة فرنكلين ومكتبة الخانجي

● كتيب يبحث في صحة الفرد ، وكيف يمكن المحافظة عليها .

في العشايا

رشاد دارغوث — دار الكتب — بيروت

● مجموعة مسرحيات وقصص وأحاديث تستهدف تثقيف الأبناء وتربيتهم .

تجربة الشيوعية في الصين

محمود الحره

دار الكتاب ودار الكاتب العربي — بيروت

● أول كتاب باللغة العربية يجمع بين ماضي الصين بتاريخها العريق وحضارتها المجيدة ،وكفاح شعبها الدامي ... وبين حاضرها بمختلف صور الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية » .

المقامات

عبد السلام العجيلي — المطبعة الهاشمية — دمشق

● مجموعة من المقامات الهزلية . بدأ المؤلف بكتابتها منذ أن كان طالبا في كلية الطب بدمشق .

الطب والأطباء في المغرب

عبد العزيز بنعبد الله — الرباط

● « يلذ لي أن أقدم اليوم محاولة متواضعة حول الطب المغربي في مختلف مراحل التاريخ الاسلامي بهذه البلاد ، وهي محاولة لا تستهدف أكثر من رسم صورة مكبرة عن بعض مظاهر النشاط الطبي عندنا ... ».

دروس التاريخ المغربي

عبد الله بن العباس الجراري الرباطي — الرباط

● كتاب فيه ملخص للتاريخ الدولتين اللمتونية (٤٥٢ — ٥٤١ هـ) ، والموحدية (٥٤١ — ٦٦٢ هـ) .

في الملايو وبورنيو الشمالية

عبد الرحمن أبو قوس — منشورات

دار الوطن بحلب

● كتاب يروي قصة الاستعمار واتحاد ماليزيا، والأحلاف والقواعد العسكرية في أجلى مظاهرها .

المتعة

توفيق الفكيكي . القاهرة

● دراسة منصفة للمتعة ، وردا على المفتريات التي وجهت اليها .

■■



● أنا فتاة في السابعة عشرة، أنهيت دراستي الثانوية ثم توقفت بسبب وفاة والدي [illegible] لي [illegible] ولأنه [illegible] وأنا [illegible] أصبحنا بعد وفاة والدي ولا عائل لنا، عندما حصلت على شهادة الثانوية كان أول ما فعلت أن طرقت أبواب المصالح الحكومية والمؤسسات الأهلية، طالبة عملا! لأني أريد أن أعول أخواتي الصغار، وأهيئ لهم الفرصة كي يتموا دراستهم [illegible] فما تركت مصلحة أو مؤسسة إلا تقدمت إليها بطلب توظف [illegible] وبدأ الأمل يداعب قلبي وقلب والدتي وإخوتي، في أن أساعد فعلا [illegible]

حسبت أن أقول لكم إني – لسوء الحظ – على جانب من الجمال، كانت صديقاتي تقلن لي إنه سيفتح لي الأبواب، وسيكون شفيعي للحصول على عمل [illegible]

لكن هذا الجمال مع الأسف لم يلبث أن غدا شؤما علي وعلى من [illegible]

كلما تقدمت لواحد ممن يستطيعون توظيفي كان ينظر إلي [illegible] ثم لا يلبث أن يبقى

نعم .. هو ربا

● عرفت الحروب القيمة التي [illegible] عن الربا ولفوائد البنوك وأرباح صندوق التوفير، وأحب أن أعرف رأيكم في نوع من المعاملة منتشر عندنا في السعودية دون أن يعترض عليه أحد.

فإذا احتاج شخص إلى نقود، قصد إلى أحد التجار مثلا وطلب منه أن يقرضه المبلغ الذي هو في حاجة إليه، فلا يعطيه التاجر نقودا [illegible] الأمر بل يبيعه سلعة من السلع: مائة كيس من السكر مثلا أو من الأرز أو نحو ذلك، بسعر متفق عليه، ثم يعود فيشتريها هو منه بسعر أقل من سعر البيع [illegible] ريالاته، ويدفع له

في أذني كلاما عجيبا لم أتعود سماعه .. ولقد أجبر أحدهم ذات يوم فأمسك بيدي ثم تمسى بالقوة .. وثانٍ حاولت التخلص منه قال لي : لكي تحصلي على الوظيفة يجب أن تعطي ما أريده ، وإلا فمكانك خارج الباب ! .

وفعلا كان مكاني بعد دقائق خارج الباب !

أما الثاني فكان أكثر تأدبا .. إنه اكتفى بدعوتي لمرافقته إلى السينما .. وحيث لم أذهب ، وصفت الوظيفة المنشودة !

والثالث دعاني لقضاء بعض الوقت في إحدى الحدائق العامة ..

وهكذا ..

لقد تمكنت أستفاد من كل أصحاب الأعمال وكبار الموظفين ، بسوء إلا وحوشا يريدون أن يفترسوا الشباب .. ولذا فقد أصبحت أحتفظ في حقيبتي بخنجر ، أضربه أي أحد في قلب من يحاول اعتراض من هؤلاء الوحوش .. وإن كنت حتى ... يبقى من الأمر أن أغمده في قلبي أنا كي أموت وأستريح !

بربكم ما ذنبي إذا كنت فتاة .. وجميلة ؟

وهل لكي تحصل فتاة على عمل شريف تعول منه أمها وأخوتها يجب أن تفرط في عرضها وتتجر بجسدها ، أو تموت من الجوع ؟!

قولوا لهم كلمة كي يتقوا الله ...

بغداد — هـ . هـ

تائهة في أرض الله

— ماذا نقول لهم ، وهم — كما تقولين — وحوش كاسرة ؟!

لا .. بل إن من الوحوش ما يرتفع عن أن ينزل إلى ما يفعلون !

لو كان الأمر بيدي لعلقت لهم المشانق في الميادين ..

ولو كنت قاضيا لحكمت بسحليهم في الشوارع على نحو ما كان يجري في عهد قاسم المجنون ..

لكنني مع الأسف لا أملك من أمرهم شيئا .. لا أملك لك إلا أن أنشر مأساتك عسى أن يقرأها أحد ممن يهمهم الأمر من ذوي النخوة والمروءة ، وهم والله الحمد كثيرون ، فيأخذ بيدك ويهيئ لك عملا مناسبا ، إن لم يكن تقديرا لتمسكك بالشرف والفضيلة ، فليكن إكراما لوالدتك العاجزة وأخوتك الأطفال الصغار .

الثمن ويكتب عليه صكا بالمبلغ الذي دفع له إليه السلعة أول مرة ، وهذا يكون الفرق بين السعرين سعر البيع وسعر الشراء ، هو الربح أو الفوائد .. ويزعم الطرفان أن ذلك ليس ربا ، وإنما هو بيع وشراء ، فـ « أحل الله البيع وحرم الربا » فما رأيكم في ذلك ؟

المشرق — عبد الله يوسف

— إذا لم يكن هذا ربا ، فماذا يكون الربا إذن ؟!

إن عملية البيع والشراء ليست إلا عملية صورية زائفة يراد بها الإيهام بأن ما يمارسه الطرفان ليس حراما . وهو في رأينا عين الحرام ، بل أشد حرمة ، لأنه يجمع الحرمة التحيل على الحرام .

(يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون) .

الطلاق المعلق ... وطلاق السكران

● ان الثقافة التي تتمتع بها مجلتكم ومجلة «العربي» في معرض قرائها في مختلف أنحاء العالم تدفعني لأن استدرك على ما نشرتموه في باب «أنت تسأل ونحن نجيب» عن الطلاق المعلق وطلاق السكران، فقد ذكرتم أن طلاق السكران لا يقع، دون أن تستندوا في ذلك الى آية أو حديث شريف، مع أن هذا الرأي يتنافى مع ما ورد في «كتاب الفقه على المذاهب الاربعة» تأليف الأستاذ عبد الرحمن الجزيري، وهو يقطع بأنه وان كان طلاق المجنون لا يقع، الا أن الذي لم يزل عقله ولكنه يخطىء ويستتر بسبب تناول مسكر من خمر أو حشيش وأفيون وكوكايين ونحو ذلك من المخدرات التي تعطل العقل، فان تناولها وهو عالم بأنها تزيل العقل ليسكر ويطرب فذهب عقله وطلق امرأته فان طلاقه يقع عليه، عقابا له، وان تناولها وهو يعتقد أنها لا تسكر أو تناولها لتوقف ازالة مرضه عليها، فذهب عقله وطلق، فان طلاقه لا يقع..

والظاهر من رسالة صاحب المشكلة انه شرب الخمر وهو عالم بما شربه، وعالم انه محرم وانه مسكر، وأنه وصل الى درجة الهذيان في السكر، ولذا فان طلاقه يقع عليه بالمذاهب الاربعة

ابراهيم حسن الزيباوي ـ الكويت

ـ اكتفينا بهذا القدر من رسالتك، لأن المجال لا يسمح بنشر ما نقلتموه عن كتاب الفقه على المذاهب الاربعة من نصوص. ونحب أن نوجه نظرك الى أن هذا الكتاب صدر منذ أكثر من ربع قرن، وفي هذه الفترة ادخلت على قوانين المعاملات والاحوال الشخصية، وخاصة الزواج والطلاق، تعديلات عدة تهدف كلها الى السماحة واليسر والحرص على كيان الأسرة ان يتهدم أو ينهار.. من هذه التعديلات ما هو خاص بالطلاق المعلق، وبصيغة ايقاع الطلاق، وبعدد الطلقات، ومعنى الطلاق بالثلاث، أو طلاق السكران... وقد تضمنت هذه التعديلات احكاما جديدة تأخذ بها وتسير عليها المحاكم الشرعية ومحاكم الاحوال الشخصية في معظم البلاد الاسلامية.

والرأي الذي نشرناه ليس من مستنبطاتنا، انما هو مما افتى به الامام الراحل الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر، وتجده مفصلا في فتاواه فارجع اليها ان شئت.. ففيها تفصيل الأسباب التي استند اليها الشرع عندما قال ان الطلاق المعلق لا يقع خصوصا اذا كان مقصودا به التخويف والتحذير.. وان الطلاق «بالثلاث» بالصيغة المعروفة لا يقع الا مرة واحدة رجعية، وان الحلف بالطلاق ليس ايقاعا للطلاق بل هو مجرد يمين لا أثر لها في الحياة الزوجية..

اما عن طلاق السكران فقد افترض الشرع انه عندما شرب لم يشرب بقصد ان يفقد عقله حتى لا يعي ما يفعل او لا يفرق بين السماء والأرض او الرجل والمرأة كما يقول مالك، ولا حتى بقصد ان يهذي أو يختلط عقله او يصل الى حد الجنون، بل غلب عليه ظنه انه لن يتجاوز حد السرور الذي لا يعتبره الاصحاء سكرا، فسكر ثم طلق دون أن يعي، أو دون ان يكون قد بيت النية لا على السكر ولا على الطلاق، ولذا فان طلاقه لا يقع..

ومن هنا فان طلاق «س. ع» صاحب المشكلة، وهو ثمل الى حد انه لم يعلم بما صدر منه حتى سواء أكان قد صدر منه وهو في كامل وعيه، او اخبرته به زوجته في اليوم التالي، مجرد يمين عدمية لا يقع بها طلاق..

خطيبتي اطول مني !

● انا مواطن عربي غادرت بلدي عام ١٩٥٨ الى ألمانيا لدراسة الهندسة، وحدث أن زرت صديقا عربيا في يوغوسلافيا، فتعرفت بفتاة يوغوسلافية وظللت نتراسل بضعة أشهر، ثم سافرت لخطبتها فزرتها، وهناك اتفقنا على الخطبة، وان يتم زواجنا بمجرد انتهائي من الدراسة، وقد وافق أهلها على ذلك، ثم افترقنا وعدنا الى التراسل من جديد.

المهم أنني في الاجازة الدراسية قصدت الى زيارتها، واذا بي الاحظ شيئا لم يخطر لي ببال من قبل.. لاحظت أن فتاتي رائعة الجمال مستكملة كل أسباب الحسن فضلا عن الخلق الكريم، الا أن بها عيبا واحدا هو أنها أطول مني بعشرة سنتيمترات، اذ أن طولها ١٨٠ سم، وطولي لا يتجاوز ١٧٠ سم، فكنت كلما سرت الى جوارها

هذا الولد .. من هو أبوه ؟

● قرأت بالعدد الماضي والـ... سؤالا من امرأة ولدت بعد ثلاث سنوات من وفاة زوجها ... وقد كانت عندي مشكلة قريبة الشبه من ذلك ، وددت أن تعرضها عليكم لأعرف رأيكم فيها ، خاصة وهي معروضة على القضاء بحول كسبه العادية

أن ... كان يدرس في ... وله ... زوجته ... لانه وحيده ، فقد له ... على احدى ... بعد أن حصل على ... بأمر ، ... لكن ... كان ... قبل ... بسبب مرض لم يمهله الا ... ، ... الى ... حبه ...

... وكل ... عادي ... الفحص الكثير ... وقد ... على العروس التي لم يدخل بها زوجها ... وعندئذ ... في ... الزوج ... باسم ... ونسب ... وأصر ... الزوجة ... الزوج ... كان قد عاد الى البلد في ... قبل ... ونحن معروضة في ... شرعية ، وطلبوا ... للفحص

فما هو يا ترى رأي الشرع في تلك المشكلة ؟

بيروت — ا . ج . حسن

ـ يقول أبو حنيفة ان العقد الصحيح يكفي لثبوت النسب ، حتى ولم يلتق الرجل بالمرأة .. فلو انها كانت في بلد وكان هو في بلد آخر ، بل لو كانت هي في أقصى المغرب وهو في أقصى الشرق ، وتزوجا بالمراسلة ، ثم أتت بطفل فانه يثبت نسبه له ، ولو لم يتلاقيا بعد العقد قط !

ولست أدري كيف يقول أبو حنيفة ذلك ، وهو رأي غريب لا يقبله عقل ولا منطق ولا شريعة !

اما الشافعي ومالك وأحمد وابن تيمية فيقولون بثبوت النسب ـ سواء اجاء الطفل في اثناء قيام الزوجية أو في فترة العدة ـ اذا كان العقد صحيحا ، وكان الدخول ممكنا .

فاذا ثبت أن الدخول غير ممكن ، وأن الزوجين لم يتلاقيا قط ولم يكن تلاقيهما ممكنا ، فان النسب لا يثبت .

واما الشيعة الامامية فيقولون ان العقد الصحيح وحده لا يكفي لثبوت النسب ، بل لا بد من الدخول الحقيقي .

واما المشكلة التي نحن بصددها فلا يجوز لنا أن نبدي فيها رأيا ما دامت معروضة على القضاء .

ـــ ... بالخجل والخوف من ... أساس ، خصوصا أن منهم من كان يشير ... في بعض الأحيان وهو يضحك ، ... أضحك لرؤيته ... وهاردي ... عامر والسبع ... وما ... في ... ، كانت ... أحيانا من ... ، وأحيانا من التفكير في ... حظنا

... كنت ... من ... أسوة ...

... عليها

ساعدوني ... وأعطوا ... نصحي ... وأعيدوا اليهما الأمل في حياة زوجية سعيدة ومستقبل باسم

سمير توفيق

ـ فلماذا تعقد الأمور يا سيد سمير ؟

ان فارق الطول بينها وبينك نقطة لا يدعو الى الحزن ، بل ولا لمجرد التفكير ..

ان في العالم عشرات الملايين من الأزواج القصر من زوجاتهم بكثير ، حتى ليقرب الفارق بين الاثنين من ثلاثين سنتيمترا ، ومع ذلك لم يمسك أحد منهم أحده أو يزدر قصره ويطول زوجته عنه في سعادتهما الزوجية .

فانزع من مخيلتك هذه الأوهام ، وإياك أن تتخلى عن فتاتك خصوصا بعد التي اتخذت عليه من تضحيات اشرت اليها في خطابك ، فذلك ما يأباه الشرف والمروءة والخلق العربي الكريم .

دم البقر .. والتجاعيد !

وهل يصلح العطار ما افسده الدهر ؟

● نراى في كثير من الصحف العربية انباءتقول ان شركات مستحضرات التجميل الامريكيه انتجت نوعا جديدا من العطور « الوسيرون » لاخفاء تجاعيد الوجه ، المادة الاساسية فيه دم الابقار ، لان البروتين الذي يحتويه هذا الدم يتسلل خلال انسجة الوجه ويكسبه نعومة ويملئ الحفرات الصغيرة التي تكون التجاعيد ، ولكن مفعوله لا يدوم لاكثر من ٨ ساعات فقط .

ارجو التفضل بنشر اسم هذا المستحضر وعنوان الشركة التي انتجته او تتولى توزيعه وشكرا جزيلا .

الاسكندرية — روائية حلمي

ـ قرانا هذه الانباء كما قراتها ، وحتى كتابة هذه السطور لم يعلن اسم هذا المستحضر ، ولا اسم الشركة التي انتجته ، وكل ما نشر عنه ليس الا ترويجا لحملة الدعاية التي هي لا بد آتية !

هل تذكرين « ه ٣ » الذي طبلت له معظم الصحف والمجلات ونشرت عنه مقالات استغرقت صفحات وصفحات ، مؤكدة انه يقضي على الشيخوخة ويعيد الشباب ، ثم تبين آخر الامر انه سراب في سراب ؟!

اغلب الظن ان العطر الجديد ، ليس سوى وهم جديد ، لا يرد الشباب ولا يمحو التجاعيد .. وان غدا لناظره قريب .

التحية .. بالمدافع !

● لماذا تطلق المدافع لتحية رئيس الدولة عند حضوره حفلا رسميا ، او عند زيارة رئيس دولة اخرى ؟ ولماذا تطلق المدفعية في هذه المناسبات ٢١ طلقة ، لا عشرين ؟!

ولماذا تطلق أيضا ١١ طلقة في بعض المناسبات لا عشر طلقات مثلا ؟

وما هي أصل عادة اطلاق المدافع هذه ، وكيف بدات ؟

محمد عبد السلام ـ بنغازي

ـ اطلاق المدافع تحية لرؤساء الدول ، هو احد تقاليد التحية الرسمية المتداولة ، والتي تكاد تكون موحدة في العصر الحديث .

ولهذه التحية اصل عسكري قديم . فقد كان المتبع قديما على ان تطلق كل مدافع الحصن او القلعة او السفينة ، تحية للقادم لزيارتها من الملوك او الرؤساء او كبار القواد ، رمزا الى انها قد افرغت كل ذخيرتها ، اذ كانت اعادة تعبئة المدافع القديمة مهمة عويصة تستغرق وقتا .

اما الآن ، فالاغلب الاقتصار على اطلاق مدفع واحد او اكثر ، واصبح ينظم عدد الطلقات ومناسباتها عرف دولي ، فتطلق ٢١ طلقة ـ مثلا ـ لتحية رؤساء الدول ، ورؤساء الحكومات ، واعضاء الأسر المالكة ومن في درجتهم .. ثم يعزف ـ الرحا ـ النشيد القومي لدولة الرئيس الزائر. اما السفراء ـ ذوو البعثات الخاصة ـ والوزراء، وحكام الولايات والضباط الذين ترقى رتبهم الى « اميرال » او « جنرال » ، فتحيتهم ١٩ طلقة تتبعها دقات على الطبل ، في اربع دفعات سريعة متلاحقة ، ثم اطلاق البوق ، وعزف نشيد عسكري .. وهناك تحيات للعسكريين قوامها ١٧ طلقة ، او ١٥ ، او ١٣ ، او ١١ ، او ٧ حسب الرتب العسكرية .

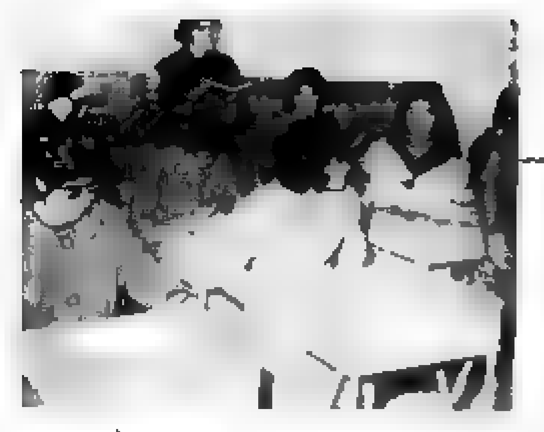
والاصرار على ان يكون عدد الطلقات فرديا ، جدير بان يستلفت الانتباه . ويقال انه يرجع الى اعتقاد قديم لدى رجال البحر بان العدد الزوجي شؤم .. ومع ذلك ، ففي بريطانيا تطلق ٦٢ طلقة عند مولد ولي العهد ، او عند ارتقائه العرش

[illegible]

● رأيت مجلة « العربي » على التحرش لمسألة السفور والحجاب بما يصور السفور على انه صحية والحجاب على انه تخلف وتقليد .. وقد كان آخر ما نشرته ترويجا لرأيك صور طالبات معهد صبراته للفنون المهنية ، وذلك في الاستطلاع الذي نشرته بالعدد الرابع والستين عن صبراته ، مما احدث في المدينة ضجة كبرى واثار استياء الناس ، ولست ادري كيف سمحت مديرة المعهد لمصوركم بالدخول الى المعهد وتصوير طالباته وهي تعلم أن ذلك مناف لتقاليد اهل المدينة ، بدليل ان ناظرات المدارس الاخرى من ثانوية وابتدائية رفضن ان يسمحن بتصوير التلميذات لانهن يعتبرن ان ذلك مناف للدين الاسلامي .

هلا استأذنتم أولياء امور الطالبات قبل ان تنشروا صورهن ، فتتجنبوا بذلك ما اثاره عملكم من استياء ؟

ايوب .. صبراته



ـ وهل أنابك أولياء أمور الطالبات في الاحتجاج باسمهم على نشر صور بناتهم ؟ أم انك تطوع بهذا الاحتجاج من عند نفسك ؟

بل من قال لك ان أولياء أمور الطالبات مستاءون لنشر صورهن ؟

ومن قال لك ان ناظرات المدارس الثانوية والابتدائية هناك رفضن السماح بتصوير التلميذات . والى جانب هذا الكلام واحدة من عشرات الصور التي التقطها مصور « العربي » في ثانوية البنات في سامراء .

واخيرا من قال لك ان ذلك مخالف للدين يا سيد ايوب ؟!

يبدو انك ما تزال تعيش بعقلك في القرون الوسطى ، وان كنت تعيش بجسمك في القرن العشرين !

أم انك تريد ان تثيرها فتنة جديدة كتلك التي اثرتموها من عشر سنوات ، عندما بدأت أول محاولة في سامراء لتعليم البنات فحرضتم على مهاجمة المدرسة واحراق الكتب ، ورحتم تتهمون آباء الطالبات بالكفر ؟!

لا يا سيد أيوب .. دع الفتنة نائمة ، ولعنة الله على من يريد ايقاظها ..

.. بينما نطلق ١٨ طلقة في أمريكا في ٤ يوليو ، وهو عيد اعلان الاستقلال .. بعدد الولايات التي وقعت ذلك الاعلان .

.. والتأمين على الحياة ليس حراما !

● أريد أن أؤمن على حياتي حتى اذا مت وأولادي صغار وجدت أمهم ما يعينها على تربيتهم ، اذ ليس لنا مورد سوى مرتبي .. ولقد سألت صديقا لي من رجال الدين المشتهر بالتقى والورع والتبحر في العلم ان كان التأمين على الحياة يتعارض مع الاسلام الصحيح ، فقال بأنه حرام قطعا ، لأنه تحايل على التهرب مما قدّر الله وأراد . مع انني قرأت منذ سنوات في احدى الصحف ان الامام الشيخ محمد عبده افتى باباحة التأمين على الحياة واستنكر أوراق اليانصيب للأعمال الخيرية

لذلك جئت أسألكم ان كان ما قرأته صحيحا ، وأين أجد فتوى الامام الراحل ؟ وما هو رأيكم انتم في التأمين على الحياة ؟

صالح ابراهيم السعيد ـ أبو ظبي

ـ يؤسفني يا سيد صالح أن أقول لك ان صديقك الذي استشرت ليس « متبحرا في العلم » كما زعمت ، ولا هو جدير بأن يكون من رجال الدين .

وسواء أكان للامام محمد عبده فتوى تبيح التأمين على الحياة أم لم يكن له مثل هذه الفتوى ، فالذي لا شك فيه هو انه ليس في الاسلام نص ما بتحريم التأمين ، لا في كتاب الله الكريم ، ولا فيما أثر عن الرسول المعصوم ..

ذلك ان نظام التأمين لم يكن معروفا أيام الرسول ، ولو انه كان حراما لما خلا كتاب الله من الاشارة اليه ، كما اشار الى كثير مما لم يكن موجودا ولا معروفا يوم نزل القرآن ..

بل اني أزيد فأقول لصاحبك « المتبحر في العلم » ان نظام التأمين ، وخاصة التأمين على الحياة ، هو اليوم احدى ضرورات العصر ومستلزمات الحياة ..

اما القول بأنه تحايل على التهرب من قضاء الله ، فهل يستطيع أن يهرب من قضاء الله انسان ؟!

وعلى كل حال فان للأستاذ السيد على السيد الرئيس السابق لمجلس الدولة بالجمهورية العربية المتحدة ، بحثا قانونيا وفقهيا فيما يقطع فيه بأن التأمين على الحياة جائز يقره الاسلام ولا يحرمه .

البنك التجاري

حساب الارباح والخسائر للسنة المنتهية

١٩٦٣ دينار كويتي		١٩٦٢ دينار كويتي
٢٩٤٬٣٠٠	الاحتياطي القانوني ١٠ بالمائه من الارباح	٣٠٠٬٥١٤
١٤٤٬٨٧٩	الاحتياطي العام	١٤٢٬٧٤٨
١٣٥٠٬٠٠٠	مخصص مقسوم الارباح المقترح دفعه بواقع ٩ بالمائه	١٢٠٠٬٠٠٠
٣٦٠٬٨٧٦	الرصيد المنقول الى ما بعده	٥٢٠٬٠٥٠
٢٤٦٠٬٠٥٥		٢٤٦٣٬٣١٢

الميزانية العمومية في

دينار كويتي واحد =

١٩٦٣ دينار كويتي	الموجـودات	١٩٦٢ دينار كويتي
٣٤١١١٤٬٦٨٥	النقد والأرصدة لدى البنوك المصرفية	١٠٤٨٦٬٧٥٠
٤٤٤٥٠٬٠٠٠	مبالغ تحت الطلب وباشعارات قصيرة الأمد	٥٠٧٨٠٬٠٠٠
١٠٠٠٠٤٨٧٠	سندات حربية الحكومة البريطانية وسندات مصرفية ممتازة	٣٠١٦٧٠١٧٢
١٧٠٢٥٠٬٠٠٠	ودائع لدى البنوك والمصارف الصناعية	١٨٠٠٠٬٠٠٠
٩٦٢٥٠٤٣٨١	سلفيات للعملاء وسندات مخصومة وحسابات أخرى	٤٠١٦٨٬٩٣٦
	العقارات والأملاك بسعر التكلفة ناقصا المبالغ ١٠٠٬٠٠٠ المستهلكة في ١ يناير ١٩٦٣	
٢٣٠٬٠٠٠	الاضافات خلال سنة ١٩٦٣ ناقصا ١٣٠٬٠٠٠ المبالغ المستهلكة خلال سنة ١٩٦٣	١٠٠٬٠٠٠
٤٠٣٣٠٠٠١٢	تعهدات العملاء مقابل اعتمادات وكفالات والتزامات أخرى (له مقابل)	٣٠٧٦٧٠٦٤٤
٣٥٦٦٢٥٬٩٤٨		٣٦٤٤٧٠٠٥٠٢

دبليو . اف . اتاهز
المدير العام

تقرير مدقق الحسابات الى مساهمي البنك التجاري

اشهد اني فحصت الميزانية العمومية وحساب الارباح والخسائر المرفقين وقد حصلت على جميع البيانات والايضاحات التي وجدتها في رأيي ضرورية .

واني اشير انه طبقا لقانون الشركات التجارية رقم ١٥ لسنة ١٩٦٠ فان الميزانية العمومية وحساب الارباح والخسائر :

١ ــ يتفقان مع الأصول المصرفية المتبعة وعلى هذا الاساس يعبران بدقة ووضوح عن المركز المالي الحقيقي للشركة في ٣١ ديسمبر ١٩٦٣ وعن الربح الحقيقي بالنسبة للاصول المذكورة عن السنة المنتهية بذلك التاريخ .

٢ ــ مع الاخذ في الحسبان الملاحظة على الميزانية فانهما يتفقان مع القانون .

وفي رأيي

١ ــ ان الشركة تمسك حسابات منتظمة .

٢ ــ ان البيانات الواردة في تقرير مجلس الادارة بالنسبة للحسابات متفقة مع ما هو وارد في دفاتر الشركة وان الجرد قد أجري وفقا للاصول المرعية .

٣ ــ انه في حدود المعلومات التي توافرت لدى

الكويتي (ش.م.ك)

في ٣١ ديسمبر ١٩٦٣

١٩٦٣ دينار كويتي		١٩٦٢ دينار كويتي
٥٣٠،٠٥٠	الرصيد المنقول	٤١٠،١٧٧
٢٩٣٠،٠٠٥	ربح السنة المنتهية في ٣١ ديسمبر ١٩٦٣ بعد خصم جميع المصاريف وبعد تحويل مخصصات للطوارىء واستهلاكات الموجودات	٣٠٥٠،١٣٥
٣٤٦٠،٠٥٥		٣٤٦٠،٣١٢

٣١ ديسمبر سنة ١٩٦٣

جنيه استرليني واحد

١٩٦٣ دينار كويتي	المطلوبات	١٩٦٢ دينار كويتي
١٥٠٠،٠٠٠٠٠	راس المال المصرح به والمدفوع ٢٠٠،٠٠٠ سهم بسعر ٧/٥٠٠ دينار كويتي للسهم الواحد مدفوعة بالكامل	١٥٥٠٠،٠٠٠
٨٢٤٤٣١	الاحتياطي القانوني	٥٣٠١٣١
٣٦٠،٠٠٠	الاحتياطي العام	٢١٥٠١٢١
٣٦٠٨٧٦	حساب الارباح والخسائر	٥٣٠،٠٥٠
١٠٦٩٧٩٦٣٠٧		١٠٨٢١٠٣٠٢
	ارصدة مستحقة للبنوك الاخرى	٣٥٥٠٥٢٢
٢٩٠١٨١٠٦٢٩	حسابات جارية وودائع وحسابات اخرى متضمنة التبعات	٣٠٠٤٠٦٠٣٤
١٣٥٠٠٠٠	مخصص مقسوم الارباح المصرح دفعه	١٢٠٠٠٠٠
٤٠٢٣٠٠٠١٢	تعهدات لقاء اعتمادات وكفالات والتزامات اخرى ، له مقابل	٣٠٧٦٧٠٦٤٤
٣٥٠٦٢٥٠٩٤٨		٣٦٠٤٧٠٠٥٠٢

ملاحظة : ان الميزانية العمومية وحساب الارباح والخسائر لم ينظما بموجب الملحق ج — من اللائحة التنفيذية لقانون الشركات التجارية رقم ١٥ سنة ١٩٦٠ بل طبقا للاصول المصرفية المتبعة .

عبد العزيز احمد البحر
رئيس مجلس الادارة

الكويتي (ش. م . ك)

فانه لم تكن هناك مخالفات لاحكام القانون او نظام الشركة على وجه يؤثر في نشاط الشركة او مركزها المالي خلال السنة .

ب. و. أ. النجهام
زميل مجمع المحاسبين القانونيين بانكلترا وويلز
سجل مراقبي الحسابات رقم ١١ الكويت

عن وبني مري وشركاهم
محاسبون قانونيون
مدققون
الكويت في ٢٧ يناير ١٩٦٤

اعضاء مجلس الادارة

عبد العزيز الاحمد البحر	رئيس مجلس الادارة
خالد اليوسف المرزوق	نائب الرئيس
محمد احمد عبد اللطيف الحمد	عضو
فيصل سعود الزبن	عضو
جاسم الاحمد البحر	عضو
عبد الله يوسف الغانم	عضو
يعقوب يوسف النفيسي	عضو
ديليو . اف . ادامز	المدير العام



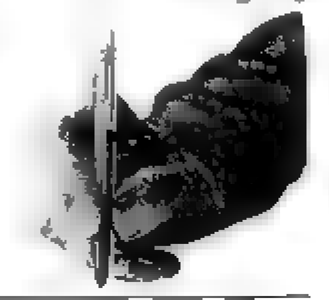
أكثر الأقلام تقديراً في أيامنا الحاضرة

وانه دلالة أكبر من دلالة اختياره بين الخمسة الأوائل من بين أحسن مئة انتاج من مصنوعات العالم . هذا التقدير في مكانه . وليس فقط لدى مصمموا باركر « ٥١ » بل للملايين الذين يستعملونه أيضا .

خلال الخمسة والعشرين سنة الأخيرة اخترعت وجربت مئات أقلام الحبر . وكلها اختفت . ثم واحد بقي على مر الزمن مسيطرا على السوق – باركر « ٥١ » ظهر لأول مرة في سنة ١٩٤١ .

باركر « ٥١ » يسبق زمانه تصميما وشكلا . واليوم نجد كثيرا من الأقلام تقلد شكل باركر « ٥١ » ، الا انه لا مثيل له في العمل .. يوفر لك ريشة الحديثة ، ١٤ قيراطا ذهبيا ، أنعم الكتابة الممكنة ، بينما يسيل الحبر رأس الريشة بقياس دقيق .. اختر باركر « ٥١ » نائل الجائزة – لدقة صنعه وحسن تصميمه .







تضحك الدنيا معك ابكِ تبكِ وحدك

الجنة افضل ، ولكن .. ؟

● سئل فيلسوف مرة عما اذا كان يحب ان يكون مصيره في الجنة او ان يكون في النار ، فقال

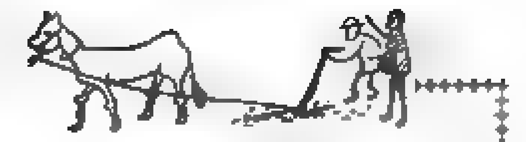
— الواقع انني افضل الجنة .. ولكن النار ستكون اكثر ملاءمة لي ، اذ انها ستضم خيرة اصدقائي !

فرق ... !

● اجتمع فرنسي وامريكي ، وراحا يتذاكران عادات موطنيهما. فقال الامريكي :

— في بلادي اذا قبلت امرأة عنوة ، دفعت خمسين دولارا غرامة .

فقال الفرنسي : « اما في بلادي ، فانك تدفع اكثر ، اذا قبلتها برضاها »



منتهى الفشر

جلس « شابان » يتباريان في الزهو الكاذب، فقال أحدهما :

« أجل ، ان بلادنا بلاد خيرات .. حتى البعوض عندنا نجده وافيا دافيا .. تصور أننا ضربنا معسكرا بقرب الساحل ، في منطقة صحراوية منعزلة — في العام الماضي، فاذا بعوضتان هائلتان تنقضان فتخطفان قماش خيمة من خيام العسكر وتهربان .. وفي اليوم التالي ، عادتا تحملان فاسين لتسويا الأرض مكان الخيمة .. »

وهنا قاطعه صاحبه ، لا ليسفه كلامه ، وإنما يقول : « وكيف عرفت أنهما كانتا نفس بعوضتي الأمس ؟ » .

فأجابه الآخر : « كيف عرفت ؟ .. كانت كل منهما ترتدي زيا من أزياء العمال مصنوعا من قماش الخيمة »

الطبيعة أفضل ..

كان أحد السياح يجوس خلال ريف ولاية بنسلفانيا الأمريكية ، التي اشتهرت بأن جميع العمليات في مزارعها أصبحت تؤدى بالآلات .. لذلك ذهل الرجل يوما حين لمح فلاحا مجهودا يدفع جوادا يجر محراثا ، فاقترب منه وقال :

« عفوا ! .. كيف تنسى الله أن

في الوقت المناسب !

● ظل صبي المزارع وهو يحاول عبثا سوق ثور من الحقل داخل أحضان الزارع ، وصدف أن مر به قسيس وهو يسب ويلعن . فطلب منه

كوبون !
ترفق مع الرد

الاسم ....

....

العنوان ....

....

....

تمرث باستخدام الحصان ونحن في عصر الآلات ؟ » .

فأجابه الفلاح : « ان الآلات لا تدوم .. وكلما بليت او خربت اضطررت لشراء غيرها » .

قال السائح وهو يضحك : « وهل يدوم الحصان الى الأبد ؟ » .

فأجاب الفلاح : « اضحك ما شئت .. ولكني اختار جيادي اناثا ، وقبل ان تموت الواحدة تكون قد انجبت خليفة لها ! » .

القسيس ان يكف عن شتم الحيوانات البائسة وان يعاملها برأفة .

فقال المزارع : انك جئت في الوقت المناسب ، انني اريد ان اسألك كيف استطاع سيدنا نوح ان يدخل كل الحيوانات في سفينته !!

تقدير ... !

• قال الضيف لصاحب البيت وهو يجيل بصره فيما حوله

— الواقع انك حظيت بزوجة ماهرة .. ماحاك الاحر .. فعلا .. الى درجة انني اتمنى لو ظفرت بأخرى مثلها

حضارات سادت .. ثم بادت « مقالة المنشور على الصفحة الثانية »

تاج ملك « سيراكوز » ذهب خالص .

ويروي التاريخ أن « أرخميدس » فطن الى كشفه العلمي هذا ، وهو يغوص في حوض الحمام، فقد لاحظ أن الماء كان ينساب من جوانب الحوض وهو يغوص فيه ، فانطلق صيحته المأثورة « وجدتها .. وجدتها ! » .

ويروي المؤرخون قصة طريفة تفسر الدافع الذي دعا أرخميدس الى اختراع الرافعة . انهم يقولون ان أرخميدس كان يوما في حضرة « هيرون » ، ملك سيراكوز ، وكانا يتحدثان في العلم ، فقال له أرخميدس : ان بوسعه ان يزحزح الأرض عن مكانها لو اتيح له مكان حصين يقف عليه في الفضاء ، فتحداه الملك أن يزحزح الى الشاطيء سفينة كبيرة كان أعوانه عاجزين عن نقلها الى البر . وهكذا اخترع أرخميدس رافعة استطاع بها أن ينقل السفينة الى البر وحده .

وعندما حاصر الرومان « سيراكوز » – عقب وفاة الملك « هيرون » بسنوات – اخترع « أرخميدس » عدة أدوات حربية ، منها آلات ترفع سفن العدو – من احد أطرافها – عن الماء ، ثم تسقطها فيه ثانية فتغرقها .. ومنها آلات ضخمة تقذف الأحجار (المنجنيق) ، ومرايا تجمع أشعة الشمس ، ثم تعكسها مركزة على سفن العدو .

وعندما تم للرومان النصر في النهاية ، أصدر قائدهم أوامر مشددة بالحفاظ على حياة « أرخميدس » ، الا ان جنديا تركيا قتل العالم الكبير عندما أبى ان يستسلم له ، ويسير معه ، قبل أن يفرغ من حل مسألة رياضية كان عاكفا عليها حين جاء الجندي لاعتقاله .




الجميع يفضلون
شسترفيلد
Chesterfield

شاحنات دودج وفارغو

وتتميز شاحنات دودج وفارغو عن غيرها بما يجعلها تصلح في مختلف الظروف بمتانتها [illegible] وراحة [illegible] في مقدورها القيام بالمهمات الشاقة [illegible] خدمة [illegible] طويلة [illegible] بما يناسب [illegible] حمولة [illegible] محرك [illegible] التعريب، [illegible] وهنالك الطراز المجهز بقوة دفع على الدواليب الأربعة [illegible] ٢٩ [illegible] وشاحنات دودج وفارغو [illegible] ونأمل منكم الاتصال بوكيل دودج وفارغو

فارغو د ١٠٠

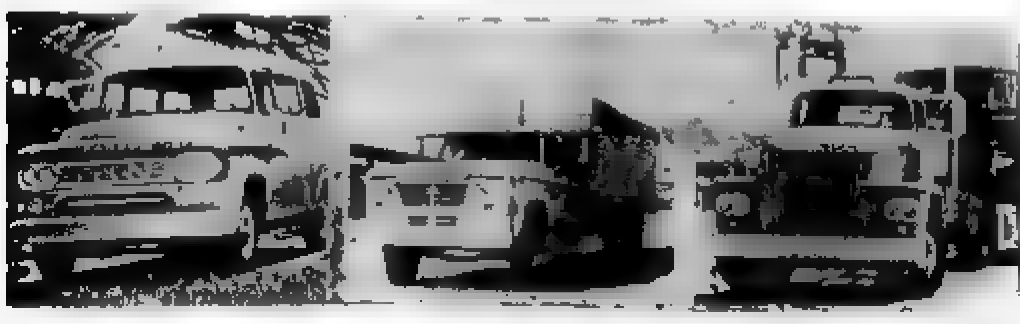
[illegible]

دودج د [illegible]

[illegible]

فارغو ... N.C ... ٨ [illegible]

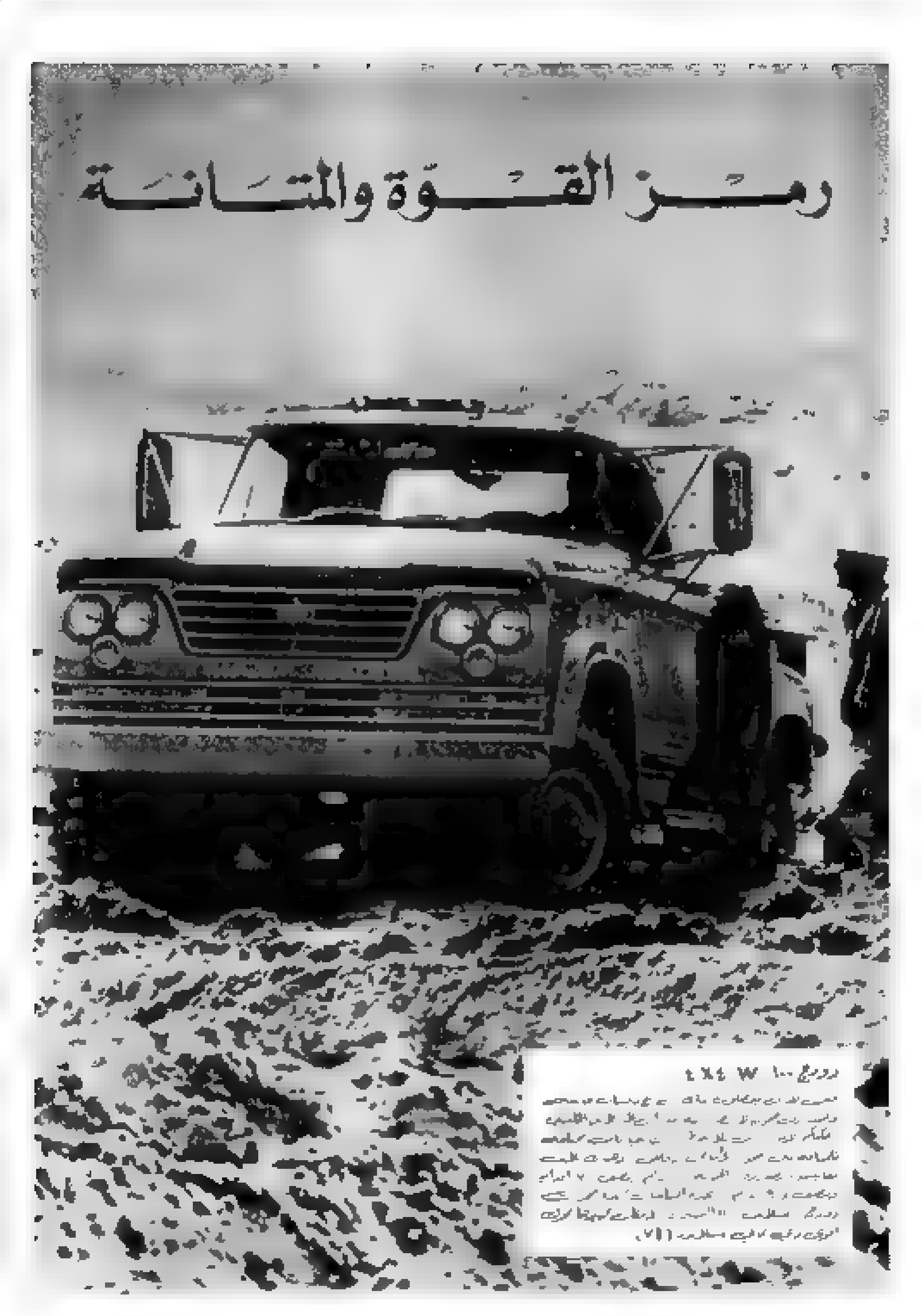
[illegible]



[illegible]

كرايزلر انترناسيونال ش. م. جنيف - سويسرا



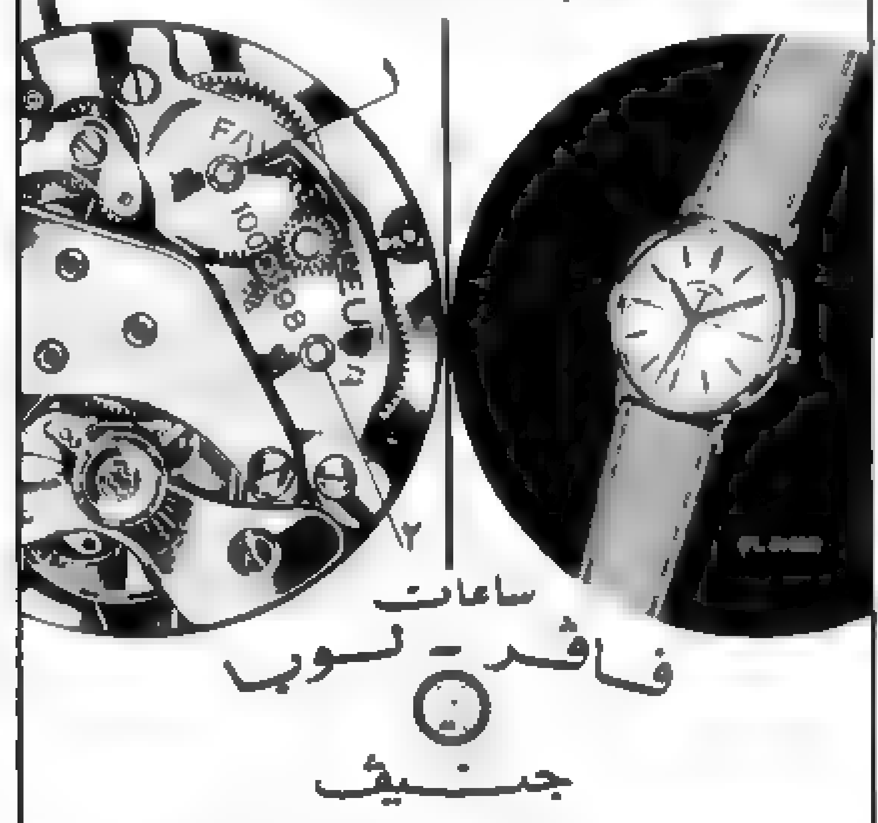


رمز القوة والمتانة
دودج ١٠٠ W ٤×٤

اختراع ثوري

مسطحة جداً
ضد الماء
عقرب ثواني مركزي
أسعار معقولة

ان ساعة فافر - لوبا هذه هي حقيقة مسطحة جداً ، وضد الماء ، وذات عقرب ثواني مركزي . ويتألف هذا الاختراع الثوري المسجل من استعمال انبوبين ذات حجم اصغر بدلاً من اسطوانة واحدة فقط وبذلك يكون للحركة قوة عكسية لحوالي ٥٠ ساعة . يمكن الحصول على ساعة فافر - لوبا في غلاف فضي (F L 81023) او من الذهب مع غطاء خلفي فولاذي (F L 81022) .



منذ سنة ١٧٣٧ ، من الاب الى الابن ، ثمانية أجيال من صانعي الساعات

الوكلاء العامون
العراق : عبد المجيد الساعاتي : شارع الرشيد ، بغداد
المغرب : يوسف محمد الساعي وركاه : شارع باريس ص . ب ١٨٠ ،



احفظ أموالك في لندن في حساب ودائع بفائدة ٥٪

ان حساب ودائع مع مصارف لومبارد المحدودة يمنحك الراحة الفكرية التامة ، لن تخصم اية ضريبة دخل مفروضة في المملكة المتحدة أن فوائدك تتراكم طوال الوقت ولا تتأثر ابدا بالأحوال الاقتصادية ويمكن اجراء السحوبات بسرعة وفقا للشروط الموضوعة عند فتح الحساب . ولكي تحصل على ٥٪ سنويا فان الحد الأدنى للوديعة الأولية هو ١٠٠ جنيه استرليني ! ان الحد الأدنى للفترة بين الإيداع والاشعار بالسحب هي ستة اشهر ولكن المائة جنيه قابلة للسحب عند الطلب . ان الاستثمار مع مصارف لومبارد المحدودة يدعمه رأس المال المدفوع والاحتياطي فيما يزيد على ١٢٠٠٠٠٠٠ جنيه.

اكتب الآن الى المدير العام للحصول على تفصيلات اخرى وعلى نسختك من « حساب الودائع » الكتيب رقم A. O. 182

المؤسسة المصرفية والمالية العالمية

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office: Lombard House, Curzon Street, Park Lane, London, W.1. GROsvenor 4111 (30 lines)



للفـــرَج عِـدّة أبـوابْ

وتعد بأن الصبح [illegible] الى الحد [illegible] العالم الذي تكتب به الجماعة [illegible] طرس سلالة من الكائنات الصغيرة التي [illegible] شقيقها الأول شركة بي بي في بريطانيا العظمى ودرسا

البروتين من النفط

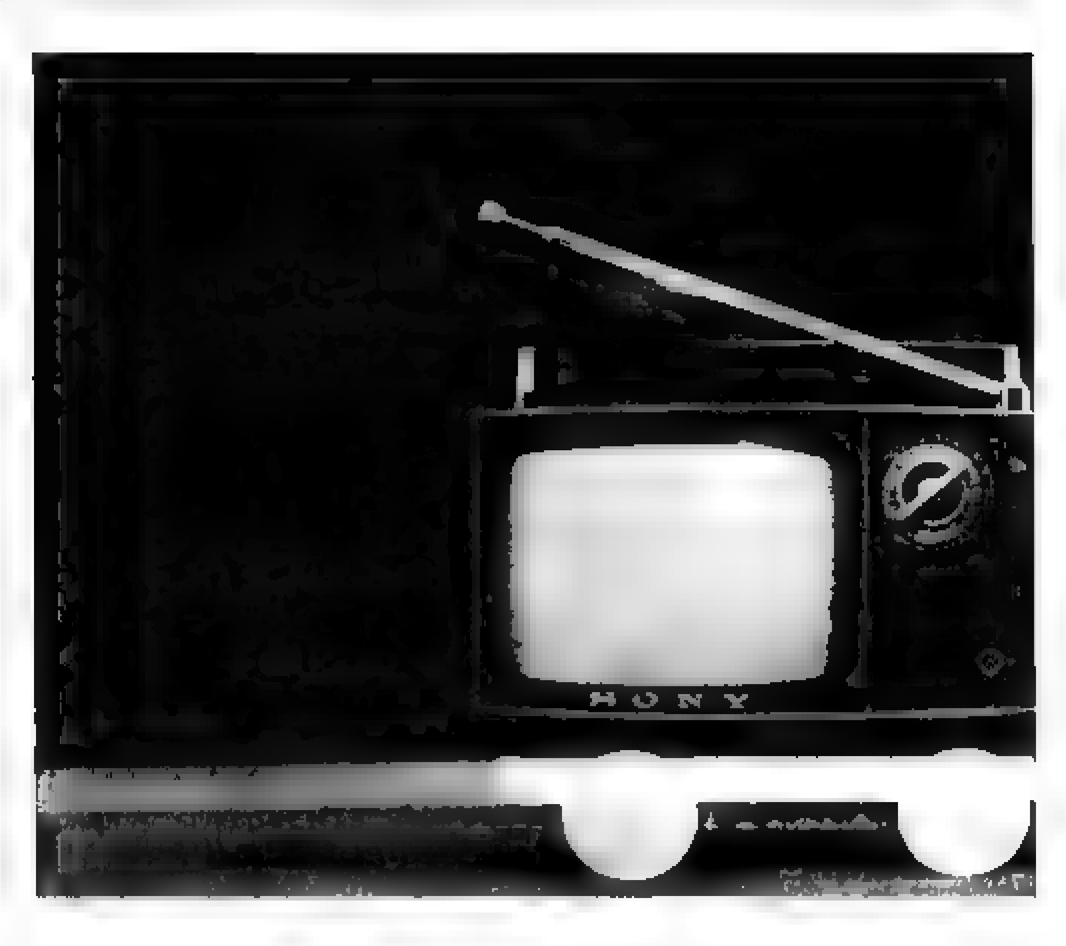
كيف أن هذه الكائنات الدقيقة [illegible] جميعها على الشيء الأول في السطح العام؟ إنها تحول [illegible] البروتين وذلك [illegible] الذي [illegible] إليه عدد [illegible] سكان العالم

[illegible]

[illegible]



خدمة
عن طريق
العلم



جهاز تلفزيون نقال

عندما تقوموا برحلاتكم، يمكنكم اخذ جهاز التلفزيون معكم اذا كان هذا من ماركة سوني. ان هذا الجهاز الصغير يزن ٨ ليبرات فقط وهو بحجم آلة التلفون ويمكنكم نقله اينما تشاؤون في اية غرفة من المنزل. في الحديقة في نزهاتكم في السيارة اثناء سفركم. ان جهاز التلفزيون ميكرو سوني يعمل على أي تيار كهربائي. تيار المنزل. بطارية سيارة او باخرة ١٢ فولت او على بطاريته الخاصة. لكن لا تقارنوا الحجم مع الجودة. ان الاداء الثابت لجهاز سوني التلفزيوني (حتى في سيارة متحركة)، وصورته الواضحة يجعلان منه رمز الجودة والمتانة

سوني

ابن الشرق يصنع الاحدث

SONY

micro TV MODEL 5-303

I-1529



ڤاپونا

ماركة مسجلة

ڤاپونا هو مبيد «شل» الحشري الفعال الجديد، السريع التبخر. وأساسه مادة «د.د.ڤ.پ.» D.D.V.P



ڤاپونا — من أهم مزاياه مفعوله الفعال وطول أمد بقاء مفعوله، خاصة في الأماكن المقفلة. ويعتبر ڤاپونا أصلح ما يكون للاستعمال في أغراض الصحة العامة والأغراض المنزلية، وعلاج الحيوانات التي تعيش داخل المنازل، وحماية المحاصيل المخزونة والمحاصيل النامية في البيوت الزجاجية.

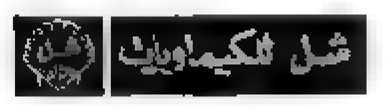
لا يقتصر مفعول ڤاپونا على إبادة الحشرات عن طريق الملامسة المباشرة، بل إنه يطلق أبخرة تقتل الحشرات الطائرة والمختبئة في الشقوق والتجويفات البعيدة عن نقطة استعماله.

ڤاپونا مبيد قوي. إذ أن كمية قليلة جداً منه، تكفي لإبادة الذباب والبعوض والزنابير والبق والسوس والخنافس والصراصير والنمل والعث والقراد ... وكثير مما لديه مناعة ضد المبيدات الحشرية الأخرى.

ڤاپونا مبيد مأمون. إذ أن الجرعة الضئيلة جداً اللازمة لإبادة الحشرات، أقل بكثير جداً من الجرعة التي قد يحدث منها ضرر للإنسان أو الحيوان، فضلاً عن أنه يتحلل بسرعة في الهواء أو على الأسطح المعالجة.

ڤاپونا لا يترك بقعاً أو رائحة.

ڤاپونا ليس سوى واحد فقط من مجموعة مبيدات «شل» الحشرية، التي تشمل الدرين، وديلدرين، وأندرين، ...



اتصلوا بشركة «شل» في منطقتكم لطلب مزيد من البيانات والتفاصيل الفنية.

لكل هولندي شريكان

نهر الراين وبحر الشمال

[illegible]

تجار أوروبا

[illegible]

الاتجاه إلى الصناعة

[illegible]

بلد منتج للزيت

[illegible]

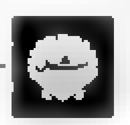
[illegible]

أطباع الهولنديين وصفاتهم

[illegible]

مستقبل منتظم متعدد الجوانب

[illegible]



شل والزيت العالمي

[illegible]

[illegible]

حقائق وأرقام

[illegible]

اعتمد دائماً على شل

[illegible]



تقع روتردام عند مصب نهر الراين ، وهي
أكبر ميناء في أوروبا وأكثر موانئ العالم
كله ازدحاما بالسفن . إذ يؤمها عن طريقه
[illegible]
من البضائع كل سنة



555 ثلاث خمسات
كنج سايز فلتر

في الولايات المتحدة ، كما هو الحال في جميع الأقطار الكبرى في العالم ، الناس الذين يصرون على تدخين أحسن سجاير كنج سايز فلتر يطلبون ثلاث خمسات كنج سايز فلتر - أحسن سيجارة في العالم.


END WATCHES



استثمارات الكويت المالية


العربي
العدد ٦٧
محرم ٣٨٤
يونيو
(حزيران) ١٩٦٤



اسرة تحرير « العربي »

عزيزي القارىء :

● منذ صدرت مجلة « العربي » وانت تسأل ويسأل اخوان لك كثيرون : من هم اسرة تحريرها ، وكم هم ؟

واستجابة لهذه الرغبة نقول ان اسرة تحرير « العربي » منذ صدورها آخر عام ١٩٥٨ حتى الآن ، تتألف من :

أحمد زكي	:	رئيس التحرير
محمود السمرة	:	نائب رئيس التحرير
عبد الوارث كبير	:	سكرتير التحرير
سليم زبال	:	محرر فني ومطلع
أوسكار متري	:	مصور

اما الاسرة الكبرى فتضم بطبيعة الحال كل من تقرأ لهم في « العربي » من كرام اساتذة الجامعات وكبار الكتاب العرب النابهين ، الذين يزوّدوننا من مؤلفاتهم المختلفة بالقيم من محصول آرائهم مشكورين .

المحرر



رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

طب وعلوم :

لغات وآداب :

شعر وشعراء :

تاريخ وتاريخ اشخاص :

دين :

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الارشاد والانباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسئولة عما ينشر فيها من آراء

ALARABY — No. 67 June 1964 — P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ – تلفون ٢٦٠١١ – للمراسلات والبريد
الإعلانات : يتفق عليها مع الادارة – قسم الاعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● في متحف الكويت ، وقفت هذه الفتاة الكويتية ، أمام نموذج مصغر لسفينة الغوص ، تلك التي كانت تقلع في البحر بحثا في قيعانها عن المحار الذي يحوي اللؤلؤ الثمين .. كانت هناك حوالي ألف ومائتي سفينة تخرج كل عام للعمل في الغوص .. أما اليوم فلم يعد يخرج من الكويت سوى مركب واحد فقط ! . والسبب تجده في المقال المنشور ابتداء من صفحة ١٦ من هذا العدد ..

ثمن العدد : بالكويت ١١٠ فلوس ـ مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ٣ شـــلن ـ العراق ١٢٠ فلسا ، ســـورية ١٠٠ قرش ـ لبنان ١٠ قرش ـ الاردن ١٠٠ فلس ـ السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش ـ تونس والجزائر والمغرب ٢ فرنك ، اليمن ٣ شلن ليبيـــا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأســا بين المشترك والموزع



حول مجامع اللغة العربية

جاءنا التعليق الآتي من الدكتور ابراهيم بيومى مدكور ، الأمين العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة

● الزميل العزيز الدكتور احمد زكى

تحية طيبة وبعد : قرأت في « العربي » تعليقك الخاص بمجامع اللغة العربية ، وأنست فيه بما يأنس به قراؤك في كل ما تكتب من أصالة النظر ، وقوة الروح ، وعذوبة الحديث . ويخيل لي أنك فيما لاحظته انما تستعجل تحقيق الآمال المعلقة بسير المجامع ، وبما يكون لها من سلطان .

على أن المرحلة التي قطعناها خليقة أن تبعث على التفاؤل ، وأن تبشر بالخير ، حتى في العناصر الثلاثة التي تناولها تعليقك : الانتاج ، والوحدة ، والجاه . ويطيب لي أن أقرر بأن المصطلحات ، التي اخرجها مجمع اللغة العربية خلال أعوامه الثلاثين ، قد أصبحت بين دفات مجموعات مطبوعة متوالية بحسب التصنيف العلمي والفني ، بلغت عدتها خمسة مجلدات ، وأن البحوث والمحاضرات التي ألقيت في مؤتمره قد استوعبتها كلها مجلته في سبعة عشر جزءا صدرت منها الى جانب خمس مجموعات ، لكل عام من الأعوام الأخيرة مجموعة مستقلة .

وأما الوحدة فانها متحققة نوعا بهذا التساجل الثقافي المتصل بين مجامع اللغة والهيئات العلمية في البلاد العربية عامة ، ولعل مما يطمئنك في شأن الوحدة أن مجمع القاهرة يضم صفوة من ممثلي بلاد العروبة ، وأنهم يسهمون في عمله بالنصيب الأوفى ، ولولا أن يظن بمجمعنا التباهي والاستعلاء لجاز القول بأنه مجمع المجامع ، بما يتلاقى فيه من الأعضاء العرب خلال مؤتمرهم السنوي ، وبما يتواصلون به على مدار السنة بالرأي والملاحظة والتوجيه .

وبقي ما سميته الجاه . ولعل مما يعتز به المجمع أن جاهه عند العلماء والباحثين والمترجمين مستمد من رغبتهم في أن يستفيدوا بما للمجمع من عمل ، ويفيدوا بما لهم في التعبير العلمي من جهد ، وذلك جاه عريض نرجو أن يزداد مع الوعي العربي نموا وازدهارا .

واني لسعيد بأن أتاح لي تعليقك أن أجاذبك الحديث ، بهذه الرسالة الموجزة التي أطويها على أخلص الود وأجمل التحيات .

ابراهيم بيومى مدكور
القاهرة

لا .. بل الوحدة

● قرأت بكثير من التمعن والتدقيق كلمة السيد محمد العربي الخطابي عن « الوحدة الثقافية قبل الوحدة الاقتصادية والسياسية » (عدد ٦٢) . وانى لا أشاطره رأيه اطلاقا للأسباب التالية :

أولا : ان التاريخ يشهد بأن الوحدة التي تقوم على أسس اقتصادية تصمد أمام الأزمات وتتم بحيلة سياسية سليمة . والاتحاد السويسري خير دليل على رأينا . فهذا البلد يقسم لغويا وثقافيا ، فاللغات الرسمية للاتحاد ثلاث : الفرنسية والألمانية والايطالية ، علاوة على لغة رابعة قليلة الاستعمال هي الـ Romanche يعمل الآن على احيائها وبعثها في بعض المناطق . وكل اقليم سياسي Canton يتمتع باستقلاله الداخلي . ولذلك فاننا نلاحظ أن برامج الدراسة مثلا تختلف من اقليم الى اقليم . بل ان مدينتي جنيف ولوزان ، ولو أنهما متحدتان من حيث اللغة

« العربي » والقضايا القومية

● تحية عربية اصيلة .. ابعثها اليكم من ربائع دمشق الفيحاء ومع اريج زهرها الفواح ..

ثم انه يسرني ان اقول في « العربي » كلمة الانصاف : انها مجلة علمية قيمة .. ارجو لك يضطرد نجاحها في اصابة الحقيقة لخدمة امة العرب ، ورفع مستواها العلمي والثقافي ..

ولقد اطلعت على سلسلة الشهر (العدد ٦٠) واستلفت نظري اهتمامكم بالقضايا القومية .. فحمدت الله ، واثلج صدري وجود بعض العاملين - امثالكم - لوطننا العربي الكبير الذين يرصدون الاحداث القومية والعالمية ، ويسمعون شكاة شعبهم ، ويألمون لمآلمهم ومصائبهم ، فيكونون صدى صرخاتهم ورجع خلجاتهم .. فيعكسون مشكلاتهم للعالم في القسمي الحي .. ويطوبون عنهم . وهذا ما اشكركم عليه ..

ثم ان لدي بعض خواطر اخرى ، كنت ارغب ابداءها هنا ، ولكن حول من ضيق الوقت جعلني اختصر وارجىء ..

تقبلوا تحياتي واعجابي واطيب امنياتي .. وفقكم الله لما فيه الخير .. والسلام .

محمد كوجك - جامعة دمشق

من هو السائل

● لقد ورد في العدد الثامن والستين في باب « انت تسأل ونحن نجيب » اسمي مذيلا تحت سؤال . والحقيقة انني فوجئت بذلك . وبما اني لم ارسل الى مجلتكم - مع تقديري لها واعجابي برسالتها - اي سؤال .. فانني استنكر اشد الاستنكار ما وقع .. واقل ما اقوله فيه ان استغله بعض ذوي الميول السقيمة والنفوس الرخيصة تحقيقا لمآرب اخرى - ومن ثم تستروا وراء اسمي .

اني اطالبكم ايضا ان تتأكدوا قبل الاجابة على اي سؤال من حقيقة المرسل . واكرر استنكاري راجيا ان تنشروا كلمتي هذه في الموضع الذي ورد به اسمي مزورا

هاشم عثمان - اللاذقية

العربي : نفهم كل هذه الضجة يا سيد هاشم ، والسؤال الذي نشرناه ليس من الخطر بمكان ! وكيف يمكننا ان نتحقق من شخصية المرسل ! ثم اليس جائزا ان يكون هناك من يحمل هذا الاسم سواك ؟

على اي حال ان المستغل اسم الغير سواء اكان عن جبن او عن سوء نية عمل غير صالح ..

الاقتصادية قبل الوحدة الثقافية !

والثقافة ، الا ان نظام التعليم فيهما لم يوحد بعد ، فالكتب المدرسية التي يتداولها طلبة جنيف تختلف تمام الاختلاف عن الكتب التي يتداولونها في لوزان .. وعلى الرغم من انعدام الوحدة الثقافية فان جميع اقاليم الاتحاد السويسري متحدة من الناحية الاقتصادية .

ثانيا : اذا درسنا تاريخ اوروبا الحديث ، وتاريخ الوحدات التي قامت في القرن التاسع عشر خاصة ، فاننا نرى انها نجحت وكانت لها الغلبة لانها بنيت على معايير اقتصادية سليمة . فالوحدة الالمانية مثلا التي تمخضت جهود بسمارك مهدت اولا باجراءات اقتصادية فرضتها الجمارك عام ١٨٥٢ ، ثم السكة ثم الحديد .. واعلنت اخيرا الامبراطورية الالمانية على يد الامبراطور غليوم الاول عام ١٨٧١ بعد انتصار الجيوش الالمانية الموحدة على جيوش نابليون الثالث .

ثالثا : واننا نرى اليوم دول اوروبا تسعى حثيثا الى اقامة وحدة اقتصادية فالسوق المشتركة Marché Commun خير دليل واحسن برهان على ان الوحدة ممكنة ومضمونة العواقب اذا درست سياسة اقتصادية واضحة . ومما يحير الالباب ان نرى بلدين مثل المانيا وفرنسا ، كانتا في عراك وحروب مدة طويلة من الزمن ، نراهما اليوم وقد تصافتا وتكاتفتا في التآخي السياسي القريب والبعيد ..

هذه بعض الامثلة التي اسوقها تعزيزا لرأيي وبرهانا ناطقا على ان الوحدة الاقتصادية اذا قامت اولا فانها اصلح واسلم من الناحية العلمية .. وان كنت اشاطر السيد الخطابي رأيه في تعزيز الروابط الثقافية بين البلاد العربية حتى يسود السلام وتغلب المحبة على القلوب

موريس يوسف الشقر
المدرس بالكوليج دي ليمان
فرسوا - سويسرا

حديث الشهر
لرئيس التحرير

العروبة

• العروبة لفظ تطور معناه على الأجيال

■ السنن صنفان .

سنن للطبيعة ، يجرى عليها الكون ، فهي من سنن الله .

وسنن يجرى عليها عيش الانسان ، فوق هذه الأرض ، فهى ، ولو ظاهرا ، من صنع الانسان .

سنن لا تتبدل

وسنن الطبيعة ، سنن الله ، لا تتبدل ولا تتغير .

الشيء تسقطه فيهبط راسا الى الارض .

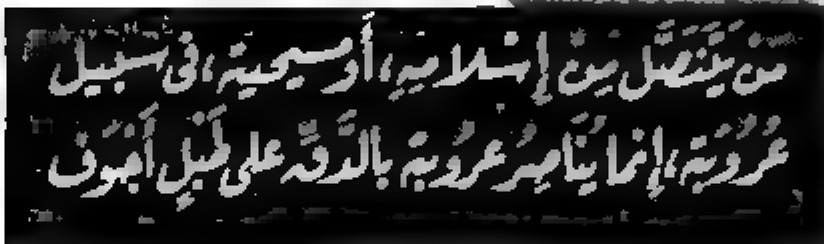
والماء تضعه فوق نار فيتبخر ويختفى عنك .

وأنت تصيح في بطن الجبل فيرتد اليك الصوت . وتقول انه الصدى .

وتحبس القط وتمنع عنه الغذاء فيموت .

سنن هي اليوم حقائق قائمة ، وكانت







بالأمس قائمة ، والى يوم يبعثون .

وسنن للتبدل

وغير ذلك سنن الانسان ، تلك التي سنها ، أو هو اتخذها ليجري عليها العيش ، كما زعم حقا ، او كما زعم سهلا ، في هذه الحياة . هذه السنن ما صنعت الا للتبديل والتغيير . وهي ، حتى في منطوقها العام ، جاءت على حال مبهم يأذن بالتبديل والتغيير .

خذ أهم تعبير عن أهداف تلك السنن : الخير والشر . سنة الحياة تستهدف الخير نظاما . ثم ينظر الانسان في الخير على القرون ، فيبدل فيما احتواه معناه ويغير . حتى لقد يدخل بعض الذي كان قديما قائما في حظيرة الشر ، الى حظيرة الخير . ويدخل الذي كان في حظيرة الخير ، الى حظيرة الشر .

وتجد هذا أظهر ما يكون في الأخلاق . والأخلاق أسلوب حياة . كم من خلق قديم محرم هو اليوم مباح ، يتقبله الناس عملا ، ويتقبلونه حكما . وكم من خلق قديم مباح ، هو اليوم محرم ، لا يرضاه الناس اليوم ممارسة ولا يرضونه عقيدة .

وقد يرتد المباح ، مع الزمن ، الى تحريم .

وقد يرتد المحرم ، مع الزمن ، الى اباحة .

من أقل السنن استقرارا سنن الحكم والسياسة

ولعل من أقل سنن الانسان استقرارا سننا يستنها الانسان لاجراء العيش وتنظيمه في كتل الناس الكبيرة ، تلك التي تسميها سنن الحكم ، سنن السياسة ، وهو اسم صار في العصر الحديث ليس بالشامل ولا بالكامل . أقصد تلك السنن العامة الكبرى ، التي تصبح عقائد فتكون أشبه بالعقائد الدينية قوة ، عنها يصدر كل ما ينتظم به العيش في أمة ، في اقتصاد ، واجتماع ، وحرب .

فلكم تطورت هذه السنن ، التي نسميها بالسياسة في غيبة اسم أحسن وأشمل . كم تطورت على السنين وكم تبدلت وكم سوف لا تألو تغييرا وتبديلا ما تعاقبت القرون والسنون .

والعروبة عقيدة ما أقل مضمونها يتغير

والعروبة انما هي بعض هذه السنن .

وانها لعقيدة ما فتيء مضمونها يتبدل ويتغير .

نبي عربي وَسِع نطاقه أهلَ الأرض جميعا .

جاءت من بعده دولة أموية ، فلما اتصلت بغير العرب ، أورثها اتصالها هذا واحتكاكها زيادة احساس بعروبتها ، فاستمسكت بها ، وتعصبت لها .

ثم دولة عباسية ، اتصلت بغير العرب كذلك ، ولكن على مدى أعرض ، فأورثها اتصالها هذا واحتكاكها رغبة في امتزاج، وامتزجت ، وكان من ذلك أن فقدت من عروبتها بقدر ما كسبت في فكر وفي علم وفي مدنية .

ونشأت بعد ذلك ، أو مع ذلك ، دول في مشارق الأرض ومغاربها ، مزجت بين العروبة والاسلام درجات متفاوتات ، حتى لم يعد أحد يدري أين حدود العروبة وأين حدود الاسلام . حتى غير المسلمين من العرب تشربوا ثقافة الاسلام، وان لم ينتحلوه عقيدة .

وفي القرون الحديثة

وتنحدر بنا القرون الى العصور الحديثة القريبة : أمة تركية سيطرت على الدولة العربية ، ما بقي منها . وكانت قوية السلطان فاتسمها البأس. ثم هبطت في الميزان ، فكان الفقر ، وكان الجهل ، وكان الظلم . ثم صارت وبالا على أهلها ، ونقمة على العرب في آن . وقاوم العرب النقمة ، وأرادوا الخلاص ، فنشأ معنى للعروبة أظهر ما فيه العداء لتركيا . لتركيا المسلمة .

فكان هذا أحد الأسباب الذي أعطت العروبة ، في أوائل هذا القرن على الأخص، معنى كاد أن يشبه معنى العداء للاسلام، على الأقل عند بعض الغلاة .

ونقول « أحد الأسباب » لأن هناك كانت أسبابٌ أخرى .

منها أن في الأقطار العربية المجاهدة طوائف من سكانها من غير المسلمين، ومنهم طائفة كريمة دخلت في زمرة المجاهدين ، فعمل هذا على الفصل بين ما أسموه العروبة والدين .

ومنها أنه نشأ في الأقطار العربية جماعة تقول برابطة اسلامية سياسية ، لتحلها محل الرابطة العربية . فزاد هذا القائلين بالعروبة محضا ، الحاحا في فصل العروبة عن الدين .

هكذا كانت العروبة أيام أذنت حياتي بالاتصال برجالها .



« لعل من أقل سنن الانسان استقرارا سننا يسنها الانسان لاجراء العيش » وهذا حمورابي مؤسس الدولة البابلية ، واليه ينسب أول قانون صنعه انسان لتنظيم الحياة (١٨٤٨ ــ ١٨٠٦ ق.م) . فاين هو من نظم الحياة الآن .



السلطان عبد الحميد ، سلطان الدولة التركية (١٨٤٢ – ١٩١٨م) ، وقد تمثل في عهده الظلم البيّن الظلم ، في قومه وغير قومه ، وكان هذا احد الاسباب التي اعطت العروبة معنى كاد ان يشبه معنى العداء للاسلام .

العروبة في بلد نشأت فيه

وكنت نشأت في بلد اعود فيه الى منزلي ، فيخبرني خادمي بأن زائراً زارني ، فأقول : خواجة ؟ فيقول ، لا ، بل ابن عرب ، يعني أنه مصري .

فهو بلد يأخذ عروبته امراً مسلّماً ، وكذلك الاسلام فيه طبع ، فهو لا يعرف بين عروبة واسلام . وزاد في اغفاله هذا التفريق ان صلته بالترك انقطعت من زمن بعيد ، وجاءت أجيال لا تعرف السلطنة العثمانية الا دروس تاريخ بعد عالنا عند أواخر القرن الثامن عشر .

والمسيحيون عندنا مسيحيهم ميثاء وأسهم أسما ، وأزراهم ازراها . وعبث المستعمرون بهذا الأمن حيناً ، ومع هذا ظل الريف ، ريف المسلم والقبطي على السواء . والتقى المسيحيون كما التقى المسلمون ، وصنعوا الخير وصنعوا الشر على مثال واحد .

لهذا أحدث التسائل اول الامر ببعض العلاء ، من الزاعمين حمل لواء العروبة خالصة ، اضطراباً في فكري واختبالاً .

محمد كان عربيا

حتى تبين لي ، في سبيل ترجيح العروبة على الاسلام ، ان محمداً (صلعم) كان عربياً قبل أن يكون مسلماً .

حجة لا يزال المصريرددها الى اليوم ، لا افهمها ، ولا افهم كيف يترجح بها اسلام على عروبةٍاو عروبة على اسلام .

وعلى هذا المثال جاز لي ان اقول : ان عمر كان وثنياً قبل ان يكون مسلماً ، زعماً بأنه هكذا كان ، لاستنتج من ذلك ان الوثنية خير من الاسلام .

ان سبق حال ، في الزمن ، على حال ، لا يفيد ابداً ترجيح حال سابقة ، على حال لاحقة لمجرد هذا السبق واللحاق .

وقيل لي بل المقصود ان الاسلام عبقرية ، وهي عبقرية عربية . وهذا

معنى ايضا لم افهمه . احســــانا اطراء للاسـلام ، ام اطراء للعروبة ، ام لكليهما ؟! ام هو مروق ، وحبالة صــبت من كلام .

ومن المسيحيين من اطرحوا دينا بدين

ومن العرب المسـيحيين ، كمن العرب المسلمين ، قوم يدعون الى فصل العروبة عن الدين ، عن دينهم المسيحي، ولو انهم ليس عندهم العوامل التى عند العرب المسلمين . انهم انما يعملون ذلك طرحَ دين بدين . حتى لصار منهم من يتبرأ من دينه المسـيحى نصرة لعروبته .

ولم افهم لهذا معنى ايضا .

انها الحماقة والله .

وعندى أن الذى يتبرأ من دينـــه ، مـسلما كان أو مـسيحيا ، لنصرة عروبته، ما أوشكه ان يتبرأ من عروبته نصـــرة لدينه ، اذا تبدل حال بحال .

فانا عربى ومـــســلم . وانت عربي ومسيحي . ولقـــد يكون ثالث عربيــــا ويهوديا ، كما كان الســموءل بن عاديا ، ذلك الذى ســجل عروبته أروع تسجيل، فى قصيدته العربية العصماء التى مطلعها :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكــــل رداء يرتـــديه جميـــــل

ولا مناقضة فى هذا ، ولا غباء ، وانما الغباء فى غير ذلك .

ذلك ما دمت انا عربيــــا صــادقا ، ومسلما أو مسيحيا صادقا .

ارتاب فى معنى من يفصلون

ولكنى أرتاب فى أن الكثير ممن يفصلون بين العروبة والدين ، قوم ، فى دخيلتهم، لا يؤمنون بدين ، لا بمسيحية ولا اسلام، ولست أعتب عليهم الا ما عتب الله . والله يهدى من يشاء ، ويضل من شاء .. وللانســـــان أن يؤمن وله ان يكفـــر مهدا شأنه فى امر نفســه . ولكن ليس من حق أحد ان يفرض ما اصابه ، فى دخيلته ، من اطراح ايمان ، على جمهور الناس ، يعطيه اياهم ، غير واعين ، فى برشامة عليها اسم العروبة .

استشراف ما وراء هــذه الحياة فى الناس طبع

ان العروبة بحسبانها عقيدة سياسية، شاملة ، انما ترسم اسلوب التعاون فى الحياة على هذه الارض . والانسان بطبعه يريد أن يســتشرف ما وراء هذه الحياة من وجود . وليس لك ان تقول انـــه استشراف ضلالة ، فما كان شيء له فى الطبع هذه الاصالة أن يكون ضـلالة . والحيـــوان لا يستشرف ، واستشرف الانسان . وبدافع من جوهره استشرف الانســان . وكل ما وقع عليه الانسان نتيجة استشراف فهو دين ، كان ذلك من وحى نبى او ايحاء نفس ، أو هما معا ، او كان ذلك من ابغال فى سر الحياة علمى . بذلك ، وبذلك وحده يشبع الانسان الجانب الآخر الوجدانى منه ، الذى لم يكن له هو تيمة فى صنعه، وانما هو بعض خلقه، فهو مدفوع الى اشباعه مجدوب ، كرمع احتذاب الارض على كل ما حملته من اشياء .

ان العقيدة السياسية، ومنها العروبة محضة ، ضرورية لحياة الناس ، ولكنها لا تكفى لاشباع هذا الوجود فى المحطط الانساني العام . ان العقيدة السياسية محضة ، هدفها الاخير امن الانســـان العربى ، ورعيه على هذه الارض ، ثم تطوى المنشور ، ويحرق، ولا يبقى منه الا الرماد . واذا اكتفت العراف بالامن والرفه فى حياة ، وبالرماد من بعد موت، فلن يكتفى الانسان . ومفره فى ذلـك حبلته . ولا تجادلنى فيما جبل عليه الانسان ، والحيوان ، ولا حتى الاشياء الجامدة .

معنى العروبة فى تغير وتبدل

وامضى مع رجال العروبة ، تلـــك

التي هي في تلذي طبع وتسليم ، سنين ، واستمع لالسنة كثيرة تحللها وتشعقها وتحاول ان تخلق من هذا الحس البسيط الذي تحسه كل القلوب معاني كثيرة كثيرة ضخمة تجعل منه فلسفة عظيمة ، فاقول لا باس ، فهذا شأن الفكر يدخل الى الأشياء بالتمديد والتعقيد .

والتابع ، فلاذا الصوت ، الذي يقول بالعروبة محضة بحتة ، والصوت الذي يقول لا باس بان يكون مع العروبة دين ، مسيحيا كان او اسلاميا ، يرتفع . واذا هذا الصوت يجلجل ليضع العروبة والدين مراتب سواء . واذا بالدساتير ، دساتير الدول العربية تخرج وفيها «انها دولة عربية دينها الاسلام» . وكان آخرها دستور صنعاء ، وقد خرج من ايام ، وتلاه دستور بغداد ، وفي كليهما الجمع بين العروبة والدين .

ولم يعد احد من المتأدبين ، فيما يقال ، يقول ان هذا تشكك في العروبة كما كان يقول منذ بضع سنوات .

واقع الوطن العربي

الحق انه ما كان يكون غير الذي كان .

ان واقع الوطن العربي قضى بهذا .

نحن لا نقول بالعنصرية في العقيدة العربية . يكفي اللسان لان تكون عربيا . ويكفي التاريخ الواحد ، واسلوب العيش المتوارث الواحد ، والشركة في بعض الحياة ومآسيها ، ما غبر منها ، فهو ذكرى ، وما حضر منها ، وما ينتظر .

ولكن في اطراف الوطن العربي طوائف كبيرة من الناس ، تتكلم العربية ولا تكاد ، وتحتفظ بعنصرية معتدلة ، تخرج منها حينا ، وتعود فيها حينا . . ومن اظهر هذه الطوائف جماعة صلاح الدين الايوبي ، في شمال العراق (الاكراد) ، وجماعة بني تاشفين وغير بني تاشفين في المغرب (البربر) ، وهم عدة ملايين .

هؤلاء لا يزال العنصر فيهم قويا ، وكذلك اللغة لا تزال حية ، وهم رضوا العروبة دائما ويرضون مظلتها يستظلون بها مستقبلا ، ما دامت هي مظلة العروبة

ومن الطوائف يقصر همها على هذه الدنيا ، دون الفكر فيما وراءها



والاسلام معا . والعروبة عندهم غالية لأن نبيهم عربي ، ولسان نبيهم عربي ، وعندهم أن لا عروبة بغير اسلام .

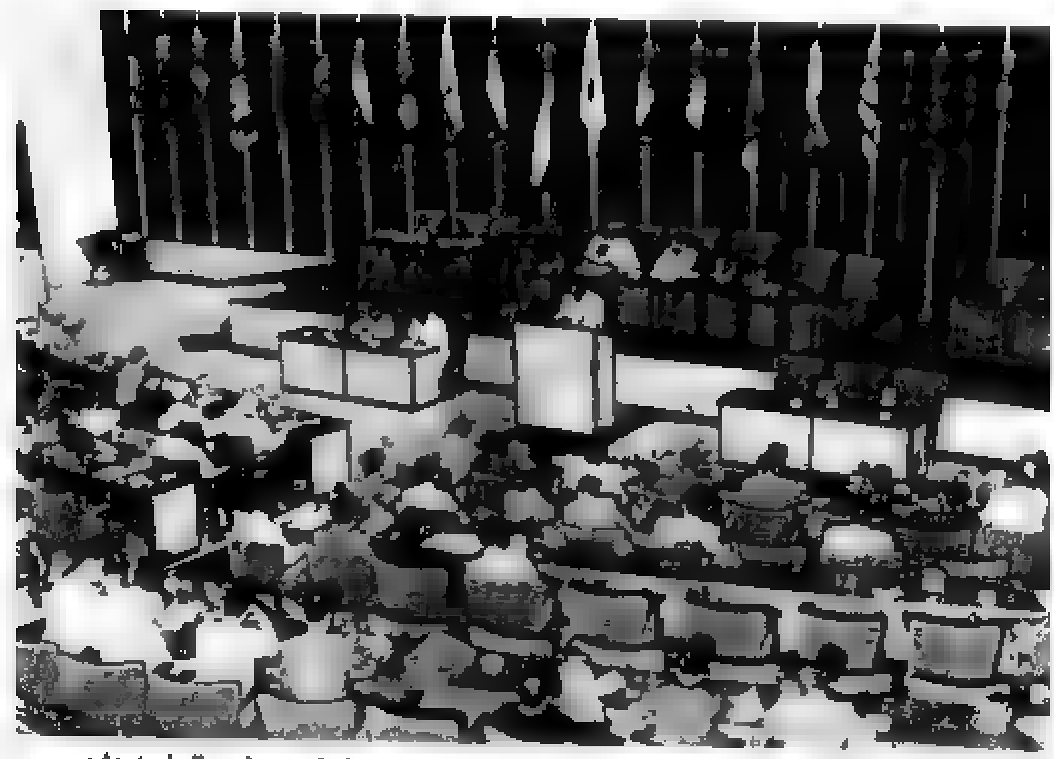
هذا الواقع بعينه أن الوطن العربي ، من قناة السويس الى المحيط الأطلسي، لا يعرف جمهوره بين اسلام وعروبة ، فالعربي مسلم ، والمسلم عربي . ومع هذا لا يقول احد منهم ان المسلم هو وحده العربي .

فهذا واقع الوطن العربي ، واسع جمهوره ، في حيث المواطن العربية أكثر سكانا وأكثر كثيرا .

ومن الاسلام في الوطن العربي الى الاسلام خارج الوطن العربي

ومن التطور الذي وقع داخل الوطن العربي ، من حيث العروبة والاسلام ، انتقل العرب الى وراء الحدود العربية ، يربطون الاسلام العربي بالاسلام غير العربي .

وتتوج هذا التطور ، في العام الحاضر، مؤتمر اسلامي دعت اليه القاهرة حضر اليه كثير من مشارق الأرض ومغاربها . لم تلبث دمشق ان دعت الى مثله ، فكان مؤتمر وزراء الأوقاف . ثم تعاجلنا بغداد في هذا الشهر الماضي باقتراح بدعوة لمؤتمر قمة اسلامي .



« مؤتمر باندونج اجتمع فيه رؤساء الشعوب من دول شتى ، فيهم المسلم ، وفيهم المسيحي ، وفيهم الهندوكي والبوذي والوثني ، الغاية هي : التكتل في سبيل التحرير » .



« .. ومثل مؤتمر باندونج كان مؤتمر القروة الافريقي» اختلاف اديان ، ووحدة غاية ..» . وهذه الصورة لهذا المؤتمر يترأسه امبراطور الحبشة والرئيس نكروما وكلاهما مسيحي..

وما كانت هذه المفاجأة ، مفاجـــأة للدارسين المتعمقين .

وما نظن ان التقوى وحدها كانت هي العامل الأول في هذه الدعوة ، وانما كان الحافز اليها كذلك سياسيا ، هو التزود بالصراء في عصر قل فيه النصير . وليس كالتزود بنصير يجمعك واياه شــقاء واحد . والمسلمون في شــتى جوانب الأرض ، في شقاء من استعمار اهل الغرب واحد . فالدعــوة الى مؤتـمـــر قروة للمسلمين دعوة الى التكتل ضد الظلمة العاصبين .

مؤتمر قروة للمسلمين ، سـبقه مؤتمر قروة من مسلمين ومسيحيين ووثنين

ومؤتمر قروة للمسلمين ، قد اشير الدعوة اليه ريبة عند البسطاء الغافلين .

ولكن ينفي هذه الريبة ان رؤســاء الدول العربية المسلمين سبق ان اجتمعوا في « باندونج » برؤساء من دول شتى ، فيهم المسلم ، وفيهم المسيحي ، وفيهم الهندوكي والبوذي والوثني ، لغاية ، هي التكتل في سبيل التحرر .

ومثل مجتمع القروة باندونج ، كان مجتمع القروة الافريقي ، اختلاف اديان ، ووحدة غاية .

وكذلك سوف تجمع المسلمين غاية ، هي التكتل في سبيل التحرر .

وغاية اخرى ، ان من المسلمين من تخلفوا ، او تعوا من التحرر موقفا اشبه ما يكون بموقف الفداء منه . فمؤتمر قروة قد يتكشف عن تصحيح الاوضاع .

ان اهل الارض اليوم قسمان ، متقدم ومتخلف ، عند الاولين الخير اكثر الخير وعند الآخرين الشر اكثر الشر . وشرهم جاء بسبب ما جاء الآخرين من خير . واداة ذلك كان الاستعمار ، وبقيت منه بقية كبيرة ، ووسيلة ذلك الحاضرة هي القوة على الضعف ، والثراء على الفقر .

والضعفاء والفقراء وضحايا الاستعمار ، ماضيا وحاضرا ، هم امم آسيا والجنوب وامريكا الجنوبية . واديانهم شتى . فاذا هم تكتلوا مسلمين ، او تكتلوا مسيحيين ، او تكتلوا وثنيين ، او اخلاطا من كل هذه ، فما هي الا الوشائج تطلب لتكون لحاما يلحم الاجزاء المتحطمة ، ورباطا يربط الاجزاء المتفرقة ، ليوم التلاقي الذي لا تنفع فيه الا السواعد المرفوعة ، والوجوه المتجهمة ، والحناجر الصارخة . تصرخ في وجه السبع فلا يلبث ان يتذاءب ، في زمان لا تزال القوة فيه هي المحكمـــة التي يلجأ اليها المتخاصمـــون عند كل نزاع .

احمد زكي

● كان للكويت

الكويت قبل الزيت ..

● كان بالكويت دائماً عدالة اجتماعية واشتراكية اسلامية



● تجار الكويت ارتبطو



هذا الكلام لا تكمل حسناته الا اذا
هذا الماضي من النواحي الاساسية

الناحية الاقتصادية

بهذه البلاد اقتصاد قومي مزدهر

أسطولٌ مِنَ السُّفُنِ بَلَغ ٣٠,٠٠٠ طنّ



بكلمة الشرف المنطوقة، لا بالمواثيق المكتوبة

حتى نهاية الحرب العالمية الثانية (وذلك باستثناء فترة الأزمة الاقتصادية التي اجتاحت العالم حوالي سنة ١٩٢٠، وكان لها بالطبع صدى في الاقتصاد الكويتي).

ويمكن القول بأن ذلك الاقتصاد الكويتي السابق على النفط كان يقوم على ثلاثة مقومات أساسية هي: الغوص وراء اللؤلؤ، والملاحة، والتجارة. وسأحاول إعطاء فكرة عن كل من هذه المقومات الأساسية للمجتمع الكويتي القديم.

الغوص

كان استخراج اللؤلؤ مهنة أساسية في الكويت ذات دور رئيسي في الدخل القومي، وكانت ترتبط بها وتكملها مهنة الاتجار في اللؤلؤ. وقد بلغت مهنة الغوص أوجها منذ حوالي الخمسة والأربعين عاما، حيث بلغ عدد السفن الكويتية العاملة في الغوص حينذاك حوالي الألف والثلاثي سفينة، وكان يتراوح عدد أفراد السفينة بين خمسة أشخاص وخمسة وستين شخصا تبعا لحجمها، وكان هؤلاء الأشخاص – فيما عدا الربابنة – مجموعة ممن يسمون «الغيص» و«السيب»، ويقصد بالأول الشخص الذي ينزل إلى البحر لاستخراج اللؤلؤ، أما «السيب» فهو الشخص المكمل لعمل «الغيص» إلا أنه هو الذي يشده إلى سطح الماء عند تلقي أول إشارة منه بذلك، بالإضافة إلى أعماله الملاحية الأخرى باعتباره المسؤول عنها دون «الغيص»، الذي تقتصر مهمته على عملية «الغوص» وحدها.

مهنة تقليدية تتلاشى

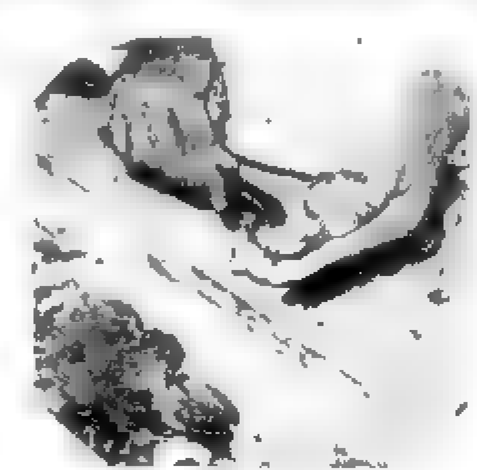
وإنه لمن دواعي الأسف الشديد أن هذه المهنة

التقليدية في الكويت ، وفي الخليج عامة ، فقد اخذت بعد ذلك الازدهار الذي اشرت اليه تتلاشى عاما بعد عام . فاخذ يعدد السفن الكويتية السابق ذكره يتناقص حتى لم يبق منه في الوقت الحاضر الا سفينة واحدة يملكها السيد راشد بن عليان ، ويعمل عليها حوالي الخمسة والاربعين شخصا .

ولا شك ان لهذه الظاهرة المؤسفة اسبابا متعددة ادت الى اندثار تلك المهنة وانقراض السفن الكويتية ، ومن اهم هذه الاسباب في نظري ظهور اللؤلؤ الذي يربيه اليابانيون في البحار اصطناعا المعروف في الانجليزية باسم الكلتشر Culture ، وانتشاره على نطاق واسع ، وتأثيره الكبير على سوق اللؤلؤ الطبيعي .

كما ان التطورات الفكرية والاجتماعية في العالم قد طورت في نفس الوقت نظـــرة الانسان الى الكماليات ، ومنها اللؤلؤ ، فتحول الكثيرون عنه الى مظاهر كمالية اخرى مستحدثة اصبحت معها النظرة الى اللؤلؤ الطبيعي والاقبال عليه غير ما كانت عليه الحال قبل هذا التطور .

كذلك ادى ظهور مورد النفط في الكويت الى مضاعفة هذا التحول عن مهنة الغوص ، فقد نجم عن ظهوره هذا تغير كبير في حياة الكويت



فتح المحارة بحثا عن اللؤلؤ

الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، ففتح ابوابا جديدة مريحة للعمل وكسب الرزق ، وهي لا شك اقل مشقة بكثير من مهنة الغوص ، واكثر فائدة ودخلا ، فتحولت اليد العاملة عن الغوص الى غيره مما زاد اجورها فيه بدرجة كبيرة ، وذلك في الوقت الذي تدهور معه دخل الغوص وانخفضت اسعار اللؤلؤ الطبيعي في الاسواق العالمية .

تجارة اللؤلؤ

اما الشق المكمل لعملية استخراج اللؤلؤ فهو تجارة اللؤلؤ ، فقد تخصص البعض في هذه التجارة في الكويت وسائر بلدان الخليج العربي ، وكان عمل هؤلاء التجار مرتبطا بعملية الغوص ، يمدها بعملها ، ويساير رحلات سفن الغوص ، وكان التجار يتنقلون بين هذه السفن ومواقعها ويشترون محصولها . وكانوا كثيرا ما يدفعون بعض القروض مسبقا الى بعض اصحاب سفن الغوص ، فيلتزم هؤلاء باولوية البيع للتاجر الذي قدم القرض . وعند نهاية الموسم ـ وكانت مدته اربعة اشهر ـ كان بعض تجار اللؤلؤ يبيعون بضائعهم محليا او في البحرين ذات الاهمية الكبيرة في تجارة اللؤلؤ ، في حين كان البعض الآخر يسافرون الى « بمباي » او يرسلون بضائعهم اليها ، باعتبارها المركز الرئيسي في الشرق لتجارة اللؤلؤ بمثل ما تعتبر باريس مركزا لهذه التجارة في الغرب .

ومن الطبيعي ان يمتد التطور والكساد السابق ذكرهما بخصوص استخراج اللؤلؤ الى تجارته كذلك ، فاخذ التجار يهجرونها تدريجيا لذات الاسباب حتى اصبح هذا النوع من التجارة في حكم المنعدم بالكويت في الوقت الحاضر .

الملاحة

مارست الكويت النقل البحري منذ تاريخها القديم ، وقد ازدهرت الملاحة في هذا البلد مع الزمن ، وبخاصة بعد نشوب الحرب العالمية الاولى حيث طرأ على السفن الكويتية تطور ملموس ، فازداد عدد قطعها وارتفعت كمية حمولاتها ، ثم تتابع هذا التطور حتى الحرب العالمية الثانية . وقد وصل عدد هذه القطع الى حوالي مئة ومائتي سفينة يتراوح عدد افراد



« الغيص » هو الاسم الذي يطلق على الغواص الذي يغوص لجلب المحار الذي فيه اللؤلؤ ... في هذه المهنة المجيدة في الكويت ، وفي الصيف منه « جلب اللآلئ »

الواحدة منها بين ١٢ و ١٥ شخصا ، كما تراوحت حمولة السفينة الواحدة بين ٩٠ و ٥٠٠ طن ، وقد بلغت جملة الطاقة القدرة لحمولات مجموع سفن الأسطول التجاري وقت ازدهاره حوالي الثلاثين الف طن .

ويلاحظ ان جملة البضائع التي كانت تشحن سنويا بهذا الأسطول كانت تزيد على هذا التقدير الاسمي للحمولات نظرا لتعدد رحلات السفينة الواحدة (ذهابا وايابا) خلال العام الواحد .

كذلك يلاحظ انه بالاضافة الى سفن الأسطول التجاري الكويتي كان التجار الكويتيون يستاجرون الأكثرية العظمى من السفن المملوكة لغير الكويتيين في مختلف بلدان الخليج والجنوب العربي ، وبخاصة في تجارة التمور . وقد كانت هذه السفن المستاجرة تقارب الأسطول التجاري الكويتي من حيث الطاقة وعدد السفن .

وقد كان موسم رحلات السفن يبدأ في الشهر الثامن « اغسطس » من كل عام وينتهي بعودة جميع هذه في اواخر الشهر الخامس « مايو » من العام التالي ، وقد يمتد الى الشهر السادس.

سفن الكويت تحمل التمور خاصة الى الهند وشرق افريقيا

اما الوجهة الاساسية للرحلات المذكورة فهي شط العرب « بالعراق وايران » حيث يتم شحن السفن بالتمور (العراقية منها بصفة خاصة) لحساب التجار الكويتيين، وذلك مع امكانية شحن نسبة ضئيلة تكاد لا تتجاوز ١٠٪ في المائة تقريبا من مجموع حمولات السفن،من الحبوب وبصفة خاصة الذرة العراقية . وكانت هذه السفن تتجه بحمولاتها المذكورة الى الهند ، شاملة حينذاك دولتي الهند وباكستان الحاليتين . والى ساحل

المهرة وحضرموت وعدن والبحر الاحمر ، وكذلك الى شرق افريقيا وخصوصا الصومال (البريطاني والايطالي حينذاك) على ان الهند (بالمعنى الواسع القديم) كانت هي التي تستهلك الجزء الاكبر من كميات التمور المذكورة ، اي ما يقارب ٧٠٪ منها .

السفن تعود الى الكويت بالاخشاب والقهوة وسائر المؤونة

وكانت السفن ترجع من الهند وباكستان محملة بالاخشاب اللازمة لسد حاجة الكويت في اعمال الانشاءات والتجارة وكذلك لبناء السفن . كما كانت تحمل غير ذلك من البضائع مثل الاقمشة والاطعمة والتوابل والحبال وغيرها مما يحتاج اليه الكويتيون في حياتهم اليومية .

اما ما كان يرد من عدن وبلاد البحر الاحمر فقد كان قليلا جدا ، وكان اهم ما فيه القهوة .

ومن ساحل المهرة كان يرد ما يسمى « الصل » (اي دهن السمك) وذلك بكميات موفورة تستعمل بصفة خاصة في دهان انواع السفن الشراعية المصنوعة من الاخشاب .

وكانت الكويت تستورد من شرق افريقيا خشب « الجندل » المستعمل في تسقيف المنازل بالكويت والخليج والبصرة من منطقة البصرة ، ولا تزال بعض المنازل الكويتية المسقفة بهذه الطريقة قائمة للآن منذ اكثر من مائة عام . وكان من بين هذه الواردات الافريقية كذلك اصناف اخرى كالفحم الصومالي وزيت الجوز وغيرها . ويلاحظ ان بعض هذه السفن كانت لا تقوم خلال الموسم برحلة واحدة فحسب ، بل باثنتين او ثلاث تبعا لطبيعة الرحلات التي تقوم بها .

على هذا النحو قامت الملاحة الكويتية بدور بالغ الاهمية للكويت خاصة ولبلدان الخليج بصفة عامة وكان لها دور فعال في تموينها وسد حاجاتها ، وبخاصة ايام الحروب حيث تشل القيود العسكرية الملاحة التجارية الى حد كبير . واكبر دليل على ذلك ان الكويت لم تشعر في تلك الاوقات بانعدام اي من المواد الغذائية او البضائع كما حدث في غيرها من البلدان ، بل كانت هذه المواد موفورة فيها كل الوفرة .

الكويت اكبر ميناء لبناء السفن بالخليج العربي

ولا يفوتني ان انوه بان الكويت كانت كذلك اكبر ميناء لبناء السفن بالخليج العربي كله ، وقد عرفت السفن الكويتية بانها من احسن السفن صناعة واصلحها للملاحة من حيث التصميم . ولكن صنع هذه السفن قد تضاءل بعد الحرب العالمية الثانية بشكل ملموس ، كما بيعت اكثر السفن الكويتية ذات الحجم الكبير والحجم المتوسط الى بعض البلاد بالخليج ، بحيث يمكن القول بانه منذ حوالي العشر السنوات قد توقف في الكويت بناء السفن الكبيرة او الصالحة للاسفار البعيدة ، واقتصرت هذه الصناعة التقليدية تقريبا على بناء القليل من السفن الصغيرة وسفن صيد الاسماك . ومما يدعو للاسف انه لم يبق الآن من سفن الكويت الصالحة للاسفار البعيدة اكثر من عشر سفن من الحجم المتوسط والصغير ، كما ان اليد العاملة على هذه السفن القليلة ايد غير كويتية .

وقد تأثر ذلك التدهور في صناعة بناء السفن بالوضع الذي صارت اليه الملاحة الكويتية الشراعية في جملتها ، كما اثر هذا التدهور بدوره في تلك الملاحة .

الاسباب التي من اجلها تراجعت ملاحة الكويت وبناء سفنها

اما اسباب هذا المصير الذي صارت اليه الملاحة وصناعة السفن الشراعية في الكويت فمتعددة اهمها ما يلي :

ا ـ بروز النفط كمورد رئيسي للبلاد ، فقد صار له فعالية اكثر من الاسباب ، كما اضاف اليها من ذلك سببا جديدا اسهم بدوره فيما سبقت الاشارة اليه بصدد الكلام عن الغوص ـ من التطورات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية التي عمت الكويت والتي تفتحت معها ابواب جديدة للرزق اكثر من الملاحة ربحا ، واقل منها مشقة واخطارا .

ب ـ النقص الملموس في كمية التمور التي كانت تشحن بالسفن الشراعية الى الهند وباكستان ، وذلك لانه بعد ان كان التصدير الى تلك الجهات حرا ، اصبح ـ عقب استقلالها وانتهاجها سياسة



التمور العراقية : كانت سفن الكويت التجارية تذهب الى الهند وبلاد شرق افريقيا

التوجيه الاقتصادي كغيرها من الدول ــ خاضعا لانظمة خاصة بالاستيراد كالاجازات اللازمة لذلك.

فنجم عن هذا ان ضاق الخناق على تصدير التمور بالسفن الشراعية ، بل ان تصديرها الى الباكستان قد توقف نهائيا . ولا يخفى ما لهذا من تأثير على ايراد تلك السفن نظرا لان تصدير التمور كان يمثل جزءا كبيرا من ايراد رحلة السفينة .

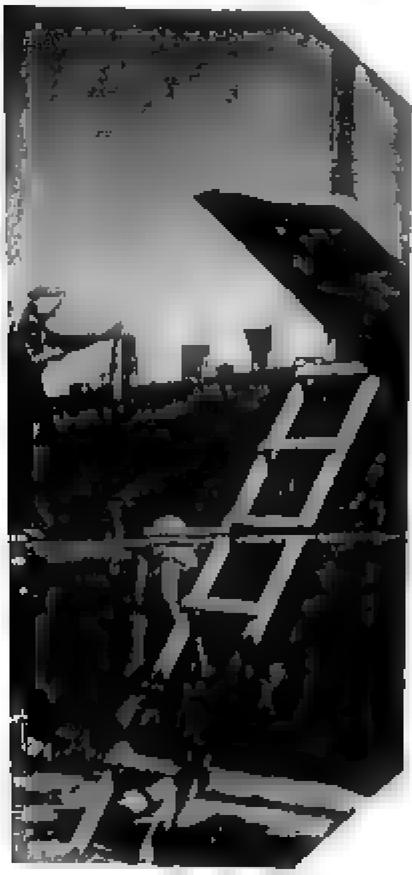
جـ ــ كانت الكويت وسائر بلدان الخليج العربي تستورد من ميناء « كاليكوت » بالهند كل حاجتها من الاخشاب اللازمة للبناء ولاعمال النجارة ولصناعة السفن ، وكانت هذه الاخشاب تشكل نسبة كبيرا جدا من حمولة السفن الشراعية الكويتية وهي عائدة ، فتناقص استيراد هذه الاخشاب وتنزل الى حوالي عشرة في المائة مما كان عليه او الى اقل من ذلك . ويرجع السبب في هذا التناقص الكبير الى ما حدث من تطور في الكويت خاصة وفي بلدان الخليج بصفة عامة ، بحيث استعيض عن الاخشاب الهندية التي كانت تستورد للتجارة بانواع اخرى افضل منها صارت تستورد من بورما وسنغافورة ، وكذلك من اليابان واوروبا . هذا بالاضافة الى التناقص الكبير الذي طرأ كذلك على بناء السفن الشراعية لانتهاء

وقد كان بناؤها يستنفد فيها معى كميات كبيرة من الاخشاب .

د ـ لم تكن البواخر ترد الى الكويت حتى اواخر القرن الماضي ، ولذلك كان اعتماد الكويت كليا حينئذ على سفنها الشراعية .

وفي اواخر القرن الماضي بدأت بعض البواخر القادمة من « بمبي » تصل بين فترة وأخرى الى بعض موانئ الخليج ـ ومنها ميناء المحمرة بشط العرب بايران (وتسمى الآن خرم شهر) ـ وحينئذ اخذت ترد بعض البضائع من « بمباي » الى هذا الميناء برسم الكويت وتنقل بواسطة سفن شراعية الى الكويت ، ولكن منذ مطلع القرن الحالي اخذت البواخر تصل رأسا الى الكويت . وظل ذلك فترة من الزمن يحصل بانتظام كل شهر تقريبا . وقد ساعد ازدهار اقتصاديات الكويت واتساع مجال تجارتها مع الخارج على اتجاه هذه البواخر المتجهة اليها وهي في طريقها بين الشرق والغرب وبخاصة ما كان يأتي منها من الشرق ، فكانت تصل في طريقها وضمن حمولتها الكبيرة الى كمية من البضائع المراد شحنها الى الكويت فضيقت بذلك مجال العمل على السفن الشراعية الكويتية ، ووجدت هذه السفن نفسها في وضع غير متكافئ مع هذه البواخر الحديثة المتكاملة الشروط والوافرة الامكانيات . هذا برغم ان بعض مالكي السفن الشراعية قد شرعوا منذ حوالي سنة ١٩٤٦ في ادخال بعض التطوير على سفنهم بأن زودوها بمحركات بحرية (موتورات ديزل) ، واخذت هذه الظاهرة تنمو تدريجيا حتى شملت معظم السفن القبلية حينئذ .

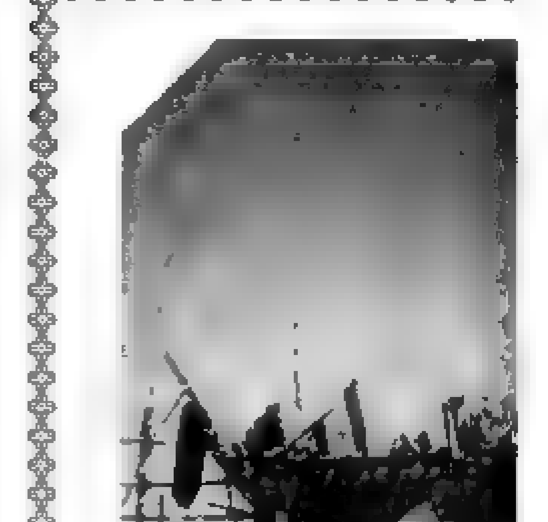
والواقع ان هذه الخطوة كانت ارتجالية ، بدليل انه لم يوجد بالكويت آنئذ اكثر من واحد او اثنين من القادرين فنيا على تشغيل هذه المحركات ، فاستعان اصحاب السفن بأشخاص غير كويتيين من البلدان المجاورة ودون ان تكون لهم الخبرة الفنية اللازمة الا نادرا . وقد كانت النتيجة ارتفاع تكاليف هذه المحركات وصيانتها الى حد جعل هذه الخطوة غير عملية من الناحية الاقتصادية ، وبخاصة بالنسبة الى هذه السفن غير الكبيرة الحجم اذا ما نظرنا الى رحلاتها المنتظمة الى الموانئ النائية .



كانت الكويت اكبر ميناء لبناء السفن ترسو فيه السفن الكبيرة ، واشتهر

لا بد من تطوير الملاحة بالكويت

ونتيجة لكل ما ذكر يمكن القول بانه ما لم تطور الملاحة بالكويت لتجاري المستوى الملاحي العالمي الذي تقتضيه ضرورات العصر الحاضر بجميع متطلباته ، بما في ذلك نوع السفن وحجمها وتدريب الملاحين والعمال على العلوم والاساليب الحديثة ، فستصبح الملاحة بالكويت خاصة والخليج عامة اثرا بعد عين . ولهذا ارى ان الكويت ـ وهي ليست بلدا زراعية ولا صناعية بل هي بلد ساحلي اعتمد طول حياته على الملاحة، واصبح له فيها تاريخ مشرف وباع طويل ـ



...الخليج العربي . . . ما اليوم . . .
الأمر على بناء السفن العصرية

من واجبنا حكومة وشعبا التضافر للحفاظ على هذا المقوم الأساسي للمجتمع الكويتي .

ونلاحظ في ذلك مثلا أن بلدانا كالنرويج واليونان يعتمد أهلها اعتمادا كبيرا على الملاحة برغم ما لديها من امكانيات أخرى صناعية وزراعية وغيرها. وهناك دول لم يكن لها تاريخ طويل في الملاحة العملية كالهند مثلا قد أولت هذه الناحية عناية فائقة بحيث يؤمل أن تصبح بعد سنوات قليلة جدا في مصاف الدول الملاحية العريقة ، اذ ينتظر أن تصل حمولة أسطولها التجاري بضعة ملايين من الأطنان . وللباكستان كذلك سياسة مماثلة في هذا الاتجاه.

هذا مع العلم بأن شركة ناقلات النفط الكويتية المؤسسة سنة ١٩٥٧ (برأسمال كويتي) قد بدأت انشاء ناقلات نفط ، وستصل جملة حمولاتها في أوائل سنة ١٩٦٥ الى حوالي ١٥٢٠٠٠ طن ، ولكن للأسف لم يتحقق الآن أمل الشركة في أن يقبل الكويتيون على العمل في الملاحة .

يجب المحافظة على هذا التراث

في ذلك كله رد على من قد يقول أن للكويت في النفط غناء عن التفكير في الملاحة . فهذا القول مردود عليه بأن النفط بطبيعته مورد يستنزف مع الزمن ، في حين أن الملاحة مورد متزايد غير متناقص . هذا بالإضافة الى ما تضفيه الملاحة على الأفراد من الرجولة وقوة الشكيمة والقدرة على مغالبة الزمن والاعتماد على النفس وعدم الاتكال على الغير والصلابة في مواجهة المصاعب . وقد كانت هذه صفات الكويتيين على مر الأجيال بحيث أصبح لنا في هذا المضمار تراث نعتز به ونحرص على أن لا يندثر . ولذلك أرى من واجبنا المحافظة على هذا التراث المنبثق من طبيعة بلدنا ، وعلى تلك الصفات التي نرجو أن يزيدها مورد النفط قوة بدلا من أن ينال منها أو يوهنها.

التجارة

تحدثت بمناسبة الغوص عن جانب هام من جوانب التجارة كمهنة رئيسية في الكويت وكأحد المقومات الجوهرية لمجتمعنا . والآن أتحدث عن هذه المهنة بمختلف جوانبها دون تخصيص . ويمكنني القول أن الكويتي ليس صانعا ولا زارعا وانما هيأته طبيعة بلاده لأن يكون تاجرا ماهرا . ولذا نرى التجارة امتدت حتى الى القائمين على الملاحة من أبناء الكويت ، أعني من يركبون السفن على النحو السابق ذكره. فهؤلاء كذلك قد أصبحوا بالفطرة تجارا وكان أغلبهم يتولون بأنفسهم تصريف أمورهم ومعاملاتهم التجارية بالخارج ، وذلك بالإضافة الى مسؤولياتهم ومهامهم الملاحية ، ولهذا برز من بينهم تجار مهرة . وانسجاما مع حكم الطبيعة والفطرة على هذا النحو كان لا بد وأن يعتمد الكويتيون على أنفسهم وأن يجعلوا عملهم داخل بلدهم مصدرا لتجارتهم

الخارجية . وبذلك كان للكويت دور تجاري هام في هذا الجزء من العالم .

الكويت مركز تجاري لجيرانها عامة

وبالطبع قد تفاوتت أهمية هذا الدور تبعا لما مر بالبلاد من فترات متباينة وأدوار مختلفة، فمثلا كانت الكويت قبل الحرب العالمية الأولى مركزا تجاريا على جانب من الأهمية ، لا بالنسبة لها فقط وإنما بالنسبة لجيرانها عامة وللمملكة العربية السعودية خاصة .

الكويت كانت الممون الرئيسي للسعودية

وكانت تعتبر حينذاك الممون الرئيسي للسعودية. وحتى بعد أن أصبح ميناء جدة الميناء الهام للمملكة السعودية ، وأخذ يساهم في تموينها بالبضائع ظلت الكويت الممون الأكبر للمملكة الى عهد قريب. ولكن بعد أن أصبح ميناء الخبر من جهة،وباشرت قطارات السكة الحديدية الى الرياض ، انخفض الصادر من الكويت الى المملكة السعودية وكان هذا الانخفاض أمرا طبيعيا ونتيجة حتمية . فمن جهة ــ ولعلها أهم الاعتبارات ــ لا جدال في أن مصاريف النقل بواسطة الخط الحديدي جاءت أنسب وأقل كلفة وذلك برغم تطور وسائط النقل بين الكويت وبلدان نجد وتحولها من الإبل الى السيارات الكبيرة .

..ومع السعودية امتدت تجارة الكويت الى العراق وايران

كذلك امتدت صادرات الكويت في أحوال كثيرة الى العراق والى ايران ، فقد كانت الكويت في الماضي ، وهي تصدر ما يتجاوز حاجة استهلاكها المحلي ــ تصدر حوالي النصف من هذا الصادر للمملكة السعودية والنصف الآخر لإيران والعراق وغيرهما من البلدان ، وكان ما تصدره الى المملكة هو الأرز والأقمشة والقهوة والسكر ، أما الآن فلا تزال الكويت تصدر الى المملكة ، ولكن بنسبة أقل بكثير مما كانت تصدره اليها قديما . وتحتوي هذه الصادرات على جانب من الكماليات ، وهو كذلك الحال بالنسبة لإيران والعراق .

ومما لا شك فيه أنه قد ساعدت على هذا الازدهار التجاري بالكويت عوامل شتى أهمها وضع الكويت الجغرافي ، وأسطولها التجاري ، وعدم القيود على التجارة فيها ، وانخفاض الرسوم الجمركية بها ، والتسهيل في الإجراءات وشرف المعاملة . كل هذه العوامل مجتمعة جعلت من الكويت مركز الثقل التجاري بالنسبة للخليج وغيره .

تجار الكويت ارتبطوا بكلمة الشرف المنطوقة ، بدون الوثائق المكتوبة

ولا يفوتنا ونحن بصدد التاريخ التجاري الكويت أن نورد شيئا عن العرف التجاري ونوع المعاملة التجارية آنذاك ، فلقد كان معلوما للكافة أن التاجر الكويتي كان يعتمد على كلمته وشرفه التجاري ، فلم يكن يوجد بالناس أي تبادل خطي، ومعظم الصفقات كانت الى عهد قريب تتم بين التجار بدون واسطة. وقد تأصلت الأعراف التجارية على هذا النحو ، حتى أن التاجر كان يأنف بل ويغضب أو يستاء أن تكون الصفقة بواسطة أو أن تثبت بشيء خطي ، وكان التاجر يعتبر مثل هذا الطلب اهانة له واشعارا بعدم الثقة به ، وفعلا كان الناس يبتاعون ويشترون فيما بينهم شفويا .

وكانت البضاعة تبقى في مخزن البائع مدة ، وقد تزيد الأسعار في خلال هذه المدة الى حوالي ٢٠ في المائة أو أكثر، ومع ذلك كان يسلمها البائع للمشتري دون أي تحول أو محاولة للتحول عن الصفقة ولم نجد في تاريخ التجار الكويتيين أي حادثة تحول في مثل هذه الحالات .

كان بين تجار الكويت تفاهم وتعاطف

كان من التقاليد العربية المتبعة في الكويت وفي سائر المنطقة ما عرف باسم « البضعة » ، وهو أسلوب تعاوني كريم يقدم بموجبه أحد التجار مالا أو بضاعة لفرد يسعى في استثمارها تجاريا ويقسم صافي الربح عند التصفية بينهما بنسبة الثلثين للأول (التاجر) والثلث للثاني .

أما في حالة الخسارة أو الهلاك فإن التاجر ــ أي المالك ــ هو الذي يتحمل هذا العبء وحده. وكانت هذه « البضعة » مظهرا كريما للتعاون والتعاطف بين الناس .

كذلك كان الشأن بين التجار السعوديين وبين



ومن الهند وباكستان كانت سفن الكويت ترجع محملة بالأخشاب اللازمة لسد حاجة الكويت

التجار المحليين ، فقد كان رائد الجميع دوما في الكويت التسامح في المعاملة ، فلم يكن احد مثلا يتجاهل ظروف عملائه من حيث مدة التسديد او شروطه ، بل كان يتفادى كل ما يرهقهم او يحرجهم .

كما أنه قل ان نجد في تاريخ هؤلاء التجار خلافات او قضايا تصل للاتجاه الى القضاء ، وحتى عند وجودها لم يكن الكويتيون يؤثرون طريق التقاضي بل كان هناك دائما تاجر معروف من بينهم ارتضوه ليكون حكما في هذه الحالة . وفعلا كان ذوو الشأن يأتون اليه فيفصل بينهم ، وكان هذا الفصل يتم في دقائق معدودة احيانا ، يخرج الجميع بعدها راضين بحكمه .

تغير الأوضاع

على ان الكثير من هذا النهج في الحياة قد تغير مع الزمن وبخاصة منذ الحرب العالمية الثانية تبعا لاتساع الكويت وكثرة من هاجروا اليها من الخارج بعد توسع مجالاتها الاقتصادية كنتيجة لظهور النفط . كما ان سبل المعاملات التجارية قد تغيرت تبعا لكون صلات التاجر الكويتي قد أصبح اكثرها مع تجار خارج الكويت . فنتج عن ذلك كله تبدل في الأوضاع الاجتماعية وفي أسلوب المعاملات التجارية .

وفي ختام هذا « الجانب الاقتصادي » من كلمتي اود ان اشير الى ما سيأتي ضمن حديثي عن الجانب الاجتماعي من مظاهر التكافل الذي بين الكويتيين على اساس اسلامي عربي يمثل افضل صورة للاشتراكية الاسلامية العربية التي نشأ عليها مجتمعنا ، واستقرت على اساسها نظرتنا الأصيلة للخير العام والعدالة الاجتماعية .

الناحية الاجتماعية

لقد عاشت الكويت – وبخاصة الى ما قبل الحرب العالمية الثانية – في شكل اسرة كبيرة تقوم على التعاطف بين افرادها والتكافل الاجتماعي بكل ما في ذلك من معنى وما له من صور وتطبيقات ، حتى شمل جميع ضروب الحياة في الكويت .

ولما كان الكلام عما وراء هذا الاجمال من تفصيل امر يطول شرحه ولا تحصى تطبيقاته ، فانني اقتصر على ذكر بعض التطبيقات الهامة على سبيل المثال

عندما تغرق سفينة او تتحطم

معلوم ان الكثيرين من الكويتيين الملاحين كانوا هم ملاك السفينة ، وكانت هي مصدر رزقهم ورزق عائلاتهم . ومن المعلوم كذلك ان مثل هذا العمل

محفوف بالمخاطر وبخاصة في الأزمنة الماضية ، لذلك كان هذا المجال احد المجالات التي برزت فيها روح التعاطف والتكافل بين الكويتيين ، فاذا ما وقعت كارثة باحدى السفن ـ ولا تخلو سنة من وقوع بعضها كل عام ـ كغرق السفينة او تحطمها او ما الى ذلك ، كان يسارع الاصدقاء والمعارف كافة وبدون استعطاف او طلب الى جمع التبرعات دون علم من اصابته الكارثة ، وكانت هذه التبرعات التي تجمع عاجلا كفيلة بتغطية الخسارة كلها ، بل كانت تزيد على جملة الخسارة .

عندما تجنح سفينة اثناء رحلتها

وبمثل هذه الروح كان يسارع الكويتيون دون تفريق الى انقاذ السفن التي تجنح في الخليج اثناء رحلاتها او تلاقي من الاهوال ما يلزم العاملين عليها الى تركها فيه لاستحالة عملية الانقاذ عليهم . وكان تكوين هذه الحملات الانقاذية بصورة تطوعية وسريعة وشاملة تبعث العجب ، ويجب ان نعتز بها كصورة لتعاطف مجتمعنا وتآزره . وقد يبلغ عدد افراد الحملة الانقاذية الواحدة احيانا مائة شخص . اما مصاريف الحملة الفعلية فكان يتكفل بها واحد او اكثر من الموسرين او تطوعا على صاحب السفينة او اصحابها لعملها .

عندما تنزل سفينة الى البحر

وكانت تبرز روح التعاون والاخوة كذلك في عملية انزال السفن الجديدة الى الماء ، فكان رفع العلم الكويتي عليها ايذانا بالشروع في عملية انزالها الى البحر ، وكان كذلك ايذانا بنهوض ممثلين لمختلف العائلات من اصحاب السفن ليسهموا متكاتفين في العملية المذكورة . وكان هذا التطوع يتم ايضا دون طلب صاحب السفينة او التماس العون من الآخرين .

اذا شب حريق

واذا تركنا الملاحة عند هذا الحد ونظرنا الى حياة المدينة وجدنا ذات الوضع ، ففي حالات الحريق مثلا كانت نجدة اهل الحي تعمل بسرعة خاطفة ، وفي جرأة نادرة رغم بساطة الوسائل والامكانيات حينذاك .

كلٌ مسئول عن أسرة جاره عند غيابه

وبمثل هذه الروح لم تكن الاسرة الكويتية تفتقد الطمأنينة الى الامن او الى توفير حاجياتها فترة غياب عائلها اثناء رحلات السفن الطويلة ، بل كان كل مقيم من اهل المنطقة يشعر بانه مسئول ادبيا عن اسرة جاره او صديقه او اخيه المسافر ، وكان يتحسس في ادب جم احوال جيرانه وعشيرته لجلب ما قد يحتاجونه (زيادة على ما كان يتركه المسافر لاهله قبل سفره لسد حاجاتهم المعيشية) نظرا لطول فترة السفر مثلا عما كان مقدرا لها . كذلك كان كل رجل في حيه اشبه بحارس يقظ لهذا الحي بحيث كان لا يسهل لغريب ان يدخل الى الحي .

كان في الكويت ، اشتراكية اسلامية وعدالة اجتماعية

ولعل اكبر شاهد على قيام التكافل الاجتماعي والعدالة الاجتماعية والاشتراكية الاسلامية في المجتمع الكويتي هو ذلك النظام الذي اتبعته الكويت في توزيع حصيلة السفن من رحلاتها (وكانت اكبر موارد البلاد حينذاك) ، فقد اعتبر دخل السفينة في كل سفرة حصيلة مشتركة توزع بين الجميع ـ بما فيهم المالك ـ على اسس اشتراكية عادلة ، وذلك بعد خصم المصاريف الفعلية لطعام العاملين على السفينة ورسوم المواني المقررة (وكان الجميع يطعمون معا وعلى مستوى واحد دون تفريق أو امتياز لاحد) . اما اسس توزيع تلك الحصيلة فقد جرى بها العرف والتزمها الناس كافة . ويمكن باختصار القول بانها كانت توزع على النحو التقريبي التالي :

١. في الثلثة تقريبا لمصاريف الطعام المذكورة ورسوم المواني .

٥) في الثلثة تقريبا جملة ما يؤول الى العاملين في السفينة على اختلاف انصبتهم .

٣) في الثلث تقريبا جملة ما يؤول لصاحب السفينة ويتحمل منها مصاريف الصيانة وما اليها .

مجتمع الكويت الحديث يستمد من مجتمعه القديم : تكافلا وتعاونا

هذا هو المجتمع الكويتي القديم ، لم الاكثر من حياته الا النزر اليسير من تطبيقات التكافل الاجتماعي والتعاون والعدالة الاجتماعية فيه . وان مجتمعا هذا شأنه لا شك في انه بيئة صالحة العديد من الاصلاحات الاجتماعية التي استحدثتها

دولة الكويت بعد ذلك كما حدث مثلا في اصلاح نظم التعليم وفي غيرهما ، ولم يكن غريبا كذلك ان يأتي دستور هذا المجتمع الكويتي الصادر يوم ١٩٦٢/١١/١١ موليا هذا الجانب الاجتماعي عناية خاصة في نصوصه واحكامه . والامل كبير ان تتابع الكويت هذا الاتجاه النابع من ديننا وتقاليدنا والمتفاعل مع احاسيسنا وافكارنا ، حتى يكون هذا البلد نموذجا للتضامن القومي الشامل في سبيل الخير المشترك وتحقيق الرفاهية للجميع ، وحتى نكون – كما قال الرسول الكريم – كالجسد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

الناحية السياسية

لقد كانت الكويت من اقرب بلاد العالم العربي الى التقاليد الاسلامية والروح العربية الاصيلة في شأن علاقة الوالي بافراد الامة ، فقد كانت هذه العلاقة اقرب الى روح العائلة الواحدة منها الى مجرد الرباط السياسي الذي يضم الناس تحت لواء امارة او دولة بأوضاعهما الشكلية المرسومة ، وكنت تجد هذا الاحساس عند الجميع وفي مختلف المناسبات . وزادت من قوة هذه الصلات العائلية روح التعاون والتكافل بين ابناء المجتمع الكويتي من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية السابق الكلام عنهما .

لا حجاب بين حاكم ومحكوم

اما الشورى كاساس اسلامي للحكم فقد كانت تتمثل في الكويت قبل الدستور في بساطة مظاهر الحكم السياسي وعدم اقامة حجاب بين الحاكم والافراد ، مع ما جبلت عليه نفوس الكويتيين من احترام للنظام والتقاليد ، وتوقير الصغير الكبير ، وعطف الكبير على الصغير ، مما جعل الامور العامة للدولة محل الاستشارة وتبادل النظر مع ذوي الرأي في البلاد .

النظام النيابي الجديد لم يكن طفرة

ولهذا لم نشعر – كما قد يظن الشخص الغريب عن حقيقة الكويت – بأن في الاخذ بالنظام النيابي الدستوري سنة ١٩٦٢ اية طفرة او اي سبق للزمن ، بل بالعكس شعرنا بأن هذا هو التطور الطبيعي السليم ، وانه هو التسجيل الصادق لتحقق تطور افكارنا واساليبنا في الحكم والسياسة ، وبخاصة اذا لوحظ ما سبق بيانه من مقومات مجتمعنا المتطور في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والفكرية مما يقتضي بالضرورة تطويرا مماثلا في مقومات هذا المجتمع السياسية والحكومية .

وهنا ايضا اذكر ظهور النفط وما تبعه من رخاء عام كسبب آخر للتطور السياسي وكعامل تقوية لاسباب التطور الاخرى التي اشرت اليها .

الشعب الصغير اقدر على مراقبة نوابه وحكامه

ويمكنني ان اضيف الى هذه العوامل مجتمعة عاملا آخر يخص الكويت بالذات ، وهو ان صغر هذه الدولة وقلة عدد سكانها بالنسبة للدول الاخرى يجعل شعبها اكثر صلاحية ناسبة لمراقبة الشعب لاعمال نوابه ورقابته لحكامه حتى ان الحكم النيابي فيها يكاد يكون في واقعه حكما مباشرا للشعب .

كما ان هذه البيئة الصغيرة السريعة التطور ، الموفورة الامكانيات ، اقدر على تعرف المسائل العامة على وجهها الصحيح دون مجال للتمويه السياسي الذي قد يتسع مجاله في الجماعات الكبيرة ويستشري ضرره .

ولهذا اود – رغم ما لا بد وان يكون هنالك من ملاحظات على تجربتنا النيابية الدستورية – ان اسجل تفاؤلي بالتنافس المشروع داخل مجلس الامة وفي دوائر الحكومة لتحقيق اكبر قدر من الاصلاحات الشعبية على احسن مستوى ، وفي اسرع وقت ، وباقل ثمن . وهذه كلها اهداف نسير نحوها ولا يمكن ان تتحقق كاملة بين يوم وليلة ، ولكن من الاهمية بمكان ان تكون اتجاهاتنا صحيحة نحوها ، وان نعوم عيوننا ، وان تكون وسائلنا لبلوغها ديمقراطية سليمة ، لا تنسى ماضينا ، ولا تتنكر لتراثنا ، او تفقد مجتمعنا المتطور ايا من مقوماته السليمة سواء من الناحية الاقتصادية او الاجتماعية او السياسية .

وعلى الله التوفيق .

الكويت : عبد العزيز حمد الصقر

التنظيم العسكري

بقلم : الدكتور نبيه عاقل
استاذ التاريخ في جامعة دمشق

■ كان الغزو قبل الاسلام ركنا اساسيا من اركان الحياة العملية ، تقوم به القبيلة مجتمعة في وقت معين من كل سنة لتقتص من قبيلة اخرى لها عليها الثأر ، او لتحقق مغانم تعينها على اقامة اود افرادها الذين قل ما عندهم من زاد وتهددهم الجوع . ويرى البعض بحق ان الغزو الى جانب هذا كان محاولة للانعتاق من حياة الصحراء الرتيبة ، واذكاء للحماسة الكامنة في النفس العربية مما يتيح للفرد اظهار بطولته وتفوقه في ميدان من اهم ميادين الحياة في الصحراء ، الا وهو ميدان الحرب والفروسية .

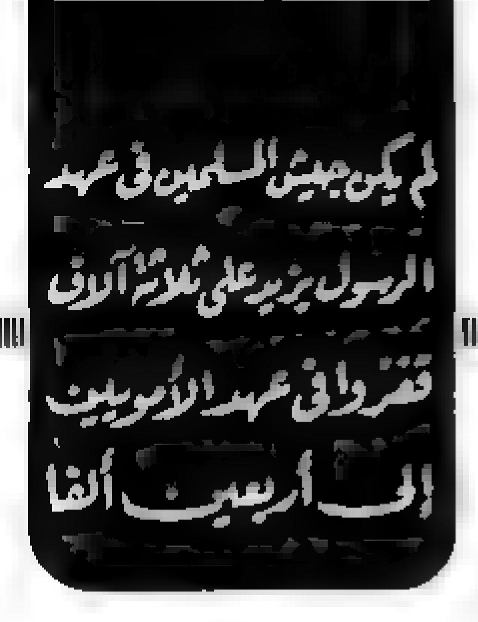
الاسلام غير القتال : هدفا واسلوبا

وقد اضفى الاسلام بعد قيام دولته ، ثوبا جديدا على عملية القتال وربطها ربطا وثيقا بالمثل الاعلى الجديد وجعلها في خدمته ، فتطورت هذه العملية ، لا من حيث الهدف فحسب ، بل من حيث الاسلوب والطريقة ايضا .

● كان الجيش الإسلامي جيشا



فى الإسلام



أعداد الجيوش فى اول الاسلام صغيرة

كان المهاجرون اول من قام باعباء القتال من المسلمين ، فقد كان الرسول الكريم يرسل فئات منهم من المدينة على شكل سرايا لاستطلاع احوال قريش واعتراض قوافلها . ولم تكن هذه السرايا كبيرة فى العدد، فقد كان عدد افراد السرية الاولى لا يتجاوز الثلاثين ، ووصل هـذا العدد الى الستين فى السرية الثانية . أما عدد افراد السرية الثالثة فكان لا يزيد على العشرين . وكانت غـزوة بدر أول معركة يشترك فيها الانصار . وكان عدد افراد الجيش الاسلامى الذى سار لقتال قـريش فى بدر ثلاثمئة مقاتل بينهم سبعون مهاجرا والباقون من الانصار . وازداد هذا العدد فى غزوة أحد حتى بلغ على ما تزعم المصادر الالف مقاتل، يقابلهم ثلاثة آلاف من المشركين . وكان فى جيش المشركين يوم أحد مئتا حصان،وسبعمئة من لابسى الدروع، مقابل حصانين فقط ومئة من لابسى الدروع فى جيش المسلمين .

ولما اشتد عود دولة الاسلام وسارت قدما فى طريق تثبيت كيانها تمكنت من ان توفر جيشا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل ارسلهم الرسول فى السنة الثامنة للهجرة الى مؤتة ووجههم بعد ذلك الى مكة لفتحها .

كان المقاتلون الذين اشتركوا فى هذه العمليات العسكرية من الرجال المدنيين الذين لم يتلقـوا تدريبا عسكريا خاصا ، ولكن طول تمرسـهم بالحرب واسهامهم فى اكثر من معركة اعطاهم الخبرة والدراية وجعلهم على مستوى عال من الكفاية والقدرة .

أعداد الجيوش فى زمن الراشدين

وفى زمن الراشدين تزايدت أعداد الجنود حتى بلغ عدد افراد الجيش الذى خاض معركة اليرموك، على حد زعم بعض المصادر ، سبعة وعشرين الف مقاتل ، انضم اليهم تسعة آلاف آخرون بقيـادة خالد بن الوليد . واذا كانت هناك شكوك حول هذا الرقم ، سيما وان بعض المصادر كتـاريخ الطبرى وغيره تبالغ فى عدد جيش الروم الذى خاض العرب هذه المعركة ضده مبالغة شـديدة ، فان هذه الشكوك لاتصح بالنسبة لاخبار الفتوحات الاخرى الا ان الاعداد التى تذكرها المصـادر اعداد معقولة ولا تصل الى هذا الحد .

البصرة نشأت من مضارب خيام ايـام عمر

وكلما تقدم الزمن بالدولة الاسلامية وازداد عدد رعاياها من العرب وغير العرب ازداد عـدد افراد جيشها . ففى العراق مثلا كانت العملية

عربيا صافيا، ثم دخله المرتزقة من الفرس والأتراك

التي تعسكر في موقع البصرة أيام عمر بن الخطاب لا تتجاوز الثمانمئة مقاتل تصحبهم أزواجهم وأولادهم . وكانوا لذلك جميعهم يسكنون في خيام ضربت لهم في هذا الموقع . ولما ازدادت أعدادهم وتكاثروا بنيت لهم القرى ، وما لبثت هذه القرى ان تقاربت والتحمت حتى شكلت مدينة واحدة كبيرة هي مدينة البصرة . وهكذا ، وفي أقل من ربع قرن ، انتقلت البصرة من أرض خراب ضرب عليها عدد من الخيام الى مدينة كبيرة يقطنها ثمانون ألف رجل قادرون على حمل السلاح، ومئة وعشرون ألف امرأة وطفل وشيخ ، كما يدل احصاء اجري زمن ولاية زياد بن أبيه عليها .

وكما نشأت البصرة ، نشأت الكوفة

وما قلناه عن نشأة البصرة يصح على الكوفة فقد بدأت الكوفة حياتها كمعسكر ضربت فوقه خيام الجنود المعتدين للعمليات العسكرية على الحدود الشرقية ، وما لبثت ان اصبحت مدينة كبيرة تضم ستين الف مقاتل ومائتين الف طفل وامرأة وشيخ .

جيش اموي قوامه ٤٠٠٠٠ رجل

وكدليل على القوة الهائلة في الرجال التي كانت تتوفر في الجيش الاسلامي زمن الامويين يمكننا ان نذكر ان الدولة الاموية استطاعت ان توفر في العام ٩٦ للهجرة جيشا مؤلفا من أربعين الف جندي من قبائل البصرة الخمس فقط من أجل عملية عسكرية واحدة قامت بها في خراسان. وقد عرف الجيش القبلي المؤلف من رجال القبائل البصرية الخمس (وهي قبائل : عليه ، وبكر ، وتميم ، وعبد القيس ، والأزد) باسم جيش الاخماس ؛ كل خمس يشكل وحدة مستقلة لها آمرها .

الجيش العربي تدخله عناصر غير عربية

وقد ظل الجيش الاسلامي جيشا عربيا صافيا حتى تم للمسلمين فتح فارس ، وانضوى أهلها تحت لواء الاسلام، فدخل بعضهم الجيش الاسلامي كمتطوعة ، ودخله بعضهم كجنود مرتزقة . كما دخلته بعد فتح بلاد ما وراء النهر اعداد من سكان بخارى وخوارزم وكش ونسف تقدر بعشرين الف مقاتل اجبرهم القائد الاموي قتيبة بن مسلم الباهلي ان يترجموا مع بقية عناصر جيشه الى الشاش (طشقند الحالية) لفتحها وضمها الى جسد الامبراطورية الاسلامية . وهكذا ، ومنذ عصر الفتوحات اخذت الصفة العربية تزول عن الجيش الذي دخلته عناصر مسلمة غير عربية فاصبح جيش الاسلام اكثر منه جيش العروبة .

ولا بد من التفريق هنا بين من حملوا لواء الدفاع عن الاسلام في اول عهده وبين الذين سيقوا فيما بعد الى ميادين القتال ، اما مكرهين او طامعين في مغنم او غنيمة . فقد كان حملة الاسلام الاول زاهدين في كل ما قد يجلبه لهم الجهاد من مغنم ، وكثيرا ما كلفهم الجهاد اموالهم وممتلكاتهم الى جانب ارواحهم ، وحديث عثمان بن عفان وجيش العسرة ليس هنا بغريب، ومع تقادم الزمن اخذ الدافع الذي يتسرب الى نفوس عدد كبير من المقاتلين فساقوا الى الحرب لتحلم احلام الثراء لا الرغبة الصادقة في الله وجه يغزلهم وجنات خلده . ومن هنا ، من هذا التحول الذي اصاب نفوس عدد كبير من الذين الت اليهم راية الجهاد ، الى جانب ضغط الحاجة المادية ، كان لا بد ان يقام ديوان للجند تدون فيه اسماء المقاتلة وارزاقهم .

ديوان الجند ، واعطية وعرافات

وكان عمر بن الخطاب اول من حقق هذا العمل الكبير ، واليه يعود الفضل في تنظيم الناس في طبقات ، وتقدير العطاء الواجب لهم حسب سابقتهم في الاسلام وقرابتهم من رسول الله وبلائهم في الجهاد . وقد قسم الجيش من اجل هذا الغرض الى « عرافات » او زُمر اختلفت في عددها حسب تطور الزمن ونظام التعبئة ، فقد كان عدد افراد كل « عرافة » اول الامر عشرة اشخاص ، ثم اصبح زمن عمر بن الخطاب ثلاثة واربعين رجلا ، يقابلهم عدد مماثل لهم من النساء والاطفال . وكان عطاء كل عرافة على زمنه مئة الف درهم في العام .

وقد ازداد هذا العدد بعد معركة القادسية اذ دخلت الجيش عناصر غير عربية فاصبح عدد افراد العرافة الواحدة اكثر من ثلاثة واربعين الا ان عطاءهم ظل على حاله .

رتب الجيش

وفي ظل الخلافة العباسية قسمت وحدات الجيش تقسيمات جديدة وأصبح كل تسعة جنود تحت إمرة شخص عاشر له رتبة عريف . ويعلو العريف في الرتبة شخص اسمه الخليفة ويتبعه خمسون جنديا (أي خمس عرافات) ويعلوه القائد وتحت إمرته مئة جندي . وطبيعي أن يكون القائد أعلى رتبة من العريف والخليفة .

تأمين أعطية الجنود

وكانت أعطيات الجند تدفع أول الأمر من الغنائم التي تقع في يد الجيش بعد المعركة . وحين قلت الغنائم وأصبحت الدولة في تأمين مصروفاتها على الضرائب تجبيها من سكان البلاد المفتوحة ، وقع العبء على بيت المال في تأمين عطاء الجند . وقد لجأت الدولة في بعض الأحيان إلى منح جنودها المساكن وغيرها البرازين الإقطاعات مقابل خدماتهم العسكرية . ولم يعمل بنظام الإقطاعات العسكرية على مقياس واسع في أيام الدولة الإسلامية الأولى ، ولم ينتشر هذا النوع من العطاء إلا زمن الدولة السلجوقية .

أعطية الجنود عبء على خزانة الدولة

وهكذا أصبح عطاء الجند منذ زمن الأمويين عبء خزانة الدولة الرئيسي . وكمثال على مقدار ما كان يدفع للجندي مقابل خدمته في الجيش يمكننا أن نذكر أنه كان في مصر أثناء حكم معاوية ابن أبي سفيان حامية مؤلفة من أربعين ألف مقاتل كان يدفع لكل فرد من أفرادها مقدار مئتي دينار سنويا ، مما أدى إلى استنزاف معظم واردات ولاية مصر ، وعدم وصول شيء مما يجبى منها إلا اليسير إلى بيت مال المسلمين . وكان الحال مماثلا في سورية ، فقد كانت بلاد الشام مقسمة إلى أجناد ، ولكل جند حامية ، ويقع على عاتق الخزانة المحلية دفع عطاء أفراد هذه الحامية .

القبائل تزود الخلافة بالجند

وحتى تضمن الخلافة الأموية مددا دائما من الرجال فقد لجأت إلى عقد معاهدات مع شيوخ بعض القبائل العربية في أنحاء الإمبراطورية تدفع الدولة بموجبها لهؤلاء الشيوخ مبالغ من المال مقابل تزويدها بأعداد محددة من المقاتلين حين تدعو الحاجة لذلك . ومن هذا القبيل الاتفاق الذي عقدوه مع بعض القبائل القحطانية التي كانت تنزل في سورية والذي كان ينص على أن تزودهم هذه القبائل بألفي مقاتل مقابل أن يدفعوا لشيخ القبيلة مليوني درهم ، وأن يضمنوا له حق تعيين من يريد ليخلفه منصبه بعد وفاته . وقد وسع الخليفة يزيد الثاني حدود هذا الاتفاق فجعله يسري على بعض القبائل النازلة في أرض عمان التي رضيت أن تمده بثلاثة آلاف مقاتل حين يطلب إليها ذلك .

واستمر العمل بهذا النظام زمن بني العباس ولا سيما في عهد خلفائهم الأول الذين أقاموا معاهدات مماثلة مع شيوخ بعض القبائل . وفي خلافة المعتصم بنيت مثلثية على الحدود البيزنطية ونقل إليها أربعة آلاف محارب من رجال القبائل العربية النازلة في العراق . وقد منح الخليفة كل رجل منهم مبلغ عشرة دنانير علاوة على عطائه المقرر ، كما منح كلا منهم مئة دينار هبة لا تدخل في حساب ما هو مقرر لهم من مصاريف . وكانت العادة أن القبيلة التي لا تنفذ اتفاقها مع الخليفة وترسل رجالها للانضمام للجيش تجبر على دفع مبلغ من المال يستعمل لاستئجار آخرين يحلون محل أفراد القبيلة التي امتنعت عن تنفيذ الاتفاق . وكان على كل من يتقاضى العطاء والأرزاق من الدولة أن يكون على أهبة الاستعداد دوما لتلبية ندائها حين تدعوه للانخراط في صفوف الجيش وحمل السلاح ، وإذا تلكأ فمن حقها أن تجبره على ذلك .

فئتان إلى جانب الجيش : المرتزقة والمتطوعة

وقد وجد إلى جانب هذا الجيش النظامي الذي يتقاضى أفراده رواتبا دائما فئتان من المقاتلة : فئة المرتزقة وتدعى للخدمة عند الحاجة مقابل أجر معين وتصرف بانتهاء الحاجة إليها ، وفئة المتطوعة التي تسارع للانخراط بالجيش وتحمل السلاح بدافع الحماس والإيمان وحب الجهاد . وهذه الفئة الأخيرة لا تتقاضى من الدولة شيئا ، وتتحمل هي نفقات السلاح وعدة الحرب وقد تشارك في مصروفات المعركة وتجهيز المرتزقة أو تتبرع بنصيبها من الغنائم إلى بيت المال .

العهد العباسي اعتمد على الجيش الخراساني

ومنذ أوائل العهد العباسي أصبح الاعتماد على العناصر غير العربية في الجيش ، حجر الأساس في سياسة الدولة العسكرية . فقد كانت الخلافة منذ الدور العباسي الأول تعتمد على جيش رجال القبائل الخراسانية الذي ألفه أبو مسلم الخراساني واستعمله لاستلاب السلطة من البيت الأموي . وقد وصل عدد أفراد هذا الجيش في الحربات أيام أبي مسلم الى ما يزيد على السبعة الآف مقاتل تمنحهم الدولة بين الحين والآخر هبات مالية غير كبيرة . وقد ازدادت أعداد أفراد الجيش الخراساني مع مرور الأيام بعد انضمام اليهم من رجال الجيش الأموي المهزوم ، وظلت الدولة العباسية تعتمد على جيش القبائل الخراسانية هذا وتستعمله في عملياتها العسكرية ومن أجل حماية الخلفاء أنفسهم مدة قرن تقريباً .

جنود مرتزقة من الترك

وفي حوادث العام ١٩٣ هـ يذكر لنا الطبري ولأول مرة أخبار عن جنود مرتزقة من الترك حاربوا الى جانب رافع بن الليث في ثورته ضد المأمون الذي كان على رأس جيش الخلافة . ومن ثم وبعد سنتين من هذا الحادث نقرأ عن فرقات من الترك والخوارزميين والبخاريين تحارب في صفوف جيش المأمون ابان الصراع بينه وبين أخيه الأمين من أجل السلطة .

عناصر فارسية تدخل جيش الدولة

ولما آلت الخلافة الى المعتصم سنة ٢١٨ هـ ٨٣٣ م [illegible] فئات من العناصر الفارسية التي كانت في جيش الدولة واعلنت عصيانها على الخليفة الجديد وتأييدها للعباس بن الخليفة المأمون .

المعتصم يستغني عن خدمات العرب في جيشه

وبعد أن قضى المعتصم على هذا العصيان بمساعدة العباس نفسه شعر أنه لا بد له من التخلص من العنصر الفارسي في جيشه والاستعاضة عنه بعنصر جديد أكثر ولاء لشخصه فلجأ الى القبائل التركية النازلة في شرقي فارس ، واشترى عددا كبيرا من أفرادها ، وجاء بهم الى بغداد ، وجعل منهم حرسه الخاص ونواة الجيش الجديد الذي أسكنه بغداد أول الأمر ، ومن ثم نقله الى القاطول ، وبعدها الى سامراء ، العاصمة الجديدة . واضطر المعتصم بنتيجة هذا ، وبسبب عدم ثقته بعناصر جيشه الأخرى والأعباء المالية التي يتطلبها تشكيل الجيش الجديد ، الى شطب أسماء الجند العرب من ديوان الجند في مصر والاستغناء عن خدماتهم .

وظلت الادارة العربية في مصر لا تستعمل الجند العرب في جيشها حتى ولاية أحمد بن طولون الذي عاد ــ على حد زعم المقريزي في خططه ــ الى استخدامهم .

واعتمد المعتصم على عناصر أخرى غير الترك

على أن المعتصم لم يعتمد على الأتراك وحدهم ، بل استعان ببعض العناصر الأخرى ولا سيما المغاربة الذين شكل منهم فرقا خاصة شاركت جيشه التركي في حصار عمورية سنة ٢٢٣هـ ٨٣٨م . كما شكل فرقا من الفرغانيين والمصريين والعبيد وغير ذلك .

تسلط الأتراك بعد مقتل المتوكل

وقد أدى التفريق في المعاملة المالية بين رجال الفرق المختلفة زمن المتوكل ، الذي كان يحابي الشاكرية ويفضلهم على الأتراك والمغاربة ، الى اضطرابات دامية كلفت المتوكل حياته . فقد قتل بيد أحد قواد الأتراك المسمى باغر ، وكان مقتله فاتحة عصر طويل من التسلط التركي كان خلاله القواد الترك يعينون الخلافة لمن يريدون ويحجبونها عمن يريدون . وحديث خلفاء الدور العباسي الثاني ، الذين سملت أعين الكثيرين منهم ، أو حبسوا في السجن حتى ماتوا ، ليس بغريب عن الكثيرين منا .

اقطاعات عسكرية

وقد أصبح هذا العدد الكبير من الأتراك عبئاً ثقيلا على خزانة الدولة مما اضطرها في بعض الأحيان الى منحهم الاقطاعات العسكرية للتخلص من دفع رواتبهم . وظل العمل بنظام الاقطاع قائما حتى زمن السلاجقة الذين طوروه واستخدموه على مقياس واسع . ففي سنة ٤١٥ هـ أقطع

السلطان السلجوقي محمود مدينة الموصل والأراضي المحيطة بها الى الأمير آق سنقر مكافأة له من أجل بعض الأعمال العسكرية التي قام بها. ولم يلبث هذا النظام أكله وأدى الى انحطاط الزراعة وافقار الفلاحين وخراب أبنية الري لجهل المقطعين بأساليب العمل الزراعي مما اضطر الدولة الى العدول عنه .

البويهيون بعد الأتراك

والمهم أن البويهيين الذين خلفوا الأتراك في السيطرة على الجيش وبالتالي على الخلافة لم يكونوا أحسن حالا من سابقيهم ، وظل العمل العسكري من اختصاص فئات أجنبية متسلطة تستأثر بالنصيب الأوفر من موارد الدولة وتعرقل سيرها وتفرض ارادتها الطائشة على الخلافة والخلفاء والأمة أجمع .

السلاجقة بعد البويهيين

وفي عهد السلاجقة الذين انتزعوا السلطة والسلطان من البويهيين بنيت السلطة السياسية على أساس من القوة العسكرية مما اضطرهم الى تقوية جيشهم وزيادة عدده حتى بلغ على حد زعم نظام الملك ، الوزير السلجوقي ، أربعمائة ألف مقاتل .

رؤساء الجيش ومراتبه

كان الخليفة ، باعتباره خليفة رسول الله ، القائد الأعلى للجيش ، واليه يعود أمر تسييره واعلان الحرب وتدبير العدة والسلاح . ويلي الخليفة من الرئاسة العسكرية القادة يتولون سلطاتهم بأمر منه . وكثيرا ما كان الخلفاء يعهدون بالقيادة الى أبنائهم أو بعض أفراد أسرتهم شريطة أن يكونوا من ذوي الخبرة في القتال والبأس في مواجهة الأعداء . ويعين قادة الجيوش قوادا يأتمرون بأمرتهم ويشرفون على سير عمليات القتال. وقد جرت العادة أن يقود رؤساء القبائل أو من ينوب عنهم أفراد قبائلهم أثناء المعركة وذلك تحت امرة القائد العام الذي كان يعرف باسم الأمير .

وتنسب الى عمر بن الخطاب فكرة ترتيب الجيش في مراتب ، ويقال انه كتب الى قائد جيشه في فارس ، وكان حينئذ في القادسية ، يأمره أن يقسم الجيش الى عشرات وأن يعين عليهم العرفاء والأمراء . وكان يلي الأمير في الرتبة أمراء وحدات التعبية ويليهم العرفاء ، وحملة الرايات ، وأخيرا الرؤساء القبليون . ويبدو أنه كان هناك أمراء خاصون لفرق الخيالة ولكن ليس لدينا ما يساعدنا على تحديد وضعهم ومراتبهم .

والى جانب القادة المحاربين ، كان الجيش يضم عددا من الأشخاص الذين تعتبر خدماتهم متممة لعمل القادة وهم : الأطباء ، والقاضي الذي كان من أهم واجباته الاشراف على توزيع الغنائم وضمان العدل في هذا التوزيع ، والداعية الذي كان عليه أن يحمس الجنود ويدفعهم للقتال ويشرح لهم الهدف الذي من أجله دعاهم الخليفة لهذه المهمة ، والرائد الذي يتقدم الجيش ويختار له قبل وصوله مكانا لنزوله تتوفر فيه شروط المخيم الجيد الأمين . هذا الى جانب ترجمان يحسن لغة العدو، وكاتب يتولى مراسلات الجيش.

التشكيل العسكري : خماسي

وكان التشكيل العسكري الأكثر شيوعا عند العرب ، سواء أثناء العرض أو السير أو القتال، هو التشكيل المعروف باسم التعبية . وبموجب هذا التشكيل ينقسم الجيش الى خمسة أقسام وهي : القلب والجناح الأيمن والجناح الأيسر والمقدمة والساقة . ويضم كل قسم رجالا من نفس القبيلة أو على الأقل من قبائل صديقة . وكان مكان الأمير في القلب ومعه رجال حاشيته ، أما معاونوه فكانوا في الجناحين الأيمن والأيسر . وتتكون المقدمة من رجال الطليعة الأشداء الذين يترأسهم قائدهم ويميزهم علمهم الخاص . أما الساقة فكانت مهمتها حماية الجيش وحمل الزاد والذخائر والعتاد وأدوات الحصار الثقيلة .

وحدات في الجيش منفصلة

والى جانب هذا التشكيل الخماسي الذي كان يتألف منه الجيش كانت هناك وحدات منفصلة أهمها الفئة التي كانت تسمى بالجريدة ، وهي فئة خفيفة الحركة تعتمد على الأسلحة الخفيفة وتنتقل الى ميدان المعركة بسرعة . وفئة الطلائع التي هي عبارة عن فريق من الكشافة تسبق الجيش في سيره وتتعرف على أوضاع العدو ، وتستطلع أخباره، وقد تناوشه لتختبر مدى قوته.

التشكيل الخماسي منذ أول الاسلام

وكانت الأقسام الخمسة الرئيسية للجيش

قاتل أحيانا وهي متلاحمة متراصة الصفوف ، أو تقاتل منفصلة حسب ظروف المعركة وما يراه قائدها لضمان النصر . وقد استعمل هذا التشكيل الخماسي منذ الأيام الأولى لدولة الإسلام ، فسار عليه المسلمون في بدر واعتبر حينئذ اتجاها جديدا في عالم التكتيك العسكري . وظل استعماله شائعا لقرون طويلة فيما بعد ، ورغم ما أدخل عليه من تعديل وتطوير فقد ظل هو الأساس المعتمد في أغلب المعارك الكبيرة التي خاضتها جيوش إسلامية في مختلف العصور .

الشعراء في المعارك

ولقد جرت عادة العرب الأوائل أن يصحبوا معاركهم بوقوف الشعراء منشدين الشعر الحماسي، مذكين نار الحمية في نفوس المقاتلين ، مذكرين بأمجاد الآباء والأجداد .

المبارزة قبل بدء القتال

وكان من تقاليدهم أيضا أن يخرج أبطال الفريقين للمبارزة قبل بدء القتال . وقد اتبع هذا التقليد منذ الجاهلية وظل شائعا بعد قيام الإسلام واستعمله بعض القادة في معاركهم مع البيزنطيين .

تطور الأسلحة عند العرب

ولا بد لنا في نهاية هذا العرض السريع للتنظيم العسكري في الإسلام من أن نذكر أن الجيش الإسلامي الأول كان يفتقر إلى السلاح افتقاره إلى الرجال ، وأن الزمن والتطور والتقدم في الميدان العسكري والاتصال بالأمم الأخرى كانت كلها عوامل ساعدت على تطوير السلاح العربي حتى أصبح في المكان الأول بين أقرانه . ولقد كانت الأسلحة التي تستعملها فرق المشاة في أول الأمر لا تعدو الحراب والرماح والسيوف ، وكانت أسلحة الفرسان تتألف من القسي والحراب أو السيوف . ويرد في بعض المصادر ، كتاريخ ابن الأثير ، ذكر المقاليع التي كان يحملها بعض المحاربين ، ولكنها لم تكن على ما يبدو سلاحا أساسيا من أسلحة المعركة .

وكان المحارب يرتدي الخوذة والدرع ، ويحمل الترس لحماية نفسه من طعنات وسهام العدو . والطريف أن المحاربين الذين كانوا يبعثون في مهمات معينة كانوا يحملون معهم الخيوط والإبر والقصبات والمخارز وغير ذلك من أدوات قد يحتاجونها في غيبتهم الطويلة .

وكان القادة والأمراء يرتدون دروعا سابغة تشير إليه بعض المصادر باسم التنور . وكثيرا ما كان الدرع الطويل عبئا ثقيلا على لابسه يعيقه عن الحركة ويمنعه عن العمل السريع .

وظل السيف والترس السلاح الوحيد للمبارزين . وكان السيف يحل دوما محل القسي والسهام في عمليات القتال القريب والالتحام . وقد يستعاض عن السيف في بعض الأحيان بالخنجر . وهناك نوع خاص من الخناجر تدعوه المصادر باسم الدبوس .

سلاسل من القلاع عند الحدود

ومن أجل العمليات العسكرية الطويلة الأمد بنى العرب سلسلة من القلاع العسكرية على الحدود التي تفصلهم عن أعدائهم ولا سيما الحدود مع بيزنطة . وكانت هذه القلاع ، أو بالأحرى المدن العسكرية ، تعرف باسم العواصم .

كما حفروا الخنادق وعسكروا فيها لمدة قد تطول أو تقصر حسب متطلبات المعركة وظروفها . وغني عن القول أن الرسول الكريم كان أول من استعمل الخندق في عملية عسكرية في الإسلام ، وأنه قبل في هذا نصيحة صاحبه سلمان الفارسي لحمي المدينة من شر الغزاة المهاجمين . ولقد استعمل الخندق بعد هذا كتدبير أساسي في عملية تحصين المدن التي كانت في خطر من هجوم الأعداء.

وبنوا الأسوار حول المدن

وكانت أسوار المدن تبنى لبنة من مواد صلبة وتغشى بألواح من الخشب لتقاوم ما ترميها به أدوات الحصار الثقيلة . أما البوابات والأقسام الأخرى من السور التي قد يتسلل منها العدو فكانت تحصن بالمنجنيقات والمقاليع الكبيرة لرمي الحجارة على من يهاجمها . وكانت تخصص فرق من الجيش لحفر الخنادق وتركيب أدوات الحصار ، وتعتبر هذه الفرق ملحقة بالجيش ، وإذا لم تتوفر فعلى فئات الجيش نفسه أن تقوم بهذه الأعمال .

المنجنيق والمقلاع

إن المنجنيق والمقلاع من أقدم الأدوات التي استعملها الجيش الإسلامي في أعمال الحصار .



المنجنيق .. والقلاع .. والدبابات الخشبية من اقدم الادوات التي استعملها الجيش الاسلامي في وسائل الحصار

وقد استعملا في حصار دمشق سنة ١٣ هـ ، كما استعملها محمد بن القاسم في حصار الديبل في بلاد السند . وكان لمحمد بن القاسم هـذا منجنيق مشهور يدعوه « العروس » يعمل على تحريكه والرمي به طاقم من الجنود عددهم خمسمائة جندي . وكانت المهمة الاساسية للمنجنيق كسلاح رمي الحجارة الثقيلة على اسوار العدو وما وراءها . وقد استعمل في بعض الاحيان لرمي النار والنفط المشتعل على العدو . ويقال ان الرشيد في حصار هرقلية كان يرمي على الروم حجارة مخلوطة بالكبريت والنفط بعد ان يلفها بقطع من قماش الكتان ويضرم فيها النار . وكانت هذه الكتل المشتعلة تعلق باسوار العدو التي ما تلبث ان تتصدع بفعل الحرارة الشديدة . وقد الحقت بالجيش فيما بعد فرق خاصة يعرف افرادها باسم « النفاطين » ومهمتهم تحضير هذه الكتل من الحجارة الملتهبة ورميها ، أو اطفاء الحرائق التي قد يتعرض لها معسكر المسلمين اذا ما رمي بنار مماثلة .

وفي بعض معارك صلاح الدين الأيوبي ضد الصليبيين استعمل الجيش الاسلامي ولأول مرة آلة حربية جديدة هي « الزيار » ، ويبدو انها آلة تستطيع رمي اعداد كبيرة من السهام الثقيلة دفعة واحدة مما لا يستطيعه رماة الأسهم باليد . ويذكر ابن الاثير اسم نوع من القسي الكبيرة التي تستعمل باليد وتستطيع اطلاق السهام الثقيلة . وهذا النوع هو « الزنبورك » الذي ظل شائعا لامد طويل والذي يستمد اسمه من طنين النحل للتشابه بين صوت السهام وصوت النحل الطائر .

الدبابات

ومن الآلات التي كانت تستعمل في الحصار الدبابة وعملها الاساسي الهجوم المباشر على اسوار المدن المحاصرة . والدبابة نوع من البرج الخشبي المتحرك ذي طبقات عديدة في كل منها عدد من الرجال المجهزين للانقضاض حتى جاء الوقت المناسب . وكان سلاح الرجال الموجودين في الطبقة السفلى من الدبابة المعاول والمثاقب ويستعملها هؤلاء لهدم السور المهاجم أو لاحداث ثغرة فيه ينفذ منها رجال الجيش الصديق . اما الموجودون في الطبقة العليا فكان سلاحهم القسي والسهام ومهمتهم حماية رجال الطبقة السفلى اثناء عملهم ورمي جنود الاعداء المنتشرين في اعلى السور . ويسير عمل الرجال الموجودين داخل الدبابة مع عمل فريق « النقابين » الذين تنحصر مهمتهم في حفر نفق تحت السور ينفذ منه المقاتلون ، ويحميهم اثناء اداء مهمتهم هذه فريق من رماة السهام يقيمون سدا من سهامهم بينهم وبين رماة العدو . وقد استعمل الكبش أيضا في الحصار ، واذا كان السور اقوى من كل هذه الوسائل كان المقاتلون ينصبون السلالم الطويلة ويصعدون عليها ويقوم الرماة بتأمين الحماية الارضية لهم .

وبعد فهذه هي بعض نواحي التنظيم العسكري في الإسلام أعلم أني لم اوفها حقها ، فالبحث اطول من ان تستوعبه صفحات قليلة . ولاعترف أن نواحي كثيرة ظلت دونما معالجة ولم تحظ حتى باشارة . وعذري أني لم اغفلها جهلا باهميتها ولكن ضنا بوقت القارىء الكريم فقد اتسع الحديث وتشعب .

نبيه عاقل ■■



أبو تمام

• الكلاسيكية انتهت بانتهاء القرن التاسع عشر

بقلم : انيس المقدسي
استاذ اللغة العربية وآدابها بالجامعة الاميركية (سابقا) بيروت

ليس غرضنا في هذا المقال أن نتحدث عن الشعر العربي وعصوره التاريخية ، فقد كثر الكلام في ذلك حتى لم يبق بعد مجال لمتكلم . وانما هي نظرة في الشعر من حيث هو فن ذو أطوار يتميز كل منها بطابعه الخاص .

وسنحصر حديثنا في ثلاثة منها هي الكلاسيكي والرومانسي والرمزي. ولقد وضع البعض للأولى اسمين عربيين فترجموا الكلاسيكي بالتقليدي أو الاتباعي أو الأصولي، والرومانسي بالحر أو الابداعي . على أننا سنحافظ هنا على ما اصطلح عليه النقاد في جميع اللغات ايثارا للوضوح في الكلام .

الكلاسيكية

ولنبدأ بالقول ان الكلاسيكية لا تنحصر في عصر من العصور التاريخية . فشعراء الجاهلية مثلا كلاسيكيون بالنسبة الى العباسيين ، وهؤلاء كلاسيكيون بالنسبة الى أهل هذا العصر . بل الشاعر الواحد قد يكون أصوليا متبعا حينا ، وحرا مجددا حينا آخر . خذ شاهدا على ذلك أبا نواس . فهو في مدائحه ومراثيه لا يخرج عن طريقة من سبقه ، ولكنه في خمرياته يحاول الخروج منها فيستهزىء بالذين يقفون على الطلول ويصرفون الشعر في وصف الحياة البدوية. ومثله أبو تمام والبحتري وابن الرومي والمتنبي والمعري وسواهم من نوابغ الشعر القديم — كل منهم على كونه يسير على الجادة العامة ، يخرج منها أحيانا ويسير في طريق خاصة يعرف بها ويصدق هذا القول على كثيرين من قدماء ومحدثين.

على أننا لا ننكر أن الكلاسيكية تطبع أدبنا القديم بطابع عام . فما هو هذا الطابع وكيف نحدده ؟

ولعل أول من حدده لنا هو ابن قتيبة في مقدمة كتابه « الشعر والشعراء » إذ قال « سمعت



• الرومانسية قيثارة الأسى والألم ...

• الرمزية موسيقية الأساس، إيحائية اللفظ

بعض أهل العلم يقول ان مقصد القصيدة انما ابتدأ بذكر الديار والدمن والآثار ، فشكا وبكى وخاطب الربع واستوقف الرفيق ، ليجعل ذلك سببا لذكر اهلها الظاعنين ، ثم وصل ذلك بالنسيب ، فشكا ، شدة الشوق وألم الوجد والفراق وفرط الصبابة ، ليميل نحوه القلوب ويصرف اليه الوجوه ويستدعي بها اصغاء الاسماع اليه . فاذا علم أنه قد استوثق من الاصغاء اليه ، عقب بايجاب الحقوق ، فرحل في شعره ، وشكا النصب والسهر وسرى الليل واحلاء الرحلة

فاذا علم انه قد أوجب على صاحبه حق الرجاء وذمام التأميل ، وقرر عنده ما ناله من المكاره في المسير ، بدأ المديح . فالشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب وعدل بين هذه الاقسام ، ولم يطل فيمل السامعين ، ولم يقطع والنفوس ظماء الى المزيد »

« خصال الشعر » القديم عند المرزوقي

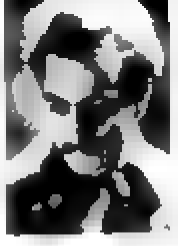
فهذا نحن امام طريقة كان يفرض على الشعراء سلوكها ، وقد حددها لنا ابن قتيبة وهو من أهل القرن الثالث الهجري ، وظلت متبعة حتى عهد قريب . الا انها تغيرت قليلا مع الزمن من حيث معالمها الرئيسية . فأصبح النقاد القدماء يتحدثون عما يسمونه « عمود الشعر » ويعنون بذلك صحة المعنى ، والاصابة في الوصف ، وعدم الهجنة في اللفظ ، وتناسب الاستعارة ، ومشاكلة اللفظ للمعنى ، واقتضاؤها للقافية ، وما الى ذلك من صفات . هكذا يحددها لنا المرزوقي في شرحه ديوان الحماسة ثم يقول « فهذه الخصال هي عمود الشعر عند العرب ، فمن لزمها بحقها وبنى شعره عليها ، فهو عندهم المفلق المعظم ، ومن لم يجمعها كلها فبقدر سهمته فيها يكون نصيبه من التقدم والاحسان »

واذا التفت الى كل ذلك ما دخل عمود الشعر من أصول التفنن البديعي استطعت ان تقول ان الطريقة الكلاسيكية في الشعر العربي هي على العموم – الابتداء بالغزل وقوفا على الدمن والآثار ، أو تشبيبا بالحبيبة الراحلة ، والافتنان بوصف اشواق الفؤاد وما يحمله من ألم البعاد ، ثم حسن التخلص الى الغرض المقصود من مدح أو سواه على ان يراعى في كل ذلك حسن البيان وطلاوة اللفظ وملاءمته للمعنى والقافية .

وعلى هذه الحال وصل الشعر الى عهد اليقظة في القرن التاسع عشر فتناوله رواد النهضة ، ولكنهم مع تحسينهم لديباجته ، بعد أن غشيه

الفساد في عصر الانحطاط ، ظلوا يتبعون الطريقة القديمة . ولم يحدث تجديد يذكر حتى أوائل قرننا الحالي . ففي مطلع هذا القرن كان الشعر العربي يمخض بحركة جديدة . ولم يمر عليها غير بضع سنوات حتى ظهرت . ثم أخذت بعد الحرب العالمية الأولى تتسع وتنتشر . فانقسم الأدباء من جرائها قسمين ـ أحدهما محافظ يحاول التمسك بالقديم ، والآخر مجدد يطلب نبذ القديم والأخذ بما تتطلبه الحياة الجديدة . وقد اشتدت الخصومة بين الفريقين ، ثم انبعث من الجمود شعراء متأثرين بأدباء الغرب وخصوصا شعراء القرن التاسع عشر منهم ، مما أدى الى دخول الشعر في طور جديد هو الطور الرومانتيكي في أدبنا الحديث .

الرومانتيسية في الشعر العربي


جبران خليل جبران

وهي حركة شعرية يراد بها التحرر من قيود الأصول التقليدية . وبكلمة أخرى هي انطلاق الشخصية على سجيتها حرة من كل عرف جرى عليه الناس ، أو طريقة تواضعوا على اتباعها . أي تدعو الى حرية التعبير وبساطته وبعده عن الأوضاع المصطنعة . ومن مزاياها أنها تعيش هائمة في عالم خيالي بعيد عن الواقع ، بل هي ترى الواقع موحشا فتفر منه الى جنة تشيدها الأحلام حيث تجد الهناء والراحة والسلام .

ومن مزاياها تقديس الطبيعة والتغني بجمالها ـ كما فعل جبران اذ قال مخاطبا الأرض : « ما أكرمك أيتها الأرض وما أطول أناتك . نحن نجدك ، وأنت تباركين . نحن ننجس وأنت تطهرين . نحن نهجع ولا نحلم ، وأنت تحلمين في سهرك السرمدي . نحن نكلم صدرك بالسيوف ، وأنت تضمدين كلامنا بالزيت والبلسم . نحن نستودعك الجيف ، وأنت تملئين بيادرنا بالأغمار ومعاصرنا بالعناقيد ، نحن نصبغ وجهك بالدم ، وأنت تسلين وجرحنا بالكوثر . نحن نتناول عناصرك لنصنع منها المدافع والقنابل ، وأنت تتناولين عناصرنا وتكونين منها الورود والزنابق » .

ومثل نظرها الى الطبيعة نظرها الى الحياة الريفية وما فيها من بساطة وهناء وراحة . وهي تسير مع الفلاح الذي يتعب ليستخرج الخير من الأرض ولكنه لا ينال منه شيئا كقول أحمد الصافي النجفي :

رفقا بنفسك أيها الفلاح
تسعى وسعيك ليس فيه فلاح
عملي الجراح براحتيك عميقة
وطرحا لك في الفؤاد جراح
عرق الجبين يسيل منك لآلئا
ليزان منه للغني وشاح

وأقوال الشعراء في الطبيعة والحياة الريفية كثيرة لا يمكن حصرها في مقال .

الرومانتيسية والمثل العليا

ومن مزايا الرومانتيسية ـ الارتفاع بالخيال الى المثل الانسانية العليا . فالشاعر ينشد الجمال المعنوي كما ينشد الجمال الطبيعي . وكما يتأثر بالمحاسن البشرية والطبيعية فيعزف تأثيرها على أوتار وهيمنة النغم ، يتأثر بمحاسن المثل الانسانية ، فكثيرا ما نراه محلقا في عالم من أحلامه حيث يسحره جمال المحبة والخير والحق والحرية فلا يتورع عن أن يخاطب القوة المادية الطاغية بقوله :

أيها القوة مهلا فاحذري
ان في التاريخ للناس مخبر
والى أمسي قليلا وانظري
ومحى سري لترى فيه العبر
كم هوت من قوة قبل الأجل
وعروش وشعوب ودول
بعدما صالوا بجند وخول
أنهم بالسيف عاشوا وقبروا
وبه أيضا من الأوج هووا

أجل هووا الى مهاوي التاريخ حيث تطوى أمجاد القوى الغاشمة .

عهدنا السيف سيطويه التراب
عهدنا المدفع يصدا في الظلام
عهدنا الرمح سيبلى والحراب
ويظل الفخر في جوف الرغام
ليس للقوة سلطان الوجود
ليس للسيف التلكي أو للجنود
انما الحق سيعلو ويسود
أيها القوة هلا تعقلين
عرفا ، الحكمة عمر العالمين

ولكنه لا بد من أن يرجع الى الأرض وهنا يصطدم بالواقع المرير ، فاذا بأحلامه تتلاشى واذا بقيثارته تعزف ألحان الأسى والكآبة .

والرومانسية قيثارة الأسى والألم

والأسى ميزة أخرى من مزايا الرومانسية بل لعله أبرز مزاياها وأهمها . وعلى قيثارة الأسى نرى كثيرا من الشعراء ينشدون مثل قول أبي القاسم الشابي من أنشودته « أغنية الأحزان » :

لا تنشدني أنشودة الصباح
بلحن الأفراح
فؤادي وهو مقبور الجراح
بتسابيح الحياة الباكية
ليس تستهويه ألحان السرور
وأماني الصدور
غني يا طير أناشيد الجحيم
واسقني الآلام
وارع الكأس بأوجاع الحياة
واسقني في كرعة الابتسام
غني بعذب الأماني الغالية
والليالي السود
في سكون الظلام الكئيب
انتحي أهواء

ونزعة الأسى شائعة في الشعر العربي قديما وحديثا، على أنها في الرومانسية تمس مواضيع لم يمسها الشعر القديم ، ولم يعرفها . فالشاعر الحديث قد ينشد السعادة أو الحقيقة فيفني العمر عبثا في التفتيش عنها ، ثم يرجع مع ايليا أبي ماضي يائسا اذ يقول في ختام قصيدته « العنقاء » :

حتى اذا نشر القنوط ضبابه
حولي فحجبني وحجب موضعي
صرع الأسى روحي ، فسالت أدمعا
فلمحتها ولمستها في أدمعي
وعلمت حين العلم لا يجدي الفتى
أن التي ضيعتها كانت معي

أو هو قد ينظر الى الأشجار في فصل الخريف فيتنهد تنهد « رشيد أيوب » وينفث من قلب حزين :

نثر الخريف على الثرى أوراقه
فتناثرت كتناثر العبرات
يتركن أغصانا تئن عواريا
ويرحن فوق الأرض مضطربات
فكأنهن ، اذا خفقن ، جوانحي
وحفيفهن كآبة وحسراتي
وزفرات مصدور لقلب برمته
محياه صعدة الحسرات

وعله يشهد مصرع فتاة فيتألم كما تألم عمر أبو ريشة فيصفه بقوله :

نام عن كأسه ومن أحبابه
قبل أن يعتصر زهر شبابه
أي في [illegible]
[illegible] من الآلام
ليس يرجو من الورى
نعمة لمستقم
أحرم الناس بالقبل
لمس الجرح وابتسم

ويبلغ الأسى ذروته في قول الشابي اذ يراجع ما مر عليه من الزمن :

وتمشّى الشباب نفسي فصاحت
في ضلال مر الى أين أمضي
تلك سيري مع الحياة فقالت
ما جنينا ترى من السير أمس
فتهافتنا كالهشيم على الأر
ض وهادية أين يا قلب رفشي
هاته علني أخط ضريحي
في سكون الدجى وأدفن نفسي

وعلى هذا الشعر الغربي الأسلوب مسحة من دمع جبران في مقاله حفار القبور .

أما الياس أبو شبكة فيجعل من الأسى والألم أعمق مصدر للالهام :

اجرح القلب واسق شعرك منه
فدم القلب خمرة الأقلام
واذا أنت لم تعذب وتضنى
فلمسنا في قرارة الآلام
فتواليه زخرف وبريق
كطلاء في مدفن من رخام

الرومانسية أمالت الى النظم الأسلوب التوشيحي والغربي

بقي أن نقول أن الرومانسية تتميز بالذاتية ـ بحرية التعبير دون التقيد بتقاليد سابقة . وهي بذلك قد أطلقت العنان للشاعر ليخرج لنا مواهبه بطريقته الخاصة . فأمالت في النظم الأسلوب التوشيحي الذي عرف به الأندلسيون ، وزادت

عليه ما اكتسبته من اساليب النظم من التربيين حتى صرنا نرى من ذلك الفنين لم نعهدها من قبل . وقد شاعت في شتى الاقطار العربية حتى اصبحت تناغي القصيدة التقليدية ذات الروي الواحد .

ولم يكد يعبر العقد الرابع من قرننا الحالي حتى رأينا انبثاق نزعة جديدة في الشعر العربي تعرف باسم الرمزية . وهي حرية بأن نقف عندها قليلا .

الرمزية في الشعر

ولا نقصد بها هنا الرمز الى المعاني عن طريق التصوير الحسي ، فذلك امر معروف في ادبنا منذ اقدم عصوره . يكفي للتمثيل ان نذكر منه ما وضع على السنة الحيوانات كقصص كليلة ودمنة وما جرى مجراها ، او ما جاء مجازا في اقوال الشعراء القدماء وخصوصا الصوفيين منهم ، او ما نراه حديثا في بعض فصول جبران ، وروايات توفيق الحكيم وغيرهما من رجال الادب .

وانما نقصد نوعا من الشعر ظهر اولا في لبنان على يد فئة متأثرة بالاسلوب الرمزي الذي سلكه بعض شعراء فرنسا كالبير سامان Albert Samain وبول فاليري Valery وغيرهما .

وعند هذه الفئة ان الكلاسيكية والرومانسية قد اخفقت في التعبير عن الجوهر الشعري او الوصول الى ابعاد اغوار الذات والحياة . فالاولى عندهم الترية يسودها ما يسود النثر من وعي عقلي وصناعة تقليدية ، والثانية ذاتية عاطفية ولكنها لا تمس الحياة الا مسا سطحيا فتكتفي بالتعبير عنها بما يتناول الافهام من اقرب طرقه واوضحه ، ولذا يقولوا ما للانعتاق من ظلالات بعيدة وما وراء المعاني من ظلال المعاني . ويرون في الرمزية الورد العذب الذي يستقي منه الشعر الصافي . وقد عرف بالرمزية عدد من شعراء العصر وفي طليعتهم سعيد عقل . وهو يرى ان الشعر موسيقى ، وأن الشاعر الحق لا يكون له افكار وصور وعواطف قبل النظم ، وان عناصر الوعي لا تلعب في الشعر اقل دور .

وكأنه يريد بذلك ان حالة موسيقية يجب ان تسيطر على الشاعر اولا ، حتى تغرق في لججها رأى وسمع ما لم يره او يسمع به من قبل . فهو لا يفكر عن وعي بما سيقول ، ثم يكسبه حتكلا من موسيقى النظم ، بل وهو في نشوة النغم الموسيقي تتحرك فيه عملية الخلق فتتوالى عليه في انغامها الخواطر والافكار .

فالشعر الرمزي له عنصران رئيسيان ، اولاهما انه موسيقي الاسلوب ، وثانيهما انه يعتني بايحائية اللفظ لا بمعناه القريب . وبمعنى آخر انه ينصرف عن الواضح او القريب الآخذ الى المبهم التوحي البعيد المرمى حيث يشعر القائل انه اتحد بموسيقى الكون وجماله .

والنزعة الايحائية في الرمزية تقضي في الغالب غير المألوف من التعابير كقولهم ـ الشهوة الصفراء ـ الجمال الخجول ـ الثلوج الخرساء ـ الصمم الضرير ـ الطعم الرمادي ـ الضوء البليل ـ ضباب الشوق ـ كبرياء النهار ـ وما شاكل من هذه الاوصاف الجديدة . ومن امثلة الشعر الرمزي قول صلاح لبكي .

موسيقى ... ...
... ... الازال
ورقص ... ...
... ... الجمال

وقول سعيد عقل

سكرت فالليل سكر ربيع
وطفت بالصحو ذات ارتعاش
وسمعت ... على موعود
... ... الأجل

وقوله

... ...
وسائر ... ...
... ... الاسرار ...
... ...

على ان هذه النزعة الى غير المألوف قد تصل عند بعضهم الى حد الغموض فتكون لمحات خفية لا تدرك الا بعد كد وتعب عسى يقتنصها الجمال الفني . او قد تصل ببعضهم الى التوغل في متاهة مقرفة الا من الرمال التي لا حياة فيها . فتراهم يأتون بل يثرثرون بما لا معنى له من التراكيب الشعرية التي لا طائل تحتها .

ومهما قيل في الرمزية فاننا اذا نظرنا الى وجهها الافضل الذي يتبين لنا في ان اعلامها ، رأيناها ذات اثر فعال في الشعر الحديث . وهي ، وان لم تستطع ان تتغلب على الرومانسية ، فقد جعلتها تتحرر مما شابها على ايدي كثيرين من ابتذال وتميع ، واصبحت تعنى اكثر بالروعة الفنية العالية .

طور الرومانسية الجديدة

والواقع ان الشعر اليوم في طور من اطواره التاريخية ، يجوز ان نسميه طور الرومانسية الجديدة . فهو يلبس ثوبا قشيبا من الجمال اللفظي والصوري ، وارباب العصريون يعنون بطلب البعيد من المعاني ولوطي النفيس من الحلل اللفظية . ومن امثلة ذلك قول بشارة الخوري في خمريته « بابي انت وامي » .

بأبي انت وامي [illegible]
لا [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
واعتصرها [illegible]
[illegible]
ان تكن انت انا ، وجعلنا الرضا قطرة في كأسنا

وفي مرثاته للزهاوي يصف حاله في طريقه الى بغداد فيقول :

بغداد ما حمل السرى
مني سوى شبح سرب
جابت له الصحراء والـ
ـقت الكثيب الى الكثيب
يتساءلون عن الفتى الا
عربي في الزي الغريب
انا دمعة الادب العربي
من رسالة الالم الكئيب
من قلب لبنان الخصيب
[illegible] بغداد الكئيب

وقول « الياس ابو شبكة » في قصيدته (شمشون) مخاطبا دليلة :

ملاكيه [illegible]
لك صباح المدى وليل القبور
وعلى ثغرك الجميل لعار
[illegible] شهوة [illegible]
ملاكيه [illegible]
صوت الموت في الفراش الوثير
صوت [illegible] منها
شهوات تنتشرت في الصدور

وقول عمر ابو ريشة واصفا بؤس امته ايام كانت تحت سيطرة الاجنبي :

أنا من امة افاقت على العز
وأغفت مغموسة في الهوان
فرشتها الرث من حراب المغير
ن واغلاقها من الاكفان


عمر أبو ريشة

وقوله في طلل ثابت على مدرجات الزمان :

رمال وانقاض صخر هوت
عالية تبحث عن آسيه
لقد [illegible]
و [illegible] الخيال الذي لفته
[illegible] بعض الوهم المستباحه
ويتحسر الموت من بابه

وقول فوزي المعلوف مخاطبا قلمه :

رب شمع [illegible] عن عيوني
سال حبرا في الطرس يمحق خلقا
[illegible]
ج بين السطور يحرق حرقا
يا يراعي [illegible] كل [illegible]
[illegible] عني ما كان حقا وصدقا
انا [illegible]
[illegible] السحر نطقا

ومثل هذه الاقوال النابضة بالحياة والمرقة سوق الاسماع كثيرة في ادبنا الحديث .

الواقعية ليست من الاطوار الفنية

بقي ان نقول ان بعضهم يحسب الواقعية من الاطوار الفنية وليست كذلك عند التحقيق ، وانما هي تغير قد طرا على مواضيع الادب لا على اساليبه الفنية، اذ خرج الادب عن اطاره التقليدي فلم يعد همه التزلف الى ذوي النفوذ والسلطان كما كان قديما ، او السبح في عوالم خيالية لاعلاقة لها بحياة الناس وواقعهم ، بل فتح عينيه على احوال مجتمعه فراى ما فيه من مشاكل اجتماعية واقتصادية وسياسية ، وراح نثرا ونظما يكشف عن نواحي النقص في هذا المجتمع ويعالجها بما يراه خيرا للشعب عامة لا لطبقة خاصة منه .

هذا التطور الواقعي الى الحياة قد شاع حديثا في جميع المناحي الادبية فتناولته المقالة والخطبة والقصة والشعر والمسرحية ، ولكنه لم يغير شيئا يذكر من اصولها اللغوية واساليبها الفنية. ■■

انيس المقدسي



شمس السلام الدافئة

عن جريدة «الصنداي اكسبريس» :

● هل هناك ما يدعو الى التفاؤل في الجو الدولي ؟
والجواب على هذا السؤال هو : نعم بكل تأكيد .

فالعلاقات بين الولايات المتحدة وروسيا قد تحسنت ، والأدلة على هذا التحسن كثيرة ، منها عودة آخر طيارين امريكيين محتجزين في المعسكر الشرقي الى بلادهما ، وهما الطياران اللذان كانت طائرتهما الاستطلاعية قد اسقطت فوق المانيا الشرقية . وقد اطلقت السلطات الروسية سراحهما بعد احتجازهما مدة تقل عن الاسبوعين .

كما عادت الى أمريكا أيضا شابة امريكية كانت قد اتهمت بالتجسس ، وحكم عليها بالسجن ... سنوات في المانيا الشرقية ، ولم تمض نصف مدة الحكم .

وقد أصبحت هذه التصرفات الدالة على حسن النية عادية .

ونحن اذا عدنا بنظرنا سنوات الى الوراء ، وجدنا الفرق شاسعا بين ما كانت عليه العلاقات بين الشرق والغرب ، وما آلت اليه . ففي عام ١٩٥٤ كان الروس يهددون بضرورة حل حلف شمال الأطلسي .. وفي فبراير من العام نفسه فشل مؤتمر وزراء خارجية الدول الأربع الكبرى . وكانت الدولتان الكبيرتان سائرتين في اجراء التجارب النووية في كل من سيبيريا والباسفيكي . كما ان برلين كانت دوما تهدد باندلاع نار حرب عالمية جديدة .

ونحن لا ننكر انه ما زال هناك بعض التوتر بين واشنطون وموسكو . ولكن الحرب الباردة قد انتهت ، ولم يعد هناك من يتحدث عنها ، او يحركها على لسانه .

ان شمس السلام تشرق اليوم دافئة ، وانا لنرجو ان يعم دفؤها العالم كله .

مشكلة ..

عن جريدة « الاوبزرفر » :

● تطالب نقابات العمال بأن تكون ساعات العمل ٤٠ ساعة فقط في الاسبوع . ومعنى هذا ان تزداد ساعات العمل الاضافي ، وبهذا يزداد دخل العامل .

والواقع ان ساعات العمل عندنا في المصانع هي أطول ساعات عمل في العالم ؛ فاحصائية عام ١٩٦٢ تقول ان معدل ساعات العمل الاسبوعية في المصانع كانت كما يلي : ٤٦٫٨ في بريطانيا ، و ٤٦٫١ في فرنسا ، و ٤٤٫٢ في المانيا ، و ٤٠٫٧ في الولايات المتحدة الامريكية

ماذا استطيع ان افعل من اجل بلادي ؟

عن جريدة « نيويورك هيرالد تريبيون » :

● تقول طبيب للرئيس الامريكي الراحل ، كنيدي ، ما ربما تذكره . لقد قال مخاطبا كل مواطن في الولايات المتحدة : « لا تسأل ماذا تستطيع الدولة ان تفعل من اجلك ، بل اسأل نفسك ماذا تستطيع انت ان تفعل من اجل بلادك » .

ويبدو ان هذا القول الجميل قد وجد صدى في بعض النفوس الواعية مثلا لانه كلما ضاقت احدى المدارس بطلابها ، وردت طلابا آخرين لعدم وجود امكنة . واخيرا تفتق ذهن ناظر المدرسة عن حل للمشكلة ، فأخذ يجمع المال من الطلاب والأساتذة ، والناس الذين يعرفهم في البلدة ، حتى تجمع لديه مبلغ الف دولار ، وبهذا المبلغ قرر بناء جناح لمدرسته .

ولكن الألف دولار لا تكفي لبناء جناح ، فما العمل ؟ وجاء الحل بان اشترى الناظر بالألف دولار الاسمنت والحديد ، وقام طلاب المدرسة بالبناء . ولما رأى اهل البلدة ما فعله الطلاب من اجل ايجاد اماكن لاخوانهم ، هرعوا لمساعدتهم .

هذا مثل حي على ما يمكن ان يفعله المرء من اجل وطنه .

ومدارسنا في كل مكان مكتظة بالطلاب ، كما ان هناك اماكن كثيرة ليس فيها مدارس كافية . وانت ، ايها المواطن ، تستطيع ان تساهم في حل هذه المشكلة ، وتلبي نداء الرئيس الراحل .

اذا سألت نفسك بعد اليوم : ماذا استطيع ان افعل من اجل بلادي ؟ فالجواب على هذا : ادع الى بناء مدرسة وساهم في البناء .

خلاف في الرأي

من جريدة « بفالو ايفننج نيوز » :

● يقول هارولد ستاسن « [illegible] » ان كل يوم يمضي يزيده يقينا بانه سيكون مرشح الحزب الجمهوري للرئاسة .

ونحن لا اعتراض لنا على ثقة (ستاسن) بنفسه ، بل ان من الخير للمرء ان يكون واثقا بنفسه ، ولكن على شرط الا تتجاوز هذه الثقة الحدود ، فيجعل المرء يتعلق بالاوهام ، ويؤمن بالمستحيلات .

اننا بدورنا نقول للسيد (ستاسن) : ان كان مر الايام يزيده يقينا بانه سيكون مرشح الجمهوريين للرئاسة ، فان مر الايام ايضا يزيد كل فرد في الحزب ايمانا بان (ستاسن) ليس أهلا للثقة ، لان من كان ثرثارا ، مدعيا ، لا يصلح لقيادة امة .

سهلة الحل

ومن هذه الاحصائية يتبين لنا معنى مطالبة نقابات العمال بان تكون ساعات العمل ٣٠ ساعة فقط في الاسبوع : انها تعني ارتفاعا كبيرا في دخل العامل للحصول على الانتاج نفسه .

وفي رأينا انها امة تجهد نفسها كثيرا دون داع ، وكان بالامكان ان نخفض ساعات العمل ونحصل على الانتاج نفسه ، لو اهتممنا بتطوير الحساب الآلي في صناعتنا ، كما هو الحال في الولايات المتحدة الامريكية .

انها مشكلة سهلة الحل ، ولا تحتاج من المسؤولين غير عقد العزم على حلها .



■ كان موظفو الاحصاء والتعداد يطوفون بمنازل الضاحية لتسجيل اسماء المواطنين واعمارهم وما يتطلبه التعداد العام من بيانات . فمروا بمنزل يقطنه رجل وزوجته وولد وبنت لهما صغيران ، فلما سئل رب الاسرة عن عمره قال انه لا يعرف اكثر من ان عمره يزيد على عمر زوجته ٤ سنوات ويساوي اربعة امثال عمر ابنهما محمود ، وعشرة امثال عمر ابنتهما سلمى !

ولما طلب منه ان يكون اكثر وضوحا في اجابته قال ان مجموع عمره وعمر زوجته وولديه هو ٩٠ سنة !

وضاق به موظفو التعداد ذرعا ، وكادوا يسوقونه الى الشرطة لامتناعه عن الادلاء بالبيانات الصحيحة ، ولكن واحدا منهم سأله عن عمر زوجته ، فقال انه يساوي تسعة اعشار عمره هو!

واكتفى هذا الموظف بهذه الاجابة وطلب الى زملائه ان يتركوا الرجل وشأنه لانه — اي موظف التعداد — قد عرف اعمار افراد الاسرة ، وان الرجل كان صادقا في كل ما قال .. !

فكم هو عمر الرجل ؟ وكم هو عمر زوجته ؟ وكم عمر كل من ولديه ؟!

١ — يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٦٠ من هذا العدد .
٢ — يكتب على الظروف عبارة — « مسابقة العربي — العدد ٦٧ » .

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر يوليو (تموز) .

● يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا ..
الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا ..
الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير ..

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير ..

وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .

ترسل الاجابات مباشرة بعنوان مجلة « العربي » : صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربي .



بقلم : عبد الرزاق الهلالي

المصرف الزراعي - بغداد

■ ان لقصة الارض ونظام حيازتها في الجمهورية العربية المتحدة وسوريا والعراق تاريخا طويلا حافلا بالمتاعب والمشاحنات والمنازعات ، ولما كانت بلادنا العربية موطن الاسلام الاول فان أصول نظام حيازة الارض فيها تمتد الى العصور الاسلامية المتعاقبة .

حيازة الارض في صدر الاسلام

فقد كانت الارض في صدر الاسلام كما هو معروف خاضعة لاحكام الشريعة الغراء ، فاذا ما تم فتح البلاد عنوة وقهرا يكون الامام بالخيار ، فان شاء احتفظ بخمسها لبيت المال وقسم الاخماس الباقية بين الفاتحين ، وان شاء تركها بيد أهلها ملكا لهم ووضع الجزية على رؤوسهم والخراج على اراضيهم . وان شاء تركها وقفا على المسلمين وقفا لهم (اي انه يحتفظ بها لبيت المال ولا يقسمها على احد) .

اما اذا فتحت البلاد صلحا فكان يطبق بشان الارض فيها شروط الصلح ، وهي اما ان تقضي ببقاء الارض بيد اصحابها ملكا وتفرض عليها الخراج ، واما ان تقضي بصيرورة الارض ملكا للمسلمين .

يفهم من هذا ان الاراضي كانت في صدر الاسلام على نوعين هما :

أ ــ الاراضي المملوكة : وهي الاراضي التي لها مالك معين له ان يبيعها ويرهنها ويورثها ويتصرف بها جميع انواع التصرفات ، وتشمل الاراضي العشرية والخراجية المملوكة .

ب ــ الاراضي غير المملوكة : وهي الاراضي العائدة لبيت المال التي تعد الشريعة تصرفات المسلمين بها حسب نوعها .

حيازة الارض في الدولة العثمانية

وقد ظل العمل بهذا النظام جاريا حتى العهد الاول لقيام الدولة العثمانية التي قامت على اساس (الخلافة الاسلامية) غير انها نظرا لنزعتها العسكرية (لا سيما بعد اتساع الفتوحات) ابتدعت نظاما جديدا يقضي بتقسيم الارض المفتوحة الى مقاطعات ، تختلف اسما باختلاف ورداءتها ، وتتخلى عن حقوقها الى السلاطين والقادة والامراء والوزراء وحتى الجنود والاغوات لقاء استعدادهم لتهيئة الفرسان المحاربين لها عند اعلان الجهاد .

الارض في ظل قانون الاراضي العثماني لعام ١٨٥٨

وقد استمر العمل بهذا الاسلوب فترة طويلة من الزمن حتى تسرب اليه الفساد ، فشرعت الدولة الغاءه في سنة ١٨٣٩ م . وفي سنة ١٨٥٨ م اصدرت (قانون الاراضي العثماني) . ولما كانت جميع البلاد العربية خاضعة للدولة العثمانية (عدا مصر التي كانت آنذاك تحت حكم محمد علي الكبير) فقد طبق هذا القانون على اراضيها ايضا . وبموجب هذا القانون اصبحت الاراضي في اطار الانواع الآتية :

١ ــ الاراضي المملوكة .
٢ ــ الاراضي الاميرية .
٣ ــ الاراضي الموقوفة .
٤ ــ الاراضي المتروكة .
٥ ــ الاراضي الموات .

ثم لما اختلفت وجهة نظر الدولة العثمانية ، لا سيما بعد ان اصبحت بحاجة ملحة الى المال ، راحت تتجه صوب استغلال الارض . ولذلك اجازت للافراد الحصول على الارض والتصرف بها بالطريقتين الآتيتين :

أ ــ التعويض بالبدل .

ب ــ اكتساب حق التصرف : اي ان يكون لصاحب الارض حق الانتفاع والاستغلال دون ان يكون له (حق الرقبة) الذي هو حق مالكه (بيت المال) .

النظام العشائري والارض

ولما كانت الدولة العثمانية قد اهملت شؤون الري والزراعة والعمران في جميع البلاد العربية تقريبا ، وكان هم الولاة لا سيما في عهدها الاخير جباية الضرائب وجمع الاموال بحق او بدون حق من هذه الولايات وارسالها الى (الباب العالي) ، فقد وجدوا في نظام (التزام الضرائب والرسوم) ايسر السبل لهم للوصول الى هذه الغاية ، ولذلك رأوا ان ايداع هذا الواجب الى شيخ القبيلة (او الآغا) ، لا سيما في المناطق الزراعية ، احسن وابعد لهم من اثارة المشاكل والمتاعب .

ولما لم يكن للدولة في تلك الاصقاع من السلطة الا الاسم فقط ، فقد اصبح رئيس القبيلة او (الآغا) القرية هو الحاكم المطاع الذي يحتمي الافراد بحماه ، واذا ما علمنا ان الفوضى واضطراب الامن وضياع هيبة القانون هي الصفات المميزة لاواخر ايام الحكم العثماني ، لا سيما في المناطق الريفية ، ادركنا السبب الذي جعل للنظام العشائري الاثر الكبير في اطراد تلك الاصقاع ، ولشيوخ العشائر ورؤسائها الكلمة العليا في ظل هذا الوضع والنظام .

وهكذا كان سكان المناطق الزراعية ، لا سيما في العراق وسوريا ، تتوزعهم عشائر متعددة ، سكنت كل عشيرة في منطقة معينة من الارض خاصة بها تسمى (ديرة) العشيرة ، يقوم كل فرد من ابنائها بزراعة البقعة المخصصة له دون ان يكون له حق الادعاء بملكيتها ، فالارض جميعها ملك للعشيرة كلها . وعلى هذا الاساس سارت الزراعة فيها على نظام (الزراعة الجماعية) حيث لم تكن تهدف منها الا الى ضمان القوت والطعام



سوريا - كان نظام حيازة الأرض فيها فوضى

للعشيرة فقط في الأغلب الأعم .
ولذا ما علمنا أن الفلاح العشائري كان ملزما بدفع حصة من ناتجه الزراعي على تفاهته ، الى (السركال) (١) واخرى الى (المضيف) (٢) ، ادركنا سبب تردي وضعه المادي وانخفاض مستوى معيشته في ذلك المجتمع الذي يسيطر عليه الجهل والفقر والمرض سيطرة تامة .

وعلى الرغم من المحاولات التي قام بها بعض الولاة المصلحين امثال مدحت باشا في سبيل تنظيم ملكية الأرض الزراعية ، فان سكان هذه الأصقاع ما كانوا يؤمنون بإخلاص الدولة لهم ولهذا لم يستجيبوا لأي دعوة من هذا القبيل الا كانوا يحسبونها فخا تريد الحكومة ان تضمن لها عن طريقه جباية الضرائب والرسوم منهم ، وسوق ابنائهم للقرعة والخدمة العسكرية . وهكذا ظلت معظم هذه الأراضي تحت تصرف العشائر دون ان تكون مسجلة باسم احد في دوائر « الطابو » حتى انهيار الحكم العثماني بانتهاء الحرب العظمى الأولى ١٩١٤ – ١٩١٨م .

فرنسا وانجلترا تواصلان في سوريا والعراق سياسة اقطاع الأرض للانصار

وعندما تقاسمت بريطانيا وفرنسا نتيجة للحرب العالمية الأولى بلاد الشرق العربي كان العراق من نصيب بريطانيا بينما كانت سوريا من نصيب فرنسا ، ولما كان نظام حيازة الأرض فيهما على ما وصفنا ، من الفوضى ، والاضطراب فقد وجدت كل منهما في هذا الوضع خير سبيل لمكافأة به اولئك الذين آزروها ابان الحرب او وقفوا الى جانبها ضد قيام الثورات الوطنية في هذين القطرين ، كما راحت كل منهما تحاول كسب انصار لها اذا حافظت على اصحاب الملكيات الكبيرة وطبقت معهم اتفاقيات تحمي مصالحها ، وأوجدت منتفعين مالكين جددا . فلما اصدرت الحكومة السورية التي كانت تعمل تحت ظل الانتداب الفرنسي القانون رقم ٣٣٣٩ ، وقانون السجل العقاري ، وقانون املاك الدولة ، فان هذه القوانين لم تغير شيئا من واقع الملكية الواسعة ، بل ثبتتها على اسماء واضعي اليد عليها ، ولم تغلق الباب في وجه كبار الرأسماليين والاقطاعيين والمتنفذين من الاستيلاء على ارض الفلاحين ، بل انها اخذت تشجعهم على اغتصاب هذه الأراضي .

في سوريا بعد الجلاء

اما بعد جلاء فرنسا عن سوريا عام (١٩٤٥) فلم يصدر أي تشريع يتوخى وضع حد لهذا التفاوت في الملكية الزراعية ، بل على العكس ، راحت الرأسمالية تتعاون مع ملاك الأراضي ومع شيوخ القبائل مما ادى الى فتح الباب على مصراعيه لنشوء ملكيات زراعية واسعة على حساب الدولة . فقد اظهرت الاحصائيات الرسمية ان المساحات التي تزيد عن الحدود التي عينها قانون الاصلاح الزراعي للملكية الزراعية بلغت حوالي ٢,٧٥ مليون هكتار ، وهذه المساحة التي تبلغ ما يقرب من نصف المساحة المزروعة ، يملكها ٣٢٤٠ مالكا فقط .

وفي العراق

اما في العراق فقد ساعد كل من قانون تسوية

(١) كلمة (السركال) فارسية أصلها (سركار) أي رئيس العمال المنظم للزراعة .
(٢) المضيف : ديوان الشيخ الذي يستقبل فيه ضيف العشيرة .

حقوق الاراضي ، وقانون منح اللزمة ، اللذين اصدرتهما الحكومة عام ١٩٣٢ . وما لحقهما من تعديلات ، على تسجيل مساحات شاسعة من اراضي الدولة باسماء الشيوخ والرؤساء والاغوات وبعض المتنفذين ومحترفي السياسة الموالين للسلطات الحاكمة . واصبح الفلاحون الذين كانوا يعملون معهم في زراعة تلك الارض ، بصورة تعاونية جماعية ، اصبحوا اجراء عندهم . وتعاظم استغلال جهودهم بعد زيادة اتصال الريف بالمدينة وتغير الزارعين من مبدأ الاكتفاء الذاتي الى مبدأ الانتفاع النقدي. وقد دلت الاحصائيات الرسمية المتعلقة بتوزيع الملكية الزراعية في العراق قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ على ان عدد المتمتعين بملكية الارض الزراعية كان يقل عن ١٪ من سكان البلاد وان حوالي ٣/٤ الاراضي الزراعية كانت بحوزة افراد يكونون (١٪) من مجموع الفلاحين البالغ عددهم ١٢٥ الف شخص .

مشكلة الارض في مصر

اما مشكلة الارض الزراعية في مصر فقد مرت بادوار متعددة منذ فتحها السلطان سليم الاول ، ففي ايامه امر بتوزيع الارض بين جنوده ومن والاه من المماليك الذين وجدهم في مصر ، اذ اقطعهم ارضا يستغلونها كما يشاؤون واسماها وكالة .

فلما ضعف الحكم العثماني وزاد نفوذ المماليك ، وحدثت الاضطرابات في هذه المرحلة الانتقالية ، انتهز فلاحو مصر هذه الفرصة وتشبثوا بقطع الارض التي يفلحونها ، واصبحت صلتهم بالملوك او الملتزم او شيخ البلد الذي يجبي لهم الضريبة صورية . وبمرور الايام اصبح الفلاح الذي يزرع الارض مالكا فيها تنتقل منه الى ذريته بالارث ...

محمد علي يعد ويخلف

وتدرجت حقوق ملكية الفلاحين من التوريث الى البيع مع اخطار (الملتزم) بما يتم من تصرف .

ولما قضى محمد علي الكبير على الحكم التركي اقسم امام قادة الشعب المصري بانه « لن يبرم امرا ولا يفرض ضريبة بغير موافقة مندوبي الشعب » . ولكنه ما لبث ان نكث بالوعد ، لا سيما بعد ما استتب له الامر ، اذ احرق عقود التزام ملتزمي هذه الاراضي ، وقدم لهم مقابل ذلك مساحات من الاراضي سميت ارض الوسية، يستغلونها مدة حياتهم ، ولا يدفعون عنها ضرائب. وبهذا الاجراء اصبح بامكانه تحويل الفلاحين الى ارقاء مباشرين الارض يزرعونها ويحاسبهم عن طريق عماله عن كل حبة او حبة تنتجها الارض حسابا عسيرا .

الفلاحون يتركون الارض هربا

وفي الفترة ما بين (١٨١٢ ـ ١٨١٨) قسم اراضي مصر كلها مساحات ثابتة ، وقسم القرى الى احواض ، وعين لكل حوض عددا من الفلاحين الذين يقومون بزراعته ، ووضع لهم نظاما خاصا تمثلت به فظاعة استغلاله لجهود هؤلاء المساكين . وفي سنة ١٨٢٥م اصدر امره لعموم جهات مصر بيّن فيه بان ضمة النظر الى السالم هو للارض تقسيم مقارنه وتقدم زراعته ، وراح يحاسب القاعدين حسابا عسيرا ان هم اهملوا في تأدية ما يطلبه منهم ، فتشدد هؤلاء في اضطهاد وظلم الفلاحين الذين اهملوا اعمال الزراعة والهرب من الارض ما دام خيرها لا يعود عليهم ، واضطر كثيرون منهم ان يتركوا القرى الى المدن .

محمد علي يعيد تقسيم الارض

فلما احس بنتائج هذه التصرفات قرر اعادة

العراق : كان عدد المتمتعين بملكية الارض الزراعية ، يقل عن ١٪ من سكان البلاد





مصر .. كانت الأرض تمنح لاستغلال يد السلطة الحاكمة

النظر في تقسيم الأرض الا قسمها الى ثلاثة أنواع هي :

١ ـ أرض بور يعطيها لواحد يصلحها .

٢ ـ أرض جيدة يعطيها لآخر على ان يؤدى ضريبتها .

٣ ـ أرض يعطيها لثالث ويعفيها من الضرائب .

وقد اسمى النوع الأول من هبات الأراضي اسم (الابعديات) وقدرت مساحتها في مصر بحوالي (٢٠٠ الف) فدان ، وكانت من نصيب الأعيان ورجال الادارة والحربية .

والنوع الثاني كان من نصيب اسرته وذويه حصلوا على اجود الأرض واكثرها غلة واسهلها ريا ، ويسمى هذا النوع باسم (الشفالك) . وهكذا وجدت طبقة جديدة من ملاك الأراضي هي الارستقراطية التي نشأت مع قيام حكم محمد علي وكانت سندا لحكمه اذ ارتبطت مصالحها باستمرار مع مصالحه .

الخديو اسماعيل يزيد ملكيته من ٢٥ الفا الى ٩٠٠ الف فدان

ولما مات محمد علي وولى بعده خلفاؤه كانت كانت مشكلة الأرض تتعقد وحال الفلاحين تسوء ، ويكفي ان نشير الى ان الخديوى اسماعيل لم يكن يملك عند توليه الحكم سوى (٢٥ الف) فدان ولكنه بعد مضى (١٧ سنة) من حكمه زادت الأرض التي يملكها فأصبحت (٩٠٠ الف) فدان ، اى خمس المساحة المزروعة في مصر .

ولم يقتصر الأمر على ان يحوز هو لنفسه على هذا القدر الهائل من الأرض بل انه استأنف سياسة محمد علي في منح الأرض ، والاحسان بها على العديد من النساء والرجال اصحاب الحظوة عنده ، اذ بلغ مجموع مساحة هذه الهبات والاحسانات (٨٧٦٨٦٣) فدانا .

واحتل الانجليز مصر فخصوا انصارهم باقطاع الأرض

ولما احتل الانجليز مصر في عهد الخديوى توفيق عام ١٨٨٢ م ، راحت الحكومة في هذا العهد تبيع املاكها الحراجية وتلغي من قيود الملكية الزراعية وبذلك اصبحت الملكية المطلقة من حق المالكين للأرض الزراعية وسقط حق الرقبة الذى كانت تحتفظ به الحكومة لنفسها .

وعندما ضعفت الدائرة السنية وبيعت املاكها رأى الانكليز ، وهم يوجهون هذه الحركة ، ان يخصوا بعض الأسر باجزاء طيبة من هذه الأرض . وفي نفس الوقت اقبل على الشراء اعيان آخرون من الذين لم يلحقهم اى اتهام بعد تسوية الحساب مع الثورة العربية . ومنذ ذلك الوقت نشأ نظام اقطاع جديد على اسس جديدة ، وظهرت اسماء جديدة في طائفة ملاك الأراضي الواسعة في الوقت الذى زالت فيه من الوجود اسماء الوطنيين الذين ناصبوا توفيقا والانكليز من بعده العداء .

وعندما جاء النظام النيابي الى مصر

ولما نشأ النظام النيابي في مصر عام ١٩٢٣ ادى التنافس على كراسي البرلمان الى ان يحاول الراغبون فيها من مرشحي الارياف ان يزيدوا من فرص النجاح بالاندفاع على اقتناء الأرض وربط اكبر عدد من الفلاحين ، اصحاب الأصوات ، بهم، من طريق السيطرة على مصادر رزقهم . وادى هذا التنافس بدوره الى الزيادة في اثمانها حتى وصل ثمن الفدان الواحد ما بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ جنيه ، والنتيجة الطبيعية لهذه الزيادة هي ارتفاع القيم الايجارية التي يدفعها المستأجر الصغير .

ولما كان من عوامل اقتناء الأرض زيادة النفوذ فقد ظهر بين ملاكيها عدد كبير من ابناء المدن

الذين يستغلون أرضهم عن طريق التأجير فأدى هذا التنافس بدوره الى الزيادة في أثمانها حتى وقع الفلاح الصغير بين شقي رحى لا ترحم ولا تكف عن طحنه وزيادة الضغط عليه .

وهكذا انتهى الأمر الى أن يكون ٩٠٪ من المالكين يملكون ٣٥٪ من الأراضي المزروعة عام ١٩٥٢ في حين أن ٦ بالألف منهم كانوا يملكون ٢٠٪ من هذه الأراضي ، أي أن الغالبية العظمى من الملاك الذين تزيد عددهم على ٠٠٠/٦٤٠/٢ يملكون مساحات ضئيلة ، في حين أن القلة من الملاك وعددهم ٢١٣٦ مالكا يملكون مساحات من الأراضي .. تبلغ مساحتها ١/١٧٦/٨٠١ فدان من مجموع الأراضي الزراعية البالغ مساحتها ٥/٨٩٢/٢٦١ فدان .

هتشنف وسنوه كيلة

ونتيجة هذا الاستغلال الذي سنته السلطة الحاكمة في هذه البلاد عند ذاك ظلت الأكثرية الساحقة من أبناء البلاد وهم الفلاحون فريسة للجهل والفقر والمرض ، وليس لها مما تكد وتكدح الا (هتشنف وسوه كيلة) . وراحت حياتهم تسوء يوما بعد يوم بسبب تفاعلات الظروف الطبيعية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وليس لهم من يمد لهم يد العون التي تنقذهم من تحكم النظام شبه الاقطاعي وشرور التعسف والاستغلال ، وتعمل على رفع مستوى حياتهم الى المستوى الذي يليق على الأقل بحياة الانسان العادي .

دعوات المخلصين للاصلاح

ولقد صدرت من بعض المخلصين من دعاة الاصلاح الاجتماعي في كل هذه البلاد دعوات صادقة تهيب بالمسؤولين الى ضرورة تطبيق مبدأ العدالة الاجتماعية في المجتمع الريفي ، والتخفيف من حدة التفاوت في الملكيات الزراعية ، والعناية بسكان الريف من جميع الوجوه ، وتغيير وجهة نظر الحكومة للفلاح الذي « نظرت اليه كمتتبع ومكافئ ، واهملته كمواطن وتجاهلته كانسان » .

وقد حاولت حكومات هذه الدول القيام ببعض التشريعات تظاهرا منها بالاصلاح ، غير أن هذه الاجراءات لم ترض ذوي القلوب العامرة بالايمان لخدمة هذا الشعب اذ راح بعضهم ينادي بضرورة دعم هذه الجهود بسلسلة من التشريعات التي تهدف الى اصلاح بعض الأوضاع الشاذة فتعيد النظر في نظام تملك الأرض والوقوف بالملكية عند حدود معقولة .

وقد كانت هذه الدعوات أشبه بالنذير لمن كان يتحكم العقل والنقد ولكن ما كان لها من سامع ومستجيب .

ففي يوم ١/١٢/ ١٩٥٠ قال الدكتور ابراهيم بيومي مدكور « هذا هو الريف المهمل ، فما أحوجنا أن ندرسه ، وأن نسمع شؤونه المختلفة . وكل ما نرجوه هو أن نخرج من هذه الدراسة بسياسة ايجابية عملية ، لا بمجرد مقترحات وآراء نظرية ، فقد قضينا زمنا طويلا في ترديد تلك الآراء والمقترحات ، فمضينا دون أن نحقق أمرا ، ووعدنا دون أن نفي بوعد ، ولقد تفتحت اذهان والتمست أعماق وعيون لترى نتيجة تلك الآمال والوعود ، وليس شيء أدعى الى القلق بل الى الاضطراب والثورة من خيبة الأمل وزوال الوعود » ..

الوضع عند انتهاء الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ــ ١٩٤٥ م

وهكذا لم تكد تنتهي الحرب العالمية الثانية حتى بات المجتمع الزراعي لمصر وسوريا والعراق تحت رحمة فئة من الناس تتحكم في مصائر أكثرية الشعب . الا أن الوعي العام والمطالبة بالحقوق الأساسية للمواطنين قد عم بين أوساط الشعب، وراحت الأفكار الاقتصادية والاجتماعية الحديثة تقول أن الاتجاه لاشباع حاجات الفرد يتحقق باتجاهين ، الأول في تحقيق زيادة الانتاج القومي واستغلال امكانيات هذه الزيادة ، والثاني في اعادة النظر في توزيع الدخل القومي بين طبقات الشعب وافراده . ■■

بغداد : عبد الرزاق الهلالي

العربي : في العدد القادم « قصة الأرض قبيل الثورات العربية الحديثة ومن بعدها » .



من أخطاء القضاء

الحكم بإعدام متهم بريء لجريمة اعترف غيره بارتكابها !

بقلم : حسن الجداوى

المحامي أمام محكمة النقض — القاهرة

■ كانت الضحية الثانية — أو لعلها الأولى من حيث الترتيب — في مجموعة أخطاء القضاء الإنجليزي التي سنستعرضها من أشهر المحاكمات رجل اسمه « جورج كنث » . كان يملك ويدير في احدى ضواحي مدينة لندن محلا عاما ومطعما أطلق عليه اسم « قصر وندزور » .

وقد ازداد الإقبال على هذا المطعم بمناسبة تتويج الملكة فكتوريا وقرب زفافها الى البرنس البرت — فنحن الآن في عام ١٨٣٩ . فقد كان « جورج كنث » يحبه المترددون على مطعمه ، وسرعان ما اكتسب ثقة عملائه الجدد . وكان قد مضى على انشاء مطعمه أكثر من عشر سنوات حالفه فيها النجاح ، ووجد عمله في ازدهار متواصل . فهو سعيد راض عن نفسه وعن عمله ، ينظر الى المستقبل في ثقة واطمئنان ، بالرغم من أن ادارة محل عام بمدينة لندن والاحتفاظ له بالسمعة الطيبة لم يكن من الأمور الهينة في تلك الأوقات .

من أجل ذلك حرص صاحبنا على أن يشرف بنفسه على كل كبيرة وصغيرة في مطعمه . واكتفى بالاستعانة بزوجته — وقد كانت أصلح امرأة تقوم

بتلك المساعدة . فهي سيدة جميلة بشوشة تحسن استقبال الزبائن ، تبتسم لكل قادم ، ولكنها تعرف كيف توقف المتهور منهم عند حده دون اغضابه لانها عنيفة لا تعرف التفريط في نفسها .

ولكن الاشكال الكبير على محله الصغير ـ على كره منه ـ ان يستعين بفتاتين تستقبلان الزبائن وتقدمان لهم ما يطلبون . ولم يكن العثور على فتيات يصلحن لهذا العمل بالامر السهل ، اذ كان لا بد ان يكن وسيمات بشوشات من النوع الذي يجتذب الزبائن . ومثلهن يحتاج الى مراقبة شديدة لتمنعهن من الانحراف عن مدى الابتسام لعملائهن او الاساءة الى سمعة المحل بتصرفاتهن مع الزبائن . وجرب « كنط » عددا كبيرا من الفتيات كان يضطر كثيرا ـ لسبب او لآخر من هذه الاسباب ـ الى الاستغناء عن خدماتهن .

واخيرا وقع اختيار زوجته على فتاة جديدة اسمها « جين بولاند » ، قالت عنها انها فتاة تحترم نفسها ليست من النوع الخليع وانه يمكن الاطمئنان اليها لانها ـ برغم جمالها الذي يجتذب الزبائن ـ لا يسهل استهواؤها ولا يخشى ان تسيء الى سمعة المحل .

وكان « قصر وندزور » مكونا من ثلاثة ادوار : الدور الارضي للمطعم ، والمحل العام ، والدور الذي يليه يشغله جورج كنط وزوجته ، ويجاور غرفتهما غرفة يقيم فيها ـ من وقت لآخر ـ شاب اسمه « جوزيف ادواردز » ، ليس عميلا بل هو اشبه بصديق للعائلة . والدور الثالث ، وبه اكثر من غرفة ، أعد لسكنى العاملات بالمحل. ولذلك قرر جورج كنط تخصيص غرفة لكل فتاة واحدة من الفتاتين اللتين تعملان عنده . قرر ذلك بناء على الحاح زوجته التي وجدت ان الغرف متوفرة فلا داعي لوضع الفتاتين في غرفة واحدة . قرر ذلك بالرغم من انه كان يرى في ذلك اسرافا كبيرا.. حتى لكأن الفتاتين من سيدات المجتمع يجب تخصيص غرفة لكل واحدة منهما .

وحدث ان لازمت زوجة « كنط » الفراش لمدة ثلاثة ايام بسبب وعكة طارئة . ووجد جورج كنط نفسه مضطرا لتولي اعمال نظافة البار مستعينا بالفتاة جين بولاند . لقد كانت فتاة جميلة حقا . بديعة القوام . وسيمة الوجه . ذات ابتسامة جذابة . وبينما هما يعملان معا . وقعت عينه على عينها فابتسمت له ابتسامتها الجذابة.ووجد نفسه ـ دون ان يشعر ـ يربت على خدها بالفرشاة التي كانت بيده بلطف . فلم تنفر ولم تبد اي اعتراض . لقد كان يكبرها بعشرين سنة . ولم يشعر ولا خطر بباله ان مثله يغري مثلها ولا هو اراد ذلك . فهي اذا حركة استلطاف تحمل طابع الابوة . ولكن الفتاة قابلت حركته بابتسامة لبقة مغرية ، حركت فيه بعض الاطماع . فلماذا لا ينتهزها فرصة للترفيه عن نفسه ؟ وطالما انه لا يريد بالفتاة شرا ولا ينوي ارتكاب فاحشة فلا بأس من شيء من التسلية البريئة .

جرت هذه الافكار سريعة في عقله . والانسان ضعيف امام الاغراء والفرصة سانحة ، فهما الآن وحدهما ، والزوجة في فراش المرض . فاذا به يتجه الى غرفة الاستقبال بعيدا عن الانظار ويشير للفتاة بان تلحق به . فلا تخيب له املا ، بل تتقدم نحوه وقد انفرجت شفتاها للمرة الثالثة عن تلك الابتسامة العريضة .. ابتسامة الفتاة المدركة لما هي مقبلة عليه . فلما اقتربت احاط خصرها بذراعيه وحاول تقبيلها . ولكنها قاومته .

* * *

لقد كان يعلم من تجاربه الماضية في مثل هذه المواقف ان كل فتاة مهما كانت رغبتها ، تبدي منعا ومقاومة.لاعتقادها انها ان لم تفعل ظن الرجل بها الظنون واعتبرها من النوع الرخيص المفرط في عرضه .. ولكنه كان يعلم ايضا ان هذه المقاومة لا تستمر طويلا خشية ان تضيع الفتاة فرصة الاستمتاع . او كما قال شوقي :

فتورٌ عفافاً ، وإعراضٌ ماكرا
حالٌ من الغيد الحسان عرفته

ولكن راع صاحبنا ان مقاومة هذه الفتاة استمرت طويلا حتى افلتت القبلات لتحطيمها ، واعتقد انه اذا وضع شفتيه على شفتيها واحست حرارة قبلاته انهارت مقاومتها .. فقد حدث له مثل ذلك في مرات سابقة .. ولكن محاولته هذه باءت بالفشل،واستمرت الفتاة تقاوم ولا تستجيب لقبلاته كما لو كانت فتاة بريئة ليس لها خبرة بمثل هذه الامور . واحتار ماذا يفعل . ان الطريقة التي لبت بها دعوته لها الى غرفة الاستقبال لا تتفق مع هذه المقاومة العنيفة .

ولما لم يجد فائدة من المحاولة تركها لحال سبيلها . فلم تصرخ . ولم تستنجد . واكتفت بان هددته بانها ستبلغ زوجته بما حدث وانذرته بانها ستترك العمل . وبدا انها جادة فيما تقول .



.. ولكن محاولته هذه باءت بالفشل ..
واستمرت الفتاة تقاوم ولا تستجيب البلاء ..

ولكن الذى حدث بالفعل انها لم تبلغ زوجته ولكنها بقيت طوال اليوم مقطبة الجبين غاضبة . « كل ذلك من اجل لحظة مزاح برئ لا خطر وراءه ، ولا ضرر وقع منه . يا لها من فتاة غريبة .. » .

وجاء المساء فاذا بالفتاة جين بولاند تحاول أن تغرق آلامها فى الشراب . أو هكذا اعتقد هو وزوجته لما بدا من عدم قدرتها على الوقوف على قدميها . وكان ذلك عكس ما كان منتظرا منها . اذ ان اساس العمل فى البار أن لا تشرب العاملة الخمر اثناء العمل ، ومن باب اولى أن لا تفرط فى الشراب . فنقلها « كنك » وزوجته ، ووصفاها بأنها سكيرة عربيدة مستهترة ، جلبت العار الى محلهما .. ووجدا من الخير لسمعة « قصر ونذور » أن تترك العمل عندهما فليس من مصلحتهما بقاء فتاة من هذا النوع فى خدمتهما .

وفى الساعة الثامنة مساء ازدادت حالة الفتاة سوءا فلم يجد كنك بدا من ارسالها لغرفتها . ولما كان واضحا انها لا تستطيع الصعود اليها بمفردها طلب الى الفتاة الاخرى — جين هوتنيار — أن تذهب معها وكرر تعنيفه لها بأنها سكيرة عربيدة مستهترة .

★ ★ ★

وبعد مضى بعض الوقت ابدت الزوجة مخاوفها من أن تكون حالة الفتاة جين بولاند ليست ناتجة عن الافراط فى الشراب وقد تكون تشكو مرضا . وذهبت هى وزوجها للاطمئنان عليها . فلما دخلا غرفتها وجداها ملقاة على السرير بكامل ملابسها وفى شبه ذهول فايقنا أن ذلك كله من أثر الخمر ، وازداد امتعاضهما منها ومن سوء تصرفها .

وفي صباح اليوم التالي ، بينما « كنغ » وزوجته يرقدان في سريرهما آمنين ، سمعا طرقا على باب غرفتهما . فقامت الزوجة فزعة معتقدة أن الطارق جاء يخطرهما أن النار قد شبت في الدار . ولحق بها زوجها الى الباب . فتبينا أن الطارق هو الفتاة جين بولاند ، ووجداها تبكي وتهذي ، ولم يستطيعا أن يتبينا ما الذي تقوله . واخذت السيدة « كنغ » تسألها عن ردعها فاستسلمت لها ، ولكنها أبت أن يقترب جورج كنغ منها ، واخذت تصيح في وجهه « ابتعد عني أيها الوغد . ابتعد » .

ولما استطاعت مسز كنغ أن تهدىء من روع الفتاة اتهمت جين بولاند في البكاء وقالت ان اعتداء وقع عليها اثناء نومها ، وان المعتدي هو جورج كنغ .

وطبعا لم تعر مسز كنغ هذا الاتهام اية اهمية لانه لا يعقل .. بل لاستحالته . فقد كان زوجها بجوارها في السرير طول الليل لم يبارحه ... وهي لم تنم نوما عميقا يسمح له بترك السرير دون ان تشعر . وفوق ذلك فالذي تعرفه عن امر زوجها انه لا يقدم على مثل هذا العمل .. فقد عرفت على عدة فتاة .. أو يمزح معها .. اما أن يقتحم غرفة فتاة ويعتدي عليها فليس ذلك طبعه ولا يتفق مع ما خبرته من خلقه .

لذلك لم تحمل الزوجة هذا الاتهام على محمل الجد . وقابلته بأن صبت جام غضبها على الفتاة الغريرة وامرتها بجمع حوائجها على الفور ومغادرة « قصر ونغزور » . وهددتها بأنها لن تدفع لها باقي استحقاقها ولن تعطيها شهادة بحسن السلوك .

★ ★ ★

ومن هنا نستطيع أن نتصور الصدمة التي اصابت الزوجة حين اقبل البوليس بعد أقل من ساعة ليقبض على الزوج بتهمة الاعتداء على الفتاة جين بولاند واغتصابها كرها .

★ ★ ★

وذهب الجميع الى مركز البوليس . أما جين بولاند فأصرت على اتهام جورج كنغ بأنه اغتصبها كرها . واما جورج كنغ فقد انكر التهمة بشدة . ومع ذلك احتجزه البوليس لمدة يومين .

ثم عرضت القضية على محكمة البوليس وهي محكمة اجراءات تقرر ما اذا كانت تعتبر الأدلة كافية لتوجيه الاتهام أم غير كافية فتقضي بأن لا وجه لاقامة الدعوى .

واستمعت المحكمة الى اقوال جين بولاند . فروت روايتها . وكان واضحا من الأسئلة التي وجهتها لها المحكمة أن المحكمة غير مقتنعة بأقوالها . واطمأن جورج كنغ الى أنهم سيقررون حتما أن لا وجه لاقامة الدعوى .

ولكن المحكمة ــ وهي محكمة اجراءات كما قلنا ــ وجدت نفسها امام اتهام خطير عقوبته ــ حينذاك ــ الاعدام . فرأت ان تحيل المتهم الى محكمة الجنايات ليحاكم امام اقرانه ــ المحلفين ــ .

واظهرت المحكمة مع ذلك اقتناعها ببراءة المتهم بأن اخلت سبيله مفرجا عنه لحين المحاكمة .

★ ★ ★

لم يكن جورج كنغ يتوقع أن تسير الأمور هذا السير . انه موقن ببراءته . ويبدو أن محكمة البوليس هي الأخرى مقتنعة ببراءته . فلماذا يبقى هذا الاتهام معلقا فوق رأسه مدة أخرى . لقد كان يتصور أن محكمة البوليس ستوجه اليه اسئلة بعد سماعها أقوال الفتاة وتمكنه من الادلاء بروايته ، التي كان يستطيع أن يؤيدها بالاستشهاد بزوجته التي كانت ستشهد بأنه لم يغادر سريرها في تلك الليلة المشؤومة . ولو تم ذلك لظهرت براءته وانكشف كذب الاتهام . وخرج بريئا .

ولكن الذي حدث أن أحدا لم يطلب منه الادلاء بأقواله ، ولا دعيت زوجته للشهادة . وظلت الحقيقة مختفية عن صدريهما . ذلك انه لم يكن ملما باجراءات التقاضي امام محكمة البوليس التي يقتصر دورها على سؤال المتهم ان كان يعترف بالتهمة أو ينكرها . فان انكرها تركت له ابداء دفاعه امام محكمة الجنايات .

وبقي جورج كنغ متعجبا لاخلاء سبيله من غير أن يوضح الحقيقة للمحكمة ، ولكنه كان مطمئنا الى أن الفرصة آتية وانه سيبدي أقواله امام المحكمة وتسمع شهادة زوجته .

لذلك استيقظ في اليوم المحدد لمحاكمته مبكرا ــ غير قلق ــ واتجه الى سوق المدينة يسوق امامه قطيعا من عجول ليبيعها ــ فقد كان من بعض مهام الاتجار في الماشية ــ ثم تناول افطارا شهيا ــ قبل أن يسلم نفسه ــ في اطمئنان تام على نتيجة المحاكمة ــ الى محكمة « اولد بايلي » الرهيبة .

★ ★ ★

وهناك ــ ولأول مرة ــ فوجيء جورج كنغ ــ

بأنه باعتباره منهما لن يسمح له بالادلاء بأقواله. وبأن زوجته — بسبب صلة القرابة — لا يجوز لها أن تشهد له أو عليه .

وهكذا اصبح مصيره معلقا على مدى الثقة التي يمنحها المحلفون في أقوال تلك الفتاة التي اتهمته بالباطل ولا تزال تصر على اتهامه .

★ ★ ★

وبدأت المحاكمة بسماع أقوال جين بولاند .

كان منظرها .. وهي تدلي بشهادتها — يوحي بأنها فتاة بريئة تستحق الشفقة . وشرحت للمحكمة — في حياء صادق أو مصطنع — كيف ربتت مخدومتها بالفرشاة على خدها . وكيف ذعرت بادىء الأمر . ثم كيف انسرفت روعها حين وجدت انه لم يتطلب هذه الحركة اي فعل آخر . فاعتقدت انها حركة جاءت عفوا عن غير قصد . فلما استدعاها مخدومها الى الصالون لبت دعوته بحكم واجبها معتقدة انه يريد ان يكلفها بعمل . وانها دهشت — بل صعقت — حين وضع يده عليها واحاط خصرها بذراعيه . وقبلها رغما عنها .. ورغم ممانعتها .. وانها قاومته بكل قوتها ثم افلتت منه وانقذت شرفها . ثم رجاها أن لا تذكر ما حدث لزوجته قائلا : « ان ما لم تره العين لا يشعر به القلب » .

وسألتها المحكمة عما فهمته من هذا الكلام . فاجابت انها لم تدرك ما الذي اراد ان يقوله ، ولكنها اعتقدت انه ندم على ما فعل ، فلم تخبر زوجته ، واكتفت بأن اقنعتها انها قررت ترك العمل .

وذكرت للمحكمة انها يتيمة الأبوين ولها أخ واحد هو « هنري » ، جاء الى قصر وندسور بعد ظهر ذلك اليوم ، وانها لشدة قلقها وفزعها مما حدث لها لم تر بدا من الافضاء اليه بمخاوفها . وسألته رأيه في ترك العمل دون انتظار مهلة الأسبوع التي يحتمها القانون قبل ترك العمل خشية ان يصيبها مزيد الضرر . ولكنه طمأنها ونصحها بالانتظار وقال لها انه لا خوف عليها ما دام مخدومها قد اظهر الندم .

وانكرت انها افرطت في الشراب او انها سكرت. صحيح انها أحست بدوار ولكن ذلك يحدث لها كثيرا لانها تتعرض لنوبات . وقالت انها اخبرت مصاحبة الآنسة هولنيار لها اثناء صعودها الى غرفتها عطفا كبيرا منها بعد ان اتهمها مخدومها — دون أن يدرك حالتها المرضية — انها سكيرة غريبة .

وقالت انها عندما وصلت الى غرفتها القت بنفسها على السرير بكامل ملابسها وانها افاقت بعد ذلك فوجدت شمعة مضاءة بالغرفة ورأت على ضوئها مستر « كنط » يقف بجوار سريرها مرتديا ملابسه العادية . وطبعا فزعت أشد الفزع لوجود رجل بغرفة نومها ، الأمر الذي لم يسبق لها حدوثه طوال حياتها .. ثم وضع مخدومها يدا على فمها .. ومد يده الأخرى الى جسمها .

وقالت انها فزعت .. وقاومت .. وحاولت ان تصرخ ولكنها لم تستطع لأن يده كانت على فمها .

ثم غابت عن وعيها . فلما افاقت كانت الغرفة لا تزال مضاءة بتلك الشمعة . ووجدت ان مستر « كنط » لا يزال بالغرفة بجوار الباب من الداخل .. وليس عليه من الملابس الا قميص نومه ..

وطبعا احست برعب قاتل وصاحت به « لا تدخل . ايها الوغد . لا تدخل » .

ولما ناقشتها المحكمة في مدى مقاومتها له قالت انها لا تدري كيف كانت تستطيع مقاومته الا بالصراخ والاستغاثة بمن في المنزل .. وكانت تفعل ذلك لولا انه قال لها انها سكرى .. وغادر الغرفة.

وبعد انصرافه اكتشفت ان ملابسها قد عبث بها ، واحست بآلام في عظام جسمها وليست ما حل بها من ضرر . فاتجهت فورا الى غرفة السيدة « كنط » . ثم تفكر في الاتجاه الى الآنسة هولنيار المقيمة معها بنفس الدور بالغرفة المجاورة لأنها فتاة ، ولأنها اعتقدت أن السيدة المتزوجة اقدر على مساعدتها .. وطرقت باب غرفة مسز «كنط» تستأذن في الدخول . ولما فتحت لها الباب روت اليها ما حدث . ولكن مسز « كنط » ، وكان زوجها يقف بجوارها ، بدلا من أن تعطف عليها كذبتها .. وتساءلت على اي اساس كذبتها وهي لم تكن حاضرة . ولم تكتف بتكذيبها بصدد محنتها وقالت لها انها سكيرة غريبة مستهترة وامرتها بمغادرة المنزل على الفور .

فعادت الى غرفتها وجمعت حوائجها وكانت مصممة لمغادرة المكان آسفة انها لم تفعل ذلك قبل ان يحدث لها ما حدث .. واحتارت فيمن يحمل لها صندوق ملابسها فتقدم منها شاب من بين سكان المنزل — فيما تعتقد — اسمه جوزيف —

حمل لها الصندوق ورافقها الى منزل اخيها .. وكان الصباح قد بزغ .

وجاء شهود تقدم بهم ممثل الاتهام ، ـ اجمعوا ـ الى حد ما ـ « جين » في اقوالها .

شهد اخوها ـ هنري بولاند ـ بان اخته تتعرض لنوبات وانها كثيرا ما تفقد وعيها . وانها اخبرته في اليوم السابق بحادث غرفة الاستقبال، وانها كانت متهيجة محمرة العينين من اثر البكاء حين وصلت في صباح الغد بصحبة جوزيف ادواردز .

وشهدت زوجته انها فتشت ملابس جين بولاند الداخلية وتبينت فيها اثارا واضحة الدلالة .

وجاء طبيب اكد انها فقدت بكارتها من وقت قريب ..

★ ★ ★

وانتهت بهذا ادلة الاتهام . لقد كان الامر مؤلما للغاية . روت الفتاة ما قالت انه حدث لها بعينين مبللتين والخجل اخذ منها كل ماخذ . وطبيعي ان يكون لمثل هذا تاثير على المحلفين يستجلب عطفهم ويحملهم على صب جام غضبهم على الوحش المفترس الذي لم يحترم براءة الفتاة الصغيرة .

ولولا ان جورج كان مطمئنا الاطمئنان كله لبراءته ، لتهيب بالدفاع عن نفسه الى محام من المحامين . ولو انه فعل لوجدت جين بولاند نفسها امام وابل من الاسئلة المحرجة يوجهها اليها محاميه ليظهر ما في روايتها من تناقض ، وما في اجاباتها من ضعف ، وليفضح ما في ادعائها من كذب .

كان الدفاع سائلها ـ ما هو ماضي حياتها ؟ هل سبق لها العمل في بار ؟ وان كان قد سبق لها فهل وصلت الى سن الثالثة والعشرين دون ان يقبلها رجل او يحاول ؟ وما الذي حدا بها للذهاب في اطمئنان الى غرفة الاستقبال بعد حادث التربيت على خدها بالفرشاة ؟ ولماذا كانت اخته من محاولة تقبيلها بالقوة انتهاكا لها ورغبة في الاعتداء عليها فلماذا رغبت في البقاء اسبوعا ، ولم تغادر قصر وندزور على الفور ؟ ولماذا لم تحاول حماية نفسها بتبليغ زوجة كنط ما حدث لها ؟ ولماذا حين وجدت نفسها عاجزة عن الصراخ لانه كان يضغط على فمها بيده لم تحاول عض تلك اليد ؟ ولماذا ـ اذا صح انها كانت في حالة هياج حين اكتشفت ما حل بها من عار ـ وقفت في ادب طرق باب غرفة كنط وزوجته في حين ان طالب النجدة لا يتمسك بتلك الادبيات ؟ وماذا قصد اخوها حين قال انها تتعرض لنوبات ؟ هل قصد انها تفقد وعيها ؟ ام قصد انها تتخيل خيالات ؟

★ ★ ★

ولكن لسوء حظ جورج لم يكن المحامي الذي وقع عليه اختياره للدفاع عنه في المستوى الذي تتطلبه قضية بهذه الخطورة . فقد اعتقد انه قادر على الحصول على براءة موكله دون حاجة الى استجواب المجني عليها ؟ ووضع بيضه كله في قفص واحد كما يقول الانجليز فبنى دفاعه كله على ورقة آمن بانها رابحة وانه لا سبيل الى تجاهلها.

طلب سماع شهادة جين هولنيان. فشهدت بانها تعتقد ان جين بولاند كانت سكرى فعلا حين امرتها مسز « كنط » بترك البار والذهاب الى غرفتها. وانها متاكدة ان جين بولاند لم تكن لتقوى على الصعود الى غرفتها بمفردها ، واستدلت على ذلك بانها عجزت عن مجرد خلع ملابسها قبل ان تاوي الى سريرها ورفضت ان تساعدها الشاهدة على خلعها . وقالت الشاهدة انها تركت جين بولاند بالغرفة واخذت معها الشمعة الوحيدة وتركت الغرفة مظلمة . وكان ذلك في الساعة الثالثة مساء .

وانها ـ في منتصف الليل ـ بعد ان انهت عملها بالبار ـ وقبل ان تاوي الى غرفتها ـ حملت الشمعة الوحيدة لتضيء الطريق لها وللمستر ادواردز ، صديق العائلة ، الذي صعد معها الى الدور الذي تقيم فيه ليعود بعدها الى الدور الذي يقيم فيه صاحبا قصر وندزور . وانها رات واجبا عليها ان تطمئن على مس بولاند لترى ان كانت استطاعت ان تخلع ملابسها وتاوي الى فراشها . وكان المستر ادواردز لا يزال معها لعدم وجود شمعة اخرى . فتركته طبعا خارج الغرفة ودخلت بمفردها فرات جين بولاند ملقاة على السرير بكامل ملابسها . واعتقدت انها مستغرقة في النوم ، فالتحفت بان القت عليها غطاء وتركت الغرفة . وسارت الى غرفتها هي ، وناولت مستر ادواردز الشمعة عند باب غرفتها ليتبين طريقه للدور الاسفل حيث غرفة نومه . وراته يتجه نحو السلم ولكنها لا تستطيع ان تقسم ان كان قد نزل الى الدور الاسفل لانها بطبيعة الحال دخلت غرفتها نحو اغلاقه .

واستدعى الدفاع ورقته الرابحة التي طلق

عليها كل آماله في كسب القضية واتهامه البريء — جوزيف ادواردز .

طلب القاضي من ادواردز أن يقسم اليمين على أن يقول الصدق . كل الصدق . ولا شيء غير الصدق . ثم — قبل أن يوجه أحد الى الشاهد أي سؤال — لفت القاضي نظره الى أنه غير مطالب بالاجابة على أي سؤال يوجه اليه . ولكنه ان اجاب — لتحمل ما قد ينجم من مسئولية عن اجابته . سئل عن عمله : فقال : انه بدون عمل الآن ولكن مهنته الاصلية جزار .

سأله محامي الدفاع ان كان قد ذهب — في ليلة الحادث — الى غرفة مس بولاند فأجاب — بعد تردد — « نعم . ذهبت » .

وهنا اعاد القاضي تحذيره الشاهد بأنه غير ملزم بالرد اذا اعتقد ان في الرد ما قد يدينه . فقال الشاهد انه يدرك ذلك تمام الادراك .

وقال انه قد وقع نظره لأول مرة على مس بولاند عندما جاءت في الصباح للعمل في قصر وندزور ولكنه لم يوجه اليها أي حديث واكتفى بالنظر اليها ولم يظهر أي اهتمام بها .. ثم لم يلبث أن ابتسم لها . فقابلت ابتسامته بابتسامة منها.

وقال انه وجدها جميلة جذابة فقد اعتقد — حين ابتسمت له — انها من النوع السهل الذي التي لا يصعب الوصول اليها .

وفي ليلة الحادث — بعد أن تناول الشمعة من الآنسة هولينار ليضيء طريقه تعمد أن يتجه الى السلم ليوهم الآنسة هولينار انه متجه الى غرفته، ثم انتظر حتى تأكد انها دخلت الى غرفتها فاتجه الى غرفة الآنسة جين بولاند . ولم يجد صعوبة في معرفة الغرفة لأنه رأى مس هولينار وهي تدخلها ولمح مس بولاند مستلقاة على سريرها . واستمر يقول — ودخلت غرفة نومها والشمعة في يدي فوجدتها مستيقظة وفي كامل وعيها . فابتسمت لها وابتسمت لي . وتقدمت نحوها فلم تنفر . ووضعت يدي عليها فلم تمانع . وجذبتها الي فلم تقاوم . وكانت راغبة . بل انني لم اصادف في حياتي امرأة اكثر منها رغبة .

كانت هذه الشهادة هي الورقة الرابحة التي وضع فيها محامي جورج كندي كل آماله ، والتي اطمأن اليها فلم يفكر في أن يضيف اليها شيئا . لقد ظنها قاطعة في التدليل على براءة موكله . ولكنها — مع الأسف — لم تكن بالقوة التي تصورها المحامي . فقد سألت المحكمة الشاهد ادواردز عما حدث في صباح اليوم التالي فقال : « صحبتها الى منزل اخيها حاملا لها صندوق حوائجها . ولم أشأ أن أذكرها بما حدث في الليلة الماضية . ولكنها تحدثت عما حدث بيننا وقالت انها ستتخذ من ذلك وسيلة للانتقام من المستر « كنف » لأنه جرح كرامتها حين وصفها بالسكر والعربدة، وانها جلبت العار على محله » .

وتحدث عدد من الشهود عن اخلاق المتهم فوصفوه بالعفة ودماثة الطبع واستبعدوا أن يحدث منه ما نسبته اليه جين بولاند .

وبعد ذلك انتهى الدفاع . ذلك أن القانون الانجليزي — في ذلك الوقت — لم يكن يسمح للمتهم أن يحلف اليمين ويقف موقف الشاهد ويدلي بروايته كاملة ثم أن يستجوبه محامي الاتهام ، فاذا صمد للاستجواب الأخير واقتنع المحلفون بصحة اقواله صدقوه وبرأوه — كما هو حادث الآن — بل كان كل ما يستطيعه الدفاع — في ذلك الوقت — أن يتقدم بالأدلة والشهود ولا يسمح له بالتعليق عليها . فأمر التعليق كان متروكا لممثل الاتهام وللقاضي في تلخيصه .

* * *

واستغل ممثل الاتهام تلك الرخصة التي يبيحها له القانون في الانتقاص من قيمة شهادة جوزيف ادواردز . فقال : انه لا يمكن الاطمئنان الى اقواله . وان روايته مصطنعة . الا لو كانت صحيحة لتقدم بها منذ بادىء الأمر وأدلى بها للبوليس . ترى لماذا لم يفعل ؟ هل أراد أن يستجمع شجاعته ليدلي بشهادة قد تدينه ؟ ان الأمر لم يكن يتطلب اية شجاعة فقد احتاط لنفسه وزعم ان الفتاة كانت مقبلة عليه راغبة فيما حدث لها وبذلك وضع نفسه في اطار من القانون لا يمكن معه توجيه أي اتهام اليه . أم يكون قد تآمر في تأليف رواية من نسج خياله أو من نسج دفاع المتهم ؟

ما هي الحقيقة اذا ؟ الحقيقة التي لم تعد تحتمل جدلا هي أن المتهم هتك عرض الفتاة المسكينة بالطريقة التي روتها لنا . أما هذا

الشاهد ادواردز ــ الذى يعرف المتهم والذى يهمه امره والذين له ولا شك ــ فقدما يتقدم لكم برواية مكذوبة مفضوحة باطلة من اساسها يريد بها ــ دون ان يلحقه منها اى ضرر ــ ان ينقذ صديقه من الجريمة البشعة التى اقدم عليها .

ان اوراق القضية جميعها امامكم ووقائعها كلها معروضة عليكم وليس فيها ما يشير ــ من قريب او بعيد ــ الى ان هذه الفتاة الصغيرة الطاهرة مستهترة مفرطة فى عرضها كما يزعم ادواردز . فالتهمة التى وجهها لها ادواردز بادية البطلان ، بطل التلفيق من جميع جوانبها ، ولا يمكن لعقول المحلفين الراجحة الا تعيرها اى اهتمام .

ان المحلفين افراد من الشعب عاديون . ليست لهم خبرة قانونية ولا يزنون الادلة دائما بميزان دقيق . وهم ككل انسان يتأثرون بعواطفهم . ومنظر فتاة شابة جميلة تتحدث فى خجل عن غدر مليم حاق بها ، من شأنه ان يؤثر فى افراد الشعب . لكل واحد منهم بنت او اخت قد يقع بها ما وقع لهذه الفتاة . وهم ــ لعدم ممارستهم الحكم فى القضايا كالقضاة المحترفين ــ تسحرهم الاقوال البليغة ويبهرهم الكلام المنمق .

وقد صدقوا الرواية المؤثرة التى ادلتها جين مولاند ، ولم يعيروا ادواردز اية اهمية واصدروا قرارهم بالادانة . والقاضى الانجليزى مقيد بقرار المحلفين ــ مهما كان رأيه فيه ــ فلم يسعه الا ان ينطق بالحكم الذى يقرره القانون فى حالة الادانة ... وهو الاعدام شنقا .

ورفع المتهم يديه الى السماء يشهدها على ذلك الظلم الذى وقع عليه وصاح بكل قوته « انا برىء » وادرك جميع من كانوا فى قاعة الجلسة صدق براءة المتهم وهو يهتف ببراءته واستقبلوا الحكم بالاستنكار الشديد .

★ ★ ★

وخرج الناس من القاعة يتحدثون عن احساسهم بالظلم الذى وقع . وخرج مراسلو الصحف الى دور صحفهم يعلقون على هذا الحكم بالقدر الذى تبيحه القوانين ولكنهم لم يستطيعوا الا ان يذكروا اثره على الجمهور . وهكذا سرى بين الناس احساس قوى بضرورة تقويم هذا الخطأ القضائى الفاحش . واخذوا يتساءلون « هل يجوز اعدام رجل لمجرد ظن رجل آخر انه هو الذى ارتكبها؟ »

وعلى فرض ان اعتراف ادواردز مشكوك فى صحته فاين الدليل القاطع على ادانة « كنك » ؟ ان الطبيب لم يقل الا ان الفتاة فقدت بكارتها من وقت قريب .. ولكنه لم يحدد ان ذلك وقع حتما فى الليلة المشؤومة . وتلوث ملابس الفتاة ــ الذى شهدت به زوجة اخيها ــ قد يرجع الى هتك عرضها او لاسباب اخرى . وسواء صدقت لادواردز انها ستتخذ مما حدث لها سبيلا للانتقام من « كنك » او لم تقل فقد يكون لها دوافع اخرى تنسب الاعتداء عليها لشخص او لآخر ، وأوحى لها حماتها الصالحون ان تتهم « كنك » .

ومع ذلك فليس فى رواية الفتاة نفسها دليل ساطع على ان كنك اعتدى عليها . فان كل ما قالته انه دخل غرفتها ووضع يده عليها . وهذا ــ اذا صح ــ يكون شروعا ولا تكون عقوبته الاعدام .

والرأى العام حساس لكل ظلم يقع على احد الافراد . لذلك هاج هياجا شديدا . ورفع احتجاجه على الحكم ، رفعه عمدة لندن ، وقد كان حاضرا المحاكمة . واجاب العمدة ان الادلة ــ فى رأيه ــ غير كافية وانه ــ لو انه كان احد المحلفين لما وافق على قرار الادانة .

وكان لهذا الرأى قوته ــ واتجه افراد من الشعب استنادا الى هذا الرأى الى وزير الداخلية وطلبوا منه انقاذ العدالة ، فدرس ملف الدعوى ، وحصلوا منه على اعترافه بوجود بعض الشكوك فى صحة الحكم . ولكن نظام المحلفين جزء اساسى فى نصوص الدستور الانجليزى . ووزراء الداخلية يتحرجون من المساس باحكامهم لما لها من قدسية وامام ذلك لم يسع وزير الداخلية ان يلغى الحكم ولكنه اضطر ــ ارضاء للرأى العام الى تعديل العقوبة ــ وبدل عقوبة الاعدام كان النفى الى ما وراء البحار .

وهكذا وجد « جورج كنك » نفسه ــ وهو الذى اعترف رسميا بوجود شك فى ادانته ــ منفيا من بلاده وكل الذى استطاعته القوى الواسعة ببراءته ان تفعله هو انها انقذت رقبته من حبل المشنقة . ■■

حسن الجداوى



قرأ الشاعر هذه القصيدة ، فاستحسنها وبادر الى ترجمتها
شعرا . وهي للشاعر الانجليزي هارولد فيلدنج هول

ساحة المجد ، ترى اين حماها انني لا اشتهي حتى اراها
هاجني الشوقُ الى آفاقها لستُ اعرف شيئا عن ربها
هاروا لي عن ارض حرة تهب الابطال مجدا لا يضاهي
خضبوا ساحاتها من دمهم فاستحموا الخلد في رحب فضاها
أين تلك الارض مني يا ترى ؟ حيث عم الكون فيضٌ من سناها
تهب العيش ولا تبغي ما وهب منا ولا تبغي اداها
أين ساحُ الحرب ؟ من اطرافها يعرج الفتى الى أوج سماها
ربما كانت بأقصى بقعة حيث يسري الدفق في رحب ثراها
حيث تجري عذبةً انهارها في رمال اخذت تروي ظماها
في ثراها يلتقي ابطالها ليموتوا فيعبروا بعلاها
أين تلك الارض ؟ ما نعتها ؟ أرزها كاملة من مبتداها
انني اهوى الردى في ساحها آخر العمر . لاحظى بغيابها
هكذا استعمر طفل من ربى وهو يهوى ميتة تحت لواها

فانتشاه الفرد من والده يحمل البشرى واسمع صداها :
ساحة المجد اذا رمت لقاها عمن اليوم ـ ادن ـ ابن فتاها
ولماذا آخر العمر ؟ اما لفتى مثلك حظٌ في نداها ؟
انها في كل ارض حرة تهب الشبان والشيب جناها
تمنح المجد لابطال غدوا ـ في سبيل الحق والخير ـ فداها
انها توجد في كل ثرى يشيع الامجادَ في ابهى رؤاها
انها لم تقتصر يوما على ساحة الحرب اذا دارت رحاها
حيث تذوي المدمعُ الرعاد في عرصات عمدت كلٌ حجاها
بل رأت في كل ارض موطنا رب فيه واغتدت من هداها
وثوى في رحبها كلُ فتى عاش في الدنيا شريفا يباهي
فاذا احببت ان تخلد في هذه الساح وتحظى بلقاها
ثمن اليوم اقمْ في رحبها واتخذ بيتك في اعلا ذراها
فاذا ادركك الموت غدا « لا تسل عنها ولا أين حماها »

سمارة الكويت ـ تونس

ترجمة : فاضل خلف



دردشة

من هو خير الازواج ؟

● قالت الكاتبة الروائية « اجاثا كريستي » : ان العالم الاثري هو خير زوج تحظى به اية امرأة ، لأنها كلما تقدمت في السن ازداد شغفه واهتمامه بها !

غني عصامي ..!

● نزل رجل من كبار الاثرياء الذين جمعوا ثروتهم بكدهم في فندق ، ولم تبد عليه مظاهر البذخ الذي يتناسب مع غناه .

فسأله الخادم : ان ابنك يا سيدي اذا نزل بهذا الفندق انفق من سعة فما بالك لا تطلب الا اقل الاشياء نفقة ؟

فأجاب الرجل : ان ابني والده من كبار الاثرياء فيحق له هذا البذخ ، اما انا فوالدي رجل من عامة الناس وفقرائهم !..

بخل الاسكتلنديين

● كتب أحد الاسكتلنديين الى جريدة التايمز : اذا لم تكف الجريدة عن نشر الدعاية التي تصور بخل الاسكتلنديين فانني سوف امتنع عن استعارة نسخ جريدتكم من جاري للاطلاع عليها !

حيرة !

● **قالت فتاة** : اني حائرة بين هذين الشابين . الاول جميل وغني وذكي ويعرف الحب .. والثاني يريد ان يتزوجني !

مشادة في البرلمان الفرنسي

● كان النائب « برتو » يلقي خطبة في البرلمان الفرنسي، فعزم بعض المتطرفين على مقاطعته ، فصاح برتو بالحجاب :

— افتحوا الشبابيك من فضلكم .

فقاطعه زعيم المعارضة بقوله :

— انزل عن المنبر ايها الراعي الشرير !

فصاح برتو :

كيف يستطيع الراعي ان يكون صالحا ما دام تيس القطيع على شاكلتك !

نصف الاعتقاد

● سألت إحداهن صديقا لها : كم تظن عمري الآن ؟

فأجابها : ٣٠ سنة ..

قالت : حقا إنك لطيف .. وكيف عرفت ذلك ؟..

قال : من عادتي أنني كلما سألتني سيدة عن عمرها قلت لها نصف ما أعتقد .



آينشتين يشرح النظرية النسبية لسيدة

● دعي آينشتين إلى حفل أقامته إحدى السيدات ، وفي أثناء الحفل ، طلبت إليه إحداهن أن يشرح لهن نظرية النسبية ، فروى القصة التالية : سرت مرة مع رجل مكفوف البصر ، فذكرت له أنني أحب اللبن ، فسألني : « ما هو اللبن ؟ » .

فقلت : « إنه سائل أبيض .. » .

فقال : « إنني أعرف ما هو السائل ، ولكن ما هو اللون الأبيض ؟ » .

قلت : « إنه لون ريش البجع » .

قال : « أما الريش فإني أعرفه ، ولكن ما هو البجع ؟ » .

قلت : « إنه طائر برقبة ملتوية » .

قال : « أما الرقبة فإني أعرفها ، ولكن ما معنى ملتوية ؟ » .

عندئذ أخذت ذراعه ومددتها ، ثم ثنيتها ، وقلت له : هذا معنى الالتواء .

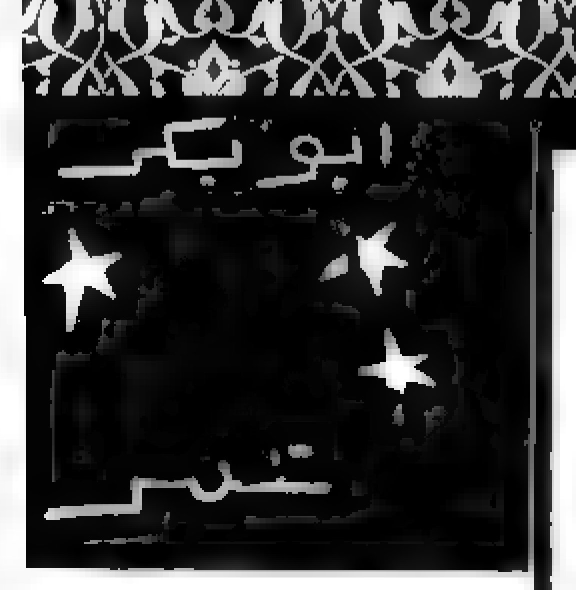
فاقتنع وقال : الآن عرفت ما هو اللبن !

ثم التفت إلى السيدة وقال : « ألا تزالين ترغبين في معرفة ما هي نظرية النسبية ؟ »

المرأة وقيادة السيارة

● ذهب رجل يطلب رخصة لقيادة سيارته ، فسأله أحد رجال المرور : ما معنى أن يخرج السائق يده من النافذة ؟

فأجابه : إن كان السائق سيدة فمعنى ذلك أنها ستتجه إلى اليمين ، أو إلى اليسار ، أو ستنفض سيجارتها ، أو توقف ، أو تشير إلى قبعة في إحدى العربات.



مقال يصف من امر الصوفية والصوفيين ما يصف ، في الفترة التي بين القرنين السادس والسابع الهجرية وهو يدور حول ابي الحسن الشاذلي خاصة ويذكر فيمن يذكر من مشهوري رجالها ، السيد احمد الرفاعي ، وابا مدين التلمساني ، ومحيي الدين بن عربي ، والشيخ ابا الفتح الواسطي ، والسيد احمد البدوي ، وعبد السلام ابن مشيش ، وابا العباس المرسي وغير هؤلاء . وقد جمعتهم حقبة من الزمان واحدة ، وتنقلوا من حيث المكان في رقعة من الارض واحدة ، امتدت من واسط عند الرافدين، الى سبتة عند بوغاز جبل طارق . فتلك هي الامة العربية الاسلامية الواحدة التي تنقل فيها العرب والمسلمون لا تقفهم حدود ولا تمنعهم من اجتيازها سدود .

خلق الله الامال . « العربي »

بقلم الدكتور
جمال الدين الشيال
المستشار الثقافي في سفارة ج.ع.م. في الرباط

نشأ في جو تصطرع فيه قوى العلم والفكر الحر مع قوى الرجعية والتزمت والكبت وضيق الفكر

■ ابو الحسن الشاذلي عالم من اعلام الصوفية وقطب من اقطابهم ، ولد في المغرب الاقصى وعاش معظم سني حياته في تونس ومصر ، وانشأ مدرسة صوفية كبيرة ما زال اتباعها وتلاميذها منتشرين في مختلف انحاء العالم الاسلامي ويكونون فرقا صوفية كثيرة تشعبت كلها عن الفرقة الاصلية التي انشأها وتنسب اليه ، وهي الفرقة الشاذلية .

نشأة الشاذلي

ولد ابو الحسن الشاذلي في اواخر القرن السادس الهجري في سنة ٥٩٣ هـ في قرية غمارة بالقرب من مدينة سبتة بالمغرب الاقصى(١) .

وهو نور الدين ابو الحسن علي بن عبدالجبار ابن يوسف .

وينتمي الى قبيلة عمران احدى قبائل المغرب

(١) سبتة اليوم بلد على البحر الابيض ، مقابل جبل طارق عدد سكانه .. ، نسمة .



وهي التي يسعى اليها ولي الله سيدي عبدالرحيم القنائي(١) .

وهو حسني علوي اي انه ينتمي بنسبه الى الحسن بن علي بن ابي طالب .

رحلة الشاذلي الى تونس

نشأ ابو الحسن في قريته غمارة ، وتلقى فيها علومه الاولى وحفظ القرآن ، ثم اراد ان يستزيد من العلم فرحل الى تونس . لقد كانت مدن المغرب الأقصى الكبيرة مثل سبتة او مراكش او فاس اقرب اليه من تونس ، ولكنه اعرض عنها جميعا وابعد في الرحلة فذهب الى تونس ، وتفسير هذا لا بد من القاء نظرة سريعة على الحالتين السياسية والعلمية في المغرب الأقصى ، وفي العالم الاسلامي بوجه عام ، في ذلك الوقت .

سيادة المذهب الشيعي في القرن الرابع الهجري

كان المذهب الشيعي قد انتصر في القرن الرابع الهجري،وبانتصاره قامت دولتان شيعيتان كبيرتان اصبحت لهما السيادة في شرق العالم الاسلامي وغربه : (١) فالدولة الفاطمية في المغرب

(١) ضريحه بمدينة قنا ، بالوجه القبلي ـ الصعيد ـ بالجمهورية العربية المتحدة .

وتضم إليها بلاد المغرب جميعا ، ومصر واليمن والحجاز والشام (٢) والدولة البويهية في الشرق ، ولها السيادة في العراق على الدولة العباسية نفسها .

سيادة المذهب السني في القرن الخامس الهجري

وفي القرنين الخامس والسادس الهجري حدث رد فعل قوي ، وبدأ المذهب السني يسود من جديد بعد أن ضعفت الدولتان الفاطمية والبويهية وقامت دول سنية كثيرة كان همها القضاء على الدول والمذاهب الشيعية في كل مكان ، فكانت دول السلاجقة والأتابكة في الشرق ، ودولتا الأيوبيين والمماليك في مصر والشام ، ودولة الموحدين في المغرب والأندلس . وكان بعض حكام هذه الدول السنية مغالين في محافظتهم على المذهب السني ، ويرون في كل الحركات والآراء الفلسفية جنوحا نحو العودة إلى المذهب الشيعي ، فهو مذهب كان يدرس الفلسفة وعلوم الأوائل ويتأثر بها إلى حد بعيد .

انقسام العالم الإسلامي أغرى أوروبا بالهجوم عليه ، من الشرق ومن الغرب

وهذا العصر بعينه هو العصر الذي شهد انقسام العالم الإسلامي إلى دول كثيرة تشغل بعضها عن البعض ، وهو الذي شهد ضعف هذا العالم الإسلامي وجرأة أوروبا المسيحية على اقتحام ربوعه في الشام على أيدي الصليبيين ، وفي الأندلس على أيدي الراغبين في إعادتها إلى حظيرة المسيحية والقضاء على الدويلات الإسلامية القائمة بها .

في هذا الجو الغريب تنشط التصوف

في هذا الجو الغريب قويت الحياة الروحية ونشط التصوف وكثر المتصوفة ، فقد أحس المجتمع الإسلامي بعجزه عن حماية نفسه من المغيرين الوافدين من الخارج ، فراح المسلمون يبحثون عن قوة عليا يلجأون إليها في محنتهم ويحسون في كنفها بالاطمئنان النفسي ، فلجأوا إلى التدين ، وأغرقوا فيه وفي العبادة والزهد ، يلتمسون في هذا كله سكينة الروح ويحسون في رحاب الله ما يكشف عنهم من عوامل الفزع والقلق والاضطراب . ومن هنا تنشطت الحركات الصوفية في القرنين السادس والسابع .

وانقسم المتصوفة في هذين القرنين إلى قسمين: قسم حَيِيَ حياة روحية خالصة ، وقسم خلط التصوف بالفلسفة والروح بالفكر .

وقد شهد المغرب منذ نشأة الشاذلي به هذين النوعين من المتصوفة .

الصوفي الكبير أبو يعزى بن يلنور

ففي مدينة فاس بالمغرب الأقصى كان يقيم في أواخر القرن السادس الصوفي الكبير الشيخ أبو يَعْزَى بن يكنور . وكان الناس يفدون إليه من جميع أنحاء المغرب والأندلس ، يأخذون عنه ويستمعون إليه ويلتمسون منه البركات .

أبو مَدْيَن التلمساني

وفي طليعة من وفد عليه القطب الغوث أبو مَدْيَن التلمساني ، فعاش معه سنين يقتبس من طريقته بالإقبال كل الإقبال على الصوم والزهد والصلاة والتقشف والعبادة . حتى إذا لبس خرقة من يد أستاذه أبي يَعْزَى ، رحل إلى المشرق ليلتقي بسادات الأقطاب من شيوخ التصوف هناك ومن سيدي عبد القادر الجيلاني قطب العراق بوجه خاص .

وعاد أبو مَدْيَن إلى المغرب فأقام في بجاية ، وفاقت شهرته شهرة أستاذه أبي يعزى ، ولقبه القوم هناك بالغوث ، وتتلمذ عليه العشرات من كبار العلماء وفي مقدمتهم الفيلسوف المتصوف الكبير محيي الدين بن عَرَبي ، والشيخ أبو عبد الله محمد بن حرازم أحد شيوخ الشاذلي .

الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف يقرب أهل الفكر ثم يتنكر لهم

وكانت الدولة القائمة بالحكم في المغرب وقتذاك هي دولة الموحدين ، ومن ملوكها من كان راعيا للحياة الفكرية مشجعا للعلماء والمفكرين ، ومنهم من كان متزمتا مضطهدا لرجال الفكر والمشتغلين بالفلسفة . فمن أمثلة النوع الأول الخليفة الموحدي أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، وكان رجلا واسع الفكر محبا للعلم صديقا للعلماء ،

والفلاسفة منهم بوجه خاص ، فقرب اليه عددا كبيرا منهم ، وفي بلاطه عاش الفيلسوف المغربي ابن طفيل ، وهو واحد ممن حاولوا المزج بين الفلسفة والتصوف ، وهو مؤلف قصة حي بن يقظان التي حاول فيها ان يثبت ان العقل والشرع يؤديان الى نتائج واحدة .

وابن طفيل هو الذي قدم للخليفة يعقوب صديقه الفيلسوف ابن رشد فرحب به وقربه اليه وولاه قضاء اشبيلية .

ولكن المجتمع الاسلامي في المغرب والاندلس لم يرض عن سياسة الخليفة الموحدي يعقوب ، اذ كان رد الفعل السني ذا اثر قوي عليه ، فقد كان المجتمع سنيا متزمتا ينكر الفلسفة والمشتغلين بها، وقد استجاب الخليفة ابو يوسف يعقوب بن الخليفة السابق لرغبات المجتمع ، فاضطهد العلماء والفلاسفة ورجال الفكر ، واصابتهم في عهده محن" شديدة . فاتهم ابن رشد في عهده بالزندقة وحوكم في سنة ٥٩١ .

واضطهد الفيلسوف الكبير ابو مدين وارسل الخليفة يستدعيه من بجاية لمحاكمته ، فاتى به مكبلا بالحديد ، حتى اذا وصل تلمسان مرض ومات سنة ٥٩٤ .

أهل الفكر والفلسفة والتصوف يرحلون عن المغرب

هذا الجو ، الذي كان يشيع فيه ضيق الفكر ، ويسود فيه الكبت والاضطهاد والمحاكمة ، دفع الكثيرين من رجال الفكر والفلسفة والتصوف الى الرحيل عن المغرب الاقصى ، وفي مقدمتهم محيي الدين بن عربي ، فقد رحل عن الاندلس والمغرب في سنة ٥٩٨هـ بعد ان شهد محنة استاذه في الفلسفة ابن رشد واستاذه في التصوف ابي مدين.

لم يكن غريبا اذن ان يشيح الشاذلي بوجهه عن مدن المغرب الأقصى الكبيرة ويرحل الى تونس ليستكمل علومه بها . فانه يبدو ان الجو في تونس كان اصلح منه في المغرب الأقصى وحرية الفكر والدراسة مكفولة هناك الى حد ما ، وفيما على ذلك الوقت كان يقيم عدد كبير من اعلام التصوف من امثال الشيخ محمد صالح بن ينصار والشيخ ابي محمد المهدوي والشيخ ابي سعيد الباجي وهم من تلاميذ الغوث ، وقد حضر الشاذلي اثناء تلقيه العلم في تونس هؤلاء العلماء الاعلام ، ولا شك انه اتصل بهم وتتلمذ عليهم واخذ منهم . وكان الجو في تونس كلها يتضوع من شذى تعاليم ابي مدين وروحانيته ، والكل هناك من تلاميذه الذين يسلكون طريقته . وقد تأثر الشاذلي بهذا الجو تأثرا شديدا وعشق التصوف وحياة المتصوفة منذ ذلك الحين وبدأ فتلقى الطريقة على ابي عبد الله بن حرازم ، احد تلامذة ابي مدين ولبس على يديه خرقة التصوف .

أبو الحسن الشاذلي في تونس

رحل ابو الحسن الشاذلي من قريته غمارة الى تونس حوالي سنة ٦٠١ وهو بعد حدث صغير السن في نحو العاشرة من عمره ، وبدأ هناك فتلقى على علمائها الفقه على مذهب مالك ، وعلوم اللغة من ادب ونحو وصرف وعلوم الدين من تفسير وحديث وكلام وتوحيد . ولازم حلقات الدرس حتى نبغ في هذه العلوم جميعا . ثم شاقه التصوف واتصل بشيوخه ولبس الخرقة اول ما لبس على يد ابي عبد الله محمد بن حرازم – كما اسلفنا – في هذا الجو الذي كانت تتجاوب في جنباته اراء الفلاسفة من امثال ابن رشد وابن طفيل وابن عربي وتنتشر في نواحيه روحانيات المتصوفة من امثال القطب الغوث ابي مدين وابي عبد الله ابن حرازم وابي سعيد الباجي .. في هذا الجو الذي كانت تصطرع فيه قوى العلم والفكر الحر مع قوى الرجعية والتزمت السني . في هذا الجو نشأ ابو الحسن الشاذلي نشأته الاولى ، وتلقى علومه الاولى ، ولكنه لم يكد يبلغ سن الشباب حتى احس ان ظمأته لم تشتف" وان ظماه للعلم والمعرفة لم يترو ، فاعتزم الرحلة الى الشرق لاداء فريضة الحج وزيارة الارض الطيبة المقدسة والقبر الطاهر اولا ، ثم لاتمام علومه واستكمال دراسته على ايدي شيوخ الشرق ثانيا .

الشاذلي وابو الفتح الواسطي

ولسنا نعرف متى رحل الشاذلي رحلته الشرقية الاولى على وجه التحديد ، ولكنا نحسبه بداها حوالي سنة ٦١٥هـ وهو في نحو الثامنة والعشرين من عمره فانا نسمع بعد قليل انه قابل شيخه ابا الفتح الواسطي في العراق في سنة ٦١٨ هـ .

بدا الشاذلي رحلته فدخل مدينة الاسكندرية

ومر بأرض مصر ، ثم دخل الحجاز فأدى الفريضة ثم زار فلسطين والشام والعراق . وكان في كل بلد يزوره يقصد من بها من العلماء والفقهاء يأخذ عنهم ويستمع اليهم ، وكان اكثر اتصاله بالعباد والزهاد والمتصوفة ، وكان اكثر تأثره في رحلته هذه بالشيخ ابي الفتح الواسطي ، وهو من اكبر تلاميذ سيدي احمد الرفاعي (٢) ، وكانت له منزلة عظيمة عند الرفاعية مما دفعهم الى ارساله الى مصر ليعمل على نشر طريقتهم فيها ، ووصل ابو الفتح الواسطي الى الاسكندرية في سنة ٦٢٠ واقام بها مدة يعظ الناس ويدعوهم الى طريقته ، وكان يلقي دروسه في مسجد العطارين ، وقد قامت بينه وبين علماء الاسكندرية وفقهائها مساجلات وخصومات علمية كثيرة ، وتوفي بالاسكندرية في سنة ٦٣٢ ولا زال ضريحه موجودا بالقرب من ضريح ابي الدرداء .

السيد احمد البدوي

وقد حزن الرفاعية في العراق حزنا بالغا لوفاة الشيخ ابي الفتح الواسطي ، واختاروا قطبا آخر كان يقيم بينهم في ذلك الوقت وارسلوه الى مصر ليتزعم طائفة الرفاعية بها ، وكان لهذا القطب شأن كبير فيما بعد وانشأ له طريقة جديدة ، ذلك هو القطب الكبير سيدي احمد البدوي فقد ارسله الرفاعية في سنة ٦٣٥ من العراق الى مصر ليشرف على شؤون الاتباع بها .

تأثر الشاذلي بأبي الفتح الواسطي

على هذا الشيخ العالم الكبير ابي الفتح الواسطي اخذ الشاذلي اثناء مقامه في العراق ، واعترف انه لم يلق هناك من العلماء من هو خير منه قال : « دخلت العراق ولقيت جملة من المشايخ فلم أر احسن من الشيخ ابي الفتح الواسطي » .

الشاذلي يبحث عن « القطب »

وقد كان الشاذلي اثناء تنقله في بلدان الشرق لا يسعى لطلب العلم وحده ولكنه كان يبحث عن ضالته المنشودة ، يبحث عن القطب ، وللقوم آراء واقوال كثيرة في القطب . فأول من قال به وتحدث عنه من المتصوفة ذو النون المصري ، ويبدو من اقوال المتصوفة ان الاقطاب في كل وقت كثيرون وان الرئاسة دائما على هؤلاء الاقطاب لقطب واحد مفرد هو ما يلقبونه بالقطب الغوث . ويبدو هذا واضحا في حديث الشاذلي نفسه لأحد تلاميذه وهو شمس الدين بن كتيلة .

يروي ابن كتيلة انه كان جالسا يوما بين يدي استاذه الشاذلي فخطر له ان يسأله عن القطب فقال له :

ـ يا سيدي ما معنى القطب ؟

فقال الشاذلي :

ـ الاقطاب كثيرة فان كل مقدم قوم هو قطبهم . اما القطب الغوث الفرد الجامع فهو واحد .

وقد عرفه صاحب كتاب المفاخر القطب الغوث بانه رجل عظيم وسيد كريم ، يحتاج اليه الناس عند الاضطرار ، في تبيين ما خفي من العلوم المبهمة والاسرار ، ويطلب منه الدعاء لانه مستجاب الدعاء ، لو اقسم على الله لأبرّه ، ولا يكون القطب قطبا حتى تجتمع فيه جميع صفات الاقطاب الذين هو رئيسهم .

الواسطي يقول للشاذلي: عد الى المغرب فالقطب هناك

عن هذا القطب كان يبحث الشاذلي اثناء تجواله في الشرق ، فلما اطمأنت نفسه الى شيخه ابي الفتح الواسطي فاتحه بمخيلة نفسه وحدثه عن امنيته ، ولكن الشيخ ابا الفتح اخبره ان القطب في وطنه الاصلي ، في المغرب ، فان كان يبحث عنه حقيقة فليعد الى المغرب . واستمع ابو الحسن الى نصيحة شيخه وعاد الى المغرب .

الشاذلي يعود الى المغرب ، فيلتقي بالقطب عبد السلام بن مشيش

وظل يوالي الرحلة والبحث الى ان التقى بالقطب ، الى ان التقى بشيخه واستاذه الاكبر الذي اخذ عنه الطريقة ولبس على يديه خرقة التصوف ، والذي ظل ينتسب اليه ، وهو الشيخ

---

(١) احمد الرفاعي ، هو المتصوف الشهير ؛ ولد في قرية حسن من اعمال واسط في العراق ، قبره في قريه ام عبيدة يزوره خلق كثير . ولد عام ٥١٢ هـ (١١١٨ م) ومات عام ٥٧٨ هـ (١١٨٢ م)

(٢) احد اقطاب الصوفية ، ولدفي المغرب عام ٥٩٦ هـ ـ ١١٩٩ م ، ومات في طنطا بمصر عام ٦٧٥ هـ ـ ١٢٧٦ م .

عبد السلام بن مشيش (١) .

يستطرد الشاذلي في وصفه لقابلته الأولى مع الشيخ أبي الفتح الواسطي فيقول .

« وكنت أطلب القطب فقال لي : أتطلب يا علي القطب بالعراق وهو ببلاد المغرب ؟ ارجع الى المغرب فانك تجد القطب هناك، فرجعت الى المغرب واجتمعت باستاذي عبد السلام مشيش » .

وبعد رحلة طويلة قابل الشاذلي استاذه القطب سيدي عبد السلام بن مشيش ، وكانت مقابلته الأولى له في رأس جبل حيث يقيم مرابطا ومنقطعا للعبادة .

وقد روى الشاذلي خبر هذه المقابلة قال :

« لما قدمت عليه وهو ساكن برباطه برأس جبل ، اغتسلت وخرجت من علمي وطلعت اليه فقيرا ، واذا به هابط علي ، فلما رآني قال : مرحبا بعلي بن عبد الله بن عبد الجبار ، وذكر نسبي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : يا علي . طلعت الينا فقيرا عن علمك وعملك ؟ اخذت منا غنى الدنيا والآخرة. فاخذني الدهش، واقمت عنده أياما الى ان فتح الله على بصيرتي ورأيت له خوارق وعادات وكرامات » .

استقرت نفس الشاذلي اذن ، فقد قابل القطب الغوث ، واوحى اليه القطب بآية القطبية منذ اللحظة الأولى ، فقد ناداه باسمه ونسبه مكتملا ، ووعده بان يلقنه غنى الدنيا والآخرة ، لهذا لزم الشاذلي استاذه ملازمة تامة منذ هذه اللحظة ، يأخذ عنه ويتلمذ عليه .

فماذا اخذ الشاذلي عن ابن مشيش ؟

اخذ الشاذلي عن ابن مشيش : حب الله والايمان بالله ، والاعراض عن الخلق ليخلو لله

اخذ عنه حب الله والفناء في هذا الحب ، فهو القائل : « احسن على الشرب والمحبة وكأسهما ، مع السكر والصحو . كلما افقت او تيقظت شربت ؛ حتى يكون سكرك به ، وحتى تغيب بجماله عن المحبة وعن الشرب والشراب والكأس ، بما يبدو لك من نور جماله وقدس كماله وجلاله.

واخذ الشاذلي عن استاذه ابن مشيش الايمان والايمان القوي الكلي بالله ، حتى يجد الله في كل شيء ، فهو القائل :

« انظر ببصر الايمان تجد الله في كل شيء ، وعند كل شيء ، ومع كل شيء ، وقبل كل شيء ، وبعد كل شيء ، وفوق كل شيء ، وتحت كل شيء وقريبا من كل شيء ، ومحيطا بكل شيء ، بقرب هو وصفه ، وبحيطة هي نعته ، وعدّ عن الظرفية والحد ، وعن الاماكن ، وعن الصحبة والقرب والمسافات ، وعن الدور بالمخلوقات ، امتحق الكل بوصفه الأول والآخر والظاهر والباطن ، وهو هو هو ، كان الله ولا شيء معه وهو الآن على ما عليه كان » .

واخذ ابن مشيش تلميذه الشاذلي بان يُعرض عن الخلق وان يلجأ الى الله وحده، روى الشاذلي انه كان في احدى سياحاته ، فأتى غارا ليبيت فيه ، فسمع رجلا يتحدث ، فعجب من وجود انسان في هذا المكان المنعزل المهجور ، ولكنه لم يشأ ان يقطع هذا التحدث في الليل ، فبات عند مدخل الغار ، فلما كان السحر ليطلع ابو الحسن فسمع الرجل يدعو ربه بقوله :

« اللهم ان اقواما سألوك اقبال الخلق عليهم وتسخيرهم لهم ، اللهم اني اسألك اعراضهم عني واعوجاجهم علي حتى لا يكون لي ملجأ الا اليك ».

قال الشاذلي :

« ثم خرج الرجل من الغار فاذا هو استاذي ابن مشيش ، فقلت له : يا سيدي اني سمعتك البارحة تقول كذا وكذا ، فقال لي : يا علي ، انما خير لك ان تقول «كن لي» بدلا من ان تقول «سخر لي قلوب خلقك»، فاذا كان لك كان لك كل شيء».

بهذه المبادىء الروحانية العليا التي تنادي العبد بان يقبل على حب الله وان يفنى في هذا الحب تخرج ابو الحسن الشاذلي على استاذه ابن مشيش . قال ابو الحسن :

« سألت استاذي — رحمة الله عليه — عن ورد المحققين ، فقال : عليك باسقاط الهوى ومحبة المولى ، وآية المحبة الا يشتغل محبه بغير محبوبه » .

ابن مشيش يأمر الشاذلي بترك فاس الى تونس

واقبل الشاذلي — وهو في صحبة استاذه — على العبادة فطهّر نفسه من حب الدنيا ومن الاقبال

---

(١) عبد السلام بن مشيش ، من أحد اقطاب الصوفية في المغرب ، مات عام ٦٢٦هـ ، ١٢٢٨م ، ودفن في جبل العلم قرب تطوان ، وله مخطوط في لندن « اغاثة الراغبين في الصلاة » .

على الخلق ، واقبل على حب الله وفنى في حبه ، فلما صفت نفسه واصبح اهلا للولاية ووراثة القطبانية امره استاذه ان يرحل عن فاس الى تونس ، وتنبأ له بما سيحدث له في مستقبل ايامه فقال له .

« ترحل الى افريقية ، وتسكن بها بلدا تسمى شاذلة ، فان الله يسميك الشاذلي ، وبعد ذلك تنتقل الى مدينة تونس ، ويؤتى عليك من قبل السلطنة وبعد ذلك تنتقل الى بلاد الشرق وترث القطبانية » .

الشاذلي يصل تونس ثم الى الشاذلة بجوارها

زار ابو الحسن مدينة فاس واتجه تنفيذا لامر استاذه نحو تونس وعند دخوله اليها تقابل مع رجل حطاب فقير هو ابو الحسن علي الابرلي من اهل شاذلة ، وهي قرية قريبة من مدينة تونس ، فصحبه معه . وخرج الرجلان واتجها نحو شاذلة ، وفي الطريق راى الابرلي شواهد كثيرة من زهد ابي الحسن وصلاحه ، فاقبل عليه وقبّل يديه وسأله الدعاء . وتقول الرواية ان بركات ابي الحسن حلت برفيقه فاقبلت عليه الدنيا ووُسّع عليه في الرزق بعد ذلك .

ونزل ابو الحسن بطرف من اطراف شاذلة ، وقابل فيها اول من قابل الشيخ الصالح ابا محمد عبد الله بن سلامة الحبيبي . وقد فرح الحبيبي بلقاء ابي الحسن فقد كان يترقب هذا اللقاء منذ مدة . قال الحبيبي :

« كنت احضر بتونس مجلس سيدنا الشيخ العارف ابي حفص الجاسوس ، فاخلت بيده يوما اطلب منه ان يلقنني تلقينا له وقلت له : يا سيدي اني اطلب شيخا ، فقال لي : يا بني ارتقب استاذك حتى يصل من المغرب ، وهو شريف حسني ، من كبار الاولياء . وهو استاذك واليه تنتسب . فكنت ارتقب كل من ياتي من الفقراء المغاربة واصحبه ، الى ان منّ الله عليّ بلقاء الشيخ ابي الحسن فالتقيت شيخي وصحبته » .

ابو الحسن يرابط في الغار

وفي شاذلة تلمس الشاذلي باستاذه ابن مشيش فلم يسكن في القرية وانما لجأ الى غار في جبل زغوان المطل على شاذلة ، واتخذ هذا الغار رباطا له يقيم ويتعبد فيه ، وكانت حياة الشاذلي في هذا الغار كلها تقشف وزهد واغراق في العبادة ، وكان يشاركه هذه الحياة في معظم الاوقات المنه الجديد الحبيبي .

ابو الحسن ، في شاذلة ، غلب عليه اسم الشاذلي

واقام ابو الحسن في شاذلة وطالت اقامته وذاعت شهرته وعرف الناس له فضله وصلاحه وتقواه واسرار ولايته ، وبدأ الجزء الاول من نبوءة استاذه ابن مشيش يتحقق ، فعرف منذ ذلك الحين بالشاذلي وغلبت عليه هذه الشهرة ، وقصده الناس من الاماكن والبلدان المجاورة ، وبدأ يخرج من رباطه بعض الوقت فيقيم باحدى الدور في مدينة تونس يدرّس ويعظ وينشر دعوته وطريقته بين تلاميذه ومحبيه ومريديه .

وعاد الى تونس رجلا ، بعد ان كان عرفها طفلا

ولم تكن تونس غريبة على ابي الحسن فقد دخلها من قبل طفلا واقام بها شابا يافعا ، وفيها تلقى دروسه الاولى ، وفيها كانت له مناظرات سابقة مع علمائها وفقهائها ، وقد وفد عليها هذه المرة رجلا مكتمل الرجولة عالما وافر العلم ، صوفيا صاحب حالات وكرامات ، لهذا لم يكن غريبا ان يقبل عليه الناس من كل حدب وصوب يغرفون من علمه ، ويتأدبون بآدابه ، ويستمعون الى دروسه ومواعظه وتعاليمه ، ويلتمسون منه الدعاء والبركة فاتسعت حلقات دروسه وكثر اتباعه ومريدوه ، فكان اذا جلس للدرس والوعظ تحلقوا حوله بالمئات ، واذا سار او انتقل ساروا في ركابه بالمئات .

قال النبهاني في الكواكب الدرية :

« كان الشيخ ابو الحسن اذا ركب تمشي اكابر الفقراء واكابر الدنيا حوله ، وتنشر الاعلام على راسه ، وتضرب الكاسات بين يديه » .

اقبال الناس على الشاذلي اثار حقد العلماء

هذا الاقبال اثار حقد العلماء وحسد الفقهاء في تونس ، وجر على الشاذلي شرا كثيرا ، فتعرض لمحنة كبيرة ، فقد كان قاضي الجماعة وعالمها في مدينة تونس في ذلك الوقت هو ابو القاسم ابن البراء ، وقد ضاق ابن البراء بابي الحسن

عندما رأى الناس يحتشدون من حوله ويتحلقون حول الشاذلي في كل مكان يحل به . والتفت هذه المواكب الحافلة تتقدمها الاعلام والطبول كلما انتقل الشاذلي من مكان الى مكان .

قاضي الجماعة « ابن البراء » يكيد الشاذلي عند السلطان

فبدأ يكيد لأبي الحسن ، وسعى به لدى سلطان تونس ابي زكريا الحفصي ، واتهمه لديه بانه يتآمر على سلطانه فهو حسني علوي ، ولعله يسعى لاقامة ملك لنفسه كما اقام الفاطميون ملكهم من قبل في تونس نفسها .

ولم يقنع ابن البراء بهذه التهمة الخطيرة فاتهم ابا الحسن بتهمة اخرى لا تقل عنها خطورة اتهمه بالزندقة والالحاد والخروج على الدين ليغري به علماء تونس وفقهاءها كما اغرى به السلطان .

قال صاحب درة الاسرار :

« دخل قاضي الجماعة ابن البراء على السلطان ابي زكريا فقال : ان ها هنا رجلا من اهل شاذلة سراق الحمير يدعي الشرف ، وقد اجتمع عليه خلق كثير ، ويدعي انه الفاطمي ، ويشوش عليك في بلادك » .

كان اتهام ابن البراء ماهرا ماكرا ، وكانت التهمة خطيرة ، ففي تونس اقام عبيد الله المهدي من قبل الخلافة الفاطمية ، والشيعة يؤمنون بفكرة المهدي المنتظر ، ومنذ زالت الخلافة الفاطمية وهم يتطلعون الى اعادتها ، وابو الحسن الشاذلي ينتسب الى الحسن بن علي بن ابي طالب ، والناس يؤمنون بقطبانيته ، وابن البراء لا يرى في كلمة القطب الا انها ستار يخفي وراءه معنى الامام الفاطمي او المهدي . ولكن الحقيقة ان ابا الحسن لم يكن يعنى بالسياسة ولم يكن يفكر في الخلافة ، بل انه لم يكن يساير غلاة الشيعة في معتقداتهم ، فالشيعة لا يؤمنون الا بعلي وينكرون خلافة ابي بكر وعمر وعثمان،اما ابو الحسن فقد كان يعترف بهؤلاء الصحابة الاجلاء وانه يتشرف من فضلهم ، فقد كان يجيب من يسأله من شيخه بقوله :

« اما فيما مضى فعبد السلام بن مشيش ، واما الآن فانا استقي من عشرة ابحر : خمسة آدمية ، وخمسة سماوية ، فالخمسة الآدمية : ابو بكر وعمر وعثمان وعلي والنبي صلى الله عليه وسلم،

السلطان يأمر بعقد مجلس للعلماء يناقش فيه ابو الحسن

على كل فان السلطان ابا زكريا لم يأخذ بأقوال ابن البراء ، بل كان حكيما عاقلا ، فامر بأن يعقد مجلس يحضره ابو الحسن والعلماء والفقهاء ، وأن يناقش ابو الحسن في كل هذه الدعاوى وغيرها ، ويعطى الفرصة للدفاع عن نفسه .

وعقد المجلس وحضره السلطان ، وجلس وراء حجاب .

قال صاحب درة الاسرار :

« اجتمع ابن البراء وجماعة من الفقهاء ، وجلس السلطان خلف حجاب ، وحضر الشيخ رضي الله عنه ، وسألوه عن نسبه صريحا ، والشيخ يجيبهم عليه ، والسلطان يسمع ثم تجادلوا معه في العلوم كلها فافاض عليهم بعلوم اسكتتهم بها ، فما استطاعوا ان يجاوبوه عنها من العلوم الموهوبة، والشيخ يتكلم معهم بالعلوم المكتسبة ويشاركهم فيها » .

وانهزم ابن البراء وصحبه ، وعلت كلمة الشاذلي ، واقتنع السلطان ببراءته ، بل وآمن بولايته ، فالتفت الى ابن البراء ومن معه وقال لهم :

«هذا رجل من اكابر الاولياء وما لكم به طاقة»

واحس ابن البراء بحرج الموقف ، فقد كان اهل تونس جميعا واقفين بالباب ينتظرون نتيجة المحاكمة فاراد ان يعود الى تحريض السلطان على ابي الحسن وان يخيفه من ثورة الناس ان هو اطلق سراحه ، فقال له :

— والله لئن خرج هذه الساعة ليدخلن عليك اهل تونس ويخرجوك من بين اظهرهم ، فانهم مجتمعون على بابك .

ولكن السلطان لم يعر هذا القول التفاتا ، وامر ان ينصرفوا ، واستبقى الشيخ ابا الحسن ولبث معه وقتا يحدثه ويلاطفه ، الى ان حضر اخو السلطان ابو عبد الله اللحياني — وكان من المتقدمين في الشيخ — ، فامره ان يصحب الشيخ الى داره معززا مكرما .

ابو الحسن يضيق بتونس فيخرج منها للحج

خرج ابو الحسن من هذه المحنة منتصرا بولايته

بما يحس ان المقام لم يعد يطيب له في تونس ، فانه توقع ان القاضي ابن البراء لا يمكن ان يطفىء الهزيمة التي مُني بها ، وانه لا بد مدبر مكيدة اخرى ، وان الفتنة توشك ان تنشب بين اتباعه وبين الفقهاء من اصحاب ابن البراء ، وهو رجل صوفي ينشد الصفاء والهدوء والحياة الصافية ، لهذا ازمع على مغادرة تونس ، واخذ يدبر الامر للرحلة ، وسمع السلطان بالخبر فاغتاظ وقال لمن حملوا اليه الخبر :

ـ اي شيء يشتكي من اقليمنا ! انه امام ولي من اولياء الله فضاق عليه حتى خرجوا بنفسه.

ثم ارسل الى الشيخ ابي الحسن من يحاول ان يثنيه عن عزمه ، ولكن الشيخ اعتذر اعتذارا لطيفا وقال للرسول :

ـ انا ما خرجت الا بنية الحج ، والآن فهي الله حاجي اعود ان شاء الله تعالى .

وعلى اساس هذا الوعد بالعودة الى تونس بعد اداء فريضة الحج سمح السلطان للشيخ ابي الحسن بالسفر . وقيل ان يغادر الشاذلي تونس ارسل الى ابن البراء رسالة قصيرة بها جملة واحدة يسخر فيها منه ومن اطماعه وحقده ، قال فيها :

ـ اتراني اوسع الله عليك مدينة تونس !

ابن البراء يدبر للشيخ ابي الحسن مكيدة تسبقه الى مصر

ولكن ابن البراء كان قلبه لا يزال عامرا بالحقد على الشيخ ابي الحسن منذ مني بالهزيمة في مجلس السلطان ، فدبر للشيخ مكيدة اخرى ، اذ كتب رسالة الى سلطان مصر ، وقع عليها معه عدد من الشهود ، وحدثه فيها حديث الشيخ ، واتهمه فيها بانه شريف علوي وانه يسعى الى اعادة ملك الفاطميين ، وقال في ختام الرسالة :

ـ ان هذا الواصل اليكم شوش علينا بلادنا وكذلك يفعل ببلادكم .

وأمر حامل الرسالة ان يسرع بها ليصل الى مصر قبل وصول الشيخ اليها .

وكان سلطان مصر في ذلك الوقت هو الملك الكامل محمد الايوبي ، والايوبيين سنيو المذهب ، وهم الذين قضوا على المذهب الشيعي والدولة الفاطمية في مصر ، وكان اخشى ما يخشونه الحركات الشيعية التي تعمل لاعادة الملك للفاطميين .

لهذا وجدت هذه الرسالة عند السلطان اذنا صاغية ، ولم يكد الشيخ يصل الى الاسكندرية حتى قبضت عليه السلطات المصرية ، وارسل محروسا الى القاهرة ، وعند وصوله اليها صُعِد به الى القلعة حيث عقد السلطان مجلسا من القضاة والعلماء والفقهاء ، ووجه السلطان التهمة الى الشيخ ابي الحسن وقال له :

ـ هذا عقد مشهود فيك ، وجهه ابن البراء من تونس ، وعلامته فيه .

ثم اطلعه على العقد .

وكانت محاكمة ثقيلة ، وتحدث الشيخ فبهر الجميع بحديثه ، واخذ بالبابهم ، وخاصة الملك الكامل ، فقد كان رجلا عاقلا مثقفا واسع الفكر ، عرف الشيخ ابي الحسن مكانته ، وادرك ان التهمة مغرضة ، ولم يجد في الشيخ شرا يخافه ، وخاصة انه لم يكن معتزما المقام في مصر ، بل كان متجها في طريقه الى الحج ، فقربه اليه واكرمه . يقول الشيخ ابو الحسن :

ـ واقمنا عنده ـ اي عند الملك الكامل ـ في القلعة اياما ، واحترمت لنا الديار المصرية الى ان طلعنا للحج .

ابو الحسن الشاذلي يعود الى تونس وفاء بوعده سلطانها

وبعد اداء فريضة الحج اسرع الشيخ ابو الحسن بالعودة الى تونس .

ترى هل نسي الشيخ ما فعله به ابن البراء وكيف سعى به لدى سلطان تونس ثم لدى سلطان مصر ! وابن البراء كان لا يزال حيا يمارس القضاء في تونس .

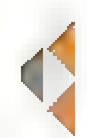
ان الشيخ ابا الحسن لم ينس هذا كله ولكنه عاد وفاء بالوعد الذي وعده السلطان ان يذهب الحج ثم يعود ، وهناك غرض آخر أهم من هذا كله عاد ليلتقي بتلميذه وصفيه وخليفته ابي العباس المرسي ، فانه يروى عن ابي الحسن انه قال :

ـ ما ردني الى تونس الا هذا الشاب يقصد ابا العباس المرسي .

الدكتور جمال الدين الشيال

ملاحظة : اقرأ في العدد القادم من العربي : ابو الحسن الشاذلي ، في مصر .

إرادة الله



لويس » ـ الذي كان يوما من رجال فرق الادغال بالجيش الهندي ـ حائرا ..

بينما ركعت زوجته « سيفرن » على الارض تصلي .. وفجأة ، وقع انفجار جديد ، احدث ثغرة في ارض الغرفة . واذ ذاك اسرع « جون » الى الخطر ، يهتف ، « عونك يا الهي ! » . ثم دفع الى زوجته بابنهما الأصغر « روبين » ـ وكان في شهره الرابع عشر ـ ، ودفع ابنه الآخر « رونالد » ، الذي كان في الخامسة من عمره ، واندفعوا جميعا يصعدون السلم المفضي الى سطح الباخرة ، بخطوات مضطربة متعثرة .. والهرج والصراخ والصخب تحيط بهم من كل جانب ..

* * *

وتذكر « جون » انه رأى في اليوم السابق مجموعة من السلالم المصنوعة من الحبال ، حول سياج الباخرة ، في أحد الأركان ، فاتجه نحو ذلك الركن ، ثم تناول الطفل الاصغر ، فشده الى ظهر أمه بالسارى الذي كانت ملتفة به شدا محكما ، وقبلهما قائلا :

ـ علينا الآن أن نهبط الى الماء .

وترددت زوجته وهي تطل على الدخان الذي حجب السطح الاسفل للسفينة ، ولكن زوجها هتف بها :

ـ ليس امامنا منفذ آخر ، والنار تشتد ، ولن تلبث ان تصل الى مخازن الوقود .. فلا سبيل للتردد !

وتدافعت الى ذهنه ـ في لمحة خاطفة ـ الأماني التي كانت تراود ذهنيهما ، وهما في طريقهما الى الهند ـ وطن « جون » ـ بعد أن قضيا سنوات في « البحرين » ، كان الرجل خلالها يعمل في حقول البترول .. ولكنه عاد يتنبه الى الخطر ، فساعد زوجته على أن تعلو حافة السفينة وأن تهبط بكل حرص درجات سلم من الحبال ، ووجهها نحو السفينة ، وظهرها ـ الذي شد اليه الطفل الصغير ـ نحو البحر .. ثم احكم وضع ابنه الآخر على كتفيه ، وأوصاه أن يتعلق بعنقه ، وشرع يهبط على أحد الحبال ، بمهارة اكتسبها من خدمته في الجيش ، فسرعان ما صار بجوار زوجته .

* * *

ولم يكن الهبوط بالمهمة السهلة ، اذ كانت السفينة تهتز وترتفع ، فيلقى « جون » عناء في مقاومة الهزات ، وهو متعلق بالحبل .. وكان في بعض الاحيان يرتطم بجدار السفينة ، وكان أشبه بالحديد المحمى .. وكان ثقل ابنه على كتفيه وتوتر عضلات ذراعيه تشعرانه بالعجز ، أكثر مما يطيق .. فلما بلغ السطح الأسفل للسفينة ، حاول أن يستريح ، ولكن سخونة السفينة حملته على سرعة استئناف الهبوط .

واستقبله والصغير الذي على كتفيه امواج باردة ، بللت ثيابهما .. وبلغته موجة منها ، فانساب الماء الى فمه ، وكاد يختنق .. وعندما تمالك انفاسه ، لم ير اثرا لزوجته التي كانت تهبط على مقربة منه .. وتحول ـ في جزع ـ ينظر في الماء ، يبحث عنها ، دون جدوى ..

وكما افتقدها فجأة ، اكتشفها فجأة ، فلاذ بها الى جواره متعلقة بالسلم ، تحاول أن تصد الأمواج .. واستطاع بجهد جبار أن يساعدها حتى امسكت بحبل آخر ، وصاح :

ـ لا تشبثي ، وفي جسدك للماء ، حتى اذا ابتعدت الموجة التي تهاجمك ، انزلقي على الحبل بيديك هكذا ..

وراح ينزلق بدوره .. ولم يكن ثمة وقت للتفكير والتدبير ، اذ كانت الظروف هي التي توحي للغريزة الكامنة ـ غريزة حب البقاء ـ بالتصرف .. وكان الماء

باردا ، والريح قد بدأت تشتد فتريد الثياب المبتلة برودة ، والظلام مفضض .. ومياه الخليج حافلة بسمك القرش ولا مهرب منها اذا شب هجوما ، الا بالعودة الى تسلق الحبل .. وكان « جون » موقنا من ان زوجته لن تقوى على ذلك .

★ ★ ★

وخيل اليه ان ساعات طويلة قد انقضت قبل ان يبصر احد قوارب النجاة ، ولكنه لم يستطع ان يتأكد ما اذا كان القارب يسعى الى السفينة او يبتعد عنها .. ولم يكن من سبيل الى التأكد الا ان يسبح اليه . فصاح : « ابقى في مكانك ، وسأحاول ان اسلم رونالد الى القارب » ..

ولم تكن المسافة تتجاوز خمسين قدما ، ولكنه كان مرهقا ، والطفل يثقل عليه ويكاد يفقده من الحركة .. وراح يبذل جهدا جبارا .. والماء الذي ابتلعه يكاد يسد حلقه ، ورئتاه تكادان ان تتمزقا ، وهو يمسك انفاسه كلما هاجمته موجة . وكان الخوف يستبد بالصغير المتعلق بعنقه ، فيقول له .

— فقد اقتربنا يا بني .. اطمئن .. كل ما عليك ان تتنفس ما استطعت ..

ورآه الذين كانوا في القارب ، وقد اصبح على عشر اقدام منهم ، فمدوا اليه مجدافا ، استعان به حتى وصل ، فهتف بهم :

— خذوا هذا الطفل .. انقذوه بالله ! .

وما ان رفع الطفل الى القارب ، حتى استدار عائدا الى السفينة .. ومرة اخرى ، راح يقاوم الارهاق المضنى وهو يتذكر الخطر الذي ترك زوجته وابنه الثاني بين انيابه ..

★ ★ ★

واستطاع اخيرا ان يصل اليهما ، فخلص الصغير من السارى الذي شده به الى ظهر امه ، وحمله سابحا لزوجته .

— ان رونالد في امان .. امكثي حتى اعود اليك ! ..

ومرة اخرى ، عاد يناضل الامواج واشتد المرح .. وكان مضطرا الى التوقف — من آن الى آخر — ليسوى وضع الصغير حتى لا يعرض رأسه تحت الماء فيتعذر عليه التنفس ..

وخيل اليه ان دهرا قد انقضى ، قبل ان يبلغ القارب ، فيسلم ركابه ابنه الثاني ، ثم .. يسعى الى العودة للسفينة وانفاسه تتهدج ، وعضلاته تكاد تتمزق ، ورأسه يدور .. ولكم تاقت نفسه الى ان يستريح لحظات ، ولكن الخطر المحدق بزوجته كان يدفعه الى المضى .

ولم يقو على الكلام حين وصل اليها ، وانما اشار يدعوها الى ان تتعلق بعنقه ثم عاد يسبح في الظلام .. وكانت الظروف قد سلبت زوجته كل قدرة على تمالك نفسها ، فاذا به يكاد يفقد وعيه وزاد هذا في ثقلها عليه .. ولكنه لم يكن يملك سوى ان يستنزف كل قطرة باقية من طاقته ليواصل السباحة ..

ولم يدر « جون » كيف وصلا الى القارب ، ولا كيف رفعا اليه .. ولكنه حين نظر الى انهما واسيهما في امان ، وجد نفسه يصلى لله ، شاكرا ، ساجدا ، منطرحا على الارض ، لا يقوى على النهوض ..

لخصها : محمد بدر الدين خليل

من كتاب Last Hours on Dara

تأليف ب . ج . ابراهيم



توابل

بقلم الدكتور :
عبد الحليم منتصر
مدير جامعة الكويت

■ التوابل ما تعالج به الاطعمة ، والافاويه ما يعالج به الطيب .

وهي جميعا غالبا ما تكون نباتات ، او اجزاء نباتية ، او خلاصات منها ، تستعمل في اكساب الاطعمة نكهة طيبة ، او في تحضير انواع مختلفة من الطيب والروائح .

وكانت فيما مضى من الزمان ، لا يقتنيها الا الاثرياء ، ولا توجد الا لدى المترفين ، وكان الناس يتحدثون في البحث عنها ، كانما يبحثون عن معدن نفيس من ذهب او نحوه .

وكان معظمها لا يكاد يجلب الا من اواسط آسيا الاستوائية ، ثم عرفت لها مواطن اخرى ، في انحاء مختلفة على سطح المعمورة .

مواطن التوابل والافاويه

فقد اشتهرت آسيا وجزر الهند الشرقية وسيلان بالفلفل والحبهان والقرفة وجوز الطيب .

كما عرفت جزر ارخبيل الملايو بالقرنفل والكركم والزنجبيل ، والخولنجان الكبير .

كما تكثر السماكي والخولنجان الصغير في الصين ، والفانيليا والشطة والبيمنتو وهو ثمار لبوية جافة قوية الرائحة واشجاره تنمو في جزر الهند الغربية ويسمى ايضا « فلفل جامايكا » او « كل البهار » . وتوجد كذلك اشجاره في امريكا الاستوائية .

اما اوروبا وشمال آسيا ، فتكثر فيها الكزبرة والكمون ، والكراوية والخردل وقصب الذريرة ، وهو نبات توجد في جذوره زيوت عطرية قوية تستعمل في الطب ، كما يوجد كثير من هذه التوابل والافاويه في افريقيا واستراليا ، وبذلك لا تكاد تخلو منها قارة من قارات الارض .

جزء النبات الذي يعطي التابل والفوه

على انه يمكن تصنيف هذه النباتات تبعا للجزء النباتي الذي يستعمل تابلا ، فمنها ما يستعمل برعمه الزهري كالقرنفل ، ومنها ما تستعمل ثماره مثل جوز الطيب والفانيليا والشطة والفلفل ، ومنها ما تستعمل سوقه الارضية كالزنجبيل والكركم ، ومنها ما يستعمل لحاء شجرته كالقرفة والسماكي .



محاصيل مستديمة وعابرة

ومنها ما يزرع في مزارع واسعة حيث تكون محاصيل مستديمة تبقى في الأرض عددا من السنين ، مثل جوز الطيب والقرنفل والفانيليا . ومنها ما يزرع كمحاصيل ثانوية في الحقول مثل الزنجبيل والشطة والفلفل ، ومنهـا ما يزرع محصولا حقليا لموسم واحد،مثل الكزبرة والكمون. ومنها ما لا يكاد يزرع ، وانما ينمو بريا هنا وهناك ، شجريا كان او عشبيا مثل السنامكي في الكابو وقصب الذريرة ، ويكثر الاخير ليستعمل في الطب ، كما يستخلص منه زيت يستغل في مصانع البيرة حيث يكسب المشروب نكهة طيبة .

منافعها

ويمكن ان يقال ان التوابل جميعا ما هي الا اجزاء او خلاصات نباتية عطرية تستعمل لاكساب الاطعمة والاشربة نكهة طيبة . وهناك ما يستعمل منها في صناعة العطور والصابون المعطر وهو ما نسميه في هذه الحالة بالافاويه مثل الفانيليا والقرنفل وغيرهما . ومنها ما يمزج غيره ليدخل في صناعة الروائح العطرية القوية ، مثل القرفة وغيرها ، ومنها ما يستعمل في الطب اما لاكساب الادوية نكهة ، او لانها ذات قيمة علاجية خاصة مثل الحبهان والزنجبيل وجوز الطيب .

ويستعمل الكركم في الصباغة ، وخاصة لدى العامة .

والمعروف كذلك ان زيت القرنفل فضلا عن استعمالاته الطبية والعطرية ، فانه يستعمل كمطهر في التحضيرات المجهرية التي تعتمد للدراسة بالمكبرات .

الى غير ذلك من الفوائد والاستعمالات التي لا تكاد تدخل تحت حصر ، اذ انها تختلف باختلاف البيئات والمواطن التي توجد بها ، تبعا لعادات السكان وطريقتهم في استعمالها .

بدائل عن التوابل والافاويه

وقد اثر التقدم العلمي على تجارة التوابل والافاويه ، حيث امكن تحضير كثير من المواد البديلة التي تعطي النكهة المطلوبة او الرائحة الخاصة صناعيا ، واصبحت المواد البديلة المصنعة من الكثرة بحيث اثرت اقتصاديات التوابل الى حد كبير ، ومع ذلك ما تزال تجارتها رائجة في بعض الجهات ، وما زال الطلب عليها شديدا عند بعض الشعوب وخاصة في البلاد الشرقية .

مناطق تنمو فيها التوابل

وتنمو التوابل في المناطق الاستوائية وتحت الاستوائية فيما بين خطي عرض ٢٥ شمالا ، و٢٥ جنوبا حيث تزدهر في كثير من المناطق المتباينة الاجواء .

وتعتبر منطقة الغابات الاستوائية اكثر المناطق ازدهارا بالتوابل ، حيث تزرع بنجاح في مساحات شاسعة . ويلائمها الجو الحار الرطب الغزير الامطار ، اذ لا يكاد يوجد موسم جاف ، فدرجة الحرارة عالية على مدار السنة ، وكمية المطر السنوية كبيرة ، ومنتظمة طوال السنة تقريبا .

وهناك مناطق اخرى تتميز بفصل جاف يستمر بضعة اشهر ، يعقبه فصل ممطر غزير الامطار . ومعظم اشجار هذه المناطق تكون متساقطة ، تسقط اوراقها في فصل الجفاف ، اما الاشجار المستديمة الخضرة مثل القرنفل وجوز الطيب ، فانها تسكن في فصل الجفاف . وتشتهر هذه المناطق بزراعة

التوابل الحولية ، التي تزرع في الحقل مثل الكزبرة ، والكمون ، كما تزرع كذلك التوابل الريزومية ذات السوق الأرضية مثل الزنجبيل والكركم ، وتسقط أوراقها في فصل الجفاف ، أما الشطة والزنجبيل فزراعتهما أوسع انتشارا وفي مناطق كثيرة .

ولعدد من نباتات التوابل لا تكاد تنجح زراعتها الا في الجزر أو لعل زراعتها في الجزر أنجح مما لا يقاس من زراعتها في الداخل ، الا أنها تجود بالقرب من السواحل البحرية مثل جوز الطيب والقرنفل ، والفانيليا والقرفة والحبهان. ومعظم التوابل تحتاج الى مناخ عالي الرطوبة مع ارتفاع في درجة الحرارة ، فرطوبة المناطق الباردة لا تلائمها ، فالبيئة الصالحة لها هي الاستوائية الرطبة . فهي تضعف ويحمل لونها ، اذا لم تجد وفرة من الماء في التربة أو وفرة من الرطوبة في الجو ، فتصفر الأوراق ، وتصبح أكثر حساسية للتعرض للاصابة بالحشرات والفطريات . وينبغي أن تختار لها التربة الصالحة لتزرع فيها ، مع تجنب الأراضي الرملية (عدا القرفة) والأراضي الضحلة الشبعة بالماء ، والأراضي الدبالية والفحمة.

اصفرار أوراق ، وتلف جذور

واصفرار الأوراق من الآفات التي تصيب نباتات التوابل ، ويكون نذيرا بأمراض مختلفة ، أو هو دليل على أن النبات ليس سليما معافى، وقد يكون سببه نقص في الغذاء لتلف أصاب الجذور ، أو لعدم توافر العناصر الغذائية في التربة ، أو لفرط تعرض للحرارة العالية والاضاءة الشديدة .

وقد ينشأ تلف الجذور نتيجة لاصابتها بأمراض فطرية أو حشرية ، أو نتيجة لنقص في بعض العناصر المعدنية من التربة ، كأن تكون التربة فقيرة في عنصر أو آخر ، أو تكون قطعة سيئة الصرف ، وبالتالي رديئة التهوية .

وتحتاج نباتات التوابل الى أسمدة وفيرة ، ينبغي أن تضاف الى التربة من حين الى آخر في المواعيد اللائقة ، كما ينبغي مقاومة آفاتها وخاصة وأن الجو الذي تزدهر فيه من حرارة ورطوبة ، انما يساعد كذلك على ازدهار النباتات الفطرية التي تصيبها وكذا الحشرات التي تهاجمها. ومن هنا وجب الاستعداد لمواجهة هذه الآفات باعداد المبيدات الحشرية والمبيدات الفطرية ، حتى يعالج النبات من آفته بمجرد اصابته بها ، فيقضى عليها قبل أن تفتك بالمحصول الثمين .

ولا يتسع المجال لعرض صورة كاملة لحياة نباتات التوابل والأفاويه واستعمالاتها ، وانما نكتفي بذكر بعض منها ، مما يعطي فكرة عامة عن بيئتها وحياتها وطرائق الاستفادة منها .

الفانيليا

فالفانيليا ، نبات متسلق من فصيلة الأوركيد، موطنه الأصلي أمريكا الوسطى ، ويزرع بكثرة في المكسيك وجواتيمالا وكوستاريكا وجاوه وتاهيتى وسيلان وجزر الهند الغربية وغيرها ، وهو نبات متسلق ، يزدهر في المناخ الاستوائي الحار الرطب الممطر ، لا يحتمل الجفاف ، ولا الرياح العاصفة القوية ، ويحتاج الى تربة خفيفة غنية بالدبال، ويكثر بالعقل ، ويبدأ النبات في انتاج محصول يذكر بعد ثلاثة أو أربعة أعوام ، وتصاب الفانيليا بمرض فطري يسبب سواد الثمرة وسقوطها بعد يوم أو يومين ، كذلك تهاجمها آفة حشرية فتقضي على البراعم الغضة والأزاهير الصغيرة ، ويتم تلقيح الأزهار بوساطة الانسان ، فينقل حبوب اللقاح الى مياسم الأزهار مستعملا شظية من الخشب ، وخير الأوقات لاجراء العملية فيما بين الثامنة صباحا والثانية بعد الظهر . ويستطيع الرجل أن يلقح ألفي زهرة في اليوم الواحد ، وتنضج الثمرة تماما بعد نحو أربعة أشهر ، وهي عندئذ لا رائحة لها ، وانما تكتسب رائحتها المميزة بعد أن يحدث فيها نوع من التخمر ويتغير لونها من الأصفر الى البني القاتم ، وتتكلف زراعة الفدان نحو الخمسين دينارا ، على أنه يعطي

محصولا يقدر بنحو مائتين وخمسين دينــارا ، وتستعمل الفانيليا في صنــاعة الحلوى ، ولتحضير عطر الفانيليا ، وفي الطب ، كما انها تمزج بافاويه اخرى لتعطي روائح بالغة مبهجة .

القرنفل

اما القرنفل الذي يستعمل في التوابل والافاويه فهو عبارة عن براعم زهرية غير متفتحة لنبــات « يوجينيا » ، وهي شجرة صغيرة تستــوطن المناطق الاستوائية وتحت الاستوائية ، وتســمو الشجرة الى اربعة او سبعة امتار.وتزرع القرنفل من البذرة الا انه يكثر كذلك بالترقيد . ومن اشهر مناطق زراعة القرنفل « زنجبار » . وتبدا اشجار القرنفل في انتاج محصولها من البراعم الزهرية في السنة الرابعة او الخامسة من عمرها. وتجمع البراعم الزهرية باليد او بالطرق على الافرع ، وقد تنتج الشجرة الواحدة نحو عشرين رطلا من القرنفل ، فاذا قدرنا ان الفدان به نحو مائة شجرة قدر محصول الفدان بنحو الف دينار سنويا .

ويستعمل القرنفل اساسا كتابل ، له قيمته في اكساب كثير من الاطعمة والحلوى نكهة طيبة ، فضلا عن حرافته المحببة ، ولذلك فانه يستعمل كذلك في صناعة العلك ، ويستعمل في طب الاسنان كتوابل المثالية ، ويستعمل القرنفل بكثرة في الافاويه لصناعة الروائح والعطور والصابون وما اليها من ادوات التجميل .

القرفة

اما القرفة فهي عبارة عن قلف (قشر)اشجارها التي تستوطن سيلان والهند وبورما والملايو ، وتستعمل في التوابل والافاويه ، كما تستعمل في الطب بكثرة . وتسمو الشجرة الى نحو سبعة امتار . وقد تصل الى نحو خمسة عشر مترا ، وتفضل لزراعتها الارض الرملية الفيرينية ، على ان يضاف اليها قدر كبير من السماد ، وتزرع من البذور وايضا في الروابي ، المشاية بها ، ثم تنقل الى مكان الزراعة. كذلك تنجح زراعة القرفة بالعقل والترقيد . وتقشر القرفة بسكين خاصة تساعد على نزع القلف سليما دون تفتت ،وفضلا عن استعمالات القرفة في التوابل والافاويه فانها تستعمل في الطب والصباغة كذلك ، ويستخرج منها زيت القرفة وانه ليستعمل كذلك في صناعة الصابون .

وبعد ، فهذه لمحة موجزة عن التوابل والافاويه، وقد كان لها في الماضي القريب شان اي شان ، وما زالت شعوب الشرق خاصة تلح في طلبهــا واستعمالها على ان العلماء استنبطوا اخيرا بديلات لها كما ذكرنا ، تعطي روائح شبيهة بالروائــح الاصلية ، ولعلها لن يكون لها نفس الاثر .

■■

الدكتور عبد الحليم منتصر

جحا عند تيمورلنك

● لما اغار تيمورلنك على الاناضول ،واقترب من قرية نصر الدين جحا ، خرج لاستقباله ومعه هدية له ، وكانت اوزة مقلية . ولما هاجمه الجوع في الطريق ، اكل فخذا منها . ولما دفعها لتيمورلنك ساله : اين فخذ الاوزة ؟

اجاب . ايها الملك ان الاوز جميعه برجل واحدة ..

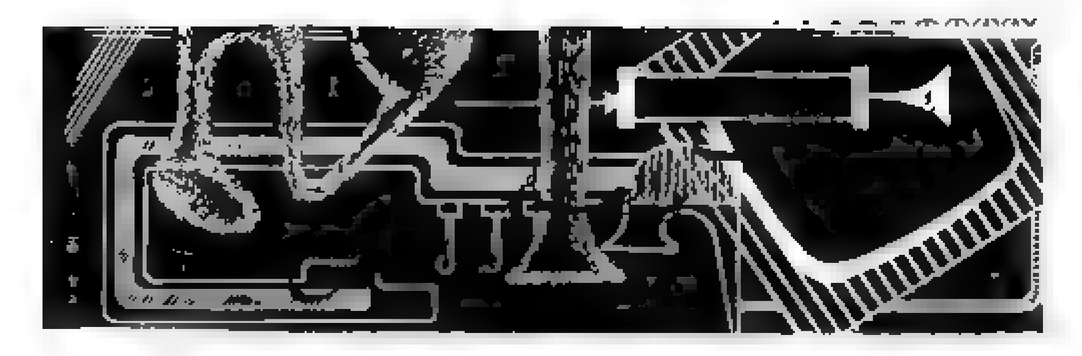
فقال . وكيف ذلك ؟

قال جحا : انظر الى اسرابه بين يديك .

وكان امامه سرب منها واقف على رجــل واحدة . فلما راى تيمورلنك ذلك ، امــر بضرب الطبول ، فلما ضربت هاج الاوز ومشى على رجليه .

فقال لجحا : الا ترى انه برجلين ؟

فاجاب جحا : ايها الملك الصالح ، والله لو صدحتني بمثل هذا الطبل لمشيت على اربع!



ارضنا ، تبطىء دورانها

● الارض تدور ، وهي بهذا تصنع الايام . ونحن من الايام نصنع الساعات والدقائق والثواني .

فالارض ساعتنا الكبرى .

وفي المراصد ساعات من صنع الانسان ، دقيقة .

وقد تبين العلماء ان ساعتنا الكبرى وساعات المراصد قد اختلفتا . واتضح من هذا ان الارض ابطأت في دورانها وذلك منذ ابريل عام ١٨٦٣ . واذن ظهرت ساعات المراصد وهي متقدمة .

وكان لا بد من اصلاح .

وبناء على ذلك اخر العلماء ساعة المرصد لتتفق مع ساعة الارض ، ساعتنا الكبرى .

والاصلاح بالطبع لا قيمة له في حياة الناس . ولكنه ذو قيمة كبرى في حسابات العلماء ومراقب النجوم والافلاك .

المكروب في خدمة الكاشفين عن البترول

● هذا وقع في بولونيا . فقد قام معهد البترول هناك ، بمدينة كراكاو . باستخدام صنوف من المكروب الذي يعيش بمعزل عن الهواء ، في الكشف عن البترول في الارض ، او عن غازه . ان هذا المكروب يتكاثر حيث لا يوجد الاكسجين ، وحيث يتشبع المحيط الذي حوله بالايدروكربونات البترولية . وقد يقومون بوضع مزرعات من هذا المكروب في حفر خرقوها في الارض ، التي يحتمل ان تكون فيها بترول ، عمقها نحو متر من السطح . فان كان بهذه الطبقات بترول ، تكاثر المكروب ، وان لم يكن ، فهو يموت .

طريقة بديعة لا شك للبحث عن البترول .

الحد من التسليح

● وسعد روسيا او الولايات المتحدة مثلا .

ولنكن الولايات ، لحضور أرقامها لدينا .

فقد قررت حكومة الولايات نقص انتاجها من اليورانيوم والبلوتونيوم (ومنهما تصنع القنابل الذرية) بمقدار ٢٥ ٪ ومعنى هذا ان مخزون هذين العنصرين القابلين للانشقاق سوف لا يتزايد بالمقدار الذي كان يتزايد به عاما بعد عام .

وقد قالوا تعليلا لهذا الاستقطاع في الانتاج ان الولايات المتحدة عندها عشرات الالوف من الاسلحة الذريه ، تلك التي تتراوح ما بين قنابل ايدروجينية

السرطان وتصنيف الدماء

● من المعروف ان دماء البشر مصنفة منها صنف الدم المعروف بصنف الف، ثم صنف الدم المعروف بصنف باء ، ثم الثالث المعروف بصنف الف باء ، والرابع المعروف بصنف صفر . والمعروف كذلك ان الاشخاص الذين صنف دمهم واحد ، يمكن لاحدهم اخذ دم من الآخر بدون ضرر ، في الحوادث او الجراحات التي يفقد فيها الشخص الكثير من دمه .

ترمومتر شديد الحساسية جدا

● انه ترمومتر اساسه بلورة من الكورتز QuartZ وهو السيد العنصر المعروف بالسليسيوم ، أو هو الرمل في اصلي تلقه . وهو يكشف عن كل تغير يحدث في درجة الحرارة الذي يبلغ مقداره من الصغر جزءا من ١٠٠ الف جزء من الدرجة المئوية الواحدة.

اما اذا اختلف صنف دم الشخص، فلذلك قواعد يتبعها الأطباء تأذن احيانا بنقل الدم ، واحيانا ترفضه لخطره على المريض بسبب اختلاف الفصيلة .

وليس تفصيل هذا من شأننا الآن .

ولكن الخبر الذي نورده هو ان الاحصاء دل على انه ، يفحص ٣٠٠٠ حالة مصاب اصحابها بقرحه في المعدة ، وجدان اربعين في المائة من هؤلاء دمهم من الصنف الف ، وان اقلهم اصابة اولئك الذين دمهم من الصنف صفر !

يوفر على الدول البلايين

تدمرها تساوي ملايين الاطنان من المفجر القياسي ت.ن.ت ، وبين تلك القنابل الصغيرة التي يطلقها الجند من قذائفهم الصغيرة في الميادين ، وتساوي تدمرها مئات من الاطنان فقط من المفجر ت.ن.ت .



وهذا الاستقطاع بمقدار ٢٥ ٪ في مصري المنال القربه لو ترجماه الى الوفر في الاموال لبلغ الف مليون دولار في مصر السنوات السبع الباقية ، اي الى عام ١٩٧٠ ، هذا مع العلم بان الولايات لا تدمع شيئا في الحامه التي منها تنتج هدى المصري .

ويقول انه ان هذا وفر كبير .

ولكنه كسر صغير جدا من المقدار الذي يرجى توفيره لو ان المقترح الذي هو اليوم معروض على مؤتمر نزع السلاح يحصف واتفق عليه الأطراف المعنية .

وهو تقضي بتخفيض انتاج كل ما ينتج من الاسلحه ، مهما كان نوعه ، بمقدار ٣٠ في المائة .

الحوامات تأخذ مكان قطر السكة الحديدية ؟

● كل شيء جائز .
نحن في عصر التحول الكبير من عصور الانسان .
كانت الفكرة صغيرة ، ثم اذا بها تكبر ، ثم تصبح حقيقة تملأ العين والسمع .

والحوامة بدأت فكرة ، ثم اذا بها سيارة تمشي على الارض البسيطة ولا تمسها ، او على الماء ولا تمسه . وتنوعت اشكالها وصنوفها . وبدأت في دولة ، ثم ظهرت في دول عدة كل يزيد فيها ، وفي اغراضها .

واليوم في انجلترا يتحدثون عن الحوامة ، تربط بين المدن الهامة ، فتؤدي ما لم تستطع ان تؤديه السكك الحديدية الى اليوم ، ذلك اختصار ما بين هذه المدن من مسافات .
ان الحوامة تسير بسرعة ٣٠٠ ميل في الساعة .

انها بسرعة تقلب جغرافية انجلترا رأسا على عقب . ذلك ان البعد بالأميال غير البعد بالساعات . وسوف تصبح مثلا المدن الكبرى لا يفصلها ، بعضا عن بعض ، غير ساعة . بين العاصمة لندن ، وهي في الجنوب ، ونيوكاسل ، وهي في اقصى الشمال ، ساعة . وبين العاصمة وليدز ، وبينها ومانشستر ، وبينها وبين ليفربول او برستل ، ما دون الساعة .

تنكمش المسافات انكماشا ، وتقترب البلاد .

وكثافة السكان ، التي اتجهت اكبر اتجاه ، الى الجنوب الشرقي من انجلترا ، وسوف يزيد اتجاهها هذا بالموافقة على وصل انجلترا بفرنسا بنفق تحت سطح المانش ، وبه يزيد شمال انجلترا وغربها كساد سوق ، وبطالة اهل ، وهجرة رجال ونساء . هذه الكثافة سوف

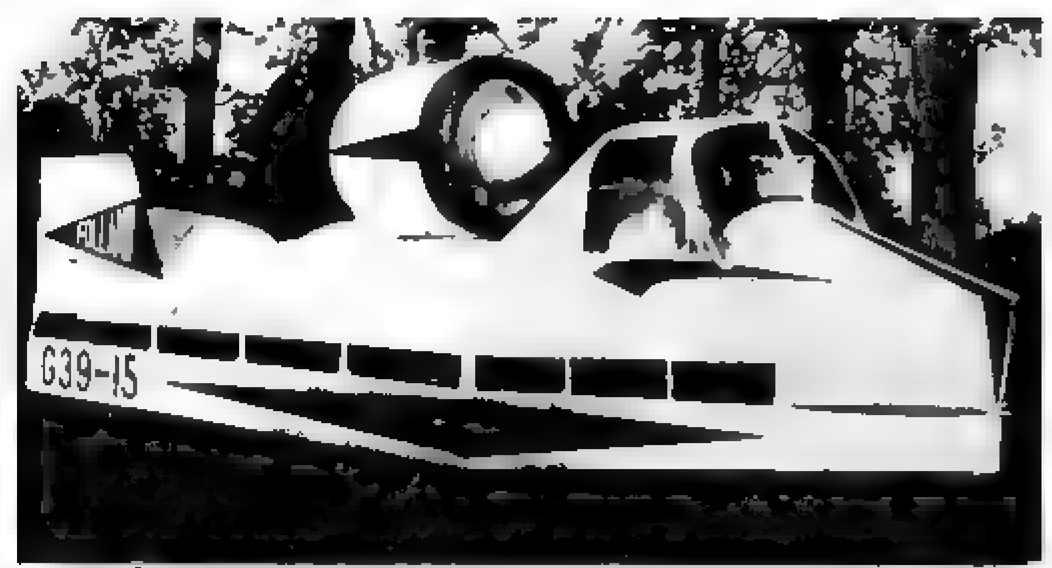
الزعيق في العمال ، في مصنع أو مكتب ، يفقد أثره سريعا

● هكذا يقول باحث نفساني ، له في شئون العمال تجارب .
انه يقول ان صريخ رئيس العمل ، في مكتب بالمدينة ، او في مصنع بالضاحية ، قد يأتي بأثر طيب في اول الأمر . ثم تعوده العامل اذا الصراخ اضطرد ، وعندئذ ينساه ، كما ينسى تماما ثيابه التي هو لابسها ، فهو يحس بها عند اللبس مرة واحدة ، ثم تموت .

وعند هـذا الباحث النفساني أن رئيس العمل لا بد أن يبحث عن الأصل الذي تصدر عنه أخطاء العامل ، فيصحح هذه الأصول ان أمكنه ذلك .

ويجب على صاحب العمل ان ينتبه الى ان العمال ، من اي نوع ، ليسوا في الرتبة والذكاء سواء . وان رتابة العمل تميل بالذي له حظ من الذكاء ان يقوم بعمله الرتيب ، وهو يحلم بأشياء أبعد ماتكون عن عمله ، واذن تقع أخطاء .

على صاحب العمل ، ان يؤلف بين نوع العمل ، ذلك الذي يحتاج الى حكم او ذلك الذي لا يحتاج غير المتابعة ، ونوع العامل وقدرته واحتماله الفكري والعاطفي كذلك .



سوف او ينعكس اتجاهها ، سرعة المواصلات التي تأتي بها العوامات ، فيمن الناس على سكني الشمال العالم على سكني الجنوب ، وسكني الشرق والغرب .

واكثر ذلك في انجلترا ، في العشرات من السنوات القادمة ، اذا هو تحقق ، سيجرى وجوده بوجود الذي له مثله في سائر الدول .

ان الناس يجب ان لا تنسى خطر المواصلات في توزيع الناس على الارض ، وتوزيع العمل ، وتوزيع الانتاج .

ولا بد من ان نذكر ان هذه السيارات العوامة ، اكثر مقاباتها سوف يكون في بناء ما تتطلبه من سكك مقفلة . وهي لن تكون من الحديد ، ولكن من الخرسانة يتقوس سطحها في خط طويل هو خط السير ، ومن فوق هذا السطح تجرى العوامات ، وبينها وبين سطحه بوصة او نصف بوصة . (راجع مقال العوامة « بالعربي » سنة ١٩٥٩ شهر ٨ عدد ١٠)

اصغر مصباح في العالم

● لا نورد هذا الخبر بقصد التهويل او الإثارة(الفارى)،وانما لنؤكد قوة الاتجاه العام الذي دفع بالصناعة والمخترعين الى ابتداع اصغر الاشياء ، وعمل الاحجام ، ذلك الاتجاه الذي كان من اوضح امثاله الانتقال من مصابيح المذياع في اجهزة الراديو الى الترنسستورات .

ونحن اليوم نختص بمصباح كهربائي صنعته شركة كيه الكتريك Kay Exctric Co بالولايات المتحدة ، على شكل انبوبة طولها ملليمتران اثنان ، وقطرها الاصغر ٨ر. من المليمتر . وهو مصباح لا يستهلك اكثر من ٣ من الف من الامبير الواحد .

امراض القلب ، امراض مدنية

● في الصومال ، عند حدود كينيا ، يعيش صوماليون رحّل . طعامهم كثير الشحم ، ومعنى هذا ان مادة الكلسترول Cholesterol التي بدمهم مقدارها كبير او يجب ان تكون . وهذه المادة هي التي اليها تعزو الاطباء اليوم بعض امراض القلب وهذا هذا فالعيش عند هؤلاء الاقوام اخشن ما تكون : نومهم على الارض ، نصيبهم من الماء يسير ، الحر عندهم كثير ، الطقس عندهم غاية في الحرارة مرة ، وغاية في البرودة مرة .

ومع هذا لهم اصحاء قلوب سليمة .

ان مرض القلب من امراض المدنية الحديثة المترفة .

طريقة جديدة لمنع الحمل

في سبيل وقف النسل ، المتزايد ، وزحمة الأرض بسكانها ، يطرق العلماء كل باب للبحث عن طريقة .

ومن الطرق الأخيرة التي بحثوا فيها طريقة عجيبة هي خلق أجسام في جسم الأنثى تمنع الاخصاب أن يتم عند لقاء الذكر والأنثى .

وتفسير ذلك أن الناس تحصن ضد الأمراض الكروبية بحقنها بالكروب ميتا أو مضعفا ، وبدخول هذا الكروب الى دم الرجل ، يأخذ جسم الرجل ، ومن طبعه الدفاع ، في خلق مواد تعرف بالمواد الماسكة Antibodies أو المضادة ، تقوم بتحصين الجسم ضد ما قد يدخله من بعد ذلك من الكروب الحي بالعدوى . ومن أقرب الأمثلة التحصين من داء شلل الأطفال بحقن لقاحه في الجسم .

ولقد قامت الدكتورة آن مكلارن ، بادنبرة ، بتحصين اناث الفئران ضد الحيوانات المنويه لذكور الفئران ، من حملت من ضمنها مستحلبا حقنته في دم الاناث . والتقت اناث الفئران بذكورها ، وظل الاتصال يضعف ثم يضعف ثم يزداد الحمل ، حتى توقف أخيرا ، فلم تعد تحمل الاناث المحقّنة .

وهي تفسر ذلك بأن هذه الحيوانات المنوية ، بحسبانها مواد غريبة في دم جسم الانثى ، حفزت هذا الجسم الى صنع مواد ماسكة ، جرت في الدم الى الرحم ، وهناك كانت تلتقي بالحيوانات المنوية لذكور الفئران عند التقائهما بالانثيات ، لقاء العدو ، فتشلها ، فلا تحمل .

ومع هذا فالدكتورة لا ترى انها طريقة يمكن تطبيقها في اناث بني الناس لأسباب منها انها ما نجحت حتى أعطت اناث الفئران ٣ حقنات في الاسبوع ، بكل حقنة ما بين ١٠ الى ١٥ مليون حيوان منوي ، وذلك لمدة سبعة أسابيع . ومع هذا فهي لم تبلغ بذلك حد الكفاية . كان لا بد لها أن تزيد حتى يمتنع الاخصاب امتناعا تاما .

والاخصاب اذا امتنع ، فاغلب الظن انه لا يعود ، والنساء بحبوب منع الحمل المسماة اليوم ، تعود الى الحمل متى شاءت

لو اقتطعوا ½ في المائة من ميزانيات الحرب ..

● نعم ، لو اقتطعت الولايات المتحدة ، والروس ، وبريطانيا ، وفرنسا ، من ميزانياتها هذا المقدار البسيط ، ½ في المائة من ميزانيات الحرب ، لما اختل توازن القوى بينها . ولو أعطي هذا المبلغ لبحوث السرطان لكفل ذلك نفقة بحوث ، يقوم بها معهد دولي تؤدي حتما الى تخليص الجنس البشري من هذا الداء الوبيل الذي لا يعرف حتى الآن أسبابه ، وهو داء يقتل من الناس كل عام مليونين من الأنفس .

ان هذه الميزانيات يبلغ مجموعها الآن نحو ٦٣ الف مليون جنيه استرليني ، والنصف في المائة يبلغ نحو ال ٢١٥ مليون جنيه في العام ، وهو مبلغ يكفي بزيادة المختبرات الآلاف ، وبزيادة البحاث ، ويعجل بانتصار الانسان الحاسم على هذا الداء وصفه الى بالملك بنحو عشر سنوات أو خمس عشرة سنة .

أسماء الفائزين في مسابقة العدد ٦٥

إجابات ممتازة .. ودراسة واعية لقضية فلسطين

■ إنها لظاهرة تبعث على الرضا وتدعو إلى الاغتباط ، أن كثيرا من الإجابات التي تلقيناها لمسابقة « لكي لا ننسى » لم تكن مجرد إجابات عادية وردت المعلومات المطلوبة فحسب ، بل إن بينها عشرات من الإجابات هي في الواقع دراسة واعية لقضية فلسطين وعدوان الصهيونية الآثم عليها وما وقع من الأحداث [illegible] وخيانة بريطانيا لقضية العرب ، وما أحاط بالنكبة من ملابسات أو أدى إليها من مؤامرات .

والإجابات الصحيحة هي :

١ ـ وعد بلفور : ٢ نوفمبر ١٩١٧ .

٢ ـ قيام اسرائيل : منتصف ليلة ١٤/١٥ مايو ١٩٤٨ .

٣ ـ أول دولة اعترفت باسرائيل : الولايات المتحدة ، ورئيسها إذ ذاك هاري ترومان .

٤ ـ الهدنة الأولى : ٢٩ مايو سنة ١٩٤٨ .

٥ ـ العدوان الثلاثي على بورسعيد : ٢٩ اكتوبر ١٩٥٦ .

٦ ـ من الدول التي لم تعترف بعد باسرائيل : اسبانيا ، الصين الشعبية ، كوبا ، ألمانيا الشرقية ، الفاتيكان ، يوغسلافيا ، [illegible] ، اندونيسيا ، الباكستان ، افغانستان ، الخ ...

٧ ـ الأمين العام لجامعة الدول العربية الذي عاصر النكبة : عبد الرحمن عزام .

وقد جرى الاقتراع على الجوائز بين الإجابات الصحيحة فكانت النتيجة ما يلي :

الجائزة الأولى : وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها **يوسف حسن عبد الرحيم** بواسطة يوسف عبد الرحيم [illegible] السودان .

الجائزة الثانية : وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها **الصاغ الرئيس محمد عبود الكثيري** [illegible] ـ المكلا ـ حضرموت .

الجائزة الثالثة : وقيمتها [illegible] فاز بها **محمود شوقي عبد القادر أحمد** مدرسة اللاجئين الإعدادية ٣ ـ رفح ـ فلسطين .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، لكل منها ٥ دنانير [illegible]

١ ـ **عوض محسن أبو عبيد** اللحن الأول بالمعلومة الأردنية [illegible]

٢ ـ **حسن محمد حسن الفليتي** ـ [illegible] ـ الأردن

٣ ـ **روميو خوري شليحون** [illegible] العراق

٤ ـ **خالد خلف العيسى** [illegible] ٧ الكويت

٥ ـ **أحمد محمد عطية** [illegible] ج ع م

٦ ـ **عبد الكريم عمر الصالح** [illegible] السعودية

٧ ـ **حسين مهدي محمد جواد** [illegible] ج ع م

٨ ـ **محمد علي نعمان** [illegible]

[illegible]





اعرف وطنك أيها العربي



جدة

باب الحجاج إلى بيت الله الحرام

قام بهذا الاستطلاع سليم بسيسو وصوره «أوسكار»



ـع ساعات من مغادرتنا الكويت في الخليج العربي وصلنا جدة التي تقع في منتصف الساحل الشرقي للبحر الأحمر . تركنا سلم الطائرة لنجد الأستاذ غالب أبو الفرج ، مدير عام الصحافة والنشر بوزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية ، ومعه نخبة كبار موظفيها في [illegible] لاستقبال [illegible] كانت الحرارة في جدة [illegible] درجة مئوية

ربما أن نضبط ساعاتنا حسب الوقت المحلي . ولما سألنا عن الوقت هناك الفرق كبيرا لا مبرر له عند خطوط الطول وهو ١٠ درجات بين جدة والكويت ، أي ما لا يزيد على ٤٠ دقيقة في حساب الوقت . كانت الساعات في جدة تشير الى العاشرة . وعرفنا أن الوقت في السعودية يتم حسب التوقيت العربي وهو أن تكون عقرب الساعة فوق منتصفها على رقم ١٢ عند غروب الشمس ، لا عند منتصف النهار كما هو المعمول

في التوقيت الافرنجي . والتقويم المستعمل هنا هو التقويم الهجرى لا التقويم الغربي ، وكان تاريخ وصولنا ، وهو ٣٠ يناير ، يصادف ١٦ رمضان ، وهو الشهر التاسع من شهور السنة الهجرية .

وفي جدة توقيت ثالث وهو توقيت جرينتش ويسير عليه برنامج القسم الشرقي في الاذاعة والطيارون وكذلك متعهدو الطرقات .

جدة .. مدينة الفنادق

غادرنا المطار ، وسرنا في طريق سمعت باسمه ، الى ان وصلنا الى الفندق الذي سننزل فيه ، وجدنا الفندق من حيث البناء والزخرفة والاثاث والفخمة بطراز احدث وارقى الفنادق في العالم العربي .

وفي جده من فنادق الدرجة الاولى ــ فندق جدة بالاس ــ حيث نزلنا ، وقصر الكندرة ، وقصر البحر الاحمر ، ويحتوى كل واحد منها على اكثر من ستين حجرة . واجور الاقامة والاكل في هذه الفنادق ٦٦ ريالا في اليوم . اما فنادق الدرجة الثانية والثالثة فتصل الى العشرين عددا ان لم تكن اكثر ، واجرة الاقامة فيها من ٢٠ ريالا الى ١٠ ريالات للنوم فقط . علما بان الجنيه الاسترليني يساوي ١٢٪ من الريالات .

لقد اشتهرت جدة بالفنادق منذ القديم بوصفها مدينة يمر بها الحجاج في طريقهم الى بيت الله الحرام . وقد جاء في رحلة ابن جبير : « وفيها ــ اى جدة ــ فنادق مبنية بالحجارة والطين اوق اعلاها بيوت من اخصاص كالغرف ، وبها سطوح يستراح فيها بالليل من اذى الحر » . كان هذا الكلام في القرن السادس الهجرى . اما اليوم ونحن في القرن الرابع عشر الهجرى ــ ففنادق جدة بها مكيفات هواء او اجهزة تهوية وتبريد مركزية ، وحجرها مزودة باجهزة هاتف وحمامات خاصة تجرى فيها المياه الباردة والساخنة بدون انقطاع .

جدة مدينة القناصل

واذا كانت الرياض هى العاصمة السياسية والوطنية للمملكة العربية السعودية ، واذا كانت مكة هى العاصمة الدينية للمملكة والعالم الاسلامى بملايينه التى تعد بالمئات ، فان جدة هى العاصمة الدبلوماسية للمملكة العربية السعودية . وقد ذكر الدبلوماسى والمستكشف والمؤرخ الهولندى د. فان در ميلن D. Van Der Meulen في كتابه « آبار ابن سعود » The Wells of Ibn Saud في جده كانت تسمى « بلد القناصل » او « مدينة القناصل » . ويرجع سبب التسمية الى ان جزيرة العرب ــ باستثناء اجزاء صغيرة ــ كانت تحت السيادة العثمانية الاسمية ، وكان اهتمام الدول الاوروبية الرئيسى في الجزء من البلاد الذى يشمل الاراضى المقدسة ينصب على



خريطة توضيحية تبين موقع مدينة جدة



[illegible]

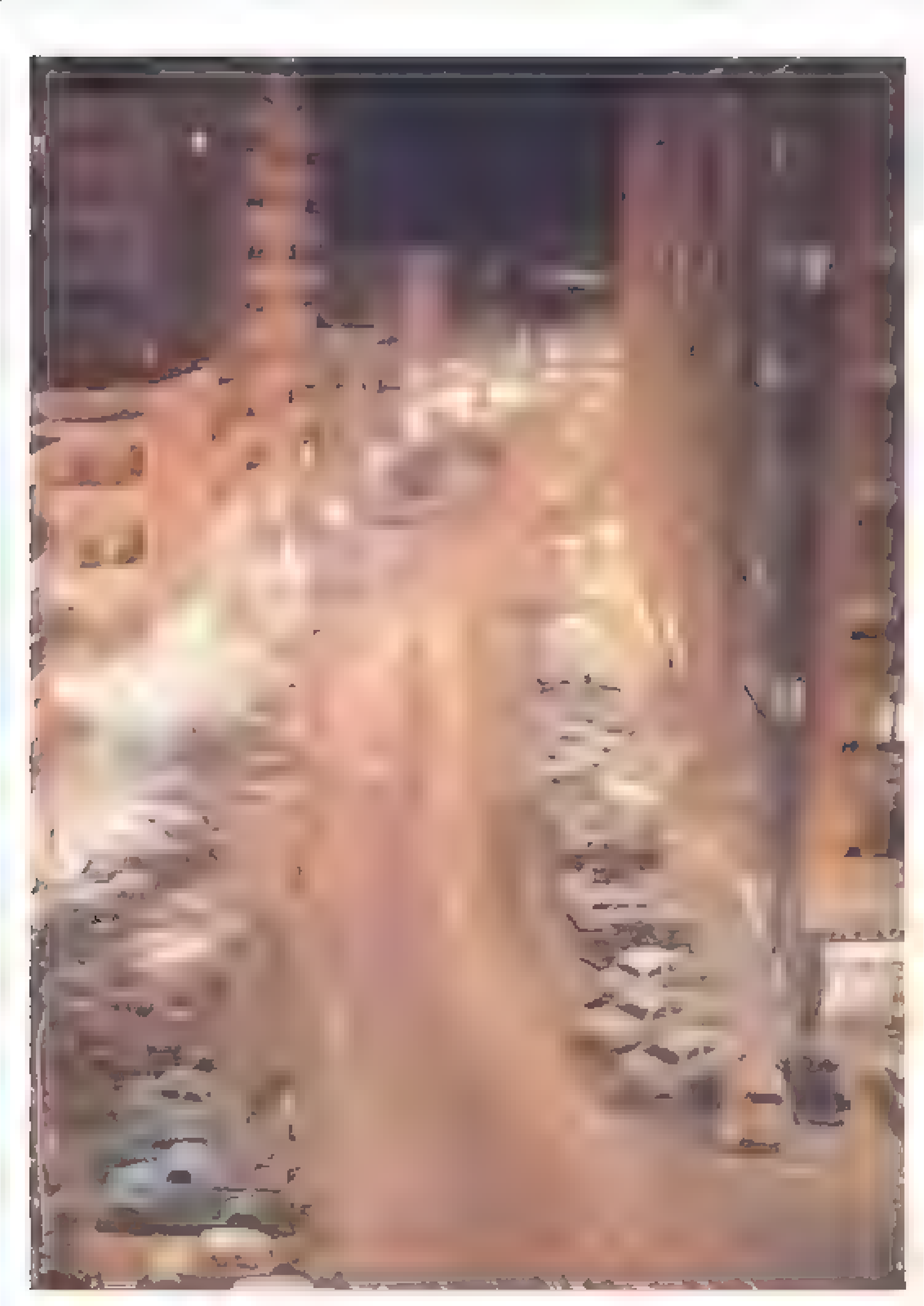
بوفود الحجاج ، خلال اشهر الحج ، الرعايا المسلمين من البلاد التابعة لتلك الدول الاوروبية، وكذلك للتأكد من عدم انتشار الامراض المعدية من قبل الحجاج الوافدين . وكان القناصل الذين يبعثون الى جدة لفترة موسم الحج يغادرونها بعد انتهائه مباشرة . ومع ذلك فقد كانت لهم اغراض اخرى سياسية وتجارية .

سكان جدة .. عددهم ومن أين هم ؟

كان اقصى تقدير لعدد السكان قرأناه عن جدة هو ثمانين الفا . ولما اشرفنا على جدة من الجو، ورأينا اتساع المدينة، ادركنا فورا ان عدد السكان لا بد وان يكون اكثر من هذا بكثير . وتراوحت التقديرات التي وصلتنا ما بين مائة الف واربعمائة الف ومع ان تقريرا احصائيا يقول ان سكان جدة سنة ١٩٦٢ بلغ عددهم ١١٤ الفا الا اننا نميل الى الاعتقاد بأن عددهم يزيد على مائتي الف نسمة . وسواء اصح هذا الرقم او ذاك فان الذي لا شك فيه ان عدد سكان جدة يزداد بمقدار ربع مليون شخص سنويا في موسم الحج ، يفدون اليها برا وبحرا وجوا ، بوصفها البوابة البحرية لمكة وينتمي هؤلاء الحجاج الى جنسيات واجناس مختلفة ، ولكنهم يجمعهم دين واحد هو دين الاسلام ، حيث لا فرق بين جنسية وجنسية ، وجنس وجنس ، ولون ولون . وكانت البلاد ، الى ما قبل ظهور البترول ، تعتمد على رسوم الحج ورسوم الجمارك كمصدر اساسي لايرادات الدولة .

ولقد تخلف على مر السنين الوف من الحجاج، وسكنوا في جدة ولم يعودوا الى بلادهم ،وتزاوجوا او تناسلوا ، وتزايد عددهم حتى انه يقال ان





سكان جدة ، الذين هم من أصل عربي ، لا تزيد نسبتهم عن ٦٠٪ من مجموع عدد السكان ، اما ثلاثة الخماس سكان جدة الباقون فهم اما هنود او صوماليون او جاويون . او بخاريون او فرس . وفي جدة جاليات كبيرة من اصل حضرمي ويمني . وقد سميت بعض احياء جدة باسماء الجاليات التي استقرت بها على شكل تجمعات ، مثل محلة الهنداوية والمغاربة واليمانية ، ومحلة الشام والمحلة البغدادية . وان كان هناك من يقول ان بعضها قد سمي لوقوعها اتجاه اليمن او الشام . وقد تطبعت هذه الجاليات التي مضى على وجودها في جدة عشرات ومئات السنين بطباع اهل البلاد وتكلمت لغتهم واسهمت بنصيب وافر في ميادين التجارة والاقتصاد والعمران والادارة .

ومسألة تخلف الحجاج ما زالت قائمة حتى الآن وخاصة بين الحجاج الافريقيين ويمضي هؤلاء المتخلفون وينتشرون بين الناس ليعملوا كعمال او حمالين .. او متسولين ومن تضبطه السلطات ترحله الى بلده .

موقع جدة وتاريخهـا

تقع جدة في منتصف الساحل الشرقي العربي الآسيوي للبحر الأحمر ، وتبعد عن السويس ٧١١ ميلا ، وعن بورسودان على الساحل الغربي الافريقي للبحر الاحمر ١٩٠ ميلا . وهي الميناء الرئيسي للمملكة العربية السعودية في ساحلها الغربي كما تعتبر البوابة البحرية لمكة او بوابة الاماكن المقدسة . والمسافة من جدة الى مكة المكرمة شرقا ٧٣ كيلو مترا . والطرق التي تصل جدة بمكة وتصلها بالمدينة معبدة بالاسفلت .

ويرجع تاريخ جدة الى ما قبل الإسلام ، وتكاد المراجع التاريخية تجمع على ان اول من اسسها هم تجار من الفرس . وقد أصبحت جدة ميناء لمكة في عهد ثالث الخلفاء الراشدين ، عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، سنة ٦٤٦ ميلادية . واصبحت لجدة اهمية كميناء تجاري منذ القرن الخامس عشر الميلادي اذ كانت تشحن اليها البضائع القادمة من الهند والشرق ومنها كانت تشحن الى مصر . وقد ادى تحسين وسائل الشحن البحري الى اضعاف مركز جدة كميناء تجاري ولكن مركزها كميناء للحجاج اصبح قويا في القرن السابع عشر الميلادي . وكان لفتح قناة السويس اثر على ميناء جدة اذ اصبحت البواخر الكبيرة القادمة من الشرق الى الغرب او بالعكس تمر منها دون حاجة الى تفريغ حمولاتها في جدة .

ومناخ جدة حار ، وتصل الحرارة فيها صيفا الى ٤٧ درجة مئوية . اما معدل الحرارة شتاء فهو ٢٧ درجة . وجدة شديدة الرطوبة خصوصا في فصل الخريف وفيه تصل نسبة الرطوبة الى ١٠٠٪ . اما الحد الادنى للرطوبة في فصول السنة الاخرى فهو ٦٠٪ .

وقد عانت جدة في تاريخها الطويل من الشدائد والمآسي والكوارث ما يعجز عنه الوصف . فقد تعرضت سنة ١٦٦٧ الى اسوأ مجاعة في التاريخ حتى اضطر الناس الى اكل الكلاب والقطط

تعرضت هذه [illegible] في [illegible] ... [illegible] ١٩٣٧ [illegible]



[illegible]

والجرذان والفئران ، وكان الموسرون يبيعون كل ما يملكون في مقابل ما يسدون به الرمق . وكان عدد كبير من الناس يجلس فلا يستطيع الوقوف من شدة الجوع فيموت حيث هو جالس. وبعد نصف قرن تعرضت جدة الى حريق هائل أتى على تلك المدينة وجعله رمادا .

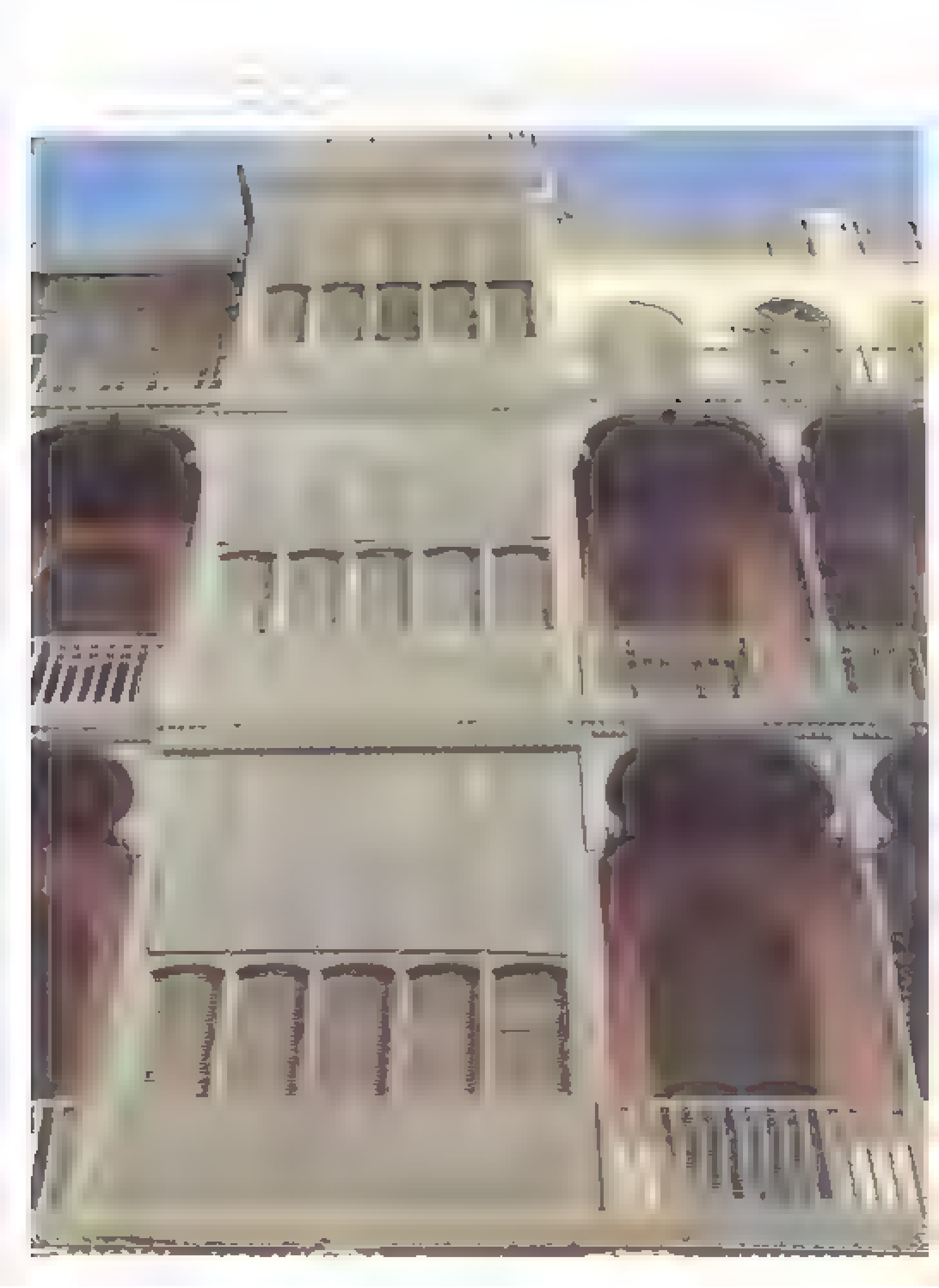
طراز البنـاء

اذا ألقينا نظرة على جدة القديمة رأينا مبانيها تعكس أطرزة قديمة ، بعضها أصبح متداعيـا والبعض الآخر ما زال متينا قويا باستمرار صيانة للصيانة والترميم . وهذه الأطرزة شرقية غالبـة يغلب عليها الطابع التركي . وترتفع المباني على جوانب الأزقة الضيقة المتعرجة الى نحو أربعة أدوار ، ومنها ما يصل الى الستة . وقد طليت جدران معظمها من الخارج باللون الأبيض . وقد سترت نوافذها وشرفاتها بالخشب المشبك او المحفور المطلي باللون الأخضر ان لم يكن قد يزال بلونه الطبيعي . ويشغل هذا الخشب المحفور او المشبك مساحة كبيرة من واجهات المنازل . ولعل دقة الصنع على الوقت والملل اللذين أنفقا على هذه الستائر الخشبية التي كان الغرض منها مزدوجا : فهي تسمح للهواء بالدخول وهي تسمح للمرأة ـ وخاصة النزيلات ـ باختلاس النظر الى الخارج دون عائق ، وتحجب في الوقت ذاته رؤية ما في الداخل من قبل المارة في الأزقة والطرق . لقد أسدلت تلك الستائر الخشبية على تلك الواجهات وسدت النوافذ والشرفات فأضفت عليها رونقا وجمالا . وما زالت هذه الستائر ـ الباقية الهلهلة منها والسليمة ـ تخفي وراءها الحياة شبه الغامضة والمنعزلة والتي تبتعد الغفلة للانطلاق منها الى الحياة المكشوفة .. الى البيوت والفلات الجديدة المليئة بالنور والتي انتشرت في أطراف المدينة وراحت تزحف في اتجاه الصحراء

ومنذ نصف قرن بدأ استعمال الاسمنت في البناء ، وحدث تطور في أسلوب البناء وطرازه ، فصارت المباني تبنى بالاسمنت القابل للتكييف على الطراز الحديث ، سواء أكانت المباني معدة للسكنى او محلات تجارية . وقد انتشرت في جدة وعلى الأخص في المركز التجاري العمارات الضخمـة التي تصل في ارتفاعها الى عشرة أدوار وتحتوي على عشرات الشقق بعكس الحال في أطراف المدينة حيث انتشرت الفلات الحديثة التي تحيط بها الحدائق الجميلة . ولم يعد اللون الأبيض هو اللون الغالب بل الألوان المستعملة الآن تختلف من أزرق الى أحمر وأصفر وأخضر الى آخر ما في قائمة الألوان من أسماء .

البنـاء

كانت البواخر التي تأتي الى ميناء جدة تقف في عرض البحر لتنزل حمولتها من ركاب او بضائع الى قوارب شراعية او زوارق بخارية. ولكن زيادة عدد الحجاج وغيرهم من الوافـــدين ، وزيادة الاستيراد نتيجة لازدهار التجارة على أثر تدفق البترول ، ولكون النقل البحري هو الوسيلة





الرئيسية لربط البلاد بالعالم الخارجي ، فقد كان لا بد من بناء رصيف ترسو عليه السفن الكبيرة لجعل ميناء جدة ميناء عصريا يتناسب مع مركزها كأهم ميناء للسعودية في البحر الأحمر. وقد تم بناء رصيف على بعد ميل الى الجنوب من رصيف الجمرك القديم . ويمتد هذا الرصيف مسافة ٧٧١٢ قدما داخل البحر حيث عمق الماء ٣٢ قدما وقت الجزر . ورأس الرصيف طوله ٦٠٥ قدما ، وعرضه مائة قدم ، ويستقبل على كل جانب سفينتين كبيرتي الحجم . كذلك يمكن أن ترسو سفينتان كبيرتان على الرصيف الواقع أمام الميناء مباشرة ، ويصل رأس الرصيف بالميناء جسر عرضه ٢٤ قدما . وقد خصص الجزء الواقع الى الجنوب من البحر لرسو قوارب الصيد وغيرها من المراكب الشراعية .

وفي الميناء مكاتب حديثة للجوازات والسفر والجمارك وخفر السواحل لتسهيل دخول القادمين الى جدة . ويزيد وزن البضائع المفرغة أو المحملة في ميناء جدة على مليون طن سنويا كما يقدر عدد الحجاج وغيرهم الذين يزورون السعودية عن طريق الميناء بمئات الألوف .

المطار

في المسافات الشاسعة بين مراكز السكان في مملكة مساحتها ٩٠٠ الف ميل مربع – أي ثلث مساحة الولايات المتحدة الأمريكية أو أكبر من الجزر البريطانية وفرنسا وإيطاليا وألمانيا مجتمعة من حيث المساحة – جعلت الطيران شيئا طبيعيا كوسيلة للنقل داخل البلاد وكذلك الى العالم الخارجي . لذلك فقد أصبح لمؤسسة الخطوط الجوية السعودية أسطول ضخم من الطائرات

هنا ما تتميز به جدة في هذه الأيام هو شق الطرق وإقامة المباني الحديثة وقد تم تحضير
صورة تمثيلية لإزالة الأنقاض لتحل الأيدي البناءة في جدة المحلات التجارية والمباني السكنية في
الأحياء الحديثة من جدة





مدينة « حجاج البحر » في جدة وهي تستقبل الحجاج القادمين عن طريق البحر لتوفر لهم الراحة الى حين موعد سفرهم الى مكة المكرمة و المدينة المنورة

واصبح في السعودية مطاران دوليان احدهما في الظهران والثاني في جدة ، كما اصبح لديها اكثر من عشرين مطارا او مكانا لهبوط الطائرات في مختلف انحاء البلاد .

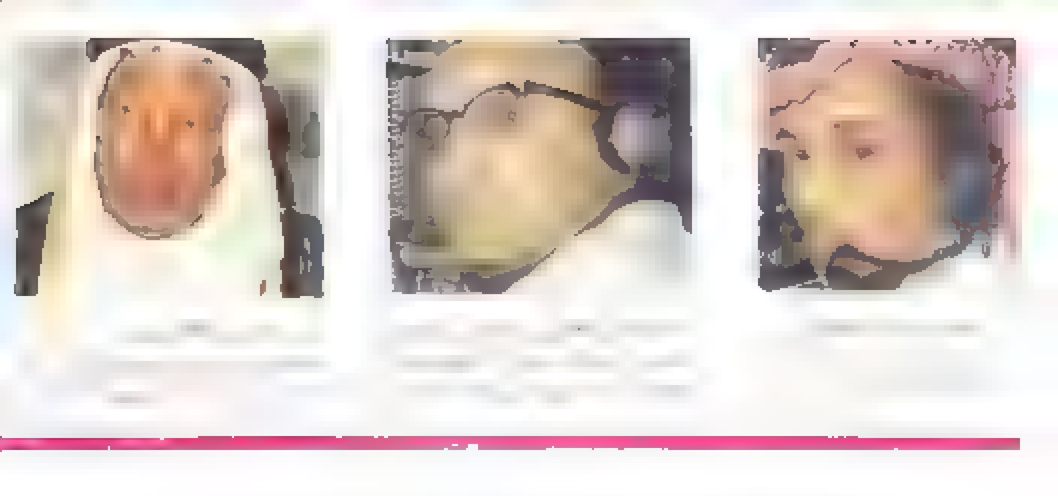
كان مطار جدة حينما تم انشاؤه يبعد عن المدينة مسافة ميل ونصف ميل ، اما اليوم فالمطار يقع على حافة المدينة مباشرة الى الجهة الشمالية الشرقية . ومع انه مطار حديث به مدرجان طول احدهما ٦٠٠٠ قدم وثانيهما ٨٠٠٠ قدم ، تستطيع جميع انواع الطائرات الهبوط عليهما ليلا ونهارا ، وهما مزودان بالانوار ، كذلك برج مراقبة ممتاز وكافة الخدمات والتسهيلات اللازمة لمواجهة الاعداد الكبيرة من القادمين الى البلاد عن طريق الجو ، الا ان ضرورة سلامة سكان المدينة تستدعي نقل هذا المطار الى مكان آخر بعيد عن العمران .

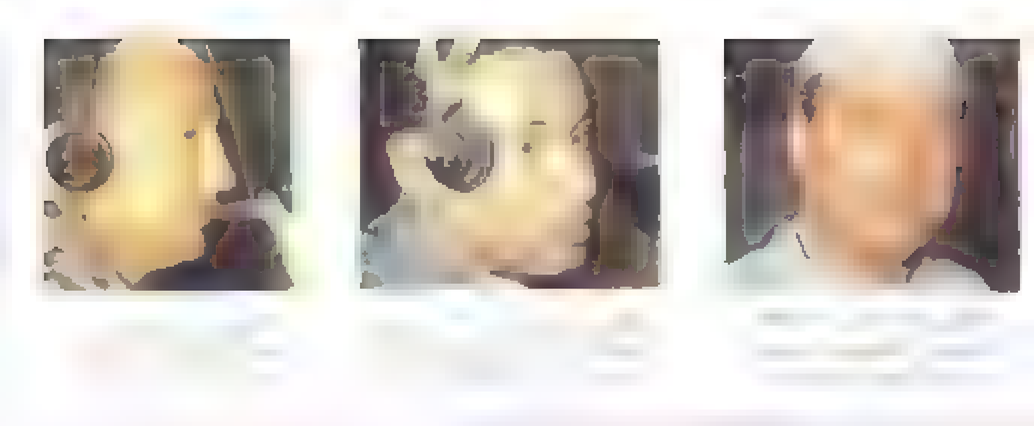
وفي جدة مركز تدريب الطيران المدني التابع لمؤسسة الخطوط الجوية السعودية .

لقد اسس هذا المركز قبل ست سنوات وكان الغرض من تأسيسه تعليم الطيران ، ولكنه تطور واصبح مركزا لتعليم الطيران والتدريب على جميع الاعمال المرتبطة بخطوط الطيران ، كبيع التذاكر والحركة والشحن ، وكذلك تعلم هندسة الطيران . وتدرس جميع هذه المواد باللغة الانكليزية .

مدينتان للحجاج

بالرغم من كثرة ما كان في جدة من فنادق على مر السنين ، الا ان الحجاج القادمين من جميع البلاد الاسلامية كانوا يعانون اهوالا جمة باجسادهم المتعبة المنهكة التي اضناها السفر بحرا او برا على الاقدام او الجمال . ولتوفير الراحة التامة للحجاج القادمين بحرا تم بناء مدينة للحجاج في الجزء الجنوبي من المدينة القديمة ، وهذه المدينة قريبة من رصيف الميناء الجديد بحيث





يستطيع الحاج ان يأتي من السفينة الراسية على الرصيف الى « مدينة حجاج البحر » سيرا على الاقدام بعد انهاء معاملات الجوازات والجمارك.

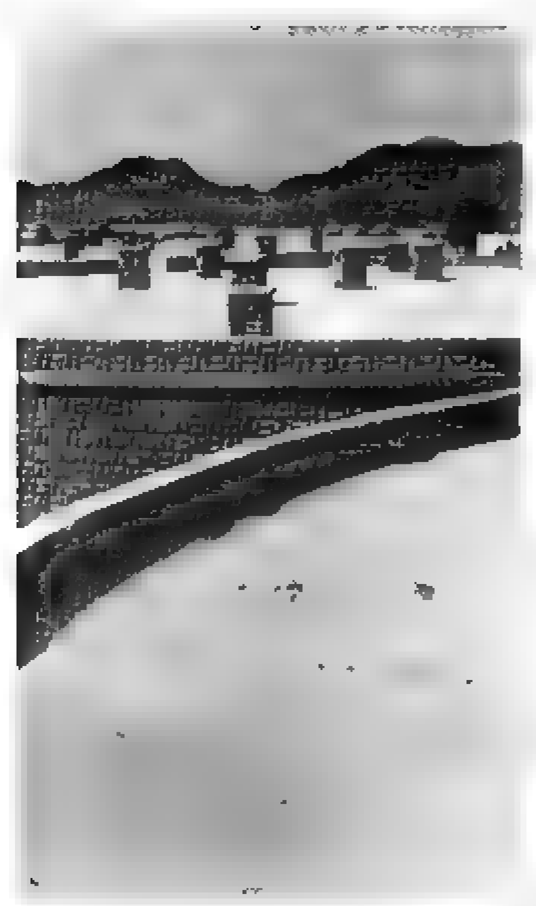
ويعود الى السفينة عند مغادرته البلاد بنفس السهولة . و « مدينة حجاج البحر » واسعة جدا وتتوفر فيها الكهرباء والماء ، ويمكث الحاج فيها يوما او بعض يوم الى ان يتم عمل الترتيبات اللازمة لسفره الى مكة او المدينة او مغادرته البلاد بعد فريضة الحج .

وهناك أيضا « مدينة حجاج الجو » ، وهي مبنية بجانب المطار بناء فخما حديثا من اربعة ادوار ، وبها جميع الحوائج والمرافق اللازمة لتسهيل دخول الحجاج وخروجهم ، واقامتهم فيها قد لا تتجاوز الساعات .

التعليم في جده قديما .. وحديثا

كتب سنوك هرخرونيه Snouck Hurgronj الاستاذ السابق في جامعة ليدن ، والذي اسلم في شبابه واصبح خبيرا ومرجعا علميا في العلوم العربية والاسلامية ، كتب وصفا عن التعليم في الفترة التي اقام فيها في هذه البلاد سنة ١٨٨٤/١٨٨٥م ضمنه كتابه « مكة في الجزء الاخير من القرن التاسع عشر » جاء فيه : « يذهب الاطفال الى الكتاب حيث يدرس الدرس معلما او فقيها ». اما الاطفال الذين لا يستطيع آباؤهم دفع نفقات التعليم القليلة هذه فقد كانوا يتعلمون بالسماع من شخص متعلم. كذلك كان الآباء الذين لا يريدون لابنائهم الاختلاط كثيرا مع غيرهم من الاطفال يستأجرون فقيها يأتي كل يوم الى البيت او يتفقون مع اسر اخرى على ان يتلقى اطفالهم تعليما خاصا . وكانت الفتيات الصغار يذهبن الى هذه الكتاتيب مع الاولاد حتى اذا ما بلغن الثامنة من العمر بقين في البيت او ارسلن الى معلمة .

وتطور التعليم في جدة على مراحل متعددة الى ان وصل الى الحالة التي نراه عليها الآن وهي رياض اطفال ، تعليم ابتدائي ، تعليم متوسط ، تعليم ثانوي ، والتعليم الفني – الصناعي او التجاري – يقع بعد مرحلة التعليم المتوسط ، وهو الآن مماثل في خطته وبرامجه لنظم التعليم الحديثة في البلاد العربية .



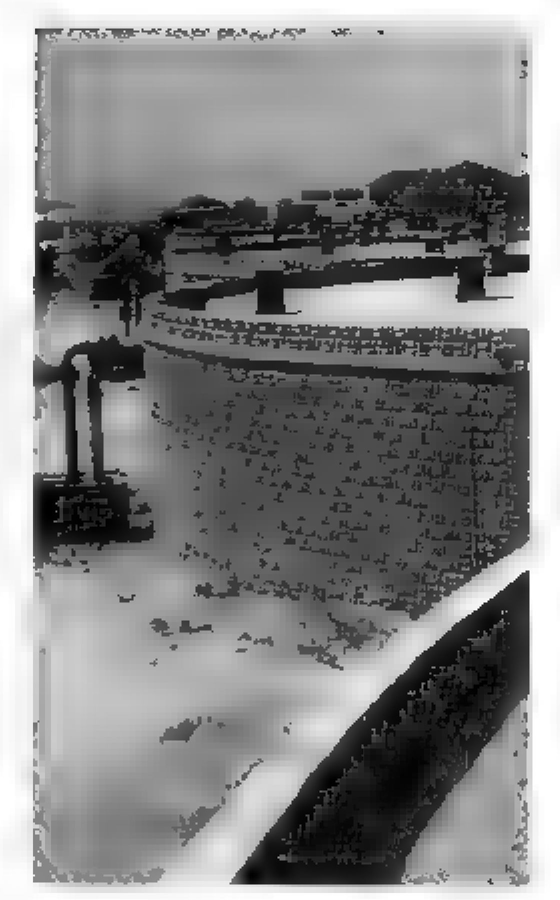
خزانات المياه المخصصة ... وادي فاطمة ... وتمتد هذه الخزانات ... طريق مكة ... مشروع ...

وكان في جدة قبل اربعين سنة ثلاث مدارس فقط احداها اهلية وهي مدرسة الفلاح – وقد تأسست سنة ١٣٢٣هـ – والثانية مدرسة تحضيرية والثالثة ابتدائية ، وكان مجموع الطلاب حوالى الف طالب .

اما اليوم ففي جدة اكثر من خمسين مدرسة حكومية او اهلية تحت اشراف الحكومة وهذه المدارس اما ثانوية او ابتدائية او ليلية او نهارية. وفي هذه المدارس اكثر من اربعة عشر الف طالب .

تعليم البنات

كان تعليم الفتاة يقتصر في الماضي على المرحلة



العين العزيزية التي تجلب بواسطة الانابيب من ١١ كيلومترا من جدة الى جهة الشرق على التي كانت جدة تعاني منها على مدى الزمن

التحضيرية وبعدها تكمل الفتاة تعلمها على ايدي المدرسات الخصوصيات وتتقدم للامتحانات من المنزل او تذهب الى المدارس خارج البلاد . ومنذ أربع سنوات صدرت التعليمات الملكية بفتح مدارس البنات ، وانشاء دور للمعلمات ، كي تنال الفتاة قسطها من العلم والمعرفة . واقبلت البنات على المدارس كالسيل المنهمر بالالوف ووصل عددهن في جميع مدارس البنات بالمملكة ٢٠ الف طالبة .

ولما كان لا بد من كبح جماح هذا التطور السريع في مجتمع شديد التقاليد محافظ فانه وللتوفيق بين مستلزمات العصر والمحافظة على التقاليد ، لقد جعلت المرحلة الابتدائية في مدارس البنات تابعة للرئاسة العامة لمدارس البنات ، وهذه بدورها تابعة لهيئة « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » . اما المرحلتان الاعدادية والثانوية فهما تابعتان لوزارة المعارف . وتولي برامج هذه المدارس ومناهجها عناية تامة للعلوم الدينية (١١ حصة من ٢٨ حصة في الاسبوع في السنة الاولى الابتدائية) حيث تدرس الطالبة في المرحلة الابتدائية القرآن الكريم والتفسير والتجويد والتوحيد والفقه والحديث . كذلك يعنى باللغة العربية . وتدرس في هذه المرحلة المطالعة والاملاء والخط والتعبير والمحفوظات والنحو . هذا الى جانب المواد الاجتماعية كالتاريخ والجغرافيا (وتسمى هنا التقويم) والصحة والعلوم . اما العلوم الرياضية فتشمل الحساب والمقاييس (الهندسة) والزخرفة (الرسم) . واخيرا هناك التربية النسوية ويدخل ضمنها اشغال الابرة وتربية الطفل والتدبير المنزلي .

والفتاة حينما تبلغ العاشرة من العمر يجب ان ترتدي العباءة قبل خروجها من البيت او المدرسة وحتى قبل هذه السن يجب ان يكون لباسها طويلا ويحرم عليها ممارسة الالعاب الرياضية التي تكشف من جسمها .

جدة وقصتها مع الماء

كانت جدة تشكو من ندرة الماء طوال تاريخها ، وكانت ازمة الماء تشتد وتصل الى ذروتها في موسم الحج . وكانت اهم موارد الماء الآبار التي يتدفق منها الماء المالح او الآبار التي يتجمع فيها ماء المطر . ولسد هذا النقص جلب الاتراك الماء من عين الوزيرية التي تبعد مسافة ١١ كيلو مترا الى الشرق من جدة . وفي سنة ١٩٢١ اهدى تشارلز كرين Charles Crane الامريكي طاحونة هوائية مع مضخة وانابيب لرفع ٤٠ جالونا من الماء في الدقيقة ، واستخدمت لجلب الماء من عين الوزيرية ليشرب منها اهل جدة — بالاضافة الى صهاريج ماء المطر . وكانت في جدة محطة لتقطير ماء البحر — عرفت بالكنداسة — تقطر ١٢٥ طنا من الماء في اليوم ، وكانت تعتبر المورد الرئيسي للماء . وتم تركيب محطة تقطير ثانية . ولكن هل كانت موارد المياه هذه تكفي مدينة جدة الآخذة في الاتساع يوما بعد يوم ؟ .

لاحظنا اول ما لاحظنا ، ونحن نحلق فوق جدة ،





ان الحدائق والاشجار منتشرة في المدينة وحولها فكان ان سألتنا عن حالة الماء في المدينة ، وعرفنا ان الطن الواحد (المتر المكعب) من الماء يباع بنصف ريال سعودي (٥٠ قرشا او ٥٠ مليما) للمساكن التي مدت اليها الانابيب وركبت فيها العدادات. اما اصحاب البيوت الذين لم ترتبط بيوتهم بشبكة المياه العامة بواسطة الانابيب فانهم يحصلون على الماء بواسطة السقائين . وهناك اكثر من ٢٠ نقطة لتوزيع الماء ، الواحدة منها تعرف باسم (بازان) وينقل الماء اما بواسطة براميل مثبتة على عربات تجر بواسطة الحيوانات ، او بواسطة صفيحتين يثبتهما السقاء على عصا تستخدم حاملا توضع على الكتفين ، واحد الحبلين المربوط بهما الصفيحتان اقصر من الآخر ليسهل على السقاء صعود السلالم . والمياه من هذه البازانات توزع بالمجان .

طبيبة المانية تجري الفحص الطبي على طفل في المستوصف التابع للجمعية النسائية الخيرية في جدة.

ولقد اطلعنا على احد التقارير وعرفنا ان معدل استهلاك الفرد من الماء ١٢٠ لترا في اليوم وهو معدل مرتفع بالمقارنة بغيرها من المدن .

فمن اين جاءت هذه المياه العذبة التي احيت جدة وما حواليها ؟ يوجد في الشمال الشرقي من جدة واد اسمه وادي فاطمة ، وفي هذا الوادي اكثر من ٢٥ عينا غزيرة يؤخذ الماء من سبعة عيون منها بمعدل الثمن من كل عين ، مقابل تعويض سنوي . وسمي المشروع بمشروع «العين العزيزية» نسبة الى جلالة عبد العزيز آل سعود ، ذلك انه هو الذي امر بجلب هذه المياه الى جدة ، واوقف عليها اوقافا كثيرة لينفق ريعها على صيانة العين واصلاحها وتوسعتها وكل ما يلزم لاستمرار جريانها. وقد تم الاحتفال بايصال الماء الى جدة في ٢٠ نوفمبر ١٩٤٧ . وتبعد اقصى نقطة الى جهة الشمال من هذه العيون مسافة ٨٠ كيلو مترا عن مدينة جدة .

الجمعيات والاندية

كتب الدكتور هرغرونيه وصفا للمرأة السعودية قبل ثمانين عاما جاء فيه ما معناه انه ليس للمرأة وظيفة الا ان تجعل الرجل يتمتع بلمسها وان تنجب له الاولاد . وهذا الوصف ينطبق على كل نساء العالم ، ولكن تطور الزمن جعل للمرأة وظائف اخرى عرفتها الدول والحكومات ، وزادت العطاء . وفي اللحظة التي اتيحت فيها للفتاة السعودية ان تتعلم افتتحت المدارس بالعشرات فجأة . ويقال هذا ايضا عن دور المعلمات ومعاهد التمريض . ومعنى هذا ان الفتاة الجداوية تعرف ان عليها واجبات تجاه وطنها وامتها .

وها هي المرأة الجداوية تعمل الآن بطوعها واختيارها في ميدان الاعمال الخيرية. فقد تأسست في شهر مارس من العام الماضي الجمعية الخيرية النسائية بجدة وهي الجمعية الاولى من نوعها ليس في جدة فحسب ولكن في المملكة كلها. وكان عدد العضوات المؤسسات ١٢ عضوة ، وبلغ مجموعهن الآن ٩٤ عضوة. والجمعية تحت رعاية سمو الاميرة عفت حرم سمو الامير فيصل نائب الملك وولي العهد



توجد في جدة محلات عديدة تبيع الكتب والمجلات والصحف ومعروضات [illegible] ومحل الاغاني
[illegible] المرأة [illegible] من فوائد [illegible] وتضع [illegible] لا توجد في جدة وسائل للترفيه

ورئيس الوزراء . وتهدف الجمعية الى رعاية الطفولة والأمومة والنهوض بمستوى المرأة الاجتماعي والصحي والثقافي والاقتصادي . وقد انشئت لهذا الغرض مستوصفا لرعاية الاطفال والحوامل كما انشئت مشغلا لتعليم التطريز وشغل الابرة . وتقوم الفتيات في هذا المشغل بتحضير ما يلزم من ملابس للمواليد الجدد الذين ترعاهم الجمعية . كذلك انشأت الجمعية مركزا لمكافحة الامية . وتدفع كل عضوة في الجمعية اشتراكا سنويا مقداره ١٢٠٠ ريال وهو مبلغ ضخم مما يدل على ان المرأة السعودية مستعدة للتضحية بالجهد وبالمال في سبيل رفع مستوى المجتمع .

اما عن اندية الرجال فلم تعرف جدة في تاريخها القديم من الاندية الا ناديين : نادي الصلاة ونادي الشباب . اطلق على النادي الاول ذلك الاسم لان اعضاءه ـ وكانوا سبعة من اعيان جدة ـ كانوا يجتمعون على ربوة قرب الثكنة العسكرية قبيل غروب الشمس ، وحينما تحين صلاة المغرب يؤدونها ، وبعد ذلك يتحدثون في شؤون الدين والدنيا . وكان هناك في نفس الوقت ناد آخر للشباب لرياضة الجسم والفكر والعقل .

اما اليوم فتوجد في جدة ثلاثة اندية رياضية هي الاهلي ، والاتحاد ، والهلال البحري ، وتعنى هذه الاندية بكرة القدم ، ولها جمهور كبير في جدة ، وكرة السلة ، ، والكرة الطائرة ، وكرة الطاولة . وتقام المباريات بين هذه الاندية وبينها وبين الاندية الاخرى في مختلف مناطق المملكة ،

او مع الفرق القادمة من الخارج كالنادي الأهلي ونادي الزمالك القاهريين وغيرهما .

ماذا في جدة من تجارة وصناعة

الذي ينزل في الفنادق الكبيرة يلاحظ ان معظم نزلائها من رجال الاعمال ووكلاء الشركات الاجانب الذين جاءوا لعقد صفقات تجارية او عرض سلع جديدة . والذي يسير في شوارع جدة الرئيسية وينظر الى واجهات المحلات التجارية ويبصر اللافتات المكتوبة عليها باللغة العربية واللغات الاجنبية ويتفحص ما في تلك المحلات من بضائع يشعر لاول وهلة انه يسير في مدينة ذات مركز تجاري هام . فهناك اعداد لاحصر لها من الوكالات العامة ، والشركات الكبرى والمحلات التجارية كما ان البنوك التي تعمل في جدة كثيرة . ومن هنا نشأت جماعة من كبار التجار ورجال الاعمال والمال واصحاب العقارات ، منهم من قفزت ثرواتهم وتجاوزت حد المليون ريال ، ومنهم من يعدون من اصحاب عشرات الملايين ومئاتها . ولكن كل هذه الملايين لم تأت من الخارج ، فما تصدره جدة شيء لا يذكر ، انما هي ثروة البلاد وما ينفقه المستهلكون لشراء السلع الاستهلاكية .

والخضار والفواكه ومواد البقالة معظمها – ان لم يكن كلها – مستورد من الخارج . فهذا سمك من لبنان ، وبطيخ من الحبشة ، وموز من الهند والحبشة . ووحدة الوزن في جدة هي الأقة وهي تساوي كيلوجراما ونصفا اي حوالي ثلاثة ارطال انجليزية . واسعار الخضار والفواكه معقولة نسبيا .

لكن لا بد ان نسأل ان كان هناك زراعة وصناعة.

قسم داخلي في المحجر الصحي بجدة . ويمكن اعتبار محجر جدة مدينة صغيرة اذ يتسع لنحو حوالي ٢٥٠٠ شخص . وقد اقيم المحجر على ارض مساحتها ٧٥ فدانا ، بعيدا عن العمران ومحاط بالاسلاك الشائكة لمنع الاختلاط



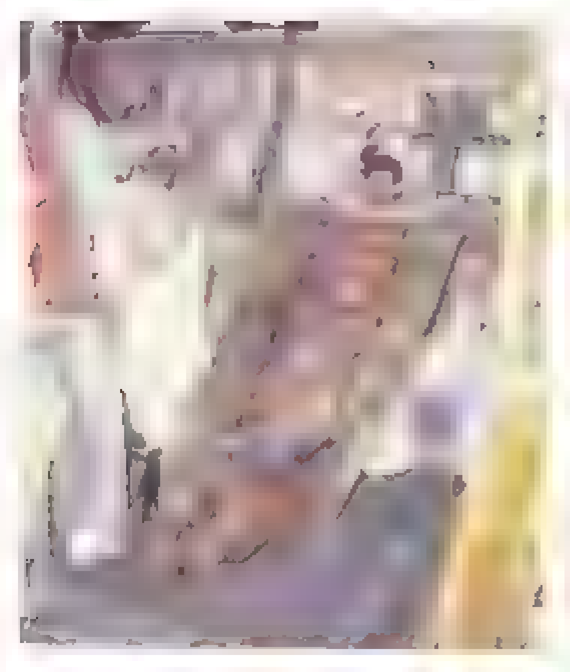


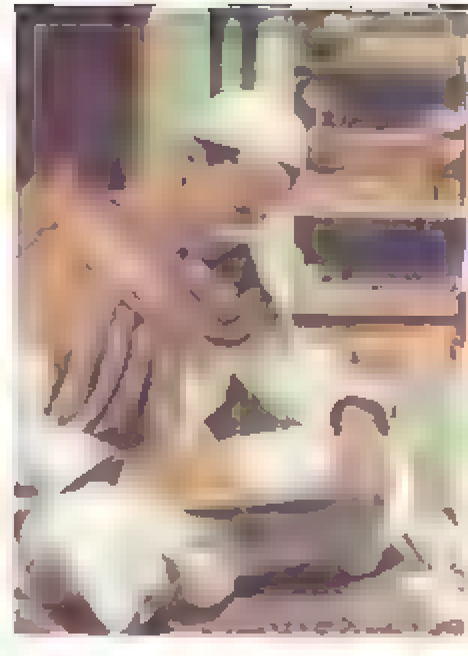
[illegible] في [illegible] مربعة [illegible] البلياردو ويستعمل [illegible] بضرب [illegible] سطح الخشب المستديرة بدل [illegible] الذي يستخدم في البلياردو بضرب الكرات

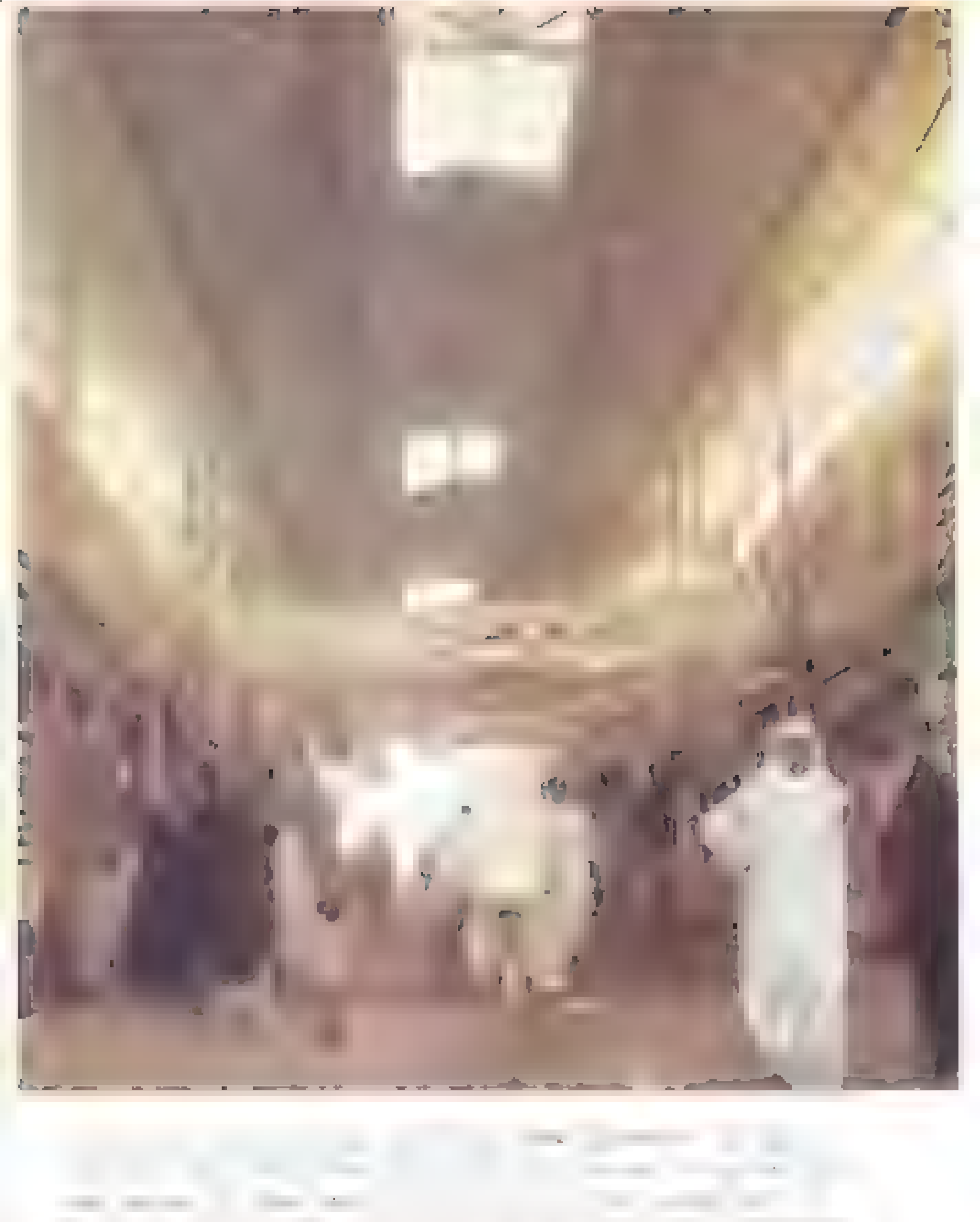
عرفنا أن هناك زراعة في وادي فاطمة ولكنها لا تسد حاجة السكان . أما الصناعة في جدة مصانع للمكرونة والكبريت وأنابيب الاسمنت والاثاث والزوارق والرخام والاسمنت ولم يسعفنا الوقت الا بزيارة مصنعي الرخام والاسمنت .

ولعل الذي دعا الى اقامة مصنع الرخام هو أن صاحبه محمد بن لادن مقاول .. أو هو قد أصبح أكبر مقاول فرد في العالم . ولهذا أقام مصنع الرخام واشترى المحاجر التي يجلب منها الحجر الخام واستورد لصنعه والنشر المناشير وآلات الصقل . ويعمل في مصنع الرخام ٤٠٠ عامل يشرفون بخبرة خمسة من الخبراء الطليان . وفي المحاجر يعمل ١٢٠ عاملا . وقد قام المصنع بصنع الرخام اللازم لتكسية عمارة المسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة ، وعمارة الحرم الشريف بمكة المكرمة ، بالاضافة الى القصور والمباني الضخمة في المملكة .

ومصنع الاسمنت يقع شمال جدة بالقرب من منطقة الاسياح التي يستخرج منها التراب اللازم لصنع الاسمنت . وقد حدثنا عضو مجلس الادارة المنتدب السيد عبد الله السعد أن هناك فكرة لتوسيع طاقة المصنع الحالية وهي ١٠٠ ألف طن الى ٣٠٠ الف طن سنويا . وهذه بشائر عمارة لمصنع لم يمض على تأسيسه أكثر من سبع







سنوات خصوصا وان مرحلة التسيب قد مرت بطلبات .

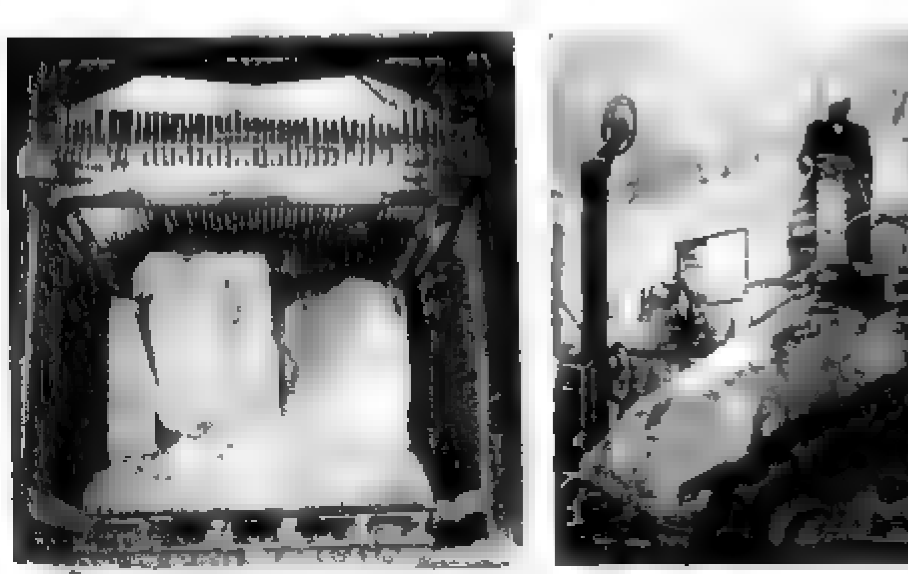
المحجر الصحي والحالة الصحية

في جدة خمسة مستشفيات حكومية للولادة وامراض الصدر والرمد والامراض الباطنية والجراحة وفيها سبعة مستوصفات . والعلاج في هذه المستشفيات والمستوصفات مجاني ، فيما عدا مستشفى واحد هو مستشفى الملك سعود ، اذ يدفع المريض ٥ ريالات قبل الفحص ، واذا دعت الحاجة الى دخوله المستشفى يدفع ـ ان كان من نزلاء الدرجة الاولى ـ ٣٠ ريالا مقابل السرير والفحص والاشعة والتحليل والعلاج .

ومما يلفت النظر بشكل خاص في اسواق جدة وجود صيدليات ومتاجر للادوية كثيرة ، ووجود اكثر من عشرين عيادة خاصة ، منها ست عيادات على الاقل لاطباء من الجمهورية العربية المتحدة والمانيا وايطاليا والهند ، ولعل زبائنهن من السيدات اللواتي لا يقبلن ان يكشف عليهن طبيب . واسعار الادوية في جدة رخيصة جدا ، وقد تكون ارخص من اي بلد عربي آخر ، لانه لا يدفع اي رسم عليها .

ومما يميز جدة عن غيرها وجود محجر صحي فيها .

وتستقبل جدة في شهر ذي القعدة من كل عام ـ وهو الشهر السابق على شهر الحج ـ حوالي عشرة آلاف شخص يوميا عن طريق الميناء . يصل هذا العدد الضخم وفي نفس اليوم ينتهي من اجراءات الميناء والجمارك وقد يسافر في نفس اليوم او اليوم التالي الى مكة او المدينة . وقد



قطعة صخرية من الصخر شقها السيل الى نصفين او اكثر . وتجلب الحجارة اللازمة لصنع المرمر من المحاجر في وادي فاطمة وتمارك وترسلان ، والوانها الاسود والابيض والاحمر والوردي



قطعة من الحجر كبيرة ... حجمه بواسطة الاسمنت وهو ... تعمل فيها ... بحركة ... وفي ... ذلك ... الماء بطرق ... حرارة ...

أنشيء هذا المحجر الصحي لتأمين سلامة الحجاج من الناحية الصحية اثناء وجودهم في المملكة وحماية المواطنين من الامراض الوافدة والمحافظة عليهم ووقايتهم ، واخيرا فهو يحافظ على البلاد التي قدم منها الحجاج بعد عودتهم اليها .

ماذا يأكل الجداويون وكيف يقضون اوقاتهم

تمتاز جدة بأكلة كثلة السمك ، ويصنع من السمك ايضا ـ وانواعه تزيد عن ١٢٠ نوعا ـ حوالي عشرين صنفا من الطعام ، غير القلي والشوي ، مثل الكبة الشوية والسيئة والقلية . واكثر اهالي جدة يجعلون السمك احد الاصناف الرئيسية في طعام السحور برمضان . ومن الاكلات السعودية المشهورة : السليق ـ وهو عبارة عن خروف يقطع من ٦ الى ١٠ قطع،ويوضع في القدر كي الى ان ينضج ، فيطلع ويرفع من المرق ، ويوضع في مكانه الرز الى ان ينضج ويصبح طريا ، وبعد ذلك يؤخذ الأرز ويفرش فوق طبق كبير ويسكب فوقه السمن البلدي ، وتكسى فوقه قطع اللحم الكبيرة . والاكلة الثانية : الزربيان ـ يفرم البصل ويحمر ، وبعد ان يبرد يدعك ويخلط باللبن الزبادي ، ويرش عليه قليل من الزعفران ، ويعصر عليه الليمون ، ثم يضاف الى هذا المخلوط اللحم على شكل قطع ويترك على النار مدة ساعتين ، ويؤتى بالارز وهو نصف ناضج ويوضع فوق المخلوط ، ثم يسكب فوق الجميع كوبان من الحليب ، ويغلق القدر الى ان يتم نضج الطعام .

والسيدة السعودية ربة بيت ممتازة تهتم بشؤون بيتها ولا تعتمد على الخدم . واجرة المساكن في جدة معقولة فالشقة او البيت المؤلف من ٣ غرف وصالة يعطي ريال شهريا والفيلا المكونة من دورين وتشمل ٨ غرف بخمسمائة ريال شهريا .

لا توجد في جدة دور للسينما حتى الآن ، مع ان هناك فكرة لانشاء محطة للفاز ، ومع ذلك فان دور السفارات تعرض افلاما داخل ساحات دورها . والزيارات هي المتنفس الوحيد الذي يجعل الجداوي او الجداوية ينطلقان من عزلتهما . ويسمر الرجال وحدهم وكذلك النساء الى وقت متأخر من الليل ، يلعبون الورق او الشطرنج او الكيرم — وهي لعبة هندية الاصل .

وعلى طريق مكة يوجد متنزه جميل اسمه متنزه واستراحة الكيلو ١٠ ، وفيه يقضي الجداويون وقت الفراغ والعطل .

كذلك توجد منطقة على بعد ٣٢ كيلومترا الى الشمال من جدة ـ على طريق المدينة ، تعرف باسم ابحر ، وهي عبارة عن خليج داخل اليابسة



هكذا تحولت الصخرة التحمة الى بلاطات سمك الواحدة منها حوالي البوصة وهي معدة لتأخذ طريقها الى الصقل والجلي والتشكيل حسب الشكل المرغوب





مبنى وزارة الخارجية في جدة . وقد اتخذت هذه الوزارة جدة مقرا لها لأن جدة كانت قبل [illegible] منذ تعيين أول قنصل ـ هي [illegible] في المملكة العربية السعودية التي يمنع على غير المسلمين دخولها ولهذا عرفت بمدينة [illegible] . ولهذا ايضا يطلق عليها البعض اسم العاصمة الدبلوماسية للمملكة السعودية

حوله بلاجات جميلة اليمت فيها الفلات والشاليهات الخاصة لرواد تلك البلاجات .

الوزارات الموجودة في جـدة

اتخذت وزارتان من وزارات الدولة جده مقرا لهما ، وهاتان الوزارتان هما الخارجيه والاعلام .

وتمثل باقي الوزارات في جـدة بواسطة مندوبيات او ادارات او مديريات . وقد ذكرنا في مقدمة هذا الاستطلاع ان جـدة كانت تعرف بمدينة القناصل وهي الدبلوماسية التي ترفع فيها اعلام الدول الاجنبية الى جانب العلم السعودي . ولهذا كان مقر وزارة الخارجية في جـدة .

والاذاعة السعودية تذيع بثلاث لغات : العربيه والاندونيسية والاردية،واللغتان الاخيرتان للبرامج الموجهة . ويستمر الارسال في رمضان ١٣ ساعة و ٤٥ دقيقة . والى ما قبل سنة لم تكن الاذاعة تذيع الاغاني ، وقد حصل تطور فاصبحت برامج الاذاعة عامرة بالبرامج المختلفة من اغان وموسيقى وتمثيليات وقرآن واحاديث وركن للمرأة والاطفال وغيرها .

ولما كانت اجتماعات مجلس الوزراء تعقد في العاصمة الرياض فان وزيري الخارجية والاعلام ينتقلان بين الرياض وجدة . وللوزارة الخارجية وكيل وزارة في جدة وللاعلام وكيل وزارة ايضا فيهـا .

السـفر

حان موعد السفر واتخذنا مقاعدنا في الطائرة وجلسنا ننتظر الاقلاع ونحن نستمع الى الانغام الموسيقية والاغاني السعيدة التي قطعها صوت المضيفة تقولها « نرحب بكم على طائرتنا البوينغ ٧٢٠ب المتجهة الى بيروت . ستطير الطائرة على ارتفاع ٣٢ الف قدم بسرعة ٦٠٠ ميل في الساعة وستصل الى بيروت بعد ساعة و٥٠ دقيقة » .

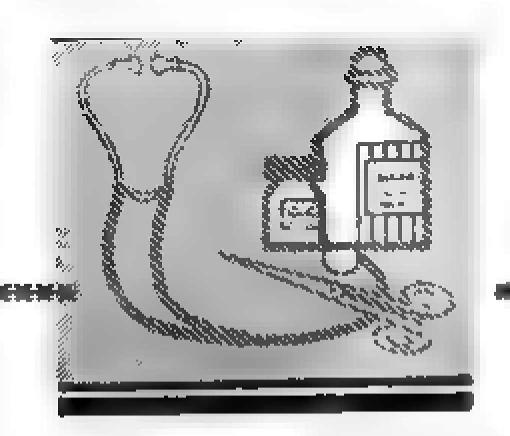
خلفنا جدة وراءنا رابضة في سهول التهائم التي تمتد الى شرق سلسلة جبال السراة . خلفنا جدة .. عروس البحر الاحمر والبوابة التي ينطلق منها الحجاج الى الاراضي المقدسة .

■

سليم بسيسو



البوابة الرئيسية للقصر الملكي في جدة المعروف باسم « قصر خزام » ويحيط بالقصر من جهاته الاربع سور مرتفع طوله يصل الى عدة كيلومترات ويقع القصر في الجهة الجنوبية الشرقية من جده



طبيب الأسرة

عينى ترى بقعا وخيوطا فى السماء عائمة ؟

ـ كثيرا ما انظر فاجد فى مجال بصرى بقعا ونقطا من خيط سابحة غير مستقرة فما سبب هذه البقع العائمة ، وهل هى مشكل ؟ وهل هى خطرة ؟

● ليس ما تراه خيالا ولكنه حقيقة واقعة . غير ان الذى تراه من أشياء تتراءى كالنقع وكالخيط ليس واقعا خارج عينك ، وانما هو فى داخلها .

وتفسير ذلك ان كرة العين تملؤها مادة كالهلام تعرف بالجسم الزجاجى او الرطوبة الزجاجية بالعين . وهى ليست من زجاج ، ولكنها فى شفافية الزجاج . وهى تقع بين عدسة العين والشبكية التى هى كالشاشة التى تقع عليها الصورة المرئية .

وهذا الجسم الزجاجى الشفاف تمر فيه الأشعة التى تأتى من العدسة لترتسم على الشبكية فتصنع الصور .

من اجل هذا قضت الضرورة ان يكون شفافا

ولكن يحدث ان تتكون فيه مواد تعكره ، فهذه هى التى انت تراها بقعا ونقطا من خيوط ، لا سيما وانت تنظر الى الضياء والى السماء ، لأن ظلال هذه النقع تقع على الشبكية اوضح .

وهذه لا خطر منها . ولا علاج لها . وما دامت قليلة فهى لا تحجب البصر الا بمقدار وعيك لها واحساسك بها . ونصيحة الأطباء فى هذه الحالة دائما ان يتناساها صاحبها ، وعند النسيان لا يكاد يحس بها .

الا بالطبع ان يكون تكونها بسبب مرض فى العين ، لا سيما عندما تظهر لصاحب العين بغتة . وفى هذه الحالة يستشار طبيب العين .

لبن الحمير ، يورث الغباء ؟

ـ كثيرا ما نجد من الناس من يصفون لبن الحمارة للمرضى ، يحسبان انه يشفى من بعض الامراض . فهل هذا صحيح . وهل لبن الحمير يعطى شاربه تفاهة فى العقل وقلة فى الفهم ؟



● اما ان لبن الحمير به خواص خاصة به ، تشفى من الامراض ، فذلك امر لم يدخل بعد فى دائرة البحث العلمى ، وتستطيع ان تجيب انت على ذلك بمقارنه

متوسط تحاليل الألبان الثلاثة الآتية ، وهى لبن الانسان ، ولبن الابقار ، ولبن الحمير :

لبن الانسان :

نسبة الماء بالمائة	نسبة البروتين	نسبة الدهن	نسبة السكر
٥٨ر٨٧	٠١ر٢	٧٤ر٣	٣٧ر٦

لبن البقر :

نسبة الماء بالمائة	نسبة البروتين	نسبة الدهن	نسبة السكر
٤١ر٨٧	٤٠ر٣	٧٤ر٣	٧٠ر٤

لبن الحمير :

نسبة الماء بالمائة	نسبة البروتين	نسبة الدهن	نسبة السكر
١٢ر٩٠	٨٥ر١	٣٧ر١	١٩ر٦

من ذلك نرى الشبه القريب بين الالبان الثلاثة . وليس في أحدهما شيء لا يوجد في الآخر . وهى كلها لبناء الطفل : طفل الانسان ، أو طفل البقر ، او طفل الحمير . فهى غذاء .

اما من الماء ، فلست ادرى ايهما اغبى ، الحمير أم البقر .

وانت تعلم ان اوروبا ، تغذى فيها اكثر الأمهات اطفالهن وتنشئهم على لبن البقر . والطفل يسمو على لبن الحمير وليس به شيء من ذكاء البقر او غبائه ! واحسب ما يجور على البقر يجور على الحمير

اريد ان اعطي بنك الدم من دمى

ـ اردت ان اعطي بنك الدم من دمى ، احتياطا لمرض قريب لى عزيز على . واخذوا عينة من دمى ، فوجدوها صالحة ، اعنى من نفس صنف دم قريبى . وبعد ذلك سألونى كم سنى . قلت ١٦ عاما . عندئذ رفضوا اخذ دمى ، مع انى تامة الجسم . فهل لاخذ الدم سن لا يجوز الا عندها ؟

نعم . ان اعطاء الدم عمل مجيد ، وهو ككل عمل مجيد ، نفعه متضمن فيه وعلى الفور وساعة ادائه ، ذلك الاحساس بالمساعدة على احياء نفس ، لا سيما اذا كانت هذه النفس كالنفس التى وصفتها بانها عزيزة

قال الطبيب : ان قدمى رحاء .. ؟!

ـ احس بالآم في قدمى . وقد رآني الطبيب ، وبعد الفحص قال لى ان عندى ما يعرف بالقدم الرحاء . فارجو ان تشرحوا لى ما هذه القدم الرحاء وما اسبابها ؟ ..

● طبيبك كان في استطاعته أن يصعب عليك وصف ما بك فيقول لك ببساطة ان بقدمك انبساطا واستواء وفرطحة . وهذه هى المعانى التى تتضمنها لفظة القدم الرحاء . القدم

اطباعة القدم السليمة (ا) على الارض واطباعة القدم المرطحة ب على الارض الاولى ارتفع قوسها فلم يمس الارض والثانية انبطح قوسها فمستكلها الارض





عليك . ولكن الاعطاء لا يكون الا عند المقدرة ، ومع الوثوق بأن ضررا ما لا يحدث للمعطي . والمعطي يعطي من دمه ، وجسمه سليم قادر ، فهو ما أسرع ما يصنع من الدم بدلا مما فقد . وأنت آمن في ذلك . وقد جعلوا السن ١٨ سنة ، لا تقل عن ذلك ، لمن يعطي دما .

ولزيادة الفائدة نقول ان الدم يعطى للمريض الذي فقد جزءا من دمه . ويلتقي مع جسم المريض الدم مجددا ما فقد ، ولكنه لا يصنع الكفاية منه .

والرجل البالغ السليم يستطيع ان يعطي من دمه نحو رطل كل بضعة أشهر بدون اضرار بصحته ، لان جسمه القوي السليم يعوضه عما فقد

وجسم الانسان يحتوي على نحو جزء من ١٢ جزءا من جسمه وزنه . فالشخص الذي وزنه ١٥٥ رطلا ، بجسمه نحو ١٢ رطلا من الدم .

الرحاء هي التي لا أخمص لها . ولعل هذه الكلمة تحتاج هي الأخرى الى شرح . والاخمص هو الجزء من أسفل القدم الذي لا يمس الأرض .

ولتفسير ذلك في سهولة نقول انك عندما تقف بقدمك المبتلة على البلاط ببتل البلاط ، تجد ان جزءا منه ، هو المقابل لاوسط قدمك ، من الداخل ، لم يبتل ، وسبب ذلك ارتفاع هذا الجزء . فهذا هو أخمص القدم . والقدم عنده مقنطرة الشكل .

وهذه القنطرة هي نتيجة شد العضلات لروابط فيها ، تتقنطر بباطن القدم . وهذا هو الوضع الطبيعي للاقدام السليمة .

ماذا يصيب هذه العضلات فارتخت الروابط ، هبط السقف الذي بأسفل القدم عند الوقوف ، ووقوع ثقل الجسم على الاقدام . وفي ذلك ألم عظيم .

وهذه هي القدم المرطحة او المنبسطة ، او الرحاء . والرجل الذي يصاب بهذا يقال له أرح .

والداء يجب ان يلفت النظر من أول ظهور أعراضه ، لا سيما في الأطفال . وبالتغذية والفيتامينات ، والتدليك والرياضة يمكن تحقيق نفع كبير . فاذا اهمل الداء ، فهو اما ان تتجمد عليه القدم ، وعندئذ يصعب علاجه . واما ان يكون من النوع المعروف بالمرن ، وفيه يمكن الجراح ان يعمل الشيء الكثير .

طبيبك خير ناصح في هذا .



حقيقة الجمال ما هي؟

الجمال يبدأ شعوراً محسوساً، ثم فكرة معقولة، ثم يتبدد

بقلم : الدكتور زكي نجيب محمود

أستاذ الفلسفة بجامعة القاهرة

■ ما أيسر على الإنسان أن يقف أمام الشيء فيقول **الله، ما أجمله!** يقول ذلك عن السماء نثرت أنجمها في الليلة الظلماء، ويقوله عن البحر اصطخب فيه الماء أو سكن، وعن الشمس في مشرقها ومغاربها، وعن الحقل والزهر، ثم يقوله عن مئات الأشياء، وعن روائع الأدب وبدائع الفن، وعن ألوف الألوف من مخلوقات الله وعن مصنوعات الإنسان. نعم ما أيسر على الإنسان أن يقول عن هذه الأشياء كلها أنها « **جميلة!** » لروعة يحسها.

حيرة المتسائل في الجمال

حتى إذا ما عن له — كما يعن للفلاسفة عادة — أن يسأل نفسه **ماذا يكون في الشيء عندما يكون الشيء جميلا؟** فعندئذ تراه في حيرة لا يدري من حقيقة الأمر شيئا، إلا أن يطيل الوقوف ويطيل التحليل. فما هو باليسير عليه ولا على الفلاسفة أنفسهم، أن يقع أو يقعوا على الصفة التي لا بد من توافرها في هذه الألوف من مختلف الأشياء التي يقال أنها «**جميلة**»، إذ ما دمنا نطلق هذه الكلمة الواحدة لنصف هذه الأشياء كلها بالجمال، فلا بد أن يقابل تلك الكلمة الواحدة جانب واحد مشترك يدخل في طبيعة كل ما هو جميل: السماء، والبحر، والشمس، والحقل، والزهر، والقطعة الفنية، ولوحة المصور، وقصيدة الشاعر. فماذا عسى أن يكون **هذا الجانب** الواحد المشترك بين أمثال هذه المختلفات؟



فوق ذلك درجات في سبيل الخير، في سبيل الجمال، في سبيل الله

الجمال في محاورات افلاطون

لعل افلاطون أن يكون في مقدمة الفلاسفة الذين طرحوا هذا السؤال على انفسهم ليحاولوا عنه الجواب المحكم الدقيق . طرحه افلاطون في مواضع كثيرة من محاوراته ، لكنه اختص به محاورة بأكملها ، هي محاورة « هيبياس الكبير » : بما سائل يقوله ان الاشياء الجميلة انما توصف بالجمال لشيء فيها ، فما هو ؟ ثم مضى الحوار على الطريقة الافلاطونية المعروفة ، فيجيب مجيب عن السؤال المطروح ، لكن اجابته سرعان ما يتبين فيها شيء من عدم الدقة ، ويظل المتحاورون يدخلون على العبارة تعديلا في اثر تعديل حتى يستقيم الأمر ويتضح .

الاشياء جميلة ، بسبب شيء مشترك مجسم فيها

وكان اول ما لفت انظار المتحاورين في هذه الحالة ، هو ضرورة ان تكون هنالك حقيقة « واحدة » هي التي نراها ممثلة في هذه الامثلة الكثيرة من الاشياء « الجميلة » . فمهما تعددت هذه الاشياء ، فهي جميعا تشترك في فكرة واحدة، او في صفة واحدة . كافراد الاسرة ينتمون جميعا — على اختلاف افرادهم — الى ام واحدة . فالفرس الجميلة ، والقيثارة الجميلة ، والانسان الجميل (وهذه هي الامثلة نفسها التي ساقها افلاطون في محاورته المذكورة) كلها — على بعد ما بينها من اختلاف — تنتمي الى اسرة واحدة هي اسرة « الجمال » ، فهل يكون ذلك الا ان تكون هذه الاشياء كلها مجسدة لفكرة واحدة وإن اختلفت المادة المجسدة في كل حالة ؟

الأشياء تتفاوت جمالا ، بنسبة ما فيها من عامل الجمال المشترك

ولكن هل يكون معنى ذلك أن هذه الأشياء الجميلة كلها على درجة سواء من الجمال ما دامت كلها تجسد فكرة بعينها ؟ كلا ، فنظرة سريعة تكفي للدلالة

على أن الجمال فيها درجات تتفاوت بتفاوتها في قسطها من الخصائص التي تحددها . فما من شك في أن الفتاة الجميلة والفرس الجميلة لا تماثل اليهما القيثارة والاناء في جمالهما . وها هنا يستشهد سقراط (في المحاورة) برأي ينسب الى هرقليطس ، وهو ان اجمل القردة قبيح اذا قورن بالانسان . فيستطرد هيباس قائلا : **وكذلك اجمل الاواني قبيح اذا قورن بفتاة جميلة . ثم هكذا يقال في اجمل الفتيات اذا قورنت بالالهات .**

جمال الشيء لا يرد الى نفاسة المادة التي صنع منها

ترى ما هو ذلك الشيء الذي تتسم به الاشياء الجميلة بانسبة متفاوتة ؟

أيكون مرد الأمر الى نفاسة المادة التي هي قوام الشيء الجميل ؟ وعندئذ يكون ما صنع من ذهب « **اجمل** » مما صنع من نحاس أو من خشب أو من حجر ؟ كلا ! فنظرة سريعة اخرى تبين أن حجر التمثال قد يكون اجمل من اي شيء آخر صنع من الذهب ، وها هو ذا فدياس يصنع تمثالا رائعا لأثينا ، فيقد العينين من الحجر ، وكان في مستطاعه ان يصوغهما عاجا ، فهل يقال : انه لو صاغهما من العاج لكانتا اجمل منهما وهما من الحجر ؟

أيكون الجمال ملاءمة الشيء لما اريد منه اداؤه ؟

لا ، ان نفاسة المادة لا شأن لها بجمال الشيء المصنوع منها ، واذن فسننتقل الى فرض آخر ، **افيكون مرجع الجمال الى ملاءمة المادة لما اريد منها ان تؤديه ؟**

وبهذا تكون كل مادة جميلة اذا ما وضعت في موضعها الصحيح ، فالذهب جميل في موضعه الملائم ، كما ان الحجر جميل في موضعه الملائم ، وهكذا ! — انه لو كان الامر كذلك وكفى ، لكان جمال الشيء ليس نابعا من طبيعته ، بل كان جماله مرهونا بما ليس منه ، كما تكسو الرجل الدميم بثياب جميلة ، ثم تقول ها هو ذا قد اصبح رجلا جميلا ، ما دام محوطا بمحيط جميل ! ان اجابتنا عن حقيقة الجمال لا تكمل الا اذا كان الجميل جميلا مختبرا ومظهرا في آن معا .

ثم أيكون جمال الشيء بسبب ما فيه أكمال نفعه ؟

لكنا نعود الى فكرة ملاءمة الشيء للعمل الذي اريد له ان يؤديه ، فنقف وقفة قصيرة حيالها ، فنسأل ، أيكون جمال الشيء كامنا في نفعه ، وعندئذ يكون الجميل هو النافع والنافع هو الجميل ؟ الا انها لفكرة تستحق النظر ، لأن الامثلة على صوابها كثيرة .. فالعين الجميلة لا تكون عمياء ، اي انه اذا ما عجزت العين عن اداء ما جعلت لتؤديه استحال عليها في الوقت نفسه ان توصف بالجمال ، وكذلك قل ان الجسم الجميل هو الجسم الخفيف الحركة القوي القادر . وكذلك قل أيضا في عالم الحيوان : فلا ماذا يكون الحصان الجميل الا ان يكون هو الحصان الذي توافرت فيه الصفات المطلوبة من سرعة وقوة . وقل هذا نفسه ايضا في الاشياء بعد ان انتهينا من الانسان والحيوان : فالعربات والسفن وآلات العزف وغيرها لا توصف بالجمال الا لحسن ادائها لوظائفها . بل قل هذا نفسه عن النظم وطرائق العيش ، كالنظم السياسية ونظم التعليم وأوضاع الحياة العملية من تجارة وصناعة وزراعة وغيرها ، تجد كل شيء « جميلا » اذا هو ادى الى الغاية منه خير اداء — ولو صح هذا كله لصح لنا ان نقول ان جمال الشيء هو نفعه وملاءمته لوظيفته ، فالقدرة جمال والعجز قبح ، والمعرفة جمال والجهل قبح ، والقوة جمال والضعف قبح ، والصحة جمال والمرض قبح .

مجرد الأداء لا يكفى ، لأنه وسيلة وغاية

لكن المتحاورين فى محاورات افلاطون سرعان ما ينتبهون الى ان الاداء مجرد الاداء لا يكفى ، اذ قد يؤدى الشىء سوءا وشرا ، افنقول عندئذ انه جميل ؟ كلا ، فلا بد ان يضاف شرط هام ، وهو ان يكون الشىء قادرا على اداء ما هو خير لكى يستحق ان يوصف بالجمال . لى اننا هاهنا بازاء طرفين ، هما : الشىء الذى هو اداة ، ثم الفعل الذى يؤدى ، اى اننا بازاء علة ومعلول ، فهل نطلق كلمة الجمال على الطرفين معا وفى وقت واحد ؟ اننا لو فعلنا لوقعنا فى خلط فكرى يجمع جانبين مختلفين فى شىء واحد ، ولذن فلا بد ان نبقى من الطرفين على احدهما دون الآخر ، ولا مندوحة لنا ان نبقى على الغاية لا على وسيلتها ، والغاية هى — كما قلنا — الخير الذى نبلوغه عن طريق تلك الوسيلة ، والان فالخير فى ذاته هو نفسه الجمال .

ثم ما بال الاحاسيس ، ومتعتها بالشىء الجميل ؟

على ان هذه النتيجة قد بدت للمتحاورين كأنما هى تتجاهل عنصرا هاما فى الاشياء « الجميلة » وهو المتعة الحسية التى يستمتع بها من يرى الجميل او يسمعه او يلمسه او يتصل به باية حاسة اخرى غير البصر والسمع واللمس ؟ فما من شك فى ان التذاذ حاسة معينة فى كل حالة من حالات الجمال هو جانب من الموقف لا يجوز تجاهله واهماله عندما نبحث عن طبيعة الجمال ؟ والا فهل يجوز ان نتجاهل استمتاع الاذن « بالصوت » فى الموسيقى ، والعين « باللون » فى التصوير ؟ هل يجوز ان نغض النظر عن متعة « الحواس » بالتمثال الجميل وبالشعر المنظوم وبالقصص يروى فيلتذ ؟ .. اقول ان المتحاورين فى حقيقة الجمال كان لا بد لهم ان ينتبهوا الى هذه المتعة الحسية فيفسروها على ضوء النتيجة التى انتهوا اليه ، وهى ان الجمال هو نفسه الخير .

فكان لا بد لهم بادىء ذى بدء ان يفرقوا بين لذائذ الحواس المختلفة؛لان لذة الطعام والشراب والجنس لاتجعل من هذه الاشياء اشياء «جميلة»؛ ولان الحاستين الوحيدتين اللتين لا تتعارض اللذة فيهما مع الجمال، هما حاستا البصر والسمع ، فبالبصر نشهد المناظر الجميلة فى الطبيعة وفى الفن على السواء ، وبالسمع نسمع الاصوات الجميلة فى الطبيعة وفى الفن على السواء كذلك .

الجمال مزاوجة بين المتعة والفائدة

ولكن هل يكون المرئى جميلا لانه مرئى بالعين ، والمسموع جميلا لانه مسموع بالاذن ؟ اننا لو اجبنا بالايجاب لكنا بمثابة من غض النظر عن اهم مشكلة فى الموضوع كله الا وهى ما هو الجانب المشترك بين المرئى والمسموع ، الذى جعلهما معا يندرجان فى مجموعة واحدة يطلق عليها اسم واحد ، هو اسم « الجمال » ؟ انه لا مفر من الاعتراف بان مصدر الجمال « المشترك بين البصر والسمع ، لا بد ان يكون شيئا غير البصر والسمع ، شيئا وراءهما يتخذ من البصر وسيلة كما يتخذ من السمع وسيلة ، وذلك الشىء لا يكون الا«الخير». او ان شئت كلمة ادنى الى لهجتنا اليوم فقل هو « النفع » او « الصلاحية » او الزيادة من لياقة الانسان للقيام بوظائفه الحيوية بحيث يصبح انسانا اكمل .

وبهذا يتحدد معنى الجمال بالمزاوجة بين المتعة والفائدة ، فلا الذى يمتع بغير فائدة ذو جمال ، ولا الذى يفيد بغير متعة ذو جمال ، بل لا بد من اجتماع الجانبين معا ، على ان يفهم من « الفائدة » معنى « الخير » بكل ما تدل عليه هذه الكلمة من سمو وكمال .

كيف تستخدم الفكرة الافلاطونية فى تقويم مظاهر الجمال

هذا هو رأى شيخ الفلاسفة — افلاطون — فى حقيقة الجمال ، كما ورد فى محاورته « هبياس الكبير » ، وانى لأوثر الا اقف بك عند حد الفكرة وسردها مذكرا ان افاد من الناحية العقلية الصرف ، معدوم القيمة من ناحية الذوق الفنى وغرسه وتربيته ، فكيف تستخدم هذه الفكرة الافلاطونية فى تقويمك لمظاهر الجمال على اختلافها ؟

كيف تصنع وانت بإزاء شيء جميل ، يرى

انك ـ فيما أرى ـ لتحسن صنعا ، وانت بإزاء شيء جميل ـ في الطبيعة أو في الفنون ـ اذا انت ارتفعت في موقفك عندئذ درجة في اثر درجة ، فتبدأ اول الامر باستاع الحاسة المعنية بالجانب الحسي الظاهر من ذلك الشيء الجميل ، فان كان منظرا ـ في الطبيعة أو في الفن ـ فاملأ بصرك بادىء ذي بدء باطياف اللون كما تقع على حاسة البصر ، ولا تتعجل هذه الخطوة لانها اساسية وهامة ، حاول ان تمعن النظر في شتى درجات اللون ، وستجدها تعد في المنظر الواحد بالمئات ولا أقول بالعشرات او بالآحاد ، ثم حاول أن تدرك ما بين تلك التموجات اللونية من تشابك وامتزاج ، حتى اذا ما امتعت حاسة البصر بما انت حياله من بناء لوني ، أخذت بعد ذلك تنظر ـ بعين العقل هذه المرة لا بعين الجسد ـ تنظر الى ما قد يؤدي اليه هذا المنظر الذي امامك من فكرة وراءه ، فانت عندئذ لم تعد تنظر الى الجزئية الواحدة التي أمامك على انها غاية في ذاتها، تقف عندها ولا تنفذ خلالها ، بل تنظر اليها على انها احد الأمثلة الكثيرة التي جاءت لتجسد فكرة بعينها ، فليست هي بذات قيمة جمالية الا اذا اوصلتني بواسطة التأمل العقلي الى مستوى اعلى من مستواها ، اي الى المستوى المعقول الذي هو اعلى درجة من مستواها المحسوس ولو استطعت هذا الصعود في معارج من طريقها ، ازددت لها تقديرا بقدر ما تمكنني من أن اجاوزها والا اقف عندها مكتفيا بها .

والى هنا تكون قد نظرت الى المنظر على بعدين : البعد الحسي ، والبعد العقلي .

ثم ماذا ؟

ثم تحاول بعد ذلك ان تنظر الى الفكرة العقلية التي وصلت اليها ، لا على انها نهاية الطريق،بل على انها بدورها مرحلة وسطى ، انحطاها الى ما هو اعم منها في معارج الافكار ، ثم الى ما هو اعم ، وهكذا دواليك حتى تبلغ القمة العليا في الصعود ، وما تلك القمة العليا ـ عند افلاطون ـ الا الخير ، لانه اذا كان العالم كله مستهدفا في سيره هدفا ، فانه انما يستهدف ما فيه كماله بعد نقص ،وهذا الكمال المنشود هو الخير في لغة افلاطون، وتستطيع أن تقول عنه انه هو الله اذا اردت لغة اخرى اقرب الى الفهم . تأمل الجمال الذي يبدأ ـ كما رأيت ـ من مشهد مرئي بالعين ، ينتهي بالمتأمل الى حالة من الشهود الصوفي ، الذي شأنه ان يرفع الانسان الى أعلى درجات الكمال .

كيف تصنع وانت بإزاء شيء جميل يسمع

واضرب لك مثلا تطبيقيا آخر بشيء « مسموع » بعد ان ضربت لك مثلا بشيء « مرئي » . فافرض أن الشيء الجميل الذي انت بإزائه هو قصيدة من الشعر ـ ولتكن قصيدة ابي العلاء : « غير مجد في ملتي واعتقادي ، نوح باك ولا ترنم شاد » الخ ـ كيف تتذوقها مستعينا بالرأي الافلاطوني الذي بسطته لك عن حقيقة الجمال ؟

تبدأ بالمركب الصوتي الذي تتلقاه الأذن من تلاوة القصيدة بصوت مسموع،

ومرة أخرى أوصيك ألا تتعجل هذه المرحلة من مراحل الطريق،لأنها أساسية وهامة . فأنصت الى كل نبرة صوتية تأتيك من كل حرف منطوق ؛ حتى تملأ سمعك بالنبأ الصوتي كله كيف تتشابك نبراته على تأليف مركب موسيقي واحد . حتى اذا ما فرغت من هذه المرحلة الحسية ، كنت بمثابة من جاوز عتبة الدار ، لا ليقف عندها ، بل ليوغل صاعدا في طبقاتها العليا . فها هنا تصعد من مستوى « المحسوس » الى مستوى « المعقول » ، أعني أن تحاول ادراك الفكرة التي جاءت هذه القصيدة لتجسدها ، فكأنما هذه القصيدة أداة من أدوات كثيرة غيرها ، مهمتها أن توصلنا الى ادراك فكرة بعينها .

واحسب أن الفكرة التي تصل اليها وراء السطح الصوتي في هذه القصيدة، هي حيادية الحقيقة الكونية الكبرى حيال مواقف الانسان على اختلافها ؛ فبكاء الباكي وترنيم الشادي كلاهما عند الحقيقة الكونية — وإن شئت فقل عند العلم الطبيعي — موجات من الصوت تقاس أطوالها وترسم مساراتها وتحسب سرعاتها وهكذا ، وأما أن يكون بعضها منطويا بحزن وبعضها الآخر منبعثا بسرور ، فذلك شيء يرد في حياة الانسان الخاصة ، ولا يرد في الحقيقة الكونية الموضوعية الخارجية التي في حصنها تطمس معالم الافراد ، وان القصة لتؤكد هذه الفكرة في صور ملاحقة ، فصوت النعي وصوت البشير كلاهما «صوت» لا أكثر ولا أقل، وهديل الحمامة على غصنها « صوت » كذلك ، وربما سمعته انت فخلعت عليه من عندك بطانة عاطفية فتقول انه بكاء أو انه غناء ، وأما عند الحقيقة الكونية فلا هو هذا ولا ذاك ، ولكنه « صوت » وكفى ، والصوت من ظواهر الطبيعة التي يضبط العلم قوانينها .

بعد مستوى الحس ، ومستوى الفكر، نصعد الى آخر الشوط : الكمال

وصلنا الآن الى مستوى « فكري » بعد المستوى « الحسي » في قراءتنا لقصيدة أبي العلاء .

ثم ماذا ؟

ثم نمضي في الطريق نفسها ، فلا نترك الفكرة التي نلتقطها موحدة معزولة كأنما هي صخرة في فلاة ، بل ننظر في صلاتها بغيرها من الافكار ، صاعدين من تخصيص الى تعميم ، حتى نبلغ آخر الشوط ، وهو دائما — عند افلاطون — حالة الكمال التي يسعى اليها الكون بكل ما فيه من كائنات ظاهرة ومن جزئيات ماضية عابرة .

اننا نبدأ الصعود من المستوى الحسي أولا ، الى المستوى العقلي ثانيا ، ثم الى المستوى الخلقي ثالثا ؛ نكون قد اعتصرنا كل ما نستطيع أن نعتصره من جمال في الشيء الجميل الذي ننظر اليه نظرة نفوذ فيه متعمقة، نهتدي فيها بالفكرة الافلاطونية عن حقيقة الجمال .

واني لأعلم انني بمحاولة التطبيق ربما أكون قد بعدت قليلا أو كثيرا عن الفلسفة الافلاطونية بمعناها الذي يعرفه الدارسون في قاعات الجامعات ، لكن شفيعي في ذلك هو أن أزيد من القدرة على « تذوق » الجمال عند القارئ، الى جانب الزيادة من حصيلته « العلمية » المجردة .

وموعدنا مقالات أخرى ، تبسط فيها مذاهب أخرى في حقيقة الجمال . ■■

زكي نجيب محمود



خير دعاية

من جريدة « الأهرام »

● أفضل الدعايات اطلاقاً الدعاية غير المباشرة ، ذلك انها تصل الى العقول والقلوب بلا استئذان وتأتى فى العادة بأطيب الثمار . ولناخذ مثلاً السياحة انها وسيلة من وسائل الدعاية غير المباشرة التى تجلب عطف السائح على البلد الذى يزوره وبالتالى على قضايا هذا البلد . فبالسياحة استطاعت ايطاليا ان تكتسب عطف العالم بعد أن ظل ساخطاً عليها منذ أن استولت جيوش الدوتشى على اثيوبيا قبل الحرب العالمية الثانية . وقد أثبت الشعب الايطالى — عملياً — لزواره الذين يعدون بالملايين أنه يكره العنف وانه شعب بطبيعته محب للفنون على اختلاف انواعها . وبالسياحة كذلك بدأنا نأسر قلوب زوارنا بحيث استطعنا أن نمزق الصورة المشوهة التى حاولت الصهيونية ومن يدور فى فلكها رسمها عنا وتقديمها للعالم .

كما استغلت الصهيونية القصص السينمائية أحسن استغلال للدعاية لقضيتها ويمكننا نحن بوساطة مؤسساتنا السينمائية أن ننزل الى هذا الميدان بعد أن أصبح لدينا من الامكانيات ما يساعد على تحقيق أهدافنا .

وبعد ، فان الدعاية لا تأتى بنتائج طيبة الا اذا أحسن تنفيذها . واننا على ثقة من ان أجهزة الاعلام العربية ستتولى تنسيق الدعاية فى البلاد العربية شأنها فى ذلك شأن القيادة العسكرية المشتركة .

سلاح الدعاية أصبح اليوم أمضى من القنابل والصواريخ . بدليل انه يكسب عدداً من المعارك دون أن يراق قطرة واحدة من الدم .

وســـ

من مجلة « الفكر » — تونس

● توجه الكاتبة الوجودية « سيمون دى بوفوار » فى الجزء الثالث من يومياتها الذى هو بعنوان « الأشياء » ، اللوم الشديد على بعض المفكرين — وخاصة مالرو ، الكاتب الشهير والوزير فى حكومة فرنسا — الذين قبلوا بعض « الوظائف » السياسية وآثروا يشيدون بفلسفة الحكم الذى يتحملون مسؤوليته ، ملاحظة ان « وظيفة » الكاتب او رجل الفكر انما هى « الشهادة » على ما يجرى حوله وتقويم الرجال والأشياء وتسليط الأضواء على هذه « المغارة الظلماء »



اللغة العربية في الجزائر العربية

عن جريدة الجماهير ـ اللسان المركزي لجبهة التحرير الوطني الجزائرية

● اللغة العربية في بلادنا ، جزائرنا العربية ، تجد حظها من تصرفات بعض الناس ، حيث تكثر الأخطاء في كل ما نشاهده مكتوبا بالعربية في الشوارع ، والواجهات، والمطاعم والمقاهي والدكاكين، وما يصدر عن الإدارات الرسمية .

ولكن إذا وجدنا عذرا للشعب فيما يكتب بالعربية ، فهل يمكن أن نجد للإدارات الحكومية مثل هذا العذر ؟ بالتأكيد لا . لأنها أول من يجب أن تعنى باللغة العربية من جهة ، ولأنها يجب أن تؤكد طابعها الرسمي من خلال كل ما يصدر عنها من جهة أخرى . هذه هي نظرة جميع الناس ، إلى كل ما يأتي من الجهات المسؤولة .

ولكن يبدو أن الإدارة لا تعتقد ولا تؤمن بهذه النظرة ، ولذلك نجد مثلا البلدية تكتب «الأمم المتحيدة» بدلا من «المتحدة» وشارع محمد « الخميسي » بدلا من « خميستي »، الخ وهناك غلطات فادحة أخرى ، نشاهدها في كل مكان ، ونقرأها في مناسبات مختلفة . إن الارتجال وعدم الشعور بالمسؤولية فيما يصدر من الإدارات الحكومية في هذا المجال ، سوف يجعل حكم الناس عليها عاما .

في الجزائر الآن معنيون باللغة العربية فما الذي يضر البلدية لو طلبت من أي معلم بالعربية أن يصحح لها ، أو يكتب لها ما تشاء باللغة العربية . إن الدول الأجنبية لا تقع إطلاقا في مثل تلك الغلطات عندما تصدر أي شيء بالعربية ، فما أجدرنا نحن باحترام لغتنا ؟

...ل الفكر

ـ منذ عهد أفلاطون ـ التي هي محنتها اليوم ! ... ثم لنسمي رجال الفكر والمثقفين في البلاد النامية ، خصوصا إذا أفرزت هذه البلاد الإطارات الكفئة .

والمسألة من الأهمية بمكان .

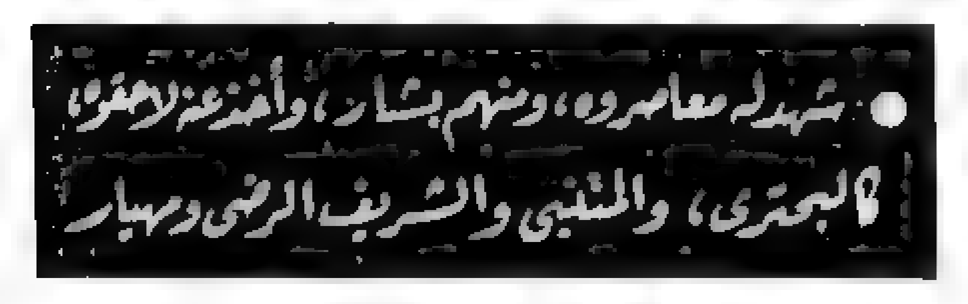
وفي رأينا أن الواجب والوفاء لأسمى معاني « الفكر » يفرضان على رجل الفكر أن يعمل عملا كاملا ، صادقا ، بالفكر واللسان والجوارح من أجل تحقيق مبادئ الحق والخير والجمال والعدالة، وكل القيم التي هي حلم البشر ، والتي « يسبق » المفكر معاصريه في إدراكها وتشخيصها بعد أن « يستلهم » ينقد ما جف وجمد من المعاني الموروثة والعادات الجماعية السلبية ، سواء انتسب إلى بلاد متخلفة أو متقدمة .

فالمثقف إذن مسؤول بحكم الإلهام ، وصوت مجلجل يوقظ الضمائر ، ويسود يهدي إلى سواء السبيل ، ثم هو جندي يساهم في العمل من أجل الغد الأسعد والعالم الأفضل.

على هذا الأساس تلعب النخبة دورها التاريخي ، وتحسب الإرادة الجمعية الثورية والموضوعية ، وتكون في طليعة القوى المحركة للتاريخ، السائرة بالبشرية إلى غدها المشرق وربيعها الزاهر .

العباس بن الأحنف

«لولا أنه أحذق الناس وأشعرهم، ما استطاع أن يكثر ويجيد في فن واحد هو النسيب، فلا يهجو ولا يمدح ولا يتكسب من شعره» الجاحظ



بقلم : الدكتورة عاتكة الخزرجي
الأستاذة بكلية التربية – جامعة بغداد

■ لقد كان لشعر العباس بن الأحنف صدى في آذان معاصريه على اختلاف طبقاتهم، ولا شك أن رقته وموسيقاه وطرافة موضوعه أثرا في إقبال الناس جميعا عليه، خاصتهم وعامتهم.

رأي الصولي في العباس

وكان أبناء العصر يفتنون به ويتحدثون ويكثرون من شعره، وعلى رأسهم ابن أخته الكاتب الشاعر إبراهيم بن العباس الصولي، وحسبك أن تقرأ له قوله فيه :

« ما سمعت كلاما محدثا أجزل في رقة، ولا أصعب في سهولة، ولا أبلغ في إيجاز من قول العباس بن الأحنف :

تعالَيْ نجدّد دارس العهد بيننا
كلانا على طول الجفاء ملوم
أنانية ما كان بيني وبينها
ولطمة حبل الصفاء ظلوم ؟!

رأي بشار في العباس

ولعل من المفيد أن نروي لك هنا رواية تؤكد اعجاب بشار شيخ المدرسة الغزلية في عصره ببعض شعر العباس الفتى حينئذ.

يروي لنا الخطيب البغدادي أن بشارا أنشد قول العباس بن الأحنف أول ما قال الشعر :

لما رأيت الليل سُدّ طريقه
عني وعذّبني الظلام الراكد
والنجم في كبد السماء كأنه
أعمى تحيّر، ما لديه قائد

في الميزان



ناديت من طرد الرقاد بنومه
مما ألاقي، وهو جذلان هاجد

قال: قاتل الله هذا الغلام! ما رضي أن يجعله أعمى حتى جعله بلا قلب!.

والملاحظ أن بشاراً يدعو العباس تارة بالفتى وأخرى بالغلام لا استخفافاً به، بل للفارق بينهما في السن.

ويحدثنا صاحب الأغاني على لسان الصولي أن أبا العتاهية قال: «ما حسدت أحداً إلا العباس ابن الأحنف في قوله:

إذا امتنع القريب، فلم تنله
على قرب، فذاك هو البعيد

فإني كنت أولى به منه وهو بشعري أشبه منه بشعره».

العباس وابن بشار

ولعل خير ما يترجم لنا حسد الناس للعباس على سيرورة شعره، الرواية التي تنقل لنا من أن محمد بن بشار بن برد لقي عمر بن شبة وهو ينقل شعر العباس فما لبث أن قال له:

«والله لن أروي لك شعر أبي وأنت تكتب هذا..!!»

العباس والأصمعي

أما الأصمعي فإنه يشهد للعباس بين الحين والحين بالبراعة على الرغم مما كان بينهما من خصومة. فهذا صاحب الأغاني ينقل أنه: قيل للأصمعي ما أحسن ما تحفظ للمحدثين؟ قال: قول العباس بن الأحنف:

لو كنت عاتبة لسكّن لوعتي
أملي رضاك، وزرت غير مراقب

لكن مللت فلم تكن لي حيلة
صدّ الملول خلاف صدّ العاتب

وفي رواية أخرى أن الأصمعي أنشد للعباس بن الأحنف:

أتأذنون لصبّ في زيارتكم
فعندكم شهوات السمع والبصر

لا يضمر السوء إن طال الجلوس به
عفّ الضمير ولكن فاسق النظر

فقال: «ما زال هذا الفتى يدخل يده في جرابه فلا يخرج شيئاً حتى أدخلها فأخرج هذا.. ومن أدمن طلب شيء ظفر ببعضه!».

العباس وابن الضحاك

والحسين بن الضحاك يشهد له تارة بالايجاز في قوله :

سرك ما يستريح المحب حتى يبوح بأسراره
فقد يكتم المرء أسراره فتظهر في بعض أشعاره

وأخرى بالابداع في قوله :

الحب أملك للفؤاد بقهره
من أن يرى للستر فيه نصيب
وإذا بدا سر اللبيب فإنه
لم يبد إلا والفتى مغلوب

ودعبل يصرح أنه لا يعرف أحسن من شعر العباس في الشعر :

هي الشمس مسكنها في السماء
فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع إليها الصعود
ولن تستطيع إليك النزولا

أما اسحق الموصلي فكان يقدمه على أبي العتاهية بالرغم من علمه أن الرشيد يفضله عليه وكان يستظرف أبياته في السهد :

أما تعذراني أيها الرجلان
من النوم ، ان الهجر عنه نهاني
وكيف يكون النوم أم كيف طعمه
[illegible]

وأبياته التي أولها

[illegible]
[illegible]

رأي الجاحظ في العباس

وبعد أن عطينا لك صورة موجزة من اعجاب معاصريه به لا بد لنا أن نعرف رأي عميد الأدب العباسي فيه .

وحسب العباس فخرا أن الجاحظ شهد له بما نصه :

« لولا أن العباس بن الأحنف أحذق الناس وأشعرهم وأوسعهم كلاما وخاطرا ما قدر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه لأنه لا يهجو ولا يمدح ، ولا يتكسب ولا يتصرف ، وما نعلم شاعرا لزم فنا واحدا لزومه فأحسن فيه وأكثر » .

وقد لا يكتم الجاحظ اعجابه ببعض أبيات العباس .

وينقل لنا في كتابه « البيان والتبيين » التالي الرواة على شعر العباس بما نصه :

« وقد أدركت رواة المسجديين والمربديين ... ولقد شهدتهم وما هم على شيء أحرص منهم على نسيب العباس بن الأحنف » .

وفصاحة شعر العباس استحوذت على اعجاب الأعراب . واستشهد به النحاة من أمثال ثعلب ، وشهدت له طائفة من العلماء والفقهاء والفلاسفة من أمثال ابن الأعرابي والزبير بن بكار وسلمة بن عاصم وابن عائشة والكندي :

« ولم تزل العلماء تقدمه على كثير من المحدثين ولا تزال لك ترى له الشيء البارع جدا حتى تلحقه بالمحسنين » .

والمبرد ، وأبو الفرج ، والثعالبي ..

وحسبك أن تعلم أن أبا العباس المبرد « قدمه في كتاب الروضة على نظرائه ، وأطنب في وصفه وقال : رأيت جماعة من الرواة للشعر يقدمونه » كما يروي لنا أبو الفرج الأصفهاني .

وأبو الفرج نفسه يشهد أن العباس « شاعر مطبوع » و « له مذهب حسن ، ولديباجة شعره رونق ، ولمعانيه عذوبة ولطف » .

والثعالبي ينقل لنا على لسان واحد من رواته هذه الشهادة : « سمع بعض الشيوخ من نقدة الشعر قول العباس بن الأحنف :

وصالكم هجر ، وحبكم قلى
وعطفكم صد ، وسلمكم حرب
وأنتم بحمد الله فيكم فظاظة
وكل ذلول من مراكبكم صعب

فقال : هذا والله أحسن من التسبيحات الخمس » .

والبحتري والعباس

وبعد أن عرضنا عليك هذه النخبة من آراء طائفة من العلماء والفقهاء والفلاسفة فلا بد لنا أن نعرض عليك شهادة الشعراء .

فالبحتري ـ وهو عندما تقيد العباس كما سنرى ذلك فيما بعد ـ يرى أن العباس « أغزل الناس وأغزل شعره قوله :

أحرم منكم بما أقول وقد
نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأني ذبالة نصبت
تضيء للناس وهي تحترق

وابن المعتز الخليفة الشاعر

وهذا عبد الله بن المعتز الشاعر الخليفة يعجب بالعباس الى حد يقول فيه : « لو قيل ما أحسن شيء تعرفه لقلت شعر العباس بن الأحنف :

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا
وفرّق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذبٌ قد رمى بالظن غيركم
وصادقٌ ليس يدري أنه صدقا

ونقدة الأدب استشهدوا بشعر العباس ، واقتبسوا منه ، وجمعوه

ولم يكتف نقدة الأدب الأقدمون بالثناء على شاعرية العباس انما زينوا كتبهم بالمختار من شعره ومهدوا لها بما حلا لهم من آيات الثناء .

فهذا المبرد استشهد في الكامل بأبيات العباس في عتاب من اتهمه بافشاء سره :

تعتّبتَ تطلب ما أستحق
به الهجرَ منه ولا تقدرُ
وماذا يضرك من شهرتي
اذا كان سرك لا يشهر
أمني تخاف انتشار الحديـ
ـث وحظي في ستره أوفر
ولو لم تكن لي بقيا عليـ
ـك نظرت لنفسي كما تنظر

وهذا ابن سلام استشهد في التخطر والالتذاذ مرتين بشعر العباس ، وهذا ابن عبد ربه يستشهد بشعره في عيادة المريض ، وابن قتيبة في الشعر والشعراء أورد مجموعة طيبة من شعر العباس ، ولم يفته الاستشهاد به في عيون الأخبار ، وكذلك فعل القالي في أماليه ، فقد أورد طائفة رائعة من شعر العباس في مختلف أغراض التشبيب .

وابن المعتز افتتن بشعر العباس افتتاناً كبيراً فأورد له مجموعة نفيسة من الشعر (طبقات الشعراء ۱۱۹ — ۱۲۰) ولم يبخل عليه بعبارات الاعجاب والسمو به الى أعلى المراتب كأن يقول معلقاً على بيتيه الشهيرين اللذين هما :

أحرم منكم بما أقول وقد
نال به العاشقون من عشقوا
صرت كأني ذبالة نصبت
تضيء للناس وهي تحترق

« .. ومن بديع ما للعباس وظريفه ما ليس لأحد في معناه شيء يدانيه » .

ولا ينسى ابن المعتز أن يستشهد بشعر العباس في فصول التماثيل ، وكذلك فعل صاحب الزهرة والوشاء في موشاه .

وقد اختار الثعالبي للعباس تحت باب : « مما لا يزيد على حسنه قول بعض المولدين » وباب « في النساء والتشبيب » ، وكذلك أورد للعباس في ثمار القلوب .

وكذلك اختار أبو حيان التوحيدي للعباس بن الأحنف في « الصداقة والصديق » ، والحصري في زهر الآداب ، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ، وأبو هلال العسكري في الصناعتين وديوان المعاني مشيراً بأرفع آيات الاعجاب ، وابن الشجري في حماسته ، والجرجاني في دلائل الاعجاز ، والاصفهاني في محاضرات الأدباء ، وابن حمدون في التذكرة ، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ، والمقدسي في اللطائف والظرائف ، والشريشي في شرح المقامات . والنويري في نهاية الأرب ، والصفدي في تشنيف السمع ، وابن حجة الحموي في ثمرات الأوراق .

مؤاخذات الشعراء على العباس بن الأحنف

فأنت ترى بعد هذه القائمة الطويلة مدى اعجاب نقدة الأدب القدامى بشعر العباس ، والى أي حد بلغ استحسانهم لهذا الشعر حتى انهم قابلوا عليه هذا الاقبال ، ويوسعنا أن نقول بعد ذلك ان نقدة الأدب القدامى كلهم مجمعون على تفوق العباس وبراعته في ميدان التشبيب مع تفاوت في درجات هذا التقدير .

ولا تنس من بعدُ أن شاعراً من هذا الطراز لا بد وأن يكون له الى جانب جمهرة المعجبين فريق آخر يروم التقليل مما له من فضل أو يتسقط ما له من شطحات أو خلقها له ان لم يكن لها وجود . وهذا الفريق كان وسيبقى طالما ما بقيت الشهرة وبقي الحسد في الناس . ومع ذلك فخصوم العباس قلة اذ لا نكاد نجد في كتب الأدب الا طرفاً من أخبار الشاعر مع خصومه كماله مع مسلم بن الوليد ، وأبي هذيل العلاف ، والأصمعي ، وخصومات مثل هذه كانت شخصية ، تصدى له فيها خصومه من جوانب شخصية صرفة لم تمس جوانبه الأدبية ، أما ما أوخذ به العباس فهو اللحن يقال ، اذا الوقل عامة ، أو مؤاخذات تافهة ، ولولا أمانة التاريخ لأغفلنا ذكرها جميعاً .

فأبو الفرج يبؤنا تارة ، راويا عن الصولي انه قال .

« قيل لمصعب الزبيري ان الناس يستجيدون شعر العباس بن الأحنف،فقال « لقد ظلموه !.. »

ويبؤنا تارة اخرى ان الرشيد كان يفضل ابا العتاهية على العباس بن الأحنف في رواية ..

وصاحب الوشح يروي لنا :

« تذاكروا بحضرة الأصمعي شعر العباس بن الأحنف فبسطه وقال : ما يؤتى من جودة المعنى ، ولكنه سخيف اللفظ ، الا ترى قوله :

اليوم مثل الحول حتى أرى
وجهك والساعة كالشهر
ان الذي أضمر منك الذي
أظهر كالقطرة في البحر
لو شق عن قلبي ترى وسطه
ذكرك ، والتوحيد ، في سطر

ثم قال :

يا من تمادى قلبه في الهوى
سال بك السيل ولا تدري
ابعد أن قد صرت أحدوثة
في الناس مثل الحسن البصري

.. لعمري ان الحسن البصري مشهور ولكن ليس هذا موضع ذكره .

وفي رواية اخرى انه قال :

« والعباس بن الأحنف في الغزل مثل ابي العتاهية في الزهد يكثران الحز ولا يصيبان المفصل » .

وابو هلال العسكري يروي لنا ان دعبل قال .

« ان جيد العباس قليل » .

هذا كل ما وقفنا عليه من مؤاخذات القدامى للعباس ..

واظنك بعد ذلك توافقني في ان الأمانة التاريخية وحدها هي التي فرضت علينا ذكرها ولولاها لوجب اهمالها لانها ليست بذات قيمة .

راي النقد الادبي الحديث في العباس

وماذا يرى النقد الأدبي العربي الحديث في العباس ؟ ومن هم الممثلون من نقدة الادب الحديث بشعر العباس ؟

الواقع ان العباس لم يكن محظوظا حتى اليوم، فكما انه لم يقدر لديوانه ان يطبع طبعة علمية ، كذلك لم يكتب لشعره ان يدرس او ان يعنى به العناية التي يستحقها . فقد مرّ به نقدة الادب مرور الكرام واذا ذكروه انصفوا به حيفا كبيرا .

زكي مبارك يرى العباس شاعرا عفا

اللهم الا اذا استثنينا منهم واحدا هو الدكتور زكي مبارك الذي اشاد به كثيرا في اغلب كتبه ، وهو يشهد له بالتفوق في ميدان الغزل والنسيب وحسبك ان نقرا له فيه مثل هذه الشهادة :

« من المؤكد ان العباس في غزله وتشبيبه اقوى من الطائي والمتنبي وهو فرق طائفة من كثير وجميل » (انظر العشاق الثلاثة) .

وهو يشهد بأصالة شعره وبكون محبوبته شخصية حقيقية « فما يفني شاعر عمره كله في التغزل بمحبوبة من صنع الخيال » . وهو يشهد بعفاف العباس حتى انه ليحلو له ان يدعوه بشاعر العفاف (انظر العشاق الثلاثة) ، ويذهب الى ابعد من ذلك حتى انه ليرى في العباس متصوفا في الهوى وهو يقارنه بابن الفارض الصوفي المعروف (انظر التصوف الإسلامي) .

طه حسين يرى العباس شاعرا متهتكا

على انه من الغريب بعد ذلك ان نجد اماما من ائمة النقد العربي الحديث واديبا كبيرا من ادباء الجيل ، نريد به الدكتور طه حسين ، يضع العباس بن الأحنف بين المجان المتهتكين ــ وهو من عرفنا عفافا ــ في كتابه حديث الأربعاء بما نصه :

« ولقد وجدت بعد هذه الطبقة التي ذكرنا بعض اسمائها ، طبقة اخرى كانت اشد منها مجونا ، واكثر منها فجورا ، واقل منها حرصا على الاستتار . وكان أبو نواس من زعماء هذه الطبقة . وكان معه الرقاشي والعباس بن الأحنف ومسلم بن الوليد والحسين الخليع وغيرهم من الشعراء . كان هؤلاء الناس لا يستترون في معصية ولا يتحرجون من فاحشة ، وكانوا يتنقلون بمعاصيهم وآثامهم بين بغداد والكرخ والبصرة والكوفة والرقة .. (انظر حديث الاربعاء ج ٢) .

نعم ان العباس صحب هذه الطبقة ، وشهد بعض مجالسها التي لم تخل من جحود الشرب وترتجل الشعر فى الطروب الهادئ الرزين . ولكن قدر للعباس ان يظاهر هؤلاء الخلعاء العابثين وان يجتمع بهم بحكم طبيعة الظروف ، فليس من اللازم ان تكون سيرته ــ وهي من عرفنا استقامة وحشمة ــ كسيرتهم ، ولا ان نلصق به ما هو منه براء بشهادة كل من ارخ له وكل ما اثر عنه من قول وفعل .

ولا يقف طه حسين للعباس عند هذه سيرته انما يتعداه الى شعره ، فرايه فى العباس غير جميل ، فهو عنده « ساقط بين كرسيين » اذ ان شعره ــ عنده ــ « لم يبلغ اتقان الغزليين من شعراء بنى امية ، ولم يبلغ اتقان العابثين من شعراء بنى العباس ، وانما جاء فاترا فاقما يترك فى النفس اثرا قويا لان الفن الذى اراد ان يختص به كان قد انقضى عصره وانتهت الاسباب التى اوجدته ومكنت الناس من اتقانه والاجادة فيه . (انظر حديث الاربعاء ج ١) .

آراء الأقدمين والاحدثين فى العباس ، كانت سريعة تحكمها العاطفة

والآن وقد فرغنا من تحليل ادب العباس وعرض آراء جمهرة مؤرخى الادب فيه ومحدثين عليها ان نقول كلمتنا فى شعر العباس الذى اشتمل به كل هؤلاء على اختلاف الزمان والمكان .

اذكر اننا قلنا ان آراء الادباء الاقدمين بوجه عام لا يمكن الاعتماد عليها لانها غير قائمة على اسس نقد علمى صحيح كما نفهمه اليوم ، انما هى احكام سريعة يحكمها فى اغلب الاحيان العاطفة، وهى لا تتعدى الحكم على الشاعر من وراء بيت او بيتين . وغنى عن البيان ان حكما مثل هذا سطحى لا يقبله العقل العلمى الحديث . واذكر انا قلنا ايضا ان ادب العباس لم يكن مخطوطا حتى الآن الا انه لم يسبق لاحد ان يدرسه دراسة علمية من قبل . واغلب ما كتب عنه حتى الآن لم تكن قيمته باكثر من قيمة ما قاله الاوائل فيه ان لم تكن باقل . فهل يوسعنا نحن ان نرفع عن العباس بعض الحيف الذى لحقه وان نحله المكان اللائق به؟

ماخذ على العباس ، على فرط اعجابى به

الواقع انى مفتونة بالعباس جد الفتون ، والتغنى به من قديم يرجع الى الوراء سنوات . الا ان هذا لا يمنعنى ان اؤاخذ العباس باشياء كثيرة .. وليت شعرى اى الشعراء سلم من مؤاخذات ؟

مثل من اسفافه

الملاحظ ان شعر العباس قد يسهل حتى انه ليصل مستوى الكلام العادى وقد لا يبقى له من ميزة الشعر سوى وزنه وقافيته ، اقرأ له مثلا قوله :

عصبت راسها عليه صداعا
قد شكته الى كل براسى
لم لا تشتكى ، وكان لها الاجسر
وكب اسقام حبها أماسى

ونحن هنا لا نبحث الاسباب الداعية لهذا الاسفاف ، انما نحن نحلل كلامه على انه شعر يعرف النقد من بواعثه وظروفه .

سقطات أخرى

وقد لا يخلو شعر العباس من التعابير العامية، وتراكيبه لا تخلو من ركة احيانا . وقد تنحط معانيه لدرجة السخف .

وقد يتحط اسلوب العباس من فرط ما يرد فيه من تكرار مخل او حشو لا فائدة فيه ، فهو يكرر مثلا كلمة سيدتى ست مرات فى ابيات ثلاثة متتالية ، وقد يكرر كلمة « سخط » خمس مرات فى ثلاثة ابيات متتالية .

وقد يبدو على شعره احيانا طابع التكلف من اثر المبالغة المفرطة التى تخرج الى حد السخف، وقد يعرض علينا العباس صورا مضحكة لنبوها وما يظهر عليها من التكلف والافتعال من مثل قوله:

ولست أمشى ان كنت أبسوى
تطرب طرى ل كلب مشحا

وقوله

وللهوى جرّس يمشى المحبُّ به
فكلما كدت امشى حركا الجرسا

وقد ترد فى شعره الاستعارات النابية السخيفة من مثل قوله فى وصف الصبية بشعور الخصر :

بكى وشاحاها ولم يشكها
وانما أشكاهما الجوع

وقد تستعصى عليه القافيـة احيانا فتجيء متقحمة مما تؤدى الى سخف المعنى من مثل قوله:

وبقيت اسبح فى بحور هواكم
ما احسن الحالات ان لم تغرق

وقوله :

ما بال خلخالك لا عرسة
لكن خلخالك مقطوع

والعباس الى ذلك قد ارتكب عيبا فى احدى قوافى قصائده اذ غفل عن كون التاء المربوطة تقلب هاء عند الوقف فجاء بها مع التاء الطويلة الساكنة فى المقطوعة التى مطلعها .

أذّن مجتازا بنا العلاة
وغارت الانجم متوسطات

وقد وردت الأبيات ٩ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ في هذه المقطوعة وبها العيب المشار اليه أعلاه .

مكانة العباس الأدبية

والآن بعد أن اطلعنا على أدب العباس ومحاسنه ومعانيه ، فأين قيمة شعره ؟ وما درجة تأثيره في الأجيال ؟ وأين مكانه اللائق به من بعد ؟

الواقع انني لم أجد خيرا من الجاحظ يترجم عن قيمة العباس الأدبية في قوله الذي ذكرناه لك من قبل ولعله يحسن بنا اعادته هنا : يقول الجاحظ :

« لولا أن العباس بن الأحنف احذق الناس ، واشعرهم ، واوسعهم كلاما وخاطرا ، ما قدر أن يكثر شعره في مذهب واحد لا يجاوزه ، لأنه لا يهجو ولا يمدح ، ولا يتكسب ولا يتصرف ، وما نعلم شاعرا لزم فنا واحدا لزومه فأحسن فيه وأكثر » .

أمام ذلك سنتذكر عمر بن أبي ربيعة ، فكلا الشاعرين قصر شعره على الغزل دون غيره ، إلا أن عمر امام الغزل العابث المستهتر ، في حين أن العباس امام الغزل الجاد الباكي . وعمر قد يفتخر في شعره ، في حين أن العباس هو ابدا امام المتصوفين في الحب .

ومن هنا كان أثر العباس بالغا فيما بعده من الأجيال وقد كان له فيما بعد القلة من كبار شعراء العرب سنذكرهم لك مرتبين حسب درجة تأثرهم به .

البحتري اول من تأثر بالعباس بن الأحنف

أولهم البحتري وهذا دون ريب من مدرسة العباس فهو تلميذه الأول في سلاسة الأسلوب ورصانته وخفاء الصنعة الفنية . وخلاصة القول أن اسلوبه كأسلوب استاذه مما يسمى في الأدب « بالسهل الممتنع » . وكثيرا ما تأثر البحتري بمعاني استاذه فظهرت في شعره ، فالعباس مثلا يقول .

هي الشمس مسكنها في السماء
فعز الفؤاد عزاء جميلا
فلن تستطيع اليها الصعود
ولن تستطيع اليك النزولا

والبحتري حول المعنى من النسيب الى المديح في قوله :

دنوت تواضعا وعلوت قدرا
فشأناك انحدار وارتفاع
كذاك الشمس يبعد أن تسامى
ويدنو الضوء منها والشعاع

المتنبي يلي البحتري في التأثر بالعباس

ويلي البحتري اهمية في التلمذة على العباس المتنبي وهو قد تأثر بالعباس في معانيه فجاءت مصوغة في قالبه الخاص فبدت في الظاهر مغايرة للأصل ، ومهارة المتنبي فيها آتية من كونه نقلها من النسيب الى المديح ، انظر مثلا الى العباس يقول للفوز .

فمنك بك استجرت

أخذه المتنبي فقال لسيف الدولة

بك الخصام ، وأنت الخصم والحكم

والعباس يصف طول الليل فيقول :

والنجم في كبد السماء كأنه
أعمى تحير ، ما لديه قائد

والمتنبي يقول في نفس المعنى :

ما بال هذي النجوم حائرة
كأنها العمي ما لها قائد

والعباس يقول :

لقد حسن الله في عيني ما صنعت
حتى أرى حسنا ما ليس بالحسن

وابو الطيب يقول :

حتى حلى السر في أيام محنته
حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن

ولم يعن المتنبي وحده بشعر العباس ، وانما عني به اميره سيف الدولة ، فيحدثنا صاحب العمدة أن سيف الدولة استجاز شاعره أبا الطيب قول العباس بن الأحنف :

أمسى لعاب الشعر الحديث
وحتى في شعره أوفر

فصنع القصيدة المشهورة .

مولاه هواي الذي أ...ر
و...ك سري لما أظهر

وسيف الدولة نفسه متأثر بشعر العباس ، فالعباس يقول :

الآن لما صار مرتبتي
قلبي وصار بذكرها الشغل

أعرضت ما أعرضت والبسمة
منّي فهلا كان ذا قبلُ !

فخصه سيف الدولة بهذا البيت :

وأعرض لما صار قلبي بكفه
فهلا جفاني حين كان لي القلب !!

والشريف الرضي تأثر بالعباس

وهناك تلميذ آخر منهم هو الشريف الرضي صاحب الحجازيات المشهورة ، وهو متأثر برقة معاني العباس ، وهما صنوان في العفة وطهارة الذيل سيان .

العباس يقول

إذا أنت لم تعطفك إلا شفاعة
فلا خير في ود يكون بشافع

والشريف يقول :

[illegible] هواه [illegible] من غيره
شرُّ الهوى ما نلته بشفيع

العباس يقول :

[illegible] حبك لم تبق حيلة
[illegible] عني [illegible] وهي تلمح

والشريف يقول ويزيد :

[illegible]
[illegible]

ومهيار كذلك

وقد تأثر تلميذ الشريف مهيار الديلمي فأخذ عنه لطائف معانيه ورقائق حواشيه. يقول العباس :

لا [illegible]
[illegible]

ويقول مهيار

[illegible]
[illegible] إلا [illegible]

وآخرون تأثروا بعض الشيء

وهناك طائفة من الشعراء تلون هؤلاء في درجة التأثر بشاعرنا ، نخص بالذكر منهم أبا تمام فقد تأثر ببعض معاني العباس في الطيف .

وتأثر به من معاصريه من الشعراء ابن أخيه إبراهيم بن العباس الصولي .

وقد تأثر من الشعراء الخلفاء بشعره الخليفة المأمون ، فقد قال العباس :

أن تشق عيني بها فقد سعدت
عين رسولي وفزت بالخبر
وكلما جاءني الرسول لها
رددت عمدا في طرفه نظري
تظهر في وجهه محاسنها
قد أثرت فيه أحسن الأثر

فقال المأمون :

بعثتك مرتادا ففزت بنظرة
وأغفلتني حتى أسأت بك الظنا
فناجيت من أهوى وكنت مباعدا
فيا ليت شعري عن دنوك ما أغنى
أرى أثرا منه بعينيك بينا
لقد أخذت عيناك من حسنه حسنا

وقد تأثر الخليفة الشاعر ابن المعتز بشعر العباس أيضا .

وأبو فراس الأمير الفارس الشاعر ، وابن منصور النامي .

ومن المغاربة من تأثر بشاعرنا فابن زيدون الشاعر الأندلسي المعروف هو أحدهم ، وكذلك ابن رشيق .

ولم تقتصر مدرسة العباس على الأتباع القدامى انما تعدته الى المحدثين ، فهذا شوقي متأثر به في بعض معانيه ، هاك قول العباس :

وكان هواك لي قدرا
فكيف الصبر عن قدري !!

وشوقي يقول :

يا لائمي في هواه والهوى قدر !

والعباس يقول :

تحدث [illegible] في [illegible]
ونحن سكوت والهوى يتكلم

وشوقي هو صاحب البيت السائر في الحب :

وتعطلت لغة الكلام وخاطبت
عيني في لغة الهوى عيناك

أرى .. أعرفت العباس بعد كل من ذكرنا ظلا من تلامذته من أعيان الشعراء وأمراء البيان !

ألست الآن معي نظرة الجاحظ ومدى حظها من الصدق ؟ أيحق لنا من ثم أن نعتبر العباس بن الأحنف امام التشبيب الحضري العفيف وحامل لوائه منذ القرن الثاني حتى اليوم .

عائشة الخزرجي
كلية التربية — جامعة بغداد

طرائف عربية

الأمين والمأمون

● لما عقد الرشيد البيعة للأمين ، وهو أصغر من المأمون ، لأجل أمه زبيدة وكلام أخيها عيسى بن جعفر ، وقدمه على المأمون ، جعل يرى فضل عقل المأمون فندم على ذلك فقال :

لقد بان وجه الرأي لي غير أنني
غلبت على الأمر الذي كان أحزما

يربطون الحجارة !

● [illegible] صاحبته كلابها وكادت تعضه ، فأراد أن يأخذ حجرا من الأرض فاستعصى عليه فقال :

ـ لعن الله أهل هذه القرية يطلقون الكلاب ويربطون الحجارة

مغفل

● [illegible] أبا به . ثم دفعه إليه !

حسنة لم تقبل

● [illegible] رجلاً من وجوه أهل الشام ، إذ مر بحمال معه رمان ، فتناول منه رمانة فجعلها في كمه ، فعجبت من ذلك ، ثم رجعت إلى نفسي ، وكذبت بصري ، حتى مر بسائل فقير فأخرجها فناوله إياها .

[illegible] له : رأيتك قد فعلت عجباً ..

[illegible]

[illegible] حمال وأعطيتها سائلاً .

[illegible]

أخلاق

● قال الحسن البصري : من أخلاق المؤمن ، قوة في دين ، وحزم في لين ، وحرص على العلم ، وقناعة في فقر ، وإعطاء في حق ، وبر في استقامة ، وفقه في يقين ، وكسب في حلال .

وقال محمد بن صبيح المعروف بابن [illegible]

« احتمال الفقر احسن من احتمال الذل ، لأن الصبر على الفقر قناعة ، والصبر على الذل ضراعة . »
الامام علي رضي الله عنه

طيلسان ابن حرب

● [illegible]

[illegible]

وصية نافعة

● [illegible]

[illegible] وسأله أن يحفظه عنهم [illegible]
أما بعد فانا نحمد الله تعالى [illegible] الصالحين، وقد وضعنا عن رعينا [illegible] رأينا أناوتنا الموظفة عليهم [illegible] ونحن كاتبون لهم مع ذلك بوصية [illegible] الكل : لا تستثمروا الحقد لئلا [illegible] عليكم العدو ، ولا تحبوا الاحتكار لئلا [illegible]

[illegible]

ولا تعدوا هذه الدنيا شيئا فانها لا [illegible] [illegible] مع ذلك فان الآخرة لا تنال الا بها .

المؤمن

ل [illegible] ، وخير الأعمال أخلاصها [illegible] ، وخير الثناء ما كان على أفواه الأخيار ، وأشرف السلطان ما لم تخالطه البطر ، وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص اسيرا ، وخير الاخوان من لم يخاصم ، وخير الأخلاق أعونها على الورع . وانما يختبر ذو الرجحان عند العافية والحاجة .



هل يمنع وقار من حب ؟

■ انها قصة زوجة اسبانية – في الثامنة عشرة من عمرها – تلقت ذات يوم رسالة غرامية .. وكان الناس في أيامها – القرن الثامن عشر – شديدي التمسك بالمبادىء الخلقية .. وكانت المشاعر – في ذلك العهد – مرهفة الحساسية. لذلك أفسد راحتها التفكير: هل تطلع زوجها على الرسالة ؟ ... صحيح انها لم تكن تحمل اسم كاتبها ، ولكن زوجها ربما عرف الكاتب من خطه، اذ لا بد انه صديق للأسرة ، والا فكيف رآها وهام بها ؟ .. وقد تثور حمية الزوج فيقتل كاتب الرسالة وهي لا تريد له أذى ، اذ كانت العبارات التي اطرى بها جمالها مهذبة ورقيقة ارضت شعورها الأنثوي .. ولكن ضميرها لم يدع لها سبيلا الى الراحة ، حتى سارت الى زوجها – وقد خلا في حجرة مكتبه – وقالت له انها تلقت رسالة من عاشق .. ولكنها لا تعرف هذا العاشق ، وقد أعدمت الرسالة حتى لا يتعرف على كاتبها فيؤذيه ..

وبكل وقار ورصانة سألها الزوج :

– هذا كلام عجيب .. فلماذا تخبرينني الآن ؟

قالت :

– رأيت ان هذا واجب علي ، فأنت زوجي .

ولانت معالم وجه الزوج ، وقال :

– لقد احسنت التصرف يا عزيزتي ..

وازداد شعور الزوجة الشابة الجميلة بالحيرة وعدم الارتياح ، فقد كانت تتوقع ان يثور الزوج ، وان يغضب لتجرؤ شخص ما – وان كان مجهولا – على كتابة رسالة غرامية الى زوجته ... ولكنه – على العكس بدا هادىء النفس تماما ..

ومرت الايام ، والزوجان يعيشان كما كان نبلاء اسبانيا يعيشون في تلك الايام .. كل في جزء خاص من القصر ، لا يتقابلان الا وفقا لـ **«بروتوكول»** معين ، ولا تجمعهما الا مائدة الطعام ، حسب تقاليد **« رسمية »** .. ولكن هذا التباعد لم يحل دون ان تلمح الزوجة ان زوجها صار كثير الشرود والوجوم وانه اصبح قليل الاكل ، حتى بدت عليه امارات الهزال .

وفي ذات يوم تلقت الزوجة رسالة

ثانية ، من العاشق المجهول .. ومرة أخرى ، دفعتها يقظة الضمير ، وقسوة الخلق ، الى أن تذكر الأمر لزوجها .. وتجرأت – في هذه المرة – وقالت بصوت متهدج :

– يبدو أنه مستهام بحبي .. ان رسالته الجديدة شعر !

ولم يستشط الزوج غضبا ، بل استمع في هدوء ، ثم سألها

– أهكذا دفعه الجنون الى قرض الشعر ؟ .. وهل القصيدة مستساغة ؟

فدفعت اليه الرسالة ، ولكنه ردّ يدها بلطف قائلا

– يحسن الا اراها خشية ان اعرف صاحبها .. ولكن ، اقرأي عليّ شعره .

وقرأت عليه الأبيات بصوت خافت ، ناعم ، متهدج .. وأغمض الزوج عينيه وهو يصغي وكأنه منتشٍ بجمال الشعر .. فلما انتهت ، قالت له ،

– الا تراها قصيدة جميلة ؟

قال :

– ليست هذه اول مرة يهيم فيها رجل بامرأة لا يجد سبيلا الى مصارحتها بهواه ، فيدفعه الى الكتابة والشعر . لقد عرفت انا الحب بلا امل ، ولذلك فاني أعطف عليه ..

ومن جديد ، تأملت الزوجة الشابة زوجها ، وكان يبدي الوهن والهزال ، وهي حائرة ازاء هدوئه وتسامحه ... ولكنها ازدادت تقديرا له ، وتعلقا به ، اذ تبينت مدى ثقته فيها ..

ورحل الزوجان الى ضيعتهما ، فقضيا فترة من العام ، ثم عادا الى مدينتهما وقد ازداد الزوج نحولا وضعفا .. وان هي الا ايام ، حتى تلقت الزوجة رسالة جديدة من العاشق المجهول .. فلم تتردد في أن تخبر زوجها بالأمر ... وأردفت ،

– انك لا تملك نفسك من البكاء حسرة عليه اذا قرأت هذه القصيدة .

وكما في المرات السابقة ، أغمض الزوج ان تمد عيناه على الرسالة ، وسألها ان تقرأها عليه .. وراح يصغي وهو مغمض العينين ، وكأن الأبيات الشعرية قد أسكرته .. حتى اذا انتهت ، هتف في اشفاق :

– يا للمسكين ! .. انه مجنون بك !

وسألته وهي تتشجع لتغالب خجلها :

– أتظن انك احببت بهذه الدرجة يوما ؟

فأجاب في رقة :

– لقد جربت ينفس الحب بدون امل ، وعرفت ما يؤدي اليه من جنون .. ولقد اروي لك القصة يوما . على انني صارحتها من قبل بنفس الحق فيك ، ولزمت زوجة مثالية !

متهدج صوت الزوجة وهي تقول :

– كم اتمنى لو انك انت وهو كنتما شخصا واحدا ..

ثم أسرعت بالانصراف لتواري خجلها مما قالت .

ومرت فترة ازدادت فيها صحة الزوج سوءا ، الى ان مات ذات يوم .. وعلى مكتبه وجدت الزوجة رسالة .. ودهشت اذ تعرفت على خط العاشق المجهول .. ثم اشتدت دهشتها حين رأت توقيع زوجها في نهايتها .. كانت رسالته الأخيرة . وفيها يصارحها بانه العاشق المجهول ، فقد أحبها بكل حواسه ، ولكن تغالبه الطفلة التي كانا يتنفسان اليها . والفارق الذي كان بين عمريهما ، كانا يمنعانه من ان يردد على مسمعيها أهازيج الحب ، وما كان قلبه يهمس به من مناجاة !!

هذه قصة فيها درس وعبرة ، نتركها للقارئ ، واثقين أن يستخلصهما منها .



للقصاص الفلبيني

بيانفنيدو سانتوس

Bienvenido Santos

● لم ينظر اليها الشيخ حين وصلت ، وانما قال لها : « ما كان ينبغي ان تمكثي حتى يهبط الظلام يا سيدنرا » .

وكان يلف امامهوقد مشتعل .. فقالت سيدنرا: « آسفة يا ابي فما فطنت الى انني اطلت المكث .

فرفع الشيخ الغطاء عن قدر على النار ، ولم ينبس ببنت شفة .

ولكنهما استأنفا الكلام بالليل ، وان لم يذكرا شيئا عن الرجل الذي ابحر مضطرا منذ مدة ..

قالت الفتاة:« الم تنته الحرب بعد يا ابت ؟»

فاجاب الشيخ : « لا اظنها .. ولكنها سرعان ما تنتهي » .

ـ وهل سننتصر ؟

ـ اجل . اعتقــد اننا سنكسب الحرب ، يا بنيتي .

ـ وماذا يعني كسبنا للحرب ؟

ـ .. لا شيء فيما احسب . لا شيء الا .. تامي يا سدرا ، نامي .

ـ ان الوقت ليس متاخرا ، اليس كذلك ؟ .. ترى لماذا لم يظهر القمر الليلة ؟ .. ان الظلام دامس .. الا تسمع صوتا يا ابي ؟

وارهفا اذانهما . كانت الريح تهز الشــجر ، ولكن الصوت كان ينبعث من ارتفاع عال .. صوت متصل ، رتيب .. انه ازيز في السماء . فقال الشيخ : « انها طائرات » .

ـ اتراها كثيرة ؟

ـ ربما .

ـ اهي طائراتنا ؟

لست ادري . ربما يا سدرا ، ولكني لا ادري تماما .

وكانت تدور في ذهن سدرا اسئلة اخرى كثيرة ولكنها كانت تدور حول حياتها ، وحول العالم الراهن منها .. ومع هذا اثرت ان تصمت ، اذ كانت هذه الاسئلة تكشف عن عميق قلقها على زوجها ، وتلهفها الى عودته . وما لبث الهدوء ان لف الليل ، فلم يعد هناك سوى ازيز الريح تخلل الاشجار ، وارتطام الامواج بالشاطىء .

وراحت سـدرا تتعجب في خشوت .. ان « سيلمو » لم يعد ، وما كان من عادته ان يطيل في البعد الغياب .. وراحت تتمتم باسـم « سلمو » ، وهي تطمع ـ لسذاجة عقلها ـ ان يسمع زوجها النداء ، اينما كان ..

* * *

واذا كان الشيخ قد فطن الى مقدار الاسـى الذي غمر نفس ابنته ، فقد حرص على الا يبدي انه فطن.ولكن الجيران والاقارب اخذوا يبدون اهتماما واضحا، ويعربون عن مواجسهم ،وشعرت « سدرا » بالخجل لانهم ادركوا حزنها . فصار قلبها مكشوفا يراه الجميع .. وكانت تدرك انهم في قلوبهم صادقون . وعندما قالت لابيهاان اهتمام الناس بها يحرجها ، قال الشيخ . « الحمد لله يا سدرا ، فالقلوب رحيمة » .. ولم تعلق على ما قال ، الا انها لم تفهم كلماته ، ومع هذا فقد



... وهتفت سـمرا : هيا ابي .. انه يموت ! ..

بعثت هذه الكلمات البلسم في قلبها فلم تعد تشعر بالتعاسة .. ولو مؤقتا .

ثم جاءت الحرب الى الجزيرة فجأة ، بعيد فجر ذات يوم .. جاءت من السماء ، في شكل كتلة سوداء من الدخان ، تنقض بسرعة في ضجيج .. وحدث كل شيء بسرعة فلم ير أحد من أهل الجزيرة حقيقة ما جرى ، ولكن الكثيرين سمعوا الأزيز المدوي الصارخ يزداد ، وسمعوا حفيف أجنحة تقترب منهم بشدة وسرعة حتى لاح لهم أنها تجري فوق أسقف الدور .. ثم انفجارا مدويا ، قاصفا ، طغى على صراخهم وذعرهم والعويل .

وانكشف الأمر . ان طائرة قد هوت وسط حقل ، فلقيها تلالاً من اللهب أضاءت الجزيرة بأسرها ، فكأن شمس الضحى قد سبقت الفجر خلسة .. وعلت صرخات سمرا ، وسط ضجيج النسوة والأطفال المذعورين .. ورأت الفتاة أباها يسرع عبر الحقول نحو الطائرة المحترقة ، فجرت ، وهي تصرخ : « سليم .. سليم ! .. وكأنما كان ما تراه نهاية صبرها الطويل الحزين . »

وشقت لنفسها طريقا وسط حلقة القوم الذين سمروا على وهج اللهب مصف عرايا في أسمالهم ، ووجوههم تشع بالخوف والرهبة . وكانت « سمرا » أول من لمح الرجل .. لمحت قدمين بارزتين من الحطام في تهدل ، وألسنة اللهب تلسعها وهي تئز وتفح .. فصاحت الفتاة مشيرة اليهما : « انظروا ! ! » .. وما لبثت ان ظهرت ذراع ويد تحاولان التشبث بالهواء .

واندفعت « سمرا » نحو الحطام ، ولكن أباها الشيخ أسرع فجرها الى الخلف ، وطرح بهما بعيدا عن اللهب ، فسقطت في بقعة موحلة ، وهي تصرخ : « سيحترق .. سيحترق ! » وتحاملت ناهضة ، واندفعت مرة أخرى نحو الطائرة ، ولكن

الرها قوية صدمتها . واخذت تتأمل برهة ، ثم شعرت بعجزها فكفت . واسندتها امرأة مسنة وهي تهوى على الارض ، حيث استلقت مغمضة العينين .

وعندما عاودتها قواها ، شعرت بضباب ينعقد على عينيها، ولكنها استطاعت ان تبصر خلاله جسد رجل ، غائبا في الجحيم ، وقد احترق ، ونزفت دماؤه . وكان يحاول ان ينهض على قدميه ، اذ كان عدد من الرجال قد جروه بعيدا عن الطائرة، ولكنه لم يلبث ان تهالك وسقط على ارض الحقل المحروث .. فخلصت سعدا نفسها من بين يدي المرأة المسنة ، وتقدمت خطوات من الرجـــل المسجى عند اقدام قومها . ولم تفقه ـ في بداية الامر ـ شيئا من اللغط الذي كان يدور حولها ، ولكنها ما لبثت ان فهمت ، حين امعنت التحديق في الرجل .. كان طيارا من الاعداء .

وصرخت النسوة : « رحمة به ، فهو بعد صغير السن » .

ولكن بعض الرجال دعوا الى تركه في آلامه وعذابه .. وكان نحيل العود ، قصير القامة ، يبدو فتى صغيرا حقا ، وهو ضئيل لا يتحرك حراكا .. وكانما بانت عليه سكينة يائسة ، حلت بعد محاولاته الواهنة ليتحامل على نفسه ، وبعد الفزع الذي تشبث به . ولكنه لم يلبث ان فتح عينيه ببطء ، وتلفت حوله وكأنه يسترق من شيء كان يطوف بخاطره ..

وصاحت سعدا : « اما من احد يساعده ؟ » .

فصاح شخص من الجمع : « دعوه يمت ! » .

وهتف آخر : « لعله مسلح » .

ـ فتشوه !

ومن الذي يتولى تفتيشه ؟

ـ لعله يتظاهر بما هو فيه .

وكانت العيون كلها مركزة على الغريب الذي راح يحتضر ، واخذ يبسط ذراعيه نحوهم ونحو السماء ، وهو يتمتم باصوات تثير الاشفاق .. ورأوه يحاول ان يرفع جسده معتمدا على مرفقه ، ولكنه تهالك ثانية وهو يصرخ .. واقترب البعض منه يتفرسون فيه ، ويشيرون الى لون بشرته الشاحب ، والى الدماء المتجمعة عليه ، والى حلته العسكرية الملطخة ..

ـ الا ترون انه يحتضر ؟

ـ فليمت !

وتناول شاب حجرا ، وهوى به على جانب من وجهه ، فصرخت النسوة « كفى ! .. ارحموه بالله عليكم !! » .. وتعالت اليهن اصوات اخرى.

* * *

واستمرت الطائرة تحترق ، والرجل مسجى لا يتحرك .. وجلست « سعدا » بين الكوم محنية الظهر اسى ، وهي تحدق في الرجل ، تحاول ان ترى بالحس ما تستطيع العين المجردة ان تراه مما يجري في كيان كل محتضر ، قريبا كان او غريبا ، عدوا او صديقا .

وتنحى ابوها الشيخ ، واهاب بمن حوله ان يساعدوه على حمل الرجل الى حظيرة مسقوفة في داره ، فتقدم نفر لمساعدته وقالوا وهم يرون الدم يخضب ايديهم وثيابهم . « لسوف يموت».

ولكن الضحى اقبل والشاب راقد في حظيرة الشيخ ، وسعدا ، وقابلة الجزيرة ، تنظفان جروحه بماء مغلي .. كان في اسوأ حال ، وما من سبيل لانقاذ حياته .. ولكنه بدا انظف مظهرا، ولاح جسده لعين الناظر اقرب الى اجسام الفتية الصغار حقا .

ولم يأت لمشاهدة ما طرأ عليه سوى نفر قليل ، اما الباقون فقد آثروا الذهاب الى الحقل الذي كانت الطائرة تحترق فيه ، ليصبوا دلاء من الماء عليها عسى ان يستطيعوا استخلاص شيء لانفسهم منها .. وانتزعت النسوة الوجوم الذي ران على مشاعرهن وهن يرقبن المحتضر ، فتسللن وهرعن الى حطام الطائرة .. حتى اذا مل الاطفال التحديق في الرجل ، راحوا يكونون ملتفين امهاتهم ... واستلقى بعضهم على الارض ، وناموا عند قدمي المحتضر الذي كانت الحياة تتسرب منه حثيثا . والصقت « سعدا » بشفتيه قطعة من قماش مبللة، فمد ذراعيه وصرخ ، ثم احنى راسه على صدره، وكأنه لم يعد يحفل بشيء .. ولكنه ما لبث ان فتح عينيه المتورمتين لحظة وجيزة ، واختلجت شفتاه .

وازداد الشيخ والقرويون اقترابا منه ، وكأنهم

يرجون أن يسمعوا منه كلمة يفهمونها .. وأخذ الشاب يدمدم بلسان ثقيل ، ويحاول أن يحرك عينيه ليستريح على الجمجمة حتى يفهم .. وربما أنه كان يحاول أن يتذكر فهم من هو ..

وقالت سمرا : يا الله يقول أشياء وينظر إلينا!

فقال الشيخ . « إنه لا يرانا » .

– إنه في ريعان الشباب يا أبي ، أليس كذلك ! .. ما أظنه أكبر من ..

وقالت العجوز : « إنه يبدو كما لو كنت أعرفه .. أنني أعرفه ، أعرفه ! »

فقالت سمرا : « أجل ، أجل . أخال أنني أعرفه . ألم تره من قبل يا أبي ؟

فقال أبوها : « كلا ، أننا لم نره من قبل .. ولكننا نعرفه .. أجل ، نعرفه ! »

ووضع يده على راحة الشاب الذي ارتجف حين لمسه .. وانطبقت اليد الشاحبة الواهنة على قبضة الشيخ تتشبث بها . واستطاع الشاب بجهد أن يرفع يد الشيخ إلى شفتيه .

وصاحت المرأتان : « لقد قبل يده » .

فقال الشيخ بصوت متهدج : « يا بني .. أنني لا أعرف من أين جئت ، وماذا فعلت بنا ، ومع ذلك .. فليباركك الرب » .

وهتفت سمرا : « يا إلهي .. إنه يموت ! » .

فقال الشيخ : « سينتهي عما قليل » .

وما لبث بعد الشاب أن هوى إلى جواره .. ومات .

ورفعت « سمرا » يديها إلى فمها تكتم صرخة، وأشاحت بوجهها . بينما كان الشيخ يقول : « لقد كان لي أبناء فارعون .. منهم من قضوا نحبهم قبل الأوان ، ومنهم من رحلوا ولم يعودوا. ولقد رأيت ابنتي الوحيدة هذه ، وهي تتحمل حزنها بشجاعة ، بينما كان شاب آخر – مثلك إلى حد كبير – يقبل يدي مودعا ، منذ مدة قصيرة .. وقد لا يتقدر له أن يعود أبدا » .

* * *

وأوشك الأصيل أن ينقضي قبل أن يأتي بعض الرجال ويحملوا الجثة وقد لفت في حصير بالية .. ونقلوها إلى حافة الغابة ، في جوف الجزيرة، وقد صادفوا في طريقهم الرجال الآخرين العائدين من الحقل ، فصاحوا فيهم : « هل استخلصتم من الطائرة كل شيء ! »

وردت الحقول أصواتهم ..

وأصبح القبر عميقا جدا ، فإن الشيخ كان يقول للحافرين كلما توقفوا : « امضوا في الحفر» .. وراح رجل بارز عظام المنكبين يصنع صليبا ، ثم تمتم :

– أليس من الغريب أننا لا نستطيع أن ننقش اسما على هذا الصليب ؟

فقال رجل آخر : « انقش اسمك ! » .

وظلت سمرا تنتظر والدها الذي كان آخر من انصرف من القبر .. إذ راح يحثي التراب بيديه ويضغطه قائلا : « هكذا يظل القبر مغلقا وفي مأمن .. في مأمن من الريح يا سمرا ، ومن وحوش الغاب ! » .

وقالت له أخيرا : « لقد أظلمت الدنيا يا أبي، هيا » .

* * *

وفي أواخر الليل ، رأى الأب وابنته أضواء في الحقول ، فسألا : ألا تزال الطائرة تحترق ؟.. وسارا إلى البقعة التي سقطت فيها الطائرة ، ولكن النار كانت قد أتت عليها وخبت . بيد أن نفرا من الرجال راحوا يفتشون في الحطام ، وهم يرفعون مشاعل لتبديد الظلام .

وقال الشيخ : « ما شيء باقي ! » .

ولكن الريح حملت صوته بعيدا عن المرأة التي كانت تسير بجواره منكسة الرأس . ■■



بقلم الدكتور محمود السمرة

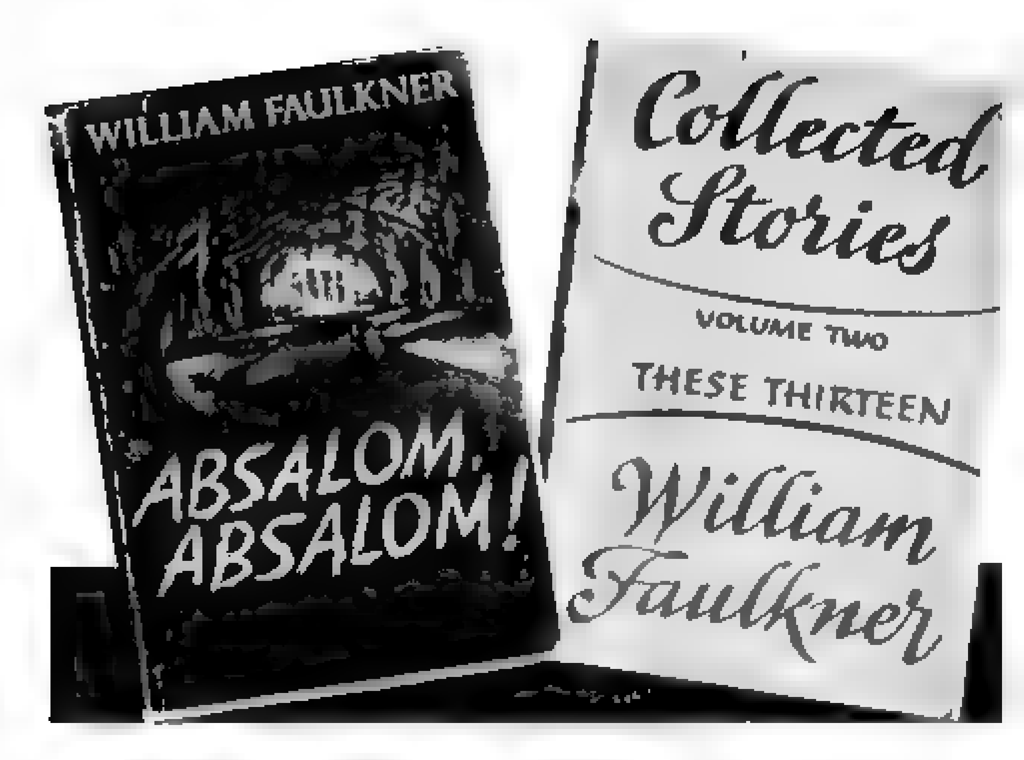
● في يوم الجمعة ، وفي السادس من شهر يوليه (تموز) من عام ١٩٦٢ ، توفي الكاتب الأمريكي الشهير وليم فوكنر Faulkner عن أربعة وستين عاماً ، وبعثت وكالات الأنباء في ذلك الحين أن الكاتب الكبير قد توفي بنوبة قلبية لم تمهله ، بينما كان في بيته بأكسفورد المسيسبي . ولكن السر الذي حاولت عائلة فوكنر كتمانه ، لم يلبث أن ذاع على لسان سائق السيارة التي نقلت جثمانه من مصح قريب لمدمني المشروبات الكحولية والمخدرات إلى بيته . ومن هذا السائق عرف العالم أن الأديب العبقري الذي قضى حياته مغامراً لا يهمه الحياة ، وجد نهايته أيضاً على يديها .

رابع أديب أمريكي نال جائزة نوبل

وفوكنر هو رابع أديب أمريكي منح جائزة نوبل للآداب ، وقد منح هذه الجائزة في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٤٩ . أما الذين نالوا هذه الجائزة من الأمريكان قبله فهم : الكاتب القصصي سنكلر لويس Sinclair Lewis (١٩٣٠) ، والكاتب المسرحي يوجين أونيل Eugen O'Neill (١٩٣٦) ، والكاتبة القصصية بيرل بك Pearl Buck (١٩٣٨) .

بين المديح والقدح

وفوكنر من الأدباء الذين اختلف النقاد حولهم كثيراً : فالمنتقصون من قدره يرون أنه يغرق في البلاغة العرجة تثقل على القارىء ، كما يرون أنه غامض غموضاً يجعل من العسير قراءته . وهذه



حفلة دعت احدى قريباته الى ان تسأله قائلة . « قل لى ، يا وليم ، أتراك تكتب قصصك وانت ثمل ؟! » .

أما المعجبون بأدبه فيزعمون ان العيب ليس فى أدب فوكنر ، بل فى ناقديه العاجزين عن فهم طبيعة عبقريته .

وهذا الناقد الشهير الن تيت Allen Tate وهو الذى لم يكن يستلطف فوكنر كانسان ، رثاه عند وفاته فقال : « ان فوكنر اهم كاتب قصصى انجبته الارض الامريكية منذ وفاة هنرى جيمس عام ١٩١٦ . وهو فى رأيى اكثر اصالة ، واعمق معنى من معاصره ، ارنست همنجواى ، الذى فاقه شهرة » (١) .

وبمثل هذا القول رثاه الرئيس كندى فقال « اننا نودع اليوم اديبا ما شهدت له بلادنا نظيرا منذ هنرى جيمس » .

وفى رأينا ان فوكنر يقف وسطا بين مغالاة القادحين والمادحين : فهو قد انتج سبع عشرة قصة واحدى وسبعين اقصوصة ، تتسم كلها بالعمق ، واصالة الاسلوب ، وتنوع الشخصيات ، والفكاهة القاتمة ، والهول . ولكن هذه بمجموعها فى الوقت نفسه لا تعبر عن وجهة نظر واضحة متطورة للكون والانسان ، كما هو الحال عند ارنست همنجواى .

شذوذ العبقرية

ولعل السبب الذى جعل الكثرة الساحقة من النقاد لا تحفل بفوكنر هو شذوذ شخصيته : فقد عاش حياته محبا للعزلة ، كارها للمجتمعات ، وخاصة مجتمعات الادباء والمثقفين ، وكان يقول عن نفسه دوما « اننى لست سوى مزارع ، ولا صلة لى بالادب» . وقد بلغ من كراهيته للمجتمعات ان رفض حضور حفلة العشاء التى اقامها الرئيس كندى تكريما لحائزى جائزة نوبل من الامريكان .

وكان اذا اضطرته الظروف الى الالتقاء بجماعة من الادباء ، ينكمش على نفسه ، وتصدر عنه

(1) New Statesman, 28 Sept. 1962

بين ثنين هواجر عبارات القسية اقل دلالة واضحة على اضطرابه . ولكنه لنا خلالا الى تصرفاته من الزارعين البسطاء ، ورفاقه في صيد الحيوانات البرية ، كان ذلك الرجل المرح ، الواسع الصدر والمحدث اللبق الذي لا يمل المرء الاستماع اليه .

ويبدو الشذوذ واضحا في شخصية هذا الكاتب الكبير ، القصير القامة (طوله ١٦٢ سم) ، انه كان يمر أحيانا بأصدقائه مرارا وهو يطوف في شوارع السفورد ، فلا يحاول ان يحييهم او ان يكلمهم ، وقد يحتجب من مقابلتهم شهورا . وهذا هو ما دعا أحد رجالات بلدته الى ان يعلق بعد فوز فوكنر بجائزة نوبل قائلا : « ان فوكنر هو ابن السفورد الشهير ، ولكنه ليس ابنها الاثير » .

مدمن بنت الحان

ولعل مما زاد في ضيق الناس بفوكنر ، انه كان سكيرا لا يترك الكاس حتى يتخمه السكر . وكان منذ شبابه الباكر يجرى خلف الويسكي بدلا من ان يسعى الى تحصيل المعرفة ، ولهذا فانه لم يتعد في تحصيله العلمي السنة الاولى في الجامعة . وقد بلغ من سيطرة الخمرة عليه ، وتحكمها فيه ، انه كاد يتأخر عن الموعد المحدد لتسلمه جائزة نوبل في ستوكهلم ، لو لم يصح من نوبة السكر قبل الموعد المحدد بيوم ، ويسارع الى استقلال اول طائرة .

يكره المخترعات الحديثة

وهناك جوانب حياة الصاخبة تعز على التفسير . ففوكنر كان يكره الطائرات والتلفونات وكل المخترعات الحديثة ، التي كان يرى فيها تشويها للطبيعة . واذا كان الكاتب القصصي الانجليزي دكنز يرى ان جمال الطبيعة الانجليزية قد بدأ بالافول منذ اخترع القطار ، فان فوكنر يرى ان سحر الطبيعة في امريكا قد تبدد باختراع السيارة .

فرنسا هي التي اكتشفت فوكنر

وفوكنر شبيه بالكاتب الايطالي المعاصر اجناسيو سيلوني Ignazio Silone ، فكلاهما اشتهر اولا خارج وطنه ، ثم انتقلت شهرته بعد ذلك الى وطنه . وكان الادباء والنقاد الفرنسيون هم اول من ادرك قيمة ادب فوكنر ، وذلك منتصف العقد الرابع من هذا القرن .

ولعل السبب الذي جعل ادباء القارة الاوروبية يعجبون بفوكنر ، هو انه كان يعبر عن الازمات النفسية التي كانوا يعيشونها : فقد نشأ فوكنر في المسيسبي مشدودا الى الماضي القريب بما فيه من ارستقراطية قد اوشكت على الانقراض ، وناقما على الحاضر ، وما احدث من تغيير في تلك الارض البكر . وهكذا عاش فوكنر طيلة حياته ناقما على هذه الفترة التاريخية من حياة بلاده .

وكان الادباء في اوروبا يحسون بمثل هذا ، وان كانت بواعث الاحساس مختلفة . فقد شهد ادباء القارة الاوروبية اهوال الحرب العالمية الاولى ، وما تلاها من ازمات اقتصادية ، كما شهدوا سيطرة الآلة على كل مرافق الحياة ، حتى راوا ان هذه الآلة قد سحقت بين عجلاتها انسانية الانسان . ولهذا كره اولئك الادباء عصرهم ايضا ، وعبروا عن هذه الكراهية في ادبهم . وشعر الشاعر السويدي اريك لندجرين Erik Lindegren خير مثال على هذه الروح التي كانت سائدة(٢) . وقد كان هذا الشاعر شديد الاعجاب بفوكنر .

سارتر ينتقد فوكنر

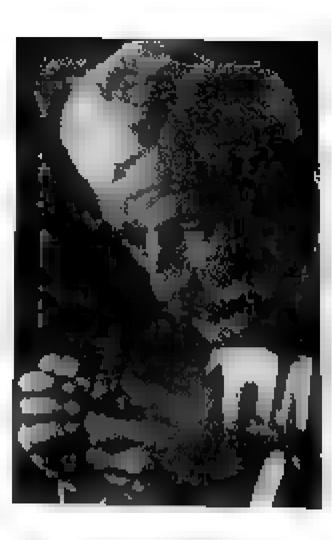
ولكن هذا لا يعني ان الاعجاب بادب فوكنر في اوروبا كان اعجابا عاما ؛ فهناك من وجهوا له نقدا في الصميم ؛ وفي راي سارتر Sartre ان فوكنر اديب موهوب ، ولكن عيبه انه يرسم للانسان صورة قاتمة « فهو يعيش دوما في الماضي ، باحثا من المستقبل ، فهو ذو ماض ، ولكن ليس له مستقبل » .

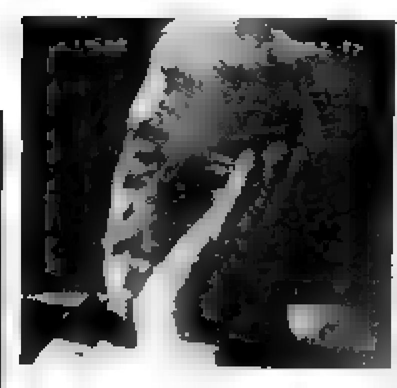
والواقع ان الحياة في كتابات فوكنر تبدو لنا كما تبدو الطريق لراكب سيارة تنهب الارض ، وقد ادار ظهره لسائقها .

---

(٢) عنوان ديوانه الذي نظمه ما بين عامي ١٩٣٩ و ١٩٤٠ هو :
Mannen Utan Vag (Man Without a way)

فوكنر في لحظات تأمل وتفكر







عالم فوكنر : بين الحقيقة والأسطورة

وأحداث قصص فوكنر تقع في مقاطعة أسطورية أسماها « يوكنابتوفا Yoknapatawpha » وجعل قصبة لها مدينة أسماها (جفرسن) . وهذه المقاطعة بقصبتها منطقة أسطورية وحقيقية في آن واحد ، بحيث يصعب فرز الحقيقة من الأسطورة. ويوكنابتوفا هي مقاطعة لافاييت في الواقع ، وجفرسن هي أكسفورد بلدته ، غير أنه يصور في قصصه حياة هذه المقاطعة من الجنوب الأمريكي بما فيها من هنود حمر ، وعبيد ، وأرباب مزارع، وعصابات ، ومحاربين قدماء وعجائز ، ومستغلين، ووعاظ ، ومحامين ، وأطباء وفلاحين . انها قصص عامرة بعشرات الشخصيات الحية ، ويعرض فيها فوكنر تاريخ المقاطعة بما فيها من عذاب ومقاساة وألم ، ولكنه في الوقت نفسه تاريخ حافل بالولاء والمحبة .

ومن تربة هذه المقاطعة السوداء الغنية ، خلق فوكنر تربة أكثر سوادا ، وأناسا يهوون بفؤوسهم على الأشجار المعمرة ليقطعوها ليبنوا مكانها بلدا أو دربا ، وبهذا يسلبون التربة الخيرة جمالها ، ولكنهم لا يلبثون هم أنفسهم أن يتحطموا تحت ضربات المجتمع القاسي ، أو تدمرهم قوى شريرة كامنة في أعماقهم .

البيض والسود : كلكم لآدم وآدم من تراب

ومن الموضوعات الكثيرة الورود في كتابات فوكنر شعور الرجل الأبيض بالألم تجاه الرق . ونحن نقرأ مجموعته القصصية « انزل يا موسى » (3) التي صدرت عام ١٩٤٢ ، فنحس فيها بما يشين علاقة البيض بالسود من ظلم . ان فوكنر في هذه المجموعة يقول لنا ان الموقف الصحيح من الطبيعة لا بد أن يؤدي الى موقف سليم من الزنوج . وقد بلور هذه الفكرة توضيحا في قصته « متطفل في التراب » (١٩٤٨) (4) حيث يصور بطريقة مؤثرة ما يدور بين شيخ زنجي وصبي أبيض من علاقات، ثم يبين لنا كيف ينتهي الأمر بالصبي الأبيض أن ينظر الى الشيخ الزنجي كإنسان مساو له . وهذه القصة تذكرنا بقصة مارك توين الشهيرة « هكلبري فن » .

وفي رأي فوكنر أن الاختلاط بالزواج بين البيض

(3) Go Down, Moses. (4) Intruder in the Dust

والسود يرهب بيض الجنوب ، اكثر من نوازل العوارك الاجتماعية . وقد حاول معالجة هذه العقدة المتمكنة من نفوس بيض الجنوب بالتأكيد على النص الاسلامي الكريم « كلكم لآدم وآدم من تراب » ، وتنمية المحبة الانسانية في نفوس البيض .

وله في المرأة رأي غريب

ولفوكنر رأي في المرأة عجيب ، اقل ما يقال فيه انه رجعي ، وهو رأي شبيه برأي ابن المقفع فيها : فالمرأة عنده عاجزة عن التفكير ولهذا فهي تحكم على الاشياء في ظواهرها ، وهي لا تؤمن بالخلق القويم ولا بالشرف الرفيع ، ولهذا فهي تستمرئ الخيانة ، وهي تستمتع بضرب الرجل لها بين حين وآخر، وهي تستخدم مفاتنها للوصول الى اهدافها ، وهي اخيرا مضيعة لمستقبل الرجل محطمة لحياته . هذه هي صورة المرأة في ادبه .

روائع اربع

وخير قصص فوكنر التي تعرض لنا هذه المعاني السابقة كلها اربع هي :

« الصخب والعنف » ، « والحرم » ، « النور في آب » ، و « ابشالوم ، ابشالوم ! » (٥) .

وقصة « الصخب والعنف » في رأي اكثر النقاد هي خير ما كتب فوكنر بل انها في رأيهم احدى روائع القصص التي كتبت في القرن العشرين ، وهي قصة عائلة انكفأت على نفسها لتعيش حياتها في الماضي ، وهي بهذا صورة صادقة لحياة الجنوب الامريكي ، ولحياة فوكنر نفسه الذي نشأ في بيئة طغى فيها الماضي على الحاضر ، حيث ما زالت فيها الحرب الاهلية تستثير اذهان الشباب وكأنها ما زالت قائمة . وقد نجم هذا الشعور عن استماع الشباب الى احاديث الكبار عن ماضي الناس ؛ ولكن لم ينقض بانقضائه ما فيه من بطشه وشحنائه، وما زال الحقد والثأر يغليان فيه .

وقصة « الحرم » هي التي اكسبت فوكنر شهرته في بدء حياته الادبية . ويروي فوكنر في مقدمته لها انه سأل نفسه يوما : ما الذي يجعل القراء يقبلون على كتاب ما ؟ ولما وجد الجواب عن سؤاله كتب قصة فيها هول ورعب ، وهي قصة اغتصاب مجرم فيه شذوذ جنسي لطالبة فتية . ولما ارسل هذه القصة الى الناشر جاءه رده وفيه يقول : « رباه انني لا استطيع ان انشر هذا الكتاب، لأن كلينا سيسجن ان فعلته » . ولكنه فوجيء عندما وصلت اليه من الناشر ملازم الكتاب .

وقصة الحرم بكلمة موجزة تهجم على كل ما هو عصري وحديث .

وقصة النور في آب » دعوة الى ان يعامل الناس بعضهم بعضا بالحسنى ، وان يتفهموا ازاء ما في الانسان من ضعف ونقص ، وهم ان لم يفعلوا هذا ، مهدوا السبيل لضروب الاضطهاد والعسف والشذوذ والعنف .

وقصة « ابشالوم ، ابشالوم ! » من روائع فوكنر دون شك . وقد قدم فوكنر لها بمقدمة غريبة : فقد رسم خريطة كتب تحتها التعليق التالي

« مقاطعة جفرسن ، مسيسبي . المساحة ٢٤٠٠ ميل مربع . السكان : البيض ٦٢٩٨ والسود ٩٣١٣ نسمة . صاحبها وربها الاوحد : وليم فوكنر . »

وهذه القصة تدور حول العداوة القائمة بين السود والبيض . وهي قصة تنبض بالحياة والحركة المستمرة . انها اشبه بدوامة تدور فيها الاحداث والاشخاص بعنف . والجمل فيها طويلة، وقد تطول الجملة الواحدة فتبلغ الصفحة او اكثر.

* * *

لقد تمنى فوكنر على الله في حياته امنية واحدة ، وكانت هذه هي امنيته :

« لو كان لي ان اعود الى الحياة بعد الموت ، فانني اتمنى ان اخلق طائرا من الطيور التي لا نفع منها : لا يكرهها او يحسدها احد ، ولا يحتاج اليها او يرغب فيها احد . ولا تلزمها اية اخطار، ويكفيها اي شيء لتقتات به » .

وقد كان هكذا في حياته عازفا عن كل ضروب المجد والشهرة . ■■

محمود السمرة

(5) The Sound and the Fury , Sanctuary , Light in August; Absalom, Absalom !



ابو الحسن الحصرى القيروانى

محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى — مكتبة المنار — تونس

● كتاب عن ابي الحسن الحصري القيرواني ، من ابناء القرن الخامس الهجرى . وهذا الكتاب يبحث في عصره ، وحياته ورسائله .

كنوز العلم في اسئلة واجوبة

وليم فرجارا — ترجمة الدكتور سيد رمضان هدارة والدكتور محمد جابر سليم
مؤسسة فرنكلين ودار النهضة العربية

● يجيبك هذا الكتاب عن : هل امطرت السماء سمكا ؟ هل تصاب الحشرات بالامراض ؟ ماذا تعنى النظرية النسبية لاينشتين؟ ماذا يسبب مرض الصلعية ؟ ما السبب في زرقة السماء ؟ .. الخ

سويسرا .. شعبها وارضها

براجسون — ترجمة كمال الملاخ
مؤسسة فرنكلين ومكتبة الانجلو المصرية

● هذا هو الكتاب الرابع من سلسلة « حول العالم في كتب » ، وهي سلسلة تستهدف ان تمحو الحدود بين الثقافات ، وتفتح النوافذ بين اقطار العالم .

نفط الكويت

اعداد ادارة شؤون النفط العامة — الكويت

● يتضمن هذا الكتاب ما يلي :

لمحة جغرافية وتاريخية عن دولة الكويت ، صناعة النفط ، ايرادات النفط ، سياسة الدولة تجاه النفط . هذا بالاضافة الى الرسوم البيانية وخريطة امتياز الشركات .

ربكا

كيت دوجلاس ويجن — ترجمة محمود عزت موسى
مؤسسة فرنكلين ومكتبة الانجلو المصرية

● تتمثل في هذه القصة الوان ومظاهر شتى من حياة الطفولة والشباب ، واحلام الصبا وبدواته ، وصور من حياة الاسرة والمرأة الصبور الفاضلة ، والمرأة الرقيقة الفياضة بالعاطفة النبيلة .

الاقتصاد الافريقى

دكتور محمد رياض والدكتورة كوثر عبد الرسول
دار النهضة العربية — القاهرة

● « ليس هذا الكتاب كتاب اقتصاد بحت عن افريقيا ، انما هو كتاب يعنى بالنشاط البشرى من اجل توفير الغذاء ، ويعنى بدراسة سلبية الطبيعة او ايجابية الانسان او بالعكس .. » .

عاشق الظاهر

جورج كيلي — ترجمة كامل يوسف — مؤسسة فرنكلين ومكتبة الانجلو المصرية

● يرى بعض النقاد ان هذه المسرحية هي احسن ملهاة تخرج من قلم امريكى الى الآن .

الشراره الاولى

مراد السباعي ، وزارة الثقافة والارشاد القومي دمشق

● مجموعة قصصية فيها : الشرارة الاولى ، القارب ، قبور تتزاور ، هروب من المدينة ، العودة ، سجين القدر ، معركة ..

مجنون ليلى

الدكتورة عاتكة الخزرجي ، القاهرة

● مسرحية شعرية ذات خمسة فصول .

دكتور سبوك يتحدث الى الامهات

سبوك . ترجمة عايدة ابادير وسعد الجلاوي
مؤسسة فرنكلين ومكتبة الانجلو المصرية

● لا يقتصر الؤلف في هذا الكتاب على النفسيات بل يمس في بعض الصفحات مشاكل مرضية وصحية ، مثل التبول الليلي ، وفوائد الهواء النقي ، وفوائد ومضار اعطاء الحلوى للاطفال ، ومشكلات الشهية للطعام ..

كيف تلقى درسا

معروف زريق : دار الفكر للتربية الحديثة
دمشق

● دراسة علمية واقعية لاصول التدريس في المدارس الابتدائية ، تطلع المعلم على احدث الاتجاهات في التربية والتعليم .

محركات الديزل

ليتس . ترجمة الدكتور حسن محمد السيلحي
فرنكلين ومكتبة النهضة المصرية

● كتاب يشرح محرك الديزل ، والمحرك ذا نسبة الانضغاط العالية الذي يستخدم الوقود الغازي .

ابن ابي ذدع

عبد الله كنون . دار الكتاب اللبناني . بيروت

● ابن أبي ذدع احد مشاهير رجال المغرب ، وهذا بحث في تاريخه واثبات انه هو مؤلف كتاب « الذخيرة السنية » .

مذكرات مراهق

رشاد دارغوث . دار الريحاني . بيروت

● « هذه المذكرات كتبتها منذ عهد بعيد ، بعد ان استمعت الى مراهق يسردها علي مسمعي بانفعال وحرقة ثارت بهما ، املا ان يقرأها اولادي واولاد الامة جميعا ، فيروا الفرق بين النعيم الذي يعيشون فيه اليوم ، وبين الشقاء الذي عاناه ويعانيه سواهم .. »

الكويت باقلام نخبة من الكتاب العرب

دار الكاتب العربي . بيروت

● مجموعة من المقالات المنشورة عن الكويت .

ادب المغتربين

الياس قنصل . وزارة الثقافة والارشاد القومي
دمشق

● كتيب«ادب المهاجرين العرب الى الامريكتين» يتناول فيه مؤلفه : المغتربون الاوائل ، الصحافة، الرابطة القلمية ، العصبة الاندلسية ، الرابطة الادبية ، ادب الشمال ، ادب الجنوب ، في سبيل العيش، جزاء الادب ، مصير ادب المغتربين.

قصة الكهرباء

فريمان . ترجمة الدكتور محمد احمد قمر .
فرانكلين ومكتبة الانجلو المصرية

● سيعرف القارىء لهذا الكتاب ما تعمله الكهرباء في مصباح الجيب ، والمكنة الكهربائية ، والسيارات ، والمصانع ، والاقمار الصناعية .

فريسة ابي ماضي

بولس بن راشد العزيزي . عمان

● دراسة للشعر في البادية .

حياة الفنان عبد الوهاب ابو السعود

عادل ابو شنب . وزارة الثقافة والارشاد القومي
دمشق

● عبد الوهاب ابو السعود فنان موهوب ، برع في الرسم والتمثيل ، وهو رائد الفنين في سورية .

وقد ولد عبد الوهاب ابو السعود في مدينة نابلس عام ١٨٩٧ وتوفي عام ١٩٥١ .

تاريخ الآلة والتصنيع وتطوراتهما

جميل كته . حلب

● كتاب يبحث في تاريخ الآلة واسم ومكان مخترعيها ، وتاريخ وصولها للشرق الاوسط ، واسم من جلبها واستعملها لاول مرة بحلب .

المهدى والمهدية

عبد الرزاق الحسنى ـ مطبعة العانى ـ بغداد

● نظرة فى تاريخ العرب السياسى .

النظام الدولى والسلام العالمى

كلود ـ ترجمة الدكتور عبد الله العريان ـ فرنكلين ودار النهضة العربية

● كتاب يعرض كفاح الانسانية من اجل اقامة نظام دولى ، وسعيها نحو السلام العالمى .

فن الصحافة

رفيق المقدسى ـ وزارة الثقافة والارشاد القومى دمشق

● من فصول الكتاب : الصحافة اليومية ، الصحافة والتجارة ، الصحفى الناجح، الصحافة والجمهور ، الصحافة والحرية ..

العلوم فى المدرسة الابتدائية

كريج ـ ترجمة الدكتور محمد صابر سليم ـ فرانكلين ودار القلم

● المؤلف استاذ بكلية المعلمين بجامعة كولومبيا، وهو هنا يعرض الآراء والتوصيات التى اتفق عليها السواد الاعظم من الباحثين حول تدريس العلوم فى المدارس الابتدائية .

ربيعة العراق جزءان

عبد الرزاق الحسنى ـ مطبعة بغداد

● يبحث الجزء الاول فى تاريخ العراق العربى، ويصور الجزء الثانى الى تكوين رأى عام عربى .

عباقرة العلم

فيليب كين ـ ترجمة اديب يوسف ـ وزارة الثقافة والارشاد القومى دمشق

● فى هذا الكتاب دراسة لخمسين عالما ، منهم: فيثاغورس ، اقليدس ، ابقراط ، سقراط ، ارخميدس ، جاليليوس ، هارفى ، نيوتن .

شتاء فى الربيع

جورج قاحوري ـ لبنان

● مجموعة قصص منها : شتاء فى الربيع ، ثوبه اسمه الحب ، السرير المعزول، بنت اوادم..

الفجر الراقص

عبد السلام حافظ ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة

● ديوان شعر صدّره شعرا الاستاذ احمد رامى .

العيون الخضر

عمر ابو قوس

● ديوان شعر من قصائده : عيناك ، شاعرة ، الطائفة الصغيرة ، فراشة الشاعر ..

حيث لا رجوع

الجزء الثانى: جون ماركاند ـ ترجمة احمد عرابى مراجعة سميرة عزام ـ فرانكلين والمؤسسة الاهلية، بيروت

● قصة طويلة للكاتب الامريكى الشهير ، وقد حولت هذه القصة الى تمثيلية،وقد مثلت بنجاح على مسارح برودواى .

جدار العار

عبد الله الشيتى ـ دمشق

● مجموعة قصص منها : خبز وصورة ، الامتحان الاخير ، صندوق الاحلام ، امرأة فى النار ، اجازة ليوم واحد ..

كفاح الشعب العربى السورى (١٩٠٨ ـ ١٩٤٨)

الرائد احسان هندى ـ منشورات ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوى ـ دمشق

● دراسة تاريخية عسكرية فازت بالجائزة الاولى لمسابقة الابحاث القومية والعسكرية لسنة ١٩٦٢ .



أتبيع زوجتك الشريفة وأولادك الأربعة

من أجل امرأة لعوب .. لا وفاء لها ؟

● أرجو عفوك وصبرك ، كما أرجو نصيحتك

أنني زوج [illegible] على درجة عالية من الشرف والأخلاق الفاضلة ، ولي منها أربعة أطفال [illegible] لكنها غير جميلة ، كما أنها متوسطة الجمال [illegible] فضلا عن أنها [illegible] إلى درجة تجعلني أنسى كل فضائلها ، وأكرهها ، وأكره أولادي منها

[illegible]

[illegible]

الحبس الاحتياطي ..
بين حرية الفرد وتحقيق العدالة

● [illegible] في بعض الأحيان [illegible] أسباب [illegible] هذا المتهم [illegible] الحبس الاحتياطي [illegible] الحبس الاحتياطي ، [illegible] من الأعداء على حرية الفرد أو تقييدها ؟

سمير فوزي — طرابلس

— الحبس الاحتياطي تقييد لحرية الفرد ، وليس اعتداء عليها ، أباحه القانون وقصد به الشارع لتحقيق العدالة ، خوفا من فرار المتهم بجناية أو جنحة ، مما يحدده قانون العقوبات ، أو خشية تأثيره على جميع الأدلة التي تثبت إدانته.

ويصدر الأمر بالحبس الاحتياطي أول ما يصدر من النيابة العامة ، ثم بعد ذلك من القاضي الجزئي ، وأخيرا من «غرفة المشورة» التي تتألف عادة من ثلاثة قضاة .

أما النيابة العامة فلا تملك حبس أكثر من أربعة

بمجرد اتمام الزواج ترك زوجها نهائيا ، وتزوجها هو ، فقد بدا كلا منهما يحب صاحبه حب عبادة ، وقد نسيا هذين الماضي لزوجين لا يعيشان الا مجد الزواج ... وقد حسبت على القرآن الكريم ان يظل كل منا مخلصا للآخر حتى الموت !

الآن ... يعيش ... على ... كلما تذكر ... حين ... زوجته ... على ... زوجها ... مطلقها الحالي ... وزوجته ... بعد ... ، وعاشت معه ... سنوات ... في حادث ، ... الى زوجها الأول ... ولديها ، مع انه يكبرها بحوالي خمسة وعشرين عاما !

... الذي يوقعه ... وسكرة

« المنتظر ـ دمشق »

ـ صديقي انكما ـ انت وصاحبك ـ شخصان لا خلاق لكما ولا وفاء !

هي تترك زوجها الأول ، وطفليها ، لتتزوج رجلا من غير دينها ، وانت تريد ان تترك زوجتك الفاضلة ـ باعترافك ـ واولادك الاربعة ، لتتزوج من امرأة لعوب ، تغير ازواجها بنفس البساطة التي تغير بها فساتينها او احذيتها !

هي مطلقة من زوجها ومع ذلك تقيم معه في مسكن واحد ست سنوات ، ولا مانع ان تكون خليلة لرجل آخر ... هو حضرتك ! وانت تخون زوجتك وتبيع اولادك من اجلها ، هي التي باعت زوجها الأول واولادها من اجل رجل آخر ، لا بد انها كانت خليلة له قبل ان تتزوجه !

كلاكما من طينة واحدة .. فهي لا تصلح الا لك ، وانت لا تصلح الا لها ..

فتزوجها .. وانا على يقين من انها لن تحفظ لك عهدا او تصون لك عرضا .. فستظل خيانتك منها قريبة الى جحيم لا يطاق .. ولسوف تتركك يوما ، ليس ببعيد ، لتهرب مع آخر اصغر منك سنا واوفر شبابا !

ومن يدري ، فقد تخونك دون ان تهرب ـ كما تخون انت زوجتك معها الآن ـ ودون ان تكتشف خيانتها ، كما لم تكتشف زوجتك بعد خيانتك !

واذا كان اسمها سيتزوج قريبا ، فمعنى ذلك انكما لستما شابين طائشين .. انتما لا ريب قد جاوزتما الاربعين .. اليس كذلك ؟ فهل يليق برجل مثلك جاوز الاربعين ان ينحدر الى مثل ما انحدرت اليه ، ويلقي بنفسه في الهاوية التي تريد ان تتردى فيها ؟

ثب الى رشدك يا رجل ، وعد الى زوجتك الفاضلة واولادك الابرياء ، وتب الى الله مما اقترفت في حقه وحقهم ، والا فالى عشرة سوء العمر ..

ايام (في القانون المصري) قد تمتد الى سبعة ايام « في القانون الكويتي » فاذا انقضت هذه المدة دون ان تنتهي النيابة من جمع الادلة واستيفاء التحقيق فعليها ان ترفع الامر الى القاضي الجزئي ليأذن بمد مدة الحبس ١٤ يوما ، قابلة للتجديد بأمر جديد ، لمدة ١٤ يوما اخرى ، وهكذا ، بحيث اذا لم ينته التحقيق خلال ثلاثة اشهر تعين على النيابة الى المحكمة الكلية التي تنعقد بهيئة « غرفة مشورة » لترى ان كان هناك وجه لاستمرار حبس المتهم او الافراج عنه بالكفالة او بالضمان الشخصي ، او صرف النظر عن محاكمته والافراج عنه بلا شرط .

ويجوز للنيابة ان تستخدم حقها في الحبس الاحتياطي مع المتشردين او المشتبه فيهم او الذين صدر لهم انذار من البوليس او الموضوعين تحت رقابته ، وذلك عند وجود قرائن على ارتكابهم جرائم او شروعهم في ارتكابها .. وفي هذه الحالة لا تتقيد بالشروط السابقة من ضرورة استئذان القاضي في مد مدة الحبس الاحتياطي .

وللمتهم المحبوس احتياطيا على ذمة التحقيق ان يعارض في امر حبسه ، بشروط اوضحتها قوانين تحقيق الجنايات او ما شابهها من قوانين الاجراءات الجنائية .

القتل بدافع الرحمة !

● قرأت في احدى الصحف أن سيدة ولدت طفلا برأسين ، ورحمة به حقنه الطبيب حقنة قضت عليه في الحال ، وذلك بدافع من انسانيته، وبرجاء من والديه ، انقاذا له من مستقبل مظلم وحياة لن يناله فيها غير الشقاء والعذاب .

فهل يقر القانون مثل هذا الفعل ؟ وهل يقره الدين الحنيف ؟

يوسف السيد حسين ـ العراق

ـ قد يبدو عمل الطبيب هذا عملا انسانيا في ظاهره ، لكنه في رأي الدين جريمة قتل نهى الله عنها : « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق .. » .

وهو في نظر القانون الوضعي أيضا جريمة ، وان كان المشرعون قد اختلفوا في وصفها القانوني، كما اختلفوا في عقاب مرتكبها ، وذهب بعض العلماء الى القضاء ببراءته ، بحجة أنه انما ارتكبها بدافع الرحمة ، وانقاذا لانسان معذب لا أمل في حياته ولا رجاء ..

على أن هذا الطفل الذي تذكر كان سبيله الموت لا محالة ، حقنه الطبيب أو لم يحقن . انما المشكلة تشتد عندما ينزل الوليد مشوها كأن يكون فاقدا طرفا من أطرافه . انه قد يعيش ، ولكن على العجز والشقاء .

لا مانع من زواجهما

● تزوج أحمد من آمنة ، ورزق منها بولد اسمه خليل ، ثم افترقا بالطلاق . وتزوج أحمد من زهرة وانجبت منه طفلا اسمه سعيد ، كما تزوجت آمنة من عبد الله وأنجبت منه طفلة اسمها سامية .

وبعد أن كبر الأطفال الثلاثة شاءت الأقدار أن يقع سعيد في حب سامية .

فهل يصح شرعا أن يتم هذا الزواج ، أي أن تزوج سعيد (وهو أخو خليل من والده) بسامية التي هي أخته من أمه ؟

فؤاد ابراهيم شبوب

ـ ليس هناك اي مانع شرعا من اتمام هذا الزواج لأن كلا من سعيد وسامية من أبوين مختلفين، وان كان خليل يشترك معهما في أنه أخو سعيد من أبيه وأخو سامية من أمها .

شكسبير لم ...

● كثر الحديث في هذه الشهور الأخيرة عن شكسبير شاعر بريطانيا الأكبر لمناسبة مرور أربعة قرون على مولده .. ولقد كان مما قرأت عن شكسبير في هذه المناسبة انه شخصية وهمية لم يكن لها وجود ، وان كل ما ينسب اليه من انتاج ادبي خالد انما هو من صنع رجل آخر اختلفوا في حقيقة شخصيته هو الآخر من يكون .. فهل هذا صحيح ؟

وهل صحيح أن شكسبير كان عربيا في خلقته وصورته وفي ادبه وصوفيته ، وان معظم قصصه مستقاة من الف ليلة وليلة أو غيرها من القصص العربية ؟

واخيرا ما هي أشهر آثار شكسبير واختصها بالخلود ؟

نادية شيرين ـ القاهرة

ـ القول بأن شكسبير شخصية وهمية لم يكن لها وجود ليس بالشيء الجديد ، وهو لا يختلف كثيرا عن القول بعروبة شكسبير .. كلاهما مجرد قول لم يقم عليه أي دليل ..!

ردود

● رفيق محمد ابراهيم محمود : مدرسة الشيلية ـ الكويت .

ـ بمكنك تسجيل طلبك أو اشتراكك بوزارة الـ... في القاهرة أو في بيروت .

● الحائرة ... دمشق

ـ شخص قريب من ... ، يختلف معك في عدائه ، ويتشاجر معك باستمرار ، وهو مهمل جدا لبيته ولصحته ، وجباه مصابتان بمرض ... ، ما الذي يحملك على حبه ، وأنت ـ كما تزعمين ـ من عائلة مرموقة ؟

اميرة علي ناصر : الصمة ـ الكويت .

الصدق شيء والصراحة شيء آخر ... هو ضد الكذب ، وهي ضد الابهام والغموض .. وهما صفتان حميدتان ، ولكن قد تتوفر في شخص ما ، احداهما دون الأخرى

● ح . أ . س : جدة

ـ تحديد الوصول وحده في هذه المسألة كي...

شخصية وهمية

فالقول بوجود شبه كبير بين ملامح شكسبير والملامح العربية لا يمكن ان ينهض دليلا على انه ينتمي الى اصل عربي .

والقول بان مسرحيات « عطيل » و « تاجر البندقية » و « مكبث » و « العاصفة » كلها ماخوذة عن « الف ليلة وليلة » او شبيهة بقصص « قمر الزمان » و « مسرور التاجر » و « الساحرات الثلاث » و « حكاية جزيرة الكنز » او ان « روميو وجولييت » مزيج من قصة « مجنون ليلى » و « قيس ولبنى » لكثرة ما جاء بها من عبارات مشابهة لعبارات وردت في هاتين القصتين .. كل ذلك لا ينهض هو الآخر دليلا على عروبة شكسبير، والا لادعاه الايطاليون مثلا او اليونانيون اذا صح ان معظم تلك المسرحيات ماخوذه فكرتها من اساطير يونانية او ايطاليه او دنماركية كما يزعم بعض النقاد !

اما اي روائع شكسبير احق من غيرها بالخلود ، فامر ما يزال موضع خلاف بين النقاد حتى الآن .

...صة

● شمس الدين الوسوي : الحي ـ العراق

ـ في مثل هذا الباب من العدد السنوي ، جواب ما تسأل عنه من فنار الاسكندرية وعجائب الدنيا السبع .

● يوسف محمد قاسم ـ العراق

ـ الزوج مسئول امام الله عن تصرفات زوجته التي يعلم بها ، فاذا ما خرجت مكشوفة الصدر او الظهر ، ورضي عن ذلك ، كان عنه مسؤولا .

> **الى هـ . هـ .**
> **التائهة في ارض الله**
>
> على اثر نشر رسالتك في العدد الماضي اتصل بنا كثيرون من اهل الخير ، يسعون الى مساعدتك ويعرضون استعدادهم للاخذ بيدك وتهيئة العمل المناسب لك .
>
> نرجو موافاتنا بعنوانك كاملا

● شهاب الدين احمد الجبوري ـ ناصرية ـ العراق .

ـ الانتساب الى الجامعات ممكن في الكليات النظرية فقط ، والاجازة العلمية التي يحصل

● محسن بن محمد الزهر ـ ظفار ـ سلطنة مسقط .

ـ تستطيع الزوجة المسلمة التي يسوء زوجها معاملتها ، او التي لا يكون زوجها امينا عليها ، ان تطلب من القاضي تطليقها منه .

● الطالب س . ص : حلب

ـ ان كنت تنشد مرضاة الله ورسوله كما تقول في خطابك فلا تطلق زوجتك ، فتجني عليها ماديا وادبيا .. وحتى لو كانت قد اخطأت فاصفح عنها واغفر لها يضاعف الله لك الثواب .

● شاكر فضل الله : اربد ـ الاردن

ـ صديقك مخطيء ، وانت على صواب ! فالاستاذ توفيق الحكيم مسلم . ولكن ماذا يمنعه ان يكون مسلما او مسيحيا !

● السيد محمد عدنان مرتضى : دمشق

ـ ليس في جوابنا خطر كما تقول . فيجوز للمسلم ان يتزوج من غير المسلمة ما دامت من أهل الكتاب ، دون اشتراط اسلامها . اما الآيات التي استدللت بها فتحرم زواج « المشركات » و « الكوافر » ، وليس الكتابيات بمشركات ولا كوافر ..

● الزواج ايجاب وقبول ، على اية صورة من الصور ، سواء اكان بالكتابة او بالقول او حتى بالاشارة ، او بغير ذلك مما تعارفت عليه طائفة او جماعة ، فكل ما يقع من هذا القبيل يتعقد به الزواج شرعا .

خليل صرصور : القامشلي

للمسلم ان يتعبد على اي مذهب شاء وليس في الاسلام ما يحتم على المسلم أن يتقيد بمذهب من المذاهب ، فالاصول واحدة ليس عليها خلاف.

عبد العزيز سعود حارب : مسقط

لا علاقة لقراءة كتاب « اسماء أهل بدر » وما اصاب صاحبك . ولا بد من عرضه على طبيب متخصص ، لان قراءة احد « الطلوعة » عليه لا تكفي .

صرخة وانة عذاب

● كثيرا ما ترددت وعاودت مثل الكتابة اليك [illegible] وسالني هذه صرخة ام وانة عذاب ، مستجيبة [illegible] عد ، الكرب بأكمله بدا لي ، [illegible] ، وحمدت ، و [illegible] في الزاوية والسكر والانعتاق [illegible] ترددت ! انسانيتي ، شخصيتي ، ارادتي ، كلها حجرتني ، وفي العالم الآخر أصبحت .. أليعد هذا أمرتي ؟! .. عجبي !

من يوم [illegible] بواعث مجهول ، [illegible] حياتي بالسرد ، ومستنقعي [illegible] حسب انسي وظيفة روتينية [illegible] مرتفعة ، نحوتها صخرة الأموات ـ كم [illegible] ! الا انها سبيل عيشي الوحيد ، والهدف دائما !

[illegible] ابتكل ؛ لا [illegible] في عالم التكوين السري [illegible] ! بأصابعي [illegible] على [illegible] واستبد [illegible] لا [illegible] من عظام ذهني [illegible] حساس مرهفة ونفس [illegible] مياهها !

تاثرت بالخيام واستعذب في [illegible] وسطه ، [illegible] حدود امكانياتي المحدودة ، وعلى ارفع مستويات الرخص والدمامة !

والمرء [illegible] تاثرت به [illegible] الى اعادة النظر في معتقداتي [illegible] فاصبر [illegible] وترعرعت اركانه ، بسبب ذلك الوريع الذي [illegible] في العالم !

كم [illegible] ومن الاعماق [illegible] بداية الاعداد [illegible] الذي [illegible] في [illegible] وحدتها [illegible] ، فلا احد له [illegible] كل ما احد [illegible] توصيات الحقائق ، فالقهر والالم !

كم اود [illegible] ان [illegible] على [illegible] وضع ، ولو [illegible] ان احاسيسي لا يمكن [illegible] ان يملاها ، فهي اكثر من الاوراق [illegible] ، واكثر [illegible] ذاتها ، من اي علم [illegible] كل [illegible] هو الاستعطار [illegible] لمعاناتي ، مع مراعاة [illegible] التعبير ، املا ان احد لديكم [illegible] ، علما باني لا [illegible] به مواساة [illegible] وشكرا

أ . م . أ

الكويت

ـ وانا كم كنت اود لو عرفت كم مضى من عمرك ، وما هو مبلغ ثقافتك ، لأعرف الى اي مدى تاثرت بالخيام وابي العلاء .. فانه ليخيل الي ـ ومعذرة اذا ما كنت مخطئا في تخيلي ـ انك ما زلت مراهق الفكر ، وان لم تكن مراهقا بالعمر ، وان دراستك لفلسفة الخيام وابي العلاء ليست الا دراسة سطحية وربما لم تعد قراءة قصيدة هنا او بيت من الشعر هناك ، فتأثرت بما فيهما من صور مظلمة ، لم تلبث ان لفتك ، وصبغت روحك بهذا اللون الاسود الذي غشى فكرك ، فجرى به قلمك !

م . بالنابع : الجنوب العربي .

اذا ثبت للزوج ، بيقين لا عن ظن وتخمين ، ان زوجته انما هي اخته في الرضاعة وجب عليه اعتزالها ، واعتبر الزواج فاسدا غير صحيح ، ولكنه لا يحتاج الى طلاق ، ولا تترتب عليه العدة كعدة الطلاق او الموت ، ويحسب الاولاد لابيهم الذي تجب عليه نفقتهم وتحتضنهم الام حتى تنتهي مدة الحضانة الشرعية ، ويرثون الاب كما يرثون الام ، ولكن الزوجين المفترقين لا يتوارثان .

فان تعاشرا بعد ذلك فهو الزنا . أما ما سبق فهي عرف الفقهاء من وطء الشبهة ، ويسقط معه الحد .

محمود محمد الحيمي . رام الله ـ الاردن

هذه عملية بسيطة يمكن اجراؤها بواسطة أحد اساتذة جراحة العيون بالقاهرة ، دون حاجة للسفر الى أوروبا .

ولكن في غير موجب او مبرر !

وكم كنت اود ايضا لو عرفت ما هي تلك « الوظيفة الروتينية السقيمة الرتيبة » التي تشغلها ، والتي تكرهها ، لعلي اجد في التفاوت بين ثقافتك وبين وظيفتك ، ما يبرر هذا السخط الذي تعبر به رسالتك ، والذي جعلك تعتقد ان الحياة قد ظلمتك ، وسلبتك حقا لا شريك لك فيه !

واخيرا اود لو انك سالت نفسك ، كما سالت انا نفسي قبلك عشرات المرات ومئاتها، وكما احب ان يسال كل ناقم على الحياة مثلك نفسه : من انت حتى تريد ان تنزل الحياة عند رغباتك ؟ انسيت انك ، مهما يكن من حسبك ونسبك ، ومن ثقافتك او عبقريتك ، لا تعدو ان تكون واحدا من ملايين الملايين من البشر عاشوا قبلنا ، وسيعيشون بعدنا ، واذا هم جميعا ، مجرد ذرة في صحراء لا اول لها ولا آخر ، وقطرة في محيط ليس له قرار !!

ان في الدنيا آلاف الملايين ، لا يجد الواحد منهم مثل تلك « الوظيفة السقيمة الرتيبة التي تملؤها صفرة الاوراق » ! بل ان منهم من لا يكاد يجد لقمة العيش الا ممزوجة بالعرق والدموع ، والتراب !!

الم يقع بصرك يوما وانت في الطريق الى عملك او الى منزلك ، على اولئك المساكين الذين يعملون في شق الطرق او رصف الشوارع او حفر الارض لانابيب المجاري ، تحت وهج الشمس المحرقة ، دون ان يجد الواحد منهم حتى شربة ماء مثلجة ، تبل ريقه وتطفىء ظمأه !!

باي شيء تراك تفضلهم او تمتاز عنهم ؟ لا تذكر الحسب والنسب من فضلك .. فكلنا لآدم .. وآدم من تراب .. ولا تقل انك تفضلهم بعلمك وثقافتك ، فذلك شيء لا فضل لك فيه ، ولا ذنب لهم في حرمانهم منه .. انه القدر ، كالموت ، سواء بسواء ، ليس لاحد منا جميعا فيه راي او ارادة ..

وصدقني .. انهم افضل منك ومني !

انهم يشقون طريقهم بين صخور الحياة ووسط اشواكها ، راضين قانعين ، غير عابئين بما تخلفه الصخور والاشواك فيهم من جروح او ندوب .. بينما ننعم نحن بالطعام الوفير والفراش الوثير ، والماء المثلج ، والهواء المكيف ، ومع ذلك تفيض قلوبنا بالحقد والنقمة والسخط على الحياة .. ولو اننا نظرنا الى من هم دوننا ، لسجدنا لله شكرا على نعمه ، ولوجدنا ان الحياة قد سخت علينا واعطتنا فوق ما نستحق !

والى ، لقائك مؤمنا ، ومستمتعا بالسكينة ، وسلام النفس وراحة البال ..

عبد الرحمن سالم عالية: مدرس بالكلية الزراعية، الطائف

الاذواق تختلف باختلاف البيئة ودرجة الثقافة والاغاني التي تعجبك قد لا تعجب سواك . والعكس صحيح

والفنانون الذين اشرت اليهم كانوا عباقرة بالطبيعة ، لا بالدراسة وحدها .. وكل ميسر لما خلق له

● عبد الله احمد يوسف : جدة

ـ النظارة التي تستعملها الآن لا ضرر منها ، وكذلك النظارات الشمسية .. حبذا لو استعملت ضوءا للعيون للوقاية من الشمس .

صالح عبد الله : الرياض ـ السعودية

نعم ـ يمكن اجراء جراحة لاصلاح الكسر وجبره جبرا صحيحا ، على ان يقوم بذلك اخصائي .

واذا لم تتيسر اجراء هذه الجراحة في الكويت، عليك بالقاهرة او غيرها ■■



من بين أنواع السجاير العديدة التي يفيض بها العالم،
يختار الرجل العصري سيجارة ڤايسروي - سيجارة الذوق المدقق!

ايسروي - السيجارة الأمريكية العالمية



القلم الذي يليق بالاختصاص

باركر ٦١

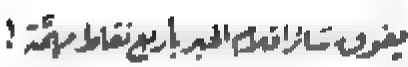


هل تذكر احدث موعد لتقديم هدية

اهديت هدية تذكارية ... باركر ٦١

ان قلم الحبر باركر ٦١ ابدع تصميم

لا يمكن مقارنته بأي قلم آخر، فهو نتيجة من البحوث والتحسينات للوصول اليه، ويدل على تقديرك العاطفة، انه قلم من نوع جديد تماما، وهو الذي يحتوي على نظام يحمل على الاوراق الكتابية، وذلك لانه ليس فيه اجزاء متحركة تتعرض للتلف من جراء الاستعمال ومع ذلك فان قلم باركر ٦١ يملأ نفسه بنفسه تماما، فهو الخاصية الشعرية الوحيدة التي تشرف كل مناسبة، قلم باركر ٦١ انيق.



يفوق سائر اقلام الحبر باربع نقاط مهمة !

انه لا يتأثر بالصدمات ابداً،
لان كمية الحبر ... اليه ... العنيفة

انه لا يرشح مطلقاً،
لان له خزانا ... يحفظ ترشح الحبر

انه سهل الاستعمال،
لانه ليس فيه اجزاء ... بالبيد، وبالتالي تتعرض للتلف من جراء الاستعمال

انه يملأ نفسه بنفسه.
لان الحبر ... قلم باركر ٦١ بالقوة الطبيعية المرتبطة ... الشعرية، وذلك بصورة تامة طبيعية. ...

منتوجات شركة اقلام باركر



في ضيافة آكلة لحوم البشر

هبط فريق من الرحالة احدى الجزر النائية ، فاستقبلوا بتهليل ، وانبرى من بين الأهالي شخص حدثهم بانجليزية ركيكة مرحبا بهم .. وما لبث ان اقبل عملاق ضخم ، اخذ يهز يد كل منهم ، متحسسا ذراعيه وساقيه ، ثم يحتضنه ولا يلبث ان يرفعه عن الارض قليلا ، ثم يرده اليها ..

واخيرا ، بدا عليه الرضى ، فابتسم .. وعلق احد الرحالة على الشخص الذي يلم بالانجليزية وسأله : « من يكون هذا ؟.. اهو الوفد لاستقبالنا رسميا ؟ » .

فاجاب الرجل : « انه مفتش الاغذية لدى الجزيرة ! » .

طريقة لاطالة الوجه !

● اتصلت السيدة بورشة اصلاح اجهزة التلفاز وشكت الى المسؤول ان جهازها به عطل . فسألها الرجل اذا كانت هناك اعراض مرئية لهذا العطل. فاجابت السيدة : ان وجه مذيع الاخبار يبدو طويلا .

فرد عليها المسؤول قائلا : اذا سمعت انت يا سيدتي باذاعة ما يحدث في هذه الايام فان وجهك ايضا سيكون طويلا !!



● وقعت فتاة من عائلة محترمة في حب متسول ، وطلبت منه ان يتزوجها فقال لها :

ـ لكي تثبتي بانك تحبينني يجب ان ترافقيني في انحاء البلاد نتسول سويا ، واذا فعلت ذلك فسأتأكد من انك تحبينني .

وبعد تردد وافقت على ذلك كي تثبت له حبها . وتزوجا وامضيا سنة كاملة وهما يتسولان من باب لباب . ولما انتهت السنة قال المتسول لزوجته :

ـ لقد مضت فترة التجربة وثبت حبك لي .. والآن يجب ان نترك التسول ونعيش في بيتنا حياة عادية .

فقالت الزوجة : « حسنا ، ولكن دعنا ننتهي من هذا الصف من البيوت اولا ! » .

بكِ تَبكِ وَمُدَك ..

ارستقراطية

فى معرض للكلاب ، سألت سيدة صاحب المعرض وهى تحمل كلبا :

« هل لهذا الكلب سلالة عريقة ؟ » .. فنظر اليها الرجل مستنكرا وقال :

« سيدتى ، لو استطاع هذا الكلب أن يتكلم لترفع فلم يتحدث الينا ! » .

تفكير يهودى

● كان الدرس حول « توماس اديسون » ومخترعاته العديدة .. وفى نهايته ، سأل المدرس تلامذه

— ما هو اكبر دليل على عبقرية اديسون ؟

وفكر الصغار طويلا، وما لبث أحدهم ان رفع اصبعه،واذن له المدرس بالكلام، واذ ذاك قال

— لقـد كان اختراعه الحاكى (الفونوغراف) هو اكبر دليل على عبقريته .. لانه يغرى الناس بالسهر والاستماع الى « الأسطوانات » .. وهذا يجعلهم يستهلكون كثيرا من التيار والمصابيح الكهربائية التى اخترعها اديسون نفسه .

له حق !

● تشاجرت الزوجة فى نهاية الأسبوع الاول من شهر العسل مع زوجها ، وكان ذا أنف ضخم مشوه . فقالت تعيره به :

— الا يكفيني انى احتملت انفك أسبوعا كاملا ؟

فاجابها بكل هدوء : « اما انا فقد احتملته ثلاثين عاما » !

معقول .. ؟!

فى ساعة متأخرة من الليل ــ رأى الشرطى رجلا ثملا يدور حول عمود مصباح الشارع ، وهو يحبو على يديه وركبتيه ، فسأله : « ماذا تفعل ؟ »

فاجاب السكران : « ابحث عن نقود وقعت منى »

ــ اين وقعت بالضبط ؟

ــ على الجانب المقابل من الشارع .

ــ فكيف لا تبحث عنها هناك ؟

ــ لانه لا يوجد نور هناك .

طموح

وقف كاتب انجليزى يخطب فى احدى الهيئات الامريكية،فاستبد به الزهو بانتمائه الى انجلترا، لدرجة دفعته الى ان يقول « لقد ولدت انجليزيا .. ولقد عشت انجليزيا .. وارجو ان اموت انجليزيا .. » .

فارتفع صوت من آخر القاعة يقول « يا الهى! .. انه لا يريد ان يتطور .. انه عديم الطموح!!».



(كوبون) ترفق مع الرد

الاسم ....

....

العنوان ....

....

....

سر العطف

● طلب الطفل من امه نقوداً ، فقالت له : « وماذا فعلت بالنقود التي اعطيتك اياها البارحة ؟ » .

فاجاب الصغير : « اعطيتها لامرأة عجوز مسكينة » .

وسرت الام لروح البر المبكر لدى ابنها ، فاعطته ما طلب . ثم ارادت ان تحسن حسن تصرفه ، فقالت « ولماذا اعطيت العجوز نقودك بالامس ؟ » .

فاجاب : « لانها كانت تبيع حلوى جيدة » !!



معقول

الزوج : كم يهمك الى تثبيت هذا الزر .. ها هو قد انفصل نهائيا .

الزوجة : سأثبته لك في لحظة ... لست ادري ماذا كنتم تعملون يا معشر الرجال بدوننا !

الزوج : كنا نحتاط للامر فنلبس اقمصة بدون ازرار .

بريد القــراء

(بقية المنشور على صفحة ٦)

الفكر العربي ليس عقيما

● جمعتني واياه فرص العمل . وطبيعة العمل المشترك مجلبة للفهم والآراء ، وما كان أسرع ما تكشف صاحبي عن آراء عجيبة ، لعلها منبثقة من طبيعة ثقافته الغربية ، فهو يدرس الأدب الغربي ، ويجهل ما سواه من التراث المتنقل العربي . وما أكثر من ينخلعون عن نطاق الأمة العربية وهم يعيشون في صميمها !

دخل صاحبنا فوجدني أناقش زميلا آخر في مسألة اعرابية ، فداخله من ذلك العجب ، وانكره ، وبدا يفصح عما يجيش في نفسه من أننا نحن العرب قد شغلنا أنفسنا بهذه الأمور ، دون أن نلتفت الى ما يجري حولنا من دوران سريع لعجلة الحضارة والثقافة والفكر ، وفاته ذلك ان أجدادنا رحمهم الله صنفوا المصنفات العديدة في مناقشة المسائل النحوية والأدبية وما اليهما ، دون أن يضيفوا جديدا في التراث الانساني ، فجاءت مصنفاتهم عديمة الجدوى ، وظل الفكر العربي مجدبا لم يأت بجديد في علم أو أدب ...

وأحب أن أقول لصاحبنا وأضرابه ، وهم مع الأسف كثيرون ، ان ثمة شيء ينكره علماء النهضة الثقافية الحديثة الغربيون ، فهم يعترفون أن كثيرا من مظاهر تلك النهضة انما قام على دعائم عربية ، واستمد جذوره العميقة من نبع الفكر العربي . وحسبك ما ذكره (غوستاف لوبون) في مؤلفه القيم (حضارة العرب) ، وهو



اعتراف صريح بفضل العرب على الحضارة الانسانية بعامة ، وعلى النهضة الغربية الحاضرة على الاخص ، فهو يذكر في كتابه فضل العرب ومدى ما قطعوا من اشواط بعيدة في شتى ميادين التقدم الفكري ، سواء في الثقافة او العلوم العملية والتجريدية او الاداب او الفن المعماري وما الى ذلك .

ثم اننا اذ نحكم على الثقافي في المسائل النحوية بالعقم نضع حائلا كثيفا وحجابا كتيما بيننا وبين ان نفهم تراثنا الفكري ونمثله ، ونحن احوج ما نكون الى ان نفعل ولئن اكثر حتى هذا التراث فلا يقلل ذلك من قيمته ولا ينزله من عليائه ، وقد مر عبر القرون المتطاولة بافواج من الافذاذ المفكرين ممن اقبلوا عليه واضافوا اليه ، بله التنكر له والاعراض عنه .

اني لانصح لصاحبي واضرابه ان يقرأوا قراءة موضوعية شيئا من هذا التراث حتى لا يحكموا عليه وهم جاهلون ، فالانسان عدو ما جهل !

دمشق — عمر الاسعد

.. شكرا

● ضمن التحقيق الصحفي عن مدينة سامراء جاء قول احد تجارها « ان من تعجب العجب انه لا يحق لنا ان نستورد اي شيء من خارج العراق الا عن طريق تجار بغداد .. الخ » .

والواقع ان انظمة الاستيراد في العراق توجب على من يرغب مزاولة الاستيراد ان يكون عضوا في غرفة التجارة التي تقع في مركز عمله ومن درجة معينة ومصنفا لديها . ولذلك فانه ليس صحيحا ان تجار سامراء ليس من حقهم الاستيراد مباشرة لان كل شخص له هذا الحق في اي مكان يزاول عمله فيه بمجرد ان ينتمي الى غرفة التجارة .

والحقيقة نذكر ان عددا من تجار سامراء هم اعضاء فعلا في الغرفة ومن حقهم الاستيراد اذا كانوا مصنفين في مديرية الاستيراد والتصدير العامة بصورة مباشرة لا عن طريق تجار بغداد . والغرفة ترحب بقبول انتساب الاخ المذكور اذا ما قدم طلب انتسابه .

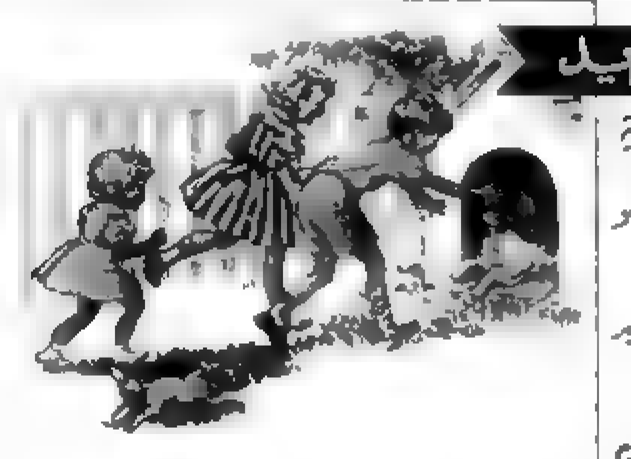
كاظم عبد الحميد الهيمص
المدير العام لغرفة تجارة بغداد

مدرسة الجيل الجديد

مدرسة ابتدائية مشتركة

روضة ـ ابتدائي

دراسة مسائية للأمهات



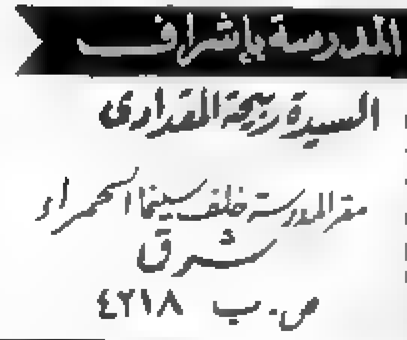
حدث على فهيل

أسلوب جديد في التربية

يبدأ التسجيل أول مايو
١٩٦٤

تبدأ الدراسة ١٥ سبتمبر
١٩٦٤

دراسة صيفية لامتحان
الدور الثاني
من ١/٧ ـ ١/٩/١٩٦٤



المدرسة بإشراف

السيدة ربيحة العدارى

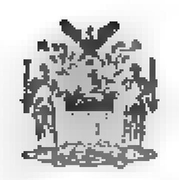
مقر المدرسة خلف سينما الحمراء
شرق

ص. ب ٤٢١٨

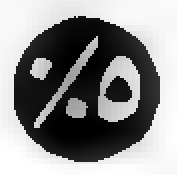




مؤسسة الأجهزة الألكترونية
تجارة عامة - استيراد - تصدير - وكلاء مصانع وشركات
وكلاء عامون شركة كاندى
غسالات عادية وأتوماتيكية
الكويت: ص.ب ٢٤٤٩ برقيا: ترانزستون



استقرار مالي
في حساب ودائع بفائدة



ان نقودك تكسب الحد الاقصى المأمون والأكيد من الفائدة ومقداره ٥ ٪ حينما تضعها في حساب ودائع مع بنك لومبارد المحدود . لن يتم اي خصم لضريبة دخل ، ان نقودك لا تتأثر ابدا بالاحوال الاقتصادية المتغيرة ومن السهل اجراء السحوبات ـ وفقا للشروط التي تضعها .

لكي تكسب ٥ ٪ سنويا ، فان الحد الادنى للايداع الاولي هو ١٠٠ جنيه والحد الادنى لمدة الايداع والاخطار بالسحب هو ستة اشهر . ان ودائعك في بنك لومبارد المحدود يدعمها راسمال مدفوع واحتياطي يزيد على ... ... ١٢ جنيه .

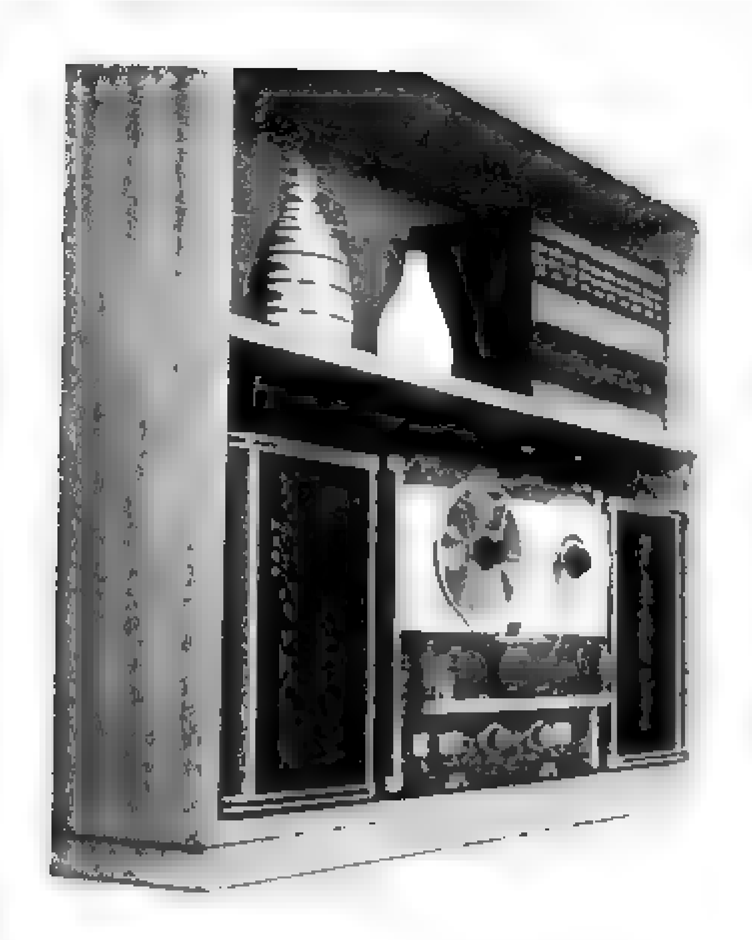
اكتب الآن الى المدير العام للحصول على تفصيلات اخرى وعلى نسختك من كتيب « حساب الودائع » رقم A. O. 182

مؤسسة لومبارد المصرفية

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office: Lombard House, Curzon Street, Park Lane, London, W.1. GROsvenor 4111 (30 lines)



نيجيريا تعكف على التعليم والبناء

بدأت نيجيريا بداية موفقة في تنفيذ مشاريعها الخمسية للتنمية بمقتضى برنامج السنوات الست. فها هي المدارس الجديدة تفتح فيها، وها هي الجرارات تعمل في تسوية الأرض في البقعة التي سيقوم عليها أكبر سد في أفريقيا.

[illegible]

٢١ سنة من البحث عن الزيت

[illegible]

وفرة في المواد البشرية

[illegible]

آمال متفتحة

[illegible]

نهر النيجر الخالد

[illegible]

شل والزيت العالمي

[illegible]

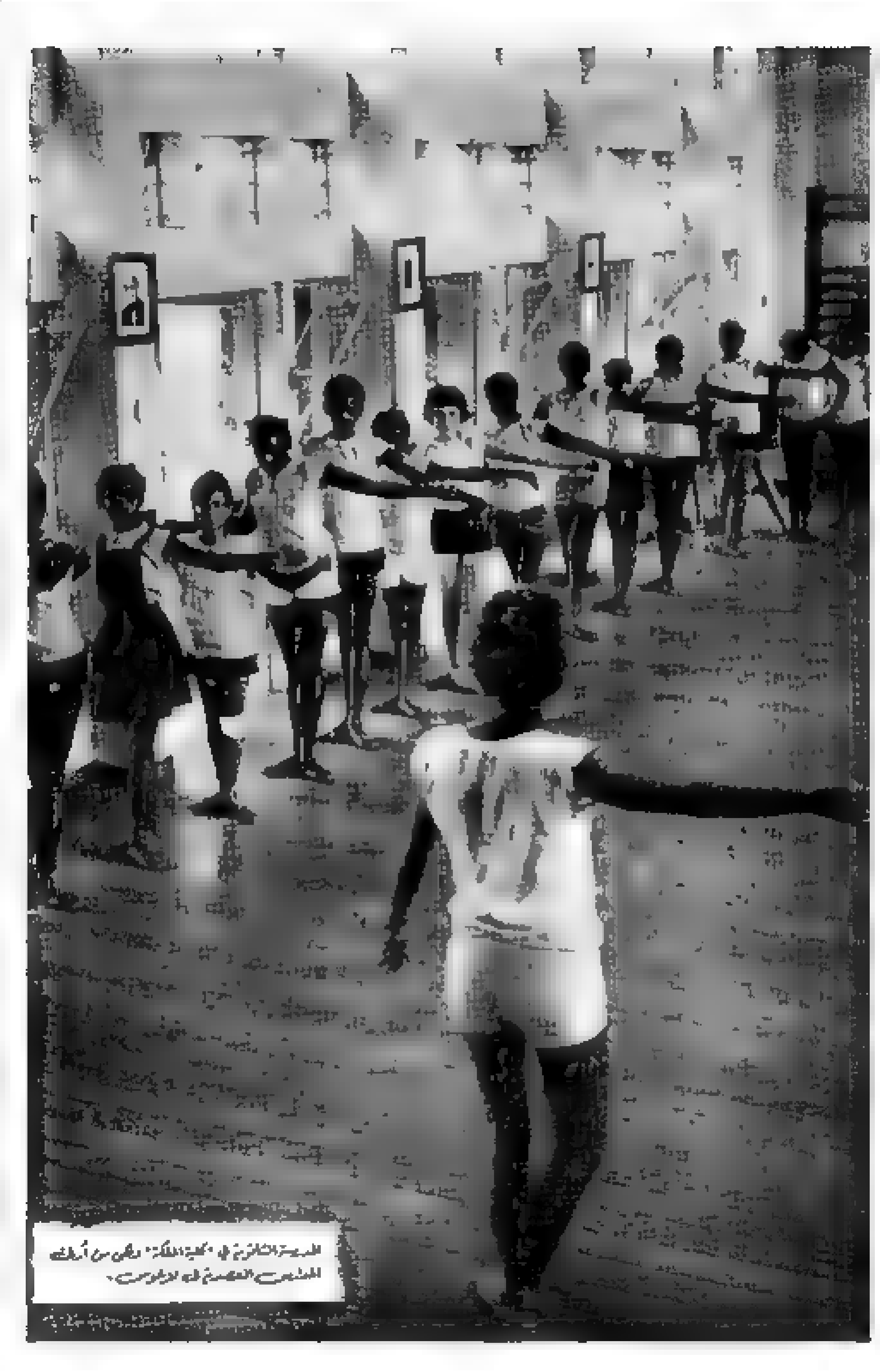
حقائق وأرقام

[illegible]

اعتمد دائماً على شل

إن في استطاعتك أن تعتمد على شل لأنها تشتغل في جميع مراحل صناعة الزيت [illegible] تبحث عن الزيت وتنتجه [illegible] إلى منتجات وتوصل هذه المنتجات إلى السوق وهي تفعل ذلك كله بانتظام كانتظام عقارب الساعة. [illegible]

[illegible]



المدرسة الثانوية في «كلية الملكة» وهي من أرقى
المدارس المصرية في الماضي.



انه عام



للانطلاق بسيارة بلايموث

ان سيارة بلايموث ٦٤ بطرازها الجديد وشكلها الانسيابي جعلت من نفسها سيارة الموسم . تصميم جديد في كافة نواحيها اناقة في داخلها مع نسيج فاخر . محرك مقتصد ٦ سيلندر محركات فعّال طراز V 8 سريعة عنيفة نشيطة اذا اخترتم هذا العام لشراء سيارة جديدة فكونوا بذلك قد اخترتم سنة جميلة لشراء واقتناء سيارة بلايموث . ٢٦ موديلا فاخرا يمكنكم الاختيار منها سيارتكم المفضلة

جميل

لقيادة سيارة الكومباكت ڤاليانت

ان ڤاليانت ٦٤ هي افضل سيارة في فئة الكومباكت . قارنوا مظهرها ، وجمالها ، قيادتها واتساعها ، وسعرها المعتدل مع اية سيارة اخرى من فئتها . ان ڤاليانت تقدم لكم الرفاهية والاناقة التي لا تجدونها في باقي السيارات من فئتها ، نضج وتآخر ، متناسقة في كافة اجزائها مظهر جذاب فريد من نوعه . اختاروا منذ اليوم سيارتكم الڤاليانت من مجموعة ٩ موديلات فاخرة هاردتوب مكشوفة سيدان ستايشن واكن .

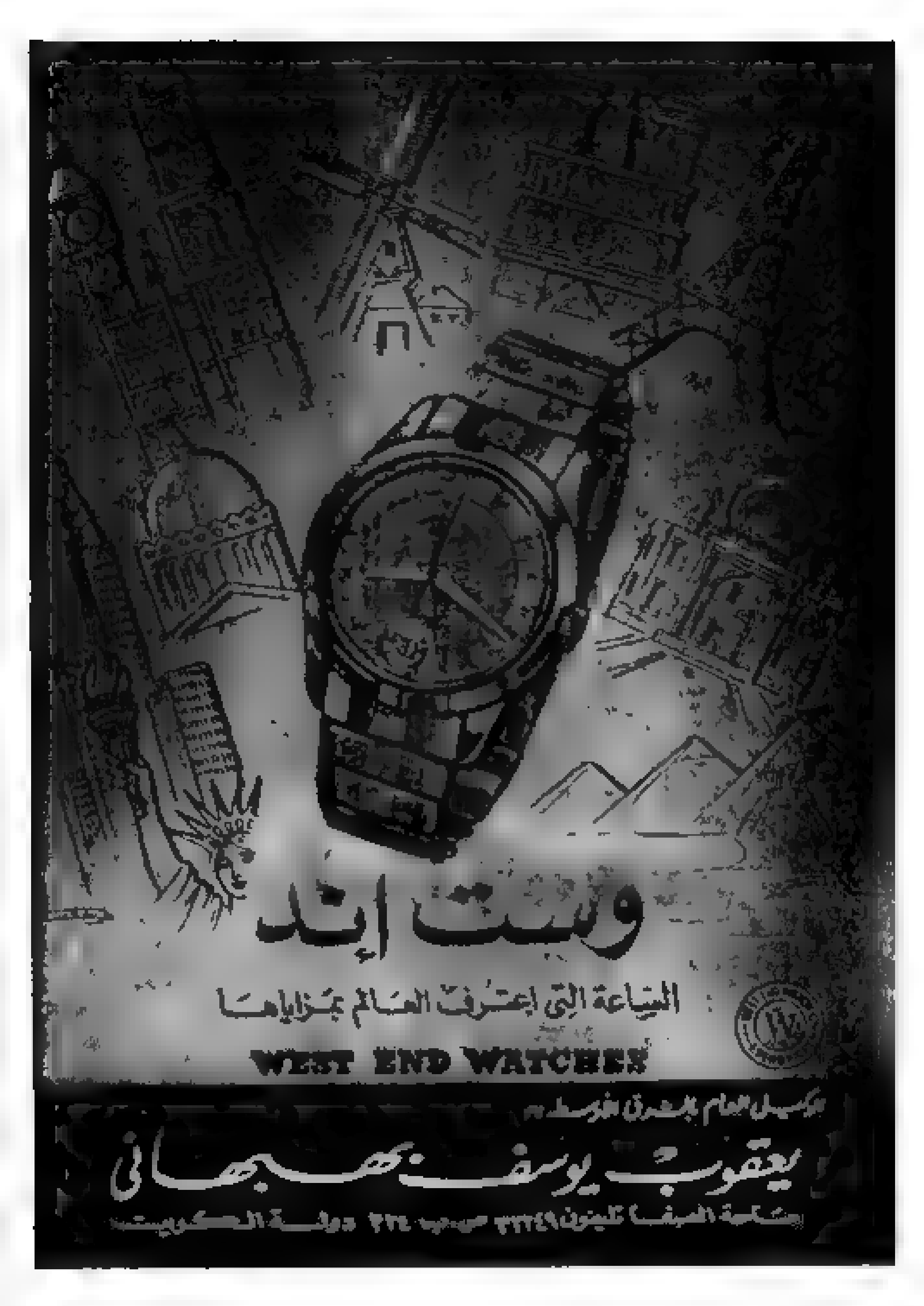


السمكة المذهبة
في شعار "ستوفلز" هي
رمز الجودة الفائقة لأفضل
انواع غطرات الشوال
صناعة سويسرية ١٠٠ ٪

Stoffels



علامة مسجلة


وست إند
الساعة التي إعترف العالم بمزاياها
WEST END WATCHES
الوكيل العام بالشرق الأوسط
يعقوب يوسف بهبهاني
بشكة الصفا تليفون ٣٣٢٤٩ ص.ب ٢٣٤ دولة الكويت

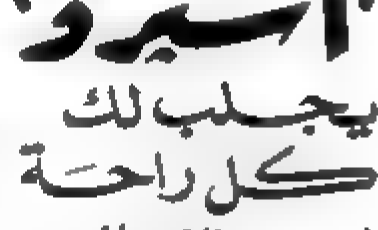


ثلاجات جنرال الكتريك
الجديدة
اشهر من
ان تعرف
مكيفات
جنرال الكتريك
١٩٦٤
الوكيل العام :
محمد عبد الرحمن البحر - كويت
تلفون الادارة : ٣٢٨٨١
المعارض
تلفون
شارع فهد السالم ٢٢٢٢٦
سينما الحمراء ٣٤٢٤٠
شارع علي السالم ٢٢٥٢٨
ورشة القبلة ٨٤٤٠

صداع، أوجاع وآلام، حمى، رشح وانفلونزا؟

'أسبرو' يعيد لك الصحة..





إذا أحسست أنك لم تعد يمكنك أن تتنفس فعلاً، بل إنك تحتاج إلى الراحة التامة التي يحققها لك 'أسبرو'. تذكر أن 'أسبرو' هو الدواء الذي يستعمله أكبر عدد من الناس في العالم كله، أكثر من أي دواء آخر لإزالة الألم وتخفيض الحمى. احمل 'أسبرو' في متناول يدك على الدوام

١ يزيل الصداع
٢ يخفض الحمى
٣ يهدئ الأعصاب
٤ يخفف الأوجاع
٥ يقصر أجل الرشح





«البرنسيسة» ... ووزنها ٢٠ قيراطاً ...

أجمل جواهر الدنيا

يتربع هاري ونستون على قمة صناعة الجواهر في العالم ، وتضم مجموعته التي تعتبر المجموعة الأولى في العالم بعد مجموعة العائلة المالكة في بريطانيا ماسات ودرراً شهيرة لها صيت ذائع وتاريخ حافل وتعرض هذه المجوهرات في صالاته الأنيقة في نيويورك (٧١٨ فيفث افنيو) والصالة الأخرى في باريس ٢٩١ شارع مونتين) وفي جنيف ٢٤ عراندكي) حيث يستطيع كل راغب من عشاق الجواهر ان يطلب موعداً ليشاهد أروع جواهر الدنيا في اي واحدة من هذه الصالات الثلاث ، ومن أشهر المجوهرات التي يملكها هاري ونستون ماسة اجونكر التي وزنها ١٢٦ قيراطاً ، وماسة هوب ... وهي ماسة لويس الخامس عشر ، وماسة ... ووزنها ٣٢٦ قيراطاً ولها شكل الحاصة ، وهناك ايضاً ماسة البوسل وهي واحدة من احجر الماسات شهرة في العالم ، وهنا نابليون الذي يتألف من ٤٧ ماسة صغيرة وكان يزين عنق ماري لويز زوجة نابليون .

نابليون الجواهر

- والحديث عن الجواهر التي تضمها مجموعة هاري ونستون لا ينتهي ، وقد اطلق على هاري ونستون لقب نابليون الجواهر الثمينة لأنه فعلاً الملك المتوج في هذا الميدان وصاحب اكبر مركز في العالم للجواهر الثمينة النادرة ، وفي كل مركز سواء في نيويورك ام باريس ام جنيف ، خبراء اخصائيون يتولون الاهتمام بمختلف الجواهر بكل ما يريدونه من معلومات حتى يروون لهم قصة كل جوهرة وتاريخها بحث فل .

ويعمل لدى هاري ونستون أشهر مشذبي الذهب في العالم ، والمهارة التي يتمتعون بها تكون سحرية ، فبالاضافة الى صعوبة وخطورة عملية التشذيب هذه يتوجب على المشذب ان يعيش بطريقة خاصة جداً ، فضبط اليد يعني من الكحول ان يتوقف عن التدخين وشاي القهوة ، لتتم لاصابع مستقبلاً ، وهذه الاستعدادات التي يكثير من الاستعدادات التي يقوم بها الرياضي او الفني مثلاً ، ومن خصائص المشذب الاساسية ان تكون يداه ثابتتين هادئتين كيدي طبيب جراح تماماً اذ يتوقف على هاتين اليدين مصير جوهرة تساوي الملايين .

وسوف يقوم قريباً السيد جاك تيميت ممثل هاري ونستون في اوروبا بجولة على بعض الدول العربية ومن بينها الكويت ومنطقة الخليج للتعرف على طبيعة هذه المنطقة وليتم صلة بينها وبين مؤسسة هاري ونستون العالمية .


العربي
العـــدد ٦٨
صفر ١٣٨٤
يولـــيو
(تموز) ١٩٦٤



جمال « ... نا » .. من عجائب الدنيا السبع

● [illegible]

[illegible]



عيد الكويت الوطني

عزيزي القارىء

● العيد الوطني للكويت يقع في التاسع عشر من الشهر السادس من كل عام . هكذا كان . وهكذا هو سبق فوقع هذا العام . واستقبلته البلاد استقبالا في احتفال ، ووداعا ، في آن . فهو لن يقع في الشهر السادس في مستقبل الاعوام .

ان في الشهر السادس تشتد الحرارة والعيد احتفال والاحتفال ازدحام . ومع العيد تعد وفود البلاد العربية تهنيء . فنظر مجلس الوزراء كل هذا ، فراى ان يزحزح العيد الى شهر الطف ، وفيه الصدور اشرح ، والخطوات اخف ، فوقع على الشهر الثاني موعدا لاحتفال . وشاء القدر المتاح ان يكون الشهر الثاني قد حظي من قبل بعيد آخر ، بعيد وطني آخر ، ذلك ذكرى اعتلاء امير الكويت امارة الكويت . فجمع مجلس الوزراء بين العيدين ، كما يجمع بين التوامين .

فالذكريان اشبه ما يكونان بالشيء وخياله في المرآة ، كلاهما يتصل بالكيان الوطني ، والنظام الديمقراطي ، والرخاء الشعبي . وهما معنيان عند الشعب الكويتي سيان ، لولا ان سمو الامير اكثر تجسيدا لهما ، فهو الذي مشى الى الاستقلال اولا ، والى الدستور ، والى الشعب . وامتدت زهادة نشأت فيه طبعا ، فزهد في الحكم ، وتركه الى ابنائه ، الا ان تعثر الأمور .

حفظ الله الامير .

ووفق الله البلاد ، الى الخير في ظل العروبة دائما ابدا .

المحرر

العربي

رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

القسم العام :

استطلاعات صحفية مصورة :

تاريخ وتاريخ أشخاص :

طب وعلوم :

دين :

شعر وشعراء :

العربي
مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت
والوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء
ALARABY — No. 68 July 1964 P.O.B. 748 — KUWAIT
العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ ــ تلفون ٢٩٤١١ ــ تلغرافيا «العربي»
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة ــ قسم الإعلانات
المراسلات : تكون باسم رئيس التحرير

صورة الغلاف

● أربع فتيات عدنيات في لباسهن الشعبي الجميل، تتطلعن للمستقبل .. ان المرأة العدنية تمشي فترة انتقال هامة في تاريخها، فهي تسعى وسط الأحداث ومشاكل الحياة التي تشهدها هذا الجزء الصغير من الوطن الكبير، تسعى لاثبات وجودها، وتنال ما تستطيع من حقوقها .. والرجل العدني يبارك سعيها ويوافق على اعطائها حقها، بعد كبت استمر أجيالا طوالا ..

(انظر استطلاع عدن ابتداء من صفحة ٣٦)

اجتماع :

فنون :

ركن الأسرة والمرأة :

قصص :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١٠٠ فلوس، مشايخ الخليج وجنوب الجزيرة ١ روبية أو ٢ شلن، العراق ١٢٠ فلسا، سورية ١٠٠ قرش، لبنان ١٠ قرش، الأردن ١٠٠ فلس، السعودية ٢ ريال، السودان ١٠ قروش، ج.ع.م ١٠ قروش، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم، المغرب درهمان، اليمن ٢ شلن، ليبيا ١٥ قرشا

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع



خيال الظل بين الامام الشافعي وعثمان جلال

● في مقال الاديب العراقي فؤاد جميل عن المأثورات الشعبية ، المنشور بالعدد ٦٤ من العربي بيان من الشعر ورد بصفحة ٦٥ نقلا عن كتاب « سلك الدرر » قيل ان الامام الشافعي نظمهما في « خيال الظل » وهما :

رأيت خيال الظل أكبر عبرة	لمن هو في علم الحقيقة راقي
شخوص وأشباح تمر وتنقضي	وتفنى جميعا والمحرك باقي

واحب ان الفت النظر الى ان هذين البيتين هما للمرحوم عثمان بك جلال صاحب كتاب « العيون اليواقظ في الامثال والمواعظ » ، وهو والد المرحوم ابراهيم بك جلال القاضي الشهير الذي كان مديرا للمطبوعات في مصر قبل ربع قرن من الزمان .

وغني عن البيان ان شعر الامام الشافعي ليس من هذا الطراز على كل حال .

محمد علي الظاهر

اسرة تحرير « العربي »

● في عدد مايو ذكرنا اسماء الرجال الخمسة الذين منهم تألفت اسرة « العربي » منذ صدورها ، وتحملوا تبعة تحريرها واخراجها تحملا كاملا طوال السنوات الخمس الماضية . وزيادة في الخير نذكر الآن اسم سليم سيسو رئيس شعبة الارشيف ، ذلك الاسم الذي عرفه القراء معا بنشرنا له من استطلاعات قام بها في الكويت وبعض الاقطار العربية ، كما قام باعداد « العربي الصغير » في السنة الاخيرة وعاون في اعداد وترجمة « مرآة الرأي الغربي » و « دردشة » وباب « اضحك » ، باشراف نائب رئيس التحرير .. وكذلك نذكر اسم محمد نصر الدين خليل وقد التحق بالعربي منذ اشهر .. ونذكر اسمي احمد الوردجي رسام العربي ، وحسن فاضل خطاط العربي . ولا ننسى اسم عبد الحفيظ يونس سكرتير رئيس التحرير الذي كتب على الآلة الكاتبة كل مقالات العربي تقريبا ، واسم مسطر الدمشقي موظف الارشيف الجديد الذي ساعد في اعداد فهرس السنوات الخمس الماضية ، واسم محمد شاكر شيحي وهو الصلة بين المخرج والمطبعة ..

ولا يبخل على هؤلاء جميعا ان يكونوا من « اسرة العربي » بالمعنى الاوسع .

الكويت ومياه «شط العرب»

٢٣ر٠٪ فقط وليس ٥٪

● قرأت بشوق واهتمام المقال المنشور «الكويت هل تستقي من مياه شط العرب من العراق؟» المنشور بالعدد ٦٢ من مجلة «العربي». وبعد، استرعى انتباهي ما ورد في صفحة ١٩، وهذا نصه:

«مائة مليون غالون يومياً لمختلف الاغراض أي بنسبة ٥٪ فقط من كمية المياه التي يصبها شط العرب في الخليج يومياً!».

ان مياه شط العرب لغزيرة حقاً، لذلك دهشت من القول ان نسبة ٥٪ ما هي الا ١٠٠ مليون غالون في اليوم فقط، وان بالامكان سحب هذه النسبة المذكورة ٥٪ من الشط العظيم في انبوب او انبوبين. فحسبت رأساً الارقام المذكورة في المقال، فاتضح لي ان مائة مليون غالون في اليوم الواحد تعادل ٢٣ر٠٪ فقط مما يصبه النهر يومياً في الخليج لا ٥٪ كما ذكر بالمقال، وان النسبة الاخيرة أي ٥٪ تعادل ٢١٥٠ مليون غالون في اليوم بدلاً من المائة مليون غالون المزمع سحبها الى الكويت.

اخيراً اود ان اشكر مجلة «العربي» على هذا المقال المهم، ولكن حبذا لو أسهبت في دراسة الموضوع خصوصاً في المفاضلة بين مشروعي الانابيب والقناة، اذ ان مشروع القناة، في اعتقادي هو الحل الجذري الوحيد لمشكلة الماء في الكويت، وان مشروع الانابيب، مما له من مزايا ظاهرة، لا يفي بالغرض المنشود الا لجيل واحد.

الدكتور حلمي سمارة
مدير حقول نفط البصرة

الطراز القوطي والبيزنطي

● ذكرتم في العدد ٦٢ من مجلة «العربي» بصفحة ١٢٩ في معرض الحديث عن مساجد الكويت ان مسجد ضاحية الشامية يشابه كثيراً طراز المساجد التي انشئت في تركيا وهي مقتبسة من مسجد اياصوفيا وطرازها المعماري قوطي. وارجو ان تسمحوا لي بتعقيب بسيط، هو ان مولد ونمو الفن القوطي كان في شمال فرنسا، وهو مشتق من الفن الرومانتيكي، وهو لا يخص الا المباني القوطية التي غزت معظم ممالك اوروبا وكان ظهوره على التحديد في القرن الحادي عشر الميلادي. ومن اشهر المباني القوطية كنيسة نوتردام في فرنسا وكاتدرائية كولون في المانيا وميلان في ايطاليا.

اما مسجد اياصوفيا فبيزنطي الطراز وليس قوطيا، لان عاصمة روما الشرقية كانت تسمى بيزنطة وهو الاسم القديم للقسطنطينية، ولما تم فتحها على يد السلطان محمد الفاتح سنة ١٤٥٣ ميلادية سميت اسلام بول (استنبول) اي مركز الاسلام فيكون الصحيح ان طراز كنيسة اياصوفيا بيزنطي الطراز وليس قوطيا واشكركم.

المهندس المعماري والاخصائي بهندسة الجوامع
الحاج عبد الله الصفير ــ العراق ــ الاعظمية



جمعية العصر



نفر من الناس ، أربعة ، مثلوا جمعية اسموها جمعية « العصر الحديث » .

اعضاء غير متجانسين

كان اسم الجمعية طريفا . ولكن كان اكثر منه طرافة من تألفت الجمعية منهم من اعضاء . لم يكونوا في العرف الجاري متآلفين متناسقين . كانوا من طبقات من المجتمع عدة ، بعضها ألفنا تسميته بالرفيع ، وبعضها الأرفع ، وبعضها الأدنى وكان هذا التولف مقصودا ، لتتعلم كل طبقة من طبقة ، ولتتقارب الطبقات ، ولتعود الى ما كانت عليه في الأعصر القديمة ، كل على حصير ، وهذا رأس القوم،وهذا غير البعيد من اللقب.

وعلمت انه من مثل هذا تتألف الجمعية . وهذا امر لا بأس به ابدا ، اذا نجح واضطرد . ورجوت له النجاح.

وتحدث الاخوان في فنون من الحياة شتى ، وتناصت ، وانابوا . ثم خطر لي ان امتحنهم .

الحقوق واضحة ، والواجبات مبهمة

كم يفهمون من « العصر الحديث » ؟

كم يطلبون من « العصر الحديث » ؟

لوجدت الحديث اخضر عندما تناولنا الحقوق ، حقوق الفرد في الدولة . كانت الحقوق واضحة وضوح الأشياء اذ تقوم في الشمس الضاحية . فلما تحدثنا عن الواجبات خيم الابهام على الكلام .

مثال لما يطلب في الحياة

وعلى سبيل المثال سألت أحدهم ، وكان في الثلاثين من عمره ، ماذا يطلب من الحياة . قال اطلب الزوجة المثقفة (وكان هو ذا ثقافة وسطا) ، واطلب البيت الذي املك . واطلب التلفون والراديو والتلفزيون .

وسألت : كيف تتنقل .

بقلم رئيس التحرير



الحديث

قال: عموا، والسيارة.

قلت: هذه أشياء كثيرة التكلفة، فهل عندك ما تشتري به؟

قال: أنا أعمل طاقتي، وهذا واجبي، وعلى الدولة أن تقوم بواجبها فتوفر للمواطن الحياة الكريمة.

قلت: فهل عند الدولة ما تشتري به لك كل هذا الذي تطلب من طيبات الحياة؟

فصمت ولم يجب.

قلت: إن الذي تستطيع أن تشتريه الدولة هو ما تستطيع أنت أن تشتريه، مجموعا إلى ما يستطيع أن يشتريه جارك، مجموعا إلى ما يستطيع أن يشتريه جار جارك، وهكذا إلى أن تأتي على الأربعة الملايين أو الخمسة التي تتألف منهم دولتك. والدول فيها الغني وفيها الفقير، وفيها المتوسط الحال، كما في الأفراد تماما.

مثال آخر للمطالب أرحم على الدولة

وانتقلت بالحديث إلى ممثل للجمعية، جمعية «العصر الحديث»، آخر، كان أرحم على الدولة من صاحبنا هذا. سألته: ما تطلب في عصرنا هذا الحديث؟

قال: أنا لا أطلب ما طلب صاحبي من طيبات الحياة. فالتلفاز أراه في حياة الأسر مرفها ومضيعة للأعمال. والسيارة عندي المشي أصح منها. ولكني أطلب لأولادي التعليم. أريد لأحدهم أن يكون طبيبا، ثم يتخصص ليبلغ الذروة. والآخر مهندسا الكترونيا كأحسن ما يوجد المهندسون في أي أمة. ومضى يعدد آماله.

قلت: هذا شيء جميل، فهل عندك نفقته؟

قال: نفقة التعليم على الدولة، وهي بالمجان.

قلت: هذا صحيح، وهذا ما يجب أن يكون. ولكن هل عندك أولا النفقة التي تبقي أولادك في التعليم إلى سن كبيرة وأنت قائم في البيت بالنفقة عليهم؟ ثم هل عند الدولة التي إليها تنتهي النفقة على التعليم، في طب، وهندسة، وسائر المهن والحرف إلى أن تبلغ بتخصصاتها جميعا تلك الذروة التي تطلب؟ إن مئات الملايين لا تكفي لبلوغ الذروة بالناس جميعا، في كل هذه المطالب. الدولة الثرية وحدها هي التي تستطيع أن تستجيب لكل هذه المطالب.

قال: وكيف تثري الدولة.

قلت: بالأفراد. بعملك أنت. بإنتاجك أنت، وإنتاج جارك، وجار جارك، وهكذا إلى أن تأتي على الأربعة الملايين أو الخمسة من الأنفس التي تتألف منهم دولتك. وبأن تتعلم، وبأن ينتج العلم

علما ، وينتج الحذق حذقا ارقى .

فكرة خاطئة وراء الآمال ، لا بد من كشفها

ولست أريد أن أطيل فيما جرى في حديث هؤلاء الاخوان ، اخوان حميمية « العصر الحديث » . ويكفيني منه أن اكشف عن هذه الفكرة الخاطئة التي تستتر وراء الكثير من أفكار الناس وآمالهم . ان الدولة شيء وان الأفراد شيء ، وان على الدولة تحقيق المطالب.

الطفلة ، وبنك في الطريق

ذكرني هذا بطفلتي وهي صغيرة ، في نحو الأربع سنوات . خرجت والدتها معها في ذلك البلد الاجنبي تسعى . وفرغ المال الذي معها . وتاقت الطفلة الى شيء جديد وجدته في نافذة دكان . فطلبت الى والدتها ان تشتريه .

قالت الوالدة : فرغت الفلوس .

فاشارت الطفلة الصغيرة البريئة الى بنك صادفها في الطريق وقالت : نعم ، ولكن هذا بنك سنمر عليه بعد خطوات .

لم تقدر الطفلة ذات السنوات الأربع ان المرء انما يستطيع ان يأخذ من البنك بمقدار ما كان ما أودع فيه .

الدولة ، لا تأخذ منها الا بمقدار ما تعطي

ان كثيرا من الناس يبهم عليهم الأمر، فينسون أن الدولة ، لا يستطيعون هم ان يأخذوا منها الا بمقدار ما كانوا أودعوا فيها من عمل، ومن انتاج ــ انتاج راديو ، انتاج سيارة ، انتاج طائرة ، انتاج دواء ، انتاج طبيب ، انتاج مهندس . . . ــ ومن ثروة . وينسون ان الدولة قد تفلس كما يفلس افرادها، وبسبب افلاس افرادها ، وقد تغنى وتستغني بغناهم واستغنائهم .

فقر الدولة من فقر افرادها وغناها من غناهم

تقول : فكرة واضحة !

ولكنها غير واضحة عند السواد . السواد لا يكاد يدرك ان مسئولية



. . لقد ذهب معنى العامل القديم، وحل محله معنى العامل الجديد، الذي يشمل

الدولة مسئولية افرادها ، وان فقر الدولة وغناها انما تكون بفقر افرادها وغناهم ، فردا فردا ، وما غناهم الا العمل ، والا الساعات التي يقضونها في العمل ، وفي وعيهم الواعي أشد الوعي انهم ، بكل خطوة يخطونها الى امام ، وكل خطوة يخطونها الى خلف ، انما هم يخطونها بامتهم الى امام والى خلف ، وان خطى الامة جميعا انما هي مجموع خطوات افرادها .

الزارع في زرعه ، عندما يزيد ساعة في عمله ، يزيد نفسه ثروة ، وهو بهذا القدر يزيد قومه ولا يدري .

والصانع ، يزيد ساعة في عمله ، يزيد نفسه ثروة ، ويزيد بقدر ذلك امته .

وكل عامل في الدولة ، يزيد ساعة في عمله ، ويزيد قيراطا من اخلاص ، انما يزيد بمثل ذلك ثروة الدولة .

والعامل هو كل من له يد تمسك ، ورجل تمشي ، ورأس يفكر ، من ضارب الارض بفأسه حفرا ، الى رئيس الدولة الذي يمضي بقلمه الذهبي ، او النحاسي ، قوانين الدولة. معنى العامل القديم ذهب وحل محله معنى العامل الجديد ، الذي يشمل رجل الحقل ، ورجل المصنع ، ورجل الشرطة ، وكاتب الحسابات ، وطبيب الاسرة وقاضي المحكمة ، حتى الواقف في الشارع يحرس السيارات لاصحابها ، كلهم عامل ، لانه اما انه ينتج ثروة تقاس وتوزن ، فهي مادية ، او ينتج ثروة لا توزن ، فهي ذهنية عقلية او ينمي الثروة أن تصنع ، او ينسق العلاقات بين الطاقات أن تكون ، لان بها ضياع الثروة .. والثروة في اوسع معانيها .

يريد ست ساعات عملا في اليوم ، اربعة ايام في الاسبوع

ويحضرني الى ازدياد هذا المعنى ما سمعته من احد هؤلاء الزائرين الذين ذكرت، يمثلون جمعية «العصر الحديث».

كان عامل مصنع. وسألته: ما امنيته.

قال : ان اعمل ، في هذا العصر الحديث ، ست ساعات في اليوم لا تزيد



طبيب الاسرة ورجل الحقل، ورجل الشرطة، ورجل المصنع، ورجل القضاء، ومن حافر الارض الى رئيس

وان أعمل في الأسبوع أربعة أيام ، وهذا أمل لا شك آت قريب .

وقلت : من أدراك ؟

قال : عمال السكك الحديدية والمواصلات في نيويورك أضربوا منذ أسبوع يطالبون بهذا ، وهم لا شك بالغوه . وهم أمة رأسمالية ، فكيف بنا ونحن نطالب بغير الرأسمالية نظاماً أحدث وأرحب ؟

منطق مقلوب

وجدتني أقف أمام هذا المنطق الباهت المقلوب أول الأمر في حيرة ، وكأنما غلبت على أمري. الأمل حلو. وهو لا شك قائم في كل مفكر حديث يفكر في مستقبل الإنسان على ظهر هذه الأرض . إنه الفراغ الذي سوف يناله الإنسان تنيله إياه ما يبتدع من آلات تقوم عنه بأكثر جهوده ، فيفرغ ليمتع نفسه بلذائذ الفكر ، ولذائذ الفن، وباستجلاء الطبيعة في أزهى مجاليها .



الشبه بعقل نيويورك منطق مقلوب ..

أقول إنه الفراغ الذي سوف يناله الإنسان . ولكن أي إنسان ؟ إنسان نيويورك ، حيث المدنية في الذروة ، والصناعة في القمة، والحياة بالعمل أغنى ما تكون ، أم إنسان جمعية « العصر الحديث » هذا ، في بلده المتخلف هذا ؟

«العصر الحاضر» غير «العصر الحديث»

ورحت أقارن بين هذه الدولة «دولة جمعية « العصر الحديث » » ، وقدرتها على العمل ، وحظها من العلم والفن والتكنية ووسائل الإنتاج جميعاً ، من مادية وذهنية ، وأدنى تراثها ، وبين تلك الأمة التي أشار إليها عضو الجمعية ، والتي بها يطلب عمالها ٦ ساعات عمل في اليوم، وعمل ٤ أيام بدل ٧ في الأسبوع ، أقارنها من حيث كل ذلك ، فوجدت أن الخطأ الكبير هو في اسم هذه الجمعية .. وأنها جمعية « العصر الحديث » .

وجدت أن الأمم كالأفراد ، قد تعيش في قرون حديثة وهي في الواقع ليست منها .

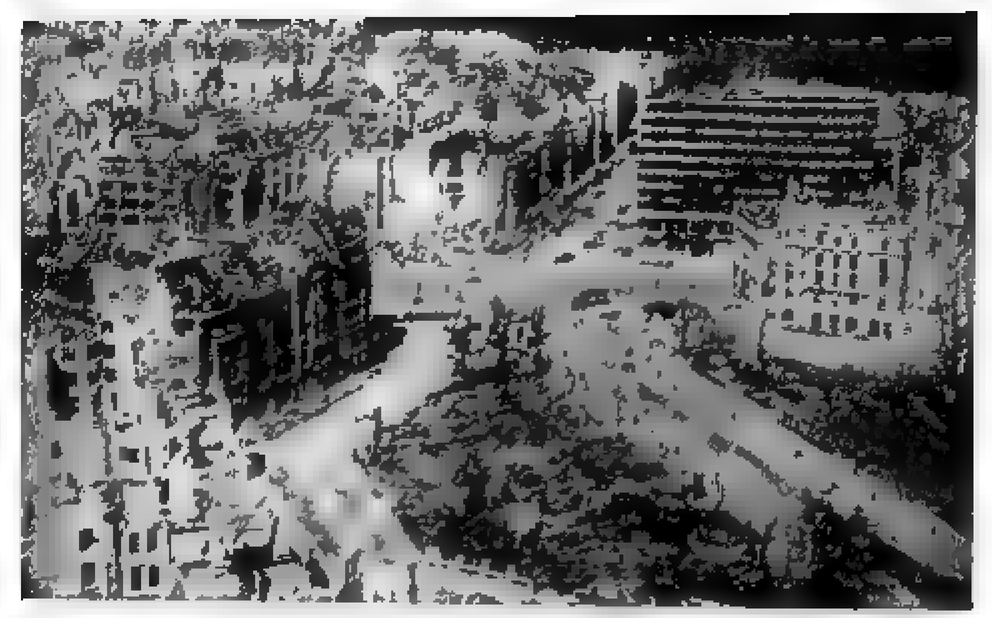
وسألت نفسي « العصر الحديث » لمن ؟

ووقع في نفسي : أن «العصر الحديث» له معنى غير « العصر الحاضر » .

العصر الحاضر يقابله العصر الماضي ، وكلاهما يدل على موضع عصرين من الزمان ، ولا يصفهما ، وقد يكونان كالماء لا لون لهما ، وقد يكونان من لونين مختلفين ما بين الأحمر والأزرق .

ولكن العصر الحديث يقابله العصر العتيق . والعرف جرى ، وآمال الناس جرت ، بأن تقدم الزمان يقدم الإنسان. فالحديث أحسن وأوفق ، وأصلح وأكثر تقدماً .

والأمم اليوم طبقات، صنف يعيش في العصر الحديث فهو متقدم ، ولكنه عاش قبل ذلك ، وتمهد لذلك ، في « عصور عتقه » لا بد أن يعرق منها ، على العرق الصبيب ، سنين .



الالمان كسبوا معركة البناء ، بعد أن خربت الحرب مدنهم ، بالعمل كل الساعات في كل الايام .. لا ست ساعات في اربعة ايام ، كما يطالب عضو جمعية « العصر الحديث » .

وصاحبنا ، عضو جمعية « العصر الحديث » ، الذي يطلب ست ساعات عملا في اربعة ايام ، يعني أنه لم يصل بعد الى « العصر الحديث » . انه لايزال يعيش عصره العتيق ، عصر العرق الصبيب ، عصر التحصيل ، عصر البناء ، عصر ابونات الكبرى التي لا بد أن يشهدها وتشهدها جماعته ، لتلحق ببعض ما فاتها اللحاق به في القرون العجاف من حياة امته . فترة من حياة الأمة لا بد أن يستمرئها كل عامل ولو مرة . انها مدينة الخلاص . وهي مزاج لا يأتلف مع المزاج الذي يقول اليوم ، في البلد المتخلف ، بست ساعات في أربعة ايام .

ألمانيا من بعد حرب

ولقد أذكر بهذا عام ١٩٤٩ . ففي هذا العام زرت ألمانيا من بعد حرب . وكانت مدنها قد دكتها الحرب وتهلهلت . وزرت عند ذلك في فندق في قبو هو كل ما بقي من بناء . مناظر سوداء باكية امتدت في طرقات المدينة كلها ، كان فيها قبس للرجاء واحد : جماعة البنائين يقومون بالبناء نهاراً ، ويقومون به ليلا ، وعلى ضوء المشاعل . وقفت قوانين العمل بثماني ساعات في اليوم ، وعمل العمال فوق ذلك ما اطاقوا من ساعات .

والنتيجة ؟

ألمانيا جديدة من بعد حرب ، صناعتها متقدمة ، تجارتها مزدهرة ، تقوم بإقراض اولئك الذين زعموا انهم كسبوا الحرب . وهم كسبوها حقا ، وخسر الالمان . ولكن الالمان كسبوا السلم ، بالعمل ، لا ست ساعات في اربعة ايام كما يطلب عضو جمعية « العصر الحديث » ولكن كل الساعات في كل الايام .

امة العرب لا بد لها من كسب السلم

ونحن ، امة العرب ، على السلم ، نريد أن نكسب السلم .

بالعمل ، كلٌّ في حدود طاقته ورضاه ، من حامل الفأس ، الى حامل القلم ، وفي حدود الضمائر ، وهي أوسع من حدود القوانين والشرائع .

احمد زكي



خطوة هامة نحو المدرسة الجزائرية الموحدة

من جريدة الشعب ـ الجزائر .

● نشرت الجريدة الرسمية قرارا خاصا يقضى بادماج المعلمين الاكفاء من رجال التعليم الحر .. ان هذا القرار يعبر بكيفية ملموسة عن مدى اهتمام الحكومة بالتربية وشغلها الشاغل فى توحيد المدرسة الجزائرية وموظفيها .. الآن اصبح رجال التعليم ينتمون الى اطار واحد ، لهم حقوق واحدة ، وعليهم نفس الواجبات ، وعملهم موحد كل حسبهم لترقية بلادنا الثقافية والفنية .

ان فى اتخاذ هذا القرار انصاف لهؤلاء المعلمين الذين خاضوا الكفاح بكل قواهم وبالروح الوطنية ، وقاوموا سياسة الاستعمار فى محاولاته لتجريد الشعب الجزائرى من شخصيته ، فقاسوا من جراء ذلك انواع التعذيب والتنكيل والتشريد والاسر . وكانوا فى طليعة المقاومة الروحية ضد ارادة المستعمر فى فرض الادماج والتجنيس ، قبل ان يلتحقوا بصفوف حرب التحرير . ويعتبر المرسوم خطوة هامة فى سياسة التعريب ، اذ يعد تعريب التعليم حقا « اصعب اهداف الثورة واخطرها » ، ورغم هذا فعلى الحكومة ان تحققها فى اطار الاشتراكية التى اختارها الشعب وصادق عليها .

وهذا يحق ان تساير سياسة التعريب ثورتنا الاشتراكية حتى لا يعوق نطاقنا عائق . ولن نكتفى لثقافتنا القومية باسترجاع ماضيها وتراثنا الوطنى المغتصب من الشعب طيلة ١٣٠ سنة ، بل يجب ان تتطور وان تكون موضوع ابحاث مستمرة لتصبح اداة ثقافية ثورية وعلمية تساعد على تعميم المعارف الحديثة .

والتعريب ـ ان اعتمدنا فيه على اسس علمية ـ سيساهم فى رفع مستوى بلادنا العلمى والفنى والاقتصادى دون شك ، ولن يقبل الشعب ابدا اى تراجع عن العمل الخلاق الذى يرفع من مستوى معيشته ويعمل على المحافظة على شخصيته .

اتجاهاتنا القومية من داخلنا

من جريدة الرائد ـ طرابلس/ليبيا .

● الصحف العربية هذه الأيام تشن حملة عنيفة وخبيثة تشكك فى ان التهاب الشعور القومى فى ليبيا الذى ينادى بتحرير البلاد من القواعد الاجنبية .. وينادى بسياسة عربية صريحة .. ليس وليد تحركات داخلية يعبر عن نفسية المواطن الليبى .. بقدر ما هو وليد قوى خارجية تحاول ان تستفيد من التهاب شعور المواطنين ضد الغرب ومصالحه فى ليبيا حتى تحل محل الغرب وتحصل على امتيازاته ، بدافع من هذه التحركات التى تحدث .

وهذا امر لا يحمل من الصحة اى نصيب ولذ كان الغرب ماضى الآن تكون استشكيك العرض سلاحه لابهام الرأى العام العالمى بان هناك قوى خارجية تحرك الشعوب ضد الغرب ومصالحه فان الماضى البعيد والقريب اكد ان الشعوب النامية



العربية غريبة في وطنها

عن جريدة « العلم » الرباط

● من حقنا أن نتساءل :

الى متى سيبقى المثقفون بالعربية يعيشون على هامش الحياة كالمنبوذين ؟

والى متى ستبقى هذه اللغة وهي لغة البلاد بحكم التاريخ وبنود الدستور ، تأخذ مكانتها فقط على الجانب الأيمن من الأوراق والمطبوعات الادارية دون أن يعول عليها حتى في أبسط المعلومات ؟ انها والله لمأساة ، مأساة العربية ومأساة أولئك الذين حتمت عليهم الظروف أن ينهلوا من منابعها بدافع الاخلاص لقضية الوطن ، والتطرف في الوطنية ومعاداة الاجنبي الذي جاء ولي بيته فرنسا .

ان الذين يناهضون العربية ويقولون اليوم بعدم التعريب ، حججهم افتضحت واضحة . هم يتهمون العربية بأنها لا تتسع لكل المعاني التي يراد التعبير عنها ، وانها لا تفي بكل حاجيات العصر ومقتضياته لأنها ليست فقط – على حد تعبيرهم – الا لغة السحر والشعر . ومعنى ذلك عندهم بصريح العبارة انها لغة الشعر والمديح ، لا لغة العلم والحضارة .

قد يكون سبب ذلك مكابرة وجحودا لحاجة في نفس يعقوب ، وقد يكون جهلا بالوجوه المشرقة التي اتاحت للغة العربية الازدهار والسيادة في مختلف العصور كلغة استوعبت كل جوانب العلم والحضارة ، ولعلهم لم يمروا في رابة العربية لو تشتكي الا يوم أن طمع بين العرب المنهزمون والبائسون أمثال هؤلاء العملاء . نعمة البابلي والزيمة .

ومهما يكن فان العربية ستنتصر وتشق طريقها ولو كان هناك من يناهضها ويعمل بالطرق الملتوية لمحاربتها .

وليست بتوجيه خارجي

لم تتمكن من التقدم والتطور الا بعد أن أزاحت كابوس الاستغلال المطلق الذي يستبيح كل ثرواتها وامكانياتها ويتركها تعيش حالة عليه غير قادرة على الاعتماد على نفسها .

ان تجربة الشعوب الحديثة تؤكد بجلاء أن محاولة تدخل القوى الخارجية للتأثير على الشعوب ... عملية مفضوحة ولا تمت للحقيقة بصلة وكل ما هنالك ان الغرب الذي تمرس على أساليب الدهاء والخداع والتشكيك يأبى الا أن يواجه يقظة الشعوب وحرصها على تحقيق انتصاراتها بشكوك خبيثة تتهمها في وطنيتها .. وتتهمها في اتجاهاتها التحررية .

وقد يكون من العجيب حقا أن تنسى صحافة الغرب .. أن الفكر الانساني دائم التطور والحركة .. وأن العصر الذي نعيشه لا يؤمن بغير المساواة والعدل والحرية .. وأن هذه المبادىء والقيم ليست بالتأكيد وقفا على شعب دون آخر .. ولا هي هبة السماء لأمم محظوظة فقط .. وانما هو التاريخ الانساني المتعاقب عبر القرون .. المؤكد للحقيقة التاريخية .. أن للشعوب ارادة تختار بها ما تشاء من النظم والمبادىء مما يخدم مستقبل أجيالها القادمة ..

وهذا كله تتناساه صحافة الغرب لتقف في منتهى السطحية والجهل لتتهم الشعوب في وطنيتها وتشكك في نواياها التحررية التي تهدف لتعمير السلام العالمي

ومهما تعنتت تلك الصحافة وهرّجت فانها لن تستطيع ايقاف عجلة التاريخ ، وسوف يأتي عليها يوم تتأكد فيه أن « ليبيا » التي تتهمها اليوم في وطنيتها واتجاهها القومي « انما هي جسادة في استخلاص حقوقها ، ومصممة على وجهها العربي التحرري .





بقلم : الدكتور محمد محمود الدش

● هذا الشاعر ، عبد الرحمن بن اسماعيل بن عبد كلال بن ابي احمد بن قحطان ، احد شعراء الغزل المعدودين في العصر الاموي ، بين عمر بن ابي ربيعة ، وجميل ، ومجنون ليلى ، وقيس بن ذريح ، وعبيد الله الرقيات ، والاحوص ، وغيرهم ممن امتلأت الكتب في الحديث عنهم وعن حبهم .

على ان وضاحا ، او عبد الرحمن ، كان موضع اختلاف شديد لدى مؤرخي الادب العربي حين ذهب بعضهم الى انه هو الذي اخترع الشعر التمثيلي ، واضافه الى تراثنا الادبي القديم ، وذهب البعض الآخر الى انكاره انكارا بعيدا ، وزعم انه لم يكن الا خيالا اخترعه القصاصون وانتحلوا شعره ونسجوا حوله من الاحاديث والاخبار ما فيه لذة ومتعة .

ولسنا نريد الآن ان نتصدى لهذه القضية التي يختلفون فيها على هذا النحو ، فنحكم فيها بشيء قبل ان نستعرض قصة هذا الشاعر ، التي تعتبر من القصص الفريدة في قصص ابطال الغرام ، والتي ما زالت – كما يقال – تصلح موضوعا لقصة غرامية موسيقية حديثة ، من ذلك الذي يسمى بالاوبرا او القصة الموسيقية .

الاختلاف في نسبه

والذي نريد ان ندل عليه قبل كل شيء هو ان وضاحا من اصل عربي يمني ، يتصل نسبه لابيه بحمير بن سبأ بن قحطان ، كما ان جدته ام ابيه اسماعيل كانت بنت ذي جدن ، وام جده كانت من كندة ، وكلهم يمنيون، وان زعم البعض ان وضاحا من الابناء ، اولاد الفرس ، الذين قدموا اليمن مع قائد الفرس وَهْرِز لنصرة سيف ابن ذي يزن على الاحباش، وانا اعتقد ان ابا عبيدة معمر بن المثنى، وهو من اكبر الشعوبيين واخطرهم هو الذي زعم هذا الزعم وروّجه ، وقد حاجه في ذلك خالد بن كلثوم – على نحو ما جاء في الاغاني – فاسكته وافحمه .

وقد ساعد ابا عبيدة ومن لف لفه على هذا الزعم ان احد اجداد الوضاح اسمه كلال ، وان ام الوضاح كانت فارسية ، فلما مات ابوه اسماعيل وهو طفل انتقلت الام الى اهلها من الفرس ، حتى حتى انقضت عدتها فتزوجت رجلا من الابناء من اهلها ، وشب وضاح في رعاية امه وزوجها ، حتى ذهب يطلبه منهما عمه وجدته ام ابيه ومعهم جماعة



من أهل بيته من حبشي وغيرهم، فادعى كل أنه ولده فاحتكموا في أمره الى العالم، واجتمع من أجل ذلك نفر كثيرون من المعمرين والأمناء. واقيمت البينة على انه ولد على فراش اسماعيل ابن عبد كلال ابيه، فحكم به العالم لهم. وكان الوضاح جميلا رائع الجمال، فأعجب به العالم، ومسح يده على رأسه، وقال له: اذهب فأنت وضاح اليمن. فعلقت به هذه الكلمة منذ يومئذ، فصارت له لقبا على الدوام. ويروى انه – بسبب هذا الجمال الباهر – كان لا يحضر مواسم العرب الا مقنعا يستر وجهه خوفا من العين وحذرا على نفسه من النساء.

وقد حققنا شعر الوضاح حقيقة نسبه حيث يقول في بنات عمه من كندة:

إن قلبي معلق بسماء
واصبحات خدود ليس تهجر
من بنات الكريم ودد وفي ك
لمة تنتسب من أبيه الأغر

وحبيب يقول في فخره بأبائه

فقلت لها إني امرؤ ذو علمته
إذا ما أحدث السيم أحمل العدد
بنى لي إسماعيل مجدا مؤثلا
وعبد كلال بعده، وأبو حمد

واختلفوا في نسب من عشق

ولما شب عبد الرحمن، وضاح اليمن، عشق واحدة من قريباته، هي روضة بنت عمرو، من ولد ذي القروح الكندي. وكما كان الشك في نسبه واصله السبب الأول الدافع الى انكار وجوده، فان الشك في نسب عشيقته روضة هو السبب الثاني الدافع الى ذلك الانكار عند من شكوا في وجوده ووجود شعره أصلا. غير اننا نستطيع ان نؤكد ان روضة من أصل عربي، ومن كندة بالذات، وليست فارسية كما زعم الزاعمون لأسباب عدة. أهمها، اننا اذا نظرنا الى الشعر

الذي مر منذ قليل نجد ان قلب الوضاح معلق بهؤلاء البنات الواضحات الخدود من كندة وروضة واحدة من هؤلاء البنات ، فاذا عدنا الى مصادر الخبر نجد ان مصدرا واحدا هو الذي زعم نسبها الى الفرس ، بينما نجد مصادر متعددة تبلغ الخمسة، لكل مصدر سلسلة من الرجال الثقات من امثال الاصمعي والخليل بن احمد ، يؤكدون ان روضة عربية يمانية ، وكذلك لدينا من الادلة القوية في هذا السبيل ما نجده في قول الوضاح لروضة .

قد يكتم امرءٌ حبه حقبا
وهو عميد وقلبه كمدُ
ماذا تريدين من فتى غَرِبٍ
قد شفّه السقم فيك والسهدُ
بيعد دون كيما أحدثهم
هيهات أنى يهدد الأسدُ

ومن قوله لها ايضا :

قالت «زرنا» قلت كيف أزوركم
وأنا امرؤ لخروج سرك خاشي
قالت فكن لعمومتي سلما معا
والطفْ لأخوتي الذين تماشي
فتزورنا معهم زيارة آمن
والسرُّ يا وضاح ليس بفاشي

وهذه الأبيات جميعا تحدد العلاقة بين عبد الرحمن وعشيقته روضة ، فلا يهدده اهلها وهو لا يخشى هذا التهديد، فليس من العجائز ان يهدده قوم من الفرس وهو من عرب اليمن ، ولكن العجائز ان يكون هؤلاء الذين يخوفونه من العرب الذين يستطيعون تخويفه ويقدرون عليه ، ثم هي تطلب اليه ان يكون صديقا لطيفا لاخوتها وعمومتها حتى يتمكن من زيارتها ويصل لقائها ، وهنا يحدد صلة قرابته لهم لأنه يماشيهم ويستطيع ان يدخل دارهم ويلقى سلمهم .

اتصال غرامه « بروضة »

واتصل الغرام بعد ذلك بين عبد الرحمن وروضة وجعل يردد اشعاره فيها ما اقام وما رحل ، وما اكثر ما كان يرحل بين الحجاز حيث تقيم محبوبته وبين الشام حيث حاضرة الخلافة الاموية في دمشق . وشعره خلال ذلك كله في روضة رقيق العاطفة ، عذب اللفظ ، سهل العبارة ، خفيف الموسيقى ، جميل الايقاع ، مما جعله يدور كثيرا على السنة المغنين والملحنين . حتى ليقول صاحب الاغاني: « وله في روضة هذه اشعار كثيرة في اكثرها صنعة » ، يعني صناعة التلحين والغناء .

وتمضي قصة هذا الغرام فتحكي لنا ان ما بينهما ذاع واشتهر امره ، وطلب من اهلها ان يتزوجها، ولكنها تزوجت من غيره ، ورغم ذلك ظل على حبها مدة طويلة ، حتى اتاه خبر مرضها بالجذام وعزلها مع المجذومين، فبكى للخبر، ثم مضى اليها فزارها واعطاها بعض ما تنفقه ، وعاد الى صحبه يبكي هنا في قصيدة طويلة منها :

يا روضة الوضاح قد
عنّيتِ وضاح اليمن
أني ينحى اليـ
ـك حمامتان عن سكن
لو قيل يا وضاح قم
فاختر لنفسك أو تمنّ
لم أعدُ روضة والذي
ساق الحجيجُ لها البُدُن

قصة غرام له اخرى مع زوجه الوليد

وتنقطع قصة غرامه لروضة او تنتهي لتبدأ قصة له اخرى عجيبة الشأن ، خطيرة الأثر في تاريخ السياسة والأدب ، تلك قصة غرامه ، او مأساته، مع ام البنين، بنت عبد العزيز بن مروان، زوجة الوليد بن عبد الملك خليفة المسلمين الأموي.

حينما ارادت ام البنين ان تمضي في رحلة الى الحج كان لا بد ان تستأذن زوجها الخليفة الوليد في ذلك ، وحينما اخذت تعد العدة للرحيل جعلت تنتقي رفيقاتها في هذه الرحلة الطويلة فاختارتهن من اجمل الجواري واحلاهن ، وكأنها كانت تقصد ذلك قصدا وتتعمده تعمدا لتلفت انظار الناس الى ركبها، وخاصة هؤلاء الشعراء الذين كانوا ينتظرون مواكب الحج ويتصرفون الى التشبيب والتغزل فيما يأسر القلوب ويخلب الألباب من جمال ورقة ونضارة .

ولذلك يقول احدهم فيما جمع هذا الموكب من جمال وحسن : « فكنت لا حجبت ام البنين لا تشاء ان ترى وجها حسنا الا رأيته معها » . وتحدثنا الروايات أن الشعراء كانوا ينتظرون هذا الموكب الجميل ليتشببوا به ويطلقوا وجداناتهم واحاسيسهم بالشعر ، لولا ذلك الكتاب الذي اصدره الخليفة متوعدا الشعراء جميعا ان ذكر احد منهم ام البنين او ذكر احدا من جواريها . ومع ذلك فقد كان هؤلاء الشعراء يشيرون بعضهم الى بعض بما يقولون من غزل وتشبيب او يحتالون بوسائل اخرى في هذا السبيل ، كالذي يروى من ان عبيد الله بن قيس الرقيات سئل : بمن تشبب من هذا الظعن ، فقال :

وما تصنع بالسر إذا لم تك مجنونا
إذا عالجت ثقل الحب ضاقت الأمر بنا

ثم يقول عبيد الله لصاحبه : اكتم علي فانك موضع للامانة . وينشد صاحبه قصيدة تغزل في ام البنين ، منها :

أصحوت عن أم البـــــنين وذكرها وعنائهـــــــا
قرشية كالشمس أشــــــرق نورها ببهائهـــــــا
زادت على البيض الحســــان بحسنها ونقائهـــــا

وكالذي يروى من ان ام البنين بعثها لرسول الى كثير والى الوضاح ليتغزل كل منهما فيها ، فمضى كثير يتغزل في جاريتها غاضرة ، وخشي ان يتغزل فيها .

عينا ام البنين تقعان على وضاح اليمن

ومهما يكن ، فقد وصل موكب ام البنين وجواريها الحسان الى الحجاز ، وكان ان وقعت عيناها على عبد الرحمن ، وضاح اليمن ، فخلبها جماله ، وفتوته ، دون سائر شعراء الغزل ، وما اكثرهم حينئذ . ومن هنا لم يتردد الوضاح — حينما طلبت اليه ان يتغزل فيها ويتشبب بها — في ان يرسل شعره في زوجة الخليفة في غير خشية ولا خوف . ويبدو ان شعره هذا لم يصل الى مسامع الخليفة الا بعد حين ، لانـا نعلم ان لقاءات تمت بعد ذلك بين الوضاح وبين ام البنين ، وان الوضاح قال شعرا في مدح الوليد ، ووعدته ام البنين ان ترفده عنده وتقوي امره لديه ، فقدم عليه الوضاح بالشام ، ومدحه بعدة قصائد ، فاحسن اليه الوليد رفده واجزل صلته .

واقام الوضاح قريبا من ام البنين ، وكان يزورها خلسة في خدرها .

ويروي ابو الفرج ان ام البنين مرضت ووضاح مقيم بدمشق وكان نازلا عليها فقال في علتها :

حتام نكتم حزننا حتامـــــا
وعلام نستبقي الدموع علامـــا
إن الذي بي قد تفاقــــم واعتـــل
ونما وزاد وأورث الأسقامـــا

كما يروى ايضا ان وضاحا كان مقيما عند ام البنين حينما ورد عليه كتاب ينعى اخاه وأباه .

وهنا لابد ان نقف وقفة قصيرة عند هذا الكتاب الذي ينعى اباه في حين اننا نعرف ان اباه مات وهو طفل وانه نشأ في كنف امه وزوج امه على نحو ما رأينا . ولعل هذا الاختلاف من الاسباب التي دعت الى الشك في وجود الوضاح ، والحقيقة ان الكتاب كان ينعى اخاه فقط ، لان اباه قد مات منذ زمن طويل . والدليل القوي على ذلك القصيدة التي انشأها حينما ورد عليه الكتاب الناعي . فالذي يقرأ هذه القصيدة قراءة فاحصة دقيقة يرى ان معظمها — وهي طويلة — في رثاء اخيه ، ثم ينعى في آخرها ، في ابيات قليلة منها ، يرثي جماعة من اهله من بينهم ابوه . هذا بالاضافة الى ان ابياتا بعينها تشير اشارة صريحة الى ان الكتاب جاء ينعى اخاه فحسب ، اذ يقول :

فمـــا أنفك أنظـــر في كتـــاب
تكاد النفس عنه هوى زهـــوق
يخبر عن وفاة أخ كريـــــم
بعيد الغور قاع طليـــق

وهو لا يكتفي بهذه الاشارة الصريحة ، بل يعطي فيؤكدها بعد ذلك في نفس القصيدة اذ يقول :

وأعظم ما رُميت به صبوحا
كتابٌ جاء من فَجٍّ عميقِ
يخبر عن وفاة أخٍ ، فصبرا
لخير وعدُ منّانٍ صدوقِ

وهكذا تسقط الدعوى القائمة على هذا الإسراف في الشك في وجود عبد الرحمن وضاح اليمن .

ام البنين تؤوي الوضاح في دارها

ويبدو ان نكبة الوضاح باخيه كانت ارهاصا لنكبة اخرى فادحة قضت على حياته في بلاط الوليد بن عبد الملك بسبب غرامه من زوجته ام البنين ، ولا تمضي قصة هذا الغرام العجيب فتخبرنا انه نما الى الخليفة ان الوضاح شبب بزوجته فيجفوه الخليفة ويأمر بأن يحتجب عنه ، ثم يهدد تهديدا لقتله . ويشير الوضاح الى ذلك الجفاء في قصيدة بعد ذلك في مدح الخليفة حين يقول :

صلى ابنِ مروانَ السلامُ من امرىءٍ
أمسى يشوقُ من الرقادِ أقلُّه
شوقاً إليك فما تَنالُ حِبالُه
وإذا يَحيلُ الباب لم يؤذن له

قال ابو الفرج . فلم يزل مجفوا حتى وجد له غرة .

وتختلف بعد ذلك الروايات اختلافا كبيرا في التفصيلات الطريفة التي تم بها قتله ، ولكنها كلها تنتهي الى ان الوليد قتله ودفنه في داره ، ولم يوقَف له على خبر . ولعل اصدق هذه الروايات وهي التي ذكرها الاخفش في كتاب المغتالين :

الوليد يفتك بالوضاح

عشقت ام البنين وضاحا ، فكانت ترسل اليه فيدخل اليها ويقيم عندها ، فاذا خافت ، وارته في صندوق عندها ، واقفلت عليه . فاهدي للوليد جوهر له قيمة ، فاعجبه واستحسنه ، فدعا خادما له فبعث به معه الى ام البنين ، وقال : قل لها ان هذا الجوهر اعجبني فآثرتك به . فدخل عليها مفاجأة ووضاح عندها ، فادخلته الصندوق ، وهو يرى ، فأدى اليها رسالة الوليد ودفع اليها الجوهر ، ثم قال يا مولاتي هبيني منه حجرا ، فقالت : لا يا ابن اللخناء ولا كرامة . فرجع الى الوليد فاخبره ، فقال كذبت يا ابن اللخناء . وامر به فوجئت عنقه ، ثم لبس نعليه ودخل على ام البنين وهي جالسة في ذلك البيت تمتشط ، وقد وصف له الخادم الصندوق الذي ادخلته فيه ، فجلس عليه ثم قال لها : يا ام البنين ، ما احب اليك هذا البيت من بين بيوتك ، فلم تختارينه ؟ فقالت : اجلس فيه واختاره لانه يجمع حوائجي كلها فاتناولها منه كما اريد من قرب . فقال لها : هبي لي صندوقا من هذه الصناديق . قالت : كلها لك يا امير المؤمنين . قال : ما اريدها كلها ، وانما اريد واحدا منها فقالت له : خذ ايها شئت ، قال : هذا الذي جلست عليه . قالت : خذ غيره فان لي فيه اشياء احتاج اليها . قال : ما اريد غيره ، قالت : خذه يا امير المؤمنين . فدعا بالخدم وامرهم بحمله ، فحملوه حتى انتهوا به الى مجلسه ، فوضعه فيه ، ثم دعا عبيدا له فامرهم فحفروا بئرا في المجلس عميقة ، فنحي البساط وحفرت الى الماء ، ثم دعا بالصندوق فقال : انه بلغنا شيء ان كان حقا فقد كفناك ودفناك ودفنا ذكرك ، وقطعنا اثرك الى آخر الدهر ، وان كان باطلا فانما دفنا الخشب وما اهون ذلك . ثم قذف به في البئر ، وهيل عليه التراب ، وسويت الارض ورد البساط الى حاله ، وجلس الوليد عليه . ثم ما رؤي بعد ذلك لوضاح اثر في الدنيا الى هذا اليوم . قال وما رأت ام البنين لذلك اثرا في وجه الوليد حتى فرق الموت بينهما .

والذي لا شك فيه هو ان الوليد احس واصابه غيظ شديد حينما علم بتشبيب الوضاح بام البنين ، وخاصة بعد ذلك التهديد الذي اصدره للشعراء جميعا . فاذا كانت العلاقة قد تجاوزت التشبيب الى هذا الحد الذي رأيناه ، فانه لا شك ايضا انه قد دبر مقتله دون ان تثار من وراء ذلك فضيحة . ويبدو من الاخبار ان الوليد كان قد امر بقتله في ثورته حينما علم بخبر التشبيب لولا ان تدخل ولده عبد العزيز في الامر ، وقال له : افعل به كما فعل معاوية بابي دهبل ، فانه لما شبب بابنته شكاه يزيد وسأله ان يقتله ، فقال : اذا تحقق قوله ، ولكن تبره وتحسن اليه فيستحي ويكف ويكذب نفسه . كما قال عبد العزيز لابيه الوليد : ان قتلته فضحتني وحققت قوله وتوهم الناس ان بينه وبين امي ريبة . فامسك الوليد منه على غيظ وحنق .

هل كانت ام البنين وراء هذه المأساة

والذي نراه في هذه القصة ، او هذه المأساة الغرامية ، ان ام البنين هي التي قتلت الوضاح ، وان الذي دفعها الى هذا القتل هو غرامها الشديد به وحبها القوي له ، وان نار الغيرة والاثرة الشديدة التي ركبت في غريزة المرأة ، هي التي حثتها في عنف على ان تقوم بهذه الفعلة دون رحمة او هوادة .

حقيقة نحن نرى ان في القصة مواضع ضعف ومواطن للشك ، وخاصة حينما تؤكد انه كانت بين الوضاح وزوجة الخليفة علاقة مشبوهة ، وانه كان يتردد عليها في مسكنها بما يريب في هذه العلاقة او يؤكد سوءها . وان كنا لا نشك في ان ام البنين أغرمت بالوضاح غراما شديدا ، وانها يسرت له الاتصال بالخليفة ومهدت له الطريق الى القصر بما يجعله مقربا من الوليد متفضلا عنده ، وانها طلبت اليه ان يشبب بها ، فاندفع في غير خوف ولا تردد ، يحثه على ذلك غرامه بها وحبه لها . وانها كانت تلذ التمتع بالنظر الى جماله الباهر والاستماع الى شعره فيها ، ولكن في غير ارابة او اثارة شبهة . وابيات الوضاح دليل على هذا الغرام الشديد ، اذ يقول :

صدع البينُ والتفرّقُ قلبي
وتولّتْ أم البنين بلبّي
ثوت النفس في الحمول لديها
وتولى بالجسم مني صحبي
ولقد قلت والمدامع تجري
بدموع كأنها فيض غرب
جزعا للفراق يوم تولّت
حسبي الله ذو المعارج حسبي

والذي يقرأ شعره في مديح زوجها الوليد يجد في صدره غزلا لا شك في انه في ام البنين .

وكل ذلك يؤكد لنا ان ام البنين ، المرأة الاثيرة الغيور ، هي التي دبرت لقتل صاحبها وعشيقها الوضاح ، بعد ان علمت بان الشاعر ليس لهما وحدها ، وان هناك اخريات جميلات فتن صاحبها فنال منهن الشعر الرقيق ، من مثيلات حبابة جارية يزيد بن عبد الملك التي شاهدها بالحجاز واعجب بها وبجمالها اعجابا شديدا ، وهند التي يقول فيها :

أيها الناعب ماذا تقولُ
فكلانا سائلٌ ومسؤولُ
حيثُ تسبي أن هندا قريبٌ
يبلغ الحاجاتِ منها الرسولُ

وسلمى ، التي يقول فيها :

ألا يالقومي أطلقوا غلّ مرتهنْ
ومنّوا على مستشعر الهم والحزنْ
تذكّر سلمى وهي نازحة فحنْ
وهل تنفع الذكرى إذا اغترب الوطنْ

ولكن الذي اثار حفيظتها ، وهيج غيرتها ما شاع عنه من انه شبب بفاطمة بنت عبد الملك وهي اخت الخليفة الوليد ، وكانت زوجة عمر بن عبد العزيز وقال فيها :

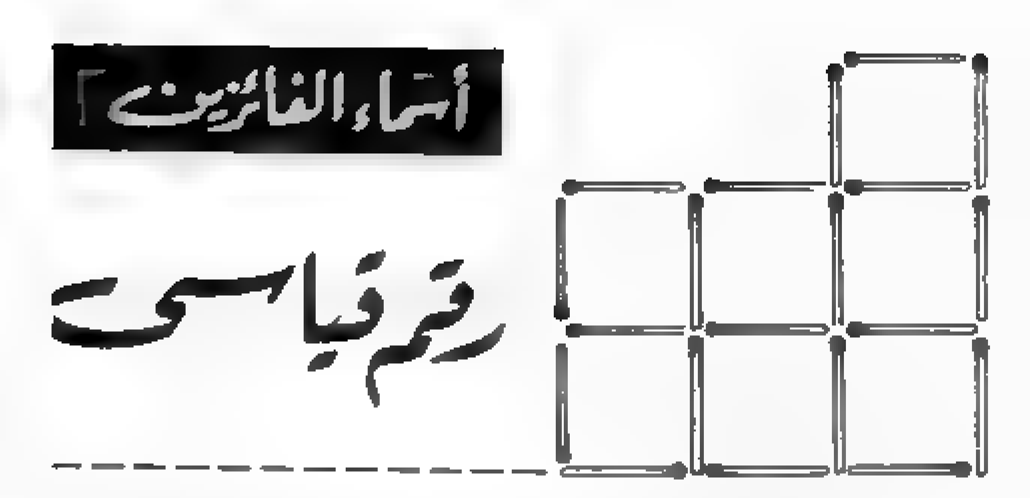
بنتُ الخليفةِ والخليفةُ جدُّها
أختُ الخليفةِ والخليفةُ بعلُها
فرحتْ قوابلُها بها وتباشرتْ
وكذاك كانوا في المسرّةِ أهلُها

هنالك ثارت ثائرتها ، واشتعلت النيران في دمائها ، وخاصة بعد ان تأكد لها الخبر ، وبلغ مسمع زوجها كما بلغ مسمعه خبرها ، فاحتنق واشتد غيظه . وقال : اما لهذا الكلب مزدجرٌ عن ذكر نسائنا واخواتنا ، ولا له عنها منقلب .

فعملت ام البنين على استدراجه الى دارها ، وتعمدت ان تريه الخادم الذي اتاها بالجواهر ، وان تريه الصندوق الذي خبأته فيه ... ولكن هل اشتكت ام البنين ؟ قالوا انها حجت بعد ذلك فكانت متحجبة ولم تكلم احدا ، وعادت من الحج على هذه الصورة .

ومات الخادم ، ودفن العشيق ، ولكن المأساة الغرامية ظلت باقية يتحدث بها الناس ، وقد قيض الزمان لذكرها من الشعوبيين الذين ظهروا وبرزوا في العصر العباسي من يكتب هذه القصة ويسجلها، وان تزيد فيها، حتى تشيع. ■■

محمد محمود النشي



قراء من ٣٢ دولة أوربية وآسيوية وافريقية

■ قفز عدد الاجابات التي تلقاها مسابقة العدد السادس والستين الى رقم قياسي جديد ، الا انها عديدة لم تسجله مسابقات العربي من قبل ، وكانت من بينها اجابات من اكثر من ٣٠ دولة اوروبية وامريكية وآسيوية وافريقية ، اكثرها عددا من سيرالون والحبشة ونيجيريا وايطاليا والمانيا الغربية والولايات المتحدة الامريكية ، واقلها من اسوج والسويد واسبانيا فلم يزد عدد الاجابات الواردة من كل منها عن خمس ..

ومع ان المسابقة كانت سهلة ، الا ان عددا غير قليل من المشتركين فيها لم يوفقوا الى الحل الصحيح ، فجاءت المربعات الخمس التي رسموها غير متساوية ، في حين ان الحل الصحيح هو الذي يراه القارىء في الرسم المنشور على الصفحة المقابلة ..

★ ★ ★

وقد اجريت عملية الاقتراع على الجوائز بين مجموع الاجابات الصحيحة فكانت النتيجة كما يلي

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها :

عبد الواحد الحاج خير الصالح — دائرة الاحصاء المركزية — وزارة التخطيط — بغداد — العراق .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها :

الطالب محمد عبد العزيز القطامي



مضو البعثة الكويتية بانجلترا .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها :

الآنسة فاطمة محمد حامد بقسم البرامج الربدية بالاذاعة والتلفزيون ـ الرباط ـ المغرب .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، لكل منها خمسة دنانير فاز بها :

١ ـ عبد الغني ترعي سابه أسمي السكري ـ شارع اسعمه ـ طرابلس ـ لبنان

٢ ـ صالح مصطفى محمد ـ ص.ب ٢١٧٣ الكويت .

٣ ـ عادل ماهر ، ص.ب ٧٦ دمشق سورية .

٤ ـ محمد عبد العال هلال ، المعهد الديني ـ دمياط ـ الجمهورية العربية المتحدة .

٥ ـ أحمد صبري ـ مكتب البريد ـ قلقيلية ـ الاردن .

٦ ـ عبد القيوم عبد الحليم سعد ـ مكتب بريد الميناء بورسودان ـ السودان .

٧ ـ علي محمد عمر الحديدي المدرسة الاعدادية ـ طرابلس ـ ليبيا .

٨ ـ عبد الغفور عبد الواحد الحاجة ص.ب ٥١ الشارقة ـ الخليج العربي .

■ ■ ■ ■ ■ ■ ■

وسترسل الجوائز الى مستحقيها .

أربع



الوجه الجديد للكويت .. مصانع جديدة حديثة ، يولي بنك الائتمان دعمها بالمال للتوسع

بنك الائتمان يمثل

■ نحن نعيش في عصر البترول .. ذلك السائل الأسود الذي انتشر وفاض بسحره على أسماء هذا العصر ، فالسيارات ، والطائرات ، وعابرات المحيطات ، وحتى مواقد الغاز أصبحت كلها تعتمد على النفط ومشتقاته ..

وشهدت الدول التي تسيطر على هذا المارد الأسود ، ازدهارا وتقدما لايجاريهما ازدهار أو تقدم في العالم ..

والكويت تأتي في مقدمة هذه الدول .. إذ هي تحتل الصف الرابع في العالم من حيث كمية انتاج النفط .. والصف الثاني من حيث كمية تصديره .. وتقفز الى الصف الأول من حيث كمية احتياطه ..

ويتقدم العالم بخطوات مذهلة ..

بنوك في بنك واحد ..



وتكبر .. ان الهدف هو ايجاد مصادر جديدة للدخل القومي في الكويت ..

وجه الكويت الجديد

ويفتت الذرة .. ويسخر الهيدروجين .. ويطلق الأقمار الصناعية والصواريخ .. حتى بات الوصول الى القمر محتملا خلال السنين القليلة القادمة ..

الخطر الخفي ..

كل هذه التبدلات والاختراعات وضعت الدول المنتجة للنفط امام سؤال قلق : ماذا لو اكتشف العلماء مواد احتراقية جديدة ، او طاقات حرارية تغني عن النفط ومشتقاته ؟!

كان هذا السؤال بمثابة ناقوس الخطر .. الذي دفع بالكويت الى الاستعداد لمواجهة الاحتمالات الحتمية القادمة في موعد مجهول لتزيح هذا المارد الاسود عن عرشه الســد ..

وشهدت قاعات وزارة المالية والبترول اجتماعات طويلة لدراسة مشروعات واقتراحات لخلق مصادر جديدة للدخل القومي ..

وسرعان ما تحول الكثير من هذه المشاريع الى حقائق ، فشهدت سماء الكويت أولى مداخن المصانع العالية ، وكأنها تنافس أبراج البترول المتشابكة ..

اربعة بنوك في بنك واحد !

وكان لا بد لهذه المشاريع من ممولين . ومن بين المشاريع التي شهدت النور ، مشروع اسموه



تشجيع الأهالي على الزراعة ورعايتها من الأهداف التي يسعى البنك لتحقيقها

بنك الائتمان .. ورصدوا له عشرة ملايين ونصف مليون دينار ، ليؤدي اغراض بنوك اربعة مخصصة ، التسليف الزراعي .. والصناعي .. والعقاري ، بالاضافة الى اغراض الموظفين في وقت واحد !

ومن خلال سطور قانون انشاء بنك الائتمان يستطيع القارئ ان يلمس مدى المسؤولية الكبيرة التي انيطت بهذا البنك ..

فتشجيع ابناء الكويت على اقتحام مجالات جديدة تقع مسؤوليته على هذا البنك ..

وتقديم الدراسات الصناعية لهم تقع مسؤوليته على هذا البنك ..

وفي مجال الانشاء والتعمير ، كانت الكويت تعاني ازمة مساكن خانقة ، وهي لستكمل بناء بعضها ، فكان لا بد من ايجاد جهة تؤمن الاموال اللازمة لتعمير المساكن الخاصة وتساعد في حل ازمة السكن .. فكان بنك الائتمان هو هذه الجهة التي تقرض اصحاب المساكن والعمارات الخاصة لانهاء مشاريعهم ..

احياء الزراعة

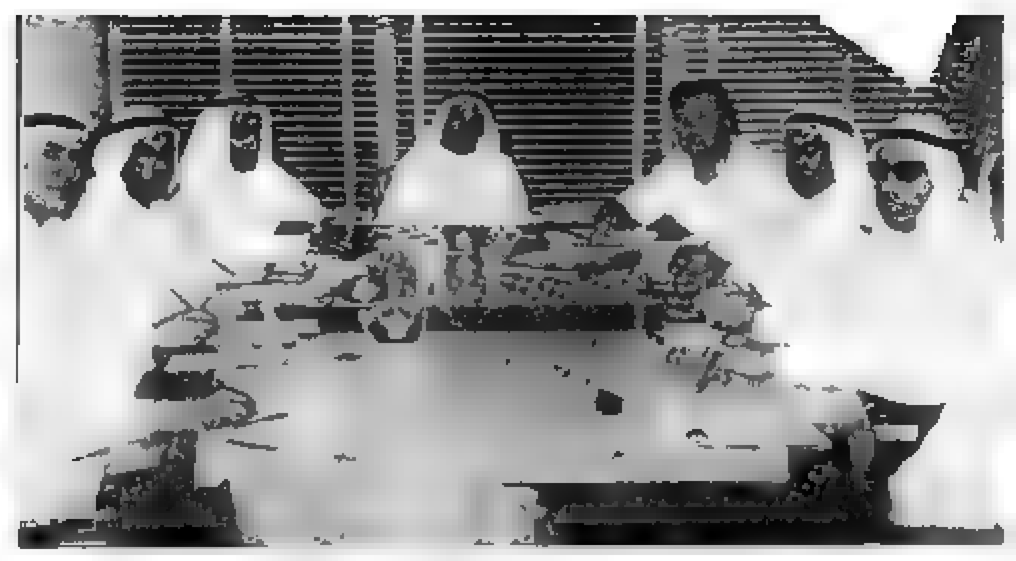
وفي ماضي الكويت كان الاقبال على أكل الخضراوات قليلا ضعيفا ، وكانت الكويت تكفي نفسها بانتاجها القليل .. وازداد العمران وتوسع وراجت الخضراوات .. واليوم يقع على بنك الائتمان مسؤولية استغلال الارض وتعهدها .

وكان موظفو الدولة يقترضون الاموال من السوق السوداء بفوائد فاحشة ، فجاء بنك الائتمان يعرض عليهم القروض بفوائد قليلة لحمايتهم من جشع المرابين ..

ان الهدف من كل ذلك هو تثبيت اركان النهضة العمرانية ، وتدعيم الاقتصاد الوطني ، وبناء مجتمع يستطيع استغلال الثروات الطبيعية التي في البلاد .

جولة بين الارقام

ان لغة الارقام هي لغة البنوك المفضلة ، فما



يجتمع مجلس ادارة البنك مرة كل اسبوع ، ومن الاول ، اليمين للكلمة الاخيرة في اعطاء القروض ، ورئيس المجلس : الاستاذ عبد العزيز البدوسري ، هو مدير البنك في نفس الوقت ، وتراه في وسط الصورة يتصدر اجتماعا للمجلس ومن يمينه نائب الرئيس السيد محمد الشايجي ، فالاعضاء عبد الوهاب عبد اللطيف المسعود ، وعبد الحميد منصور المزيدي ، ومحمد عبد العزيز الوزان ، وعلى في مقدمة النصف الأيمن الاعضاء عبد الله عمر ابو بكر ، وبدر يوسف بن عيسى ، والحاج مساعد عبد الله الساير ، ومحمد عبد الرحمن معروف امين سر المجلس .

بالله والائتمان هو اربعة بنوك في بنك واحد !

ان الارقام في بنك الائتمان معنى خاصا فهي تعكس صورة لتطور الكويت ، والتبدل الجذري الذي تعيشه ..

في عام ٦٢/٦١ قدم بنك الائتمان قرضا واحدا للتربية الحيوانية .. وفي السنة الثانية ارتفع عدد القروض للتربية الحيوانية الى ثمانية قروض .. وقفزت معها قيمتها من الفي دينار الى ٤٧ الف دينار ..

وفي المجال الصناعي ساعد البنك على انشاء العديد من الصناعات في الكويت ، لاول مرة في تاريخه !

ان الذي يقوم بزيارة مصانع المدينة الصناعية ، التي انبعثت في منطقة الشويخ ، على بعد عشرة كيلومترات تقريبا من العاصمة ، يستطيع ان يرى وجه الكويت الجديد ..

لقد ساهم بنك الائتمان في نهضة هذه المصانع مساهمة ايجابية فعالة جعلت الكثير منها يضاعف انتاجه ، ويوسع مجال عمله ..

واقسم هذه المصانع احدث الآلات ولا عجب في هذا ، فهي قد انشئت حديثا جدا ..

توفير الملايين

ومصنع الاسبست خير مثال لهذا ، فهو ينتج نوعا من الانابيب يتفرد بمزايا مقاومة فعل الاحماض ، والصدأ .. لقد كانت الكويت تدفع ملايين الدنانير سنويا ، ثمنا لاستيراد هذا النوع الثقيل من الانابيب الذي اصبح اليوم يصنع محليا ..

والى جانب مصنع انابيب الاسبست يرتفع اكبر واحدث مصنع من نوعه في المنطقة .

انه مصنع الخشب المضغوط الذي بدأ انتاجه

منذ شهور قليلة (ديسمبر ١٩٦٢) ، وما كاد هذا الانتاج ينزل الاسواق حتى جاءت الطلبات للمصنع من الكويت وخارج الكويت تطلب استيراد منتجاته من الواح الخشب المضغوط الذي تصنع منه المنازل الجاهزة ، والفروشات والابواب والشبابيك ..

وهنا جاء دور بنك الائتمان فاقرض المال للمصنع ليتوسع ويستطيع تلبية الطلبات المتكاثرة من الداخل والخارج ..

صناعات بالجملة ..

ان مجموع ما قدمه بنك الائتمان من قروض صناعية لتاسيس المصانع او توسيعها ، او تحسينها ، بلغ اكثر من نصف مليون دينار في السنتين الماضيتين .

وقد ساعدت،وتساعد،هذه القروض،على ايجاد مصنع الانابيب الصحية ، ومصانع الصناعات الصحية والهندسية ، ومخازن للتبريد واخرى للثلج والرخام والبلاط والموزاييك ، ومصنع لاعادة تلبيس اطارات السيارات المستهلكة ، وآخر لصنع مبردات السيارات (راديتورات) .

حتى النهضة الصحفية في البلاد اعتمدت على بنك الائتمان في ولادتها ، فاخذت قروضا بلغت ٢٥ الف دينار لشراء مكنات الطباعة ..

ومع هذا فان مجال التمويل الصناعي ما زال محدودا ، ويأمل البنك ان يكون صدور القانون تنظيم الصناعة وحمايتها ، فاتحة عهد جديد لتوجيه اموال خاصة اخرى نحو الاستثمار الصناعي في ظل برنامج مخطط لصالح اقتصاديات البلاد ... وهنا سيكون دور بنك الائتمان دورا هاما في سبيل مساعدة هذه الصناعات والاخذ بيدها ..



يهتم بنك الائتمان بالنهضة العمرانية بالبلاد ، فيساعد الاهالي في بناء منازلهم وتحسينها وتر

مشروع دبغ جلود ١/٢ مليون رأس ماشيـة

وتحقيقا للاهداف المرسومة ، عمد البنك الى الاستعانة بالخبراء لدراسة موارد البلاد وخاماتها، ليمكن انشاء شركات صناعية او زراعية ..

وكانت باكورة هذه الاعمال الانتهاء من وضع الدراسات الفنية لانشاء مدابغ لدبغ الجلود ودباغتها في البلاد ..

ان الكويت تأكل سنويا لحوم نصف مليون رأس، من اغنام وماعز ، وابقار ، وجمال.. تباع جلودها وتصدر الى خارج البلاد بابخس الاثمان ..

وبعد دراسة المشروع وجه بنك الائتمان الدعوة الى تجار الجلود والمدبغين في الكويت لينضموا اليه في هذا المشروع الذي يعتبر انشاؤه موردا من موارد الاقتصاد الكويتي ..

الادخار بعد الاسراف

ومن المشاريع التي ما تزال تحت البحث مشروع : الادخار ..

لقد تعود ابن الكويت في السنين العشر الماضية على حياة البذخ والاسراف والتبذير ، ويرى بنك الائتمان ان الوقت قد حان ليبدأ في تعلم الادخار الذي لا بد منه في كل زمان .

ان هذا المشروع لا يهدف الى تجميع اموال الشعب لمساعدة مالية الحكومة ، فلها من مواردها، ما يجعلها في غنى عن مثل هذه الاموال ، انما الهدف هو خلق وعي اقتصادي سليم بين طبقات الشعب ..

٣ ملايين دينار لاقراض ١١ الف موظف

وقد رصد بنك الائتمان مبلغ ثلاثة ملايين دينار



راضي اللازمة . كما تبنى البنك مشروع اقامة ألف مسكن شعبي لذوي الدخل المحدود

لاقراض موظفي الدولة بفائدة لا تتعدى ٢٪ ، انه يسعى الى ايجاد حياة استقرار في بيت الموظف، ويقضي على المرابين الجشعين ..

ولا يقتصر الاقراض في هذا البنك على صغار الموظفين الكويتيين فقط ، كما الحال في القروض الزراعية والصناعية والعقارية ، بل يتعداهم الى جميع الموظفين ، بضمان المكافآت المستحقة لهم عن سني خدماتهم ..

وقد بلغ عدد الموظفين الكويتيين المقترضين من البنك في العام الماضي ٤٦٩٦ موظفا يمثلون ٤٥٪ من مجموع الموظفين المقترضين ..

بينما وصل عدد الموظفين العرب المقترضين ٥٨٨٧ موظفا يمثلون نسبة ٤٩٪ .. ثم باقي الموظفين الاجانب وعددهم ٦١٢ موظفا يمثلون ٦٪ من المجموع ..

وقد تعددت جنسيات المقترضين حتى بلغت ٢٢ جنسية ، عدا الكويتيين .

اما قيمة القروض التي اقترضها جميع الموظفين في العام الماضي فبلغت ٢٨٨٩٣٩٢ دينارا وزعت على ١١١٩٥ موظفا .. بينما لم يتجاوز في السنة التي قبلها ١٥٤١١٢٩ دينارا ، وزعت على ٦١٢١ موظفا فقط ..

وابتداء من هذا العام أصبح من حق العمال الكويتيين المسجلين الاقتراض من البنك ، مما سيترتب عليه ازدياد كبير في نسبة القروض في العام القادم .

ومما يذكر ان موظفي وزارة الصحة هم اكثر الموظفين اقتراضا ، يليهم موظفو وزارة التربية والتعليم ، ثم موظفو وزارة الدفاع ..

مسكن لكل ذي دخل محدود

وفي حقل البناء والتعمير قام البنك بتقديم ما يقرب من مليون ونصف مليون دينار ، في السنتين الماضيتين كقروض لمساعدة الاهالي في تشييد وتحسين منازلهم وشراء الاراضي اللازمة .

كما قرر للغرفة التجارية الكويتية قرض بمبلغ ٣٠٠ الف دينار لاقامة مبنى لها .

وقد تبنى البنك مشروع بناء الف مسكن لذوي الدخل المحدود ليساهم مع الحكومة في حل ازمة السكن ، اذ ان قانون البنك يسمح له بالقيام بأي مشروع يتفق مع اهدافه ، تحقيقا لهدف الحكومة ، التي لم تكتف بجعل التعليم والعلاج بالمجان ، بل قررت ان يكون هدفها كذلك تأمين السكن اللائق لكل ذي دخل محدود من ابنائها .

مصنع لصنع الجبن

ومن الحقول الاخرى التي ساهم فيها البنك



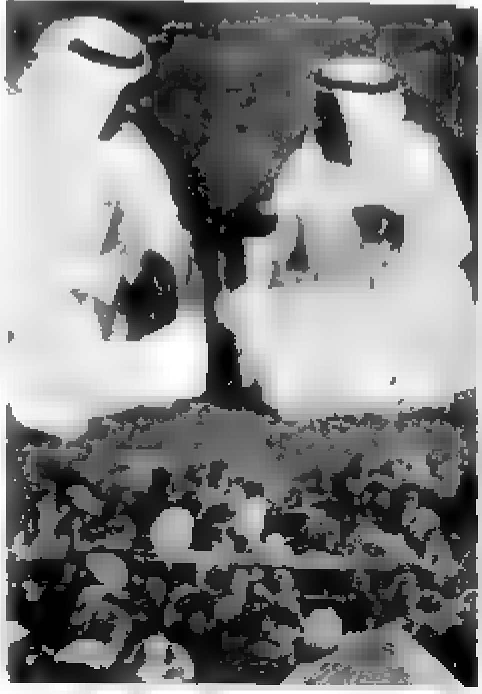
[illegible]

مساهمة فعالة ، حقل الثروة الحيوانية ، وزيادتها في البلاد ..

لقد فتح البنك بابه واسعا امام اصحاب الماشية والاغنام ، فقدم لهم ٢٧ الف دينار في العام الماضي ليشد ازرهم ويساعدهم ..

ان تربية الماشية في الكويت تختلف عنها في البلاد الاخرى، فالابقار الممتازة تأتيها من الخارج وحولتنا بالطائرات والسفن .. والكويت ، كما هو معروف ، بلد صحراوي ، لهذا كان طعام هذه الابقار يستورد معظمها على شكل كسب مخلوط بالبروتين والشعير والنخالة ، وبه فيتامينات تعوض الحيوانات عن الخضرة التي تفتقدها في الكويت .

وبالرغم من هذه المتاعب تتكاثر الحظائر ويزداد عددها .



أصبح الدجاج المحلي يكفي حاجة البلاد

ولقد قمنا بزيارة لمزرعة ابقار من التي يساعدها البنك فوجدنا فيها الابقار الهولندية البيضاء ذات النقط السوداء ذات الشهرة العالمية .. ولقد تضاعف عدد هذه الابقار خلال وجودها في الكويت اذ تكاثرت وتوالدت حتى اصبح عددها اليوم ٦٦ بقرة .. تنتج الف كيلو جرام من الالبان يوميا .. مما حدا ببنك الائتمان الى تقديم مبلغ ١٠ الاف دينار قرضا لصاحب المزرعة ، ليبني به مصنعا لبسترة اللبن ، وصنع الجبن الطازج الذي ما زالت الكويت محرومة منه ، بسبب نقص الثروة الحيوانية فيها ..

الدجاج يكفي البلاد

والى جانب الابقار يقوم البنك بتقديم القروض لمساعدة اصحاب مزارع الدواجن ، حتى اصبح في الكويت سلالات ممتازة من دجاج اللجهورن Leghorn الايطالي،والرود ايلند Rhode Islands الامريكي ، والسكس Sussex الانجليزي ، وغيرها من الاصناف التي لكل منها صفة خاصة .

ان الدجاج كان يستورد من الخارج اما اليوم فاصبح في الكويت مزارع تكفي حاجة البلاد وتغنيها عن الاستيراد ، اذا هي ارادت ..

العودة الى الارض الطيبة .. الخصبة

وفي حقل الزراعة قدم بنك الائتمان قروضا للمزارعين بلغت ٤٠ الف دينار خلال العامين الماضيين،ليساعدهم على شراء البذور ،والاسمدة، والآلات الزراعية ومد انابيب المياه ، وحفر الابار ..

ان الاراضي الزراعية الصالحة للزراعة في الكويت تشغل قرى صغيرة متفرقة ، كان اصحابها يزرعون فيها الخضراوات بنجاح ، ولكن اضواء العاصمة جذبتهم فجعلتهم يهجرون ارضهم الطيبة

الصغيرة .. واليوم يحاول بنك الائتمان اعادتهم الى ارضهم ليحرثوها ويزرعوها ويساعدهم بتقديمه القروض اللازمة لهم .. وبارشادهم لاحدث طرق الزراعة .

البنك لا يبعثر الاموال

ويتلقى السيد عبد العزيز الدوسري ، مدير البنك ورئيس مجلس ادارته ، يوميا طلبات عديدة وغريبة ، يطلب اصحاب بعضها دفع قيمة القروض التي يطلبونها في الحال .. ولكن مدير البنك يحتج في التفاهم ، بان هناك اجراءات لا بد منها قبل استلام القروض ، فبنك الائتمان حريص جدا على عدم بعثرة امواله في غير وجه نفع ، وفي نفس الوقت لا يعطي الا اذا تأكد من ان ما اقرضه سيرجع ثانية الى خزانة البنك .. لاجل هذا رفضت جميع انواع الكفالات الشخصية ، واصبح القرض لا يعطى لصاحبه الا اذا كان موثقا برهون عينية ..

الائتمان يعني الاطمئنان

ان مجهود بنك الائتمان في سبيل زيادة ثروات البلاد ، وايجاد الاطمئنان الاجتماعي مجهود كبير يذكر فيشكر .

انه تجربة ناجحة جاءت بنتائج باهرة مما دفع بادارة البنك ، التي تحتل حاليا مقرا مؤقتا الى الاعلان عن حاجتها لاستئجار مبنى يضم ٥٠ غرفة ، لان اعمال البنك في توسع وازدياد ..

ان بنك الائتمان هو عنوان الامن والاطمئنان لانه يعمل على خلق مجالات ومشروعات تؤمن للبلاد مستقبلا يرتكز على اكثر من مدخل قومي للبلاد ..



مزرعة للابقار الهولندية الاصيلة . انها واحدة من نحو ٢٠ مزرعة اخرى اصبحت منتشرة في مختلف انحاء الكويت ، يعمل بنك الائتمان على مساعدة اصحابها بتقديم القروض لهم ..



التحية

في قديم الزمان وحديثه

● شعوب ماتزال تتبادل التحية بحك الأنوف !
وأخرى بالركوع والسجود ، والانبطاح على الأرض !

■ استمرت في الناس اليوم عادات كثيرة ، كان لها أصل يومهم ، ونشأت من علة ، وعن حاجة .

ثم انمحت العلل بتقادم الزمن ، وخفيت الحاجات . وننظر اليوم في هذه العادات ، فلا نجد فيها ، منصفين ، إلا رموزا لمعان لا شك فيها ، وإن نحن شككنا في الأصول .

المصافحة

خذ مثلا المصافحة باليد .

إنك تلقى صديقك فتصافحه يمينا بيمين . وكما تصافح من تعرف ، تصافح من لا تعرف عند التعرف به .

فمن أين جاءت هذه المصافحة ؟

ولم كانت باليد ؟

ولم كانت باليد اليمنى خاصة ؟

ونبحث في الآثار عن منشأ هذه العادة فلا نجد إلا ظنونا . ومن الظنون ما يعقل . ومن الظنون غير المعقول .

ومن التعليل المقبول لمنشأ المصافحة ، أن الإنسان ، في عصره البدائي الأول ، كان أعز شيء لديه الأمان . كانت الحياة حربا ، والسلام عزيزا ، والغدر لا يؤمن . والآن ، فإذا أخرج الرجل يده الى الرجل ، وهي فارغة ، طمأنه ذلك على أن الغدر غير قائم .

والمرء يعمل بيمينه لا بشماله ، ويقدم بيمينه لا بشماله . والآن فإخراج اليد اليمنى أظهر للأمان .

ويفعل الثاني مثل ذلك .

وتلتقي اليدان اليمينيان لتكون المصافحة .

نعم معقول .

التحية بالكلام والسلام

وقد يلتقي الرجل بالرجل ، على غير قرب في الطريق ، فينادي الرجل الرجل بالسلام ، أو بما يفيد بينهما السلام .

ونحن العرب نسمي هذا بالسلام . ونقول السلام عليكم ، والسلام هو الأمن ، وهو تقليد العرب . ويعبر الانجليز عن هذا فيقولون Salute أو ما يشتق من هذه اللفظة ، ومعناها الأمن . والفرنسيون يقولون "Salut" ، ومن معانيها الصحة ، ولكن كذلك الأمن ، كاللفظة الانجليزية تماما . وحتى لفظ التحية في العربية مشتق من الحياة . ونقول للرجل حياك الله ، نطلب له مد الحياة وطولها ، ولا حياة إلا على الأمن .

فالأمن كان مطلب الحياة الأول .

ولا يزال .

التحية برفع اليد

ويلقى الرجلُ الرجل من بعيد أحيانا ، فلا يتسع اليه الطريق ، فيكتفي بالتحية ، بالكلام والسلام كما قلنا ، أو برفع يده . وكثيرا ما يكون رفع اليد الى الرأس .

ولا أحسب أن رفع اليد الى الرأس الا بدأ عند أهل الغرب .

وهم يقولون في ذلك انهم في العصور الوسطى كان فرسانهم يحيون أمير الطاعنين برفع خوذاتهم اشارة الطاعة ، وقد كانت تغطي رؤوسهم في الحرب تغطية كاملة .

ورفعوا خوذاتهم عند اللقاء كشفا عن نواياهم على الأمن والسلام .

وذهب عصر الخوذات في الجيوش ، وجاء عصر القبعات ، فرفع ضباط الجيش قبعاتهم للرؤساء عند اللقاء ، ورفع الجند . ثم اختصرت هذه التحية ، فصارت الأيدي ترفع الى القبعات ، ولكنها لا ترفعها . فكان السلام المعروف برفع اليد فقط الى حيث تكون الرأس .

وفي الجيش الامريكي تؤدى التحية برفع اليد الى حافة القبعة والكف الى أسفل .

وفي جيوش غير هذا الجيش تؤدى التحية هكذا ، ولكن الكف مبسوط الى الأمام .

والتحية برفع القبعة عادة أهل الغرب من المدنيين . وانتقلت اليهم لا شك من العسكريين .

والطريف أن رفع القبعة تحية عند أهل الغرب، وهو دليل احترام . والداخل الى الكنيسة يرفع قبعته .

وغير ذلك أهل الشرق . فان رفع غطاء الرأس عندهم، تحرر ، لا يجوز في موقف يوجب الاحترام، والصلاة عند المسلمين ، البعض يراها لا تجوز، والرأس عار .

التحية بحك الأنف

ومن أطرف التحايا ، التحية بحك الأنف . وهي عادة نشأت في جزائر بولينزيا Polynesia والملايو ، وبرمه ، ثم انتشرت في سائر أنحاء آسيا .

التحية بالركوع والسجود

والركوع والسجود ، وهي الانبطاح على الأرض ، كان لونا من ألوان التحية . وما جاز هذا أن يكون لغير الله .

ومن يدري ، فلعلها عادة لا تزال توجد في بعض أركان الدنيا النسية .

وبقيت بقايا من هذا اللون ، مخففة الى عهد بعيد . فانحناء الرأس عند التحية ، وهي لا تزال اليوم شائعة في أرقى المجتمعات المدنية ، ليست الا الحركة الأولى في سبيل الركوع . الا انه انتهى عنها اليوم معنى الخضوع .

ويحني الرجل رأسه للمرأة ، دليل الشهامة والنشأة الطيبة .

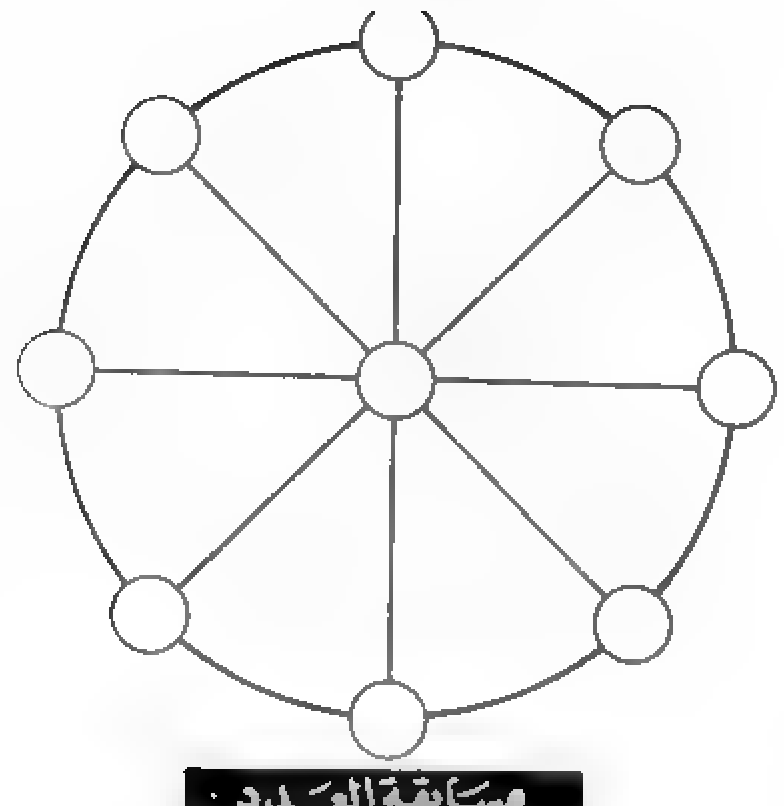
ثم التحية بالقبل

ومن التحيات التي يردّ أصلها الى الساميين والآريين كذلك ، التحية بتبادل القبل .. وقد ذكر المؤرخ اليوناني القديم هيرودوتس أن الفرس ـ في زمنه ـ كانوا يتبادلون التحية بالقبلات .. وكانت القبلة تطبع على الفم اذا كان الطرفان متكافئين . أما اذا كان لأحدهما أرفع مكانة من الآخر ، فان الأوضع يقبل الأرفع في خده .

ولا تزال عادة تقبيل يد الأب ـ أو الشخص الأكبر مركزا أو سنا ـ منتشرة في بعض مجتمعاتنا. وهي ترجع في الأصل الى العهد الاغريقي. وكانت القبلة تطبع أحيانا على الركبة ، اذا كان الفارق شاسعا في المكانة والقدر .

ولقد اكتسبت التحية بالتقبيل صبغة دينية، عندما اعتبرتها المسيحية تحية الأخوة . على أن الكنيسة ما لبثت أن قيدتها عندما خشيت اساءة استخدامها ، فلم يعد للرجل أن يقبل سوى رجل مثله ، والمرأة لا تقبل الا امرأة .. ثم حصرت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التي تقصر تبادل القبلات ـ في المناسبات والقداسات ـ على رجال الدين . أما غيرهم ، فيقدم اليهم صليب أو أيقونة للتقبيل .

على أن القبلة ظلت تحتفظ بجانب ذلك بمكانتها كوسيلة للتحية الاجتماعية . ولكن تبادلها تضاءل بين الرجال في المجتمعات ذات المدنية الحديثة .. وفي بعض الأقوام ، يكتفي بذكر التقبيل دون ممارسته . ففي النمسا والمجر لا يزال هناك من يقول اذا حيا من هو أكبر منه سنا أو قدرا « أقبل الأيدي » .. ولكنه لا يمارس التقبيل فعلا .



مسابقة العدد

٩ أرقام .. وجوائز ١٠٠ دينار

■ على محيط الدائرة المصورة فوق هذا الكلام ٨ دوائر صغيرة ، وفي مركزها دائرة تاسعة ، وتصل بين كل ثلاث من هذه الدوائر التسع خط مستقيم عبر دائرة المركز كما ترى في الرسم .

والمطلوب هو ان تضع في كل واحدة من الدوائر التسع الصغيرة رقما ، من ١ الى ٩ ، بحيث يكون مجموع كل ثلاثة ارقام تقع على خط مستقيم واحد ، هو ١٥

شروط المسابقة وجوائزها

١ ـ ترفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٢

٢ ـ يكتب على الظروف عبارة « مسابقة العربي ـ العدد ٦٨ » .

- آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر اغسطس (آب) ١٩٦٤ .
- يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا .. **الجائزة الثانية** ٢٠ دينارا **الجائزة الثالثة** ١٠ دنانير .

٨ **جوائز** مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، لكل منها ٥ ... وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع

اعرف وطنك أيها العربي

عدن



قام بهذا الاستطلاع
سليم زبال
وصوره
«اوسكار»

تجارها على التجارة من الحبشة حتى الهند

■ التواهي .. كريتر .. خور مكسر .. المعلى .. الشيخ عثمان ..

هل سمعت بهذه الأسماء من قبل ..؟

ان في ردك تكمن مقدار عدم المامنا بأجزاء وطننا الكبير .. فهذه الأسماء ما هي الا أسماء مدن وقرى تقع في بقعة عزيزة من هذا الوطن الكبير .. انها عدن .

ومعرفة العربي بهذا الجزء الغالي ، لا تتعدى نطاق الإطار السياسي غير الطبيعي ، الذي تعيشه عدن حاليا .

اما حياة الناس ... وعاداتهم ... وتقاليدهم .. وحضاراتهم .. وتاريخهم .. فهذه لا شك مجهولات عن الكثير .

الى هذه المنطقة الحساسة طارت بعثة « العربي » ، لتتابع تقديم سلسلة استطلاعاتها عن مدن الوطن العربي الكبير ، في محاولة لسد النقص في مكتبة العربية .



[illegible]

متناقضات

عدن بلد غريب عجيب يجمع بين المتناقضات والمفارقات ..

ميناؤه تفسح في أي ساعة من الليل او النهار، ما يلبث هناك باخرة جديدة في المياه !!

واهله يجففون مياه البحر ليقيموا عليه مدنهم بعد ان ضاقت بهم اليابسة على الارض !!

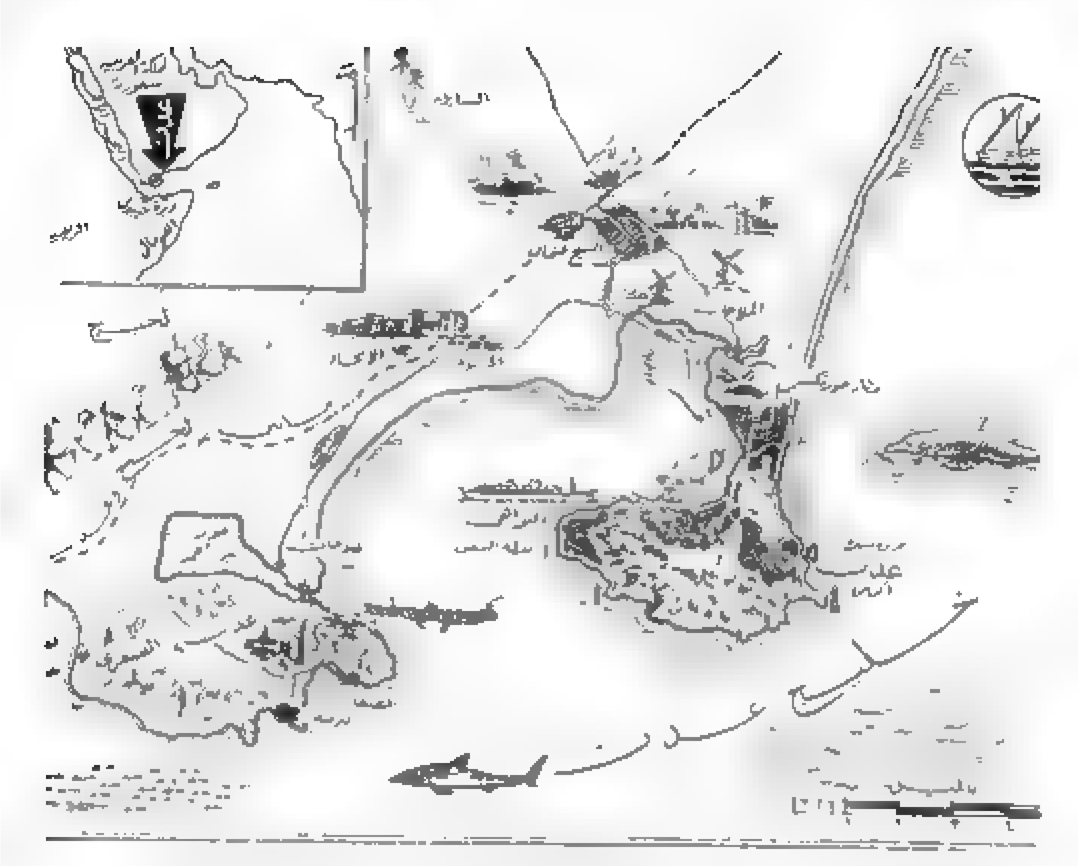
وفي عدن اجمل الشوارع والعمارات ، ولكن تتصل بها اقبح الازقة والاكواخ .. !!

وفيها احدث ما وجد من الكماليات والضروريات .. ومع هذا لا يزال اهلها يؤمنون بان وليهم – العيدروس – قد طير حجرا من اعلى الجبل لسد ثقبا في سفينة جانحة ، فأنقذها من الغرق!!

والاوروبيون في عدن يتسابقون باليخوت ، ويمارسون رياضات الجولف والتنس والسباحة والصيد ، بينما يكتفي المواطنون بلعب الكرة ومضغ « القات » مساء كل يوم !!

صراع مرير في ارض البراكين

انهم يقولون ان [illegible] هنا .. وان



تقع عدن على بعد ١٠٠ ميل شرقي هذه البوابة الهامة . ومساحة عدن لا تتعدى ٧٥ ميلا مربعا وهي عبارة عن رأسين بركانيين يطلان على خليج ... عرضه ستة أميال ، وفي الرأس الشرقي تقع مدينة عدن القديمة أو كريتر ، وكذلك مدينتا التواهي والمعلا ... ويربط هذا الرأس بالأرض الأم برزخ تقع عليه مدينتا الشيخ عثمان ، والاتحاد ، وقرية المنصورة .. وفي ... البركاني الثاني أي عدن الصغرى ، تقع مصفاة ...

غير هابيل موجود فوق جبال شمسان .. وأن بلقيس ملكة سبأ انطلقت من عدن مع جواريها الحسان وهداياها الثمينة لمقابلة سليمان الحكيم ..

إن تاريخ عدن قديم قدم الدهر .. فهي تراب البراكين التي شهدت منذ ملايين السنين صراعا وحشيا مريرا بين عناصر الطبيعة الصماء الثائرة في ذلك الحين ..

كانت سلسلة جبال السراة تسير متصلة هابطة من الشام عبر الجزيرة العربية ، ولكنها ما كانت تصل الى شواطيء المحيط الهندي ، في منطقة عدن ، حتى تحولت الى براكين ثائرة هادرة تقذف الحمم الى كل جهة ، وكأنها تسعى بلهفة لإرهاب مياه المحيط الهادئة .

ويستمر الصراع عنيفا قاسيا عدة أجيال .. ويأتي النهاية واضحة ، فقد تغلبت المياه الباردة على النيران الحارقة .. وهدأت البراكين الثائرة ، وخمدت حممها اللاهبة .

في فوهة البركان ..

ويسجل الإنسان نتيجة هذا الصراع ، فيجده







اجمل شوارع
عدن ، شرفوا ارصه
على البحر



الى فوهة اكبر هذه البراكين الخامدة ، فبنى فيها لنفسه مدينة : [illegible]

لقد جاء مولد هذه المدينة في منطقة محصورة داخل صخور بركان خامد ، وكان منفذها الوحيد من ناحية البحر، اما من ناحية البر فكان السبيل الوحيد هو تسلق الصخور المرتفعة الى ١٧٧٥ قدما ..

« نبوخذ نصّر » و « ابرهة » في عدن

ولم يستمر هذا الحصار الطبيعي طويلا ، فقد عمد الانسان الى الجبل البركاني فشق في وسطه ممرا تسلكه الدواب ، والجمال ، والعربات .. التي كان معظمها عاديا خفيفا ..

ولكن ما كانت تمر فترة بسيطة ، حتى تغير صوت النغم الجميل الرتيب ، الى نغم صاخب سريع لقرقعة السلاح ، وجمجمة الجنود ، ووقع حوافر الخيل لجيوش جاءت غازية طامعة ..

جاء نبوخذ نصّر البابلي غزاها متجها الى الحجاز عام ٥٧٤ ق.م.

وتبعه الرومان ، فجاءوها قبل الميلاد بـ ٢٤ عاما طامعين في تحويلها الى قاعدة لخطوط تجارتهم ..

ثم جاءها جيش حبشي كبير يتقدمه « ابرهة الاشرم » قبل الاسلام بسبعين عاما ، ولكن البطل اليمني سيف بن ذي يزن عاد ومعه جنود كسرى انو شروان فحارب الاحباش واخرجهم من عدن واليمن .

غموض ... وبلبلة

.. وبعد هذه الحقبة يلف التاريخ نفسها صمتا ، فالغموض يكتنف تاريخ المدينة والمعلومات شحيحة،

طريق العقبة [illegible]



٧ مليون طن من النفط تكررها هذه المصافي سنويا [illegible]

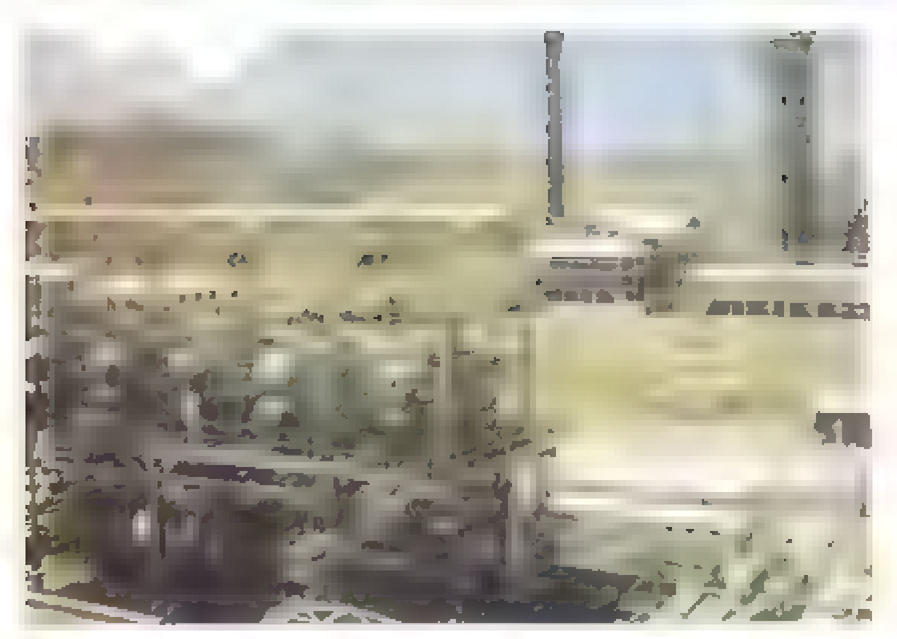
والقليل الموجود منها متنافي بعضه بعضا ، مما سلل الخواطر والاذهان ..

وتمر البلاد بفترة حروب متتالية تعرضها الى دويلات صغيرة متناحرة .. ويبدأ الصراع بنزاع بالعود اسم بني معن عام ٤١٢ هـ ، ويعدهم يأتي الصليحيون (٤٣٩ ـ ٥٠٩ هـ) وهي سلالة حكمت اليمن تحت سيادة الخلفاء الفاطميين في مصر ، ويعقبهم توران شاه الايوبي ، الذي ارسله شقيقه صلاح الدين الايوبي عام ٥٦٩ هـ، على رأس ثلاثة آلاف مقاتل .. وتدين عدن بالولاء للخلفاء العباسيين ..

وما تكاد البلاد تستريح قليلا حتى يأتيها البرتغاليون على مرتين ، عام ١٥١٣ وعام ١٥١٦ ، محاولين الاستيلاء عليها دون جدوى ، فيكتفون بسلب السفن وتدميرها في الميناء .

مكر وغدر

وتستمر قرقعة السلاح تسمع على الشواطىء وعلى رؤوس الجبال ، حتى يأتي السلطان التركي الماكر سليم الاول ، فيشرع في بناء اسطول كبير في السويس ، بمعاونة صناع البندقية ، ويتوجه الاسطول ، وعلى ظهره ..٥٦٠ بحار ، فيصل عدن في ٣ اغسطس ١٥٣٨ فيطلب الامان لحاكمها «عمر ابن داود» ويصدق المسكين وعد الاتراك فيصعد



ربع صور من عين الصمرى حيث مصانع البترول

لقهر سفينتهم، وفي الحال يقتلون رفيقه ويستولون على البلاد ..

ويتابع الاسطول التركي سيره لاحتلال الهند فيفشل ..

ويثور اهل عدن لمقتل حاكمهم فيثورون على حامية الاتراك ويتغلبون عليها، ويسلمون المدينة طوعا واختيارا للبرتغاليين ..

ويعود الاتراك ثانية فيطردون البرتغاليين ... حتى يأتي عام ١٦٣٠ فيهجم اليمنيون على الاتراك ويضمون عدن الى اليمن ..

وفي عام ١٧٢٨ يتمرد شيخ العبادلة في لحج على امام اليمن ويستقل بعدن ..

ويعلل بعض المؤرخين كثرة سقطات المدينة هذه بسبب مقارنة عدن لبرج الكوكب زحل .. الذي يعني الغروب دائما !!

عدن ثمنها ٢٠ الف جنيه !!

وفي عام ١٨٣٧ غرقت السفينة التجارية « دريادولت » عند شواطيء عدن، وكانت تحمل بضائع قيمتها ٢٠ الفا من الجنيهات .. ولم يترك قطاع الطرق الفرصة تفوتهم، فهاجموا السفينة الغارقة يحمل كل منهم ما امكنه من بضائعها ..

واحتجت بريطانيا لدى سلطان لحج، وقالت ان ابن سلطان لحج كان على راس المغيرين على بضائع السفينة التي كانت تحمل العلم البريطاني.

وانكر السلطان علمه بالحادث ورفض الاحتجاج ..

ميناء عدن هو اكبر موانيء العالم فيما عدا نيويورك لتموين السفن بالوقود
[illegible]





[illegible] عدن [illegible] [illegible]
[illegible]
[illegible]
من عدن ٩٨ سفينة في عام ١٩٢ [illegible] اليوم [illegible]
في عام ١٩٦٣ الى [illegible] سفينة [illegible] ٨ [illegible]
[illegible]

فارسلت بريطانيا سفينة حربية ، بها ٣٠٠ جندي مسلح ، تطلب دفع التعويض ، ورفض السلطان دفع اي شيء .. فتحول طلب التعويض الى طلب بتنازل السلطان عن الحكم .. ولكنه لم يفعل ..

وفي ١٩ يناير عام ١٨٣٩ بدأ القصف على نيران حامية ، ودافع الاهالي عن مدينتهم بعنف ، ولكنهم لم يصمدوا طويلا ..

وهكذا احتلت بريطانيا عدن بحجة تحصيل ٢٠ الف جنيه قيمة بضائع السفينة الجانحة ...

وكانت عدن اول مستعمرة يتم احتلالها في عهد الملكة فيكتوريا .

وظلت عدن تحكم بواسطة شركة الهند الشرقية حتى عام ١٩٢٢ ثم تحولت الى حكومة الهند .. وفي عام ١٩٣٧ اصبحت عدن مستعمرة من مستعمرات التاج البريطاني يحكمها حاكم بريطاني ..

من الهند واليمن والصومال

كان عدد سكان عدن وقت الاحتلال البريطاني







١٢٩٧ نسمة وكانت المدينة الحالية قرية صغيرة بها ٩٠ منزلا حجريا ، ويتقلب سكانها بمتوسطون حرفة الصيد .. ولكن سرعان ما بدأت أهميتها تتزايد بسبب موقعها الحساس وسط الطريق البحري الدولي للوصول من أوروبا للهند .

وبدأ البناء الحديث في عدن بطيئا متثاقلا .. فالمواد الأولية اللازمة معدومة .. والعمال نادرون .. وهنا اتجهت انظار الحاكمين الى الهند ، فجلبوا من بومباي النجارين والحدادين والبنائين .. واتجهوا الى اليمن فأتوا بالحجارين من طلبه سكنا .. واتجهوا صوب الصومال فجلبوا منها العمال والخدم والخادمات .

وكان الهدف الرئيسي هو بناء الثكنات لاقامة الجنود ، ذوي المعاطف الحمراء التابعين لشركة الهند الشرقية .

حياتها التجارة

ولكن المسئولين ظلوا يدركون ان عدن مركز للتجارة ، وليست مدينة للاقامة .. فقليل من موانيء العالم يشتهر بسوء المناخ مثل عدن : من مايو لسبتمبر حر زائد ورطوبة هائلة .. ومن اكتوبر لابريل جو معتدل .

كل الناس يهجرون المدينة خلال موسم الصيف هربا من شدة الحر والرطوبة ، فيفرغ الميناء من السفن ، وتتوقف قوافل الجمال عن السير .

واحس البريطانيون بأن عدن حياتها التجارة ، ولكن الموانيء المحيطة بها بقيتها بمنافستها القوية لها .

ففي الشمال ميناء مخا اليمني الكبير .. والى الغرب ميناء جيبوتي .. والى الجنوب الغربي بربره وزيلع في الصومال .

البن يغرق عدن !

ولم يستمر هذا الحول طويلا الا ما كاد عام ١٨٢٨ يحل حتى بدأ الميزان التجاري يميل لصالح عدن .. فالحروب في اليمن دفعت بقوافل الجمال من طريق مخا الى طريق عدن ، حاملة معها محصول البن الثمين الذي اغرق اسواق عدن .

ويقدرون عدد تلك الجمال بنحو ٢٥ الف جمل ، يحمل كل منها ٢١٥ رطلا من البن ، أي أن مقدار البن الذي كانت تصدره اليمن ، كان ١٢ مليون رطل تقريبا .

وكان هذا المحصول ينقل من مخا الى امريكا على ظهر سفن امريكية . وبعد ان تحول طريق قوافل الجمال الى عدن ، اصبحت هذه السفن

هواية الطوابع [illegible]







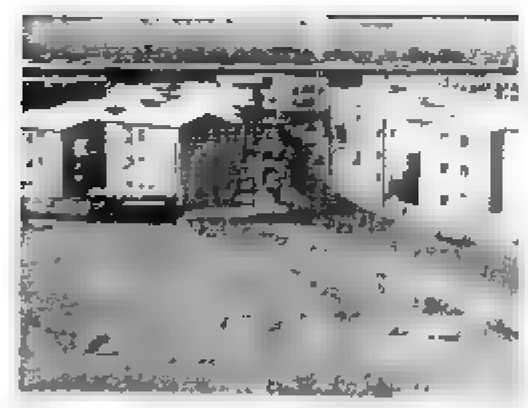
الشيدر والبرقع . المرأة العدنية في بيتها كأي امرأة في العالم المتحضر ، ترتدي الملابس الحديثة وتتزين بزينة المرأة الحديثة . ولكنها ما تكاد تخرج من عتبة منزلها حتى يستحيل عليك تمييزها أو معرفتها ، فالعباءة السوداء تغطيها كلها . ولكنها اليوم خرجت العباءة ، ويسمونه « الشيدر »!! وخرجت سافرة . ويتدرج السفور في عدن على عدة مراحل تمثلها هذه الصورة أحسن تمثيل . فالأولى من اليمين طرحت العصابة والشيدر جانباً . والثانية ارتدت البالطو ووضعت شعرها برباط حريري . والثالثة وضعت البالطو وكشفت وجهها . والرابعة وضعت الشيدر و سفرت عن وجهها . والخامسة وضعت الشيدر وحملت على وجهها منديلا شفافاً

من نقل البن منها ، بسبب ارتفاع الرسوم الجمركية فيها ، فتكدس البن في أسواق عدن بكميات هائلة!

وكان هذا من الأسباب الرئيسية التي دفعت الى اعلان ميناء عدن ميناء حرا عام ١٨٥٠ .

وكانت هذه الخطوة نقطة تحول كبيرة في تاريخ عدن ، اذ بدأت مختلف السفن تقصدها لتفرغ فيها بضائعها ، وتحمل بضائع المنطقة مكانها ، وتتزود بنفس الوقت بكميات الفحم اللازمة لها





أزمة المساكن ... [illegible]



أغنام من الصومال : لا توجد زراعة في عدن لعدم وجود مياه ، وبالتالي لا توجد تربية مواشي فيها لتستورد البلاد حاجتها من الأغنام من الصومال وبعض المحميات المجاورة ، حيث تعرض للبيع في سوق مدينة الشيخ عثمان بسعر يتراوح بين ... و ١٥ شلنا أي ٥ و ٧ جنيهات استرلينية للرأس . والأغنام كلها من الكباش ، أما النعاج فتأتي بطريق التهريب ويرتفع ثمنها الى ٢٥ شلن ... وتأتي الجمال من الامارات المجاورة وتباع بسعر يتراوح بين ... و ... الف شلن الواحد

سقوط المنافسين ..

ومع السفن القادمة جاء عشرات الألوف من التجار وخاصة من الهند فتمركزوا في عدن .. وفي عام ١٨٧٠ بدأ التلغراف اللاسلكي يعمل لأول مرة في عدن ، فأصبح بامكان تجارها الاتصال مباشرة بتجار أوروبا .. ولم تكن الموانيء المنافسة تملك مثل هذا الجهاز .. فبدأ نجمها في الأفول واحدة تلو الأخرى .. فقد هبط عدد سكانها من ٣٠ ألفا الى ١٢٠٠٠ وبينها جيبوتي .. وبربره .. وزيلع .

وعرفت أسواق عدن بمنتجات أفريقيا : من الصمغ والجلود وسن الفيل .. الى جانب قهوة اليمن ..

سفينة كل ٢٠ دقيقة

وتضاعفت أهمية عدن بعد افتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ اذ غدت وسط « الطريق الرئيسي للعالم » فأصبحت جميع السفن المارة من القناة تقف في عدن لتتزود بالوقود .. حتى بلغ عددها في العام الماضي ٧٠٠٠ سفينة .

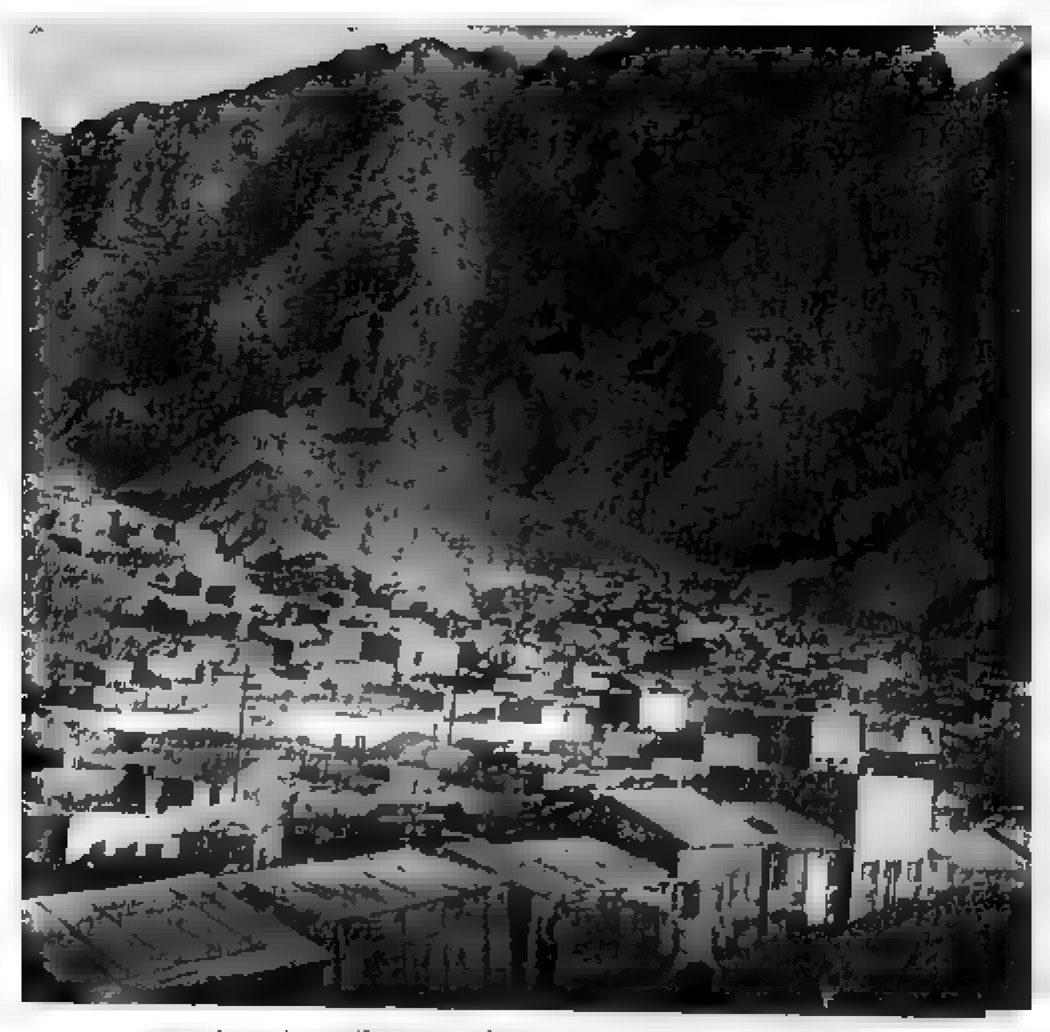
وقد أصيبت عدن بكارثة كبرى كادت تخنقها في عام ١٩٥٦ - ١٩٥٧ عندما أغلقت قناة السويس في وجه الملاحة اثناء الاعتداء الثلاثي .

مناطق نفوذ

وكلمة التجارة في عدن لا تعني البيع والشراء في المنطقة فقط .. بل تتجاوزها الى خارج عدن، حيث يمتد نفوذ تجارها من موزامبيق في جنوب افريقيا ، حتى السويس شمالا .. ومن وسط الحبشة غربا ، حتى سواحل الهند وايران شرقا .. أن تجار عدن الأكياد ، الوكلاء لهم ممثلون في مختلف تلك البلاد ، يشترون لهم مختلف المنتجات المحلية ليعيدوا تصديرها الى أمريكا وانجلترا وأوروبا والهند ، فربحوا العملات الصعبة يشترون بها ما يريدون

« ... ممثلنا في عدن ... »

ويسيطر تجار عدن من ممثلي الشركات الكبرى



تانالهي [illegible]

ـ وانفلتهم من الاجانب على هذه المنطقة الواسعة بيد قوية تخنق كل تاجر يحاول ان يتنفس من غير طريقهم ..

وبمعنى آخر ، اذا اراد تاجر في اليمن أو الصومال ، أو الحبشة ، ان يشتري بضاعة من شركة كبيرة فان الرد يأتيه : اتصل بوكيلنا في عدن ، لانه مسيطر في المنطقة كلها - وتذهب البضاعة مباشرة من اوروبا لليمن مثلا .. ولكن بسعر مرتفع عن سعر عدن .. لان الوكيل في عدن يقبض عمولته مباشرة من الشركة التي تضيفها الى سعر البيع للتاجر اليمني ..

٨٠٠٠ يهودي يصبحون ٨٠٠

والى جانب هؤلاء الوكلاء الاجانب ، برز عدد من التجار العرب من حضرموت واليمن وعدن .. فضلا عن فئة التجار العرب الصغار الذين عملوا





صهاريج عدن روح تاريخ في الهندسة ..

في السابق في السعودية وامريكا وفرنسا ثم جاءوا برأسمالهم الصغير للعمل في عدن ..

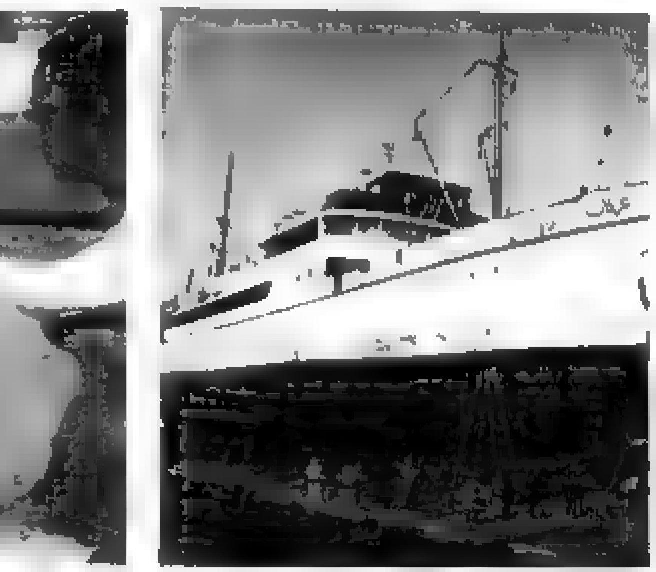
ومن العجيب ان « خلو الرجل » يكلف اكثر من ثمن البضاعة التي في المحل . وكلما اقترب المتجر من البحر كلما زاد ثمن « الخلو » حتى وصل الى ٦٥٠ الف شلن دفعها اخيرا تاجر عربي لتاجر اسرائيلي غادر البلاد .

ومما يذكر ان عدد اليهود كان ٨٠٠٠ شخص عام ١٩٤٦ اصبحوا اليوم اقل من ٨٠٠ بقي معظمهم في منطقة التواهي حيث يعملون في التجارة.

خور مكسر يربط عدن باليابسة

وهنا نتوقف قليلا لنتحدث عن عدن ومدنها .. فعدن ليست مدينة واحدة .. كانت كذا منذ ١٢٠ عاما ، اما اليوم فأصبحت تضم المعلا بمبانيها الأنيقة الشاهقة .. والتواهي بفنادقها الكثيرة وشواطئها الجميلة الممتدة .. وبين المدينتين بنى الصوماليون والنازحون من الامارات المجاورة اكواخا لهم في سفح جبل شمسان .. اما عدن القديمة فقد تضاعف حجمها وامتدت في كل اتجاه ..

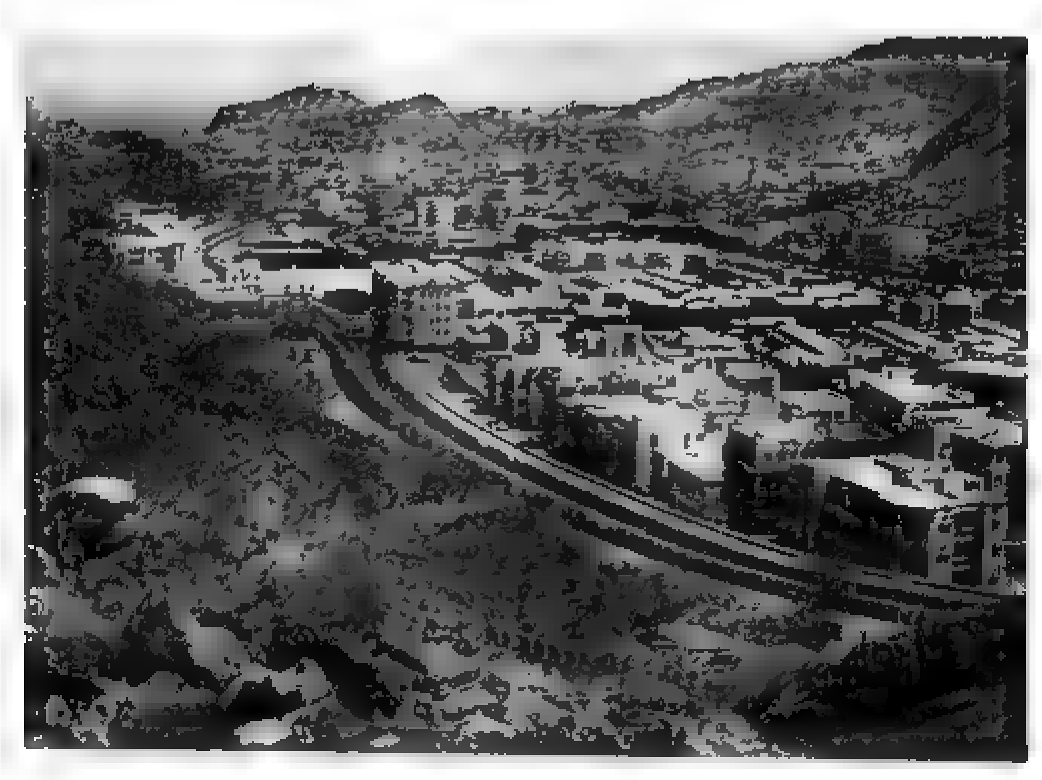
ان جميع هذه المدن المتناثرة قطرها لا يتجاوز الخمسة الاميال ، هي في نفس الوقت شبه جزيرة يربطها باليابسة عنق زجاجة يسمونه «خور مكسر» وهو ارض رملية ، بدأ البناء الحديث يغطيها ، وفيها مطار عدن المدني والحربي ومعسكرات الجيش البريطاني ، وطواحين الهواء التي كانت تجذب



اصلاح وترميم : لا يقوم ميناء عدن باستقبال السفن فقط ، بل يمتد الى ترميمها كما نرى هنا اثناء العمل في اصلاح قاع السفينة « عرفات » السعودية التي تعمل على نقل الحجاج من المكلا الى جدة ... حمولتها ... وقد دفعت نحو ١١٥ الف شلن ثمنا لاصلاح عطبها في مدة اسبوع وتعتبر « عرفات » اكبر سفينة يمكن ان تتسع لها الورشة العربية



غموض ! : يجهل ابناء عدن تاريخ بلادهم ، مع انها بلاد ذات ماض قديم ، كما يقول هذا الحجر ، الذي وجد قرب مدينة عدن ، وهو قطعة من حجر البركان بداخلها عظام انسان مات منذ ٢٠ الف عام ! ان الغموض يحيط بكثير من جوانب تاريخ هذه البلاد ، وآثار متحف عدن لا تعدو ان تكون احجارا عادية ، اذا قيست بقطع آثار عدن الموجودة في متحف لندن



مدينة في فوهة بركان !

انها عدن القديمة ، او كريتر ، Crater وهي الترجمة الانجليزية للفظ « فوهة بركان » ان الحياة لم تكن تتعدى هذه المدينة القديمة التي ظلت تنمو دون أي تخطيط ... وكانت مجموعة قرى مختلطة بعضها ببعض ، طرقها ضيقة لا تسع للسيارات والدواب ... مسكن الوطني لمعظم السكان ، وفيها القلب التجاري ...

ماء المحيط الى احواض واسعة يتركه فيها الله معرضا لاشعة الشمس حتى يجف ، فيؤخذ ملحه المتبقي ويباع في الأسواق ..

٧ ملايين طن من النفط سنويا

وما يكاد المرء يعبر عنق الزجاجة هذا حتى يجد نفسه في ارض واسعة في شمالها مدينة « الشيخ عثمان » التي لم يتخل طابعها العربي .. في العربي ، الذي انضمت اليه عدن عام ١٩٦٣ .. وبعد « مدينة الاتحاد » تقع عدن الصغرى بمصافي الزيت الكبيرة التي انشئت فيها ، والتي تكرر سبعة ملايين طن من البترول كل عام .

غربها مدينة الاتحاد وهي عاصمة اتحاد الجنوب

١٠٠ سيارة في الميل الواحد !

ان هذه التي تكون مستعمرة عدن ، التي تبلغ مساحتها كلها ٨٠ ميلا مربعا ، اربطها طرق للسيارات معبدة يمكنك ان تقطعها كلها في ساعتين لولا مصاعب المرور .. وما ادراك ما المرور وما مشاكله في عدن ..

ان ١٥ الف سيارة تسير على طرق طولها ١٥٠ ميلا ، اي ان كل ميل عليه ١٠٠ سيارة وهي نسبة كثيفة جدا تتسبب في وقوع الفي حادث تصادم سنويا ! هذا فضلا عن الازدحام الزائد وخاصة في اسواق عدن القديمة ..

ان شق طرق جديدة يحتاج الى ردم البحر ، وقد اتبعت هذه الطريقة في مد طريق خور مكسر

الفنان ابراهيم مسعد



سماعة، وأنهكها أهل عدن، دون أن يجدوا لها حلاً..!



ـ عدن القديمة ، وكذلك في الطريق الموصل من المعلا الى عدن الصغرى .

ظلموهم ..

وسائقو سيارات الاجرة في عدن يتمتعون بسمعة دولية سيئة ! حتى الحكومة تحذر السواح منهم فتقول [illegible] « معظم الذين يزورون عدن قد عانوا من بلطجة سائقي سيارات الاجرة المزودة بعدادات لا تستعمل الا نادرا . [illegible] وعليك الاتفاق مع السائق على الاجرة قبل ركوب السيارة ، ولا تدفع اكثر من شلن للميل الاول لم [illegible] لكل ميل »

وهاج سائقو هذه السيارات غضبا واحتجاجهم بذلك . وقالوا : ـ ظلمونا واتهمونا بدون

ان عددنا لا يتجاوز ٤٠٠ سيارة اجرة رسمية ، ولكن الى جوارنا تعمل [illegible] ٢ سيارة خاصة [illegible] اصحابها دون أن يكون لديهم تصريح بالعمل [illegible] وهذه السيارات هي التي تشوه سمعتنا [illegible] وقد حاولنا كثيرا ان نمنعها من العمل لكن القانون يحميها اذ لا يمكن معاقبة صاحبها الا اذا ضبط وهو يقبض نقودا من الراكب .. وهذا لا يتم لحرص هؤلاء السائقين على استلام النقود من الراكب وسط الطريق .. »

سكة حديد حربية

وفي عام ١٩١٥ كانت عدن مرتبطة بسكة حديد حربية مع قرية الخداد في شمال لحج وقد مد هذا الخط ، لان الاتراك كانوا يهاجمون الانجليز



قريبا نشاهد هذه الوجوه في بلاد العروبة الاخرى

يقبل الشباب العدني على لعبة كرة القدم [illegible] كل ميدان [illegible] وقد انتخب هذه [illegible] لعبة [illegible] الاتحاد الرياضي [illegible] فرقا من الدرجة الاولى و [illegible] من الدرجة الثانية [illegible] الخارج [illegible] الى [illegible] الدول العربية [illegible] بعد مباراة حامية فاز فيها الاول [illegible]

في عدن من اليمن ، حتى وصلوا في هجومهم الى احتلال لحج فتمركزوا فيها واجتاحوا في احدى هجماتهم مدينة الشيخ عثمان .. ولم يخرجوا منها الا بخروجهم من المنطقة كلها ، طبقا لمعاهدة الصلح ..

وظلت هذه السكة الحديد تعمل حتى توقفت نهائيا عام ١٩٣٢ .

وفي عام ١٩٦٢ فتح طريق معبد يربط بين عدن ولحج طوله – من مدينة الشيخ عثمان – حتى لحج ٢٢ ميلا .

مخازن الخضر في الامارات المجاوره

واصبح باستطاعة سكان عدن الذهاب الى لحج لقضاء عطلة نهاية الاسبوع وسط مزارعها الخضراء ، فعدن مدينة ليس فيها ماء ، ولا بساتين ، انما تشرب من مياه لحج التي تاتيها بالانابيب ..

اما الخضراوات فتاتيها في الليل عبر هذا الطريق المعبد على شاحنات كبيرة تفرغ حمولتها في سوق المنتجات الزراعية قرب مطار عدن .

ويتهافت التجار على هذه السوق فيشترون سنويا ١٥ الف طن من القرنبيط والكرنب والجزر والطماطم والخس والخوخ والمشمش والبرقوق والعنب .. وكلها من الزروعات التي تنمو بنجاح كبير في لحج ومكيرس – قرب حدود اليمن – وارض الظاهر بالسلطنة العوذلية ..

وتزداد الحركة في السوق عندما يصل متعهدو تموين السفن فيشترون الخضراوات والفواكه بكميات كبيرة ضخمة ..

كيف تطبخ « الزربيان » ؟

وكان ابو البلد في عدن لا يميل كثيرا الى الخضراوات ، بل يفضل عليها اكلته الشهيرة « الزربيان » ، ولكنه لا ياكلها – عادة – الا في المناسبات والافراح والمآتم لانها اكلة معقدة



حيث يوجد طين توجد صناعة الفخار ،

يحتاج طبخها الى يوم كامل تقريبا .. ! وتبدا عملية طبخ الزربيان بخلط اللحم بالبهارات والتوابل واللبن الزبادي ، ويترك الخليط في حلة مغلقة لمدة ساعتين حتى يختمر .. وبعدها توضع فوق الخليط قشرة بصلة كبيرة عليها قليل من السمن ، في وسطها جمرة موقدة ويغطى القدر لمدة نصف ساعة .. تفتح بعدها الحلة ، لاضافة الارز والبطاطس والزعفران مع الحب الهال او الحبهان والقرفة والكمون ، وتقفل الحلة وتوضع وسط فحم موقد حولها وفوقها لمدة ٤ ساعات حتى

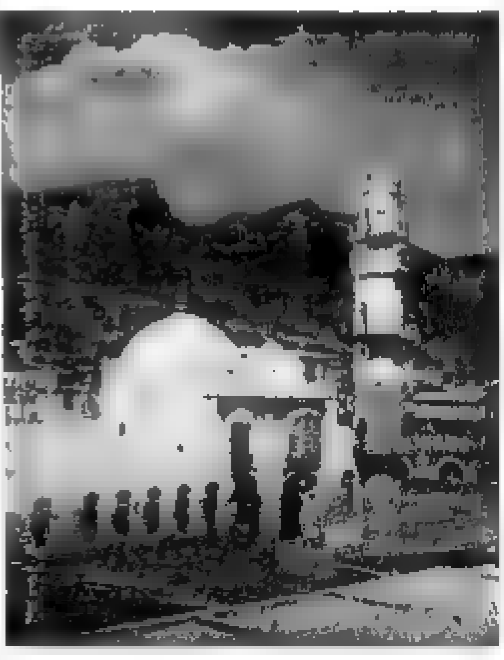


تضج . سببها زهرة الليمون التي لا بد من اضافتها للحم !!

يقظة بعد سبات عميق

كانت المرأة العدنية تقضي يومها في طبخ هذه الأكلة ، أما اليوم فقد تركتها لطهاة متخصصين يقومون بطبخها نيابة عنها .. لأنها بعد استيقاظها من السبات العميق الذي كانت تغط فيه عبر الأجيال ، وجدت نفسها مشغولة جدا ..

وكانت خطوتها الأولى تكوين جمعية تسعى لحل مشاكلها المتراكمة ، وفي مقدمتها الجهل الذي



هنا يرقد العيدروس . يعتقد أهل عدن بكراماته وبأنهم اعتقاد راسخ ، وخاصة بكراماته في شفاء المرضى . السيد أبو بكر بن عبد الله العيدروس ، حامي عدن ووليها الذي ما زال معظم سكانها يحتفلون في قربه الحضرة ومعه كل زفاف ، يركب العروسان السيارة ويطوفان بالمسجد للتبرك قبل الذهاب لبيت العرس

الذي كانت تعيش فيه أغلب النساء بسبب عدم وجود مدارس للبنات في القديم ..

هجوم ناعم ..

وكانت فكرة بناء ناد هي أول قرار اتخذته جمعية المرأة العدنية ، لا ستتاح لها استعمال بناء النادي كروضة للأطفال في الصباح ، وناد للسيدات في المساء ..

ولكن من أين المال ؟ والمرأة العدنية مكبلة بتقاليد وعادات قديمة !

ولكنها ضربت عرض الحائط بهذه العادات واتجهت السيدات ، يطرقن الأبواب ، فقصدن التجار في متاجرهم ، والمحسنين في منازلهم المحرمة عليهن ، وطلبن من الرجال مساعدتهن لبناء أول ناد لهن ..

ولم يخيب الرجال ظن النساء فتبرعوا بمبلغ ١٢٢ ألف شلن كانت نواة طيبة للبدء في اقامة مبنى النادي الكبير .. وارتفع البناء عاليا .. ولم يستمر الحلم الجميل طويلا فقد توقف البناء ، فالمقاول يطالب بـ ٦٨ ألف شلن أخرى لانهاء المبنى !

لم يجب أحد ...

وأسقط في يد المرأة ، وعقدت الاجتماعات الطويلة حضرها في مرة من المرات ٥١٧ امرأة عدنية ، كل يعرضن وجهة نظرهن .. واقترحن اقامة حفلة كبرى تجمع اثناءها التبرعات .. ولكن بلدية عدن اعتذرت عن اعطائهن قاعتها الكبرى .

واتجهت السيدات المكافحات الى رؤساء وملوك العرب فكتبن الى كل منهم خطابا مؤثرا يطلبن فيه العون والمدد .

وأصبح الناس يتحدثون عنهن ..

كل هذا بسبب ٤٠٠٠ جنيه استرليني !!

ان المرأة العدنية تقف اليوم مكتوفة الايدي



قريبا من الازهر يقف مسجد النور [illegible]

امام ٦٥ الف شلن .. ان هذا المبلغ سيعمل على رفع مستواها وييسر لها تعلم القراءة والكتابة والخياطة والتطريز .. كما سيعمل على فتح اول روضة يتعلم فيها اطفال عدن !!

٩٠ الف مواطن قدموا من الشمال

ان عدد سكان عدن اليوم ٥٢٠ الف نسمة تقريبا ، منهم ٢٠٠ الف عربي والباقون اوروبيون وهنود ومن ابناء افريقيا الشرقية ..

ونسبة النساء الى الرجال متساوية تقريبا بين المقيمين في عدن ، ما عدا بين العرب القادمين من شمال البلاد والامارات المجاورة ، اذ تنخفض نسبة النساء بينهم الى ١٠٪ فقط .

ويقدرون عدد الذين قدموا من الشمال بنحو ٩٠ الف مواطن ، ينقسمون الى طبقتين : التجار، وهؤلاء اندمجوا مع اهل البلاد ، وكون بعضهم ثروات طائلة .. والعمال ، وهؤلاء قليلو الاندماج وهم يأتون الى عدن للركض ماكلاتهم في قسراهم ، ويعيشون عيشة بسيطة ، فالكثيرون منهم لا يقيمون في منازل او حتى في عشش ، بل يقضون في الليل بفرشهم الخفيفة على الارصفة وفي الميادين والساحات القريبة من الميناء ، وحتى في سطوح الجمال ينامون عليها في الهواء الطلق .. !

من هو « كوكيم شو » ؟

ويجتذب عدن اليها خليطا عجيبا من الناس



الاغنية الهندية كانت ان تقتل الاغنية العدنية : يطرب ابناء عدن ملاهاتي ويولعون بسماع الاسطوانات ... حتى انك تستطيع سماع اغنية باكملها وانت متنقل في الاسواق ، لان الراديو موجود ومفتوح في كل متجر ! وتقوم اذاعة عدن ببث اذاعتها مدة ١١ ساعة في اليوم على موجتين قصيرة ومتوسطة ... والبرنامج العربي منفصل تماما عن البرنامج الانجليزي ... ان ميزانية الاذاعة ـ سبعة آلاف جنيه ـ لا تسمح كثيرا بتنويع البرامج ولكن الشباب العدني يقبل بلهفة على العمل دون انتظار للمادة ، وقد استطاع بعض الفنيين الشباب ان يخرجوا من حصار الاغاني الهندية ، التي كادت ان تقتل اللون الشعبي ، فلمعوا وابرزوا الاغنية العدنية ، واصبحوا من انجح المحبوبين في عدن والامارات المجاورة ، وفي مقدمتهم الفنان الشعبي ذو الصوت البحري محمد مرشد ناجي (صورته فوق هذا الكلام) ، والفنان المجدد ، ملك العود ، أحمد بن أحمد قاسم

يأتونها يوميا على اقدامهم ، وعلى ظهور الجمال ، وسيارات اللاندروفر ، وعلى السفن العربية القديمة .. انهم لا يؤمنون بالحدود الفاصلة ، لانهم يعتبرون المنطقة كلها وحدة واحدة ، وبلدا واحدا .

والى جانب هؤلاء الوافدين تحتل على عدن هجرة اخرى تتعارض ومصالح شعب هذا البلد ، انهم يأتون الى عدن بالطائرات والسفن الكبيرة وسرعان ما يتمتعون بكافة الحقوق والامتيازات والمراكز الحساسة .. فينافسون ابن عدن في رزقه وعمله ومستقبله ..

واليك نموذجا لما تنشره صحف عدن من اعلانات غريبة .. فقد قرأنا في احداها تحت عنوان : « تجنس » ما يلي .

« هذا اعلان للجمهور بأن « كوكيم شو » تقدم بطلب التجنس وكل من له اعتراض ، عليه ان يكتب برسالة الى السلطات يضمنها كافة الاعتراضات .. » .

واول اعتراض يمكن ان يوجه لهذا الاعلان يكمن في اسم صاحبه . « كوكيم شو » .. ترى من اي مكان يمكن ان يكون؟ من الهند او السند او الجنترا او الصومال ؟ ان هذا كله غير مهم لان قانون الجنسية عرّف العدني بهذا التعبير « اللطيف »

« العدني هو كل من ولد في عدن ، وقطع صلته ببلده الاصيل ، وعليه ان يفهم ويتكلم العربية ؟؟ » .

هل فهمت ... ؟؟؟

اموال السائح هي الهدف

.. وتستيقظ عدن مبكرة احيانا ، ومتأخرة احيانا اخرى ، طبقا لحركة السفن في الميناء التي تقرر مواعيد فتح واغلاق المتاجر المتشابهة في بضائعها ومعروضاتها .

وليس لتجار عدن من هدف سوى اموال السائح ،

وخاصة التي لا يملك سوى ساعات معدودة ، فيها ترفع له الأثمان حسب ما يراه التاجر الذي ليس عليه أي رقيب أو حسيب .

وليس صحيحا أن الأسعار في عدن دونها في سائر البلاد العربية .. فقد وجدنا فيها أن السجاير والعطور وكثيرا من الكماليات تباع بأسعار أغلى بكثير من الأسعار المتداولة في الكويت وبيروت مثلا .. ولكن مما لا شك فيه أن أسعار أدوات التصوير والسينما والساعات تقل كثيرا عن مثيلاتها في كل الدول العربية .. والأوروبية كذلك .. والسبب الرئيسي هو عدم وجود ضريبة جمركية عليها ، عكس السجاير والعطور والخمور ..



ماما عديلة : أحب سيدات عدن الى قلوب الأطفال، التي تقدم لهم برنامجهم الأسبوعي المفضل

ومما يذكر أن عدد المطربات في الإذاعة على كثرتهن ثلاثة لم تبق واحدة منهن ... أصبحت ... روحت . أما الثالثة فبدأت بالغناء ، وهي صغيرة ، وعندما بلغت سن الـ ١٤ تحجبت ، أي وضعت الحجاب على وجهها وامتنعت عن الغناء ! وهكذا انحسبت أصوات المطربات من إذاعة عدن ، ولم تبق سوى المذيعات ، وفي مقدمتهن ماما عديلة .. ومن المنتظر أن يبدأ في أكتوبر القادم البث من محطة التلفزيون الجديدة

جولة في الحافلة !!

وفي ميدان الهلال بمدينة التواهي ، أي عدن الحديثة ، تقف الحافلات لتنقل الركاب بنصف شلن الى عدن القديمة ..

وتمر الحافلة وسط القباب المعدنية التي تحتل أجمل المناطق .. ثم تمر على البيوت الشعبية الملونة في منطقة الروضة ، التي أغلب سكانها من الصوماليين ..

وتتابع الحافلة سيرها وسط شارع المعلى الأنيق فيزداد عدد الركاب ويقفون على السلالم .. في الملابس هنا تشعر وكأنك في حديقة للملاهي ، فالفوطة المزركشة بالألوان ، والخطوط العريضة تغطي الساقين والوسط ، وفوقها قميص من النايلون .. وعلى الرأس عمامة حمراء أو صفراء أو خضراء ، يلفها كل رجل في طريقة لفها ، بعضهم يتركها ضخمة كبيرة ، وبعضهم يجعلها صغيرة لطيفة .. ويكمل الزي بطاقية عادية مصنوعة بأيدي سيدات المنزل وعليها رسوم أعلام وكتابات منثورة . إنها ملابس الناس المنتشرة في اليمن نقلوها معهم الى عدن ..

وفي شارع المعلى تصعد الفتيات الصوماليات اللواتي يعملن عند العائلات الأجنبية ، إن بشرتهن السوداء وشعر ... وألوان ملابسهن الزاهية يجعلهن محط أنظار ركاب الحافلة ..

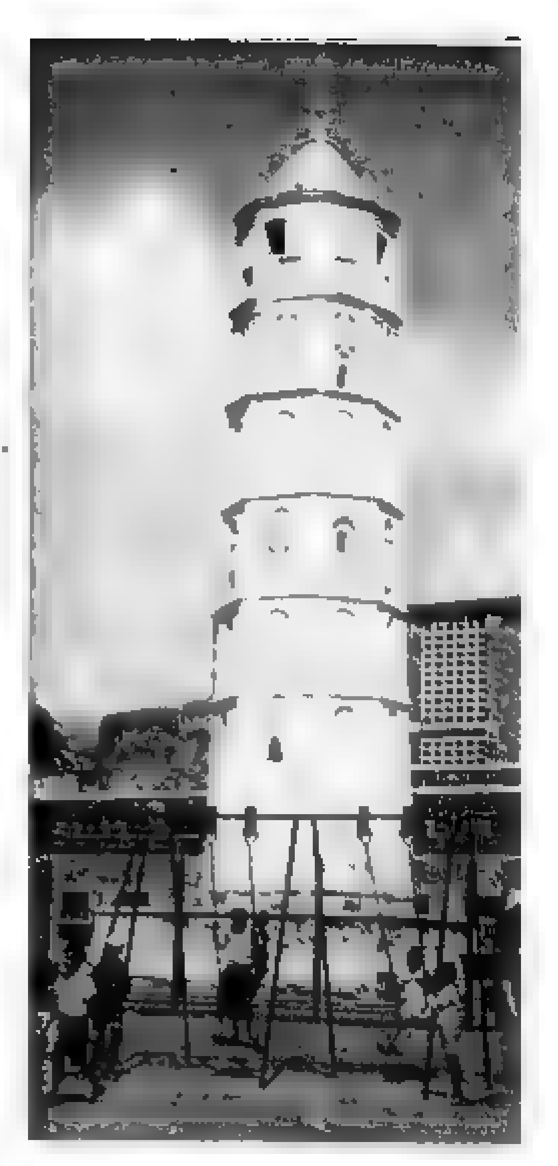
وتقف الحافلة في المحطة ويصفر السائق فتقع إحدى السيدات على الأرض فيبدأ ركاب الحافلة في الكلام والصراخ مرة واحدة ، كل منهم يلقي باللوم على السائق والكمساري .. وتتعطل السيارة وتقف السيدة .. ولا يظهر عليها أنها أصيبت بأذى ، فيصفر الكمساري وتنطلق الحافلة التي لا بد أنها اشتكت أمرها من هذا الخلق النشاز الذي تحمل به !!

آسف ...

إن الحديث عن عدن شيق وكثير .. ولكن عدد الصفحات لا يتسع له ويجد القارئ تحت الصور شرحا وافيا لكثير من النقاط التي لم يرد ذكرها.

غيوم ... وسياسات

ولا يمكن أن يتم الحديث عن عدن ويكمل إلا



المنارة [illegible] هي كل ما تبقى من جامع قديم اندثر، ولا يعرف بالضبط اسم [illegible] ، البعض يقول [illegible] الأموي عمر بن عبد العزيز منذ ١٢٧٠ سنة و [illegible] ... [illegible] الشعب [illegible] ... وتحت ظل هذه المنارة الأثرية [illegible] ... الأطفال

بالحديث عن القيوم السياسية التي تغطي سماء البلاد ..

ان التيارات السياسية في عدن كثيرة ومتشعبة، تلعب فيها الناصرية والرشداوي دورا كبيرا هاما ، حتى ليصعب على الغريب القادم الى البلاد ان يميز او يفرق بين الوطنيين وادعياء الوطنية .

وتلعب الاحزاب السياسية دورا هاما وخطيرا في عدن ، وحزب الشعب الاشتراكي هو اقوى هذه الاحزاب واكثرها تنظيما .. ورئيسه عبد الله الاصنج ، وقد قال لنا : ان حزبنا يطالب بجلاء القوات البريطانية ، واستقلال البلاد .. ولكن هذا ليس هدفنا النهائي ، بل نعتبره « هدفا مرحليا » يقودنا لتحقيق الوحدة الطبيعية مع اليمن .

« وهذه الوحدة متروك امرها للشعب الذي عليه ان يقرر ان كان يريدها ام لا ، وذلك في استفتاء شعبي بعد الجلاء والاستقلال .. » .

والحزب الثاني في عدن هو حزب رابطة ابناء الجنوب ، وهو اقدم احزاب عدن اذ تألف عام ١٩٥٠ ولكن قادته يعيشون خارج عدن منذ عام ١٩٥٦ .

وقد توصل قادة هذا الحزب اخيرا الى الاتفاق مع قادة حزب الشعب الاشتراكي على هدف موحد وهو ان يتركا للشعب العدني حرية تقرير مصيره بعد الجلاء ونيل الاستقلال ..

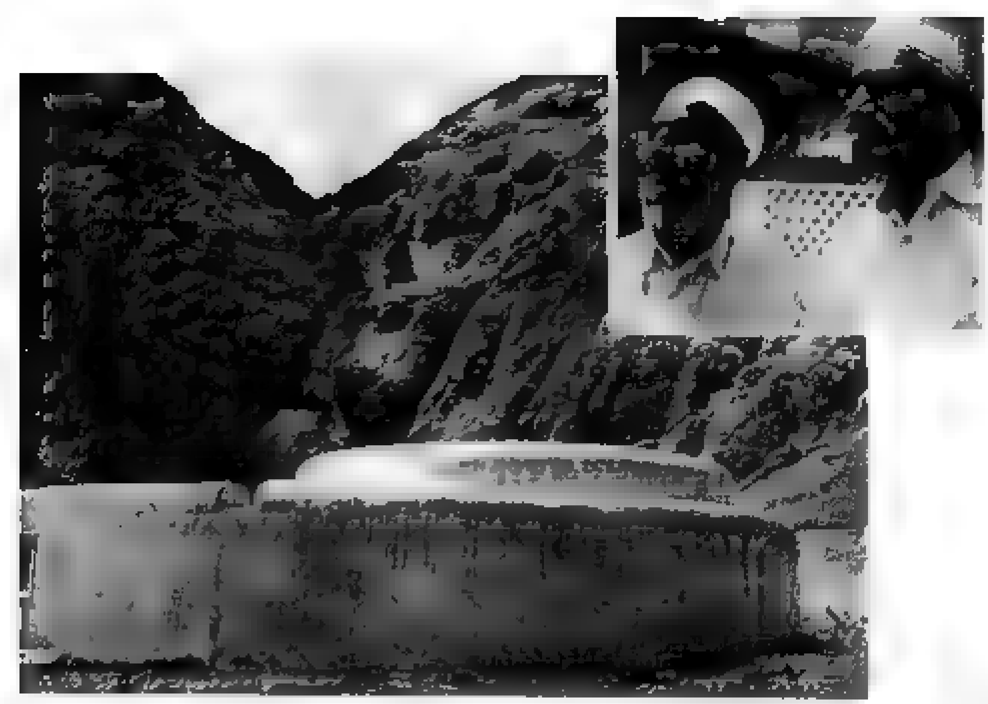
زواج المتعة

اما الاحزاب الاخرى فهي حزب الاتحاد الوطني، وحزب المؤتمر الشعبي ، والاول هو الذي يؤيد ما يسمونه هناك « زواج المتعة » الذي تم في اوائل عام ١٩٦٣ ، بين امارات اتحاد الجنوب العربي الثلاث عشرة وبين عدن ..

ان عدن قبل « زواجها » هذا كانت تملك ثلاث مجموعات من الجزر ، هي « كمران .. وبريم .. وكوريا موريا .. ولكنها بعد زواجها نزعت منها سائر الثلاث واصبحن تحت السيطرة البريطانية المباشرة .

منطق ومفهوم القرن العشرين

ولكن من البيان التأكيد بأن هذا الاستطلاع لا يعني بأي حال انه ليست لنا مآخذ على الحالة



اول صورة تنشر لابراج الصمت ! يصلى في عدن مجموعة من الفارسيين Parsees من [illegible] زرادشت Zoroaster الذي ظهر في ايران [illegible] عام من ميلاد المسيح [illegible] وعندما جاء الاسلام الى ايران عام ٦٣٦م هرب اتباع زرادشت الى بومباى بالهند [illegible] التي هاجرت من بومباى [illegible] عدد كبير من الفارسيين [illegible] [illegible] وهذه الابراج [illegible]

المتحورة في المنطقة لاننا نؤمن بان الطوفان قادم .. وان كل من سيقف في طريقه سيبتلعه .. ان بريطانيا سترحل عن عدن كارهة ام راضية .. ومهما حاولت ان تطيل بقاءها فان النصر الاخير للشعب العربي ..

ان العالم باسره يطالبها بهذا الجلاء

في الامم المتحدة .. في مجلس العموم البريطاني .. على صفحات الجرائد والمجلات العالمية والبريطانية .. الراي العام العالمي كله يستنكر عدم اتاحة الفرصة للشعب العربي في الجنوب المحتل كي يعبر عن حقيقة امانيه في الحرية .. والاستقلال .. والوحدة ..

ان الغد سيشهد تحولا جذريا في هذا الجنوب المحتل .

ان هذا ليس حلم .. بل امل نابع من مفهوم ومنطق القرن العشرين الذي نعيش فيه ، والذي ينادي ابناؤه جميعا ــ بما فيهم عقلاء الانجليز انفسهم ــ بتصفية الاستعمار وقواعده حول العالم ..

وعدن قاعدة مستعمرة

ان لا بد من تصفيتها .. وفي اسرع وقت

■■

سليم زبال

من أمجاد العرب





بقلم الدكتور أحمد زكى

■ تحدثت فيما سلف فيما صنع العرب ، لبنى الناس ، فى حساب ، وفى جبر . والآن أتحدث فيما صنع العرب ، وخلف العرب ، لبنى الناس ، فى علم الهندسة .

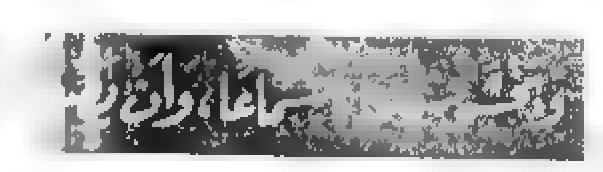
إن العلوم التى تحدثت عنها ، أكثرها لا يجرى على ألسنة أكثر الناس وهم فى سبيل عيشهم فى نهار ، ولا عندما يسكنون فى بيوتهم عند دخول ليل . ولكنها علوم تتراءى آثارها فى أى سبيل يمشون فيه فى هذه الحياة الحاضرة ... هذه الحياة المدنية الحاضرة . تتراءى لهم فى شارع . تتراءى لهم فى بيت يقام أو هو قائم . تتراءى لهم فى ترعة تشق أو مصرف يحفر . وهى علوم تقف وراء صوت المؤذن وهو يؤذن صباحا للفجر وظلام الليل دامس ، وتقف وراءه وهو يؤذن للظهيرة ونور النهار ساطع حارق ، وعندما يخرج الناس إلى العراء يستوثقون من رؤية الأهلة ، عند كل صيام وعند كل عيد .

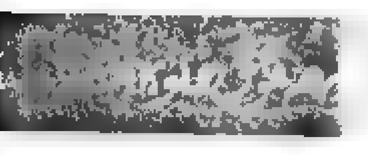
الناس أمزجة شتى

إن الناس أمزجة . ومن الأمزجة مزاج الرجل الشاعر والمرأة الشاعرة . ومن الأمزجة مزاج الرجل العالم والمرأة العالمة . أما مزاج الشاعر فمزاج الخيال ، ومزاج العاطفة ، ذلك المزاج الذى كثيرا ما ينشط فينتج شعرا . وهو كثيرا ما تمتلئ الحياة فتمدها حبًّا ويملؤها ، فتنة ، خمرا . وهو كثيرا ما يعمل ، فيعمل الشىء الخير الكثير الخير ، أو هو سىء عاطفة فيعمل الشر . أما مزاج العالم فمزاج العقل ، ذلك الذى ينظر فى الأشياء متلذذا تنظرا ، ويفكر فى شتى الأمور فيلتذ فكرا .


هندسة أقليدس : هي الهندسة التي يدرسها أبناؤنا بمدارسهم إلى اليوم . وكذا هي في الشرق والغرب

حفظه العرب لأهل الأرض قروناً طويلة

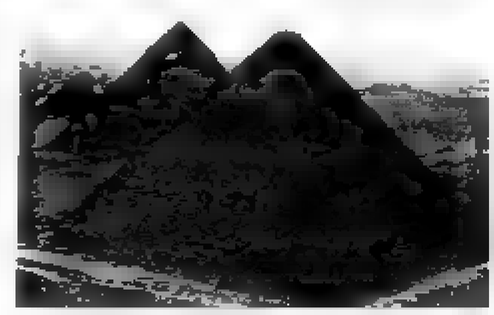




وقد يأتيه الفكر بفائدة ، فبسط . وقد لا يأتيه بفائدة أو عائدة ، فيكفيه النظر فائدة ، ويكفيه الفكر عائدة .

العلماء ، هم شيدوا الشعراء ، ثم لا تسمع لهم ذكرا

وأنت تقف أمام الهرم الأكبر ، من أهرام مصر ، تسأل عمن بناه فيقولون خوفو . وما بناه خوفو ، ولكنه أراد له بناء ، وأراد من عاطفة ، هي هنا عاطفة


الهرم الأكبر تسأل عمن بناه ! فيقولون خوفو وما بناه خوفو .

دين ، وعاطفه قناعة ، وبناه القياسون المهندسون ، وبناه الفلكيون ، وبناه العلماء . ومع هذا لا تسمع لأحد منهم ذكرا

ولقد وقفت في الهند أمام عروس المراسي في البناء . وما كان عروسا ولكن قبرا لعروس . فهذا هو « تاج محل » . وتسأل عمن بناه ، عمن بنى هذه الدرة الفريدة ، فيقولون بناه « شاه جيهان » وتسأل لمن بناه ، فيقولون لبعض زوجات أحب ، تسأله اليه « ممتاز محل » . وهو ما بناه ، ولكنه أراد له بناء ، وأراد من عاطفة . وهي هنا عاطفة حب وعاطفة حزن . وبناه المهندسون ، وبناه الفنانون والعلماء . ومع هذا لا تسمع لأحد منهم ذكرا .

ونحن في أمجاد العرب ، نجد للعرب أمجادا صدرت عن عاطفة ، وعن خيال ، وعن أحاسيس قلوب ، وعن جسارة ومغامرة . وهذه أمجاد الشعر ، وأمجاد الحروب ، ومع الحروب النصر . وهذه يقرأها الناس اليوم فتهز جوانبهم فيطربون . ونجد للعرب إلى جانب هذه

أصداءً صدرت من عقل ، ومن فكر ، وعليه آن للعرب اليوم أن يفتحوا لها آذانهم ، وأن تعيها عقولهم ، وأن يجدوا منها اللذة التي يجدونها عند رواية شعر أو نغمة حب . إنه في النهضة العربية الحاضرة لا بد أن يخشوشن العرب أسماعاً ، وأن يخشوشنوا طباعاً ، وأن يستمعوا للغناء أقل مما يفعلون ، وأن لا يثيروا قلوبهم فوق ما يجب ، على حساب عقولهم . فهذه الدنيا الحاضرة ، ما قامت أكثر ما قامت ، إلا على أسس سنتها العقول ، وكذلك قامت مدنية العرب وقامت أمجادهم . ولكن أجدادهم سمعوا بالكثير مما أنشدته القلوب ، وبالقليل الأقل مما أنشدته العقول ، فاختل بذلك ميزان التقدير . ومال الميزان لما مالت به طبيعة الإنسان . فتحريك الخيال وإيقاظ العاطفة عند الناس أسهل من تحريك العقول وإيقاظها .

الهندسة كان العرب فيها جولة وجولة

والهندسة ، هذا المجال العقلي ، كان للعرب فيه جولة وجولة . فما الهندسة هذه ، التي جال العرب فيها وصالوا ؟

إن الصبي اليافع ، تلميذ المدارس الثانوية ، لا تذكر له الهندسة إلا تراءى في ذهنه خطوط متوازية ، وخطوط متقاطعة ، وتراءت زوايا ، من حادة وقائمة ومنفرجة ، وتراءت مثلثات ، وتراءت مربعات ، ومستطيلات ، ومنحرفات . وإن كان ممن أوغل في الدراسة قليلاً ، ممن أتم التعليم الثانوي ، فقد تراءى له المجسمات من مكعبات ومنشورات ، وكرات ، ومخروطات .

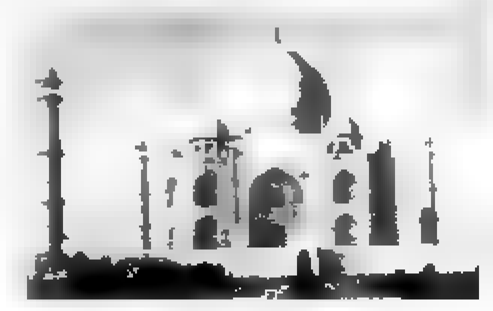
وعنده أن الهندسة نظريات تصف خواص الأشكال والأجسام . فنظرية تقول إذا وازى مستقيم مستقيمين ، فهذان المستقيمان متوازيان . ونظرية تقول مجموع زوايا المثلث كذا . ونظرية تقول إذا تساوى في مثلث ضلعان ، تساوت به زاويتان ، ويجري المنطق لتثبت ذلك .

ولكن الذي لا يتراءى في ذهن هذا الطالب ، ولا يخطر له ببال أبداً ، أن صبية مصر ، صبية الإسكندرية ، في القرن الثالث قبل الميلاد ، كانت تجلس من الدرس إلى مثل ما جلس هو إليه . وكانت تستمع من النظريات إلى مثل ما استمع هو إليه وإلى مثل هذه البراهين . وكذلك جلس صبية العرب ، صبية بغداد وغير بغداد ، في القرن التاسع الميلادي والذي بعده ، ممن طلبوا العلم ، يستمعون ويدرسون .

هندسة إقليدس صمدت على القرون

إنه « إقليدس » اليوناني الإسكندري ، هو صاحب هذه النظريات ، وصاحب هذه البراهين ، جمعها جميعاً في كتبه الثلاثة عشرة .

قال المؤرخون : لم يوجد كتاب مثل هذا الكتاب في قدمه ، عاش كل هذه القرون . إنه عاش فوق الألفين والمائتين من السنين . وهو لم يكد أن يصيبه في كل هذا الزمان الطويل تغيير . وقبله الأقدمون ، وقبله الأحدثون . وبعد عام خمسين من الأمريكان ، في منتصف القرن الماضي ، تزعمون حركة تطيح بإقليدس ، وكتب إقليدس . وقاموا على عادة بعض الناس بالتصدي لكل قديم . وناصروا


تاج محل : تسأل عمن بناه ؟ فيقولون لا شاه جيهان » .. وهو ما بناه ..

اقليدس تأليفا، وناهسوه كتبا . وتعددت الكتب في الهندسة ، وتعددت البراهين ، واختلطت . ولكن اقليدس بقي على الرغم من كل هذا ، كتاب ابديا الأوحد ، والأسلد والاصمد .

وتسأل . ومن أين جاء اقليدس بهندسته هذه وبراهينه هذه . والجواب هو دائما واحد . ان في الذي جاء به اقليدس الطريف والتالد . ان العلم يورث كما تورث الارض ، وكما يورث العقار ، لا تشترط فيه لوارث وشيجة من دماء .

وقد ورث اقليدس مما ضمته كتبه الكثير . ففي التاريخ أدلة على ان الكثير مما جاء به اقليدس علم سبق .

اقليدس الرجل

والحق انه من العسير ان يتحدث المرء عما حدث وراء هذا العدد الكبير في القديم من القرون . ان اقليدس نفسه، على الرغم من اثره الهائل في كل المئات التي جاءت من بعده ، لا نكاد ان نعرف عن حياته شيئا . اكثر ما نعلمه ان علم وأسس مدرسة في الاسكندرية ، في عهد بطليموس الأول، وهذا حكم مصر من عام ٣٠٦ قبل الميلاد الى عام ٢٨٣ق.م. ونعلم كذلك ان بطليموس سأله ، أيوجد طريق الى الهندسة أقصر من طريق طويل اليها خطه في كتبه . فأجاب اقليدس : ايها الملك ، ليس الى الهندسة طريق ملكي قصير .

ونعلم أيضا أن اقليدس جاءه طالب يتعلم فما تعلم النظرية الاولى من هندسته، سأل استاذه : ما الذي يعود علي من تعلم الهندسة ؟ فما كان من اقليدس الا ان نادى عبده ، وقال له : أعط هذا الطالب بضعة دراهم ، لانه من الصنف الذي يريد ان يكتسب مالا من كل ما يتعلم .

فهذا اقليدس ، وهذا كتابه .

ذلك الكتاب الذي طلبه هارون الرشيد أول طالب . ترجمه له الحجاج بن يوسف . وليس هو بالحجاج بن يوسف الثقفي ، سفاح بني أمية ، الذي ولي مكة ، وولي من بعدها العراق ، ولاه عليها عبد الملك ابن مروان ، هذا الذي قال في مسجد البصرة ، ليخيف الناس ويرعب العامة .

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا
متى أضع العمامة تعرفوني

لا . ان الحجاج بن يوسف ، حجاج الرشيد . هو الحجاج بن يوسف بن مطر . كان ابعد الناس عن دم ، وابعد الناس عن دم ، ومن سيفه . كان صاحب قلم ، وصاحب علم، وترجم للرشيد اقليدس، وامره المأمون فصنع له نسخة افضل . وتتابعت من بعد ذلك لاقليدس التراجم، وتتابعت الشروح .

راهب انجليزي ينقل اقليدس العرب الى الغرب ، لول ناقل

وسرى اقليدس في مشرق الدولة العربية وفي مغربها ، وتنتشر الشروح وتنتشر التآليف .

ويمضي قرن لقرن فقرن . ويأتي راهب انجليزي ، اثلهارد Athelhard من مدينة باث Bath بانجلترا ، ويترحل في البلاد العربية الاسلامية لطلب العلم ، فيقع على كتب في الهندسة كثيرة ، ولا سيما على كتب اقليدس العربية . فيخطر له أن يترجمها الى اللاتينية ، ثم هو يفعل ، فتكون ترجمته هذه أول ترجمة عرفت لاقليدس في أوروبا .

فهذا مجد من أمجاد العرب ، في ناحية هامة من النواحي التي عمل فيها العرب، وعملوا كثيرا . ثم سبت ، فنسيتها الأحفاد . نسوا أجدادا لهم أمجاد . وما أجدرهم اليوم أن يذكروا . ■

احمد زكي

طرائف عربية

ابن الاشعث لاصحابه

● قال ابن الاشعث لاصحابه ، وهو على المنبر : قد علمنا ان كنا نعلم،وفهمنا ان كنا نفهم ، ان المؤمن لا يلسع من جحر مرتين ، وقد والله لسعت نكم من جحر ثلاث مرات ، وانا استغفر الله من كل ما خالف الايمان ، واعتصم به من كل ما قرّب من الكفر .

طمع اشعب

● قيل لاشعب : ما بلغ من طمعك ؟

قال : ما رايت عروسا تزف الا وظننتها لي، ولا رايت جنازة الا وظننت ان صاحبها اوصى لي بشيء .

ثلاثة .. وثلاثة ..

● قال رسول الله : « ان الله يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا » : يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبله جميعا ولا تفرّقوا ، وان تناصحوا من ولاه الله امركم .

ويكره لكم : « قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال » .

قولان لبزرجمهر

● قيل لبزرجمهر : اي الاكتساب افضل ؟

قال: العلم والادب كنزان لاينفدان، وسراجان لا يطفآن، وحلتان لا تبليان، من نالهما اصاب الرشاد ، وعرف طريق المعاد،وعاش رفيعا بين العباد.

● وقال انو شروان لبزرجمهر لما ظفر به : الحمد لله الذي اظفرني بك .

قال له : فكافئه بما يحب ، كما اعطاك ما تحب .

قال : وبم اكافئه يا فاسق ؟

قال : بالعفو عمن اظفرك به اليوم ، كما تحب أن يعفو عنك غدا .

اعتذار ينجي من

● كان في ملوك فارس ملك عظيم الملكة ، شديد النقمة ، فقرب له صاحب المطبخ طعامه ، فسقطت نقطة من الطعام على المائدة ، فزوي له الملك وجهه ، وعلم صاحب المطبخ انه قاتله ، فعمد الى الصحفة فكفاها على المائدة ثم ولى .

فقال له الملك . ما حملك على ما فعلت ، وقد علمت ان سقوط النقطة احفظتني بها يداك ، ولم يجبر بها

تعلموا العلم

● قال عبد الملك بن مروان لبنيه: «يا بني، تعلموا العلم، فإن كنتم سادة فقتم، وإن كنتم وسطاً سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم».

كُثيِّر عند عبد الملك

● دخل كثير على عبد الملك بن مروان في أول خلافته فقال: أنت كثير؟ فقال نعم.

فاقتحمه وقال: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه!.

فقال: يا أمير المؤمنين كل إنسان عند محله رحب الفناء، شامخ البناء، عالي السناء، وأنشد قصيدته التي منها:

ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وفي أثوابه أسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه ... فيخلف ظنك الرجل الطرير
ضعاف الأسد أكثرها زئيرا ... وأصرمها اللواتي لا تزير
وقد عظم البعير بغير لب ... فلم يستغن بالعظم البعير
يقوده الصبي بكل أرض ... ويصرعه على الخسف الصغير
فما عظم الرجال لهم بزين ... ولكن زينهم حسب وخير

فقال: قاتله الله! ما أطول لسانه، وأمد عنانه، وأوسع جنانه، إني لأحسبه كما وصف نفسه.

القتل .. فقط

سعدك، فما عندك في النائبة؟

قال: أستحيي للملك أن يوجب قتلي، ويبيح دم مثلي، في سني وحرمتي، وقديم اختصاصي وخدمتي، في نعمة أحاطت بها يدي، فأردت أن يعظم ذنبي، ليحسن بالملك قتلي!

قال: لئن كان اعتذارك يخلصك من القتل، فليس يخلصك من التأديب، اجلدوه واخلعوا عليه خلع الرضا.

أدب الحاجب

● **قال بعض الملوك لحاجبه**: إنك عيني التي أنظر بها، وجنتي التي أستنيم إليها، وقد وليتك بابي، فما تراك صانعاً برعيتي؟

قال: أنظر إليهم بعينك، وأحملهم على قدر منازلهم عندك، وأضعهم لك في إبطائهم عن بابك، ولزومهم خدمتك، مواضع استحقاقهم، وأرتبهم حيث جعلهم ترتيبك، وأحسن إبلاغك عنهم وإبلاغهم عنك.

قال: قد وفيت بما عليك قولاً، إن وفيت به فعلاً، والله ولي كفايتك ومعونتك.



ازمة اخلاق في كل مكان

عن جريدة « كريستشان سينس مونيتور » :

● يطيب لنا عادة ان نشير الى البلاد المتأخرة، ونعيش في تعداد مزايانا ، ونجسيم نقائصها ، ومن ذلك ادعاؤنا ان الاخلاق عندنا اسمى وارفع من أزمة البلاد المتأخرة الاولى أزمة اخلاق وبلغ فسحنا في صحافتنا لرؤية الفضائح من هذه البلاد، وكيف ان كبار رجالها لا يتورعون عن مد ايديهم لقبض رشوة .

ونحن في هذا كالنعامة التي تخفي رأسها في الرمال ، ظنا منها انها بهذا تخفي الحقيقة . ولو فحصنا انفسنا لرأينا اننا نعاني ازمة اخلاق كالتي تعاني منها تلك البلاد ، ان لم تكن اسوأ . وهذه الازمة موجودة حتى بين رجالات الكونجرس ، اعلى سلطة في هذه البلاد . فقد كشف لجنة التحقيق المنبثقة عن مجلس الكونجرس عن حقائق مذهلة ، من ذلك ان وزير مالية سابق حصل على مبلغ كبير من المال لاتمامه عقد اتفاق مع شركة تقوم بتوريد سيكل للدولة . وثبت للجنة ان عددا من رجالات الكونجرس قد قبضوا اكثر من ٢ مليون دولار من شركة تنتج اليورانيوم ، وذلك مقابل ان تقوم هذه الشركة بتزويد الدولة باليورانيوم . ولا ننسى طبعا عضو مجلس الشيوخ الذي اطلقت عليه الصحافة « سناتور البوينج » وذلك لمواطأته مع شركة البوينج التي تزود الحكومة بهذا النوع من الطائرات . وحكاية عضو مجلس الشيوخ الذي اشترته جواتيمالا معروفة مشهورة .

هذا قليل من كثير .

أبعد هذا نفاخر غيرنا باخلاقنا الكريمة ؟

ومن كان بيته من زجاج ، عليه الا يقذف بيوت الآخرين بالحجارة !

السد العالي

عن جريدة « الصنداي تايمس » :

● لا شك ان الجمهورية العربية المتحدة فخورة ببناء السد العالي ، وحق لها ان تفخر به . فقبل خمس سنوات كان الاعتقاد السائد ان انجاز مثل هذا المشروع مستحيل بالنسبة لمصر ، وكنا نعد ي بالمشروع قبل ان العمل فيه لن ينتهي . ولكن خاب الظنون ، وها هو السد قائم ليدل دلالة واضحة على ان العزيمة والاخلاص يصنعان الاعاجيب .

والسد العالي سيزيد الدخل القومي بمقدار ٢٠٠ مليون جنيه ، وطاقته الكهربائية البالغة ١٠ ملايين كيلووات ساعة ، قادرة على ان تجعل من الجمهورية العربية دولة صناعية كبرى .

هذه الحقائق تجعلنا نعتقد ان يوم الخامس عشر

لنـــدن وباريس

عن جريدة « نيويورك تايمس » :

● لندن وباريس مدينتان كبيرتان يجد المرء فيهما ارقى مستويات الحضارة ، ولكنهما مع هذا ، في رأينا ، مختلفتان جدا . ففي باريس يحس الالمان والانجليز والصينيون والاتراك وكل الناس انهم يعيشون ويحققون حياتهم دون ان يفقدوا خصائصهم او قومياتهم . ان بامكانهم ان يتصوروا ان باريس وطنهم ، ولا يقوم ضد هذا التصور دليل .

اما في انجلترا ، وفي لندن خاصة ، فان الغرباء يعيشون في عزلة عن المجتمع ، والمجتمع يتجاهلهم ، ما لم يكونوا قادرين على ان يكيفوا انفسهم ويصبحوا انجليزا في سلوكهم ، ولن يستطيعوا ان يفعلوا هذا الا اذا تخلوا عن شخصياتهم وخصائصهم القومية .

وهذا يفسر لنا السبب في الفروق التي نلاحظها بين مواطنينا الذين قضوا سنوات من حياتهم في باريس او لندن . انا نلاحظ ان سلوك اكثر من درسوا في انجلترا او عاشوا فيها ، يدعو الى الاستهجان ، بل والسخرية . انهم يبدون لنا دون طعم ، فهم قد فقدوا شخصياتهم دون ان يستطيعوا اكتساب شخصية جديدة .

الى هؤلاء نقول : قليلا من الايمان بالنفس ، والاعتزاز بالشخصية القومية !

هل الرقابة اصبحت لا تطاق ؟

عن مجلة « دير شبيجل » الالمانية :

● يبدو ان الرقابة على الافلام السينمائية في العالم تزداد حساسية يوما بعد يوم ، وآية هذا ما حدث لفيلم « المنتصرون » The Victors ، فالحكومة الفرنسية طلبت حذف منظر يظهر فيه جنود فرنسيون اسرى عند جنود المان ، وذلك بعد ان وصفوا الفلم [illegible] . وامرت الرقابة الاسبانية بحذف منظر من الفلم يبدو فيه [illegible] . ورأت الرقابة في الولايات المتحدة الامريكية ضرورة حذف المنظر الذي تبدو فيه الممثلة ايلك سومر Elke Sommer عارية ، لانه منظر لا اخلاقي . ولقد الروس لمنظر في الفلم يبدو فيه ضابط روسي في حالة سكر .

ترى لو حذفت كل هذه المناظر من الفلم نزولا عند اوامر الرقابة ، فماذا يبقى من الفلم ؟ ان مثل هذه التصرفات تدل على ان الدول ، مهما ارتفعت ، فان اجهزة معينة فيها تبقى محافظة على نفسها غير قادرة على اللحاق بالركب .

مان من الفقر

من مايو يوم خالد في تاريخ الجمهورية العربية المتحدة ، بل انه يوم له دلالته الكبرى للعالم اجمع . ان جهد الثلاثين الف عامل مصري هو الذي حقق هذه المعجزة ، حققوها بالجهد المتواصل ، بالايمان بانهم يبنون شيئا خالدا ، لا ينتظرون من العمل سوى دقائق معدودة يتناولون فيها طعامهم ، او يؤدون صلواتهم . ان هؤلاء العمال ينتزعون مجرى النيل ، انهم غيروا وجه مصر .





● عايش انحلال الخلافة الأندلسية ، وقيام دول الطوائف ، فوصف مجتمع هذه الدول الصغيرة الحقيرة أقبح وصف

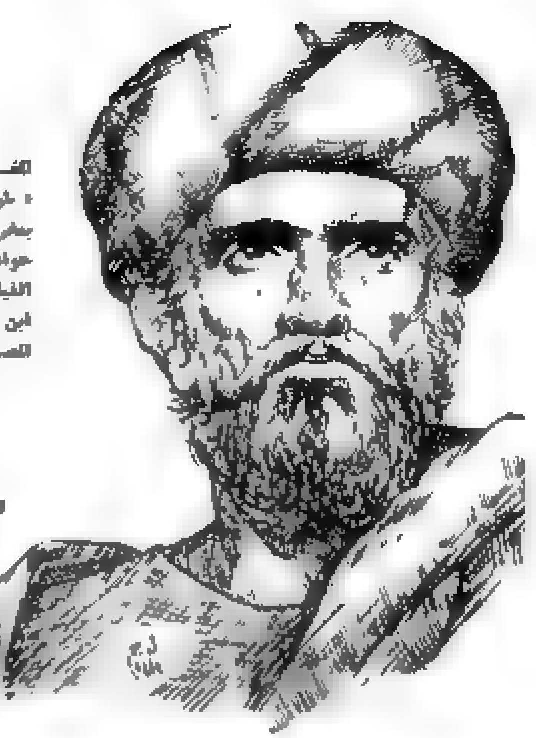
"ولا يغرنكم المنتسبون الى الفقه ، اللابسون جلود الضأن ،

بقلم : محمد عبد الله عنان

■ لم تكن صفة المؤرخ لدى ابى محمد على بن حزم ، صفة عارضة ، اجتمعت الى جانب صفاته الاساسية الاخرى ، وهى انه فيلسوف من اعظم فلاسفة الشرق والعرب ، وامام من اعظم ائمة الاسلام فى علم الكلام والفقه . ولكنا نستطيع أن نقول ان صفة المؤرخ هى ايضا من صفات ابن حزم الاساسية .

ابن حزم ، يعرف علم التاريخ

ولم ينس ابن حزم نفسه ان يورد لنا هذه الناحية من نواحي تفكيره ، فهو يتناول فى رسالته « مراتب العلوم » علم التاريخ ويصفه بانه علم الاخبار ، ويعرض لنا أساليب كتابته ، ويتحدث عن التواريخ الصحيحة والمعتلة ، من الناحية الاخبارية . وفى رايه ان اصح التواريخ ، هو تاريخ الملة الاسلامية ، وينصح طالب الاخبار بالا يشغل نفسه ، الا بما اتى هو بصحته . ولم ينس ابن حزم فى بيانه تعريفه لعلم التاريخ ، أن يقول لنا ان علم النسب هو جزء من علم الخبر ، فاذا تقرر ذلك ، فان ابن حزم ، وهو



على قلوب السباع”

صاحب كتاب «جمهرة أنساب العرب» يمكن أن يوضع بهذا المصنف وحده في عداد أكابر المؤرخين .

النزعة التاريخية تسود كثيرا من مصنفاته الفلسفية

وفضلا عن ذلك ، فقد ترك لنا ابن حزم تراثا تاريخيا جليلا ، يمتاز بتنوعه وطرافته ، وبدقته في أحيان كثيرة . والملاحظ أولا أن النزعة التاريخية تسود كثيرا من مصنفاته الكلامية والفلسفية . فنحن نستطيع أن نعتبر مصنفه الجامع «الفصل في الملل والأهواء والنحل» تاريخا مقارنا للأديان والمذاهب الدينية . ولم تخل معظم رسائله ومؤلفاته الفلسفية من الاشارات التاريخية التى

النثرى . ونستطيع أن نخص بالذكر كتابه «طوق الحمامة» فانه يشير فيه في غير موطن الى بعض الحوادث التاريخية المعاصرة ، والى بعض حوادث حياته ذاتها ، ومنها نعرف الكثير من حياة الفيلسوف ، ومن خطط قرطبة المعاصرة . ثم أن ابن حزم الى جانب ذلك كله يقدم الينا بعض المصنفات التاريخية الخاصة .

كتاب «جوامع السيرة» و «نقط العروس»

وأهم هذه كتاب «جوامع السيرة» ، وهو عرض سريع للسيرة النبوية وذكر الصحابة . وكتاب «نقط العروس» ، وهو يحتوى على مجموعة من النوادر والمقارنات والنظائر التاريخية المدهشة، التى التى يقتضى جمعها وتنسيقها مقدرة فائقة ومعرفة شاملة لمختلف التواريخ والسير . ونستطيع أخيرا أن نذكر من بين مصنفات ابن حزم التاريخية ، رسالته في ذكر فضائل علماء الأندلس وكتابها ، وهى رسالة تعتبر بالرغم من ايجازها تاريخا للتفكير والآداب الأندلسية حتى أوائل القرن الخامس الهجرى أى الى عصر ابن حزم .

ابن حزم عايش انحلال الخلافة الأندلسية ، وقيام دول الطوائف

على أن ابن حزم لم يكن مع ذلك مؤرخا عاديا ، يكتفي في عرض مقدرته التاريخية باستعراض مؤلفاته . بل الأمر في ذلك بالعكس ، ذلك أن ابن حزم كان مؤرخا من طراز خاص ، بل ومن طراز نادر . كان من طراز أولئك المؤرخين الذين تعتبر تعليقاتهم أحكاما لا تقبل الجدل على حوادث عصرهم وعلى شخصياته . وقد عاش ابن حزم في عصر فياض بالاضطرابات والأحداث الكثيرة ، وهو عصر انحلال الخلافة الأندلسية ، وقيام دول الطوائف، وشهد الكثير من أحوال هذا العصر وتقلباته ، ومن تصرفات أمراء الطوائف ، ومثالبهم ، وبغيهم واستهتارهم . وحزت هذه الأحداث والصور مشاعره الى الأعماق .

ولقد شغل عصر الطوائف من حياة الأمة

الأندلسية ، نحو ثمانين عاما ، وتشغل حياة ابن حزم منذ فتوته الى وفاته .

عصر الطوائف عصر انحلال شامل

وكان عصر تفكك وانحلال سياسي واجتماعي شامل ، وذلك بالرغم مما كان يبدو في بعض نواحيه من جوانب براقة .

والواقع ان هذه الدول الصغيرة التي قامت على انقاض الأندلس الكبرى ، والتي كانت تتسم بسمة الفتنة ، وتزعم كل منها لنفسها الاستقلال بشئونها ، لم تكن ، اذا استثنينا القليل منها ، سواء بمواردها الاقتصادية ، او مواردها المادية ، تستطيع الحياة بمفردها .

دول الطوائف كانت وحدات اقطاع ، لا وازع لها من دين او اخلاق

كانت دول الطوائف أقرب منها الى وحدات الاقطاع، والى مصنع الأسرة القوية ذات العصبية، ومن ثم فانه لم تكن بها حكومات منظمة بالمعنى الصحيح ، تكون مهمتها الأساسية ان تعمل لخير الشعب ورخائه ، وصون الأمن والنظام ، والذود عن الوطن والدين، وانما كانت بها أسر أو زعامات تعمل قبل كل شيء لمصلحتها الخاصة ، ولتنمية ثرواتها ، ولتدعيم سلطانها وبذخها . وكانت حكومات الطوائف عبارة عن قصور مترفة ناعمة ، يسودها امراء ضعاف في وطنيتهم ، ضعاف في دينهم ، غلبت عليهم الأثرة والأهواء الشخصية ، ونسوا في غمارها وطنهم ودينهم ، بل نسوا حتى اعتبارات الكرامة الشخصية ، واستحلوا لانفسهم ان يتراموا على اعتاب الملوك النصارى ، يستعدونهم بعضهم على بعض ، في سبيل انتزاع بلدة او حصن من بلد شقيق ، او التنكيل بأحد الأمراء المجاورين . وقد انتهوا في ذلك الى درك يستحق ان يوصف بأسى النعوت .

ولم يكن امراء الطوائف في سياستهم الداخلية، وازاء شعوبهم افضل موقفا ، ولا اكرم تصرفا . فقد كانوا طغاة قساة على رعاياهم ، يسومونهم الخسف ، ويثقلون كواهلهم بالفروض والمغارم لملء خزائنهم وتحقيق ترفهم وبذخهم . ولم يكن يردعهم في ذلك رادع لا من الدين ولا من الأخلاق .

وقد كانت سياستهم الداخلية هذه مثل سياستهم الخارجية موضع السخط من شعوبهم، والطعن المر من معاصريهم من الكتاب والمفكرين .

مؤرخان كبيران آخران في عصر الطوائف: ابن حيان ، وابن بسام

ذلك هو المجتمع الذي عاش في ظله ابن حزم ، وقد عاش عصر الطوائف الى جانب ابن حزم ، مؤرخين كبيرين ، هما ابو مروان ابن حيان ، وابو الحسن ابن بسام الشنتريني ، وقد عاش اولهما ثلاثة عشر عاما بعد ابن حزم ، وعاش الثاني الى ما بعد انتهاء عصر الطوائف بنحو نصف قرن ، واشترك كلاهما في تدوين الكثير عن عصر الطوائف واحداثه وخواصه . وعكف الأول على تاريخ حوادثه السياسية ، واختص الثاني بتدوين نواحيه الأدبية . وبالرغم مما يمتاز به ابن حيان من براعة في الاستيعاب والتحقيق ، ومن مقدرة نقدية فائقة في استعراض الحوادث ، وبالرغم مما يمتاز به ابن بسام من جزالة وبيان مشرق ، في تصوير الأحداث والشخصيات ، فان أحدا منهما لم يوفق الى شيء من تلك النظرات الصادقة ، والأحكام الصائبة النافذة ، التي ابداها ابن حزم نحو احداث عصره ، ونحو مجتمع الطوائف .

بدا ابن حزم نظراته الى مجتمع الطوائف بملاحظات ساخرة لاذعة

وقد بدا ابن حزم نظراته نحو مجتمع الطوائف في عصر مبكر ، وبدأها بتوجيه بعض الملاحظات الساخرة نحو بعض الأحداث . ومما ورد في كتابه « نقط العروس » ومن ذلك تعليقه على ما حدث من قيام اربع خلافات بالأندلس في وقت واحد ، ثلاثة يدعيها ثلاثة من امراء بني حمود ، وهم محمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة ، ومحمد بن ادريس بن علي بن حمود بمالقة ، وادريس بن يحيى بن حمود ببيشتر ، والرابعة يدعيها العاصي بن عباد صاحب اشبيلية على شخص زعم انه المؤيد بالله ـ يقول ابن حزم في سخرية لاذعة « اخلوقة لم يسمع في الدهر بمثلها ، وفضيحة لم يقع في العالم الى يومنا مثلها ، يدعو اربعة رجال في مسافة ثلاثة أيام في مثلها ،

فكلهم يتسمى بإمرة أمير المؤمنين، ويُخطب لهم في يوم واحد».

ثم يعلق بعد ذلك على ما حدث من تصالح خليفتين من بني حمود، وهما يحيى المعتلي صاحب قرطبة، والقاسم بن حمود المستعلي صاحب اشبيلية، وتهادنهما، واعتراف كل منهما بصفة صاحبه بقوله: «إنه لم يسمع بخليفتين تصالحا، وهو أمر لم يسمع في الدنيا بأشنع منه، ولا أدل على إدبار الأمور».

ابن حزم يجمع ملوك الطوائف لا يستثني أحداً

ويبدو أن هذه الملاحظات التهكمية اللاذعة وأمثالها، تستحيل بعد ذلك عند ابن حزم، إلى نظرات تحليلية عميقة لأحوال مجتمع الطوائف، وأحكام قاسية يصدرها الفيلسوف على هذا المجتمع المستهتر الذي تقضي أسسه عوامل الانحلال والتفكك المادي والأدبي. ويلتزم ابن حزم التعميم في نظراته وأحكامه، ولكنه صريح فيما يقصد، لا يلجأ إلى مداجاة أو تورية، وهو يجمع سائر ملوك الطوائف لا يستثني في ذلك أحداً.

ابن حزم ووزير غرناطة اليهودي

ولقد وردت هذه الأحكام بالأخص في موضعين من رسائل ابن حزم، الأول في مستهل رسالته في الرد على ابن النغريلي أو ابن نغرالة وزير غرناطة اليهودي. وإليك ما يقوله الفيلسوف في هذا الموطن:

«اللهم إنا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم، وبعمارة قصور يتركونها عما قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة لهم في معادهم ودار قرارهم، وبجمع أموال ربما كانت سببا إلى انقراض أعمارهم، وعونا لأعدائهم عليهم، عن حياطة ملتهم التي بها عزوا في عاجلتهم، وبها يرجون الفوز في آجلتهم، حتى استشرف لذلك أهل القلة والذمة، وانطلقت ألسنة أهل الكفر والشرك، بما لو حقق النظر أرباب الدنيا، لاهتموا بذلك ضعف همنا، لأنهم مشاركون لنا فيما يلزم الجميع من الامتعاض للديانة الزهراء، والحمية للملة الغراء. ثم هم بعد ذلك مترددون بما يؤول إليه إهمال هذه الحال، من فساد سياستهم، والصدع في رياستهم، فللأسباب أسباب، وللمداخل إلى البلاء أبواب، والله أعلم بالصواب».

ومن الواضح أن ابن حزم يقصد بكلامه أمراء الطوائف، وهو هنا يركز اتهامه حول رمي هؤلاء الأمراء بإهمال حياطة الدين والذود عنه، لمناسبة ما حدث من قيام إسماعيل ابن نغرالة اليهودي بتأليف رسالة في الإسلام، رأى فيها ابن حزم طعنا في بعض آيات القرآن، ورأى تقصير باديس ابن حبوس أمير غرناطة في ردع وزيره وفي الدفاع عن الدين. بيد أنه لا يتجه هنا إلى ذكر باديس دون غيره، وإنما يتجه إلى مخاطبة أمراء الطوائف جميعا واتهامهم بنفس الاتهام المر. فهم جميعا في نظره سواء في التقصير في حق دينهم، وفي الانشغال عن صونه، ببناء القصور والتمتع بالحياة الفانية.

ابن حزم يجمع مساوىء الطوائف في كلمة ـ المحنة والفتنة

ثم إن ابن حزم لا يقف عند هذا الحد في الحكم على ملوك الطوائف، فإن هذه لم تكن في نظره سوى ناحية واحدة من نواحي استهتارهم وفسادهم. وهو يعود بعد ذلك في بعض رسائله الأخرى، فيصدر حكمه الشامل، على أولئك الأمراء وعلى سياستهم الداخلية والخارجية، وعلى تصرفاتهم الباغية في حق رعاياهم. ولم يكن ابن حزم تحدوه في ذلك أية نزعة أو عاطفة شخصية كتلك النزعة التي نراها أحيانا تحدو ابن حيان أو ابن بسام أو ابن خاقان. بل كانت تحدوه في ذلك قبل كل شيء نزعة قومية وإنسانية. كانت تلك الحالة التي يحياها ملوك الطوائف، وتلك الفوضى التي تغمر أعمالهم وتصرفاتهم، وذلك الفساد الشامل الذي يسود ممالكهم، وذلك الجور الفادح الذي ينزلونه بشعوبهم، يجعلون منهم عبيدا يستصفون ثرواتهم، ولعل كلهم إرضاء لشهواتهم في إنشاء القصور الباذخة والنشاء الجواري والعبيد، والانهماك في حياة الترف الناعم، والإغداق على الصحب والمنافقين، هذا فضلا عن حشد الجند لتأييد سلطانهم وتدعيم طغيانهم، وما ترتب على ذلك من انهيار المعايير الدينية

والأخلاقية ، واختلاط الحق بالباطل والحلال بالحرام ، كل ذلك يجمله لنا ابن حزم في كلمة واحدة ـ المحنة أو الفتنة ـ ثم يصور لنا هذه المحنة أو الفتنة في كلمات قليلة ولكن قوية رائعة .

ابن حزم يصف « المحنة » في رسالته « رسالة التلخيص »

وترد هذه الصورة القوية الحاسمة التي يجمل فيها ابن حزم فتنة الطوائف ، في رسالته المعنونة « رسالة التلخيص لوجوه التخليص » ، وهي عبارة عن ردود على بعض أسئلة في شئون دينية وفقهية وجهت إليه من بعض أصدقائه ، ومنها سؤال يتعلق بأمر الفتنة ، وآخر عن وجه السلامة في المطعم والملبس والمكسب .

يقول ابن حزم في الرد على سائليه :

« وأما ما سألتم عنه من أمر هذه الفتنة وملابسة الناس بها ، مع ما ظهر من تربص بعضهم ببعض ، فهذا أمر امتحنا به ، نسأل الله السلامة ، وهي فتنة سوء ، أهلكت الأديان إلا من وقى الله من وجوه كثيرة يطول لها الخطاب ، وعمدة ذلك أن كل مدبّر مدينة أو حصن في أندلسنا هذه ، أولها عن آخرها ، محاربٌ لله تعالى ورسوله وساع في الأرض بفساد ، والذي ترونه عيانا من شنهم الغارات على أموال المسلمين من الرعية التي تكون في ملك من ضارهم ، وإباحتهم لجندهم قطع الطريق على الجهة التي يقضُون على أهلها ، وأنهم ضاربون للمكوس والجزية على رقاب المسلمين ، مسلطون لليهود على قوارع طرق المسلمين في أخذ الجزية والضريبة من أهل الإسلام ، معتذرون بضرورة لا تبيح ما حرّم الله ، غرضهم فيها استدامة نفاذ أمرهم ونهيهم ، فلا تغالطوا أنفسكم ، ولا يغرّنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه ، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع ، المزيِّنون لأهل الشر شرهم ، الناصرون لهم على فسقهم » .

فقهاء ذلك الزمان كانوا عون الفساد والطغيان

والواقع كان الفقهاء في الواقع ، في هذا العصر الذي ساد فيه الانحلال والفوضى الأخلاقية والاجتماعية ، أكبر عضد لأمراء الطوائف في تبرير طغيانهم وظلمهم ، وتزكية تصرفاتهم الجائرة ، وابتزازهم لأموال الرعية ، وقد كانوا يأكلون على كل مائدة ، ويتقلبون في خدمة كل قصر ، ليحرزوا النفوذ والمال ، ويضعون خدماتهم الدينية والفقهية لتأييد الظلم والجور ، وخديعة الناس باسم الشرع . وقد انفسح لهم ، بالأخص في ظل الطوائف مجال العمل والدس والاستغلال . واجتذبهم الأمراء المتغلبة ، وأغدقوا عليهم العطاء . وقد فطن إلى ذلك ، إلى جانب ابن حزم ، قرينه ومعاصره المؤرخ ابن حيان ، فحمل على الفقهاء ، ونوه بصمتهم عن فضح الظلم الذي يرتكبه الأمراء ، لأنهم على قوله « قد أصبحوا بين آكل من حلوائهم وخابط في أهوائهم » .

وينوه ابن حزم باختلاط الحرام بالحلال في مجتمع الطوائف

ثم يعود ابن حزم وهو في صدد الإجابة عن وجه السلامة في المطعم والملبس والمكسب ، فينوه بما كان يسود مجتمع الطوائف من اختلاط الحرام بالحلال ، وانعدام الكسب الحلال ، وسيادة الظلم في جباية الضرائب ، ومجانبتها لحكم الشرع ، وهي حالة يقدم إلينا عنها الصورة الآتية :

« وأما الباب الثاني ، فهو باب قبول المتشابه ، وهو في غير زماننا هذا باب جديد لا يؤثَم صاحبه ولا يؤجر ، وليس على الناس أن يبحثوا عن أصل ما يحتاجون إليه في أقواتهم ومكاسبهم ، إذ كان الأغلب هو الحلال ، وكان الحرام مغمورا ، وأما في زماننا هذا وبلادنا هذه ، فإنما هو باب أغلق ، مستبعد الحرب بجملته ، والله ما نخرجه إما تبرئة وإما جنشرة . وإنما فرقنا بين زماننا هذا والزمان الذي قبله لأن الغارات أيام الهدنة لم تكن غالبة ظاهرة كما هي اليوم ، والمغارم التي كان يقبضها السلاطين ، فإنما كانت على الأرضين خاصة ، وأما اليوم فهي جزية على رؤوس المسلمين يسمونها بالقطيع ويؤدونها مشاهرة ، وضريبة على أموالهم من الغنم والدواب والنحل يرسم على كل رأس ، وعلى كل خلية شيء ما ، وقبالات ما يؤدى على كل ما يباع في الأسواق ، وعلى إباحة بيع الخمر من المسلمين في البلاد ،

هذا كله ما يفعله المتغلبون اليوم . وهذا هو هتك الاستار ، ونقض شرائع الاسلام ، وحل عراه عروة عروة ، واحداث دين جديد ، والتخلي من الله عز وجل » .

ويبلغ ابن حزم ذروة العنف في الحملة على امراء الطوائف

هذا ولن ابن حزم ليبلغ ذروة العنف والقسوة في الحملة على امراء الطوائف ، واستهتارهم باحكام الدين ، وما اتسموا به من ضعف في الايمان والعقيدة حينما يقول بعد ذلك :

« والله لو علموا ان في عبادة الصلبان تمشية لامورهم لبادروا اليها ، فنحن نراهم يستمدون النصارى ، فيمكنونهم من حرم المسلمين وابنائهم ورجالهم ، يحملونهم أسارى الى بلادهم ، وربما يحمونهم عن حريم الأرض وحشرهم معهم آمنين ، وربما اعطوهم المدن والقلاع طوعا ، فأخلوها من الاسلام وعمروها بالنواقيس ، لعن الله جميعهم، وسلط عليهم سيفا من سيوفه » .

وانا لا نستطيع ان نتصور ابلغ من ذلك واروع في تصوير مجتمع الطوائف ، وتحليل عوامل ذلك الانحلال الشامل الذي كان يحيق بحياته الدينية والاجتماعية، وفي تصوير استهتار امراء الطوائف، وضعف ايمانهم ، وجنوحهم الى البغي وخرق احكام الدين . واننا لا نذكر انه قد اتيح لمؤرخ ، قبل ابن حزم او بعده ، ان يجمل مثل هذه الأحداث الضخمة لعصر بأسره ، وتلك الاحوال الشنيعة المتماثلة وهذه التصرفات الاثيمة المثيرة لطائفة كبيرة من الامراء والحكام ، في مثل هذه العبارات الموجزة التي يجمل فيها ابن حزم حكمه على مجتمع الطوائف .

فهل كان ابن حزم مبالغا ؟ وهل كان بالاخص متحاملا ؟

هذا ما لا نعتقد . فقد كان ابن حزم يشهد باسلوبه القوى اللاذع الوقائع وظروف تؤيدها كل الروايات والوثائق المعاصرة ، وكان بحكم مركزه الاجتماعي الممتاز، ورفيع مكانته العلمية والدينية يستطيع أن يرى من اوضاع الأمور ما لا يستطيع ان يراه غيره . وقد اصدر ابن حزم احكامه على دول الطوائف وامرائها ، باسلوبه القوي الصارم، الذي لا تشوبه هوادة ولا تردد،وبطريقته الحاسمة التي تطبع سائر آرائه ونظرياته .

ابن حزم مات قبل ان تنزل ممالك الطوائف ادنى الدركات

وقد توفي ابن حزم في سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م)، وممالك الطوائف في ابان قوتها وازدهارها ، وقبل ان تنحدر الى ما انحدرت اليه فيما بعد من الانحلال المعنوي الشامل . بيد انه كان كل ما انتهت اليه تلك «الفتنة» القومية – فتنة الطوائف على حد قول ابن حزم – من سقوط طليطلة حصن الاندلس الشمالي ، وانحلال ممالك الطوائف ، ووقوعها جميعا تحت رحمة ملك قشتالة، كان ذلك كله مما يؤيد اقوال ابن حزم وتنبؤاته . ولو شهد الفيلسوف هذه المرحلة الاخيرة من انحلال ممالك الطوائف،لكان بلا ريب في نظراته واحكامه، اشد قسوة وعنفا .

لقد كان ابن حزم مؤرخا عظيما ، كما كان فيلسوفا عظيما ، واماما من أعظم ائمة التفكير الاسلامي . ■■

محمد عبد الله عنان

● قضى أميرال متقاعد في الجيش الغربي سنوات في الصين . وعندما هم بمغادرتها عائدا الى اوروبا اقام له بعض الأهالي حفلة عشاء .

وفاجأ الجنرال المتقاعد مضيفيه بأن أهدى الى كل واحد منهم نسخة من كتاب يحمل اسمه كمؤلف . وكان عنوان الكتاب « **ماذا أعرف عن الصين** » . وكانت كل صفحات الكتاب بيضاء لم يكتب فيها حرف واحد !!



نصيحة جدتي

إلى الفتاة التي تزوجت رجلا لم تره ولم تعرفه !

بقلم : سعاد ..

■ كان البؤس يحلى على أساريرها وهي تقول « **ولكني لا احبه ، فكيف اتزوجه ؟** »

وسألتها : « **وهل تحبين غيره ؟** » ..

فصاحت مستنكرة . « **يا عيب الشوم!.. وكيف وانا اعيش في وسط لا يباح فيه الاختلاط بين الجنسين الا في اضيق حدود ؟** » .

وعدت اسألها . « **اذن كيف تتوقعين ان تجعلي الحب مقياسك في اختيار الزوج ؟** » .

وارتج عليها القول .. وبدلها حيرة قاسية ، أشفقت عليها منها ، فشرعت أعالج بها موضعها في رفق وبحلو مبسط .

انني أفهم أن تتمسك المرأة بألا تتزوج الا عن حب ، اذا كانت في مجتمع يتسع فيه الاختلاط بين الجنسين ، وفي أوسع نطاق ، حتى يتسنى لها أن تلتقي بأكبر عدد من الرجال الذين تتباين شخصياتهم وطباعهم ومسالكهم في الحياة ، لتكون اختيارها أقرب الى الصواب ..

وافهم كذلك الحيرة الاليمة التي تكتنف فتاة في سن تتفتح العواطف وترهف الاحاسيس ، وقد قدر عليها ان تحتجب فلا تختلط ، وفي البيت مذياع يردد على سمعها طيلة اليوم أغاني الحب والهوى .. و « تلفاز » يقدم لها صوراً لفتيات مثلها ولكنهن متحررات يختلطن بالرجال على قدم المساواة ، ويشاركنهم اعمالهم ، وتتاح لهن فرصة اختيار الزوج على ضوء التعارف والتفاهم .

ولكن .. ما الحصيلة ؟

هنا يرتد بي الفكر الى الوراء اجيالا

.. ما الذي كانت تعلمه جداتنا ؟

كانت جدتي تقول دائما ، كلما اثرنا حديث الحب وارتباطه بالسعادة الزوجية « صدقوني يا أولاد .. الحب وليد المعاشرة .. والسعادة هي من صنع الانسان ! » .

وكانت تنطلق بعد ذلك ، لتحدثنا عن الزواج في أيامها : كانت الفتاة تزف الى رجل لم تره يوما ولا عرفت عنه أي شيء .. فاذا كانت عاقلة ، سارعت الى الاعتراف بالواقع ..

وكانت تدرك أن المجتمع — اذ ذاك — ينظر الى « الطلاق » نظرة عابسة ... ولا جدال في ان ذلك المجتمع كان يحتاج الى التطور ، ولكن .. هكذا كان ، ولم تكن لها حيلة ولا قوة لتغييره ..

واذن ، فلم يكن امام الزوجة الا ان تتكيف وفقا لهذا الوضع الذي فرضته عليها الحياة .. اذا لم يكن بوسعها ان تغير المجتمع ، فتغير من نفسها حتى لتمشي مع هذا المجتمع .. ولتسعد أيضا في هذا المجتمع برغم ظروفه ، فما كان من المعقول ان تمضي حياتها شقية تعسة .

وتستطرد جدتي فتقول :

.. ان اتجاه المرأة الى التكيف وفقا للمجتمع والبيئة ليس دليلا على الضعف ، وانما هو دليل على القوة .. انها تسعى الى الابقاء على الحياة الزوجية ، والى حمل زوجها على ان يحبها ، والى ان تسعد بهذا الزوج وبهذه الحياة ، برغم كل شيء .

كان اول ما تعمله العاقلة من النساء ان تحاول فهم زوجها ، وهي تعلم ان جمال الخلقة ليس كل شيء ، ولكن في الانسان — أيا كان — نواح كثيرة أخرى للجمال ، غير الشكل والمظهر .. فعلى الزوجة التي تزوجت من رجل لم تعرفه من قبل ، أن تبحث عن هذه النواحي ، وأن تترك له هو أيضا فرصة للكشف عنها في نفسها ، وأن تتجنب مبادرته بالنفور أو الصدود أو التمرد ..

ومن المهم للزوجة ، أن تعرف طبيعة زوجها ، وأن تسايره وفقا لهذه الطبيعة .. فاذا رأت منه يوما جفاء او خشونة ، فلتذكر انه خارج البيت يخوض معركة كبيرة لانتزاع لقمة العيش .. ويلقى بأشياء كثيرة قد لا تسره ، وقد لا ترضيه .. فهو يعود الى البيت مشدود الأعصاب ، مثقل الصدر .. اذا قدرت هذا ، سهل عليها أن تهون الامر على نفسها وعليه .

ان الزواج شركة بين الزوج والزوجة .. واذا كانت ظروف المجتمع ايامئذ قد قضت بأن ينفرد الزوج بالعمل وكسب العيش ، وبأن تنحصر مهمة الزوجة على البيت فتقوم بواجباتها كما ينبغي أن تقوم .. وتحرص ما استطاعت على أن تقدم لزوجها — في مقابل ما يقدمه ليعول الاسرة — لقمة هنيئة وبيتا مريحا ، وصحبة مؤنسة .

واي زوج يظفر بكل هذا من زوجته ، ثم لا يحبها ؟

وأية زوجة بعد كل هذا الفهم والتفاهم ، لا تجد أن المعاشرة تنتهي بها الى حب زوجها ؟

ومتى ولد الحب .. ولدت معه السعادة !

وبعد .

ليس هذا دعوة الى المرأة لتكف عن السعي في الطريق .. ولا أن تكف عن طلب ما لها من حقوق ، ومن مثل تلك المكانة للمرأة التي نجدها في المجتمعات المتطورة .

ولكن هذه دعوة الى التي أبت عليها الظروف أن تنعم بما نعمت به زميلاتها .

دعوة الى أن تعالج حياتها بحكمة واناة ، حتى لا تشقى ولا تشقي زوجا فرض عليه المجتمع وضعه ، كما فرض عليها وضعها ..

وهي اذا اكتسبت حب الزوج ، اكتسبت معه الثقة . واذا اكتسبت الثقة ، استطاعت أن تخطو رويدا — وبالاقناع والمحبة — الى نيل كل ما نعمت به زميلاتها من حقوق ..

سعاد ...

أمام الباب المغلق

للشاعرة فدوى طوقان



■ أحزانُ الأرض على كتفيّ وأهوالُ القدرِ الجبار
فافتحْ لي بابك قد وهنتْ كتفيّ وأنا أطرق بابكْ
أنا جئتُ رحابك أستجدي بعضَ سكينه
وطمأنينه
لكنّ رحابك مغلقةٌ في وجهي غارقةٌ في الصمتْ
يا ربَّ البيتْ
مفتوحاً كان الباب هنا أيامَ القصفُ خفيفٌ عصفْ
أيامَ المنزل مأوى المُتعَب والمسحوق بثقل الأرض
أنا أعرفه مفتوحاً كان الباب هنا والزيتونه
خضراءَ تنامُ فارعةً تحتضن البيتْ
والزيت مضيء ، فلا نار
يهدي في الليل خُطى الساري
يعطي المسحوق بثقل الأرض طمأنينه
ورضىً وسكينه
هل تسمع يارب البيت ؟
أنا بعد ضياعي في الفلوات بعيدا عنك أعود إليكْ
لكنّ رحابك مُغلقةٌ في وجهي غارقة في الصمتْ
لكنّ رحابك كاسية بتراب الموتْ
إن كنت هنا فافتح لي بابك لأحجب وجهكَ عنّي
وانظرْ بؤسي وضياعي بين حرائق عالميَ المُنهار
وعلى كتفيّ أحزانُ الأرض وأهوالُ القدر الجبار

. . .

. . .

عبثاً ، عبثاً ، لا رَجْع صدى ، لا صوت
. . عودي ، لا شيء هنا غيرُ الوحشة والصمت وظل الموت .



قبيل الثورات العربية الحديثة وبعدها

نشرنا في العدد الماضي الجزء الاول من هذا البحث ، وفي المقال التالي يتحدث الكاتب عن الاصلاح الزراعي في البلاد العربية الثلاث التي كانت قصة الارض فيها موضوع مقاله السابق .

بقلم : عبد الرزاق الهلالي

المصرف الزراعي ـ بغداد

■ كانت مصر أسبق من غيرها من دول الشرق العربي في التظاهر في تشجيع الملكية الزراعية اذ اصدرت في عام ١٩١٣ القانون رقم ( ) وهو قانون (الخمسة الأفدنة) الذي ارادت به حماية الفلاح من ضياع ثروة استدانتهم من البنوك والمرابين ثم راحت هذه المحاولات تتسع حتى عام ١٩٣٩ عندما قامت وزارة الشؤون الاجتماعية بدراسة مشروعات الاصلاح الريفي واقامة المراكز الاجتماعية . ومع كل ما قدم ظل الريف المصري مثالا للاستغلال الفظيع . فقد كانت الظاهرة البارزة لنظام الارض فيها هي الانفصال البعيد للتفاوت ، والزيادة المضطردة في الايجارات ، حتى ادى تضخم السكان في الريف الى اتاحة المجال للمالكين لاستخدام سلطانهم الاحتكاري على الارض وفرض اجور اعلى على المزارعين الذين يرغبون في استئجارها .

اما في العراق فقد ظلت الأمور على حالها من حيث سيطرة النظام المشايخي ، وخضوع الزراعة والعمل الزراعي الى العرف القبلي . وراحت دوائر التسوية تسجل المساحات الشاسعة باسماء الشيوخ والرؤساء والمتنفذين ، وقد جرت محاولة شبيهة بمشروع (الخمس الفدنة) المصري في عام ١٩٣٦ ولكنها قبرت في المهد وفي عام ١٩٤٥ قامت الحكومة بمشروع (الدجيلة) الذي قررت توزيع الاراضي فيه على صغار الزارعين وفق شروط معينة ، ثم وسعت عام ١٩٥١ مدى شمول هذه التجربة على جميع (الاراضي الاميرية الصرفة في العراق) فاقامت مشاريع الحويجة والمسيب الكبير وشهرزور ومخمور واللطيفية الخ) . ومن هنا يتبين للقارىء ان هذه الجهود انصرفت الى الاراضي الاميرية فقط دون ان تمس الملكيات الزراعية التي هي تحت تصرف اولئك الشيوخ والملاكين على الرغم من

لتردي أوضاع الفلاحين العاملين في هذه الملكيات، ولم تكن المحاولات إلا محاولات فاشلة كما يقول (كين) لأن « تأثير هذه التدابير لا يعدو أن يكون تأثيراً مضمراً فحسب ، ومعالجة الأزمة الخانقة بمثل هذه الإصلاحات المبتورة إنما تؤدي إلى استفحال تلك الأزمة » .

أما في سوريا فقد كان وضع الفلاحين سيئاً وما كانوا يلاقونه من أصحاب الملكيات الكبيرة من العسف وقهر والإرهاق، أشد وأقسى . وقد ظن الفلاحون أن زوال دولة الانتداب وقيام عهد الاستقلال سيكون فاتحة عهد خير وبركة عليهم، إلا أن حلمهم هذا تواري عندما انتقل الحكم إلى أيدي كبار المالكين والرأسماليين تحت شعارات شعارها الوطنية وتحرير الشعب ، ورافقها خلق امتيازات وقيود جديدة . حتى إذا تأزم الوضع في البلاد قام (حسني الزعيم) بانقلابه الذي أعلن فيه « أنه جاء لتحرير البلاد من الفساد والفوضى وتحرير الفلاحين من سلطة الإقطاع » . لكنه ما لبث أن تنكر لما وعد ، فجاء بعده حكم انبثق عن جمعية تأسيسية وضعت دستوراً نص في المادة (٢٢) على وجوب وضع قانون لتحديد الملكية الزراعية ولحماية الفلاحين ، ولكنه ظل حبراً على ورق . حتى إذا جاء (أديب الشيشكلي) زعم أنه قام لحماية الفلاحين وتحريرهم وإعادة حقوقهم إليهم في أراضي الدولة . وأصدر من أجل ذلك المرسوم رقم (٩٦) لسنة ١٩٥٢ ، إلا أن هذا المرسوم أُلغي فيما بعد عندما ظن أن الأمر استتب له . فلما انتهى حكم الشيشكلي راح الفلاحون يطالبون بوضع حد لمآسيهم وإعادة حقوقهم إليهم، ولكن بدون جدوى . وفي عام ١٩٥٧ وفي جلسة) آذار ١٩٥٧ ، أثير موضوع (تهجير الفلاحين) المستمر من أراضيهم ذلك الذي كان يقوم به رجال الإقطاع ، وحاول بعضهم وضع تشريع يمنع به هذا التهجير، إلا أن أكثرية نواب المجلس انسحبت لأن في ذلك تعارضاً مع مصالحهم .

وهكذا لم تكن الحكومات السورية تهتم بانتشال الفلاحين من هذه المظالم على الرغم من التطور الذي حدث في الأقطار العربية الأخرى .

في مصر ، بعد الثورة

ولما قامت في مصر ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ والتمست النظام الملكي من جذوره كان موضوع الإصلاح الزراعي في مقدمة الأهداف التي صمم قادتها على تحقيقها ، إذ لم تكد تمضي ستة أسابيع على قيام هذه الثورة حتى صدر قانون الإصلاح الزراعي رقم (١٧٨) لسنة ١٩٥٢ . وقالت المذكرة الإيضاحية له بأنه « قد حان الوقت أخيراً لتنفيذ الإصلاح في مصر كأساس لإعادة بنيان المجتمع المصري على أسس جديدة توفر لكل فرد من جمهرة الشعب حياة تحوطها الحرية والكرامة، وتقضي على البون الشاسع بين الملاك ، والفوارق العميقة بين الطبقات ، وتزيل سبباً من أسباب القلق الاجتماعي والاضطراب السياسي » .

وأصبح بموجب هذا القانون « لا يجوز لأي شخص أن يمتلك من الأراضي الزراعية أكثر من ٢٠٠ فدان». إلا أن هذا الحد قد خفض بموجب القانونين رقم ٢٤ لسنة ١٩٥٨ ورقم ١٢٧ لسنة ١٩٦١ ـ فأصبح « لا يجوز لأي فرد أن يمتلك من الأراضي أكثر من ١٠٠ فدان » .

ونتيجة لتطبيق قانون الإصلاح الزراعي الأول تم الاستيلاء على مساحة قدرها (٧٩٢٣٩) فداناً ، ووزعت على ١٨٨٢١٧ أسرة من الفلاحين ، كما « سيترتب ـ بعد تنفيذ القانون رقم ١٢٧ لسنة ١٩٦١ ـ الاستيلاء على نحو ٣٠٠٠٠٠ فدان لتوزع على فلاحين آخرين » .

في العراق ، بعد الثورة

لم قامت ثورة الرابع عشر من تموز عام ١٩٥٨ وهدمت هي الأخرى النظام الملكي في العراق من أساسه ، وجعلت الإصلاح الزراعي الهدف الأول لها لأنها رأت في تحقيقه قضاءً على الاستعمار، وعلى النظام شبه الإقطاعي في البلاد ، وضمان العدالة بين أبناء الشعب كافة ، وتحريرهم من عوامل الفقر وأسباب الخوف ، وتخليصهم من الجهل والمرض .

ولذلك لم يكد يمضي على الثورة شهران ونصف ، حتى صدر قانون الإصلاح الزراعي رقم ٣٠ لسنة ١٩٥٨ ، الذي بموجبه تحددت الملكية الزراعية بحيث « لا يجوز أن تزيد مساحة الأرض الزراعية التي تكون مملوكة لشخص مفوضة له بالطابو أو ممنوحة باللزمة عن ١٠٠٠ دونم من

الأراضي التي تسقى سيحا أو بالواسطة أو ٢٠٠٠ دونم من الأراضي التي تسقى ديْماً » .

وهكذا وبموجب هذا القانون تم الاستيلاء على (٦ ملايين) و (٣٦٠ ألف) دونم منذ مباشرة العمل به حتى يوم ١٩٦٢/٩/٣٠ وقد وزعت منها مساحة قدرها (١/١٢٥/٠٠٠) دونم على (٣٦٦١٠) أسرة فلاحية .

في سوريا ، بعد الثورة

اما الاصلاح الزراعي في سوريا فقد كان هو الآخر هدف الشعب الأول الا لم تقم الوحدة بين القطرين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ حتى اصدرت حكومة الجمهورية العربية المتحدة بتاريخ ٧ أيلول ١٩٥٨ قانون الاصلاح الزراعي رقم ١٦١ وبموجبه حددت الملكية الزراعية في الاقليم السوري على الوجه الآتي :

١ — لا تزيد الملكية الزراعية عن ٨٠ هكتارا في الأراضي المروية والمشجرة .

٢ — لا تزيد الملكية الزراعية عن ٣٠٠ هكتار في الأراضي البعلية .

فلما لم تصمد عرى الوحدة بين القطرين في ٢٨ أيلول ١٩٦١، وقيام الجمهورية العربية السورية، اكدت قيادة الانقلاب على التمسك « بمبادىء الاصلاح الزراعي باعتباره اساسيا في زيادة الانتاج القومي ولعلق سكان الريف بالأرض تعلقا وثيقا ». غير ان ذلك التأكيد لم يكن جادا ، لأنها نسخته بالقانون رقم ٣ حتى اذا حدث الانقلاب على الانقلاب في يوم ٢٨ آذار ١٩٦٢ قال قائد الانقلاب الجديد « لقد تسللت بعض العناصر .. وتمكنت من تعطيل سائر التشريعات والقوانين والأنظمة التي حققت وضمنت مكاسب الفلاحين والعمال وبقية فئات الشعب ، فراحت هذه العناصر تصدر التعليمات والأوامر التي تخالف التشريعات والقوانين ، وتعمل على ضرب الفلاحين وطردهم من قراهم ، وانتزاع اراضيهم منهم ، وحملهم على تركها والهجرة منها ، واعادة سيطرة اقطاعيهم ومحاسيبهم وأعوانهم ، فهدمت بيوت الفلاحين على رؤوسهم ، واحالت اراضيهم المزروعة بعرقهم ودمهم وجهودهم الى خراب » .

ولما جاءت الحكومة الجديدة اعلنت بتاريخ ٢١ نيسان ١٩٦٢ عن عزمها على الغاء القانون رقم (٣) والعودة الى القانون رقم ١٦١ لعام ١٩٥٨ واصدرت فعلا المرسوم التشريعي رقم ٢ بتاريخ ٢ ايار ١٩٦٢ . وبموجب هذا المرسوم رفع الحد الأعلى للملكية الزراعية في الأراضي البعلية في محافظات الحسكة ودير الزور والرشيد الى ٥٠٠ هكتارا بدلا من ٣٠٠ هكتار .

ثم قامت ثورة (٨ آذار ١٩٦٣) فاطاحت بنظام الحكم الانفصالي فاعلن المسؤولون الجدد بان هدف الحكومة « تقويم الاصلاح الزراعي وازالة التشويهات التي الحقتها تشريعات عهد الانفصال وكانت تمحو معالمه الاشتراكية » .

وبتاريخ ١٩٦٣/٦/٢٣ اصدر المجلس الوطني لقيادة الثورة المرسوم التشريعي رقم ٨٨ الذي حددت فيه الملكية الزراعية على الوجه الآتي :

لا يجوز لأي شخص ان يملك اكثر من

١ — في الأرض المروية .

(أ) ١٥ هكتارا في منطقة الغوطة .

(ب) ٢٥ هكتارا في منطقة الساحل .

(جـ) ٢٥ هكتارا في منطقة البطحية وتوابعها .

(د) ٤٥ هكتارا في بقية الأراضي المروية بالراحة .

(هـ) ٥٠ هكتارا في الأراضي التي تروى بالرفع باي واسطة من الانهر .

(و) ٥٥ هكتارا في الأراضي التي تروى من مياه الآبار في محافظات الحسكة ودير الزور والرقة .

(ز) ٤٥ هكتارا في بقية الأراضي التي تروى بالرفع .

٢ — في الأراضي البعلية المشجرة بالزيتون والفستق الحلبي .

(أ) لا تزيد عن ٣٥ هكتارا في محافظة اللاذقية .

(ب) لا تزيد عن ٤٠ هكتارا في بقية المحافظات .

٣ — في الأراضي البعلية .

(أ) لا تزيد عن ٨٠ هكتارا في المناطق التي يزيد فيها معدل الامطار عن ٥٠٠ مليمتر .

(ب) لا تزيد عن ١٢٠ هكتارا في المناطق التي يتراوح فيها معدل الامطار بين ٣٥٠ر٥٠٠ مليمتر .

(جـ) لا تزيد عن ٢٠٠ هكتار في المناطق التي يقل فيها معدل الامطار عن ٣٥٠ مليمترا .

وترفع هذه المساحة الى ٣٠٠ هكتار في محافظات الحسكة ودير الزور والرقة .

تلك هي القواعد القانونية التي استقر عليها

العمل في تحديد الملكية الزراعية في هذه الأقطار الثلاثة حتى اليوم .

ماذا وراء الاصلاح الزراعي ؟

ومهما يكن من شيء فان « الاصلاح الزراعي » بمفهومه الحديث لم يعد عملا يقتصر على توزيع الأرض على صغار الفلاحين فحسب انما هو ينادى بسياسة شاملة لا تقتصر على فرصة تملك الأرض فقط بل تشمل مختلف الاجراءات الضرورية لمساعدة الفلاحين عن طريق منحهم ضمانة في حالة التملك واتاحة الفرصة الفضل لتقديم القروض لهم وتقديم التسهيلات التسويقية والخدمات الاستشارية والثقافية والزراعية وما شابهها وعلى هذا يعتبر (الاصلاح الزراعي) اليوم سياسة زراعية بالاضافة الى كونه سياسة اجتماعية تهدف الى خدمة المجتمع الريفي خدمة شاملة .

ومما لا شك فيه ان السياسة الزراعية (في البلدان التي تعتمد على الزراعة بصفة اساسية) جديرة بان تكون من اهم العوامل ان لم تكن اهمها جميعها في تحديد المستوى الاقتصادي للشعب ـ لأن الظروف التي تحيط بالزراعة من عدل او ظلم في توزيع ملكية الأرض وما تتميز به من حكمة او سوء تدبير في تنظيم وسائل الانتاج وما تؤدى اليه من زيادة المنتجات الزراعية او قلتها وتنويع المحاصيل او اقتصارها على عدد قليل منها كل ذلك جدير بان يحدد عدالة توزيع الدخل الزراعي وكفاية الزراعة او عجزها عن انتاج الخدمات اللازمة للتقدم الصناعي وزيادة او ضعف القوة الشرائية للفلاحين ورواج او كساد الصناعة في الدولة وارتفاع او انخفاض مستوى معيشة اهاليها ومـراحم الغالى والقليل .

الاصلاح الزراعي بعد التطبيق

لم يكن الطريق ممهدا امام المسؤولين الـذين اطلعوا المباشرة بتطبيق قانون الاصلاح الزراعي في هذه الأقطار الا كان مليئا بالأشواك والمتاعب والتفاعلات المتشابكة الأطراف . ولكن هذه المتاعب والعقابيل تختلف شدة وضعفا وتقل اهمية وشأنا بين دولة واخرى تبعا لما صاحب التطبيق في كل منها من تفاعلات وتطورات سياسية واجتماعية واقتصادية مختلفة ، ففي مصر راحت حكومة الثورة بكل اندفاع وتصميم تطبق هذا القانون بحكم ايمانها بضرورة انقاذ التربة الشعب مما هو فيه من فقر وجهل ومرض ولأنها ترى ان الوقت قد حان لاعادة بنيان المجتمع المصرى على اسس جديدة ، توفر للمواطنين حياة تحوطها العصرية والكرامة . وها قد مرت عشر سنوات على تطبيق هذا القانون والعمل جار بكل قوة واندفاع لتحقيق الأهداف المرجوة منه .

وقد كلفت الهيئة العامة للاصلاح الزراعي مكتبات المستغل الزراعي لمن وزعت عليهم الأرض وقامت بتوفير الموظفين الفنيين ذوى الامكانات لخدمتهم فضلا عن توفير المرافق الصحية والاجتماعية والثقافية وحيات المساكن الصالحة لهم ، وتطبيقا لفكرة العمل التعاوني فقد قامت (٣٧٥) جمعية تعاونية محلية و (٤٥) جمعية تعاونية مشتركة حتى نهاية عام ١٩٦٢ لنال الأعضاء فيها كل مساعدة وعون .

واذا اضفنا الى ما تقدم جهود الحكومة في استصلاح الأراضي وما ينتج من انجاز السد العالى ومشروع تجميع الحيازات الضيقة المتناثرة تبين لنا سعي الحكومة في منح اكبر عدد من الفلاحين الأرض ورغبتها في زيادة الانتاج وتنويعه ورفع الدخل القومي ، ليتسنى لها التخلص من اثر المشكلتين البارزتين فيها الا وهما .

١ ـ ضيق الأرض الزراعية وعدم قدرة الأرض الصالحة للزراعة على ضمان العيش للسكان الذين يتكاثرون بسرعة رهيبة .

٢ ـ التخلف الصناعي الذى يضطر السكان الزائدين عن حاجة الزراعة من الطاقة البشرية الى الاستمرار في كسب عيشهم من الزراعة .

وقد بذلت حكومة الجمهورية العربية المتحدة كل ما في طاقتها في هذا السبيل وهي سائرة بكل جد لوضع حد لآثارها لا سيما بعد صدور القوانين الاشتراكية المشهورة .

اما في العراق فقد جاء قانون الاصلاح الزراعي فيه بنفس الأسس والأهداف التي جاء بها قانون الاصلاح الزراعي في مصر تقريبا الا ان الظروف والتفاعلات والتطورات السياسية التي طرأت على حكومة الثورة وتسلط النفوذ الشيوعي على بعض الأجهزة التي توكل اليها امر تطبيقه قد ادخلت البلاد في دوامة من المشاكل والمصاعب ولم يعد

(الاصلاح الزراعي) في نظر معظم العاملين في الزراعة الا مصدرا لعرقلة الزراعة في البلاد عامة فلما قامت ثورة (١٤ رمضان ١٩٦٣) قال دستور الاصلاح الزراعي الجديد :

(ان ثورة ١٤ تموز قامت لتحقيق اهداف سياسية واقتصادية واجتماعية اهمها تحقيق العدالة الاجتماعية في القطاع الزراعي وبناء على ذلك شرع قانون الاصلاح الزراعي ولكن قيام الحكم الدكتاتوري الأسود وما رافقه من فوضى سياسية في البلاد اوجد عقبات كبيرة في طريق تنفيذه بشكل مثمر فجاء التنفيذ بطيئا ومشوبا بكثير من الاخطاء والمغالطات وقد قامت ثورة ١٤ رمضان لتصحيح الانحراف الذي طرأ على خط سير ثورة ١٤ تموز) .

ونظرا للاضطراب والفوضى التي شملت العمل الزراعي فقد اصدرت الحكومة قانون حماية الانتاج الزراعي رقم ٩٩ لسنة ١٩٦٣ ولكنها مع هذا لم تستطع الوصول الى ما يهدف اليه قانون الاصلاح الزراعي في زيادة الانتاج ورفع مستوى حياة صغار الزارعين والفلاحين او مساعدتهم صحيا وثقافيا واجتماعيا المساعدة المرجوة ، حتى اذا حل يوم (١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣) وقام الجيش العراقي بحركته المشهورة لتصحيح الاوضاع من جديد قال المنهاج الوزاري للحكومة الجديدة قائلا (ستعمل الحكومة على تطبيق الاصلاح الزراعي بعد تعديله بما يضمن مصالح الزراع تطبيقا سليما وحازما يؤمن القضاء على مصادر التخلف الاقتصادي والاجتماعي والصحي والثقافي في الريف) .

وهكذا مرت (خمس سنوات) ولم يعد البلاد من منافع الاصلاح الزراعي الا ما اكد عليه المسؤولون انفسهم من انحراف عن اهدافه وقلة في الانتاج وفوضى في الوسط الزراعي ادت بالعراق (وهو المصدر للحبوب) الى ان يستورد الحنطة من الخارج لضمان قوت ابنائه .

ولعل في ضمان الهدوء والاستقرار واستتباب الامن والقضاء على الفوضى وجعل القانون رائد الجميع في المناطق الزراعية وهو ما تسعى الحكومة على تحقيقه سيتيح للمسؤولين في الاصلاح الزراعي الفرصة للسير بجد واخلاص للوصول الى ما يصبو اليه قانون الاصلاح الزراعي من اهداف .

كما في سوريا فان حصيلة تطبيق قانون الاصلاح الزراعي تكاد تكون شبيهة بما حدث في العراق ان لم تكن اكثر اضطرابا وتعقيدا ، فمنذ ان قام الانفصال حتى اليوم والاصلاح الزراعي ما بين مد وجزر ما دام ذوو المصالح والغايات المركزة من رجال الاقطاع وتجار السياسة قد وجدوا في التطورات والاحداث السياسية التي قامت بعد ٢٨ ايلول ١٩٦١ حتى اليوم المنفذ الذي يطلون منه لعرقلة عمل الاصلاح الزراعي وهكذا كتب للفلاح ان يظل على ما كان عليه ان لم يكن قد تعرض لمشاكل سببتها تلك التقلبات .

وان صدور قانون الاصلاح الزراعي الجديد الذي صدر بعد ثورة (٨ آذار ١٩٦٣) قد جاء باسس جديدة كما رأينا والقانون لا بد من مرور فترة اخرى لمعرفة نتائج تطبيقه .

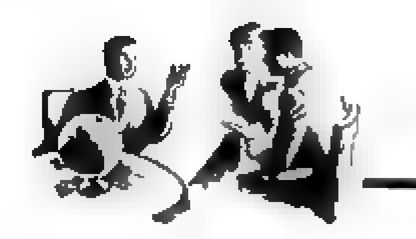
خاتمة وامل ورجاء

وهكذا وبهذه الصفحات القليلة العدد لخصنا للقارىء الكريم الأسباب التي حملت المسؤولين في هذه الاقطار على تطبيق قانون الاصلاح الزراعي والقضاء عموما على التكتلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في كل قطر منها وما تسبب عنها من ردود فعل في حقل العمل الزراعي وهي على كل حال تتفاوت كما رأينا بين قطر وآخر ... وكان لاستقرار الوضع السياسي لمصر وتوافر العناصر الفنية المتخصصة في جميع مراحل العمل الزراعي وتنظيم شؤون الري والصرف وسيطرة القانون والصرامة في تطبيقه بحق المسيئين ، كان لهذه العوامل وغيرها الاثر الكبير في السير قدما بتحقيق كثير من الاهداف التي جاء بها القانون خلال السنوات العشر الماضية .

وانا لنرجو مخلصين ان يسود الهدوء والاستقرار المناطق الزراعية في كل من العراق وسوريا بعد تلك الرجات والانحرافات التي حدثت خلال السنوات الماضية ليكون القانون رائد الجميع في العمل على تحقيق العدالة الاجتماعية والوصول الى الغايات النبيلة التي شرعت من اجلها قوانين الاصلاح الزراعي في هذه البلاد .

■■

بغداد : عبد الرزاق الهلالي



دردشة

أسباب عجيبة موجبة للطلاق . . !

● حينما طلبت النجمة السينمائية الطلاق من زوجها لاساءته في الضحك على النكات التي تعودها علق القاضي على طلب الطلاق بما يلي :

« إن من المحال أن تسعى الزوجة للانفصال عن الزوج لمجرد أنه لا يرى في تعليقاتها ما يثير الضحك، وأنى لأحسب أحد هذه النكات أبعد ما تكون عن إثارة الضحك » .

واستطرد القاضي قائلا : « إننا سنشرف زمن عجيب حقا ، وإذا ما قدر لمثل هذه القضايا أن تنجح ، فإنه سيطلب عما قريب من القضاة أن يمنحوا الطلاق لأن الشريك يشخر في نومه أو يتلعثم أو يتهته في كلامه ، أو لأنه يسرح شعره على الجانب الذي لا ينال استحسان الزوجة »

● ومن المحتمل أن لا يكون ذلك القاضي على علم بأن طلبا للطلاق قد قدم فعلا للمحاكم على أساس أن الزوجة كانت تتهته . وقد حصل هذا في مدينة شيكاغو إذ طلب شاب بولندي الطلاق من زوجته الأمريكية الجميلة لأنها كانت تتهته حينما تنطق اسمه ، وشكا الزوج من أن اسمه يبدو غريبا شاذا حينما تنطق به زوجته .

● وتقدم رجل أعمال من ميامي طلبا للطلاق لأن إحدى عشر زوجة كانت تؤلبها . وكان الأمر يحتملها بصبر بينهما مما أوقعه في مشاكل أثارت غيظ الزوج ، إذ ادعى بأنه كان يتورط مرة في الأسبوع على الأقل في شجار مع الرجال الذين كانوا يغطون ويصفرون فيحسبها الزوجة على أنه دعوة للمغازلة والغزل .

● وادعى تاجر من بورتسموث ، أثناء نظر دعوى الطلاق ، أن زوجته تصر على أن تضع ببغاءها الصغير في الفراش الذي ينام فيه الزوجان .

● وورد في بعض التقارير التي نشرت مؤخرا عن الطلاق أن زوجة طلبت الطلاق من زوجها لأنه كان يرمي ملابسه كيفما اتفق على الأرض دون نظام أو ترتيب ، ولا يعلقها على المشجب .

● تعريفات ● ■ ● ■ ● ■ ●

الأعزب : من لا يجد من يلوم غير نفسه .

الجاذبية : المقدرة على جعل شخص آخر يعتقد بأن كليكما مدهش .

رجل الأعمال : هو الذي يحصي النجوم التي يودعها في البنك .

الخبرة : هي المبرر للوقوع في أخطاء جديدة بدلا من تكرار الأخطاء السابقة .

اللباقة : المقدرة على خلق الشعور لدى الضيوف بأنهم في بيتهم عندما تتمنى لو كانوا هناك فعلا .

الزوج المثالي : الرجل الذي يعامل امرأته كما يعامل سيارته الجديدة .

رخصة الزواج : هي الشهادة التي تعطي امرءا حق الصيادة



مقابلة ناجحة

● قبل انضمام جون هاي الدبلوماسي الامريكي الشهير الى نقابة المحامـــين استدعى امام لجنة من المحامين لاجراء المقابلة . وحاول احد اعضاء اللجنـــة احراج المحامي الشاب بالأسئلة فسرد على مســـمعه قضية معقدة بكل تفاصيلها ودقائقها وقال للمحامي : لنفرض ان احد الزبائن جاء يوكلك في قضية كهذه فماذا تقول له ؟ .

ارتبك المحامي الشاب ووقع في حيرة ولكنه تدارك الموقف وقال لعضو اللجنة السائل : « انني اطلب ٥٠ دولارا مقدم اتعاب ، واطلب منه ان يأتي في اليـــوم التالي الى مكتبي مرة اخرى » .

وقبل جون هاي عضوا في النقابة .

يشنق بعـــد وفاته !!

● بعد تولي شارل الثاني ملك بريطانيا ، امر باخراج جثة اوليفر كرومويل من القبر ، وشنقها مسموما مدة اسبوع . ودفنت انتقاما لوالده شارل الأول الذي كان كرومويل قد اعدمه سنة ١٦٤٩ .

التأهيل الصحيح قبل الالتحاق بالعمل

● لا احد يفكر في التقدم لشغل اي وظيفة قبل ان تكون لديه خبرة سابقة .. حتى في ابسط الحرف والمهن والأعمال الكناسة .

ومع هذا فكم من فتاة فكرت في تلقي دورات تدريبية في اعمال المنزل لاعداد نفسها لوظيفتها الاجتماعية .. الا وهي الزواج ؟!

انك لو ذهبت الى اي مكتب من المكاتب ، حيث تعمل الفتيات ، تجدهن بدون استثناء قد تعلمن الطباعة والاختزال واللغات واعمال السكرتارية . قبل الالتحاق بالعمل .. ولكن واحدة منهن لم تفكر في تعلم الطبخ والكي والغســـل .. قبل الالتحاق بالزوج ..

أبو الحسن الشاذلي وخليفته أبو



[illegible] الشيخ أبو الحسن [illegible]

بقلم الدكتور جمال الدين الشيال

المستشار الثقافي في سفارة ج . ع . م في الرباط

في العدد الماضي حدثت القارئ عن [illegible] العصر الشاذلي ، وما عرض له من محن [illegible] بالمغرب ومصر ، ثم عودته الى تونس ، ثم [illegible] ما رجع الى تونس الا [illegible] الشاب « [illegible] وصحبه وخليفته أبا العباس المرسي » .. وفي هذا المقال ما تلا ذلك من سفره [illegible] الى مصر وما جرى له حتى فارق الدنيا





العباس المرسي

عاد ابو الحسن الشاذلي الى تونس ، بعد أن هجرها للحج ، وضيقا بمؤامراتها ، وذلك لسببين . اولهما الوفاء بوعده لسلطانها أن يعود . وثانيهما أن يلتقي بتلميذه وصفيه وخليفته ابي العباس المرسي .

قال ابو الحسن : ما ردني الى تونس الا هذا الشاب .

ابو العباس المرسي

كان ابو العباس المرسي قد خرج من مدينة سبتة(1) هو وابوه وامه واخوه في سنة ٦٤٠ هـ . يقصدون الحج ، وحملتهم سفينة عبر البحر الابيض ، ولكن السفينة غرقت بالقرب من بونة (2) ، وقدر لابي العباس واخيه ان ينجوا من الغرق ، فاتجها الى تونس واقاما بها الى ان عاد اليها ابو الحسن الشاذلي رجلا من بعد ان كان عرفها طفلا ، فتعرف اليه ابو العباس ، ولازمه منذ ذلك الحين .

ابو الحسن يقضي في تونس سنتين يتهيأ فيهما لمغادرتها نهائيا الى الاسكندرية

ولم يقم الشيخ ابو الحسن في تونس طويلا هذه المرة ، بل سرعان ما صحب تلميذه ومريديه ورحل نهائيا الى مدينة الاسكندرية في سنة ٦٤٢ هـ .

وللمقابلة التلميذ بالشيخ قصة يعنينا منها ان نعرف ان ابا الحسن كان يرتقب هذه المقابلة ، وانه كان قد القي اليه خبر ابي العباس واتصاله به منذ امد طويل، فقد قال لابي العباس في ختام مقابلته الاولى له :

« وعدت الى منذ عشر سنين »

وبعد ان تحققت النبوءة لم يعد هناك ما يربط الشيخ بتونس ، لهذا لم يمكث بها هذه المرة في سنتين ، وعمل خلالهما على تصفية اموره ، فباع داره بها ثم اعد العدة للرحيل الى الشرق ، وكان هذا تحقيقا للجزء الاخير من نبوءة استاذه ابن مشيش التي كان قد ختمها بقوله : « وبعد ذلك تنتقل الى بلاد الشرق وترث القطبانية » .

وفي سنة ٦٤٢ هـ اذن له النبي صلى الله عليه وسلم بالانتقال الى مصر ، فقد روي عن الشيخ انه قال : « رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي : يا علي انتقل الى الديار المصرية فانك تربي فيها اربعين صديقا » .

الشاذلي يرحل هو واتباعه وابو العباس المرسي ، الى الاسكندرية في موكب يتزايد عدده في الطريق

وكان الشاذلي قد مر بالديار المصرية مرارا اثناء رحلاته السابقة الى الحج وعودته منه ، وقد

١ـ مدينة في الغرب على البحر المتوسط عند بوغاز جبل طارق

٢ ـ بونه او عنابة حاليا في مقاطعة قسنطينة في الجزائر

العجيب ولا شك أن النزول المعلم بمدينة الإسكندرية، ولهذا آثر أن يحط رحاله بها ، وكان في صحبته عند رحيله عدد كبير من تلاميذه ومريديه الذين آثروا صحبته على البقاء في أوطانهم ، وكان في مقدمتهم تلميذه الأثير أبو العباس المرسي ، وخادمه الأمين أبو العزائم ماضي بن سلطان ، والصالح محمد القرطبي ، وأبو عبد الله البجائي ، وأبو الحسن البجائي ، والخراز وغيرهم كثيرون . وكان الركب وهو في طريقه الى الاسكندرية يتزايد عدده كلما مر بمدينة من المدن ، فينضم اليه الأتباع والمريدون يؤثرون الرحلة مع الشيخ على البقاء في أوطانهم ، يلتمسون في صحبته البركة ، وكانوا اثناء السير يتسابقون على القرب من دابته، ويقضون الوقت في السمر والحديث اللطيف ، وعين الشيخ ترعاهم من بعيد ، واذنه تستمع الى حديثهم فيشاركهم مرة ويعلن اعجابه بما يسمع مرة أخرى .

أبو الحسن يتسمع لرجلين والموكب سائر الى الاسكندرية

روى صاحب المفاخر العلية أن رجلين كانا يمشيان قريبا من دابة الشيخ يتحادثان بروحه . « فقال أحدهم الآخر يعاتبه : « يا فلان ، رأيت فلانا يبيع سمك العشرة وانت له محب ! فقال صاحبه ان فلانا عليا من بلدي ، وانا امثل في محاسنتي اياه بقول مجنون ليلى :

رأى المجنون في البيداء كلبا
فجرّ له من الاحسان ذيلا

فلاموه على ما كان منه
وقالوا لم أنلت الكلب نيلا

فقال دعوا الملامة ان عيني
رأته مرة في حي ليلى

وسمع الشيخ - رضي الله عنه - حديث الرجلين - فأعجبه ، واخرج رأسه من العمارة وقال للرجل : « أعد يا بني ما قلت » ،

فأعاد الرجل مقالته ، فاهتزت نفس الشيخ طربا واخذ يتمايل في مكانه وهو يردد البيت الأخير :

فقال دعوا الملامة ان عيني
رأته مرة في حي ليلى

ثم خلع غفارته والقاها الى الرجل وقال له :

« خذها يا بني والبسها فانت اولى بها مني، جزاك الله يا بني على حسن عهدك » .

هذه القصة الطريفة تدل على أن الشيخ كان ذا ذوق أدبي رفيع يطرب للقول الجميل والمعنى السامي ، كما تدل على الاسلوب الذي كان يصطنعه لتأديب مريديه واتباعه ، فهو لا يترك فرصة - وان كانت عارضة - الا انتهزها للمكافأة على الخلق الكريم ليباري الكل في التحلي به والاقتداء بصاحب المكافأة .

أبو الحسن وصحبه يدخلون الاسكندرية

وقد وصل الشيخ أبو الحسن وركبه وصحبه الى عمود السواري ودخلوا الاسكندرية من باب سدرة المقابل لهذا العمود ، واتخذ الشيخ له دارا يقيم فيها بالقرب من كوم الديماس ، كوم الدكة الحالي .

وبدأ الشيخ يلقي دروسه ويعقد الحلقات يعظ الناس ويدعو الى طريقته ومبادئه ، وجذبت اليه الدروس والمواعظ الجماعة من علماء المدينة وفقهائها وفضلائها فلازموه ملازمة تامة ، وقد صار هؤلاء التلاميذ فيما بعد قادة الحياة الفكرية والروحية في المدينة ، نذكر منهم تلميذه الأثير أبا العباس المرسي ، والشيخ مكين الدين الأسمر ، والشيخ عبد الحكيم بن أبي الحوافر ، والشيخ أبا القاسم القباري ، والشيخ أمين الدين جبريل ، والشيخ ابن المنير ، والشيخ شرف الدين البوصيري ، وكثيرين غيرهم .

وكان الشيخ يعقد حلقات دروسه في مسجد العطارين ، وهو اقرب المساجد الى داره ، ويروي صاحب « المفاخر العلية » أن الشيخ كان يعقد كل ليلة في داره مجلسا يأتي الناس اليه من البلد يسمعون كلامه .

عند الشاذلي : ان الصوفية ليست رهبانية ، ولا لبس المرقع من الثياب

وقد أخذ الشيخ أبو الحسن الشاذلي تلاميذه ومريديه بالمبادئ المثلى في التصوف ، فهو لم يكن يفهم التصوف كما كان يفهمه بعض معاصريه وبعض المتصوفين حتى اليوم على انه بطالة وقناعة بصحبة

الزهد والتفرغ للعبادة ، بل كان يفهمه على أنه صفاء تام فى النفس وتقوى خالصة لله وحب لله تعالى وتعلق به وارتفاع بالروح وبالعمل وبالقول عن الدنايا .

وان هذا كله لا يمكن ان يقعد بالانسان عن السعي والعمل وطلب الرزق . وكان يكره من المتصوفة التظاهر بالفقر فهو نوع من الادعاء ، ولكي يضرب لاتباعه المثل والقدوة كان يحيا هو حياة نظيفة منظمة ، فكان يلبس فاخر الثياب ، ويركب فاره الدواب ، ويتخذ الخيل الجياد . وكان يكره ان يلبس الصوفية الملابس المرقعة التي اصطلح الفقراء واهل الطريق على لبسها ، لانه كان يرى ان هذا اللباس ينادي على صاحبه : انا الفقير فاعطوني شيئا ، وينادي على سره بالافشاء ومن لبس الزى والخلق المرقعة فى رأيه فقد ادعى . ومن اقواله :

« ليس هذا الطريق بالرهبانية ولا بأكل الشعير والنخالة ، وانما هو بالصبر على الاوامر واليقين فى الهداية » « وجعلناهم ائمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون » .

ودخل على الشيخ ابى الحسن مرة فقير عليه ملابس شعر ، فلما فرغ الشيخ من كلامه ، دنا منه ذلك الفقير وامسك ملابسه وقال :

« يا سيدي ما عُبِدَ الله بهذا اللباس الذي عليك ؟ » .

فامسك الشيخ بملابس الفقير فوجد فيها خشونة فقال له :

« ولا عُبِدَ الله بهذا اللبس الذي عليك ، لباسي يقول للناس أنا غنى عنكم فلا تعطوني ، ولباسك يقول انا فقير اليكم فاعطوني » .

عند الشاذلى : ان العبادة عمل وسعي لا بطالة وتسكع

وكان ابو الحسن يدعو اتباعه الى العمل والسعي ، ويكره المريد المتعطل الذى يركن الى البطالة ويرتزق من سؤال الناس ، فالاسلام دين عزة وكرامة وجد وعمل ، وهذه الطرق الصوفية فى رأيه لا يجب ان تخرج عن التعاليم الاساسية الاسلام . ولئن كان لها من هدف بعد هذا فانما هو الدعوة الى صفاء النفس وتقوى الله ، بل انه كان يغالى فيرى فى العمل نوعا من العبادة بل هو خير عبادة . انه التسبيح العالم باسم الله ، لهذا كان يقول لمريديه :

« عليكم بالسبب ـ أى العمل والسعى وراء الرزق ـ وليجعل احدكم مكوكه (٢) سبحته ، او ابرته أصابعه فى الخياطة أو المنشار سبحته » .

وقال ابن عطاء الله السكندرى .

« كان الشيخ أبو الحسن يكره المريد المتعطل ، ويكره ان يسأل تابعه الناس ، وقد كان جوادا بما يملك ، وكان يكره البخل ، ويحث على طرق باب الاسباب والعمل » .

وعند الشاذلى : العبادة ليست شططا

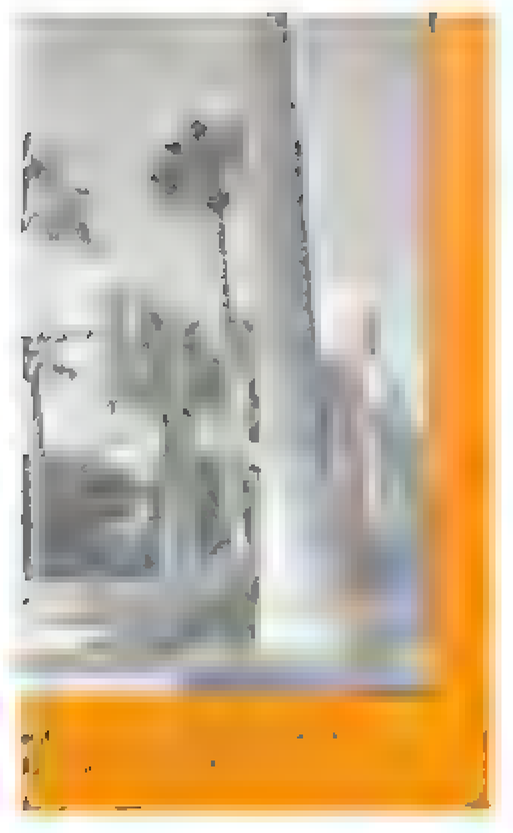
وكان الشيخ يرى ان عبادة الله لا تستلزم ان تشق على نفسك وتعذبها وتكلفها من امرها شططا ، فانك اذا حمدت الله وانت متألم مما بك من فقر وفاقة ، أو مما تحس من تقشف وخشونة ، فان حمدك يكون مشوبا بالمرارة والضيق . ولكنك لو حمدته ونفسك راضية مرضية بما يحيط بك من نعم الله الوفيرة ، وروحك هادئة مطمئنة بما هو مبسوط لديك من خيرات الله العميمة ، فان حمدك يكون صادرا من القلب والنفس والروح والجسم جميعا ، بل ان كل عضو من اعضائك يشارك فى هذا الحمد وما اجمل قول ابي الحسن فى هذا المعنى :

« يا بني : برّد الماء ، فانك اذا شربت الماء الساخن فقلت الحمد لله تقولها بكزازة ، واذا شربت الماء البارد فقلت الحمد لله ، استجاب كل عضو فيك بالحمد لله » .

ابو الحسن يتنقل بين مدن مصر الكبرى

لم يقصر ابو الحسن الشاذلى نشاطه العلمى والروحى على مدينة الاسكندرية وحدها ، بل كان دائم الرحلة الى المدن المصرية الكبرى ، فتردد اول ما تردد على مدينة دمنهور اقرب المدن الى الاسكندرية ، وقد تزوج ابنته زكية الرجل الفاضل

(٢) المكوك آلة فى الحياكة .



[illegible]

من أعلها هو الشيخ علي الصعيدي . ثم زار دمياط ، وزار معظم مدن الوجه القبلي الكبرى في سفراته العديدة للحج . وتردد كثيرا على العاصمة القاهرة .

الحلقات التي عقدها بالقاهرة

وفي كل هذه المدن كان الشيخ يعقد حلقاته المعتادة للدرس والوعظ لصحبه الذين [illegible] ونشر مبادئه ودعوته . وكانت أهم هذه هذه الحلقات هي الحلقات التي عقدها بمدينة القاهرة ، وتذكر المراجع أنه كان يلقي دروسه بها في مسجد المقياس بجزيرة الروضة أو في المدرسة الكاملية ، وهي المدرسة التي بناها السلطان الملك الكامل محمد الأيوبي لتدريس علوم الحديث خاصة .

وكانت القاهرة وقتذاك عامرة بنخبة ممتازة من العلماء الكبار من أمثال الشيخ عز الدين بن عبد السلام [illegible] العالم القوي الحجة ، [illegible] أحد علماء مصر وفقهائها ، ومنهم [illegible] المحدث الكبير وشيخ المدرسة الكاملية ، [illegible] وهو علم آخر من أعلام المدرسة الكاملية ، والشيخ الورع [illegible] الأسمر شيخ القراء بالإسكندرية ، [illegible] من برز علماء العصر بالنحو وعلوم العربية ، [illegible] مفتي الشام ومحدثها في ذلك الوقت .

وكان هؤلاء وكثيرون غيرهم يحضرون إلى الشيخ أبي الحسن يستمعون إلى دروسه وشروحه ومواعظه ، وكثيرا ما كانت تدور بينه وبينهم المناقشات العلمية والمساجلات الصوفية الفريدة الممتعة ، وقد أقروا له جميعا بالفضل والفضل والتقوى والقرب من الله . قال الشيخ مكين الدين الأسمر :

[illegible]

وقال عنه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد :

[illegible]

الكتب التي كان يقرؤها أبو الحسن في حلقاته

هذه هي حلقات الدرس التي كان يعقدها أبو الحسن الشاذلي في مدن مصر الكبرى ، وخاصة في الإسكندرية والقاهرة . ونستطيع أن نعرف من أخباره المتناثرة في الكتب التي ترجمت له على الكتب التي كان يقرؤها أو يدرسها أو يشرحها في هذه الحلقات ، وهي من أمهات الكتب التي وضعها كبار المتصوفة الذين عاشوا قبله . ومنها على سبيل المثال .



فاذا عرفنا ان ابا العباس ولد سنة ٦١٦ ، فانا نستطيع ان نؤرخ لهذا الحدث بسنة ٦٤٦هـ. فقد قال ابو العباس ان سنه وقتذاك كانت ٣٠ سنة ، ونحن نعرف ايضا ان الشيخ ابا الحسن توفي سنة ٦٥٦ وقد ورث الخلافة بعده ابو العباس وقد ذكره الشيخ ابو الحسن في هذا الحديث انه ربما بعد عشر سنوات . فاذا طرحنا عشر سنوات من سنة ٦٥٦ وصلنا الى ٦٤٦ .

والراجح ان الشيخ اصابه مرض نتج عنه فقد بصره . ويقول الاستاذ السندوبي انه اصيب الماء الابيض فقضى على بصره .

عندما استولى لويس التاسع الصليبي على دمياط ذهب ابو الحسن الى المنصورة مع سائر العلماء

في سنة ٦٤٧ الـمت بمصر ملمة كبرى ، فقد وصلت اليها حملة من الحملات الصليبية الكبرى هي حملة الملك لويس التاسع ، واستطاعت هذه الحملة ان تستولي على دمياط . واتجه الملك الصالح نجم الدين ايوب جنوبا الى مدينة المنصورة وعسكر بجنوده شمالها ، غير انه لم يلبث ان اشتد به المرض ومات ، فاخفت زوجته شجرة الدر موته ، وارسلت فاستدعت ابنه توران شاه من حصن كيفا .

وكان المصريون جميعا في ذلك الوقت في هم عظيم يترقبون نتائج الحرب بنفوس ملأها الهلع

كف بصر ابي الحسن بعد وصوله مصر بربع قرن

وقد كف بصر الشيخ ابي الحسن بعد وصوله الى مصر بقليل ، ونستطيع ان نقول انه اصيب بهذه الملمة في سنة ٦٤٦ على وجه التحديد ، أي بعد وصوله الى مصر بأربع سنوات ، فقد روى صاحب كتاب المفاخر العلية انه لما كف بصر الشيخ دخل عليه تلميذه ابو العباس المرسي فقال له الشيخ

والخوف ، وكانت الأنظار كلها تتجه الى مدينة المنصورة مقر الدفاع .

ووجد علماء البلد أن من واجبهم أن لا يتخلفوا عن موضع الخطر ، فسارعوا جميعا الى مدينة المنصورة يشدون من عزائم الشعب ، ويبثون الحمية في نفوس الجند المحاربين ، ويثيرون فيهم روح الجهاد للذود عن الوطن وحريته ، وكان في مقدمة هؤلاء الشيخ أبو الحسن الشاذلي .

وتقول الرواية ان الشيخ كان يجمع اثناء مقامه في المنصورة بنفر من علماء البلد في خيمة يتدارسون ويتشاورون امور الدين وشؤونه ، وكانت الصدارة في هذه المجالس للشيخ ابي الحسن .

روى ابن عطاء الله السكندري في كتابه لطائف المنن عن الشيخ مكين الدين الاسمر انه قال :

« حضرت بالمنصورة في خيمة فيها مفتي الانام عز الدين بن عبد السلام ، والشيخ مجد الدين علي ابن وهب القشيري المدرس ، والشيخ محيي الدين ابن سراقة ، والشيخ مجد الدين الاخميمي والشيخ أبو الحسن الشاذلي ، ورسالة القشيري تقرأ عليهم ، وهم يتكلمون ، والشيخ ابو الحسن صامت ، الى أن فرغ كلامهم ، فقالوا : يا سيدي نريد أن نسمع منك فقال : ـ وانتما ـ انتم سادات الوقت وكبراؤه وقد تكلمتم ، فقالوا : لا بد أن نسمع منك ، قال : فسكت الشيخ ساعة ، ثم تكلم بالأسرار العجيبة والعلوم الجليلة ، فقام الشيخ عز الدين وخرج من صدر الخيمة وفارق موضعه وقال : اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله ! » .

وكان الشيخ يقضي وقته كله في المنصورة ـ مستيقظا ونائما ـ ولا تشغل باله وفكره الا هذه المحنة التي توشك أن تنزل بمصر والاسلام ، الا هذه الحرب الطاحنة الدائرة رحاها بين عدو وافد من الخارج وجيش مجاهد يناضل ويدافع عن الوطن والاسلام ، فكان الشيخ اذا نام تكاثرت عليه الاحلام يرى فيها ما يشغله في اليقظة ، ويلتمس في عالم الروح مخرجا من هذه الأزمة ، الى ان واتته البشرى اخيرا ، واتاه الرسول عليه السلام في الحلم يبشره بالنصر .

ولم تنقض الا أيام قليلة حتى تحقق الحلم ، وانتصر المصريون وهزم الفرنجة وأسر ملكهم لويس التاسع ، ثم جلوا جميعا عن مصر بعد قليل .

ابو الحسن يعود الى الاسكندرية يتابع سيرته الاولى فيها

كان الشيخ ابو الحسن الشاذلي أشد الناس فرحا بهزيمة الصليبيين ورحيلهم عن مصر ، وقد عاد بعد هذا الى الاسكندرية ، وتابع فيها سيرته الاولى في الحياة ، يدرس ويعظ ، ويتعهد اتباعه ومريديه بالتهذيب .

ابو الحسن يقوم بالشفاعات عند اولي الأمر

واصبحت لابي الحسن مكانة مرموقة في المجتمع المصري يقصده الكبار ورجال الدولة والعلماء والعامة في حاجاتهم . يقصده الكبار والعلماء يستزيدون من علمه وتعاليمه ، ويقصده الصغار والعامة يلتمسون منه البركة ويستشفعون به لدى رجال الدولة لقضاء مطالبهم .

وكان الشيخ لا يرد سائلا يقصده بل يسعى لاجابة كل الى مطلبه . يقول ابن عطاء الله ان فقيها من طلاب العلم قصد الشيخ مرة يستشفع بمطلب القاضي تاج الدين بن بنت الاعز كي يزيد في راتبه عشرة دراهم فذهب الشيخ الى تاج الدين ، والتقى تاج الدين مجيئه اليه فاسرع يرحب به وسأله فيم مجيئه ، فقال الشيخ :

« من أجل فلان الطالب كي يزيد في مرتبه عشرة دراهم » .

فحاول القاضي ان يعتذر ، وشرح للشيخ كيف ان لهذا الطالب مرتبات اخرى من جهات متعددة ، فقال له :

« يا سيدي هذا له في المكان الفلاني كذا ، وفي المكان الآخر كذا ، وفي الموضع الفلاني كذا وكذا » .

ولكن الشيخ لم يقتنع بهذا الجواب وقال للقاضي :

« يا تاج : لا تستكثر على مؤمن عشرة دراهم تزيده اياها ، فان الله لم يقنع بالجنة للمؤمن جزاءا حتى زاده النظر الى وجهه الكريم ! » .

وكان الشيخ يحمل نفسه المشاق ـ على كبر سنه ـ في سبيل قضاء حاجات اتباعه ومريديه ورعاية شؤونهم .

روى ابن عطاء الله أيضا ان أحد اتباع الشيخ

فى الاسكندرية اصابه رمد فى عينه ، فاستدعى له الشيخ طبيبا يهوديا من اعلم النتر لمعالجته ، ولكن الطبيب اعتذر عن مباشرة العلاج وقال للشيخ

« لقد جاء مرسوم من القاهرة انه لا يداوى احد من الاطباء الا بالاذن من مشارف الطب بالقاهرة

فلما خرج الطبيب قال الشيخ لصحبه :

« هيئوا أسباب السفر » .

وسافر فى الحال الى القاهرة ، وحصل على الاذن للطبيب ، وعاد مسرعا الى الاسكندرية ، ولم يبت خارجها الا ليلة واحدة ، واستدعى الطبيب واطلعه على الاذن ، فاكثر الطبيب اليهودى التعجب من هذا الخلق الكريم ، ثم اخذ فى شأنه ومباشرته العلاج .

وروى ابن عطاء الله انه سمع الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد يقول :

« جهل ولاة الامور بقدر الشيخ ابى الحسن الشاذلى رضى الله عنه ، لكثرة ارده فى الشفاعات » .

وعلق ابن عطاء الله على هذا الرأى بقوله :

« ويجب ان نعلم ان هذا الامر لا يقوى عليه الا عبد متخلق باخلاق الله ، يذل نفسه وذلها فى مرضاة الله ، ويتسع رحمة لعباد الله متمثلا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء » .

ابو الحسن يؤلف كتابا
كتبى هى تلاميذى

ومع ان الشيخ ابا الحسن الشاذلى كان واسع العلم والمعرفة ، يستمع اليه كبار علماء عصره فيبهرهم حديثه ، ويقول كبيرهم الشيخ عز الدين ابن عبد السلام :

« اسمعوا هذا الكلام الغريب القريب العهد من الله » .

مع هذا فانه لم يعرف ان ابا الحسن الف كتابا وكل ما وصلنا من آثاره العلمية الصوفية هو ما نقله اصحابه عنه من وصايا واقوال مأثورة وادعية واحزاب واوراد ، وكان الشيخ يرى ان كتبه هى تلاميذه وانه خير له ان يخرج على يديه تلميذ يلهم عنه علومه وروحانيته من ان يؤلف كتابا قد يقرأه البعض او لا يقرأونه ، وقد يفهمه البعض ويعجز عن فهمه البعض الآخر .

روى ابن عطاء الله ان احد الاتباع سأل الشيخ مرة :

« لم يا سيدى لا تضع الكتب فى الدلالة على علوم القوم ؟ »

فاجاب الشيخ : « كتبى اصحابى » .

غير ان الاقوال والاحزاب التى وصلتنا عن الشيخ تدل على انه كان قد رق قلبه ، ورق حتى لم يعد يشغله غير حب الله ، وان نفسه صفت وصفت حتى لم تعد تلجأ الا الى الله ، وان روحه علت وعلت حتى اصبحت اقرب ما تكون الى الله .

ابو الحسن اديب ذو اسلوب رائع

وهذه الاحزاب تدل كذلك على ان ابا الحسن كان اديبا ممتازا ذا اسلوب جميل رائع ، فانى لا اكاد اعرف انى قرأت فى الادب المأثور أجمل مما قال الشيخ ابو الحسن فى حزب البر .

استمع معى اليه وهو يقول :

« اللهم انا نسألك لسانا رطبا بذكرك .

وقلبا منعما بشكرك .

وبدنا هينا لينا بطاعتك .

واعطنا مع ذلك ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر — كما اخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم — حسب ما علمته بعلمك

واغننا بلا سبب .

واجعلنا سبب الغنى لاوليائك .

وبرزخا بينهم وبين اعدائك .

انك على كل شيء قدير .

اللهم انا نسألك ايمانا دائما .

ونسألك قلبا خاشعا .

ونسألك علما نافعا

ونسألك يقينا صادقا .

ونسألك دينا قيما .

ونسألك العافية من كل بلية

ونسألك تمام العافية .

ونسألك دوام العافية .

ونسألك الشكر على العافية .

ونسألك الغنى عن الناس .

واستمع الى هذه المناجاة الالهية فى قوله :

« اللهم وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها .

وأرحنا من هموم الدنيا وغمومها بالروح والريحان الى الجنة ونعيمها . . .

اللهم وباعد بيننا وبين العناد والاصرار والشبه بابليس رأس الغواة .

واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت ،

ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت ،

فالاحسان لا ينفع مع البغض منك .

والاساءة لا تضر مع الحب منك

اللهم وآمنا بمعرفتك .

وصبرنا على طاعتك ، وعن معصيتك ، وعن الشهوات الموجبات للنقص أو البعد عنك

وهب لنا حقيقة الايمان بك حتى لا نخاف غيرك ، ولا نرجو غيرك ، ولا نحب غيرك ، ولا نعبد شيئا سواك

وأوزعنا شكر نعمائك .

وغطنا برداء عافيتك .

وانصرنا باليقين والتوكل عليك .

وأسفر وجوهنا بنور صفاتك .

وأضحكنا وبشرنا يوم القيامة بين أوليائك .

واجعل يدك مبسوطة علينا وعلى أهلينا وأولادنا ومن معنا برحمتك .

ولا تكلنا الى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك ـ يا نعم المجيب ».

وكان الشيخ اثناء مقامه في مصر يخرج للحج كل سنة ، ذكر ابن بطوطة أن الشيخ ياقوت العرشي ، أنبأه رواية عن شيخه أبي العباس المرسي ، أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي كان يحج في كل سنة ، ويجعل طريقه على صعيد مصر ويجاور بمكة شهر رجب وما بعده الى انقضاء الحج ، ثم يزور القبر الشريف ، ويجعل طريقه على صعيد مصر ويعود على الدرب الكبير الى الاسكندرية .

وفي سنة ٦٥٦ هـ بلغ الكتاب أجله ، واحس الشيخ بدنو موته .

ويستطرد ابن بطوطة حديثه السابق فيقول :

« فلما كان في بعض السنين وهي آخر سنة خرج فيها ، قال لخادمه : استصحب فأسا وقفة وحنوطا وما يجهز به الميت ؟

فقال له الخادم : ولماذا يا سيدي ؟

فقال له ابو الحسن : في حميثرا سوف ترى .

وفي شوال من تلك السنة وصل الشيخ ابو الحسن وصحبه حميثرا، وهي موضع في الصحراء المؤدية الى عيذاب (*) على البحر الاحمر، اصابه مرض شديد فجمع اصحابه واوصاهم باشياء كثيرة وخاصة بحزب البحر ، وقال لهم حفظوه لاولادكم ، فان فيه اسم الله الاعظم . وخلا بتلميذه الحبيب ابي العباس المرسي واوصاه باشياء يقول صاحب المفاخر :

« واختصه بما خصه الله به من البركات ، وقال لأصحابه : اذا أنا مت فعليكم بأبي العباس المرسي فانه الخليفة من بعدي ، وسيكون له مقام عظيم بينكم وهو باب من ابواب الله تعالى ».

وبات الشيخ ولسانه لا يفتر عن ذكر الله ، فلما كان الفجر صعدت روحه الى بارئها ، وصلى عليه القوم يتقدمهم الشيخ ابو العباس ، ودفن أبو الحسن حيث مات في حميثرا .

قال ابن بطوطة .

وقد زرت قبره وعليه قبرية (*) مكتوب فيها اسمه ونسبه متصلا بالحسن رضي الله عنهما ! ،

واختلف القوم بعد وفاته هل يعودون أم يستأنفون الرحلة للحج ، فقال أبو العباس :

الشيخ امرني بالحج .

وبعد ، فهذا هو ولي الله العارف به ، قطب الاقطاب ، الشيخ ابو الحسن الشاذلي رضي الله ، فارق الدنيا بعد ان ملأها علما وروحانية ، وبعد ان خلف بعده من تلاميذه الذين ساروا سيرته بعد ان قبسوا من علمه وفضله وخلقه وروحه ، وكلهم بعد هذا من روح الله مقبس ■■

دكتور جمال الدين الشيال

(*) عيذاب مرفأ على ساحل البحر الأحمر في مصر ، قرب حدود السودان ، تقع قبالة جدة في الحجاز ، كان طريق الحجاج الى بيت الله الحرام . (*) مصية



نحتفل بذكرى الرجال العاملين فلم لا نحتفل بذكرى :

الأسـ

في عامه الخامس و

٢٧ مليون رطل من الاسبرين تستهلكها الولايات المتحدة سنويا

■ الاسبرين ، اكثر العقاقير شيوعا بين الناس ، له قصة .

وليس هو اكثر العقاقير شيوعا بين الناس فحسب ، فمثله كذلك ارخص العقاقير . وسوف نتتبع القصة منه في مصر بعلم .

يكفي لهذا ان تذكر أنك لا تصاب بصداع الا وتطلب قرص الاسبرين ، في بيتك ، أو من صاحبك ، أو جارك فذلك أن الاسبرين أصبح بعض مقتنيات البيت الدائمة ، في الامم المتمدينة ، وهي الامم التي بها من مشاغل الحياة ومن همها ما يورث أهلها بالتعب الجم من صداعها .

٢٧ مليون رطل في العام

ويحصون ما تستهلك الولايات المتحدة من الاسبرين سنويا فيجدون انها تصيب منه في العام ٢٧ مليون رطل ، لو صنعنا منها عدد اقراص لبلغت ١٦ بليون قرص . والبليون في امريكا وفرنسا غيره في انجلترا . فهو في امريكا وفرنسا مليون مليون . وهو المقدار الذي يصنع اقراصا للرجال والنساء ، ولكن من هذا المقدار يصنع لاهداف اخرى : كاقراص صغيرة للأطفال ، ولمساحيق مركبة منه ومن غيره ، وغير ذلك .

ونحن نذكر الولايات المتحدة لانها البلد الاول في العالم الذي يعنى بالاحصاءات ونشرها . ثم لأنها البلد الاكثر صناعة ، وصناعتها في عمومها اكثر تقدما . ثم هي البلد الذي يمثل الرخاء الانساني النسبي في اعلى مدارجه . دولة حق لا مراء فيها .



الاسبرين : للآلام ، والحمى ، والروماتزم

والمشهور ان الاسبرين لصداع الرأس . ولكن غير المشهور انه يكاد يكون لكل صنوف الالم التي تعتري الانسان ، فهو يذهب بها .

ومن غير المشهور بين الناس استخدامه في الحمى . وله فيهـا عملان : يهبط بحرارتها ، ويذهب بآلمها .

ولعل الأخطر من هذا وهذا استعمالا يعرفه المصابون بالأمراض الروماتزمية . وله فيها كذلك عملان : يهبط بحرارة المفاصل والعضل الملتهب ، ويذهب بآلامها . ويقف كذلك تقدم الداء . وهو في هذه الشئون لا يزال سيد العقاقير .

الاسبرين لا يشفي

ولا تعجب من بعد هذا اذ تسمعنا نقول : ان الاسبرين ، هذا العقار الخطير ، لا يشفي من مرض . ذلك ان الألم والحمى عرض ، فهو يذهب بالعرض ، ولكنه لا يذهب باسبابه ، بالمرض .

الاسبرين لا ندري كيف يعمل

وتسأل : وكيف يعمل في الجسم ؟

وسوف تعجب مرة أخرى : ذلك لأن العلماء ، على الرغم من نحو الخمس والستين من السنين التي مضت على تداوله بين الناس ، وعلى الرغم من البحوث الجارية ، على الرغم من ذلك لا يعرف العلماء من فعله في الجسم الا القليل .

وانت عند سماع هذا لا بد سائل ، كيف اذن عرفوه ، وعرفوا نفعه .

ولهذا قصة .

عند ابقراط

ولعل القصة تبدأ عند ابقراط ابي الطب عند الاغريق .

كان ابقراط يصف للاستعمال شجر الصفصاف ليتعاطاها المرضى فتذهب عنه بالألم والحمى .

والهنود الحمر ذكر عنهم انهم كانوا يغلون لحاء الصفصاف ويطبخونه ليشربوه ترياقا للملاريا ليخفف عنهم نوباتها .

وفي عام ١٧٦٣ صنع قسيس انجليزي اسمه ادوارد استون Stone شايا من شجر الصفصاف ووجد انه يخفف من اوجاع الملاريا حقا .

ولا بد انك ادركت من هذا وجود مركب فعال في لحاء الصفصاف هو الذي يذهب بالحمى فيخفض من درجتها ، وهو الذي يذهب بآلامها ، ويخفف منها .

اسرة من مركبات

والحق ان هناك ، لا مركبا واحدا فعالا ، ولكن اسرة من المركبات ، ابوها وجدها واصلها ، الذي منه تفرعت وتفرع ، هو حامض عرف بحامض الساليسيل ، فصله الكيماويون من اصله النباتي عام ١٨٤٠ . وهـذا الاسم ، الساليسيل ، مشتق من الاسم الافرنجي لشجرة الصفصاف ، وهو ساليكس ، Salicis ، ولو اننا اسميناه بحامض الصفصاف ما ابعدنا .

ووجدوا لهذا الحامض خواص طبية . الا انه كان له مع هذه آثار في الجسم غير طيبة .

ميلاد الاسبرين

وتمضي السنون ، حتى اذا جاء عام ١٨٥٣ قام الكيماوي جرهارد Gerhardt ، وموطنه استراسبورج عاصمة الالزاس ، يصنع في معمله الكيماوي حامض الساليسيل شيء الدراسات التي يتوخاها عادة كل كيماوي ليزيد عرفانا بكل مركب جديد . وادخل في تركيب هذا الحامض جزءا هاما من حامض الخل العادي المعروف ، وكانت النتيجة خروج مركب جديد ، ينتسب الى حامض الساليسيل ، وكذلك الى الخل . وفيه خواص من حامض الساليسيل ، وبه منافعه ، وليس به مضاره .

بلورات بيضاء جميلة .

ولم يكن هذا خروج مركب جديد كالآلاف التي تخرج ، بل كان ميلاد عقار عظيم .

انه الاسبرين .

ولكن والسقاه . صاحبنا جرهارد لم يتنبه

لناصحه ، كان كيماويا فقط ، ولم يكن طبيبا .
ولم يكن من اولئك الكيماويين الذين يجرون وراء المركبات الكيماوية التي يصنعونها جديدة ، يطلبون ما يحتمل ان يكون بها من شفاء .

ومضى ما قارب الاربعين عاما قبل ان يلتقط كيماوي آخر طرف ذلك الخيط الذي انقطع عند جرهارد .

اكتشاف الاسبرين من جديد ، وتسمية المولود

كان هذا الكيماوي فيلكس هفمان Felix Hofman . كيماوي ألماني يعمل في شركة باير الالمانية

كان ابو هفمان مريضا بالروماتزم . وجرب هفمان في ابيه هذا المركب مركب ارهارد ، حمض الصفصاف ، فرآه انه ذهب بآلام ابيه .

واخبر بذلك رئيسه في الشركة ، هنرش دريسر Dreser . فلما تحقق من ذلك اسمى هذا المركب الجديد بالاسم الشهير المعروف الى اليوم : الاسبرين (1) Aspirin . وسجله في براءة تجارية . ومن بعد تسجيله صنعوه وأطلقوه في الاسواق .

فعمره الآن ٧٤ عاما .

وفي العام القادم يحيين عيده . عيد ذكراه الخامسة والسبعين .

فلم لا نحتفل بامثال هذه العقاقير احتفالنا بالرجال ، وهي صنعت ما لم يكد ان يصنع الكثير من الرجال . وامتد صنيعها الطيب الى العديد من الاجيال . ولو احصينا المرضى الذين خفف عنهم هذا الاسبرين أوجاعهم ما استطعنا لهم عدا . وفي الحاضر اعداد ، وفي المستقبل اعداد ، كلها لا تحصى . والعجيب ، ان الاسبرين انتشر اول ما انتشر بحسبانه دواء للروماتزم ، وهو كذلك الى اليوم . وكثيرا ما عرف الاطباء من طريق مرضاهم انه يذهب بالصداع ايضا .

الاسبرين ليس عقار انتحار

واللطيف في امر الاسبرين انه لا يدفع متعاطيه الى ادمانه ، كما تدفع الخمر والحشيش . ان المريض يتعاطاه ، فاذا بلغ منه غرضا ، قطعه . ثم نسيه .

وليس كذلك المورفين ، وهو العقار الآخر الذاهب بآلام الناس .

والمنتحرون لا يطلبون الاسبرين ليتخلصوا من حياتهم ، كما يطلبون بعض العقاقير المنومة . ذلك لأن الاكثرية الكبرى من الناس يستطيع ان تأخذ من الاسبرين مقادير اكثر كثيرا من جرعاته العادية ولا يموتون .

يستثنى من ذلك الاطفال . فالجرعة الكبيرة قد تقتل .

الاسبرين ، واصحاب القرح المعدية

والاسبرين ، كسائر العقاقير النافعة ، لا يخلو من اضرار في بعض الحالات .

من ذلك انه يميل الى اهاجة الغشاء الباطن من المعدة ، وهذا مضر بالطبع بمن عنده في معدته قرحة . انه يهيجها ، ويعطيه من آلام في البطن فوق الالم الذي اراد ان يزيله من رأسه . وقد يصل الامر الى ان يخرج الدم من جدار المعدة عند القرحة ، وقد يتخرق جدارها .

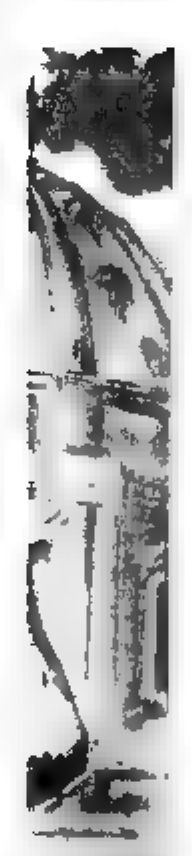
فعلى اصحاب القرح المعدية تجنب الاسبرين .

كذلك في بعض الناس حساسية نحو الاسبرين ، حتى والجرعة عادية . فيصيبهم دوخة ، وميل للتهوع ، وقد يظهر على جلدهم رشح ، وقد تصيبهم نوبة ربو .

ولكن هذه كلها حالات شاذة .

والنفع كل النفع في الاسبرين ، أشهر العقاقير ، واكثرها انتشارا ، ولعله كذلك ارخصها .

(1) جاء باسم اسبرين من اسم قديم لحامض الساليسيل هو حامض اسبيري Spirac ، وهو لفظ لاتيني يطلق على جنس من اجناس النبات يعرف بالاسبيري او الاكليلي .



منذ
٤٠٠ عام
مات فنان كبير:

نعم، ٤٠٠ سنة انقضت منذ وفاة هذا الفنان العظيم الشهير. انها الشخصية العجيبة التى اشتهر صاحبها فى ميدانى الرسم والنحت، ثم كشف التنقيب فى تاريخه عن انه كان الى جانب نبوغه هذا مهندسا، ومعماريا، وشاعرا، ومناضلا قوميا، وقد ترك فى كل ميدان من هذه الميادين آثارا باقية.. ذلك هو:



أحد أعمدة عصر النهضة فى أوروبا

عندما رزق « لودوفيكو ليوناردو بوناروتي سيموني » ثاني أبنائه — في السادس من مارس سنة ١٤٧٥ — لم يخطر بباله قط أنه قد أنجب عبقريا أعد له التاريخ بين أقطابه مكانة رفيعة ..

وعندما اختار « لودوفيكو » لابنه هذا اسم « ميكل أنجلو Michel Angelo » لم يخطر قط بأن هذا الاسم قد كتب له الخلود والتألق ، حتى يغشى الابن من لقب « بوناروتي سيموني » Bounarroti-Simoni الذي كان الأب يعتز به ، ويزهو بمراعيه ، ولا ينكف — وهو عمدة لبلدة « كابريس » Caprese — عن أن يردد : « أننا نبلاء .. أسرتنا تضارع أسرة مديتشي Medice في العراقة .. نحن نتوارث اسم بوناروتي منذ ثلاثمائة سنة »

وانبعاثا من هذه العراقة ، كان الأب يستنكف أن يمارس أحد من أسرته عملا يدويا ، ولو اضطر بسبب هذا الترفع إلى أن يبيع بروق صبيق ، يقصر على نفسه وأهله أسباب العيش ..

الأزميل والمطرقة منذ الصغر

وعلى ضوء هذا الزهو ، قرر الأب لابنه الثاني هذا — عندما ولد — ألا يجعله لم يشتغل بالتجارة .. ولكن الأقدار أرادت للوليد مستقبلا غير الذي أراده له أبوه .

وعهد به أبوه إلى مرضعة كانت زوجا لعامل يقطع الأحجار من التل القريب من البلدة .. وتعلق الصغير بمرضعته ، لاسيما حين افتقد حنان الأم — إذ توفيت أمه وهو في السادسة من عمره — فكان يقضي معظم وقته في المحجر .. وبلغ من اعتزاز الحجّار له ، أن أعد له إزميلا ومطرقة صغيرين ليحاول بهما أن يقلده في تشذيب الأحجار .. ولعل يدي « ميكل أنجلو » ألفتا الإزميل والمطرقة وتمكنا منهما من ذلك الحين ، وإن لم تكن مواهبه في النحت قد تفتقت في ذلك الحين ..

بساتين فلورنسا وعمارتها ..

وعندما بلغ « ميكل أنجلو » العاشرة ، انتقلت



كانت قبة كنيسة القديس بطرس وتمثال النبي موسى هما أعظم أعمال ميكل أنجلو الذي نرى رسمه إلى اليسار .



الأسرة الى فلورنسا .. واتيح للصغير ان يلتحق بالمدرسة ، دون اخوته ـ وكانوا خمسة ـ الا انه لم يستمر فيها الكثير ..

ولكن المدرسة لم تكن تستهويه قدر هوايتين اتجهت اليهما نفسه : التجوال في حقول القمح وبساتين الزيتون ، والتنقل الوحيد بالكسردم مما منحه صفاء الروح والذهن ثم الزيارات المتكررة لمعالم فلورنسا وكنائسها ، وكانت في حد ذاتها متاحف للفن العمارة ، فضلا عما احتوته هذه الكنائس من تحف فنية رائعة ..

وكان من اثر هذا ان نزعت نفسه الى الفن .

تلميذ يتقاضى استاذه اجرا

وادرك هذه النزعة في نفسه ، ان تعرف الى فتى يكبره ، كان تلميذا يتعلم الرسم على يدي فنان معروف بالمدينة ، هو « دومينيكو غرلانديو » Domenico Ghirlandio .. واذ شاهد هذا الفتى ما كان « ميكل انجيلو » يرسمه من اشكال بفطرته ، حبب اليه ان يتلقى اصول الفن معه على استاذه . ولم يتردد « ميكل انجيلو » ـ وكان في الثالثة عشرة من عمره ـ في القبول ، وصحبه الى مرسم الاستاذ الفنان . فلما تبين هذا الاستاذ نبوغ هذا الفتى ، واستعداده ، ضمه الى تلاميذه . وبدلا من ان يأخذ منه اجرا على التعليم ، وعده بأن يدفع له قطعتين ذهبيتين من عملة فلورنسا « الفلورين » ـ في الاسبوع ..

وعرف ابوه بما فعل الصبي ، فضربه ضربا مبرحا . ولكنه رضي حين عرف انه سيتقاضى اجرا لقاء التلمذ على الاستاذ الفنان .

بداية طيبة

وكان تلاميذ غرلانديو يستطلون بزميلهم الجديد ، لنحوله ، وكبر رأسه ، وخلو ملامحه من الوسامة .. ولعل هذا ترك في نفسه اثرا ـ حين كبر ـ جعله يباعد عن أهل الفن ويرغب في تقربهم اليه ، ويوجس من منافستهم وغيرتهم.

على انه استطاع ـ بما كان يبديه من ذكاء وموهبة ـ ان يحمل استاذه على ان يعلمه اساليب اعداد الالوان ، والرسم على الجص ، وطرق استخدام مختلف الادوات .. ولم يمض القليل حتى ادرك اهل الفن في فلورنسا انهم ازاء فتى غير عادي المواهب ، تبشر بدايته بعبقرية نادرة ..

في رعاية دي مديتشي

ومرة اخرى ، كان القدر يمهد له طريقه .. فقد رأى امير فلورنسا « لورنزو دي مديتشي » ـ في تلك الاثناء ـ ان ينشيء اكاديمية للفنون ، يلحق بها صفوة منتقاة من الناشئين ، يعهد بهم الى نحات لتماثيل ذاع صيته ، هو « برتلدو » Bertoldo .. وكان « ميكل انجيلو » بين هؤلاء التلاميذ ، فسرعان ما ابدى براعة في الرسم البارز ، والحفر والنحت .. وكان فن « برتلدو » يجمع بين الاخذ عن القديم ، والروح الغربية ، والدقة في رسم الاجسام ، فاخذ عنه الفتى في تفان واستيعاب ..



تمثال الملاك الراكع الذي صنعه « ميكل انجيلو » على قبر القديس دومينيك ، مؤسس طائفة « الدومينيكان » في بولونيا

وقدر لميكل انجيلو ان يحظى بمكانة لدى « لورانزو مديتشى » فاقام فى قصره عامين ، توثقت خلالهما الصداقة بينه وبين اسرة مديتشى — وكان ربها هو الحاكم الحقيقى للمدينة — وان يشهد ما كان يحفل به القصر من تحف فنية ، وان يحضر مجالس صفوة القوم من اهل العلم والرأى ، فيتثقف باحاديثهم ومناقشاتهم ..

بين الانسان والكنيسة

ومن هؤلاء ، عرف « ميكل انجيلو » مذهبا كان قد بدا يشيع فى ايطاليا ، ملأه الفراغ الناشىء عن ضعف الكنيسة .. ذلك هو مذهب الاعتداد بالانسان والايمان بقدرته الخلاقة ، والدعوة الى احياء حضارات اليونان والرومان القدامى .. الحضارات الوثنية . وقد اثار هذا راهبا من الدومينيكانة يدعى «سافونا رولا» Savona Rola (١٤٥٢ — ١٤٩٨م) فى فلورنسا ، فراح يهاجم هذا المذهب ، ويبشر بمبدأ الالم والتوبة ، ويدعو الى العودة الى الكنيسة . وكان قوى الشخصية ، استطاع ان يجتذب القوم ، ويؤلبهم على آل مديتشى الذين كانوا يشجعون «الحركة الانسانية» القائمة على ذلك المذهب الجديد ..

ووجد « ميكل انجيلو » نفسه موزعا بين الاعجاب بالمذهبين .. كانت التماثيل والتحف التى خلفها الاغريق والرومان تستهويه .. وكانت طبيعته الدينية تزين له ان يستجيب لدعوة « سافونا رولا » ، ويعزف عن الحضارة الوثنية .

اخيرا .. بدا اسلوبه يتبلور

وانحل الصراع الذى دار فى نفسه ، وانتهى الى الاسلوب الذى امتاز به فى المستقبل . فاذا به يطوع اساليب الاغريق والرومان القدامى ، لـيحل ايهامات يستمدها من الدين والكتاب المقدس .. وقد تجلى هذا اول ما تجلى فى لوحته التى اشتهرت باسم « عذراء السلم » Madonna of the Stairs الا انه اوغل فى حفرها حتى بدت بارزة اكثر من الرسوم المحفورة المعتادة ، ثم جعل لها شخصى اللحاف معصى ، بعد ان كان الرسم يؤخذ على انه مجرد تصوير لمناظر تهدف الزينة والزخرف اكثر منها لأى شىء آخر . فقد بدت العذراء فيها مشيحة عن المسيح ، وهى ترمق — بحنان من عينيها — طفلها كان احلام يسرون عليه سائر الحداد ، موعزا بها الى المستقبل الذى كان يرتقب المسيح .

كذلك كشفت هذه اللوحة عن طابع آخر امتاز به اسلوب « ميكل انجيلو » فيما بعد ، هو اهتمامه بالحركة .. فبعد ان كان الفنانون يعتمدون على ملامح الوجوه فى التعبير ، عنى هو بان تكون حركة الجسم هى المعبرة عن كل ما يريد اظهاره من انفعالات .. وكان هذا هو ما حمله يقدم على الخطوة التالية ، وهى رسم الاجسام عارية ..

« ميكل انجيلو » فى روما

وانهارت اسرة « مديتشى » تحت حملات « سافونا رولا » ، اذ ثارت فلورنسا ضدها ، فاضطرت الى الهرب .. ونزح « ميكل انجيلو » بدوره الى البندقية ، خشية نقمة القوم لصلته بالاسرة المغضوب عليها ، ولما عرف عن ميوله للمذهب الانسانيين ..

وانتهت حركة « سافونا رولا » حتى تصدت للبابا نفسه .. والصراع يحتدم فى نفس « ميكل انجيلو » وذهنه ، بين النزعة الى الماضى ، وبين التزمت الدينى .. ولعل خير تعبير عن حيرته ، انه فى تلك الفترة صنع تمثالين ، احدهما لكيوبيد ، والآخر ليوحنا المعمدان .. احدهما وثنى ، والآخر كنسى .

وفى سنة ١٤٩٦ ، انتقل « ميكل انجيلو » الى روما ، حيث وجد عالما حافلا بمختلف التحف الفنية والآثار الرومانية ، وحيث تخلت سلطات الفاتيكان عن التزمت الدينى بالانصراف الى البذخ واللهو ..

وقدر للفنان الشاب ان يصنع — فى الفترة بين ١٤٩٦ و ١٥٠٠ — تمثالين يعدان من ابدع انتاجه ويبينان تطور اسلوبه ومنهاجه وتعمقه وراء المعنى .. وكان احدهما للاله « باكوس » وقد بدا فى ظاهره مثالا للسكر والاثم اللاتقى بالعالم .. ولكن المتعمقين فى فهم التمثال ، استطاعوا ان يروا فيه شواهد على المام « ميكل انجيلو » بالاساطير

القديمة وبعلم التشريح ، وطبقا لخصب خياله ، فان « باكوس » لم يكن اله الخمر فقط ، بل كان اله الموت والبعث كذلك ، وهذا ما عنى ميكل انجيلو باظهاره .. فالخمر التي في يمناه كانت خمر الحياة ، تسري في الجسد فتحرك ما جمد من اعضائه .. وقد ابرز هذا بلمسات فنية رائعة ..

اما التمثال الثاني ، فهو للعذراء الحزينة ، وقد حملت جسد المسيح بعد صلبه .. وفيه تحرر الفنان من التقيد بالتشبيه ، ليبين المعنى .. فاذا رأس العذراء المنكس يشي بالحزن والانكسار الذي لم يذهب بجلالها .. واذا جسد المسيح يبين دراسة رائعة لاوضاع الجسم وعضلاته ..

عدم ارتباطه بالباباوات

وكان مقدرا لميكل انجيلو ان يعيش موزعا بين فلورنسا وروما .. وقد عاد الى فلورنسا بعد استقرار الجمهورية فيها ، فعهدت له حكومتها بمهمة اخفق في اداتها كثير من الفنانين ومنهم « ليوناردو دافنشي » .. فقد عهد اليه ان يصنع من كتلة هائلة من الرخام الابيض حلية فنية كالمرايا المدينة . وبعد ثلاث سنوات من العمل الدائب ، امسكت المدينة انفاسها مبهورة ، اذ طلع عليها بتمثال ضخم للنبي داود ..

ولفتت احضان الشهرة للفنان الذي كان في الثانية والثلاثين ..

وكانت الاحداث تجري بسرعة في روما . فقد تعاقب على كرسي البابوية ثلاثة في اسابيع قلائل .. ولكن القدر شاء للثالث « يوليوس الثاني » ان يبقى ليصبح من القلائل عهد النهضة . وقد بلغته شهرة « ميكل انجيلو » فاستدعاه الى روما ، ليعهد اليه بانشاء ضريح يليق بعظمته البابوي .. وشغل الفنان الشاب اداء المهمة ، فوضع تصميم المبنى والتماثيل التي تزينه ، واشرف بنفسه على اقتطاع الرخام اللازم من المحاجر الشهيرة محاجر « كرارا » ..

تمرد على سلطة البابا ..

ولكن طوفان نهر « التيبر » اغرق الشحنات الاولى .. واسرع الفنان بالعودة الى فلورنسا وهو كسير النفس ، مشغول المهمة . ولكن البابا ارسل يستدعيه وامر على وجوب عودته حين رفض ، وسلط عليه سلطات فلورنسا ، حتى اضطر بعد سبعة اشهر الى الرضوخ وهو ساخط يردد ابياتا من نظمه ، منها

« هنا خوذات وسيوف صنعت من كؤوس الدين .

« وهنا يباع بالمال دم المسيح ،

« وسيفه، واشواكه وحرابه ودروعه،

« ولن يطول الوقت حتى ينفد صبره .. »

ولم يستانف « ميكل انجيلو » العمل في مقبرة البابا اذ كلفه هذا بان يصنع تصميمات لرسوم تزين كنيسة « سيستينا Sistine » وهي من كنائس الفاتيكان. وكان مقدرا لمقبرة يوليوس الثاني الا تتم قبل .. اربعين عاما !

اربع سنوات على ظهره

وكان سقف كنيسة « سيستين » المسرح الذي اعلن مواهب « ميكل انجيلو » واساليبه الفنية ، فاذا به ينتج تحفة نادرة ، بعد ان قضى اربع سنوات مستلقيا على ظهره ، على منصة مرتفعة ، ليرسم على السقف قصة الخلق ، وهبوط الانسان ، وشخصيات التوراة .

ومن الشعر الذي نظمه يصور به حاله في تلك الفترة

« تتجه لحيتي الى السماء ، ويتهدل شعر مؤخر رأسي ،

« وانا مستمر على سلسلتي الفقرية ، وعظام صدري ،

« تبرز كالقيثارة .. ووجهي كثيف بروكش وحشي ،

« من القطرات المتساقطة من فرشاتي ..

« وعجزي كالركيزة يحمل ثقلي .. »

وكان هذا العمل الفني من معالم تطور الرسم، وشاهدا على بلوغ « ميكل انجيلو » الاوج في



وجه من تمثال العذراء الحزينة في كنيسة القديس بطرس بروما .. وفيه تعبر « ميكل انجيلو » عن تمسكه في تحسين ابراز ابعاده .. فالوجه صغير بالنسبة للجسد ، ولكن ملامحه تنطق بالطهر وبالحزن الذى لا ينفك عن وجه العذراء

النزاع بين ايمانه بامجاد الانسان وايمانه بتعاليم الكنيسة ..

تمثال موسى النبي

وكان صيف سنة ١٥١٢ حافلا بالاحداث ، اذ تحالف البابا مع نابولي والبندقية ضد فرنسا .. كما تحالف مع اسرة دى مديتشي ــ ممثلة في الكردينال جيوفاني ــ الذى جعله على رأس قواته لهزم الفرنسيين ، ثم سار الى فلورنسا فاخضعها واعادها تحت سيطرة اسرته ..

وما ان مات البابا « يوليوس الثاني » ، حتى نشط « جيوفاني » فعمل بدهائه على ان يخلفه ، واتخذ لنفسه اسم « ليو العاشر » .. ومع انه كان يعرف « ميكل انجيلو » من حداثتهما ، الا انه لم يقربه كثيرا اليه ، اذ كان الفنان في تقشفه وصراحته يوقظ ضميره ويتقص عليه استمرائه بالملذات .. ومن ثم انصرف « ميكل انجيلو » الى العمل في مقبرة « يوليوس الثاني » ، وبلغ ذروة الابداع حين نحت تمثالا ضخما للنبي موسى ، حرص على ان يكون معبرا عن فكرة ، وليس مجرد شكل من الرخام .. اذ جعل الجسم في وضع بين القوة العارمة ، التي يكبح العقل ثوراتها الجمالية .

وقد اعجب ميكل انجلو بالتمثال بعد الفراغ منه حتى انه ضربه بالازميل صارخا : « تكلم !! انطق ! » فاصاب الازميل ركبة التمثال اليمنى ، واطار قطعة صغيرة .

على ان ضغط البابا « ليو » على سلطه ، اكرهه بان يعمل على اعمال المقبرة ، فعهد الى الفنان بتصميم واجهة جديدة لكنيسة « سان لورنزو » التي كانت اسرته قد شيدتها في فلورنسا .

يرفض دعوة البابا

وهكذا عاد « ميكل انجيلو » الى فلورنسا سنة ١٥١٦ ، وهو في الحادية والاربعين ، فانهمك عامين في التخطيط والتصميم ، واختيار الرخام من « كارارا » .. ولكن الكردينال « جيليو » ــ ابن عم البابا ، والموكل بكثير من مهامه التنفيذية ــ راح يعرقل جهود الفنان ويماطله ، حتى اثار غضبه فطلب اعفاءه من العمل .. واضطر الى ان يقتصر مواردة ليرد الى البابا ما كان قد تسلمه من نقود ، برغم انه انفق معظمها على الاعداد للمشروع ..

ولكن البابا لم يلبث ان دعاه ليزين جدران الفاتيكان ، ولكن الفنان الغاضب رفض .. وكذلك رفض رغبة البابا في ان يشيد لاسرة « دى مديتشي » ضريحا في كنيسة « سان لورنزو » بفلورنسا ، ولم يلن لرغبات البابا الا بعد عدة اشهر من الحاحه ..

واقبل على المشروع بحمية ، الى ان قدر للبابا ان يموت في ديسمبر سنة ١٥٢١ ، فوجد « ميكل انجيلو » الفرصة سانحة ــ في عهد خلفه ــ ليتم ما استطاع مقبرة « يوليوس الثاني » .. ولكن البابا الجديد لم يلبث ان مات ، ولكن « جيليو دى مديتشي » ــ غريم « ميكل انجيلو » ــ من ان يرقى الكرسي البابوى بدهائه ، تحت اسم « كليمنت السابع » فامره بان يتفرغ للمقبرة الى

مديتشي » ثم باعادة بناء مكتبة الأسرة .. بينما كان ورثة « يوليوس الثاني » يلاحقونه ليتم مقبرة مورثهم ..

يشرف على تحصينات فلورنسا

واسلمت هذه الظروف « ميكل انجلو » للهموم والقنوط .. وضاعف من اضطرابه النفسي والذهني ، تطور الأحداث . اذ ما لبث ، جيوش اسبانيا ان زحفت — في سنة ١٥٢٧ — مقتحمة روما ، وعاثت فيها فسادا ، ووقع « كليمنت السابع » أسيرا .. وثارت فلورنسا على مظالم آل مديتشي، واعلنت قيام جمهورية جديدة . فاغلق « ميكل انجلو» ابواب مقبرة ذي مديتشي، ليعود للتفرغ لمقبرة «يوليوس الثاني».. ولكنه لم ينعم بهذا التفرغ طويلا ، اذ ما لبث « كليمنت السابع » ان استطاع التحالف مع اسبانيا ، وسار على راس جيش ليسترد لاسرته نفوذها على فلورنسا ..

وهبت المدينة للذود عن حريتها . وقدر لميكل انجلو ان يعين — في ديسمبر سنة ١٥٢٨ — في مجلس الدفاع ، وان يعهد اليه بالاشراف على كافة التحصينات اللازمة للمدينة .. ولكن الحصار الطويل أشاع الاضطراب في نفوس الفلورنسيين ، واغرى بضعة من الانتهازيين بالخيانة.. وما لبث « ميكل انجلو » أن استسلم لليأس ، وهرب الى البندقية .

مسخر في خدمة البابا

ولكن فلورنسا استمرت في النضال طيلة سنة ١٥٢٩ ، برغم الخيانة. مما جعل « ميكل انجلو » يخجل من هربه وجبنه ، ويبادر الى العودة ، ويشرف على التحصينات .. ومن الطريف انه كان اذا شعر بالارهاق ، سرى عن نفسه بالاشتغال على الرسم .. وكانت لوحاته في تلك الفترة ، دراسة رائعة في الرمزية والتعبير بحركات الأجسام عن الانفعالات ..

وفي اغسطس سنة ١٥٣٠، أحكم الخونة غدرهم، فاستسلمت المدينة ، ولاذ الفنان بمخبأ امين ، الى ان كفل « كليمنت السابع » العفو عنه ، على شريطة الا يشتغل بشيء سوى اتمام مقبرة آل مديتشي .

واقبل على العمل وهو يشعر بانه مسخر كالرقيق .. وحز في نفسه ما أصاب مدينته من ذلة .. واقعدته الشيخوخة عن ان يتكيف مع الظروف .. وازدادت حالته النفسية سوءا ، حين قام ورثة « يوليوس الثاني » بمضايقته العداء لعدم اتمامه مقبرة مورثهم ، فاذا القنوط والهم والانفعالات تنال من صحته.. ثم تلقى صدمة كبرى اذ مات ابوه في ربيع سنة ١٥٣١ ، فلم يطق البقاء في فلورنسا ، وغادرها الى روما ..

حملات مسمومة

وقضى عامين يتنقل بين روما وفلورنسا .. وفي تلك الاثناء ، رسم لوحة « الحساب الاخير » Last Judgement ، على جدار كنيسة « سيستين » ، .. كما التقى في الفترة ذاتها باول انسان اطمأن اليه ، واولاه صداقة قوية خالصة .. وهو « توماسو كافاليري » — وكان شابا جميلا ، من اسرة عريقة ..

وقد قدر لتلك اللوحة ، ولهذه الصداقة ، ان يستحيلا الى سلاحين مسمومين يواجه بهما — وقد تجاوز الستين من عمره — كاتب فينيسي عرف بخبث قلمه ، هو « بيترو ارتينو » الذي وصف الاشكال العارية في لوحة « الحساب الاخير» بانها استهانة بقداسة المكان الذي رسمت فيه .. فما كان من الفنان الا ان رسم وجه « ارتينو » وراء راس القديس « بارتلميو » ، ورسم وجهه هو على جلد كان يتدلى من اصابع القديس الذي كان يطالب بالانتقام لشهداء الكنيسة .. وانطلق الكاتب فراح يشوه علاقة « ميكل انجلو » بكافاليري ، ويصمها بالشذوذ الجنسي .. ولكن مكانة الشاب لم تفسح مجالا لتصديق هذه الفرية.

وفي سنة ١٥٣٤ ، مات « كليمنت السابع » ، وخلفه « بول الثالث » الذي احب « ميكل انجلو» فبسط عليه رعايته ، وسوى النزاع الذي كان بينه وبين ورثة « يوليوس الثاني » ، فاستطاع ان يفرغ من المقبرة بعد نضاله على انشائها باربعين عاما ، مما ارضى ضميره واراح باله ..



سقف كنيسة « سيستين » ، وهي معبد من معابد الفاتيكان ، ويبلغ ارتفاعه حوالي ٧٠ قدما ومساحته ١٣٢×٤٢ قدما وقد قضى « ميكل انجيلو » شهورا وهو راقد على ظهره ، فوق منصة عالية في سقف المعبد لكي يرسم هذا السقف

بين المرض وحملات الشانئين

وتفرغ الفنان لخدمة البابا سبعة عشر سنة ، وهو قرير النفس .. ولكن انهماكه في العمل طويلا ، واقلاله من الأكل والنوم ، أثرا في صحته وقد تمكنت عليه الشيخوخة . فأصيب في سنة ١٥٤٤ بمرض خطير ، لم يتماثل للشفاء منه إلا بعد بضعة أشهر .. ولكن المرض عاوده في نهاية العام التالي ، وتتالت عليه صدمات نالت من روحه المعنوية .. وراحت روما تتقول عن تعاظم كلفته وعن سوء اداراته لمشروعات الفاتيكان ، وعن تبديده الأموال على هذه المشروعات . ثم مات البابا « بول الثاني » الذي احبه واطمأن اليه — في خريف ١٥٤٩ — .

ومع أن « بول الثالث » — البابا الجديد — اكرمه وكفل له منصبه ، إلا أن حملات الشانئين والحاسدين ظلت تلاحق « ميكل انجيلو » .. وكان قد بلغ الثمانين عندما مات « بول الثالث » ، وخلفه « مارسيلس الثاني » ، وكان من خصومه .. وقبل أن يفكر الفنان في أن يهجر الفاتيكان ، مات البابا الجديد — ولما يشغل الكرسي البابوي أكثر من ثلاثة أشهر . وخلفه « بوليوس الثالث » الذي « حفظ عليه كرامته ومكانته ..

نهاية النهاية

وهكذا ظل « ميكل انجيلو » مرتبطا بالفاتيكان، منصرفا الى مشروعاته،وأهمها قبة كنيسة القديس بطرس بالفاتيكان،التي راح يرهق نفسه لاستكمالها برغم سنه ، وضعفه وتتابع الأمراض عليه ..

واستمر في العمل في عهد البابا التالي « بيوس الرابع » .. ولكن صحته اخذت تزداد انهيارا ، حتى انه كان يشكو — في خريف سنة ١٥٦٣ — من حصوة في الكلى وتصلب في المفاصل .. وبات لزاما عليه أن يستريح . ولكنه كان قد بدأ يفقد السيطرة على اعصابه وافكاره ، حتى انه وجد في ١٢ فبراير سنة ١٥٦٤ — ملقى على وجهه تحت المطر الغزير ، برغم أنه كان يقترب من التاسعة والثمانين من عمره .. فأعيد الى فراشه بيد أنه راح يتململ ويتذمر ..

واخيرا مات الفنان

وفي ١٨ فبراير ، حانت النهاية ، وعندما سأله القس الذي اقبل يؤدي الطقوس الاخيرة عن رغباته ، اوصى بروحه لله ، وبجسده للأرض ، وبممتلكاته لأسرته .. الجهات الثلاث التي استأثرت باهتمامه في حياته ..

وفي ساعة متأخرة من أصيل ذلك اليوم ، مات « ميكل انجيلو » .. الفنان الذي خلد التاريخ اسمه ، كأحد أعمدة عصر النهضة .

اقتباس : محمد بدر الدين خليل



الأب



لا أدرى على وجه التحديد متى ولدت ، فقد كان ذلك في واحدة من تلك الألوف من القرى التى تعمر بطن الريف في مصر ، حيث كان الناس لا يحرصون على ضبط تاريخ ولادة أو قيد اسم مولود . كان ذلك منذ سنوات كثيرة جدا . شهادة الميلاد التى أحملها الآن كتبها لى طبيب بعد أن صرت رجلا ثابت القدم في الحياة ، كتبها بحسب ما أردت ، وهى تقول أن سنى بعد الخامسة والخمسين بقليل ، ولكنى أكبر من ذلك بكثير . إذا كنت أستطيع أن أكذب على الناس فاننى لا أستطيع أن أكذب على نفسى ، لأن حمل السنين فوق عاتقى بالغ الثقل . ستعرف أنت أيضا ثقل هذا العبء عندما تتعالى طبقات السنين فوق كتفيك . ستشعر بمثل الرغبة التى أشعر بها الآن ، وهى أن أحط عن كاهلى هذا العبء وأهرب منه . ولكن كيف ؟ وإلى أين ؟ ولماذا ؟ أنى أعيش حياتى من جديد ؟ ليس فيها ما يغرى بالاستعادة وقد أفلت من هذه الدنيا حظى ، وآن أن أترك مكانى لغيرى ..

لم أننا كنا في بلدنا — ولا نزال فيما أظن — نكره قياس الأعمار وحساب السنين ، لأن الزمان عندنا عدو يتربص بالانسان الدوائر ، ولا بد لهذا من مراوغته وخداعه والاحتيال عليه ، وهو — أقصد الزمان — آخر الأمر في حسابهم يوم واحد يتكرر ، الأمس مات ولن يعود ، والغد لم يولد بعد ، فما معنى التفكير فيه ؟ . ان العالم يموت مع غروب كل شمس ، ومع شروق شمس اليوم التالى يولد عالم جديد ، بمتاعبه وهمومه ، ولهذا فهم لا يصطحبون متاعب اليوم وهمومه الى الفراش معهم . انهم يتركون الديون والأحقاد والمخاوف على الباب ، وينامون نوما عميقا . في الصباح يمكنها أن تعود . وفى كثير جدا من الأحيان لا تعود ، انها تتبدد وتتلاشى في ظلام الليل . كان أبى يقول :

"همومٌ كالأرجوحات : إذا هِمتَ بها تمتْ وزادت ، وإذا أهملتها ذبلتْ وماتت ."

على هذه الفلسفة عاشوا وماتوا آلافا كثيرة من السنين ، فلن قريتنا هذه لا بد قد ولدت عند الخليقة ، فكل ما فيها كان عتيقا قديما حزينا . حتى أبى كنت أتصور وأنا طفل أن عمره خمسمائة سنة ، فقد كان وجهه كله غضون وأخاديد . كان نجارا ، حياته كلها سعى الى الرزق وهرب لاطعام أفواه كثيرة ، غير المعلومات التى لا بد منها للخلافات والمصالحات . كان نجار سواقي ، مصنعه "دكة" واسعة خلف البيت . كان أشهر نجار سواقي في المديرية كلها ، ومع ذلك فلم يعرف الحساب أو القياس حياته كلها . كل شيء




قصة واقعية
بقلم
الدكتور حسين مؤنس
مدير المعهد
الدراسات الإسلامية بمدريد

كان عنده بالنظر والتقدير . ولماذا القيساطي والدقيق ؟ ان الساقية عجلة ضخمة ليس من الضروري ان تكون كاملة الاستدارة ، وأوطانها انية من خشب يغرالماء من شلوقها فلا يصل منه الى القناة الا ثلثه او ربعه . ومحور العجلة لا ينبغي ان يكون مطابقا لثقب مركزها . وانعدام الدقة في عمل الساقية هو الذي يجعلها عنصرا من عناصر الفن في حياة الفلاح . انه هو الذي يجعلها تبكي وتنوح وتصاحب الفلاح في الموال !

كان المفروض ان اصبح نجارا مثل ابي، ولكن صاحبا له كان يعمل بناء ، واحتاج الى صبي ، فلم يرى ابي ان اصحبه واعمل معه . هكذا فسرد مصيري وصرت بناء . ليس في الدنيا اقل رزقا من بناء في قرية مثل قريتنا ، فالناس هناك لا يحتاجون اليه لانهم يبنون مساكنهم بايديهم . الفلاحون ، الذين يبنون بيوتا باللبن او الطوب الاحمر، هم العمد والمياسير من اصحاب الضياع لهذا كانت ايامي مع هذا الرجل رحلة دائمة من قرية الى قرية بحسب مطالب الرزق والتساهيل.

ولكن مورد رزقنا الحقيقي في هذه القرية كان كان حفر الآبار وبناءها ، فان قريتنا على الطرف الشرقي للدلتا حيث لا يصل الماء الى الترع الا بضعة اسابيع تعقب الفيضان . فعاد الناس يعتمدون على مياه الآبار . في هذا الفن كان معلمي استاذا عظيما : كان يعرف طبيعة الارض ونوع الحفرة التي ستحفر للبئر وسعتها واتجاهها ، فاذا فرغ الحفارون من عمل الحفرة ، ووصلوا الى رأس الماء ، بدأ عمله الحقيقي . وهو عمل دقيق عسير يتلخص في « بناء الحفرة » اي تبطينها بالحجر من اسفل الى ارتفاع ثلاثة امتار ثم بالطوب الاحمر بعد ذلك ، وبناء سلالم حلزونية او زجزاجية تنتهي بمصطبة عند الماء يستطيعها الناس لاستخراج ما عسى ان يقع في البئر او لتنظيفه . وكنت ـ ككل صبي يعمل مع معلم ـ اقوم بأعسر جزء من ذلك العمل : كانوا يدلونني في الحفرة الى قاعها لكي اسوي الجدران واتقن استدارتها قبل البدء في البناء . كانوا يدلونني في الصباح جالسا على لوح من الخشب مربوط من طرفيه بحبلين ، والى جانبي شمعة ومعي علبة

ثقاب ، لان الظلام في القاع دامس ، وعلى ضوء الشمعة كنت اعمل في الجدران بآلات بدائية اقلها الفأس . ولا اصور لك رعبي القاتل وانا اعمل في هذا القبر طول النهار : كنت صبيا في الثامنة من عمري ، وليس هناك اشد ارهابا لصبي في مثل هذه السن من البقاء ساعات متوالية في الظلام تحت الارض ، والحشرات والديدان تجري على الجدران وتسقط علي او تجري على بدني .

قضيت مع هذا المعلم خمس سنوات او ستا ، تعلمت فيها شيئا كثيرا . ولكن اقصى ما وصلت اليه من الاجر كان خمسة قروش في اليوم لمقابل عشر ساعات او اكثر من ذلك العمل الذي وصفته لك . وفي الشهور الاخيرة لعملي معه كنت اقوم بكل شيء ، حتى تبطين الحائط كنت اقوم به ، والمعلم جالس قرب حافة البئر يدخن الجوزة ويحسو الشاي كوبا بعد كوب . ولقد حاولت الفرار مرارا من ذلك الشقاء ، ولكن والدي اصر على ان استمر حتى اصبح « معلما معتبرا » كما كان يقول . وعندما انقضى من عمري ستة عشر عاما فكرت في ترك المعلم والاستقلال بنفسي ، ولكن آداب المهنة في بلدنا لم تكن تسمح للصبي بان يستقل عن معلمه ، الا اذا مات هذا او اذن له في الاستقلال ، فلم يكن لي بد من احتمال متاعبي والصبر بها مع الايام .

وفي ذات مساء عدت من العمل ففوجئت بان ابي قد مات . مات بعد خروجي الى العمل في الصباح ، ولم يعرفوا مكاني ليستدعوني ، فدفنوه دون ان اراه ، ولم يبق لي الا ان اقبل العزاء في المؤخر . وبعد ذلك بشهور قلائل مضى المعلم هو الآخر الى حال سبيله ، وخلفه في عمله ابن شاب لاب لا خبرة له بالعمل ، ولكنه ورث عمل ابيه واسمه ، واراد ان يرثني انا الآخر ضمن التركة ، واصر على ان اظل في العمل بنفس الشروط . وابيت انا ذلك ، فانفصلت عنه ، ومضيت ابحث عن عمل فلم اوفق كثيرا ، لان الناس جاملوا الابن بل اعانوه على انفصالي عنه ، فضقت في بلدي واجتهدت في ان اشق طريقي وحدي .

وكانت الأحوال قد تغيرت تغيرا كبيرا في بيتنا . عقب موت أبي بأيام انتقل أخي الأكبر وزوجته المدينة وأولاده الستة فاحتلوا البيت عليّ وعلى أمي ، ولم يبق لنا إلا ركن صغير . وبعض أخي يستثقلني ويتبرم بوجودي ، فأنا أبكي صباح مساء ، وقائلا انني متبطل لا أريد العمل وأرجو أن أعيش عالة عليه . وضاقت الدنيا في وجهي .

ثم جاء الفرج ذات ليلة . زارنا خال لي كان يعمل في مصنع يملكه رجل يوناني في الاسكندرية . وفي حديثه مع أمي قال لها إن المصنع في حاجة إلى بناء ، وعرض عليها أن تأذن له في اصطحابي معه . كنت إذ ذاك راقدا في غرفة مجاورة أسمع ، وأنا يقظان لما يجري بينهما من حديث ، فانصلبت عندما سمعت ذلك ، وسمعت أمي ترفض رفضا قاطعا أن أمضي لأعمل بعيدا عنها ، ثم ترجوه ألا يقول لي أو لا يذكر شيئا عن الموضوع . ولكني وعيت الحديث كله ، وكنت أعرف عنوان خالي في الاسكندرية ، فقضيت طول الليل أدير الفكرة في خاطري . واستقر رأيي قبيل الفجر على أن أمضي بنفسي إلى هناك ، إلا أنني لا أحس الآن الثقل في هذا الغدر والشقاء مراعاة لعواطف أمي ، ولو أطاع الأبناء عواطف الأمهات لما ظهر في الدنيا بطل أو مغامر .

وبعد ثلاثة أيام بارحت الدار مع تباشير الصباح زاعما أن ورائي عملا في قرية بعيدة ، ومضيت أسأل من ألقاهم في الطريق عن سكة الاسكندرية حتى وصلت بعد أيام أربعة . كنت أسير طول النهار ، فإذا هبط الظلام بحثت عن موضع مهجور أنام فيه . وكانت معي قروش قليلة أشتري منها ما تيسر من الطعام . ودخلت البلد الكبير فذهلني الذي بي في سحر : شوارع كثيرة متشابهة ، والوف من الناس تروح وتجيء متعجلة كأنما قامت القيامة ، وعربات وترام وباعة جوالون ، ودنيا لا أول لها ولا آخر . وغرقت في هذا البحر ، أدخل في شارع وأخرج من آخر ، وكلما سألت أحدا عن العنوان ـ وكنت أحفظه ـ نظر إليّ متفحصا كأنني أتيت من كوكب آخر ، أو كأنني لا أتكلم «العربية» ، وتركني ساخرا وضحك وتضاحك من حوله ومضى . وجاء المساء وكنت قد هلكت ، فمضيت أبحث عن شيء أبيت فيه ، ومررت ببائع خبز وطعمية على ناصية حارة ، فمضيت إليه وأعطيته قرشا ، فناولني به ما تيسر ، ورآني آكل في نهم فنظر إليّ في عطف ، وتشجعت فسألته عن العنوان ، فمضى يسأل من حوله ، حتى عثرنا آخر الأمر على غلام يعرفه ، فتطوع ليدلني عليه . وسرت خلفه حتى إذا بلغنا طرف البلد ـ فيما أتصور ـ أشار إلى مبنى كبير تتصل به ساحة يدور عليها سور طوله طول قريتنا كلها ، وقال « ها هو مصنع جالاتو » . وأعطيته قرشا فمضى يجري فرحا ، وكنا حوالي منتصف الليل . وكان نباح كلاب كثيرة يتراءى إليّ من داخل المصنع ، فابتعدت عن السور ولجأت إلى جدار كوخ خشبي ، ووضعت جنبي على الأرض ونمت في الحال .

لا أنسى ما حييت منظر هذا الرجل أول ما لقيته . كان طويلا عريضا أحمر الوجه أبيض الشعر ، وكان له شارب كبير أبيض وقور . كان رجلا هادئا رزينا يتحدث في تؤدة بصوت عميق ينم عن كمال ورجولة . أصغى إلى قصتي وهو يدخن سيجارا ، فلما فرغت ابتسم ، وأحسست أنه أعجب بالمغامرة التي قمت بها ، ولم يسألني عن خبرتي في البناء وإنما اكتفى بما لقيت من العناء في سبيل الحصول على العمل ، فربت على كتفي وقال بلهجة مصرية خالصة : « حماسك جيد يا بني ، ولك مستقبل ! ستعمل عندي بناء في العزبة ، وسأعطيك عشرين قرشا في اليوم » ثم التفت إلى خالي وقال : خذه عندك الليلة ، وأطعمه جيدا ، فقد هلك المسكين ، وفي الصباح تقدمه إلى استيفانيدس » .

عندما قابلت استيفانيدس في الصباح تبينت أن الخواجا جالاتو قص عليه خبري وأوصاه بي .

كان شابا لطيفا من مواليد مصر ، يتحدث المصرية ويقرأ العربية ويكتبها كأنه عربي ، وكان آية في الذكاء والطيبة والكفاية ، وكان خاله « الخواجا » قد أقامه مديرا للعزبة ، وكانت تقع قريبا من بحيرة مريوط . أخذني في سيارته ، وملكني الذهول وأنا أتأمل هذا الشيء الهائل الذي يسميه عزبة : مساحات شاسعة مزروعة فواكه من كل صنف ، ومئات الصفوف من شجيرات

صغيرة قيل لي انها عنب ، وحقل واسع مزروع قطنا واخر قمحا ، ثم مرعى فسيح تسرح فيه ابقار لم ار في حياتي مثلها . وكان اسطفان ـ وهكذا كانوا ينادونه ـ يمر بين صفوفها من جانب لجانب ويتحدث وانا بالكاد استطيع ملاحقته ، ثم مضى بي الى مجموعة من المساكن الجميلة تقوم في اربعة صفوف، وقال ان هذه هي مساكن العمال، واعطاني مسكنا في الدور الثاني من واحد منها ، ثم مضى بي الى موضع في طرف الضيعة رأيت فيه اربع آبار او خمسا ، وقال لي : « انت بناء آبار ، أليس كذلك ؟ » قلت : « نعم ! » فقال : هذا ممتاز ! نعنى بهذه وليس لنا ستا اخرى حددت مواضعها ! » . ثم امر احد مساعديه ان يأخذني غدا الى المدينة ويسرع باعداد مسكني ، وقال انه ينتظرني من الغد في السابعة صباحا عند موضع الآبار لابدأ العمل .

وشعرت بخيبة امل كبيرة : لقد عدت الى العمل في الآبار ! هربت منها هناك لاجدها في انتظاري هنا ! محكوم علي ان اقضي عمري كله في هذه الحفر كأنني ولدت للموت البطيء دفينا تحت سطح الارض .. وعدت الى بيت زميل في ثقيل القلب ، وانتقلت معه في اليوم الى مسكني الجديد ، فاحسست انني ولدت من جديد : غرف جميلة نظيفة ناصعة البياض ، تضيئها مصابيح كهربائية، تدير المفتاح فاذا بها تملأ غرفة البيت ضياء .. وماء صاف كالبلور ينصب من الصنبور الى شئت .. وفراش وثير والتجميل، ما كنت احلم بمثله ابدا . احسست كأنما كنت ميتا وبعثت حيا . احسست انني اعيش بوعي قلبي للمرة الاولى في حياتي فرح بالحياة وبشر لها . احسست انني انسان وان الحياة جديرة بان تعاش ، وهان عندي العمل في الآبار ما دام هو سبيلي الى هذا العيش الكريم ..

وبكرت في الصباح لالقى اسطفان ، وفحصت امامه بئرين واقترحت ما يصلحهما ، ثم فحصنا مواقع الآبار الجديدة . وانقضى اليوم وانا في عمل متصل مع الشاب اللطيف . ومضت الايام بعد ذلك تترى، ووجدت من زملائي طيبين سعداء، فاشرقت نفسي ، ورضي عني اسطفان فخصني يصطحبني معه في كل عمل . كان مهندسا ممتازا، كنا نسميه الباشمهندس ، وتعلمت منه كثيرا من اصول البناء والعمارة فلم اقتصر على الآبار وازداد مرتبي الى ثلاثين قرشا في اليوم ، ثم اصروا لي مرتبا كاملا قدره عشرة جنيهات . وكتبت لامي بما انا فيه من السعادة ودعوتها للعيش معي، فاقبلت ، وظللتنا السعادة في اعطافها . ومضت الايام رغدة ..

وفي ذات مرة قال لي اسطفان : أليس عيبا على شاب ذكي مثلك ان يظل أميا لا يقرأ ولا يكتب ؟ فاخذت دروسا على شيخ ، وما مضت شهور حتى صرت اقرأ واكتب ، وانفتح امامي باب القراءة الواسع ، فاقبلت اقرأ الصحف والمجلات والكتب وكل ما تصل يدي اليه ، واحسست انني انتقل الى عالم جديد جميل ، وانني اصبح انسانا احسن يوما بعد يوم ..

★ ★ ★

وكانت تسكن الدور الارضي في بيتنا امرأة أرملة تسمى نفيسة . كان زوجها يعمل في الضيعة ثم مات في حادث ، فعرضوا عليها ان تظل في الضيعة وتقوم بغسل الملابس ويجرى عليها راتب زوجها، فقبلت وكان لها ابن صغير وحيد يسمى السلامة، كان قطعة من الظرف وخفة الروح. كان في السادسة من عمره ، فتعلقت به وتعلق بي حتى صرت لا اخطو خطوة الا وهو في اعقابي ، فاذا عدت الى البيت مع الليل تعشى معي ومع امي وظل معنا يلعب ويصخب ، وكنا نقرأ ونلاعبه كأنه ابني ، حتى اذا تعب وادركه النوم اخذته امي الى فراشها، او نام على اريكة في غرفتي ، لكي استمتع بصحوه في الصباح واستمع الى هذه العبارات اللطيفة التي لا تصدر الا عن الاطفال في سنه .

واخذني اسطفان لاعمل معه في عمارة كبيرة كان الخواجا يبنيها في الاسكندرية . هناك اصبحت مساعدا للباشمهندس ، فعلمني الرسم والقياس واستعمال الادوات الهندسية . وصار اذا تغيب قمت بالعمل مكانه ونفذت المشروع كما هو في الرسم ، فلما فرغت العمارة اعطاني عشرين جنيها ، ثم جمع مجموعة من رسوم المباني واعطاني اياها وقال لي : انت الآن اكثر من معلم ، انت مهندس ..

★ ★ ★

وفي ذات يوم عدت من الاسكندرية حوالي



ومن قاع البئر سمعت صوتا يناديني ، ولكن ضجيج الناس كان عاليا فصرخت فيهم فسكتوا ،

الحادية عشرة مساء . وسألت عن سلامة قبل ان اجلس الى مائدة الطعام فقالت لي امي انه يلعب مع الاطفال ، فاذا نحن في هذا سمعنا ضجة واصواتا ووقع اقدام تجري ، فنظرت من النافذة وسألت ، فقالت امرأة تعدو : سلامة ! ابنك ! ماله ؟ ولم ارد على وهرولت الى الطريق وتبعت الناس ، وعلمت في الطريق ان سلامة وقع في بئر مهجورة في طرف الضيعة كانوا يسمونها « الغولة » لرهبتها . ووصلت الى الموقع فاذا الناس حول الفتحة فشققت طريقي بينهم ونظرت في البئر وسألت :

– أنتم متأكدون أنه وقع ؟

فقال غلام وصوته يشرق بالبكاء والفزع :

– نعم .. كنا نلعب هنا ، وقال لنا انه سيهبط في البئر ، ثم نزل بضع درجات ليرينا مهارته ، ثم زلقت قدمه ووقع

وانبطحت على الارض وتدليت في البئر قدر ما استطعت وناديت سلامه ! سلامه !

ومن قاع البئر سمعت صوتا يناديني ، ولكن ضجيج الناس كان عاليا فصرخت فيهم فسكتوا ، وناديت مرارا اخرى ، وسمعت الصوت الصغير ينادي امه وينادني ويبكي .

وهذه الآبار كما قلت لك ليست مجرد حفر ، فكنا نبني أسفلها عند رأس الماء مصطبة من الحجر يقف عليها عمال التنظيف او الانقاذ ، ثم طلبت قنديلا علقته في راسي ، ومضيت انزل سلالم البئر ، ثم وجدت السلالم تنتهي بعد نحو متر ونصف ، فعلمت كانها سقطت للسنين ، فصعدت وطلبت حبلا ، فجاءوني به ، وثبته على الحافة وربطت القنديل على صدري ، فاذا انا اهم بالنزول اذا بي مقبلة تصرخ وتستغيث ، ثم انشبت يديها في عنقي واخذت تولول وتبكي وتقسم انني لن انزل ابدا ، وحاولت التخلص منها عبثا ، فقد كانت يداها قد التفت حول عنقي ، وقالت ان الغلام مات من زمن ولن تتركني اموت انا الآخر ، وحاولت افهامها انه حي وانني سأعود به ، ولكنها كانت قد جنت ولم تعد تفهم شيئا ، واندفع اليها نفر من الرجال واخذوا بي جميعا وحملوني وانا احاول الافلات منهم ، واخذ واحد منهم الحبل والقنديل وجرى فزعا انه من الجنون ان اقتل نفسي على هذه الصورة .

ويبدو ان احدهم ضربني على رأسي بيده ضربا متتابعا ، لانني لم اعد ارى شيئا ، وافقت بعد ساعات فوجدت نفسي على الاريكة في بيتي ، فنهضت انسحب مخافة ان تستيقظ امي فواصلت ادواتي ومصابحي ومضيت بطريقي نحو البئر ، كانت الساعة الرابعة والنصف صباحا ، وثبتت الحبل ، ومضيت انزل في البئر حتى وصلت القاع ، وهناك وجدت الغلام منطرحا نصفه الأعلى على المصطبة وقد علت رجلاه في الماء ، وجسست نبضه فاذا به جثة هامدة . ساعتها شعرت بشيء لا انساه عمري ، فهذا الغلام لم يمت غريقا ولكنه مات فزعا ، لقد جاهد في الماء على المصطبة

قعر المستنقع ، حتى اذا خارت قواه ارتميروالتفي معه الاسفل في الماء ومات . كان حيا عندما حاولت انقاذه ، ولو تركتني امي لانتشلته ومر الامر بسلام .

وحملت جثمان الصغير بذراع ومضيت اساق بيد واحدة وقد غيبت قدمي في الغيران،ووصلت الى الارض بعد ساعة او نحوها وانا خائر القوى، ووسدته الثرى وجلست امامه ابكي مصيبتي فيه. والليل واحد من الغفراء ، ثم تجمع الناس حولنا، وبعد قليل اقبل المستطفان ورأى على هذه الحال ، وقصصت عليه الامر ، فاخذ يلمرامي ومضى بي الى بيتي يعزيني ويواسيني .

لم احضر جنازة الغلام ولا دفنه.لم اكن استطيع ذلك ، فمضيت مع المستطفان الى الاسكندرية طول اليوم . وعندما عدت في الليل لم اطق النظر في وجه امي . انها هي التي قتلت سلامة . كان دافعها الخوف على ولكنها قتلت الغلام على اي حال .

وهبط ستار كثيف بيني وبينها . لم اعد احتمل رؤيتها او سماع صوتها فضلا عن الكلام معها . كنت اخرج الى العمل مع البكور واعود مع الليل فاوي الى غرفتي دون ان يدور بيني وبينها اكثر من التحية . وشعرت بضيق شديد يتزايد يوما بعد يوم.كرهت الضيعة وما فيها، واصبحت امضي الليالي المتوالية دون نوم ، حتى خفت على نفسي . وعلمت امي لشكوى الجيران والجارات ، فاخذوا يلومونني لوما شديدا .. اما ام سلامة، فقد نزل بها ذهول وصمت ، وما رأتني مرة الا اطالت النظر الي دون ان تقول شيئا،ثم اجهشت في البكاء ..

فلما طال الامر ، نظر الي المستطفان وقال :

ـ ان حالك لا تعجبني يا معروس .. انت لست مسئولا عن موت هذا الغلام ، فلماذا تعذب نفسك على هذه الصورة ؟

ـ كان من الممكن ان انقذه يا باشمهندس لولا امي ..

ـ وما ذنبك انت ؟

ـ انا وامي واحد ، وانا الذي اتيت بها الى هنا ..

ـ وماذا يجدي الحزن الآن ؟ وما وقع وقع ولا حيلة لك في اصلاحه ..

ـ تلك هي مشكلتي ، لو كانت هناك اي وسيلة لاصلاحه لما ضاقت الدنيا في وجهي على هذه الصورة .. انني ارى صورة سلامه كلما التفت حولي . كلما رأيت امي بدا لي هول جريمتها .. ان امي قاتلة يا باشمهندس ، ولا استطيع ان اعيش معها .. قتلت طفلا مسكينا ..

ـ لا تبالغ يا معروس .. انها لم تقتله . لقد فعلت ما كانت تفعله اي ام في مثل هذه الظروف : حالت بينك وبين الموت .

ـ باشمهندس!ماذا كنت تفعل لو كنت مكاني؟!

ـ كنت اعيد امي الى قريتها بعض الوقت ..

ـ هذا لا استطيعه .. لا استطيع اخراجها من بيتي .. ثم ان اهلي في القرية لا يريدونها ..

الى ماذا العمل ؟ لا بد من حل ، لن استطيع الاستمرار طويلا على هذه الصورة ..

فظللت لحظة صامتا ، ثم وضعت يدي على كتفه ونظرت اليه طويلا ثم قلت :

ـ الحل ان اذهب من هنا . انتهت سعادتي في هذا المكان وماتت مع سلامه في البئر الملعون !

فابتسم متعجبا ، وهز رأسه وقال :

ـ هذا جنون .. انت لم تبدأ هنا بعد.المدة الماضية كانت مدة تعلم وأنت الآن أهل لعمل أكبر ومسئوليات اكثر .. من ايام كنت اتكلم مع الخواجة في امر تسلمك مكاني هنا لكي انتقل انا الى الاسكندرية واشرف على المباني التجارية .. الخواجه هو الذي اقترح ذلك .. أتدري ما معنى ذلك ؟ معناه ان راتبك سيرتفع الى اربعين او خمسين جنيها في الشهر ، وستأخذ داري هنا بما فيها ..

فهززت رأسي وقلت :

ـ ليتني استطيع قبول ذلك .. أريد ان ابتعد عن هنا عامين او ثلاثة .. أريد ان اذهب الى حيث لا ارى امي ولا البئر ولا الاماكن التي كان سلامه يلعب فيها .. انني لا انام يا باشمهندس

ولا أكل .. شيء أتهدم داخل كياني ولا بد أن أنسيه بعيدا عن ذكريات القسوة ..

— وإلى أين تريد أن تذهب ؟

— إلى آخر الأرض .. إلى مكان لا تستطيع أمي الوصول إليه .. سأكتفي بالاشتياق لرجوعك .. فأنتم تعرفون الدنيا أكثر منا ..

— تريد أن تهاجر مرة أخرى .. ؟

— نعم .. أريد أن أهرب من نفسي ومن أمي .. ومن سلاسله ..

وافترقنا . عدتُ إلى عملي وشعرت كأن حملا ثقيلا قد انزاح عن صدري . كنت واثقا من أن أسطفان قد فهمني . ولم نتحدث في الأمر أياما كثيرة ، وفي ذات مساء كنت أجلس معه في مقهى على شاطئ البحر صامتا فأمسك بذراعي وقال :

— تسافر إلى المكسيك يا محروس ؟

— المكسيك ؟ .. هذه بلد .. ؟

— بلد واسع عظيم ، مساحته ثلاث مرات أو أربعة أكبر من مصر ..

— وبعيد ؟

— جدا .. بيننا وبينه قارات وبحور .

— أي أن أمي لن تستطيع إدراكي هناك ؟ .

— ولا الشيطان ..

— هل لك معارف توصيهم بي هناك ؟ ..

— أمي بالذات .

— إذن سأذهب إلى هذا المكان ..

— ولكن هناك حروب وثورات

— لا يهم .. لو بقيت هنا فمصيري إلى الجنون.

— وتعود إلينا بعد سنتين .. ؟

— أعدك بذلك .

وتصافحنا .. وابتسمت للمرة الأولى من شهور ..

* * *

ودبرتُ خطة السفر مع أسطفان وكيل صاحب السفينة اليوناني . وعارض الخواجة صاحب السفينة أول الأمر في المشروع ، ولكن أسطفان ما زال به حتى رضي . وكان لأسطفان صديق يعمل ربانا لسفينة تجارية يونانية تعمل بين موانيء اليونان وأمريكا ، فكلمه في أن يأخذني عاملا أو بحارا .

كنت قد بلغت الثانية والعشرين من عمري ، ولكن تجارب أيامي جعلتني أكبر من سني بكثير . وكانت صحبتي لأسطفان قد أوسعت ذهني وقلبي وحببت إليّ المغامرة والمخاطرة ، فلم يعد لي بعد ذلك تفكير إلا في ذلك البلد الكبير ، الغريب البعيد المكسيك ، الذي سأمضي إليه . وخففتُ عن نفسي هموم أمي وسلامة . وكان نقودي .. جميعا ادخرتها ، فأعطيت مائتين منها لأسطفان لكي يعطيها لأمي بعد سفري ، فتشتري بها فدانا في بلدنا وتعيش في سلام . وكانت امرأة حازمة واعية تستطيع السير وحدها في الحياة معتمدة على هذا الفدان الصغير .

ومضيت في الاستعداد في طي الكتمان فلم تعلم أمي بشيء ، ولا لاحظ خالي شيئا . واستخرجت جواز السفر وتأشيرة دخول وهجرة إلى المكسيك . وفي العاشر من نوفمبر سنة ١٩٢١ ، وقفت على ظهر باخرة البضائع اليونانية « كرينيا » ... أنظر إلى الإسكندرية ، وهي تبتعد عني رويدا رويدا . كان ضباب الشتاء يغشاها ، وأشعة الشمس تمد خيوطا ذائبة من ذهب رقيق لتوقظ عروس البحر الأبيض المستسلمة للنعاس ، وطيور البحر تحوم وتدور وتشدو ، ثم تتبع الباخرة حتى ابتعدت عن الشاطئ . وشيئا فشيئا اختفى البناء الجميل وراء الأمواج .. واغرورقت عيني بدمعات ، ولكن فرحا عظيما كان يملأ قلبي ...

وفجأة صاح صوت :

— أنت ، هناك ! إلى العمل .. !

ونظرت خلفي فإذا بالخواجه ديمتري رئيس عمال المركب ، وكانوا قد قضوا العمل أسابيع ، يرمقني بنظرة حازمة ، فأسرعت إليه وقلت :

— لا مؤاخذة يا خواجه .. إن فراق الوطن صعب ..

— أنا أعرف ذلك ، ولكن وطنك هنا لن يغني عنك ، لن يرى منك إلا العمل ، العمل ..

وسرت خلفه ، فهبطنا دورين ، ثم وقف عند رأس سلم حلزوني يهبط إلى قاع المركب وقال :

ـ النظام هنا لن يتعوب البحار على كل أنواع العمل في المركب ، باخذ بالافران ... انزل من هنا ، ستجد رئيس الافران في انتظارك ... انه مصري ... سالك وسيد بروتنك

ومضيت اهبط السلم الحديدي الدائر . احسست بقلبي يهبط ، عدت الى العنبر والظلام مرة اخرى ! لا فرار لي من هذا ابدا . حتى على المركب لتطاردني هذه القبور . هل من المعقول يا ربي ان اولد لاعيش عمري كله تحت الارض .. واين ادفن اذن عندما اموت !

واستقبلني وهج الافران الرهيبة فصعدت الى نفسي . وجدت النظام خيلستر في انتظاري . كان عملاقا ضخما صارم الوجه كانه تمثال شيخ البلد. كان حليق الراس ناتئ النظرات حتى ... ، وكان عاري الصدر بالزرد يتحلقون ووسطه كان كل العمال. سلمت عليه . ودون كلمة ناولني جاروفا ، وقال : تعمل على الفرن رقم ٤ . افراننا عملاقة نعم ، لا تتوقف عن العمل ابدا . المركب ستزيد السرعة الآن ، ولا بد من تسخين هذا الفرن ٤٠٠ درجة . انظر الى هذه الساعة . المؤشر على ٢٢٠ ولا بد ان يصل الى ٤٠٠ درجة ويستمر على ذلك ..

ونظرت الى مؤشر الساعة والى الفرن ، وخلعت جاكتتي وقميصي ، واخذت القي الفحم في التنور ، وكان زملائي يتململون ، فمضيت اتشى معهم ...

كان زملائي على المركب خليطا غريبا : هنودا وعربا ، وسودا ، ويونانا ، ومالطيين وقبرصيين وايطاليين وسوريين . كان فيهم جميعا عنف وجفوة ، ولكنهم كانوا طيبين فرادى . كنا نتحدث لغة غريبة فيها من كل لغة لفظ ، وكانوا يسمونها انجليزية . تعلمتها خلال ايام ، ولم يكن ذلك عسيرا ، لان موضوعات الحديث كانت لا تخرج عن الطعام والخمر والنساء . كانوا يعطوننا ربع شلنات في اليوم يصرفونها لنا جملة عندما يرسو المركب في ميناء ، فياخذ كل منا عشرين او خمسة وعشرين شلنا ، وننزل الى الشاطئ ، فيسرع زملائي الى حانات واماكن يعرفونها ولا يعود واحد منهم بشلن واحد ، وانزل الى البر ، واجتهد في تدبير نفسي به طول النهار .

ورغبت في تعلم اللغة الانجليزية ، فاشتريت من بيروت كتيبا يقول عنوانه انه يعلمك الانجليزية في شهر بدون معلم ، وجعلت اقضي وقت فراغي مع هذا الكتاب . وارادوا نقلي الى قسم شحن البضائع وتفريغها ، ولكن النظام خيلستر تمسك بي ، وزادوا اجري شلنين ، فبقيت اعمل في الوابور حتى عبرنا المحيط الاطلسي ، ورست بنا المركب في ميناء نيويورك . كنت قد قرات عنه كثيرا ، ونصحني بعض زملائي ان اغادر المركب هناك ، فالحاجة الى العمال ـ من اي صنف ـ كبيرة . مكثنا هناك ثلاثة ايام في المنطقة الصغيرة المحيطة بالميناء . هناك قدمني النظام خضر الى رجل سوري يعمل مقاولا ، فعرض علي ان يستخرج لي اذن الاقامة وتصريح عمل ، وقال انه سيعطيني عشرة دولارات في اليوم ، ولكن الحياة لم تعجبني هناك . شعرت بخوف من الوف الايطاليين والصقليين الذين كانوا يعمرون منطقة الميناء . ولما عرف ديمتري بانهم يفاوضونني لاترك المركب عرض علي ان اكون رئيس عمال الشحن باجر قدره جنيه انجليزي في اليوم ، فقبلت واقلعنا من نيويورك . وقد اشتريت من هناك قلم حبر وكتابا مصورا ، فلما فتحته في المركب لاقراه وجدته مجموعة صور نساء عاريات ، فبعته لاحد زملائي بضعف الثمن الذي اشتريته به .

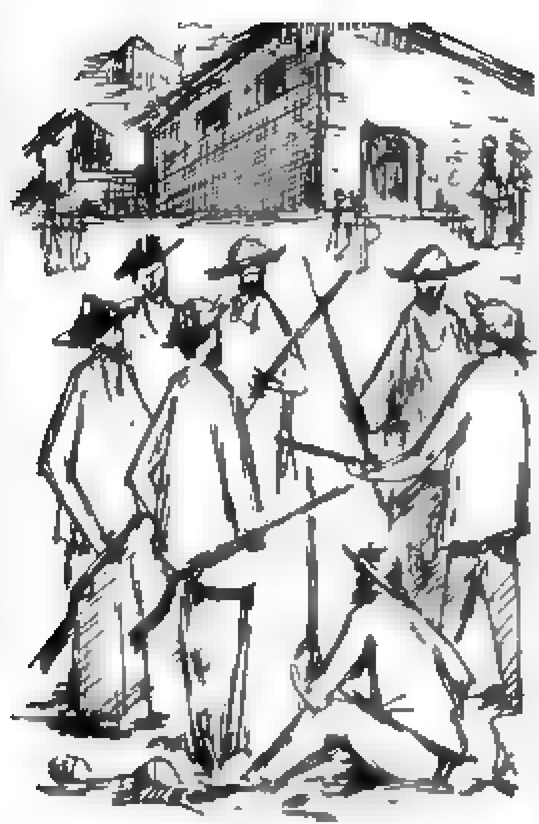
ورآني ديمتري منهمكا في استذكار كتاب اللغة الانجليزية ، فقال لي انني لن احتاج الى ذلك ، لان الناس في المكسيك يتكلمون الاسبانية ، وانها لغة اخرى تختلف عن الانجليزية تماما ، ولم اكن سمعت بهذه اللغة من قبل هذا ابدا .

وبعد زوابع واعاصير وصلنا الى البحر الكاريبي ، انقذنا الله من اعاصيره ، في حياة هذا البحر كان علي الجنيه اليومي الذي اغراني بالاستمرار ، بل كانت علي الحياة . وعندما دخلنا خليج المكسيك صدمتنا نوة عاصف دفع المركب دفعا خطيرا نحو مرفا يسمى كوانزاكوالكوس ، وعلى مرأى من ذلك المرفا تعطل المركب تماما ، فجروه الى الشاطئ ، ونزلنا الى البر ، فاذا نحن في مكان لا يوصف الا بانه جحيم : بيتان او ثلاثة والباقي اكواخ يسكنها بشر معظمهم هنود مكسيكيون . ومن اللحظة الاولى تبين ان المكان تسيطر عليه عصابات من القتلة والسفاحين ، ولا بد ان تؤدي لهم ضريبة لكي يسمحوا لك في البقاء على الشاطئ . فعدت الى المركب .

وبعد يومين جمعنا ديمترى ، وقال ان هيكل المركب كبير ولا يمكن اصلاحه فى هذا الوضع ، ولا بد من سحبه الى ميناء سانتا كروز ، وهناك سيحتاج الى ثلاثة شهور للاصلاح . ولهذا فان ربان السفينة قرر الاستغناء عن كل العمال عدا اليونانيين وانهم سيصرفون لكل منا خمسة جنيهات تعويضا. وحاول بعضنا أن يحتج ويصخب ، ولكن الربان كان قد سلح اليونانيين واوقفهم على المركب مستعدين للقتال . ولم يكن هناك قانون ولا كانت معنا نقود ، فرضخنا للامر الواقع ، وانزلونا الى البر ، سبعة وعشرين رجلا بعد ان اعطونا مكافآت وشيئا من الزاد ، ثم ابتعدت السفينة عن الشاطئ يجرها قاربان يخاطران ، ووقفنا على الشاطئ والحسرة تملأ قلوبنا ، وقد اجتاحنا شعور باننا شرذمة حكم عليها بالموت ، او حطام القت به الامواج على الشاطئ .

وتزعمنا رجل هندى يسمى باتنا ، وكان فى صديقنا ، فقال : ان سلامتنا مرهونة باتحادنا ، فلا حكومة هنا ولا امان ، واقترح ان يشترى كل منا سلاحا وان نسير كلنا جملة واحدة مسلحة ، وانه كان جنديا فى الجيش البريطانى ويعرف كيف يحمينا ، وبايعناه طبعا ، فسرنا حتى دخلنا البلد ، واحتللنا ملهى حقيرا ، ومضى هو ليساوم فاشترى لكل منا بندقيته ورصاصا ، واكترى لنا كوخين ، عشنا فيهما اياما كأننا مواش ارسلت الى المذبح ، فهى تنتظر الموت فى اى لحظة .

وسرى عنا الرعب بعد ايام ، واحتملنا حياة الشقاء هذه ، والانسان يتعود بسرعة على اى لون من الوان الشقاء اذا لم يكن له من ذلك مفر . واتصل بعضنا ببعض الهنديات وتزوجوهن قبل ان تمضى عشرة ايام ، وانفصلوا عنا ، واشترك الهندى باتنا مع اربعة من ابناء جنسه وعدد من المكسيكيين والهنود ، وبداوا تجارة تهريب جعلوا مركزها البار القذر الذى كنا نجلس فيه ، وانفصلوا عنا هم الآخرون ، وما انتصف الشهر حتى وجدت نفسى مع ثلاثة فقط فى الكوخ الحقير ، كان واحد منهم لحسن الحظ سوريا ، فتعزيت بصحبته وصرنا لا نفترق ، ثم انتقلنا معا الى نزل - ليس احسن من الكوخ - تديره امرأة ضخمة مرهوبة الجانب فى الناحية كلها ، وقد عرضت علينا هذه السيدة ان تتوسط لنا لنحصل على الذى يسمى بالاقامة والعمل مقابل خمسة جنيهات لكل منا ، وبالفعل



وتزعمنا رجل هندى يسمى باتنا ، وكان فى صديقنا ، فقال . ان سلامتنا مرهونة باتحادنا ، فلا حكومة هنا ولا امان ، واقترح ان يشترى كل منا سلاحا .

حصلنا على هذه الاوراق ، وزال خوفنا من ان تقبض السلطات علينا. ثم تعلقت السيدة بصاحبى الباقى ، وبدأت بينهما حكاية طويلة ، واحسست ان مكانى فى النزل لم يعد مرغوبا فيه ، فبدأت ابحث عن مخرج .

ثم سمعت انه غير بعيد من كواتزاكوالكوس هذه تقوم مدينة صغيرة تسمى « سايولا » اهلة عامرة يحتاج اهلها الى سائقين، فعولت على الانتقال اليها. وكان الناس لا يسافرون الى ذلك الا قوافل فى حراسة فرق من البستوليروس (اى الضاربين بالرصاص) ، وكانت السيدة صاحبة النزل تشترك فى تنظيم هذه القوافل مقابل مال معلوم يدفعه كل مسافر ، فانضممت الى قافلة ، ووصلنا سايولا على ظهور الخيل يحيط بنا ذلك الحرس.

كانت سايولا اقرب الى مفهوم البلدان من ذلك الركن الغريب الذي كنا فيه . كانت مركزا زراعيا غنيا يسيطر عليه نفر من الاقطاعيين يتناوبون حكمه كأنهم امراء مستقلون . كان البلد يتكون من ميدان صغير تقوم فيه كنيسة الى جانبها دار الحكومة ويسمونها الكابيلدو ، وفي مواجهتهما قصران كبيران هما اشبه بالحصنين يملك احدهما حاكم البلد في تلك الايام السنيور كارلوس دييكس دي موضويه ويملك الآخر الحاكم السابق السنيور فيستي جارفيا بيريرا ، وكانا متنافسين لا يوقف القتال بينهما ، ولكل منهما جيش صغير من البستوليروس يسمونه البوزا اي الصيراوة . ويتصل بالميدان شارع طويل على جانبيه مبان متوسطة الحجم يملك نصفها هذا ونصفها ذاك ، وحول الميدان والشارع مجموعات من مساكن الاهلين ، وكلها فقير حقير ، وحول البلد من كل ناحية مزارع واسعة ممتدة يعمل فيها الهنود رقيقا .

كان سيد البلد عندما وصلنا اليها السنيور موضويا ، وكان من انصار رئيس الجمهورية اذ ذاك فرانسيسكو ماديرا ، وكان رجاله وانصاره كثيرون يسيطرون على كل شيء . وقبل وصولنا بعام كان الحكم في يد منافسه السنيور بيريرا ، وكان من انصار دكتاتور المكسيك المشهور بورفيريو دياث ، وعندما سقط بورفيريو سقط معه انصاره ، ومنهم بيريرا ، ولكن هذا الاخير كان رجلا قويا جريئا ، فلم يستطع موضويا انتزاع كل شيء من يده ، وظلت الحروب بينهما سجالا ، وما كان يمر يوم الا ولدور فيه معركة يموت من اهل البلد فيها من حان حينه . وكان من المناظر المألوفة ان تدخل عصابة مسلحة المقهى الذي كنا نجلس فيه ، وتأخذ رجلا معيه من خصومها ، وتضربه بالرصاص امام الناس ، فلا يزيد الجالسون في المقهى على النظر الى القتيل لحظة ، ثم مواصلة الحديث كأن شيئا لم يحدث .

ولم يكن قد بقي معي من النقود اذ ذاك الا نزر قليل ، فاكتريت غرفة صغيرة علقت على نافذتها لافتة تقول اني بيطار ، وبدأت اليوم ماضعل الفلاة يلجرون عليها بعدد من ارطالة الذرة الصغيرة التي يسمونها هناك بالفورنيكا ، وقطعا من الجبن او بضع بيضات . وعشت على هذا اسابيع ، وكنت

اتعجب كلما صحوت من نومي كل صباح فاجدني لا ازال على قيد الحياة .

وفي ذات يوم كنت اشرب قنجانا من القهوة في المقهى ومن حولي ناس كثيرون يشربون الخمر المكسيكي المعروف بالتكيلا اذ دخل نفر من اعوان الحاكم موضويا وسألوا عني بالاسم ، ثم اقتادوني الى دار الحكم (الكابيلدو) ، وادخلوني غرفة واسعة مظلمة وجدت فيها ستة او سبعة من امثالي ثم اغلقوا الباب وتركوني . فظلت هناك من الصباح الى المساء لا ادري فيم اتوا بي ولا ما سيجري علي . ولم يتملكني الخوف ، فالحقيقة ان حياتي كانت اذ ذاك من التفاهة والسقاط ، بحيث كنت ارحب بالموت . وكان الى جانبي رجل جبالي القرصة متخبئا بالليلي المكسيكي المعروف بالبونشو ويغطي رأسه بقبعة هائلة من الخوص ، وسمعت هناك ان صاحبنا الهندي يأخذه قد قتل ، شرحت امرا التافهة دون وعي مني ، فرفع ذلك التابع الى جواري رأسه وقال : هلا تفعل !

قلت : اصلي على صاحب في قتلوه .

فقال نكل هدوء : صل على نفسك ايضا ، فان مصيرك ليس احسن منه !

ثم مال رأسه واستند على ركبتيه تحت القبعة كما كان ، ولم يتحرك فتغير طفه الحركة طول النهار .

وقرب الغروب ، دخل جندي . وناداني ، فقمت اتبعه وانا اتشهد على نفسي ، وسار بي الى باب اوقفني عنده وقال : سينادونك فلا تتحرك من هنا

ثم مضى فجلس على الارض ، ووضع سحفته الى جواره ، واخرج شيئا اظن انه فول سوداني ومضى ياكله كله فلر .

وبعد قليل فتح الباب وامرت بالدخول ، فوجدت رجلا يلبس زيا عسكريا جالسا الى مكتب ، ومن حوله نفر من اصحابه وهم يضحكون ، وأمرني جندي على الفف مؤدبا امام « السنيور الثو تيبيه » اي مدير مالية البلد . وقد فهمت بعد ذلك ان ذلك الوكيل اصله عربي وهو الوزير . وكان هذا الرجل واسمه خافيير بلزمو اليد اليمنى للسيد موضويا . فنظر الي من وراء شاربه الضخم

وسألني عن السبب في عدم قيد اسمي في دفتر المقيمين في البلد، وقال ان عقوبة ذلك هي الاعدام، لأننا في وقت حرب واوامر السيد موفتوريا مشددة بأن كل غريب لا يقيد اسمه في سجل السكان يضرب بالرصاص في الحال . فقلت له : انني لم اعلم بأمر هذا السجل الا الساعة ، وانني مستعد لقيد اسمي فيه ، فقال بعد ان فتل شاربه :

— انت بناء ، أليس كذلك ؟

— نعم

— وتمارس المهنة دون تصريح ؟

— معي تصريح من جمعية كراتزالكواتل ..

— أرني اياه ..

فناولته الورقة التي حصلت عليها هناك ، فنظر فيها وقال : مزورة . ثم مزقها ، والقى بها على الارض ... وسادت لحظة صمت ، ثم قال واحد من الجالسين :

— لا داعي لاعدامه ، يبدو انه لا يعرف القوانين.

فقال نارمو :

— لا ادري كيف سمح السنيور موفتوريا بأمرك . دلوا له انك مهندس معماري ، فما رأيك في أن نخفف العقوبة عنك الى عشر سنوات تعملها في خدمة الحكومة دون مقابل .

— انني لست مهندسا ، انني بناء ، ويستوي عندي ان تقتلوني او تعفوني لأعمل لكم عشر سنوات او عشرين سنة .. الامر امركم ..

— لا تنكر انك مهندس ، فذلك لا يعفيك من العمل . انصرف الآن ، وعد الي هنا في الساعة الباكرة لتبدأ العمل .

وفي صباح اليوم التالي كنت عنده . كان في الغرفة وحده ، وادهشني ان وجدته في غاية من اللطف معي . دعاني الى الجلوس الى جانبه ، وقال لي :

— اسمع يا هذا ، ان السيد موفتوريا يريد ان يبني لابنه الصغير خوانيتو بيتا ، وقد بحث عن معماري فدلوه عليك ، وقد تحدثت في امرك معه ، فقال انه مستعد للعفو عنك واستطاع اتفقا

مقيمتها بالاثاث واوراق جدران مكسيكية ، [illegible] البيت

وذكرت وهو يتكلم انني انتهيت من رسوم البيت الذي بناه استيفان في الاسكندرية «القلب»

— يريد ان ابني له مثلا بيتا حديثا من اربع طوابق في كل طابق مسكنين ..

— الحقيقة انه كان يريد قصرا ، ولكن فكرتك احسن ، لانهم يستطيعون تأجيره في هذه الحالة ..

— اظن ان هذا اوفق ..

فضحك وقال :

— انت ذكي يا هذا .. تعال معي ..

واخذني الى حيث قابلنا السيد الكبير ، ففصل واصدر امره بالبدء في العمل . وخرجت في صحبة نارمو لنري الموقع ، وبعد ان عاينته اخذني جانبا وقال همسا :

— اسمع ... ان هذا العمل — يعني السيد موفتوريا — لا يهمه شيئا ، وان اعمل له كل شيء ، وابنه خوانيتو هذا طفل في السادسة من عمره ، تصور انه كان يريد ان يبني قصرا لطفل ! المهم ، سنبدأ العمل وسأصدر امرا بالعفو عنك ، واعطيك الان الاقامة ، ولي عليك شرط : هو ان توقع كل كشف حساب ارسله اليك دون مناقشة .

واومأت بالايجاب ، فقد كنت في يده يستطيع ان يفعل بي ما يريد . ولم يكن في استطاعتي ان اعارض ، فلن يكلفه الا اخراج مسدسه ، ثم قلت :

— ولكني لا املك شيئا ، النقد ليس معي ما اقتات به ولا ما ادفع به ايجار غرفتي ..

— سأعطيك كل يوم [illegible] بيزو ! كانت قيمتها وقتذاك نحو ٢٥ قرشا ! .

— اشكرك ، وسأبدأ العمل في رسم المشروع من الغد .

— اسرع بقدر ما تستطيع ، ولا تنس ما اشترطت عليك

* * *

وناولته الرسوم بعد اسبوع ، فاخذ

يتأملها واحدا واحدا ، ثم نظر الي وقال :
ألم اقل لك انك مهندس ؟ أقسم انك تخرجت من لندن أو باريس ! هذا شيء لا يعمله الا مهندس عظيم .. من الآن فصاعدا سنعمل معا . سأسجلك في الدفاتر مهندسا معماريا ، وسأكلم البادرون (أي الرئيس ويريد به السيد مرتوبيا) لكي يعينك مهندسا للبلدية .. انت مجرم عظيم ...

وفهمت ما يريد : مشروع يسقطه هو ايفليتسا وايست ، فقد كنا في ايام لا يطلب الانسان فيها شيئا بعد السلامة . واعطاني اربعين هنديا ليعملوا معي ، ومضيت الى الموقع ، واخذنا نعمل . حفرنا الارض والقينا الاساس ، واخذ البناء يعلو . كنت اسير على الرسم كأنه كتاب مقدس ، وكنت اسرع في العمل مخافة ان يطلبوا تغييرا او تعديلا فلا أستطيع ادخاله . لم يكن لي مفر الا ذلك من احد امرين : اما ان اقتل مهندسا معماريا أو يرموني بالرصاص .

وبعد شهور اربعة كنا قد وصلنا الى السقف الرابع . ومر بنا البادرون في صحبة ناردو ليتفقد العمل وسر بما رأى سرورا عظيما ، وزادوا اجري الى ١٠ بيزو كنت أحتفظ لنفسي باثنين منها ، واوزع الباقي على العمال ، لان المساكين لم يكونوا يتقاضون اجرا . كان هناك رجل معين من قبل ناردو . كان يقف طول النهار وسوطه في يده لكي يضرب به اي عامل يتهاون او يفكر في التمرد ، ووعدني مرتوبيا بأن يمنحني ٥٠٠ بيزو اذا انتهى البيت .

وانتهى البيت قبل ان يحول الحول .. لااذكر تماما كم من الاوراق وقعتها اثناء ذلك . مبالغها الوف كثيرة صارت كلها الى جيب ناردو . من بينها كشوف باجر يومي قدره ٣ بيزو لكل عامل و ٥٠ لي ، اي ١٩٠ في اليوم لم يكن يصلنا منها الا عشرة . كان لابد ان توقع خوفا من السوط الرهيب الذي يمسكه الحارس .

وتسلموا البيت في حفل كبير ، وصرفونا كما يصرف الطبع من الشعر . ولم يعطني أحد الشهادة التي وعدوا بها ، وانما اعطاني ناردو أوراق اقامة رسمية حقيقية ، ولم يعد يراني بعد ذلك . اما الهنود فبعد ان انتهى العمل اختفوا دون أن يطالبوا

شيء . حمدوا الله على النجاة من السجن وصاحبه وعدت الى حياة التجول الاولى .

★ ★ ★

ولكن اسمي ظل بين الهنود . كانوا يعيشون في محلات متواضعة حول البلد يزرعون الذرة والتيكيلا في مزارع جماعية صغيرة . كان معاشهم على مياه الآبار الملوثة وحياة الظلام ..

وفي عصر احد الايام كنت عائدا من جولة بين مزارع الهنود ، ومعي بعض ارغفة الذرة المعروفة بالتورتيا ، وبضع بيضات هي اجر عمل يوم في ثلاثة ايام . فبينما انا ادخل البلد سمعت صيحة اعقبتها صيحات ، واذا الناس تجري في اتجاه واحد كأن شيئا خطيرا وقع هناك ، فجريت معهم ، وفي اثناء الطريق عرفت ما حدث : لقد وقع خوان ـ اوخوانيتو كما يسمونه ـ الابن الوحيد للسيد مرتوبيا في بئر في مزارع ابيه في طرف البلد . كانت بئرا سيئة خطرة تهدمت حافتها وسقط الكثير من جدرانها ، وطلبوا الي اصلاحها فلم استطع ، فنصحت بأن تغطى بالخشب والحجارة مخافة ان يقع فيها احد ، ولكن الاهمال او القدر حال دون ذلك ، ذهب الصغير مع نفر من رفاقه يلعبون حولها ، ووقع المحظور .

ووصلت الى المكان فاذا جمع غفير حول الحافة ، ودفعت الناس حتى انتهيت اليها ، هناك كان السيد مرتوبيا بنفسه والى جانبه ناردو وام الغلام السيدة ايفليتسا وقس القرية الاب اجناسيو ، وكانوا جميعا يصرخون كالمعاتيه ويستغيثون من يستطيع ان ينزل ليخرج الغلام ، ولم يتحرك احد ، لان البئر في الحقيقة كانت مخوفة ، وكان السيد مرتوبيا يبكي ويصرخ ويرفع يديه الى الى السماء ويصيح ! الآن عرفت الله ! ثم قال :

ـ انني اعطي ١٠٠٠ بيزو لمن ينزل ويأتي بالغلام ..

وكان قريبه السيد بيريرا قد حضر فقال له :

ـ اخرجها من جيبك واعطها الاب اجناسيو قبل ان يغامر احد بحياته .. انني أعرفك .. وبسرعة البرق اخرج ناردو ربطة كبيرة وناولها للأب وقال : هذه فيها اكثر من الف .. وحاول رجل أن ينزل ولكنه عاد مسرعا ، وتبعه ثان وثالث .. وصرخت السيدة ايفليتسا قائلة .



— انني اعطي البيت الذي بنيناه لن ياسي ماسي

وانفتحت الوجوه دهشة ، ولكن احدا لم يتحرك ، وقال بيرو للسيد موشوريا : اكتب وثيقة بذلك وسلمها للاب اجناسيو

ومضوا يبحثون عن ورق وقلم . كنت انظر جامدا .. سبح فكري الى مزرعة الخواجة في مصر وطفرت صورة سلامة امام عيني .. الآن استطيع ان انقذه ! الغلام الذي غرق في مصر استطيع ان انقذه هنا .. كانت مني اشواقي كلها فتقدمت وقلت انني سآتي بالغلام ، فاسرع بيرو وقال : ايها الاب اجناسيو : البيت ملك لهذا الرجل اذا اتانا بالغلام .

هز الاب رأسه مؤمنا ، واقسمت السيدة اميليا على ذلك ..

وثبت قطعة من الحديد على فوهة البئر ، وربطت حبلي ، وعلقت قنديل الابار على صدري ، وقلت : سأجذب الحبل مرتين كل بضع دقائق ليعلموا انني على قيد الحياة ، واذا وجدت الغلام جذبت الحبل عشر مرات

وما زلت انزل على مهل . بعد نحو ثلاثة امتار انتهت البطانة الحجرية الا من قطع هنا وهناك . وبعد امتار اخرى وجدت فتحة النفق تنحرف الى اليسار ، وهذا كثير في الابار ، وهو علامة سيئة . وشيئا فشيئا اخذ الظلام يسود ، وتلاشت اصوات الناس على سطح الارض ، وعندما صرت على نحو ١٥ مترا نظرت الى اسفل وصرخت : خوانيتو ! خوانيتو ! فلم اسمع شيئا ، فنزلت نحو خمسة امتار وناديت ، ثم وقفت اصغي . واذا بصوت الغلام يجيء خافتا ضعيفا يستنجد بابيه وامه : بابا بيدرو .. ماما بيبو !

ودق قلبي سريعا ، وهتفت : سلامة ! ومضيت انحدر مسرعا حتى وصلت الى جزء من الجدار كان لا يزال مبطنا بالحجر ، فرسخت قدما في اليمين ، واخرى في اليسار ، وناديت : خوان ! خوانيتو !

صعد صوت الصبي وهو يشرق بالدمع : بابا بيدرو .. ماما بيبو !

ونزلت في حذر بالغ حتى استقرت قدمي على المصطبة ، ونظرت على ضوء القنديل ، فاذا الغلام ملقى عليها ، نصفه الاسفل في الماء .. كما كان سلامة ! ورفعته في رفق ، ووضعته على عاتقي وطلبت اليه ان يمسك برأسي ، ولم اكن بحاجة الى ذلك . فقد احاطت ذراعاه بعنقي في عنف حتى كاد يخنقني ، ثم جذبت الحبل عشر مرات . ومن العمق الذي كنت فيه ، تراءت الى سمعي اصوات الناس تردد جماعة : واحد ... اثنان .. ثلاثة ... حتى اذا صعدوا العشرة انطلقت صرخة فرح هزت كياني هزا ...

وبدأت اصعد في حذر فقد كنت احاذر ان يقع الغلام ، خاصة وقد احسست انه وقد اطمأن ، ودفأ جسمه على جسمي ، استرخت يداه وثقلت رأسه على رأسي ، ونام ! فكان لا بد ان ارفع يدا واضعها خلف ظهره ، واكتفي بيد واحدة للصعود ، كنت اصعد شبرا في ممر طويل ، وتسلخت يدي وسال دما على ذراعي فابدلتها باليد الاخرى ، ومضيت اصعد واصعد معتمدا على قدمي وذراع واحدة ، وسقط القنديل واصبحت في ظلام دامس ، ولكني مضيت : اضع رجلا في العطف حتى اذا تأكدت من ان موضعها ثابت رفعت الاخرى ، وتشبثت بالحبل وجذبته لاصعد خطوة ... وهكذا ..

ووصلت الى قرب الحافة ، وسمعت الاصوات، حتى اذا صار رأسي والغلام على مستوى الارض التقفت الام واختطفت ابنها فاضطرب توازني وكدت اسقط في القاع ! ولكني تشبثت وصعدت ، ثم جذبني الناس وزلت بينهم لا ادري عما اسمع شيئا .. كان رأسي يدور وجسمي يتهالك ضعفا ، وهجم عليّ السيد موفتوبا يحتضنني بينما كانت دموعي تملأ عيني : لقد انقذت سلامه ! بعد اربع سنوات عشت به حيا !!

ومد الاب اجناسيو يده بوثيقة البيت وقال :

ــ بوركت يا ابني وبورك الله بيتك ... بيتك بنيته ، وهو الآن لك !

فنظرت اليه كأنني افيق من حلم ، وتناولت الوثيقة ، ونظرت الى السيد موفتوبا فاذا به يرمقني بنظرة احترام وشكر عميقين ووجهه كله يضحك ، وقال :

ــ نعم .. البيت لك ، وكل ما تريده ... ومن الآن انت مهندس البلد ... و ...

فقاطعته وقلت وانا انظر اليه والى غريمه بيبرا ..

ــ هذا البيت بنيته لفرانشيتو .. ولفرانشيتو سيظل .. كل ما اريده أن تتصافحا ايها الرجلان وتنسيا ما بينكما ... الآن تريان عبث الدنيا .. في لحظة كان من الممكن ان تفقد اعز ما لديك في الوجود يا سيد موفتوبا ، وانت ايضا يا سيد بيبرا من الممكن ان يحدث لك ذلك واسوا ..فن الناس معك في شقاء ، فما ضركما لو تركتما الظلم والحقد والعداوة وعشتما في خير معا !!

ونظر اليهما الاب اجناسيو وقال :

ــ صدق هذا العربي .. آن لكما ان تعودا الى الرشد والاحسان .. نحن معكما في ذلك ، وقد ذلل الله واحدا منكما كما تريان .. فماذا تنتظران !

ولم اصدق نفسي عندما رأيت العاتيين يعانق احدهما الآخر .

وقال الاب اجناسيو :

ــ الآن اتمنيا لماني على ان ما بينكما قد انتهى ، وانتما اليوم اخوان صافيا القلب تبارككما الكنيسة ..

وعدنا بعدها .. وساد صمت ، بينما كان الاب يقرأ صلاة ..

وهممت ان امزق الوثيقة ، ولكن موفتوبا صاح :

ــ لا ، والله لا تمزقها ... البيت لك وهو مبلل في حلقه ..

وقال بيبرا ..

ــ وانا اعطيك ضيعة ، فرونشوسب ، لمن الله ، والشهد ايها الاب .

وصاح موفتوبا : اكتب وثيقة بذلك .. التي اعرفه ا..

فقال الاب اجناسيو وهو يضحك :

ــ عدت الى طبعك يا موفتوبا ..

وضحك الجميع وانطلقوا ...

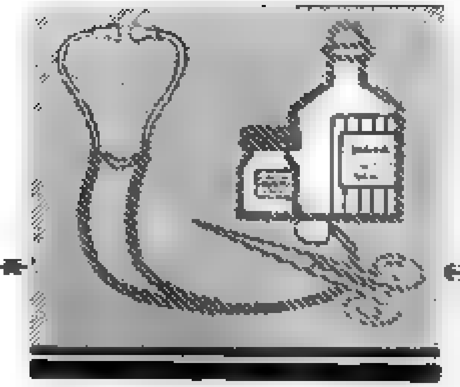
★ ★ ★

اقاموا ليلتها حفلا عظيما في الكابيلدو (دار الحكومة) ، وجلست في مكان الشرف بين موفتوبا وبيبرا .. وبينما كان الناس يرقصون ويغنون ، سبح خيالي الى بلدي وملأ قلبي الفرح . لقد صالحت نفسي واديت دين امي وانقذت سلامة ! اصبحت غنيا ووضعت يدي على اول خطوة من خطوات السعادة والوفرة التي انعم بها الآن ...

لم اعد الى بلدي لان الله اعطاني بلدا آخر ، وكل مكان ينبت الخير طيب ، وعندما اعود بنفسي عبر نصف قرن مضى ، واسرح الطرف في حدائقي وبساتيني ومزارعي ، واتأمل اولادي وقد كبروا وتزوجوا ، وملأ اولادهم عليّ بيوتي .. عندما اجلس في شرفة قصري المعشب الى نفسي وارسل النظر عبر الخضرة وسيح خاطري عبر السنين تنهل الدموع من عيني ، واصلي في صمت للخالق سبحانه ... خلق رجلا في مصر ، ورزقه في الفسيح ، واسكنه ظلما في مصر ، واحيا مثله على بعد منه يبلغ عشرة الآف كيلومتر ...

حسين مؤنس

طبيب الأسرة



التطعيم ضد الجدري والرجل كهل ، هل فيه خطر ؟

ـ هل التطعيم ضد الجدري ضروري ؟ إني قد زاد عمري على الخمسين سنة ، ولم اصب بالجدري قط . ونصح هنا بعض اصدقائي بالتطعيم ضده لأني ذاهب في عمل ابعد فيه احتمال عدوى . فهل التطعيم بعد هذه السن خطر ؟

● اما ضرورة التطعيم فأمر معروف . ولعلك تسأل ذلك لعلمك ان الجدري لا يصيب الناس في هذه الأيام ولكنك تنسى انه لا يصيبهم بسبب انهم طعّموا وقاء من الجدري وهم صغار . فانت تعيش في محيط آمن من هذا الداء القديم اللعين بسبب الذي كان ، والذي هو كائن وقائم دائما ، من تطعيم .

ولعل من اجل هذا انك لم تصب بالجدري بعد لنظافة محيط انت تعيش فيه . اعني نظافته من هذا الداء .

والصبية تطعم اول مرة وهم صغار . والقاعدة تجري على ضرورة التطعيم بعد كل سبع سنين . الا اذا مر انسان بالوباء او باحتماله ، وعندئذ يجب التطعيم على الفور .

وسنك ، وانت في الخمسين ، لا تمنعك من تطعيم . كل الذي قد سوف تجده ان ردّ الفعل عندك يحتمل ان يكون اشد منه عند الصبيه ، لانك تطعم به لاول مرة . ولا خطر من ذلك ما دام ان التطعيم يجري تحت ظروف مطهّرة .

هل ضعف البصر يورث ؟

ـ لي ابن صغير لا يزيد عمره على خمس سنين . وانا ابوه ذو بصر ضعيف حملني على ان البس النظارة في صغري من وقت مبكر . فهل في الامكان ان يرث ولدي ضعف بصري ؟ والآن استعد لارساله للطبيب في سن مبكرة كما فعلوا بي في صغري ؟

● ان في عيون الآباء نقائص ، بعضها يورث وبعضها لا يورث . وضعف البصر الذي عند الوالد ليس من الضروري ان يرثه الابن . وبما ان الضعف له اسباب شتى ، فقد وجب ان تعرض ابنك على طبيب العيون ، وهو الذي يستطيع ان يقول لك في هذا الصدد قولا قاطعا .

قدماي تورمتا

ـ انا عملي يقتضيني ان أسافر طويلاً ، وان أسافر بعيداً ، وسواء في سيارة ، او في سكة حديد ، اجد ان كعوبي تتورم . فما سبب ذلك وما علاجه ؟

● سببه ظاهر : قلة الحركة او انعدامها ساعات طويلة تختل فيها الدورة الدموية . ينزل الدم الى الاقدام ، ثم يتباطأ في الصعود ، فتتورم الكعوب .

ولقد قرأت قريباً لطبيب فسيولوجي معروف انه سافر من أوروبا الى الى استراليا سفراً طويلاً ، تورم فيه كعباه . وشاقه الفضول العلمي الى ان ينظر الى كعوب الرجال ، ليعلم هل تورمت ، فلم يستطع رؤيتها ، لأنها مغطاة واضطر ان ينظر الى اقدام النساء ، لا تعرلا ، ولكن تعلما ، وبالقدر الذي رأى منها ، رآها قد تورمت .

ان السفر الطويل ، في المقعد الضيق ، لا يسمح للرجل برفع رجليه ليساعد الدورة الدموية على الجريان .

وكان من صاحبنا العالم الفسيولوجي ، وهو عائد من سفرته الطويلة ، ان ظل يحرك قدميه والكعبين بقدر المستطاع ، وان يقبض عضلات رجليه وفخذيه حيناً بعد حين ، ثم يرخيها ، وذلك ليسهل على الدم جريانه . وقد نجحت محاولته هذه ، ولم تتورم قدماه .

فعليك بهذه يا صاحبي .

ثم ان الحركة في الطائرة عسيرة نوعاً ما ، ولكن في السكة الحديدية تستطيع ان تقوم من مقعدك الى الطرقة . والسيارات تقف ، فانتهز من موقفها فرصة للمشي والنط والرقص اذا شئت . انفض جسمك نفضاً كلما استطعت فالجسم انما خلق للحركة والسكون ، متعاقبان بمقدار .

في امعائي

ـ قال لي الطبيب ان في امعائي الغلاظ تشنجاً . واخافتني الكلمة ، فسألت فعلمت انه التقبض . ولكني اعرف ان التشنج يحدث عند الصرع ...!

● في اللغة تشنج الجلد اي تقبض وتقلص .

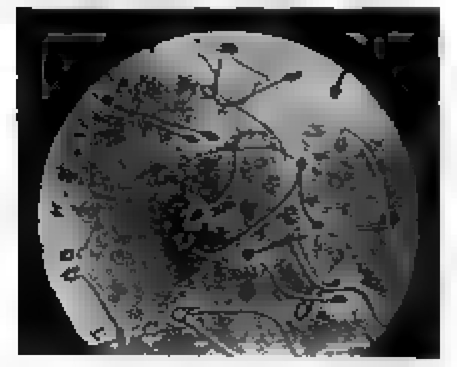
وهو كذلك في الطب ، ويقابلها بالانجليزية لفظ Spasm .

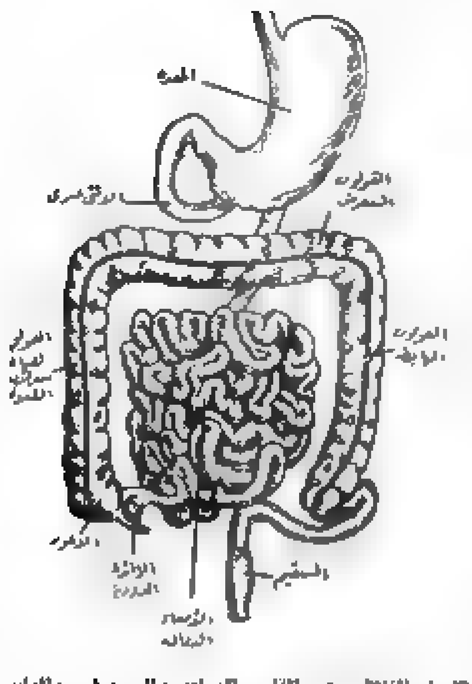
وهو في الطب تقبض العضلة أو العضلات من دون ارادة صاحبها ، ويصحبه في العادة الم يضعف او يشتد . وكل عضلة في الجسم يجوز عليها هذا التشنج ، هذا التقبض . وهو قد يحدث في عضلات الاطراف كالرجلين واليدين Cramp . وهو قد يحدث في عضلات اي تجويف في الاحشاء كالبطن والمصران ، ويسمى ذلك مغصاً Colic . وقد يحدث في عضلات القلب في الذبحة الصدرية Angina Pectoris فيكون مؤلماً وغاية في الخطورة في آن .

اما التشنج الذي قال الطبيب انه في امعائك الغلاظ ، فهو تقبض حائط هذه الامعاء ، ومعه اما احساس بغير ارتياح ، او احساس بالم شديد Spasm .

شخصية الرجل القوي ، هل تأتي بالبنين دون البنات ؟

ـ يقول اصدقاء لي ان خلقة الذكر او الانثى ترجع الى ما في الابوين من شخصية ، فالشخصية الاقوى هي التي تغلب . فان كانت شخصية الاب هي





الامعاء الغلاظ وهي القولون الصاعد والمستعرض والهابط

الغلاظ تشنج

وسببه عصبي غالبا ، وهو أكثر وقوعا في النساء ، ولا سيما في الذين واللاتي يعيشون في المدن ، مع قلة في الرياضة ، وكثرة من الهموم والقلق، وكثرة التدخين، وسوء استخدام المسهلات ضد الامساك . كل هذه اشياء تؤدي الى تشنج الامعاء .

والتشنج شيء ليس من السهل تشخيصه . ويعين على ظهوره الأشعة السينية ، على شرط أن تؤخذ صورها والتشنج قائم . ولكن مما يؤسف له ان التشنج كثيرا ما يذهب عن صاحبه او صاحبته عند باب حجرة الاشعة السينية .

والعلاج يقتضي اولا طمأنة المريض طمأنة كاملة بأن مرضه لا يتصل بمرض السرطان من قريب أو بعيد ، وشرح الداء له بالتفصيل حتى يقتنع . والقلق من اي سبب يجب محوه . والرياضة لا بد من ممارستها على قدر الطاقة . وعادة الطعام والافراغ لا بد من توقيتها واصلاحها . والراحة من بعد طعام ، وكذا الاسترخاء ، لا بد منهما .

ويمكن وصف المسكنات من العقاقير، ولكن لفترات قصيرة .

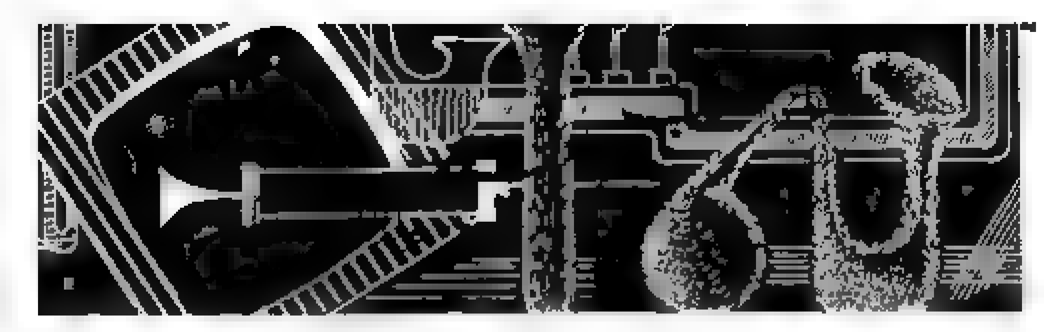
وحسبك أن اقول ان الذي يصاب بالصرع، تصحب نوبات صرعه تقلصات في عضلات جسمه ليتخشب . ومن اجل ذلك اصابك الخوف يا سيدي عندما سمعت ان امعائك تتشنج ، وهو تشنج ليس بالصرع .

الاقوى تجاه الاولاد ذكورا . وان كانت شخصية الام هي الاقوى تجاه الاولاد اناثا . وان تعادلت الشخصيتان كان الاولاد خليطا من ذكور واناث . فهل هذا رأي يصح ولو في اكثر الامور . فقد راجعت عددا من الاسر التي اعرف فوجدته ينطبق على كثير منها ؟

● لا . لا صحة في الذي تقول مع الأسف الشديد . الشخصية ، وهي معنى في حديث الجنس غاية في الابهام ، لا علاقة لها بانجاب الذكور أو انجاب الاناث . وأنت تستطيع أن تضع اي نظرية ، وتروح تجربها فيمن تعرف من الاسر ، وتستطيع أن تجد في هذه الاسر ما يوافقك على الخروج بنتائج تؤكد نظريتك . لأن النظرية تقوم عندك اولا .

ثم انت تأخذ في تفتيش ما يؤدي اليها عند هذه الاسر ، وتتغافل عما لا يؤدي اليها ، بالطبع غير واع . وهذا هو المنطق الذي يسمونه بالتراجع .

لا . أن الشيء الوحيد الذي يحدد نوع الولد هو الحيوان المنوي الذي يسبق الى بويضة المرأة فيلقحها . ان بويضة المرأة تقبل أن تنتج متمطى الذكر ، او تلقح متمطي الانثى . والذي يعطيها الذكر او الانثى انما هو الحيوان المنوي الذي يأتي من الرجل وهو نوعان . حيوان منوي به الكروموسوم س، فهذا اذا لقح البويضة خرجت من ذلك الانثى . ثم حيوان منوي به كروموسوم ص، فهذا اذا لقح البويضة خرج من ذلك الذكر . وهذا حديث في «العربي» معاد .

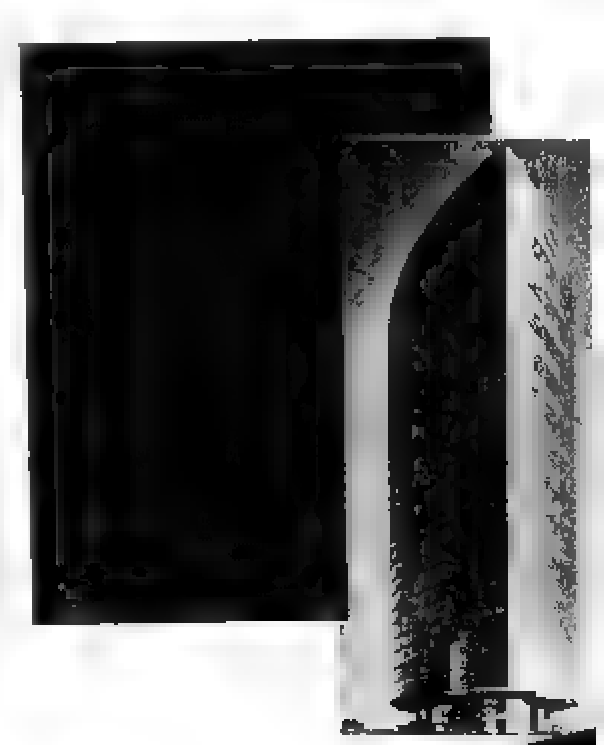


ثلاجات في أحضان الطبيعة

تحفظ فيها الأطعمة متجمدة كما في الثلاجات الصناعية!

● تقرر الحكومة السوفيتية أن تتخذ من كل موقع لائق من مواقع الأرض، في المنطقة المتجمدة الشمالية، ثلاجة طبيعية تحفظ فيها الأطعمة والأقوات. ذلك أن الحافر الأرض إلى عمق لا يزيد كثيرا على ٢٠ سنتيمترا، في بقاع كثيرة من تلك المناطق، يجد صخرا باردا متجمدا كالثلج، يمكن أن تحفر فيه مخازن تحفظ الأطعمة تتجمد فيها كما تتجمد في الثلاجات الصناعية أو أشد تجمدا. والحكومة السوفيتية تقوم الآن بالتجربة الأولى. فإن صحت النتائج المترتبة على ذلك، فلن ينتهي هذا العام حتى تكون للحكومة الروسية في الاتحاد ٢٣٥ مخزنا: ثلاجات قائمة في أحضان الطبيعة.

إن الطبيعة، حتى التي ظاهرها غير الخير، بها منافع لا يجنيها إلا ذوو الحيلة والأبصار النيرة.

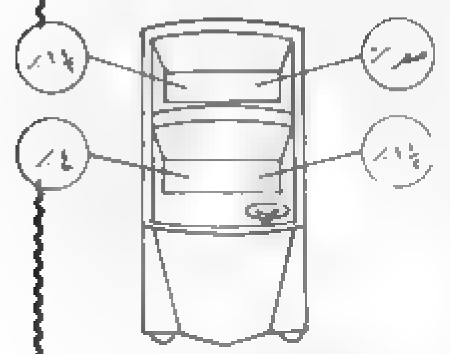


اليابان والفضاء

● تنوي الحكومة اليابانية هذا العام أن تنشئ مركزا عاما لعلوم الفضاء، تكون مهمته صناعة الصواريخ والتوابع وإرسالها إلى الفضاء. وهم يقترحون أن يبدأوا بالعمل بالاشتراك مع مؤسسة الفضاء الأمريكية ناسا Nasa

اخطر مكان فى السيارة هو الجلوس بجوار السائق

.. واسلم مكان هو الجلوس خلف السائق



● دل الاحصاء على ان اسلم مكان فى السيارة هو الذى يقع وراء السائق، وان اكثر مكان خطرا هو الذى يقع الى جانب السائق . ان الحوادث الذى احصيت تفيد أن الموت يصيب السائق بنسبة ٥ر١ فى المائه من الحوادث ويصيب جاره بنسبة ٤ فى المائه ، والراكب الذى وراءه بنسبة صفر فى المائة ، والراكب فى مقعد الوراء الى يمين السائق بنسبة ٥ر١ فى المائة .

ومعنى ذلك ان الرجل الذى يسوق السيارة ، ويضع زوجته الى جواره ، يعرضها لخطر أكثر من ضعف ما يعرض هو نفسه للخطر .

عندما تمسك الطبيعة بريشة الرسام

● انها عندئذ تبحر ، فى أكثر من موقف ، وفى أكثر من موضع من مواضع الكون ..

وموضوعنا الآن موضوع الثلوج التى تهطل حيث يبرد الجو فى شمال الارض . ان هذه الثلوج تنزل على الشجر ، وقد خلا شتاء من ورقه ، فهو فى لون الرماد ، فتكسوه زواقا من صنع اهل عبقر . وينظر العالم فى هذه الثلوج فيكشف فيها عن ملايين من البلورات . انها من ماء ، ولكنها تجمدت فخرجت اشكالا بلورية عجبا ، لا تتطابق منها اثنان . وفى الصورة ترى مصداق ما نقول .



أغاريد الطيور تختلف لغات ، ولهجات

● هذه الأرض تنتشر على سطحها من الحيوانات أجناس : الإنسان ، القردة ، الخيل ، الذئاب ، الطير .

والإنسان وحده هو بينها الناطق ، وهو صاحب اللغات . والحيوانات تنطق ، أي تخرج منها الأصوات . فهل هذه الأصوات لغات ؟

وكان الطير أسهل عند العلماء بحث لغة .

واجتمع علماء الطير Ornithologists في مؤتمر لهم قريب ، وتدارسوا من بحوث الطير ما تدارسوا .

وأدلى الدكتور إدوارد ارمسترنج ، من جامعة كمبردج ، ببحثه . وسمع منه أن أحصى علماء الطير أدانا ، وسمهم الدكتور ارمسترنج ، لم يجدوا فرقا ظاهرا بين تغريدة تغردها طائر من جنس ما ، منتشر في بقاع الأرض ، وآخر مثله يغردها في شمال الأرض أو جنوبها ، أو في شرقها أو غربها . فالعصفور يغرد تغريدتها في إنجلترا ، هي هي ، كما يحسن أداءهم تغريدتها في أقصى الجنوب من الأرض .

ثم يدخل جهاز التسجيل . إنه يسجل الأصوات ، ويرسمها ، ويعيدها سريعة الأداء ، أو بطيئة الأداء .

المنتحرون ليسوا أغبى الناس !

● هكذا قال الدكتور جلاس دارلنج ، الطبيب النفساني ، في خطاب ألقاه أمام الرابطة الأمريكية لعلم النفس . قال إن البحاث في جامعة كرنول كشفوا عن أن الطلبة الذين يميلون إلى الانتحار هم أكثر الطلبة احتمالا لنيل درجات عالية في الامتحانات .

وقال إنه ليس معنى هذا أن كل طالب نال في الامتحانات درجات عالية هو طالب يميل إلى الانتحار .

وحاول البحاث أن يكشفوا عن الحوافز التي تحفز المنتحرين إلى قتل



باختلاف البـلاد ..!

والاجهزة الالكترونية التي ابتدعها الانسان ادق كثيرا من احاسيس الانسان .

وقد اتضح من هذه الاجهزة ان ما ظنه الانسان شيئا واحدا من الاغاريد ، لم يكن كذلك ، وان الطير لهجات تختلف باختلاف البلاد .

واتضح ان «الجملة» التغريدية ، ينطق بها الطير ، تختلف من اخرى ، وان الجملة ذات الصورة الواحدة ، يكررها الطائر . فلا بد انه يكررها في الظرف الواحد ، يعني بها المعنى الواحد ، ويطلب بها الطلب الواحد ، لا سيما بين الاثنين ، الذكر والانثى .

واتضح كذلك ان صوت الطير كصوت الانسان ، متعدد النغمات عند النغمة ، وعاليها عند النغمة ، لا سيما في الغناء . ومن نغمات الطير النغمة المرتفعة التردد ، فهي قد تبلغ ترددها في الهواء ، قد يبلغ ارتفاع ذبذبته الى ٤٠٠٠ ذبذبة او ٥٠٠٠ او ٦٠٠٠ في الثانية الواحدة فما فوقها . والكمان يصل الى ٣٠٠٠ ذبذبة ، والبيان يصل الى ٤٠٠٠ ذبذبة .

وهذا هذا فاذن الطير أحدّ مرات عشرا من اذن الانسان ، وفي هذا النطاق الصوتي هي تستطيع ان تدرك من الفروق ما لا تدركه اذن الانسان ، تلك الفروق التي قد تصنع بين الطير اللغات ، وتصنع اللهجات .

النفس ، فخرجوا من ذلك البحث على اربعة حوافز .

١ — يرغب الطالب في محو نفسه لانه لم يعد يحتمل الفرق الكبير بين ما يريده لنفسه ، وبين ما يجد في واقعه .

٢ — يرى الطالب ان سبب فشله يعود الى شخص بعينه ، او اشخاص بعينهم ، ويرى في الانتحار عقوبة لهذا الشخص او هؤلاء الاشخاص اذ يثير عندهم الاسف والندم على ما فعلوا او قصدوا عندما يعلمون بانتحاره .

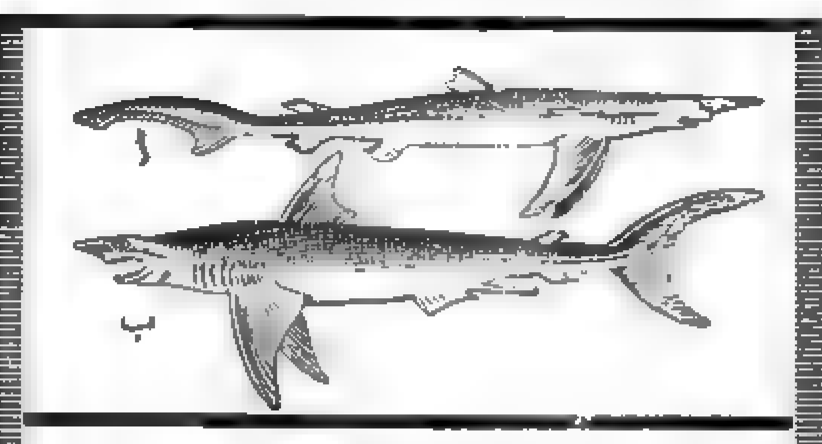
٣ — يأتي الطالب خطيئة كبرى ، تتحرك بالندم على ضميره ، فلا يجد مخلصا الا الفرار بالانتحار .

٤ — يصبح الطالب بسبب من الاسباب في حالة ذعر ، ويصرخ ابحثوني ، ثم لا يجد النجدة ، فيجد في الانتحار مخلصا .

وينصح الدكتور في حالة هؤلاء الطلبة ، اذا تبين عندهم شيء من ذلك ، بان تعطيهم الجامعة اجازة يبتعدون فيها على الاقل عما قد يكون في وسط الجامعة من ضيق .

الكوكب عطارد به الايدروجين وثاني اكسيد الكربون

● هذا الكوكب هو أقرب الكواكب الى الشمس . وقد كان المظنون أنه لا جو له . ولكن كشف العالم الفلكي الروسي كوزيريف منذ قريب ، في طيفه ، ما دل على وجود عنصر الأيدروجين به ، وكشف صاحبه ، وهو عالم روسي آخر ، عن وجود غاز الكربونيك أي ثاني أكسيد الكربون



قرش ، لا كالقروش

يقصم شباكا مصنوعة من سلك الفولاذ !

● ليس من لا يعرف ما القرش . انه سمك البحر الشرس الخطر ، الذي اذا صادف رجلا في الماء قصم رجله أو ذراعه . وقد حدث أخيرا أن قرشا ذكرا ، وقع في شبكة خاصة ، مصنوعة من سلك من الفولاذ ، قطره ١١ مليمترا ، استطاع أن يقصم الشبك بأسنانه ويهرب .

انه قرش لا كالقروش .

والعجب في قروش البحر ، أو كلاب البحر كما يسميها العامي ، وهي بالانجليزية Sharks وبالفرنسية Requins) أن بها نوعا ، هو أكبرها حجما ، يطول حتى يبلغ ١٥ مترا ، ويثقل حتى يبلغ ٨ أطنان وزنا ، فأنيابه الشرسة عدة ، وهو اذا أكل ، يغتذي مما يجده في ماء البحر من غذاء ، ذلك المعروف باللانكتون ، أي الهائمات ، ويتألف من حيوانات غاية في الصغر ومن نباتات .



مؤسس دولة بني العباس

بقلم : الدكتور محمود السمرة

■ كثيرة هي الاقلام التي تناولت أبا جعفر المنصور ، ثاني خلفاء بني العباس ، بالدراسة والتحليل . وهي اقلام قديمة وحديثة ، عربية واجنبية (١) .

والآراء في أبي جعفر كثيرة كثرة ما كتب عنه ، ومتضاربة تضارب ما يروى عنه من قصص ، وما يعزى اليه من آراء . ولكن هذه الروايات ، مهما تضاربت ، لا تستطيع أن تنكر أنه كان رجل

---

(١) من الغربيين الذين كتبوا عن أبي جعفر المنصور : مللر Muller ، وميور Muir وولدكه Noldeke ، وبروكس Brooks ولسترانج Le Strange ؛ وتوماس آرنولد Arnold ، وبالمر Palmer

دولة من الطراز الاول ، وانه هو الذي ارسى دعائم الدولة العباسية على اسس متينة كان لها الفضل في الازدهار الذي حققته هذه الدولة .

والدكتور عبد الجبار الجومرد ، مؤلف هذا الكتاب الذي نقدمه « داهية العرب ابو جعفر المنصور محقق لماقد احداثها . وقد حاول المؤلف ان قدم للمكتبة العربية دراسات قيمة عن « هرون الرشيد » و « يزيد بن مزيد الشيباني » و « الاصمعي » . وهذا الكتاب الجديد فيه ما في كتب المؤلف السالفة الذكر من استيعاب للمصادر ، وافاضة في السرد . وهو في ستة فصول وخاتمة .

وتاريخ الفترة التاريخية التي عاشها ابو جعفر المنصور معقد لماقد احداثها . وقد حاول المؤلف ان يجلو الغامض ، ويفسر المبهم ، فنجح في هذا الى حد بعيد . ونحن هنا لا نحب ان نتدخل في هذه الاحداث ، ونؤثر ان نعرض الاسباب التي اوردها المؤلف والتي جعلت من ابي جعفر المنصور حاكما من الطراز الاول .

صورته ومظهره

ولعله من المفيد ان نبدأ بوصف مظهره حتى نرسم له في اذهاننا صورة واضحة . وصفه احد معاصريه فقال « رايته اسمر رقيق السمرة ، نحيفا طويل القامة ، موفر اللمة ، معرق الوجه ، خفيف العارضين ، رقيق اللحية ، اقنى الانف بين القنى ، ادعج العينين كأنهما لسانان ناطقان . تخالطه ابهة الاملاك بزي النساك ، تقبله القلوب ، وتتبعه العيون ، يعرف الشرف في تواضعه ، والعتق في مشيته » .

غزا الشيب راس ابي جعفر في سن مبكرة ، لطول ما عاناه الدهر ، فكان يخضب شعره بالزعفران . ويضع على راسه عمامة سوداء من الخز الشامي الثمين . وكان في صوته بحة تزيد تاثيره في السامعين ، مع فصاحة لهجة ، وعذوبة بيان . يتحلى شاربه ، ويطيل لحيته قليلا ، كما هي السنة .

وكان بين حياته الخاصة وحياته العامة تناقض في المظهر : فهو في بيته واحد من الزهاد ، فاذا خرج الى الناس ظهر بابهة الملوك ، وعظمة كبار السلاطين . ويروى عنه انه عندما تم بناء قصره « باب الذهب » بمدينة السلام ، واكتملت زينته وابهته ، استدعى احد البنائين ، وامره ببناء بيت صغير منعزل عن القاعات والمقاصير ، واثثه باثاث متواضع رخيص ، وجعله سكنا له ، وكان يحيا فيه حياة الزهاد .

شجاعته واقدامه

تجمع كل الروايات ، وهي التي تناقضت في اخباره ، على انه كان شجاعا مقداما ، ولا نجد اية رواية تقول عكس هذا . حاصر يزيد بن هبيرة ، رجل الخليفة الاموي مروان ، في واسط ، وهي المحصنة تحصينا شديدا ، فما انفك عنها حتى احتلها . ولعل خير شهادة هي التي تصدر عن الاعداء ، فقد وصفه يزيد بن هبيرة هذا ، وهو القائد الهمام ، فقال : « ما رايت رجلا قط في حرب ، ولا سمعت به في سلم ، امكر ولا ابرع ، ولا اشد تيقظا من المنصور . لقد حصرني في مدينة واسط وما في راسي شعرة بيضاء ، فخرجت اليه وما في راسي سوداء ... » .

ومعاركه مع الثائرين العرب في ارض الجزيرة الفراتية ، ايام اخيه السفاح ، تشهد له بذلك ايضا . فقد استسلم له الثائرون مع قائدهم الهمام اسحاق بن مسلم العقيلي ، واسحاق هذا هو الذي يقول في ابي جعفر : « قد والله سبرته ولمست عوده ، فوجدته خشنا ، وغمزته فوجدته صلبا ، وذقته فوجدته مرا » .

ولا شك ان الطريقة التي قضى بها على ابي مسلم الخراساني تدل على شجاعة خارقة ، قد تصل الى درجة التهور : استدعاه الى المدائن وليس حوله سوى نفر قليل من رجاله ، ومع ابي مسلم ثلاثة آلاف فارس اقسموا له الولاء حتى عبده بعضهم ، ومع هذا اقدم على الفتك به ، ثم القى اليهم براسه . وفي هذا يقول له الفرج ابن فضالة : « يا امير المؤمنين ، ان عبد الملك ابن مروان كان محاطا باثني عشر الفا من جنده ومواليه

حين قتل خصمه في قصره ، وقتلت أنت أبا مسلم وأنت في خرق من الارض ، وكل من حولك له ، ومنه ، واليه ! »[1].

ورأينا أبا جعفر في الهاشمية وقد خرج عليه الراوندية ، وأحاطوا بقصره يريدون قتله ، فركب فرسه ، وخرج اليهم محاربا ، وليس معه غير افراد من خدمه. وكاد ينقضى عليه لولا أن قيض الله له معن بن زائدة ، فارس بنى شيبان . ثم رأيناه في ثورة العلويين في جنوب العراق يتصدى لهم في جند قليل دون أن يضعف أو يهن ، حتى وصفه أحدهم فقال : « ان حشو ثياب هذا العباسى لشجاعة ، ومكر ، ودهاء » .

حزمه وعدله

والحزم والعدل صفتان بارزتان في أبى جعفر المنصور ، وقد بلغ من حزمه أن أمر ولاة البريد في الآفاق كلها بأن يكتبوا له بسعر كل مأكول ، وبكل ما يقضى به القاضى في نواحيهم ، وبما يعمل الوالى ، وبما يرد الى بيت المال ، وبكل ما يحدث عندهم . فاذا وردت كتبهم نظر فيها ، فاذا رأى ارتفاعا في الأسعار سأل عن سبب ذلك وحاول أن يزيل العلة . وان هو شك في شىء من تصرفات القضاة والولاة كتب اليهم بذلك .

وهذه الرواية الطريفة تدلنا على مبلغ عدل أبى جعفر المنصور . قال المنصور يوما لجلاسه . « ما أحوجنى الى أن يكون على بابى أربعة نفر ، هم أركان الملك لا يصلح الا بهم ، كما لا يصلح السرير الا بأربع قوائم . قالوا : من هم يا أمير المؤمنين ؟ فقال . قاض لا تأخذه في الله لومة لائم ، وصاحب شرطة ينصف الضعيف من القوى ، وصاحب خراج يستقصى ولا يظلم الرعية فانى عن ظلمها لغنى ، والرابع — ثم عض على اصبعه السبابة ثلاث مرات ، يقول في كل مرة « آه » — قالوا . من هو ؟ قال . صاحب بريد يكتب بخبر هؤلاء على الصحة » .

وكان حبه للعدل يدفعه الى الانصاف حتى من نفسه[1] « قدم مرة الى المدينة وقاضيها محمد ابن عمران الطلحى ، فاشتكى الجمالون الى القاضى أن الخليفة لم يدفع لهم عليهم كاملا مقابل أتعابهم . فقال القاضى لكاتبه : اكتب لأمير المؤمنين بالحضور أمامى . فخاف الكاتب عاقبة ذلك وامتنع ، فلم يفعله . فكتب الكتاب ثم ختمه . فقال القاضى : لم توصله بيدك . ففعل . وأقبل أبو جعفر الى مجلس الحكم ومعه وزيره الربيع ابن يونس ، فلم يقم لهما القاضى ، ولم يحيا بمقدومهما ، بل حل رداءه واحتبى به . ثم دعا بالخصوم ، وسألهم أن يبينوا أثبات حقهم ، ففعلوا ، فقضى لهم على الخليفة فلما فرغ ، قال له المنصور . « جزاك الله عن دينك أحسن الجزاء ، قد أمرت لك بعشرة آلاف دينار » .

وكان حبه للعدل أيضا يدفعه الى تقدير حتى الأعداء من عظماء الرجال : « فقد روى عنه أنه قال يوما لبعض جلسائه : أخبرونى عن صقر قريش من هو ؟ قالوا : أمير المؤمنين ، الذى فعل كذا وكذا. قال : لا . قالوا : فمعاوية . قال : ولا هذا . قالوا . عبد الملك بن مروان . قال : ولا هذا . قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبد الرحمن ابن معاوية (الداخل) الذى عبر البحر ، وقطع القفر ، ودخل مغربا بلدا أعجميا (الأندلس) ، فمصر الأمصار ، وجند الأجناد ، ودون الدواوين ، وأقام ملكا بعد انقطاعه ، بحسن تدبيره ، وشدة شكيمه .. » .

رجاحة عقله

وكان دقيق الملاحظة سريع البديهة ، مع ذكاء لماح . لا يغضب من كلمة الحق اذا قيلت بصدق نية . يستعين على قضاء حوائجه بالكتمان ، وهو من امارات العقل الراجح . والقصص التى تروى عنه في هذا كثيرة .

ومن جميل ما يروى عن سرعة بديهته أنه صعد المنبر يوما ، فقال : « الحمد لله ، وأومن به ، وأتوكل عليه » ، فقاطعه رجل من السامعين قائلا : « ونحن نذكرك بمن ذكرت به » . فقطع المنصور خطبته وقال : « مرحبا مرحبا ، لقد ذكرت جليلا ، وخوفت عظيما ، وأعوذ بالله أن أكون ممن اذا قيل له : اتق الله أخذته العزة بالاثم . والموعظة

منا بدت ، ومن عندنا خرجت . يا قائلها ، احلف بالله ، ما الله أردت بها ، وإنما أردت أن يقال : قام فتكلم فقطع فخولف فصبر . ويلك فإن الله غافرها . وإياكم معشر الناس وأمثالها ! » . ثم أردف قائلاً : « وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ... ثم مضى في خطابه وكأنه يقرأه من قرطاس .

دينه وعبادته

وكان المنصور مؤمنا عميق الإيمان ، مؤديا لشعائر الدين ، غيورا عليه ، كثير الصلاة ، كثير الحج ، لا يشرب النبيذ ، ولا يرضى بالحرام ، ووصفه الطبري فقال : « كان إذا مضى الثلث الثاني من الليل ، قام من فراشه ، فأسبغ وضوءه ، ووقف في محرابه حتى يطلع الفجر ، ثم يخرج فيصلي بالناس » . وكان يكثر من ذكر الله في أحاديثه وخطبه ، ويعنى برواية الحديث .

ومرد هذا الإيمان العميق إلى عاملين : أولهما تربيته في بيت ورع وتقوى على يد جده علي ابن عبد الله بن عباس الملقب بالسجاد لكثرة سجوده ، وثانيهما صلته القوية برجال الفكر الإسلامي ، من أمثال الزاهد المعتزلي عمرو بن عبيد ، والقاضي الفقيه ابن أبي ليلى .

وإلى جانب تدينه العميق ، كان رجل دنيا ناجحا في دنياه . ولعل اجتماع هذين النقيضين في شخصه : حب الدنيا ، وطلب الآخرة ، هما اللذان أوجدا هذا التوازن الناجح في حكمه ، لأن حب الدنيا وحده يقود الحاكم إلى الطغيان ، وحب الآخرة وحده لا يصلح لسياسة دولة كدولة أبي جعفر المنصور .

ومن طريف ما يروى من صلته بالزاهد المعتزلي عمرو بن عبيد ، أن هذا الزاهد كان يتهرب منه بعد أن أفضت الخلافة إليه ، وكان المنصور يشتاق إلى مجالسته والتحدث معه ، رغم أنه كان جريئا في حديثه معه ، شديدا في نقده لأعماله . قيل إن المنصور دعاه مرة إلى مجلسه ، فدخل عليه ، وانتقده ، ووعظه حتى أبكاه . فقال بعضهم : يا أبا عثمان ، أبكيت أمير المؤمنين ! قال : وماذا عليه أن يبكي من خشية الله ! فأمر له المنصور بمال فرفضه ، وقال : لا حاجة لي به ، فحلف المنصور أن يأخذه ، وحلف عمرو أن لا يأخذه ، فقالوا : أيحلف أمير المؤمنين وتحلف أنت ! قال : لأن يحنث أمير المؤمنين أيسر من أن أحنث أنا ، لأنه أقدر على الكفارة مني . ثم قام ، فقال له المنصور : يا أبا عثمان ، هل من حاجة فأقضيها لك ؟ قال : نعم ، لا تبعث إلي حتى آتيك ، ولا تعطني حتى أسألك . قال المنصور : إذن والله لا نلتقي ! قال : عن حاجتي سألتني . فلما خرج عمرو من عنده ، أنشد المنصور :

كلكم يمشي رُوَيْدْ
كلكم طالب صيدْ
غيرَ عمرو بن عُبَيْدْ

فذهبت مثلا .

ولما توفي عمرو بن عبيد (عام ١٤٤هـ) ، وتوفي بعده القاضي عبد الرحمن ابن أبي ليلى ، قال المنصور : ما بقي أحد يستحى منه .

بلاغته وأدبه وعلمه

وكان المنصور أديبا ، وخطيبا مفوها ، حافظا لأشعار العرب . وكان هو نفسه شاعرا مجيدا رغم قلة ما روي عنه . وأخباره مع الشعراء المجيدين تدل على حسن ذوقه وفهمه للشعر ، ومقدرته على معرفة غثه من سمينه .

يروى أن ابن أخيه عيسى بن موسى العباسي أرسل إليه يحذره مغبة قتل أبي مسلم ، وكان قد أدرك أن المنصور عازم على ذلك ، وكان من جملة ما كتب له في الرقعة هذا البيت :

إذا كنت ذا رأي فلا تعجلنْ به
فإن فساد الرأي أن تتعجلا

فرد إليه المنصور الرقعة بعد أن كتب عليها من شعره :

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة
فإن فساد الرأي أن تترددا

ولا تهمل الأعداء يوما بقدرة
وبادرهم أن يملكوا مثلها غدا

وفوق هذا فان المنصور كان ينتهز الفرص فيكتب ، ويدون ، ويؤلف ، على الرغم من مشاغله الكثيرة . ويروى ابن خلدون والطبري ان المنصور كتب في أخبار الناس ، وفي شؤون السياسة وغيرها من العلوم ، سبعة مجلدات ، وكراسة صغيرة ، تركها بعده لابنه المهدي يستفيد منها ، ويهتدي بآرائها . وشهد له الجاحظ فقال فيه :

« كان المنصور مقدما في علم الكلام ، ومكثرا من كتابة الآثار ... » .

بخله واقتصاده

ومن القضايا التي وقف عندها المؤرخون وافاضوا بخل المنصور ، حتى انهم سموه « الدوانيقي » او « ابو الدوانق » لأنه كان يحاسب عماله على الدرهم والدانق .

يقول ابن الأثير : حاسب المنصور قواده الذين أشرفوا على بناء مدينة السلام (بغداد) عشية فراغهم منها ، فألزم كلا منهم ما بقي عنده فأخذه ، حتى ان خالد بن الصلت بقي عليه خمسة عشر درهما فحبسه وأخذها منه .

ويروى الطبري انه ولى رجلا عملا في ناحية ، فأتاه ودخل عليه ، وقدم له الحساب ، وقام ليتصرف ، فأراد المنصور معرفة امانته ، فقال له : أشركتك في أمانتي ، ووليتك فيئا من فيء المسلمين ، فخنته !! قال : أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ، ما صحبني من ذلك الا درهم في كمي ، صررته لكي اشتري به بغلا يوصلني عيالي ، فادخل بيتي وليس معي شيء من مال الله ولا مالك . فقال المنصور : ما أظنك الا صادقا ، هلم درهمنا !.

ومن يقرأ مثل هذه الأخبار يرى المنصور بخيلا الى أبعد غايات البخل ، وخاصة انه صاحب دولة تمتد من السند الى أقصى بلاد المغرب ، وكان في بيت ماله ما يزيد على « الثمانمائة الف الف درهم » حسب تقدير بعض المصادر . وقد وضع الدكتور الجومرد تفسيرا طيبا لاقتصاد أبي جعفر المنصور فقال : « ان هذه الأخبار التي أوردنا بعضها هنا ، لها ظروف خاصة . كما ان تصرفاته البخيلة أهدافا أبعد مما تتصور : يرمي ببعضها الى ردع عمال الدولة عن ان يتصرفوا بالأموال التي في أيديهم ، او افهام من يحن من الشعراء الى كرم الأمويين ، بأنهم كانوا يبذرون أموال المسلمين بأعطياتهم السخية . او افهام من يعمل لمصلحة الدولة ان أموال خزينة المسلمين يجب ان لا تكون نهبا للمصلحين والتزلفين لشخص الخليفة او أفراد أهل بيته وأخيرا اعطاء درس لولي العهد وغيره ممن سيتحمل المسؤولية ، بوجوب عدم التبذير وإضاعة الأموال في غير محلها ... ولو تتبعنا ما نعى من أخباره لوجدناه يجود بالمال عند الضرورة الى حد يمكن ان يقال عنه كريما ، ويسخو بالبذل عند الحاجة في تجهيز الجيوش وحرب الأعداء ، حتى كأنه لا يحسب للمال حسابا ... ونستطيع القول ان أبا جعفر لم يكن بخيلا كما يريد البعض ان يصفه ، ولا كريما متلافا شأن الكثير من الخلفاء ، ولكنه بين بين ، أميل الى الاقتصاد منه الى البخل والتبذير ... وربما كان هذا اللون من التدبير والاقتصاد لتجمع المال صفة من صفات معظم مؤسسي الدول ، وبناة الممالك ، الا من علمت هؤلاء اختزان الأموال لغير الطوارىء . وقد ترك المنصور وراءه خزانة عامرة لراحت خلفه المهدي ، وجعلته ينفق من سعة ولا يخشى املاقا » .

ولعل أحسن ما جاء في وصفه في هذا المقام ما قاله المسعودي فيه : « كان يعطي الجزيل والخطير ، ما كان اعطاؤه حزما ، ويمنع الحقير اليسير ما كان اعطاؤه تضييعا » .

لله دره !

هذا هو المنصور موطد أركان دولة بني العباس ، وباني بغداد . شخصية فذة خلفت الخلود وليس .

ولما اشتدت به آلام معدته حتى لم يعد يستطيع ان يهضم طعامه الا بدواء يستعين به على الهضم ، وشعر ان أجله قد اقترب ، قال : « أي

ولدت في شهر ذي الحجة ، ووليت الخلافة في ذي الحجة ، وأحس في نفسي أني أموت في ذي الحجة ، هذه السنة » . ولذلك قرر السفر الى مكة ليموت ويدفن فيها ، وأوعز الى وزيره الربيع ابن يونس أن يهيء الركب ، ويعد له وسائل الراحة والأمن ، وأوصى ابنه المهدي بوصية مسهورة جاء فيها : « احكم بالعدل ولا تشطط ... وإياك والأثرة والتبذير لأموال الرعية ... وإياك وتأخير عمل اليوم الى الغد ... واتخذ رجلا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ، ورجلا بالنهار لمعرفة ما يكون بالليل ... وباشر الأمور بنفسك ، ولا تضجر ولا تكسل ... » ثم ودعه وبكى كل واحد منهما .

ووصل الركب مكة ، وفي هدأة الفجر من ليلة السبت ، في السادس من شهر ذي الحجة عام ١٥٨ هـ ، خرجت روحه الى بارئها ، بعد أن عاش ثلاثا وستين سنة وحكم اثنين وعشرين عاما . وبهذا انتهت حياة جد ملوك بني العباس ، ومؤسس دولتهم التي دامت بعد موته نحوا من خمسمائة سنة (١٥٨ ــ ٦٥٦ هـ) ، والتي حكم فيها بعده خمسة وثلاثون خليفة كلهم من أبنائه وأحفاده . وكان قبل وفاته بيوم قد خط على رقعة هذه الأبيات ، يرثي بها نفسه :

المرء يأمل أن يعيش وطول عمر قد يضره
تبلى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره
وتخونه الأيام حتى لا يرى شيئا يسره
كم شامت بي إن هلكت ، وقائل : لله دره !

لله دره أبا جعفر !

محمود السمره

من الكتب التي وصلتنا

مختارات

سليم أيوب ـ بغداد

● يتضمن هذا الكتاب مقالات في الأدب والاجتماع والسياسة ، كتبها المؤلف خلال سبع سنوات .

الحمى الصفراء

بول دي كروف وسدني هوارد ـ ترجمة حازم علي فوده ـ فرانكلين ومكتبة الأنجلو المصرية

● مسرحية تاريخية تصور تلاقي جماعة من العلماء في مقاومة الحمى الصفراء في كوبا والكشف عن ميكروبها ، حتى يمكن أن يستخلص منه مصل يحقن الناعة لمن يتعرضون للاصابة بها .

تاريخ الاشتراكية الأوروبية

إيلي هاليفي ـ ترجمة الدكتور جمال الأتاسي ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي ـ دمشق

● كتاب قام بإنشائه مجموعة من أصدقاء إيلي هاليفي وتلامذته بالاعتماد على المذكرات التي أخذت عن دروسه ، وقدم له ريمون آرون .

الصواريخ والأقمار الصناعية

المهندس وجيه السمان ـ وزارة الثقافة والارشاد القومي بدمشق

● « يعالج هذا الكتاب موضوع فتح الفضاء على يد الانسان . ويعرض شتى الوسائل التي استعملها العلماء والمهندسون للوصول الى الفضاء ويعدد المحاولات التي كان نصيبها الفشل الى أن تكللت المساعي بالنجاح في هذه الأعوام الأخيرة » .

آفاق العلم

لين بول ، ترجمة الدكتور سيد رمضان هدارة ، فرانكلين ومكتبة النهضة المصرية .

● كتاب حرص فيه مؤلفه على أن يقص قصصا علمية ، وكل قصة تشرح كيف أن العلماء حاولوا استكناه أسرار الطبيعة .

فصول في الأدب والنقد

مرهون عبد اللطيف ، البصرة .

● كتب فيه ، الأدب والفن ، عوامل التذوق الفني .

كرستوفر كولمبوس

موريسون ، ترجمة لسروري قبلاوي ، فرانكلين ودار مكتبة الحياة ، بيروت

● يروي المؤلف حياة كولمبوس في واحد وعشرين فصلا . ومن هذه الفصول يبدو لنا كولمبوس شخصية مثيرة تبعث على الإعجاب ، الى جانب كونه مكتشفا حقق أعظم وأهم اكتشاف جغرافي سجله تاريخ الانسانية .

أرض السحر

شفيق جبري ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، دمشق

● خواطر وذكريات سجلها المؤلف عن رحلتين قام بهما الى الولايات المتحدة الأمريكية .

نداء الثائر

أكرم مرقات ، دار الفكر الحديث ، القاهرة .

● ديوان شعر فيه : نداء الثائر ، مولد فجر ، وقفة خلف الحدود ، صرخة الأمل ...

زهر الربى

ميخائيل خليل الله ويردي ، المطبعة الهاشمية بدمشق .

● ديوان شعر من قصائده : يافا ، المصير ، صوت سورية ، ذكرى المتنبي ...

تاريخ جبل نابلس والبلقاء — الجزء الأول

احسان النمر ، مطبعة ابن زيدون بدمشق .

● من فصول الكتاب : العرب في سوريا ، نظام الحكم العثماني ، الفوارق وعوامل الفتن ، الفتن والثورات ، جبل نابلس في أول الفتح الاسلامي ، النهضة العلمية الأولى ، الأمراء الوطنيون ، الحكام الغرباء ...

أبو المحاسن

سلمان هادي الطعمة ، كربلاء .

● بحث أدبي يعتمد على أوثق المصادر عن شاعر الثورة العراقية المرحوم الحاج محمد حسن أبو المحاسن الكربلائي . وكان الشاعر وزيرا للمعارف في العراق .

منتصف مارس

ثورنتون وايلدر ، ترجمة أحمد قاسم جودة ، مؤسسة فرنكلين ومكتبة النهضة المصرية .

● هذه رواية تعد من أروع القصص التاريخي أسلوبا وفنا وموضوعا . وقد اختار لها المؤلف قالب الوثائق ، والرسائل المتبادلة بين أبطال الرواية ، ومعظمهم إن لم يكونوا جميعا ، من ألمع الأسماء في التاريخ الروماني ، فمنهم : يوليوس قيصر ، وشيشرون ، وكليوباطرة ، ومارك انطوني ...

هل ينقذنا العلم ؟

لندبرغ ، ترجمة الدكتور أمين أحمد الشريف ، مؤسسة فرنكلين ودار اليقظة العربية ، بيروت .

● في هذا الكتاب : هل يمكن للعلم حل المشكلات الاجتماعية ؟ التحول نحو العلم في العلاقات البشرية . التربية في عصر العلم ...

الأمثال العامية في نجد

محمد العبودي ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة .

● يشتمل على ألف مثل مرتبة على الحروف. ■■



المستشرقون لم يفتروا ، ولكن هذا ما قاله المفسرون

● كلنا نعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ابنة عمته السيدة زينب بنت جحش، حفيدة عبد المطلب بن هاشم ، وسيدة أسرة عبد شمس ، بعد أن كانت زوجة لمولاه ومتبناه ، زيد بن حارثة ، وأنه صلوات الله عليه تزوجها بأمر السماء ووحي من الله كما ورد في سورة الأحزاب، لإبطال ما كان سائداً آنذاك من حقوق التبني والادعاء . لكن بعض المستشرقين قد أمعن في سرد حوادث هذه القصة وجعل منها قصة غرام طويل وأضفى عليها من أساطير الخيال ما لا يتفق وجلال النبوة ، وما عرف عن خلق الرسول الكريم.

فما هو السبيل لدحض هذه المفتريات التي نكررها ذلك النفر من المستشرقين والمبشرين بدافع الخصومة القديمة المتأصلة في نفوسهم منذ الحروب الصليبية ؟

عبد القادر الكيلاني ـ الزرقاء ـ الأردن

ـ يظهر أن السيد الكيلاني لم يقرأ ما ورد في كتب التفسير عن قصة زواج الرسول الكريم بالسيدة زينب بنت جحش . ولو أنه فعل لرأى أن المستشرقين الذين عرضوا لهذه القصة لم يأتوا بجديد من عندهم ، وبالتالي لم يفتروا ولم يختلقوا .

يقولون إن حب زينب قد وقع في قلب الرسول عندما رآها حاسرة في بيت زوجها ، فقال : « سبحان مصرف القلوب ! » ، وأنه قاوم عاطفته نحوها إلى أن طلقها زيد فتزوجها ..

وليس في هذه الرواية شيء جديد .

روى الطبري بسند مرفوع إلى محمد بن يحيى ابن حبان ، أن الرسول افتقد زيداً فقصد إلى منزله يطلبه ، فهرعت زينب تستقبله ، وقد أعجلتها اللهفة عن استكمال لباسها للقاء الرسول ، فقالت : « ليس هو هنا يا رسول الله . فادخل بأبي أنت وأمي ! » ..

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

مجنون ليلى وقيس لبنى

● استمعت إلى الحلقات المذاعة من إذاعة الكويت عن قصة قيس ولبنى ، وقد لاحظت أن المؤلف كان يسمي البطلة حيناً ليلى وحيناً لبنى ، وأن القصة تروي لنا أن قيساً تزوج لبنى ثم طلقها كرهاً . والمشهور أن قيساً « مجنون ليلى » لم يتزوج ليلى !!

فما هو سبب هذا التضارب ؟

ابراهيم حسين الفيلي
معهد الإحصاء الفني

ـ قيس لبنى ، غير قيس ليلى ...
أولهما قيس بن ذريح ، والآخر قيس بن الملوح .
أولهما صاحب لبنى ، وثانيهما صاحب ليلى العامرية وهو المشهور بمجنون ليلى .
وليس في الحلقات التي سمعتها من إذاعة الكويت أي تضارب ، لكن الأمر قد اختلط عليك بين القيسين .

● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ● ●

هجر زوجك لك لا يبرر خيانتك

● تركني زوجي منذ أكثر من خمس سنوات .. حتى كلامه لي أصبح قليلا .. ومع أني أحب أولادي وأكرس وقتي لخدمتهم وتربيتهم إلا أني أحس بحاجتي إلى رجل يعطيني الحب والحنان والعطف ، خصوصا وأنا ما زلت دون الأربعين ، أي في السن التي تبلغ المرأة فيها ذروة نضجها الجنسي ...

ترى هل أكون آثمة إذا ما أحببت رجلا آخر ، حب بريء ، ما دام هذا حال زوجي معي من الهجر والإهمال !

أم أظل محافظة على طهارتي مع ما في ذلك من قضاء على شبابي ! وقتل لعواطفي وخروج على سنة الطبيعة البشرية !!

الحائرة : زهرة ... الموصل

ـ هل تظنين أن امرأة متزوجة ، في ذروة الشباب تستطيع أن تحب رجلا غير زوجها ، حبا طاهرا شريفا !!

أنت لا ريب معذورة في أن تفكري مثل هذا التفكير . لكن هلا فكرت قبل ذلك في الأسباب التي حملت زوجك على هجرك وإهمالك ؟

ألا يجوز أن يكون هو الآخر معذورا في الاتجاه إلى هجرك والبعد عنك ؟

أليس من الجائز أن يكون قد لاحظ أن حبك لأولادك قد طغى على حبك لزوجك وصرفك عن رعايته والقيام بحقوقه كزوجة مخلصة تحب زوجها وترى في سعادته سعادتها .

عليك أن تفكري في الأمر مليا ، وأن تتعرفي أسباب انصراف زوجك عنك وإهماله إياك ، فإن كانت ترجع إلى تصرفاتك أنت ، فبادري إلى إزالتها كي تستردي عطفه ومحبته، وإن كانت في حياته امرأة أخرى فحاولي أن تستردية منها بحسن سياستك .

أما إذا كان رجلا لا خير فيه ولا أمل في عودته ، فليس خيرا من الطلاق ، ولن تعدمي إليه الوسيلة ، وسوف يرزقك الله كلا من سعته .

أما أن تفكري في أن تتصلي برجل آخر ، متذرعة بما تلقين من هجر زوجك لك ، فشيء يأباه الشرف والدين والفضيلة ، وسيعود عليك وعلى أولادك بأوخم العواقب .

وفي رواية أخرى أوردها الطبري وأيده جمهور من المفسرين أن الرسول جاء يطلب زيدا وعلى باب زينب ستر من شَعَر ، فرفعت الريح الستر ، فانكشف عنها وهي في حجرتها حاسرة ، فوقع إعجابها في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأنها دعته إلى الدخول فأبى ، وولى وهو يهمهم بكلمات ميزت فيها قوله « سبحان الله العظيم .. سبحان الله مصرف القلوب » ..

وأخذ الرواية معظم المفسرين ، وعلى رأسهم الزمخشري الذي أسهب في تفسير ما نزل من السماء من آيات في حق زينب وزواجها من زيد أولا ، ثم من النبي (ص) ثانيا ، وخاصة في تفسير قوله تعالى لرسوله الكريم « وتخفي في نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » ..

فالمستشرقون الذين أشرت إليهم في كتابك أيها الأخ لم يأتوا بشيء من عندهم ، ولعلهم استندوا في ما كتبوا إلى ما سبقهم إليه المفسرون .

وقد عرض المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل في مؤلفه حياة محمد لما ذكر المستشرقون عن هذه القصة وأنكرها عليهم إنكارا شديدا وقال : « ويكفي لهدم كل القصة من أساسها أن تعلم أن زينب هي ابنة عمة رسول الله ، وأنها ربيت بعينه وعنايته ، وأنه كان يعرفها ويعرف أهي ذات مفاتن أم لا قبل أن تتزوج زيدا ، وأنه شهدها في نموها تحبو من الطفولة إلى الصبا إلى الشباب ، وأنه هو الذي خطبها على زيد مولاه » .

واستطرد الدكتور هيكل يقول :

اذا عرفت ذلك تداعت امام نظرة كل تلك الخيالات والاقاصيص، من أنه مر ببيت زيد فرأى زينب فبهره حسنها وقال «سبحان مقلب القلوب» او انه لما فتح باب زيد عبث الهواء بالستار على غرفة زينب ، فالفاها في قميصها ، وكانها « معالم ربكاتبه » !!

ويؤكد الدكتور هيكل في ختام تفنيده لهذه القصة ان لزواج الرسول من زينب لم يدفع اليه ميل ولا عاطفة ، وانما اراد ان يأتمر بحكم الله فيما ابطل من الحقوق المقررة للتبني والادعاء ، لم اشفق مما يمكن ان يقول الناس في خرقه لعادة لديهم قديمة متاصلة ، فلم يرض الله له ان يخفي في نفسه ما الله مبديه ، ويخشى الناس والله احق ان يخشاه ، وان الخصومة القديمة المتاصلة في نفوس المستشرقين والمبشرين منذ الحروب الصليبية هي التي املت عليهم ما كتبوا وجعلتهم يعجبون على التاريخ،ويلتمسون الضعف الروايات فيه مما دس عليه ونسب اليه .

وسواءاصحت رواية المفسرين ام لم تصح ، وسواء أكان رأي الدكتور هيكل هو الصواب ام لم يكن ، فليس في قصة زواج الرسول الكريم من السيدة زينب ما يتنافى وجلال النبوة ، بل هي على العكس تضرب لنا مثلا اعلى لما اتصف به الرسول من سمو خلق وعفة ضمير ، اذ اشاح بوجهه عمن أعجبته وهو يسبح باسم الله العظيم مقلب القلوب ، فقد كانت قبل زواجها بزيد لتهبها نفسه ولا تريدها ، ولو ارادتها لخطبها لنفسه ، بدلا من ان يزوجها زيدا وهي واهلها كارهون ، حتى لقد قالت يومئذ فيما قالت : « لا اتزوجه ابدا وانا سيدة ابناء عبد شمس » ، لولا ان نزل فيهما قرآن ، ليتم للرسول ما اراد من تحطيم الفوارق بين الطبقات ، كما تم بزواج الرسول منها بعد ذلك ما اراد الله من نقض عادة التبني والادعاء .

والله أعلم ..

كليلة ودمنة

● من هو بيدبا مؤلف كتاب كليلة ودمنة ؟

وما هو سبب تأليفه هذا الكتاب حيث اني لم اعثر في النسخة العربية على ذلك السبب ؟

بنغازي — صالح محمود

ـ كتاب كليلة ودمنة ماخوذ من كتاب هندي باللغة السنسكريتية يسمى « بنج تنترا Panchtantra » وضعه فيلسوف هندي يدعى « وشنوشرما Vishnusharma » لا « بيدبا » كما في كتاب كليلة ودمنة .

اما سبب تأليفه ، كما هو مذكور في مقدمة « بنج تنترا » فهو ان احد ملوك الهند كان حكيما عاقلا بصيرا بشؤون الحياة ، نابغا في مختلف الفنون ، وكان له ثلاثة أبناء في الغفلة والبلادة فعهد الى وشنو شرما ان يعلمهم ويبصرهم بأمور الدنيا ويشحذ اذهانهم ويجعل منهم عقلاء حكماء، فالف هذا الكتاب ، معتمدا على بعض الحكايات التي تضمنتها الكتب الهندية القديمة ، مثل « ريما » و « مهابهارتا » وغيرهما .

« الصلبة » بين العرب والصليبين

● ندرس في المدرسة « جغرافية الاجتماعي البشرية » ومن ضمنها الاجناس البشرية في دولة الكويت ، ومن ضمن الجماعات التي يقال انها تسكن ارضنا العربية « الصلب » ولقد قيل لنا انها من اصل عربي .. فهل هذا صحيح ؟؟

ارجو ان اجد عندكم الشرح الوافي عن جماعة الصلب هذه ، وان يكون في اقرب وقت ممكن ؛ فالامتحانات كما تعلمون قد باتت على الابواب .

طليلة الضاحكة ـ رابعة ادبي

ثانوية البنات

ـ يقول الانثربولوجي « كارلتون كون » في كتابه « القافلة » أن « الصلبة » أو « الصلب »

الالوان : لا وجود لها !!

● امس لا نعتقد بوجود الالوان ، بل هي شيء وهمي تصوره لنا الاعين ان احمر او اصفر او اخضر الخ

و بسبب [illegible] هو ان كل جسم معرض للضوء بطريقة مباشرة او غير مباشرة يبعث باشعة ، وهذه الاشعة تجعلنا نتصور ان لهذا الجسم لونا . وبسبب اعتقادي هذا [illegible] هناك اجسام اذا مزجت [illegible] بلون جديد لا [illegible] له بالالوان السابقة . وهناك تجربة قام بها بعض الاساتذة ، تمزج جسمين لونهما ابيض فتحصل [illegible] لونه احمر [illegible] فمن اين جاء هذا اللون ؟ [illegible] ابيض اللون مع انه لم [illegible]

التمس منكم ان تفيدوني عما اذا كان قولي خطأ ام صوابا

ابراهيم محمد ابراهيم
لبنان - بنت جبيل

ـ الالوان لا وجود لها ، بمعنى ، الا في المخ . تقع امواج الضوء المختلفة على شبكة العين ، فتنقلها الى المخ ، والمخ يحسها حمراء او زرقاء او خضراء . وتقع الامواج الضوئية المختلفة على الشبكية معا ، فيجد المخ لها معنى آخر غير معنى الموجتين المنفردتين اذا وقعتا منفردتين على الشبكية . وليس احد يدري كيف يصنع المخ ذلك . اما ان تخلط مادة بيضاء بمادة بيضاء اخرى فتحصل منهما على جسم ذي لون احمر ، فالذي حدث ان وقع بين الجسمين تفاعل كيماوي احدث جسما جديدا ، لا هو بالجسم الابيض الاول ، ولا هو بالجسم الابيض الثاني ، هو جسم جديد لونه احمر . اما ان الماء لا لون له والثلج لونه ابيض ، فسبب ذلك ان الماء شفاف فهو يأذن للاشعة البيضاء ان تمر فيه فلا تنعكس على العين ، اما الثلج ، لا سيما المسحوق ، فيعكس الضوء وهو ابيض ، فتراه العين .

هي احدى الفئات العربية الخارجة من الطبقات الارستقراطية ، والتي يرفض العرب ذوو النسب الاصيل التزاوج مع افرادها ، مثلها في ذلك مثل طبقة الصناع والعبيد . وان الصلبة ينتمون الى جماعة عنصرية صغيرة تعيش جماعات متنقلة ، تتكون كل منها من عائلة او عائلتين في مضرب يقوم بتربية الجمال . وهم يركبون الحمير ويضربون خياما صغيرة في اطراف المضارب البدوية . ويشتغلون ادلاء في الصحراء ، ويحسنون الصيد ، وهم ايضا مداحون يتسكعون قرب البدو ، ويجيدون اشغال الخشب والسروج والاشغال الجلدية ، ويرقص نساؤهم امام العامة ويغنين من محترفي الدعارة .

وهناك قول يزعم بانه حينما يتجمع البدو في الصيف بالقرب من الآبار وضفاف المياه ، يهرب الصلابيه في الصحراء المكشوفة حيث يرتوون من آبار وينابيع سرية لا يعرفها سواهم ، ويسرحون ويمرحون .

ويعتقد كثير من العرب بان هؤلاء من بقايا الصليبيين ، لان بعضهم شقر ، غير ان الانثروبولوجي لا يجد فرقا بينهم وبين اقدم سكان الصحراء .

الخوارج غير الصابئة

● أرجو منكم بيان هذا السؤال بالنيابة عن نفسي وعن زملائي ، اذ اختلفنا حول أصل الخوارج ، فمن يكونون ؟ ولماذا سموا بالخوارج ؟ وفي أي الأقطار يعيشون ؟ وهل هم مسلمون .. أم أنهم ممن صبأ عن الاسلام ؟

اسماعيل الشريف ـ طرابلس

ـ الخوارج غير الصابئة .. انهم احدى الفرق الاسلامية ، بل هم أقدم الفرق الاسلامية وأولها ظهورا ، وان كانوا أقلها عددا وأقصرها عمرا ..

لا تختلف عقائدهم في العبادات عن عقيدة أهل السنة الذين كانت تتألف منهم جماعة المسلمين في عهد الرسول، وفي عهد أبي بكر وعمر من بعده، اذ لم يكن المسلمون قد تفرقوا بعد الى ما نعرف وما لا نعرف من فرق ومذاهب وطوائف يحارب بعضها بعضا أو ينكر بعضها آراء بعض .

وكان بدء حركة الخوارج عام ٦٥٧ م يوم تخلى عن علي بن أبي طالب اثنا عشر ألفا من جنوده اثناء معركة صفين على اثر ما ثار من خلاف حول الخلافة ، اذ ذهب جماعة الى انه ليس فرضا على المسلمين أن يختاروا خليفة عليهم من قريش . بل ذهب بعضهم الى انه لا ضرورة لوجود خليفة أصلا .. وكان هذا سببا في أن تخلوا عن علي وفقدوا ثقتهم به وخرجوا عليه ، فسموا « الخوارج » .

وفي عام ٦٥٨ م قتل معظمهم وتفرقت فلولهم بعد معركة « النهروان » بينهم وبين علي .

ولم يبق في زماننا هذا من الخوارج الا قلة ضئيلة تعيش في عمان وزنجبار وفي بعض مواقع معزولة في شمال افريقيا مثل واحة غرداية وجزيرة جربة ، وأهل هذين الموضعين من بقايا البربر ، ويتكلمون اللغة الزنانية .

صارحي أمك فورا ـ ولا تكتمي عنها الحقيقة

● أنا فتاة في الخامسة عشرة ، عذراء ، غير متزوجة ، ومع ذلك فمنذ شهر بدأت أشعر بانتفاخ في بطني ما يزال يتزايد بعد أسبوع ، كأعراض الحمل . وقد سألت بعض صديقاتي فقلن ان هذا الانتفاخ قد يكون أعراض مرض لا نعرفه . وقالت احداهن : انه ربما كان من أعراض الحمل ! ولذا فانا في شدة الخوف من ذلك ، علما بأنه ليس لي صديق ، وبأن جسمي نظيف لم يمسه أحد . وأخشى أن تشعر أمي بذلك .. فماذا أعمل ؟!

نواحظ . ع . ـ حلب

ـ اذا كنت واثقة من أنك عذراء ، فلماذا تخافين من أمك ؟ ولماذا تكتمين الأمر عن أمك ؟

ان حديثك عن حجم التدرين ينم عن تخوفك من أن يكون هناك شيء مريب !

وسواء أكان هذا الانتفاخ عن حمل أو عن مرض ، فلا بد أولا وقبل كل شيء من مصارحة والدتك بالأمر ، وأن لا تخفي عنها الحقيقة .. كاملة .. فهي الانسان الوحيد الذي يستطيع أن يأخذ بيدك في محنتك ان كانت هناك محنة .

مكتبة طرابلس

● المقال النفيس الذي كتبه الدكتور عبدالعظيم منتصر في العدد ٢١ من « العربي » عن مكتبة بيت الحكمة في بغداد ودار الحكمة في القاهرة جعلنا نتذكر مكتبة ثالثة لا تقل عن هاتين المكتبتين فيما احتوته من كتب وفيما بثته من معرفة وفيما خلفته من أثر ، هذه المكتبة هي مكتبة بني عمار في طرابلس الشام .

ولا بد قبل التعريف بهذه المكتبة من التعريف ببني عمار الذين أنشأوها وقاموا عليها ، تعريفا موجزا تتسع له هذه الملاحظة .

كان بنو عمار أول أمرهم قضاة طرابلس ، ثم صاروا أمراءها وحكامها ، وشاء القدر أن تلقى على كواهلهم عبء الدفاع عنها في وجه الغزو الصليبي ، وأن يحمل ثقله أحد أبطالهم عمار بن عمار الذي كان يلقب بجلال الملك ، فقد ظل ينازل الصليبيين حائلا دون احتلالهم لعاصمته خمس سنين نزل خلالها بهم أفدح الخسائر بالأرواح والأموال.

ومنهم الحسن بن عمار الذي قالت عنه دائرة المعارف الإسلامية : « كما كانت حلب في عهد سيف الدولة مركزا للشعر ، كذلك كانت طرابلس في عهد الحسن بن عمار ، وقد ازدهرت المدينة في عهده وأصبحت مركزا للحياة الفكرية في بلاد الشام ، فأنشأ مدرسة كبيرة ومكتبة » .

أما هذه المكتبة التي أشارت اليها دائرة المعارف فقد كانت من أحسن المكتبات التي عرفها العالم الاسلامي ، وإذا كانت مكتبة بغداد ومكتبة القاهرة على مثل ما وصفهما الدكتور عبد العظيم منتصر ، فقد كان ذلك متناسبا مع عاصمتين لخلافتين ملكت كل منهما الأقطار الشاسعة وباتت لكل واحدة منهما الأموال والنفوس الى ما لا غاية بعده لمستزيد .

اما أمر مكتبة طرابلس فقد كان يدعو الى الكثير من الاعجاب الذي ستقل تحته الأحيال مهما تطاولت ، واختلف المؤرخون في تقدير عدد الكتب التي اشتملت عليها ، وأقل تقدير لعدد كتبها كان نيفا ومائة الف كتاب . على أنه مهما كان عدد الكتب فان الاسلوب الذي كان متبعا في ادارة المكتبة والنظام المرعي فيها هو الذي يحملنا على الاشادة ببني عمار كل الاشادة . فقد كان في تلك المكتبة مائة وثمانون رجلا لا عمل لهم الا نسخ الكتب ، يتناولون مقابل ذلك رواتب معينة . كما كانت لها ميزانية مخصوصة لشراء الكتب وضمها اليها ، وموظفون مخصوصون للتفتيش عن الكتب والبحث عنها في كل مكان .

وقد سقطت طرابلس في ايدي الغزاة الصليبيين عام ٥٠٢ بعد كفاح بطولي طويل ومن ذلك الحين ضاع كل أثر للمكتبة. على أن المؤرخين الاوروبيين يطنبون في الحديث عنها وعما احتوته ويبالغون في عدد ما كان فيها من الكتب .

ومن ابلغ ما قيل فيها قول أحد المؤرخين المسلمين « من هذه المكتبة انتشر العلم في انحاء المدينة حتى قال المؤرخون ان طرابلس صارت جميعا دار علم».

حسن الأمين ــ بيروت

الاثبات أولا . . .

● توفي جدي عن ولد واربع بنات ، وترك أرضا ومباني كثيرة . وقبل تقسيم التركة بين الابن وشقيقاته قام الابن ــ وهو خالي ــ بشراء أرض زراعية باسمه من مال التركة التي خلفها جدي . ثم قسم التركة دون ادخال الأرض التي اشتراها لنفسه من مال التركة ضمن التقسيم ليحرم شقيقاته من نصيبهن فيها .

نرجو التكرم بالافادة عما اذا كان للشقيقات نصيب بقطعة الأرض الزراعية أم لا ؟؟ .

أحمد محمد علي
وزارة الداخلية ــ محافظة الأحمدي

ــ اذا ثبت ان خالك دفع ثمن الأرض التي اشتراها باسمه من مال التركة كان عليه ان يعطي شقيقاته نصيبهن فيها كاملة .. المهم هو ان تتمكنوا من اثبات ذلك امام القضاء ...



تمثال اثينا ..
من عجائب الدنيا السبع

بقية المنشور على الصفحة الثانية

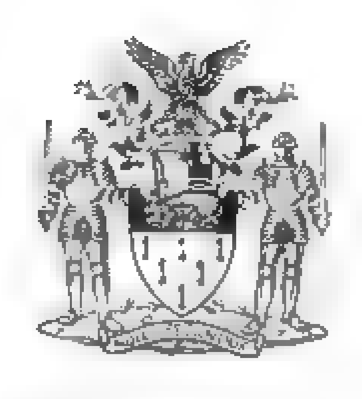
ومن ثم كثرت في عهده الصروح والمنشآت المعمارية، وفي مقدمتها « البارثينون » الذي انشيء ليضم تمثالا هائل الحجم للالهة « اثينا »، صنع من العاج والذهب، حتى لقد بلغ وزن ما فيه من ذهب ٥٠٠ر٢ رطلا انجليزيا، تقدر قيمتها الحالية بحوالي ٦ ملايين من الدولارات. وقد تولى عمل التمثال الفنان الاثيني « فيدياس ». ويرى « بركليس » و « فيدياس » في الرسم امام التمثال.

ويبلغ ارتفاع « البارثينوس » — وهو الاسم الذي اطلق على التمثال — ٤٠ قدما تقريبا. وصيغت اجزاء الجسد فيه من العاج، اما بقيته فكانت من الذهب، وقد ركبت بحيث يمكن نزعها لتفيد منها خزانة الدولة كقرض في اوقات الشدة .. ويؤخذ من البيانات والرسوم التي انتهت الى عصرنا — وان كانت متضاربة في تفصيلاتها — ان التمثال اقيم على قاعدة من الرخام، زينت مقدمتها بلوحة محفورة تمثل مولد « باندورا »، التي تزعم الاساطير الاغريقية انها اول امرأة خلقها « هيفايستوس Hephaistos » صنوها لامر الاله « زيوس Zeus »، وقد خلعت عليها الالهة « اثينا Athéna » — ربة الحكمة — كل آيات الجمال والمواهب.

وبجانب التمثال درع ذهبية كبيرة، صور عليها « فيدياس » المعركة التي دارت بين الاغريق و« الامازون »، وهن قوم من النساء المحاربات، كما ورد في الاساطير .. وقيل ان « فيدياس » صور نفسه في احد هذه الرسوم، فاتهم بانتهاك حرمة الربة، ونزح الى « اوليمبيا » حيث صنع تمثالا هائلا للاله « زيوس » من العاج والذهب كذلك.

وكان الضوء الوحيد الذي يتسرب الى «البارثينون»، يأتي من مدخله الشرقي، الذي كان يواجه الشمس مباشرة.

وقد قضى « فيدياس » في صنع تمثال « اثينا » تسع سنوات، من ٤٤٧ الى ٤٣٨ قبل الميلاد. وقد اختفى هذا التمثال تماما، وكان من عجائب الدنيا السبع.



احفظ أموالك في لندن في حساب ودائع بفائدة ٥٪

ان حساب ودائع مع مصارف لومبارد المحدودة يعني الراحة الفكرية التامة . لن تخضع لاية ضريبة دخل مفروضة في المملكة المتحدة ان معونة تتراكم طوال الوقت ولا تتأثر أبدا بالاحوال الاقتصادية ويمكن اجراء السحوبات بسرعة وفقا للشروط الموضوعة عند فتح الحساب . ولكي تحصل على ٥٪ سنويا فان الحد الادنى للوديعة الاولية هو ١٠٠ جنيه استرليني ! ان الحد الادنى للفترة بين الايداع والاشعار بالسحب هي ستة اشهر ولكن الثلاثة جنيه قابلة للسحب عند الطلب . ان الاستثمار مع مصارف لومبارد المحدودة يدعمه رأس المال المدفوع والاحتياطي فيما يزيد على ٢٠٠٠٠٠٠٠ جنيه .

اكتب الآن الى المدير العام للحصول على تفصيلات اخرى وعلى نسخة من « حساب الودائع » اكتب رقم A. O. 182

المؤسسة المصرفية والمالية العالمية

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office: Lombard House, Curzon Street, Park Lane, London, W.1. GROsvenor 4111 (30 lines)



تضحك الدنيا معك   ابك تبكي وحدك

من اختصاصه ...



● صرخت الأم وهي في السيارة العامة :

ـ ابني .. الفلوس .. لقد ابتلع قطعة من النقود .

فاقترب منها أحد الركاب ، وقال :

ـ لا تجزعي .. دعيني اساعدك ، فهذا في نطاق اختصاصي .

ثم امسك بالصغير من احدى قدميه ، وقلبه رأسا على عقب ، وراح يدق على ظهره .. واذا بقطعة من النقود تهبط ..

وتهلل وجه الأم ، وأسلت عليه تشكره ، ثم سألته :

ـ الطبيب انت ؟

فأجابها

ـ كلا .. ولكني مفتش بالجمارك !

نجاح مؤكـد

● كان الزوجان يحتفلان بمرور ٢٥ سنة على زواجهما . وسألت احدى المدعوات الزوج امام زوجته :
ـ وهل تراها استطاعت ان تكـون زوجة طيبه ؟
بادرت الزوجة بالجواب :
ـ بل استطعت ما هو اكثر .. جعلته هو زوجا طيبا !

اعلى من هدير الميـاه

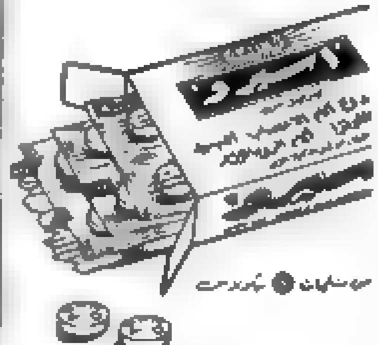
● قال الدليل بعد ان قاد السـياح الى شلالات نياجرا العظمى ، في امريكا :
ـ لو تكرمت السيدات وامسكن عن الكلام ، فسيتسنى لكم ان تسمعوا هدير المياه وهي تهوى الى النهر هويا !



صداع، أوجاع وآلام،
حمى، رشح وانفلونزا؟

'أسبرو' يعيد لك الصحة..





لأن 'أسبرو' يجلب لك كل راحة!

إذا أصبت بألم فلا يكفي أن تخففه قليلاً، بل إنك ستحتاج إلى الراحة التامة التي يحققها لك 'أسبرو'. تذكر أن 'أسبرو' هو الدواء الذي يستعمله أكبر عدد من الناس في العالم كله، أكثر من أي دواء آخر لإزالة الألم وتخفيض الحمى. إجعل 'أسبرو' تحت يدك على الدوام.

١ يزيل الصداع
٢ يخفض الحمى
٣ يهدئ الأعصاب
٤ يخفف الأوجاع
٥ يقصر أجل الرشح

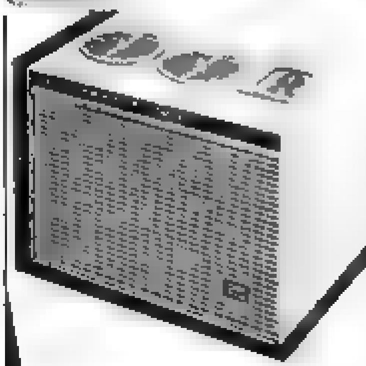
'أسبرو' يجلب لك كل راحة!



مؤسسة الأجهزة الألكترونية

تجارة عامة - استيراد - تصدير - وكلاء مصانع وشركات





وكلاء عامون لشركة

"ماكرو اديسون"

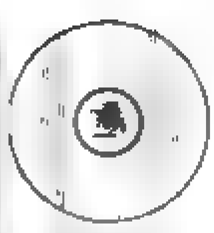
المنتجة لمكيفات

"توماس اديسون" و"كوليريتور"

أجود مكيفات في العالم

الكويت : ص.ب ٢٤٤٩ - برقيا : ترانزستور

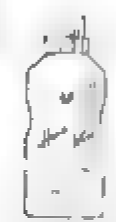




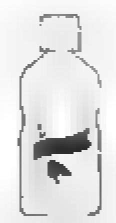
Blue Grass
Dusting Powder



Blue Grass
Hair Spray



Blue Grass
Hand Lotion



Blue Grass
Flower Mist

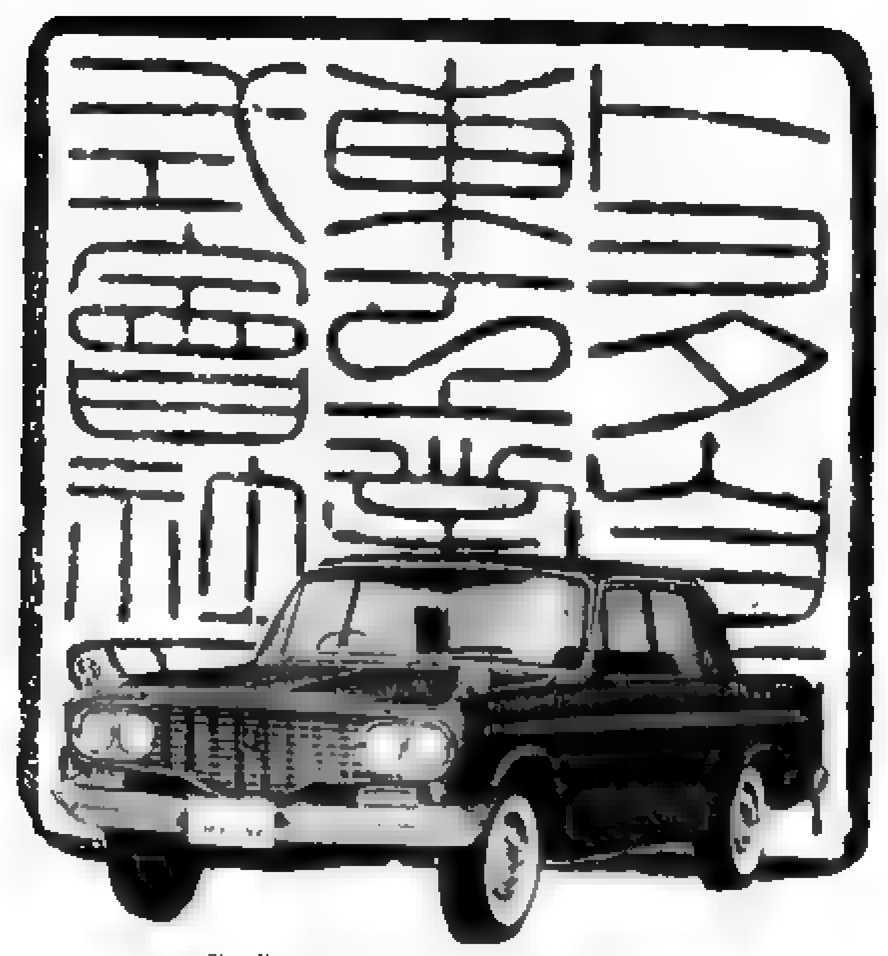
بلو جراس
مزيج لروائح الف زهرة

(بلو جراس) احدى الروائح العطريه الحائزه على محبه الجميع
(بلو جراس) نقية ــ ملطفة ــ جميلة
وهناك العديد من مستحضرات « بلو جراس »
فلاورمست ــ هاندلوشن
هيرسبراي ــ وستنج باودر ــ صابون



NEW YORK   LONDON   PARIS

باريس • لندن • نيويورك



هذه واحدة من سيارات الانتاج بالجملة
التي تحمل الخاتم الشخصي لـ ٥٥٠٠ فني

يعتقد البعض ان انتاج السيارات بالجملة عملية سهلة لا تتعدى جمع الاجزاء وتركيبها بسرعة ودون عناية ... ولكن هذا لا ينطبق على « تويوتا » . فمصانعها تعمل اوتوماتيكيا ولكن ليس هناك اي ضعف في نوعية العمل . فلدينا خمسة آلاف وخمسمائة فني مهمتهم هي التأكد من خلو منتجاتنا من اي عيب . فاذا جرى تركيب احد الابواب مثلا على الآلة لا تنتقل للعملية التالية الا بعد التأكد من الاتقان. اما نتائج هذا العمل (او بالاحرى هذا الاخلاص) فتظهر في صورة السيارة اعلاه .

وموديل « الكراون دي لوكس » مثال جديد على الجهود التي تبذلها « تويوتا » وهي اكبر مصانع الشرق للسيارات لتلافي أي عيب في الانتاج .

« موتورات تيوتا ـ اليابان »

TOYOTA MOTOR, JAPAN



من بين أنواع السجاير العديدة التي يفيض بها العالم،
يختار الرجل العصري سيجارة ڤايسروي - سيجارة الذوق المدقق!

ايسروي - السيجارة الأمريكية العالمية



اسبيرين

خصيصاً للأطفال





باير تقدم لكم :

أسبيرين الأطفال

الجديد

المحضر خصيصاً بنسبة
تلائم أعمار أولادكم
وبتركيب يتناسب مع
أذواقهم فهو محلى بطعم
الفواكه الذي يجعل
تناوله جذاباً ومحبوباً

أسبيرين الأطفال
يحتفظ بكافة خصائص أسبيرين باير الشهير فهو



- يزيل الصداع وآلام الأذنين والأسنان
- يخفض الحرارة
- يساعد على التخلص من الرشوحات والأنفلونزا

أطلبوا أقراص أسبيرين الأطفال باير الزهرية في العلبة [illegible]

عش سعيداً بدون ألم بتناولك أسبيرين


ثلاجات جنرال الكتريك
الجديدة
اشهر من
ان تعرف
مكيفات
جنرال الكتريك
١٩٦٤
الوكيل العام :
محمد عبد الرحمن البحر - الكويت
تلفون الادارة ٣٢٨٨١١
المعارض تلفون
شارع فهد السالم ٣٣٣٢٦
٢٤٣٤
٣٣٥٢٨
ورشة الصيانة ٨٤٤٠



المشكلة التي تواجه ٣٠

كيف تجد متسعا للمليون

[illegible]

[illegible] عند السكان في النمو في الاقتصاد

[illegible]

الاقتصاد يتوسع [illegible]

[illegible]

كيف تمد ٧١٠٠ جزيرة بالطاقة

[illegible]



[illegible] العالم

مليون نسمة في الفلبين

آخرين في كل عام

سنة تقدر حاجتها في سنة ٢٠٠٠ [illegible] من حاجات البلاد من الطاقة

البترول والإرشاد

من أجل القضاء على البطالة

١٢- [illegible] الطلب على الزيت معدل [illegible] [illegible]. فالفلبين [illegible] [illegible] [illegible] من أجل [illegible] [illegible] ٧٠ [illegible] [illegible]

١٣- [illegible] الفترة ١٩٧٣-١٩٨٠ [illegible] من مليون [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الفلبين [illegible] الطعام والملابس والسكن [illegible]

شل والزيت العالمي

[illegible] الفلبين [illegible] الزيت [illegible] [illegible] [illegible] العالم [illegible] والزيت [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

حقائق وأرقام

[illegible] [illegible] مليون [illegible] [illegible] كيلو متر [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في أكثر

[illegible] [illegible] العالم [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

اعتمد دائماً على شل

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الاعتماد عليها [illegible] شل [illegible]


جوائز
١٣٠٠
سنويا
الكويت
العراق



حضارات سادت .. ثم بادت

أبو قراط .. أبو الطب

(اقرأ صفحة ٩٩)

تبرع كريم واريحية مشكورة

عزيزي القارىء :

● في الاستطلاع الذى نشرناه بالعدد الماضي عن عدن ، قلنا ان جمعية المرأة العدنية كانت قد بدات في اقامة مبنى لها يستخدم في الصباح كروضة للاطفال ، وفي المساء تكاد تستطيع المرأة العدنية عن طريقه ان تتعلم القراءة والكتابة والخياطة والتطريز ، ولكن العمل لم يلبث ان توقف لعجز الجمعية من دفع ٦٨,٠٠٠ شلن يطالب بها المقاول لاكمال البناء ، بعد ان رفضت بلدية عدن السماح باقامة حفلة خيرية في قاعتها لجمع مزيد من التبرعات لتغطية هذا المبلغ .

وقد هز هذا النبأ اريحية حرم الشيخ دعيج السلمان الصباح ، فما ان قرأته حتى تبرعت بالمبلغ المطلوب (أى ٢٤٠٠ دينار) مساهمة منها في تمكين الجمعية من تحقيق رسالتها التى تستهدف رفع مستوى المرأة العدنية كي تشق طريقها مع شقيقاتها المتحررات ..

ونحن اذ نرجو جمعية المرأة العدنية ان توافينا بعنوانها كاملا ، أو باسم البنك الذى تحب ايداع المبلغ فيه لحسابها ، لا يسعنا الا ان نثني على هذا التبرع الكريم وتلك الاريحية المشكورة ..

« المحرر »

العربي

رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة

تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت

ALARABY = No. 69 August 1964 P.O.B 748 – KUWAIT

والوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء

العنوان بالكويت: صندوق بريد ٧٤٨ ـ تلفون ٢٦٤١ ـ تلغرافيا «العربي»

الاعلانات: يتفق عليها مع الإدارة ـ قسم الإعلانات

المراسلات: تكون باسم رئيس التحرير



صورة الغلاف

■ مجموعة من طالبات قسم الرياضيات بكلية البنات ببغداد يعملن في معمل الكيمياء بالكلية التي تهدف لإعداد الفتاة العراقية لتصبح مواطنة صالحة تقدر مسئولياتها تجاه وطنها ، وتساهم في بناء مجتمعها العراقي والعربي .. ولتعدها لتصبح صاحبة خبرة ودربة بيت صالحة ، وزوجة صالحة تساعد زوجها وتخفف عنه ، ولا تكون عالة عليه ..

(انظر استطلاع كلية البنات ابتداء من صفحة ٢٥)

فلسفة :

دين :

ركن الاسرة والمرأة :

جرائم وقضايا :

قصص :

كتب :

متنوعات :

ثمن العدد : بالكويت ١٠٠ فلس ... بحزيرة ١ روبية
او قرش ... العراق ٤٠ فلسا ... سوريا ١ قرش لبنان
١ قرش الاردن ١ فلس السعودية ٢ ريال السودان ١ قروش
ج ع م ... قروش تونس والجزائر ٣ ... المغرب ٢ فرنك
اليمن ... ١٥ قرشا
الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه ... والموزع



تقويم وتقييم

قرأت في « العربي » بالعدد ٥١ كلمة عنوانها التقييم خطأ وصوابه التقويم .
وبمطالعة كتب النحو واللغة اتضح لنا ما يأتي :

أولاً : ان التقويم مصدر الفعل قوّم مضعف الوسط وفعله الثلاثي قام الذي أصل ألفه واو فقياس مصدره التقويم بمعنى تقدير القيمة أو إزالة اعوجاج الشيء .

ثانياً : جاء في القاموس قوّام وقيّم بضم القاف وتشديد الوسط جمعا لقائم ، وقوّل بضم القاف وتشديد الوسط جمعا لقائل مما يدل على أن الواو المضعفة في وسط الكلمة قد تقلب ياء لخفة في النطق .

ثالثاً : ليس كل الكلمات اللغوية محصورة في القواميس التي بأيدينا ويجوز لنا أن نستعين بكتب النحو واللغة لاستخدام القياس في مثل هذا المضعف الواوي فكثيرا ما نجد أفعالا ثلاثية عينها واوا مثل لام ومضعفها ولوم أو يأتي بياء بدون تمييز مع مضعفه الفعل الرباعي بتشديد الواو ومصدره التأويب أو التأييب ونقيس عليه الفعل قوّم مضعف الواو فيكون مصدره التقويم والتقييم .
وبعد الفعل الثلاثي نال يحول مضعفه بقلب تشديده الياء مع أن عينه في الثلاثي واو ومصدره التنييل .

رابعاً : اذا استعمل كبار الكتاب والصحفيين التقييم بمعنى قدر القيمة في العلم والأدب والرجال والمصلحة العامة ، فهذا استعمال يرضاه الذوق والقياس للفرق بين تقييم الشيء وتقويم المعوج .
وفوق كل ذي علم عليم .

صبحي حسن مخلوف ـ حلوان الحمامات

مستحيل

● يسرني أن أطلب من سيادتكم باسمي وباسم الآلاف من قراء مجلتكم المحبوبة والتي هي أيضا مجلتنا المفضلة ، نشر أسماء الأشخاص الذين يشتركون في المسابقة الشهرية بإجابات صحيحة لكي يطمئن القراء على وصول رسائلهم .

ابو بكر باصحيح

جدة

« العربي » : لو فعلنا ذلك لاستغرق نشر هذه الأسماء صفحات « العربي » كلها ، ولم تكف !!

كلام !

● انني لأستغرب من كتابنا حينما يترفعون ـ ولا أدري لماذا ـ عن استعمال بعض الصيغ التي يستخدمها الناس في التخاطب والحديث ، على الرغم من أن قواعد العربية لا تأبى هذه الصيغ ، بل انها بعينها في كتب الأدب والتاريخ ، وشواهدها أكثر من أن تحصى . ومن الانصاف أن نقول بأن اللغة العامية لها ألفاظ أو صيغ من صميم الفصحى ، من ذلك انهم يقولون : « شيّال » لمن يحمل الحقائب ، وكذلك يقولون « بطّال » في وصف الرجل الشرير ، أو المتعطل . وكتابنا حين يعبرون عن الشيال يقولون حمال ، وكذلك حين يعبرون عن البطال يقولون متعطل ، أو سيء السلوك ، وهذا على حين أن كلمة شيال صحيحة ، فهي من شال الشيء إذا رفعه . وأما كلمة بطال فهي من البطالة أي اللهو والعبث . وتثبت هذا كلمة للفيلسوف « ابن رشد » يسجل فيها استعمال كلمة بطال ، فهو يقول في كتاب « الكشف » . (فلو كان انسان بطالا ، أو متعطلا ، الشاعر

رقم مبالغ فيه !

● جاء في مقال الأستاذ الدكتور عبد الحليم منتصر في العدد السابع والستين من « العربي » من « التوابل والأفاويه » أن معدل انتاج الفدان الواحد من القرنفل يساوي ألف جنيه على اعتبار أن الفدان ينتج ألفي رطل من القرنفل ، ولا أدري على أي أساس بني تقديره هذا ، لأن معدل ثمن الرطل من القرنفل في زنجبار في خلال الخمس السنوات الماضية لم يتجاوز سبعين سنتا أي ما يعادل خمسة وثلاثين قرشا ، وعلى فرض أن سعره في مكان استيراده في أي مكان في العالم بعد نفقات النقل والضرائب ، وفوائد تاجر الجملة والقطاعي هو بنسبة ٢٠٠٪ من ثمنه الأصلي في زنجبار ، فان ثمن الطن لن يتجاوز مائتين وثلاثين جنيها .. ولو كان ما ذكره الدكتور منتصر من الأسعار حقيقة لانزاح أكبر أزمة عن أهل زنجبار التي تنتج ٨٠٪ مما ينتجه العالم من القرنفل .

الكويت م. ي. ا

من وحي المولد

محمد : أنت طريد الديار
فكيف هزمت الشعوب الكبار !

طلعت على الدهر في ليلة
فزال الظلام وضاء النهار

وهاجرت للخلد من مكة
فكنت على الأرض أعلى منار

بما حيث حررت في وحدة
نعم السمير ، ونعم الشعار

عشقت السلام ، وخضت الوغى
فأرسيت دنيا بعيد المزار

فلا هو للنصر يدعو له
ولا هو للزهد يدعو لغار

محمد جدد ضمير الوجو
د ، فقلب الوجود ملاه الفخار

ومض في ضميري
ودم للدهور

عبد الله كبير — القاهرة

والله ، معقول !

بتنحيته عن البلد) .. والعامة يقولون مثلا : ضربه حتى « موته » ، فيأبى الكتاب الا أن يقولوا أماته لا موته والشاعر يقول :

يموتني شوقي وتحييني المنى
فلست يحيي في الحياة ولا الردى

ومن أساليب العامة في حديثهم أيضا قولهم « جاء على غفلة أو سقط على غفلة » والكتاب يسكتون عن هذا التعبير ، وهو من ناحية اللغة واضح السلامة ، ولكننا نضيف الى ذلك أنه تعبير قديم ، وقد نقله ياقوت في معجم الأدباء اذ جاء في صفحة ١٢٠ من الجزء الثالث عشر قوله : « فقاما على غفلة اذ دخل في خلفة وازار .. » وكذلك الناس يستعملون في لغة الحديث (عود كبريت) أما الكتاب الفصحاء فيأبون أن يقولوا عود ثقاب .. وكلمة كبريت معروفة منذ القدم العصور ومن الأمثال المشهورة : أندر من الكبريت الأحمر .. بل ان كلمة (عود الكبريت) نفسها كانت مستعملة أيضا في العصور العربية الماضية ، وهذا الشاعر الأديب « ابن رشيق » في النصف الأول من القرن الخامس الهجري يقول من أبيات في الغزل :

أشر بعود من الكبريت تعرفني
وانظر الى زفراتي كيف تلتهب

فهل يأبى الكتاب في العصر الحديث ما استعمله الشعراء الفصحاء من كلمات منذ عهد بعيد يزيد على تسعة قرون ؟

ويسمي الناس : اسماعيل « اسماعين » ، فالنون بدلا من اللام ، وقديما قال اللغويون : اللام والنون تتعاقبان على لفظ واحد ، وهما أختان والشاعر يقول :

قال جواري الحي لما جينا
هذا ورب البيت اسماعينا

وأخيرا ، فهل يستطيع كتابنا أن يجيبوا ، لماذا لا يستعملون هذه الصيغ في كتاباتهم ؟

سامي عبد الرزاق العمداني
بصرة — محلة الأصمعي

(البقية على صفحة ١٤٦)



بقلم رئيس التحرير

■ الموت حق على البرية .

والبرية كل ما برأ الله ، من انسان ، وحيوان ، ونبات .

والنبات يموت فنكره عليه أن نقول عنه انه مات . نقول انه ذبل . ونقول ذوى .

والحيوان يموت فنكره عليه أن نقول انه مات ، ونقول انه نفق . وبالطبع لا نرحم .

والانسان يموت كل يوم ، وكل ساعة وكل دقيقة. الناس تتساقط من حولنا ولا نحس بها . و « المحظوظون » هم الذين نقرأ عنهم في الصحف انهم ماتوا . وهم جزء من آلاف آلاف ممن يكونون قد ماتوا في صباح ذلك اليوم او مسائه.

الانسان في غفلة من الموت ، ويجب ان يكون ... ان ممارسة هذه الحياة تتطلب هذه الغفلة . اذن لتوقفت عجلة الحياة

الا ان يكون الراحل ابا ، او اخا ، او ولدا ، فعندئذ تصبح ممارسة هذه الغفلة محالا . ان الاحساس بالفقد يفرض نفسه على الناس فرضا . ثم تأتي الايام رويدا رويدا فتخفف الاحساس بالنكبة . ثم اذا الحياة تجري على العهد بها .



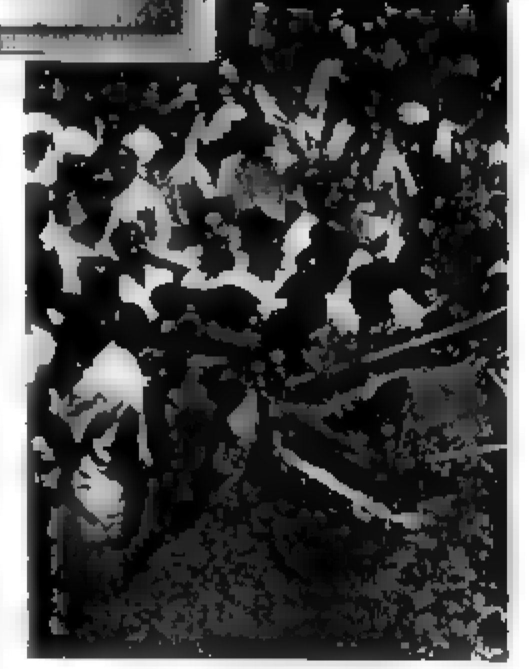
نهرو ، مسجى فوق فراشه ، فوق عربة ، في الموكب

ثوب الحياة ، ينسج من خيوط

ومن الناس من نسجوا ثوب حياتهم من خيوط استمدوها من حياة غيرهم فهؤلاء اذا ماتوا احست القرية بفقدهم وحزنت عليهم وادار اهل القرية الاحاديث عنهم في الاصباح ، وعندما يرجعون الى « دورهم » او « دواوينهم » في الامساء ، وتطول الذكرى .

ومن الناس من نسجوا ثوب حياتهم من

« ... من الناس قِلة ، نسجوا ثوب حياتهم من خيوط استمدوها من حيـاة الامم ، فاذا قالوا ، انصتت الدنيا ، وان خطبوا ، رهفت الدنيـا اليهـم الاسـماع » .



الجماهير تتجه نحو المكان الذى احرق فيه الجثمان

خيوط استمدوها من حياة المدينة .

ومن الناس من نسجوا ثوب حياتهم من خيوط استمدوها من حياة امتهم .

ومن الناس ، قلة ، نسجوا ثوب حياتهم من خيوط استمدوها من حياة الامم اجمعين . اذا قالوا انصتت الدنيا . واذا خطبوا أرهفت الدنيا أسماعها . واذا احتجبوا طلبت الامم بالاحتجاب . وان ظهروا بعد احتجاب ، طلبت الامم الظهور .



اهل الذكر صنفان

وهؤلاء صنفان .

صنف توجه اليه الاضواء احتفالا بمركزه العابر ، او اعتبارا لقوة امته ، اى صنف عظمته ليست مستمدة من ذاته . ثم يموت ، فما اسرع ما تنطفىء من حوله الانوار .

مثل هؤلاء زعماء امريكا ورؤساؤها الاحدثون أهل السياسة فيهم والرياسة .

ومن هؤلاء زعماء بريطانيا ، اهل السياسة فيهم والرياسة .

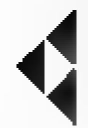
من منهم نذكر اليوم ، ونذكر ونحمد ؟ أو على الاصح من منهم تذكره الدنيا وتحمده . وكم منهم من خلف طابعا على حياة الامم باقيا على الزمان .

واستثنى العلماء .

وقد استثنى الرئيس كندى ، فلو انه عاش لانتهى الى مثل ما انتهى اليه لنكولن من كريم الذكرى .

اما الصنف الثانى من الرجال ، فذلك الذى خرج من الدنيا بعد ان ترك فيها اثرا لا يمحى ، رأيا او عملا ، دفع به عن ابناء هذه الارض شرا ، او جلب به لابناء هذه الارض خيرا .

هذا الصنف ذكراه لا تمحو . وهى ذكرى يحييها الناس كل عام . وهى ذكرى حية كل يوم من ايام العام . بعضها ذكرى طلعة تشخصت من اسلوب حياة دخل رؤوس الناس فاستقر بها ، او ذكرى انموذج يحتذيه الناس فهو واقع



تحت انظارهم صباحا ، واقع تحت ابصارهم مساء .

والغريب أن هذا الصنف كان حظ الأمم الفقيرة المتخلفة منه ، في عصورنا هذه الحديثة ، أكثر كثيرا من حظ الأمم الغنية الثرية التي تعتز بمالها وعلمها وصناعتها ومدنيتها .

انه نبات طيب لا ينبت الا حيث الفقر ، وحيث البؤس . والا حيث الجهل ، والا حيث المرض ينتشر في اجسام وارواح .

ولقد أذكر من هؤلاء الرجال غاندي .

ولقد أذكر من هؤلاء الرجال نهرو .

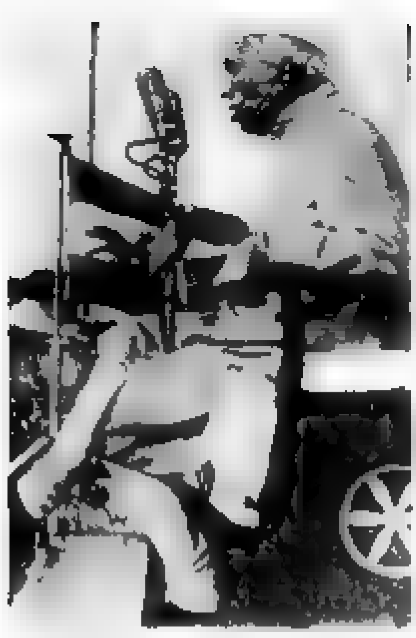
ولقد أذكر رجالات أخرى يزيدني جرحا ذكرها . ومنهم من لا يزال في زهرة العمر ، أمد الله في عمر هذه الزهرة .

عندما امتدت يدي الى المذياع ذات صباح

كنت شغلت أياما عن أسمع المذياع ، ومع الاشتغال منه سآمة مما كنت أسمع منه . وامتدت يدي الى مفتاحه صباحا ، فماذا سمعت منه؟ سمعت تعني نهرو ، وانتقل المذياع الى غيره من الأخبار ، وانا واقف عند نعي نهرو . كنت أتوقع له الموت أقرب مما كان يتوقعه لنفسه ، ولكن فرق بين التوقع واليقين . ووقع عندي أن الأنباء في الأشهر القادمة وفي السنين المتعاقبة سوف تخلو من اسم نهرو . والحوادث على مسرح الحياة لن يكون من بين محدثيها ، والمشاركين فيها ، بعد اليوم نهرو . والمستضعفون في الأرض لن يكون لهم صوت نهرو . والعروبة ، ورفض التبعية ، والحرية بأخذ الأبيض والأسود والأسمر نصيبه منها ، كل هذه فقدت ذلك اليوم نصيرا كبيرا . وكره نهرو الاستعمار طفلا ، وكرهه شابا ، وكرهه هو المستعمرون ، ولكن صحب كراهتهم اياه احترام معروض ، وحيث نزل ، من أرض الخصوم ، نزل على البساط الأحمر المبسوط .

في الهند هالك نهرو

واخذت أذكر لقاء قديما بيني وبينه .



نهرو يخطب في جمهور لا يحصى ، يضيع به المد

كنت في باكستان ، في أوائل ١٩٥٢ ، فدعيت الى ان أزور الهند .

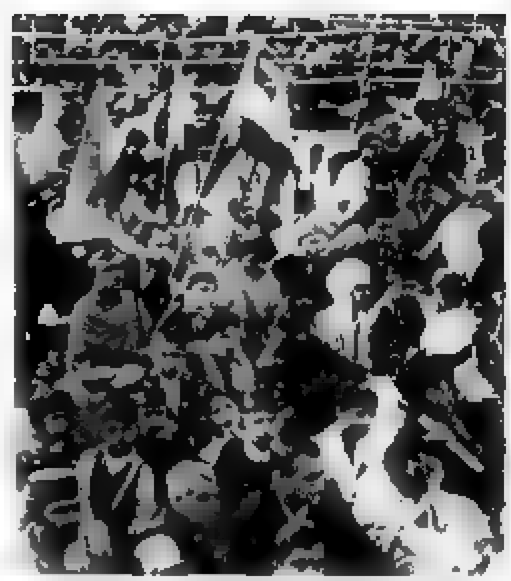
ورسموا لي خطة أطوف بها مدن تلك البلاد ، أطلع على ما كان بها من بحوث علمية . وقد كنت اذ ذاك مدير مجلس فؤاد للبحوث « العلمية » في في الدولة المصرية (المركز القومي للبحوث اليوم) وكان صاحب ضيافتي في نيودلهي ، من كان له مثل منصبي في الهند ، الدكتور بتناجار ، رحمه الله . وكان صديقا حميما للسديت نهرو . وكان قريبا مثلما .

وكان يوما قضيناه معا في زيارة معمل الفزياء القومي بالعاصمة الهندية . وفي نهاية اليوم عرض علي أن يكون من برنامجي لقاء السديت .

وتحدد الموعد فكان يوم الأحد ، في الساعة الخامسة من بعد الظهر . وفي وزارة الخارجية .

ويوم الأحد يوم عطلة . والخارجية بعد الظهر في ذلك اليوم فارغة . وطلبت توكيدا ، فقيل نعم ، انه الأحد ، وانه بعد الظهر ، ولن يكون معي الدكتور بتناجار .

وعند باب الوزارة استقبلني رجل كان ينتظرني . ودخلنا الوزارة ، وهي خالية



الانتخابية الثالثة ، وذلك في يناير عام ١٩٦٢

ووجدت أسلم ... وفي حجرة السكرتير مظلما . وفي العاشرة تماما أخذني السكرتير الى الحجرة المجاورة ، فكان بها نهرو ، وحده .

كانت حجرة صغيرة جدا لا تنم مطلقا عن مكانة الهند ، ولا مكانة رئيس وزرائها ، ولا عن المكتب الصغير الذي جلس اليه .. وقام وسلم في حركة بطيئة وابتسامة حبيبة .

وجلست ، واخذ الحديث مجراه .

كانت مصر في حالة اضطراب ، وعلم السيد بوجودي ، فأوعز الى صاحبه ، صاحب ضيافتي ، أن يراني . كان يريد أن يسمع عن مصر من رجل مثلي ، لا يتصل بالسياسة . فرجل العلم عنده كالمرآة الصادقة ، يرى فيها الصورة اقرب ما تكون صحة . فكان هذا الموعد ، في ذلك اليوم ، يوم الأحد ، من بعد ظهر .

وسألني عما رأيت في عاصمة الهند .

فذكرت من ذلك طرفا . واطريت . وعلمت صداقته بالدكتور بهابها فكنت أكثر تفصيلا لمختبر الفيزياء القومي . وقلت : ورأيت في المختبر الموقد الشمسي ، وطبخوا لي فيه طعاما للغداء ، على حرارة الشمس ، وأكلنا . وذكرت أنه لم يكن فيه لحن . فضحك السيد . وقلت أنه موقد رائع . فقال السيد : انما نهدف الى أن ترخص ثمنه الى سبع روبيات ، ليكون في متناول الفلاح الهندي ، يطبخ به ، ويوفر الوقود . قلت : وفلاحونا في حاجة الى مثل ذلك . قال سوف اهديكم اول موقد عندما نبدأ بتلك الصناعة .

وسألني : كيف وجدت بهابها .

قلت : رجل عالم ، والى العلم لطف وفكاهة .

فابتسم السيد مترقبا متوقعا أن أزيد : قلت كنت أسير معه في الطابق الأعلى من المختبر ، وكانت الأرضية جديدة ، وهي من الرخام الصقيل ، فكدت أنزلق ، فأمسك بي الدكتور بهابها .

وسألني : من نوع الحذاء الذي ألبسه .

قلت : انجليزي . قال : ان كل شيء انجليزي زلق خداع .

فضحك السيد نهرو طويلا . ثم قال : ان بهابها لا يفتأ يقسو على الانجليز وعلمه منهم .

ثم انتحى الحديث ناحية أخرى كانت هي المقصودة أكبر القصد .

الأثر الذي تركه نهرو في نفسي

كان هذا أول لقاء لي بالرجل . كان ذلك في الثانية والستين وخرجت من عنده وأنا أذكر فيه أشياء .

فأولا انجليزيته : كانت لهجة صافية غير تلك اللهجة التي تسمعها من أهل الهند ، تلك التي لو أننا سمعناها وعيوننا مغلقة ، لعرفنا أن المتحدث بها هندي .

وثانيا منظر الرجل . كان المنظر الفخم البسيط . حركته الوئيدة ، وكلماته المحكمة التي كان كأنما يصبها صياغة ، وفكره الحر ، الذي كاد أن يصنع منه انسانا قبل أن يصنع منه هنديا ، وهيهات ..

وشيء أخفى من هذا وذاك . أحسست أنه من أولئك الرجال الذين تجد في رحابهم الراحة والطمأنينة ، هكذا يسبغونها عليك اسبغا ، كالشجرة العظيمة الظليلة الظليلة في اليوم الصائف .

ووقف نهرو في مشكلة كشمير وقفته العنيدة المشهورة ، ولعل ذلك بحبه لكشمير ، وأن اقتطاعها منه كاقتطاع قطعة من قلبه . وكان له في الدين رأي ، أن لا تؤسس عليه الدول ، فصلا أو ضمنا ، ونسي واقع الهند وما جره عليها اختلاف الدين ، بل والأديان ، من مآسٍ .

في جامعة « علكرة » بالهند

وتركت عاصمة الهند ، وزرت عددا من بلادها ، زيارة عنم لا زيارة سياسة . ومع هذا لعب في هذه الزيارة ما ذكرني دائما بتلك المآسي التي تؤدي اليها ، على الجهالة ، اختلاف أديان .

وزرت فيما زرت جامعة « عليكرة » ، وهي جامعة اسلامية . كان رئيسها ذاكر حسين ، نائب رئيس دولة الهند اليوم . وكان غائبا عن البلاد . واحتفل بي القوم احتفالا طيبا . وأقاموا وليمة عامرة حضرها العالم الطبيب المسلم المجاهد الكبير الندوي ، أطال الله عمره . كانت عاطفته الدينية في هؤلاء القوم قوية . وكانوا يمثلون العلوم التربوية الإسلامية .

ولكني وجدت هناك جمعا من الرجال أهل العلوم الحديثة . أحسست كان بهم حرصا أن يصطحبوني ... الدكتور بتاجا الهندوكي يأخذني في وضح النهار ، يزور بي هذا المختبر وذاك ، وهو آمن في هندوكيته ! ولعله لا يؤمن بها ! وهذا عالم الفيزياء المسلم يزور عني . ورأيت وفهمت ، وعلمت . كانت الخصومة عند ذلك لا تزال مشتعلة . لم يكن خمد بعد ضرامها . وخشي العالم المسلم الريبة ملقاتي ، فاحتاط لغده .

وفي مدينة لكناو

وحادث آخر ذكرني بتلك الخصومة التي كانت متأججة عند ذاك .

حادث وقع في مدينة لكناو .

وقف بي المطار عندها . كان لا بد من زيارة مختبرها . وبلغت الفندق قرب المساء . ومن بعد ساعة جاءني شاب في نحو الثامنة عشرة . قال انه مسلم ، وان عمه يريد ان يراني . وانه لا يستطيع ان يجيء الى الفندق ، فهل أسمح بزيارته ؟ تعجبت أولا . قال الشاب لقد بتنا نحن في أزمة . وحدثني من غير وعي أقول للشاب : نعم أزور عمك . قال : في الثامنة تكون هنا سيارة عند الباب ، ولتجلس في داخلها .

ودارت السيارة بنا في المدينة في شوارعها القديمة والأزقة . وانتهينا الى بيت كبير عتيق ، عليه مهابة .

وفي ساحة الدار تلقاني العم . وكان معه استاذ في الجامعة قريب من أقربائه ، وجرى بينهما حديث لم أفهمه ، وتركنا الاستاذ على عجل

وقدم العم لي عشاء ، وما كنت على موعد من ذلك .

وعلى العشاء حدثني عن نفسه . انه عضو في المجلس التشريعي بالمدينة .

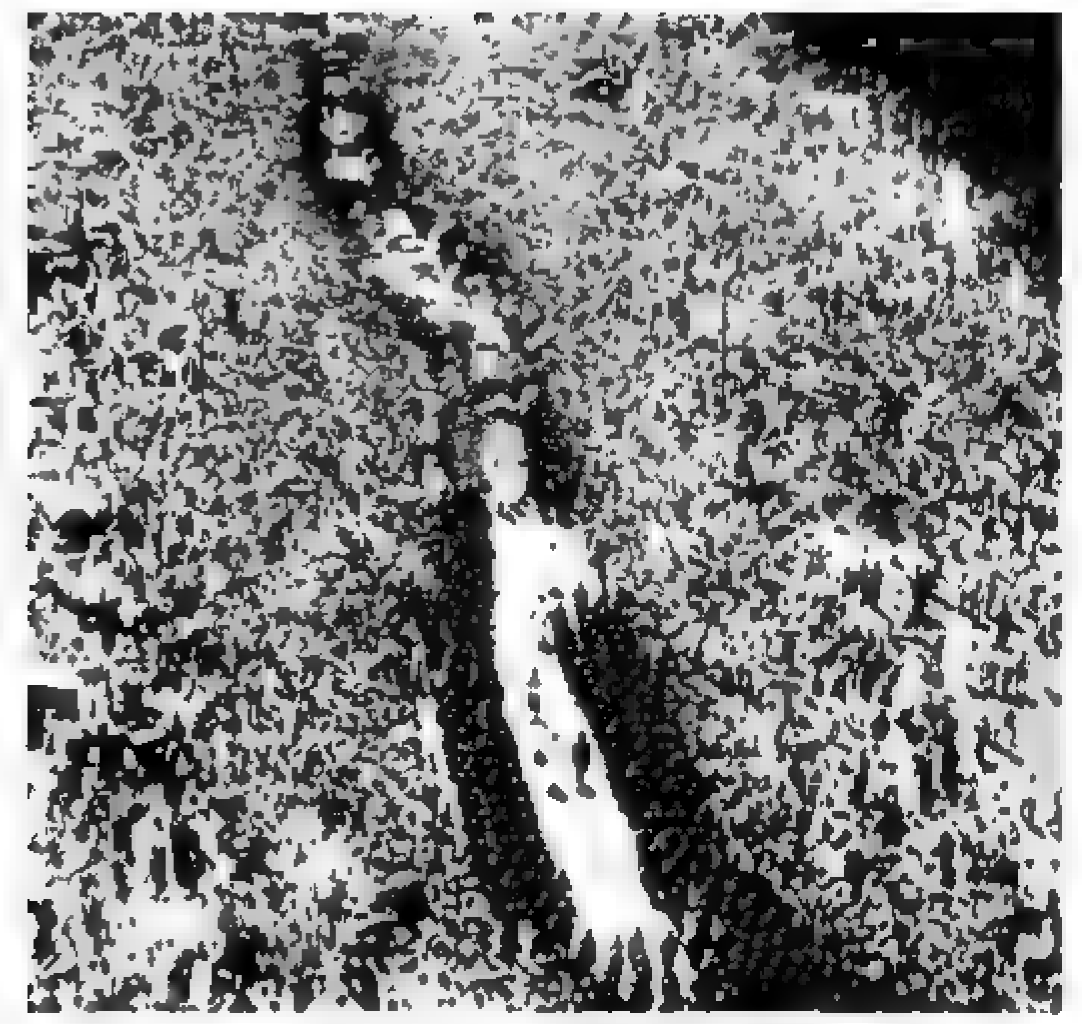
وأخذ يحدثني عن خوف المسلمين وهلعهم في الهند ، وقد صاروا قلة بعد خلق باكستان .

قلت : كم عددكم ؟ قال : أربعون مليونا

خليفة نهرو

لال بهادور شاستري ، متدين بمذهبه ، لم يخرج عن الهند قط





الجنازة في طريقها الى غايتها ، على ذلك الطول الحافل ،
وقد غاصت الملايين على الطريق ، لتودع الزعيم الراحل

ولكنهم مصرعون في شتى الانحاء .

واحد يحدثني عما جرى في لكناو وما يتوقع ، حدثنا لا يسمع أحدا ان اعود اليه الآن ، بعد ١٢ عاما ، وبعد عذاب على ما احسب الاحوال .

واحد يستنجد . ويحملني رسالة ، باسم المسلمين ، الى ملك مصر ، ملك المسلمين ، ان يتدخل عند السلطات في الهند لتدفع عنهم تلك النكبات .

وخرجت وقلبي معي . مليء اسى على المسلمين الذين مثل بهم الهندوك حيث المسلمون قلة ، ومليء اسى على الهندوك الذين مثل بهم المسلمون حيث الهندوك قلة .

وسألت الله ما سألته اياه من قبل الملائكة : اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟

وجاءني جواب الله حاسما : اني اعلم ما لا تعلمون .

وانتهت الرحلة اخيرا

وانتهت رحلة الهند بعد ان طوفت

بمدن الهند ما طوّفت . ووقفت في مطار بمباي ، انتظر الطائرة ، والربع في الشهر الثالث من السنة تهب حارة كاوية فكأنما هي تخرج من تنور .
وبلغت القاهرة .

واديت الرسالة ، ولكن الى اذن غير صاغية

ونسيت ما وعدت به من تبليغ رسالة باسم المسلمين ، الى ملك المسلمين ! ! انسانيها قلة جدواها . ثم اذا بالظروف تعرضها عليّ فرضا .

ذات يوم جاءني من القصر ، وانا في القاهرة ، طلب بلقاء الملك في قصر المنتزه بالاسكندرية . وكنت كتبت مقالا في جريدة « الاخبار » ، افردت له صفحة كاملة ، في مهاجمة ناحية معروفة من نواحي الرجعية . ومسّ هذا طبعا خطيرا معنيا . فلما جاءني طلب بالحضور الى القصر ، اوجست شيئا . والرجعية هي الرجعية دائما ، تعجز عن مقارعة الحجة بالحجة ، فتتخذ الى القصور سبيلا .

ولحقق ظني او ايجاسي عندما وصلت الى القصر ، ووجدت ممثل ذلك الطرف الخطير المعنيّ الذي كنت هجمته في مقالي ، قد سبقني الى لقاء الملك ، في نفس الساعة . وبلغ بي التحدي اني اصررت ان افرغ ما في جعبتي عند اللقاء افراغا ، وليكن ما يكون .

ولكني دخلت على الملك فلم اجد عنده مما اوجست شيئا . اختبئ ما كان عنده ؟ لا ادري .

وجرى الحديث في شتى الامور ، وخرجت وانا لا ادري لماذا دعاني .

وسألني فاجيب . ولم يكن لي علم بالسياسة قريب ، ولا بالساسة . سعد زغلول ما رأيته ، فقد كنت غائبا عن مصر منذ قام بدعوته الى ان مات . ومحمد محمود ما قابلته . والنحاس ، وكان يوما رئيسي اذ كان مجلس البحوث يوما يتبعه ، فهذا لم اسمع له صوتا الا على المذياع .

تحدثت الى الملك ، وانا لا ازال في غمرة التحدّي التي لم تكن خمدت بعدُ ، ونسيت انه الملك . ولم يكن حال مصر بحاجة الى السياسي الخبير ليتحدث فيه . كان الشر قد تبدى للعيان . كان عمّ وانتشر . واحس كل انسان وكل انسانة ان واقعة ما ، لا بد واقعة ، ولكن واحدا لم يدر ما هي ، ولا متى تقع ، ولا كيف . وتسمع الناس تتمنى الفرج ، وتسألهم من اي باب يجيء ، فيلوذ كل بالصمت ، لا خوفا ، ولكن جهلا ، ولكن يأسا .

كانت الامور تنحدر الى هاوية ، كما ينحدر الصخر الثقيل من كتف الجبل ، يهوى الى غاية لا سبيل الى وقفه دونها . ولكن اي غاية ؟ كان علم ذلك عند الله .

ولست اذكر كيف وصل بي حديث الملك الى الجيش ، فانطلقت احدثه عما سمعت من مآسيه . وحدثته فيما حدثت ، حديث الضباط الالمان الذين جاءوا بهم فلما حضروا ظلوا طويلا لا يجدون حتى المكتب والكرسي الذي يجلسون عليه . ثم احسست باني اندفعت . قلت : معوا ثبت ان جلالتكم رئيس الجيش الاعلى .

قال : « قل ، اني منصت » .

وتحدثت واصغى ، ولم يقل شيئا .

وذكرت رسالة القوم ، ثم الصبي الذي لقيني في لكناو بالهند ، فقلت هذه هي الفرصة قد امكنت . وذكرت للملك ما كان . ولكن الملك كان غارقا في فكر عميق ، لعل حديثي عن الجيش وغير الجيش اغرقه فيه . واستمع اليّ ولم يسمع . ظل ، وانا احدثه عن الهند ، بعيدا عني كل البعد . وينظر الى النافذة المطلة على الحديقة ، احيانا ، نظرة ملؤها القلق . عندما سكت . فانتبه .

ووقف وشكرني .

والوقوف علامة انتهاء المقابلة .

وبعد شهرين او ثلاثة كانت الثورة المصرية .

■■■

احمد زكي

نتيجة مسابقة العدد السابع والستين :

عربي في أسبانيا يفوز بالجائزة الأولى

إجابات من أكثر من ٣٠ دولة أجنبية

● الاجابة الصحيحة لمسابقة العدد السابع والستين :

عمر الرجل ٤٠ سنة
عمر الابن ١٠ سنوات
عمر زوجته ٣٦ سنة
عمر البنت ٤ سنوات

وقد تلقينا اجابات من اكثر من ٥٠ بلدا ، بينها نحو ثلاثين بلدا اجنبيا ، من دول اوربا وامريكا وآسيا وافريقيا وكان عدد الاجابات الواردة من كل من امريكا والمانيا الغربية اكبر من الاجابات الواردة من غيرهما من البلاد الاجنبية .

ولوحظ ان هناك عددا غير قليل من الاجابات مرسلا من بلاد الكتلة الشرقية ، كالاتحاد السوفييتي وبلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والمجر ويوغسلافيا .

وعند اجراء القرعة على الفوز بالجوائز فاز بالجائزة الاولى طالب اردني يدرس في اسبانيا . كما فاز ببعض الجوائز الاخرى مواطنون عرب يقيمون الآن في روسيا وامريكا ، وايطاليا وبلجيكا .

وفيما يلي اسماء الفائزين بالجوائز :

الجائزة الاولى : وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها سامي ابو الوفا — طالب اردني يدرس الطب في جامعة ثالش باسبانيا .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : الربيع ابن الجنائني المراجي — عمره (١٣) ، ابدار رقم ٢ دوار اشمس — الورادية — الجزائر (ج . د . ش)

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها عبد القادر محمد عبد الوهاب الجنيد — القبية — تعز — الجمهورية العربية اليمنية .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير فاز بها

١ — المواطنة الكويتية سميرة عبد العزيز الطوع — نيويورك — الولايات المتحدة الامريكية .

٢ — اسرة حمزة علي الكناني : الرحمانية — الكرخ — بغداد رقم الدار ٢٨/١٧ — العراق

٣ — المواطن السوري اسامة سالم ، بروجيا — ايطاليا .

٤ — ليلى لوراني : ص . ب ١٠٩ دبي — الخليج العربي

٥ — المواطن اللبناني عدنان مرعبا ، مولتوف — الاتحاد السوفييتي .

٦ — حسين عبد الله ابراهيم : الجوهر — البيرة — المنطقة الشرقية — السعودية .

٧ — الطالب الليبي ابو القاسم الطيب الشريف — واتر — بلجيكا

٨ — خليل ابراهيم صلاتي مدرسة مجمع الراشة الابتدائية القومية — ج . ع . م

وسترسل الجوائز الى اصحابها ■



بقلم : الدكتور محمد جمال الدين سرور

أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة

■ بينما كان يسود أقاليم جزيرة العرب ومدنها الاضطراب السياسي ، ويخضع بعض أطرافها للنفوذ الأجنبي ، وتهدد كيانها العصبية القبلية ، وتقسمها الديانات والمذاهب المختلفة ، ظهر محمد صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة حيث أرسله الله تعالى بالهدى ودين الحق . فدعا في بادىء الأمر العرشيين ـ وهم قومه وعشيرته ـ إلى الدخول في الإسلام ، ليعاونوه في نشر الدعوة الإسلامية ، ويكونوا عونا له على مخالفيه ، فلقيت دعوته قبولا من فريق منهم ، على حين ناهضه بعض زعمائهم اعتقادا منهم أن الإسلام سيقضي على ما كانوا يتمتعون به من عز وسلطان ، وما زالوا يقاومون دعوته ويناوئونه حتى أصبح بقاؤه في مكة محفوفا بالمخاطر ، فآثر الرحيل إلى المدينة مع صحابته من المسلمين .

محمد في المدينة يؤاخي بين المهاجرين والأنصار

لم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم منذ قدم على المدينة بتبليغ الوحي الذي ينزل عليه خاصا بالأمور التشريعية ، بل رأى أن يمضي بالوسائل التي ينظم بها الحياة في المدينة ، لأنه أصبح زعيم جماعة من العرب لهم صبغة سياسية بجانب كونه نبيا مرسلا عليه أن يبلغ رسالة ربه . فعمل على تنظيم صفوف المهاجرين والأنصار بالمدينة ، وتوكيد وحدتهم عن طريق تآلفهم حتى لا تثور العداوة القديمة بينهم ، فآخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة .

إرث الإخاء مقدم على إرث القرابة

وكانوا يتوارثون بهذا الإخاء إرثا مقدما على القرابة . وظل التوارث

« .. ايقظ الاسلام نفوس العرب ووحد كلمتهم بعد ان كانوا متفرقين . كما أخرج للعالم تلك المدنية التى ما زلنا نستغل ثمارها ، بعد ان وضع لنا القرآن نظمها وأصولها .. »



بالمؤاخاة دائما حتى اجتمع شمل الانصار والمهاجرين واوقعوا الهزيمة بالمشركين فى غزوة بدر . وعز شأن الاسلام فانزل الله تعالى فى سورة الأنفال (والذين آمنوا من بعد ، وهاجروا وجاهدوا معكم . فاولئك منكم ، واولوا الارحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شىء عليم) . فنسخت هذه الآية ما كان قبلها ورجع كل مسلم الى نسبه وورثه ذوو قرباه .

محمد يقر يهود المدينة على دينهم

كذلك رأى الرسول أن يضع نظاما للحياة العامة فى المدينة يكون أساسا لتحقيق الوحدة بين اهاليها . فكتب كتابا بين المهاجرين والانصار ضمنه المبادىء الهامة التى تجب عليهم اتباعها فى السلم والحرب ، كما اقر اليهود على دينهم واموالهم ليطمئن الى جوارهم .

فرض الجهاد فى السنة الثانية للهجرة

ولما تيسر للرسول توحيد كلمة المسلمين بالمدينة وقويت شوكتهم ، فرض الله عليهم الجهاد فى السنة الثانية للهجرة لامور منها : تامين الدعوة الاسلامية وصد من يقف فى سبيلها ، وقيام المسلمين بالذود عن انفسهم ، ومحاربة الذين اضطروهم الى الخروج من ديارهم بغير حق .

وكان لتشريع الجهاد اهمية خاصة بالنسبة للمسلمين بالمدينة فقد اعطاهم صفة سياسية ، لم يتمتعوا بها من قبل ، ذلك انهم اصبحوا نواة الأمة العربية الاسلامية ، عليهم ان يجاهدوا فى سبيل اعلاء كلمة الاسلام وجمع شتات العرب .

ترقب الفرص لاخضاع شوكة قريش الوثنية

استطاع الرسول بعد هجرته الى المدينة ان يجعل سكانها من المسلمين يطيعون اليه رئيسا وقائدا . ولم شعثهم ونظم امورهم وواصل جهاده فى سبيل الله . وكان المهاجرون والانصار خير عون له فى نشر دعوته ، كما وقفوا صفا واحدا معه فى العمل على صد أى اعتداء خارجى يحيق بهم ، وصاروا يترقبون الفرص لاخضاع شوكة قريش والقضاء على

نظامها القديم القائم على الوثنية حتى يتيسر لهم جعل مكة مركزاً دينياً للمسلمين كما كانت مقصداً لحج القبائل العربية جميعاً .

غزوة بدر ، وما افادته المسلمين

اهتم الرسول في السنوات الاولى من هجرته بالعمل على استمالة القبائل المقيمة في الطريق بين مكة والمدينة الى جانبه والربط بالترها برابطة الحلف ، وكان يرمي من وراء ذلك الى ايجاد حلفاء له خارج المدينة ، كما اصبح له انصار في داخلها ، ثم شرع في اخضاع عرب الحجاز لسلطته ، فخرج من المدينة مع اصحابه من المهاجرين والانصار في السنة الثانية للهجرة ، والتقى مع القرشيين في واقعة بدر التي انتهت بانتصار المسلمين على قريش . وكان لهذا النصر نتائج بعيدة الاثر ، فدخل في الاسلام كثير من المشركين ، كما استفاد المسلمون من وراء انتصارهم في هذه الواقعة فائدتين : احداهما معنوية ، تتمثل في وثوقهم بانهم على الحق وان خصومهم على الباطل ، والثانية مادية وهي الغنائم التي اكتسبوها . كذلك اصبح لدى المسلمين بما اسفرت عنه غزوة بدر من احكام شرعية قواعد ثابتة يسيرون وفقها في حروبهم وعلى الاخص فيما يتعلق بتوزيع الغنائم ومعاملة الاسرى .

ثم غزوة أحد ، ثم انهزام الاحزاب

وعلى الرغم من ان قريش استطاعت ان تاخذ بثارها من المسلمين في غزوة احد الا انها لم تتمكن من اضعاف شانهم ، فظلوا قوة يخشى بأسها ، ومن ثم تأهبت لقتالهم في السنة الخامسة للهجرة ، فبعثت تدعو العرب الى معاونتها ، فانضم اليها جماعات من القبائل العربية واليهودية عرفت بالاحزاب . ولم يتيسر لهذه الاحزاب محاربة المسلمين بالمدينة ، فقد اختلفت كلمتهم وفشلت قريش في تحقيق غرضها ، ثم ارسل الله ريحاً على الاحزاب في ليالي شاتية شديدة البرد حالت بينهم وبين مواصلة القتال وانطلقوا لا يلوى احد على احد .

ولا شك انه كان لفشل الاحزاب ورجوعهم عن المدينة منهزمين اثر عظيم في نفوس المسلمين والعرب كافة ، فقد تبين لهم ان المدينة لا تؤخذ عنوة وان حشدت لها الالف الجنود من الحجاز ونجد . وقد روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين جلت الاحزاب عن المدينة « الآن نغزوهم ولا يغزونا » .

اجلاء اليهود عن المدينة لما نقضوا العهود

لم يعد بين الرسول وبين قريش واقعة هامة بعد غزوة الاحزاب ، فقد استنفدت قريش كل مجهودها من هذه الناحية وقل التوتر يسود علاقتها بالمسلمين . اما فيما يتعلق بيهود المدينة فقد استطاع المسلمون بعد هزيمة القرشيين في واقعة الاحزاب ان يغزوا اليهود ويجلوهم عن المدينة .

صلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة

وكان لصلح الحديبية الذي عقد بين الرسول والقرشيين في السنة السادسة للهجرة اثر بالغ في التمهيد لانهاء النزاع بين المسلمين في المدينة والقرشيين في مكة ، فقد اخذت قريش بعد هذا الصلح تغير نظرها الى النبي ، وتغير حكمها عليه ، واصبحت ترى انه قرشي على الرغم من العداوة بينها وبينه ، يجمعه واياها نسب واحد. وصارت تعجب في نفسها بعلو شانه ونجاحه السياسي مما حمل بعض رجالاتها على الهجرة الى المدينة ومبايعة الرسول على الاسلام . اما الرسول فكان واثقاً من تفوقه على قريش ، فاخذ يعاملها معاملة من يشعر بتفوقه ، وظل يعمل على تصفية العلاقة بينه وبينها واتمام النصر عليها .

سير الرسول الى مكة لما نقضت قريش صلح الحديبية

فلما بلغه انها نقضت صلح الحديبية عول على انتهاز هذه الفرصة للقضاء على مناوأتها ولتحقيق رغبته في دخول مكة وضمها الى الكتلة الاسلامية . وكان الرسول يرى ان اخضاع قريش اصبح امراً ميسوراً ، فارسل الى اهل البادية والى من حوله من المسلمين يدعوهم للخروج معه ، فاجتمع اليه عشرة الالف ، سار بهم قاصداً مكة .

اسلام أبي سفيان زعيم قريش ، ودخول النبي مكة ، وتحطيمه الأوثان

لم تعمد قريش الى الوقوف في وجه المسلمين اثناء مسيرهم الى مكة بل تخطت رغبة من جانبها في الاستسلام بطريقة لا تمس كرامتها ومكاسبها ، فقابل زعيمها ابو سفيان بن حرب الرسول وهو في طريقه الى مكة واسلم بين يديه ومنحه الرسول أمانا . فعاد أبو سفيان الى مكة داعيا قريش الى الاسلام ، وصار ينادي بها قائلا " يا معشر قريش ويحكم انه قد جاء ما لا قبل لكم به ، هذا محمد في عشرة الاف عليهم الحديد ، فاسلموا تسلموا" . وبذلك تمكن المسلمون من دخول مكة دون مقاومة تذكر وتوجه رسول الله الى الكعبة وطاف بها سبع مرات ، وشكر الله على هذا الفتح وحطم ما حولها من الأصنام ، ثم جاءته قريش واسلموا بين يديه ، وبايعوه على السمع والطاعة لله ولرسوله فيما استطاعوا .

رقعة الاسلام تتسع بعد فتح مكة

أخذت الدولة الاسلامية التي أقامها الرسول بالمدينة في النمو تدريجيا تبعا لانتشار الدعوة الاسلامية،وامتد سلطانها الى مكة بعد قضاء الرسول على مقاومة قريش ، ثم اتسعت رقعتها فشملت بلاد الحجاز بعد انضواء قبيلة ثقيف بالطائف تحت لواء الاسلام في السنة التاسعة للهجرة .

القبائل العربية تسرع في قبول الدعوة

ولا شك أن فتح مكة وخضوع قريش للدولة الاسلامية الناشئة كان له أثر كبير في حمل القبائل العربية الأخرى على الاسراع في قبول الدعوة الاسلامية بعد أن كانوا من أشد المعارضين لها،فسارت وفودها من جهات جزيرة العرب المختلفة قاصدة المدينة لتعلن دخولها في الاسلام وطاعتها للرسول،بعد أن رأت انه لا قبل لها بمحاربة المسلمين الذين واصلوا الجهاد سنين طويلة دون أن تفتر عزيمتهم . وروى ابن هشام عن ابن اسحق انه لما افتتحت مكة ، ودانت له (أي الرسول) قريش ودخولها الاسلام،عرفت العرب انه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا في دين الله كما قال الله ــ عز وجل ــ أفواجا يضربون اليه من كل وجه .

يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا ، فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا) .

وتعود الوفود الى قبائلها لتنشر الدعوة وتعاليم الاسلام

ظهرت بوادر الوحدة الدينية والسياسية بجزيرة العرب في السنة التاسعة للهجرة ، حيث أخذت القبائل العربية تفد الى الرسول معلنة اسلامها عن طوع واختيار . وكان أعضاء الوفود العربية الذين يأتون الى المدينة ليحظوا بمقابلة الرسول يمثلون قبائلهم في أصدق الأحوال في التعبير عن رغبتهم الصادقة في اعتناق الاسلام والدخول في طاعة الرسول ، فاذا ما عادوا الى مواطنهم نشروا الدعوة الاسلامية بين أهاليهم وقاموا بتعليمهم فرائض الاسلام وأحكامه وكان بعض هذه الوفود يعودون حاملين كتبا من الرسول مبينا بها ما يفرضه عليهم الاسلام من واجبات .

الرسول يخرج الى الحج في السنة العاشرة للهجرة

لما اطمأن الرسول الى أن جزيرة العرب أصبحت كلها تنضوي تحت لواء الاسلام استقر رأيه على الخروج للحج في السنة العاشرة للهجرة ، ودعا المسلمين الى أداء هذه الفريضة معه ، فلقيت دعوته قبولا

من نفوسهم ، ثم سار من المدينة قاصدا مكة لزيارة بيت الله الحرام، ومنها خرج الى منى ، ثم الى جبل عرفات . وهناك ألقى خطبته التي اعتبرها المسلمون دستور الاسلام . ومن رسالة اتى وهو واقف بعرفة حيث انزل الله تعالى عليه هذه الآية : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) .

الشعور بالوحدة القومية ، ساعد على قيام الدولة العربية الاسلامية

شاهد الرسول اثناء حجه كيف علت كلمة الاسلام وانهار صرح الوثنية ، كما تحقق من اخلاص امراء العرب وزعماء قبائلهم له ، فلما رجع الى المدينة مع أصحابه من المهاجرين والانصار أصبح لا يخشى شيئا من ناحية جزيرة العرب لسيادة الدين الاسلامي على اقاليمها ومدنها .

وهكذا أصبحت بلاد العرب بعد ان انتشر فيها الاسلام تجمع بينها عقيدة واحدة ، كما ظهر بين اهلها شعور بالوحدة القومية مما ساعد على قيام الدولة العربية الاسلامية على اساس الوحدة الدينية والسياسية .

وقد تمتعت مدن العرب وقبائلها بعد ان تحولت الى الاسلام بقسط وافر من الاستقلال الذاتي داخل نطاق الدولة العربية الاسلامية ، فصار الرسول يبعث عماله الى البلاد التي تدين بالاسلام ليعلموا اهلها اساس القرآن ويفقهوهم في الدين ويجبوا منهم الصدقات ، ثم يوزعوها بين الفقراء من اهل تلك البلاد أو يرسلوها الى المدينة ، التي ظفرت في حياة الرسول بمركز ديني ممتاز ، فهي التي نزل بها من القرآن أكثر مما نزل بمكة ، فأصبحت بذلك مصدر التشريع الاسلامي ، هذا الى ان الرسول اتخذها مركزا لدولته ، توجه منها رسله الى الامراء والملوك يدعوهم الى الاسلام ، ومن ثم علا شأنها وصار العرب ينظرون اليها على انها عاصمة دولتهم ومصدر سياستهم .

كان للاسلام آثار بعيدة المدى في حياة العرب السياسية والاجتماعية ، فقد جمع شتات القبائل العربية تحت لوائه ، وألف بين قلوبهم ، وقضى على العصبية الجاهلية . وبذلك ارتبطت بلاد العرب بعضها ببعض برباط وثيق بعد ان كانت مفككة العرى .

الاسلام شرع للفرد والمجتمع على سواء

كذلك وضع الاسلام الكثير من الاسس والمبادىء العامة التي تنظم المعاملات بين افراد جماعة المسلمين ، فحث على التمسك بالفضائل والآداب الاجتماعية ، كما بين انه واجب من واجب الانسان المحافظة على العهد والميثاق، وعني عناية كبيرة بالاسرة ، وشرع وسائل عديدة للنهوض بالارقاء ومساعدتهم على استرداد حريتهم .

ولم تقف عناية الاسلام باصلاح المجتمع عند هذا الحد ، بل قضى على الاخذ بالثأر وجعل ذلك الى الامام وحده ، وسوى بين الناس على اختلاف اصنافهم وأجناسهم ، ولا غرو فقد جعل الله المؤمنين اخوة لا تفاضل بينهم الا بطاعة الله وتنفيذ امره . وفي ذلك يقول الله تعالى : (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم ، ان الله عليم خبير) .

وصفوة القول ان الاسلام ايقظ نفوس العرب ووحد كلمتهم بعد ان كانوا متفرقين كما اخرج للعالم تلك المدنية التي لا زلنا نجتني ثمارها بعد ان وضع لنا القرآن نظمها وأصولها .

محمد جمال الدين سرور

اختبار .. وتسلية

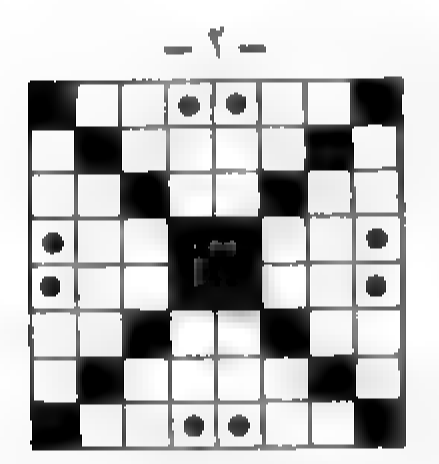
وجوائز ١٠٠ دينار

■ ... وهذه مسابقة أخرى من مسابقات الصيف ، التي راعينا في اختيارها أن تجمع بين اختبار الذكاء ، وعنصر الترفيه والتسلية .

– ١ –

في هذه المربعات الخمسة والعشرين ٥ كرات و٣ صلبان . المطلوب اعادة ترتيب هذه الصلبان وتلك الكرات ، بحيث لا يجتمع النوعان (الكرات والصلبان) في صف واحد ، سواء أكان عموديا أو افقيا أو مائلا .

– ٢ –



يتألف هذا المربع الكبير من ٦٤ مربعا صغيرا ، منها ١٦ مربعا مطموسا ، و ٤٨ مربعا خاليا . والمطلوب هو أن تضع في المربعات الخالية ٨ كرات بحيث لا تجتمع اثنتان من هذه الكرات في المربعات القائمة على خط واحد ، سواء أكان عموديا أو افقيا أو مائلا .

شروط المسابقة وجوائزها

١ – يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٤٦ .

٢ – يكتب على الظروف عبارة « مسابقة العربي – العدد ٦٩ » .

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر سبتمبر (أيلول ١٩٦٤) .

● يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الأولى : ٣٠ دينارا   الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا   الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير . وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع .



الغلاء والحكي ..

عن جريدة « الحياة » : بيروت

● اذا سألك سائل أيها القارئ عن الغلاء ليتك تشيح بوجهك عنه ، او اذا اردت ان تحافظ على ادبك ، فافعل كما فعل مدير عام وزارة الاقتصاد ، اذ قال امس « الغلاء في لبنان حكي بحكي » .

اذن ، الغلاء في لبنان « حكي بحكي » شئنا أبينا ..

صحيح ان الناس ، كل الناس ، يشكون من الغلاء مر الشكوى ويتذمرون اشد التذمر ، ولكن الصحيح ايضا ان من ينظر الى الأمور ، من فوق ، يرى غير ما يراه الناظر اليها من تحت ، فلا يعقل والأمر كذلك ، أن تخطىء نظرة المدير من سدته العالية ، وتكون نظرة الناس، وهم من تحت بالطبع، هي الصائبة .

ويطالب المدير « مطلقي اشاعات الغلاء » ان يعطوه البرهان على ما يدعون ، وهذا يؤكد انه واثق مما يقول ، رغم انه قلما ينزل الى السوق ويشتري او يبيع ، شأنه في ذلك شأن رفاقه المدراء ومعهم الوزراء واصحاب المقامات الرفيعة كلهم .

أيها الناس ، من كان منكم قادرا فليحمل اليه البرهان ، على الغلاء المزعوم ..

اما انا فقد اعفيت نفسي بشكل نهائي لأني تزوجت ولدين معي ولبنان وسافرت عليه .. ومعي الدين؟

الشيوخ والشباب في عصر العلم

عن مجلة الهلال ـ القاهرة .

لقد كان الشباب يشعر بعظمة ابيه ، وان كان يقل تجربة ، فهو اوفر علما واكثر نشاطا ، والكبير اتصالا بواقع الحياة . ولكن هذه الميزات اخذت تتضاءل بتقدم العلم الحديث ، واذا الشيوخ يشاركونه قربا من الواقع ، ويشاركونه نشاطا ، ويزيدون عليه خبرة الممارسة الطويلة . فماذا يصنع .. ؟!

وبتقدم العلم تقدما مذهلا في سرعته بدأ الشباب يحس احساسات الكهولة من حيث قدم المعلومات التي تعلمها في المدرسة . كان الشاب قديما يفخر على ابيه انه يتعلم في المدرسة جديدا قد لا يعرف الأب منه شيئا . ولكن ماذا يحدث اليوم ؟ ان الشباب ما يكاد يخرج من المدرسة حتى يكتشف ان الذين يأتون بعده بعام او عامين يتعلمون هم ايضا شيئا احدث مما تعلم . واذا هو فجأة في صف الشيوخ من حيث قدم المعلومات العلمية العملية على الأقل . وازاء هذا لا بد له من ان يتزود بعلم جديد متجدد باستمرار . ووسيلته في ذلك هي وسائل جني الثقافة المتاحة للجميع عن طريق الكتب والمجلات ووسائل الاعلام كلها ، وهذه الوسيلة متاحة له وللشيوخ بجيليهما على حد سواء، بل قد يكون الشيوخ اقدر على التزود بها منه .

معركة التحدي

من جريدة « الجمهورية » ــ بغداد :

● اننا في الوقت الذي لم يفاجئنا بما فعلته اسرائيل من ضخ مياه نهر الاردن وبحيرة طبرية الى صحراء النقب ، نرجو ان لا يكون فيما اقدم عليه العدو استفزاز يجرنا الى ارباك مخططنا لمواجهة التحدي الاسرائيلي الذي ينبغي ان نتدبره بالعمل الجدي المدروس بالتعاون مع كل الشعوب التي اعلنت وقوفها الى جانب حقنا .

ان قضية الاستيلاء على مياه نهر الاردن هي قضية حياة او موت بالنسبة للامة العربية كلها . واذا كانت احداث عام ١٩٤٨ تمثل الصفحة الاولى من صفحات المعركة بين العرب وبين اليهودية العالمية والاستعمار ، فان تحويل مجرى الاردن يمثل الصفحة الثانية وربما الاخيرة من المعركة .

لقد استطاع اليهود في عام ١٩٤٨ ان يقيموا كيان اسرائيل سياسيا ، وهم الآن ما تسنى لهم استثمار مياه نهر الاردن على النطاق الذي يخططون له ، سيثبتون كيان اسرائيل اقتصاديا ويمدون وجودها بالامكانيات المادية والبشرية .

وهكذا فان المرحلة الجديدة من صراعنا مع العدو الذي اقتحم ديارنا مرحلة خطيرة تقتضي منا ارتفاعا الى مستواها فيما نقوم به ونخطط له ، وادراكا عميقا لابعاد المعركة وملابساتها وظروف متطلباتها .

ولسنا وحدنا الذين ينبغي ان نتخذ موقفنا من هذا التحدي بل ان كل الشعوب المؤمنة بالحرية والتي تساند الحق ، مدعوة الى ان تفهم الظرف الجديد وتتخذ من الاجراءات ما ينسجم وايمانها بعدالة قضيتنا وبوجاهة موقفنا .

ان معركة تحويل مجرى الاردن تمسنا والعالم الحر كله في مواجهة التحدي الاسرائيلي . وعلينا ان نعمل بكل جهد وفاعلية للوقوف امام التحدي . وليس علينا بعد ان ندفع الثمن سهلا او غاليا .

ولست ابالي حين اقتل مسلما
على اي جنب كان في الله مصرعي

لماذا ؟

من جريدة « فلسطين » ــ القدس :

● ما انعقد مؤتمر اقتصادي ، او تجاري ، اوسياحي ، لبحث شؤون ما بين العرب ، الا كانت من بين توصياته واحدة تطالب بازالة العقبات القائمة في وجه تنقل المواطنين العرب في ارجاء وطنهم الكبير ، تستوي في ذلك المؤتمرات التي تعقد على مستوى الحكومات ، وتلك التي تعقد على مستوى الشعوب .

نقول هذا بمناسبة ما قيل من ان الاتحاد العربي الدولي للسياحة بحث موضوع الغاء جوازات السفر عند التنقل بين الدول العربية ، والاكتفاء بالبطاقة الهوية ، تشجيعا لتبادل الزيارات بين الاقطار العربية .

وعلى اننا نؤيد الاتحاد السياحي في قرار كهذا قد يكون اتخذه ، فانما نحب لو ان الاتحاد فطن ــ قبل ذلك ــ الى وجود اجراءات وعقبات محلية كثيرة ، في كل بلد عربي ، دون استثناء ، ان لم تكن تمنع المواطن من مغادرة بلده ، فانها على الاقل تعرقلها ، وتؤخرها ، وقد تؤدي تعقيداتها وتطبيقاتها الى اقلاع المواطن عن السفر .

اننا اصلا ضد القيود التي تفرضها الدول العربية على سفر مواطنيها ، وضد القيود التي تفرضها دول اخرى على دخول اراضيها لانها دعوة وحدة اولا ، وابسط مظاهرها ازالة الحدود ، فكيف بالقيود ؟!

ولكننا ، وما دامت الحدود قائمة ، فلا اقل من ان تلغى القيود ، لان مصالحنا كافراد وكشعوب وكامة ، تقضي بالغائها ..

ان كثيرين ممن يتخذون قرارات ، او توصيات الغاء القيود ، هم من المسئولين ، وعلى كثرة ما اتخذ بهذا الشأن من قرارات ، فان القيود ما تزال قائمة ..

لماذا ؟





*** عرق الصيف ضرورة**

*** الكلاب تلهث ، لانها لا تعرق**

*** عرق الطلبة عند امتحان، عرق انفعال لا عرق احترار**

*** رائحة الاجسام ، من عرق ، عند بعض اهل الارض مستطابة**

■ **لا نقول جديدا اذا نحن قلنا** : ان العرق ماء يفرزه جسم الانسان ، يخرج من ثقوب في الجلد تعرف بالمسام . ووراء هذه الثقوب غدد تستخلص من الدم الماء وما به ، فيخرج من هذه الثقوب ، فنقول انه العرق .

لا جديد في هذا .

ونزيد فنقول

وانما نزيد فنقول ان هذه الغدد صغيرة جدا فهي لا تكاد ترى الا بالعدسة اذ تكبرها .

ونزيد فنقول : ان هذه الغدد منتشرة في جسم الانسان كله تقريبا . ويبلغ عددها ما بين مليونين الى ٣ ملايين غدة .

ونزيد فنقول : ان الانسان تميز من سائر الحيوانات ، في عمومها ، بكثرة غدده هذه ، فكثرة مسامه . يشاركه في ذلك الحصان .

ونزيد فنقول : ان العرق نعمة ، وان كان ظاهره النقمة ، لا سيما اذا احتر الصيف ، وتبللت به الملابس ، ما بطن منها وما ظهر .

ونزيد فنقول : ان غدد العرق في جسم الانسان نوعان : غدد صغيرة مكرسكوبية، هي التي يخرج العرق المعروف منها ، وغدد اخرى ، لم نتحدث عنها بعد ، وسوف نتحدث عنها في نهاية هذه الكلمة، وهي غدد اكبر ، موجودة على الاكثر في الابط ، تفرز من العرق نوعا عكرا



نعمة أم نقمة؟

كيف تتخلص من [illegible] الأبدان ؟

كالمستحلب ، هو الذي يعطى الاجسام رائحتها .

العرق ضرورة

ان العرق ضرورة لان تفاعلات الجسم الكيماوية ، التي تعطيه الحياة ، انما هي احتراق دائم . والحريق حرارة . والحرارة لا بد من ان تتسرب والا ارتفعت بها درجة حرارة الجسم الى ما لا يأتلف مع اتمام تلك التفاعلات الكيماوية على اوفق حال .

والجسم يفقد من حرارته بالاشعاع .

والجسم يفقد من حرارته بالعرق ، اذ يظهر على الجلد بللا ، ثم يتبخر ، وبالتبخر يحمل معه الكثير من الحرارة . والجسم به من العقل والتعقل ما يدعوه الى افراز الكثير من العرق اذا زاد خزينه من الحرارة ، والى افراز القليل من العرق اذا قل خزينه منها .

والجسم يفقد من حرارته بالتهوية ؛ ولذلك يستخدم الانسان المراوح ، وهى تحرك الهواء حول الجسد ، فيحمل عنه حرارته . ولو كان عرق ، حمل كذلك العرق بخارا فكان اعمل اثرا .

الكلاب لا تعرق

والكلاب لا تعرق ، لانه ليس بجسمها مسام . واذن هي تلهث . ويخرج ماء منها باللهث فيصير بخارا يحمل معه الكثير من الحرارة .

والرجل منا يستطيع ان يلهث كما لهث الكلب ، فيتخفف من حره . ولكنه لا يلبث ان يتعب فيكف .

العرق ماء وملح

والعرق ماء وملح . واجر لسانك على عرق جلدك ، او التمسه من بعد

جفاف ، تلق ملحه . وبسبب هذا الملح قد يلحق ضرر كبير بالانسان .

مثال ذلك العمال الذين يعملون باجسامهم فيمحيط حار، يعرقون كثيراً، ويفقدون بهذا العرق مقداراً من الملح كبيراً قد يصل الى ٢٠ جراما في اليوم . ويصاب العامل نتيجة ذلك بتمغص في عضلات هيكل الجثمان مؤلم ، وينتج من هذا الحال ان يضاف الملح بواقع جرام في كل لتر من ماء الشرب. والطعام يتملح تمليحا فوق العادة . وهناك أقراص للملح خاصة تبلع مع الماء بلعا .

الفرانون والمعدانون

ومن امثلة هؤلاء العمال الفرانون العائمون عند افرانهم ساعات كثيرة . وكذلك المعدانون الذي يعملون في مناجمهم في باطن الارض .

وضربة الشمس

او هم يسمونها ضربة الحر ، والمعنى واحد ، فالشمس انما تضرب بحرها .

وتتلخص في ارتفاع درجة حرارة الجسم في الرجل الذي يبذل مجهوداً جثمانيا في وقدة الشمس أو في المحيط الحار . وسبب ذلك تعطل يصيب غدد العرق فيقل افرازها اولا ، اذ تتعب من طول افراز ، ثم تكف عن افراز بالمرة .

وينتج من ذلك اضرار في المخ ذاته ، تؤدي الى الموت .

وكان هذا يحدث في بعض حجاج بيت الله ، والصيف على اشده . ويسعون بوضعهم على الفور فيحمامات، بها الماء والثلج معا ، اقامها أولو الامر هناك في الطريق الى عرفات (انظر موضوع ضربة الشمس في العربي ، في عدد أول الشهر الثامن عام ١٩٦٠ صفحة ٩٨) .

العرق عرقان : عرق احترار ، وعرق انفعال

اما عرق الاحترار ، فذلك ما قد وصفنا

واما عرق الانفعال فلا يكون بسبب الحر .

واذا اردت أن تطلب مثلا هينا سهلا





.. والكلاب لا تعرق ، لانه ليس بجسمها مسام .. والان هي تلهث ..

تعرق الانفعال مادخل قاعة امتحان ، لا سيما امتحان آخر العام ، وتحستشى باطن أكف الطلبة والطالبات وهم يكتبون . انها بواطن أكف عرقه ، حرج عرقها بسبب ما يبذل الطالب والطالبة من مجهود عقلي وهما في ازمة انفعال نفسي شديد .

وكذلك يندى الكفان وصاحبهما في موقف محرج .

ويندي كما المراهق والمراهقة عند بدئهما ممارسة الحياة . انه الخجل ، او لعله الخوف ، او لعله الاضطراب امام الموقف الجديد . ويكتب المراهق والمراهقة فتبتل أوراق الكراسة مما يتساقط من عرق كفيهما . وقد يبقى هذا معهما ما بقيت المراهقة .

وكباطن الكف باطن القدم . كذلك يندى باطن القدم في أزمات الانفعال .

وقد تزيد الأزمة الانفعالية العصبية فيظهر العرق كذلك في الوجه ، وعلى الجبهة خاصة .

وبهذا النمي ، ونسترخي ، فتجف كل مواقع هذا العرق في الجسم .

رائحة الاجسام ، مصدرها العرق ، ولكن من نوع

هي أمر الغدد الأكبر ، تلك التي ذكرناها في أول هذه الكلمة . انها تعطي الأجسام روائحها .

انها اشبه بتلك الغدد التي تعطي الحيوانات روائحها .

انها تفرز سائلا عكرا نتيجة اهتياج عام ، أو لشهوة مثارة ، او الم قائم .

وهو سائل يخرج لا رائحة له في أول الامر ، ولكنه لا يلبث ان يكتسب تلك الرائحة التي تعرف للاجسام ، وتكره في المجتمع ، وهي تنتج من فعل البكتير بهذا السائل .

وهذه الرائحة الكريهة ، في العرف ، تخف عند بعض الناس، من رجال ونساء وتشتد عند بعضهم .

ونقول انها كريهة في العرف ، وهذا يوحي بأنها غير كريهة « في الطبع » . والا لكان شأن بني الناس فيها شأن الحيوانات .

يعزز هذا الرأي ما يحكيه بعض علماء علم الانسان والأجناس، انه يوجد من الناس، في بعض بقاع الأرض، من تجتذب في انوثهم هذه الرائحة . حتى ان المرأة منهم ، اذا ارادت أن تغاضب زوجها ، عمدت الى الاستحمام ، فتزيل هذه الرائحة عن جسمها .

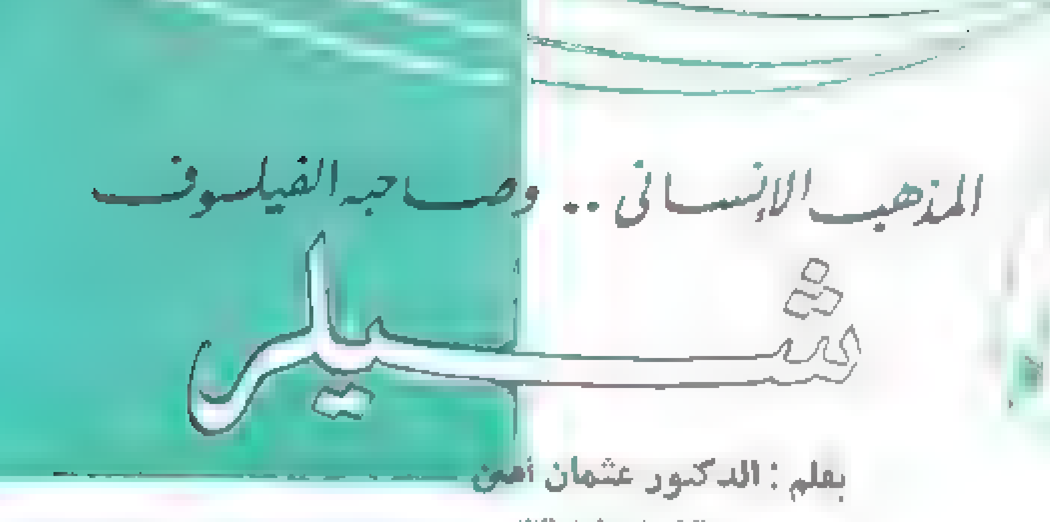
كيف تتخلص المرأة ، ويتخلص الرجل من رائحة عرق الابط

والحال غير هذا في سائر العالم المتمدن . وقد بذل أهل الخبرة الكثير من الجهود لاستنباط طريقة لإزالة هذه الرائحة من الجسم . وخير طريقة ، على ما يبدو، انما هي متابعة غسل الابط بالصابون ، وحلق الشعر الذي هناك . وكل هذا لخفض فعل الكروب، لا لخفض العرق . وتستخدم من بعد ذلك عدة اشياء هدفها الأول التطهير من الكروب.

من ذلك مثلا غسل الابط بالصابون الذي به المركب الكيماوي المطهر هكساكلوروفان Hexachlorophane فمن بعد الغسل بهذا ، يبقى من هذا المركب اثر يقلل من فعل البكتير .

وهنالك مستحضرات اخرى تدخلها مركبات الالمنيوم ، واشهرها كلور الالومنيوم .

وبعض ينصح ببلع أقراص كتلك التي تحتوى على اليخضور النباتي ، الكلوروفيل ، ولكن لم يتضح بعد أن لهذه الاقراص قيمة تذكر في اداء هذا الغرض .



المذهب الإنساني .. وصاحبه الفيلسوف شيلر

بقلم : الدكتور عثمان أمين
رئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة

● إن المذهب الإنساني في حد ذاته هو أحد أبسط وجهات النظر الفلسفية، وقوامه إدراك الإنسان أن المشكلة الفلسفية تخص كائنات بشرية، تبذل غاية جهدها، لتفهم عالم التجربة الإنسانية، وزادها في ذلك أدوات العقل البشري وملكاته.

والمذهب الإنساني يطالب بأن تكون طبيعة الإنسان بتمامها هي المقدمة الكاملة التي يجب أن تبدأ منها الفلسفة [illegible] حاضر، ويطالب بأن تكون [illegible] الإنسان [illegible] أن تهدف الفلسفة إليها. ويطالب بأن لا تعزل الفلسفة نفسها عن مشكلات الحياة الواقعية، [illegible] الذاتية وتضع تجريدات في رأسه ولا [illegible]

شيلر في أكسفورد :

وصاحب «المذهب الإنساني» هو فرديناند كاننج سكوت شيلر Schiller، الذي اشتهر في الفلسفة المعاصرة بأنه كان زعيم «البرجماتية» في انجلترا ..

ولد بألمانيا سنة ١٨٦٤، وتلقى التربية التقليدية في الجامعات الإنجليزية، ولما أنهى دراساته الجامعية انصرف إلى التأليف.

وفي سنة ١٨٩١ أصدر كتابه الأول «ألغاز أبي الهول»، وهو كتاب قد اتسم بالأصالة والإقدام، وحدد المرحلة الأولى من فكر الفيلسوف الشاب، وقد ضمنه دفاعا حارا عن الميتافيزيقا وبيانا لأهميتها بالنسبة للإنسان المفكر، وأخذ يهاجم الوضعية التي تنكر الميتافيزيقا، مبينا أن كل نظر عقلي إنما ينشأ عن ضرورات عملية، وهذا شأن الميتافيزيقا ذاتها، أنها تعنى بالطريقة التي تقوم عليها كل حياة إنسانية وبالمشاكل العامة التي يفترضها الوجود الإنساني التي تواجهها، وأن من الميسور أن نبين أن الحجج التي ساقها «هيوم» أو «سبنسر» نقضا للميتافيزيقا ليست حججا حاسمة إطلاقا، وأن «اللاأدرية» لا مناص من أن تؤدي بنا حتما إلى ما هو أبعد عن الميتافيزيقا وعن الحياة، إلى الشك المطلق.

وفي سنة ١٩٠٢ كان شيلر واحدا من ثمانية فلاسفة شبان، اشتركوا في نشر أول كتاب عن البرجماتية الإنجليزية، بعنوان «المثالية الشخصية». وهذا الكتاب يكشف عن الأزمة الروحية التي كان يعانيها مفكرو القرن التاسع عشر أكثر مما يكشف عن تيار جديد يعده عصر [illegible]

وفي سنة ١٨٩٧ عين شيلر أستاذا مساعدا في «كوربس كريستي كولدج» في جامعة أكسفورد، وفي سنة ١٩٠٣ أصبح أستاذا بها،

نظرية تأبى دراسة العقل محنطا في زجاجة كحول

● ● ●

فلسفة تأبى قول من قالوا : ليس في الامكان أبدع مما كان



وظل يؤدي فيها وظيفته تلك الى سنة ١٩٢٦ . وقد عبر شيلر غير مرة عن سخطه وأسفه لما آل اليه أمر التعليم في « أكسفورد » ، بسبب تلك النظم العتيقة التي تقضي على البحث الحر ، وتخنق الروح الجامعي ، وتفسد التربية بقيود ثقيلة ، تفرضها نظام للامتحانات تسيطر عليه الرجعية والجمود . وقضى شيلر في أكسفورد زهاء ثلاثين سنة في نضال وجدال لا يخلوان من عداء شديد وسخرية لاذعة لزملائه في الجامعة . ثم عين بعد ذلك أستاذا زائرا في جامعة كاليفورنيا الجنوبية بأمريكا ، وهناك سنحت له فرص عديدة للمساهمة في القاء طائفة من المحاضرات العامة الموجهة للجمهور ، عالج فيها الموضوعات الفلسفية معالجة تختلف اختلافا كبيرا عما جرى العرف عليه في جامعة أكسفورد .

ولقد رحب شيلر بنظام التربية في الجامعات الامريكية : فهذا النظام ، اذ يفرض على الجامعيين أن يعرضوا بحوثهم على الجمهور عرضا يثير الاهتمام بها والاقبال عليها ، يجعل المتخصصين بمأمن من العزلة والانزواء في الابراج العاجية ، ويبث فيهم جميعا الشعور بأنهم يؤدون خدمة عامة تنال تقديرا كبيرا في مجتمع ديمقراطي .

بين شيلر وجيمس

وقد تحدث شيلر عن صلته بوليم جيمس James صاحب البرجماتية في امريكا ، فقال : « لم يسعدني الحظ ، حتى ذهبت الى امريكا لأول مرة ، بالتعرف بوليم جيمس ، وهو يحاضر في جامعة « هرفرد » . ولم تواتني الظروف سنين طويلة بالفرصة لتقديم نفسي اليه ، ولكن حين جاءت اللحظة الموعودة كان تأثيرها كهربائيا خاطفا : فما انقضت خمس دقائق على لقائنا الأول حتى وجدتني انجذبت اليه ، وكأنني كنت اعرفه طول حياتي » . ولا غرابة في ذلك ، فقد كان شيلر قد قرأ من قبل مؤلفات الاستاذ الامريكي ، وخصوصا كتابه « مبادئ علم النفس » و « ارادة الاعتقاد » بحماسة بالغة ، وسنرى أن شيلر قد عني ببسط مذهب جيمس البرجماتي وتوسيعه تحت اسم جديد ، هو « المذهب الانساني » .

شارك شيلر في اكثر المؤتمرات الدولية للفلسفة . ومن طريف ما حدثنا عنه أنه في سنة ١٩٠٨ أتيح له أن يشهد مؤتمر الفلسفة الدولي المنعقد في « هيدلبرج » بألمانيا . وما كاد يبدي ملاحظة عابرة مؤداها أن البرجماتية حركة فلسفية قامت في امريكا ، حتى رأى أعضاء المؤتمر الألمان

يستنكرون هذا القول ، ويرون أن قيام حركة فلسفية في أمريكا هو ضرب من الوقاحة لا يمكن احتماله !

ومات شيلر في أغسطس سنة ١٩٣٧ حين كان يتأهب لحضور المؤتمر الدولي التاسع للفلسفة وهو « مؤتمر ديكارت » الذي انعقد في باريس في الاسبوع الأول من ذلك الشهر .

« بروتاغورية جديدة » :

ان قيام المذهب الانساني على قول شيلر « أن يكون الفيلسوف على بينة تامة ودراية واعية بالمشكلة الفلسفية التي تواجه كائنات بشرية تبذل غاية جهدها لتفهم عالم التجربة الانسانية وزادها في ذلك أدوات الفكر البشري وملكاته » . والواقع أن شيلر يجعل مكان الصدارة في التفلسف للانسان كله ، عقلا وحسا وارادة ووجدانا ، ويجعل الانسان مركزا للعالم الفكري كله . وقد أعلن في مناسبات عديدة أن مذهبه أشبه شيء بما سماه « بروتاغورية جديدة » ، ويقصد بذلك أن يؤكد أن المذهب لجديد واع « للنسبية الكاملة » التي ذهب اليها السفسطائي اليوناني بروتاغوراس Protagoras في العصر القديم (٤٨٥ — ٤١١ ق . م) . وهو يجعل شعار مذهبه عبارة بروتاغوراس : « الانسان مقياس الأشياء جميعا » . وهذا الشعار في نظره أشبه برسم تخطيطي لمذهب براجماتي انساني معا : فانه يستخلص من أحكام « الوجود » بأحكام « القيمة » ، ولا يستخلص الحقيقة الا في صورة أداة للعمل ، فهي لذلك نسبية قابلة لأن تتشكل ، ولا تكون شيئا أو واقعة لا يتدخل الانسان فيها . ويرى شيلر أن فلسفة بروتاغوراس ثمرة التجربة السابقة وآخرة : فان بروتاغوراس ـ وقد راعه ما هنالك من تناقض في مجال النظر العقلي الخالص ، ومما يقوم من تعارض بين رأي الجماعة ومطامح الفرد ـ انتهى الى اعلان دعوته تلك ، فاستطاع أن يؤكد للانسان استقلاله الروحي ، وحريته الفكرية أمام بطش القوة وسلطان المجتمع .

والآن فالمذهب الانساني يحاول أن يعود بالفلسفة الى النظر الى الفكر بعين الاعتبار ، ويبين أن الفكر يظل دائما فكرا فرديا . وهو يأخذ التجربة الانسانية بداية وغاية لكل نظر عقلي ، ويتحاشى جهدنا كل ما يجعل الواقع أو الحق غائبا متعاليا على الانسان . ومن ثم يقف المذهب في وجه كل اطلاقية ميتافيزيقية أو « ابستمولوجية » (أي متعلقة بنظرية المعرفة) : فان هذه الاطلاقية انما تغفل العلاقة بين الواقع والانسان ، وتفقد كل مضمون لها حين تزعم أنها تستطيع أن تجاوز النسبية التي تصاحب أمور الانسان . ان المطلق يستغرق لا محالة كل ما هنالك من تمايزات وفوارق هي لحمة وجودنا وسداه .

وكذلك يعارض المذهب الانساني ما اصطلح على تسميته بـ « الواقعية » : فان موقف هذه الواقعية الابستمولوجية يلتقي في صميمه مع موقف المثالية المطلقة كلتاهما حاولت أن تتصور الحقيقة شيئا مستقلا عن معرفتنا ، ومن ثم لا صلة بينها وبين حياتنا ، فلا أهمية حينئذ في أن تكون الحقيقة التي تطابقها معرفتنا « واقعة » مطلقة أو فكرا مطلقا ، ما دمنا لا نستطيع بلوغها بوجهة النظر الانسانية . أما نظرية المعرفة « الانسانية » فترى أن الحقائق التي توصف بأنها أبدية انما هي « مسلمات » أو مطالب نتقدم بها في مناسبة تجربتنا ، بغية أن نجعل عالمنا ، ملائما للعيش فيه .

ولئن يكن شيلر قد اتخذ « النسبية » شعاره الا أنه حرص على الابتعاد عن المذهب الارتيابي ، وأعلن مرارا أن في الحقائق النسبية ما يغني الانسان ، واتقى تهمة « الارتيابية » على المذهب

نتشه

من الأرجح أننا سنختار من بين الفلسفات جميعا تلك التي تصور لنا طبيعتنا أفضل تصوير

الإطلاقي ، إذ أننا حتى لو تصورنا الحقيقة مطلقة بعث بعيدة عن متناول الإنسان وأكثر من هذا أن الحقيقة المطلقة كما نتصورها الإطلاقية ليست عديمة النفع فحسب كمعيار للحقيقة التي لدينا ، لأننا لا نملكها ولا نستطيع أن نوازن بينها وبين ما لدينا من حقيقة ، ولا أن نقدر أين ولا إلى أي مدى تقصر حقيقتنا عن مثالها الأعلى ، بل إنها ضارة ضررا مطلقا ... إنها تعمل في أحشائها نتائج هدامة لها هي ذاتها » .

تطوير البرجماتية :

والمذهب « الإنساني » مرتبط – طبعا – ارتباطا وثيقا بالمذهب « البرجماتي » . ولكن في حين أننا نرى أن البرجماتية في جوهرها نظرية في المعرفة ، نلاحظ أن المذهب الإنساني موقف فلسفي أوسع وأشمل : إنه كما يقول جيمس « خميرة ستبقى في الوجود » ، وهي تحول في النظر الى مهمات الفلسفة يجعل الأشياء تظهر في مركز الاهتمام ، وقد ألقى عليها ضوء جديد » . ونستطيع أن ننظر الى المذهب الإنساني على أنه تطور طبيعي منطقي للبرجماتية التي تحكم على قيمة المعرفة تبعا لنتائجها . والمذهب الإنساني من حيث هو منهج ، يمكن تطبيقه على الأخلاق ، والجمال والميتافيزيقا ، والدين ، وسائر العلوم . فإذا كانت الحقائق نافعة فإن لها قيمة مؤكدة عند الإنسان ، وما دامت لهما عنده قيمة فلا بد أن يستعملها . إن وضع المعرفة على أساس منفعتها معناه أننا نحاول أن نصبغ العلوم بالصبغة الإنسانية ، وأن نبطل ادعاءها الاتجاه نحو التحقق ونحو « الاستقلال » . والفلسفة الإنسانية تبرز قيمة الآراء التي اهتدت إليها جمهرة الناس منذ زمن طويل لتنظيم فعل الإنسان .

والمذهب الإنساني ، كالمذهب البرجماتي ، هو في أصله منهج وتوجيه للفكر قبل أن يكون مذهبا . إنه على التخصيص احتجاج على تجريد المنطق من المعاني الإنسانية ، ذلك التجريد الذي قام به مناطقة استبعدوا من المنطق كل ما هو حياة نابضة . والنقد « الإنساني » يروم أول الأمر أن يظهرنا على أن المنطق التقليدي ، إذ ينزع من الفكر الطابع الإنساني ، ينتهي إلى شقشقة لفظية محضة . ويتيح لنا هذا النقد أيضا أن نحكم على قيمة الادعاءات المختلفة التي سمعناها من مختلف المذاهب الفلسفية التي تزعم بها أنها بلغت الحقيقة . فالنقد الإنساني ينزع الذهن إلى التوهين من أهمية التطبيقات العملية ، مع حرصه على إبراز فكرة حقيقة عامة تستند إلى اتفاق اجتماعي وتوجد في تطور متصل .

هذا الموقف قد أفضى بالمذهب الإنساني الى الحملة على ضروب الميتافيزيقا « القطعية » ، سواء في ادعائها بلوغ الحقيقة المطلقة ، أو استنادها الى حدوس تزعم أنها بديهية ، « فالبداهة إنما تبدو عندنا عارضا في حالتنا العقلية ، وليست ضمانا لها على النحو الاطلاق » . أما المذهب الإنساني فيرى أنه ليس هنالك ما يبرر أي ادعاء لبلوغ الحقيقة ، إذ ينبغي التحقق من جميع الادعاءات تبعا لما تفضي إليه من نتائج . ألسنا نرى أن ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة يظل لدينا كاذبا استحالة متورما في تاريخ الفلسفة على مذهبين يتنافيان فيما بينهما ادعاء تاما ؟

ومن ثم يرى المذهب الإنساني أن المذاهب الميتافيزيقية هي في جوهرها من ابتداع الأفراد ، وأنها انعكاس لعقليات أصحابها وذات اتصال بأمزجتهم . ويذهب شيلر إلى أبعد من هذا فيرى أن كل ميتافيزيقا صادقة جادة هي في آخر الأمر قصيدة من الشعر ، وتستمد وحدتها كما تستمد جاذبية جمالها من نظرة وخيال مبتكرها أو مؤلفها . والناس يتخذون في الحياة مواقف مختلفة ، لأن لهم مشارب متفاوتة ؛ ولقد كتب الفيلسوف الألماني فشته Fichte إلى الفيلسوف الألماني رينهولد Reinhold يقول : « إن مزاجي يفسر فلسفتي » ويرى وليم جيمس أن الميتافيزيقا عمل فني يقوم على تناول الأشياء وتقديمها بما يتفق مع المزاج الخاص . على أن الفيلسوف من حيث هو إنسان يطمئن دائما الى مزاجه الشخصي ، « ولما كان محتاجا الى عالم يلائم مزاجه فهو يؤمن بأي تصور يلائم هذا المزاج » والفيلسوف الألماني نيتشه Nietzsche ، ذلك البرجماتي الآخر ، كتب الى « دويسن » سنة ١٨٧٠ يقول : « مما هو أقرب الى الرجحان أننا نختار من بين الفلسفات جميعا تلك الفلسفة التي تفسر لنا طبيعتنا أفضل تفسير ، فنؤثرها بحبنا » .

فواضح مما تقدم أن المذهب الإنساني أشد من البرجماتي حرصا على إبراز الجانب الشخصي

المعرفة ، وبيان أهمية المساهمة الإنسانية في بناء الحقيقة ، وبالتالي في بناء الواقع بأسره .

المنطق الإنساني « منطق الاستعمال » :

حمل شيلر حملة عنيفة على المنطق التقليدي ، هذا المنطق الصوري الذي أشبه بلعب الأطفال ، تصوراته قائمة على التجريد ، خالية من المعنى . إنها تصورات بعيدة عن الواقع . إن أحدا لم يفكر فيها ، ولا يمكن أن يفكر فيها أحد . فهذا المنطق يتعارض مع الحقيقة ومع الحياة ، وهو يمثل طلاقا بائنا بين النظر والعمل ، ذلك الطلاق الذي حاولت المذاهب الذهنية المعرفة أن تتستر به على إفلاسها .

ومن الممكن أن يكون لنا منطق جديد ، لا في صورة تعاليم عامة فحسب ، بل نظرية للتفكير الواقعي ترتبط ارتباطا وثيقا بعلم الحياة العملية . وفي سنة ١٩٢٩ أصدر شيلر كتابه « منطق للاستعمال » ، وحاول فيه أن يبين أن المنطق ينبغي أن يكون نظرية عن التفكير الإنساني كما هو في الواقع ، وأن نظرية منطقية لا يستطاع تطبيقها في الحياة أو استعمالها في البحوث العلمية ، لا يمكن أن تكون صحيحة .

إن منطق شيلر منطق إرادي ، يقف في وجه ضروب المنطق الكلاسيكية التي تعد ذهنية بحتة . « وإرادية » شيلر تصبغ المنطق بصبغة إنسانية ، وتؤثر بها في كل تفكير واقعي من طابع عملي غائي شخصي . ومع أن نزعة شيلر الإرادية الإنسانية تتجه إلى القضاء على النزعة التجريبية البحتة في المنطق ، فإنها لا تشاطر العقل في ذاته الصماء ، بل تتوخى دراسته في نشاطه الحر ، ولا تعتبره — بعبارة شيلر — « محنطا محفوظا في زجاجة مليئة بالكحول » . ولهذا « الإرادة » ليس لها في المذهب الإنساني المعنى الميتافيزيقي الذي له عند « شوبنهور » ، وإنما يشير عند شيلر إلى خاصية جوهرية في الحياة الإنسانية ، أعني جانب النشاط والفاعلية في طبيعتنا ، وهو جانب أغفلته المذاهب الذهنية دون مبرر معقول .

وقد بين صاحب المذهب الإنساني أن هناك مشكلة قلما اهتم بها الفلاسفة وعلماء النفس وهي مشكلة « المعنى » . ومع ذلك فالمعنى « مسألة » طبيعية من مشكلات الحياة والتعقل : فلو لم يكن لمجرى الحوادث معنى عندنا ، ولو أنه لم يتيسر لنا أن نتنبأ بالمستقبل ، لما كان في وسعنا أن نلائم بينه وبين أنفسنا . « إن للعلم معنى » : فهذه مسلمة من مسلمات نشاطنا العملي ، وليست « ضرورة من ضرورات التفكير » . والمنطق الصوري قد تناول المعنى الواقعي مستعيضا عنه بالمعنى اللفظي ، فكان أشبه بمن يتحول عن نبع الماء ويجري ليلحق بالسراب . ذلك لأن المعنى الواقعي هو دائما معنى شخصي ، بينما المعنى اللفظي لا يعدو أن يكون تجريدا ، ومن ثم فهو معنى بالقوة ، متصل بطريقة استعماله : المعنى على نحو ما « مقترح » ، وهو يستدعي تعديلات كثيرة في المستقبل .

إن حجر الزاوية في المنطق « الإنساني » يتمثل في فكرة « الملاءمة للمقام » أو « المطابقة للمعنى الحال » ، وهي فكرة تؤدي دورا هو غاية في الأهمية في العمليات العقلية والمطابقة لمعنى الحال تدل على العلاقة المطلوبة بين المعطيات المتكثرة والموضوع المفكر فيه ، وتفيد على نحو ما « الأهمية » التي ننسبها إلى الشيء المفكر فيه من حيث إنه خليق بعنايتنا على هذا النحو أو ذاك . وإذن فالملاءمة في أمر ما تتضمن قيمته من حيث صلته بهدف السائل .

الحقيقة في خدمة الإنسان :

إن مشكلة الحقيقة التي شغلت الأذهان منذ فجر التفكير الإنساني ، وكانت مثار جدال في الفلسفات والأديان ، كان لا بد أن تكون مسألة عملية قبل أي اعتبار آخر : فإن الإنسان الذي يبتغي على نحو ما أن يحيا على وفاق مع العالم ، والذي يروم على العموم أن ينجح في أعماله ، ومن ثم أن يهيمن على ذلك التيار الماضي ، تيار الناس والأحداث ، هو أحوج ما يكون إلى أن يعرف دائما كيف « يكتشف الحقيقة » من نفسه ومن غيره . ولذلك كان طبيعيا أن يحاول صاحب المذهب الإنساني أن يقدم لنا نظرية عن الحقيقة لا تخلو من طرافة : استبعد كل فكرة عن حقيقة « مطلقة » ، ورأى أن الحقائق والأخطاء هي جميعا في خدمة الإنسان ، وأن شأنها ومهمتها

لا يكتنفها غموض ولا يشوبها التطلع الى المشروعية .

واذا كان الفكر موغلا في الحياة فيجب أن تكون الحقيقة كذلك . أما الحقيقة المجردة اللاشخصية ، البريئة من كل غرض ، فهي سراب خداع ووهم من أوهام الأذهان . ويجب أن لا ننسى شعار بروتاغوراس «Protagoras» وأن لا نستحي من أن نتصور الحقيقة على أنها شخصية ، بمعنى أنها مقصودة على قد الانسان ، منفرة بتقضي حاجاته ومطامحه ورغباته .

الاعتقاد لازم الفكر والحياة

الاعتقاد عند صاحب المذهب الانساني مشكلة من المشكلات التي تقع على الحدود بين علم النفس وعلم المنطق ، ولذلك يصح معالجتها من وجهة نظر العلمين معا . الاعتقاد في صميمه موقف روحي ، موقف ترحيب نتخذه تجاه ما نؤمن بأنه حقيقة . انه شأن من شئون طبيعتنا كلها لا الذهن وحده . والمشكلة المنطقية للاعتقاد لا يمكن أن توضع وضعا صحيحا ، ومن ثم لا يتيسر حلها الا اذا ربط الفيلسوف — المتشبع بروح المذهب الانساني — بين الاعتقاد والعمل ، ورأى في الحقيقة اعتقادا قد قوي وتمكن بفضل نتائجه العملية : فليس في وسعنا أن نحيا ولا أن نفكر اطلاقا بدون اعتقاد معين مهما تكن درجة ذلك الاعتقاد .

وبين الطرفين المتعارضين : « الاعتقاد » و « عدم الاعتقاد » يضع شيلر طائفة من الاعتقادات ، منها الاعتقادات « الضمنية » ، والاعتقادات « الجدالية » و « أنصاف الاعتقادات » ، والاعتقادات « الخالصة » ، والاعتقادات الموهمة . ويزودنا شيلر ، في هذا الصدد ، بملاحظات نفسية طريفة : فالاعتقادات الضمنية اعتقادات لا نجاهر بها عادة ولا نناقشها ، وربما لا نكون على بينة منها . أما الاعتقادات الجدالية فنسلم بها عن بينة ، وندافع عنها دفاعا عقليا . وأما أنصاف الاعتقادات فهي عنده غالبا ما تكون في العقائد الدينية كالاعتقاد بمصير الناس في الآخرة . وأما الاعتقادات الخالصة فغالبا ما تكون في الدعوات السياسية التي يقصد منها تضليل الشعب لا اصلاح أمره ...

ولب النظرية « الانسانية » في الاعتقاد أننا لسنا عبيدا لقوة تفرض علينا سلطانها من الخارج ، بل أن ما تنطوي عليه أنفسنا من عزم صادق على البناء يجعل من الميسور الى حد كبير — تعديل البيئة التي نعيش فيها ، وتهيئتها لتحقيق ما نرسمه لها من غايات . ونحن الآن أحرار في أن نختار معتقداتنا ، أحرار في ايماننا ، ولسنا مجرد قطع شطرنج على رقعة هذا العالم ، وانما نقوم فيه بدور اللاعبين .

عالم الانسان من صنعه

لعل من أبرز خصائص المذهب الانساني تصوره للدور الهام الذي يؤديه نشاط الذات الواعية في نمو المعرفة وتطورها . ومن هنا صح « لهنري سبرجت » أن يذهب الى أن في الامكان أن نهتدي عند شيلر الى « طراز من التفكير الفشتي » (نسبة الى فشته) وقوام هذا التفكير عند صاحب المذهب الانساني هو الايمان بأن الانسان يصنع « الحقيقة » ومن ثم يصنع « الواقع » .

ذلك أن الحقيقة تنطوي على فعل مزدوج : انها حقيقة عند شخص ما ، وهي أيضا حقيقة بالنسبة الى شيء ما . ولذن فهي تشتمل في آن واحد على « ذات » عارفة و « موضوع » معروف . ومسلكنا في المعرفة يكشف عن الموضوع ، بينما يزود الذات بالمعلومات ، « والواقع » الذي نعرفه يصنع



فشته

الفيلسوف الألماني الذي [illegible] وجهة الفكر في الوجود ، وسط [illegible] من [illegible] حياتها

متقدما نحو « الحقيقة » وهو يتجو أولا بأول مع بناء الحقيقة ، والآن فليست الحقيقة والواقع من الاشياء التي حدثت وفصل في أمرها نهائيا ، وانما هي أشياء من شأننا نحن أن نخلقها . ويترتب على ذلك أن يكون بناء الحقيقة ، على نحو ما ، بناء للواقع ، وليس هنالك حقيقة ثابتة كل الثبوت ولا واقع جامد كل الجمود : الواقع متحرك « سيال » كما يقول برجسون ، تفسيرا لنظرية جيمس ، « ونحن نسيل مع الواقع،وسعي حثيثا كل ما لديه يوجهنا خلال الواقع المتحرك ، فيمكننا من الهيمنة عليه ، ويهيىء لنا خير الشروط للعمل » . واننا نصنع الواقع أيضا من حيث اننا قادرون على أن نستخلص من الكائنات اجابات مختلفة : فنحن نعيش في مجتمع بشري ، ونصنع الواقع حين نعامل افراده معاملة تختلف باختلاف طبقاتهم أو ثقافتهم أو أجناسهم ، بل حين نوجه اهتمامنا الى وجوهنا معهم . والفرد تتغير حالته النفسية تبعا لوجوده وحده مع غيره ، والناس تختلف مواقفهم بحسب شعورهم بأنهم محبوبون أو مكروهون ، وبحسب اعتقادهم بأنهم مراقبون أو بعيدون عن الرقابة .

ومهما يكن الأمر فاننا « نستطيع بالجسارة والشجاعة أن نجعل الأشياء أكثر مرونة وأوفر قابلية للتشكل مما كان يخطر على بالنا من قبل » .

حرية الأفعال الانسانية

ان نظرة المذهب الانساني الى « الحقيقة » و « الواقع » حافلة بالنتائج : والفكرة الذاهبة الى أن عالم الانسان من صنعه ينتج عنها فكرتان ميتافيزيقيتان : فكرة النقص الذي يشوب الواقع ، وفكرة الحرية التي للأفعال الانسانية .. وصاحب المذهب الانساني ينظر الى الحرية الانسانية على أنها أمر واقع : هي عبارة عن عدم التحدد ـ القابل لأن يتحدد ـ في عالم غير تام ، قابل للتغير ، وفي تطور مستمر . أما الحتمية فليست ملجأ من بنية الأشياء يمثل الحقيقة الأخيرة في الميتافيزيقا ، بل هي منهج نحتاج اليه لتحقيق أغراضنا العلمية في التنبؤ بمجرى الحوادث في المستقبل : وهذا ما أوضحته النتائج التي انتهت اليها الفيزيقا « الكوانتية » . والعلماء حين انتقلوا حدود هذه الحتمية ، قد قدموا للفلسفة درسا ثمينا عن منهج العلم وطبيعة المعرفة .

تفاؤل وتسامح

للمذهب الانساني الفضل في أنه لا يتصور العالم شيئا تاما ، منتهيا ، جاهزا ، بل ان لصاحب المذهب عقيدة يعتز بها أيما اعتزاز : تلك هي أن الواقع قابل للتشكل ، واننا نستطيع أن نصنع به ما نشاء ، واننا نبتدعه على الدوام وبدون انقطاع ، وأن عملية الابتداع لم تنته بعد ، ولن تنتهي أبدا . ان عالمنا ماض سائر في طريق النمو والتحقق . وما المستقبل الا منطقة الممكنات التي في مقدورنا أن نجعل بعضها واقعا وبعضها مستحيلا ، تبعا للاتجاه الذي نحدده لنشاطنا ومشاعرنا وأفكارنا . وطبيعي في مذهب يؤكد حقيقة التغير في الوجود ، ويسلم بما في الصيرورة من جدة وتقدم ، أن يرفض مجرى الأمثال السائرة عند بعض الفلاسفة مثل قولهم : « لا جديد تحت الشمس » أو « ليس في الامكان أبدع مما كان » . وطبيعي كذلك أن يحرص على بيان أن واجب المرء ـ وفي طاقته ـ أن يؤدي دوره في هذه الدراما الكبرة ، التي هي الحياة ، وأنه دور خطير كبير ، وان يكن يبدو لنا متواضعا في أكثر الأحيان .

وان أخلاق المذهب الانساني لتفضي بنا الى احترام جميع المعتقدات ، ولو بدا لنا بعضها باطلا ، ما دام أصحابها مخلصين صادقين ، وانها لتدعونا كذلك الى أن نصون فكرنا من الانزلاق في مزالق التشيع والعصبية . وما أشبه الفيلسوف « الانساني » المعاصر بالحكيم الرواقي القديم ! انه يواجه ما في العنصرية من ضيق وتعصب ، بما في الانسانية من شمول وتسامح ، ويترفع عن كل تمييز بين الأجناس أو الطبقات ، ويعمل على أن يكون انسان اليوم « مواطنا عالميا » حقا .

عثمان أمين



قام بهذا الاستطلاع سليم زبال

وصوره «اوسكار»

■ اسرة كبيرة مؤلفة من ٨١٥ فتاة ، عمر أكبرهن ٢٧ عاما ، واصغرهن ١٧ عاما . يعشن داخل مبنى قديم بميدان باب المعظم ببغداد ، عيشة جد وكفاح ، .. ان هذا المبنى هو كلية البنات ببغداد، التي يتخرج منها سنويا اكثر من ١٢٥ فتاة مؤهلات تأهيلا كاملا لمواجهة معارك الحياة ، والصلابة بالجيل الجديد من الفتيات ..

لقد فتحت الكلية ابوابها منذ ٤٠ عاما، في وقت كانت فيه المرأة العراقية لا تطل على العالم ، الا من خلال غلالة سوداء..

وكان عدد الطالبات في اليوم الاول ٥٤ طالبة ، حاصلات على الشهادة المتوسطة،مكثن ثلاث سنوات ثم تخرجن فكانت منهن أول دفعة من المدرسات العراقيات .

ام العباية تصبح وزيرة !

وكانت هذه بداية انطلاقة جديدة للمرأة العراقية في طريق كله كفاح وجهاد للتغلب على العقبات والصعاب ..

وقد توجت السلطات هذا الكفاح بمنح المرأة كافة حقوقها متساوية في ذلك





مع الرجال ، حتى وصلت الى منصب «الوزيرة» والطب ، والهندسة ، والعمادة ، والادبية ، والوظيفة ..

حقيقة ان المرأة العراقية لا تخرج من بيتها الا والعباءة تلفها ، ولكن هذه القطعة السوداء كثيرا ما تخفي تحتها شخصية طموحة ومتحدثة لبقة ، تتقن الصفات وتعمل لرفعة شأن بلادها .

وتقوم كلية البنات بدور كبير في هذا المجال ، حتى تعد المرأة لتؤدي واجبها في النهوض بالمجتمع العراقي ..

لسد حاجة البلاد

والفروع الثمانية التي تتألف منها الكلية ، تزود الطالبات ، الحاصلات على شهادة الاعدادية الثانوية ، بثقافة وعلوم تعادل مستوى التعليم الجامعي ..

كانت نهضة العراق وثورته قد تطلبتا استحداث الكثير من هذه الفروع لسد حاجة البلاد المتزايدة الى المرأة المثقفة ، وتشمل هذه الفروع ، اقساما للغة العربية ، والانجليزية والتربية الرياضية ، والخدمات الاجتماعية ، وأعمال السكرتارية ، والاقتصاد المنزلي ، والرياضيات ، والفن .. الى جانب دراسة التاريخ العربي الاسلامي والاجتماعي المقررين في جميع اقسام الكلية ..

صرخة في واد

وقد اثار هذا التنويع في المواد وكثرتها احتجاجات بعض المتزمتين الذين ينادون بضرورة اقتصار تعليم المرأة على معرفة فك الحروف وكتابتها ، اي معرفة مبادىء القراءة والكتابة فقط ! ..

« جزء » لا « كل »

وتنبري الدكتورة سعاد ، عميدة كلية البنات ، التي ابعدت عن تلامذتها خلال فترة المد الشيوعي ، ثم اعيدت للكلية بعد انحسار هذه الموجة ، تنبري للرد على هؤلاء المتزمتين فتقول :

– المسألة .. مسألة ايمان بأن للمرأة الحقوق والواجبات نفسها التي للرجل .. ثم تتساءل ، هل يمكن لأي مواطن أن يتحمل مسئولياته ويؤدي واجبه لسد المجتمع وهو لا يجيد الا القراءة والكتابة؟

« والجواب مطلقا لا .. لأننا نرى بكل وضوح أن المؤهلات التي يجب أن يتصف بها المواطن العربي هي صفات عديدة منها ما يتعلق بالقابليات الفكرية ، كأن يكتسب قدرا معينا من مختلف العلوم والآداب والفنون ..

ومنها ما يتعلق بالناحية العلمية

« الدكتورة سعاد » عميدة كلية البنات ، تلقي على كتفيها مسئولية اعداد جيل جديد من فتيات العراق . لقد نالت الدكتوراه في التربية من جامعة كاليفورنيا ، وهي في نفس الوقت من خريجات كلية البنات ، التي ترأسها !



في فرع الفن المنزلي بالكلية تتلقى الطالبات دروساً في طريقة صنع لوحات ملونة من الفسيفساء (السيراميك) التي اشتهرت به العراق ، وخاصة سامراء ، منذ عهد الآشوريين والبابليين ، ثم في عهد الخلفاء العباسيين ..

والميول ، كان يكتسب عدداً من المهارات المفيدة . ويشعر بمشكلات أمته ، وبعي مسئولياته الكبيرة حتى يستطيع المساهمة في حل تلك المشكلات ..

« وهذه الصفات والميول هي التي نسعى لغرسها وتنميتها في طالبات كليتنا .

وعلى ضوء هذه الحقائق فان معرفة القراءة والكتابة ليست سوى جزء من المؤهلات التي يجب ان يتصف بها كل مواطن ، سواء كان ذكراً ام أنثى ، ليفيد نفسه ويفيد أمته ..

ولهذا أقول بانه لا يمكن باية حال من الأحوال ان ينحصر نطاق اعداد المرأة في مجرد تعلم القراءة والكتابة ..

ان هدفنا من الدروس التي تدرس لفتيات الكلية هو اعداد الفتاة لتصبح مواطنة صالحة ، تقدر مسئولياتها تجاه أمتها ، وتساهم مساهمة فعالة في بناء كيان مجتمعنا العراقي والعربي، وأن تعد لتكون ربة بيت وزوجة واما صالحة .

استقلال مادي

وتستطرد الدكتورة العميدة كلامها فتقول .

« يضاف الى هــذا الهدف العام ، هدف آخر : هو تعليم كل فتاة مهنة معينة ، كالتدريس او السكرتارية او الخدمة الاجتماعية او غير ذلك حتى



تستطيع القيام بعمل ايجابي منتج في مجال الحياة العملية الواسع ، ويصبح لها مركز اجتماعي محترم فتستقل ماديا.

ان خريجة كلية البنات تتقاضى حال تخرجها مرتبا قدره ٤١ دينارا اذا عملت في الحكومة ، ويرتفع هذا المرتب الى ٧٠ دينارا اذا عملت في الشركات الاهلية ..

وقد كان لهذا الاقبال على توظيف الخريجات بمرتبات عالية اثره في زيادة اقبال الفتيات العراقيات على الالتحاق بالكلية بصورة لم تشهد لها مثيلا اذ بلغ عدد المتقدمات الجديدات في العام الماضي ٣٧٠ طالبة ، اي ثلاثة اضعاف اكبر رقم سجلته الكلية من قبل ..

زيادة الاقبال هي السبب

وانتهت الدكتورة سعاد من حديثها وبدأنا جولتنا بين فصول الكلية لنشهد مدى النشاط الذي يبذل .. انه نشاط كبير فعلا، ولكنه للأسف جهد مكبل بقيد عجيب ، فمبنى الكلية لم يؤسس ليكون مدرسة ابدا ! مثله في ذلك مثل اغلب مباني مدارس العراق ، التي هي منازل للسكنى ، استأجرتها وزارة التربية والتعليم تحت ضغط الاقبال الهائل على التعليم ، وجعلتها مدارس ، وضعت فيها الطلاب الذين يعانون فيها الكثير من جراء ضيق الغرف ، ورداءة التهوية ، وقلة ساحات الالعاب ..

ساحات الالعاب تبعد ١٠ كيلومترات

ان الفعاليات المدرسية التي يجب أن تساير الاتجاهات الحديثة في التربية ، لا يمكن تطبيقها بسهولة في كلية البنات المشتتة الاقسام في مبان متباعدة يفصل بينها ميدان باب المعظم بحركة مواصلاته الصاخبة .. حتى ساحة الالعاب الرياضية تبعد عشرة كيلومترات من مبنى الكلية .. !

الجامعة تفتح ابوابها

وطالبات كلية البنات ليس كلهن من بنات بغداد ، انما اتين من الالوية القريبة والبعيدة .. ومن سوريا ، والسعودية ، والاردن وايران ..

وقد فتحت جامعة بغداد ابواب اقسامها الداخلية لجميع طالبات الكلية، ولكنها قسمتهن الى ثلاثة اقسام: القسم الاول : يأكل ويشرب وينام على حساب الجامعة والقسم الثاني : يأكل ويشرب





يضم فرع التربية الرياضية ١١٠ طالبة يتلقين مختلف الدروس من لغات ، ومبادىء علم النفس ، وصحة العائلة ، ونظريات التربية الرياضية ، واصول التدريس الخاصة .. والى جانب كل هذا يقمن بالتدريب على الحركات الايقاعية والقفز ، ورمي القرص ، وسباق العدو ، ولعب كرة السلة (الصورة اليمنى) .. وبعد انتهاء المباريات تروح الطالبات بملابسهن الرياضية الى المقصف لتناول الوجبات ، كما ترى في الصورة العليا ..

ويتام ولكن على حساب القرض الذي تدعمه الجامعة للطالبة .

والقسم الثالث من الطالبات يتمتع بنفس الحقوق السابقة ولكن على نفقته الخاصة .

وتهدف الجامعة من هذا النظام الى مساعدة الطالبات ، مع توفير اماكن امينة صحية لسكنى اللواتي قدمن من خارج العاصمة ..

تجارب تعرض على العميدة والمدرسات !

وكثيرا ما تضطر العميدة ، وبعض المدرسات للمكوث في مكاتبهن الى ما بعد انتهاء ساعات العمل ، حتى تأتي لهن طالبات قسم التدبير المنزلي حاملات ما «طبخنه» في الصباح ليحكمن على عملهن .. الذي يكون شهيا في بعض الاحيان ، و «كارثة» في احيان اخرى ، اذ تنقصه بعض الضروريات كالملح والتوابل أو السكر في الحلوى .. !

انها تجارب تجريها طالبات الكلية في محاوله منهن لتطوير « المطبخ العراقي » الذي يكاد تكون ابرز ما فيه « المرق .. والتمن » .. اي خضراوات مسلوقة ، من خيار وكوسة ، وبلاذنجان مع صلصة الطماطم .. وبجانبها الارز الابيض ..

وتتدرب الفتيات في الكلية على طهو انواع جديدة مثل الروستو والمشويات ، والسمك المقلي ، والمكرونة والعجائن ،



زخرفة القماش

ابي اسمر

والحضراوات الأخرى .. مع ارشادهن الى طريقة الاستغناء عن الدهن الحيواني الطبيعي، واستعمال الدهن النباتي بدلا منه ..

الشاي والكيك بدلا من الباجا والشلغم

والى جانب تنويع وجبة الظهر يوجه القسم اهتماما خاصا لتبديل وجبتي الصباح والمساء، فتتعلم الفتيات طريقة اعداد الشاي الكامل والكاكاو وعلى البيض على انواعه ليحل محل الاكلات التقليدية مثل « الباجا » و « الشلغم » .. والاولى هي لحمة رأس الخروف التي يأكلها الرجال في الصباح والمساء .. اما الثانية فهي اللفت يغلى في الماء ويحلى قليلا بالتمر او الشمندر ويقدم معه الملح عند الاكل.

ان الرجل في العراق لا يدخل المطبخ ولا يساعد فيه، وانما يتركه للسيدات اللواتي يسعين لتبديل الوجبات التقليدية كما رأينا ..



مجموعة من مرشدات الكلية يرتدين ملابسهن الخاصة، وينشدن الاناشيد الكشفية .. ان الطالبة تقضي في الكلية اربع سنوات، تدرس خلالها العلوم النظرية، وتمارس مختلف الالعاب والهوايات التي تؤهلها للدور الكبير الذي سوف تلعبه لرفعة شأن بلادها ..



أنصفوا المرأة والمرء سواء في الجدارة
علموا المرأة فالعلم له عنوان الحضارة

هكذا قال شاعر العراق الكبير جميل الزهاوي .. وهؤلاء مجموعة من الخريجات بملابس التخرج الرسمية ، وقد توسطهن عميدة الكلية ..

السيراميك واللغة الانجليزية

ومن مطبخ الكلية انتهينا الى محترف الصلصال شاهدنا الفتيات في قسم الفن يعملن في ترتيب قطع السيراميك الملون الذي اشتهرت به العراق من ايام الآشوريين والبابليين ..

ثم استمعنا الى دروس في التاريخ العربي والاسلامي واللغة العربية والانجليزية ثم شاهدنا الاقسام الاخرى المتنوعة التي يجد لها القاريء شرحا تحت الصور المنشورة ، مع هذا المقال .

متى يستقر اسم الكلية

لقد تطورت كلية البنات منذ نشوئها تطورا كبيرا .. حتى اسمها تغير اكثر من مرة .. فقد بدأت عام ١٩٢٦ وهي تحمل اسم « مدرسة دار المعلمات » .

وفي عام ١٩٤٣ انقسمت الى دار المعلمات الاولية ودار المعلمات الابتدائية .

وفي عام ١٩٤٥ ازدادت الحاجة الى مدرسات بمستويات عالية ، فانشئ فرع جديد تلتحق به خريجات الاعدادية والثانوية .. وتحول اسم المدرسة الى « معهد الملكة عالية للبنات » .

وبعد ثورة ١٤ تموز تحول الاسم الى كلية التحرير للبنات ..

وبعد ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ اصبح اسمها : كلية البنات ..

واليوم ينادي بعض الحمقاء بتغيير اسم كلية البنات .. لأن بين الطالبات عددا كبيرا من المتزوجات .. فابناء العراق يقبلون على الزواج من طالبات كلية البنات اقبالا شديدا بسبب الاسم الطيب الذي تتمتع به .

هذه كلية البنات التي اصبح الالتحاق بها امنية كل فتاة في العراق .

استطلاع : سليم زبال



أسطول ناقلات النفط الكويتي

بقلم : علي حصاويه



«.. أقرت الجامعة العربية في عام ١٩٥٦ مشروع قرار بإنشاء أسطول عربي لناقلات النفط البحرية، إيمانا منها بأهمية للاقتصاد العربي .. وتنقضي تسع سنوات تقريبا على هذا القرار الذي دخل اليوم إلى مرحلة جديدة، هي انتظار توقيع الدول العربية عليه !!» .

يصبح ٣ سفن مجموع حمولتها ١٥٠٠٠٠ طن

الأسس المادية والبشرية الظاهرة والكامنة ثم يجري تحليلها لتصنف في مشاريع انتاجية تتسلسل في أهميتها وفي انجازها وفق مدى توفر تلك الامكانيات ، ومدى ما تحققه من انماء للاقتصاد الوطني .

النفط في الصدارة من تخطيط الاقتصادي العربي

والبلاد العربية أوتيت حظا كبيرا في أن تفجر النفط من أرضها بغزارة ، وفي الكثير من بقاعها . والنفط ما زال يشكل المصدر الأساسي لتوليد الطاقة ، والطلب العالمي عليه يزداد كل سنة بنسبة لا تقل عن ٧٪ . وان دراسات المستقبل واستقراءاته تشير الى ان النفط سيظل أمدا طويلا يحتل مكانة مرموقة في بناء الاقتصاد العالمي . ولذلك فان النفط بكل طاقاته يجب أن يأخذ مكان الصدارة في تخطيط الاقتصاد العربي .

البلاد العربية ثانية البلاد العالمية في انتاج النفط

ان الانتاج العالمي للنفط في عام ١٩٦٣ قد بلغ ١٣٠١ مليون طن وان انتاج البلاد العربية منه قد تجاوز ٢٧٦ مليون طن ، تنتج الكويت وحدها منه ١٠٠ مليون طن، والبلاد العربية في انتاجها النفط تبوأ المكانة الثانية بعد الولايات المتحدة الامريكية، وهي في ذلك تتفوق على الاتحاد السوفييتي الذي يأتي في المرتبة الثالثة . وفنزويلا تحتل المكانة الرابعة . والبلاد العربية تملك أكبر نسبة من احتياطي نفط العالم . والانتاج السنوي فيها تزيد نسبته عن اية دولة أخرى منتجة للنفط . هذه البلاد العربية المحتوية ربوعها على هذه الثروة النفطية الغنية ما زالت تحيا في اقتصاد بدائي ، بل ما زال في ديارها مواطنون يعتبر مستوى معيشتهم أدنى المستويات العالمية .

لا بد للنفط من ناقلات

وأهم عامل في تحديد قيمة النفط هي وسيلة نقله ، انها تحدد امكانيات تسويقه . وان من يملك النفط ولا يملك وسائل نقله لمثل كمن يملك الزرع وتعوزه وسائل حصده . انه في الحقيقة ليس مالكه ولا يملك السيطرة عليه . والناقلات البحرية هي الوسيلة الأولى لنقل النفط وهي أسلم الوسائل وأكثرها كلفة .

ناقلات النفط العربية ، ونسبتها في الاسطول العالمي

ولو رجعنا للاحصاءات العالمية لوجدنا ان الاسطول العالمي للناقلات البحرية قد بلغ في نهاية عام ١٩٦٣ ما يزيد على ٣٣٤١ ناقلة ، تبلغ مجموع حمولتها على ٧٢٫٨٠٠٫٠٠٠ طن . ويتفحص سجلات مؤسسة لويدز العالمية يتبين ان الناقلات البحرية التي ترفع اعلاما عربية لا يزيد عددها عن ثماني ناقلات مجموع حمولتها لا يتجاوز ٢٠٠٫٠٠٠ طن . ولو افترضنا ان نفط البلاد العربية ينقل بناقلات معدل حمولة الواحدة منها ٣٠٫٠٠٠ طن لتبين لنا ان الموانئ العربية تستقبل في السنة ما لا يقل عن ٩٠٠٠ ناقلة من هذا الحجم . البلاد العربية ، مهد اعرق الحضارات ، البلاد التي عرفها البحار لما لم يكن في ديارها نفط ولما لم يكن في طاقتها غير معرفة تمرها وطيب تمره واطلاق زوارقها في شتى البقاع ، البلاد العربية التي زودت جيداء بحارها وخفقت اعلامها في كل محيط وبحر بحري ، هذه البلاد العربية تفقد الآن ، ومن زمنها الطويل تتفجر أنهار البترول ، تفقد تجدد سير الماضي ولا تعيش في الحاضر وتتطلع إلى الآمال ولا تبني المستقبل . البلاد العربية التي تنتج أراضيها ما يقارب ٢١٪ من نفط العالم لا تملك من وسائل نقله الا نسبة الضئيلة الصغيرة الى اليم الكبير .

شركة ناقلات النفط الكويتية

ونشدو الفخر على شواطئ الخليج العربي ، وتهدر امواجه ، وكأن نداء من أعماقه قد علا الاسماع في الكويت ، نغمة الخليج وصدى الأهازيج ، تعيد الى النفوس والقلوب صدى الأهازيج ، وصورة العزيمة حين كانت السفن تنطلق من الكويت وعليها السواعد المشدودة تمخر البحار



كاظمة اولى ناقلات النفط العربية في سطول العرب تمخر عباب البحر

شرقا وغربا ، تنقل للعالم قدرة الانسان العربي على مواجهة الحياة ، وتذليله لكل الصعوبات في سبيل العيش بجهده ، وفي سبيل التفاعل مع الآخرين لبناء المجتمع الانساني ومده بكل مقومات تطوره .

ولتخشع النفوس لسماع النداء وتنفض الهمم ، ويتداعى أهل الفكر في الكويت وذوو النشاط الاقتصادي لتكون من هنا ، من هذا البلد ، نقطة البداية . لينطلق من هنا ، من الخليج العربي الصوت الأول معلنا تكوين النواة الأولى للأسطول العربي . ولتلقى همم الحكومة في التحمس لهذا المشروع وتمد لهم اليد المفتوحة والقلب المقبل ، وتتمخض المجهودات المشتركة عن الاعلان لتكوين شركة ناقلات النفط الكويتية . واذا كل فرد في الكويت يهرع ليكون اول مساهم فيها . وقد ركزت اعمالها في ثلاثة حقول هي :

١ ــ امتلاك الناقلات .

٢ ــ صناعة الغاز لسد حاجات دولة الكويت والتصدير للخارج (بالغاز) .

٣ ــ وكالة جميع ناقلات النفط الواصلة الى الكويت (بالغاز) .

ويتنافس القائمون عليها في امر شعارها ، واذا العلم العربي ، علم الثورة العربية ، هو علمها تأكيدا على ان اسطولها سيكون طليعة الاسطول العربي ، والبذرة الاولى فيه .

تأثر النفط وناقلاته بالاحداث السياسية

والعمل في الناقلات تكتنفه تعقيدات مختلفة ، ويحتاج الى الاناة والصبر ، ويتطلب مواكبة كل ما يجري في العالم ونطاق أسواق النفط الخاضعة لتطور بناء الاقتصاد العالمي والمؤثرة فيه . وللنفط حساسية كبيرة ازاء احداث السياسة الدولية تنعكس فيها اصداؤه فترتد على أسواق الناقلات وحركتها . ويتطلب على العامل في حقلها ان يعيش بفكر دقيق في تحليل النتائج المترتبة على الاحداث وبالتالي لأسواق الناقلات ، سواء في تغير أسعار بنائها او في مجال معدلات اجورها .

فتأميم قناة السويس واغلاقها بسبب الاعتداء



مقطع « كاظمة » ... ان حجمها يصل الى ٣٦ مستودعا مملوءا بالنفط الخام .. انها صورة للزرقة البحرية ، وبين مستودعاتها تكون ... مياه البحر المالح لتحفظ توازنها اثناء سيرها

الثلاثي حيث انهلت له قلوب ارباب النشاط الاقتصادي في الاسواق العالمية وفي اسواق اوروبا بشكل خاص . اغلقت طريق النفط ، ومعظمه يرد الى اوروبا من البلاد العربية ، واذا بالطلب على النفط يرتفع بشكل مذهل ، فترتفع الحاجة الى الناقلات ، ويتسابق العاملون في مجال الناقلات لشراء ناقلات جديدة . ويحدث ان جاء ميلاد شركة ناقلات النفط الكويتية في خضم هذه الاحداث .

ناقلة الكويت الأولى : الكاظمة

ويتم توقيع العقد لبناء الناقلة الاولى في عام ١٩٥٧ . ويطلق عليها اسم الكاظمة تيمنا باحدى المواقع التاريخية المشهورة في الكويت . واريد للكاظمة ان تكون من الناقلات الضخمة ومن اعلى حجم متفرد لحجمها ان تكون ٦٠٠٠٠ طن . وفي ذلك الوقت لم تكن في اسطول الناقلات العالمي ناقلات تزيد على هذا الحجم ، بل ان هذا الحجم لم تشهده البحار الا في عام ١٩٥٦ حيث اكتمل بناء اول ناقلة ضخمة حمولتها ٤٧٠٠٠ طن . وتنقضي سنتان يتم فيهما بناء الكاظمة . ويتسلمها الشركة من اليابان في ١٩٥٩/٤/١٥ .

وحوض بناء السفن الذي بنيت فيه الكاظمة هو من اكبر الاحواض في العالم ، ومع ذلك فالكاظمة كانت اول ناقلة ضخمة بنيها . وحققت لهذا الحوض اضخم حظ مقتضى له في اواخر عام ١٩٦٢ ان بني ناقلة عملاقة بلغت حمولتها ١٣٢٠٠٠ طن . وكان ميناء الكويت اول ميناء في العالم يستقبل الحدث المعظم في دنيا النقل البحري وما زالت هذه العملاقة تنقل النفط من الكويت الى



عند مرسى الاحمدي وتقف « كاظمة » لتحمل حصتها من نفط الكويت ، من الآن الميناء تستطيع
بسعة ٦) الف طن في حلال ، ساعات نفط على ناقلات محركات البواخر ، تصل الى مرتفع

اليابان وتشير الى التقدم الهائل الذى أصابه العلم واحرزته التكنية .

وبنزول الكاظمة للبحر ابتسم المياه في الخليج واشرقت الثغور العربية وانبثقت من الكويت خيوط الأمل بعودة العرب الى سابق مجدهم في شق البحار وارتفاع ساريات بواخرهم عبر كل المحيطات .

نفط العرب لا بد أن تنقله ناقلات عربية

وقد حان الوقت لان ينشأ في البلاد العربية اسطول لناقلات النفط ليساهم في نقل جزء على الاقل مما تنتجه من النفط ، وفي ذلك بداية تحرير اقتصادها النفطي ، ونقطة الانطلاق الى ممارسة حقها في حرية التصرف في نفطها . وان هنالك دولا تشترط أن يتم نقل ما لا يقل عن ٥٠٪ من جميع صادراتها ووارداتها في سفنها الخاصة ، ومن المؤلم أن نرى البلاد العربية تقدم للاسواق العالمية ما يقارب بليلثم مما ينتجه العالم بأسره من النفط ، ثم لا يكون لها من الناقلات الا ما تقل حمولته عن ٣٪ من الاسطول العالمي لناقلات النفط .

الناقلات العربية تدر على العرب الخير الكثير ، لو كانت

ولو افترضنا أن الوطن العربي يمتلك من ناقلات النفط ما يجعله قادرا على نقل مجموع انتاجه السنوي من النفط ، وافترضنا أن معدل حمولة الناقلة ٣٠،٠٠٠ طن لدى البلاد العربية مثلا يقل عن ١٠٢٢ ناقلة يستثمر فيها ما لا يقل عن ١٥٠٠ مليون جنيه استرليني . وحتى لو كنا قنوعين واكتفينا بوجود ناقلات عربية تنقل ربع ما تجود به الارض العربية من النفط ، لكان للعرب اسطول عربي مؤلف مما لا يقل عن ٢٥٠ ناقلة .

ان الموانيء العربية تزخر بالآلاف من البواخر

غير العربية ، بل وكل العاملين عليها من غير العرب بالرغم من البطالة المتفشية بين الايدي العاملة في الوطن العربي . ان باستطاعة الاسطول العربي للناقلات ان يستوعب من الرجال العاطلين في البلاد العربية ما لا يقل عن مائة الف رجل .

صناعة السفن ، لا بد من احيائها في البلاد العربية

والى جانب اسطول الناقلات ينبغي ان ينشأ في البلاد العربية احواض لبناء السفن ، وهنا في الكويت كانت تصنع مئات السفن بايد عربية وكانت تمتاز بالمهارة وبطول صانعيها .

ان صناعة السفن يجب ان تاخذ طريقها في البلاد العربية لتصبح من ركائز اقتصادها. وهذه الصناعة يجب ان ينشأ معها احواض للتصليح تتقوم بتصليح كل وسائل النقل البحري المختلفة ، وسواء في ذلك العائدة للبلاد العربية او التي تفد الى موانئها . ان في ذلك مصدرا كبيرا للدخل ، ومجالا واسعا لتشغيل الآلاف من الايدي العاملة .

وشركة للتامين البحري

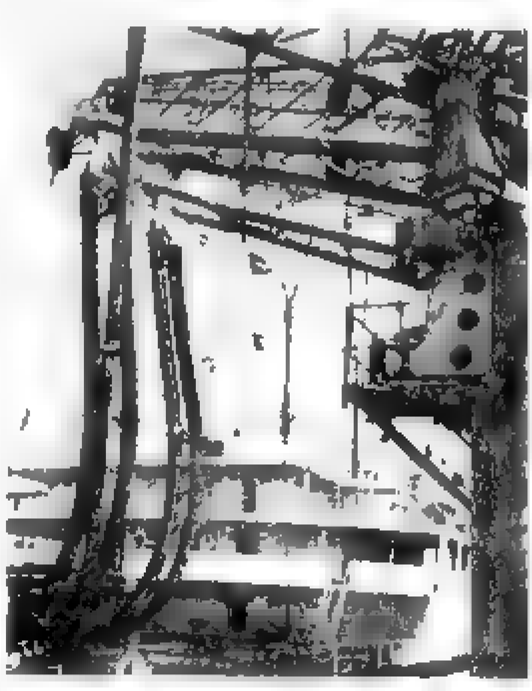
ويجب ان تؤسس ايضا شركة عربية للتامين تنطلق من التامين على الناقلات والبواخر من كل صنف الى ممارسة جميع عمليات التامين الاخرى. اننا حين نعلم ان الناقلة البحرية التي حمولتها نحو ٣٠٠٠٠ طن تصل رسوم تامينها السنوية في الاسواق العالمية الى ما لا يقل عن ١٥٠٠٠٠ جنيه ندرك اهمية انشاء مثل هذه المؤسسة .

ومعهد للدراسات البحرية

والاهمية البالغة يجب ان تعطى الى انشاء معهد للدراسات البحرية يتخرج منه مهندسون وضباط بحريون وغيرهم من مختلف الرتب اللازمة للعمل في مجال بناء السفن وتسييرها واصلاحها . ثم يمكن ان يتبع هذا المعهد مؤسسات اخرى لاعداد البحارة العاديين .

الجامعة العربية وقرار انشاء اسطول عربي للملاحة

ان نقل النفط البحري ليجب ان ياخذ المكان المرموق في تخطيط الاقتصاد العربي ، ولقد ادركت الجامعة العربية اهمية هذا المجال واذا امتلأت الصحف والاذاعات العربية تشيد بالاخطار المارة ، فلقد قررت الجامعة انشاء اسطول عربي للملاحة وكان هذا عام ١٩٥٦ . ومضى ما يقارب تسع سنوات ، وعلم صناعة الناقلات بمختلف طاقاته يتطور ، ويقفز حجم الناقلة حتى يصل الى ١٥٠٠٠٠ طن وتوضع التصاميم لانقاص عدد بحارة الناقلة الواحدة ، من ٧٠ الى ١٩ بحكم ما وصلت اليه التقنية من رقي ، ويتطور سوق الناقلات وينخفض سعر البناء من ٢٢٠ دولارا الى ما يقارب ١٠٠ دولار للطن الواحد ، كل هذا



تستغرق عملية ضخ النفط الخام الى خزانات ناقلة نفط [illegible] مدة [illegible] ساعات ، ويتم في خلال هذه المدة القصيرة ضخ حوالي (٦) الف طن من النفط بواسطة احدث الآلات المزودة بها ميناء الاحمدي في دولة الكويت

بحث ومشروع الجامعة العربية ما زال يتعثر في طريقه ، واخال وقتا طويلا سيمضي قبل انجازه بالرغم من انه وصل الى مرحلة التوقيع عليه من الدول الاعضاء في الجامعة العربية وكانت الكويت من اولى الدول الموقعة عليه ايمانا منها بقيمة المشروع .

الى الكاظمة ، تنضم اختان اكبر منها

والكويت لم تترك للمشاعر وحدها ان تعبر عن ايمانها باهمية الناقلات في اقتصادها بل قرنت الايمان بالتصميم على العمل فكان كما اسلفنا ميلاد شركة ناقلات النفط الكويتية ، وارتفع علم الكويت على صارية كاظمة اول باخرة عربية لنقل النفط تنزل البحر بهذا الحجم الكبير .. وبقيت الشركة تتحين الفرص وتراقب اسواق الناقلات العالمية ، وما ان انخفضت اسعار البناء حتى سارعت الشركة في طرح مناقصة عالمية لبناء ناقلتين حمولة الواحدة منهما ٥٣٠٠٠ طن . كان هذا في نهاية عام ١٩٦٢ وفي حدود نهاية اكتوبر (تشرين اول) من هذا العام ستنضم للكاظمة اختها وربة وفي نهاية شهر كانون الثاني من عام ١٩٦٦ ستنضم لهما اخت ثالثة هي وارة .

ولقد صممت الناقلات الثلاث الكاظمة ووربة ووارة وفق اعلى مواصفات دولية . وروعي في احجامها ان تتمكن من عبور قناة السويس . ان الكاظمة حين تم بناؤها لم تكن تتمكن من المرور في مياه السويس في حمولة كاملة ثم ما لبثت القناة ان عمقت وصار بامكان الكاظمة عبورها بكامل حمولتها . وغاطس الكاظمة ٣٧ قدما . والناقلتان الجديدتان غاطس الواحدة منهما ٣٨ قدما ، وقد سمح في الاسابيع الاخيرة لهذا الغاطس في المرور من القناة بعد ان زيد في تعميقها .

بداية آمال كبيرة

وما هذه الا بداية ولشركة ناقلات النفط الكويتية آمال كبيرة في توسيع اسطولها وتمنيه ليصبح من اساطيل النقل الرئيسية في المنطقة العربية ، ولديها التصميم على خلق الاجهزة الفنية من بين الشباب العربي في الكويت خاصة ، والبلاد العربية الاخرى عامة ، لكي تصمم بواخرها وتدار ويجري اصلاحها وتنجز كل خدماتها بعقول عربية وسواعد عربية وفنيين عرب .

وحين يدخل المشروع العربي ، مشروع الجامعة العربية ، حيز التنفيذ ستتمتع الناقلات الكويتية بشقيقات لها عربيات ، وستنطلق من مواقعها ربات البحر وبهم من يعمل لها وعليها كل شعور بالفخار .

سند لا منافس

ومهما كبر الاسطول العربي المقترح والمنتظر فلن يزيد اسطول الناقلات الكويتية الا منعة وقوة ، ويخطيء من يتصور انه سيكون له منافسا . انه في الحقيقة سيكون له سندا ، وسيقوي من قدرته على مواجهة التحديات الخارجية ويزيد من امكانيات صموده وثباته . ان انتاج البلاد العربية للنفط في ازدياد ، وبين الحين والآخر تكتشف موارد غنية جديدة وتشير الى اهمية خلق اسطول عربي للناقلات . وتأثيره في تنمية الاقتصاد العربي وتطويره .

علي خصاونة

نجوى الرسول الأعظم

أقبلتَ كالفجرِ وضّاحَ الأساريرِ ... يفيضُ وجهُكَ بالنعماءِ والنورِ

على جبينِكَ فجرُ الحقِّ منبلجٌ ... وفي يديكَ مقاليدُ المقاديرِ

فرّحتَ، والليلُ ليلُ الكفرِ معتكرٌ ... تُغري بهديكَ أسدافَ الدياجيرِ

وتُمطرُ البيدَ آلاءً ، وتُمرعُها ... يُمناً يدومُ إلى دهرِ الدهاريرِ

ما أنتِ بالمصطفى يا بيدُ مجدبةً ... كلّا ، ولا أنتِ يا صحراءُ بالبورِ

أبيتِ إلا سموَّ الحقِّ حين أتى ... سواكِ إلا سموَّ البطلِ والزورِ

أطلعتِ من تحتِ الدنيا بطلعتِه ... ونعمتْ فيه حتى مولدَ الحورِ

أطلعتِ أكرمَ خلقِ اللهِ كلِّهمُ ... وخاتمَ الرُّسْلِ الصِّيدِ المغاويرِ

بوركتِ أرضاً تبثُّ الطهرَ تربتُها ... كالطيبِ بثّتْه أفواهُ القواريرِ

الدينُ مازال يزكو في مرابعِها ... والنبلُ ما انفكَّ فيها جِدَّ موفورِ

والفضلُ والحلمُ والأخلاقُ ما فتئتْ ... تحظى لديها بإجلالٍ وتوقيرِ

فذلكِ افتخري على الأكوانِ قاطبةً ... بما حبوتِ الورى يا بيدُ من نورِ

فليسَ كالدينِ نورٌ يُستضاءُ به ... في عالمٍ بظلامِ الجهلِ مغمورِ

* * *

يا سيّدي ، يا رسولَ اللهِ معذرةً ... إذا كبا فيكَ تبياني وتعبيري

ماذا أوفّيكَ من حقٍّ وتكرمةٍ ... وأنتَ تعلو مدى طوقي وتقديري؟!

وأنتَ ربُّ الأداءِ الفذِّ في لغةٍ ... تشأو اللغى(1) حسنَ تنسيقٍ وتصويرِ!

على لسانِكَ ما جنَّ البيانُ به ... وأقعدَ الشعرَ يرنو شبهَ مسحورِ

آيٌ من اللهِ ... ينبيكَ معجزُها ... يُعيي على الدهرِ أعلامَ النحاريرِ

تلوتَها ، فسرتْ كالنورِ مؤتلقاً ... يطوي الدنى بين مأهولٍ ومهجورِ

ولفّتِ الناسَ من بدوٍ ومن حضرٍ ... كما تلفُّ الثرى هوجُ الأعاصيرِ

فلانَ من كان فظّاً واستكانَ لها ... مستكبرٌ ، وعنا طاغوتُ شرّيرِ

(1) تشأو: تسبق وتفوق ، واللغى جمع لغة ، وتجمع على لغات ولغون .

وكنتَ عفاً، رقيقَ القلبِ، مبتسماً ... بكلِّ زاهٍ من الأخلاق منصورِ
تستلُّ بالحلم حقدَ الحاقدين وتغتلُّ القلوبَ بلطفٍ عنكَ مأثورِ
اللهُ أكبرُ كم في اللين من عظةٍ ... لمعتدٍ [2] شرِ غليظ القلبِ مغرورِ
فاللين مقدرةٌ، والحلمُ مأثرةٌ ... والعفوُ مكرمةٌ تُنبيكَ عن خِيَرِ [3]
وأنتَ من أنتَ في دين الحصافة، ألا ... بوركتَ من مُرسَلٍ بالطهرِ معطورِ
تنهى وتأمرُ بالحسنى، وآياتُكَ الدينُ الحنيفُ في ألهمتَ من سوَرِ [4]

* * *

يا مرجعَ الدينِ بالإيمانِ، مرحمةً ... فقد تناءى الهدى عن صفوةِ النورِ
وجامعَ الشملِ بالتقوى، لقد صفرتْ ... منه النفوسُ فهبّتْ كاليعافيرِ [5]
أشكو إليك ديارًا كنتَ مرشدَها ... ومرشدوها تنكّبوا اليومَ للخيرِ
وأصبحوا تبعًا [6] للأجنبيّ، فما ... زادوا وحقِّكَ إلا سوءَ تدبيرِ
وكان بالأمسِ حبُّ الله يجمعهم ... فبات يجمعهم حبُّ الدنانيرِ
وفي فلسطينَ أولى القبلتين. لقد ... يحثّ على بيعهم نبحُ الخنازيرِ !
والشعبُ، وحربًا للشعب، سائمةٌ ... تقودُها في الفيافي كفُّ مأجورِ
قد باع تقواه بالدنيا، وقال لها ... سيري كما شئتِ، عمياءَ الهوى، سيري

* * *

يا سيّدي، يا رسولَ الله، روّعنا ... صرفُ الزمانِ بشرٍّ منه مسعورِ
وامتدَّ بالعُرْبِ ليلُ النكباتِ، أما ... للفجرِ بعد انبلاجٍ من تأخيرِ ؟ !
وطال بالسُّرى في مَهْمَهٍ دَرَستْ ... فيه الصُّوى، قاتمِ الأرجاءِ مسجورِ [7]
فاشفعْ، فإنك أدنى المرسلين إلى الباري، فسلِّمْ من ذنبٍ وتعبيرِ
ويرجعَ العزُّ معقودَ اللواءِ لنا ... وحقًّا مُستحبرًا غيرَ مبتورِ [8]
واكلأْ، عليك صلاةُ الله، أمّتنا ... حياكَ ربُّك حتى نفخةِ الصورِ

بيروت جورج سلستي

---

٢) معتدٍ شرٍّ: لمن يحب الشرّ ويصنعه. ٣) الخِير: بكسر الخاء: الأصل والشرف.
٤) سوَر: جمع سورة، وتجمع سوَر وسورات. ٥) اليعافير: جمع يعفور وهو حمار الوحش، وصغار الخلت.
٦) التبع جمع تابع كخدم وخادم ٧) الصوى جمع صوة وهي الحجر يكون هاديًا للمسافر يغنيه عن الدليل، ومسجور: فارغ، ساكن.
٨) المستحبر: المتكمل، والعالم الذي لا ينقطع.



صفقة غريبة ، مدتها ١٠ سنوات !!

● رفعت ارما بترسون عام ١٩٦٠ دعوى على احد مطاعم ستوكهلم ، وحصلت على حكم بتناول وجبات طعام مجانية لمدة خمس سنوات .

وتعود القصة الى عام ١٩٥٥ حينما كانت ارما تعمل في شركة تامين في ستوكهلم ، ولما رأت ان الاسعار في ارتفاع ، رأت ان تؤمن لنفسها أشياء معينة لمدة عشر سنوات مقدما .

فدفعت ايجار البيت لعشر سنوات سلفا ، وحجزت مقعدا في السينما المفضلة لديها لمدة عشر سنوات ايضا ، ودفعت ثمن الملابس اللازمة لها خلال السنوات العشر التي ستأتي ، وكذلك وجبات الطعام لهذه المدة .. والغرض من ذلك هو تأمين جميع احتياجاتها ضد الاسعار المرتفعة .

ولكن صاحب المطعم المذكور حاول ان يفسخ العقد ، مدعيا ان ارتفاع الاسعار والتضخم قد سببا له خسارة .

ودافعت ارما عن نفسها قائلة : ان ارتفاع الاسعار هو الذي كنت اضعه نصب عيني حينما عقدت الصفقة .. ولا يوجد سبب آخر من اجله اعطيه نقودي بدون فائدة من هذه المدة ..



حقائق عن الملح

● يستهلك سكان العالم نحو ٥٠٠ر٠٠٠ طن من الملح يوميا ، وتستهلك الصناعة كميات كبيرة من الملح في استحضار صودا الغسيل ، وكربونات الصودا ، ومبيدات الحشرات ، والاصبغة ..

وقد جعل العلم الحديث الملح رخيصا ومتوفرا بكثرة ، بينما كانت قيمته في الماضي مرتفعة جدا ، اذ كانت قطع الملح تستعمل بدلا من النقود . كما ساعدت الضريبة على الملح على اشعال نار الثورة الفرنسية .

● وكان الرومان يعطون جنودهم مخصصات من الملح تدعى سالاريوم Salarium ، وهي الكلمة التي اشتقت منها الكلمة الانجليزية Salary ، أي الراتب الذي تدفعه الدولة للموظف في خدمتها .

احسن سنوات لتعليم الطفل

● بعد ان انتهى احد الاخصائيين في التربية من القاء محاضرة سألته سيدة في اي سن يجب ان ابدا بتعليم ابني ؟ فاجابها : متى سيولد ابنك ؟ قالت : .. ان عمره خمس سنوات .. فصاح الاخصائي . لا تقفي هنا ايتها السيدة تثرثرين .. اسرعي الى البيت .. لقد اضعت لحسن خمس سنوات لتعليم الطفل .

تعريفات

المتفائل : هو الشخص الذي لم يقرأ صحف الصباح بعد .

العمل الشاق : ليس سوى تراكم أشياء لم نعملها حينما كان ينبغي أن نعملها .

المتشائم : هو الشخص الذي يبني سجونا في الهواء .

الطبيب النفساني : هو طبيب لا حاجة به الى القلق ما دام غيره من الناس يقلقون .

الدبلوماسية : هي فن جعل الغير يسير في الطريق نفسها التي تسير فيها انت .

الضمير : هو ذلك الشيء الذي يؤدي حينما يكون كل شيء آخر سليما .

التواضع : فن تشجيع الآخرين على اكتشاف أهميتك من تلقاء انفسهم .

اول من استعمل احمر الشفاه . .

● كانت المرأة تصبغ شفتيها باللون الأحمر منذ أن كان للانسان حضارة، ففي عهد الفراعنة كانت تلون شفتيها بعصير الفراولة .

● وتقول ممثله هوليود المعمرة استل ويدوود (وتدعى ملكة أحمر الشفاه) انها أول ممثلة استعملت احمر الشفاه في العصر الحديث ، وكان ذلك عام ١٩١٦ ، حينما كانت تمثل على مسارح نيويورك . وقد استمرت تستعمل أحمر الشفاه على الرغم من ان مدير المسرح كان يقول لها انها لم تكن تبدو جميلة به . وسرعان ما اقتدت بها الممثلات الاخريات .

● ومن طريف ما يروى عن احمر الشفاه ان طمس آثار احمر الشفاه الموجودة على تمثال الحرية في ميناء نيويورك قد كلف ٢٥ الف دولار . وكانت الشفاه قد اكلت جزءا من الدهان الذي كان التمثال مطليا به .

من فوائد التلفاز

● ان التلفاز في الغرب قد انقذ عددا كبيرا من الزيجات من الفشل ، لأن الفرصة الوحيدة للمشاجرة بين الزوجين هي خلال فترة الاعلانات التجارية !!

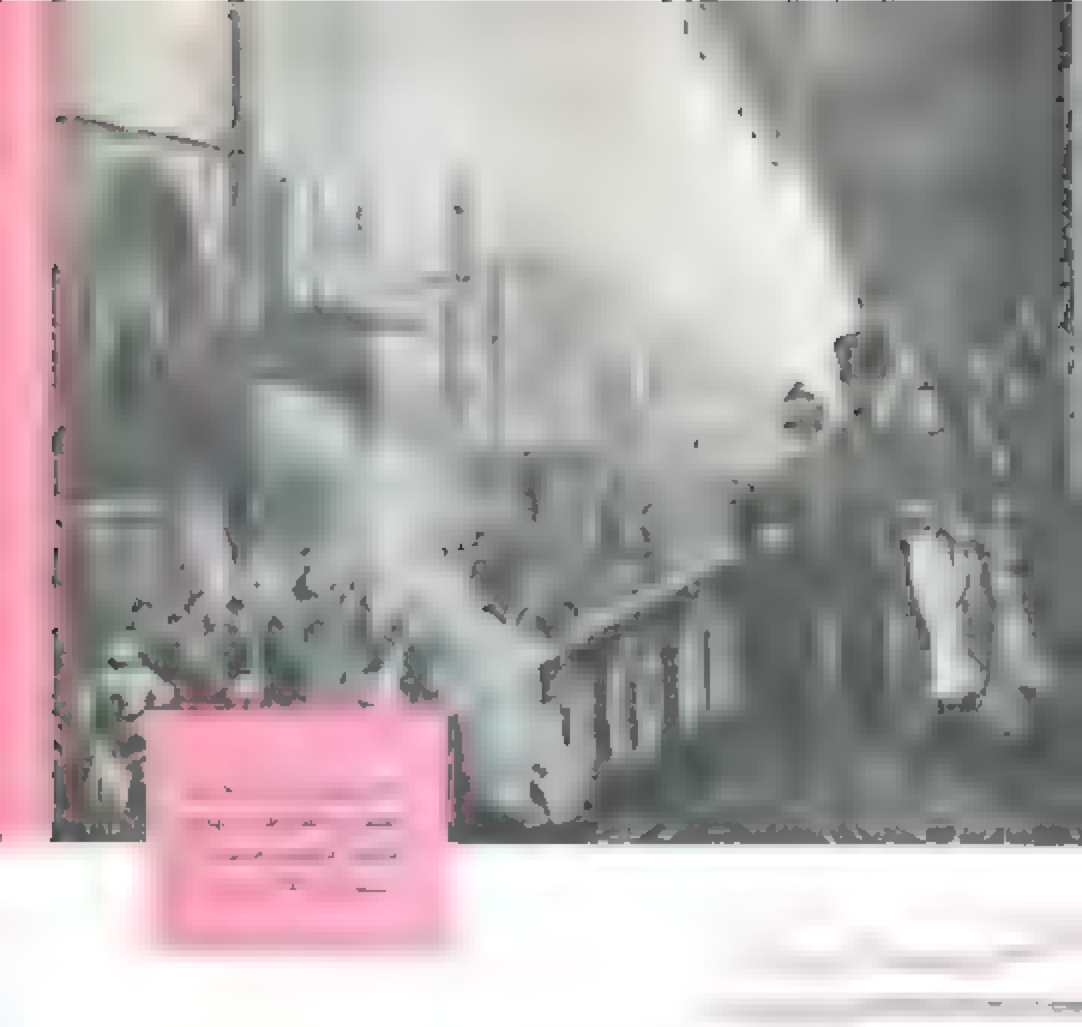


بقلم : علي ادهم

نابليون بونابرت، رجلا محقق العبقرية، شامخ الشخصية، صارم العزم، بعيد الهمة، واحد نوادر قادة الحروب والأمم المعروفين في التاريخ، وقد تجلت مواهبه في صور واضحة ومواقف مختلفة منذ صباه، [illegible] مما مهد له السبيل الى بلوغ الذروة، [illegible] العقبات المعترضة، وكان [illegible] مؤهلات عقله وقدرة على العمل خارقة. وقد اثارت عبقريته المتعددة الجوانب اعجاب معاصريه ودهشتهم حتى تكاثرت حول سيرته عجائب الاخبار، ونسجت الاساطير، وغلا به قوم فاضافوا اليه من الصفات ما يكاد يسمو به الى مكانة الآلهة، وكرهه قوم واسرفوا في كراهته حتى صوروه في صورة الشيطان المريد. وهذا يجعل المؤرخ الذي يعرضون لسيرته ووزن اعماله وتقدير مواهبه في حاجة ماسة الى اصطناع الحذر والتزام الحيطة في مواجهة الاخبار المتناقضة والآراء المتعارضة.

نابليون رجل عملي لا فيلسوف خلاق

ولا نزاع في ان الصفة الغالبة على نابليون



بوجه عام هي انه أحد الرجال العمليين ، أي انه لم يكن من شيعة المفكرين الخلاقين او الفلاسفة المعدودين او كبار رجال الفن والادب . وحسبنا بعرض لاعتبار افكار احد رجال الاعمال لنعرف لبسها ، فانا لا ننتظر منه ان تكون افكاره واضحة الخطوط ، بارزة المعالم ، متماسكة الحلق ، مدعومة بالبراهين والاسانيد مثل افكار الفلاسفة المتخصصين ، او العلماء الدارسين ، وذلك لان التفكير في ميادين الفلسفة ومجالات العلم يستطيع الى حد كبير ان تكون مسرحها مجردا عن الاهداف الدنيوية المباشرة ، وغير خاضع للاعتبارات التي لا يجد رجال الاعمال مندوحة عن ان يحسبوا لها الحساب رعاية لمصالحهم الخاصة ، او اهوائهم العاجلة ، على ان تفكير رجال الاعمال في كثير من الاحيان بعض نظرات كاشفة لانه هي ثمرة الممارسة المباشرة ، والتجربة الواسعة العميقة ، وحسبها ذلك لتجعلها جديرة بالنظر والفكر .

وقد كان تفكير نابليون متجها بطبيعة الحال في جوهره الى النواحي العملية حتى قيل عنه ان تفكيره كان حقائق واضحة وليس كلمات مرسلة ، وكان لا يبالي بالصيغ المألوفة في عصره والالفاظ الدائمة على السنة معاصريه والتي شاعت خلال عهد الثورة الفرنسية ، وبهذا التصميم على الذهاب الى ما وراء الالفاظ ومواجهة الحقائق استطاع نابليون ان يرى الاشياء في ذاتها ، وبهذا الاصرار على الواقعية استطاع السيطرة على فرنسا . ومن اسرار نجاحه انه كان يساير روح

العصر ويحسن فهم اتجاهاته . وقد ادرك ان الامة الفرنسية قد ملت الفوضى التى خلقتها الثورة ، واصبحت مستعدة لان تلقى مقادتها للرجل الحديدى الصلب الذى يستطيع ان يحسم الفوضى ، ويعيد النظام الى نصابه ، ويعالج المشكلات السياسية والاقتصادية بصورة تقر الاوضاع وتصون الامن .

اسلوب نابليون كان : الوضوح والدقة والتحديد

وكان اسلوب نابليون فى الحديث ، واصدار الاحكام والقاء الاوامر ، واضحا محددا ، ويمتاز بالايجاز والقوة ، وكان يضيق فى مجلس الدولة بسماع الخطب الفضفاضة والكلمات الجوفاء الطنانة . وقد انتقد مرة تقريرا قدمه له الكونت دى شامبانى Champagny وزير خارجيته قائلا له : « اسلوب التقرير ليس محليا بما فيه الكفاية، ان ما اريده هو التفكير الصارم لا الفقرة والوشية » . وشدة ولعه بالدقة والوضوح كانت تجعله يطالب رجاله بتحرى الدقة والوضوح، والويل لمن كان يخيب ظنه من هذه الناحية ، الى حد ان بعض رجاله كان يعمد الى اختلاق الوقائع ليجعل كلامه مقبولا ، ويعتمد على الحظ فى اخفاء كذبه . ويبدو هذا الحرص على الايجاز والوضوح فى رسائله ، ففى اواخر مارس سنة ١٨٠٨ عرض عرش اسبانيا على اخيه لويس ، ملك هولندة فى تلك الفترة ، وبعد ان بين له مزايا ذلك العرض قال له فى رسالته : « رد على ردا قاطعا . اذا عينتك ملكا على اسبانيا ، هل توافق ؟ وهل استطيع الاعتماد عليك ؟ اجبنى بهاتين العبارتين فقط : قد تلقيت رسالتك المؤرخة يوم كذا ، وجوابى عن ذلك .. نعم او لا » .

سياسة نفعية انتهازية سار عليها نابليون طول حياته

وكان هو نفسه صريحا ودقيقا فى ابداء رايه سواء فى الرجال الذين عرفهم او فى النساء ، ففى الوقت الذى سادت به فى فرنسا افكار المساواة بين الرفيع والوضيع والاشادة بحقوق الانسان ، اعلن نابليون ان الناس لا يمثلون الانسانية الكاملة ، وانهم مخلوقات لها قابليات خاصة ، وعادات وميول معينة ، واتجاهات وعيوب ، ونقائص كثيرات ، ومعنى ذلك انه لم يكن حسن الظن بالطبيعة الانسانية ، ولا ميالا الى الافكار المثالية . ويعجبنى فى هذا المقام قول المؤرخ هولاند روز عنه : « من ناحية السياسة الداخلية فى فرنسا كان الامبراطور تلميذا لمذهب بنثام Bentham قد وضع التاج على راسه » ، وهو يقصد بذلك ان نابليون كان يسير على سياسة مذهب المنفعة الذى قال به بنثام ، وهو بوصفه مفكرا سياسيا يسلك دائما سبيل المساومة ، وقد عبر عن انتهازيته سنة ١٨٠٠ حينما قال :

سياستى قائمة على ان احكم الناس كما يريد العدد الاكبر منهم ان يحكموا ، واظن هذا هو طريق الاعتراف بسيادة الشعب . وقد انهيت الحرب الفندية باصطناعى الكاثوليكية ، وبدخولى فى الاسلام استطعت ان اضع قدمى فى مصر ، وباعترافى بسلطة البابا استطعت ان اكتسب الرأى العام الايطالى . ولو اننى حكمت اليهود لاعدت لهم بناء هيكل سليمان ، وكذلك سادافع عن الحرية فى الجزء الحر من سان دومنجو ، وسابقى على نظام الرق فى جزيرة فرنسا (موريشس) وحتى فى الجزء غير الحر من جزيرة سان دومنجو ، مع العمل على الحد منه وتلطيف وقعه . وساعمل على ادخال النظام والخضوع للطاعة حيث احتفظ بالحرية » .

وهذا الاعتراف الهام ، يرينا طبيعة السياسة النفعية التى سار عليها نابليون طوال حياته ، وهو لا يخفى عامل الانانية المستتر وراءها . وقد اوتى من القوة والصراحة ما جعله يكشف لنا اغواره ويعلن مذهبه ، والجماعات فى راى نابليون تقاد بالعقل وتسيطر عليها بالحزم والعزم .

درس التاريخ ، واستفاد منه لنفسه

وهذا الاتجاه العملى كان يزيده ثقة به اطلاعه على التاريخ ، وقد كان كلفا بقراءة التاريخ منذ كان ضابطا صغير الرتبة فى مطلع حياته العسكرية ، وقد قرأ جمهورية افلاطون ، وكتب لنفسه ملخصات عن الحكم فى فارس القديمة واثينا

وجغرافية بلاد اليونان وتاريخ مصر القديم وتاريخ الهند ، واطلع على تاريخ العرب والحركة الاسلامية ، ولكن الحياة لم تكن في نظره رسالة يقوم بها كما كان يرى متزيني وغيره من المثاليين وانما كانت في رأيه سيرة يعمل خلالها على بلوغ اهدافه وتحقيق مطامعه .

رأيه في كتابة التاريخ

ولم يكن راضيا عن الطريقة التي يكتب بها التاريخ ، فقد كان حريصا على معرفة الحقائق والمراجع التي استقيت منها . وقد ذكر وهو في سانت هيلانة انه دعى الى اعادة كتابة الحوليات الفرنسية من اوثق المراجع والمصادر بوثائق وزارة الخارجية . كما كان يرى ان المؤرخ في حاجة الى الخيال . ومن اقواله في هذا الصدد :

« من المسائل المتفق عليها ان المؤرخ بمثابة القاضي ، وسيكون اللسان المعبر عن الجيل التالي ، ولذلك من اللازم ان تتوفر فيه الكثير من صفات الكمال الى حد انه من الصعب ان نتصور انه من الممكن ان يكتب تاريخ جيد حسب الطلب ، وما يمكن الحصول عليه حسب الطلب من رجال مترسي العقل قد اوتوا شيئا من الموهبة هو رسائل تاريخية تدور حول موضوع معين وتكون ثمرة بحث شاق مؤيد بوثائق صحيحة مشفوعة بملحوظات انتقادية تلقي ضوءا على الحادث . واذا كانت هذه البحوث والوثائق والمواد مفرغة في سرد جيد ، فان مثل هذا العمل سيكون قريب الشبه بالتاريخ الى حد كبير » .

في السفينة الى مصر ، بين علمائه

واقترن عند نابليون عادة سرعة النفاذ الى صميم المشكلات ولب الحوادث بالقدرة على الايجاز الجامع ، وكان من النادر ان يلقي نابليون خطبة مسهبة ، وكان اذا اراد ان يلخص الآراء في مسألة من المسائل العارضة استطاع ان يقوم بذلك في دقة واحكام ، ومن قبيل ذلك رده على مرافقيه من العلماء ، وهو قادم الى مصر على السفينة « لاوريان » . فبعد ان عرض العلماء ما عندهم من الحجج التي تنفي وجود الله اشار نابليون الى السماء وقد رصعتها النجوم وقال : « ولكن يا أيها السادة الأفاضل من صنع هذا كله ؟ » .

وارث نابليون

وحينما كان قنصل فرنسا الأول اثيرت مسألة ضرورة وجود وارث له ، سواء كان من احد انساله او كان ابنا متبنى ، أجاب نابليون هذه الاجابة الموجزة « الوارث الطبيعي هو الشعب الفرنسي ، انه ابني ، وانني لم اعمل لغيره » .

نابليون ومسألة القضاء والقدر

والمسألة الثالثة في حياة نابليون هي موقفه من مسألة القضاء والقدر ، وربما استطعنا ان نستخلص من كثرة ترديده لكلمة الحظ والاشارة الى نجمه انه كان قدريا ، كما كان من عادته ان يتطلب حينما يبلغه النبأ مثيرا . ولكن اصدار الاحكام على شخصية معقدة وشخصية متعددة الجوانب ، مثل نابليون ، يستوجب الحذر ، ويتطلب الاناة وتقليب الامر على وجوهه المختلفة وربما يكون نابليون قد اكتسب عادة التطير منذ نعومة اظفاره ، فليس في اعماله ولا في اقواله ما يدل على الثقة المطلقة بالقدر . وبرغم استسلامه في بعض الاحايين بالتحدث عن نجم حظه فانه كان يتخلى عن هذا الاعتقاد حينما يتحدث عن نفسه ويكشف اسرارها . ومن اقواله لجورجو الذي لازمه في سانت هيلانة قوله : « ان الانسان حر دائما ، وسيد نفسه » . وفي ايام علو نجمه كان يعلن دائما انه يعمل كل شيء بحساب . وقد كتب مرة ضمن رسالة الى اخيه جوزيف بونابرت : « لا يستطيع الانسان في الحرب ان يكسب شيئا الا بالحساب واعمال الفكر ، ولا يأتي بثمرة سوى الشيء الذي فكر الانسان فيه تفكيرا شاملا مدروسا » .

ومن تصريحاته في سنة ١٨١٢ « اني أترك مكانا للعجب الى غيره ، وابرح سانت كلود لأذهب الى موسكو ، وليس باعث ذلك الميل العاطفي او من اجل الاصطفاء ، وانما سبب ذلك الحساب الجاف » .

والرجل الذي يعتمد في اعماله على التفكير

بالتواصل والحساب الدقيق لا يكون في الصدفة قوى الاعتقاد بسلطان القدر ، لأنه يؤمن بكفايته وعقله ، ولا يعتمد على قوة خارج شخصيته . وكـان فرط الثقـة بالنفس من الصفات التى لازمت نابليون منذ بدء نشأته ، وفي مختلف أدوار حياته ، وكان يعمل دائما على ان يكون سيد الظروف المحيطة به لا خادما لها خاضعا لتصرفاتها . وكان شديد الايمان بأن الاقدام والشجاعة والهمة العالية والعزيمة الماضية تحسم الحوادث وتسيطر عليها .

نابليون قرأ تراجم بلوتارخ وما فيها من عمل الأقدار

والقائد العظيم هذا لا يكون قدريا ، فما الذى كان يرمى اليه نابليون باشاراته الكثيرة الى القدر ونجم الحظ ؟ لقد كان يعمل كل شيء بحساب ، ويهدف الى غاية ، فما غايته في ترديده الاشارة الى الحظ ؟

من المحتمل ان يكون قد تأثر باطلاعه على فكرة اليونان عن الحظ والقدر ، وقد كان من المعجبين بتراجم بلوتارخ Plutarch ، وكثير من الحوادث المروية فيها تشير الى فكرة الحظ وتأثيرها في الرومان واليونان . وسيرة تيموليون Timoleon التي ذكرها بلوتارخ من امثلة ذلك البارزة ، فلم يكن تيموليون قائدا بارعا في وضع الخطط الحربية ، وقد اقدم على قيادة حملة صغيرة الى صقلية ليحررها من الطاغية ديونيزاس والقرطاجنيين ، وكانت المحاولة من ناحية الأهبة والاستعداد تنذر بالاخفاق وتبعث على اليأس ، ولكن كانت هناك علامات تبشر بالخير ، وقد استطاع بالحيلة والحذق أن يتسلل عبر المضيق ، ويتحاشى سفن القرطاجنيين ، وغالبا جيوشهم ، واصاب منهم غرة ، وتم له النصر عليهم ، وأذهل هذا الانتصار المدن اليونانية ، وجعلها تعتقد انه متحدثا من الآلهة ، فانحازت الى صفه ، ونجح في الاستيلاء على قلعة سرقوسة ، وعلى ديونيزاس نفسه ، ويقول بلوتارخ ان هذه الحوادث جميعها جعلت الناس تكبر شأن تيموليون وتعده قديسا مقدسا قد ارسلته العناية الالهية لينتقم لأهل صقلية ، وينقذهم من نير العبودية ، وقد كانت هذه الانتصارات المتتابعة الى حد كبير ثمرة الاعتقاد بأنه مشمول برعاية الآلهة .

وكان نابليون يعرف هذه القصة معرفة جيدة ، كما كان يعرف قوة تأثير الاعتقاد بالخرافات في عقول العامة ومنهم جمهرة جنوده واتباعه ، وقد بث عقيدته الدينية واستبقى فيما يظهر ايمانه بحظه لانه كان نافعا له في اشعال حماسة الجند وتعلق الاتباع به ، فمن المحتمل الى حد كبير ان كثرة اشاراته الى حظه كان يقصد بها كسب العامة الى صفه . وقد صمم نابليون على ان يكون الحظ من انصاره ، واتقن ذلك ونجحت الحيلة . ولكن هذا الرجل العالم المفكر كان يسهر الليل ، لا ليراقب نجم حظه ، وانما ليراجع التقارير التى تقدم له ويدرسها وليرسم الخطط ويدبر الأمور قبل ان يملي التعليمات ويصدر الاوامر .

ولع نابليون بالشعر والفن

وقد كان نابليون مولعا بأشعار اوشيان Ossian البطل الارلنـدى الذى عاش في القرن الثالث الميلادى ، وقد قرأ الترجمـة الايطالية لأشعاره واعجب بها اعجابا شديدا وكانت قصائد الكاتب الاسكتلندى ماكفرسن ، تلك التى زعمها ترجمة لأشعار اوشيان ، قد ذاعت وشاعت حينذاك . وقد راق نابليون فيها على ما يظهر كثرة مغامرات البطل الارلندى . وكان يذكر هذا الاعجاب لمن يلازمه من الانجليز .

وكان نابليون بوجه عام يميل الى الشعر البليغ الذى يعبر عن المشاعر السامية ، ولكن ذوقه في الموسيقى والتصوير والنحت كان محدودا ، ولم يبد اهتماما يذكر بطرائف كبار الأساتذة التصوير الموجودة في متحف اللوفر ، وكان حينما يقف ازاء احدى هذه الصور يكتفي بالسؤال عن اسم صاحب الصورة قائلا : « من هذا ؟ » ، اما في فن العمارة فكان يُعجَب بالفخامة ، وقد قال غير مرة ان اشد ما أثار دهشته اهرام الجيزة وتمثال العملاق المسمى « فريون » ويمكن ان نعزو الى هذه النزعة فخامة الآثرين اللذين

اليها بباريس في جهدهم ، وهمسا قوس النصر Arc de Triomphe وعمود فندوم Colonne Vendome

أعجاب جوته ، كبير شعراء الألمان بنابليون

والرجل الذي يمضي معظم وقته في معالجة مشكلات الادب والفن ويترع الى التامل والتفكر ويطل على الدنيا من حيرة الفلاسفة ، يكبر في العادة شأن الرجال العمليين ، وربما عدّهم اجل منه شأنا وأسمى مكانة ، ولعل هذا من الأسباب التي تدفع الشعراء الى صوغ عقود المدح للأبطال والأعيان . وقد كان جوته Goethe كبير شعراء الألمان يعد لقاءه لنابليون وحديثه معه من أهم حوادث حياته ، وقد ظل محتفظا باعجابه الشديد لنابليون حتى بعد سقوط دولته وانقضاء عهده ووفاته ، ففي حديث له سنة ١٨٢١ صرح صاحبه الرسام قال عن نابليون انه ولد ليحكم الدنيا وانه كان يجد سعادته في الحكم والسيطرة وانه كان كفئا لتناول كل موقف .

التقاء جوته بنابليون

وحينما التقى جوته بنابليون في ارفرت انتقد نابليون مسرحية « محمد » التى الفها فولتير ونقلها جوته الى اللغة الالمانية ، وقد عاب نابليون على فولتير مجافاته الحق في تصوير شخصية نبينا الكريم .

كذلك هو انتقد بوجه عام المسرحيات التى يلعب فيها القدر دورا كبيرا .

وقد ابدى لجوته اعجابه بكتابه « احزان فرتر » وقد اخذ على جوته انه جعل فرتر يبادر الى الانتحار مدفوعا بعاملين وهما اخفاقه في الحب وخيبة امله في طموحه . وحب نابليون للوضوح والدقة جعله يعتقد ان الجمع بين هذين العاملين يتنافر مع الطبيعة الانسانية. والعجيب ان جوته اقر نابليون على وجهة نظره ، وقد ذكر لويز ، الذى ترجم لحياة جوته ، ان فرتر الاصلي — وهو جيروسلم ، الذى اسماه جوته في روايته باسم فرتر — قد انتحر مدفوعا بهذين السببين . والظاهر ان جوته قد نسي ذلك حينما واجهه نابليون بنقده .

وفي محادثة اخرى مع جوته في فيمار Weimar ابدى نابليون بعض ملحوظات منطوية على نقد لشكسبير وقال لجوته :

« يدهشني ان رجلا راجع العقل مثلك لا يميل الى اصحاب الاراء الحاسمة والالوان الواضحة » .

ولم يرد جوته على ذلك ، واسترسل نابليون بعد ذلك في الحديث عن المأساة ، وحث جوته في النهاية على ان يكتب مأساة عن « موت قيصر » يكشف فيها الخطط العظيمة التى كان يريد قيصر تنفيذها لو مدّ عمره ، واقترح على جوته ان يصحبه الى باريس ، وذكر له ان مجال المشاهدة بها اوسع ، وانه سيجد هناك مادة عظيمة لملكته الشعرية .

مناقشة حادة بين نابليون والكاتب الالماني فيلاند

وفي اثناء حفلة رقص اقيمت في فيمار دارت مناقشة حامية بين نابليون والكاتب الناقد الالماني فيلاند Wieland وكان موضوعها المؤرخ الروماني تاسيتوس Tacitus (سنة ٥٥ الى ١٢٠م) وكان سبب احتدام المناقشة قول نابليون ان المأساة مدرسة للرجال المستنيرين ، وانها من بعض الوجوه تفوق التاريخ . وتجمع في اللحظة التى القى فيها نابليون بهذا التصريح جماعة من المفكرين في احد اركان الحجرة ، واسترسل الامبراطور يقول مخاطبا فيلاند :

« لوكد لك ان المؤرخ لتاسيتوس ، الذى تكثرون من الاستشهاد به ، لم يعلمني قط شيئا . وهل تعرف اظلم منه تنقصا للرجال وتنكيتا عليهم ، وهو مع ذلك ظالم لهم ؟ وهو يعزو ابسط الاعمال الى الدوافع الاجرامية ، وهو يصور الاباطرة الرومان جميعهم اشرارا سفلة لكي يكسب الاعجاب لعبقرية التى هتكت سترهم . وحولياته اولى بأن تسمى ملخصا لسجلات الاباطرة من ان تسمى تاريخا للامبراطورية ، فهي لا تخبرنا بشيء سوى

الابهامات والتلميح واخبار الذين ضحوا تراثيهم في الصمام . وهذا الذي لا ينى يتحدث عن الجواسيس هو نفسه اعظم الجواسيس . وأى اسلوب ؟ وأى غموض لا يقع في ظلماته ضوء ؟ ولست من كبار المتمكنين من اللاتينية ، لكن غموض تاسيتوس واضح في شتى تراجم او التى عسرة ترجمة قرائها في الفرنسية او الايطالية ، ومن لم ستنبط ان الغموض اصل فيه ، وانه ليس مقصورا على اسلوبه ، وانما يشمل كذلك تفكيره . ولقد سمعت ثناء عليه من اجل الخوف الذى يوقعه في نفوس الطغاة ، فهو يجعلهم يهابون الشعب ، وهذا نكبة على الشعب نفسه . الست على حق يا سيد فيلاند ؟ »

وتوقف نابليون عن الحديث مختلسا بعض الانتظار ، واسترعى نظر الجماعة الى براعة القيصر الاسكندر في الرقص ورشاقة حركاته ، ولكن جماعة الحاضرين كانت اكثر اهتماما بمتابعة المباراة الفكرية منهما برؤية الرقص البديع والحركات الرشيقة .

وشجعت صراحة نابليون فيلاند على قبول التحدى ، فيما يقول « ان تاسيتوس لم يعمد الى فضيحة الاباطرة والتنديد بهم لرميهم السافلة الوضيعة فحسب ، وانما كشف كذلك مساوئهم للانسانية جميعا في مختلف الاجيال ». وختم حديثه بقوله انه يأمل ان يسيطر العقل على الناس بدلا من العاطفة والهوى .

فأجاب نابليون : « هذا ما يقوله فلاسفتنا جميعهم ، وبرغم بحثى عن قوة العقل هذه فانى لم اجدها في أى مكان » .

فتجاسر فيلاند على ان يقول .

« ان من علامات سمو الاهتمام المتزايد بتاسيتوس انه مؤرخ العصور القديمة على التلوين كما سماه راسين Racine ، ولقد كانت الامبراطورية في عصره يحكمها نزوات قياصرة ، ولقد سلقهم تاسيتوس ببيانه ونال منهم ، ولقد كان مضطرا الى ان يحصر نفسه في سجلات روما . وفي كتابة تاسيتوس تنعكس صورة ذلك العصر البائس الشقي الذى وقف فيه الافراد والشعب وجها لوجه ، ولكنه حينما يصف العهود التى تحالفت فيها الامبراطورية مع الحرية فانه يعتبر ذلك اعظم الكشوف التى اهتدى اليها الانسان ».

وابدى الحاضرون استحسانهم ، واعترف نابليون بانه قابل خصما عنيدا يوطن موقفه محفوفا بالاخطار . ولكن براعته المعهودة لم تخذله في هذا الموقف ، والتفت حول جناح خصمه قائلا « هل راسلت مصادفة المؤرخ ميلر Miller الذى لقيته في بوتزدام Potsdam ؟ » (والواقع ان المؤرخ الالماني جوهان فون ميلر كان قد حذر فيلاند من عداء نابليون لتاسيتوس) فاربك بذلك فيلاند ، واعترف بان الامر كما قدر نابليون . وأدهش ذلك الحاضرين وأسعدهم ، وشجع ذلك نابليون على استئناف المناقشة مؤكدا « ان تاسيتوس لم يكشف عن الاسباب الداخلية المثيرة للحوادث ، وانه يترك خلافاتها الخفية الغامضة غير واضحة ، وأوجز غرضه بقوله : انه يجب الحكم على الحكومات حسب البيئة ». وانهى المناقشة في هذا الموضوع وقد ابلى فيها بلاء حسنا كخصمه الجرىء ، وحول مجرى الحديث الى نواح اخرى . وكان نابليون يحترم الرجل الذى يعرف ما يقول ، ويحسن التفكير ، فاهدى وسام الشرف الفرنسي لجوته وفيلاند .

كراهة نابليون لتاسيتوس

ولقد ظل نابليون الى آخر ايامه وهو يكره تاسيتوس ، ولم يغير رأيه فيه ، ففي جزيرة سانت هيلانة ، حيث نفي ، عاد فاكد رأيه في ان تاسيتوس لم يفسر الدوافع التى تؤثر في اعمال الرجال ، وان القصص التى رواها عن الامبراطور تيبريوس Tiberius سخيفة . ولماذا يحرق نيرون روما وهو الذى كان يحبها حبا جما ؟ لم يقدم تاسيتوس سببا يدعو الى ذلك . وسخر نابليون من الفكرة عن كراهة تاسيتوس الى معارضة تاسيتوس الطغيان .

وما من شك في ان لتشديد تاسيتوس النكير على الطغاة والمستبدين اثرا في تحامل نابليون عليه ولكن نقمه لتاسيتوس ، مهما كانت اسبابه ، كان



أول مقابلة لنابليون مع أهل مصر

له تأثير حسن في الدراسات التاريخية ، فقد أثار الشكوك في صدق الصورة التي رسمها تاسيتوس لتيبريوس وغيره من ساسة وأعيان زمانه . ويرى كثير من الباحثين في هذا العصر أن صورته المزرية الشديدة النكر مبالغ فيها ، وليس أدل على ذكاء نابليون من أنه كان في طليعة الذين لحظوا ذلك وأشاروا إليه ونبهوا عليه .

رأي نابليون في الدين

ومن الموضوعات الشائقة في تفكير نابليون مسألة معتقداته الدينية .

كان نابليون في إبان اتساع نفوذه واكتمال سلطته يلتزم الحيطة في حديثه عن الدين . وكان وزير خارجيته شابتال Chaptal — وقد عرف نابليون معرفة ذاتية جيدة — يعتقد أنه تبين في سلوكه فقدان اليقين الديني . وكان هناك آخرون يعتقدون أنه كاثوليكي حسن العقيدة لأنه كان بين الحين والحين يحضر القداس . وكان نابليون يرى من المسائل المسلم بها أن الكاثوليكية تناسب الشكل الأمثل لنظام الحكم في المستقبل . ولم يكن كذلك حسن الرأي في البروتستانتية لأنه كان يراها صادعة لوحدة الإرادة العامة . وكان يرى الدين بوجه عام قوة هادمة للمجتمع لأنه يصرف الناس بالإعراض عن طلب الحرية في العالم إذ يحيي فيهم الأمل في التعويض عنها في الحياة الأخرى . ولكنه عاد فغير رأيه في هذا الموضوع ، فقد علمته التجارب احترام الدين ، وأدرك قيمته بوصفه من القوى الضخمة في هذا العالم ، وأصبح يقدر الدين لأنه كان يرى فيه مصدرا سياسيا للشعوب . ولما علم بعد معركة أوسترلتز Austerlitz أن أحد العلماء في فرنسا حمل على الدين ، أرسل إليه يلومه على ذلك ويوبخه لأن الإلحاد مذهب هادم للنظام الاجتماعي إذ يجرد الإنسان من الأمل وكل ما يعين على احتمال آلام الحياة وفواجعها .

أما في أثناء إقامته في سانت هيلانة ، حيث لم يكن ملزما بمراعاة مقتضيات السياسة وأصول

الحكم ، فكان كثيرا ما يردد ان الانسان مخلوق ارضي ، وان الثور كذلك مخلوق ارضي ، وان الانسان مجرد نوع اسمى من انواع اسمى من انواع الثيران لانه مكون من مواد اكمل نظاما ، وانه من الممكن ان يظهر على الارض في المستقبل كائنات اسمى من الانسان . ويتساءل قائلا : « اين روح الطفل او روح المجنون ؟ ان الروح تتبع الجسد ، وهي تنمو مع الطفل وتبلى في الرجل العجوز . ولكن فكرة وجود الله هي ابسط الافكار فمن الذي صنع هذا كله ؟ » .

وفي مناسبات كثيرة كان يردد ان آداب المسيحية ليست سوى آداب سقراط وافلاطون ، وكان يبدي في بعض الاحيان ايثاره للدين الاسلامي . وقد عجز عن الرد على شيوخ مصر حينما سألوه عن الثالوث ، واصروا على انه يتضمن الشرك بالله ، وانه من اجل ذلك وثني . وكان يقول « ان محمدا انتصر على نصف العالم المعروف في عشر سنوات ، وان المسيحية انتهت مثل هذا العمل في ثلاثة قرون » . ومن دواعي اعجابه بالاسلام انه كان يراه عقيدة محاربة .

ويمكن ان نستخلص من آراء نابليون في الدين انه كان ينظر الى الدين من ناحية انه قوة سياسية قادرة على اثارة الناس الى العصيان ، او تقوية النظام بعد تقلب الفوضى ، وانه يهون على الفقراء احتمال شقاء الحياة .

« كل شيء يعلن عن وجود الله »

ومن الاقوال المنسوبة الى نابليون وهو في ساعات عزلته قوله :

« كل شيء يعلن وجود الله ، وهذا امر لا شك فيه ، ولكن اديانا جميعها من الواضح انها من عمل الانسان ...... ومن المؤكد اني لست ملحدا ، ولكني مع ذلك لا استطيع ان اصدق كل ما هو مخالف للعقل دون ان اكون غير امين ومنافقا .. ومعرفة من اين اتيت ، وماذا اكون ، والى اين انا ذاهب من وراء علمي ، ومع ذلك فان هذا كله حقيقة ، واني انا الساعة الموجودة ولكنها لا تعرف نفسها ، واني استطيع التحول بين القضاء الالهي وانظر المحتم في غير جزع ، فهو لن يشر في نفسي على فكرة القتل ، او نحو السم ، او الموت القاتل لو الذي آخذ من قبل ، وهي المسائل المألوفة في سيرة حياة امثالي . ولقد كنت لا اريد سوى المجد والقوة والعظمة لفرنسا ، وقد وقفت مواهبي وجهودي ووقتي على ذلك ، ولا يمكن ان يعد هذا جريمة . فهذه الجهود كانت تبدو لي فضائل » .

ويقول اللورد روزبري ، السياسي الانجليزي الشهير (١٨٤٧ ــ ١٩٢٩ م) انه يبدو ان ميل نابليون الحقيقي كان متجها نحو الديانة الاسلامية، وقد صرح بانها اجمل الاديان ، بل قال مرة ــ كما يروى روزبري « نحن المسلمين » ، ولكن روزبري يروى الى جانب ذلك قوله «لو اضطررت الى اعتناق دين من الاديان لفضلت عبادة الشمس مبع الحياة والاله الحقيقي للارض » .

الخلاصــة

ويمكن ان نستخلص من حياة نابليون ومجمل سيرته انه كان لا يعمل من اجل تحقيق غاية سامية او مثل اعلى ، بل كان يعمل من اجل مجده الشخصي ، ولم تكن تهمه فرنسا ولا اوروبا ولا الانسانية جميعا وانما كانت عظمته الشخصية ومطرفه الخاص وتفرده بالسلطة هي محور اهتمامه ومناط آماله واتجاهاته .

وهو يمثل النزعة الفردية والاتجاه الفلسفية الانسانية التي بدأت منذ عهد احياء العلوم ، والتي من اوائله تتم على فرط ثقته بنفسه واتكاله بالاعتماد عليها .

والدين في رأيه سند من اسناد الدولة ووسيلة من وسائل السياسة ، وربما كان الحكم على عقائد الرجل من المغامرات في اللعوبة المثار ، ولكن الاحاديث الكثيرة المعزوة الى نابليون والتي رواها عنه اصحابه ، ومنهم من لازمه في اكثر ادوار حياته ، ورفق له في محنته، لا تجعلنا نطمئن الى ان الرجل كان يدين بأي دين من الاديان . انه كان يؤمن بوجود الله ، ولكنه ينكر الاديان ــ برغم مفاضلته بينها ــ على الطريقة الفولتيرية التي كانت سائدة في القرن الثامن عشر الذي ولد فيه نابليون . ■■

علي ادهم



■ « اسق العطاش » فاصل غنائي ، تعرفه ليالي حلب .. مزيج من موشحات ، وأغان حلوة ، تحمل عبق الأندلس ، وسحرها القديم . أخذ اسمه الجميل من قصة المدينة العطشى ، عندما حبس عنها المطر ، ذات يوم ، حتى جف كل شيء ، وخرجت تبتهل الى السماء لتسقي العطاش .

وقد عاش الشاعر مع هذا الفاصل الغنائي أكثر من أمسية ، واحبه كما احب كل شيء يحمل أنفاس بلاده ، وروح أرضه نقية .. صافية . فأوحى اليه بالقصيدة الآتية .

ومولاى ! .. أجفاني جفاهـن الكرى (١)
وندى في جسد الظلام
كأسٌ تلعثمُ بالمُدام
وتسيلُ أنوار المصابيح الثلاثة فوق رأسي
كلٌّ تريد الليل شعرا صافيا ، أمواج حس
وتغوصُ ، مولاي ، الحزينةُ في سماوات الحجر
وتضيع في عيني ، في شفتي ، في أبدٍ سحيق
« مولاى ! » واسكبْ وراء سمائنا العافي رشاشا
« مولاى ! » هبني جنتين لسكرتي ، واسقِ العطاشا

* * *

ويبدأ الغناء ! .. « كانت مدينتنا .. كما يروى الرواة

---

(١) يبدأ « الفاصل » بهذا البيت القديم ، والكلمات التي بين قوسين مأخوذة من مطالع الأبيات المشهورة لهذا الفاصل .

في ذات يوم ، أسقيها بدني ، وترشها سموات
كانت تئن بـلا كلام
عطشى ، وتحلم بالغمام
بسحابة ورقاء تملأ ضرعها عشبا ، وزرعا
وتظل ، تطفئ جمرة تنهال فوق الأرض لسعا
كانت مدينتي . ويكبر أهلها يوما ، وراحوا
في موكب ظمآن ، تشيعه المرارة والرياح
وامتدت الأيدي العطاش تدق أبواب السماء
وتهز الأمل الجريح ، بيأسها ، قلق العصاء
« وإذا بمطر » وامتد جسر في الكواكب من نشيد
واهتز قلب النبي للحن المجنح . القصيد

* * *

« اسق العطاش » ، ربابة الماضي تخوض فراغ روحي
وتدر شدوتها على كأسي ، على ليلي الجريح
« مولاي » ! لي عمر . أأذكره ؟ بلى . عمر يتيم
أمضيته عمري ، وأعصابي ، لتسرقه الهموم
ليمزق الليل الأصم شراعه فوق العباب
نتفا ، ليغرق ، أين ؟ في الصخب الملوث . في الضباب
« مولاي ! » هبني جنتين لسكرة الليل الحزينة
« واسق العطاش » تكرما ، جرحي ، قصيدتي الطعينة

* * *

« مولاي » أحلامي نجوم في عوالم لا أراها ..
إلى سأسي . فاسقني الخندق التي تسع الإلـ
ودع المدينة ، بعد أن رويت ، تنام على السلام
ستظل أشواقي بلا مطر تثبته بلا غمام
« اسق العطاش » .. سيرقصون على تسابيح الوتر

ويموج هذا الليل بالمسرح المُجنَّح . بالسَّمَرْ
وأصب ملْ كؤوسهم خمري ، وما ملكتْ يدي
أبدا سيبقى في الدُّجى ، يشقى الدُّجى ، قلبٌ صدِي
« مولاي ! » أطفئت المصابيحُ الثلاثة فوق رأسي
إنّا نريد الليل شعرًا صافيًا أمواجَ حسْ

* * *

« يا ذا العطا ! » هبي لألّى ملكوا وما ملكوا فؤادي(١)
واسمعْ على شفقٍ أندلسًا تمور بألف وادي
ينهضُ المجدُ ، بألف رايةٍ وشلالٍ سعى
عواكف الحُور اللدان . يعبّن في عطفات لحني
ويشُ قيثارٌ . فتشرق وجنةٌ ويحنُّ نهد
ويرنُّ في « الحمراء »(٢) صوتي . فالحياة تندّى ، وشهدُ
هذي بقايانا ، بقايا الأمس ، فمكنُّها غنيتا
« يا ذا السحاب ! » فما أكاد أحسُّ شيئًا في يدينا
الموجةُ انطفأتْ .. وأندلسي صدى حلمٍ غريبِ
« جار العوادل » لم تردُّ إلى شيءٍ مس كسوري
وجار العوادل فقد صمتتْ ، وصاح مؤلي القديمُ
ياليل . شاعرك الجريحُ رؤى على الدمع تحومُ
عطشى . نهر السمع . تضحك من عثرتنا النجومُ
بالنصالْ ، أرهقني لعتب
« اسق العطاش » تكرَّمتنا ! »
ياليل ، شاعرك الجريحُ على الهوى أبدًا متيَّمُ

حلب : سليمان العيسى

---

(١) اشارة الى موشح « ملكتم فؤادي » ، وهو من احب موشحات الفاضل .
(٢) قصر الحمراء .. رمز المجد العربي الزائل في غرناطة .
(٣) موشح حزين تنتهي به رحلة « اسق العطاش » .

انحراف

مشكلة الجيل الصاعد تهدد أساس كل أمة ..

قبل التفكير في طريقة العقاب



بقلم : محمد شمس الدين

المستشار بمحكمة استئناف طرابلس – لبنان

■ اذا كان لكل مجتمع آفة تنهش ضلوعه ، وتمعن فيه تمزيقاً وتخريباً ، فان الآفة المشتركة لكل المجتمعات هي الجريمة !..

واذا كانت لفظة الجريمة توحي للمرء لدى سماعها صورة شنعة المنظر كريهة الجنبات ، فان أبشع هذه الصور ولا ريب هي صورة الجريمة التي يرتكبها حدث طري العود لم يتمرس بعد بأمور الحياة ..

الدولة القيّم الأول على شئون الأحداث

من هنا كانت أهمية مشكلة جنوح الأحداث ، تلك المشكلة التي تهدد كيان الجيل الصاعد بل كيان الأمة أساساً وبنياناً . ولهذا كان على من يتصدى لمعالجتها أن يبحث في طرق الاصلاح التي تؤدي الى محو اسبابها قبل البحث في طرق معاقبة مرتكبيها ، وعلى هذا الأساس اتجهت الأمم الراقية الى وضع المناهج ورسم الخطط لحماية الطفولة ورعاية الأحداث الجانحين ، وغير الجانحين ، بحيث جعلت من الدولة القيّم الأساسي على شؤون الأحداث ، ترعاهم بما تسنه من تشريعات

"مصنوع"

يجب أن نعمل على محو الأسباب

الجنوح اكثره مصنوع لا مولود

عوامل داخلية شخصية ، وعوامل خارجية ، تسبب الجنوح

ان اكثر العوامل التي تؤدي بالحدث

العوامل الشخصية الداخلية التي تسبب الجنوح

السبب الاهم في اقدام الاحداث على الجنوح ، الا انها تتصف بالخطورة بالنظر لصلتها بعالم النفس الباطني وعدم ادراكها بالحس . . .

الغرائز الاولية

من هذه العوامل تلك الانفعالات القوية التي تصدر عن الغرائز الاولية كغريزة حب التملك التي تدفع بمن تعوزه الى البحث عن السلب والسرقة .

وكالغريزة الجنسية التي تدفع الى ارتكاب جرائم الشذوذ الجنسي وما شابهها .

وقد ضرب الاستاذ جوليانى في كتابه« المراهقة المجرمة » مثلا عن سلطان هذه الغرائز وعدم استطاعة الفرد ان تعمل عملها تجاهها ، ما حدث لصبي ، ترتقي تربيه ممتازة ، وتشمله تقدمة حسنة ، ولكنه مع ذلك ارتكب السرقة اكثر من عشرين مرة . والغريب في سرقته انها كانت تهدف الى اشياء تافهة وانه كان يلقيها بدوره بعد ان يأمن عليها

الامراض العقلية والجثمانية

ومن هذه العوامل ايضا الامراض العقلية التي تجعل المريض قاصرا عن التمييز بين الخير والشر ، وبين الحسن والقبيح ، فيقدم على ارتكاب الخطأ دون ادراك . .

وكذلك اهمال الجسد فانه لا يقل اهمية عن الامراض العصبية لان المرض الظاهر يولد في نفس المريض مركب نقص يدفعه الى الانتقام وارتكاب الجرائم نتيجة لشعوره بالنقص والانحطاط عن مستوى الغير . .

العوامل الخارجية التي تسبب الجنوح

واما العوامل الخارجية لجنوح المعاصرين فقد وقف عندها طويلا علماء الاجتماع والقانون بالنظر لكثرتها ووضوح طرق معالجتها .

سوء حالة الاسرة

واول هذه العوامل واهمها بلا ريب هو سوء حالة الاسرة وفسادها . . لان الجانحين الصغار هم نتاج الابوين الساقطين اللذين قل ان ينجبا مواطنا صالحا يهمان به ، فضلا عن المنزل الذي يسوده الخلق السيء من شأنه ان يورث التعاسة والشقاء والفوضى في نفوس الابناء ، يضاف الى ذلك ركون هؤلاء الابناء الى رفاق السوء نتيجة لعدم الرعاية المنزلية واكتسابهم الاخلاق والعادات السيئة وقديما قال الشاعر العربي :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه
فكل قرين بالمقارن يقتدي

تشغيل الاحداث

واما تشغيل الاحداث فقد يؤدي بدوره بهم الى الفساد الخلقي والاجتماعي فيرتكبون الجرائم وفقا لظروف العمل والاشخاص الذين يعملون معهم ، والمسئولية هنا تترتب اكثر ما تترتب على رب العمل الذي عليه ان يتصف بالارادة الحازمة وان يضع نصب عينيه مصلحة المجتمع الذي يؤلف جزءا منه ، فلا يقبل تشغيل الاحداث الذين تمنعهم اعمارهم وظروفهم من التمرس بالاعمال بغية منفعة شخصية وطمع مادي .

تقصير في الرقابة المدرسية

واما تقصير الرقابة المدرسية فهو يؤلف بدوره سببا لاجرام الحدث على رأي اكثر العلماء ، لان المدرسة وهي البيئة الثانية للتلميذ ، كثيرا ما يهمل

الرعاية على تلاميذها وتعرض عليهم مواضيع غير نافعة ، أو تتبع في التدريس أساليب عقيمة . فضلا عن أن بعض المعلمين يتخذون من التدريس وسيلة للكسب ليس الا ، دون أن يشعروا بأنهم حملة رسالة وأمانة ، فتراهم يهملون أمر توجيه الطلاب وطبعهم على الأخلاق الحسنة والمزايا الحميدة فينشأ الجيل على أيديهم مفككا مترديا في ظلام الجنوح والضلال .

ومن أسباب الجنوح الفقر والبطالة

ومن العوامل الهامة في أسباب الاجرام عند الأحداث الفقر والبطالة ، لأن في صاحبيهما ينمو الشر ويترعرع ، اذ أن الحدث فيهما يحرم من الغذاء والكساء والدواء ، الأمر الذي يجعله يشعر بأنه محتاج الى كل شيء ، فاقده فيندفع الى ارتكاب الجريمة دفعا لعوامل الاساءة وتشفيا من النظام الاجتماعي الذي وقف تجاهه مكتوف اليدين .

أساليب تحمي الأحداث من الجنوح والجريمة

تلك هي أهم أسباب جنوح الأحداث التي تستوجب معالجتها لا بأساليب الزجر والعنف والتعذيب التي تؤدي الى استفحال الخطر في أغلب الأحيان بل بأساليب موجهة سارة من شأنها أن تنتشل هؤلاء الصغار من هوة الاجرام وتعيد اليهم الثقة في نفوسهم والهدوء في قلوبهم . فما هي هذه الأساليب ؟ :

القوانين أخذت بمبدأ المؤسسات الاصلاحية للأحداث

لقد مر معنا أن الحدث الذي يرتكب جريمة ليس مجرما بالمعنى الموضوعي لكلمة الاجرام، ولكنه منحرف عن الطريق السوي . وعلى هذا الأساس فان أغلب قوانين العقوبات في العالم أخذت بمبدأ التدابير الاصلاحية وراحت تطبق أصول وقواعد المؤسسة على مرتكبي الجرائم من الأحداث ، هادفة من وراء ذلك الى رعاية الجانحين واعطائهم الفرص الكافية لكي يعودوا سالمين الى المجتمع مزودين بالعلم والمعرفة والسلوك الشريف، وعندها يندمجون في الحياة العامة أصحاء العقول والأجسام ولا يكونون بالتالي عالة على مجتمعهم بفضل ما كسبوه من خبرة عملية وتوجيه صحيح أثناء اقامتهم في مؤسسات ومعاهد الاصلاح .

الوقاية خير من العلاج

واذا كانت التدابير الاصلاحية تمهد السبيل أمام الحدث الجانح لعودته الى الحياة السوية فانها مهما تعددت أساليبها وتنوعت ضروبها تبقى بمثابة العقوبة التي تطبق على الصغار الذين انحرفوا بنتيجة الدوافع الكامنة في نفوسهم أو في محيطهم ولهذا فان من الأولى والأوجب على الأمة أن تلجأ الى وسائل أملا في دفع المرض وتقليل عدد المصابين به لأن حماية المجتمع تكون بتقليل الخسائر والآلام فيه . ولعمري أية خسارة أشد وأدهى من تعاظم جنوح الأحداث وارتكابهم للجرائم المنكرة التي تشكل جرحا بليغا في جسم الوطن . ولهذا كان علينا أن نعتمد على طرق الوقاية وأن نعد لها العدة الكافية ضمانا لسلامة النشء من التلوث والتردي في مهاوي الجريمة البشعة ، وذلك باتباع التدابير الكفيلة بصد نوازع الشر وتهيئة أبناء الجيل الصاعد للحياة الشريفة الصحيحة .

حماية الأسرة

وأهم تلك التدابير حماية الأسرة من التشتت والاضطراب وذلك بسن

التشريعات التي تمنع من انهيار بناء العائلة في حالات الوفاة والزواج، وتضمن حقوق الأولاد في نطاق العيش الكريم، وكذلك محاربة الفقر والجهل والمرض، تلك العلل الثلاث التي تهدم أساس المجتمع وتشرد الأحداث فيه وتجعلهم عالة عليه يعيثون فيه فسادا . ولا مشاحة في أن المجتمع الذي ينتشر فيه العلم المجاني والضمان الطبي والعمل المؤمن لكل فرد لهو مجتمع صحيح خليق بالبقاء .

العيادات النفسية للأحداث

ولقد ذهبت الدول الراقية ولا سيما في أوروبا وأمريكا الى سن مناهج جديدة في طرق رعاية الأحداث وأهم تلك المناهج انشاء العيادات النفسية للأحداث ، تلك التي تقوم بدور شبيه بالدور الذي تقوم به العيادات الصحية للأجسام ، الا أنها تدرس وتحلل مشاكل الأحداث العقلية وتصف الحلول الملائمة لها بغية معالجتها والتغلب عليها قبل أن يستشري الداء ويتحرف الطفل ، ويستطيع أن يؤم هذه العيادات كل حدث تبدو عليه مظاهر الشذوذ النفسي أو العقلي ، كما أن كل مدرسة ترتبط بمركز عيادة تشرف على معالجة الطلاب من الناحية النفسية والعقلية .

المجتمع مسئول قبل الدولة

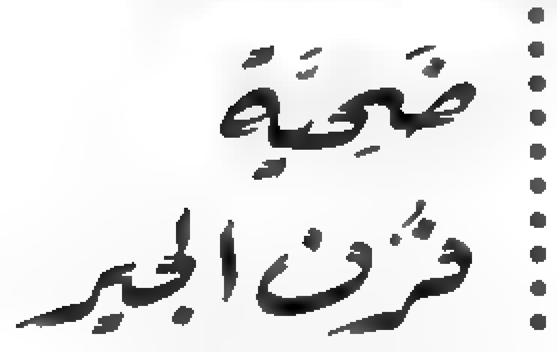
ولا بد لنا قبل ختام هذا البحث من التنويه بمسئولية المجتمع في هذا المجال وطرح الفكرة التي تقول بأن الدولة مسئولة وحدها ودائما عن كل انحراف اجتماعي ، فالمجتمع وهو الخلايا البشرية التي تؤلف الأمة يقع عليه العبء الأكبر في توجيه وارشاد ومساعدة النشء الذي تبدو عليه مظاهر الانحراف . وهذه المساعدة تتجلى في الاكثار من انشاء الملاجئ والميتم والمدارس الخاصة بضعاف العقول والمصابين بالشذوذ النفسي ، لأن هذه المؤسسات تحميهم من خطر السوء والتسكع في الشوارع ، وتنمي في نفوسهم بذور الخير . وكذلك فان انشاء الجمعيات الخاصة بالأحداث لتتم عمل تلك المؤسسات وتؤازرها في نطاق خدمة الأحداث وابعاد هؤلاء عن سبل الخطيئة والانحراف . . ■■

محمد شمس الدين

سوء حالة الأسرة وفسادها . وتقصير الرقابة المدرسية . . من أهم الأسباب التي تدفع بالأحداث الى الانحراف . ان المسئولية الكبرى تقع على المجتمع قبل الدولة لمعالجة هذا الانحراف .



من أخطاء القضاء



بقلم : حسن الجداوى
المحامي لدى محكمة النقض بالقاهرة

■ وللقضاء الفرنسى كما للقضاء الانجليزى ، وكما لكل قضاء انسانى أخطاؤه . فالعصمة لله وحده . والعقل الانسانى مهما تحرى ، ومهما احتاط ، ومهما استعان بخبرة الخبراء وعلم العلماء ، ومهما وضع من قواعد لتجنب الخطأ ، تتغلب الظروف احيانا عليه فيجزم حيث كان يجب أن يحتاط ، ويبت حيث كان التردد أحرى وأولى.

مثال ذلك ما حدث — فى اواخر القرن الماضى — فى « النورماندى » احدى قرى مقاطعة « روان » عندما وفدت « بولين درو » الى تلك القرية بصحبة زوجها واخيها السيد جاستونديلاكروا عوانتاير ثلاثتهم منزلا واحدا افتتحت فيه السيدة بولين حانة تقدم فيها الخمور ، بينما اشترك زوجها واخوها فى مصنع للغزل القائم خارج المنزل باحد مبانى القرية .

ومضت الحياة لا يعكر صفوها الا بعض خلافات بين الزوجة وزوجها واخيها ترجع الى ان الزوجة كانت لعوبا وكان الزوج غيورا والاخ يساند الزوج ويعارض تبذل اخته .

وفجاة بدات المأساة .

فقد تقدم ذات يوم من ايام شهر ابريل عام ١٨٨٧ احد رواد حانة الزوجة يسترد قبعة كان قد نسيها فى الليلة السابقة ، ولكنه وجد باب الحانة مغلقا ، وكذلك باب المنزل . فاخذ يطرق الباب بشدة . وبعد فترة طويلة اطلت عليه — من احدى النوافذ — مدام درو — فى غلالة خفيفة شفافة وشعر منكوش — وبدلا من ان تسأله عن حاجته صاحت به « لقد مات زوجى فاسرع الى المصنع واخطر اخى » .

★ ★ ★

وانصرف صاحبنا فى اتجاه المصنع . وبعد لحظة قليل احد المارة يسير فى الشارع ، فنادته الزوجة التى كانت لا تزال واقفة امام النافذة بقميص نومها وشعرها المنكوش وقالت له « بلغ مدام بالاردن ان زوجى قد مات فى الساعة الرابعة من التهاب رئوى فى الراس (كذا) » . ثم اخذت تصفق بيديها وتهز جسمها كما لو كان ذلك الامر قد ادخل السعادة الى قلبها . واخذت تقول : « اجل . لقد مات . مات » .

★ ★ ★

وانتشر الخبر فى القرية الصغيرة الكبيرة ككل القرى الصغيرة ماتنقل القيل والقال . فتقبله اهالى القرية بمشاعر مختلفة . ان موت الزوج المفاجىء الى التكثير حرجا فى اهالى القرية الفضول . فكثيرون منهم رفضوا تصديق الخبر ،

لان الزوجة لم تكن تحتفل باحترامهم . فهي ماجنة مفرطة في شرف زوجها ، تفرط في الشراب ، وقالوا انها تهذي او تمزح مزاحا سمجا .

* * *

وتجمع اهل القرية امام المنزل يتبادلون الحديث ولا يدرون ما يفعلون ، فباب المنزل مغلق والزوجة بداخله . وتقدم ثلاثة منهم نحو الباب ليقطعوا الشك باليقين ، ونادوا على الزوجة ، فاطلت عليهم من نافذة غرفتها ـ في نفس كسلها ـ او بالاصح غرابتها ـ واكدت لهم ان زوجها قد مات . ثم نزلت وفتحت لهم الباب . وما كادوا يدخلون حتى هالهم ان وجدوا شقيقها السمين ديلاكروا بجوار باب الكرار ولا اثر فيه للحياة . ولكن اخته اكدت لهم انه سكران ـ يتصنع الغفلة ـ وطلبت منهم ان يلقوا على وجهه ماء ليفيق .

واقترب منه احد الشهود يريد ان يسعفه فاذا به يتبين انه جثة هامدة .

* * *

وحين جابهوا الزوجة بذلك لم يظهر عليها اي اثر لدهشة او حزن ، وبقيت جامدة كان الامر لا يعنيها . او كانها سكرى لا تعي ما يجري حولها ، او غافلة لا تقدر خطورته . واسرع الرجال الثلاثة بالانسحاب موقنين ان فاجعة قد المت بالاسرة ، واعتقدوا ان تلك هي النهاية الطبيعية المتوقعة لتلك "تلك" الاسرة لما فيه من سوء خلق الزوجة واستهتارها والخلافات والمشاحنات التي لم تكن تنقطع بينها وبين زوجها واخيها .

* * *

وابلغ رجال الشرطة . انهم لم يحضروا للتحقيق ، فلم يكن الامر قد بلغهم بعد ، ولكنهم جاءوا لدعوة السيد دور للتجنيد لمدة ثلاثة عشر يوما ، وليقوم بالتمرينات العسكرية التي كان القانون يتطلبها من كل قادر سنويا . فلما سألوا عنه تبين لهم انه تحول ووجدوه جثة هامدة في سريره . جثة باردة بل ومتيبسة ـ كجثة صهره ـ انقضى على موتهما عدة ساعات ـ على عكس ما ادعته الزوجة من ان زوجها لفظ انفاسه الاخيرة وهو بجوارها في الساعة الرابعة .

* * *

ولما سئلت الزوجة عن تفسير لهاتين الميتتين الفاجعتين في التوقيتين لم تحر جوابا ، ولم تعبر كيف تبدد الشكوك التي بدات تحيط بها واخذت تهذي بتخيلات متضاربة وكاذبة ، وتخرف كمن به مس او واقع تحت تاثير الافراط في الخمر .

وتغلب على الناس سوء الظن بها واجمع اهل القرية ـ او كادوا ـ على انها ولا شك ـ والناس تحكم دائما بالظاهر ـ دست السم لزوجها واخيها لتتخلص من رجلين يقفان حجر عثرة في سبيل حياة المجون والعبث التي تحياها . وتذكروا ان زوجها ـ في يوم الاربعاء السابق ـ كان قد ضبطها في حالة تلبس ، وطردها من منزله . ولكنه لشدة حبه لها ـ ولسلطانها عليه ـ عفا عنها وسمح لها بالعودة الى منزل الزوجية ، مشترطا ان تقطع العلاقة التي تعيرها . وقد اضطرت على كره منها الى قطع العلاقة واصبح عسيرا عليها الانتقام بشناعتها . وتاكد الراي العام ان هذا هو السبب في قتل الرجلين . واصبح الامر لديهم حقيقة لا تحتمل جدلا .

* * *

لم يلتفت الناس الى ان الزوج والصهر كثيرا ما اصيبوا ـ منذ سكناهم المنزل ـ بثقل في الراس والالم في المعدة وقيء لا يعرفون لهما سببا . فلما ذكروا بذلك فسروها بانها من اثر السم الذي كانت الزوجة تدسه لزوجها واخيها . وتذكروا انها كانت تبدو سعيدة جدا في تلك المناسبات ، وكانت تقول في سرور انها موقنة ان العام لن يمضي على زوجها ، وانه لو كان من حظها ان يموت فلن تجد صعوبة في ايجاد من يحل محله في اقرب وقت . بل انها راهنت ذات مرة احدى جاراتها على اربعين فرنكا مقابل فرنك واحد ، ان زوجها لن يمتد به الاجل الى موعد التجنيد السنوي .

* * *

هذه الاقوال وامثالها مما اخذ يتناقله ابناء القرية وجهت التحقيق الجنائي ناحية الزوجة ، وجعلت المحقق يعتقد منذ البداية انها لا شك قاتلة . فسار في التحقيق لا بحثا وراء الحقيقة ، ولكن بحثا عما يثبت العقيدة التي تولدت لديه قبل ان يبدا التحقيق . ونسي واجب المحقق الاول وهو ان المتهم بريء حتى تثبت ادانته ، وانه لا بد من ان يثبت امامه حصول الجريمة قبل ان يبحث عن المجرم .

كلف المحقق طبيبين بتشريح الجثتين وتحليل

محتويات الامعاء ، فعلا وضعا تقريرهما بان الوفاة حدثت من السم ، ولكنهما لم يستطيعا تبين نوعه ولا تحديد كميته .

* * *

ولو كان التحقيق قد سار سيره الطبيعي — من غير تعامل او فترة مبيتة — لما قبل المحقق قول الطبيبين انهما لم يتبينا وجود سم لم يتعرفا كنهه ولا حددا كميته . ولناقشهما مناقشة دقيقة وامعان — اذا اقتضى الامر — بغيرهما من ذوي الخبرة الى ان يقتنع اقتناعا جازما بنوع السم والكمية التي وجدت بجثة كل من الضحيتين ! وكان عند ذلك زاد فبحث عن كيفية وصول ذلك السم الى يد الزوجة ، ومن اين جاءت به وكيف دسته لزوجها واخيها !

ولو قد فعل ذلك لانكشفت الحقيقة ولما تعرضت الزوجة المسكينة لما تعرضت له من ظلم وعذاب اليم .

* * *

في هذا الجو الخانق الذي شرحناه مثلت بولين امام محكمة جنايات مدينة روان متهمة بقتل زوجها واخيها بالسم . ولقيت صرخاتها بانها بريئة في الهواء ، فقد اوصدت آذان القضاة والمحلفين دونها لتعامل الرأي العام عليها ، وصدر حكم محكمة الجنايات عليها في الخامس عشر من نوفمبر ١٨٨٧ وهو يقضي بالاشغال الشاقة المؤبدة .

* * *

ودخلت بولين السجن . واقتيدت الى زنزانة انفرادية . وسمعت صرير المزلاج يوصد باب الزنزانة عليها . ووجدت نفسها بين جدران اربعة — هي الى المقبرة اقرب — فقد كان مقدورا ان لا تخرج منها الا جثة في تابوت .. ومضت الايام . كل يوم صورة مكررة من اليوم الذي سبقه واليوم الذي سيليه . الاشغال هي الاشغال . والخطوات التي تخطوها في الفسحة اليومية هي نفس الخطوات . واصناف الطعام هي الاصناف بعينها . ودرجات السلم التي تصعدها او تهبطها هي نفس الدرجات وفي نفس ساعات النهار .

وبقيت معلقة لا تحس بما يجري حولها .

ومضت ايام تتلوها ايام وهي لا تحس بوجودها . ولا تقدر خطورة العقوبة التي وقعت عليها . ولا تبين العذاب الجسماني والنفساني الذي وقعت فريسته . انها اشبه بانسان اصابته ضربة مفاجئة على ام رأسه وهو واقف على قدميه لم يسقط بعد ، كالطير يرقص مذبوحا من الالم . انها في غيبوبة عقلية جعلتها لا تفكر ولا تسمع ولا تحس ولا تتألم . انها تحمل اشياء وتمر بأوساط وتؤدي اعمالا لا تدرك كنهها . انها في غيبوبة افقدتها الحكم على الامور .

لم تتبين ولم تستطع ان تعي مصيبتها وفداحة مصيرها ، فاستولى عليها يأس قاتل .

انها في دوامة من العمل ولكنه عمل لا حياة فيه ، عمل خال من كل حماس او تشجيع او مرح . عمل بغير كلام . فالكلام محرم على المذنبين . عمل لا يجوز لها فيه ان تتململ منه او تظهر الفرح بانتهاء فترته اليوم . انها وزميلاتها في المصنع الصامت — العالم الصمت — لا يطرق الآذان الا صوت كسبان احداهن على ظهر مقعدها تخطر به السجانة انها انتهت من العمل الذي بيدها وتطلب غيره .

انها حية ميتة . تخشى ان يشعر الآخرون بوجودها . هجرها اهلها ، ونسيها اصدقاؤها . تجاهلها الاقارب والمعارف . انها موقنة ان احدا لا يعطف عليها او يفكر فيها . خرجت من دنيا الناس ولا يحق لها ان تنتظر كلمة حنان من احد حتى ولا من ابيها .

لقد مضت في هذا الجحيم ست سنوات .

وفجأة . وعلى غير انتظار ، دعاها مأمور السجن الى مكتبه وابلغها ان رئيس الجمهورية اصدر قرارا بالغاء ما بقي من العقوبة . وافرج عنها .

* * *

لقد سبق قرار رئيس الجمهورية حوادث كشفت الحقيقة التي غم عليها طوال تلك السنين .

فبعد موت زوج بولين واخيها ودخولها السجن خلت الدار التي كانوا يسكنونها . ولكن لم تستأجرها السيد جوتييه وزوجته . انها سيدة في تمام صحة لم يسبق لها ان شكت مرضا او اصابها دوار . كذلك كان شأن زوجها . ومع ذلك فما كادا يسكنان المنزل المشؤوم حتى بدت تظهر عليهما — وبخاصة الزوجة — اعراض واعراض كالتي كانت تبدو على « دي » وصهره . كانت مدام جوتييه تشعر — كلما اوقد فرن الجير الملاصق للمنزل — بدوار واختناق وفقدان الوعي في بعض الاحيان . وكثيرا ما وجدها زوجها مغمى عليها لا تسترد وعيها الا بعد ان يخرجها من المنزل

الى الهواء الطلق . وذات يوم من ايام شهر مايو ١٨٨٨ ، ومدام جوليبيه بالمنزل بمفردها ، سقطت جثة هامدة . ونقلها الاطباء الى سريرها وحاولوا عبثا ردها للحياة .

وقبل ذلك دخل الحانة التي كانت تديرها مدام جوليبيه ثلاثة شبان لتناول الفطور من القهوة ، واحس احدهم برعشة من البرد ، فاتجه الى جوار الفرن بحثا وراء الدفء . فلما استبطأه زميلاه ذهبا يتفقدانه ، فوجداه في حالة غيبوبة واعياء ، ولولا سحبهما له الى الهواء لما استرد وعيه .

ولاحظ الاطباء الذين جاءوا لاسعاف مدام جوليبيه ان فرن الجير كان موقدا تنبعث منه الى داخل المنزل روائح خانقة كريهة . وان السماد الذي كان الزوج يتجر فيه ويخزنه في ركن المنزل له نتن . ولكنهم لم يعيروا ذلك اهتماما خاصا .

وترك جوليبيه المنزل المشئوم .

* * *

وفي العام التالي استأجرت المنزل اسرة دوبو . واصيبوا بنفس الاعراض والآلام . ورأى بعضهم ـ اثناء مروره امام المنزل ـ مدام دوبو تخرج منه في حالة رعب كما لو كانت تريد ان تستنجد ولا تقوى على الكلام . وسقطت على الارض . فدخل مسرعا الى المنزل فوجد زوجها فاقد الوعي ممتقع اللون ملقى بجوار مكتبه يسيل الدم من جروح اصابته اثناء وقوعه . ولم يسترد الزوجان وعيهما الا بعد محاولات استمرت ثلاثين دقيقة .

وعثروا على كلبهما جثة هامدة، وبيت اليمامات مختنقة .

وقالت مدام دوبو ـ بعد ان افاقت ـ انه في كل مرة يوقد فرن الجير تصيبها اوجاع في الرأس وضربات في القلب ولا تقوى على المشي ، وتنتشر بالمنزل روائح من نوع خاص .

وبناء على شكوى آل دوبو الى صاحب الفرن ـ الذي كان يملك في الوقت نفسه المنزل المشئوم ـ ابطل استعمال الفرن وانشأ له فرنا آخر في مكان بعيد . ومن وقتها اختفت تلك الاعراض واسترد الزوجان صحتهما .

* * *

لفتت هذه الحوادث نظر مجلس القرية فكلف مهندسا ببحث الموضوع ، فقدم تقريرا اثبت فيه وجود شروخ بالمنزل الذي سكنه درو ، وجوليبيه، ودوبو ، على التعاقب ، يتخلل منها الغاز كلما اوقد فرن الجير .

واصبح واضحا ـ بغير مجال للشك ـ ان الاعراض التي احس بها آل جوليبيه وآل دوبو ـ سببها الفرن . ولكن ؟ هل هذه الغازات الناتجة من الفرن هي التي سببت موت درو وديلاكروا ؟

ان الاحكام ـ فيما يقولون ـ عنوان الحقيقة ، والحكم هنا قاطع في ان الذي قتل درو وديلاكروا هي بولين درو التي قضت مدة طويلة في الاشغال الشاقة المؤبدة المحكوم بها عليها فكيف الخروج من هذا اللغز !

ان الظروف كلها تؤيد ان القاتل هو ذلك الفرن اللعين ، وان سولين بريئة . فلا اقل من اعادة التحقيق لرفع ظلم يبدو انه وقع ، ولتصحيح خطأ قضائي واضح انه ارتكب .

ولكن ما مصير سولين في انتظار تحقيق ذلك ؟ اتترك في سجنها ؟ لم يكن هذا رأي النائب العام. فتقدم الى وزير العدل يطلب منه استصدار عفو من رئيس الجمهورية عن المدة الباقية من العقوبة وامر في الوقت ذاته باجراء تحقيق جديد تمليه الظروف الجديدة .

★ ★ ★

بدأ العمل التحقيق الجديد في جو يختلف كل الاختلاف عن التحقيق الاول . واستدعى الطبيبين اللذين قاما بتشريح جثتي دبو ودبلاروا ، وعرض عليهما احتمال ان تكون الوفاة قد حدثت من الغازات المنبعثة من فرن الجير ، فتمسكا بوجهة نظرهما الاولى ، واكدا ان الاصابات الداخلية التي عثرا عليها في الجثتين تجعل هذا الفرض مستحيلا ويجب استبعاده .

ولكن عقلية المحقق في هذه المرة اختلفت ، فاستدعى ثلاثة من اساطين الطب الباريسيين ، وكلفهم بدراسة جميع ظروف موت دبو ودبلاروا . وبعد دراسة مستوفاة ، وارتكانا على ما اثبته الطبيبان الاولان ، ظهروا بخطأ نظرية الطبيبين الاولين ، واثبتوا بادلة طبية واضحة ان الغازات المتسربة من الفرن هي القاتلة . وحاول الطبيبان الاولان مخالفتهما ولكنهما ما لبثا ان نزلا على رأي زملائهما واعترفا بأن رأيهم لا يتعارض مع وجود الاصابات الداخلية .

وعرض الامر برمته على محكمة النقض . فقضت بتاريخ ٢٦ يونيو ١٨٩٦ — أي بعد تسع سنوات من صدور حكم محكمة جنايات روان — الصادر



.. واقبل رجال الشرطة .. وسألوا عن السيد دبو فوجدوه جثة هامدة .. واتجهت الشبهات للزوجة .

فى ١٥ أكتوبر ١٨٨٧ ـ بالغائه واحالة القضية الى محكمة جنايات روان للفصل فيها من جديد من هيئة أخرى .

★ ★ ★

واستمعت محكمة الجنايات الى أقوال الشهود من جديد وناقشت الخبراء الخمسة ثم استمعت الى مرافعة المحامى العام الذى أخذ يدلل على أن متهمة عام ١٨٨٧ بريئة ـ براءة الذئب من دم ابن يعقوب كما يقولون ـ وأنها ضحية خطأ لا شك فيه . ثم أخذ يشرح أن الأخطاء القضائية محتومة فى بعض الأحيان لا سبيل الى تجنبها لاتصالها بضعف الانسان غير المعصوم من الخطأ . وقال ان من الظلم ـ فى هذه القضية بالذات ـ تحميل القضاء وحده وزرها . فقد اشترك فى هذا الخطأ والتمهيد له كثيرون .

وقال ان التيار ـ تيار الرأى العام الجارف جرف الشهود والخبراء والمحققين والنيابة والمحلفين .. والصحافة نفسها! الصحافة التى طالما هاونت على الجهر بالحقيقة جعلت نفسها لاعبة الرأى العام فحملت أكبر قسط من المسئولية . فقد راحت تتابع التحقيق ، وتنشر تفصيلات بعضها مبالغ فيه وبعضها من نسج الخيال ، حتى هيجت الرأى العام فى القرية فلم يعد الناس يرون فى المسكينة الا قاتلة قاسية القلب متحجرة الفؤاد ، حتى أن الجمهور التجمع أمام باب النيابة العمومية أحاط بالعربة التى كانت تقودها للسجن وأراد أن يفتك بها وطالب بالقائها تحت عجلات العربة أو تسليمها اليهم للفتك بها .

« فى هذا الجو المسمم مثلت بولين أمام المحكمة . ووسط هذا الجمهور الهائج الصائح الاتهام صاخبا . ونظر المحلفون الى المتهمة لا باعتبارها بريئة حتى تثبت أمامهم ادانتها ، بل باعتبارها قاتلة حكم عليها الرأى العام ، ومطلوب منهم أن يصدروا حكما مناسبا لارضاء الرأى العام . وهكذا اكتفوا بتوكيدات الخبيرين دون مناقشة ، وأصموا آذانهم عن محاولات الدفاع اليائسة ومن صرخات المتهمة البريئة » .

وطلب المحامى العام فى نهاية مرافعته البراءة .

واكتفى محاميها بالانضمام اليه . وأصدرت محكمة الجنايات حكمها بالبراءة .

★ ★ ★

وجاء دور المطالبة بتعويض المتهمة البريئة عما لحقها من الضرر . وترافع محاميها مدللا أن النيابة العمومية والقضاء هما المخطئان . فما كان لهما أن يتأثرا بالرأى العام وبالاشاعات والقيل والقال . ان الرأى العام يحكم دون أن يحقق ، انه غير مسئول . أما المحقق وأما القاضى فلا يجوز لهما أن يكونا رأيهما الا بالدليل القاطع الذى يريح الضمير ولا يدع مجالا للشك . لبراءة ألف مجرم أخف وقعا من ادانة بريء واحد . وطلب من المحكمة أن تقضى بتعويض يتناسب مع الآلام التى تحملتها المتهمة من جريمة لم تقع أصلا . ثم وجه الخطاب الى الضحية البريئة وقال لها فى عبارات أبكت الحاضرين بالجلسة .

« أما أنت يا سيدتى التى طال تألمك من ظلم الناس فأرجو ألا تنسى ـ أن تستمرى ـ الآلام واحتمالها . تجاهلى الناس وعيشى فى المستقبل ! انى أراه هنا بجوارك . انه فى تلك البيئة اللطيفة التى تحيطك بذراعيها . انه فى ابتسامتها . فى قبلاتها . انك تستطيعين الآن بفضل حكم البراءة أن تسيرى مرفوعة الرأس موفورة الكرامة . وأن تعودى الى موطنك . والى قريتك . فسيعود اليك من عاداك .

سيعود اليك الذين رموك بالحجارة ولعنوك فى سريرتهم ، مظهرين الندم ، يبادلونك الاحترام والتقدير . فالغفران لهم . انهم كانوا لا يعلمون . وخلى مكانك بين كرام الناس .

عودى اليهم يا سيدتى وتجاهلى الماضى » .

ووقف المحامى العام يطالب باستعمال الرأفة ـ مع الحكومة ـ فى تقدير التعويض على أساس أن هذه أول قضية بعد صدور القانون الذى يقضى بتعويض ضحايا الخطأ القضائى . ولكن المحكمة لم تجاوزه فى طلبه وحكمت لبولين بأربعين ألف فرنك تعويضا وبنشر الحكم فى أمكنة مختلفة من القرية وعدد من الصحف وفى الجريدة الرسمية .

■■

حسن الجداوى المحامى

لدى محكمة النقض ـ القاهرة



شط المرسى تونس

- تجمع بين جمال الطبيعة وروعة التاريخ ووسائل الاستشفاء
- بحامات معدنية تشفي الأمراض العصبية .. وعقم النساء !

في العدد ٤٣ من العربي هذا

■ لا يستطيع زائر تونس العاصمة ان يتركها دون ان يزور المصايف والشواطىء المحيطة بها من كل جانب .. انها شواطىء ساحرة ، تحمل اسماء غريبة ، يقصدها السائحون الاجانب ، كما ينتقل اليها المصطافون من المواطنين التونسيين ، وخاصة سكان العاصمة الذين يحملون معهم اثاث منازلهم !

وعلى الرمال البيضاء الناعمة تتلاقى العائلات والاصدقاء ، وترتفع الاصوات سعيدة فرحة كل يحيي صاحبه باللهجة التونسية العامية السريعة :

ـ مرحبا بك ، حيث للحلاعة ؟

والحلاعة معناها التصييف !

ان الكل سعيد لانه ترك العاصمة الحارة ، واتجه الى هذه الشواطىء القديمة الجميلة الساحرة ..

وفي مقدمة المصايف التونسية تقف « قرطاج » او « قرطاجنة » .. حيث يستحم المصطافون ويستريحون تحت ظلال اطلال هذه المدينة التاريخية التي ارعبت امم البحر المتوسط منذ اكثر من الفي عام .. انها مسقط راس هانيبال القائد القرطاجني الذي هدد اسوار روما وكاد ان يكتسح بجيشه البلاد الاوروبية ..

ان قرطاجنة تبعد ١٨ كيلو مترا عن العاصمة ، ولكنها مرتبطة معها بترام كهربائي ، يحمل المصطافين والسياح الذين يقصدون اليها لمشاهدة آثارها وزيارة متاحفها ذات المعروضات التاريخية العظيمة ..

اميلكار .. وابو سعيد .. وصالبو !

ويجاور قرطاج بلاج شاطىء اميلكار الجميل بمياهه الكبير ..

وعلى قمة جبل المنار يقع مصيف « سيدي ابو سعيد » ، الذي سمي بذلك لقربه من مقام ابي سعيد الباجي ، احد رجال تونس في القرن السابع الهجري ..

ان « سيدي ابا سعيد » هو مصيف الطبقة العالية في البلاد ، وقد اشتد ولع الاجانب بامتلاك بيوته البيضاء ذات النوافذ والابواب الزرقاء ، والمشربيات السوداء حتى اصبح الكثيرون منهم يمتلكون البيوت الجميلة الانيقة فيه . واشهرهم البارون دير لانجي ، الثري الانجليزي الذي بنى قصرا رائعا على الطراز العربي الاصيل ، وسط حديقة اندلسية باسمة .. ولم يكتف بهذا بل عمد الى تكوين فرقة موسيقية اندلسية ،

خريطة تونسية ، ظهرت عليها اماكن شهر المدن والمصايف التونسية ..



تمتاز مدينة سوسة والمدينة بمسجد سيدي [illegible] لوجود بحيرة في [illegible] ،
وهناك مقاهي تنتصب [illegible] نظرا لكثرة [illegible] ووجود للاعبين [illegible] في منطقة ،
وتمتد [illegible] في [illegible] بواسطة [illegible] كبيرة

وقام برحلات الى مكتبة الاسكوريال بمدريد حيث درس ، وسبح ، اغلب المجموعات والمخطوطات العربية الاندلسية، والف مجموعة كتب تحتوى على سنة مجلدات في هذا الفن ..

والى جانب سيدي ابي سعيد يمتد شاطىء حلق الوادي ، ميناء تونس الخارجي حيث تستريح البواخر الكبيرة التي لا تستطيع دخول قناة تونس فانها تفرغ بضائعها على الارصفة ، بينما المستحمون يتنقلون منتقلين فرحين بين رمال الشاطىء البيضاء ، ومياه البحر الزرقاء ، والمقاهي تزاحم المطاعم فتقدم لروادها السمك المشوى الشهي .

اما « الكرم » فشاطىء بحري ضيق صغير له عشاقه الذين يقصدونه لتغطيه اجسامهم برماله الحارة التي تعالج الروماتزم وتقضي عليه ..

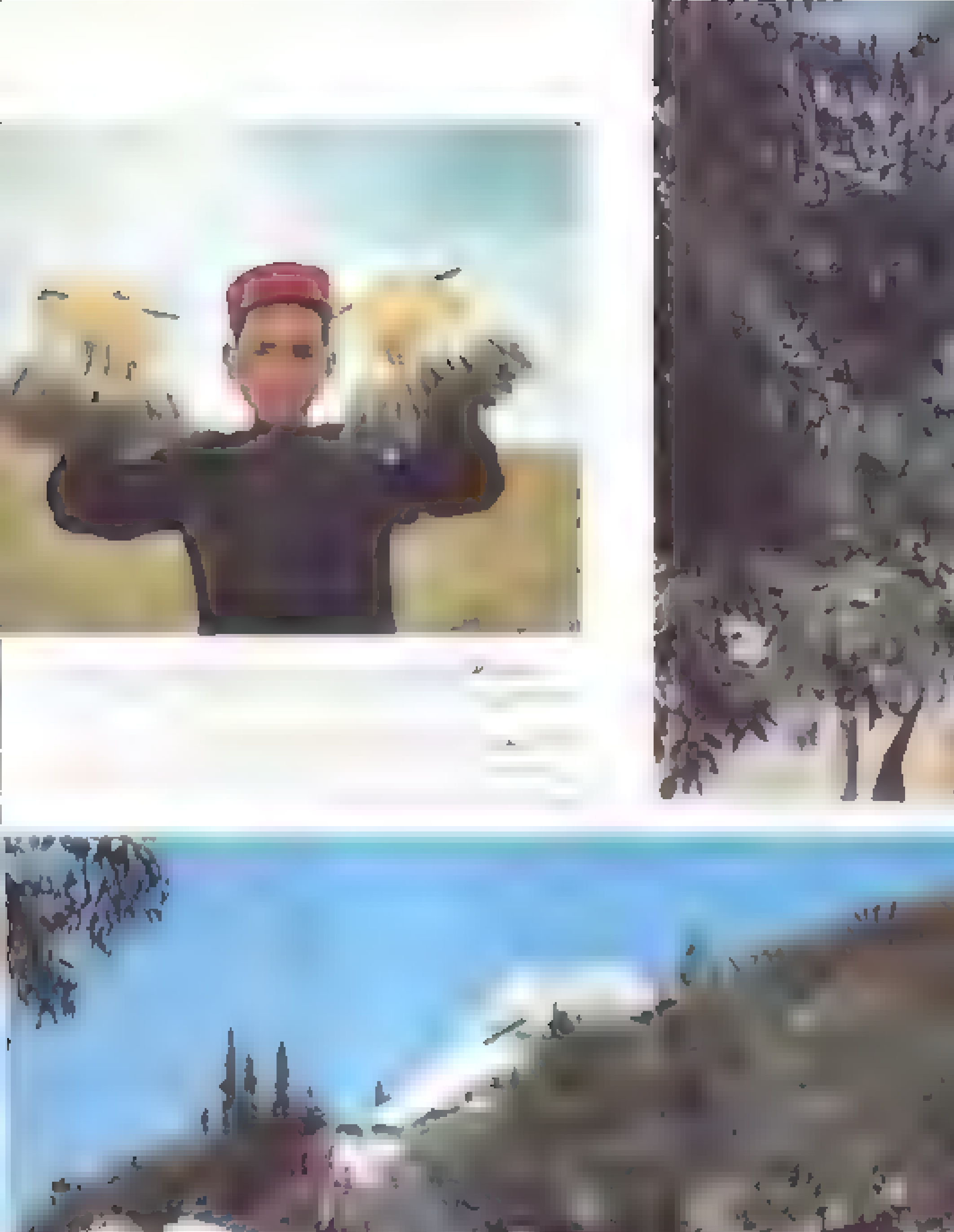
وهناك شواطىء « صالمبو » اتعبد القرطاجني القديم، ويتميز هذا الشاطىء بوجود متحف للاحياء المائية فيه .

وشاطىء « رواد » بضاحيه اريانه و « قمرت » الشاطىء ذو الرمال البيضاء الناعمة ، والمقاهي والملاهي التي لا تمتلىء الا في عطلات نهاية الاسبوع ...

رحلة عبر التاريخ

ان المصايف التي تحيط بتونس العاصمة تجتذب اليها سكان هذه المدينة





اما السائح القادم من الخارج فيميل للشواطىء الاخرى البعيدة عن العاصمة، فلا يلبث ان يعثر على ضالته بسهولة ويسر .. فشواطىء تونس تمتد الى ١٥٠ كيلو مترا مما يجعلها معينا كبيرا متنوعا واسعا ينتقل السائح بين ارجائه بالسيارات على شبكة طرقات معبدة رائعة ..

انها رحلة عبر التاريخ ، وسط مصانع متناثرة على ارض حباها الله بتأثيرات مناخين يتنازعانها : مناخ البحر المتوسط اللطيف الرطب، ومناخ الصحراء الجاف الملتهب .

ان هذا المناخ يجعل تونس صالحة لزراعات متنوعة زاهرة .. من تين وبرقوق وبرتقال ورمان ولوز وخوخ (دراق) .

ويجذب هذا المناخ السياح على مدار السنة ، انهم يأتون من اوربا ، التي تبعد عن تونس بمقدار ٩٠ دقيقة بالطائرة ويتكاثر هؤلاء السياح من مارس الى اكتوبر بين مصايف العاصمة ، ونابل والحمامات ، وبنزرت ، وطبرقة في الشمال .. وفي الشتاء يأتون من اكتوبر الى مارس ليقيموا بين الوسط والجنوب : في قفصة ، وسوسة ، وصفاقس ويتنقلون بين واحتي توزور ونفطة حيث عيون المياه المتدفقة التي تروي نخيل «دقلة النور» اطيب واشهى التمور ..

مناطق بأكملها للمياه المعدنية

واول ما يقابلك بعد ترك العاصمة وضواحيها هو مناطق المياه المعدنيه بذات التأثير الكبير لعلاج العديد من الامراض.

واهم هذه المناطق منطقه « حمام الانف » حيث يتلاقى الشاطىء الرملي بالجبل العالي « ذو القرنين » .. وتتلاقى مياه البحر الزرقاء والباردة بمياه الآبار المعدنية اللاهبة ، التي يبردونها من درجة ٤٩ مئوية الى درجة ٣٨ حتى يستطيع المريض أن يغطس فيها لمدة تتراوح بين ٦ و ١٢ دقيقة تحمر خلالها بشرته ، ويشعر بحرارة كبيرة ، وبعد خروجه من الحمام يلتحف بقطعة من الصوف ، تزيد في حرارة جسمه ، فيتصبب العرق غزيرا منه ، بينما يعمد الاختصاصيون الى تدليك جسمه ، حسب ارشادات الاطباء .. ويحتاج العلاج الى اخذ عدد من الحمامات يتراوح بين ١٥ و ٦٠ حماما.

وهذه المياه تعالج امراض العظام والروماتزم ، والامراض العصبية والجلدية ، والشلل واخيرا عقم النساء، ثم الاسهال ! . هذا ما يقوله المسئولون عن هذه المحطة العجيبة في المياه .

ان جمعية البحث عن « المدن التوائم » في العالم قد جعلت من « حمام الانف » المدينة التوأم لمدينة سالزوماجوري الايطالية الشهيرة بمياهها المعدنية ..



سائق عربة الحنطور في منطقة حمام الانف ان هذه العربات قد اوقفت في العاصمة



وسط هذه الاشجار الكثيرة يمضي اهل العاصمة ومدن تونس وقتا طيبا في منطقة حمام الانف الشهيرة بمياهها المعدنية

«قربص» و«نابل» و«الزمبرة» و«الزمبرتة»

واكبر منافس لمياه « حمام الانف » هي مياه مدينة « قربص » التي تبعد ٥٠ كيلو مترا عن العاصمة (انظر الصور ص ٩٠) .

وتشتهر « قربص » بعيونها المعدنية الخمس . الاولى هي عين « الشروس » لعلاج أمراض الكبد ، والثانية « عين الشفاء » لعلاج امراض المعدة والامعاء ، والثالثة « عين الكانا سيرة » لعلاج الامراض الجلدية ، والرابعة هي « عين القطر » أشهر عيون « قربص » ومياهها تعالج اوجاع الكلى وسوء الهضم ، والخامسة هي العين الكبرى ومياهها تعالج الروماتزم والاعصاب ، ومنها يشرب اهل قربص ..

ومن قربص يمكننا ان نسير شمالا على « شاطىء الشمس » كما يسمونه ، ونتجه حتى رأس « كاب بون » حيث جزيرتا زمبرة وزمبرتة ، اللتان تبدوان كالحارس تحرسان خليج تونس ! .

ويمكننا كذلك الاتجاه صوب الشرق ، عبر مزارع البرتقال ، والليمون ، والياسمين ، والورود ، لنصل الى « نابل » عاصمة الصناعات التقليدية التونسية ، حيث يتم صنع أجمل المصنوعات الفخارية ..

وفي نابل خمسة مصانع لتقطير الماء والعطر من الورد والزهور .. والى جانب مصنوعاتها تتميز نابل بشواطئها ومقاهيها ومزارع البرتقال ، الذي يقيمون له احتفالا كبيرا في النصف الاول من مايو



المعدنية التي تشفي الأمراض الجلدية، والكلى، والروماتزم . .





يحيط البحر بتونس من الشمال والشرق ، فيجعلها مصيفا صاخبا بشواطئه ، واسعة رمال الشواطئ صفراء ناعمة ، تتكسر عليها أمواج البحر الهادئة

كل عام ، يستمر اسبوعا كاملا ويحضره حشد هائل من السياح واهل المدن التونسية ..

ان نابل تسير بخطوات ثابتة لتصبح من كبريات مدن الاصطياف في تونس ..

ايزنهاور وتشرشل في الحمامات

وينقل من نابل الى « الحمامات » البلدة الصغيرة ذات الجو المعطر برائحة زهر اشجار البرتقال والليمون ، الممتدة بساتينه حتى شاطئ البحر

ان مناخ وشاطئ « الحمامات » يجعلانه مصيفا ومشتى في آن واحد.. حتى فنادقه السياحية تكاد تكون كاملة العدد على مدار السنة .. واكثر الاجانب اقبالا على « الحمامات » هم الالمان والسويسريون والانجليز . وكثيرا ما جاءها تشرشل ، كما زارها ايزنهاور للتمتع بشمسها الساطعة وجوها اللطيف ..

والى جانب الشاطئ حيث اشجار البرتقال والليمون يعمد الاهالي الى شغل التطريز وعمل الدانتيلا والسجاد الاحمر ، يبيعونها للسياح القادمين .. ويعرضونها في المعرض الدائم للفن التونسي الواقع على الطريق الرئيسي بالمدينة ..

والى الجنوب من « الحمامات » تقع مدينة سوسة ، التي تتميز بسعة رقعة شواطئها الرملية وامن مسابحها البحرية الخالية من الصخور والتيارات المائية والامواج ، مما يجعلها المصطاف المفضل



يسير برنامج اقامة الفنادق الكبيرة بخطوات سريعة ؛ فالمصطافون والسياح كثيرون بينما عدد الفنادق قليل ، وهذه صورة التقطت داخل فندق السعير الكبير

لاكثر سكان الوسط التونسي ، وخاصة من جهات القيروان في الداخل ..

وتبعد سوسه ١٤٩ كيلو مترا عن العاصمة ، ويزيد عدد سكانها عن ٤٠ الف نسمة يعيشون في سوسه القديمة وسوسة الحديثة ، وتتميز « سوسة » بزيتها واسماكها وبرباطها العربي المجيد ، من هذا الميناء خرجت قطع الاسطول الاسلامي لاحتلال جزيرة صقلية منذ الف ومائة عام تقريبا ، وما زالت قلعة « سوسة » قائمة حتى اليوم ، رغم انها بنيت عام ٨٢١ م .

« نيس » المستقبل !

ومن سوسه يستطيع المرء ان يتجه غربا الى القيروان ، او جنوبا حتى صفاقس ، ليمر على « الجم » اكبر مسارح الرومان المكشوفة وكان يتسع لجلوس ٦٠٠٠٠ شخص .

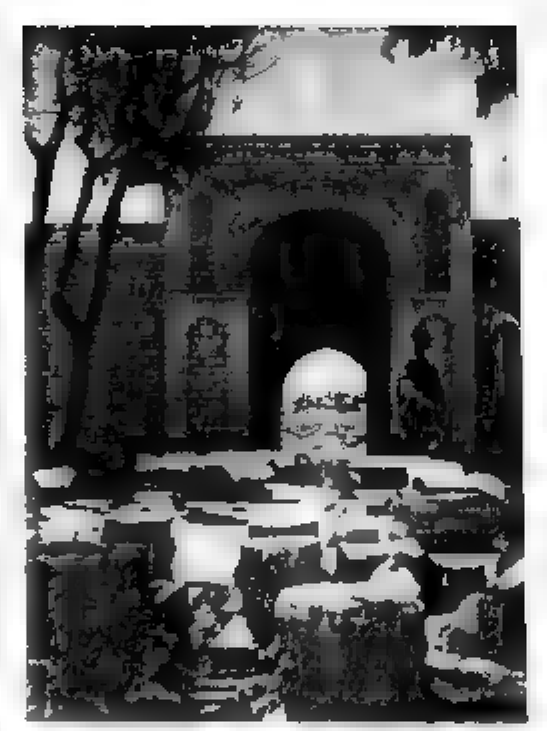
ولكن هذا الطريق يحرمك مشاهدة اجمل مصايف وسط تونس وهما المنستير ومدينة المهدية .

ان « المنستير » هي مدينة نيس المستقبل ، ان الاستعدادات والاصلاحات قد اوشكت على الانتهاء ، ان لم تكن قد انتهت فعلا ، لجعلها العاصمة الصيفية للبلاد .. انها المدينة التي تجمع الشاطىء الجميل الخلاب ، والازهار الجميلة ذات العطر الفواح ..

وتشرف على المنستير قلعة كبيرة بناها



قصر الصادق



الحاكم ابن عيان عام ٧٩٦ م وقد انتهى العمل من اصلاحها وترميمها وأصبحت تستقبل الزوار والمصطافين ..

وفي وسط خليج المنستير تقع ثلاث جزر صغيرة ، في احداها مصنع لتعليب سمك التونة ، الذي يبدأ صيده من نهاية شهر ابريل حتى اوائل يونيو .

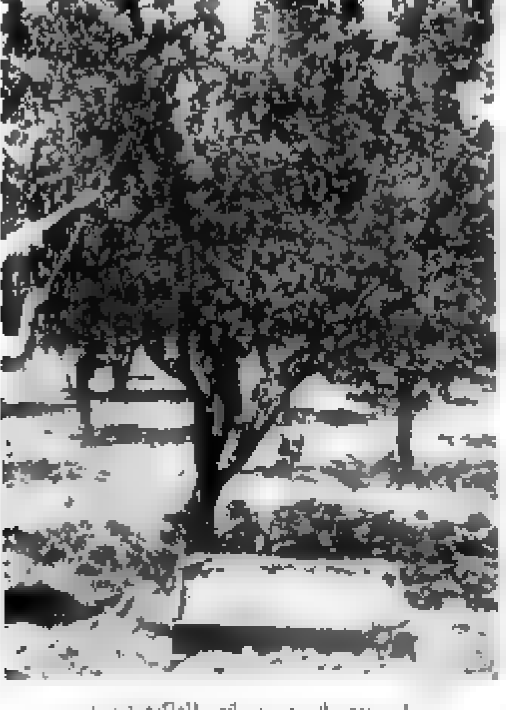
ونترك المنستير لنتجه الى المهدية . نشهد على الطريق سلسلة جبال بيضاء، كلها من اجود انواع الملح الذي يستخرج بكثرة في هذه المنطقة ليصدر للنرويج والدانمرك والسويد والبرتغال ..

وندخل الى مشارف المهدية ، التي كانت في يوم ما عاصمة لتونس الفاطمية نجدها واقعة على لسان صخري كبير يمتد ١٥٠٠ متر الى داخل البحر !

يجري العمل على قدم وساق في ترميم واصلاح مسجد المهدية الأثري ، الذي بناه عبيد الله المهدي ليكون مركزا للدعوة في المغرب . انه من أعظم الجوامع التاريخية الفاطمية في تونس



مدينة سليمان قرب حمام الأنف أنشأها المدينة التي بناها المهاجرون الاندلسيون عام ١٠٢٥ هـ ويعتبر شكلها مقتبسا من شكل المدن التي لم تكن لها مثيل الا في الأندلس .. ومن مدينة سليمان بدأ أهل الأندلس في تعليم أهل تونس طريقة غرس أشجار الفواكه وزراعة الخضروات ، التي لم يكن يعرفها أهل البلاد .. ومن الطريف ان عائلات مدينة سليمان ما زالوا يحملون أسماء اسبانية الأصل مثل مرتشكو ومنصور وغيرهما



● البوسترات في بساتين الفاكهة تمتد من ... وهذه هي منطقة تجمل الأبيض ... من خصب الأرض التونسية ، زراعية تصلح لغرس الفواكه المختلفة ، وفي هذه المنطقة تنجح فيها زراعة شجرة الفراولة بالذات

وعرضه اقل من ٥٠٠ متر .. وما زالت بقايا اسوار المدينة القديمة ظاهرة ، وكذلك الحصنان الكبيران ما زالا قائمين حتى الآن .

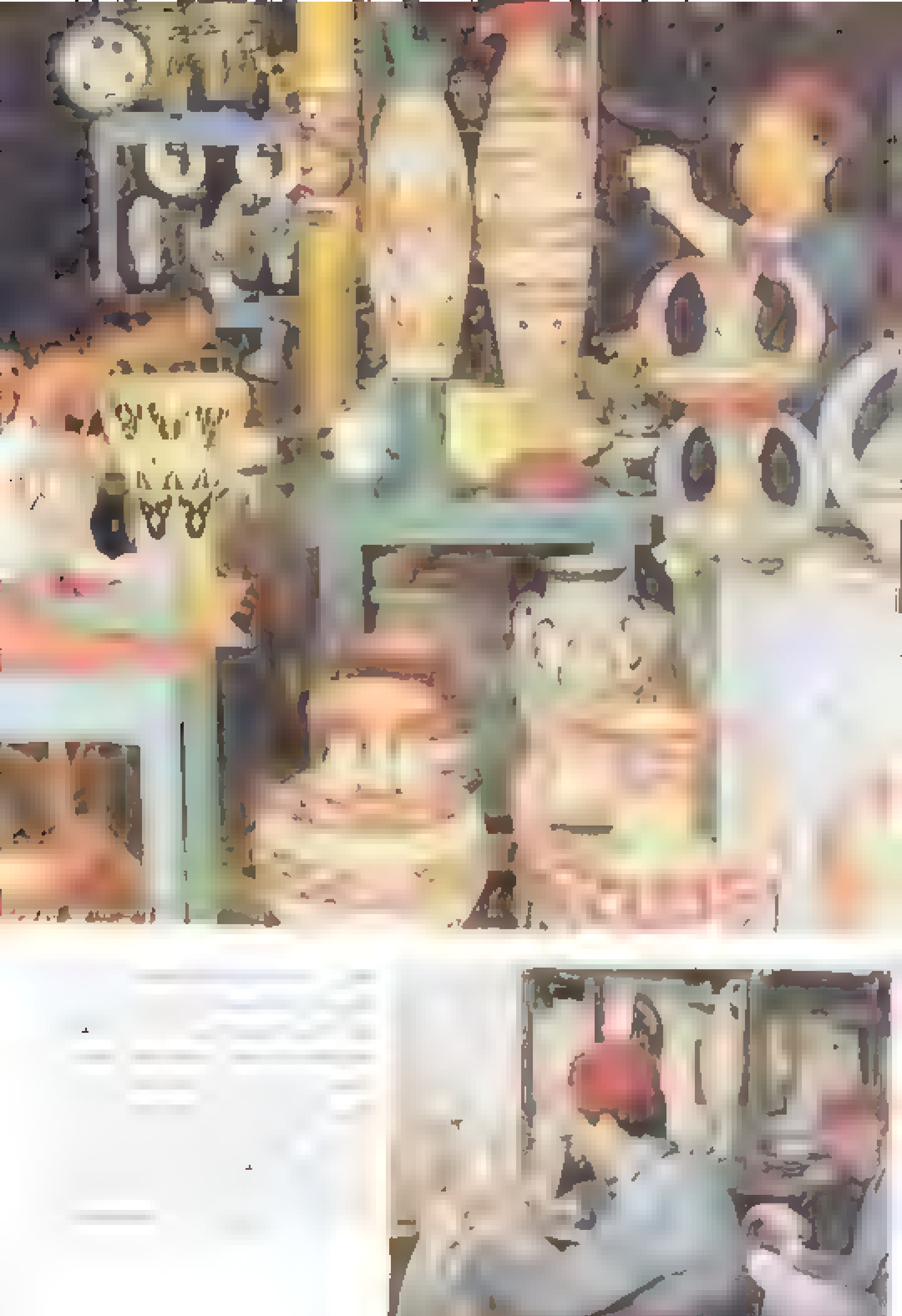
ان باني المهدية هو الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي الذي اعطاها اسمه فعرفت به . وظلت تكبر حتى سميت عاصمة افريقيا .

ان اشهر ما في المهدية اليوم هو جامعها القديم الذي يجري ترميمه حاليا ، ومزارع الزيتون التي تمتد على امتداد البصر .. ومعاصر الزيت التي تقوم بعصر الزيتون ..

ان معالم تونس الطبيعية الرائعة تجذب الهواة الشباب من العالم الذين يقصدونها في جماعات كبيرة ، تأتي من ايرلندا وسويسرا والنمسا ، وانجلترا وبلجيكا ، والمانيا . وعند وصولهم الى تونس يقيمون في دور الضيافة التونسية ، التي تعتبر منزلا للشباب ، يجدون فيها أمكنة لنومهم . واكلهم باسعار زهيدة ، فمثلا سعر الاقامة في هذه الدور لليوم الواحد ١٠٠ مليم تونسي ، ووجبة الغذاء تكلف ١٥٠ مليما .. وللشباب ان يطبخوا طعامهم اذا أرادوا في مكان أعد خصيصا بالمطابخ كما قلنا لهذا الغرض .

ان هؤلاء الشباب يأتون لمعالم تونس من كل انحاء العالم ، اما من ناحية الوطن العربي فالاقبال معدوم ، لأن ابن الشرق كان يجهل كل شيء عن : طبرقة والمكارم والمنستير وقرطاج والحمامات ونابل - وقربص ..





«ابو قراط..».. أبو الطب

(الصوره ص ٢)

■ كان « ابو قراط » Hippocrates من أشهر أطباء القرن الخامس قبل الميلاد ، وقد خلف من المعرفة بالطب ، ما سجل أثره بعد وفاته . على أن هناك اجماعا على أنه كتب بنفسه «الحكم المأثورة» و « النذر الطبية » – أو أعراض الأمراض – و « الحمية وعلم التغذية في الأمراض الحادة » و « جراح الرأس » .

وولد « ابوقراط » ، في جزيرة « قوس » ، من جزر بحر ايجه ، لأب كان طبيبا ، فأخذ عنه وبزه ، وأصبح ذائع الصيت ، وكان له في جزيرة مصح يسعى اليه جموع من المرضى والزائرين ، وله فيه مدرسة كانت أرقى مدرسة للطب في عهد الهلينية .

وكان أهم أفضال « ابو قراط » صنعه لفصل الطب التطبيقي – أو التطبيب – عن الدين والفلسفة ، ايمانا منه بأن الأمراض تنشأ عن أسباب طبيعية ، وليست من عمل الآلهة . وقد حظي الطب الوقائي بنصيب وافر من مؤلفاته ، اذ كان يعتقد أن الطبيب البارع يستطيع بدراسة الأحوال البيئية بعناية ، أن يتبين سير المرض وتطوراته المقبلة . وكان مقلا في استخدام العقاقير نسبيا ، ولكنه كان يستخدم الملينات ، والحقنة الشرجية ، وفصد الدم ، والتدليك .

وكانت خير وسيلة للبرء – في رأيه – هي التزام نظام مناسب في التغذية ، واتباع حياة معتدلة .

ولقد كان تقدم التشريح والجراحة بطيئا لدى الاغريق ، وان كانوا على معرفة بعمل القلب ووظائفه ، كما كانوا يدركون أن المخ هو مركز الوعي والحس والتفكير . وكانوا يمارسون جراحة عظام الرأس وعلاج انتقال العظام عن مواضعها ، بأساليب أقرب من الأساليب الحديثة .

على أن من أهم ما أداه « ابو قراط » وزملاؤه من أطباء القرن الخامس قبل الميلاد ، هو وضع القوانين الخلقية التي ما زال الأطباء يرعونها الى اليوم ، حتى أن الطبيب لا يمارس مهنته الا بعد أن يؤدي « يمين ابو قراط » . ■■

كيف خلق الله المرأة

● في أصيل يوم ، أرسلت جسمي بمقعد على أريكة تحت ظل شجرة ، وأخذت بين يدي كتابا لامشي على ما تضمنه دفتاه من رياض الشعر والأدب ، واسترسلت معجبة حتى وقفت عيني على عبارة صغيرة في لفظها ، كبيرة في معناها الا وهي ... كيف خلق الله المرأة ...

لقد أخذ من القمر استدارته ، ومن البحر عمقه ، ومن الأمواج مدها وجزرها ، ومن النجوم لمعانها ، ومن شعاع الشمس حرارته ، ومن الندى قطراته ، ومن الريح تقلباتها وعدم ثباتها ، ومن النبات ارتجافه وارتعاشه ، ومن الورد لونه وعطره ، ومن الأزهار مختلفها ، ومن الأوراق خفتها ، ومن الأغصان تمايلها ، ومن الأشجار حفيفها وأنينها ، ومن النسيم لطفه ورقته ، ومن الخمر سموها ، ومن العسل طعمه وشهده ، ومن اللهب شعلته ، ومن الماس قساوته ، ومن الحية حنكتها ، ومن الحرباء تلونها ، ومن الغزال شروده ، ومن المها عيونها ، ومن الأرنب خجله وحياءه ، ومن الطاووس زهوه وخيلاءه ، ومن الأسد قوته ، ومن الزمان خيانته وغدره ، ومن الثعلب روغانه ومكره ، ومن العقرب لدغها ، ومن اليمامة نغمتها ، ومن الببغاء هذيانها وكثرة كلامها .

كل هذه الصفات قد جمعها وسكبها في بوتقة وصنع منها المرأة ... وأضاف اليها فوائدها الكثيرة منها تغذية الرجل وقيادته .

امـــل البيشــاوي

أنباء الطب .. والعلم .. والاختراع

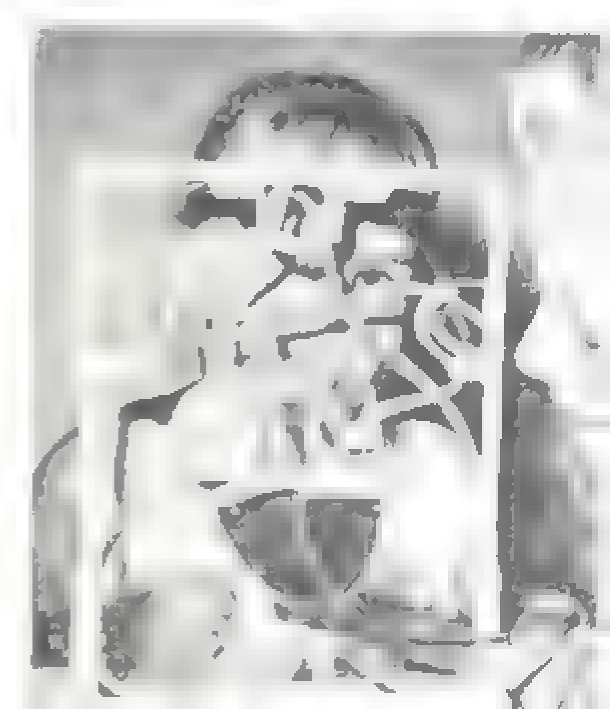
النجوم : ازواج فاكثر ، والاقل فرادى ..

[illegible]

على أرضنا هذه ، وقال انه لا شك في ذلك قط .

اسلوب واقعي في التعلم ، غير اسلوبنا

● صبية المدارس ، عند غيرنا ، يتعلمون على اسلوب واقعي غير اسلوبنا . وهذه الصورة اليمنى مأخوذة من نموذج للقلب مصنوع من اللدين ، يوضح كيف يعمل القلب . وهذان صبيان طالبان في مدرسة يضغط احدهما على كرة بين اصابعه فيجري الدم في خزانات القلب النموذجية كما يجري في خزانات قلب الانسان . ويراقب الطالبان الجهاز امامهما ، وقد توضحت في ذهنيهما الصورة التي تجري عليها اخطر عملية في حياة الانسان .







رادیو ، فوق ظهر حوت !!

في قيعان المحيطات

ثروة هائلة !

● تحدثنا عن الفحم والبترول في فرصة مضت ، في العربي ، وقلنا انهما الى فناء بعد قرن قد يمتد الى قرنين ، وذكرنا الذرة تأتي تعوض عنهما ، كأنما الذي صنع الحياة يريدها ان تمتد الى الأبد . ذلك ان الذرة ، في قشرة الأرض الباطنية ، قد تمد الناس بالقوة ملايين السنين وبلايينها .

واليوم نتحدث عن المعادن : الحديد ، الرصاص ، النحاس ، المنجنيز ، الى آخر ما هنالك من مشهور المعادن ، والمشهور فقط في عالم الصناعة .

هذه المعادن لا شك الى فناء ، وبطالب العارفون بالاقتصاد فيها . وفي هذه الأثناء تكتشف حقول للمعادن جديدة ما كانت تخطر على البال . انها ليست في البر ، ولكن في البحر ، في قيعان المحيطات .

في قاع المحيط الهادي وجدوا كتلا من المعادن تتراوح احجامها ما بين البندقة ورأس الرجل . والكتل التي تحتوي المنجنيز هي التي شاع خبرها ، ولكن كذلك توجد كتل النحاس والنكل والكوبلت وغير هذه . وهذه الكتل تتضمن ، مع ما ذكرنا ، المعدنين الثمينين في الصناعات ، ذلكما الملدبوم Molybdenum والفندبوم Vanadium

وهذه الكتل تتولد في قاع المحيط كل عام بكميات تفيض عن حاجة بلد كالولايات المتحدة منها . انها تتكون في قاع المحيط الهادي بمعدل نحو عشرة ملايين من الأطنان كل عام !

وفي قاع المحيط الأطلسي مثل الذي بقاع المحيط الهادي . حتى الماس يستخرج الآن من المحيط في الجانب الشرقي من الأطلسي ، عند الشاطيء الافريقي .

اما المحيط الهادي ، ومنه البحر

بعد عام ونصف يبدأ العمل

● في «العربي» لعدد يناير عام ١٩٦٣ ، شرحنا مقالا مستفيضا عن التلستار Telestar او القمر الصناعي الذي اطلقته الولايات المتحدة عند ذلك فدار حول الأرض ، وعن طريقه امكن ارسال رسالات وصور لاسلكية من امريكا الى اوربا المطلة على التوسطة استقبال بفرنسا ، وقلنا عندئذ ان هذا اول الغطر ، وان استخدام الأقمار الصناعية في المواصلات التلفونية والاذاعية والتلفزيونية والاستفادة منها تجاريا ، يوشك أن يكون

وقد اثير الكثير من الناس ذلك ، وظنوا انها دعاية تقرب البعيد النائي ، لمجرد الاثارة .

وقد خفتت الأصوات هذا الزعم .

فها ليثبت الولايات المتحدة ، في هذا العام المنصرم ، ان انشأت شركة اسمتها شركة المواصلات بالأقمار الصناعية The Communications Corporation

واعلنت بأن اسهم هذه الشركة ستعرض في السوق للبيع في النصف الأول من عام ١٩٦٤ . ودعيت الشركات الأمريكية المختصة موضحا



بالمواصلات التلفونية عبر الفضاء

غايته ١٠ فبراير عام ١٩٦٤ ، تتقدم فيه بمقترحاتها فيما يتصل بتصميم الاجهزة التي تحتاجها هذه الشركة .

واليوم تضرب الشركة موعدا تبدأ فيه العمل بالمواصلة التلفونية فعلا ، عبر الفضاء ، هو عام ١٩٦٦ .

وقد ازعج هذا الموعد المضروب اوروبا ، لم يكونوا يتصورون ان يكون الموعد هكذا قريبا . والظاهر ، من اتجاه الحوادث ، في كل من اوروبا وامريكا ، ان الامر سوف يصبح احتكارا .

والاحتكار ، في شيء كهذا ، امر خطير ، خطره السياسي لا يقل عن خطره التجاري . ولا نحسب ان الامر سوف يقف عند هذا الحد ابدا .

والجدير بالذكر هنا انهم وجدوا ان خير الاقمار التي تطلق للمواصلات اللاسلكية العالمية (من تلفونية واذاعية وتلفزية) هي المزامنة الارض في دورانها Synchronous ، اي تلك التي تطلق القمر الواحد منها فيدور في الفضاء حول الارض ، ويتم دورته في نفس الزمن الذي تتم الارض فيه دورتها ، اي ٢٤ ساعة . وعندئذ يظهر القمر كأنه معلق في السماء ، ثابت ، فوق مواقع معلومة من سطح الارض . ويكون من هذه الاقمار العدد الكافي الذي يغطي بالاذاعة سطح الارض كله ، من شرق وغرب .

العربي ، ففيه اليوم البحوث قائمة ، وسوف لا شك تكشف عن خفايا منه كثيرة .

وهناك سؤال لا بد واقع ، كم كلفة استخراج كل هذه المعادن من اعماق المحيطات ؟

وجواب الذين ابتدعوا طرقا لاستخراج هذه المعادن انها سوف تكلف نحو ثلث كلفة استخراجها من مناجم الارض .

وسؤال آخر : من يملك هذه الثروة الهائلة وهي في قاع المحيطات ، من الامم ؟

والجواب : اسرعها بحثا عنها ، واقدرها على استخراج ، واكثرها في الدنيا قوة ونفوذا .



● من أشق الصناعات على العمال صناعة استخراج الفحم ، وهكذا هي كانت [illegible] ما تكون في بلاد [illegible] المحافظة ، حيث [illegible] عمل العامل هو [illegible] التي عليها [illegible] في كسر الفحم من طبقاته ، في بطن الأرض ، وتعب العمال . ومن خير الأساليب في سبيل تسهيل مهمة استخراج الفحم هو ما نراه في هذه الصورة الرائعة [illegible] ، بها [illegible] عظيمة ، تحفر في حائط الفحم طريقين دائريين ، ارتفاع أحدهما ٣ أمتار ، وارتفاع الآخر ٤ أمتار ، وبهذا تشق الفحم . وهي تخرج من الفحم [illegible] على مقداره ١٢ طن في [illegible] ساعات

مذنب يهز ذيله

المذنبات لها نواة ، ولها ذيل من وراء النواة يجره ، طويل . وهي تدور حول الشمس . وعندما تقترب منها ، يدور الذيل حول النواة ليبعد دائما عن الشمس ، فهو في اتجاه والشمس في اتجاه . وكان الرأي أن السبيل هذا الـ[illegible] الشمسي ، فإن للضوء ضغطا يرسل ذيل المذنب دائما إلى الناحية الأخرى من الشمس .

وتخلى العلماء عن هذا الرأي . وجاء منذ عدة سنوات تبلغ العشر رأي آخر يقول : إن الشمس تخرج منها ريح ، حارة جدا ، مؤلفة من هباب ذرات فقدت الكتروناتها . وقد أثبتت التجارب التي قامت بها الأقمار الصناعية الروسية ـ الأسبتنك وأضرابه ـ وجود هذه الريح .

ولكن جاء مذنب اسمه مذنب برنهام عام ١٩٦٠ Burnham 1960 ، له ذنب طوله ٢ مليون من الكيلومترات ، وكشف البحث عن أن هذا الذيل يذهب يمينا ، ثم شمالا ، ثم يمينا ، وهكذا ويتم العملية الواحدة في ٤ أيام .

ولا يمكن لريح تخرج من الشمس أن تتذبذب هكذا بانتظام كل ٤ أيام .

والآن يتجه الرأي إلى أن جسم المذنب باطنه هو الذي يدور على نفسه مرة كل أربعة أيام ، فيكون من آثار ذلك ترجيح الذيل .

والبحاث ينتظرون مذنبا يظهر في السماء جديدا ، فعله يهز ذيله كذلك .

وهكذا يسير العلم في التحقيق ، خطوة خطوة ، بصبر يطول على الزمن ، نتوارثه أحفادا عن أجداد .



من الامراض ما يورّث

ـ هل الامراض التي يصاب بها الوالد او الوالدة ، يرثها الاطفال .. اني اسأل هذا لاني لاحظت ان في اسرتي اثنين من جيلين مختلفين اصابهما السل ..

● هذا سؤال كبير ، وجوابه أكبر .

انه يتصل أساساً بالموضوع العام ، موضوع ما يرث الانسان من ابويه واجداده ، من صفات تتصل بالمرض والصحة ، وتعم المرض والصحة على السواء . انه علم الوراثة الواسع المحدود .

المعروف بالطبع انه ليس كل صفة تورث .

ولادخل في الموضوع فاحدثك في ايجاز بضرب الامثال .

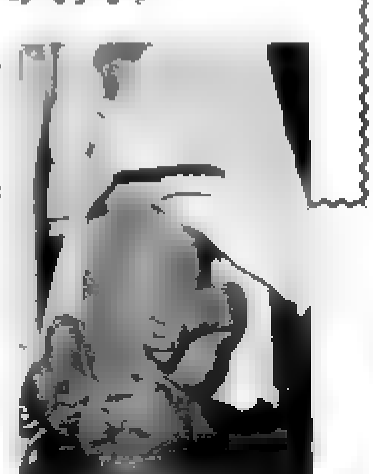
خذ مثلا داء الصرع . ان المعروف في امر هذا الداء من الاحصاء ، ان ثلث مرضاه ياتون من اسر سبق ان كان منها

بعد كم من الولادة ، يقع الحمل ؟

ـ اريد ان اعرف ، وقد ولدت طفلي الاول ، بعد كم من الزمن اكون في امان من الحمل مرة اخرى ؟

● ان الام التي ولدت معرّضة للحمل من بعد مضي ثمانية أسابيع على الولادة الاولى . ويقل هذا الاحتمال اذا قامت الام بإرضاع طفلها . ومع هذا فمن الجائز ان تحمل ، على الارضاع ، في الستة الاشهر التي تعقب الولادة التي سبقت .

وتوجد حالات كثيرة مذكورة اجتمع فيها للمرأة الواحدة ولادتان ليس بينهما غير ١١ شهرا .



الصرع . ودل احصاء كذلك على انه من بين عشرة اطفال لآباء مصروعين يخرج واحد وبه الصرع .

ومرض العيون ، ذلك الذي يسمى بانفصام الشخصية ، يميل الى الظهور في ابناء لآباء اصابهم هذا المرض . وحربا على المعروف في سائر الامراض العقلية ترجع هذا الظهور عندما يكون الابوان فيهما هذا المزاج المرضي .

وغير هذا ، النقائص الاولية في العقل، كالغباء . فكثيرا ما ينتج الغبي في اسرة ذكية . ومع هذا ليس من المستحسن زواج الغبي بالغبية .

ومثال آخر : نقائص العين . فشكل العين اكثره نتيجة الميراث ، وقصر البصر، لذلك ، كثيرا ما يتصل في الاسر من جيل بجيل . وكذلك مرض اظلام العدسة . ونوع نادر من العمى ، سببه ضمور العصب البصري ، يورث كذلك .

وفي الاذن : تجري فيها التصلب الذي يؤدي الى الصمم في اواخر العمر . فهذا يسري في الاسر ويتصل .

وفي هذا الكفاية من امثلة .

في معدتي حموضة

ــ في معدتي حموضة ، واما اخذ علاجا لها الدواء القديم المعروف ، كربونات الصودا . ولكني لاحظت ان الكمية من الكربونات التي كنت اتعاطاها كانت في اول الامر قليلة وفعالة . ثم اصبحت كثيرة وسط فعلي . وقال لي الطبيب ان الكربونات زادت حموضة معدتي .

فكيف تزيد الكربونات ، وهي القلوية حموضة معدتي ؟

● السبب ظاهر وتفسيره بسيط . انك تشكو حموضة المعدة . وانت في الحقيقة لا تشكو حموضة المعدة ، فالسوائل المعدية لا بد أن تبقى حامضة حتى تستطيع الهضم الذي هو عملها . انك تشكو ، أو كنت تشكو من زيادة حموضة،لا من حموضة . وتداب بكربونات الصوديوم . وهذه تتعادل مع حامض المعدة فينتج غاز ، هو غاز الكربونيك .

العيون تدمع ، لغاية

ــ عيني اليمنى يجري منها الدمع منذ اشهر ولا يسكن . وعيني عما هذا سليمة. فهل لهذا من سبب ؟ ولماذا لا تدمع عيني اليسرى ؟ اني احس بان شيئا في انفي غير سليم .

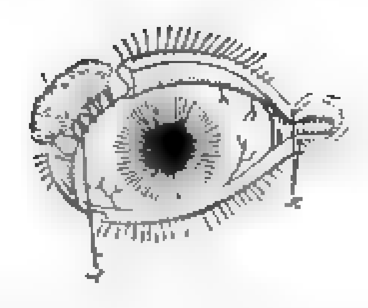
● لكي تعرف السبب ، لا بد لك من ان تعرف لماذا تدمع العين،وكيف تدمع.

ان الدمع ماء ، به قليل من الملح ، يخرج الى العين ، فيغسلها من التراب الذي يصيبها من هواء الجو .

ووجب ان يكون لهذا الدمع مصدر ، كما وجب ان يكون له مصرف .

اما المصدر فغدة تسكن مع العين في نفس الفجوة التي تسكنها العين من عظام الوجه ، وذلك في اعلى كرة العين (المقلة) الى يمين والعين يمين ، والى شمال والعين شمال .

فهذه الغدة تفرز الدمع ، ماء وبه ملح، فيصب منها ، من قنوات قصيرة،فسرولا



(أ) الغدة الدمعية (ب) القنوات التي تنصب منها الدمع في العين ليغسلها (جـ) النقاط الدمعية ومن طريقها يتصرف الدمع الذي في العين الى قناة الدمع في الانف (د) قناة الدمع في الانف (هـ) فجوة الانف .

يشمل ظاهر العين كله ، فيغسل المقلة . ويساعد على انتشاره ان يطرف الجفن . وجفنك يطرف كثيرا من المرات في الدقيقة الواحدة . وحاول ان تعدّ كم تطرف عينك .

وهذا الماء الذي يغسل العين يضيع اكثره بالتبخر ، ولكنّ جزءا منه يصل ، بالتصريف ، الى الانف ، كما يتصرف ماء الحقل من بعد ري .

وسبيل ذلك ثقبان في جفني العين ، ثقب في الجفن الأعلى ، وثقب في الجفن الاسفل ، عند طرف العين الانسي ، أي الداخل من ناحية الانف . ويعرف الثقب بالنقطة الدمعية . واليه يدخل الدمع الفائض ، فيذهب عن طريق القناة الدمعية الى الانف .

واذا زاد هذا الحصول من جانب العين ، بحيث لم تسعه قنوات التصريف في تصريفه ، ظهر من حافة الجفن دمعا صبيبا .

ويحدث هذا في الحزن ، وعند صنوف من الانفعالات شديدة .

وقد تدمع العينان وتجري الانف في آن واحد ، للذي ذكرنا من شرح .

وفي حالتك يا سائلتي ، دمعت عينك اليمنى ، واغلب الظن ان سبب هذا انسداد المصارف . انسداد القناة الدمعية التي توصل الدمع الى الانف .

على كل حال راجعي الطبيب ، فقد يكون لذلك اسباب اخرى غير محمودة .

وانت تزيد جرعتك من الكربونات ، تظن بذلك انك تذهب بالحموضة . والنتيجة أن غاز الكربونيك يملأ معدتك فتحس أن بها سوء هضم ، تزيد معه الجرعة . وزيادة الجرعة من الكربونات معناها نقص حامض المعدة عما يجب ، فهي لا تعمل الا بسوائلها الحامضة . لهذا هي تزيد في افراز حامض فوق المقدار التي تفرز . وتزيد أنت كربونات ، وتزيد هي حامضا ، حتى يصيبها الخلل والاجهاد ، ويصيبك أنت سوء الحال .

كلمة عامة خاصة بالجرعة من الدواء ايا كانت ، تلك التي ذكرناها في العدد الماضي من « العربي » وهي انه لكل دواء كان ما كان ، جرعة خاصة ، لك انت خاصة ، ولحالتك انت خاصة ، ان زادت افسدت .

والآن يوجد لدفع الحموضة ادوية اخرى لا تعطي الغازات التي تعطيها الكربونات . فاسأل عنها الطبيب ، او اسأل حتى الصيدلي الفاهم المخلص . ■●



شخصية أدبية رائعة، خلقت من حبها خفقاء، تمثلت فيها وقائع عصر نكد، تباينت فيه الأهواء، وكسدت بضاعة الأدباء

بقلم: الدكتور مصطفى الصاوي الجويني

مدرس بكلية البنات ـ جامعة عين شمس

■ يعد أبو زيد السروجي من أمتع شخصيات الأدب العربي وأملئها حيوية وأفسحها مطلقا عن بصرنا.

شخصية اختلفت فيها الآراء

ولقد يختلف الرأي فيها، فنكون من الآراء ما يعزى إلى الحريري منشئ المقامات أنه قال: إن أبا زيد شيخ شحاذ بليغ، ورد البصرة سائلا، فأعجب الناس بفصاحته وبلاغته، وأخذ كل بعض طرفا من حيله في البلاد ومن فصاحته بكل ناد. ومن رأى يقول إنه ليس إلا المطهر بن سلار النحوي البليغ صاحب أبي القاسم الحريري. ومن رأى يقول بل هو شخص متخيل تخيلا ومبدع ابداعا.

شخصية لها واقع حي

والذي نراه في هذا أنها شخصية لها واقع اجتماعي حي، شخصية الطلب بثقافة عصرها الدينية والأدبية، فتفقهت بالقرآن والحديث والأدب واللغة وشغلت بها:

شغلني الفرض ... [illegible]

[illegible]

وزهت مع هذا ملكة بيانية قديرة، يقر له بها الناس جميعا:

... [illegible] لكلام الـذي

... [illegible] القريض والخطب

ثم هو إلى هذا ذو صلاحية اجتماعية تتوائم مع كل مجتمع [illegible]

[illegible]

... الرواة ... الكلا

... الشعراء ... الكؤوسا

[illegible]

... الأسرة ...



كل ارض له وطن

يعد [illegible] ابو زيد السروجي [illegible] الاسلام
[illegible] العراق ومصر وفارس [illegible]
[illegible] العرب [illegible] وحيد
[illegible] حتى [illegible]
[illegible]

[illegible] العاطفة [illegible] الرحمة [illegible]
[illegible] حتى وان لقي السعادة
[illegible]

وهو بهذا يعطي [illegible] حرصه على الاستماع الى موطنه [illegible]

المال اصل المشكلات

وبسبب هذه القصة [illegible] ، بالعقل الذي يحيطه ، يثبت ان المشكلات الاجتماعية سببها الاقتصادي ، فالمال وراء مشكلات الاسرة بخاصة

يتشاجر ابو زيد وزوجته ويتسائلان امام القاضي لفرضها

ويشتكي ابو زيد امام القاضي مدعيا ان ابنه عقه لفقر ،

وتشكو امرأة ابي زيد السابقة هجر زوجها الشيخ لها وانه لا يعاشرها خوف النسل وهو المعدم الفقير

ويبتدع أبو زيد قصة اختفائه بابن له كان قد رباه وهي حافل فيه للفقر ...

ويتخاصم أبو زيد وامرأته أمام القاضي وقد ألجأه الفقر لبيع جهازها ...

وهكذا نرى شخصية أبي زيد في مجتمع شعاره « المرء بنسبه لا بنسبه » يتخذ [illegible] مصيونا .

[illegible]

ولذلك فهو عليه حريص وبه ضنين

[illegible]

شخصية رأت سوق العلم كاسدة

ولم يتح لهذه الشخصية الفذة أن تترجم ثقافتها الى سلوك سوي ، فقد غالب عليها شقة تحصيل العلم ورأت بوار سوقه وسوق غيره من المعايش فآثرت كسب المال المنشود من أيسر طريق وسلاحها علمها .. رأت الراغب لا يباع بالمكتب ، ولا البليغ بمفلح ، ولا الشعر بالمثمر ، ولا المجلد بالمصلف ، ولا الترائد بالمرائد ، ولا الدقيق بالعني الدقيق .. والحاصل أن الأدب قد بار ، وولت أنصاره الأدبار ، وأن الأسجاع لا تشبع من جاع .

ورأت التعليم صناعة بائرة

ورأت التعليم ، ولو أنه أشرف صناعة وأربح بضاعة ، ووبله لو أمرة مطاعة ، وحيلة مشاعة ، الا أن صاحبه يحترف في أكثر يسير ، ويلتمس بعنق شهير .

ثم أدركت أن التطفل بمنصب أو ولاية الصدقات أحلام . وأن التجارة عرضة للمخاطرات ونهبة للغارات ... وأن امتلاك الضياع واصطناع الازدراع مهلكة للأعراض وقيود مانعة من الارتكاض ... والصناعة غير نافقة في جميع الأوقات ، ومعظمها مصحوب بشبيبة الحياة .

والآن فليس غير الشحاذة سبيلا ميسورا

والآن فليس إلا الشحاذة والاستجداء فليهما أكثر من لذة ، راحة بلا تعب وخداع أصحاب الثروة ، وجمع يطول جمع كل صاحب مهنة ، لعلها أعز قبيل وأسعد جيل .. فهم معجلة .. لا يتطلبون أوطانا ولا يتقون سلطانا .

وفي هذا السبيل يجمع من صفات هذه الشخصية الخداع والخادعة . وعلى هذا السلوك من ايجابية بالقياس الى فرديتها ، تجد تبريرا لسلوكها الخادع من واقع معيشتها

قد أنس أبن حاجة
[illegible] الدهر فاحتشم
[illegible]
مثل لحم على وضم
واخو الحيلة [illegible]
حل اذا احتال لم يلم

ومن واقع مجتمعها ، مجتمع الغابة ، حيث صراع الفرد على الفوز بكل الغالم وحده ، فحاول انت ان لم تباديه بالافتراس :

من بالخداع فانت في دهر بنوه كاسد بيشه
وأدر قناة المكر حتى تستدير رحى المعيشه
وصد النسور فان تعذر صيدها فالنج بريشه

وجعلت من الأثرياء الأشحاء ضحاياها

وهي وان كانت خادعة مخادعة للناس جميعا فان اللذة كلها في خداعها للأشحاء والأثرياء من الخاصة والعكام فهم لم يشبع ملتمسها ومنهم غالبية ضحاياها :

[illegible]

شخصية ، على ايجابيتها ، سلبية

ولكن هذه الشخصية على ايجابيتها فيما يتصل بفرديتها سلبية بالقياس الى مشكلات مجتمعها ، فهي تحتال للكل لنفسها وتحاذر أدوار المجتمع بالحكمة والنصيحة حينا .. وتعالج مشكلة الرزق والتحايل بنصيحة يعلم أنها لن تجد سميعا :

واحترس من خداع كل بترتيب
[illegible] في السداب [illegible]
ولعمري لقد نصحت ولكن
كم [illegible]

ويستغيث شخص بأمير البلدة ممن ظلمه ، فلا يسمع له الامير ، فيذكر ابو زيد الحاكم بيوم الحساب ، ويوصي المظلوم بأن يناجي الحاكم الظالم مرقبا يوم سقوطه للشماتة به ، وتاركا حسابه في سلبية على الله .

وتعالج ادواء المجتمع بالسخرية

ثم هي تعالج ادواء المجتمع حينا آخر بالسخرية منها والتهكم عليها ، مفرقة بجمع الابيض والاسود في وقت معا .. فابو زيد امام بالنهار ، حليف كاس بالليل .. ويتزوج وهو الشيخ فتاة مليحة لم يعف عن النسل منها .. ويحتال امه في بيعه ابنه لقاء دراهم بأن :

قد باعت الاسباط عبدي يوسفا وهم هم

ويعرض صورة الطامعين ، تنمو بهم عقول المدارسين ، ويخترقون هم .

واذا كان الناس يخدعون بالظاهر عن المخبر ، فيطعمون الجاهل لمظهر مليسه وبرونق رفضه ويهينون المهذب المروس ويزالة فرشه سيستحيل ابو زيد شخصية حربائية متلونة في هذا المجتمع الظاهري فتراه مرة يظلك متزييا بزي امرأة تصطحب عيالا .. او يلبس زي رجل الدين ... او يعمل خفيرا لجماعة مسافرين يخفرهم بالدعوات الصالحات ... او يتعامى في يوم عيد ويصحب عجوزا ومعهما رقاع يستجديان ... او يظهر بمظهر المريض الفقير ذي الاسمال ...

وبرو سلكت سبيلا
مالرفسة طول عمري
لساب فيدحيي ولذي
ودام عسري وخري

ومما مكن لهذه الشخصية ان تخادع وتتلون طبلها بالنفس الانسانية ، حتى لتغزو النفوس من مواطن تنقاد لها ..

يرى الرياء عصره ، ومنهم بعض من الحكام يعبثون بالقتمان ، فيصحب الى الوالي ابنه الوضيء ـ في الواقع ـ مدعيا انه الفتى الذي قتل ابنا له ـ موهوما ـ ليستلب لب الوالي وماله ...

ويقصص سادات تجود بها النفس الشحيحة ، فيقف على جنازة واعظا ثم يستجدى باسم الدين ... ويشهر سلاح الهجو لوجه الحكام فيتقونه المال رهبة ... او يذيع فيهم المدح فيعطونه رغبة .

شخصية هي ابنة ساعتها

وعقت هذه الشخصية ، التي حصرت اهتمامها في ملئها الصغير فحسب ، الى ان خلصت بنتيجة هل الامر ان يأخذ ابو زيد من الناس ويعطيهم ، ام يعطي الناس ولن منحوه ؟ ايعاملهم كما يحب هو ان يعاملوه ، ام يعاملهم بمقدار ما عاملوه به ؟.. انها شخصية انانية دستورها اخذ وعطاء «شيئي اشيئك » . قول بقول وفعل بفعل « موازن في الفعل وزن المثقال . وتحلاى في العمل حذو النعال . حتى نامن التغابن ونكفى التغابن » ... ولا يمنع فرصته فلا يأسى ان يلاحظه اليوم، فهو ابن ساعته ، ابن مصلحته :

ان يكن ساط امس
فسد سرك يومي •
فاستمر ذاك ليسك
واطرح ذكرى ولومي •

شخصية انتجها عصر تباينت فيه الاهواء

...وبعد ، فما موضع هذه الشخصية من اطارها الاجتماعي ؟ ... هي بنت عصر كان العالم الاسلامي فيه تتقاسمه قوى متباينة : خلافة عباسية في العراق ، وفاطمية في مصر ، واموية في الاندلس ، وسلطان للسلاجقة يمسك مقاليد الحكم في العراق وفارس . والكل يتوحدون تحت راية اسلامية واحدة ، الا ان بأسهم بينهم شديد ، تراهم ايجابيين في الصراع على السلطة والاستئثار بالنفوذ . ولكن حين تنزل بالمسلمين فادحة عامة كحرب الصليبيين ترى العباسيين يتخرجون في سلبية ، بينما السلاجقة والفاطميون مشغولون بالصراع الداخلي او المحلي . ومع ان الخلافات باسم الدين تتحكم وتحكم ، الا انها تقتل وتظلم، وتقارف كل منكر محتمية بالظاهر ، بالخلافة .

وترى الفكر يحتضر فيحصر كله في ارضاء سلطان او اخماد غريم طمعا في المال ، ويصبح الادب زينة وزخفا ، يدور الكلبه على مدح كاذب وملق ذليل ، في مجتمع فقد توازنه الاجتماعي ، ولم يجد الاديب او العالم قوت يومه الا اذا وصل لسانه بذي سلطان .

وهكذا ينبت من هذه البيئة الشخصية الانانية التي تحطم غيرها لتبني نفسها . ■

مصطفى الصاوي الجويني

ملامحهم الشعبية .. وشعارات الحكايات من ألف ليلة

بقلم : فؤاد جميل

المفتش الاختصاصي بوزارة التربية العراقية

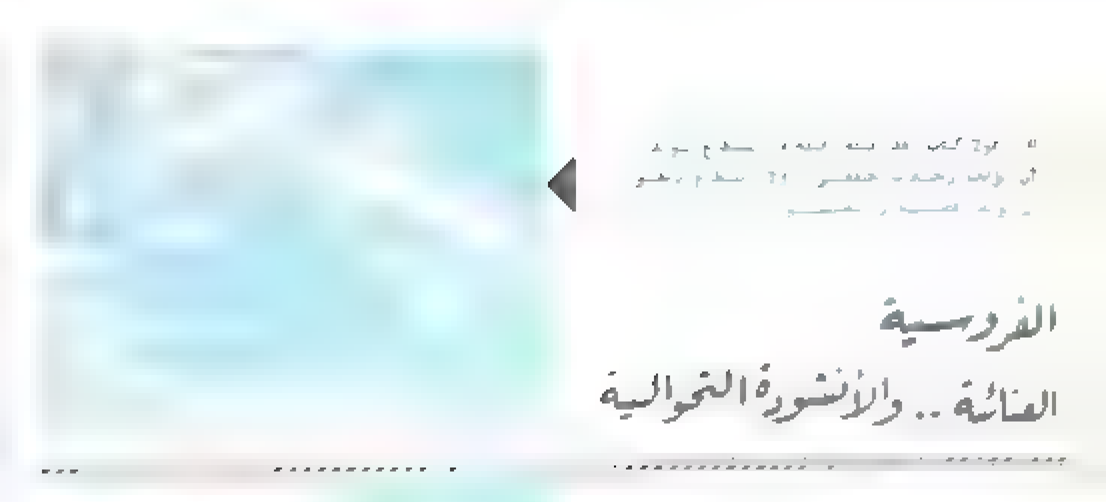
■ تتسم الحضارة العربية الإسلامية المعبر أنها : أصيلة مبتكرة ، منفتحة ، متجددة ، تلمع على الدهور في جوهرها الألق المقدس ، وأنها أخذت ، وأعطت ، فتلقحت ولقحت ، فاغتنت وأغنت .. ومنابع ذلك كله : هذا التراث الضخم الخالد والإشعاع الفكري الخلاق .

لقاء الشرق والغرب

[illegible] يرجع إلى العصر الوسيط ، وما تمخض في الأغلب الأعم ، عندما التقى الشرق والغرب أثناء الحروب الصليبية ، وخلال الاتصالات التجارية التي وصلت الشرق الإسلامي بالغرب المسيحي ، وبلغت [illegible] بلاد الإسكندنافية ، وفي الأندلس ، و[illegible]

حضارتنا أخذت ممن سبقها وأعطت من لحقها

[illegible] الشرقية ، فإن حضارتنا الخالدة [illegible] الموسوعية عبر تاريخها وعمقها وسعة [illegible] أضافت إلى تلقفها العربية طابعا خالدا ، ثم كان أن انتقلت مقومات حضارتنا هذه



وليلة اقتبسوا ..

أخذ وأعطاء ..

الى الحضارة العربية الحديثة من الـ... المذكورة ، فتجلى دورها المهم في حفظ التراث الانساني ، وتلاقحه ونمائه وازدهاره .

تراثنا لا يزال مبهما ، ما حصلنا منه ، وما اعطينا

هذا على اننا ، وان ادركنا الاهمية في ميدان الحضارة العالمية والثقافة الانسانية ، الا اننا ما زلنا اليوم ، بالنسبة لتراثنا الخالد العظيم ، في مرحلة التعرف عليه ، وما زالت تنقصنا مراحل تعريف . والتعريف يجب ان يتسم ، اسماء ، بالاحاطة ، والعمق ، والنظر الناقد العلمي ، والجهد الدائب الطويل . ذلك ان تراثنا ما زال ، على وجه العموم ، اما في عداد الضائع ، المجهول ، المبعثر او المدروس درسا جزئيا ، سطحيا ، وعلى استعجال .

لكن التراث العربي نفسه ، ابان « العصر الوسيط » ، من الجهة الاخرى ، مبهم غامض مجهول الى حد بعيد ايضا ، لذلك فمن العسير استخلاص ابعاده الحضارية ومعالمها فيه ودرسها درسا علميا شاملا . ذلك ان الحروب الطويلة المريرة التي اشتجرت بين العرب ـ المسلمين ، وبين الاسبان ـ المسيحيين في الاندلس داخلها وخارجها في اعقابها ، تسببت ايضا في ضياع الكثير من الآثار الحضارية والثقافية العربية ـ الاسلامية ، كما طغى مثل هذا التعصب على نفسية الكثير من علماء الغرب ايضا ، فتنكروا لها ، وانكروا جانبا كبيرا منها ، او حاولوا ، في الاقل ، التقليل من شانها ، ربما للاسف .

مأثوراتنا الشعبية القديمة والحضارة الغربية

والمأثورات الشعبية المعروفة عند الفرنجة بالفلكلور Folklore اغنى من جوانب حضارتنا الاصيلة الخالدة وثقافتها الوضيئة الخلاقة ، التي

مؤرخي العرب ، مع الأسف ، لم يهتموا بهما وبآثارها في الحضارة الغربية إلا قليلا . ذلك أنهم شغلوا عنها ، في الأغلب الأعم ، بحياة حكام الشعوب ، وحروبهم وفتوحاتهم ، ولم يؤرخوا للشعوب أنفسها ، بالتعمق في تقاليدها ، وعاداتها وأساطيرها ، وأغانيها ، واحتفالاتها ، وحكاياتها ، وما الى ذلك مما يدخل في مجال « المأثورات الشعبية » . لقد أهمل كل هذا إهمالا في مصنفات المؤرخين العرب القدامى ، فندرت مصادر البحث فيها . فيما خلا بعض النتف المبعثرة هنا وهناك ، عثر على ثقافتنا العربية العميقة الذكية الواسعة شيء كثيف من الإهمال والغموض .

ليس من قصدي أن أستقصي في بحث كهذا جميع « المأثورات الشعبية العربية » وأجلو آثارها في الحضارة الغربية ، قديما وحديثا ، فمثل هذا يفرد المجلد الضخم ، ولكني سأورد ، على سبيل المثال لا الحصر ، وبقدر ما يتسع له المجال ، طرفا منها ، وقد يغني التمثيل الموجز عن الحصر المطول في بعض الأحيان .

الفروسية والملاحم الشعبية

يقول المؤرخ الفرنسي فورييل Fouriel (١٧٧٢ ــ ١٨٤٤ م) أن جنوبي فرنسة اقتبس وتبنى الكثير من العادات والتقاليد الشعبية العربية ، شأنه في ذلك شأن اسبانية ، وأن نظام الفروسية Chevalerie كان من صنعه في الحقيقة ، حتى غدت « الفروسية » الغذاء الروحي للسواد الأعظم من سكان القطرين المذكورين . وكان لذلك صداه في الملاحم الشعبية فمجدت الفروسية والشادت بمثل الفرسان وعاداتهم وأمجادهم . ويؤيد ذلك المؤرخ الفرنسي « رينو » إذ يقول : أن شعراء اسبانية القدامى كانوا يطلون دوما بمفاخر الفرسان العرب ، وأن الفرسان الاسبان ــ المسيحيين ــ كانوا يسهمون في المباريات والمبارزات والمسابقات التي كان الفرسان الأندلسيون المسلمون يعقدونها كثيرا .

وجاوز أثر الفروسية فرنسة واسبانية حتى وصل ألمانية ، فتلك انكلترا ، أسطورة ألمانية شائعة ذائعة أن فارسا مسيحيا ألمانيا لم يجد غضاضة في وضع سيفه في خدمة « خليفة بغداد »!

ولو قرأت رواية الطلسم The Talisman للقاص الانكليزي الذائع الشهرة والتر سكوت Walter Scott لوجدت فيها الفارس الاسلامي العظيم صلاح الدين الأيوبي يحتل مقاما مرموقا في القصة . إنه يقابل فارس الصليبيين المشهور رتشارد قلب الأسد مقابلة الند للند ، ويلتقي بفرسان اسكوتلنديين ويقص عليهم سيرته وسيرة أسلافه .

وأنت تعلم أن الفارس البدوي ، والعربي على وجه العموم ، من لا يغلق باب خيمته ، أو بيته في وجه طارق في الليل أو مسافر في النهار ، وأن الفتاة البدوية لا تتزوج من « مغلاق باب بيته » . وتسربت هذه الخلة الأصيلة في مأثوراتنا الشعبية فشاع القول الغربي السائر : الفارس الحق من كان بيته مشرع الباب لا يلوم عليه من يمنع الناس من ولوجه .

ويرى بعض المؤرخين الافرنج أن الفروسية اقتبست شعارات فرسانها من العرب ، ويضيف الى ذلك المؤرخ دي بومونت De Beomont أن ذلك ظهر بعد الحروب الصليبية الأولى ويؤيده في ذلك مثلان اخران هما (الفنس) و (واجيو) . وأنت تعلم أن الكلمة الشعار (جمع شعار) قديم عند القبائل العربية ، فهي حتى اليوم تتخذ وسما معينا لابلها (علامة القبيلة الفارقة) ، وتضعه على الأباعر التي تترد بالاستقاء منها ، كما أنها تمتاز بصيحات في غاراتها وتنخي الواحدة منها « نخوة » .

ومن المعلوم أن الملاحم العربية الشعبية القديمة زخرت بأخبار الفرسان من أمثال عنترة وأبي زيد الهلالي والزناتي وسيف بن ذي يزن . وعرف الغرب العربي الاسلامي كتابا ملحميا يدعى أبو طالب بن عبد الجبار ، الملقب مشغي « متنبي الغرب » ، وكانت له ملحمة على بحرها ابن بسام الوفى سنة ٥٤٢ الهجرية ، وقد ألفها ابان الحروب العربية ــ الاسبانية في الأندلس واصفا فيها المعارك الطاحنة وبسالة الفرسان . والثابت أن المنشدين الجوالين (تروبادور) الذين سبقوا غيرهم وقفوا عليها وشغفوا بها ، وتأثروا بروحها واقتبسوا منها الكثير في نظم أناشيدهم التي ذاعت وشاعت في أوروبا كلها .

الحكاية الغنائية

وعند الغربيين « الحكاية الغنائية » Ballad وهي كل أغنية عامة شعبية تردد في الشوارع وتروى قصة بسيطة في لحن صاف عذب بسيط ، وطابعها المميز أنها ليست نتاج مؤلف معروف أو زمن معين ، لذلك فقد نسي منها ذكر مؤلفها أو مؤلفيها ، ولا شك أن « قصة عنترة » هي المثال المحتذى في حكايات الغرب الغنائية ، كما يؤيد كثير من الدارسين والبحاث الغربيين أن الحكايات الشعبية العربية ، الغنائية وغير الغنائية طبع قصص الشاعرين والصعاليك في فرنسا واسبانيا وانكلترا وايطاليا والبلاد الاسكندنافية بطابعها العربي المميز . فالحكايات هذه تشبه « المقامات » في سجعها وزخرفها وواضيعها وأساطيرها المروية على ألسنة البهائم والطير ، ووعظها الأخلاقي ، وطريقة سردها بالتخلص من موقف الى موقف ، ومن حكاية الى حكاية . ولقد سلم أكثر من باحث أوروبي بأثر الحكايات العربية الشعبية فيها .

والحكاية الشعبية

وظهرت في فرنسة حكايات شعبية لها طابع عربي شعبي جلي . ومن أشهرها Aucassin Et Nicolette — واسم البطل Aucassin دليل قاطع على ذلك ، إذ انه تعريب للاسم العربي (القاسم) .

وقصص (لافونتين) المروية على لسان الطير والحيوان الأعجم تدلني بوضوح أثر الحكايات الشعبية العربية ، المتمثلة بكليلة ودمنة ، وما تناقله الجدات العجزة عن حفيداتها وأحفادها في ليالي الشتاء الطويلة في جميع البلدان العربية .

ويرد كثيرون قصص (ديكاميرون) للكاتب الايطالي (بوكاشيو) الى قصص شعبي عربي كان متداولاً في عصره ، ولكنه لم يدون ، على غرار أغلب الحكايات الشعبية الفلكلورية . ومن بوكاشيو هذا اقتبس شوسر Chaucer رائد الشعر الانكليزي حكايات كانتربري Canterbury Tales ومنها حكاية السيف ، ذات الملامح العربية الشعبية الواضحة .

المنشدون والجوالون (طروبادور)

ونشأت في القسم الجنوبي من فرنسة طائفة من المنشدين الجوالين تذكرنا بطائفة المنشدين الشعبيين العرب العازفين على الرباب ، وقد عرفت الطائفة الأوروبية هذه بالطروبادور Troubadour ، وكان أعضاؤها يجمعون بين الغناء الشعبي والعزف السلاح الحنون . ومؤرخو الغرب يجمعون على أن هذه الطائفة تأثرت بالزجل الأندلسي ، والزجل من « مأثوراتنا الشعبية » قديما وحديثا .

وكان أن سار الزجل الأندلسي المتنقل جنبا الى جنب مع الزجل الفرنسي الفني ، فتم بين الاثنين التفاعل والتأثير والتأثر ، وهكذا شاع نظم الشعر المقفى العامي في إقليم بروفنس Provence على أسلوب الزجل العربي — الأندلسي الفني . وقيل أن كلمة Tenson التي تطلق على منظومات المنشدين الجوالين مأخوذة من كلمة (تنازع) العربية ، وذلك أن هؤلاء كانوا يلقون الشعر سجالاً ، ويتنازعون فيه ويتفاخرون بأمجاد أسلافهم ومواطنيهم ، وهذا يذكرنا حتما بما يفعله (القوالة) شعراء المحافل المحكية العربية الشعبيين اليوم ، وما كان يفعله فحول الشعراء العرب قديما . كما لاحظ أكثر من باحث التشابه بين أوزان منظومات أولئك المنشدين الجائلين الأوروبيين وأوزان الزجل العربي القديمة واتخاذها القافية ميسما ظاهرا مميزا لها . ومن المعلوم أن القافية منسوبة الى العرب منذ القديم، وقد اختصوا بها من دون الأمم الأخرى ، فالاغريق واللاتين كانوا يرون القافية عيبا في الشعر ، وهكذا اقتبس الشعراء الغربيون الشعبيون القافية من العرب ، وكان الأسبان والفرنسيون والايطاليون سباقين الى ذلك بحكم قربهم من ديار العرب .

هذا ومن الجهة الأخرى ، فالمعروف أن (ابن قزمان) الزجال العربي الشعبي العبقري الأصيل أخذ ينظم أزجاله في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي، أي انه معاصر لطائفة المنشدين الجوالين الأوائل، وأن أزجاله كانت « ثورة » على (الشعر العربي التقليدي) ، من حيث اعتماده على « النبرات » أكثر من « التفاعيل » ، وصلاحها للغناء الجماعي

(كورس) ، ومصاحبتها القاعد التمثيلية ، وجعل الصورة التي ترسمها في المقام الاسمى . والملاحظ جليا ان هذه هي مياسم منظومات المنشدين الجوالين الاوروبيين فعلا ، والى هذا ذهب المستشرق (ريرا) صاحب الدراسات العميقة الممتعة في الازجال والموشحات .

على ان في اصل كلمة (طروبادور) نظرا ، فالمستشرق (انريك سوردو) في كتابه الموسوم ب « اسبانية العربية » يورد ما يرجحه البعض من ان « الفرقة الفرنجية » هذه مشتقة من كلمة (طرب) العربية . ولا يغفل ، في الوقت نفسه ، ما يذهب اليه آخرون من انها تتصل بمادة (طابع) العربية ايضا ، على معنى (طيب العيش وطيب الشعور) ، ويضيف الى ذلك كله ان صيحات الاسبان اليوم (وولى ... وولى) ـ عندما تستخفهم نشوة الطرب ويريدون التعبير عن الاستحسان ـ ليست الا تحريف (لفظ الجلالة) بالعربية ، ومن عادة العرب والمسلمين قديما وحديثا الهتاف بها لابداء الاستحسان بكل مطرب جميل .

هذا على ان الغرض الشعري الاول في منظومات (المنشدين الجوالين) هو : النسيب ، وهو نسيب يتسم بالطبع ما يتسم به النسيب العربي : (الحب العذري) و (تباريح الهوى) و (حرقة الجوى) و (الحبيبة المتمنعة ، عزيزة المنال) و (الوشاة) و (العفة) و (النبل) . وهكذا قام الطروبادور بنشر ازجالهم الفنانة المتسمة بالطابع العربي الاصيل في اوروبا الوسطى ، كلها فكان لها الاثر البعيد العميق في اشعار الاوروبيين والادب الغربي الحديث . لكن هناك صعوبة تبحث هذا الاثر سجت من ان انتقاله بواسطة الاغاني والاناشيد ، كان شفويا وبدون تقييد كتابي . ولكننا في الوقت نفسه لا نعدم الدليل الآلي .

ذلك ان انتقال الآلات الموسيقية من الاندلس العربية الى اوروبا صحبه ارشاد القوم في كيفية العزف عليها وعزف منظومات عربية الاصل ايضا . ومن هذه الآلات (العود) الذي ما زال اسمه العربي شائعا بتحريف في كثير من اللغات الاوروبية (The Lute) ومثله النقارة (Nakar) والرباب Rebec وهي الآلة الموسيقية الشعبية العربية قديما وحديثا . ان انتقال الآلات الموسيقية يستدعي انتقال فحوى ومحتوى الشعر المغنى عليها عادة ، ما في ذلك شك .

وفي الاندلس الاسبانية اليوم تجد سمات (الرقص الشعبي) العربي ظاهرة في رقصات القوم وملابس راقصاتها وطريقة العزف المصاحب لها .

الف ليلة وليلة

وهذه موسوعة القصص الشعبي العربي ، قديما وحديثا : (الف ليلة وليلة) ترجمت اول مرة في الغرب سنة ١٧٠٤ الميلادية فذاعت في اقطاره وشاعت وانتشرت بين القراء انتشار النار في الهشيم . فقد طبعت اكثر من ثلاثين مرة مختلفة في فرنسة وانجلترا خلال القرن الثامن عشر وحده ، ونشرت نحوا من ٣٠٠ مرة في لغات اوروبية مختلفة منذ ذلك الحين .

كان اقبال القارىء الاوروبي على (الليالي) عظيما ، فازدادت رغبته في الاطلاع على القصص الشعبي بوجه عام ، وكان لذلك اثره الواسع العميق في القصص الغربي .

فالمستشرق المعروف (جب) يقول في كتابه الموسوم : (تراث الاسلام) : « لولا كتاب الف ليلة وليلة ما استطاع دانيل ديفو Daniel Defoe ان يؤلف قصة روبنصون كروزو Robinson Crusoe ، ولا استطاع سويفت Swift ان يؤلف رحلات جلفر .

وقال (فولتير) : « انه لم يزاول فن القصص الا بعد أن قرأ الف ليلة وليلة اربع عشر مرة » .

وظهر في الغرب الابداعيون (الرومانتسيون) Romanticists يعنون في اساليبهم الادبي بحياة السواد الاعظم من الشعب و « ماثوراته » عناية خاصة ، ذلك انهم وجدوا في المأثورات الشعبية كنزا ، ذلك انهم وجدوا في المأثورات الشعبية مختلف ضروبه .

وفي النص ان (الليالي) هي التي اثارت في

العالم هذا الاهتمام الكبير بالمأثورات الشعبية العربية ، كما استتبع ذلك عناية الصحف والمعارض بحياة شعبنا العربي العظيم الذي انتج هذا الأثر النفيس ، فتوغلوا في البحث عن تقاليده وعاداته وزيه وأخلاقه والعابه وأغانيه واحتفالاته. وانك لتجد صدى ذلك يتردد حتى يومنا هذا ، فانت تقرأ مثلاً في كتاب (نهرو) الموسوم بـ « لمحات من تاريخ العالم » رسالة موجهة من الزعيم الهندي الى ابنته بتاريخ ٢٢ أيار ١٩٣٢ :

« أتذكرين بغداد وهرون الرشيد وشهرزاد وقصص ألف ليلة وليلة المدهشة !! ان المدينة التي ازدهرت في أيام العباسيين هي مدينة ألف ليلة وليلة »

واليك طرفاً من أثر (الليالي) في الانتاج الأدبي الرفيع :

لبوكاشيو مجموعة من الحكايات سماها (الصباحات العشرة) ، حذا فيها حذو (ألف ليلة وليلة) . انها مائة حكاية تقصها سبع سيدات وثلاثة رجال انتشر الطاعون في مدينتهم ففروا منها معتزلين أهلها فارضين على كل منهم أن يقص على الباقين حكاية صباح كل يوم ، تمضية للوقت وتسلية .

وللشاعر الامريكي الشهير (لونكفلو) « قصص خان بمنعطف الطريق » ، وصدى الليالي فيها عميق جداً مبين . ووضع برتراند شو الكاتب الانسانى الكبير (الانجيل) و (ألف ليلة وليلة) في مقدمة الكتب التي أثرت في نفسه وفي اتجاهه الفكري .

ووضع (فارمر Farmer) أشهر الاختصاصيين الغربيين في تاريخ الموسيقى العربية بحثاً عميقاً مستفيضاً في الموسيقى والموسيقى في كتاب (ألف ليلة وليلة) ونشره سنة ١٩٤٥ .

وترجع مسرحية شكسبير الخالدة (عطيل) الى (منبعها) الأديب الايطالي جيرالدي Giraldi (١٥٠٤ — ١٥٧٣) والحاوية على ١٣٠ نادرة رويت على نهج (الليالي) ، ومنها نادرة (المغربي) وزوجه المسماة (ديدمونة).ولا ننسى أن (Othello) اسم الرواية محرف اما عن (عبد الله) أو (عطا الله) الاسمين العربيين .

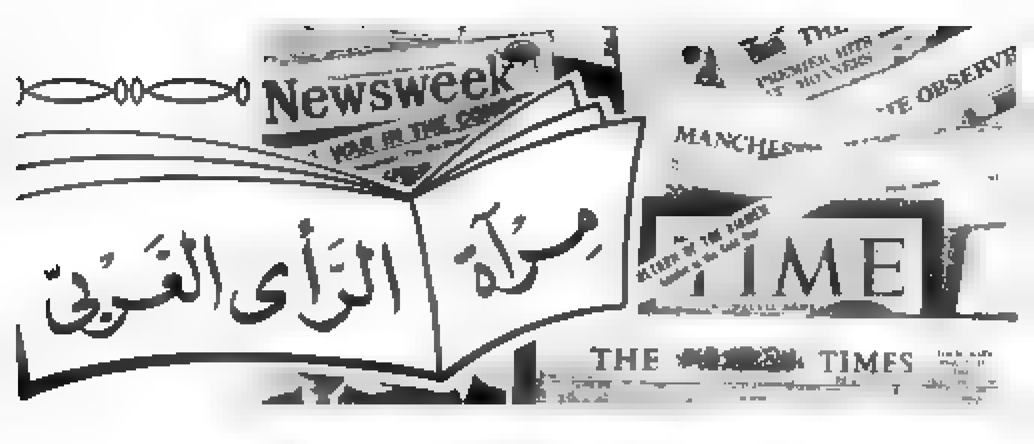
وفي مسرحية شكسبير المسماة (ترويض السليطة ; The Taming Of The Shrew) صورة سكير تنقلب تجد أصلها جلياً واضحاً في (الليالي) .

ولجون رسكن John Ruskin الكاتب الانكليزي الناقد (١٨١٩ — ١٩٠٠) كتاب ذائع شائع عنوانه (Sesame And Lilies) وهو يتألف من (محاضرتين) منفصلتين ، موضوع الأولى منها (السمسم) ، ويريد به (الكتب) ، وموضوع الثانية (الزنابق) ويريد بها (النساء). والسمسم على ما هو معروف من البذور الغذائية ، لكن الكلمة الانجليزية (Sesame) استعملت للدلالة على المفتاح الذي يفتح به باب لا يلجه الا قلة من الناس ، وفي هذا اشارة الى (قصة علي بابا والاربعين حرامي) في (الليالي) ، ذلك أن (علي بابا) « شيخ الحرامية » كان عنده كنز عظيم مدفون في كهف ، وكان مفتاح طريقة واحدة لفتحه هي النطق بـ (افتح يا سمسم) . وكتاب رسكن هذا يسمى أيضاً (كنوز الملوك ; (Kings Treasures) ، ومحتوى الكتاب أن الكتب عامة هي المفتاح الذي يفتح به باب يفضي الى كنوز الحكمة البشرية ، وان الكتب لا تفتح صدرها الا لمن استطاع اليها سبيلا .

وكتب ثقافة الأطفال في الغرب استقت ، وما زالت تستقي،كثيراً من (قصص ألف ليلة وليلة)، ومنها : (قصة علاء الدين) و (قصة الأميرة الصغيرة) و (قصة السندباد) و (البساط السحري) الخ .. فقد لوحظ أنها تشبع في الطفل توقه الى الغريب ، وتمنحه ، وتطلق العنان لخياله المرح .

كما أن الليالي أصبحت معيناً ثراً تستقي منه الموسيقى والسينما والمسارح في الغرب ، واسماء (شهرزاد) و (حلاق اشبيلية) ـ المستوحاة من مزين بغداد في ألف ليلة وليلة ـ و (قسمت ـ أو القضاء والقدر) و (حرامي بغداد) أشهر من أن تعرف .

فؤاد جميل
محاضر في جامعتي بغداد والمستنصرية



الحضارة الغربية هل أفلست ؟

عن جريدة « الاوبزرفر » الانجليزية .

● بعد فضيحة بروفيومو الخلقية في بريطانيا، ظهر فضيحة من نوع آخر في السويد ، أشد إثارة وأخطر نتائج . أي فاقعا من كبار قواد القوى الجوية في السويد ، وهو الكولونيل ستيج وينرستروم Stig Wennerstrom البالغ من العمر ٥٧ سنة ، يقف أمام القضاء ليحاكم بتهمة التجسس على بلاده لصالح روسيا .

وقد بدأت عمالة وينرستروم لروسيا منذ عام ١٩٤٢ . ومنذ هذا التاريخ وهو يزود روسيا بالوثائق السرية المتعلقة ، لا بالسويد وحدها ، بل بحلف الأطلسي أيضاً . ويبدو أنه قد زود الروس بوثائق لا تقدر بثمن مما جعلهم يمنحونه أجراً مغرياً يحدده هو بنفسه . ولكن المال لم يدر رأسه ، فبقي محافظاً على مستواه المعيشي داخل السويد ، بينما كان الروس يكدسون الأموال باسمه في البنوك في الخارج . وكان بوليس السويد السري ، وبوليس حلف الأطلسي ، قد بدأ يشك في وينرستروم منذ سنوات ، إلى أن وقع بين يديه ما يثبت إدانة وينرستروم .

وأحس وينرستروم بأنه على وشك الوقوع في المصيدة ، وأنهما قرر السفر خارج السويد ليقيم خارجها ينعم بالأموال المكدسة باسمه ، وكان بإمكانه أن يفر من المصيدة ، حيث أن أمر القبض عليه لم يكن قد صدر بعد . ولكن عاطفته كانت سبب نكبته : فقد اضطر للتأخر يومين لحضور زفاف ابنته ، كان خلالهما أمر القبض عليه قد صدر .



هذا مثل على تردي المستوى الخلقي بين كبار المسؤولين في أوروبا وأمريكا .

وقبل هذا شهدنا فضائح رجالات الكونجرس ، الذين يستغلون مناصبهم لمصالحهم الخاصة ، ولو كان فيها الإضرار بالمصلحة العامة .

أما فضيحة بروفيومو التي أسهبت الصحف في نقل مظاهرها ، فإنها لا شيء أمام فضائح مثل هذه . فضيحة بروفيومو شخصية لا تمس إلا شخصه ، وفضائح وينرستروم ، ورجالات الكونجرس يمتد ضررها إلى الأمة كلها .



نوردوم سيهانوك يرد على رئيس تحرير مجلة « تايم »

عن مجلة «تايم» الامريكية :

● سيدي رئيس تحرير مجلة « تايم »

اطلعت على مقالكم الذي نشرتموه عني ، والذي وصفتموني فيه أوصافا لا ينبغي أن تصدر من مجلة محترمة كمجلتكم ، فأنا في رأيكم مندفع ، لعوب ، طائش العقل ، وشعب بلادي متأخر لا أمل يرجى منه ، فمن لم تفتك به الملاريا أطاح به حر البلاد اللافح ..

والواقع انني لم استغرب مثل هذا القول منكم ، فلقد تعودت هذا من امريكا منذ زمن بعيد ، وذلك بسبب عدائها لي . هذا العداء الذي لم تترك مناسبة تمر دون أن تعبر عنه . ولا ذنب لي سوى انني رفضت ، وما زلت أرفض ، أن أكون من تلك الدمى التي تلهو بها امريكا .

واحب أن أكون صريحا معكم فأقول ان السياسة التي تتبعونها في آسيا سياسة تدل على جهل فاضح بأحوال البلاد وشعوبها ، وهي سياسة تسبب الحرج حتى للحكام المتحمسين لكم . ولو كنتم على شيء من الوعي لادركتم أن شعوب آسيا أصبحت تؤمن انكم حيثما حللتم ترسم الحرب ، والثورة ، والبؤس .

واتساءل : وما الذي تأخذونه علي ؟ أتراكم تكرهونني لانني لم ارض أن اركع أمام الدولار ؟ أم لانني نجحت حيث فشل الآخرون ؟ أم لانني باستقلالي وعدم رضوخي لكم ، ووضعي مصلحة بلادي في المقام الاول ، اشجع شعوب آسيا التي تستعبدونها على أن تحذو حذوي ؟

ولكم أخيرا تحياتي ،

نوردوم سيهانوك ـ كمبوديا

طرائف عربية

غرام ابي العتاهية

● خرج المهدي متصيدا فسمع رجلا يتغنى بالأبيات التالية :

يا من تفرّد بالجمال فما ترى	عيني على أحد سواه جمالا
أكثرت في قولي عليك من الرُّقى	وضربت في شعري لك الأمثالا
ما بِتُّ إلا جفوة وقطيعة ...	وأبيت إلا نخوة ودلالا ......
بالله قولي ان سألتك واصدقي	أوجدت قتلي في الكتاب حلالا ؟
أم لا ، فبيم جفوتني وظلمتني	وجعلتني للعالمين نكالا ؟

فقال المهدي علي به . فجاءه فقال . لمن هذا الشعر ؟ قال : لاسماعيل بن القاسم ابي العتاهية . قال لمن يقوله ؟ قال : لعتبة جارية المهدي . وكان ابو العتاهية قد بلغ من امرها كل مبلغ .

ابو العيناء وابن خاقان

● أهدى محمد بن عبيد الله بن خاقان أبا العيناء دابة ، فكتب ابو العيناء الى والده الوزير عبيد الله بن خاقان قائلا :

« أعلم الوزير أعزه الله أن أبا علي محمدا أراد أن يبرّني فعقّني ، وأن يركبني فأرجلني ، أمر لي بدابة تقف للنبرة ، وتعثر بالبعرة ، كالقضيب اليابس عجفا ، وكالعاشق المهجور دنفا ، قد أذكرت الرواة عذرة العذري ، والمجنون العامري . فان رأى الوزير أن يبدلني بها ، ويريحني منها ، بمركوب يضحكني كما أضحك مني ، يمحو بحسنه وفراهته ما سطره العيب بقبحه ودمامته ، كنت له شاكرا » .

فوجه عبيد الله بن خاقان اليه برذونا من براذينه بسرجه ولجامه .

ثم اجتمع ابو العيناء مع محمد بن عبيد الله عند ابيه ، فقال عبيد الله : شكوت دابة محمد ، وقد أخبرني الآن انه يشتريها منك بمائة دينار ، وما هذا ثمنه ، لا يشتكى منه .

فقال : أعز الله الوزير ، لو لم أكذب مستزيدا ، لم أنصرف مستعيدا .

فضحك عبيد الله وقال : حجتك الداحضة بملاحتك وظرفك ، أبلغ من حجة غيرك البالغة !

وانك لتعلم ما نريد

● خرج سالم بن عبد الله متنزها الى ناحية من نواحي المدينة ، ومعه أهله وحرمه ، فبلغ أشعب الخبر ، فوافاهم يريد التطفل ، فوجد الباب مغلقا ، فتسور الحائط عليهم .

فقال سالم : ويلك يا أشعب معي بناتي وحرمي !

فقال له أشعب : لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد !

ثلاثة لا يُملّون

● ثلاثة لا أملهم: جليسي ما فهم عني، ودابتي ما حملت رحلي، وثوبي ما سترني.

(عمرو بن العاص)

ابن ابي ربيعة وجميل

● اجتمع جميل بن معمر العذري بعمر بن ابي ربيعة المخزومي فأنشده جميل قصيدته التي أولها:

لقد فرح الواشون أن صرمت حبلي	بثينة أو أبدت لنا جانب البخل
يقولون: مهلا يا جميل، وإنني	لأقسم ما لي عن بثينة من مهل
خليلي فيما عشتما هل رأيتما	قتيلا بكى من حب قاتله قبلي؟

فلما أتمها قال لعمر يا أبا الخطاب هل لك في هذا الروي شيء؟ قال نعم. ثم أنشده:

جرى ناصح بالود بيني وبينها	فقربني يوم الحصاب الى قتلي
فما أنس م الأشياء لا أنس قولها	وموقفها يوما بقارعة النخل
فلما تواقفنا عرفت الذي بها	كمثل الذي بي، حذوك النعل بالنعل
فسلمت واستأنست خيفة أن يرى	عدو مكاني أو يرى حاسد فعلي
وأقبل أمثال الدمى يكتنفنها	وكل يفدّى بالمودة والأهل
فقالت وأرخت جانب الستر: إنما	معي فتكلم غير ذي رقبة أهلي
فقلت لها: ما بي لهم من ترقب	ولكن سري ليس يحمله مثلي

فاستخذى جميل وصاح: هذا والله الذي طلبت الشعراء فأخطأته، فتعللوا بوصف الديار، ونعت الأطلال.

العفو خير

● **قال رجل لبعض الملوك وقد وقف بين يديه**: أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك اليوم، وهو على عقابك أقدر منك على عقابي، إلا ما نظرت في أمري نظر من برئي أحب اليه من سقمي، وبراءتي أحب اليه من تلفي.

بئر مقلوبة

● كان جحا يسير مع صديق له، فرأى منارة مرتفعة ولم يكن صديقه قد رأى منارة من قبل، فقال: **كيف يبنون هذه؟**

فأجابه جحا: هذه بئر مقلوبة!

اياهم فارحم

● **قال رجل لعمرو بن عبيد**: اني لارحمك مما يقول الناس فيك!

قال: أسمعتني أقول فيهم شيئا؟

قال: لا.

قال: اياهم فارحم.

مشكلة ابنة الرابعة عشرة

بقلم : محمد بدر الدين خليل

في العدد (٦٦) من « العربي » تناولنا مشكلة ابن الرابعة عشرة » ، بمناسبة شكوى تلقيناها من احدى الامهات . وعلى اثرها ، حمل البريد الينا هذه الرسالة .

« [illegible] ست الرابعة عشرة ، أليس لها لديكم نصيب ؟

« أمي [illegible] عمري ، حتى [illegible] بالذهاب الى المدرسة ، [illegible] [illegible] في العطلة الاسبوعية ــ بالخروج من الزي المدرسي ، وتأخذ في [illegible] ، [illegible] الكبرى [illegible] أمي هي التي تختار لي الثياب وطراز تفصيلها .. واذا [illegible] ، [illegible] من [illegible] واذا حدث [illegible] من الاقارب ــ وسط جمع من الاسرة ــ [illegible] من النوم [illegible] والاتهام [illegible]

« وكان لزاما علي أن أثور ، ولكن أهلي لم يفهموا من ثورتي الا أنها تمرد على أصول الأدب ، فعاشروها بالضرب والايذاء .. فعدلت عن الثورة الى [illegible] السلبي [illegible] الصمت والاعتزال .. ولكن صمتي واعتزالي فسرا أسوأ تفسير ..

« فماذا أعمل ؟ .. لقد ضاقت حيلتي ، واستشرت حيرتي ، ولم أجد في أهلي ــ وهم أقرب الناس الي ــ من يفهمني ، حتى فكرت في أن أتخلص من الحياة ... »

مثل هذه الرسالة صرخة تعتمل في صدور كثيرات من الفتيات اللاتي في سن صاحبتنا ..

والواقع ان مشكلة « ابنة الرابعة عشرة » ، أشد عنفا وخطورة في مجتمعنا العربي من مشكلة « ابن الرابعة عشرة » . وهذا راجع الى أن كثيرا من الأسر عندنا لا تزال تعامل الفتاة على أنها أقل شأنا من الفتى . وكم من آباء وأمهات يبادرون الى اجابة رغبات الابن ، ولكنهم يتقاعسون عن الاهتمام برغبات البنت .. وكم من آباء وأمهات يحيطون الابن بهالة من العناية والرعاية ، ولاتزال في أعماقهم ــ وإن لم يدركوا ، أو وإن أدركوا لم يعترفوا ــ بقية من التقاليد والمعتقدات ، التي كان يعززها الشعور بأن الولد هو الذي يحفظ اسم الأسرة وتسلسل النسب ، في حين أن البنت مآلها الى زوج قد لا يكون من الأسرة ، فلا يقدر لأولادها أن يحملوا لقب هذه الأسرة ويحفظوه فلا يندثر ..

ولنعد الى مشكلة صاحبة الرسالة .. مشكلة الفتاة المراهقة في مجتمعنا ..

من الأمور الواضحة ، التي لا جدال فيها ، أن مرحلة المراهقة التي وقعها على الفتاة منها على الفتى ، بحكم الطبيعة . فان التغيرات التي تلم بجسمها ووظائفه في هذه السن ــ وهي تغيرات معروفة ــ أشد ظهورا وتأثيرا عليها ، من التغيرات التي تلم بالفتى . بل ان منها ما يثير في نفس الفتاة الغريرة كثيرا من الفزع .

يضاف الى هذا أقاويل تتناهى اليها ، عابرة على ألسنة الكبيرات من نساء الأسرة والمعارف ،

تتطلب : صبراً .. وفهماً .. وترفقاً .. وحزماً ..



لم عن لا يمكن ان يربها حتى ينطق الحديث ، ويتزن الكلمات .. وقد تضطرب الرغبة الى متابعة الموضوع الذى يخصه ، الى التعبير بالاحاجي والرموز والتورية والاشارات ..

هذا الجو الحافل بالغموض والتكتم ، يوحي الى الفتاة بالحرج ، فيكون آخر ما تريد عندها ان تلجأ الى امها او الى من يكبرها من الاهل والمعارف .. حتى الاخت الكبيرة التي تكون قد مرت بهذه التجربة وعرفت كل مضايقاتها وملابساتها التي تخلق الحيرة .. حتى هذه الاخت ، تتجنب الحديث الذى يلقي اضواء ترشد المراهقة الى طريقها ، لان التقاليد والعادات التي ترسبت في ذهنها تجعلها تؤمن بأن هذا الحديث « عيب » واسفاف للاخلاق .

وهنا مكمن الخطر .. فان الفتاة ، في توزعها بين الحيرة والانزعاج والفضول ، قد تلجأ الى من لا يجدن حرجا في الحديث ، ولكنهن لم يؤتين المعرفة الصحيحة ، ولا الادراك السليم لما يتحدثن فيه من اعراض المراهقة ، كخادمات البيوت ، او كبعض الزميلات اللاتي يدعين العلم بالامر عن جهل او انحراف ..

في هذه المرحلة الحرجة لا يكون للفتاة غير امها. ان الام هي الاقدر على كسب ثقة ابنتها. واذا كسبت الام ثقة ابنتها ، صارحتها الفتاة دون حرج بكل ما يلم بها ، اولا باول ، وكاشفتها بما يحيرها .. والام عندئذ تشرح لها اعراض المراهقة في رفق وتلطف ، فتطمئنها الى انه ليس ثمة ما يدعو الى الخوف والانزعاج ، وتبصرها بما يجنبها الزلل ويقيها الاخطار .

والام لن تستطرد فتطلع ابنتها ، في صراحة ، من شئون الجنس ما تشاء . فالام خير معلم في

هذه الشئون ، والتربية الجنسية أصبحت من مستلزمات تطورنا الاجتماعي والحضاري .. انما سمح للفتاة اليوم بأن تتعلم ، وبأن تعمل ، وبأن تخرج الى الاسواق وتتصل بالاسواق وتختلط بالناس ، والتربية الجنسية من خير ما نزودها به وهي تشق طريقها في الحياة . انها تقيها مزالق هذه الحياة .

ولكن التغيرات البدنية التي تصاحب مرحلة المراهقة في الفتاة ، تواكبها ظواهر نفسية ليست اقل خطرا من تلك الظواهر البدنية .. ومن هذه الظواهر النفسية حساسية مفرطة ، ونزوات قد تتراءى شذوذا ، وما هي بالشاذة ، انها ملحقات لتلك التغيرات البدنية التي جاء بها دور المراهقة. انها نزوات تتصل بالذي اخذ يكتمل من كيان انوثتها.

ومن هذه النزوات ميل الفتاة الى التجمل .. ان صبية الامس ، التي كانت تلعب في اهمالها لمظهرها احيانا الى درجة الظهور بمظهر الصبي ، تاخذ في العناية بشعرها ، وتحاول ان تصففه على نحو ما تفعل امها او اختها الكبرى، او الممثلة السينمائية التي تعجب بها .. وهي تاخذ تهتم بالتأنق في ملبسها . وهي قد لا تملك ان تبتاع من الثياب ما تبلغ به الاناقة التي ترجوها ، ولكنها تحاول بما لديها ان تحقق املها في هذا المضمار .

ومن الامهات من تبادر الى معارضة هذه الميول عند فتاتها ، وهي ميول طبيعية ، وقد تذهب في معارضتها الى درجة الخشونة او القسوة التي تجرح شعور الفتاة ، وقد قلنا ان مشاعرها — في مرحلة المراهقة — قد تبلغ حد الارهاف .

ويبلغ الخطر مداه ، اذا اقترن تدخل الام بما يفهم منه التشكك في الدوافع التي تدفع الفتاة الى هذه الابتداعات ، فالحساسية المفرطة التي تطرأ على ابنة الرابعة عشرة تضخم لها هذا الشك المسافة مضاعفة ..وقد يثير هذا كبرياءها واعتزازها بنفسها ، فيدفعها الى التحدي .. والتحدي — في هذه الحال — من الطرق الموصـــــل التي تزيّن الانحراف للفتاة ..

اما ان تبلغ سياسة اهل البيت ، الى ترويض الفتاة المراهقة بالسب او بالضرب فامر لا يقترن به الا مسوء او مصوعة .

ان سياسة الفتاة المراهقة قد تكون من اصعب المهام واشقها .. اننا نعود فنكرر ان على الام نصيبا كبيرا في تذليل صعوبتها، فهي ، كانثى مرت بالتجربة ، اجدر بأن تكون اكثر ادراكا لهـــا ولابسائها من سواها..او انها — بحكم طبيعتها — اقدر على اصطناع الرفق ، وعلى اشتمال الحنان ، واقمن بأن تطمئن اليها الفتاة فتفتح لها مغاليق نفسها وتمكنها من تفهم حالها .

يجب على الام الا تنسى انها مرت يوما بهذه السن ، وان تستعرض فيما بينها وبين نفسها — في صراحة تامة — ما كان يساورها من احلام وما كان يخالجها من مشاعر ، وما كان يعتورها من نزوات . وعندها ستجد ان ميل الفتاة المراهقة الى التأنق ، والى محادثة الاقارب من الشبان ، والى ارتكاب بعض النوافه التزلفة ، امر طبيعي .. وعندها ستلتمس الاعذار لفتاتها وتشفق عليها من اضطرابات هذه السن .. وهذه هي الخطوة الاولى نحو التفاهم مع الابنة ، ونحو اكتساب صداقتها وثقتها .

ولكن العبء لا يجب ان يلقى على الام وحدها ، فلا بد للاب من نصيب ..

وفي هذا يجب ان يكون الاب والام على تعاون وثيق ، بحيث يتقدم الاب ليحاول علاج ما تكون الام قد اخفقت في علاجه من امور الفتاة .. وليكن هو الآخر حريصا على الترفق والتلطف .. ولكن في شيء من الحزم ..

وكثيرا ما يكون الاب المثل الاعلى للرجولة لدى الفتاة ، وهي غالبا ما تتجه اليه بكل الميول التي تداخلها في هذه السن ، فخليق به ان يستغل هذا الاتجاه لكي يروضها ويقودها وياخذ بيدها لتخطي درجات هذا التطور بسهولة وامان .. ولكن عليه ان يحذر الافراط في التلطف والترفق ، فان هذا قد يوجه الفتاة الى لون من العُقَد النفسية يسميه علماء النفس « عشق الاب » ، اذ تعشق الفتاة في ابيها صورة فارس الاحلام الذي تنشده .. ثم انه — في الوقت ذاته — يوهن من الحزم الذي لا بد منه لكي تستجيب الفتاة لتوجيهاته رغبة منها في ان ترضيه .

مرة اخرى .. ان سن المراهقة من اقسى السنوات على الصغار ، وهي اقسى وقعا على الفتاة منها على الفتى . ولكن العنف او القسوة لا يمكن ان يكونا اداة لترويض الجموح في هذه المرحلة ، بل الصبر والاناة والرفق والحرص على تخير الاساليب ، هي خير ما يعين الابوين على اداء رسالتهما نحو اولادهما فيها .

وليتذكر الوالدان انها مرحلة انتقال ، فلن تلبث ان تنتهي الى استقرار .



صفي الدين

شاعر العصر المغولي ..

بقلم : عبد الرزاق البصير

■ ما أظن أن باحثا يستطيع أن يتحدث عن الجانب الأدبي في العصر المغولي دون أن يلم بحياة عبد العزيز ابن سرايا بن أبي القاسم بن أحمد بن نصر المعروف بصفي الدين السنبسي الطائي الحلي . ذلك لأن مؤرخي الأدب العربي مجمعون على أن هذا الشاعر هو شاعر العصر المغولي على الإطلاق ولا يمكن أن يبلغ الإنسان هذه المرتبة الأدبية إلا إذا كان صورة صادقة لعصره .

ونحن حينما نتأمل آثار هذا الشاعر نجد فيها المثل الحقيقي لذلك العصر المظلم . فبالرغم من أن شاعرنا يمتلك طاقة فنية قوية ، إلا أنه كثيرا ما يقف وقفات طويلة عند المحسنات اللفظية . فهو يلتزم بالقيود البديعية في معظم الأحيان . الأمر الذي يصور لنا انصراف تفكير الناس في تلك الفترة القلقة عن الحقائق والمعاني إلى زخارف التعبير .

في الحلة ولد صفي الدين

وقد شاء الله أن يبعث صفي الدين في بيئة جميلة بعيدة عما يجري في البلاد المجاورة لها

من فوضى واضطراب . فقد ولد صاحبنا في الحلة ، وهي مدينة من امهات مدن العراق ، كانت في عصر من عصور التاريخ قبلة العلماء والادباء ، والتجار ، وسائر ارباب الحرف . فاصبحت لها مكانة مرموقة بين مدن العالم الاسلامي ، ونافست بغداد في مركزها وسطوتها وجاهها .

وتقع الحلة على بعد بضعة اميال من اطلال بابل القديمة . وهي على موقع جميل من الفرات . وتكتنفها بساتين النخيل الباسقة ، واشجار الفاكهة البهية . انشاها سيف الدولة صدقة الاسدي سنة ٤٩٥ هـ .

وقد ولد الصفي يوم الجمعة الخامس من ربيع الآخر سنة ٦٧٧ هـ الموافق السادس والعشرين من آب سنة ١٢٧٨ في بيت من البيوت الكريمة في الحلة .

هولاكو في بغداد

وهذا يعني ان ولادة الشاعر كانت بعد غزو هولاكو لبغداد بواحد وعشرين سنة . ذلك الغزو الذي دمر الحضارة العربية الاسلامية تدميرا يكاد يكون تاما ، فقد ذكر المؤرخون ان الطغاة المغوليين قد اباحوا بغداد اربعين يوما بعد فتحها ، فنهبت الدور ، وهتكت المحارم والقيت ذخائر العقول في نهر دجلة . وامتلأت بغداد رعبا وخوفا حتى اضطر بعض الناس الى ان يلتجئوا الى الآبار والقنوات . وظلت جثث القتلى فوق الارض تعبث بها الرياح والكلاب . وامتلأ الهواء بالروائح الكريهة ، وانتشر المرض بين الناس ، فمن لم يمت بالسيف مات بالوباء . حتى ان كثيرا من المؤرخين يعتقدون بان القتلى قد بلغوا قرابة مليونين ، ولقد اراد هولاكو ان يضرم النار في البيوت ، لكن اتباعه نهوه عن ذلك .

والخلاصة ان بغداد اصبحت موحشة خرابا بعد ان كانت دار الانس والمعرفة والثقافة . كما ان الحكام اصبحوا لا يتكلمون اللغة العربية ، مما اضعف هذه اللغة المجيدة . وكاد يمحوها لولا مكانة القرآن في النفوس وتاثيره على العقول .

اسرة صفي الدين لها رئاسة الحلة

وليس من شك ان الناس ظلوا يعانون هذا التدمير مدة طويلة جدا . فالاضطراب قد شمل جميع نواحي الحياة ، كالسياسة والثقافة والاقتصاد . وليس من شك ان شاعرنا قد تاثر اشد الاثر بهذا الجو المضطرب ، ولا سيما اذا عرفنا انه ينتمي الى اسرة كانت لها رئاسة الحلة مما يثير الخصومات الشديدة المتوجهة على اسرته ، وان كثيرا من الناس كانوا يسعون الى الرئاسة بشتى السبل . وكان خاله صفي الدين بن حمزة ابن محاسن متقدما فيها . وكان اعظم المنافسين لهم اسرة تسمى باسرة الفضل . حتى بلغ من شدة خصومة هذه الاسرة انها قتلت خال شاعرنا غدرا . وكان لهذا الحدث اثر كبير على اسرة الصفي لان القتيل كان من الشخصيات المعروفة بالقوة والكرم . وكان شاعرنا اشد اسرته تاثرا بهذا الحادث .

ونحن اذا ما تاملنا في اشعاره وجدنا لهذا الحدث صدى في نفس الشاعر . فاسمعه يخاطب خاله .

تكاثروا لديك فاعطاروا
[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]
في [illegible] [illegible]

[illegible] كل الافئدة
[illegible] [illegible]

[illegible] [illegible]
من [illegible] لا [illegible]

يوم وقعة الزوراء

وكان شاعرنا من الذين يحملون السيف والقلم ، وله من ذلك موقف مشهور ، ذلك يوم وقعة الزوراء . فقد روى انه صرع كثيرا من اعدائه في تلك الوقعة . ولقد خلد تلك الوقعة بقصيدته المشهورة التي يقول فيها :

سل الرماح العوالي عن معالينا
واستشهد البيض هل خاب الرجا فينا

وسائل العرب والاتراك ما فعلت
في ارض قبر عبيد الله ايدينا

لما سعينا فما رقت عزائمنا
عما نروم ولا خابت مساعينا

يا يومَ وقعةِ زوراءِ العراق وقد
دِنّا الأعادي كما كانوا يدينونا
بضُمَّرٍ ما ربطناها مسوَّمةً
إلا لنغزو بها من بات يغزونا
وفتيةٍ إن نقل أصغوا مسامعهم
لقولنا ، أو دعوناهم ، أجابونا
قومٌ إذا استُخصموا كانوا فراعنةً
يوماً وإن حُكّموا كانوا موازينا
تدرّعوا العقل جلباباً فإن حميت
نار الوغى خلتهم فيها مجانينا
إذا ادّعوا جاءت الدنيا مصدّقةً
وإن دعوا قالت الأيام آمينا
إنا لقومٌ أبت أخلاقنا شرفاً
أن نبتدي بالأذى من ليس يؤذينا
بيضٌ صنائعنا ، سودٌ وقائعنا
خضرٌ مرابعنا ، حمرٌ مواضينا

وهذه القصيدة هي من أروع ما نظم الحلي من الشعر ، لأنها كانت تعبر عن ما يجول في الضمير العربي الذي كان يعيش متألماً في فترات أهدرت فيها الكرامة العربية ، ودمرت فيها الحضارة العربية كل التدمير ولا سيما في العراق والشام . أقول هذا على الرغم من أني أدرك أن أديبنا قالها مفتخراً بما قامت به عشيرته من أخذ الثأر من عشيرة آل العصل .

التجاؤه الى ماردين

وشاعرنا نظم هذه القصيدة وعمره يتراوح بين الثالثة والعشرين والخامسة والعشرين . ولقد أصبح شاعرنا بعد هذه الوقعة مطلوباً بالثأر عند كثير من الناس لما وقفه من موقف أثار في قلوب خصومه كثيراً من الإحن والأضغان حتى صارت إقامته في العراق محفوفة بكثير من الأخطار .

ولا بد أنه فكر كثيراً في المكان الذي يلتجىء اليه فقد كان لا بد له من مكان تتوافر فيه عدة شروط ، أهمها المنعة بحيث لا يستطيع أعداؤه أن يصلوا اليه وجمالُ الطبيعة لكي يُرضي احساسه المرهف ومشاعره الرقيقة ، وتكريمٌ في اللقاء تُرضي نفسه الأبية بالمقام .

ولعل هذه الشروط كانت عزيزة المنال لا تكاد توجد إلا في ماردين ، فهي قلعة قال عنها ياقوت أنها : « قلعة مشهورة على قنة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ، ودارا ، ونصيبين وذلك الفضاء الواسع ، وقدامها ربضٌ عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات ومدارس .. والذي لا شك فيه أنه ليس في الأرض كلها أحسن من قلعتها ولا أحصن ولا أحكم .. » .

أضف الى ذلك أن الذي يحكم أمرها كان ملكاً صاحب شوكة وسلطان .. فلا غرو أن أصبحت ماردين به عامرة وشاع فيها الاستقرار والرخاء ..

وكان في هذا البلد بعض بطون طيء ، والعرب يحمون المستجير وإن كان غريباً ، فما بالك بابن عم لهم ؟

في ماردين أنتج صفي الدين ديوان « درر النحور في مدائح المنصور »

ولقد وفق شاعرنا كل التوفيق في التجائه الى ماردين ، ففيها بدل الله خوفه أمناً وتعبه راحة ، وفيها حصل على تكريم يليق به كشاعر وأديب . فكانت الهدايا والتحف ترد اليه من الحكام وغير الحكام ، واطمأنت نفسه وتفجرت مواهبه الشعرية . ويرى بعض النقاد أن تلك الفترة كانت من أخصب الفترات التي أمضاها شاعرنا من عمره . وفيها أنتج ديواناً أسماه « درر النحور في مدائح المنصور » .

وهو في مديح الملك المنصور الأرتقي ، صاحب ماردين . وفيه ٢٩ قصيدة ، كل منها بها ٢٩ بيتاً ، وكل قصيدة تبدأ أبياتها وتنتهي بحرف من الحروف الهجائية متسلسلة .

ومدح الشاعر أمراء آخرين

ولم يقتصر نشاط شاعرنا على حكام ماردين ، وإنما امتد الى حماة ، فمدح ملكها « المؤيد عماد الدين اسماعيل بن الأفضل أيوب ، وابنه « الأفضل » . كما امتد الى العراق . إلا أن شاعرنا استطاع أن يذهب الى العراق عدة مرات ، إلا أنه كان لا يطيل البقاء فيها خوفاً من أعدائه المتربصين به .

ولقد صور صفي الدين حياته الناعمة في ماردين في قصائد متفرقة ، من ذلك قوله في قصيدة يدعو فيها بعض أصدقائه الى بيته :

تنزّهوا ، إن مجلسنا أنيقٌ
يكاد يعيد منظره الشباب

فـــاله مخـــارى تكتســـى
فحـــب حـــر اسر ســـه آب
لـــه سـاج وريـك انـار محـــى
وتنظـــر للدخـــان بهـــا احتجابا

ويقول ايضا :

ونحـــن بمنـــزل لا مس فيـــه
رحيب الربـــع مرتفـــع البنـــاه
ولي داري بمصـــطاي ومشـــتى
فبـــدا للمصيف وللشـــتاء
فبـــدا فيـــه (شاذروان) سار
وحيـــنا فيـــه (شاذروان) مـــاء

ومن هاتين القطعتين يتضح لنا ان منزل شاعرنا كان منزلا صالحا لاستقبال الضيوف في الصيف والشتاء ، مؤثثا باثاث فاخر .

صفي الدين يتاجر ويثري

ومن محاسن اخلاق الصفي ان نفسه الطموح لم تعتمد على ما يأتيها من عطاء الملوك والوجهاء ، وانما دخلت الحياة لتعمل مع العاملين ، فقد تاجر مع التجار . ويبدو انه وفق في عمله حتى اصبح من اهل الثراء .

رحلته الى الحجاز ومصر

وقد شاء الله ان تكون تجربة الشاعر في الحياة تجربة غنية ، وذلك حينما رحل الى الحجاز لتادية الحج وزيارة قبر الرسول ، وحينما رحل الى مصر ، وهي البلاد التي استقر فيها الامان وانتشر فيها العلم اكثر من اي بلد اسلامي آخر في تلك الفترة المضطربة التي مرت فيها الحضارة العربية الاسلامية في الشرق ، وذلك لبعدها عن غزو الطغاة المغول .

وهو ورد مصر في سنة ٧٢٦ هـ (١٣٢٦ م) ، ومثل بين يدي الملك الناصر بن قلاوون ، ومدحه فملا يده بجوائزه .

وزادت رحلاته هذه افق تفكيره اتساعا وكان لها اثر قوي في نفس الشاعر . فقد ذكر ذلك في ما وصل الينا من آثار .

ثقافة صفي الدين

على اننا لو اردنا ان نتحدث عن ثقافة الشاعر فاننا ملاقون كثيرا من الشاق ذلك لان المترجمين لشاعرنا لم يذكروا لنا اسما واحدا من اساتذته الذين تتلمذ على ايديهم . لكن آثاره تدل على انه كان واسع الاطلاع على الادب العربي متمكنا من اللغة العربية وآدابها ، ذا قدرة عجيبة على التصرف في علم البديع حتى قيل انه لما اراد ان ينظم بديعيته المشهورة في مدح الرسول قرا مائة واربعين كتابا لاجل تلك البديعية التي مطلعها :

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم
واقر السلام على عرب بذي سلم

شاعر متعدد الجوانب والالوان

وكان صفي الدين لا شك زعيم الشعر في عصره وبقيت في شعره بقية من فصاحة اللفظ وبقية من رشاقة الاسلوب . وقد افتن في الصنعة ما شاء ، ودخل في احد عشر بابا من ابواب الشعر . حتى ان الانسان اذا ما قرا شاعرنا في لون من هذه الالوان يظن ان شعره مقصورا على هذا اللون . فانت حينما تقرا حماسة الصفي تعده من شعراء الحماسة . وانت حينما تقراه في المدح تعتقد بانه من شعراء المدح . وانت حينما تقراه في الغزل تعده من الغزليين . ذلك لان ابن سرايا قد اجاد في جميع الابواب التي طرقها .

دراسة مفصلة لصفي الدين

والحق ان للاستاذ جواد علوش قد قام بدراسة مفصلة للصفي وفق فيها كل التوفيق . فقد وضح كثيرا من خصائصه الشعرية واحصى الشعراء الذين تاثروا بمديحياته . وابان الشعراء الذين تاثر بهم الصفي ، وعلى راسهم المتنبي وابونواس .

وفاة الشاعر

وقد كان من المتوقع ان يحتفي الناس بهذا الشاعر ، رمز الادب في عصره ، فيضبطوا يوم وفاته او شهر وفاته على الاقل ، ويحددوا لنا قبره . لكن شيئا من ذلك لم يحدث . كل ما نعرفه عن ذلك انه مات في بغداد . اما سنة وفاته فان الرواية مضطربة فيها اشد الاضطراب . وتردد الرواة في ذلك بين سنة ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ بعد السبعمائة من الهجرة .

رحم الله صفي الدين الحلي . وطيب ثراه . ■

عبد الرزاق البصير

فانكا..

للكاتب الروسي تشيكوف

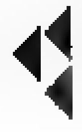
لم يذهب « فانكا جوكوف » الى فراشه ليلة عيد الميلاد . فبعد ان ذهب سيده وسيدته واتباعهما لحضور القداس منتصف الليل ، اخرج الصبي ـ الذي لم يتجاوز التاسعة باكثر من ثلاثة اشهر ـ محبرة وقلما له ريشة صدئة ، وبسط قطعة مكرمشة من الورق . وبعد ان تلفت الى الأبواب والنوافذ عدة مرات في خوف ، اطلق زفرة متهدجة ، ثم ركع امام المقعد الخشبي الذي بسط عليه الورقة ، وشرع يكتب

« جدي العزيز قسطنطين مكاريتش

« انني اكتب لك رسالة ، واتمنى لك عيد ميلاد بهيجا ، راجيا لك من الرب كل خير .

« فليس لي اب او ام ، بل انت الوحيد الذي بقي لي » .

وتحول ببصره الى النافذة المعتمة ، التي كانت تعكس ضوء شمعته ، وراح يتمثل جده في خاطره . كان الجد يعمل حارسا لدى آل جيفاريوف .. ومع انه كان قصيرا ، الا انه كان شيخا موفور الحيوية والنشاط ، في حوالي الخامسة والستين من عمره ، وكان وجهه متهللا بضحك دائما ، كانت



عيناه حادتين . وكان – في النهار – ينام في مطبخ الخدم ، ومن عادته أن يتبادل النكات مع الطاهية.

أما بالليل ، فكان يلتف في معطف فضفاض من جلد الغنم ، ويطوف بالضيعة وهو يهز طرقته . وكانت الكلبة « بيرّوس » العجوز ، والكلب المسمى « ريجار » يتبعانه وقد نكسا رأسيهما . كان الكلب يبدي الاحترام ويظاهر الولاء بدرجة بالغة ، ويرمق أصحابه والأغراب بنظرات تفيض ودا ، ومع ذلك فلم يكن طيب السمعة . كان الاحترام والذلة يخفيان فيه لؤما وخبثا .

كان لا أحد يبزه في التسلل وراءك ، ثم الانقضاض فجأة على ساقك ، ولا في التسلل الى مخزن الأطعمة المثلجة ، ولا في سرقة دجاجة من فلاح .

ولقد أوشكت ساقاه الخلفيتان أن تكسرا أكثر من مرة ، وكاد يشنق مرتين .. وكان في كل أسبوع يسلخ حتى يوشك أن يموت ، ولكنها الحياة كانت لا تلبث أن تدب فيه في كل مرة .

ولابد أن جده كان – في تلك اللحظة التي يكتب فيها حفيده اليه كتابه – واقفا عند البوابة، يمد بصره الى نوافذ الكنيسة ، أو يدق الأرض بحذاءيه ، أو يرمي الخدم بالنكات ، وطرقته في نطاقه ، وقد راح يصفق بيديه وهو يختلج من فرط البرد .. أو لعله كان يقرص الخادم مرة ، والطاهية مرة أخرى . ثم يقدم للمرأتين النشوق من علبته .

ولابد أن المرأتين تناولتا من نشوقه وراحوا جميعا لاثنتهم يعطسون معا .. حتى الكلبان كانا يتنشقان النشوق ، أما « بروس » فتعطس وتهز رأسها وتنصرف مستاءة .. وأما « ريجار » فان أدبه كان يمنعه من العطس ، فيكتفي بأن يهز ذيله.

ولابد أن الجو كان هادئا ، جليلا .. والليل مظلم، ولكن بوسع المرء أن يرى القرية ببيوتها ذات الأسقف البيضاء، والأشجار التي يوشيها الصقيع موشى من فضة .. والسماء كلها مرصعة بنجوم تومض في تألق مبهج ..

* * *

وتنهد الصبي فانكاه وغمس ريشته في الدواة وراح يكتب .

« وبالأمس ألقت علقة « ساخنة » ، اذ جرني سيدي من شعري وراح يسوطني ، لأني كنت أهز وليده في مهده ، فغشيتني نومة . وفي الأسبوع الماضي ، أمرتني السيدة أن أنظف سمكة مملحة جافة ، فبدأت بالذيل. فأخذت السيدة السمكة، ورمتني وأنفها في صندوق القمامة. والخدم يعبثون بي، ويرسلونني لأسرق لهم شراب الفودكا والمخللات من سيدي فيلسعني السيد ويضربني بأي شيء تصل اليه يده . ولست أجد كفايتي من الطعام ، ففي الصباح يعطوني خبزا فقط ، وفي الغداء ثريدا ، وفي العشاء خبزا مرة أخرى .. أما الشاي وحساء الكرنب، فالسيد والسيدة يلتهمانهما على عشائهما . وهما يأمرانني بالنوم في مدخل السكن ، فاذا بكى الرضيع ، فلا نوم لي ، اذ على أن أهز المهد . فيا جدي العزيز ، ارحمني بالله ، وخذني من هنا ، وأرجعني الى القرية ، فهذا أكثر مما أطيق . انني أنحني على قدميك ، وسأظل طيلة العمر أدعو الله من أجلك خذني من هنا قبل أن أموت » .

وزم « فانكا » فمه يغالب البكاء ، ومسح عينيه بظهر يده ، وهو ينهنه ثم واصل الكتابة .

« سأطحن لك النشوق ، وسأدعو الله من أجلك ، واذا حدث شيء فاضربني كما يحلو لك . واذا رأيت أن لا مكان لي ، فاني سأستعطف مدير الضيعة باسم المسيح أن يجعلني أنظف الأحذية ، أو أحل محل « فيدكا » صبيا لراعي الغنم . هذا فوق ما أحتمل يا جدي العزيز ، وليس يتبقى سوى موت مؤكد لي . لقد فكرت في الهرب الى القرية ، ولكن ليس لي حذاء ، وأخشى الصقيع والبرد .. وفي مقابل أن تأخذني ، سأتولى رعايتك عندما تكبر ، ولن أدع أي مخلوق يؤذيك .. وسأصلي لتنعم روحك بالطمأنينة عندما تموت كما أصلي من أجل أمي .

« ان موسكو هذه مدينة كبيرة ، والبيوت كلها فخمة من النوع الذي يليق لاقامة كبار القوم ، وهنا كثير من الخيل ، ولكن لا يوجد بالمدينة أغنام .. والكلاب كثيرة ولكنها ليست وحشية .

والصغار جدا لا ينطلقون في الشوارع ، مرددين الأناشيد ، في عشية عيد الميلاد ، كما أنهم لا يسمحون لأحد بالاشتراك في ترانيم الكنيسة .. وقد رأيت مرة من نافذة متجر أدوات الصيد السمك بكل أنواعه .. ورأيت حوانيت بها كل أنواع البنادق ، كبندقية سيد الضيعة عندكم ، ولعل الواحدة منها تساوى مائة روبل . وفي حوانيت القصابين توجد الديكة والبط والأرانب البرية وقد أبى العمال أن يذكروا من أين صادوها .

« يا جدى العزيز ، عندما يقيمون شجرة عيد الميلاد محملة بالهدايا في بيت سيد الضيعة عندكم ، خذ كيسا من البندق والجوز واحتفظ لي به في الصندوق الأخضر . سل السيدة الصغيرة « أولجا اجناتيفنا » أن تعطيك إياه ، وقل لها إنه لفانكا » .

★ ★ ★

وانبعثت من فانكا زفرة متهدجة ، وعاد يحملق في النافذة ، وقد تذكر أن جده هو الذى كان يذهب الى الغابة ليحضر شجرة عيد الميلاد لأسرة سيد الضيعة .. وأنه كان يصطحب حفيده معه . كانت مناسبة بهيجة ! .. كان جده يزمجر ، والصقيع يصيت وهو يتهشم ، وكان فانكا - بدوره - يصدر أصواتا مرحة من حلقه . وكان الجد يدخن غليونه قبل أن يقتلع الشجرة ، ويتناول قبضة من السعوط في لذة ، ويلوى قسمات وجهه ليضحك فانكا وكان البرد أخذ ينخر عظامه .. والأشجار الصغيرة تقف جامدة ، مرتقبة لترى من منها التي ستموت . وفجأة ، ينطلق أرنب جبلى كأنه السهم ، لا يدرى أحد من أين السهم ، فلا يتمالك الجد أن يصيح : « امسكه ! .. يا له من شيطان ! » .

وبعد أن يجتث الجد الشجرة ، كان يجرها الى دار السيد ، سيد الضيعة ، فيمكثون في تزيينها . وكانت السيدة الصغيرة « أولجا اجناتيفنا » - وهى أحب أفراد الأسرة الى فانكا أكثر الجميع اهتماما . وعندما كانت أم فانكا على قيد الحياة كانت وصيفة في بيت السيد ، فكانت هذه السيدة الصغيرة تمنح فانكا الحلوى والألعاب .. وإذ لم تجد ما يشغلها علمته القراءة والكتابة والعد الى المائة ، بل والرقص الإيقاعى . فلما ماتت أمه ، أحيل فانكا الى مطبخ الخدم ليبقى مع جده .. ومن مطبخ الخدم ، الى حانوت الإسكاف .

★ ★ ★

واستأنف فانكا الكتابة : « ألا تعال يا جدى العزيز . استحلفك أن تأتى وتأخذنى من هنا . لترحمنى ، أنا اليتيم الشقى ، فالكل من هنا يضربنى ، والجوع يقتلنى ، ولا أدرى كيف أشرح لك همومى ، فأنا لا أكف عن البكاء . ومنذ أيام ضربنى السيد على رأسى ، فسقطت على الأرض ، وانقضى وقت طويل قبل أن أفيق .

إن حياتى تعسة ، أسوأ من حياة الكلاب .. وأبعث بتحياتى الى ألونيا ، وييجوركا الأعور ، والحوذى .. ولا تعط أحدا هارمونيكتى .. (؟) ... وسأظل دائما حفيدك إيفان جوكوف .. ألا تعال يا جدى العزيز ! »

وطوى فانكا الورقة المليئة بالكتابة ، ووضعها في ظرف كان قد ابتاعه في اليوم السابق ، ثم فكر لحظة .. وغمس الريشة في المداد ، وكتب العنوان :

« الى جدى في الضيعة » .

وحك رأسه مفكرا هنيهة ، ثم أضاف « قسطنطين مكاريتش » وسره أن أحدا لم يقطع عليه الكتابة .. ولبس طاقيته ، وخرج الى الطريق ولا شيء يكسوه سوى قميص ..

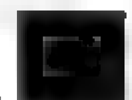
كان عمال حوانيت الجزارين قد أخبروه - في اليوم السابق - بأن الرسائل تلقى في صناديق الخطابات ، ثم تجمع منها لترسل الى أرجاء العالم في عربات جليدية ذات أجراس مجلجلة وحوذية سكارى .

وبعد ساعة ، كان فانكا يغط في نومه ، وقد انتقل الى الآمال العذبة ورأى في نومه الفرن في مطبخ السيد - وعنده جلس جده ، مدليا ساقيه العاريتين وهو يقرأ الخطاب للطاهيين .. وإلى جوار الفرن ، كان « ريجار » يهز ذيله .

■■

العرب على الغرب

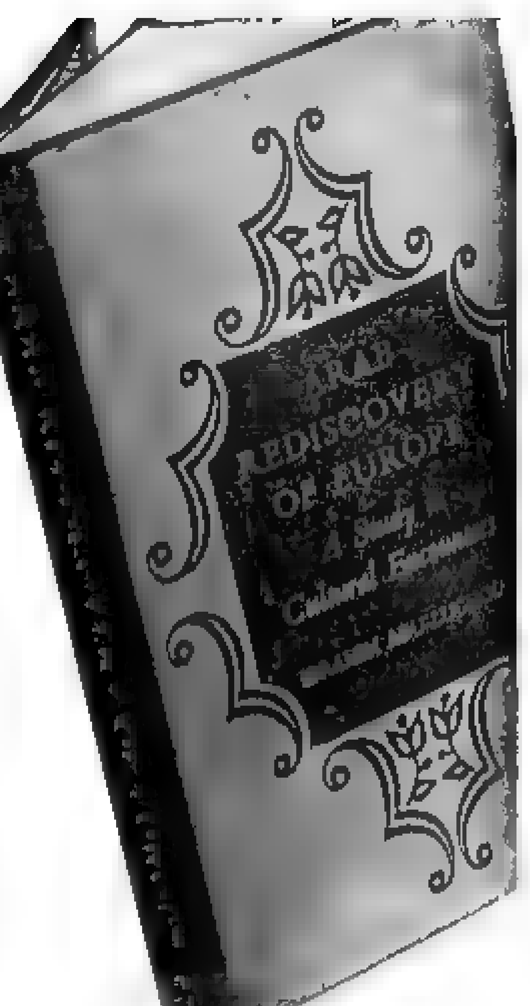
بقلم
الدكتور محمود السمره



ان خرج العرب من الجزيرة فاتحين يحملون الى العالم دينهم ويهددون النظم القائمة في أوروبا بالزوال ... منذ القرن السابع الميلادي والعداء مستحكم بين العالم العربي وأوروبا ، وهو عداء كاد أن يجعل الصلات بين المنطقتين شبه مقطوعة ، الا ما كان من سفارات معدودة محدودة ، وطلاب علم يؤمون جامعات الأندلس .

وبقي هذا السور الحاجز قائما بين العالم العربي وأوروبا حتى كانت حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨ ، فكانت أشبه بقنبلة شديدة الانفجار أيقظت الشرق من سباتهم العميق الذي امتد قرونا . واستفاق الشرق العربي على مدافع نابليون وجحافله وعلمائه ليجد الدنيا غير الدنيا : دنيا أوروبا بثورتها الصناعية ، ودنياه التي توقفت منذ ظلمة القرون الوسطى . وليس أدل على جهل العرب بما أصاب الغرب من تقدم ، أن المماليك في مصر قابلوا نبأ نزول جيش نابليون على أرضها بسخرية ، واثقين من أنهم سيهزمون الفرنسيين كما هزموهم من قبل ، وأسروا ملكهم لويس التاسع ، فاتهم أن فرنسيي اليوم هم فرنسيو الأمس .

واحتل نابليون بجيشه أرض مصر وأقام فيها زمنا ، وأحدث وجوده تغييرات جوهرية تجاوزت شؤون اللغة حتى أصابت الأفكار .



ومن هنا يبدأ هذا الكتاب (١) الذى تقدمه الاستاذ ابراهيم ابو لغد الاستاذ المساعد في كلية سميث بامريكا . انه يتحدث عن انفتاح الشرق العربي على اوروبا في العصر الحديث ، فيبدا بحملة نابليون وآثارها ، ثم ينتقل الى بعثات محمد على الى فرنسا ، وما قام به المترجمون من جهود في نقل الكتب الغربية الى العربية ، وينتهي الى الحديث عن الرحالة العرب الى الغرب ، وتصنيف كتبهم التى سجلوا فيها ما تركت الرحلة الى الغرب في نفوسهم من اثر .

موضوع واسع في صفحات قليلة

وهذا الموضوع الذى تناوله المؤلف في اكثر من مائة وخمسين صفحة ، موضوع واسع متعدد الجوانب ، ويصعب تناوله تناولا شافيا في هذا العدد المحدود من الصفحات ، ولهذا فان ما فعله المؤلف هو انه رسم خطوطا عريضة ، دون ان يدخل في التفاصيل . وهذا الكتاب مفيد ، بل جم الفائدة ، للراغب في الاطلاع على هذا الجانب من تاريخنا الحديث ، ولكنه لا يضيف جديدا للمطلع الراغب في الاستزادة .

بعض المراجع مشكوك في قيمتها العلمية

ومع ان المؤلف قد حاول ان يعود في كتابه الى المصادر الاصلية في هذا الموضوع ، الا انه يشير احيانا الى مراجع ثانوية مشكوك في قيمتها العلمية ، ويطيل الاستشهاد في المؤلف نفسه بمراجع ليثبت قيمتها العلمية .

وانا لست هنا بسبيل تقصي هذا الجانب ، ولكني اضرب لذلك مثلا للتوضيح : يتحدث المؤلف عن مارون النقاش ثم يحيل القارىء الى كتاب لانداو « دراسات في المسرح والسينما العربيين » (٢) ، ولا يشير من قريب او من بعيد الى خير دراسة صدرت حتى الآن عن المسرح والمسرحية وهى « المسرحية في الادب العربي الحديث » للدكتور محمد يوسف نجم (٣) . كما ان الدكتور نجم قام مؤخرا بنشر مسرحيات مارون النقاش . والحديث عن الاخطاء الفاحشة التى

---

(١) Arab Rediscovery Of Europe .

(٢) J. Landau, Studies in The Arab Theater And Cinema

(٣) أنظر مقالنا في « العربي » ديسمبر ١٩٥٦

تردكى فيها (لندو) ليس هنا مكانه ، فقد سبق لنا ان تناولناها (١) .

بداية اليقظة : قنبلة ومطبعة ومنشور

عندما دخل اسطول نابليون الى شواطىء الشرق العربي ، كان هذا الشرق قد وصل ذروة التخلف في جميع الميادين . فانه طيلة القرون الماضية كان يعيش في حالة من التردي انقطعت عن ماضيه الزاهر ، وعن المنجزات العلمية والفكرية والادبية التى حققها العالم الاوروبي ، ويكفى لتصوير مدى البون الشاسع بين العالمين في ميدان التقدم ان نذكر انه في الوقت الذى كانت فيه اوروبا تستعمل المدافع والقنابل واجهزة الحرب التى تفتق عنها التقدم العلمى ، كانت الدولة العثمانية التى كان الشرق العربي يدور في فلكها ويأتمر بأمرها ، تستعمل الحراب وادوات الحرب التى كانت تستعمل في القرون الوسطى (٢) .

ولقد كانت الحملة الفرنسية بالنسبة لمصر وبلدان الهلال الخصيب نهاية فترة تاريخية ، وبداية فترة اخرى جديدة انهار فيها الحاجز الذى كان قائما بين اوروبا وبينها . ولقد احدث الفرنسيون ، خلال احتلالهم لمصر الذى دام ثلاث سنوات ، تغييرات جوهرية في الادارة والتشريع . وقد افاض المؤرخون في بيان اهمية مطبعة نابليون التى احضرها معه الى مصر ، وابرزوا ما كان لمنشوره الأول من اثر في نفوس ابناء الشرق العربي ، اذ فتح اذهانهم على مفهوم جديد لمعنى الدولة والمواطنة لم يسمعوا به . ومن اشهر من تناول هذا المنشور واورده بنصه من رجالات القرن الماضى : عبد الرحمن الجبرتى (توفى ١٨٢٥) في كتابه المشهور « عجائب الآثار في التراجم والاخبار » ونقولا الترك (توفى ١٨٢٨) في مذكراته ، والامير حيدر الشهابى (١٨٣٥) في « لبنان في عهد الأمراء الشهابيين » . ولكن احسن دراسة وقعت عليها ايدينا حول حملة نابليون واثرها في الفكر العربي الحديث هي للاستاذ رئيف خورى (٣) .

المنشور الأول

ولاهمية هذا المنشور الأول نورد اجزاء منه نقلا عن الجزء الثانى من كتاب الامير حيدر الشهابى :

« بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله ولا ولدا له ولا شريك بملكه .

من طرف الجمهور الفرنسى المبنى على اساس الحرية .. يا ايها المصريون قد يقولوا لكم انني ما نزلت في هذا الطرف الا بقصد ازالة دينكم ، فذلك كذب صريح فلا تصدقوه . وقولوا للمفترين انني ما قدمت اليكم الا لكيما اخلص حقكم من يد الظالمين . وانني اكثر من المماليك ، اعبد الله سبحانه وتعالى ، واحترم نبيه محمد والقرآن العظيم . وقولوا لهم ان جميع الناس متساوون عند الله . وان الشيء الذى يفرق عن بعضهم بعضا هو العقل والفضايل والعلوم فقط وبين المماليك ما العقل والفضل والمعرفة التى تميزهم عن الآخرين وتستوجب انهم يتملكون وحدهم ... فان كانت الارض المصرية التزام للمماليك فليوردوا الحجة التى كتبها لهم الله . فلكن رب العالمين هو رؤوف وعادل على البشر . بعونه تعالى من اليوم وصاعدا لا يستثنى احدا من اهالى مصر عن الدخول في المناصب السامية ، وعن اكتساب المراتب العالية . فالعقلا والفضلا والعلما بينهم سيدبروا الأمور ، وبذلك يصلح حال الأمة كلها ....

(١) انظر « العربي » مارس ١٩٦٠

(٢) هناك دراسة قيمة للمجتمع الاسلامي في هذه الفترة هي :
H. A. R. Gibb And Bowen, Islamic Society And The West 2 Vols

(٣) الفكر العربي الحديث ... اثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي

تحريرا في معسكر الاسكندرية في ... اخر اواخر شهر محرم سنة ١٢١٣ هجرية »

مفاهيم جديدة

وفي كتاب الاستاذ ابو نقد تعليقات لطيفة على هذا المنشور، وتحليل طيب لنظرة كل من الجبرتي ونقولا الترك وحيدر الشهابي اليه . وواضح من هذا المنشور انه اكــد على الامور التالية ، وهي امور كانت غريبة على سمع العالم الاسلامي في ذلك الزمان :

فهو قــد اكد ان الاســاس الذي تقوم عليه الجمهورية الفرنسية « هو الحرية والمساواة » . وهنا لاول مرة تسمع هذه البلاد بكلمة الجمهورية، وقد عبرت عنها كلمة « الجمهور » في المنشور ، لان المترجمين احتاروا في الكلمة العربية التي تقابل الكلمة الفرنسية . وقد اورد الاستاذ ابو نقد تحليلا جيدا لمفهوم كلمــة « الجمهورية » في اللغة العربية وتطورها ، واستشهد ببحث قيم لبرنارد لويس .

واكد المنشور ان المماليك مغتصبون ينعمون بخيرات البــلاد دون حــق ، ثم وضع اساســا للمفاضلة بين المواطنين .

واشار الى حق المواطنين جميعا في ان يمنحوا فرصا متساوية تبيح لكل منهم ابراز كفاءته .

واورد تعبيرا جديدا على الاذهان هو « الامــة العربية » ، بدلا من الملة الاسلامية .

رد الفعل الأول : ارسال البعثات الى اوروبا

وغادر نابليون مصر والشرق العربي مهزوما ، وقضى محمد علي على المماليك ، واقام له ولاسرته ملكا في ارضها . واذا كانت الحملة الفرنســية قد فتحت عيون الشرق العربي على التقــدم الذي حققه الغرب ، فان اول رد فعل لهذه اليقظـــة كان ، ولا شك ، ارسال محمد علي للبعثات الى فرنسا لتعود اليه حاملة مقومات الحضارة الغربية .

ترجمة كتب الغرب الى العربية

ونستطيع ان نقول ان ابرز مظاهر هذه الرحلة من الوعي للحضارة الغربيــة ، كان ترجمة كتب الغرب الى العربية . وهذه خطوة منطقية . وقد تمت الترجمــة في المحيط الرسمي ، فالدولة ورجالها هم الذين يقومون بها . ولا شك ان ابرز رجالات هذه الفترة بلا منازع هو الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي . وقد نال هذا الرجل حقه مــن التقدير ، فكتبت عنه الدراسات العديدة .

وقد كانت هـــذه الترجمات من العوامل التي ساهمت في نشوء الادب العربي الحديث . ويبدو لي ان دراسة الدور الذي قامت به هذه الترجمات في تكوين ادبنا الحديث دراسة علميـــة ما زالت تنتظر الباحث الكفء . وخير ما كتب حول هذا الموضوع حتى الآن انما كتبه المستشرقون .

الرحلة الى اوروبا

والمظهر الثاني من مظاهر الانفتاح على الغــرب الاقبال على الرحلة الى اوروبا . واذا كان العرب قد اخذوا يجوبون بلاد الغرب ، في هذه الفترة ، افرادا ، فان الاوروبيين وفدوا على الشرق العربي جماعات بأعداد كبيرة ولغايات مختلفة : فهناك الجمعيات التبشيرية التي غمرت البلاد ، وهنــاك مندوبو الشركات الساعون وراء نشر منتجاتهم في المنطقة ، وهنــاك مندوبو الدول الذين يحيكون المؤامرات في الظلام ، ويرســمون الخطط للسيطرة على المنطقة العربية .

الرحلة الى الغرب قبل القرن الثامن عشر

ونحن لا ننكر ان عربا قد زاروا اوروبا قبـــل

القرن الثامن عشر ، ولكن عددهم كان محدودا ، وأثرهم لا يكاد يذكر . ولعل أول عربي من الشرق رحل الى أوروبا في القرون الحديثة كان الأمير فخر الدين المعني الذي استغرقت رحلته فيها الى خمس سنوات (١٦١٣ ــ ١٦١٨) . وهناك أيضا الياس يوحنا الموصلي الذي قضى خمسة عشر عاما متنقلا بين أوروبا والعالم الجديد (١٦٦٨ ــ ١٦٨٣) .

ولم يترك لنا الأمير فخر الدين المعني شيئا مكتوبا يدلنا على أثر هذه الرحلة في نفسه ، ولكن أعماله بعد عودته تدل على أنه قد عاد الى لبنان بأفكار جديدة ؛ فهو قد حاول عند عودته أن يحسن طرق الزراعة، ويطور هندسة البناء (١) . وأما الرحالة الثاني ، الياس يوحنا الموصلي ، فقد سجل انطباعاته في كتيب بعنوان « رحلة أول شرقي الى أمريكا » .

وكان هناك أيضا بعض الطلبة المسيحيين من الموارنة الذين بدأوا بالسفر الى روما منذ أواخر القرن السابع عشر لدراسة اللاهوت ، ليصبحوا من رجال الدين . ولا تدلنا الأخبار التي تروى عن هذه الفئة أنه كان لها أي اهتمام بغير الشؤون الدينية . وهؤلاء الطلبة الذين كانوا يؤمون روما طلبا لدراسة علوم الدين ، يختلفون اختلافا بينا عن الطلبة الذين بعث بهم محمد علي الى فرنسا ، ليعودوا الى بلادهم وهم يحملون علم الغرب وثقافته .

الرحلة الى الغرب في القرن التاسع عشر

والرحالة العرب الذين أخذوا يؤمون أوروبا في القرن التاسع عشر ، غير من كانوا يطلبون تلقي العلم ، كانوا صنوفا شتى : فهناك من كانوا يرحلون للعلاج ، أو لعقد الاتفاقيات التجارية ، أو للقيام بمهمات رسمية تكلفهم بها دولهم ، أو للإقامة كممثلين دبلوماسيين . وانضم الى هؤلاء ، في أواخر القرن التاسع عشر ، أولئك الذين فروا من ظلم السلطان العثماني ، عبد الحميد الثاني .

ولكن أهم من كل هؤلاء جميعا تلك الفئة من رجال الأدب والثقافة التي جابت أوروبا ، ثم سجلت لنا انطباعاتها في كتب ما زالت باقية بين أيدينا ، نستطيع منها أن نعرف أثر الحضارة الغربية فيها، ومقدار ما فهمت من هذه الحضارة، وما نالها منها .

ولقد كان لهؤلاء الرواد أثر كبير في الأدب العربي الحديث ، وهذا مثال يجسد لنا أثرهم في تطوير أدبنا : لقد زار مارون النقاش (١٨١٧ ــ ١٨٥٥) رائد المسرحية العربية ، وهو شاب ، ايطاليا ، وهناك شاهد لأول مرة في حياته المسرح ، فأعجبه اعجابا بالغا ، ، جعله ينقله الى بلاده عند عودته فكانت أول مسرحية قدمها هي أول مسرحية عربية تقدم على المسرح . وقد سجل مارون النقاش أثر هذه الرحلة وضمنها في مقدمته في كتابه « أرزة لبنان » .

١٨ رحالة تركوا ٢٠ كتابا عن الغرب

والرحالة الذين سجلوا لنا انطباعاتهم عن أوروبا، خلال القرن التاسع عشر ، عددهم ثمانية عشر تركوا لنا عشرين مؤلفا ، هذه هي حسب تواريخ نشرها .

١٨٣٤ تخليص الإبريز في تلخيص باريز، أو الديوان النفيس بإيوان باريس رفاعة رافع الطهطاوي

١٨٥٥ الساق على الساق في ما هو الفارياق
أحمد فارس الشدياق

١٨٥٦ النزهة الشهية في الرحلة السليمية
سليم بطرس

١٨٦٦ كشف المخبا عن فنون أوروبة
أحمد فارس الشدياق

(١) تفصيل ذلك في « تاريخ الأمير فخر الدين المعني الثاني » للمطران

١٨٦٧ رحلة الى اوروبة — فرنسيس مراش
١٨٦٧ عرض البضائع العام — سليمان الحرايري
١٨٦٧ اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك — خير الدين التونسي
١٨٧٤ الرحلة التحقيقية — لويس صابونجي
١٨٧٤ صفوة الاعتبار — محمد بيرم الخامس
١٨٨٦ الفتح الهنا للسياحة في اوروبة — نخلة صالح
١٨٨٨ رحلة الى اوروبة — محمد شريف سليم
١٨٩١ سفر السفر الى معرض الحضر — ديمتري خلاط
١٨٩١ رسائل البشرى في السياحة بألمانيا وسويسرة — حسن توفيق
١٨٩١ الاستطلاعات الباريسية — محمد [illegible] السنوسي
١٨٩١ الدرر البهية في الرحلة الاوروبية — محمد عمر الباجوري
١٨٩٢ ارشاد الالبا الى محاسن اوروبه — امين فكري
١٨٩٣ السفر الى المؤتمر — احمد زكي
١٨٩٣ رحلة مدير اللسان الى الاستانة واوروبه وامريكا — خليل سركيس
١٩٠٠ سياحة مصري في اوروبة — علي ابو الفتوح
١٩٠٠ الدنيا في باريس — احمد زكي

وليس بين ايدينا من كتب مطبوعة عن الرحلة الى الغرب غير هذه ، وان كان يبدو انه كانت هناك مخطوطات ولكنها لم تنشر ؛ فقد زار ابراهيم النجار اوروبا عام ١٨٦٩ ، واعلن عن نشر كتاب عن رحلته ، ولكن هذا الكتاب لم ير النور ابدا .

كثرة الرواد من المسلمين

واذا تأملنا في القائمة التي اوردناها وجدنا ستة رواد من الثمانية عشر قاموا برحلاتهم قبل عام ١٨٧٠ ، وان ثلاثة من هؤلاء الستة سوريون واثنين تونسيان ، وواحدا مصري . وثلاثة من هؤلاء الستة ايضا ، انما ذهبوا في مهمات رسمية.

اما الاثنا عشر الذين قاموا برحلاتهم بعد عام ١٨٧٠ ، فان سبعة منهم مصريون،وثلاثة سوريون، واثنين تونسيان . ولم يذهب من هذه الفئة في مهمات رسمية غير اثنين . كما ان كثرة الرواد كانت من المسلمين .

وهذه الاحصائية تعني امرين : اولهما ان الطابع الرسمي كان واضحا في رحلات النصف الاول من القرن الماضي ، وثانيهما ان صلة الشرق العربي بأوروبا كانت تتزايد باطراد ، حتى اذا حل هذا القرن ، اصبح من الشاق حصر من رحل الى الغرب وكتب عنه .

امران في الغرب اثارا اهتمامهم

والمتصفح لكتب هؤلاء الرحالة يلاحظ ان اكثر ما استرعى اهتمامهم في اوروبا : النظم السياسية والتعليمية ، وهذا واضح في كتابات الطهطاوي ، وفرنسيس مراش ، وخير الدين التونسي ، من الرعيل الاول . ومحمد بيرم من الرعيل الثاني .

ولعلنا نجانب الواقع اذا قلنا ان النظم السياسية والتعليمية في اوروبا هي ما استرعى اهتمام هؤلاء الرحالة ، لان الصحيح انهم لم يكونوا يهتمون بغير ما كان يجري في فرنسا . والرحالة الوحيد الذي اهتم بالبلاد الاوروبية الاخرى ، الى جانب فرنسا ، هو خير الدين التونسي .

في الغرب حكم القانون هو النافذ

وما اثار اعجابهم في نظام الحكم في اوروبا هو ان الحكم فيه للقانون لا للرجال ، وان الدستور هو سيد الجميع ، وهو الذي ينظم علاقة الدولة بالمواطنين ، والمواطنين بعضهم ببعض . وفوق هذا فان في اوروبا فصلا بين السلطة الرئيسية

والسلطة الدينية . وهذا قول للطهطاوى تتجلى فيه المعاني التي أوردناها .

« ولنكشف الغطاء عن تدبير الفرنساوية ، ونستوفي غالب أحكامهم ، ليكون تدبيرهم العجيب عبرة لمن اعتبر ، فنقول : قد سلف لنا أن باريس هي كرسي بلاد الفرنسيس .. ومن ذلك يتضح لنا أن ملك فرنسا ليس مطلق التصرف ، وأن السياسة الفرنساوية هي قانون مقيد بحيث أن الحاكم هو الملك بشرط أن يعمل بما هو مذكور في القوانين التي يرضى بها أهل الدواوين .. والكتاب المذكور الذي فيه هذا القانون يسمى (الشرطة) Le Charte ومعناها في اللغة اللاتينية ورقة ، ثم تسومح فيها فأطلقت على السجل المكتوب فيه الأحكام القيمة ، فلنذكره لك ، وإن كان غالب ما فيه ليس في كتاب الله تعالى ، ولا في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لتعرف كيف قد حكمت عقولهم بأن العدل والانصاف من أسباب تعمير البلاد وراحة العباد ، وكيف انقادت الحكام والرعايا لذلك ، حتى عمرت بلادهم وكثرت معارفهم ، وتراكم غناهم ، وارتاحت قلوبهم ، فلا تسمع فيهم من يشكو ظلما أبدا ، والعدل أساس العمران ... » (تخليص الابريز لتحقيق مهدى علام وبدوى ولوقا ، صفحة ١٣٨ – ١٤٠) .

كل تقدم في الغرب مرده الى التعليم

أما التعليم فقد أثار إعجابهم لدرجة أنهم عزوا إليه كل تقدم حققته أوروبا في الميادين السياسية ، والاجتماعية ، والاقتصادية ، فالتعليم هو أساس كل تقدم . ولهذا فلا عجب اذا رأيناهم يحثون « ديار الاسلام على البحث عن العلوم البرانية والفنون والصنائع فان كمال ذلك ببلاد الافرنج أمر ثابت شائع ، والحق أحق أن يتبع » (تخليص الابريز ص ٤٠) والأمر الثابت أن الانسان « بدون تثقيف العقل يعد من البهائم التي لا عقل لها ، ولا يمكن أن يتلقى متمدنا قط » (فرنسيس مراش) .

وأشادوا بالتعليم في أوروبا لأن أبوابه مفتوحة للفتاة والفتى على قدم المساواة ، وكانت نتيجة هذا أن برز بين النساء متفوقات في جميع ميادين المعرفة ، ولهذا كان هؤلاء الرحالة من المتحمسين لتعليم المرأة عند عودتهم ، لأنهم رأوا بأنفسهم الدور الذي تلعبه المرأة الأوروبية في الحياة الاجتماعية . وقد دعا رفاعة رافع الطهطاوى مثلا ، الى انشاء مدرسة للبنات ، وكان هو أول من كتب في العربية كتابا مدرسيا خاصا بالبنات والبنين سماه « المرشد الأمين للبنات والبنين » .

* * *

وأخيرا هناك حقائق هامة نستطيع أن نخرج بها بعد مطالعة كتب هؤلاء الرُّوّاد :

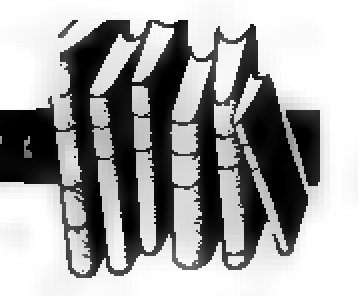
وأولى هذه الحقائق أنهم لم يشعروا بأي مركب نقص تجاه هذه الحضارة المتفوقة ، لأن تفوق الغرب لم يكن بسبب ميزات خاصة موجودة في أهله ، بل نتيجة للجد والرغبة في التقدم . ولهذا فان العرب قادرون على اللحاق بالغرب اذا صمموا على ذلك ، وسلكوا اليه الطريق الصحيح .

وثانية هذه الحقائق أنهم آمنوا بنفع هذه الحضارة الغربية للعرب ، وحثوا بني جنسهم على الأخذ بها . ولكنهم نبهوهم أيضا الى أن هناك مساوىء في الغرب يجب عليهم أن يتركوها . وهذه المساوىء ــ في رأيهم ــ ستكون هي المعول الذي يقوض هذه الحضارة ، وهنا يعيد التاريخ نفسه فيرقى العرب ، ويصبحون قادة العالم من جديد ، كما كانوا في الماضي .

* * *

هذا جانب موجز من جوانب متعددة تروى قصة التقاء الشرق بالغرب في القرن التاسع عشر ، وهذا الايجاز لا يرسم الا خطوطا عريضة لموضوع هام جليل . ■■

محمود السمرة



مع الكتب التي وصلتنا

روائع التراجيديا في أدب الغرب

جمع وتقديم كلينث بروكس ، ترجمة الدكتور محمود السمرة ، مؤسسة فرنكلين ودار الكاتب العربي ، بيروت

● « هذه سبع محاضرات ألقاها أساتذة متخصصون في الأدب في حفل عام في جامعة ييل . وهذه المحاضرات تتناول موضوعا واحدا هو موضوع التراجيديا : فيناقش كل محاضر فيها كما يبدو في عمل من أعمال الكتاب التراجيديين المشهورين .. ولا شك أن المحاضرة الأخيرة في هذه المجموعة تضيف الى مفهوم التراجيديا مفهوما جديدا ، يزيد في غناها ، ويوسع حدودها » .

الربا والفائدة

علاء الدين خروفة ، بغداد

● دراسة للربا والفائدة في الشرائع الاسلامية واليهودية والمسيحية وعند الفلاسفة والاقتصاديين.

مدار الزمن

لورين ايزلي ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن ياغي ، مؤسسة فرنكلين والمكتبة الأهلية ، بيروت

● كتاب يمد القارىء بالمزيد من التفهم الصحيح لصور العلم وتاريخ تطوره ، ويهتم بالناحيتين الفلسفية والانسانية اللتين ينطوي عليهما العلم .

فن التقطيع الشعري والقافية — الجزء الأول

الدكتور صفاء خلوصي ، دار الكشاف ، بيروت

● فصول في العروض العربي ، يحاول فيها المؤلف تطبيق الاساليب الافرنجية المتبعة في العروض الافرنجي على العروض العربي .

نظريات حديثة في التعلم

الدكتور ناجح مائل ، عمان

● بحوث أربعة في التعلم تقدم للمشتغل بعلم النفس فكرة عن نظريات أربعة من أئمة علماء النفس الأمريكيين المحدثين .

الأطفال المتأخرون عقليا

الدكتور عبد الستار محيسن جيد

مطبعة المعارف ، بغداد

● من فصول الكتاب : أسباب التخلف العقلي ، تشخيص التخلف العقلي ، الأعراض العامة ، النقائص العقلية الولادية ، النقائص العقلية المكتسبة ...

أسس الإشراف الإداري

ميخائيل خميس ، عمان

● من فصول الكتاب : المشرف ومسؤولياته ، عناصر التنظيم ، التخطيط ، أسس القيادة ، عوامل تحسين العمل ...

العمل مع المجتمع

تحرير جمعية تعليم الكبار الأمريكية ، ترجمة هدى محمد بدران ، مؤسسة فرنكلين ودار القلم ، القاهرة

● كتاب يهم كل من يرغب في أن يعرف شيئا عن العمل في ميدان التنمية الاجتماعية ، سواء من الناحية النظرية أو من الناحية العملية .

شرح قانون الأحوال الشخصية : جزءان

علاء الدين خروفة ، بغداد

● فيه : مقارنة القانون العراقي مع قوانين البلاد العربية ، بيان الأحكام المماثلة في الشرائع الاسلامية واليهودية والمسيحية ، وفي القانون الروماني والقانون الفرنسي .



صلوا لأجلها ..!

● أنا طالبة بالمدارس الثانوية في السادسة عشرة من عمري ، بين ثلاثة أشقاء أتراب ، يقضون من احدى الشهور أسبوعاً في منزل « الاستراحة » يقضون فيها سهرات حمراء ، مع من يقع لهم من بائعات الجسد ، على مرأى مني ومسمع .

وكان أن تعرفت بمدرس لبناني ، ووجدت فيه فتى أحلامي ، فأحببته ، واعتدت أن أوصله بسيارتي إلى مدرسته كل صباح ، وذات يوم ذهبت الى السائق لشراء بعض الأدوات المدرسية من احدى المكتبات ، يحلو لنا أن نحرق في السيارة بضع دقائق ، ثم طلبت إليه أن يصلني ، فتردد خشية أن يراه الناس ولكني لم أمهله ليفكر بل طوقته بذراعي واحتضنته طويلا ! ولم أفق إلا على صوت أشقائي وهم يهجمون على رأسه على هذا الحال فرشوته بعشرة دنانير كي لا يشي بنا ، لكنه أبى بعد ذلك أن يستجيب لتوسلاتي بركوب السيارة ، فلما حاولت إرغامه هجم علي ... فصفعته ، فاسرعت في مصعه ، ثم أفضى لأخوتي بكل شيء ، فثارت ثورتهم ، وانهال علي أحدهم فصفعني ، بينما تعرض الناس في وجهي ! أما الثالث فاكتفى بوابل من الشتائم ... ومنذ ذلك اليوم لا أستطيع أن أذهب الى المدرسة أو أعود منها إلا ومعي واحد منهم كأنه سجان !

نسيت أن أقول لكم إني وفتاي متفاهمين على الزواج ، لكن أخوتي يرفضونه لأنه وإن يكن عربياً ، ليس من جنسيتي أو بني وطني ! .

والسؤال الآن هو : بأي حق يرفضون علي أن أختار شبابي ، وأحرق نفسي كمداً وحرماناً حتى أموت ، بينما هم غارقون في ملذاتهم الى الأذقان ؟!

أتكون مجرمة إذا أردت أن أقضي حق الجسد والروح ، في ظل الزواج المشروع ؟ وإلا فلن أكون مأمونة بعد سني وعمري ، من الخنا والفجور ، حلالاً لا غبار فيه ،

ويكون بعض المشروعية في الزواج بمن تحب ، حرمته لا تستقر الاسى عاداه وهم رجال ؟

ثم ألا تكون محظورة اذا ما احتجت نفسها في سهرة حمراء ، من سهر تهم ، حتى تضعهم أمام الأمر الواقع ليرضوا عن زواجي منه وتزوجهم في الزواج ؟!

لؤلؤة : الكويت

ترددت كثيرا في نشر هذه الرسالة ، ثم آثرت في النهاية أن أحذف بعض ما تضمنته من عبارات بعضها فاضح ، ما كنت أظن أن يصدر عن فتاة مسلمة .

ومشكلة صاحبة الرسالة ليست بالشيء الجديد .. انها احدى رواسب ما يخضع له مجتمعنا العربي الحاضر من عوائد وتقاليد ..

الرجل يباح له أن يفعل ما يشتهي .. عزبا أو متزوجا .. يسكر .. ويقامر ، ويخطئ له كل يوم خطيئة .. فلا يثور شرف ولا تغضب عصبة .. فاذا ما فكرت المرأة في ممارسة حقها الطبيعي والشرعي ، في اختيار زوجها – لا خليلها – أو اقدمت على أن تحب حبا شريفا هادفا بقصد الزواج ، قامت الدنيا ولم تقعد ، وثارت ثورة الشرف والفضيلة ، وسدها المجتمع ، وراحت التقاليد تظهر الحقود وتشق الجيوب !!

لماذا كل هذا ؟ أوليست المرأة كالرجل ، من لحم ودم ؟ اليست مثله تتحكم فيهما غريزة الجنس كما تتحكم فيه سواء بسواء ؟

الرجل يمارس الزنا علنا ، وبصورة رسمية ، في أماكن « مرخصة » في أكثر البلاد ، وتحت حماية القانون .. فلا تهتز في جسم المجتمع شعرة .. فاذا ارادت امرأة أن تلبي نداء الجسد والقلب ، في ظل الرحمن لا في ظل الشيطان ، وقف المجتمع في وجهيهما وصاح : كلا .. ان التقاليد لا تسمح بهذا الزواج !!!

ثم خبروني بربكم – والكلام هنا موجه لاخوة صاحبة المشكلة الاشاوس – أين هي الفتاة التي تستطيع أن تكبح جماح انوثتها الناضجة ، وشبابها الفوار ، وهي ترى اخوتها كل ليلة في سهرات حمراء ، بين الخمر والنساء .. وأي نساء !!

صدقوني ، انها لو كانت قديسة ، لانقلبت الى فاجرة ، ولكانت معذورة اذا ما اسلمت نفسها كل يوم الى خليل !!

ليت الأخ الذي صفعها كان صفع بدلا منها نفسه – وليت الذي بصق في وجهها طلب اليها أن تبصق هي في وجهه !

ورحم الله الشاعر الذي يقول :

اذا كان رب البيت بالدف ضاربا   فشيمة اهل البيت كلهم الرقص

ها هو ذا جرس الخطر يدق .. واحدكم على حافة الهاوية .. فاستيقظوا أيها النيام .. وليستيقظ معكم كل أب وكل أخ وكل زوج يجعل من بيته ماخورا ، ثم يطلب من نسائه أن يكن قديسات !

وليستيقظ اولئك الآباء والاشقاء الذين يرفضون أن يزوجوا بناتهم واخواتهم الا على هواهم ، وهوى التقاليد ، انهم بذلك يدفعونهن دفعا الى التمرد عليهم والثورة على تلك التقاليد .. وليتذكروا قول الرسول الاعظم . « كلكم لآدم ، وآدم من تراب » .

اما انت يا فتاتي فنصيحتي اليك الا تهوري ، اذ ان سلوكك مع شاب ، باعترافك ، سلوك ينبو عن الذوق والفضيلة والخلق القويم .. والا فكيف تجرئين فتاة مثلك على أن تقبل شخصا اجنبيا عنها ، او تطلب منه ان يقبلها ، على قارعة الطريق !

صدقيني .. ذلك فجور ما بعده فجور !

مجلس الامن يحافظ على السلام لكنه لا يفرض عقوبات

● كيف ينظم مجلس الامن التابع للجمعية العامة للامم المتحدة اعماله ؟ وما هي العقوبات التي يوقعها المجلس على دولة من الدول اذا اعتدت على دولة اخرى ؟ وهل هذه العقوبات توضع بالفعل ام انها مجرد حبر على ورق ؟

على عبد الرحيم قاسم
مدير مدرسة لبان ــ السعودية
جواد صباح البارة ــ عمان

ــ يتألف مجلس الامن من ١١ عضوا من الامم المتحدة ، منها خمسة اعضاء دائمين هي : الولايات المتحدة الامريكية ، الاتحاد السوفييتي ، المملكة المتحدة ، فرنسا ، جمهورية الصين الوطنية . اما الاعضاء الستة الباقون فغير دائمين تنتخبهم الجمعية العمومية لمدة سنتين ، ويراعى في انتخابهم التوزيع الجغرافي .

ولكل عضو من اعضاء مجلس الامن صوت واحد ، وتصدر قرارات المجلس في المسائل الاجرائية بموافقة سبعة من اعضائه ، اما المسائل الاخرى فتصدر قراراته فيها بموافقة سبعة اعضاء كذلك بشرط ان تكون منها الدول الخمس التي تتمتع بالعضوية الدائمة ، وان تكون اصوات هذه الدول الخمس متفقة ، فاذا اعترضت احداها على القرار الذي يتخذه المجلس اصبح لغيا في اي موضوع .

واعتراض احدى الدول الخمس المذكورة يسمى « الفيتو » ، او النقض .

وينظم مجلس الامن على نحو يستطيع معه العمل باستمرار ، ولهذا يمثل كل عضو من اعضائه تمثيلا دائما في مقر الهيئة .

ولكل عضو من اعضاء الامم المتحدة ان يشترك في مناقشة اية مسألة تعرض على مجلس الامن اذا رأى المجلس ان مصالح هذا العضو تتأثر بتلك المناقشة ، ولكن لا يحق لهذا العضو الاشتراك في التصويت الا اذا كان عضوا في مجلس الامن اثناء المناقشة .

ولكل عضو في الامم المتحدة تنبيه مجلس الامن او الجمعية العامة الى اي نزاع او موقف دولي يهدد السلام .

ويفضل مجلس الامن دائما بذل المساعي السلمية لحسم المنازعات قبل عرضها عليه .

ويحق للمجلس حق بحث اي نزاع طارىء قد يؤدي الى احتكاك دولي او قد يثير نزاعا . وله ان يوصي بما يراه ملائما من الاجراءات وطرق التسوية .

وله ان يشكل قوة مسلحة دولية لحفظ السلام والامن الدولي في منطقة النزاع .

ولمجلس الامن ان يفرض العقوبة التي يراها اذا اتخذ قرار بذلك ولم ينقض .

بين الاثم •

● ما من مرة انحرفت فيها نحو الاثم الا احسست بالندم لارتكابه ، وكان مما يزيد في المي دائما ، شعوري بأنني كنت استطيع ان اصمد واقاوم ..

وما من مرة حرمت نفسي متعة من المتع خشية الوقوع في معصية ، الا احسست ــ كذلك ــ بالندم لذلك الحرمان !

والسؤال الذي يحيرني وأريد ان اعرف رأيكم فيه هو : اي الحالين خير ؟ أن يشبع الانسان رغبات نفسه ، ولو بارتكاب الاثم او المعصية ، ثم يندم بعد ذلك على ما فعل ؟ او ان يحرم نفسه من رغباتها ثم يعود فيتحسر على ما تجرع من مرارة الحرمان ؟

خالد سعيد ــ بيروت

ــ احب ان اؤكد لك انه لولا ان كل ما في الدنيا من ملذات او متع ، ليست الا اشياء زائلة ، لا يحس لها الانسان طعما بمجرد انتهائها .. بل لقد تبين بالتجربة ان الالم والحزن اطول عمرا من المسرات والمتع .. لانهما يرسبان في قرارة النفس بينما تمضي المسرات والمتع مرور البرق الخاطف ،

مؤلفات المنفلوطي

● في اي سنة ولد الاديب الكبير مصطفى لطفي المنفلوطي ؟ واين ؟ وفي اي سنة توفي ؟ وما هي اشهر مؤلفاته ؟

سعيد عباد ــ اربد

ــ ولد السيد مصطفى لطفي المنفلوطي في بلدة منفلوط من بلاد الوجه القبلي بمصر عام ١٨٧٦ ميلادية .

وتوفي عام ١٩٢٤ يوم اعتدى على الزعيم المصري

• والحرمان

او – على أحسن الفروض – مرور النسيم !

في الحديث الشريف « .. ومن هم بمعصية ولم يفعلها كتبت له حسنة » .. فكفك عن ارتكاب معصية بعينها ، محض ارادتك واختيارك عمل صالح تثاب عليه ..

اما ان تندم او تتحسر على لذة حرمت نفسك من لذة محرمة ، فلا اعرف رأى رجال الدين فيه . ولكنى اعتقد ان الاثم الذى يعقبه ندم ، خير من الحرمان الذى يعقبه حسرة .. فالندم في الحالة الاولى توبة .. بينما الحسرة في الحالة الثانية ، قد لا تقل – في رأيي – عن نفس الذنب الذى كف الانسان عن ارتكابه ثم ندم عليه !

والذى يذنب ، دون تصميم سابق للاثم ، انما يتوب بهذا الندم الى ربه الذى وعد بأن يقبل التوبة عن عباده ، والذى حكى عنه الصادق الامين ، بانه يفرح بها ، في حين ان من يحرم نفسه من لذة لم يندم او يتحسر على ضياعها من يده ، يأثم دون ان يدرى ..

والله اعلم .

سعد زغلول ، ولقد رثاه شوقي بقصيدة استهلها بقوله

اخترت يوم الهـول يوم وداع
ونعاك في عصف الرياح الناعي

ترك عدة آثار ادبية ، بعضها من تأليفه ، وبعضها من تعريبه . نذكر منها : النظرات . العبرات . في سبيل التاج . ماجدولين . غادة الكاميليا . بول وفرجيني .

وله ديوان شعر مطبوع بالقاهرة .

يجوز .. ولا يجوز !

● لابنة عمي ابنة ، فقمت لخطبتها حين ان زوجة أبي كانت قد أرضعت أم الفتاة ، وبما أن زوجة أبي ليست امي ، فقد رأى بعض الفقهاء أن ارضاعها لام الفتاة لا يحرم زواجها منى ، بينما يقول آخرون ان هذا الارتضاع يجعل من أم الفتاة اخته لأبي من الرضاع ، وبذا لا تحل ابنتها لي فما هو الرأى الصواب في هذه المشكلة ؟

« سائل »

– يجب اولا التأكد من عدد الرضعات ، وكمية اللبن الذى رضعته ام الفتاة ، وهل ينطبق عليهما قول الرسول (صلعم) « الرضاع ما أنبت اللحم وأنشر العظم » ، ويقدره بعض الفقهاء بخمس رضعات ، وبعضهم بعشر ، وغيرهم بخمس عشرة رضعة ، بينما يقدر غير هؤلاء واولئك باكثر من هذا العدد فيحصل به معنى الامومة التى قصدتها الآية الكريمة «وامهاتكم اللاتى ارضعنكم».

وقد اختلف الصحابة والفقهاء من بعدهم في ثبوت الحرمة مثل حالتكما . فقال بعضهم بالتحريم لأنه اذا كان اللبن هو سبب التحريم فان لبن المرأة سببه ماء الرجل والمرأة معا ، فكان الرضاع منهما جميعا ، وبذا يصبح والدك ابا لام الفتاة من الرضاع ، فلا تحل لك ابنتها .

وهذا رأى فيه من التزمت اكثر مما يجب ولذا يميل اكثر الفقهاء الى الاخذ برأى رافع بن خديج الذى يقول ان الحرمة هنا لا تثبت . وهذا هو ما قال به سعيد بن المسيب وعطاء بن يسار وبسر الرئيسى ، والامام مالك ..

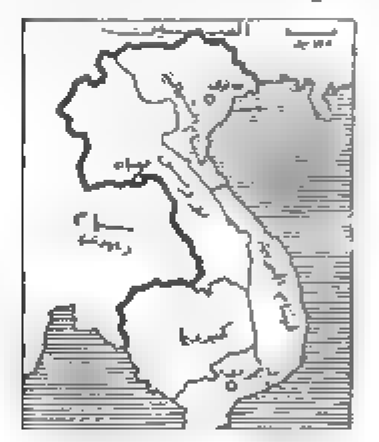
والله اعلم .

مملكة لاوس

● بين الاسماء التى كثر ترديدها في الاونة الاخيرة سواء في الصحف او في الاذاعات ، مملكة لاوس . فاين تقع هذه المملكة ، ومن هو ملكها ، وكم مساحتها ، وكم عدد سكانها ؟

عبد السميع المصري

– تقع مملكة لاوس في جنوب شرقي اسيا .



تحدها من الشمال الصين ، ومن الشرق فيتنام ومن الجنوب كمبوديا ، ومن الغرب تايلاند (سيام).

كانت محمية فرنسية ، ضمن مجموعة الهند الصينية منذ ١٨٩٣ ، ثم وضع لها دستور في ١١ مايو سنة ١٩٤٧ واصبحت دولة مستقلة تابعة للاتحاد الفرنسي في ١٩ يوليو ١٩٤٩ ثم انضمت الى الامم المتحدة في ديسمبر عام ١٩٥٧ .

هي الآن ميدان للصراع بين المعسكرين الشرقي والغربي . ملكها « سوفريت براشاوتيانا فانج فونج » ، ومساحتها حوالي ٩٠ الف ميل مربع ، وعدد سكانها نحو ثلاثة ملايين .

ردود سريعة :

● عدنان كيلاني : بغداد ـ العراق

ـ بين ثلاثة خطابات وصلتني دفاعا عن موقف « الشيخ » كان خطابك الوحيد الذي خلا مما يعاقب عليه الله والقانون من الفحش والقذف والسباب .. لكن نباح الكلاب لا يضر السحاب ! نحن لا نشجع السفور بكشف الأذرع والسيقان

● يحيى علي : عمارة ـ العراق .

● فرحان سلمان الرويلي : عيلم سعود ـ السعودية .

● الجندي مصطفى سليمان ـ الكتيبة الهاشمية ـ الاردن .

ـ في القاهرة عدة أطباء ذوي شهرة عالمية في ترميم الغرابة وغير ذلك من امراض العيون .

● خلف نعيم الجنابي : الكوفة ـ العراق .

ـ لم تنشأ جامعة الكويت بعد ، وقد يمر بعض الوقت قبل افتتاحها .

● سمير : حمص

ـ كن رجلا ، ولا تدع هذه الوساوس تسيطر عليك فالطفل ولدك ، وأمه بريئة .

● حسني طرديني : مصر الجديدة

ـ الحديث الذي تسأل عنه حديث ضعيف ! ومصطنع بمكر .

هذا هو حكم الله

● الدكتور عبد الرحمن الراوي : بغداد

ـ قال الله تعالى في كتابه العزيز

« والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون » .

وقال عز من قائل :

« ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ، ولهم عذاب عظيم . يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » .

وهذا هو حكم الله أحكم الحاكمين ..

في الشوارع والطرقات ، ولا نقر تعرية الصدور والظهور والنحور في المراقص والحفلات ، فذلك شيء مناف لتقاليدنا العربية وتعاليم ديننا الحنيف « قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن أو آبائهن » الآية .

اما القول بأن كشف الوجه واليدين عورة ، فمراد لا يتفق واحكام الدين ، ولا يقول به الا الرجعيون والمتزمتون ..

● ع.ن.ع : الدوحة ـ قطر

يمين الطلاق ليس نذرا . فاما ان تكف عنه ، واما ان تسرح زوجتك ، لانها بعد الطلقة الثالثة تصبح محرمة عليك .

● سالم محمد توفيق : الموصل

ـ ان كانت فتوى « خرولة » في رأيكم اكثر تمشيا مع الدين من فتاوى محمد عبده وشلتوت واضرابهما من أئمة المسلمين ، فقد عزلت !

رفقا بالمصلين .. يا خطباء المساجد

● تشهد مصر في هذه الأيام استعدادا يرتفع في حدته تلك الوجبات التي تتناحب بين الحين والحين . وتعلمون أن كثيرا من المساجد بالوطن العربي ، حتى المساجد الكبرى ، تضيق بالوافدين إليها لأداء فريضة الجمعة فيضطر عشرات المصلين ، وأحيانا مئاتهم ، إلى أن يأخذوا أماكنهم في باحات المساجد المكشوفة ، أو حيث يجلسون خارج المساجد ، تحت أشعة الشمس المحرقة . ومع ذلك نجد معظم الخطباء والأئمة لا يحسبون حساب هؤلاء المصلين وما يتعرضون له ويكابدونه من لفح الهجير في وقت الزوال ، فتراهم يطيلون خطبة الجمعة إطالة غير معقولة ، مما يحمل الكثيرين على التململ والتذمر ، ويحسرونه قد يبطل صلاتهم في بعض الأحيان .

فما حكم الشرع في هذه المشكلة التي يعاني منها الكثيرون ولا يجدون لها حلا معقولا ؟

احسان عبد البارى - القاهرة

- إني لأعجب أشد العجب لماذا نريد أن نقحم الشرع في كل صغيرة وكبيرة من شؤوننا ، مع أن هناك شيئا اسمه « الذوق » و « الحس الاجتماعي » ومصالح المسلمين ؟

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يكن يزيد في كثير من خطبه الشريفة يوم الجمعة على مائة كلمة أو نحو ذلك .

وروى البخاري وأحمد وأصحاب السنن (رضي) أن رسول الله (ص) قال : « من فقه الخطيب قصر الخطبة وطول الصلاة » .

وعنه أيضا أنه قال : « من صلى بالناس فليخفف ، فإن فيهم الكبير والسقيم والضعيف » .

فالدين كما ترى يسر .. وكل ما يدعو من مشقة أو عسر فهو بدعة ، ولو كره المتفيهقون !

التائهة في أرض الله .. لم تعد تائهة !

● مرة أخرى أعود فأكتب إليكم . لكن لا لأشكو ، بل لأشكر .. فبفضل الكلمة الطيبة التي كتبتموها عني ، والتي هزت مشاعر ذوي القلوب الرحيمة ، والنفوس الكريمة ، لم أعد تلك الفتاة التي فقدت ثقتها بنفسها وبالناس وبالمجتمع ، من جراء محاولة ذوي النفوس الدنيئة استغلال حاجة فتاة مستضعفة مثلي إلى العمل ، لقضاء لباناتهم المحرمة ، بل أنا اليوم فتاة سعيدة تعيش في أمان واطمئنان ، بعد أن كشفت كلمتكم الطيبة عن أن العالم ما زال يزخر بذوي المروءات والنخوة العربية ، فما لبثت إثر نشرها أن حصلت على وظيفة طيبة ، فضلا عن ما أحاطني به الكثيرون من أهل الفضل من رعاية كريمة مشكورة . فشكرا لكم ولهم ، ثم شكرا !

بغداد — هـ . ح .

● الملازم أول زغلول محمود : أربيل

- نحن لا نحلل حراما ولا نحرم حلالا ، بل نفهم الإسلام على حقيقته : دينا قيما ، واضح المعالم ، يتسم بالسماحة والتسامح واليسر ، لا كما يريد بعض المرتزقة أن يصوروه ، لتكون لهم سلطة الكهان في قديم الزمان !

● محمد أحمد الفضلي : كلية الآداب - بغداد

- « وَلَد » يطلق على الذكر والأنثى والمثنى والجمع ، وهو مذكر . ويجوز فيه الوُلْد والوِلْد والوَلَد . ويجمع على أولاد ووِلْدة وإِلْدة ووُلْد .

● رفيق عبد الجبار

- ليس في تناول الزوجة الحبلى حبوب منع الحمل أي ضرر ، ما دامت تأخذها بإشراف طبيب أو طبيبة



توحيد برامج التعليم في الوطن العربي

● في مقال « الاصلاح الاجتماعي » للدكتور محمد فتحي الشنيطي أستاذ الفلسفة المساعد بجامعة القاهرة بالعدد السادس والستين من « العربي » ، لفت نظري أن الكاتب مس بعض المشاكل في كثير من الدول العربية كلبنان مثلا ، فالمعاهد والكليات والمدارس اللبنانية تدرس مواد الجبر والهندسة والفيزياء وعلم الحياة (الأحياء) باللغتين الانجليزية والفرنسية دون العربية ..

وهذا ما يجب أن يلفت الأنظار اليه في وطننا الكبير وخاصة لبنان . ألا توجد كتب في الجمهورية العربية المتحدة أو غيرها من الدول العربية المتقدمة في مضمار الثقافة لتدريس نفس هذه المواد باللغة العربية ، لغتنا ولغة آبائنا وأجدادنا ؟

كذلك يلاحظ أن توحيد المناهج الدراسية لم يتم في لبنان مع أنه مطبق في أقطار عربية عديدة ، ولعل أفضل حل لهذه المشكلة هي أن تجري الحكومة مسابقات للمؤلفات المدرسية المختلفة المراحل . وتعطي مؤلفيها جوائز قيمة تتناسب مع جهودهم ، ومن ثم تقرر الحكومة اعتماد هذه الكتب في المدارس الرسمية والخاصة لكونها صفوة ما ألف .

أحمد فقيه ـ بيروت لبنان

العدد الأول : بدينار !

● قرأت اعلانا في احدى صحفنا المحلية عن وجود العدد الأول من مجلة « العربي » في احدى المكتبات ، ولما كان قد فاتني اقتناء ذلك العدد قصدت المكتبة المعلنة ، ولدى سؤالي عن ثمنه طلبوا دينارا واحدا (فقط لا غير !) . ولعل اقتناع صاحب المكتبة بأهمية هذه السلسلة وميزاتها ، جعله يغالي برفع الثمن . ولم يكن بمقدوري دفع الدينار ، ولذلك ظلت سلسلتي ينقصها العدد الأول .

ولست الوحيدة التي ينقص مجموعتها العدد الأول ، فإن الكثيرين غيري يعانون مما أعاني فاسمحوا لي أن أبدي اقتراحا بهذا الخصوص .

ماذا على « العربي » لو أعادت طبع عشرين ألف نسخة من العدد الأول ، وقامت بتوزيعها على البلدان العربية بنفس نسبة التوزيع المعهودة لديكم ، مع زيادة في السعر لا تتعدى نصف ثمنه . وذلك لقاء المتاعب الاضافية تتحملها طباعة العدد الأول ، فتكونون قد أسديتم بهذا خدمة جليلة ، ولاتم قراءنا في سلسلة لا غنى القارىء عربي عن اقتنائها والمحافظة عليها والعودة اليها كلما عنّ له ذلك ؟

واقبلوا شكري واحترامي .

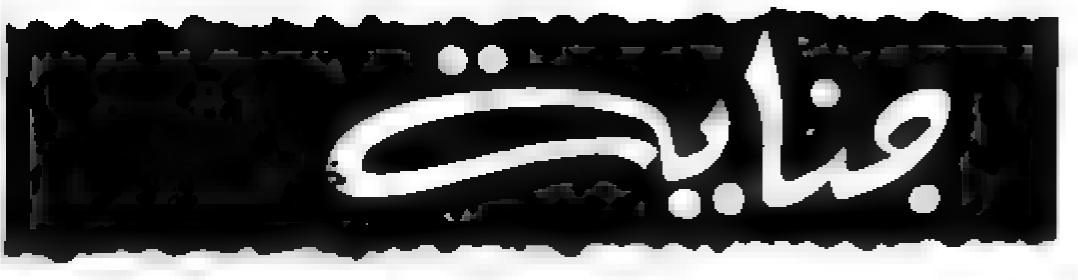
سميرة فكاري ـ عمان

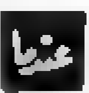
قسيمة المسابقة
(كوبون) ٧
ترفق مع الرد

الاسم ....

العنوان ....


LOMBARD BANKING





قالت بيبيتا أنها تريد أن تتزوج الدومو ريموندل ، اصيب والداها السيد لويس ، ووالدتها السيدة كاتالينا ، بأن الأمر يتصل بفكرة طائشة من افكارها الكثيرة العارضة .

فلطالما في مناسبات سابقة أخرى او اربع .. قالت نفس القول ، ثم عدلت عن قولها دون أن تتكلف أي عناء .

إلا أن المسألة في هذه المرة كانت على عكس ما قدره الأبوان ، فقد برهنت الفتاة على أنها ثابتة على قرارها ، على نحو جعل الأبوين المترددين يفكران في الأمر مليًا ، ثم يخلصان الى محاولة أخيرة : وهي أن يستدعيا السيد ماريانو ليستنجدا به باعتباره طبيبا وصديقا حميما للأسرة ، ثم بوصفه أبا روحيا للعائلة الملتزمة . وقد طلبا اليه أن يختلي بالفتاة وأن يقول لها كل ما ينبغي قوله دون مواربة او حذر ، فيعرض عليها الحقيقة عارية ، إذ لم تعد هناك وسيلة أخرى سوى اقناعها ..

لم تكن بيبيتا سوية الخلقة . كانت مصممة الأنف مشوهة . ورجلاها الضعيفتان لم تكونا في اتصالهما بالجذع متناسقتين ، كما كانت بقية أعضائها غير مؤتلفة . وبصورة خاصة كان الحمل قتلها يهدد حياتها، لأن أجزاء جسمها الداخلية لم تكن تساعدها على أن تكون أما كاملة الشكل .

وكان سبق للسيد « ماريانو » أن قال مئة مرة بأنها لن تستطيع أن تضع أول طفل حتى لو قدر لها أن تبقى حية الى ساعة الوضع . ومن أجل ذلك بذل أبواها كل جهودهما في سبيل تنشئتها وتهذيبها وإغناء رغباتها والسهر على كل ما من شأنه أن يدخل على نفسها المتعة والسرور ، ليجنباها الوقوع في غرام أو التفكير في زواج .

ومع أنها كانت خطبت من قبل ثلاث مرات ، فقد فسخت الخطبة كل مرة . ولكن المسألة الآن كانت تتسم بسمة الجد ، فالخطيب عليم بأن الفتاة تنتظرها ثروة أبويها الطائلة ، كما كانت هي تتمتع بحريتها ، موقنة في الوقت نفسه بأنها معروفة وعصبية فالاقبال على مثلها قليل .

رأى السيد « ماريانو » أنه بتخويفها يستطيع أن يثنيها عن عزمها ، مستشعرا في الوقت نفسه مسئوليته كأب روحي وصديق للأسرة ثم كطبيب ، ومن ثم قال لها في صراحة تامة :

— اسمعي يا ابنتي ... سنك قد قارب العشرين ، فأنت تستطيعين ... أن تتحدثي في صراحة ! وأنا أرى أنه لا مندوحة لي ... أن أعرض عليك هذه المعاني ... تعلمين أن أعضاءك مركبة تركيبا خاصا ... وغريبا ، ولعلك تعانين من جراء ذلك كما عانى والداك كذلك ... لذلك ينبغي أن تكوني على حلم كبير ... أن أبويك لم يقصرا في تحقيق كل رغباتك ، فأنت لا تستطيعين أن تعيشي مع غيرهما عيشة حسنى ؟ ... أقول لك يا ابنتي انه يجب عليك أن لا تتزوجي ؟

— لماذا ؟

— لأنك لن تستطيعي أن تتحملي تبعات الزواج ... من حمل ووضع .

— معنى هذا انني سأخاطر بحياتي .. أليس كذلك ؟

— أنا لا أؤكد ذلك كثيرا ... ولكنه يمكن أن يحدث ؟؟

وبعد مرور عام تقريبا صاحبت بيبيتا ذات يوم ، مصحوبة في السيد ماريانو ، وأبدت له غيرها ، وأعلنت له أنها لن تتقبل نصائحه ، وأنها مصرة على الزواج ... ولم يكد يمضي وقت قصير حتى نبأه



. كان ينظر اليها وقد ارتدت ثياب [illegible] والتفتت الى تصفيف شعرها ووضع المساحيق على وجهها فبدت على جانب كبير من الاناقة .

السيد لوبي وقال له [illegible] اي تعاسة شعر بها !! أين اجل هكذا وبيبا [illegible] !! انه لا يحزننا حقا اصرارها على الزواج .. فمن المؤكد اننا سنفقدها .. وانت تعلم أكثر من غيرك كيف تكون أمها المسكينة ...

قال السيد ماريانو [illegible] هذا [illegible] أخشى ما [illegible] هذا الأمر اي تحطيم

السيدة [illegible] وقع [illegible] فالسيد وبدأ ، [illegible] الخطيب [illegible] [illegible] الارادة [illegible] السيدة ودورا ، [illegible] فوق [illegible] [illegible] تؤخذ بحذر

كبير وهي تدير مصنعا للورق .. وهي في الوقت نفسه ما تزال على جانب من الجمال !

فقال السيد لويس مدهشا : تقول انها ليست فوق مستوى الشبهات ؟

– نعم .. وتستطيع أن تعمل أي شيء تعتقد انه يجلب اليها المال .. واعتقد أنها تؤمل من وراء هذا الزواج أن تحصل على مقدار من المال تستطيع به أن تسيِّر مصنعها الذي يعوزه المال في الوقت الحاضر .. ومع كل هذا من يستطيع أحد أن يجبرك على أن تدفع اليها شيئا من المال ..

لم تجد المحاولات شيئا في اقناع بيتيا بالعدول عن الزواج ... فبعد مضي شهرين تم كل شيء واصبحت زوجا للسيد ريمالي ، وقد تابع الزوجان حياتهما في كنف السيد لويس وزوجه المريضة ، السيدة كاتالينا التي كانت تشتد عليها علتها يوما بعد يوم .

وكانت السيدة اورورا كثيرا ما تزور ابنتها وزوجته ، وكثيرا ما تطيل الجلوس الى السيدة كاتالينا ، وقد استطاعت أن تستولي على هذه السيدة بما أوتيت من لباقة ومهارة في ادارة الحديث ، وهي طوال هذه الفترة تظهر بغير حقيقتها ، وتخفي الهدف الذي تسعى جاهدة لتحقيقه .. على أن السيد لويس لم يكن يخفى عليه ما تظهر هذه المرأة ، لا سيما بعد أن أفضى اليه السيد مارياتو بجملة من امرها ، وتظهره على حقيقتها ...

وذات يوم طلبت السيدة اورورا من السيد لويس ، بعبارات تفيض انوثة ، أن يقرضها مبلغا كبيرا من المال تستطيع به أن تنعش مصنع الورق الذي تديره ... ولكنه رفض قائلا لها : أن شئوني المالية تتطور من سيء الى أسوأ ، وانه لما يؤسفني الا استطيع أن أقدم اليك هذه الخدمة ، فلدي قليل من المال ، وقد كان في نيتي أن أقدم مبلغا من المال الى ابنتي كهدية بعد زواجها ، ولكنني حتى الآن لم استطع أن افصل شيئا ... واحمد الله على انني استطيع أن ادفع لها شهريا تلك المساعدة التي اعطيها لها منذ زواجها .

ولكن السيدة اورورا ، وهي المرأة الذكية التي تعرف كيف تتعامل مع الناس فتصل الى ما ترجوه قالت له .

انك لم تقدم الى ابنتك هدية من المال لأنه لم يؤرقك أن تعمل ذلك ، وليس لأنك لا تجد المال الذي تهديه ! فأنا أعلم أن السيدة كاتالينا مريضة منذ وقت طويل ... وأن ما تنفقه على السيدة التي تسكن في شارع مينديثابال كان يكفي هدية لابنتك لو أردت ...

دهش السيد لويس كثيرا لسماعه هذه العبارات وظل فترة لا ينبس ببنت شفة ... ولكن السيدة اورورا لم تكذب فالأمر كان حقيقة ... !!

كانت السيدة كاتالينا مريضة منذ ستة أعوام ... وهو لم يكن يكرهها أو يضيق بمرضها ، الا أنه قد كان اتصل على نحو ما بأرملة جميلة ، والزم نفسه أن يقدم اليها الكثير من الهدايا القيمة ... ومع أنها كانت تعلم انه رجل واسع الثراء وكريم ومع أنها كذلك كانت تسر بما يقدمه لها من هدايا ، الا أنها ، والحق يقال ، لم تطلب اليه أن يقدم اليها شيئا ...

استأنفت السيدة اورورا حديثها قائلة : وبالرغم مما تنفقه على تلك الأرملة الجميلة فلديك منزلان كبيران يسمحان لك بأن تقدم هدايا الى ثلاث بنات وليس الى بنت واحدة ..!! فاحمر وجه السيد لويس خجلا ، الا أنه لم يرد أن يتظاهر امام هذه المرأة بمظهر الضعف ، كما أنه لم يحاول في الوقت نفسه أن يكذبها فيما قالت ... فنهض وهو يتظاهر بالهدوء ثم قال لها وهو يهم بالانصراف : ليس لديك أيتها السيدة ما يبرر الحديث فيما لا يعنيك . ثم تركها وانصرف وهو خائف من أن تتحدث المرأة في هذا الشأن مع ابنته .. أو تذكره أمام زوجته السيدة كاتالينا فتكون النتيجة أدهى وأمر . ومن ثم فقد رأى من الضروري أن يتلافى ما عساه أن يقع .. ولكن كيف ؟ لم يجد امامه سوى أحد طريقين :

احدهما ، أن يعمل على أن تسكت السيدة اورورا ، ومعنى هذا أن يشتري سكوتها .

والثاني ، أن يمنعها من دخول المنزل .

اما الطريق الأول فسيكلفه كثيرا . ثم لكن بم يبرر الطريق الثاني ، ماذا سيقول لزوجته وابنته ؟

واخيرا ، وبعد أن فكر طويلا واسترجع هدوءه واطمئنانه ، بدا له أن السيدة اورورا لن تجترئ على أن تفعل شيئا ، وستظل الأمور كما هي .

وعلى كل فقد مرت الأيام .. وذات يوم سرى في المنزل نبأ هو أن بيتيا حامل ... واذ كان الجميع متأكدين من أن هذا يعني قرب نهايتها فقد عملوا على اخفاء ذلك النبأ عن الأم ، ولكن

بعد مضي بضعة أشهر أصبح من المستحيل الإخفاء، فقد دخلت بيبيا ذات صباح الى حجرة أمها ، ولم تكد هذه تراها حتى عرفت كل شيء .

ان المضي في مثل هذه الحالة له فلسفته ..!!

على ان الفتاة كانت تحس بالزهو لعلمها بأن جميع الناس يرون انها قد غامرت بحياتها . وكانت ساعة الوضع تقترب يوما بعد يوم ، وهي ترقب هذه الساعة في هدوء يشبه الفزع ...

واخيرا حانت ساعة وضعها ، وكذبت تنبؤات الطبيب السيد ماريانو ، وكذبت معه قضايا العلم ، فبالرغم من كل ما كان يتوقع ، وضعت بيبيا طفلا تام الخلقة، وضعته بسهولة تامة...

وغمر السرور المنزل كله ، ما عدا السيدة كاتاليا ، فقد كانت حالتها اذ ذاك تتطور من سيء الى أسوأ ، لا سيما في الأيام التي تلت الوضع حين تضاعفت عليها علتها. اما فيما يتصل ببيبيا فقد كانت حالتها المعنوية بوجه عام احسن منها في ايام الحمل ، لدرجة ان السيدة اوروبا قد وجهت الى السيد ماريانو ذات مساء السؤال التالي : « ألست تعتقد بأن بيبيا في حالة لا يمكن معها أن تحمل او تضع ؟ » وقد اجابها السيد ماريانو قائلا : « ... ومع كل فيجب ان تعتني منكم بعناية كبيرة ، ان لا تتعرض لصدمات نفسية، ويجب ان تظل فترة ليست بالقصيرة تحت الاشراف الطبي، لان اقل حزن قد يودي بحياتها».

ومضت الأيام ، وحل اليوم الذي ينبغي ان يعمد فيه الطفل ، فاخذت الدار زخرفها وازينت . وكانت السيدة اوروبا تتحرك في المنزل من مكان الى آخر في مظهر مرح ، والابتسامة لا تفارق شفتيها ، حتى لقد ظن كثير من المدعوات انها هي سيدة المنزل . وكان السيد لويس يرقبها وهي تغدو وتروح وتصدر اوامرها الى من في المنزل كسيدة سعيدة جدا بالورقة التي لعبتها . وبينما كانت تتنقل من حجرة الى اخرى وجدت نفسها وجها لوجه امام السيد لويس ، فامسكت بيده وجذبته برفق نحو بعض الحجرات وهي تقول له : تفضل بالجلوس هنا هنيهة ... وهيا شاركنا مسرتنا ايها السيد فقد صرنا جدين ..!!

جلس السيد لويس وجعل يتفحصها بنظرات تعبر عن كثير من الدهشة وعدم الثقة ! وكانت هي قد ارتدت ثياب زينتها وافتنت في تصفيف شعرها ووضع المساحيق في وجهها فبدت على جانب كبير من الاناقة ، واستطاعت باختيارها الجلوس في ذلك المكان ذي الضوء الخافت أن تظهر في عين السيد لويس جميلة .. ومع ذلك فلم يستطع الرجل ان يتذوق من ذلك الجمال شيئا فقد كانت نفسه مشغولة بأمرين . أحدهما : ذلك الحنان الذي كان يستشعره اذ ذاك نحو زوجته كاتاليا . والآخر انه لم يحس بأي نوع من انواع الميل نحو هذه الأرملة الجميلة . ولكن على الرغم من ذلك كله فقد احس الى حد ما انه قد وقع تحت سيطرتها فلاذ بالصمت ، ولكنها قطعت عليه صمته وهي تقول .

ـ نعم ايها السيد لقد صرنا جدين ... وذلك الذي نحرص بامتداده هذه الليلة انما هو من أجل ابوين يا سيد لويس

قال لها : انني رجل مسن .. ! أما انت فتظهرين كما لو كنت فتاة .

فقالت : « مسن ! ... انظر في هذه الحجرات، وسترى شيئا في منتهى الضعف .. !! أما انت لتحتاج الى امرأة تدللك فيخرجك » .

قال لها : انك دائما مرحة ...!!

وكان صوتا خفيا قد نبأه بأنه على وشك ان يقترف خطيئة ، فتحرك في مقعده يريد أن ينهض، فوضعت يدها على ركبته وحالت بينه وبين النهوض ، ثم قالت له : لا تعط الأمور أكثر مما تحتمل ، وهيا بنا نتحدث في جد الى الموضوع المستغرب ! وانا بصفتي هذه الاسرة ، أن اطلب اليك أن تقرضني مبلغا من المال أنتفع به مستقبلا ، ولديك المال الكثير ، ثم ترفض ؟ واذا كنت قد رفضت لي هذا الطلب ، فما الأسباب التي تجعلك تهرب مني ؟ ثم هل تعتقد انني اذا خرجت من هنا ، وبحثت عمن يقرضني مالا ، فسوف لا أجد الشخص الذي يعطيني ما أطلب وهو يرضى طربا !

ثم اقتربت منه بقدر ما استطاعت ان تفعل وصوبت نحوه نظرات استعطاف ورقة تاركة في عينيه انطباعات فيها ضعف الأنوثة وتسلطها في نفس الوقت ، على نحو ترك السيد لويس ذاهلا يفكر فيما اذا كان طلبها المال انما هو حيلة تخفي من ورائها فكرة اخرى ! وقد أدرك بحكم الغريزة ان المال القليل يمكن ان يقترفه مع هذه المرأة ، التي ليس بينه وبينها غير الثقة سيكون خطرا كبيرا عليه .

وظلت السيدة اوروبا تنظر اليه وكأنها أميرة

من اولئك الامرات اللاتي يرد ذكرهن في القصص، اللاتي يستطعن بنظراتهن أن يستولين على عقول الامراء والنبلاء فيصيروا رهن اشاراتهن . الا أن السيد لويس كان يخشى أن يقع في الشبكة التي نصبتها له . وفي الوقت نفسه تواردت على ذهنه صور من النسك والفضيلة فكانت حائلا بينه وبين ما يمكن أن يتردى فيه ، فبعث له في النهاية صورة هذه المرأة وهي تحاول أن تستغل فيه نقطة ضعف معينة تكون في يدها وسيلة تدرك بها كل ما تبتغي .

ولما وجدت السيدة اوروبا أن محاولاتها لم تؤد بينا الى ما تريد ، قررت في النهاية أن تفرغ كل ما في جعبتها علها تدرك بهذه البقية ما لم تدركه من قبل . فامسكت بإحدى يديه ووضعتها بين يديها ، وبالت بوجهها نحوه حتى صافحت انفاسها صفحاته ، ثم التصقت به كي تنقل اليه حرارة جسمها من خلال الثوب الحريري الذي ترتديه .. وقالت له بصوت خافت .

ها انا ذي قد التقيت امامك بكل اوراقي .. وانك امرؤ ضعيف جدا ... اما انا .. فأي شيء يمكن أن تتصوره !

وما كان السيد لويس يسمع هذه الكلمات حتى سرت في بدنه رعشة من قدميه الى رأسه ؟ ... بينما السيدة اوروبا ، التي كانت مشوقة الى أن تربح الجولة ، رأت نفسها قد افرطت في محاولاتها الآثمة دون طائل ، ولذلك طالب في صوت مزيج من الرغبة واليأس :

ـ ان ما يمسني اكثر من كل شيء آخر هو القرض الذي طلبته منك لامتي به حصتي ... أي هذه الامر الاخر ، تقليل الاهمية مدى ولكن بحق الله لا تمد الى سلتك بتلك المرأة

ـ أية امرأة ؟

ـ الارملة ... التي تسكن في شارع مينديشيلي .. لو كنت تعلم الكراهية التي احملها لهذه المرأة !!!

قالت هذا بعبارات تمثيلية كاذبة ، وبصوت متقطع باك ، مما جعل السيد لويس ، وقد استرجع هدوءه ، يضحك من اعماقه على نحو يجمع بين السخرية والتأثر ، ثم ينهض من مقعده ويخرج من الحجرة بهدوء دون أن يلتفت اليها أو يقول لها كلمة ما .. ! وطأطأت السيدة رأسها واحتدم الغيظ في نفسها وظلت جالسة تحاول أن تصلح شعرها بأناملها .. وهي تتمتم بعبارات لا تكاد تجاوز شفتيها قائلة : « يجب عليك أن تبكي لا أن تضحك .!! » ...

ظلت هكذا بعض الوقت ، ثم خرجت من الحجرة وجعلت تنتقل من مكان الى آخر تعزج مع هذه وتروي طرفه لتلك متظاهرة بأنها قد صارت جد ميالة للمزاح .. ثم ما لبثت أن اختفت عن الاعين .

ومضت ساعتان ، ففكر السيد لويس أن يغادر المنزل الى الخارج ، ولكنه قبل أن يخرج عرّج على حجرة زوجته السيدة كاتالينا ، وما كاد يدخل حتى رأى زوجته مستلقية على فراشها معتمدة على ذراع السيدة اوروبا التي كانت اذ ذاك تؤدي دور الوصيفة بالنسبة للسيدة المريضة !

وما كانت السيدة كاتالينا ترى زوجها حتى صعدت بنظرات ملتهبة معبرة ، ففهم كل شيء ، ثم نظر الى السيدة اوروبا نظرات الضيف المحتقر وقال لزوجته : هل حقي وقت طويل على هذه السيدة وهي معك هنا ؟ ... فلم تجب الزوجة .. وانسلت السيدة اوروبا خارجة وقد تملكها الخوف .. ولكنها تحس بسرور داخلي .. وما كانت تغادر الحجرة حتى قالت السيدة كاتالينا لزوجها : انت على حق ! انها امرأة خبيثة .. لقد ترادت تبكي دون علم منها . ثم ما لبثت أن تساقطت من عينيها خيوط من الدمع في صمت ودون أن تقول شيئا أو تعبر عن شكوى .

في صباح اليوم التالي سيطرت على السيدة كاتالينا حالة عصبية بعد أن كانت حرارتها قد ارتفعت الى درجة عالية وظلت تهذي .. ولم يكد يمضي يومان حتى كان رأسها قد انحنى فوق صدرها على ألا يرتفع بعد ذلك ابدا .

انتهت ايام الحداد وجلس ريمال يتحدث الى السيد لويس في شأن ميراث بيبتيا من تركة امها ، وكانت السيدة اوروبا تدرس بعناية الوثائق والمستندات ، وما كانت تفرغ من قراءة آخر وثيقة حتى قالت لنفسها في هدوء :

لم تعد هناك علائق تربطنا بهذه الاسرة ..!! انني لا اريد أن تربطني بهذا الرجل رابطة .. ذلك الذي يجري وراء عشيقاته .. ويهرب مني !!!

ترجمة الدكتور محمد الأمين محمد



تضحك الدنيا معك   ابك تبك وحدك

اصرار !

● التفت الزوج الى زوجته وهو يقود سيارتهما ، وقد سائقه تلك سيارة مرت بجوارهما ، بطريقة تخالف قواعد المرور .. وهتف في سخرية « ان امراة تقودها .. لست ادري لماذا يسمحون للنساء بقيادة السيارات ؟ »

ولم تمر .. تمهلت السيارة الاولى ، حتى لحقت سيارة الزوجين او لحقت بها . والتفتت الزوجة باحثة ، ثم هتفت في ... « ان السائق رجل وليس امراة !! »

وكان جواب الزوج « .. » يظهر ان زوجته هي التي علمته القيادة !! .

دروس مجانية

● الناس الذين يشكون ان الامريكيين ينفقون الكثير على المشروبات الروحية ، من الظلم الا يعرفون بالضبط مدى ما يستطيع المرء ان يتعلمه في احدى حفلات الكوكتيل منهم !!!

منتهى الشرود

● كان المعروف من احد العلماء انه يكره الاجتماعات والحفلات ، فهو يكاد يحبس نفسه في معمله متفرغا لبحوثه وتجاربه ..

ولكنه خرج ذات ليلة عن عادته ولبى دعوة الى مأدبة عشاء ..

وجريا على ما ألفه في حياته ، جلس شارد الذهن ، مستغرقا في التفكير في بحوثه ، غير منتبه الى ما حوله .. ولكن سيدة الى كانت تجلس الى جواره ، ابت ان تدعه في عزلته هذه ، وراحت تحاول استدراجه الى الحديث بكل حيلة ، حتى اذا اخفقت جهودها ، تركته قائلة

« ما كنت اتوقع منك هذه المعاملة ، انت الذي حاولت أن تخطبني منذ ثلاث سنوات ! » .

وانتبه العالم الى حديثها ، وهو لا يزال شارد الذهن ، وسألها على سبيل المجاملة : « اصحيح هذا ؟ .. وماذا كان ردك ؟ » .

كذب المنجمون ولو ..

قالت العرافة لاحدى الفتيات وهي تتأمل كفها لتقرأ طالعها : « ارى في الطريق اليك زوجا طويلا ، جميلا ، انيقا ، في الثلاثين من عمره .. » .

فقاطعتها الفتاة : « وهل هو غني ؟»

قالت العرافة في مغالاة : « غني ؟ .. انه واسع الثراء » .

فهتفت بها الفتاة . قائلة : « اخبريني بالله .. كيف اتخلص من زوجي الحالي ؟! » .

أحسن طريقة

• تشاجرت ست جارات ، وتطورت المعركة حتى انتهت الى مركز الشرطه . فلما اراد الضابط سؤالهن ، اندفعن معا وهن يتكلمن فى وقت واحد، كل تحاول ان تشرح الامر من ناحيتها بصوت يطغى على اصوات الاخريات . .



وفجأة ، قال الضابط : « لا ، لن استمع اليكن هكذا . . ستتكلم اكبركن سنا أولا » .

وتراجعت النساء المندفعة واحدة، ولذن بالصمت !

سؤال منطقى

• سأل القاضى الزوجين : « اذن فأنتما تصران على الطلاق لانكما غير متفقين فى الميول والآراء ؟ » .

فأجاب الزوجان فى آن واحد : « اجل يا سيدى القاضى » .

واذ ذاك قال القاضى : « اذن ، كيف تتفقان على الجواب الآن ؟ » .

أيهما المائل

• اخذ السائح يحدث زوجته ـ عقب عودته الى وطنه ـ عن جمال المناطق التى زارها فى ايطاليا ، ثم بدأ يعرض عليها الصور التى التقطها لبعض المعالم . . . وكانت بينها صورة لبرج « بيزا » المائل .

وتأملت الزوجة البرج المائل فى عجب ثم التفتت الى زوجها قائلة : « لا بد انك كنت ثملا حين التقطت هذه الصورة » !


"ايدوكس
دياماتيك"
ابتكرت خصيصاً لك!
EDOX
SWISS
PRECISION
"ايدوكس"
صناعة سويسرية
Edox
DiaMatic
26
وكلاء البيع والصيانة
في البلاد التالية :
شركة « ايرا » ليمتد الساعات
بيين ــ سويسرا
ERA WATCH CO LTD
BIENNE SWITZERLAND



بنك انترا ش.م.ل

راس المال ستون مليون ليرة لبنانية مدفوعة بكاملها

المركز الرئيسي - بيروت - لبنان

(عضو في جمعية مصارف لبنان)

مكتب التمثيل الاوروبي - ٢ ميدان الرون - جنيف

قرارات الجمعية العمومية

عقدت الجمعية العمومية لبنك انترا اجتماعها السنوي يوم الاثنين ٢٥ ايار ٦٣ برئاسة السيد يوسف بيدس رئيس مجلس الادارة . وبعد تلاوة تقرير مجلس الادارة ومفوضي المراقبة والاطلاع على الميزانية العمومية وحساب الارباح والخسائر لعام ١٩٦٢ قررت بالاجماع .

١ — التصديق على الميزانية وحساب الارباح والخسائر عن السنة المنتهية في ٣١ كانون الاول ١٩٦٢ وابراء ذمة رئيس واعضاء مجلس الادارة

٢ — توزيع الارباح على المساهمين عن السنة المالية المنتهية بتاريخ ٣١ كانون الاول ١٩٦٢ بنسبة عشرة بالمئة من قيمة الاسهم الاسمية خالصة من ضريبة الدخل .

وبعد ان شكرت الجمعية العمومية رئيس واعضاء مجلس الادارة السابق باشرت انتخاب مجلس الادارة الجديد ففاز بالاجماع كل من :

— السيد يوسف خليل بيدس
— الشيخ سليمان الحمد السليمان
— السيدة شفيقة الحلو نجيب
— الشركة شركة اسعد البرط واولاده
— السيد كامل ابو زيد
— السيد بولس ايوب فرح
— السيد كمال ادهم
— السيد ابراهيم عرب
— السيد فرسان سبيرو خوري
— السيد محمد عبد الرحمن
— الشيخ نجيب علم الدين
— السيد نجيب صالحه

وقد اجتمع المجلس الجديد وانتخب بالاجماع السيد يوسف خليل بيدس رئيسا له .

اول بنك ..

١ — اول بنك في البلاد العربية يفتح فرعا في اميركا الشمالية بمدينة نيويورك .

٢ — اول بنك في البلاد العربية يفتح فرعا في المانيا الغربية بمدينة فرانكفورت — ماين .

٣ — اول بنك في البلاد العربية يفتح فرعا في سيراليون بمدينة فريتاون وبو .

٤ — اول بنك في البلاد العربية يطلب جهازا الكترونيا للحسابات .

٥ — امتد نشاط مجموعة انترا الى اميركا الجنوبية بانشاء بنك تشيل في البرازيل .

٦ — تم افتتاح فرع خامس في الاردن بمدينة نابلس

٧ — تم افتتاح الفرع الحادي عشر في لبنان بمدينة صيدا .

٨ — البناية الجديدة لبنك انترا في جنيف .

٩ — مجموعة البنايات المشتراة في الشانزليزيه — في باريس لاعادة بنائها .

١٠ — اول بنك بدأ تنفيذ مشروع شراء الارض وبناء المنازل للموظفين في لبنان وافسح المجال لعموم موظفيه بالاسهام .

١١ — رقم قياسي للارباح يزيد على ٦ ملايين ليرة لبنانية والقدر القابل للتوزيع يقابل ١٠ بالمئة من راس المال خالص من الضريبة .

١٢ — بلغ مجموع موجودات بنك انترا والبنوك الشقيقة والمتفرعة الف مليون ليرة لبنانية بينما بلغ رأسمالها المتنوع مع الاحتياطي مئة وثلاثين مليون ليرة لبنانية .

بنك انترا ش.م.ل

المركز الرئيسي : بيروت - لبنان

الموجودات		الكشف في ٣١/١٢/١٩٦٣ ليرات لبنانية	الموازنة في ٣١/١٢/١٩٦٢ ليرات لبنانية
نقد في الصندوق ولدى البنوك تحت الطلب	١٠٤ ٦٨٣ ٣٥٢		
حسابات اخرى في البنوك	١٧٣ ٣٧٠ ٠٩٨	٢٧٨ ٠٥٣ ٤٥٠	٢٣٠ ٥٢٢ ٠١٣
سندات حكومية (بسعر الكلفة)		١٢ ٧٦١ ٨٢٧	٢٢ ٢٣٣ ٨٨٤
أسهم وسندات (بسعر الكلفة)		٢٨ ٤٧٣ ٢٩٤	
استثمارات (بسعر الكلفة)		٢٦ ٤٧٣ ١٣٣	١٣ ٢٠٨ ١٠٦
أوراق مخصومة		٢٩ ٩٣٣ ٠٦٦	٣٩ ٥٦٧ ٧٢٠
حسابات مدينة		٢٥٣ ٦٠١ ٧٨٠	٢٤٠ ٤٦٩ ٧٢٤
أسهم في شركات متفرعة وشقيقة (بسعر الكلفة)		٢١ ٧٢٢ ٧٢٥	٢٣ ٠٠٢ ٢٢٩
بناية البنك وعقارات اخرى		٢٣ ٥٩٦ ٥٢٩	٢٣ ٩٨٤ ٩٦٢
أثاث (بعد الاستهلاك)		٢ ١٦٠ ١٩٠	١ ٨٢٣ ٦٩٥
رأس مال الفروع السورية وأسهم في شركات تابعة (مؤممة)		٤ ٣٨٣ ٠٤٩	—
حسابات اخرى		٥ ٣٤٦ ٧٨٢	٩ ٦١٥ ٢٨٥
تعهدات العملاء مقابل كفالات واعتمادات (راجع مقابل)		٦٥ ٨٧٨ ٥٩٨	٧٥ ٣١٦ ٦٠١
مجموع الموجودات		**٧٥١ ٣٨٤ ٤٣٣**	**٦٧٨ ٧٤١ ٣١٧**

يوسف سلمان بيدس
رئيس مجلس الادارة

كامل أبو زيد
عضو مجلس الادارة

بيروت في ٩ نيسان ١٩٦٤

ملاحظة : عدلت حسابات سنة ١٩٦٢ لتتمشى مع متطلبات قانون النقد والتسليف الصادر بموجب مرسوم جمهوري رقم ١٣٥١٣ بتاريخ ١ آب ١٩٦٣

الميزانيـــة العـــمومية
كما في ٣١ كانون الاول ١٩٦٣

رأس المال والمطلوبات		كما في ٣١/١٢/١٩٦٣ ليرات لبنانية	الميزانية في ٣١/١٢/١٩٦٢ ليرات لبنانية
رأس المال المصرح به والمدفوع بكامله ٦٠٠ ٠٠٠ سهم بقيمة ١٠٠ ل.ل. للسهم الواحد		٦٠ ٠٠٠ ٠٠٠	٥٥ ٠٣٢ ١٧٥
احتياطي رأس المال		٦ ٧٥٠ ٠٠٠	٦ ٧٥٠ ٠٠٠
الاحتياطي القانوني		١ ٧٧٣ ٤٦٣	١ ٧٧٣ ٤٦٣
المجموع		٦٨ ٥٢٣ ٤٦٣	٦٣ ٥٥٥ ٦٣٨
احتياطات واستدراكات اخرى		٥ ٧٢٩ ٢٧٠	٥ ١٨٥ ٦٤٨
الودائع			
ودائع لأجل	١٧٦ ١٢٢ ٦٣٩		٢٥٩ ٥٤٤ ١٩٠
ودائع توفير	٧٦ ٨٥٤ ٢١٢		٤٧ ٢٠٣ ٠٤٨
ودائع تحت الطلب	١٤٩ ٨٢٢ ١٩٥		٢٢٠ ٤٩٩ ٧٤٨
حسابات البنوك	١٩٩ ٥٦١ ٩٥٤	٦٠٢ ٣٦٢ ٠٠٠	
حسابات اخرى		٨ ٨٨١ ٠٩٢	٧ ٤٣٦ ٤٤٤
كفالات واعتمادات تجارية للعملاء (مقابلها)		٦٥ ٨٧٨ ٥٩٨	٧٥ ٣١٦ ٦٠١
مجموع المطلوبات		**٧٥١ ٣٨٤ ٤٢٣**	**٦٧٨ ٧٤١ ٣١٧**

نشهد بأننا فحصنا ميزانية بنك انترا ش. م. ل. (أي المركز والفروع) كما في ٣١ كانون الاول ١٩٦٣ وبيان الارباح والخسائر للسنة المنتهية بذلك التاريخ وفقاً للقواعد المراقبة المتعارف عليها وقد شمل فحصنا اجراء الامتحان اللازم للقيود والسجلات الحسابية كما شمل اجراءات المراقبة الاخرى التي وجدناها مناسبة. وبرأينا ان الميزانية المرفقة تظهر الموقف المالي للبنك كما في ٣١ كانون الاول ١٩٦٣ وان بيان الارباح والخسائر يظهر نتيجة اعمال البنك للسنة المنتهية بذلك التاريخ وباعتقادنا ان البيانات المذكورة مثبتة على اساس مماثل للاصول المتبعة في السنة السابقة ووفقاً للاصول الحسابية المتعارف عليها

مفوضو المراقبة	سابا وشركاهم	اندراوس الياس طباع
	مراقبو البنك	خبير محاسبة لدى المحاكم



مستودع شيد في عام ١٢٥٠ - وفابونا في عام ٦٤
وأخيراً يمكن القضاء على الحشرات بسهولة

فابونا

شل للكيماويات

ماركة مسجلة لشركة شل

ڤنزويلا تملك الزيت
وتبنى بالدخل منه مدارس وصناعات

بحساب الفرد الواحد يملك أهل ڤنزويلا، وهم ٨ ملايين، من المال يفوق أكثر مما يملكه أي شعب آخر من جيرانهم في أمريكا الجنوبية. وهم مستطيعون بذلك دون أن يكونوا قانعين به.

١ – أنهم يستولون على احتياجاتهم الضرورية مما يقدم إلى هذا البلد من حوالي ٧ دولارات للفرد في السنة، وشرابها التي تصنع بخدمات الناس من شتى بلاد العالم.

٢ – فالفرص المتاحة في ڤنزويلا اجتذبت إليها العدد الكبير من المهاجرين من أسبانيا وإيطاليا، وغيرها من شعوب الغرب من أوربا لتنمية ثروة البلاد، استعرضت من أوربا ومن غيرها، ولا عجب أن أغلب المهاجرين من أوربا للأعمال.

زرع بذار الزيت

٣ – وفي ڤنزويلا الثالثة في إنتاج الزيت في العالم، ربما تقف خلف البلاد المصدرة له، إذ ينتج من آبارها في سهولها وفي بحيرة ماراكايبو كل ٢٤ ساعة ما يقارب مليون برميل.

٤ – والواقع أن الزيت الڤنزويلي بلغ من الرواج ما يعتمد عليه الاقتصاد الوطني في البلاد. وفي سبيل إصلاح هذا الاعتماد في الزراعة أخذ الڤنزويليون يصرفون على زرع بذار مستقلة من الزيت في الصناعات الأخرى.

التنويع

٥ – وهم يستثمرون المال في سد احتياجاتهم من صناعات الصلب والكهرباء والتعليم البحرية.

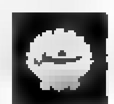
٦ – وهم يستثمرونه في التعليم، فبناء المدارس الجديدة قائم على قدم وساق، وعدد الطلاب في المدارس أصبح الآن يتجاوز ٩٠٠ ألف من جميع سكانها من الشباب.

أمة فتية مقدامة مقبلة على الحياة

٧ – ويرى أمور الڤنزويليين أنفسهم، أن هذه البلاد الغنية قد اعتمدت على جميع مناطقها بمقدرات هائلة مشكلة الفرص من الموارد التي تحدث البطالة والإمكانات.

٨ – غير أن الڤنزويليين يعرفون أنهم المتكافئون ماضون على حلها، وهم لا يعملوا إلا بحماس للزيادة من الأنشطة العصرية على ذلك في مجال الثقافة الصحية، أنهم تمكنوا من مكافحة الأمراض والمساهمة عليها في فترة من الزمن جد وجيزة.

شل والزيت العالمي



إن ڤنزويلا تحصل على الاستفادة من دخلها من الزيت لكي تصبح أمة صناعية بالعمل، وهي لكي تتحصن بمواردها الدخل على موارد التي تحتاج إلى أسواق يمكن الاعتماد عليها

وإيجاد أسواق واسعة للزيت يجب من أن يكون عملية عالمية، إذ ليس هناك من منطقة أخرى تستطيع أن تستهلك هذه المقادير الهائلة من الزيت التي تنتجها البلاد، وتحول إلى هذه الكمية من المنتجات ويحافظ على نوعها. هذا أمر يحتاج إلى منظمة ممتدة التركيب، عالمية النطاق – كمنظمة شل التي أنشأتها شل على مر السنين.

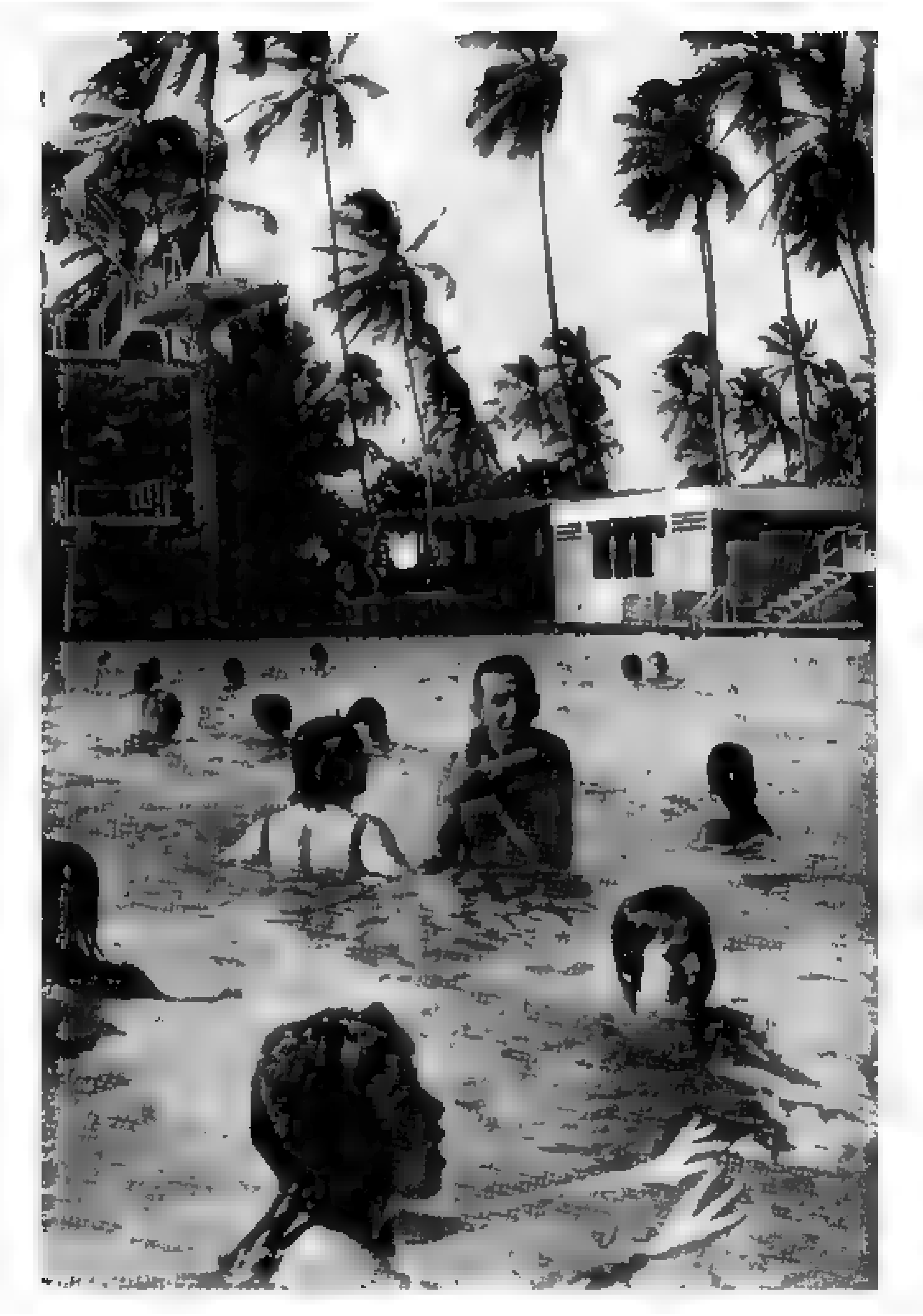
حقائق وأرقام

وإنتاج الزيت في ڤنزويلا يعني بالنسبة إلى شل تشغيل ما يزيد على ١١ حقلا من حقول الزيت، [illegible] وما يزيد على ١٣ كيلو مترا من خطوط الأنابيب في المسالك البرية الرئيسية، ويعني كذلك إقامة شركات السويل في أكثر من ... بلد، كما يعني مصانع الأبحاث العلمية تتحسن فيها أعمال الزيت. ويعني أيضا تشجيع ٦ من المشتغلين بالبحوث العلمية على إيجاد منتجات مفيدة جديدة للأنواع الجديدة من الزيوت والمذيبات والكيماويات الصناعية والأسمدة ومبيدات الحشرات.

اعتمد دائما على شل

إن في استطاعتك أن تعتمد على شل التي تشتغل في جميع مراحل صناعة الزيت، من البحث عن الزيت وإنتاجه وتكريره ونقله وتحويله إلى منتجات ووصول هذه المنتجات إلى السوق. وهي تعمل ذلك كله بانتظام لا تتغير عليه الساعة، وهي إذ تعمل ذلك ترجع في المقام الأول من مهمتها، ما تستطيعه بلا استثناء أسواقك

وشل تقوم بوظيفة مفيدة هي أنها تقوم بالدور المطلوب من الشركات التي تتطلب إلى الزيت الذي يطلب فيه، وهي تخدم الأقطار المستهلكة بإمدادها بمصادر للطاقة يمكن الاعتماد عليها، وهي تخدم الأقطار المنتجة بإيجادها أسواقا يمكنها الاعتماد عليها، ولذلك فرسالات شل عامة بعد عام!





جوائز ١٢٠٠

السعر

الكويت
الخليج العربي
السعودية
لبنان







عزيزي القارىء

● هل خطر ببالك يوما وانت تطالع صور الاستطلاعات الملونة التي ينشرها « العربي » ، ان من هذه الصور ما كان موضع الاعجاب والتقدير ، ليس من قراء « العربي » فحسب ، بل ومن الخبراء العالميين في فن التصوير ؟!

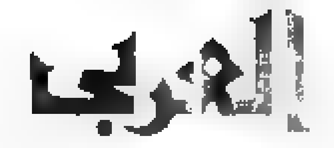
خذ مثلا الصورتين المنشورتين هنا الملونتي الاصل من تصوير اوسكار متري مصوّر العربي .. لقد نشرت احداهما في استطلاع بيت لحم بالعدد ٢٦ ، والأخرى في استطلاع صيدا بالعدد ٨) وقد كانتا بين عشرات الآلاف من الصور ، التي اشترك بها اكثر من ١٥٠٠٠ مصور عالمي في مسابقة دولية نظمتها شركة « كوداك » تحت عنوان « العالم واهله » .

ومن بين هذه الآلاف من الصور التي اشتركت لم تفز سوى ٢٠٠ صورة فقط بميداليات فضية ، ، كان نصيب « اوسكار » منها ميداليتين فضيتين عن هاتين الصورتين الملونتين ، اللتين تعرضان حاليا في معرض نيويورك الدولي .

وبعد انتهاء معرض نيويورك سيقام معرض متنقل تعرض فيه جميع الصور الفائزة لعرضها في جميع بلدان العالم .. ومن بينها هاتان الصورتان .

ومن هنا ترى ان عناية « العربي » بالاستطلاعات المصوره ، والملونة بنوع خاص ، لا تقل عن عنايته بكل ما ينشر من المقالات والابواب ، لانه يؤمن ان الصورة قد اصبحت عنصرا من اهم العناصر التي تعتمد عليها الصحافة الحديثة، وكم من صورة تركت في نفس القارىء من الاثر ما لا يتركه مقال في بضع صفحات ...

« المحرر »



رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

العربي مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت
ALARABY — No 70 September 1964 — P.O.B. 748 — KUWAIT

الموزع بالكويت : سعدون [illegible] ص. ب ٧٤٨ ـ تلفون ٢٦٤١١ ـ تلغرافيا «العربي»
الإعـــلانات : يتفق عليها مع الإدارة ـ قسم الإعلانات
المراســلات : تكون باسم رئيس التحرير

● بدا حر الصيف اللاهب يتراخى مستعدا لإفساح الطريق امام الخريف وحلول الشتاء ... ان كثيرا من البلاد العربية ، تنعم بحلول الفصول الاربعة ، وما في تعاقبها من تجديد يذهب برتابة الحياة ، ولكنك تفتقد هذا التباين في العديد من هذه البلاد، التي لم يمن الله عليها الا بفصلين فقط : صيف طويل حار ملتهب ، وشتاء قصير بارد .. انه المناخ القاري ، كما يسميه الجغرافيون ... وصورة الغلاف هذه تجمع بين ربيع الشباب ، وخريف الاشجار ، التي لم تنفض اوراقها بسمات الجفاف الاولى ، فبدأت تتساقط ، وتعرى الاغصان منها ..

ثمن العدد : بالكويت ١٠٠ فلس ، مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية او ما يعادل ٢ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سورية ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الاردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ، ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب درهمان ، اليمن ما يعادل ٢ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة تعمل طلب الاشتراك لموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع



متى عرف العرب خيال الظل ٠٠ ؟
ومن الذي قال الشعر في وصفه ؟

■ قرأت في العدد ٦٨ بعنوان (خيال الظل بين الإمام الشافعي وعثمان جلال) تصويبا للأستاذ محمد علي الطاهر ذكر فيه ان بيتي . رأيت خيال الظل أكبر عبرة (وقد سقطت كلمة « الظل » في المجلة وهو خطأ من الطبع) هما للمرحوم عثمان بك جلال صاحب « العيون اليواقظ » الخ .. وهذا خطأ واضح . فالأستاذ محمد عثمان جلال صاحب « العيون اليواقظ » ، التي عرب بها نظما قصص لافونتين الشهيرة على ألسنة الحيوانات ، ولد سنة ١٢٤٠هـ ومات سنة ١٣١٦ كما ذكر الزركلي في الاعلام. أما بيتا خيال الظل المذكوران فقد خمسهما وشطرهما سيدي عبد الغني النابلسي المتوفي سنة ١١٤٣ أي قبل مولد عثمان جلال بأكثر من مائة سنة — فالبيتان أقدم من عثمان جلال . وقد ورد تخميسهما وتشطيرهما في صفحة ٣٤١ من ديوان النابلسي المطبوع في بولاق سنة ١٢٧٠ . كما انهما موجودان في نسخة مخطوطة من ديوان النابلسي تاريخها سنة ١١٨٧ محفوظة في مكتبة روضة خيري باشا برقم ٢٤٧ أدب . ومن هنا يتبين استحالة ان يكون السيد عثمان جلال هو ناظمهما .

اما نسبتهما للامام الشافعي رضي الله عنه فقد ذكر ذلك المرادي ، وهو من اعيان العلماء ، في مؤلفه « سلك الدرر » ج ١ ص ١٣٢ وايراد مثل هذا العالم لايكون الا بحجة . ولعل احد القراء يتفضل بما يراه نحو حقيقة قائل البيتين .

عبد السلام محمد النجار — بصرة .

■ قرأت ما نشره الأستاذ محمد علي الطاهر (في العدد ٦٨ من العربي) عن البيتين اللذين هما عن خيال الظل ، وذكر انهما للامام الشافعي ، ونسبهما للمرحوم عثمان بك جلال. وانا أؤيد الأستاذ الطاهر في انهما ليسا للامام الشافعي ، لان خيال الظل لم يكن معروفا عند العرب في القرن الثاني للهجرة ، وانما اقتبسه العرب في اواخر القرن الرابع للهجرة عن غيرهم من الامم ، واشتهر امره على يد الطبيب الكحال محمد بن دانيال الموصلي (٦٤٦ — ٧١٠ هـ) الذي هاجر من الموصل الى القاهرة ونشر فنه فيها (انظر مقالنا في مجلة الكتاب المصرية العدد ٦) .

ولكن البيتين ايضا ليسا للمرحوم عثمان بك جلال فقد ذكرهما الاشبيهي (٧٩٠ — ٨٥٢ هـ) في كتابه « المستطرف من كل فن مستظرف » (٢ : ٣٦٨ — ٣٦٩) الطبعة المحمودية بمصر سنة ١٣٤٨ — عند كلامه عن الدنيا فقال : وقد شبهها بعضهم بخيال الظل فقال

رأيت خيال الظل أعظم عبرة
لمن كان في علم الحقائق راقي
شخوص وأرواح يخالف بعضها
لبعض وأشكالاً بغير وفاق
تجيء وتمضي بابة بعد بابة
وتفنى جميعا والمحرك باقي

سعيد الديوه‌جي
مدير متحف الموصل — العراق

■ ● ■ ● ■ ● ■ ● ■ ● ■ ●

بنك الائتمان

● على صفحة ٣٣ من العدد الثامن والستين ، نشرنا صورة اجتماع لمجلس ادارة بنك الائتمان بالكويت برئاسة السيد عبد العزيز الدوسري ، وعن يمينه السيد يوسف محمد الشايجي نائب الرئيس، اللغيشر اسمه والسيد عبد الرحيم معروف امين سر المجلس معرفين ، واننا نعيد نشرها مصححين .

● ■ ● ■ ● ■ ● ■ ● ■ ● ■

مشكلة أخلاق أيضا ..

● عجيب ، والله ، أمر الصحافة العربية .. عجيب ! لقد سبق لي ملاحظة ذلك مرارا حينا ، وشديدا حينا آخر ، تلك المجلات التي تنشر مقالات كاملة من « العربي » دون استئذان ، وأحيانا دون ذكر المصدر الذي نقلت عنه . وكنت أظن أنكم بتنبيهكم هذا قد استطعتم أن تضعوا حدا لمثل هذه السرقات الأدبية .

ولكن يبدو أن بعض المجلات لا ترعوي ؛ فقد سبق أن قرأت في « المجالس المصورة » مقالا للدكتور محمود السمرة كان قد نشر في « العربي » ، وهو المقال الذي ينقد فيه كتاب « اليقظة العربية » لجورج انطونيوس . وقد نشرته المجلة دون أن تشير الى مصدره ، وعلى صورة تجعل القارىء يظن أن المقال خاص بها . حدث هذا منذ أكثر من شهر .

وأمامي الآن العدد ٢٤ من السنة الأولى ، ٢٨ تموز ١٩٦٤ ، من المجلة نفسها . وتتصفح العدد لتقف عند صفحة ١٨ وما يليها ، حيث تجد استطلاع عدن الذي كان قد نشر في العدد ٦٨ من « العربي » والذي قام به مستطلع العربي الأستاذ سليم زبال ، ومصوره الأستاذ أوسكار متري . وتبدأ بقراءة الاستطلاع ، والتأمل في الصور المنشورة ، فتجد أن النقل كان بالحرف دون اشارة الى المصدر الذي نقلت عنه ، ولا الى المستطلعين اللذين بذلا ، ولا شك ، جهدا كبيرا في اخراج هذا الاستطلاع على الصورة التي رأيناها في « العربي » ..

ماذا تقول في مثل هذه الظاهرة التي تدل على أشياء كثيرة ؟

وما موقفكم أنتم الذين ننتظر منكم أن تدافعوا عن مجلتنا الحبيبة ؟

خليل أحمد خليل – بيروت

العربي : وماذا ننتظر منا أن نعمل ، يا ... حبيبي ؟ ... العجب أولى في ... هذا الموقف ... والمشكلة لا تعدو أن تكون مشكلة أخلاق ، وحدها لا تقتصر على طلب ... من

حقيقة وضاح اليمن ..

● قرأت في العدد ٦٨ من « العربي » الغراء مقالة للدكتور محمد محمود الحفني تحت عنوان « مأساة في بلاط الخلافة ، وضاح اليمن » تحدث فيها عن مأساة وضاح اليمن .

وقد أذاع هذه القصة – الموهومة في رأيي الأديب الكبير الأستاذ أحمد حسن الزيات في جريدة (البلاد) البغدادية ، وذلك بين سنة (١٩٣٠ م – ١٩٣٢ م) حينما كان يدرّس في معاهد العراق . وقد انبرى للرد عليه العلامة السيد محمد بهجة الأثري بمقالات قيمة تثبت فيها بينات المنطق وشواهد التاريخ ، ثم استوت رسالة لطيفة مستقلة من هذه المطارحات النقدية الرائعة .

وتكررت هذه القصة على لسان الأستاذ خليل هنداوي في مسرحيته المنشورة في مجلة « العرفان » السورية العدد ٥ من السنة الثانية ص ٨٠ – ١١٠ ، وقد رد عليه الأستاذ الأثري أيضا مصححا ما ذهب اليه ، بكلمة نشرت في العدد السابع من (العرفان) ، السنة الثانية ص ١٥١ – ١٥٢ ، ثم شكره الأستاذ هنداوي بكلمة نشرت في العدد التاسع من (العرفان) السورية أيضا .

ولنا نرجو أن تأخذ هذه الكلمة طريقها الى النشر انصافا للسادة أمثال العلماء الخالدين ، ورواتها الناجيد .

عبد الله الجبوري

أمين مكتبة الأوقاف العامة – بغداد

... الصيف
... عن النفس
... بين الجد والهزل

جنة النفاق هذه !

... في حرب باردة ... من احترام

بقلم رئيس التحرير

■ كنا في وليمة جامعة، واقبل الناس زرافات . وكنت اقف بجوار صاحب ، ننظر الى هذا الفيض الذي يأتي به الباب، باب البهو الكبير .

ودخل رجل ..

وظن صاحبي اني اعرفه . قلت من هو ؟ قال هذا اقذر خلق الله ، فعل وفعل .

وحدث بعد ذلك ان مرّ بنا هذا الرجل في تجواله بين الحاضرين . فلما اقترب منا اقبل عليه صاحبي ، وهرّ يده . قال وهو يقدمه اليّ : هذا رجل من افذاذ هذا الجيل ، صفته وصفته . لم يبق كلمة حلوة ، ولا تحية مستطابة ، الا منحها هذا الرجل .

ويمضي الرجل عنا .

وانظر الى صاحبي مستفهما . فاذا على وجهه ابتسامة عريضة ، انفجرت منه فكانت قهقهة طويلة .

فطن للذي بي . فقال :

ــ الحياة تريد هذا . ذممت الرجل فقلت حقا . ومدحته ، فهل انت صدقتني وانا امدحه ؟

قلت : احسب لا .

قال : وهل انا صدقته ؟

قلت : احسب لا .

قال : ولكن هذا الرجل مضى عنا وفي نفسه شيء من سرور ، وكسبنا من ذلك سلاما .

قلت : وهل نحن في حرب ؟

قال : واي حرب !! انها الحرب الباردة ، لا تفتأ راعدة بين الناس جميعا ، ولكنها مهيئة دائما لان تسقط .

النفـــاق

أم جهنم !؟

قلت : تقول حرب بين الناس جميعا !! فهل بيني وبينك حرب !

ذلك لاننا لم نشترك بعد في منافع ومصالح .

قلت ... قال امريكا !

قلت ... فمتى يكون بعد النفاق

قلت ... النفاق ... سواء ... وارق ، وضحك وضحك عاليــة ، والضحك ومشى متجهه ... المخيف .

وبعدت الوقعة فافترقنا .

والتقينا من بعد وقعة ، كانت السيارة واحدة والفندق الذى نعود اليه واحد . واصبحنا في الفندق جانبا ، عسيه ان نستعجل اليوم فنسوء النهضـ

قال لي صاحبي قبل الوقعة عن النفاق ما قال ، وانتهز الفرصه لنعود فنتم حديثه .

قلت ... او من بالله وبخلق الله .



قلت : اما الخير فهو خالقه ...

قال : وان تكن النعاق شرا او خيرا فهو خالقه .

قلت : دليلك ؟

قال : الست ترى ان الله خبأ الانفس ووضع عليها ، ومن حولها ، ستارا يحجبها فلا تنفضح ، وجعل الفكر من وراء اغلاق . فانا الآن قد افكر في قتلك، وادبّر له ، وانت لا تدرى .

قلت ما اظن انك تفعل :

قال : ما تظن ، ولكنك لا تثق بأني لا افعل . فهل جعل الله النفس من وراء حجاب ، وجعل الفكر من وراء اغلاق ، الا ليمكنني من ان اخفي عليك وان تخفى . اخفي رضاى عنك او غضبي . اخفي حبي اياك او كرهي . اخفي تدبيري لك او عليك . وكل اخفاء ستر . والناس تدعو انه تحول يا ستار ، وما اصدقهم من دعوة .

قلت : وهل الستر نفاق .

قال : ما بين الستر والنفاق الا خطوة . انه يمهد للنفاق . انه لولاه ما كان نفاق

واستطرد يقول .

ـ تصور لو ان كل هذه الحجب عن الانفس قد ازيلت، وان كل هذه الاغلاق على الفكر قد فتحت ، وان الناس اطلع بعضهم على ما يدور في رؤوس بعض ، انها والله اذن معركة شاملة دائمة متصلة ، وحرب لا هوادة فيها ، حرب لا يحمى منها الا تعطيل الفكر ، تماما كما يعطل الساسة الصحف ليستتب الامن . فالنفاق يا عزيزى هو المخلص. فكّر في وتصور بي اللص ، وتصورني الكذاب ، او تصورني الكسول الذى لا فائدة منه في شيء من هذه الحياة ؛ ولكن بادرني مثل في ما آمنك ؛ وما اصدقك ، وما انشطك وما انفعك في الحياة . انك بذلك لا تخسر شيئا . ولكسب شيئا من ذلك الامن والسلام.



المرأة تصرف من الرجل الملل من طراز واحد ، فهي تغير طرازا بطراز



من الشر الثاني نفاقنا الخادم امام سيده

ألست ترى بعد هذا الذي ضربتُ من أمثال أن النفاق ضرورة من ضرورات الحياة .

قلت : أنت تنصح الناس بالنفاق إذن ؟

قال : وهل أحد في هذه الدنيا بحاجة إلى هذه النصيحة . كل يمارسه .

قلت : وكل ينكر .

قال : والإنكار يا سيدي هو بعض هذا النفاق . وهم ينكرون مؤكدين . وهم يصدقون في أتفه الأمور ، وهل الحلف جرى بين الناس هذا المجرى الواسع إلا سترا للحق .

قلت : فمَن أكثر الناس نفاقا ؟

قال : الضعيف أمام القوي . الخادم أمام المخدوم . المرؤوس أمام الرئيس . الأجير أمام الآجر . سائق السيارة أمام الشرطي . المتهم أمام القاضي . الرجل أمام المرأة .

قلت : تقصد المرأة أمام الرجل .

قال : هذا يتوقف على أشياء . إن كانت زوجتك فالمرأة أمام الرجل وإن لم تكن زوجتك فالرجلُ أمام المرأة. التي لا تعرفها ، أنت تداعبها وتمالقها ، وتسمع عنها ما لا تسمع على أسمر أسمر ليله تمامه . وأنت إن وجدت من امرأة ، زوجة أو غير زوجة ، ما تكره كتمت والكتمان نفاق . وهي تكره ما تكره . فلا تذكر ما تكره منك إلا بالحمد . أنفك هذا إن كان أفطس ، فهو عندها أنف روماني . وعينك هذه إن كانت عمشاء ، فاسمها عندها الدعجاء . وجسمك هذا أن كان السمين البطين ، فهو عندها عود الرمح اعتدالا واستقامة . وأنت تُسَر بما تصف منك المرأة ، والسرور خير . ولو صدقت لكان الصدق شرا . ألم يقل النبي :

ويُصدق وعدَها والصدق شرٌّ
إذا ألقاك في الكرب العظام

تصوّر ما يحدث بين الرجل وبين



نفاق المرأة لزوجها
نفاق يفرضه الواجب

نفاق الأجير أمام الآجر
يماثل نفاق الضعيف للقوي

امرأته لو أنها صدقت؟ فقال له يا معطي يا بطين! أقل ما يحدث الطلاق. والطلاق حرمان. والحرمان شقاء. وهو شقاء جاء لإهمالها حق النفاق عليها. إنك لن تجد نفاقا واحدا كنفاق امرأة.

قلت: والرجل؟

قال: نفاقه شائع، ولكنه غير واضح لأنه الكاتب. لهذا هي تدرس له وهو لا يدرس.

قلت: حتى الزينة نفاق!

قال: إنها النفاق يا صاحبي. وهو الصنف من النفاق الذي وضعه أساس، ووضيته على الزمان الأجيال. إنه بحث في جمال تقوم الثياب بوفائه، ولن تجد كالثياب أداة نفاق. تقصر المرأة فتحد من الثياب المخطط، وتلبس الخطوط قائمة لتكسب طولا، زورا. أو تطول المرأة فتلبس الخطوط نائمة، لتكسبها قصرا، زورا وبهتانا. والثياب تسمن الرفيعات من النساء وترفع السمان. والثياب يكون فيها إيعاز بكشف عن محاسن، أو تكون بها أهداب تحجب مساوئ. والثياب من بعد ذلك ألوان. إن المرأة تستطيع أن تختفي في ثيابها أجمعها، فلا تجد منها إلا ثياب جميلة.

قلت: والوصمة. إن أكثر الرجال ترى إليها البسمة المرذولة.

قال: تريد أن تقول إنها البسمة الثقيلة على القلوب. وما هي بدعة. إنها قديمة قدم الدهر. ولو أن الرجال حق لم ترضها باطلا ما دامت. لأن المرأة تعرف من الرجل الملل على الطراز الواحد، فهي لا تفتأ تغير طرازا بطراز. هي فلسفة الأطرزة.

قلت: الأمر الذي خداع في خداع؟

قال: وأنت تعلم أنه الخداع في المرأة، ألوان وأصباغ، ومع هذا أنت تستمتع به. ثم تكتب فتشكر، لأن هذا حسنتك من خداع. هل تدري يا عزيزي أن العيش أكثر لمتعة عند صاحبه، وأن حدة البصر مصيبة لها. وأن الله أعطى الإنسان البصر بمقدار حتى يرى في هذا الكون بعض جماله، ولو أن الله زاد على ما أعطى، فأعطى العين حدة المجهر، لم ير في خدود الحسان، وهي ناعمة، غير النقر والحفر. إن الطبيعة تأبى تخدع الناس بقصر أبصارهم.

قلت: وماذا تقول في هذا لزمرة الأخلاق الكريمة، وجمعة الفضائل، والنفاق عندهم موضوع في رأس القائمة، قائمة الرذائل؟

قال: إن هؤلاء رجلين، رجل يصدع بما يرى أنه الحق، فهذا هو الشقي بدينه. وهو كحامل العلم الذي انفض من حوله جنوده. والناس قد تحترم مثل هذا الرجل حيا، ولكنهم أكثر احتراما له من بعد موت. ويحصن من احترامهم له حيا النفاق والتقية، مهما تدعيان المروءة. وهذا الرجل من رجال الأخلاق قلة، يجود بهم الدهر من حين لحين. وقد يصاحبهم الحظ الطيب فيكونون قادة، بسبب هذا التمدود. ثم هم لا يلبثون أن يترسموا الدرب على ما هي، والجماهير على ما هم، فيضطرون إلى المحاتلة فيحاتلون. أو لا، فيقصم ظهورهم فيسقطون صرعى، لا أرضا قطع قاطعهم، ولا ظهرا أبقى.

ورجل آخر من حماة الأخلاق، يؤمن بحكمتي التي تقول إن النفاق ضرورة من ضرورات الحياة. وهو يأتيه، ويسمي هذا حسن التحيل والتلطف في المدخل.

قلت: المدخل إلى أين؟

قال: إلى الخير طبعا. وطبعا إلى خير الناس لا إلى خيره هو. وعنده أن الدنيا شر، والشر دائما تصحبه في هذه الحياة القوة. فلكسر حدة هذه القوة لا بد أن يتقي المرء صاحبها بالملاينة. والملاينة هنا بالمدح، وبمدح الشر إن لزم. وهذا مدح غير مقصود لذاته، ولكنه مقصود لأمر يأتي بعده.

قلت: تعني أنه النفاق في سبيل الخير؟

قال : وما ضر ان يكون الذئب مدبرا ، اذا هو ادّى الى المائدة العامرة يجلس عليها الناس .

قلت : لو ان الناس صلحوا على هذا لخربت الدنيا .

قال . ومن قال انها غير خربة . هات ألفا من الناس ، واحص عليهم في اليوم الواحد ما قالوا ، وكم صدقوا ، وكم نافقوا . وسوف تجد انهم صدقوا كثيرا فيما لا يؤذي ... كم الساعة ... وما تاريخ اليوم ... وهل هذا عطله . اما فيما قد يؤذي فنفاق على طول الخط تستمد منه العافيه ، الا في قله قليله من الناس ، تصدق وتخاطر بالسوء ان يكون جزاءها .

قلت : : ولكن تاريخ الخلق مفعم ببعض من الصدق والصراحة فائقة .

قال . نعم ، نعم . ولكنك تنسى يا عزيزي أن التاريخ ما أثبتها الا لندرتها . لو كان شيئا شائعا ما استحق اثباتا .

قلت . انك وصفت الدنيا بانها خربة . فكيف ترضى بنفاقها !

قال : هذا الوصف من بعض نفاقي . انها تخرب على الصدق والصراحة ، وراحة انحسمت من المكر الذى يدور في رؤوس الناس . ولكنها على النفاق جنة .

قلت : لقد سمعت هذا النعت قبل هذا .

قال : نعم . شاب نشأ على الصراحة والخلق الطيب ، طالبا . فلما دخل الى الحياة ليعمل ويكتسب ، صادفته صنوف من النفاق لم يكن به صبر عليها . فآثر الخروج من السوق ، والانزواء ، والاكتفاء بما خلف له الآباء من رزق . وكتب شعرا ، أسماه « جنة النفاق » . أما اسم الشاب فنسيته .

قلت هاته شعرا .

قال :

ما دمت في جنة النفاق
فاعدل بساق وميل بساق

ولا تقارب ولا تباعد
ودر مع الثور في السواقي

وضاحك الشمس في الضواحي
وداعب البدر في المحاق

ولا تحقق ولا تدقق
وانسب شآما الى عراق

وقل كلاما بغير معنى
واحلف على الإفك بالطلاق

ولا تصادق ولا تخاصم
واستقبل الكل بالعناق

فأي شخص كأي شخص
بلا اختلاف ولا اتفاق

وأي شيء كأي شيء
ما دمت في جنة النفاق

وأردف صاحبي يسأل: فهل اقتنعت؟

قلت : بماذا ؟

قال : بضرورة النفاق لصلاح الدنيا .

قلت : ان كنت تصف حالا عليها الدنيا ، فانا اوافق على الكثير مما وصفت . اما ان تبشر بالنفاق صلاحا للدنيا ، فان صح ان الدنيا هي كما تصف ، فليست هي والله بحاجة الى تبشير . وانا افهم ان يتخذ الفقير والضعيف والعاجز من النفاق تعبئة يتقي بها الشر ، حتى لا يزداد فقرا او ضعفا او عجزا ، ولكن هذا يكون في البيئات التي يسود فيها الشر ويسود الظلم ويستكين الناس فيها الى الباطل . اما البيئات التي تسمو فيها حرية القول ، ويسود فيها العدل ، فيقل فيها النفاق بمقدار ذلك .

قال صاحبي : ويبقى بها بعضه .

قلت : نعم . ما بقي في الناس تفاوت ، وما بقي الظلم في الناس شيمة . فالنفاق لا يمكن ان يكون مما يبشر به الناس للناس ، فهو شر يتقون به شرا ، وما هو للانسان بغاية .

قال : انما اصف لاحذر واثقف الناس .

قلت : اما هذا فلك منه ما تشاء . ■

احمد زكي



الحذاء الفارغ

من جريدة « الصنداى تلغراف » :

● ذهب جواهر لال نهرو ، وبذهابه انطوت صفحة مجيدة من تاريخ الهند ، صفحة مشرفة تحلى بها رجل .

لقد كان نهرو مفكرا على مستوى عالمى ، فاكسب اسمه بلاده قيمة فى نظر العالم ، واسمه ايضا هو الذى جعل الناس ينسون ان الهند تعانى من مشاكل عدة .

والآن خلا كرسى الحكم من نهرو ، وغابت اليد التى خلقت لتحكم ، وخلف وراءه حذاء بانتظار من يلبسه . واغلب الظن ان هذا الحذاء سيظل فارغا لاجيال ، لان صاحب القدم المناسبة له لا يولد الا مرة عبر اجيال عديدة .

وماذا فى الهند بعد نهرو ؟

لقد تحلت حقيقتها ، بعد ان زالت الهالة التى كانت تظلها : فهى تمر بدور من القلق والاضطراب ، والخلاف الذى بدأ يطفو بين اعضاء الحزب الحاكم .

الاصدقاء الاعداء

عن جريدة « الصنداى تايمس » :

● معنى التحالف فى العالم الغربى عجيب غريب .

انه قد يعنى العداء السافر والمستور ، والمؤامرات الظاهرة والباطنة .

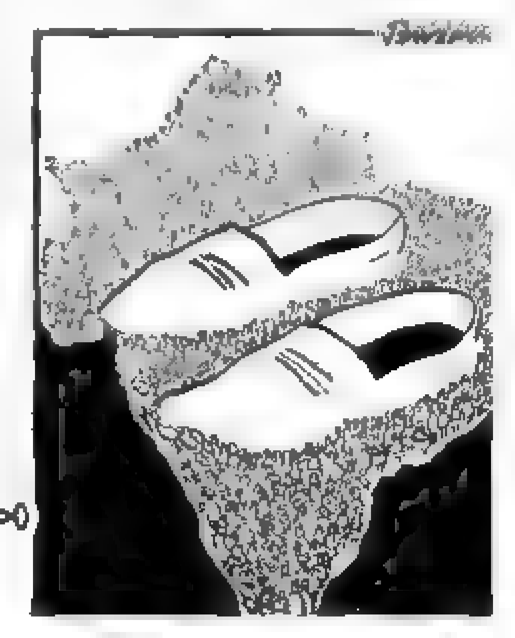
هذه المانيا تطلب شراء معدات طيران من امريكا ، لشركة ترانسال الفرنسية الالمانية . وهى معدات تبلغ قيمتها ملايين الجنيهات .

والى هنا ليس فى الامر غرابة . ولكن الغرابة تتكشف عندما ندرك هاتين الحقيقتين . اما الاولى فهى ان الشركة استعملت معدات انجليزية وثبت لها انها تفضل المعدات الامريكية بكثير . واما الثانية فهى أن القطعة الواحدة من المعدات الانجليزية ارخص من مثيلتها الامريكية بمبلغ هو فى حدود ثلاثة الاف جنيه .

ان هذا الموقف يجعلنا نتساءل :

ترى هل حدث هذا بتأثير من باريس على بون ؟ ام بضغط من واشنطن ؟

وهل من مقومات التحالف أن تتحارب الدول الاعضاء وتتآمر ؟







جونسون : سلك مسالك لا تليق برئيس جمهورية ..

عن مجلة « نيوزويك » الامريكية :

● لا شك عندنا أن الانتخابات القادمة ستنتهي بفوز الجمهوريين وهزيمة الديمقراطيين ، وهي هزيمة مهد لها الرئيس جونسون وهيأ لها الأسباب . فهو في رئاسته قد سلك مسالك لا تليق برئيس لجمهورية . فيوما نراه يشد أذني كلب ، ويحاول رفعه بهما ، والحيوان المسكين يحاول الخلاص ولا سبيل ... وهو وصحبه من حوله يتلذذون برؤيته الكلب المتألم ! وفوق هذا كله يرضى الرئيس أن تؤخذ له صورة وهو في هذا الوضع ، لتنشر في كل الصحف ، دون أن يدرك أنه بعمله هذا إنما يسيء إلى نفسه ، وإلى منصبه .

ويوما نرى الرئيس جونسون يسوق سيارته بسرعة جنونية ، ويرتدي ملابس رعاة البقر ... ترى ماذا يحدث لو اتخذ الشباب والشابات من هواية الرئيس هذه مثلا يحتذونه ؟ .

ويبدو أن الرئيس جونسون يعمل على أن يبقى دائما حاضرا أمام الشعب الأمريكي ، ولهذا يكثر من الظهور في التلفاز ، ونسمعه يتكلم ويتكلم .. ثم نسأل أنفسنا : **وماذا يريد الرئيس أن يقول ؟** ونود لو نهمس في أذنيه ، **الأعمال أبلغ من الأقوال ، ونحن نريد منك عملا !**

مصلحة الوطن اولا

من جريدة « الصنداي اكسبريس » :

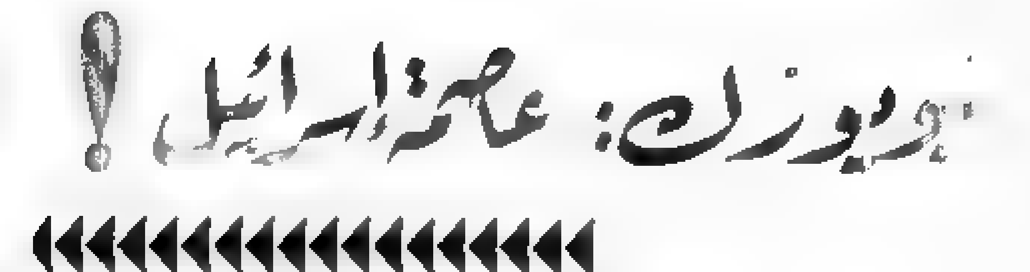
● يتعرض سير اليك دوجلاس هيوم إلى ضغط شديد من واشنطن، وذلك من أجل إيقاف بيع الباصات البريطانية إلى كوبا .

والغاية من هذا الضغط معروفة سلفا فالرئيس جونسون يريد أن يقدم للناخبين انجازا يرفع من أسهمه ، وهذا الانجاز هو اعلان أن بريطانيا ، بتأثيره ، قد وافقت على الاشتراك مع الولايات المتحدة في الحصار الاقتصادي الذي فرضته الولايات المتحدة على كوبا .

ولو نجح جونسون في هذا فستكون له حسنة يذكرها له الناخبون ضد جولد ووتر مرشح الحزب الجمهوري .

ونحن نقول لرئيس الوزراء أنه اذا خضع لرغبات واشنطن فستكون في هذا نهايته . وهذا القول لا يعني أبدا أننا نعادي الولايات المتحدة ، بل إن العكس هو الصحيح ، فنحن حريصون على أن تكون علاقتنا بها طيبة متينة ، ولكن على ألا تكون هذه العلاقة الطيبة على حساب استقلالنا .

ونكرر القول لسير اليك أن تضحيته بمصلحة بريطانيا ، وحريتها في التصرف، سيجعل الناخبين يخذلونه وحزبه في الانتخابات القادمة . وعندها يحصد المحافظون أنفسهم وقد ألقى بهم في التيه .



● ... بن جوريون يتجول في شوارع العاصمة ..

وكأنه ... او يختال في شوارع ... !

● كل مرشح للرئاسة يجب أن ...

● الصهيونية تسيطر على معظم الصحف

بقلم : الدكتور
على أحمد على
بتخطيط التعليم العالي ــ القاهرة

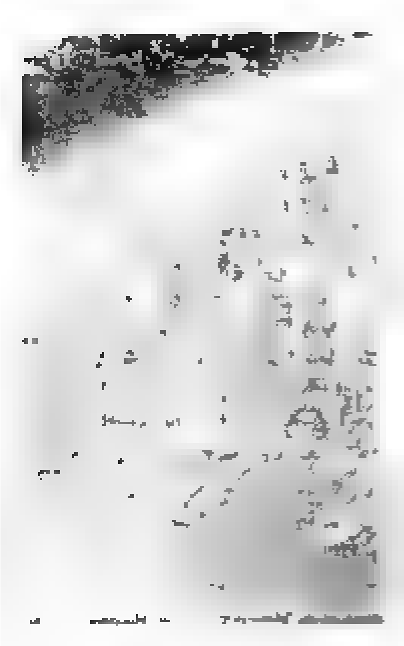
تضم الولايات المتحدة اقوى معقل لليهود في العالم . فمن الناحية العددية يبلغ عددهم ما يقرب من ٥٫٥٠٠٫٠٠٠ نسمة اي حوالى ضعف عدد اليهود في اسرائيل ، اما من ناحية النفوذ والسيطرة والتحكم فهم في هذه المجالات يفوقون عددهم بكثير . ويرجع ذلك الى ان اكثرهم يمتلكون اموالا طائلة ، ويديرون مشروعات تجارية ناجحة للغاية ويسيطرون عن طريقها على الكثير من الصحف ومحطات الاذاعة والتليفزيون وغيرها من وسائل الاعلام . كما ان من بينهم عددا لا يأس به من العلمــاء المرموقين البارزين في شتى ميادين المعرفة ومختلف المجالات العلمية .

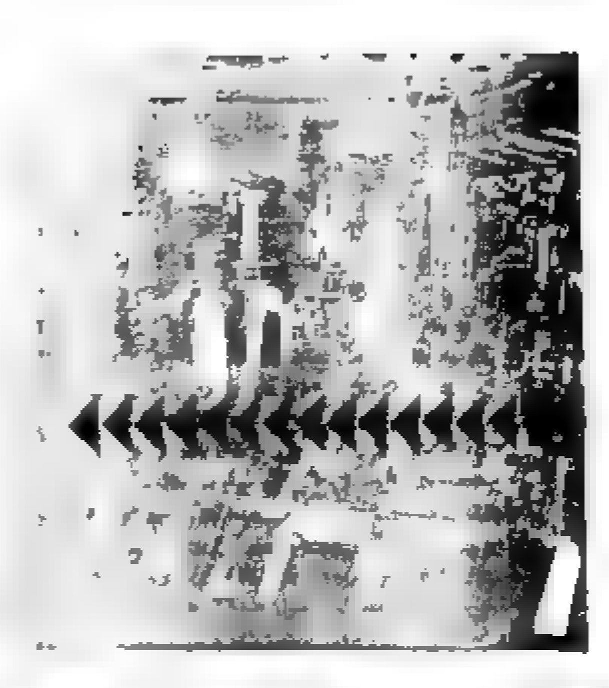
ويتركز معظم اليهود في مناطق معينة بالولايات المتحدة اهمها مـــــدن نيويورك وشيكاغو وسان فرانسيسكو ولوس انجلوس وبوسطن . وقد بدأوا يغزون الجنوب الشرقي مـــــن الولايات ــ وعلى الأخص ولاية فلوريدا ــ بعد ان كانت من قبـــل محرمة عليهم ، فأصبحوا الآن يمتلكون فيها الكثير من الفنادق والمطاعم والنوادي الليلية الشهيرة .

نيويورك : العاصمة الحقيقية لاسرائيل !

وتعتبر مدينة نيويورك اكبر مركز لتجمع اليهود في العالم . وفيهـــا يعيش الكثيرون من أصحاب الملايين ، حيث يملكون الكثير من الشروعات التجارية والصناعية الهامة . وهذه المدينة تعتبر العاصمة الحقيقية لاسرائيل . ولا ينسى كاتب هذا المقال منظر بن جوريون ــ رئيس وزارة اسرائيل السابق ــ وهو يتجول في عربة تامة في شوارع نيويورك عند زيارته الاخيرة لهـــا ، « كالعمدة » الذي يتجول في طرقات قريتـــه يستطلع شئون رعيته ويسعد بالرد على تحياتهم وتحيتهم !

ومن نيويورك تصدر الكثير من الصحف اليومية





■ يحصل على أصوات اليهود وتأييدهم .. أو يسقط !

■ الأمريكية كما تسيطر على الإذاعة والتلفزيون وغيرهما من وسائل الإعلام

كالديلي تلغراف والهيرالد تريبيون ، والاسبوعية كمجلة التايم ونيويورك بوست التي تسبّح بمجد اسرائيل وتداوم على تمجيد ديمقراطيتها المزعومة وجنّاتها الخرافية ومشروعاتها الوهمية .

وفي نيويورك نشأت سياسية اسرائيل الأولى « جولدا ماير » وترعرعت ، قبل أن تهاجر الى اسرائيل ، وهي تعتبر نيويورك وطنها الأصلي .

ومن نيويورك تتلقى اسرائيل أكبر قدر من المساعدات السنوية ، ويباع لحسابها هناك أكبر عدد من السندات ، كما يقام مهرجان سنوي ضخم كل عام في الذكرى السنوية للدولة المعتدية وذلك في أكبر مسارح المدينة (ماديسون سكوير جاردن)، يحييه عدد كبير من أشهر نجوم السينما والمسرح الأمريكيين الذين يتطوعون لهذا العمل ويخصص دخل هذا المهرجان الكبير لصالح اسرائيل .

اليهود وانتخابات الرئاسة

وللقارىء أن يتساءل : لماذا يتركز اليهود في مناطق بعينها في الولايات المتحدة ؟ ولماذا يكثرون في بعض المدن بينما تكاد تخلو بعض المدن الأمريكية الأخرى منهم ؟ وهل كان ذلك يتم بناء على خطة مرسومة ؟

والجواب على هذه الأسئلة أن اليهود كغيرهم من الأقليات يشعرون بالأمن والطمأنينة عندما يعيشون سويا في مناطق معينة ، فالانسان يفضل أن يعيش مع أشخاص يشاركونه معتقداته وأسلوب حياته وتطلعاته ، ويؤمن معهم بأهداف مشتركة ومصير واحد .. هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يعرف اليهود جيدا أنهم اذا تفرقوا في البلاد الأمريكية وانتشروا في ولاياتها الخمسين ذات المساحة الشاسعة – والتي يبلغ عدد سكانها ما يزيد على ١٨٠ مليونا – فانهم يفقدون بذلك تأثيرهم على

التأثير في المجتمع الامريكي سياسيا واقتصاديا وثقافيا ، ولكثرة تمركزهم الاكبر في مدينة كمدينة نيويورك ـ وهي أهم مركز للنشاط الاقتصادي والثقافي والفكري والسياسي في الولايات المتحدة ـ يستطيعون ان يؤثروا تأثيرا فعالا ومباشرا في مجريات السياسة الامريكية ، الا ان المرشح لرئاسة الجمهورية لا بد لانتخابه من ان يحصل على الاغلبية في ولايتي نيويورك وكاليفورنيا . اما اذا فقد المرشح لرئاسة الجمهورية احدى هاتين الولايتين او كليهما ، فان احتمال فوزه بهذا المنصب الخطير يصبح ضعيفا للغاية ، حتى ولو حصل على أغلبية الأصوات في معظم الولايات الاخرى .

ويرجع السبب في ذلك الى ان نظام الانتخاب في الولايات المتحدة قد جعل لولايتي نيويورك وكاليفورنيا عددا كبيرا من الاصوات الانتخابية، ويستطيع اليهود اذا تكتلوا وحشدوا اصواتهم من اي مرشح ان يسقطوه في انتخابات الرئاسة . لذلك يحرص كل مرشح لرئاسة الجمهورية سواء اكان من الجمهوريين او الديمقراطيين على ترضية اليهود بكافة الطرق والوسائل ، حتى يحصل على اكبر قدر من اصواتهم ويضمن تأييدهم .

هذا مع العلم ان معظم اليهود ينتمون الى الحزب الديمقراطي .

وهذا الوضع ينطبق على اعضاء مجلس الشيوخ والنواب وغير ذلك من المناصب التي يتم شغلها بالانتخاب ، كمناصب القضاة وحكام الولايات واعضاء الكونجرس . فالمرشحون لهذه المناصب ـ وخاصة بالمناطق التي يكثر فيها اليهود ـ يبذلون كل جهدهم حتى يظهروا امام اليهود بمظهر المدافع عن حقوقهم ومصالحهم والصديق المخلص لاسرائيل والصهيونية . والويل كل الويل لأي من هؤلاء اذا زل لسانه وتفوه بتصريح يعتبره اليهود ماسا بهم او باسرائيل ، فان ذلك كفيل بتحطيمه سياسيا . وأية معارضة لليهود او لاسرائيل (وقلما ما يحدث هذا) انما تأتي من مسئولين يعيشون في ولايات او مدن بعيدة عن سيطرة اليهود ، خذ مثلا لذلك سناتور « فولبريت » . فقد شن عدة هجمات على اليهود بالولايات المتحدة واتهم بعضهم بأنهم يقدمون مصالح اسرائيل فوق مصالح الولايات المتحدة ، وفولبريت لم يكن ليجرؤ على شن هذه الهجمات لولا انه يمثل في الكونجرس ولاية اركنساس التي توجد فيها نسبة ضئيلة من اليهود ليس لها وزن في المعارك الانتخابية .

المشكلات التي تواجه اليهود

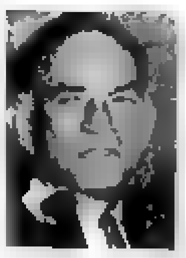
في الولايات المتحدة

لعل مشكلة الولاء هي اهم مشكلة ـ ذات طابع سياسي نفسي ـ يتعرض لها اليهود في الولايات المتحدة . فاليهودي الامريكي في صراع دائم بين ولائه للولايات المتحدة ـ الدولة التي منحته جنسيتها وآوته وافادته واعطته كافة الفرص للرقي والتحكم ـ وبين ولائه لاسرائيل التي تربطه بها صلات ثقافية وتاريخية ودينية ... وهنا يتحير اليهودي الامريكي ويتحرج : الى اي جانب يميل اذا تطلب الموقف اتخاذ قرار فيه تعارض بين مصالح الولايات المتحدة واسرائيل ؟ هل يميل الى جانب وطنه (الولايات المتحدة) ام الى جانب اسرائيل ؟

ولعل في حادثة الباخرة « كليوباترا » احسن مثل لتفسير هذا الصراع في الولاء ، فلعلنا نذكر حادثة هذه الباخرة العربية حين وصلت الى ميناء نيويورك وعليها شحنة بضائع معينة ، ورفض عمال الشحن والتفريغ بالميناء ـ الذين يسيطر على نقاباتهم اليهود ـ ان يفرغوا شحنة السفينة، بل رفضوا تزويدها بالماء والوقود والتموين. وكان ذلك بتحريض سافر من اليهود . كل ذلك كان لمصلحة اسرائيل لأن عمال الشحن والتفريغ الامريكيين كانوا يردون بمقاطعتهم للسفينة العربية على اصرار الجمهورية العربية المتحدة على منع السفن الاسرائيلية من المرور في قناة السويس ، وقد كانوا يظنون انهم بذلك سيفرضون ارادتهم على الجمهورية العربية المتحدة ويجبرونها على السماح بمرور سفن اسرائيل او السفن التي تتعامل مع اسرائيل بقناة السويس . ولكن تقدير عمال الشحن والتفريغ الامريكيين كان بعيدا عن الواقع ، حين كان لهم عمال الشحن العرب بالمرصاد فقابلوا مقاطعتهم بمقاطعة جميع السفن الامريكية بالموانيء العربية عامة . وتعرضت علاقات الولايات المتحدة بالدول العربية لمتاعب جمة .

ولكن لمصلحة من تم هذا كله ؟ .. لمصلحة من توقفت الباخرة كليوباترا ؟ من المستفيد من موقف مثل هذا ؟ طبعا المستفيد الوحيد هو اسرائيل وعملاء اسرائيل بينما الولايات المتحدة هي الخاسرة خسرانا مبينا .

وقد هاجم السناتور فولبريت هذا الموقف وكشفه للرأي العام الأمريكي ، وركز هجومه على الجماعات التي أسماها (جماعات الضغط) ، وشكك في ولائهم للولايات المتحدة لأنهم يعملون لحساب دولة أجنبية ضد مصلحة بلادهم : وهو يقصد بذلك اليهود الأمريكيين ويقصد إسرائيل .



السناتور فولبريت

وقد كان رد فعل هذا الهجوم عنيفا وشديدا : فقد هاجمت معظم الصحف التي يسيطر عليها اليهود السناتور فولبريت ، ووصفته بالجهالة والكذب ، وذهبت إلى أبعد من ذلك فاتهمته بالعداء والكراهية لليهود ، وذلك لأنه شكك في ولائهم ولأنه أثار الشكوك حول صدق وطنيتهم .

ويحاول الصهيونيون بشتى الوسائل والطرق أن يدعموا ولاء اليهود الأمريكيين لإسرائيل . وكلما فتر هذا الولاء أو ضعف لسبب من الأسباب قام الصهيونيون بتقويته عن طريق المداومة على تذكير اليهود بأن إسرائيل هي الوطن والملجأ والملاذ الوحيد الذي يستطيع اليهود أن يلجأوا إليه وقت الشدة والاضطهاد ، وأن وطنهم وثراءهم ورغد عيشهم في الولايات المتحدة قد يتعرض في أي وقت للخطر ، وما حدث في ألمانيا النازية لا يستبعد حدوثه في يوم من الأيام ، سواء قرب هذا اليوم أم بعد . ويواجه الصهيونيون في محاولاتهم تدعيم ولاء اليهود الأمريكيين لإسرائيل معارضة شديدة من بعض الهيئات والمنظمات اليهودية الأخرى ، التي ترى أن أية مبالغة في ولاء اليهود الأمريكيين لإسرائيل سوف تعرض مصيرهم ومصالحهم للخطر آجلا أو عاجلا وأنه لا داعي لإثارة الشبهات حول وطنية اليهودي الأمريكي واتهامه بالولاء المزدوج .

الخوف من الذوبان في المجتمع الأمريكي

ويعيش معظم اليهود الأمريكيين في خوف من احتمال ذوبانهم في المجتمع الأمريكي الذي نجح — بالرغم من جدته وحداثة عهده — نجاحا كبيرا في أن يصهر في بوتقة واحدة أفرادا تباينت أصولهم واختلفت عاداتهم ولغاتهم وأديانهم ، فنشأ مجتمع قوي له كيانه وثقافته وتقاليده وحضارته ، وكلما مرت عليه السنون اختلطت وتلاشت فروق الأصل واللغة والدين بين أفراده .

ويخاف اليهود الأمريكيون أشد ما يخافون من الزواج المختلط ، ويعارضونه أشد معارضة ، وخاصة زواج بناتهم بغير اليهود لأن ذلك سيؤدي حتما إلى إضعاف المجتمع اليهودي وإلى انقراضه وذوبانه في المجتمع الأمريكي الكبير في المدى البعيد .

حركة التبشير بين صفوف اليهود

والخطر الثالث الذي يهدد كيان اليهود في الولايات المتحدة هو الخطر الذي يتمثل في حركة التبشير التي تقوم بها بعض الهيئات والمنظمات المسيحية بين صفوف اليهود ، حتى إنك لتجد الآن عددا من اليهود قد تحولوا عن دينهم وأسموا أنفسهم « المسيحيين اليهود » ، ويوجد منهم عدد لا بأس به في مدينة نيويورك . وإذا أضفنا إلى ما سبق أن اليهود لا يقومون بأي حركات تبشيرية بين معتنقي المذاهب والأديان الأخرى ، وأنه لا يوجد للتبشير مكان في دينهم ، استطعنا أن نتصور المخاوف التي تنتاب هؤلاء اليهود من جراء قيام بعض الهيئات والمنظمات المسيحية بنشاط تبشيري بين صفوفهم .

المشكلات النفسية بين اليهود الأمريكيين

كذلك تنتشر المشكلات النفسية بين اليهود بنسبة تفوق نسبة انتشارها بين مجموع السكان في الولايات المتحدة ، كما أن نسبة الذكور اليهود الذين يعانون من المشكلات النفسية العادية تفوق النسبة نفسها بين البنات ويرجع ذلك على وجه العموم إلى أن الطفل اليهودي يلقن منذ الصغر أن اليهودي في المجتمع الأمريكي ليس محبوبا ولا محترما ، وعلى ذلك فإن عليه ألا يتوقع أن يجد الطريق أمامه مفروشا بالورود ، بل عليه أن يجاهد لشق طريقه بنفسه معتمدا في ذلك على قدراته وعلى العلم والمال . وعادة ما يضع الآباء لأولادهم مستوى عاليا من التحصيل المدرسي يجب عليهم تحقيقه ، ويرسم هؤلاء الآباء لأبنائهم خططا تعليمية أعلى — في كثير من الأحيان — من مستوى قدرات واستعدادات هؤلاء الأبناء ، وتكون نتيجة ذلك الخوف من الفشل وما يتبع ذلك من شعور بالقلق وضعف الثقة بالنفس .

اما السبب في ارتفاع نسبة الامراض النفسية بين الذكور منها بين الاناث ، فيرجع الى ان الولد كما هو الحال في معظم المجتمعات الشرقية — له مكانة خاصة في المجتمعات اليهودية ، مما يترتب عليه زيادة المطالب والالتزامات الملقاة عليه .

تأييد اليهود الامريكيين لاسرائيل

بالرغم من ان الجزء الاكبر من المساعدات التي تتلقاها اسرائيل من الخارج يأتي من الولايات المتحدة ، الا ان تأييد اليهود الامريكيين لاسرائيل قد فتر الى حد كبير في السنوات الاخيرة . وقد سمع كاتب هذا الفصل احد الاساتذة اليهود باحدى الجامعات الامريكية الكبيرة يقول : « لقد سئمنا هذا التسول المستمر من جانب اسرائيل ، واذا كانت اسرائيل تدعي انها حولت الصحارى والقفار الى حدائق وجنات ومدن ومنتزهات ، وانها تقدم العون الفني والفني للدول الافريقية والاسيوية ، أفلم يحن الوقت لكي تعتمد على نفسها وتكف عن هذا الاستجداء المستمر الذي طال مداه ولا يبدو له نهاية ؟ » .

ونتيجة لهذا الفتور في الجامعات اليهود الامريكيين نحو مساعدة اسرائيل ، يحاول الصهيونيون على الدوام خلق جو من التوتر بين اوساط اليهود ، ويرفعون اصواتهم بصيحات القلق على مستقبل اسرائيل ، ويبالغون في تجسيم الاخطار التي تحيط بها ، وبذلك يقومون بتقوية مشاعر اليهود الامريكيين نحو اسرائيل . ولكي يصل الصهيونيون الى هدفهم هذا ، فانهم يبالغون في دعاياتهم حول بعض الموضوعات ، مثل موضوع العلماء الالمان في الجمهورية العربية المتحدة : فقد اثاروا ضجة كبيرة حول هذا الموضوع وغرضهم من هذا اشعار اليهود بان وجود هؤلاء الالمان ومساعدتهم للجمهورية العربية المتحدة في صنع الاسلحة وتطويرها ، فيه خطر كبير على حياة اسرائيل وعلى وجودها . وعلى هذا الاساس يقوم الصهيونيون باثارة المخاوف حول مصير اسرائيل لدفع اليهود الى التبرع بسخاء . وهناك ارتباط وثيق بين مقدار ما يتبرع به اليهود الامريكيون لاسرائيل وبين شعورهم بالقلق على مصيرها ومستقبلها .

واليهود الامريكيون شديدو الحساسية لكل من يذكرهم بايام النازية . وهم يختلفون فيما بينهم في اهمية تعليم احداث هذه الفترة لاولادهم واطفالهم : فهناك من يرى انه يجب اسدال ستار من النسيان على هذه الفترة القاسية من حياة اليهود ، حتى لا تصبح شبحا يطارد الجيل الجديد من اليهود ويذكرهم بتلك الايام العصيبة وينغص عليهم حياتهم ، على حين يرى البعض الاخر انها فترة هامة من تاريخ اليهود لا بد ان يتدارسها ناشئتهم ليأخذوا منها عظة وعبرة وليعلموا ان المانيا النازية لم تمنعها الكاثوليكية ولا المستوى الثقافي الرفيع الذي يتمتع به نسبة كبيرة من الشعب الالماني ، من ارتكاب المذابح والفظائع المشهورة ، ولذا عليهم ان يأخذوا حذرهم من احتمال تكرار هذه المأساة في كل مجتمع يعيش فيه اليهود .

والصهيونيون من اشد المطالبين بمداومة تذكير العالم كله — وليس اليهود فحسب — بجرائم النازيه ،وذلك بغية زيادة الشعور بالذنب وخاصة من جانب الشعب الالماني ، وبالتالي مزيدا من التعويضات ، وفي الوقت نفسه استدرار عطف الشعب الامريكي .

وقد تعودت الصهيونية في كل عام ان تطلع على العالم بقصة تذكره بجرائم هتلر ، والاهوال التي لاقاها اليهود على يديه . وفي كل مرة يثيرون موضوعات فلسفية مثل تحديد المسئولية الفردية للمواطن امام جرائم حكومته ، او تحديد المسئولية الجماعية لشعب تحكمه فئة نازية ، وهكذا . وفجأة تتحول القصة او الرواية او المسرحية الى حديث امريكا كلها وحديث اوربا كلها ، ومهما بلغت تفاهة القصة من الناحية الفنية ، فالقصد والهدف الاول منها هو محاربة الزمن الذي يكاد يسدل ستارا من النسيان على الحرب العالمية الثانية ، ويسلب اسرائيل سبب وجودها ذاته . فاذا تعب العالم من القصص والروايات والحاح الصهيونية ، ومن التكرار الممل الرتيب الذي لا يتغير اللون من الاهوال والعذاب وافران الحرق ومعسكرات التعذيب في « اوشويتز » و « داخاو » جاءت عملية جديدة وهي خطف « ايخمان » من الارجنتين ، ومحاكمته في اسرائيل ، حتى يتحدث العالم كله عن اهوال الحرب ، وجرائم النازية ومسئولية الافراد .

اليهود والاقليات الاخرى

وبالرغم من قوة نفوذ اليهود في المجتمع الامريكي فانهم لا يرضون أن يقفوا بمفردهم في الميدان ، لذلك فهم يحاولون دائما كسب عطف الاقليات

الأخرى . ومن هذه الأقليات الكاثوليك . وهم وإن كان عددهم يبلغ ما يقرب من ثلث سكان الولايات المتحدة ، إلا أنهم يعتبرون أقلية بجانب الأغلبية البروتستنية .

وهناك الأقلية الزنجية التي يبلغ عدد أفرادها ما يزيد على ١٦ مليون نسمة ، وذلك بجانب الأقليات التي تمثل مختلف الأديان والمذاهب .

ويحاول اليهود تكوين جبهة مشتركة مع هذه الأقليات ، بحجة حماية مصالحها ويستغل اليهود شعور الأقليات بعدم الأمن والاضطهاد (الذي قد يكون وهميا) في اقناع هذه الأقليات بأن خير ضمان لوجودها هو تكتيل جهودها مع جهود الأقلية اليهودية ، حتى تستطيع الصمود أمام التيارات التي تجتاح المجتمع الأمريكي .

وقد استغل اليهود نجاح الرئيس الراحل كنيدي – بوصفه من الأقلية الكاثوليكية – لخدمة مصالحهم ، فأشادوا كثيرا على هذا النجاح ، وقالوا ضمنيا قالوا أن رئاسة الجمهورية الأمريكية لم تعد مقصورة كما كانت قبلا على البروتستانت ، فالشعب ينتخب الأصلح بغض النظر عن عقيدته . وإذا كان الشعب الأمريكي قد قرر أن الأصلح في هذه الانتخابات كاثوليكي ، فما الذي يمنع من أن يكون رئيس جمهورية الولايات المتحدة أو نائبه في يوم من الأيام يهوديا ! وبهذا اليهود فعلا يمهدون الطريق أمام بعض الشخصيات اليهودية اللامعة لخوض المعارك الانتخابية لشغل هذا المنصب الخطير .

ولعل آخر مظهر من مظاهر استغلال اليهود للأقليات المختلفة ، الحكم الذي أصدرته المحكمة العليا بالولايات المتحدة بمنع قراءة الانجيل – وهو الكتاب السماوي الذي تؤمن به الأغلبية – في المدارس العامة ، وذلك بحجة الفصل التام بين الدولة والدين ، حيث أن هذه ينفق عليها من الأموال العامة التي يشترك في دفعها المواطنون جميعا بغض النظر عن عقيدتهم ، ولأن التلاميذ المنتمين الى الأديان الأخرى من اليهود وغيرهم من الذين لا يؤمنون بالأديان ، يشعرون بأنهم مختلفون عن غيرهم من التلاميذ ، مما قد يسبب بعض الحرج والمشكلات النفسية لهم . وقد وقف اليهود والكاثوليك خلفهم وراء هذا القرار ، ودافعوا عنه كوثيقة تاريخية تدافع عن حرية العقيدة ، بالرغم من رد الفعل الشديد العنيف الذي أحدثه في مختلف الأوساط بالولايات المتحدة ، حتى وصفه « بيلي جراهام » – أحد رجال الدين المسيحي – بأنه أسوأ قرار يصدر من هيئة رسمية في تاريخ الولايات المتحدة ، لأنه حرم قراءة الانجيل في مدارس دولة قامت أول ما قامت على المثل العليا المشتقة من المسيحية ، وعجب من دولة غالبيتها العظمى من المسيحيين ، وتحرم قراءة الانجيل في مدارسها !

شخصيات تخلقها الدعاية اليهودية

ولكي يزيد اليهود من تحكمهم في المجتمع الأمريكي فانهم يحاولون أن يخلقوا من بينهم شخصيات يلمعونها ويقدمونها ويحترمها الشعب الأمريكي ، ويستغلون في ذلك جميع امكانيات الدعاية والاعلام من تليفزيون وصحافة وراديو وغيرها . وقد سلطوا الأضواء والدعاية الجبارة حول عدد من هذه الشخصيات ، ومن أشهرها المليونير باروخ الذي يعيش في مدينة نيويورك ، فقد صورته الدعاية اليهودية على أنه فيلسوف العصر والزمان ، وأن له في المسائل الاقتصادية والسياسية حكمة تفوق حكمة سليمان !! وقد أحاطه اليهود بهالة كبيرة من التمجيد والتعظيم حتى لقب بمستشار رؤساء الجمهورية . ولا يجرؤ أي رئيس للولايات المتحدة منذ أول زيارة له لمدينة نيويورك على ألا يسعى الى مقابلة باروخ ، وتلقي توجيهاته ، والاستماع الى نصحه وارشاداته .

وهكذا الحال مع بعض الشخصيات اليهودية الأخرى ، مثل السناتور جاكوب جافيتز عضو مجلس الشيوخ الأمريكي عن احدى دوائر مدينة نيويورك ومن أشد المتحمسين من اسرائيل ، فقد مجدته أجهزة الدعاية الصهيونية وأثنت عليه ووصفته بالسياسي البعيد النظر الذي لا يخطيء في تقديراته ، والحر الذي لا يحيد عن الحق ولا يكل عن الدفاع عن أسباب الحرية في جميع الأوطان والأزمان !! ولقد جعلت أجهزة الدعاية الصهيونية من هذا « السناتور » أشهر عضو في الكونجرس الأمريكي ، ومكنته من الفوز مرتين في الانتخابات المحلية في مدينة نيويورك ، التي تعتبر معقلا للديمقراطيين ، بالرغم من أنه من الجمهوريين . وانك لتعجب من أن ترى الناخبين الديمقراطيين يتخطون خطوط الحزب ليعطوا أصواتهم للسناتور جافيتز مرشح الحزب المخالف ، ولكنها أجهزة الدعاية الصهيونية القادرة على كل شيء ...

اليهود وقضايا الشرق الاوسط

واهتمام اليهودي الامريكي بمشاكل الشرق الاوسط يزيد عن اهتمام الامريكي العادي . فاليهود تربطهم بالشرق الاوسط صلات ثقافية وتاريخية ، لذلك نجد ان اليهودي العادي يتلهف دائما الى معرفة حقيقة ما يجري في هذه المنطقة . وهو يلتقف ما يكتب عن الشرق الاوسط ـ في الصحف والمجلات ـ بشغف ، ويعطي اخبار الشرق اولوية على جميع الاخبار ، وذلك بخلاف الامريكي العادي الذي يجد اهتمامه موزعا على مناطق كثيرة من العالم : كالموقف في كوبـــا وفيتنام وكوريا ، والعلاقات بين الهنـــد وباكستان ، والحالة على الحدود بين الهند والصين الشعبية ، والاوضاع في الدول الافريقية الناشـــئة ، والحـــالة غير المستقرة في دول امريكا اللاتينية ، وآخر تطورات الموقف في قناة بنما ، والنزاع العقائدي والصراع على السلطة بين الاتحـــاد السوفييتي والصين الشعبية وغيرها . فهذه كلها من الموضوعات التي يوزع عليها الامريكي العادي وقت قراءته للصحف واهتمامه ، بالتساوي .

لذلك لا يستغرب القارىء قولنا ان اليهودي الامريكي يجب ان يكون هدفا هاما لدعايتنـــا ، فعنده الرغبة والدافع لقراءة كل ما يصل اليه عن احداث الشرق الاوسط .

بعض اليهود معتدلون

وينقسم اليهود في موقفهم من قضايا الشرق الاوسط ، وعلى الاخص بمشكلة العلاقة بين العرب واسرائيل ، الى قسمين .

اليهـــود الذين يلومون بالتضليل ، ويمثلون القسم الاول . وهم عامة من الصهيونيين ، يبثون دعاياتهـــم المكذوبة بين اليهود العاديين والذين يمثلون القسم الثاني . والقسم الاول يصور العرب للقسم الثاني بانهم قوم متعطشون للدمـــاء ، لا يعرفون النظام ولا المدنية ، وانهم اعداء الدين اليهودي واليهود ، الى غير ذلك من الافتراءات الكاذبة . وفي الوقت نفسه ، يصورون لهم اسرائيل بانها ارض الفرص والخصب والنماء ، والعسل واللبن ، والديمقراطية والحرية . واليهودي العادي معذور في تصديق ما يصل اليه من معلومات كاذبة مزيفة ، فهو كالامريكي العادي ليس عنده من الوقت ما يكفي لدراسة هذه المعلومات حتى يميز بين الحق والباطل ، وبين الخبر الصحيح والخبر المكذوب . وعلى اساس من هـــذه المعلومات الكاذبة يكوّن اتجاهاته نحو العرب واسرائيل .

وقد قابل كاتب هذا المقـــال بعضا مـــن هؤلاء اليهود المستكفين للخصوم ، وناقش طويـــلا معهم في مدينة نيويورك ، وكانوا جميعهم يعرفون جانبا واحـــدا من قصة العرب واسرائيل ، وهو الجانب الاسرائيلي طبعـــا . وقد ابدوا تلهفهم لسماع الجانب الآخر من القصة او المأساة ، اي وجهة نظر العرب . واكاد اتعجب حين ارى بعض هؤلاء اليهود وهو يستمع لوجهة نظـــر العرب في المشكلة ، والدهشة والاستغراب تطل من عينيه ، لانه يسمع هذا القول لاول مرة في حياته : فهل يصدق هذه المعلومات او يصدق تلك التي بثتها له الصهيونية ؟ ويرفض الكثير منهم الاعتراف بان الصهيونية استغلتهم واستغفلتهم واستهزأت بعقليتهم .

لذلك نوجه نظر المسؤولين عن الدعاية للقضايا العربية في الخارج الى ضرورة تركيز جزء مـــن دعايتنا بين الاوساط اليهودية في الولايات المتحدة وهذه المهمة غير عسيرة وذلك للاسباب الآتية : ـ

١ ـ اليهودي الامريكي ـ كما سبق ان ذكرنا ـ لا ينقصه الدافع والرغبة ، فهو متشوق للقراءة في الاخبـــار عن الشرق الاوسط . اما مدى تصديقه لدعايتنا فذلك امر آخر يتوقف الى حد كبير على مدى المهارة في اعداد هذه الدعاية .

٢ ـ يتركز معظم اليهود الامريكيين في حوالي ست مدن كبيرة ، مما يسهل الوصول اليهم بدعاياتنا العربية .

ونحن لا نطمع من وراء ذلك الى جلب هؤلاء اليهود الى جانبنا ، فهذا تفاؤل اكثر من اللازم ، وضرب من ضروب الخيال ، وسذاجة في التفكير ، ولكننا نامل في ان نقلل من كراهية هؤلاء اليهود لنا ، وان نخفف من غلواء حقدهم علينا ، وبالتالي نقلل من كمية المعونة والمساعدات المادية والادبية التي يقدمونها لاسرائيل .

على انه يجب اختيار الموضوعات التي تشتمل عليها دعايتنـــا في اوساط اليهود بعناية كبيـــرة وسياسة وفـــن ، وان نضرب بذلك على الاوتار الحساســـة ، وان نتخير انســـب الطرق لتوصيـــل هذه الدعاية .

علي احمد علي

نتيجة مسابقة العدد ٦٨

١١٥٠٠ مشترك من ٤٣ دولة مختلفة !

■ سجل الاقبال الهائل على مسابقة العدد ٦٨ رقما قياسيا جديدا في عدد الردود التي وصلتنا والتي زادت عن ١١٥٠٠ اجابة ، جاءتنا من مختلف انحاء الكرة الارضية ، اذ وصلت من : اليمن ، ونيجيريا ، والجزائر ، وايطاليا ، وتونس ، وبلجيكا ، والمغرب ، واوغندا ، وعدن ، وتركيا ، ومسقط ، وسويسرا ، وقطر ، والمانيا ، وليبيا ، وسيراليون ، والشارقة ، واسبانيا ، ورأس الخيمة ، وانجلترا ، ودبي ، والبحرين ، ولنجابيكا ، وابو ظبي ، والنمسا ، والسعودية ، وفرنسا ، وج.ع.م ، وغانا ، وغزة ، والصومال ، والسودان ، وامريكا ، والعراق ، والباكستان ، والهند ، وسوريا ، ويوغوسلافيا ، والاردن ، وليبيريا ، واثيوبيا ، والكويت .

وقد اجريت عملية الاقتراع بين الاجابات الصحيحة لاختيار الفائزين بالجوائز ، فاسفرت عما يأتي :

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فاز بها : السيد مختار لطفي محمد كامل ٢٢ شارع شبرا عربتيه مصر ــ الاسماعيلية ــ ج.ع.م .

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : السيد حسين الطيب رابح ص.ب ٢٦٦٥ ــ دمشق سوريا

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فازت بها : الاستاذ رجب لطفي ــ ارامكو ــ النورة ــ ص.ب ٢٥ ــ الظهران ــ المملكة العربية السعودية .

٨ جوائز قيمتها ٤٠ دينارا لكل منها ٥ دنانير فاز بها كل من :

١ ــ لؤلؤة خالد محمود الشمس : وزارة الاشغال العامة ــ قسم الصرف خالد محمود الشمس ــ الكويت .

٢ ــ عبد المجيد احمد الحاج علاوي : موصل ــ بيوت $\frac{٣}{٧٣}$ ــ الجمهورية العراقية .

٣ ــ الملازم مصطفى صبير طرما : المستودعات الطبية ــ القوات الاردنية المسلحة ــ عمان ــ المملكة الاردنية الهاشمية .

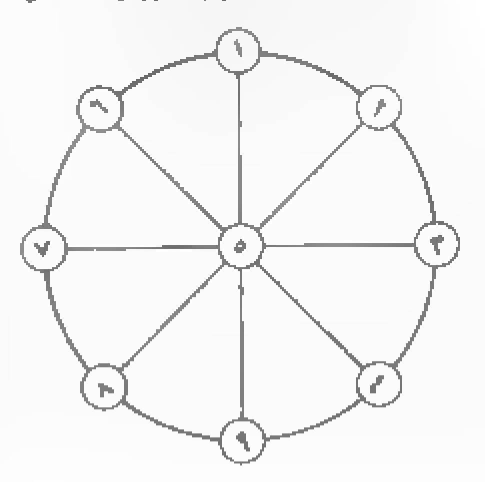
٤ ــ ابراهيم عبد الله حسن : واد مدني ص.ب ١٦٤ ــ السودان .

٥ ــ الهادي علي العرابي : شارع النهضة ــ الزاوية الغربية ــ طرابلس ــ ليبيا .

٦ ــ الحسن بن الصديق : استاذ اللغة العربية بثانوية ابن الخطيب ــ طنجة ــ المغرب .

٧ ــ أحمد كامل القصير : ص.ب ١٣٢ المنامة البحرين

٨ ــ راتف صبرا : مونروفيا ــ ليبيريا ص.ب ٤٦٨ .

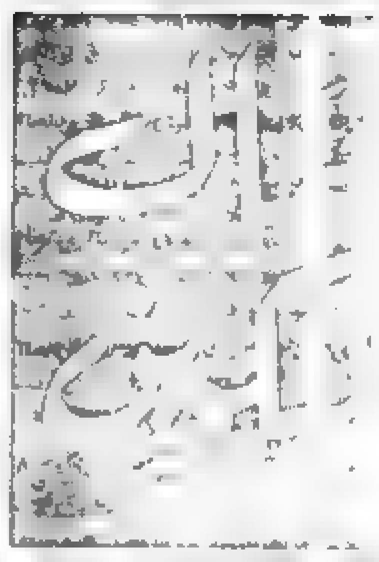


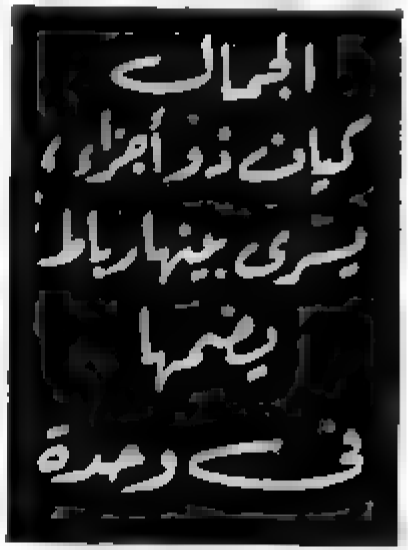
حل المسابقة

وسترسل الجوائز الى الفائزين



بقلم الدكتور
زكي نجيب محمود





لئن كان افلاطون قد رد الجمال الى الخير ، بمعنى ان الجميل هو النافع، والنفع يعني ان يكون نفعا في سبيل الخير ، أقول ان كان افلاطون قد ربط بين جمال الشيء ونفعه بهذا المعنى ، فها هو ذا شامخ آخر من شوامخ الفلسفة — عمانويل كنط (Kant) ١٧٢٤ — ١٨٠٤) — يقف من أمر الجمال موقفا مضادا ، بحيث يجعله مبرءا من كل رغبة في نفع كائنا ما كان هذا النفع . وخلاصة الرأي عنده هي أن الجميل جميل في ذاته ولذاته لا يستند في جماله الا الى طريقة تكوينه . لكن خلاصة الرأي شيء ، والسبيل اليها شيء آخر ، لا سيما عند فيلسوف عرف بعمق التحليل وصعوبته الا على المختصين الذين الفوا أن يقرؤوه ويفهموه .

الحكم الذوقي "حاسي" لا منطقي

والكتاب الذي بسط فيه « كنط » فلسفته الجمالية ، هو كتاب « نقد الحكم » وفيه يقول ، ان الحكم الذوقي "حاسي" لا منطقي ، أي انه ليس جزءا من المعرفة العقلية التي تساق عليها الحجج والبراهين ، بحيث تستدل النتائج من مقدماتها . ذلك ان المعرفة العقلية قوامها تصورات تتصل بها

هو واقع بالفعل في الحقيقة الخارجية من كائنات وأشياء ، وأما إذا كانت أفكارنا لا صلة لها إلا بمشاعرنا نحن من لذة أو ألم ، فعندئذ لا يكون ثم تماثل بين مضمون الفكرة من جهة ، وحقيقة الشيء الخارجي من جهة أخرى .

وإذا ما كان ثمة رابطة تربط ما بين الفكرة التي في رؤوسنا وبين الشيء المقابل لها في العالم الواقعي ، فعندئذ يكون للإنسان في تلك الفكرة صالح يقتضيه إذا أراد ، كالذي يهمه المفتاح يفتح به الخزانة إذا شاء . أما حين نتأمل بالفكر شيئا جميلا ، حين نتأمل بالفكر قطعة موسيقية أو صورة فنية ، أو قصيدة من الشعر ، أو منظرا من مناظر الطبيعة الحية أو الجامدة ، فإننا عندئذ — لكي يجيء حكمنا حكما ذوقيا خالصا — نغض النظر غضا تاما عما إذا كانت الفكرة التي نتأملها فكرة يستفاد بها على أي وجه من الوجوه ، بل إننا لنغض النظر عما إذا كانت الفكرة التي نتأملها ذات مقابل خارجي على الإطلاق ، إذ إننا بحسبنا أن نستخلص من الشيء الجميل فكرة عن تكوينه نضعها موضع التأمل ، لا نعود بعد ذلك نهتم لوجود ذلك الشيء أو لعدم وجوده ، ويصبح الأمر أمر كيان وتكوين ، ننظر فيه لذاته ، كي نرى كيف تشابكت فيه العناصر الكثيرة تشابكا جعل منه كائنا واحدا .

الجميل جميل في ذاته ، أفدنا منه

أم لم نفد

وليس جمال الشيء كامنا في إشاعته السرور في أنفسنا ، ولا هو كامن في تحقيقه لما ينفعنا في حياتنا العملية ، لأن السرور والنفع مشروطان بالرغبة والميل ، على حين أن الجميل جميل لطريقة بنائه وتكوينه ، سواء أفدنا منه أم لم نفد ، بل ليس جمال الشيء كامنا في خيريته ، لأننا حين نحكم على شيء ما بأنه « خير » فإن ذلك يقتضي أن يكون لدي معيار المثل الأعلى كيف ينبغي أن يكون ، ثم أقيس الشيء الماثل أمامي إلى ذلك المعيار المثالي لأرى مدى التطابق بينهما ، على حين أن حكمنا على الشيء المعين بأنه جميل ، لا يقتضينا أن نعلم شيئا خارجا عن ذاته ، بل لا يقتضينا أن نعلم من أي مادة صنع ، ولا أن نعلم ماذا تكون ماهيته وطبيعته ، إذ يكفينا أن ندرك فيه إطار تكوينه الذي على دكائزه أقيم ، والذي ربط الروابط بين أطرافه ربطا خلق من كثرته وحدة واحدة ، وإن شئت فانظر إلى زهرة « جميلة » ، أو إلى زخرف عربي « جميل » في سجادة ، أو على سقف أو جدار ، فهل تراك تستند في الحكم عليه بالجمال إلى فكرة عقلية أو إلى مبدأ نظري ؟ هل ترى الزهرة أو الزخرف « يعني » شيئا سوى نفسه ؟ وهكذا يكون الوصف الذوقي دائما .

مفارقة

لكن وجه المفارقة هنا هو أننا على الرغم من إقامتنا أحكام الذوق على النظرة الذاتية الخاصة التي لا يقام على صدقها برهان منطقي عقلي علمي ، إلا أننا إذا ما حكمنا على شيء بأنه جميل ، توقعنا من كل إنسان في الدنيا أن يحكم عليه كذلك بالجمال ، وتوقعنا أن يكون كل إنسان — مثلنا — منزها في حكمه ذاك عن مصلحته الخاصة ، كأنما جمال الشيء صفة موضوعية كائنة في طريقة إدراك الإنسان له ، لكننا نريد أن نقول إن المسألة مسألة إدراكية ذاتية صرف وإنها برغم ذلك مشتركة بين الناس جميعا ، فكيف نوفق بين هذين الطرفين اللذين قد يبدوان نقيضين : الذاتية من جهة ، واشتراك الناس في حكم جمالي واحد من جهة أخرى ؟

ليس أحد يرضى بأن تخضع أحكامه

الذوقية للحجج العقلية

إن أحدا من الناس لا يرضى أن تخضع له أحكامه الذوقية بالحجة العقلية ، كأن يجيء

الناس على رأى فـ … مال واحد

الانسان وبين الشيء الذي يراه جميلا ، صلة ادراكية مباشرة ، فاذا وافقني الناس على حكمي واما صمت الذي يوبهم ، وفي ذلك يقول كانط « اذا ما قرأ علي قارىء قصيدة من شعره ، أو اطلعني على مسرحية ، لا اراها متفقة مع ذوقي ، فعندئذ ليحتج ما شاء بالاقوال من شاء من النقاد ، ليحتج بما يقوله « باتو » Batteux أو بما يقوله « لسنج » Lessing ، أو بما قاله نقاد اقدم منهما واشهر ، مستشهدا بأفضل القواعد التي اسسوها ، برهانا على جمال القصيدة ، فاني اذا ما وجدت لبعض فقرات من القصيدة شذوذا في سمعي ، ولكنها مع ذلك مسايرة لقواعد الجمال (كما سنها هؤلاء النقاد المعترف بهم من الناس اجمعين) ، فاني اصم اذني عما يقولون ، فلست اريد تعليلات وبراهين في موضوع كهذا ، لانني ارى ان الحكم هنا ذوقي ، وليس هو حكما من شأن المنطق أو العقل ..

الحكم الذوقي ، كيف يكون

خاصا وعاما في آن ؟

وحين نقول ان ثمة مفارقة ظاهرة تريد حلا وتفسيرا وهي ان يكون الحكم الذوقي حاسيا فرديا خاصا ، ولكننا مع ذلك نزعم امكان توصيله الى بقية الافراد ، كما نزعم امكان — بل ضرورة — ان يتفق فيه الناس جميعا ، اذا كان حكما سليما ، فكيف نوفق بين هذين الجانبين . لا بد أن يكون موضع الاتفاق بين الناس جانبا يشتركون فيه . نعم انهم يشتركون في احكام العقل وتصوراته ، لكننا اسلفنا القول بأن امر الذوق لا يستند فقط الى الجانب العقلي من الانسان . وكذلك هم يشتركون في الاحساس بالسرور والنشوة ، ولكن كيف السبيل الى نقل سروري ونشوتي الى سواي اذا كان الاحساس بهما خاصا بصاحبه ولا سبيل الى نقله ؟

فرض يفسر الموقف المتناقض

هناك فرض ثالث نفرضه لتفسير الموقف ، بحيث يبقي على الجانب الذاتي في الاحكام الذوقية ، وفي الوقت نفسه تجعل تلك الاحكام الذوقية ، ممكنة النقل من انسان الى انسان ، وموضع اتفاق بين الناس اجمعين .

الا وهو ان نفترض بأن ادراكنا للجمال مرهون بادراكنا للعلاقة المتبادلة بين ادراكاتنا الفكرية وبين الافكار التي نكونها بوساطة تلك القدرات ، ولكن دون ان يكون هناك اتفاق بينهما ، اعني ان ادراكنا للجمال هو ادراك لنوع الفاعلية الفكرية التي ننشط بها اثناء اكتسابنا للمعرفة ، دون ان نربط تلك الفاعلية بمعرفة معينة ، لاننا لو ربطناها بمعرفة شيء معين ، كان ذلك ادخل في باب العلم والمنطق والعقل منه في باب الذوق والفن والجمال . فكأننا نحن في ادراكنا للجمال ندرك فاعلية خالصة بغير فعل ، ندرك علاقات بغير متعلقات ، ندرك اطارا بغير مضمون ، ندرك قالبا بغير ملء أو حشو ، أو قل اننا ندرك نشاطا عرفانيا بغير شيء معروف معين .

فما علينا الآن اذا اردنا ان نحدد نوع هذه الفاعلية التي ندركها عندما نتأمل الجمال في الشيء الجميل ، ما علينا الا ان نسأل انفسنا : كيف يعرف الانسان ما يعرفه من اشياء العالم المحيط به ؟ كيف اعرف ان امامي « كتابا » وان في يدي « قلما » ؟ الجواب عند كانط هو — في ايجاز شديد — ان الحواس تتلقى خلية متزاحمة مضطربة مهوشة من معطيات تبعث بها الاشياء الخارجية الى الحواس ، كل حاسة في دائرة اختصاصها . فأضواء تطرق العين واصوات تطرق الاذن ، ولمسات تمس سطح الجلد وطعوم على اللسان ، وروائح في الانف والى هذا الزحام المتدفق الى اعضاء الحس . ولكن ما كل طارق الابواب يسمح له بالدخول . فها هنا يقف الحراس من داخل ، لينتقوا ما يراد ويرفضوا ما لا يراد .

ثم ماذا ؟

ثم هنالك نشاط ذهني يتولى الاحساسات التي سمح لها بالقبول ، يتولاها ليصبها في قالب واحد فيوحدها شيئا واحدا ، والا فستظل خليط الاحساسات خلية مهوشة في الداخل كما جاءت مضطربة مهوشة من الخارج .

فلمي هذا ، كيف تحصل لي منه

صورة مجردة

فهذا القلم الذي في يدي ، انما يجيء الي منه لمعات من الضوء — هي ما فيه من الوان — كما يجيء الي منه لمسات من الصلابة بين اصابعي . ولمعات الضوء قد جاءتني من طريق غير الطريق التي قد سلكتها لمسات الصلابة ، فهل يا ترى تظل هذه اللمسات وتلك اللمعات مستقلة احداها عن الاخرى داخل رأسي كما قد وردت الي مستقلة احداها عن الاخرى ؟ كلا ، لأنها لو فعلت ذلك لما نشأ عندي تصور للقلم على انه كائن واحد موحد العناصر ، فلا بد للفاعلية الذهنية من القيام بهذا التوحيد .

حاول بعد ذلك ان تسقط « القلم » من حسابك في هذا الوصف الذي اسلفنا ، وحاول ان ترى الفاعلية الموحدة الرابطة بغير الشيء المعين الذي ينصب عليه الربط والتوحيد ، يكن لك صورة مجردة ، هي نفسها الصورة المجردة التي التمسها عند ادراكي للشيء الجميل ، فان وجدتها ، جاز لي ان احكم على الشيء بالجمال ، وان لم اجدها كان الشيء خلوا من الجمال .

هذه الفاعلية الادراكية مشتركة

بين الناس جميعا

ولما كانت هذه الفاعلية الادراكية مشتركة بين الناس جميعا ، كان من حقي ان اتوقع لكل الناس ان يروا ما اراه من جمال في الشيء الجميل ، اذا هم تاملوه بمثل ما اتامله . انني اذ اتامل قوام الشيء فانما اتامل فاعلية « الخيال » وهو يصب العناصر الكثيرة في كيان واحد ، كما اتامل كذلك فاعلية « الفهم » وهو يندرج ذلك الكيان الواحد تحت مقولات الذهن . والخيال والفهم هما الفاعليتان اللتان بهما « نعرف » ما نعرفه ، وهما مشتركان بين الناس جميعا . فاذا ما جردناهما ونظرنا اليهما وكأنهما في حالة بعيدتين عن ميدان النشاط المعرفي ، كان لنا بذلك الجانب الذي تنصب عليه احكامنا الذوقية ، التي هي ذاتية وعامة في آن معا .

مثل من لوحة معلقة على جدار

انني انظر — مثلا — الى لوحة معلقة على جدار غرفتي ، فاحس سرورا لرؤيتها . ولكن الى هنا لا جمال لانه لم يصدر بعد حكم ذوقي عليها . ثم اعقب النشاط الذهني الذي يتلو هذا النظر ، والتامل فاطيبي ، فابداء فيها توحيدا وخلقا وصياغة ، فتاعطني النشوة الجمالية بمعناها الصحيح ، ويحق لي عندئذ ان اصدر حكما ذوقيا على اللوحة فاقول انها لوحة جميلة ، متوقعا من سائر الناس ان يلتقوا معي في حكم واحد عليها .

مؤدى هذه الفلسفة الجمالية

ومؤدى هذه الفلسفة الجمالية هو ان يبحث في الجميل عن بنية التكوين اذا كان متحيزا في مكان ، كالصورة او التمثال او العمارة ، وعن اطار العلاقات اذا كان مما يمتد على فترة من زمن ، كالتمثيل والرقص والموسيقى والشعر ، والمهم في كلتا الحالتين ان نجد خطة موحدة الاجزاء متآلفة العناصر ، فيكون ذلك التوحد وهذا التآلف هو في نهاية المطاف موضوع الحكم الذوقي.

فمحور الاحكام الذوقية في دنيا الجمال ، هو الشكل لا الموضوع ، والبناء لا الحشو ، وانسجام العلاقات الكثيرة في وحدة متماسكة بغض النظر عن اي معيار خلقي يقرر ما ينبغي ان يكون ، لان الجميل لا يستهدف شيئا سوى ان يكون ذا تكوين خاص فيه الوحدة والبناء اللذان اشرنا اليهما .

الجمال الحر ، والجمال المقيد

على ان هناك نوعين من الجمال يجدر بنا ان نفرق بينهما ، وهما الجمال الحر والجمال المقيد بغرض خاص .

اما الجمال الحر فهو الذي ننظر فيه الى التكوين الخالص دون ان نرد الى اذهاننا ما قد اريد لهذا التكوين ان يؤديه من وظائف . كما تنظر مثلا الى زخرف هندسي في الفن العربي ، فانت عندئذ لا يعنيك الا تناسب اجزاء الزخرف ، ولا تسأل ماذا يعني هذا الزخرف .

واما الجمال المقيد بغرض كجمال الجسم البشري وجمال الحصان وجمال البناء ، فهاهنا قد ننظر في جمال الجسم الى ما قد جاء ليؤديه ، وعندئذ قد



والجمال المحض هو الذي تنظر فيه الى التكوين الخالص مثل نظرنا الى زخرف هندسي في الفن العربي

يوقفنا النظر في صلاحية الشيء لأداء وظيفته دون الادراك الجمالي الخالص ، الذي لا يتأتى الا اذا نظرت الى الجسم البشري من حيث هو تكوين خالص ، والى جسم الحصان من حيث هو تكوين خالص كذلك ، وهكذا .

على ان هذه التفرقة على كل حال تفيدنا في حسم الخلاف بين جماعتين من النقاد : جماعة تجعل معيارها الشكل المحض ، وجماعة أخرى تجعل معيارها النجاح في الوصول الى الهدف المقصود.

امثلة تطبيقية لفكرة الجمال هذه

ولعلني أحب أن أزداد فهماً لنفسي وللقراء بأن أطبق هذا الذي قلته على أمثلة بعينها من موضوعات الجمال ، اختارها من الطبيعة أو من الفنون ، لأرى كيف أتذوق جمالها لو أنني أخذت بوجهة النظر التي بسطتها .

مثل من ألف ليلة وليلة

لنضرب مثلنا من الأدب ، وليكن حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة . فهذه الحكايات يعرف لها نقاد العالم أجمع بما فيها من فن أدبي . فألاحظ أنني بمجرد دخولي في دنيا الحكاية أجدني بإزاء عالم ذي قوانين خاصة به ، لا شأن لها بقوانين هذا العالم الحقيقي الذي نعيش فيه ، فتراني لا أعجب لوقوع أحداث في ذلك العالم الغريب ما دامت تلك الأحداث متمشية مع جو ذلك العالم وقوانينه ، ولا أقف لحظة لأسأل

كيف يستوي في عالم الجن قلبا واحدا مع آله
... متفرقة ، وما يحدث له احداث



.. أما الجمال الذي يعرض ، كجمال الجسم البشري ، فقد تنتهي جماله الى ما [illegible]

من حجر مصقول . بل مصادر جمالها كله هي شبكة العلاقات التي تتفاعل بها الأجزاء بعضها مع بعض . فقد تقرأ المقامة من مقامات الهمذاني أو الحريري فتجد صقلا وعناية بمواد البناء ، لكنك — في ظني — لا تشرب من رحيق الفن مقدار ما تشربه وأنت في عالم ألف ليلة وليلة .

وخذ مثلا آخر قصيدة من الشعر ، ولتكن إحدى قصائد ذي الرمة التي يرسم بها لوحات حية من حياة الصحراء ووحشها . فهاهنا أيضا ترى وقد دخلت عالما فنيا لا تسأل فيه ان كان ما فيه يجري في العالم الواقع أو لا يجري ، بل تراك تتابع مجرى الحياة كما ينساب في القصيدة . ولو حللت سر النشوة الجمالية عندئذ ، لوجدته هو الفاعلية الذهنية الضامة الموحدة الرابطة التي تجعل من الحياة في القصيدة كائنا واحدا ولن تصدمك أطرافه . فافتح ديوان ذي الرمة ، واقرأ أول قصيدة فيه ، تجد مشهدا بديعا هو مشهد حمار الوحش وقد عضته وحوش من غير أسرته ، فهو يجري في الصحراء ظالما وأمامه أتن رمادية اللون ، وهو يصيح عليها في يوم حار ، وما يزال يجري في إثرها حتى تدنو الشمس من غروبها ، وعندئذ يقترب من الماء الذي يطلبه منذ أول النهار . لكن هنا وهم من هواجسه ، فالماء ما يزال بعيدا ، وما يزال هو يركض ركضا سريعا يشتد عن الماء ، حتى ظهرت أنوار الصباح ، وعندئذ يبلغ عينا تصطخب فيها الضفادع ، فيبحث لنفسه وللأتن عن مكان مطمئن ليهدأ فيرتوي ، لكنه لا يكاد يفعل حتى يسمع صوتا خفيفا يقشعر لسمعه لأنه هو الصوت الذي يخشاه ، صوت الصائد يتعقبه ويترصد له الخ الخ — ألم تشعر وأنت تقرأ هذه الخلاصة المقتضبة لجزء واحد من القصيدة ، أنك كنت كالذي يحيا في حلم لم أيقظناه ؟ لقد كنت في عالم قائم بذاته له روابطه التي تربط أرجاءه معا في كون واحد فيجعل منه كيانا واحدا .

وتلك هي بعينها الفاعلية التي تحسها إذا ما قرأت أعظم الآثار الأدبية في شتى اللغات : في مها بهاراتا ورامايانا في الأدب الهندي ، في الإلياذة والأوديسية في الأدب اليوناني ، في الكوميديا الإلهية لدانتي والفردوس المفقود لملتون ، في رحلات جليفر لجوناثان سويفت ، في روبنسن كروسو لدانيال ديفو ، وهي هي بعينها كذلك الفاعلية التي تحسها وأنت تتأمل لوحات التصوير الفني والعمائر بكل أشكالها الفنية من مساجد وكاتدرائيات وقصور وبيوت يتمثل فيها جمال الفن المعماري .

أساس الجمال رباط يضم وحدة

أساس الجمال في كل شيء جميل هو نفسه الأساس الذي ينبني عليه كل كائن حي ، ألا وهو أن يسري بين الأجزاء رباط يضمها في وحدة ، وهو عند فيلسوفنا كنط الأساس الذي تقوم عليه التصورات العقلية عن الأشياء التي نصادفها وندركها ، ثم هو عنده الأساس الذي تقوم عليه الأحكام الذوقية في عالم الجمال .

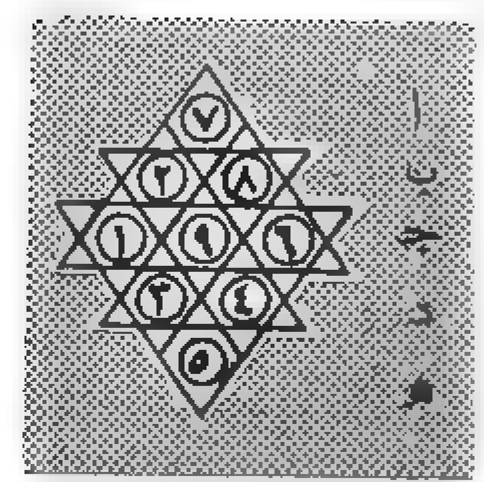
■

القاهرة — زكي نجيب محمود

مسابقة هذا العدد

تنقلات بين الارقام تكسبك

جوائز مجموعها ١٠٠ دينار



● مسابقة هذا العدد تنحصر في اجراء تنقلات بين الاعداد المكتوبة في الرسم الذي فوق هذا الكلام ..

انه شكل هندسي فيه تسع دوائر ، وفي كل دائرة عدد ، من ١ الى ٩ دون تكرار اي منها ..

والمطلوب منك ان تعيد ترتيب هذه الاعداد ، بحيث اذا ضرب العدد الموجود في قمة الشكل الهندسي (ا) في العددين الموجودين تحته (ب) واللذين يقرآن كرقم واحد ، كان حاصل الضرب هو الرقم المكون من الاعداد الثلاثة الموجودة في وسط الشكل (جـ) .

واذا ضرب العدد الموجود في اسفل الشكل (هـ) في العددين فوقه (د) واللذين يقرآن كرقم واحد ايضا ، كان حاصل الضرب هو نفس الرقم (جـ) الذي في الوسط ..

اي ان المطلوب منك هو اعادة ترتيب الارقام الموجودة في الرسم ترتيبا صحيحا ، دون تكرار اي منها ، بحيث يكون حاصل ضرب العدد ا × ب = هـ × د = جـ

وستلاحظ ، في الرسم المنشور مع هذا الكلام ، خطأ في ترتيب الاعداد لان : ٧ × ٢٨ او ٥ × ٣٤ غير متساويين اولا ، كما انهما لا يساويان الرقم الموجود في الوسط ..

فهل يمكنك ان تعيد ترتيب الارقام لايجاد الحل الصحيح ؟ ..

شروط المسابقة وجوائزها

١ — يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١١٧ . اكتب عليه اسمك بخط واضح

٢ — يكتب على الظروف عبارة « مسابقة العربي — العدد ٧٠ » .

● آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر اكتوبر (تشرين اول ١٩٦٤) .

● يمنح الفائزون جوائز ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى : ٣٠ دينارا .. الجائزة الثانية : ٢٠ دينارا .. الجائزة الثالثة : ١٠ دنانير ..

٨ جوائز مالية : قيمتها ٤٠ دينارا ، كل منها ٥ دنانير .. وعند تعدد الاجابات الصحيحة تمنح الجوائز بطريق الاقتراع ..



أين جامعاتنا من جامعات العالم؟

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

■ قد يبدو من نافلة القول التحدث عن وظيفة الجامعات واهميتها للمجتمع، بعد أن عرفت المجتمعات الحضارية الجامعات منذ قرون متطاولة ، ومع ذلك فان أسئلة ما تزال تتردد في الحاح عجيب ، هل الوظيفة الاساسية للجامعة هي تلبية حاجات المجتمع وحل مشاكله ام أن وظيفتها التعليم وحده ، ام انها تكون بالدرجة الاولى ، للبحث العلمي المجرد ، بقصد الاضافة الى المعرفة البشرية ، أم أن عليها أن تقوم بهذه الواجبات جميعا ، فتذكي شعلة العلم ، التي ورثناها من الاجيال الماضية قبلنا ، لنسلمها الى الاجيال الآتية بعدنا ، وقد زادت توهجا واشتعالا ، وزاد نورها قوة وسطوعا .

تعليم الشباب اول واجبات الجامعة

وليس من شك في أن تعليم الشباب ، وتزويده بقسط معقول من المعارف الاساسية ، وتخريج المتخصصين في مختلف فروع المعرفة ، لسد حاجات المجتمع في مختلف شئونه ، انما هو من

أهدى واجبات الجامعة ، وأولى وظائفها، ولعلها أن تكون أهمها ، أن كانت قضيته أن تدفع عجلة الحياة في المجتمع .

جامعات بحث ، بلا تعليم

« أما القول بتصور الجامعة من غير طلاب ، وانما تضم عددا من الاساتذة والمتخصصين يتساوون في البحث والدرس ، وقد يعاونهم في البحث والدرس عدد من الطلاب ما تيسر ذلك ، فهذه ولا شك مثالية في التفكير ، لا أظن المجتمعات الحالية تطيقها ، أو تسمح بها ، ومع ذلك فانها جائزة في بعض الأحيان وفي بعض فروع المعرفة ، التي تتبع ترفا عقليا ، وما ذلك الا لأن مطالب الحياة غدت ملحة معقدة ، ومشاكل المجتمعات غدت متصلة متواترة ، تتطلب الحلول السريعة . ومع ذلك فان أصحاب هذا الرأي ينادون بأن المهمة الأساسية للجامعة هي البحث المجرد ، وأما ما عدا ذلك ، فيمكن أن تقوم به معاهد خاصة لتخريج المهندسين والأطباء والمدرسين والكيماويين والجيولوجيين وما أشبه ، ولا شك في أن للفصل بين المهمتين خطورة بالغة ، فستبقى هذه المعاهد منعزلة عن الالمام بالتقدم العلمي ، والتغيرات الهائلة التي تطرأ كل يوم على الوسائل التقنية ، والاضافات العديدة التي تضاف كل حين الى المعارف البشرية .

وسيظل أساتذة هذه المعاهد يرددون ما تعلموه هم من عشرات السنين ، ان كانت ليست لديهم الفرصة الكافية للاطلاع على هذه الاضافات ، او ممارسة هذه التغيرات ، أو الاسهام في ممارسة الاضافة الى هذه أو تلك .

بمن وبماذا تشهر الجامعات

ومن الصعب الحكم على نجاح الجامعة في تأدية وظيفتها التعليمية ، ان كان الحكم منصبا أغلب الأمر على مدى نجاح من تعلموا فيها بالقيام بأعمالهم . وهنا تدخل عوامل شخصية وفردية ، هي التي تتمايز بها الأفراد والأشخاص ، حتى ولو تعلموا في جامعة واحدة ، وعلى أيدي أساتذة بذواتهم . وكثير من الجامعات والمعاهد ، تكتسب شهرة معينة في هذا اللون من المعرفة أو ذاك ، بالاضافة الى نوع من أنواع الألعاب الرياضية ، أو الملعب القوى ، أو الكرة . ومنها ما يشتهر بالمباني أو الملاعب أو المكتبة أو المراصد الضخمة، أو المختبرات المجهزة .

نجوم العلم كنجوم السماء

الا ان الذي لا شك فيه ان أهم ما يميز الجامعات وما ينبغي أن تفخر به انما هم الأساتذة النابهون ، الذين يتابعون الانتاج العلمي الرفيع ، ويسهمون في الاضافة الى المعرفة ، ويتخرج على أيديهم شباب يستطيع ان يتابع الرسالة على أعظم مستوى من الكفاية . أولئك من يسمون « نجوم العلم » ونجم العلم كنجم السماء، اكتسب شهرة وذاع صيته ، وعرف اسمه القاصي والداني ، وأصبح في فن من الفنون، فقد أصبح ذا رأي مسموع في المسائل العلمية ، له اضافات شهر بها ، وعرفت عنه ، ونسبت اليه .

النابه في البحث ليس دائما

نابها في التدريس

ومع ذلك فليس حتما ان يكون أمثال هؤلاء النجوم متخصصين في التعليم ، متميزين في شئون التدريس ، أو لعل وقتهم لا يتسع لمتابعة التدريس والبحث معا ، فقد يمتص الأخير كل نشاطهم وقابليتهم للعمل .

وثمة مقياس آخر لنجاح الجامعة ، هو مدى اسهامها في الانتاج العلمي واشاعة أساتذتها وطلاب البحث فيها

الى المعارف الانسانية ومختلف صورها. ومن الواضح ان هؤلاء يكونون فى العادة اوسع شهرة واكثر تألقا ممن ينصرفون فى التعليم وحده ، وقليل من الآخرين من يكسب شهرة ما ، حتى فى معهده أو جامعته . وانما يكون التألق العلمي من نصيب البحاث ، الذين يعكفون على البحث والدرس والتحليل فى مكتباتهم ومختبراتهم ، يبحثون عن المجهول ويكشفون عن الحقيقة ، ويضيفون الى المعرفة جديدا . ولا مراء فى انه يتعذر ان يتألق العالم فى الناحيتين معا او بدرجة متساوية ، وانما يطلب ان يتفوق فى ناحية وان يكون هذا التفوق على حساب الناحية الاخرى . فاذا كان البحث العلمى هو المحبب الى نفس الاستاذ وهو فى الوقت نفسه الذى يكسب له الشهرة والتألق ، فان كثيرا ما يؤدي واجباته التعليمية على كره منه ، وليس من السهل على مثل هذا الاستاذ ان يقوم بواجباته تلك فى حماس وغيرة وهو يعلم فى قرارة نفسه انها ثانوية او اضافية بالنسبة لاهله الكبير فى البحث العلمى بل وبالنسبة لوظيفة الجامعة ومهمتها .

وليس من شك فى انه ينبغي ان تكون القسمة عادلة بين التعليم والبحث العلمي ، وان الاساتذة لا ينبغي ان يصرفهم واجب عن واجب وان واجبهم فى البحث عن الحقيقة ، والاضافة الى المعرفة ، والمحافظ على السمعة العلمية ، والتألق الشخصي لهم ولجامعاتهم ولأوطانهم ، لا ينبغي أن يصرفهم عن واجبهم فى تنشئة جيل جديد ، يحمل السمات ويتابع تأدية الرسالة ، ويحمل عنهم الشعلة ، ويبقى على ضوئها ساطعا وهاجا .

احد العلماء عرف الجامعات ، قال :

وقد عرف احد العلماء الجامعات بانها تضم هؤلاء الناس الذين من حقهم ان يبحثوا ، لديهم القدرة على ان يسألوا ، والقدرة على ان يستنتجوا وليحصلوا ويصمموا ويطبقوا نتائج اختباراتهم ومهاراتهم . انها ملتقى الكفايات ومجمع العلماء والخبراء والمفكرين وذوى الرأى والمستكشفين والباحثين عن الحقيقة فى بيداء المجهول ، الذين يعتمد عليهم العالم اعتمادا كليا فى حفظ المعرفة وتداولها وتقدمها .

العلم فى حاضر البشرية ومستقبلها

ولعلنا نشعر فى الوقت الحاضر ، اكثر من اى وقت مضى ، باهمية العلم والعلماء ، فها نحن فى سنوات القرن العشرين ، وقد مضى العلم قدما فى عصر الذرة والصاروخ ، نزع الناقوس ليجلجل فى آذان العالم ليسمع من به صمم ويوقد الشعلة ليمشو الى ضوئها النادى والحاضر ، وبذلك غدت مهمة العلماء صعبة غير يسيرة ، فلم تعد المعرفة لذاتها هي الهدف ، ولكن الهدف الآن اسعاد البشرية جمعاء ، ودفع الاخطار عنها ، وتحقيق الرفاهية والرخاء لسكان الذين يترايدون كل يوم ، ولتجنيبهم ويلات الحروب والأمراض ، واسعادهم بمبتكرات العلم ومستحدثاته . وهذا العلم فى رؤوس العلماء ثروة تحرص الدول على تنميتها واقتنائها ، واغراء العلماء ليقيموا فى هذه الدولة او تلك او ليعملوا فى هذا البلد او ذاك . ولقد علا قدر العلم والعلماء ، واستبقت الدول فى التنمية العلمية ، واقامة الجامعات ومعاهد العلم ودور البحث العلمى ، وانشأ كثير من الدول وزارات خاصة للبحث العلمى ، لتشرف على شئونه وتنسق اموره . وان نظرة الى ما كان عليه الحال فى القرن الماضي ، وما آل اليه فى القرن الحالى ، لتدل على الوثبة الهائلة التي خطاها العلم بالبشرية فى مختلف مجالات الحياة الانسانية ومناشطها ، واصبح للعلماء رأيهم المسموع فى المسائل الحيوية التى تهم

شعوب العالم في حربها وسلمها على السواء . ولم يعد العلماء في معزل عن الشعوب ، يعيشون في أبراجهم العاجية ، كما كان الحال قبلا ، بل غدوا أعضاء عاملين في المجتمع يتأثرون بكل ما يحوطهم من أحداث ، ويستجيبون لكل ما يهز شعوبهم من انفعالات .

وما هي آثار العلم في شئون الدفاع عن الأوطان والذود عن حياضها ، وفي شئون الصناعة والزراعة والطب والصحة العامة والمواصلات والاعلام وغيرها ؛ ولا شك أننا في ستينات القرن العشرين غيرنا في خمسيناته أو أربعيناته فما بالك بعشريناته وعشراته . لقد تقدمت الوسائل العلمية والتكنية ، بفضل جهود العاملين من رجال الجامعات حتى غدت الانسانية بفضلهم تقفز قفزات واسعات يتبدى أثرها كل حين ، وما أشك في أننا في سبعيناته سنصل إلى القمر والكواكب ، ونشبح صعدا في آفاق الفضاء العريض .

النظام الجماعي ، مكان النظام الفردي ، في البحث العلمي

ومنذ أوائل هذا القرن ، استحدث أساتذة الجامعات ، نظاما رائعا للبحث العلمي ، ذلك هو النظام الجماعي بدلا من النظام الفردي الذي كان متبعا قبلا . وقد ازدهر هذا النظام أول الأمر في الجامعات الألمانية ، وبدت آثاره في تفوق ألمانيا في صناعة الكيماويات والأدوية وصناعة الصلب والآلات . وظهرت آثار هذا التفوق في الحرب العالمية الأولى . ولوحظ العالم بالتفوق الساحق للمدافع والغواصات الألمانية ، وفي حرب الغازات ، فضلا عن تفوقها بل واحتكارها لصناعة الأصباغ وبعض الكيماويات والأسمدة والأدوية النادرة . مما دفع العلماء والأمريكان بعد ذلك إلى العناية بهذه البحوث العلمية والتكنية . وسطع في سماء هذه البحوث أعلام من أمثال « ماكسويل » و« والى » و « هيرتز » و« هابر » و « روبسون » و « كروكس » وغيرهم .

مثل من التعاون في البحث الجماعي

ويكفي أن نذكر بعض الأمثلة لتبيان أهمية هذه البحوث ، ذلك هو الخاص بتثبيت الأزوت ، وأهميته معروفة في التسميد لإخصاب الأرض وفي صناعة المفرقعات ، وكانت أول ضربة وجهها العلماء لألمانيا ، إنما هي في منع السفن المحملة بنترات الصودا الشيلي من الوصول إلى ألمانيا ، وبات متوقعا أن تنهار ألمانيا . وأن تجثو على ركبتيها طالبة العفو والصلح ، ولكن سرعان ما نشط العلماء الألمان وعلى رأسهم « هابر » ولثبتوا الأزوت من الهواء الجوي ، وغدت ألمانيا بعد ذلك منتجة للنترات بأسعار تقل كثيرا عن أسعار النترات الطبيعي في شيلي ، مما انهارت معه اقتصاديات شيلي التي كانت تعتمد بالدرجة الأولى على ما تنتجه أرضها من نترات ، مما دعا علماء أمريكا لمعونة شيلي عن طريق عمليات استخراج النترات وتصنيع [illegible] حتى تستطيع أن تنافس الصناعات الألمانية في هذا المضمار ويدلنا هذا المثال ، على أن اقتصاديات الأمم والشعوب ، بل ورفاهية الأمم والشعوب ، إنما تعتمد بالدرجة الأولى على رصيدها الدائم المتجدد والزيادة من العلم والمعرفة .

ويضيق بنا المقام إذا نحن حاولنا ذكر أمثلة أخرى لأثر البحوث العلمية في مختلف المجالات ، أي في الطيران ، أو الصناعات الالكترونية ، أو استغلال الطاقة الذرية أو بحوث الفضاء .

مثل آخر للتعاون في البحث العلمي

ومثال آخر على أهمية التعاون العلمي بين أساتذة الجامعات في العالم ، ذلك

الذي كان منذ بضع سنوات في السنة الدولية الجيوفيزيقية ، التي بدأت في أول يوليو سنة ١٩٥٧ وانتهت في آخر ديسمبر سنة ١٩٥٨ وتمت فيها رصدات وتسجيلات علمية على أعظم جانب من الاهمية ، وثمة سنة دولية أخرى بدأت في أول يناير ١٩٦٤ وتنتهي في آخر ديسمبر سنة ١٩٦٥ . ولقد سميت السنة الدولية للشمس الهادئة ، وفيها تجري دراسات وتسجيلات ورصدات هامة سيكون لها أكبر الاثر في الدراسات المتعلقة ببحوث الفضاء وطبقات الغلاف الجوي ، والأشعة الكونية ، والاكليل الشمسي ، والبقع الشمسية وما الى ذلك . ولا شك أن لمثل هذا التعاون في التخطيط والتنفيذ اثره الفعال في نجاح مثل هذه المشروعات العلمية الجماعية فقد فاقت كمية المعلومات التي أضيفت الى معارفنا كل تصور . وثمة مشروع علمي جماعي آخر سيضيف الى معلوماتنا الكثير ذلك هو مشروع دراسة الكرة الارضية بحرثها وتحليل طبقاتها ، حيث يتعاون الكيماويون والجيولوجيون والرياضيون والطبيعيون والبيولوجيون وغيرهم من مختلف جامعات العالم ومن ارجاء الأرض جميعا على البحث والدرس .

وبحوث الذرة مثل من التعاون الجماعي

وان نظرة الى التقدم الذي حققه العلماء في ميدان الطاقة الذرية ، ليؤكد مرة أخرى أهمية العمل الجماعي ، فمنذ كشوف « رذرفورد » و « مدام كوري » في عشرينات وثلاثينات هذا القرن ، حتى اطلاق الطاقة الذرية من عقالها في اربعينات القرن الحالي ، ثم الى ما وصلت اليه بحوث الذرة في الوقت الحاضر ، من معاملات للقوى ، ومعاملات لانتاج النظائر المشعة ، واستغلال الطاقة النووية في شئون الحرب والسلم ثم انشاء وكالة للطاقة الذرية تابعة لهيئة الامم المتحدة ، لتنسيق العمل والبحث مما قدرت نفقاته لا بالملايين بل بالبلايين .

احصائيات

وتقدر الاحصائيات عدد المشتغلين بالعلم والبحث العلمي في مطالع هذا القرن بنحو مائة الف بنسبة لا تزيد على واحد في الف من السكان ، وتقدر حجم الانفاق في هذا المضمار بنحو عشرة ملايين دولار بنسبة لا تزيد على نصف أو واحد في المائة من مجموع الانفاق . واذا بهذه الارقام تقفز في ستينات القرن الحالي ، الى نحو ثلاثة ملايين باحث ينفقون نحو خمسة عشر بليونا من الدولارات أو نحو ١٥ ٪ من حجم الانفاق ، ويرى المختصون ان عدد العلماء ما زال قليلا بالنسبة لعدد السكان اذ انه لا يجاوز ٥ر١ في الالف من عدد السكان ، كما ان الانفاق في البحث العلمي ينبغي ان يكون اكثر سخاء حتى يتحقق للبشرية ما يرجى لها من خير ورفاهية وامن وسلام .

ترى ماذا تقول الارقام والاحصائيات عن جامعات الوطن العربي واساتذتها ونسبة الانتاج العلمي فيها ، وحجم الانفاق على البحوث العلميه . ما أشد حرصي ان ارى جامعاتنا العربية عالية الذرى ، وبحوث اساتذتها رفيعة القدر ، وان أرى دولنا العربية تستبق في انشاء الجامعات والانفاق على البحوث العلمية وتقدير العلم والعلماء ، حتى تواكب الركب بتخريج اجيال متدفقة من شباب العلماء الذين ينهضون بامانة العلم نحو الانسانية . ويتابعون البحث العلمي في مختلف مجالاته لخير الانسان ورفاهيته .

■

عبد الحليم منتصر

إعرف وطنك أيها العربي

الطائف

• الأقاليم الذي كانت
ونقل إلى

• أجمل المصايف
تقع وسط



قام بهذا الاستطلاع

محمد بدر الدين خليل

وصوره :

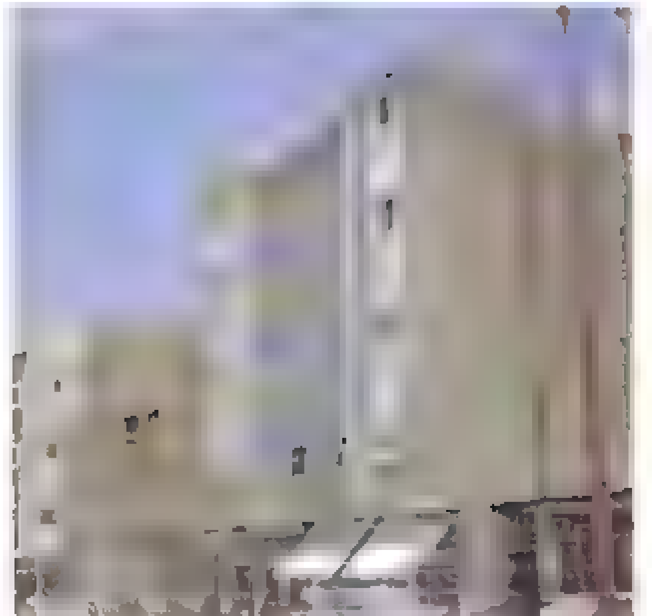
«شعره»





أقطع من شمال بادية العرب !

والمسافات الجبال والرمال !



■ قفزت من مجلسي مذعورا ، اذ فوجئت بشخص يدفع الى صدري ما يشبه فوهة البندقية، ونحن في مجلس امير « الطائف ». حتى اذا تمالكت جأشي ، تبينت ان البندقية لم تكن سوى مبخرة اسطوانية الشكل ، انبعث منها فيض من الدخان العطر ، ملأ صدري ..

وعدت الى مجلسي لاواصل حديثي مع مهندس بلدية الطائف ، واذا بالمبخرة تعود في حركة مباغتة الى صدري .. وفي هذه المرة ، تحملت أعصابي ، واستجلبت بعض الدخان العطر بيدي ناحية صدري ، كما رأيت القوم يفعلون ، ومضيت في الحديث .. وعندما عادت المبخرة للمرة الثالثة ، لكزني صديق مرافق ، وهمس : « هذه عادة من تقاليد أهل نجد القدامى .. اشارة موجهة الى الضيف ان قد آن له أن يستأذن للانصراف » .

العاصمة الصيفية للدولة

وخرجت من دار الامارة الطائفية ، فاستقبلتني نسمات لطيفة ، برغم ان الشمس كانت تزحف الى كبد السماء .. ورنت في اذني كلمات الامير عبد العزيز بن فهد بن معمر :

« نحن لا نحتاج الى المراوح هنا في الصيف ، ولا نعرف مكيفات الهواء » .

ولقد وجدتني — حين قال هذه الكلمات — اتطلع الى سقف القاعة الواسعة التي كنا نجلس فيها ، فلم أر أثرا لمروحة ، على خلاف ما هو شائع في بيوت شبه الجزيرة العربية بأكملها ، من تزويد كل حجرة بمروحة ..

وسألت : « وفي الشتاء ؟ » .

وفي هذه المرة ، اجاب الشيخ ناصر بن معمر ، وكيل الامارة : « وفي الشتاء لا نستخدم المدفئات .. ان اقصى ما يلجئنا البرد اليه هنا ، هو ان نوصد النوافذ، فلعل حرارة انفاس الموجودين تكفي لتدفئة المكان » .

وكان عجيبا ان يوجد مكان كهذا وسط الصحراء، وفي واد تكاد تحيط به الجبال من كل جانب . ولكن العجب يزول ، اذا عرف المرء ان مدينة « الطائف » تقوم على ارتفاع ٦٠٠٠ قدم تقريبا ،



تعاون أهل مدينة الطائف في تجميل مدينتهم وشق الشوارع الحديثة بها ، فكان ذلك مظهرا من مظاهر ارتقاء الوعي الاجتماعي والوعي عندهم .. وهذا احد الشوارع تتوسطه الاشجار .



امسيات عذبة « الطائف » تروق المتجددة لدى الأهالي ، بسبب اضاءة المصابيح الكهربائية في جميع شوارع المدينة

فوق سطح البحر ، وانها عرفت في مختلف العصور ، كمصيف لأهل الحجاز .. وقد اتخذتها الحكومة السعودية – منذ استقرت لها الأمور – عاصمة صيفية للمملكة ، تنتقل اليها اجهزة الحكم في فصل الصيف من كل عام .

قطعة من الشام

ويسوقنا هذا الى قصة ذكرها بعض المؤرخين العرب . وخلاصة هذه القصة ان الله استجاب الى دعاء نبيه ابراهيم عليه السلام ، حين نقل زوجته هاجر وابنها اسماعيل الى مكة ، اذ قال :

« ربنا اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع ، عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم »

عند ذلك أمر الله كبير الملائكة « جبريل » ، فاقتلع قطعة من ارض الشام ، وطاف بها حتى اقامها في البقعة التي تشغلها « الطائف » الآن .

ومن الطبيعي – في عصر النطق العلمي – ان ينكر علماء الجغرافيا وطبقات الأرض هذه الرواية ويعتبروها اسطورة .. ولكن للاستاذ خير الدين الزركلي قول في هذا الصدد ، مؤداه ان هذا لا يمنعنا من ان نراها اليوم « خيالا شعريا جميلا معبرا .. وليس على الشاعر من حرج » .

بساتين في احضان الجبال

والواقع ان الذي يجوس خلال مدينة «الطائف» اليوم ، قد لا يرى من اوجه الشبه بينها وبين الشام سوى بعض البساتين والبقاع المشجرة .. ولكن الذي يجاوز المدينة ويضرب خلال الجبال التي تحيط بها ، يرى ما يفوق الشام خضرة وجمالا ...

ففي احضان الجبال تنتشر البساتين الوارفة ..



بل ان على جبل « الشفا » — أو « الشفا » كما ينطقونها — غابة كثيفة يصل طولها الى كيلومتر ، كما قيل لي .. وينبت شجر الزيتون فيها نبتا طبيعيا ، فتظل ثماره تنمو وتثقل الاغصان ، الى ان تتشقق فيسيل منها الزيت على الرمال .

ومثل هذه الخيرات ثروات ضائعة .. ولكن اولي الامر في المملكة السعودية بدأوا يعنون بها . وهي وان كانت عناية قد تأخرت ، الا ان القوم هناك — حتى رجل الشارع — ليرى يبدو كأنه شعار لركب التقدم الحديث في المملكة السعودية، فهم يقولون : « نذكر ان عمرنا عشر سنوات فقط فهو لا يحتسب الا منذ بدأ الاصلاح العمراني لدينا — واعتقد هذا — لا يزال صغيرا ، او نمشي بخطوات قصار . ولكن هذه الخطى لن تلبث ان تتسع وتزداد سرعة » .

موطن ثقيف وسوق عكاظ

هذا القول صحيح . والسنوات العشر قد لا تزيد على جزء من مائتين او اكثر من عمر الطائف. فهي من اقدم المدن في بلاد العرب .. وقد كانت والاقليم المحيط بها — والذي يحمل نفس الاسم — من اهم مواطن « ثقيف » و « هوازن » و « قريش » ، وهي ثلاث من اعرق قبائل العرب .. كما كانت يوما مركزا لعبادة « اللات » .. احد الاصنام الكبرى في عصر الجاهلية . وفي الاقليم كذلك ، « سوق عكاظ » التي كانت قوافل العرب تتوافد عليها في شهر ذي القعدة من كل عام ، ثم تبارحها في الثلث الاخير منه الى « ذي المجاز » و « مجنة » قبل ان تنحدر الى مكة لتطوف بالكعبة التي كانت بيتا لاصنامها ..

وقد تضاربت الاقوال في موقع « سوق عكاظ »، ولكن المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام ، عني بتحقيق الموقع مع اثنين من العلماء السعوديين ، وانتهوا الى انه يقع على مسافة اثنى عشر كيلومترا شرقي مطار الطائف الحالي ، الذي يسمى « مطار الحوية » ، نسبة الى القرية التي يقوم فيها ، والتي اصبحت من ضواحي مدينة الطائف ..

مرتع طفولة النبي

ولقد كانت وديان اقليم الطائف وجباله اول ما تفتحت عليه طفولة النبي — عليه الصلاة والسلام — في حضانته ، اذ كانت منازل « بني سعد » — وهي قبيلة حليمة السعدية مرضعته — هناك .. ولعل هذا هو ما حدا به الى ان يسعى الى « الطائف »، حين أيأسه عدم انتشار دعوته في مكة ، وان يلوذ بأهلها. ولكن ثقيفا صدته اشنع صد ، متمسكة بعبادة الاصنام ، واغرت به صبيانها فقذفوه بالحجارة .. ثم انتشر امره في مكة ، فلما عاد اليها استقبلته قريش بالسخرية والاذى ..

ولكن هذه المحن لم تفت في عضده ، فعاد الى الطائف بعد عشر سنوات وقد فتح مكة، وحارب « هوازن » و « ثقيفا » في وادي حنين ، وحاصر مدينة « الطائف » المنيعة ، حتى لاذوا بها .. ثم انصرف عنها ، فجاءه سادة « ثقيف » طائعين يعلنون اسلامهم ، واثر ذلك كتب لهم بحرية واديهم .





مسجد ابن عباس وضريحه من المعالم التي بقيت شاهدة على أمجاد « الطائف » في صدر الاسلام
وقد أضيف الى المبنى القديم مسجد حديث يرى جزء منه في الصورة التي في سطح الصفحة السابقة

الموقع القديم لمدينة « الطائف »

ورد في كتب السيرة النبوية ، ان اصحاب رسول الله حين بلغوا اطراف « الطائف » ، ورأوا وادي « وَجّ » ، اعجبهم ما فيه من اشجار السدر ، فقالوا « ياليت لنا مثل هذا » . ثم سألوا الرسول : « يا رسول الله ، هل في الجنة سدر مثل سدر وَجّ ؟ » ، فانزل الله تعالى قوله : « واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين ، في سدر مخضود » .. اي لا شوك فيه .

ويقال ان مدينة « الطائف » كانت تقوم في وادي « وَجّ » ، وهو احد الوديان الواقعة في اطراف المدينة الحالية . ويذكر « القلقشندي » و « ياقوت » وغيرهما ان اسم الطائف القديم هو « وَجّ » ، وان ثقيفا بنوا عليها جدارا مطوقا بها ، فسميت « الطائف » .

والمتتبع للاحداث التي يضمها تاريخ « الطائف » تفصيلا ، لا يملك سوى ان يوقن من ان المدينة تنقلت من مكانها القديم .. او لعل الاصح ، انها انبسطت في نواح ، وانكمشت في اخرى ، فتزحزح مركزها الى الموقع الحالي .. على حوالي ١٢٠ كيلومترا الى الجنوب الشرقي من مكة ، واصبح وادي « وج » جزءا منها ، يخترقها من الجنوب الى الشمال .

ويتبع المدينة اقليم يتألف من بادية ووديان وجبال ، تكاد مساحتها ان تبلغ مساحة بعض الدول الصغيرة في اوربا .

وعي اجتماعي ناهض

واول ما يستلفت النظر في مدينة «الطائف» اليوم ، شوارع فسيحة ، معبدة تزينها الاشجار ، وتضاء ليلا بالانوار الكهربائية ..

ولهذه الشوارع قصة طريفة تدل على مدى تفتح الوعي الحضري والاجتماعي لدى اهل المدينة .. اذ انها كانت ــ الى حوالي العام ــ ذات طرق ضيقة ، غير مرصوفة ، كما هي الحال في كثير من المدن الصحراوية . وفي العام التالي ، نظم شباب الكشافة من طلبة « الطائف » اسبوعا لتجميل المدينة ، فاقبل الاهالي على الاكتتاب بالمال والجهد وتعاونوا مع الطلبة وجنود الجيش على تعبيد الطرق ، وازالة التلال التي تعترضها باستخدام « تراكتورات » الجيش ــ ورصف الشوارع بالاسفلت ، وتخطيط الميادين ، وغرس الاشجار .





ولما كانوا لم يصدروا في هذا الجهد عن تخطيط شامل لشوارع المدينة كلها ، فان بلدية الطائف تقوم الآن بالتنسيق بين الشوارع وتنظيم ميادينها، كما اقامت فيها المصابيح الكهربائية لاضاءتها .

التعليم ينمو سريعا

ولعل هذه اول تجربة تعاونية جماعية في مدينة من مدن المملكة العربية السعودية ، ان لم نقل من مدن شطر كبير من العالم العربي . على ان اروع ما فيها قطعا ، هو ان طلبة المدارس كانوا اول الداعين لها ، والمساهمين فيها .

والواقع ان الاقبال على التعلم في « الطائف » يمتاز بنمو متزايد سريع .. فمنذ عشر سنوات ، لم تكن بالطائف سوى مدرسة واحدة . ومنذ خمس سنوات ، لم يكن في الاقليم كله سوى ٢٣ مدرسة ابتدائية ، تضم ٤٦١٠ تلاميذ .. اما اليوم فهناك ٥٦ مدرسة تضم ١٠٢٣٤ تلميذا .. الى جانب ثلاث مدارس متوسطة بها ١١٨٧ تلميذا ، ومعهد لتخريج مدرسين للمدارس التي يزداد عددها بسرعة ، ومدرستين ثانويتين تضمان ١٩١ طالبا . واحدى هاتين المدرستين ، تسير على المناهج المعدة للمدارس الثانوية ، لا سيما مناهج الجمهورية العربية المتحدة .. اما الاخرى ـ وهي « دار التوحيد » ـ فتسير على نهج المعاهد الدينية الثانوية التابعة للأزهر .

قوم يشغفون بالمعرفة

ويستطيع المرء ان يلمس العناية المبذولة في نشر التعليم ، حين يعرف ان الحكومة تدفع للطالب المغترب ـ أي القادم من القرى البعيدة عن مدينة « الطائف » ـ ١٥٠ ريالا في الشهر ، أي ما يعادل ١٥ جنيها ، لتشجيعه على الاقبال على الدراسة .. فقد كان كثير من الآباء يؤثرون ان يمسكوا ابناءهم عن التعليم عقب المرحلة الابتدائية .

كذلك يستطيع المرء ان يلمس تطور وعي البدو ، اذا عرف ان كثيرا من اهل القرى التي لا توجد بها مدارس ، اصبحوا يلحون على وزارة المعارف كي تنشيء المدارس في قراهم ، وتتنافس قرى كل مجموعة على ان تكون كل منها مقر المدرسة المنشودة .

والواقع ان ارتفاع الوعي التعليمي يتجلى كذلك في ظاهرة اخرى ، هي اقبال الكبار على تدارك



جانب من سوق « الطائف » ، التي يقبل

ما فاتهم في صغرهم من تعلم .. ولعل هذه الظاهرة لم تعد موضع عجب في كثير من الدول العربية .. ولكنها تدعو الى الاعجاب في السعودية ، بما يسلم به الجميع من ان النهضة التعليمية فيها بدأت متأخرة .

ومن الظواهر الملموسة في « الطائف » ، الشغف بالقراءة والاطلاع والمساجلات والندوات الادبية ..

المرأة تعمل برغم القيود

اما تعليم الفتاة ، فيتقدم بخطى حثيثة ، حتى ان بالطائف اليوم مدرستين ابتدائيتين ، ومدرسة متوسطة ، واخرى ثانوية .. ويجري العمل الآن في استكمال مبنى لمدرسة لتخريج المعلمات للمدارس

منها الناس من كافة أرجاء الإقليم .

الابتدائية ، تقرر افتتاحها في بداية الموسم الدراسي المقبل .

على أن الحديث عن الفتاة ، موضوع لا يزال يحاط بالقيود والتحفظ ، تمشيا بالتقاليد القديمة .. وهي ظاهرة نستشعرها في كل مكان نزوره في السعودية ، وليس في « الطائف » فحسب .

ومن الغريب أن يكون هذا في الوقت الذي أثبتت فيه المرأة — في الطائف — وعيا اجتماعيا يستحق الإعجاب . فقد اجتمعت ٤٠ سيدة وفتاة فشكلن جمعية « اليقظة النسائية » ، التي لم تلبث أن اجتذبت إليها مزيدا من زميلاتهن ، حتى ناهز عددهن الأربعين .. وتعمل هذه الجمعية على رفع مستوى المرأة دينيا وصحيا وثقافيا واجتماعيا .. ومن جهودها ، العمل على محو الأمية بين النساء ، ورعاية الطفولة والأمومة ، وتعليم الفتاة التي فاتتها سن الزواج وتزويدهن بالتدبير المنزلي ، ومساعدة الأسر المعوزة بتنظيم الإناث فيها بالتفصيل والتطريز مع إمدادهن بآلات الخياطة والعناية بتسويق إنتاجهن والفئة المحترفة لأشغالهن ..

على أننا لم نكد نعرب عن رغبة في السماح لعدسة « العربي » بتسجيل مظاهر التقدم النسوي ، حتى فوجئنا بنظرات الاستنكار من فريق ، ونظرات الإشفاق ممن تطورت عقولهم وأدركوا قيمة الصحافة المصورة ولكنهم يخشون أن يجهروا بآرائهم أمام المتزمتين ..

موطن الحجاج الثقفي

وكان من العسير أن نلم بإقليم « الطائف » كله ، فإن مساحته — كما قلنا من قبل — تكاد تعادل مساحة دولة صغيرة . ولكننا اخترنا منطقة « الهدا » في الجنوب الغربي لمدينة « الطائف » .

و « الهدا » اسم تفاوتت الأقوال في طريقة كتابته وشكله .. كتبه « ياقوت الحموي » في كتابه « معجم البلدان » هكذا : « الهدى » ، ثم ذكره في موضع آخر « الهدأة » ، وأضاف أن العامة قد تخفف فيصبح « الهدا » .. وهي منطقة جبلية تتكون من سبع قرى ، بينها قرية « بني صخر » التي ولد فيها الحجاج بن يوسف الثقفي ونشأ بين ربوعها ..

منذ ٢٨ سنة

وتذكرت — والسيارة تنطلق بنا — حديث المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل — في كتابه « في منزل الوحي » — عن زيارته لهذه المنطقة في سنة ١٩٣٦ ، إذ أنه حين بلغ ورفاقه في الرحلة وادي « محرم » — الذي يطل عليه جبل « الهدا » أسفروا حميرا وانطلقوا عليها ..

ويقول الدكتور محمد حسين هيكل : « وخيل إلي أننا سنصعد في متوعر حتى نبلغ غايتنا ، فما راعني إلا الجبل ابتدأ صعدا في السماء أمامنا ، ولم يدع لنا طريقا نسلكه إلا نقب أحمر يتلوى صاعدا مع الجبل بين صخور كلما صعدت في أمرون حجم عليها دون النظر ، ووقفت المطي أمام هذا النقب ، وألقت برؤوسها وآذانها إلى الأرض ، ومحصت بأرجلها الصخر تبرز مباءته ، ثم تقدمت

أجمل الورود . .







في احضان الجبال



في حذر تصعد الجبل ، لتضع رجلا فوق صخرة ، وتنقل الثانية الى ما يليها ، وتقف برهة حتى تتثبت من موقعها ، ثم تنقل رجلها كرة أخرى ممعنة في الصعود . وأمسكت أنفاسي .. ورعب طرف في لمح البصر الى أعلى الجبل ، وردته الى موضع الخطر لهذا الحمار المختار الذي أركبه وفي هذه اللحظات الأولى القليلة القصيرة ، مرت بنفسي شتى الخواطر . واني لكذلك ، اذ زلقت رجل حماري على صخرة ، فاستردها مسرعا »

وكان هذا سببا في أن يصر الدكتور هيكل على أن يترجل ، وأن يتابع الصعود على قدميه . ولكنه لم يكد يطمئن الى أن الطريق استوى ، حتى عاد الى الحمار ..

وهنا يقول : « وأنا لفي مرحنا وفي لمصعدنا « ان للجبل أن يحتمل صعودنا في ارتفاعه ، ولنقتب ... يعود ... صخرة ... وحوش الحمار ظهره الا يعثر بقدميه الأماميتين صخرة نابية في شرفها ، ويبلغ من شروعه أن يكاد الانسان ينزلق هاويا وراء ذنبه لولا أن يشد اللجام .. ويخفق القلب لهذه الحركات البهلوانية خفقا شديدا وتتسم السماء سطرات الاستغاثة بستر الله » .

وترجل مرة أخرى .. وواصل الصعود على قدميه ، حتى بلغ وصحابه « الهدا » التي ترتفع عن مستوى « الطائف » بحوالي ١٢٠٠ قدم وعن سطح البحر بحوالي ٧٢٠٠ قدم .

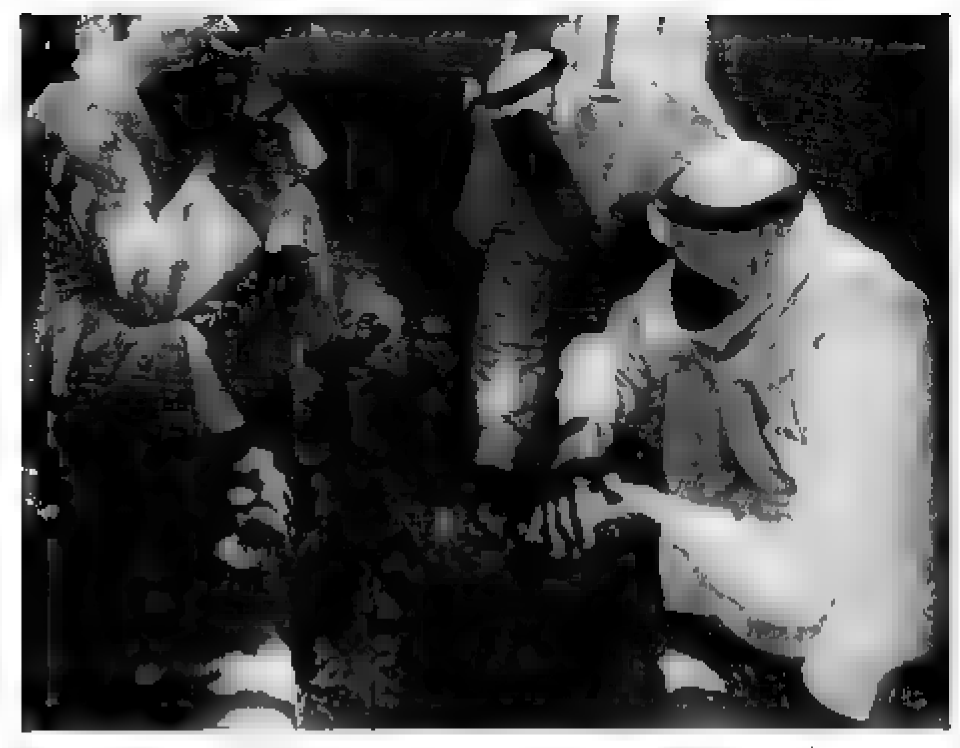
ولكن الحال تغيرت ...

تذكرت كل هذا والسيارة تنطلق بنا،فاوجست خيفة من القاهرة ، وحاولت أن أشغل نفسي بالقراءة عن التفكير في الشر المرتقب .. ولكني لم أقرأ أكثر من صفحة ، ثم رفعت طرفي ، فأمسكت أنفاسي .. لا جزعا كما فعل الدكتور هيكل ، وانما دهشة ..

كانت السيارة في طريق تشبه طرق سويسرا



سد « عكرمة » من أقدم السدود ، وقد قيم في موقع تاريخي ، حيث حارب النبي عندما ... وقد جدد بناء السد حديثا وأقيم فوقه جسر لمرور السيارات .



أمواه تجري من عين « بستان الترمسة » الذي يملكه الأشراف و « بشناه » وتستأجر الحكومة نصف هذه المياه زيادة في الموارد المائية لمدينة الطائف

روعة ، وتلوف طرق لبنان في انساعها ، وفي خلوها من المنعرجات الفاجئة ، والمنعطفات الحادة . فالسيارة تمضي فيها مسرعة دون خوف ، تنساب خلال الجبال صعدا حينا حتى يخيل اليه انه اقرب ما يكون الى السماء ، وهابطة حينا آخر حتى يتوهم الراكب انه اقرب ما يكون الى جوف الارض .. ولكنها - في صعودها وهبوطها - تنساب في سهولة وهوادة ، فلا يشعر الانسان بما يساوره عادة من خوف اثناء الصعود والهبوط المتتاليين ، وانما يخالطه شعور من التخفف هو اقرب الى المرح ، فكأنما به يريد ان يضحك وان يمرح وان يثرثر او يغني ..

« لمسات » لاجتلاب السياح

وعلى الجانبين ، بدت قرى « الهدا » مستكينة في احضان الجبال ، تحف بها البساتين الخضر من كل جانب .. مناظر لو جرت فيها يد الاصلاح بشيء من « اللمسات » ، لما صدقت انك في جزء من صحراء العرب ، ولخلت انك في احد البلاد التي استطاعت ان تجعل من جبالها وقراها ومناظرها الطبيعية موردا هاما من موارد الدخل القومي

والواقع ان هذه المنطقة من الاقليم الغربي للمملكة العربية السعودية ، لتصلح لانشاء مصايف ومشات ومنتجعات تجتذب الناس من اطراف الارض ، لو ان صناعة السياحة ارتقت هناك وتحررت من الاقتصار على موسم الحج .. ولو ان السلطات المسئولة عنيت بتنظيم الدعاية لها على احدث الطرق .. لا سيما بالافلام التلفزية والسينمائية ..

الآلة في حقول البادية

وفيما انا في تأملاتي ، أتصور ما لهذه المنطقة من مستقبل ، انتبهت الى خفقات تنطلق من بين الجبال ، فرددها الوديان .. وأصخت السمع ، فاذا هي أصوات محركات حديثة ، تدور في بعض البساتين والقرى ..

وسألت الدليل الذي كان يصحبنا - والذي

صاحب يوما المرحوم عبد الوهاب عزام ، وصحب سانت جون فيلبي ، أو الحاج عبد الله فيلبي ، في جولاتهما الاستطلاعية في البادية ـ فذكر لي أن هناك مطاحن آلية تقوم في بعض القرى فتطحن البر « القمح » والشعير .. كما أن كثيرا من أصحاب البساتين يحفرون آبارا ارتوازية ، يقيمون عليها مضخات تدور بمحركات ذات الوقود لرفع الماء وإطلاقه في قنوات الري ..

وتوقفت السيارة بنا عند قرية « القرية » أو « الأقربة » أو « القرباء » ـ فقد تضاربت الأقوال في صحة اسمها ، وإن رجح « العمري » أن تكون « الأقربة » ـ لنجوس خلال بعض البساتين ..

فواكه موفورة

وفي البساتين ، كانت مفاجأة لا تخطر بالبال ..

كانت هناك كمثرى ، وعنب ، وتين شوكي ، وتين برشومي ، ورمان ، ومشمش ، وخوخ ، ولوز ، وتوت ، وسفرجل ..

وقال لي الدليل : « إن رمان الطائف من خير أنواع الرمان الحجازي .. فإن بذرته كبيرة ، وبذورها يذوب في الفم دون أن يقلقه النقل المعهود في أنواع الرمان المعروفة » .

وقدم صاحب أحد البساتين بعض ثمار تفاح أخضر في حجم الليمون الصغير وقال : « وهذا التفاح من أبدع فواكهنا .. ذقه ! » . فقلت : « وكيف أذوقه وهو بعد أخضر لم يستكمل نضجه؟ » .. ولكنني لم ألبث أن تبينت أنه ناضج ، ناعم ، لذيذ الطعم .. وأنه لا يكبر عن حجمه هذا .

وقال الدليل : « وهنا نزرع كافة أنواع الخضر التي تخطر ببالك ، ونورد منها أسواق مكة وجدة » . ولم يكن مبالغا .. كانت هناك الطماطم ، والكوسة ، والقثاء ، والخيار .. حتى « الملوخيا » !

وبينما كنا نجوس خلال البساتين ، وقع بصري على شيء كذبت عيني في البداية حين رأيته .. كانت هناك أشجار ورد لتوه بدأ حملت ، وقد ضوعت الجو بعطر شذي .

وسألت عن مصير هذا الورد الذي ينبت وفيرا فقيل لي إن ثمة عددا من المصانع البدائية في القرى وفي مدينة « الطائف » ، تقوم على استخلاص عطر الورد وماء الورد منه . ومع أن الطرق المستعملة



جزء من طريق « مكة ـ الطائف » ، في أوعر مناطقه خلال جبل « كرا » .

في هذه المصانع أبعد ما تكون عن الأساليب العلمية الحديثة ، إلا أن العطر الذي تنتجه من الجودة بحيث يتراوح ثمن الدرهم الواحد منه بين ١٦٠ و ١٨٠ ريالا .. أي ما بين ٥ر١٢ و٥ر١٤ دينارا كويتيا ، أو ما بين ١٦ و١٨ جنيها مصريا .

امكانيات واسعة للتصنيع

ولست أدري ، كيف يفوت المتنورين في « الطائف » ، أن يستغلوا هذه الخيرات الوفيرة التي تجود بها الطبيعة .. فلو أن مصنعا كبيرا أقيم في المدينة ، لتولى تصنيع كافة محصول

الاقليم من الورد ، ولأنتج كميات معدة ومعبأة على احسن وجه لتغزو أسواق العالم ..

وهذه الفواكه الوفيرة .. لماذا لا تكون اساسا لصناعة المعلبات والفواكه المحفوظة ؟

وشجر التوت .. لماذا لا يستجلب « دود القز » ويوزع على الاهالي كما توزع « الوحدة الزراعية » عليهم الدواجن والمواشي لتحسين السلالات المحلية ؟ .. ان تربية « دود القز » كفيلة بان تخلق صناعة الحرير الطبيعي هناك ..

كل شيء يوحي بامكانيات واسعة للتصنيع ، تتيح فرصا للعمل لابناء الاقليم ولابناء البقاع الاخرى من المملكة السعودية ، وتساعد على زيادة الدخل القومي ، وعلى رفع مستوى المعيشة ..

حركة تعاونية مزدهرة

ولقد اثرت هذا الموضوع في جلسات ضمت مدير الوحدة الزراعية ، ومدير التعليم ، ومندوب وزارة الشئون الاجتماعية وادارة العمل ، وبعض المتعلمين وقادة الفكر في « الطائف » ، فكان الجواب التقليدي : « لا تنس أن عمرنا عشر سنوات فقط ، من المدة التي انقضت منذ بدأت حركة الاصلاح وجهود التطوير والتنمية على اصولها » .

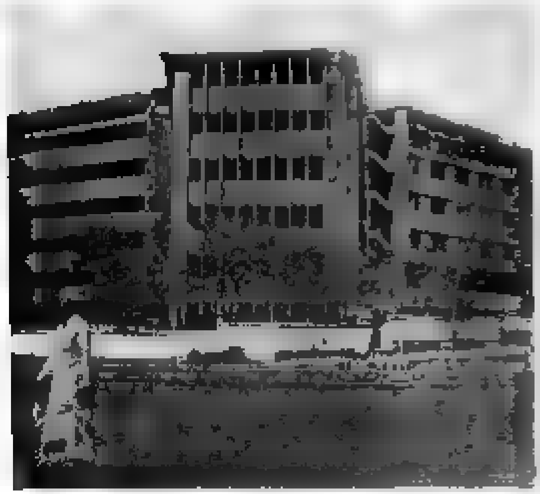
قلت : « اخشى ما اخشاه أن يصبح هذا العمر محل المفاخر ليقعد بكم » !

وبدا لي اللوم لن الامر على النقيض ، فان الحركة التعاونية تسير سيرا حثيثا في الاقليم ، وانه تسنى فعلا قيام جمعية تعاونية زراعية تمد المزارعين بالمواد والآلات الزراعية .. فضلا عن قيام جمعية تعاونية استهلاكية — ويسمونها هناك « جمعية تعاونية متعددة الاغراض » — استطاعت برغم قصر عمرها أن تسجل انتصارات باهرة على التجار الجشعين .. وهي الآن تخوض معركة مع تجار المحروقات (البترول والبنزين) الذين وقفوا — ازاء وجودها — موقفا عدائيا — على أن يحرموها من المحلة التي كانت تستأجرها لبيع المحروقات ..

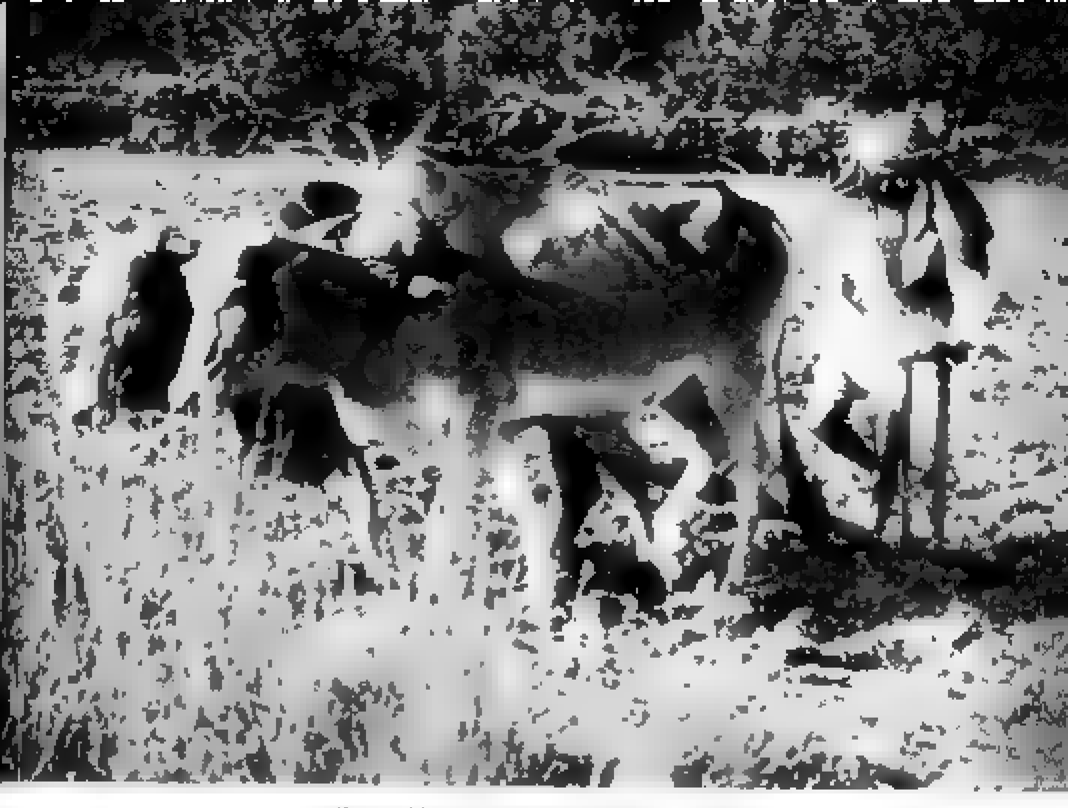
في سبيل التدريب الحرفي

وذكر لي مندوب العمل والشئون الاجتماعية في « الطائف » أن الوعي الصناعي في الاقليم لا يزال بحاجة الى تنمية .. فالى عهد قريب جدا ، كان الاهالي يعتبرون ممارسة الحرف — غير الزراعة

استخدام الحرب الكهربائية في علاج مرضى الامراض العصبية من احدث اساليب العلاج تتبعه في مستشفى « شهار »



مستشفى الامير فيصل ، الذي يجرى استكمال واعادته ليكون المستشفى الرئيسي للطائف



الزراعة من اعرق الحرف في اقليم الطائف .. ولا يزال
بعض الاهالي يستخدمون الدواب في حرث الأرض

والتجارة — منقصة تنال من مكانتهم الاجتماعية .. وكانوا يتركون العمل الحرفي للنازحين الى البلاد من حضرموت واليمن وغيرهما .. ولكن نظاما جديدا وضع ليحول دون تجديد اقامة اي صاحب حرفة ما لم يتعهد بتدريب عامل من ابناء الاقليم ..

وضرب لي مثلا على الجهود المبذولة لحث القوم على ممارسة الحرف .. فقد كان ابناء الاقليم يأبون العمل في صناعة البناء ، فانتهز فرصة انشاء مبنى لمديرية العمل والشئون الاجتماعية ، وتطوع وموظفو مكتبه للمساهمة في عمليات البناء ، واذا الذين كانوا يأبون العمل يقبلون عليه في تحمس ويؤلفون نواة الطبقة العاملة التي يجرى الآن تدريبها ..

الطريق الى مكة

بعد هذا الاستطراد ، نعود الى « الهدا » .. فاننا لم نلبث ان تابعنا رحلتنا حتى قمة الطريق .. الا ان « الهدا » منتهى جبال تشرف على جبل « كرا » — او « كرا » كما ينطقونها — حتى ليسمونه بأنه « سطح جبل كرا » .. اذ ينحدر السالكون الى مكة من الطائف منه الى هذا الجبل، ومنه الى عرفات ثم مكة .. ويقال ان هذا هو الطريق الذي سلكه النبي — اذ سار في محاذاته — منصرفا سعى الى الطائف قبيل الهجرة ، ليدعو اهله الى الاسلام .

ولقد كان شق طريق « الهدا » من الطائف عملية انشائية رائعة ، فهو يمتد بين جبال صخرية صلبة في كثير من المواقع ، ومع ذلك فهو ليس سهلا ، فلا ارتفاعات وانخفاضات صعبة ، ولا منعرجات حادة تتخلله ، مما يكفل اقصى سلامة للسيارات ..

على ان الشطر الثاني للطريق — من مكة الى رأس جبل « كرا » — اشد صعوبة ، فانه يمتد



ولكن مديرية الزراعة تعد من بين ... مزارعي
بالآلات الحديثة لعله أمر رغيد، للنهوض بالانتاج الزراعي

في جزء من الجبل ارتفاعه شبه عمودي الى ١٢٠٠٠ قدم . ومن ثم فقد رؤى ان يدور الطريق عدة دورات ليكون تدرج منسوب ارتفاعه ستة سنتيمترات في المتر .. وقد استغرقت هذه الدورات - التى يقصد منها التدرج السهل في الارتفاع - ٢٤ كيلو مترا ، لتصل بين بقعتين من الطريق لا تفصل بينهما سوى اربعة كيلو مترات ..

ولا يسع المرء - وهو يلم بهذا - سوى أن يتجه بذهنه الى المشاق التى كان الرسول عليه السلام يتكبدها في سبيل اداء رسالته ، حين سافر من مكة الى الطائف .

امكانيات سياحية

والطريق - في ارتفاعاته وانخفاضاته - يتنقل بين وديان وجبال . ولما كانت بعض الوديان مجارى للسيول المتخلفة من الامطار - وهى تكاد تسقط في ثلاثة فصول من السنة - فقد اقيمت على جانبي الطريق في ارتفاعاته سدود لاحتجاز المياه .

ولقد كان الغرض الاساسي من هذه السدود ، وقاية الطريق وما وراءه من السيول ، وزيادة المياه الجوفية في المنطقة .. ولكن من الممكن - اذا ما خطط مشروع سياحي هناك - ان تنشأ في هذه المواقع بحيرات او برك صناعية للسباحة ولتربية الاسماك ..

خبرة تاريخية بانشاء السدود

وانشاء السدود من اعرق الاعمال التى تتصل بتاريخ الطائف . فقد درج أهله - منذ اقدم العصور - على الاستعانة بها على دفع اضرار السيول ، وعلى احتجاز مياهها لرفع منسوب الآبار عندما تشح الامطار ..

وقد بلغ اهل الطائف الاقدمين في هذا الفن شأوا

بعيدا ، يدل عليه بقاء بعض سدودهم الى اليوم، مثل سد «السملكجي» في وادي «لمماتلة» ، الذي امر ببنائه معاوية بن ابي سفيان ، وتولى الشروع عمرو بن العاص ، منذ حوالي ١٢٠٠ سنة .. وهناك حوالي سبعين سدا اخرى لتشب فيها الحجر مخالبه ، ولكن اطلالها لا تزال قائمة تشهد ببراعة البناء ، وصلابة الصخور التي استخدمت فيه .

واحدث السدود هو « سد عكرمة » الذي جدد بناؤه ، فاصبح يحتجز المياه وراءه الى ارتفاع ١٨ مترا . وهو منسوب الى عكرمة مولى عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله وجد الخلفاء العباسيين . اذ يقال ان النبي حارب ثقيفا في الوادي الذي يقوم فيه هذا السد وان عكرمة قد استشهد مع بعض الصحابة ، فدفنوا الى جواره .

ولابن عباس تاريخ يختلط بتاريخ الطائف . فقد كان من رواة الحديث، ومن كبار علماء الاسلام .. ويروي الاستاذ احمد السباعي ـ في كتابه «تاريخ مكة» ـ انه كان من اوسع الصحابة علما ،وكانت له حلقة درس في المسجد الحرام بمكة ، وكان يتردد على الطائف ، وقد وافته المنية فيها سنة ٦٨ هجرية ، فدفن هناك في مسجد اليم في الموضع الذي حاصرت فيه قوات النبي مدينة الطائف منه.. وقد تضافر امراء المسلمين ـ في اليمن والحجاز ومصر ـ على تجديد عمارة هذا المسجد كلما كان يتهدم، ثم اقامت الحكومة السعودية مسجدا جديدا جعلت المسجد القديم جزءا منه .

ولقد فطنت السلطات الى ان تهدم السدود هو الذي ادى الى اضمحلال بساتين الطائف ، الا انها ـ على كثرتها اليوم ـ تعتبر قلة بالنسبة لما كانت عليه في الماضي ..

والذي يزور مسجد ابن العباس ، يستلفت

نظره مبنى ضخم لا يزال العمل يجري لاتمامه .. ذلك هو « مستشفى فيصل » ، اكبر المستشفيات العامة في الطائف .. ومن المنتظر ـ اذا ما اكتمل ـ ان يضم ٦٠٠ سرير ، ولن تتسع عياداته الخارجية لاقل من هذا العدد ..

مستشفيات الطائف

وذكر المستشفيات يسوقنا الى مستشفيين تمتاز بهما الطائف ، اذ انهما اليها بما لا تجوزانه البديع من آثار علاجية ، ويقصدهما المرضى من كافة ارجاء المملكة السعودية .

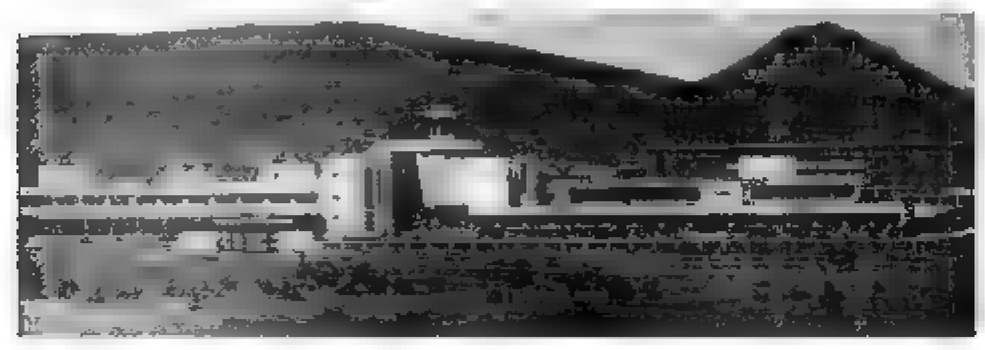
واول هذين المستشفيين هو « مستشفى السداد » .. اكبر مصح للامراض الصدرية ، في المملكة . وهو يحتل قسم واد يقوم في اطراف المدينة ، تحيط به هضاب « الردف » .

ويتسع مستشفى السداد لحوالي ٤٥٠ مريضا في قسم الرجال ـ المؤلف من ٨ مبان ، كل منها طابقان ـ و٢٥٠ مريضة في قسم الحريم الذي يقوم بمعزل ، وكأنه مستشفى مستقل ..

اما المستشفى الاخر ، فهو « مستشفى شهار» .. ويقوم على ربوة مقابلة لربوة المستشفى الاول، وان كانت تطل على بستان اخذ عنه المستشفى اسمه . وهو بستان قديم ، اقيمت فيه اول تجربة لرفع المياه بآلة رافعة يديرها الهواء .. على ان هذه الآلة لم تعد اليوم قائمة ، ولا عادت للتجربة قيمة بعد ان شاع بين القوم استعمال المحركات ذات الحريق لادارة مضخات رفع الماء..

ومستشفى شهار هو المستشفى الوحيد للامراض العصبية والعقلية في المملكة السعودية ، ويضم حوالي ٥٠٠ مريض ، منهم حوالي ١٠ في المائة من الحالات الخطرة ويجري العلاج فيه على احدث الاساليب العلمية ، من استخدام للصدمات

منظر عام لمستشفى «شهار» المستشفى الوحيد للامراض العصبية والعقلية في المملكة العربية السعودية





كرمة من كروم العنب في بساتين ابو حجر الزراعية في « الطائف » .. وتشتهر المنطقة بجودة انواع العنب

الكهربائية ، ومن تأهيل مهني يستغل في العلاج .. ومن طريف ما يذكر ان احد المرضى برع في اعمال النجارة ، فلما تم له الشفاء ، لم تتردد ادارة المستشفى في تعيينه نجارا بها ..

واطرف من هذا ، ان بعض المرضى الهادئين - ومعظمهم من ضحايا الصدمات العصبية - يصدرون في المستشفى مجلة دورية صغيرة ..

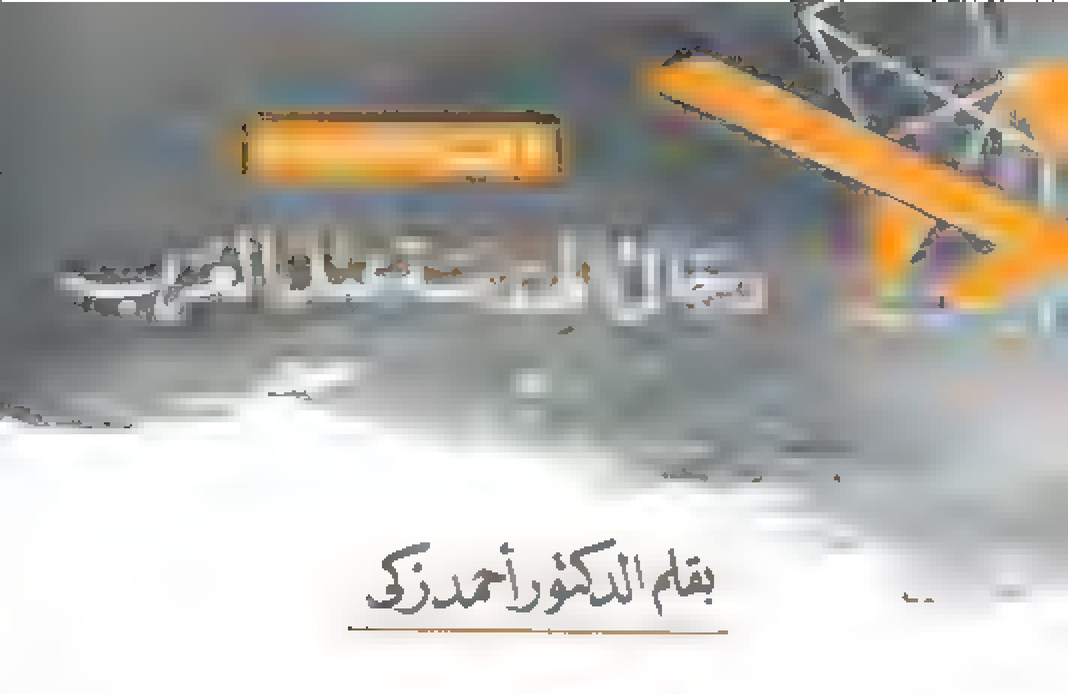
المستقبل يتفتح امام الطائف

وبعد ، فالحديث عن الطائف لا يكاد ينتهي ، مع ان تباعد اطراف الاقليم ، وصعوبة مسالكه في كثير من ارجائه ، حالت دون ان نرتاد اكثر من ربعه او ثلثه ..

ولكننا لا يمكن ان نغفل - في ختام الاستطلاع - ما ورد في كتب التاريخ من ان اكثر العرب الذين تركوا في التاريخ الاسلامي ذكرا ، كانوا من الطائف، من قبيلتي ثقيف وهوازن .. وانه لولا قيام بيت الله بمكة ، ولولا انها مسقط رأس النبي العربي، لكانت الطائف صاحبة الامر في الحجاز ، لا سيما بعد ان فقدت مكة مكانتها التجارية القديمة ، عقب تحول طريق التجارة من البر الى البحر .. بل ان كثيرا من المفسرين للقرآن ، يرجعون المنافسة بين الطائف ومكة الى ابعد من هذا ، اذ يقولون ان الطائف هي احدى القريتين اللتين ورد ذكرهما في قوله تعالى : « وقالوا لولا انزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » .. وكان عظيم مكة - اذ ذاك - هو « ابو جهل » ، وعظيم الطائف هو « عروة بن مسعود الثقفي » الذي قدر له ان يكون من الصحابة ومن الشهداء ..

ولو ان اقليم « الطائف » وجد من العناية ما يرجى له لاصبح من اشهر المواطن السياحية ، ومن اغنى البلاد بانتاج الفواكه والخضر ، وبالصناعات التي يمكن ان تقوم عليها . ■■

محمد بدر الدين خليل



بقلم الدكتور أحمد زكي

[illegible]

ثلاثة عشر ، حوت ما عرف الناس في زمانه من هذا العلم ، كتبها في الاسكندرية قبل ميلاد المسيح بنحو ٣٠٠ عام وذكرت كيف أن هذه الكتب قد عاشت الى يومنا هذا ، رغم التقدم العلمي السريع العميق ، الناصع ، المدهش في [illegible] تحوي أصول هذا العلم ، ولم تكد تمسها يد تغيير كبير ، يتعلمها اليوم طلبة المدارس ، مثل ما كان يتعلمها صبية العرب القدماء ، وصبية الاسكندرية الاقدمون قبل الميلاد . وذكرت كيف حفظ العرب هذا التراث ، وزادوه ثم الى أوروبا ردوه .

واليوم أذكر رحالات العرب الذين حصلوا أول حاصلين على هذا التراث [illegible] ثم زادوه .

الحجاج بن يوسف بن مطر

أول هؤلاء الرجال الحجاج بن يوسف .

وهو غير الثقفي المشهور في بني أمية [illegible] بن مطر ، وذكرت أنه ترجم [illegible]

اولاد موسى ، قاطع الطريق

[illegible] خراسان ، وكان قطاع طريق في شبابه . [illegible]

[illegible] أنشأه في بغداد ، بيتا للدراسة والعلم . ووصف الافرنج بيت الحكمة هذا ، قالوا انه احتوى على مكتبة علمية ،

[illegible]

وجدّ العصبة الثلاثة في دروسهم ، وجدّوا في تحصيلهم ، وتبحروا . و[illegible] أشهرهم محمداً ، أبا جعفر ، بن موسى ، كان عالماً غزير العلم ، في الهندسة ؛ وفي الفلك ، وأما أحمد فتميز في الميكانيكا ، في علم [illegible]

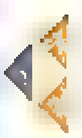
الحسن بن موسى

[illegible] لا يصحبه فيها لاحق . ولم يكن قرأ كتاب أقليدس ، ولكن أغنته ذاكرته ، وأعفاه منطقه وقوة حجته عن تمامه ، [illegible] مرة على المأمون في مجلسه ، فقال أحد جلسائه عن حسن أنه لم يقرأ من أقليدس غير ستة من كتبه . قال الحسن يدفع عن نفسه : يا أمير المؤمنين ، إن السائل إذا سألني عما لم أقرأ لاستخرجت جواب ذلك بالمنطق مما قرأت ، دون [illegible]

[illegible] رأيت العالم العارف بالهندسة ، بعدما أنكر قد عمد بك عن أسماء قرائه [illegible]

ما قال مؤرخو الشرق عن أولاد موسى

[illegible] هذه الجهود تام في عهده [illegible] أعضوا كل العناية [illegible] الكتب إلى اللسان العربي . [illegible]



في الهندسة والموسيقى والارثماطيقي والفلسفة والطب .

وقال السجستاني : « ان بني موسى كانوا يرزقون جماعة من النقلة (يقصد المترجمين) ، منهم حنين بن اسحق ، وحبيش بن الحسن، وثابت بن قرة وغيرهم، في الشهر نحو .. ٥ دينار للنقل والملازمة » .

وقال ابن النديم عن أولاد موسى : « هؤلاء القوم ممن تناهوا في طلب العلوم القديمة وبذلوا فيها الرغائب واتعبوا فيها نفوسهم ، وانفذوا الى بلاد الروم من اخرجها اليهم ، فاحضروا النقلة (المترجمين) من الاصقاع والاماكن بالبذل السني » .

ما قال مؤرخو الغرب عن اولاد موسى

ومؤرخو الغرب ، قالوا في أولاد موسى مثل ما قال مؤرخو الشرق ، وذكروا هذا النقل تاليهم . قالوا : « ان أولاد موسى لمعوا أكبر اللمع ، وكانوا سادة في العلم وكتبوا الكتب والرسائل في الميزان، وفي الميكانيكا ، وفي علم المخروطات وفي قياسات الكرة ، وفي تثليث الزاوية على جانب بحوث علمية أخرى . وترجمت كتبهم الى اللاتينية ، في القرن الثاني عشر ، فدخلت أوروبا . ومنها كتابهم في قياسات الأشكال المسطحة والكروية » .

ثابت بن قرة

ومن رجالات العرب الذين برعوا في الهندسة ثابت بن قرة بن مروان ومن المرجحة من بعده أكبر عالم في الهندسة في العرب ، ومن كل ناطق بالضاد . وكان ثابت ممن انفذهم أولاد موسى الى بلاد الروم ليحضروا من علمها ، علم الاغريق .

وكان ثابت يعرف ، الى جانب العربية ، اللغة السريانية ، وكان يحسن الكتابة بها . وعرف الاغريقية . وكتب مترجماً

وكتب مؤلفاً ، وعدوا له ١٥٠ كتاباً بالعربية وستة عشر بالسريانية ، في الهندسة ، وفي الحساب وفي الموسيقى وفي الفلك .

ثابت بن قرة كان صابئا

وان نحن سقنا خبر ثابت بن قرة لندلل على ما بلغته دولة العرب من حب العلم ، ومن التوغل في الاستزادة منه ، وهو خبر مشهور بين رجال العلم معروف، فانما نسوقه كذلك لندلل على ناحية اكثر خفاء ، تلك سعة صدور العرب المسلمين للعلم والعلماء من اي دين كانوا، واي نحلة انتحلوا .

فلم يكن ابن قرة مسلما ، ولم يكن حتى نصرانيا او اسرائيليا ، كان صابئا . والصابئة قوم طلبوا الوساطة بينهم وبين الله ، وطلبوها روحا لا بشرا . فهم لا يدينون بالأنبياء . وانتهوا الى ان طلبوها في الكواكب السيارة ، فكانوا عبدة كواكب .

وكان مقر الصابئة حران شمال العراق . وفيها ولد ثابت بن قرة . ولد في اسرة اصيلة بالبلاد كبيرة ، ونشأ واختلف مع شيخ الصابئة فاخرجه من دينه . وخرج ثابت من حران صابئا . والتقى بمحمد بن موسى ، فاخذه معه الى بغداد . وفي بغداد قدمه للخليفة .

ويجري الزمن فاذا به يتعرف الى المعتضد ، يوم كان اميرا . وكان المعتضد صاحب علم ، فجرت بينهما مدارسات في الهندسة والفلك والفلسفة والتاريخ . وتوثقت بينهما الصداقة . وصار المعتضد من بعد ذلك خليفة . ويحدث ان يدخل الى مجلسه الوزراء والعظماء ويظلون وقوفا ، بينا ثابت بن قرة جالسا بأمر الخليفة .

فاي اجلال للعلم هذا ! واي رحابة صدر ، صدر العربي ، صدر المسلم ،

صدر الخليفة ، خليفة الاسلام ، ومن رحّب آ بصابيء عالم .

واعاد ثابت من تلك الصداقة ، وتلك الرحابة ، وحابه صدر لقومه . فسأل الخليفة ان يكون للصابئة موضع ببغداد، وان يكون لهم رعيم فأذن بذلك . وكان لثابت بن قرة ما شاء .

ابن يونس

وغير الحجاج بن يوسف بن مطر ، وغير أولاد موسى ، وغير ثابت بن قرة كان عند العرب أهل علم بالهندسة كثيرون،يضيق المقام عن ذكرهم احمعين، ولكن مع هذا لا احب ان يفلت ابن يونس بلا يذكر .

هو كمال الدين ابو الفتح موسى بن يونس ، ولد في الموصل عام ١١٥٦ ، ثم ذهب الي بغداد ، فاتم دراسته بالمدرسة النظامية بها . وعاد الى الموصل يدرّس في مدرسة سميت من بعده بالكمالية تكريما له . كان فقيها ، ولكنه جميع



كان فريدريك الثاني ، ملك صقلية في القرن الثالث عشر ، معجبا بما ترك المسلمون في صقلية من آثار حضارتهم . وكان مولعا بدراسة مختلف العلوم بما فيها الفلسفة والرياضيات .

ملك صقلية طلب من العرب حل هذه المسألة

الوتر (ا) و (ب) قطع الدائرة التي مركزها (م) . المراد رسم مربع مساحته تساوى مساحة جزء الدائرة المحصور بين الوتر (ا) و (ب) .

هذه هي المسألة التي حلها بن يونس لامبراطور روما في اوائل القرن الثالث عشر .

الى الفقه العلم بالرياضيات ، وما ترك علما الا كان له فيه باع . فبينا هو يكتب تفسيرا للقرآن، اذا به يعلق على ابن سينا وما كتب . والتف في النحو وفي المنطق ، وفي الفلك وفي الحساب وفي الجبر . ولكنه امتاز في الهندسة امتيازا كبيرا .

يحكى ان فردريك الثاني ، ملك صقليه في أوائل القرن الثالث عشر ،بعث باسئلة الى العرب يطلب عليها الجواب . وكان منها ما هو في الطب ، ومنها ما هو في الفلسفة وما هو في الرياضة . أما أسئلة الفلسفة والطب فأجاب عنهما المصريون . وأما التي كانت في الهندسة فلم يستطيعوها، وأرسلوها الى الموصل، الى المفضل بن عمر الابهري ، فلما سمع أنه في الهندسة لا يضارعه احد . فلما احس بصعوبتها دفعها الى استاذه الشيخ ابن يونس ، فحلها .

قال الخوارزمي : وكانت في الهندسة مسألة من خط قطع دائرة ، فانحصرت مساحة بين هذا الوتر والقوس . وكان المطلوب رسم مربع مساحته كهذه المساحة .

هذا بعض مجد العرب في الهندسة .

■■

أحمد زكي



● درس المذهب المالكي

بعيدا عن موطن ازدهاره

● خاصم المعتزلة ،

وأفرط في تعصبه للأشعرية

أبو بكر الباقلاني

بقلم : الشيخ محمد أبو زهرة

أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة القاهرة

■ اشتدت الحملات على المعتزلة في بغداد وسائر بلاد العراق ، وضاقوا ذرعا بكثرتها وتأييد الحكام والشعب لها ، فلم يجدوا متنفسا لهم إلا في فارس ، ولم يذهبوا إلى بلاد ما وراء النهر ، لأن أبا منصور الماتريدي ومن بعده من التلاميذ وأتباعهم قد جعلوا هذه الأرض لسنتهم ، وليست مقاما طيبا ينسجم لآرائهم .

وفي منتصف القرن الرابع الهجري ، كثر أمرهم نسبيا حتى صار منهم قاضي القضاة في عهد عضد الدولة سلطان هذا الإقليم ، وكان هذا القاضي كثيرا ما يلاشي السنيين ، ويظهر بالحجة عليهم ، وينال منهم في حضرة عضد الدولة الذي كان يميل بقلبه للسنيين من غير أن يكره المعتزلين ولذا أراد أن يستوفد من علماء العراق من يرد على قاضي القضاة وينصر السنة .

وقد أشير عليه بشيخ وتلميذه بالبصرة ، فلما ورد الكتاب إليهما امتنع الشيخ قائلا بحضر مجلس المعتزلة كراهية له ، أما الشاب فقد استعد للذهاب ليرد الحجة ويقيم الدليل ، وقال لشيخه إن أهل السنة في عهد الإمام أحمد ، بامتناعهم للمناظرة والدفاع عن مذهبهم ، وبيان الحجة أمام

المأمون والمعتصم والواثق، نزل بهم من المحن ما نزل.

لم يرض التلميذ الشاب بالموقف السلبي ، وذهب الى شيراز ، حيث التقى بقاضي القضاة المعتزلي ومن معه ، وناظره واقام عليه الحجة امام عضد الدولة ، فاعجب به ، واقامه بفارس امدا لينشر مذهب اهل السنة ، ويدافع عنه ، ثم دفع اليه ولده ليعلمه منهاج السنيين ، وينشئهم على تفكيرهم .

كان الشاب ابا بكر الباقلاني

ذلكم الشاب هو محمد بن الطيب بن محمد الشهير بابي بكر الباقلاني ، قد آتاه الله القدرة على الاستنباط والاستدلال ، وقد قال فيه احد معاصريه « من سمع مناظرة القاضي ابي بكر لم يستلذ بعدها بسماع احد من المتكلمين والفقهاء والمترسلين ، ولا الاغاني ايضا ، من طيب كلامه وفصاحته ، وحسن نظامه واشارته » ..

ولد ولد ابو بكر بالبصرة ، ولا يعلم تاريخ ميلاده على وجه اليقين ، وذلك لان العلماء يولدون كما يولد سائر الناس فلا يهتم الناس بهم حين يولدون ، ولا يذكرون الا بعد ان يشتهروا ، وتستطير اخبارهم ، ولذلك يعلم تاريخ وفاتهم ، ولا يعلم باليقين تاريخ ميلادهم ، ويظهر من تتبع شيوخه واخبارهم انه ولد في نهاية الربع الاول من القرن الرابع ، او بعدها بقليل ، او قبلها بقليل .

وقد طلب العلم بالبصرة ، اذ نشأ نشأته الاولى بها ، وتلقى العلم في ابتداء شبابه من علمائها ، واسترعى نظره فقيه مالكي جعل لهذا الفقه بالعراق مكانا ، وان كان ذا مساحة محدودة ، ذلك الفقيه هو ابو بكر الابهري المتوفى سنة ٣٧٥ فدرس عليه .

درس الفقه المالكي

درس الفقه المالكي ، ونبغ فيه ، ودرس اصوله ومناهجه ، وبلغ فيه درجة وصلت به الى ان يعتبر فقيها من الفقهاء مع كونه اماما من ائمة المتكلمين ، ومع ان المذهب المالكي في العراق كان بعيدا عن مواطن نموه وازدهاره ، فقد بلغ فيه الباقلاني تلك الدرجة العالية ، وقد قال بعض فقهاء المغرب الذي ازدهر فيه المذهب ، وأينع، وآتى أكله . رحلت الى بغداد ، وكنت قد تفقهت بالمغرب والاندلس ، فلما حضرت مجلس القاضي ابي بكر ، ورايت كلامه في الاصول والفقه مع المؤالف والمخالف ، حقرت نفسي ، وقلت لا اعلم من العلم شيئا ورجعت عنده كالمبتدىء » .

وما زال يعلو في ميدان العلم الاسلامي درجة بعد درجة ، حتى صار يذكر في الاقاليم الاسلامية كلها للمناظرة . وقد ذكرنا رحلته الى عضد الدولة ، وقد عاد بعدها الى البصرة ، وولي قضاءها ، ولذلك كان يسمى القاضي ابا بكر الباقلاني ، ويظهر انه كان يقضي بين المالكيين فيها فاليه انتهت رياسة المالكيين في عصره .

شهرته في علم الكلام

وليست شهرة القاضي بالفقه واصوله ، ولكن شهرته التي طبقت الافاق هي في علم الكلام ، ودفاعه عن مذهب الاشعري ، وتلقى ذلك عن كبار ائمة المذهب الاشعري في عهده ، ومنهم ابن مجاهد الذي كان من اصحاب ابي الحسن الاشعري ، وتلقى عنه ما انتهى اليه من كلام في العقائد ، وهو الذي دعاه عضد الدولة مع تلميذه الباقلاني فامتنع وانف من ان يجلس مع المعتزلة، لمجلس، وحمل التلميذ العبء وحده وذهب وناظر ، واقام بالحجة . واخذ عن ابي الحسن الباهلي الذي كان تلميذا للاشعري ايضا ، وكان رجلا تقيا صوفيا ، يختفي عن الناس ، ولا يخفى علمه عنهم . وقد قال فيه الباقلاني : « كان الشيخ الباهلي يدرس لنا في كل جمعة مرة واحدة ، وكان منا في حجاب يرخي الستر بيننا وبينه كيلا نراه » .

وكما تلقى مذهب الاشعري عن تلاميذه حمل العبء في الدفاع عن المذهب ، ومناقشة المخالفين بل ان مناقشته لم تقتصر على المعتزلة والشيعة وغيرهم من الذين يخالفون السنيين ولا يوافقونهم، بل ان مناظراته تجاوزت حدود الديار الاسلامية وكان يذهب الى بلاد النصارى يجادلهم في حضرة ملكهم بايفاد من بعض ولاة الامر من المسلمين ، ليدافع عن الاسلام لا عن مذهب .

صفات جعلته في الذروة

والباقلاني قد اتصف بصفات ، جعلته في الذروة بين العلماء .

ا ـ من هذه الصفات انه كان ذا ذاكرة واعية لكل ما يقرأ ويسمع ، وقد قال فيه الخطيب البغدادي : « كان كل مصنفي بغداد انما ينقلوا من كتب الناس الى كتبهم، الا الباقلاني.

ثم كانت مناظراته حاضرة دائما لا تغيب عن عقله ، حتى كان اذا صنف في الخلاف لا يحتاج الى مطالعة كتب المخالفين، وحتى كان تصنيفه لكل ما اختلف فيه الناس مستمدا من حفظه » . وكل هذا يدل على حافظة واعية ذاكرة .

ب ــ وكان مع هذه الحافظة الواعية عميق النظر ، لا يكتفي من العلوم باستحفاظ ما اشتملت عليه بل كان يستنبط ، ويفكر ، ويبني على ما استنبطه ، ولقد قال ابن خلكان في وصفه « انه كان مشهورا بجودة الاستنباط ، وسرعة الجواب » .

جـ وكان ذا بديهة حاضرة تأتيه أرسال المعاني في وقت الحاجة اليها من غير معاناة ولا تكلف ، ولذلك امتاز بمناظراته التي يفحم بها الخصوم بأيسر كلفة ، يرد على التعريض بتعريض مثله ، وعلى التصريح بالحجة القاطعة ، والالزام المفحم .

د ــ وكان مع هذه القدرة العقلية والبيانية ذا صلاح وتقوى واخلاص في دين الله تعالى ، وطلب الحق فيه . ولقد قال ابن عساكر في كتابه عن الاشعري والاشاعرة : « ان ما كان يضمره القاضي الامام ابو بكر الاشعري رضي الله عنه من الورع والديانة والزهد والصيانة اضعاف ما كان يظهره، فقيل له في ذلك ، فقال انما اظهر ما اظهره غيظا لليهود والنصارى والمعتزلة والرافضة والمخالفين، لئلا يستحقروا علماء الحق والدين » .

وكان مع كل هذه الصفات ذا هيبة واضحة جلية . وهبها الله تعالى له ، وزادها بما مارسه من مواقف بيانية رائعة .

وكان فصيحا مالكا عنان البيان ، يأتيه اللفظ الجميل من غير تكلف ، كما تجيئه المعاني الكثيرة من غير معاناة .

دروسه ومناظراته

نشأ كما قلنا بالبصرة ، وظهرت مواهبه فيها ، وتزود بخير زاد من العلم والتقى ، مع عقل ذكي، ولسان قوي ، واتجه الى الدرس مع انه ولي قضاء البصرة ، فكان مع قيامه بواجب القضاء يقوم بحق الدرس والافتاء ، وكان يخرج من درسه للمناظرات في البلاد الاسلامية يدافع عن الاشاعرة، والى غير البلاد الاسلامية في بلاد الرومان يدافع عن الاسلام ، وحيث تحقق الغرض الذي ترك الدرس من اجله عاد يذاكر تلاميذه ويدارسهم ، حتى اذا ضاقت البصرة بعلمه ذهب الى بغداد ، والقائم بها ، وانعقد في جامع المنصور حلقة علمية عظيمة، كان يجيء اليها العلماء من كل بلاد الاسلام. وقد كان في هذه الحلقة يقرر المذهب الاشعري ، ويدافع عنه ويشرح العقيدة الاسلامية كما جاء في بها القرآن الكريم، وكما ذكرتها السنة ، غير مزيد عليهما الا بما يؤيدهما من دلائل العقل ، وبمقدمات منطقية قوية ومؤيدة وموضحة .

وكانت دروسه تمتاز بالعمق مع الوضوح ، ويظهر انه كان يدرس المذهب المالكي في الفقه ، كما يدرس المذهب الاشعري في العقيدة ، وان كان التلاميذ يختلفون ، فدرسه في العقيدة عام يشمل المالكيين وغيرهم ، ودرسه للفقه خاص بالمالكيين ، ولذلك قال عنه المالكية : « انه كان امام المذهب في وقته » .

وكان يحضر المناظرات كما قررنا في هذا العصر الذي كان مملوءا بالمناظرات في شتى العلوم، فمناظرات في العلوم الفلسفية ، ومناظرات بين المسلمين وغيرهم ، ومناظرات في الفقه بين الشافعية والحنفية ، ولم يدخل فيها المالكية ، وكان هذا الفصيح الاريب العليم بمداخل الاستدلال ومخارجه بطلا في هذا الميدان عرف له مقامه .

رؤية الله يوم القيامة

وكانت طريقته في المناظرة ان يطلب ممن يناظره بيان رايه ابتداء ، وهو يعلم انه يخالفه ، فان ابدى رايه وحجته اخذ يلاحقه بنقد الدليل مقدمة مقدمة ، وكانت هذه الطريقة انجع طريق في افحام خصومه من المعتزلة والشيعة لانهم يخالفون ظاهر النصوص ، فاذا ابطل سبب المخالفة ثبتت حجته في الاخذ بظاهر النص من غير داع الى التأويل . ولنضرب مثلا برؤية الله يوم القيامة ، فقد جاءت بها ظواهر النصوص القرآنية والنبوية ، واول المعتزلة هذه النصوص . ولننظر المناقشة فيها في حضرة عضد الدولة الملك ، كما جاءت :

« . . ثم التفت الملك فقال : سلوا ابا اسحق النصيبي عن مسألة الرؤية ، فانكر رؤية الله تعالى في الآخرة ، وسئل من قبل الباقلاني ما حجتك ؟ فقال: كل شيء يرى بالعين ، فيجب ان يكون في مقابلة عين الرائي . فالتفت الملك الى القاضي ابي بكر، فقال القاضي ابو بكر : لا يرى بالعين ، فقال القاضي المعتزلي : فاذا لم ير بالعين فبماذا يرى؟ فقال القاضي : يرى بالادراك الذي يحدثه الله تعالى في العين وهو البصر ، ولو كان يرى الرائي

بالعين لكان يجب أن يرى بكل عين قائمة مع أن بعض الأعين لا يُرى بها .

وأن هذا الكلام يستفاد منه أن الرؤية تكون بالإدراك الذي يكون طريقه العين في الدنيا ، وقد يخلق الله تعالى ذلك الإدراك في غير العين التي ترى والتي تكون رؤيتها مقتضية المكان ، والله منزه عنه .

انشقاق القمر

وفي مناظرته لملك الروم نجده يجابه الملك بما لم يحتسبه ، فيتركه يحتج ، ولم يرد حجته .

ولننقل مناقشته في انشقاق القمر الذي يعتقد أهل السنة أنه انشق فعلاً (١) والتي يطلب الناقشة .

« قال ملك الروم : « هذا الذي تدعونه في معجزات نبيكم من انشقاق القمر كيف هو عندكم؟».

قال الباقلاني : « هو صحيح عندنا انشق القمر على عهد رسول الله ، حتى رأى الناس ذلك ، وإنما رآه الحضور ومن اتفق نظره في تلك الحالة».

قال الملك : وكيف لم يره جميع الناس أوهل هذا بينكم وبينه نسبة وقرابة ! ولأى شيء لم تعرفه الروم وغيرها من الناس ، وإنما رأيتموه أنتم خاصة ؟!

قال الباقلاني : « لأن الناس لم يكونوا على أهبة ووعد لشقوقه وحضوره ، وهذه المائدة (أي التي نزلت من السماء) بينكم وبينها نسبة وأنتم رأيتموها دون اليهود والمجوس والبراهمة ، وأهل الإلحاد ، وخاصة اليونان جيرانكم ، فإنهم كلهم منكرون لهذا الشأن ، وأنتم رأيتموها دون غيركم » .

وهكذا نجده يناظر ، فيبين أن عدم رؤية الانشقاق في الروم سببه عدم التطلع والمراقبة ، ولم يكن في ذلك العهد أرصاد تسجل ، ثم لا يكتفي بذلك ، بل يهاجم اعتقاد النصارى أن مائدة نزلت من السماء ، وكان ينبغي أن يراها الناس جميعاً على مقتضى نظر ملك الرومان .

في إعجاز القرآن

ولقد كتب الباقلاني كتباً كثيرة في الفقه المالكي ، وأصول الفقه ، والعقائد والكلام ، وأقواها في نظرنا كتاب إعجاز القرآن . ذلك الكتاب الذي بين فيه إعجاز القرآن بالدراسة المقارنة لا مجرد البيان النظري لأسرار البلاغة فيه ، كما فعل من بعده الجرجاني ، والزمخشري ، ذلك أنه في عهده أشاع بعض الكتاب من الزنادقة أن القرآن لم يكن معجزاً بذاته ، إذ كان الناس يستطيعون أن يأتوا بمثله ، ولكن الله صرفهم عن ذلك . وأخذوا هذا من الهنود الذين غالوا في أشعار الفيدا عندهم أن الناس صرفوا عن أن يأتوا بمثلها . فتصدى الباقلاني للرد ، فأتى بأبلغ ما وصل إليه العرب من بلاغة في القول ، وذكر الكلام البليغ الذي أجمع العلماء على أنه أعلى الطبقة العربية في البلاغة ، ووازن بينه وبين القرآن ، وأثبت أن التفوق البياني يوجب الحكم بأن القرآن أعلى بكثير مما أجمع العرب على أنه بلغ الذروة في البلاغة .

ولقد شغل الباقلاني عصره بعلمه وكتبه ومناظراته ، وذاع اسمه في أقصى بلاد الإسلام وأدناها على أنه العالم الأول حتى إنه قال بعض الفقهاء : « إنه لو أوصى شخص بثلث ماله لأعلم الناس ، لاستحق الوصية الباقلاني وحده من غير تردد بينه وبين غيره » .

الإفراط في التعصب المذهبي

وإن الباقلاني كان في العقيدة أشعري المذهب متعصباً له ، دافع ونافح ، وقد دفعه تعصبه لأن يحمل الناس على المقدمات العقلية التي ساق الأشعري بها أدلته ، لإثبات مذهبه ، ولم يرد أن يخالفوها ، فهو لم يتعصب فقط للنتائج ، بل تعصب أيضاً لسياق الأدلة ومقدماتها ، وإن ذلك بلا ريب إفراط في التعصب المذهبي ، فإنه قد يكون الناس مقيدين بالنتيجة ، ولكن لا يصح التقيد بنوع معين من أدلتها .

وإنه مع هذا قد خالف الأشعري في أمور ، ولكن قرر العلماء أن الخلاف فيها لفظي .

ومهما يكن من أمر تقيد الباقلاني بمذهب الأشعري ، فقد كان عالماً جليلاً ملأ طباق الأرض علماً ونظراً فرحمة الله عليه ورضاه . ■■

محمد أبو زهرة

---

(١) أهل السنة يرون أن القمر انشق فعلاً مصداقاً لقوله تعالى « اقتربت الساعة وانشق القمر » ، وبعض العلماء يرون أن الآية للمستقبل ، وأن الانشقاق عند قيام القيامة ، فمعنى انشق أنه سينشق كقوله تعالى : « أتى أمر الله فلا تستعجلوه » ، أي سيأتي أمر الله .



بقلم: الدكتور حسين مؤنس

مدير معهد الدراسات الاسلامية بمدريد

■ للمقدسي الجغرافي اشارة لطيفة تنطوي على سخرية قارصة من سخريات هذا الجغرافي الاديب الذي لم يلق من احد ما يستحق من دراسته: قال في سياق مقدمته لكتابه الفذ «احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم»: «وربما سجعت في مواضع ليتفرج اليها عوام الناس، لأن الادباء يختارون النثر على النظم، والعوام يحبون القوافي والسجع»

وحسن العبارة من رجل واسع الذكاء خفيف الروح مثل المقدسي تضع يدنا على سر النكبة التي ابتلي بها النثر العربي ابتداء من منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) وهي التزام السجع في الكتابة وانصراف عموم أهل الأدب عن النثر المطلق المرسل الذي تتجلى فيه فحولة العربية كما وضع أسسه فحول من طراز عمرو بن مسعدة وعبد الله بن المقفع وسهل بن هارون وجيلهم، ثم جوّده من بعدهم الجاحظ وابن قتيبة وقدامه بن جعفر ومن جرى مجراهم.

وهؤلاء جميعا كانوا من المكثرين في التأليف، وانت اذا قرأت ما كتبوا تشعر انهم رجال يكتبون لرجال، وتحس انهم يحترمونك ويجتهدون في عرض الاراء عليك لتاخذ بها او تناقشهم فيها، ومن خلال الاخذ والرد بين الكاتب والقارىء يتسع مدى الفكر وتسمو اللغة واهلها الى الامام. واذا كان الكلام يدل على الرجل، فان كلام هؤلاء جميعا يدل على شرف نفس واستقامة شخصية، ولهذا فقد كانوا موضع الاحترام والتقدير من الناس جميعا، من الخليفة الى اصغر القراء.

وكتب هؤلاء جميعا تحمل عنوانات واضحة بسيطة تنبئ عن موضوعاتها، فالجاحظ مثلا يكتب «البيان والتبيين» و«البخلاء» و«المحاسن والاضداد»، وما اليها دون ان يفكر في البحث عن سجعة يزين بها العنوان، لأنه كان رجلا يفكر ولا يعبث، ويكتب ولا يهزل، ويتطلب الطول دون ان يسعى الى خداع سلطان او فتنة العوام بالفاظ لا معنى لها ولا طائل. ومثله في ذلك ابن قتيبة وابو بكر بن ابي الدنيا وقدامة بن جعفر ومن جرى مجراهم من الفحول.

ثم طغت موجة السجع

ثم جاء القرن الرابع الهجري، واتسعت رقعة

• أجيال الفحول الأولى لم تعرف التكلف أو التصنع في العنوان

• في القرن الماضي اعتقد الناس أن العنوان لابد أن يكون مسجوعا

• حتى الأجانب الذين ألفوا بالعربية حرصوا على سجع العنوان..

المملكة الإسلامية دويلات أنشأها رجال لم ينظر واحد منهم الى مصالح الدولة الكبرى بل الى مصالح بيته وسلطانه من أمثال منصور بن نوح بن سامان ومرداويج بن زيار والسبكتكين الغزنوي. وقد اشتهر بعضهم بالميل الى العلم والرغبة في أهله، ولكنه كان في الغالب ميلا الى علم غير عربي كالاهتمام بالآداب الفارسية، أو ميلا غير صادق، لأن الغرض منه كان التفاخر والتباهي لا خدمة العلم في ذاته. وفيما عدا بني حمدان في حلب كانت البلية تلبس عروشهم بعمائم غير عربية، وقد أفلتوا من جاه العروبة ومجدها وأنسوا اليها ولكنهم لم يفهموها، ولهذا فقد أحاطوا أنفسهم بكتاب وشعراء وظيفتهم الأولى امتداح سلاطينهم وإيهام الناس أنهم رعاة العروبة والإسلام.

وفي بلاطات هؤلاء المستبدين نشأ رجال مثل أبي الفضل بن العميد، وأبي بكر الخوارزمي، وأبي اسحاق الصابي والصاحب بن عباد، وهؤلاء جميعا كانوا حملة أقلام وحفاظ دواوين، ولكن قلوبهم خلت من الإحساس الصادق بلغة العرب وروحها وعبقريتها. وكما استخدمهم سلاطينهم أدوات سلطان، فكذلك هم استخدموا الأدب وسيلة للجاه وجمع المال. وقد نقلوا الى العربية تقاليد الفكر الإيراني القديم وسطحيته. وكانوا الى ذلك يكتبون لرؤسائهم متعمدين يريدون التظاهر بالفصاحة حتى يقع في ظن الرعية أنهم عرب خلصون. وأحس أولئك الكتاب أنهم يكتبون من عوام الى عوام، فالتجأوا الى السجع وألوان البديع، وانحرفت اللغة في أيديهم انحرافا عطل سموها السليم وأضر بروحها الأصيل.

ابن العميد هذا وأترابه ابتلوا بنكبة السجع، فرسائلهم ألفاظ مرصوصة جامدة ميتة لا يقصدون منها الى المعنى، بل الى الوقع والصورة. وقد عرفت العربية السجع قبلهم، ولكنه كان على الخاطر وفيض القريحة، يجيء سهلا لطيفا دون تكلف، أما ابن العميد مثلا فكان لا يكتب التوقيع من أربع كلمات الا جعله شطرين مسجوعين، وأنت تحس وأنت تقرأ له أنك أمام رجل يتراقص ولا يمشي، ويتحذلق ولا يستقيم، ومثله في ذلك أبو بكر الخوارزمي، والصاحب بن عباد الذي بلغ من ولعه بالسجع أن قيل فيه «انه لو رأى سجعة تنحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة لما هان عليه التخلي منها». وليس هذا بغريب من رجل قيل فيه أنه كان اذا مشى يتثنى ويتلوى ويتشدق».

وقل مثل هذا في بديع الزمان الهمذاني الذي ابتلانا ببلية المقامات، وهي حكايات تافهة تقوم على السجع ورص الكلمات دون نظر الى قيمة اللفظ في ذاته أو احترام لمعناه، وتنتهي بحكمة بسيطة سمعها الناس قبل ذلك ألف مرة، أو بنكتة لا يطرب لها الا على البلهاء. وهذا هو الضرب الأدبي الذي وصل به الحريري الى ذروته، وقد كان الحريري أديبا ممتازا وقصصيا موهوبا، ولكن السجع أفسده وجعل منه — في مقاماته — بهلوانا لاهيا، ومن بطله، أبي زيد السروجي، أفاقا ذا حيل وتحيلات.

وزحفت موجة السجع الى أسامي الكتب

من هنا زحف السجع الى عناوين الكتب، وقد

بعدا يطالك اليتيميون من أمثال أبي منصور عبد الملك الثعالبي . فبينما نجد أعلام الجيل السابق عليهم ، من أمثال أبي الفرج الأصبهاني ، وأبي علي التنوخي ، وأبي هلال الحسن العسكري ، يختارون لكتبهم عناوين بسيطة تدل على موضوعاتها مثل « الأغاني » و « كتاب الديارات » و « مقاتل الطالبيين » و « كتاب الحانات » (كلها لأبي الفرج الأصبهاني) ، و « جمهرة الأمثال » و « كتاب الصناعتين » النظم والنثر ، و « ديوان المعاني » و « التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم » (كلها لأبي هلال العسكري) و « كتاب الفرج بعد الشدة للتنوخي » ، نجد الثعالبي يختار عنوانات مثل « يتيمة الدهر ومحاسن أهل العصر » و « ثمار القلوب في المضاف والمنسوب » و « غرر البلاغة وطرف البراعة » .

نعم ان جيل ابي الفرج الاصبهاني صدرت عنه عنوانات مسجوعة مثل« المستجاد من فعلات الاجواد» و « نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة » للتنوخي، ولكن السجع هنا طبيعي لا تكلف فيه ، بل فيه دلالة واصالة كما هو واضح من المثالين اللذين اتينا بهما ، والفرق بعيد بينهما وبين قول الثعالبي « يتيمة الدهر » او « ثمار القلوب » ، فهذه عبارات لا تدل على مضمون الكتب ، اما الذي يدل على المضمون فهو القسم الثاني من اسم الكتاب .

ومن مبتكرات الثعالبي تلك العنوانات التي تقوم على الجناس كقوله « اللطف واللطائف » و « احاسن المحاسن » و « اللطائف والظرائف »، وهذه الكتب لا بد ان تقرأها حتى تعرف مضمونها، لأن العنوان نفسه لا يدل على شيء . وربما كان دافع الثعالبي الى ذلك ان هذه الكتب كلها مجموعات من الاخبار والأشعار والحكايات والنوادر والشروح والتعليقات ، فهي كتب ادب وتاريخ ولغة ونحو وقرآن وحديث وما الى ذلك ،ويصعب لهذا ان يختار لها عنوان واضح محدد ، ومن هنا مال الى عبارات مثل « اللطف واللطائف » . وهذه الكتب في تراثنا كثيرة جدا ، ومعظم ما فيها مكرر معاد في عشرات الكتب ، وهي ايضا من اسهل الكتب نشرا وتحقيقا .

وهذا السبب هو الذي جعل رجلا نابها مثل ابي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي يختار لكتبه عنوانات مثل « مروج الذهب ومعادن الجوهر » و « التنبيه والاشراف » ، لأن « مروج الذهب » كتاب تاريخ وادب واخبار وعجائب وجغرافية وحكايات ومعلومات شتى يضيق عنها الحصر ، ومهما بحثنا فاننا لن نجد عنوانا صالحا له الا اننا قلنا مثلا « كتاب المتفرقات » ، وهو عنوان لا يقل ابهاما عن « مروج الذهب » اما كتاب « التنبيه والاشراف » فخليط غريب من معلومات شتى عن الفلك والنجوم والعناصر وتركيب الارض وفصول السنة ومنازل القمر والرياح ومهابها ، وفيه كثير من الجغرافية والاجناس وجوامع تاريخ العالم ونسب الانبياء وما الى ذلك ، ومثل هذا الخليط لا يجمعه عنوان ، حتى عبارة « التنبيه والاشراف » لا تدل على مضمون الكتاب ولا من بعيد .

أصحاب الكتب العلمية يثبتون على التقليد القديم زمانا طويلا

ولكن الجادين من أهل العلم ظلوا زمنا طويلا متجافين السجع في اختيار عنوانات كتبهم، ففي ايام المسعودي او بعدها بسنوات ، قبل نهاية القرن الهجري الرابع على اى حال ، عاش والف رجال مثل حمزة الاصبهاني ، وابي الفرج محمد بن اسحق بن يعقوب بن النديم ، وابي علي الخازن المعروف بمسكويه ، وابي عمر محمد بن يوسف ابن يعقوب الكندي وغيرهم من جهابذ المؤرخين ، وهؤلاء جميعا وضعوا لكتبهم اسماء علمية دقيقة مثل « تاريخ سني ملوك الارض والانبياء » او « الفهرست » او « تجارب الامم » ، او « انساب العرب والفرس » ، او « فضائل مصر » او «اخبار القضاة المصريين » او « تسمية ولاة مصر » ،حتى اهل التاريخ في القرن الخامس من امثال عز الملك المسبحي ، وهلال الصابي ، وأبي عبد الله محمد ابن سلامة القضاعي ، وابي بكر احمد بن علي الخطيب البغدادي ظلوا على هذه الطريقة العلمية السليمة في تسمية الكتب ، فتجد عنوان الكتاب منطبقا على مادته مثل « اخبار مصر » للمسبحي، و«تاريخ الوزراء» للصابي ، و « المختار في الخطط والآثار » للقضاعي، « وتاريخ بغداد » للخطيب البغدادي فاذا صادفنا لاحدهم عنوانا مسجوعا مثل « الكفاية في معرفة اصول علم الرواية » للخطيب البغدادي لاحظنا ان السجعة هنا طبيعية غير متكلفة ، بل هي تزيدنا تعريفا بطبيعة الكتاب .

ومثل هذا يقال عن كتب اللغويين واصحاب المعاجم من أهل القرن الرابع مثل ابي أحمد

الحسن بن عبد الله العسكري صاحب «التصحيف والتحريف» ، وأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري صاحب «التهذيب» ، وأبي الحسين أحمد ابن فارس صاحب «المجمل» ، وأبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري .

وقد عانى الجغرافيون صعوبة كبرى في اختيار عنوانات لكتبهم ، لأن الموضوع الذي تناولوه واحد على وجه التقريب ، وهو وصف الأرض كلها بصفة عامة ومملكة الاسلام بصفة خاصة ، ومصادر معلوماتهم واحدة ومن ثم فان المادة متشابهة ، بل ان بعضهم ينقل عن الآخر الفقرات الطوال حرفا بحرف ، كما فعل الاصطخري بكتاب أبي زيد البلخي ، وما فعله ابن حوقل بكتابيهما معا . ومن هنا فان اسماء كتبهم متشابهة لا تخرج عن «صور الأقاليم» أو «الأقاليم» أو «صورة الأرض» أو «المسالك والممالك» . وقد نجد الكتاب الواحد منها يحمل عنوانين من هذه ، فكتاب ابن حوقل يسمى «صورة الأرض» و «المسالك والممالك» ، والسبب في ذلك أن علم الجغرافية العربية كان يمر في دور التكوين ، ولم يكن له مصطلح خاص ثابت واضح ، بل كان كل جغرافي يستعمل المصطلح الذي يراه ، ومن هنا فاننا نجد فيها اضطرابا شديدا في معنى المصطلح الواحد ، حتى الالفاظ البسيطة مثل اقليم وبحر ونهر وخليج وبلد وناحية وزمام لا نجد اتفاقا بين الجغرافيين في استعمالها ، ولهذا فقد رأى ياقوت الحموي أن يقدم لكتابه المبدع «معجم البلدان» بمقدمة طويلة في شرح المصطلحات وتحديد المراد بها .

ومثل هذا يقال عن عنوانات كتب العلوم والرياضيات والطب ، فمعظمها متشابه الموضوعات ولهذا فهي متشابهة الاسماء . غير اننا نلاحظ خلال القرن الخامس وما بعده اتجاها الى اختيار كلمة أو عبارة قصيرة تكون عنوانا أصليا للكتاب يعقبها بعد ذلك العنوان الحقيقي ، وقد لا يعقبها شيء . ومن أمثال ذلك : «الوافي في العروض والقوافي» لأبي زكريا يحيى بن علي التبريزي ، «والمعرب فيما تكلمت به العرب من الكلام الأعجمي» لأبي منصور موهوب بن أبي طاهر الجواليقي ، و «الفصول في القوافي» لأبي محمد سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان (١) .

ثم طغت موجة السجع على أسامي الكتب جميعا

وفي معظم هذه العنوانات نجد اتجاها واضحا نحو السجع في العنوان ، ولكن ابتداء من القرن السابع نجد العنوان المسجوع هو القاعدة ، والعنوان البسيط هو الشاذ ، واذا كان عالم نابه الشأن مثل أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري قد استطاع الثبات أمام موجة السجع واختار لكتبه عنوانات مطلقة بسيطة مثل «المفصل في النحو» و «أساس البلاغة» و «مقدمة الأدب» و «الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل» ، فان معظم معاصريه من أمثال رضي الدين الحسن بن محمد الصاغاني وضياء الدين بن الأثير ، ونشوان بن سعيد الحميري ، وعماد الدين الاصفهاني ، وغيرهم جعلوا أسماء كتبهم سجعات معقدة يلاحظ القارىء بوضوح أنهم تعبوا تعبا شديدا في تركيبها (٢) .

وليس هناك أثقل على النفس من قراءة كتاب العماد الاصفهاني ، فكتابة سجعات متوالية وشطحات لغوية غريبة تحتاج الى ألف حاشية لشرحها ، ومع هذا فقد كان الرجل مؤرخا والتاريخ علم انساني يستلزم من صاحبه الكتابة بأسلوب واضح بسيط ، وكان معاصرا لرجال

(١) و «الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين» ، و «لمع الأدلة في أصول النحو» ، و «عمدة الأدلة في معرفة ما يكتب فيه بالألف والياء» لكمال الدين الأنباري ، و «الموجز في ايضاح شعر الملغز» ، و «اللباب في علل البناء والإعراب» لأبي البقاء عبد الله الحسين المعروف بالعكبري ، و «الكامل في التاريخ» لابن الأثير ، و «الشفاء» لابن سينا وهكذا .

(٢) وهذا واضح في مثل «العباب الزاخر واللباب الفاخر» ، و «در السحابة في بيان مواضع وفيات الصحابة» و «مشارق الأنوار النبوية من صحاح الأخبار المصطفوية» ، وكلها للصاغاني ، و «الحور العين وتنبيه السامعين» لنشوان بن سعيد الحميري ، و «الفتح القسي في الفتح القدسي» و «البرق الشامي في الفتح الاسلامي» و «نصرة الفترة وعصرة الفطرة» وكلها لعماد الدين محمد بن صفي الدين الملقب بالعماد الاصفهاني

القادة من امثال نور الدين محمود وصلاح الدين ، ولم يكونوا يطلبون منه هـذا التصنع البالغ في الكتابة ، ولكنه كان الفارسي الأصل تعلم العربيـة كما يتعلمها الأجانب ، ويحفظ الكتب والدواوين دون احساس بروح العربية ، ومن هنا فقد أسرف في السجع والغريب النادر حتى يوهم قراءه بأنه متمكن من لغة العرب .

وقل بعد ذلك ان نجد عنوانا غير مسجوع ، حتى ان المؤرخين الذين لا يشك في أصالتهم وتمكنهم من اللغة انتهجوا هذا الاتجاه ، فبهاء الدين بن شداد يكتب « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » وهو كتاب عن حياة صلاح الدين ، وشهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بأبي شامة يكتب « كتاب الروضتين في أخبار الدولتين : الصلاحية والنورية » وعبد الواحد المراكشي يكتب « المعجب في تلخيص أخبار المغرب » (٣) .

حتى ابن خلدون عميد مؤرخي العرب وفيلسوفهم اختار لتاريخه المشهور عنوانا غاية في التكلف والتعقيد والسجع . « كتاب العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر » ، ولا ندري ما الذي جعل ابن خلدون يسرف هذا الاسراف في تركيب هذا العنوان الثقيل للكتاب الذي يعتبر آية في بابه .

واعتقد ان اتجاه ابن خلدون هذا في تركيب العنوان هو الذي جعل تلاميذه ، وكلهم من مفاخر تاريخ الفكر العربي ، يتبعون النهج في اختيار عناوين مركبة لكتبهم ، فتقي الدين المقريزي ، وهو أنجب تلاميذه ، لم يؤلف كتابا الا جعل عنوانه مسجوعا مثل « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » (٤) .

ومع هذا فقد كان المقريزي ناثرا ممتازا لا يعمد الى السجع الا في فواتح الكتب ، واسلوبه سهل وصحيح بليغ ، ولكنه اعتقد فيما نظن ان اسامي الكتب لا بد ان تكون مسجوعة .

وكذلك فعل أبو المحاسن جمال الدين يوسف ابن تغري بردي ، وهو من مفاخر علم التاريخ عند العرب ، يكتب تاريخا عاما لمصر يسميه « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » ، ثم يكتب تاريخا عاما لدول الاسلام يسميه « مورد اللطافة فيمن ولي السلطنة والخلافة » ثم يؤلف ذيلا للوافي بالوفيات لخليل بن ايبك الصفدي يسميه « المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي » ، وعنوانات كتبه على ما فيها من سجع خفيفة لطيفة تدل على ذوق أدبي أصيل ، وليس بين مؤرخي مصر من يمتاز بصحته وسلاسته بجمال سرده مثل أبي المحاسن هذا .

وبمناسبة « المنهل الصافي » نقول ان بعض مؤرخينا جعلوا كتبهم تتمات بعضها لبعض ، فقد ألف ابن خلكان مثلا « وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان » جمع فيه تراجم مشاهير العرب والمسلمين الى أيامه ، وقد توفي سنة ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ فجاء ابن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤/١٣٦٢ ـ ٦٣ وألف كتابا استدرك فيه ما فات ابن خلكان واوصله الى أيامه وسماه « فوات الوفيات » ، وقام معاصر له هو صلاح الدين خليل ابن ايبك الصفدي ، فاستدرك ما فات الاثنين ، ثم جاء صاحبنا أبو المحاسن المتوفى سنة ٨٧٤/١٤٦٩ فاستدرك ما فات الثلاثة وواصل التراجم الى أيامه في كتابه البديع « المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي » .

ومثل هذا حدث في الأندلس ، فقد ألف ابن الفرضي كتابا في تراجم علماء الأندلس ، فجاء بعده أبو القاسم بن بشكوال فاستدرك ما فات ابن الفرضي في كتابه المعروف بـ « صلة تاريخ علماء الأندلس » ، وجاء بعدهما ابن الأبار فاكمل ما فاتهمـا واستمر الى أيامه في كتابه « التكملة لكتاب الصلة » ثم جاء ابن الزبير فاكمل ما فاتهم في كتابه « صلة الصلة » ، ثم ختم المجموعة عبد الملك المراكشي بكتابه « الذيل والتكملة » .

حتى أصحاب الموسوعات الكبرى ، وهم ممن

---

(٣) وجمال الدين القفطي يكتب « اخبار العلماء باخبار الحكماء » وشمس الدين يوسف بن قزاوغلي المعروف بسبط ابن الجوزي يكتب « مرآة الزمان في تاريخ الأعيان » وجمال الدين بن واصل يكتب « مفرج الكروب في اخبار بني أيوب » .

(٤) و « السلوك لمعرفة دول الملوك » و « درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة » و « الدرر المضية في تاريخ الدولة الاسلامية » و « البيان والاعراب عما في أرض مصر من الأعراب » و « شذور العقود في امور النقود » و « اغاثة الأمة بكشف الغمة » وهكذا .

لعلم الثاني والترجم تبحرا لم يسلموا من محنة السجع في العناوين ، واذا كان عنوان مثل « نهاية الارب » للنويري لطيفا محتملا ، فليس هناك شك في ان « صبح الاعشى في صناعة الانشا » عنوان ثقيل ما كان اغنى القلقشندي عنه .

ولكن الفحول حقا نجوا من محنة السجع

ولكن نفرا من اهل الاصالة في العلم سلموا من عدوى السجع في العناوين ، فابو حامد الغزالي مثلا اختار لكتبه عنوانات هي غاية في البساطة والجمال مثل « احياء علوم الدين » و « المنقذ من الضلال » و « ايها الولد » و « المضنون به على غير اهله » و « تهافت الفلاسفة » حتى مؤلفاته التي نجد فيها سجعا نلاحظ انه سجع لطيف غير متكلف مثل قوله : « بداية الهداية » و « الرد الجميل على الهية عيسى بنص الانجيل » وهذا الاخير من تحف اسماء الكتب العربية ، لان الغزالي لم يقصد الى السجع عندما قال « الرد الجميل » وانما اراد ان يقول انه سيرد على النصارى ردا جميلا بحسب ما تدعو اليه اخلاق الاسلام في المناقشة والرد على الخصوم والتنابز بالفحش .

وكذلك ابو محمد علي بن احمد بن حزم الفقيه الاندلسي وعالمه الاكبر لم يعرف السجع في اسماء كتبه الا في النادر ، وله ــ مثل الغزالي ــ عنوانات هي غاية في الجمال مثل « طوق الحمامة في الالفة والالاف » وهو درة من درر مكتبتنا العربية ، اذ انه كتاب عن الحب والمحبين ، وهو اليوم من الكتب العالمية التي قرأ في كل لغة من اللغات ، نظرا لطرافته ، وعمقه ، وجمال اسلوبه . وله رسالة قريبة من « طوق الحمامة » في الروح والاتجاه اسمها « رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الاخلاق » هي مزيج من الحكم والاعترافات.

ومثلهما في ذلك ابو بكر بن طفيل ، وليس في تاريخ الادب العربي عالم اشتهر واصبح من اعلام الفكر العالمي بكتاب صغير واحد الا ابن طفيل ، وكتابه الذي اشتهر به هو « رسالة حي بن يقظان » ، نعم ان له مؤلفات اخرى ، ولكن شهرته كلها قائمة على رسالة حي بن يقظان ، وهي اثمن من عشرات الكتب .

وكذلك كان ابن باجه الفيلسوف ، وهو ابو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ ، فانه لم يعرف السجع في العناوين ، وانما هو يقتصر على كلمات قليلة مفيدة مثل « رسالة الوداع » و « تدبير المتوحد » وما الى ذلك . وابن رشد ايضا لم يلجأ الى السجع الا فيما ندر ، ونوادر سجعه لطيفة خفيفة لا يصلح العنوان الا بها مثل : « فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال » و « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » .

والحقيقة ان امثال هؤلاء كانوا مفكرين جادين ذوي اخلاق برة صاحية ، وهم لهذا لا يفكرون في سجع او جناس او بديع ، لانهم رجال يكتبون لرجال ، همهم الاقناع ورفع الافكار ، لا شغل الاذهان بتزاويق الالفاظ .

وانتهت بهم الحيرة في اختيار العناوين الى تسميات مضحكة ومؤسفة

وخلال العصر العثماني بلغ تعقد اسماء الكتب اقصاه . فنحن لا نجد عنوانا غير مسجوع ومهما كان موضوع الكتاب ، او حاجة الناس اليه ، فلا يمكن للمؤلف ان يسميه بتسمية معقولة تدل الناس عليه في سهولة ويسر ، حتى لو ادى ذلك الى الشذوذ في التسمية والبعد عن الذوق السليم ، فابن طولون الصالحي يريد ان يترجم لمتأخري الحنفية ، ويجتهد في البحث عن كلمة على وزن « الحنفية » فلا يفتح الله عليه الا بـ « الغرف العلية في تراجم متأخري الحنفية » ، ويكتب رسالة عن دراسته وما توفر عليه من العلوم ويسميها : « اللؤلؤ المنظوم في الوقوف على ما اشتغلت به من العلوم » ، ونور الدين الحلبي يكتب سيرة نبوية مطولة جيدة نعرفها نحن باسم السيرة الحلبية ، ولكنه يسميها « انسان العيون في سيرة الامين المأمون » ، ومحمد امين بن فضل الله المعروف بالمحبي يكتب كتابا في محاسن شعراء دمشق وحلب والعراق ، والحجاز ومصر وغيرها ويسميه « نفحة الريحانة ورشحة طلا الحانة » ورمضان بن عمر يؤلف كتابا في فضائل احد ولاة مصر العثمانيين ويسميه « فتح الوجود وشرح الجود في مدح الباشا محمود » ومحمد بن ابراهيم ابن الحنبلي يقوم باختصار تاريخ حلب لابن العديم ويسميه « الزبد والضرب في تاريخ حلب » وابن كنان الدمشقي يكتب تاريخا للفترة بين سنة ١١١١ و ١١٣٤ هجرية ويسميه «الحوادث اليومية في تاريخ احد عشر والف ومية » وهكذا .

ويلاحظ في عناوين كتب العصر التركي الميل الى استخدام اسماء الزهور والورود والجواهر

والنجوم في تاليف سجعة العنوان ، ولا يقتصر هذا على شرق العالم الاسلامي وحده بل شمل غربه أيضا ، حتى كبار المؤرخين وأعلام الكتاب لجأوا الى ذلك ، فكتاب ابن اياس المشهور في تاريخ مصر يسمى « بدائع الزهور في وقائع الدهور » ، وكتـــاب المقري عن الاندلس ولسان الدين بن الخطيب يسمى « نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب » وكتابه الآخر عن القاضي عياض يسمى « أزهار الرياض » (٢) .

ولقد بلغ من حرص المؤلفين على سجع العنوان أن وصلت بهم الحيرة في اختيار السجعات الى درجة الغرابة والشذوذ ، فمحمد اليمني المعروف بالصغير يؤلف كتابا في تراجم اهل القرن الحادي عشر الهجري ، ويعجز عن العثور على سجعة لعبارة « الحادي عشر » ، فيسمى كتابه « نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي » ، وعيسى ابن لطف الله بن المطهر المعروف بشرف الدين يؤلف كتابا عنوانه : « روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتوح » وابراهيم الولي الصالحي يكتب كتابا في تاريخ الولاة مصر وسناجقها الى سنة ١٠٧١ هجرية ويسميه« تراجم الصواعق في واقعة الصناجق » (١) .

واستمر أدباؤنا ومؤلفونا محافظين على هذا المذهب في تاليف العناوين حتى نهاية القرن الماضي، وعلى الرغم من قيام النهضة الفكرية في العالم العربي كله ، واتصالنا المباشر بالغرب وادخال العلوم الحديثة ، ونهضة الصحافة ، ظل المؤلفون حريصـــين على تركيب العنوان من شـــطرين مسجوعتين ، الأولى للزينة والثانية هي عنوان الكتاب ، واذا كنا نعذر في ذلك رجلا مثل عبد الرحمن بن حسن الجبرتي ، ونقولا الترك ، والأمير حيدر الشهابي ، وشهاب الدين محمود الألوسي ، وغيرهم ممن واصلوا التقليد القديم في التاليف دون تأثر بالتيارات الحديثة ، فاننا نعجب من حرص مفكر ناقد واسع الذهن مثل رفاعة رافع الطهطاوي على تركيب عناوين كتبه على نحو ظاهر التكلف ، اذ لا بد أنه اتعب نفسه كثيــرا ليسمي رحلته الى باريس : « تخليص الابريز في تلخيص باريز » ، وكتابه البديع الذي اطلع فيه معاصريه على أحوال أوروبا ونظمهـــا سماه « مناهج الالباب المصرية في مباهج الآداب العصرية » (٣) .

وعلى هذا التقليد جرى تلاميذ رفاعة من رجال مدرسة الألسن القديمة في القاهرة ، فقد عربوا مثلا كتابا ضخما في تاريخ الامبراطور شرلكان أو شارل الخامس سموه « اتحاف ابناء الزمـــان باخبار الامبراطور شرلكان » .

حتى كتب العلوم حافظت على هذا التقليد : فأحمد فايد (بك) استاذ الطبيعة والكيمياء في مدرسة المهندسخانة القديمة بالقـــاهرة يترجم

---

٥. وكتاب محمد بن عيسى بن كنان الدمشقي في نظام الدولة العثمانية يسمى « حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين » وعبد الملك المصلي يكتب كتابا في التاريخ يسميه « سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي » والكاتب التركي الأشهر مصطفى طاش كبري زادة يؤلف في علماء الأتراك كتابا مختارا يسميه « الشـــقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية » .

٦ ومحمد بن قطب الدين المرواني يكتب كتابا عنوانه « ابتهاج الانسان والزمن في الاحســـان الواصل الى الحرمين من اليمن » لمولانا الباشا حسن »وابن عبد الرحمن التلمســـاني يكتب كتابا عنوانه «الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين اغارت عليها الجنود الكافرة » واحمـــــد السجلماسي يكتب كتابا في وصف رحلة قام بها ويختار له عنوانا غاية في الغرابة والسخف هو « الشيخ الغريب في قطع بلعوم العفريت » ثم لاحظ أن هذا العنوان العامي لا يعجبه الا اعجابا ضعيفا فاختار للكتاب عنوانا عربيا فصيحا هو أخف نصيبه من تعجب المطولين « مطول وسائل وحدوج الرسائل » في مرج الارج وبهجة المرج » الى سادة مصر وولاة العصر » .

٣ والسيرة النبوية المطبعة التي كتبها سماها « نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز » وكتابه في التربية سماه « المرشد الامين في تربية البنات والبنين » ، حتى عمر عماله اختار لها عنوانات مسجوعة ، فقد ترجم قصة تليماك وسماها « مواقع الافلاك في أخبار تليماك » وترجم كتابا في الجغرافية سماه « التعريبات الشافية لمريد الجغرافية »

ويؤلف كتبا يجعل عناوينها مثل « الأقوال المرضية في علم بعثة الكرة الأرضية » و « الدرة السنية في العمليات الهندسية » (١) .

حتى الأجانب الذين عملوا في مصر والشام ، وتعلموا العربية وألفوا بها ، كانوا حريصين على سجع العناوين ، فالدكتور كورنيليوس فانديك الهولندي الأصل ، ثم الأمريكي الجنسية ، وفد على سوريا سنة ١٨٤٠ ودرس العربية على يد بطرس البستاني وابراهيم اليازجي ، ثم ألف كتبا عربية كثيرة معظم عناوينها مسجوعة مثل « المرآة الوضية في الكرة الأرضية » . وزميله الدكتور يوحنا ورتبات الأرمني الأصل وصاحب القاموس الانجليزي العربي الذي كنا نستعمله ونحن صغار يحافظ أيضا على تقليد السجع في تآليفه مثل « كفاية العوام في صحة الأجسام » ، وكذلك الدكتور جورج يوسف الامريكي يؤلف في الجراحة كتابا يسميه « المصباح الوضاح في صناعة الجراح » .

ويطول الأمر لو استعرضنا كل طرائف العنوانات حتى تخلصنا من ذلك التقليد الثقيل ، وبدأ مفكرونا يضعون لكتبهم عنوانات سهلة واضحة هي أقرب الى روح الأدب وعبقرية اللغة ، ولا شك ان ظهور مؤلفات أدبية مثل « حديث عيسى بن هشام » لمحمد المويلحي و « في سبيل الحياة » لصالح حمدي « وليالي الروح الحائر » لمحمد لطفي جمعة و « ليالي سطيح » لحافظ ابراهيم و « النظرات » و « العبرات » لمصطفى لطفي المنفلوطي يخبر بشيء من بشائر النهضة المعاصرة.

العنوان مشكلة كل مؤلف ، ولكن العنوانات المسجوعة كانت حلا غير موفق

وبعد ، فان مشكلة العنوان يعرفها كل مؤلف وكاتب ، وحتى نحن في أيامنا هذه لا يفرغ الواحد منا من كتاب حتى تقف امامه مسألة العنوان ، وفي دور النشر في اوروبا وامريكا ناس مهمتهم اختيار عناوين الكتب في حالة اذا ما بدا للدار ان العنوان الذي اختاره المؤلف لا يجتذب الالتفات بالقدر الكافي ، ولبعض المؤلفين معارك معروفة مع دور النشر حول هذا الموضوع وقد قص ارنست همنجواي في بعض مقالاته طرفا منها .

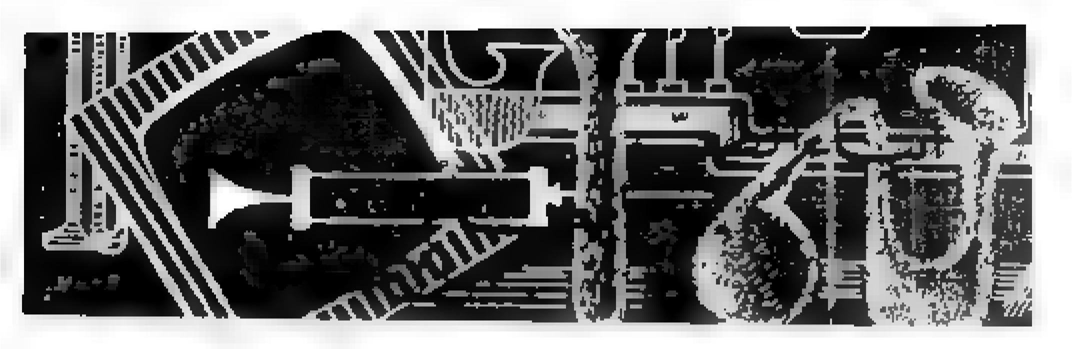
وقد كانت العناوين المسجوعة عندنا حلا غير موفق لجأ اليه المؤلفون ، ولكن يبدو انهم اضطروا اليه اضطرارا ، فان معظم كتبهم متشابهة في الفرع الواحد ، فابن واصل ، والمقريزي ، وابو المحاسن ، وابن اياس ، كتبوا تواريخ عامة لمصر والشام وبعض نواحي العالم الاسلامي في عصور مختلفة ، ولم يكن من الممكن ان يسمي كل منهم كتابه « تاريخ مصر » او « تاريخ مصر والشام » او « تاريخ دول الاسلام » ، ولهذا فقد لجأوا الى اشياء مثل « مفرج الكروب » و « السلوك » و « النجوم الزاهرة » و « بدائع الزهور » وما الى ذلك ، وقد اصطنعنا نحن في العصر الحديث لبعضهم كله عندما اسقطنا الغرر الطوالي التي زينوا بها العناوين ، وقلنا تاريخ ابن واصل وخطط المقريزي وتاريخ ابن اياس وهكذا .

وفي كتب الأدب والفقه كان الدافع الحقيقي هو الرغبة في استلفات الأنظار والفوز باعجاب الحكام ، وكان معظمهم خلال عصور الترك والمغول والأكراد عواما بالنسبة للغة العربية . واشياء مثل « الدرر اللؤلؤية » و « نظم الجمان » و « فريدة الألباب » و « بلوغ المرام » و « الامتاع » او « البحر الزاخر » او « الصواعق المحرقة » و « نزول الغيث » و « الفتح الرباني » وما اليها ، كانت تبهر الأذهان ؛ وكان الناس يقولون ان « الكتاب يعرف من عنوانه » والكثيرون جدا من الحكام الذين الفت لهم الكتب كانوا لا يقرأون الا العنوان . ■

حسين مؤنس

---

(١) وعاصر محمد عليوي الرياضيات بالمدرسة الحربية يؤلف كتب في الجبر عنوانه « اللمحة الزهرية في الأعمال الجبرية » ويكتب كتابا في فرعين فروع علوم الطبيعة سميه « أحسن الرسائل لتعريف الوسائل » ، واسماعيل الفلكي باشا وهو من نوابغ الرياضيين والفلكيين يسمي كتابه في الفلك « الآيات الباهرة في النجوم الزاهرة » والمهندس العالم السيد صالح مجدي يختار لكتبه عنوانات مثل « الدر المنثور في العقل والمنظور » و « بغية الطلاب في علم الحرارة والاحتساب » و « المطالب المهمة في الاستحكامات الخفيفة » .



اكتشاف مصدر عظيم للماء في سوريا

● هكذا يأتينا الخبر بين ما يأتي من اخبار العلم : ان خبراء مياه الارض الباطنى ، التابعين لهيئة الامم ، كشفوا في سوريا مصدرا للماء عظيما يمهد السبيل لري ربع مليون فدان تزرع قطنا وقمحا. اما الكشف فموقعه سهل الجزيرة ، فتحت هذا السهل يوجد خزان للماء الارتوازى عظيم ، وهو يقع ما بين دجلة والفرات .

ومول هذا الكشف جهتان : الحكومة السورية ، ومؤسسة الزراعة والطعام . وهو مشروع رصد له مليون دولار ، واستمر ثلاث سنوات . والماء يمكن ضخه بمقدار ١٢٠ مترا مكعبا في الثانية . واكثره يوجد على عمق ٦٠٠ قدم ، ولكنه يمتد على امتداد السهل .

وكشف الكاشفون كذلك عن مصدر ماء اعمق يصلح ماء للشرب وغير الشرب وتمد به المدن الكبرى .

الممرضات : هل يخلعن

● كل شيء هذه الايام يوضع موضع النقد ، موضع التحقيق والتدقيق .

ولباس الممرضة ، هذا الذي تراه فتعلم منه ان لابسته ممرضة ، كما تنظر الى الشرطي فتعلم من زيه انه شرطي ، هذا اللباس نال هذه الايام حظه من النقد .

اخذ النقاد يسألون ما نفعه .

ويجيب الناصرون له بانه لا شك يعطي شيئا من السلطة عند المرضى . ان الطبيب يأمر ، والممرضة تنفذ . والممرضة تقول والمريض يطيع، ولباس الممرضة الابيض ، وياقتها البيضاء ، وقبعتها البيضاء ، او ما يشبه القبعة، كلها تتراءى في عين المريض، في النصف

بلهاء ، ولكنهم علماء

● هذه حالة من خوارق الطبيعة .

اننا لا نعلم كيف نفهم ، ولا كيف نتذكر ، ولكن مع هذا نلاحظ ان في صفوف القدرة ، التي العقل اداتها ، يوجد تناسق ، وتوافق .

ولكن هذه الحالة ، وهي لتوأمين عمر كل منهما ٢٤ عاما ، انعدم فيها هذا التناسق انعداما .

انهما شابان ابلهان ، لم يتلقيا من الدراسة في سنة واحدة ، ملأها في المستشفى . وهما لا يعرفان الجمع ، ولا الطرح ، ولا الضرب ، ولا القسمة ، ومع هذا هما في تاريخ الايام يأتيان بما لا يستطيعه انسان .

انهما يستطيعان ان يذكرا لك اسم اليوم والشهر والعام لمستوات الثمانية الآلاف القادمة. وهما يمثلان لك اي سنة من هذه السنين كبيسة ، وايها البسيطة ، وبسرعة خارقة .

ولهما ذاكرة عجيبة في تاريخ الايام ، فهما



ازياءهن ، ويلبسن كما يلبس الناس ؟!!

الأخلف من الصورة نعم ، ولكن اثرها في نفسه لا ينكر . تماما كبدلة الشرطي لها اثرها في نفس المواطن ، انها رمز القانون .

وهذا هو راى الممرضات . انهن يخشين انهن في لباس الناس العادي ، يفقدن هذه السلطة .

وعدا هذا هن يخشين نفقة الملابس العادية . ان ملبس الممرضة الحاضر زى واحد من قماش واحد . اما ملابس الناس فعدة من ازياء متعددة المشية ، وهى لا بد ان تبدل كل يوم لباسا .

وغير هذا تخشى الممرضات عند اطراحهن زيهن الحاضر ، أن يتفتح الباب الذى لا يمكن سده باب التنافس في الأزياء بين العبات الممرضات ، وكلفه ذلك كبيرة .

ولكن الذين يقولون بخلع هذا الزى الواحد هم على الأغلب الأطباء النفسانيون . وذلك لأن هذا الزى يعطى الممرضة ، أو الصاحبة للمريض بعقله في غدواته وروحاته ، عكس ما يراد اعطاؤه للمريض تماما . ان هذا المريض يجب ان يعيش بعيدا عن معنى المرض ، ومعنى المستشفى ، ومعنى الممرضات ، وهذا الزى الرسمي يؤثر فيه بعكس ذلك . ان الممرضة التى تخلع هذا الزى ، تعود الى مظهر الانسانة العادى ، الذى فيه الفهم ، وفيه الحنو ، وفيه استجابة المريض عن رضا .

ولا يزال النقاش جاريا .

يذكران انه حال الجو ، صحوا كان او عاصفاً او ماطرا ، ليوم تحت ذاكره .

ويذكران انه في سهولة مثلا ان جورج وشنجطن ولد عام ١٧٣٢ ومات عام ١٧٩٩ ، ومن غير حرج كما يطرح الناس الأرقام ، يذكران انه عاش ٦٧ ، وان عمره كان يصبح ٢٣٢ سنة لو انه عاش الى اليوم .

والطفلان ولدا لأسرة ، رجلها رجل العمل ناجح . ولكن جو المنزل كان جوا عاصفا ، تفوح منه رائحة الخمر ، وتتردد في انحائه الصرخات التى تهدد بالطلاق .

وظهر تخلفهما العقلى وهما في الثالثة .

وظهرت القدرة على استيعاب التواريخ في الطفل الأول وهو في السادسة ، وظهرت في الآخر بعد ذلك .

واختلف الأطباء النفسانيون في تفسير ذلك . والذين فسروه قالوا قولا يشبه تفسير الماء بالماء .

احواض السباحة في الصيف لا بد من تطهيرها

● ان الحوض الذي يصيبه ماء السباحة يضم عدة من الكروبات ، من الكثير ومن الفيروس على السواء . وقد احصى أحد فاحصي مياه هذه الأحواض من الفيروس ستة انواع معدية معروفة ، لا يطهر منها الا المطهرات الكيماوية .

والمطهرات الأشهر التي تستخدم هي عنصر الكلور ، أو أخوه عنصر البروم . وحتى الأخ الثالث لهما ، اليود ، مأذون باستخدامه بشروط .

والكلور أكثر استخداما في تطهير تلك الأحواض ، وهو يوضع فيها غازا كما هو ، أو على صورة مركب هيبوكلوريت الصوديوم ، أو الكالسيوم .

وقد أجرى المختصون تفتيشا على عدة من احواض السباحة ، حتى في الأمم المتقدمة ، فعرفوا أن الكثير غير الظاهر منها ، وأنه لم يطهر أو طهر دون الكفاية .

والمختصون يعطون النصائح التالية لمن يدخل تلك الأحواض .

(١) تأكد من أن الحوض قد طهره القائمون عليه وفقا لتعليمات الجهة الصحية القائمة بتلك الناحية .

(٢) خذ دش ماء قبل أن تنزل الى الحوض .

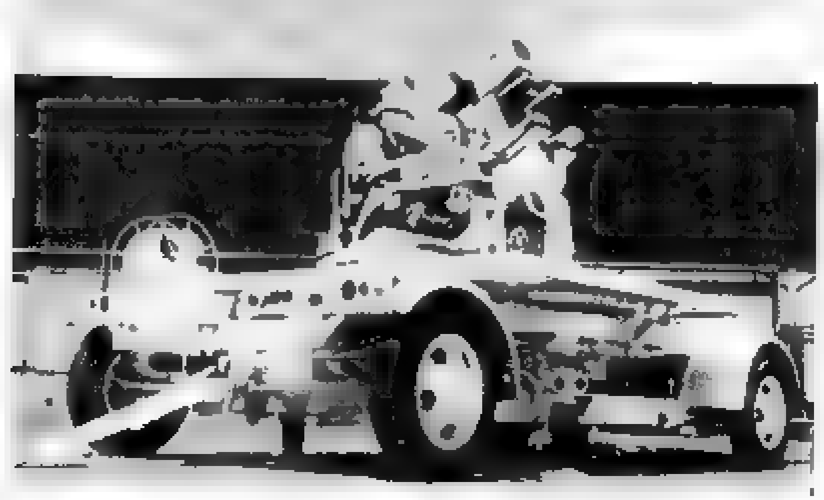
(٣) لا تدخل حوض الاستحمام عقب الطعام .

(٤) لا تدخل حوض الاستحمام ، وعلى جلدك قطع كائنا ما كان .

(٥) لا تدخل الحوض عقب التطعيم بالجدري ، أو بعينك التهاب ، أو عندك اسهال .

(٦) لا تبق في الماء حتى تشعر بالبرد .

(٧) وبالطبع لا تدخل الماء وحدك وأنت لا تعرف كيف تعوم !



متابعة الأقمار الصناعية في السماء

● متابعة القمر الصناعي عند انطلاقه ، ومن بعد انطلاقه ، ليست بالأمر الهين ، ومحطة المتابعة الثابتة في الأرض ، أقدر منها على المتابعة محطة متنقلة . وهذه صورة للمحطة المتنقلة وهي تأخذ صورا فوتوغرافية للقمر أو القذيفة مهما كانت سرعتها . وفي الجهاز الموجه للعدسات محركات كهربائية مختلفة ، واسعة المدى ، تسارع الصاروخ المسارع ، مهما اختلفت سرعته ، واختلف توجهه .



آلة للكتابة ، تنطق بما تكتب

● وهي للأطفال خاصة ، تعلمهم الكتابة والقراءة ، بالانجليزية طبعا ، لان مخترعها من أهل الغرب .

والطفل يبدأ بكتابة كلمة ، انه يضرب حروفها على مفاتيح الآلة ، فاذا كتب الطفل الكلمة صحيحة ، نطقت الآلة بالكلمة ، واذا أخطأ ، لم تنطق الآلة شيء .

والطفل بالطبع لا يستطيع ان يكتب اي كلمة يشاء فالآلة،وشريطها الناطق، مؤلفة لتنطق بألفاظ معلومة ، وتحمل كذلك معلومة مندرجة في أصعوبة ، من برنامج وضعه المدرسون .

والآلة تعلم الطفل الحروف أولا ، ثم الكلمات ، أعني الهجاء .

وهي تعين فاقدي البصر على تعلم الكتابة عن الآلة الكاتبة .

فوهات البراكين

● فوهات البراكين ، هل هي فوهات براكين حقا وصدقا ؟

أعني هل هي كانت بسبب ما خرج من بطن الأرض الى سطحها من حمم من الصخر المصهور ومن غازات ونيران ؟ هذا هو الرأي الشائع .

ولكن العلم كل شائع ماله الى رجوعه الى تحقيق وتدقيق . . ولا شك في أن من فوهات البراكين ما صنعه الصخر المصهور الذي خرج من بطن الأرض . ودليل ذلك ما يطرأ على هذه البراكين الى اليوم من ثورة نراها فيها تقذف الى السماء بالحمم .

ولكن السؤال : هو هل كل الفوهات تكونت هكذا ؟

اما الرأي الآخر فيقول أن من تلك الفوهات ما صنعته في قديم الزمان نيازك هائلة هبطت الى الأرض فدكتها دكا ، وكان من هذا الدك تولد هذه الفوهات .

ويساعد أهل هذا الرأي الهيئة التي توزعت عليها هذه الفوهات على سطح الأرض ، فكثير من مواقعها لا تحتمل عنده حدوث ثوران في بطن الأرض

ولا يزال النقاش بين العلماء جاريا .



استخدام الزيت الخام في محركات الديزل

● الزيت الخام ، عندما يخرج من الأرض ، لا بد من تصفيته ، وتقطيره ليفصل منه البنزين ، ثم ما هو أثقل من البنزين من سائر أجزائه . ومنها الجزء المسمى بزيت الديزل .

ورتب الدين هذا له محركات خاصة يأتلف تصميمها مع اتخاذ هذا الزيت وقودا لها . وتسمى هذه المحركات بمحركات الديزل .

ثم خطر على البال : هل يمكن استخدام الزيت الخام ، الخارج من الأرض مباشرة ، بعد إزالة ما فيه من ماء ومن رمل طبعا ، وقودا لمحركات الديزل ، وبذلك يوفر عملية التقطير وهي عالية الثمن ؟

وتجرى البحوث لتحقيق هذه الغاية .

وجرت أبحاث في ذلك ، استخدم فيها الزيت الخام وقودا لمحركات الديزل في كندا ، وكانت النتيجة غير مرضية . وهم يرجعون سبب ذلك إلى أن الخام الذي استخدم كانت نسبة الكبريت فيه عالية ، فهي تبلغ ٨ في الألف .

أما البحث الذي نقصد ذكره اليوم فهو ذلك الذي جربه المستر فوشو Faucheux في مختبر شركة الزيت البريطانية B.P في مقاطعة نوتنجهام بانجلترا .

والمستر فوشو استخدم محركا من محركات الديزل العادية ، لم يدخل عليه أي تعديل . وهو سيره على الوقود الخام ١٥٠٠ ساعة سيرا سهلا حسنا ، ثم سيره ١٥٠٠ ساعة أخرى .

وبعد ذلك هو فتح المحرك ليفحصه من الداخل .

إنها تجربة كبيرة خطيرة ، فيها وفر عظيم .

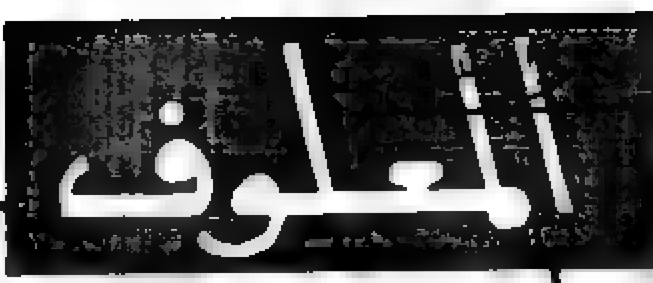
ومن الوفر المحتمل أن البواخر التي تنقل الزيت عبر البحار ، قد يكون في استطاعتها استخدام الزيت الخام بدل الزيت الذي جرت عليه عملية التكرير .

الطب القديم والطب الحديث

● في عصر الفيتامينات ، وعصر المبيدات الحيوية ، والأمصال الوقائية ، يعرف الإنسان أنه لا يزال في الأرض أقوام لا ترضى من الطب إلا بالطب القديم ، طب الأعشاب ، والأدهان الطبيعية ، والحجامة وما أشبه . وهذا الطب منتشر أكثر انتشار في آسيا ، وفي الهند ، وفي الصين ، وما بينهما .

وفي فيتنام الجنوبية خاصة ، بدأ الناس يتحولون من وصفات الأعشاب الصينية القديمة إلى أدوية هذه المدنية الحديثة . وقد دل الإحصاء في مدينة سيجون الكبيرة على أن نحوا من ٧٦ في المائة من المرضى يقصدون الآن الأطباء الذين يمارسون طب الغرب الحديث ، على الأطباء الذين يمارسون طب الشرق القديم . وكلا الصنفين بالطبع ما يزال قائما جنبا إلى جنبه .





المؤرخ العربي الموسوعي الأديب



بقلم : البدوى الملثم

■ في صيف عام ١٩٣٥ جئت لبنان مصطافا ، وسرت الى « زحلة » ، جارة الوادي وارض العنب ، خفيفا طائرا ، ودخلتها في جلال من فتنة الطبيعة ، وجلال من « وادي العرائش » الفاتن ، وجلال مما اشتهر عن اهلها من كرم نفس ، وسماحة خلق ، وبسطة كف . ويممت القصر المعلوف او قل « دار الحكمة » ، فلمحت في زاوية من بهوه الفسيح شيخ المؤرخين المعاصرين عيسى اسكندر المعلوف ، تحف به هالة من احبار الشعر ، وكهان العلم ، واهل القلم ، وهو يتحدث الى زواره بخفوت صوت ونعومة نبرة ، ويرسل الكلام في جمل متساوقة ، تكاد تكون اوزانا بعضها ، ويأتيك بهذه الموسيقى التي تنحدر الى سمعك ، في طلاوة جرس ونعومة نغم ، باطايب الحديث نظما ونثرا ، رواية ومثلا !

وهنا لمعت في خاطري صورة « سطيح » (١) شيخ كهان العرب ، الذي اشتهر امره في متاهات الجزيرة ، وكان الامراء وشيوخ القبائل يفدون اليه مستفسرين عن المستقبل واحداثه ،

---

(١) كان الكاهن « سطيح » ـ كما تروي كتب الادب والاساطير الاولين ـ يدرج كما يدرج الثوب ، لا عظم فيه الا الجمجمة ، وكان وجهه في صدره ، ولم يكن له رأس ولا عنق ، ولد و « شق » بن انمار بن نزار في يوم واحد ، وكان كل منهما ينافسه الآخر في الكشف عن انباء الغيب !

فكان يحدد لهم أحداث المستقبل ووقائعه ، ويكشف عن حوادث لا تلبث أن تقع في موعدها المضروب !

وعلى توالي الأيام توثقت بين العلامة المعلوف وبيني عرى المودة ، وتجاذبنا حبل المراسلات في ابحاث وشؤون شتى ، وكشفت لي الأيام عن صفات ومزايا حببت ذلك الشيخ المهيب الى نفسي !

مولده

في الحادي عشر من نيسان ١٨٦٩ ولد المعلوف في (كفر عقاب) ، من اعمال المتن بلبنان ، وتلقى دروسه الاولية في مدرسة قريته ، لكن « نفس عصام » لم تقنع بالابجدية والقراءة في مسقط راسه ، بل دفعت « عصاما » للبحث والدرس والتنقيب حتى غدا « دودة كتب » ، كما يقول المثل الاميركي ، واصبح بعد جهد علمي شاق في طليعة الاعلام الذين اسهموا ، في بناء صرح النهضة الادبية الحديثة في الشرق العربي !

في حقل التدريس

وعهد اليه الاباء اليسوعيون بالتدريس في مدرستهم بـ « كفر عقاب » ، ثم عين استاذا للادب العربي واللغة الانكليزية (١٨٩٢) في (مدرسة كفتين) بلبنان الشمالي . وفي عام ١٨٩٨ اناطت به ادارة « الكلية الشرقية » بزحلة تدريس الصفوف العليا ، وشغل كرسي العربية فيها . وفي عام ١٩٠٨ انتدبته ادارة « المدارس الارثوذكسية » بدمشق ، وكانت مهد ذلك في اوج عزها . واسهم في تحرير جريدة « العصر الجديد » ومجلة « النعمة » وكان يغذيهما بمقالات علمية وادبية واجتماعية !

في حقل الصحافة

لم تقف جهود هذا الباحث المحقق عند حد التدريس بل تجاوزته الى بلاط صاحبة الجلالة « الصحافة » فزاولها عام ١٨٩٠ بتحرير جريدة « لبنان » في « بعبدا » مقر متصرفية لبنان ، ونشر مقالات عمرانية وسعولا في سائر الفنون ، واذاك عمله في « الكلية الشرقية » لم يكتف بالقاء الدروس ، وتصحيح الواجبات ، بل أسس لطلابه جريدة اسماها « المهذب » ، كانت تطبع على الجلاتين ، وجعلها مسرحا لاقلامهم !

وفي شهر يوليه (تموز) عام ١٩١١ انشأ مجلة (الآثار) وكانت المجلة الفريدة من نوعها في العالم العربي في مباحث « الآثار القديمة » وعلى صفحاتها تجلى نبوغه ، وذاع صيته في الاوساط الثقافية الراقية . ومن المؤسف أن هذه المجلة لم تعمر اكثر من خمس سنوات ، ومجلداتها الخمسة شاهدة على ما سطا به ذلك القلم الخصب على خزانة التاريخ ورفوف الادب من فصول قيمة ، ومباحث ممتعة ، وروايات طريفة، ونشر في شهيرات المجلات العربية (كالمقتطف) و (الهلال) و (والمشرق) و (والنعمة) و (المسرة) و (والبشير) و (مجلة سركيس) و (مينرفا) وغيرها من المجلات الراقية في الوطن والمهجر ، مقالات نفيسة لو جمعت وحزمت في مجلدات لجنت خزانتنا الادب والتاريخ العربيتان فوائد جمة من تلك البحوث ، هذا عدا عشرات المقالات والمحاضرات التي نشرت في « مجلة المجمع العلمي العربي » بدمشق و « المكتبة » بيروت !

في حقل التأليف

انشأ المحقق المعلوف، منذ خمسين عاما ونيف، صرحا شامخا من العلم وشق لنفسه طريقا لم تطرق من قبل ، في عرض الطرائف والنتائج التاريخية ، وقد نسقها اجمل تنسيق ، وتناولها باسلوب بديع وبيان ساحر ، طبعه بطابع عميق، وقد اسبغ عليه ذلك اللحن المتوهج شخصية بارزة المعالم ، شديدة الوضوح ، تشعر بها في كافة ما صنف والف ، ودونك اسماء بعض مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة :

١ ـ تاريخ الامير فخر الدين المعني (معصور) وقد صرف على تصنيفه وجمعه اكثر من ربع قرن،

وراجع في سبيله طائفة من المؤلفات القيمة في لغات متعددة مع نقد تاريخي ورسوم نادرة يبلغ عددها مئتين رسما وجاء في (٥٠٠) صفحة .

٢ — الأسر التي خدمت الطب والمخطوطات الطبية .

٣ — تاريخ الطب عند العرب .

٤ — الكتابة (في اربعة اجزاء ، طبع الاول منها والثلاثة الباقية لا تزال مخطوطة) .

٥ — الشعر والعصر .

٦ — الاخلاق مجموع عادات .

٧ — دواني القطوف في تاريخ بني معلوف .

٨ — تاريخ مدينة زحلة .

٩ — تاريخ الطب قبل العرب .

١٠ — تاريخ لبنان (طبع في الحرب الكبرى وفيه بحث عن الاخلاق والعادات اللبنانية ومشاهير لبنان ومؤلفيه) .

١١ — معارضات قصيدة « ياليل الصب » للحصري القيرواني وقد ضمنها كلمة في المعارضة لغة واصطلاحا .

١٢ — الشعراء (طبع الاول والثاني مخطوط) .

١٣ — تاريخ الامير بشير الشهابي حاكم لبنان .

١٤ — الفلسطينيون عرب .

١٥ — تاريخ الأسر الشرقية (في ١٤ مجلدا) .

١٦ — مجموعة محاضراته في المجمع العلمي العربي بدمشق وفي مجمع اللغة العربية بالقاهرة وفي حلب وحمص وزحلة .

في دنيا الشعر

خلف المعلوف ديوان شعر المسماه « بنات الافكار » ، ما زال مخطوطا ، يتضمن ثلاثة عشر الف بيت ، جمعت بين المقاتات والمقطوعات ، وفيهما تناول الادب والتاريخ والاخلاق وبعض المعربات الشعرية عن اللغات الاجنبية والشعر المعاصر .

ومن حسنات شعره انه سخَّر التعابير الشعرية للمصطلحات العلمية ، وقد صدَّر ديوانه بمقدمة مبتكرة في بابها بعنوان « تاريخ الشعر » من الشطر ، الى البيت ، فالقصيدة ، فالديوان ، عند الافرنج والعرب .

وخلف المعلوف طائفة من الدواوين المنظومة منها ديوان اسماه « سفر الاحزان » وفيه يصف المصائب التي انثالت عليه وابرزها مصابه الفاجع بنجله « فوزي » الشاعر الذي غنى للشعوب امريكا الجنوبية واسبانيا والبرتغال بسحر الشرق وفنونه !

ومن شعره في فجيعته الفاجعة بالشاعر المجدد « فوزي » قال من قصيدة مطولة :

ذروا الثاكل المنكوب مضنى بخطبه
ولا تزعجوه فهو لاهٍ بكربه

يقول الذي يحيي الليالي بقلبه :
« لكل امرىء ضيف يسرُّ بقربه

ومالي سوى الاحزان والهم من ضيف ! »

وفقدنا بـ « فوزي » كل ما كان عندنا
من الأمل الباقي بمسماه مجدنا

وقد نقض الدهر المروِّع عهدنا
يقول خليلي : « كيف صبرك بعدنا ؟ »

فقلت : « وهل صبراً فيسأل من كيف ؟! »

عمر طويل زاخر

وقد توفي سنة ١٩٥٦ ، بعد عمر طويل زاخر بالاعمال ، وذلك عن ٨٧ عاما . ■

البدوي الملثم
عمان — الأردن

مطرود من الجنة

■ مضت أيامنا الخضراء ..
مضت يا قلب .. فالدنيا خريف في مآقينا
وأيلول الذي ما كان يقرب من مغانينا
كأنْ وجودَه ما كان !
فلا طيبٌ ولا أنداء !
ولا لحن بهيج اللون يا قلبي يواسينا

■ ■ ■

ترى ما قيمة الأشياء ..
إن لم تعرف الأشياء ؟!
عرفنا الحب ..
وغذيناه من دمنا ،
وظللناه بالأهداب
وكان الحب من شفتيه يسقينا ..
وينثر نفسه فينا
فآمنا بأن الحب معنى من معانينا
فياما في ظلال الود ألقينا مراسينا ،
ورافقنا أمانينا
وكان الحب يجمعنا مع الأحباب
فأيديهم بأيدينا
وياما فوق هام النجم يا قلبي ..
بنينا كلّ شيءٍ دافيءٍ حلاب ،
وغبنا فيه مع نور في حلم،
ولم يدُمِ !
هنانا ذاك لم يدم

■ ■ ■

تثاءب حاسد من حماة العمر
وهاجمت الظلال الآمنات دئاب
وكان أسىً عميق النفس ،
وليل موحش يجتاحنا بالخوف ،
ولمح دونه تتمزق الأعصاب !
تركناها الجبال لكل سيلٌ جاح
وهاجرنا وخلفنا لها الأفراح
وعدنا نحسب الساعات في الغربة
ونسكب مرّها فينا !
فما عادت توادي الحب يا قلبي بواديها
ولا عدنا نرى تموز يخصب في أماسينا
ويعمرها بألف جناح !

■ ■ ■

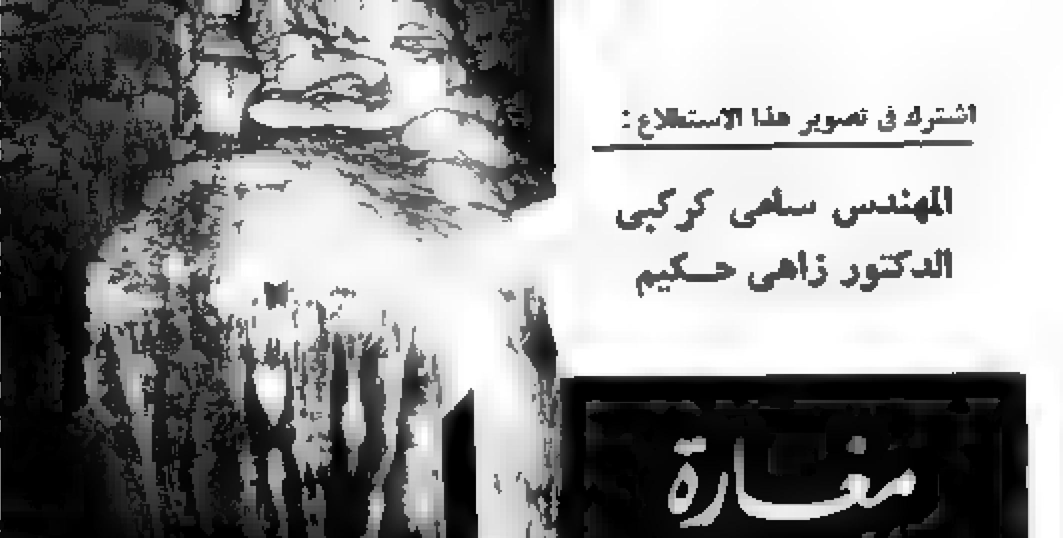
ترى من يخبرُ السمراء كيف نعاهد القلما
وكيف تذوب أعيننا على نار الهوى أرقا
ومن ليل بلا آخر
طويل ليس فيه صباح !
مخيفات ملامح هذه الأشياء ،
وشاحبة شحوب الموت ،
وصامتة تعاني يأسها الجدران !
وفي الباب المقابل تستغيث رياح
كأن الريح مثل جرحها تنثار !
فأفزع للغروب كأنما أشباح ..
تهاجمني لتخنقني !

■ ■ ■

فمن يا قلب يكشف سر مأساتي
وينشر قصة الإرهاب والرعب
وكيف أمر من درب إلى درب
وأمسار مخيف اللمح في ذاتي ؟!
ومن سيزف للسمراء يا قلبي ..
فجيعة يومنا الآتي !
وكيف أعود بعد الخوف للغرفه
وفي نفسي لطيف حبيبتي لمه !
فأستطيع الرقاد عساه يسعفني ،
ويسعفني لطيف حبيبتي صدفه !

■

عمان — أيوب طه



اشترك في تصوير هذا الاستطلاع :

المهندس سامي كركبي
الدكتور زاهي حكيم



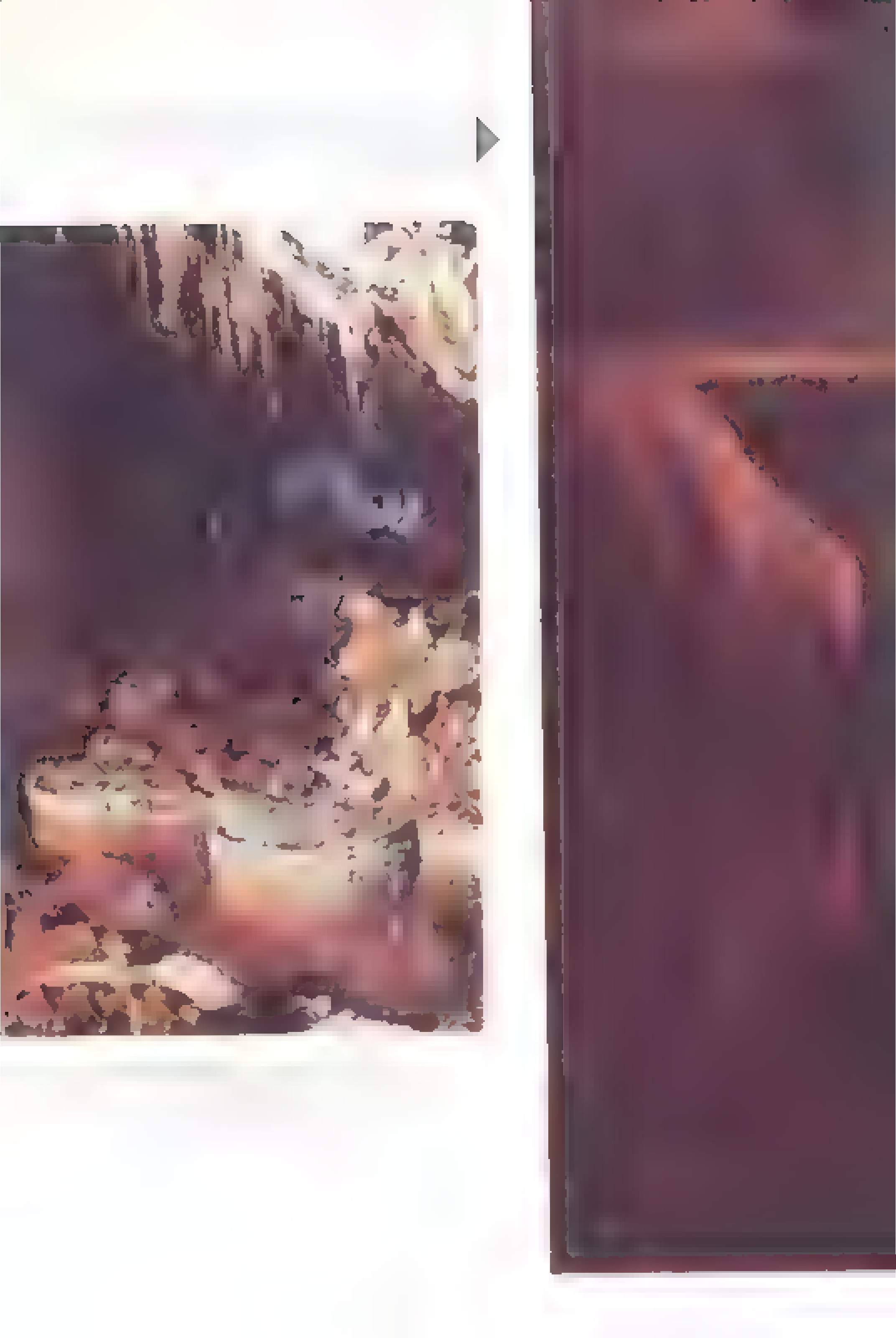
■ « يا أخت السعد، يا ... [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] »

هذه ابيات من قصيدة عصماء للشاعر شفيق المعلوف اوحت اليه بها مغارة جعيتا .

ماذا تعرف ايها القارىء عن هذه المغارة التي هي مصدر الهام للشعراء ومحج للسياح من كل مكان ؟

اذا تصادف ان مررت ببيروت ، عاصمة لبنان ، سواء أكنت طائرا أم مبحرا ، والتمس خط سير الرحلة أو موعد اقلاع الطائرة أو ابحار السفينة مقامك في بيروت يوما أو بعض يوم فان باستطاعتك في أقل من ساعتين أن تزور مغارة جعيتا ، اعجوبة العجائب ، وستكون هذه السويعات اجمل ما في رحلتك ، ويبقى ذكراها معك طول حياتك .





موقع مغارة جعيتا

تقع مغارة جعيتا الى الشمال الشرقي من بيروت وعلى مسافة ٢٢ كيلو مترا . تنطلق بك السيارة خارجة من بيروت على طريق طرابلس ـ حلب ، وعلى يمينك تتكسر قمم الجبال وسفوحها ، وعلى يسارك تتلاطم امواج البحر المتوسط وما يلبث أن يتلاشى زبدها الابيض عند حافة اليابسة .

يوصلك هذا الطريق العريض الى نفق .. ما ان تنفذ من جانبه الآخر حتى تجد على يمينك طريقا فرعيا تنعطف فيه تاركا الطريق الرئيسي منطلقا في اتجاه الشمال .

تنتقل هذه الطريق الفرعية الضيقة شرقا وتصعد بك الجبال متسلقة سفوحها وتدور معها كيفما دارت . وتصادفك الطريق منعطفات حادة ، حتى يخيل اليك ان مقدمة السيارة سترتطم بالجبل حينا أو انها ستنطلق مع جانبيه الطرق لتسبح في الفضاء قليلا قبل ان تستقر في قاع واد ليس له قرار .



عند هذا الممر الضيق ينتهي طريق السيارات ، فيترجل عنها الزائرون ليعبروا نحو مغارة جعيتا عجوبة العجائب

تقترب رويدا رويدا من قمة جبل .. وما ان ترتقيه حتى تنحدر بك الطريق دفعة واحدة .. فيضطرب خفقان قلبك من بعد انتظام .. وترتعد فرائصك .. ولكن ما ان تلقي نظرة حواليك وترى الاشجار الخضراء تكسو قمم الجبال وجنباتها .. وترى نهر الكلب قد استقر واتخذ مجراه في قاع الاودية يتلوى معها التواء الثعبان حتى تتأكد من أن الأمر يستحق المجازفة .. وجدير بالمغامرة لدقائق من الزمن قد تظنها ساعات ولا ينقذك من هذا الشعور الا قول السائق لك انك قد وصلت .. بالسلامة .. أما الوقت اللازم لقطع هذه الطريق فهو ٣٠ دقيقة .

ويجري العمل الآن في شق طريق مكان الطريق القديم يقصر المسافة (كيلومترات بحيث تصبح ١٨ كيلومترا .. وهي نسبة قد لا تبدو هامة ولكن خط سير الطريق الجديد يتلافى المنحدرات الخطرة والمنعطفات الحادة .

اكتشاف المغارة

لم يكن احد يدري أن في بطن تلك الجبال تكمن احدى عجائب الطبيعة .. ولكن الصدفة .. والصدفة وحدها هي التي ازاحت الستار عن مغارة جعيتا .. مغارة معجزات الطبيعة .

كان ذلك عام ١٨٣٦ حينما ذهب شخص يدعى طومبسون في رحلة صيد في هذه المنطقة .. ووجد نفسه فجأة عند مدخل مغارة ، فزحف الى داخلها ، وهناك وجد نفسه وسط قاعة فسيحة مظلمة والمياه تتدفق منه قدميه .

اطلق دكتور طومبسون عيارا ناريا من بندقيته واصاخ السمع الى الصدى الذي ارتد من الصوت الذي احدثه انطلاق الرصاصة ، وعندما تأكد من وجود دهاليز عميقة تحت الارض . وهكذا اكتشفت مغارة جعيتا لأول مرة .

وفي شهر سبتمبر (ايلول) سنة ١٨٧٣ صمم اثنان من المهندسين ، يعملان بمصلحة مياه بيروت ، وهما « ماكسويل » و « بلس » ، على البحث عن منبع نهر الكلب فدخلا في هذه المغارة وقد تجهزا بألواح خشبية شد بعضهما الى البعض الآخر ، وربطت بها قربا منفوخة لتساعد على الطفو فوق الماء . وبعد أن جدف ماكسويل وبلس



طلاب وطالبات ، صغار وكبار ، ياتون من كل مكان في لبنان لزيارة مغارة جعيتا ، ويتنزهون في الوادي الواسع ثم ينطلقون بين الصخور ويجري تحت اقدامهم ماء النهر ..

مسافة خمسين مترا ، وقفت صخرة هائلة في طريقهما فلم يتمكنا من مواصلة التجديف ، وقد عرفت تلك الصخرة في نفس الوقت باســم « الستار » .

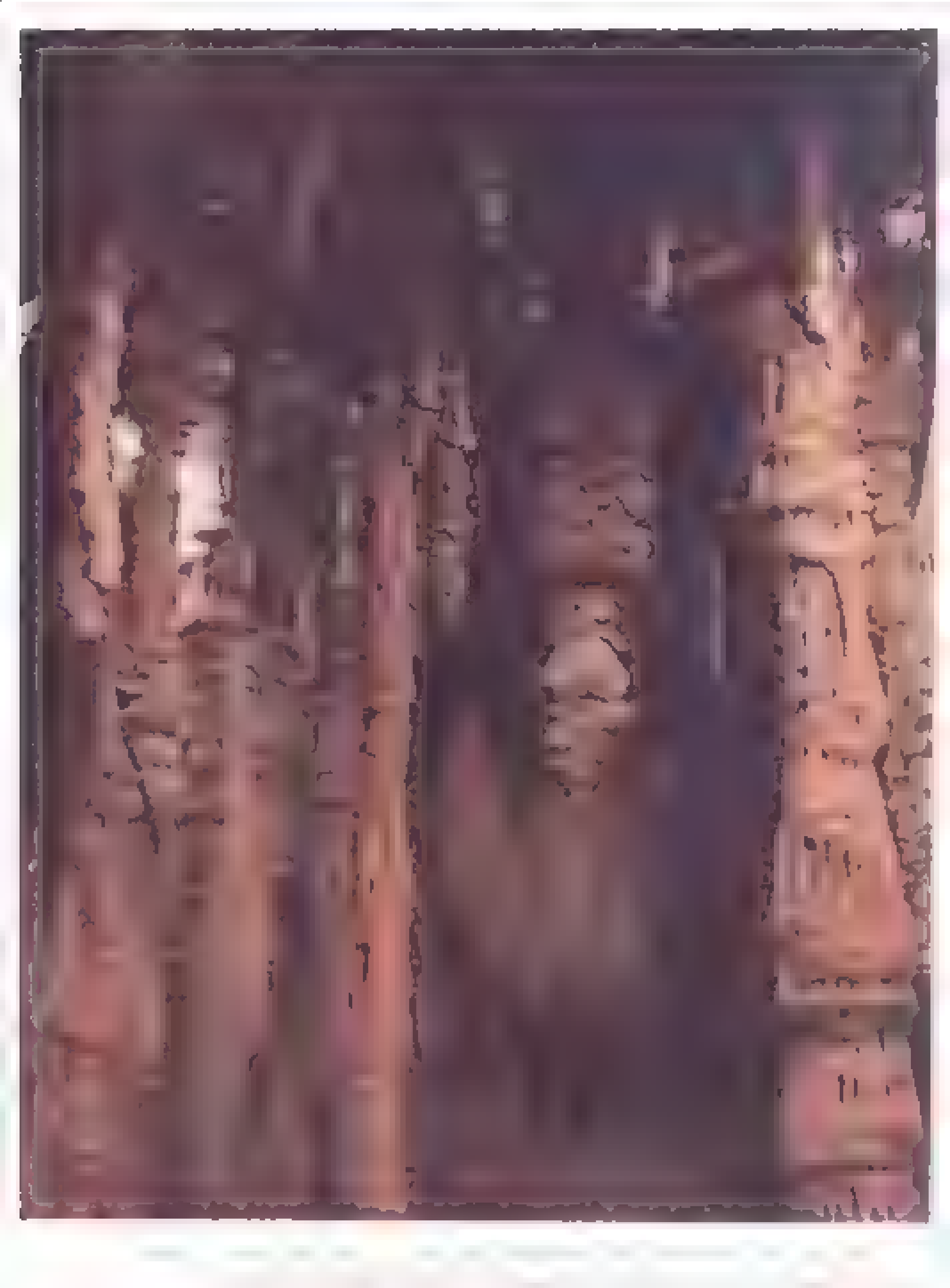
تقدم أعمال الكشف في المغاره

ولم يدب اليأس في نفسيهما ، فعاودا الكرة من جديد بعد سبعة ايام في محاولة ثانية ، ولكنهما ادخلا على تجهيزاتهما بعض التحسينات اذ احضرا وحدتين من الالواح الخشبية المجمعة ، وقاربا صغيرا ، كما استعانا بضوء الشموع وانــوار مصباح الكيروسين الباهتة .. وهكذا هذه المــرة عشر ساعات .. ووصلا في تلك المحاولة الى ما سمى Hell's Rapids أو ما ترجمته « شلالات جهنم » على بعد ٨٠ مترا من المدخل . وقــد بهرتهما مناظر المغارة الداخلية ، فأراد يانــس ان يخلد هذا العمل الجرىء فوضع زجاجة فارغــة بداخلها ورقة كتبت عليها أسماء اعضاء الرحلة والتاريخ وبعض التفاصيل المتعلقة بالعمليــة الاستكشافية عند اخر نقطة وصلا اليها ، وحفرا كتابة على الصخر .

وتتابع المستكشفون لهذه المغارة ، الواحد بعد الاخر . وكان الدكتور لامارش Lamarche أول من نجح في عبور « شلالات جهنم » بعد نصف قرن وقطع مسافة خمسين مترا توقف عندما يعــرف باسم « حاجز لامارش » .

وفي عام ١٩٢٦ قامت حملة بقيادة الدكتــور وست West ، وتوغلت مسافة ٤٠٠ متر اخرى في أعماق المغارة . وفي العام التالي وصل توميسون الى مسافة ٢ كيلومتر .

وبعد ١٨ عاما قام اربعة من الشبان اللبنانيين المهتمين بالتنقيب عن المغاور وتوغلوا الى مسافه ٢,٥ كيلومتر . وتتابعت بعد ذلك اعمال التنقيب بسرعة حتى وصل الرقم الى ٦٢٠٠ متر . وبعد





تأسيس النادي اللبناني للتنقيب في المغاور سنة ١٩٥١ ازدادت مسافة التوغل الى ٤٠٠ متر ومن ثم الى ٦٢٠٠ متر .. في سنة ١٩٥٤ واستغرق الوصول الى تلك النقطة والرجوع الى المدخل اسبوعا .

مغارة جعيتا تصبح مغارة سياحية

رأينا كيف سارت مراحل اكتشاف مغارة جعيتا وتسلسلها الزمني . ولكن مفوض السياحة والاصطياف اللبناني قد زار المغارة اثناء المراحل النهائية لاستكشافها ورأى انها تصلح مكانا يرتاده السواح ليشاهدوا عجائب الطبيعة .

وفي سنة ١٩٥٦ كلفت المفوضية المهندس سامي كركبي ، احد اعضاء النادي اللبناني للتنقيب في المغاور ، ببدء العمل في تجهيز المغارة . والسيد كركبي في الحادية والثلاثين من العمر الآن ، وهو مهندس وتلقى دروسا في علم الحشرات ، ودروسا في علم المغاور وهو مايعرف بالافرنجية بالسبيليولوجي Spéléologie وهو حاليا رئيس مصلحة المغاور التابعة لمديرية السياحة والاصطياف وهي بدورها تابعة لوزارة الارشاد والانباء اللبنانية .

تأسس هذا النادي ، واسمه يدل على الاهداف التي تأسس من اجلها ، عام ١٩٥١ وهو يتألف من هواة يميلون الى المجازفة والمغامرة . وعدد اعضاء النادي يبلغ في الوقت الحاضر ٢٤ عضوا بينهم المهندس والطبيب والاستاذ . وقد اكتشف النادي ١٧٠ مغارة . وتأتي مغارة جعيتا في رأس قائمة تلك المغاور من حيث الاهمية ، ويليها في ذلك مغارة رويس في العاقورة قرب افقا .

افتتاح المغارة

بدأ العمل تحت الارض في جوف المغارة .. في جو مظلم رطب ..

وراح العمال يدبون كدبيب النمل في مسالكها ، او فوق الرواسب في اوكارها ، يعملون في احشاء المغارة تنظيما بمعاولهم ومجارفهم وازاميلهم .

وبانتهاء صيف ١٩٥٦ واكمال الطريق اصبحت المغارة في وضع يسمح بدخول الزائرين . اما افتتاحها الرسمي فقد حدث في شهر يوليو (حزيران) ١٩٥٩ ، واستقبلت في ذلك الموسم ٤٢ الفا من الزائرين ما بين مواطن وسائح ومصطاف .

وبلغ عدد من ارتاد المغارة في السنة التالية (١٩٦٠) ٦٦ الفا ، وفي سنة ١٩٦١ دخلها ٨٨ الفا . وبمقارنة هذه الارقام بأعداد من زار آثار بعلبك وآثار جبيل نجد مغارة جعيتا تأتي في المرتبة الاولى ، تليها بعلبك وقد زارها ٦٠ الفا ، وجبيل ٤٠ الفا .

وهي لهذا تأتي من الناحية السياحية في الدرجة الاولى ، ولا غرابة في ذلك فهي اعجوبة العجائب بالاضافة الى قربها من بيروت حيث السائحون الاجانب ، وكذلك مناطق الاصطياف حيث المصطافون من الدول العربية .

داخل المغارة

حينما تقترب من باب المغارة يعترض طريقك حاجز من القضبان الحديدية به فتحات ، وعلى الجانبين اقيم كشكان لبيع التذاكر . ورسم الدخول الى المغارة ، ليرتان لبنانيتان أي ما يساوي ربع دينار تقريبا والدينار يساوي جنيها انجليزيا . ولا يسمح بحال من الاحوال دخول الاطفال دون الخامسة من العمر .

سائحات من كل مكان ، عبر نهر في زورق على



وما أن نجاوز المدخل حتى يطالعك فم المغارة، ومدخله يقال انه الآن على ارتفاع ٧٢ مترا فوق سطح البحر ..

وننزل درجات معدودات ، ونتجه يسارا ، ثم الى اليمين ، فتجد امامك مرسى صغيرا يرسو فيه ١٤ قاربا صغيرا من الالمنيوم يتسع واحدها ما بين ٨ – ١٠ ركاب حسب الاحجام والاوزان . ولكل زورق قائد ماهر يرتدي حلة من الكاكي ويحمل بيده مجدافا .. وفي جيب سرواله الخلفي مصباح يدوي لانارة الاماكن والزوايا المظلمة .

الخوف على صوره

واذا كنت مصابا بالخوف من الظلام ، او الاعماق ، او الماء ، او الاماكن الواسعة ، او الضيقة ، وكلها امراض مرضية معروفة تصيب بعض الناس في مثل هذه المواقف ، فانت بحاجة الى علاج مسكن يخمد هيجان اعصابك وانفعالاتها ويهدئ من روعك وفزعك . وانت حالما تصل الى حلق المغارة تسمع هديرا كأنه صوت محركات طائرة ضخمة تدور باقصى سرعتها .. او هو دوي الرعد ، او انطلاق صاروخ . ولكنه ليس واحدا من هذه الاشياء بل هو خرير الماء وهو يتدفق من المغارة ليغذي نهر الكلب بمياهه ، بالاضافة الى المياه التي تزوده بها منابعه الاخرى ، وهي نبع العسل ، ونبع اللبن ، ونبع صنين بمنطقتي كسروان والمتن . وتغص هذه المنابع على نهر الكلب صيفا بمائها وتبقى جعيتا هي المغذي الوحيد لهذا النهر الذي يبلغ طوله من منبع جعيتا حتى مصبه في البحر الابيض المتوسط ٦ كيلومترات .

ومقدار تدفق الماء يختلف صيفا عنه في الشتاء. وفي الصيف ينساب الماء من المغارة بمعدل متر مكعب واحد في الثانية اي ٨٦٤٠٠ متر مكعب في اليوم ، وهو في الشتاء يتضاعف اثنى عشر ضعفا ويتدفق يوميا بمعدل ١٠٣٦٨٠٠ متر مكعب .

امن من خوف

لقد ازعجتك لا شك هدير المغارة وظلامها ، ولكن حالتك النفسية هذه تأخذ تزول تدريجيا وتشعر باعصابك المتوترة المشدودة تسترخي وتهدأ تلقائيا ... ولا تلبث هنالك ان تتعود الظلمة فتستطيع ان ترى في ضوء المصباح الضعيف ما حواليك رغم ذلك الظلام الدامس ، ويزول ما كان قد دهاك من صمم فتصبح تسمع ما يدور حولك من همس .

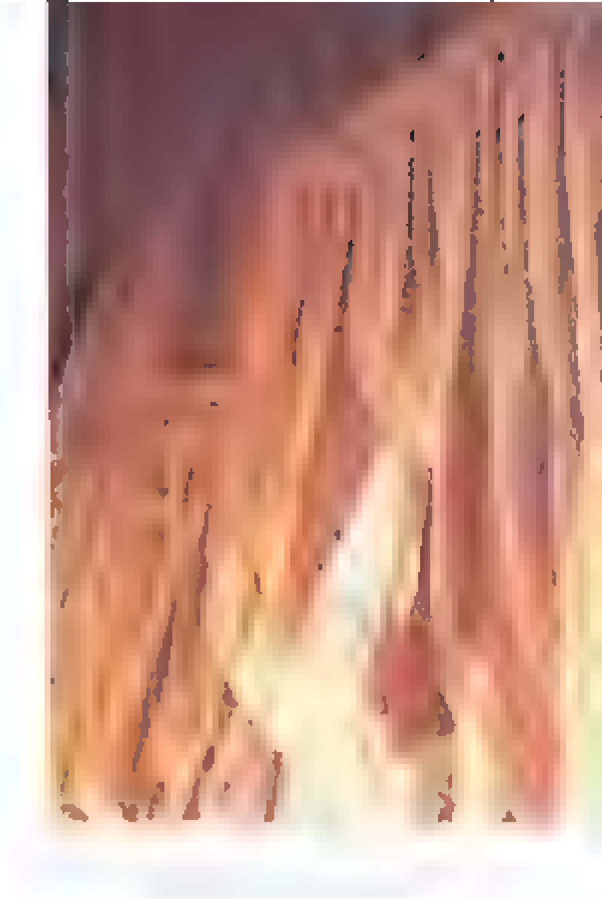
واكثر من هذا فاننا – بالذات – كنا نرى المهندس كركبي الذي تفضل ورسم لنا برنامج الزيارة ورافقنا خلالها – يسير بخطى ثابتة بلا مبالاة او اكتراث ويتنقل في خفة الطير لا يبدو عليه اثر للقلق ... فانتقل الينا هذا الهدوء بالعدوى .. وان كان فيه شيء من التصنع من جانبنا نحن .

الحرارة في المغارة

ركبنا الفلك وذكرنا اسم الله عند مجراها وسرنا على بركة الله نمخر عباب اليم .. وغمسنا ايدينا نتحسس الماء فوجدناه باردا ، وعرفنا ان حرارة الماء ثابتة لا تتغير صيفا او شتاء .. ليلا او نهارا ، وانها على الدوام ١٤ درجة مئوية . وما يقال عن حرارة الماء يقال عن حرارة الجو وهي ١٦ درجة مئوية والصخر ١٥ درجة ، والطابق العلوي من المغارة درجة حرارته ١٩ درجة مئوية .

صحصحة داخل مغارة جعيتا وقد دهشتهم سحر هذا العالم









بين دهاليز المغارة وأروقتها

وما ان سار بنا القارب مسافة قصيرة حتى كمنا ، أو هكذا خيل الينا ، يرتطم بصخرة على شكل جدار أو هي كما اسموها « الستار » ، ولكن ذلك القارب دخل به ــ بعد أن حنى جسمه ــ داخل كوة لا يزيد قطرها على متر ونصف المتر.. ولكنها لم تكن بالاتساع هذا في البداية ولكنها اتسعت لتسمح بمرور الزوارق الصغيرة .

اندفع الزورق بلوة التجديف ينساب فوق سطح بحر رائق صامت عمق الماء فيه من ١ الى ٨ امتار . اما الميل ما بين المدخل ومسافة كيلومتر داخل المغارة فهو ٢ سم فقط ، والميل في اتجاه المدخل . كان الصمت العميق يخيم على المكان وكان هذا الصمت كأنه موسيقى .. كما قال شكسبير عن هدوء الليل وصمته . ولم يكن يشق ذلك الصمت سوى نقاط الماء تتساقط من سقف المغارة الى صفحة البحيرة ، وكذلك صوت المجداف يرتطم بالماء ليدفع به الى الوراء ليسير المركب الى الامام ، فيحدث صوتا كالحفيف الالفي أو حفيف الريح .

كانت المغارة تضيق حينا وتتفرع حينا آخر حتى تبلغ اقصى مسافة بين الجانبين ٢٠ مترا ، اما السقف فهو الآخر ينخفض تارة ويرتفع اخرى حتى يصل الى أعلى ارتفاع وهو ١٢٠ مترا عندما يتصل الطابق السفلي للمغارة بطابقها العلوي .

الممنوعات داخل المغاره

بمجرد أن تدخل المغارة ترى لافتة كتب عليها عبارة « التدخين ممنوع » ويدرك الانسان فورا السبب الداعي الى المنع اذا عرف ان المغارة مغلقة ليس بها منافذ .. ولا يمكن تجديد هوائها . كما ان هناك تعليمات تمنع خوفا من السعال معلل الماء، وكذلك التصوير « بالفلاش » الالكتروني ... لان القوة الكهربائية التي به قد تؤدي الى الوفاة، نظرا لأن رطوبة المغارة ١٠٠٪ ، وذلك كما حصل في مثل هذه المغاور في امريكا .

ومهما يكن من امر ، فانه لم تقع اية حادثة داخل المغارة منذ افتتاحها بالرغم من أن عدد من دخلها من الزائرين وصل الملايين الف أو كاد . وعلى اية حال ، ومن باب الحيطة ، فان الحكومة قد أمنت على حياة كل من يدخل المغارة سواء أكان موظفا أو زائرا بمبلغ عشرة آلاف ليرة .

ماذا تشاهد في الداخل

على ضوء الانوار الكاشفة البالغ عددها ٢١٠ بين صغير يرسل ضوءا باهتا لا تزيد قوته من ٤٠ وط ، وكبير يرسل ضوءا ساطعا قوته ١٥٠٠ وط ومن خلال تموجات البخار الذي ينبعث حول تلك المصابيح وكأنه جسم عذراء ترقص في معبد وثني أو دخان البخور المحرق يتصاعد من المباخر .. على رقص هذه الانوار الخافتة آنا ، والقوية آنا آخر ، ترى الرواسب الكلسية النازلة من سقف المغارة وهي ما تعرف بالاستالاكتيت Stalactite ولنصطلح هنا على تسميتها بالبلورات العالقة . والبلورات العالقة هي رواسب كربونات الكالسيوم تتخلف من المياه النازلة من السقف عند تبخرها ، وتتكون عادة على شكل اعواد تتدلى من سقف المغاور . وهذه البلورات العالقة على اشكال عديدة منها ما يشبه ستائر المسرح بثنياته وطياته وتعرجاته، أو هي على شكل قنديل البحر، أو الثريات الكريستال ، أو ثوب قماش منقوش، أو مبتكر ، ويصفها الشاعر المعروف احسن وصف حين قال :

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

مزركش تيه العذارى خرجن

كالثريا ... وحن ...

وتنعكس الانوار على هذه البلورات العالقات فتحدث بريقا يخطف الابصار .

وبجانب البلورات العالقة توجد بلورات نابتة وهي ما تعرف علميا باسم الاستالجميت Stalgmite . وهي ــ كالبلورات العالقة ــ رواسب كربونات الكالسيوم تنمو في ارض المغاور الى أعلى وقد تتحد مع البلورات العالقة . وهي الاخرى على اشكال وصور مختلفة . تسقط المياه نقاطا من السقف على أرض المغارة ، وتتبخر ، وتخلف هذه الرواسب الكلسية وتتجمع على شكل



رواسب كلسية على شكل عمود [illegible]
[illegible] وبرق [illegible]

أعمدة رشيقة أو مآذن أو شموع احترقت ذبالتها وعلقت نقاط الشمع السائح بجسمها . وقد سمّوا أحد هذه الأعمدة « بالملكة » ، كما سمي آخر ببرج « بيزا المائل » . ومجموعة منها أطلق عليها اسم بجودا Pagoda وهو المعبد الهندي أو الصيني أو الياباني المعروف . وتجد العروش والقباب والشلالات والأروقة . وهناك تمثال على شكل « نسر » ، وآخر على شكل « يوليوس قيصر » . وتجد الزجاجة التي وضعها بلسن سنة ١٨٧٣ في مكانها وقد غطتها طبقة من كربونات الكلس المتبلور .

● مغارة جعيتا

لقد عملت الطبيعة بصبر وأناة دونهما صبر البشر وأناتهم .. ولو كنا نعيش في عصر الأساطير لقلنا أنها الآلهة اعتصرت عود الصخر لتصنع هذه العجائب . قال الشاعر

[illegible]

ومن هذه البلورات ما انقطع عنه الورد فجف وصار يتفتت .. ويمتد هذا التفتت حتى يصل الى قلب البلورات تدريجيا .. تماما كجذع الشجرة المقطوع .. تجف قشرته ويتسرب الجفاف الى داخله حتى يصل الى القلب .

ومنها ما لم ينضب مورد مائه فيستمر في النمو ويكون في هذه الحالة مبتلا براقا .. والبلورات النامية لا تنمو بنفس النسبة في كل الأمكنة بل هي أسرع النمو حيث تكون نسبة كربونات الكالسيوم الذائبة في الماء أكثر ويقل ويكون بطيئا حيث تكون أقل .

ماذا يعيش في المغاره

تعيش في المغارة حشرات بيضاء صغيرة بحجم رأس الدبوس .

كذلك توجد في المغارة خفافيش الى مسافة ٤٠٠٠ متر داخل المغارة .

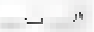
ألوان الصخر والبلورات

والصخر في المغارة متعدد الألوان فهناك الأحمر والأبيض والأسود فالرمادي والأحمر الوردي . وإذا أردنا أن نرد هذه الألوان الى أصلها الكيماوي لعرفنا أن اللون الأسود ليس إلا أكسيد المنغنيز والأحمر أكسيد الحديد والأبيض كربونات الكالسيوم .

مغارة داخل مغارة

إن الزائر العادي لا يسمح له بأن يتوغل داخل المغارة الى أبعد من ٣٠٠ متر يقطعها الزورق ذهابا وإيابا في نصف ساعة .







اما في حالتنا الخاصة فقد اتيح لنا الوصول الى مسافة ٥٠٠ مترا . واقصى مسافة يمكن ان يصل اليها القارب هي كيلومتر واحد ، وبعدها لا بد من النزول وتسلق مرتفع على شكل شلالات يؤدي الى مغارة ثانية هي استمرار للمغارة الاولى . ويتخذ الفرعان اتجاها جنوبيا غربيا .



أطلق على هذه الصورة [illegible]

مواعيد الزيارة

لا تبقى مغارة جعيتا مفتوحة على مدار السنة بل لها موسم معين تزار فيه من ١٥ مايو (ايار) لغاية ١٥ ديسمبر (كانون اول) من كل سنة اي هي مفتوحة مدة سبعة شهور .

وفي الفترة التي تكون فيها المغارة مغلقة يتم اجراء الاصلاحات اللازمة . اما اوقات الزيارة فهي من الساعة ٨ صباحا حتى السادسة مساء .

... واخيرا

فان هذه البلورات التي اتخذت شكل الاشجار الدائمة الخلود او التماثيل العاجية والمرمرية وتماسكت وتعانقت في بطن هذه المغارة ... والتي ابدعت الطبيعة ايما ابداع في تكوينها ؛ يمكن ان نعثر في الحقيقة والواقع منها على اروع ما يمكن ان ينحت من تماثيل .. وفيها يتخيل الانسان كأنه في « ارض العجائب » كما رأتها اليس في قصة « اليس في بلاد العجائب Alice in Wonderland » بأليف القصاص الانجليزي لويس كارول Lewis Carroll

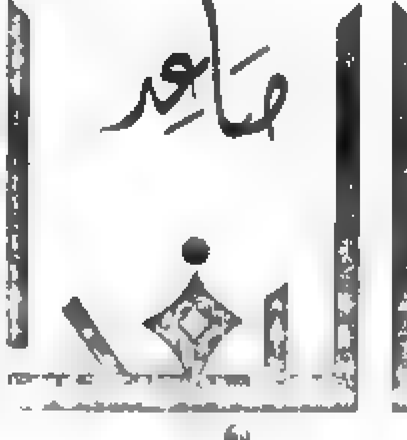
ويحضرني هذا الاستطلاع كما يحضرني ابيات للاستاذ المعلوف يقول فيها

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

سليم بسيسو



سفير الثقافة المشرقية للثقافة المغربية



وُلِدَ بالموصل .. ودَرَسَ في بغداد ..
واشتهر في قرطبة .. ومات في صقلية !

بقلم : جواد احمد علوش

مدرس الأدب الأندلسي بكلية التربية ــ بغداد

■ منذ أسس «صقر قريش» ــ عبد الرحمن الداخل ــ دولة عربية في جزيرة الأندلس سنة ١٨٣ هـ سعى جاهداً وسعى من خلفه من أولاده سعيه ــ لجعل عاصمتها منارا للعلوم والآداب والفنون، تنافس بغداد، وتجذب اليها طلاب المجد والعلم .. وقد اجتذبت أنوار قرطبة المتلألئة الكثير من علماء المشرق وأدبائه وفنانيه، وقد كان لهم أوفى نصيب في النهضة العظيمة التي نهضت العرب

في الأندلس في شتى المجالات ، ومن هؤلاء الذين قصدوا الاندلس من المشرق : صاعد البغدادي ، أبو العلاء بن الحسن ابن عيسى الربعي ، نسبة الى ربيعة ابن نزار .

ولقد ولد صاعد في الموصل . ولم يرو الرواة شيئا عن مولده ونشأته ، كما لم يعرف أحد تاريخ ميلاده ، فظل مجهولا ، الا ان الباحث يستطيع ان يستنتجه .. فقد قال عنه المؤرخون انه « مات عن سن عالية » . والسن العالية لا تقل عن سبعين سنة .. ولما كانت وفاته سنة (٤١٧ هـ) ، فمن المحتمل ان مولده كان في أواخر النصف الاول من القرن الرابع الهجري .

ولقد شب محبا للأدب وعلوم اللغة فتلقى ما تيسر له من ذلك على أيدي الشيوخ المشهورين في الموصل . ولم يكتف بذلك . ودفعه طموحه الى السفر طلبا للعلم ، فيمم شطر بغداد ، وجذبته انوارها الوهاجة واضواؤها الساطعة .

في بغداد

دخل صاعد بغداد ، وهي يومئذ عاصمة العباسيين ، ومنارة الحضارة ، وقبلة المتعلمين والدارسين ، فنهل ما حلا له من علوم وآداب ، على ايدي اساطين العلم والادب ـ وهم في بغداد كثير يومئذ ـ ومنهم : أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي المتوفى عام (٣٦٨ هـ) ، وأبو علي الحسن ابن أحمد الفارسي المتوفى عام (٣٧٧ هـ) ، وأبو سليمان حمد بن محمد الخطابي المتوفى عام (٣٨٨هـ) ، وأبو بكر أحمد بن جعفر القطيعي المتوفى عام (٣٦٨ هـ) ، وغيرهم . فقرأ عليهم مختلف علوم العربية ، وسمع منهم الكثير من شعر العرب ، فوعى ما قرأ ، واستوعب ما سمع ، والحق انه وعى كثيرا واستوعب الكثير .

ولقد كان ذكيا فطنا ، وقد آتاه الله ذاكرة قوية ، وملكة أدبية مواتية ، وفطرة طبيعية سليمة ، فافاد من كل ذلك فائدة عظيمة .

ولما كان ذا شغف بالشعر عظيم ، فقد بدأ يقوله وينشره بين الناس محاولا أن يذيع صيته ، وينتشر اسمه ، ويعلو ذكره ، ولكن جو بغداد كان مشبعا بكل نابغ عبقري ، فأنى لعبقري جديد ان يلوح بين تلك الفحول ..؟ وافقها كان مليئا بالكواكب المتلألئة والنجوم اللامعة ، فأنى لكوكب جديد ان يظهر ويلفت له الانظار ..؟ ولم يفتأ طلعا في قصد (صاعد) الطموح ، ولم يضعف من روحه الوثاب ، فظل يبحث عن بلد يقصده ، وكنف ينتجعه .. وتطلع الى هناك .. بعيدا .. نحو الغرب ، نحو الأندلس ، فعرف أن اللغة هناك مطلوبة ، والآداب محبوبة ، يشجع ملوكها وزعيمها العلماء والأدباء وذوي المواهب ، ويغمرونهم حتى غمرهم ، فشدّ اليها الرحال ..

الى الأندلس

دأب صاعد على قطع تلك المسافة العظيمة بين الشرق والغرب ، بين العراق والأندلس ، بين بغداد وقرطبة .. فطوى أرضا مترامية الأطراف ، وعبر انهارا متدفقة المياه ، ومر بمدن كثيرة مزدحمة بالسكان ، وانهكه التعب ، وهدّ قواه .. حتى استطاع اخيرا ان يصل الى هدفه ويبلغ غايته .. وكان ذلك في حدود « سنة ثمانين وثلاثمائة » (٣٨٠ هـ) . فدخل البلاد وخليفة الاندلس يومئذ هو المؤيد هشام بن الحكم ، الا ان الامر كان بيد المنصور محمد بن أبي عامر ، واتصل اول دخوله البلاد بالوزير عبد الله بن مسلمة .. ثم اتصل بالمنصور فاكرمه وافرط في اكرامه ، وقربه وزاد في الاحسان اليه والاقبال عليه .. حتى انه اسر وله فيما بعد . وكان يريد ان يحتفي به اكثر من احتفاء ابي علي القالي البغدادي ، الذي جاء الاندلس في ايام الخليفة عبد الرحمن الناصر ، فلقي منه اعظم تقدير ونال اوسع شهرة .. ولكن هذا لم يبلغه صاعد بسهولة ويسر ، ولم يصل اليه الا بعد مشاق ومصاعب ، فقد دُبرت له المؤامرات ، وحامت حوله الشبهات ، وبثت الشائعات ، وحيكت الوشايات .. فقد كثر الرائه وحاسدوه ، واشتد حساده ومناوئوه ، واغاظهم ان يحظى بهذه المنزلة الرفيعة عند المنصور وان يقفز الى أعلى درجات المجد في بدء وصوله هذه البلاد . فحرضوا المنصور على أن يعقد له مجالس الامتحان ليعرف قدرته ويدرك قيمته ويلمس موهبته ، وقد كان لهم ما ارادوا .. فامتحنوه وناقشوه وزادوا ..

كان الامتحان الاول بمثابة امتحان القبول .. فقد جرى في الايام الاولى لاتصاله بالمنصور ، اذ كان صاعد ينشر حول نفسه مختلف الدعايات ، وينشر شتى الاشاعات ، يزعم فيها انه حوى علوم العرب كلها ، ورسخت قدمه فيها .. وفي مجلس من مجالس المنصور ضم كثيرا من اعيان الأندلس

وعلمائها وادبائها ، منهم : ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ، والحسين بن الوليد بن العريف ، وعاصم بن الحسن العاصمي . في هذا المجلس تحدثوا عن صاعد وعلمه وادبه ، وانتحاله وحقيقته .. فاحب المنصور ان يمتحنوه ، فوجه اليه يدعوه .. فلما مثل بين يديه ، رأى المجلس حافلا بكل جليل ، غاصا بالنخبة من الادباء .. وكأنه احس بما يدبرون ، وشعر بما يكيدون ، فظهر عليه التأثر ، وبدا على وجهه الخجل . ولمح المنصور ذلك فرفع مجلسه وادناه منه ، واقبل عليه ، وبدأ يسأله عن ائمة علماء بغداد ، وسمع ابو سعيد السيرافي ، فزعم انه لقيه ، وقرأ عليه (كتاب سيبويه) . فانبرى له (العاصمي) يسأله في احدى مسائل هذا الكتاب ، فلم يستطع صاعد ان يجيب ، واعتذر بأن النحو ليس جل بضاعته . فبادره (الزبيدي) يسأله : « فما تحسن ايها الشيخ؟» فقال صاعد: « حفظ الغريب » فسأله الزبيدي : « فما وزن (اولق)؟».

فضحك صاعد طويلا من هذا السؤال .. وقال متعاليا : « امثلي يسأل هذا ؟! انما يسأل عنه صبيان المكتب » . ووقف الزبيدي في وجه تعاليه ورده قائلا : « قد سألناك ولا شك انك تجهله ». فتأثر صاعد ، وتغير لونه ، وجرى الدم في عروقه ، ورأى ان في ذلك تحديا له ، فقال : « وزنه (افعل) » وقد اخفق صاعد في هذا ولم يصب ، فوزنه (فوعل) . فالتفت الزبيدي الى من في المجلس وقال : صاحبكم ممخرق . اي مموّه مختلق .

ولكن هذا الفشل لم يفت في عضد صاعد ، ولم يفلت منه زمام امره ، فقال الزبيدي : « أكال الشيخ صاعده الاسية » . ولما اجابه بالايجاب اردف صاعد . « انما بضاعتي حفظ الاشعار ، ورواية الاخبار ، وفك المعمى ، وعلم الموسيقى ».

وهنا تصدى له (ابن العريف) ثالث الفرسان الثلاثة الذين انتدبوا وهي الامتحان .. وقد تقدم حينه والوقت الذي ذكر فيه اختصاصه ، فأراد ان يضع لصاعد ثالثة الاثافي ولكنها انقلبت على رأسه ، فقد فهر صاعد على ابن العريف وسما عليه ، وخلفه وراءه بالشواط والشواط ، اذ ابدى مهارة فائقة ، وتميز بسرعة خاطر عجيبة ، فلم تمر في المجلس كلمة الا انشد عليها شعرا شاهدا، أو اتى بحكاية او طرفة او نادرة .. فأعجب به المنصور ايما اعجاب، ودهش منه جميع الحاضرين وادركوا قيمته وعرفوا قدره . اما ابن العريف ، وقد فشل ، فقد يتوارى حياء وخجلا ، والقم من صاعد اشد الالم واضمر له كل شر ، وكان يحاول ان يكذب كل ما يدعي صاعد لنفسه من علم او ادب وان كلفه ذلك مشقة عظيمة ..

كتاب الفصوص

هدأت نفس صاعد بعد هذا الفوز الذي حالفه ، وهذا التقدير الذي لقيه وقد تزايد اعجاب المنصور به ، وراح يفكر من جديد في ان يجعله في مكان ابي علي القالي صاحب « الامالي » وقرأه كتاب (النوادر) وابدى اعجابه به ، فثار كبرياء صاعد وقال للمنصور : بلغت سخافتي ان املي على كتاب لمولانا كتابا اجل منه واعظم .. فاذن له المنصور في ذلك .. فبدأ في تأليف كتاب (الفصوص) في شهر ربيع اول سنة خمس وثمانين وثلاثمائة هجرية ، ودأب على جمع كل نادر غريب ، طريف عجيب من الاخبار والاشعار ، طوال خمسة اشهر ، حتى انهاه في شهر رمضان، فامر المنصور ان يلقى هذا الكتاب بالمسجد الجامع في مدينة الزهراء ، واحتشد له الناس وفيهم كثير من الوجوه واعلام الادب والطلاب اللغة ، واعجبوا به اعجابا شديدا ، واثابه المنصور عليه بخمسة الالف دينار ، قدمها له دفعة واحدة.

مكيدة ابن العريف

وقد اثار ذلك حفيظة ابن العريف ، واشتعل نار حسده ، وبدأ يفكر في الكيد لصاعد ، فالتف العلماء والادباء على كتاب (الفصوص) ينقدونه ويكذبون كل ما جاء فيه ، فلم يقف امام نقدهم خبر ثبت فيه ، ولم تمر كلمة صحيحة لديهم ، وقد اعانهم على ذلك انه اشترط على نفسه الا يأتي الا بالغريب ، وما يروى سوى غير المشهور ، فاستطاعوا ان يثبتوا للمنصور صحة ادعائهم ، وجردوا الكتاب من كل فضل ، ورموا صاعدا بالكذب، وطعنوا في علمه وعقله ودينه ، واقترحوا على المنصور ان يامر بالقاء الكتاب في النهر ، والعجيب انه اقتنع بما ادعوا ، وعمل بما اقترحوا ، والقي بالكتاب في نهر قرطبة فلم يبق له اثر . واغضب هذا كثيرا من الادباء . وهذا (ابن بسام) يقول : « ولم يكن عند (ابن ابي عامر) تحرير ولا بصر بانتقاد مشهور ، والا فليس يخلو كتاب الفصوص من غريبة مسموعة ، ولا من فائدة رائعة بديعة .. » . وفرح اعداء صاعد

وحساده لذلك وحنقوا ، وقال ابن العريف :

لقد حاز في النهر كتب الفصوص
وهكذا كل ثقيل يغوص

فضحك المنصور والحاضرون . فلم يرع ذلك صاعدا ، وقال مرتجلا على البديهة مجيبا ابن العريف :

عاد إلى معدنه إنما
توجد في قعر البحار الفصوص

مكيدة ثانية

لم يكتف ابن العريف بالشعر الذي نوع مساعيه ، واختبره تآمره على صاعد ، وظل يكيد ويحتال للإيقاع به ، ويحاول أن يغتصب كل ما يحبه صاعد لنفسه من فضل أو علم أو أدب ، دون كلل . وكأن الظروف كانت تقوم بخدمته كما تقف لصاعد بالمرصاد ، فقد أهديت إلى المنصور وردة في غير وقتها ، وكانت تلك الوردة جميلة بديعة ! ولم يتم تفتح ورقها بعد ، فأحب المنصور أن توصف .. فقال فيها صاعد مرتجلا !

أتتك أبا عامر وردة
يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر
فغطت بأكمامها رأسها

فسر بذلك المنصور أي سرور ، وأعجب بسرعة بديهة صاعد وحسن تشبيهه . فاشتعلت نار الحسد في قلب (ابن العريف) واندفع يدعي أن هذين البيتين ليسا لصاعد ، ويقول أن أحد البغداديين كان قد أنشده إياهما لنفسه بمصر .. ولما سأله المنصور دليلا يؤكد دعواه ، قال : « هما عندي على ظهر كتاب بخطه » . فطلب منه المنصور أن يريه هذا الكتاب .. فخرج وركب دابته على عجل ، وسار بها مسرعة حتى أتى مجلس (ابن بدر) وقد كان ابن بدر أحسن أهل زمانه بديهة ، وقص عليه ما حدث وطلب منه أن ينظم له أبياتا يضمها بيتي صاعد ، فارتجل (ابن بدر)

غدوت إلى قصر عباسة
وقد جدل النوم حراسها
فألفيتها وهي في خدرها
وقد صرع السكر أنفاسها
فقالت أسار على هجعة ؟
فقلت : بلى ، فرمت كأسها
ومدت يديها إلى وردة
يحاكي لك الطيب أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر
فغطت بأكمامها رأسها
وقالت : خف الله لا تفضحن
في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على غفلة
وما خنت ناسي ولا ناسها

فسر بها (ابن العريف) سرورا عظيما ، وكتبها على ظهر كتاب بخط مصري بمداد أشقر .. وظل راجعا إلى مجلس المنصور ، وهو يحس بنشوة الانتصار على غريمه ، وبلذة الظفر بما يشفي غليله .. ودخل على المنصور وألقى بالكتاب بين يديه ، فلما قرأ المنصور الأبيات اشتد غيظه على صاعد ، وغضب غضبا شديدا ، وظل يتوعده ويتهدده ، ويقول أنه أعد له أمرا خطيرا حاسما سوف يبتليه به غدا .. فماذا أعد له ؟

الجولة الأخيرة

لقد أعد المنصور امتحانا عسيرا لصاعد امتحانا يختبر به شاعريته ، ويكشف موهبته ، ويظهر حقيقته . وقرر أن يجري الامتحان في مجلسه ، ويشرف عليه بنفسه ، إذ قال لجلسائه : « غدا امتحنه ، فإن فضحه الامتحان ، لم يبق في موضع لي فيه سلطان . » وفي الصباح ، أقبل صاعد يحث الخطى مسرعا إلى مجلس السلطان ، حيث يعقد له الامتحان ، والله وحده يعلم ما كان يدور بخاطره من أفكار ، وما يجيش في صدره من انفعالات ، وما يضطرب في نفسه من هموم . فهو يحس أن ليس في هذه الجزيرة من أولي علمه ، ويرى أن ليس بين العرب من يملك موهبته .. فكيف يعقد له امتحان لسبر غوره ؟! ومن ذا الذي يعقد له هذا الامتحان ؟! .. وإذا فشل واضطر إلى مغادرة الأندلس فأين يذهب ؟ وإلى أين المصير ؟ أيرجع إلى الشرق وهناك العلماء الأفاضل ، والأدباء الفطاحل ، الذين طالما افتخر بهم في مجالس الأندلس ؟ .. فماذا يكون موقفه أمامهم ؟ وكيف يستطيع العيش بينهم ؟ .. ووصل الحلبة فوجدها غاصة بالحاضرين ، جاءوا ليشهدوا هذا الامتحان ، بعضهم ليشمت به إذا فشل ، وبعضهم ليفرح له إذا ما فاز ، وبعضهم ليعرف حقيقة أمره ، فيعطيه ما يستحق .. ولما مثل بين يدي المنصور قال له : « إن هذا

اليوم له ما بعده .. فاما أن نسعد فيه معاً ، واما أن نشقى ونخسر أرضنا .. فقد زعم قوم أن كل ما تأتي به دعوى ، وقد وقفت من ذلك على حقائق لا تكذب،بل تؤكدها الأدلة والبراهين. ولود أن أمتحنك اليوم بنفسي لأضع حداً لهذا الأمر .. ولا أشك في أن موضوع الامتحان جديد لم يمر على أحد قبلي وقبلك .. » .

فماذا كان ؟

لقد كان موضوع الامتحان طريفاً غريباً ، مستحدثاً عجيباً .. فقد أعد المنصور طبقاً كبيراً صنعت فيه سلائف من مختلف أنواع الزهور والنواوير والريحان ، وكان على تلك السلائف دمى صنعت من الياسمين على هيئة الجواري .. وتحت الدمى بركة ماء حصباؤها من اللؤلؤ ، وفيها ثعبان يسبح . واحضر هذا الطبق أمام صاعد . فقال له المنصور : هذا طبق ما أظنت انه عمل لملك قبلي مثله ، ولا سبق لشاعر سبقك أن رأى ما يشبهه ، فان وصفته بجميع ما فيه ظهرت صحة ما تذكر ، وتأكد لدي صدق ما تدعي ، وما شككت في أنك شاعر تستحق الاعجاب والتقدير . فأطرق صاعد هنيهة وغاص في بحر من التفكير ...

فوز ساحق

وما هي الا لحظات حتى تجمعت كل قوى صاعد الذهنية والفكرية ، وتراكمت ملكاته الخيالية والشعرية ، وشحذ الموقف الرهيب همته ، وحرك موهبته .. فقال على البديهة :

أبا عامر هل غيرُ جدواك واكف !
وهل غيرُ من عاداك في الأرض خائف
يسوق اليك الدهرُ كلَّ عجيبة
وأعجب ما يلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها هامر الحيا
على حافتيها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت
عليها بأنواع الملاهي الوصائف
كمثل الظباء المستكنة كنساً
تظللها بالياسمين السقائف
وأعجب منها أنهن نواظر
الى بركة ضمت اليها الطرائف
حصاها اللآلي سابح في عبابها
من الرقش مسموم الثنايا راعف
ترى ما تراه العين في جنباتها
من الوحش حتى بينهن السلاحف

فضج الجميع اعجاباً وتقديراً ، وتعالت أصواتهم مهنئين مباركين . وفرح الصديق وتهلل وجهه بشراً وحبوراً ، وتمنى الحاسد حسده فعاد صديقاً حميماً .. وهز الاعجاب المنصور فكتب الأبيات بخطه ، ليحفظها عنده اعجاباً بها . ومع كل هذا فلم ينته الامتحان عند هذا الحد ، وكانت له تكملة ..

وكان شدة اعجاب المنصور بالأبيات دفعته الى الاستزادة ، أو كان عاملاً آخر دفعه للتأكد من قريحة صاعد وموهبته ، فبحث عن شيء جديد ليصفه صاعد ، وكانت بالقرب من السلائف سفينة صغيرة فيها جارية قد صنعت من النوار ، وكانت الجارية تجذف بمجدافين من ذهب .. ولم يك صاعد قد رآها،اذ حجبها عنه السلائف، فأشار اليه المنصور أن يصفها ، فقال .

وأعجب منها غادة في سفينة
مكللة تصبو اليها العواطف
اذا راعها موج من الماء تتقي
بسكانها ما أنذرته العواصف ؟
متى كانت الحسناء ربان مركب
تصرّف في يمنى يديها المجاذف
ولم تر عيني في البلاد حديقة
تنقّلها في الراحتين الوصائف
ولا غرو أن شاقت مساعيك روضة
وحنتها أزاهير الربى والزخارف
فأنت امرؤ لو رمت نقل (متالع)
و (رضوى) ذرتها من سطاك عواصف
اذا قلتَ قولاً أو بدهتَ بديهة
فكلني لها اني لمجدك واصف

جزاء الابداع

وما كاد صاعد يكمل أبياته هذه حتى تعالت عبارات الاعجاب ، وترددت كلمات التقدير ، وانهالت عليه التهاني والتحيات ، وكان يوماً من أعظم أيامه ، فاز فيه بما كان يتمنى ، وما تاقت اليه نفسه منذ دخل الأندلس . وفوق كل ما لقي من حفاوة وتكريم ، حصل من المنصور على جزاء عظيم ، اذ أعطاه « ألف دينار » وأمر له بمائة ثوب منها الغلائل ومنها الطيلسان ، ومنها العمائم. وأجرى عليه راتباً قدره « ثلاثون ديناراً » في الشهر وألحقه بديوان الندماء مع شعراء الدولة الكبار، وهو الديوان الذي أنشأه المنصور تقديراً للشعراء

واعترافا بحقهم على الدولة ، ولم يعد باستطاعة هؤلاء ، الحاسدين الناقمين ، ان يزحزحوا صاعدا عن مركزه ، وان يحموه عن مقامه ، وان ينزلوه من درجته التي تربع عليها واستقل ..

ولمع نجم صاعد ، وطار صيته ، وسما ذكره ، وكانت حشود الناس تتجمع حوله في المساجد الجامعة ، وهو يلقي دروسه في اللغة والادب واخبار العرب واشعارهم ، ويفيض على الحاضرين بالنوادر والطرف .. في انه ابدع في تفسير الشعر وشرح نصوصه ، بل ادخل طريقة جديدة الى الاندلس في هذا الفن لم تكن موجودة من قبل .. وتتلخص « في ان يقرأ الطالب القصيدة ، فيسأله الاستاذ عن معاني الالفاظ ، فيقوم بالشرح معتمدا على قائمة من المعاني يكون قد استخرجها من المعاجم العربية» . وهكذا صار صاعد استاذ شرح النصوص البارز لا يزاحمه في ذلك احد ..

فأل حسن

وهكذا علت منزلة صاعد عند المنصور وعند جميع الناس من علماء وادباء وغيرهم ، واتسع حاله ، وحسنت حياته ، واطمأنت نفسه ، وارتاح باله .. وقد وقعت له حادثة عجيبة ، جعلت فالها على المنصور وعلى العرب والمسلمين بفتح عجيب . فقد اهدى (صاعد) ايلا الى المنصور وسمّى الايل (غرسية) باسم ملك الروم (غرسية بن شانجة) صاحب (نبرة) ، وكتب له هذه الابيات :

يا حرز كل مخوف وامان كل
مشرد ومعز كل مذلل
عبد جذبت بضبعه ورفعت من
مقداره اهدى اليك بأيل
سميته (غرسية) وبعثته
في حبله ليصح فيه تفاؤلي
فلئن قبلت فتلك اسنى منة
اسدى بها ذو منحة وتطول
صبحتك غادية السرور بعزة
وحللت اوجا بالسحاب المخضل

وقد كان ذلك في ربيع الاول « سنة خمس وثمانين وثلاثمائة » ، وقد قضى الله بان اسر المسلمون (غرسية) ملك الروم في نفس اليوم الذي بعث فيه (صاعد) بالايل . وقد كان (غرسية) هذا امنع من النجم ، لكنه خرج يتصيد يومئذ ، فمكن الله المسلمين منه . فابتهج المنصور بذلك وسر سرورا عظيما ، وفسر المنصور هذا الفأل الحسن الذي تنبأ به (صاعد) بقوله : « لم يتفق لصاعد هذا الفأل الغريب الا لحسن نيته وسريرته وصدق بخته » . وهذا جعل اعداءه يعودون الى العمل بجد ونشاط للايقاع به من جديد ، فماذا عملوا ؟

مؤامرة جديدة

لقد اجتمع حساد صاعد مرة عند المنصور وسألوه ان تجلد كراريس بيض تزال جدتها فتوهم القدم .. وجعلوها كتابا كتبوا عليه (كتاب النكت) تأليف (ابي الغوث الصنعاني) . فلما دخل صاعد واروه اياه تراءى عليه ، وجعل يقبله ، وادعى انه قرأه .. وذكر اسم بلد ادعى انه قرأه فيه ، واسم الشيخ الذي قرأه عليه صاعد . فسأله المنصور : « ان كنت قرأته ـ كما تزعم ـ فعلام يحتوي ؟ » . فرد عليه صاعد « وابيك لقد بعد العهد به ولا احفظ الآن منه شيئا . ولكنه يحتوي على منثورة لا يشوبها شعر .. » . فغضب عليه المنصور وقال له : « ابعد الله مثلك ! فما رأيت اكذب منك » .

(التمركل) و (الخنفشار)

والحقيقة ان صاعدا كان يعين هؤلاء الباحثين عن سقطاته على نفسه ، ويهيء لهم السبل لانتقاده ، ويفتح الابواب والثغرات فيلجون منها ويسألونه بالتجريح ، الا انه كان يستغل سرعة خاطره ، ومواتاة بديهته ، فلا يتردد في ان يجيب عن اي سؤال يعرفه او لا يعرفه ، وقد يبتدع الشعر ويبتكر الحادثة ويختلق الخبر ، ان اراد الجواب ذلك .. فكان السائلون يتفقون قبل ان يسألوه ويبتكرون امرا ، ويختلقون ما يسألونه عنه ، ويضعون شرا .. فاذا ما اجاب حاسبوه وناقشوه وكشفوا كذبه واختلاقه . وقد اختلقوا مرة كلمة (الخنفشار) وطلبوا من المنصور ان يسأله عن معناها ، فلم يعتذر من جهله اياها ، ولم يتردد في تفسيرها فقال : هي حشيشة يعقد بها اللبن ببادية الاعراب ، وفي ذلك يقول شاعرهم :

لقد عقدت محبتكم بقلبي
كما عقد الحليب الخنفشار

ودخل يوما على المنصور وامامه طبق فيه (تمر)

فسأله المنصور: « ما (التمركل) في كلام العرب؟ فأجاب صاعد: « يقال: تمركل الرجل تمركلا اذا التف في كسائه ». فرد عليه المنصور بأنه اشتق له هذه الكلمة من التمر والأكل وعجب كيف أنه وجد لها هذا المعنى وابتكر هذا الجواب، فكان صاعد يصر على أنها من كلام العرب .

الهجفجف والجواس

ولقد ساعدته موهبته الواتية هذه وطاقة خياله الخصب ، على ابتكار القصص الكثيرة والحكايات الطريفة يورد فيها اخبار العشاق ، ويسميهم باسماء غريبة لا اصل لها ، وينسب اليهم كلاما منظوما ومنثورا ، فيتسابق الناس الى قراءتها والتمتع بها . الف للمنصور كتاب (الجواس) حكى فيه قصة « الجواس بن قعطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء » . وقد وصف (ياقوت الحموي) هذا الكتاب بأنه : « لطيف ممتع جدا » . وكان المنصور كثير الشغف بهذا الكتاب ، ولشدة اعجابه رتب له من يقرأ له شيئا منه كل ليلة .

وقد صنف له كتاب (الهجفجف) على غرار كتاب (الجواس) حكى فيه قصة « الهجفجف بن غيدقان بن يثربي مع الخنوت بنت مخرمة بن انيف » . وليس هذا وحده ما برع فيه صاعد فهنالك اشياء واشياء ..

فن الموسيقى

ولقد خاض (صاعد) ميدان الفن ، وبرع في الموسيقى وابدع في الغناء ، واتقن العزف على العود ، وقد عرف الناس انه ضرب بسهم وافر في هذه الفنون ، الا انه اخفى ذلك عن المنصور حينا من الدهر . غير ان المنصور لم يلبث ان اكتشفه فيه ، اذ يروي الرواة الحادثة التالية : « دخل (صاعد) على المنصور فلما وصل اليه ، وجد عودا بين يديه ، فقال له المنصور : « قد تواتر الخبر ، وصحت عنك البشر ، انك فرد في علم الموسيقى ، وقد اردت غير مرة الانبساط معك سرا في ذلك » . فشق الامر على صاعد .. ولم يجد من محيد عن اخذ العود ، فتناوله وجس اوتاره وسوى تسوية الطرب (ابن ابي عامر) ، ثم اندفع ينشد بيتي مجنون بني عامر .

أبى القلب الا حبها عامرية
لها كنية (عمرو) وليس لها عمرو

تكاد يدي تندى اذا ما لمستها
وينبت في اطرافها الورق الخضر

وبالرغم من توهم المنصور ان صاعدا عرض بخبر في هذين البيتين ، فانه سر منه وحيا بوجه ودل على حبه له واعجابه به واكرامه اياه ..

وقد كان لهذا الاكرام الذي لقيه صاعد من المنصور اثره في نفسه فكان يقابله بحبه وتقديره واعظامه والاخلاص له .. حتى اذا مات المنصور حزن صاعد حزنا عليه عظيما واقسم الا يحضر بعده مجلس احد ممن ولي الامر ، واذا ما طولب بذلك احتج بمرض لحق ساقه . وقد اشار الى ذلك في القصيدة التي قالها للمظفر بن المنصور التي هنأه فيها بعيد الفطر من عام (ستة وتسعين وثلاثمائة) (٣٩٦ هـ) .

اليك حثوث ناجية الركاب
محملة اماني كالهضاب

الى ان قال :

الى الله الشكية من شكاة
رمت ساقي فجل بها مصابي
واستلني من الملك الرجي
وكنت [illegible]

ويقال انه كان يتظاهر بالسير متكئا على عصا ليؤكد مرض ساقه حتى وافته منيته ..

وفاته

لقد اختلف المؤرخون في سنة وفاة صاعد وكان الاجدر ازاءه ان لا يهمل تاريخ وفاة الرجل الذي حفظ الكثير من شعر العرب واخبارهم جزاء وفاقا له لعدم دقة اخباره ، وعدم صدقه في ما يذكر ، فقد ذكر بعضهم انه مات في حدود سنة (٤١٠ هـ) وذكر اكثرهم انه مات سنة (٤١٧ هـ) .. وقد ذكروا انه عمر كثيرا ومات في جزيرة (صقلية) ، فقد هاجر اليها بعد ان اضطربت الحال في الاندلس ، ووقعت الفتنة واشتد النزاع وغلت الاسعار ، ورخصت الاشعار .. ولم يعد باستطاعة صاعد ان يصمد للظروف القاسية ، فخرج مستخفيا وجاز (بشطليش) سنة (٤٠٣ هـ) ، واتصل بصاحب صقلية فأكرمه .. ثم رجع الى الاندلس من جديد ولكنه لم يطل به المقام حتى رجع ادراجه الى صقلية ، ومات فيها رحمه الله واحسن اليه وغفر له .

جواد احمد علوش ــ بغداد

طرائف عربية

الثقة لا يبلغ

● عاتب مصعب بن الزبير الأحنف بن قيس على شيء بلغه عنه ، فاعتذر اليه الأحنف من ذلك ، وانكره .

فقال مصعب : أخبرني بذلك الثقة .

فقال الأحنف : كلا أيها الأمير ، ان الثقة لا يبلغ .

وصية أب لابنته

● قال عبد الله بن جعفر لابنته : يا بنية اياك والغيرة ، فانها مفتاح الطلاق ، واياك والمعاتبة ، فانها تورث البغضاء . وعليك بالزينة والطيب ، واعلمي ان أزين الزينة الكحل ، وأطيب الطيب الماء .

قرشي يصف عبد الملك بن مروان

● ذكر رجل من القرشيين عبد الملك بن مروان — وعبد الملك يومئذ غلام — فقال : انه لآخذ بأربع ، وتارك لأربع : آخذ بأحسن الحديث اذا حدّث ، وبأحسن الاستماع اذا حُدّث ، وبأيسر المؤونة اذا خولف ، وبأحسن البشر اذا لقي . وتارك لمحادثة اللئيم ، ومنازعة اللجوج ، ومماراة السفيه ، ومصاحبة المأفون .

سعيد بن مسلم عند المأمون

● قال سعيد بن مسلم لأمير المؤمنين المأمون : اني لأشكر الله على حسن ما أبلاني في أمير المؤمنين ، من قصده اليّ بحديثه ، واشارته اليّ بطرفه .

فقال المأمون : ان ذلك لأن أمير المؤمنين يجد عندك من حسن الافهام اذا حدّثت ، وحسن الفهم اذا حُدّثت ، ما لم يجده عند أحد فيمن مضى ، ولا يظن انه يجده فيمن بقي .

من حفر حفرة وقع فيها

● مر بعض الحمقى بامرأة قاعدة على قبر وهي تبكي ، فرق لها وقال : من هذا الميت ؟

قالت : زوجي .

قال : فما كان عمله ؟

قالت : يحفر القبور .

قال : أبعده الله ، أما علم أن من حفر حفرة وقع فيها !

آفات ثلاث

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا يسلم منهن أحد : الطيرة ، والظن والحسد » .
قيل : فما المخرج منهن يا رسول الله ؟ »
قال : « اذا تطيرت فلا ترجع ، واذا ظننت فلا تحقق ، واذا حسدت فلا تبغ » .

ما سمعت باكرم من هذين الرجلين

● كان بين حاتم طيء وبين أوس بن حارثة الطف ما يكون بين اثنين .
فقال النعمان بن المنذر لجلسائه :والله لأفسدن بينهما .
قالوا : لا تقدر على ذلك .
قال : بلى ، فقلما جرت الرجال في شيء الا بلغته .
فدخل عليه أوس ، فقال : يا أوس ما الذي يقول حاتم ؟ قال : وما يقول ؟ قال : يقول انه أفضل منك واشرف ، قال : أبيت اللعن ، صدق ، والله لو كنت أنا واهلي وولدي لحاتم لوهبنا في مجلس واحد ، ثم خرج وهو يقول :

يقول ليَ النعمان لا من نصيحة : أرى حاتماً في قومه متطاولا
له فوقنا ساعٍ كما قال حاتم : وما الصنع فيما بيننا كان حاولا

ثم دخل عليه حاتم فقال له مثل مقالته لأوس ، قال : صدق ، اين مني ان اقع من اوس ! له عشرة ذكور أخسهم أفضل مني ، ثم خرج وهو يقول

يسائلني النعمان كي يستزلني وحيناً لي ان استضيم فأضرعا
كفاني نقصاً أن أضيم عشيرتي بقول أرى في عيشه متوسعا

فقال النعمان : ما سمعت باكرم من هذين الرجلين .

بنو فارس البقرة

● من حمقى العرب كلاب بن صعصعة ، خرج أخوته يشترون خيلا وخرج معهم كلاب فجاء بعجل يقوده .
فقال له أخوته : ما هذا ؟
قال : فرس اشتريته .
قالوا : يا مائق ، هذه بقرة اما ترى قرنيها !
فرجع الى بيته فقطع قرنيها ، فأولاده يدعون « بني فارس البقرة » .

فصاحة غلام

● دخل عمرو بن سعيد الاشدق بعد موت أبيه على معاوية ــ وعمرو يومئذ غلام ــ فقال له معاوية : الى من أوصى بك أبوك يا غلام ؟
قال : ان أبي أوصى اليّ ولم يوص بي !
قال : وبأي شيء أوصاك ؟
قال : أوصاني الا يفقد اخوانه منه الا وجهه !
قال معاوية لأصحابه : ان ابن سعيد هذا لأشدق .



دردشة

دم حار .. وآخر بارد

● هناك مخلوقات تدعى بذات الـدم الحار .. واخرى بذات الدم البارد .

والمخلوقات ذات الدم الحار كالانسان والطيور والكلاب والخيل .. تستطيع الاحتفاظ بدرجة حرارة اجسادها ثابتة؛ مهما كانت درجة حرارة الهواء حولها .

اما اجساد المخلوقات ذات الدم البارد كالاسماك والضفادع... فتتغير حرارتها طبقا لدرجة حرارة الجو المحيط بها .

الأموات يحاكمون!

● هل يمكن ان يحاكم الاموات ؟

لقد حدث هذا . فقد امر البابا ستيفان السابع باخراج جثمان سلفه البابا فورموسوس من القبر ، ثم ألبسه رداء البابوية واوقفه أمام القضاء ، وخصص له محاميا للدفاع عنه . ولما ثبتت التهمة ضده ، حكم عليه بالعزل ، فعزل عن كرسي البابوية ، وخلع عنه رداء البابوية ، وبعد ذلك قذف بالجثة في نهر التيبر !



المراة الاوروبية في امثال بلادها

* لا سلاح للمراة الا لسانها (مثل انجليزي)
* المراة تغلب الشيطان . (مثل ايرلندي)
* لا تثق بشمس الشتاء ولا بقلب المراة . (مثل بلغاري)
* المراة لا تثني على المراة ابدا . (مثل هولندي)
* مالا يقدر عليه الشيطان تقدر عليه المراة . (مثل الماني)
* ان الشيطان تكفيه عشر ساعات ليخدع رجلا، وامراة تكفيها ساعة لتخدع عشرة رجال . (مثل الماني)
* المراة تكون حاكمة او خادمة . (مثل يوناني)
* ابتلع الشيطان المراة ، فلم يستطع ان يهضمها . مثل بولندي)
* اضرب زوجتك قبل الغداء ، وقبل العشاء . (مثل روسي)
* ان للمراة سبعة وسبعين رايا في آن واحد . (مثل روسي)
* تشكو المراة بلا سبب ، وتكذب عمدا ، وتضحك سرا (مثل روسي)
* لا تمدح زوجتك قبل سبع سنوات . (مثل اوكراني)

وجهات نظر

* يحتاج الانسان الى سنتين ليتعلم الكلام ، ولكنه يحتاج الى ستين سنة ليتعلم السكوت !

* من الممكن ان يكون هذا العالم رائعا بهيجا ، لو اظهر جميع الرجال من الصبر طوال الوقت ؛ مثل ما يظهرونه وهم ينتظرون سمكة لتاكل الطعم !

* يبدو ان الطبيعة مصممة على ان تحطمنا بعمل . فكلما جف شعرنا امتدي سرحه ، زادت مساحة وجهنا التي نغسلها !

* لا عجب اذا اسمي آدم المكان الذي كان يعيش فيه بالجنه . . . لانه لم يكن لـه فيه حماه !

المساواة الحقيقية

● حينما تساهم النساء فى اعمال الحفر ، او يصبحن عاملات فى مناجم الفحم ، او مصانع الطابوق أو بناء المجاري ، او اية اعمال قاسية أخرى ، عندئذ فقط ستعقد معداله مطلبهن وغايتهن .

انما نعتبر هذه الضجة النسوية حول المساواة بالرجال مجرد ستار من الدخان للتعمية والتضليل ، اذ القصد منها احداث حقيقة ثابتة وهي ان المرأة تحصل فى هذه الحياة على نصيب أوفر من نصيب الرجل .

برنارد شو

طريقة قديمة لقياس اطول يوم فى الصيف

● كان الكلت ، سكان انجلترا القدماء ، يستعملون صخورا ضخمة ليشيروا بها الى مكان شروق الشمس فى اطول ايام السنة . ويوجد حتى الان على مقربة من قرية ستونهينج بوابة ضخمة مكونة من الصخور الضخمة تتوسطها الشمس تماما في يوم واحد من ايام السنة هو اطول يوم من ايام الصيف ، ولا تتوسطها في اى يوم آخر .

ولكننا نرى النجوم !

● سأل احد الامريكيين الممثل كلود دوفان ، اثناء وجوده في امريكا ، عن معنى الوان العلم الفرنسي الثلاثة : الازرق ، والابيض ، والاحمر .

فأجاب دوفان : انها تذكرنا بالضرائب المفروضة علينا . فنحن نتسلم اوراقا زرقاء ، فتمتص دمنا الاحمر ، وتحمى لوننا ابيض .

فقال الامريكي معلقا : ونحن ايضا حالنا حالكم ؛ الا اننا نختلف عنكم في اننا نرى النجوم !!

مواطن . . ومواطن !

● « ان المقدس الاول في حق الوطن هو المواطن الصامت ، لا المواطن الثائر الصاخب الذى يتكلم وينقد ، فيظهر انحط من السمي ، والمحسن من المسيء . »

بريستلي (الكاتب الانجليزي)



سيف فرويد المسلط على أعناق الآباء

■ رفع قدح القهوة فازدرد ما فيه دفعة واحدة ، في انفعال ظاهر ، ثم قال : « الكل لا يكفون عن لومي .. وكأنني وحدي المذنب . لقد اصطدم ابني بالمدرس اثناء الدرس ، فلم يتورع من أن يضربه .. أجل ، شج الصبي رأس مدرسه . ولكن ما ذنبي أنا ؟ »

وتطلعت أنظار الحضور الى الأب وهو يحكي في ذكر ما يقلقه .. لقد قال له ناظر المدرسة : « يجب أن يصدر تشريع يحرم على الآباء أن ينجبوا أبناء قبل أن يتعلموا كيف يربونهم » .. وقال له عمه : « أين عهدكم من عهدنا ؟ .. في أيامنا لم يكن الأولاد يجرؤون على أن يرفعوا أبصارهم فيمن يكبرونهم سنا ، وليس في آبائهم ومدرسيهم فحسب . ألم تر كيف رباك أبوك ؟ .. فكيف لم تقتد به في تربية ابنك ؟ »

وأردف الرجل وقد اشتد جيشان نفسه : « لقد كان أبي يرمقني نظرة إذا أخطأت ، فأتمنى لو أن الأرض فغرت فاها وابتلعتني .. وكان – إذا كبر ذنبي – يصفعني صفعة واحدة ، أتوب بعدها من هذا اللعب فهل يرضيكم أن أربي ابني اليوم على هذا المنوال ؟ »

قال صديق من الحضور : « إن ذلك سيقول المدرس – الذي يلومك اليوم – إنه يخلق عقدا في نفس الولد تؤدي به الى الانحراف » ..

وقال صديق آخر : « وسيردد ناظر المدرسة نفس ما قاله لك في هذه الناحية ولكن بمعنى آخر ... بمعنى أنك لا تعرف كيف تربي ابنك ما دمت تلجأ الى الضرب والإرهاب » .

فصاح الأب : « حيرتونا .. لا هم راضون عن اللين ، ولا هم مقرون للضرب . والآباء – في الحالين – هم الملومون .. لقد خلقوا لنا – نحن الآباء – مشكلة نفسية شنيعة ، في سبيل حرصهم على تجنيب الأبناء عقدا نفسية ما كان أحد ليفطن إليها لولا أن عقلا كانت تملؤه ذكريات طفولته فصاغ منها نظرية هي سر بلاء الآباء » .

وانساب الحديث ، يكتنفه السخط والحيرة ، وهو إن دل على شيء ، فإنما يدل على أن الآباء والأمهات يقفون اليوم موقفا لا يحسدون عليه .. ذلك لأن أصابع الاتهام تتجه إليهم دائما ، كلما أخطأ الأبناء أو انحرفوا في مسلكهم ، برغم أنهم ليسوا السلطة الوحيدة التي تنفرد بالتربية ، بل إن المدرسة تقوم بقسط كبير لا يقل أهمية عن

وسط البيت .. ومع ذلك ، فان المدرسة لا تتردد ـ عند اية ازمة ـ فى ان تصيح : « هـذا الاعوجاج ناجم عن تأثير الوسط » .. والمقصود هنا « الوسط المنزلى » ، مع تجاهل « الوسط المدرسى » الذى يتاح له من فرص الاصلاح ما لا يتاح للآخر .. ففيه مسئولون درسوا التربية ونظرياتها ، وفيه مشرفون دربوا على علاج الاعوجاج لدى النشء ، واطلعوا على ما لا يتاح لكل اب او ام الاطلاع عليه من دراسات فى ميدان تنشئة الجيل الجديد ..

★ ★ ★

ولقد يحاول الآباء والامهات ان يتمشوا مع التطور التربوى ، وان يقرأوا ما ينشره علماء التربية والنفس والاجتماع من آراء ودراسات يلتمسون فيها ما يعينهم على اداء مهمتهم العسيرة .. فماذا يجدون ؟

انهم يتيهون وسط سيل من المقالات والكتب المتضاربة : « لا تضرب الطفل !! » .. « يجب العودة الى سياسة الضرب لتقويم الصغار » .. « لا ترهق ابنك بدفعه الى الجد قسرا » .. « يجب ان يشجع الآباء ابناءهم على الاجتهاد..فسياسة اللين والتغاضى اجدى » .. « ان الطفل لا يستطيع ان يميز بين النافع والضار ، فلا ينبغى على الآباء ان يتقاعسوا عن اطلاقه » ..

وتدور رؤوس الآباء والامهات بهذه الآراء تتقاذفها كالكرات .. بأيها يأخذون ، وأيها يتركون ؟

وتطالب المدرسة بتعاون البيت معها ، فيرحب الآباء بهذه الفرصة ، ولكن .. الى اى مدى ؟

وتجيب احدى الامهات على هـذا التساؤل بقولها : « الى المدى الذى يطرح فيه المدرسون المسئولية عن كواهلهم .. يشكو المدرس من اهمال الابن اداء واجباته المدرسية ، فاذا حاول الوالدان ان يحملا الابن على ادائها ، اشتكى المدرس من ان القسر ادى الى ان يكره التلميذ الدرس ، فهو يجلس شارد الذهن ، او يحاول التهرب من المدرسة .. وينصح المشرف الاجتماعى بعدم فرض شىء على الطفل ، ثم تطلب المدرسة ان يرتدى التلميذ زيا خاصا ، فاذا هو لم يرض عن هـذا الزى وجب ان يرتديه بالامر ، والا حرم من حضور الدروس .. واذا احتج الوالدان بانه يأبى ، اتهما بالضعف والتخاذل فى ترويض الطفل وعدم التعاون مع المدرسة .. اليست هذه كلها حيرة ! »

★ ★ ★

ومنشأ هذه الحيرة عالم ـ هو « فرويد » ـ خرج على الناس فى اوائل هذا القرن بان معارضة رغبات الطفل فى صغره ، ومحاولة الاهل ان يروضوه على النظام واصول السلوك المتعارف عليها ، تؤثر فى تصرفاته اذا ما كبر ..

وتلقف علماء النفس والتربية هذه الآراء ، وراحوا يجتهدون فى تحليلها ، وفى تفسيرها ، وفى التبشير بها .. ولكنهم لم يجمعوا على اتجاهات واحدة فى تطبيقها ، لأنهم انفسهم لم يهتدوا الى اتجاهات تصلح اسسا ثابتة للتربية .. ومن ثم فهم يطالعون بلباقة ، الا يلقون التبعة والمسئولية على الآباء ، ثم يشهرون سيف « فرويد » على اعناقهم ..

ولقد احتمل الآباء هذا الموقف ثلاثة عقود من الزمن ، ولكن احتمالهم بدأ يهن ويضعف .. وكما صور احد الآباء ـ فى الحوار الذى استهللنا به هذا المقال ـ بدأوا هم يعانون من عقد نفسية تسوقهم شيئا فشيئا الى التمرد ..

★ ★ ★

ولهم ان يتمردوا وهم مطمئنون !!

لقد نشر « العربى » منذ بضعة اشهر ملخصا لكتاب طرح فيه احد علماء النفس الامريكيين ـ بعد دراسات طويلة ـ بضرورة استخدام « الضرب » كوسيلة لتقويم الطفل ، وان كان قد قيد الضرب بحدود واساليب .

وقد اجرى الدكتور « الكسندر توماس » ـ اخصائى الطب النفسى للاطفال بمستشفى « بيلفى » التابع لجامعة نيويورك ـ عددا كبيرا من البحوث ، بمعونة فريق من الاطباء النفسيين ، انتهى منها الى ان نظرية « فرويد » لم تكن مطلقة ، وان الملقاء رجال التربية على لوم الآباء هو

« السلك المعتمد » في تربية الأبناء .. فإن الشعور بالظلم والمرارة لا يلبث أن يبعد بالآباء ، حتى يضيقوا بالأبناء .. وهذا الضيق وحده كفيل بالقضاء على كل جهد لإصلاح الصغار ..

ويقول هؤلاء العلماء في تقريرهم ، انهم درسوا أحوال ١٥٨ طفلا ـ غير منحرفين ـ بينهم الفقراء والأغنياء ، ومن نشأوا في بيوت وادعة ومن نشأوا في بيوت يشيع في جوها الشقاق والخصام ، ومن تتفرغ أمهاتهم لتربيتهم ومن تضطر أمهاتهم الى العمل ، ومن يفرض أهلهم عليهم قيودا نظامية قاسية ومن يتساهل معهم آباؤهم الى حد ترك الحبل على غاربه .. وبرغم كل هذا التباين ، نشأ الأولاد الثمانية والخمسون والمائة أصحاء ، مستقيمين ..

واذا دلّ هذا على شيء ، فانما يدل على أن مسلك الطفل يتأثر بعدد كبير من العوامل وليس بالبيئة والوسط والحالة الاجتماعية وحدها .. بل لقد ينشأ طفلان في بيت واحد ويكونان مختلفين في تأثرهما بموقف واحد . فهناك عوامل أخرى تؤثر في مسلكهما ، ولا يستطيع ادراكها غير الأبوين .

ومن ثم فلا سبيل الى اخضاع تربية الأطفال لنسق واحد ، مخطط ، مرسوم ، محدد ..

ذلك لأن الطفل « فرد » وليس « أنبوبة اختبار » في معمل كيمياوي .. والأب والأم هما أحق الناس بأن يؤتمنا على تربيته ، وبأن ينتهياه ويحددا الأسلوب الواجب اتباعه في هذا التربوي ، على ضوء معاشرتهما اياه ، وعلى ضوء البيئة والظروف .. لا سيما وأن وعي الآباء وادراكهم لمسئولياتهم يزداد بانتشار العلم .

★ ★ ★

وهكذا يجد الآباء والأمهات أخيرا من خلفاء « فرويد » من ينصفونهم ويرفعون عن أعناقهم السيف المصلت . ■

يلين • • •

فكرة ماكرة

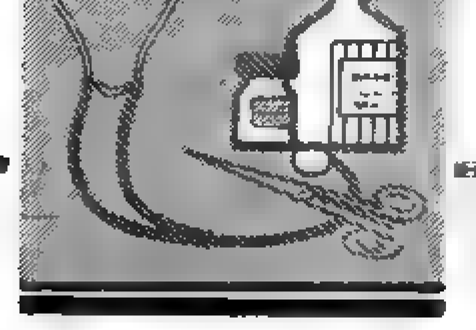
● تلقى جندي ايرلندي ممن كانوا يحاربون في صفوف الجيش البريطاني ـ في الحرب العالمية الأولى ـ رسالة من زوجته ، تشكو فيها من أزمة الأيدي العاملة نظرا لتجنيد معظم الرجال ، وتضرب مثلا بحديقة دارهما، التي أصبحت مجدبة ، لعدم وجود من يعنى بها .. وقالت الزوجة في رسالتها : « ... لو أنني وجدت من يقلب لي تربتها ، ويحرث أرضها ، لأمكنني أن أزرعها بنفسي » .

وكتب لها الزوج من ميدان القتال يقول : « .. تحسنين صنعا لو تركت الحديقة وشأنها . ولا تنسي أن الأسلحة المدخرة لثورة ايرلندا على انجلترا ، مدفونة في أرض هذه الحديقة . »

ولم يحمل الرسالة الى زوجته ـ عند وصولها ـ رجل البريد .. بل فوجئت السيدة بستة من الجنود ، أقبلوا على الأرض يقلبون تربتها بجد واجتهاد .. فلما لم يجدوا شيئا ، دفعوا اليها برسالة الزوج قائلين . « ما الذي دعاه الى أن يزعم أن في أرض الحديقة أسلحة ؟ »

ولم تكن الزوجة أقل دهشة منهم ، فكتبت لزوجها هذا السؤال .. وكان الرد .

« كنت أعرف أن الرقابة ستطلع على رسالتي ، وستحيلها الى السلطات ، فترسل عنه من ينقب عن الأسلحة .. وبهذا تنتهي تقليب تربة الحديقة دون جهد ولا نفقة ! »



طبيب الأسرة

ثلاثة أشياخ ، وبروستاتة

نحن أشياخ ثلاثة ، اجتمعنا ، وتحدثنا عن غدة البروستاتة ، وتضخمها ، واحتباس البول بسببها، ونرجو أن محادثاتنا مما ينفع إن شاء الله .

● الظاهر أن غدة البروستاتة قد رفعها في أخبار العالم رفعا ، تلك الجراحة التي أجراها الجراحون بفرنسا للجنرال ديجول، وأزالوا بها تلك الغدة التي وقفت في سبيل بوله ، وتلك الجراحة الأخرى التي أجراها الجراحون لرئيس وزراء بريطانيا قبل ذلك ، المستر مكميلان ، لنفس الغاية . وكان كلاهما شيخا ، واحتمل كلاهما العملية ، وقام منها بعد أيام قلائل .

وقد كتبنا كلمة مستفيضة عن هذه الغدة وجراحتها في « العربي » للشهر الخامس لعام ١٩٦٣ .

ولكنا نريد هنا ما عسانا لم نكن قلناه هناك ، وهو كيف يتصرف من يحسب أن بغدته تضخما ، ليتأكد من ذلك .

أول شيء بالطبع زيارة الطبيب . وهو سوف يسأل عن البول ، وعن مقداره ، وهل يقوم المريض في الليل ليفرغ مثانته، وكم يفرغ منها ، وهل يخرج البول فيضا أم متقطعا . وبعد كثرة من الأسئلة وكثرة من الامتحان اليدوي اللمسي ، قد يرسل الطبيب مريضه هذا الى المختبر الكيماوي لفحص دمه ، خشية أن تكون الكليتان احداهما أو كلاهما قد تأثرتا بحالة المريض . وقد يرسله الى طبيب المسالك البولية ، إن لم يكن هو ذاك ، ليقترح أخذ صور سينية للجهاز البولي، وفيها تظهر الكليتان والمثانة على الحالة التي هي عليها ، وقد تظهر كذلك غدة البروستاته ، ويظهر هل تضخمت أم هي لم تفعل .

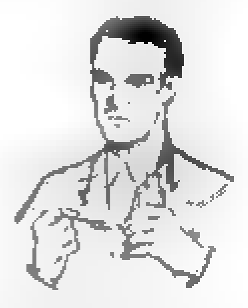
ثم هناك الفحص بمنظار المثانة ، وهو عبارة عن أنبوبة من المعدن طويلة رفيعة بطرفها منظار ومصباح صغير . فالجراح يدخلها في مجرى البول الى المثانة ليرى ما طرأ على جدرانها من تغير . ويجرى الفحص بالمنظار في المستشفى، يقضي به المريض يوما واحدا أو يومين . والفحص

البروستاتة في حالة الورم

يجرى والمريض تحت البنج . والمنظار يكشف للجراح البروستاته أيضا فيراها ويقرر هل يستأصلها او بعضها .

كان تضخم البروستاته شيئا في ماضي الايام مخوفا . اما اليوم مع تقدم الطب، وابتداع المطهرات الخارجية والداخلية ، والمطهرات الحيوية خاصة ، فقد صارت جراحتها شيئا يجرى كل يوم . والشيخ الذي يضعف قلبه عن احتمال هذه الجراحة له عند الطب وسائل اخرى ، منها الكي بالشرط الحرارى الكهربائي ، مع منظار المثانة وهو يؤدى الى استئصال للغدة جزئي .

لم لا آخذ من الدواء جرعتين ، لأشفى في اسبوع بدل اسبوعين ؟



ـ ما هي الجرعة التي يكتبها الدكاترة في روشتاتهم ؟ يقولون انها القدر الذي يأخذه المريض من الدواء ليشفى . وان كان يشفى على الجرعة فلم لا يأخذ جرعتين ليكون الشفاء أسرع ؟

● نصلح اللغة أولا ، فالدكاترة تقصد الأطباء . وبالروشتات تقصد الوصفات التي يكتبها الأطباء . واطرادا مع البحث اللغوى أقول الجرعة هو ما تبلعه من الماء أو السائل مرة واحدة . وانت هكذا تعمل في الدواء فلا تمرره استطابة لطعمه . فالبلعة من الدواء هي الجرعة.

وهي اصطلاحا المقدار المقدر الذى تأخذه من الدواء في المرة الواحدة ، والطبيب يحدد لك كم تتعدد المرات في اليوم .

أما ان تأخذ بدل الجرعة الموصوفة جرعتين او ثلاثا ليكون الشفاء أسرع ، فهذا يكون كمن يطلب ان يأكل في الوجبة الواحدة من الطعام وجبتين أو ثلاثا . ان عمل الدواء يجب أن يكون من السرعة بحيث يماشي ما في الأبدان من سرعة تغيرات كيماوية وحيوية هي التي تجرى الشفاء ، والا انكفأت الحياة انكفاء الرجل

أحس كأني حامل ،

ـ انا فتاة تزوجت حديثا ، واحس كأن الحمل بدأ عندى ، ولا اجرؤ على اخبار زوجي خشية ان اكون مخطئة ، فما هي اعراض الحمل التي بها تتأكد المرأة فتقول من غير شك انها حامل ؟

● ان الحمل له أعراض عدة ، منها انقطاع العادة الشهرية ، لا سيما في المرأة التي انتظمت عادتها من قبل زواج . ومن هذه الاعراض ميوعة النفس في الصباح ، والتهوع والرغبة في القيء . وكثيرا ما تحس الفتاة الحامل بامتلاء لديها ، وزيادة الحس فيهما عند اللمس . ولون المنطقة التي تدور حول حلمة الثدي يزيد اقتاما . ومن الاعراض ازدياد عدد مرات التبول .

واى عرض من هذه الاعراض لا يفيد وحده الحمل . وانما يتأكد الحمل نوعا ما باجتماع عرضين من هذه الاعراض فاكثر .

على ان هنالك ثلاثة اشياء هي وحدها التي تؤكد الحمل .

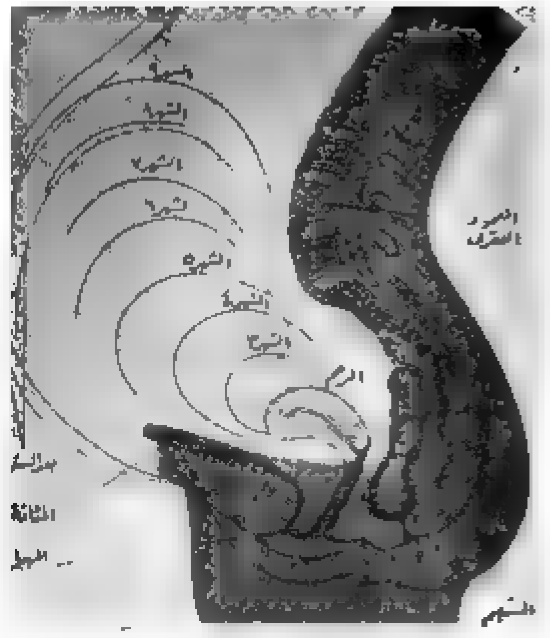
فما اعراض الحمل ؟

اولها التسمع الى نبض الوليد ، وهذا يمكن في نحو الاسبوع السادس عشر من عمر الجنين الى الثامن عشر، ويكتشفه الطبيب بسماعته في الجزء الاسفل من البطن . ونبض الوليد يبلغ في الشهر الثامن نحو من ١٥٠ الى ١٦٠ نبضة ، وعند انتهاء الحمل يبلغ بين ١٢٠ الى ١٤٠ نبضة .

والشيء الثاني الذي يؤكد الحمل، الصورة التي تأخذها الاشعة السينية للجنين ، وهي تظهر هيكله العظمي ويمكن ذلك في نحو الاسبوع السادس عشر من عمر الجنين .

والشيء الثالث الذي يؤكد الحمل حركة الجنين التي تحسها الام في بطنها ، وتلاحظ هذه الحركة عادة في الاسبوع الثامن عشر الى العشرين .

ولدى الطبيب وسائل اخرى يشخص بها الحمل وذلك بالامتحان الداخلي ، وفيه يكتشف كبر الرحم ،



رسم يوضح الابعاد التي يصل اليها رحم المرأة الحامل حتى الشهر التاسع من الحمل

وقد يكتشف هذا باكرا ، اي من نحو الاسبوع الثامن او العاشر .

وعندنا هذا وذاك ، المختبر . فاليه يرسل الطبيب عينة من بول المرأة ، وهناك يعرف رجل المختبر ان كانت المرأة حاملا او غير حامل .

الذي يسرع في الجري بما لا تحتمله قدماه . وغير ذلك فاغلب هذه الادوية سموم قاتلة يعطى المريض منها القليل الاقل فتكون غير قاتلة ، وتكون نافعة تعطي الشفاء .

ولهذا لا يعطي الطبيب كل المرضى من الدواء الواحد الجرعة الواحدة . انه يقدر وزن المريض ، فان زاد ، زادت الجرعة ، وان نقص ، نقصت الجرعة . والسن له دخل في تحديد مقدارها . وحتى الجنس ، فالنساء على العموم تحتاج الى جرعات اقل مما يحتاج الرجال .

ومن المشكلات التي يصادفها الاطباء حساسية خاصة عند بعض المرضى تجاه ادوية خاصة ، فهم قد يصمدون كثيرا لجرعات كبيرة من ادوية شديدة المفعول، ولكن اقل جرعة من مادة كودور الوتوم مثلا ، او البلادونا ، يحدث فيهم اعراضا غير منتظرة .



طريق القوة والكرامة

من جريدة « الجمهورية » ـ بغداد .

● من مشاكل وطننا الاساسية هو هذا الفراغ السياسي . ونعني بالفراغ السياسي تجزئة الوطن العربي الى دول متعددة ضعيفة الروابط . ولايزال قسم منها خاضعا لحكم المستعمرين المحتلين ان منطقة البلاد العربية ، من محيطها الى خليجها ، اكثير ما يحكم في ثروتها الطبيعية وموقعها الجغرافي ، وتكاملها الاقتصادي ، منذ الاف السنين منطقة واحدة ، ووطنا كمجال سياسي واحد . ولذلك فان من المستحيل ان نملأ هذا الفراغ ، ونجابه تحديات الصهيونية والاستعمار ونحن مجزأة الى دول متعددة ضعيفة الروابط .

والتاريخ يعلمنا انه كلما تجزأت المنطقة العربية الى دول متعددة حدث هذا الفراغ السياسي ، كما ان التاريخ يخبرنا ايضا ان الامبراطورية الرومانية كانت اول من ملأ هذا الفراغ تحت راية الامبراطورية ، ومن ثم خلفتها بيزنطية ، ونازعتها فارس في ملء هذا الفراغ .

ولما جاء محمد الرسول العربي العظيم برسالته الاسلامية كان توحيد هذه المنطقة من اهم انجازات رسالته السماوية . وهكذا ملأ هذا الفراغ ابناؤه العرب . وبعد ان جمع العرب شملهم وتوحدوا ، كان من نتائج هذه الوحدة ان قدم العرب للبشرية اعظم حضارة عرفها التاريخ في ذلك الوقت ، ولها يعود الفضل في نهضة اوربا الحديثة .

والآن فالطريق للقوة ، والطريق لانقاذ فلسطين ، والطريق للرفاهية ، هو طريق الوحدة . وحدة الامة العربية جميعها لتكون قادرة على مجابهة التحدي الكبير الصادر من الحضارة الغربية . وما الصهيونية وما اسرائيل الا ذيل من ذيول هذه الحضارة .

اتركوا لنا بحرنا

من جريدة « الدفاع »

● في البحر الابيض المتوسط ، تهدد امريكا بحربيته اسطولها السادس ، المزود بالاسلحة الذرية ، انه سيف تسلطه امريكا على دول المنطقة ، وتستخدمه لدعم نفوذها ، ومصالحها .

وروسيا التي لا يرضيها احتكار امريكا للبحر المتوسط ، ارسلت قطعا بحرية ذات ضخامة في عادية ، لتتجول في هذا البحر . واسطاتها هذه تدل على انها ذرية .

ونحن ، دول البحر المتوسط ، نقولها بصراحة لامريكا اولا ، ولروسيا ثانيا ان هذا البحر بحرنا . ولن نجعله ميدانا لاحقادكم ، وعقدكم النفسية ، ومطامعكم الشخصية . فارحلوا باساطيلكم الذرية ، عن بحرنا ، واتركوه لنا ، نقيا ، هادئا . وكفانا شرور تدخلكم في صميم شؤون بلادنا .



مصلحة الوطن أولا

عن جريدة « العلم » الرباط :

● قال صاحبي : انهم في امريكا يحرصون على اقامة جهاز الى جانب كل القطاعات الخاصة منها والعامة ، مهمته موازنة الانتاج بالنسبة للنفقات، والعمل على اختصار العمليات ما امكن ، حتى يمكن مضاعفة الانتاج بسهولة ، وباقل ما يمكن من المصاريف ، ولا يتوانى هذا الجهاز عن رصد جوائز هامة لمن يستطيع الوصول الى اكتشاف طريقة افضل . وهذا لا يساعد فقط على مسايرة التطور اللازم ، بل يعمل ايضا على خلق روح الابتكار والخلق لدى المنتجين .

ونحن في المغرب ما زلنا نخلق الوظيفة من اجل الشخص، وانا اتصور اننا لو انشأنا هذا الجهاز ، الى جانب الادارة العامة ، مع توفر النية الصالحة والرغبة الاكيدة ، لمن . لانطلقت ادارتنا من جمودها وخمولها ، ولاصبحت ادارة منتجة، وليست عبئا ثقيلا تتحمله الامة ، ولاكتشفنا عددا من المواهب المكبوتة تنبوا معاملها عن جدارة مكتشفة في الفنيين المغمورين ، ولاصبحت ادارتنا تناسب تطورنا الاقتصادي والمالي فيختفي العجز الحاصل في ميزانية التسيير ، دون اللجوء الى التخفيض من الاجور الضئيلة ، وفرض ضرائب جديدة ، ورفع أثمان السكر ، وما الى ذلك من التدابير العقيمة .

ولكن أين لنا بالنيات الصالحة اولا !





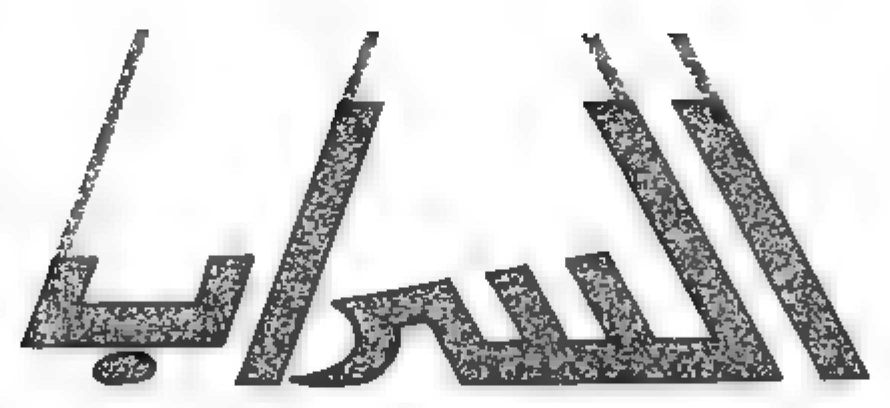
جونسون .. وشبح كيندى

عن جريدة « الاهرام » :

● خرج وزير العدل الامريكى روبرت كيندى من صمته تجاه حقيقة مشاعره تجاه الرئيس جونسون ، فاعلن بصريح العبارة انه على علم انه لن يظل خلال السنوات الاربع القادمة بعيدا عن الاضواء ، لا لشيء الا لانه شقيق الرئيس الراحل كيندى الذى يحاول جونسون بكل ما اوتى من سبيل ان يطمس معالم اسمه من قلوب الامريكيين .

وهذا الذى يقوله روبرت كيندى فيه الكثير من الصدق .. فقد اغتيل كيندى وهو في اوج مجده السياسي .. فجاء جونسون بعده ليجد الطريق ممهودا ـ بحكم قصر المدة الباقية له في الرياسة ـ امام مشروعات جديدة يستطيع بها ان يجتذب اليه انظار الجماهير بطريقة تنسيهم ولو قليلا صورة الرئيس السابق .. وكان اكثر ما يضيق به وجود شقيق الرئيس الراحل وزيرا في وزارة هامة من وزاراته .. وعجزه عن ان يخرجه منها بطريقة لا تثير الشعور ضده ..

وقد طلب روبرت كيندى منذ مدة الاستقالة من منصبه .. وكان جونسون مستعدا لقبولها على الفور لولا ان روبرت طلب ان يعين سفيرا لبلاده في فيتنام الجنوبية ، بدلا من السفير السابق هنرى كابوت لودج .. فرفض جونسون الاستقالة حتى لا يضطر الى تعيينه في منصب يهيىء له شهرة لعلها تفوق ما يهيئه له منصبه كوزير للعدل . ومع ذلك فلن يؤدى اى قرار يتخذه في هذا الشأن الى ازالة شبح كيندى من العقل الامريكيين.. ولن يتسنى له ذلك الا اذا نجح في الانتخابات القادمة واستطاع خلال سنوات حكمه ان يقدم شيئا يقرن باسمه .



قصة انسانية من الأدب الهندى الحديث

بقلم : ابندراناث اشك

■ راح « بكر » ــ المزارع الشاب القادم من قرية « بى سكندر » ــ يتأمل الناقة بعينين ثابتتين ، حتى زمجر أخيرا « تشودورى ناتهو » وهو مضطجع تحت الشجرة : « ماذا تتأمل منذ يا هذا ؟ » .. فازداد « بكر » اقترابا وأومضت عيناه لحظة فى محجريهما الغائرين ، وأشرق وجهه بابتسامة واهنة ، وقال : « كنت أتأمل ناقتك .. ما أبدعها من ناقة ! » .

وارتاحت نفس تشودورى عندما سمع اطراء لأحد حيواناته ، وقال : « أية ناقة تعنى ؟ » . فأشار بكر نحوها قائلا : « الرابعة من اليسار » .

وكانت الناقة تلهو بقضم بعض أوراق الشجر ، وسط ثمانية أو عشرة من الجمال . وكانت سوق الماشية حافلة بالابل الطويلة والعجول السوداء والثيران الضخمة والابقار .. ولكن الابل كانت تعلو عليها جميعا فى تلك السوق المجاورة لصحراء « بهاولنجار » . وكانت الجمال عظيمة النفع فى تلك المنطقة ، لا سيما فى نقل الزراعة . وعندما كانت البقرة تباع ــ فى الماضى ــ بعشر روبيات والثور بخمس عشرة ، لم يكن ثمن الجمل ــ الذى لا عيب فيه ــ يقل عن خمسين روبية .. وحتى بعد أن شقت القنوات ، وتوفرت المياه فى المنطقة ، لم تفقد الابل قيمتها ، بل أن الجمل الذى يصلح للركوب أصبح يباع ما بين ٢٠٠ و ٣٠٠ روبية ، فى حين أن الجمل الصالح للزراعة والنقل لم يعد يباع بأقل من ثمانين روبية .

وازداد بكر اقترابا وقال : « أصارحــــك يا تشودورى أننى لم أر أجمل من ناقتك فى السوق كلها ! » فقال ناتهو بزهو : « ولماذا هى وحدها؟! كل ابلى تماثلها جمالا ، لأننى أعنى بتغذيتها » . فسأله بكر فى صوت خفيض متردد : « هل تود أن تبيعها ؟ » .

ــ لهذا جئت بها الى هنا .

ــ اذن فلتذكر لى سعرا معقولا .

وتفحص ناتهو ــ بعينيه الثاقبتين ــ بكرا من رأسه الى قدميه ، ثم قال مبتسما .

ــ هل تريد شراءها لنفسك أو لصاحب الأرض التى تعمل عليها ؟

فأجابه بكر ، وهو يضغط على كلماته ليزيدها وضوحا :

« بل أريدها لنفسى بكل تأكيد » . وهز ناتهو رأسه ، وقد أبى عقله أن يتصور أن عاملا زراعيا فقيرا كهذا يملك شراء جمل . وقال فى جفاء « أخشى أنك لن تستطيع شراءها بإمكانياتك » . فصاح بكر وهو يتحسس جيبه ، حيث كانت ترقد ١٥٠ روبية : « ليس من شأنك أن تسألنى عمن أود شراءها له . كل ما عليك هو أن تذكر الثمن » .

وعاد ناتهو يتفحصه ، متأملا وجهه الذى لفحته الشمس ، وثيابه القذرة . ولكى يتخلص منه ، رأى أن يطلب سعرا عاليا ، فقال فى عدم اكتراث : « ابحث عن جمل عادى .. أما هذه فلن أبيعها بأقل من ١٦٠ روبية » .

وسرت فى جسد « بكر » اختلاجة ابتهــــاج ، اذ كان يخشى أن يطلب « تشودورى » سعرا فوق

طاقته .. اما الآن ، فلم يكن بمقدوره سوى عشر روبيات ، يستطيع أن يسمح بها نقدا .. وكان ساذجا ، خجولا ، يجهل أساليب المساومة . فأخرج الأوراق المالية من جيبه ، ودفعها الى شودوري قائلا : اسمح بأن أدفع هذه . انها كل ما أملك ، والصفقة الآن موقوفة عليك » .

شرع ناظمو يحصي النقود في ثنيات الكرات ، ولكنه لم يأت على آخرها حتى أبرقت عيناه .. كان قد اشتغل في السمر ليعرف منه بكرا ، فمثل هذه الناقة كانت تباع بمائة وأربعين روبية على الأكثر .. ومع ذلك ، فقد قال في لؤم . «كان من السهل أن أحصل على ٢٠٠ روبية لها لكنني ، ولكنني سأعطيكها مقابل المائة والخمسين » . وقاد طرد الناقة وأسلمه إياه ..

ومع أن بكرا كان ظمآنا ، فانه لم يعد يجد فسحة من الوقت للشرب ، فلا بد من بلوغ القرية قبل هبوط الليل .. ثم ركب وراح يقود الناقة.

كان أسلاف بكره من صناع الأوعية الفخارية، ولكن « بكرا » حذا حذو أبيه ، فاشتغل عاملا زراعيا لا يكاد يكسب سوى النزر اليسير . وكان كسولا بطبعه ، ولكن أيام الخمول ولت حينما ماتت زوجته منذ خمس سنوات ، مخلفة له ابنة كأنها الدمية جمالا . فقد همست له زوجته ، وهي على فراش الموت : « سأترك راضية لرعايتك ، فأرجو أن تجيبها كل ما تشاء » .. وقد غيرت هذه الوصية حياته كلها ، فالليل يعمل جادا ، كادحا ، من أجل ابنته .. ليبتاع لها كل طيب ، وليجعلها سعيدة .. وكانت تتمسح فيه كلما عاد من السوق وتسأله : « ما الذي أحضرت لي يا « أبتاه » ؟ فكان يجلسها على ركبته ، ويطبع قبلة على خدها ، ويعطيها لعبا وحلوى .

وفي ذات يوم .. وقد بلغت الثامنة من عمرها ـ قالت له : « أريد ناقة يا « أبا » ، فمتى تشتريها لي ؟ » .. يا للطفلة البريئة الساذجة ! .. كان جليا أنها لم تتبين يوما أن أباها عامل فقير معدم .. ولكنه ابتسم ، لكي لا يؤذي مشاعرها ـ وقال: «ومالنا تودين أن تحظي بالناقة يا عزيزتي؟».

كانت راضية قد رأت صاحب الأرض يمتطي ناقة وأمامه ابنته ، فأصبحت تتوق الى أن تركب ناقة هي الأخرى .

ومع أن بكرا حول ذهنها عن الموضوع ، الا أنه عاهد نفسه على أن يحقق للطفلة أملها ، وان يكسب ما يفي بذلك . فراح يطوف بالقرى بحثا عن مزيد من العمل ، وأخذ يحصد ويحرث ويذري ويغربل وبعد عمل الثلاثة في موسم الحصاد .. وسعرت الحقول ويؤدي عددا من الأعمال في موسم



البلد . وكان اذا اعوزه عمل ، قطع ١٦ ميلا ـ على الساقة الى السوق ـ على قدميه ، ليؤدي هناك بعض اعمال يكتسب منها .. وهو لا يفتأ يذكر وصية زوجته ، فيتأمل ابنته في حب .. وبعد جهد دام عاما ونصف العام ، استطاع اخيرا ان يحقق رغبتها ، وها هو يشد يده على مقود الناقة ، في طريقه الى القرية .

★ ★ ★

بدأت الشمس تجنح للمغيب ، وشاعت في الجو ريح ندية . وكان « بكر » في غفلة عن كل ما حوله، وذهنه يحوم على دروب ماضية ، ويرتد الى ظروف حاضرة . وكان يفيق من احلامه ـ من وقت الى آخر ـ فيتأمل الناقة ـ ويسرع الخطى ليصل الى داره قبل ان تنام راضية .. وما لبثت القرية التي يقيم فيها صاحب الارض ان لاحت له ، فخفف من اسراعه ، وانطلق خياله جامحا ، وهو يتصور « راضية ابنته » على ظهر الناقة .. ثم يتمثل نفسه وقد اصطحبها الى سوق « بهاوال ناجار » والفتاة تنظر مبهوتة الى الوان الحلية .. ثم يتصور انه سار بها الى حانوت به جهاز الحاكى يرسل الانغام في الجو .. يا للصغيرة الساذجة ! .. ويمثل نفسه وهو يشرح لها ، والانفعال والسرور يتجليان في حركاتها ..

وكف ذهنه عن الاحلام فجأة ، اذ دخل قرية صاحب الارض .. لم تكن قرية كبيرة ، وان كان بها حوالى ٢٥ كوخا وبيتا من الآجر ، في حين ان قريته لا تضم سوى ١٥ .. وكان بيت صاحب الارض من الطوب ..

وكان « بكر » قد اوصى النجار بأن يصنع له سرجا للناقة ، قبل ان يذهب الى السوق ... فعرج على حانوت النجار ، ولكنه لم يجده .. وعرج على بيته ، فعلم انه ذهب الى السوق .. واسقط في يده . لن تستطيع راضية ان تركب الناقة .. ثم ارمضت في ذهنه فكرة .. ان صاحب الارض يملك ابلا كثيرة ، ولا بد ان لديه رحالا يعيره اياه .

كان صاحب الارض قد جمع ثروة وهو في خدمة الحكومة ، فلما مدت القنوات في هذه المنطقة ، اشترى مساحة كبيرة من الاراضي بثمن بخس ، ولكنها اصبحت تدر عليه دخلا كبيرا بعد ان ترك الخدمة .

ووجده « بكر » في فناء داره يدخن غليونه .. وعندما رأى الرجل بكرا مغبرا متربا وفي يده مقود الناقة ، سأله : « من اين جئت يا بكر ؟ » فانحنى بكر قليلا تحية له ، وقال انه عائد من سوق الماشية .

ـ لمن هذه الناقة ؟

ـ لي يا سيدي ، ابتعتها هناك .

ـ وكم دفعت ثمنا لها ؟

وشعر « بكر » بميل الى الكذب ، فالناقة تستحق ٢٠٠ روبية . ولكنه اكتفى بأن قال مرتبكا في سذاجة . « كان صاحبها يطلب ١٦٠ ، ثم اعطاني من ٤٠ » .

فظن صاحب الارض الفرصة سانحة ، وود لو تكون له هذه الناقة الجميلة . كان يرغم ما يملك ، يجد في ناقة فكرة ما يستهويه . وما لبث ان قال : « خذ مني المائة والستين روبية . فقد كنت ابحث عن ناقة لنفسي » .

سرت في جسد بكر قشعريرة خوف وهو يبادر قائلا : « آسف يا سيدي ، فقد ابتعت الناقة لاحقق رغبة غالية لابنتي .. » . وحاول ان يصطنع الابتسام ، بينما نهض صاحب الارض فاقترب من الناقة ، وربت عنقها برفق وقال : « ما اجملها ! .. سأعطيك ١٥ روبية فوق ما دفعت يا بكر » .

وقبل ان يسمع ردا ، نادى خادمه « نور » وقال له : « خذ هذه الناقة واربطها هناك » .

وجذب الخادم مقود الناقة من يد « بكر » الذي جمد في مكانه مشدوها آسفا .. بينما اخرج صاحب الارض ستين روبية من جيبه ، ودفعها الى بكر وهو يبتسم بلؤم قائلا : « لقد اعطاني احد مستأجري الارض هذا المبلغ منذ لحظات ، ولعله مقسوم لك . فخذه ، وسأرسل لك باقي الثمن بعد شهر او اثنين » .

وتحول دون ان يرتقب ردا ، ثم صاح في « نور » لا تشتغل باطعام الجاموس الآن ، بل اذهب فسر الناقة قليلا ، فلا بد انها جائعة » .. ثم اقترب من الناقة فراح يتأملها ويربتها باعجاب .

ولم يكن القمر قد بزغ بعد حين بلغ بكر قريته .. وتلكأ عند مشارفها ، ثم توارى وراء طائفة من الاشجار ، وراح يحملق في بصيص الضوء المنساب من كوخه .. كانت ابنته « راضية » مستيقظة ، ترتقب عودته في لهف . وود لو يطير اليها ، ولكنه تذكر الناقة فجثم في مكانه مرتقبا ان يغشو الكوخ الظلام فيدرك ان راضية قد آثرت النوم اخيرا ، كي يتسلل ويحتل مرقده . ■■



اللعب

حدث في دنياها انقلاب

■ في وسع ابنك الآن ان يمدك بالتنبؤات عن الطقس ، قبل ان تسرج سيارتك في الصباح ..

وفي وسع ابنك ان يمد في ارجاء البيت شبكة الكترونية تعفيك من عناء فتح الابواب واغلاقها كلما دخلت او خرجت ..

وليس هذا لان ابنك اصبح عالما وهو في هذه السن المبكرة .. ولكن ، لان اللعب التي يتسلى بها ابناء هذا الجيل تمكنه من اداء هذه الاعمال ..

ان هذا العصر عصر العلم والهندسة ، ولهذا تطورت اللعب فاخذت صفة العصر .. حتى الأطفال الذين هم دون الخامسة من اعمارهم ، تطورت لعبهم بدورها .. وصحيح ان الدمى القديمة ـ كالعروسة او الدب او الكلب ـ لم تختف من « فترينات المتاجر » ، ولكن ظهر الى جوارها ، في الاعوام الماضية ، رجل الفضاء ، والصاروخ ، والطائرة النفاثة ..

ان اللعب التي تعد لصبية هذا الجيل ، تهدف الى تعليمهم بجانب تسليتهم .. ومن هذه اللعب محطة صغيرة للارصاد الجوية ، ومعامل الكترونية ومعدات هندسية ومعمارية ، ومحركات توربينية ، ونماذج شفافة للجسم البشري ، تكشف عن أدق اجهزته الداخلية ..

* * *

ولقد انتجت احدى دور اللعب البريطانية اخيرا ، محركات صغيرة للاحتراق الداخلي ، كمحركات السيارات ، بكباساتها واسطواناتها ومحاورها ، ومواصلات حركتها الى العجلات ، وكلها

مصنوعة من مواد شفافة، ليتبين الصبي من خلالها كيف يدور المحرك ويعمل .. ومن هذه المحركات الصغيرة ما يستهوي حتى الآباء والكبار، اذ يبين لهم ما يحدث عندما يقومون بتغيير السرعة اثناء قيادة السيارة .

والطريف في هذه اللعب العلمية انه من الممكن فكها واعادة تركيبها ، وفقا لاصطلاحات مطبوعة ترفق بها ، مما يولد لدى الصغار خبرة وينمي هواياتهم الهندسية ..

ومن هذه اللعب مجموعة من القطع المصنوعة من « البلاستيك » ، يستطيع هواة الفضاء من الصغار ان يصنعوا منها مركبة فضائية ، او سفينة صغيرة تمخر الماء فعلا اذا وضعت في حوض ..

وهناك « المختبر الالكتروني » الذي يستطيع الصغير أن يستعين بادارته في انشاء شبكة الكترونية حقيقية ، تعلن عن اللص اذ يتسلل الى البيت، او ترشد الى انبوبة الغاز او الماء اذا تسرب ما فيها .. او انشاء عين سحرية توقد الانوار وتطفئها، او تفتح الابواب وتغلقها، دون ان يتجشم الانسان شيئا غير المرور امامها .

وتنتج دور اخرى مجموعة من اللعب الهندسية المعمارية ، بها كل ما يمكن الصغير من انشاء مبنى صغير ، له هيكل من الفولاذ ، وتكسوه طبقة من الزجاج .

ومن احدث اللعب الامريكية لعب تساعد الصبي على معرفة تركيب الجسم الانساني واجهزته .. ومنها مجموعات من العظام والاوردة والشرايين والرئات والمخ ، كلها من البلاستيك . ويستطيع ابن الرابعة عشرة ان يصل بعضها ببعض ليصنع منها جسدا كاملا ، او اجزاء من الجسد .. وهناك رؤوس من البلاستيك من الممكن تركيب وفصل ما فيها من عيون والسنة وآذان . وذلك فضلا عن نماذج كاملة من اجسام بشرية شفافة، تكشف عما في جوف الانسان من أجهزة، وكيف يتصل بعضها ببعض ، وكيف تعمل ..

ومن اللعب الطريفة مجموعة تبين العلاقة بين البيضة والفرخ « الكتكوت » .. وكيف يتكون هذا داخل البيضة ، وكيف ينمو ويتطور .. وهي مزودة بأسئلة تتناول مختلف المراحل وتحفز الصغير على الدرس والتفكير ..

وهناك لعبة طريفة أخرى ، تتألف من نماذج اكبر من الجسم الطبيعي لأجهزة الحواس البشرية البصر والسمع واللمس والشم والذوق .. وهي تقدم مفككة ، وعلى الصغير أن يركب اجزاءها، وهو بذلك يتبين كيف تعمل هذه الأجهزة . واطرف من ذلك قلب آلي ، تتصل به مضخة تدفع سائلين — احمر وازرق — يمثلان دورة الدم ومروره خلال صمامات القلب والشرايين والاوردة ..

وهناك لعب تمثل آلة الطباعة ، والميكروسكوب ، والتليسكوب ، وجهاز التلغراف ، والفونوغراف .. وكلها يمكن للصغير تفكيكها وتركيبها واستعمالها ..

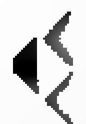
كما ان هناك مجموعة من العدسات والمرايا والمنشورات البلورية ، تمكن الصغير من ان يصنع بيديه نظارات مكبرة ، وميكروسكوبات ، وتليسكوبات وأن يدرس انعكاس الضوء وانكساره وقوانين الضوء والابصار ..

كذلك تنتج دور اللعب الآن مجموعات تمكن الصغار من صنع محطات لاسلكية واجهزة للاستقبال ، يمكن استخدامها فعلا .

وهكذا لم تعد اللعب مجرد اشياء للتسلية ، لا يلبث الصغير أن يملها ، بل اصبحت مجموعات هندسية وكهربائية والكترونية ، من الممكن للصغير والبالغ — حتى سن ١٧ — بل وللكبار أنفسهم ان يتسلوا بها ، وأن ينموا بها هواياتهم العلمية ، ويكتسبوا منها مهارات فنية ،

.. فرنيك

انا « جول فريك » كنت اعمل طباخا في معسكر باقصى شمال كندا ـ في الدائرة القطبية لبعض المنشآت الدفاعية الامريكية حين عرضتها المغامرة .. التي قدر لي ان انجو منها بمعجزة ، لاعش فاورويها .



■ ما من ضرر يصيب المرء الا كان نتيجة من نتائج عمله .. وما من خطأ يرتكبه المرء الا عانى من عواقبه ، ان عاجلا أو آجلا ..

هذه الحكمة التي اصبحت شعاري في الحياة ، لم احفظها من الكتب ، بقدر ما علمني الواقع ان اومن بها .. وما ابهظ الثمن الذي دفعته فيها !

ان الذاكرة تعود بي الى ساعة مبكرة جدا من صباح احد الايام في شهر يناير سنة ١٩٥٧ ، كنت انهمك فيها في اعداد الفطور لستين شخصا كانوا يعملون في مشروع دفاعي احيط بالكتمان الشديد ، في بقعة في اقصى الشمال من كندا ، تدعى « فوكس بيزن » .. تقع داخل الدائرة القطبية الشمالية .

وفاجأني الشروق على الظلام والامن ، وانا القي بفضلات بعض الطعام من النافذة ، فغضب الدب الضخم ، وصاح يقول « كف عن القاء هذه

الفضلات من النافذة .. انك انما جئت الى هنا ، طردتك من العمل فورا » .

ولكم ضاقتني لهجته وأثارت حنقي ! .. ولكم اهاج كبريائي ما كان فيها من غطرسة ! .. ولكنني تمالكت نفسي بجهد شديد ، ووجدت يدي التي كانت قد زحفت بحركة لا ارادية الى خاصرتي ، حيث كنت احتفظ بمسدس اخفيه ليصق لحمي ، اذ كان من المحرم في هذا المعسكر القائم في الدائرة القطبية أن يحمل المرء سلاحا ، نظرا لما كانت الاعصاب تتعرض فيه لسرعة الهياج .. فان البرد الزمهرير ، والثلوج التي تغطي البطاح ، والعزلة التامة عن المدينة ، والسكون الوحشي .. كل هذه كانت عوامل توتر اعصاب العاملين في المشروع .

ولكنني ـ بطريقة ما ـ كنت قد استطعت أن اهرب هذا المسدس الى داخل المنطقة ، وان لم أدر لذلك سببا ولا مبررا .. وكنت مضطرا الى ان احمله لصق لحمي ، تحت الثياب ، خشية ان يكتشف امره في نوبة من نوبات التفتيش التي كانت امتعتنا تتعرض لها ، كاجراء من اجراءات الامن ، نظرا لخطورة المشروع الدفاعي الذي كنا نقوم به .

لقد قسوت على نفسي واعصابي حين رددت يدي وهي في طريقها الى المسدس .. وظللت اسائل نفسي لم ارد على المشرف على النظام والامن ، في تلك الناحية ، لانه اي رد خشن مني كان كفيلا بأن يفقدني العمل الذي كنت القاضي منه ..) جنيه في العام . ولكن الغضب المكبوت لم يلبث ان انحسر ـ بيني وبين نفسي ـ بمجرد ان انصرف الرجل . فرحت ارغي وازبد ، وأنا اسكب البيض في جهاز كهربائي كبير ، واعد القهوة في جهاز مثله آخر . قلت لنفسي : « اي ضير في ان القي الفضلات من النافذة ، وهي تتجمد قبل ان تصل الى الارض ، فلا سبيل الى نتنها وتعفنها ! .. واي نظام هذا الذي يضطرني الى ان احملها الى بقعة بعيدة عن المطبخ ، وادفنها في الارض ، مع ان الجليد يغطي المكان ، والبرد يبرأ الاطراف ؟ » .

ولم اكن ادري ان الجواب عن اسئلتي هذه سيواتيني بعد لحظات .. فبينما كنت مستغرقا في العمل ، والغضب آخذ مني ، سمعت صوتا خافتا ، انبعث من بعد ، فبعث رجفة في جسدي .. كان اشبه بدمدمة عميقة ، خافتة ، ولكنها هزت كياني . فقد كنت ادرك ـ اذ قضيت ثمانية اشهر في تلك المنطقة ـ انه لا اثر للحياة فيها ، اللهم الا حياة العاملين في المشروع .. فما من نبات ولا من حيوان يوجد في تلك الدائرة القطبية التي قطرها الف ميل على الاقل .. ولقد الفنا السكون التام ، الوحشي ، حتى ان ارتطام ملعقة بجدران قدح ، كان يعتبر ضجة ملحوظة .

وفجأة ، تهشم الباب الزجاجي المفضي الى المطعم ، وكان على بعد نحو خمسة امتار من حيث وقفت .. وجمدت في مكاني ، وشل الفزع حراكي ، اذ رأيت دبا قطبيا يتقدم الى المكان ، وقد تناثر من اثوابه ، نتفة من تلك الاقذار تنفض من حيث لم اكن ادري .

وتراجع الدب الى الوراء خطوات ، فانزلقت قدماه على الارض الناعمة المصقولة .. ولكنه تمالك نفسه في اقل من الثانية .. وكانت هذه اللحظة الخاطفة فرصتي الوحيدة كما حسبت انه النجاة ، فقفزت خلف مائدة من الفولاذ ، اعتدت ان اقدم عبرها الاكل والشراب للعاملين في المشروع .. وراحت اصابعي تتحسس خلال ثيابي لتبحث في لهفة مجنونة عن المسدس .

ووثب الدب العملاق عبر المائدة ، فقلبها بما كان عليها من الصحاف والاطباق وكؤوس واكواب ، محدثا ضجيجا يصم الآذان .. وتربع لحظة لم تعد تحرى بها ضخامة كانت تهشم مائدة فولاذية صغيرة احتميت بها . فاذا مخالبه تمزق سترتي وقميصي وثيابي الداخلية ، وتنتزع اللحم عن ضلوعي .. ثم دفعني دفعة قوية ، فالتصقت بجدار جهاز اعداد القهوة ، وكانت حرارته كاوية فصرخت اذ احترق مرفقي .. وكاد الالم في صدري ومرفقي ان يسلماني الى الاغماء ، لولا ان تماسكت على

نفسي لأكتشف ناحية جهاز سائق البيض . ولكن الدب تخطى التصبة الفولاذية الصغيرة واندفع نحوي ..

وزاغ بصري ، فلم أعد أتبين ما حولي بوضوح .. وحاولت أن ألصق يدي بصدري لأمنع الدم المتدفق من جراحي ، فإذا بي أترنح وأميل على موقد البيض .. وكأن ألف إبرة مُحماة انغرست في كل جسمي .. والتهمت الحرارة لحم كتفي ..

وأيقنت أنني هالك لا محالة ، حين عاد الدب يهاجمني ، فطوّح بي بين موقدَيْ القهوة والبيض .. فالتصقت بالحائط وأنا أصرخ في رعب وجنون .. واحترقت كتفي الأخرى ، بينما كانت حرارة حافة الموقد تأكل قماش سروالي .

وراجع الدب بضع خطوات يتأهب فيها للانقضاض ، ثم دفع بمنابه نحوي .. ولن أنسى ما حييت الصرخة التي انبعثت منه ، إذ هوت قبضته على جهاز القهوة الحامي .. وجذبها بسرعة ، وقد تجلى على وجهه الألم والهياج ، ثم دفع بيسراه نحوي فأخطأني .. وكأن ألم الحرق الذي أصابه مفاجأة شتت تفكيره لحظة ، فهو لم يعرف الحرارة قط ، وقد عاش حياته بين الثلوج .

ولكن حيرته لم تدم طويلا ، إذ لم يلبث أن أرسل صوتا كزئير الأسد هز أرجاء المكان ، ثم اندفع نحوي .. ولأول مرة تذكرت المسدس .. الذي كنت قد أخرجته من مخبئه ولكن المفاجأة بالهجوم أنستني إياه .. وكان الدم يتساقط مني غزيرا ، وقواي تخور بسرعة ، وقد رفع الدب قبضته ، فلو أنه هوى بها الآن لسحقني سحقا ..

لست أدري كيف ضغطت على زناد المسدس .. وتوالى الضغط وأنا لا أكاد أعي ما أفعل . كنت أتصرف بوحي من الغريزة .. وتتابعت الرصاصات إلى الفراء الناعم السميك الذي يغطي صدره .. ثم تبينت أنه لم تعد ثمة رصاصات تنطلق من المسدس ، فتخلصت منه بعنف ، وأفلتته أصابعي ، وقد أيقنت أنني لم أعد أملك حيلة ولا وسيلة ، فازددت التصاقا بالحائط ، أرتقب المصير المحتوم ..

★ ★ ★

وكنت أشبه بالحالم ، وأنا أرى الدب يترنح ، مرسلا عواء طويلا ، خافتا .. ثم يتهاوى على الأرض كجبل متهدم ، وفراؤه الأبيض يهتز مع اختلاجات جسمه .. وحاولت أن أتحرك فسقطت على موقد القهوة ، وأصبت بحروق في وجهي .. ثم سقطت ورأسي بين مؤخرتي الدب ..

وقبل أن أغيب عن الوعي ، سمعت صيحات ووقع أقدام ، وجلبة وهرجا .. ثم اكتنفني الظلام .

★ ★ ★

وأنقذ أطباء المعسكر حياتي بأعجوبة ، بعد أن تطوع عدد من العاملين في المشروع بكميات من الدم لتعويضي عما فقدت .. ثم حملتني طائرة إلى المستشفى ، حيث قضيت خمسة أشهر ، منها أسبوع قضيته تحت جهاز التنفس الصناعي ..

ومن الطبيعي أنني فصلت من عملي كمطاهٍ مساعد في المعسكر .. على أن هذا كان إجراء شكليا ، فالواقع أنني لم أعد أصلح للعمل في مطبخ بالمنطقة القطبية ..

وعندما رآني المشرف على النظام والأمن في المعسكر ، لأول مرة بعد شفائي ، قال لي : « هل أدركت سر غضبه حين فاجأك وأنت تلقي فضلات الطعام من النافذة ؟ .. إن الدب القطبي يُجنّ من الجوع عندما تنفر كلاب البحر مع ازدياد البرد والثلوج .. وحاسة الشم القوية عنده ، تجتذبه إلى مصدر الطعام » !

كان لزاما عليّ أن أخطئ لأتعلم .. ولكن ما أبهظ الثمن !



من البداية .. الى النهاية

ان فضلات الخشب توضع في آلة الطحن — كما في الصورة التي الى اليسار — ثم تسير تلقائيا من آلة الى اخرى حتى تنتهي الى الواح وابواب من الخشب المضغوط، كما في الصورة العلوية .

خطوة ناجحة في حركة التصنيع بالكويت

الكويت تنتج الخشب المضغوط

■ اصبحت معظم دول وامارات شبه الجزيرة العربية في غنى عن استيراد الخشب المضغوط ، والابواب ، والاثاث من الخارج ..

وهذه الحقيقة — في حد ذاتها — خطوة ذات قيمة في عالم الاقتصاد .

ولكن الخطوة الاكثر قيمة ، والادعى الى الاعجاب ، هي ان هذا التطور الاقتصادي تم بطريقة لا يخطر ببال احد ان هناك من يفطن اليها هنا ، والصناعة بعد في بداية عمرها .. وان كانت شائعة في البلاد التي قطعت شوطا كبيرا في التصنيع .. تم باستخدام فضلات الاخشاب التي تلقى في البحر او تحرق وقودا ، بعد ان تضيق «ورش النجارة» بها ، ويخشى ان يكلفها اختزانها نفقات تثقل ميزانياتها ..



والأثاث لأسواق شبه الجزيرة العربية

وكانت الفضلات بالذات هي التي أوحت بالفكرة ..

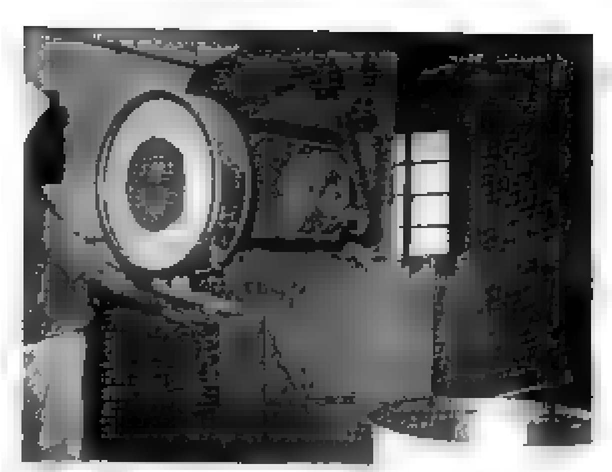
فقد لوحظ — في سنة ١٩٥٨ — أن أعمال التجارة بالكويت تتخلف عنها فضلات تعادل ما بين ٢٥ و ٣٠ في المائة من خامات الخشب المستعملة وكان تخزينها عبثا ، كما أن بيعها — لتحرق كوقود — لم يكن يعود بأكثر من ٧ دنانير عن كل طن في المتوسط ، أي ما يقل عن ٢ في المائة من ثمنها على أساس سعر الاستيراد .

من هنا نشأت فكرة إقامة مصنع للخشب المضغوط في الكويت .

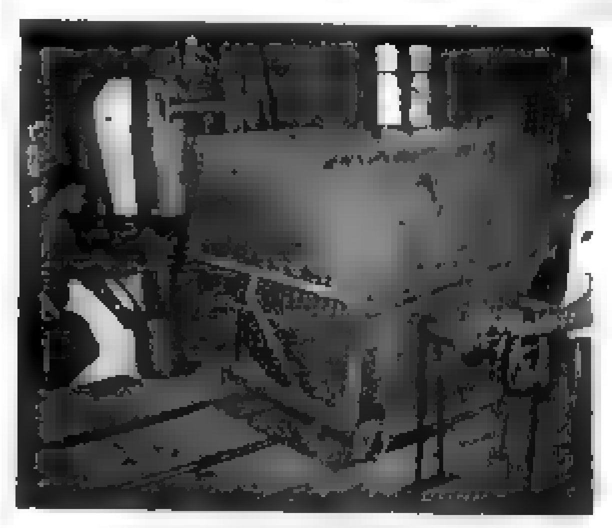
فكرة طيبة مفيدة



وكانت الفكرة رائعة .. فالخشب



وصلت شظايا الخشب المفروم بعد تجفيفها ، ويرى أحد العمال وهو يراقب جهازا لقياس درجة الرطوبة فيها .



الشظايا معدة للهبوط الى حيث تخلط بالمادة الغروية لتتماسك



وهنا تقطع الشظايا المضغوطة بالحرارة الى ألواح وتوضع بتناسق ، الى أن ينتهى من نقلها

المضغوط يستورد من اوربا وبعض الدول العربية بأسعار باهظة . بعد أن ثبت أنه أكثر طواعية لعمليات صناعة الأثاث من الخشب الطبيعي ، فضلا عما يمتاز به من خفة الوزن ، ومتانة التركيب .. ثم انه كصناعة ، كفيل بأن يساهم في زيادة الدخل القومي ، وفي استيعاب كثير من الأيدي العاملة ، وفي تأمين حاجة الدولة من الأخشاب ، لا سيما اذا حدث ما يعرقل الشحنات المستوردة .

اخيرا بدأ العمل

وتم الاتفاق مع بعض الشركات الألمانية ،



... نقلها الى « المكبس » ، ومع ان الآلة تتولى ... من العمال تناسقها .

صفائح الخشب في طريقها الى « المكبس » وقد ضغطت في القسم الأعلى منه اربع صفائح تحت ضغط



تتعرض الشظايا لضغط معدله ٤٠٠ كيلو جرام في المتر المربع ، فتخرج متماسكة تماما .

ووصلت الآلات . وفي اكتوبر من عام ١٩٦٣ بدأ « مصنع الكويت للتجارة » انتاجه . وقد ساهم بنك الائتمان في تحقيق هذا المشروع الصناعي بمد أصحابه بقرض كبير .

وينتج المصنع حاليا ١٥ مترا مكعبا من الخشب المضغوط ، و٤٥٠ بابا في اليوم .. وبالرغم من حداثة عهده ، فان انتاجه استطاع ان يصل الى اسواق عدد من امارات الخليج وشبه الجزيرة العربية ، كما اجتذب المستوردين في المملكة العربية السعودية .. بل انه تجاوز نطاق شبه الجزيرة ، اذ تدور الآن محادثات لعقد

صفقات للتصدير الى سنغافورة ، والى الاردن ، برغم وجود مصانع للخشب المضغوط بهما .

والمصنع يتألف من عدد من الآلات المترابطة،بحيث أن انتاج كل منها يتحول الى الآلة التي تليها تلقائيا ، بطريقة اوتوماتيكية .. وتسير الآلات بطريقة الكترونية ، بحيث تضيء اضواء حمراء عند حدوث اي خلل ، ومن ثم فهي لا تحتاج الى كثير من العمال .. ومع ذلك فإن المصنع يستخدم حوالي ٢٥٠ عاملا من الكويتيين والعرب ..

طبقات من الشظايا

وتبدأ العملية عند آلة طحن فضلات الخشب. اذ يلقمها عامل هذه الفضلات على تباين اشكالها واحجامها وانواعها فتقوم بطحنها الى شظايا بحجم معين ، ثم تفرز الخشب المطحون «اوتوماتيكيا» فتلفظ الشظايا التي تزيد عن الحجم المطلوب في جانب ، وتفرز الغبار في جانب آخر ، وترسل بالباقي ــ عبر انابيب خاصة ــ الى آلة تخلطها بمادة غرويةمن « البلاستيك » .

وعلى هذه المادة يتوقف تماسك



تنسق صحائف القشرة بطريقة دقيقة ، حتى لا يوجد أي فراغ بينها وبين الشظايا المضغوطة في جودة أنواع الخشب المعدة وطول عمرها . ثم تدفع الى « مكبس » يضغط القشرة مع الشظايا بدرجة حرارة ...



أوحت صناعة الخشب المضغوط الى المسئولين في المصنع باجراء تجارب لانتاج البيوت الجاهزة وهذا أحد البيوت الجاهزة في فناء خلفي للمصنع ، تحت التجربة

الخشب المضغوط ، ولذلك فان كل مصنع يجري تجاربه وأبحاثه الخاصة — في سرية تامة — للوصول الى أفضل تركيب كيماوي يحقق للانتاج أقصى درجة ممكنة من الكمال ..

وتهبط الشظايا المخلوطة بالمادة « البلاستيك » الى آلة تنثرها على صحائف بحيث تؤلف طبقات متناسقة ، ذات سمك معين، تسير آليا الى « المكبس » حيث يسلط عليها ضغط معدله ..؟ كيلوجرام في المتر المربع .

وفي كل من هذه المراحل ، تقاس درجة الرطوبة في الخشب ، للتأكد من خلوه تماما منها ..

هكذا تكتمل الألواح

وتنقل طبقات الشظايا المضغوطة — بعد ذلك — الى آلة تتولى تهذيبها وقص أطرافها لتصبح في الحجم المقرر للألواح .. ثم تنقل الى مصنع التجميع .. وهناك تجمع ألواح القشرة الخارجية — وهي عادة غير عريضة — لتعطي ألواحا متماسكة ذات عرض معين ، لوضع صفحة منها على كل لوح من طبقات الشظايا المضغوطة وصفحة تحته ، وتلصق بطريقة فنية دقيقة ، بحيث لا تترك أضأل فراغ بين القشرة والشظايا حتى لا يؤثر هذا في تماسكها على مر السنين .

وتحول الألواح بعد ذلك الى « مكبس » خاص ، يضغط طبقتي القشرة مع اللوح ، فتصبح الثلاثة كتلة واحدة لا سبيل الى تمييز أي جزء منها ..

وهنا تكون عملية انتاج ألواح الخشب

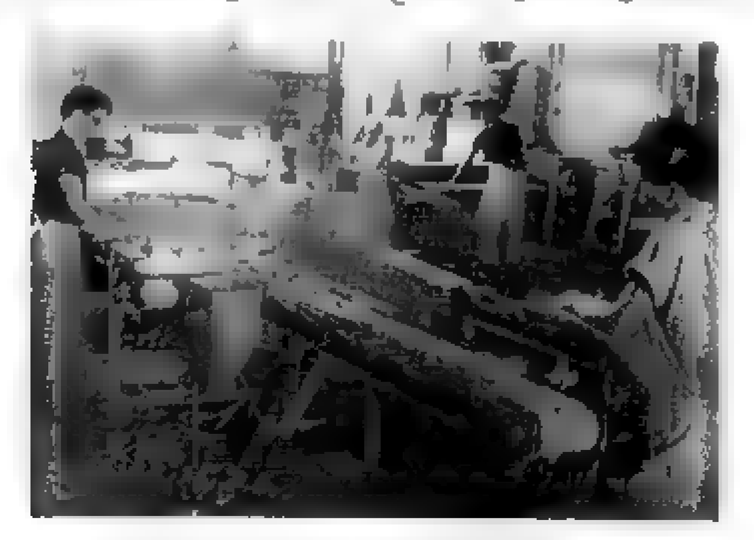
المضغوط قد اكتملت .. وتصبح هذه الالواح صالحة للاستعمال ..

* * *

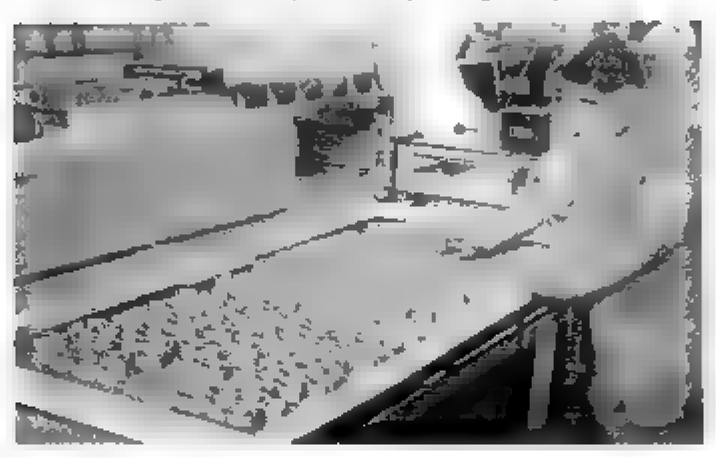
في مصنع الابواب

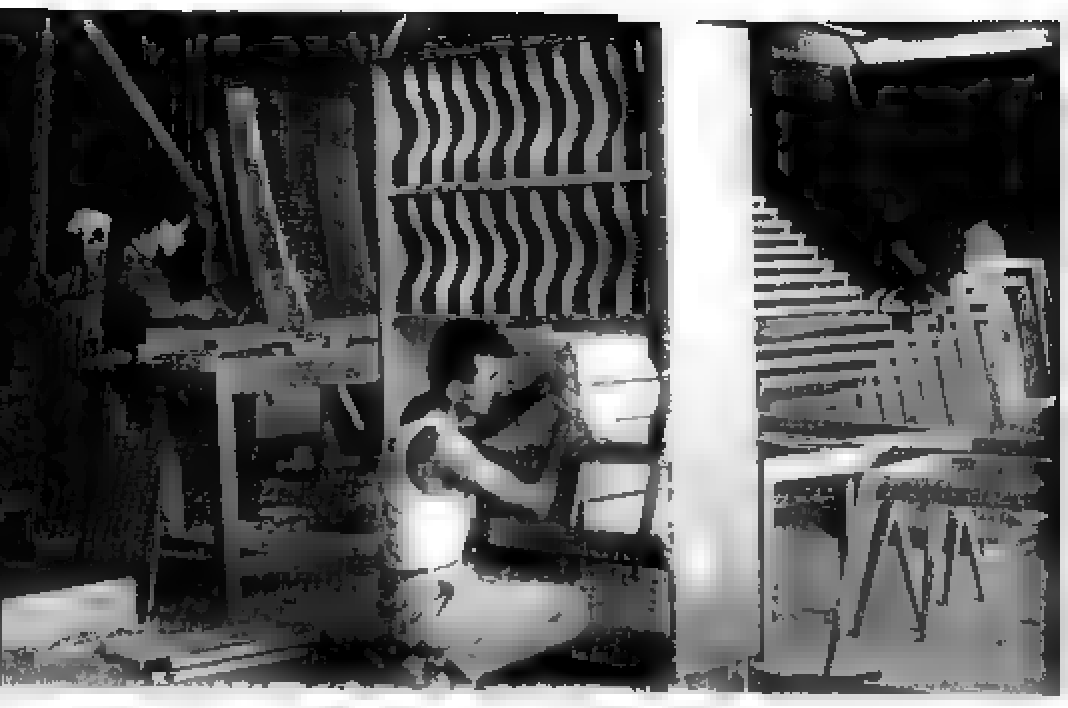
وفي مصنع الابواب ، يشاهد المرء سلسلة من العمليات الاخرى، تبدأ بدفع كتل مصقولة من الخشب الى مسحاج كهربائي ، يحولها الى حلقات رفيعة ، شبيهة بتلك التي تتخلف من مسحاج النجار (الفارة) . ثم تنسق هذه الحلقات ـ بطريقة آلية كذلك ـ في اطارات بأحجام الابواب المطلوبة ، تصنع في جزء آخر من المصنع .. وتلصق فوق كل اطار وتحته طبقة من القشرة ، كما حدث في صنع الالواح المضغوطة ، فيصبح بابا.

وتمتاز الابواب المصنوعة بهذه الطريقة بانها خفيفة برغم متانتها ، وبانها ارخص ثمنا من الابواب المصنوعة من كتل صماء من الخشب . وقد شاع استعمالها واصبحت هي المفضلة في العمارة الحديثة



حلقات « مبشورة » الخشب تنساب من آلة المسحج الكهربائية الى حيث تركب في اطار من الخشب ليصنع بابا





يستخدم الخشب المضغوط في صناعة كافة انواع الاثاث ، وهناك آلة خاصة تتيح التصنيع
فيه لتصنيعه والمادة مجهزة تكون صناعتها ثم التجميع ، كما يبدو في الجزء الايسر من الصورة

.. لا سيما وقد ثبت انها ذات مقاومة لعزل الصوت والحرارة .

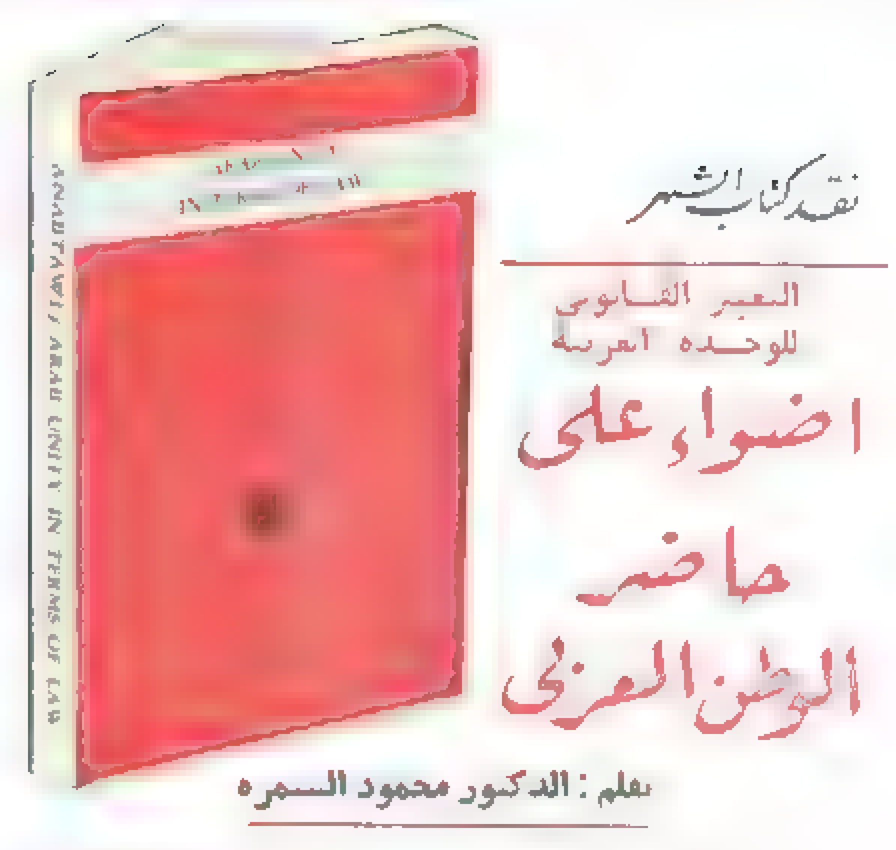
* * *

.. وفي مصنع الاثاث

وكان لزاما وقد توفرت هذه الآلات والامكانات ، ان يتبع التصنيع مصنع ثالث لانتاج الاثاث باستخدام الخشب المضغوط .. وقد وصل في انتاجه – برغم حداثة عهده – درجة ساهمت في تخفيض حدة الاضطرار الى استيراد الاثاث من اوروبا وغيرها ، لا في الكويت فحسب ، بل في كثير من امارات الخليج .

ولم يقف النشاط في «مجمع التصنيع للتجارة» عند هذا الحد، بل ان التجربة تسير نحو انتاج بيوت جاهزة من الخشب المضغوط . وفي مكان في اقصى اطراف المصنع ، اقيم عدد من هذه البيوت ، يسكنها مؤقتا المسئولون عن ادارة المصنع ، لاختبار مدى صلاحيتها .

ويعمل المصنع حاليا ١٢ ساعة من اليوم ، ولكن امكانياته تتيح له العمل ٢٤ ساعة، ومن ثم فمن المنتظر ان يصبح ذا أثر فعال في حركة التصنيع في الكويت، وفي زيادة الدخل القومي . ■■



نقد كتاب الشهر

التعبير القانوني للوحده العربيه

اضواء على حاضر الوطن العربي

بقلم : الدكتور محمود السمره

● يزداد عناية الباحثين ، من عرب وأجانب ، بحاضر الوطن العربي يوما بعد يوم . وقد صدر في السنوات العشر الأخيرة بعض من الكتب عنه ، كثير منها سطحي غث، وقليل منها علمي مدروس . والدارسون العرب الذين اهتموا بالكتابة عن حاضره إما طلاب يعدون رسائل دكتوراه في الخارج اختاروا لها موضوعا عربيا معاصرا تناولوا فيه جوانبه اجتماعية أو سياسية . أو اقتصادية أو تاريخية . أو أدبية ، وإما أساتذة عرب يدرسون في جامعات الغرب . وإنا لنشعر بالاعتزاز [illegible] ب نرى أننا وقد أصبحنا [illegible] على أن نقدم في هذا الميدان دراسات أكاديمية جيدة . بعد أن كانت مثل هذه [illegible]

عربيا، طلاب العالم جدا . وهذا الكتاب الذي نقدمه واحد من هذه الكتب الجيدة المدروسة التي صدرت قبل نحو عام ، وهو رسالة دكتوراه في القانون قدمـ [illegible] المؤلف الدكتور صدر عاني عضاوي في رسالته الجادة هذه أحداث العالم العربي من الناحية القانونية ، وتطور الفكرة القومية .

وهذا الكتاب في ستة فصول : يبحث الفصلان الأول والثاني عن تطور الفكرة القومية . ويتناول الفصل الثالث [illegible] وجمهورياتها . ويعرض الفصل الرابع [illegible] عدد الاتفاقيات التي تمت بين الدول

الباحث العربي أصبح يقدم

العربية داخل نطاق الجامعة العربية وبجد في الفصل الخامس مناقشة للاتحادات الثنائية . أما الفصل السادس فهو ملاحظات عامة .

★ ★ ★

ولا يستطيع القارئ لهذا الكتاب إلا أن يطري الجهد الذي فيه . والموضوعية التي تتجلى في كل فصوله . ونحن نستطيع أن نقسم الكتاب الى قسمين واضحين . بل ومتمايزين أيضا : فالقسم [illegible]

[illegible]

الفكرة القومية منذ النصف الثاني من القرن الماضي حتى العام الذي نشر فيه الكتاب . عام ١٩٦٢ . وميزة هذا القسم انه يسير في دراسة هذا الجانب الفكري من تاريخنا الى مدى أبعد مما سار فيه المؤلفون السابقون .

[illegible] هذا دار لنا على هذا القسم ملاحظات . كنا نود لو أنه خلا منها :

● من ذلك أن المؤلف يحيلنا على مراجع [illegible] ثانوية . كأن يتحدث عن قرارات مؤتمر باريس الشهير الذي عقد في ١٨ يونيه (تموز) ١٩١٣ . ثم يطلب منا أن نرجع [illegible] معرفة النص الكامل للقرارات . [illegible] العربية التي نشرت هذه القرارات في حينها . واذا كان الرجوع الى تلك الصحف يحتاج الى بحث ، فان مجلة [illegible] مكتبة جامعية .

● ومن المراجع التي اعتمد عليها المؤلف ما يعد ثانويا . ولا يصح الاعتماد عليه . من ذلك الاستشهاد بالأستاذ فيليب حتي في كتابه « العرب ـ تاريخ [illegible] لتعريف الجنود ورجال الأعمال الأمريكيين . تاريخ العرب حتى يكونوا على معرفة ما بتاريخ الأمة العربية .

ومن ذلك أيضا الاشارة الى كتاب جورج انطونيوس « اليقظة العربية The Arab Revival » . وأنا لا أشك أن الدكتور نصيري يدرك أن كتاب حتي ليس هذا عنه . ولكن لعله أراد أن ينبه القارئ الى صدوره . فهو كتاب جيد .

● ويجد المؤلف أحيانا ينسب الى أشخاص آراء قالوها . نقلا عن مراجع [illegible] الى كتب الذين يستشهد [illegible] من المراجع التي نقل عنها . وهي في الوقت نفسه متوفرة . أو على الأقل ليس من الصعب [illegible]

[illegible]

العامل الأول في تكوين الأمة » . ولكنه يورده نقلا عن كوب [illegible] . لا عن رسائل في محاضرته الشهيرة التي ألقاها في السوربون ١١ مارس (آذار) ١٨٨٣ .

ويستشهد بالدكتور قسطنطين زريق نقلا عن كتاب الدكتور حازم نسيبة [illegible] باللغة الانجليزية . ثم ترجم الى العربية بينما كتاب زريق « الوعي القومي » يمكن الحصول عليه .

ومن الأصول الأكاديمية في البحث الرجوع الى المصادر الأصلية ما دام هذا الرجوع ممكنا . وليس مستحيلا .

ويورد في صفحة ٥٠ رأيا لجوري نقلا

Its Meaning and History.

دراسات عن حاضرنا ، بعد أن كانت مقصورة على الباحث الفرنسي

من نسيبه ، وذلك قوله ان من السخف ان نحاول وضع فلسفة قومية بالطريقة التي يخطط بها المهندس لمشروع . ونحن نتساءل : ومن هو خوري هذا ؟ ان هناك اكثر من واحد ، ولن نعرف اسمه هو الا بالرجوع الى نسيبه ، ولعله الاستاذ رئيف خوري في كتابه « معالم الوعي القومي » الذي يعلق فيه على كتاب الدكتور زريق .

★ ★ ★

● وهناك هنات عامة لو امكن تلافيها لكان مثل هذا الكتاب القيم اكثر كمالا ، وبعض هذه الهنات لا يد للمؤلف فيها من ذلك كثرة الاخطاء المطبعية كثرة لا نعهدها في المطابع العربية ، ونحسبنا نترفق في المستقبل بمطابعنا العربية .

● ومن الهنات التي تشوه جمال هذه الدراسة القيمة عدم التزام قواعد كتابة الحروف العربية بالحروف اللاتينية ، مما جعل بعض الاسماء الشهيرة تبدو في صورتها بالحروف اللاتينية غريبة ، بعيدة عن النطق الصحيح . حقا ان المؤلف التزم صورة واحدة لكل اسم على حدة ، ولكن هذا لا يكفي . وفي مثل هذا العمل الاكاديمي ننتظر ان نتبع القواعد الصحيحة ، ولو كان هذا كتابا للقارىء العادي لما انتظرنا منه ما ننتظره من الابحاث التي تعتبر مساهمة جديدة في حقل المعرفة الانسانية ، كما هو واقع هذا الكتاب .

● وفي الكتاب مختصرات ان صلحت في اللغة الانجليزية ، فانها لا تصلح في اللغة العربية فلا يجوز في الاسماء العربية ان نكتفي بالحرف الاول من الاسم الاول ثم نتبعه باللقب او الكنية .

● وهناك مختصرات مثل L A S. و O A S و M P S.C. ايضا ، وحبذا لو وضع المؤلف لها ثبتا في اول الكتاب يكون دليلا للقارىء يخرجه من حيرته .

واعود فاقول ان هذه ليست الا هنات ،

ولكن الاصل يبقى ، مع هذا ، بادي الجمال والاتقان .

★ ★ ★

والهيكل العام الذي يقوم عليه الكتاب يمكن تلخيصه في عبارات موجزة . فهناك مقدمة تاريخية تستعرض اليقظة العربية منذ بدايتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ومقدمة فكرية تتناول آراء قادة الفكر القومي العربي الى العقد السادس من هذا القرن . وهاتان المقدمتان هما في الحقيقة مقدمة لموضوع الكتاب الرئيسي الذي يتناول جهاز الجامعة العربية ، والمعاهدات والاتفاقيات التي تمت بين الدول العربية داخل اطار الجامعة العربية ، وخارجها . وكل هذه في رأي المؤلف ، تؤكد وحدة الامة العربية .

ولا احسبني هنا قادرا على الوقوف عند كل فصل من فصول الكتاب ، ولهذا فانني سأعرض لمواقف فيه بدت لي انه لا بد من الوقوف عندها .

★ ★ ★

من ذلك الصلة بين القومية العربية والاسلام : هل هما متعارضان ؟ أم متمازجان ؟

ونحن نقرر اولا أن من القواعد التي اصبح مسلما بها ان الامة قادرة على ان تكون دولة ، ولكن الدولة لا تستطيع ابدا ان تخلق امة . وهذا ينطبق تماما على حاضرنا . والامة العربية تمتد في جذورها الى العصر الجاهلي ، ثم الى العصر الاسلامي من بعده . وقد كان الاسلام ثورة عظيمة في تاريخ العرب ، فمنه استمد العرب قوة ، وهو الذي حفظ لهم لغتهم . ولا نظن اننا بحاجة هنا الى التعرض للمقدمات التي تجعل من العرب امة ، فهذه قد افاض الكتاب فيها ، واصبحت شائعة عند القارىء ومعروفة . ولعل العرب هم الامة الوحيدة التي بدأت بعضها برسالة دينية .

وفي رأينا ان الدكتور زريق على حق

مثلما قرر في كتابه « الوعي القومي » ان العرب لا يستطيعون فهم تراثهم القديم الذي هو جزء من حاضرهم ، الا اذا فهموا الاسلام . ويفرق زريق بين العاطفة الدينية والوعي القومي فيقول : انه حتى في الفترة التاريخية التي كانت فيها رابطة الدين تأتي قبل رابطة العروبة ، كان هناك وعي عربي يدل عليه تاريخ هذه الفترة نفسها ، فالعرب المسلمون كانوا يعاملون العرب المسيحيين من قبيلة تغلب المسيحية ومن غيرها معاملة تختلف عن معاملتهم للمسيحيين من غير العرب ، وقد نتج عن قوة رابطة العروبة ان بعض العرب المسيحيين شاركوا في الغزوات الاسلامية الاولى ، يحاربون جنبا الى جنب مع اخوانهم العرب المسلمين . وقد قوي هذا الوعي العربي بعد ان احتك العرب بغير العرب ، وظهرت الشعوبية .

ومع ان المفكرين القوميين يرون ان الاسلام يمد العرب بخصائص خلاقة ، الا انهم يرون فصل الدين عن الدولة وهنا نجد في الكتاب مناقشة لآراء زريق ، ونبيه فارس ، وشيبه ، والحكم دروزه وحوراني ، ونثار صايغ .. الخ

* * *

وقيام الجامعة العربية يؤكد وحدة الامة العربية ، وان كانت اهداف قيامها كما نص عليها ، دون المطمح الشعبي . ومن هذه الاهداف توثيق الاواصر بين الدول الاعضاء ، وتنسيق سياستها بحيث تستطيع دولها ان تحافظ على استقلالها وسيادتها ، والاهتمام بقضايا الوطن العربي . وواضح من هذا ان هناك تأكيدا على المبدأ الذي عرف واشتهر في دنيا السياسة باسم « Status quo » ، اي ابقاء الاحوال القائمة على ما هي عليه . وقد خلا ميثاق الجامعة العربية من بنود وردت واكد عليها في مواثيق مماثلة . وهذه وقف المؤلف عندها ، واجاد في المقارنة بينها .

وقد نص ميثاق الجامعة العربية ايضا على ان قيام الجامعة انما كان استجابة لرغبة الشعوب العربية ، في شتى ارجاء الوطن العربي . وهذا القول يؤكد تأكيدا عمليا وحدة الامة العربية .

* * *

وهناك في حاضرنا ، مظاهر اخرى تؤكد عمليا وحدة هذه الامة ، اما المظهر الاول فهو حرب الجزائر : فقد وقفت الامة العربية كلها مع الجزائر في حربها ضد فرنسا ، واعتبرت هذه الحرب حربها ، يشارك فيها كل فرد من افرادها ، ويجود لها بالمال . وكم كانت فرحة الامة كلها من المحيط الى الخليج يوم اعلن استقلال الجزائر ، حتى ان الدول العربية اعتبرته عيدا قوميا . واكدت الجزائر هذه الحقيقة بعد الاستقلال ، فاعلنت انها تسعى الى وحدة المغرب ، وهي خطوة في سبيل الوحدة العربية .

واما المظهر الثاني فهو انشاء الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية . فقد عبرت الكويت تعبيرا عمليا عن وحدة هذه الامة ، وذلك بان جعلت للبلاد العربية نصيبا من دخلها ، فأمدتها بالقروض الطويلة المدى .

واما المظهر الثالث لوحدة هذه الامة فهو ان الكثرة الساحقة من دساتير الدول العربية تنص على ان كل بلد من بلدان العالم العربي انما هو جزء من الوطن العربي الكبير . كما انها كلها تقرر ان اللغة العربية هي اللغة الرسمية لها .

... .. الخ

* * *

هذا عرض سريع لموضوع متشعب متداخل ، ساويه الدكتور عنتاوي فوفى البحث حقه من الاستقصاء والتحليل ، والبعد عن الهوى . وما ضل من غلب عقله هواه . ■■

محمود السمره



ادباء معاصرون من الغرب

الدكتور محمود السمرة – دار الثقافة – بيروت

● كتاب يتناول بالتحليل والنقد اعمال الادباء الذين شقوا للادب الغربي المعاصر طرقه ، ومهدوا شعابه . ومن بين الكتاب الذين تتناولهم هذه الدراسة : البرتو مورافيا ، اجناسيو سيلوني ، جان بول سارتر ، البير كامو ، ارنست همنغواي ، سومرست موم ، ايليا اهرنبورغ .... الخ

تاريخ معرة النعمان/ الجزء الاول

محمد سليم الجندي ، حققه وعلق عليه ووضع فهارسه عمر رضا كحالة

وزارة الثقافة والارشاد القومي – دمشق

● من فصول الكتاب : معنى المعرة اللغوي والعرفي ، ذكر المعرة في شعر ابنائها وفي نثرهم ، المعرة قبل الاسلام ، المعرة بعد الاسلام ، وصف المعرة .. الخ .

العمل مع المتطوعين

تحرير جمعية تعليم الكبار الامريكية، ترجمة زهيان حنا مخبط مؤسسة فرنكلين ودار القلم – القاهرة

● كتاب يتناول في سبعة فصول كل ما يتعلق بالمتطوعين . والمتطوعون هم الذين يكرسون وقتهم وجهودهم لخدمة المجتمع دون ان يتقاضوا عن ذلك اجرا .

التوليا في دمشق

ألفة الادلبي – مطابع ابن زيدون بدمشق

● خمسة احاديث هي : التوليا في دمشق ، قصصنا القومي ، رسالتان ، المرأة العربية والطبيعة ، من وحي اسبانيا ، المرأة في السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية .

النخلة سيدة الشجر

عبد القادر باش أعيان العباسي

مطبعة دار البصري – بغداد

● من الموضوعات التي تناولها المؤلف في كتابه هذا : النخلة في القرآن الكريم ، قدسية النخلة ، ادب النخل ، النخلة اكرم الاشجار وانفسها ، ومنشأ النخلة وزراعتها من التوراة .. الخ .

ايليا ابو ماضي

جعفر الطيار الكتاني – مكتبة الخانجي بالقاهرة

● كتاب في اربعة اقسام : حياة ابي ماضي من شعره ، ثقافته من شعره ، شخصيته من شعره ، فنيته من شعره .

الشرود

ابو سلمى – دمشق

● ديوان شعر من قصائده : الشرود ، التراب الخصيب ، نداء ، النازحون ، لسور الديار ، ارض الجهاد ...

الزهاوي بين الثورة والسكوت

عبد الرزاق الهلالي – دار النهضة – بيروت

● دراسة فيها : حياة الزهاوي ، بين عهدين ، الزهاوي والعراق الجديد ، الزهاوي بعد مجلس الاعيان ، نماذج من شعره .

تنمية وعي القراءة

ماريون مونرو – ترجمة سامي ناشد – مؤسسة فرنكلين ودار المعرفة – القاهرة

● كتاب يعين على امرين هامين : احدهما علاج مشكلات القراءة عند من لديهم مشكلات فيها ، وذلك بعد تشخيصها ودرسها . وثانيهما السير بالمتعلم في الطريق السليم الذي يضمن له حسن التعلم وسرعته دون التردي في مشكلات تحتاج الى علاج قد يكون عسيرا .

حضارات سادت ثم بادت : اقدم صناعة لربات البيوت

(بقية المنشور على الصفحة الثانية)

ولا تزال الانوال الصغيرة تشغل مكانا بين اثاث كثير من البيوت – في بلاد اليونان – الى اليوم ، تعمل عليها اليونانيات كما كانت جداتهن يعملن منذ ما يتراوح بين ٢٠ و ٣٠ قرنا ، ولم تختلف الانوال الحديثة عن القديمة في الشكل .

ولقد بذلت دراسات كثيرة لاستكشاف الطريقة التي كانت تتبعها الاغريقيات في النسج . ودلت هذه الدراسات على ان النول كان عبارة عن اطار خشبي عال ، مستقيم . وكان النسيج يلف حول العارضة العليا كلما تقدم العمل في النسيج . اما خيوط السداة ، فكانت تنتهي باثقال من الطين تظل مشدودة في وضع رأسي . وقد عثر المنقبون من الاثار – في بلاد اليونان – على مئات من هذه الاثقال ، فاذا بها ذات شكل مخروطي او هرمي ، وفي قمة كل منها ثقب يولج فيه الخيط ويربط .

ولم يكن النول الذي يدار بعجلة معروفا . انما كانت اليونانيات يستخدمن النول ذا « المكوك » الذي يولج باليد بين خيوط السداة ، والنول الذي يدار بالقدم . وهما النوعان المستعملان في البيوت اليونانية الى اليوم، لاسيما النوع الاول، الذي يضطر المرأة الى ان تتحرك جيئة وذهابا امام النول ، كما تبين الصورة .

وكانت نساء اليونان يرتدين ثيابا من نسيج ابيض، كثيرا ما تكون ذات ذوائب عند الكتفين ، تضم بمشابك ذهبية لتكون بمثابة اكمام قصيرة . وكانت هذه المشابك على شكل الجراد .

وكان الصوف والكتان اكثر المواد المستعملة في صناعة الاقمشة ، اما القطن والحرير فكانا يردان من خارج البلاد ، ولذلك لم تكن لعامة استعمالهما سوى للاثرياء ..

السويد: البلد الذى تمتلكه عقدة الجودة

[illegible] (ففى عام ١٨٧٠ كانت ٧٠٪ [illegible])

[illegible]

٦ [illegible] (٧ ملايين نسمة).

السويد تركز اهتمامها على الجودة

[illegible]

[illegible]

[illegible]

٧ [illegible]

مطلوب مزيد من الطاقة

٨ [illegible] ١٩٥٠ و ١٩٦١ [illegible]

٩ [illegible]

١٠ [illegible]

أعلى دخل للفرد فى أوروبا

١١ [illegible]

١٢ [illegible]

شل والزيت العالمى

شل

[illegible]

[illegible]

حقائق وأرقام

[illegible]

اعتمد دائما على شل

[illegible]

[illegible]



طالبة من طالبات العرب تدرس مبادئ فن التعليم
ومن المعروف أن التعليم الصحيح ميزان الأمة
لرقيها أو تأخرها ، في الأزمات أو
... بالأرض جدا في العالم كله



● على اثر الضجة التي حدثت في الكويت حول قرار مجلس الأمة بمنع تداول الخمر وفرض عقوبة على من يتعاطاها من غير رجال السلك الأجنبي ، بحجة انها محرمة شرعا ، حاولت ان اجد في كتاب الله الكريم نصا يحرم الخمر صراحة بمثل ما حرم الشرك والقتل والزنى والربا ولحم الخنزير الى غير ذلك من المحرمات فلم اجد شيئا

يقول الله تعالى في اكثر من سورة من سور القرآن الكريم « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به » الى آخر الآية ، كما يقول « واحل الله البيع وحرم الربا » و « حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم » الى آخر آية « النساء » ، ويقول « ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق » و « قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم » و « قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن » وليس بين هذه ولا تلك آية اشارت الى تحريم الخمر ، كما انه وان كان الله تعالى قد نهى عن شربها الا انه لم يفرض عقابا لشاربها اسوة بغيرها من الكبائر كما فرض القتل للقاتل ، وقطع اليد للسارق ، والجلد مائة للزاني ، وثمانين لقاذف المحصنات ، الى آخر العقوبات التي نص عليها القرآن ، بل كان اقسى ما قاله في الخمر « يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » ؟

وتقول كتب الفقه ان اول من سن عقوبة لشارب الخمر هو عمر بن الخطاب في أواخر عهد ولايته ... فعلى اي شيء استند عمر في سن هذه العقوبة ، مع انها ليست اصلا من اصول الشريعة ، لا بالقرآن ولا بالسنة ؟ وكيف جاز له ان يحرم الخمر ويفرض لشاربها عقابا ، كما حرم زواج المتعة من قبله ، مع انه لم يكن صاحب وحي ولا صاحب شريعة ؟

ارجو ان تكون اجابتكم عن هذه الأسئلة متسمة بالصراحة والوضوح والاقناع .

الكويت — وائل عبد المحسن .

— ان ما تقوله كتب الفقه من ان أول من سن عقوبة الخمر في الاسلام هو عمر ليس صحيحا على اطلاقه .. صحيح ان المسلمين لم يعرفوا الجلد في الخمر في عهد رسول الله ، بل كان يؤتى بالشارب « فنقوم اليه بأيدينا ونعالنا وأرديتنا » كما يروي البخاري عن حديث السائب بن يزيد ، فلما ولي الأمر ابو بكر لم يحاول ان يزيد على ما كان يجري في عهد الرسول ، وكذلك فعل عمر في صدر ولايته ، حتى ليروى انه خرج يعس ذات ليلة — وقد كان اول من عس بالمدينة ليلا — فرأى رجلا جالسا على شراب له ، فانصرف عنه وهو عرفه ، فلما اصبح دعاه فقال له : أليس قد نهاك الله عن الخمر ؟ قال الرجل : بلى . قال



يشرف على هذا الباب

عبد الوارث كبير

له اذنان ..!

عمر : [illegible] ! قال الرجل : [illegible] قال : انا [illegible] . قال الرجل : [illegible] امسكت عمر عنه ، واستغفر الله ...

لكنه ما لبث ان راى المسلمين وقد سرهم ما فتح الله عليهم ووسع من ارزاقهم ، فاقبل بعضهم على الخمر ، فخشى ان يعودوا الى ما كانوا عليه قبل الاسلام من ادمان ، فاشتد في

عقاب شاربيها بما لم يكن معروفا قبله ، فجلد اول الامر اربعين جلدة ، فلما عتوا وفسقوا شاور الصحابة فيما يجب ان يفرض على شارب الخمر من عقاب .. قال بعض الرواة فأشار علي بن ابي طالب [illegible] بواحد شارب الخمر [illegible] ، [illegible] حده

وان يكن البخارى ومسلم قد اخرجا عن « علي » انه قال : « ما كنت اقيم على احد حدا فيموت فيه فاجد منه في نفسي الا صاحب الخمر ، فانه ان مات وديته - اي دفعت ديته - لان رسول الله لم يسنه » !

وليس معنى ذلك ان الرسول لم يسن جلد شارب الخمر ، فعلى ابى الناس برأى الرسول ، وهو صريح في حديث ابى هريرة اذ يقول : « فاذا سكر فاجلدوه » .. لكن عليا قصد ان الرسول لم يسن الثمانين التى اقترحها هو ، وانفذها عمر ...

اما القول بان الله لم يحرم الخمر في القرآن تحريما صريحا ، فقول لا يخدع الا السذج والجهال ! فاى فرق بين تحريم شيء وبين الامر باجتنابه والنهى عن ارتكابه ؟!

البقية على صفحة ١٤٧

نبيذ "عمر" وأبي حنيفة"

غير نبيذ "بوردو" وكيانتي" و "جري ماكنزى" !

١ ● يقول الدكتور طه حسين في كتابه « الشيخان » عند حديثه عن مقتل امير المؤمنين عمر [illegible] قال الطبيب لعمر « ما احب الشراب اليك » ؟ قال : « النبيذ » ، فسقاه نبيذا ، فخرج من بعض جرحه [illegible]

ولست ادرى كيف سكت الكاتب الكبير والمفكر الشهير الدكتور طه حسين عن هذه الرواية دون ان يدحضها او يكذبها ، او حتى من ان يعلق عليها كما علق على مسألة الشورى في نفس الكتاب ؟ ! اتراه سكت عنه لانها صحيحة ! وكيف يستسيغ الاذهان ان يشرب عمر الخمر وهو يستشهد

البقية على الصفحة التالية

للماء ونحوه ، وقصته مع ابنه معروفة مشهورة ؟؟

بنغازي (ليبيا) — **حسين سالم الوسيع**

● سلام تام ، بوجود مولانا الامام ؟

وبعد فقد قرأت في بعض كتب الفقه الاسلامي ان الامام « ابا حنيفة » يجيز الوضوء بنبيذ التمر في حالة عدم وجود الماء ، وانه يرى ان النبيذ من غير النخل والكرم لا يحرم ، اسكر ام لم يسكر ! وان النبيذ من التمر والزبيب يحرم منه ما اسكر ، لا القليل ، خلافا للقاعدة الشرعية المعروفة « ما اسكر كثيره ، فقليله حرام » .

فهل « البيرة » وهي مصنوعة من الشعير ، وهل المشروبات المصنوعة من غير النخل والكرم ، حلال ام حرام ؟؟

الصويرة : المغرب — الربيط حامد بن العربي

— هذان السؤالان جوابهما واحد ، هو ان نبيذ « عمر » و « ابي حنيفة » غير نبيذ « بوردو » و « كيانتي » وغيرهما من مختلف انواع النبيذ ...

جاء في كتاب « بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع » للامام علاء الدين الكاساني الملقب بملك العلماء : وما يتخذ من الزبيب نبيذان ... ونبيذ الزبيب ... ان ينقع الزبيب في الماء يوما حتى تخرج حلاوته الى الماء ، ثم يطبخ ادنى طبخة ، فما دام حلوا يحل شربه ، واذا غلا واشتد وقذف بالزبد يحرم ... واما النبيذ التمر الذي من ماء التمر ان طبخ ادنى طبخة يحل شربه ما دام حلوا ، فاذا غلا واشتد وقذف بالزبد يحل شربه ما دون السكر عند ابي حنيفة وابي يوسف ، وعند محمد [illegible] لا يحل شربه .

كما يحل عند ابي حنيفة وصاحبه ابي يوسف شرب نبيذ التمر ما دام حلوا ، فاذا ما غلا واشتد وقذف بالزبد يحل شربه للتداوي والتقوي ، الا القدح المسكر ؟

ومن هنا يتضح ان النبيذ الذي شربه عمر وهو يحتضر ، والذي اباح ابو حنيفة الوضوء به عند عدم وجود الماء ، كما اباح شربه ما دون الاسكار ، ليس هو النبيذ المتداول الآن في المشارب والبارات .

وعند ابي حنيفة ان حرمة الخمر معللة بالاسكار ، فالاسكار هو المحرم بابلغ الوجوه ، لانه الموقع للعداوة والبغضاء والصاد عن ذكر الله وعن الصلاة ، والسبب لاتيان المفاسد من القتل وغيره كما هو معروف .

ولم يثبت الحد لمجرد الشرب من غير الخمر ، ولكن ثبت بالسكر منه ، بادلة كثيرة ، منها حديث ابي هريرة : « ... فاذا سكر فاجلدوه » ..

روى « الدارقطني » في سننه ان اعرابيا شرب من اداوة عمر — اي قربته — نبيذا فسكر به ، فضربه عمر الحد ، فقال الاعرابي : انما شربته من اداوتك ، **فقال عمر :** انما جلدناك على السكر لا على الشرب !

ومثل ذلك ما رواه الدارقطني عن علي بن ابي طالب .



حديقة الكويت .. كانت مقبرة ..

تحــويل المقــابر الـى

● كثير من مدن العالم تطالعنا العمران فيها ... استصحبت بعض المقابر القديمة الواقعة في وسط المدينة ، ولقد عرفت مدينة [illegible] ... وتم نقل المقابر ... عامة ... الذين يرغبون في نقل المقابر ... الشهداء والاولياء ... الاموات .

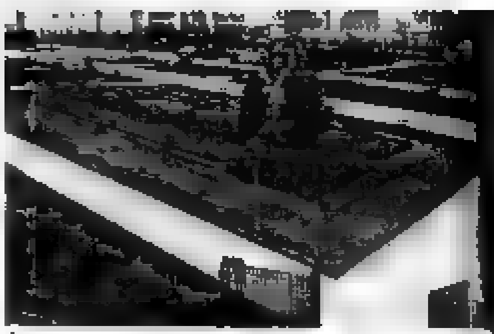
وقد استصحبت التوسعة العمرانية ... في الكويت بعض المقابر ...

فهل يصح ان تحل المقابر ... او غرس الحدائق والمنتزهات مكانها حرام شرعا كما يزعمون ؟

[illegible] — عبد الكريم كيوان

— ليس في هدم المقابر القديمة او نقلها او زراعتها بالحدائق ما يتنافى مع الشرع الشريف .





وكذلك حدائق تونس كانت مقابر ..

حدائق .. ليس حراما

فقد اجاز عمر بن الخطاب حرث المقبرة بعد علم ، كما اجازه معاوية من بعده اذا ما اقتضته المصلحة العامة .

وقال ابن عبد الغفور . تحرث المقبرة بعد عشر سنين .. !

ونقل ابن عابدين في حاشيته : « ولو بلى الميت وصار ترابا جاز دفن غيره في قبره ، أو زرعه أو البناء عليه »

وبهذا افتى مفتي عمان عندما استفتي في مشكلة مماثلة اذ قال : ان المقبرة متى بليت اجساد الموتى فيها ودرست ، لا مانع من الانتفاع بالبناء او الزرع او البيع والشراء فيها والعقاد عليها ؟

وهناك دليل قاطع على شرعية ذلك هو ان المنطقة المجاورة للجامع الازهر الشريف في القاهرة كانت الى عهد قريب مقابر مهجورة فاصبحت اليوم عمارات وحدائق ومتنزهات وكذلك حدث في الكويت ، وفي تونس ، وفي العراق وغيرها من الدول العربية ...

وعند ابي حنيفة : ان المتخذ من الحبوب كلها او من العسل يحل شربه »

قال بعض المصريين : سمي اذا شرب منه من غير لهو ولا طرب .

والسكران الذي يحد عند ابي حنيفة : هو الذي لا يعقل منطقا ، لا قليلا ولا كثيرا ، ولا يعقل الرجل من المرأة .. وعند صاحبيه : هو الذي يهذي ويختلط في كلامه »

وفي « بدائع الصنائع » « ان الاشربة التي تتخذ من الاطعمة والسمي والدخن والذرة والعسل والتين والسكر ونحوها لا يجب الحد بشربهـــا ، لان شربها حلال ـ عند ابي حنيفة وصاحبيه ـ لا يتعلق به عقوبة ، لا بشربها ، ولا بالسكر منها ، لان الشرب اذا لم يكن حراما اصلا ، فلا عبرة بنفس السكر ، كشرب البنج ونحوه » .

هل تحل الخمر بخلطها بالماء ؟

وعندهم ـ اي الاحناف ـ ان من شرائط وجوب الحد : « بقاء اسم الخمر للمشروب وقت الشرب .. فلو خلط الخمر بالماء ثم شرب ، ينظر فيه ، فان كانت الغلبة للماء فلا حد عليه ، لان اسم الخمر يزول عند غلبة الماء . فان كانت الغلبة للخمر او كانا سواء ، يحد ، لان اسم الخمر باق ، وهي عادة بعض الشربة اذ يشربونها ممزوجة بالماء » .

(كذا في بدائع الصنائع ج ٧ ص ٤٠) !!

الوضوء بالنبيذ جائز لطهره

وابو حنيفة اذ يجيز الوضوء بالنبيذ عند انعدام الماء ، فانه لا يفعل ذلك برايه وانما يفعله تاركا القياس بالنص ، فالنص اقوى من القياس ،

روي عن عبد الله بن مسعود : « كنا اصحاب رسول الله (صلعم) جلوسا في بيت ، فدخل علينا رسول الله فقال « ليقم منكم من ليس في قلبه مثقال ذرة من كبر » ، فلم يقم منا احد ، فاشار الي بالقيام فقمت ، ومعي الاداوة من نبيذ ، فخرجت معه ، فخط لي خطا وقال « لا ان خرجت من هذا لم ترني الى يوم القيامة . فلبثت قائما حتى انفجر الصباح ، فاذا انا برسول الله وقد عرق جبينه كأنه حارب جنا ، فقال : يا ابن مسعود ، هل معك ماء اتوضأ به ؟ فقلت : لا ، الا نبيذ تمر في اداوة . فقال « تمرة طيبة وماء طهور . فاخذ ذلك وتوضأ به وصلى الفجر » اهـ

وروى علي بن ابي طالب عن النبي (صلعم) انه قال : « نبيذ التمر وضوء من لم يجد ماء . »

وروى ابن عباس عن النبي انه قال : « توضأوا بنبيذ التمر ولا تتوضأوا باللبن » .

وهذه كلها احاديث وردت مورد الشهرة والاستفاضة ، وعمل بها الصحابة وتلقوها بالقبول .

اما نبيذ الزبيب وسائر الانبذة فلا يجوز التوضؤ بها عند عامة العلماء ..

وقال الاوزاعي : بل يجوز « نيئة كانت او مطبوخة حلوة او مرة » قياسا على نبيذ التمر ..

والله اعلم ...

كذب المنجمون ولو صدقوا

● انا لا اعتقد بالتنجيم لان علم الغيب عند الله .. ولكن ما حملني على الكتابة اليكم هو انه في طفولتي قال لي احد المنجمين انني سأتزوج اثنتين . فلم آبه لقوله لاني لم اكن ادري معناه .

ومرت الايام . وبعد سنتين تعلقت بفتاة ربطني بها صلة القرابة ، فراقت ميلها كما راقت اهلها .. وبعد مدة جاءني من ينصحني بان انسى الموضوع لان الفتاة عدلت عن الزواج مني .. وعندما سألت عن السبب قيل لي انها سألت احد المنجمين فقال لها انني سأتزوج من اثنتين ، وهي لا تريد ان تتزوج شابا لن يبقى على حبها للابد .. ثم اسف لما حدث لاني لا اريد فتاة لا تثق بحبي لها .

ولكن الذي يؤرقني الآن .. هو اني احببت بعد ذلك فتاة تبادلني نفس الشعور .. ولكن حبي لها يجعلني اضحي من اجلها ولا اتزوجها .. لاني لا ارضى لها ان تكون لها « ضرة » او ان تكون هي زوجة مطلقة .. مع اني اكره تعدد الزوجات واعلم ان مشكلة المشاكل هي الطلاق .

افكر في ترك الزواج وغلق قلبي الى الابد حتى افند رأي المنجمين ، ولا اطلب المرأة التي احب . ثم اعود فاعتقد في نفسي لواني مخطئ وأنا لا ازال في سن الرابعة والعشرين .

هلا اخبرتني برأيك .. ولو صححتني عما انا فيه !

عربي حائر

— يا اخي العربي : لماذا تعذب نفسك ، وانت لا ريب تذكر القول المأثور : كذب المنجمون ولو صدقوا !!

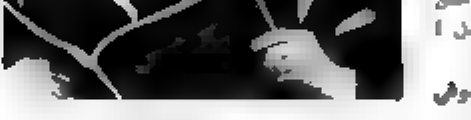
المستقبل غيب .. وانت لا تستطيع ان تضمن عواطفك او عواطف من تحب ، الى الابد ..

ثم هل نسيت الموت ؟!

ان كنت لا تحب لفتاتك اليوم ان تصبح لها « ضرة » في المستقبل ، فهل عرفت كم ستعيش انت ، وكم ستعيش هي ؟!

انزع من رأسك هذه الافكار ، فلو ربطنا حياتنا بنبوءات المنجمين لما فعلنا شيئا ، ولاضعنا اعمارنا هباء !

الملك السابق : ادوار الثامن



● قرأت في بعض الكتب المدرسية الحديثة ان الملك ادوارد الثامن احد ملوك بريطانيا العظمى تنازل عن العرش لمعارضة حكومته في زواجه من امريكية مطلقة ، الخ .

فمتى تولى ادوار الثامن الملك ، ومتى تنازل عن العرش ، وما هو اسمه الحقيقي بالكامل ؟ وشكرا ..

الكويت — خليفة شوقي

— ولي الملك ادوارد الثامن عرش بريطانيا في العشرين من شهر يناير عام ١٩٣٦ ، خلفا لوالده الملك جورج الخامس .

اما اسمه الحقيقي الكامل فهو « ادوارد البرت كرستيان جورج اندرو باتريك دافيد » وهو الابن الاكبر للملك جورج الخامس والملكة ماري ، جدة الملكة الحالية .

وقد تنازل ادوارد الثامن عن العرش في الحادي عشر من ديسمبر عام ١٩٣٦ ، اي بعد اقل من عام من اعتلائه ، وذلك بسبب اصراره على الزواج من الامريكية المطلقة « مسز سمبسون » ومنذ ذلك التاريخ اصبح يعرف باسم « دوق وندسور » .

وفي الحرب الثانية عين دوق وندسور حاكما لجزر البهاما ، في الفترة ما بين عامي ١٩٤٠ ، ١٩٤٥ .

« الغباء » غير « الغباوة »

● اسمحوا لي وأنا من المعجبين على تصحيح مجلتكم الغراء أن أسألكم — لماذا تذكرون دائما في مقالاتكم كلمة غباء (بالهمزة) بمعنى غباوة وقد راجعت جميع معجمات اللغة وما وجدت بها سوى غبي — غبي يغبى غبا (بدون همزة) وغباوة ومصادرها المعتلة

أما الغباء (بالهمزة) فهو الغبار أو الخفاء من الأرض وفي اللغة العامية في مصر يقولون (الدنيا مغبية) أي مظلمة من غبار أو عفار وأكثر الكتبة في مصر يذكرون كلمة غباء (بالهمزة) بمعنى الغباوة فأرجوكم أن تتكرموا بإيضاح ذلك ، وهل استعمال كلمة الغباء (بالهمزة) بمعنى الغباوة خطأ أم صواب ؟؟

ميشيل : جدة

— خطأ طبعا .. لكنه خطأ شائع ، والخطأ الشائع جائز في رأي بعض ذوي الرأي !

يريد اعتناق الاسلام

● إني من المواظبين على قراءة مجلتكم العظيمة، وأحب أن أبعث إليكم بمشكلة تحيرني من شهور ، ولا أعرف كيف أتصرف إزاءها

أنا شاب مسيحي في الخامسة عشرة من عمري ، من رعايا الجمهورية العربية السورية ، أريد اعتناق الدين الإسلامي بعد أن قرأت القرآن الكريم ولمست مبادئه التي ينطوي عليها ويدعو إليها واقتنعت بأن الدين عند الله الإسلام . لكني أجهل الإجراءات التي تتخذ لاعتناق الإسلام ، ولا أجرؤ على أن أسأل المسلمين عن هذه الإجراءات ولذا جئت أسألكم هل هناك ما يمنع من اعتناقي الإسلام ؟ وما هي الأعمال التي يجب أن أقوم بها لأكون مسلما حقا ؟

حلب   ج . أ

— ليس هناك ما يمنع من اعتناقك الإسلام ما دمت مقتنعا به مؤمنا بالله ورسوله والقرآن وما فيه .

أما الإجراءات فبسيطة : اقصد إلى « القاضي الشرعي » أو شيخ المعهد الديني واعرض عليه رغبتك في اعتناق الإسلام ، وسيتولى هو عنك بقية الإجراءات الشكلية .

أما كيف تصبح مسلما حقا فبأن تعمل بما أمر الله به عباده المؤمنين في كتابه الحكيم ، وما وصى به الرسول الكريم ، سواء في معاملتك لربك أو معاملتك للناس ... وهذا هو الإسلام الصحيح .

والله يوفقك ..

حكم الله في الخمر (بقية)

خذ مثلا الزنى .. فكلنا يعرف أنه من الكبائر ، عند الله وعند الناس ، حتى ليقول الله تعالى في الزانية والزاني بعد أن فرض العقوبة التي توقع عليهما في الدنيا « ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله » ، ومع ذلك لم يقل « حرم عليكم الزنى » ، بل اكتفى بقوله « ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا » فهل يجرؤ أحد على القول بأن الزنى ليس حراما ، كما يقول بعضهم عن الخمر ، لأن الله لم يذكرهما مسبوقين بالحاء والراء والميم ؟!

أم على قلوب أقفالها ؟؟ !!

قسيمة المسابقة
(كوبون)
ترفق مع الرد

الاسم ....

....

العنوان ....

....

....

اضحك

تضحك الدنيا معك

فارق بسيط

● التقت اثنتان من كواكب السينما في « هوليوود » اثناء احدى الحفلات ، فقالت احداهما للاخرى : « يا للعجب ! ... ان زوجك يبدو الليلة في المنتهى اناقة .. لعلها بدلة جديدة ؟ » .

فأجابت الاخرى : « كلا يا عزيزتي ، ولكنه ... زوج جديد ! » .

□ □ □

ذكاء ..

● سألت السيدة مضيفتها في جزع ، اثناء حفلة تعارف : « أين تلك الحسناء التي كانت توزع الشراب منذ لحظة ؟ » .

فأجابتها المضيفة : « لماذا ؟ .. هل تريدين كأسا ؟ »

وكان جواب الضيفة : « كلا ... ولكني ابحث عن زوجي » !

□ □ □

تأنيب بلباقة

● قال الضيف الذي اطال المكث الى ساعة مبكرة من الصباح التالي : « آسف لانني اخرتكما من ان تأويا الى فراشكما » .

نظر اليه الزوج في صمت ، بينما قالت الزوجة : « اننا لن نأوي الى الفراش . فقد بقيت ساعة على موعد خروجنا للعمل ! » .



لا شأن للكرم بهذا

● قال الزوج لضيفه بعد العشاء، وقد انسحبت زوجته إلى أحد الأركان لتشاهد التليفزيون: «لكم أتمنى أن يكون لدينا ضيوف كل ليلة!».

فقال الضيف: «هذا كرم محمود نشكر عليه».

قال صاحب الدار: «استغفر الله. ولكن الواقع أن زوجتي تتحرج في وجود الضيوف أن تكلفني تنظيف المائدة، فتتولى تنظيفها بنفسها!»

منطق ..

● قال الأب الثري لخطيب ابنته: «أرجو أن تعني أنك قد خطبت فتاة كبيرة القلب، موفورة العاطفة».

قال الخطيب: «هذا صحيح.. ولعلها ترث من أبيها كل ميراثه!».

تجارة ..؟!

● قال الصديق لصديقه الذي لم يره منذ سنوات: «وماذا تعمل الآن؟»

— إنني أبيع الأثاث.

— مهنة مربحة.. وأين محلك؟

— ليس لي محل. فأنا أبيع أثاث بيتي.

أصوات الحنين



قصة بقلم : محمود سيف الدين الايرانى

أيها السادة : أنا الماثل أمامكم الآن محمد مصطفى أبو عروش ، قررت أن أقص عليكم بقصتي كاملة ، لا أخفي منها شيئا إلا ما لم تعد تحتفظ به الذاكرة . سأقول لكم ، الآن ، كل شيء ، وأنا في كامل قواي العقلية والبدنية . إنني لا أزال والحمد لله بخير وعافية ، ولا أزال أستطيع أن أثني الحديد . في يدي هاتين تكمن قوة عشر رجال .. كنت ، والموج يطغى طغيانه وتعلو المياه أشداقها ، أضرب الموج المتلاطم بمجدافي حتى أصل بمركبي سالما إلى السفينة الرابضة في عرض البحر ، ولا أكاد أحس بتعب أبدا .. هكذا كنت ... ولا تزال في صدري بقية من تلك القوة .. صحيح الإنسان ينسى أحيانا .. هموم الدنيا تنسى ... وهموم الدنيا تخمد في الإنسان حيويته ... ولكنه في لحظة واحدة ، على حين غرة ، يعود فيتذكر أشياء كثيرة ، ويعجب كيف أن بعضها كان غائبا عن باله تماما ... أي سيدي لا تحاول أن تقاطعني ... أرجو أن تتركوا لي ، أن تتركوا لي كلكم ، الوقت الكافي لكي أقول كل شيء ... تطلب مني أن أوجز ... ولماذا



الإبحار ، يا سيدي ، من طفولته ! انا وعد ان تخلي من صدري كل ما كتمته حتى الآن وسيريحني هذا . لقد تعبت كل هذا الزمن الطويل . تعبت جدا وآن لي ان ارتاح ... الموج راحة كبيرة ايها السادة .

اسمي كما قلنا : محمد مصطفى ابو درويش. مصطفى هو والدي ، ودرويش جدي وجد العائلة ... كلنا بحارة . ما اشتغل منا احد في غير البحر . البعض كان ينقل صناديق البرتقال في المراكب الكبيرة الى السفن الراسية في عرض البحر ... لا يهمه شتاء ... ولا تهمه انواء ... وبعضهم كان ، في الصيف ، يلهو بصيد السمك.

انا نفسي كنت انقل صناديق البرتقال في الشتاء ... واصيد السمك في الصيف ... البرتقال : حمولة وراء حمولة ... عشرات ... مثلك ... الوف الصناديق ... وصراع مع البحر... في وجه الانواء ... وصراع اشد مع الريح ... الريح غادرة ، ايها السادة ، وعملك لحظة انها ركدت وهدأت ... تسمع تفافها فتهب ... وتهب ... كل يوما صبا من جنون ، تلوبك من هنا ، وتلوبك من هناك ... تريد ان تقتلك ... ان تقتلك .. ولكنك تشب قدميك ... تركزهما بعزم في قاع المركب ... وتشد ذراعيك على المجاذيف الغاطسين في الماء ... وتدفع بصدرك الى امام وتصيح صيحة واحدة : « يا محمد ! » فتحس ان المركب لها خليقا منسابا ، دون مشقة ، وان الريح همدت ، والموج تراجع ليدعك تمر بسلام ...

وفي الصيف يرتاح البحر ، يرتاح من صراع مرير ، طويل ... فتنبسط صفحته ملساء كالحرير الابيض ، حتى الافق البعيد ... لا يكاد يتململ ... وكان يتاح لنا الا ذاك ان نصيد السمك الكثير بشباكنا ... اخي سلامة ، وابن عمي يطبخ لنا العدس بالارز ويتوجه بالبصل المفروم المحمر بالسمن ... فنروح نتناوله تحت نجوم السماء اللامعة التي لا نهاية لها كانها ذرات رمل الشاطيء ... ذلك البحر العنيد الثائر مرة ، الهادئ الساكن الطافح مرة ... هو بحرنا ... بحر يافا ... الذي كان يطلق علينا الرزق الكثير ... الواحد لا يستطيع ان ينسى بلده ... ولا يستطيع ان ينسى بحره .. وسابوت واظل ارى دارنا هناك .. دارنا ، هي الاخرى ، تواجه البحر ... وهي قريبة من الشاطيء ... على مرمى حجر منه ...

في دارنا ، متاعا ، فرشتان ، وفراش كثيف كان يطوى نهارا في احد الاركان ، ويفرش ليلا للنوم ... وحصير ممدود في كل غرفة ... ومطارح خزية للجلوس عليها ، وأباريق وأكواب مثقوشة بماء الذهب ، ومحفوظة للضيوف ، يشربون منها عصير البرتقال أو الليمون ... ولدارنا ساحة سماوية مكنوسة ، مرشوشة دائما ، وفي ناحية منها شباكنا ... هذه الشباك كنت دائما اجلس القرفصاء لاصلاح ثقوبها ... تقيني من الشمس ياسمينة معروشة كانت تملأ دارنا شذا فواحا .. وفي ناحية اخرى ثلاث شجرات ليمون .. ما انقطع مخاوزها ابدا .. وفي اوقات الفراغ والراحة كان يحلو لي ان أجلس على كرسي صغير ، مصنوع من شيء مجدول ، من صنع اولاد بلدتنا ، والدوح الشرب فنجان القهوة متمهلا ... متلذذا ... وادخن سيكارة ... وبصري عالق بالبحر امامي ... ولفحات من زهر الياسمين والليمون تعطر الجو ... في امثال تلك الجلسة كنت اتذكر اشياء واشياء ... وكان يحلو لي انني مرتبط بالبحر ، وبمراكبه ، وامواجه ، وموجه ، وبلياليه التي تحس فيها انك وحيد ، ومنقطع عن الدنيا ، وعن الناس ، لا ستند قط عن احد غير الله ... لا تدري مصيرك ولا تملك من امرك شيئا ... ومع ذلك لا يعتريك ضعف فقد اسلمت امرك لله وحده ، وهو يقويك ، ويأخذ بيدك ، ويدفع عنك الشر ، وينصرك ... لا اله الا هو ... ارتباطي بالبحر كان هو حياتي كلها ... امواله نفسها كانت كلها اسعاد لقلبي ... لانها ، دوما ، انتصار على المجهول ، على الاخرى ، وعودة سالمة ، غانمة ، الى البيت ... الى الام الصابرة ، والاخوات المنتظرات ... وما اذكر غير الا فاتحة تصلي لله وتبسط كفيها بالحمد لي ... وما اذكر الخوالي الثلاث الا فتلات متوجهات لقيامي ... ولا يمكن يلمحنني وانا عائد اليهن موفور الرزق حتى تبتسم لي وجوههن كلها ابتسامات من القلب ... لن انسى هاتيك الابتسامات .. لن انساها ابدا .. فقد كانت تؤنس وحشتي ، وتملأ قلبي فرحا ، وحنانا ، واشياء ... كنت احس كأنني اذوب

من الاستلطاف ... وكانت دموع الفرح تترقرق في عيني لا ذلك ... اما اليوم فانها دموع الاسى .. دموع الحزن الذي لا ينقضي هي التي تسكبها عيناي ... ولهذا قصة سأرويها في حينها ايها السادة ... في امثال تلك الجلسة كنت اذكر اشياء واشياء ... واجد انني اشد تعلقا ببلدي وحبا له ، حتى ابي وجدي يرقدان في تلك المقبرة المطلة على البحر فوق التل العالي ... وهنا قد اورثاني دارنا الصغيرة وياسمينتها ، وشجرات الليمون الثلاث ، ومركب نقل البرتقال العتيق ، وزورق الصيد ، وكوما كبيرا من شباكهما ... عيشة استمرار كما ترون ، ايها السادة ، وديمومة ، ولا يملك المرء خطوا ، والحياة سالية ، ورحمة الله باقية ... كانت شباكنا في الصيف تمتلىء سمكا ، نعود به مثقلين بعد غياب يومين او ثلاثة ... سمك ذي الوان واشكال ، بعضه كأنه مصنوع من الفضة الخالصة ، او الفضة المموهة بالذهب ، وبعضه مستطيل رشيق ، وغيره عريض ، اعرض من كفي الاثنتين ... نطرح الشباك ونسحب ... ونغوص الشباك في الماء بفعل قطع الرصاص العالقة بها ...

هذا الانتظار تعلمنا منه الصبر ... والحياة بدون صبر واتكال على الله كيف يمكن ان تكون ! كنت اروح ادخن سيكارة وراء سيكارة ، ويدي تجس الشباك من حين الى حين ، فاذا احست بارتعاشة خفيفة ... ايقنت انها اخذت لعثي برزقها ... ولبعض الساعات طويلة ، طويلة ، ويداخلني شعور عميق بأني بعض هذا الوجود ، بعض هذا الماء وتلك السماء ، بعض رمال الشاطىء العريضة ... ويتراءى لي ان حياتي كلها جذورا تضرب بعيدا في اعماق تربة ملاذي ، منذ خلق الله الكون ... وكنت احس في قرارة نفسي انني شبيه بشجرة البرتقال اذا اقتلعت من منبتها ماتت ...

وبرتقالنا ايها السادة هبة من السماء ، و « بيارتنا » جنات ملتفة ذات الرياء والظلال وثمر مور كرات من الذهب . ما من بلد في الدنيا مثل بلدي يافا ، يظل يتضوع بالعطور والطيب من

بطارس البرتقال أيام الربيع ولياليه الملاح الزاهرات ... أروني أيها السادة ، بلدا واحدا في الدنيا يهب أهله العطر والطيب والذهب بلا حساب ...

أنا رجل بسيط من أبناء يافا . وما كنت أسأل الله ، وأنا خاشع مع الخاشعين في المسجد الكبير إلا أن يديم علينا نعمته ... وأن يرزقنا من حيث لا نحتسب ... وكانت لي آمال ، أيها السادة أن أتزوج بنت الحلال ... ويكون لي خلف صالح يعمل في البحر مثلي ، ويرث ماركبنا الصغيرة ، ويأتي يوم يستقل فيه بالياسمينة المروحة ، ويصلح شباك الصيد ، ويملأ بيته بعطر شجرات الليمون ... ويحمل البرتقالة بين راحتيه مزهوا بها كأنها كنز العالم ...

آه ... آه ... آه ... لقد حصل ما حصل بعد ذلك ... أقول لكم الحق فقد ذهلت في أول الأمر ... كيف كنت أدري أن هذا كله سيضيع ؟ مرات كثيرة ، من قبل ، كنا نحمي الوطن ... أما في هذه المرة فكأنما تألبت علينا الدنيا كلها .. أي نعم الدنيا كلها أيها السادة ... هكذا يخيل الي ... ماذا كنت أستطيع أن أفعل ... وماذا كان يستطيع أخي أن يفعل ؟ لسنا سوى حياتنا ... وسواعدنا ... وقوة قلوبنا ... ويافا الحبيبة تستحق أكثر من هذا ... ما قيمة الإنسان بدون أرضه ... بدون بحره ... بدون بياراته ... بدون تربته الطيبة ... بدون أحبائه ؟ ... وكنا ننفذ الأوامر : نضرب رصاصا ونبث ألغاما ونحارب حتى وراء حدود تل أبيب ... الواحد كان يضع روحه في كفه ... في لحظات الإنقاذ القليلة كنت أتمدد وأمشي على البندقية ... تحت شجر البرتقال ... وأفكر ... أتراني أقتل وأضرب بالرصاص ، أو أتسلل لبث الغم ... مرة واحدة حلمت أنني تزوجت فعلا ... وفجأة امتلأ قلبي بالفرح ، فرح لا يمكن أن يتصوره العقل ... ثم انتابت ، فجأة ، بدون سبب ... وعلى الأثر رأيتني في مركبي الذي أنقل فيه البرتقال ... والبحر جبال وأشداق مفغورة ... وعبثا حاولت النجاة ، فقد ارتطم المركب بصخرة كبيرة فتحطم ، ووجدتني في الماء يتقاذفني موج في كل اتجاه ... لقد أوشكت على الغرق ، وليس ثمة أحد على الإطلاق فيأخذ بيدي ... وأفقت مذعورا ... وتناولت بندقيتي على عجل ... وانتصبت واقفا وأنا ألهث ... ومنذ ذلك اليوم لم أعد أراني إلا كمن يغرق ... يضرب الموج بساعديه ... ويضرب ... ويضرب ... بلا فائدة ... بل هو يغوص في الماء المالح ويعب منه ... ثم يطفو برأسه يطلب نسمة هواء ... ويعود يصارع الأشداق المفغورة ... ويوم نسف الأعداء « السراي » في قلب يافا فقد أخي ذراعه اليمنى ... ضاعت ذراعه في كوم من الأنقاض ... الثلاثة الساكنين الذين كانوا يقيمون في السراي التركية القديمة بعد أن نزحوا من أطراف البلد ... ومن الحدود الناقصة لليهود ... كان أخي أحمد ، ساعة الانفجار المروع ، يمر قرب السراي ... وقد اقتلع الانفجار السراي القديمة ودكها فوق رؤوس ساكنيها ... واقتلع كذلك ذراع أخي ... استأصلها من الكتف ... وكتب له أن يعيش بدون ذراع ... تسألونني أين هو ؟ إنه هنا ، أيها السادة ، يبيع خضرا وفاكهة فوق عربة يد ... ولكنه في الشتاء لا يبيع غير البرتقال ... إنه دون سائر الباعة ، ينظفه ، ويلمعه ، حتى تتألق البرتقالة كالذهب الخالص ... وأمي ابنتها ، أعطيتها بنفس هذه أهوال لي في البلد ... باختصار ماتت هناك من الهم والكمد ... وإحدى أخواتي - فطيمة - بقرت بطنها شظية قنبلة مما كان يرمينا به اليهود ... والأخت غيرها - سكينة - كانت قد تزوجت ونزحت مع زوجها ... ولا أعرف اليوم تحت أي سماء هي ... الأخت الثالثة - خديجة - وهي صغراهن تعيش معي في المخيم ... نسيت أن أقول لكم إنني تزوجت بصورة ما ، زواجا يائسا كحالنا الآن ... ولي اليوم ولدان ... يعرفان كل شبر في يافا التي لم يرياها أبدا ... حدثتهما كثيرا ، لهما ، عن يافا وشوارعها ، وحاراتها ، وبحرها ، وبرتقالها ، وبياراتها ، وعن دارنا ... وياسمينتنا ... وشجرات الليمون الثلاث ، وشباكنا المكومة في ركن الساحة السماوية ... إن سؤالهما الذي

يوجهانه الي دائما وفي عيونهما الشوق الملح : متى نعود ؟ وانا بدوري احيل سؤالهما اليكم ، ايها السادة : متى نعود ؟

لست احب ان ابدو امامكم بطلا ... انا كما قلت لكم رجل بسيط ... واعتقد ان كل واحد عمل مثلي واكثر ... كل واحد كان لا يتردد ان يفدي بلده بروحه في كل لحظة ... كل واحد كان يحب يافا ... وبحرها ... وشاطئها ... وبرتقالها ... ونادره العبلة هناك .. فرى لاقى حتفه وهو يدافع ويقاتل ... فطائفة الشهداء اولئك لم يكتب لي ان اكون منهم ... سوف لا اروي لكم كيف خرجنا ... انكم تعرفون ذلك تماما ... ولكننا كنا نظنها اياما وتنقضي ... فاذا هي اعوام طوال ... طوال ... كيف عشت ... ماذا فعلت ؟ انني احمل بطاقة رقمها ... بطاقة من مليون ... رقمها من مليون ... ذرة تائهة لا عماد

شيئا ... وليس لها دار عتيقة ، ولا فراش نظيف مطوي في النهار ... مفروش في الليل ... ولا اكواب واباريق من بلور منقوش بماء الذهب ، ولا ياسمينة معروشة ، ولا شجيرات ليمون ... ولا موكب لنقل البرتقال ... وزورق للصيد ...

مرة طلبني احد الفنادق لكي استقبل السياح على بابه ، وكان الشرط الوحيد ان ارتدي الشروال الفضفاض ، والف حول خصري الشملة الحريرية البرتقالية اللون ، واميل طربوشي الى اليمين ... فقبلت ومارست هذا العمل مدة كنت فيها بحارا على باب فندق ... تصوروا هذا ، ايها السادة ، كانت منزلة دفعتني اليها الحاجة ... كنت احس طيلة الوقت انني معروض هناك للفرجة ... عجائز السياح كن يتاملنني ... ويحدقن في ابصارهن ، وبعضهن كن يعجبن ... واخريات يبتسمن ... واخرى يهمسن وقد علقت عيونهن بالشملة الحريرية الزاهية ... واحدة ، مرة ، لمستها بيدها وسالتني اين تستطيع ان تحصل على شملة مثلها ... الطفلة التي فرت ... بحار على باب فندق ... مخلوق مقلوع ... مثبت ... اضاع مركبه وشباكه ... اعتصرت قلبي الذكرى ... واحسست بالتمزق ... فتركت العمل ... وبطلت مدة ... ثم جعلت ابيع بيضا وكعكا مرة ، وساقيا في قهوة مرة ، وفراشا ، وحمالا ، كلما لزم الامر ... المهم ان نجد لقمة العيش ... الفول الاسود ، والدقيق الرديء اكترسنا احتملنا ...

سألوني : لماذا انا الآن امامكم ... لماذا اروي لكم حكايتي ... ؟

بالامس ذهبت الى قلقيلية ... لكي اشتري بعضا من فسائل شجر الليمون الشهري الذي لا ينقطع عطاؤه في صيف او شتاء ... انني ابيع هذه الفسائل ، في هذه الايام ، لمن يطلبها هنا ، ليغرس بعضها في حديقة منزله البديع ... بالامس ، ايها السادة ، ضحكت وبكيت ... وقبلت تراب قلقيلية ... لما اقبلت عليها في

سيارة النقل رأيت الشجر الوريق يمتد حتى ليكاد يسد الأفق ... انه شجر البرتقال وفروعه المثقلة ... شجر كثيف ، متلاصق ، ملتف يملأ السهل كله ... يشبه النخيل لأهالي القليبية ، وسائره ، حتى الأفق الغربي ، في أرضنا المحتلة ... وشاهدت البحر في بعيد ... ترآوحت جبيني أنسام حلوة ، ولا أدري هل سكرت أم صحوت أم حلمت ... انها أنسام يافا ... فضحكت ، وابتهجت ، وأحسست انني خفيف ... نشيط ... مرح ... كنت كالطفل العائد الى أحضان امه يرتمي على صدرها ويستسلم لحنانها بعد طول الغياب ... بعد التعب ... بعد الضياع ... كانت لحظة ... ساعة ... أكثر ... أقل ... ثم صحوت ... فبكيت ... يافا هناك ... أستطيع أن أصل اليها مشيا على قدمي ... وهمت على وجهي في أرجاء القليبية ... بين مغارس برتقالها ... انها هي تربة بلدي .. وها هي قد انبتت شجر البرتقال في كل اتجاه ... في قليبية لم يتركوا شبرا دون أن يغرسوا فيه الشجر الذي يحمل كرات الذهب ... حتى الصخر حملوا اليه التربة الخصبة ... وغرسوا فيها الشجر فنما ... وعاش ... وأينع ، والتف شجره ... أبناء بلادي رجال ، سواعدهم مفتولة ... وهممهم عالية ... انهم يستنبتون الصخر بارادة راسخة في صدورهم ... هذه الارادة لم تمت أبدا ... وهذا العزم ما وهن اطلاقا ... وتلك الوجوه السمر التي لوحتها الشمس لا تزال تبرق فيها العيون السود التي لا تعرف الهزيمة ... وتظل تحاول وتحاول وتحاول المستحيل حتى يكتب لها النجاح ... وما اكثر ما ترويه عيونهم ... انها تروي حكايات من ليالي الهموم والارق والعذاب والصبر ... لا تروي

قصص افراح قديمة لا تزال لها اصداء وتغاريد في قلوبهم ... وتتحدث عن اشواق لهم ... ولهفة في نفوسهم ... وتنطق بلوعة الانتظار ... يالأسى رأيت ، أيها السادة ، يلقى على مرمى البصر ... وشممت رائحتها ... ان لها رائحة خاصة استطيع ان اميزها بين روائح المدن كلها ... هل هي مزيج من نهات البحر ... وعبير البرتقال ... واحتفى اهليها ... وانسام جوها وتربتها وتاريخ افراحها ... وجراحاتها ... لا ادري الا ان لها هذه الرائحة الغريبة ... وقفة واحدة على شاطئها املأ صدري برائحتها ... واموت بعدها قرير العين ...

أيها السادة : قلت لكم في أول قصتي انني استطيع ان اقل الحديد ، وان في يدي هاتين قوة عشرة رجال ... انها البقية الباقية من شبابي الذي ذهب ... وفي صدري سر لا تطفئه حتى الايام ... ولي ولدان مثيلان يضطرم قلباهما حقدا على الغاصبين ... وأنا انتظر ، بل نحن ننتظر : ان تحولوا كلمتكم لكي تنطلق كالاعصار ... كالانواء التي تقلب مياه البحر من الاعماق ... وتجيش موجا هادرا ، غاضبا ، صاخبا ، لا يهدأ حتى يبلغ آخر المدى ... أيها السادة ، في عالمنا الواسع . ان في داري غرفتين جميلتين ، وياسمينة معروشة وشجيرات ليمون وشباكا مكوماً ... وان حبيبي لا ينقطع ، بل لقد اضواني الحنين الى جلسة مسية على الكرسي العتيق المجدول سطحه من القش . جلسة تحت الياسمينة وبصري عالق بالبحر ... الذ بيدي سيكارة عربية لم ادخنها واشرب القهوة المعطرة ، واشعر اخيرا انني ارتحت بعد الصراع ، وان كل الاهوال ما كانت الا حلما ... مجرد حلم من الاحلام .

محمود سيف الدين الايراني

BRITAIN'S LEADING EXPORT CIGARETTE

تزيد صادرات بريطانيا من
سجاير روثمان كنج سايز
على صادراتها من أي نوع
آخر من السجاير.
أينما تذهب تجد روثمان،
في ١٢٠ قطرًا في خمس قارات
على ظهر البواخر في البحار السبع
في أكثر من ٩٠ خطًا جويًا رئيسيًا.
شارك الملايين في الاستمتاع بتدخين
روثمان كنج سايز
الأولى في بريطانيا - الأولى في العالم.



WORLD'S LARGEST SELLING KING SIZE VIRGINIA



الوكلاء العامون

العراق

عبد الجبار لطيف الساعاتي
شارع الرشيد - بغداد

البحرين

يوسف أحمد الساعي وشركاه
شارع باريت - ص ب ١٨٠



الكويت

اهتدى هذان الزوجان الى الهدية المثالية للمرأة والرجل .. انها ساعة تحمل ماركة « فافر - لوبا » . ففي المجموعة الهائلة من « الموديلات » التي تضمها مجموعة ساعات «فافر - لوبا » تجد الهدية النموذجية لك ولكل شخص .. ففيها يتمثل الشكل الحديث، والابتكار الاصيل ، وضمان الدقة .. ذلك لان «فافر - لوبا» تولتها - منذ سنة ١٧٣٧ - ثمانية اجيال من الاختصاصيين في الساعات ، ابنا عن اب ..

ساعة « فافر - لوبا ٥٧.٥٧ » - من الذهب الخالص والذهب اللامع - و «فافر - لوبا ٢٢.٢٨١» لا يحتاج اليها مفتاح . لها ترس اصلي لعقرب مركزي للثواني، من الذهب القشرة ، او الفولاذ .

محمد عبد الله الشهاب

شارع عبد الله السالم (الجديد سابقا)
ص ب ٢٢٨ - تلفون ٢٢٣٢٢٥
فرع : شارع فهد السالم - تلفون ٢٤١٥٠٣

التناسب يبدأ بالحجم فقط

جميع الاجهزة النقالة صغيرة لدرجة تسمح بنقلها من مكان الى آخر في المنزل، ووصلها الى التيار المتناوب ولكن لا يمكن عادة نقلها الى الاماكن البعيدة كما هناك حدود لعدد الوصلات الكهربائية اما فيما يتعلق باجهزة التلفزيون "سوني ميكرو تي في" فان تناسبها يبدأ بحجمها فقط (في شاشة ارتفاع تسعة سنتيمترات) باستطاعتك ان تضعها في زورقك وتصلها الى بطارية المحرك وباستطاعتك ايضا ان تستمتع ببرنامجك التلفزيوني المفضل وانت في سيارتك، وتديرها على بطارية السيارة ... او يمكنك ان تحملها الى اي مكان تريده . اذ ان اجهزة "سوني ميكرو تي في" تعمل على التيار المتناوب، وماذا عن ادائها؟ ان الصور الثابتة التي تلتقطها اجهزة "سوني ميكرو تي في" احسن لدى استعمالها (في السيارة) ووضاحة وجلاء المناظر التي تعطيها، تضعها في مثابة الاجهزة العادية الكبيرة .



I-3134



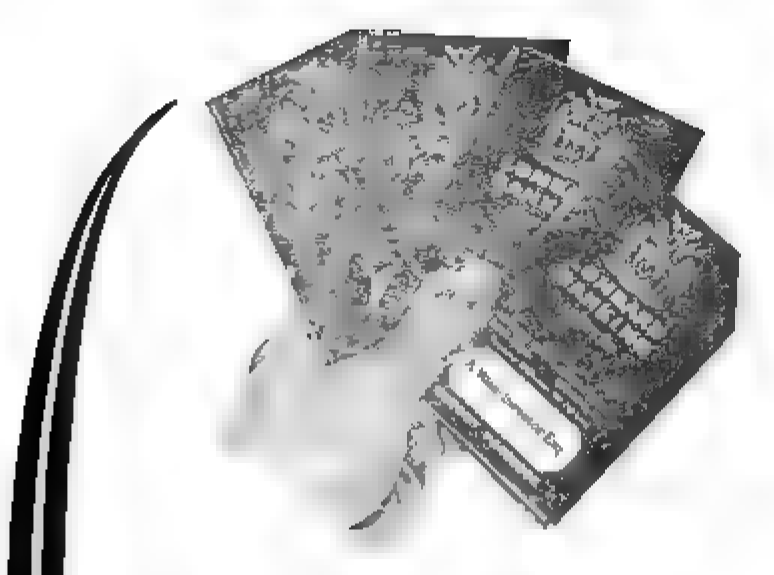
انها ساعة ـ ينعكس فيها الذوق الرفيع وتظهر شخصية حاملها

ROAMER

انتاج سويسرا

زيني معصمك بساعة رومر


وست إند
WEST END
WATCHES
نظرتها تحمل أكثر من معنى
فيها التقدير وفيها الرغبة
الوكيل العام بالشرق الأوسط
يعقوب يوسف بهبهاني
ساحة الصفاة تلفون ٣٢٢٤٩ - ٣٣٧٧٠ - ص.ب ٣٢١ الكويت



اقبال متزايد

على فتح حسابات الودائع بفائدة ٥٪

ان نقودك تحظى بافضل معدل للفائدة مضمون ومضمون – وهو ٥٪ – حين تودعها في « حساب الودائع » ببنك « لومبارد » ، فلن تخصم منها اية ضريبة على الدخل طالما في المملكة المتحدة ، ولن تتأثر نقودك اطلاقا بالاحوال الاقتصادية المتغيرة ، كما ان من السهل سحب اي مبلغ تشاء منها ، وفقا للشروط التي تعينها .

ولا بد – لكي تربح ٥٪ سنويا – من ان يكون الحد الادنى لما تودعه ١٠٠ جنيه استرليني ، وان يكون الحد الادنى بين الايداع والاخطار بالسحب ستة اشهر . ويدعم ودائعك في مؤسسة « لومبارد » المصرفية رأس مال مدفوع واحتياطيات تتجاوز ١٢ مليونا من الجنيهات الاسترلينية .

بادر الى الكتابة الى المدير العام في طلب مزيد من التفصيلات ، وفي طلب نسخة من كتيب « حساب الايداع » رقم : A. O. 182

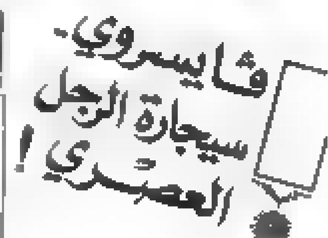
المؤسسة المصرفية والمالية العالمية

LOMBARD BANKING

LIMITED

Head Office: Lombard House, Curzon Street,
Park Lane, London, W.1. GROsvenor 4111 (30 lines)

الرجل العصري في مربط خيول حلبة ميزون لافيت. ملابسها من تصميم تد لابيدوس





الرجل العصري لا يتفاخر . إنه يستمع بعناية إلى ملاحظات راكب خيول فرنسي معروف ويشارك بدراية خلاصة معلوماته الوثيقة وڤايسروي □ من بين الأنواع الجديدة التي تحيي بها الأسواق، يختار الرجل العصري سيكارة ڤايسروي - سيكارة الذوق المتذوق!



فوز الخطوط الحديثة

اقتناء دوكسا غرافيك ساعة المستقبل . ستكون لك نبعا دائما من السعادة والفخر . وستكون متأكدا من امتلاك الساعة الرائعة التي علاوة على مظهرها الخارجي الانيق تضمن لك الدقة العالية

كشف باسماء موزعي دوكسا

اسكو السعودية ـ شلويو ـ كابول ـ الفنستان ، مطالن السكير ـ صن ، السلتث ميزيوم ص.ب ٢٤ دوحة ـ قطر ـ الخليج العربي ، جوزيف جيراكو ص.ب ٢٨٩٤ ـ بيروت ـ لبنان ، فخري حواء ـ ساحة الناصر ـ البتاوين ـ بغداد ـ العراق ، خليفه وعمر بن يوسف ـ ابو ظبي ـ الخليج العربي ، السحال عبد الرحيم الكوهجي ـ ص.ب ٥٧ ـ الخبر ـ العربية السعودية ، روبين كيشيشيان ـ ص.ب ٢٦٩ ـ عمان ـ الاردن ، كراند ساسيان ـ ص.ب ٥٧٠ ـ حلب ـ سوريا ، شركة الشمال التجارية ـ ص ب ٥٢٠ ـ الكويت ، ميشال لوسطابش ص.ب ٩٢٥ ـ دمشق ـ سوريا ، مؤسسة بوبو للساعات والتجارة شارع الملك عبد العزيز ـ جده ـ العربية السعودية ، شركة ش. بن سعود وم . شيخ ـ ص.ب ١٤١ ـ بنغازي ـ ليبيا .



معامل ساعات دوكسا ش.م. لو لوكل ـ سويسرا



مستودع شيد قبل عام ١٢٥٠ - وفابونا في عام ٦٤
وأخيراً يمكن القضاء على الحشرات بسهولة

فابونا ٢٠ ستريب هو أحدث مبيد حشري انتجته شركة شل "للكيماويات"، وهو يتبخر وينفذ الى جميع الشقوق التي تختبيء فيها الحشرات الى مسافة ١٠٠ قدم من نقطة انطلاقه وهو سهل الاستعمال لانه مركب من مادة د. د. ف. ب DDVP ويمكن استعماله بسهولة سواء بالنثر او على هيئة ضباب او طعوم او بالتعليق. وهو فعال يقضي على الحشرات حتى السلالات المنيعة منها، ولم يسجل ضد اي نوع من الحشرات مناعة ضد مادة د. د. ف. ب. وهو متعدد الاغراض يقضي على الحشرات الموجودة بمخازن الاطعمة، ومخازن الأقطان، والمصانع، والمكاتب، والمستودعات، والبواخر، والمنازل، والمستشفيات، والسينما، وهو في الواقع يقضي على الحشرات الموجودة في اي مكان تقريبا ومع ذلك فهو سريع التحلل لا يترك اثراً ولا رائحة. وفابونا ٢٠ ستريب ما هو الا واحد من مجموعة مبيدات شل لمكافحة الحشرات التي تقدم الجواب الشافي ضد مشاكل الحشرات في جميع انحاء العالم

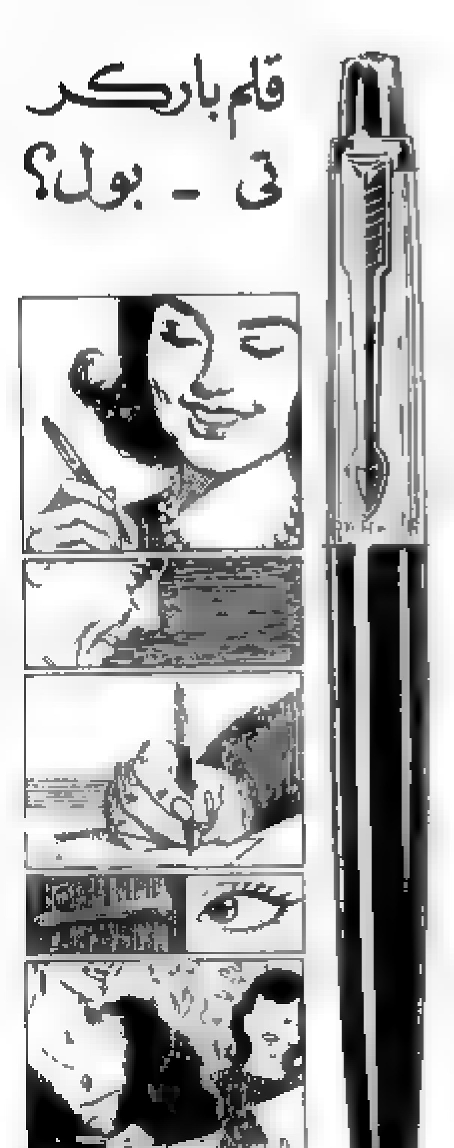
للحصول على اي بيانات او تفصيل اضافية أو للاستعلام عن خدمات شل الفنية، نرجو استشارة شركة شل بمنطقتكم

فابونا

شل للكيماويات

ماركة مسجلة لشركة شل

لماذا يفضل الكثيرون قلم باركر تى - بول؟



سيان كان الرجل غنيا ام فقيرا فانه لا يتقدم على التبذير ، ولذلك يحبذ بحرارة الكثيرون قلم باركر تى - بول ذا الحبر الناشف . انه قلم عملي يتميز بالكفاءة والتوفير ، وهو موثوق به ثقة لا تتمتع بها الاصناف العادية .

واذا اعتبرنا ناحية التوفير فيه ، فان قلم باركر تى - بول يواصل الكتابة بعد ان تكون الاقلام الاخرى قد جفت منذ مدة طويلة ، وهو في الواقع يكتب خمسة اضعاف ما تكتبه الاقلام العادية . وعندما يحين الوقت لتبديل الانبوبة ، فان بامكانك اختيار اى لون من الوان الحبر الاربعة ، واى حجم من الريش الاربع .

لقد تم تجهيز قلم باركر تى - بول بحيث يمنع التطبيع في الكتابة . وفي كل مرة تضغط على الزر يدور الانبوب ربع دورة لمقاومة تآكل الريشة . واذا لم تكن حتى الآن واحدا من الاربعين مليونا الذين يملكون قلم باركر تى - بول فلماذا لا تصبح واحدا منهم حالا !



شركة أقلام باركر جينزفيل ، وسكونسن
الولايات المتحدة الاميركية



العدد ٧١
جماد اول ١٣٨٤
الكويت
(تشرين اول) ١٩٦٤

اطلب
مع هذا العدد
العربي
الصغير

جوائز
١٢٠٠
دينار سنويا

سائحة امام سر من
اسرار الشرق القديم

الثمن



حضارات سادت ثم بادت

[illegible]

نظرة الى المستقبل من المسلة التي جلبت من صعيد ووضعت بجوار هذا التمثال القائم في حديقة المتحف المصري ، حيث توجد اكبر مجموعة آثار منذ اقدم عصور التاريخ.. وفي مقدمة هذه الآثار تقف آثار توت عنخ آمون ، التي تقدم لنا صورة حية عن مدى التقدم الكبير في الفنون الجميلة والصناعات المعدنية والكيميائية ، التي كانت عليه مصر في العصور القديمة .. وفي الاستطلاع المصور ابتداء من صفحة ٢٥ من هذا العدد ، يجد القارىء اجمل الصور ، وأوفى المعلومات ، عن هذه الآثار التي اذهلت العالم بروعتها وجمالها ...

ثمن العدد : بالكويت ١١ فلوس مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣ شلن ، العراق ١٢٠ فلسا ، سورية ١٠٠ قرش ، لبنان ١٠٠ قرش ، الأردن ١٠٠ فلس ، السعودية ٢ ريال ، السودان ١٠ قروش ج.ع.م ١٠ قروش ، تونس والجزائر ٢٠٠ مليم ، المغرب ٢ درهم ، اليمن ٣ شلن ، ليبيا ١٥ قرشا

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



هلا لنفسك كان ذا التعليم ؟!

■ يسرني اولا ان اشاركم الشكر كله على ما وصلت اليه مجلتنا « العربي » في مجال الصحافة العالمية ..

وانا كالمتعطشين القراء ... كل جديد ، ولما كنت اعمل معلما بالجمهورية العربية المتحدة ، وتصدر نقابة المعلمين عندنا مجلة اسمها « الرائد » تتحدث بلسان مائة وسبعين الف معلم ، وفي اثناء قراءتي العدد التاسع يونية سنة ١٩٦٤ من السنة التاسعة ، وقع نظري على موضوع عنوانه « الضرب ابناؤنا والآن مشروط .. » ... على توفيق ، وقرأت الموضوع كله ثم تذكرت انني سبق ان قرأت هذا البحث في مجلة « العربي » مع تغيير عنوان البحث فقط ، وتغيير كلمة بكلمة اخرى احيانا ، واسرعت الى مكتبتي واحضرت كل اعداد العربي حتى وجدت المقال منشورا بالعربي بالعدد ٦٤ مارس سنة ١٩٦٤ تحت عنوان « ضرب الاطفال هل نعود اليه في تربيتهم » وللامانة العلمية ، اكتب مقال مجلة « الرائد » ثم مقال « العربي » ليرى القارئ كيف ان الاستاذ الفاضل ، وهي تعمل في اشرف ميدان وهو ميدان التربية والتعليم ، استباحت لنفسها ان تنقل المقال كله عن مجلة « العربي » ثم تنسبه الى نفسها .

مقال « العربي »

رجعة الى منشأ تحريم الضرب

بدأت هذه السياسة في اول القرن الحالي ، عندما نشر « جون ديوي » رسالة له بعنوان « علم النفس وتطبيقه اجتماعيا » ، دعا فيها الى اقامة التعليم على أسس من علم النفس ، بحيث تراعى فيه ميول الطفل ورغباته ، قبل ان يراعى حشو رأسه بالمعلومات ، فهو في طفولته يسعى لتكوين العادات التي ستلازمه في كبره . وقد وجدت هذه الفكرة تأييدا كبيرا عندما طلع العالم النفساني « فرويد » في سنة ١٩٠٩ بنظريته التي تجعل « الجنس » عاملا مسيطرا في تكوين شخصية المرء ، وبيّن مدى الضرر النفسي الذي يتعرض له الطفل من جراء ما يلقاه في طفولته من معاملة .

مقال « الرائد »

متى نشأت سياسة تحريم الضرب

بدأت هذه الفلسفة في اوائل القرن الحالي عندما نادى جون ديوي فيلسوف التربية الامريكي بأن التعليم يجب أن يقام على أسس من علم النفس ، بحيث تتم مراعاة ميول الاطفال ورغباتهم على حشو رؤوسهم بالمعلومات ، وذلك ان الطفل في طفولته تتكون عنده العادات التي ستلازمه في الكبر وقد لاقت هذه الفكرة تأييدا كبيرا خاصة عندما نادى العالم النفسي فرويد سنة ١٩ ٦ بنظريته التي تجعل الجنس عاملا مسيطرا في تكوين شخصية الانسان .. وبيّن مدى الضرر النفسي الذي يتعرض له الطفل من جراء ما يلقاه في طفولته من معاملة .

السيد احمد المصري

المدرس بمدرسة النصر بدسوق — ج.ع.م

العربي : السرقات الادبية قديمة معروفة عند كل الامم .. ولن تكون هذه آخرها . والمشكلة كما قلنا مرارا ازمة اخلاق !



شكر وامتنان من الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية

■ تحية عربية صادقة .

قرأنا ما جاء في مجلتنا « العربي » الزاهرة عن تفضل السيدة حرم الشيخ دعيج السلمان الصباح بالتبرع لصالح الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية بمبلغ ٦٨ ألف شلن أي ٣٤٠٠ دينار ، بعد زيارتها لاستطلاعكم عن عدن .

ويسرنا .. أن نعبر لكم وللسيدة حرم الشيخ دعيج السلمان الصباح عن أصدق مشاعر الشكر والامتنان ، نيابة عن جميع نساء عدن واحياتهن العاملات ، لما تحمله من في سبيل بناء صرح للمرأة العربية في عدن .

ولن ننسى أن نخلد في سجلات الجمعية ما أسديتم لها من خدمة ، ودمتم ودامت الكويت ذخرا للعروبة ، وذخرا لها على مر الزمان .

الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية

من هو توران شاه ؟

■ في الاستطلاع عن عدن المنشور في العدد ٦٨ من مجلة « العربي » الحبيبة ، وفي صفحة ٤٣ ، قرأت أن توران شاه الأيوبي قد احتل عدن ، وأن الذي أرسله هو أخوه صلاح الدين الأيوبي .

والذي أحب أن ألفت النظر إليه هو أن توران شاه قد حكم في أواخر دولة الأيوبيين ، وأن صلاح الدين هو أول سلاطينهم ، وصلاح الدين هو ابن نجم الدين أيوب ، وأما توران شاه فهو ابن الملك الصالح أيوب . فكيف يكون صلاح الدين أخا لتوران شاه وبينهما مدة زمنية طويلة ونسب كل منهما معروف !

الكويت ـ عزمي أحمد جرار

العربي : اختلطت عليك أحداث التاريخ والأسماء يا أخ عزمي ، وحقيقة الأمرين ما يلي :

أولا . إذا رجعت إلى أي كتاب معتمد في التاريخ ، وجدت فيه أن توران شاه الذي ورد في الاستطلاع هو أخو صلاح الدين الأيوبي ، وتخبر كتب التاريخ أيضا أنه حكم بلاد النوبة (١١٧٤ ـ ١١٨٠) واستولى على زبيد وعدن . ولما أن يكون توران شاه هذا ابنا للملك الصالح أيوب فهذا غير معقول لأن الملك الصالح أيوب يأتي في الزمن بعد توران شاه هذا (١٢٠٧ ـ ١٢٤٩) . وللملك الصالح أيوب ابن اسمه توران شاه أيضا ، وهو الذي تولى الملك بعد أبيه ثم قتلته شجرة الدر . من ذلك نرى أن الأمر قد اختلط عليك .

كثير عزة وعباس بن مرداس

■ قرأت في العدد ٦٨ في الصفحة ٧٧ في باب طرائف عربية أبياتا من قصيدة للشاعر (كثير) ، والتي أنشدها (على حد قولكم) في حضرة عبد الملك بن مروان (الخليفة الأموي) والتي مطلعها

« ترى الرجل النحيف فتزدريه
وفي أثوابه أسد هصور

والحقيقة أن هذه الأبيات للشاعر المخضرم (عباس بن مرداس) .

والملاحظة الثانية التي أود تسجيلها هنا هي أن

(البقية على صفحة ١٥٥)



صندوق من صفيح، وساعة من ذهب

لهذا يجب أن يختار رجاله من أكثر الناس أدبا وأرقهم مزاجا

زادت ثمنا .. انما العملة هي التي نقصت قيمة .. !

الاضراب . ابعد الشيوعية عن البلاد .. !

ـ هذه العصبة كل ساعة ؟

ـ نعم

ـ هل بها ما يستحق ضريبة .. سجائر او خمر ؟

هل تحمل هدايا لاحد من هنا ؟

لا احمل ...



اربع خنافس
تثير هستيريه صارخه
في انجلتره !!

— عنوانك في لندن ؟

— مع زوجتي ، وقد سبقتني اليها ، والقاها بعد دقائق

اسئلة خاطفة اردتها سألتها خاطفة. وبالطباشيرة الزرقاء خط على حقيبتي الواحدة ، فحملها الحمال على عربته .

وجرحت انظر الى ساعة يدي . انها من ذهب ، ولو ظاهرا .. وبمعصمها اسورة من ذهب ، ولو ظاهرا .. ولم احاول ان احجبها عن نظر موظف الجمرك، وراّها لا شك ، ولكنها لم تأخذ بتلابيب عينه .

وقصة اخرى لمهاجر آخر

وقصصت هذه القصة على زوجتي ، فقصت على اخرى ، صادفتها عند حضورها . بعض الشباب ، ممن بعض القارة الهندية ، وبعض العالية . حتى الثروة التي كان يحملها قاربت ان تكون ٣ ورقات من خمسة جنيهات . الا ان هذا الشاب كان عنوانه صديقا من اهل بلده في مدينة برمنجهام . وهو لا يكاد ينطق الانجليزية . فما كاد موظف الجمرك ان يفرغ من سؤاله وجوابه حتى يسر امره ، وزاد بان ترك عمله الى خارج الجمرك ، واستدعى سيارة تكسية ، واركب الشاب فيها ، وطلب الى السائق ان يحمله الى محطة سكة حديد قريبة ، وان لا يأخذ من الشاب غير كذا . وافهم الشاب كل هذا في لطف . وقال له :

في المحطة تشترى تذكرة تأخذك الى برمنجهام مباشرة ، الى صديقك ، وهناك هو يتولى امرك.

موظفان لهما مزاجان مختلفان تناولهما جامد ، وبعمله كان ينفذ القانون ولكن في قسوة . وثانيهما ينفذ القانون ، ولكن مع القانون مشاعر الانسان القادر نحو الانسان العاجز .

موظف الجمرك ورجل الشرطة وجه الدولة الاول

وكما يختلف الموظفان مزاجا ، في الجمرك الواحد ، في الدولة الواحدة ، يختلفون جميعا بين الامم . ومع هذا فالامم جميعا تعلم ان الجمرك وجه الامة الاول الذي يراه كل غريب ، فهي تختار لموظفيها فيه ، من رجال مدربة، وكذلك من رجال الشرطة ، اكثرهم ادبا، وارحبهم مزاجا، واسمحهم اصحاب سلطان وظيفة .

و « اياك اعني فاسمعي يا جارة » .

وتركت المطار

وتركت المطار والسماء تمطر ، والبرد يقرص قرصا هينا ، فحمدت الله . وخلت بعد الذي كنت فيه منذ يوم واحد من حرارة في الجو شديدة ، وترطيب اصطناعي مركزي وجوده كعدمه ، خلت ان انجلترا لا بد ان تكون هكذا ، بردا ومطرا .

ومسح المطر البارد وجهي فانتعشت. وقلت للسماء هل من مزيد.

ودخلت العاصمة الكبيرة ، واقتحمت عمارها ، وبقيت انا وزوجتي نعيش فيها اسابيع كثيرة ، كعيش عشناه فيها في ماضي الزمان سنين طويلة ، في نفس الحي ، وعند نفس الشارع ، وعلى مرأى مما كنا الفنا من معالم الاشياء والناس .

ووجدنا الناس في هذه المدينة ، ذات البشرة اللابيض ، على مثل عهدنا بهم منذ سنين . الطرقات المزدحمة هي هي الطرقات .. والسيارات التي تتقاطر في الطرق ، فكانما هي قطار واحد هي نفس السيارات المتقاطرة . والى جانب هذه الاشياء الثابتة وجدنا اشياء تغيرت لا شك ، واخرى واصلت السير في سبيلها الطويل الى التغير .

غلاء

ومن ظواهر العيش اليوم ، في المدينة

العظيمة، الغلاء. طابع البريد ثمنه زاد .. أجر السيارة العامة زاد .. والتكسيات زادت مئات أجورها .. وزادت أجور المساكن. المسكن غير المفروش ذو غرفتين للنوم، وغرفة للأكل وأخرى للجلوس، ولوازمهما، أجره في الأسبوع الواحد من عشرة جنيهات الى خمسة عشر جنيها، في الحي الجديد او الضاحية المهذبة. والأطعمة زادت أثمانها، وعلى رأسها اللحم، فثمن الرطل الجيد يتراوح بين ٦ شلنات الى ٩ .. والفنادق زادت أجورها.

الحاجات لم تزد قيمة

أثمان الحاجات زادت، ولكن الحاجات نفسها لم تزد قيمة.

الخبز لم يتحسن نوعه من بعد حسنه، حتى يزيد ثمنه. وهو لم يزد قدرة على إشباعه .. والسيارة لم يزد أجر ركوبها لأنها صارت أنعم، أو لأنها تحملك الى غايتك أسرع. قيمة الإشباع في الأمس غالبا، هي هي. وقيمتها فيما بعدها هي هي، فلو أنك أردت أن تشتري بأجر سيارة اليوم خبزا أو كعكا، لكان مقدار الخبز أو الكعك الذي تشتريه اليوم هو نفس مقداره الذي كنت تشتريه بالأمس بأجر سيارته القديم.

إن الحاجات لم تزد قيمة، ولكن العملة التي نشتري بها هذه الحاجات، وهي العامل المشترك بين هذه الحاجات، والتعبير المشترك الذي به تتعين قيم هذه الحاجات، هذه العملة هي التي نقصت قيمة. وتنقص قيمة العملة فترتفع أثمان الحاجات.

التضخم المالي

والعملة، فيما نحن بصدده، إنما هي الجنيه الاسترليني. إنه يعاني اليوم ما يعرف بالتضخم المالي Inflation وهو إذ يتضخم، تتضخم معه، فتهبط معه، كل العملات التي ترتبط به في سائر الدول. وقد دل آخر إحصاء عن رصيد الذهب، أو ما يعادل الذهب، في انجلترا، وهو حامي الاسترليني ودرعه الواقي، دل على أن هذا الرصيد هبط الى ١٩٥٦ مليون جنيه. وهو رصيد الجنيه الاسترليني وكل عملة أخرى ترتبط به في النطاق المعروف بالاسترليني. فالتضخم الذي يصيب الاسترليني يصيب كل عملة في هذا النطاق.

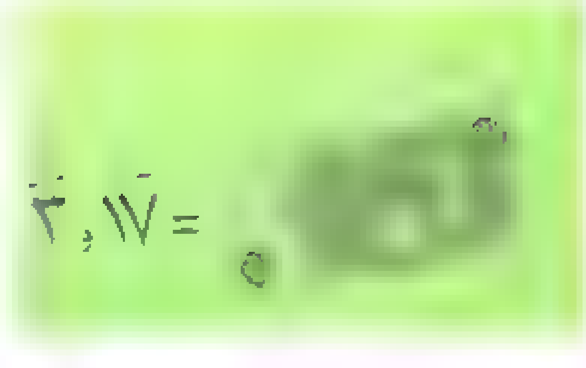
تضخم مقيم

ولقيت رجلا أستاذ اقتصاد خبيرا

سألته. هل لهذا التضخم من علاج؟ إنه يتراءى كأنه الورم.

فحدثني حديثا طويلا فهمت منه أن التضخم شر مقيم اليوم في كل الأمم الرأسمالية وأنه سوف يقيم وسوف يتصل. وأن التضخم كان سمة من سمات الحروب، يزول بزوالها، وتقف ويقف من بعدها عند حد، أما اليوم، في هذا القرن، ولا سيما من بعد الحرب العالمية الثانية، أي منذ عام ١٩٤٥، فقد صار سمة من سمات السلم. وهي سمة دائمة. قلت: ولكني أقرأ فيما عندي أن أهل السياسة عندكم، وأهل المال والتجارة، يحاولون وقفه.

قال: كل يقول ذلك، وكل يعنيه، عندما وقته قريبا. المتكلمون، وغير المتكلمين ومديرو البنوك، وأقطاب التجارة. ولكن ليس فيهم من يفعل. ليس فيهم الجسور. إن البعض منهم يتطلع من التضخم. وبعضهم يحاول العلاج ولكنه لا يجرؤ على اقتراح بوسائل علاجه، لأن جذور التضخم لا تنبت في التربة الاقتصادية وحدها، وإنما هي تتشبث بظواهر تجري في المجتمع،



هذه قيمة الاسترليني اليوم ، وبعد هبوط ٧ سنوات ، كما قيل في البرلمان الانجليزي

فوق ما يستطيع امتلاكه حكومات او سياسة او اقطاب مال او تجارة . ان النمو في الانتاج الذي سعى اليه اليوم كل امة ، ويعتقد في سبيله انه سبب واسع لا تزال تحاول النمو ، هو في رأي اهل المذاهب المعاصرة السبيل الى « الامن » الاقتصادي ! لذي صار اليوم في القمة من غايات الحياة . وهذا النمو الاساسي من بعض صواحبه التضخم المالي وارتفاع الاسعار .

خير للناس ان يدركوا هذه الحقيقة صريحة ، وان يطمئنوا اليها ، فالاطمئنان الى الحقائق ، ولو مزعجة ، خير من الاطمئنان الى سراب خادع .

قلت : أي ناس تعني ؟

قال : اهل هذه البلاد ، واهل الولايات المتحدة ، واهل الامم التي جربت هذا المجرى .

قلت : قرأت انه خلال ومحلي المجموع البريطاني ان القوة الشرائية للجنيه هبطت في السبع السنوات الماضية نحو ثلثين وتسعة سنات ، او ما ساوى ٤٤ في المائة من قيمته .

قال . نعم قيل ذلك

قلت : والسعب ؟ وارباب الاجور منه ؟

قال . تزاد اجورهم ، عن رضا ، او غصبا

واخذ بعد ذلك يحدثني عن نظرية ترابط الاجور والرسات ، والاسعار ، حديثا طويلا يضيق مقالي القاصر عن ايراده .

الاضراب قائم في سبيل تحسين الاجور

وذكرت موضحتي ان الاجور تزداد اما عن رضا ، واما غصبا .

وكانت شواهد ذلك بالطبع حولي كثيرة . كان اكثرها ازعاجا اضراب سعاة البريد ورجاله . و قبلها ازعاجا ، اضراب العاملين بالتلفون التجاري Telemon (١٢٦٧) ، اضرابات خاصة واخرى ستكون بعدهم .

والذي لاحظت في هذين الاضرابين انهما لم يكونا اضراب عمال مصنع ، انما هم عاملون في الخدمات .

وحدثت ساعي بريد دق بابنا عن بريده قبيل الاضراب ومن بعد انذار به ، فعلمت منه ان اجر ساعي البريد الاساسي يراوح ما بين ١١ الى ١٣ جنيها في الاسبوع ، وان هذا لا يكفي لاطعامه هو وزوجته واولاده والباسهم واسكانهم .. قلت : كيف حال الاجور في المصانع قال : خير وبركة ، ونحن انما نريد ان نساويهم .

وعجبت من ذلك ان عمال الصناعة على حال يحسدون عليها .

والذي لاحظته ان عمال التلفون الذين اضربوا لم يكونوا في المستوى المعهود في « العمال » . فهم عاملون من كل درجة دنيا وعليا ، وفيهم من يبلغ اجره ٨٠ جنيها في الاسبوع الواحد ، هم بعض المهندسين والفنيين .

حق الاضراب ابعد الشيوعية عن البلاد

قلت لصاحبي الاقتصادي : هذه الاضرابات تضر بالبلاد !

قال : على العكس . هذه الاضرابات حق نعترف به عندنا لطوائف العمال وكلنا عمال ، وهي التي ابعدت عن البلاد ظل الشيوعية . ان طائفة من العمال تحس بالغبن وقلة الاجور ، لا سيما عند ارتفاع الاسعار ، فتطلب الزيادة ، فلا تجاب ، فتضرب . وهي بذلك تطلب صالحا عاما فتغير

بمصالح الشعب في مجموعه . والشعب بنظر ، والشعب كله طوائف من عمال . والشعب الواعي يطلب شيئا يكون لين ، وحكمه هو الغاية في آخر الامر . لم تكون مصالحة يسرد فيها العمال حقوقهم او بعض ما يطلبون . مثال ذلك اضراب عمال البريد هذا الاخير ، لم يبق بيت في بريطانيا الا اصابه العنت بتاخير البريد . وكذلك بيوت المال والاعمال اصابتها الاضرار . ومع ذلك عطف الشعب جملة على عمال البريد ، فكان لا بد من استجابة الحكومة لبعض مطالبهم ، لاسيما وقد اقترب موعد الانتخابات .

رخاء لم تعهده البلاد

ورغم التضخم ، ورغم زيادة الاسعار ، ورغم الاضرابات ، فلا شك ان انجلترا تنعم اليوم برخاء لا شك فيه . كل يتحدث بهذا ، والقوم أعلم بما هم فيه .

وهو رخاء اساسه العمل . عمل كل الناس . ان العمل كثير . ولقد حدث من كثرة العمل وقلة العمال انك واجد الوجوه الاجنبية ، غير الانجليزية ، من بيضاء وسمراء وسوداء ، تقوم بالكثير من الاعمال .

في مطعم

وكنت في مطعم ، وحدث تجاوب بيننا وبين فتاة من اهل السواد ، مصرية متأنقة ذات ثقافة . وجرى حديث علمنا منه انها جاءت الى لندن من بحيرتها منذ عشر سنوات ، واقامت . وسألناها عن الاعمال التي يزاولها في العاصمة الذكور والاناث ، ممن جاءوا من افريقية أو جزر الهند الغربية .

فقالت في مرارة انهم يعطون الاجنبيين وسائر اهل السواد احقر الاعمال ليحرفوا هم الى ما هو ارفع وانظف .

وهذا رأى تمرره المشاهدة . ولكن ليس كل المشاهدة . فبعض ماشاهدنا دل على ان من اهل السواد من استطاع ان يبلغ مراكز في العمل رفيعة ، في التمثيل ، في التلفزة ، وفي التمريض ، وفي الطب . وآخر ما شاهدناه مترونه matron لاحدى المستشفيات تعاقدت، وهي بالطبع رئيسة الممرضات والمشرفات جميعا في المستشفى ، وتقدم لنيل الوظيفة التي شغرت عدد من الممرضات ، وخطب بها ممرض من أهل السواد ، امتحنوه فيمن امتحنوا ، وحدثوها وحللوا فيها شخصية من اقدر الشخصيات على ملء الوظيفة . والذين اختاروها كانوا ابعد الناس عن مزالق السياسة ومظانها . كانوا جماعة من اهل الطب والعلم .. ومع هذا لا بد ان اقول انه حدث ، في المزاج الانجليزي العام ، نادر .



والاعلانات قائمة تطلب العمال

ومن دلائل الرخاء اذا احتاج الانسان الى غير السنة الناس من دليل ، كثرة الاعلانات المنشورة في الطرقات تطلب العمال .

واعلان قرأته ، في سكة الحديد التحتية التي تحت الارض ، تطلب العامل ، سنه ١٨ عاما فما فوق ، يبدأ بمرتب ١١ جنيها في الاسبوع يزداد الى ١٢ جنيها من بعد تدريب ، ويزداد بعد سنوات الى ٢٠ في الاسبوع فما فوقها . ومن هذه خدمة صحية بالمجان ومعاش للتقاعد ، واجازات مدفوعة . ومثل ذلك في البريد ، ومثل ذلك في دكاكين البيع ، ويطلب العامل في هذه والعاملة يعملان الوقت كله او نصف الوقت .

والاجور ، مهما علت ، لا معنى لها الا اذا هي قيست باثمان الحاجات في البلاد ، اي بلاد .

وليس معنى هذا ان كل اهل البلاد شملهم هذا الرخاء ، ففي البلاد تعطل

ومن تحاور البلاد في امره ، وهو يقض مضاجع الحكام .

وليس معنى هذا ، ان انجلترة ، وهي الدولة الرأسمالية ، صارت ، بأنها رأسمالية ، جنة الله . فالحق الذي لا مرية فيه ان الاشتراكية متغلغلة في الصميم من اساليب الحياة في البلاد ، ولكنهم ما هكذا يسمونها .

والغريب من هذا والعجب ان متتبع تاريخ هذه الاساليب ، ودخولها في حياة الناس هنا ، سوف يجد ان المحافظين كان لهم فيها حظ السبق ، في وجه ووجه ووجه . ومن رجال حزب العمال من لا ينكر هذا ، وانما هم يقولون ان المحافظين ما فعلوا الا تحت ضغطنا . والحق انه ضغط الشعب وجو الزمان .

الرخاء لا يمنع من تعطل ، ولا من فقر

وحدثت صاحبي في هذا الرخاء

قال : ان الاسواق مليئة بالذي يؤكل ويلبس ويركب ويسكن ، وهذا رخاء . وفي جيوب الناس ، اكثر الناس ، المال الكافي ، اعني الاجور الكافية لهذا الشراء ، في اعتدال كثير ، وحرص شديد ، وهذا رخاء . ولكنه رخاء الى جانبه تعطل كثير . فالتعطل عندنا قارب ٥٠٠٫٠٠٠ متعطل . والتعطل مأساة وفقر . وانت لا تراه الا في مناطقه فلا بد من سفرك الى مناطق الشمال لترى الجانب التعس من هذه البلاد .

قلت : ولكن التعطل دواؤه العمل ، والعمل سبيله التخطيط ؟

قال صاحبي : نعم التخطيط الكامل الشامل . ونظمنا الحاضرة لا تزال تأباه . ان هذه النظم الحرة ، حيث العلم المتقدم وحيث التكنيكية المتقدمة باختلاف برامج الانتاج ، تؤدي الى شيء كثير من الرخاء ، قد يشمل اكثر الامة ، ولكن تبقى دائما بقية ، هي رواسب طبيعية لهذه النظم التي لم يكتمل تخطيطها ، يقل مستوى المعيشة فيها دون الحد الذي يفصل بين الفقر والاستقلال . وكما صار التضخم المالي في السلم من بعض صفات النظم الاقتصادية الحرة ، هذه التي تأبى التخطيط كاملا ، فكذلك صار التعطل ، كلاهما لا يقلق اهل المذاهب كثيرا في الدول الغربية . وهذه الولايات المتحدة ، يبلغ اهلها في المستوى المعيشي مبلغا لم تبلغه امة في التاريخ ، ومع هذا فقد اوضح الاحصاء الرسمي ان خمس اهلها يعانون الفقر . ويقول الاحصائيون غير الرسميين بل هو الثلث . وكان من اهداف رئيس الولايات الراحل ، كندي ، ان يكون في اول برنامجه في الانتخابات القادمة ان يخفف امر هذا الفقر . والرئيس الحاضر جونسون جعل محو الفقر من اول الاهداف التي سوف يتقدم بها للناخبين .

انه رخاء الرجل المدين

ـ وسألت صاحبي : كم يدوم هذا الرخاء ؟

فابتسم وقال : الحق انه رخاء الرجل المدين ؛ فنحن ننفق اكثر مما نكسب . ان عماد ثروتنا التصدير الى الخارج ، ونحن نستورد اكثر مما نصدر ، وهذا دين . وهو دين قد يبلغ ٨٠٠ مليون جنيه عن عام ١٩٦٤ ، هو نقص قيمة ما نصدر عما نستورد في هذا العام .

قلت : هل من اصلاح ؟

قال : لا تستطيع حكومة مقبلة على انتخابات ان تحاول اصلاحا يمس من رخاء الشعب الذي سوف ينتخب .

سيدة لا ترضى بهذا الرخاء

وسألت سيدة ، ربة اسرة ، يظهر في بيتها اثر واضح من ثراء . سألتها كيف تعيش مع هذا الرخاء ؟

قالت : لو خيرتني بين عيش الآن ، مع هذا الرخاء ، وعيشي قبل ربع قرن ، لاخترت عيشي الذي مضى . ان العيش اليوم صار اجهادا لا يطاق . زوجي يعمل . اولادي وبناتي يعملون وانا اعمل . ان العمل صار كمارد بيده سوط يدور به وراءنا يلسع به ظهورنا . وهو اقسى ما يكون على المرأة لا سيما المرأة الزوجة ذات الاطفال . عليها كفالة البيت لاختفاء الخدم .



اختفى الخدم فقامت الزوجة الام ، تعاونها بناتها ، بالكنس والغسل والطبخ والشراء من الاسواق

الخدم ذهبوا الى ابراج البر . وان وجدتهم الان فاجرهم بالساعة ، وهو اجر كبير ، لا يحدده القانون ، ولكن حددته ندرة الخدم وارتفاع سعر الاعمال . وعلى ربة البيت الشغل . ومن بعد كل هذا هي تخرج الى السوق لتشترى حاجاتها، تشترى طعام كل يوم ، وتحمله بيدها ثقيلا الى بيتها . كانت ربة البيت،من عشرين سنة وثلاثين، تطلب حاجتها من بائع اللحم وبائع الخضر والبقال بالتلفون ، والى صبيية محله التاجر بالبضاعة الى المنازل . فهؤلاء الصبية اختفوا اليوم .ذهبوا الى ميدان البر . ان الايراد لا شك كثير بكثرة العمل ، عمل الآباء والابناء ، ولكن مع كثرة الايراد جاء التعب النفسي .

وذكرت لها ما في كثرة الايراد من امن وطمأنينة .

العلم والاختراع عقدا عيش الناس

فاستطردت تقول : « ايراد كثير نعم ، ولكن في اى شيء تنفقه ؟ في شراء اشياء جديدة مما يخترعها كل عصر جديد،عصر العلم والاختراع، يخترعون فيه كل حين شيئا جديدا ، يكون في اول الامر الموضة ، ثم يصبح تحفة ، ثم تدخل التحفة البيت فتصبح من بعد ضروراته .وتتدخل ظروف الحياة لتجعل من هذا الشيء الكمالي حاجة ملحة . ويجب على الناس الشراء .والشراء يحتاج الى الايراد الكبير . والايراد الكبيريحتاج الى العمل الشاق الكثير . حياة الجيل الماضي البسيطة عقدها الجيل الحاضر ولا يزال يعقده . كانت حياة الناس فيها رهوا ، او على مهل ، والانفاس تؤخذ من الهواء في راحة ، والفاكهةتنضج بطيئة فيستمتع بمضغها الناضج ، ثم صرنا بالعلم والحذق والذكاء المفرط ، في حياة تقطع مسافاتها ركضا ، وناخذ انفاسنا من هوائها لهثا ، واللقمة يسأل عنها الطاعم بعد ساعة من طعامه فلا يذكر ما اكل . »

صورة من العيش صادقة

ان هذه الصورة التي صورتها هذه السيدة للاسرة ، وقيام افرادها جميعا بالعمل ، يراها الناظر في حياة المجتمع هناك وهي غدو الناس الى اعمالهم صباحا ورواحهم منها مساء . ففي الضحى ، والظهر ، والى ما بعد الظهر ، لا تجد في شوارع هذه الضاحية ، وهي من

الضواحي الشهيرة المزدحمة، عبر الامهات، وعبر الاشباح من ذكور واناث. وكثيرا ما رأيت الأم، في سوقها، تجر ابنها في عربته، وفي ذراعها اليمنى شنطة يدها، وفي ذراعها اليسرى كيس مليء تبين بأيدي اشترته من السوق من حاجات منزلها. واخريات عجائز حملن ما اشترين في سلة تجري على عجل، تتصل به عصا هي مقبضه، تمسك به ربة البيت المحنية، تجر بها السلة وهي وراءها، وقد حملته من الخضر والفاكهة ما حملت. ثم الاشباح من الرجال، لم أكد أرى احدا غيرهم من الرجال، ومنهم من حمل كيسا أو سحب على الارض سلة. ومن بينهم اشباح متقاعدين ذهبوا الى الرف، وزوجاتهم بقين في البيوت تعمل. ووجد الاشباح نصيبهم هذا من العمل ملأ فراغ، فقد صار فراغ الفارغين، من بعد تقاعد، مصيبة من مصيبات الحضارة، ثار في الصحف والاذاعة والتلفاز، وعني بأمرها المختصون من رجال علم الاجتماع.

فهؤلاء هم الاشباح، وهؤلاء هن العجائز، فأين اذن الشباب من رجال ونساء؟ تلقاهم صباحا في السيارات العامة وفي عربات السكك الحديدية، سكك الضواحي، يزحمونها زحما، وهم في سبيلهم الى اعمالهم ومنهم الكثير من الآباء العاملين، والأمهات العاملات. وكذلك أنت ملاقيهم عند رواحهم. وفي هذه الزمرة الكبيرة، الغادية الى اعمالها الرائحة عنها، تتمثل الأمة. وهي مادة للدرس لكل دارس فطن. ان اراد درس سن فهناك درسها.. أو درس أزياء فهناك درسها.. أو درس لياقة ولباقة فهناك.. أو نشاط أو اعتدال، أو نقيضهما من فتور واسترخاء، فهناك.. والجد صفة شائعة يجدها الدارس في كل غاد وغادية، ورائح ورائحة.

الخنافس ورقصة الزار

ويعودنا الحديث في الشخص والازياء الى الادلاء بكلمة عابرة عمن اسموهم بالخنافس:

أربعة من الشبان ابتدعوا أغاني جديدة، يصيحون بها على أنغام الطبل والمزمار بقوة مثيرة تبلغ درجة الصياح، وعلى وتيرة من النغم واحدة لا تختلف. تدق الطبل بأنه الاصابع الاول في العنف. ويرقص عليها المراهقات والمراهقون من الحفل الراقص، كل يتحرك، على انفراد، مع الدق الرتيب على هواه، ويتشنج به كل بمقدار ما تؤاتيه أعصابه.

وشاع هذا الرقص، وشاع أسلوب هذه الفرقة، هؤلاء الخنافس الاربعة، في الغناء والدق، شيوعا لم يكن يخطر ببال. ينظر الرجل المترفت فيقول **ما أسخف**. وينظر اليه الرجل المتزمت **فيبتسم ولا يقول شيئا**. وينظر اليه الرجل الشرقي... **فيجد فيه ملامح شبيهة من الرقص والتعقل الذي تقوم به نساء الشرق في حفلات الزار، فالنغمة واحدة، والنغمة رتيبة، والتشنج غاية.**

والطبيب النفساني ينظر الى انجذاب المراهقات اليه والمراهقين، والمراهقة عنده **جنوح وداء**، ويعلم ان هذا الرقص والغناء، وتحريك الرأس والكتف، والذراع والرجل والكفل، **ليس الا دواء لهذا الداء.**

وحكام انجلترة يرون غير ذلك. **الملكة استقبلت الخنافس الاربعة، واستقبلتهم الاميرة مرجريت اخت الملكة، واحتفل بهم رئيس الوزراء واحتفل بهم رئيس المعارضة، وقدما لهم الهدايا.**

ورئيس الوزراء قال عنهم انهم **خير سفراء انجلترة الى العالم**. وقال عنهم، **انه بعد طوافهم بالولايات المتحدة، لم يكن بانجلترة حاجة الى الدولارات.**



هؤلاء هم الخنافس الاربعة الذين قال عنهم رئيس وزراء بريطانيا : « انهم خير سفرائها »

ذلك انهم جمعوا من الدولارات في تطوافهم هناك الملايين ، قيل انها بلغت ٢٥ مليونا .

وحيثما حل الخنافس قلبوا نظام الامن فيه ، وخرجت زمر البوليس لحمايتهم من الالوف المؤلفة من الشباب المراهق المعجب بهم ، الزاحف الى لقائهم في هستيرية صارخة لا احسب ان عرف مثلها انبياء او قديسون . انها ظاهرة جديدة مثيرة من ظاهرات هذا العصر الجديد حقا وصدقا .

فتيان لهم رؤوس الفتيات

ولكن اين الذي في هذا من الحديث في الشعر والازياء ، ذلك الذي قصدت أتحدث عنه ؟

نعم . انها اطالة الشعر التي اتخذها الخنافس زيا يعرفون به . ونشأت من بعدهم ، وعلى غرارهم ، فرق عازفة مثلهم ، من رجال ، تعرفهم جميعا من اطالة شعورهم فهم من امام اطالوها حتى الحاجب ، ومن خلف اطالوها حتى عطف القفا .

واتخذ المراهقون هذا الزي تأسيا .

وتنظر الى بعضهم فلا تدرى أانت تنظر الى فتاة ام فتى ؟!

وحدث في مدرسة ان ناظرها خير بعض المراهقين ، ممن اطالوا شعرهم ، بين قص الشعر ، او رفعه عن وجوههم بالشريط الاحمر او الاخضر او الابيض ليضم الشعر الى خلف كما تصنع البنات . وتحدثت الصحف عن هذا المربي الذي تدخل هكذا سافرا جهارا في الحرية الفردية فيحد منها . فالحرية الفردية عندهم ، وان ضلت الطريق حينا ، يجب ان يفسح لها الطريق دائما ، لانه طريق بلوغ هذا الحيوان الانسان ما قدر له من كمال .

ويأتي ناظر المدرسة المسكين ليدافع عن نفسه فيقول ما فحواه :

« لا والله ، ما الحرية اردت ان امس ولا الفردية ان اريق ، وانما هي فلسفتنا في المدرسة القاضية بطلب الى البنات ضم شعورهن الى الوراء بالاشرطة حتى لا تحجب الاعين عن قراءة او كتابة . فلما طال شعر البنين طبقنا عليهم هذه القاعدة نفسها عملا بالمساواة . انها قاعدة تتصل بالشعر الطويل والعينين ، ولا تنظر الى صاحب الشعر والعين ، ذكرا كان او انثى . »

ونشرت الصحيفة اعتذار المربي .

الانتخابات قائمة

ولا يفوتني ، في هذه اللمحات القليلة الخاطفة ، ان اذكر الانتخابات البرلمانية ، وهي تقع في اكتوبر هذا .

ان الحملة قائمة بين الحزبين الاساسيين ، في غير صخب كثير ، فلولا الصحف وهي تنقلها برفق ، ما ادرك احد ان بالبلاد انتخابا لمجلس يحكم البلاد سنين .

والكفتان ظاهرا متعادلتان . وكانت كفة العمال راجحة ، ولكن قلل من رجحانها بعض الشيء ظهور « جلدووتر » Goldwater مرشحا

لرئاسة الولايات المتحدة ، وكذلك ما كان من اضراب عمال البريد ، وما قد يتبع ذلك من اضرابات .

والناس هنا كثرتهم الكبرى ، من رجال ونساء ، من الطبقات عاملة ، لا تهتم من امور السياسة الا بالامور التي تمس معاشهم ، من يسر او عسر ، ولذلك لا يزال حزب المحافظين يعتمد على شارته القديمة التي فاز بها في الانتخابات الماضية ، تلك التي تقول لهم « لم يكن لكم قط من رخاء مثل هذا »
You never had it so good

اما في السياسة الخارجية ، والكثرة الكبرى لا تفهمها ، ولا يتسع وقتهم وذهنهم لفهمها ، فكل ما يهمهم ان يكون سلام .



حملة الانتخابات في انجلترا قائمة ، بين الحزبين الكبيرين المحافظين والعمال . وحزب ثالث ، هو الاحرار ، يظن انه سيكون بينهم كفة الترجيح .

العرب عند القوم : آبار زيت

ومن الوجهة العربية اود ان اقول ان الناس هنا ، في جملتهم ، لا يعرفون العرب الا آبار زيت . وكشف الزيت في عمان ذاع خبره كما لم يذع خبر آخر يجيء من الشرق . وخصومة العرب والصهاينة لا يهمها الا الخاصة ، ولا يهتم بها من هؤلاء الا قلة ، وذلك لأن اليهود متغلغلون في الحياة هنا تغلغلا بالغا ، لا سيما في وسائل الاعلام . يكفي ان تقرأ اصحاب البرامج في التلفاز ، او من هم وراء البرامج ، لتعرف مقدار هذا التغلغل .

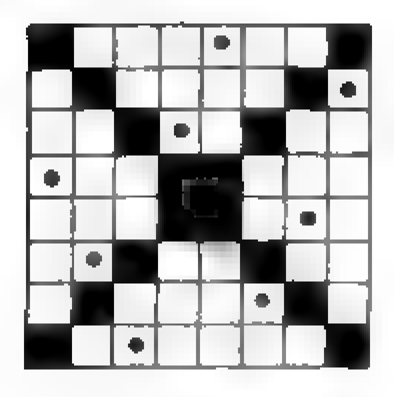
والتلفاز دخل بيوت الاسر اكثر مما دخلت الصحف .

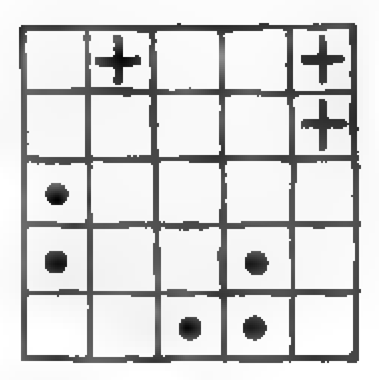
وفي السياسة ، وفي عالم المال ، وفي عالم الفكر ، وزع اليهود انفسهم حتى لا يخلو منهم مكان . فمنهم من اهل اليسار ، ومنهم من اهل اليمين ، ومنهم من وقف بلا لون ، وكل يقوم بدوره عند الحاجة . وهم بين المحافظين مثلهم بين العمال ، ولعلهم اكثر في العمال والنمل في الطبقة المثقفة منهم .

يذكرني هذا بجولد ووتر Goldwater مرشح الجمهوريين لرئاسة الولايات المتحدة . ان اباه يهودي . وهو نشأ يهوديا لم يتنصر . وله أخ . فلما شبا وترعرعا ، فكرا في الدخول الى المجال السياسي . فاتفق الاخوان على ان يدخل احدهما الحزب الجمهوري ، وان يدخل الآخر الحزب الديمقراطي ، حتى يكون لهما شأن اليهود دائما ، اثر في كل مكان ومع كل زمان .

ولم يدريا ايهما يدخل اي الحزبين . فعملت بينهما القرعة ، فكان حظ الاول ، مرشح الرياسة اليوم ، الحزب الجمهوري ، وحظ اخيه الحزب الديمقراطي .
وهكذا كان .

لندن — الدكتور احمد زكي





نتيجة مسابقة العدد ٦٩

احتجاج على صعوبة المسابقة !

■ تخيل الكثيرون من القراء المشتركين في مسابقة العدد ٦٩ بأن حل المسابقة من الصعوبة بمكان ، ومع ذلك أرسلوا اجاباتهم الصحيحة ومعها خطابات احتجاج !

والواقع ان المسابقة تتسم بشيء من الصعوبة التي يتطلبها ليس مسابقة سهلة ، لها اكثر من حل صحيح ، ننشر احدها فوق هذا الكلام ليطلع عليه الذين لم يوفقوا الى معرفة الحل .

والى جانب الاجابات الكثيرة الصحيحة ، كانت هناك اجابات عديدة صحيحة ناجحة ، اجريت بينها القرعة ، ففاز القراء السعداء المذكورة اسماؤهم فيما بعد ، بجوائز مجموعها ١٠٠ دينار .

الجائزة الاولى وقيمتها ٣٠ دينارا فازت بها : سعاد العلي – ص ب – ٧ الكويت

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها : حسن عبد الرزاق حداد – مرصد الهيئة كرادة الشرقية رقم ٣١٢ – بغداد – العراق .

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها : احمد يحيى الغزال – مدرسة الوحدة الاعدادية – ميدان التحرير – صنعاء – اليمن

٨ جوائز قيمة كل منها ٥ دنانير ، فاز بها :

خالد عبد الله قمبي – الخرطوم بحري ص.ب ٣٢ السودان

الرئيس فريد فندح : مدرسة سلاح اللاسلكي الملكي – الاردن

علي محمود عبد لنجاح ص.ب ٧٦ الطائف المملكة العربية السعودية

معن المصباغ حماه . سوريا – سوق الطويل

بولي فوراني : ص.ب ١٢١٠ دبي – الخليج العربي

رمضان حسن سيد سمكة – شارع الكشف منفلوط – ج ع م

رمزي سليم اباظة : ٣٢ بالجان صولو سانتوسيميا .

بودالي محمد سيدي مومن – زنقة ١٢ رقم ١١٦ – الدار البيضاء – المغرب .

وسوف ترسل قيمة الجوائز بالبريد الى اصحابها الفائزين . ■■

مجموع التلاميذ في مدارس البلاد العربية ١٩٦٢ - ١٩٦٣

٧٢٩ ... ٩٩٦ هو مجموع عدد التلاميذ في جميع البلاد العربية خلال العام الدراسي ٦٢ – ٦٣



● [illegible]

[illegible] في المدارس الابتدائية ورياض الأطفال ٨٤١٨٧٢١ في المدارس الإعدادية والثانوية العامة ١٠٨٤٦٥[illegible] في المدارس المهنية والتكميلية ١١٢٩١ في معاهد التعليم العالي والجامعات ١٩٥٥٨ في دور المعلمين والمعلمات ٥٥٤٤٣

مجموع التلاميذ في
المدارس العربية والعبرية
١٩٦٢ - ١٩٦٣



في رياض الأطفال والابتدائي!

نظرات مفصلة :

(١) مجموع التلاميذ والطلاب في كل قطر

في الجمهورية العربية المتحدة	٢٨٢٢ ٨٢٧
في الجمهورية العراقية	١٠٩٧ ١٢٥
في المملكة المغربية	١٠٠٧ ٨٩٩
في الجمهورية الجزائرية	٨٩٦ ٨٠٠
في الجمهورية العربية السورية	٧١١ ٧٤٠
في الجمهورية التونسية	٦٢٠ ٢٧٤
في جمهورية السودان	٤٦٠ ١٩٧
في الجمهورية اللبنانية	٣٧٦ ٠٩١
في المملكة الاردنية الهاشمية	٢٣٦ ١٦٥
في المملكة الليبية	١٨٩ ٥٠٦
في المملكة العربية السعودية	١٨٦ ١٣٩
في قطاع غزة	٨٤ ٢٤٢
في الجمهورية العربية اليمنية	٦٤ ٢٢٢
في دولة الكويت	٥٩ ٥٥٦
في امارة البحرين	٢٨ ٥٢٤
في حكومة عدن	١٨ ٩٨٩
في امارة قطر	٨ ٠٢١
في سائر الامارات (تقريبا)	٦ ٠٠٠

الرسم البياني رقم ١ يظهر الى العيان نسب هذه الأرقام .

ملحوظة : عدد أطفال اللاجئين الفلسطينيين الذين يدرسون في المدارس في كل من الأردن وسوريا ولبنان وغزة ، داخل في الأرقام المدرجة في هذا الجدول .

(ب) مجموع المعلمين والمعلمات في كل قطر :

الجدول التالي يبين مجموع القائمين بالتربية والتعليم في كل قطر من الأقطار العربية :

في الجمهورية العربية المتحدة	١٢٥ ٠٠٠
في الجمهورية العراقية	٣٦ ١٠٢
في الجمهورية الجزائرية	٢٥ ٧٨٥
في المملكة المغربية	٢٥ ٢٨٣
في الجمهورية العربية السورية	٢١ ٨٤٦
في الجمهورية اللبنانية	١٥ ٠٦٧
في الجمهورية التونسية	١٣ ٤٥٠
في المملكة الاردنية الهاشمية	١٠ ٩٧٣
في المملكة العربية السعودية	١٠ ٥٩٥
في المملكة الليبية	٦ ٧٢٧
في مدارس اغاثة اللاجئين	٤ ٢٨٤
في دولة الكويت	٢ ٩٤١
في قطاع غزة	١ ٩٥٨
في الجمهورية العربية اليمنية	١ ٣٦٥
في امارة البحرين	١ ١٠٨
في حكومة عدن	٦٩٠
في امارة قطر	٥٣٩

(ج) مجموع التلاميذ في التعليم الاعدادي والثانوي العام .

الجدول التالي يبين مجموع التلاميذ الذين يدرسون في المدارس الاعدادية العامة والثانوية العامة في كل قطر من الأقطار العربية :

في الجمهورية العربية المتحدة	٤٧٤ ٧٢٩
في الجمهورية العراقية	١٨١ ١١٨
في الجمهورية العربية السورية	٩٠ ٧٩٤
في المملكة الاردنية الهاشمية	٧٢ ٩٠٥
في المملكة المغربية	٥٦ ٢٣٢
في الجمهورية اللبنانية	٥٣ ٥١٩
في الجمهورية التونسية	٤٤ ٥٢٢
في جمهورية السودان	٣٥ ٣٦١
في الجمهورية الجزائرية	٢١ ٦٠٠
في قطاع غزة	١٧ ٣٣٦
في المملكة الليبية	١٧ ١٣٦
في المملكة العربية السعودية	١١ ٩٠٠
في دولة الكويت	٢ ٧٥٧
في امارة البحرين	٢ ٦٧٩
في حكومة عدن	١ ٩٦٨

(د) مجموع التلاميذ في التعليم المهني والتكنيكي :

الجدول التالي يبين مجموع التلاميذ في المدارس المهنية والتكنيكية ، في كل قطر من الأقطار العربية :

في الجمهورية العربية المتحدة	١٣٤ ٤١٩
في الجمهورية الجزائرية	١٩ ٤٢٤
في المملكة المغربية	١٧ ٢٠٧
في الجمهورية التونسية	٩ ٩٥١
في الجمهورية العربية السورية	٧ ٣٧٣
في الجمهورية العراقية	٦ ٨١٧
في المملكة العربية السعودية	٤ ٢٧٢
في جمهورية السودان	٣ ٨٣٩
في المملكة الاردنية الهاشمية	٣ ٤٢٥
في المملكة الليبية	١ ١٣٩

في الجمهورية اللبنانية	٩٦١
في دولة الكويت	٦٣٠
في حكومة عدن	٣٠٠

الرسم البياني رقم ٢ يظهر الى العيان نسب هذه الأرقام .

(ان عدد طلاب الكليات العملية والتكنيه التابعة الى الجامعات، لم يدخل في هذا الجدول) .

(هـ) مجموع طلاب دور المعلمين والمعلمات :

الجدول التالي يبين مجموع طلاب دور المعلمين والمعلمات القائمة في كل قطر من الأقطار العربيه

في الجمهورية العربية المتحدة	٢٥ ٥٦٩
في الجمهورية العراقية	٧ ٤٧٣
في المملكة العربية السعودية	٥ ٥٧٥
في الجمهورية العربية السورية	٣ ٥٨٥
في المملكة المغربية	٢ ٧١١
في المملكة الليبية	٢ ٥٣٢
في الجمهورية التونسية	٢ ١٧٦
في جمهورية السودان	١ ٦٨٠
في المملكة الاردنية الهاشمية	١ ١٤٤
في الجمهورية اللبنانية	٩٥٠
في الجمهورية الجزائرية	٦٢٣
في دولة الكويت	٤٢١
في حكومة عدن	١١٠

الرسم البياني (رقم ٣) يظهر الى العيان نسب هذه الارقام .

(ان معاهد التربية وكليات التربية التابعة الى الجامعات لم تدخل في هذا الجدول) .

(و) مجموع طلاب المعاهد العالية والجامعات :

الجدول التالي يبين مجموع طلاب المعاهد العالية والجامعات القائمه في كل قطر من الاقطار العربية :

في الجمهورية العربية المتحدة	١٢٨ ٥٠١
في الجمهورية العربية السورية	٢٤ ٥٥٧
في الجمهورية العراقية	١٤ ٨١٧
في الجمهورية اللبنانية	٨ ٨٤٧
في جمهورية السودان	٥ ١٦٠
في المملكة المغربية	٤ ٧٢٩
في الجمهورية التونسية	٣ ٤٦١
في الجمهورية الجزائرية	٣ ٤١٠
في المملكة العربية السعودية	٩٥٤
في المملكة الليبية	٩٢٢
في المملكة الاردنية الهاشمية	١٢٠

الرسم البياني رقم (٤) يظهر الى العيان نسب هذه الأرقام .

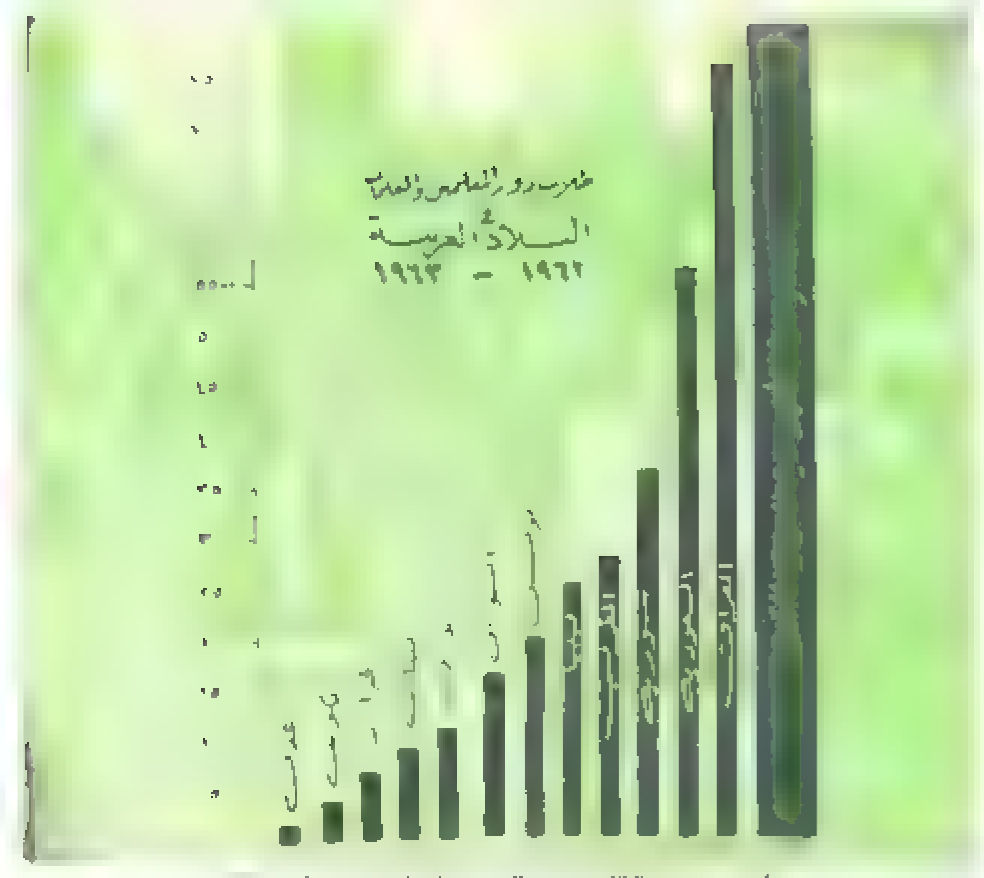
مقارنة عام ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣
بعام ١٩٦٠ ــ ١٩٦١

اذا قارنا مجموع التلاميذ والطلاب الذين كانوا يدرسون في المدارس والمعاهد القائمة في مختلف الأقطار العربية ، خلال العام الدراسي ١٩٦٠ ــ ١٩٦١ ، مع ما يعود الى العام الدراسي ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ ، علمنا : ان هذا المجموع قد زاد خلال العام الدراسي الأخير ، المقادير التالية :

في الجمهورية العربية المتحدة	٢٢٠ ٣٢٤
في المملكة المغربية	٨٤ ٤٥٦
في الجمهورية العربية السورية	٦١ ٧٥٦
في الجمهورية التونسية	٥٥ ٦١٩
في الجمهورية العربية اليمنية	٥٠ ٠٠٠
في الجمهورية العراقية	٤٣ ٥٨٢
في جمهورية السودان	٤٠ ٦٦٠
في المملكة الاردنية الهاشمية	٢٥ ٧٨٧
في المملكة الليبية	٢٣ ٢٥٦
في الجمهورية اللبنانية	١٨ ١٦٦
في المملكة العربية السعودية	١٥ ٦٧٧
في دولة الكويت	٨ ٨٧٣
في امارة البحرين	٥ ١٧٦
في قطاع غزة	٤ ٤١٢
في حكومة عدن	٣ ٢٠٢
ومجموع هذه الارقام بلغ	٦٦١ ١٠٦

غير انه ، يجب أن يلاحظ ان هذا الجدول لم يذكر جمهورية الجزائر ، لان لها حالة خاصة ، تستوجب امعان النظر في الاحصائيات العائدة لها .

ان الاحصاءات المذكورة تدل على ان مجموع التلاميذ في مدارس الجمهورية الجزائرية قد نقص خلال العام الدراسي المنصرم ١٨١ ٦٠ تلميذا .



وصل مجموع عدد الطلاب في دور المعلمين والمعلمات [illegible] طالب وطالبة

[illegible]

[illegible] ٢٧٧٣ [illegible]

[illegible]

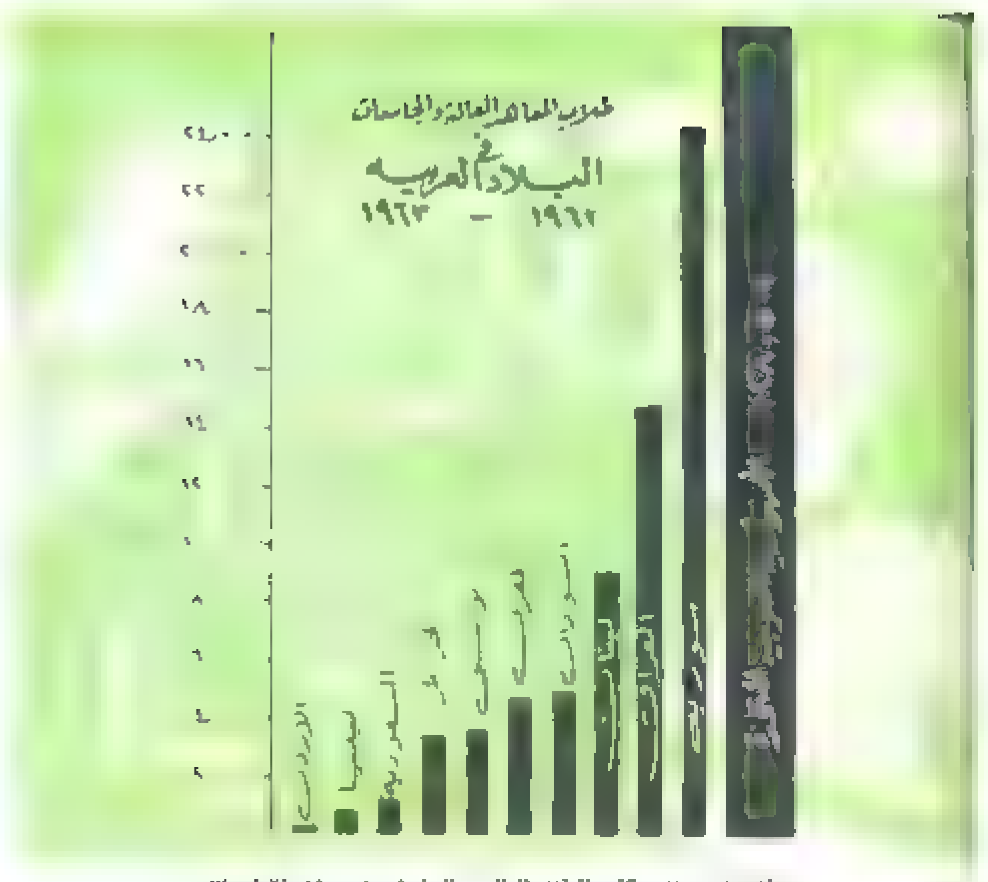
وأما مجموع التلاميذ الجزائريين ، [illegible] ٨٦،٦٠٩

[illegible]

[illegible] ١٩٦٢ — ١٩٦٣ فقد ناهز ثلاثة أرباع [illegible] . إذ بلغ ٧٤٧٧١٥

خامسا

[illegible]



وبلغ مجموع عدد طلاب المعاهد العالية والجامعات ١٩٥٥٠.٨ طالبا وطالبة

أبو خلدون
ساطع الحصري



■ تتألف مسابقة هـــــذا العدد من مسألتين عقليتين بسيطتين ، لا تحتاجان الى علم كبير بقدر ما تحتاجان الى قليل من التفكير .

المسألة الاولى :

اكتب الارقام من ١ الى ٩ ، ثم وزعها على ٣ مجموعات ، بحيث يصبح حاصل جمع كل مجموعة منها = ١٥

المسألة الثانية :

اكتب الارقام من ١ الى ٩ ، ثم اختر من بينها ثمانية ارقام ووزعهـــــا على ٤ مجموعات ، تتألف كل مجموعة مــــن رقمين ، اذا ضربت حاصل جمع الرقمين اللذين تتألف منهما كل مجموعة ، في الرقم التاسع الباقي ، كان حاصل الضرب في كل حالة = ٥٠ .

وبعد أن تعثر على الحل الصحيح ، اكتبه على ورقــة مستقلة ، وأرفق معه كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٦ من هذا العدد ولا تنس أن تكتب اسمك وعنوانك الكاملين على الكوبون .

ويجب أن نلفت نظر القراء المشتركين في المسابقة الى اننا قد وصلتنا اجابات كثيرة صحيحة في مسابقات ماضيــــة ، لكن اصحابها لم يفوزوا بأية جائزة ، لأن اسمهم كان غير واضح ، أو أن عناوينهم ناقص . .

ومن الاســــباب الاخرى لعدم الفوز في المسابقات وصول الاجابات متأخرة عن الموعد المحدد في المسابقة . . وكذلك عدم كتابة كلمة مسابقة العدد ٧١ على الظرف الخارجي للاجابة . . فعدم كتابة هـــذه الجملة ينقـــل خطابك الى اقسام اخرى فتضيع عليـــــك فرصــــة الاشتراك في الســحب النهائي .

لهذا نرجو من القـــــراء المشتركين في



المسابقة مراعاة هذه النقاط والتقيد بكل دقة بشروط المسابقة الموضحة ادناه :

شروط المسابقة

١ ــ يرفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٦ ، اكتب عليه اسمك بخط واضح، وكل اجابة لا يرفق بها القسيمة تستبعد

٢ ــ يكتب على الظروف عبارة ــ « مسابقة العربي » ــ العدد ٧١

آخر موعد للاجابة

آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٤ وترسل الاجابة مباشرة بعنوان مجلة العربي ، صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربي .

الجوائز ١٠٠ دينـــار

يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الاولى ٣٠ دينارا

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير

اما المبلغ المتبقي ، ومقداره ٤٠ دينارا ، فقد قسمناه الى ثمانية جوائز متساوية ، مقدار كل منها خمسة دنانير ، توزع على الفائزين الثمانية التالين .

واذا تعددت الاجابات الصحيحة فان اللجنة ستقوم باجراء القرعة بين الاجابات الصحيحة لاختيار اسماء الفائزين بالجوائز

نقترح عليك ان تبدأ في الحال بالبحث عن الحل الصحيح لهذه المسابقة ، وترسل اجابتك قبل انتهاء الموعد المحدد



في أعماق البحار حياة أي حياة..



■ قال لي قائل : بحثنا اليوم بالاستطلاع طلع الكواكب والنجوم ، فهل نحن فرغنا من استطلاع طلع الأرض ، وكم هذا الشطر هو من [illegible] مستطاع ؟

[illegible]

قال [illegible] والبحر والمحيطات ، سطوحها [illegible]

[illegible]

[illegible] حدثنا عن الأعماق

جبال همالايا ، وجبال الألب

[illegible] ٢٢٥٠ كيلومترا [illegible]

[illegible] أفرست Everest [illegible]

[illegible] القمة تبلغ ٨٨٨٢ مترا فوق



في الأعماق تجري
الحياة صراعا دائما على
اليابسة ، أكثر من
الحيوانات ، عنصر
الجوع ، يأكل الصغير ،
والصغير يأكل الأصغر ،
والقوي يأكل الضعيف ،
والضعيف يأكل
الأضعف ، واسم السمك
العلمي الذي نحن هنا
هو

من سكن ، ومن الحيوان ما سكن ، انما هي سطوح كتل صلبة من الارض عظمى، استقرت قواعدها في المحيطات والبحار ، في اعماقها القريبة والبعيدة على السواء.

اعماق البحار

وأنت تنزل الى البحر ، عند ساحله ، فلا تلعب فيه بعيدا حتى تدرك انه ينحدر ، وتدرك بذلك خطره ، ثم تعود تطلب السلامة . وعمق هذا الساحل يتدرج غالبا في ازدياد ، فكأنما هذه الاجزاء الاولى من السواحل هي أكتاف لهذه الرؤوس الأرضية ، هذه القارات ، يغمرها الماء .

وقد تطول هذه الاكتاف، هذه الارفف القارية Continental Shelves كما يسمونها (لأنها تعتبر امتدادا للقارات)، فتدخل في البحر وتطول الى مائة ميل قبل ان يبلغ الداخل في البحر من العمق مائتي متر أو نحوها ، او هي قد تقصر فلا يدخل الداخل في البحر أكثر من بضعة اميال حتى يجد العمق بلغ مئات من الامتار كثيرة .

ثم لا يلبث العمق ، من بعد هذه الاكتاف ، أن يتزايد في سرعة كبيرة .

وهو قد يبلغ بعد ذلك الألف متر .

وهو قد يبلغ بعد الألف الألفين ، والخمسة الآلاف ، والعشرة الآلاف من الامتار .

وهل تدرك ما العشرة الآلاف من الامتار ؟ انها عشرة كيلومترات . وهي تزيد . فالبحار تبلغ في اعماقها أكثر مما بلغت الأرض الجامدة في ارتفاعها .

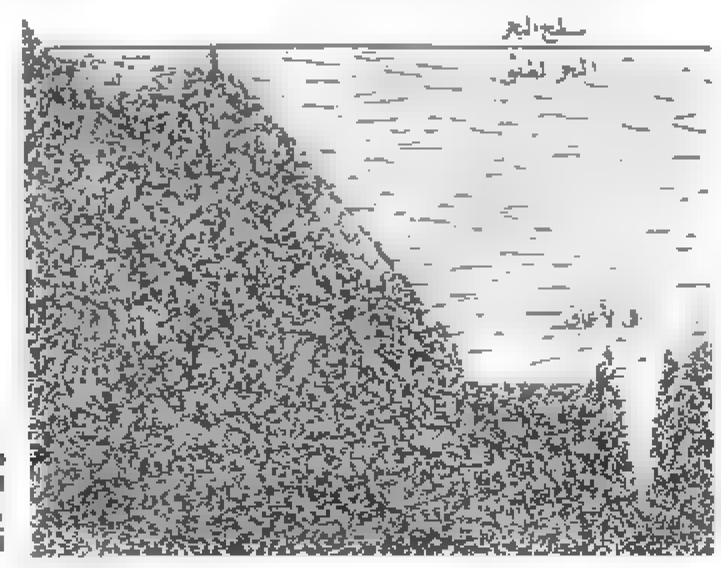
لاعماق البحر مساحات

ولكن هذا ليس يكفي لوضوح الصورة.

هذه الاعماق ، كم مساحتها ؟

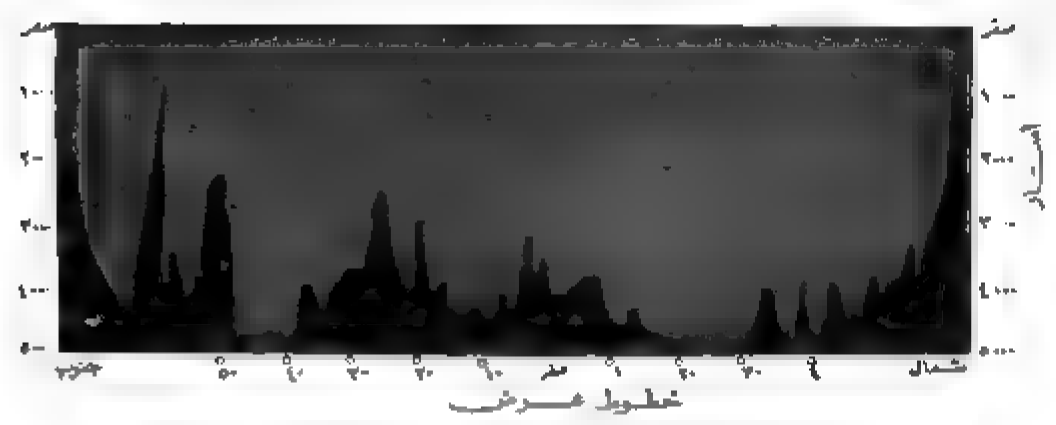
فاعلم ان الاعماق ، التي تمتد الى نحو ٢٠٠٠ من الامتار (كيلومترين) تبلغ مساحتها نحو ١٤٫٨ في المائة من سطوح البحار والمحيطات .

واعلم ان الاعماق التي تمتد ، ما بين ٢٠٠٠ الى ٦٠٠٠ من الامتار ، تبلغ مساحتها نحو ٨١ في المائة من سطوح



رسم ايضاحي للمحيط ،وكيف يتدرج الى الاعماق .





رسم بياني يبين سطح المحيط الأطلسي ، وكيف يرتفع وينخفض في مقطع طولي ، معبرا عن ذلك بالأمتار . ويمتد هذا المقطع من القطب الشمالي الى القطب الجنوبي . اما الدرجات ، فهي درجات العرض للأرض

البحار والمحيطات (واذكر ان سطوح البحار والمحيطات تبلغ اكثر من ثلثي مساحة سطح الأرض كلها ، وان شئت رقما بالذات فهو على التقريب ٧٠ في المائة) .

واعلم أن الأعماق التي تمتد أكثر من ٦٠٠٠ من الأمتار تبلغ نحو ١ر٢ في المائة من مساحة سطوح البحار والمحيطات .

وهذه شقوق في قيعان البحار وخنادق .

واعلم أن قاع البحر كسطح الأرض ، فيه السهول الواسعة المنبسطة المريحة ، ولكن ترتفع فيها نجاد ، وتنخفض وهاد ، وتصعد فيها قمم وتهبط بها أغوار ، فلو أن البحر انكشف لكان فيه شبه قريب بالذي فوق الأرض الجامدة ، ولعله يكون أكثر تناقضا .

شروط الحياة : في الأرض والبحر

شروط الحياة واحدة ، في بحر او على أرض .

ولكن الحياة ، على الأرض ، واسعة الحيلة .

تحتمل البرد وتحتمل الحر . . . ولكن في حدود .

تحتمل النور وتحتمل الظلام . ولكن في حدود .

ولهواء الأرض ضغط على أجسام الأحياء ، ويزيد وينقص ، وتحتمله الحياة على الأرض ، ولكن في حدود .

وقبل ان نتحدث من الحياة في البحر والأحياء ، يجب ان نصف شروط الحياة هذه ، كم منها يوجد في البحر ، وكم امور

الحرارة والبرودة في المحيطات

حرارة سطح البحر تقارب حرارة سطح الأرض . وهي تختلف باختلاف موقعه من خط الاستواء شمالا وجنوبا .

وانت تغطس في البحر فتجد أن حرارته قد قلت .

وانت تزداد هبوطا في الماء ، فتزيد الحرارة قلة ، وتتقارب

وهي على عمق ٤٠٠٠ متر تكاد تبلغ الصفر المئوى ، إلا درجتين ، وقد تهبط بعد ذلك الى الصفر المئوى ، ومن دونه ، ولا يتجمد الماء ، لأن به ملحا وعليه ضغط عظيم .

في أعماق المحيطات هدوء كهدوء القبور

وسطح البحر يهيج ثم يسكن ، يرتفع فيه الموج يوما ويهدأ يوما

ويصل اضطراب سطح البحر الى أسفل هذا السطح ، فيخشى الى عمق ستين مترا أو نحو ذلك ، ثم لا يكاد يحس منه بعد ذلك شيء . ان هناك الهدوء شاملا انه هدوء كهدوء القبور .

ولكن لا يمنع هذا من أن تتحرك في الماء كتل كبيرة ، مكان كتل كبيرة أخرى ، بسبب اختلاف درجات الحرارة ، وأدى بسبب اختلاف الكثافات .

ومن أخطر هذه التحركات المائية الكبيرة تحرك الماء عند القطبين : يبرد الماء هناك ، وفيه الأكسجين ذائب من الهواء ، فيسقط ، ويذهب في سقوطه الى أعماق من الماء بعيدة تحتاج الحياة فيها الى المورد بالأكسجين ، أكسجين الهواء .

وفي أعماق المحيطات ظلام أشد من ظلام الليل

وعلى سطح البحر نور ، هو نور الشمس .

وتغطس أنت في الماء فيقل نوره ، حتى اذا بلغ البالغ نحوا من ٥٠) مترا، اختفى النور كله فلا تكاد تحسه العين .

لا تحس العين بعد ذلك شيئا ، ولكن توجد بعد ذلك آثار من ضوء ، لا تحس بها العين ، ولكن تتأثر بها الأفلام الفوتوغرافية . وهي تتأثر حتى لو نزلنا بها الى نحو ضعف هذا العمق الفائت . أي الى نحو ٩٠٠ متر من سطح البحر .

فالبحار ، من نحو عمق ٤٥٠ مترا وهذا يختلف بعض اختلاف حسب صفاء الماء وعكره) ، ظلام دامس .

على سطح الأرض ضغط جو واحد ، وفي أعماق البحار ألف ضغط

ان ضغط الهواء فوق سطح الأرض يبلغ نحو عمود من الزئبق طوله ٧٦ سنتيمترا . يعلم هذا طلبة المدارس الثانوية .

فعلى هذا الضغط ، وما عمقه ، صيغ جسم الانسان ، وجسم الحيوان ، وصممت وظائفه .

والانسان يحتمل قلة الضغط فوق المعتاد ، الى حد . ولكنه لا يحتملها في الطائرات العالية حيث يخف ضغط الهواء جدا ، لهذا هم يزودونها بضغط هواء يريح المسافرين .

والغواصون وراء اللؤلؤ ، لا يحتملون زيادة ضغط الماء اذا ذهبوا في الماء بعيدا .

والغواصون المحترفون يلبسون على رؤوسهم الخوذات ، وعلى أجسامهم الكساوي من المطاط ، ويضخ لهم الهواء من مضخات في سفن فوق سطح الماء ، ومع هذا هم لا يستطيعون البقاء في الماء طويلا . ان أبعد مكان تحت سطح الماء وصل اليه غاطس محترف بلغ عمقه ٥٠٠ قدم أي نحو ١٥٠ مترا .

وقد شاع حمل الهواء مضغوطا في اسطوانات على ظهر الغاطس ، يتنفس منه ، وقناع فوق وجهه ، ثم هو يسبح في الماء حرا طليقا ، في لباس استحمام . هؤلاء بلغوا في الأعماق الى ٣٠٠ قدم أي ٩٠ مترا .

وغير الضغط يعاني الغاطس البرد .

وفي الحديث الأحدث من الأنباء هبط الانسان الى أعماق بعيدة ، ولكن في خزانات مغلقة أتم الغلق ، هبط فيها الرجل والرجلان . ويرقبان البحر من نوافذ تشف عما يجري فيه . ولكن ليس هذا مجال الحديث عنها . ويكفي أن نقول انهم بأمثال هذه الخزانات بلغوا بعض قيعان البحار .

أحياء البحار

وصفنا على عجل ، وفي اختصار شديد حال البحار من حيث أنها نشأت لتهدي لعيش الأحياء فيها .

والآن نواصل ، على عجل كذلك ، وفي اختصار شديد ، وصف ما في هذا الماء من حياة .





ان الحياة في البحر، كالحياة في الأرض، تهمها الأسس، شروط واحدة، وقوانين واحدة، وتسود فيهما - على العموم - نظم واحدة.

النبات أصل كل غذاء

واذا نحن تحدثنا عن الغذاء وجدنا حيوانات الأرض جميعا تعتمد في حياتها - في غذائها - على نباتات الأرض، أصلا.

الأرض تنبت النبت، الذي تأكله آكلات العشب من الحيوانات، كالخراف والأبقار والغزلان. ثم تأتي الجارحات، التي تعيش على اللحم، فتأكل الخراف والأبقار والغزلان. هكذا يفعل الذئب، ويفعل النمر، ويفعل الأسد. وهكذا يفعل الانسان. والانسان يجمع بين أكل نبات الأرض، وحيوان الأرض الذي يعيش على نباتها.

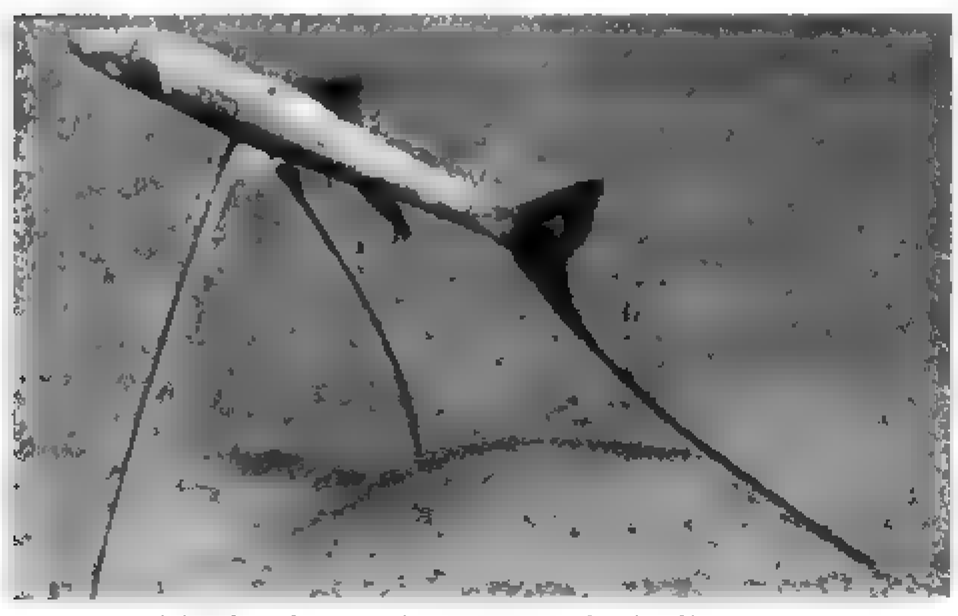
والنبات أصل كل غذاء في البحر

الأصل إذن النبات. فوق بر، أو داخل ماء بحر.

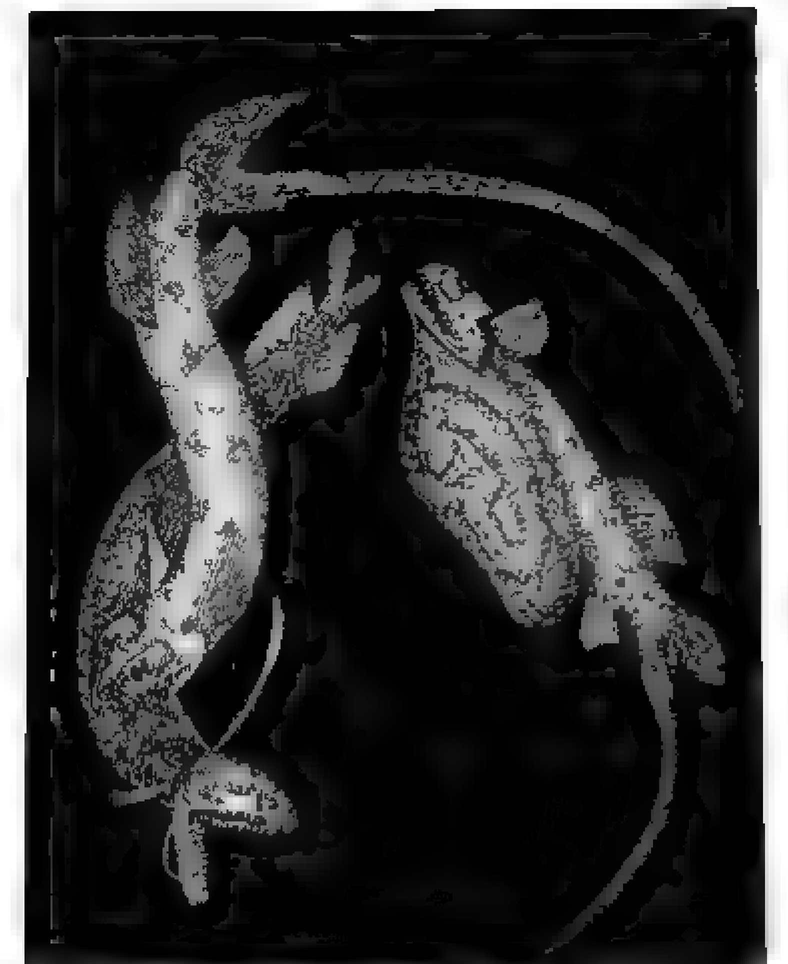
والنبات يحتاج، فيما يحتاج، الى ضوء الشمس.

ففي البحار ينبت النبات، ويكثر الخضرة، في المواحل الضحلة، ينبت في تربة الأرض تحت الماء، تلك التي تتألف منها أرصفة القارات. ان النبات ينبت ويكثر تحت الماء، في تربة هذه الأرصفة، ويمتد الى حيث يبلغ ضياء الشمس في الماء عمقا.

ثم يكون في الأعماق ظلام، فلا يكون نبات



سمكة صياد، على عمق ٢٢٠٠ متر في البحر المتوسط، والسمكة سائرة على ثلاث «أرجل» لا تتحرك، حتى تحس بحركة ضحية من ضحاياها، فتهجم، أو تحس بعدو، فتهرب. والاحساسان عندها مختلفان



سمك أبو إبريل طويل ، يلتهم سمكا من صنف آخر ، طعاما في هذه الحياة حلالا . والصورة التقطت (اليمنى) له حين صد الصباح . ان الحيوانات في هذه الأصقاع المائية لا بد ان تتقمص الضحية كل ما تجد ، وان تختزن ، فمن يدري لعلها لا تجد طعاما لأيام . الاسم العلمي لهذا السمك (i g a n t u c u s) ويعيش في شرق المحيط الأطلسي على عمق ١٥٠ متر

« عالمات » البحار

ولكن في مياه البحار جميعها أحياء دقيقة جدا ، بعضها المجهري ، وهي طليقة تهيم في الماء ، بعضها يدخل زمرة النباتات ، وبعضها يدخل زمرة الحيوانات ، ويسمونها الهائمات Plankton

وفي الماء منها مقادير هائلة

فهذه النباتات منها ما يصعد في النهار الى سطوح البحار ، فيرود شمسها ، وينمو ، ثم هو يهبط الى الأعماق ، غذاء طيبا لساكنيها

ثم في الأعماق تجري الحياة صراعا ، كما وصفنا من أمر جريانها على الأرض أساسه ، الكبير من الحيوانات ، على العموم ، يأكل الصغير ، والصغير يأكل الأصغر والأقوى يأكل الضعيف ، والضعيف يأكل الأضعف

أحياء البحار ليست كلها سمكا

وأحياء البحر ليست كلها سمكا فالحوت ليس سمك ، وعجل البحر ليس سمك .

وكذا في البحر حيوانات قشرية ، كبراغيث البحر المعروفة بالجمبري أو الربيان Shrimps وهي ليست سمك والجلمبو أو الكابوريا أو السلطعون كما يسمونه بالشام Crab ، وهو ليس سمك .

وكذلك في البحر حيوانات رخوة تعرف بالرخويات ، كالأخطبوط وغير ذلك ،

هذه السمكة [illegible] توجد فقط في الصخور المرجانية [illegible] المعهد العلمي
[illegible]

سمكة [illegible]
[illegible] المعهد العلمي

ومن أجل هذا لا نقول إن بالبحار سمكا فحسب ، ولكن نقول ان بها أحياء مائية ، تجمع بين السمك وغير السمك .

أحياء الأرض تعيش في بعدين اثنين وأحياء الماء في أبعاد ثلاثة

وحيوانات الأرض ، ومنها الانسان ، تعيش على سطح الأرض في بعدين اثنين : طول وعرض . فهي تتحرك في مستوى واحد ، هو سطح الأرض . أما حيوانات البحر فتتحرك في مستويات عدة . فالسمكة تستطيع ان تتحرك يمينا ، وشمالا ، ولكن كذلك سفلا وعلوا .

ومعنى هذا ان مجال الحياة في البحار أوسع من مجالها في الأرض وأوسع كثيرا .

مجال العيش على الارض يتسع ما اتسع سطحها ، أما مجال الحياة في البحار فيتسع ما اتسعت احجامها . وأي أحجام !

أجناس الأحياء في البحار

واختلفت أجناس الأحياء على الأرض . وكذلك اختلفت في البحار . بين الصغير المجهري ، والكبير الذي تعجز العين عن أن تشمله كله في نظرة واحدة . وبين الوديع والمفترس . وبين الكسول والنشيط . وبين ذي الفقار وغير ذي الفقار . والرخو الذي تقوقع ، والرخو الذي لم يتقوقع . الى آخر ما هنالك .

وللأحياء في البحار مواطنها

وبسبب الذي وصفناه من اختلاف البيئة في شتى ارجاء المحيطات ، يعرض القارىء لا شك اختلاف الأوطان . ان الفيل في الأرض لا يسكن المناطق الشمالية وهو لا يسكن أي منطقة استوائية . وغزال الصحراء لا يسكن الريف . والنسناس او شابهه الثلوج لمات كل عمره وقد أصبح كل زمانه شتاء . والطير كذلك تختار مواطنها وتخالف بينها ما اختلفت من الأرض الأجواء .

وكذا في الماء ماء البحار وماء المحيطات . مواطن مختلفة . اختلفت حرارة واختلفت برودة . اختلفت حركة ماء وسكون حركة . اختلفت عذوبة سمينة وملحا . واختلفت ، ويجب أن لا ننسى هذا ، ضغطا . واختلفت كذلك ضياء وظلمة .

فان قيل لك ان أجناس الأحياء ألف في الماء وألف وألف .. ما جاز لك ان تعجب .

باختلاف المواطن يختلف شكل الخلق

وباختلاف المواطن ننتظر لا شك اختلاف شكل الخلق ، بل اشكاله وسمته ليتسق مع مطالب العيش في كل موطن . ومع مطالب الصيد للعيش والحياة ، والحماية من صيد للعيش والحياة ، فما ساكن البحر الا صائد أو مصيد .

ونحن ألفنا من هذه الأحياء السمك ، نصيده من طبقات البحار العليا ، انماطا متشابهة . جسم مسحوب ، وفم مهذب مدبب ، وعينان تنظران ، وذيل وزعانف ، وقشر يبرق غالبا كالفضة في نور شمسنا وهو بين أيدينا . حتى سمك القرش ، ذاك المخوف في البحر ، له الجسم الملوف والمسحوب والرونق المألوف .

ولكن ما كذلك كل أجناس السمك بالبحر ، لا سيما تلك التي في الأعماق ، ولا هكذا سائر الأحياء ، من أسماك وغير أسماك .

وفي الظلام قد تحمل الأسماك والأحياء مصابيحها ، لأغراض شتى

وعرفنا الالوان كذلك زاهية في بعض الأسماك والأحياء ، تلك التي تعيش حيث تبلغ الشمس أو أشعتها تلك المواطن . ان الألوان لا تكون في الأسماك الا حيث تكون شمس (لذلك استثناء لا نحسب قاعدة) . والألوان لا معنى لها الا مع



بعض أنواع أسماك الأعماق حيث الظلام متصل : أ ، ب : سمك البلطة Hatchet-Fishes ويجد الضوء على جوانبها — جـ ، د : سمك الصنارة أو سمك الشيطان Angler or devil Fish ويجد الضوء عند طرف الخيط الخارج من جسم السمكة هـ ، و : سمك الفانوس Lantern Fishes وضوءه على الرأس ، وعند الأعين ، وعلى طول الجنب .

وجود عين ترى ، والعين لا توجد إلا حيث يوجد شمس ، أو يوجد منها ضياء .

ومن أزهى الألوان ألوان صنوف من السمك تعيش عند الصخور المرجانية تلبس هذه الصخور شتى الألوان وكذلك تلبس أسماكها .

وتختفي هذه الألوان ما اختفى في البحر الضياء .

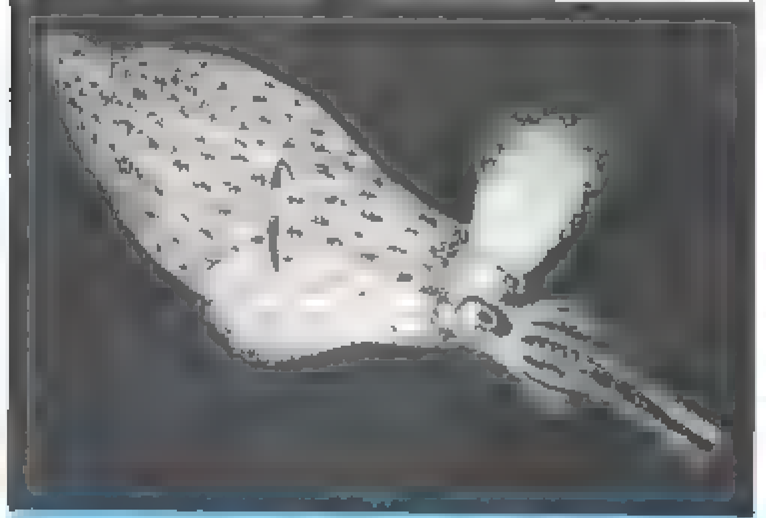
وأنت تهبط في الماء ، ماء المحيط ، فيزيد ألوان الأحياء اختفاء .

ونهبط في ظلام الأعماق فنجد أسماكا تسير وهي تحمل في ظلمة هذا الليل ضياءها ، على ظهرها ، عند رأسها ، في أجزاء شتى من جسمها . إنه يشعه من ذاتها ومنها ما يطفئ مصباحه أو مصابيحه إذا شاء ، ويشعلها إذا شاء ، ومنها ما يطفئه . والضياء يحمله هذه الأسماك والأحياء في ظلام تلك الأعماق ، أهداف ذكرها المذاكرون منها —

منها إغراء الضحايا التي يراد صيدها فتقترب . يرشدها النور فتمضي فيه تحسب أنها تهتدي ، وهو الضلال كل الضلال . إنه سبيل الموت الراصد .

ومنها عكس ذلك تماما . منها الحي يطلق النور في الأعماق ليعمي صاحبه

ليس كل ساكن في الأعماق محض ضرير !



حيوان البحر المعروف بالحبار ، وما هو سمك ، وإنما هو من الحيوانات الرخوة . وهو رأس حولها أطراف ، هي الأرجل وهي الأذرع معا ، وربما صيد الصحابا على عمق ١٠٠٠ متر من سطح الأطلسي . ووراء بعث الضوء قويا ، خلف عينيه وأمامهما .

حساسة ، تحس ما يجري في الظلام كما يحس من فقد البصر من بني الانسان. أكثر ما تحسه الحركة ، لتثب على الضحية أو تكون هي الضحية ، فتهرب.

توزع الاحياء على الاعماق

ونتحدث عن الأعماق . وكل ما هبط من سطح البحر بمائتين أو بثلاثمائة من الامتار فهو عميق . وقد نصل عند ذلك الى قاع للماء او لا نصل. وتهبط الاعماق من ذلك كثيرا الى ما هو أعمق ، ثم الى ما هو أعمق من ذلك .

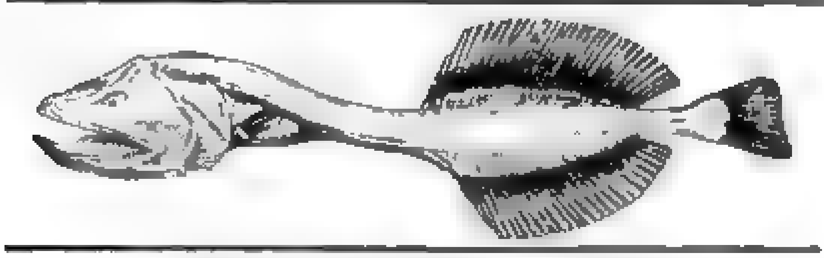
ولتوزع صنوف الاحياء على هذه الاعماق .

وكلما هبطنا ، أبعدنا عن الشمس ، وعن هواء الأرض ، وهما أصل الحياة . والمثل العربي يقول : المورد العذب كثير الزحام .

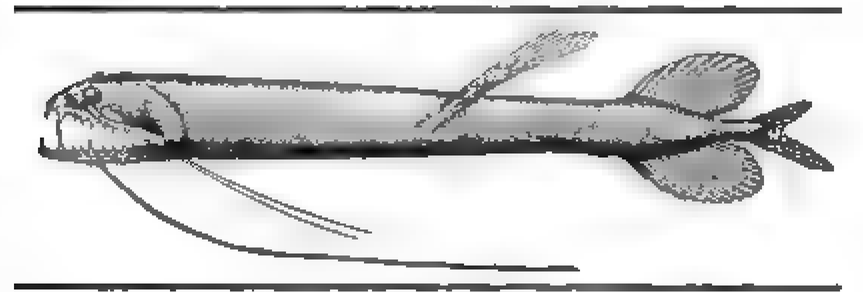
لهذا لا يكون غريبا أن نسمع أن زحام الحياة في طبقات البحار العليا أكثر منه في طبقات البحار السفلى . والواقع أن ثلثي أنواع الأسماك تعيش بين منطقة المد والجزر على الساحل ، وبين آخر الجرف القاري الذي يمتد بعد ذلك على البحار والمحيطات الواسعة . والمياه الدانئة من البحار هي الأحفل بالحياة .

وتقل موارد العيش في العميق من الطبقات السفلى .

لهذا نجد في هذه الأعماق البعيدة ، مع قلة الزحام ، ضراوة العيش . ونجد أشكالا من الأحياء ، من أسماك وغير أسماك ، عجيبة . أجسام لا أثر للنعمة فيها ، لا كثرة لحم ، ولا أناقة منظر . وأفواه لافتراس ، تظل فاغرة واسعة مخيفة . تنقض على فرائسها وقد تبلع



سمكة عمياء ، انضمرت عيناها فهي لا ترى . وجدت في المحيط الاطلسي على عمق ٣ كيلو مترات . اسمها العلمي Cetomimus Regani



وسمكة اخرى وجدت في المحيط الاطلسي ، على عمق ٦٠٠ متر . لاحظ فمها المفتوح تجمع فيه من الغذاء ما تلقى . اسمها العلمي Bathophilus Metas



السمكة الأفعى Viper Fish ، على وشك أن تلتهم جمبريا (روبيانا) أحمر وقد أراد أن يحمي الجمبري نفسه في الظلام الحالك بنبع مادة مضيئة للتضليل والظاهر أنها ما نفعت .

من الأحياء ما هو أكثر منها جسما وأضخم ، وتنجح فيما بما بلعت . إن الغذاء عزيز ، فهي تختزنه . ثم لا بأس على الهضم أن يمضي على مهل .

ذخيرة من الأحياء عظيمة

إن على سطح الأرض ذخيرة كبيرة من صنوف الأحياء،مذهلة في كثرتها ، محيرة في تنوعها ، معجبة للدارس ، الذي يريد أن يدرس الكون ، وتعمقه في أسرار هذا الوجود .

ولكن كذلك في بطن الماء ، في البحار والمحيطات ، ذخيرة كبيرة من صنوف الأحياء مذهلة ، محيرة ، معجبة ، لا يتم الدارس الكون والوجود فهما لهما ، إلا بدراستها ، ومعارنة ما يدب على الأرض منها ، ويمشي أو يطير ، بالذي يسبح أو يطفو في الماء .

إن صنوف السمك التي تعمر البحار تبلغ نحو من ٣٠٠٠٠ نوع .

أحمد زكي

معجم لأحد الأوائل من رواد المعاجم العربية لا يزال مخطوطاً
يصعب اليوم على الدارسين، وفيه ثروة للباحثين

معجم "ديوان الأدب"

[illegible]
القرن الثاني من الهجرة سماه « كتاب العين » وصنف كلماته على حسب
[illegible]
[illegible]
بدأ القرن الرابع الهجري حتى شهدنا علماء اللغة يتجهون الى تصنيف المعاجم العربية ، وترتيب كلماتها على [illegible] الحروف سواء [illegible] الحروف ترتيبا مخرجيا ، أو ترتيبا هجائيا .

معجم الجمهرة لابن دريد

بدأ هذا الصنف في أوائل القرن الرابع الهجري بابن دريد في معجمه الجمهرة ، ولسنا نعرف معجما عربيا رتب على حسب الحروف قبل معجم الجمهرة الا ما قال عن معجم الخليل . وقد أثر ابن دريد في معجمه الترتيب الهجائي المألوف، على حين أن « الأزهري » وهو من علماء هذا القرن أيضا اتبع في معجمه « تهذيب اللغة » الترتيب المخرجي في حروف الكلمات .

وبعد القرن الرابع من الهجرة ، وتحوّل فن المعاجم العربية فقد صنف فيه أكثر عدد من المعاجم العربية التي انحدرت الينا . وبقي علماؤه وأفكاره تعلم مجددة لتلك المعاجم .

معجم ديوان الأدب

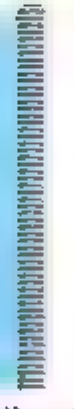
[illegible]
ابراهيم الفارابي » الذي ألف معجما لا يزال مخطوطا حتى الآن سماه « ديوان الأدب » ورتب كلماته ترتيبا غريبا .

ويخلط كثير من الدارسين بين الفارابي اللغوي صاحب معجم ديوان الأدب ، وبين أبي نصر الفارابي الفيلسوف [illegible]

ولم تظفر الفارابي اللغوي من كتب التراجم على وفرتها الا بسطر ضئيل من الحقائق التي تمثل حياته . ولعل في ترجمة له تلك التي نعرفها في معجم البلدان لياقوت، وأنباه الرواة للقفطي، ولذلك اضطربت الروايات في تاريخ وفاته اضطرابا عجيبا ، ويبدو انها كانت على أرجح الأقوال في سنة ٣٧٠هـ .

ذكر الفارابي في مقدمة المعجم أنه أهداه الى أبي الحسن أحمد بن سعورة ولا نكاد نعرف شيئا عن « أبي الحسن » هذا ، الا أن يكون أحد العلماء الذين اتصل بهم الفارابي .

ولديوان الأدب نسخ كثيرة في مصر والخارج مخطوطة أو مصورة ، ويتضح لنا منها نظام هذا المعجم وخصائصه ، وأن الفارابي قد مال الى المذهب الكوفي في كثير من مسائل اللغة



للفارابي

بقلم : الدكتور ابراهيم انيس

الأستاذ بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

إن نظام المعجم كما ذكر الفارابي في المقدمة [illegible] نظام [illegible] سنلخص [illegible] النظام في [illegible] المعجم يتكون من ستة أقسام ، ويسمى كل قسم منها كتاباً ، [illegible] الصحة والإعلال في كلمات اللغة

١ - [illegible] جمع فيه كل كلمات اللغة التي خلت أصولها من الهمز والاعتلال.

٢ - [illegible] جمع فيه كل كلمات اللغة التي فيها عين الكلمة ولامها من جنس واحد.

٣ - [illegible] جمع فيه كل كلمات اللغة التي فيها الحرف الأصلي الأول حرف علة.

٤ - [illegible] جمع فيه كل كلمات اللغة التي فيها عين الكلمة حرف علة ، وذلك في [illegible] الفارابي [illegible] الكوفيين ، ويعبر الصرفيون عن هذا النوع من الكلمات بالمصطلح المشهور "الأجوف" . وسنعرض فيما بعد لسر هذه التسمية.

٥ - [illegible] جمع فيه كل كلمة اللغة التي فيها لام الكلمة حرف علة ، ويعبر الصرفيون عن هذا النوع من الكلمات بالمصطلح المشهور "الناقص" . وسنعرض بعد لسر هذه التسمية [illegible]

٦ - [illegible] جمع فيه كل كلمات اللغة التي أحد حروفها الأصلية همزة ، [illegible] بالمهموز الفاء ، ثم المهموز العين ، ثم المهموز اللام.

وفي كل كتاب من هذه الكتب الستة [illegible] الكلمات شطرين ، الشطر الأول للأسماء ، والشطر الآخر للأفعال.

[illegible] الترتيب الداخلي لكل من الأسماء والأفعال فقد جعله على حسب التجرد والزيادة في كل كلمة . ففي الأسماء [illegible] يصطنع الفارابي الأبواب الآتية : [illegible] "المثلث" [illegible] "الأوسط" [illegible] بين الفاء والعين ، ثم الزيادة بين العين واللام ، ثم الأسماء الخماسية الأصول [illegible] على الترتيب [illegible] الأفعال فقد اصطنع فيها الفارابي الأبواب الآتية [illegible]

[illegible] على الترتيب [illegible] احمر ، احمار [illegible]

ولما كان كل باب من هذه الأبواب قد يشتمل مجموعة من الكلمات في اللغة ، رتب صاحب المعجم كلمات الباب على حسب [illegible] فقدم المفتوح [illegible] المضموم [illegible] المكسور [illegible]

[illegible] ولا نصادف هذا إلا في [illegible] هذا الكتاب الأول الأسماء.

[illegible] للجوهري ، وهو للفارابي

فإذا تساءلنا بعد كل ما تقدم [illegible] على حسب الحروف في هذا المعجم وجدنا أن صاحب

المعجم رتب كلمات الصيغة الواحدة في كل باب من الأبواب على حسب الحرف الأصلي الأخير من الكلمة مراعيا معه الحرف الأصلي الأول منها. وهذا الترتيب هو الذي اشتهر فيما بعد بنظام الباب والفصل واشتهر الفضل فيه للجوهري صاحب معجم الصحاح. وقد ظل نظام الباب والفصل متبعا في كثير من المعاجم المشهورة التي صنفت بعد «الصحاح» من أمثال: لسان العرب والقاموس المحيط للفيروزبادي، وتاج العروس.

فاذا شاء الباحث في معجم ديوان الأدب العثور على كلمة مثل «استخراج» وجب أولا أن يجردها في ذهنه من الزوائد ليتعرف على الكتاب الذي يشتمل عليها، ومن اليسير حينئذ أن يعرف أنها من كلمات الكتاب المسمى «كتاب السالم»، ووجد أنها في الشطر الثاني من هذا الكتاب وهو شطر الأفعال، ووجدها في باب الأفعال التي أولها ألف وصل، وبين الكلمات التي آخرها «جيم» وأولها «خاء».

دقة الفارابي في اختيار كلماته

وقد توخى الفارابي الدقة في اختيار كلماته، وتحرى الصواب ما وسعه ذلك. فيقول في مقدمته أنه لم يذكر في معجمه الا ما أيده الاستعمال وما ذكره العلماء وكان واردا في القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو شواهد من كلام العرب الفصحاء.

ومال الفارابي في معجمه الى الايجاز، فاقتصد في الشواهد ولم ينص على الكثير من الصيغ، بل كان في أغلب الأحيان يكتفي بالنص على المعاني منها. واشاراته الى الاعلام من اسماء الاشخاص والبلدان سريعة مقتضبة. ولم يتورط كثيره من بعض أصحاب المعاجم الاخرى في التعرض الى شرح الادوية وطرق العلاج وتفسير الاحلام أو البحوث النحوية والبلاغية، وغير ذلك مما لا يعد في الحقيقة من مهمة المعاجم اللغوية.

ميل الفارابي الى المذهب الكوفي

ويظهر بوضوح في ثنايا هذا المعجم ميل صاحبه الى المذهب الكوفي والمصطلحات الكوفية من أمثال: «الخفض» بدلا من «الجر» و«الاجراء» بمعنى «الصرف» و «المثال المعتل» بدلا من «المضعف»، و «اسم الحال» بدلا من «اسم الهيئة»، والفعل «الواقع» بمعنى «المتعدي» و «غير الواقع» بمعنى «اللازم».

ولعل أطرف ما في مصطلحات الفارابي ودلالها على اتجاهه الكوفي أنه سمى المعتل العين وهو ما اشتهر في كتب النحو بالاجوف «ذوات الثلاثة» وسمى المعتل اللام وهو المشهور بالناقص «ذوات الأربعة».

ورغم شيوع هذين المصطلحين بين علماء الكوفة اذ استعملهما الفراء وابن السكيت، نلاحظ أن بعض القدماء قد خلطوا بينهما وبين ما شاع في كتاب سيبويه وغيره من البصريين من قولهم «بنات الثلاثة» و «بنات الأربعة» ولا يعنون أكثر من الثلاثي الاصول والرباعي الاصول.

فالخطيب التبريزي في تعليقه على كتاب اصلاح المنطق لابن السكيت يلتبس عليه الامر ويزعم أن الكوفيين يسمون الأجوف «بنات الثلاثة» والناقص «بنات الأربعة» والحقيقة أن الكوفيين قد تركوا للبصريين مصطلحهم «بنات الثلاثة» بمعنى الثلاثي الأصول، و «بنات الأربعة» بمعنى الرباعي الاصول، واختصوا أنفسهم «بذوات الثلاثة» بمعنى الأجوف، «وذوات الأربعة» بمعنى الناقص. كذلك لم يفطن ابن بري في تعليقه على الصحاح للجوهري الى هذا المصطلح الكوفي حين استعمله الجوهري في بعض الأحيان، وظن ابن بري أن الجوهري قد أخطأ.

ولم نظفر في كلام المتقدمين من علماء اللغة بتفسير السر في هذا المصطلح الكوفي. ويبدو أن المتأخرين منهم قد التبس عليهم أمره فحاولوا تعليله في كلام لا يقنع الباحث المدقق. فيقول الخطيب التبريزي مثلا في كتابه «تهذيب اصلاح المنطق» ما نصه:

[وذلك لأن «قال» اذا رددت الفعل الى نفسك قلت «قلت» فيكون على ثلاثة أحرف، و «حكى» اذا رددته الى نفسك قلت «حكيت» فيكون على أربعة أحرف] !! . ويوافقه على هذا التعليل الرضي في شرح الشافية اذ أنهما يريان أن الأجوف حين يسند الى المفرد المتكلم مثل «باع» يصبح «بعت» ويكون حينئذ من ثلاثة أحرف، على حين أن الناقص اذا أسند للمفرد المتكلم مثل «رمى» يصبح «رميت» ويكون حينئذ من أربعة أحرف !!

وفي رأيي أن هذا التعليل فيه كثير من التكلف والتعسف. فلو ذكر هذان العالمان أن «باع» حين تسند الى المفردة الغائبة تصبح «باعت» أي تكون حينئذ من أربعة أحرف،

وأن « رمى » حين تسند اليها لصيغ « رميت » اي تتكون حينئذ من ثلاثة أحرف ، أقول لو تذكرنا هذا ما تورطنا في مثل هذا التعليل .

والسر الحقيقي في المصطلحين اللغويين يتضح بالرجوع الى الابنية التي ذكرها الفارابي في معجمه . ومنها تتبين ان الاجوف في كل ابنيته لا يكون الا ثلاثي الاصول ، على حين ان الناقص قد يكون ثلاثي الاصول ورباعي الاصول . فمنتهى بناء الاجوف هو الثلاثي ومزيده ولا يوجد اجوف رباعي الاصول ، في حين ان الناقص جاءت منه كلمات رباعية الأصول ، ولذلك استحق الناقص اسم ذوات الاربعة لان منتهى بنائه وصل الى اربعة حروف اصلية سواء كان هذا في الافعال أو الاسماء .

الصلة بين ديوان الادب وصحاح اللغة

لعل اول من تنبه الى هذه الصلة هو المستشرق « كرنكو » ورأى ان الجوهري قد التمس نظام ديوان الادب ومادته في معجم الصحاح .

والشيء المتفق عليه تاريخيا ان الفارابي خال الجوهري ، وان الجوهري تتلمذ على خاله ، وانه قرأ عليه ديوان الادب ، واحتفظ بنسخة منه كتبها بخطه .

لا غرابة اذن ان يكون الجوهري قد تأثر بشخصية الفارابي ، وانه استعان بكتاب ديوان الادب في تأليف معجمه الصحاح .

وأبرز ما يلتقي فيه ديوان الادب مع الصحاح ذلك النظام الذي عرف فيما بعد بنظام الباب والفصل ، اي ترتيب الكلمات على حسب الحرف الاصلي الاخير مع مراعاة الحرف الاصلي الاول .

وكنا الى عهد قريب نظن ان النظام من ابتكار الجوهري ، وانه لم يسبق اليه ، حتى رأينا الفارابي في ديوان الادب يرتب عليه الكلمات بعد ترتيبها على حسب الصحة والاعتلال . أي ان اساس هذا النظام جاء في ديوان الادب ، ولا فضل للجوهري الا في انه رتب عليه المادة اللغوية برمتها في ترتيب هجائي موحد . وكان الجوهري يفخر بهذا النظام وكان معجمه من اجله يعد بين المعاجم العربية كالبخاري بين كتب الحديث .

ولكن الغريب العجيب الا يرد في الصحاح ذكر لديوان الادب ولا لصاحبه الفارابي برغم ذلك الحشد الحاشد من العلماء الذين اخذ عنهم الجوهري وذكرهم في صحاحه .

ولعل السر في هذا هو كثرة ما تلقاه الجوهري من خاله الفارابي، وما عرف بين العلماء والدارسين من صلته الوثيقة به علما ونسبا ، فتحرج الجوهري من نسبة كل هذا الفضل لخاله ، ورأى انه قد يكون من اللغو اللذات الا يشير الى خاله مكتفيا بما اشتهر لدى الناس من صلتهما العلمية والنسبية . وكل هذا حين نحسن الظن بالجوهري ونبرئه من نكران الجميل لصاحب الفضل الاول عليه .

«ديوان الأدب» بين الدارسين والباحثين

ونظام « ديوان الادب » رغم تعقده وصعوبة تناوله على بعض الدارسين يمكن ان يفيد منه الباحث الحديث فوائد جليلة الشأن . فهو معجم ادق ضبطا ، لانه روعي في ترتيبه بنية الكلمات . فبنية الكلمة فيه بحاجة الى ضبط مستقل في كل حالة . وحشد الكلمات ذات البنية الواحدة معا وفي مكان واحد يجنبنا كثيرا من احتمال الزلل او التصحيف في صحة النطق بالكلمة . وهو فوق هذا وقبل هذا يوفر علينا مشقة القيام بتلك العمليات الاحصائية التي تعتمد عليها البحوث اللغوية الحديثة . فالباحث في ابواب الثلاثي من الفعل الصحيح مثلا يظفر في سهولة ويسر بذلك العدد الضخم من افعال اللغة محشودا في مكان معين من ديوان الادب في ترتيب وتنسيق على حسب البنية وحروف الهجاء . فليس يحتاج الباحث الى التنقيب مثل ذلك العدد الضخم الذي يجاوز ثلاثة آلاف كلمة من معجم كالمحيط للفيروزابادي او لسان العرب .

فالمعاجم المرتبة على حسب الظواهر اللغوية ، من صحة واعتلال ، واسماء وافعال وعلى حسب بنية الكلمات او صيغها حين تصبح بين يدي الباحث اللغوي تكون خير عون له على استنباط القاعدة الصحيحة التي تخضع لها الظاهرة اللغوية .

لان اساس البحث لدى اللغوي الحديث واولى خطواته هو الاحصاء الكامل لامثلة الظاهرة المراد بحثها . فديوان الادب وامثاله من المعاجم القديمة لم تستنفد اغراضها في العصر الحديث كما قد يظن بعض اهل العلم ، فهي ، وان لم تكن الصورة الميسرة للمعجم اللغوي الحديث ، لا نزال بحاجة اليها في كثير من بحوثنا اللغوية . لهذا ارجو الا يمر زمن طويل قبل ان ينشر معجم ديوان الادب للفارابي ليصبح ميسور التداول بين ايدي الباحثين من المعاصرين . ■■

ابراهيم أنيس



« يتطلع شقى الحزين الى تلك التماثيل الاغريقية الساكنة ، فينعم فى محيا المرأة وجسدها ، بذلك العنصر الإلهى الخالد ، الذى يبقى صامداً بعد انحلال المادة وفناء الجسد »

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم
استاذ الفلسفة المساعد بجامعة القاهرة

« كامى الفيلسوف » ... « كامى الأديب » ... « كامى عالم الجمال » .

ولئن كان كامى لم يتحدث عن « الفن » الا فى كتابيه المعروفين : « اسطورة سيزيف » ... « الانسان المتمرد » ... الصمت لتلك الفلسفة الجمالية ... ينبغى لنا ... نظراتنا فى هذين الكتابين .

بين الاديب والفيلسوف

وكامى يرفض ذلك التعارض التقليدى الذى اعتاد بعض الناس اقامته بين ... نحو ... فى نظر الناس لا بد



من أن يظل أسيرا لمذهب واحد بعينه ، الا وهو مذهبه الخاص ، في حين أنه ليس من الضروري للأديب أن يبقى حبيسا لأي عمل فني يبدعه . ولكن كامي يرد على هذا الزعم بقوله إنه ليس بصحيح ما يزعمه البعض من أن الفيلسوف قابع « داخل » مذهبه ، في حين أن الفنان ماثل « أمام » عمله الفني ، بل الصحيح أن كلا من الفيلسوف والفنان على صلة وثيقة بفلسفته أو فنه . فليس أبعد عن الصواب من تلك الفكرة القائلة بوجود « فن » منفصل عن صاحبه ، أو وجود « عمل فني » مستقل تماما عن « الفنان » الذي أبدعه .. وإذا كان البعض قد توهم أن من المحال للفيلسوف — بعكس الفنان — أن يبدع أكثر من مذهب ، فإن كامي يقرر أن الفنان أيضا لا يستطيع في العادة أن يعبر إلا عن شيء واحد ، وإن كان هذا التعبير قد يتخذ صورا عديدة متباينة . ومعنى هذا أن مثل الفنان كمثل المفكر من حيث أن كلا منهما يضرم [illegible] ، ويتحقق من خلاله ، ويندمج فيه .

وحينما يتخذ الإبداع الفني طابع البنية أو التركيب ، فإن « العمل الفني » الذي يقدمه لنا الفنان سرعان ما يصبح حلقة في سلسلة فنية ضخمة تسودها « حقيقة فنية واحدة » . وإذا كان بعض كبار الفنانين قد يبدون لنا أحيانا متباينين ، فما ذلك إلا لأن لديهم حقيقة فنية واحدة يكررونها برتابة في شتى أعمالهم الفنية المتلاحقة .

والآن فليست الشقة بعيدة — الى الحد الذي تصوره البعض — بين الفلسفة والفن ، أو بين التفكير الفلسفي والإبداع الفني ، ما دام كل من المفكر والفنان إنما يتجه أولا وبالذات نحو « عمله » الخاص الذي يعمل جاهدا في سبيل ابداعه . وحتى لو تصورنا فيلسوفا مثل كانط Kant ، فإننا لن نستطيع أن نحيله إلا فنانا مبدعا له شخصياته ، ورموزه ، وعقدته وحبكته الفنية ...

وإذا كان من الضروري لكل فن أن يصدر عن نظرة خاصة الى الوجود ، فإن أي روائي — كائنا من كان — لا بد من أن يكون في الوقت نفسه صاحب فلسفة ، وإن كان الروائي — بطبيعة الحال — فيلسوفا واقعيا يحدثنا بلغة الصور عن أعمق معاني الوجود الإنساني . ومن هنا فقد كان بلزاك ، وستندال ودوستويفسكي ، وبروست ، ومالرو ، وكافكا ، وغيرهم « روائيين فلاسفة » ، وإن كانت فلسفاتهم قد بقيت مطوية خلال مجموعة من المواقف البشرية التي عاشتها شخصياتهم الروائية الخالدة ...

الفن والتمرد البشري

وعند كامي أن الانسان – فيلسوفا كان أم فنانا – لا بد من أن يواجه « العبث » السائد في العالم بحرية ، وتمرد وقدرة ابداعية . وليس الوجود البشري « حيوانا متمردا » لمجرد أنه « المخلوق الوحيد الذي يرفض أن يكون على ما هو عليه » ، بل لأنه أيضا ذلك المخلوق الحر الذي يقف في وجه موقفه البشري ، متمردا في الوقت نفسه على الخليقة كلها !

وحينما ينظر الفنان الى « العالم » فانه لا يملك سوى التمرد على ما فيه من « عبث » ، وبالتالي فانه لا بد من أن يجد نفسه مدفوعا نحو العمل على تشكيل العالم ، بمقتضى ما تمليه من حرية ابداعية . ومعنى هذا أن الفنان انما هو ذلك الانسان المتمرد الذي يفرض على العالم شكلا فنيا منظما .

وحين يقول كامي ان « الفن » لا يخرج عن كونه صورة من صور « التمرد الانساني » ، فانه يعني بذلك أن الفنان يرفض العالم ، وان كان هذا الرفض خارجا عن دائرة التاريخ ، وبالتالي فانه صورة نقية خالصة من صور التمرد الانساني .

والبير كامي يوافق الفيلسوف الألماني نيتشه Nietzsche على أنه « ليس ثمة فنان يستطيع أن يحتمل الواقع ، لأن من طبيعة الفنان أن يضيق ذرعا بالعالم » ، ولكنه يضيف الى ذلك أنه « ليس ثمة فنان يستطيع – مع ذلك – أن يستغني تماما عن الواقع » . ولئن كان الابداع الفني – في جوهره – بمثابة « رفض للعالم » ، والتماس للهرب من « الوحدة » ، الا أن رفض الفنان للعالم هو في الوقت نفسه سعي وراء ذلك « العالم الفني » الذي يريد أن يخلقه لنفسه . فالفنان لا يرفض الواقع الا بسبب ما يشعر به من نقص في صميم العالم الواقعي ، ومن ثم فانه لا ينكره الا باسم ذلك « الواقع الجديد » الذي سوف يبدعه ابتداء من « شطحات » العالم نفسه !

الحملات المختلفة على الفن

بيد أننا لو عدنا الى تاريخ الفكر البشري ، لوجدنا أن الفن قد استهدف لحملات كثيرة من جانب المصلحين الثوريين في كل زمان ومكان . فهذا أفلاطون مثلا يندد ببعض طوائف الفنانين ، ويطرد « الشعراء » من جمهوريته باسم بعض المبادىء الأخلاقية . ولكن أفلاطون – مع ذلك – لم يكن أشد خصوم الفن ، فانه لم يكد يتجاوز في حملته على الفن الاشارة الى ما في « اللغة » من زيف وتضليل ، فضلا عن أنه لم ينكر أهمية فنون كالموسيقى والعمارة . ونحن نعرف كيف اعترف أفلاطون بقيمة « الجميل » ، وكيف وضعه في مرتبة تفوق مراتب سائر الأشياء ، بل تعلو على العالم نفسه !

وأما الاتهام الحقيقي للفن فهو ذلك الذي حملته لنا بعض الحركات الثورية في العصر الحديث ، اذ أصبح الكثيرون يعتبرون الفن مسئولا عن فساد معظم المجتمعات . ولعل من هذا القبيل مثلا ما فعلته حركة الاصلاح الديني في أوروبا ، اذ راح أصحابها يدعون الى استبعاد معايير الجمال ، من أجل الانتصار على الفساد بقيم الأخلاق . وهذا أيضا ما ذهب اليه المفكر الفرنسي جان جاك روسو : فقد اتهم الفن بأنه مفسدة للأخلاق ، وكأنما هو بدعة استحدثها المجتمع الصناعي ليدنس بها طهارة الطبيعة النقية الخالصة .

ثم جاءت الثورة الفرنسية فلم تعمل على ظهور فنان واحد ، بل قدمت للعالم صحفيا كبيرا هو ديمولان Desmoulins ، وكأنما كان يعمل في الخفاء هو الماركيز ساد Sade ، والشاعر الوحيد الذي ظهر في ظل الثورة قد لقي حتفه تحت المقصلة ! وبظهور حركة سان سيمون وأنصاره ، ظهرت دعوى جديدة هي المناداة بفن اجتماعي نافع وهكذا شاع بين أبناء ذلك العصر شعار « الفن للتقدم » ، وجرى الاصطلاح على قلم الشاعر الكبير فكتور هيجو ، ولو أن هذه الدعوة لم تكسب على يديه أي حظ من النجاح !

الفن والعدمية الروسية

أما أنصار « العدمية » Nihilism من المفكرين الروس ، فقد حملوا على الفن باسم اليوتوبيا . وهذا ما فعله مثلا بيسارف Pisarev حينما نادى بتحطيم القيم الجمالية ، لحساب بعض القيم العملية (أو البرجماتية) . ولعل هذا ما عبر عنه بيسارف حينما كتب يقول :

« إنني لأوثر ألف مرة أن أكون إسكافيا روسيا من أن أكون رافائيلا روسيا » ! ومعنى هذه العبارة أن زوجا من الأحذية أنفع — في نظر بيساريف — من شكسبير نفسه ! وأما الشاعر الروسي الكبير نكراسوف Nekrassov فهو يقرر بصراحة أنه يفضل قطعة من الجبن على الشاعر الروسي بوشكين كله ! ...

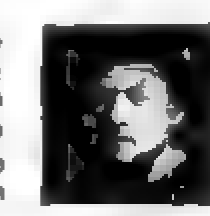
ولا نرانا في حاجة إلى الإفاضة في شرح موقف تولستوي من الفن : فإنه ليس من الحديث المعاد أن نقول إن تولستوي قد أدان الفن كله باسم الأخلاق المسيحية .

وأما تماثيل فينوس وأبولون الرخامية الرائعة التي كان قيصر روسيا بطرس الأكبر قد استقدمها من إيطاليا ، ليزين بها حديقة قصره الصيفي الفخم في بطرسبرج ، فإن روسيا الثائرة لم تلبث أن أدارت لها ظهورها . ولا غرابة في ذلك ، فإن من طبيعة البؤس — فيما يقول كامي — أن ينصرف عن مناظر السعادة والنعيم ، لأن أمثال هذه المناظر لا تولد في نفسه سوى مشاعر الحزن والشقاء (١) .

نقد الماركسيين للفن

ثم ينتقل ألبير كامي إلى « الأيديولوجية الألمانية » فيبين لنا أنها لا تقل قسوة عن « العدمية الروسية » في حكمها على الفن . وحسبنا أن نرجع إلى الشراح الثوريين لكتاب الفيلسوف الألماني هيجل Hegel (١٧٧٠ — ١٨٣١ م) في « فلسفة الظواهر » ، لكي نتحقق من أنهم قد أجمعوا على القول بأنه لن يكون ثمة « فن » في مجتمع المستقبل ، ما دام المجتمع الصالح المتوافق مع نفسه سيكون بالضرورة في غنى عن كل إبداع فني ! وحجة أصحاب هذا الرأي أن الجمال — في مثل هذا المجتمع — سوف يكون واقعة معاشة ، لا مجرد صورة متخيلة . وحينما يصبح « الواقع » حقيقة معقولة إلى أقصى حد ، فإنه سيكون هو الكفيل وحده بإشباع نهم الروح الإنسانية ... ولقد حاول الماركسيون أن يطلقوا على الفن تهمة الوعي الصوري والأساليب البورجوازية في التهرب (أو الفرار) فذهبوا إلى أن الفن ليس ضرورة إنسانية عامة يتطلبها كل عصر ، بل هو — على العكس — حاجة نسبية محددة بمطالب هذا العصر أو ذاك ، وبالتالي فإنه يعبر عن القيم المفضلة للطبقة المسيطرة (أو الحاكمة) . ومعنى هذا أنه ليس ثمة « فن في ذاته » ، أو فن يصدق في كل العصور ، بل هناك فنون نسبية مؤقتة ، مشروطة بعصرها وظروف نشأتها . والفن الثوري الوحيد إنما هو ذلك الذي يضع نفسه في خدمة « الثورة » . هذا إلى أن الفن حينما يخلق الجمال — خارجا عن دائرة التاريخ — فإنه يضع العراقيل في طريق الجهد الفعال الأوحد ، ألا وهو ذلك الجهد الذي نقوم فيه بتحويل التاريخ نفسه إلى جمال مطلق ! وهكذا نرى أن الإسكافي الروسي — بمجرد ما يصبح على وعي تام بحقيقة دوره الثوري — إنما يصبح هو المبدع الحقيقي للجمال الخالص ! وعندئذ لا بد من أن يجيء الزمن فيقضي على ذلك الجمال الزائل الذي أبدعه رافائيل ، خصوصا وأن هذا الجمال العابر لن يكون — بالنسبة إلى الإنسان الجديد — شيئا مفهوما على الإطلاق !

صحيح أن كارل ماركس قد لاحظ أن الجمال الإغريقي لا يزال يستأثر بإعجاب شعوب أوروبا ، ولكنه يعلل هذا الإعجاب بقوله : « إن في تلك الروائع الفنية اليونانية مسحة من البراءة ، فهي تعبير عن عالم بشري تغلب عليه سذاجة الطفولة ، ونحن نجد في نفوسنا حنينا بالفطرة إلى هذه الطفولة البشرية البريئة ، حتى نفر — ولو إلى حين — من أعباء حياتنا الراشدة العاملة بشتى ضروب الصراع »



رمبرانت

وهذا التعليل — في رأي ألبير كامي — لا يفسر لنا السر في إعجابنا بروائع عصر النهضة الإيطالية ، ولوحات الفنان الهولندي الشهير رمبرانت Rembrandt وآثار الفن الصيني ؛ فإن هذه كلها أعمال فنية حافلة تنتزع إعجابنا ، دون أن يكون فيها أدنى أثر من آثار السذاجة أو الطفولة

(1) Albert Camus "L'Homme Revolte" 1951, P. 314.

ومهما يكن من شيء ، فان الماركسيين يمضون في حملاتهم العنيفة على الفن ، دون ان يحفلوا بالرد على امثال هذه الاعتراضات. وهم يستمرون في سلسلة اتهاماتهم للفن التي يمضي اصريحات واهية ادلى بها جماعة من رجال الفن واهل الفكر، ممن راحوا يتشككون في قيمة رسالتهم الفنيــة ذاتهــا .

وكامي يلاحظ هنا ان الماركسيين يحدثوننا عن صراع موهــوم بين شكسبير والاسكافي ، ولكــن الحقيقة ان الاسكافي ليس هو الذي يلعن شكسبير او يكفر بالجمال ، وانما الذي يلعنه ـ على العكس ـ انسان لا يزال يقرأ شكسبير ، دون ان يختار لنفسه صناعة الاحذية ، لسبب بسيط هو انه لن يستطيع يوما ان يصنعها ! واذا كــان امثال هؤلاء المتحاملين على الفن يشعرون بشيء على احترامهم لمهنة الفن ، فان البير كامي يقرر ان آخر شيء يمكن ان يدور بخلد الفنان الحقيقي هو هذا الشعور بالندم ! وحينما ينادي الفنــان الماركسي او رجل الفكر الروسي بضرورة استبعاد « الجمال » من عالمنا الحديث ، فانه انما يريد بذلك ان يحرم الجميع ـ بما فيهم الاسكافي نفسه ـ من ذلك الخبز الاضافي الذي طالما افاد منه هو نفســه !

الفن من حيث هو بحث عن «الوحـدة» ...

ولكن ، لماذا يشعر الانسان بحاجته الى الفن ، على الرغم من كل تلك الحملات التي شنها جماعة الثوريين على النشاط الفني ؟

هذا ما يجيب عليه كامي بقوله ان الفن يعبر عن حاجة ميتافيزيقية أساسية ، الا وهي الحاجة الى « الوحدة » Unité . ولما كان الانسان لا يجد في عالمه الواقعي مثل هذه الوحدة التي هو في حاجة اليها ، فانه سيجد نفسه مضطرا الى ابداع عالم آخر يقيمه بديلا لهذا العالم .

وليس « الفن » في جوهره سوى تلك الحركة التمردية التي يقوم بها الانسان حينما يعمد الى رفض الواقع من أجل العمل على خلق ذلك العالم الجديد الذي يستطيع ان يجد فيه ما ينشده من وحدة وتماسك واتساق . بل ان كامي ليذهب الى حد ابعد من ذلك فيقول ان « مطلب التمرد ليس في حــد ذاتــه مطلب جمــالي » Exigence Esthétique . وآية ذلك ان « الافكار التمردية » على اختلاف انواعها انما تتحدد في نطاق عالم انساني صرف ، مغلق على ذاته ، عالم يخلقه الانسان لنفســه على صورته ومثاله ، بدافع من شعوره بالحاجة الى الوحدة والاتســاق .

وليس في وسع الانسان ان يبلغ الفن درجة من المعرفة ، او ان يتمتع باكبر قسط من السيطرة ، اللهم الا في نطاق تلك « العوالم المغلقة » التي يبتدعها لنفســه . ولهذا يقرر كامي انه ايا ما كان نوع الفن الذي يتخصص له هذا الفنان او ذاك ، فانه لا بد للنشاط الفني في كل حالة من الحالات من ان يتخذ طابع العملية الابداعية التي يقوم فيها الفنان باعادة خلق العالم لحسابه الخاص.. !

تأثر كامي بالكاتب الفرنسي مالرو

وهنا يظهر بوضــوح تأثر البير كامي بالمفكر الفرنسي الكبير اندريه مالرو Malraux (ولد عام ١٩٠١) : فان مالرو قد كان اسبق من كامي الى تأكيد الطابع الابداعي للفن ، فضلا عن انه قد عرف الفن بقوله : « انه اسلوبنا البشري في خلق عالم يكون غريبا عن الواقع » . (1)

ولكن ، على حين ان مالرو قد قصر معظم اهتمامه على دراسة فني التصوير والنحت ، نجد ان كامي قد حاول تطبيق هــذا الفهم الابداعي للفن على فنون أخرى كالموسيقى والشعر والرواية والمسرحية وما اليها . فليس المصور ـ او المثال ـ هو وحده الذي يعيد خلق العالم لحسابه الخاص، بل اننا لنلتقي بعمليــة مماثلة لــدى كــل مــن الموسيقار ، والشاعر والكاتب المسرحي ، وغيرهم من الفنانين .

وفي الموسيقى

فالموسيقار ـ مثلا ـ انما يعيـد تأليف تلك

(1) A. Malraux "La Monnaie de l'Absolu" Paris, 1950, P. 122

الأنغام الكامنة في الطبيعة، التي يقدم لنا سيمفونية أصيلة لا نظير لها في أي لحن من ألحان العالم. وعلى حين أن العالم لا يعرف الصمت مطلقاً، لأن سكونه ذاته يرتد على الدوام أنغاماً واحدة بعينها، وفقاً لذبذبات خاصة تفلت بطبيعتها من طاقة ادراكنا، نجد أن الموسيقى تقدم لنا سيمفونيات مكتملة، يطبع فيها اللحن طابعه الخاص على أصوات هي في ذاتها عديمة الصورة. ومعنى هذا بعبارة أوضح أن الأصوات التي تقدمها لنا الطبيعة قلما تنطوي على توافق أو لحن موسيقي، في حين أن في استطاعة الموسيقار أن ينتزع من هذه الفوضى الطبيعية — عن طريق الايقاع والتوافق واللحن — وحدة موسيقية تطرب لها النفس، ويهتز لها القلب.

وفي النحت

وأما فن النحت — وهو في رأي كامي أعظم الفنون جميعاً وأشدها طموحاً — فهو يسعى جاهداً في سبيل العمل على «تثبيت» الصورة الانسانية العابرة، أو «تخليد» الوجه البشري الزائل، فوق الأبعاد الثلاثة المعروفة. وهذا ما يعبر عنه كامي باصطلاحه الفني حينما يقول ان النحت يحاول «رد فوضى الحركات الى وحدة الطراز». ولئن كان في النحت لا يستبعد عنصر المشابهة — لأنه في حاجة ماسة اليه — الا انه لا يبحث أولاً وبالذات عن محاكاة الواقع، بل هو ينشد «الإيماءة»، و«السحنة»، و«السيماء»، والنظرة الخاوية: لأن هذه جميعها تلخص حركات الناس وطرائقهم. فالنحت لا يرمي الى التشبيه أو المحاكاة، بل هو ينشد التعبير والطراز، أعني انه يحاول أن يحبس في تعبير قوي حافل بالمعاني، تلك الثورة البشرية الزائلة: سورة الأجسام المنزعجة، والنفوس المضطربة، في شتى المواقف العاطفة، التي تحمل في طياتها معنى السكون والكمال، فانه يشيع الهدوء — ولو الى حين — في تلك القلوب البشرية الفاترة بحمى القلق والتوتر والحركة المستمرة... وينظر العاشق الحزين الى تلك التماثيل الاغريقية الصامتة، ليتملى في شخصيتها الرائعة وجسمها ذلك العنصر الالهي الخالد الذي يبقى منها بعد انحلال المادة وفناء الجسم!

وقفة عند فن التصوير

لم يتوقف كامي عند فن التصوير، فيقول لنا ان المبدأ الذي يقوم عليه هذا الفن انما هو مبدأ «التحيز» أو «الانتقاء». وقد كان الرسام الفرنسي الكبير أوجين دلاكروا Delacroix (١٧٩٨ — ١٨٦٣ م) يعرف العبقرية الفنية — في ميدان التصوير — بقوله: «انها موهبة الاختيار، مع القدرة على التعميم». والواقع أن المصور لا بد أولاً وقبل كل شيء من أن يقوم بعزل موضوعه: فان هذا العزل هو الخطوة الأولى في سبيل العمل على توحيده. ولما كانت المناظر الطبيعية تهرب منا بسرعة، أو تختفي من ذاكرتنا بمجرد ما ننأى عنها، ان لم نقل بأنها قد يتعارض بعضها مع بعض، فان المصور يجد نفسه مضطراً الى أن يعزل في المكان والزمان ما هو — بطبيعته — متنقل مع الضوء، مفقود فيما لا حصر له من المنظورات، ضائع تحت تأثير اصطدامه بما عداه من القيم الفنية الأخرى...

وإذن فليس بدعاً أن نرى مصور المناظر الطبيعية يحرص — أول ما يحرص — على احاطة لوحته باطار خاص، وكأنما هو يريد أن يستبعد ويحذف، بقدر ما يختار وينتقي.

وهكذا الحال أيضاً بالنسبة الى مصور المواضيع، فانه انما يعزل في المكان والزمان «فعلاً» يضيع عادة في ثنايا غيره من الأفعال.

ومعنى هذا أن المصور هنا يقوم بعملية «تثبيت» Fixation. والمصورون العظماء — فيما يقول كامي — انما هم أولئك الذين يوهموننا (كما هو الحال في كل لوحات بييرو دلا فرانشسكا Piero Della Francesca) بأن عملية «التثبيت» لم تتم الا منذ برهة وجيزة، وكأن جهاز الارسال لم يتوقف الا منذ لحظة قصيرة! وهذا هو السبب في أن الشخصيات التي يقدمها لنا أمثال هؤلاء المصورين انما تثير في نفوسنا — بفضل معجزة الفن — الشعور بأننا أمام مخلوقات حية، وان كانت هذه المخلوقات لم تعد خاضعة لحكم الفناء! وهذا الفيلسوف الفنان الرسام رمبرانت Rembrandt — حتى بعد مرور مئات السنين على وفاته — لا يزال يتأمل في مزيج رائع من النور والظلال، طارحاً على الدوام نفس السؤال؟

الفن بين الرفض والقبول ...

بيد أن الفن — في رأي كامي — لا يمكن أن يكون كله رفضاً وتمرداً ، بل هو أيضاً قبول وموافقة . ومعنى هذا أنه ليس ثمة فن يستطيع أن يعيش على الرفض الشامل أو التمرد المطلق ، بل لا بد للفنان — حتى حين يرفض الواقع — من أن يتحمس لبعض جوانب أخرى من الحقيقة . ومهما تنكر الفنان للواقع ، فإنه لن يستطيع مطلقاً أن يتهرب منه تماماً . وكما أن كل تفكير — حتى ذلك الذي ينادي باللامعقول أو باللامعنى — لا بد من أن يعني شيئاً ، فكذلك لا بد للفن من أن يعني شيئاً ، حتى ولو زعم لنفسه أنه فن لا معقول ! ومهما ثار الإنسان على ما في الكون من فوضى أو ظلم أو اضطراب ، فإنه لن يستطيع أن يزعم مطلقاً أنه ليس في العالم سوى القبح المطلق !

ولئن كان الفنان الذي يريد أن يبدع الجمال هو في حاجة إلى التمرد على بعض جوانب الواقع ، من أجل التحمس لجوانب أخرى منه ، وهكذا يجد الفنان ، في صميم الواقع نفسه ، « قيمة حية » تجعل من « الجمال » وعداً وأملاً ، وتدفع بالبشر إلى التعلق بهذا العالم الفاني المحدود أكثر من أي شيء آخر ! ولئن كانت حياتنا العادية تميل إلى الإطاحة بهذه « القيمة » في تيار الصيرورة المستمرة ، إلا أن الفنان هو الذي يجيء فيخلع على هذه « القيمة » صورة خالدة يثبتها أمام أنظارنا ، وينتزعها من براثن التاريخ .

« التمرد » في الرواية ...

ثم يعرض كامي للعمل الروائي ، فيحاول أن يطبق عليه نظريته في التمرد ، ويقرر أن الكاتب الروائي إنما يعمل على تشكيل الحياة بصورة لا تتوافر في الواقع ، ومن ثم فإنه يخلع على المواقف « وحدة » لا نظير لها في الحياة العادية . حقاً إن آلام الأبطال في الرواية هي بعينها آلام الناس في الحياة العادية ، كما أن أحلامهم هي بعينها أحلام الناس في الواقع الحي ، ولكن هؤلاء الأبطال يمضون حتى النهاية في طريق حياتهم ؛ إنهم يتممون ما لا نستطيع نحن مطلقاً أن نتممه في صميم الواقع .

فالعالم الروائي عالم يمكن أن يدوم الحب فيه حتى الموت ، وتستطيع الأهواء البشرية أن تظل عارمة فيه إلى ما لا نهاية ، وتمضي فيه الموجودات فريسة للأفكار الثابتة والوساوس المرضية إلى غير ما حد !

وهنا يحلل لنا كامي نموذجين من الإنتاج الروائي ، لكي يبين لنا كيف أن الروائي يهدف دائماً إلى تصحيح الواقع ، عن طريق تلك الوحدة التي يخلعها على شتى المواقف البشرية .

ففي الرواية الفرنسية التحليلية ، وفي الرواية الأمريكية الواقعية ، إنما تتجلى لنا بوضوح هذه العملية التحريرية التي يقوم بها الفنان حينما يخلع على صيرورة الحياة أشكالاً فكرية لا نظير لها في صميم الواقع . وهذا التحرير أو التصحيح الذي يجريه الروائي — بفضل ما لديه من لغة خاصة وقدرة فائقة على إعادة توزيع العناصر المستمدة من الواقع — إنما هو ما نسميه بالطراز أو الأسلوب

وليس في الفن الروائي « واقعية محضة » ؛ لأن أي فن روائي ، يريد لنفسه أن يكون مجرد نقل عن الواقع ، لن يكون سوى مجرد تكرار عقيم للحقيقة الخارجية ، وبالتالي فإنه لن يكون فناً على الإطلاق .

ولكن لنلاحظ عادة أن الروايات الواقعية نفسها لا بد من أن « تتخير » لنفسها بعض عناصر من الواقع تصطفيها وتبرزها على حساب غيرها من العناصر الأخرى . ومن هنا فإن عملية « الاختيار » أو « تجاوز الواقع » هي شرط ضروري لكل إنتاج روائي ، إن لم نقل إنها شرط أساسي لكل تفكير وكل تعبير .

وهكذا يخلص كامي إلى القول بأن كل فن لا بد من أن يفترض قطبين أساسيين : قطب « الواقع » الذي نتخير منه وقطب « الذهن » الذي يخلع على هذا الواقع صورته الخاصة . والصورة التي يحاول الفنان أن يخلعها على الواقع لا بد من أن تجيء معبرة عن روح ذلك الإنسان « المتمرد » الذي لا يريد لنفسه أن يظل مستعبداً للتاريخ ، أو مستعبداً لمسار الطبيعة .

حقاً إن الفنان لا يستطيع أن يستغني عن الواقع ، أو أن يتهرب من المجتمع ، ولكن الفن

انما يعلمنا كيف ننشد — عن طريق التمرد — تلك الوحدة العقلية التي ينطوي عليها الواقع في جانبه المثالي ، الا وهو ذلك الجانب الذي نسميه باسم « الجمال » . وليس من شك في أن الجمال لا يصنع الثورات ، ولكن لا بد من أن يجيء اليوم الذي تشعر فيه الثورات بحاجتها الى « الجمال » . وماذا عسى أن تكون القيم التي دافع عنها كل المصلحين عبر التاريخ ان لم تكن هي « الحرية » و « الكرامة » التي عبر عنها فنانون من أمثال شكسبير ، وسرفانتس ، وموليير ، وتولستوي ؟

صانعو الأحذية لا يستغنون عن شكسبير



شكسبير

انما لا نريد — بطبيعة الحال — لشكسبير أن يظلم مجمع « صانعي الأحذية » ، ولكننا نعتقد أنه قد يكون من خطل الرأي لمجمع صانعي الأحذية أن يزعم لنفسه الاستغناء عن شكسبير ! وليس « الفنان » دخيلا على مجتمع المدنية الحديثة فان فلسفة « الجمال » التي تقوم على انكار الواقع من جهة، والمطالبة بضرب من « الوحدة » عليه من جهة أخرى ، انما هي في الوقت نفسه فلسفة « التمرد » . ولن يتسنى للمجتمع الصناعي الحديث أن يعرف السبيل الى الحضارة الحقيقية اللهم الا حين يفسح المجال لكرامة الفنان المبدع ، بحيث يتحقق التوافق بين الانتاج الصناعي والابداع الجمالي .

والفن — أخيرا — انما يلقننا درسا هاما ، الا وهو أن الانسان لا يمكن أن يظل أسيرا للعالم ، والتاريخ ، والصيرورة الطبيعية ، بل هو لا بد من أن يتمرد على العالم لكي يعلو على العالم ، كما أنه لا بد من أن ينفصل عن التاريخ ، لكي يحكم على التاريخ ، فضلا عن أنه لا بد من أن يعمل على التحرر من الصيرورة الطبيعية ، لكي ينشد مبررات بقائه فيما وراء النظام الطبيعي !

ويبقى أن نتساءل ...

ويبقى لنا بعد ذلك أن نتساءل : أما من سبيل الى تحقيق ضرب من التوافق بين الفرد والمجتمع، أو بين التمرد والثورة ، أو بين الانسان والتاريخ، أو بين الرفض والقبول ، أو بين الضرورية والجمالية، بحيث نعلو على نظرية كامي في التمرد !

وفيم الآن تشبيه الفن بالتمرد ، ما دام كامي نفسه قد اعترف منذ البداية بأن الفنان لا يرفض الواقع جملة ، بل هو يختار منه جوانب يعمل على ابرازها وتوجيهها ؟

ثم أليس في نظرة كامي الى الفن تأكيد لجانب « الرفض » على حساب جانب « القبول » ؟

وأخيرا ألم يقل كامي نفسه أن العبقرية الفنية — على العكس مما توهم الكثيرون — لا يمكن أن تكون سلبا محضا أو ايجابا مطلقا ؟ فلماذا لا نقول اذن أن الفنان خادم التاريخ ، كما هو مبدع القيم ، أو هو صنيعة المجتمع كما هو ربيب الحرية ، أو الناطق باسم النظام الطبيعي كما هو في الوقت نفسه المتمرد الأكبر على الواقع ؟! ■■

زكريا ابراهيم

ليس في الأمر ما يريب

● دهشت الطبقة الراقية في بريطانيا حين تزوج دوق عريق من ممثلة راقصة ، وزادت دهشتهم حين عرضت في أحد معارض الصور ، صورة كبيرة للدوقة عارية كما ولدتها أمها . فاشتد غضب الدوق ، فقالت له زوجته
— لست أدري ماذا يدهش هؤلاء ، صدقني ليس في الأمر ما يريب ، فقد اعتمد المصور في تصويرها على ذاكرته !

طرائف عربية

آداب اجتماعية جيدة

● قال بعض الحكماء: لا تكونن منكم المحدث ولا ينصت له، والداخل في سر اثنين لم يدخلاه، ولا الآتي الدعوة لم يدع إليها، ولا الجالس المجلس لا يستحقه، ولا الطالب الفضل من أيدي اللئام، ولا المتعرض للخير من عند عدوه، ولا المتحمق في الدالة.

لا تفعل

● كان الأعمش من الصحب حيث الشعر والنثر، ومرة قال له الإمام أبو حنيفة النعمان: لولا أني أخاف أني أشق عليك لأكثرت زيارتك.

فقال: لا تعمل فأنت تشق علي والله وأنت في دارك!

أولو الألباب

● [illegible]

لها قبل موتها.

فقالت: إن موالي اعجلوني.

قال: لا بد من ذ[illegible]

قالت: والعزبة على كل[illegible]

[illegible] اهدا

جزائي منك؟

فقال: لا تمسي فالعبه على حملي. ونزع الشملة، وابتاع لها عرية.

وقعد بحذاء جدار، فمر به رجل من [illegible]

فقال: يا أبا زيد، أحسبك من الذين قال الله عز وجل فيهم: «فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين»؟

فقال: لا يا ابن رسول الله، ولكني

أنصاف أشياء ممدوحة

● [illegible]

حمق ظريف

● [illegible] رجل في المنام أن له غنماً وكأنه يعطي بها ثمانية ثمانية، فقسم منه فلم ير شيئاً، فغمض عينيه ومد [illegible] هاتوا أربعة أربعة!!

علامة الجاهل

● قال أبو الدرداء: علامة الجاهل [illegible]

طفيلي يوصي أصحابه ..

● قال ابن دراج الطفيلي لأصحابه: [illegible]

كمال العقل

● قال عمر بن عبد العزيز [illegible]

لا تحبه ، فعفى عنه وأمضى عنه .

استرحت من حيث تعب الكرام

● سمع الأحنف رجلا يقول : ما أبالي مدحت أم هجيت

فقال الأحنف : استرحت من حيث تعب الكرام

مجد الحياة

● قال عبد الرحمن بن أم الحكم [illegible] بن معاوية : لولا ثلاث ما باليت متى [illegible] زاحف الأحرار [illegible] ووطء الأشراف [illegible] إلى أمر [illegible] وقول المنادي : الصلاة أيها الأمير .

نعوذ بالله

[illegible] جبان

● قال أعرابي [illegible]

قال : عبد الله

قال : ابن من ؟

قال : ابن عبد الله

قال : ابن من ؟

قال : ابن عبد الرحمن

قال : [illegible] بالله [illegible]



ابطال الكلام

من جريدة « الجمهورية » بغداد :

● لا نريد ان نجامل المتملق او نتنكر لطبائع الامور فندعي العصمة من الخطأ ، ونزعم البراءة من كل عيب ، فنحن اولا وقبل كل شيء بشر ، والبشر جميعا معرضون للخطأ .. والزلل ..

ان الذين يعملون هم الذين يتعرضون للوقوع في الخطأ .. اما الذين يجلسون في بطون دورهم وحجراتهم ، وفي صالات انديتهم ومجمعاتهم فهم الذين يعصمون انفسهم من الخطأ ، ولكنهم في الواقع يقعون في اكثر من خطأ .. وتلك السلبية التي عاشوها او يريدون ان يعيشوها ، ان تجعل منهم اكثر من مخطئين .. ان الذين يطلقون الشتم والتجريح والنقد الهدام .. والذين يتلهون بصناعة الكلام وتجارة الاقوال ويزهدون بعمل الواقع ، كانوا دائما وابدا في صف الاعداء .. في صف المستعمرين الذين نهبوا خيرات هذا البلد ، الذين باعوا انفسهم للشيطان ، وتنكروا لحقوق شعبهم ووطنهم ، ثم كانوا في صفوف المارقين ، الذين حاربوا كل تقدم ، وعارضوا كل تغيير ، ووقفوا بوجه كل محاولة للنهوض بالشعب الى المستوى الانساني الكريم .

ان معركة البناء تفتح ابوابها اليوم مشرعة لاولئك العاملين المخلصين ، الذين يتجاوزون الالفاظ والهذر ، ويتقدمون بصمت وهدوء ، مقتحمين المصاعب والمشاق ليبنوا الحياة الجديدة على ارضهم الطيبة ، وليقيموا صرح الرخاء والرفاهية لجموع شعبهم ، ثم ليفرضوا وجودهم على شعوب العالم ، التي سبقتهم مراحل في مجال التقدم .. ان المعركة اليوم هي معركة عمل .. ومعركة تعبئة .. تحتاج الى تجنيد كل الطاقات ، وكل الجهود . ولن يكون في مقدورنا ان نطوي مسافات التأخر ما تواكلنا او تهاونا ، او تمادينا في معارك الكلام ، وسيل الطعون ..

منذ عام ١٩٥٢ ونحن نفكر

من جريدة « الدفاع » القدس :

● قالت الصحف اليهودية : بدأ امس مصنع البوتاس الجديد في انتاجه .

وسينتج ٥٠٠ الف طن من البوتاس ، كل سنة . وقالت : ان المصنع القديم ، سيستمر في عمله . وهو ينتج ٢٠٠ الف طن ، سنويا .

ونحن هنا ، في الاردن ، وقد ترك اليهود ، لنا ، مصنعهم قائما ، نقلب حطامه ، بعد أن أشرف « غلوب » على تخريبه ، الى « المعاهد » والمزارع . وفي عام ١٩٥٢ ، بدأنا نفكر في اقامة مصنع للبوتاس .



المال الدفين

من جريدة « الحياة » بيروت :

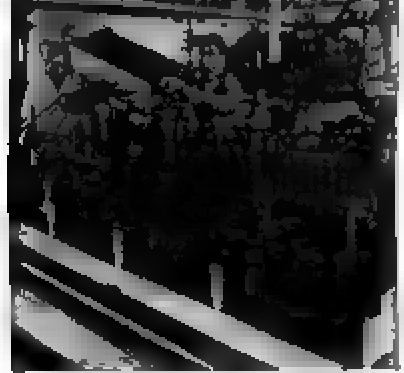
● في الاقوال المأثورة . « فلان دفن ماله في كنالوكنا » ، بمعنى انه ضيعه في مشروع خاسر .
ولم نسمع قبل اليوم ان صاحب مال دفن مالعيني وحقيقي في تابوت ويواريه القبر عاسوفا او غير ماسوف عليه ...

حدث هذا الدفن ، الاول من نوعه ، في احدى مقاطعات الارجنتين . وقد اذيع خبره على التلفزيون من جملة اخبار العالم الطريفة . وخلاصته ان ثريا اراد في ايامه الاخيرة ان يطلب مقبرة العائلة الثالثة في طرف مزرعته ، فنثر فيها على الاسلوب المعروف . ولما رفعها من مكانها استغرب خفتها ، ففتحها ، فاذا في كل واحد منها حزمة من العملة مكدسة حسب الاصول بالكفن بيضاء . وبلغ مجموع ما في التوابيت الثلاثة ما يعادل المليون ليرة لبنانية !

بعث هذه الثروة الدفينة هو البحث بكل معانيه واهميته فالمليون ليرة سيكون تحت تصرف الثري المحظوظ الجديد الذي يشتغلون سبعات تجري من تحتها الانهار وسائر الات الطرب ...

ولكن ما يعنيني انا ليس المحظوظ ليس واجد المال بل مالكه . ترى لاية حكمة جمع الجامع هذا المبلغ الضخم ودفنه في التوابيت بدلا من ان ينفقه ، او يهبه ، او يوصي به ؟

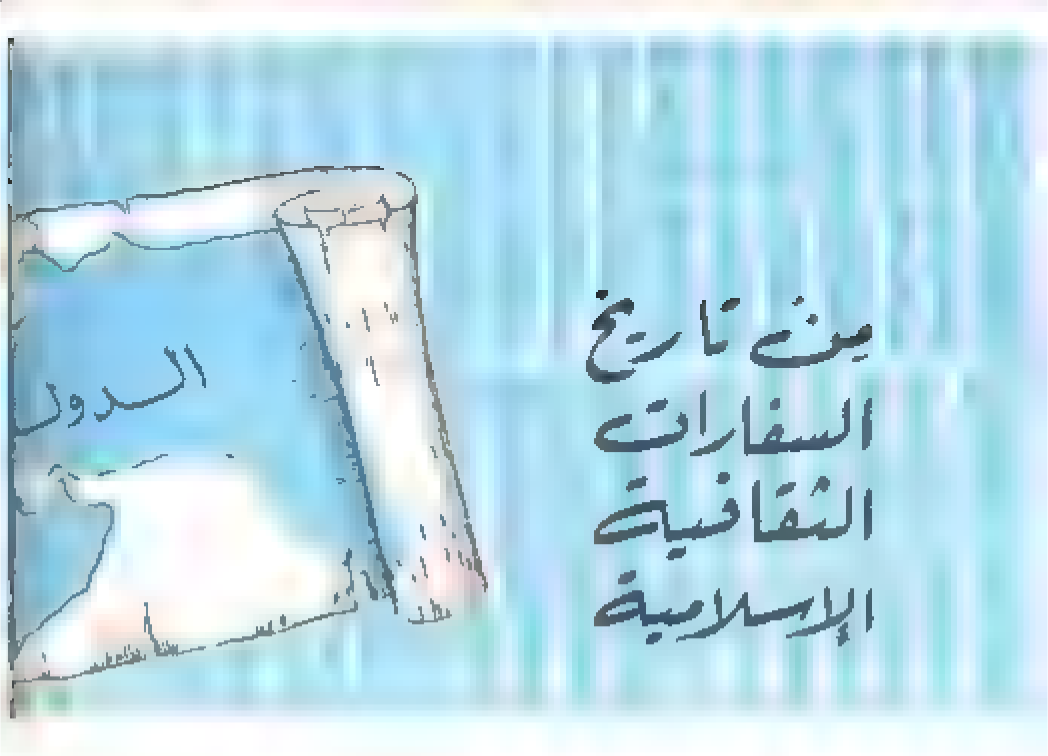
انت تقول : هذا جنون ! ربما . ولكنه يظل على كل حال اقل من جنون الذي يطلق ويسبه الناس .



حتى تنتهي التجارب في مصنع البوتاس !

اقامة مصنع للبوتاس !!

ونحن الآن ، أواخر عام ١٩٦٤ ، والدراسات ، والاستشارات ، لا تزال جارية .! لن نلوم امريكا ، التي تلعن « بلسانها » صداقتنا . انها تخشى « زعل » اسرائيل . وهي « مشغولة » بانشاء اكبر مصنع لذري في العالم ، في اسرائيل ، لانتاج ١٠٠ مليون متر مكعب من المياه العذبة كل عام لتحويل صحراء النقب الى جنات عدن ، لاستيعاب الملايين من المهاجرين اليهود ، لطعن العرب ، وغزو بلادهم ، وتقوية اسرائيل ، « كحاجز » يفصل عرب افريقيا عن عرب آسيا .
لن نلومها ، وهي التي تستطيع اقامة المصنع في « ومضة عين » . !
ان المصنع « عملية مربحة » ، لماذا لا نعرض المشروع ، على مؤتمر القمة في الاسكندرية ؟ ان تقوية الاقتصاد الاردني ، هو دعم عسكري ، غير مباشر لمواجهة اسرائيل ، والقضاء عليها .
وهو الهدف الرئيسي للمؤتمر .



المأمون يفرض صلحاً دائماً على امبراطور الروم

بقلم : حسن فتح الباب
ماجستير في العلوم السياسية

■ [illegible] في عهد [illegible] ، وعد العهد الذهبي للثقافة والفكر .

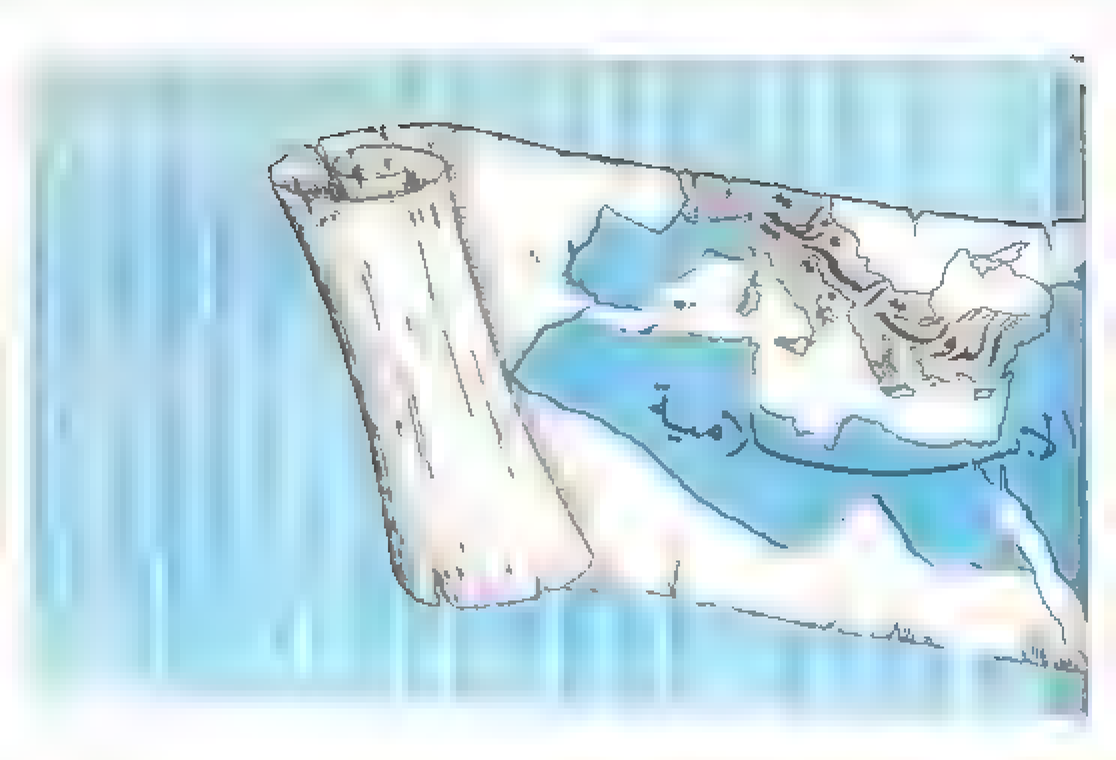
اعظم قوتين سياسيتين في العالم

و[illegible] في [illegible] ذلك الحين ، اعظم قوتين سياسيتين في العالم .

فقد [illegible]

[illegible] الاسلامية [illegible] في [illegible] الافقي [illegible] الروم [illegible] اسيوية .

اما امبراطورية الروم المسيحية فقد كانت [illegible] على [illegible] الآن [illegible]



لقاء إيفاد عالم في الرياضيات إلى ديار الإسلام

[illegible]

وبلاد ايسلندا وايطاليا ، وذلك فضلا عن اجتماعات المسيحية الكبرى في بلاد الغال — أرض فرنسا — والجزر البريطانية وشمال أوربا وبلاد الروسيا .

ووقف هاتان الدولتان الكبيرتان تسيطران على تلك البلاد الشاسعة الأرجاء حتى ظهرت إلى جوارهما قوتان أخريان منافستان هما الدولة الأموية في الأندلس ودولة الفرنجة أو الإمبراطورية الرومانية الغربية في شمال أوربا .

تبادل السفارات بين الدول

ولقد اقترن استقرار الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول وخاصة في أيام الخلفاء ، وازدهار امبراطوريتها الفسيحة واتساع حدودها وتراخي أطرافها ، بتوطيد الروابط الودية بينها وبين دول العالم التي كانت قائمة في ذلك الحين وعمدتها الدولة البيزنطية . فجرت العلاقات الخارجية وفقا للأساليب الدبلوماسية الرسمية بين دولة الإسلام ودولة المسيحية ، واتسع نطاق هذه العلاقات ، وازداد النشاط الدبلوماسي فأوفدت الدولة الإسلامية سفراءها إلى بلاط الروم بالقسطنطينية ، كما بعث أباطرة الروم سفراءهم إلى عواصم الدولة الإسلامية ردا على النشاط الدبلوماسي الإسلامي . وشجع الجانبين على هذا النشاط الحميد أن عهدهما به قديم إذ سبق إلى الرسول الكريم وهو مؤسس الدولة الإسلامية إرسال أول سفارة إسلامية إلى هرقل امبراطور الروم يدعوه فيها إلى الإسلام .

السفارات الثقافية

وقد تعددت أغراض السفارات ووظائفها بحيث أصبح لبعض الممثلين السياسيين وسيلة لاتســاع الصلات التجارية وتبادل الهدايا وفض المنازعات وعقــد المعاهدات وغير ذلك من الأغراض . وكان دعم الروابط العلمية والثقافية من أهم مــا استهدفته السفارات الإسلامية من أجل توثيق علاقاتها مع الروم مما يشبه المهمة التي يقوم بها المستشارون الثقافيون في سفارات الدول الحديثة اليوم . فتبادل الجانبان الكتب والرسائل التي كانت تصاغ في أساليب أدبية ثم دخلا في مفاوضات أسفرت عن معاهدات لإقرار التبادل الثقافي . وكانت تلك المعاهدات تنص على مبادلة الكتب النادرة التي تتوافر لدى الجانبين في مكتبتيهما العامة وتبادل البعثات العلمية وتيسير مهام الطلاب والباحثين في جامعات المسلمين والبيزنطيين في عواصمهم .

نشاط الترجمة في عصر العباسيين

ونشطت الترجمة في عصر العباسيين بفضــل تلك المصنفات التي اجتمعت لديهم من السـفارات الثقافية وشملت جميع فروع العلم والمعرفة ، ولم يأل العباسيون جهدا وما ضنوا بمال في سبيل ايفاد بعوثهم العلمية لاستقاء الثقافة من مواردها الأصيلة والبحث عنها في منابعها الفياضة ، والتشجيع على ترجمة أمهات الكتب الأجنبية من مختلف اللغات ، حتى يحيطوا علما بجميع آثار الفكر البشري سواء القديم منها أو المعاصر لهم . ولقد بلغ اهتمامهم بالعلم والثقافة حدا ليس له سابقة في تاريخ النهضات العلمية إذ كانوا يعدون العلم مقوما رئيسيا لبناء الدولة ودعامة أساسية من دعائم المجتمع ، وركيزة الإسلام في الأرض ، وعاملا قويا لامتداد حضــارتهم وتوسيــع دائرة نفوذهم .

وتتجلى تلك النزعة العلمية التي تعد إحدى العلامات الواضحة المميزة للنهج الذي كان يسير عليه خلفاء بني العباس فيما تحفل به كتب التاريخ من شواهد كثيرة على اهتمامهم بشئون الثقافة والفكر حتى صارت كل من بغداد والبصرة والكوفة مراكز قيادة ومصادر إشعاع للتيارات العلمية والثقافية ، يتزاحم عليها أهل العلم والمعرفة من مختلف البلدان لينهلوا من منابعها الغزيرة . وكان عماد تلك الحركة جمع الكتب والمصنفات من خزائنها في الدول المجاورة لتحصيل ما احتوته من كنوز علمية واستيعاب ما تضمنته من نظم في السياسة والحكم والفلسفة والأدب وعلم الطب والكيمياء والفلك والهندسة وغيرها . ولتحقيق هذا الغرض سارت السفارات العلمية الإسلامية الى بيزنطة وقامت بزيارة مكتبات القسطنطينية ، لاستخراج الكتب النادرة التي يحتاج اليهــا المسلمون في دراساتهم النظرية والفلسفية وفي تجاربهم الكيماوية والطبية على السواء وترجمتها.

ومن تلك السفارات ما بعث به الخليفة العباسي المنصور الى القسطنطينية ، حيث عاد العلماء العرب ومعهم مختارات من الكتب النادرة كان من بينها كتاب اقليدس .

بين المأمون وملك الروم

وجاء في كتاب الفهرست لابن النديم أن المأمون كان بينه وبين ملك الروم مراسلات ، وقد استظهر عليه المأمون فكتب الى ملك الروم يسأله الإذن في البحث عما يختار من العلوم القديمة المخزونة بملك الروم ، فأجابه ملك الروم الى ذلك بعد امتناع ، فأخرج المأمون لذلك جماعة منهم الحجاج ابن مطر وابن البطريق وسلم صاحب بيت الحكمة وغيرهم ، فأخذوا مما وجدوا ما اختاروا ، فلما حملوه اليه أمرهم بنقله وترجمته فنقل وقد قيل أن يوحنا بن ماسويه ممن نفذ الى بلاد الروم .

مكتبة بيزنطية تهدى للمأمون من بعض شروط صلح

وكان المأمون ينتهج جميع السبل الدبلوماسية لتحقيق بغيته ، فقد وثق علاقاته بملوك الروم ، واتحفهم بالهدايا الثمينة ، وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلاسفة ، فبعثوا اليه بعضــا حضرهم من كتب أفلاطون وأرسطو طاليس وابقراط

وجالينوس واقليدس وبطليموس وغيرهم . وليس أدل على جهود المأمون في هذا الميدان من تلك الواقعة التاريخية التي تؤكد نظرته الى الثقافة على أنها ركن من أركان الدولة ودعامة من دعائم السلام الاسلامي ، وليست مجرد ترف عقلي . فقد كان من شروط صلحه مع الامبراطور البيزنطي ميخائيل الثالث أن يعطيه مكتبة من مكتبات الآستانة ، فكان ذلك ، ووجد فيها كتاب بطليموس في الرياضة السماوية ، فأمر بترجمته وسماه المجسطي .

بيت الحكمة بعض مآثر المأمون

ومن مآثر المأمون في ميدان البحث العلمي انه أنشأ سنة ١٥ هـ (٨٣٠م) بيت الحكمة ببغداد ، وجمع في هذه المكتبة آلاف المخطوطات بعضها مترجم عن الحضارات الانسانية القديمة التي ورثها المسلمون والبعض الآخر من تأليف الادباء والعلماء في شتى العلوم والفنون . وقد قصد الباحثون هذه الدار من مختلف الأقطار الاسلامية يأخذون عنها وينهلون منها . وبذلك انتقل العلم من الرواية الى التأليف ومن المشافهة والاستماع الى البحث والاستقصاء . وازدهر الانتاج الفكري في أرجاء الوطن العربي من جميع نواحي العلم والمعرفة .

تنافس الخلفاء والأباطرة في السبق العلمي

وكان الخلفاء العباسيون والأباطرة البيزنطيون يتنافسون في انتزاع قصب السبق العلمي في عصرهم ، ولا يألون جهدا في هذا السبيل . من ذلك أن الخليفة المأمون ومعاصره الامبراطور تيوفيل كانا يغرمان بالشعر وروايته ، ويهتمان بالمسائل الدينية واستثارة المعارضة بالتجديد في الدين . ولهذا عمل كل منهما على تتبع نشاط الآخر في مثل هذه الشئون وغيرها من المسائل العلمية كي يفوز عليه ويسبق بأمته دونه .

ومن طريف ما يذكر في هذا الصدد تلك السفارات المتعددة والمفاوضات المتكررة التي دارت بين الامبراطور تيوفيل وبين الخليفة المأمون في شأن العالم الفلكي المهندس ليو . وكان الخليفة المأمون يتوق الى حضور هذا العالم النابغ الصيت الى بغداد لفترة قصيرة من الزمن كي يستفيد من علمه الواسع في الرياضيات . فتوسل الى الامبراطور البيزنطي بسفارة خاصة من أجل ذلك ، وقال في رسالته الشخصية اليه أنه يعتبر ذلك عملا وديا . ووصل الأمر الى حد أن عرض عليه صلحا دائما وألفي قطعة ذهبية في مقابل حضور هذا العالم اليه . ولكن تيوفيل رفض عرض المأمون لأن أبحاث ليو كانت تتعلق في شطر منها بأسرار الدولة وشئونها العسكرية . وحين ندرك قوة الدولة الاسلامية في عهد المأمون ورجحان كفتها – في ميزان القوى – على كفة الدولة البيزنطية وما أدى اليه ذلك من سعي تلك الدولة الى خطب ود المسلمين والدخول معهم في علاقات ودية ، ندرك مبلغ سخاء هذا العرض من جانب المأمون ومدى حرص تيوفيل على منافسة الخليفة في البحث العلمي .

ادراك الخلفاء خطورة السفارات الثقافية في دعم الدولة

وثمة دلالة أخرى لذلك العرض السخي الذي اقترحه المأمون على الامبراطور في سبيل حضور عالم الرياضيات اليه ، وهي ادراك الخلفاء المسلمين لأهمية السفارات الثقافية في دعم دولتهم ، حتى كانوا يقيمون المفاوضات المستمرة بشأنها ويضعونها في مستوى واحد مع أركان السياسة العليا للدولة ، فالخليفة يعرض صلحا دائما – وهو الأقوى عدة وعددا – في مقابل انتقال العالم الكبير الى ديار الاسلام ، والامبراطور لا يجيبه الى مطلبه لأن الأمر يتعلق بسلامة دولته .

والدليل الآخر الذي يستقى من ذلك الحادث التاريخي ، هو تقدير المسلمين لأهمية علوم الفلك والرياضيات وحاجتهم الى الافادة مما بلغه البيزنطيون من تقدم في هذا المضمار ، فأكثروا من ايفاد البعثات الى القسطنطينية لتزويدهم بالنظريات المستحدثة في تلك العلوم . وبعثوا

يكتبهم ورسلهم الى اباطرة بيزنطة سعيا الى عقد الاتفاقات الخاصة باستقبال تلك السفارات الثقافية الاسلامية الوافدة لديهم وتيسير مهامها .

ودلالة هذا الموقف كذلك هي حرص المأمون على جعل السلام عن طريق التبادل الثقافي بديلا للحرب وان كان في وسع خليفة المسلمين ـ والميزان العسكري في صالحه ـ ان يشن حملة تأديبية على الامبراطور البيزنطي جزاء موقفه غير الودي ، ولا يرد على المأمون في ذلك ولا خسران فقد استنفد الوسائل السلمية ، وهو رابح في الحرب لا محالة .

غير ان المأمون ملك نفسه وفاء الى روح الاسلام التي تدعو الى حرية الفكر وحرية العقيدة ، فلا اكراه في الدين ، ولا اكراه في العلم والمعرفة ، وانما الامر تنافس سلمي مهد الطريق للسلام .

ولا ريب ان الشك الذي ساور تيوفيل في حسن مقاصد المأمون ، هو خشيته ان يستخدم المسلمون علم « ليو » في تدعيم النهضة العربية مما يهدد بزيادة رجحانها عن القوة العسكرية للبيزنطيين.

لتنافس الأمس يذكر بتنافس هو اليوم قائم

ولتذكرنا هذه الواقعة ـ كذلك ـ وما اشبه الليلة بالبارحة ، بالمنافسة العلمية التي تحتدم في وقتنا الحاضر بين الدول الكبرى في سبيل الاستئثار بعباقرة العلم الحديث ، ولا سيما في مجال الرياضيات ـ وهي اساس الحضارة الحديثة واسلحة الدمار ـ واحتكار جهودهم وخبراتهم لخدمة الدولة التي ينتمون اليها او تلك التي تظفر بعلمهم وتستميلهم الى جانبها فيقيمون في ارضها بغض النظر عن جنسياتهم وتهيء لهم جميع اسباب الرفاهية وتبسط عليهم حمايتها وتمنحهم جنسيتها اذا شاءوا ، وما تنتهجه تلك الدول لذلك من مختلف الوسائل الدبلوماسية وغيرها ما بين وعد ووعيد وترغيب وترهيب ومنح ومنع وفقا لسياسة الدولة ومصالحها العليا .

تذكرنا تلك الواقعة بهذه المنافسة العلمية التي توشك حربها الباردة احيانا ان تتحول الى لهيب.

وتذكرنا بما تدعو اليه دول الحياد الايجابي وعدم الانحياز ـ في سبيل السلام العالمي ـ من اتاحة الفكر الانساني للبشر جميعا دون تمييز ، والتشجيع على تبادل آرائه لدعم التعاون الدولي واقرار الامن والسلام ، والقضاء على سياسة التكتلات والمعسكرات التي ينجم عنها التوتر الراهن في الموقف الدولي . وهي دعوة تنبع من ضمير الانسان الحديث الذي ارقه القلق والخوف من نشوب حرب جديدة ، وترمي الى تحريم استغلال العلم في اضرام نيران الحرب للسيطرة على العالم واعادة ركب التاريخ الى عصر البربرية والهمجية الاولى ، والى اتاحة الكشوف العلمية الحديثة للبشر كافة واستخدامها في سبيل التخفيف من ويلات الانسان والقضاء على المخاطر التي ترصده في الطبيعة وتهدد كيانه وبقاءه ، ورفع مستوى الدول الناشئة التي خلف لها الاستعمار ابشع الوان الفاقة والبؤس . ولا شك ان السفارات الثقافية وسيلة مثمرة لتحقيق هذه المنافسة النبيلة والحد من اسباب التوتر في العالم . ■■

حسن فتح الباب

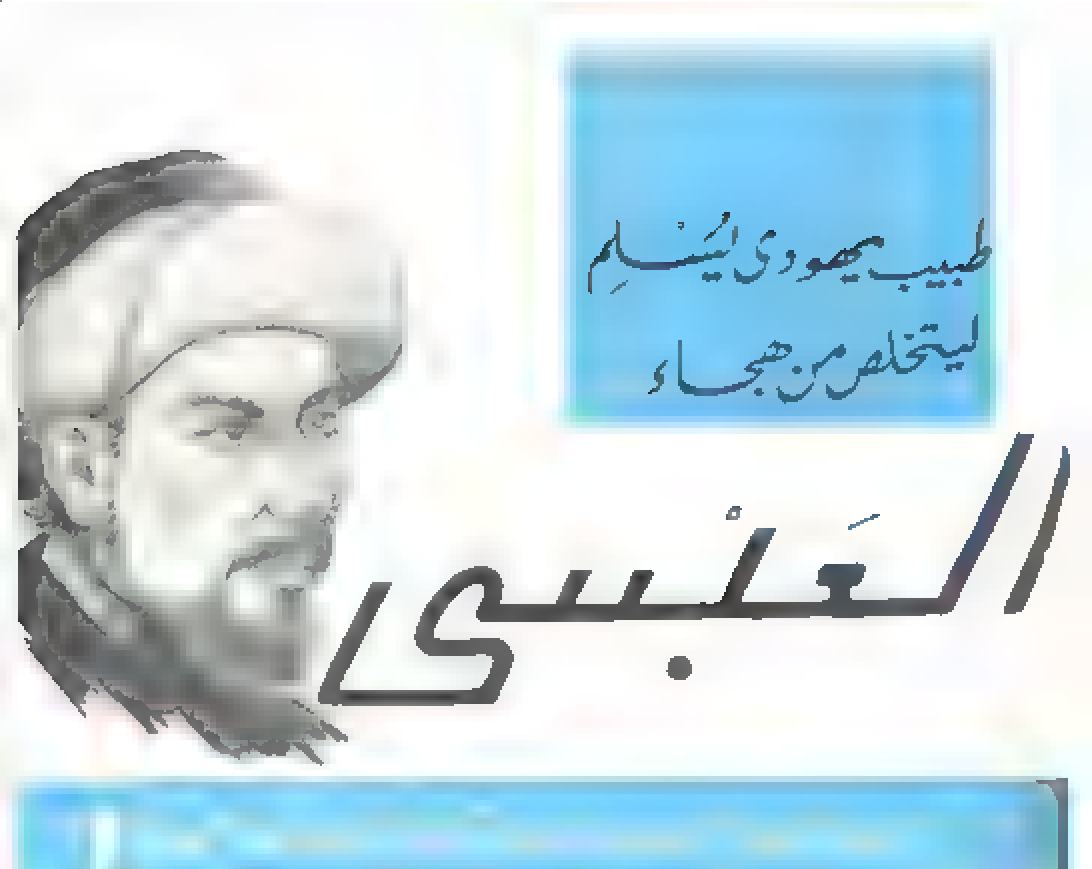
الجري وراء الرزق

● اندفع الطبيب ـ عقب حديث تليفوني ـ الى سيارته ، فهرعت زوجته خلفه تسأله : « ماذا جرى .. فيم هذه العجلة ؟ » .

فصاح وهو يستوي امام عجلة القيادة : « لقد سألتني احدى عميلاتي ان أخف الى اسعاف ابنتها الصغيرة » .

ـ وهل هي مريضة بدرجة تدعوك الى كل هذا التعجل ؟

ـ كلا .. ولكن لدى الأم كتابا للاسعافات الاولية ، فاحسبني أصل الى المريضة قبل أن تكون امها قد لجأت الى الكتاب .



بقلم : جواد محمد علوش
المدرس في كلية التربية بجامعة بغداد

● هو جمال الملك أبو القاسم علي بن افلح العبسي الحلي البغدادي ، ينتهي نسبه الى قبيلة (عبس) المشهورة التي ترجع الى عبس بن بغيض ابن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس عيلان ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . فهو من القبيلة التي انجبت (عنترة) وابلت احسن البلاء في حرب (داحس والغبراء) .

مولده ونشأته

ولد ابن افلح سنة ثلاث واربعين واربعمائة للهجرة (٤٤٣ هـ) على ارجح الاقوال — كما جاء في (تاريخ ابن النجار) — وهناك من يقول انه ولد سنة ثلاث وستين واربعمائة للهجرة (٤٦٣هـ) — كما جاء في المنتظم — وهناك من يذهب الى غير ذلك .

ويحتمل ان مولده كان في (الكوفة) لان قومه يعيشون فيها وكان لهم محلة ولهم فيها مسجد ، كما جاء في اكثر كتب الانساب . وعلى هذا تكون نسبته الى (الحلة) لم تأت لمولده فيها ، وانما لطول اقامته فوق ربوعها ، بعد انتقاله اليها حين انشأها المزيديون سنة (٤٩٥) للهجرة وجعلوها حاضرة لهم . كما نسب ابن افلح الى بغداد .

ولا نعلم من نشأته الأولى شيئا ، إلا أنه كان محبا للأدب ميالا الى فنونه وأنواعه ، وربما يحفظ ما أثر عن الأوائل فيه من شعر ونثر حتى برز فيهما ، فكان شاعرا مجيدا ، وكاتبا مبدعا . فلما اشتهر وذاع صيته وانتشر ذكره . انتقل الى الحلة ، وكانت ملتقى الكتاب والشعراء ، ومحط رحال الأدباء والعلماء .. فأعجب به أمراؤها ، وعمل كاتبا عندهم ، فكتب بين يدي (الأمير نور الدولة دبيس الأول) ثم كتب لابنه (بهاء الدولة منصور) ، ثم كان كاتبا عند (الأمير سيف الدولة صدقة) . وبعد أن قتل الأمير صدقة سنة (٥٠١ هـ) غادر (ابن أفلح) الحلة الى بغداد . وقد كان يتمتع بمنزلة عظيمة عند الأمراء المزيديين ، وكانوا يقدرونه أعظم التقدير . يكثرون له الهدايا ويجزلون العطاء ، فكان خير لسان معبر عن مآثرهم وخير شاعر يتغنى بفضلهم العميم ، ويذيع بين الناس ذكرهم العظيم .

في بغداد

غادر (ابن أفلح) الحلة ، وبدأ يطوف البلاد ويجول الأقطار ، ويتنقل بين الأمصار ، همه أن يطلع على الناس في شتى النواحي والأصقاع ، يتعلم شيئا جديدا ويكتسب خبرات وتجارب تنفعه . وقد استطاع أن يتصل بالأمراء والرؤساء والكبراء والوزراء ، ويحصل منهم على المال والعطاء ، ثم استقر به المقام في بغداد ، وفيها سطع نجمه ، وعرف اسمه ، وانتشر ذكره . فقد استطاع أن يتصل بأرباب الدولة العباسية وولاتها ، وحضر مجالس رجالها وخلفائها ، وخالط العلماء والأدباء ، وناظر الكتاب والشعراء .. فكانت كلمته لا ترد ، وحكمه لا يتبدل .

مع الحريري

كان (ابن أفلح) في مجلس الوزير العباسي (جمال الدين عميد الدولة أبي علي الحسن بن أبي العز علي بن صدقة) فحضر (أبو محمد القاسم بن علي الحريري) قادما من البصرة يحمل معه أربعين مقامة ، وقرأ بعضها في المجلس ، وقال أنها من صنعته ، فلم يصدقوه ، لما فيها من قوة وبلاغة ، ولما رأوا فيه من عدم انسجام الشكل ومن رثاثة الهيئة ، فقالوا أنها لرجل مغربي من أهل البلاغة مات بالبصرة فوقعت أوراقه الى الحريري فادعاها .. وسأله الوزير عن صناعته ، فلما عرف أنه من المنشئين رأى أن يمتحن ليعرف صدقه من كذبه . واقترح عليه موضوعا معينا يكتب فيه (مقامة) ، وأخذ الحريري القرطاس والقلم والدواة ، وجلس في ركن من أركان الديوان ومكث زمنا غير قصير ولكنه لم يستطع أن يكتب شيئا فقام خجلان أسفا ، فسخر منه الحاضرون وقال فيه ابن أفلح :

شيخ لنا من ربيعة الفرس ... ينتف عثنونه من الهوس
أنطقه الله بالمشان كما ... رماه وسط الديوان بالخرس

مع الخليفة المسترشد بالله

واتصل (ابن أفلح) أخيرا بالخليفة العباسي المسترشد بالله (أبي منصور الفضل بن أحمد) ، وقد كان من الخلفاء الأذكياء الذين يحسنون اختيار الرجال ، فأعجب به وبأدبه وفضله ، وقويت الأواصر بينهما ، وصار العبسي أثيرا لديه مقربا الى مجلسه ، فأفاض عليه من كرمه في شتى النواحي المعنوية والمادية ، إذ رفعه ولقبه بـ (جمال الملك) ، كما أغدق عليه الأموال وأكثر الخلع ، ثم أعطاه من المال ما جعله يبني أعجب قصر في أيامه .

في القصر حمام عجيب

أعطى الخليفة المسترشد بالله (ابن أفلح) مالا كثيرا ، وآخر ما أعطاه « خمسمائة دينار ، ومائة جذع ، ومئتا ألف آجرة ، وأربع دور في درب الشاكرية ببغداد » ، فاشترى ابن أفلح ستة دور أخرى الى جانب هذه الدور الأربع ، وهدمها جميعها وبنى قصرا عظيما طوله (ستون ذراعا) وعرضه (أربعون ذراعا) ، وتأنق في بنائه وتفنن في تزيينه بالصور ، وكتب على أبوابه وشبابيكه الأشعار الجميلة والحكم البليغة . وبنى فيه حماما كان من عجائب زمانه إذ كان يعلم

فيها يقسم (بيت مستراح) فيه (حنفية) اذا فركت ذات اليمين تدفق الماء حارا واذا فركت ذات الشمال تدفق الماء باردا. وبالكفاية ما يتمناه الانسان ويطلبه . وقد امر ان يكتب على باب القصر .

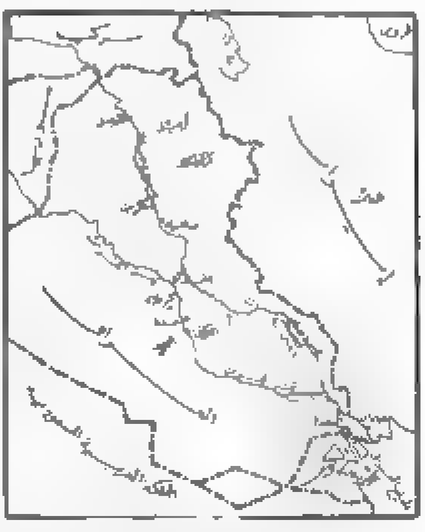
إن عجيب الزور من ظاهري
مستطرف لو علموا أعجب
شبابك من كفه مرسلة
يحمى منها الفارس المحرب
ودنيت روضة أخلاقه
في رياضا نورها معشب
صدر كما صدري من نوره
شمسا ، على الايام ، لاتغرب

يتمنى السعادة الابدية

وقد كان ابن افلح يتمنى ان يعيش طوال حياته سعيدا هانئا ينعم في قصره هذا كانه في جنان الخلود ، ويرجو الا يكدر صفو حياته الزمان . فامر ان يكتب على الديوان الكبير في قصره :

وناد كأن جنان الخلو
د أعارته من حسنها رونقا
وأعطته من حادثات الزما
ن أن لا تلم به موبقا
فأضحى يتيه على كل ما
بني مغربا كان أو مشرقا
تظل الوفود به عكفا
وتمسي الضيوف له طرقا
هنيت له بالحال المملو
ك والفضل مهما أردت البقا
وسالمه فيك ريب الزما
ن ووقيت منه الذي يتقى

ولكن الدهر لم يسالمه فالى حين ، ولكن صفا له فلا بد من كدر .. فقلب له ظهر المجن اذ غضب عليه الخليفة ، فهرب من بغداد وترك قصره وكل مافيه ناجيا بنفسه .



خريطة العراق وعليها تظهر مختلف المدن التي تنقل بينها ابن افلح العبسي

هدم القصر

لقد سعى الوشاة بين الخليفة المسترشد بالله وابن افلح فغضب عليه غضبا شديدا ، فلما احس ابن افلح بذلك هرب من بغداد الى مكان آخر ، فازداد غضب الخليفة عليه ، وامر ان ينتقض قصره العظيم الذي انشاه بفضل الخليفة وبماله وبهائه وانفقه بمخروج منه واجر .. فهدم ذلك القصر بمحاسنه العجيب ولم يبق منه شيء واصبح اثرا بعد عين ، وقد رأى اطلاله كثير من المؤرخين منهم : (ابو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي) . ومن المؤرخين من تكلم فاستمطر العبرة عليه واستخرج العبرة منه ، فهذا ابن كثير يقول : « .. صارت خربة بعد ما كانت

قرة العيون من احسن النغم والترنم ، وهـذه حكمة الله في تقلب الليل والنهار ، وبما تجري بمشيئة الاقدار .... »

ترى .. ما سبب غضب الخليفة المسترشد ، وما الذي اثاره ؟ وماذا عمل ابن افلح ليستحق هذا العقاب ؟ .. لقد اختلفت الآراء في ذلك وتنوعت الاجتهادات .

هل كان يتجسس

لقد ذهب بعضهم الى ان ابن افلح كان يتجسس في بغداد لصالح امير الحلة (دُبيس المَزْيَدي) ، فهو عين له على الخليفة المسترشد ، ينقل له ما يدور في العاصمة العباسية من امور مهمة ، ويحذره منه حشد الجيوش واعداد العُدد . وذكروا ان (ابن افلح) كان له من يساعده في عمله هذا ، وهو امام ومُقرئ في احد المساجد ببغداد ، اسمه (مكي) كان الرسل الذين يُرسلهم (دبيس) يلتقون عنده ، وهنا يأتي (ابن افلح) ليبعث معهم ما يريد من انباء . وقد روى الرواة قصة عجيبة حول هذا الموضوع ، واكتشاف سر التجسس ، فذكروا ان ابن افلح قد غضب على بوابه فضربه وطرده ، فذهب البواب الى اصدقاء ابن افلح يطلب منهم ان يسعوا لديه لارجاعه ، ففعلوا ولكنهم لم ينجحوا ، فقد كان ابن افلح شديد الغضب على بوابه ... وكان البواب على علم بصلة ابن افلح بالامام مكي ، فاسرع وابلغ صاحب الشرطة بالامر ، فالقى القبض على الجاسوس (رسول دبيس) ، وهرب ابن افلح كما هرب الامام مكي .

الى بهروز في تكريت

اتجه ابن افلح بعد خروجه من بغداد صوب (تكريت) ليلتجىء الى صاحبها (مجاهد الدين بهروز الغياثي الخادم) فرحب به واكرمه وقدره حق قدره . واستشفع به لدى الخليفة المسترشد فشفع له ، وعفا الخليفة عنه فعاد الى بغداد . ليرجع الى مركزه ، ويحظى من جديد بما كان له من تقدير واكرام . والرواة يعيبون على ابن افلح عدم اخلاصه للخليفة المسترشد . ومقابلة الانعام بالكفران ، والاحسان بالاساءة ، فليس من المروءة ان يتجسس على من اكرمه واعلى منزلته واتهم عليه بارفع الالقاب .. كل هذا حق ، لو صح ان ابن افلح كثير النميمة ووصفت اخلاقه بالتجسس . ولكنه كان رجلا فاضلا شريفا وفيا ، كما وصفه اكثر كتاب السيرة ، والى هذا فان الخليفة المسترشد قد عرف فيه هذا الخلق واختبره ثم قربه اليه ، وهو من الخلفاء الاذكياء الذين كانوا يحسنون اختيار الرجال ، ويتأنون في تجريب الحاشية . ومع كل هذا هناك رواية ثانية تثبت ان سبب غضب الخليفة لم يكن التجسس او ما يشبهه مما ذهبت اليه تلك الرواية ، كما تثبت انه لم يذهب الى تكريت .. فالى اين ذهب ؟

الى الشام

يقول (ابو عبد الله محمد بن النجار) في تاريخه ان ابن افلح « خاف من جماعة من الصدور فخرج من بغداد هاربا الى الشام ، واتصل بملوكها واستشفع بهم الى الديوان في رده الى وطنه ، فشفعوا فيه الى الامام المسترشد بالله ، فاجابهم الى ذلك وقبله فعاد الى بغداد .. » وهذه الرواية تنفي عن ابن افلح تهمة التجسس وتنقذ سمعته من هذا العمل الشائن ، كما تخلصه من الميل الى بني سلجوق ، فقد ذهب الى الشام والتجأ الى ملوكها وهم الذين توسطوا له في العودة .. لكن .. ما سبب خوفه من هؤلاء الصدور ؟ وما سبب غضبهم عليه ؟ وماذا اقترف حتى كرهوه وشكوه عند الخليفة فكان ما كان من هدم داره وما تبعه من امور ؟

يهجو الناس

يرى (ابن النجار) ان السبب في ذلك هو « هجو الناس والثلب لاعراضهم والوقيعة بهم .. حتى اوجب له مقتا من الناس » . فقد كان هجاء سليط اللسان ، لم يتردد في هجاء احد ايا كان ، ومهما تكن صلته ومنزلته . فقد هجا الرؤساء والكبراء دون خوف او وجل ، وبلا تحرز او تحرج . وهجا الوزراء ذوي الجاه ، دون ان يخاف ان يوقعوا به ، من ذلك قوله في هجاء الوزير ضياء الملك ابي نصر احمد بن نظام الملك .

شكرتُ بوّابك إذ ردّني
وذمّه غيري على ردّه

لأنــه قلــدنــي مـنــــة
تسحب الأعراق في حمله
أعاذني من قبح ملقاك لي
وكبرك الزائد عن حده
فمذ أن أصرع حدي لمن
ماء المحيا قد غاض من خده

وقال في آخر :

لــولا الســود ودقتــه
كانا في وقت السـلام
كرزيق دجلـة كلـــه
ريش وباقيـه عظـــام

فهذه الصور الساخرة وأمثالها لا شك تسري على الألسنة سريان النار في الهشيم في كل مكان ، مما يلهب قلوب الذين هجاهم ويثير حفيظتهم فيتربصون به الدوائر ويحاولون الايقاع به بمناسبة وبدون مناسبة ، وحين اوغروا عليه صدر الخليفة ، خاف بطشه فهرب الى الشام ، فوجد اعداؤه الفرصة سانحة فاغتصبوا عليه شيء النهم مما جعل الخليفة يأمر بهدم داره . وقد يكون بين هؤلاء الساخطين بوابه الذى طرده ، يريد أن يشفي غله ويطفيء نار الله بعد أن أبى ابن افلح أن يرجعه .

هجاء الناس

لم يكن البلاء الوحيد الذى ابتلى به ابن افلح من جرائه في هجاء الناس وعدم تردده في ذكر مثالبهم ومقابحهم ، ونعتهم باشنع النعوت ، فقد جرّ هذا الهجاء الناس عليه فأطلق الألسنة في سبه وشتمه ، وارسل القرائح تنعته باقبح النعوت ، فمنهم من يستثم وجهه الاسود المشوه ، فيلا جد فيه من وحي ، ومنهم من يسب اهله ، ومنهم من يقول فيه .

هذا ابن أفلــح كاتــــــا
متفردا بصفاتـــــــــه
أقلامــه من غــــيره
ودواتــــــه من ذاتــه

وبهذا صبت عليه لعنة الهجاء التى كان العرب يخشونها منذ القديم .

هجا يهوديا فاسلم

وقد يطول هجاء ابن افلح من فاقته ، فقد تعرض للطبيب اليهودي المشهور (ابي البركات هبة الله بن ملكا) وهجاه هجاء مرا بقوله .

لنا طبيب يهــودي حماقتـه
إذا تكلم تبدو فيه من فيـه
يتيه والكلب أعلى منه منزلة
كأنه بعد لم يخرج من التيه

فاثر هذا في ابن ملكا وآلمه كثيرا وحز في نفسه ، ورأى أن ابن افلح قد وصمه بما لا يتخلص منه أبد الدهر ، وما لا يمكن اثرائه وسمته ومركزه ومهنته أن تمحوه عنه ابدا . ويظهر انه كان يفكر في اعتناق الاسلام ، فرأى انه المنفذ الوحيد له مما هو فيه ، كما يقول القفطي « فقوى عزمه على ذلك ، وتحقق أن له باقيا كافرا ، وأنهن لا يدخلن معه الاسلام ، وانه متى مات لا يرثنه ، فنزع الى خليفة وقته في الاسلام طيبين مما لا يطلقه ، وأن كن على دينهن ، فوقع له بذلك . ولما تحققه اظهر اسلامه وجلس للتعليم والمعالجة وقصده الناس وعاش عيشة هنيئة » .

هذا كان شعره في الهجاء ، فهل كان عنده شعر في الاغراض اخرى ؟

رقـة غزله

لم يكن الهجاء وحده ميدان ابن افلح فقد كان شاعرا يقول في اكثر اغراض الشعر ويطرق جميع ابوابه ، ولكن اكثر شعره ضاع ؛ وافتقد ديوانه الذى جمعه بنفسه ودونه ، ولقى به واعتنى بـ ـه ولم يصل منه غير مقطوعات في الهجاء ومقطوعات في الاخوانيات ، ومثلها في الغزل الرقيق كقوله :

هذه (الخيف) وهاتيك (منى)
فترفق أيها الحـادي بـنـا
واحبس الركب علينا ساعة
نندب الربع ونبك الدمنـا

فلذا الموقف أعددنا الأسى
ولذي الدمن دموعي تُقتنى

زمنا كانوا وكنا جيرةً
يا أعاد الله ذاك الزمنا

بيننا يوم أثيلات النقا
كان من غير تراضٍ بيننا

ولا يخلو غزله من ظرف وبوادر الفن من مزح مرحة ، وحب للفكاهة كقوله متغزلا في غلام ناقص الجمال :

وما عشقي له وحشا لأني
كرهت الحسن واخترت القبيحا

ولكني غرت أن أهوى مليحا
وكل الناس يهوون المليحا

يطلب كسرة خبز

ومن أظرف شعره المداعبات لصديقه الطبيب الشاعر (هبة الله بن صاعد بن التلميذ) فقد مرض ابن افلح ، وذهب الى صديقه ابن التلميذ ، فلما ألم فحصه نهاه عن الأكل وخاصة الخبز ، وأمره أن يسير في الغذاء بحسب برنامج يرسمه له وهو يشرف عليه ، فلم يجد ابن افلح بدا من الانصياع لأمره ، ولكن ذلك كان الى حين ، فقد عضه الجوع بنابه ، وتاقت نفسه الى أكل الخبز ، فكتب الى صديقه الطبيب :

أنا جوعان فأنقذني من هذي المجاعة
مرتجيٍ في كسرة الخبز ولو كانت قطاعه

لاتقل لي ساعةً تصبر ، مالي صبر ساعة
فقواي اليوم لاتقبل في الخبز شفاعة

فأجابه ابن التلميذ :

هكذا أصناف مثلي يتشاكون المجاعة
غير أني لست أعطيك مضرا بشفاعة

بحياتي قل لما أرسمه : سمعا وطاعة

ووصلت هذه الأبيات ابن افلح فكتب اليه .

إن مرسومك عندي قد توخيت استماعه
غير أني لم أقل : من شيّ سمعا وطاعه

ودعت الجوع والقلم أسمع دفاعه
فاكفني كلفته الآن وحسبي صداعه

وعند ذلك لم يجد ابن التلميذ بدا من السماح له بذلك فكتب له أن يأكل الخبز ولكن بعد ساعة من وصول ابياته .

ينصح الخليفة بتعيين وزير

لقد كانت منزلة ابن افلح مرموقة عند الكبراء والوزراء ، لما كان يتمتع به من خلق رفيع ، وذكاء وقاد ، ورأي سديد ، ولا عجب فهو جليس خلفاء ، ونديم وزراء ، وكاتب امراء ، عاش مع الطبقات العالية طوال عمره المديد ، فاكتسب تجارب كثيرة جعلت له فكرا صائبة ونظرة ثاقبة ، مما جعل الخليفة المسترشد بالله يستمع الى نصحه ويقبل مشورته ، فها هو ينصح هذا الخليفة في استيزار جلال الدين ابي علي الحسن بن علي بن صدقة بقوله :

أمير المؤمنين تأنَّ فيها
برأيك غير متهم الصواب

وألقِ زمامها بيدي لبيب
كريم العرض واليد والنصاب

بصير بالعواقب همته
صحاب لا تصيف إلى التصابي

ولا يهتز بها أعطاف عجبٍ
يخف بخفته نزق الشباب

ولسنا نعرف متى قدم ابن افلح هذه النصيحة الطيبة للمسترشد ، فالمعروف ان المسترشد استوزر هذا الوزير مرتين ، واستوزره أول سنة (٥٢٢ هـ) وهو وزير .. وسواء أكانت نصيحة ابن افلح هذه قدمت قبل الوزارة الأولى او قبل الوزارة الثانية فانها تدل على صواب رأيه ، وعلو كعبه ، واعتماد الكبراء على ما يقدم من نصائح . رحمه الله وغفر له وعفا عنه . ■■

جواد احمد علوش



بقلم : الدكتور زكي اسكندر ـ قام بالتصوير « أوسكار »

■ هذه قصة فتى صغير عاش منذ ثلاثة آلاف وثلاثمائة سنة ..

جلس على عرش مصر وهو صبي يقرب عمره من عشر سنوات ، ولم يدم حكمه طويلا ، اذ توفى بعد تسع سنوات من توليه الحكم ..

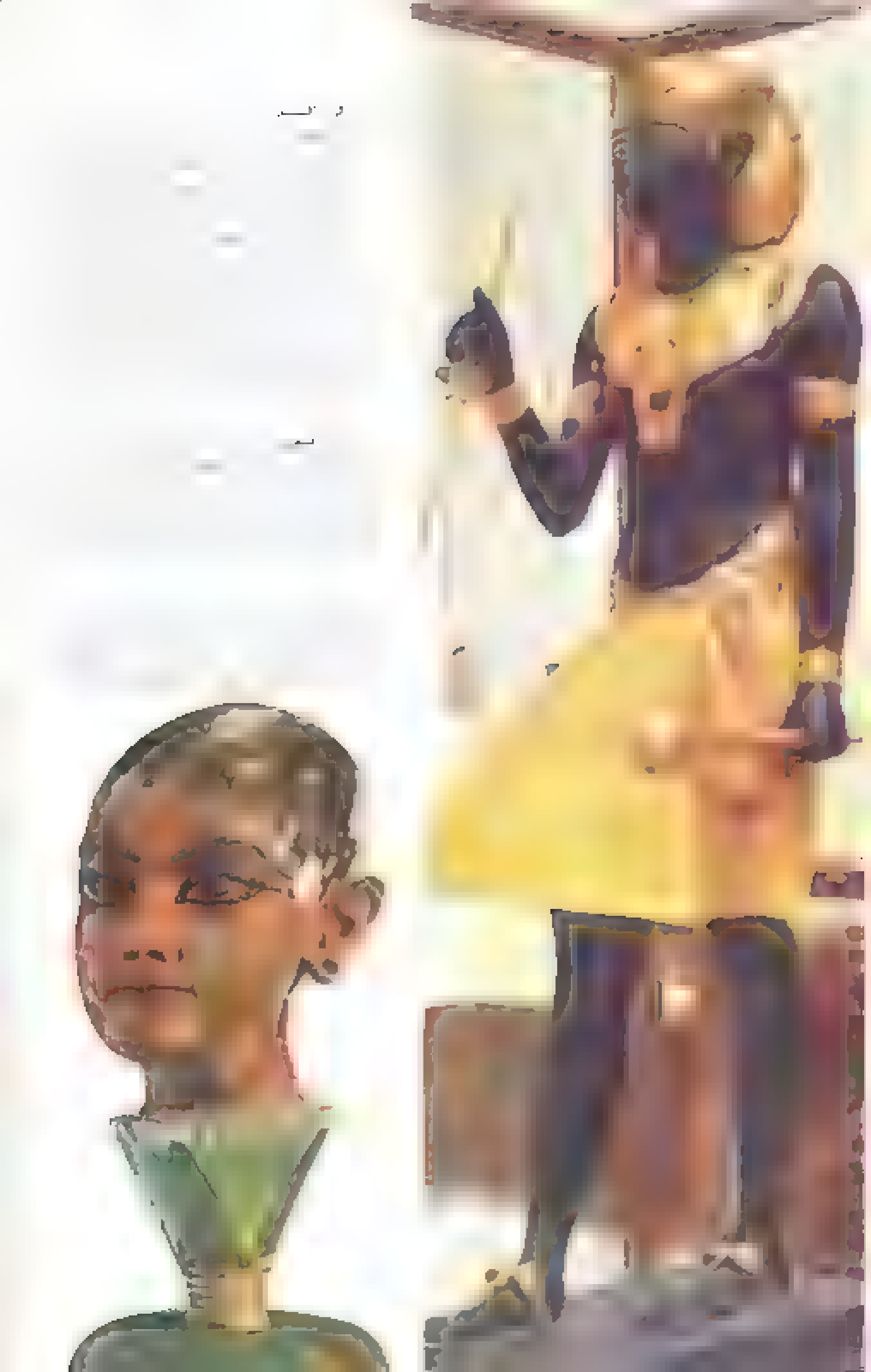
وبالرغم من قصر مقامه في هذه الحياة ، ومن انه لم يلعب دورا كبيرا في تاريخ مصر القديم ، كالادوار التي لعبها رمسيس الثاني او تحتمس الثالث ، او غيرهما من ملوك مصر العظام ، بالرغم من كل هذا ظل اسمه خالدا يتناقله الناس بعد مضي ٣٣ قرنا على وفاته .. !

انه توت عنخ آمون ، من أواخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة ، التي شهدت مصر خلال حكمهم ازهى العصور ، من تقدم في العلوم ، وازدهار في الفنون ..

والشهرة التي حظى بها توت عنخ آمون لم يحظ بها اي ملك آخر من ملوك مصر القديمة ..

والسبب هو مقبرته الفخمة ، التي كانت الوحيدة ، من بين مقابر الامبراطوريات القديمة ، التي نجت من عبث وسرقة لصوص المقابر ، الذين كانوا ينهبون كنوز مدافن الملوك ، ضاربين عرض الحائط بلعنات الآلهة ، او العقوبات الصارمة التي فرضها القانون القديم جزاء سرقة المقابر ! .

لقد اطل العالم ، عام ١٩٢٢ ، على محتويات هذه المقبرة ، فانذهل لما وجده فيها من النفائس





والتحف الفريدة التي لم يُعثر على مثيل لها في اي مقبرة اخرى .

قصة توت عنخ آمون

ولكن ـ قبل ان نسترسل في وصف محتويات المقبرة ـ نتساءل من هو « توت عنخ آمون » هذا ؟ وماذا يعني اسمه ؟ ولماذا لم يعبث اللصوص بمقبرته ؟ .....

والرد على بعض هذه الاسئلة يحوطه الشك والتردد ، ولكن الآثار والكتابات القديمة التي وجدت في مقبرته ، تعطينا قدرا كافيا من المعلومات يمكننا من تتبع مختلف مراحل هذا الملك الصغير..

تبدأ خيوط القصة من قديم الزمان ، وعلى التحديد قبل الميلاد بـ ١١٥٠ عاما ، عندما كانت مصر تنعم بفترة طويلة من الرخاء والتقدم الاقتصادي والعسكري نتيجة للفتوحات التي قام بها تحتمس الثالث في اسيا وافريقيا وتدفق الخيرات والثروات عليها ، بحيث صار كل من بمصر في سعة من العيش والثراء ، فاغدق الملوك المتعاقبون في هذه الفترة ، الكثير من الاراضي والهبات على معبد الاله آمون بالكرنك ، مما ادى الى ازدياد نفوذ كهنته ومحاولتهم التسلط على المناصب الادارية الهامة في الدولة ، غير ان الملك امنحتب الثالث لم يمكنهم من ذلك ، بل يغلب على الظن انه اقام معبدا على شاطئ النيل الغربي لاله آخر هو « آتن » او قرص الشمس ، امعانا منه في معارضة سلطة كهنة « امون » .

ويبدو ان ابنه امنحتب الرابع ـ الذي سمي فيما بعد اخناتون ـ قد اعتنق بتعصب شديد عبادة « آتن » . وعندما اشركه ابوه معه في الحكم في السنوات العشر الاخيرة من حكمه ، انتصر اخناتون للاله « آتن » الى حد كبير ، وبدأ يحارب عبادة امون حتى انه شيد لنفسه ، في قلب معبد الاله امون بالكرنك ، معبدا للاله « رع حور اختي » متحديا بذلك سلطة الكهنة واتباع امون.

العمارنة بدلا من طيبة

وقد اصبحت زوجته نفرتيتي ومعنى اسمها « الجميلة مقبلة » عبادة زوجها وانتقلت معه الى عاصمة ملكه الجديدة ، التي اسماها « اخت آتن » والمعروفة حاليا باسم العمارنة .

والتمس اخناتون في تعبده للاله « آتن » ونادى به « الاله الاوحد » وبذلك كان اول من نادى بالتوحيد في التاريخ ، واهمل الملك شئون البلاد مما ادى الى بدء تصدع الامبراطورية المصرية في كثير من اجزائها .

نفرتيتي تزوجه ابنتها ..

وبعد وفاة اخناتون آل الحكم الى توت عنخ آتن سنة ١٣٥٢ ق.م وهو الصهر الثاني لاخناتون ، فاعتلى العرش وعمره يتراوح بين ٩ سنوات واثنتي عشرة سنة ، فقد نشأ توت عنخ آتن في بلاط اخناتون ، ولم يعرف ابواه على وجه التحديد ، فبينما اعتقد « هوارد كارتر » انه كان ابنا لاخناتون ، لوجود شبه كبير بينهما في الطلعة، الا انه يرجح كثيرا انه كان ابنا للملك امنحتب الثالث من زوجته الثانية « ست امون » التي كانت من اصل ملكي ، ومن الثابت ان الملك امنحتب الثالث قد اتخذها زوجة ثانية له مع الملكة «تيي» والدة اخناتون، وبناء على هذا يكون توت عنخ آتن

داخل غرفة صغيرة محصنة ، يحرسها تمثالان في المدخل وثالثة في الداخل ، تعرض آثار توت عنخ آمون [illegible] وهذه [illegible] مصنوع الصندوق [illegible] لأكثر من [illegible] مرة [illegible] معروضة في المتحف المصري للآثار بالقاهرة



الضبط حراس
نصوص المقابر ولم يحاولوا
النصوص وبعضهم لم يصبحوا في معرفة الآ
خلاله الآله وخلافاته سببه انتسب المصرء توحيد الآ
الصلاتي والأسرة .. سببا لكاسببه اعراضه لم

اخا غير شقيق للملك اخناتون ، ولهذا فلا غرابه في وجود شبه كبير بينهما في الخلقه .

واذا كنا غير متأكدين بصفه قاطعة من نسب « توت عنخ آمن » الا اننا نعلم يقينا انه تزوج « عنخ سن ما آتن » الابنه الثالثة لاخناتون من زوجته الجميله « نفرتيتي » وبزواجه من هذه الاسرة التي يجري في عروقها الدم الملكي اصبح « توت عنخ آتن » وريثا شرعيا للعرش ، لأن قوانين وراثة العرش في مصر قديما لم تكون والده الملك الجديد من اصل ملكي ، فان لم تكن كذلك تحتم عليه ان يتزوج شقيقه له من ابيه .

العودة لعبادة آمون

الزم « توت عنخ آتن » ثلاث سنوات في تل العمارنة مخلصا لعبادة « آتن » ، غير انه لاقى خلال هذه المده مصاعب كثيرة ، ووجد امامه مشاكل عديدة ، تزداد تعقيدا يوما بعد اخر ..

فالامبراطوريه في الخارج تداعى بسبب عدم اهتمام السلطة المركزية في مصر بها .. والشعب في مصر نفسها ساخط بسبب اضطهاد عبادة « امون » وغيره من آلهة المعابد .. والكهنة يفرون لضلال عقولهم بسبب تغير الدولة ، ويتحينون الفرصة للايقاع باسرة اخناتون .. والجيش حانق بسبب عدم دعوته منذ وقت طويل للقيام بحملات حربية او فتوحات جديدة ترد له اعتباره وتوجهه بالمظفر .. والتجار والصناع ساخطون لصعوبة الحصول على السلع من الخارج

ازاء هذه الظروف ، لم يكن هناك من حل سوى العودة الى طيبه والرجوع الى عبادة « امون » حتى تعود الحياة الى مجراها الطبيعي العادي ، وتستقر امور الامبراطوريه في الداخل ، وتعود لها هيبتها في الخارج ، وتصل اليها خيرات البلاد الاخرى بلا انقطاع وبذلك يحل الوئام محل الخصام ، والرضى محل السخط . وفعلا عاد « توت





منخ آتن » الى « طيبة » وربما كان ذلك بناء على نصيحة والدة ومستشاره الاول « آي » ، الذي كان احد القواد العربيين القريبين للملك .

وكان اول عمل للملك هو تبديل اسمه من « توت عنخ آتن » الى « توت عنخ امون » ومعناها « صورة امون الحية » او « جميلة هي حياة امون » كما غير اسم زوجته « عنخ سن با آتن » الى عنخ سن امون» ومعناها «هي تعيش لآمون».

وقد اعاد توت عنخ امون للآلهة القديمة اعتبارها فاعاد فتح معابدها وردها اليها الكثير من الهبات والعطايا ، يؤيد ذلك نص على لوحة عثر عليها بالكرنك ، ويشيد هذا النص بالاله آمون ، كما جاء فيه ان توت عنخ امون وجد المعابد مهجورة تنمو فيها الحشائش فاعاد بناء هياكلها وغمرها بكثير من الهبات والاشياء الثمينة . وعند فيها الباقي التي شيدها في طيبة تعويضا لما دمره اخناتون كما سمى نفسه بانه هو الذي « اصلح الخطأ في انحاء البلاد حتى استقر العدل » ، كما زين صالة الاعمدة بمعبد الاقصر بمناظر الموكب المقدس للالهآمون من معبدالكرنك الى معبدالاقصر.

ويضع مومياوات على بعض جرار النبيذ التي وجدت بمقبرة « توت عنخ امون » ، انه حكم تسع سنوات اي الى ان بلغ حوالي العشرين من عمره ، ويؤيد فحص موميائه الفلك انه لم يكد يتجاوز سن الشباب ، ولذلك فقد بدا حكمه صغيرا ومات صغيرا ، ولم ينجب الا طفلين لم يكتمل نموهما ووجدا كسقطين محفوظين في المقبرة .

كيف اختفت مقبرة توت عنخ آمون عن اعين اللصوص

وجدت مقبرة توت آمون منحوتة في تل من الصخر الجيري بوادي الملوك بالبر الغربي لمدينة الاقصر ، التي تبعد عن القاهرة جنوبا بنحو ٦٧٠ كيلومترا . وكان تحتمس الاول (١٥٢٦ ـ ١٥٠٨ ق.م) أول من اختار هذا الوادي مقرا لقبره حتى تختفي عن اعين لصوص المقابر ، وقد حذا حذوه معظم ملوك الاسرات الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين فنحتوا مقابرهم في هذا الوادي الذي سمي فيما بعد « وادي الملوك » وقد وجدت به حتى الآن اكثر من اربعين مقبرة لملوك هذه الاسرات. وقد تم اختيار مواقع هذه المقابر ونحتها بسرية تامة يؤيد هذا نص على المقصورة الجنائزية التي

مهندس تحتمس الاول المعمار « انيني » جاء فيه قوله « انني اشرفت على حفر مقبرة جلالته وحدي [illegible] بالقرب [illegible] هذا العمل وحدي، لا احد يرى ولا احد يسمع » .

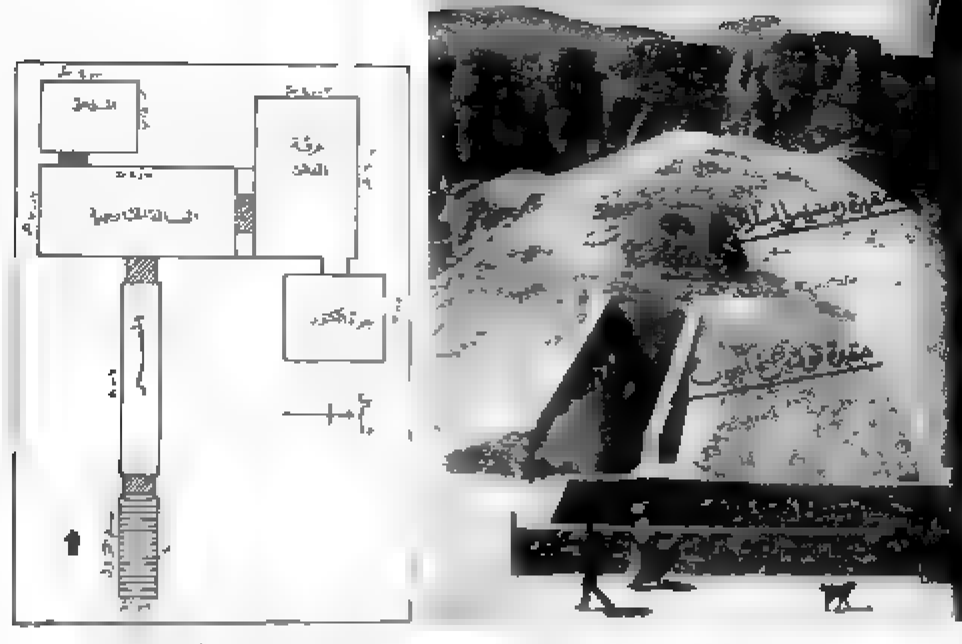
ولكن بالرغم مما اتخذ من احتياطات لاخفاء ابواب هذه المقابر ، وما خصص لها من حراسة منتظمة قوية ليلا ونهارا ، الا انه سرعان ما ان ضعف الحكم ، وبالتالي ضعفت الحراسة ، حتى سارع لصوص المقابر الى نهب كل المقابر التي تمكنوا من الوصول الى ابوابها الرئيسية .

وقد ورد في احد البرديات التي تتحدث عن محاكمة لصوص المقابر ان اللصوص الذين عبثوا بمقبرة رمسيس السادس لم يتمكنوا سرقة كنوزه الثمينة [illegible] [illegible] وجواهر .

ومن الطريف ان مقبرة رمسيس السادس نفسها التي كانت موضوع هذه المحاكمة ، كانت السبب في عدم تمكن اللصوص من الوصول الى مدخل مقبرة توت عنخ امون بعد ضعف الحراسة ، الا ان الاتربة الناتجة عن حفر هذه المقبرة قد اخفت تماما مدخل مقبرة توت عنخ آمون ثم اقيمت على هذه الاتربة والردم بعض عشش لاقامة العمال الذين كانوا يعملون في اعداد هذه المقبرة ، ولذلك لم يشتبه احد من لصوص المقابر الى وجود مقبرة تحت انقاض هذه العشش ، كما لم يفكر معظم المنقبين الاثريين في ذلك فبقيت مختفية عن الانظار قرونا عديدة بلغت حوالي ثلاثة وثلاثين قرنا الى ان قدر لهوارد كارتر ان يكشف عنها في يوم السبت




الرجلان اللذان اكتشفا مقبرة توت عنخ آمون ؛ الاول : اللورد كارنرفون الذي قدم المال ؛ والثاني : هوارد كارتر الذي قدم المعلومات التاريخية الفنية وأشرف على الحفر



مدخل مقبرة توت عنخ آمون ، وفوقها مدخل مقبرة رمسيس السادس ، من ملوك الاسرة العشرين؛ وكانت رمال حفر مقبرته سببا في اختفاء مقبرة توت عنخ آمون عن عين اللصوص لمدة ثلاثة آلاف عام . أما الرسم التوضيحي فيبسط تخطيط مقبرة توت عنخ آمون ، ومساحتها ٨٠ متر مربعا

٤ نوفمبر سنة ١٩٢٢ بعد ان جد في البحث عنها بالذات ست سنوات ، اعترته اثناءها كثير من فترات اليأس والقنوط .

لقد طلب هوارد كارتر سنة ١٩١٤ التصريح له بالحفر في الوادي لحساب اللورد كارنارفون ، وصمم على ذلك ، بالرغم من تحذير ماسبيرو له بأنه لا توجد في هذا الوادي اي مقابر اخرى لم يكتشفها علماء الآثار .

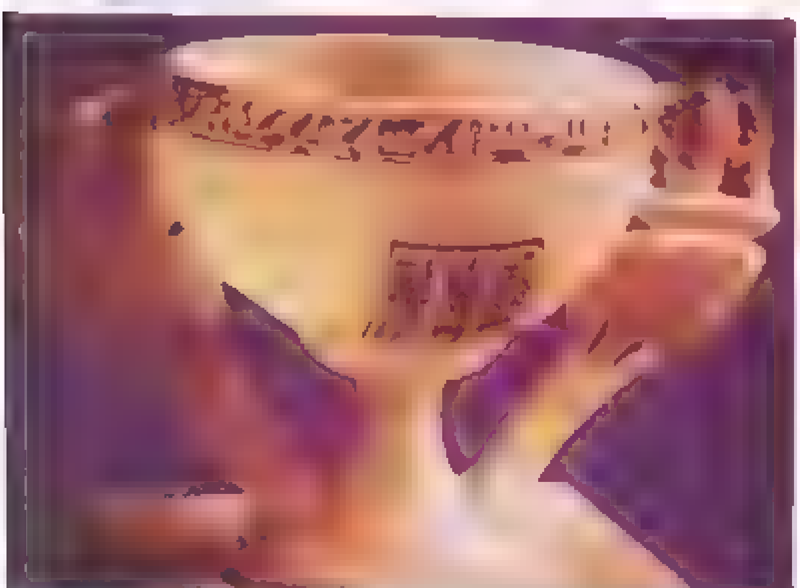
كان كارتر يعتقد اعتقادا جازما انه توجد تحت اكوام الرديم التي تراكمت بالوادي من الحفائر السابقة ، مناطق لم تفحص تمام الفحص وكان لديه امل قاطع ـ ان صح هذا التعبير ـ ان يعثر على مقبرة توت عنخ آمون ذاتها تحت هذا الرديم ، استنادا الى بعض الآثار والاختام والاواني التي عثر عليها في هذه المنطقة منقوشا عليها اسم « توت عنخ آمون » .

قصة اكتشاف المقبرة

بدأ اللورد كارنارفون وهوارد كارتر عمليات الحفر في وادي الملوك سنة ١٩١٧ في المثلث الواقع بين مقابر : رمسيس الثاني، ومنفتاح ، ورمسيس السادس ، وهي المنطقة التي ذكرنا آنفا انه قد عثر فيها على الآثار التي تحمل اسم توت عنخ آمون. وكانت هذه المنطقة مكدسة باكوام من الرديم الناتج من الحفائر التي اجريت من قبل بوادي الملوك ، فقرر ازالتها للوصول الى مستوى سطح الصخر الجيري . وبعد ازالة الطبقات العلوية من هذا الرديم حتى سطح الجبل تحت مقبرة رمسيس السادس ، عثر على مجموعة من مبان صغيرة من الحجر فوق رديم يبلغ ارتفاعه حوالي متر واحد وبه قطع من كرات الصوان ، ويدل شكل هذه المباني على انها كانت أكواخا للعمال القدماء الذين كانوا يقومون بإعداد المقابر بالوادي ، غير ان كارتر ترك هذه الاكواخ وظل خمس سنوات اخرى يعمل في بقية اجزاء المثلث ، حتى ازال كل الرديم ، ولم يجد شيئا يذكر يعوض، ولو قليلا، عن المجهودات التي بذلت والتكاليف التي تكبدتها البعثة في هذه الحفائر . ولذلك فقد اتفق كارتر مع كارنارفون ان يكون الموسم القادم هو آخر موسم للحفائر هنا في وادي الملوك ، على ان يخصص هذا الموسم لإزالة اكواخ العمال السابقة الذكر والتي عثر عليها في الموسم الاول لهذه الحفائر .

وبدأ موسم الحفائر في اول نوفمبر سنة ١٩٢٢





ثم بدىء في رفع الاتربة التي تحتها فظهرت اولى درجات سلم منحوت في الحجر الجيري ، وظهر بعد ثلاثة ايام ان هذا السلم يؤدى الى جدار مسدود بالاحجار ومغطى بطبقة من الجبس عليها اختام الملك توت عنخ امون واختام جبانة طيبة وكل منها عبارة عن رسم لكلب وتحته تسعة اسرى مكبلين في الاغلال ، وظهر خلف هذا الباب ممر طوله ٧٫٦ مترا وكان مملوءا بالردم الذى يحتوى على قطع صغيرة من الاحجار .

ذهول ..

وكم كان سرورهما بالغا عندما وجدا ان هذا الممر يؤدى الى مدخل المقبرة الذى كان مسدودا بجدار مماثل للجدار السابق ، ومختوما مثله باختام توت عنخ امون واختام جبانة طيبة ، ويدل وجود اختام جبانة طيبة مع اختام توت عنخ امون على ان المقبرة قد فتحت من قبل ، ثم اغلقت وختمت بمعرفة شرطة حرس الجبانة الملكية بطيبة ، وسارع كارتر بازالة طبقة الجبس من اعلى الجدار ليفتح لنفسه فتحة صغيرة يطل منها الى الداخل ، وقد تملكه شعور غريب من التشاؤم والتفاؤل ..

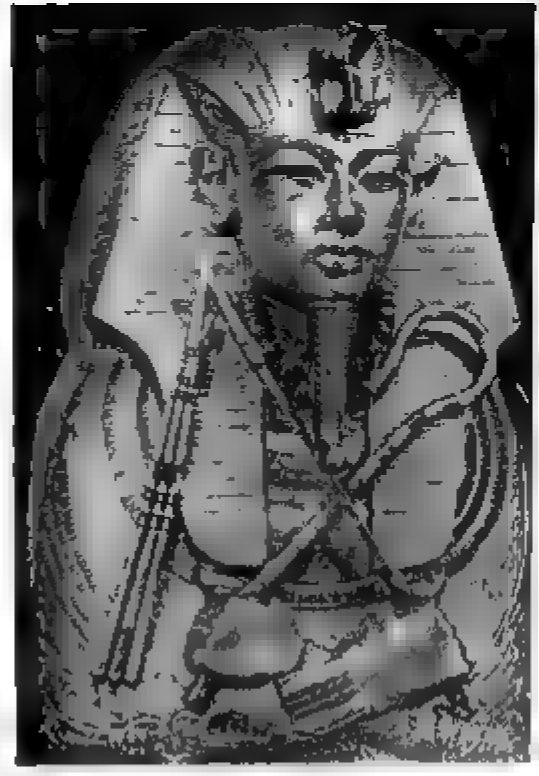
التشاؤم : خوفا من ان يكون لصوص المقابر قد نهبوا جميع كنوز المقبرة ..

والتفاؤل : بان يكون شرطة حرس الجبانة قد قبضوا على اللصوص قبل تمكنهم من نهب محتوياتها .

وقد اثبتت الايام التالية انه كان محقا في تفاؤله ، اذ ظهر بعد ازالة جدار المدخل ، ان المقبرة مكدسة بتحف وكنوز واثار اذهلته واذهلت العالم اجمع !

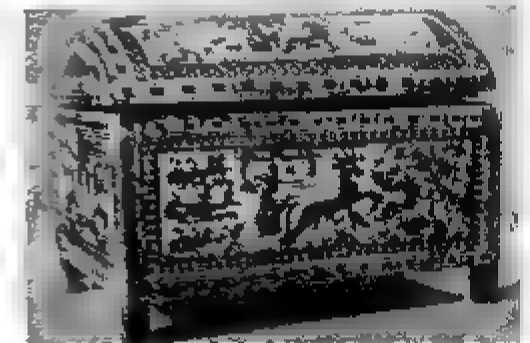
لصوص المقابر يهربون

كانت المقبرة مكونة من اربع حجرات مكدسة بمختلف انواع الاثار المكدسة بعضها فوق بعض او متداخلة بعضها داخل بعض . وقد وجدت المقبرة (وخصوصا بغرفة الاستقبال) بعض القطع في غير مواضعها ويبدو ان هؤلاء اللصوص قد تمكنوا من دخولها بعد دفن « توت عنخ امون » بها بوقت قصير ، ولكن شرطة حرس الجبانة تنبهوا فقبضوا عليهم قبل خروجهم من المقبرة .. وبعدها حاول حراس الجبانة اعادة ترتيب وتنظيم



التابوت الداخلي الثالث الذى يحوى مومياء توت عنخ آمون وهو من الذهب الخالص ، ويبلغ وزنه ١١٠ كيلو جرامات وطوله ١٨٧ سم وعرضه ٥١٫٣ سم وارتفاعه ٥١ سم ، وهو مغطى من الداخل والخارج بصور وزخارف وكتابات منقوشة على الذهب ، ويمثل الملك على شكل اوزوريس ، اله العالم الآخر ، يمسك بمقبض في يده اليسرى ، والسوط في يده اليمنى ويغطي جبهته صقله بتكون من الراس رقيقة من الذهب الاحمر والاصفر

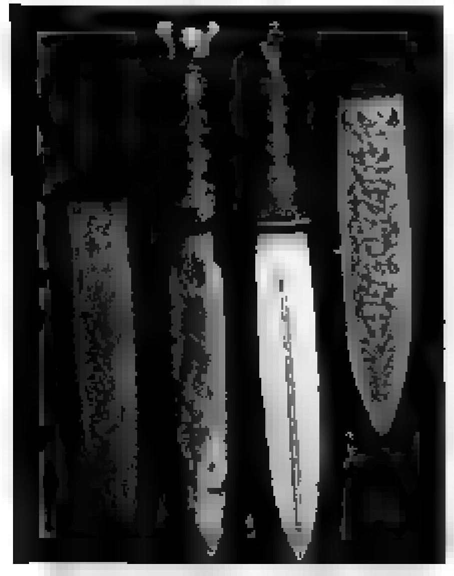
▼ صندوق بديع الصنع ، من الخشب المزخرف من جميع الجهات بالرسوم الملونة الدقيقة ، التي تبدو وكأنها من العاج المرصع بالاحجار ، والرسم الظاهر في الصورة يمثل توت عنخ آمون يحارب الاعداء بعربة الحرب





اربعة من الآلهة والمعبودات هي [illegible] ايزيس ، ونفتيس ، و[illegible] ، وسلكت ، تقف حول [illegible] صندوق حفظ [illegible]

خنجران [illegible] الملك في [illegible] النصل [illegible] من الذهب والثاني من الحديد الذي لم يصدأ حتى الآن رغم مرور ثلاثة آلاف [illegible]



ما افسده اللصوص ، ولكنهم لم يتمكنوا من اداء ذلك بوجه مرض ، لتكدس المقبرة بقطع الاثاث الكبيرة ، والعربات الحربية ، والصناديق مما كان يعوق حركتهم داخل المقبرة ، علاوة على صعوبة معرفة المواضع الاصلية للقطع المبعثرة .

المقبرة ..

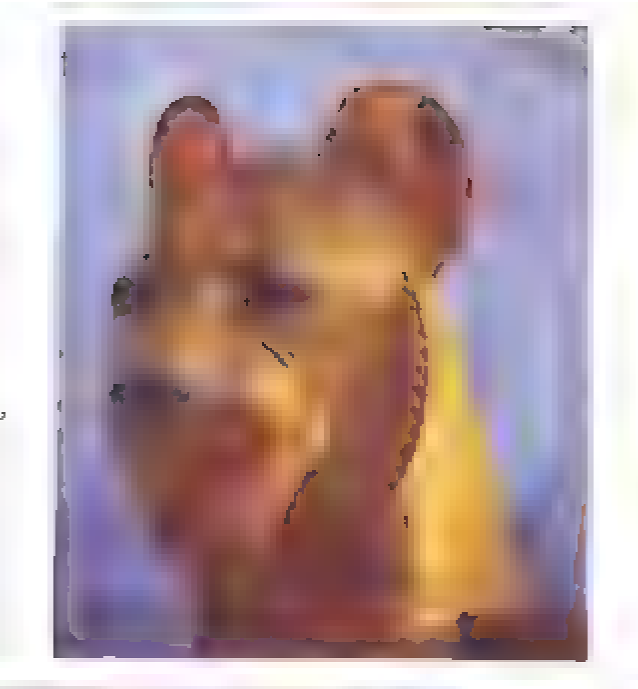
ولو ان المقبرة كانت صغيرة بالنسبة للمقابر الملكية الاخرى بوادي الملوك الا ان محتوياتها كانت مقسمة على الحجرات الاربع حسب انواعها الى حد كبير ، فبينما خصصت قاعة الاستقبال للاثاث الجنازي ، خصصت غرفة الدفن لاوعية الملك ولوازمه ومقاصيره ، وحجرة الكنوز للجهاز الكانوبي وتماثيل الآلهة ، والملحق لمستودع للمأكولات وما لم تتسع له الحجرات الثلاث الاخرى . ولكل اثر وجد في المقبرة جماله وأهميته وطابعه الخاص ، غير ان المقال لا يتسع لذكر كل او جل هذه الآثار الفريدة النادرة لذلك نرجو من القارىء أن يرجع الى الصور للاطلاع على وصف القطع المذكورة .

مناظر عائلية !

وبالاضافة الى الامثلة الساطعة للمجموعات المختلفة ، فان المقبرة تعطينا امثلة رائعة لمناظر الحياة المختلفة مصورة على جوانب الصناديق واغطيتها ، مثل ذلك مناظر الحروب على جوانب الصندوق الخشبي الملون ومناظر صيد الظباء والنعام والنعام الاسود على غطاء نفس الصندوق ، ومناظر الحياة المنزلية الداخلية المصورة على ناووس صغير من الذهب بين الملك وزوجته في جلسات عائلية ورحلات ترفيهية للنزهة في الحدائق ، ونراها تارة تقدم له الزهور او تعطره بالعطور ، وتارة تقدم له السهام وتشير باصبعها الى طائر معين ليصوب اليه سهامه ، لنرى كيف يصب هو سرور العطر على يديها وهي جالسة عند قدميه ، وهكذا في فن يتميز بالبساطة والرقة وحسن التعبير والذوق السليم في التكلف .

العلم الحديث من عهد توت عنخ امون !!

وتتميز هذه المقبرة ايضا بوجود قطع فريدة لبين مدى ما بلغه المصريون القدماء في ذلك







مقبرة توت عنخ آمون : كانت هناك ٣ توابيت على شكل أجسام متداخلة داخل النعش الخارجي ... من الخشب المغطى بصفائح من الذهب ، و الثاني من الخشب المذهب ... والثالث مطعم ... بصف ... والتابوت ... من الذهب الخالص ... ٨٦ ... ملك ... مغطى بالقناع الذهبي الخالص ... ٧٧ ... مرصع بالأحجار الكريمة ... ١٣ ... والقلادات والأساور والخواتم ... من الذهب ... الذهبي ...

...

العهد من تقدم في الفنون والصناعات الكيميائية ، مثال ذلك .

١ - قيثاران للحرب : أحدهما من النحاس ، والآخر من الفضة .. وقد نفخ في أحدهما وهو النحاسي ، وأذيع الصوت العالي الصادر عنه ، في الإذاعة عالمية ، فإن المرء يتعجب كيف ضبطوا اللحن حتى يتفق مع نظريات تردد الصوت الحديثة ؟

٢ - يحتاط التماثيل مصبوغان بأصباغ عطرية مستخرجة من النباتات .. كيف استخلصوا المواد الصلبة من النباتات واختزانها ؟ .. ثم كيف أعادوا استعمالها ؟ .. بل كيف اهتدوا إلى معرفة مثبتات الصبغة كالشب وأملاح الحديد والنحاس القابلة للذوبان في الماء ؟ وهي كلها أمور يفخر العلم الحديث بابتكارها ، ناسيا أن قدماء المصريين قد سبقوا العالم أجمع بالكشف عنها ، واستخدامها استخداما علميا صحيحا .

إلى أسفل : ... مجموعة كبيرة من تماثيل «الشوابتي» ...

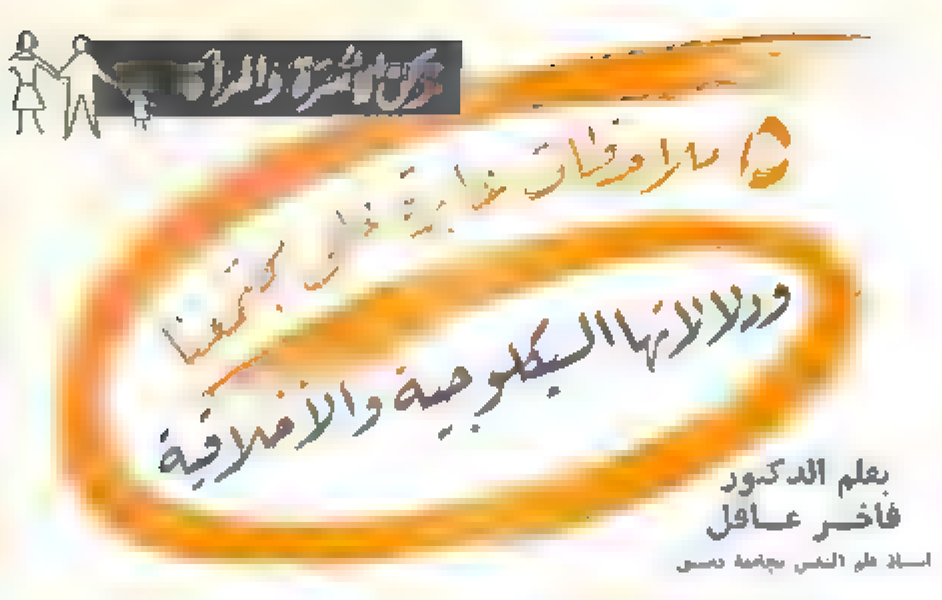


ذكرى باقية

هذا هو توت عنخ آمون الملك الصغير الذي قدر له أن يعتلي عرش مصر لمدة تسع سنوات (١٣٥٢ - ١٣٤٣ ق.م) بدأ حكمه صغيرا ومات صغيرا .

ومع ذلك فستبقى ذكراه باقية على الدهر تحكي عنها آثاره الخالدة الموجودة حاليا بالمتحف المصري .

زكي اسكندر



بقلم الدكتور
فاخر عاقل
أستاذ علم النفس بجامعة دمشق

■ هذه ملاحظات اجتماعية سريعة ، لا أقصد من استعراضها مع القارئ أن [illegible]

[illegible]

محالة الأمانة .. ومطعم الإنصاف !

[illegible] التي تعطى للمحال العامة في بلادنا فهذه محالة الأمانة ، وذاك مطعم الإنصاف وذلك متجر الصدق ، إلى غير ذلك من أسماء ، وأغلب الظن أنك لن تجد أمانة في محالة الأمانة ولا إنصافا في مطعم الإنصاف ولا صدقا في متجر الصدق.

ولكن الذي يهمنا من هذه الأسماء شيء آخر وهو دلالة هذه الأسماء . إنها تدل على افتقاد المجتمع لهذه المثل الأخلاقية في مثل هذه المحال ، ولذلك عمد بعض الأذكياء من أفراد المجتمع إلى استعارة هذه المثل وإطلاقها على محالهم ، أي أن صاحب محالة الأمانة أدرك أن الناس يفتقدون الأمانة في المعاملات ومعاملاتها ، الأمانة في تحديد السعر الأمانة في تسجيل المرتبات والأمانة في الوزن إلى غير ذلك من ضروب الأمانة ولذلك فقد عمد إلى إطلاق اسم الأمانة على محله إيهاما للناس أو تأكيدا لهم بأن ما يفتقدون من أمانة متوفر في محله.

الشيء نفسه عن مطعم الإنصاف ومتجر الراحة ومتجر الصدق وغيرها .

على أن افتقاد الناس لشيء يعني بحثهم عنه واستعدادهم إياه ويعني بالتالي إقبال الناس على أمكنة توفره وانصرافهم عن المحال التي لا تعنى به ، ومن هنا كان ما نراه الآن في مجتمعنا من تحسن المستوى الأخلاقي في معاملات البيع والشراء . والأمل معقود على ازدياد التحسن حتى بلوغ المستوى اللائق بمجتمعنا وسمعتنا .

حلال على الشاطر !

والملاحظة الثانية هي عن موقف الناس [illegible]

[illegible] حلال على الشاطر ، وإذا تحدثت عن [illegible]

[illegible] دفع عنها ضريبة الكسب (الجمرك) فإنه من سرع بالقول : حلال على الشاطر وإذا حكيت عن موظف لا يداوم على وظيفته ومع ذلك فإنه لا يحاسب على

ذلك نظرا لقرابته من كبير او عظيم قيل لك (حلال على الشاطر) ، وإذا نوهت بتاجر استطاع أن يعقد صفقة كبيرة ربح منها بالغش وبحصا غير مشروع تحمس أحد المستمعين وقال (حلال على الشاطر) وهكذا . . .

انها مواقف شائعة مألوفة في بعض مجتمعاتنا على الأقل . وهي تدل ، فيما تدل عليه ، على مفهوم مادي هابط ضيق للأخلاق عامة وللسرقة خاصة ، فالسرقة في رأي هؤلاء هي فقط اخذ المال خفية ودون موافقة صاحبه ، اما سرقة الحكومة فليست سرقة ، لأن الحكومة في رأيهم ليست شخصا ماديا معينا . ويبدو ان وجود حكومات اجنبية في البلاد العربية في الماضي انسى الناس ان مال الحكومة انما هو مالهم وان سرقة الحكومة انما هو سرقة لهم . وكأن بالسرقة في رأيهم انما هي سرقة المال فقط اما سرقة الوقت والجهد والتعب والأفكار فليست سرقة . ويبدو ان رأي هؤلاء مستقر على ان التجارة تبرر فيها كل شيء ، فما دام الامر امر بيع وشراء ومساومة فلك أن تستغل الشاري ، وتداوره وتتحكم به كما تشاء دون وازع من دين أو رادع من أخلاق .

ولست أحب للقارىء ان يفهم من كلامي اني اتهم كل تجارنا بالغش والتدليس والربح غير الحلال ، كلا فاني أعلم علم اليقين أن في تجارنا الشريف صاحب الضمير الذي لا يطلب الا ربحه المشروع الحلال . وأيا ما كان فلست في موقف المتحدث عن التجار انفسهم ولكني أتحدث عن موقف الناس ، بعض الناس ، في مجتمعنا من السارقين والمختلسين والمرتشين وهو موقف اقل اخطاره كونه يشجع على دوام السرقة واستشراء الاختلاس والوقوف من ذلك مواقف لا اخلاقية

سرقة .. وسرقة !

والملاحظة الثالثة تتصل بمسألة السرقة أيضا وأعني بها مسألة الجهد الأقل أو أهون السبل كما يمكن ان نسمي ، فطالبنا يريد الحصول على شهادته بأقل جهد ممكن ، وموظفنا يريد ترقيته بأهون السبل ، وتاجرنا يريد الاثراء بأقصر وقت وأدنى جهد ، وعاملنا حريص على أن يبذل أقل نشاط ويحصل على أعلى أجر وهكذا . . .

صحيح ان الانسان ميال بطبعه الى بذل أقل جهد ممكن ، وصحيح أن من تعاريف المدنية انها بحث الانسان عن أقصر الطرق للحصول على أعلى مردود لقاء أقل جهد،ولكن هذا شيء وشيء آخر ان يحمل الطالب الشهادة عامة لا واسطة وأن يحرص على الحصول عليها من أي سبيل كان وبأي شكل كان . ثم ان الموظف الذي يريد الترقية دون أن يستحقها فعلا انسان سارق . يسرق المجتمع والدولة وزملاءه . وكذلك الحال بالنسبة للتاجر الذي يريد أن يثري دون حق ، والصانع الذي لا يبذل من جهده ما يتكافأ مع أجره .

تقول الشعوب الجديدة ان ٩٩٪ من النبوغ عرق جبين ، وتحرص الأمم الراقية على ان يعمل ابناؤها ويبذلوا في سبيل رفعتها وتقدمها ما يسمح لها بأن تتبوأ مكانا لائقا بها ، وما من شك في ان لذة النيل بعد الجهد لا تعادلها في الدنيا لذة ، وان اكبر عقاب يصل دون جهد هو حرمانه من لذة النجاح الحقيقي .

والملاحظة الرابعة هي عن مسألة الحلال والحرام،ولست احب ان أعرض هنا للمحللات والمحرمات دينا واجتماعيا، ولكني احب ان اقف وقفة قصيرة عند ضياع معالم الحرام والحلال حين تختلط المصالح الشخصية بالمفاهيم الدينية الحقة والاجتماعية الصحيحة ..

وهكذا فالربا حرام ، ولكن شراء المحاصيل الزراعية سبقا وبأسعار تقل من نصف سعرها الحقيقي حلال !!

وكشف المرأة وجهها في حارتها او

بلدها حرام ، اما كشفها اياه في حضارة اخرى لا تعرف فيها او في بلد تسافر اليه فحلال !!

والغش في الزوج حرام ، اما الغش في السعر فحلال !!

وسرقة المال حرام اما سرقة الجهد واستغلال صاحب الحاجة فحلال الى آخر القائمة الطويلة التي يمكن سردها في هذا الصدد .

ان هذه المواقف انما تدل على فهم خاطيء لروح الدين وتعاليم المجتمع ونواميسه ، فالدين والقانون لم يوجدا ليضيقا على الناس ويعرقلا نشاطهم ، بل على العكس وجدا لتنظيم علاقات الناس وتيسير تعاملهم وحماية بعضهم من شر بعض ، وضمن هذه الحدود الصحيحة المعقولة فالدين يسر ، والقانون خير ، والاعراف والعادات الصحيحة ضوابط مفيدة . وما من شك في ان مثل هذه المواقف دليل واضح على سوء استيعاب مثل هذه المفاهيم الدينية والاجتماعية ، وتعبير صارخ عن شر اصيل في النفس لم يستطع الدين والمجتمع ان يجتثا جذوره ويستاصلا شافته .

الدين المعاملة ، والمعاملة الصحيحة واضحة المعالم لا غمغمة فيها ولا مداورة . والحلال صريح بسيط ، والحرام معروف محدد ، والغاش لا يغش الا نفسه .

التواكل .. والاتكال

واما الملاحظة العامة فهي من التواكل وترك الامور للظروف . لقد قيل الكثير عن الاتكالية وكتب الاكثر عن التواكل وحدوده الدينية وانحرافاته الاجتماعية مما لا يدع مجالا لقول المزيد ، ولكني لن اتحدث في مقامي هذا عن كل ذلك ، وكل ما يودي ان اتعله هو ان اشير الى بقاياه الاجتماعية في حياتنا اليومية .

ان المتامل لحياتنا هذه يلحظ الكثير من بقايا هذا التواكل ومظاهره : فربة البيت عندنا لا تؤمن بما يسمى ميزانية ولكنها تنفق عن سعة او ضيق بحسب الظروف الطارئة . والباقي على الله ! . اما الادخار المعقول، واما حسبان حساب المفاجآت ، واما توزيع المصروف توزيعا عادلا بين ابواب الانفاق المختلفة فامر لا ضرورة له ولا يمكن ان ينضبط . . .

والذي يقوم بعمل ، اي عمل ، لا يفكر في خطة له وميزانية الوقت اللازم له ، وحساب المصاعب التي قد تعترضه . وقل الشيء نفسه عن المشاريع الفردية والاعمال التجارية وغير ذلك من مظاهر الحياة .

يقال ان عصرنا عصر تنظيم وتخطيط ، وان الامم والافراد آمنوا بوضع خطة لكل عمل ، وبرنامج لكل مشروع ، ومناهج لكل ناحية من نواحي الحياة . ولكن هذا القول لا ينطبق مع الاسف على حياتنا العامة ، وان كان قد بدا يتسرب الى حياتنا العامة في كثير من القوة والجراة .

ويقال ان التنظيم يوفر في الجهد والوقت والمال ، والحق ان الذي يعرف ما يريد يمضي اليه قدما لا يلوي على شيء . ثم ان الذي يفكر في كيفية عمل ما يريد عمله فمن شان هذا ان يعمل باقل جهد واسرع وقت . ويقول الناس ان الذي لا يحسب لا يسلم ، والصحيح ان السلامة رهينة بالحساب والتقدير ، نعم ان الحساب يخطيء احيانا وان التقدير لا يكون مضبوطا في كل حين ، ولكن الذي صحيحا ايضا ان على الانسان ان يعقل اولا ، ويتوكل ثانيا !!

ان ترك كل شيء للظروف جدير بان يوصل للمخاطر ، وان استمرار التواكل في مجتمع ما لدليل على تاخره ، ولا يكفي ان تخطط الحكومة وتنهج الدولة ، بل ان من واجب الانسان ، كل انسان ، ان يفكر في عمله ، اي عمل ، وان يخططه وينظمه .

وبعد فهذه ملاحظات عابرة سريعة ارجو ان تنبهك الى بعض ما في مجتمعك من اخطاء وما لها من دلالات .

■

فاخر عاقل



في مراكز الإدارة والقيادة في البلاد

● يرى السير شارلس سنو Snow ، العالم البريطاني ، أن الولايات المتحدة [illegible]
أو وظائف الإدارة العليا للعلماء . وهو يرى أن العلماء يجب أن تتاح لهم أن يؤدوا دورهم كاملا في سياسة البلاد . كل بلاد . ولكن يقف دون ذلك وجود صراع بين العلماء وغير العلماء ينبع من نواقصهم ونقائصهم . وهذا الصراع أكبر في بريطانيا منه في الولايات المتحدة . وذلك بسبب أن التربية في الولايات طابعها التعميم في الدراسات . وهي في بريطانيا طابعها التخصص . ويلقى العالم في الولايات بين العالم مكانا أكثر مما يلقاه الإنسان في بريطانيا .

ومع هذا ، كما يقول العالم البريطاني ، يجب أن لا ننسى أن دخول العلماء إلى الإدارة العليا قد ينتج عنه أن يجد الناس طبقة العلم ، وهم لا يفهمونها ، وبسبب أنه العلم ، هم يسكتون عما لا يفهمون ، ويظنون أنه ، لأنه الرأي العلمي ، هو الصواب على كل حال ، وهذا يعطي للعلماء قوة لا يرضاها [illegible]

[illegible] بريطاني يرى أن هذا الصراع ، أو هذه الفجوة التي بين العلماء وغير العلماء توجد أمثالها بين مصر من أمصار ومصر ، وبين دين ودين . وهذه كلها مصدر الكثير من شرور هذه الحياة . ولكنها بفضل المواصلات ستخف على الأيام ، وتقارب الناس ، وتناسق الأفهام .

ونحن نقول استجابة لرجاء عالم أمين .

علماء النفس يقولون : شهر العسل

● [illegible] والمتعة ، تلك التي تحصل بعد مرحلة من الوحدة بعد وصل النفس ومواصلة أنحاء .

وعلى الرغم من اسم هذا الشهر الحلو ، فإن علماء النفس يرون أنه من أخطر الشهور على الحياة الزوجية ، وعلى ما ينتج من توافق بين اثنين في أمور شتى ، يتوقف عليه الكثير من سعادة الغد أو شقائه .

[illegible] فيها الزوجان في هذا الشهر [illegible]



انه يعود الى عدوى اداتها نوع من الكروب ، من عائلة الفيروس . وقد وقع العلماء عملا على هذا الفيروس واستخلصوه وحده في عام ١٩٦١ . ومن ذلك التاريخ وهم جادون في استحداث لقاح له . وللوصول الى

خطر السهور على الحياه الزوجيه ..!

عن الفراد ، تمران حتما بالصحه والعافية .

هل يتوصل العلماء لمعرفة حجم العالم

• منذ حوالي ١٥ سنة كانت المراصد تكشف من السماء أجساما، أبعدها يبلغ مئات الألوف من السنوات الضوئية.

والسنة الضوئية هو اصطلاح علمي للمسافة لا للزمن. إنه المسافة التي يقطعها الضوء في سنة كاملة. ونعلم أن الضوء يقطع في الثانية الواحدة ١٨٦٠٠٠ ميل، إذن هو يقطع في العام ٦ مليون مليون ميل.

فأبعد بعد في السماء عرف قبل نحو ١٥ سنة كان مئات الألوف مضروبة في ٦ مليون مليون ميل.

ولكن الآن، وبعد استخدام مرآة مرصد جبل بالومار العاكسة، وقطرها يبلغ نحوا من ٥ أمتار، رأى العلماء من العالم ما هو أبعد.

بعد العالم عندهم ليس الآن مئات الألوف من السنوات الضوئية، ولكن بلايينها!!

وبرصد هذه الإضافات الجديدة إلى ما كان معروفا من حجم العالم، يستطيع العلماء أن يكونوا فكرة عن طبيعة الكون

(١) هل هو كون آخذ في الاتساع، بمعنى أن أجرامه آخذة في التباعد بعضها عن بعض؟

(٢) أم هو كون يتسع، ثم ينكمش، ثم يتسع؟ أي أم هو كون نابض؟

(٣) أو هو كون لا يتسع ولا ينكمش، وإنما هو كون دائم التجديد لنفسه بخلق مادة جديدة؟

حوادث السيارات

كثيرا ما تكون مشبوهة

• هذا ما يقوله عالم نفساني باحث.

إنه بحث عددا كبيرا من حوادث السيارات، واتضح له من بحثه أن حوادث السيارات أنواع ثلاثة

أ ـ نوع يحدث عفوا، لا حيلة لأحد فيه.

ب ـ نوع يحدثه السائق يريد به أن ينتحر.

ج ـ نوع يرتبه رجل آخر ليقضي به على حياة من في السيارة.

والناس عندما تسمع بحادث سيارة، مات فيه أحد، تنسبه إلى النوع الأول. وقد تزيد فتقول إن السائق كان سكرانا، أو غلبه النوم، أو فقد التحكم في عجلة القيادة.

ويرى الباحث النفساني أن من الناس من يريد

إلى اليسار: مجرة واحدة، بها ملايين من النجوم





ان ينتحر ، فيتخذ السيارة وسيلة الى ذلك . ويرتب امره بحيث يخفي كل اثر لنيته هذه حتى لا يفتضح بعد وفاته ، وذلك كي لا يترك من انتحاره سمعة سيئة تعاني منها اسرته من بعد موته . او هو يفعل ذلك لكي تنال اسرته المبلغ الذي امّن به على حياته من بعده .

ويسوق هذا الباحث ، فيما يسوق من الادلة ، ان من الذين ماتوا في حوادث السيارات ، وهم يسوقونها ، قوم كانوا عنده في مستشفى العقول ، هدفوا الى الانتحار ، ونفذوا ذلك بعد خروجهم من المستشفى ، على اسلوب « حادث سيارة بريء » .

ويرى الباحث ان النوع الثالث هو ذلك النوع الذي يرتبه مرتبه بحيث يظهر الحادث بأنه حادث طبيعي لا شك فيه ، وقع فيه صاحبه الذي يطلبها .

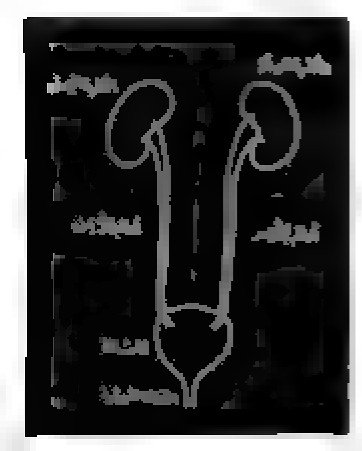
والخلاصة ، ان هذا الباحث النفساني ، وهو استاذ في جامعة ييل ، قال عند القائه بحثه في جمعية الصحة النفسانية الى انه يجب على رجال الشرطة ان لا يأخذوا كل حادث سيارة على انه حادث بريء . يجب عليهم ان يبحثوا فيه لعل فيه اثرا لجريمة .

مادة من الكليتين لضبط ارتفاع ضغط الدم

● انه عقار مستخرج من جسم الانسان نفسه ، وعمله في الجسم هو نفس عمله المطلوب عند استخدامه عقاراً ، ذلك الهبوط بضغط الدم .

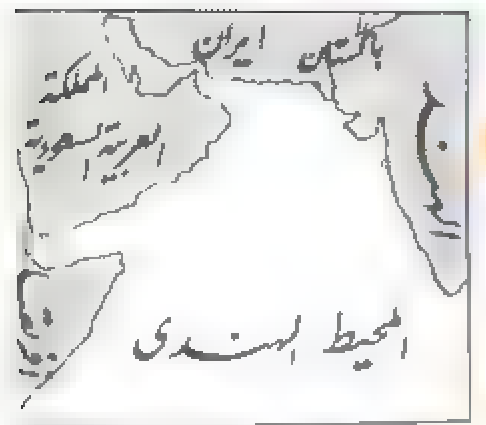
وهم وجدوه في جسم الكليتين . ان في الكليتين مادتين ، مادة ترفع الضغط ، وهذه تفرزها انسجة الطبقة الخارجية من الكلية ، ومادة تهبط بالضغط ، وهذه تفرزها الجزء الداخلي من الكلية .

واذ اتضح هذا لدى ابحاث مستشفاهم ، بمدينة بوسطن ، تبحث عن هذه المادة ، وقد وجدتها ، واستخرجتها وهي جاهدة في استخلاصها نقية .



وقد دلت التجارب الاولية التي اجراها هؤلاء الاطباء في الحيوانات ، بحقن هذه المادة في اوردتها ، على انها توسع الاوعية الدموية حقا ، وانها تهبط بضغط الدم في شريان الدم الاعظم ، الاورطة ، ذلك الذي منه يخرج الدم الى الجسم من القلب اول خروج . وكذلك هي تزيد في مقدار الدم الذي يقدر القلب على دفعه .

انها ابحاث لا تزال في طريقها ، لم تبلغ الغاية بعد ، ولكنها تحيي الآمال .





من بعثة ابحاث المحيط الهندى

رياح الجنوب تؤثر في اجواء النصف الشمالي من الارض

● تدل النتائج الاولية على ان الرياح الموسمية الهندية ، وهي في النصف الجنوبي من الارض ، تؤثر تأثيرا كبيرا في اجواء النصف الشمالي من الارض .

فهذه الرياح الموسمية تطلق في الجو مقادير هائلة من الطاقة فوق الهند وباكستان وهذه تؤثر في حرارة الجو بتلك المنطقة وتؤثر في مسارات الهواء ، وعلى الارجح ينتقل هذا الاثر من القارة الهندية الى سائر الاقطار الارضية .

والرياح الموسمية ، على ما هو معروف ، رياح تهب استجابة لتغيرات موسمية تحدث في درجات حرارة الارض والجو ، ينتج عنها سقوط امطار غزيرة في القارة الهندية وكسوتها بهواء رطب ، نحو ستة اشهر متصلة في العام .

مستشفيات آخر الاسبوع

احدث علاج لمرضى العقول والنفوس !

● [illegible]
الى المستشفى .

[illegible]
الرائعة .

[illegible]

[illegible] المنشآت ، مستشفيات آخر الاسبوع

في قرية حنتوس، على مقربة من بيروت، يزور الناس قبرا مهجورا، لامام مغمور، مع انه كان في حياته ذا مكانة لدى فقهاء زمانه وعلمائه، يقتدى به، ويؤخذ عنه، حجة في الفقه والعلم والحديث، انه



بقلم: زهــدي يكن

رئيس محكمة التمييز المدنية ببيروت

■ هو عبد الرحمن بن عمرو، والأوزاع بطن من همدان (١).

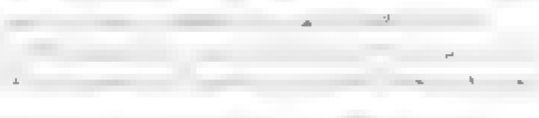
تلقى ثقافته الأولى باليمامة فسمع من يحيى بن أبي كثير وغيره من مشايخ أهل اليمامة.

وقال المستشرق الألماني [illegible] في تعليقه عن الأوزاعي انه ولد في الشام وتلقى علومه في اليمامة [illegible] الرواية [illegible] التي [illegible] في الطبقات وغيرها [illegible]

عاش بعض الوقت لدى الخال في اليمامة [illegible] [illegible] قرية حنتوس [illegible] وقرية اليوم معروفة

اوصافه

وقد بدت الأوزاعي [illegible] فلم يكن [illegible] ولا [illegible] ولا [illegible] ولا



العلم ، ولا أكثر صمتا منه ، ما تكلم بكلمة إلا كان المتعين على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه من حسنها .

وقد وصفه ابن سعد فقال : ثقة ، مأمون ، صدوق ، فاضل ، خير ، كثير الحديث والعلم والفقه حجة .

وقد أدرك خلقا من التابعين وغيرهم ، وحدث عنه جماعة من السادات ، كمالك بن أنس (٣) ، والثوري (٤) وأثنى عليه غير واحد من كبار الأئمة منهم الزهري (٥) ، وهو من شيوخه .

واجمع الناس على عدالته ، وأمانته .

ما قاله الأئمة فيه

ويكفينا شهادة به ما قاله مالك . كان الأوزاعي إماما يقتدى به .

وقال سفيان بن عيينة : كان الأوزاعي امام أهل زمانه ، وقد حج مرة فدخل مكة ، وسفيان الثوري آخذ بزمام جمله ، ومالك بن أنس يسوق به ، والثوري يقول : افسحوا للشيخ ، حتى أجلساه عند الكعبة ، وجلسا بين يديه يأخذان عنه .

ان هذه الرواية تدل على مكانة الأوزاعي لدى فقهاء زمانه وعلمائه .

وأما ما يرويه البعض أن مالكا والأوزاعي قد تذاكرا مرة في المدينة من الظهر حتى صليا العصر ومن العصر حتى صليا المغرب ، فغمره الأوزاعي في المغازي ، وغمره مالك في الفقه ، فنعتقد أن هذا مبالغة من الرواة كما حققه المستشرق شاخت في حد مباحثه عن الأوزاعي .

وأما ما رواه يحيى القطان عن مالك : بأنه قد اجتمع عنده الأوزاعي ، والثوري ، وأبو حنيفة فقال مالك بعد سؤاله من يحيى عن أرجحهم بأنه الأوزاعي ، فنظن أن ذلك من الروايات الصحيحة ، ولذلك نقول يحيى بن معين ، بأن العلماء أربعة : الثوري ، وأبو حنيفة ، ومالك ، والأوزاعي .

كان ثبتا في اللغة ، حلو العبارة

ان الأوزاعي بالاضافة الى انه كان اماما بالفقه ثبتا ، وحجة كان مثله باللغة لا يلحن ، وله رسائل الى الولاة ، والى الخليفة المنصور الذي كان ينظر فيها ويتأملها ، ويعجب من فصاحتها ، وحلاوة عباراتها .

وقال المنصور على ما يرويه « ابن كثير » في البداية والنهاية لسليمان بن مجالد ، وهو أحظى كتابه : ينبغي أن نجيب الأوزاعي عن كتبه فنستعين بكلامه فيما نكاتب به الى الآفاق الى من لا يعرف كلام الأوزاعي .

ويقول الوليد بن مسلم كما في الصفوة المطبوعة لابن الجوزي : ما رأيت أحدا أشد اجتهادا من الأوزاعي في العبادة .

الأوزاعي ، من رجال الحديث الذين يكرهون القياس

ومن كلامه : عليك بآثار السلف ، وان رفضك الناس ، وإياك وأقوال الرجال وان زخرفوه وحسنوه .

وقال أيضا : اصبر على السنة ، وقف حيث يقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا ، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم .

قال : العلم ما جاء عن أصحاب محمد ، وما لم يجيء عنهم فليس بعلم .

وقال : اذا أراد الله بقوم شرا فتح عليهم باب الجدل ، وسد عنهم باب العمل .

وهذا يدل دلالة واضحة ناصعة بأنه من رجال الحديث الذين يكرهون القياس .

مذهب الأوزاعي ، في الشام والمغرب

وكان أهل الشام يعملون بمذهبه ، وكان قاضي الشام أوزاعيا ، أي على مذهب الأوزاعي وكان السوريون يفتون بأقواله فصح عليه لقب فقيه أهل الشام .

وقد انتقل مذهب الأوزاعي الى المغرب ، ومنه الى الاندلس الاسلامية الى ان اضمحل وحل محله مذهب مالك الذي أدخله اليها أبو عبد الله زياد ابن عبد الرحمن القرطبي الملقب بشبطون ، فقيه الاندلس ، الذي سمع من مالك « الموطأ » ، وله

---

(٣) أحد الأئمة الكبار ، وهو أشهر من أن يعرف ، ولد في المدينة ، وتوفي عام ١٧٩ هـ (٧٩٥ م)

(٤) هو سفيان الثوري محدث امام ، عاش في العراق ، مات ١٦٢ هـ ـ ٧٧٨ م

(٥) الزهري محدث شهير رأى الصحابة ، سكن الشام ، وتوفي عام ١٢٤ هـ ـ ٧٤١ م

منه في الفتاوى كتاب مسامع معروف في منتصف القرن الثالث الهجرة (التاسع الميلاد) وبقي في سوريا معمولا به حتى نهاية القــرن السادس الهجرى (العاشر للميلاد) .

مؤلفات الاوزاعي

ان مؤلفات « الاوزاعي » التي اســلافها على الاخلاف كثيرة قد احصى منها صاحب «الفهرست» كتاب «الســنة» في الفقه وكتاب «المســائل الفقهية» والارجح ان هذين الكتابين لم يبقيا على أصلهما . وأما مسند « الاوزاعي » الذي أشار اليه « حاجي خليفه » فيحتمل انه قد نسب اليه بتاريخ لاحق كما هو في مؤلفاته الاخرى .

وفي زيارتي لتونس وجــدت مسندا للامام « الاوزاعي » مخطوطا بجامع القيروان لم تتح لي الفرصة لتحقيق نسبته اليه .

آراء الاوزاعي تمثل السنة التقليدية في الفقه الإسلامي

أما آراء « الاوزاعي » فقد انتهى الينا بتفصيل في الرد على « سِيَر الاوزاعي » « لابي يوسف ، كذلك نرى آثرا لهذه الآراء في كتــاب « الأم » للشافعي ، وفيه مناقشات لآراء الإمام أبي حنيفة.

وقد عثر في القرن الحادي عشر الهجرة (١٧ ميلادي) على كتاب « سِيَر الاوزاعي » وضعه أحد تلامذته .

وبصورة عامة : ان آراء الامام الاوزاعي تمثل السنة التقليدية في الفقه الاسلامي .

مكانة الاوزاعي عند الخلفاء والحكام

وكانت له حرمة لدى الخلفاء والحكام ، وكانوا لا يؤخرون له طلبــا ، وقد تشفع في المسجونين السياسيين المتقلبين في بيروت الى الخليفة المنصور كما رواه ابن أبي حاتم ، فقبلت شفاعته.

وهو من ناحية السياسة كان في غاية البعــد بعيدا عن أجواء الســياسة محترما ومكرما ، فلم يداهن الامويين ولم يمالق العباسيين .

قصة لقاء وقع بين الاوزاعي وعبد الله بن علي عم السفاح

وأما قصة مقابلة الإمام الاوزاعي لعبد الله بن علي ، عم الســفاح الذي أجلى بني أمية عن الشام فهي بنظر المحققين قصة خيالية .

وانّنا نروي لك هذه القصة الطائفة : ـ

لما دخل عبد الله بن علي دمشق ، بعد أن أجلى بني أمية عنها ، طلب الاوزاعيّ ، فتغيب عنه ثلاثة أيام ثم حضر بين يديه .

قال الاوزاعي : « دخلت عليه وهو على سرير وفي يده خيزرانة ، والمسودة عن يمينه وشماله ، معهم السيوف مصلتة ، والعمد الحديد ، فسلمتُ عليه فلم يردّ ، ونكت بتلك الخيزرانة التي في يده ثم قال

« يا اوزاعي ما ترى فيما صنعناه من ازالــة أيدي أولئك الظلمة عن العباد ، والبلاد ؟ ، أجهادا ورباطا هو ؟ » . فقلت

« أيها الامير سمعت يحيى بن سعيد الانصاري يقول ، سمعت محمد بن ابراهيم التيمي يقول : سمعت علقمة بن وقاص يقــول ، سمعت عمر بن الخطاب يقول ، سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول : انما الاعمــال بالنيات وانمــا لكل امريء ما نوى ، فمَن كانت هجرته الى الله ورسوله ، فهجرته الى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه » .

فنكت بالخيزرانة اشد ما ينكت ، وجعل مَن حوله يقبضون أيديهم على قبضات سيوفهم ، ثم قال .

« يا أوزاعي ، ما تقول في دماء بني أمية ؟ » فقلت « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يحلّ دم امريء مسلم الا باحــدى ثــلاث ، النفس بالنفس والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

فنكت بها اشد من ذلك ، ثم قال :

ما تقول في أموالهم ؟

فقلت

« ان كانت في أيديهم حراما فهي حرام عليك أيضا ، وان كانت حلالا فلا تحل لك الا بطريق شرعي » .

فنكت أشد ما كان ينكت قبل ذلك ثم قال :

« الا نوليك القضاء ؟ » .

فقلت

« ان اسلافك لم يكونوا يشقّون عليّ في ذلك

واني احب أن يتمّ ما ابتدأوني به من الاحسان ؟ فقال : « كأنك تحب الانصراف ؟ »

فقلت : « ان ورائي حرما ، وهن يحتجن الى القيام عليهن وسترهن ، وقلوبهن مشغولة بسببي .

قال الاوزاعي : انتظرت رأسي ان يسقط بين يدي ، فامرني بالانصراف ، فلما خرجت ، اذا برسوله من ورائي ، واذا معه مائتا دينار ، فقال يقول لك الامير استنفق هذه . فتصدقت بها ، وانما اخذتها خوفا .

الاوزاعي في بيروت

هذا ولما رحل الاوزاعي من دمشق ، نزل بيروت مرابطا باهله واولاده . قال الاوزاعي : واعجبني في بيروت اني مررت بقبورها فاذا بامرأة سوداء في القبور ، فقلت لها : أين العمارة ؟ فقالت « ان اردت العمارة فهي هذه » واشارت الى القبور « وان كنت تريد الخراب ، فامامك » واشارت الى البلد .

وفـــاته

واختلفوا في سنة وفاته ، فمنهم من قال سنة ١٥٠ هـ ، وقال العباس بن الوليد البيروتي : توفي يوم الاحد اول النهار لليلتين بقيتا من صفر سنة ١٥٧ هـ (٧٧١ م) . وهذا التاريخ هو الذي عليه الجمهور وهو الصحيح ، وقد عاش سبعا وستين عاما ، لان ولادته كانت في سنة ٨٨ هـ على الصحيح . ودفن حيث هو الآن ...

ورثاه بعضهم بالابيات الآتية :

جاد الحيا بالشام كل عشية
قبراً تضمّن لحده الاوزاعي
قبرٌ تضمّن فيه طودُ شريعة
سقيا له من عالم نفّاع
عرضت له الدنيا فاعرضَ مقلعا
عنها بزهد أيما اقلاع

سيرة فقيه نابه ضاعت آثاره

هذه هي سيرة فقيه اهل الشام ، الامام الاوزاعي الذي كان من اكرم الناس ، واسخى الناس ، ما امسك شيئا من دراهم ولا اقتنى من عقار ولا غيره ، ولا ترك يوم مات سوى سبعة دنانير كانت جهازه ، وكان ينفق ما دخل عليه في سبيل البر ، وفي الفقراء ، وفي المساكين .

هذه سيرة فقيه الشام الذي دخلت تفاصيل مذهبه في عالم الاهمال ، وعالم النسيان .

واما ما نراه في الطبقات الكبرى لابن سعد ، وفي الفهرست لابن النديم ، والجرح والتعديل لابن ابي حاتم الرازي ، وحلية الاولياء لابي نعيم ، وتاريخ دمشق لابن عساكر ، وفي تهذيب الاسماء للامام النووي ، وتذكرة الحفاظ للذهبي ، والبداية والنهاية لابن كثير ، وتهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ، والمنتظم لابن الجوزي ، فانها لا تغني شيئا ، لعدم احتوائها على آراء الاوزاعي ومذهبه بالتفصيل كما حوت كتب المذاهب الاخرى .

غير اننا عرفنا بعض آرائه في المراجع التي ذكرناها قبلا ، ككتاب « الام » للشافعي ، وكتاب الرد على سير الاوزاعي لابي يوسف . وانما هذا نزر يسير .

ومن الغريب ان يختفي هذا الصرح العلمي الشامخ الذي انتشر في سوريا وفي المغرب حتى كان المذهب الوحيد فيه وفي الاندلس الاسلامية ، وان لا يتوفر العلماء على حفظ مؤلفاته وآثاره لضمها الى مجموعة الآثار التي تركها لنا السلف .

ان هذا الاهمال من رجالنا في دراسة سير علمائهم ، يمتد مع الاسف الى دراسة الشريعة الاسلامية نفسها ، تلك الشريعة الغنية بنظمها ومتانة قواعدها والتي كانت ضبط علاقات الناس وسلوكهم اجيالا طويلة ، بلغ في خلالها الفقه الاسلامي ذروته من البحث ، وعمق التفكير ودقة الاسلوب ، سواء في ذلك القواعد المدنية والاحوال الشخصية والقضايا الجزائية .

ان هذا البناء العلمي المتين العظيم الذي ساد العالم الاسلامي وحكم احوال شعوبه ، وضبط علاقات افراده ، في عصر كان فيه الظلام مخيما على العالم خلال القرون الوسطى ، لم ينل نصيبه من البحث والدراسة في هذه العصور الحديثة من جهود العلماء او رجال القانون .

ولعل في رجالنا من تنبه نيته لاحياء تراثنا الفقهي ليظهر في اسلوب يتفق دائما مع البحث العلمي الجديد وعسى أن تتحقق الآمال بعون الله وتوفيقه . ■

زهدي يكن
استاذ القانون المدني بالجامعة اللبنانية



من أخطاء القضاء

سبق السيف العذل

بقلم : حسن الجباوى

المحامي لدى محكمة النقض بالقاهرة

استضاف العرب الثاني عشر في قريته سوركت وارك بانجلترا كانت الفتاة « سارة جرين » تعمل خادمة لدى اسرة واين .

وبعد ان استأذنت من مخدومها اللورد السابت سيدتها في الخروج ليلا لحضور حفل ساهر يقيمه سويا خدام المنازل في مدينة كنجستون سنوية احتفاء الاول » ويمضون ليلهم بين الطعام والشراب واللهو والمرح ليحيوا صاحب النعمة في النبوءة.

فلما تناولت من الشراب ما ارهق جسدها تركت الحفل وسارت على قدميها تنظر منزل مخدومها في طريق مقفر قد خيم عليه الظلام . وقابلها ثلاثة شبان فاتنات منهم النظرات والابتسامات والكلمات . وحين احسوا انها اطمأنت اليهم دعوها لمشاركتهم الشراب احدى الحانات القريبة. ولكنها اعتذرت وطلبت منهم ان يتركوها لحال سبيلها اذ كانت تعرف ان من واجب كل فتاة ان تحافظ من مثل هذه المغامرات . ولكنهم الحوا — شجعهم الخمر على الالحاح ، وشجعتها على التماسك بالحيطة — فقبلت ، ولكنها اشترطت ان يكون ذلك في حانة يعرفها — تعرفها ويعرفها صاحب الحانة — معتقدة انه يحميها اذا وجدت نفسها في مأزق .

واكثر الجميع من الشراب حتى لعبت الخمر برؤوسهم ثم تركوا الحانة في طريقهم الى منزل الفتاة . ولكنهم وجدوا انفسهم في مكان منعزل — وراء الكنيسة — لا يمر به احد في مثل ذلك الوقت المتأخر من الليل ، فوسوس لهم الشيطان ان ينتهزوا الفرصة المواتية ، واعتدى اثنان منهم اعتداء شنيعا — لا رحمة فيه ولا هوادة — برغم مقاومتها وتوسلها — والدرجة جعلت بالثالث يأنف من ان ينضم الى الاثنين الآخرين في جريمتهم.

ثم انصرف الرجال تاركين الفتاة في حالة يرثى لها من الألم والخجل .

وقامت سارة تجرر خيبتها وعارها وتتحامل على نفسها حتى وصلت الى منزل مخدوميها، وتسللت الى غرفة نومها ، ولم تجرؤ ان توقظ سيدتها في ذلك الوقت المتأخر من الليل ـ وباتت في سريرها تتألم وتندب سوء حظها الى ان طلع النهار .

فلما وجدتها سيدتها في هذه الحالة وسمعت منها تفصيل ما حدث لها نقلتها الى المستشفى .

وحاول اطباء المستشفى ـ والبوليس بعد ذلك ـ ان يعرفوا منها أوصاف المعتدين عليها فلم تقل كل ما قالته انهم كانوا يرتدون معاطف بيضاء مما جعلها ترجح انهم من عمال مصنع الجبنة ، وانها تظن ان احدهم يعمل كاتبا بالمصنع ، وقالت انهم كانوا ينادون واحدا منهم باسم « كولمان » . ولما اراد البوليس ان يستزيدها شرحا قالت ان الاضاءة في الحانة كانت ضئيلة من جهة وانها لم تحسن تبيان وجوه من كانوا يشاركونها الشراب ، وان الظلام ـ اثناء الاعتداء عليها ـ حال دون رؤية وجوههم وانها لذلك لا تستطيع التعرف عليهم لو عرضوا عليها .

وبعد ستة اسابيع ماتت في المستشفى .

★ ★ ★

وحدث ـ بعد يومين من الاعتداء على سارة جرين ان كان « ريتشارد كولمان » وصديقه « دانييل رولمان » يحتسيان الجعة باحدى الحانات . وكان كولمان هذا رجلا انتقلنا صاحبي ذلك الزمن ، وهو متزوج واب لولدين . انيق ، حسن الحديث ، رقيق .. حين لا يكون سكرانا . اما حين يسكر ـ وكثيرا ما كان يسكر ـ فانه ينقلب الى مشاكس ـ يتشاجر مع ذباب وجهه كما يقولون ـ . وكان صديقه قد اكثر من الشراب في تلك الليلة .

ودخل كولمان في حديث مع احد الغرباء من رواد الحانة . وكان ذلك الغريب من ذلك الصنف من الناس الذين يحلو لهم المزاح السمج وتوجيه الاتهامات التي لا اساس لها الى الغير سواء عرفوهم ام لم يعرفوهم، فانتهز صاحبنا فرصة ان خنزيرا كان قد سرق في ذلك اليوم ولم يعرف سارقه فوجه الحديث الى كولمان وقال له :

« ماذا فعلت بالخنزير إذا » .

او ان كولمان كان في صوابه ولم يكثر من الخمر لضحك ولما اثار هذا السؤال غضبه . ولكنه كان في حالة سكر شديدة فانهال رد على الرجل مخشونة : « لعنة الله عليك وعلى الخنزير . ما شأني انا بهذا الخنزير . أيها الخنزير . » .

واستاء هذا الغريب الذين يحبون المزاح السمج لا يعرفون حتى بقدر ما يعرفهم غضب الذين يقحمون انفسهم عليهم بهذا المزاح . واستمرأ الرجل الغريب الأمر واخذ يتحدث عن حادث الفتاة سارة جرين ، ثم التفت الى كولمان ـ في خبث ـ وسأله ان كان قد عرف تلك الفتاة . وكان كولمان من رواد الحانة التي ذهبت اليها الفتاة مع الشبان الثلاثة بل وكان بالحانة اثناء وجودهم ولكنه لم يشاركهم الشراب . ولذلك اجاب : « لعنة الله عليك . ومالنا في هذا ؟ » .

ولم يشأ صاحبنا ان يقف بمزاحه عند هذا الحد فقال : « من يدري لعلك كنت معها ! » .

ولم يستطع كولمان ان يضبط جماح غضبه فلذعه بلطمة التي كان يعرفه بها الشراب ، وكادت تقوم بينهما معركة لولا تدخل صاحب الحانة وبعض الجالسين . ومجالس الخمور تشاهد الكثير من امثال هذه المعارك ولا تعلق عليها اية اهمية . وتنساها في الغد .

★ ★ ★

ويشاء حظ كولمان العاثر ان يختلف اختلافا شديدا مع صديقه رولمان بعد بضعة شهور من واقعة هذه الواقعة . وان يصل الخلاف الى حد التراشق بالالفاظ والتماسك بالايدي . وكان رولمان رجلا حقودا لا تسبر غوره . وبحث عن وسيلة ينتقم بها من صديقه السابق فوجد في حادث الحانة ما يشفي غليله . ورأى انه بتحوير بسيط للواقعة وقليل من البلاغة يستطيع ان ينسب الى كولمان اعترافا بانه احد الذين اعتدوا على سارة جرين .

★ ★ ★

تقدم رولمان الى قاضي المدينة وافضى اليه بان لديه ما يحمله على الاعتقاد ان « ريتشارد كولمان » اشترك مع آخرين في الاعتداء على الفتاة سارة . وايد اقواله بان روى حديثا جرى في احدى الحانات بحضوره حيث نسب أحد رواد الحانة الى كولمان انه هو الذي ارتكب الاعتداء وان كولمان

بدلا من أن ينكر الجريمة كأي انسان بريء قال له:

« لعنة الله عليك . لقد قتلتها . وبدلا من ذلك » وبهذه الإضافة البسيطة التي جاء بها لورنمان « لقد قتلتها » ، والتي لم ترد على لسان صديقه السابق ، حول انكاره الى اعتراف ولف حبل المشنقة حول عنقه .

★ ★ ★

كان القاضي كلارك رجلا لامعا له خبرة طويلة بشئون القضاء يعرف أن كثيرا من التهم التي يوجهها بعض الناس الى أصدقائهم الذين اختلفوا معهم تنشأ عن الحقد . لذلك تبين في هذا الاتهام الذي وجهه لورنمان الى كولمان كل مظاهر الادعاء الكاذب . ومع ذلك لم يستطع — أمام خطورة الاتهام — أن يتجاهله . فأصدر أمره لرئيس الشرطة باصطحاب كولمان الى المستشفى حيث ترقد سارة جرين وهي لا تزال بين الحياة والموت ، وعرضه عليها .

★ ★ ★

في عصرنا الحالي يتم مثل هذا العرض بطريقة أصولية لا تدع مجالا للخطأ أو الادعاء الباطل . فالمحقق يجمع عددا من الناس في مثل هيئة المطلوب عرضه ويرتدون مثل لباسه ويكونون قريبين منه طولا وسنا ولون بشرة وشعر رأس ، ويطلب من المجني عليه أن يستخرج من يتهمه من بينهم .

أما في ذلك الوقت فقد اكتفى رئيس البوليس بأن أدخل كولمان الى غرفة المستشفى حيث ترقد سارة جرين وسألها ان كان واحدا من الذين اعتدوا عليها فقالت : « قد يكون ، ولكني لا استطيع أن أقسم اليمين على ذلك » .

★ ★ ★

لو أن سارة جرين نفت أن كولمان أحد المعتدين عليها لأخلى القاضي كلارك سبيله وحفظ التحقيق . ولو أنها قالت انه أحدهم بطريق الجزم لأصدر أمرا بالقبض عليه لتجري محاكمته أمام محكمة الجنايات . ولكنه أمام هذه الاجابة المترددة المتأرجحة اختار طريقا وسطا . أفرج عنه بكفالة وكلف البوليس بالبحث عن أدلة جديدة .

واعتزم القاضي أن يحفظ التحقيق لولا تدخل المستر ايرين مخطوب سارة . فقد عز عليه أن اعتداء بمثل هذه الشناعة — على فتاة بريئة — يطوى بدون توقيع أية عقوبة على فاعليه . لذلك طلب الى القاضي أن يتولى بنفسه عرضا جديدا .

★ ★ ★

أحس كولمان بالخطر الذي يهدده . ووجد أن عليه نحو نفسه أن يتخذ من التدابير ما يبعد عنه ذلك الخطر . فبدأ أولا بالامتناع عن تعاطي الخمر ليبقى يقظا علما منه أن مجرد توجيه التهمة يضع الانسان في موضع حرج ، فاذا أضفنا الى ذلك جرأة صديقه السابق لورنمان على الاختلاق وتردد الفتاة سارة جرين في تلقي التهمة عنه فان في ذلك ما يكفي للحكم عليه بالاعدام .

وخصص وقته كله في البحث عن شهود ينفون التهمة عنه . ولم يجد صعوبة في اقناع صاحب الحانة وبعض المترددين عليها ليشهدوا — كما هو الواقع — أنه لم يكن أحد الثلاثة الرجال الذين كانوا يعاقرون الخمر مع سارة جرين . بل ويشهدون أيضا أنه لم يخرج مع الفتاة حين غادرت الحانة بصحبة رفاقها الثلاثة وأنه بقي وقتا طويلا بعد خروجهم .

كذلك وجد شهودا يزعمون أنه حسن الأخلاق . لا عاهرا ولا عنيفا .

وارتاح لذلك واطمأن الى أنه ناج ، ايمانا منه بأن الفتاة اذا لم تبرئه تماما فلن تستطيع أن تتهمه صراحة .

★ ★ ★

حدد القاضي كلارك موعدا للعرض الجديد ، واصطحب كولمان في حراسة ثلاثة من الشرطة ليعرضه على الفتاة من جديد . ولم يفكر القاضي كلارك في عرض المتهم عرضا قانونيا — كالمتبع الآن — لسبق عرض المتهم على المجني عليها من جهة .. ولأن هذه كانت الطريقة المتبعة في أواسط القرن الثامن عشر . ووجد القاضي سارة جرين في شبه غيبوبة — بل كانت في الحقيقة على حافة الموت — فقد ماتت بعد ساعات قليلة من عملية العرض .

ومع ذلك أيقظها القاضي من غيبوبتها وجعلها تقسم اليمين على أن تقول الحق كل الحق ولا شيء غير الحق ، وكانت أنفاسها تشتد على صدر مريضتها ولا تقوى على الجلوس وبدأ الشك

يساور القاضي في انها تعي ما تقول ، ولكنه سألها بعد ان اشار لها على كولان ان كان واحدا من الثلاثة الذين اعتدوا عليها ؟ . وكان آخر ما توقعه كولان – بل والقاضي كذلك نفسه – ان اجابتها كانت كلمة واحدة تحمل الموت في طياتها . قالت « نعم » وعادت الى غيبوبتها . ولفظت انفاسها بعد ذلك .

* * *

لعل الفتاة بعد هذا المرض الطويل قد نسيت كل وقائع الجريمة التي راحت فريستها . او لعل كل ما علق بذهنها انها سبق ان رأت وجه هذا الرجل حين عرضه عليها رجل البوليس . اما كل الامر الذي دار بذهنها فقد قالت « نعم » .

* * *

لقد كان القاضي كذلك لا يزال يعتقد في براءة كولان حتى بعد ان قالت سارة جرين انه احد الذين اعتدوا عليها . ولم تعد له من حيلة الا ان يقدم المتهم الى محكمة الجنايات مؤملا – بل موقنا – ان الادلة لا تكفي لادانته .

والقى اعتقاده في براءته بأن اطلقه مفرجا عنه ولم يصدر امرا بالقبض عليه .

* * *

ولكن سارة ماتت في اليوم التالي وكان لابد من عرض الامر – كالمتبع في انجلترا – على المحكمة التي تقضي – في حالة الوفيات المشتبه فيها – وتأمر بالدفن بعد ان تتبين اسباب الوفاة . وفي حالة الفتاة سارة جرين انتهت المحكمة بأنها ماتت ضحية جريمة قتل عمدا ارتكبها ريتشارد كولان وشخصان مجهولان واصدرت امرا بالقبض عليه وايداعه السجن انتظارا لمحاكمته .

* * *

عندما سمع كولان بهذا القرار فقد صوابه. لقد ادرك ان الادلة التي قدمها لم تعد كافية لاثبات براءته . انه في حاجة الى شهود يثبتون لمحكمة الجنايات كيفية تمضيته وقته من وقت ان ترك الحافلة حتى وصول الفتاة الى منزل مخدوميها . وهو في حاجة لوقت طويل للاتصال بهؤلاء الشهود واقناعهم للشهادة لصالحه . فاذا ترك نفسه حتى يقبض عليه البوليس ويودعه السجن فلن يستطيع اثبات براءته وضاعت منه كل فرصة ممكنة .

لذلك اختفى ولم يعثر عليه البوليس حين توجه لمنزله لتنفيذ امر القبض عليه .

* * *

واتخذ البوليس ما يتخذه من اجراءات في مثل هذه الحالات . فنشر صورته في الصحف واعلن عن جائزة لمن يقبض عليه او يرشد عن مخبئه . وبث عيونه في كل مكان .

* * *

وادرك كولان – بعد فوات الاوان – انه ارتكب خطأ لا يغتفر وانه – بفراره – ادان نفسه .

لو هداه تفكيره الى تسليم نفسه في ذلك الوقت لكان من المحتمل ان ينظر اليه القضاء على انه رجل بريء اختفى في ساعة حيرة ، ولكنه لم يرد الفرار من وجه العدالة .

ولكنه فكر طويلا وقرر الا يسلم نفسه لتضيع منه فرصة البحث عن شهوده . وهداه تفكيره ان ينشر من جانبه في الصحف بيانا نصه :

« انا ريتشارد كولان قرأت في الصحف انني متهم بالفرار من وجه العدالة بسبب مقتل الفتاة سارة جرين – ولما كنت اعرف نفسي ان لا يد لي في تلك الجريمة الشنعاء فانني اؤكد – لكل من يهمه الامر – انني لم افر من العدالة ، وانني سأسلم نفسي الى محكمة الجنايات في اول يوم من ادوار انعقادها المقبل – ايمانا مني بأن براءتي سوف تظهر واضحة جلية » .

* * *

تصور كولان ان البوليس سيتركه طليقا حتى يوم المحاكمة ،ولكنه كان واهما.فالهيئة الاجتماعية – واعوانها من سلطة الاتهام – لا يمكن ان تقف مكتوفة اليدين امام وعد كهذا من متهم . فجد البوليس بالبحث عنه ولم يلبث ان وضع اليد عليه واودعه السجن .

* * *

وانعقدت محكمة الجنايات ومثل كولان امامها .

تقدم قاضي التحقيق كذلك ليشهد بمضمون الاستجواب الذي اجراه بنفسه والذي قالت فيه سارة جرين كلمتها القاتلة « نعم » . وقال القاضي انه يعتقد انها لم تكن تعي ما تقول ولكنه لم يقدم دليلا على حالتها الصحية والذهنية وقت استجوابها .

واستمع روتمان لشاهد الإثبات الوحيد فأقسم اليمين وأكد — في غير هياب ولا وجل — أن المتهم اعترف أمامه بارتكابه الحادث الفظيع .

وقدم الدفاع شهودا أكدوا أن المتهم كان في موضع بعيد عن مكان ارتكاب الحادث وأثنوا على طيبه وأخلاقه الحسنة واستبعدوا أن يرتكب مثل هذا الحادث .

ولكن الأمر الوحيد الذي علق بذهن المحلفين هو فراره من وجه العدالة . ووقر في شعورهم أنه مذنب لأن البريء لا يفر من وجه العدالة .

وهكذا أصدروا قرارا بالإجماع بأنه مذنب . ووضع القاضي الطاقية السوداء على رأسه ونطق بحكم الإعدام الرهيب .

★ ★ ★

وقابل كولش هذا الحكم برباطة جأش البريء الذي يعلم أنه لم يرتكب الجرم . واطمأنت نفسه لملاقاة الموت إيمانا بأنه سيجد الإنصاف — الذي لم يجده في هذا العالم — في عالم آخر — لا تغيب عنه الحقائق ولا يظلم الإنسان فيه فتيلا .

وكانت شكواه الوحيدة وهو يصعد درجات المشنقة إشفاقه على مصير زوجته وأبنائه الأبرياء .

★ ★ ★

ومضى عامان .

وبينما رجل اسمه موثر يسير على كوبري لندن بصحبة ابنه المريض مرضا خطيرا ، توقف الابن لحظة وقال لأبيه

« إنني أشعر بدنو أجلي وأخشى أن ألقى الله بسر يثقل كاهلي ويقض مضجعي ، فاستمع إليّ يا أبي وانصحني كيف أتصرف » .

ثم روى الابن لأبيه أنه كان يسير منذ فترة قصيرة مع صديق له يكبره سنا اسمه جيمس ولش فأفضى إليه صديقه أنه قبل سنتين التقى وصديقان له (توماس جونس ونيكولس) بفتاة في الطريق العام فدعوها لمشاركتهم الشراب ، فقبلت بعد تمنع ، وأنهم أكثروا من الشراب وفي طريق عودتهم من الحانة هيأت لهم الظلمة وخلو المكان من المارة والظلام الدامس ، أن يعتدوا عليها . وأن جونس ونيكولس اعتديا عليها اعتداء منكرا وبكثير من العنف حتى أن ولش نفسه — برغم ما هو فيه من سكر — أشفق على الفتاة ولم يرد أن يمسها .

أدرك الأب خطورة ما أفضى به إليه ابنه إلا أن أقل ما يقال عنه أن ولش اعترف لابنه بارتكاب جناية اعتداء منكر على فتاة بغير رضاها ، وتذكر حادث الفتاة سارة جرين ، ولكنه لم يفض لأحد بما سمعه من ابنه لعلمه أن الأولاد كثيرا ما يسرح بهم الخيال فيختلقون وقائع لا أساس لها وأشفق على ابنه من تحقيقات قد تطول ومن أسئلة من المحققين قد تسفر عن لا شيء .



وكان الأب يعرف أحد الثلاثة الرجال الذين ذكرهم ابنه — فضلا عن صديقه ولش — هو توماس جونس . فمضى إليه — بعد ذلك بفترة وجيزة — واتهمه صراحة بأنه واحد من الثلاثة الذين اعتدوا على سارة جرين . وتوقع الأب أن ينكر توماس جونس ويزعم أن لا علاقة له بالموضوع . ولكن الظاهر أن المفاجأة عقدت لسان جونس فارتعدت فرائصه وفاض الدم من وجهه وتصبب عرقا ، ثم أقر أنه وصديقيه نيكولس و ولش التقوا فعلا في الزمان والمكان المذكورين بفتاة لا يعرفونها ، وأنهم تركوها في الطريق العام بعد أن نالوا منها غرضهم ، ولكنه لا يعتقد أنها سارة جرين .

★ ★ ★

تبين الأب أن الحادث لم يكن من نسج خيال ابنه . واعتبر أن أقوال توماس ترقى إلى مرتبة الاعتراف الصريح ، ورأى أن من واجبه أن يبلغ الأمر إلى قاضي التحقيق . فذلك واجب يحتمه العقل السليم — وإن لم يفرضه القانون . فلما أفضى إلى قاضي التحقيق بمضمون أقوال ابنه ، وبالحديث الذي جرى بينه وبين توماس جونس ، لم يتردد القاضي في إصدار الأمر بالقبض على الثلاثة الرجال ولش وتوماس جونس ونيكولس .

★ ★ ★

وكان من الطبيعي أن ينكروا جميعا ما نسب إليهم من أفعال وأقوال . وكان الدليل الوحيد عليهم أقوال موثر الصغير — وهي أقوال سماعية —

ورواية بوش الكبير التي انكرها تومس جويس ، ومثل هذا الدليل لم يكن كافيا ـ حتى في منتصف القرن الثامن عشر ـ للحكم بالاعدام .

★ ★ ★

وكانت هناك صعوبة اخرى لم يكن من السهل تذليلها .

اذ كيف يمكن ادانة بيكولس وجويس وولش بجريمة قتل سارة جرين في حين ان الفتاة نفسها اكدت ـ قبل موتها ـ ان المعتدين عليها ثلاثة اشخاص ... لا اربعة . فاذا ثبت ان القتلة هم هؤلاء الثلاثة فما القول في رسالة كولان التي شنق قبل ذلك بسنتين للتهمة نفسها ؟؟؟

اذا كان الثلاثة الرجال مذنبين فلا بد ان كولان كان بريئا . ومن ناحية اخرى فما دام قد ثبت قضائيا ـ والاحكام عنوان الحقيقة ـ ان كولان هو القاتل وانه قد لقي جزاءه وفاقا لما جنت يداه ـ فلا مفر من القول ببراءة هؤلاء الثلاثة ... او ذلك على الاقل ما سيقوله المحلفون . وطالما ان الاتهام لم يقم بعد على ادلة قاطعة فمم فلماذا يقدمهم للمحاكمة ؟ الجرد اثارة الغبار حول ما تم باسم العدالة ـ اليس من الافضل ـ لحسن سمعة العدالة ـ اسدال الستار وحفظ التحقيق ما دام الناس يعتقدون ان كولان مذنب قد لقي جزاءه ؟؟

★ ★ ★

كان هذا ما يدور بخلد رجال القانون . ولكن الامور لم تجر على هواهم لان للحقيقة احيانا قوة ذاتية تخترق السطور ويأبى الله الا ان يظهر الحق .

فبينما رجال القانون يناقشون الموقف الحرج الذي وجدوا فيه انفسهم كان المتهمون الثلاثة في سجنهم الذين ينتظرون تقديمهم للمحاكمة واسام اعينهم خيال المشانق التي سوف يعلقون منها الا ـ لعلمهم بجرمهم ـ لا يتصورون ان الاتهام يشك في اقوال بوش الاب والابن وهي الاقوال صدرت عنهم .

★ ★ ★

ومتى وضع ثلاثة رجال في مثل هذا الموقف الحرج فان واحدا منهم على الاقل ان تحتمل اعصابه الانتظار . وكان الذي فقد السيطرة على اعصابه هو بيكولس . لم يستطع ان يقاوم مخاوفه وخيال المشنقة يلاحقه في اليقظة والاحلام، فتقدم الى مأمور السجن وطلب مقابلة قاضي التحقيق ليلقي اليه بالحقيقة مقابل اعتباره شاهد ملك.وشاهد الملك ـ في القانون الانجليزي ـ يعفى من العقوبة في مقابل ما يشهد به ضد شركائه في الجريمة .

★ ★ ★

وقدم شركاءه للمحاكمة . ووقف بيكولس يشهد ضدهما بالرواية كاملة . وصف ملاحقتهم لسارة جرين وارغامهم المخلف البيضاء التي وصلتها سارة وقال انه معروف لدى اصدقائه باسم « كولان » والشراب والسير في الظلام ووقائع الاعتداء الشنيع ... ولم ينكر مما حدث شيئا .

ولم يبق مجال للشك في صحة الاتهام . فقد تأيدت ادانة تومس جويس بشهادة المستر بوش وأقوال بيكولس . كما ثبتت ادانة ولش بأقوال بوش الصغير واعتراف بيكولس . واذا كان قد امتنع عن الاعتداء على الفتاة المسكينة فقد كان حاضرا اعتداء زميليه عليها بالقوة ولم يحرك ساكنا فهو شريك بسكوته وعدم معارضته .

★ ★ ★

وصدر الحكم باعدام تومس جويس وولش . واقر كتابة قبل تنفيذ حكم الاعدام فيهما بصحة الاتهام وبأن كولان بريء . ولكن السيف كان قد سبق العذل .. اذ جاء اعترافهما متأخرا سنتين بعد اعدام كولان بتهمة لم يرتكبها .

ولم يكن القانون يمنح المتهم الذي تثبت براءته بعد الحكم عليه او اسرته بعد اعدامه اى تعويض.

وهكذا خرجت اسرة كولان المسكين بغير عوض وعاشت الزوجة وابنتيها عالة على احسان المحسنين .

■

القاهرة : حسن الجداوي



النابغة الذبيانى ..

ووجه نعم

■ كان النابغة الذبيانى من فحول شعراء الجاهلية أصحاب المعلقات . وكان ذا عقل راجح وخيال خصب وشاعرية قال يصف وجه حبيبته « نعم » :

أيامَ تُخبرنى نُعمٌ وأُخبرُها ... ما أكتُمُ الناسَ من حاجى وأسرارى

لولا حبائلُ من نُعمٍ علِقتُ بها ... لأقصرَ القلبُ عنها أىَّ إقصارِ

نُبّئتُ نُعماً على الهجرانِ عاتبةً ... سَقياً ورَعياً لذاكَ العاتبِ الزارى

بيضاءُ كالشمسِ وافتْ يومَ أسعُدِها ... لم تُؤذِ أهلاً ولم تُفحشْ على جارِ

والطيبُ يزدادُ طيباً أن يكونَ بها ... فى جيدِ واضحةِ الخدَّينِ معطارِ

* * *

ألمحةٌ من سنا برقٍ رأى بصرى ... أم وجهُ نُعمٍ بدا لى ؟ أم سنا نارِ ؟

بلْ وجهُ نُعمٍ بدا ، والليلُ مُعتكرٌ ... فلاحَ من بين أثوابٍ وأستارِ

■



● لا [illegible] تاريخ [illegible] الذي [illegible] المعروف فهد العسكر [illegible] ولكن [illegible] الأفكار الجديدة [illegible] الأسلوب [illegible] في الكتابة [illegible]

اللقاء الأول مع الشاعر

فلما قدر لي أن ألتقي بهذا الشاعر بهرني حديثه حتى أخذ بمجامع قلبي . واستغرب [illegible] حاله بسببه الذهول . فقد كانت لهجته ، رحمه الله ، لهجة تقارب الفصحى [illegible] بأسلوب جديد بالنسبة لي في ذلك الوقت . وكان إذا أراد أن يستعمل شيئاً من اللهجة الدارجة جاء بألفاظ غريبة علي في ذلك الحين : فكلمة « أبو » و « أيش نعر » وكلمة « [illegible] » بدلا من « أي » .

ولا أذكر أنه ردد قطعة معينة ، ولكن في تلك الجلسة [illegible] وكان أكثر حديثي معه استفسارات عن هذه الألفاظ الغريبة على سمعي .

شطره « يا جارة الوادي »

ولقد قرأ علي في آخر حديثه معي تشطيره لقصيدة المرحوم شوقي التي أولها

« يا جارة الوادي طربت وعادني » . فاستمعت منه ما استمعت منها . حتى حفظت بعضها ، وهذا شيء منها

يا جارة الوادي طربت وعادني
ما زادني شوقاً الى مرآك
فقطعت ليلي غارقاً نشوان في
ما يشبه الأحلام من ذكراك
مثلت في الذكرى هواك وفي الكرى
لما سما بي حين صنت هواك
وتكسر على الذكرى لقلبي رقصة
والذكريات صدى السنين الحاكي

واحب ان استأذن القارىء قليلا في ان اقف عند هذه القطعة وقفة قصيرة . فانا لا احب ان يفوتني التعليق عليها .

يبدو لي ان هــذه القطعة من اوائل نظمه . فالتشطير والتخميس من الاساليب القديمة في النظم . والذي يبدو لي ان الادباء والشعراء في ذلك الوقت كانوا يبدأون محاولاتهم الادبية بهذا اللون من الادب . ولكننا مع هذا نجد ان شاعرنا كان قوي التعبير الى درجة وصل فيها الى مستوى احمد شوقي في هذه القصيدة .

وعندما اردنا ان نعرف سألته عن مكان لقياه . فاجابني . اني اجلس في مقهى في السوق الداخلي ـ وهو ما ندعوه الآن بشارع الامير .

اللقاء الثاني

والتقيت في اليوم التالي من يأخذني اليه . فلما التقينا ابديت له اعجابي الشديد به .وسألته المزيد من حديثه .

سألني اول ما سألني عن ما اقرأ . فاخبرته بأني اقرأ شرح المقامات للشريشي فاجابني : هذا حسن . ولكن من الافضل ان تضيف الى هــذه الكتب كتبا اخرى ككتاب « حصاد الهشيم » للمازني ، و « المقامات » للعقاد . واردف قائلا : هل تقرأ المجلات الادبية ؟ قلت : لا . قال : هذا شيء غير لطيف . ثم اخـذني الى مكتبة المعارف العامة وطلب مجلة سركيس . وقرأ لي منها قصيدة بعنوان « حسنات الشعراء » وهي من نظم الاخطل الصغير ، فما كان مني الا ان طلبت من مدير المكتبة ان ينقلها لي فنقل .وانه يكون من الخير ان اروي بعض ابياتها هنا :

حسنات الشعر راحت عــنــي
فتنى الهوى فيهما بلا عدد
بعرت به رث الثياب بلا
ماوى ، بلا اهل ، بلا بلد

فخمره وكان شاعره
لطف الغزال ، وقوة الاسد
والسال حمل بسعبه ينقلبه
مشيا ، الفساق ذي حسره

ولقد شوقني هذا اللقاء بشاعرنا المجدد الى الاكثار من الجلوس اليه .والتقيت معه حتى صار هذا اللقاء اخوة ادبية امتدت الى آخر ايامه رحمه الله .

كان لطيف الحديث لاذع النكتة

من هذا يرى ان شاعرنا كان داعية الى التجديد، كما انه كان لطيف الحديث ، متمكنا من الالقاء بحيث يجعلك مشدودا اليه ، لا تستطيع ان تفلت من قبضة حديثه . وكان لاذع النكتة عميقا فيها بحيث تخفى على كثير من الناس .

كان اذا حضر مجلسه احد المتطفلين على الشعر والادب واخذ يروي عليه من ادبه الهزيل ، كان لدبيتنا يتظاهر بانه معجب بهذا الاديب اشد الاعجاب . وكان يسلك طريقا غريبا يعجز القلم عن تصويره . الا انه يتحسد على اسلوبه في التعجب . وكنا نلاقي صعوبة شديدة في مقاومة الضحك .ولقد سألته مرة عن اسلوبه هذا الملتوي، فاجابني بان البليد يتعبك اذا ما اردت ان توضح له سخفه وبلادته ، فمن الافضل اذن ان ترضي غروره وتسخر منه .

ولقد اردت من رواية هذه الذكريات ان اصور رقة احساس اديبنا واسلوبه في الحديث . واذا ما اردنا ان نتصور نبوغ شاعرنا وتفوقه فما علينا الا ان نتذكر الحالة الاجتماعية والمستوى الثقافي في الكويت قبل ست وعشرين سنة تقريبا .

وكان جريئا متمردا

مما لا شك فيه ان عاداتنا الاجتماعية وفهمنا للاشياء تختلف اشد الاختلاف عما هي عليه الآن . لم يكن في استطاعتنا مثلا ان ندعو الى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل ولم يكن في استطاعتنا ان ندعو الى ان يشترك الشعب في الحكم ، الا ان الذين توصلوا الى هذا المستوى اقل من القليل . وكانت الدعوة الى مثل هذه الخطوات تعد مغامرة لدعاتها في مثل تلك الايام .

فليتصور القارىء ان شاعرنا كان يجاهر بالدعوة الى امثال مثل هذه الخطوات بكل جرأة وقوة .

فلا غرابة اذا ما رأينـــا الزملاء الشعراء يهجرونه ويبتعدون عنه . ولا غرابة اذا ما غضب أصدقاؤه تهديدا من اقربائهم اذا استمروا في مجالسة هذا المتمرد . ولكن شاعرنا لم يعبأ بهجر اقربائه له . كما ان أصحابه لم يهتموا بتهديد أقربائهم . ذلك لأن شاعرنا كان يجد في تمرده راحة لنفســه . اما اصدقاؤه فانهم كانوا يجدون في مجالســته تثقيفا لعقولهم وصقلا لأفكارهم .

والذي يبدو لي ان السبب في تمرد شــاعرنا وانطلاقه يرجع الى طبيعته التي فطره الله عليها . فقد كان مرهف الذهن رقيق الاحساس ، شغوفا بالأدب ، محبا للمنطق ، فقادته هذه الصفات الى حب التجديد . فاندفع الى ذلك غير مبـــال ولا هياب .

شذوذ العباقرة

بقي قضية سلوكه الغريب فاني ارى ان كثيرا من الشعراء والقصصيين الموهوبين لا بد وان تكون فيهم هذه العادات الغريبة . وهذا الأمر موجود في كثير من ادباء الشرق والغرب . فنحن حينما نقرا سيرة الشاعر الفرنسي بودلير نجده واقعا تحت سيطرة غادة لعوب تدعى جان ديفال الى درجة نظم فيها كثيرا من اشعاره . وظل مشدودا اليها حتى بعد سقوطها وكبر ســـنها . وهو يصرح بذلك في قصــائده ، وما زال كذلك حتى مات . فاسمعه يخاطبها .

أيتها الساخطة في قلبي كطعنة سكين
المقبلة في قوة كعصبة من الشياطين
المجنونة المتبرجة
اتخذت سريرها وملكها في عقلي الراغم المسكين

☆ ☆ ☆

ايتها الساقطة التي انا موثق بها
كالسجين بأغلاله ، ورهين المقامرة بالمقامرة

ونحن حينما نقرأ ترجمة الشاعر الفرنسي الفرد دي موسيه نجده يعيش في اضطراب نفسي مستمر حتى انه كان لا يكاد يستقر على حال . ونجـــد سلوكه سلوكا لا يليق به كشاعر له مكانته في دنيـــا الأدب .

ولو تأملت في حياة لوكـــنوى لوجدته مسرفا في اللهو والمجون غارقا في الملذات لا يقف عنها عنـــد حـــد . يسهر اكثر لياليه في مجون حتى يسفر الصبـــح ، مثقلا للأناقة ، مسرفا على اترابه ، ينفقها اليهم ، فيما يقول بعض الرواة ، مفرطا في كل ما يعمل ، لا يؤمن بقول من قـــال « خير الأمور أوسطها » ، يقبل على ملذات الحياة بنهم ويلعب القمار ليلة حتى يبيع بيته ، ويجلس في قصره (يلسانا بوليانا) يلعب الورق يومين كاملين ... مع نفســه !

ثم ينقلب بعدها الى شخص آخر . شخص يؤمن بأن اكل اللحوم جريمة والاتصال الجنسي وحشية واذا سأله سائل . كيف يبقى الجنس البشري ؟ اجاب . ومن قال ان الجنس البشري يجب ان يبقى ؟

وما اظن انني في حاجة الى ان ابين ما لهذا الكاتب العبقري من اثر عظيم في الثقافة الانسانية .

واذا جئنا الى سيرة جان بول ســـارتر الأديب الفيلسوف الشهير نجد انه كان في اول شبابه فريسة للأوهام فقد كان يتصور ان اخطبوط الماء يطارده دوما ليخنقه . وقد صور حالته هذه في احـــدى قصصه . فلقد يتصور البطل مختبئا من سرطان البحر قد امتد لمهاجمته ؛ وقد لازمه هذا الشعور عندما كان مدرسا لفلسفة بفرنسا .

ونســتطيع ان نقول مثل ذلك في بعض شعرائنا الأقدمين كامرىء القيس وعمر بن ابي ربيعة وبشار وابي نواس وغيرهم . فانت حينما تتصفح التراجم الأدبية التي خلفوها لنا نجد فيها التمرد واضحا على الاعراف الاجتماعية .

وقد يكون من الأفضل ان نضرب صفحا عن ذكر تاريخ اصدقائنا المعاصرين في ذلك المجال .

ان ســـلوك اديبنا رحمه الله سلوك مألوف في عالم الأدباء .

واســمحوا لي هنا اني لا احب للأدباء هذا اللون من الحياة . ولكن ما احبه شيء وواقع الحال شيء آخـــر .

نماذج من شعره

والخلاصة أن شاعرنا فهد العسكر يجمع مجموع صفات الشعراء من ارهاف في الحس وتوقـــد في الذهن واطلاع واسع على ينابيع الأدب . وهـــذا يتجلى بكل وضوح حينما نقرأ صرخاته التي ارسلها من اعماقه على ما يجرى من ظلم وارهاق في ابائه على القيم التي توصل اليها فكره العميق . اقرأ معي هـــذه الصرخة التي جاءت في قصيدته التي عنوانها « موحش »

ليلاي ، يا نجواي ، يا دنياي ، يا أملي الوحيد
طوت الفصول بساطنا وتنكر العيش الرغيد
والذكريات مطلة من كوة الماضي السعيد
ترنو لخاطرنا الشقي وتندب الماضي السعيد

ويقول

زجوه يا أسفاه في سجن التقاليد القديمة
لله ما كابدت فيه من الأساليب العقيمة
لا در دره من أب فظ ووالدة لئيمة
يا قاتل الله التعصب ، كم تمخض عن جريمة

والحق أني لو أردت أن أطيع نفسي لرويت هذه القصيدة بأسرها لأنها كلها تجري على هذا المستوى الرفيع . وقصيدة أخرى تحوم حول هذا المعنى الإنساني الرفيع لم نعثر منها إلا على هذه الأبيات المقطعة

فتاة حطم الفؤاد بكاها
ليت شعري : ما بالها ؟ ما دهاها ؟
قد حباها الله الجمال ، ولكن
لم تصنه ، يا ليته ما حباها
وقفت حول ذلك الشاطئ الر
ملي ليلا تبثه شكواها
واستحال الإعوال منها أنينا
حين جفت من فرطها مقلتاها
تلثم الصخر تارة وتنسى
الحبيب الخري حتى إذا أعياها
سامرت النجم السهاد وناجت
بسكون الدجى الهلال أخاها

إلى أن يقول :

فشكت ظلم أمها وأبيها
قاتل الله أمها وأباها
أرغماها على الزواج بشيخ
ذا ثراء من أجل ذا أرغماها

دراسته غير منظمة

ومما يؤسف له في حياة أديبنا رحمه الله أن دراسته لم تكن منظمة . فقد درس أول ما درس في أحد الكتاتيب ثم دخل المباركية . والمعتقد أنه لم ينه فصولها . ويرجع سبب ذلك إلى أنه قد أصيب بشيء يشبه الوسواس ، فقد قصر حياته على ما يشبه الإقامة في المساجد ، والعزوف عن المقاهي الأخرى .

وبقي على هذا الحال مدة لا نعرف مقدارها ، حتى قدر له أن يسافر إلى البصرة فيما يقول بعض مسجلي حياته . وهناك تفتحت آفاق فكره ، فأقبل بكل قوته على منابع الأفكار الجديدة كالصحافة والمؤلفات الحديثة . حتى إذا ما عاد إلى الكويت تابع سيره الفكري في هذا الاتجاه . فقاسى الشطط من هنا . وانطلقت طاقاته الأدبية تجوب عالم الشعر . فكانت حصيلة تلك التفتحات من الأشعار التي طرقت باب الاجتماع والسياسة والتشبيب مما برهن على أن أديبنا كان يتمتع بموهبة شعرية مبدعة .

الكثير من أخباره ضاع

ومما يؤسف له أننا لا نستطيع أن نحدد هذه التغيرات في مراحل عمره . ذلك لأننا لا نعرف إلا القليل من أخباره . على أن الضياع ليس مقصورا على أخباره فقط . وإنما شمل آثاره الشعرية .

فقد حدثني بعض إخوانه في الأدب قال : كان اسم ديوانه « الفجر الصادق » وفيه ما يقرب من ألف قصيدة . على أن بعض إخوانه يقول أن صفحات هذا الديوان لا تبلغ أكثر من ثلاثمائة صفحة . ومهما يكن من أمر فقد ضاع علينا كثير من شعره .

وما ذكرناه مأخوذ من أصدقائه الذين عاصروه . وأحاديثهم عنه مضطربة بعض الاضطراب : فنحن لا نعرف السنة التي ولد فيها ، وكل ما نعرفه عنه في هذا الصدد أن ولادته كانت سنة ١٩١٤ م ومنهم من يقول أنه ولد قبل ذلك بقليل ، ومنهم من يقول بعد ذلك بقليل .

ويخيل إلي أن القدر لو أمهل شاعرنا لكان له صولات وجولات في عالم الشعر . لكن المنية اختطفته وهو لم يكمل العقد الرابع من عمره . وذلك بعد مرض أقعده عن الخروج مدة تقارب ثلاثة أعوام . فكانت وفاته في يوم الأربعاء الموافق ١٩٥١/٨/١٥ عن عمر يناهز السابعة والثلاثين .

رحم الله شاعرنا وطيب ثراه .

ولا يفوتني أن أنوه هنا ، قبل أن أختم هذا الحديث ، أن الأستاذ عبد الله زكريا الأنصاري قد قدم أجل خدمة أدبية في تاريخ الأدب العربي في الكويت لأنه أول من تصدى للتأليف في سيرة أديبنا الراحل .

الكويت : عبد الرزاق البصير



قصة

للقصصي الإسباني

بدرو أنطونيو ده الاركون

... في يوم من شهر أغسطس سنة ١٨.. جاء فيه إلى ... فاقد ... « عرافة » ... مجري يطلق السباب ... ليستعين ... يدعى « هريديا » ، على ... أن يرحل ... الناس الحكم »

وقد أثار ظهوره ... العراب ، وضحكات الحجاب ، وشكوك البابوات ، قبل أن يمضي بنا الرجل إلى صاحب السعادة « يوجينيو بورتو كاريرو » ، فإن الذي كان ، إذ ذاك ، قائداً عاماً لحامية مملكة غرناطة القديمة ، وقد كان كريم النفس ، فقد أمر بإحضار الغجري إليه ، لا سيما أنه كان يعرفه لما اشتهر به « هريديا » من حيل ،

وسرقوهات ، وسطو على منازل جيرانه .

وما ان مثل « هريديا » بين يدى القائد ، حتى جثا على ركبتيه هاتفا :

« بوركت العلياء .. وعاش صاحب السعادة ، حاكم هذه البلاد العظيمة » .

فمد الكونت الى النبوتى ، وأمره بالانصراف .

وسرعان ما استقام هريديا ، وقال : « جئت لاستلم الالف ريال يا صاحب السعادة » .

ـ اية الالف ريال هذه التى تتحدث عنها ؟

ـ تلك التى أعلن منذ أيام عن منحها لمن يأتى بمعلومات عن قاطع الطريق « بارون » .

ـ هذا صحيح . فهل تعرفه ؟

ـ لقد أصبحت أعرفه يا سيدى .

ـ وكيف ؟

ـ الامر بسيط . فلقد قابلته حتى وجهته ورأيته ، وها أنذا أحضر المعلومات ، وأطالب بالمكافأة .

فسأله القائد وهو يغالب شكه : « أمتأكد أنت من أنك رأيته ؟ »

فضحك الغجرى وقال : « من الواضح أن سعادتك تظننى جئت أخدعك .

لقد رأيت « بارون » بالأمس ، فلا سامحنى الله ان كنت كاذبا » .

ـ أتدرك قيمة ما تقول ؟ .. أتعرف أننا منذ سنوات نحاول الوصول الى هذا الوحش ، قاطع الطريق الذى لم يقدر لأحد أن يعرفه أو يراه ؟ .. أتعرف أنه ـ فى كل يوم ـ يسطو على المسافرين فى الوادى ، ثم يقتلهم لأن الموتى لا يتكلمون ، كما اعتاد أن يقول ؟ .. بهذه الوسيلة بالذات ، نجا حتى الآن من القصاص .. أتعرف أن رؤية « بارون » معناها الموت ؟

وعاد الغجرى يضحك ، وقال : « ألا تعرف سعادتك أن ما يحققه الغجرى فى عمله ، لا يمكن لمخلوق آخر أن ينجح فيه ؟ .. أتعرف سعادتك من يفوقنا مكرا ؟ .. أكرر أننى لم أر « بارون » فحسب بل أننى كلمته .

ـ أين ؟

ـ فى الطريق الى « توزار » .. فقبل الأمس بأسبوع، وقفت وحمارى فى أيدى بعض اللصوص، فاحتجزوا وثاقى ، واقتادونى خلال دروب متشابكة يضل المرء فيها ، حتى بلغنا ساحة ضرب فيها اللصوص معسكرهم . فساورنى هاجس قوى : « أيكون هؤلاء رجال بارون ؟ .. اذا كانوا هم ، فلا أمل ، الا أن هذا الشيطان يختص بأن العين التى ترى وجهه ، لا يجب أن ترى وجها بعده » ... وفى غمرة خواطرى ، اقترب منى رجل فى ثياب غريبة وقبعة أنيقة ، ودق على كتفى قائلا : « أنتى بارون يا صاحبى ! » وتهالكت اذ سمعت هذا ، فالمصير اللعين محتوما . وحاولت النهوض فوقعت على ركبتى ، وصحت بقدر ما أسعفنى صوتى : « ليبارك الله روحك يا ملك الرجال ! من أنا الذى يتحقق لى معرفتك وقد حباك الله عظمة توحى بالسلطان والجلال ؟ .. ليت الامهات يحببن مزيدا من أمثالك . دعنى اقبلك يا سيدى .. فليحفظنى الله فى احتضارى ، اذا كنت كاذبا حين القول اننى كنت أتوق الى رؤيتك لاقر لك طاعتى، ولأقبل يديك ، فخذنى فى خدمتك . أتريد أن تعرف كيف تبيع الحمير الميتة على أنها حية ، أو كيف تبيع الجياد الهزيلة بسعر الجياد الفتية ، أو أن تقتل مثلا الحصان الفارسى ؟

* * *

ولم يمهله القائد أن ضحك وقال : « وبماذا أجاب بارون ؟ »

ـ بما قلت أنت يا صاحب السعادة .. ضحك ملء فاه .. فضحكت أنا الآخر بينما كانت دموعى تنحدر على خدى فى حجم البرتقال .

ـ أتعمل فى خدمته !

كاتب القصة فى سطور

ولد الكاتب فى اقليم غرناطة سنة ١٨٣٣ ، وذاع صيته قصاصا وشاعرا وهو فى باكورة شبابه .. ومات أول سنة ١٨٩١ ، بعد أن ترك كثيرا من الكتب والمجموعات القصصية التى حملته فى طليعة قصاصى أسبانيا فى القرن التاسع عشر .

ـ وما لبث أن مد لي يده قائلا : « أنك الغريب الوحيد الذي وقع تحت سلطاني يا صاحبي ، أما الآخرون جميعا ، فكانوا يثيرون غيظي بالبكاء والنحيب .. أنت الوحيد الذي أضحكني .. ويعلم الشيطان أنها أول مرة أضحك فيها منذ ست سنوات أو سبع .. لم أكن أضحك ولكني كذلك لم أكن أبكي .. أيها الأولاد ! » .

وودعني في لمح البصر ـ محوطا بمظاهرة من السفاكين . فصحت فارغا : « أرحمني يا مولاي ! » .. وإذا به يصرخ فيهم: « أمسكوا ! .. لم يحن أوان هذا بعد . إنما دعوتكم لأعرف ماذا أفعل من هذا الرجل » .

ـ أخذنا حمارا لا يعلوه سوى جلده ..

ـ وهل أخذتم نقودا ؟

ـ ثلاث قطع ذهبية وستين ريالا .

ـ لكن دعونا على حدة .

« وما أن انصرفوا ، حتى قال لي وهو يبسط يده . « الآن اقرأ طالعي » .. وأدركت أنني في موقف يستوجب أن أتكلم ولا أبالي ، ما دمت قد عرفت مصيري ... فقلت له : « إن أقبلك يا بارون ـ إن عاجلا أو آجلا ، وسواء سلبتني حياتي أو تركتها ـ أن تموت على المشنقة ! »

« فأجاب قاطع الطريق بهدوء كامل : « أعرف هذا ، فأخبرني : متى ؟ »

ـ وشرحت الكف .. وقلت لنفسي أن هذا الرجل قد يطلق سراحي في الغد ، فأي فائدة أربحها وأنا به ، فيقبضون عليه في اليوم التالي ، ثم يحاكمونه .. وقلت له : « أسألني عن الوقت .. الآن فاسمع لي .. خلال الشهر القادم ! »

« وارتجف بارون ، فارتعشت بدوري خوفا على حياتي .. وما لبث أن قال: فاسمع أيها الغجري! .. ستبقى في الحبس ، فإذا انتهى الشهر القادم ولم يشنقوني ، فسأشنقك .. أما إذا مت ، فستظفر بحريتك » .

« ومكثت في العسكر ، وقد حبست في كهف ، بينما اعتلى « بارون جواده » ، وانطلق في جوف الغابة » .

* * *

قال القائد * « عرفت القضية .. مات بارون فاستردت حريتك » ؟

ـ الأمر على النقيض تماما ، فبارون على قيد الحياة .. وأولئك ليسوا جزءا من قصتي . فقد انقضى أسبوع دون أن يأتي الزعيم الى المعسكر ، وعلمت أنه لم يظهر منذ مشاركته مثل الليلة التي أتاه فيها بطالعه ، وهو أمر لم يكن غريبا كما ذكر حراسي .. فقد اعتاد أن يغيب من آن لآخر ، ولا يعود إلا حين يحلو له ، دون أن يدري أحد شيئا عنه خلال غيابه الطويل .. واستطعت بالحيلة ، وبقراءة طوالع الحراس مطمئنا إياهم الى مستقبلهم ، أن أقنعهم بأن يخرجوني من الكهف في الأمسيات ، فيربطوني الى شجرة إذا كان الجو حارا .. ولا داعي لأن أقول أن اثنين من الحراس كانا يلازمانني .

« وفي ذات مساء ، عاد اللصوص الذين كانوا يقومون بجولة ـ حسب أوامر نائب « بارون » ـ برجل تعس من صغار الحصاد ، في حوالي الأربعين أو الخمسين من عمره ، وقد أوثقوا يديه ، وهو يصرخ مرددا بلهجة تذيب القلب : « ردوا الى العشرين قطعة ذهبية .. ليتكم تعرفون كم تعبت لأكسبها .. لقد قضيت الصيف طوله أحصد الزرع في الشمس !.. صيف بطوله قضيته بعيدا عن زوجتي وأطفالي !.. لقد جمعت هذا المبلغ بالكد والعرق ليتسنى لنا أن نعيش في السلام ولأسدد الديون التي استدنتها لشراء البائسة في فيلي . من العدل أن آخذ هذه النقود وهي ثروة بالنسبة لي !.. أرحموني ، وردوا لي العشرين قطعة ذهبية ، بحق العذراء ! »

« وكان الجواب على توسلاته الباكية ، ضحكات ساخرة . ورحت أرتجف استنكارا وأنا موثق الى الشجرة ، فالفجر لم يكن لهم . وأخيرا ، اقترب أحد الأشقياء من الرجل قائلا : « لا ، يا أحمق !.. إنك تخطيء إذ تفكر في النقود ، يجب أن تشتغل بما هو أهم .. إنك في قبضة بارون ! » .. فقال الرجل وهو لا يملك أن يفكر في غير جرح إملاقه : « لست أعرفه ولا رأيته أبدا .. إنني من البلقان ، وكنت أحصد في أشبيلية » .

ـ إن بارون معناه الموت . كل من يقع في قبضتنا يجب أن يموت ، فاذكر وصيتك في دقيقتين ، وصل لله في دقيقتين أخريين . والآن ، استعداد! .. صوبوا السلاح !.. أمامك أربع دقائق !

ـ ساعدني استنكارها ، فاللصوص رحمة بي .. أن لي ستة أولاد ، و .. الرحلة كسة . وما دمت

سافوت ، فان حيواناتكم لتبتلى بأكثر شر من الوحوش ، فان الوحوش التي من نوع واحد ، لا يفتك بعضها ببعض .. عفوا ، فلست أدري ما أقول يا سادة .. لا بد أن بينكم أبا . أمنا من أب بينكم ؟ .. أتدرون كيف يكون شعور أطفال يلقى عليهم بالنقود جوعا طيلة الشتاء ؟.. أتدرون قسوة أن ترى الأم أطفالها ، الذين من أحشائها ، يموتون وهم يصيحون جوعا وبردا . لست أريد أن أعيش بدونهم يا سادة ، الا صا ليمسة الحياة بدونهم ؟.. سلسلة من التسمح والحرمان . ولكني لا بد أن أعيش من أجل أطفالي .. أواه يا فلذات كبدي ! »

« وارتمى على الأرض منطفئا ، فوجم الجميع ، القديسين الذين كان ميزان يلقى بهم الى الثمور .. وشعر الأشرار بشيء يتحرك في قلوبهم ، فالتفت كل الى الآخر والا تبينوا أنهم على رأي واحد ، تجرأ أحدهم ، وقال : « ان ما سنفعله يا رفاق ، لا يجب أن يصل الى علم بارون ! » .. ثم أطلقوا سراح الرجل البائس ، وردوا نقوده . ولكنه مد يده اليهم شاكرا . فصاح أحدهم : « ألست قانعا بهذا ؟.. أتريد نأوينك الى جانب حريتك . اسرع والا نفد صبرنا » . وأسرع الرجل باكيا .

« وانقضى نصف الساعة ، شغل خلاله الأشقياء بتبادل الايمان والمواثيق على أن زعيمهم لن يعرف أنهم أطلقوا سراح رجل .. وفجأة ظهر « بارون » وهو يقود حامل العصا بجوار فرسه .. ونزل الأشقياء ، والرجل ملقى على مهل ، ثم صوب بندقيته ذات الفوهتين الى أعوانه وصاح : « أيا كم من حمقى .. أغبياء ؟.. لست أدري لماذا لا أرمي كل واحد منكم برصاصة ؟.. أسرعوا فردوا الى الرجل النقود التي أخذتموها منه ! »

« ونفذ الأشقياء أمره ، فارتمى الرجل على قدمي زعيم العصابة الرحيم ، فقال له همسا : « مع السلامة .. لولا ارشاداتك ما عرفت الطريق اليوم .. ولقد كنت ترغب في ، وها أنذا قد برزت بوعدي ، وردت اليك نقودك . فانصرف ! » . وقبل الرجل قدميه مرات ، قبل أن ينصرف منتشيا . ولكنه لم يمش خمسين خطوة ، حتى ناداه الرجل الذي أنقذه وسأله : « أتعرف بارون ؟ » ، فأجاب الرجل بالنفي ولكن الزعيم قال : « انك مخطئ .. فأنا بارون ! »

« وشكره حامل العصا ، بينما رفع بارون بندقيته ، وأطلق عليه عددا من الرصاصات أردته .. وخلال الذعر الهائج الذي أصابني ، شعرت بالشجرة التي كنت موثقا اليها تهتز قليلا ، فأدركت أن قيودي انحلت .. فان احدى الرصاصات خلت حبل الرجل وأصابت وثاقي فقطعته .. ولكنت الأمر لا تترك فرصة للفرار .

« وأشار بارون الى ضحيته ، وقال لرجاله : الآن تستطيعون أن تسلبوه ماله أيها الأغبياء !.. يا عصبة الحمقى ؟.. كيف خطر لكم أن تطلقوا سراحه وأسمعوه يتكلم وهو يبكي ويعول في الطريق! .. كان من حسن الحظ أنني كنت أول من صادفه ، وعلمت منه ما حدث .. ولو أنه صادف الجنود لأرشدهم الى المعسكر كما أرشدني .. أرأيتم ما ينالني من السرقة بدون قتل ؟ »

« وبينما انهمك الرجال في دفن حامل العصا ، جلس « بارون » موليا اياي ظهره ، وانهمك في الأكل .. فتخلصت من وثاقي ، وانسللت مبتعدا عن الشجرة ، وعثرت على مربوطة منها .. وكان الليل قد هبط في تلك الأثناء فانتظرت لحظات ، ثم انسللت — تحت جنح الظلام — واستطعت أن أنحدر — على هدى النجوم — على حماري مربوطا الى شجرة ، فامتطيته ، ولم ألف الا خمسا .. وها أنا يا صاحب السعادة ، أطلب الألف ريال ، لأرشدكم الى مكان بارون .. الذي لم يرد لي نقودي » .

وبعد أن أدلى القبرصي بالتعليمات اللازمة ، تسلم المكافأة وانصرف .

★ ★ ★

ولكن .. هل أصاب « هريديا » فيما تنبأ به من خاتمة لبارون ؟

بعد خمسة عشر يوما ، وقف الناس في الشوارع يشهدون فصيلتين من الجنود والبوليس يسوقون ويتقدمون للتحقيق في طلب بارون .. وكان حديث الأهالي لا ينقطع ، انما شبه بارون في ساحة الرفاق القديمة بأسرها من فزع ..

قال أحد الجنود لزميله في الصف : « لقد استطعنا استخدامنا ، ولكن لا أرى الغريب نوبيز » . فقال زميله : « هذا عجيب ، فقد كان أول من يتحمس كلما دار الحديث عن الأشخاص

بارون .. إنه يكرهه كل الكره ! » .. وقال لاثنه : « أتعرفان ما حدث ؟ » .. وهنا صاح أحد الاثنين : « لا بد أنه الجندي الجديد » .. ولعله لوجهه أبيض البشرة ، رشيق القوام .. لم أرحه . « ما الذي كنت تهم بأن تقوله ؟ » .. فأجاب الجندي الجديد : « آه .. لقد مات العريف لويز » .. وعندما رأى معالم الدهشة والتكذيب ، قال مؤكدا : « لقد قتله بارون منذ نصف الساعة » .

— بارون ! .. أين ؟

— هنا ، في فرقتنا ..

وخيم الصمت ، إلا على الجندي الجديد الذي ظهر أن اسمه « ماتويل » .. فقد راح يصفر لحنا وطنيا . وما لبث أن قال أحد الجنود : « أحد عشر جنديا لاقوا حتفهم في ستة أيام . يبدو أن بارون لن يلبث أن يقضي علينا جميعا . ولكن كيف نسمى أن يكون في فرقتنا ، ونحن ذاهبون لمطاردته في صحرائه ثورنا ؟ »

وكف ماتويل عن الصفير ، ليقول في استهتار : « إن امرأة عجوزا شهدت مصرع لويز ، تقول إن بارون يروق للناظرين » .

— ألا تراه متهورا في الجرأة إذ تتكلم عن بارون هكذا !

— ولم لا .. أهو أكثر من مجرد إنسان !

وفي هذه الأثناء صدر الأمر بالاستعداد فاستوى الجنود في صفوفهم .. وتصادف أن كان … عليا ، فاستواه منظر الجنود ، ووقف بين الواقفين .. وبدا على الجندي الجديد ماتويل الاضطراب ، وانكمش في موقفه ليتوارى وراء الجندي الذي كان يتقدمه . ولكن عريفا ما لبث أن رآه ، فراح يصرخ وهو يقفز وكأنه داس على حية ، ثم انطلق يجري نحو مقر القائد .. وإذ ذاك رفع الجندي الجديد بندقيته ، وصوبها نحوه ، ولكن جنديا آخر سارع إلى دفع البندقية لتطيش الرصاصة ، وهو يقول : « لقد اختبل ماتويل !.. لقد فقد عقله ! » . وتناقل الجنود والنظارة العبارة وهم يشهدون ماتويل يحاول الجري ، ولكن المحيطين به من زملائه يعرقلونه ، حتى إذا هدأ ، انهالت عليه الأسئلة ، والاتهامات ، والإهانات ولكنه لم ينبس ببنت شفة .

وفي هذه الأثناء ، كان بعض القادة قد أعطوا عريفا وهو يجري ، فأمسكوه وعنفوا به ليفصح عما دعا بماتويل إلى محاولة رميه بالرصاص . ولكنه أصر على ألا يتكلم إلا إلى القائد .. فلما سمح منه الذين أمسكوه ، قال لهم : « ستعرفون .. ولكن حذار أولا أن تهبوا لبارون فرصة الهرب » .

— هذا غني ؟.. بارون ؟.. عمن تتكلم ؟

والتمس عريفا بأن يسيروا به إلى ضابط الفصيلة ، فأشار له نحو ماتويل قائلا : « هذا بارون ، وأنا العريف الذي أدليت للقائد بالمعلومات عنه منذ أسبوعين » .

وارتفعت الأصوات بين الناس : « بارون !.. قبض على بارون !.. الظاهر أن بارون كان بين الجنود ! »

وتأمل الضابط البيان الذي أصدره القائد عن أوصاف بارون وملامحه ثم هتف : « هذا .. ما أشبهنا !.. من كان يخطر له أن يبحث عن اللص وسط الجنود المنطلقين لاصطياده ؟ »

أما بارون ، فراح يرمق العريف بعيني الأسد الجريح ، وهو يقول لنفسه : « ما أحمقني !.. إنه الرجل الوحيد الذي أبقيت على حياته . لكم أستحق ما يجري ! »

وفي الأسبوع التالي ، تم إعدام بارون .. وهكذا تحققت نبوءة العريف بحذافيرها !

■

ترجمة محمد بدر الدين خليل

طبيب الأسرة

— قال لي الطبيب ضغط دمي ، فوجدته كما قال ١٤٠ على ٨٠ ، وأنا رجل في سن ٤٥ سنة ، والذي أعلمه أن الضغط الصحيح يكون بإضافة مائة إلى سن الشخص ، فضغطي يجب أن يكون ٤٥+١٠٠=١٤٥ فهل ضغط دمي واطئ ؟ وما هو بالضبط معنى قول الطبيب أن دمي ١٤٠ على ٨٠ ؟

● ظهر من خطابك أنك تعرف الفرق بين الـ ١٤٠ والـ ٨٠ ، أن كليهما مقياس لضغط دمك ، كما قدره الطبيب في شريان ساعدك، مقدرا منه بالمليمتر من الزئبق . أما الرقم الأول ، ويعرف بالضغط الانقباضي، فهو قياس الضغط في الشرايين عندما تدفع قلبك الدم إلى خارج القلب، إلى الشريان الأعظم ، الأورطة ، فيدور في الشرايين . أما الرقم الثاني ، ويعرف بالضغط الانبساطي ، فهو قياس نفس الشيء ، ولكن عندما يتراجع القلب فلا يدفع الدم في الشريان الأعظم ، الأورطة. والدفع والتراجع يحدثان معا في نحو ثانية أو أقل .

بعض الناس يظن أن القلب عندما يسكت عن دفع الدم في الشريان لحظة، يهبط الضغط في الشرايين إلى الصفر . وهذا غير صحيح . إن الضغط مستمر، إنما يرتفع وينخفض في دورات عددها ٧٠ أو ٨٠ هي ضربات القلب في الدقيقة .

بقي أمر كبر الضغط مثلا أو صغره، وهذا موضوع طويل .

نكتفي منه أن نقول إن ضغط الناس، رغم جمعهم أصنافا، يتفاوت كثيرا ، حتى والسن واحدة ، والنسبة واحدة ، والعمل واحد . فقد نجد عند الرجل السليم أن ضغطه الانقباضي ١٠٠ أو حتى ما دونها، وهو على أحسن حال ، ونجد رجلا مثله تماما ضغطه الانقباضي ١٢٠ أو فوق ذلك. المعتمد الوحيد في الحكم القاطع هو معرفة الضغط كم كان والرجل على أتم صحة . فإن كان ضغطه على الصحة ١٣٠ ثم أصبح مائة، أدركنا أن شيئا قد وقع لا بد أن نحسب له حسابه .

ومع هذا كان لا بد للناس أن يستخلصوا من الإحصاءات الكثيرة شيئا



تجرى عليه ضغوط الناس غالبا ، ومن هنا جاءت القاعدة التي تقول ان ضغط المرء ، عند جهل سابق لضغطه ، تحسب افتراضا ، باضافة مائة الى عمر الرجل ، فضغط الانقباض يكون على هذا الحساب ٤٥ + ١٠٠ = ١٤٥ وقد وجده الطبيب ١٤٠ ، فهذا ضغط طيب .

اما اذا زاد عمر الرجل على الخمسين فكثير من لا يأخذون بهذه القاعدة حتى على علاتها . ذلك ان الضغط الذي يزيد بعد ذلك على ١٥٠ يعتبر مرتفعا .

ومما يلاحظ مما اظهرته الاحصاءات ، أن الذكور البالغين ، ضغطهم على العموم أعلى من الاناث في مثل أعمارهم .

كذلك اهل الشرق ضغطهم في العادة دون ضغط اهل الغرب .

وفي النوم يهبط الضغط الانقباضي نحوا من ١٥ الى ٣٠ مليمترا زئبقا .

● ● ●

مناديل القماش ، ومناديل الورق

ــ أصاب كثيرا بالزكام ، واستخدم كثيرا من المناديل ، وتتراكم ، ويجب عليّ غسلها . ولا بد من ترقيدها في الماء ، ثم غليها فيه . ثم الصابون من بعد ذلك . عملية طويلة متعبة . فهل هناك مواد كيماوية اضع منها قطرات على المناديل في الماء البارد ، فيتم تطهيرها بسرعة ، دون غلي الماء ؟ ثم ما رأيك في مناديل الورق التي شاعت اخيرا ؟

● أما عن الماء وغلي المناديل فيه ، فليس هناك طريق احسم واطهر واقتل الجراثيم ، كائنة ما كانت ، مثل الغلي ، وكذلك النظافة .

اما مناديل الورق فيستخدم المنديل منها مرة واحدة ، ويرمى . والعلبة بها عدد كبير من المناديل . واستخدام هذه المناديل اصبح عادة شائعة بين النساء ، محببة . ويقولون انها أرخص من المناديل ، اذا ما اعتبر الانسان ثمن شراء المنديل ، ثم غسله وكيه .

ان المنديل الورق يصنع من ورق رقيق يمتص السوائل ، ويباع على الوان عدة . وهو بالطبع مطهر . والمنديل يستخدم مرة ، وبعد تلوثه ، لا يستخدم مرة أخرى . وغير ذلك المنديل القطن الذي يستخدم في المرة الثانية والثالثة على تلوثه .

الكشف عن حمل

ــ ذكرتم في العدد الماضي من «العربي» ان من وسائل التأكد من حمل المرأة ان يرسل الطبيب شيئا من بولها الى المختبر ، وعندئذ يفحص رجل المختبر هذا البول ، ومن الفحص يستطيع ان يقول ان كانت المرأة حاملا او غير حامل فما هو هذا الاختبار الذي يجريه على البول رجل المختبر ؟ ثم هل هذا الاختبار الكيماوي مؤكد النتيجة ؟

● لا بد أولا من تصحيح وصفك للاختبار المذكور بانه اختبار كيماوي، فما هو بذلك . ذلك انه اختبار بيولوجي ، أو ان شئت فحيوي ، ووسيلتنا فيه الحيوان . والحيوان هنا جاز أن يكون الفأر الأنثى ، يحقن تحت جلدها مقدار قليل من بول المرأة



المرأة في المختبر

الحامل ، أو المظنون فيها الحمل . لم تقتل هذه الفأرة الصغيرة السن بعد مائة ساعة من الحقن . فإن كانت المرأة حاملا ، ظهرت « نقاط دم » في مبيض الفأرة .

والسبب في ذلك أن بول المـــرأة الحامل يكون به هرمون يصل ذلك في مبايض الاناث من الفئران .

أما درجة هذه الطريقة من توكيد الحمل فتبلغ ٩٨٪ .

وهي قد تكشف الحمل بعد بضعة أيام من توقف الحيض،أي من اخلاف موعده . ولكن الخير في ايجاد هذا الكشف لاسبوعين أو ثلاثة أسابيع بعد اخلاف .

فاذا أريد الاسراع بنتيجة هـــذا الكشف ، اتخذ مكان الفأرة أرنبــة عذراء ، والذي تظهر النتيجة في ٢٤ ساعة .

وقد يستخدمون لهذا الكشـــف الضفدع البري Toad تستخدم الانثى منه ، وهي عندئذ تضع البيض، يخرج منها في نحو ١٨ ساعة مـــن الحقن .



قالوا انها انتحرت ، واعلم انهـا لم تفعل

ـ صديقة لي اصيبت بقلـة النوم ، فعمدت الى العقاقير المنومة ، وبعد اشهر ماتت ، وشاع انها انتحرت ، واعلم انها لم تفعل . فهل العقاقير المنومة تقتل ؟

● وهذا مثل آخر تدخل مشكلـــة انحرجة فيه . قرص نام به صاحبه يوما هادئا ، فأطمعه في المزيد ، فأخذ قرصين او اكثر .

ان من الناس من يأخذ الاقراص مـن العقاقير المنومة جملة ، لينتحر عمدا . ولكن من الناس من ينتحر على غير عمد . وكأني بصاحبتك يا صاحبتي من هؤلاء .

ان من العقاقير ما يدخل الجســم ، ويخرج منه بالافراز وغير غــرد . ولكن من العقاقير ما يسمى بالمتراكم . تدخل منه الى الجسم كما تود ، ولكنه لايخرج من الجسم بنفس السرعة التي تدخله فيه .. وإذن هو تراكم في الجسم . وهو سم،وأكثر العقاقير سموم ،ويتراكم السم على غير دراية منا فيحدث أثره المنتظر .

والخطأ حقا المطلق : ان حبة واحدة لها أثر طيب ، فالحبتان لهما أثر طيب مرتين ، في الوقت الواحد ، أو حتى في الأوقات المتعددة .



دردشة

حقائق طريفة عن شهور السنة

● إن تاريخ أي يوم من أيام شهر أبريل (نيسان) يتحد في التاريخ والاسم مع أي يوم من أيام شهر يوليه (تموز) من السنة نفسها.

وكذلك الحال في شهري سبتمبر وديسمبر (أيلول وكانون الأول) وشهري مارس ونوفمبر (آذار وتشرين الثاني).

وهذا يحدث في كل من السنين البسيطة والكبيسة على السواء.

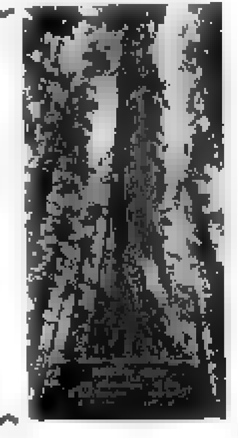
أما شهر يناير (كانون الثاني) فيتفق في السنة البسيطة مع شهر أكتوبر (تشرين الأول)، وفي السنة الكبيسة مع أبريل ويوليه.

ويتفق فبراير (شباط) في السنة البسيطة مع شهري مارس ونوفمبر، وفي السنة الكبيسة مع شهر أغسطس (آب).

خطباء محترفون !!

● دعا أحد ملوك سيام « الدكتور هيور » إلى وليمة، وكان أن أعد لإلقاء خطبة احتفاء بقدوم الدكتور، وتوقع الضيف أن ينهض الملك من مكانه، ولكنه ظل متربعا أمام المائدة، بينما أخذ خطيب محترف في إلقاء الخطابة وألقى الخطبة كلها.. ولما انتهى نهض الطبيب ليلقي كلمة شكر، ولكن الملك منعه بقوله:

ـ لا تتعب نفسك، لقد أعددت لك خطيبا.. إننا هنا نعتقد أن الخطب العامة يجب ألا يلقيها إلا خطباء محترفون !!!



أضخم شجرة

● شجرة (السيكويا) هي أضخم شجرة في العالم كما يقولون. وهذه الشجرة تنبت من بذور صغيرة جدا. وهي إذا بلغت تمام نموها فإنها تزن ٢٠٠٠ طن، أو ما يعادل وزن سفينة حربية صغيرة!

جرب هذه الطريقة !!

● قرر شاب فرنسي أن يجعل من نفسه طعاما للأسود، وذلك في محاولة منه لجعل فتاة تشعر بتأنيب الضمير بعد أن خدعته في حبه.

ودخل إلى قفص الأسود في سيرك بمدينة بوردو، وكانت الأسود جائعة وشرسة، ولكن عمال السيرك استطاعوا إنقاذه من بين مخالبها.. فرق قلب الفتاة، وتزوجته، وحضر حفلة الزواج عمال السيرك الذين أنقذوه من موت محقق.



روكفلر — هريو

هبة .. وشرط عجيب !

● في اعقاب الحرب العالمية الاولى وهب « روكفلر » مبلغا وافرا من المال ليعمق في ترميم كاتدرائية « ريمس » في فرنسا ، وكان « ادوار هريو » وزيرا للمعارف ، فقبل الهبة باسم الحكومة . وقد روى هريو انه ورد في رسالة الهبة من روكفلر هذه العبارة :

انفق هذا المال في الاجزاء التي لاترى من البناء ، فسوف تجد كثيرين يتبرعون بالمال لترميم الاجزاء التي يراها الناس !

دعابة استحالت الى جد

● روت زوجة « مكتور جاورسكي » انها كانت تنتظر صديقا امام مسرح « توليدو » ، فسمعت حدثين يتآمران على ان يلقى احدهما قطعة نقد نصف فرنك على الرصيف ، فاذا وقف احد المارة وانثنى لالتقاطها صاحا به ، ودخلا معه في شجار .

ولحظ احد المارة قطعه النقد فالتفت الى الحدثين الواقفين بقربها مبتسما ، والقى قربها قطعة بربع ريال ومضى لانه فطنهما يدبران مقلبا ، فذهل الحدثان .

وبعد ثلاث ساعات كان هناك جمهور غير محتشد حول كومة من النقود ، وبعد خمس ساعات تدخل البوليس لان الجمع المحتشد عرقل حركة المرور ، فجمع الحدثان المال ، فاذا هو ٧١٢ ريالا قدماها منحة لجمعية الصليب الاحمر .

الطبيعة رحيمة

● الطبيعة تعوضنا عن الاشياء التي سلبتنا ، ففي الوقت الذي يصبح فيه شعر الرجل الذي يمشطه قليلا تتسع رقعة الوجه الذي يترتب عليه غسله .

اليس موريون

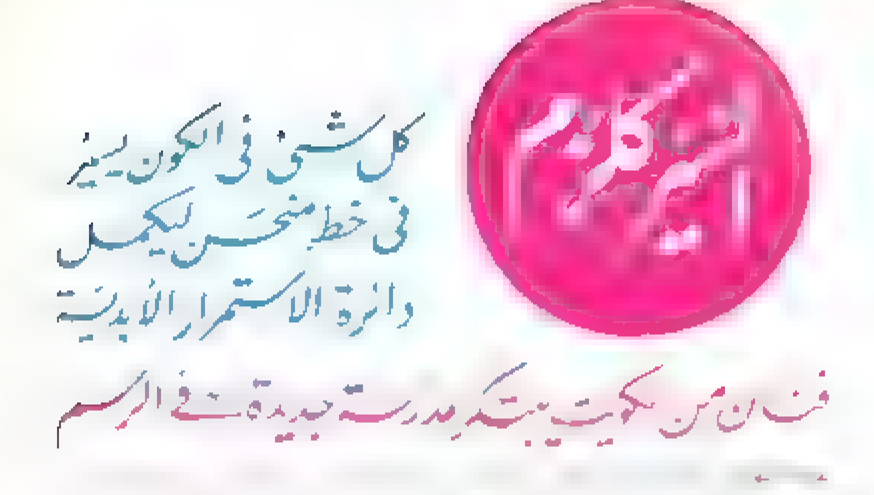
اتساع الكون

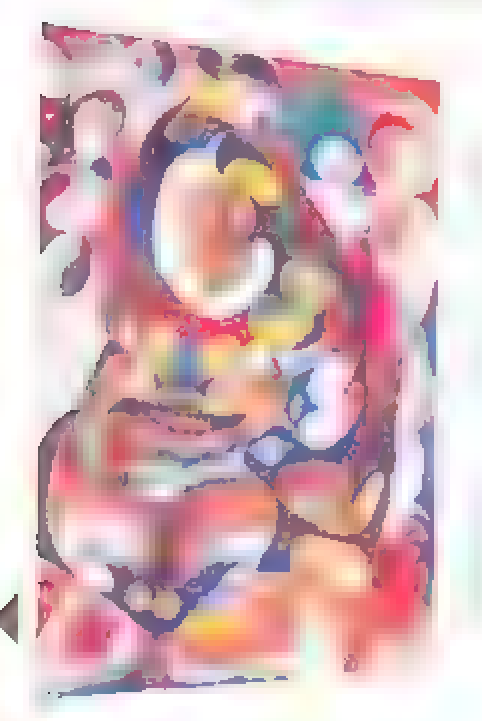
● ضرب جيمس جونز المثل الآتي ليجعل الناس تدرك مدى اتساع الكون ، قال : لو فرضنا ان الطيور قد انقرضت من قارة آسيا ، ولم يبق في سمائها غير اربعة طيور ، لكانت سماء آسيا مزدحمة بالطيور اكثر من ازدحام الكون بالنجوم والكواكب بكثير .

بعد ١٧٦ عاما ..

● يقدرون عدد الاحصنة الموجودة حاليا باستراليا بنحو ثلاثة ملايين حصان ..

بينما كان عددها في عام ١٧٨٨ خمسة فقط : حصان ذكر .. وثلاث مهارى .. ورضيع !!


كل شيء في الكون يسير
في خط منحن ليكمل
دائرة الاستمرار الأبدية
فنان من الكويت يبتكر مدرسة جديدة في الرسم



(تصوير صلاح [illegible])

■ لم يكن يدري ، وهو يجلس الى لوحته ، أنه يحدث في الفن حدثا .. فمن هو حتى يكون لانتاجه أكثر من قيمة متوسطة ، وهو الذي احتنق الرسم هواية ، وأقبل عليه دون دراسة تمهد له ، ودون توجيه اللهم الا توجيه المشاعر الهامسة التي تعيش في أعماقه ، وتطالبه بأن يعبر عنها بالرسم ..

وراحت ريشته تجري على اللوحة ، وهو مستغرق في تفكيره .. وكانت تحرص على أن تتجنب الخطوط المستقيمة المألوفة .. وكانت تتعمد أن ترسم الخط قوسا ، والمربع أو المستطيل دائرة ، والمكعب كرة ، وهي تشعر بأنه ليس في الكون ما يسمى بالخط المستقيم أو المربع أو المكعب ، لأن كل شيء يسير في خط منحن ليكمل دائرة الاستمرار الأبدية .

ولم يدهش « خليفة القطان » — الفنان الكويتي الذي لم يكن قد تجاوز السابعة والعشرين من عمره اذ ذاك — من اتجاهات ريشته .. فهو نفسه يؤمن بأن الدائرة أساس كل شيء .. حتى الحياة نفسها دائرة ! .. ان الانسان يولد ضعيفا عاجزا ، وينمو فيكبر جسمه ويقوى ، ثم ينحدر في الشيخوخة الى الضعف والعجز ثانية .. ان خط سير الحياة أشبه ما يكون بقوس .. ان كل شيء يسير بخط منحن ليكمل دائرة الاستمرار الأبدية .. ان المرء ان سار من نقطة معلومة ، وواصل السير قدما ، فلن يلبث أن يصل الى النقطة التي بدأ منها .. ولا يعني هذا أن السير انتهى ، بل انه سيستمر الى ما لا نهاية .. وهذا يعني التطور الدائم للمخلوقات .

* * *

واستمرت ريشة « خليفة القطان » في جريانها .. ولم يدر — الا فيما بعد ، وحين عرض لوحاته التي رسمت بهذا الأسلوب — انه طلع بنظرية جديدة ، أصبحت تعرف بالدائرية « السيركلزم ».

ولقد حاول البعض أن ينسبها الى مدرسة من المدارس المعروفة ، والى « السيرياليزم » بالذات . وكأنما كان كثيرا على فنان عربي ، أن يبتكر مدرسة جديدة .. وكأنما كان كثيرا على الروح العربية أن تتمرد على التقدم في الفن وتخلق شيئا حديثا ، وهي التي تتمرد على القديم في كل ميدان من ميادين النشاط الحيوي وتخلق جديدا ..

ونسأل « خليفة القطان » ، متى عشق الرسم؟ فيقول لنا : « لست أدري ، وما أحسب الرسم الا شيئا غريزيا ولد معي ، ولكن لم أكن أفطن اليه .. وفجأة ، في سن الخامسة عشرة وجدتني مدفوعا الى أن أمارسه »

ونتساءل . لماذا وجد نفسه مدفوعا الى الرسم في سن الخامسة عشرة ؟.. ولماذا لم تصبه به هواية الرسم قبل هذه السن أو بعدها ؟ ؟

انه لا يدري ، ولكننا اذا تتبعنا حياته ، وجدنا أن أحداثا قوية واجهته في هذه السن بالذات ، حوالي سنة ١٩٥٠ واضطرته الى أن يترك مدرسته « المباركية » ولما يتم دراسته الثانوية .

وكانت لهذه الأحداث أصداء في نفسه ، بل أكثر من أصداء .. لقد أثارت عواصف عاطفية في أعماقه ، أيقظت الموهبة التي كانت كامنة ، فاذا به يلجأ اليها ليعبر عن ذلك الذي يجيش في نفسه .

ولم يكن قد درس من أصول الرسم أكثر مما يدرسه الطالب العادي في المدرسة الثانوية ، لذلك لم يكن يتبع في الرسم قاعدة أو مدرسة .. أو الأصح أنه كان يتبع قواعد ومدارس دون أن يدري بها أو يدرسها .. بل دون أن يقرأ شيئا عن أصول الفن .. ثم سنحت له فرصة الحصول على منحة للدراسة في لندن ، في سنة ١٩٥٣ بعد أن عمل في التدريس ثلاث سنوات ، ورغب في دراسة الرسم ، ولكن المنحة قيدته بدراسة التجارة ،

ليعود مدرسا في الكلية الصناعية . فقبل في سبيل الانطلاق الى العالم الخارجي .

ومع أنه كان وفيا للدراسة التي اوفد من اجلها ، الا أن هذا لم يمنعه من أن يتردد على المتاحف والمعارض الفنية في انجلترا ، ومن أن يتصل بأساتذة الرسم في الكلية التي كان يدرس فيها .. ولكنه لم يجد الوقت ليتلقى دراسة جدية او منتظمة . كان يحاول أن يتوفر على الرسم في الاوقات التي لا يدرس فيها التجارة ، ولا يزور خلالها المعارض .. متطفلا على سجيته ، بتوجيه فطرته ومشاعره ..

ولم يزر متاحف انجلترا ومعارضها فحسب ، فزار مثيلاتها في القارة الاوروبية .. في فرنسا والدانمرك ، والسويد ، وهولندا ، والمانيا ..

ويقول خليفة القطان عند هذا الحد من قصته « واتسعت بمذاهب الفن ومدارسه ، فلالا معظم لا يمس المراكز والأحاسيس الكامنة ويمس الاشياء بمظاهرها .. وهذا بالذات ما أحاول أن أبرزه من واقع البيئة التي أعيش فيها .. ورسمت مثلا « الفراش » الكويتي ، فحرصت على أن أبرز حياته بين السماء والماء ، وفرحته أن يعثر على اللؤلؤ ... ورسمت في الوقت ذاته « النخلة » فمثلتها بوجهين لجسد واحد : وجه يختلط فيه اللونان الاخضر والاصفر رمزا للخصب والعطاء ، ووجه احمر يمثل الثمر » .

وهو يركز عنايته على الألوان الى جانب الدائرة .. فلكل لون مدلوله الذي يمكن التعبير به عن المراكز والعواطف والصفات : الأبيض يرمز للنقاء والصفاء وما اليهما ، والأحمر للحب والشر والخطر وما اليهما ، والأزرق للطمأنينة ، والبرد .. والأخضر للشباب وللحسد في نفس الوقت ... وهكذا ..

وفي سنة ١٩٥٨ ، عاد « خليفة » الى الكويت ليعمل مدرسا في الكلية الصناعية ، وقد احرز الدبلوم التجارة العالية ولكنه لم يمارس التدريس الا شهرين ، ثم نقل مشرفا على تجارة العمارة بالقسم الهندسي التابع لوزارة التربية والتعليم . وما لبث هذا القسم أن ضم الى وزارة الاشغال فانتقل معه ...

وطيلة هذه الأثناء ، ظل « خليفة » يرسم ما وجد للرسم وقتا . واستطاع في يونيو سنة ١٩٦٢ أن يقيم معرضا بقاعة المدرسة المباركية بالكويت ، لفت اليه الأنظار في بلده .. ثم نظم معرضا في قاعة « الشيوسكيتو » بمدينة « فيرارا » الايطالية ، في اغسطس من العام ذاته ، واعقبه — في الشهر التالي — بمعرض في قاعة « متحف الفن الحديث » بالقاهرة . فبدأ نقاد الفن يتحدثون عنه خارج الكويت .

كذلك اشترك في عدة معارض اقيمت في الكويت ، منها : معرض « مسابقة البطولة العربية » في ديسمبر سنة ١٩٥٨ ، ومعارض الربيع في سنوات ١٩٥٩ و ١٩٦١ و ١٩٦٢ واثر نشاطه انتباه السلطات ، فمنحته وزارة التربية والتعليم منحة تفرغ للفن ، منذ سنة ١٩٦٢ .

وفي تلك الأثناء ، كان يتحسس طريقه في دنيا الفن للتعبير عما في نفسه وفكره ، فاذا بنظرته الى الحياة تقوده الى « السيركليزم » في أوائل سنة ١٩٦٣ .

وكانت أول مرة كشف فيها عن نظريته هذه ، في معرض اقامه في بيروت في سنة ١٩٦٣ ، فأحدث ضجة ، وبدأت الصحف العربية والاجنبية تكتب عنه .. وبينما هو ، في نفس الوقت ، يقيم المعارض في الكويت وخارجها .. وفي الشهر الماضي تبنت وزارة الارشاد والأنباء هذا الفنان الذي رفع اسم الكويت في مختلف المحافل الفنية ، فاقامت له معرضا في روما .. وآخر في فيرارا بايطاليا .. وسيقام له معرض ثالث في لندن ، بعد أن ازدادت قلمه رسوخا في فنه الجديد : « السيركليزم » ..





مزيدا من الجرأة

من جريدة « نيويورك هيرالد تريبيون » :

● تعاني بريطانيا ، كما عانت من قبل ، مشكلة التمييز العنصري في جنوب افريقية . وقد رضخت بريطانيا لرأي الاكثرية في اجتماع رؤساء دول الكومنولث ، واتخذت قرارا بطرد دولة جنوب افريقية من الكومنولث ان لم تلغ التمييز العنصري فيها . وهكذا طردت جنوب افريقية من الكومنولث .

واليوم تجد بريطانيا نفسها في مأزق جديد مركزه روديسيا الجنوبية ، فهناك فيها ايضا تمييز عنصري ، اذ تحاول القلة القليلة من السكان البيض التحكم في السكان السود ، الذين هم الكثرة الساحقة .

ترى هل تقف بريطانيا ودول الكومنولث في هذه القضية موقفها الصلب الذي وقفته مع جنوب افريقية ؟ نرجو ذلك حتى يكون في هذه العبرة عبرة للمعتبرين قبل فوات الاوان .

مرارة ديجول

من جريدة « نيويورك وورلد تلغرام » الامريكية

● لا يتردد الرئيس ديجول ، في كل مناسبة ، عن ان يوجه اللطمات لامريكا ، وبريطانيا ، والمانيا ، وكل الحلفاء الغربيين . ومثل هذا التصرف يقف حائلا دون اي تفاهم وتقارب بين الدول الغربية .

ولهجة ديجول نفسها ، في خطابه وتصريحاته ، فيها نوع من التعالي ، بل وحتى من الوقاحة احيانا .. وذلك عندما يتحدث عن الولايات المتحدة ، وعن الدول الاوروبية ..

ونحن نحاول ان نبحث عن سبب لنقمة ديجول على امريكا ، ويبدو لنا ان ديجول حاقد على امريكا لانه يعتقد انها هي التي اخرجته من الهند الصينية .. ولكن لنحتمل معه !





هتلــر وجولد ووتر

من جريدة « الاوبزرفر » :

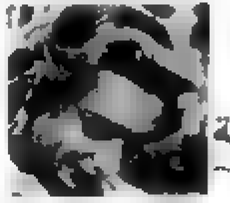
● هناك تشابه ليبدو لنا بين بروز باري جولدووتر في امريكا وبروز هتلر في المانيا ، سنة ١٩٢٩ ، واوضح مظاهر هذا التشابه بينهما ان كلا منهما يتحدث عن ماضي امته الاسطوري ، ويعد بان يعيد لامته فضائل العهد الماضي الزاهر ، ويقترح حلولا بسيطة لمشاكل معقدة ، ويدعو الى استعمال القــوة .

ومع هذا فبين الاثنين اختلاف ايضا ، واوضح ما يكون هذا الاختلاف هو ان هتلر دعا الى اقامة حكومة قوية ، بينما نجد ان جولد ووتر يدعو الى نوع من النظام تكاد تذوب فيه الحكومة .

ويبقى فوق هذا كله ان كلا منهما يؤمن انه هو المنقذ الاعظم لبلاده وامته من عدو شرير ، لا حد لشروره .

ترى الى اين تسير السياسة الامريكية ، ايمجع جولد ووتر ؟ ؟
« الى الحيــاة ام المــوت » ؟ — كما يقول شكسبير .

حرب سببها زوجة



من جريدة « الفاردملن » :

● اذا حدث وفاز باري جولد ووتر بالرئاسة واشتعلت نار حرب عالمية ثانية ، فان المســؤولية الاولى عن هذه الحرب ستكون لزوجة روكفلر ، ونقترح في هذه الحالة ان تسمى هذه الحرب باسم « حرب زوجة روكفلر » : ففي رأينا ان روكفلر كان ولا شــك سيفــوز بالترشــيح عن الحــزب الجمهوري ضد باري جولد ووتر ، لو انه لم يتزوج ثانية بعد طلاقه من زوجته .

وماذا كان من نتيجة تسمية جولد ووتر مرشحا للحزب الجمهوري ، في الجو الدولي ؟

امــا ترى السير خروشوف ، وقد عاد للحرب الباردة ، وبرزت لنا من جديد مشكلة برلين ! .

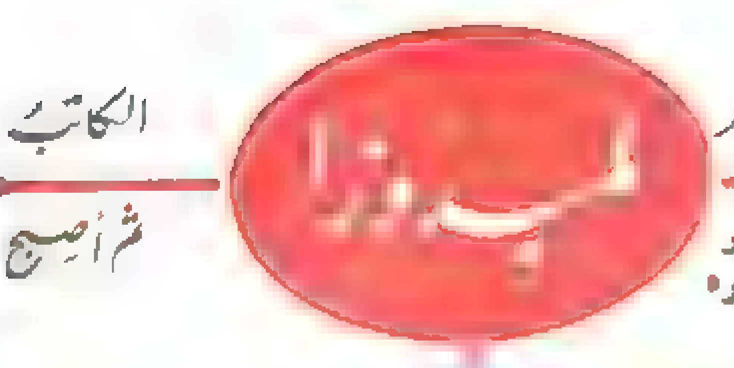
المانيا الموحــدة . .
ام السلم العالمي ؟

من جريدة « الصــدى اكسبريس » :

نحن نرحب بكل اتفاق يقرب بين الغرب وروسيا من اجل الســلام العالمي . ولكن المانيا بصفــة خاصة ، اكثر حرصا من غيرها على علاقات طيبة مع روسيا ، وذلك لانها تأمل ان يؤدي هذا التقارب — ان تم — الى نوع من التفاهم على مستقبل المانيا الموحدة .

ويجب ان نؤكد هنا لحلفائنا في المانيا الغربية ، ان مثل هذا التقارب لن يتم ، لأن روسيا ، في رأينا ، تخشى من عودة الروح العسكرية الالمانية ، اذا تم توحيد المانيا .

ولذلك فانا نهيب بالمانيا الغربية ان تترك مثل هذه الاحلام ، وتضــع يدها في يد تلك القــوى النــامية في ســبيل تحقيق السلم العالمي .



نقد كتاب الشهر

الكاتب ثم أصبح

بقلم الدكتور
محمود السمره

● ظاهرة أدبية أن يحدث ، وإنها نادرة الحدوث : أن يعيش إنسان متوحداً ، في شبه عزلة عن الناس ، لا ينشر في [illegible]

[illegible]

إلا لماماً ولزيارات قصيرة .

[illegible]

٢) ، القصة التي اشتهرت في الأوساط الأدبية في السنوات الأخيرة ، واشتهرت السينما بإخراجها فلماً مدروساً ممتعاً.

[illegible] عام ١٩٦١ ، [illegible] عام ١٩٦٢ [illegible]

[illegible]

ولكن قصته لتصبح [illegible] أعمق و [illegible] ،
إذا قصتها الرحمن [illegible] فهو أشبه [illegible]

القصصي الذي لم ينشر في حياته حرفاً
بعد سنة من وفاته ، أحد الأعلام الشوامخ !

تومازي Tomasi الشهيرة في كل ايطاليا منذ عصر الرومان . وهو ينحدر من ناحية والده من هذه العائلة العريقة ، ويمت من ناحية امه بالامبراطور طيباريوس الاول ، امبراطور بيزنطة في القرن السادس الميلادي ، حيث تزوجت ابنة هذا الامبراطور مؤسس عائلة تومازي الاول تومازو ليوباردي Tomaso Leopardi اي توماسو النمر الأرقط . والنمر الأرقط هذا ، شعار اتخذه مؤسس العائلة للدلالة عليه ، ونقشه على آنيته العربية . وكان هذا الشعار كثير الانتشار في جنوب القارة الاوروبية ، لسعة نفوذ هذه العائلة وكثرة عدد افرادها . والى هذه العائلة ينتمي الشاعر الايطالي الشهير جاكومو ليوباردي [illegible]

وعندما حل القرن السادس عشر ، استقر فرع من عائلة تومازي في جزيرة صقلية . واتسعت رقعة الأراضي التي ملكها هذا الفرع في الجزيرة اتساعا كبيرا ، وذلك عن طريق تزوج ابنائه ببنات العائلات الثرية في الجزيرة . ونستطيع ان نتخيل مدى اتساع املاك هذا الفرع من العائلة ، اذا عرفنا ان افراده قرروا عام ١٦٣٧ اقامة مدينة كاملة فوق املاكهم ، هي مدينة بوسيتيارو ، التي سوروها على احدث نظريات تخطيط المدن في ذلك الوقت .

وفي أواخر القرن الثامن عشر تزوج رأس عائلة تومازي في صقلية من فتاة نابولية ، فولدت له ابنه فبريزيو [illegible] ، الجد الأكبر للكاتب (جد والده على وجه الدقة) ، وظل الجد [illegible]

النمر الأرقط . وقد كان فبريزيو هذا في حياته عالما بالرياضيات ، والفلك [illegible] مرصدا [illegible] وهذا لقب من القاب العائلة العديدة . كما ان جامعة السوربون منحته جائزة اعترافا منها بعلمه وفضله .

وقد عرف والد فبريزيو (فبريزيو نفسه) وابنه الاكبر (والد ابنه الاكبر) وكانا باسم امير لمبيدوزا ، وهو لقب منحه لهم آل بوربون ملوك نابلي وصقلية ، والعائلة التي ينتمي اليها اكثر ملوك اوروبا ، وذلك تقديرا لهم . ولمبيدوزا جزيرة صغيرة تقع على بعد مائتي كيلو متر الى الجنوب من صقلية ، وكان آل بوربون يعتبرونها للمنحهم في عدد الاسماء من ممتلكاتهم . وكان كاتبنا هو آخر من حمل هذا اللقب ، لأنه لم ينجب ولدا يحمل لقبه .

★ ★ ★

وفي عام ١٨٩٦ ولد جيبي ، كاتبنا ، وكانت امه واحدة من شعاع ذكي ورفعات التهذيب ، وواسعة الاطلاع على الثقافة الفرنسية . ونشأ جيبي وبداخله ولع من المحبة يشده الى امه ، وشبه نفور يبعده عن ابيه المتصلف . والى هذه الأم يعزو حبه للثقافة الفرنسية .

وقد حدث في حياة العائلة ما كدر صفو جيبي ، وترك في نفسه جرحا عميقا : لقد وجدت جدته [illegible] مملكة ايطاليا [illegible]

[illegible] جم الى الانجليزية عام ١٩٦٠ بعنوان Lampedusa [illegible] Memory [illegible] The Leopard

يوما ، وذلك سنة ١٩١١ ، مما دعا أمه الى أن تغلق أبواب قصرها في بلرمو ، وتعتزل الناس .

وشب جيسبي ليصبح ضابطا في المدفعية ، وليحارب في التلال في الحرب العالمية الأولى ، وقد أسر في هذه الحرب ، وحاول الهرب من أسره مرتين ، فباءت محاولته الأولى بالفشل ، ولكن الثانية نجحت ، فعاد الى ايطاليا بعد أن قطع أوروبا مشيا على قدميه ، ومتخفيا . ومع أنه لم يترك الجيش الا عام ١٩٢٥ ، الا أن الواضح أنه قد أصيب بما أصيب به كثير من شباب أوروبا بعد الحرب العالمية الأولى ، أعني كراهية الحرب ، وكراهية الحياة نفسها ، والشعور بالضياع ، بسبب ما رأوا بأعينهم من مجازر جعلتهم يفقدون ايمانهم بالانسان والحياة .

وعاش جيسبي في ظل النظام الفاشي كارها للفاشية ، حتى أنه رفض أن يتولى أي منصب تحت الحكم الفاشي . ولعل هذه الكراهية للنظام الفاشي ، والاحساس بالضياع الذي أشرنا اليه ، يستطيعان أن يفسرا لنا سر عزلة لمبدوزا وانطوائه الحزين على نفسه ، وانصرافه للرصد مثل جده فبريزيو بطل قصته .

وفي سن الرابعة والثلاثين تزوج من بارونة ، كان والدها مارشالا في بلاط القيصر الروسي ، ولهذا الزواج قصة ؛ ففي منتصف العقد الثالث من هذا القرن ، وصل لمبدوزا الى لندن مساء ، وحل ضيفا على عمه المركيز توماسي ، سفير ايطاليا لدى البلاط البريطاني . وشاء الصدف أن يكون العم وزوجته على وشك الخروج لحضور حفلة ملكية في قصر بكنجهام ، فطلب العم من الفتاة الشابة اليساندرا ، ابنة زوجته ، أن تحاول ايناس قريبه الصامت الخجول ، وحل عقدة لسانه . وقد استطاعت هذه الفتاة أن تؤثر في الشاب جيسبي بذكائها ، وسعة اطلاعها وحديثها الطلق عن أديبه الأثير ، شكسبير . وهكذا وضعت هذه الأمسية حدا لعزوبة لمبدوزا . والأميرة لمبدوزا اليوم من أشهر المحللين النفسانيين في كل



زوجة الكاتب ، الأميرة لمبدوزا ، تقف على أطلال قصر العائلة الصيفي الذي ورد ذكره في « النمر الأرقط » .

ايطاليا ، وكانت الى عهد قريب رئيسة اتحاد المحللين النفسانيين الطليان . وهي في ميدانها ذات شهرة عالمية .

وقد كانت هذه السيدة الرفيعة التهذيب ، العميقة الثقافة ، خير رفيق للمسيو لامبيدوزا . فكانا يقضيان الامسيات يقرآن معا اكثر كتابهما الاثيرين شيوعا ، في لغتها الاصلية ، فهما يجيدان خمس لغات . وهذه السيدة هي التي شجعت زوجها على ان يجرب الكتابة ، لايمانها بانه موهوب ، وهي التي كانت تقرأ ما يكتب عندما كان يعود اليها عند الظهيرة من مقهاه المفضل ويعرض عليها ما كان قد كتبه في الصباح .

ونحن نستطيع ان نتصور الامير لمبيدوزا وهو يخرج من قصره كل صباح ، متوجها الى غرفته الخاصة في مقهـــاه ، مطرقا اليه كآبة النحس القديم في باليرمو ، بشيله وصيته الصقلي . فقلما ما تحلق حوله شلة الطلبة المعجبون له فخوره ، واتخذ منه لتناول شيئه الصباحية ، واقبل عليها مراوحا بين الكتابة والقراءة . قراءة تولستوي ، وستندال ، وفلوبير وبروست ، وتومـــاس مان ، وديكنز وفرجينيا وولف ، و.اي.ام.فورستر ، يقرأها كلها بلغاتهـــا الاصلية . اما شكسبير فلم تكن مجموعة اثاره تفارقه ابدا — حسب قول زوجته .

وعند الضحى يجمع اوراقه وكتبه ، ويتوجه الى مكتبة صديقه فلاكوفيو Flaccovio ، وهي مكتبة اقرب الى ان تكون صالونا ادبيا . وفي هذه المكتبة يلتقي ايضا بقريبه وصديقه الحميم الشاعر لوشيو بيكولو Lucio Piccolo الذي ما زال حيا . ومع هذين الصديقين يديا نقاشا في الادب والفن والفلسفة .

وكان لمبيدوزا قليـــل الترحال ، يؤثر البيت الهادىء ، والعزلة البعيدة عن الناس وضوضائهم . ولكن رحلة واحدة جديرة بان نشير اليها هنا : فقد صحب قريبه الشاعر بيكولو الى روما ، في صيف عام ١٩٥٤ ، لحضور مؤتمر ادبي ، وفي هذا المؤتمـــر احدثت لبيكولو جائزة على مجموعته الشعرية التي كانت قد ظهرت في تلك الفترة . وما زال جيورجيو بساني Bassani ، وكان عضوا في المؤتمر ، يذكر الامير الصامت وهو يعبر اروقة المؤتمر داخلا خارجا ، ووراءه خادمه الخاص يتبعه كظله . وجيورجيو بساني هو اول من ادرك قيمة قصة « الفهد » الادبية ، وهو الذي عمل على نشرها بالصورة التي ظهرت فيها .

* * *

وقصة « الفهد » انشأها لمبيدوزا في نحو خمسا وعشرين سنة قبـــل ان يعقد العزم على كتابتها ، وما كان ليكتبهـــا على الارجح لولا ان طبيبه انذره بان مرض السرطان لن يمهله اكثر من سنة ، فشرع اكتب عليها ، منقطعا لها ، ولم ينته منها الا قبل وفاته بشهر او بعض . وكان رأي من حوله فيها انها لا تصلح للنشر . ولكنها عندما نشرت في ميلانو بعد وفاته بسنة ، لقيت نجاحا منقطع النظير ، فكانت من اكثر الكتب رواجا ، فمن طبعها الايطالية وحدها بيع اكثر من ١٨٠ الف نسخة ، كما ترجمت الى ست عشرة لغة (ليست العربية من بينها) ، ومنحت جائـــزة ستريجا Strega ، جائزة الادب الايطالية .

وهذه القصة صورة لحياة اسرة الكاتب ، ترسم لنا ببراعة فائقة تدهور الارستقراطية العالية في صقلية ، ومولد الامة الايطالية . وتقع احداثها في عام ١٨٦٠ ، وهو العام الذي نزل فيه غاريبالدي برجاله الالف الى الجزيرة ، وقضى على حكم ال بوربون ، وضم صقلية ونابلي الى حكم فيكتور عمانوئيل ، ملك بيمونت وملك ايطاليا فيما بعد ، وذلك في سبيل تحقيق الوحدة الايطالية .



والقصة في سطور : الامير سالينا Salina ، بطل القصة ، هو رأس العائلة الارستقراطية وهي اكبر عائلة اقطاعية في كل الجزيرة ، تملك الالاف المساحات ، وترتبط بها مئات الاتباع ، والمتربطوا له الملك البربوني فرنسيس الثاني ، ملك نابلي وصقلية . ويجتاح الجزيرة غاريبالدي بقواته ، فيجد الامير سالينا نفسه موزعا بين ولائه لعائلته وملكه ، وبين واقع الحياة الجديدة . واخيرا يرضى بالواقع ويحبذ الوحدة ، ويشجع ابن اخته



« وبعد العشاء يخرج الأمير ، ومن ورائه كلبه ، ليتجول في حديقة القصر ... »

الثائر تانكريدى ، أحد رجال غاريبالدى ، عـلى ثروته . كما يشجعه أيضا على أن يتزوج ابنـة رجل من عامة الشعب ، برز والمعنى بعد الأحداث الجديدة .

ونحن لا نبغي من وراء هذه الاشارة الى الهيكل العام للقصة الى أن نعلق على تفصيلاتها ، بل الى أن نضع اطارا نعلله فيما بعد .

وشخصيات القصة واقعية ، هي نفسها أفـراد عائلة لمبدوزا قبل مائة عام ، حتى الأسماء الواردة في القصة هي أسماؤهم الحقيقية ، بما في ذلك اسما ابنتي الأمير سالينا ، فهما الاسمان الحقيقيان لابنتي فيرزيرو ، أمير لمبدوزا الجد . ولكن هذا لا يعني أن هذه القصة قصة تاريخية ، ذلك أن الأحداث التاريخية فيها عارضة ، أما الأهم فهو فيض الاحساس والذكريات التي تعمر الكتاب . ولئن كانت الأسماء في القصة واقعية ، فان رسم الكاتب لها فيه من غير واقعها الكثير : مثال ذلك شخصية فيرزيرو ، أي الأمير سالينا ، فهي مزيج من الشخصية الواقعيـة ، وذكريات الكاتب عن العائلة ، وشخصية الكاتب نفســه ، وآماله وأحلامه . وتانكريدى الثائر ، ابن أخت فيرزيرو ، مزيج من تانكريدى الحقيقي ومن شخصية نولنكا ، الابن التبني للكاتب ، والذي ما زال شابا يافعا .

وقد مزج الكاتب حتى بين الأحداث التاريخية : فتصويره في القصة لوصول غاريبالدى الى صقلية عام ١٨٦٠ ، فيه كثير من الأوصاف التي تنطبق على نزول الأمريكان في صقلية عام ١٩٤٣ ، في الحرب العالمية الثانية . وفي هذا الغزو الأمريكي فقـد المؤلف أعز شيء على نفسه ، وهو قصر العائلة في بلرمو ، اذ هدمته الغارات الأمريكية التي قصفت بلرمو بالمدافع قبل النزول فيها .

* * *

وحديثنا عن قصة « الفهد الأرقط » والصلة بين شخصياتها وأفراد عائلة لمبدوزا ، لا يضيف الى القصة ميزة جديدة ، لأن مثل هذا التشابه لا قيمة له في ميزان النقد الفني . كما أن أحداثها السياسية لا تؤثر في حكمنا عليهـا ، وان كان لها تأثير على



نموذج من النقوش والزخارف في قصر لمبدوزا

احكام من تصدوا للتعليق عليها : فقد استقبلها الادباء الطليان الشباب بشيء من الفتور ، واعتبروها ردة في الادب الايطالي ، لانه عز عليهم ان يظهر في الجو الادبي السائد في هذه الايام اديب هو امير ، ليكتب عن النبل والنبلاء ، وهو موضوع في رأيهم غريب على الذوق المعاصر . ولكن اراجون Aragon ، وهو الشاعر الفرنسي الشيوعي الشهير ، رأى في الكتاب رأيا آخر لانه بموهبته استطاع ان ينفذ الى لبابه ، فقد قال فيه : « انه احد كتب هذا القرن العظيمة ، بل انه احد الكتب العظيمة في كل زمان ». وقال فيه كاتب شهير آخر ، هو اي. ام . فورستر : « انه احد الكتب الفريدة في عالم الادب » .

وهكذا هو في حقيقته .

في هذا الكتاب كل شيء جميل : اسلوب مصقول ، وشاعرية [illegible] ، وتسلسل في رسم الاحداث والشخصيات ، وهو [illegible] حزن وأسى . وفوق هذا كله فيه احساس عميق بالحياة ، وادراك لاسرارها .

والكاتب يرسم بمشهد رائع ، انه يصور الامير في مائدة الطعام الفخمة الزاخرة [illegible] بافراد عائلته ، وقد [illegible] من [illegible] على الجدران رسوم الآلهة التي عبدها اهل الجزيرة قبل المسيحية والامير [illegible] في [illegible] وبين [illegible] الجميع انه [illegible] ، شهواني ، عنيف ، وهو ذكي ، [illegible] ، حتى [illegible] في مرصده يرقب النجوم [illegible] لا [illegible] . وعند العشاء يخرج الامير ، [illegible] في [illegible] ، وهو يدير [illegible] الذي [illegible] الموت [illegible] ، فيسرع نحو القصر ، وكله [illegible] ليطلب [illegible] ويتوجه الى [illegible] ليقضي ليلته مع عشيقته [illegible] مرتابة ؛ [illegible] ما لا [illegible] زوجته [illegible] بين تلك التي [illegible] من مرصده [illegible] ! لا فرق [illegible] كليهما [illegible] لذة الموت [illegible] في [illegible] ما في الموت من [illegible] ، [illegible] الموت من متعة [illegible] انه يحبها لانها [illegible] من [illegible] نموت

وما موقفه من هذه الطبقة العجيبة التي تهدد

إرستقراطية عالمه بالزوال ؟ لا بد له من أن يكيف نفسه ليتلاءم مع الظروف الجديدة . ويمثل هذه الطبقة الجديدة في الكتاب كالوجيرو ، وهو رجل من عامة الناس ، اغتنى في العهد الجديد عن بعد فقر مدقع ، وعلى حساب الطبقة النبيلة .

ومن المواقف العميقة الدلالة في الكتاب أن الأمير ، في محاولته التكيف مع الظروف ، يدعو كالوجيرو وابنته الجميلة الى حفلة في قصره ، واكراما له وحتى لا يحرجه لا يلبس ، لأول مرة في حياته ، لباس السهرة ، ويقرر أن يستقبله بملابسه العادية . وكم كانت دهشته عندما يرى كالوجيرو يدخل القاعة الفخمة وهو يتعثر بلباس السهرة الذي كان يبدو غريبا عليه ! هكذا تبدت الحياة للأمير سالينا . طبقة تزول لتحل محلها طبقة جديدة . ولكن معنى الحياة واحد !

وتنكريدي ، ابن شقيقة الأمير سالينا ، يأتي ثانيا بعد الأمير في الكتاب . وهو من أظرف ما رسم الكتاب القصصيون من شخصيات ، ومن أقربهم الى النفس . والأمير معجب بابن أخته ، ويجمع بينهما حب عميق ، وفهم متبادل ، غير أنه الشاب لذكائه أن التطور مع النظام الجديد ضرورة ، ولهذا نراه يسارع الى الانضمام الى جيش غاريبالدي ، ويبرز فيه . وهو في محاولته التكيف يتزوج ابنة رجل من رجال الطبقة الجديدة ، ابنة كالوجيرو الجميلة التي يحبها ، ويحب معها مالها .

وينتهي الكتاب بموت الأمير سالينا ، وهذا الفصل هو خير فصول الكتاب دون شك ، وهو في رأينا يوازي في روعته « موت ايفان اليتش » لتولستوي .

* * *

وتتحمس السينما لهذه الرائعة الأدبية ، فيتقدم الى اخراجها خير المخرجين الطليان جميعا لوشينو فيسكونتي ، ويسند الدور الأول للممثل بيرت لانكستر الذي ما قام بالدور الا بعد أن درسه ودرس تاريخ الفترة بجد وبدقة المتخصصين، ويقوم بدور تنكريدي الممثل ألن ديلون ، وبدور ابنة كالوجيرو الممثلة كلوديا كردينالي . وقد أعدت الشركة المنتجة مرصدا خاصا نقلت اليه الآلات الرصد نفسها التي كان يستعملها الأمير سالينا ؛ وذلك بفضل زوجة لمبدوزا وابنه بالتبني ، اللذين لجأ اليهما المخرج كثيرا للاستنارة برأيهما . وقد كانت نتيجة كل هذا الجهد الكبير ، أن أنتجت الشركة فلما من الدرجة الأولى نال جائزة أحسن فلم للعام في مهرجان السينما في « كان » .

* * *

ولا يجب أن نترك الحديث عن « النمر الأرقط » دون أن نشير الى ظاهرة أدبية أخرى جديرة بالاعتبار ؛ فقد ظهر في العام الذي ظهر فيه هذا الكتاب ، كتاب آخر للأديب الأمريكي الشهير آلن تيت بعنوان « الآباء » (٣) . وبين هذا الكتاب وكتاب لمبدوزا شبه كبير :

فكلاهما قصتان عن الارستقراطية العائلية ، واندحارها أمام التطور في المجتمع .

وكلاهما قصص عن اندحار الجنوب أمام الشمال ، ولكن الجنوب هنا هو الجنوب الأمريكي.

وكلاهما تقع أحداثهما عام ١٨٦٠ .

وكلاهما موضوعهما واحد في جوهرها : ذلك هو الموت ... موت حياة ، ونمو حياة جديدة على أنقاضها .

ولكن على روعة قصة آلن تيت ، تبقى قصة « النمر الأرقط » أكثر فنا ، وأرحب أفقا ، وأخصب حياة .

* * *

وكما أشرنا من قبل ، فقد عثر أيضا على ثلاث قطع صغيرة ، كان قد خلفها لمبدوزا وراءه ، وهذه نشرت بالايطالية عام ١٩٦١ في ميلانو ، ونقلها الى الانكليزية نقلا رائعا المترجم ارشيبالد كولكوهون Colquhoun ؛ مترجم « النمر الأرقط » . وهذه القطع الثلاث هي : مرابع طفولتي، والبروفسور وحورية البحر، والتعليقات السيد . وقد اختلف النقاد في أيها هي الأفضل "

(3) Allan Tate , The Fathers

وفي رأي فورستر أن « البروفسور وحورية البحر » هي خيرها جميعا . ونحن نستطيع أن ندرك لماذا كانت هذه بالذات اقربها الى قلب فورستر : فهو قد كتب في مطلع حياته الادبية قصة من هذا النوع .

وفي رأينا أن « مرابع طفولتي » هي أحسن ما في المجموعة : فهي تلقي أضواء جميلة على حياة مؤلف « النمر الارقط » . ويذكر لمبدوزا أن مما أثاره لكتابة هذه الذكريات هو أنه كان في منتصف شهر يونيه (حزيران) من عام ١٩٥٥ يقرأ كتاب « هنري برولار Henri Brulard » لستندال ، وكان لم يقرأه منذ ثلاثين سنة ، وهو كتاب حاول فيه ستندال أن يكتب ذكريات عن طفولته ، ولكن لا بسرد ما يذكر منها ، بل بمحاولة الوصول الى جوهر الاحساس ، وتسجيله .

ويصف لمبدوزا بعد هذا الاثر البالغ الذي تركه هذا الكتاب في نفسه ، مما دفعه الى أن يحذو حذوه . والواقع أن لمبدوزا كان مهيأ نفسيا لما تنبه نفسه له : اذ كان يحس باقتراب العمر وحلول الشيخوخة ، وفي نفسه ذكريات جميلة عن ماض اندثر ولكنها هي بقيت حية في نفسه . ولعل مما زاد في حنينه الى الماضي تهدم قصر عائلته الضخم بفعل قنابل الامريكان عشية نزولهم في الجزيرة في عام ١٩٤٣ . ونحن اذا قرأنا ما خطه يراعه عن مرابع طفولته ، احسسنا احساسا عميقا بانه قد استطاع فعلا أن يصل الى جوهر الاحساس .

و « البروفسور وحورية البحر » : قصة خيالية لطيفة تثبت لنا أن لمبدوزا قادر على أن يتناول موضوعا خارج نطاق عائلته ، فيجلي فيه أيضا . وخلاصة هذه القصة أن صحفيا يلتقي في مقهى بتورين ببروفسور شهير في الدراسات الاغريقية ، وتقوم بينهما صداقة ، وليلة سفر البروفسور على ظهر الباخرة يقص على الصحفي قصته وكيف أن حورية البحر ظهرت له ، فأحبها ونعم بها زمنا ، ثم اختفت من حياته . ويعترف البروفسور أنه مهما حاول أن يصف جمالها فانه عاجز عن ذلك ، لأن جمالها يفوق كل وصف . وفي اليوم التالي يسافر البروفسور على ظهر الباخرة ، ولكن الحنين الى حوريته يستبد به ، فيلقي بنفسه في اليم للحاق بها .

و « القطيطات العمياء » . هي الفصل الاول من قصة طويلة تقع احداثها في عام ١٩٠٠ ، ويبدو انها تتمة لقصة « النمر الارقط » ، لأن هذا الفصل يستعرض موقف الطبقات العليا النبيلة من الطبقة الغنية الجديدة التي ظهرت مع النظام الجديد ، وهي طبقة يمثلها في « النمر الارقط » كالوجيرو . والواقع انه يصعب علينا أن نحكم على قصة من فصل منها ، ولكننا عند قراءة هذا الفصل نلمس فيه ما في رائعة لمبدوزا من خصائص . وما نرجوه هو أن يُعثر بين أوراق لمبدوزا على مزيد منها ومن غيرها ، مما يمكن أن يكون مطمورا في مكان ما .

★ ★ ★

ولكي تكتمل قصة حياة هذا الامير الاديب فصولا ، فتكون مثيرة عجيبة ، يكتب له القدر أن يموت بالسرطان في عام ١٩٥٧ ، وهو رهين حجرة في فندق في روما ، كما مات جده الاكبر بطل « النمر الارقط » ، من قبل ، في غرفة في فندق أيضا في فلورنسا ، وهو ما وصفه في أروع فصل في قصته .

مات الامير لمبدوزا ، ولما تسعه شفتاه من التلفظ بآخر كلمات وجهها الى طبيبه وهو يحدثه عن الادب والفن ، وكان مما وقف لسانه عنده قوله : « ان للفن غايتين خالدتين لا يعتريهما تغيير أبدا هما أن نتأمل في الموت ، ونحلق من هذا حب . »

وقد كان لمبدوزا هكذا حقا ، فاستحق بهذا أن يأخذ مكانه بين الادباء الشوامخ الاعلام . ■

محمود السمرة

مكتبة العربي على صفحة ١٥٢



خطاب مؤلم صريح إلى الآباء

س وقد صار مليئا بالعذاب والقلق والحيرة

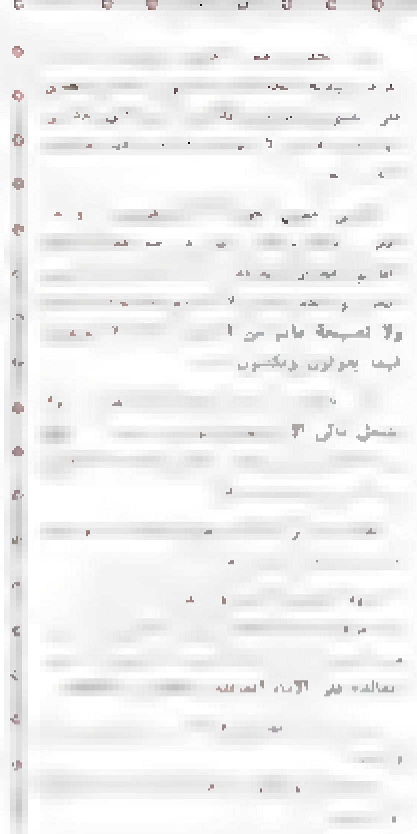
[illegible]

بطاطا .. أم بطاطس ؟

● [illegible]

– البطاطا هي الكلمة الصحيحة وإن كان البعض يطلق كلمة بطاطا على النوع الحلو السكري ، وكلمة بطاطس على النوع الخالي من السكري الذي هو من فصيلة الباذنجان.

[illegible]



قناة حسابها عذاب وقلق وحيرة

العربي : لا تعليق لنا على هذه الرسالة المؤلمة ... ونحن ننشرها لعل ضمائر الآباء الذين هم على شاكلة صديقنا الأب تستيقظ ، فيدركوا ما تفعله على ايديهم هذه البراعم التي يدمرونها ويحطمونها قبل ان تصبح !

حديثه يسبح لك برائح من الطعام النعلبه بالزيت يستلي الناس ياكلها وهم سائرون في الطريق ..

لكن المعروف ان الشعب الايرلندي هو الاكثر السمنة بالنسبة ... ويقدر متوسط ما يأكله الشخص الواحد في هذا البلد باكثر من رطل في اليوم !!

٥٠١ مليون جهاز في العالم

● عدد أجهزة الفيديو في العالم !

تمبور ـ أحمد صبره

ـ يتزايد عدد الاجهزة يوميا بارقام خيالية ، حتى انه اصبح من الصعب اعطاء احصائية دقيقة عن الرقم الذي بلغه ، ولو كانوا يقدرونه بنحو ٥٠١ مليون جهاز منتشرة في ٧٠ دولة من دول العالم



قصة أعجز



الهجرة ـ ابو هيثم الهمداني

ـ الغجر لفظ عامي يطلق على جماعة من الناس يقال ان اصلهم من شعوب الهند المهاجرة اضطروا لترك بلادهم لاسباب مجهولة ، واستوطنوا ايران في القرن الاول من الميلاد حتى جاء الغزو المغولي الذي يعتقد انه كان السبب في هجرتهم نحو الغرب الى ارمينيا وسوريا وفلسطين ومصر ، ثم جنسا



الاحتلال التركي فدفعهم نحو اوربا حيث تفرقوا هناك ، وكان هذا في عام ١٥٠٠ .

وعدد الغجر غير معروف ، لكن الاحصائية التقريبية لهم ترجع الى ما قبل الحرب العالمية الأولى ، حيث قدروا عددهم كالآتي ٢٨٥٠٠ في تشيكوسلوفاكيا ٢٤٠٠٠ في النمسا ـ ١٨٠٠٠ في بولندا ، ونحو ٢٠٠٠ في بريطانيا .

وفي مطلع هذا القرن هاجر عدد كبير منهم الى امريكا حيث استوطنوا البلاد واندمجوا في بوتقة الشعب الأمريكي ، ويتراوح عدد هؤلاء بين ٥٠ و ١٠٠ الف غجري .

والاسم الذي يطلق على هذه الجماعة يختلف باختلاف كل بلد فنحن نسميهم غجرا لكنهم يعرفون كذلك باســـم النور ، والعربان ، وجنكان ، والنجار .. حتى في اوربا يطلقون عليهم بالانجليزية كلمة Gypsies وبالاسبانية Gitano والفرنسية Bohemien أو Gitan وهكذا يختلف اسمهم من بلد الى بلد ، تبعا لاختلاف اللغة واللهجة ..

الاجماع .. أحد

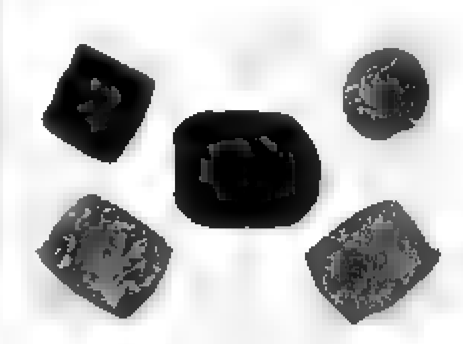
□ من مصادر التشريع الاسلامي السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الاسلام لا تكون الا من احد المصادر الاربعة التالية : القرآن والحديث والقياس والاجماع . أما بالنسبة للاجماع فماذا يعني : هل هو اجماع الصحابة أم اجماع علماء المسلمين في أي عصر وأي مكان ؟ واذا كان كذلك فهل هناك حكم اجمع عليه العلماء بعد الصحابة ولم يوجد في قرآن أو سنة أو قياس

القدس ـ نعيم مطلق

ـ بعد الكتاب والسنة يعتبر الاجماع عند جمهور الفقهاء المصدر الثالث للشريعة الإسلامية .

وهو يعني اتفاق المجتهدين المسلمين في اي عصر من العصور على حكم شرعي وقد استدل له بادلة من الكتاب والسنة والعقل .

فمن الكتاب قوله تعالى : « ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » فالاجماع هو ســــبيل المؤمنين الذي يجب اتباعه . وقوله تعالى « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامـــر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » اى ان اجماعكم عند عدم التنازع مقبول . وكذا الآيات « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » و « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » و « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس »



اول نقود في العالم

■ من هي اول دولة اوجدت النقود وتعاملت بها ؟ وفي اي عصر كان ذلك ؟

عباس هادي النجار

الهندية ـ العراق

ـ يقال ان اول قطعة نقود في العالم تم صنعها بمدينة ليديا في اسيا الصغرى في نهـــاية القرن الثامن قبل الميـــلاد ، وكانت خليطا من الذهب والفضة ، وقد ادخل الاغريق هذه النقود الى دوما ثم دول البحر الابيض ، ومنها عبرت النقود الى ايران والهند .. وفي الصين هذبوا العملة ونظموها فانتشرت منها الى العالم الغربي واليابان وكوريا .

الاصـــول الاربعــة لشريعتنا الغــراء

و « يا أيهـا الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مـع الصادقين » .

ومن السـنة :«امتي لا تجتمع على الخطأ او على الضلالة » و « يد الله مع الجماعة » كذلك قول ابن مسعود المأثور « ما رآه المسلمون حسنا فهو حسن ، وما رآه المسلمون قبيحا فهو عنـد الله قبيح » .

اما العقل : فهو يقضي عادة ان يخطىء جميـع المجتهدين اذا اتفقوا على امر من الامور ، دون ان ينتبه اليه واحد منهم ؟

وكما ذكرنا سابقا فالاجماع عند جمهور الفقهاء هو ان يتفق جميع المجتهدين المسلمين في اي عصر من العصور . فلذلك لا يكفي عندهم اجماع اهل المدينة وحدهم خلافا للامام مالك. كذلك لا يشترط في رأي الجمهور ان يكون الاجماع اجماع صحابة النبي (ص) خلافا للامام احمد وداود الظاهري . كذلك على رأي جمهور الفقهاء لا ينعقد الاجماع باتفاق الخلفاء الراشدين الاربعة اذا لم يخالفهم احد خلافا للامام احمد في احدى روايتيه والى حازم الحنفي .

والاجمـــاع امـــا ان يكون بـاعـطاء الرأي صراحة وهذا لا خلاف فيه . واما ان يكون سكوتيا بان يفتي احد المجتهدين في احدى المسائل ويعرف بفتواه الباقون من اهل الاجتهاد ولم ينكروهـــا عليه . وهذا الاجماع السكوتي جعله اكثر اصحاب ابي حنيفة حجة ولكن الشـــافعي انكره ، في ان الامدي اختار رأيا وسطا . وهو ان السكوتي ظني والاحتجاج به ظاهر لا قطعي .

هذا الذي ذكرناه هو مجمل آراء اهل السنة . اما اهل الشيعة فانهم لا يقبلون الا اجمـــاع اهل البيت او اذا اشترك مع المجتهدين سيدهم الامام المعصوم ، فالاجماع عندهـــم هو الاتفاق المشتمل على قول المعصوم عليه السلام ، لا مجرد اتفاق الفقهاء على شيء .

وهناك احكام كثيرة صدر الحكم فيها بالاجماع، منها مثلا منع عمر رضي الله عنه المؤلفة قلوبهم من نصيبهم الذي كان الرسـول الكريم وابو بكـر الصديق يعطيانه لهم وموافقة جميع الصحـــابة في عهده على ذلك .

ومنها اجماع الفقهاء بعد عهد الصحابة في حالة ما اذا تزوجت امرأة وهي ترضع وليدها من رجل آخر ثم رضع منها طفل قبل ان تلد من الثاني،ان التحريم يعود للزوج الاول لانه الاصل في اللبن الذي بها الآن .

وقد انعقد الاجماع في كثير من المسائل التي لم يوجد لها نص من كتاب او سنة او وجد لها نص ولكن معناه غير ظاهر او غير صريح .

العدد الاول من العربي

■ لقد عثرت [illegible] فقطعني [illegible] ان الأخت سميرة عكاوي قد [illegible] من العدد الاول من العربي [illegible] فأطلب ان تتمكني ارسال العدد الاول الفائض عن حاجتي اليها ؛ ولعلمي بعنوان الأخت المذكورة ارجو ان [illegible] هي او [illegible] ترسل عنوانها لأتمكن من ارسالة [illegible] [illegible] العربي ؟ لا [illegible] وشكرا .

يوسف ناصر العلي

الجمهورية العراقية/البصرة ــ شط العرب

شارع البريد

ــ شكرا يا اخ يوسف .. ونحن ننشر خطابك لتطلع عليه الآنسة سميرة عكاوي .



هذه هي قبرص

● كثر الحديث عن قبرص بمناسبة الاضطرابات الاخيرة فيها ، واود ان اطرح عليكم هذه الاسئلة راجيا الاجابة عليها :

١ ـ كم تبلغ مساحة قبرص ؟

٢ ـ كم تبعد قبرص عن البلاد المجاورة لها ؟

٣ ـ كم يبلغ عدد سكانها من يونانيين واتراك ؟

٤ ـ وراء ماذا يسعى كل منهما ؟

٥ ـ الا تستطيع عدة بحلول حل مسألة قبرص ، لمن يبعث به الى هيئة الامم المتحدة ؟ ام الى رئاسة الوزراء في بلدنا ؟

ع . ل — بهاء الدين ...
الحسكة : سوريا — حمص : سوريا

ـ تقع جزيرة قبرص في اقصى الطرف الشرقي من البحر الابيض المتوسط . ومساحتها ٣٥٧٢ ميلا مربعا ، اي انها ثالث جزيرة كبيرة في هذا البحر .

وتبعد قبرص مسافة ٦٠٠ ميل تقريبا عن جنوب اليونان ، و ٤٠ ميلا عن تركيا ، و ٦٠ ميلا عن سوريا ، و ٢٤٠ ميلا عن ج.ع.م .

اما عدد السكان ، فآخر احصاء لهم كان عام ١٩٦٠ وقد بلغوا ٥٧٧,٦٣٩ نسمة ، اي بكثافة قدرها ١٦٠ شخصا في الميل المربع الواحد . وكان تقسيمهم على الشكل التالي :

[illegible] يونانيا ـ ١٠٤,١٨٣ تركيا ـ ٣,٦٢٨ ارمنيا ـ ٢,٧٠٨ لبنانيا ـ ٢٣,١١٢ جنسيات اخرى .

اما سبب الصراع فيرجع الى عوامل كثيرة : تاريخية وسياسية واجتماعية .. فالاقلية التركية تتهم الاكثرية اليونانية بمحاولة السيطرة على الجزيرة . والاغلبية اليونانية تدعي انها موجودة في الجزيرة قبل وجود الاتراك ، وان عددها الكبير يعطيها الحق بادارة الجزيرة والاحتفاظ بالوظائف الهامة لليونانيين ..

واستمرار الصراع الحالي يخلق يوميا اسبابا جديدة تضاف الى الاسباب القديمة ..

اما اذا كان عندك يا اخ ع . ل الحل لمشاكل قبرص فيمكنك ان تبرق برسائل نسخ منه الى جميع الاطراف المعنية !

ردود خاصة

■ الى حزين الحب فالح ع. العبيضة – بغداد

– مشكلتك تكمن في الفراغ الهائل الذي تعيش فيه ، حاول ان تجد لنفسك تسلية او هواية تملأ بعض وقتك

ان الظروف كلها ، المحيطة بك ، تقف حائلا كأداء تحول بينك وبين حلك الجميل ولا تنسى – هذا اولا – حب الله واجب ... ابعد فكرة الانتحار من ذهنك لانها تنم عن ضعف وعدم مقدرة على مواجهة واقع الحياة

وانت اذا كنت تحبها فعلا ، فان سعادتها في ان تتزوج ابن عمها لانك كما علمت من رسالتك ، لا تستطيع ان يحول ... حتى نفسه !!

● الى المعذبة س ع ع الكويت

– ثارت بمخالفة وثقت بما وصل اليه امره ، ومن المؤسف انك وقعت بين براثن ذئب وانانية اي جاهل. كذلك تصرفك مع هذا الشخص من اول الامر كان تصرفا خاطئا مما جعله يطمع فيك ويعتبرك فريسة سهلة. فتنجد تركت له المجال على الغارب، ولم تتنبهي لخطورة موقفك الا عندما اوشكت ان تفقدي اعز ما تملكين . فهنا ، وهنا فقط فر الرجل كسابقيه من كرامته. والآن جاء ليسأل منك بالزواج ما حرمته منه في ظل الشيطان .

وليس امامك الا حلان : اما ان تتزوجيه وتحاولي كسب وده وتطويعه ليكون زوجا مخلصا وهذا يتوقف على حسن تصرفك معه.

واما ان تخبري اهلك بكل ما حدث وتطلبي منه حمايتك من تسلط الشخص وتوسعه ، الا طرد من عمله ، ان يجد عملا آخر وفي اي مكان ، ففي الدنيا متسع لكل انسان حر شريف . وكسرة خبز على طهارة وشرف ، خير من متع الدنيا على دنس ورذيلة .





خطأ ..

● لا تحدثني عن عدالة القضاء فإن أحداً لم يجرب حظه بالقضاء قدر ما جربته أنا .

ـ وماذا كان الحكم في قضيتك ؟ .

ـ البراءة !

قديمة .. لكنها لطيفة !

● جلس اثنان من مدمني الحشيش يتحدثان .

الأول : إنني مستعد لأن أعطيك مليون دينار إذا استطعت أن تتسلق شعاع ضوء مصباح اليد .

الثاني : إنني أفهم حيلتك وألاعيبك ، ستقوم بإطفاء المصباح حينما أصل إلى نصف الطريق !!

المجانين في نعيم !

● مجنونان كانا يركبان دراجتيهما ، وفجأة وقف أحدهما ونزل من دراجته وفرغ هواء العجلة الخلفية . فلما سأله الثاني عن السبب قال :

ـ إن المقعد مرتفع جداً .

فما كان من المجنون الثاني إلا أن حل صامولة المقعد وجعله في اتجاه عكسي وبعدها شد العجلة . ولما أراد الأول أن يعرف منه ماذا يفعل قال :

ـ إنني عائد من حيث أتيت ، لأنني لا أريد أن أتنزه مع شخص مجنون مثلك .

« وراه .. وراه » !!

● اضطرت الزوجة الشابة أن تذهب لزيارة والدتها المريضة لعدة أيام ، وتركت عدة رسائل في البيت لتخدع بها زوجها .. واحدة فوق وعاء السكر تذكره بحبها ، وواحدة فوق الثلاجة تذكره [illegible] . وبينما كان يرتدي أحد قمصانه البيضاء المكواة ، سقطت من جيب القميص ورقة ، فالتقطها وقرأ ما فيها فإذا هو :

ـ إلى أين أنت ذاهب حتى تلبس القميص الأبيض ؟

الرد خالص

● التقت كاتبة شهيرة بممثلة شهيرة أيضاً في إحدى الحفلات . فقالت الممثلة تحاول أن تنال من الكاتبة : « لقد قرأت كتابك الأخير .. إنه رائع ، ترى من الذي كتبه لك ؟ »

فقالت الكاتبة : « **لكم يسرني تقريظك كتابي ، ولكن .. من الذي قرأه لك ؟** »

معقول

● **القاضي** : أصحيح أن صديقك معتاد على التحدث مع نفسه حينما يكون وحيداً ؟!

الشاهد : الحقيقة يا سيدي أنني لم أكن معه أبداً حينما كان وحيداً !

حضارات سادت .. ثم بادت

بقية المنشور على صفحة ٢

ويبدو ان الحضارات القديمة كانت احنى على الأحياء من حضارتنـــا الحديثة .. فقد كشفت الحفائر الأثرية في قصر الملك « مينو » Minos ، بمدينه كانديا Candia بجزيرة كريت ، عـــن حضارة مزدهرة ، كانت من معالمها لوحات محفورة في الجص وعلى البرونز ، تمثل لونا من الوان النشاط الرياضي الذي كان محبيـــا اليهم وهو « منازلة الثيران » .. ونرى في (ص ٢) .

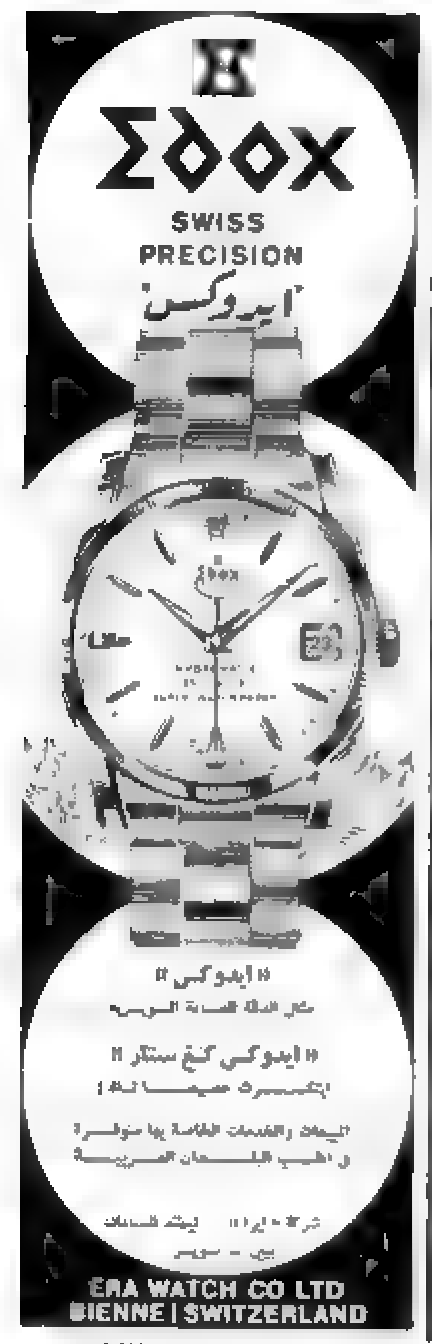
و « منازلة الثيران » تختلف في كثير عن « مصارعة الثيران » المعروفة في ايامنا هذه ، والتي اشتهرت بهـــا اسبانيا .. فهي لم تكن تنطوي على عنف وحشي ينتهي بإراقة الدماء — دماء الثور ومصــارعه المصارع — وانما كانت رياضة تعتمـــد على خفة الحركة ، ومرونة العضلات ، هدفها الأول مخاورة الثور بمخادعته ومراوغته ، ثم الافلات منه بسلام ، وبهذا كانت « منازلة الثيران » رياضـــة اكروباتية راقية .

والأغرب من هذا ان بنات الأسر الكريمة — في « كريت » القديمة — كن يمارسن هذه الرياضـــة ، وكن في الغالب يمارسنها عن هواية وليس عـــن احتراف .

ومن الطبيعي ان « منازلة الثيران » كانت تفضي احيانا الى احداث خطرة ، كما يرى واضحا في الرسم المنشور في (ص ٢) والذي يصور اندفاع الثور واصطدامه بالمصارعة التي كانت تهـــم بان تقفز فوقه .

وكانت المنازلات تجري في ساحات ميوت منشأة خصيصا لايواء النظارة ، او في ساحة قصر الحاكم كما هو الحال في التشكيلة التي يمثلها الرســـم . وكان يحف بالحلبة حراس حبشيون تحت امرة ضباط كريتيين ، ونرى في شرفة القصر ســـيدات يتفرجن ، وفي الطرف الأيسر للرســـم المقصورة الرئيسية التي كان يتوسطها عمود الحكم يمثـــل السلطة الحاكمة .

وكانت اســـطح اجنحة القصر توشى بالكثير من الزخارف على هيئة قرون الثيران ، لتحميها دعائم تقيها من تأثير الهزات الارضية . كما ظهر في الطرف الايسر للشرفة على ذات حدين ، كانت من معالم الحضارة الكريتية .





قصة بقلم : ارنالدو فرانيلي

عاد في موعد العشاء الى الفندق الذي ينزل فيه . لقد انهكته الجولة التي قام بها في ارجاء مدينة الاقصر وآثارها ، وامتلأت نفسه حزنا للخواطر التي راودته عن الموت .

وعندما دخل قاعة الطعام ، وقع نظره على بعض حفنة خلف بلية الزجاج ، لمرة فجأة شعور عجيب بمرارته .

ذكرته قاعة الطعام هذه وهي المتلألئة بالاضواء ، بالضريح الذي شاهده في (طيبة) ذلك اليوم . اضواؤها كانت هي نفس الاضواء الكهربائية الشديدة السطوع التي رآها تتوهج مع الصمت الثقيل في ذلك الموضع القائم في قلب الجبل ، وتلك الصور المرسومة على الجدران لمآدب الولائم التي تبدو فيها الشخوص الصامتة وامامها اكوام الاطعمة . وجبات من الطعام ، حولها الاشباح في قاعة ، تبدى له ماثلة عبر العصور الغابرة . شعر حينذاك كأنه انسان ميت في عالم الاموات . ومع هذا كان عليه ان يغصب نفسه على السير عبر القاعة الى طاولة طعامه المعتادة .

لم تجده رحلته الى مصر نفعا .

ما اشد غباءه اذ حسب ان بوسعه التقاط خيوط الحياة مرة اخرى بمجرد زيارة يقوم بها لمعابد واضرحة عتيقة ، في بلاد لا يحصو فيها تعاقب الاجيال في اكثر من غبار يتراكم على مر القرون .

انه سيعود الى ايطاليا دون ابطاء ، ولكن ذلك غدا .

وتقدم نحوه النادل بابتسامة بعثت في نفسه شعورا بالارتياح والمتعة . فقد رغب في الوحدة ، ولكنه سرعان ما ادرك انه لا يستطيع احتمالها . وقال النادل : لقد جاءنا اليوم سيدتان ايطاليتان هناك . ثم اضاف بلهجة من يفضي بسر شخصي : وقد حجزت لهما الطاولة المجاورة لك . ورفع لورنزو بصره نحو الجهة المقصودة ولكن احدا لم يكن هناك .

— انهما لم تأتيا بعد . السيدة والآنسة مانوبيو من فلورنسا . هل تعرفهما ؟ ان حجزتهما تجاور

— انني انوي مغادرة الاقصر غدا ، ولست في شهية للطعام .

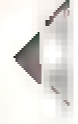
كان لورنزو متعبا من الطعام عزوفه عن اي شيء آخر . كان بعض الزاد صار مقلقا لا يسمح فيه لاحد منذ وفاة زوجته . زوجته التي علمته كيف يكون الحب ، المرأة الوحيدة التي احبها حبا خالصا طيلة حياته . لقد منحها كل شيء اوسعته

بصورها كل شيء . وها قد ذهب كل ذلك جميعها.
لكن ما يزال يحيا في الذكريات التي بقيت له منها،
يصاحب شعوره بأنه لم يبق له هدف يواصل
الحياة لأجله . وإذا حدث أن انصرف انتباهه
إلى ما يراه حوله ، فإن (ليندا) كانت تجيء على
الانتظار وتقف أمام عينيه . فيحس بنوع حسن
نابت الشعور في زاوية مظلمة من حنايا صدره .
لقد أسدل ستارا بينه وبين العالم ، كأنه ستار
ما بين الحياة والموت ، ومن خلاله أخذ يراقب
الناس في دنياهم ، وهم يستعرضون بضاعتهم..
ويتطلعون بها تارة ، ويقعدون تارة ، ويمضون
أخرى . ويحلل ذلك أحيانا بسخرية وازدراء .

ولقد كان العمى سببا لإرادة أصابت شمايري
شخصا يحيا حياة خصبة حافلة ، كذلك الرسام
الفرنسي الكسيح الذي عاش يخط شعره الـ
ترى ماذا يدفعه للصمت بصوت عال مع الثقافة
الأمريكية ؟ إنهما لا يتفقان .

وكان على وشك مغادرة مقعده من مائدته مقتحما
عن أمامه الآن شخصان ، انضما إلى المائدة المجاورة
له لم تعد خالية . وبعد لحظات اختلس نظرة
محلقة نحو القادمين .

بدا له من النظرة أنهما سيدتان ، تختلفان
مظهريهما لأصل واحد ، ولكن إحداهما صبية
ناضرة ، بينما تجاوزت الأخرى مرحلة الشباب .



من الواضح أنهما أم وابنتها ، لأن تشابههما كان بيّناً رغم الفارق الكبير في السن . وربما لم تكن الأم قد جاوزت الخمسين من عمرها ، ولكن كتفيها كانتا منحنيين، وظهرت التجاعيد الكثيفة تحت عينيها . أما الابنة فقد كانت تجتاز ببهاء سنيها الخامسة والعشرين ، وكان من المحتمل أن تبدو جميلة حسناء في عيني لورنزو ، لولا أنه تخيلها فجأة في الحالة التي ستنتهي اليها عندما تبلغ عمر المرأة الجالسة الى جانبها . لقد رأى بعيني خياله كيف يمكن لخمس وعشرين سنة اخرى أن تبدل من لون ذلك الشعر الفاحم السواد ، وأن تحني هاتين الكتفين الرشيقين ، وتعبث بالبشرة الناعمة وبامتلاء خديها المشرقين .

ورغم هذا كله ، فإن تلك النظرة الخاطفة بعثت في نفسه احساسا غامضا بها . ربما لأنها كانت تشبه ليندا . ولقد أخذ الشبه يتضح له شيئا فشيئا حتى أخذ يسبب له ما يشبه الألم .

ورمقته الفتاة بنظراتها عندما أحست أثر نظراته اليها. كانت نظراتها باردة لا تعبر عن الحياة المتدفقة التي عشقها في عيني الأخرى، عيني زوجته الراحلة. انها فتاة عادية ، واحدة من كثيرات . وساءه التفكير على نفسه بسبب اهتمامه بها . ونهض بسرعة ثم غادر القاعة الى الطابق العلوي . وكان يعلم انه لن يستطيع النوم ، فهو يقضي لياليه ضحية الأرق . لهذا ذهب تواً الى الشرفة المطلة على النيل وجلس فيها يتنشق نسائم السماء العليلة .

كان الطقس دافئا في يناير (كانون الثاني) كما كان في روما اثناء شهر مايو (أيار) ، وفاحت نسمات من حديقة الفندق بالروائح العطرية ، وارتفع القمر في السماء فغمر بأضوائه النهر والسهول المعشوشبة وأشجار النخيل ، كما كشف عن الجبل العاري الذي تحيطه الرحبة لا حد لها وبدا القمر كأنه كان يسبح في السماء . وخفتت الأصوات المنبعثة من قاعة الفندق ، فساد سكون لم يلبث أن قطعه باب الغرفة المجاورة عندما فتح وأغلق . وارتفع صرير الأرض الخشبية تحت وقع قدمين ، ثم عاد الصمت الشامل . لابد أن الوقت كان متأخرا . وعاد لورنزو الى حجرة نومه وألقى نفسه على فراشه .

في تلك اللحظة بدأت جارته تتحرك مرة أخرى. لقد سارت عبر الحجرة وفتحت درجا ، ثم فتحت صنبور الماء ، وأجابت بصوت عال على سؤال ما من الحجرة الاخرى : كلا . لن استطيع أن أنام، يا لها من ليلة رائعة . ثم نفثت عنها ضحكة قصيرة مرحة .

وارتعش لورنزو . احس بالدم يجري في عروقه وقلبه ، ويرتفع في حلقه كأنما يريد أن يخنقه . لكن ذلك صوت زوجته « ليندا » يأتيه الآن خافتاً، كما كان يصل اليه قبلا اثناء حديثها معه بالهاتف كل صباح ، اذ يسألها : أهذه أنت ؟ وتجيبه ليندا بعد لحظة : أجل . ويصل اليه على حين غرة تلك الضحكة القصيرة المرحة كهذه التي سمعها الآن . منذ موت زوجته أخذ يرتعش كلما دق جرس الهاتف في مكتبه . وهو ما يزال على هذه الحال رغم مرور عام كامل . ولكن صوت « ليندا » لم يعد يصل اليه بين أصوات الناس الكثيرين الذين يتحدثون اليه .

وها هو الآن يرتعش مترقبا وقد تعلقت حياته كلها على ذلك الصوت . كان يرتفع وينخفض كما يفعل الموسيقار وهو يبحث عن نغم معين . ولم يستطع أن يعرف نوع الاغنية ، لأن جارته كانت تتنقل في ارجاء الحجرة . كانت تغني بصوت خافت لكي لا تزعج نزلاء الفندق . ثم بدا كأن الصوت مس الليل فارتفع قليلا ومسح على جبينه. واستطاع أن يميز اللحن وكذلك الكلمات . كانت الأغنية « سيبو البحر الأحمر » التي تقول : « غني لست ! أي مراة لي في حقل النسيم ، في الأمس البرحة » . كان الصوت ما يزال خافتا ويكاد لا يخترق الجدار. ومع ذلك فقد كان مشبعا بحنين عميق يبعث في الأغنية نشيجا باكيا يبعث رجعة الألم في سكون الليل .

وردد الصوت ثانية « غني لست ! » بينما طغى عليه صوت رخات الماء . لا بد أن جارته كانت تستحم .. ثم سمعت تغني مرة أخرى ، الأغنية مرحة هذه المرة .

وقفز لورنزو من فراشه . ووقف حافي القدمين في الظلمة مشدوها ، وعيناه متعلقتان بخيط الضوء المنبعث من ثقب مفتاح الباب الذي يفصل بين الحجرتين . أليست هي « ليندا » زوجته بعينها ؟ هذه الفتاة التي تقيم على بعد خطوتين؟ إن الصوت هو صوتها ، وطاقة الفتاة للترويح عن النفس هي طاقتها ، والترنيمات التقليدية الحبيبة هي ما عرف منها . ومرت دقيقة حافلة بأعمق معاني البأس . ثم أتتها سعادة الشعور بالحياة وأحلام هائمة في كيانه مثلما كان يحس وهو يعيش معها ويسمع تلك

قصور البوار . واحس بموجة من الحنان تغمر ما فيها من حياة وانوثة .

وفجأة ، ذكره صوت رشاتي الآن ، بصاحبتها الوردودة التي لم يجرؤ طوال عام كامل على استعادة ذكرياتها . واحس كأن قبسا من اللهب يلسع ظهره . انها « ليا » لا سواها . يجب ان يراها . يجب ان يراها مرة اخرى . وتقدم وجلا من الباب ووضع عينه على ثقب المفتاح .. شاهد النمامها خفيفا يضيء جانبا من الحجرة ، وجبة مفتوحة فوق كرسي ، ومسجا عليه بعض الثيـاب الملقيه . كان حوض الغسيل قرب الباب بعيدا عن مدى بصره . لم يستطع ان يرى الفتاة رغم سماعه صوتها . وعلى حين غرة خفق في الضوء ظل ارجواني ، جانب من جسد ، ربما يكون ذراعها . وفجأة انطفأ الضوء . جسد حتى جسد الليلة . وطعمه الشوق الى « ليتا » ، فالقى بنفسه مرة اخرى على الفراش وعض الوسادة باسنانه وهو يشد عليها باصابع يديه . كان عذابا لشدته الرغبة المحرقة وسذاجة الحنان الجارف . ولكنه على الاقل ما يزال حيا . لقد عاد الى الحياة مرة اخرى ، واخذ ينتحب بينما كان خياله يسبح في عوالم لا حد لها .. وطلع الصباح وهو ما يزال يشد على الوسادة بيديه .

وعندما نزل ليتناول طعام الافطار ، وسأل عن السيدتين الطورسيتين ، قيل له انهما ذهبتا في جولة ، ومن المحتمل ان لا تعودا قبل وقت الغداء . وفجأة بدا له النهار طويلا فارغا .. وقضى كثيرا من وقته قلقا يتجول هنا وهناك . وحاول بعد الغداء ان ينام كي يهدئ من قلق الانتظار . وقبل ان تغيب الشمس غادر غرفته .

وبينما هو يعبر الحديقة شاهد الفتاة تجلس امام الرسام الفرنسي الشاب ذي الشعر الاحمر وهو يرسم صورتها بقلم الرصاص . اما الام فقد كانت تجلس غير بعيد تطالع كتابا . وشعر بكراهية حقيقية لهذا الفرنسي الذي كان يستغل رسومه الرديئة فخا لاصطياد اجمل الفتيات من نزلاء الفندق . لقد راى ثلاثة منهن يقعن في الفخ خلال الايام الثلاثة الماضية ' وستكون هذه الرابعة . اما الآن ، وقد مر كابوس الليلة السابقة ، فقد ادرك انها لم تكن ليا . كانت ليتا مختلفة اختلافا بينا . ولكن التشابه في الصوت ، اجتذبه الى هذه الفتاة بصورة لم يكن يحسب انه يستطيع بلوغها مرة اخرى . وها هو ما يزال يحس في قلبه وأعصابه بتلك الرعشة المضحكة بالحنان التي بعثتها جارة الفندق فيه .

وجلس غير بعيد . وحاول ، دون جدوى ، ان يلفتها اليه . لم تلق عليه الفتاة سوى نظرة واحدة ، حتى تلك النظرة بدا انها جاءت بمحض الصدفة لما تحمل من دلالة على عدم المبالاة واصغى الى حديثها مع الرسام ، فادرك انه لا يعدو نطاق الثرثرة العابرة لفتاة عصرية . وخيل اليه ان صوتها لا يشبه الصوت الذي سمعه ليلة الامس ، وضحكت مرة فعرف ان ضحكتها تختلف عما كان يتوقع .. واستقر يطبقه قلق الترقب حتى ينتهي الرسام من عمله . وبينما هو ينتظر ، جاء شابان امريكيان ليصطحبا الفتاة وامها . واستطاع لورنزو ان يستخلص من سير الحديث ان الشابين يدعوان الام والسيدة لتناول طعام العشاء في فندق آخر حيث ستقام بعد ذلك حفلة راقصة .

وقال النادل : ارى انك لم تسافر اليوم يا سيدي

ورد عليه لورنزو بجفاء : ربما اسافر غدا ، ولكنني لم احزم امري بعد . انني انتظر رسالة .

ومضى وقتا طويلا وهو يذرع شوارع الاقصر القليلة الخالية من المارة . وشعر بالوحدة والضياع كانما ألقي به في اقصى اطراف المعمورة . يجب ان يسمع صوتها مرة اخرى ، انه لا يستطيع ان يأوي الى فراشه قبل ان يسمع ذلك الصوت ومضى ينتظر عودة الفتاة في حديقة الفندق حتى موهن من الليل . وبعد لأي صعد الى غرفته واستلقى على فراشه وعيناه معلقتان في الظلمة باتجاه الباب الموصل بين الغرفتين . لم يكن هناك شعاع نور يطل من ثقب المفتاح . واضطربت افكاره ولعبت عيناه من جراء الترقب المضني . ومرت به تصورات غريبة كانها الاحلام ، ومع ذلك كان يعرف انه ما يزال مستيقظا .. وعلى حين غرة سمع لغطا ، وحديثا باصوات مرتفعة ، وحركة في الممر ، واغلاقا قويا ثم قفز من فراشه وخرج الى الشرفة وعيناه ما يزال عليهما النعاس . كانت لم يكن شاقا . واحس لورنزو بهبوب الانفاس . الشمس قد ارتفعت الى كبد السماء . لا بد ان الساعة قد بلغت التاسعة صباحا .

ومرة اخرى سمع صوت « ليا » في الحجرة المجاورة وهو يرتفع في اغنية طيبة . بدا الصوت نقيا نقاء عجيبا واكثر حلاوة ولينا من اي وقت مضى . لم يستطع التقاط الكلمات ، كما ان اللحن

لقد عرفت الآن أن الفتاة كانت هناك ، وسينتظر بيانها حتى يتحدث معها ، ولكن من المحتمل أن تفتح النافذة المواجهة للشمس .

ولم يخب ظنه ، إذ فتحت النافذة وانطلق الصوت من الفيروز . وظهرت ذراع لم تعد تحتفظ برشاقة أذرع الصبايا،كما بدا رأس يطل الوجه منه شعر كث طويل وخطه الشيب . كانت المرأة تلتي وهي تمشط شعرها،ولا بد أن سنيورا ناطليا أبلغها أن شخصا يراقبها ، لأنها استدارت بحدة في مواجهته . واعتراها الخجل فصمتت هنيهة ثم ابتسمت ، وندت عنها ضحكة قصيرة كتلك التي سمعها الليلة الفائتة .

ووقف لورنزو حائرا مرتبكا . وفي لحظة الصمت تلك بدا كأن شيئا ثقيلا يسقط ثقله على حواسه . لقد انتهى كل شيء .. وحاول أن يعثر على سجيته فقال :

ـ أأنت يا سنيورا التي كنت تغنين تلك الليلة ؟ لقد حسبت أن ابنتك هي التي كانت تغني

ـ أزعجتك ؟

ـ في الحقيقة ؟ . أن لك صوتا رائعا .

ثم أضاف بعد لحظة : لقد جعلتني أعاني قليلا بسبب ما فيه من الذكريات،ولكن تأكدي لقد انطبع أنك لا بد قد عانيت من الذكريات أيضا .. أليس تلك الأغنية « نسيم النيل الأخضر » ؟

ـ ذكريات بعيدة جدا يا عزيزي البروفسور . لقد كبرت الآن . أغني التي بحكم العادة .

وكانت قد فرغت من تمشيط شعرها ، وخطت إلى الخلف كي تعود إلى حجرتها،ولكن، لأنها لا تبدو راغبة في قطع الحديث بصورة فظة ، سألته قائلة :

هل أنت إيطالي ؟

ـ أصلي من روما .

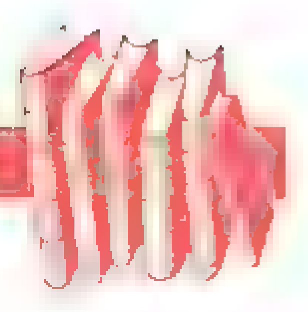
ـ هل ستبقى طويلا في القصر ؟

ـ كلا ، سأسافر اليوم بقطار العصر .

ـ مع السلامة فإن ابنتي تستعجلني للخروج .

وأغلقت النافذة . ■

ترجمة : سليمان موسى



الجديد في مرض السكر

● « الدليل العربي الأول الذي يتناول أسباب مرض السكر ، وعلاجه ، ومضاعفاته وغذاء المرضى به ، وطرق الوقاية منه . »

لهب وطب

● ديوان شعر من قصائد ، ... شعر ، ... الجسم العربي ، ...

الدم ومعركة المصير

● مجموعة أقاصيص منها « الدم ومعركة المصير » « عندما يودع الرجال » « مات مع الفجر » ...

ممارسة الطب وعمل السطوح

● ... هذا الكتاب إلى المكتبة ... مرجعاً جديداً في فرع فريد من الخبرات تتطلبه ... الصناعة الحديثة ، وسوع الإنتاج ... التي تصير ... في الحكم على كفاءة إنتاج ... رسالة .

فكرة المسرح

● « كتابنا هذا ينظر الى الدراما نظرة جديدة يرتد بها الى جذورها الاولى الشعائر والاساطير ، ثم يعود فيصعد بها الى العصر الحاضر مبشرا بالدراما في العصر القديم وعصر النهضة والعصر الحديث . »

مسرح عربي قديم

● « كان لخيال الظل اثر كبير في حياة شعوب الشرق الاسلامي . انه اثر اداة تعبيرية شعبية عاشها الشعب كتاب وفنون نشأوا في بيئات الشعب ، وعاشوا تجاربه واحاسيسه . فعكسوها بأمانة واخلاص في شكل اثر فنه ، فوجد فيها مجالا للتنفيس عن كربه ، ووسيلة للتخفيف من آلام الكدح والشقاء في سبيل العيش . »

في الثقافة والأدب

عبد الكريم غلاب ـ مطبعة الاطلس

● من فصول الكتاب : مستقبل الثقافة في المغرب ، الاستعمار الفكري ، ملامح الادب العربي الحديث في المغرب ، دور الادب في الكفاح الوطني ، الالتزام في الادب الجزائري ، الدولة والادب ..

الهاوية

● مسرحية في ثلاثة فصول .

التائه

● مجموعة مقالات قصيرة منها : الجسد والروح ، السلم والحرب ، الراقصة ، المحبة والبغضاء ، الضفادع ..



بريد القراء

(بقية المنشور على صفحة ٧)

بعض العبارات لم يكن نشرها سليما مما يورثها الضعف والوهن » ....

عمان ـ الأردن * محمد عبد الله خلاد

المروءة [illegible] هذه الأبيات التي شككت في نسبتها مرة ، أخطأت في الصفحة بكثرة ، وأن ناسا كتب أخرى نسبها لصاحبي من مرداس ونحن نحيلك على كتاب واحد ، هو من أمهات الكتب ، لتقطع الشك باليقين انظر مثلا زهر الآداب للحصري ، الجزء الثاني ، صفحة ٦١ ، تحقيق الدكتور زكي مبارك ، ونشر المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ، وستجد فيه هذه الأبيات كاملة

كما انك يا أخ محمد ، ستجد من النصيحة في الكتب كما نشرناه نحن ، دون تحريف أو حذف ، [illegible] منها ؛ ولعلك لو عدت الى قراءتها ثانية لاستبان لك ما كان غائبا عليك

والاختلاف في رواية القصائد العربية القديمة أمر طبيعي ، لاعتمادها على الرواية الشفهية

اين ولد ابي الحسن الشاذلي؟

■ قرأت في العدد ٦٧ من « العربي » مقالا تحت عنوان : حياة أبي الحسن الشاذلي بقلم الدكتور جمال الدين الشيال ، الذي كتب عن هذا العالم القري وعن نسبه فقال : ان أبا الحسن الشاذلي ولد في قرية غمارة قرب سبتة ، وينتمي

الى قبيلة مرزن . وانا لا اؤيد هـذا القول لان نسب القطب الشهير ابي الحسن الشاذلي ومشائخه واسمه ، هو ما ذكره العلامة الشريف السيد محمد بن الصادق بن ريسون ، وكان وزيرا للملك المغرب الاقصى سيدي محمد بن عبد الله العلوي ، ونصه ما نصه :

« السيد أبو الحسن الشاذلي ، سيدي علي بن عبد الله بن عبد الجبار بن يوسف بن احمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن يوسف بن الحسين بن ادريس بن عمر بن ادريس بن ادريس بن عبد الله تلميذ قطب الاقطاب مولانا عبد السلام بن مشيش » .

ثم قال : « ولد رحمه الله بقبيلة الاخماس لسعلي سبتى مدوبل » وقال : « وسب قيدتم به ، وانتسب منه ، ان نسب سيدنا ابي الحسن الشاذلي الذي ذكره ابن عطاء الله من علم المصري غير صحيح ومما يدلك ان البصري لم يحقق المسألة موله الشاذلي مولدا ، ومعلوم قطعا انه لم يولد بشاذلة » .



امتعكم الله في خدمة الوطن العربي والسلام

الزبائع ادريس العياشي
المعهد الديني تطوان – المغرب الاقصى

قبطان طائرة نفاثة، من نيويورك إلى لندن - ٣,٥٠٠ ميل - في ٦½ ساعة. طائرة تحمل مائة وأربعين راكبًا واثني عشر ملاحًا، وثمنها خمسة ملايين دولار. عمل خطير يقوم به رجل ناجح. إنه يدخن السيجارة ذات النجاح العالمي - ثلاث خمسات فلتر كنج.



فن التجمل

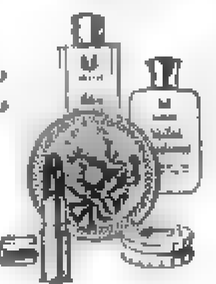
عندما تختارين مستحضرات اليزابيث آردن ستجملين ، فانك بذلك ستحصلين على ما هو اكثر من زيادة جمالك . فانت ايضا تكتسبين الصحة الفائقة لجلدك .

اختاري «اليزابيث آردن» لجمالك اليوم وعلى الدوام.

فلفا موستشر فلم — فيلد ريدياس

انفزبل فيل باودر — روج — ليبستك

Velva Moisture Film Veiled Radiance Invisible Veil Powder Rouge Lipsticks



Elizabeth Arden

اليزابيث آردن

NEW YORK · LONDON · PARIS

باريس   لندن   نيويورك

صداع، أوجاع وآلام،
حمى، رشح وانفلونزا؟

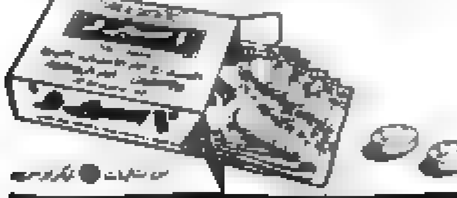
'أسبرو' يعيد لك الصحة..



'أسبرو'
يجلب لك
كل راحة

إذا أحسست بألم مما يمكن أن تخففه قليلاً، فإنك تحتاج إلى الراحة السابغة التي يحققها لك 'أسبرو'. تذكر أن 'أسبرو' هو الدواء الذي يستعمله الكثيرون من الناس في العالم كله، أكثر من أي دواء آخر لإزالة الألم وتخفيض الحمى. اجعل 'أسبرو' في متناول يدك على الدوام

١ يزيل الصداع
٢ يخفض الحمى
٣ يهدئ الأعصاب
٤ يسكن الأوجاع
٥ يخفف أعراض الرشح



'أسبرو' يجلب لك كل راحة



أفران
هاردويك
الأمريكية
أجمل ما أنتجت
المصانع الأمريكية
من أفران الفاخرة
أحجام مختلفة
بأسعار معتدلة
مؤسسة الأجهزة الالكترونية
عمارة جوهرة الخليج - شارع عبد الله السالم و الشارع الرئيسي
بالفحيحيل
هاتف
٣٩٣٠١ - ٣٥٩٨٥

تويوتا ٧٠٠

تكفل لك توفير اموالك !

فهي تستهلك غالونا واحدا من البنزين في كل ٥٠ ميلا سواء في الداخل او على الطرق الخارجية .

ولقد صممت لتعيش سنوات وسنوات ، فهي الآن الخيار الابقى ، حتى لو استعملتها في المسالك الوعرة .

وعلاوة على ذلك فان « تويوتا ٧٠٠ » فيها تتسع بسهولة لاربعة اطفال . وهكذا رحب العيش . وهي خلافا لما يتعرض له غيرها من السيارات الصغيرة ، لا تتأثر مطلقا بالرياح العاتية لانخفاضها ، ورزينة في سيرها السريع.

من اليوم .... استعرض « تويوتا ٧٠٠ » ولا تترك الفرصة الا وانت تقودها . ثم لاحظ توفير اموالك بسببها .



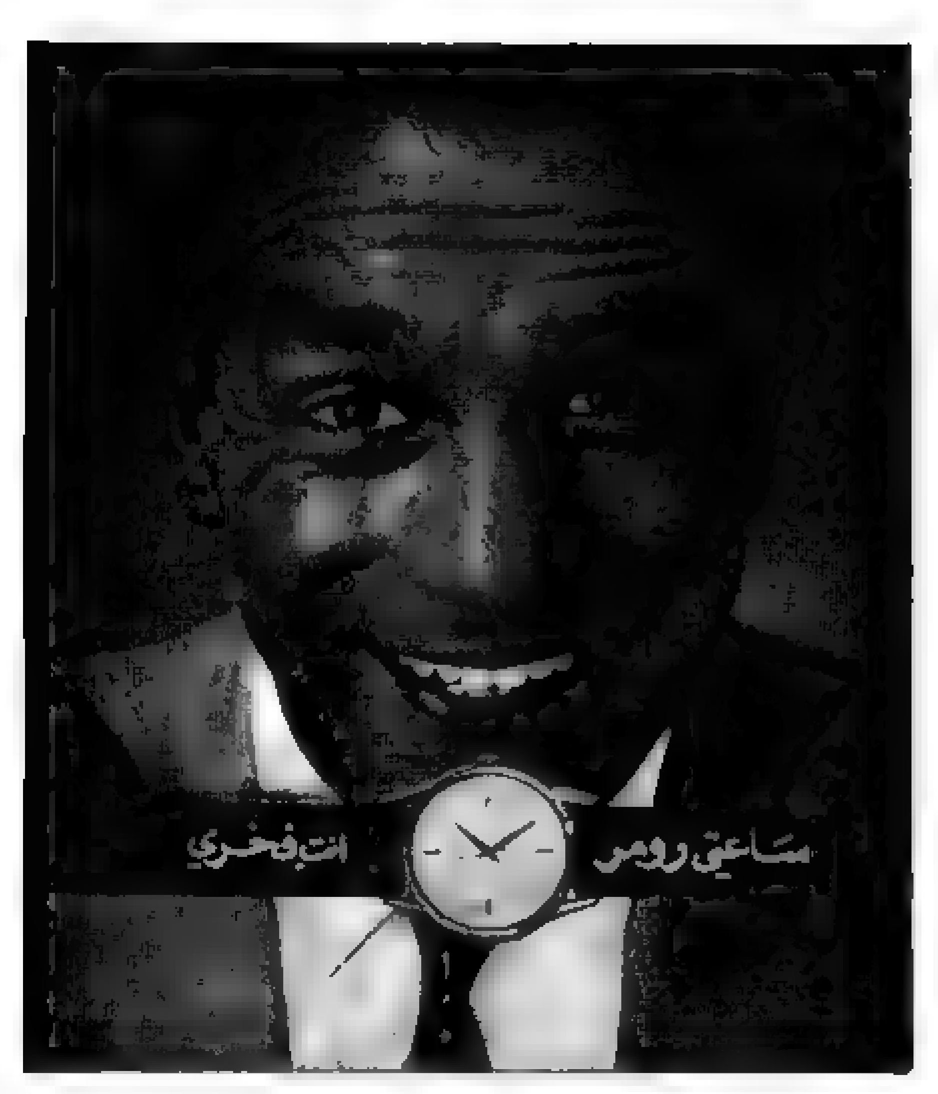
الرجل العصري يطير فجأة في رحلة مهمة من المطار الخاص لمدينة كان

الرجل العصري يعيش في عجلة سرعة [illegible]
[illegible] لحظة من طائرة خاصة [illegible]
الاستمتاع بأعاصير من ڤايسروي بالعلم [illegible] من بين الأنواع
العديدة التي تعرض بها الأسواق ، يختار الرجل
العصري سيكارة ڤايسروي – سيكارة الذوق للمدقق!



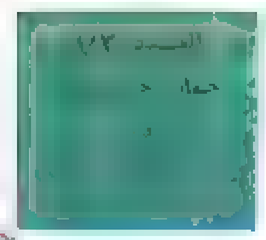


ڤايسروي السيكارة الأمريكية العالمية



ساعتي رومر
انت فخري

العربي



أطلب
مع هذا العدد
العربي
الصغير

حوار

١٢٠٠

دينار سوريا



وبجنبي القوات المسلحة ، الرئيس جمال عبد الناصر ، يرحب بأمير الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح ، ووزير خارجية الكويت الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح ، عند وصولهم مع وفد الكويت الى القاهرة ، لحضور مؤتمر دول عدم الانحياز

عزيزي القارىء

في آخر لحظة قبل الطبع ، لم نجد في أحداث الشهر حدثاً يسجله أخطر من حدث اجتماع المؤتمر الدولي لدول عدم الانحياز . الذي اشترك فيه دول عدة ، من الافريقية ، والآسيوية ، والامريكية ، والاوربية .. ولكنها تمثل الجزء الثالث من العالم الذي اعوزته القوة واسباب القوة ، وهو الاقل قدرة على ممارسة الشر . ومع هذا فعنده الرأي يحسه ، والرأي يذيعه . والمؤتمرات كالمنابر ، ينضج حولها الرأي العام ويربو . ومؤتمر عدم الانحياز الأول اجتمعت فيه نحو ٢٧ دولة . والمؤتمر الحالي اجتمعت فيه ٤٧ دولة . والرأي العام العالمي اذا تجمع وانتشر كان أقوى من مدفع ومن ذرة ..

منظر عام لجلسة الافتتاح في قاعة الاجتماعات بجامعة القاهرة



رئيس التحرير: الدكتور أحمد زكي

مجلة عربية مصورة شهرية جامعة
تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت
AL ARABY No. 72 November 1964 P.O.B. 748 KUWAIT
[illegible]
العنوان بالكويت: صندوق بريد ٧٤٨ تلفون ٢٦٤١١ تلغرافيا «العربي»
الاشتراكات: يتفق عليها مع الإدارة [illegible] الاعلانات
المراسلات: تكتب باسم رئيس التحرير

[illegible]
(انظر استطلاع صفحه ابتداء من صفحة ١٦٨).

ثمن العدد : بالكويت ١١ [illegible] ... [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] تونس والجزائر [illegible] المغرب [illegible]
[illegible] ليبيا [illegible]

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة [illegible] طالب الاشتراك [illegible]
في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة [illegible] بين المشترك والموزع .



اسرائيل في يوغوسلافيا

● لشد ما أدهشني قول ظهر في العدد ١٦٧ من « العربي » مفاده أن يوغسلافيا لم تعترف بكيان الدولة المسخ اسرائيل . وهو زعم باطل ودليل ما أراه بأم عيني هنا في يوغسلافيا، حيث قدر لي أن أعيش كطالب علم ... أما ما أراه فهو العلم الاسرائيلي الذي ترفعه السفارة الاسرائيلية في بلغراد كل يوم سبت ، والصور الحية في اسرائيل .. علما بأن تلك السفارة قريبة جدا من مبنى السفارة السورية في هذه الديار !

عبد الرؤوف الشيخ علي الطالب الفلسطيني بيوغوسلافيا

حول قصيدة « نجوى الرسول الأعظم »

● نسأل الله عز وجل أن يعلي من شأن مجلة « العربي » أرقى المجلات العربية على الاطلاق .. وأن يأخذ سبحانه بيدكم على الدوام الى ما فيه خير أمتنا وقادتها .

« لي أننا نرجو أن توجهوا على صفحات مجلتكم القراء شكرنا العميق واعتزازنا الكبير لحضرة الشاعر العربي الفذ الاستاذ جورج سلستي » الذي رفعنا معه في مناجاة روحية رائعة ، في قصيدته المعجزة . « نجوى الرسول الأعظم » المنشورة في العدد ٦٩ من (العربي) .

المذيع . عبد الرحمن الفلاييي
الاذاعة العربية السعودية

يا زمان « المجد » بالاندلس !! ..

● لقد عودتنا (العربي) أن تنشر في كل عدد من أعدادها استطلاعا رائعا عن احدى المدن والبلاد العربية . أرى ، ألا تستحق الاندلس منكم .. بل ألا تستحق منكم تلك القرون الثمانية الخالدات، التي ارتفعت خلالها ألوية العروبة والاسلام فوق أرض اسبانيا الجميلة .. أن تنشروا في مجلتكم - مجلة العرب الأولى - أكثر من استطلاع مصور عن فردوسنا الضائع !

محمد حسن محمود
جامعة غرناطة . اسبانيا

واذا الموءودة سئلت ! ...

● يطل الانسان على دنيانا هذه .. لا يدري أين تقوده قدماه .. وماذا سيكون حظه من تصاريف الاقدار ! .. وحين أطللت على هذا العالم ، لم أكن الوحيدة في بيتنا ، بل كانت معي كذلك أخوات خمس يطللن مثلي على أفق الشقاء الذي تكتحل بمرآه عيوننا البريئة صباح مساء ، في دار أبوينا ! ..

كان الشقاء يترعرع معنا وينمو كالطحلب على جذور حياتنا القلقة .. كما كانت المشاكل تزداد وتكبر كلما تقدم بنا العمر وكبرنا . وأخيرا فهمنا السبب الكبير الذي جانبنا الزمن لأجله : لعنتنا أننا ولدنا اناثا ولم نولد ذكورا !!

من الخطأ الظن بان تأييد يهود امريكا لاسرائيل قد فتر ..

● مقال الدكتور على احمد على « نيويورك : عاصمة اسرائيل » بالعدد ٧٠ ، يحوى تحليلا مصيبا لاوضاع اليهود في الولايات المتحدة . وانى اذ اشكركم لنشر هذا المقال الذى من شأنه تنوير القارىء العربى عن المصدر الرئيسى لمعونة اسرائيل ودعمها ، اورد التعليق التالى على مقال الدكتور على :

من الخطأ الظن بان تأييد اليهود الامريكيين لاسرائيل قد فتر في السنوات الاخيرة . ودليلنا الاول على ذلك هو ازدياد تبرعاتهم السنوى لاسرائيل نتيجة للضغط المتواصل من قبل منظمة جمع التبرعات اليهودية " United Jewish Appeal "

ولتكر هذه المنظمة طرقا عديدة لجمع التبرعات منها اخرها في الاسبوع الماضى لجمع مبلغ ١٢٧ مليون دولار لتنفق على بناء وتجهيز ٧٢ مدرسة ثانوية في اسرائيل وتدريب المعلمين اللازمين لهذه المدارس .

وهنالك جمعيات صهيونية عديدة تقوم بحملات دورية لجمع التبرعات كجمعية سيدات هداسا التى تعنى ببناء المستشفيات وتدريب الممرضات في اسرائيل ، وجمعية اصدقاء الجامعة العبرية التى تجمع التبرعات لهذا المعهد .

وبالاضافة لما تقدم يقوم الصهيونيون بجمع التبرعات فرديا كلما واتت الفرصة ، كجمع التبرعات لغرس غابة في اسرائيل عن روح المتبرع او بناء مركز للشبان في اسرائيل يحمل اسم الرئيس الراحل جون كنيدى .

وتقوم المنظمات والمعاهد التعليمية بترتيب رحلات للفتيات والفتيان اليهود بقصد الدراسة والاستجمام في اسرائيل . وتجلب هذه الرحلات المنظمة الاف الشبان والشابات لاسرائيل كل صيف . ويجدر بالذكر ان بن غوريون كان الداعية الاول لجلب الشبان اليهود لاسرائيل للحفاظ على الرابطة الروحية والثقافية بين يهود اسرائيل ويهود امريكا .

اخلص من هذا للقول بان تأييد يهود امريكا لاسرائيل لم يفتر ، والدكتور على مصيب في قوله ان التنظيمات الصهيونية تستغل الازمات وتجسم احداث الشرق الاوسط لتؤمن استمرار جمع التبرعات لاسرائيل ومواصلة الشعور بالقلق على مصيرها .

فاروق مولوى
مدير مكتب الاعلام العربى في سان فرنسيسكو

.. كان هذا ، ذنبنا الاعظم الذى لا يغتفر !

.. هذا الذنب الذى اجاز لوالدتنا ان يوقعا بنا مختلف صنوف العذاب والاضطهاد ، وان يعاملانا بأشد القسوة والايذاء !.. ودفعا على كرامتنا وتشديد الرقابة علينا ومنعنا من الخروج والاتصال البرىء بالناس ، ومن زيارة الصديقات لنا في بيتنا . وفي الوقت الذى كان ابونا يغضب منا لاتفه الاسباب ، كان لا يتورع — هو ووالدتنا ايضا — عن اغداق خالص الحنان والمحبة على اخواننا الذكور الثلاثة المستترين بكل عطفهما وحبهما . وويل لنا ان ازعجنا مقام هؤلاء الاخوة بكلمة عابرة او تأنيب لا بدّ منه او اى احتكاك يعرضه التعايش الاخوى في اى منزل ! ..

ولو كانت القضية منحصرة في فقدان حنان الاب وحده ، لهون من قسوتها التجاؤنا الى كنف الام الرؤوم .. ولكننا في الواقع فقدنا الحنانين على السواء .. واذا بلغتنا تعرفين والدتنا على تضييق قبضته علينا وضربنا وشتمنا والتنفيس عن حقده وحنقها علينا .

برمك يا سيدى ، لم نعد نحتمل اكثر مما احتملنا .. وخاصة اننا في دوّامة تأبى علينا كرامتنا فيه الاستمرار في الرضوخ لكل ذلك الاذلال

(البقية على صفحة ١٥٧)

ولاءُ المجتمع للفردِ .. قبلَ ولاءِ

بقلم رئيس التحرير

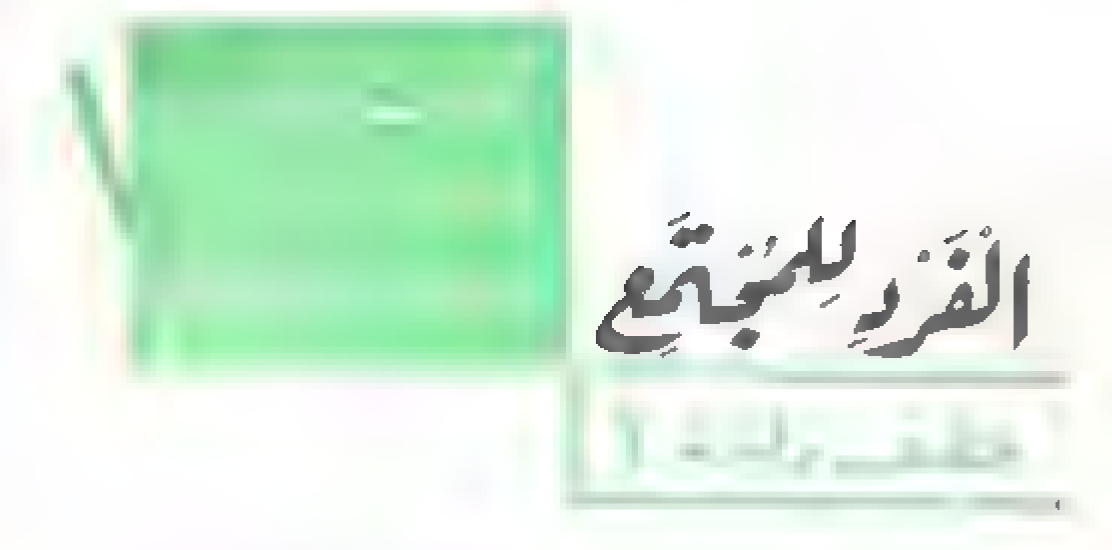
■ في هذا الصيف الماضي ، بسويسرا ، طلبنا فندقا هادئا بعيدا عن ونشاط المدن فدلونا على فندق في جبل ، وكان فندقا منعزلا ، يحطيه الشجر العالي من كل جانب . ويحملنا الى القرب بلد منه عربات تنحدر على سطح الجبل يجرها كبل ، هابطا او صاعدا .

وفرغت ايامنا في الفندق وتهيأنا للرحيل . وكان الرحيل للعودة . وكانت العودة بالطائرة . والطائرة يبدأ سفرها مرحلة في البرول ، تليها مرحلة ، تليها أخرى . وكان موعد الطائرة باكرا ، وكان لا بد من مغادرة الفندق والدنيا لا تزال ظلاما . والمنبه الكبير الذي تعود أن يوقظنا توقف عمله . وتدبرنا الامر فوجدنا السلامة في شراء منبه آخر ، واشتريناه كبيرا يملأ الكف . واشترينا ساعة ثمينة ، صغيرة ، تحمل على الرسغ . ثم خطر لنا آخر الامر أن نسأل رجال الفندق ايقاظنا في السادسة تماما . وعلى عادة حياتنا ، وخبرتنا حيث نشأنا في الشرق ، شككنا بعض الشيء في الوفاء . فقد جاز عندنا ان يوقظونا في السابعة او حتى الثامنة . والعذر دائما : والله أنسانا الشيطان . والشيطان المسكين ، يتحمل أوزارا كثيرة من أوزار الانسان .

ونمنا . وهالنا في الصباح ان يدق الثلاثة معا ، المنبه الكبير ، والساعة الصغيرة ، وجرس التلفون في الحجرة . دقت معا كما لو كانت على ميعاد . وكان الاكثر اعجابنا بالتلفون الذي دق في الدقيقة التي تمت بها الساعة السادسة .

ونزلنا الى الافطار . وكان قيل لنا انه يبدأ الساعة ٧ تماما . وتلفت صالة الطعام في الساعة السابعة الا خمس دقائق . كأن كل نزلاء الفندق نياما . ولم نسمع حركة لحي . ووجدنا الصالة مغلقة ، وجلسنا ننتظر . وفي الساعة ٧ تماما انفتح الباب ، وظهر منه وجه شاب يبتسم لنا ، ودخلنا ووجدنا مائدتنا مهيأة ، ومهيأ فطورنا .

وساءلت نفسي ما الذي يدفع هؤلاء القوم الى القيام بالواجب ، بهذه



الفرد للمجتمع

الدقة ؟ الغش أ نصب على الغير لا، فالغش في هذا الصدق محرم، والغش في المطاعم في هذه الناحية إلى الماثه، تضعها الفتاة على ورقة الحساب عند الجمع، وتدفعها الأكثر ولا تريد، إلا أن تكون من أهل الشرق، حيث تظهر حركة النفس، أو حركة [illegible]

لم أجد عذرا يعتذر إلى هذه الدقة في أداء الواجب، في هذه الشعوب وأمثالها، وهذه الدقة في أدائه، فيما ألف وألف أحوال. [illegible] بالطبع — إلا تصور علاقة الفرد بمجتمعه، تصور علاقته بالغير، ذلك الغير الذي هو مثله عضو في مجتمع يضمهما جميعا.

وذكرت، في سبيل المقارنة، ما كنت [illegible] تعمل فيها [illegible] الأبواب أول وأصبحت، حتى لتحسب أن هنالك ساعا عابثا.

وذكرت أنها دقة في الانصراف لا تماثلها دقة في الحضور.

أنا بذلك لا أمدح غربا ولا أذم شرقا.

إنما أنظر إلى ظاهرة هنالك، وأقربها بظاهرة من نوعها هنا.

ولقد صحبت دقة أولئك في أداء واجبهم هنالك، وقد صحبت كذلك قلة الدقة عند هؤلاء في أداء واجبهم هنا، وصحبت كلتيهما عملا [illegible]

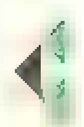
كلاهما سلوك للفرد يحسم، بحسبه شكل المجتمع الذي هو قائم فيه.

إن المجتمعات البشرية تستطيع أساسه أن يحكم عليها حكما فحكما. ليست هي من صنع الله، فهي صنعه.

ولكن مما لا شك فيه أن ولاء الفرد لمجتمعه هنالك هو نتيجة طبيعية لولاء المجتمع للفرد.

ويقولون إنه الواجب.

وعندي أن الواجب كلمة ابتذلت ابتذالا، حتى كاد أن يتلف حدها. [illegible] يريدون أن يربطوا الواجب بالضمير، فيقال يجب عليك أن تعمل كذا، أو لا تعمل كذا، لأن الضمير يرضى هذا، ولا



يرمي ذلك ... والضمير شيء مهم عند أكثر الناس . انه شيء مضمر .

وبين الناس ان معاملات الدنيا انما هي معاوضات ، وان لكل شيء ثمنا . حتى اشواق الآخرة انما هي من لصالح الاعمال في هذه الدنيا .

فكل واجب يقوم به انسان ، انما يقوم به لأن له ثمنا . هذا ما يفهمه السواد . وانا كثيرا ما اود التحدث الى السواد ، بلغة السواد ، لانهم الشعوب ... ولان التحدث اليهم اجدى من التحدث الى الملاقنه . وهم الذين يحرون احياء ويبقى يحربها الملاقنه

والفرد يؤدي واجبه بقدر ما كان له مكان في المجتمع . وما عطف عليه المجتمع ، ولاء بولاء . وليس ينكر احد ان مجتمعات الغرب اكثر ولاء للفرد من مجتمعات الشرق . ولست أقول ان الغرب بلغ الغاية من ذلك ، فهيهات ، وانما اقول انه بلغ فوق ما بلغنا ، وفوقه كثيرا . ولو نحن نظرنا الى تعاليم شرقنا ، وما تهدف اليه صراحة واستلزاما ، لوجدنا ان الغرب كان اهدى بهذه التعاليم مما نحن بها اهتدينا .

ولكنها تعاليم بقيت عندنا مكتوبة على ظهور ورق ، وفي بطون كتب ، نفتحها بعد ، لنظهرها ، ولنقولها او نكتبها ، في موقف للفخر او التحدي ، ولو غير صادق .

ان المجتمع الشرقي عامة ، حق الفرد فيه مستباح . ولهذا استباح الفرد حق المجتمع ، فكان من ذلك الاهمال ، وكان الاهمال ، وكان العمل الاقل للاجر الاكبر . وكان حتى ضياع الثقة بين الفرد في المجتمع واخيه ، لضعف الرابط الذي يربطهما .

اذكر انى قرأت لمؤرخ يؤرخ للهند يقول : لم يكن الهندي في عهد الاحتلال البريطاني يحس بان له دولة . كانت الدولة الهندية ، دولة غريبة عنه ، اجنبية . مجتمع هائل نعم ، ولكن ليس هو منه في شيء . مجتمع لم يكن له في صياغته من نصيب . والفرد في المجتمع ، انما هو عضو حي فيه ، له حظ منه ، فان لم يكن ، فهو نفسه ليس له غير حظ العبيد .

ونحن العرب ، نشكو مما نحن فيه .

وارى ان اكثر ما نشكو منه يعود الى هذه العلة . عدم ولاء الفرد للمجتمع لعدم ولاء المجتمع للفرد .

بورصة القطن ...
وبورصة البصل ...
وبورصة الديمقراطية ..!

■ البورصة لفظ فرنسي Bourse دخل اللغة العربية ، ومعناه السوق ، تلك التي فيها يجري البيع والشراء بالمزايدة ، وعلى نحو ما يعطيها البائع ليرتضيها المشترى .

ومن هنا قلنا بورصة القطن .

وقلنا بورصة القمح .

وقلنا بورصة البصل .

والجديد في الامر ، ان تكشف لي في هذه الايام وجود نوع جديد من البورصات ، تلك البورصة السياسية الديمقراطية .

وهي سوق كثيرا ما تقوم شهرين او ثلاثة لتنفض بعد ذلك . وهي كثيرا ما لا تنصب الا كل اربع سنوات او خمس .

واشتهرت بهذه البورصات امم الغرب خاصة ، يقيمونها في فترات الانتخابات والصناعة المزروعة بالطمع في الحكومة الجديدة ، او رئيس الدولة الجديد .

وفي بورصة لندن البورصة السياسية الانتخابية الديمقراطية القائمة ساعة





رئيس حزب العمال
له وجه قوي ، يبث شروره في البلاد

رئيس حزب المحافظين
له وجه ضعيف ، يحتقره من ابشر في البلاد

اكتسبه جاءت الاخبار بان حزب المحافظين المتقدم الى الناخبين ، يعرض عليهم شراء بضاعة حكمه . قدّم للناس هديه تروّج عندهم هذه البضاعه ، جاء فيها بالحرف

انه في حالة تهديد السلام في الشرق الاوسط ، فان حكومة المحافظين ستقوم بمشاورات مع الامم المتحدة ، كما انها ستتخذ اي اجراء ترى انه ضروري لمواجهة الموقف .

وسمع حزب العمال بامر هذه الهديه في هذه السوق ، فسارع بعرض هديه فوق البيعة ، تروّج بضاعته ، جاء فيها بالحرف :

انه يجب على الدول الكبرى ان تضمن حدود اسرائيل ، وانه يدعو العرب الى الاعتراف باسرائيل ، وعقد صلح بين العرب واسرائيل ، وانهاء الحصار الاقتصادي حولها ، وان المشروعات العربية لاستغلال مياه نهر الاردن انما هي عمل انتقامي من جانب الدول العربية .

هدية أحسن لا شك من سابقتها ، وسيجها اصبح .

وسمع حزب الاحرار بامر هذه الهدية الثانية ، في هذه السوق ، سوق الديمقراطية فسارع بعرض هديته هو . وجاء فيها ما جاء في سابقتها ، وزاد .

انه يجب اقناع الرئيس جمال عبد الناصر بان اسرائيل حقيقة قائمة .

زيادة كان لا بد منها في سوق المزايدة .

★ ★ ★

وفي انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة ، نصبت سوق امريكيه مثل هذه السوق الانجليزيه تماما .

يقول جونسون في مناصرة اسرائيل .

ويرد جولد ووتر ليعرض على المنظمه الصهيونيه المقيمه هناك ، في الوقت المناسب تماما ، فيزايد ، ويعطي لاسرائيل ما هو اكثر .

★ ★ ★

وفي السوقين ، او السوق الديمقراطي ، نجد ان البضاعه المعروضه للشراء انما هي نعمة الحكم ، التي يقدمها هذا الحزب او ذاك ، او هذا المرشح او ذاك . والثمن المطلوب دفعه لهذه البضاعه ، مع هذا الكوبون بالمجان ، اصوات اليهود في الانتخابات .

وهذه الظاهره ، النزول ببيع الباطل ، هكذا اعلانا ، في اسواق الدعايات ، تلقي على الديمقراطيات الغربيه ظلالا من الريبة ، تجعل كل المخدوعين فيها ، المشدوهين بها ، يرفعون مناديلهم الى جباههم يمسحون بها ما تحلب عليها من ماء الخجل .

★ ★ ★

قالوا ان الديمقراطية حكم الشعب بالشعب، ولقد تمسحت مجرى الديمقراطية

في انتخابات بريطانيا تلك الحاضرة ، وفي انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة . فخرجت من ذلك على ان الفئة الحاكمة او التي تريد الحكم في بريطانيا والولايات رأيها في الشعب ، الذي هو شعبها ، أسوأ رأي ، واخس رأي ، وأنها تلجأ ، لا الى اقناعه ، ولكن الى استدراجه من حيث يدري او لا يدري ، لوضع أوراقه عند الاسحاب في صناديقهم هم ، لا صناديق خصومهم .

« الحالة المالية حالة عسيرة ، وهي تزداد كل يوم . ونستطيع نحن ، رجال حزب المحافظين ، ان نصنع شيئا يدرأ عن الامة سوء المستقبل ، فهل نفعل ؟ »

ويقوم المعارض المحافظ من مديري الانتخابات فيقول :

« كيف نفعل هذا الآن ، ونحن قادمون على انتخابات . لو فعلنا هذا لسقطنا . نحن نقول ان كل شيء بخير . ونعدكم الآن يا اهل البلاد خيرا اكثر مما كان لكم في اي زمن مضى . بهذا وحده ننجح يا سادتي المحافظين . فاذا مرت الازمة ، ونجحنا ، صنعنا بالبلاد ومالية البلاد ما نشاء ان نصنع . ولصنعنا الامة تصبيا على ربط البطون » .

هذا في حزب المحافظين . وهاك ما في حزب العمال :ـ

« الحالة المالية عسيرة ، يا رجالي ، رجال حزب العمال . فيجب ان نكشفها حتى نسقط المحافظين . ويجب ان تنهض البلاد ، ولن تنهض . لتعيد الخير الكثير والوفر الكثير » .

ويعلن حزب العمال قائمته الانتخابية الرخية ، وآماله المرتقبة الخيرية . وما أسرع ما يرد عليه رئيس الوزراء المحافظ فيقول .

« انها قائمة طعام طيب شهي في مطعم ممتاز ، لا شك في هذا ، ولكنكم حذفتم من القائمة اثمان الالوان المعروضة ، فلم تقولوا كم تكون التكلفة ولا من يدفعها » .

وعندئذ يقوم رجل العمال ، ومنهم وزير ماليتهم ، المنتظر ، فيقول لرجال حزبه في حسرة من ظلام ـ

« حاسبوا يا جماعة . انكم ستوقعوننا انا في ورطة . اذا نجحنا بهذه الوعود ، فسوف ينكشف الناس من اول شهورنا في الحكم انها كانت وعودا كاذبة . فهلا نصنع ؟ » .

وادى بعض الحزبين المتعارضان ، حزب المحافظين ، وحزب العمال ، ويتعاهدان على السكوت عن امر الجنيه الاسترليني ، ومن الضائقة المالية ، لان هذه امور تستعصي على فهم الشعوب ! ومعنى هذا صراحة انها عندهم شعوب غبية .

★ ★ ★

ومسالة اخرى تثار عند جماعة المحافظين :

« ان حزب العمال له رئيس قوي الوجه ، غريبه ، قوي النظرات . وفي فمه دائما بيبة يدخنها ، والبيبة محببة دائما الى السواد من اهل البلاد . من اجل هذا عمد حزب العمال الذكي على الشعب (الساذج !) بوضع صورته في كل اعلان من اعلانات الانتخابات . فهل نفعل مثلهم ؟ »

ويقوم رجل كبير من المحافظين يعارض :

« بالطبع لا . ان رئيس حزبنا اصابه في صباه شلل ظل معه سنين ، وترك عيبا في وجهه ، والناظر في وجهه يستوحي منه الفكر لا الايمان . فكيف يمكن ان نضع صورته على اعلاناتنا ليراها الناس » .

ويقرر الجميع اخفاء صورة رئيس حزب المحافظين بالمرة ، لانها تؤثر في عصبية الشعب (الساذج !) وتبشر بالاخفاق .

الاخفاق والنجاح في الحياة الديمقراطية ، وفي الانتخابات البرلمانية خاصة ، وسيلتها عندهم ، لا المسالة المطروحة يكشف فيها من وجه الباطل او وجه الحق ، وليكن ما يكون ، وانما وسيلتها التدبير والتخطيط في شؤون هي احط الامور .

المسالة عندهم ليست كيف تقنع الشعب .

ولكن المسالة هي كيف تخدع الشعب .

★ ★ ★

ولقد قرأت نقاشا ، وانا هناك ، بين رجلين ممن يدبرون للانتخابات ويخططون . قال احدهم :

« ان نصف الناخبين من النساء ، فاثر النساء في الانتخابات لا يقل عن اثر الرجال . ونحن نرى الرجال يختلف منهن من لون ثوب البيرة ، او

بنسين من الدخان والسجائر . فيملأ تفوح النار ! » .

واتعلل الناس مجرى كان مضحكا . كان من الاضحاك ، ومع النثر ، ما ظن منه انهم قصدوا به الى الفكاهة .

وما قصدوا .

راحوا يبحثون فيما يعرى المراه ويرضيها . وبحثوا في أمور الحب ، وفي الزيبه ، وفي ابو الحرام ورمانه . .

وفي . .

★ ★ ★

وفي ساعة هادئة جلست الى نفسي أسائلها ، اهذه الديمقراطيه ، هي حكم الشعب بالشعب حقا ، ام هي مهزله يمرح فيها المرحون تمريحا !

العضو المرشح ينافسه عضو مرشح آخر ، فيتسابق من يكون اوسم منظرا واكثر قبولا عند الغانيات .

والعضو المرشح عليه أن يدور في دائرته ، وعليه ان يلتقي بالامهات ، وان يقبل اطفالهن دليل الابوة الناضجة ولو كان اعزب .

والعضو المرشح يعرف ان اهل الدائرة يحبون الكلاب فيزين لهم وهو يدور فيها، بكلاب يشد آذانها مداعبة لها . وهكذا فعل الرئيس جونسون .

والعضو المرشح ، في الحي الفقير ، حي الفحامين مثلا ، عليه ان يدخل بيوتهم الحقيرة ، وهو منشرح غاية الانشراح ، ويجلس على المائدة العاريه الا من فنجان او فنجانين من الشاي ، ولقمة زبدة ، فيشرب ويأكل باسما متهللا ، وكأنما يشرب من عصير الجنة ، ويأكل من طعامها .

وافكر ، وازداد ايمانا باستغلال هؤلاء الناس شعوبهم .

وافكر ، وآتي تقريبا الى خاتمه الفكر، فأكاد أومن بغفلة الشعوب نفسها . . غفلة السواد منها . وان ما اعطي لها ، من حق « حكم الشعب بالشعب » ، حق أعطي لغير جدير به . والا فكيف صارت الامم مستعمرة ، وصارت جبارة ظالمة ! وهذه الحكومات الظالمة المستعمرة هل ظلمت الا وهي في عهد الديمقراطية ، وهل هي فعلت ما فعلت الا من بعد انتخابات « حرة » شعبية .

ام ان معنى العقل ساد بين افراد الامه المتمدنة الواحدة ، بقدر ما سمح طبعه الانساني بسيادة عقل .

واترك غفلة الشعب الواحد فيما يتصل بشئونه ، ويختص بوثيق اموره ، وانظر الى هدف واحد فقط من الاهداف التي يستهدفها الانسان في سبيل بلوغه بعض ما يقدر عليه من تحقيق وجوده واستكمال انسانيته، ذلك العقل . فاجد ان معنى العقل ساد بين افراد الشعب الذي تثقف وتنور بقدر ما تسمح به طبيعة الانسان من سيادة عقل . وبقي معنى العقل صائما بين الشعب والشعب، ضائعه في الغاب . وفي الغاب لا يُحمى من ظلم غير الظفر والناب .

فليشحذ الى ذلك العرب .

وليعلموا أن الظفر انما خلق لينشب في عدو .

وكذا الناب .

ولا يَنشب الظفر ولا الناب ، الا من بعد تدبير ، ومن بعد حساب .

كاشف لمرض السكر من الدم . . يكشف عنه في دقيقة

● واترك مضغ الهواء ، بالحديث في السياسة ، الى مضغ الخبز ، بالحديث في العلم . والعلم كله غذاء نافع ، وكله غذاء صالح ، فاذا فسد غذاءه دخل فيه عنصر من سياسة .

والحديث الذي اريده هو حديث المرض الذي تكشف مجاه عمرف الناس انه اكثر شيوعا في الناس مما كان يحسب الحاسبون .

ذلك مرض البول السكري

والحديث عنه ، خبر خطير هاتما تضمنه باب « اخبار العلم والطب

والاختراع » ، لسبقه في الطبع ، فلم يظهر فيه .

انه كاشف يكشف عن السكر في الدم، وعن مقداره ، في نحو دقيقة واحدة . شكله دبوس ، تأتي بقطرة من دم، توضع على ورقة مشربة مادة كيماوية خاصة، فيتغير لونها بمقدار ما في قطرة الدم من سكر .

وهو كشف لا يدرك خطورته الا من عانوا هذا المرض. وخطورته تكمن كذلك فيما أظهر الاحصاء الطبي أخيرا، ومسح البلاد بالفحص الواسع في شتى الأمم ، من ان أعدادا هائلة من الناس يحملون السكر في دمائهم بدرجة المرض ، وهم لا يدرون. « وكشف السكر الباكر، مرضا يخفف أساسي كثيرا من أعمامه السيئة ، تلك التي تتصل بالعمى وبالقلب ومتاعبه» .

قد يقول مريض السكري : وماذا في هذا ، بعد ان وقع العلم على عود من الورق ، به مادة صفراء يغمسها الرجل في بوله ، ثم يرفعها ، فان اخضرت أو ازرقت ، في نحو دقيقة ، دل هذا على وجود السكر بالبول ، واذن بوجوده بالدم ، بدرجة المرض .

وهذا حق . كاشف السكر في البول ، هذا المستحدث منذ سنتين فأكثر ، سريع حقا . ويقوم به المريض نفسه ، ولكنه يدل فقط على ان السكر الذي في الدم زاد على النسبة المعروف ان عندها يخرج السكر من الدم الى البول ، الا تمرره الكليتان . وهذه النسبة هي في الغالب نحو ١٨٠ مليجراما في كل ١٠٠ سنتيمتر مكعب من الدم .

ان السكر موجود في الدم وسائر أنسجة الجسم على الصحة ، ومصدره الأغذية التي يأكلها الانسان بعد هضمها، وهو يغذي الخلايا ، يوزعه عليها الدم . ومقداره الذي لا يبلغ حد المرض يكون نحو ١٠٠ مليجرام فما دونها ، وذلك على الصيام ، قبل الافطار ، مقدرا بطرق المختبرات العادية .

ووجوده في الدم بنسبة فوق ١٠٠ مليجرام ، والى ان يبلغ ١٨٠ مليجراما، تلك التي عندها يظهر في البول عادة ، يعتبر مرضا .

ولكن وجود السكر في الدم ، بمقادير بين ١٠٠ مليجرام و ١٨٠ مليجراما ، لا تكشفه كاشفات السكر المستحدثة في البول . لأن السكر لا يكون قد خرج بعد الى البول .

لا بد عندئذ من تحليل الدم لمعرفة مقدار السكر فيه. ومعنى هذا المختبر. ومعناه الكيماوي . ومعناه الثقة بالكيماوي . ومعناه الانتظار ، أو انتظار الدور ، والصبر . والنتيجة ان كانت خاطئة وعمل بناء عليها الطبيب ، كانت وبالا .

ومن هنا كانت خطورة هذا الكاشف الجديد . دقيقة واحدة يجلسها الطبيب عند سرير المريض ، تكشف ما عنده . أو لعله كشف يقوم به المريض نفسه . وقد يسمونه في الطب فيصفونه بأنه كشف رائع ، كشف « اقتحام Breakthrough » أي انه اقتحم الحواجز والسدود .

والذي أعلن كشفه الأستاذ بترفيلد W. J. H. Butterfield بمدرسة الطب بمستشفى جاي « Guy's » الشهير بلندن . واللطيف ان خبره جاءنا من الولايات المتحدة .

ويقول الأستاذ « ان هذا الكشف اجري على ٥٧٠ متطوعا ، فكشف فيهم عن ٧٠ شخصا ، وقف بهم السكر بين حدود الصحة والمرض ، وهي حالات ما كان في الامكان كشفها بالطرق الأخرى المعروفة لكشف هذا المرض » .

وسوف تظهر على الأيام تفاصيل هذا الكاشف ، ثم يخرج الى الأسواق ، كما خرج كاشف السكر في البول من قبله .

انا من العلم كل يوم في جديد .

حتى السرطان ، وهو اليوم عاص ، لا بد له من يوم قريب مشرق ، يشرق على مرضاه بأمل في الحياة جديد. ■

٨ اكتوبر ١٩٦٤

أحمد زكي



● يجد القارىء على هذه الصفحة ١٢ سؤالا ، مع ردود مختلفة لكل منها والمطلوب هو معرفة الرد الصحيح على ٨ منها ، وكتابته وحده ، على ورقة ، وارسالها الينا من يوم ٧ ديسمبر (كانون الاول) القادم ، ومعه الكوبون المنشور على صفحة ١٥٧ من هذا العدد .

١ — الدول العربية الاعضاء في الجامعة العربية ، كم عددها :

١١ — ١٢ — ١٣ — ١٤ دولة

٢ — هجرة النبي (ص) وقعت سنة :

٦٢٠ ميلادية ٦٢٢ او ٦٢١ او ٦٢٣

٣ — مذبحة دير ياسين كانت في عام

١٩٤٧ — ١٩٤٨ — ١٩٤٩ — ١٩٥٠

٤ — استيلاء الاتراك على القسطنطينية تم في عام :

١٤٥٢ — ١٤٥٣ — ١٤٥٤ — ١٤٥٥

٥ — خروج كرستوفر كولبو لاكتشاف امريكا كان في عام :

١٤٩٢ — ١٤٩٣ — ١٤٩٤ — ١٤٩٥

٦ — القنبلة الذرية الاولى فجرت فوق هيروشيما عام :

١٩٤٣ — ١٩٤٤ — ١٩٤٥ — ١٩٤٦

٧ ــ الثورة الروسية الكبرى كانت في عـام :
١٩١٥ ــ ١٩١٦ ــ ١٩١٧ ــ ١٩١٨

٨ ــ الاسكندر الاكبر توفى وعمـره :
٣٠ ــ ٣١ ــ ٣٢ ــ ٣٣ عامـا

٩ ــ ثورة الجزائر التي انتهت بتحريرها ، بدأت في عام :
١٩٥٤ ــ ١٩٥٥ ــ ١٩٥٦ ــ ١٩٥٧

١٠ ــ السـودان استقلت بخروج الانجليز منهـا في عـام :
١٩٥١ ــ ١٩٥٣ ــ ١٩٥٤ ــ ١٩٥٥

١١ ــ برنارد شـو ، توفى عـام :
١٩٥٠ ــ ١٩٥١ ــ ١٩٥٢ ــ ١٩٥٣

١٢ ــ مكث العرب في الاندلس مدة تزيد على :
٤ قرون ــ ٦ قرون ــ ٧ قرون ــ ٨ قرون

شروط المسابقة

١ ــ ترفق بالاجابة كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٥٧ ، اكتب عليه بخط واضح ، وكل اجابة لا ترفق بها القسيمة تستبعد .

٢ ــ يكتب على الظروف عبارة ــ « مسابقة العربي » ــ العدد ٧٢

آخر موعد للاجابة

آخر موعد لوصول الاجابة اليك في الكويت هو اليوم السابع من شهر ديسمبر « كانون أول ١٩٦٤ » وترسل الاجابة مباشرة بعنوان مجلة « العربي » صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت ، الخليج العربي .

الجوائز ١٠٠ دينـار

يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :
الجائزة الأولى ٣٠ دينارا .
الجائزة الثانية ٢٠ دينارا
الجائزة الثالثة ١٠ دنانير

أما المبلغ الباقي ، ومقداره ٤٠ دينارا ، فقد قسمناه الى ثمانية جوائز متساوية ، مقدار كل منها خمسة دنانير ، توزع على الفائزين الثمانية التالين .

واذا تعددت الاجابات الصحيحة على اللجنة ستقوم باجراء القرعة بين الاجابات الصحيحة لاختيار اسماء الفائزين بالجوائز ..

العَرَبُ أُمَّـــةٌ مَوْجُودَةٌ

اليَهُـــودُ أُمَّـــةٌ مَفْقُودَةٌ

التاريخ يسخر من المجرمين ومن الأبرياء على السواء

بقلم : ظافر القاسمي

[illegible]

... فرانس أوبزرفاتور (Observateur ...) على فصل ...

[illegible]

... الفكرة العربية ، ولي تدافع عنها ... مقالاً في الجريدة ...

[illegible]

... عرباً » وقد رد عليه اتحاد ... العدد الذي صدر في ؟ ابريل ... . أما الرد على الرد فهو المقال ...

[illegible]

وقـد دعـاني استمرار هذا الظاهر الى شراء أعداد من الجريدة ، ووزعتها على بعض أصدقائي من العلماء العربيين والأندونيسيين والارلنديين والروس ، الذين جرت بيني وبينهم عدة مناقشات حول قضية فلسطين خلال اجتماعات جمعية الجمعية الدولية للعلوم التاريخية التي انعقدت في مدينة تونس بين ٣١ مارس و ٣ ابريل ١٩٦٤ ، ووجدت عندهم كثيرا من الشبهات التي بلغتهم من طريق الدعايات الصهيونية ، ولم يجدوا أي رد عليها من ثلاث عشرة دولة عربية . ووجدت في هذا المقال لهذا العالم الفرنسي اليهودي بعض ما يثير الكثير من الظلمات التي اشاعها اليهود في عالم العلم على الأقل ، ويدحض الشبهات التي ادخلوها في نفوس كثير من اعلمه .

واليك أهم ما جاء في هذا المقال لخطورته :

قومية يهودية



هرتسل

كتب هرتسل [1] مبدع الصهيونية ، في البيان الذي اذاعه عام ١٨٩٦ ، والذي دشن فيه الحركة الصهيونية يقول : لو ان جلالة السلطان (التركي) اعطانا فلسطين ، فاننا في استطاعتنا أن ننظم مالية تركية بشكل كامل . أما أوروبة ، فاننا سنشيد فيها جزءا من سور يحمي اسية ، وستكون طليعة حراس المدنية ضد البربرية .

وقد قال له جوزيف تشمبرلن في عام ١٩٠٢ ـ وهو شيخ الاستعمار العملي والنظري ـ : « انني احب الفكرة الصهيونية . واذا كنت تستطيع ان تدلني على بقعة من الممتلكات البريطانية لم يقطنها البيض ، كان بامكاننا عندئذ ان نتكلم » . والظاهر ان هرتسل قد قبل (كينيا) لتكون وطنا قوميا لليهود .

تعريف الاستعمار

ان العقد الظنية يحاجني في تعريف الاستعمار . ذلك بان الصهيونية في نظره لم يكن لها وطن أم يبعث بالمبشرين أو بالعسكريين ليفتحوا الطريق امام مستثمري الأموال الوطنية العاملة . التي لا اسلة بالاتفاق ، لان الاستعمار يمكن ان يعرف عشرين شكلا مختلفات ، ووضع اسرائيل منها وضع خاص . ذلك بان الاستعمار ليس الا مظهرا لمسعى تسلط شعب على شعب آخر ، ونزع ملكيته . وهذا هو الجوهر بالاضافة .

ان الصهيونية ، تنظم مساحة ما عندها بمساهمة في حركة التوسع الاوروبي باتجاه القارات الاخرى . (أما الهجرة اليهودية الأسيوية الافريقية فقد جاءت فيما بعد .) والعرب لا ينظرون اليها الا هذه النظرة ، وهي نظرة مبدع الصهيونية هرتسل وغيره ، لانهم لا يميزون بين الاوربيين في هذا المضمار .

جيش وحرب ـ لا موافقة ولا اتفاق

قال اصحاب الطلبة ولكن ليس هناك مبشرون ولا عسكريون ؟

فنقول ولكنها لم تكن الا حربا ، انها حرب ١٩١٤ ـ ١٨ ، ولم تكن الا جيشا ، انه الجيش البريطاني . عليه العرب وهذا الجيش فرضا

1 ـ ولد (هرتسل) ، مؤسس الصهيونية السياسية الحديثة ، بمدينة بودابست (عاصمة هنغاريا) عام ١٨٦٠ ، ودرس القانون في فيينا ثم عمل في الصحافة ، وفي عام ١٨٩٧ دعا اليهود الى مؤتمر عقدوه في مدينة بال بسويسرا ، وفيه أسسوا المنظمة الصهيونية العالمية . ومات هرتسل عام ١٩٠٤

2 ـ ولد جوزيف تشمبرلن في لندن عام ١٨٣٦ وبدأ حياته السياسية بمدينة برمنجهام ، وقد بلغ ذروة مجده اثناء حرب البوير عام ١٨٩٩ ـ ١٩٠٢ . ومات عام ١٩١٤ ، وهو والد نفيل تشمبرلن ، رئيس وزراء انجلترا ، الذي عرض الحرب على هتلر بعد ان كان عقد معه بوليصة للسلام زائفة

على فلسطين الانتداب البريطاني . اضف الى ذلك ان مجلس الحلفاء الاعلى المنعقد في سان ريمو يوم ٢٤ نيسان ١٩٢٠ قد الحق تصريح بلفور في الانتداب (وهو تصريح بريطاني لا عربي !) ثم ادخله في معاهدة الصلح التي فرضت على تركيا .

ان الاستعمار البريطاني ، الذي مهد سبيله التجار والمبشرون بالطرق التقليدية المعروفة ، هو الذي اسس الوطن القومي اليهودي ، فاقامة حكومة اسرائيل .

أما موقف بريطانيا اللاحق فلا يغير من الوضع شيئا .

لقد يكون الاتجاه الاستعماري الصهيوني مفهوما او معذورا في عام ١٩٠٠ ، ولكنه ليس مفهوما ولا معذورا في عام ١٩٢٠ ، وبالاحرى في عام ١٩٣٠ . ان هرتسل لم يذكر ابدا في بيانه اهل فلسطين . ولم يكن احد يشك في عام ١٩٠٠ ان شيئا ما سيوجد اسمه القومية العربية . لقد كانت القومية العربية موجودة في عام ١٩٢٠ ، وكان من الواجب الحصول على موافقتها فيما اذا ارادت الصهيونية الاقامة بالقوة (كذا في الاصل) في فلسطين . بينما نرى ان الصهيونيين قد بحثوا عن موافقة الترك ، ثم عن موافقة الانكليز . وعلى الرغم من جهود اقلية يهودية ذكية شجاعة ، فان الصهيونيين لم يتجهوا الى العرب الا مرة واحدة، اعني اتفاق فيصل – وايزمان ، الذي سبق ان بحثت فيه ، والذي ينازعني اسعد الطلبة فيما اسماه تفسيري له . لا ، ليس هنالك من تفسير . ان الاتفاق كان مشروطا ، ولم يلتزم فيصل الا اذا تحققت المطالب العربية . وقد وضع نص هذا التحفظ من فيصل ووايزمان نفسه .. فاين تفسيري؟

لقد تجاهل الصهيونيون المعارضة العربية ، ولجأوا الى حماية الانتداب البريطاني ...

ان الواضح هو انهم لم يحصلوا ابدا على الموافقة التي كانت وحدها هامة ليحصلوا على شهادة بانهم ليسوا مستعمرين ، اي موافقة العرب . وبعد ان تعاقبت الحوادث ، لم يقع نقل السكان فقط ، وانما وقع ايضا نقل السلطة .

استبدال عرق بعرق

لقد استبدل عرق بعرق ، بدون ارادته ، بالقوة ، على ارض وطنه .

السلام العالمي

ان اسعد الطلبة يرى في ذلك مساهمة في السلام العالمي . انني اشك في ذلك .

استعمار تؤيده اللغة العبرية

وعلى كل حال ، من الصعب ان لا نرى في ذلك حادثا ذا طابع استعماري . وفضلا عن ذلك ، فان المجتمع اليهودي في فلسطين كان يطلق عليه بالعبرية لفظ (يشوف Yischow) وفي معجم (المالح Elmaleh) شرح هذا اللفظ بمعنى : بلاد مسكونة ، مستعمرة ، اقليم مسكون ، شعب ... استعمار .

القومية المشروعة

تكون كل قومية مشروعة بقدر ما تناضل ضد اضطهاد قومية اخرى لها . وتكون كذلك مشروعة، حينما تناضل في سبيل الوحدة السياسية (الجزئية او الكلية) للسكان الذين ينتمون الى عرق واحد ، فيما اذا كانت الوحدة من ارادة هؤلاء السكان الذين فرقتهم عوامل خارجية .

ولقد كان العرب يناضلون ضد الاستعمار ، والى حد ما في سبيل الوحدة . ولقد كان لهذا النضال حتما شكل القومية ، ولم يكن ممكنا ان يكون له اي شكل آخر .

العرب قوم موحدون

ولقد كان العرب في الواقع يشكلون عرقا او اعراقا ، ومجمعا او مجمعات قومية منسجمة ، مستقلة على ارض كانوا يسيطرون عليها ، ويكتبون لغة مشتركة ، ويتكلمون لهجات متقاربة ، (باستثناء الاقليات) ، وهم وارثون لثقافة جامعة مشتركة ، ولهم تاريخ مشترك في معظمه ، وعقلية تكون جزء كبير منها عوامل موحدة .

اليهود امة متناثرة مبعثرة مفتتة

اما يهود اوروبة ، فقد كان عليهم ، بعد موجة اللاسامية المخيفة التي انفجرت في عام ١٨٨١ ، ان يناضلوا ضد اضطهاد المجتمع العرقي الديني الذي الفوه . ولكن كان لهذا النضال عدة اشكال، لانهم في الواقع غير اشخاص مبعثرين، وفي احسن

احوالهم يشكلون مجتمعات متنافرة ، مختلفة ، يتكلمون ويكتبون لغات مختلفة ، ليس لهم — في احسن احوالهم — الا بقايا من ثقافة مشتركة ، ولبعض هذه المجتمعات لغاتها : كاليديش ، واللادينو ... وحيثما كان ، نرى المجتمع اليهودي في طريق التصفية الكاملة ، لا يستنده الا اللاانسانية ، وبالقسر الذي تكون فيه الانسانية جامحة .

العرب امة موجودة واليهود امة مفقودة

ان الامة اليهودية لم تكن موجودة ، فكان من الواجب خلقها . ومن الواضح ان هنا فرقا اساسيا بينها وبين القومية العربية التي تطالب باستقلال امة موجودة . .

الحالة الراهنة — الحرب الفاترة

ان الحالة الراهنة ، والحرب الفاترة الحالية ، ذات اخطار كبرى على اليهود وعلى العرب وعلى السلم العالمي . ليس هنالك الا طريقان :

الحلول . اما الحرب ، واما المفاوضة . ان المفاوضة لا يمكن ان تنجح اذا ذهبنا كما تذهب الصحف الغالبة الى ان العرب قد ارتكبوا كل الاخطاء ، ولم يرتكب اليهود اي خطأ من الاخطاء ... وفيما اذا تجاهلنا الخطأ الرئيسي الذي سببه تدرج (يشوف) في فلسطين .

فوائد النقاش تاريخية فقط

وعلى هذا فان نقاشنا ، في منطقه ، ليس له فائدة تاريخية . انما اقول انه يترتب على اليهود ان يأتوا الى العرب ، والحبال في اعناقهم، ليطلبوا منهم غفران الخطيئة الازلية .

شروط السلام — اسرائيل جسم غريب في عالم العرب

ولكن اذا اريد السلام فعلى الاعتراف بان اسرائيل، في الوقت الحاضر، جسم غريب في عالم الشرق الاوسط . على اسرائيل ان تعمل على ان تكون مقبولة في هذا العالم ، وان تلغي وضعها الخاص تجاهه . ولذلك يجب ان تفهم طبيعتها الحقيقية، وان تعترف بها ، وان تفهم ان الخصم محجوب في ان يراها على غير ما ترى نفسها .

التاريخ يسطر من المجرمين والابرياء

لست انا الذي يطالب بذلك ، وانما يطالب بذلك الوقف الذي وضع الصهيونيون انفسهم فيه ، من غير ان يكون احد منهم مجرما ولكن التاريخ يسطر من المجرمين من الابرياء على السواء.

ان صداقة اسرائيل الحقيقية ينبغي ان تقوم على اقناعها بهذه الحقائق القاسية .

* * *

هذا اهم ما في المقال . وليس في الجزء اليسير الذي أهملناه اي دفاع عن اليهود ، ولا عن نفسيتهم ، ولا عن الصهيونية ، ولكن وجدنا أنه على هامش البحث ، وليس من صلبه ، وقد دللنا على الأصل ، فليرجع اليه من شاء .

وفي رأينا أن مثل هذا المقال ، له دلالات ، وأية دلالات ، لا يجوز للعربي المطلع أن يمر بها من غير أن يتنبه لها ، ومن غير أن ينبه عليها .

وهذه الدلالات ، قد تكون عربية وأوروبية ويهودية .

فأما خاصة العرب ، فلم يزدهم هذا المقال علما على علم ، ولذلك ليس في نشره اي خطر أو خطأ . فضلا عن أن الذين سيطلعون عليه من العرب ، فئة قليلة ، قد يهتمون به وقد لا يهتمون . وأما العامة منهم فليس لهم الى دراية ما فيه من سبيل .

أما الأوربيون ، والفرنسيون منهم خاصة ، فمن الواجب أن نقول ان هذا المقال قد وجه اليهم ، لا لاقناعهم بوجهة النظر العربية ، ولا لدحض فكرة الصهيونية ، بل للدعاية اليهودية، وابراز عبقريتها وقوتها ، وايضاح ماذا صنعت على الرغم من تبعثرها ، وتناثرها ، وتفتتها ، وتصفيتها ... ولا أدل على ذلك من قول الكاتب :

« ان تراثنا ليس له في منطقته الا فائدة تاريخية وان التاريخ يسخر من المجرمين والابرياء على السواء ... » .

وهذا يعني أن جميع حجج العرب ، قد أضحت ملكا للكتب ، وللتاريخ ، لا للواقع السياسي !

واما اليهود ، وهم الفئة الهامة في نظر الكاتب ، فان هذا المقال يعني بالنسبة اليهم في نظرنا أمرين خطيرين على الاقل :

اولهما — ان اركان الدولة اليهودية قد ثبتت ، وان دعائمها قد رسخت ، وانه لا خطر عليها من مثل هذه الابحاث التاريخية . ولعل خاصة العرب ما زالوا يذكرون كيف كانوا وما زالوا يسمون كل الشقاء ، في سبيل نشر تصريح صغير ، يدعم قضيتهم ، او يبين بعض نواحيها ، او يدحض فرية اختلقها اليهود ، فلا يجدون الى ذلك سبيلا . وما زلت اذكر بكثير من الغصة انني كنت في يوليه ، تموز ، عام ١٩٥٠ بمدينة لندن ، امثل سورية في مؤتمر المحامين الدولي ، وان هشماء أقيم في محلى الموردات تكريما لاعضاء المؤتمر ، وان رجلا جاء يسألني التوجه الى زاوية من زوايا القاعة الكبرى ، لان مندوب ابث يود مفاتحتي ، معتذرا بأنه عاجز عن المشي وسط هذا المجمع الحاشد من الخلائق (وكانوا قرابة خمسة آلاف) ؛ لانه أعمى . وقد وجدتني بعدئذ امام شاب يمثل العربية كأبنائها ، أجد معي في حديث طويل ، وكان أهم ما فيه سؤاله :

— وماذا انتم صانعون اذا ارادت اسرائيل أن تسترد رئتيها — سورية ولبنان — لتتنفس ؟

فاجبت : ان التجربة السابقة ، تجربة ١٩٤٨ قد علمتنا الاعتماد على انفسنا ، وعلى الضمير العالمي . أما اعتمادنا على غيرنا ، فلم نجن منه الا ضياع فلسطين !

لقد تتبعت مع أصدقائي أعداد التايمس أكثر من شهر كامل ، فوجدنا فيها أحاديث ثلاث وخمسين دولة اشتركت في المؤتمر ، أما الدولة الرابعة والخمسون ، تتمة الدول المشتركة ، وهي سورية ، فقد طوى حديثها طيا كاملا ، ولم ير النور حتى اليوم !

فما بال اليهود يتسامحون اليوم ، في نشر عيوبهم ، واعلان مخازيهم ، على أيدي اعلامهم ، ان لم يكونوا قد أمروا بها ؟

يقيننا ان ذلك لم يكن للعلم ، ولا لشيء يشبه العلم ، بل كان لان دولة اليهود في رأيهم قد اضحت ثابتة الاركان ، راسخة الدعائم ، لا تزعزعها مثل هذه الابحاث ، التي ليس لها الا فائدة تاريخية !

وثانيهما — أن اليهود ، اذ ينبهون الى ما كانوا عليه قبل اقامة دولتهم ، من التبعثر والتناثر والتشتت والتبعية ، انما يريدون من هذا التنبيه أن يحتاط يهود العالم الى الوقوف في وجه احتمال تكرر الكارثة . وان عليهم ان يتماسكوا ، وان يتضامنوا ، وان يعرفوا عيوبهم السابقة ، التي ازالتها اقامة الدولة الحديثة ، وان يحولوا دون تجددها .

ومن اراد ان يعمم غير هذا ، وان يحسن الظن ، فلا مثاله الا من السذج ، الذين لم يستفيدوا من تجارب الماضي شيئا .

هذا هو المقال ، وهذا هو رأينا فيه ؛ فهل صنع العرب شيئا مماثلا ، وهم ثلاث عشرة دولة ، وهم أصحاب الحق غير المنازع ، كما يشهد لهم بذلك اعلام علماء أعدائهم ؟

لبث ؟!

دمشق : ظافر القاسمي



منظمة التحرير الفلسطينية

عن جريدة « الهدف » ـ الكويت :

● كان هناك خلال السنوات الاخيرة بالذات ، اكثر من تنظيم تتوفر فيه النية الصادقة في العمل من اجل فلسطين .. وكان لكل تنظيم .. آراؤه ومنهجه .. وخطة عمله ، التي يرى ويعتقد انها الطريق الصحيح للعمل من اجل القضية واستعادة الاراضي المغتصبة .

ولا شك ان كلا من هذه التنظيمات كان معه الحق فيما يظن ويعتقد ، بعد كل المتاجرات الوطنية والقومية التي قامت حول قضية فلسطين ..

ولكن ما هو الموقف الآن بعد انشاء منظمة التحرير الفلسطينية .. وصدور الاوامر بتكوين الجيش الفلسطيني .. واثبات قائد المنظمة لفعاليته ... وتوصله الى تحقيق اول خطوة ايجابية فعالة منذ ستة عشر عاما ... ؟

لقد قرأت رأيا لأحد الكتاب العرب يقول : على المنظمات السرية القائمة والتي قامت الا تحل نفسها حتى لا تفقد فعاليتها في حالة فشل منظمة التحرير الفلسطينية .

واني لاعتقد ان هذا الرأي خطأ ... وان كل من يؤيده من ابناء فلسطين مخطىء .. لسبب بسيط هو : انه تحتم علينا ان نلقي بكل ثقلنا خلف منظمة التحرير الفلسطينية ، حتى لا نترك ادنى مجال او ادنى فرصة لفشل المنظمة .

+++++++++++++++++++++++++++++++++

خطط للغد

عن جريدة « الجمهورية » بغداد :

● الفيلسوف الذي يقول لك ان التفكير في الغد الذي لم يأت لا مبرر له ، وان على المرء ان يعيش يومه فحسب ، « متفلسف » مخرب ... يخرب حياة الافراد والجماعات .

فالصحيح هو ان نعيش يومنا .. ونفكر بغدنا .. وما بعد غدنا ..

الذي يعيش يومه ، بلا غد ، انسان يجمع بين الانانية والبلاهة ! ... الانانية لانه لا يفكر الا بذاته ، فلا يخطط لحياته وحياة مجتمعه .. اما بلاهته فسببها انه قد يفاجأ بامور قد تقع في غده لم يحسب لها اي حساب ... فيرتبك ... وقد يتحطم ..

الفرد الذي يقطع مسيرة حياته بسعادة ، هو الذي خطط لغده .. اما الذي يتعرض للنكسة فهو من لم يضع اي مخطط للغد .

وما يصح على الافراد في هذا ، يصح على الجماعات والامم ..

الامة السعيدة هي التي خطط لها الجيل الذي ذهب لسعادة الجيل الذي اعقبه .. ويخطط الجيل العائش للجيل ، وللاجيال التي ستليه .

مسيحيو الشرق .. ومسيحيو الغرب

من جريدة « المنار » الاردنية :

● منذ عقد المجمع المسكوني الاول ، وطرحت عليه وثيقة الكاردينال (بيا) التي يدعو فيها الى تبرئة اليهود من دم السيد المسيح ، وبطاركة الشرق يقفون — وخلفهم — موقف المعارضة الشديدة من الاقتراح المذكور .

هذا الموقف يكشف عن حقيقة جوهرية هامة ، آن الاوان لمناقشتها وعرضها بصراحة ووضوح . هذه الحقيقة هي ان مسيحيي الشرق يختلفون في نظرتهم للشرق ومشاكله عن مسيحيي الغرب .

قد يرى البعض ان هذه الحقيقة التي عرضها حقيقة بديهية لا تحتاج الى مناقشة او بحث . ونحن مع هذا الرأي من الوجهة النظرية . الا ان الاقرار بها من الناحية العملية يفرض على سكان هذه المنطقة من العالم ان يضعوا دائما خطا فاصلا بين المسيحيين العرب ، والمسيحيين في الغرب .

فالمسيحيون العرب هم مواطنون عرب قبل كل شيء ، يعيشون آلام امتهم وآمالها ، ويشدون اليها انشداد عضويا وروحيا ونفسيا . ولهم في حركات الكفاح التي قادتها شعوب الشرق العربي للتخلص من ربقة الاستعمار الغربي مواقف مشهورة تذكر فتشكر . انهم ابناء هذه البلاد . نبتوا على ارضها الطهور ، وتعايشوا مع اجناسها واديانها وتقاليدها المختلفة عبر القرون ، حتى اصبحوا جزءا لا يتجزأ من ماضيها ومستقبلها .

اما مسيحيو الغرب فللشرق معهم ذكريات وتجارب تختلف عن ذلك تمام الاختلاف . فهذه الذكريات ، في طواياها صور الحروب الصليبية بكل بشاعتها ، وفي طواياها صورة اللورد اللنبي وهو يغرس سيفه في جبل الزيتون ويقول عبارته المشهورة « الآن انتهت الحروب الصليبية » . وفي طواياها صورة الجنرال غورو وهو يضع قدمه على قبر صلاح الدين ويقول « لقد عدنا يا صلاح الدين » . وفي طواياها المؤامرة الكبرى على الديار المقدسة .

هذا استعراض خاطف لعلاقات الشرق العربي بالعالم الغربي المسيحي ، وهو استعراض اردنا من ورائه ان نوضح الخط الفاصل بين المسيحيين العرب ، ومسيحيي اوروبا ، انصافا لاخواننا ، وانصافا للواقع وللتاريخ .

الامم المتحدة تواجه اخطر ازمة في تاريخها !

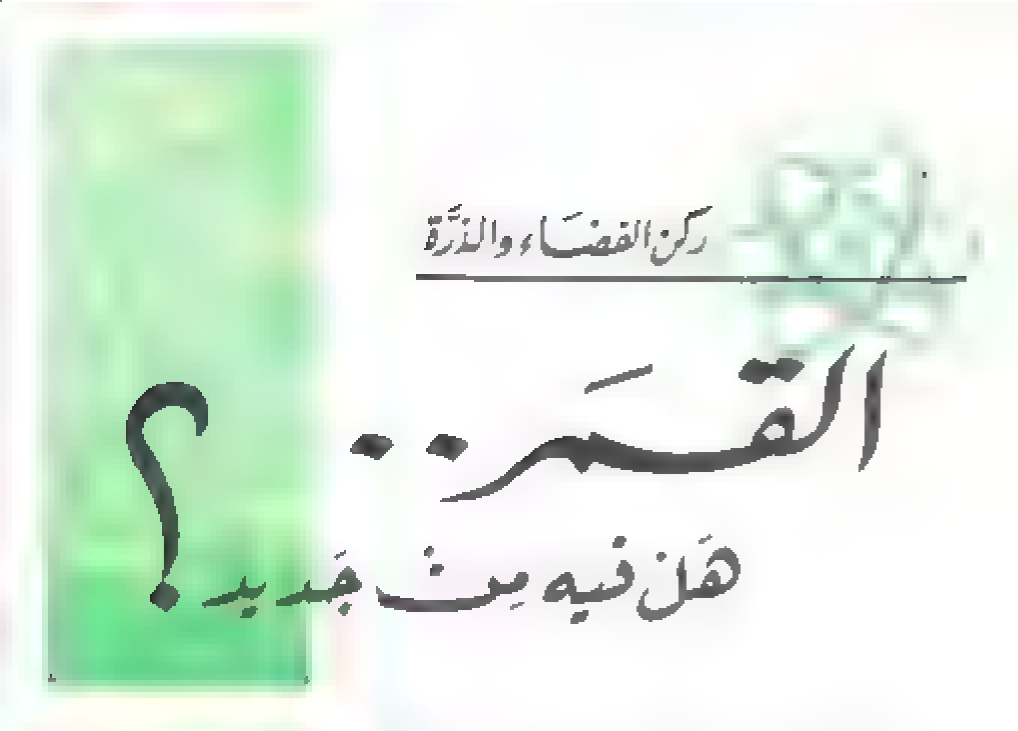
من جريدة « الاهرام » القاهرية :

● خطورة المشكلة المالية التي تواجهها هيئة الامم المتحدة لا ترجع الى العجز المالي فحسب ، ولكن الى اصرار الولايات المتحدة على تطبيق المادة ١٩ من الميثاق ، التي تنص على حرمان اية دولة تبلغ ديونها قدر حصتها في ميزانية الامم المتحدة لمدة عامين من حق التصويت في الجمعية العامة .

ومن الدول الخمس عشرة التي ينطبق عليها هذا النص دولتان تتمتع كل منهما بحق الفيتو باعتبارهما من الدول الاساسية الخمس وهما الاتحاد السوفييتي والصين (فورموزا) ، هذا الى جانب خمس دول من امريكا اللاتينية هي الارجنتين وبوليفيا وباراجواي واورجواي وجواتيمالا . وهناك ٦ دول شيوعية .

والمشكلة اذا طبقت المادة ١٩ فالمسألة ليست في حرمان الاتحاد السوفييتي من التصويت في الجمعية العامة برغم ماله من ثقل في المجال الدولي فحسب ، بل انها تصل الى حرمان معظم الكتلة الشرقية من حق التصويت . وتكون النتيجة ان المنظمة الدولية لا تعبر بصورة صادقة عن واقع التوازن الدولي اليوم . وبالتالي تصبح فاعليتها في حل الازمات الدولية واهية .

وحيث ان الاتحاد السوفييتي يصر على الا يدفع، باعتبار انه غير مسئول عن ان يتحمل نفقة اعمال مالية سببها السياسة الاستعمارية التي افرخت الازمات .. وحيث لا يمكن الاستغناء عن وجود الاتحاد السوفييتي في المنظمة ، فان الدول الاسيوية الافريقية ومنها اللجنة العاملة ، تبحث عن وسيلة عاجلة قبل نوفمبر القادم .. فاما ان تؤجل مناقشة الموضوع كله الى العام القادم حيث تتوفر فرص افضل بعد الانتخابات الامريكية والبريطانية ، او ان يتحول دين هذه الدول الى دين عام تكتتب كل الدول الاعضاء في تغطية الزائد على ميزانية المنظمة . ■■



■ بعد علم الناس أن الولايات المتحدة أطلقت الى القمر صاروخا يحمل كمرات فوتوغرافية تصور ما تراه من القمر عند الاقتراب منه . وان المركبة التي تحمل الكمرات ارتطمت بسطح القمر . وان هذا الارتطام وقع في اليوم الحادي والثلاثين من شهر يوليو تموز الماضي .

وأسموا المركبة التي حملت الكمرات رينجر السابع . ورينجر Ranger لفظ انجليزي معناه الجوال او الجواب وكل من يرود أرضا . وأسموه السابع لأنه قد سبقته ستة أخرى مثله لم تكن حظها من التوفيق كثيرا .

واستغرق هذا الجواب السابع من الزمن للوصول الى القمر ما استغرق . ولكن لم يكن من هذا الزمن أكثر بركة من ١٣ من الدقائق ، تلك التي سبقت ارتطامه بسطح القمر ، ففيها أخذ [illegible] صورة فوتوغرافية من صور القمر ٤٣١٦ [illegible] أرسلها فلمرة الى علماء [illegible]

منها واسعة الزاوية تأخذ من القمر في المرة الواحدة أبعادا عريضة ، والاربعة الاخرى ضيقة الزاوية لتلتقط من القمر وهي تقترب منه أشياء تركز على وصف مفصل لما تراه .

عدد كبير لا شك من الصور ، ليس كلها مما سوف يستفاد منه . والعلماء لا يزالون قائمين على دراسة هذه الصور واستنتاج ما يمكن أن يستنتج منها .

ومع هذا فالدراسة التي تمت الى اليوم خرج العلماء منها بأشياء لا شك [illegible]

١ ــ ان الذي كشفه هذا الجواب [illegible] باسم مشروع « أبولو » Apollo [illegible] سطح القمر بعد سنوات قريبة .

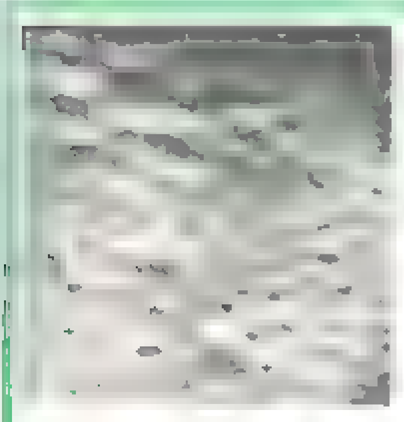
٢ ــ قيل ان سطح القمر من تراب عميق ، وان مركبة يركبها رجال من [illegible] سطح القمر ، سوف تغوص في هذا التراب حتى تدفن فيه . والذي كشفه الجواب السابع غير هذا تماما ، على الأقل عن الموضع من القمر

عوائق مانعة تعوق مركبة « أبولو » ، اذا هبطت برجالها على القمر ، من أن تعود [illegible]

[illegible] في الخصومة القائمة بين العلماء عن الفوهات الظاهرة في صور سطح القمر ، هل هي فوهات براكين او حفر صنعتها نيازك سقطت على القمر من السماء . في هذه الخصومة لم تكشف الجوالة السابعة عن شيء حاسم يرجح رأيا على رأي .

والحقيقة أن الصور التي جاء بها الجوال السابع كانت أوضح ألف مرة [illegible] من سطح القمر . ولكن مما لا شك فيه أن الجوال لم يأت بشيء جديد حاسم مثير . وهو ترك الغموض الذي يلف القمر في أذهان العلماء قائما : فهو لم يكشف عن مادة صنع منها القمر ، ما هي . وهل هي من الصلابة بحيث تحمل مركبة تحلها بصدمة أعنف تحطها عليها . وهو لم يكشف عن الفوهات ،

[illegible]





على بعد ١٧ ميلا [illegible] الجوال السابع [illegible] صورة سطح القمر [illegible] وهي مربع مساحته [illegible] وصغر الفوهات الظاهرة في الصورة [illegible] والصورة [illegible] الجوال السابع [illegible] لسطح القمر وهي مربع مساحته [illegible]

هل هي لبراكين او لنيازك ؛ وإن كانت لبراكين فهل هي لبراكين انطلقت من عدم الزمن أم لا تزال بعدها حرارة من بطن القمر . والجبال التي تظهر في الصور لا نزال نجهل كنهها . ثم وجه القمر الآخر ، الذي لا نراه ابدا من فوق سطح الارض ، ما هو ، وكم هو ؟

مسائل لا تزال غامضة .

ومن الناس من يقول ان الجوال السابع كان تجربة لا شك مثيرة ، فريدة ... اساسي . ولكن ، هل ما كشف عنه من حقائق او نكشف ، يساوي ما انفق فيه من مال ، ٧٠ مليون دولار ؟

ومع هذا فسوف تطلق الولايات جوابين آخرين يدوران القمر ، وذلك في اوائل العام القادم . وتعتزم كذلك أن ترسل مركبة من نوع جديد ، سمتها بالمساح Surveyer يحمل هذه المرة كمرات تنقل الصور والوانها ...

التفجير الذري

قناة بنما ـ وقناة تشقها

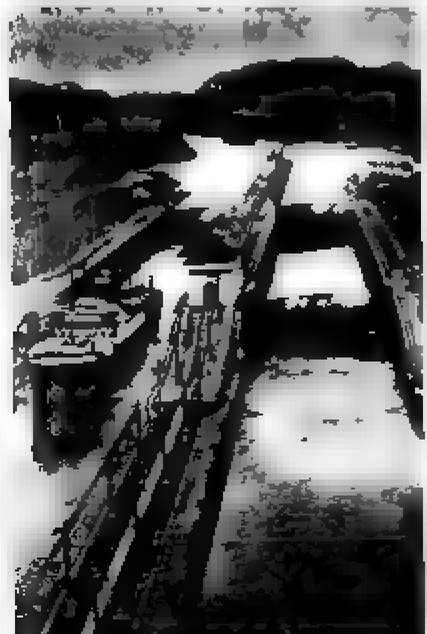
● هذا بعض ما كشف عنه المؤتمر الثالث لاستخدام الذرة استخداما سلميا ، المنعقد في جنيف في سبتمبر (أيلول) هذا العام تحت رعاية هيئة الامم المتحدة .

فقد اخبر المؤتمرين جيرالد جونسون

قناة بنما

اعلنت بنما استقلالها في نوفمبر عام ١٩٠٣ ، منفصلة عن جمهورية كولومبيا .

وبعد مضي شهر من اعلان الاستقلال منحت بنما الولايات المتحدة الامريكية حق استغلال قطعة مستطيلة من اراضيها لانشاء قناة .



وبدأت شركة القنال الفرنسية العمل التمهيدي لحفر القناة في عام ١٩٠٣ . ثم عاونت الولايات المتحدة ، وبمساعدة التي رأسها الرئيس الامريكي ثيودور روزفلت ، واكملته بمساعدة مهندسي الاسطول والجيش الامريكي الذين انجزوه في بضعة عشر سنوات .

وقد افتتحت القناة في ١٥ اغسطس عام ١٩١٩ بعد حفر ٢٤٠ مليون ياردة مكعبة ، وتكلفت نحو ٣٦٦ مليون دولار ، هذا ويبلغ طول القناة اربعين ميلا ، وعرضها يتراوح بين ١٥٫٨٧ قدما . كما تمتاز بصلاحيتها للملاحة فيها ليلا ونهارا ، اذ يضاء جانباها بصفين من الاضواء الباهرة .

وتستقبل القناة بواخر جميع الدول دون استثناء .



منخفض القطارة ، وموقعه الصحراء في غرب دلتا النيل . وسيأتي لمصر منه خير يضاف الى الخير الذي يأتي من السد العالي

يستخدم في حفر القنوات

منخفض القطارة

المتفجرات الذرية شقا ؟

Gerald Johnson وجاري هجنز Gary Higgins ، وهما من بحاث معمل لورنس للاشعاع ببركلي، بكاليفورنيا، أخبراهم بأن الدراسات التي تمت الآن ، دلت على أن استخدام الناسفات الذرية في حفر القنوات ، كقناة تحفر في امريكا الوسطى لتصل المحيط الاطلسي بالمحيط الهادي ، سوف تكون أقل كلفة مما دلت عليه دراسات سابقة في نفس الموضوع .

وأن تكلفة هذا المشروع ستبلغ اليوم نحوا من ٥٠٠ مليون دولار ، وأن هذه القناة سوف يبلغ عرضها ١٠٠٠ قدم ، وان اقل عمق بها سوف يبلغ ٦٠ قدما .

كذلك اطلع المؤتمرون من هذين الباحثين على ما جرى من تحسين في تكتيك هذه العملية ، وفي حصر مقدار الاشعاع المترتب عليها ، وما أدى اليه هذا من اغراء بالمشروع اكبر مما كان له لما درس اول مرة عام ١٩٦٠ .

والخبراء الذين قاموا بدراسة المشروع ، مشروع الحفر بتفجير الذرة عامة، زادوا اليوم اقتناعا بالفكرة وايمانا بعوائدها الاقتصادية كذلك .

والخوف الذي كان من الاشعاع قل ، فهم اليوم يقدرون أن المنطقة الحرام التي سوف يمنع الناس من دخولها عند الحفر بالذرة لن تزيد كثيرا عن المساحة اللازمة لاتقاء ما يقذف في الهواء من تربة ورمل وصخر ، وما يحمله الهواء من هزة عند التفجير او تحمله الارض .

والذي زاد بالطبع اهتمام الولايات المتحدة بهذه الدراسات تلك الخصومة القائمة بينها وبين دولة بنما فيما يختص بقناتها ، وامتلاك الولايات المتحدة تلك القناة في ارض غير أرضها . ولو أن القناة الجديدة المرجوة سوف تقوم هي الاخرى في البرزخ الامريكي الذي يصل الامريكتين ، وليس للولايات المتحدة ارض تملكها فيه !

وكما في الولايات المتحدة فكذلك في الجمهورية العربية المتحدة ، جرت وتجري بحوث عن احتمال شق القناة المرجوة التي تصل البحر المتوسط بمنخفض القطارة ، ليصب البحر في القناة ماءه ، وذلك بالتفجير الذري .

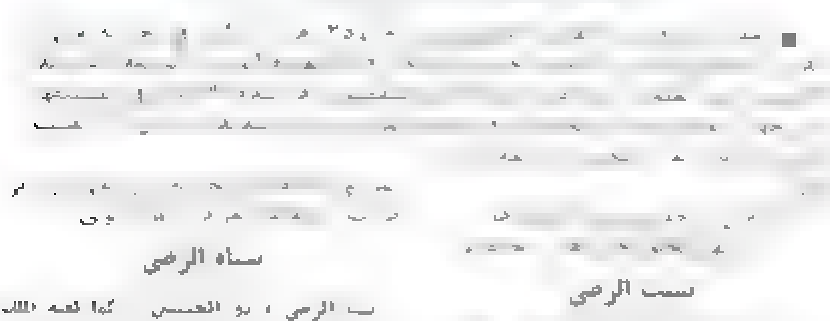
انها قناة تكون طولها نحو ٥٠ ميلا (انظر مجلة « العربي » عدد ٤٢ صفحة ٥٥) ، تأذن للماء أن ينصب الى انخفاض مقدر بنحو ٢٠٠ قدم ، وفي انصبابه يدير التربينات التي تنتج من الكهرباء ٣٠٠ مليون وط . والماء في المنخفض تبخره حرارة الشمس ، فينقص ، فيظل ماء البحر يجري الى المنخفض وطريقه القناة .

وقد دلت بحوث الجمهورية العربية على ان التفجير بالذرة ينزل بنفقات الحفر الى الثلثين . ■



شخصيته كعالم متدين، طغت على شهرته

بقلم: الدكتور محمد محمود الدش



نسب الرضي

سماه الرضي

... الرضي، أبو الحسن ... كما لقبه الملك بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي سنة ٣٦٩هـ ...

* بمناسبة مهرجان الشعر الذي أقامته سورية تخليداً لذكرى الشاعر العربي الكبير ...



كشاعر متمكن ..

الى العلم وحفظ القرآن والحديث ودراسة الفقه الاسلامي والشعر والنثر ، فتتلمذ على نفر من جلة العلماء وافاضلهم في ذلك العصر من امثال ابي سعيد السيرافي ، وابي الفتح عثمان بن جني ، وابي علي الفارسي ، والقاضي عبد الجبار ، وابي بكر الخوارزمي وغيرهم ممن يبلغ عددهم بضعة عشر استاذا تلقى على ايديهم علوم العربية والعلوم الاسلامية المختلفة .

بكيره في التحصيل والتأليف

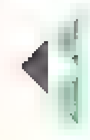
وتشير الاخبار الى انه بكر تبكيرا شديدا في حضور جلسات العلم والعلماء وظهر فيها نجابة ملحوظة ، حتى ليروى انه احضر الى ابي سعيد السيرافي ، العالم النحوي المشهور ، وهو صبي لم يبلغ عمره عشر سنين ، فلقنه النحو ، وكان السيرافي ، والحاضرون يعجبون من ذكائه وحدة خاطره . كما يروى انه تلقن القرآن في سن مبكرة فحفظه في مدة يسيرة ، ثم توسعه دراسته مكنه من أن يصنف بعد ذلك كتابا في معاني القرآن الكريم يتعذر وجود مثله ، ويدل على توسعه في علم النحو واللغة . وصنف كتابا في مجازات القرآن فجاء نادرا في بابه . ويقول محقق الكتاب الاخير انه « يقوم في التراث العربي الاسلامي وحده شاهدا على ان الشريف الرضي خطا اول خطوة في التأليف في مجازات القرآن ... ولم يجد غرضا في خلال كتابه او بابا من ابواب مصنفه » .

هذه الشواهد تدلنا في سرعة على ان الشريف الرضي امتاز بشخصية جادة في الحياة جعلت نفسها اخذا شديدا باسباب الجد في الدرس والعلم والتحصيل ، وذلك في السن التي يكون فيها اقرانه وامثاله في العمر لا يزالون يلعبون لعب الصبية ويلهون لهو من لم يشبوا عن الطوق .

وشاعرية مجهولة باكرة

ويواكب ذلك النبوغ والذكاء في هذا الطور من حياة الرضي ظاهرة مبكرة وموهبة شبه نادرة ، تلك هي شاعريته المجهولة الناضجة ، والتي تؤكد الروايات والاخبار انها بدأت تؤتي ثمارها من الشعر بعد ان جاوز عشر سنين بقليل . ويعتبر شعره هذا الذي تنص الروايات على انه من اوائل اشعاره شعرا ... قويا لا ينقصه شيء من الصقل والتهذيب ، ولا يقل في جودته عن شعره الناضج من حيث النسيج والصياغة والبناء .

هذه الموهبة الفنية ظلت تنمو في حياة الرضي وهي حياة ليست طويلة ، حتى ملأت ديوان شعر كان يوصف في عصره بانه ديوان كبير ، يدخل في اربع مجلدات ، ولكنه مشهور بين الناس كثير الوجود .. وحتى اتفق النقاد والعلماء على ان الرضي « اشعر الطالبيين من مضى منهم ومن غبر ، على كثرة شعرائهم المفلقين » . ولو قيل انه اشعر قريش لم يجاوز ذلك الصدق ، لان



قريشا كان فيها من يجيد القول ، اما الشعر فقل في قريش مجيدوه ، فاما المجيد المكثر فليس الا الشريف الرضي » .

وله ، غير الشعر ، دراسات قيمة

وهذه الشاعرية الفياضة المبكرة لا ينبغي ان تنسي انه كان بجانبها عقلية دارسة فاحصة انتجت دراسات قيمة في القرآن والحديث والنقد والبلاغة والتاريخ ، نذكر منها بالاضافة الى كتابيه السابقين في معاني القرآن ومجازات القرآن ، المجازات النبوية ، وخصائص الائمة ، واخبار قضاة بغداد ، وسيرة والده ، وحقائق التأويل في متشابه التنزيل ، وكتاب رسائله ، والحسن من شعر الحسين بن الحجاج ، ونهج البلاغة الذي جمعه من كلام الامام علي بن ابي طالب .

عقلية الرضيّ ، عربية خالصة

وطالعنا في عقليــة الرضي ، كما تطالعنا في شاعريته ، خاصة واضحة تبدو بجلاء فيما وصل الينا من كتبه ، هي حريته في التفكير واستقلال الرأي وانطلاقه في التعبير عما يرى ويستقر رأيه عليه ويناقش في حرية ولم تعصب آرائه وآراء غيره ، لا يلجمه في ذلك كله ، سواء في شعره أو في نثره ، الا قيد واحد ، ان صح ان يكون لمسكه بعروبته واصالته العربية قيدا .

لا جرم ، فالرضي من اشرف العرب نسبا ، واعتزازه بعروبته واعتداده بتفكيره العربي امر واجب مقدس في نظره ، يفرضه عليه نسبه العربي العريق ، كما ان ثقافته العربية الخالصة التي تعتمد على مصادر عربية اسلامية صافية من القرآن والحديث وتاريخ العرب وتراثهم في النثر والشعر جميعا، ونفوره من الثقافة الاجنبية التي انحصرت محيط الثقافة العربية، كل ذلك جعلنا نحكم على ثقافته ونصفها بانها ثقافة عربية عربية وانها ليست فلسفية او علمية او اجنبية.

سرّ تمسك الرضيّ بعروبته

واذا اضفنا الى ذلك ان الرضي كان من الرواة العرب المعدودين البارزين في المحيط العربي والمجال الاسلامي ، بما كان يليه من امور العرب وامور المسلمين ، حيث صارت اليه ولاية نقابة الطالبيين والحكم فيهم أجمعين ، والنظر في المظالم والحج بالناس ، وكانت كل هذه الاعمال لابيه فصارت اليه في حياة ابيه سنة ٣٨٠ هـ وعمره لم يتجاوز الحادية والعشرين ، ثقة من السلطان ومن ابيه ومن عامة الذين ولي امرهم فيها، واطمئنانا منهم الى رجاحة عقله ووفرة ذكائه وحكمته ، مما جعل الثعالبي يصفه بقوله « وهو اليوم ابدع ابناء الزمان ، وانجب سادة العراق ، يتحلى مع محتده الشريف ، ومفخره المنيف ، بادب ظاهر وفضل باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ».

واذا اضفنا كذلك ما هو معروف من اسباب الصراع السياسي والاجتماعي حينئذ بين الفرس الذين استولوا على السلطان جميعه ، وبين العرب الذين احسوا بضياع نفوذهم وهيبتهم . اذا اضفنا هذا وذاك استطعنا من زاوية اخرى ان نفسر سر تمسك الرضي بعروبته وسر تمكن هذه العروبة من طريقته في التفكير والتعبير ، ذلك التمكن الذي يشبه التقيد ، بحكم نسبه العربي الاصيل وثقافته العربية الخالصة ومنصبه العربي الطالبي ، والصراع السياسي الاجتماعي بين العرب والفرس .

شعر الرضيّ مرآة تعكس شخصيته وتصوّر عصره

وشعر الشريف الرضي هو المرآة التي تنعكس عليها كل الملامح السابقة فتكشف لنا بوضوح كل ما فيها من جوانب وتفصيلات ، وهو الذي يعطيها صورة صادقة لسمات شخصيته من ناحية ، وسمات عصره وبيئته وثقافته من ناحية اخرى بحيث يصلح الكثير من شعره ان يكون من الوسائل القيمة التي تعين على فهم كثير من احداث هذا العصر واخباره .

واول ما يطالعنا في هذا الشعر ، في قوة ووضوح، هو ارستقراطية الشريف الرضي العربية التي حدثتنا عن اسبابها ومقوماتها ، وهي تطالعنا في الفنون والاغراض التي طرقها ، واهم هذه الفنون في ديوانه دون شك : الفخر والرثاء .

الفخر في شعر الرضي

اما الفخر فيعتمد عنده قبل كل شيء على هذه الارستقراطية العربية التي تجري في دمه ، ثم على منزلته ومنزلة بيته في المجتمع الاسلامي ، ثم على الصفات العربية التليدة المأثورة ، من شجاعة واقدام وعدم مبالاة بالاخطار والموت ، ومن كرم

وبجدة وإقالة ، ومن وفاء وحسن جوار ولطف معاشرة ، ومن حلم ووقار وقوة احتمال وعفة في القول والعمل .. ولا عجب أن يكون الفخر من الفنون المبكرة جداً في حياته الفنية ، إذ نجد في ديوانه قصيدة في هذا الغرض ، قالها وله عشر سنين عمرها .

المجدُ يعلم أن المجدَ من أربي
ولو تماديتُ في غيٍّ وفي لعب
إني لمن معشر إن جمعوا لعلى
تفرّقوا عن نبيٍّ أو وصيّ نبي

ومن القصائد الرائعة في هذا الباب ، وهي تجمع كثيراً من مقومات فن الفخر عنده من حيث المعاني والصياغة التي جلت طول نفسه فيها قصيدته التي يقول فيها :

لغير العلى مني القلى والتجنب
ولولا العلى ما كنت في الحب أرغب
ملكتُ بحلمي فرصة ما استرقها
من الدهر مفتول الذراعين أغلب
لئن تك سني ما تطاول باعها
فلي من وراء المجد قلب مذرّب
وللجهل أوقاتٌ ، وللحلم مثلها
ولكن أوقاتي إلى الحلم أقرب
ولا أعرف الفحشاء إلا بوصفها
ولا أنطق العوراء والقلب مغضب
لساني حصاةٌ يقرع الجهل بالحجى
إذا نال مني العاضه المتوثب

المديح في شعر الرضي

وديوان الشريف الرضي يضم بين دفتيه قصائد في المديح ، يمدح بها بعض الملوك والخلفاء في عصره ، ولكن أغلب مدائحه في أبيه وفي أهل بيته وهي أصدق بفن الفخر لأنه إذا مدح أباه أو أهل بيته فهو إنما يفخر بهم وبنسبه ، وحتى إذا مدح الخليفة أو غيره ، فهو إنما يتخذ ذلك تكئة يعتمد عليها ويتوسل بها إلى الفخر فيقول للخليفة القادر :

عطفاً أمير المؤمنين فإننا
في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت
أبداً ، كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة ميّزتك ، فإنني
أنا عاطلٌ منها وأنت مطوّق

الرثاء في شعر الرضي

وأما الرثاء فهو القيثارة الحبيبة لدى الرضي ، يعزف عليها ألحانه الشجية الحزينة كلما مات فرد من أقاربه وأهل بيته ، سواء في ذلك صغيرهم وكبيرهم ، الذكر منهم والأنثى . بل تشتد به هذه النزعة الأرستقراطية العربية فتأخذه أخذاً إلى البوح في مواطن الليالي وسوالف الأيام ليخفف من هذه الألحان الباكية على من رحلوا من أهل بيته الأبعدين والأقربين . لا سيما الحسين بن علي ، الذي رثاه أكثر من مرة ، وبكاه بكاء حاراً بدمع ساخن مدرار .

الرضي رثا الشيعي وغير الشيعي والعربي وغير العربي والمسلم وغير المسلم

والغالب الظن أن تلك هذه النزعة هي التي كانت تملي عليه أن يكون وفياً ، فيمسك بتلك القيثارة ، وما أسرع ما كان يمسكها ، ليبكي أناساً آخرين من غير أهل بيته ، تربطهم به علاقة الصداقة أو الزمالة في العلم أو في الشعر ، أو استلطافهم له . ومن حق الرضي أن نسجل له في هذا المقام صفة مهمة في شخصيته هي تجرده من كل عصبية ، وخاصة في باب الصداقة أو باب الزمالة في الأدب والعلم ، إذ لم يكن يفرق في هذا المجال بين شيعي على مذهبه وغير شيعي ، ولا بين عربي وغير عربي ، بل لم يكن يفرق بين مسلم وغير مسلم ، حتى بكى صديقه أبا إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي، وهو على دين الصابئة على حين كانت تجمع بينهما صداقة الأدب وكانت بينهما مراسلات بالشعر والنثر . والقصيدة الرضي في رثاء الصابي تعد من أروع قصائده في الرثاء ومطلعها :

أعلمت من حملوا على الأعواد
أرأيت كيف خبا ضياء النادي
جبلٌ هوى لو خرّ في البحر اغتدى
من وقعه متتابع الإزباد
ما كنت أعلم قبل حطك في الثرى
أن الثرى يعلو على الأطواد

ولقد رثاه الشريف بأكثر من قصيدة ، ولم يعبأ بما وجه إليه من لوم في ذلك .

ولعله لم كذلك على رثائه الحسين بن أحمد ابن الحجاج الشاعر الماجن المشهور ، لبعد ما

بينهما في السلوك والمذهب والخلق ، بقصيدة يقول فيها :

يبلك الزمان طويلا عليك
لقد كنت خفت يد الزمان

ومما يؤكد هذه الصلة ، وصلة الروح في الشريف الرضي أنه رثى عمر بن عبد العزيز ، على قدم ما بين البيتين من خلاف عميق وعداء وصراع في السياسة والسلطة . قال فيه :

يا ابن عبد العزيز ، لو بكت العين
فتى من أمية لبكيتك
غير أني أقول : إنك قد طبت
وإن لم يطب ولم يزك بيتك
ولو اني رأيت قبرك لاستحييت
من أن أرى وما حييتك
وقليل أن لو بذلت دماء البدن
صرفا على الذرى وسقيتك

وعلى نغمة أوفر من نغمات هذه القيثارة الحزينة يعزف الرضي ألحانه في فنون شعره الأخرى في الحكمة والزهد والشكوى من الزمان وضياع الشباب ونزول الشيب ، حتى غزله ونسيبه يفيضان بالأنين والتوجع والتألم .

شعر الرضي في الزهد والحكمة

وشعره في الحكمة والزهد يكاد يعتمد اعتمادا خالصا على الثقافة العربية والآثار الإسلامية في معانيه وأفكاره ، وإن خالطه شيء غير عربي مما كان شائعا في عصره وقبل عصره من الثقافات الأجنبية ، وفيما عدا ذلك فهو مستمد من القرآن الكريم والحديث الشريف وأقوال الصحابة والزاهدين ، ومن تجاربه الخاصة في حياته العربية الخالصة ومذهبه العربي في هذه الحياة .

غزل الرضي

وغزل الشريف الرضي ونسيبه عربيان خالصان ، يستوحيهما من العربيات الخالصات ، ومن البيئات العربية ، على الرغم من كثرة الإماء والجواري غير العربيات وذهاب الشعراء في التشبيب بهن كل مذهب في عبث ومجون . والرضي لم يزل زلة واحدة ولم ينحرف به الطريق عن العفة والشرف والخلق الرفيع في هذا الباب ، وهو إنما تغزل غالبا بنزيلات العربيات من نزيلات الخيمة والخباء ، ومن من بيئات عربية في نجد أو في العراق أو في الحجاز ، وغاية عشقه وغزله أن يقول :

عفافي من دون التقية زاجر
وصونك من دون الرقيب رقيب
عشقتك ومالي ، يعلم الله ، حاجة
سوى نظري ، والعاشقون ضروب
ومالي يا لمياء بالشعر طائل
سوى أن أشعاري عليك نسيب

ومذهبه في اختصاصه العربيات بالغزل واضح حين يحثنا على ذلك في بعض شعره إذ يفرق بين مجد العربية وبابل الفارسية ، فيقول في معرض النسيب .

لوامع الشوق تخطيهم وتصيبني
واللوم في الحب ينهاهم ويغريني
هيهات بابل من نجد ، لقد بعدت
على المطي مرامي ذلك البين

والرضي إذا تعرض لوصف الفتاة لا يذهب بعيدا ، إلى أبعد من نضرة الوجه وبياض الجيد وصفاء البشرة وامتلاء الساعد والساق ، فإذا كان بينه وبينها لقاء فهما على هذا النحو

بتنا ضجيعين في ثوب الظلام كما
لف المعتنقين مر الريح بالأسل
طورا عناقا كأن القلب من كثب
يشكو إلى القلب ما فيه من العلل
وتارة رشفات لا انتهاء لها
شرب النزيف طوى ملأ على ثمل
وكم سرقنا على الأيام من قبل
شرب الرهيب كشرب الطائر الوجل

غير أن الرضي كثيرا ما يؤكد أن هذه اللقاءات ، على ما يبدو في ظاهرها من غرابة ، بعيدة عن الشبهة ، وليس فيها غير عفيف القول وعفيف الفعل ، مما لا يمس الشرف بخدش ، ولا يزار في حصن الخلق بأثر .

وليلة من ليالي الأنس مظلمة
لم تعرف البين بين المنحنى والعلم
بتنا ضجيعين في ثوبي هوى وتقى
يلفنا الشوق من فرع إلى قدم
وبيننا عفة بايعتها بيدي
على الوفاء بها والرعي للذمم
ثمت انثنى برحا ما علقته
غير العفاف وراء الغيب والكرم
لم أتيتها وقد رأيت ظواهرنا
وفي بواطننا بعد عن التهم

فهذه عفة عربية وتقوى عربية ، ووفاء عربي ،

ونمة عربية للفتاة العربية أن يرمقها ويحسه بها ولا يفرط فيها . وفيما عدا ذلك فغزل الشريف الرضي يفيض بنفثات الألم، ألم الفراق ، والشوق، والحنين ، والذكرى .

شكوى الزمان

والى جانب ذلك كله نجد الرضي كثير الشكوى من الزمان ومن نوازله وخطوبه وغدره ، وأكثر من ذلك شكواه من الشيب وتفجعه على الشباب، اذ فاجاه الشيب وهو لم يزل في عتبات الصبا بكثير، في شعره ما يدلنا على أن الشيب داهمه وهو في سن العشرين أو بعد ذلك بقليل .

عجلت يا شيب على مفرقي
وأي عذر لك أن تعجلا
لكنت ... عن ...
ما استغرق العمر ولا استكملا
كنت أرى العشرين لي جُنّة
من طارقات الشيب أن ينزلا
فالآن سيان ابن ... أم العشرين
ومن تعدى العمر الأطولا

ولذلك نجده كثير الشكوى من الزمان ومما أنزله به من شيب باعد بينه وبين الشباب وقرب بينه وبين الموت والغض عنه عيون الحسان

لو دام لي ود الأوانس لم أُبَلْ
بطلوع شيب وابيضاض عذار
واهاً على عهد الشباب وطيبه
والغض من ورق الشباب الناضر
وأرى المنايا ، إن رأت بك شيبة
جعلتك مرمى نبلها المتواتر
لو يفتدى ذاك السواد فديته
بسواد عيني بل سواد ضمائري
إن أصبحت عنه الصدود فطالما
... لبه بنواصف ونواظر

الوصف عند الرضي

أما في الوصف فقد كان مجليا مبرزا فلم تكن شاعريته معبرة تعبيرا قويا عن مكنون نفسه ودخيلة عاطفته فحسب ، وانما كانت معبرة أيضا عن انعكاسات الصور الخارجية عليها مصورة لها تصويرا فنيا يدل على براعة التصوير وروعة فنه .

على أن الأمر الذي يثير التأمل حقا في شعره انما هو موسيقاه ، والذي يصيخ السمع الى قراءة شعر الرضي يجد أنه كان يختار الايقاع الموسيقي المناسب - ربما في غير وعي منه - للفن الذي يقول فيه معانيه ويصوغ فيه أفكاره وخلجات نفسه ، فالتوافق الموسيقي بين الأوزان والمعاني سمة واضحة في قصائد الرضي بحيث يثير ذلك السامع ويأسره ويهزه هزا شديدا .

عوامل صرفت الناس عن شعر الرضي

وبعد هذه الوقفة - غير المستقصية - مع الشريف الرضي وشاعريته ، أليس من الانصاف أن نسأل على أنه من الواجب أن نقف معه وقفة طويلة ، نتعرفه ونتعرف شاعريته التي انشغل عنها القدامى بالمتنبي وشعر المتنبي ، ثم لم يلبثوا أن طلع عليهم أبو العلاء المعري فانشغلوا به الى جانب انشغالهم بأبي الطيب ؟!

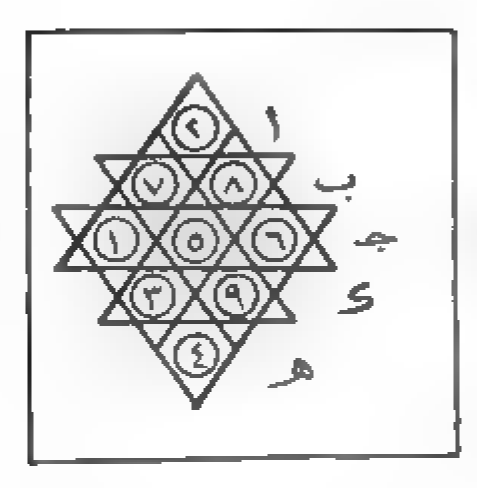
لا شك أن هناك عوامل أخرى صرفت الناس عن الشريف الرضي صرفا ما ، من أهمها نفس هذه الأرستقراطية العربية التي لازمته في شخصيته وسلوكه وخلقه وفنه ، والتزامه طريق الجد والرزانة والوقار ، بعيدا عن مخالطة العامة وجماهير الناس . ويبدو أن تعففه وارتفاعه بمعانيه وأغراضه وصياغته بما يناسب أرستقراطيته صرف طوائف أخرى من الناس الذين كانوا يميلون الى اللهو والعبث تنفيسا عن أنفسهم مما كان يسود تلك الحقبة من عنف وشدة ابان حكم بني بويه ، ولم يكن في اللهو والأغراض التي طرقها الشريف ما يعطف هؤلاء على شعره ، حتى في نسيبه وغزله اللذين كان يحافظ فيهما على الوقار والجد . ونفس النغمة الحزينة الشاكية التي تجلل معظم شعره اعتبر عاملا مهما في هذا السبيل وانصراف الكثيرين عنه . أما العلماء والنقاد فيبدو أنهم لم يجدوا في شعره من المشكلات والمعضلات ما وجدوه في شعر أبي الطيب وأبي العلاء مما يشغلهم به . كما أن شخصيته كرئيس ديني وعالم من علماء البيان والفقه والتفسير غلبت على شخصيته شاعرا .

ولعل الرضي ، لو كان شاعرا متفرغا للشعر وأغراضه ، سالكا في حياته ومنهجه وطريقته طريقا غير الطريق الذي التزمه وألزم به نفسه وسلوكه وشعره ، لكان له شأن آخر بين شعراء هذه الفترة وعلى رأسهم المتنبي والمعري ، ولنال اهتماما أكبر عند من أرخوا لتاريخ الأدب العربي.

محمد محمود القشي

نتيجة مسابقة العدد ٧٠

٥٠٠٠ إجابة نصفها خطأ!



● اشترك في حل هذه المسابقة مايزيد على خمسة آلاف قارئ، ارسلوا اجاباتهم من ٣٤ دولة منتشرة في افريقيا، وآسيا، واوربا، وامريكا، والشرق الاقصى ..

وتميزت هذه الرسائل، بالعدد الكبير من الاجابات الخاطئة، التي قاربت نحو ٥٠ في المائة من مجموع الرسائل التي وصلتنا ..

والى جانب هذا الكلام، يجد القراء الحل الصحيح لهذه المسابقة .. وقد اجريت القرعة بين الاجابات الصحيحة، ففازت الاسماء الآتية بالجوائز المقررة، ومجموعها ١٠٠ دينار ..

الجائزة الاولى ومقدارها ٣٠ جنيها، فاز بها:
حسين ابراهيم علي الهاشمي – المدرسة الثانوية الحكومية – بورسودان – السودان.

الجائزة الثانية وقيمتها ٢٠ دينارا فاز بها:
محمد الشيخ اسماعيل بغدادي – جمعية علماء الدين العاملية – صور – لبنان.

الجائزة الثالثة وقيمتها ١٠ دنانير فاز بها:
عمران فرحات عطيس – ليبيا – طرابلس الغرب – زوارة

٨ جوائز قيمة كل منها ٥ دنانير، فاز بها:

محمد عبد الله النويصر – مدرسة المليدا – عنيزة المملكة العربية السعودية.

حمد محمد سالم العريمي – مكتب البريد العام – دولة الكويت.

محمد العلي موسى فراونه – الزرقاء – ص.ب ٢١١ المملكة الاردنية الهاشمية

نسيمة عبد الحسين – كاظمية – بواب – رقم الدرب ؟؟ – العراق

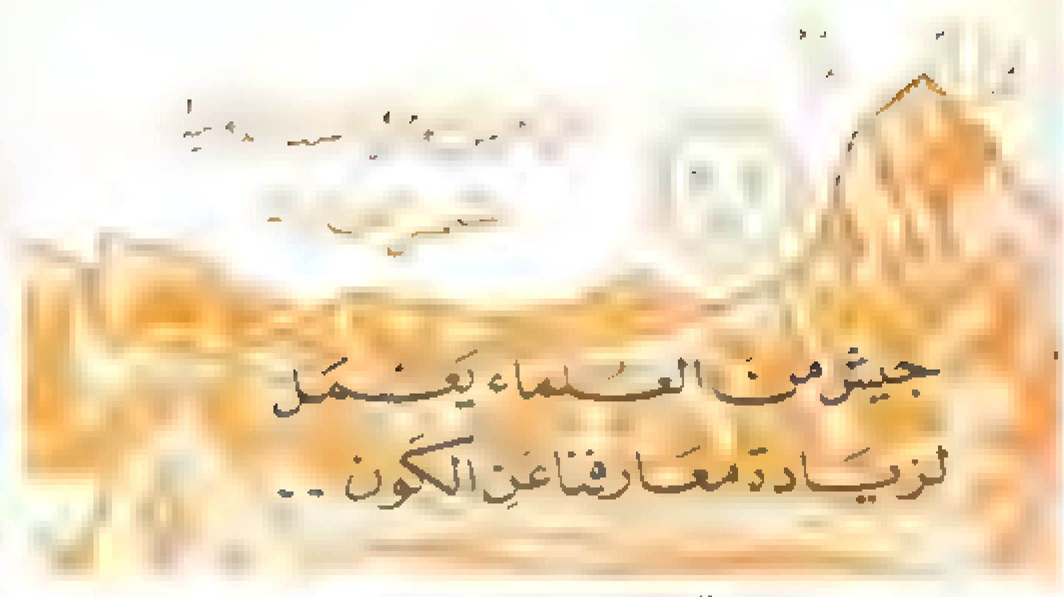
بو بكر علي ملاهي – شارع الميدان – كرمتر – صفاقس

مصطفى حسن طربوش – يبرود – حي الصالحية شارع ابي عبيدة رقم ١١ – الجمهورية العربية السورية.

توفيق الشلالي المصري – مدرسة ابن تميم الابتدائية – المنزلة – دقهلية – الجمهورية العربية المتحدة.

عبد الله الرجيب – طالب كويتي بنيويورك

وسوف نرسل الجوائز بالبريد للفائزين ■■



جيش من العلماء يعمل لزيادة معارفنا عن الكون ..

بقلم : الدكتور عبد الحليم منتصر

[illegible]

[illegible]

وتسمى هذه الفترة ، فترة الهدوء ، وهي هدوء نسبي بطبيعة الحال ، وقد

[illegible]

[illegible]

مرة نحو خمس سنوات ، ما أن تصل إلى قمة فترة النشاط ، حتى تبدأ فترة الهدوء ، وتصل إلى أدنى حالاتها بعد خمس سنوات، تعود بعدها إلى النشاط .. وهكذا .

وقد سجل العلماء ، هذه الفترات ، خلال القرنين الماضيين ، فاذا بهذه الدورات ، تتعاقب واحدة بعد الأخرى ، في نظام بالغ ، وقد كانت الشمس في سنة ١٩٦٠ في فترة النشاط ، ثم أخذت تتقاصر عن نشاطها لتبلغ غاية هدوئها في سنة ١٩٦٥ ، ثم تستأنف فترة نشاط أخرى .

السنة الدولية للفيزيقية الأرضية

وبعد سنوات قليلة خلت ، اختلفت المعارف الانسانية ، في هذا الكون العظيم ، تزداد معرفة بحقائقه ، وذلك بفضل العلم وبتكراره في أجهزة وأدوات ، وبفضل العلماء الذين يحرصون على الاضافة الى المعرفة ، حتى تعلموا جميعا كل يوم جديدا عن أسرار هذا الكون الذي أبدعه البارى سبحانه وتعالى ، وأخذ العلماء يرسمون الخطط الواسعة نحو البحث والدرس في هذا المجال ، ويقومون بتخطيط جماعي ، يعمل فيه آلاف من العلماء في كل أرجاء الأرض ، وهم يطلبون كل بضعة أعوام مهرجانا علميا لهذه الدراسة . ومنذ بضع سنوات نظموا ما سموه السنة الدولية للفيزيقية الأرضية ، والتي امتدت ثمانية عشر شهرا ، بدأت في أول يوليه سنة ١٩٥٧ ، وانتهت في آخر ديسمبر سنة ١٩٥٨ ، تحققت فيها [illegible] رصد [illegible] على [illegible] الاهمية

وقد كتبت المقالات الضافية ، ونشرت بحوث وكتب ضخمة عن الاعمال الفلكية التي تمت في هذه السنة . وعقدت مؤتمرات علمية لمناقشة هذه النتائج والتعليق عليها . وكانما جنّد هذا الجيش من العلماء في ارجاء المعمورة ، ليعمل في نفس الوقت في سبيل اضافة مزيد الى معرفتنا عن الكون ، وخاصة عن كوكبنا الصغير وهو الارض بالنسبة لباقي كواكب المجموعة الشمسية ... وقد خطت هذه المعارف خطوة واسعة في هذه السنة ، وذلك بالنسبة لعلم الارصاد الجوية والمغناطيسية الارضية ، والشفق ، والنشاط الشمسي ، والطبقة المتأينة في الغلاف الجوي ، والاشعة الكونية ، والصواريخ والاقمار وعلوم الزلازل والجاذبية والاشعاعات النوويه وغيرها . وقد اختيرت هذه المدة بالذات ، حيث كان منتظرا أن تكون الشمس في أقصى فترات نشاطها . وقد اثبتت التسجيلات والرصدات التي اخذت ان الشمس قد بلغت فعلا ذروة نشاطها وفوراتها بدرجة لم يسبق لها مثيل طوال القرنين الماضيين ، كما دلت على ذلك ارقام البقع الشمسية . وقد شجعت هذه النتائج العلماء على أن يتابعوا نشاطهم في هذا المجال ، وأن تسجيل هذه المشاهدات والرصدات في طبقات الجو العليا يجب أن يستمر خلال فترة الهدوء الشمسي كذلك .

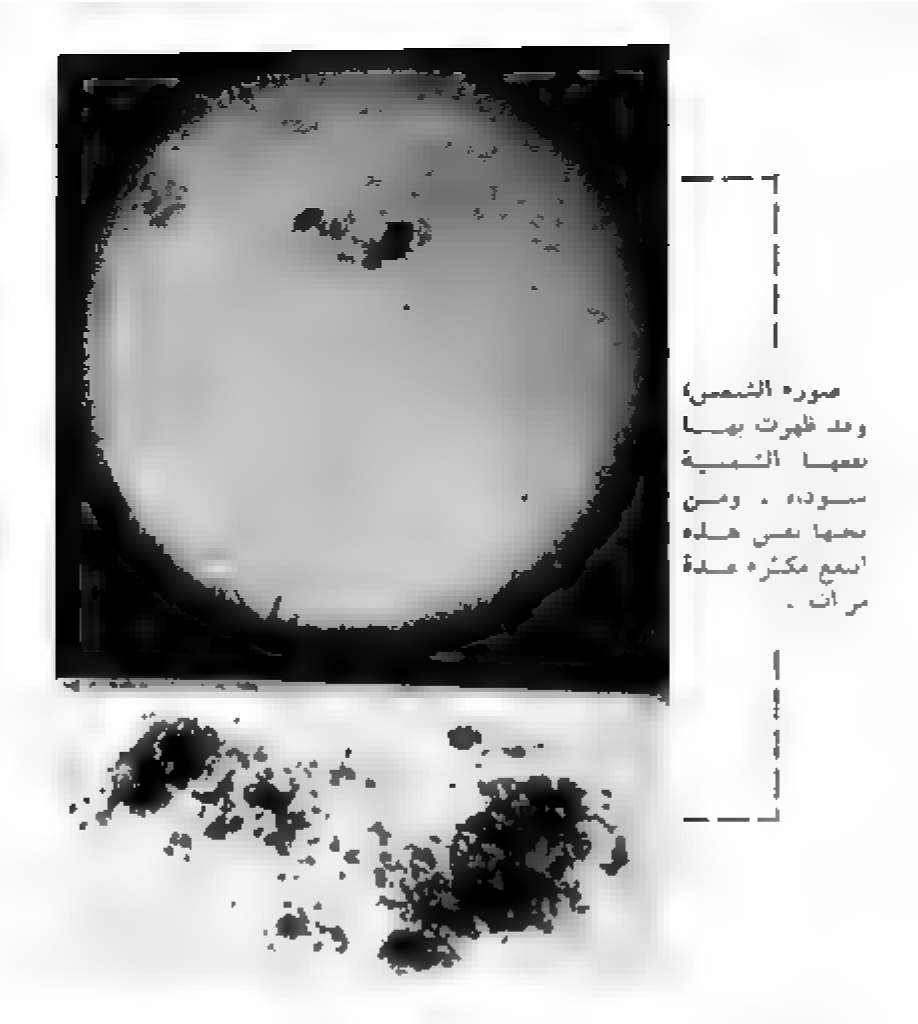
السنة الدولية للشمس الهادئة

ومن هنا نشأت فكرة رسم خطة لبرنامج دولي آخر لتسجيلات ورصدات يشترك فيها العلماء في كل المراصد الفلكية ومحطات الارصاد الجوية المنتشرة في انحاء العالم ، سواء على البحر أو سطوح الجبال ، أو في وسط الصحراء في الجهات الاستوائية أو القطبية . ويتم التسجيل والرصد في نفس الوقت في كل هذه الجهات وفي جميع مجالات الارصاد الجوية ، وطبقات الغلاف الجوي العليا ، والمغناطيسية الارضية ، والنشاط الشمسي والاشعة الكونية . وتستمر هذه السنة الدولية عامين . وقد بدأت في أول يناير سنة ١٩٦٤ لتنتهي في آخر ديسمبر سنة ١٩٦٥ وقد سميت السنة الدولية للشمس الهادئة .

وقد بدأ التخطيط والتنظيم لهذه السنة باجتماع عقد في باريس في مارس ١٩٦٢ ، وكانت قد دعيت الاكاديميات والهيئات العلمية المختصة لحضور الاجتماع والمشاركة في هذه السنة الدولية ، وطلب الى الدول المختلفة ايفاد مندوبيها الرسميين من العلماء المتخصصين الى هذا هذا الاجتماع . ثم عقد اجتماع آخر في روما في المدة من الثامن عشر الى الثاني والعشرين من مارس ١٩٦٣ . وكانت الدول والهيئات المختلفة قد وضعت خططها ، وبلغ عدد الدول التي أعلنت عزمها على المشاركة في اعمال السنة الدولية نحو اثنين وستين دولة . وقد رسمت الخطوط العريضة لتنظيم هذا العمل الجماعي ليعطي افضل النتائج واتفق على المسائل الرئيسية التي تدرس في هذه السنة ويرجى أن تهتم كل دولة أو هيئة باستغلال امكانياتها العلمية من المتخصصين والاجهزة والادوات لتسجيل ما تستطيعه في فترة هدوء الشمس ، وكذلك تسجيل الاحداث الشمسية التي تقع في غضون هذه المدة . واجراء دراسات مقارنة بين تسجيلات ورصدات فترة الشمس الهادئة ، وتلك التي اخذت في فترة الشمس النشيطة وتجميع المعلومات وتبادلها .

مخطط العمل لهذه السنة الدولية الحاضرة

ويمتاز مخطط العمل لهذه السنة ، بأن القائمين عليه قد اكتسبوا خبرة من اعمال ونتائج السنة السابقة ، وقد تكامل نشر نتائجها ، كما أن نطاق العمل قد اتسع . وعدد الدول والعلماء المشتركين في العمل قد زاد زيادة كبيرا . ولقد اثبتت كشوف السنة السابقة خيال الباحثين من العلماء ووسعت آفاق البحث أمامهم ، وقد من المتوقع أن يرسم العلماء صورا دقيقة للاحداث الكونية وأن يكون تعاونهم خيرا وبركة على العلم والمعرفة . وقد شجع نجاح مثل هذه الخطط العلمية رسم مزيد منها وعقد كثير من الاجتماعات



صورة الشمس، وقد ظهرت بها بقعها الشمسية سوداء . ومن تحتها بقعة من هذه البقع مكبرة عدة مرات .

والمؤتمرات العلمية مثل مؤتمر كيوتو الدولي الذي عقد في اليابان لدراسة الأشعة الكونية والعواصف الأرضية ، الذي عقد في سبتمبر سنة ١٩٦١ كما عقد غيره من مؤتمرات وندوات للدراسة والبحث حيث يجتمع علماء الفلك والطبيعة والأرصاد الجوية والكيمياء والمهندسون ، وكلهم من ذوي التخصصات الدقيقة .

البحوث المرجوة من السنة الدولية الحاضره

والآن فلا عجب أن تكون هذه الشمس الهادئة التي تثير حماس العلماء وتدعوهم إلى هذه الاستعدادات الهائلة التي تجري على قدم وساق وعلى نطاق دولي .

لقد لوحظت هذه الظاهرة بمشاهدات الكسوف الكلي للشمس حيث يرى إكليلها ينقلص كثيرا عندما تكون دورة الشمس في أدنى حالاتها كما أن دراسة البقع الشمسية التي سجلت في تسع عشرة دورة سابقة دلت على أنه عندما تكون البقع الشمسية قليلة فإن الاضطرابات الأرضية تقل كثيرا وقد تختفي تماما .

ولم يسبق أن جندت كل هذه الخبرات والمهارات لتسجيل رصدات للشمس في فترات هدوئها وفترات نشاطها ، كما أن التقدم العظيم

في الاجهزة والادوات وطرق التكنيك المختلفة في الاسلكي ، والاقمار الصناعية ، والارصاد والتصوير ادى الى كشوف رائعة في مجال النشاط الشمسي ، وضحونا نعرف ان النشاط الشمسي مسألة اكثر تعقيدا مما كنا نظن ، وانه لا يكفي التعبير عنها بحجم الاكليل الشمسي او احصاء البقع الشمسية .

ان دراسة اللهب الشمسي وعلاقته بنشاط الشمس ، وما ينبثه من زوائد ، وانبعاث مثل الاشعة السينية والجسيمات المختلفة ، وما له من انعكاس في الاسلكي والمجال المغناطيسي للبقع الشمسية ، وغير ذلك مما اضاف الكثير جدا الى معلوماتنا ولفتنا لبعض مظاهر النمو والفناء للاضطرابات الشمسية . هذه الاضطرابات التي يصاحبها تولد تيارات من الجسيمات تنبعث من الشمس ولها آثارها على الارض . فتسجيل مثل هذه المشاهدات على نطاق دولي جماعي له اهمية كبرى : انه يعطي صورة لحظية كاملة لكل هذه الاحداث العامة وان الترابط الزمني بين هذه الاحداث هو المفتاح الذي يؤدي الى فهم علاقاتها ، بعضها ببعض . والربط مثل هذه الدراسات المباشرة للشمس بمشاهدات ارضية كثيرة للاشعة الكونية ، والطبقة المتأينة والاسلكي والاضطرابات المغناطيسية ، فان تسجيل هذه المشاهدات والرصدات والصور من شأنه ان يفسر كثيرا من الاحداث الشمسية سواء تلك التي حدثت في الماضي او تحدث في المستقبل ، كذلك الطاقة الكلية لاشعاعاتها وانبعاث الجسيمات وخصائصها الطيفية .

ويشمل برنامج السنة الدولية للشمس الهادئة في مجال الارصاد الجوية دراسة طبقة الغلاف الجوي للشمس في منطقة يفوق سمكها عشرين كيلو مترا ، وهي المنطقة التي لم تصلها بعد اجهزة الارصاد الجوية ، فاذا تراكمت معارفنا تستكمل ابعاد صورة الجو . وقد اصبح من الميسور استعمال بالونات وصواريخ واقمار الارصاد للتسجيل بصورة مرضية على ارتفاع ستين كيلو مترا . ويمكن رصد آثار ضئيلة من الاوزون او بخار الماء في مثل هذا الارتفاع . كما يمكن دراسة قطاع عمودي من الغلاف الاشعاعي ، وبذلك نعرف اكثر ما يمكن عن المحتوى الحراري للجو .

وفي مجال المغناطيسية الارضية ، التي عرفت تسجيلاتها منذ زمن بعيد ، قد طرأت تغيرات تقنية كبيرة في طرائق التسجيل ، وتستطيع المراصد الحالية التسجيل الآلي للتغيرات مختلفة الرصدات التي تعطي بدورها قدرا هائلا من المعلومات ، وستحسن كثيرا خريطة المغناطيسية الارضية ، وانها لتعطي فكرة واضحة عن تغيرات الطبيعة الارضية كذلك الحال في مجال الشفق ، والبريق الهوائي وطبيعة الطبقة المتأينة والاسلكي . وقد افادت الاجهزة الحديثة اعظم فائدة في هذه الدراسات . وفي مجال النشاط الشمسي قدمت الصور الفوتوغرافية التي سجلتها الاقمار الصناعية بيانات مدهشة عن الاحداث والاضطرابات الشمسية التي تبدو آثارها بعيدة جدا من مراكزها ، كما سجلت اجهزة الرادار القوية اصداء محسوسة صادرة من الاكليل الشمسي . وستكون لهذه التسجيلات فائدتها عندما تنتهي فترة الهدوء وتبدأ فترة النشاط الشمسي مرة اخرى . وهناك برامج متنوعة لدراسة الاشعة الكونية مثل ارسال بالونات الى ارتفاعات كبيرة في المنطقة القطبية .

تقديم موعد هذه السنة الدولية

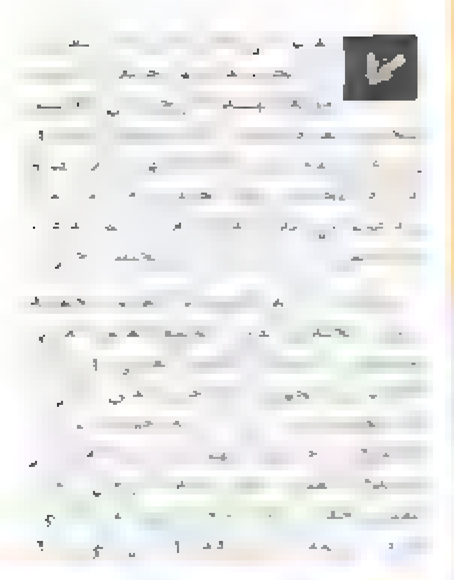
وقد قرر العلماء تقديم موعد هذه السنة من اول ابريل الى اول يناير سنة ١٩٦٤ لما لوحظ من ان النشاط يزداد بعد فترة الهدوء بسرعة اكبر مما ينقص بعد فترة النشاط .

وقد زامنت السنة الدولية الماضية فترة النشاط الشمسي كما ستوافق هذه فترة الهدوء ، ويعلق العلماء آمالا كبارا على نتائج السنة الدولية للهدوء الشمسي ، تضاف الى ما سبق ان حصلوه من معلومات عن فترة النشاط . والمتوقع ان يغطي البرنامج المخطط فترة الهدوء كاملة ، وعلى اي الاحوال فمن المؤكد ان رصيد المعرفة في ازدياد دائم بفضل جهود العلماء العاملين .

■■

عبد العظيم منتصر



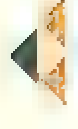




علم : احمد الجندى

لو جلست اليه

ولو جلست اليه لعجبت لهذا الهدوء كهدوء السحر، ولهذا الصفاء كصفاء الأفق في يوم صائف، فاذا اردت قصة علمية في النحو او الصرف او العروض او الأدب او الفقه او الحديث، او ما سوى ذلك، من كل ما قد يخطر على بالك، انك اذا اردت شيئا من هذا فلا بد ان تظفر بالجواب المحكم والرد الذي عملته يد المطالعة والدراسة حتى تخرج رضا لا ترد عليه وجوابا لا تستطيع ان تجد جوابا غيره .



ولو رأيته

ولو رأيته لشاهدت رجلا معتدل الجسم

مريض التكثين غضو الرأس أسمر اللون يمشي الهوينى مشية العالم الصابر المتأني، فاذا تحدثت اليه سمعت صوتا أنيسا لين النبرة هادئها ، فاذا بادرته بسؤال سكت قليلا ثم اجابك معللا مدللا حتى تتركه وانت تحس بعمق المعالجة الى سؤال أحد سواه ، فلقد كان موثوقا ، وكان يستطيع ايحاء هذه الثقة الى من يتحدث اليه ، لهذا كان المرجع وكان الموئل في كل خلاف يحدث حتى بين الاساتذة الكبار .

في مكتب « عنبر »

كان الخلاف على أشده ما بين المرحومين الاستاذ عبد القادر المبارك والاستاذ محمد البزم ، والاول لغوي مشهور ، والثاني شاعر ونحوي معروف ، كانا استاذين في مكتب « عنبر » ومعلمين لمادة واحدة هي النحو واللغة وما شاكل ذلك من دروس اللغة العربية . لذلك كانت تقوم الخلافات فيما بينهما ، وهي خلافات ، لا تتعدى العلم والنحو والأدب ، فهما يختلفان مثلا على كلمة (علاقة) أهي بفتح العين أم كسرها ، أو يختلفان على كلمة رئاسة أهي بكسر الراء أم بفتحها . وكانت هذه الخلافات تثار في غرفة الاساتذة وفي الفواصل بين الدروس .

ولقد كان سليم الجندي آخر من ينظر في هذه المشكلات فيعطي كل ذي حق حقه فلا يعترض ولا يحتج انسان . ولو أردت ان اعدد لك مواقف الرجل العلمية وثقة الناس به واعتدادهم بعلمه وسعة اطلاعه لطال بي الامر .

بين الجندي وانستاس الكرملي

ولقد حدثني من اثق به ان العالم العراقي الكبير الأب انستاس الكرملي بعث في يوم من الايام بمقال اورد فيه بعض الآراء اللغوية الخاصة به . ولقد نظر في هذا المقال عدد من اعضاء المجمع العلمي بدمشق ، فاعجبوا ببعض ما ورد فيه ، ولم يرضوا عن بعضه . ولكن لم يَجرؤ احد منهم الرد عليه ، فلقد عُرف الكرملي بقوة الحجة والشكيمة والقسوة الجارحة على من يطاوله . ولكن الجندي بالرغم من ذلك كله تقدم للسباق ورد رداً محكما مقنعا حتى سكت الكرملي على مضض، ولقد اخذت الحجة الجندية بالمرء فلم تترك له مجالا في القول . ولقد صرح الكرملي بعد ذلك لاحد ابناء العراق بانه لا يخشى احدا في الرد على ما يكتبه الا الجندي لانه (جندي شاكي) على حد تعبيره .

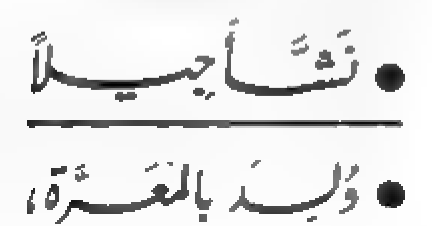
زهد في الدنيا ، فلم يختلط بالناس ولم يكتب بصحيفة ولم يخطب في جمهور

أليس من الغريب المستغرب ان يكون هذا الرجل غير معروف الا عند القلة القليلة من اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ، والا عند الامثلة مكتب عنبر ، وبعض رواد مناهل العلم . ولكن لنسي ذلك ان الرجل لم يكن يختلط بالناس الا فيما ندر ، ولعل اصحابه في دمشق وغيرها لا يتجاوزون اصابع اليد عدا ، ولم ينشر في الصحافة اليومية الا القليل النادر من كتاباته ، ولم يلق محاضرة في حفل وطني ، ولم يتحدث في مكان شعبي ، ولم يقف خطيبا في جمهور الا قليلا . يضاف الى هذا انه لم ينشر شيئا من مؤلفاته في اثناء حياته . كل الذي نشر كان من بعد وفاته . يستثنى من ذلك بعض الرسائل المختصرة المقصورة على بحوث معينة لا تهمّ الا قليلا من أهل العلم وذوي الاختصاص، كرسالة في العروض، أو بعض البحوث الادبية ، أو مطبوع في اصلاح الفاسد من لغة الجرائد ، واكثرها لا يترك اثرا ولا يخلف ذكرا .

ولست اجد تعليلا لكل هذا الا الزهد ، او التقشف ، فقد كان الرجل زاهدا بأعراض الدنيا كلها ، وهو يعتقد اعتقادا جازما صادقا ان المرء اذا ذكر بعد موته كذكره اذا ذكر وهو حي ، بل لعل ما يصيبه من الخير بعد وفاته هو اقرب للصحة والسلامة وابعد عن مجال الحسد والرياء .

نشأة سليم الجندي

ولد المرحوم الاستاذ محمد سليم بن تقي الدين



ابن سليم الجندي في قرية المعرة عام ١٨٨٠ للميلاد . وتوفي عام ١٩٥٥ . وقد نزح المعرة مع والده الى دمشق وهو صغير ، ولقد بدت عليه بوادر الميل الى العلم منذ نعومة اظفاره ، وانصرف منذ فجر طفولته الى حلقات الدرس في جامع المعرة القديم . فلما جاء دمشق وجد المورد عذبا زلالا ، فقرأ على الاساتذة الاجلاء الشيوخ بدر الدين الحسني ومحمد عطا الكسم ، ومحمد شكري الاسطواني وحسين الشاش وعبد القادر بدران ، فاخذ منهم علوم . التوحيد والاصول ، والحديث والفقه الحنفي ، والفرائض ، والبلاغة والنحو والعروض ، وهؤلاء الاعلام كان كل واحد منهم مرجعا في بحثه ، ليس في عصره من يجاريه او يتطاول عليه ، لهذا عرف الجندي كيف يقرأ ، وعرف كيف يفيد من قراءته . فلما حصلت لديه هذه المعرفة الواسعة الصحيحة ادرك انه اصبح في الدرجة التي يريد ، وفي المكانة التي تمكنه من ان يبدي رأيه ويدلي بحجته فلا يجد من يقرعها .

في ديوان الحاكم

واحس بالشباب المتعلم من حوله وكثروا من رجال الدولة ، والوظيفة كانت هاتيك الايام غاية مثلى وقصدا اعلى ، فعمل في بعض اعمال الحكومة كديوان الحاكم العسكري ووزارة الداخلية ، ورئيسا للقلم العربي في ديوان حاكم دمشق . ولكن هذه الاعمال على قربها من ملكته الادبية ، لم تكن تملأ وقته بما يسره ، فكان عمله فيها اشبه بعمل الجندي الذي لم يخلق للجندية . ولقد افاد الحكومة في حياته الحكومية افادة لا تنكر ، اذ شارك في وضع بعض المصطلحات العربية الرسمية في اعقاب زوال الحكم التركي وانتقال الكتابة الرسمية من اللغة التركية الى اللغة العربية ، وما تزال المصطلحات الادارية المستعملة حتى الآن مدينة بفضل وجودها الى سليم الجندي وزملائه ممن تسلموا وظائف الكتابة في تلك الحقبة .

في كرسي الادب العربي

ثم اخذ العالم الشاب طريقه الى المكان الذي خلق له . الى كرسي الادب العربي في مدرسة التجهيز بدمشق ، وكان هذا الكرسي يمثل اعلى درجة علمية في البلاد ، فلم يكن هنالك تجهيز اعلى من مكتب « عنبر » . ولم يكن في جامعة دمشق يومئذ فرع للآداب ، لهذا وجد الجندي في عمله الجديد غاية ما يتمنى . وفي هذا العمل الذي طال سنوات عديدة كتب ما كتب ، والف ما الف . ولعل مؤلفاته الكبرى التي سنأتي على ذكرها قد كتبت في هذه الفترة الخصبة من حياته التي انصرف فيها الى الدرس والتدريس .

ولقد عرفت « الاستاذ » ، كما كان يلقب ، من بعيد ، اعني انني لم اكن تلميذه . ولقد جئت الى الصف الثاني عشر من « عنبر » ، وهو صف الفلسفة ، وكان الجندي يقوم بتدريس صف البكالوريا الاولى (الحادي عشر) بقسميه الادبي والعلمي . ولكن شهرته جذبتني اليه ، فكثيرا ما كنت استوقفه في ساحة المدرسة لاسأله في النحو والعروض واللغة ، ولم يكن قصدي من الاسئلة استفسارا او استيضاحا ، وانما كان ذلك بقصد الوقوف الى جانب الرجل الكبير والتحدث اليه امام الطلاب . ولقد كان يسرع الي الرفاق بعد انتهاء الحديث القصير ليسألوني عما دار بيننا ، وكثيرا ما كنت اصطنع الترفع العلمي والتعمق اللغوي لادل على اخواني ولافخر بلقائه عنه المعاني .

وكان الطلاب يدخلون الى صف الجندي بكل هدوء ورزانة وسكون ، لان الجندي كان يحب

من الشباب على العربية الصافية ، يوم كانت العربية الصافية لغة تقتنى

وأولع بشيخها ، ودافع عن عقيدة أبي العلاء دفاع المستميت

هذه الصفات ولا يقبل غيرها صفة عند تلامذته. وكثيرا ما كنت اندس بين هؤلاء لاستمع الى درسه ولأنصت الى الاعراب الذي لا اعراب بعده ، والى المعروفات الشعرية التي ترتفع بنا الى اسمى ما يمكن ان ترتفع اليه العاطفة الفنية الادبية والذوق العربي الصحيح . وكنا ، انا والتلامذة ـ نتفق معه في كل شيء ، او نذعن له في كل شيء ما عدا بحثه عن ابي العلاء ، فقد كان المعري اثر في نفس الاستاذ اي اثر . وكان اذا تحدث عنه تغيرت ملامحه واحسسنا بالاستاذ ينقلب الى الضد . ولا يفوتني ان تلامذة الصف العاشر عشر كانوا عند ذاك الصف ادباء ان لم يكونوا ادباء كاملين بالمعنى الصحيح وبالنسبة الى هذه الايام، اذ كانت الثقافة العربية في درجة عالية لم تصل اليها في يومنا هذا وكان التلميذ من هؤلاء يكتب ويقرأ وينظم الشعر ويشتغل بالصحافة دون ان يأتيه اللحن من بين يديه ولا من خلفه . وكان الطلاب يخطبون في التظاهرات التي تخرج من مكتب « عنبر » ضد الاجنبي ، فلا يلحنون، ولا يلكنون ، ولا يرطنون . وكان الضعيف منهم في لغته العربية ، لغة امه وابيه ، يخجل ان يظهر على مسرح خطابة او حديث او محاضرة .

في هذا الجو الذي انصرف فيه التلامذة الى العلم من جهة ، والى مقارعة الاجنبي المستعمر من جهة اخرى ، ولا ثالث لهاتين الجهتين ، في هذا الجو كان يدرس سليم اللغة العربية وادابها ، وكنت ارى مكتب عنبر على كثرة ما فيه من تلامذة كأنه مسجد من مساجد الاسلام في ازهى عصور الاسلام علما وثقافة .

في المجمع العلمي العربي

ولم تطل فترة التدريس حتى انتخب الجندي عضوا في المجمع العلمي العربي ولم يستكثر الناس ذلك ولم يستغربوه ، فالرجل كفء والمجمع العلمي اولى بأن يحتضن هذا العالم الجهيد الذي اعجب به الناس .

عند التقاعد

ولقد ترك مدرسة التجهيز « عنبر » عام ١٩٤٠ حين احيل على المعاش لبلوغه سن الستين، وكان قبل هذه المدة قد شارك في تدريس اللغة العربية في معهد اللاييك الفرنسي بدمشق ، كما عين مدرسا للغة العربية في كلية الاداب التي انشئت حوالي عام ١٩٢٢ ثم عين ناظرا للثانوية الشرعية ثم مديرا لها في اخريات ايامه .

مؤلفات الجندي في التاريخ

نستطيع ان نلخص عبقرية الرجل في ناحيتين اولاهما ناحية التاريخ ، في شقيه الادبي والزمني.

ولقد كانت خير مؤلفاته واوسعها واجدرها بالاعتبار والبقاء وقفا على هذا الباب ـ التاريخ . فكتاباه « الجامع في اخبار ابي العلاء » و « تاريخ معرة النعمان » ، ترجمان كبيران في الادب والتاريخ ، وقد حشد لهذين الكتابين كل ما يملك من علم وصبر ، ودقة واتقان .

ولقد قام المجمع العلمي العربي بدمشق مشكورا بطبع كتاب « الجامع في اخبار ابي العلاء » ، وانجز طبع الجزئين الاولين منه وبقي الجزء الثالث والاخير .

كما قامت وزارة الثقافة والارشاد القومي ، ولها الفضل ، بطبع « تاريخ معرة النعمان » ، وتم طبع الجزء الاول منه ، وبقي جزءان .

الجندي مؤرخ واديب معا

في الناحية التاريخية يعجب القارىء بالاستاذ الجندي من حيث دقة البحث والصبر على الدرس وحسن التحليل ، ونسبة الحوادث وارجاعها الى منشئها واسبابها ، ويزداد عجبه واعجابه بذلك وقوة عبارته ، ونقاء اسلوبه وصفاء ديباجته ، فهو مؤرخ وهو اديب في آن ، وهاتان مزيتان قليلا ما اجتمعتا في شخص واحد ، كما اجتمعتا عند ابن قتيبة وابن خلدون في الشرق ، وعند فولتير في الغرب . وليس شرطا ان يكون المؤرخ اديبا ، ولكنه اذا كان كذلك ، بلغ التاريخ غايته ، على ان هنالك رأيا يخالف هذا الرأي وهو رأي الفرنسيين الذين يؤكدون ان الاديب اقرب الى التأثر برأيه الشخصي من ذلك المؤرخ الذي يستطيع النظر الى حوادث التاريخ نظرة موضوعية واقعية لا يتأثر فيها بما في داخله من آراء شخصية قد تحور التاريخ المكتوب كله .

ما يؤخذ على الجندي في تاريخه

اما ما يؤخذ على الجندي في تاريخه فهو شكه

الذى لا يقف عند حد ، فلقد يؤرخ لك الحادثة فيستقصى كل ما فيها وما حولها ولا يترك شاردة ولا واردة مما قيل فيها حتى تظن انه بلغ النهاية التى لا نهاية بعدها ، ولكنك سرعان ما تراه يهدم كل ما بناه وما اقامه فى لحظة واحدة ، وبشطحة قلم واحدة ، فاذا انت من هذا العلم امام ركام لا حياة فيه ، واذا بك تلقى من هذا المؤرخ مــا يلقاه المصفوع من الصافع او المصدوم من الصادم.

ولعل لنشأة الجندى الدينية اثرا كبيرا فى هذا الامر ، فالرجل تقى ورع زاهد كما قلنا فى اول البحث ، والرجل درس على رجال الدين مـن العلماء الزهـاد فتأثر بهـم ، ولو انه عاش بين الوطنين ، فهو مقيد فى تاريخه بهـذه النظـرة الدينيـة التى تجعله كثير التحوط والتحفظ ، بطيئا فى اعطاء الرأى ، متانيا فى اثبات الفكرة . وتبدو هذه الناحية منه جلية فى بحثه لتاريـخ الاشخاص الذين مروا به ، وقد تكون غايته فى ترك الرأى ان يحيل الامر على القارىء الباحث ، فهو يعرض عليه الحوادث ، ويترك له هو ان يقرأ ما يريد منها .

ولقد يبدو فى بعض الصفحات من تاريخه جريئا الى ابعد حدود الجرأة ، والرأى المتواتر عنه ، رحمه الله انه كان ابعد الناس عـن الشـائكة والخاصـمة ، فهو (سـليم دواعي الصـدر) كما يدل على ذلك اسمه ، ولكنه مع ذلك قد يحمل فى تاريخه على الشخص فيقصم ظهره او يدق عنقه ، لا تأخذه فيه رحمة ولا هوادة ، والناحيـة الدينيـة هي التى تملي عليه هذه الجرأة وهذه القـوة فهو يثور على كل من يخالف الدين او كل مـن يلجأ الى امور يحاول من ورائها استغلال هـذا الدين، ولعل الاحساس الدينى هو مفتاح شخصية مؤرخنا الكبير .

بين الجندي وابي العلاء المعرى

اما فى تاريخه الادبى ، واعنى « الجامع فى اخبار ابى العلاء » . فالقارىء قد يكون مع الجنـدى فى كل ما يتحدث به عن ابى العلاء ، الا فى بعض الامور التى يخالف فيها مؤرخنا الواقع الـذى اتفق عليه اكثر المؤرخين . فقـد اختلف زمانه ، وتغيرت ظروفنا عن ظروفه ، وتباعـدت نشـأته الدينية عن نشأتنا ، فاذا نظر الى ابى العـلاء معاصرا ، نظرنا اليه كشخص نريد ان نشرحه دون ان نتقيد باصله « المعرى » ونسبه « التنوخي » وتدينه الدينى . ولقد تأثر الجندى بكل هـذه المؤثرات فعلا ، فهو يصدر عنها فى كـل ارائه المتعلقـة بفلسـفة ابى العـلاء واحساسه الدينى وطبيعته الاخروية التى كثر الاخذ والرد فيها .

بل لعل هناك رابطـة شخصية بين الرجلين سببها انكباب الجندى على قراءة المعرى والتذاذه بمطالعة آثاره . وهذا الحب بين القارىء والمقروء نفسية والفية . وربما اثر فى رأى صاحب الرأى فحاد به عن الواقع الصحيح . فالاستاذ الجندى يعطف على فيلسوف المعرة عطفا خاصا ، والاستـاذ الجندى رجل دين وتنسك ، وهو يرى ان الرجل يجب ان يكون صاحب دين ليكون رجلا صحيحا ، وهو لا يستطيع ان يتصور ابا العلاء ناقصا مـن هذه الجهة الدينية ، فانقاد معه الى التزيهـه من الشكوك الدينية . ولهذا ايضا قرر ان ابـا العلاء رجل مؤمن تام الايمان و « ان كتبه التى وصلت الينـا مصبوغة بالشعور الاسـلامى . وهو يعتقد ان اسباب تكفيره ناجمة عن خصومه وحاسديه و « المتمعن فى البحث يجد اسبابا كثيرة لذلك ـ اى للتكفير ـ اشدها الحسد من اعدائه ، والتنطع والتشدد فى الدين من خصومه ، والطموح الى الظهور على اكتافه ، والترويح بالاقراب على حسابه

فى « رسالة الغفران » و « لزوم ما لا يلزم »

ويرى الجندى ان الكتابين اللذين يمكن ان يتمسك بهما خصوم ابى العلاء لتكفيره هما : رسالة الغفران ولزوم ما لا يلزم .

وكان المفروض فى سبيل الدفاع عن الفيلسوف ان يمحص ما ورد فى رسالة الغفران ، ولكـن الجندى لم يفعل شيئا من هذا ، وانما عزا مـا ورد فى رسالة الغفران من تهكم واستخفاف الى (الامور الغيبية التى لا يعلمها الا الله) . وهذا قول نوافقه عليه ، من ناحية ان الله يعلم وحده الامور الغيبية، لكن هناك امورا ظاهرة يستطيع العبد ان يفهمها بلا الله ، وهى تدل على التهكم والاستخفاف اللذين لم يتخلصهما ابو العلاء رغم محاولته ذلك . وهذا الرد من الاستاذ الجندى لا يقوم دليلا على براءة ابى العلاء ، وان كان الاصل فى الشيء براءة الذمة .

اما بشأن الكتاب الاخر ، وهو « لزوم ما لا يلزم » ، فقد كان دفاع الاستاذ الجندى ايضـا

غير كاف ولا واف . ولقد انصرف ذهنه الى نقد الطبعتين الهندية والمصرية لهذا الكتاب ، والتفت الى تصحيح بعض الابيات التي طبعت خطأ فيهما. وهذا في رأينا لا يقدح برأي القائلين باستخفاف وتهكم أبي العلاء واعتراضه على أمور دينية ثم اعتراضه عليها بأبيات فيها روحه، وفيها نفسه، وفيها طريقة تفكيره التي لا يشاركه فيها أحد ، حتى الابيات التي نقدها الاستاذ الجندي ، فان الخطأ الطبعي الوارد فيها لا يفيد حتما ان هذه الابيات مدسوسة او دخيلة .

ونحن لا نقول باصرار ابي العلاء على آرائه ، فهو اولا واخرا رجل شك، ورجل مضطرب الرأي، خاضع كثيرا من مراحل الحس ، الى عوامل كثيرة جدا فيتطرف ، وربما بعد حين فيرجع عن رأيه . ومن الحسن في هذا الأمر ان ينقسم الناس في ابي العلاء الى قسمين ، واحد يتمسك بأبياته التي يتشكك ويتطرف بالطبيعة فيها ، والاخر يلجأ الى الابيات التي يبدو الفيلسوف فيها مؤمنا تام الايمان . ولا يتعارض الرأيان ، لأن الفيلسوف ، او الشاعر ، قد نطق بهما كليهما .

الجندي يلتمس العذر لأبي العلاء

ومن الغريب ان يلجأ الاستاذ الجندي في دفاعه عن ابي العلاء الى الابيات التي تثبت رأيه ولا يستشهد بالابيات التي يعتمد بها اصحاب الشك في عقيدة ابي العلاء ، كما ورد في حديثه عن « لزوم ما لا يلزم » . ولكنه هو نفسه يرجع الى نفسه فيلتمس العذر لابي العلاء في قوله « ومن المعلوم أن لزوم ما لا يلزم لم يكن من كتب الدين والعقائد ، وانما هو ديوان شعر ، والشاعر قد يبالغ أو يرجح ويقول ما لا يفعل ، ويتخيل امرا غير واقع ، ويلجأ الى المجاز » . وهذا الرأي قريب مما اوردنا سابقا وان كان ليس رأيا بالذات ، وهو كما قلنا آنفا ، لا يقدح في رأي الذين شكوا بعقيدة ابي العلاء استنادا الى اقواله. ثم يعود المؤلف ليستدرك مرة اخرى فيقول في نتيجة محاضرته عن ابي العلاء « واننا لا نريد ان نجعل أبا العلاء في مصاف الصديقين والاولياء المقربين » . وهذا دليل على ان الاستاذ الجندي ، رحمه الله ، قد شك اخيرا في سلامة عقيدة ابي العلاء ، وان كان تمسكه في الدين يمنعه عن التصريح بهذا الرأي .

واخر ما جاء في محاضرة الجندي يؤيد رأينا ورأي اصحاب الشك ، وذلك حين يقول « وحسبي أن لا اكون في كلمتي هذه كمن حاول ان ينقذ غريقا صرعى معه » . وهذه حجة اخرى على المؤلف قدمها هو نفسه ليريحنا من عناء الجدال والمناقشة في امر عقيدة ابي العلاء .

ومن تبين ان الرجل ـ الجندي ـ غير مقتنع كما قلنا بسلامة عقيدة ابي العلاء رغم حبه الشديد له وايثاره .

الجندي في علم النحو

واما الناحية الاخرى الهامة في عبقرية الرجل فهي في علم النحو الذي اتقنه حتى اصبح فيه حجة والنحو في رأيي « ملكة » قبل ان يكون علما ، او علم يتحول الى ملكة ، والملكة تعتمد على الفطرة . ومن مقومات هذه الفطرة الذوق ، وعندي ان مرتبة الذوق العلمي اعلى مراتب العلم ، لأن هذا الذوق ، يعتمد على علم وعلى تمكنه صاحبه ، كما يعتمد على الحدس في ايراد الرأي ، وهو حدس قلما ان يخطئ . وشتان بين من يواتيه الحدس والالهام الصادق ، ومن يجعل ديدنه الحفظ عن ظهر قلب دون ان يعمل فكرا او يشغل ذهنا » .

وما عرفنا للاستاذ الجندي رأيا خاصا في النحو او الاعراب ، وما نحسب ان له اجتهادا ابتدعه في هذا الباب ، وانما امره في النحو ان يلسر فيهم ، فينقل الى تلامذته ما فهم نقلا واضحا جليا لا لبس فيه ولا غموض ، وحسبك من رجل يستطيع نقل العلم من الجيل القديم الى الجيل الجديد باسلوب جديد طريف سهل المأخذ قريب المنال . ولقد سألت تلامذته ، واستفهمت عن زملائه في التدريس فاجمعوا كلهم على ان الرجل لم يكن بصاحب نظرية في النحو ، اللهم الا المشاركة فيما قال القدماء وترجيح احد الآراء المقولة على الاخر . فهو اذلك معلم ناقل يحسن التعليم والنقل احسانا كبيرا ويكفي .

وقد ألف رسالة في النحو سماها « مرشد العلم ومرشد المتعلم » ، جمع فيها اشتاتا من مسائل النحو ، وقابل فيها بين الاشباه والنظائر بشكل يسهل على القارئ الرجوع اليه .

كما الف رسالة اخرى في احكام (ما ومن) ، وقد درس كل ما يتعلق بهما دراسة محكمة .

وهذا خلاصة الدروس التي القاها في كلية الآداب على تلامذته .

اذن فالتاريخ والنحو هما الميزتان اللتان برع بهما استاذنا الجندي .

الجندي في العروض

وبقيت هنالك مآثر يحسن ان نشير اليها في هذا المقال لتتم شخصيته ولترسم صورته في ذهن القارىء فقد كان معروفا عنه انه مؤلف في العروض . وقد الف رسالة شعرية جمع فيها قواعد العروض واصوله وقد بلغت مائتين وخمسين بيتا ، ولكنه صرف النظر عنها لم مزقها .

والجندي عالى نظم الشعر . ولكنه اداري موهبته قبل ان اطلع على شعره ، فقلت لعله عالم يتشاعر ، او فقيه يحاول الظهور بالقدرة على النظم . فانا اعرف الكثير من الفقهاء والنحويين ممن حاولوا نظم الشعر ، فكان نظمهم دليلا على بعدهم الشاسع عن هذه الموهبة . ولكني حين اطلعت على بعض شعر الجندي عجبت لهذا الرجل الفذ واكبرته . فقد كان في شعره شبهة من شعر الشعراء البارزين ، وكان اسلوبه فاخر الجمال ، ولفظه يكاد يصلح الغناء لحسن الرصف ودقة النظم . واسمع هذه الابيات من قصيدة يصف فيها بلدة التمرة ويتشوق الى ايام صباه فيها .

يا صبيّة الترن من سلر ومبتكر
حيّ المسرة في الاصال والبكر
دار لهوت بها عهد الصبا مرحا
مبتعدا من الهم والاوصاب والكدر
تعال اوجدها في كل ناحية
منتشة من نسيج الدهر في أزر

الى ان يقول :

اذا النسيم على وادي النسيم سرى
وماج ما فيه من نجم ومن شجر
حسبت بحرا حبيبتا جائس فانتظرت
امواجه من صنوف الزهر والثمر

واسمع الى وصف هذا النهر :

ينقض في جوله « البرماس » مصطخبا
كالبحر منحدرا من رأس منحدر
ليملأ العين حسنا في تكسّره
ويملأ السمع من متعاكر تمير

الى ان يفتخر بقومه :

أولئك القوم قومي لا أرى نسبا
في المكرمات لهم في البدو والحضر
ولكنهم الفخار داري لا ارى بدلا
بها ولو كان فوق الشمس والقمر

وانا لا اقول ان في هذه الابيات معاني جديدة او اخيلة بديعة ، وانما الفت النظر فقط الى هذا اللفظ الجيد والى الاسلوب الموسيقي الذي يمتاز به الشعراء الموهوبون . ان من لا يملك الموهبة لا يمكن ان يسلس اسلوبه او يطيب انشاده ، وحسبك من الشاعر في اول شأنه انك لا تحس التكلف في الفاظه . وهذه الديباجة الصافية التي تسيل كالماء القراح هي التي تعطيك دليلا على الشاعرية .

ولكن الجندي مل النظم لكثرة ما كان يكلفه الناس بكتابة « التواريخ » والمراثي والمدائح كلما مات عظيم او جاء وال . ووجد الضرورة تلحى عليه بان يهجر هذا الفن العزيز عليه ، وان ينصرف الى العلم والادب . وما ندري ان كان خيرا او شرا ما فعل . ولقد عرفنا الكثيرين من الشعراء الموهوبين يهجرون الشعر لاسباب خارجة عن الشعر ذاته ، فالقرابي كان شاعرا موهوبا ، ولقد نشر ديوانا تجد فيه تجديدا وتجد فيه طرافة قد ارتفع عن مستوى كثير من الشعراء الذين اشتهروا بالشاعرية ، ومع ذلك فهو قد طلق الشعر ثلاثا كما قال ولا يعرف احد سبب ذلك الهجر .

وبعد

وبعد فلقد حاولت في ما سلف من القول ان اصور شخصية الاستاذ محمد سليم الجندي تصويرا يظهر حقيقته العلمية الكبيرة ، ويطلع القارىء على جوانب من نشاط هذا الرجل العامل الزاهد الذي لم يعشق الشهرة ولا الجاه وانما ظل في مكان منزو من مكتب « عنبر » ، يدرس التلامذة ويرشدهم الى كنوز اللغة العربية الغنية فخدم امته ووطنه خدمة صحيحة طيبة دون ان يسأل من وراء ذلك رفدا او شكرا .

كان عالما ، وكان اديبا ، وكان معلما ومؤلفا ولعمري ان هذه الخصال الكاملة ان تكون هذا الرجل الكبير موضع احتمام الجيل العربي الحديث واحترامه .

دمشق : احمد الجندي

طرائف عربية

لا با بني اسرائيل

● نزل طفيلي بمصر [illegible] أحد الاغنياء ، وبعد وقت طويل ذكر عليه فاستدني واتصرف ، ثم عاد بعد قليل ومعه أهل بيته ، ولما طرق الباب وجاءه الخادم قال له : قل لمولاك لقد رجع موسى بقومه .

فدخل الخادم وعاد فجاءه : يقول لك مولاي : ولقد كرمنا موسى ولا شأن لنا ببني اسرائيل ؟

ادراك العلم بثلاث

● قال الاصمعي ، قيل له الخليل السنابة ، بم ادركت ما ادركت من العلم ؟ فقال : بلسان سؤول ، وقلب عقول ، وكنت اذا قيت عالما اخذت منه وعطيته .

قاض مغفل

● حكى ابو الخير الخياط عن بعض اصحابه قال :

[illegible]

ان هذا الرجل حبس جاريته ليس لها في كتاب الله حكم معروف ، فما ترون ؟

فقالوا بجمعهم : الامر لك . .

قال : على المصحف ثم افتحه فما وقعت عيني عليه عملت به !

قالوا له : وفتح . فمر بالمصحف ... ذكره ، ثم فتح فطالعه قوله تعالى :

« سنسمه على الخرطوم » ، فقطع انف الرجل وخلى سبيله !

العلم من المهد الى اللحد

● كان يقال : لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن ان قد علم فقد جهل .

طرائف

● هبت يوما ريح شديدة فاقبل الناس يدعون الله ويتوبون فصاح جحا :

ـ يا قوم لا تعجلوا بالتوبة انما هي [illegible]

● [illegible] وبنا في حائط له ، وكان وراء الحائط زريبة دواب لجاره ، فاحترق الحائط ، فرأى حملا وبغالا، فخرج وجرى الى زوجته

متعلم يدخل النار

● قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ...

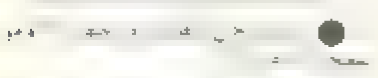
... أو يميل به وجوه الناس ، أو يأخذ به من الأمراء » .

من معارفات ابن سودون

● قال ابن سودون ...

... ما بي .. انه انحط سعد امك وارتفع سعدك ، لانها ...

لستم أجل من فرعون



قالوا : رحمنا !

فقالوا : هذه جبنة ، ولكني سقطت حصاة من صعدنا واحملها بدوب .

من جحا

وقال لها : تعالي انظري هذه وحدك ...

... يعرف ما فيه ، قال له جحا : ...



هل ينجح جولد وتر في رئاسة الولايات المتحدة ؟



جاء في مقال بصحيفة اسبكتاتور الانجليزية ، كتبه امريكي :

● ... ان من الصعب القول بان مرشحا لرئاسة الولايات ، رشحه حزب امريكي كبير كالحزب الجمهوري، ليس له فرصة قط في النجاح عند الانتخابات . ومع هذا فلا بد من القول بانه يوجد في الحزب الجمهوري جماعة من السياسيين المحترفين يرون ان جولد وتر ليس له فرصة ولو ضئيلة في النجاح ، وانهم لذلك هم قلقون . يضاف الى هذا ان عددا له وزنه من الحزب الجمهوري يفضل انتصار جونسون على جولد وتر في رئاسة الولايات . ويضاف كذلك ان كثيرا من اعضاء الكونجرس الامريكي بدأوا يشعرون بالقلق يساورهم ، خشية ان يفقدوا مقاعدهم اذا ظهر انهم اقتربوا اكثر مما يجب من جولد وتر ودعايته . ولهذا تراهم يصوتون الآن في الكونجرس بالموافقة على ما يطلبه الرئيس جونسون .

لماذا يكتب الكتّاب ؟

للكاتب الروماني اوجين يونسكو ، بمجلة انكونتر :

● « لماذا تكتب ؟ » .

هذا سؤال كثيرا ما يسأله القارئ للكاتب .

وجواب الكاتب الى القارئ حتى أن يكون —

« يجب عليك انت ان تعرف لم يكتب الكاتب ، لانك انت تقرأ ما يكتب الكاتب ، واذا انت قرأته ، وواصلت قراءته ، فلا بد ان يكون سبب ذلك انك وجدت فيما تقرأ شيئا ذا بال ، غذاء في صورة ما ، شيئا ما تحتاجه بحثها في نفسك . ان تسألني لماذا انا اكتب ؟ والجواب عن هذا سؤال مثله : لماذا انت تقرأ ما اكتب ؟ ان جواب السؤال الذي تسألني تجده انت في القراءة من نفسك » .

والجواب الذي نجده عند القارئ : لم يقرأ ؟ ، يعني شيئين : فهو يقرأ للتثقيف ، أو هو يقرأ للتسلية . والذي هدفه الثقافة وحدها يظن ان الكاتب يخدعه عندما يقرأ له مسلاة . والذي هدفه التسلية وحدها يستثقل ما يعطيه اياه الكاتب من ثقافة



خروشوف في عاصمة المانيا الغربية

عن مجلة نيوستاتس مان :

● زار السيد اندريه (اروج بيب خروشوف) المانيا الغربية منذ قريب ، ومن ذلك الحين تأكدت زيارة حموه « خروشوف » الى المانيا الغربية . وقد أطار الشعب الالماني بهذه الزيارة ، وهم ينظرون حدوث هذه الزيارة في هذا الشتاء في هدوء كثير ، الا رجال الامن ، فلا بد أن هذه الزيارة تنغص مضاجعهم ليالي كثيرة . والناس يتحدثون عن هذه الزيارة ، واهمّ ما يعلقون عليها انما هو « تبادل الآراء » ، واتخاذ فرصة لكي الزعيم الروسي ما عليه المانيا الغربية من ديمقراطية صحيحة ، وما ينطوي عليه قلوب أهلها من نوايا للسلم مخلصة ، ومن رغبة في توحيد المانيا لا تتزعزع ابدا .

ان زيارة خروشوف لالمانيا الغربية ستكون اكبر حدث سياسي جرى في السبع السنوات الماضية ، أي منذ زيارة المستشار الالماني السابق ، الدكتور اديناور ، لموسكو ، واقامة علاقة دبلوماسية مع روسيا .

والحق ان زيارة خروشوف المنتظرة قد تعد ردا لزيارة اديناور تلك المتقدمة

مجاعة في الهند

عن مجلة نيوستيتسمان :

● طلبت الهند من الولايات المتحدة الآن ، نيابة عن غيرها ان تحمل اليها اسطولا من السفن . والآن باضراب عمال الموانىء بالولايات يمنع السفن من الابحار . والآن الهند ترجو في الحاح شديد ان تحوّل سفن ، خرجت من دولة أخرى بالفعل الى غاية اخرى معلومة ، ان تحول اتجاهها الى الهند ، لاسعافها والمجاعة تهدد أهلها .

وقد دل هذا الحدث على امرين :

الامر الاول : ان حادثا يقع في ركن بعيد من اركان الارض ، ذلك اضراب عمال المياه في الولايات ، يؤثر اثرا بالغا في ركن آخر بعيد من اركان الارض . فالاركان جميعا ارتبطت ارتباطا لا يؤثر فيه بعد مسافة .

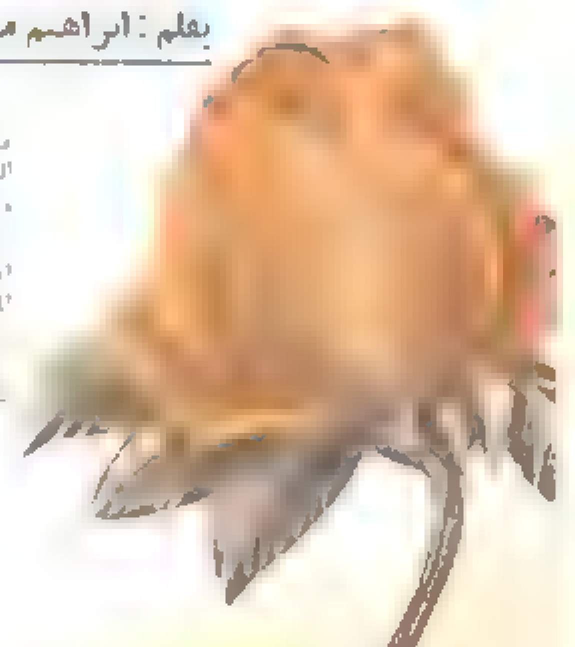
الامر الثاني : هذا الحادث يثير عند الفكر السؤال الآتي : كيف تنتهي الحال بدولة زراعية أن تلجئها الحاجة الى استيراد مادة غذاء اساسية ، تنزل بها مجاعة !

ان الخطة الهندية الثالثة ، عام ١٩٦١ الى عام ١٩٦٦ ، خصصت للنمو الصناعي فوق ما خصصته للنمو الزراعي ، والبحوث النووية فوق ما خصصته للبحوث النباتية . والواقع أن الناظر في علماء الهند يجد ان اكثر علمائها الذين برزوا كانوا فزيائيين ورياضيين ومهندسين ، واقلهم بيولوجيين يمتون الى علوم الحياة والاحياء . ولعل هذا يتصل بالعقائد السائدة بالهند من تقديس الحياة والحيوانات ، ومن النظرة الوضيعة الى الزراعة ، ينظرها ذوو الدرجات الرفيعة .



العرب نقلوا أزهار الشرق ورياحينه إلى أوربا

بقلم : ابراهيم محمد الفحام



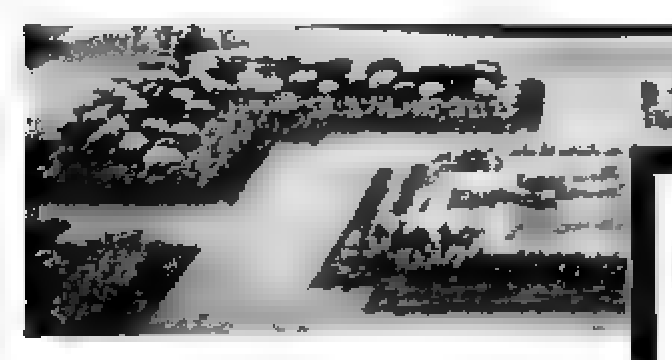
■ من أجمل ما سجله التاريخ، من عادات العرب، في أمجد عصورهم، تلك التي تصل شغفهم بالزهور والرياحين، [illegible].

وقد أسهمت الحدائق في بث الصور [illegible] الرائعة، بنصيب وافر، في رسم ملامح الأدب العربية وإضفاء جو من [illegible]

[illegible]، فتركوا لنا [illegible] تكاد تبعث [illegible] من الصور الشعرية الممتعة.

منتزهات الدنيا الأربعة

ومن المنتزهات التي ذاع صيتها،





وخلدت اسماء بلدانها في ذلك الزمن (صغد سمرقند) وهي قرى متصله ، كانت تظللها الأشجار، وتتخللها الحدائق، بين بخارى وسمرقند ، وكانت مساحتها ستة وأربعون فرسخا في مثلها . و (شعب بوّان) بأرض فارس . و (نهر أبلّة) بالبصرة ، و (غوطة دمشق) . وقد ذكر الخوارزمي انه راى

تلك المتنزهات التي كان يطلق عليها بحق (منتزهات الدنيا الاربعة) ، وشهد بفضل الغوطة ، على الثلاث الاخرى ، ووصفها بانها (الجنة صوّرت على وجه الأرض) .

ورصافات ثلاث

ومن الأمكنة التي اشتهرت بمنتزهاتها ايضا (رصافة قرطبة) وهي غير (رصافة هشام) التي احدثها هشام بن عبد الملك بالرقة عندما وقع الطاعون بالشام ، و (رصافة بغداد) التي احدثها المهدي في عهد والده المنصور العباسي .

وتعد (رصافة قرطبة) درة تلك الرصافات جميعا . وقد انشأها عبدالرحمن الداخل ، أول ملوك الامويين بالأندلس ، ونقل اليها غرائب الغروس وأكارم الشجر .

وارسل الرسل الى المشرق لاحضار البذور النادرة

ومن اجمل منتزهات الأندلس

ومن اجمل منتزهات الاندلس (قصر (القصر الفارسي) و (صحن السرادق) و (قصر الزهراء) ، و (جنة العريف) التي يرجع بها العهد الى الدولة النصرية، في أواخر القرن الثالث عشر الميلادى . وكانت ملحقه بقصر فخم في أطراف الحمراء . وقد وصفها ابن الخطيب بأنها (المثل المضروب في الظل الممدود ، والماء المسكوب والنسيم المبلل) . وقد رتبت اقسامها بحيث كانت مدرجات بديعه النسق ، ترويها مياه الجداول المتساقطه من عده شلالات ، ثم تتوارى وراء كثبان من خمائل الزهر والشجر .



في «دار الشجرة» قصر المقتدر بالله العباسي

وكان الخلفاء وغيرهم من العظماء، يبالغون في تنسيق حدائق قصورهم، وتزيينها بالعجائب والتحف. ومن أعجب تلك القصور «دار الشجرة» الذي أقامه المقتدر بالله العباسي، وأحاطه بالحدائق الغناء، التي توسطتها بركة أقيمت فيها شجرة من ذهب هي وأغصانها، وما عليها من تماثيل الطيور المغردة بفعل الهواء، من الذهب والفضة، كما كانت تتدلى منها قطع من الجواهر، على هيئات الثمار.

وعلى كل جانب من جانبي البركة، أقيمت تماثيل لخمسة عشر فارسا على صهوات الجياد، ممتشقين سيوفهم، وعليهم ثياب من الحرير المزركش، يأتون بحركات يظن الرائي معها أن كلا منهم يقصد صاحبه.

وحدائق غرسها خمارويه بن أحمد بن طولون

ومن أعجب ما يروى في هذا المقام، ما أحدثه خمارويه بن أحمد بن طولون في الحدائق التي غرسها حول قصر أبيه بالقطائع، في مصر. إذ كسا أجسام النخل فيه بالنحاس المذهب وأجرى الماء في أنابيب الرصاص، بين النحاس وأجسام النخيل، إلى جداول البساتين حتى لا تفقد رونقها ووضوحها، وأقام برجا من خشب الساج أطلق فيه طيورا من كل جنس ولون، ودورا للحيوانات المختلفة، من سباع وفهود ونمور وفيلة وزرافات وغيرها. وأحدث بركة من الزئبق، أخذ فوقها فراشا يهتز به على صفحتها الرجراجة، وسط زقزقة الطيور، وعطر الزهور، وحفيف الشجر.

وقد روى لنا الرحالة (ناصر خسرو) الذي زار مصر في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، أنه شهد بيوتا في القاهرة ترتفع إلى سبع طبقات تعلوها حدائق من أشجار الفواكه والزهور، وتروى من سواق أقيمت على أسطحها تديرها ثيران ربيت فيها لهذا الغرض منذ الصغر.

بلدان اشتهرت بزهور معينة

وبلغ من التفنن في تنسيق الحدائق أيضا، أنه كانت توجد في بغداد حدائق يختص كل منها بنوع من الأزهار والرياحين، مثل البنفسج أو النرجس أو الورد أو النسرين أو الياسمين أو المنثور. كما كانت الحدائق تقام فيها على ضفاف الجداول، وحول القصور.

وقد فاقت بعض البلدان غيرها في إنتاج أنواع معينة من الزهور والرياحين، فاشتهرت بغداد بالمنثور، والكوفة بالبنفسج، وقم بالزعفران، والشيروان بالنيلوفر، وجرجان بالنرجس، وسمرقند بالريحان المسمى «شاهسفرم»، وجور بالورد الأحمر الفاقع المسمى بالورد الجوري، وكان يستخرج منه «ماء ورد جور» المشهور، الذي كان يصدر إلى مختلف البلاد في الشرق والغرب. وكان يحمل منه مع خراجها السنوي سبع وعشرون مليون قارورة، إلى الخلفاء.

استئثار العظماء ببعض الزهور

وقد بلغ من إعجاب بعض الملوك والعظماء بأنواع من الزهور والرياحين، أن كانوا يحرمون على غيرهم زراعتها، أو التمتع بها. ويروى عن النعمان بن المنذر، أنه شهد في إحدى نزهاته نوعا من الشقائق، ذا وريقات حمراء، فأعجب به وأمر بحمايته، فكان لا يقطف إلا له. ولم يلبث أن حمل اسمه فأطلق عليه إلى يومنا هذا «شقائق النعمان». ويقال إن هذا النوع من الشقائق الحمراء، يستمد اسمه في الحقيقة من لونه، لأن «النعمان» من أسماء الدم.

وكان المأمون يفضل الورد عن كل ما عداه، ويقلد كل من يهواه. ويروى أنه

سمع من حائك يظل يعمل طول السنة ، لا يتعطل يوم عيد ولا جمعة ، حتى اذا ما ظهر الورد ، امتنع عن العمل ، وانطلق يغني بصوت عال :

طاب الزمان وجاء الورد فاصطحبوا
ما دام للورد أزهار ونوّار

ولا يزال يشرب في صبوح وغبوق ، ما بقيت وردة على الأغصان ، فاذا انقضى زمن الورد عاد الى عمله . فأعجب المأمون به ، وأمر أن يدفع له في زمن الورد من كل سنة ، ستة عشر الف درهم .

وكان المتوكل مفتونا بحب الورد . ولذلك استأثر به ، وحرمه على الناس ، حتى كان لا يرى الا في مجلسه . وكان يقول في ذلك (انا ملك السلاطين ، والورد ملك الرياحين ، وكل منا اولى بصاحبه) .

وكان يلبس في موسمه الملابس الحمر ، ويفرش في مجلسه الورد الأحمر ، ويجلس على فراش من نفس لونه ، ويعطر بمائه ادواته جميعا .

باعة الزهور وحيلهم

وبرع باعة الزهور والرياحين في تلوينها وتزيينها ، وذلك بتبخيرها ببعض المواد ، او سقيها سوائل معينة . ويقال انهم استنبطوا من المنثور أنواعا ذات ستة الوان . وقد ذكر القاضي التنوخي في (نشوار المحاضرة) انه رأى وردا اصفر ووردا حالك السواد ، كما رأى في البصرة وردة نصفها أحمر قان ، والآخر أبيض ناصع ، وأن من الورد ما لونه أزرق ، ومنه ما له وجهان اصفر وأبيض ، واصفر واحمر ، وهو ما يسمى (الورد العملي) .

ومما يدل على وجود هذه الالوان جميعا ، أنها لم تكن منكورة ، وأن الشعراء وصفوها في اشعارهم ، كما ورد ذكر بعضها في مفردات ابن البيطار .

وبرع أولئك الباعة ايضا في استخراج بعض الزهور والرياحين في غير أوانها ، واحتالوا لابقائها نابتة طوال السنة .

وكان البائعون والبائعات يجوبون الطرقات والأسواق ، ومعهم طاقات من الورد ، أو غيره ، ويعلنون عنه بألطف العبارات وأكثرها اغراء . ومن ذلك ما نقله الراغب الاصفهاني في « محاضرات الأدباء » عن بائع الياسمين البغدادي الذي كان ينادي (من يشتري ريح المحبوب ، ولون المحب ، بمعطمة) .

الزهور في المنازل

ولم تكن يطو الشراب لبعض العامة الا وهم غارقون في أكوام من الورد ، ويروى أن الوزير العباسي أبا محمد المهلبي اشترى في ثلاثة أيام متتابعة وردا بألف دينار ، ووضعه في بركة عظيمة ، بدار له تدعى (دار البركة) وشرب عليه . كما شرب أبو القاسم البريدي بالبصرة على ورد بعشرين الف درهم في يوم واحد .

وكانوا يضعون الزهور والرياحين في اطباق على الموائد ، بهيئة منسقة . وقد يرصفون بعضها على أشكال ورسوم جميلة ، أو يصطفون منها كلمات رقيقة ، بل لقد ذكر أبو الطيب الوشاء في كتابه (الظرف والظرفاء) ، انهم كانوا يكتبون منها أبياتا كاملة من الشعر .

وكانت الجواري يزين نحورهن بعقود الزهر ، ويعطرن أجسادهن به ، كما كانت النساء يتمشطن بالمرزنجوش ، والآس ، والسعتر ، خاصة .

وكانت هنالك أصول متبعة في التمتع بعطور الزهور والرياحين ، وأنواع الطيب معا . وفي ذلك يقول الحسن بن سهل (أمهات الرياحين تتقوى بأمهات الطيب ، فالورد يقوى بالمسك ، والبنفسج يقوى بالعنبر ، والريحان يقوى بالكافور ، والنسرين يقوى بالعود) .

ومن أرق عادات الناس في ذلك الزمن ، ان يتهادوا الزهور والرياحين في المناسبات العامة والخاصة ، وكانوا يجدون في بعض الأحاديث والسير ما يحبب تلك العادة

الطيبة الى قلوبهم . فمما كان يروى عن الرسول الكريم قوله (اذا اعطى أحدكم الريحان فلا يرده) .

ومن الناس من كان يعشق نوعا معينا ويفضله عما سواه لصفات فيه . فعاشق الورد يفضله على النرجس ، لانه يتمتع به طول السنة ، رطبا او يابسا ، بينما لا يتمتع بالنرجس ، اذا يبس . وعاشق النرجس يفضله على الورد لأن الورد يشبه الخد بينما النرجس يشبه العين ، والعين مفضلة على الخد .

وكانت للزهور لغة خاصة ، تعبر عن عواطف وصفات حاملها ، او مهديها . ومن ذلك انهم اتخذوا من البنفسج رمزا للوفاء ، والمحافظة على العهد ، ومن الورد الموجه ، اي الذي داخله أصفر وخارجه احمر ، رمزا للتهتك ، ومن الآس رمزا لدوام الود .

اعياد الزهور

وقد بلغ من ولعهم بمواسم بعض الزهور أن جعلوا لها اعيادا يحتفلون بها . وكان من عاداتهم في الاحتفال بموسم البنفسج أن يهدوا باكورته الى الخليفة أو أحد العظماء . ومن أجمل تلك الأعياد (مهرجان الشاذكلي) الذي كان يحتفل فيه بموســــم الورد في العصر العباسي رسميا .

وفي مصر كانوا يحتفلــــون بعيـــد (الأقحوان) عند نزول الشمس برج الحمل ، فيخرج كثير من العوام ، وبعض الجنود وغيرهم الى الحدائق ، يقطفونه بمناجل وادوات اخرى من الذهب والفضة ومنهم من يقطعه بكلام يشبه الرقية ، لا يطلق عليه من دام يقطعه . ويدخرون ما يقطفونه في صناديقهم ويزعمون أن من يقطفه بهذه الطريقة ، يمتلك خلال السنة بعدد ما يقطفه دنانير ، اذا كان المقطف اداة من ذهب ، ودراهم اذا كان المقطف اداة من فضة .

وكان الخلفاء الفاطميون يحتفلون بعيد الورد في كل عام ، في قصر مقام من الورد ، وسط بساتين الورد الشاسعة ، التي تحيط ببلدة الجرفاتين من اعمال القليوبية ، شمالي القاهرة .

وكان الناس يحتفلون بقدوم الربيع ، بالخروج الى الحدائق والخلوات ، متمثلين بقول عمر بن الخطاب (مروا الناس ان يخرجوا الى الصحارى ايام الربيع . فينظروا آثار رحمة الله ، كيف يحيي الأرض بعد موتهـــا) كما كانوا يتمثلون بقول الامـــام علي (اذا دخلت البساتين ، فاطل تأملها ، فان فيها جلاء للبصر ، وارتياحا للهم والفكرة ، وتكرمة للطبائع ، وسكنا للصداع) ، وبقوله ايضا (شموا النرجس ولو في العام مرة) .

خرافات حول الزهور

وكانت بعض الزهور والرياحين مدارا لكثير من الخرافات والأساطير . ومن ذلك أن بعضهم كان يتطير من اهــــداء

هذه الزهرة أعجب بها النعمان بن المنذر فأمر بحمايتها ، فكانت لا تقطف الا له ، ومن هنا حملت اسمه ، فأطلق عليها اسم : شقائق النعمان .

الياسمين لأن في اسمه (يأس)، والشمانى لأن في اسمه (شماء)، والسوسن لأن في اسمه (سوء). واختلفوا في أمر الآس، فقال بعضهم انه من (اليأس) فتطيروا منه، وزعم آخرون انه من (المواساة) فتفاءلوا به.

وتطير بعض الناس من اهداء الورد وسموه (الغدار) لقلة لبثه، وسرعة ذبوله وزواله، كما كان بعضهم يتجنب اهداء النرجس. ويروى ان امرأة ذهبت الى أحد المفسرين من الاحلام، فقالت له انها رأت زوجها يهديها باقة من نرجس، فقال لها: (سوف يطلقك)، واستدل على ذلك بقول الشاعر

بس للنرجس عهد
إنما العهد للآس

وكانت هنالك خرافات شعبية في قوالب وأحاديث موضوعة. تنسب خلق الورد الى ليلة المعراج، وتزعم ان الورد الأبيض خلق من عرق النبي تلك الليلة، كما خلق الورد الأحمر من عرق جبريل، والورد الأصفر من عرق البراق، ونسبوا الى الرسول الكريم قوله (من أحب أن يشم رائحتي فليشم الورد).

ومن أساطيرهم حول الريحان، تلك التي تدور حول (الشاهسفرم) أى (الريحان السلطاني) الذى ينسبونه الى كسرى أنو شروان. اذ يروون أن حية ظهرت في مجلسه، وهو على عرشه يحكم بين الناس، فنظرت اليه منظلمة وانصرفت فأمر بتعقبها. فسار الخدم وراءها حتى وقفت على رأس بئر، ونزلتها، فخرجت فنزل أحدهم فوجد ثعبانا ممسكا بقرين الحية، فضربه وخلص القرين منه.

وفي مثل ذلك اليوم من السنة التالية ظهرت الحية في مجلس كسرى، وكان يشكو الزكام، فأسقطت من فمها بعض البذور وانصرفت. فلما زرعت البذور انبتت ذلك الريحان، الذى وجد كسرى في شمه علاجا لذلك الداء، وظل علاجا له الى الآن.

مؤلفات في الزهور

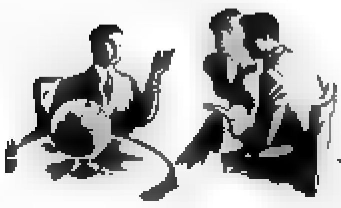
وقد بلغ من مكانة الزهور والرياحين في نفوس الخاصة والعامة، وشغف الناس باقتنائها، والتزين بها، والتمتع بعطورها، التى عبقت أجواء المجتمعات العربية على اختلاف طبقاتها، أن وضعت عنها مؤلفات كثيرة، اختص بعضها بتفضيل نوع بعينه، وذكر ما ينسب اليه من الفوائد، وما يروى عنه من الشعر والنثر.

ومن تلك المؤلفات كتاب (العقد بفضل الورد) لأبي الطيب الوشاء، وكتاب (المفاخرة بين الورد والنرجس) لأحمد ابن أبي طاهر. «والورد» للثعالبي، و«الريحان» لأبي فارس، و«الأنوار والثمار في الورد والنرجس وجميع الأنوار، وما ورد فيها من الأشعار، وما جاء فيها من الآثار والأخبار» للمرزباني، و«أنوار السعد ونوار المجد في المفاخرة بين النرجس والورد» لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني، كما وضع عمر بن برد الأصغر رسالة في فضل الورد على سائر الرياحين.

الزهور العربية في أوروبا

يرجع الى العرب الفضل في نقل كثير من زهور الشرق ورياحينه الى البلدان الأوروبية عن طريق الأندلس، مثل الياسمين والورد الأزرق والأصفر، والكاميليا الحمراء والبيضاء، وزهور المشمش والبرتقال الذى زرعوه هنالك. كما نقل الصليبيون (الوردة الرشيقة) الى فرنسا فانتشرت منها في سائر أوروبا وقد ذكر (تياس شلبفن) في كتابه عن الوردة، مجموعة من الورود الأخرى التى انتقلت من الشرق الى الغرب، وتواريخ استيطانها في البلاد الأوروبية. ■

القاهرة: ابراهيم محمد الفحام



دردشة

تعريفات ضاحكة

العبقري: هو الشخص الذي يستطيع أن يعمل أي شيء ما عدا كسب معاشه.

المحامي: هو الذي يدافع عما تملكه ضد خصمك، لكي يصبح هو مالكه.

الحرية: هي اعطاء كل فرد من افراد الامة الحق المطلق في ان يتدخل في شؤون الآخرين.

الثقيل: هو الشخص الذي يصر على أن يحدثك عن نفسه في الوقت الذي تريد فيه أن تتحدث عن نفسك.

الجار: هو الذي يعرف من امورك الخاصة اكثر مما تعرف انت.

المؤرخ: رجل يسير الى الوراء.

غباء .. ام ذكاء ؟!!

● ربح احد المقامرين بلاسمائة جنيه في القمار من مقامر آخر لا يعرفه، فاعطاه هذا المقامر تحويلا على احد المصارف. ولما ذهب لقبض القيمة امتنعت ادارة المصرف عن الدفع لان رصيد المقامر لا يزيد على مائة وخمسين جنيها. فما كان من المقامر الرابح الا ان اودع باسم المقامر الخاسر في « البنك » مائة وخمسين جنيها من ماله الخاص، ثم قدم « الشيك » وقبض قيمته!

اب وابنه

● أرسل « شارل فوكس » خطابا الى ولده يحذره فيه من الاسراف وكثرة الاستدانة وكان مما ذكره في الخطاب: اني اعجب يا بني كيف تنام وانت مثقل بالديون!

فرد الابن على ابيه قائلا: ان الادعى للعجب هو كيف ينام الدائنون!

السمكة وصيادها

● **قالت امرأة لزوجها:** لم تعد تأتيني بعد زواجنا كما كنت تفعل في عهد الخطبة؟

فاجابها: هل رأيت أيتها الحبيبة صياداً يطعم السمكة بعد صيدها؟

فكرة طيبة!

● كان احد الاسكتلنديين، وهم المشهورون بالبخل، اذا اراد ان يستيقظ مبكرا كتب خطابا لنفسه، ووضعه في صندوق البريد، وفي اليوم التالي يطرق عليه ساعي البريد بابه على عادته مبكرا، فلما يستيقظ، يقول له الساعي: عندي لك خطاب بغير طابع.. اعطني بنسين كي تستلمه..

فيقول الرجل: شكرا لك ما دام الخطاب بغير طابع فاني لا اريده!!



بوث



اوزوالد

مصادفات ومفارقات
في مقتل لنكولن .. وكيندي

● نشرت مجلة « تايم » الامريكية ، مقالا ، اوضحت فيه ملابسات وحوادث متشابهة ، وقعت عند مقتل لنكولن عام ١٨٦٥ ، وعند مقتل كيندي عام ١٩٦٣ ، قالت المجلة

١ ـ انتخب لنكولن عام ١٨٦٠ وانتخب كيندي عام ١٩٦٠ . وكلاهما خاض غمار الصراع من اجل الحقوق المدنية وتحرير الزنوج .

٢ ـ يتألف اسم كل منهما من سبعة احرف .

٣ ـ فقدت زوجة كل منهما ، ابنا لها ، لما كانت السيدة الاولى في البيت الابيض.

٤ ـ اغتيلا يوم جمعة .. واصيبا برأسيهما من الخلف .. وبحضور زوجتيهما .

٥ ـ صرع قاتلاهما قبل المثول امام المحكمة .

٦ ـ يتألف اسم كل من القاتلين من خمسة عشر حرفا .

٧ ـ ولد بوث قاتل لنكولن عام ١٨٣٩ ، وولد اوزوالد قاتل كيندي عام ١٩٣٩ .

٨ ـ اطلق لي اوزوالد الرصاص على كيندي من مخزن ، ثم لجأ الى مسرح . واطلق بوث الرصاص على لنكولن في المسرح ، ثم لجأ الى مخزن .

٩ ـ اغتيل لنكولن وهو في مسرح فورد . واغتيل كيندي وهو في سيارة فورد .

١٠ ـ خلفا الرئيسين الراحلين من الجنوب ، وكلاهما اسمه جونسون .

١١ ـ ولد اندرو جونسون الذي خلف لنكولن عام ١٨٠٨ في تينيسي . وولد ليندون جونسون الذي خلف كيندي عام ١٩٠٨ في تكساس .

وتنهي المجلة حديثها بهذه الدعابة الانتخابية : ونعلم ان اندرو جونسون ، الذي خلف لنكولن عقب مصرعه ، الى الانتخابات التي تلت نهاية مدة الرئيس السابق ، ولكنه فشل، اذ نجح مرشح جمهوري يبدأ اسمه الاخير بحرف ج . ا يوليسيس جرانت ؟!

نصيحة للسائق

● وقف مدير قسم المرور امام الميكروفون يتحدث الى سائقي السيارات فقال :

ـ لا استطيع ان احدثكم عن الطريقة التي يمكنكم ان تتفادوا بها وقوع الحوادث . ولكني ساقول لكم شيئا مهما جدا يحكم الحوادث ، وهو يجب ان تؤمنوا بان نصف المشاة من المجانين وان النصف الآخر من الحيوان !

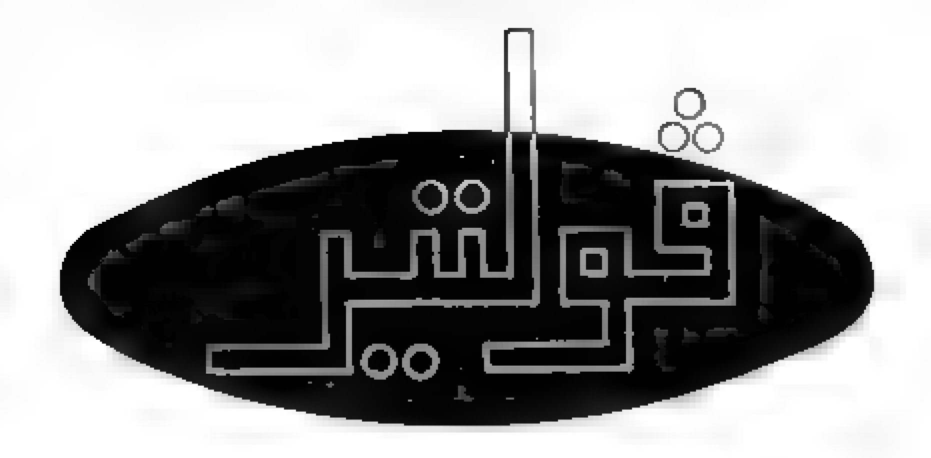
يغني لنفسه

● عندما كان احد مشاهير المغنين الامريكان يغني في الباص اطفئت الانوار واختفى كل شيء الا شمع على المنصة . وانطلق الى داخل المسرح واحضر بطاريتين وصوبهما الى وجهه لكي يراه الجمهور ، وحصل يغني ويقفز يمينا وشمالا ، وفجأة اضيئت الانوار ونظر الى الصالة فلم يجد فيها احدا !!

احب اعداءك !

● قال الواعظ لاحد العمال : ينبغي ان تحب اعداءك !!

فاجابه : انني افضل ذلك يطمي يا سيدي ، ما دمت احب الروم والوسكي !



• تملق المؤرخين لأهل السلطان أساء إلى التاريخ

• حب النفس أكبر قوة هدامة !

• فولتير يقول : أنا أومن بالله .. ولكن لا بإله

بقلم : على ادهم

● استهل الكاتب الانجليزى المؤرخ النقادة توماس كارلايل Thomas Carlyle مقاله اللامع الشائق عن الكاتب الفرنسى الشهير فولتير Voltaire بقوله : « لو قدر للطموح أن يختار طريقه ، وللارادة فى المحاولات الانسانية أن ترادف الموهبة ، لكان كل الرجال الطامحين حقا من رجال الادب » .

وفى موضع آخر من المقال نفسه يقول كارلايل

« اذا استثنينا الراهب لوثر Luther صاحب البروتستانتية ، فانه ليس هناك أحد من رجال الفكر فى العصور الحديثة قد صار تأثيره وشهرته أوربيين خالصين مثل فولتير » .

والواقع ان فولتير (١٦٩٤ ــ ١٧٧٨ م) قد بلغ فى عصره من الشهرة الواسعة والمكانة العالية الموطدة ما لم يبلغه كاتب قبله أو بعده حتى أصبح علما على عصره ورمزا له ، وليس فى مستطاع انسان أن يتصور القرن الثامن عشر بدون فولتير وتأثير فولتير .

رجل متعدد الجوانب

ولقد كتب عن فولتير من زوايا عدة ، وتناقضت الاحكام فى تقدير أدبه ومنزلته بين كبار المفكرين ، ولم يكن هناك مناص من ذلك ، فقد كان الرجل متعدد الجوانب ، وتناول فى حياته موضوعات شتى ، وكان هو نفسه يكاد يكون خلاصة حياة عصره ، وسأقصر الحديث على ناحية واحدة من نواحى فولتير وهى فولتير المؤرخ .

وربما لم تكن هذه الناحية أهم نواحيه ، ولكنها مع ذلك فى طليعة نواحيه الهامة الجديرة بالدرس والتقدير .



الصوفيون وعلماء اللاهوت

فولتير له ملكات المؤرخ

وقد كان فولتير بطبيعة ملكاته مؤهلا لأن يكون مؤرخا ممتازا ، فقد كان كاتبا من أشهر الكتاب الذين عرفتهم الدنيا ، ومعدودا من جملة الأعلام الذين دانت لهم البلاغة وملكوا زمام اللغة ، وكان مفكرا من الطراز الأول ، قوى العارضة ، متوقد القريحة ، واسع الاطلاع ، غزير المعرفة ، قادرا على جمع المعلومات حول شتى الموضوعات واستخلاصها وتلخيصها وتبسيطها وعرضها في أسلوب سائغ ، وضوء لامع .

وقد وصفه بعض النقاد المؤرخين بقوله : « انه بحسبانه مبسطا ومروجا لا نظير له في العالم » .

وفضلا عن ذلك كله فانه عالج في عصره الشؤون العامة ، وخالط الناس من مختلف الأوساط وعرف الدنيا ، وكان ملوك عصره يستشيرونه في مشكلاتهم ويخطبون وده ويحترمونه وهذه العوامل مجتمعة يسرت له أن يتقن معالجة كتابة التاريخ ، كما أن سعة المامه بتيارات عصره السياسية والفكرية كانت تجعله يبث في كل موضوع يتناوله حياة ويزيده وضوحا .

فولتير لم يعتن بذكر المراجع

وقد أخذ عليه انه لم يكن يعنى في هوامش كتبه التاريخية بذكر المراجع والشواهد ، ولا يؤيدها بالوثائق التي تبين كيف وصل الى النتائج التي استخلصها ، ولكن فولتير لم يكن الرجل الذي يصلح لمعالجة التاريخ على هذا النمط ، وقوة أسلوبه ووضوح رؤيته ورهافة حسه تجعله فذا في طريقته ، وتمنحه ميزة لن يظفر بالقياس الخاص به .

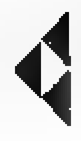
أول كتاب له في التاريخ

وأول مغامرة لفولتير في كتابة التاريخ هي الكتاب الذي أخرجه سنة ١٧٣١ عن شارل الثاني عشر ملك السويد L' Histoire de Charles XII ومضى بعد تأليف هذا الكتاب عشرين سنة وهو مقبل على نظم الشعر والاشتغال بالفلسفة الطبيعية ، ولكنه مع ذلك كان خلال هذه الفترة معنيا بالتاريخ كما يستبين ذلك من خلال « رسائله عن الانجليز » وبعض الدراسات التاريخية الأخرى التي عرض لها في أثناء هذه الفترة ، وكانت جميعها بمثابة بذر البذور التي اجتنى ثمرتها فيما بعد .

كتبه التاريخية

وفي سنة ١٧٤٤ عين فولتير مؤرخا للملك ، ومن ذلك الحين بدأ يجمع شتات أفكاره عن التاريخ ليضعها تحت نظر الجمهور . وفي سنة ١٧٥١ انطلقت تتوالى مؤلفاته التاريخية التي أذاعت شهرته ، ووطدت مكانته ، وجعلته في رأي معاصريه أعظم المؤرخين الأحياء ، ففي سنة ١٧٥١ ظهر كتابه عن عهد لويس الرابع Le Siecle de Louis XIV وفي سنة ١٧٥٣ تبعه كتاب حوليات الامبراطورية منذ عهد شارلمان ، وفي سنة ١٧٥٦ ظهر كتابه « مقال عن الآداب وروح الأمم » ، وفي سنة ١٧٥٩ ظهر كتابه « تاريخ الامبراطورية الروسية في عهد بطرس الأكبر » ، وظهر في سنة ١٧٦٩ كتابه عن عهد لويس الرابع عشر وكتاب التاريخ برلمان باريس .

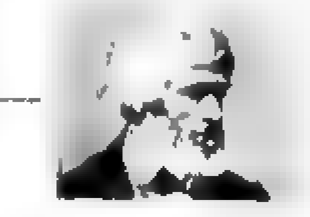
ويرى نقاد فولتير أن الكتب الثلاثة التي تقوم عليها شهرة فولتير بوصفه مؤرخا هي كتابه عن



عصر لويس الرابع عشر ومقالة عن الآداب «وتاريخ شارل الثاني عشر» وهذه الكتب الثلاثة في رأيهم أسمى منزلة من سائر كتاباته التاريخية «واكثرها دلالة على مذهبه في النظر الى التاريخ وطريقته في تسجيل حوادثه وسرد أخباره . ولكن لا مفر من الرجوع الى مختلف مؤلفاته التاريخية اذا اردنا ان نكون فكرة عامة عن تصويره للتاريخ .

التاريخ عند فولتير ليس جمع معلومات

والذين يؤرخون لفولتير يشيرون بوجه خاص الى علاقته بالسياسي الفيلسوف الانجليزي بولنجبروك Bolingbroke (١٦٧٨ ـ ١٧٥١م)



توماس كارلايل (١٧٩٥ ـ ١٨٨١)

- درس في جامعة ادنبرة ، ثم عمل في التدريس ، ولكنه لم يلبث أن هجره الى الادب
- عام ١٨٢٥ صدر كتابه «حياة شيلر»
- وفي عام ١٨٢٦ تزوج الاديبة جين ولش Welsh
- وضع مؤلفا في الثورة الفرنسية ، احترق الجزء الاول منه وهو في حوزة جون ستيوارت ميل J. S. Mill ، فاعاد كتابته من جديد وصدر عام ١٨٣٧ .
- ألقى عدة محاضرات في البطولة والابطال ، وصدرت هذه المحاضرات في كتاب عام ١٨٤١ .
- وكتب في السياسة ، وصار من المؤمنين بحكم الفرد القوي العادل ، ولا يؤمن بالديمقراطية والانتخاب .
- ومن أشهر كتبه أيضا « رسائل وخطب أوليفر كرومويل » « وحياة جون سترلنج Sterling » « وتاريخ فردريك الاكبر » .

ويقولون ان تلك الكلمة الجامعة التي ارسلها بولنجبروك وهي قوله « ان التاريخ فلسفة تعلمنا عن طريق تقديم الامثلة » ، كان لها صدى قوي في نفس الفيلسوف الناشيء فولتير . ويبدو في اول الامر ان هناك تشابها في نظر الرجلين الى التاريخ، فكلاهما كان يزدري مجرد جمع المعلومات القديمة بغير تحقيق ولا تنسيق ، وكلاهما كان يرى ان المعرفة التاريخية ليست غاية في نفسها وانما هي وسيلة لغاية ، وكلاهما كان يرى ان التاريخ ـ اذا فهم على الوجه الصحيح ـ مدرسة لتدريب الرجال على الفضيلة والفروسية ، على ان فولتير كان اميل الى تأكيد الناحية الادبية في التاريخ ، وعنده ان مؤلفي الماضي اكثر من غيرهم على جعل التاريخ شائقا ، ولكنه كان مثل بولنجبروك يهدف أولهما يهدف الى انقاذ كتابة التاريخ من ايدي جامعي الآثار والعاديات الذين يكتبون التاريخ بطريقة جافة مملة ، والى جعل التاريخ دراسة فلسفية مجدية .

التاريخ للعبرة والاسترشاد

والمعلومات التي يوافينا بها التاريخ المكتوب على هذا النحو تكون ممتعة وشائقة ، ويمكن ان نستخلص من الحقائق التي يقدمها لنا المؤرخون أسسا نقيم عليها التعميمات والفروض التي نستطيع ان نسترشد بها في معالجة مشكلات عصرنا او توحي الينا موازنات بين أحوال عصرنا وأحوال العصور السالفة تعود علينا بالنفع وتحفزنا الى اصلاح الفاسد وتقويم المعوج ، وقد تعرض علينا هذه الحقائق الجرائم والاخطاء والحماقات التي تورط فيه الأسلاف ، وهي تشمل الجزء الاكبر من التاريخ ، فيكون ذلك مدعاة الى عدم الوقوع في هذه الاخطاء وعدم تكرار هذه الجرائم والحماقات ويتيح ذلك كله المشاركة الواعية في الحياة السياسية والاجتماعية .

والتاريخ فيه عظة للقادة والرؤساء

ودروس التاريخ لا تنفع المواطن فحسب وانما تنفع كذلك من بيدهم زمام الامور ، وعند فولتير ان دروس التاريخ هي خير ناصح لذا كان التاريخ قد كتب بنزاهة واخلاص ، فكل انسان في التاريخ مهما علا قدره قد لقي جزاءه ، والشر الذي فعله الناس قد عاش بعدهم ، اما الخير فانه لم يدفن



مارتن لوثر ١٤٨٣ ـ ١٥٤٦

- هو زعيم الاصلاح الديني في المانيا ، وقد ولد من ابوين فقيرين
- دخل سلك الرهبنة ، وزار روما فذهل للفساد المستشرى بين كبار رجال الدين
- هاجم « صكوك الغفران » التي كان يمنحها البابا ، وذلك بأن لصق مجموعة على باب كنيسة ولبرج Wittenberg فكان نتيجة هذا ان اعلن البابا عليه الحرمان
- ترك سلك الرهبنة ، وتزوج وكرس نفسه لتكوين « حلف البروتستنية » ، الذي اشتق منه المذهب البروتستنتي
- من : اشهر اعماله الادبية ترجمته « العهد القديم والعهد الجديد » الى الالمانية

عنهم في قبورهم ، والمؤرخ وهو في منصة حكمه العالية يستطيع ان يحكم بقلمه على الاشرار باللعنة الدائمة ويجللهم بالعار الذي لا يزول ، ويرفع شأن الاخيار ويخلع عليهم الشرف الخالد، وهو يقول في مقدمة كتابه عن شارل الثاني عشر « كل صاحب سلطان يقرأ حياة هذا الملك عليه ان يشتفى من حماقة حب الغزو والفتوح ، واذا وجد امير او وزير حقائق غير مقبولة في هذا الكتاب فعليه ان يتذكر انه بوصفه رجلا له مكانته وتأثيره في الحياة العامة فان عليه ان يقدم حسابا عن اعماله للرأى العام .. وان التاريخ شاهد عليه غير مخادع ولا مداج ، وان السبيل الوحيد لارغام الناس على ان يقولوا فيه خيرا هو ان يحسن الصنيع ويفعل الخير » .

رأى فولتير غلب على مفكري القرن الثامن عشر

ويمكن ان نلمح خلال هذا الرأى اثر الفكرة التى غلبت على مفكري القرن الثامن عشر ، وهى ان العقل المستنير هو مالك الامر فى ابراء الانسانية من اسقامها ، والسبيل الوحيد لحملها على تجنب الشر وفعل الخير ، وكانت حجة مفكري ذلك القرن ان الناس هم الناس فى كل زمان ومكان ، فاذا اتحنا الفرصة للعقل ليواجهها بصورة واضحة صادقة لاحداث التاريخ امكنه ان يستوعب المبادىء التى استخلصها من هذه الصورة ، ومن ثم يصل الى الغاية نظم اقرب الى المعقول وادنى من الكمال، ومن ناحية اخرى اذا اهملنا دروس التاريخ واعرضنا عنه ظلت الانسانية معرضة لتكرار حوادث الاضطهاد ومآسى الظلم والطغيان التى طالما اغرقت العالم طوفان من الدماء خلال العصور المنصرمة.

فولتير يتأثر برأى صديقته المركيزة حين ضاق بكتاب التاريخ فى عصره

وقد اوضح فولتير فى المؤلفات التى مهد بها لمقالة عن الاداب وروح الامم كيف وجد نفسه مضطرا الى الخروج على الطريقة التى كان يكتب بها التاريخ فى عهده ، فقد ابلغت صديقته المركيزة دو شاتليه Du Chatelet (١٧٠٦ ـ ١٧٤٩) ـ وكانت من ارقى نساء عصرها ثقافة واستنارة ـ ضيقها بكتب التاريخ المكتوبة بالاسلوب الممل الذى كان معهودا حينذاك. فقد كان المؤرخون لايحسنون فهم الاحوال السائدة فى العصور التى يصفونها ، وكانوا يكتبون من الزعماء البيض الجدد كأنهم نظراء ليوليوس قيصر ، وكانوا لا يميزون بين الحقائق والخرافات ويكثرون من التفصيلات المملة والحوادث التافهة ولا يعنون بالمسائل الهامة التى اثرت فى تاريخ الانسانية مثل تطور القوانين والحكومات والنظم والعادات والاخلاق والصناعات والافكار .

وفى هذا جعل التاريخ فى نظر المركيزة يهبط الى المستوى الوضيع ، ويصبح ضربا من ضروب الحوليات السخيفة الخالية من الروح والتى لا يحفل بالاطلاع عليها القارىء الجاد .

وقد ثار فولتير على هذه الطريقة فى كتابة التاريخ ، وكان لتشجيع صديقته المركيزة الفضل فى حثه على هذا الاتجاه .

رأى فولتير فى التاريخ

وصار فولتير يعتقد ان التاريخ فى جوهره ليس اكثر ولا اقل من تدوين الافكار،وان الحوادث التى شغل المؤرخون قبله بها انفسهم ، مثل الحروب والنزاع الحزبى والاضطهادات والمجالس الكنسية والثورات والسياسة والثيوقراطية ،

ليست سوى التعبير الخارجي والمظهر البادي للأفكار السائدة في عصر من العصور .

ومن أقواله في ذلك « ان الأفكار قد غيرت العالم ، وكل ما عداها مدرك لها وسجين ، ومن ثمّ علينا ان ندرس نشوء الأفكار » .

وقوله « القاعدة الرئيسية التي اتبعتها هي ان أبذل جهد استطاعتي مقابلات الأقوام وأدرس العقل الانساني ، وسأعتبر نظام تعاقب الملوك وتوالي الأقوام ماهياً ، ولكنه ليس الغرض الذي أرمي اليه في كتابي » .

وموجز القول أن فولتير كان يدرس التاريخ من الناحية العقلية .

موازنة بين رأي فولتير في التاريخ ، ورأي كارل ماركس

وقد يحول بنا ذلك الى عقد موازنة بين طريقة فولتير وعنايته بالقيم الفكرية والنظرية السائدة في تفسير التاريخ التي روجها كارل ماركس في القرن التاسع عشر ، ولا نزاع في ان النتائج التي انتهى اليها المفكران الكبيران مختلفة ، ولكنهما يلتقيان في ناحية واحدة ، وهي ان كلا منهما بدأ من وجهة نظر جديدة .

عند ماركس ان القوة الدافعة التي تشكل سير التاريخ هي القوة الاقتصادية ، وعلاقة الناس بعضهم ببعض ، باعتبارهم عاملين في الانتاج ، هي التي تحتم البناء الاخلاقي والسياسي والثقافي لأي عصر من العصور .

اما فولتير فيعتقد ان القوة المسيطرة في التاريخ هي القوة العقلية ، وان الأحوال السائدة في أي وقت من الأوقات هي نتيجة للأفكار التي تؤثر تأثيرها بطريق الأفراد والطبقات والنظم التي هي في دورها تعبيرات عن الأفكار .

وعند ماركس ان لب لباب التطور التاريخي هو صراع الطبقات المسيطرة وهو صراع يجور فيه الذين يملكون على الذين لا يملكون ، وهم أنفسهم يتعرضون المصير نفسه خلال سير التاريخ .

اما فولتير فيرى التاريخ معركة يحاول فيها الرجال ان يفرضوا أفكارهم وأوهامهم على غيرهم من الناس ليبسطوا عليهم سلطانهم ، وهم أنفسهم كذلك سيتعرضون في المستقبل لمثل هذا المصير .

ومن كلماته في هذا الصدد لا بناء على هذا التصور نرى في التاريخ الأخطاء والأحكام المبتسرة يتلو بعضها بعضا على التعاقب ، ونرى الدارسين والمطوقين يستبعدون العمق والعبقري العقل ، والمطوقون لعبة في يد العقل مثل الطبقات التي حكموها » .

مذهبان متقاربان

واذا نظرنا الى هذين المذهبين في تفسير التاريخ من ناحية ارتباط السبب بالمسبب ، نجد ان الفرق بينهما ليس كبيرا ، فتصور ماركس نشأ من الناحية الاقتصادية للفكرة التي تناولها فولتير من الناحية النظرية البحتة ، وبطبيعة الحال لم يكن فولتير مستعدا للنظر الى الموضوع من الناحية الاقتصادية ، فان الثورة الصناعية التي جاءت بعد عهده هي التي تكفلت بتوجيه الأنظار الى هذه الناحية وتأكيدها ، ولذلك تصور فولتير التاريخ على انه صراع بين الافكار وتطور النمو للعقل البشري .

صور تاريخية عند فولتير

والصورة التي تصورها فولتير لاتجاه التاريخ الأوروبي ، منذ ظهور المسيحية ، هي :

أولا : وقبل كل شيء قضاء المسيحية على أديان العالم القديم وتقويضها لأركان السلام الذي استمتعت به الانسانية في ظل التسامح الروماني .

ثم نشوء دولة العصر الوسيط وبابوية العصر الوسيط ، وقد استمر الصراع بينهما مدة ألف سنة واغرق أوروبا في بحر من الدماء .

وبينما كانت هاتان القوتان تتصارعان من أجل السيادة ، ظهر الاسلام والعرب المسيحية عن الشرق والغربية ، وبذلك أصبح خطرا يهدد المسيحية ، ولم يكن هناك وسيلة لاتقاء هذا الخطر سوى الحرب ، ومن ثم نشبت الحروب الصليبية ، وعاد اغراق العالم في طوفان الدماء .

ولما دب الفساد في كنيسة العصر الوسيط صدع الاصلاح الديني وحدة المسيحية ، وانشقت بلاد كثيرة على الكنيسة الرومانية ، وظهرت الشيع والطوائف وتضجر الناس من الجدل الممل والنزاع العقيم الذي ثار بينهما حتى استقل العالم وظهور الدول الحديثة السيادة والتراث شمس العقل .

ويوجز فولتير قائلا : « انها قسوة الرأى ، صحيحا أو زائفا ، أرضيا أو سماويا ، هى التى ملأت الأرض بالدم الراق فى خلال قرون عدة » .

أساء الى التاريخ عبودية فى المؤرخين ذليلة ، وتملــق للملوك رخيص

ويضاف الى هذا الاتجاه الى التاريخ العقلى عند فولتير ايثاره للتاريخ الاجتماعى ، وترجيح جانبه على جانب التاريخ السياسى ، وقد حمل على المؤرخين الذين سبقوه ، لا لأنهم لم يلتفتوا الى المعنى المستتر فى الحوادث فحسب ، بل لأنهم كذلك كانوا ، مثل الطغاة القاتلين فى صفحات كتبهم ، يسخطون بالجنس البشرى من أجل اعلاء شأن فرد بعينه، وعلة العبودية الذليلة ، والتملق الرخيص ، وعدم التورع من تلفيق الأكاذيب وتشويه الحوادث ، جعلتهم لا يجسرون على أن ينظروا فى غير خوف الى الملوك والصعلوكية ، ويكتفون بالأعمال التافهة التى قام بها هؤلاء الذين خلعت عليهم الدنيا لقب العظماء بغير جدارة ولا استحقاق . ولا يمكن أن يكتب تاريخ جدير باسم التاريخ ، على هذا النمط . والتاريخ الحق هو تاريخ الانسانية ، أى تاريخ الشعوب المجتمع ، وبطبيعة الحال لا بد أن تذكر أعمال الملوك ، ولكن المكان الأول يحفظ للعظماء حقا ، وهم هؤلاء الذين أدوا خدمات لبنى الانسان ، وأحسنوا الى اخوانهم البشر .

ومن أقوال فولتير فى هذا الصدد . « ما يعنى بى معرفته هو نوع المجتمع الذى كان موجودا حينذاك ، وكيف كان يعيش الناس فى أحضان أسرهم ، وما هى الفنون التى كانوا يمارسونها » . ويقول فى موضع آخر : « وكما انه من اللازم معرفة أعمال الملوك الذين كانوا غيروا وجه الارض ، وبخاصة هؤلاء الذين عملوا على تحسين أحوال أممهم ، فكذلك علينا أن نتجاهل هذه الطائفة من الملوك الجهلة الذين تثقل أسماؤهم الذاكرة » .

مقياس التقدم عند فولتير

ومقياس التقدم عند فولتير ، والغاية التى وجدت من أجلها الحكومة هى اسعاد الأمم والدولة ويشملها استقرار السلم وتوفير الأمن، والقوانين الصالحة ، والمالية الثابتة الدعائم ، واشاعة الرخاء والعيش الراغد فى البلاد ، وفوق كل شىء، وقبل كل شىء ، العناية بالفنون والعلوم والتربية والاستنارة وتهذيب الأخلاق . وهو يشيد اشادة شعرية بما صنعته العبقرية الانسانية وجلال الفن الذى لا ينال منه القدم ، ويقول . « ان سحبا للمياه فى قناة تضم بحرين ، وصورة من عمل الرسام بوسان Poussin ، ومأساة جيدة ، واكتشاف حقيقة للشياء ، أغلى قيمة آلاف المرات من سرد أخبار الغزوات والغارات » .

ويشير فولتير ويشعر بالارتياح حينما يتناول عصور التاريخ التى استمتع الجنس البشرى فيها بثمرات عبقريته الطليقة مثل عهد السلطان Augustus فى روما ، وعهد المديتشى Medicis فى ايطاليا ، وحكم لويس الرابع عشر ، ويمقت العصور التى سادت فيها الهمجية والجهل والخرافات والتعصب .

فولتير المؤرخ ، فاته أن يربط الأسباب بالمسببات ، وأن يواصل بين الحلقات

ولكن المؤرخ اذا حاول أن يجعل سرده للحوادث متلاحم الأجزاء متصل الحلقات فلا بد له من الاعتماد على نظرية لربط الأسباب بالمسببات ، وتنظيم المعلومات التى يجمعها ، وفولتير برغم تمحلل تفكيره لم يعن بهذه الناحية ولم يعطها حقها من التقدير ، ولذلك كان ينقص مؤلفاته التاريخية العمق والتماسك . وكتاباته التاريخية غنية بالايحاءات والتفسيرات والتعميمات ، وهو من غير شك يلقى ضوءا على الموضوعات التاريخية التى يتناولها ، ولكن قراؤه عبثا يحاولون البحث عن تصور للسببية يسترشدون به فى تيه المعلومات التى يواليهم بها ، وتمكنهم من استخلاص معنى الحوادث فى مجموعها الشامل . وقد لحظ الناقد الفرنسى المعروف ، اميل فاجيه Faguet أن مقالة فولتير عن الآداب ينقصها التخطيط وتوضيح الاتجاه ، وأن الفوضى شائعة فى نواحيها، وهى ليست سوى مجموعة من عادات الشعوب وطبائعها وسجل للحوادث السياسية وطائفة من النوادر والطرائف ، ونحن عندما ننتهى من قراءتها

لا شعر بوجود فكرة عامة تنظمها وتجمع شواردها، وهي بوصفها تاريخا لاوروبا من عهد شارلمان الى عهد لاحيه جيدة وصالحة ، ولكنها باعتبارها ممثلة لأفكار فولتير عن التاريخ قليلة الحظ من النجاح .

فولتير يقول : لست ملحدا

على أن نقاد فولتير يرون أنه يمكن القارىء أن يكوّن من مختلف كتابات فولتير التاريخية فكرة عامة عما يقترب من أن يكون رأيه في فلسفةالتاريخ ونظرية السببية . ولقد كان فولتير من القائلين بالمذهب الطبيعي الآلي أو مذهب التأليه مع انكار الوحي ، أي أن الوجود كان في نظره آلة تديرها قوانين لا تنثني ولا تلين، والكائنات جميعها خاضعة لهذه القوانين التي لا تتغير ، ولذلك ينكر وجود العناية الالهية في تفسير التاريخ ، ولايؤمن بالمعجزات ، وهو يقول عن نفسه : « لست ملحدا ، ولست كذلك ممن يعتقدون بالخرافات ، واني لؤمن بالله . ولكن الاله الذي اؤمن به ليس هو اله المتصوفين أو اله علماء اللاهوت ، وانما هو اله الطبيعة ، والمهندس العظيم والمحرك الأول الدائم الذي لا يتغير » .

ولكن هذا الاله الفولتيري خارج الآلةالضخمة، وهو يراقبها مراقبة سلبية ، ومن السخف ، في رأي فولتير ، أن نعزو اليه ما يحدث في هذا الكوكب الهين الشأن ، فهو صانع الآلة ومحركها ولكن الآلة نفسها تسير تبعا لقوانين ثابتة، ولا شيء يستطيع أن يعترض تلك القوانين أو يحولها عن مجراها .

الشر ومأساة الانسان على هذه الأرض

ووجود الشر في الكون من بواعث الأسف ، وفولتير لا يقلل ولا يستهين بنصيب الانسان من الشقاء المادي والمعنوي ، سواء أكان هو يجره على نفسه ، أو كان منشأ الشر أسباب لا قبل له بدفعها . ومن كلماته : « ان الكرة الأرضية التي نعيش بها مسرح مجزرة وهدم وتخريب مروع الأنحاء ، ومعظم التاريخ البشري هو تاريخ الشرور والفواجع » . ويعتقد فولتير أن علينا أن نقبل هذا الوضع كما نقبل وجود الزلازل والبراكين والصواعق والزوابع ، أي باعتبارها جزءا من عمل الآلة ، وليست هذه الآلة مستقلة عن العيوب بريئة من الأخطاء . وفولتير بهذه الطريقة يجنب الله جل شأنه تبعة الكوارث التي تحدث بهذا الكون الخاضع للقوانين التي لا تتغير .

هل قال فولتير بمذهب الجبر

ولكن اذا كان الكون خاضعا لقوانين ثابتة فان تاريخ الانسانية يلزم أن يقتضي وجود العلاقة بين السبب والمسبب ، ولا يمكن أن يكون غير ذلك ما دام أن الانسان يعمل بموجب القوانين المسيطرة على الكون . وفولتير لا يخالجه شك من هذه الناحية ، وكل حادثة في نظره من القاء حجر أو سقوط عصفور الى تداعي الامبراطوريات وانهيارها هي نتيجة للنظام الكوني ، والانسان كسائر الأشياء خاضع لقانون السببية ، ويبدو لنا أن هذا كله يؤكد أن فولتير كان من القائلين بالجبر في التاريخ . ولكن الأمر على خلاف ذلك ، فانه كان حينما يطلق هذا على الحوادث والوقائع يحدثك ، فهو يسمح للمصادفة بأن تلعب دورها، وأن يأخذ الحظ مجراه في الشؤون الانسانية ، ويقول عنه النقاد انه كان يروقه الوقوف على الأحداث التافهة التي تمخضت عن نتائج غاية في الخطورة ، ومن أمثلة ذلك الحادثة التي يرويها في كتابه في عهد لويس الرابع عشر ، وهي الشجار الذي وقع بين دوقة مارلبورو Marlborough والسيدة ماشام Masham في مخدع الملكة آن Anne بانجلترا ، وكان اللورد بولنجبروك Bolingbroke هو منشىء القصة ، وموضوعها أن الدوقة القت زجاجة ماء على ثوب منافستها السيدة ماشام في حضرة الملكة آن ، فغضبت الملكة عليها ، وكانت نتيجة ذلك سقوط وزارة حزب الأحرار ، ومجيء المحافظين الى الحكم ، وغير هذا التغيير مجرى الحوادث وادى الى عقد معاهدة أترخت والصلح مع فرنسا ، أي أن زجاجة ماء كانت السبب في عقد معاهدة أترخت !

من الاسراف القول بأن فولتير كان جبريا في تفسير التاريخ

ولكن من الاسراف في المبالغة الزعم بأن فولتير كان يرى التاريخ سلسلة من أمثال هذه الحوادث

الطارئة ، كما انه من الاسراف الاعتقاد بأنه كان جبريا في نظره للتاريخ ، وموقفه على ما يبدو هو ان المصادفة ولو انها تلعب دورا ظاهرا في احوال البشر وتاريخ الانسانية ، الا اننا اذا أطلنا النظر في المصادفات اتضح لنا انها ليست سوى العلاقة المجهولة بين الحوادث التي تقع في هذا الكون ، ومعرفتنا التي يعتورها النقصان، وعدم استطاعتنا الوصول الى الاسباب النهائية للاشياء ، هي التي تجعلنا نعزو بعض احداث التاريخ الى المصادفة .

وعند فولتير : ليس كل حادثة لها أثرها في مجرى التاريخ

ويرغم اعتقاده بالجبر فانه مع ذلك ليس متحمسا ليؤكد ان كل حادثة في التاريخ متصلة اتصالا لا انفصام له بسلسلة الحوادث السابقة ، فضلا عن اللحظات المصادفات فان هناك بعض الحوادث التي لا تترك اثرا في سير التاريخ، كالزروع الصغيرة التي قد تزول دون ان تترك اثرا في سير نموها . والكثير من الحوادث ليس لها اسباب ولا صلات ، وهو يقول في هذا الصدد : « لو لم تحصل العملية القيصرية لوالدة يوليوس قيصر لما استطاع قيصر ان يقضي على الجمهورية ، ولو ان ماكسيميليان الطالاري لم يتزوج وارثة برجنديا والاراضي المنخفضة لتجنبت ذلك اوروبا مائتي سنة من الحروب . ولكن سواء اكان قيصر قد بصق شمالا أو يمينا ، وسواء كانت وارثة عرش برجنديا تصفف شعرها على هذا النمط أو ذاك ، فان هذه الاشياء ليس لها اي تأثير في المجرى الكلي العظيم الذي نسميه التاريخ » .

اي ان فولتير يفرق بين الحوادث التي لها اثر في التاريخ ، والحوادث التي لم تخلف اثرا ، وهو في كتابته للتاريخ لا يذكر لنا شيئا عن العادات الشخصية والسمات الاخلاقية للاشخاص البارزين الذين يتحدث عنهم الا اذا كان لها تأثير في العالم الخارجي ، وهذه الطريقة بطبيعة الحال يتبعها اكثر المؤرخين فان اول واجبات المؤرخ التمييز بين الحوادث الهامة التي لها دلالتها ، والحوادث التافهة الخالية من الاهمية ، ولكن في القرن الثامن عشر كان لا بد من العناية بهذه المسألة اذ لم يكن التاريخ قد تخلص بعد كل التخلص من طريقة كتابة الحوليات ، وعيبها الاصيل هو حشد المعلومات التافهة والحوادث الخالية من الاهمية الى جانب الاحداث الهامة ، وكان كاتب الحوليات يذكر الاوبئة والطواعين ، واخبار الخسوف والكسوف ، والخوارق والخلائق ، لا لان لها اهمية تاريخية ، وانما لمجرد انها حدثت او قال بعض الناس انها حدثت ومن ثم يمكن ان يقال ان فولتير عمل على رفع مستوى الكتابة التاريخية بتوجيه الانظار الى هذه الناحية ، وبهذا اقترب من التحليل العلمي للحوادث .

عند فولتير : ان الانسان هو صانع ما يراه في الدنيا

وفولتير لا ينفي وجود الحرية في عالم الاعمال الانسانية ، ولكنه يؤكد انه لا توجد ارادة من غير سبب،وان الارادة تحدها طبيعة الاشياء ، والارادة ولو انها ليست حرة الا ان الانسان حر ، ما دام يستطيع ان يعمل طبقا لما يريده . والرجل الذي تلوم العوائق دون ما يريد ، ويمنع عنه ، هو الذي ليس له حرية . وهذا التفريق على وضوحه هام في فلسفة فولتير التاريخية ، وعليه يتوقف تصوره للقوة الدافعة في التاريخ ، فالانسان في رأيه هو الذي صنع ما يراه في الدنيا وليست العناية الالهية ، والتاريخ حركة ارضية خالصة ، ونتيجة لأهواء الافراد والجماعات التي تعمل دون وبغير وعي في سلسلة من الحركات احيانا ناجحة منيفة ، واحيانا اخرى حافلة ليئة ،ولكنها مصحوبة على الدوام باضطراب وهدم .

حب النفس أعظم قوة هدامة في العالم

واشد الاهواء قوة هو حب النفس،وهو اساس المحافظة عليها ، وهذه الصفة الضرورية والنافعة الى حد ما ، تنقلب الى الانانية والبحث عن المصلحة الذاتية ، وتصبح مبدأ العمل وموقفا تجاه الحياة ، وتتجلى اخيرا في التعاظم والكبرياء والطموح وحب الشهرة وشهوة السيطرة والرغبة في التسلط على الغير،وهي بطبيعتها غير متسامحة وتحاول بلوغ غايتها بالعنف او الخديعة ، وفي الحالة الاولى تسوق الى الحرب والقتل ، وفي الحالة الثانية تتنكر في زي الدبلوماسية ، ولكن مهما تكن الصورة التي تبدو فيها فانها في الواقع اعظم قوة هدامة في العالم ، ولو اطلق لها العنان لادت الى تخريب المجتمع .

حب النفس يوازنه في أعماق الانسان الحس بالعدالة وحب النظام

ولكن من حسن حظ الانسان أنه ليس مجردا من الوسائل التي تكبح جماح القوة الهدامة وتصلح ما تفسده وتبنى ما تهدمه ، فالى جانب حب الذات يكشف لنا فولتير ، في أعماق العقل الانساني ، عن غريزة العدالة وحب النظام ، وهما على ما يبدو داعيان يحصلان بنمو العقل ، وهما بهذه الثابة جزء من طبيعة الانسان مثل الأهواء الوحشية والميول الهدامة ، ووظيفتهما الاصلاح والتسوية والبناء . ويقول فولتير في خلال مقالة من الاداب : « في وسط هذا النهب والسلب والهدم والتحطيم الذي شاهدته خلال مدة تسعة قرون نرى حب النظام الذي يتوحى سرا في الجنس البشري ، وهو الذي منع الخراب النهائي وشل حركته » . وهذه النزعة البناءة تعمل في بسطه ، ولكنها مثابرة ، فتصليحها جره على العالم الطموح والغرور وشهوة حب السيطرة ، وتخلق الظروف الملائمة للتقدم وتسير بالانسان الى الامام .

ومن الحين الى الحين يظهر في العالم عظماء بناؤون

وعلاوة على ذلك فانه يظهر من الحين الى الحين رجال عظماء تتمثل فيهم روح العصر ومن طريقهم تجد القوة الانسانية البناءة السبيل الى التعبير عن نفسها وهؤلاء هم أبطال الانسانية حقا ، مثل يوليوس قيصر ، وشارلمان ، والاسكندر الثالث ، وهنري الرابع ، وفردريك ، ولويس الرابع عشر ، ومقياس عظمة هؤلاء الرجال هو الخير الذي قدموه للعالم .

التاريخ معركة بين قوى هدامة ، واخرى بناءه

ومعنى ذلك أن فولتير ينظر الى التاريخ باعتباره معركة بين قوى متنافسة وسجلا للاهواء والحماقات والجرائم ، تتخلله من الحين الى الحين العبقرية الانسانية . أي أن هناك عقلا مشرفا على حركات المجتمع ، وهذا العقل هو جماع الذكاء الانساني ، ومتقدم الأرض . وقد حث هذا الرأي المفكرين على البحث العلمي عن قوانين التقدم ، ويرى فولتير أن هذه المعركة الناشبة بين القوى الهدامة والقوى البناءة مهما طال أمدها تسفر في النهاية عن انتصار التقدم والنظام والعقل والحضارة .

ثلاثة تؤثر في عقل الانسان : الطقس ، والحكومة ، والدين

هناك ثلاثة أشياء تؤثر بلا انقطاع على عقل الانسان وهي الطقس والحكومة والدين ، وهذه العوامل الثلاثة تفسر في رأيه لغز العالم .

عامل الطقس في التاريخ

وقد كان المفكر الفرنسي بودان Bodin في طليعة من أسرعوا الانظار الى أهمية تأثير الطقس في الجزء الأخير من القرن السادس عشر ، وكان هذا التصور مغريا ، وحمل بعض المفكرين على الاسراف في تقدير أهميته ، وبخاصة المفكرين الذين جاءوا بعد بودان . وقد الزم الكاتب الفرنسي منتسكيو Montesquieu التاريخ في تحليله المشهور لأهمية الطقس في كتابه « روح القوانين » L' Esprit des Lois ولكنه بالغ وأسرف حين قرر أن الإنسان لا حيلة لها مقاء العوامل المادية . ولا نزاع في أن العقل تأثير عامل البيئة بوضعا في الطقس ، ولكن أعماق الجانب الروحي كذلك يسوقنا الى المادية الجافة ، وقد استطاع فولتير برجاحة حسه وحسن ادراكه أن يضع كل عامل من هذين العاملين في المكان المناسب ، فهو من ناحية يعارض التفسير الآلي للتاريخ الذي يتعارض مع حرية الارادة ، ولكنه في داخل حدود هذا التصور لا ينكر على الطقس مكانته باعتباره عاملا مؤثرا ومن الوالد في ذلك « الشمس والجو يبرهنان سلطانهما على المنتجات الطبيعية جميعها من الانسان الى الفطر » . والطقس قد يكون له تأثير في جمال الأجسام والوانها وفي ميولنا وطبيعة عبقريتنا ، فسكان المناطق الاستوائية سمر الوجوه ، وسكان المناطق المعتدلة بيض الوجوه . وكثير من الحقائق التاريخية يمكن أن نفسرها تفسيرا جغرافيا .

ولكن فولتير يتساءل قائلا : « اذا كان الطقس كل شيء فكيف نفسر التقلبات التي توالت على المصريين واليونانيين أو الحضارات الرومانية وجميعها قد استولى عليها الجمود ؟ من الواضح

ان « المفتاح » غير موجود في الجو ، ومن المغالطة ان يؤكد ان الشعوب الشمالية هزمت دائمـا الشعوب الجنوبية ، او ان المذاهب الدينيـة لا تؤثر تأثيرها الا في حدود جغرافية معينة . فان فتوح العرب وانتشار المسيحية براهين تنفي ذلك ، وكذلك راى منتسكيه القائل ان روح الحرية لا تسكن الا في المناطق الجبلية ، ينقضه ثورة جمهوريات هولنده وفينيسيا وبولندة » .

ويكثر فولتير من تقديم الامثلة التي تنقض الراى القائل ان التاريخ خادم للجغرافيا ، فمن القرن العاشر الى القرن السادس عشر مرت ايطاليـا بسلاسل متوالية من الثورات العجيبة « في حين ان جبال الابينين لم يتغير موقعها ونهر البو ما يزال يجري في مجراه »» « وقد قطع الانجليز براس الملكة ماري ستيوارت وشارل الاول دون ان يسألوا هل هبت الريح من الشمال او من الجنوب » .

ويستخلص من ذلك انه من الواضح انه لا الحرارة ولا البرودة ولا الرطوبة ولا الجفاف هي التي تفصل في مصير المخلوفات البشريـة الفانية التي تزحف على سطح الكرة الارضيـة ، وانما العوامل المؤثرة مصدرها الدين والحكومة .

تأثير الحكومة في التاريخ عند فولتير

وكان فولتير يفضل الحكم الجمهوري ، ولكنه كان يعيش في اوروبا التي يحكمها ملوك يتمتعون بالحكم المطلق ، فلم يجد مندوحة من قبول هذا النوع من الحكم . وكان يمدح الحاكم الخير ويقول : « ان الملك الصالح هو احسن هدية تمنحها السماء للارض » . وكان ينتظر مـن الحكومات ان تنشر التسامح وتمنـع التعصب والاضطهاد وتسن القوانين الحكيمة وتسمو بالتعليم، وتعمل على تقدم الفنون ، وتطلق العبقريـة الانسانية من عقالها وتفسح لها المجال .

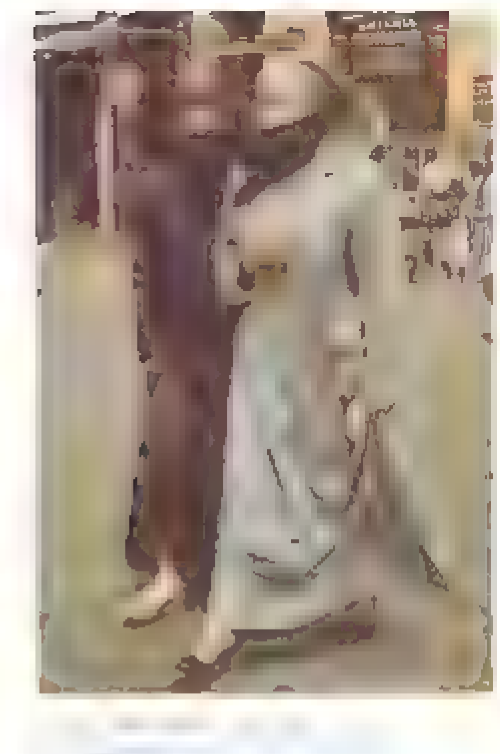
تأثير الدين عند فولتير

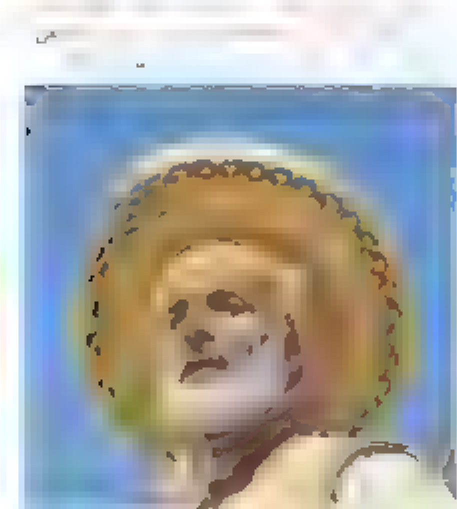
والى جانب تأثير الطقس وتأثير الحكومة يضع فولتير تأثير الدين ، وللتأثير الديني في رأى فولتير المكان الاول في المؤثرات ، ولكنه في نظره الى الدين متأثر الى ابعد حد بوجهة نظر العصر الذى عاش فيه ، وهو يفوق معاصريه في شدة وطأته على الدين . ويعتقد ان النبع الاصلي للاديـان جميعها هو حاجة الانسان الى العامل الاخلاقي ، والاديان جميعها في راى فولتير تعلمنا حقيقـة معينة ، وهي ان نتحرى العدل سواء كان ذلك من لسان زرادشت او كونفوشيوس او السيد المسيح . ولكن الحق الذى يعلمه الدين قـد شابه الفساد الذى تطرق اليه من مطامع الطامعين، واستغلاله الفلسفة لخداع الجماهير والسيطرة عليهم في فساد اخلاقهم ، والسلطة التي تمنح بهمـا القساوسة كانت في راى فولتير كارثة على الانسانية. ويحمل فولتير الاديان وزر الكثير من الحــروب والاضطهادات التي حدثت في العالم.ولا يخلو رأى فولتير في هذا الصدد من التجنى،فلو ان العالم خلا من العقائد والاديان لما انتهت الحروب وتوقف الاضطهاد، ولظل الصراع على امتلاك الارض قائماً وتصادمت المصالح القومية . وليس التعصب من خلق الاديان ، وانما هو شيء كامن في طبيعة بني الانسان ، ويستغل الناس الضيق بالمعارضـة ويحاول سحق اصحابها اينما وجدهم ،والمؤمنون بالثورة الفرنسية اسلموا بالرؤوس مخالفيهم للمقصلة لانهم يعتنقون نظاماً للحكم يخالف النظام الذى اقروه .

يؤخذ على فولتير

ومما يؤخذ على فلسفة فولتير التاريخيـة اعتقاده ان الناس في كل زمان ومكان هم الناس ، وان الطبيعة البشرية واحدة وانما العادات هي التي تختلف ، ولم يخطر بباله ان انسان العصر الوسيط مثلا يختلف الاختلاف كله عن الانسان في عصر فولتير لان قوامه الفكري ومقدرة ارائـه ومعتقداته واوهامه واحلامه مختلفـة عن المحيط الفكري في عصر فولتير . واول واجبات المؤرخ الحق هو محاولته تخطى الحواجز والسدود التي تفصل الازمنة بعضها عن بعض والتجرد مـن افكاره والجاهاته وميوله جهد طاقته ، وان يبحث عن الفروق لا المتشابهات بين عصره والعصـور السالفة حتى يصل الى كنهها . والعيب الاصيل في تفكير فولتير التاريخي انه كان يزن مختلف العصور بميزان عصره .

علـي ادهـم









اعرف وطنك أيها العربي

طَنجَة

ينقلك «العربي» في هذا الاستطلاع الى مدينة غريبة...
مدينة فقدت وظيفتها فأصبحت عاطلة عن العمل !!

قام بهذا الاستطلاع سليم زبال - وصوره «أوسكار»

... وازدهار طنجة وسعي ما أصابها من تدهور وانحطاط.
ونبات هذه الصحف في موجة بحريها الرائد ...

الأساطير والتاريخ

ولعل الاسترسال في الكلام عن طنجة في حاضرها، يقتضي أن نعود قليلا الى تاريخها البعيد والقريب..

حقيقة أن الظلام يخيم على بعض أركان هذا التاريخ، مما خلط الأساطير بوقائع التاريخ.. لكنها على كل حال أساطير لا تخلو من طرافة..

ولعل موقع طنجة الفريد، عند التقاء بحر الروم ببحر الظلمات، هو الذي أوحى بأغلب تلك الأساطير، التي نال أكبر قسم منها «هرقل»، ابن إله الآلهة «جوبيتر» في الميثولوجيا الرومانية.

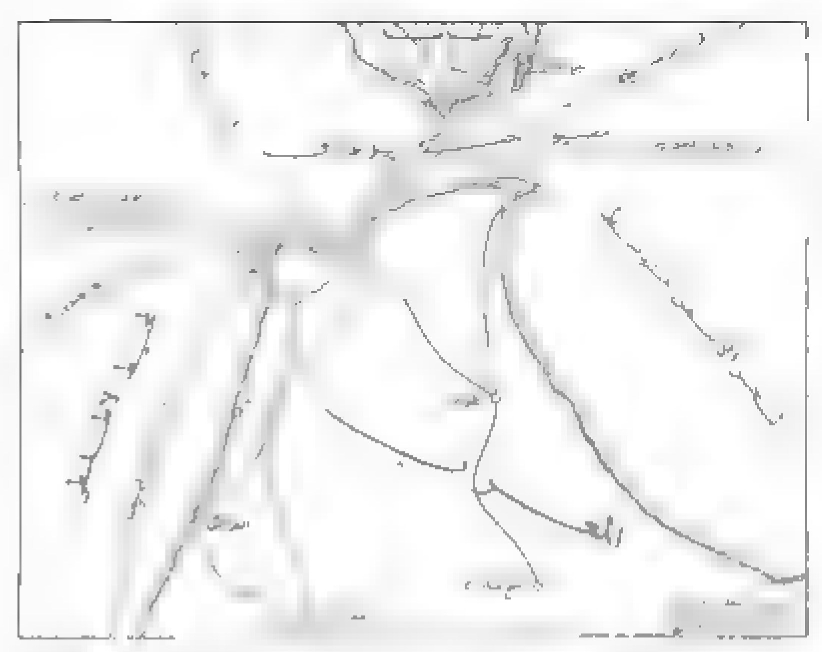
تقول الأسطورة: كان للإله «أطلس» ابن الإله «نبتون» إله البحر، ثلاث بنات يسكن في حديقة بها شجر تفاحها ذهبيا (...) .. وكان يقوم على حراستها وحش خطر ... وجاء «هرقل» فتصارع مع الوحش حتى قهره بقوته الخارقة .. وتزوج هرقل ابنة ... من إحدى بنات أطلس، وكانت ثمرة هذا الزواج ابنة سموها «طنجة»، وقد أطلق اسمها على المدينة !!

هرقل يقطع الجبل

وتكمل فصول الأسطورة بوصف قساوة غضب هرقل، جعله يهوي بضربة من هراوته على الجبل، الذي كان يفصل بين البحر الأبيض والمحيط الأطلسي، فيشطره الى شطرين !! وفي الحال اندفعت مياه البحر الزرقاء لتلتقي مع مياه المحيط الخضراء، مكونة المضيق المعروف اليوم باسم مضيق جبل طارق !! ... وفي نفس اللحظات انفصلت أوروبا عن أفريقيا وسوف بينهما للأبد .. !

ويؤكد لك أهل طنجة هذه الأسطورة، فيدعونك لمشاهدة كهف كبير، يقولون عنه إنه الكهف الذي كان يختبئ فيه هرقل (انظر الصورة ص ٧٦).





السبب طنجة أصبحت رائدة ... موقعها عند أقصى الطرف الشمالي من المغرب

... وقد جاء ذكر ... في كتاب ... او المضيق ... بحر الروم وبحر الظلمات ؟؟ ... ومن طنجة يبدأ ... على بعد ٦ كيلومتر ... والى ... ٣٢ كيلومترا ... ٢٧ كيلومتر

موكب التاريخ ..

إن الآثار القديمة الأخرى، هناك من يقول مدفونة في طنجة بالرغم من أن الفينيقيين قد جاءوها في سعيهم الخصيب لجمع ذهب العالم عن طريق التجارة ... كما شهدت شواطئها الأشرعة الحمراء للمراكب القرطاجية والرومانية، التي كانت تتوقف عندها خوفا من عواصف بحر الظلمات.

وبعدهم الغزاة البيزنطيون، والوندال، والقوطيون، كلهم عبروا المضيق الصغير ليستقروا في طنجة ويندمجوا في بوتقة شعبها، الذي كان يتفاعل مع الحضارات والمجتمعات الغازية ..

جسر بين المغرب والأندلس

.. وجاء موسى بن نصير الى طنجة فاتحا في عام ٧٠٧ م. فولى عليها طارق بن زياد .. وعاد موسى الى القيروان، حيث كتب لطارق - وهو بطنجة - يغريه بغزو الأندلس ... وانطلقت جحافل جيوش الإسلام تعبر المضيق الذي يفصلها عن أرض الأندلس ... وتبع الجيوش جموع من الأدباء والعلماء، كانوا يمرون بطنجة في الذهاب والإياب من الأندلس، وإليها، حتى أصبحت المدينة بمثابة جسر يربط بين المغرب والأندلس، فارتفع المستوى الفكري في المجتمع الطنجي الى درجة عظيمة، وكثر بها الأدباء والشعراء، واصبحت عند ذلك أشهر مدن المغرب .. وكان الناس في بعض الأزمان، يطلقون اسمها على المغرب الأقصى كله

هدية زواج!

... وجاء الانحلال بعد الازدهار .. فأخرج الأندلسيون من بلادهم، وقصدت جموع غفيرة منهم الى طنجة، حاملين معهم تراثا حضاريا، واسهموا في النهضة اسهاما رائعا، ازدهر وازداد في ظل المرابطين والموحدين، وبني مرين ..

وبعدها بدأ الاستعمار الغربي ثورته في احتلال شواطئ افريقيا على ما هو معروف، وفي عام ١٤٧١ سقطت طنجة، بعد معركة عنيفة، في أيدي البرتغاليين الذين قدموها في عام ١٦٦٢ هدية لشارل الثاني، ملك الانجليز، ضمن الهدايا التي حملتها معها ملكتهم كاترين عند زواجها به







نسفوا كل شيء !

وكان اهل المغرب ، في هذه الفترة ، قد وطدوا العزم على تحرير مواطنهم، فنشبت المعارك الضارية بينهم وبين الانجليز ، المستعمرين الجدد لطنجة .

وفي عام ١٧٧٣ ضيقت جيوش المغرب حصارها على المدينة فركب المستعمرون سفنهم ، وهربوا الى البحر ، وتركوا المدينة خاوية على عروشها ، بعد ان خربوها .. وهدموها .. حتى البناء الجميل الذي اقاموا على ساحله طيلة ... نسفوه بالبارود ... !!

جشع الاستعمار

وبجلاء الانجليز عادت طنجة الى وطنها الام .. وظلت بضعة سنين تحت كنفها هادئة عاملة على تضميد جراحها ... ولم تكن بعض الاضطرابات والثورات تعكر صفو هذا الهدوء ، وتنبه العالم الى اهمية هذا الموقع الاستراتيجي الفريد عند اقصى نقطة في الطرف الشمالي لافريقيا .

وهنا بدأت المؤامرات الدولية تظهر في سماء طنجة

ـ اسبانيا طالبت بها استنادا الى مخطوطات تاريخية وجغرافية بالية .. !

ـ فرنسا ترى من الطبيعي ضمها اليها، وخاصة بعد احتلالها للمغرب الكبير كله .

ـ بريطانيا تريدها دولية .. لا حبا في طنجة ، وانما خوفا من ظهور جار قوي لها ، على الضفة المقابلة لقاعدتها في جبل طارق ..

ـ المانيا تريدها مستقلة ، وتهدد بالحرب في حالة تعرضها للخطر ، وباسمها الامبراطور بنفسه في زيارة رسمية لها عام ١٩٠٥ .

.... وعلى اموالي تقاسموا

وتنجح فرنسا في اقناع المانيا بعض الظروف ، مقابل هدية تقدمها لها هي نصف بلاد الكمرون

ولكن فرنسا تفشل ، في اقناع بريطانيا بالسماح لها باحتلال طنجة .. وتكون النتيجة توقيع اتفاق بين البلدين في عام ١٩١١ ، بجعل من طنجة مدينة دولية .. وتقف الحرب العالمية الاولى عقبة في تنفيذ الاتفاق ، ولكنه يعود للظهور في ١٨ ديسمبر ١٩٢٣ على شكل معاهدة جديدة بين فرنسا





واسبانيا وانجلترا .. بعقد مرتين عام ١٩٢٤ و١٩٢٨ وانضمت اليها الدول الست الموقعة على معاهدة الجزيرة ..

حاكم ... محكوم !

وانبثق من هذه المعاهدة مجلس تشريعي للمدينة الدولية مكون من ٢٧ عضوا (٤ منهم فرنسيون و٤ اسبان و٣ بريطانيون و٣ ايطاليون وامريكي واحد — لم يشترك ابدا في الاجتماعات — وبلجيكي وهولندي وبرتغالي و٩ مغاربة (٦ مسلمون و ٣ يهود) .

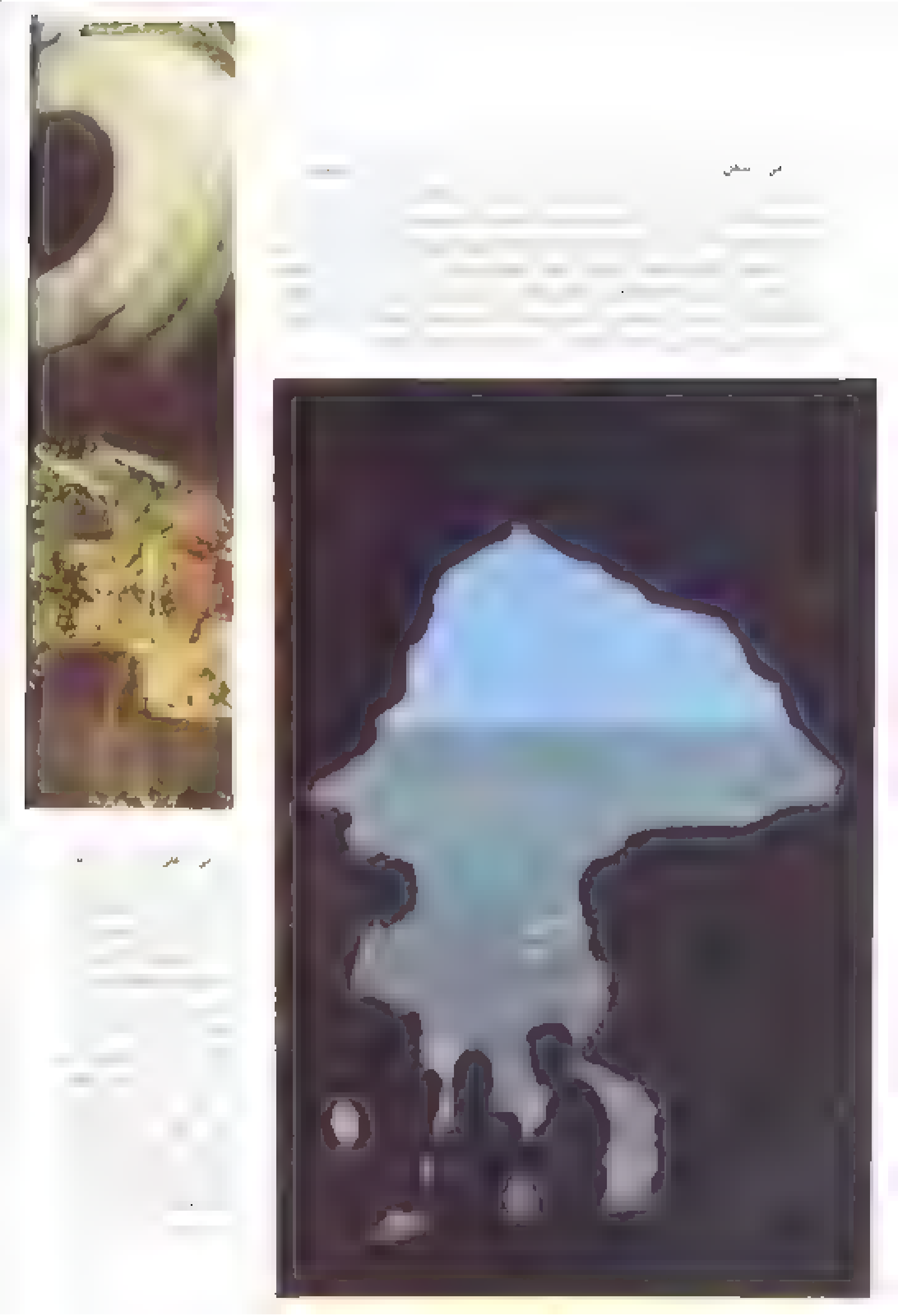
وكانت قرارات المجلس تخضع لمجلس مراقبة، او مجلس وصاية مكون من قناصل الدول المعنية ولهذا المجلس حق نقض القرارات التي يصدرها المجلس التشريعي والغائها ، كما له حق حل المجلس اذا ارتأى ذلك !

ومن المهازل المضحكة في هذا الحكم الدولي ان الرئاسة السامية لسلطان المغرب على طنجة ، رغم ان نفس السلطان كان يرزح تحت نير الاستعمار الفرنسي.

وظلت طنجة خاضعة لهذا الحكم الدولي الغريب حتى عام ١٩٤٠ عندما انتهزت اسبانيا فرصة الحرب فاحتلت المدينة الدولية بأكملها .. ولكنها سرعان ما جلت عنها بعد استسلام المانيا عام ١٩٤٥ لتعود الى العمل بمعاهدة ١٩٢٣ ، مع ادخال مندوبين جديدين لامريكا وروسيا ، فتصبح سلطاتهما اكبر .. وقد رفضت روسيا حضور جلسات المجلس احتجاجا على وجود « مندوب الديكتاتور الاسباني فرانكو » .

ما أحلى الرجوع اليه ..

وفي عام ١٩٥٦ بدأ المغرب يشهد حريته فانهار الحكم الاستعماري الفرنسي .. وانهار بعده الحكم الاستعماري الاسباني ، الذي كان يحتل الجزء الشمالي من التراب المغربي وبقيت طنجة مع ذلك بوضعها الدولي ، الذي





لم يستطع البناء طويلا ، اذ انهار بعد شهرين من الاستقلال ليصبح نقاشا في ذي موضوع ...

وعادت طنجة ناتية الى المغرب ، بعد فراق دام ٣٢ عاما

عادت لتروي قصة ازدهارها الزائف الذي كان يحسدها عليه العالم ..

الحرام ... والحلال

ولقد وكلت عملية تصفية الوضع الدولي الى السيد عبد الله كنون ، اول حاكم مسؤول اختاره الملك محمد الخامس لتلك المدينة .

ولقد جلسنا اليه نسمع حديثه عن الحكم الدولي ... قال



عبد الله كنون



ويستطرد السيد عبد الله كنون في حديثه

وينهي السيد كنون كلامه بقوله

جمال ساحر ..

وفي المنزل البسيط ، المقصود هو طنجة ، التي اجتذبت عليها الطبيعة بسطة عجيب ، التي الكثير من جمالها الاخاذ . مناظر عجيبة للعين لم ير لها مثيلا ، في اي بلد عربي آخر تقريبا ..

انها تجمع بين المضيق ، والمحيط الواسع .. وبين السهل والجبل .. وجوها صحو صافي، وهواؤها لطيف النسمة من رقة نسيم البحر الابيض ، وبرودة رياح المحيط الاطلسي .. وان كان مطر في بعض الاحيان فقد رأينا الامطار تهطل في بعض ايام شهري يوليو واغسطس .

السفن البخلة

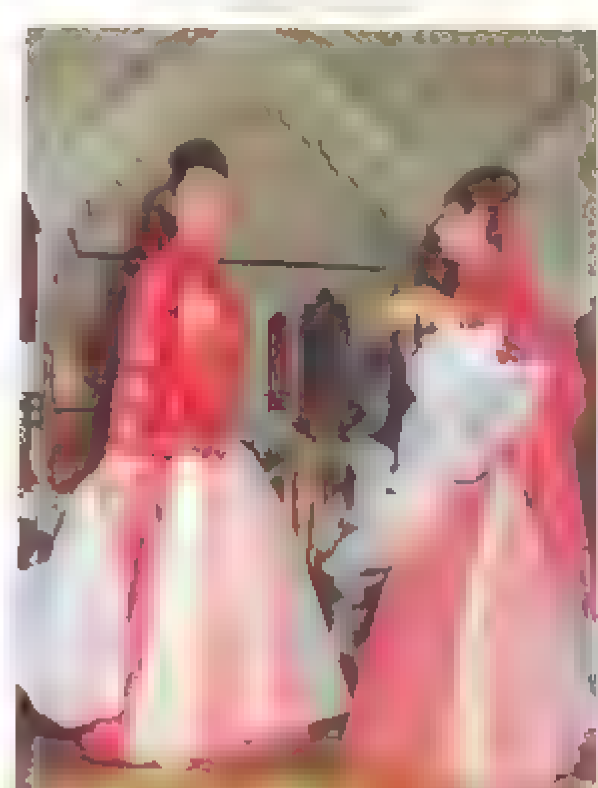
وفي الايام التي يكون الجو فيها صحوا — وما اكثرها في طنجة ! — يشهد الاهالي صخرة جبل طارق ، وسهول الاندلس ، لا يفصلهما عنهم سوى المضيق الذي ، الذي تعبره الطائرة في ١٠ دقائق، والبواخر الصغيرة في ساعتين ونصف ، السفينة بابراجه الثلاثه

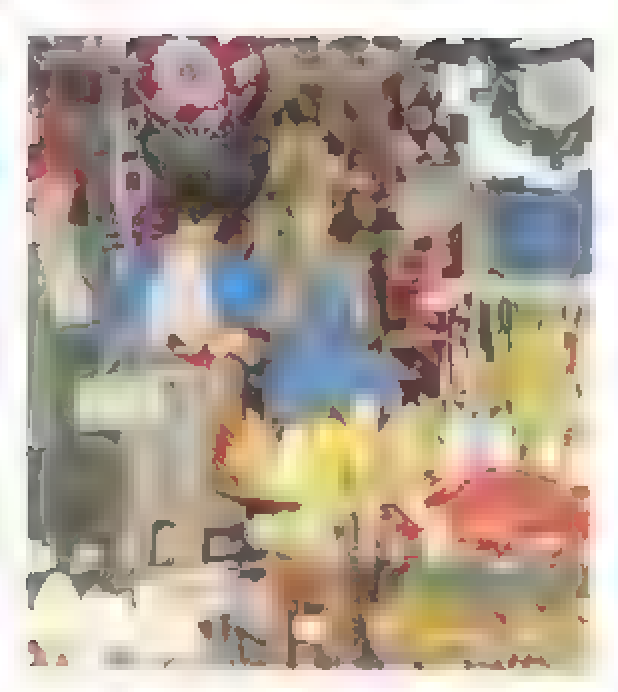
انه من اكثر المضايق عمقا (٢٥٠٠ مترا في بعض الاماكن) واكثرها .. ويقول السيد محمد العربي التميمي ، رئيس الغرفة التجارية والصناعية بطنجة ان ٢٥ في المائة من المراكب الاجنبية العالمية تمر منه .. اى بمتوسط مركب واحد كل ١١ دقيقة !

ولكن كم من هذه السفن يتوقف في طنجة ؟

سجلات الميناء تشير الى انها لا تتعدى الفي سفينة في السنة .. والباقي — اي نحو ٥٠ الف سفينة — يكتفي بعبور المضيق باخذا حتى باطلاق النفير ، تحية لهذه المدينة البيضاء الجميلة ،











القائمة فوق رؤوس التلال السبعة الخضراء التي تنتشر عليها العمارات والقصور البديعة ذات الطابع الهندسي الدولي ، لأن كل زائر جاء الى طنجة عمد الى بناء منزله طبقا لهندسة بلده !

فالأمريكان مثلا ، الذين جاءوا بعد الحرب العالمية الثانية ، اشتروا منطقة بأكملها في طنجة، اطلقوا عليها اسم « كاليفورنيا » وجعلوها تأخذ طابع الهندسة الأمريكية : فيلات صغيرة أنيقة متلاصقة ، وحدائق بأزهار حمراء .

الانجليز وباربارا هاتون في القصبة !

اما الانجليز فقد فضلوا السكنى في حي القصبة داخل المدينة القديمة .. فأقاموا حيا بأكمله بقوه على حاله القديم ، حتى الشوارع الضيقة، والأسوار العالية ، ظلت على ما هي عليه ، لتمنع الفضوليين من رؤية ما يدور داخل المنازل .

وسحر جمال طنجة لب المليونيرة الأمريكية المشهورة « باربارا هاتون » فاشترت ستة منازل قديمة تطل على خليج طنجة ، انفقت عليها ثروة لتجديدها ووصل بعضها ببعض ، مع الحفاظ على طابعها العربي القديم .. وتقضي باربارا هاتون في هذه المنازل ، التي اصبحت قصرا جميلا واحدا ، شهرين كل عام - يوليو واغسطس - تقيم خلالهما الحفلات الصاخبة ، مما يتيح للزوار فرصة مشاهدة قاعة العرش السيامية « نسبة الى مملكة سيام التي هي اليوم تايلند في الهند الصينية » المصنوعة كلها من الذهب ، والموجودة في هذا القصر .

مارسان ، وسيدي عمار .. والجبل !

وتقع طنجة القديمة على تل يرتفع ٧٠ مترا تشرف على الميناء .

واول امتداد وتوسع للمدينة كان بعد الحرب العالمية الأولى ، في اتجاه المحيط الأطلسي ، وبه انشئت ضاحية «مارشان» ... تلك التي لم تكف لسكنى الوافدين الجدد فاتجهوا ناحية الشرق ، ليقيموا المدينة الحديثة بعماراتها العالية ، وشوارعها الفسيحة ، وطريق الكورنيش الجميل المزدان بأشجار النخيل التي قدمها الملك ألفونسو - ملك اسبانيا السابق - هدية لطنجة ..

ولكن ضوضاء المدينة الحديثة لم تعجب هواة الراحة ، الذين قصدوا الجبل المطل على طنجة «







واحدة منهما في الشرق ، واسمه الشرقي ، والآخر في الغرب واسمه "سيدي عمار" ، وعليهما أقاموا قباتهم ، وقصورهم الجميلة ، حتى كاد أن يصبح جبل سيدي عمار قطعة من الجنة ، بما حواه من حدائق ، وأشجار ، وزهور ، وعيون ماء ..

والماء في جبل سيدي عمار له خطورة خاصة ، إذ تقول الأقاصيص أن في هذا الجبل عين ماء ، من يشرب منها يكتب له الخلود ! وقد بحثنا طويلا عن العين العجائبية هذه ، فلم نجد لها أثرا .

ويقول أهل طنجة في كتابهم عن حديثهم عن الخضر عليه السلام ، كان على رأس البعثة التي أرسلها ذو القرنين لتبحث له عن عين الحياة ، فشرب منها ، ولذلك طال عمره .

أقصى نقطة في أفريقيا

والآن تعال نكمل رحلتنا عبر جبل سيدي عمار لنصل إلى ساحل المحيط الأطلسي ، حيث منارة مرقالة ، ومنارة سبارتل الشهيرة ، التي تنبه قباطنة عابرات المحيط إلى وصولهم المضيق ..

وقصة هذه المنارة ممتعة وغريبة ، لقد شيدوها عام ١٨٦٠ على الصخور الواقعة عند أقصى الطرف الغربي لأفريقيا .. وما كادت تمضي خمس سنوات على بنائها حتى أصبحت عشر دول أوروبية مسؤولة عن إدارتها لأهميتها البالغة في إرشاد سفنها .. وبعد الاستقلال عادت هذه المنارة إلى المغرب لتدار بمعرفتها .

وعند قاعدة المنارة يمتد شاطئ رملي ساحر طوله ٣٣ كيلومترا يقصده هواة السباحة مستمتعين وهنا ممتعا بين أمواج المحيط ومياهه الباردة .

اليابانيون هم السبب ؟

وعلى بعد أمتار من السائحين نمر بسطح صيد الموته يمخر عباب المحيط حاملة صيدها السمين ، في طريقها إلى المصنع بحمولة تصل ١٦ أمراء رسالة على تعريب ٣٠ أمراء معرسه

وحدثه مدير المصنع عن الخطر الهائل الذي تتعرض له هذه الصناعة فقال

سكت قليلا ليتابع قوله : ...







ولكن ابن طنجة لا يعقل هذا المقابل ويعرف ان السفن اليابانية هذه موجودة منذ مدة طويلة ايضا حصلة القصة تكمن في ان الصيادين «وطنيين من الاسبان» ويسلمون كل ما يصطادونه الى مصانع اسبانيا لتعليبه هناك ، وكثيرا ما تدخل سفينة مياهنا الاقليمية لسرقة ثروتنا السمكية وللاسف نحن لا نستطيع مراقبتها لضعف امكانيات حراسة الشواطئ عندنا ..

ويتابع اهل طنجة حديثهم بمرارة . ان سمك البوري كان دائما يصاد بكميات كبيرة ، والنقص الذي يذكره مدير مصنعنا الاسباني غير معقول ، ويسخر الاهالي من اقوال هذا المدير بمرارة



« ان سمك البوري ليست له نهاية ، ولهذا لا نستطيع القيام باضراب طالما يوجد عندنا »

حماسة ..

وفي طنجة يسمعون بحماسة غريبة لكل ما يتعلق بمدينتهم ، انهم على بينة بكل مشاكلهم ويدركون جيدا مقدار المشاكل التي ورثوها من الحكم الدولي .. ولكنهم ، في نفس الوقت ، يخشون ان هذه المشاكل قد تضاعفت بعد ان عادوا الى وطنهم الام واصبحوا جزءا منه اقتصاديا وجمركيا.

... ومؤامرات

ان كل شيء في نظرهم يخفي وراءه مؤامرة على طنجة .. حتى الربع مليون سائح الذين ينزلون سنويا على ارصفة موانئها الصغير مع ٥٧ الف سيارة تدور حولهم علامات الاستفهام ، لان طنجة ، رغم الارصفة الكثيرة التي فيها ، لا تستفيد كثيرا من هذا العدد الكبير من السياح ، الذي يمر منها .

انهم يعبرونها في طريقهم لزيارة جنوب المغرب دون سلام ، او كلام ، او حتى انفاق مال ، والذين يمكثون في طنجة ، تكون مصاريفهم





مدفوعة مقدما لشركات السياحة ، التي ستقوم بأجور بخسة تكاد تكون بالمجان .

حتى السكة الحديدية ، خطت لنفسها محطة داخل ميناء طنجة ، تنقل بقطاراتها السياح من الرصيف حتى مدينة الدار البيضاء مباشرة وداخل القطار يوجد مطعم وبار ، وكأنها تخاف أن يشتري السائح شيئا في طنجة »

سطور المنطقة الحرة

ويحكي الناس كانت المنطقة الحرة مزدهرة نشطة ، كلها حياة وحركة .. أما اليوم فهي اسم على غير مسمى .. إنها مخزن صغير مهمل غير مستعمل .. يبعث الحسرة في القلوب ..

ومن تقرير حاكم المدينة الذي قدمه يوم ٢١ أبريل ١٩٦٠ للمجلس الإقليمي نقتطف هذا التعبير عن المنطقة الحرة

« ... عن مشروعات الإ...

والإجراءات التي سببها حاكم المدينة ، تتلخص في عدم تطبيق قوانين المناطق الحرة .

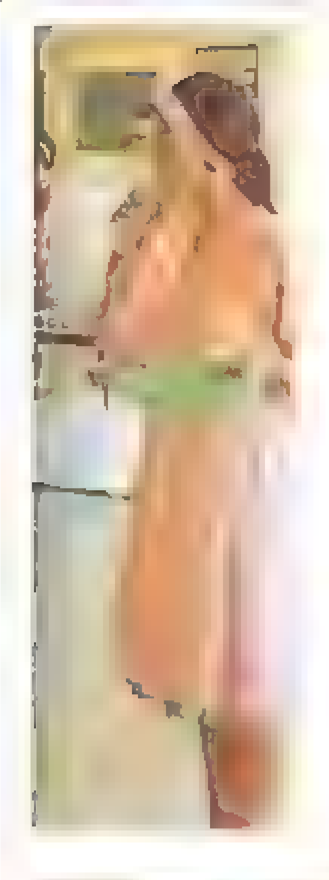
لقد عدد المسؤولون عن المنطقة الحرة في طنجة هذه الطلبات ومرها ، ولكنها ظلت دائما دون جواب .. في حين أن طلبات مماثلة تقدمت بها « الدار البيضاء » فووفق عليها ، وطبقت فعلا »

أين مشروع أوناسيس ؟

وهنا نضع أصبعنا على العقدة التي تكاد أن تخنق طنجة .. والتي جعلت المسؤولين فيها يصرخون قائلين

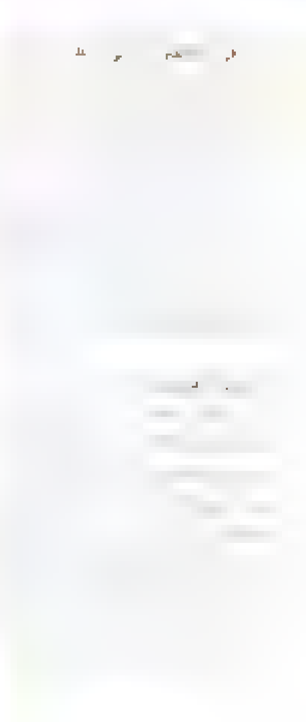
ـ « لقد أعيانا التفكير في معرفة السبب الذي من أجله يعارضون كل مشروع إصلاح في مدينتنا ، فيقتلونه وهو ما زال في مهده .. »

« خذ مثلا مشروع أوناسيس ، البليونير المشهور الذي عمل الدراسات لبناء حوض لصناعة سفن وإصلاحها في طنجة .. هذا المشروع ما كاد يطل









فيه حتى اقراه صحب غريب غريب ، ولم نجد أحدا يسمع عنه ، رغم أهميته الزائدة في اعادة مجد طنجة وجعلها المركز الفعال للشحن البحري عبر المضيق » .

الأرض لا تصلح لبناء مصنع ؟!

ويزيد المسؤولون القول

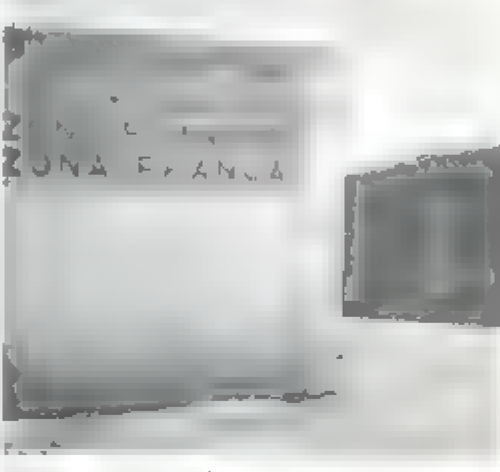
« ومشروع آخر ، هو المشروع الكبير لانشاء مصانع النسيج ، فلوزه بقوى فرنسية ، اتفقت مع شركة فرنسية ، تقول ان أرض طنجة لا تصلح لبناء مصنع نسيج !! » .

السياسة والاقتصاد

ويقر مهندسوا المسؤولين

« ان جذور هذه الحرب الخفية ترجع الى تداخل السياسة في الاقتصاد .. فطنجة بحكم موقعها الدولي السابق ، كانت مجالا لعمل الشركات الدولية المختلفة .. بعكس مدينتي فاس والدار البيضاء ، فهاتان كان المجال فيهما للشركات الفرنسية فقط ، بحكم وجود الاستعمار الفرنسي ..

« وجاء الاستقلال واندمجت طنجة مع بقية المغرب ، وخضع الجميع لنظام واحد منسوخ من قوانين الادارة الفرنسية ، يعمل على تنفيذه ،



منطقة الحرة في ... كانت في يوم ...

حتى اليوم ، مستشارون فرنسيون قدامى ، وهؤلاء بالطبع يميلون الى تشجيع وتنمية رأس المال والمصانع الفرنسية الموجودة في الدار البيضاء .. مع محاولة قتل أي رأس مال أجنبي حر ، سواء كان يعمل في طنجة أو غير طنجة » .

حرب لا معنى لها

وقد خيل الينا ، أن مما زاد الطين بلة ، هو أيام تجار فاس — الذين يسيطرون حاليا على صناعة وتجارة الدار البيضاء — بأن كل ازدهار لطنجة سوف يتم على حساب مصانعهم وتجارتهم .

لعلها حرب خفية غير محسوسة . فان صحت فهي حرب لا معنى لها تجابهها طنجة بقوة دفاعية محدودة .. فهي تقع في طرف اقليم شحيح فقير .. بينما تقع فاس والدار البيضاء وسط اقليمي سهلي زراعي غني ..

حزن ... وبعد

ان طنجة بها من السكان ١٦١٤٥٥ نسمة (احصاء ٦٠) .

وهذا العدد من السكان غير مقرر فيها السكن كثير ، وفيها الهجرة كثيرة .

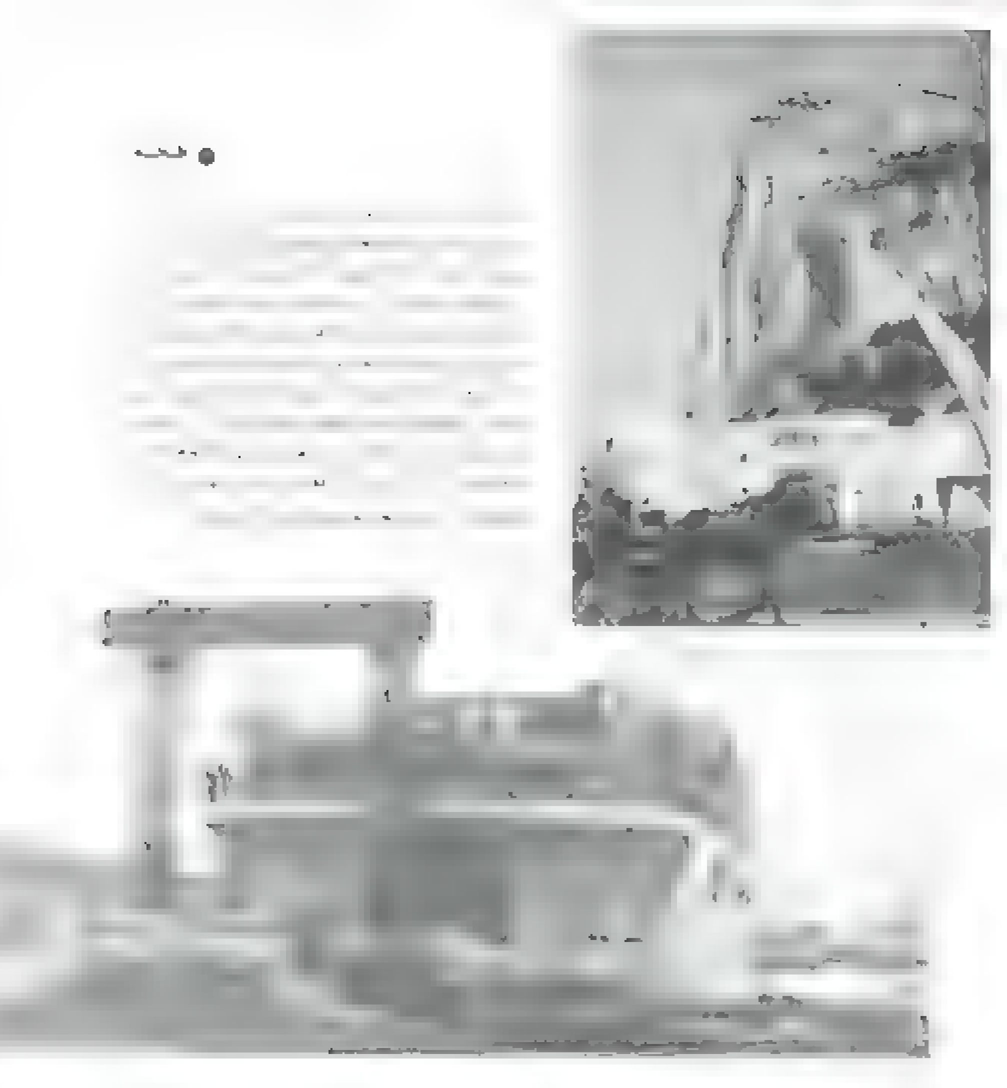
الأوروبيون منه ، وعددهم ٢٤ الف نسمة ، يهجرون المدينة الى أوروبا ..

بينما المغربيون ، على العكس ، يهجرون مساكنهم قاصدين الى المدينة !

ومن هذا الحزن والذي ظهر مشاكل جديدة للمسؤولين الذين يواجهون الموقف بصراحة فيقولون في تقاريرهم « ان هجرة القرويين الى المدينة ، وركود الحركة التجارية بصفة عامة ، وتوقف نشاط البناء ، وعدم وجود معامل ومصانع كافية ، وقلة الأرض الزراعية ، كل هذه الأسباب ترتب عليها وجود أزمة بطالة حادة في المدينة . »

« ورغم وجود بعض بوادر الحركة في الميناء ، بسبب تصدير كمية لا بأس بها من المنتجات ، الا أن هذا الاجراء ، ابرز بكيفية ظاهرة ، أن الأزمة أكثر حدة مما نتصور .. وأن علينا أن نسير الى وسائل أكثر فعالية نقضي على البطالة ، وعلى المشاكل الاجتماعية الناجمة عنها ، من تسول وتشرد وجريمة ودعارة .

ان حالة طنجة الاجتماعية التي تدعو الى الرثاء أكثر من جوانبها ، هي مرآة تعكس صورة للوضع



الاقتصادي السائد الذي عرفه اقليم طنجة منذ العام « العهد الملكي » لها .

العهد الملكي

وحدثنا السيد محمد الزرقي ، رئيس المجلس الاقليمي لطنجة ، يفسر لنا معنى « العهد الملكي » فيقول

— احب ان اشير اولا الى ان اهل طنجة لا يأسفون ابدا على ضياع الحكم الدولي ، وانما اسفهم ينصب على ضياع الوضع المالي والاقتصادي الفريد الذي كانت تتمتع به طنجة

« فاستمرار هذا النظام كان سيجلب الازدهار لنا وللمغرب .. حقيقة انه كان نظاما مسخرا لمصالح الاجانب ، ولكنه كان بامكاننا تحويله لمصالح ابناء المغرب ، بعد تعديل بسيط مدروس ..

« وقد تنبه المغفور له الملك محمد الخامس الى اهمية هذا النظام للبلاد فاصدر بعد الاستقلال في عام ١٩٥٧ « العهد الملكي » الذي

[illegible]

[illegible] ، الذي [illegible] الوضع الاقتصادي الذي

[illegible]

[illegible] على العهد

[illegible]

[illegible]









ويتابع رئيس المجلس الأعلى حديثه بقوله

— « وعلى أثر هذا « العهد الملكي » ظلت طبقة تعمل بالنظام الاقتصادي القديم داخل اطـــار الوحدة القومية حتى ١٧ نوفمبر ١٩٥٩ ، عندما طلب الحكومة في ذلك الوقت انها سوف تلغيه بعد ستة أشهر !! أي أنها أعطت الناس الحرية لترتيب أوضاعهم خلال هذه المدة »

« لقد ألغت الحكومة نظاما اقتصاديا مزدهرا بحرية تامة ، دون أن تضع البديل نظاما آخر يعوض هذا الالغاء !

« وعلى العكس ارتفعت الينا ما اسميناه «قطار الضرائب » ، لقد استطعنا أن نجد نحو ١٧ نوعا مختلفا من الضرائب تفرض علينا مرة واحدة ، وصلت نسبة بعضها الى ٩٠ في المائة ، بينما كانت في السابق موحدة بنسبة ٢١٪ على جميع الأصناف»

« ومع هذا ركود .. وبأس .. وهجرة الى جبل طارق ، فقد فتح أبوابه لتجار طنجة ، فاصبح يضج بالازدهار .. ونحن بالركود

« وحينما المسؤولون استطاعوا الاصلاح بتخفيض الضرائب الى ٥٠٪ عام ١٩٦٣ ثم سلسلة مشاريع كانشاء المنطقة الحرة ، والمصانع ، وحوض لبناء السفن ، واصلاح الميناء وتعميقه » .

« ولكنها كلها مشاريع جاءت متأخرة عن موعدها





ولم يستطع الاسترجاع ، حتى جزء واحد من ازدهار طنجه السابق ..

« لقد تحولت الانظار عنها الى غيرها

« وعليها الآن ان تبدأ من جديد لتكتسب ثقة العالم مرة ثانية ، بتعزيز موقعها الفريد في وسط العالم .. الذي رشحها يوما ما لأن تصبح مقرا لهيئة الامم المتحدة بدلا من نيويورك .. » .

بلدان مسئوله عن طنجه

والى جانب كل ذلك يتحدث المسؤولون البا... من نظام المركزية الذي تعانيه البلاد .. وضربوا لنا مثلا ، اصلاح لوح زجاج مكسور في ادارة حكومية بطنجة لا يمكن ان يتم الا بعد الحصول على تصريح من العاصمة !!

لم نكد نصدق ذلك لولا ان بعثة « العربي » لاقت الأمرين من هذا النظام ، فمندوب وزارة الارشاد والانباء المغربي في طنجه يرفض تقديم المساعدة ، لأن « الرباط » لم تخطره موضوعها ، ويرسل برقية لها .. ويجلس على مكتبه ينتظر الرد فلا يأتيه .. ونترك المدينة والرد لم يصل بعد

حتى ناظر مدارس اللاصد ـ يعني الناظرات ـ رفضوا حتى الحديث معنا عن شئون التعليم وارسلوا معنا طلبا بتصوير مدارسهم ؟ فالتمس الحصول على اذن خاص من المسؤول عن التعليم الذي يعيش في مدينة تطوان ، التي تبعد ٦٠ كيلومترا عن جنوب طنجه ..

لقد ضج اهل طنجه من هذا النظام ، وخاصة في التعليم ، فقدم مجلسهم الاقليمي مذكرة يقول فيها









امل ورجاء ...

وأخيرا قد تكون الصورة التي رسمناها لهذه المدينة العربية المناضلة، صورة غير كاملة الجمال، ولكنها صورة تعكس الواقع الذي ورثه المغرب من استعمار عتيد

والذي يبعث الأمل والتفاؤل هو اطلاع المسؤولين على جميع المشاكل التي تواجهها طنجة، ومعرفتهم للحلول اللازمة لها .. والتي سوف تجد طريقها للنور، كما علمنا، في القريب العاجل ان شاء الله ..

وخير خاتمة للمقال نقتطفها من الكلمة التي ألقاها جلالة ملك المغرب حسن الثاني التي قال فيها « وهكذا نود من صميم فؤادنا أن تصبح طنجة صورة لبلد يتدفق حيوية ونشاطا، ويسير سيرا حثيثا الى الامام دون ان يتنكر لماضيه ولمن أعطاها وقد أبعدت عنهم عوامل الخمول، وأضعفت أشباح الخصاصة، وأطلعوا موجة السعادة الخضراء »

« والله المستعان وهو ولي التوفيق .. » ■■

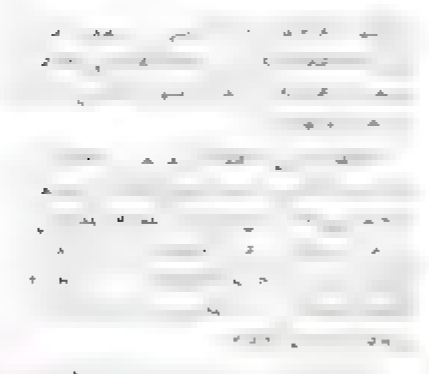
سليم زبال



يا إنسان .. يا إنسان

رغم أفلاطون ..
ورغم نوازع هذا المجتمع التكنى الحديث







في هذه المدرسة المخصوصة ، لا يدرس تلاميذه فحسب ؛ بل يدرس بيوتا يعيشون فيها ، وبيئات يغدون منها ويروحون اليها .

وعجبت ان هذا الصبي الصغير يأتي [illegible] . لا سلام فيه ولا [illegible] فيه اهمالا . فصار جوعان حب ، وجوعان رعاية ، وفوق ذلك جوعان مرضيا يشبع بها وجود نفسه في هذه الحياة . فكان من ذلك الحاجة في ان يكون مسئولا وان يكون محبوبا .

وجرى عندئذ ان كنت اعرف هذه الاسرة ، ولو ان معرفة الطفل هذا استحضرت على في تلك الساعة .

غريزة لا بد من رعايتها

ان الاحساس بالوجود هذا ، وبضرورة اثباته ، شيء يبدأ من الطفولة . وهو [illegible]

انصبي أن يكون في جمع من الاصحاب يكون نصيبه هو الاهمال ، فيا يحسم غيره بالالتفات اليه والرعاية .

انه يعني ما سماه ادلر عالم النفس غريزة ؛ ورغبة ، ويأخذه من بعد ذلك ، غريزة السيطرة ، غريزة التقدم ، لانه يعني بعد التقدم الا التأخر ، والطفل والصبي والشاب تدفعهم دوافع باطنة دائمة ليكونوا عند الرأس ، ابعادا عن أن يكونوا في الذيل .

وهي غريزة لا بد من اشباعها وارواتها الى حد كبير ، ففيها احياء الامل في [illegible] التخلف والشعور بالنقص .

الطفل اعقد الاشياء التي تصنع

من ذلك الحين ، ومن خبرتي الطويلة بعد ذلك ، ثبت لدى عقيدة أن الطفل ، هذا الناشىء ، أي طفل ، هو شيء يصنع . وهو اعقد الاشياء التي تصنع . وانه يصنع على مهل ، وانه يصنع في غير جلبة . وان مواهبه العقلية تنمو رويدا رويدا . وتتفتح عواطفه وانفعالاته وتنمو . وان المصنع الذي يصنع فيه هذا المصنوع المعقد ، انما هو البيت .

والصانعون ، الاب والام ، والاخ والاخت ، والاقارب وحتى الزوار ، لهذا الانسان ، في يقظته وفي نومه ، وفي كل حركة وسكون ، وعلى المائدة وعند القيام عنها ، وفي الكلام وعند الصمت ، كلها تعمل على تشكيل هذا الانسان الصغير الجديد ، تشكيله عقلا ، وتشكيله عواطف وانفعالات .

البيت لا يزال المدرسة الاولى

ان البيت كان ولا يزال المدرسة [illegible]

حتى وجاء قطعة من الحلوى ، وتعلم ما اليأس ، حتى اليأس من نيل قطعة من الحلوى . وتعلم الحب ، وتعلم كيف [illegible] الطفل عند الحرف الى الاحضان [illegible] الامنة ، وكذلك تعلم البغض ، والكراهة والاستيحاش .

وكل ذلك قبل أن يعرف الطفل ما المدرسة .

وقديما ما عرف الناس المدارس ، ما عرفوا المدارس النظامية قط .

كان البيت هو مدرسة الطفولة [illegible] والشباب . لم تكن تعرف المدارس في ذلك الزمان القديم ، ولا الدراسة الرسمية . الا ان تكون قلة تتعهد لتقوم

بحكمة ، أو قلة تنحصر تقوم بالكهانة ، ورعاية المعبد .

وتقدم الانسان ، وعرف ما الكتابة ، وعرف ما الحساب ، وشيئا من المعارف اخرى . فكانت المدارس وكانت الدواوين الرسمية يخرج اليها الصبية في ذلك النظام الراتب المعهود .

ولكن مع هذا ظل البيت هو المدرسة الاولى .

وفي الامم الحديثة ظل البيت هو المدرسة الواحدة الى سن السادسة .

ومن العجب ان اكثر الناس لا تمع منذهم هذه الست السنوات شيئا ذا بال . وهي البال كل البال . كالبيت يطول الى عشرين وثلاثين عمرا . واساسه متر واحد وبعض متر .

والعجيب انه توجد دراسات منشورة مشورة كثيرة عن التربية في المدارس النظامية ، كيف تكون . ولا تكاد توجد للآباء والامهات دراسات تنشر فيهم تعلمهم كيف تكون التربية في هذه المدرسة الاولى ، اخطر المدارس جميعا .

الاسرة اساس المجتمع

انها الاسرة اساس المجتمع .

وهي لا تنتهي عند السنة السادسة من عمر الطفل . ان الطفل يخرج من البيت ما يخرج ومتى يخرج ، ولكنه اليه يعود . . . الى هذا المجتمع الصغير المقبل . وينطلق ، ويحاول مداه في المنزل العامر امدادا . ويكبر ، ويخرج من البيت آخر الامر ، ليبني حديثا ، وتظل روابط الحب والمحبة قائمة تربطه بقديمه : بأبيه وامه ، باخوته ، بعشيرته وعصبته .

وكلما ازداد المجتمع العاصر الحديث منه عناية بالفرد : بحسبانه فردا ، وكلما ...

حجرات الحجر ، لم تجد له ملجأ يلجأ اليه ، ولا عاصم معطف عليه ، الا في ذلك البيت القديم . الذي يسميه الانجليز Home ، والالمان Heimat ، والفرنسيون ... والعرب يسمونه « الدار » .

ومن اجل ذلك تكن العرب المنازل والديار ، وهي جميعا الفاظ لا تحمل معنى البيت فحسب ، بل تحمل معنى البيت والاسرة التي فيه معا ، وتحمل معنى المحبة التي تضمه والذكريات التي لا تغيب تحييه .

المجتمع الحديث يجور على الاسرة والبيت

ان المجتمع الحديث يجور على الاسرة .

وان المجتمع الحديث ليقلل من امر الحاضرة تعمل على نفسه ، واعمه او غير واعيه .

وان المجتمع الحديث ليهون من امر الاسرة ، ومن الكتاب الاحدثين من يهون من شأنها .

وهي بوادر سوف يجد الانسان آخر الامر معها .

ان افلاطون دعا في جمهوريته الشيوعية الى محو الاسرة . واللانسانية ...


الدكتور

[illegible]

أحمد زكي



بقلم الشيخ محمد ابو زهرة

استاذ الشريعة بجامعة القاهرة

والأشاعرة : اعتمدت أولاً على النقل ثم أخذت

ابو منصور الماتريدي كان حجة على المعتزلة فيما وراء النهر



بعض التأويل

استدلال ذاتي ، ولتركها برهنه دينيه مورع ، ولا سيما بحترم المعرفة ، ولا بعض من المعرفة ، وكان الفقه والحديث سود أهلها ، حتى لقد وجدنا لأحمد بن حنبل تلاميذ من أهلها أكثر عددا من تلاميذه في بغداد ، وكانوا يرحلون اليه مع بعد الشقة وعظم المشقة .

ولكن مع بعد سلطان المعتزلة ومن يؤيدونهم عنهم ، كانت آراؤهم تسري الى هناك ، لأن الأفكار تسري في مسار الريح ، فلا تحبس في مكان ، ولا تحول دونها حجب وأستار .

وكان لا بد أن تبعث لها من يقاومها ويردها ، ويصحح التفسير والتأويل ، فوهب الله لذلك محمد بن محمد بن محمود المعروف بأبي منصور الماتريدي .

مولد أبي منصور

لم يعرف تاريخ ميلاده على سبيل القطع ، ولكن يظن في عرفه ، والذي يغلب على الظن انه ولد في العشرة الأخيرة من النصف الأول للقرن الثالث الهجري ، في أولها او في آخرها ، وذلك الظن يبنى على تاريخ وفاة استاذه ، ومن طريق معرفة ذلك كان هذا الترجيح ، ولا سبيل الى ذلك ، ومن المؤكد انه توفي سنة ٣٣٣هـ وان معرفة الوفاة على وجه التحقيق امر مقدور ، لأن العالم الكبير يموت مشهورا ، حيث عرف ويخرج خلفه الكثيرون ، ولكنه يولد مغمورا غير معروف .

نسب أبي منصور

وينسبه الاكثرون الى ابي أيوب الانصاري ، ولا عجب في أن ينتقل ذرية الانصار الى تلك الاراضي النائية ، لأنهم جاءوا مع الغزاة مجاهدين ، وهم الذين قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم تكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع .

ويشك من غير دليل بعض العلماء في صحة نسبه الى الأنصار ، ولكن علماء الأنساب يؤكدون النسبة ويرجحونها . وسواء أصحت هذه النسبة أم لم تصح ، فأبو منصور في موضع الجلالة في تاريخ الفكر الاسلامي ، ما علا بنسب ، ولكن علا بالفكر والعلم ، فشرفه ذاتي منبعث من نفسه ، وليس شرفا اضافيا مستمدا من حسب أو نسب .

سمرقند كانت محرابا من محاريب العلم

ولقد نشأ أبو منصور في بلاد سمرقند ، وكانت

محرابا من محاريب العلم في عصره ، وما جاء بعده من عصور ، وكانت الدولة التي تسيطر عليها تشجع العلم ونشره في ورع وإيمان ، لا في انحراف أو تشكيك كما أشرنا من قبل ، وكان أهل هذه البلاد يؤثرون التلقي على الشيوخ ، وحضور الدرس ، ولا يؤثرون قيود النظام لأن كل قيد لمعهد والدرس يمنع العقل والفكر من الانطلاق في آفاق الشرع ، وأخذ العلم من كل مواقعه ، ولذلك روى التاريخ أنه عندما أنشئت المدارس النظامية ـ للفقه والحديث والأصول ـ أقاموا مأتما للعلم ، لأنهم علموا أنه سيطلبه من يريد ما عند الناس ، ومن يريد ما عند الله ، ومن قبل كان لا يطلبه إلا من يريد وجه الله .

أبو منصور نشأ على المذهب الحنفي ، من معقول ومنقول

تلقى أبو منصور عن الشيوخ ، وقد نشأ بين الفقهاء ، وتخرج عليهم ، ودرس أصول الفقه وأمثاله ، وكانت دراسته على المذهب الحنفي ، فهو حنفي خاص من الفقه الحنفي ومحصي له .

ومن الوصف الذي استمد علم المعقول والمنقول، ودرس العقائد ، ذلك أنه كان حنفيا حريصا على اتباع مذهب الإمام أبي حنيفة في المعقول والمنقول، في الفروع والأصول ، وقد كان أبو حنيفة من بين الأئمة الأربعة ، وقد أثر عنهم كلام في العقائد وتحسين للقول فيها ، وكان قد درسها في صدر حياته العلمية ، وبلغ فيها مبلغا يشار إليه فيها بالأصابع كما عبر هو نفسه في ذلك ، وقد أثرت عنه رسائل كتبها في ذلك ، ومنها رسالة الفقه الأكبر ، ورسالة العالم والمتعلم ، ورسالته إلى عثمان البتي ، وقد شك بعض العلماء في نسبة هذه الرسائل إلى أبي حنيفة،ولكنه شك لا يبنى على دليل يعارض اشتهار نسبتها إليه ، ونحن في معتقداتنا العلمية نميل ما يتلقاه العلماء بالقبول ولا نثير الشك حوله إلا إذا قام الدليل على بطلان النسبة .

وقد تلقى العلماء في بلاد سمرقند تلك الرسائل بالشرح والتوضيح،وبيان أدلتها من العقل والنقل، كما تلقوا فقهه بالدراسة والتفريع والتخريج .

مذهب أبي حنيفة اختص بدراسات عقلية في التخريجات الفقهية

ويعد أبو منصور من الطبقة الرابعة التي تلقت آراء أبي حنيفة في العقائد ، كما تلقت فقهه ، والمذهب الحنفي في الفقه يسوده مع اتباع الأثر إعمال العقل في القياس الفقهي وتخريج الأحكام ووضع القواعد وضبطها ، فهو بين المذاهب قد اختص بدراسات عقلية في التخريجات الفقهية ، ذلك أنه أول مذهب اتجه إلى الفقه التقديري ، وهو فرض أمور لم تقع ، وإعطاء حكم لها بطريق العقل والأقيسة ، فلم يكن غريبا أن يخرج من بين صفوفه من يدرس العقائد ، ويخوض فيها مؤيدا أهل الفقه والحديث ، إلا أنه مارس الدراسات العقلية في الفقه .

الفارق بين الماتريدي وأبي الحسن الأشعري

ويجب أن نقرر هنا فارقا في النشأة بين أبي منصور الماتريدي وأبي الحسن الأشعري ، فأبو الحسن نشأ بين أهل الاعتزال وتخرج عليهم ، ثم نهج منهجهم ، حتى [illegible] أنه خرج من الاعتزال [illegible] مسلك الفقهاء والمحدثين .

أما الماتريدي فقد نشأ بين الفقهاء ، وتخرج عليهم في الفقه والعقائد معا،ولذلك كان للماتريدي مقام في الفقه ، كما له مقام في علم العقائد ، وله في أصول الفقه كتاب مآخذ الشرائع ، وكتاب الجدل وله في التفسير كتاب تأويلات القرآن .

كتب أبي منصور الماتريدي

أما كتبه في العقائد فهي كثيرة ، فقد تصدى للرد على المعتزلة الذين سرت مقالاتهم إلى بلاده وأسرعت في ربوعها ، وله في ذلك ثلاثة كتب ، وقد كان الشيعة يكثرون في بلاد سمرقند وما يحيط بها ، وما يقاربها من بلاد ، ولذلك تصدى للرد عليهم ومقاولتهم ، وله في ذلك الرد على كتاب الإمامة لبعض الروافض،وكتاب الرد على القرامطة.

وهذه كلها مواقف دفاع عن آراء أهل الفقه والحديث ، وله دراسات في العقائد إيجابية

تقريرية . وينسب اليه رسالة صغيرة تسمى « عقيدة أبي منصور » وتلاها العلماء من بعده بالشرح والتوضيح ، وينسب اليه شرح كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة ، ولكن يشك العلماء في نسبة هذين الكتابين الى ابي منصور ، ولهم في ذلك حجج وأدلة ، ولذلك نضرب عنهما صفحا .

ولكن هناك كتب صحيحة النسبة لا شك في نسبتها اليه منها كتابه « اصول الدين » وكتابه المقالات ، وكتابه التوحيد ، وهذه كتب وضح بها العقيدة الصحيحة ، ولم تكن جدلية ، بل كانت تقريرية .

منهج ابي منصور

اتجه المحدثون في فهم العقيدة اتجاه النقل ، فما جاء به النقل اتبعوه من غير تأويل الا أن يكون المجاز مشهورا لا يعد تفسير الكلام على أساسه تأويلا . واتجه المعتزلة الى العقل ، وفسروا النصوص على مقتضى العقل ، حتى جعلوا له سلطانا يؤولون به النصوص ، ويفسرون القرآن على مقتضاه ، ولا يعتبرون الأحاديث حجة في الاعتقاد الا اذا كانت متواترة . وسلك الأشعريون مسلك المحدثين مع الدفاع عن آرائهم بالمنطق والعقل ، وقد اتجهوا أولا الى الأخذ في الاعتقاد بالنقل من غير تأويل ، ثم اتخذوا بعض التأويل.

اما الماتريدي ، فانه لم يهمل العقل ، وجعل له سلطانا ، ولكن تحت ظل النقل ، فالعقل له مجاله ، ولكن من غير أن يتعدى حدوده الى النقل ، فهو سلك مسلكا بين المعتزلة وبين الأشاعرة .

ولنضرب لذلك مثلين ــ أحدهما ــ يوضح الفرق بين الماتريدي والمعتزلة .

مثل نفرق بين المعتزلة والماتريدي

المثل الأول أنهم يقولون في رؤية الله يوم القيامة انها مستحيلة ، لأن الرؤية تقتضي مرئيا محسوسا في مكان محدود ، والله سبحانه وتعالى ليس بجسم محسوس يرى ، وفسروا الآيات التي جاءت في ذلك مثل قوله تعالى : « وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » ، بأن المراد ادراك القلب ادراكا قويا يقارب الرؤية بالبصر . أما الماتريدي فيأخذ بالنص كما هو ، ويقول ان الله تعالى يُرى من غير كيف ، ولا حد ، ولا تشبيه ، بل هي رؤية تليق بذات الله تعالى ، وبصفاته ، وتنزهه عن مشابهة الأشياء ، وهي في يوم القيامة والله عليم بها .

مثل نفرق بين المعتزلة والأشاعرة والماتريدي

والمثل الثاني يوضح الفرق بين المناهج الثلاثة المعتزلة والأشاعرة والماتريدية ، وهو مسألة حكم العقل على الأشياء بالحسن والقبح . فالمعتزلة يرون أن للأشياء حسنا ذاتيا ، وقبحا ذاتيا ، فما يحكم العقل بأنه حسن لذاته لا بد أن يكون مأمورا به ، وما يحكم العقل بقبحه لذاته لا بد أن يكون منهيا عنه ، وعلى ذلك يجب على المكلف أن يعلم أنه مطلوب منه أن يفعل الحسن ولو لم يجيء شرع بطلبه ، وأنه مجزي في المخالفة يوم القيامة ان خالف العقل . وعلى ذلك يكون الناس مكلفين أن يفعلوا الخير ، ولو لم يجيء رسول يعلمهم ويبصرهم وينذرهم ، وأنهم مستجزون من الله تعالى على ما فعلوا من خير وشر

والأشاعرة قالوا : ليس للأشياء حسن ذاتي ، ولا قبح ذاتي ، انما الحسن والقبح يجيء من أمر الله ونهيه ، فما أمر به فهو حسن وما نهى عنه فهو قبيح ، وليس للعقل في هذا سلطان .

والماتريدية قالوا : للأشياء حسن ذاتي وقبح ذاتي ، والله لا يأمر الا بما هو حسن ، ولا ينهى الا عما هو قبيح ، ولكن لا تكليف الا بعد الرسالة لقوله تعالى : « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » فاذا لم يجيء رسول ، فليس ثمة عقاب على فعل سيء ، فالرسول ينقل أمر الله في الحسن ونهيه في القبيح ، والمكلف يتبع أمر الله ونهيه ، ولا يجازى على مجرد ادراك العقل من غير نبي مبعوث ، فلا ثواب يوم القيامة ولا عقاب ، الا اذا كان نبي قد جاء بشيرا أو نذيرا .

الماتريدي يستمد تأويله من النصوص نفسها

وقد كان ذلك المنهاج الذي احترم النقل ، ولم

يعين المعنى تعيينا في .. خرج الماتريدي بآراء لا يراها المحدثون ، ومن قبلها الأشعري في المرحلة الأولى من تكوينه . ومن هذه الآراء ، أن كل الجوارح التي تضاف إلى الذات العلية يؤولها بما يتفق مع معناها . مثل قوله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » ، يؤولها بقدرته . ومثل قوله تعالى « بل يداه مبسوطتان » ، يؤولها بنعمته .. وهكذا غير ذلك من الألفاظ يؤولها على مقتضى العقل . ولكي تكون منسجمة مع النصوص نفسها . فاليد فسرها بالقدرة أو النعمة لأنها جاءت في القرآن دالة على غير الجارحة في مثل قوله تعالى في شأن القرآن : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه . »

وقد قرر الماتريدي ، بما التزم من هذا المنهاج ، أن أفعال الله تعالى لا تكون إلا موافقة للحكمة وأنه منزه عن كل النقائص ، وأنه لا يجوز أن يخلف الله وعده ، لأنه قال في كتابه الكريم : « إن الله لا يخلف الميعاد » فمحال أن يخلف الله ما وعد من ثواب ، وما أنذر من عقاب إلا أن يكون العفو والغفر ، فهو سبحانه غفور .

وبعض الأشاعرة قال إنه يجوز عقلا أن يخلف الله تعالى الميعاد ، لأنه لا يلزمه شيء ، ولا يسأل عما يفعل ، وهم يسألون .

وهكذا كثير من المسائل ، نجد الماتريدي أكثر من الأشعري أخذا بحكم العقل ، مع التزام النقل .

الماتريديون أقرب إلى المعتزلة منهم إلى الأشاعرة

وأخيرا نقرر أن الماتريدي لم يكن كالأشعري من حيث المنهاج ، وإن كان قرينه فيما انتهى إليه من نتائج ، فلا يكادان يختلفان إلا قليلا . ولو أننا أردنا أن نعقد موازنة بين هذه المناهج الثلاثة منهج المعتزلة ، ومنهج الأشاعرة والماتريدية ، لقلنا إن المعتزلة يحكمون السلطان للعقل ، والأشاعرة للنقل مع تقريبه له بالعقل ، والماتريدية يعطون السلطان للعقل والنقل معا .

وإذا كان الأشاعرة في تفكيرهم وسطا بين المعتزلة والمحدثين ، فالماتريدية وسط بين الأشاعرة والمعتزلة ، ولذلك قرر بعض العلماء أنهم أقرب إلى المعتزلة منهم إلى الفقهاء والمحدثين وجزى الله الجميع عن الإسلام خير الجزاء ، فكل قام بواجبه في ناحية من نواحيه . ■

محمد أبو زهرة
القاهرة

للعلم آفة ، وهجنة ، ونكد

● قال رؤبة بن العجاج : أتيت النسابة البكري فقال لي : من أنت ؟ قلت : أنا ابن العجاج .

قال : لعلك من قوم إن سكت عنهم لم يسألوني ، وإن نطقت لم يعوا عني ؟

قلت : أرجو ألا أكون كذلك .

قال : ما أعداء المروءة ؟

قلت : تخبرني .

قال : بنو عم السوء ، إن رأوا حسنا ستروه ، وإن [illegible] أذاعوه . ثم قال : إن للعلم آفة وهجنة ونكدا : [illegible] وهجنته نشره عند غير أهله ، ونكده الكذب فيه .



عقاقير جديدة ترتجى

لتجلط الدم في القلب والشرايين



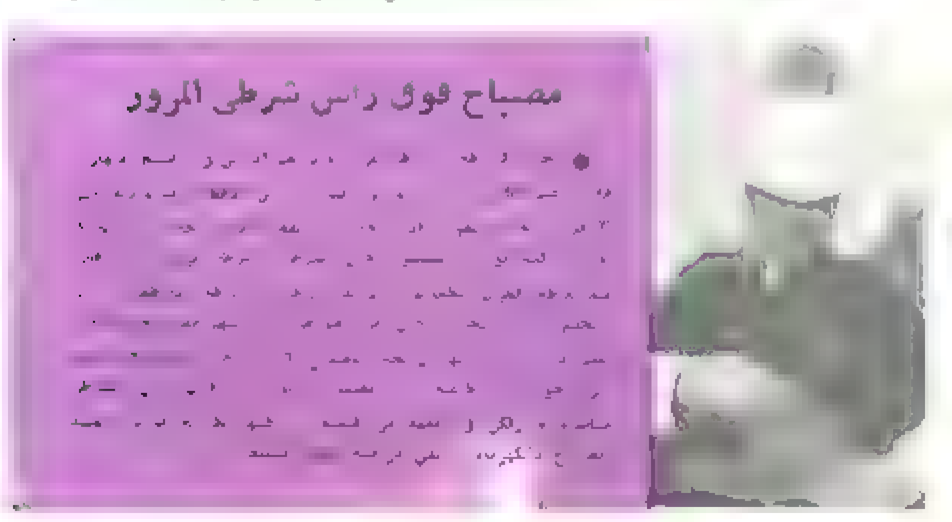
● اجتمع مؤتمر طبي عقد قرب مدينة استوكهلم عاصمة السويد ، حضره اطباء متخصصون في علوم الدماء من كل الانحاء . ومن جملة البحوث التي استرعت الانتباه بحث طبي خطير عرضه الدكتور روبرت سبير Robert Speer و معهد بحوث ودلي Wadley ، بولاية تكساس ، بالولايات المتحدة ، وفيه يقول الدكتور انه فصل من الدم عاملا جديدا من عوامل تخثر (تجلط) الدم ، ذلك التخثر الذي ينتج عنه امراض القلوب والشرايين ، وبه تنسد قنوات الدم الى ان تسبب الموت. ويعد هذا العامل الجديد واحدا من ١٢ عاملا تعمل بعملية التخثر التي تحدث بالدم.

ويقول الدكتور ان العقاقير المتقدمة التي تعطى اليوم للمرضى ضد التخثر قد تكون تعمل في الدم ضد عامل التخثر الذي هو ليس في الطليعة في احداث هذه العملية . وهو يقول ان عامل التخثر هذا الجديد ، واسمه عامل هاجمان Hageman factor يبدأ سلسلة من التفاعلات تجري في العوامل الاثني عشر الاخرى التي تنتهي بالتخثر .

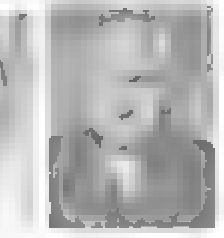
وهو يرى ان السكتة التي تصيب الرجل في رأسه ، او النوبة التي تصيبه في قلبه ، سببها زيادة مقدار هذا العامل القوي الجديد مصحوبا بتصلب الشرايين ، وذلك ان تصلب الشرايين ، وترسب المواد على جوانبها الباطنية، يمهدان لاحداث الخثرة (الجلطة) .

وسوف يقوم الدكتور سبير ، بتقدير كمية هذا العامل الجديد ، في عدد كبير من الرجال المرضى بالقلب ، او الذين كانوا من مرضاه ، او اصابتهم نوبة سكتة ، ليرى اذا كانت هناك علاقة هذا العامل الجديد بتلك الحالات جميعا .

فاذا اتضح حقا انه العامل الاول والاخطر في احداث الخثرة امكن ايجاد دواء مضاد له خاصة يمنع الدم من التخثر يكون فيه شفاء للناس .



مصباح فوق رأس شرطي المرور





التجارب ، لم لا يجربها الأطبـــاء على أنفسهم

● هذا ما يقول به الدكتور أوتو جوسباخ Otto Gessen... الباحث الطبي .
انه يقول : ان الطبيب الباحث عندما يقوم ببحثه ، ويقوم بتجربة عقار جديد مثلا ، يجرّبه في الحيوان . فاذا وثق من فائدته ، وأمن خطره ، جرّبه في الانسان . لا في نفسه هو .
والسؤال هو : لماذا لا يجربه في نفسه ؟
ان هذا يوحي بأستعلاء طبقة من الناس فوق طبقة ، طبقة جديرة بالمخاطرة ، وطبقة ترتفع عن مخاطرة ، تلك طبقة الأطباء .
وفي هذا من السلوك غير المرضي ما فيه .
وهو يذكر بالحمد أطباء كثيرين قاموا بالتجربة في أنفسهم . ومن أحدث هؤلاء الدكتور سابين Sabin ، صاحب لقاح شلل الأطفال ، جربه هو أول ما جرب في نفسه . بلع الفيروس قبل ان يتأكد بأنه لا يصيب الناس منه ضرر .
والدكتور سلك Salk ، صاحب لقاح الشلل أيضا ، بطريق حقنا ، جربه أول ما جرب في نفسه ، وفي زوجته ، وأولاده الثلاثة .

البروليتاريان ، أو

● هذا اللفظ يرد دائما في المقالات الاجتماعية التي تتحدث [illegible] الاشتراكية الحديثة .

وكثير من الناس يظن انه لفظ حديث مبتدع ، وما هو بلفظ لاتيني قديم Proletarian يشتق من اللفظ Proles ، [illegible] أو كثرة الأولاد ، وهو أطلق في العصر الروماني على أحقر طبقة في الرومانيين الذين لا يملكون شيئا ، ولكنهم يمنحون الدولة [illegible] الكثيرة من الأولاد .

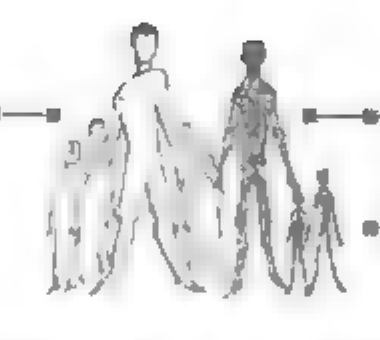
[illegible]
اليوم في نفس المعنى ، ما يشير الى أناس طبقة ، طبقة لا تملك ، وهي تزداد كل يوم فقرا ، وطبقة قادمة هي تزداد كل يوم أولادا ، والأولاد أفقر .
وليس يعنينا صحة هذا الرأي أو خطؤه ، وانما نحن نسجل معنى للفظ شائع في الصحف الآن ، من كل لون ، من أزرق أو أحمر ، وما بينهما .

أما الخبر الذي نورده بهذه المناسبة فهو [illegible] في أولاد [illegible] من الأعصاب فيما أي انتاج الأولاد ، وهل هو زاد أو قل ، وفي أي [illegible] .

[illegible] معدل الانتاج ، انتاج

المحافظون والرديكاليون

● المحافظ هو الذي يريد أن يحافظ على الحال الراهنة فلا يطلب تغييرا .
والرديكالي ، وهو اللفظ الافرنجي [illegible] في اللغة الصحفية [illegible] ، ومعناه الحرفي [illegible] ، فهو الرجل الذي يريد تغيير الحال من جذورها .
[illegible] الاجتماع في مؤتمر الرابطة البريطانية لتقدم العلوم [illegible] الناس ومن لا يرضون .
قال ان الكهولة تكثر في الرجال [illegible] ، وهو يتحدث عن الطموح [illegible] في الرجال [illegible] والمجتمع [illegible] .
والرجال دون [illegible] هم أرغب الرجال في تغيير الحال ، ففي [illegible] الحال حركة قد تغير من حالهم .



الطبقه الولوده من السكان

الاولاد ، بين الطبقات ، اخذ بتقارب ، حتى تكاد يتساوى ، [illegible] في [illegible] العمر [illegible] [illegible] [illegible]
والاسود من الناس [illegible] هذا [illegible] [illegible] فرضت لها الأسباب

فمن ذلك [illegible] الانتاج في [illegible] للكاثوليك زاد في العام من ٢,١ في المائه الى [illegible] من الاطفال وهي انتاج البروتستانت على حاله [illegible] وزاد عند اليهود قليلا ، وقد كانوا هم [illegible] الولادات انتاجا .

والانتاج البيض فوق انتاج السود ، وزاد الفرق بينهما ، وهذا لا [illegible] في [illegible] الانسان ما يساور السود من القلق .

والذي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] انه لا يسري بين الناس في الانتاج البشري ، كثره او قله ، الا الرجاء او القنوط ، والا الاطمئنان و [illegible] [illegible] [illegible] الحياة ، [illegible] لانقسم طرفه وسطه ، بين

تراجع الدهر [illegible] ، [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] ليكون لنا بالولايات المتحدة [illegible] خلال خمس من [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible]

من الاولاد في المتوسط ٢,٨ [illegible] وهي لم [illegible]

[illegible] الولايات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] كما هو ان يكون متوسط الانتاج للمرأة [illegible]

[illegible] [illegible] يزيد عدد سكان الولايات المتحدة نحو [illegible] في [illegible] السنوات القادمة .

وحتى لو كان من [illegible] [illegible] [illegible] للصغار من [illegible] والكبار معا ، فانت تواجه الكبار [illegible] [illegible] ، لان [illegible] في المجتمع [illegible] [illegible] [illegible] بعضها الى بعض ، [illegible] [illegible] [illegible] الذي [illegible] [illegible] كالصدمة [illegible] [illegible] [illegible] ، لا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مرتبة كبيرة يكون هو فيها الصدمة الصغيرة .

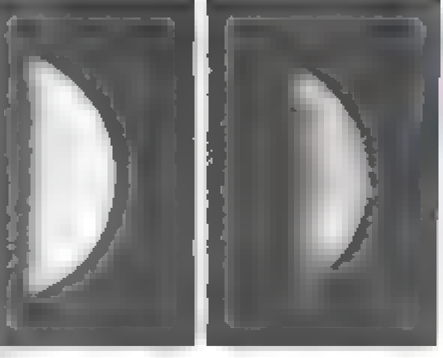
[illegible] [illegible] [illegible] الى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] اليوم [illegible] [illegible] الى [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في العالم [illegible] [illegible] [illegible] من [illegible] ، [illegible] [illegible] هؤلاء [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] مراكزهم القائمة اليوم اذا جد جديد من ظلم جديد

[illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]









الزهرة : نجمة المساء و نجمة الصبح

[illegible]

● هذا آخر الكشوف عن الزهرة ، « نجمة المساء » اللامعة ، والتي هي أحيانا تظهر لنا في الصباح « نجمة الصباح » . وقد أعلن هذا الكشف في المؤتمر الفلكي الدولي الذي انعقد أخيرا بمدينة همبرج بألمانيا الغربية .

وبعد نظرنا عن الزهرة في العصور القديمة السوداء قبل عصر أو عصرين من السنين فعلى أن الزهرة يغشيها سحب كالضباب يمنع رصدها بالتلسكوبات . وإنه لم نرى ما تحت هذا الضباب أو رغم هذا الضباب ، سحاب يدور ، دلت على أن الزهرة تدور حول نفسها فتستغرق في ذلك نحو الشهر ، أي أن دورانها حول نفسها أبطأ من دوران الأرض ثلاثين مرة [illegible]

ذلك مع [illegible] الزهرة ، تحجبت [illegible] عن [illegible] ، هي توأم الأرض

ثم [illegible] تلسكوبات [illegible] الفلك ، واستخدم أمواج الراديو مكان أمواج الضوء ، ويرسل الفدا [illegible] الرادارية [illegible] إلى الزهرة [illegible] وتحري [illegible] وتطول التجارب

ومن هذه التجارب [illegible] يوم الزهرة ، [illegible] كم يوما من الأرض ، [illegible] الأرض ، تستغرق لتدور حول نفسها

ونستطيع [illegible] أنها تستغرق نحو ٢٤٠ يوما من أيام الأرض ، أو [illegible] الدقة العلمية فهي تستغرق شيئا بين ٢٤٨ يوما و ٢٥٨ يوما

فأي المواجهة التي بينها وبين الأرض ؟

ونستطيع [illegible] الأرض ، [illegible] تدور من غرب لشرق ، تدور الزهرة على عكس ذلك ، من شرق لغرب ، مخالفة بذلك ما جرت عليه أكثر الكواكب في المجموعة الشمسية .

انحراف بين الجنود

● يوجد انحراف بين الجنود كما يوجد بين غير الجنود من الناس . ولكن انحراف الجندي أشد حرجا ، وهو إلى جانب ذلك أكثر كلفة .

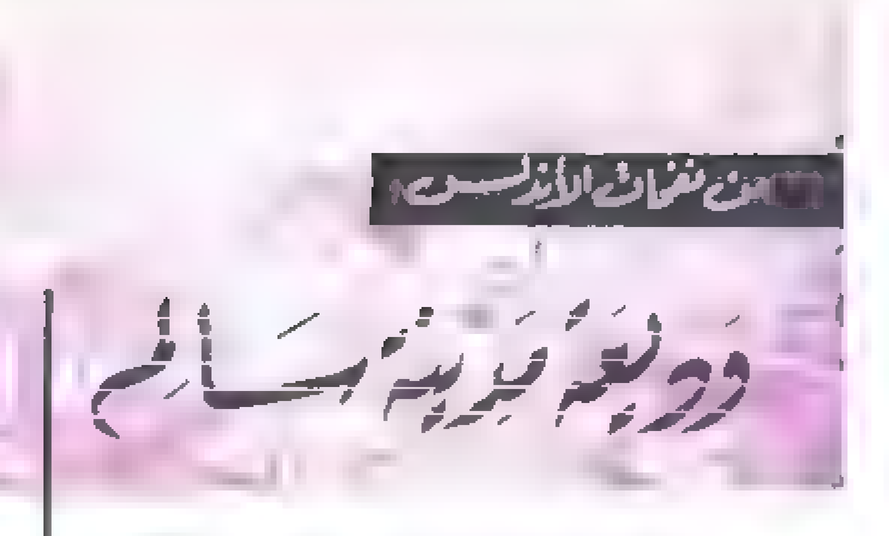
وقد جرت بعض سحابات الولايات المتحدة بحثا [illegible] من الجنود [illegible] من أجناد واحد ، فخرجوا بنحو ٣٠ حالة انحراف [illegible] بحث دام ١٨ شهرا .

وأكثر هؤلاء كانوا في نحو التاسعة عشرة من أعمارهم ، وأكثرهم كانوا [illegible] في المدارس نحو [illegible] سنوات وأكثرهم [illegible] في السنة الأشهر الأولى من الخدمة العسكرية .

[illegible] في مراكز خاصة للتأهيل

وكل هذا خسارة من منظور الدولة خسرت ما أنفقت عليهم في مدارسهم والدولة خسرت ما أنفقت عليهم في التدريب العسكري . وحده التدريب يكلف ٢٢ دولار للجندي الواحد ، والإحتجاز [illegible] يكلف [illegible] من [illegible] وقد تكلف عملية الاحتجاز الناشئة عن تلك البحوث [illegible] ١٨ شهرا في هذا الجند من [illegible] إلى ملايين من الدولارات .

[illegible] أمراض الأجسام كلفة ، والظاهر أن أمراض الأنفس ، بعد أن كشف العصر الحديث عنها ، في حسابه أكثر كلفة [illegible] فقط بالتسمية .



«ليت شعري أين قصر المنصور من قصر من مدينة سالم؟ بل ليت شعري أين تاريخ محمد بن أبي عامر من صدور شبابنا، وكتب مؤرخينا، والأقلام كتابنا، وقصائد شعرائنا.

يا شعراء العرب من ينظم القصيدة الرائعة التي عنوانها دمعة مدينة سالم».

المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام

للشاعر: فاضل خلف

[illegible]

[illegible]

ناصر خلف



بقلم : علي خصاونه

مدير عام شركة ناقلات النفط الكويتية

■ تزخر البلاد العربية بمصادر الثروة والموارد الأساسية [illegible]

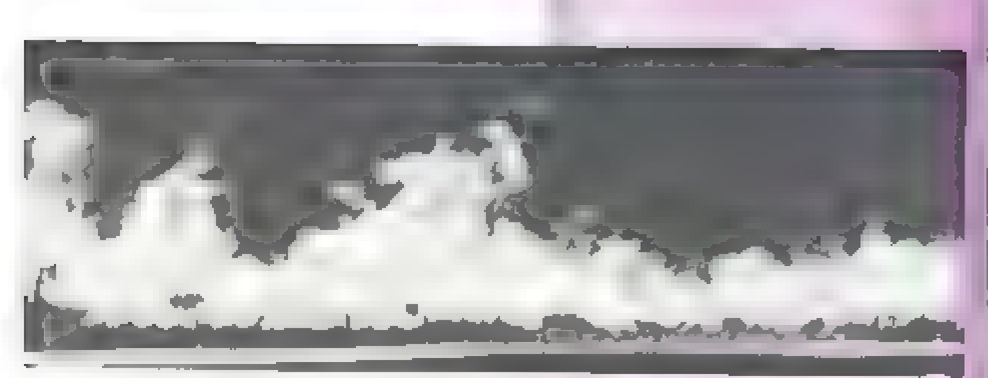
[illegible] العرب

[illegible] النفط [illegible] فالبلاد العربية [illegible] من النفط [illegible] مليون طن في [illegible]

[illegible] سيما بلغ ما عثرت به أرض العرب من نفط في عام ١٩٦٣ ما زاد على ٢٧٦ مليون طن ،

وكذلك لم يزد انتاج أوروبا الغربية كلها من النفط في عام ١٩٦٣ عن ١٩ مليون طن ، استخرجت منه بريطانيا – على سبيل المثال – ١٢٠ ألف طن ، بينما بلغ استهلاكها من النفط أكثر من ٤٥ مليون طن .

كذلك بلغ انتاج البلاد العربية في الستة الأشهر الأولى من عام ١٩٦٤ ، ١٨٠ مليون طن





فرنسا ، في حين ان انتاج انكلترا لم يزد عن ٥٠ الف طن في مثل تلك المدة .

سر أعمدة اللهب

وفي كل بلد عربي ينتج النفط ترتفع اعمدة اللهب الوهاجة ، ويتساءل الذين يشاهدون الدخان الداكن والكبريت ظل السؤال حبيس خواطرهم عن سر ذلك الاشتعال ؟ ، ويتساءل الذين يدركون ضخامة الثروة الاقتصادية التي تذهب دخانا مع الرياح ... يتساءلون هم الذين يعرفون انه موارد اساسية يمكن ان يعتمد بها الاقتصاد العربي ، لو تحول محرك ذلك اللهب الى المختبرات ، وأدخل في المعامل . ان مصدر ذلك اللهب اللامع هو ما يطلق عليه « الغاز » .. وبكلمة اصح « الغاز الطبيعي » . انه يحترق في الفضاء بينما ملايين الافراد في البلاد العربية يحترق قلوبهم من الجهل والجوع لفقرهم وعوزهم !

الغاز الطبيعي .. والغاز السائل

ويجب التمييز بين « الغاز الطبيعي » وغيره النفط الذي يسمونه بالنفط .. فالغاز الطبيعي هو مزيج من الغازات الهيدروكربونية (عناصرها الهيدروجين والكربون) تحوي غاز الميثان ، وهو ابسطها تركيبا ، بنسبة كبيرة قد تبلغ ٨٠ في المئة فما فوقها (راجع مقال العربي ٠) .

اما الغاز السائل ، فهو خليط من تلك الغازات الهيدروكربونية نفسها ، تلك التي تصطحب النفط اسفلها ، ويكثر فيه نسبة غاز البوتان والبروبان ، وهو يستخلص من الغاز الطبيعي ، والغاز الطبيعي يوجد في الارض مصاحبا للنفط ، اما فوقه او ذائبا فيه ، ويخرج من الارض معه ليحرق او ليعاد ضخه من جديد في حقول النفط .

وينتج الكويت كلا النوعين من الغاز الطبيعي والسائل . وتتوفر فيها كميات ضخمة من الغاز ، ولكنه ما زال محصورا في حقوله في باطن الارض . والغاز السائل الذي تنتجه ، يباع بعضه في الاسواق الكويتية في انابيب من حديد تحمل ضغطه ، وذلك عن طريق شركة بالاتفاق مع النفط صاحبة الامتياز ، والبعض الآخر يصدر للخارج عن طريق نفس الشركة المالكة له

وليست الكويت هي وحدها في وطننا التي



تختزن أرضها كميات كبيرة من الغاز ، بل في كل البلاد العربية الأخرى المنتجة للنفط كميات هائلة من الغاز . والبلاد العربية من المجموعة الدولية التي تجمع حقولها بين النفط السائل والغاز ، فيما عدا الجزائر ، ففيها حقول يقتصر محتواها على الغاز وحده .

الكويت سادس دولة

وإذا تتبعنا الدراسات العلمية عن كميات الغاز المقدر وجودها لاتضح لنا أن احتياطي العالم من الغاز لا يقل عن ٧٥٠ ألف مليون قدم مكعب . وتأتي الكويت في المرتبة السادسة بين الدول المالكة للغاز ، ويقدر ما في داخل أرضها بما لا يقل عن ٣٥ ألف مليون قدم مكعب ، وأن ما في البلاد العربية مجتمعة لا يقل عن ١٨٠ ألف مليون قدم مكعب ، منها ٦٧٠٠٠ ألف مليون قدم مكعب في الجزائر ، و ٤٧ ألف مليون قدم مكعب في السعودية ، و ٢٥ ألف مليون قدم مكعب في العراق . وإذا استثنينا الولايات المتحدة الأمريكية — والمختزن في أراضيها بحدود ٢٨٠ ألف مليون قدم مكعب — لتراءى لنا أن البلاد العربية تحتل المرتبة الأولى في احتياطي الغاز العالمي .

٢٧٠٠ مليون جنيه قيمة ثروتنا من الغاز

بلادنا بلاد خيرة معطاءة ، فيها من وسائل الغنى ما يزيد على حاجات سكانها لو توجهت لهم الخطط العلمية لتوجيه استغلالها على قاعدة التخصص والتكامل فيما بين أجزاء الوطن العربي .

إن هذا الغاز ، الذي يحرق قسم كبير منه فيضيع هباء ، كفيل بسد ثغرة كبيرة في اقتصادنا ، وفي تنمية الكثير من الصناعات ، واستعمالات العدد







البطيء من الابدى العاملة ، اننا لو قدرنا قيمة الغاز الطبيعي بمعدل خمسة عشر فلسا (طبعا) لكل الف قدم ، لتجمع لدينا من الثروة الغازية وحدها ما لا تقل قيمته عن ١٧٫٠٠ مليون جنيه استرليني .

وهذه القيمة هي للغاز وهو خام ، والقيمة تتضاعف كثيرا اذا نحن صنعناه .

الغاز قوة ومادة

والغاز ليس مجرد وسيلة للطبخ والتدفئة ، بل يدخل في استعمالات يصعب حصرها لتعددها . لقد تفتحت الاذهان عن اهمية الغاز بشكل اوسع بعد الحرب العالمية الثانية ، فاحدثت ذلك ثورة كبيرة في مجالات التقدم الاقتصادي والتنمية الصناعية .

وليس من مظهر للتطور الحديث الا والغاز من ورائه ، او يمكن ان يقوم عليه .

وخير برهان على تزايد الطلب على الغاز تستمده من الاسواق الامريكية . ففي عام ١٩٢٢ بلغ استهلاك امريكا ١٢٣٦٤١١ جالونا ، وفي عام ١٩٥٠ وصل الاستهلاك ... ... ٣٣٣ ٣ جالون ، وفي عام ١٩٦٠ بلغ الاستهلاك ... ٩٤٩ ٥٤٤ ٩ جالون .

فالغاز يستعمل كقوة حرارية في اعمال الطبخ والتدفئة وتوليد الطاقة الكهربائية وفي تسيير السيارات والقطارات والسفن بدل الديزل والبنزين ، ويستعمل في الانارة وفي التكييف والتبريد . ويستعمل في المزارع للتفريخ وتشغيل التراكتورات ، وكذلك يستعمل في عمليات تقطير الماء .

ويستعمل الغاز كمادة اولية في انتاج الاسمدة الكيماوية بالتخليق الكيماوي ، وكذلك في انتاج اللدائن والخيوط والعقاقير الطبية واشياء كثيرة اخرى .

الغاز في خدمة الكويت

وقد افادت حكومة الكويت من هذا الغاز

فاستخدمته في تشغيل اكبر معمل في العالم لتقطير ماء البحر ، واستخدمته في تحريك الآلات لتوليد الكهرباء .. وانامت الحكومة البيوت لوظفيها ، وربطتها بشبكة من انابيب الغاز ، اصلها في الاحمدي ، وفروعها في منطقة الصليبخات .. وكذلك هي امدت بالغاز مصنع الطابوق الرملي الجيري ومصنع خلط الاسفلت .. وكذلك المطابخ ، والمدارس ، والمستشفيات ... وكمية الغاز التي تستفيد منها دولة الكويت وتستغلها في المشاريع الوطنية تزيد على عشرة آلاف مليون قدم مكعب في السنة .

ولم تكتف حكومة الكويت بذلك القدر ، بل تطلعت لوضع الغاز في خدمة المزيد من المشاريع الناهضة في اقتصاد البلاد ، واسهمت الى انشاء شركة لانتاج المضاعفات الكيماوية التي تعتمد على الغاز اعتمادا .

وكذلك ارادت الحكومة للمواطنين الاستمتاع من الغاز السائل الناتج من مصفاة البترول ، وتطلعت الى من حولها فعرفت من العاملين في مجال الاقتصاد ... ، ورأت فيهم الحرص على تعميم الفائدة على جميع السكان ، فكان ان اسندت اليهم مهمة وضع الغاز في خدمة الناس باسعاره وبذلك اصبح الغاز السائل في الكويت من ضمن اعمال شركة ناقلات النفط الكويتية .. هذه الشركة التي اقامت كل اعمالها ... على اهم مقومات اقتصاد الكويت وموارده ، في ... ناقلات النفط .. والغاز

رائحة الغاز

والغاز السائل في الكويت يرجع استعماله الى بداية عام ١٩٦٢ حيث اكتمل بناء مصنع تعبئة الغاز ، واخذت شركة ناقلات النفط الكويتية منه بوزعه في الاسواق المحلية . ورغم انها غريبة وجديدة تلك التي مرت على طرحه للبيع فان الاقبال على استعماله يسير في تقدم كبير لرواجه . وفي الكويت يباع الغاز في اسطوانات مختلفة الاحجام اكبرها سعة ١٤ كيلوجرام واصغرها سعة كيلوجرام واحد .

مأساة

والغاز يمكن الاستفادة بملايين الاقدام المكعبة منه في شتى المجالات الصناعية في البلاد العربية ، ولكن كذلك يمكن تصديره الى الخارج وايصاله الى مختلف انحاء الدنيا ، بطرق مختلفة ، كالسيارات والبواخر والقطارات ، داخل انابيب .

ولكن ارق وسائل نقله هي البواخر ، وهنا تبدو المأساة حين نعلم ان شركة واحدة في المحمرة تملك ما يزيد على عشرين باخرة لنقل الغاز ، بينما البلاد العربية بكل امصارها لا تملك باخرة واحدة !

وتكبر المأساة حين نعلم ان المحمرة لا تنتج الغاز حتى ولا النفط !!

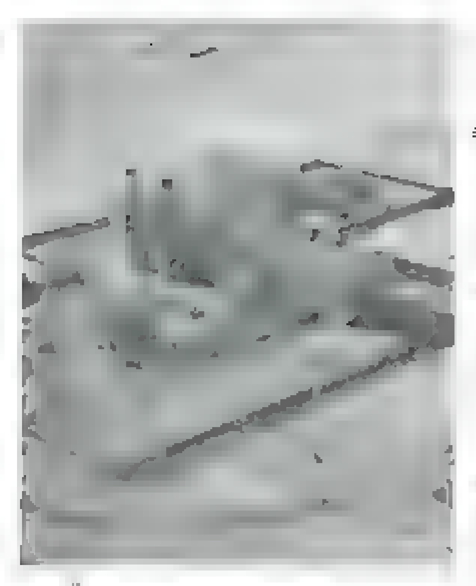
وقد اصاب التطور العلمي اساليب نقل الغاز ، فاصبحت هناك باخرة يابانية حمولتها ١٦ الف طن ، وهي من اكبر ناقلات الغاز في العالم ، تنقل الغاز من الكويت الى اليابان بطريقة تجميده وحفظه عند درجة حرارة مئوية تبلغ ٤٢ تحت الصفر . وعند تفريغه يرفع درجة حرارته ليعود لحالته السائلة ، ثم يضخ سائلا في الخزانات المعدة له .

متى تنتهي الجامعة العربية من دراساتها ؟

في واجب الجامعة العربية ــ وهي تعقد الندوات الكثيرة ، لبحث وحدة الاقتصاد العربي والسوق العربية المشتركة ، وانشاء الكثير من المشاريع العربية الموحدة ــ واجبها ان تبحث ، وبسرعة ، مشروع انشاء اسطول عربي لناقلات الغاز .

وهنا لا بد من القول ان ناقلات الغاز تختلف كثيرا عن ناقلات النفط ، في تصميمها ، واساليب





اعاده الغاز الى داخل الارض!

يوجب بواسطه هذا المصنع ـ الذى يرى صورته مع هذا الكلام ـ كما ان المصنع في هذا المصنع ... وهو ...
... مروحة بانبي ... ضغط قوة كل منهما ٢٠٠ ...

ويصل الغاز الى هذا المصنع ... الانابيب ، وذلك من مركز تجميع الضغط ،

... ضغطه ... في الارض ... على مرحلتين . المرحلة الاولى ... ضغط ... الاف رطل على كل بوصة ... الضغط ... الى نحو ... ١٩ رطل على كل بوصة

وبعد الغاز المضغوط الى ... الابار ... الغاز الى ... الضغط ... في دفع الزيت الى سطح الارض

... بيها وتفريغها ، ومعدات الموانىء التى تطرح فيها حمولتها او تأخذها منها ، كما ان سعر ناقلة الغاز يتجاوز خمسة امثال سعر ناقلة النفط المساويه لها فى الحموله !

فتكاليف ناقلة غاز حمولتها ٣٠ الف طن لا تقل عن عشرة ملايين دولار امريكى .

شركة عربية لاستغلال الغاز

ومع وضع خطة لبناء اسطول عربى لنقل الغاز يجب ان تنشا خطة للتفاوض مع شركات البترول، ليصبح الغاز ملكا للاقطار الموجود فيها ، من اى مصدر جاء . ثم يصار الى تسويقه فى الداخل والخارج ، حسب خطة عربية موحدة تعطى لكل قطر من الربح ما يتناسب مع مقدار الاحتياطى فيه.

ويمكن ان تؤسس شركة عربية لاستغلال الغاز ، يكون نصف راسمالها من حكومات البلاد المنتجة للغاز بنسبة الغاز الموجود فيها ، الكامن والمصاحب ... ونصف راس المال الثانى يطرح للافراد العرب ، مع وضع حد اعلى لمساهمة الفرد الواحد ، حتى لا تطغى مصلحة قليل منهم على امال الكثيرين من المساهمين .

وتحقيقا لهذا الغرض ندعو الى انشاء مؤسسة غاز عربية منبثقة عن الجامعة العربية تكون مهامها الرئيسية متحصرة فى مثل هذه البنود :

١ ــ الاشراف على انشاء الشركه



الغاز الاحتياطى ... فى مصنع ... كما ... هذا الغرض



ميناء الأحمدي ... [illegible]

العربية لاستغلال الغاز الطبيعي بشكل خاص .

٢ ــ المساهمة في التعاون مع شركات النفط ، لتحويل امتياز الغاز بكامله وتوابعه الى الاقطار المنتجة له .

٣ ــ الاشراف على انشاء اسطول ناقلات الغاز العربي .

٤ ــ درس امكانيات ربط البلاد العربية بشبكة خطوط للغاز الطبيعي ، لا سيما حيث يكثر السكان وتتجمع الصناعات .

٥ ــ دراسة وضع السوق العالمي ، والعمل على ادخال الغاز العربي اليه .

٦ ــ تعميم الوعي لاستعمال الغاز في كافة البلاد العربية .

ويمكن لهذه المؤسسة ولشركة الغاز التابعة لها ، أن تشرك القطاع الخاص في البلاد العربية للشركات او المؤسسات الحكومية التابعة منها .

نريد تخطيطا .. وتفكيرا علميا

ان امتنا تملك من عوامل الانتاج ما يجعلها قادرة أن تكون في طليعة الامم ..

ولها من الطاقات الكامنة ما يجعل اقتصادها من النمو والمتانة في درجة ...

النفط النادرة في الاسواق العالمية ، وجديرة لاحتلالها المكانة اللائقة اسباب العمل والقدرة على الاسهام في التطور العالمي .

وعلى البلاد العربية ان تدرك هذه ...

ان لها ان تستثمر الغاز من الطاقة المهدرة في اراضيها ، وانخفاض مستوى المعيشة المريع بين ابنائها ...

ان لها ان تبني اقتصادها على هدى التكامل وفق نهج علمي تكون للنفط ، وثروة الغاز ، في ذلك الموضع الرئيسي .

وما احوج العربية حين تستند على التخطيط ، وتكون كلاعب منطلقين من التفكير العلمي ، وترمي الى تحقيق اهداف تتعدى الحدود الضيقة ، حدود الـ « انا » والاقليم ، لتصيب كل الوطن بكل افراده وكل فئاته ..

الكويت : علي خصاونه



الابراد غير البرد



ـ عندما ادخل البحر للاستحمام احس فجأة ببرودة تهبط لا شك بدرجة حرارة جسمي ، حتى لارتعد اولا من البرد ، ولكني لا ألبث ان انتعش . ولكن والدي يحذرني من الاصابة بالبرد اذا تكرر هذا وقد تكرر ولم أصب . فأيما اصح ، انا ام ابي .

● الاصح رأيا انت ، ولكن . [illegible] قارىء او سامع . فالاول البرد الذي يحس به الجسم بسبب نزول درجة حرارته . ثم البرد الذي هو المرض ، وترشح معه الانف مثلا .

ان البرد المرض لا يكفي لاحداثه ابراد . لا بد من مكروب [illegible] وقد عرفوا هذا المكروب فكان اصغر عادة من الكبير ، وسموه الفيروس . والفيروسات صنوف عديدة من المكروبات ومنها صنوف تسبب مرض البرد ، ومنها الذي يسبب غيره من الامراض .

والفيروسات التي تسبب مرض البرد توجد في المدن حيث الزحام ، وهي تقل ما قل الزحام . وسواحل البحار اخلى ما تكون من زحام ، فهي اخلى ما تكون من احتمال عدوى بفيروس من فيروسات مرض البرد .

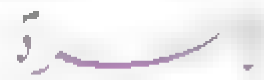
واصابة الجسم بمرض البرد ، مع وجود الفيروس ، يساعد على احداثها ابراد الجسم .

اما الابراد وحده ، والتبريد وحده ، فهو لا يصيب الجسم بمرض البرد . ودليل آخر ظاهر على ذلك .

ان درجة حرارة الجسم السوية هي عادة ٣٧ درجة مئوية على التقريب ولكن في بعض جراحات المخ تخفض درجة حرارة جسم المريض الى نحو ٢٥ درجة ، اي انهم يهبطون بها نحوا من ١٢ درجة ، ثم تجرى بعد ذلك الجراحة التي تستغرق ساعتين .

[illegible]

طبيب



شعر ابنتي لا ينفع فيه القص ..

ـ ابنتي [illegible] شعرها [illegible] على رأسها ، لهذا انا القص [illegible] ، ارجو ان [illegible] نموه وشكله ، ولكن لم اجد من وراء ذلك فائدة [illegible]

● [illegible] بسبب الوراثة ، وقد تكون بسبب صحة ابنتك . على كل حال راجعي طبيبك فقد يرى في الصحة حلا .



جسم المريض الى ١٥ درجة مئوية اى نحوا من ٢٢ درجة .

ولا يصاب المريض بمرض البرد . ذلك لان الابراد وحده لا يكفى لاصابته [illegible]

براز ابني به دم أحمر

— لاحظت اخيرا ان ابنى الصغير حينما يتبرز ، يكون اخر ما يلقى به لون احمر خفيف ، اظنه دما . وهو يشعر عند ذلك بالم بسيط يزول فى الحال . ويتكرر هذا . فما سبب ذلك . ان ابنى عمره نحو [illegible]

● الظاهر ان الجزء الاخير من [illegible] ابنى يخرج [illegible] هو سبب الدم القليل الذى يخرج مع البراز . وهذا سببه على ما اظن الامساك . شىء جامد فى البراز . يحاول ابنك ان يتخلص منه بقوة . فيحدث [illegible]

[illegible]

وواظبى على هذا اياما . اذا لم [illegible] وجب ان [illegible] احمر [illegible]

أمراض تحملها الخضراوات التى تأكلها

— قرأت مقالا عن الخضراوات وانها كثيرا ما تحمل ميكروبات تصيب الناس بامراض كالدوسنتاريا والتيفويد . فهل هذا صحيح . وكيف يمكن تجنب هذه المخاطر

● الذى تقوله صحيح . ولكن غير الصحيح ان كل خضار ، كالفجل والكرات والجرجير مثلا ، يحمل العدوى .

ان البذرة التى تلقى فى الارض [illegible] الخضار جافة طاهرة . والارض كذلك . والماء الذى يروى الارض كذلك ليس من المحتمل ان يحمل جراثيم الامراض . ولكن كثيرا ما يتسرب الى الارض الطاهرة ماء نجس ، لا سيما ماء المراحيض والماء الخارج من حيث يعيش الانسان ، ويكون هذا الانسان لوثه باعطائه جرثومة من جراثيم هذه الامراض ، فهى لا شك ان تكاثر فيه .

وقد مرت انا بحثنا مرضا قام به رجل اوربى موضوعه ما فى نوع من الجرجير الامريكى الذى بالاسواق من [illegible]

[illegible] يكن منها ما يعطى المرض . وهو على كل حال بحث اصل هذا الجرجير فعرف انه يخرج من ارض تسرب اليها ماء المجارى

كذلك الخضر تتعرض بعد أن تقطع [illegible] الى عمليات من الغسل مثلها. وطهارتها تتوقف على الماء الذي [illegible] تغسل، وكذلك على طهارة العامل وخلوه من الامراض.

والشيء الغالب في حقول، وفي أرياف جنوب، وفي بائعي الخضر في المدن [illegible]

[illegible] بالخضار ويزيد في متاعبها. إلا أن تكون بالخضر واحدة مرض معظم حالاته.

التهاب الكلية اذا زمن

– هنا يوجي التهاب مزمن في الكلية، وهو صحيح، لم يعود، وقد ظل هكذا بعد ثلاث سنوات أو أربع. وقد قيل له ان هذا المرض ليس منه شفاء، فهلا يمكن علاجه حتى لا يعود هذا المرض.

● التهاب الكلية المزمن أصناف، [illegible] حسب حدة وشدة. وكل حالة [illegible] لها، فليس هناك علاج واحد [illegible] [illegible]

كثيرا ما تكون شديدة الوجع، ولكن أشد منها وقعا وقع المرض.

ومن أسباب هذا المرض [illegible] [illegible] تبقى قائمة نائمة لسنوات ثم تستيقظ ومنها سوف يزداد سوءا على الأيام وعلى التدرج. والحقيقة المريحة انه [illegible]

استحق علاجه، و [illegible]

[illegible] سنوات عديدة.

نظارتي، بين لي خطؤها ولكن بعد حين

[illegible] نظارتي [illegible] [illegible] ما سبب ذلك؟

● سبب ذلك ظاهر.

انك لم تذهب الى رجل مؤهل لوصف نظارة لعينك.

[illegible]

– طبيب العين [illegible] ، وهذا عمله عملان: أولهما امتحان العين [illegible]

النظارة التي تلبسها.

[illegible] بائع النظر [illegible] وهذا عمله فقط بائع النظر ووصف النظارة [illegible] مؤهله الرسمي حيث يعمل لبعض الناس.

– النظاراتي وهو صانع النظارات [illegible] وهو كذلك مدرب ومؤهل لهذا العمل دون غيره. ويحمل مؤهله الرسمي حيث يعمل كذلك.

لهذا يمكن الناس ان لا يضاروا بأعينهم، فكم من نظارة خاطئة أساءت الى الأعين اساءة لا اصلاح لها، والصحة غافل عن ذلك، رجلا كان أو امرأة. ■



■ كان « رع حوتب » سيد « منف » بلا منازع ، اذ لم يكن بين قومه من يدانيه مكانة او يساويه رفعة ... وكان جيرانه وجميع الاهلين يحسدونه في الثروة حسن تقديرهم ، ويوقرونه ويعظمونه ويتناقلون عن اسرته العريقة الغريب الاحاديث واسع الروايات .

ولقد قيل – وهو قول تؤكده مخازن المدينة وكبار كهانها – ان الجد الاكبر للشريف « رع حوتب » كان اقرب المقربين الى سيده فرعون « مينا » العظيم .. وكان هو الذي اشار عليه بناء عاصمته الفتية « السور الابيض » التي عرفت فيما بعد باسم « منف » ، كما اشير من قبل بمعظم الفوائد التي جنيها في توحيد الوجهين ، وجمعهما في مملكة واحدة ، تكلل هامتها بالتاج المزدوج باللونين الاحمر والابيض .

وكان في منف بيت اخر لا يقل عن بيت « رع حوتب » ، ولكنه كان قريبا الى نفس اهله وقلوبهم .. وكان صاحبه تربا لرب المدينة منذ الصغر الى حد اوصله الى مكانة الصديق الوفي للشريف « رع حوتب » .

ونظلا كانت صداقة رع حوتب لصاحبه امونى ، موضع اعجاب اهل منف ، كما كان حب « امونى » لصاحبه مضرب الامثال وتعظيم في نفوس المقربين .

وكان « هارماكيس » واخته « نازاموت » – ولدا « رع حوتب » – يفرحين بالحسن في حديقة اسرته ... كما كان سوحى ابن « امونى » انه في الذكاء والفطنة .

ولقد ود « امونى » الشيخ – وهو يحس قرب اجله – ان يربط بين بيته وبيت صاحبه برباط المصاهرة ، فيزوج ابنه « سوحى » من الغادة « نازاموت » ، ليضمن له السعادة ، ولينعم بالعلو والشهرة والثراء

ووافق الشريف « رع حوتب » رغبة صاحبه ، اذ لم تكن في منف كلها – خلاف ابنه هو – من تطمح امه الاصيلة ، غير « سوحى » البطل ..

وعرفت « نازاموت » انها ستكون عروس « سوحى » ، فطابت الى ذلك نفسها وارتاح قلبها الخفاق ، وهكذا كان شعور سوحى الامر .

اما « هارماكيس » فكان اسعد سعادة لوجه لسرور اخته الحبيبة على رجلها المثالي في صديق طفولته وزميل شبابه « سوحى » ، وعن في قرارة نفسه ان يحظه الراحلة سريعة بالمتهمة على رحلته ... بل سيجعل من البيتين الرفيعين بيـ

شامخ الذرى لاتقوى عليه الأعاصير .. هذا يجعلهم حقا ورثة فرعون العظيم .

واعتادت « نترا سوت » أن ترى رجلها في لحظات مختلفة ، كان يتردد خلالها على بيتهم مع أخيها هارماكيس ، فكانت كلما أطالت إليه النظر توردت وجنتاها بحمرة الخجل ، ويدق قلبها في وجيب مستمر مع شعوره أنها تزداد له حبا وبه تعلقا ، حتى لقد رفعه خيالها الخصيب إلى مصاف الأرباب المنشرة في محاريب الآلهة .. وكان سنوحي جديرا بها وكانت مكانته في منف لها قيمتها العالية . إذ كان يعمل في ديوان حاكمها من قبل فرعون

وبرح بالعذراء هواها القتال ولم تجد من تبوح له بسرها ليخفف عنها غلواءه ، ويشاركها إحساسها ويحدثها أحاديث الغرام .. فصابرت نفسها في انتظار اليوم الذي يأتيها فيه ليحملها إلى بيته الذي أعده لها لتكون ربة البيت الذي يعمل فيه ويجعل ما ينعم به عيشها

وكان يحلو لها أن تسمع اسم رجلها وهو يردده على لسان أخيها .. ويحدثها عنه ، وعن شجاعته وحبه للجندية وبعده في الصورة التي تهواها ..
وفي أعياد الحصاد ... ولياليها المرحة ، كانت تنظم في منف سوامر صاخبة تجمع بين شباب المدينة الفتية وشيبها ، فيستمتعون باللهو ويسرفون في احتساء الشراب مرددين أهازيج الهوى ، مختلطة بتراتيل الكهنة ، ورقصات العذارى لاسترضاء الآلهة واستدرار بركتها ، فتعم الأرض الخصب والنماء .

ولعب الشراب بالرؤوس ذات ليلة فعربد الشباب ، وعلا الصخب ، واقتحم العامة سوامر الخاصة ، وجرؤ الشعب على سادته من الأشراف .. وحاول سنوحي أن يعيد الأمور إلى نصابها ، بصرف الشعب إلى سوامره ومواكبه التي احتفلت بها طرقات منف ، فعجز عن دفع السيل المندفع بالأجساد المخمورة .. وكاد يسقط أرضا وسط الجموع ، لولا أن أسرع هارماكيس نحوه فسحبه بيده وبالأخرى أخرج سلاحه وراح يلوح به في وجوه الثملين فأفاقهم وردهم .

وهتف أشراف منف باسم هارماكيس . وسخر بعضهم من سنوحي ، إذ أراد أن يضع نفسه في غير موضعها .

وتطور الجدل بين هارماكيس وسنوحي .. وقال الصديق لصديقه « من أنت حتى تكون ؟ فأجابه الآخر : أنا من ترى !! وهذا مركزي .

واستبد الغضب الأحمق بالشابين واستحالت المنافسة إلى حقد ، نسي فيه سنوحي وقاره ورزانته .. فثار هارماكيس الذي عليه الزهو والشراب — على رفيق صباه وزميل طفولته و .. وروع أخته المنظر ، ثورة انكمش لها سنوحي وتراجع ، وقد غشي عليه بعد به لسيف فرسان منف واستجمع شجاعتها .

وامتص السامر في تلك الليلة ورق النفوس ما بها من بركان الشحناء والحقد ..

وسخط هارماكيس من صاحبه سنوحي .. وكره سنوحي لقاء هارماكيس .. وكأنما الآن جمعهما الصداقة بعيد أحدهما أن يتحاشى لقاء الآخر ، فرارا من شبح تلك الليلة البشعة وما سادها فيها من سباب وتحقير

وأحست سوامر منف أنها هجرت أحب الشباب إليها ، وفارقتها البهجة والمرح ، وخيمت عليها السكينة الخفيفة وحرمت طاقة السعادة ، وانتهت من مطالبها أرق الصفحات

وراح أشراف المدينة يفكرون جديا في إعادة المياه إلى مجاريها بين سنوحي وهارماكيس .. ورأى الشريف « ... » أن يعمل على إعداد حفلة صيد خارج المدينة ، يدعو إليها الشابين جميعا ، وفي جعلهم صفاء المتخاصمين .
ورحب هارماكيس بالدعوة .. ولم يكن سنوحي بأقل منه قبولا لها ... وخرج الشباب من منف تتبعهم العيون والقلوب .. وما أن فارقوا معبد

« صاح » حتى رفعوا لحظة الصلاة وتلتمس البركة

وخرج كاهن المعبد وقد سمع لغط الشباب في الخارج ، يزودهم بالدعاء والبركات .. ولم تكد تنصبغ وجوه الجميع وقد أصابت بالبهجة ، حتى سألته رجفة لم يتمالك معها إلا أن يصرخ في هارماكيس :

وضحك هارماكيس إعجابا بنفسه وثقة بها ، وأقبل على الكاهن العراف يحضنه ويؤكد له أنه سوف يعود .. ولن ينسى في عودته أن يمر به ويهديه صيدا سمينا بنفسه خصيصا له !! .

وعاد الكاهن ، أمام إصرار هارماكيس على الذهاب ، يقول له

وعاد هارماكيس يضحك للتنبؤ ... وودع الكاهن .. ثم انطلق مع أصحابه

وظل الكاهن مكانه يرقب الذاهبين ونفسه تتقطع حسرات على هارماكيس ... ولم يجد بعد أن بعدوا عنه ، إلا أن يسعى في حسرة

وعاد الكاهن إلى معبده ... وانطلق شباب منف إلى البركة يبحثون عن الصيد وكلهم يرجو أن يعود منه بالشيء الكثير

وأوغل « سيتي » وصحبه في أحراش البردي الكثيفة ، ذات الغدران العميقة .. وانطلق كل وراء صيد سمين ... وتفرقوا في أنحاء متعددة يجرون خلفهم لاقتناص الفرائس ..

ورأى ستوحي طيرا غريب الهيئة متعدد الألوان جميل الشكل .. فأحب أن يكون له ، ليقدمه هدية إلى « نفرانيوب » الفاتنة

وتبع الطير الذي راح يقفز هنا وهناك بين أعواد البردي وظل وراءه حتى أصبحت قامته الطويلة في قلبها ووجد نفسه أخيرا على قرب



صاحب عينه ، وسرعان ما فوّق السهم وأطلقه ، وقد ظن انه احكم الهدف ، ولكن القدر أفلت .. وانطلق السهم بعيدا في وسط الحقل .. فاذا صرخة هائلة تنبعث من وراء الجسر وتزلزل دويها الآذان والقلوب !!

واسرع الاشراف الى مصدر الصوت .. وهناك بدت لهم الفاجعة .. رأوا هارماكيس الشجاع صريعا يتدفق الدم حارا على جوانب السهم الذي انغرس في قلبه وهو يلفظ آخر انفاسه

وعلى مقربة من الحقل رأوا سنوحي واقفا والقوس في يده ، وقد تملكته الدهشة وغلبه الفزع !!

وبعد الدهشة الرهيبة .. واقبل « سيبي » ومن معه على « سنوحي » يهدئون من روعه ، ويؤكدون له انه بريء من دم هارماكيس .. وما حاولوا اقناعه الا القى على جثمان صاحبه يقبله ويغسل بدمعه الهون عنه !!

ورأى « سيبي » ، وقد حدث ما حدث ، ان يعود بصحبه الى منف ، حاملين الى اهلها هذا النبأ الاليم .. وما ان استعدوا للعودة ، حتى انفلت سنوحي من بينهم وهو يبكي ، واقسم ان لن يعود !! وان سوافر منف لن تراه بعد اليوم .

وحاول سيبي عبثا ان يقنع سنوحي بأن يتخلص من اوهامه ، وان يؤمن بأن ما حدث كان برغبته .. وانه كان بفعل القدر ولادخل له فيه .. ولكن سنوحي ابى ان يصغي .. وتركه وهو يقول

ـ لن اعود الى منف وانه ليشق علي ان اسمع المحزون الى صوت ابي الشيخ !! ولكن .. انها ارادة الاله الاكبر .. فلتحمل الى ابي يا سيبي ... عزيمتي حيث اعتذر المظلوم « نارسرت » الغالية ، احمل لوعتي واسفي !!

وانطلق الشاب القاتل يعدو الى قصره واختفى في اغوار البرية ..

وهز اصحابه رؤوسهم اسفا عليه .. وعلى صاحبه هارماكيس !! ولم يلبثوا الى ان يعودوا الى منف يشملهم الحزن ويظللهم الاسى على فقدان خير الصحاب واشجع الفرسان ..

وهالت النبأ في عيني الوالدين الثاكلين ، وجلت فجيعتهما على العزاء .. وما عادت منف تراهما الا سويا في معبد « بتاح » يتوسلان بالصلاة ويقربان القرابين لتهدأ روحا سنوحي وهارماكيس في عالمهما الجديد ...

اما نفرابيوت ، فقد تلعثم اللب في وجوم من فاجعة الصدمة فقدت احساسه !! وعز عليها ان تنوح او تبكي .. وعلى من تبكي وتنوح ؟ على شقيقها الوحيد .. أم على خطيبها الحبيب ؟ ! أم تبكي نفسها !! ما افدح الخطب واجل المصاب

وظلت على حال من الصمت القاتل الذي اسلمها الى ما يشبه الغيبوبة والذهول !!

وسمع فرعون « سنفرو » العظيم بقصة « نفرابيوت » الحزينة .. اجمل الجميلات في مصر .. واكبر فيها هذا الوفاء لذكرى من احبت .. وخاطب في امرها كبير الفرسان في عهده « جاجام عنخ » فرأى ان يتفضل مولاه على تكريم الوفاء في شخص نفرابيوت ، فيضمها جارية الى حريمه الفرعوني ليسعدها وينسيها اساها الرهيف « رع حوتب » وصاحبه الشوب « اموني » .. فاخذ فرعون برأي كبير الفرسان ، وارسل من يستدعي الحسناء ..

ورأى « سنفرو » العظيم نفرابيوت .. وبهره جمالها ، ودلالها .. وأدبها الرفيع .. ورقة" ماعهدها في النساء من قبل . ولكن حيرة قلبها والم محنته ، ان قصره بما حوى ، لم يؤثر في نفسها ويخرجها من صمتها الطويل .. بل بقيت على حالها من التيه والذهول !! فعز عليه ان يعجز عن ادخال الفرحة الى قلبها واعادتها الى نفسها .. وكبر عليه ان تكون في قصره فاتنة مثل نفرابيوت حزينة غريبة للاشجان والشرود من الافكار

ورجح فرعون حبه لنفرابيوت .. واحس مع مرور الزمن انها قد أثرت فيه الى حد بعيد ... حتى ليشعر وكأن جزءا كبيرا من حزنها قد تسرب الى نفسه فاقض مضجعه وارقه وبدد راحته !!

وكبر عليه ان تظل فريسة لحزن لم يطقه هو ولا يستطيع رده عنها ...

وارسل « سنفرو » الى طلب « جاجام عنخ » ،

يسأله الرأي في ايجاد وسيلة يروّح بها عن نفسه ونفس صاحبته ... وحضر كبير القرنين [illegible] كبير العصر الفرعوني تلبية لأمر مولاه ولم يجد إلا أن ينصحه بقوله :

— عليك يامولاي بنزهة في بحيرة القصر ، وسأعد لك قاربا تركبه بنساء القصر [illegible] ... انه منظر سوف يبعث السرور الى قلبك عندما ترى جمالاً [illegible] وسباحة بجداول سواعدهن الرشيقة ، ثم تمتع يامولاي بمراتع الطير [illegible] ومن ناحية اخرى [illegible] الخضرة والماء والوجه الحسن !!

• نرجو يامولاي أن يحضروا لي عشرين مجدافاً من الأبنوس المحلى بالذهب ومن أن يحضروا [illegible] من الجواري [illegible] [illegible] [illegible] .

• [illegible] يا مولاي [illegible] [illegible] فوق أجسادهن البديعة [illegible] [illegible] .. ذلك يا مولاي منظر بديع [illegible] [illegible] [illegible] .

• [illegible] كل [illegible] [illegible] .. [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .. [illegible] [illegible] !!

• [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] !!

• [illegible] [illegible] [illegible]

• [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ..

• [illegible] فرعون [illegible] [illegible] جبين جاريته الأثيرة قد سقطت في الماء !! وإن فقدانها [illegible] قد بعث الحزن [illegible] الذي كان قد بدأ يشعر بالفرحة والسرور ..

واستسمح فرعون جاريته الحسناء وقال لها :
— سأعطيك بدلا منها ..

ولكن [illegible] هزت رأسها وقالت :

— ولكني لا [illegible] [illegible] بدلا !! [illegible] [illegible] [illegible] بدلا

• فصاح الملك :

— الي بكبير الكهنة والقرنين ، جاجام منخ .

• وجاء جاجام منخ فقال له الملك —

— [illegible] [illegible] جاجام منخ [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .. الا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] .

وسمع جاجام منخ .. وجعل يردد كلمات من سحره وتعاويذه ، فانشق ماء البحيرة الى شطرين فظهرت الجوهرة في قاعه فوق حجر .. واذا ذاك سار اليها جاجام منخ والتقطها ..

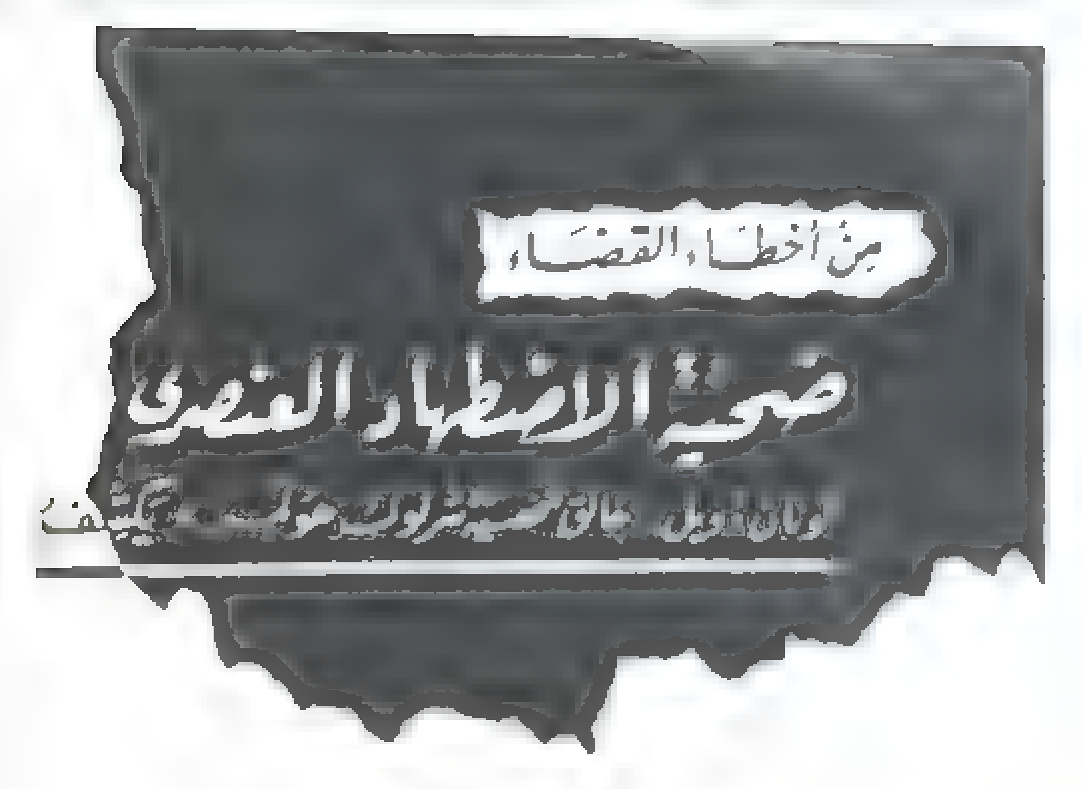
واعاد فرعون الجوهرة الى جاريته الجديدة فضحكت أرماعها ... وسمعت السعادة تغزو أمواجها اللؤلؤية قلبها الكسير .. وبعثت لها الحياة في ثوبها الوردي .. وراحت رويدا رويدا تنسى احزانها وآلامها .. وتحيا من جديد

واستمر سرور العظيم في سعادة وفخر ، فقد استطاع كبير عمرته أن يقوم بمعجزة من روحه في الله .. وجعل [illegible] تنسى احزانها بالحصول على جوهرتها العزيزة ..

وخيل اليه أن روح [illegible] قد عادت في صدرها ، وإن [illegible] قد نزلت حياة فاتنة الجميلة [illegible] في ظل الفرعون ..

وسار القارب الحالم يسبح مياه البحيرة من جديد .. ومن جديد تعالت أصوات العذارى منفردة مع الطير وخرير الماء ... ■■

سنبلة قراءة



بقلم : حسن الجباوى

داخل الأبرشية ويعرف حادث الفتاة البرابــ الذي ذكرناه.. وقوي الشك في أن تلك الفتاة هي التي تكتبها أو أنها من عمل صديق لها . ولكن تحقيقا دقيقا لم يجر معها .

★ ★ ★

ولقد ظلت محبوكة تلك الخطابات على حقد كامن في نفس مرسلها ، ليس فقط ضد القسيس ولكن كذلك ضد زوجته (اللعينة) على حد تعبير

أسرار هذه القضية..

كاتبها ... وابنه (الشبيه) ، وخاصة ضد ابنه جورج الذي لم يكن قد جاوز السادسة عشرة من عمره . لقد جاء في واحد منها :

« أقسم بالله أني سوف أقتل « جورج إيدالجي » في أقرب وقت . فالشيء الوحيد الذي أحرص عليه في هذه الدنيا هو الانتقام . الانتقام . الانتقام اللذيذ الذي أتوق له .. وعندها أحس بالسعادة ولو في جهنم » .

وجاء في خطاب آخر .

«ليسطفي الله ان لم أقتل جورج إيدالجي ».

وكان القسيس يتعرض في الوقت ذاته الى فصول سخيفة ومضايقات من النوع الذي يدخل السرور على مرتكبها والضيق على ضحيتها . من أمثال ذلك انه كانت تصل الى الأبرشية عربات محملة ببضائع لم يطلبها القسيس ولا زوجته ، وكانت تنشر اعلانات في الصحف تقول ان الأبرشية معروضة للبيع أو للإيجار ، أو تقول ان القسيس مستعد لأن يجمع بين طالبي الزواج من السيدات والرجال .

ولم يحمل القسيس هذه المضايقات على محمل الجد واعتبرها ضريبة يجب أن يحتملها في سبيل أداء رسالته المقدسة ، وقد تحمل الكثير من أمثالها ، ووطن النفس على أنه طالما ان الاضطهاد موجه الى شخصه فسوف لا يعبأ به . ذلك فضلا عن احساسه بأنه لا فائدة ترجى من تبليغ البوليس لأنه — في تصوره — لن يبذل أي جهد لاستجلاء الحقيقة .

ولكن حادثا جديدا — لا يدخل في ظاهره معنى الاضطهاد — جعل القسيس يلجأ الى البوليس . فقد عثر أمام باب الأبرشية على مفتاح كبير — من نوع غريب — اعتقد القسيس ان صاحبه قد فقده ورأى أن من واجبه أن يسلمه الى البوليس .

وتبين ان المفتاح يخص مدرسة « وولسال »



التي تبعد ستة أميال عن الأبرشية . فما الذي جاء به إلى مبنى الأبرشية ؟!

احتار البوليس في حل ذلك اللغز . وذهب المفتش كامبل إلى رئيس البوليس يعرض عليه حيرته وملف التحقيق . وكان رئيس البوليس من ذلك الصنف المتعجرف من الانجليز ــ الذين عاصروا الامبراطورية ــ والذين يعتقدون أن الانجليز يمتازون عن بقية شعوب العالم ، وأن الجنس الأبيض سيد الأجناس ، بينما تنقسم الأجناس الأخرى الذين يسمونهم بالملونين إلى سود (عبيد) أو صفر . لهذا فلذلك كان يعتبر وجود الفتى ابدالجي في قرية انجليزية وكنيسة وأبرشية انجليزية أمرا مؤسفا لا يحسن السكوت عليه .

فلذلك ما كاد المفتش كامبل يعرض عليه الموضوع حتى استغرب أن يحتار المفتش في حل مشكلة واضحة الحل لا تحتاج إلا لقليل من الذكاء لاكتشاف ما غمض من أمرها . فهذه إحدى حيل تلاميذ المدارس وخاصة إذا كان نظارهم من النوع المتساهل الذي لا يلجأ إلى الشدة ولا يكثر من استعمال العصا والعلقة ..

فلابد إذاً هو الذي أخذ المفتاح من المدرسة وتركه على باب الأبرشية . فمن يكون ؟!

إن في القرية لصبيا غريب الأطوار من أولئك الملونين الملاعين الذين لا يتورعون عن ارتكاب مثل هذه الصبيانيات وليست فيهم شجاعة التلاميذ الانجليز البيض الذين لا يترددون في الاعتراف بخطئهم ويتحملون تبعته . فالأمر لا يحتاج لكثير من الذكاء لمعرفة الفاعل .

واعترض المفتش كامبل على هذا الاستنتاج وقال إن « جورج ابدالجي » لم يسبق له أن ذهب إلى مدرسة وولسال . ولكن رئيسه تخطى هذا الاعتراض بسهولة وقال إن هذا دليل جديد على أنه الفاعل لأن مثله لا يقدم على سرقة مفتاح مدرسته بل يبحث عن مدرسة أخرى . فالأمر إذاً في غاية الوضوح بل يكاد يكون بديهيا .

والآن وقد قطع رئيس البوليس بأن جورج ابدالجي هو مرتكب الحادث رأى أنها قضية لا تدخل في اختصاص البوليس ــ ولا تحتمل أن تعرض على القضاء ــ وأنه يكفي أن يتولى الأب تأديب ابنه حتى لا يعود لمثلها .

وكتب رئيس البوليس إلى القس بما ارتآه .

واستجوب الأب ابنه فتبين أن لا علاقة لجورج بحكاية المفتاح وأنه لم يذهب إلى وولسال خلال الشهر الماضي . فكتب إلى رئيس البوليس بذلك .

ولكن كيف يثق رئيس البوليس ــ المتعجرف المتحيز ــ بتوكيدات « زنجي » ملون في مثل هذا الموضوع أو أي موضوع آخر . فتناول قلمه ــ وبغير تردد ــ كتب إلى القس يقول له « انني لن أصدق ما يدعيه ابنك من أنه بريء في موضوع المفتاح » . وهكذا قلب الأوضاع ، فاتهم متهم حتى يثبت براءته ، وهو كاذب لا يصدق انكاره . إنه مذنب لأنه ملون .

ولولا تعجرف رئيس البوليس ونشأته لقارن بين سرقة المفتاح وبعض ألفاظ خطابات التهديد ولاستطاع بقليل من الاستنتاج غير المتحيز معرفة الحقيقة ، فقد جاء في خطاب منها « قبل نهاية هذا العام سيجد ابنك إما في القبر أو فاقد الشرف طول حياته على أننا ــ إن أردنا ــ سنحرص على تعليمه خط اليد ! »

* * *

فلندع جانبا استنتاجات رئيس البوليس ونتدارس جورج ابدالجي دون تحامل لمعرفة إن كان يمكن أن يرتكب مثل هذا الحادث ؟ .

كان جورج ضعيف البنية ، وكان هذا يحول دون اشتراكه في ألعاب التلاميذ الآخرين . وكان فوق ذلك قصير النظر ــ حتى مع استعمال نظارات سميكة ــ لدرجة أنه كان يجد صعوبة في رؤية الأشياء على بعد بضعة سنتيمترات ، ولذلك كانت الألعاب الرياضية جميعها ــ الكرة والجري والملاكمة ــ محرمة عليه . وبحكم ابتعاده عن الألعاب اتجه بكليته إلى القراءة إذ كان يمكن في أمسية جيدة من القراءة . وانكبابه على القراءة وانصرافه عن مشاركة التلاميذ ألعابهم جعله خجولا منطويا على نفسه مرهف الأعصاب ضعيفا . وزاد ذلك في مضايقة التلاميذ البيض له خاصة وهو متفوق عليهم من ناحية الدراسة وتحصيل العلم .

ومع ذلك فما كان يصح أن يوصف جورج بأنه « زنجي » . فلم يكن أسود البشرة بل أسمرها ، ولكن ضعف نظره سبب له بروزا في عينيه وزوغانا وراء نظاراته وعجزا عن النظر في وجه محدثه ، وقد حمل هذا الناس على إساءة الظن به .

ونجح جورج في دراسته وتفوق وأتم تعليمه وأصبح وكيل قضايا ، أي محاميا غير مرافع وذلك بالرغم من الصعوبات والمتاعب التي لاقاها في

حياته. لقد كانت حياته فيما بين السادسة عشرة والتاسعة عشرة في توتر حاد مقيم، إذ كان كلما جاء ساعي البريد الى الايرشية توقعت اسرته وصول خطاب تهديد او سباب . ولم يكن من السهل اخفاء ذلك عليه . فكان اول سؤال يوجهه عند عودته آخر النهار « هل من جديد ؟ » . وبعد ذلك لم يعد في حاجة الى توجيه اي سؤال فقد كان يرى الاجابة في وجه والديه واضحة .

ولغير ما سبب معروف اختفت خطابات التهديد ما بين عامي ١٨٩٦ و ١٩٠٢ وساد الايرشية الهدوء والسلام . وكان القس ايدالجي — برغم احساسه بكراهية السكان له — يبذل جهده في العناية بشئونهم ، وتفرغ زوجته لعمل الخير والخدمة الاجتماعية وان اعتقد السكان انها — وهي من اصل اسيوي — قد جلبت على بعلها العار بزواجها من منه

واشترك جورج بمكتب وكلاء قضايا في برمنجهام فكان ينتقل يوميا من القرية الى برمنجهام .

ثم بدأت المتاعب .

عثر — في زراعة قريبة من الايرشية — على حصان مبقور البطن . كان ذلك في اوائل شهر فبراير . ثم توالت الحوادث من هذا القبيل بواقع حادثين او ثلاثة في الشهر ، وكانت جميع هذه الحوادث ترتكب بالليل .

واشاعت هذه الحوادث — في الريف — بالغة الخطورة لما فيها من اعتداء على الماشية التي هي جزء اساسي من ثروة المزارعين . لذلك انشغل السكان واهتم البوليس بالبحث عن المجنون — او المجرم الخفي — الذي اقلق حياة القرية الهادئة وارتكب هذه الحوادث الغريبة .

والحوادث الغريبة تنسب الى اشخاص غريبي الاطوار . وليس في القرية من الاشخاص غريبي الاطوار الا القس ايدالجي واسرته .

هنا حديث القرية همسا . ثم اصبح كلاما على المكشوف . ليس بعيد الشأن ان يكون القسيس الذي اقام بينهم ثلاثين عاما — دون ان تبدو منه اية اساءة — وان كان من الملونين — ان يصاب فجأة بالجنون او ينقلب مجرما . ولكن ماذا عن ابنه ؟ انه انسان غريب الاطوار بحيئته البارزة وبشرته السمراء وبعينيه الناظرتين الى مختلفه ؟ انه — ولا شك — الشخص الذي يمكن ان يقدم على مثل هذا العمل المنكر .

وبدأ سيل جديد من الخطابات المجهولة . لم توجه هذه المرة للقس بل اغلبها الى جورج وبعضها الى البوليس ، فيها اتهام صريح لجورج بانه المسئول عن حوادث بقر الماشية . وفي بعضها انكار لمسئوليته ولكنه صيغ بطريقة تؤكد ادانته .

فقد جاء في خطاب بتوقيع « محب للعدالة » موجه الى جورج الذي قدمه الى البوليس .

« انني لا اعرفك ولكني شاهدتك مصادفة مرات بالقطار ، ولا اظنني أحبك لو عرفتك لانني اكره الاجانب . ولكنني اؤمن بحق كل انسان في الحصول على معاملة عادلة ، ولذلك اكتب اليك لاعتقادي انه لا شأن لك بالجرائم الفظيعة التي يتحدث عنها الجميع . انهم يقولون انك ولا شك مرتكبها لانهم جميعا يكرهونك ... فلماذا قتل حصان آخر سيقولون انك انت الفاعل [illegible] من القرية لتبعد الشبهة عنك » .

وجاءت في مذكرة بريد اشارة الى حادثة اليزابث فوستر التي كان قد مضى عليها خمس عشرة سنة .

« لماذا لا تعود الى لعبتك القديمة : الكتابة على الجدران ؟ » .

وفي مذكرة بريد اخرى مرسلة الى القس كامل توقيع « عليم بما هنالك » وبذاكر عديدة تحمل توقيعات مشوهة لاشخاص معروفين في القرية اتهام صريح له . ولكن اغلب من نسبت اليهم تلك التوقيعات انكروها واقسموا انها مزورة .

وزاد الامر تعقيدا ان احد رجال البوليس تسلم خطابا منتحلا من التوقيع مكتوبا على مطبوعات المكتب الذي يعمل فيه جورج .

* * *

لم يكن جورج بالشخص الساذج فقد درس القانون وتوفر على الاطلاع . لذلك ادرك ان كل هذه المحاولات ترمي الى الاضرار به وانها قد تنجح في النهاية، لذلك قرر ان يتعاون مع البوليس قدر طاقته وصار يسلم لهم — اولا بأول — كل خطاب يصل اليه . فاذا به يحس ان خطواته كلها معروفة للمضطهد فقد جاء في خطاب وصله

« انك تتوهم انك حاذق ، وانا اعرف انك لست جنتلمانا والا لما وضعت البوليس في اعقابي [illegible] للناس انك فاعل [illegible] الحيل لانهم عرفوا انك لا تؤتمن » .

ومن سوء حظ جورج ان رئيس البوليس — ذلك

الشخص المنحرف المتميز المتحامل على اللوبي الذي اتهمه قبل احدى عشرة سنة بسرقة المتاع ، كان لا يزال على رأس البوليس .

لقد قطع ان ذلك الغلام «الزنجي» مخادع وكاذب رغم وهو في السادسة عشرة من عمره، فلا موضع للشك في انه وقد بلغ الثلاثين والعشرين قد تحول من مجرم صغير الى مجرم كبير يطوف بالعشاق بيعر نحوب الماشية .

★ ★ ★

ومع انه لم تظهر اية أدلة تسمح بتوجيه الاتهام الى جورج او القبض عليه فان رئيس البوليس اعتبر كلام الناس دليلا ، وظل ذلك على الزعيمين صادقو الحس واحكامهم على اخلاق من يعيشون بين ظهرانيهم قلما تخطىء . وما دام الناس يتهمون جورج فلا بد من البحث عن ادلة لهذا الاتهام .

وفي هذا المجال بدأت عقربة الا رئيس البوليس تظهر .

هذه السلسلة من الخطابات المجهولة كتب في جورج رجل مخادع كتبها وارسل عمدا منها لنفسه ليقوم دليلا على براءته . انها حيلة ماهرة ولكنها لا تجوز على فطنة رئيس بوليس ذكي مجرب . لذلك فقد وقع في الخطأ الذي يقع فيه دائما المجرم بان كتب خطابا على مطبوعات المكتب الذي يعمل فيه . انه سوف يقول طبعا ان احدا زار المكتب وسرق ورقة من اوراقه . ولكن من الذي يصدق « زنجيا » مطرودا وبدمه الكذب .

★ ★ ★

لم يعد هناك محل للانتظار ولم يبق الا ضبط المجرم متلبسا . كان ذلك يتطلب تضحية حصان آخر وهو امر مؤسف ، ولكن لا حيلة لرئيس البوليس في ذلك . استعان رئيس البوليس بكونستبلات من القرى المجاورة ورتب دوريات منظمة تطوف بالغيطان ووضع رقابة مشددة على الابرشية طوال الليل لتتبع جورج حين يخرج في ظلام الليل لارتكاب جريمته وعودته وبدنه ملوث بالدماء .

واصدر الامر في الوقت نفسه للمفتش كامبل لمقابلة جورج ومعرفة ما يقوله عن الخطابات المجهولة ، معتقدا ان جورج ـ تحت وهم ان حيلته نجحت ، قد تفلت منه معلومات تدينه ، خصوصا وان البوليس لن يعتبره بعد كل كلمة سيقولها قد تؤخذ دليلا عليه لانه ـ حتى تلك اللحظة

لم توجه اليه اية تهمة بل هو ضحية وقد قدم الخطابات للبوليس بمحض رغبته .

وقال المفتش كامبل لجورج انه سيوجه اليه بعض اسئلة روتينية للحصول على مساعدته في التعرف على مرسلي الخطابات المجهولة . وسر لذلك جورج لانه اعتقد ان البوليس بدأ يهتم بموضوع الخطابات وابدى استعداده لتقديم اية مساعدة . وسأل في اثناء التحدث عن الخطوات التي سيتخذها البوليس لوضع حد لتلك الجرائم . فلما ذكر له المفتش موضوع الدوريات ـ واخفى عنه الرقابة الموضوعة على الابرشية ـ ابدى حماسا للفكرة ، وان كان يشك كثيرا في نجاح تلك الدوريات في منطقة مترامية الاطراف تكثر فيها الطرق المؤدية وتنتشر في جميع انحائها .

ورأت عقربة رئيس البوليس ان هذا دليل جديد على اجرام جورج لانه اراد ان يعرف اجراءات البوليس ليتجنبها .

ولم تعد احاديث القرويين تتجه الا لموضوع قتل الخيول حتى انهم لم يعودوا يتحدثون عن المحصول الذي هو شغلهم الشاغل ، بل انصرف معظمهم على التساؤل عن قرب القبض على جورج ووضع حد لجرائمه المنكرة . وفوجىء بعضهم حين كان جورج يغيب يومين عن القرية مع اخته لعمل خاص فاشيعوا انه قد قبض عليه .

وبمجرد عودة جورج الى القرية سمع بالشائعة القبض عليه فازداد قلقه ، واحس بالخطر ، فنشر اعلانا في صحيفة محلية يعرض مكافأة لمن يقدم اية معلومات تؤدي الى ادانة مروجي الاشاعات ضده او مرسلي الخطابات المجهولة .

ولم يوصل الاعلان الى نتيجة ولكن رئيس البوليس اتخذ منه دليلا على خبث جورج وسوء طويته .

★ ★ ★

وفي ليلة ١٧ اغسطس ، برغم دوريات البوليس المنتشرة على الابرشية ، عثر على حصان مبقور على بعد نصف ميل من الابرشية ... كما عثر على اثر اقدام تتجه عند الطريق العام واختفت فوق ارضه الصخرية . صحيح ان الطريق امام قد يوصل الى الابرشية . ولكن رئيس البوليس وجد في ذلك الدليل الواضح على ان جورج هو صاحب آثار الاقدام في طريق عودته الى الابرشية بعد ارتكاب جريمته . واصدر امره بالسير في اجراءات الاتهام

وبينما جورج في مكتبه في برمنجهام مقر البوليس ذهب المفتش كامبل الى الابرشية وبدأ في سؤال القس ايدالجي وزوجته . فلم يبطئا في الرد على جميع اسئلته اذ لم يكن لديهما ما يخفيانه ولم يعترضا على قيام البوليس بتفتيش الابرشية .

وعثر المفتش في غرفة النوم التي يشغلها جورج مع والده على جاكتة لجورج على احد اكمامها بقعتان صغيرتان في حجم القرش . فحرزهما وتهلل وجهه باحساس الانتصار لاعتقاده انها من دماء حصان . وازداد تهلل وجهه حين تبين وجود بعض شعرات اعتبرها من شعر الخيل . كما وجد في الغرفة عددا من امواس الحلاقة التي يستعملها الحلاقون — اذ لم تكن شفرات الحلاقة قد اخترعت بعد — ملوثة بالصدأ . كما عثر على زوج حذاء مبلل دليلا على السير به في الغيطان .

وهكذا تحول الشك الى يقين . وحمل المفتش كامبل نفسه الى برمنجهام ليستجوب جورج بعد ان اخبر مخبريه رئيس البوليس وبانه قد وضع يده على ادلة الادانة المقنعة . وسترك الحاكمة لفحصها بدقة في المعمل الجنائي .

لم يعترض جورج على الاستجواب . واجاب انه لم يرتد البذلة في الليلة السابقة . وانه يعلم ان بكميها بقعا من زمن بعيد . اما عن الشعر فان كان شعر خيل فلعله ارتكز على بوابة يكون قد ارتكز عليها حصان . اما التلوث الموجود على الامواس فقديم .

ولم يقنع هذا التعليل المفتش كامبل فصارح جورج بتوجيه اليه التهمة . وقال جورج انه يستطيع ان يبين كيف امضى الليلة السابقة فقد خرج من المنزل في نحو الساعة الثامنة لاصلاح حذائه وعاد الى المنزل في حوالي الساعة التاسعة والنصف ولم يغادره الا في الصباح للذهاب الى عمله . واضاف ان ما هو حاصل لا صحة له فقد كان بموقعه من وقت طويل .

واعتقد البوليس انه قد اثبت التهمة بما فيه الكفاية . ولكن الصعوبات بدات تظهر ، وهنا ظهر اثر الاضطهاد العنصري واضحا جليا .

لقد ثبت — من تقرير الطب الشرعي — ان الجريمة وقعت ما بين الحادية عشرة مساء والسادسة والنصف صباحا وعلى الارجح في الثانية والنصف صباحا . وكانت الابرشية طوال تلك الليلة تحت رقابة شديدة من البوليس فكيف استطاع جورج ان يترك الابرشية ويعود اليها من غير ان تقع عليه عين الرقباء ؟

اجاب رئيس البوليس ان جورج ماكر وخبيث وقد عاش طوال حياته في الابرشية فلا بد انه عرف كيف يتسلل منها ويعود اليها دون ان يراه احد . وفضلا عن ذلك فقد كانت الليلة حالكة الظلام وقد انقضى على الرقابة اكثر من شهر فلا يستبعد ان يكون احد رجال البوليس قد تراخى في رقابته . !!

* * *

وكان من حسن حظ جورج انه نام مع والده في غرفة واحدة منذ اكثر من عشرين سنة . وسبب ذلك ان اخته قد مرضت مرضا شديدا رأى معه طبيبها ان تترك لها والدتها غرفة تنام بها والدتها وانتقل هو الى غرفة ابنه . فلما استمر هذا التقسيم بين غرفتي النوم ، وكان القس اعتاد — بسبب خطابات التهديد — ان يغلق باب غرفة النوم من الداخل كلما اوى الى فراشه . وقد شهد الوالد ، وكان فيما يبدو مستعدا لان يقسم اليمين ، ان ابنه عاد من الخارج في التاسعة والنصف مساء ولم يغادر المنزل حتى الصباح وامضى الليلة معه في غرفة مغلقة بالمفتاح .

ولكن البوليس — او بالاصح رئيس البوليس — نحى هذه الشهادة جانبا بقوله انه ما دام المفتاح قد ترك في الباب فان ذلك يمكن جورج من التسلل وارتكاب الحادث والعودة الى الغرفة دون ان يحس به والده .

وثبت ان الشعر الذي عثر عليه على جاكتة جورج ليس شعر الحصان المقتول . وحمل ذلك البوليس على البحث عن ادلة جديدة قاطعة تفضي الى مقارنة اثار حذاء المتهم ؛ فان جورج لم يعد في نظر البوليس الا متهما يجب اثبات التهمة عليه بكل وسيلة ! . ومع ان البوليس لم يكن قد صنع قالبا لاثار الاقدام ، وان اقداما كثيرة مرت على الحقل فازالت اثار الاقدام القديمة ، ولكن حذاء جورج يترك اثارا تشبه واحدا من تلك الاثار ، فقنع بذلك المفتش كامبل واحس بانه يستطيع — دون ان يخطئ في مهنته — قابل الله العرضي — ان يؤكد انه تعرف على اقدام المتهم .

وجاء تقرير الطبيب البيطري يؤكد ان بقر الحصان لم يحدث بموس حلاقة كالتي عثر عليها في غرفة جورج بل من سكين قصيرة ذات حدين . وبحث البوليس طويلا في الابرشية وحديقتها ،

وسط الارض لعله يعثر على تلك السكين . فلما لم يجد قال رئيس البوليس ـ قاتله الله ـ ان جورج طبعا يعرف بالابرشية امكنة لاخفاء السكين لايستطيع البوليس الوصول اليها

وهكذا كانت كل شبهة تسقط في يد البوليس يحللها ـ لا يلى جورج بريء ـ بل يلته ماكر خبيث.

ومع ان جميع تلك الشبهات لا ترقى الى مرتبة الدليل .. بل ولا القرينة ، فان البوليس قدم القضية الى محكمة الاتهام واستصدر قرارا من محلفين متحاملين بتقديم جورج الى المحاكمة . ومع ذلك فانهم ـ رغم تحاملهم ـ قرروا الافراج عن المتهم بكفالة لحين المحاكمة .

ولكن جورج ادهش المحلفين والاهالي ـ حين رفض دفع الكفالة وفضل البقاء في السجن حتى يحين موعد محاكمته بعد ثلاثة اشهر .

لم يفعل جورج ذلك اعتباطا ولا حبا في البقاء في السجن ولكنه تدبير الامر بعقل وروية . ان التهمة الموجهة اليه ـ والتي قدم للمحاكمة من اجلها ـ هي انه قتل الحصان الاخير . ولكن هذه الجريمة واحدة من سلسلة جرائم . وجورج يعرف انه بريء منها . فاذا قتل حصان آخر وهو رهين جدران السجون كان ذلك دليل براءته . اما اذا كان مذنبا فله سبب اليه الجريمة الجديدة .

ولكنه لم يقدر دهاء رئيس البوليس في اثبات حق قدره . فقد صح ما توقعه من قتل حصان آخر . ولكن رئيس البوليس لم يعتبر ذلك دليلا له بل دليلا عليه . فقد راح يتلمس مخرجا من دليل البراءة هذا .. فوجده في خطاب من خطابات التهديد المرسلة الذي لا جاء فيه « هل تحسب اننا لا نستطيع تدبير قتل ابان ان اردنا » . واعتبر ان صيغة الجمع هذه تدل على ان لجورج شريكا وان وجود ذلك الشريك يفسر الكثير من جرائم القتل اثناء وجود جورج في السجن . بل ان هذا يفسر ـ في نظر رئيس البوليس ـ رفض جورج الخروج من السجن بكفالة .. ان جورج بحسب نفسه داهية . ولكن « على من ؟ » ان مثل هذه الحيل لا تنطلي على عبقرية رئيس البوليس.

★ ★ ★

ودرست قضية جورج لا على محكمة الجنايات التي يرأسها احد قضاة المحكمة العليا ـ بل على محكمة يرأسها احد كبار الملاك الذي مهما عظى به من العدالة لا يستطيع التخلص من تأثير مصلحته ومصلحة الريف الذي يضار بهذا النوع من

الاجرام . وكان ذلك شأن المحلفين من اهالي المنطقة جميعهم ـ ان لم يكونوا كلهم من المتحاملين على من يسمونهم ملونين .

وكانت هناك تهمة اساسية قدمها البوليس خاصة بخطاب تهديد ارسل الى مخبر البوليس روبنسون . ولكن صحيفة الاتهام خلت من اية اشارة اليها ، ومع ذلك لعبت دورا كبيرا في اثناء المحاكمة ، اذ قرر احد خبراء الخطوط ان اغلب خطابات التهديد التي قدمت بخط جورج ، وان كاتبها كان حصيفا جدا في تغيير طريقته في الكتابة .. كما استعمل الاتهام ان احد تلك الخطابات على مطبوعات المكتب الذي يعمل فيه المتهم .

ثم تكلم الاتهام طويلا عن اليمع التي لوثت جاكتة المتهم والحذاء المبلل وآثار الاقدام .

والواقع ان كل ما استطاع الاتهام ان يتقدم به شبهات لا تصل الى مرتبة القرائن وهي ابعد ما تكون عن الادلة .

ووقف جورج المسكين في منصة الشهود ـ اذ كان القانون قد غير في انكلترا واباح للمتهم ـ ان اراد ـ ان يقسم اليمين ويشهد لصالح نفسه ـ . وقف جورج لا يكاد لقصر نظره يرى القاضي ولا المحلفين ولا الشهود ـ زائغ البصر بارز العينين وسط الناس يكرهونه لمجرد انه يختلف عنهم بصرا ، قد وطنوا العزم من البداية على انه جاء ليكذب في اقواله .

اكد جورج ـ بعد ان اقسم اليمين ـ انه كان يرتدي بذلة زرقاء ـ في ليلة الحادث ـ غير التي عثر عليها البوليس ؛ وانه ترك المنزل في الساعة الثامنة وعاد في التاسعة والنصف وتناول عشاءه وأوى الى فراشه ولم يبرح غرفته الا صباح الغد بعد ان تناول افطاره للذهاب الى محل عمله .

وشهدت اخته وخادمة الابرشية على صحة اقواله . وايده ابوه وأكد انه يستحيل عليه ان يغادر الغرفة دون ان يشعر به فقد اغلق باب غرفة النوم بنفسه .

واكثر من ذلك ثبت ان جورج كان بمدينة اخرى في الوقت الذي ألقي في صندوق البريد في مدينة مجاورة خطابا تهديد .

ان واحدة من هذه الشهادات كانت تكفي لاسقاط الاتهام . ولكن التحامل العنصري كان اقوى من ذلك كله . فالقاضي يقضي القضية بما يدين جورج . والمحلفون لا يطلبون الا دقائق معدودة ليصدروا بقرار الادانة .

وصدر الحكم بالسجن تسع سنين .

واعتزل القس ايدالجي الكنيسة والابرشية ولم يعد في مقدوره أن يصمد للاضطهاد بعد أن تحمله أكثر من ربع قرن .

وبينما جورج في السجن استمرت حوادث قتل الماشية لمدة ستة أشهر .. ثم توقفت فجأة .

وحدث هذا التوقف مباشرة بعد القبض على شخص يدعى فارمنجتون والحكم عليه في قضية أخرى .

ولكن البوليس — في تعنته — اعتقد أن ذلك مجرد مصادفة ولم يتخذ أية خطوات ايجابية

وكان يمكن أن يستمر جورج في السجن لينهي أسوأ مدة العقوبة المحكوم بها عليه لولا أن الظلم الذي وقع عليه أقلق ضمائر بعض الناس من الانجليز الذين احسوا أن القضاء والمحققين تجاهلوا الحقيقة وأدانوا جورج ظلما وعدوانا .

★ ★ ★

تقدم أحد رؤساء القضاء السابقين بعريضة موقع عليها من عشرة آلاف شخص منهم المحامون ورجال القضاء وأساتذة الجامعات ومشاهير الكتاب وبدأوا يكتبون المقالات في الصحف يظهرون فيها خطأ التعسف في الحكم .

وعهدت جريدة الديلي تلغراف الى الكاتب المشهور « آرثر كونان دويل — خالق شخصية شرلوك هولمز — باجراء تحقيق جديد للحادث .

وقد قام « شرلوك هولمز » بهذا التحقيق بطريقته المعروفة واستنتاجاته التي لا تخطيء ، ونشر تقريره في عددين متتاليين من الجريدة ثم في كتاب ، وانتهى في تقريره ليس فقط الى أن التهمة لم تثبت على جورج — بل انه بريء منها كل البراءة .

وأيد قوله بتقرير من طبيب عيون أكد فيه أن في عيني جورج قصر نظر شديدا وانحرافا نظريا :

« يجعل من الصعب عليه في جميع الأوقات — أن يرى الأشياء على مسافة أبعد من بضعة بوصات ويجعله — في الغسق — لا يتبين طريقه الا في الأمكنة المعروفة له » .

وانه كان يتعين على جورج لو ارتكب الجرائم المنسوبة اليه — في الأمكنة التي وقعت فيها — أن يطرق — في ظلام الليل — قضبان السكك الحديدية وأراضي زراعية وأن يرى حصانا ادكن الجلد في ظلام دامس ، وهو أمر مستحيل ، فحالة نظره — وحدها — قاطعة ببراءته .

ولكن « شرلوك هولمز » لم يقف عند هذا الحد فقال في تقريره : انه اذا افترضنا أن رجلا [illegible] المحترم المشترك مع أمه وزوجه في [illegible] يتسلل لارتكاب جريمة حمقاء لا غرضا دينيا ولا خلقيا .. فأين كلب البوليس الذي حاصر الابرشية وكيف [illegible] في ذهابه وإيابه !

ولم يقف التقرير عند هذا الحد بل وضع اصبعه على القاتل الحقيقي — وان لم يسمه علنا على صفحات الجريدة أو في كتابه — ولكنه ابلغ أمره للبوليس — وأشار اليه تلميحا واضحا ، فقال :

« انه أحد سكان القرية [illegible] على قتل الماشية [illegible] في الجزارة — [illegible] — سبق له كتابة خطابات مجهولة — وعرض ذات مرة سكينا ذات حد [illegible] الحيوانات [illegible] وان قتل الماشية وارسال الخطابات المجهولة كان يتوقف في الفترات التي يكون فيها ذلك الرجل محبوسا أو غائبا » .

وختم تقريره بقوله : « ان اتهام جورج والحكم عليه كان خطأ فاحشا سببه تحامل البوليس وغباء وتحيز المحققين » .

ولم يكن وزير الداخلية يستطيع أن يقف مكتوف الأيدي أمام هذا الاتهام الصريح لرجال البوليس ولا كان يستطيع أن يترك جورج في السجن بعد ظهور براءته .

فلجأ الى الحلول الوسطى التي اعتاد الانجليز اللجوء اليها في مثل هذه الأحوال .

نشر النائب العام تقريرا قال فيه انه لا وجه لمحاكمة الشخص الذي اتهمه كانون دويل .

وأعلن وزير الداخلية أن البوليس كان حسن النية ، ولم يشر للاتهامات التي وجهها له كانون دويل ، ثم رأى — أمام الشكوك الكثيرة التي احاطت بصحة الحكم — العفو [illegible] واخلاء سبيل المتهم .

وأعادت نقابة وكلاء القضايا الى الجدول اسم جورج ايدالجي بعد أن كانت قد شطبته .

ولكن جورج لم يعوض عما تحمله من ظلم واضطهاد وعذاب .

فقرر الا يعود الى القرية التي شاهدت كل ذلك الهوان .

حسن الجداوي

نقد كتاب الشهر

اكتشاف جزيرة العرب

لجاكلين بيرين

بقلم الدكتور محمود السمرة

[illegible]

الموضوع مستوى [illegible] على السواء . وهذا الكتاب الذي نقدمه وضعته الباحثة الفرنسية جاكلين [illegible] ، وترجمه ترجمة جيدة الاستاذ قدري قلعجي ، وقدم له الاستاذ حمد الجاسر [illegible] وليس احمد الجاسر كما [illegible]

[illegible]

وفي هذا الكتاب جهد بادٍ [illegible] [illegible] الرومانسية ، كما في بعض اجزائه تحليلا واعيا . وكنت اود لو ان الاستاذ قلعجي زاد القارئ تعريفا بالمؤلفة ، ولكنه وقف عند حد [illegible] النص .

هذا الكتاب

وقبل ان اعرض لفصول الكتاب ، احب ان اشير الى ملاحظات عامة على الكتاب بدت لي اثناء قراءته .

اما اولى هذه الملاحظات فهي انني احسست من اول الكتاب الى آخره وكانني اركض راكضا في رحلة سريعة همّ صاحبها الاول ان ينهيها . وهذا [illegible] من كتاب في مثل هذا الحجم المتوسط ، يحاول ان يؤرخ لموضوع واسع متشعب . ولعل اطول فصول الكتاب هو الفصل الذي افرد للرحالة السويسري بيركهارت .

وقد افردت المؤلفة تسع فصول في اكتشاف جزيرة العرب ، وهو اكتشاف الربع الخالي . ولهذا يبدو هذا الكتاب ، للعارف بالموضوع ، مبتورا . وكنا ننتظر من المؤلفة ان تكمل قصة هذا الاكتشاف الى آخرها فتقف عند رواد الربع الخالي ، وتحلل كتبهم ، وتوازن بينها .

ولم تهمل المؤلفة افراد فصل في قصة هذا الاكتشاف فقط ، بل انها ايضا اهملت الطرف





هؤلاء الرجال جميعا وهو ريتشارد برتون Burton (١٨٢١ – ١٨٩٠) مترجم « ألف ليلة وليلة » ومؤلف « الحج إلى المدينة ومكة » ، من يحتفل بمن أبى السفر في ... جميعها هو السبب في هذا الإهمال .

هذا من حيث الكتاب .

هذه الترجمة

أما الترجمة فلعلها ترجمة ناصعة ، ولكن لي عليها ملاحظتان :

... أن جميع الأسماء الأجنبية قد أوردها المترجم مكتوبة بالعربية ... من المستحسن كتابة الأسماء المشهورة بالعربية في اللاتينية عند ورودها لأول مرة ، أو وضع ثبت بها في آخر الكتاب مرتبا ترتيبا أبجديا .

و... (وهي الأهم) أن المترجم وضع لأسماء الرواد الكبار المعروفين ترجمة مبهمة عن أسمائهم الحقيقية ، بحيث أن القارئ لا يكاد يتعرف عليهم . ولعل السبب في هذا هو أن المترجم ظن أن هذه الأسماء تلفظ كما تكتب . وعلى سبيل المثال نجد أن

دي خوخيه أصبح دي كوجه (ص ٦) (١)

بلجريف أصبح بلي (ص ٢٤)	Pl ay
دوتي أصبح دوتي (ص ٢٠٦)	Doughty
بلنت أصبح بلونت (ص ٢٠٦)	Blunt
زويمر أصبح زويمر (ص ٢١٦)	Zwemer (٢)
سنوك هرخرونيه أصبح سنوك هورغرونج (ص ٤٠٣) (١)	Hurgronje

وهجر السيوره ، وهي الحسا ، كتب مكتبه الجيب (هجر) ص ١٦٥ ، والمثل العربي المشهور ... « كناقل التمر إلى هجر »

بداية القصة

ونعود إلى القصة من أولها :

كل ما عرفه الأوروبيون عن جزيرة العرب أن الرسول الكريم ولد بها ، وفيها المدينتان المقدستان عند المسلمين : مكة والمدينة ... سود ... خاطر ... التي تكرم ... في الهواء .

وفي أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر ... الأوروبيون ... في ... مناطق جديدة تكون مركزا ... لتجارتهم ، ومصدرا لثرائهم ... أوائل ...

(١) حرف G الهولندية ينطق خاء ، وحرف J ينطق ياء . (٢) حرف W بالألمانية ينطق ف

الكويت وجزيرة الخليج منذ ثلاثة قرون ..

التي سيرت رحلاتها لاكتشاف المناطق المجهولة ، هي البرتغال .

ومن الاسباب التي وجهت انظار الدول الاوروبية الى جزيرة العرب ، ما ورد من ذكر لها في كتب هيرودوتس ، مؤرخ القرن الخامس قبل الميلاد ، وثيوفراستس تلميذ ارسطو الذي يتحدث حديثا مسهبا عن طيوب بلاد العرب الشهيرة في كتابه « تاريخ النبات » ، والجغرافي اليوناني سترابون (حوالي مستهل القرن الاول للميلاد) ، والمؤرخ الروماني بليني في القرن الثاني للميلاد الذي وضع لوائح باسماء القبائل والمدن والقرى الموجودة في وسط شبه جزيرة العرب .

ولكن كل ما كتبه هؤلاء الكتاب لم يكن كافيا لاماطة اللثام عن حقيقة شبه جزيرة العرب ، ولكن كان كافيا لاثارة همة الدول لاكتشاف ما خفي منها . وهناك سبب آخر لاهتمام الدول الاوروبية باكتشاف جزيرة العرب ، ذلك هو رغبتهم للوصول الى الهند .

اول الرواد الثقات : دي فارثيما

واول رواد جزيرة العرب من الثقات هو لودفيكو دي فارثيما : فهذا الرحالة يبدو لنا صادق الرواية ، موضوعيا الى حد ما . وما زال المؤرخون مختلفين في اصل دي فارثيما حتى الآن ، فبعضهم يقول انه بولوني ، وآخرون يقولون انه روماني . ولكن المهم عندنا ليس اصله بل رحلته التي تعاقبت مراحلها وتتابعت خلال ثلاثين عاما دون انقطاع . فقد غادر دي فارثيما البندقية سنة ١٧٠٣ فبلغ القاهرة ، فبيروت ، فحلب ، فدمشق ، حيث اقام مدة تعلم فيها العربية . ثم صحب قافلة متجهة الى المدينة .

ويذكر دي فارثيما ان القافلة بلغت وادي سدوم وعمورة بعد سير اثنين وعشرين يوما « ومن الواضح ان ذلك يشير [illegible] لقصاب على شاطيء البحر الميت ... اما [illegible] الى جانب [illegible] ايام السير المذكورة [illegible] الراحلين في ثلاثة [illegible]

دمشق والمدينة ، لا يمكن ان تكونا سوى مدائن صالح والعلا . وقد مر بعد ذلك دي فارثيما منزعجا [illegible]

واخيرا بلغ دي فارثيما المدينة ، وكان له الفضل في تصحيح الاعتقاد الشائع في اوروبا من ان جثمان النبي معلق في الفضاء في البيت الحرام بمكة . وذكر في رحلته انه قد رأى بالفعل قبر النبي في المدينة . وقد اجاد دي فارثيما في وصف الشعائر التي تمارس في مكة ، واعجب بالمدينة المقدسة المحاطة بالجبال .

وسار دي فارثيما جنوبا عبر ينبع ، وظفار ، وعدن . وهو يذكر اماكن اخرى مر بها ، ولكن يصعب علينا الآن تبينها . وهو في وصفه لما صادفه في رحلته من مصاعب ، وكابده من مشاق ، وجابهه من اخطار ، ينقل لنا تجربة حية .

واخيرا استطاع ان يركب سفينة الى سقطرة ، ومنها الى الهند ، حيث كان فاسكو دي جاما قد نجح في الدوران حول رأس الرجاء الصالح سنة ١٤٩٩ بمساعدة الملاح العربي الشهير شهاب الدين احمد بن ماجد .

ومع السفن البرتغالية عاد دي فارثيما الى لشبونة ، ومنها الى روما . وفي ايطاليا الآنفة جامعة البهجة على روايته البهيجة المليئة بالاحداث ، وحظي برعاية كولونا وسفورزا ، واسبغ عليه الكاردينال كارفاجال حمايته ، وهذا الكاردينال هو الذي مول ترجمة هذه الرحلة الى اللاتينية .

وخاتمة حياة دي فارثيما مجهولة كاصله ، والارجح انه توفي بين ١٥١٢ و ١٥١٧ . وميزة دي فارثيما انه قد ترك وصفا صحيحا ، وان كان مقتضبا ، للاماكن التي زارها في شبه جزيرة العرب ، كما انه ترك لنا خريطة تظهر فيها شبه جزيرة العرب ممدودة عرضا في الجهة الجنوبية .

البرتغاليون يفشلون في الوصول الى قلب جزيرة العرب

واذا كان البرتغاليون قد استطاعوا ان يسيطروا على شواطيء شبه جزيرة العرب الجنوبية ، فانهم

قد فشلوا في النفوذ الى الداخل ، وظلت سفنهم محصورة من امام عدن وجدة . وكانت غايتهم من السيطرة على الداخل ان يؤمنوا الطريق البري الى الهند ايضا، كما انهم كانوا يطمعون بالاستيلاء على جثمان النبي الكريم في المدينة ، ليطلبوا عندها تسليمهم كعبة العبادة فدية له (٣) .

ولكنهم يرسلون عيونهم

ولما لم يستطع البرتغاليون النفوذ الى الداخل، اخذوا يرسلون رجالهم ليعودوا لهم بحقيقة الاحوال . ومن اشهر هؤلاء الوافدين دي اليميدا المؤرخ اليسوعي الذي قام برحلته عام ١٦٣٣ ، وكواردا الذي تمكن من اجتياز الشام من طيبة شمال بلاد العرب الصحراوي، ومن وجود صحراء النفود التي تضل فيها السبيل .

رحلة من نسج الخيال

ولكن القصة التي اكتسبت ، في هذه الفترة التاريخية ، اكبر قسط من الشهرة هي قصة الرحلات الشهيرة التي قام بها السيد فنسان لبلان من الثانية عشرة حتى الستين من عمره ، الى اقطار العالم الاربعة. وظهرت من هذه الرحلة ثلاث طبعات في باريس ما بين سنتي ١٦٤٨ و ١٦٥٨ ، وترجمت الى الانجليزية سنة ١٦٦٠ .

ولكن هل هذه رحلات قام بها صاحبها فعلا ، ام انها من نسج الخيال ؟

ان ما جاء في هذه الرحلات عن بلاد العرب كثير منه من نسج الخيال وبعيد عن الواقع. والدراسة المتأنية تظهر لنا ان فنسان لبلان ليس سوى بطل قصص خيالية ، فهو ليس بحارا ، وانما رائد من رواد المكتبات تمكن من جمع المعلومات من الكتب ، ثم قام بنسجها .

رواد مصادفة

وفي الفترة الواقعة ما بين عام ١٦٠٤ وعام ١٧٣٩ ترك لنا رواد صغار، هم من رواد المصادفة، اخبار رحلاتهم الى شبه جزيرة العرب .

واولهم هو فايلدن من مواليد نورمبرغ الذي اسره الاتراك واقتادوه الى القسطنطينية ، ثم اخذه سيده معه الى مكة والمدينة لاداء فريضة الحج سنة ١٦٠٤ ، وبعد ذلك اعتقه ، ظنا منه انه قد حسن اسلامه .

وثانيهم شاب انجليزي يدعى ديكنسن ، اخذ اسيرا في الجزائر سنة ١٦٧٨ ، وهو في سن الخامسة عشرة فاسلم ، وقام برفقة سيده بالحج الى مكة والمدينة . ثم تمكن من الفرار . ونشر قصة رحلته في بلاد الانجليز سنة ١٧٠٤ ، وهي قصة يصحح بها بعض الاخطاء والمبالغات الموجودة في الكتب المعاصرة له . واروع ما في رحلة ديكنسن وصفه لمناسكه واعيادها .

وثالثهم هو عبد الكريم ، احد ابناء كشمير ، الذي روى لنا قصة حجه من بغداد الى مكة مع قافلة دمشق ، قبيل منتصف القرن الثامن عشر . ولكن رحلته ، كما كتبها يبدو لنا ضعيفة جدا من ناحية المعلومات التي تضمنها .

ونستطيع ان نقول باختصار انه في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر ، كانت قد توفرت لدى الغربيين المعلومات الاساسية عن شبه جزيرة العرب ، عن المدينتين المقدستين ، واليمن ، والبدو .

كما ان من الواضح ان دي فارتيما رغمه كان ، حتى هذا التاريخ ، هو الرائد الثقة ، اما الاخرون فلم يكونوا سوى رواد مصادفة .

الريادة الحقيقية بدءا في القرن الثامن عشر

ويمثل القرن الثامن عشر مبدأ في تاريخ الريادة

(٣) عن كتاب صدر عن الصراع بين البرتغاليين والمماليك وأسماه هو :
R. B. Serjeant The Portuguese off the South Arabian Seas

الى شبه جزيرة العرب ما يطلق اى يسمى بالريادة العلمية ، بكل ما في الكلمة من معنى . ورواد هذه الفترة اهدافهم متعددة متباينة : فبعضهم اغراضهم سياسية ، وبعضهم الآخر هو من عشاق المغامرات .



نيبور : النموذج الكامل للرائد ذي النزعة الانسانية

واشهر هؤلاء الرواد هو كارستن نيبور .

ونيبور هو النموذج الكامل للرائد العالم ذي النزعة الانسانية . ونيبور مهندس ، وكان عضوا في البعثة العلمية التي ارسلها ملك الدانيمارك سنة ١٧٦٢ لارتياد الجزيرة العربية . وقد وكل اليه الملك تدوين المعلومات الجغرافية . وقد توفي جميع افراد البعثة بسبب الاجهاد ، ولم ينج منهم سوى نيبور .

وقد نشرت قصة رحلات نيبور باللغة الالمانية سنة ١٧٧٢ ، وباللغة الفرنسية سنة ١٧٧٤ ثم في سنة ١٧٧٩ ، وظهرت ترجمتها الانجليزية سنة ١٧٩٢ . وظهرت منها طبعة نهائية منقحة بالالمانية سنة ١٨٣٧

ويمتاز نيبور انه كان يغربل المعلومات التي يحصل عليها بعقله الناقد . وعندما لا يتمكن من التثبت من صحة رواية ما ، كان ينقلها على علاتها ، مذكرا القارىء بانه انما يتركها له ليحكم عليها .

والقارىء لرحلة نيبور يطلع على الكثير من شؤون العرب ، وطبقاتهم الاجتماعية ، وقبائلهم ، ومذاهبهم ، وفرقهم . ويطلع ايضا على عاداتهم في المأكل والمسكن ، والملبس ، والزواج ... وعلى سير الصحراء والخضرة لذوي السلطان .. ويحصل على معلومات عن المدارس العربية ، والفلك ، والسحر ، والتنجيم ، وعادات الدراويش ، والطب ، والامراض .

واهتم نيبور كذلك بوضع لائحة مقارنة بين انواع الخطوط العربية . وجهد في اظهار جميع الكتابات التي شاهدها على الحجارة ، بالخط الكوفي ، وكذلك فعل بالنسبة للنقود .

ولم يستطع نيبور ان يرسم خريطة كاملة لشبه جزيرة العرب لانه لم يستطع ان يتجول فيها كلها ، ولكنه رسم خرائط لكل منطقة زارها ، وبهذا صحح كثيرا من المعلومات السابقة .

اما اليمن فقد عرفها اكثر من كل الرواد الذين سبقوه : فقد اظهرها بسلطناتها الاربعة ، والقصور ، واسواقها ، وقلاعها ، وقراها الزراعية .

وذكر كل شيء عن حضرموت ، وسائر المدن فيها ، ومدنها ، ومحصولاتها ، وتجارتها .

وفي عمان لم ير الا مسقط ، ولكنه يذكر انه سمع ان جبالها غنية بانواع الفواكه ، وان كميات كبيرة من التمور تصدر ، وان بحرها غني بالاسماك .

نيبور يتحدث عن عروبة الخليج

وفي حديثه عن الخليج العربي يعرض للمواطنين ، وصراعهم مع الفرس ، ويذكر الكويت فيقول :

« الكويت او القرين كما يسميه الاعجام [illegible]

من سفن [illegible]

ثم يتحدث بيلي باسهاب عن الصراع والاقوام العربية التي تسكن الساحل الفارسي للخليج ، وفي الفصل الذي افرده لمحمد ناصر فقه بيلي ، ومكانته العلمية وحديثه عن محمد بن عبدالوهاب، الذي كان ما يزال حيا عندما زار بيلي منطقة الخليج العربي .

قلب الجزيرة المجهول

ومنذ رحلة بيلي اصبح الجزء الجنوبي من شبه جزيرة العرب معروفا اكثر ، على كل حال ، من وسطها الذي لم يكن اي اوروبي قد اجتازه بعد . وعلى هذا الجزء سيتركز اهتمام الغربيين خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر .

ولعل مما قوى اهتمام الغربيين بشبه الجزيرة العربية في هذه الفترة حملة نابليون التي برهنت للعرب ما لهذه المنطقة من اهمية سياسية ، وسنتحدث الوقفة هنا عن رحلة بركهارت (توفي سنة ١٨١٧) مكتشف البتراء ، ولكن هذا الرحالة الفذ لم ينل ما يستحقه هنا ، وخاصة انه مدار الفصل الممتع الذي كتبه عنه آلان مورهيد في كتابه « النيل الازرق » (١)

ريتشارد بيرتون

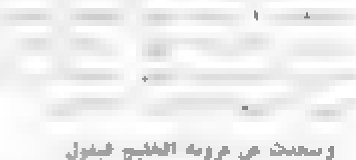
ومن اشهر رواد قلب جزيرة العرب الرحالة الانكليزي ريتشارد بيرتون .

وريتشارد بيرتون ، الذي ... الاعاجيب ... فقد كان يتقن لغات عدة ، بالاضافة الى ... من اللهجات المختلفة في الشرق الاوسط والاقصى . ولكنه كان دوما يقول : « العربية هي لغتي الام » . وقد جعلت منه اخبار رحلاته ومغامراته رجلا اسطوريا ، وهو فوق هذا كاتب مبرز ، ترك عند وفاته اكثر من ثمانين كتابا يصف فيها رحلاته ، وما لقي من اخطار .

ومن رحلاته التي خلدته رحلته الى مكة



ريتشارد بيرتون



ويتحدث عن عروبة الخليج فيقول

« انه لخطأ ... على ما اعتقد



(١) Alan Moorehead: The Blue Nile.

والمدينة ، وكشفه عن اسرار قلب جزيرة العرب : فقد نفى عنه ثيابه الاوروبية ، واستبدلها بملابس مسلم افغاني في طريقه لأداء فريضة الحج ، وتسمى باسم الحاج عبد الله . وقد وصف لنا بيرتون بدقة رحلته هذه في كتاب ضخم في جزءين ضخمين هو « الحج الى المدينة ومكة » (١٨٥٥ – ١٨٥٦) .

ونحن الآن نقرأ عند بيركهارت ما استولى عليه من رعب وفزع في رحلته ، شعيا مع بيرتون في شجاعته الفائقة . وعندما نشر هذا الكتاب جلب له شهرة فائقة ، وجعل اسمه على الألسنة . ولقد رضي المسلمون عما كتب ، لأنه في كتابه هذا يبدو مسلما مؤمنا ، وصوفيا من كبار متابعي الصوفية ، وحاجا معززا بمدينة الخضراء . ويقول بيرتون انه لم يشعر بغربة ابدا في رحلته هذه « فأنا عربي في ملابسي ، ومظهري ، واحساسي .. واللغة العربية هي لغتي » .

افاق بشير

ومن قلب جزيرة العرب كانت منطقة جبل شمر ما تزال مجهولة ، وقد قام باكتشافها عدة رواد ، ولكن شهرة اكتشافها كانت من نصيب بلغريف الذي احدث كتابه دويا ، الا بعد ما صدر كتابه « قصة رحلة الى العربية الوسطى استغرقت سنة » سنة ١٨٦٥ قيل عنه انه اعظم كتاب وضع عن شبه الجزيرة العربية ، وقد ترجم بعد ذلك الى الفرنسية ، ثم الى الالمانية . ولا شك في ان قصة رحلة بلغريف تستطيع ان تنافس اشهر الروايات ، وهي رحلة بدأت في السادس عشر من شهر يونيه (حزيران) من عام ١٨٦١ ، وعند باب مدينة معان ، حيث كان بلغريف ينتظر ادلاءه من البدو .

ولقد منحته الجمعية الجغرافية الفرنسية وساما على ما قام به من عمل باهر ، وعندما اهديت الى رحلته الجمعية الجغرافية الملكية في لندن اهملت ملاحظاته الكثيرة ، وبدأت تشك في دقة كاتبها ، وتسائل . هذا صحيح ، ولكن الى اي حد !

واستطاع رواد آخرون هم اللورد والليدي بلنت Blunt ، والرائد الشهير دوتي Doughty ان يجتازوا شمالي شبه الجزيرة ، ويثبتوا كذب بلغريف . كما ان فيلبي وضع وصفا مفصلا لهذه المنطقة في كتابه « قلب الجزيرة العربية » الذي اصدره عام ١٩٢٢ ، وقدم تقريرا للجمعية الجغرافية الملكية سنة ١٩٤٧ . وفي هذه كلها اثبت ان بلغريف لا يمكن ان يكون قد قام برحلته التي ادعى انه قام بها من حائل الى الخليج العربي ، لانه يؤكد اشياء برهن بوضوح على انه لم ير ما تحدث عنه .

والحقيقة ان بلغريف شخصية تافهة ، استطاع بمغامراته ان يكتسب شهرة كبيرة من الارض فهو مسلم يهودي ، ومسلم انجليزي ، ثم تنصر بروتستانتيا ، ثم اعتنق الكثلكة ، والتحق بالطائفة اليسوعية ، ثم تنكر للكثلكة ، وعاد الى البروتستانتية ، موجها للكنيسة الكاثوليكية هجوما عنيفا ! .

هذا طرف من هذه القصة الطريفة المثيرة : قصة اكتشاف جزيرة العرب ، إن قرأتها في هذا الكتاب احسست وكأنك تشاهد فيلما سريع الاحداث دون تركيز . اما البقية الحقة فتكون شرائط ما اكتشفه اولئك الرواد من سياسيين ومغامرين . وانا لنرجو لن يأتي من يروي الكثير حول هذه القصة الفذة ، قصة اكتشاف الربع الخالي ، ابتداء من بيرترام سيدني توماس (١) وسانت جون فيلبي (٢) ، وانتهاء بولفريد ثيسيجر Thesiger صاحب « الرمال العربية »(٣) والذي قال فيه فيلبي « انه عربيا جميعا » ، وثيسيجر هذا صدر قبل شهرين كتاب عن منطقة الاهوار في العراق ، كان نتيجة اقامته في هذه المنطقة مدة سبع سنوات (٤)

محمود السمره

(١) كتاباه هنا : « فرح ورحلات في بلاد العرب » (١٩٣١) و « بلاد العرب السعيدة » (١٩٣١) .
(٢) كتابه « الربع الخالي » (١٩٣٣) .
(٣) Wilfred Thesiger [illegible] Arabian Sands [illegible]
(٤) The Marsh Arabs [illegible]



من الكتب التي وصلتنا

في قيادة السيارات

● يعرض هذا الكتاب لمشاكل الراغبين وسائقي جوانبها المختلفة مناقشة تتسم بالصراحة والوضوح .

فقد البصر قدرة لا عجز

● « هذا الكتيب على صغر حجمه ، قد تناول نواحي كثيرة من هذا العجز البصري ، مثل أسباب العمى ، الوراثية منها وغير الوراثية ، ونتائج بعض الأمراض في البصر ... » .

محافظة حماه

● هذا الكتاب علاوة على كونه مرجعا موجزا ثقافيا وتاريخيا ، يشكل دليلا سياحيا الى الأماكن الأثرية ، وسجلا للامكانات الاقتصادية والعمرانية ، والطاقات البشرية والثقافية .

قصص ونقدات

● « هذه بعض القصص وبعض النقدات رأيت أن أؤلف بينها ، وأجعلها بين دفتي كتاب . » .

مي اديبة الشرق والعروبة

● دراسة عن مي فيها : دراسات وملامح ، أحاديث عن مي ، منتخبات من مي .

في التقطيع الشعري والقافية

● من موضوعات الكتاب : القافية وأهميتها في الشعر ، أنواع القافية حسب حركاتها ، أنواع القافية حسب حروفها ، تحليل تطبيقي لأجزاء القافية ...

قصة الذرة

● « ان هدفي من تأليف هذا الكتاب هو سرد تاريخ الذرة ، وتطور مفهومها ، والاكتشافات التي حدثت في نطاقها ، وذكر تطبيقاتها المختلفة » .

مختارات من القصص البرازيلي

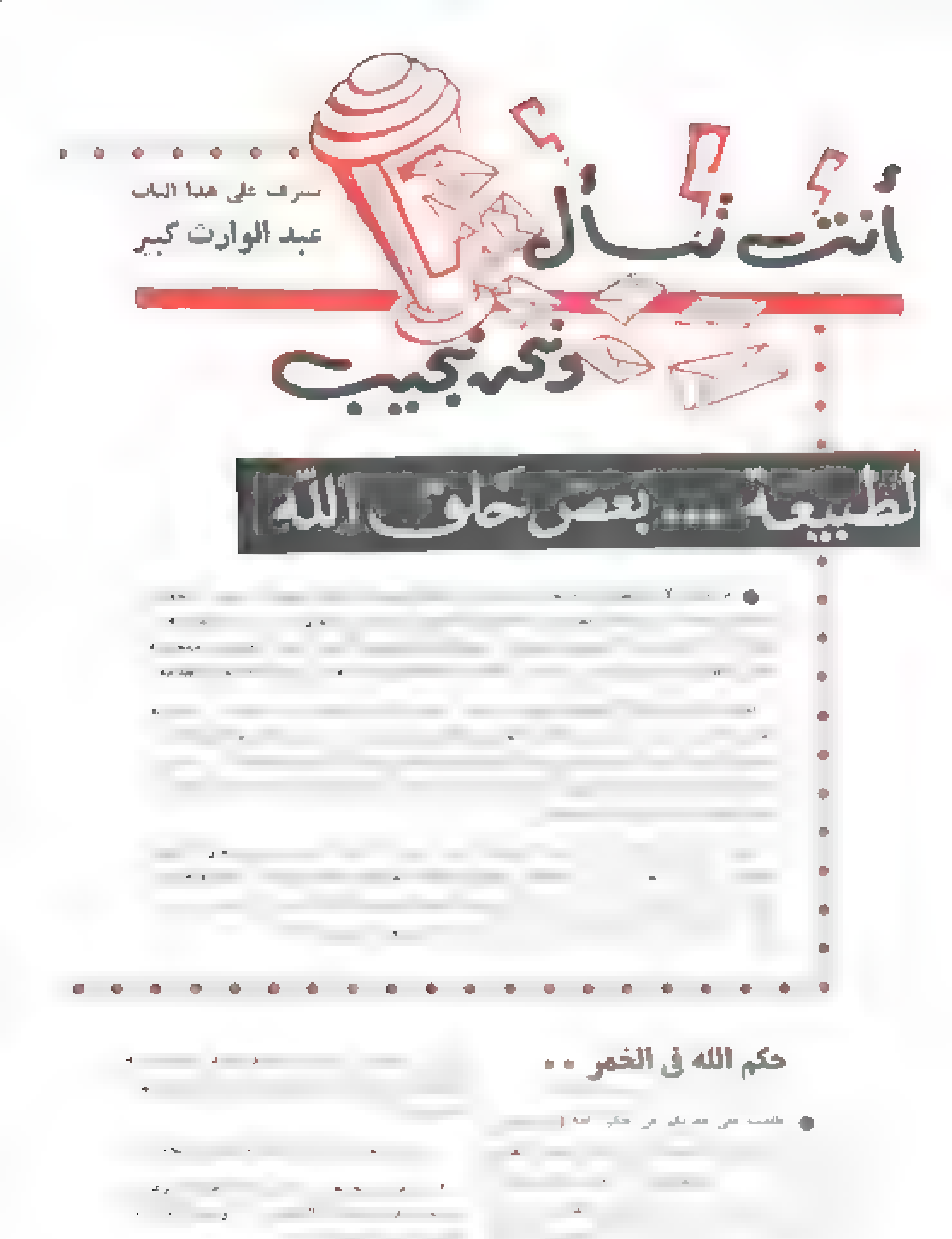
● مجموعة قصص قصيرة لمشاهير الكتاب البرازيليين : شيسادو دي اسيس ، غراسيليانو راموس ، جورج مور ، موسيرو لوباتو ، جورج امادو

حياة الفنان فتحي محمد

● قصة فنان مثال اخترمه الموت ، وهو في ريعان شبابه وعزمه وابداعه

مسرته

● مجموعة قصائد تموج بالصور والأحاسيس المعبرة عن ألم الغربة والضياع ■■



لطيفة ... بعض خلق الله

حكم الله في الخمر ..

لقد ورد الكتاب الكريم من ذكر الطبيعة ولو بكلمة واحدة عن خالق الطبيعة [illegible]

فهل لي أن أرجو ملاحظة هذه الأشياء حتى لا تجرى محنة الحروبة « العربي » التي تسير على وجه العروبة الدمع والكرامة الإسلامية بعيدا عن هذا المزلق . كما أرجو أن يبينوا لي مقال ما هي الطبيعة و [illegible] الطبيعية لهودس من الخالقة القدير ؟ أم هو الله الأحد [illegible]

إسماعيل السيمي
العراق

— في حفل [illegible] في القاهرة . بعد سنوات طويلة . صحب مائدة الدكتور محمد حسين [illegible] مصر في [illegible] الجديدة . وهنا من عيوب النص . [illegible] وآخرين [illegible] وقدم [illegible] الدكتور محمد حسين إلى الحاضرين فقال [illegible] إنه دكتور في الفلسفة [illegible] فهل كان من [illegible] إلا أن صاح أعوذ بالله . أعوذ بالله .

وذلك أن هذا [illegible] ، وهو لم [illegible] عن الفلسفة إلا بعض ما جاء في كتب العرب القديمة . لم يفهم منها إلا أنها جحود الله [illegible] والفلسفة اليوم بالطبع غير ذلك

كذلك [illegible] لدى العربي عن الطبيعة قريب القرب منها . [illegible] الحديث والتي [illegible] الحديث [illegible] الأرض ورياحها ومطرها ، [illegible] وزلازلها ، [illegible] ، وكل [illegible] عليها ، [illegible] ، [illegible] لدى [illegible] « الطبيعة » ولا يتعارض هذا مع إيمانه بالله [illegible] الذي عنده أن الله خالق الطبيعة وهذا أسلوب جرى عليه [illegible] ولو [illegible] الله كلما ذكر عملا من أعمال خلقه [illegible] الكريم [illegible] وقد تكون الطبيعة [illegible] الزرع . والطبيعة [illegible] الأرض . والطبيعة [illegible] ولا تكون الله .

[illegible] أن [illegible] الطبيعة وما [illegible] ، وليس [illegible] بالطبع إنكار الله [illegible] ونحن [illegible] في « العربي » الطبيعة ، و [illegible] بعض خلق الله .

[illegible] يا أخي [illegible] الطبيعة [illegible] هذا الكون الذي لا [illegible] في [illegible] ، و [illegible] في قرن أو قرون [illegible] في ذلك [illegible] إنكار وجود الله

[illegible]

[illegible]

[illegible]

— الجواب على [illegible] ، على الأرجح ، هو أنه لا حرمة فيها [illegible] الأول أن المقدار الذي يوضع من الروم أو نحوه على الطعام [illegible] الحلوى لا يكون إلا بمقادير صغيرة جدا ، [illegible] منها [illegible] الطعام نكهة طيبة ، ولا [illegible] به الإسكار ، [illegible] . أما السبب الثاني فلأن هذا هو [illegible] الذي تعيش منه ، وأنت لا تتعاطى الخمر [illegible] أو [illegible] .

وسلفت في هذا [illegible] في [illegible] الخمر [illegible] .. والله أعلم .

هـل شخصية أشعب حقيقية أم خيالية ؟

● كثيرا ما نقرأ عن أشعب وطرائفه ، فهل هو شخصية حقيقية ، أم خيالية ؟ وإذا كان شخصية حقيقية فمن هو ؟

المقدم رياض عاطف السالي
السعودية

ـ بل هو شخصية حقيقية ، ولد صاحبها في المدينة المنورة عام ٦٣١ م ، ومات بها ، وكان مولى للخليفة عثمان بن عفان ، وقد عرف عنه حسن الصوت .. واشتهر بشدة الطمع ، وكثرة الطلب ، حتى ضرب به المثل فقيل : « أطمع من أشعب ! » .

ومما يذكر من طمعه أنه مر برجل يصنع طبقا من قش ، فقال أشعب : « أحب أن تزيد فيه طوقا » .. فبهت الرجل وقال : « ولكن لم تطلب مني ذلك والطبق ليس لك ؟! » فقال أشعب : « .. عسى أن يهدى إلي فيه شيء ! .. »

من هو قائل : أنا ابن جلا .. ؟

■ أرجو شاكرا لكم ... [illegible]

السعودية ـ مكة المكرمة
فائق حكيم

ـ شكرا يا أخ فائق على تحيتك العطرة وتهنئتك على بلوغ مجلة « العربي » هذا المستوى الرفيع في خدمة العروبة وتراثها المجيد .

أما قائل هذا البيت فهو سحيم بن وثيل الرياحي ، وهو شاعر مخضرم عاش أربعين سنة في الجاهلية ، وستين سنة في الإسلام . وقد تمثل به الحجاج بن يوسف الثقفي في خطبته المشهورة في مسجد الكوفة عندما ولي حاكما على العراق .

ويقصد الشاعر بقوله « أنا ابن جلا .. الخ » أنه ابن رجل جلا الأمور وكشفها وأوضح كل غامض .

سـد مأرب

● هل لي أن أعرف شيئا عن سد مأرب : أين يقع ؟ أهو في اليمن أم في حضرموت ؟ وما هي قصته ؟

عبد الله عبد الرحمن الحميدان
السعودية

ـ سد مأرب هو السد الذي أقيم شرقي صنعاء في اليمن ، في القرن السادس الميلادي قرب مدينة مأرب ، عاصمة « سبأ » أو « صبا » . وقد اجتاحت السيول العارمة هذا السد بين عامي ٥٤٢م و ٥٧٠م فدمرته وزحفت على الأرض المحيطة به فأغرقتها وذهبت بجناتها .

مـن القائل ؟

● لفت نظري ـ بينما كنت أطالع مقالا في إحدى الجرائد اليومية ـ هذا البيت من الشعر الذي استشهد به الكاتب مقالته :

ولست أبالي حين أقتل مسلما
على أي جنب كان في الله مصرعي

ترى ، من هو قائل هذا الشعر ، وفي أي عصر ؟!

محمد عبد الرحمن النامي
الحسكة ـ سوريا

ـ هذا بيت قاله أحد الصحابة ، وهو خبيب ابن عدي ، أخرجه الرسول في سرية ، وأمَّر عليها عاصم بن ثابت ، وبينا هم بين مكة وعسفان علم بهم حي من هذيل يقال لهم بنو لحيان ، فخرجوا إليهم وتبعوهم ، وأحاطوا بهم ، ثم أسروهم وقتلوهم واحدا بعد واحد . وكان من آخر من قتل منهم خبيب . فلما علم أن نهايته أوشكت قال لهم : دعوني أصلي ركعتين . وبعد صلاته قال لهم لوددت لو أزيد ، ولكن أخشى أن تقولوا إني إنما أريد أن أزيد هلعا من الموت . ثم قال :

ولست أبالي حين أقتل مسلما
على أي جنب كان في الله مصرعي

وذلك في ذات الإله ، وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

والعجيب أن قاتل خبيب هذا أسلم من بعد ذلك وحسن إسلامه .

مظلات الهبوط من الطائرات ....؟

● [illegible] من السقوط ، وكيف يضمن الانسان انها تفتح عند اللزوم ؟

— ان هذه المظلة يمكن صناعتها من القطن ، ولكنها في العادة تصنع من النيلون ، أو من الحرير [illegible] ، من قطع طويلة [illegible] مع الزوايا . وسلك الحرير خاص على أصله حتى لا يحتجز عند اللف فيعسر انبساطه .

والمظلة لا تمنع الرجل من السقوط ، وكيف ، والغرض هو انما سقوطه الى الأرض . ولكنها تقلل من سرعة هذا السقوط حتى لا يرتطم عند الأرض بقوة تصيبه . اما تقليلها لسرعة السقوط فسببه امتلاؤها بالهواء وهي نازلة بالرجل . فالهواء ، برغم خفته ، كالماء ، يعارض دائما كل شيء يخترقه . يشعر المرء بذلك عندما يجري بسرعة فيحس بالهواء الساكن ، وقد [illegible] والقليل من سرعته . او بمظلة المطر يفتحها ويرفعها الى أعلى ، ويتركها تهبط وهو ماسك بساقها يوما ما ، فيجدها لا تهبط كما يهبط الحجر .

اما فتحها فيتم في الطريقة التي تطوى بها المظلة . فهي تطوى بحيث لا يمكن ان تختلط حبالها ، المربوطة بحافتها وجسم الرجل ، بعضها ببعض . وعند فتحها جهاز يفتحها بعد انحلال رباطها ، وقطره نحو ٣ اقدام ، وبه اضلاع زنبركية من الفولاذ تنبسط الى الخارج بقوة عند انحلال الرباط فتفتح المظلة فتحا [illegible] المظلة ، وهي مطوية ، فيقوم برباطها وحزمها دبابيس طويلة قوية من الفولاذ [illegible] ، فيتصل بها حلقة تكون عند الجانب الأيسر من الرجل . فهذه هي الحلقة الرابطة .

والرجل بعد هبوطه من الطائرة يجذب تلك الدبابيس الحازمة للمظلة ، فتتفتح أطراف المظلة على الفور . ويعقب ذلك عمل الجهاز الفولاذي الزنبركي في فتح المظلة ، فيبسط اضلاعه على النحو كما ذكرنا ، وتتسع المظلة فتحا فتملؤها بالهواء الداخل اليها

ردود سريعة

● المدينة [illegible] ـ السالمية ـ الكويت

لا [illegible]

[illegible] يسر بصحبتك ومجلتك دار ابتسامة الأمل التي [illegible] الرسالة عليه .

● قارئة ـ من قطر

[illegible]

● محمد عبد الرحمن [illegible] ـ مكة المكرمة ـ السعودية

[illegible] تبدأ بكلمة معطرة [illegible]

● احمد محمد [illegible] ـ السعودية

[illegible] لا [illegible] المفردات [illegible] فلا تسمع من [illegible]



الحق ان هذا عن فاحش

لسا ،

قال الأول : هل سمعت آخر نكتة ... هذا ... ؟!

وهنا قال الأول : كم تدفع ... ؟!

لمن كانت المتاعب ؟

● قال الصديق لصديقه : اذن عدد ذهبت الى بار ... هل سبب لك جهلك بالفرنسية اية متاعب ؟!

ـ كلا .. الفرنسيون هم الذين عانوا المتاعب من ذلك !

الصدق والنفاق

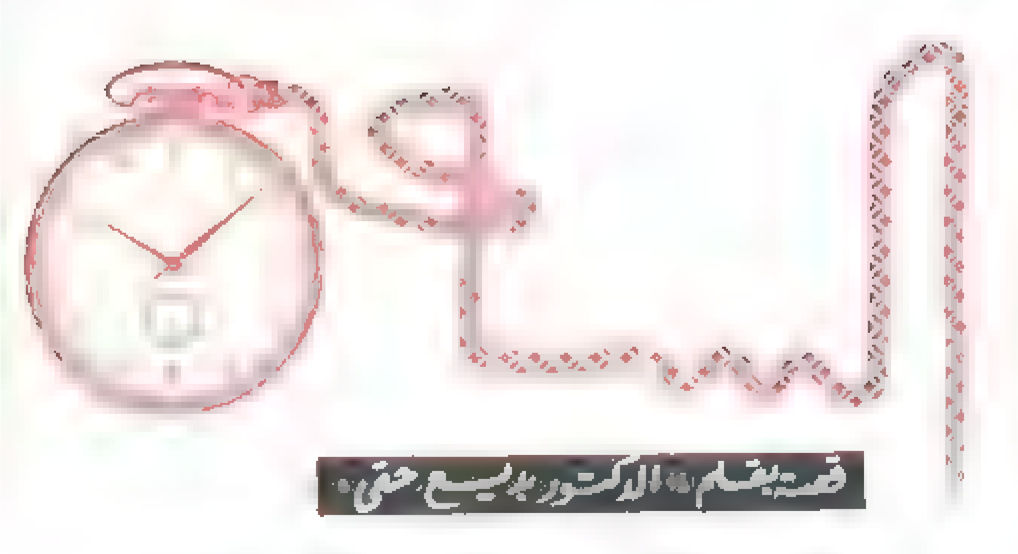
● ... شعرية نظمها على شاعر من رجال حاشيته ، قائلا :

ـ ما رأيك في هذا الشعر ؟

... شاعر الابيات برهة ، ثم قال :

ـ ما من شيء يستعصى على جلالتكم .. فما احسبكم الا اردتم ان تنظموا ابياتا ركيكة لتسخروا من الشعر والشعراء ، ووفقتم كل التوفيق !





قصة بقلم: الدكتور بديع حقي

كانت الساعة ملقاة على الارض ، وكان سير ابيض حسنه مهمله ، فقد كل اطارها المعدني الاسمر صدأ في بعض اطرافه . لعلها كانت مكسورة ، لا جدوى منها ، فالقى بها صاحبها ورمى بها ، على هذه الطريق المؤدية الى سوق الفرسة . أو لعلها كانت ضائعة ...

وكان نصف وجه الساعة ، مختفيا تحت غصن اخضر ، كوجه فتاة تنظر في استحياء خلف ورق من الشجر .

ولمع اطارها المعدني المستدير الظاهر الطالع من فوق الغصن حين لمسته شمس الصباح .

واستلفت نظره بارق الساعة المستديرة الغافية ، وراح الغصن الاخضر بيد خفية مرتعشة والملتف الساقط . كانت بارقة اللمعي ، وعلى ظهرها الغائم قطرات دقيقة من ندى الفجر . لا ريب انها امضت الليل كله على هذه الطريق الضيقة .

وامسها اليه في آلة صرخة صامتة .

تراها مكسورة لا نفع فيها ؟ لا ، ان قلبها لا يزال يخفق في جرس خفيض ، في نغم رتيب هامس ، تك ، تك ، تك .

ولكن النبضات جعلت تتقطع ، لعل قلبها يسوق خفقاته الاخيرة . وغاب نبضها ، فجأة . بيد ان هزة خفيفة من اليد الخشنة حملتها على ان تعود الى الحياة ، وجعلت تردد . تك ، تك ، تك .

وصمتت هنيهة احست فيها انتظارا مشدودة ، ثم ترجع الى الصمت من جديد . وامتدت اليد فحركت الى الساعة ، فتململت ، وانكفأت اليها انعطفات ، ذهب داخل صدرها المعدني ، في لغو سوى منطق

لا شك انها ساعة ضائعة ، انزلقت من جيب صاحبها ، دون ان يشعر .

وكان اسماعيل ضعيف البصر ، ولكن في ميسوره ان يبين عقربيها ، ويتأكد لديه انهما كانا يتحركان ، في بطء وصبر ، وان لم يكن في مقدوره ان يلحظ حركتهما البطيئة ، فعند الضحى غلب الساعة بياض ، على نحو دائم .

والساعة بين اصابعه ، سلسلة معدنية صغيرة تتدلى من الساعة ، ومنح مخيلته بأن تصور انها ساعة جيب ، لا ساعة يد ، فهي قرينة السالبة ، لا تحمل ساعة يد سوى (الظالم منكم) .

ونوى قلب اسماعيل ، بخفق خفيفة صارخة ، كان بها ترقد ، ناقصة الصبر ، تقرع من الداخل باب صدره ، فقد خيل في وهمه ان [illegible] وهو يلحظ الساعة ، ويهزها ويدنيها من اذنه ، ويناغيها بعاطفة الخمسة .

لا ، لا ، لا احد يسير في هذا الوقت المبكر . انه هرأ اسمى من انفه ، بسرعة خاطفة ، وتوقف ونظر اليه [illegible] ، ثم الا [illegible] قريب ، واخفى طرف منه وبقي ذيله [illegible] ، وبحركة يمنة ويسرة ، كراقص [illegible] كبيرة .

وشعر اسماعيل بأن وجيب قلبه يشتد ، ولم

بكى في عمره كله ، وهو الذي أوفى على الستين أو يخطئها قد أحس بجميل هذا الشعور الفاجيء ؛ فقد عثر على ساعته الضخمة من جيبه ، ولكن يحلم يوما أن يشتري ساعة ، يزهى بها على أصحابه ، ويحببه في استدلال الوقت بالنظر الى ظل شجرة السنديان ، ويحدد من مكان الشمس بعض أسراره فالساعة ... في نفسه الى الوقت المطلوب

ولقد كان في مقدوره أن يشتري ساعة جديدة ، حين سنحت له الفرصة وذهب الى دمشق ، منذ خمس سنوات ، ليراجع طبيبا مختصا ، وكان يشكو من وهن وضعف في قلبه .

ولكن خبرة الطبيب وثمن الأدوية ونفقات سفره انصبت على المبلغ المدخر الذي قدم به الى دمشق ، واستحت أمنيته الحلوة ، منذ ذلك الوقت . انه ليتذكر نظراته الحسيرة حين وقف أمام واجهة مخزن ساعات في ساحة المرجة ، يرنو الساعات الفضية والذهبية البراقة المرصوصة خلف زجاج الواجهة ، دون أن يكون في مقدوره شراء ساعة واحدة ، من أمنيته التي يعود بها الى قريته .

وها هي ذي أمنيته تتحقق ، الآن ، اذ يعثر على ساعة ضائعة ، يضعها في جيب سرواله ويشد عليها بنطاقه ، ويدع سلسلتها تتأرجح على خصره ، ثم يسارقها النظر ، كلما طاب له ذلك ، فيرى عقربيها ... أو ... في ... دقيق عجيب

ولما دس اسماعيل الساعة في جيب سرواله وهو يقفل عائدا الى بيته ، كان الهر الأبيض ينظر اليه من المنعطف نظرة مستهزئة ساخرة . وأمسك اسماعيل بحجر صلب وقذف به الهر ، فتنح الهر مقعيا خائفة مزمجرة ، وصر أذنيه ، ثم رماهما ، ومضى ذيله الشرع ، واختفى خلف جدار وجعل يموء كشبح مذعور .

* * *

وحين دلف اسماعيل الى غرفته مساء ، كان ذهنه مشغولا بسؤال ... أن تكون هذه الساعة ...

لقد كان يتهمه هذا السؤال صبيحة يومه ، وربما انه ليس في مكنته أن يمضي الى أحد يسر ساعته وأن يبرزها أمامه ، فقد يدعيها أي شخص ويستخلصها منه بعد أن أصبحت ملكا له .

ولما امتدت الساعة الضخمة الى بابور الساعة الأعلى ، وناعمت سلسلتها المتدلية ، نسي سؤاله التعس ، وتراخى شعوره القلق وتحول الى خدر لذيذ قريب من الغبطة ، وخيل اليه ، وهو الذي أمضى عمره عزبا يستطيب الهدوء ويستمرئ الانفراد ، أن هذا « الحيوان » المعدني الصغير قد ساقه القدر اليه ، لا ليحفظ له الوقت فحسب ، بل ليؤنس عزلته ، في نفسه المظلم ويتجاذب أطراف الحديث مع قلبه الضعيف .

ووضع اسماعيل الساعة على كرسي الى جانب سريره ، فانصب على لبنها وهي تجري بعقاربها الهامس الرتيب .

وخيل اليه ، وهو مستلق على فراشه ، انه يسمع زقزقة ساعته تتجاوب في هدأة الليل ، كأنها زقزقة صرصور يقظان ، لا ينفي يجرح السكون الشامل بمسمار دقيق ثاقب .

والتمس جفنيه ، يريد أن يطلقه الى الغفلة ، ولكن النوم لم يسلس له ، فعاد الى جانبه مرتد الى هذا الصرصور المعدني الذي لا يني ؛

وفتح جفنيه وأجال نظره في العتمة ، فاذا به يرى شيئا غريبا . كانت تحدجه ، من زاوية في غرفته ، عين مدورة ، سقط عليها . ولم تكن هذه العين تنمحي أو ترف ، فكأنما جفنيها كالمشدودين بمسمارين أسودين ، وكانت حدقتها تشع نورا فسفوريا أبيض ، كحدقة الهر ، ترى أيكون الهر قد تبعه الى غرفته ؟

وخيل اليه أن العين تريد أن تدنو ، فهي شعبة مكدودة ، ولكن مطرقة خفية كانت تضرب المسمارين ، لتظل العين مفتوحة بضربات متتالية مترادفة : تك ، تك ، تك .

واقتربت منه العين الجاحظة النيرة ، كأنما تريد أن يلتهمه ، وها هي ذي تدنو منه ، ببطء ، كأنما كان أبيض يريد أن يمسكه ويخنق أنفاسه .

ولمع الرجل بها بلفتة نحيلة رطبة ، تتشبث

وتنف من خلف العين الحدقة اليد، وسلمتني بيده وتعالى لرؤاه . لعلها تصل عليّ نلزيد يزحف اليه من وكر خبيء ليلسعه ثم يمضي هازئا .

وارتعش اسماعيل وانتضح جبينه عرقا ، ومد راحته تتحرى ذراعه لتلوذ بها وتحميها من لسعة الثعبان الكريه . وشعر برطوبة الثعبان تنساب في جسمه ، فصرخ . ولكن راحته لم تجد سوى سلسلة الساعة البارزة الغافية على الكرسي ، الى جانب سريره .

ولم تمنع صرخته من سمعه سريعا ، وبدا له ، حين فتح عينيه من حلمه المزعج ، ان صدى صرخته ما يزال عالقا بالفضاء . وكان نور الفجر يتسلل من نافذته عند يقظته ، ونظر الى الساعة الجاثمة الى جانبه نظرة حذر وخوف وكان قلبه ينبض ضمن قفصه الضلعي ويهتف : الله ، الله ، الله ..

كانت الساعة تزكو ، قابعة في جيب سرواله ، متدلية بسلسلتها ، كجزة طفت الى النور ، معانقة ذيلها وهو جالس الى شيخ القبيلة. ولم يكن اسماعيل يصغي الى حديث الشيخ ، وهو جالس على مصطبة في فناء داره يقص على فلاحي القرية طرفا من ذكريات شبابه ، بل كان مشغولا بحديث ساعته حين كانت دقاتها تواكب نبضات قلبه المضطرب

وتساءل ، في ذات نفسه ، وراعه يسمعون دقاتها وهي تهتك في قعر جيبه ! لم يعرض واحد منهم الى ذكر ضياع ساعته ، ومن يدري فلعل هذه الساعة القديمة الصدئة ان تكون لعابر سبيل ، او لمتجدي عائد من المدينة !

واحصى اسماعيل في لحظة ستة او سبعة من ابناء قريته ، ممن يحملون ساعة جيب ، واما الباقون فيستغنون عنها من الساعات بسفل في السحر في استهلال الوقت .

وسمع المؤذن يتعالى صوته من جامع القرية . وقال شيخ القبيلة

— حانت صلاة الظهر .

ومد شيخ القرية يده الى جيب سرواله وسحب ساعته ، مغتبطا ، ونظر اليها بعينيه الضيقتين الضيقتين ، نظرة مطمئنة بليدة ، ولاحظها وهي تنسكب على الساعة ، نظرة خاطفة قلقة ، انسابت من موق عيني اسماعيل .

انها شبيهة بالساعة التي عثر عليها امس ، سوى ان سلسلة ساعة شيخ القبيلة ادق ، ولعلها ان تكون اطول. وشعر بان قلبه يتارجح على حلقاتها المتدلية من راحة شيخ القبيلة .

ولمع اطارها الفضي في وميض كامد، واستعرضت نظرة اسماعيل القلقة وطأطأت الى الارض ، وبدا يطرق الرأس بفكر . وتمثل في خاطره ان ساعة الشيخ وشوشت له ، بصوت خفي : أي في جيبك أخت لي حبيسة مسكينة . لماذا تريد ان تطفئ انفاسها ! انها ليست لك ، انت لص سارق . لم لا تدري انك سرقت تلك ساعة ! فربما تمضي احد رفاقك .

واحس اسماعيل بان قلبه الواهي يجب وجيبا سريعا متلاحقا ، وان الساعة الجاثمة في جيبه تنتفض كانها تود ان تخرج من محبسها .

وتمنى لو يسحبها من جيبه ويتخلص منها ويرمي بها بعيدا ، وخطر له ان احسن حل يريحه منها ، هو ان يؤوب ، بعد فراغه من الصلاة ويلقيها حيث وجدها ، هناك على الطريق الى القبيلة ، وان يخشى ان يلقاها بعض اهلها ، كما رآها ، اول مرة ، وسوف يستأنف ، بعد هذا ، حياته الماضية الهادئة .

ومشى مع رفاقه الى الجامع ، وتنادى الى سمعه صوت شيخ القبيلة يقول له وهو يسير الى جانبه :

— يبدو اليوم وجهك شاحبا مصفرا ، اكثر من اي يوم مضى يا اسماعيل ، انك تشكو نوما من لبك فهلا لا تذهب الى المدينة ، وتراجع الطبيب مرة اخرى !

واجابه اسماعيل : كالوف عادته ، الا يتلقى هذه النصيحة .

— الشافي هو الله يا سيدي .

ولما وقف اسماعيل الى جانب المصلين ، يتلو

الناعمة ، وقد ضم راحتيه فوق ساعده العجيب تحت عطافه خيل اليه انها تظل تلقي ، فقلده عطاف ظله الرطب المسكي

وشعر وهو سبيل السجود في رجليه معطل وفي ضربات قلبه ثلاثي ، كانها تحنو في عالم نفس غريب عنه ، واحس بوخزة مفاجئة كانما مدت هذه الحسرة المسنة اللئيمة الخبيثة في جيبه براثنها الدقيقتين وعصرت قلبه وشددت عليه رويدا ، رويدا ، حتى اطفأ

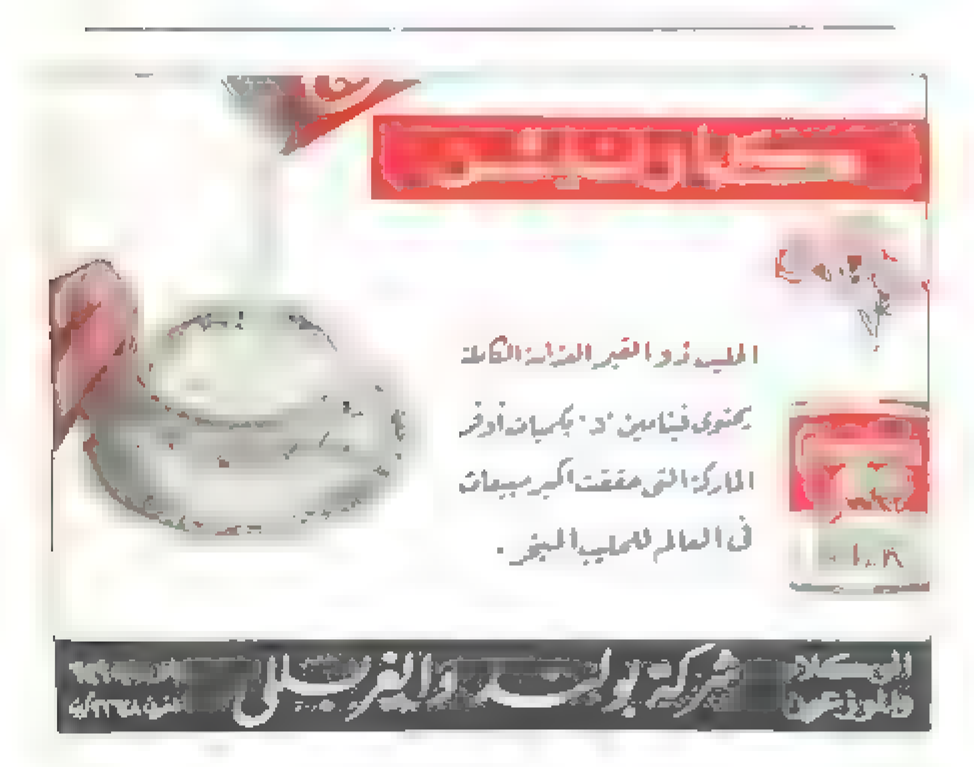
ولما انتهت الصلاة لفت نظر المصلين ان اسماعيل ما يزال مستغرقا في سجدته ، وحل الشك في صدر شيخ الصبية ، فاقترب منه وهزه برفق ، فمال قليلا الى جانب ، ورانت عيناه مغمضتين مستسلمين الى غفوة غريرة مطمئنة .

وقد شيخ الصبية يده فحسر ثوب اسماعيل عن صدره وحل عطافه ، فانطرحت على الارض سافلة جيب صدفة الاطار وانبعث ، ثم انه لفت سلسلتها الملتوية الى جانب اسماعيل كانها فأرة صغيرة خائفة مشلولة الحركة ، فلم يتركها شيخ الصبية ابتاعها ، بل طأطأ رأسه وادنى اذنه من صدر اسماعيل يسترق السمع الى حديث قلبه ، ثم رفع رأسه وهزه هزة شي بالاسف وهمهم يقول

وصرت نظرته بالساعة المجانية على الارض ، فالتقطها وقلبها في راحته مستغربا ،وحركها برفق فارجحت سلسلتها وباتت كالدبل في مغضب ثم ابتاعها من اذنه المستطيعة بحركة لا شعورية ، وسمع دقات قلبها تهتز بجرس رتيب حفيفي

■■

بديع حقي



باركر



PARKER

عرض فريد تقدمه شركة باركر

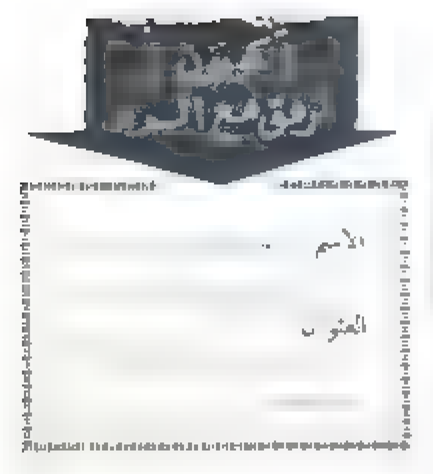
للإشتراك فيه دون قيد أو شرط

فرصة سانحة لإنشاء صداقة دولية



المهين، لقد قررت أختنا الكبرى قبل بضعة أشهر للخلاص من الذل المخيم علينا .. ولكن الشبكة انشقت على سمعة والديها وعادت أمواجها إلى الذل من جديد . وبدلا من أن يأخذنا عبرة حدث مرة تحذيرهما من سوء المصير ، رأينا في تجرعها كؤوس العذاب !.. وكم كانت دهشتنا ذات يوم حينما هددناهما بأننا سنهجر جميعا .. ما وأخواتي الخمس الطالبات .. وما كان منهما إلا أن شجعانا على الاقدام على هذه التجربة ، لأن في خلاصهما منا ، على ما يبدو ، راحة وأية راحة لقلبيهما العاتي السوداء !

وبحثنا !.. لقد سئمنا الحياة البائسة التي



نحيا .. وها نحن نطرق الضروع السماوية في مطالبنا المدلهمة الثقيلة . وليس أمامنا اليوم من دروب النجاة سوى أن نتوارى من هذه الدنيا الخبيثة القاتمة .. ونضعها في ظلم وقسوة ولنعتبر !

الطالبة ... م

البصرة — العراق




ساعات
فافر - لوبا
الوكلاء العامون
عبد الجبار لطيف الساعاتي
يوسف أحمد الساعي وشركاه

موارد المـاء بين الماضى والحاضر

(بقية المنشور على الصفحة الثانيه)

جلب الماء الى المساكن من وظائف المرأة منذ اقدم العصور ، كما تشهد بذلك الصورة المنشورة في (ص ٦) ، والتي تمثل ما كان يجري في بلاد اليونان حوالي اواخر القرن السادس قبل الميلاد. وكانت معظم موارد الماء تزود بحوض حفرت بعض اجزائه على شكل نصف دائرة ليسهل غمس الجرار عمدها في الحوض لملئها ، كما كانت تمد قناة رفيعة امام الحوض لتصريف المياه الفائضة حتى لا تنساب فتغرق المبنى الذي كان يقام خصيصا للتزود بالماء . وقد كانت الاحواض والقنوات والاعمدة التي تقام حولها ، تصنع من الرخام ، او من مادة لا تتأثر بالبلل والرطوبة. اما الصنابير التي ينساب منها الماء الى الحوض ، فكانت تصنع من الرخام والبرونز ، على هيئة رأس الاسد في الغالب .

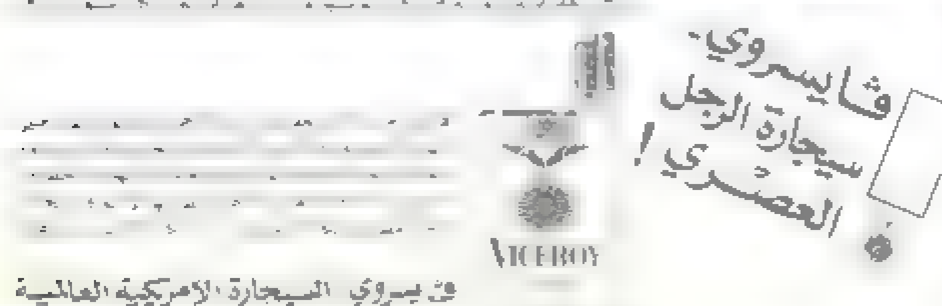
وخلف الجدار الذي يبنى عنده الحوض ، كانوا يقيمون خزانا او خزانات ، للاحتفاظ بقدر كاف من الماء ، على سبيل الحيطة .

وكان مورد الماء يقام — في اكثر الحالات — على مسافة من النبع ، ويصل بين الاثنين قنوات تحفر تحت سطح الارض . وفي حالات اخرى — كما كان في بيرين وكورنثه — كان المبنى الذي يضم الصنابير يحفر في قطعة من التربة الطبيعية ، تعلوها طبقة صخرية . فكان الماء الفائض ينساب من المكان خلال قنوات الى الصخر الذي كان يستخدم كخزانات لحفظ كميات احتياطية .

وكان مورد الماء دائما ملتقى الناس وكانت تحف به الاسواق ، كما كانت تقام هناك بعض الصناعات، كصناعة تشكيل البرونز التي اشتهرت بها « كورنثة » .


وست إند
WEST END WATCHES
نظرتها تحمل اكثر من معنى
فيها التقدير وفيها الرغبة


توشيبا
أحدث وأجمل تشكيلة لأدوات الترانسستور والكهرباء.


ڤايسروي:
سيجارة الرجل
العصري!
VICEROY
ڤايسروي السيجارة الامركية العالمية

فوز النوع السويسري

كشف باسماء موزعي دوكسا

اسكو الجمهورية – ... – كايرو – ... ، مجار
... ، ... ص.ب ٢٤ ...
– قطر – الخليج العربي ، ... ص ب ٨٩ –
بيروت – لبنان ، ... – ساحة الناصر – ... –
بغداد – العراق ، جمعة ... بن يوسف – ... الخليج
العربي ، اسماعيل عبد الرحيم الكوهجي – ص ب ٥٧ –
الخبر – العربية السعودية ، ... – ص ب
٢٣٩ – عمان – الأردن ، ... – ص ب ٥٧ –
حلب – سوريا ، شركة ... التجارية – ص ب ٣٢
الكويت ، ... ص ب ٩١٥ – دمشق – سوريا ،
مؤسسة ... للساعات والتجارة شارع الملك عبد العزيز
جدة – العربية السعودية ، شركة ... ص ب ...
– ص ب ١١ – ... – لبنان



معامل ساعات دوكسا
ش.م. لولوكل سويسرا





زيني معصمك بساعة رومر



قلم باركر الجديد ...
قلم باركر في بي

● شخصي جدا

مصنوع خصيصا ليلائم اسلوبك بالكتابة من كل زاوية .

ان [illegible] خاصة بك وحدك دون غيرك [illegible] في [illegible] القلم ، والقوة التي تستعملها للضغط على القلم ، والزاوية التي تكتب منها — كل هذه تجعل من كتابتك شيئا يختلف تماما عن كتابات الآخرين ، وتجعل من كتابتك شيئا خاصا بك وحدك . ان اكثر الاقلام صنعت لتلائم الشخص العادي ولا تلائم الطريقة التي تميز كتابته .

اقرأ الآن كيف يلائم قلم باركر في بي نفسه ليناسبك

[illegible] تلائم بالضبط طريقتك في الكتابة ، والزاوية التي تكتب منها ولا يهم ابدا ان كنت تكتب [illegible] او [illegible] لان باستطاعتك ان [illegible] بسهولة الريشة [illegible] الزاوية التي تكتب منها [illegible] المناسبة لاسلوبك في الكتابة ابتداء من الريشة الرفيعة جدا (ريشة المحاسبة) الى الريشة العريضة (ريشة الموظف الاداري) ، وفي [illegible] عديدة للاختيار ، وجميعها مصنوعة من الذهب الصلب عيار ١٤ قيراطا ، ويمكن تركيبها بكل سهولة .

[illegible] مكان الراحة [illegible] لتخفف من تعب الكتابة وكذلك [illegible] تكتب كل كلمة وسطر بصورة جميلة وبرشاقة طبيعية .

اكتشف بنفسك كيف يمكن ان يصبح قلم باركر في بي اداة كتابتك الخاصة [illegible] في اختيار الريشة المناسبة لك بالضبط [illegible] كيف [illegible] قلم باركر في بي بسهولة [illegible] صفة اخرى للكتابة الممتعة للغاية .



صانعو اكثر الاقلام المرغوبة في العالم

شركة اقلام باركر جينزفيل ، وسكونسن الولايات المتحدة الامريكية .

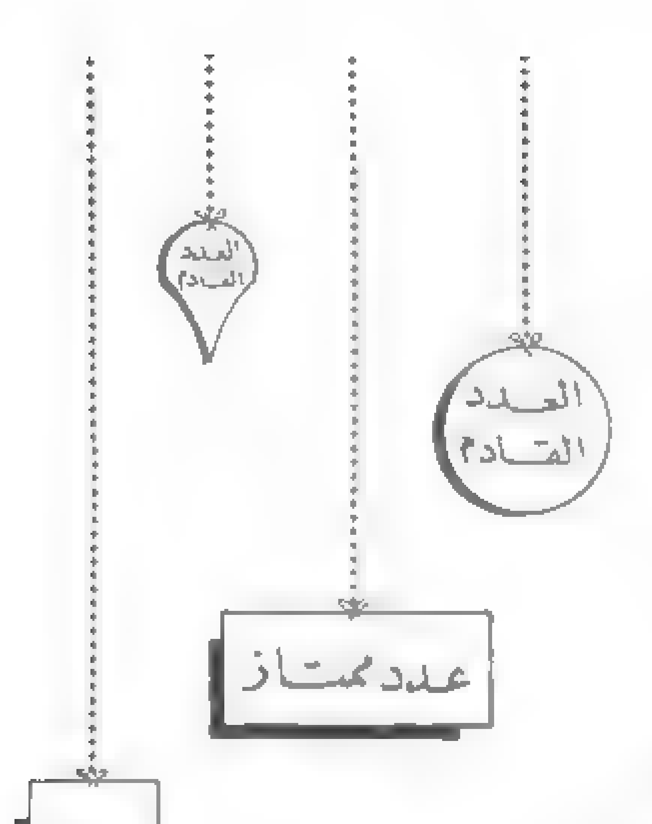


جوائز

١٢٠٠

دينار سنويا





عدد ممتاز

عزيزي القارىء :

- بهذا العدد نختم هذا العام .

وبالعدد التالي ، عدد اول يناير ، نبدأ عاما جديدا .

وقد عودناك ان نكون عدد اول العام عددا ممتازا .

ممتازا بمواضيعه ، نوعا .

وممتازا بمواضيعه ، مقدارا .

وممتازا بمواضيعه ، صورا .

وممتازا بمواضيعه ، ألوانا .

ثم خريطة كبرى متعددة الألوان ، لجانب من جوانب الأرض ، نقوم عليه ولا شك مستقبل هذه الأرض ، لا يخلو منه ذهن قارىء محب للسلام .. محب للعدل ... كاره للاستغلال .. كاره للاستعمار ...

ولم ننس في هذا العدد الممتاز ، الفهرس العام ..

فالى اللقاء القريب ان شاء الله .

المحرر



رئيس التحرير : الدكتور أحمد زكي

العربي

مجلة عربية مصورة شهرية

تصدرها وزارة الإرشاد والأنباء بحكومة الكويت

ALARABY — No. 73 December 1964 P.O.B. 748 — KUWAIT

العنوان بالكويت : صندوق بريد ٧٤٨ — تلفون ٢٦٤١١ — تلغرافيا «العربي»

الإعلانات : متفق عليها مع الإدارة — قسم الإعلانات

المراسلات :

العـــدد القـــادم

عدد ممتاز

ثمن العدد : بالكويت ١٠٠ فلس - مناطق الخليج وجنوب الجزيرة ٢ روبية أو ٣٠٠ بيزة عمان - العراق ١٢٠ فلسا - سورية ١٠٠ قرش - لبنان ١٠٠ قرش - الأردن ١٠٠ فلس - السعودية ٢ ريال - السودان ١٠ قروش ج ع م ١٠ قروش - تونس والجزائر ٢٠٠ مليم - المغرب ٢ درهم - اليمن ٣٠٠ شلن - ليبيا ١٥ قرشا .

الاشتراكات : للاشتراك في المجلة يتصل طالب الاشتراك بموزع المجلة العام في البلد الذي هو فيه وتكون المعاملة رأسا بين المشترك والموزع .



اين الاستطلاعات عن ليبيا ؟!

● في الوقت الذي تقومون فيه بنشر الاستطلاعات في مختلف بلدان العروبة وديارها ، يؤسفني أن أراكم لا تولون ليبيا [illegible] بلادي التي هي جزء من الوطن العربي الكبير ، أي اهتمام فقد [illegible] مجلتكم مثلا في شهر ولو استطلاع واحد لمطالعتها [illegible] «العربي» حتى يوصف هذا ! [illegible] الذي حيا يوصف له هذا الا ظهر في استطلاع حتى الآن عن بلادي فوق صفحات مجلتنا العربية الزاهرة [illegible] العربي [illegible] المجلة التي تعرض فيها ليبيا على قلة أعدادها وقرائها كل شهر ، لأنها تعرضها في حدود [illegible] مستقلة [illegible] - أرى ؟ ما السبب والعامل كيف؟ وكيف يمكن تفسيره وتبريره ؟! وهل لا تعتبر ليبيا قطعا عربيا في عرفكم حتى تسمون الاستطلاعات تحت عنوان [illegible] العرب بلاد بها العربي ، فلا تحسبون لها أي حساب ضمن هذا الباب ؟! لم ، ألسنا جميعا أبناء أسرة واحدة [illegible] فلم أراكم تفرقون في المعاملة بين الأبناء [illegible] ... !

[illegible] الصادق [illegible]

مدرسة [illegible] – مديرية [illegible]

المملكة الليبية المتحدة

«العربي» — يعتب القارىء الفاضل على العربي انه لم ينشر استطلاعا واحدا عن ليبيا والعربي تعتب عليه مائة قارىء لا يقرأ . فقد نشرنا عن ليبيا . .

١ – في العدد التاسع الصادر في شهر أغسطس (آب) ١٩٥٩ ، وفيه أول استطلاعات ليبيا « طرابلس الغرب » ..

٢ – في العدد الحادي عشر ، الصادر في أكتوبر (تشرين أول) ١٩٥٩ ، حيث نشر استطلاع عن « بنغازي » ..

٣ – في العدد الثلاثين .. وفيه ثالث استطلاع عن آثار طرابلس الغرب ! ..

٤ – في العدد ٤٢ .. ويحتوي على استطلاع عن : التعليم في ليبيا !! ..

وهكذا ترى ، أيها الأخ الكريم ، أن «العربي» ما كانت ولن تكون إلا للعرب جميعا على السواء . والله من وراء القصد ، ومع هذا فالعربي الى ليبيا عودة من بعد عودة .

حنا بعل .. لا هانيبال !

● مع اعجابي باستطلاعكم الأخير عن مصايف تونس ، وما قدمه من تعليقات تاريخية وجغرافية حول البلاد ، وتحليلات دقيقة لطبيعة الطقس ومشاكل المدن وأماكن الاصطياف ومشاكل السكان .. أرجو أن تسمحوا لي بابداء بعض الملاحظات المتعلقة بتاريخ تونس .

فمثلا تطلقون الأسماء الأوروبية على شخصيات تونسية قديمة .

١ – ذكرتم اسم « هانيبال » .. وصحيحه « حنا بعل » ، أي هبة الرب في اللغة الفينيقية القديمة .

٢ – « اميلكار » وصحيحه « حامي القار » .. أي حامي [illegible] .

٣ – « صفنبو » وصحيحه « صفنبعل » .. أي الجميلة ، وهي أخت « حنا بعل » [illegible] (القرطاجي العظيم) .

وضاح اليمن ... مرة اخرى !!

● حول حقيقة وضاح اليمن . قرأت في العدد ٢٠ من مجلة « العربي » ردا على مقالة الدكتور محمد محمود الدش من السيد عبد الله الجبوري ، الذي ينادي ببطلان القصة من اساسها ، ويلتها حكاية وهمية روجها الاستاذ احمد حسن الزيات ...

ان قصة وضاح اليمن ، كما ذكرت في مقالة الدش ، هي صحيحة ، تجد سندا لها في كتاب (الاغاني) المجلد السادس طبعة ١٩٥٦ بيروت ، اما مؤلف (الاغاني) فمعروف لدى الجميع ... وهو ابو الفرج الاصبهاني ، العالم المحقق .

علي محمد ـ بغداد

هلا كتبتم عن عربستان ؟ ؟

● « العربي » مجلة العرب كلهم رغم اختلاف اقطارهم ، وعلى صفحاتها تنعكس بلا شك رؤى الاحداث المتتابعة في دنيا العرب ..

وها هي الآن ، بعد كل هذه الاعوام التي قطعتها ، تتبوأ مركز الصدارة بين كافة مجلاتنا العربية المتطورة الناهضة ، الآخذة بمبدأ التجديد والابتكار في كل عدد من اعدادها ، فتنطلق بوعي وعزم واصرار في دروب الثقافة الفسيحة وسبر الحقيقة الساطع ..

وتمشيا مع مبدأ نصرة الحق ، واعلاء الكلمة العروبية المجيدة ، نرجو ان تنقل مجلتنا الغراء قراءها العرب في كل مكان ، حاملة بشير المواطنين لارضنا السليبة . عربستان !!

البصرة ـ المقل　　　طاهر التميمي

(بقية البريد على صفحة ١٥١)

٤ ـ « الباب بورية » وصحيحه « الرتلي الطيبة »

٥ ـ جزيرة « زمبرة » وجزيرة « زمبرة » وصحيحها « الجامور الكبير » و « الجامور الصغير » .

٦ ـ « عين الطاقاسيرة » وصحيحها « عين الصبية » .

٧ ـ ولعلكم قد سبيتم ذكر العين الساخنة وهي خاصة عيون « قربص » .

ويعود الفام اهل تونس بزراعة الخضراوات الى عهود سحيقة تمتد حتى عصر قرطاجنة .. وهم الذين حملوا هذه العلاقة الى الاندلس واسبانيا ، وساهموا في انشاء الحضارة الاندلسية . وبعد خروج العرب من اسبانيا ، عاد المغربيون الى بلادهم ، حاملين معهم اسم الاندلس وهو مشتق من لفظة « الفندال » Vandales اي شعب القوط الشرد ـ ناقلين معهم حضارتهم الزاهرة في حقول الزراعة والتجارة والصناعات اليدوية والفنون الترويحية والرغبة في الشعر ، والشعور بالنخوة العربية الاصيلة والتمسك بتقاليد الفروسية الباقية حتى الآن .

وختاما ، اكرر لكم اعجابي بكل ما قدمتموه لنا بهذا العدد ، وبطريقة عرض الصور الجميلة المتقنة ، والشروح الطريفة تحتها . اما الهنات التي تسربت اليها في كتابة معالمنا هذه فلا تنقص من قدر استطلاعكم المذكور ، على اية حال . لانه لا يقدر على الالمام بها الا الاخصائي في تاريخ المغرب العربي .

الدكتور محمد الهادي كويدة ـ تونس

العربي : الفندال قوم من الجرمان هرمانيون عبروا نهر الاودر ، واجتاحوا ، وغزوا فرنسا ، واسبانيا ، ثم غزوا شمال افريقيا ، وذلك في القرن الخامس الميلادي و كذلك نلاحظ مجلة العربي ان الاسماء التي جاءت بها بعثة الاستطلاع انما هي الاسماء الشائعة في تونس ، والمذكور معظمها في الكتب السياحية هناك

عدل الأرض أم

رجل لا يشار إليه بالبنان

• عربيات سقط قيدها

الجمال

عَدلُ السَّماءِ؟

في بعض الحيوان انما هو الخوف منه .
ان العقرب جميل الصبغ ، جميل الحركة ، جميل الدفاع عن نفسه بالذي به من ذنب . ولكن هذا الذنب نفسه ، الذي من بعض معاني الاعجاب به الحذق في الصنع ، هو الذي يعطي الانسان معنى البشاعة من العقرب . وهو معنى مصنوع في الانسان مطرق ، مرده الى الصيغة التي صيغ بها العقرب . انها الصيغة التي صيغ بها العقرب . انهب بشاعة نسبية اذن . [illegible] من أحط الكواكب ، [illegible] الانسان ، لرأى في العقرب ، في صنعها ، في خلقها ، في حسن رعايتها لنسلها ، وحتى في ذنبها المخوف هذا ، لرأى في كل ذلك جمالا لا يقل عن جمال [illegible] الانسان في الطير تحمله في الهواء اجنحته

أو في السمك ينساب في الماء انسيابا .
[illegible]

الكمال

[illegible]

والعدل ، ابحث عنه بين الحيوان ، فلا تجده .

[illegible] بالمعنى الذي اصطلح عليه الانسان ، واقسه بالمقياس الذي صنعه الانسان ، فلا تجده .

في البر يأكل كبير الحيوان صغيره ، ويأكل الجارح من الحيوان غير الجارح .
وفي البحر ، يأكل ذو الفم الواسع من



له الجسم الصغير الضامر .

وفي الجو ، تأكل النسور من صغار اهل الارض ، ويأكل كبار اهل الارض من صغار اهل السماء .

والانسان يأكل من بر ، ومن بحر ، ومن سماء .

وهو يأكل منها ويقول انه الصيد الحلال .

وبلاؤه ، وحاجة جسمه ، بحكم الطبع ، كلها تقول انه الصيد الحلال .

وتقول معه ، وتؤمِّن على ما يقول ، التوراة والانجيل والقرآن .

وكأنما الحياة في الدنيا تبنى وتنشأ ، ليكون منها لصنوف أخرى من الحياة طعام .

معنى العدل مفقود

معنى العدل بين الحيوان والحيوان وبين الحيوان والانسان ، كما ساق القياس اليه ، وترجمه الانسان ، معقود معقود ، واللحوم جميعا ، بين آكلات اللحوم ، مستباحة .

شذ عن ذلك آكلات العشب . فلا تجد الخيل والثيران ، وهي كبيرة ، تأكل النعاج ، وهي صغيرة .

وشذ عن ذلك الجنس الواحد . شذ افراده . فلم تجد فرسا يأكل فرسا ، ولا فيلا يأكل فيلا . وتتجمع الافراس في الطبيعة ، وتتجمع الفيلة ، ليكون منها القبيل ، وتكاد ان تسكن شاكلتها جملة ، وان نزحت عنها ، نزحت جملة . وفي الجملة تجد الأمان .

ومن الجنس الواحد الانسان .

العدل في الانسان

والعدل في الانسان ، على المستوى الحيواني ، طبع ، ليس له فيه فضل . فالرجل لا يأكل الرجل . ولا تأكل المرأة المرأة . ولكن حمقا بالرجل ان يأكل المرأة ، ولكنه لا يفعل .

ولكن الانسان يعقل معنى العدل تعقيلا ، ويشققه تشقيقا . وراح يعقل المعقول ويشقق المشقق ، وينقض ويبرم ، حتى جاء من التعاليم بشيء من مراسم العدل عظيم ، ضاقت به طبيعة الانسان . فقد ذهب من الانسان أكل بعضه بعضا ، ولكن لم يذهب عن الانسان اكل طعام الانسان ، واخذ كسائه ، واستباحة ماله ، وحرماته ، وفي سبيل ذلك هو يقتل . ولو انه لا يأكل جثة قتيله .

ومن الانسان المعتدين من بني الانسان العوابين ، وقسط العقوبة للمجرمين .

بين اللصوص

في هذه الدنيا يستطيع الانسان الحاذق ان يحرم ، وان يغتصب .

ويستطيع القوي ان يسلب الضعيف ماله وحقه ، ويستذل كرامته ، ويتخاذل القضاء امام القوة .

ومن الرجال من يسيطر حتى يمسك هو بزمام القانون ، ويتحدى التاريخ ، ويعمل شعبه الاماميل .

وكل هؤلاء يخرجون من الدنيا ، وقد غنموا منها الكثير .

فلم لا تأسى بهؤلاء كل قادر ، حاذق ،

قوى ، مخادع ، ويخرج من الدنيا بعد أن يكون قد غنم منها المغنم الكبير !

هذا سؤال في الناس ، لا شك ، قديم عميق .

وأجاب الانسان عليه بحكم الفطرة . حتى والعصر عصر أوثان .

قال : بانه وراء الحياة الدنيا ، حياة أخرى ، ينتصب فيها العدل ميزان .

وجاءت من بعد ذلك أديان : جاءت توراة ، وجاء انجيل وجاء قرآن . واطمأن الانسان الى أن من افلت من قضاء الارض فلن يفلت من قضاء السماء .

وهذا ، على ما أرى ، لا يزال الحاجز الوحيد الباقي ، لكل أمن في الدنيا ، يُرجى ، وكل أمان .

والا ، فإن صح ما يقول به الكفرة الجاحدون انه لن يكون في السماء قضاء فيا لخيبة الرجل الذي قدر على الظلم في الدنيا فلم يظلم ، ويا لخيبة الرجل الذي قدر على القتل وسفك الدم في سبيل لذاته فلم يقتل ولم يسفك دما .

رجل لايشار اليه بالبنان ..

انت رجل ، اذا ظهرتَ في الناس ، لم يشر اليك أحد منهم ببنان ، ولا يهمس باسمك وأنت تمشي في الطريق انسان . وانت رجل لا يظهر اسمك في الصحف حينا .

وانت رجل ، اذا تنقلت في المدينة الكبيرة ، لم تعرف رجلاً سبيلهما الى السيارات أو الى التكسيات . والترامُ دابتكَ انْ يكن ترام،او الحافلة المزدحمة ان تكن حافلة .

وانت رجل اذا احتاج بيتك الى اللحم ذهبتَ بنفسك الى الجزار ، أو الى الخضر ذهبت بنفسك الى الخضرى . او الى البقالة ذهبت بنفسك الى البقال . وحملت انت كل ذلك الى بيتك ، لا يعترضك في الطريق وانت تحمل ذلك من يتنقدك . فالذى تلقى ، اما هو رجل يعرفك ، فهو مثلك ، أو لا يعرفك فقد قلّ اهتمامه بك . وانت لا تعرف في أهل حيك الذى تعيش فيه وتتردد عليه ، على الاكثر ، غير صورة ، أو على الاقل ، اسما مبتورا .

وانت رجل يعمل . وتجتهد في عملك . تخرج اليه باكرا ، وتعود منه متأخرا ، وقد أجزلته ، حبا فيه أولا ، فحبا في أدائه واجبا .

وانت ترى أن الاجر الذى تأخذه انما هو ثمن العمل ، لذلك انت توفيه ،حتى لا تحس بأن فيما تقبض بدالا من أجر شبهةً من سرقة أو ريبةً من احسان .

وانت على العمل الصادق ، والاجر المصدوق ، تفي بواجبات النفس ، فانت لا تزيد فتسرف ، ولا تنقص فتجحف .

وانت ، مع واجبات النفس ، تفى بواجبات الغير .

فانت تفي بواجبات الزوج ، حبا في الزوجة ، واعترافا بالجميل .

وانت تفي بواجبات البنين والبنات .

وانت تطعمهم وتلتذ طعامهم ، كأنما هو لعيك ذلك الطعام . وانت تكسوهم ، وتلتذ كسوتهم ، فكأنما لجسمك هذا الكساء . وانت ترشد ، وانت تهدي . وانت تنفق في تعليمهم ما استطعت ، وكل درهم يخرج من جيبك في سبيل هذه النفقة ترتاح اليه نفسك ، لانك به تؤمّن حياة من يأتي ، بمثل ما امّن حياتك انت من مضى .

وانت تنظر في صحبك ، فتجد اكثر الصحاب من يغدر ويخون ، او من ينسى فلا يذكر ، او من يرتفع فتؤلم وقته النظرة الى ادنى . فلا يغيرك ذلك . وتحاول انت دائما ان تكون الصاحب الوفيّ الذاكر الامين .

وانت تنظر في الملأ حولك ، فتجد اكثر الناس تهدم ، فتحاول ان تبني ، ولو كوخا من طين .

وتمضي الايام وتنطوي السنون . فترى الذراع التي كانت طالت اخذت تقصر ، والعضل الذي كان اشتد اخذ يضعف ، والخطو الذي كان شديدا حديدا صار وئيدا . والبصر الذي كان يرى بعيدا ، اصبح لا يرى الا قريبا ، فاقرب . والذي كان يرى صغيرا اصبح لا يرى الا كبيرا فاكبر .

وانت ، مع كل هذا ، تظل على املك وعلى بشرك ، وعلى بسمتك . تحيا يومك ، ولا تبالي ان لا ترى لك غدا .

ثم يأتيك قضاء الله ، وانت لا تدري .

في حياتك لم يشر احد اليك ببنان .

وفي مماتك لم يتسع لاسمك في صحيفة مكان .

وتمضي في الموكب الابدي ، شبحا بين اشباح ، تنظر امامك فتجد عدد حصى الارض من امم كانت على الارض سبقتك ، وتنظر خلفك ، فتجد الموكب كل دقيقة تتجدد .

اقرأ كلّ هذا . .

فان كانت هذه صفتك ، وهذا مزاجك ، فانت لا شك رجل سعيد .

عربيات سقط قيدها . .

يولد الولد في المدينة ذات المدنية ، فلا يمضي يومان حتى يسجل اسمه في سجلاتها . مولودا جديدا ، وبهذا تصبح له جنسية البلد الذي فيه ولد . ولكن من المواليد ما لم يعن اهله بتسجيله ، فهو مواطن ، ولكن لا دليل على جنسيته ، والذي يسمى من سواقط القيد .

والدارس للالفاظ العربية لا يلبث ان يصنفها على الدور صنفين ، صنفا مسجلا في القواميس ، فعربيته ثابتة ، وصنفا ساقط القيد ، لا عيب فيه الا ان القواميس لم تسجله . ولكن ينطق به الناس وينطق العرب .

والمعروف بالطبع ان القواميس العربية قديمة ، وانها (على غرار القواميس الافرنجية القديمة) من عمل فرد واحد ، انها لم تكن من عمل فئات من الناس متعاونة . وبالطبع لم يكن فيها استيعاب

العدد القادم

من

هو

العدد السنوي

الممتاز

وانى للفرد أن يستوعب ولو كان له علم الاولين والآخرين .

ثم ان هذه القواميس اخذ بعضها من بعض . فالذى سقط من هذا سقط من ذاك . وتوالى السقوط .

ونحن الآن ندرس زاد عدد المتعلمين فيه في الأمة العربيه ، وهو آخذ في ازدياد . وبدل أن كانت الأمية غالبة ، ستصبح غير الأمية هي اساسه . والمكتوب من اسمة حتما سوف يقارب المنطوق . ولكن في المنطوق اللفظ الكثير العربي الذى يأبى الكتاب المحافظون الى اليوم ان يرسموه على الأوراق . ويطردون لذلك بأنه عامي . والعامي من العموم . وما العموم الا الناس . وهذا امتداد لارستقراطية قديمة ، غير ناجعة ، وجب أن تزول . واذ تمقرطت الأمة العربيه وجب أن يتمقرط كل ما كان استمرط من الفاظها .

والرأي أن نستعرض هذه الألفاظ ، ساقطة القيد . ونلتمس الطريق الى اثبات عربيتها . ولهذا شرطان يتحتم الوفاء بهما معا :

١ ــ أن يكون لهذه الألفاظ الجرس العربي الخالص ، وأن لا تكون مجمة فيها تدل على اصل اجنبي من الاصول . وأن تقبل الاشتقاق والتشقق . وأنها ، لولا القواميس ، ما درى أحد الا انها عربية .

٢ ــ أن تدور بها على مجموعة من رجال العرب ، رجل من قطر عربي ، يبلغون العشرة او يزيدون . فان قالت اكثرية منهم أن اللفظ ينطق به الناس في بلادهم ، كان هذا دليلا على عربية مسلوبة .

واذا تحقق هذان الشرطان ، رُدّ الى اللفظ اعتباره ، وعُدّ عربيا ، يدخل لغة الكتابة والأدب ، ويدخل القواميس الحديثة .

ولأضرب الأمثال

مثال ذلك لفظة « دردشة » لو وجدناها على الألسن في أكثر بلاد العرب ، ووجدنا لها الجرس العربي ، ونشتق منها الأفعال والأسماء ، حكمنا بعروبتها ، ولو لم نجدها في القواميس . وأحسب أن مثل دردش ، دشدش ، طرقع ، خربش ، خرمش ، شخط ، لخبط ، برطع ، مصمص ، شخلل ، بحلق ، بلطـ .

وهي ولفظ دردشة على وزن واحد

من أين جاءت هذه الألفاظ الانجليزية ؟ فرنسية ؟ ألمانية ؟ طليانية ؟ يونانية ؟ تركية ؟ ايرانية ؟ هندية ؟ صينية ؟

لا يمكن أبدا .

الجرس ينكر هذا . تماما كما تنكر

سحنة العيسى أن يكون عربيا .

وغير ذلك من الافعال الاخرى ، غير هذا الوزن الرباعي ، مئات :

رمل ، كح ، زغر ، بص ، شحط ، هاص .. كلمات كثيرة تأتي عفو الخاطر .

وغير الأفعال ، الأسماء ، وسائر ما هنالك من الفاظ .

وقد يقال ، وما الحاجة الى هـــذه الألفاظ ، وعندنا فيما تضمنه العربية الخالصة الكفاية . والرد على هذا ردان :

اولا : أن بهذه الكلمات حنيـــنا الى الرجوع الى نبعها الأم - ونحن ، في عصر نسعى فيه مع مراجعنا رد كل عربي طريد الى حظيرته الاولى ، وكفاه نعيا .

ثانيا : انه ليس صحيحا ان عندنا في القواميس ما يغني عن هـــذه الكلمات (الطريدة لا الدخيلة) .

وان شئت ان تدرك هذا ، فعبر لي عن هذه الجمل الآتية بجمله كل كلماتها من قواميسنا فحسب :

« أنا رفلت محمودا » .

ماذا تقول مكان هذه ؟ تقول : أنــا أغضبت محمودا أبدا . ليــست بمعناها . فالرفل غير الغضب .

ومثل آخر :

« المفتاح متــلتج في القفل » .

« أعطاني ظهره وبرطع » . (وبرطع تقال من الحمار اذا جرى وحده) .

« أخذ يبحلق في وأنا أتجاهله » .

« محمد بلطـ على الفلوس التي أعطيتها له » . (والأصل في التبليط هو القعود على البلاط ورفض الحركة) .

أنا لا أدعو الى العامية . ولا أدعو الى قبول الدخيل . أنا أدعو الى العــربية الخالصة ، ولكنى اتهم القواميس كلها ، كما اتهمها كل لغوي قبلي ، بأنها لم تضم كل لغة العرب . والذى اغفلته ، بقي على السنة الناس ، عربيــا في الأذن ، سائغا سياغة كل لفظ عربي على اللسان .

ان هذه الدعوة تشجب الدعوة الى العامية أي شجب . ان الذين يقولون بالعامية يعرفون كيف تعيش كلمة في كلامنا ولا نعيها في كتابتنا بأن الناس تمارس الكلام في حياتها اكثر مما تمارس الكتب . وهم يقولون ان العامية أدق معنى من الكلمة التي نحاول ان نحلها محلها من القواميس . وهم بذلك انما يقصدون تلك الكلمات العربية ســاقطة القيد . فلندخلها الى اقلامنا كما ادخلناها الى ألسنتنا ، فندفع أكبر حجة يأتي بها دعاة العامية . فالعامية لا شك قاضية على رابطة الأمة العربية الكبرى ، تلك هي اللغة الفصحى .

ولرضاء للاخوان المحافظين قد أقول : فلندخل الآن ، في عصر سوف يصبح فيه كل عربي قارئا كاتبا ان شاء الله ، كل كلمة عربية ساقطة القيد ، ليس لها في القواميس مثيل . واللفظان المثيلان هما اللذان ينطبق أحدهما الآخر ، أو كما تقول القواميس حذوك النعل بالنعل .

ولن يثير أحد مسألة القرآن والأحاديث ، فالموضوع الذى أنا به لا يمس قرآنا ولا حديثا ولا دينا ، من أى جانب كان . وكيف والقرآن والحديث والآثار الأدبية جميعا ، من نثر ناثرين ، ونظم شعراء ومترسلين ، مفخرة للغة أى مفخرة ، ومفخرة العرب أى مفخرة . ■

أحمد زكي

مسابقة العدد

١٢ خطأ = ١٠٠ دينار





■ الى يسار هذا الكلام رسمان لمنظر واحد يخيل اليك انهما متشابهان تماما .. ولكن حذار ، فالصورة السفلى بها ١٢ خطأ غير موجودة بالصورة العليا .. وهذه الأخطاء لا يلمحها الا الناظر المتأمل في الرسمين جيدا ..

والمطلوب منك هو العثور على هذه الأخطاء الاثنى عشر ، فاذا نجحت في معرفتها جميعها فأمامك فرصة كبيرة للفوز بالجائزة الأولى ..

واذا عثرت على ١١ أو ١٠ أخطاء فقط فلا تتردد في ارسال حلك ، ولكن يجب أن تلاحظ أن فرص الفوز أمامك ستكون ضئيلة .. ولكنها ليست معدومة ..

شروط المسابقة

١ ـ تكتب الأخطاء الاثنا عشر على ورقة مستقلة ، ويكفي ذكر الخطأ الواحد في سطرين أو ثلاثة أو نحو ذلك ، ويرفق معها كوبون المسابقة المنشور على صفحة ١٠٣ من هذا العدد .

٢ ـ يكتب على المظروف عبارة « مسابقة العربي » ـ العدد ٧٣ .

آخر موعد لوصول الاجابة الينا في الكويت هو اليوم السابع من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٦٥ . وترسل الاجابة مباشرة بعنوان مجلة « العربي » صندوق البريد ٧٤٨ بالكويت .

الجوائز ١٠٠ دينار

يمنح الفائزون جوائز مجموعها ١٠٠ دينار على الوجه الآتي :

الجائزة الأولى ٣٠ دينارا .

الجائزة الثانية ٢٠ دينارا .

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير .

٨ جوائز قيمة كل منها ٥ دنانير .

أول دائرة معارف ظهرت في التاريخ

كان كل منهم دائرة معارف قائمة بذاتها

الشيوطي : كان جامعة كاملة ودار تأليف ونشر وحده خلف تراثاً لا تقوم بمثله جماعات

بقلم : الدكتور حسين مؤنس
مدير معهد الدراسات الإسلامية بمدريد

■ نشأ الفكر العربي في عصــــور

[illegible]

العقد الحلقي الجديد ، الى معنى المعرفة الانسانية الواسعة « والالمام من كل شيء بطرف » كما قال عميد الموسوعيين خلال العصر الاول من تاريخنا الفكري ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (توفي ٢٥٥هـ /٨٦٩ م

في القرن الهجري الثاني : المعرفة كل لا يتجزأ

خلال ذلك القرن الهجري الثاني كانت المعرفة في نظر طلابها كلا واحدا لا يتجزأ ، يشمل علوم الدين والدنيا ، ويصير الكون كله مجالا للبحث والفكر والتأليف . وكان على طالب الثقافة ان يحفظ القرآن ويحيط بمعانيه ، ويلم بما تيسر له من الحديث ، ويحفظ ما يستطيع من شعر الجاهليين والمعاصرين ، ويتمكن من اللغة وتاريخ العرب وايامهم وعلومهم الاولى كالطب الطبيعي والنجامة والانواء والقيافة وما الى ذلك .

ابن المقفع يضيف زادا عظيما من تراث الهند وفارس

وجاء ابن المقفع (توفي ١٤٢ هـ/٧٦٠ م) فوسع الافق واضاف الى ثروة العرب شيئا عظيما من تراث الهند وفارس ، ونقل الى العربية كتبا مثل

[illegible]

فاما الاول فقد دخل تراثنا تحت اسم « سير ملوك العجم » ، واتاح للناس الفرصة للاطلاع على جانب من تاريخ البشر قبل الاسلام ، ووضع بين ايدي طلاب التاريخ نموذجا افادوا منه في تطوير فكرة التأليف التاريخي .

واما الثاني ـ كليلة ودمنة ـ فكان نموذجا



[illegible]

يتناولان كل ما يرقى بالانسان ويوسع

[illegible]

هؤلاء [illegible]

جميلا للقصص الرفيع ذى المغزى البعيد ، وثروة من الحكمة وتجارب البشر نقلها الفكر العربي في اجمل صورة واكملها .

وفتح ابن المقفع الناس بكتابه « الصحابة » ابواب التفكير السياسي ، ودفعهم الى التفكير الموضوعي في شئون الدول والحكومات والشعوب والسلاطين ، هذا الى ما تضمنته كتبه الاخرى مثل الدرة اليتيمة والادب الصغير من حكم وتأملات يعجب الانسان من صدورها عن شاب قام بذلك العمل كله قبل ان يبلغ السادسة والثلاثين من عمره .

الجيل الاول من الموسوعيين

في هذا الطريق الواسع سارت الاجيال التالية لجيل ابن المقفع ، واخرجت رجالا ملأوا القرن الهجري الثالث كله علما وادبا . وقد تميز اولئك الرجال قبل كل شيء بالموسوعية الاتجاه والشمول في العلم : قرأوا متوسعين في كل فن ، وكتبوا مكثرين في كل باب من ابواب المعرفة .

فهشام بن محمد بن السائب الكلبي (توفى ٢٠٤ او ٢٠٦ هـ / ٨١٩ او ٨٢١ م) كتب في علوم القرآن والسيرة النبوية والشعر وعجائب البحر والاصنام والتاريخ العام ، بل له كتاب يسمى « منطق الطير » .

وابو عبيدة معمر بن المثنى (توفى ٢١٠هـ/٨٢٥م) كتب فيما يقول ابن النديم مائة كتاب وخمسة كتب تتناول كل موضوع تقريبا .

والاصمعي عبد الملك بن قريب بن قيس (توفى ٢١٤هـ/٨٢٩م) الف بضعة واربعين كتابا في الشعر واللغة والنحو والنبات. وابو زيد سعيد بن أوس الانصاري (توفى ٢١٥هـ/٨٣٠م) كتب قريبا من هذا العدد من المؤلفات في كل علوم العصر المعروفة. ومن مؤلفاته واحد عن المطر وآخر عن اللبن .

وابو عبيد القاسم بن سلام (توفى ٢٢٣هـ/٨٣٨م) الف في علوم الاسلام والفقه والتاريخ والشئون المالية . وكتابه « الاموال » ، آية في التنسيق والعمق وحسن الفهم والدقة . وكتابه الاخر المسمى « غريب المصنف » اشبه بموسوعة تكلم فيها عن الانسان والطعام والشراب والابنية والمراكب والسلاح والطير والحشرات والنار والشمس والقمر وما الى ذلك . وقد انفق في تأليفه اربعين سنة فلا غرابة ان اصبح من غرر الكتب في المكتبة العربية الى اليوم .

كان نهم الى المعرفة يميز الامم الحية

هؤلاء جميعا كانوا يقرأون في كل موضوع ويكتبون في كل موضوع ايضا ، كان يدفعهم الى العمل ذلك النهم الى المعرفة الذى يميز الامم الحية السائدة لغيرها من الامم ، وموسوعيتهم كانت مظهرا من مظاهر السيادة العربية ، لان العلم في ذاته سيادة وطلبه عزة ، وعلى طول التاريخ كانت الامم العالمة هي الامم السائدة ، ولم يجتمع في التاريخ ابدا علم وذل .

وكانت موسوعية لا منهج لها ، مهدت للموسوعيين المنهجيين

ولكن موسوعية هذا الجيل كانت موسوعية الصماء لا منهج ؛ اى ان اولئك الرجال كانوا يقرأون دون نظام ويكتبون دون نظام ايضا ، وهم ينتقلون في المعرفة الواحدة من علوم القرآن الى الشعر الجاهلى الى النبات او الحيوان الى المطر، ولو انهم يتعب اذا طلب منهم موضوعا بعينه .

خمسة من اعلام الموسوعية المنهجية

ولكنهم مهدوا الطريق للطبقة الاولى من الموسوعيين المنهجيين في تاريخنا واحدثها خمسة من الاعلام ، يعتبر كل واحد منهم دائرة معارف قائمة بذاتها .

قدامة بن جعفر الكاتب

اول هؤلاء قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب (٢٣٧هـ/٨٥١م) وهو اول عربي الف كتابا شاملا لكل المعارف التى يحتاج اليها المشتغل بالكتابة الديوانية والانشائية ، وقد اطلق على كتابه الجامع هذا اسم « الخراج » ، والمراد به الشئون المالية للدولة ، وهي عصب الادارة وعماد الخلافة ، وقد

بقيت لنا من موسوعيته تلك القطع تدل على علم متبحر ، واحدة في الفراغ بالفلات ، وثانية من نقد النثر ، وثالثة من نقد الشعر . وهناك قطع اخرى لا تزال مخطوطة تنتظر من يخرج بها الى النور .

أبو عثمان الجاحظ

وثاني هؤلاء أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (توفي ٢٥٥هـ/٨٦٩م) أسمى هذا الطراز من الموسوعيين في تاريخنا ، فقد كان يكتب بنفس المستوى من الاجادة والعمق والشمول وحدة الفكر في العقائد ، وعلوم الاسلام ، والادب ، والتاريخ الطبيعي ، والطب ، والاجتماع ، والحيوان ، واخلاق البشر . وهو مسهب متدفق طويل النفس ، يصوغ ما يكتب في اسلوب سهل ممتنع ، ويخاطب عقل القارىء ويناقش معه الموضوعات والآراء في غير الثقل او الملل او التكلف . ومن أسف أن الجاحظية لم تجد من يرثها ويسير بها في الطريق الذي كان كفيلا بأن يخرج بالفكر العربي من العصور الوسطى الى العصور الحديثة .

ابن قتيبة

وثالثهم أبو عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة (توفي ٢٧٦هـ/٨٨٩ م) وهو يكاد يضاهي الجاحظ في سعة العلم وحرية الفكر وكثرة التآليف وتنوع الكتب ، وهو يشبهه أيضا في أن معظم كتبه الرئيسية سلم من عبث الايام ووصل الينا ، وكتابه «أدب الكاتب» خزانة علم وأدب لو شرحت وبوبت لكانت دائرة معارف . أما كتابه « عيون الأخبار » فنموذج جميل من كتب الأدب بمعناه الواسع عند العرب ، وهو نص يقابل ما نسميه نحن اليوم بالآداب او الانسانيات .

الدينوري

ورابعهم أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (توفي ٢٨٢هـ/٨٩٥م) وقد ألف في النحو واللغة والتاريخ والهندسة والحساب ، ولا تزال كتابه الرئيسيان «الاخبار الطوال» و «الامامة والسياسة» من معضلات التواليف في مكتبتنا العربية ، لأن الخلاف طويل حول أصول مادتهما ونسبة بعض فصولهما اليه .

ابن العباس المبرد

وخامسهم أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (توفي ٢٨٥هـ/٨٩٨م) وكتابه « الكامل » موسوعة العلوم العربية في ايامه ، تتناول كل فن من ادب الى تاريخ الى لغة الى دين الى طب ، وهو ينتقل بقارئه من فن الى فن على طريقة كانت تعجب الاقدمين ولكنها تجهد الباحث الحديث ، فقد كانوا يرون أن الاستطراد من موضوع لموضوع يعين القارىء على القراءة ويبعد عن نفسه الملل ، أما نحن فنرى فيه تقسيما لوحدة الفكرة والموضوع .

ويلحق بهذه الطبقة من الموسوعيين اثنان من أهل القرن الرابع الهجري هما أبو عمر أحمد ابن محمد بن عبد ربه (توفي ٣٢٨هـ/٩٤٠م) ، وأبو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني (توفي ٣٥٦هـ/٩٦٧م) ، والأول مشهور بكتابه المسمى « العقد او العقد الفريد » وهو من أجمع الكتب عن العرب وتاريخهم وأنسابهم وشعرهم ونثرهم وعلومهم ، والمتبع فيه محاولة جادة لترتيب المادة الواسعة وتبويبها ، والثاني مشهور بكتابه « الأغاني » وهو دائرة معارف في الأدب والتاريخ خاصة .

الموسوعية في المعرفة كانت شرطا من شروط الظهور والرياسة

وهؤلاء الموسوعيون هم الذين أعطوا الفكر العربي طابعه الموسوعي الاساسي الذي أصبح من مميزاته الرئيسية ، ونحن لم نذكر منهم هنا الا أكثرهم الذين حددوا مستوى الثقافة التي كان لزاما على كل من يطمح الى مكان محترم في المجتمع أن يصل اليه أو يقترب منه على الأقل ، فبينما كان شرلمان ، أكبر أباطرة الغرب في العصور الوسطى ، لا يعرف من الكتابة الا رسم اسمه ، كان المجتمع العربي لا يرضى عن حاكم يقف منه الا اذا كان على حظ طيب من المعرفة بالتاريخ والشعر والنثر وعلوم الدين والطب والحكمة وأحوال الدنيا . وقد يكون الرجل قائدا عظيما ، أو خليفة واسع السلطان ، أو أميرا عظيم الولاية ، أو تاجرا ذا مال عريض ، ولكن المجتمع لم يكن يعترف بمكانته الا اذا تحلى بالثقافة الواسعة ، وقرأ شيئا من الكتب التي أشرنا اليها ، وجالس أهل العلم والادب وشاركهم الحديث وطارحهم

الشعر ، أي « الأدب » أي الثقافة الإنسانية الواسعة — كان شرطا من شروط الظهور والرياسة في ذلك العالم العربي المثقف .

اضمحلت الموسوعة بعد القرن الرابع ، ولكن لم يتوقف التأليف

ونحن عندما نقول إن الفكر العربي أخذ في الاضمحلال بعد القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، لا نعني بذلك أن البحث والتأليف في هذا العلم أو ذاك قد توقف وانقطع ، وإنما معناه أن الفكر فقد طابعه الموسوعي ، واقتصر كل باحث أو عالم على علمه وحده ، ذلك لأن التأليف الجيد في شتى العلوم لم يتوقف خلال تاريخنا كله حتى خلال العصر التركي لم يتوقف العلماء عن البحث والدرس والتأليف ، ولكن الذي نلاحظ بعد القرن الرابع هو هبوط الهمم عن القراءة الواسعة والتأليف الواسع ، أي التخلي عن الموسوعية ، ولكل ثقافة من الثقافات طابعها المميز وعنصرها الدافع المحرك ، وبالنسبة للثقافة العربية كانت الموسوعية هي روحها وطابعها المميز وقوتها الدافعة .

الفرق بين الطبري ، المؤرخ الموسوعي وابن اياس ، المؤرخ فقط

ولنوضح هذه الناحية بمثال : نحن نقول إن أبا جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) عميد مؤرخينا ، قبل ابن خلدون ، وإن البون شاسع بينه وبين رجل مثل محمد بن أحمد بن اياس (ت. حوالي ٩٣٢هـ/١٥٢٨م) مع أن ابن اياس مؤرخ ممتاز متقن لفنه ، وكتابه « بدائع الزهور » من الأصول التي لا يستغني عنها باحث في تاريخ دول الإسلام ، وهو من حيث الطول والاتساع لا يقل عن تاريخ الرسل والملوك للطبري . ولكن الطبري لم يكن مجرد مؤرخ ، إنما كان بحرا من العلم ، وقد كتب قبل أن يكتب التاريخ تفسيره المشهور ، وهو دائرة معارف لجميع كل علم وفن ، ما تمر فيه بتفسير آية كريمة إلا وجدته يفيض في الشرح والتفسير في مقادير جمة تاريخية أو أدبية أو علمية إلا ذكرها . أما ابن اياس فمؤرخ فحسب ، وهو يسرد الحوادث دون أن يطل على الساع الأفق أو ينم على علم أو نظر الى ما وراء ما يكتب . والفرق بينه وبين الطبري هو الموسوعية والشمول ، وهما في حساب الثقافة العربية المقياس الحقيقي لعلو العالم ، وهي الميزة التي تميز العالم العربي عن غيره .

فالطبري مؤرخ من مؤرخي عصر الازدهار لأنه موسوعي ، وابن اياس من رجال الاضمحلال لأنه غير موسوعي . والطبري وحده يعدل في تاريخنا الفكري كل مؤرخي القرن السادس الهجري من أمثال بهاء الدين بن شداد (ت ٦٣٢هـ/١٢٣٥م) وابن ظافر الأزدي (ت ٦١٢هـ/١٢١٥م) وسبط ابن الجوزي (ت ٦٥٤هـ/١٢٥٦م) . وشهاب الدين أبي شامة (ت٦٦٥هـ/١٢٦٧م)، حتى عز الدين بن الأثير (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م) وهو أكبر مؤرخي القرن السادس تنقصه الموسوعية ، ويفتقد عنده اتساع الأفق وشمول الثقافة اللذين يميزان قادة الفكر في تاريخنا .

استمرار تقليد الموسوعية الجاحظية على طول تاريخنا

وقد ظل تقليد الموسوعية قائما على طول تاريخنا ولكن عدد الموسوعيين قل في عصور الاضمحلال ، والقليلون الذين ظهروا منهم خلال القرن الرابع وما بعده هم الذين ساروا في طريق الجاحظية من التوسع في العلم والإحاطة بكل فن مضمنينه كتبا يضم أطرافا من علمهم الواسع .

المسعودي

على القرن الرابع حمل لواء الموسوعية على أبو الحسن بن علي المسعودي (ت ٣٤٦/٩٥٧م) وهو رجل وعى صدره من العلم ما يدهش قارئه ، فهو مؤرخ رحالة جغرافي متمكن من الرياضيات والفلك ، وراوية للقصص ، حافظ للشعر والنثر . وهو يكتب في أسلوب جزل جميل يعود بالذهن الى طريقة الجاحظ ومكانته في النقد والملاحظة ، وهو مثل الجاحظ متوسع في التأليف ، وكتبه مترابطة الموضوعات يكمل بعضها بعضا ، وهو في كل كتاب منها يحيل على

ما قاله في كتبه السابقة أو يقول انه سيستوفي في كتاب لاحق .

ابن مسكويه

وفي النصف الاول من القرن الخامس نجد ابا علي الخازن احمد بن محمد بن يعقوب المعروف بمسكويه (ت ٤٢١هـ/١٠٣٠م) وهو مؤرخ فيلسوف حكيم رياضي كيمائي واديب كاتب شاعر ، وكان معاصرا لابي حيان التوحيدي ، وامتاز عليه باتساع مدى العلم والنظرة الانسانية الاشمل . وكتابه « تجارب الامم » من احسن ما كتب في العربية في تاريخ الدنيا ، وله فيه اراء وملاحظات تصل به الى مستوى ابن خلدون كمؤرخ للحضارة البشرية ومفلسف للتاريخ ، والى مكانة كفيلسوف حكيم عارف بطبائع البشر واصول الحكمة ، فيتجلى في كتاب تهذيب الاخلاق ،ولمطهر الاعراق ، وهو يقوم على اساس كتاب فارسي يسمى جاويدان خرد اي الحكمة الخالدة .

والكندي والفارابي وابن سينا

وهنا يصدق عن الظاهرين في طليعة ميادين النشاط الفكري الاسلامي . فالكندي ، والفارابي وابن سينا يتربعون على عرش الفلسفة بسبب تنوع معارفهم وعمقها وشمولها وتوسيع مجال الفلسفة حتى تشمل العلوم الانسانية كلها . وابن سينا بالذات جعل كتابه « الشفاء » دائرة معارف كاملة .

وابو الطيب المتنبي

وفي ميدان الشعر يعتبر ابو الطيب المتنبي عميد شعراء العربية لا بالشعر وحده، فان الكثير من شعرائنا يضاهونه في الشاعرية ، ولكن ابا الطيب كان موسوعة حافلة ، وقارئه يعجب باتساع علمه كما يبهره شعره .

وابو ريحان البيروني

وفي ميدان الرياضيات والفلك يحتل ابو الريحان البيروني مكان الصدارة لانه — الى جانب تمكنه من الرياضيات — اديب فيلسوف ضم صدره التراث الفكري الاسلامي كله واتقن الى جانب ذلك الفارسية والاردية واللاتينية واليونانية ، وفي كتابه « الاثار الباقية » مثال على ذلك كله .

بذلوا جهدا عظيما لغاية اعظم : حفظ كيان امة

ومعنى ذلك ان الموسوعية اصبحت من ابرز الملامح في طبقات اهل العلم في تاريخنا ، فلا يكفي لكي يكون الرجل علما من اعلام ذلك التاريخ ان يكون متمكنا من فنه الذي تخصص فيه ، بل لا بد ان يلم من كل شيء بطرف .

ولا يتصور الانسان مقدار الجهد الذي كان اولئك الرجال يبذلونه للمحافظة على تقليد الموسوعية هذا : كان عليهم ان يحفظوا الوفا بعد الوف من الصفحات يحتاج استيعابها الى الوف بعد الوف من الساعات ، علاوة على ما لا بد منه من القرآن الكريم والحديث الشريف ، كان عليهم ان يدرسوا اربعة على الاقل من كتب الادب الكبرى وهي ادب الكاتب لابن قتيبة ، والكامل للمبرد ، والاغاني لابي الفرج الاصفهاني ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ، وتاريخا من تواريخ الاسلام كالرسل والملوك للطبري ، والسيرة النبوية لابن اسحاق، ودواوين كبار الشعراء الى ايامهم ، وكتابا على الاقل في كل علم وفن ، الى جانب كتب تخصصهم .

وهذا الذي ذكرناه كله كان جانبا من محصول رجال مثل ياقوت بن عبد الله الحموي (ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م) وجمال الدين بن واصل (ت٦٩٧هـ/١٢٩٨م) وابي الفداء ، اسماعيل بن محمود بن الافضل (ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) وشمس الدين الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) واسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) ولسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/١٣٧٤م) وعبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٦م) وتقي الدين المقريزي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م) وشمس الدين السخاوي (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م) وغيرهم ممن يعتبرون عمد تاريخنا الفكري .

وهؤلاء الرجال لم يكونوا يتكلفون هذا الجهد

لطالب العيش ، فان العيش لا يكسب بحفظ المتون وافناء العمر في الدفاتر ، وانما يكسب بالتجارة ومن طريق وظائف الدولة . ولا يعلل اجتهاد اولئك الرجال الا بانهم كانوا يشعرون انهم بعملهم هذا يحافظون على كيان امة وتراث شعب وتقاليد حضارة ، والانسان لا يبذل الجهد العظيم الا اذا كان دافعه اليه مثل اعلى وأعظم .

السيوطي : جامعة ودار تأليف في رجل

ونضرب لذلك مثلا بالسيوطي

ولا شك ان هذا العالم العظيم هو الذي جرد رجلا مثل جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م) الى ان يضطلع وحده بتأليف مجموعة من الكتب يعد كل منها دائرة معارف قائمة بذاتها : واحدة في علوم الدين ، واخرى في التاريخ ، وثالثة في علوم اللغة وما الى ذلك .

عاش جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ٦٢ سنة هجرية الف خلالها نحو ٥٣٠ كتابا بقي لنا منها ٤١٥ ، فلو قسمنا كتبه على سني حياته من مولده الى وفاته لخص كل منها ٩ كتب . ولو فرضنا انه بدأ التأليف سن الخامسة والعشرين لكان نصيب كل سنة ١٠ كتب .

ومعظم كتب السيوطي كانها مواد لدوائر معارف مبوبة متأنية مختصرة قدر الامكان . فله كتاب طبقات الحفاظ ، اي تراجمهم ، وهي مرتبة في طبقات على حسب العصور . وكتاب طبقات المفسرين ، وكتاب طبقات النحويين واللغويين . وله كتاب غاية في الاختصار والفائدة في تاريخ الخلفاء ، واذا اردت ان تاخذ فكرة عن الطريقة المنهجية الموسوعية التي سار عليها في التأليف فانظر كتابه « المزهر في علوم اللغة » ، وهو في رأي الدارسين انبل واشمل ما لدينا عن علوم لغتنا ، وكذلك كتابه « الاتقان في علوم القرآن » . وما اظن ان انسانا يستطاع ان يكتب أحسن من هذا في موضوع شاسع مثل علوم القرآن .

ولم يكتف السيوطي بهذا كله ، بل اراد ان يكتب دائرة معارف مختصرة كهذه التي نسميها نحن اليوم دائرة معارف مكتبية (ديسك انسايكلوبيديا) ، فوضع كتابا سماه « الاصول الجامع علوم جمة » ، ويسمى ايضا « النقاية » ، وهو يضم الضروري من المعلومات عن ١٤ علما منها التفسير واصول الدين والتشريع والنحو والبيان والمعاني والطب والتصوف والحديث واصول الفقه .

والآن فالسيوطي رجل جعل نفسه جامعة كاملة ودار تأليف ونشر ، وعاش عمره كله يقرأ ويدرس ويبوب ويرتب ويكتب ، وقد خلف تراثا لا تقوم بمثله جماعات من الرجال .

ثم اصبحت الموسوعية تخصصا وفنا

وفي مصر المملوكية اصبحت الموسوعية فنا ومنهجا وموضوع تخصص ، وظهرت في ذلك العهد الموسوعات الكبرى التي يعتز بها تاريخنا الفكري ، وهي « نهاية الأرب » للنويري ، و« مسالك الابصار » للعمري ، و« صبح الأعشى » للقلقشندي .

وهذه الموسوعات الثلاث الكبرى تتشابه في الفكرة والهدف وربما اختلفت في المناهج التي قامت عليها . فاما من حيث الفكرة والهدف فهما شيئان بما تقوم عليه اي دائرة معارف في عصرنا هذا ، وهو جمع المعلومات كلها في كتاب واحد ، وترتيبها على احد اساسين : اساس المواد فترتب على حروف المعجم ، او اساس الموضوعات فترتب على النحو الذي يراه المؤلف .

وقد اختلفت المناهج التي سار عليها المؤلفون الثلاثة بعضها عن بعض ، ولكن الحصيلة واحدة تقريبا ، ولكل واحد منهم ميزة على الاثنين الآخرين ، فالنويري اكثر اسهابا في التاريخ ، والعمري طويل النفس في الأدب واسع المعلومات في الجغرافية والعلوم ، والقلقشندي اوسع الثلاثة علما بشئون الدولة ونظامها وتاريخ نظمها وادارياتها واختصاص كل منها ومراتب العاملين فيها ونظم الجيوش والاساطيل وانواع السلاح وملابس السلاطين والجنود وشارات المراكب الحربية والنقود والموازين والمكاييل وما الى ذلك .

ولا يتسع هذا المجال لتحليل مواد هذه الموسوعات الكبرى فذلك بحث قائم بنفسه ، ثم ان اثنتين منهما ، هما نهاية الأرب وصبح الأعشى ، قد طبع معظمهما ، ونرجو ان يأذن الله بالفراغ منهما ، اما الثالثة — مسالك الابصار — فلازالت اجزاؤها متفرقة في مكاتب الدنيا حتى قيض الله

لها شيخ العروبة احمد زكى (باشا) طيب الله ثراه فبذل جهدا مضنيا حتى جمع اجزاءها فى دار الكتب المصرية ، وهى راقدة هناك باجزائها التى تربو على الخمسين تنتظر من يكمل العمل الذى قام به ذلك العلامة الجليل ، فقد نشر منها جزءا واحدا تطاول الزمن عليه وهش ورقه حتى اصبح لا يحتمل التصفح . واحمد زكى هو آخر من سار على تقليد الموسوعية من اهل الفكر عندنا ، ولا غرابة ان سماه الناس شيخ العروبة .

كان الثلاثة، شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب النويرى (ت ٧٣٢/١٣٣٢م) وشهاب الدين احمد ابن فضل الله بن يحيى العمرى(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م) وشهاب الدين احمد بن على بن احمد القلقشندى (ت٨٢١هـ/١٤١٨م) من موظفى الدولة المملوكية، وقد الفوا موسوعاتهم لخدمة امثالهم من الموظفين والكتاب ، ولكن قارئهم يشعر ان هذا لا يمكن ان يكون دافعا كافيا للجهد الذى بذله كل منهم ، فان رجلا كالنويرى يكتب فى التاريخ وحده نحو ثمانية مجلدات ، ويختص السيرة النبوية وحدها بثلاثة مجلدات فى نحو ١٢٠٠ صفحة من القطع الكبيرة ، لا يمكن ان يكون قد اقتصر نفسه على هذا التعمير لمجرد ان يضع بين ايدى الموظفين كتابا يرجعون اليه ، انما هو عالم متبحر جمع فاوعى ، وشعر ان تراث العرب فى حاجة الى من يحفظه وان واجبه ان يقوم بذلك ، ومن هنا فانت تشعر وانت تقرأ اى مجلد من مجلدات موسوعته بانه عالم متخصص فى هذا العلم الذى يدور عليه المجلد وحده ، وكذلك تشعر وانت تتصفح مجلدات العمرى عن الجغرافية والادب ، والقلقشندى فى نظم الدولة المملوكية . وهم جميعا يكتبون فى اسلوب عربى رصين جميل لا يعرف التكلف السجع ولا العناية الزائدة بمحسنات البديع ، شأن العلماء الجادين المعروفين بهذا الوصف .

ومثل هذا يقال فى اعظم معجمين فى لغتنا لسان العرب لابى الفضل محمد بن مكرم بن على الافريقى المصرى المعروف بابن منظور (ت ٧١١هـ/ ١٣١١) ، وتاج العروس لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق المعروف بمرتضى الزبيدى (ت ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م) فهما فى الحق دائرتا معارف اضطلع بتأليف كل منهما رجل واحد ، ولكن تطلع على مادة واحدة فى كل منهما لتشعر بخطر الجهد الذى بذل فى وضعها ، وسبحان من يسر لرجل واحد ان يستطيع وحده بما تعجز عنه المجامع واللجان .

رسائل اخوان الصفاء : دائرة معارف فلسفية

ولا بد فى هذا المجال من كلمة عن رسائل اخوان الصفاء .

انها دائرة معارف من طراز فريد فى بابه فى تاريخ الثقافة البشرية ، الفتها جماعة من الاصدقاء ، كلهم فلاسفة يجمعون برأى واحد فى نشأة الكون وحقيقته والظواهر ، والحقائق واصولها ، وما الى هذه من مسائل الفلسفة التى شغلت اذهان الناس فى العصور الوسطى .

كانوا جماعة سرية ، لم يفصحوا عن اسمائهم او عن حقيقة انتمائهم، واكتفوا بان سموا انفسهم اخوان الصفاء وخلان الوفاء ، وقد عاشوا خلال النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى والغالب انهم فرغوا من رسائلهم سنة ٣٧٣هـ/٩٨٣م. .والواضح من رسائلهم انهم كانوا شيعة اسماعيلية ، وان هدفهم من تحرير هذه الرسائل هو الدعوة لمذهبهم هذا عن طريق العلم والفلسفة .

ويبلغ عدد الرسائل احدى وخمسين كلها مكتوبة بطريقة واحدة تقوم على التأويل والرمز ، تشتمل الكلام على الموت وغاية النفس فى الحياة الدنيا ، والعقل ، والنور والظلمة ، والجوهر والعرض ، وتصنيف العالم ومكان الانسان فيه ، والنفس ، والقوة الالهية ، والبعث والقيامة ، والحكمة والفلسفة والخالق سبحانه ، والعقل واركانه ، وما الى ذلك من مسائل الفلسفة والالهيات .

انها دائرة معارف فلسفية لا تزال الى الآن مشكلة من مشاكل تاريخ الفلسفة عندنا ، ولكنها على اى حال اول دائرة معارف فلسفية ظهرت فى التاريخ ، ومهما يكن الرأى فى نظريات اصحابها فهى شىء طريف فى مكتبتنا العربية ، وهى مظهر من مظاهر الموسوعية فى ثقافتنا .

حسين مؤنس

صورة من صور الحياة :

الرزق صحبة .. والصحبة أنس .. والشيخوخة وحشة

■ [illegible] الناس [illegible] جمال [illegible] الأرض [illegible] الأكثر [illegible] والأكثر [illegible] ، إنما هو [illegible] على [illegible] كان بها [illegible] هذا [illegible]

[illegible] على [illegible] وانحناء [illegible] وأحضرت [illegible] الناظر ، [illegible]

[illegible]

* * *

[illegible] كان أحدهما [illegible] الصباح ، [illegible] ، [illegible] القاعد غير [illegible] ، [illegible]

[illegible]

[illegible] على [illegible] لا [illegible] هذا [illegible] من [illegible] في [illegible]

[illegible] هذا [illegible] الأمير [illegible] ؟

ولم [illegible] الجواب [illegible] وفي هذا المكان [illegible] .



وخرج منها فتى وفتاة ، وهما لا شك بعض زائري المدينة من السائحين .

* * *

وكانت العربة في سائقها ، وأناقتها ، جملة مغرية .

وفرغ السائق من فتاه وفتاته ، فانصرف الى محل كان ينتظره في العربة راح وامسك بيده تخرج من العربة ، ناحية المحل ، فشدها . فعلمنا مما جرى انها "فرملة" ، شدت العجلات شدا ، فهي لا تستطيع [illegible] ، ولا تستطيع العربة ان تسير ، ولو شاءت ، [illegible] حرفا .

طلب السائق الأمان لعربته اولا ، ثم انصرف ناحية أخرى . كانت هذه الناحية في مؤخر العربة . [illegible] نستطيع ان نرى ما نفعل عندها [illegible]

رأينا شيئا عجبا : الحصان . الحصان يلتفت برأسه الى الوراء ، يريد أن يرى ما يصنع السائق ، تماما كما يلتفت [illegible] ، ثم يعود ، والى ناحية الرجل الحصان وحده هو ينظر .

توقع في أنفسنا ان الحصان يتوقع [illegible] شيئا . والسائق بطيء في [illegible] الحصان اسمه هذا البطء .

[illegible] سيظهر بالحلاوة وفيها [illegible]

[illegible]

زمامه . انه لا بد ان يأكل ، والحصان ، كالانسان ، لا يأكل وهو مزموم ، لا بد من حرية وانطلاقة في ساعة ما ، ولو لم تكن الا ساعة الطعام .

وحمل الحصان حبل المخلاة فوق رأسه ، وغرس فيها فمه الطويل ، ورأينا اشداقه تمتلئ وتمتص ، وعلى وجهه الرضى والقبول .

ونظرنا الى السائق ما سوف يصنع بعد هذا . بعد شدت المنظر حقا .

ورأيناه يدور على العربة بقطعة من قماش يزيلها نظافة ، ويفعل ذلك في غير عجلة ، ولا جلبة . كان رجلا شيخا . ثم اذا به يذهب الى حيث مقعده العالي من العربة المحطور ، ويرفع هذا المقعد ، وياخذ من تحته شيئا ، ويرد المقعد مكانه ، ثم هو يذهب بهذا الشيء في يديه الى المقعد الخلفي من العربة ، حيث كان الفتى والفتاة ، فيجلس فيه مجلس الزبون ، في راحة ، ويفض الذي جاء به . ثم اذا بنا نراه يأكل . لا بد ان هذا غداؤه كان حفظه على عادته تحت مقعده .

ومضى زمن :

الحصان الحيوان يأكل غداءه .

والسائق الانسان يأكل غداءه .

والنهار يكاد ينتصف .

وفرغ الرجل . وفرغ الحصان . وقام الرجل يرفع عن الحصان مخلاته . ولكن الحصان يمضي المخلاة الى أعلى ، ليمضي الى أعلى نفبة من الطعام كانت لا تزال في قاعها ، لكي يطولها فمه

وبعد رفع المخلاة جاء الرجل بجزرات ثلاث ، فالتقطها الحصان بشفتيه ، وهز رأسه ، فقلناه بشكر .

واختفى الرجل ، واذا به يعود بجردل ماء لا ادري من اين جاء به ، فلم يكن المكان مكان حوانيت ولا ماء . ثم اتضح ان هناك بابا في الارض ، ينزل فيه الانسان فيجد به موضعا لاشياء ، اختفت من الانظار ، لانها لا تأتلف ومظهر المكان .

وشرب الحصان حتى ارتوى .

واستعد الرجل للعمل ، وصعد الى مكانه العالي من العربة .

* * *

وعندئذ خطر لنا ان نستاجره ، كما استاجره من جاء من قبلنا ، ويستاجره من يجيء بعدنا ، في جولة . فهذا عمله : تجوال عند حافة البحيرة ، او تجوال في الصميم من المدينة .

كانت في نفسي حاجة الى أن استشف شيئا من حياة هذا الرجل ، وحياة هذا الحصان ، والصلة الوثيقة بين هاتين الحياتين مع اختلاف الجنسين .

وركبنا .. ومضت العربة في المسير .

قلت : كيف حالك اليوم ايها السيد السائق ؟

قال : بخير حال يرجوه شيخ مثلي .

قلت : وفرسك .. ان به نشاط الفتوة ..

قال : بل هي مراجعة الشيخوخة ، فهو شيخ مثلي . ولكنه بنشط دائما من بعد طعام .

وجرى الحديث هكذا بسيطا قصيرا ، ولغير غاية . وذكر لي مشقة الكسب من عربة وحصان هذه الايام . وجرى الحديث في كم يدخل جيبه ، وكم يخرج منه ، وكم له ، وكم لفرسه .

وعندئذ بدا لي أن اكتبه .

قلت : ولكن هذا استغلال .

فبدا اول الامر انه لا يفهم ، ثم فهم .

قال : استغلال ! وكيف يكون هذا . اني انا الذي جئت له بالعربة ، وانا الذي انظفها له كل يوم ، وانظفه . وهو لا يستطيع ان يلبسها ، فانا البسه اياها . وانا الذي آتي له بالزبائن . والمسكن علي ، والماكل والمشرب . واحمل له الطعام ، واحمل الماء . واعطي له الجزر وقطع السكر يا سيدي لارفه عنه ، وهو مغتبط بذلك . الم تر على وجهه الرضى عندما القمته الجزر ؟

قلت : لا عليك . انما اردت ان اجعلك تذكر الخير الكثير الذى تدين به لهـذا الحيوان الاعجم لتطيب انت نفسا .

وكان قد احمر الحديث بعض احمرار ، واستحوذ على بعض انتباه الرجل للطريق ، فرانت الحيرة في مطلع الحديث .

حتى بلغنا موضعا من البحيرة جميلا رائعا ، ساكنا .

قلنا للسائق اذا لم يكن عنده مانع ، فالوقوف في هـذا الموضع فيه متعة للنظر ، وللنفس انتعاش .

ووقفنا .

* * *

واستدار لنا السائق كأن عنده بقية من كلام ، فبادرناه نحن بالكلام

سألته : تقول ان فرسك شيخ ، فكم سنه ؟

قال : على الفور : عشرون عاما ، وعشرة اشهر تنقص يومين .

قلت : كيف عرفت بهذا التحديد .

قال : حضرت ميلاده .

وسكت هنيهة حتى يستقر جوابه غير المنتظر في أسماعنا .

ثم عاد الى الحديث .

قال : انا يا سيدى اليوم سائق عربة حنطور ، ولكني بالامس كنت مربيا لافراس شهيرة ، سابقات في حلبات السباق سابقات . وهذا الفرس احدها ، ارتفعنا في الحياة معا ، وانخفضنا في الحياة معا . وارجو عندما ينتهي ان ننتهي معا . اني قاربت الخامسة والستين ، واخشى ان يطول زمانه فوق زماني ، فمن بعدي : من يغذيه كما اغذيه ، ويسقيه كما اسقيه ، ويدلله كما ادلل . انها صحبة العمر يا سيدي ، وصحبة الحيوانات المخلصة اوفى واخلص واصدق .

قلت : انت تتحدث عنه بعاطفة كعاطفة الاب لبنيه .

وهز الرجل رأسه ، وراح كأنه يستحلب الذكرى من سنين غوابر .

قال : ان مربي الافراس يا سيدى تدخل في حياتها تدخلا يعادل تدخل الام في حياة أطفالها ، وتدخل المعلم ايضا . ان تربية الفرس تبدأ منذ الاشهر الاولى من عمره ، ولا بد من التعرف على الفرس وهو ابن ثلاثة اشهر . ولا بد للمدرب من التحبب اليه ، واعطائه الطعام الجيد من كفيه ليعلم انه صديقه . فالتعليم وسيلته الالفة والود والحب . ويأبى الفرس الصغير اللجام ، ويأبى السرج ، ويأبى كل ما يحد من حريته . ثم بالدروس ، نصف ساعة فنصف ساعة ، يخلو فيها المدرب رويدا رويدا الى ما يصلح به الفرس فيتنزل من حريته عن كثير . وهي دروس تمتد على السنين . وشاءوا ان يخرج فرسي هـذا الى السباق في الثالثة ، فأبيت الا الرابعة .

قلت : لا بد لهذا التعلم من ذكاء غير قليل .

قال : ذكاء الفرس كذكاء الطفل يظهر بالتعليم . ذكاء الطفل يكشف عنه النطق ، وذكاء الفرس يحجبه خرس لسانه . ورغم الخرس ، فللفرس مع صاحبه اشارات واصوات ، يعبر بها عما يجد ، ولا يفهمها الا صاحبه . انه يحس ويطلب ، ويريد ان ينطق ، فيعجزه النطق ، فان ضاق به صنع ما يصنع الاخرس من بني الناس . والصهيل يا سيدي ؟ ما الصهيل ؟ انه لغة ، كثيرا ما تعبر عن الخوف ، وكثيرا ما تكون طلبا للنجدة . والصهيل أصناف ، كما الصياح صنوف تحمل الشيب من الناس ، قاموسها الذي ، حصيلة عمري .

* * *

وسرح فكري من السائق برهة ذكرت بها الذى قاله السائق موقفا لي مع حصان :

منذ سنوات كنت أسير في المعادي ،

وإذا بحصان يجر عربة ، كانها عربة زبال . ولم يكن معها زبالها . وكان اليوم صائفا . واتجه الحصان بعربته الي ، وقد اخرج لسانه . ووقف . ادركت بالبديهة انه يريد أن يقول انه عطشان . ولحق به صاحبه متبدلا . قلت حصانك عطشان . قال : ومن اين لي الماء هنا ؟ قلت : ادخل ابا من هذه البيوت واطلب ماء . فدخل أقرب بيت ، وبعد حديث قصير مع الحبشي ، خرج الينا ومعه وعاء من ماء . ورأى الحصان الماء فاتجه بنفسه اليه . وشرب حتى ارتوى .

قال لي الزبال : اهل هذا البيت ناس طيبون .

ولم اقل شيئا . كان البيت بيتي

* * *

فرغ سائق المحطور من حديثه ، واستأذنا في العودة ، فأخذنا نعود .

* * *

واردت ان اعرف ما جرى لحصانه الشيخ بعد ذلك ، وكيف تقاعد .

قال ان الافراس جميعا ، من ذات ساق وغير ذات ساق ، لا تبدأ تعمل عملا نافعا الا في سن الخامسة او السادسة ، وتستمر تعمل وتنتج ثمانية اعوام ، قد تمتد الى عشر ، واحد عشر عاما ، وقد تزيد . كل ذلك تبعا لصنف العمل . فالعمل ذو المجهود الكبير يقصر فترة الرجولة النافعة عند الافراس ، ويقرب الشيخوخة . وعندئذ بعد ثماني سنوات أو عشر من العمل الحاد ، يحال الفرس الى اعمال اخف ، كجر العربات الخفيفة . واخف من ذلك ارساله الى احد المزارع ، يعمل فيها ساعات قليلة في النهار ، حتى يأتيه قضاء الله .

قلت وفرسك هذا ؟

قال : احيل الى التقاعد في الوقت الذي احلت انا فيه على التقاعد ، فصحبته معي ، لنلقى ما شاء لنا القدر معا .

قلت : ولكن فرسك هذا لا يزال رغم التقاعد شديدا خفيفا ؟

قال : لانه فرس اصيل . ان سجلات الاصطبل الذي ولد فيه تقول ان اباه العاشر كان فرسا عربيا أصيلا . أتسمع عن العرب يا سيدي ؟

قلت : نعم ، اسمع .

قال وتسمع عن صحاريهم ؟

قلت : نعم اسمع .

قال : في هذه الصحاري الواسعة نشأ الفرس العربي . ويصطحبه البدو في قوافلهم ولا يركبونه .

قلت : اذن فلم يصطحبونه ؟

قال : يصطحبونه ، حتى اذا اغار عليهم مغير ، وما أكثر ما يوجد في البدو المغيرات ، كانت الافراس الخفيفة السريعة اعون على الهرب .

قلت : ولم لا تقول كانت اعون على المطاردة ؟

قال : هكذا تعلمنا .

قلت : انت ذكرت ان فرسك الآن فات العشرين ، فكم ترجو أن يعيش بعد ذلك ؟

قال : خمس سنوات اخرى ، بمقدار ما ارجو أن أعيش . . والا فمن يكون له بعدي ؟

قلت : او من يكون لك بعده ؟

قال : اي والله ، من يكون لي بعده ؟

قلت : انه رزق لك ، وانت رزق له ، وفوق الرزق الصحبة ، والصحبة أنس ، والشيخوخة وحشة . أحمد الله لكما في رزقكما ، وانسكما ، وشيخوختكما على الخير ان شاء الله .

وكنا بلغنا من المدينة حيث بدأنا ، عند ذلك المكان المحجوز من افريز الشارع .

فسلمنا وودعنا .

■

احمد زكي



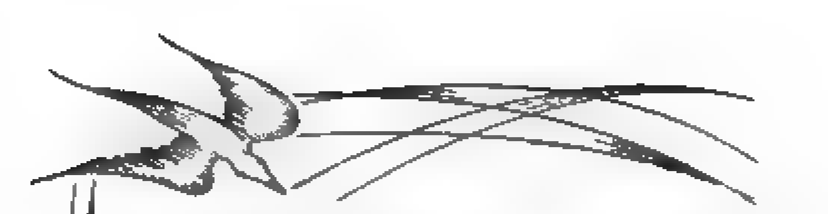
البحيرة..

● [illegible] ... (١٧٩٠–١٨٦٩م) [illegible] فوق البحيرة [illegible] ... والترجمة للمرحوم الدكتور نقولا فياض

[illegible]

* * *

[illegible]



يادهر قف ، فحرام أن تطير بنا ... من قبل أن نتملّى من أمانينا
ويا زمان الصبا دعنا على مهل ... نلتذّ بالحب في أحلى ليالينا
أجب دعاء بني البؤسى بأرضك ذي ... وطر بهم فهم في العيش شقوينا
خلد الشقيّ ، وخذ منه تعاسته ... وحلّنا ، فهناء الحب يكفينا
هيهات هيهات أنّ الدهر يسمح لي ... فالوقت يمضي والساعات تُعبينا
أقول لليل قف ، والفجر يطرده ... يمرّ منه بسترات يُحجّبنا
فلنغنم الحبّ ما دام الزمان بنا ... يجري ، ولا وقفة فيه تعزّينا
ما دام في البؤس والنعمى تصرّفه ... إلى الزوال ، فيلقى وهو يبلينا

* * *

تالله يا ظلمة الماضي ، ويا عدمًا ... في ليله الأبدي الدهرُ يرمينا
ما زال لجلك للأيام مبتلعًا ... فما الذي أنت بالأيام تُجرينا ؟
ناشدتك الله قولي ، ورحمي ولهي ... أترجعين لنا أحلام ماضينا ؟

* * *

يا بحيرة أيام الصبا ، أبدًا ... تبقين بالدهر والأيام تزرينا
تذكارُ عهد التصابي ، فاحفظيه لنا ... صبك عهد التصابي بات مدفونا
على مياهك ، في صحو وفي كدر ، ... فليبقَ ذا الذكرُ تُحييه فيُحيينا
وفي صخورك ، جرداء معلقة ... عليك ، والشوح مسودٌ أعاليه
وفي صفافك ، والأصوات راجعة ... منه إليها ، كترجيع الشجيين
وليس في القمر الساري ، مبتسمةً ... أنوارُه سطحك الزاهي ، به حين
وكلما صفحتك الريح في سحر ... أو حرّكت قصبات عطفها بينا
أو فاح في الروض عطرٌ ، فلتكن ذا ... صوتًا يردّدُ عنّا ما جرى فينا
أحبّنا وأحبّته ، وما سلمتا ... من الردى ، رحم الله المحبّينا





مشتركون جدد في المسابقة

■ تميزت أغلب إجابات القراء المشتركين في هذه المسابقة بصحة إجاباتهم، وكثرتها، والتي زادت عن ١١ ألف إجابة، جاءت من ٤٠ دولة مختلفة في العالم.. ولوحظ اشتراك بعض الدول لأول مرة بإجابات عديدة، جاءت من اليمن، والجزائر، والمغرب العربي، ومسقط، واندونيسيا، وتشيكوسلوفاكيا..

حل المسابقة

للمسألة حلان، الأول: ٥ + ١ + ٩ = ١٥ و ٣ + ٤ + ٨ = ١٥ و ٢ + ٦ + ٧ = ١٥

والحل الثاني: ٩ + ٢ + ٤ = ١٥ و ١ + ٦ + ٨ = ١٥ و ٥ + ٧ + ٣ = ١٥

حل المسألة الثانية:

٩ + ١ = ١٠ × ٥ = ٥٠

٨ + ٢ = ١٠ × ٥ = ٥٠

٧ + ٣ = ١٠ × ٥ = ٥٠

٦ + ٤ = ١٠ × ٥ = ٥٠

وقد أجريت المسابقة بين الإجابات لنيل القراء المذكورة أسماؤهم فيما بعد، بجوائز مجموع قيمتها ١٠٠ دينار

الجائزة الأولى ٢٠ ديناراً فاز بها علي مذكر القحطاني — الظهران — السعودية.

الجائزة الثانية ١٥ ديناراً فازت بها، حليمة فتح الله الداودي — الدار البيضاء — المغرب

الجائزة الثالثة ١٠ دنانير فاز بها علي محمد الشواهين — القدس — الأردن.

٨ — جوائز قيمة كل منها ٥ دنانير فاز بها.

١ — محمد شميل عطيات — كلية الهندسة — اليمن

٢ — يحيى عبد الغني عوض الله — الشلال — الجمهورية العربية المتحدة

٣ — ربيحة محمد علي — كركوك — العراق

٤ — خالد عبد الله جيجان — منطقة الصابرية — دولة الكويت

٥ — جاسم محمد المحمود — الشارقة — الخليج العربي

٦ — آمال اليافي الأشقر — بيروت — الجمهورية اللبنانية

٧ — عبد الله محمد بعصر — الحديدة — الجمهورية العربية اليمنية

٨ — سمير لاجين — حلب — الجمهورية العربية السورية

وسوف ترسل الجوائز بالبريد للفائزين ■■

رحمة بالمعلمين

● من الضروري التحقق من الاستمرارية للمعلم ، وصلابته و الحق في ممارسة رسالته ...

فعلى سبيل المثال ، اعتدى طلاب مدرسة ، في ... على أحد المعلمين وأحدث له كسرا في فكه ، وحكم عليه من أجل ذلك بغرامة قدرها ٥٠ جنيها ، على أن يتحمل كذلك بقيمة علاج ذلك المدرس التي بلغت ٤٥ جنيها أخرى .. وهو حكم لا يكاد يوجد بين القضاة من يعده حكما رادعا .

وتقول هيئة اتحاد المعلمين الوطنية بانجلترا ، إنه ، طبقا لمعلوماتها ، لا يمر شهر دون أن تصدر أحكام في حوادث اعتداءات مختلفة على المعلمين ، لا يقل عددها عن ثلاثة أو أربعة ، فضلا عن التهديدات التي تصل المعلمين عن طريق البريد اليومي من بعض الآباء .

والسؤال الذي يدور الآن ويشغل هيئات تعليمية متعددة هو : هل بذلت جهود مخلصة لحل هذه المشكلة ؟ وما الخطوات التي اتبعت تجاه تهديد بعض الطلبة المدرسين ، إذا شاءوا ... أن يرفعوا أمرها إلى ... وما أثر هذا النظام بالمدرسة ؟ ثم هل أحس المسؤولون كم ضرورة استدعاء البوليس إلى المدارس ، وخاصة في المدارس الثانوية « الحديثة » لسد ... من أمر الفرقة الأمريكية الحديثة ، التي توصي بعقد جلسات مشتركة بين أولياء أمور الطلبة والمدرسين بكل مدرسة ، هل تصلح هذه الطريقة لتكون علاجا ؟

فخر الآباء

في جريدة الصنداي اكسبريس

●



هل خرائطنا الجغرافية صحيحة ؟

● كلما تمعن علماؤنا في ابحاثهم ، عرفوا المزيد من اسرار ذلك الكون الذي نعيش فيه ، ولا سيما مواقع القارات على سطح هذه الارض . فقد اثبتت الصور التي التقطها القمران الصناعيان اللذان اطلقتهما الولايات المتحدة الامريكية ... ان جزر برمودا تنحرف مواقعها الجغرافية عن سطح الارض عن المواقع الاصلية المحددة لها والمعروفة لنا منذ امد طويل ، وذلك بمقدار ٢٢ قدما جهة ... و ... اقدام جهة الغرب .

والواقع ان هذا الفرق ليس ذا قيمة ... ، اذ انه لن يعوق قاصدي تلك الجزر الساحرة من سياح ... او قادة السفن والطائرات ، فكل هؤلاء سيتمكنون من الوصول اليها دون ان ... لهم ذلك الانحراف ... الذي لم ... بعد ... صعوبة .

لكن السؤال الذي ... على ... هو : هل مواقعنا التي نعيش عليها من سطح الارض والتي عرفناها ، هل هي حقيقة ثابتة ، كما هي على الخرائط المتداولة ... ، ام بحاجة الى تصحيح ؟





حجة الحلفاء اصبحت حجة للصين

● ما من احد يستطيع الانكار بان الصين كانت ستتوقف عن ... آمالها النووية ، لو ان فرنسا وانجلترا كلتاهما قد توقفتا كذلك .

ومع هذا فالمبررات الكثيرة التي اعترفت بها هاتان الدولتان لتحقيق آمالهما النووية ، اصبحت حججا ومبررات يمكن ان تستغلها لنفسها اليوم . ان الصين هي على كل حال اكثر دول العالم سكانا ، وقد تعرضت اراضيها لاعتداءات اجنبية كثيرة منذ تزيد على قرن من الزمان . وحليفتها (على الاقل على الورق) لا يمكنها الاعتماد عليها فحسب ، بل انها تتخذ منها موقفا عدائيا . والصين لا تجابه خصما واحدا ، كما تجابه فرنسا وانجلترا ، انها تجابه دولتين عظيمتين يحتمل ان يكونا كلاهما خصما لها .





بقلم سلمى الحفار الكزبري

■ قرطبة الأندلس الإسلامية ، عاصمة العلم والفن والمجد منذ أكثر من ألف عام ، وشعل الإشعاع الحضاري الشامل في الغرب والشرق ، غنية عن كل تعريف . ثم فيها من كنوز الفكر وآيات الإبداع الإنساني ما لم يجتمع في مدينة أخرى ، حتى ولا في عاصمة عربية غيرها .

قرطبة هي المسجد

يعرف المؤرخ الإسباني روخيليو بيريث أوليباريس Rogelio Perez O... في كتابه المشهور «المسجد قرطبة» ، أن قرطبة هي المسجد .

ولا شك مطلقا في أن من أبدع آثار قرطبة وأكثرها أهمية وأبلغها تعبيرا عن ثروة الفن والذوق التي بلغتها الدولة الإسلامية فيها ، إبان الخلافة الأموية، ذلك المسجد العظيم La Mezquita الذي تحول في عام ٧٥٦ م ، أي بعد فتح الأندلس مباشرة ، إلى بيت من بيوت العبادة والعلم فريد في نوعه ، ووحيد في طرازه ! وظل هذا المسجد يتسع ويزدهر حقبة بعد حقبة ، وقرنا بعد قرن حتى أوائل القرن الحادي عشر الميلادي ، أي منذ ولاية الأمير عبد الرحمن الأول (الداخل) في قرطبة ، حتى نهاية حكم الحاجب المنصور سنة [illegible] م .

وهكذا رافق المسجد ، في رفع سقفه وتوسيعه واستكمال زخرفه ، بناء الدولة الإسلامية في الأندلس ورقيها وازدهارها ، فأصبح الصورة الواضحة التي تعكس على العالم أجمع ، وعبر العصور ، الحضارة العربية الإسلامية أصدق انعكاس ، في مختلف زواياها الفنية والعلمية والروحية والتاريخية .

معبد روماني قديم

يذكر الباحثون العرب والغربيون ، من إسبان وغيرهم ، أن الفاتحين المسلمين وجدوا في قرطبة بعد استيلائهم عليها عام ٧٥٦م كنيسة مقامة في وسط معبد روماني قديم ، فاستولوا على نصفها في الحال ، وجعلوا منه مسجدا لهم ، تاركين نصفها الثاني للمسيحيين . ثم حدث فيما بعد أن كثر عددهم في المدينة ، فضاق بهم المسجد



بعض الزخارف والنقوش البديعة

الصغير ، وكان آنئذ المركز الوحيد للعبادة عند بعضهم وذلك لشراء الكنيسة الصغيرة المتاخمة له من المسيحيين ابان حكم عبد الرحمن الاول . علما ارضوهم وعوضوا عليهم ماطالب امر الامير بهدم المعبد الروماني بما فيه عام ٧٨٥ واقامة مسجد كبير للمسلمين في مكانه .

يقول المؤرخ الاسباني ليوبولدو توريس بالباس Leopoldo Torres Balbas في كتابه « مسجد قرطبة واطلال مدينة الزهراء » ، ذلك الذي صدر في مطلع هذا القرن . لقد جرت عند بعثة اجريت في ارض جامع قرطبة حفريات اثرية توجد المنقوش تحت ارضية بقايا بناء قصر في مساحة صغيرة ، يمكن جدا ان تكون الكنيسة المعنية ، كما وجدوا على عمق اكبر آثارا لابنية رومانية .

لن اتحدث عن هندسة المسجد وانما ..

ولن اتحدث هنا عن هندسة هذا المسجد العجيبة وزخارفه النادرة ، والتعديلات التي اجريت عليه لتوسيعه وتجميله ، بعد اشراف كل امير وخليفة من ملوك بني امية الذين تعاقبوا على الحكم في قرطبة منذ القرن الثامن عشر ، انما يهمني ان ادع المصادر التاريخية والسياحية تحدثنا بنفسها عما حدث لهذا المسجد العظيم بعد خروج الاسلام من الاندلس واستيلاء الاسبان عليها من جديد ، وهي قصة مثيرة .

ولكن ، وقبل ان ندع المصادر تسرد لنا قصة الكاتدرائية يجدر بنا ان نذكر ، ونحن في معرض الحديث عن المسجد ، ان اول من فرض الاستجار في صحنه الكبير هو : الامام السامي اثناء امارة عبد الرحمن الاول ، وان الحكم الثاني هو الذي اوصل الماء الجاري من جبل قريب من قرطبة في الشهر الاول من عام ٩٦٧ ، اذ كانت المياه في صحنه قبل ذلك ترفع من بئر بواسطة ناعورة . اما مئذنة مسجد قرطبة الاولى التي انشأها هشام الاول في اواخر القرن الثامن ، فقد حلت محلها مئذنة رائعة امر ببنائها الخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر) عام ٩٥١ ، وكانت تعتبر اكبر واجمل مئذنة في الغرب . ويقول احد مؤرخي الاسبان ان مئذنة مسجد قرطبة اصبحت فيما بعد فريدة ، ومثالا يحتذى في بناء ابراج الكنائس والمآذن الاسبانية والمغربية ، كما قلدها الموحدون في اقامة مساجد الموحدين الكبرى في كل من مراكش والرباط واشبيلية . ولم يبق اليوم من هذه المئذنة الا اسسها وبعض الاقواس المعقودة على جدرانها ، ونافذة واحدة مثلثة . وبعد ان حولت الى برج لاجراس هدمتها عواصف شديدة في عام ١٥٨٩ م فدفع هذا رجال الدين ومجلس المحافظة في قرطبة الى رصد مبلغ كبير لتجديدها وتكبيرها

قصة المسجد بعد هزيمة المسلمين ❋

احتل الملك فرناندو الثالث ، الملك بالقديس ،

❋ من المصادر التاريخية التي نروي عنها القصة كتاب ... مسجد قرطبة ، للمؤرخ الاسباني ... ٣١ ـ ٣٦٢ ـ ١٨ ... وكتاب مسجد قرطبة واطلال مدينة ...

مدينة قرطبة في صيف عام ١٢٣٦ ، فكان أول ما توجه اليه بعد دخولها المسجد العظيم ، يتبعه رجال الدين ، وعدد كبير من قواد جيشه . وكان أول ما فعلوه أن أقاموا في كل جدار من جدران المسجد كنيسة صغيرة ، كما أمروا ببناء كنيسة « سان كليمنتي San Clemente » الى جانب حائط القبلة .

وبوشر ببناء كنيسة ثانية باسم فيلافيسيوسا Villaviciosa عام ١٢٥٨ ، وكان لابد من هدم وتخريب قسم من المسجد لانشائها . ساهم الملك الفونسو العاشر ، « الحكيم » ، في بناء هذه الكنيسة ، وأبدى العناية لبناء كنيسة ملكية أخرى قرر أن يجعل منها مثواه الأخير .

وكان من حسن حظ الفن في هذا الأثر الاسلامي الفريد أن كان ملك الأسبان الفونسو العاشر مقدرا لهذه التحفة البديعة ، واعيا ، وهو يشيد فيه كنيسته الملكية ، سعى سعيا حثيثا للمحافظة على طابع المسجد وأنه قبل على سلامته ورونقه .

واصدر الفونسو العاشر عام ١٢٦٣ أمرا يعفي فيه كل المهندسين والعمال المسلمين في قرطبة الى أن يعمل كل منهم يومين في السنة في الكنيسة الكبيرة (الملكية) ، أي في مسجدهم القديم ، من أجل « أن يبقى مصونا ، ولكي يحولوا دون تداعي بنائه أو هدم أي شيء فيه » .

وهذا ما قاله الملك بالذات ، نقلا من كتاب مسجد قرطبة الذي سبق ذكره .

كما دعا المسلمين القرطبيين من بنائين ونجارين وفنانين للعمل في المسجد . والأهم من كل هذا أنه أصدر أمرا عام ١٢٨٠ باعفاء نجارين وبنائين من كل الضرائب المترتبة عليهم نظرا لمهارتهم في العمل. لذا نجد ، حتى اليوم ، أن الطابع الذي أضيف اليه ضمن المسجد عربي صرف في طرفه وألوانه وزخارفه .

وكان لا بد من اقتلاع أعمدة كثيرة ، وزخرفة السقوف الخشبية الرائعة لتلك الكنيسة الكبيرة ، ومع هذا كانت النتيجة أن سلم المسجد من الخراب بفضل وعي ملوك الأسبان وحرصهم عليه من جهة ، ومهارة الصناع القرطبيين من سلالة العرب في القرن الثالث عشر من جهة أخرى .

الكنيسة تصبح كاتدرائية

وفي القرن الرابع عشر أصبحت العناية في المسجد لدفن رفات الملك الفونسو الحادي عشر عام ١٣٧١ بأمر ابنه انريكي (هنري الثاني) ، فوضعت في قلب الكنيسة الملكية التي أصبحت كاتدرائية .

توسيع الكاتدرائية وخلع ٨٥٠ عمودا

وفي القرن الخامس عشر تولى الأسقف اينيجو مانريك Inigo Manrique توسيع الكاتدرائية ، ففي عام ١٤٨٩ خلعت أعمدة عديدة بلغ عددها ثمانمائة وخمسين عمودا ، كانت تشكل مساحة هامة كبرى من المسجد ، وتمتد من حدود كنيسة فيلا فيسيوسا حتى الجدار الغربي من المسجد . ويقول المؤرخون الأسبان بأن الملكة الكاثوليكية ايزابيلا لم توافق على هدم قسم من المسجد لانشاء كاتدرائية واسعة في مكانه . ولكن مجلس الكهنة أقدم مع ذلك على انشائها .

أراد الكهنة للمسجد زيادة في هدم وعارض المجلس البلدي

ومما يؤسف له الكثير ، أن رجال الدين في قرطبة لم يكتفوا بما هدموه ، وبالكنائس التي أنشأوها ضمن المسجد ، بل صمموا منذ ذلك التاريخ على بناء كاتدرائية عظيمة في وسطه ، كبيرة المساحة ، كاملة الأجنحة ومتناسبة مع ذوق العصر . ففي أبريل (نيسان) من عام ١٥٢٣ باشروا بتحقيق مشروعهم أي بهدم مساحة كبيرة واقعة بين القسمين اللذين قام بتوسيعهما وبنائهما في المسجد كل من عبد الرحمن الثالث والمنصور . فاعترض سكان قرطبة وأيد اعتراضهم المجلس البلدي فيها .

مجلس الكهنة والمجلس البلدي يحتكمان للملك

تقدم كل من مجلس الكهنة ومجلس البلدي بظلامته وشكواه للبلاط الملكي في العاصمة . فتوقفت الأعمال في المسجد بعد أن هدد أعضاء المجلس البلدي بعقوبة الموت لكل من يساهم في تخريب المسجد أو يعمل فيه ، ريثما يبت الملك في المشكلة . ولكن الامبراطور شارل الخامس لم يساند المجلس البلدي اذ كان يومئذ يجهل الأثر ..... لذا انتصر رجال الدين ، وبوشر بأعمال الهدم في قلب المسجد لتشييد الكاتدرائية الكبيرة في السابع من شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٥٢٣ .

● كاتدرائية في قلب مسجد

نغم شاذ وسط سمفونية رائعة

ولست اقول هذا تحيزا او تعصبا بل انتصارا للحق وحده وغيرة عليه ، ففي كل يوم يكرر الادلاء في مسجد قرطبة لالوف السائحين ما يمسه هذا الحدث وكيف يأسف لحرمان المسجد من عموده البصري ، ولقيام الجدران الثقيلة والقبة العالية ، والسقوف ذات الرسوم وسط الاثر الفريد وكأنها ، وهذا قول دليل عجوز معروف في قرطبة ، « نغم شاذ في وسط سمفونية رائعة ... » .

ومن غريب الصدف التي وقعت على جملة تؤيد هذا الرأي كتبها المؤرخ الاسباني (بالمس) في كتاب مسجد قرطبة عن تاريخها بالحرف الواحد :

(١) « ان القبة المسيحي في وسط المسجد القليل الاعمدة هنا ، علاوة على انه يقطع على الناظر استمرار الاقواس التي لا تنتهي ، ويحد مع الاسف من منظر اروقته واجنحته التي لا يوجد لها مثيل . وحتى لو انشئت هذه الكاتدرائية في مكان خاص بها ، والبعيدة كل البعد عن مثل هذا الموقع ، لما حظيت باهتمام اكثر ، نظرا لان الفن السائد عليها غير اصيل ، ولانها من صنع مصممين متوسطي الكفاءة » .

ورحم الله الوزير ابا عامر بن شهيد حين قال :

ما في الطلول من الأحبة مخبر
فمن الذي عن حالها نستخبر

فلمثل قرطبة يقل بكاء من
يبكي بعين دمعها متفجر

عهدي بها والشمل فيها جامع
من أهلها والعيش فيها أخضر

والقوم قد أمنوا تغير حالهم
فتمصروا بجمالها وتأزروا

والعيش غض من أمورهم واخر
من كل أمر واسطاعة أوفر

حرسي على سرواتها وبرواتها
[illegible]

[illegible]
[illegible]

دمشق ـ سلمى الحفار الكزبري

ندم الامبراطور

ويقول المؤرخ (لياجوير) Leaguee ان الامبراطور شارل الخامس قد ندم على قراره كل الندم يوم مر في قرطبة بعد ثلاثة اعوام من موافقته على الهدم ، وانه ، لما شاهد بنفسه التحفة الرائعة وسط الكاتدرائية التي كان قد اقر ، قال منفعلا : ما حسبت ان المسجد على هذا الجانب من العظمة والروعة ، ولو كنت قد عرفته من قبل لما سمحت بمسه ، لان ما تبنون يمكن ان يبنى في اي زمان ومكان ، في حين انكم هدمتم شيئا كان فريدا في العالم .

ولات ساعة مندم ...

لقد قضي الامر واستمرت الاعمال لاتمام منشأة الكاتدرائية ونصبها حتى نهاية القرن السابع عشر عام ١٦٠٧ ولا ينكر احد ابدا انها اثر مسيحي ضخم ، فيه من النقوش والزخارف واللوحات والتماثيل الشيء الكثير ، ولكنها نابية جدا في وسط المسجد الانيق في بساطته ، الفريد في امتداده وعمقه ، والنادر في جمال اقواسه وجلال اعمدته ، وروعة محرابه الذي يعتبر حتى اليوم ابهى واغنى محراب في مساجد المسلمين قاطبة .

(١) انظر كتاب مسجد قرطبة و مدينة الزهراء ، تشرين ... بالاسباني ص ...



دردشة

بدوي يصف الراديو

● كتب عبد العزيز المصري يصف بدويا رأى الراديو لاول مرة ، ولما ذهب الى اهله وصفه لهم بقوله

جوالت [illegible] فاذا [illegible] من خشب [illegible] فاقعدوها على مصطبة ، لها من واجهة تعرف حدقتها ، فسارت في ساقيها [illegible] على صفحة الرمل [illegible] فلما حرك صاحبي اذنها [illegible] ما احمرت حدقتها [illegible] لها [illegible] صوتا [illegible] زمزمة وهمهمة [illegible] الارض قد زلزلت [illegible] للهرب ، وخطف [illegible] الكرسي [illegible] صاحبي من ردني وقال لي

قلت ، وهذا العفريت ؟

قلت [illegible] في الرده في [illegible] لا [illegible] في عالم من خشب !

[illegible] صاحبي على المصطبة ، [illegible] ، [illegible] واذا [illegible] ، و[illegible] حتى حلمها في جودة الاشباع [illegible] !

ولكني اعلم اين انت !

● [illegible] الاتصال بصاحب له بواسطة التليفون ، [illegible] فصاح بها محتدا

[illegible]

قالت [illegible] !

انعدامهما سبب المرض

● [illegible] للعلم والنسى [illegible] قال المريض وهو يتنهد : لو كان عندي علم ونسى ما مرضت ابدا

مشكلة العنصرية

● [illegible]

فقال واحد منهم ان الدم الهندي يجري في عروقه .

فسأله الاستاذ عن القبيلة التي ينحدر منها .

[illegible]

مدينان لحصالة الطفل !

● قلب الفلوس في يد ام ذات يوم
[illegible]
لعبها في حصالته ، فلما فتحها وجدت
فيها ورقة من زوجها هذا نصها :

— انا مدين لهذا المصرف بخمسة دنانير . .

اذا تعطلت الفرامل

سألت احدى السيدات الشخص الذي كان يعلمها قيادة السيارات

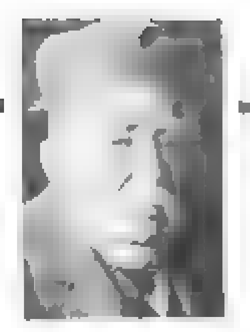
— هب ان الفرامل تعطلت فجأة فماذا افعل ؟

فاجابها : في هذه الحالة حولي السيارة
[illegible]

كلاهما سهل

● سئل فتى فتاة فقال لها : اليس من الصعب علينا الزواج لان ابي كاهن كما تعلمين .

قالت له : ولا الطلاق لان ابي محام



رجاء الى المحررين

● [illegible]
[illegible]
مدير جريدة « الفجر » علق في غرفة التحرير هذا الاعلان ، الرجو من حضرات المحررين الا
[illegible]

في الشنق عبرة !

● [illegible]
[illegible]

فقال : نعم يا سيدي ، عسى ان يكون في هذا عبرة لي !

على كل حال . . لايجدي

● [illegible]
[illegible]
[illegible]

اللص على بعد مائة ميل

● [illegible]
[illegible]

— هل من خوف على اصبعي اذا تركتها في فناء الكوخ ؟

[illegible]
ميل !!



كانت سفارته إلى مصر ، لوقف زحف المغول ، فأعلنت مصر التعبئة العامة ، وكانت موقعة "عين جالوت" وفيها دارت الدائرة على المغول ، وتراجعوا عن الشرق بعدما تركوا فيه من خراب يباب

ابن العديم

[illegible] مصر [illegible] فكان أديبا وشاعرا وفقيها ومفسرا ومؤرخا فذا؟ .

[illegible]

في هذه الخطوط السريعة التي [illegible] معاصريه ، صورة جليلة عن عبقرية هذا الشاب الذي نشأ في [illegible] وفضل ، فعقد على هذا البيت [illegible]

كان جده من سكان البصرة نزح منها بعد [illegible] للهجرة في تجارة إلى الشام ، وفي رواية أن طاعونا نزل بالبصرة فخرج منها جماعة من بني عقيل ونزحوا إلى الشام فاستوطن جدهم الأكبر حلب . .

والده كمال الدين

وبعد ذلك العهد ، حتى القرن السادس والسابع ، والبلاد العربية تحدثت عن هذه العائلة التي أنجبت الأدباء والشعراء والقضاة ، [illegible] ولد كمال الدين الذي ولي منصب

بقلم : سامي الكمالي

قاضي القضاة . وكان قد خطب تعلمه في عهد نور الدين محمود زنكي ، ثم خدم الملك على بأم ولده الملك الصالح اسماعيل ، ثم عرض من منصب قاضي القضاة لا لسبب الا لانه [illegible] [illegible] والدولة [illegible] [illegible] ذلك فيه لأن له من مروءته وخلقه وعلمه ما يغنيه عن التكسب من مال الدولة فسعى في قصره يقطع الوقت بالمطالعة

والتدريس والاشراف على املاكه ومزارعه . وسعيا من في هذه الحياة الحرة الطليقة من كل قيد ، الا شيئا سكن رهص له القلوب ، فقد ابيض فجر اليوم العاشر من شهر ذي الحجة سنة ٥٨٨ هـ عن مولود اشاع السرور في بيت آل العديم .

مأساة عائلية

تصل القاضي والد كمال الدين ، جده السرى برهبة المضطرب غير المطمئن ، فقد انعم الله عليه بعده بنات من اجمل ما خلق الله ، وكان يرى حبه لهنه ، في حسرة على ولد يرث هذا المجد العلمي الذي كان ينتقل من الآباء الى الابناء .

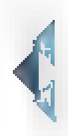
وكلما تقدمت به السن كان يشعر ان القدر لن يهبه مولودا ذكرا ، ولكن الامل كثيرا ما ينبت من الصلابة السود ، ومنّ الله على الشيخ بوليد ذكر . وليس هذا الوليد مؤرخنا كمال الدين ، بل شقيقه ، فلم يكد يشب في الطوق حتى اسكته القدر من بين يديه ، فحزن الوالد حزنا عميقا عند فراقه . واصابه ما لم يصب والد على فقد ولده فامتنع عن الطعام والشراب الا ما يقيم جسمه الهازل .

وقد هم يوما وقد غلبه الحنين والح به الشوق وعصاه الصبر ــ هم ان يخرج فلذة كبده من القبر ليروى غليل شوقه ويخفف مرزئته .

وبالرغم مما كان عليه الشيخ من قوة وجبروت فقد امتنع عليه التعبير ، ولم يستطع ان يكشف عن القبر ، فسرك ان الله جلت قدرته ، اراد ذلك شفقة منه على الطفل وعليه ، فرجع عنه ، وعاد الى البيت مهموما مكدرا يبكي همسا ويصلي ، وما زال حتى [illegible] على فراشه [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] ، وهو في هذه الحالة [illegible] [illegible] [illegible] النظر [illegible] [illegible] والهوى [illegible] [illegible] تراءى له الاحلام وهو في غمرة النعاس . فرأى في تلك الليلة [illegible] [illegible] اولا [illegible] [illegible] ان [illegible] من مرقده .

رأى ولده ، وسمع صوته ، وقد حيل اليه



به مناظرة بعينه

[illegible]

واستطاع ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

وقد ... عنه صورة ... علمية ، ونشأته على غرار آبائه وأجداده .

[illegible] ... فحفظ ... القرآن الكريم ... [illegible]

سفارة

[illegible] ... الاتصال بعلماء عصره ، فسمع الحديث عن أبيه وعمه أبي غانم ، وابن طبرزد ، والافتخار الكندي والخرستاني ... وحلب ودمشق .

[illegible] ... سنوات ..

[illegible]

عاد إلى حلب ... [illegible]

[illegible]

[illegible]

ألفت النظر في جمال خطه ... ولا ... من بعده أحسن الله ... وختم عليه ...

وهكذا ، فقد نجم ابن العديم ... وأحبه العلماء والملوك ... إلى التأليف ... هذا الباب ... [illegible]

[illegible] ... في التاريخ ... [illegible] ... الخط ... [illegible]

بغية الطلب في تاريخ حلب

... كتابه ... تاريخ حلب الذي لا يقتصر على ... [illegible] ... العلماء ... [illegible] ... وطرقاتها ... والجزيرة ... [illegible]

يقول ابن الشحنة (٢)
«نبغ منهم ابو ... جزءاً كبيراً ، و[illegible] ... وعلى [illegible] ، و[illegible] من [illegible]».

الدفاع عن عقيدة ابي العلاء

وكتاب اخر تجدر الإشارة اليه قبل الحديث في سفارته ومهمته السياسية — ترجم به كتابه «الإنصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري».

لقد ثار ابن العديم على الجهلة من أنصاف العلماء الذين اطلقوا بالمعري شيخ المعرة الذي قالوا مرق من الإسلام .

[illegible]
[illegible] الأحاديث قالوا كفر

والذي كان يصرخ من قوله :

[illegible] في الأرض من رجل لبيب
[illegible] بين إيمان وكفر !

مثلا شيخنا الحكيم ..

فلم تخل الأرض في يوم من الأيام من رجل قريب منصف يفرق بين الكفر والإيمان .

وها هو ذا ، قاضي قضاة حلب ، ينبري للدفاع عنكم فيرد على خصومكم ويسفه أحلامهم ويخرس ألسنتهم ، ويبدأ الدفاع ، في تلك الفترة ، فيصفه ، كما تصوره من قلبه ، [illegible] وعالم [illegible] العمر ، وأديب واسع الاطلاع ، وشاعر ومؤرخ ، فمن كلماته قوله

«... وبعد فاني وقفت على جملة من مصنفات عالم معرة النعمان أبي العلاء .. فوجدتها مشحونة بالفصاحة والبيان ، مودعة فنوناً من [illegible] ، محتوية على أنواع الآداب ، مشتملة على علوم العرب من النحو واللغة ، لا يجد الطاعن فيها مطعناً ، ولا يجد المتعنت فيها ملطعاً ...»

«ولما كانت مشحونة بهذه الأوصاف ، حسيرة [illegible] على الإنصاف ، [illegible] جنبه [illegible] وحسدوه اذ لم ينالوا [illegible] ، فصبغوا كتبه على وجه الإلحاد ، ووجدوا حالة من [illegible] [illegible]»

بهذا الأسلوب الهادئ اخذ يدافع عن عقيدة أبي العلاء بعد أن قرأ جميع كتبه وما اتهمه به خصومه فخرج برسالة «الإنصاف والتحري في [دفع] الظلم والتجري» وهو [illegible] رد على حاسديه وكشف عن خصائص عبقريته .

سفارته

وتحدث عن سفارته الى القاهرة حين اجتاح هولاكو بغداد في طريقه الى الشام .

فقد دب الذعر في نفوس الأهالي ، واجتاح الهلع رجال الدولة ، والتجأ الناس الى مصر يطلبون النجدة فما كان من الملك الناصر يوسف صاحب الشام وحلب الا ان عقد مجلساً ضم اركان البلاد والفقه [لدراسة] الموقف ، وبعد مداولات خطيرة قر الرأي على [illegible] قاضي القضاة ابن العديم للسفر الى مصر ، وطلب النجدة من ملكها [illegible]

وكان كمال الدين قد عاد من بغداد في مهمة توحيد العلاقة بين الخليفة والملك الناصر ، وذلك قبل الاجتياح المغولي لبغداد .

ووصل مصر بعد عناء شديد وسفر مضن شاق طويل ، فلم يكد يهبط ارض النيل [illegible] حتى احتفت به مصر حفاوة بالغة — احتفى به الملك والأمراء والأعيان والعلماء ونزل في ضيافة

[illegible]
نشر علمياً بعد أن نظر مخطوطة للكتاب في مكتبة [illegible] وبعض مكتبات [illegible] والمرحوم [illegible]
ونحن [illegible] في عبقريته في التأليف أن نشير الى هذا الأثر الذي يعتبر من [illegible] كتب في بلاد الشام في تلك الفترات

[illegible] في قصر « الكبش » [illegible] والمقدمة وحارب مصر لتسلم [illegible] و [illegible] عالى [illegible] وبلاد سوريا .

[illegible] مراسم السلطنة ، وحد [illegible] من الراحة [illegible] التي [illegible] بالسلاح وسرعان ما جهزت مصر حملة كبرى الى الشام للاستيلاء [illegible] لدفع [illegible] البلاد العربية [illegible] في [illegible] .

حصار حلب

وفي هذه [illegible] كان هولاكو [illegible] مدينة [illegible] الى [illegible] العرب [illegible] فدخلها سنة ٦٥٨ [illegible] حصار [illegible] المسلمين [illegible] الاطفال [illegible] جنكيزي .

فقد في خلال هذه المعارك [illegible]

[illegible] وتهدمت [illegible] والجوامع والمساجد [illegible] مدينة [illegible]

[illegible] المؤرخون [illegible] المسلمين قتلوا من جنود [illegible]

[illegible] هذا ما [illegible]

الى دمشق وفلسطين

ومن حلب والى [illegible] الى دمشق فلسطين .. وما زال حتى اقترب من الحدود المصرية [illegible] ومصر ..

وخلال هذه الفترة كانت [illegible] الى [illegible] في حرب [illegible] مصر [illegible] ووقف [illegible] هذا [illegible] العظيم .

وكانت معركة « عين جالوت » [illegible] من المعارك الحاسمة في التاريخ [illegible] هولاكو عن مصر وعن البلاد العربية كلها .

[illegible] في سرد تفاصيل هذه المعركة [illegible] الى ما نحن بصدده فنقول ان هولاكو لم [illegible] هذه [illegible] في بلاد الشام حتى عاد الى حلب [illegible] ما [illegible] من بلاد [illegible]

[illegible] كل [illegible] في مدينة [illegible] الى الرعب والوحشة .

[illegible] مدينة [illegible] ،

[illegible] ؟

[illegible] ؟

ما [illegible] ومدارسها وقصورها ؟

لقد اصبح اكثرها خرابا يبابا .

[illegible] ذلك [illegible] في بلده [illegible] الى مصر [illegible]

نهايــة

[illegible] مصر [illegible] الفرس [illegible] واقام في القاهرة سنة ٦٦٠هـ فدفن [illegible] من [illegible] المسجد المعروف [illegible] موسى بن [illegible] كما وصفه الذهبي صاحب تاريخ الاسلام [illegible]

[illegible]

بقلم سامي الكيالي

[illegible]

[illegible] السيدة زينب .

(١) راجع مقال العربي في العدد ٦٤ [illegible] اذار ١٩٦٤ .



أبو المعز السيد محمد الحسيني القزويني

بقلم : عبد الرزاق الهلالي

له العالم الجليل ابو المعز السيد محمد القزويني هو نجل المغفور له العلامة السيد مهدي الحسيني القزويني عميد الأسرة القزوينية في العراق(١) في القرن الثالث عشر للهجرة.

ولد في مدينة الحلة عام ١٢٦٢ هـ (١٨٤٥م) ونشأ في كنف والده نشأة مباركة ، فلقنه ختم القرآن الكريم ، وقرأ مبادىء العلوم الإسلامية ، قصد النجف الأشرف للتعلم . وبعد أن نال قسطا من الدروس في المعاني والبيان والمنطق والأصول عاد الى بلده ولكنه سرعان ما عاد الى النجف ثانية لاستكمال تحصيله العالي في علوم الشريعة . وما لبث أن عاد الى الحلة مرة أخرى ليعود مع والده الى النجف في مطلع تلك السنة (حيث أقام والده فيها حتى عام وفاته) ، وهناك راح يواصل حضور حلقات والده الدراسية وحلقات غيره من كبار العلماء حتى أجازه والده والعلامة الايرواني (بالاجتهاد) وهو في مستهل العقد الرابع من عمره(٢) .

وفيما هو ينعم بهذه الحياة العلمية والأدبية في كنف والده ورعاية أخوته الكبرى ، إذا به يفجع بوفاة أخيه الأكبر السيد جعفر في عام ١٢٩٨ هـ ، وبوفاة والده في طريق عودته من الحج عام ١٣٠٠هـ ، وبوفاة أخيه الكبير الثاني وهو السيد صالح عام ١٣٠٤ هـ . فاستقل به المقام في النجف الأشرف رئيسا لآل القزويني فيها ، متكئا على

[illegible]

عودته الى مسقط راسه

وفي عام [illegible] كبير من اشراف الحلة وزعمائها يلتمسون [illegible] [illegible]

[illegible] الطبع والعروف [illegible]

[illegible]

[illegible] والاصول ورعايه شؤون العامه .

صفاته كما رواها معاصروه

قال المرحوم الشيخ علي كاشف الغطاء في كتابه [illegible]

[illegible]

[illegible] محمد مهدي [illegible]

[illegible]

[illegible] الاسرة [illegible]

[illegible]

احمد والسيد [illegible] العلامة السيد مهدي [illegible]

[illegible]

[illegible]

رحمه الله على جلالة قــدره ، وجيه [illegible] بكله الطبع في مجالسه العامة ، حاضر النكتة ، [illegible]

ولقد كان مجلسه منتدى ادبيا فريدا ، وديوان شعر لا تطلع عليه الشمس الا تجدها في عالم الشعر والادب ، ولا تغيب عنه ، الا تجدها في عالم الفن (٣) ، فلا عجب اذا ما قال عنه الدكتور البصير : [illegible]

مواقف مشهودة

ولابي المعز رحمه الله مواقف مشهودة ترويها كتب التاريخ والادب بالفخر والاعجاب ، فقد كانت روحه العالية ومركزه الخطير في المجتمع من الناحيتين الدينية والاجتماعية ، الدافع القوي الذي جعل الناس يجدون فيه ذلك الزعيم المطاع والأب العطوف ، يهرعون اليه كلما نابهم خطب والمت بهم المصائب والمحن . ولسنا في مجال تعداد ما كان له من مواقف تكشف عن صدق جرأته في الحق وصلابته في قول الخير ، واندفاعه في خدمة الناس ، بل سنكتفي بايراد البعض من هذه المواقف على سبيل المثال ، وهي في مجموعها توضح للقارئ موقفه من مشاكل المجتمع آنذاك . ومن هذه المواقف ــ ما ننقله في ادناه ...

موقفه من مرض الطاعون في النجف

عندما وقع الطاعون في النجف عام ١٢٩٨ هـ وكان شديد الوطأة على الناس ، لم يبق فيها من العلماء والوجوه والاعيان احد فقد لاذ جميعهم بالفرار خارجين الى المدن البعيدة ، بينما ظل آل القزويني يتصدون لمساعدة الفقراء ودفن الموتى ومعالجة المرضى واغاثة الملهوفين بقلب مفعم بالعطف والايمان . وكان ابو المعز في مقدمة هذا الرعيل وقد وصف حالة اهل تلك المدينة في رسالة بعث بها الى الشيخ محسن الخضري جاء فيها (٥)

[illegible]

موقفه من جفاف نهر الفرات

ولما انخفضت مياه نهر الفرات (الذي تقع على ضفافه مدينة الحلة) تحولت الى نهر الهندية ، وبدأ بالجفاف عام ١٣٢٢ هـ بحيث لم يعد يجري فيه الماء الا شهرا او شهرين في السنة ، اصبح السكان في حيرة من امرهم حتى راحوا يشربون الماء من الآبار ، واضطر معظمهم الى الهجرة الى المدن والارياف القريبة ، وعلى الرغم من سوء الوضع ما كانت السلطة العثمانية لتعير هذا الامر اهتماما ، حتى اذا تولى سري باشا ولاية بغداد سنة ١٨٨٩م ابرق (ابو المعز) بهذه البرقية :

الى أن يعود الماء في النهر جاريا
[illegible]

فلما تسلم الوالي هذه البرقية شمر عن ساعد الجد وقرر ان يشرف على حفر صدر نهر الفرات بنفسه فذهب الى الهندية واستنفر جميع العشائر

(٣) [illegible]
(٤) القصة العراقية قديما وحديثا ، جعفر الخليلي بيروت ١٩٦٢
(٥) ديوان الشيخ محسن الخضري النجف ١٩٤٧

للقيام بالعمل حتى جرى فيه الماء لتجيئه بين « الهوسات » والاهازيج .

ولما كان خطر جفاف النهر لا يزال قائماً ، وان الامر لا يستقيم ما لم تتخذ الدولة ما يلزم لانشاء سدة ترفع مستوى الماء لينصب في النهر بكل يسر وسهولة ، فقد وجد أبو العز ان الفرصة مواتية حين (ناظم باشا) واليا على بغداد بعيد اعلان الدستور العثماني فبعث اليه بالبرقية الآتية مذكراً اياه بمشكلة ماء الفرات قائلا :

في (ناظم) الأمر له ماث الفرات
[illegible]

الترعة التي أن تولوا عطفها
وتحشك جرى ماء الحياة !

وما هي الا اشهر حتى كان « مشروع سدة الهندية » قد اصبح حقيقة واقعة اذ جرى افتتاحها في شهر كانون الاول عام ١٩١٣ (٦) .

موقفه من حرب الانكليز في الشعيبة

ولما نشبت الحرب العظمى الاولى عام ١٩١٤ واعلنت الدولة العثمانية الحرب على الحلفاء دعي المسلمون في العراق الجهاد والزحف لمحاربة جيوش الانكليز التي نزلت في البصرة ، وقد قاد المتطوعين له العلامة السيد محمد سعيد الحبوبي جموع المجاهدين حيث دارت بينهم وبين الجيش البريطاني في « الشعيبة » معركة ضارية . وقد كان ابو العز في مقدمة علماء المسلمين الذين اعلنوا الجهاد وشاركوا هذا الزحف فقد ابرق الى الحبوبي قائلا

نحن بني العرب ليوث الوغى
[illegible]
لا بد أن نزحف في جحفل
[illegible]

صلاته الأدبية واخوانياته

ونظرا لما كان لابي العز من مركز ديني كبير واجتماعي خطير في منطقة الفرات الاوسط فقد كانت له صلات وثيقة وعلاقات طيبة بالكثير من وجوه المجتمع العراقي آنذاك ، كآل الالوسي ، وآل النقيب ، وآل الواعظ ، وآل الشواف ، وآل الزهاوي ، وآل كبه ، وآل العمري وغيرهم من اعيان العراق .

وقد تكونت لدى السيد رحمه الله من جراء هذه الصلة مجموعة من الرسائل الاخوانية جمعها في كتاب اسماه « دروس الانشاء وسطور الاملاء » .

ولا نريد ان نثبت هنا ما دار بينه وبين جميع اولئك السادة الاعلام من منظوم ومنثور بل سنكتفي بايراد المورودين الآتيين :

بينه وبين الشاعر الرصافي

لم يكن بينه وبين المرحوم الشاعر الاستاذ معروف الرصافي اية صلة او سابق معرفة الا ان الاستاذ الرصافي اراد ان يكسب وده ويتعرف به فقد هتف له على الحاكم ووالته بلده وهو في بغداد حيث قال في قصيدته « الى الفردوس » (٧) .

[illegible]
واقرا السلام على صاحبي حبيب
الى ان يقول :

يا صاحبا صدع القلوب بلومه
مهلا فليس ملامنا لنصحبنا

من ذا استطاع سرد من في الهوى
[illegible]

كالماسن النبعة حيث تفاخرت
سرتها الجحجاح وابن سريتها

السيد السند الهمام (محمد)
فرع النبوة وابن حبر وصيتها

ولقد الذي لم من مناهل فضله
فترت مصلاة العرس ربيعها

يا سيدا في المجد أحرز شهرة
ملأت مسامعنا بصوت دويها

(٦) معجم العراق ج ٢ عبد الرزاق الهلالي بيروت ١٩٥٦ .
(٧) ديوان الرصافي ص ٢٧٤ مطبعة دار العرض بيروت ١٩٣١ .

[illegible]

وقد أرتدته فكنه من وليها

[illegible]

فرس المثنى حب الى بيها

[illegible]

شمس وهلاك مهمين من حربها

وقد احتاط بو الفوطي نفس الزر والقافية، ولكنها مضمومة ، حيث قال (٩) :

[illegible]

[illegible] ولـــام سطره حورتيــا

[illegible]

قد راعنا منه الوصال فتكها

رشا من الزوراء فتح هيرها

لي باسل حتى حكتر حيلها

الى ان يقول :

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible] الشيخ مصطفى الواعظ

ولقد [illegible] ومن [illegible] الشيخ مصطفى نور الدين الواعظ [illegible] المتكب [illegible] في المراسلات التي حفلت بها صفحات (الروض الازهر) [illegible] (٢) ومن ذلك ما [illegible] في الصفحة ٢١ [illegible] عنوان (قصيدة السيد محمد القزويني) حيث قال :

[illegible]

و الروض الوردي ، في الصبي [illegible] ، و [illegible]

[illegible]

السيد محمد افندي قزويني زاده ، [illegible] الله

[illegible]

كرم الله تعالى وجهه ، [illegible]

[illegible]

[illegible] .

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] من الرمس [illegible]

* * *

خفة روحه وظرفه ومداعباته

وكان رحمه الله على جلالة قدره [illegible] لطف ، [illegible] الروحي [illegible] في ملاطفة [illegible] والنكتة [illegible] والوضع ، ويكاد يكون [illegible] الوحيد [illegible] الفاضلة . فلقد كان [illegible] خفة الروح [illegible] النكتة [illegible] على [illegible] فلا عجب اذا [illegible] الكثير من [illegible] الرائعة والنوادر [illegible] الطريفة والصراف الطريفة التي كان [illegible]

(٨) الذاليات ج ٥ علي الخاقاني المحمد ١٩٥٢ .

(٩) الروض الازهر في تراجم آل السيد جعفر [illegible] المرحوم الاستاذ ابراهيم الواعظ ١٩٤٨ .

(١٠) [illegible] (الشيخ علي عوض) [illegible] .

[illegible] وجه وجمال [illegible] ، لا [illegible]
[illegible] يكون [illegible]

بينه وبين احد اخواله

[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]
النكتة ، فقال :

[illegible]

[illegible]
، الجلي ! » .

الخصومة العنيدة بين النجفي والحلي

[illegible]
[illegible]
الا ما كان لهم بسبب ذلك كثير من الطرائف
والنكت [illegible]
[illegible]

[illegible] السيد محمد [illegible] ، فقد [illegible]
[illegible] النجفي [illegible] ، على
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]

فقد [illegible] النجفي [illegible]
[illegible] العرب [illegible]
فقال ..

[illegible]

[illegible]

بينه وبين الشاعر السيد جعفر الحلي

ولقد كان رحمه الله سمحا [illegible]
من المصاحبين ، وكان بعض الشعراء [illegible]
[illegible]
شعرية طريفة [illegible]
مجموعها [illegible]

ذلك [illegible] السيد جعفر الحلي ،
فقد خاطبه الحلي [illegible] قائلا

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

فاجابه السيد مرتجلا وهو يقول ،

[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]

★ ★ ★

موقفه من احد الشيوخ المتصابي

ومن مفاكهاته الادبية الطريفة ومداعباته [illegible]
[illegible]
الشيوخ المتصابي [illegible] ، ولكنه لم
[illegible]
[illegible] فقال

[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

آثاره العلمية والادبية

ومع كل ما حظي به حياته من خلائق الاعمال

التي [illegible] واحد منها وقد [illegible] خلف لنا بعض الآثار العلمية والأدبية وهي :

١ ـ منظومة في الوراثة [illegible] سماها ([illegible] الفرائض) وهي [illegible] بيت في ثلاثين [illegible] وقد قال عنها في بداية منظومته بأنها

[illegible] [illegible]
[illegible] [illegible]

بالطيب [illegible] [illegible]
[illegible] محمد [illegible] [illegible] الذي

٢ ـ رسالة في علم التجويد والقراءات

٣ ـ رسالة في [illegible]

٤ ـ [illegible] [illegible] الإملاء [illegible] في رسالة غير مطبوعة كتب على ظهرها بخط يده قائلا :

« [illegible] [illegible] الإملاء [illegible] [illegible] [illegible] والمحاورات والمحررات والمراسلات [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في شهر صفر سنة ١٢٢٣ هـ » .

[illegible] كل ما [illegible] [illegible] [illegible] بعض [illegible] [illegible] [illegible] اللفظ حسب [illegible] [illegible] به طوع [illegible] [illegible] [illegible] دون [illegible] [illegible]

وقد برع في [illegible] [illegible] (١) وقد [illegible] بعض الكتب الأدبية [illegible] [illegible] [illegible] ( ) وله [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] العالي .

أما [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] وقد [illegible] به [illegible] كثير من الأعلام [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بها خاطره [illegible] [illegible]

والظاهرة التي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] العراق (كما [illegible] الدكتور محمد مهدي البصير ، [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في الشعر [illegible] على [illegible] العراق (٢) ، وقد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] هذا [illegible] [illegible] إلى ما [illegible] ([illegible]) التي [illegible] قال :

[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وفاته

لقد انطفأ نور هذه الشخصية الفذة في فجر يوم الخميس خامس محرم الحرام أول سنة ١٢٢٥ هـ [illegible] [illegible] [illegible] ، فكان يوم وفاته يوما [illegible] [illegible] [illegible] الشعراء والأدباء ، [illegible] الجموع [illegible] [illegible] [illegible] ، فقد [illegible] فيه عقلا عظيما وأدبا رفيعا وزعيما جليلا .

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] محمد القزويني [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحركة الأدبية في العراق ، [illegible] [illegible] [illegible] الخالدة [illegible] [illegible] [illegible] ■■

بغداد عبد الرزاق الهلالي

(١) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الأدب العربي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] خروج من [illegible] [illegible] [illegible] ، فهو [illegible] [illegible] الوسطى بين النظم والنثر » .
(٢) [illegible] في الأدب العربي ، [illegible] [illegible] بغداد ١٩٥٦
(٣) [illegible] العراق الأدبية ، [illegible] [illegible]

طرائف عربية

علماء تضاعف لهم العذاب

● قال المسيح عليه السلام — [illegible] وان الله يضاعف لهم العذاب يوم القيامة .

اقوال ماثوره

● [illegible] والرابع العمل ، والخامس نشره .

● [illegible]

شعر في نعل

● [illegible]

البادي اظلم

● [illegible] تحولك الارقة الى بركة وحلحال ، وبينما الاعمش وانف اقترب منه احد الشيوخ وقال له : « اعبر بي ثم امشي ظهره » .

[illegible] كنا له مقرنين » . فسكت الاعمش حتى توسط به الخليج فقذفه وقال :

« وقل رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين » .

ازهر السمان

● شكا ازهر السمان حاجته وسوء حاله الى المنصور ، فامر له بالف درهم ، وقال له :

— يا ازهر لا تاتنا بعدها لحاجة ابدا .

فقال ازهر [illegible]

[illegible] قال له المنصور :

— ما حاجتك يا ازهر ؟

فاجاب : جئت لادعو لامير المؤمنين !

قال المنصور : بل اتيتنا بمثل ما اتيت

العلم وعدوله

قال النبي صلى الله عليه وسلم [illegible]

حكاية عن مغفل

[illegible]

العلماء الأغنياء

قيل لبزرجمهر : العلماء أفضل أم الأغنياء ؟

فقال [illegible]

[illegible]

فقال [illegible]

مات الدينار !

[illegible]

فقال : الويل لك كيف تصدقين ولادته ، وتنكرين موته في نفاسه !!

طرائف من جحا

[illegible]

[illegible] وعمامتي عطشت أنا !!

عند المنصور

[illegible]

وقال [illegible]

قال [illegible]

فقال له المنصور [illegible]

قال [illegible]

فقال المنصور [illegible]

أن يرتجي من خلفك فلم يفعل !!



مذكرات بحّار

في بيت سيدنا تعلمنا الكتاب*

للشاعر محمد الفايز

● في هذه القطعة يصف الكاتب ذكرياته عن طفولته في كتّابه الذي تعلم فيه الكتابة والقراءة أول مرة، وهو يقول: في بيت سيدنا تعلمنا الكتاب، ويقصد بالكتاب، كتاب الله الكريم.

■ يجب أن [illegible]

كضلوع مصلوب [illegible] في حصيرنا أنه من القصب

في بيت سيدنا [illegible] الكتاب

الحمد لله الذي خلق العظام من التراب.

ومن الثقوب الناشئات على الجدار

كعيون أعمى، كالجروح الداميات

يطل ضوء الشمس كالجاسوس من كل الجهات.

وبما تبقى من حصير

أو بالحروف الناتئات، [illegible] عن الشمس في ذاك المكان.

وعلى الجـــدار

مسمار، علقنا، [illegible] كالثياب.



كالأصبع المبتور يشير للغائب

للفتية المشردين .

والرمل في الساحات ، والشطآن ، والبحر الحجري

يذكرني بالصمت البريء ، ومن خلال

شقّ الجدار

أو ذلك الثقب الصغير

يسيل كالغربان حتى يصبح ، سيدنا ، ول عند الغر—

« العلقة » (١) المعوجة الرمطاء كالأفعى الكبيرة

تطوي على أقدامنا السود الصغيرة

وربابة لنا تسند على الكتاب

---

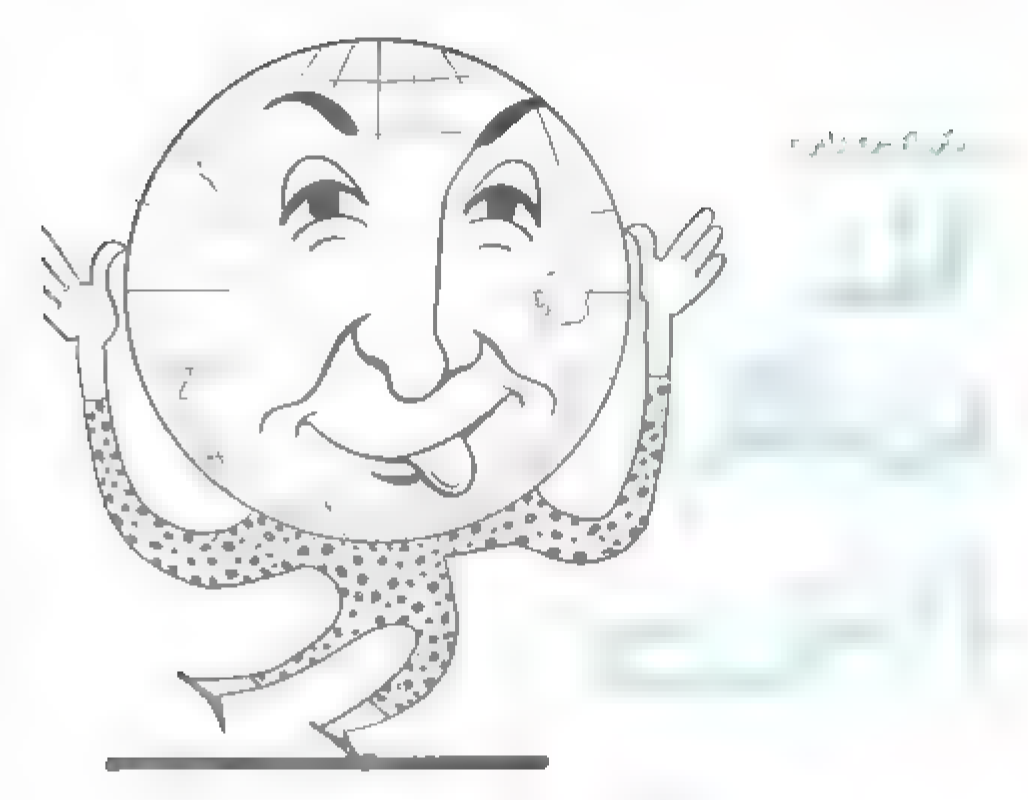
١ العلقة : حبل يعقد على قدمي التلميذ لسلك عصاه يضربه من الفقيه

مثل الدلاء الفارغــات
أمرا ، ونسير الظهــور الواهيات .
يا والدي أنا لن أعود . وفي الصــباح :
[illegible]
[illegible] ومن خلال
أعداق الزجاجات من دمــع السمــاء
والمرمر (٢) أنشلي . ألمح وجهه القاسي النحيف ،
[illegible] العــج
[illegible]
[illegible] من صخر
[illegible] العصبي .
ولكل ذلك ما لذه . وفؤادي الصغير الصغير
صنــدوق آلام تحطم من زمان
لن تدخل الكلمات فيه من لســان
رجــل مغــرور
وعصاه فوق رؤوســنا . نحن الصغار
الهاربين من اللحى السوداء أشبــه بالكبار
المقبلين على الحياة وثقلها . نحن الصغار
سرعب الجدري يأكلنا وتصهرنا الظهيرة
كي لا نعــود
للصمت في بيت كبير من رمال
تتحرك الجدران فيه إذا سرت ريح الشمال
وبه كسر الصبي حين يعود من ساح القتال
سيفي المذهب (٣) في يدي ، ونحت ثوبي لا يزال
أثر انهياره مثل آثار الندوب
في رأسك ، يا أبي ، من ضرب سيفك القديم
في أرضي ... والعذاب هو العذاب
في كل أرض ، في الشمال أو الجنوب .
وغدا سأنسى ما حفظت كما نسيت ، وفي الرمال
أثر انتقال سوف تمحيه الرياح . ■■

الكويت — محمد الفايز

---

(٢) المرمر : مسحوق قرمزي اللون يوضع على عيون المولود في الساعة [illegible]
كلما ، فاذا أصبح الصباح [illegible] وقد سال على خدي المولود .
(٣) من عادتنا أنه إذا ختم الصبي القرآن طاف به أصدقاؤه في دروب
الحارة ، وهو يحمل سيفه المذهب .



بقلم : اسمي طوبي

● قالت أمي وهي في جلسة هادئة [illegible] تحيك بمشاورتها قطعة صوف للطفل ، وربما [illegible]

قالت : لقد حيرني حالكم يا سمي [illegible] ولا ادري اذا كان [illegible]

قالت وهي تضع القطعة من يدها وتحدق في الفضاء كأنها تعود الى ماضي بعيد

لست ادري ثلاثين او اربعين عاما مضت ، فكيف يمر كل شيء بسرعة الى هذا الحد كيف تقدم صحة الحكم على الأشياء ؟

ثم اكملت وهي ترسل تنهيدة عميقة

كانت لنا مقاييس خاصة غير مقاييسكم يا سمي . ليت ما وقع لي انا في عمر شبابي

قال لي والدي مرة على [illegible] ضاحكا [illegible] كالعروس . بيده ثلاث كلمات (هي طالق) .

وارتعدت لما سمعتها . وخرجت انا من الغرفة خجلة لأستند على بابها الخارجي، فاذا بوالدي يقول ضاحكا : أي والله .. ثلاث كلمات يا امرأة [illegible]

[illegible] ولو دفع الله [illegible] فانه [illegible] طرفها في منزله

ولم تزل [illegible] بالالف مرة من [illegible] وقص الشباب لانه كان [illegible] كأس من الخمر [illegible] في الرجل يحاسب عليه ويرفض الزواج منه [illegible] فلا يحاسب عليه ولا يرفض الرجل الزواج منها [illegible]

قالت : وهل من مستلزمات المساواة ان [illegible]

المرأة الى المستوى الذهبي ..! الم لا يرفع الرجل الى مستواها ؟

وصمتت لحظة ثم عادت امي تقول

وكان لنا ادب قوي يا بنيي .. فلطالما نعمنا مع حكايات الزير ابي ليلى المهلهل ، وعنترة ، وابي زيد الهلالي .. كل ما من شأنه ان يرفع معنوياتنا .. ويخلق الصحابة في نفوسنا ويوحي بالعزة والكبر .

ثم افراحنا يا بنيي .. واذا كانت افراحكم الامس صورة صادقة تجيش في صدورها من افكار واماني ، فقد كانت افراحنا صورة صارخة لنا .. كان الشباب يهزجون فكان الصيد يطار حسي ميوبهم وهم يقولون

يا ربنا يعمر عمرنا
بالشر طول العمر

ان الغزل كان في اناشيدهم كالملح في الطعام .. نحن الصبايا للشباب هز العصا في نفوسهم وهي تقول

شبابنا يا عزنا
كيد العدا ما عزنا

فيها بالشباب يدقون الارض باقدامهم وهم يتجهون نحو الصبايا .. فوح عندهم بمدعوه ويهتزون لزلا تشهد به الابوله الدافقة على بطوله الرجوله القويه وهو يقول

يا بنت يا اللي بالمسطوح
طلتي وتسول منتصالنا

★ ★ ★

وصمتت امي لحظة ثم عادت تقول .. والبيع والشراء .. وهذه الصكوك والمواقيع وطوابع البريد ! لقد كانت في الدرجة الثانية عندنا بعد كلمة الشرف التي نعهدها .. الكلمة التي فقدت معناها اليوم عندكم .

كان الشخصان مثلا يتفقان على صفقة كبيع منزل او قطعة ارض مثلا ، فيضع الواحد يده في يد الآخر ويهزها قليلا .. لقد بعتك .. فيرد الآخر اليه ويقول وانا اشتريت .. كانت تلك هي اجراءات التسجيل المصطلح عليها . اما التسجيل في المحاكم ، فقد يتم بعد اولادهما بعد اعوام .

ويبتسمنا ، فالعطف امي ذلك عنا .. وقد ضحكت من سذاجة القوم يا بنيي ، ولكن كلمة الشرف كانت كل شيء عند هؤلاء السذج .. كان الواحد منهم يضع يده على عنقه ويقول .. من هنا تخرج الكلمة ومن هنا تخرج الروح .. يعني بذلك ان خروج روحه من جسده اسهل عليه من الرجوع بكلمته

كانت المعاملات تجري على اساس الثقة ... ثقة الرجل الشريف بالرجل الشريف ، وهي معاني قد لا يفهمونها اليوم .

وكان لنا دين ورع يا بنيي ، وهل تذكرين « سالمه »

— نعم .. بائعة اللبن !

قالت ، اجل بائعة اللبن .. لقد غلب لها مرة وانا اشتري الوفاء من بعدها .. لبن جيد يا سالمه ما دخله الغش مرة واحدة .. ونفضت سالمه يديها ورفعت عينيها الى السماء واستعاذت بالله وهي تقول .

اعوذ بالله من الغش .. اعرفين جيداً يا سيدتي ! لقد حاولت ان امزج اللبن بالماء ، وبعد شهر واحد ماتت بقرتها .. واستطردت سالمه تقول بلهجة الواثق مما يقول .. ان الحلال لا يحتمل الغش وعين الله ترى وتنظم ..

واسالك اليوم يا بنيي ونحن نأكل اللبن المغشوش والسمن والزيت وكل شيء مغشوش كيف اصبحنا هكذا .. لقد امحى خوف الله من قلوبنا فصرنا الى ما نحن فيه .

اجل لقد كان الاصل والتقوى يرجعان .. لم تكن الناس يجهلون طرق الغش ولكن الدين كان عندها

وتذكرت صديقتي العقد من الترب والناس

● لقد جئ بالقلم

فلسفة العصر وهو عون لي .. تلك نفسي تحت تأثير الخوف من السجن أو دخول الجحيم ؟ إنها تعوّدت أن تفعل هذا لأن الله لا يريده ، أو محاولة لكي يرضى الله عليّ ، ولا تعوّدت أن أفعل هذا لأن جاري رآه .

وبحثت الحقيقة والدين في كتب جبران ، فإذا بالدين يرجع .. لقد وقف الحقيقة أمام مغريات الحياة فلم يصمد .. فكل صاحب أخلاق ظل وحدي في الميدان ؟ جاري فلان يرجع من ... بعيدا عنه في الله ، فلماذا أرجع أنا صبري في الله .. وجاري فلان جمع ثروة في عام ، فلماذا أظل أشتغل أنا بعد ... جمع ... ومن يفرقها من الناس ؟! وهكذا غلب الحقيقة على أمره .

* * *

أمي .. أول ذكرى قاتلة ... تلك بعد أن توارى وجهك الحلو يا أمي ..

حتى بالأمس كان للأشياء أسماؤها الصحيحة .. فالملاعب والأعياد والنسف والدوري كان ... واحبالا ... أما اليوم فهي .. ذكرى .

بالأمس كان مزيج القلب بقاء صبا أما اليوم فالأمس هو .. حضارة .

بالأمس كانت كلمة الشرف وحدها ضمانة .. أما اليوم فالعقد طابع وبريد وتواقيع وشهود لا تضمن .. ومع ذلك فقد كان الأمس عصر الظلمة ، واليوم هو عصر النور .. أفترانا فعلا قد فقدنا صحة الحكم على الأشياء .

لقد علمنا ، ولكن فيلسوفا كبيرا معاصرا وصف علمنا وعالمنا بقول : « لقد أصبح عالمنا جبارا في ... »

لكن بالأمس يا أمي قد أجمعوا على ... كلهم في هذا الطريق فراح كل منهم يفتش الطرف عما يفعل الآخرون . بالأمس كان الناس يخافون ... الله والخوف من ... الناس أهم ...

... في جلسة أخرى ... من ... حكمتك .. حكمة السنين .. وصبا ...

... مبارك لقد جئ بالقلم يا أمي ... في ... يواكب الأيام ويخالف السنين .

لبنان ـ أسعد طوبي



رب ضارة نافعة !



كان نعمة على

بقلم : البدوي الملثم

في عام ١٩١٤ قامت الحرب العالمية الأولى

وفي عام ١٩١٥ خلع الإنكليز « عباس الثاني » لميوله التركية الألمانية ، وجاءوا بـ « السلطان حسين كامل » مكانه فلم يجد « شوقي » حظوة في رحابه ، أو بسمة من جنابه ، لتجهم سلطات الاحتلال في وجهه !

وبعد أن عزل الإنكليز « عباسا » واطاحوا بعرشه ، قرروا نفي « شوقي » الى « مالطه » . لكن الشفاعات انبرت في دار المندوب ، فأذنت له بالسفر الى أسبانيا ، فارتاح شوقي لهذا الحل ، وغادر السويس على ظهر باخرة قادمة من جزر الفيليبين ، مصحوبا بزوجه ونجليه « علي وحسين » وكريمته « أمينة » وحفيدته منها ، وبعض الخدم ، وألقى « شوقي » عصا تسياره في « برشلونة » ، الثغر المعاهد القائم على حوض المتوسط .

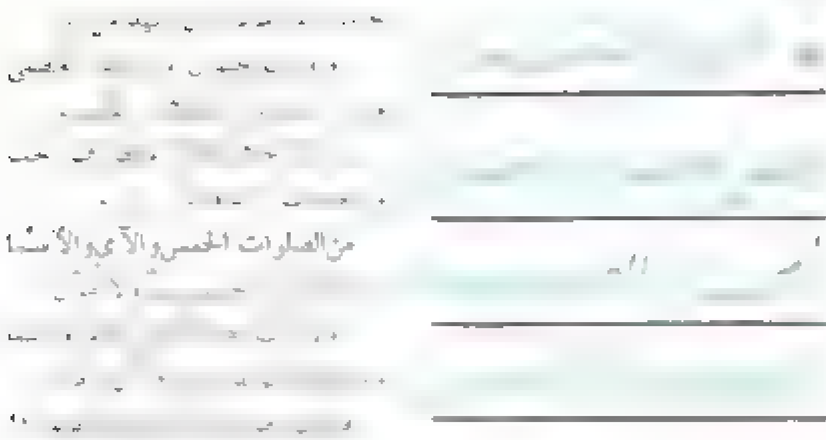
ولم يلبث هناك أن عاوده الحنين الى مصر وأعوانه فيها ، وبكى المجد الذي رفل في مطارفه زمنا ، وكلما كرت الأسابيع ومرت الشهور وهو في منفاه ، والحرب العالمية الأولى مستعرة اللظى ، أيقن أن الحرب ستطول ، وأن مدة نفيه لا يعلمها إلا الله .. لا سيما بعد أن نشرت صحف النمسا خلاصته أن شاعرا عربيا عظيما في أسبانيا أخذ يؤلب عرب مراكش على الحلفاء .

فعمد الشاعر المحزون الى ثلاثة يعالج بها نفسه المرهفة وهي .

١ ـ الجلوس ساعات في متنزه برشلونة .

٢ ـ التنزه مع أفراد أسرته في أطراف المدينة ترويحا عن النفس .

٣ ـ قرض الشعر تنفيسا عن نفسه وتخفيفا



الأدب العربي !

لوطنه ، وشوقا لأم مجهول خلفها في « حلوان » يشعر همّا وكآبة

ويقسم شوقي لتلك الأم المحزونة انه لم يسهم بتلك الحرب الضروس ، ولا صلة له بمن أججوا سعرها ، واضرموا اوارها (١)

من الصلوات الخمس

وبعث شوقي الى بائسات أعوامه اخذ يطلعها ويرسلها لاخوان خلفهم في القاهرة ليل طليعتهم حافظ ابراهيم ، وقد خصه بثلاثة ابيات من البحر البسيط هي :

عهد الوفاء وإن غبت مغتربه

هلاّ بعثتم لنا من ماء نيركم

كل المناهل بعد النيل آسنة

ما أبعد النيل إلا من أمانيا !

فاجابه « حافظ » ... البحر والقافية والروي

(١) ... أوراقه بعد وفاته . « العربي » .

لم تنأ عنه، وإن فارقت شطئه
وقد نأينا، وإن كنا مقيمينا !

ويذكر شوقي في ايام محنته الشاعر اسماعيل صبري، احد سفراء بيت الشعر، « ترجمه ابن هانيء » فيبعث اليه بالبيتين التاليين :

ياساري البرق يرمي عن جوانحنا
بعد الهدوء ويهمي عن مآقينا
ترقرق الماء في عين السماء وما
غاض الأسى تحت الأرض باكينا

فلقي جوابا سيوضح فيه اسماعيل صبري عن امجاد العرب في الاندلس، وما خلفوا فيها من حضارة وآثار، ولم يمر ان شاعرنا المعروف لم يبرح برشلونة ليرى امجاد قومه الغابرة :

[illegible]
بيت يضحك منا وهو يبكينا
[illegible]
[illegible]
يا آل ودي عودوا لأعينكم
وشاهدوا، [illegible]
باسمة، فسحت أدبلها سحرا
[illegible] أندلس، حتى بواديـ[illegible]

وعاش شوقي في منفاه على مضض، ودفن الاسى وباريحه في الكتب التي صحبته من القاهرة وفي عدادها « نفح الطيب » « البحتري » وراح يستجلي تلك الاطلال والآثار التي خلفها قومه في هاتيك الديار !

وفي برشلونة دفن « شوقي » همومه واحزانه في صفحات الكتب ودواوين الشعراء وهام في مشاهد سوية (ابن زيدون) التي مطلعها

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا

وراح يناجي طلاء مقصيدة مطولة منها

يانائح الطلح، أشباه عوادينا
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لروحك بالنطس المداوينا !!
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

و « نائح الطلح » الذي يخاطبه شاعرنا عصفور غلبت عليه الكآبة والحزن لبعده عن وطنه فعاله اشعر العرب بغربته وبراحه، وهمومه وبراحه

[illegible]
[illegible]
[illegible]
إن المصائب يجمعن المصابينا

بحثا عن دار شوقي

وزرت برشلونه في ربيع عام ١٩٥٢ ولنا معقد من البرازيل ، وصرفت فيهـا أيامـا بحثا عن المنزل الذي أقام فيه « شوقي » سنوات منفيه الثلاث ، لكني لم أفز بطائل . وأخيرا يممت دار المجلس البلدي ورحت أسأل قسم الاحصاء عن المنزل الذي شغله شاعرنا المنفي ، لكن المسؤولين اعتذروا في انعدام السجلات والاحصاءات ابان الحرب العالمية الاولى وقد شرعوا في الاحصاء والتسجيل منذ عام ١٩٢٢ ، وتوجهت الى ضاحية ... معولا على ما جاء في كتاب « الحلل السندسية » لامير البيان الامير شكيب ارسلان على اهتدي الى المنزل الذي اقام فيه « شوقي » لكن اهل الحي لا علم لهم بـ « شوقي » ولا بالعمارة التي سكنها ابان منفيه !

شوقي يتجول في اسبانيا

و باحت السياسة لشاعرنا ، بعد ان رجحت كفة الحلفاء على كفة الالمان واحلافهم ، التجول في اسبانيا بعد مكث ثلاثة اعوام في برشلونه (١٩١٥ — ١٩١٨) فطاف ربوع الاندلس الفيحاء واستلهم مآثر الحضارة العربية وجماله ، وبلا سلطان شعره ، فتغنى بالعرب والعجم ، والأثر من الصين الى مصر واهله واخوانه فيها ؟

في قرطبـه ، الفردوس المفقود

ودع شاعرنا برشلونه الى مدريد وقصد صاحب العاصمة ليصلي في محاريب الفن البديع ، ويستجلي روائع اللوحات الزيتية لاشهر اعلام الرسامين . ولم يطل مكثه فيها بل حث راحلته الى طليطلة ، فالقرب من مدريد ، لكنه لم يزرها رغم ما فيها من آثار عربية . وكانت قرطبه اول ارض عربية ، وطأها الفداء .

لكن احـال « شوقي » خانت حينما شاهد قرطبه ' عربية زر ... بعد ... في المعهد العربي عروس الاندلس ، ووقف امام المسجد المعروف ، ونظر اليه بمنظار الاسى الواهي ، غير مصدق ان هذه القرية الصغيرة هي القبة العربية الكبرى التي عرفها العالم عامرة من جواهر الفن والعلم

والنور ، فاستعار قالب وقافية البحتري الشاعر العباسي في سينيته الخالدة في وصف ايوان كسرى ومطلعها

[illegible]

[illegible]

ومطلع سينيته الشهيرة ومطلعها

اختلافُ النهار والليل يُنسي
اذكرا لي الصبا وأيام أنسي

ويصور قرطبه المحزونه بقوله

لم يُرعني سوى ثرى قُرطبي
لمست فيه عبرة الدهر خمسي
قرية لاتعدُّ في الأرض كانت
تمسك الأرض أن تميد وترسي

[illegible]

فيه مال المغول ،
قدماً في البلاد شرقا وغربا
صحة القوم من ظبي وقس
وعلى ... جلالة والسنا
... تحت الترمس
... مفارق (تيون)
[illegible]

وأدرك «شوقي» أنه عاش تلك الساعات الطوال في ذكريات الماضي التالد، وأمجاده الغابرة، فنفض رحله، وسرّح مدمعه، ووصف صحنها عبر الأمجاد الهاوية:

[illegible]

[illegible]

وإذا الدار ما بها من أنيس

وإذا القوم ما لهم من محسّ

وطاف شاعرنا بفناء مسجد قرطبة الشهير، فرأى سواريه كالغاب الوريق أمام عينيه الذي اشتهر بخطه الذهبي.

[illegible]

وكأن الآيات في جانبيه

يتنزلن من معارج قدس

ووقف «شوقي» مسحوراً مبهوراً أمام محراب المسجد، واكتحلت عيناه بالنقوش والزخارف والآيات التي وشّى بها عبد الرحمن الداخل سقوف المسجد وقبابه وأبوابه

[illegible]

[illegible]

ولم ينس «شوقي» «عبد الرحمن الداخل» أو «صقر قريش» الذي عشق بالمجد العربي عاشقاً، وحيي في المغرب دولة أموية عارضت الأعداء، وتحدت الزمان، فراح يبحث عن رمسه في فناء القصر الدارس، في قرطبة، لكن الأيام عفت عليه، فقال في قصيدة أخرى:

[illegible]

إلى إشبيلية

واستأنف «شوقي» رحلته إلى إشبيلية المتسمة بالطابع الشرقي، ووقف في مساجد أخرى عربية بالردى، هنا، صرع الدهر المعتمد، ووقف العصر الأخير ساطع السحاب، وتحدى الرمال، وكان دامك الأثران «القصر» و «الجيرالدا» (كلمة إسبانية معناها — البرج الدوار) وهي منارة المسجد الذي فوق الأساس



مسجد قرطبة

بناءه وشيدوا في موضعه كنيسة كبرى ، وأبقوا على الثلث قائمة ازاء الكنيسة تظل دليلا حيا على ما اتسم به ذلك المسجد العظيم من فن رفيع ، وزخرف بديع !

ووقف « شوقي » في القصر العربي مشدوها ، وراح يسلي عن روعة فنه ، لكن الاسى أصابه لما شاهد البنيان الذي أضافه الاسبان الى ذلك القصر العربي ، فشوهوا جماله فلاح البناء خليطا من طرازين متناقضين ، الطراز الاسلامي والطراز القوطي !

وفي رحاب ذلك القصر راح « شوقي » يتحدث عن الشاعر « المعتمد بن عباد » وزوجه الشاعرة الحسناء « الرميكية » وكريمتهما « بثينة » وجدها « الصادية » لكن صفاءه بلغ بالعقل اذ باغت يوسف بن تاشفين « المعتمد » وشبت شعل

● شوقي في منفاه

أسرته ودعاها الى الممات ، لكن « شوقي » استطاع أن يلم بأطيافه الباقي فيصورها تصوير الفنان المبدع .

الى غرناطة

وبارح شوقي اشبيلية الى قصر الحمراء ، آية الفن العربي ، وأخذ يسير في جنباته محصورة ظلالها الاغصان النضرة ، ووقف بـ « الباب الكبير » أو « باب العدل » تحت برج شامخ الطول ، ليشاهد يدا مرسومة على قوسه بأناملها الخمس وهي رمز العقيدة الاسلامية ذات الاركان الخمسة

ويقع القصر فوق هضاب مرتفعة مطلة على غرناطة ، ويشرف على تلك الهضاب الجبل الجارسي « سيرانفادا » تكلل الثلوج هاماته في سائر فصول السنة :

جلّل الثلجُ دونها رأسَ شيرى
فبدا منه في عصائبَ بِرْسِ
سرمدٌ شيبُه ، ولم أرَ شيبا
قبله يرجى البقاءَ وينسي

ومضى شوقي الى القصر ليطوف بغرفه الفسيحة المنقطعة بالزخارف الفنية والنقوش البديعة والفسيفساء الملونة ، ووقف حائرا في « قاعة السفراء » وقد قصرها ملوك بني الاحمر على مقابلة الرسل ولقاء السفراء !

ويبلغ شاعرنا « ساحة الأسود » وينتصب أمام حوض من المرمر ، يربض فيها اثنا عشر أسدا من الرخام يسيل من أفواهها الماء عذبا نميرا .

مشت الحادثات في غرف الحمـ
ـراء مشي النعي في دار عرس
وقباب من لازورد وتبر
[illegible] وشمس
[illegible]
[illegible]

وسأل الشاعر السباع عن ملك بني الأحمر ، وعلى رأسهم « الرضا » ، زوج ابن الحسن على أحد ملوك بني الأحمر ، لكن السباع توقفن في الصمت ولم يبن ببنت شفه ، وبدا مجلس السباع موحشا مقفرا من السمّار :

وترى مجلس السباع خلاءً
مُقفر القاع من ظباءٍ وخُنْسِ
لا الثريا ولا جواري الثريا
يتنزلن [illegible]

واسرف « شوقي » في حنانه لوطنه فقال عند « قصر الحمراء » صاحبا مصر وطنه وقد تعلقت به العاطفة عند تقديس ذلك الحمى الغالي

وطني لو شُغِلتُ بالخلد عنه
نازعتني إليه بالخلد نفسي
شَهِدَ اللهُ لم يغِبْ عن جفوني
شخصُه ساعةً ولم يخلُ حِسّي
حسبهم هذه الطلولُ عظاتٍ
من جديدٍ على الدهورِ ودرْسِ
وإذا فاتك التفاتٌ إلى الما
ضي فقد غاب عنك وجهُ التأسّي

وبعد أن أطال شوقي الوقوف على أطلال « الحمراء » وصرح بمعبدها ومحاسنها عاد الى الشفق الذي تركه واذا به يقف متحيرا امام « لوحة رهيبة » معلقة في الجو ، تمثل « أبا عبد الله » آخر ملوك غرناطة يتلفّت ، في ذلة وخشوع ، مفاتيح المدينة لملوك الإسبان ، فألهبت هذه اللوحة الحزينة صدر شوقي حزنا وألما ، وألهب بثورة الفنان الوضيع بساط نفسه ، والبرق بقرّح ذلك الجبان الرعديد مثوله .

وعظيمٌ مقلّدٌ مُلكه
[illegible] الوارثُ المضيّعُ بنحسِ
رُبّ بانٍ لهادمٍ وجموعٍ
[illegible]
[illegible]
[illegible] ولا تسنّى لجِبْسِ

وصور « شوقي » خروج العرب من الفردوس المفقود اثلاء صامتين بعد أن ملأوا الدنيا فتوحا وعدلا وسماحا وراثا وروحا

خرج القومُ في كتائبَ صمٍّ
عن حفاظٍ كموكب الدفن خُرْسِ
ركبوا بالبحار نعشاً وكانت
تحت آبائهم هي العرشَ أمسِ
رُبّ [illegible] أصبحت بين [illegible]
[illegible]

ولم ينس شوقي أن يذكر السلطات الإسبانية وسوء معاملة أسلافها له وسبب طلبه السنوات الثلاث التي قضاها في تلك الربوع

يا نهاراً رقّتْ كالحلم ظلاً
وحلى ذاتي وحسانُ أُنسِ
كُنتُ أرجو نعمك ريشا
ويا في [illegible] واشتد تحرسي

وفي ذلك الشفق أبى شوقي وذووه عقلاء صامتا أساني أسمر كل مصر على الدم الجاري في عروقه من دم عربية وأنه ينحدر من أصل أموي كما تؤكد ذلك شجرة أسرته .

الى القاهرة

ومضى شوقي بروح شذا المجد الضائع

والفردوس العربي المفقود تلقى نبأ طرب له وصفق ، وذلك ان السلطان فؤادا سمح له بالعودة الى مصر ، فطلم وذووه ساهم على عجل ويمموا « جوه » ، والقلب بهم سفينة غادرت تلك المياه الاطالي الى الاسكندرية !

وبلغ « شوقي » الثغر العربي وصف بشعر عبر فيه عن مشاعره نحو وطن هو في حبه ومعبوده « جنة الخلد » .

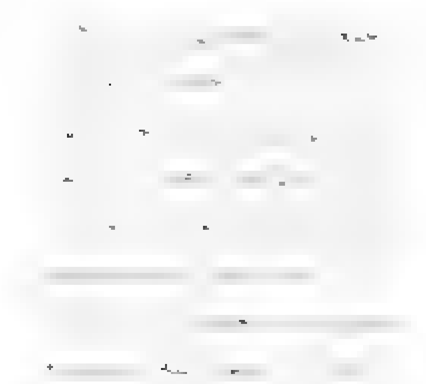


ويمم شوقي وصحبه من الاسكندرية الى القاهرة وعلى محطتها شاهد زحوف الطلاب كأنهم « شُعب السبيل حُشدت في ملتقاها ! » .

و بي اولئك الابناء البررة الا ان يحملوا شاعر العرب الاكبر على الاعناق في ثورة عارمة من الشعور الملتهب ، ايمانا منهم بان الخالد الذي سيرجع اشواق العرب وامانيهم الى شعر ابوي خالد ، ولي « شوقي » بالعهد المسؤول ، وحقق الآمال المرجوة ، وتفاعل مع الشعب الذي احبه ، وكان العرب والمرضين اللسان المعبر عن اشواقهم للوحدة ، واهدافهم الوطنية

وفي عام ١٩٢٦ زار « شوقي » دمشق بعد معركتها الدامية مع فرنسا ، وفي حفلة التكريم التي اقامها « المجمع العلمي العربي » تكريما له انشد قصيدة اكد فيها وحدة الاماني والاهداف والغايات :

بني سورية اطرحوا الأماني
وألقوا عنكم الأحلام ألقوا



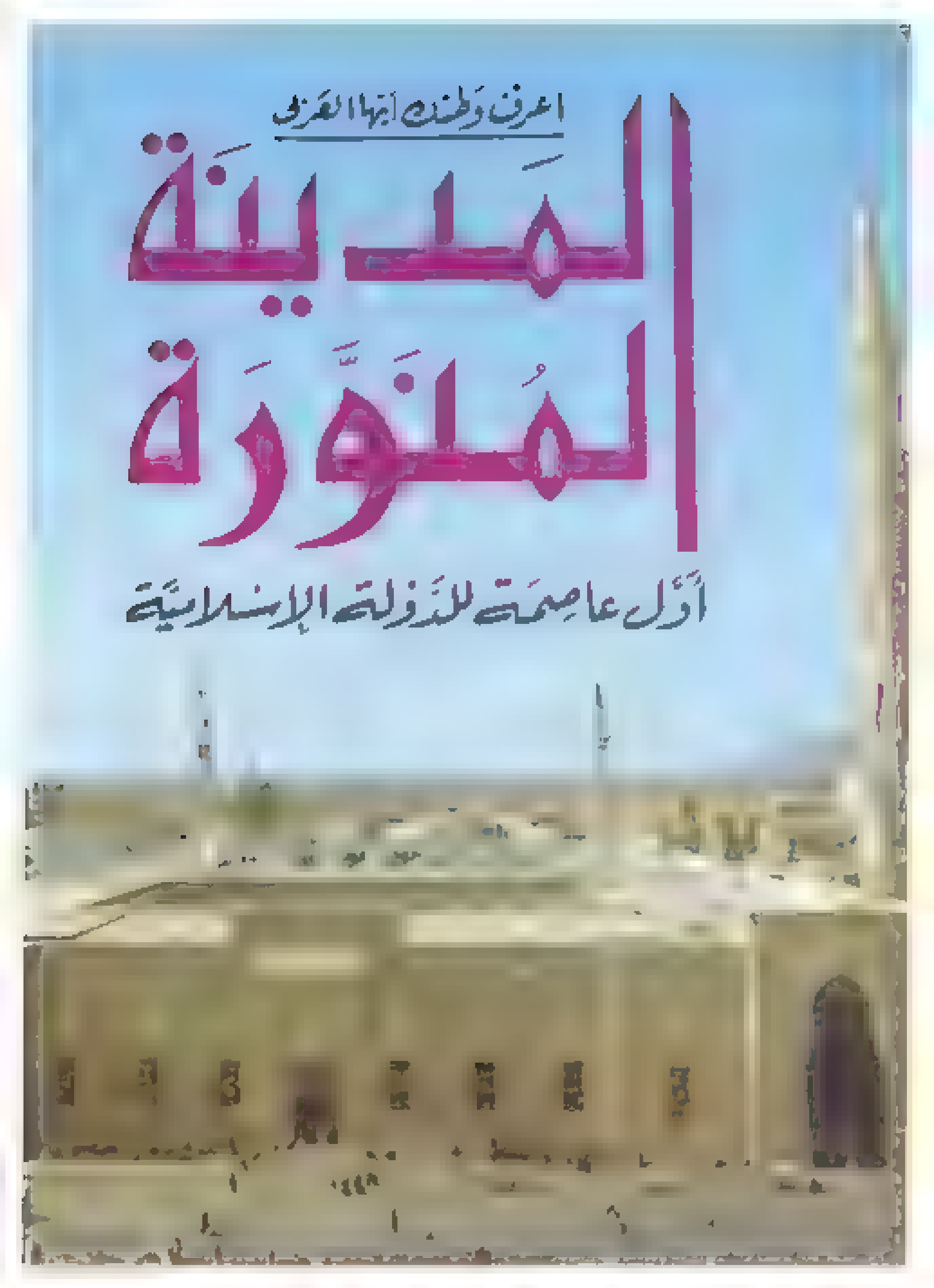
وفي عام ١٩٢٧ تنادى احرار العرب وساستهم وكبار شعرائهم الى مهرجان شعري اليم في القاهرة بايعوا فيه « ابا علي » بامارة الشعر وقدموا له الهدايا النفيسة ، و نسب كل شاعر محل مملكته ، وصف « حافظ » باسم شعرائه في مصر

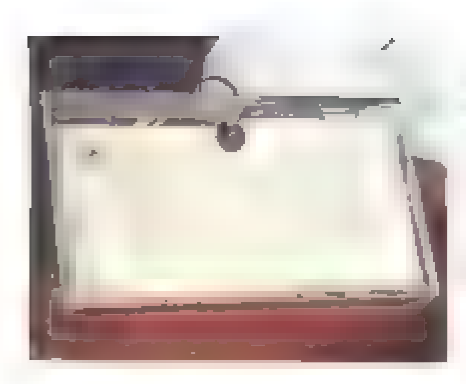
أمير القوافي قد أتيتُ مبايعاً
وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

ونطق « شوقي » في تلك المناسبة العربية مؤكدا انه نذر نفسه وشعره وعاطفته لقومه العرب والمرضين عالما من امالك فيه

في الواقع ان شعر « شوقي » في منفاه كان سمة على الادب العربي وغناء في فرحة الشرق ، وعزاء في احزانه ، وحمل امير القوافي قيثارة السلوى في ليل العرب والاسلام ، وظل قائما في مآسيهم ، ساهرا في اعراسهم ، ناطقا بآلامهم واماليهم الى ان خر النسر العربي صريعا في الرابع عشر من تشرين الاول عام ١٩٣١ فهمدت السطة المرهجة ، لكن شعره ما برح وليمة العرب في افراحهم ، والوتر الحزين في اتراحهم ، وعسهم في لياليهم الملاح ■■

« البدوي الملثم »
عمان


اعرف وطنك أيها العربي
المدينة المنورة
أول عاصمة للدولة الإسلامية

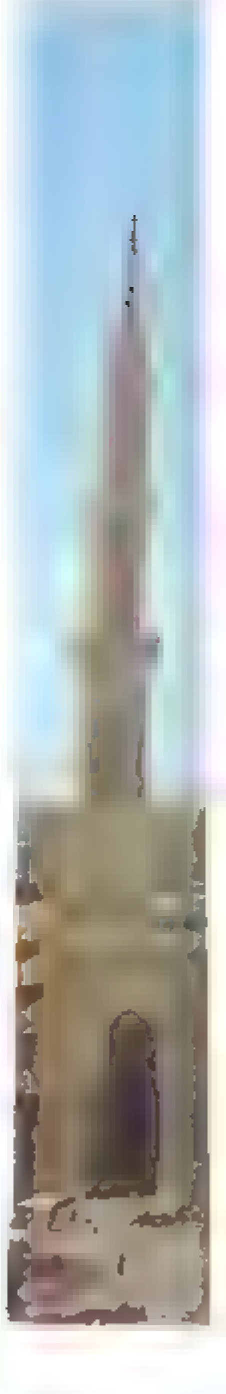


قام بهذا الاستطلاع

محمد [illegible] الدين خضر

وصوره

[illegible]



■ كان الليل قد أرخى سدوله ، وقد مضت [illegible] ساعات ونصف الساعة في السيارة منذ غادرنا [illegible] .. فقال [illegible] لم يبق أكثر من نصف الساعة . على أنه [illegible] سنوات في [illegible] ، كان لا بد للسيارة من أن تمضي [illegible] وكان لا بد للركاب من أن [illegible] ، ليتساووا على [illegible]

[illegible]

... ولا ... [illegible] ... طريق للسيارات من مكة الى المدينة مسفلت .. او بالاحرى ، هناك مشروع طريق يمر بوادي فاطمة، ولكنه يحتاج الى سنوات قبل ان يكتمل » .

و حقا نفكر في تطور العالم في عصرنا ، وفي هذا العلم الطويل الذي استطاع ان يمتد الى جوف الصحراء ليسر اسباب السفر ، ويحمل المشاق التي كنا نسمع بها عن الحج اساطير قديمة .. ومع ذلك فنحن نحتاج الى السفر ، حتى نفكر في قضاء خمس ساعات ونصف ساعة في سيارة تجري على طريق واسعة ممهدة !

وارسلنا نظرات شاردة الى الجبال القديمة التي تحيط بالطريق ، وما كان يظللها من اشجار ونباتات برية واعشاب تصل احيانا الى كثافة الاحراش .. وفجأة ، مرق حيوان تحت الاضواء الامامية للسيارة ، وغاب في احد الاحراش ، فاحسست للمفاجأة .. وضحك السائق وهو يقول : « انه ارنب جبلي .. فهذه الاحراش القديمة على طول الطريق حافلة ببعض الحيوانات البرية ، لا سيما الارانب .. والغزلان احيانا .

وكثيرا ما يخرج اهل « المدينة » اليها للصيد ، بل ان كثيرا من الهواة يأتون من « جدة » خصيصا، وهم يسرعون في رحلاتهم هذه بعد الظهر عادة ، ليصلوا بعد الغروب . اذ ان الليل خير فرصة لصائد الحيوان البري ، فان انوار السيارات ترتك الحيوان وتحرجه ! »

وانقضى نصف ساعة ، ثم بلغنا منعرجا في الطريق بين جبلين ، فقال السائق : « بعد لحظات تبدو لك القبة الخضراء .. القبة التي تعلو حجرة الرسول عليه الصلاة والسلام » .

وصدق حدسه .. فبعد لحظات بدا عند الافق وهج من الشعاع ، يحيط بقبة خضراء .. واستوقفنا السيارة لنهبط ونتأمل المنظر .. ونسيم رطيب يداعب وجوهنا ، وفيه ما يعصف خواطر ومشاعر ..

وعدنا الى السيارة ، فدلفت بنا الى « المدينة المنورة » ، اول عاصمة سياسية ، لاول دولة اسلامية عرفت على التاريخ .

وكانت احلى الحب والشوق اللذان شعرنا بهما خلال الرحلة يفعل ساحر ، فاذا بنا اسعد ما نكون . فما ان اودعنا حقائبنا الفندق - وكان مجاورا للمسجد النبوي - حتى اسرعنا لنؤدي التحية للرسول عليه الصلاة والسلام .

وكانت « المدينة » تتألق بالاضواء ، وتحتفل بالناس ، وتزخر بالحركة ، وتعج طرقاتها بالآلاف من كل جنس ، وكل لون ، وفي كل زي يحفل بالناس ، اذ كانت زيارتنا في اعقاب الحج .

ووقفنا نتأمل القبة الخضراء ، التي كان الوالي « قايتباي » المصري ، اول من رفعها عندما تولى تجديد المسجد ، بعد صاعقة انقضت عليه في سنة ٨٨٦ هجرية فالتهمت سقفه ، واتت التي انهار جدرانه ، ولم يسلم سوى الحجرة التي بها ضريح الرسول .. وكان اول من طلى اللون الاخضر على القبة ، هو السلطان محمود العثماني، عام ١٢٥٥ هـ .

وانصرفنا من المسجد وفي انفسنا مزيج من رهبة،





الروضة الشريفة ... قبر الرسول

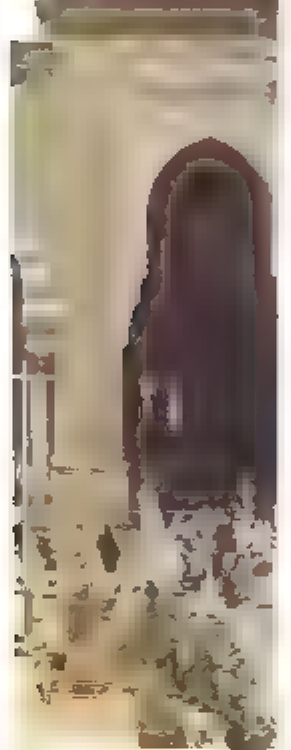
وشوق ، و .. اشراق غريب يشعر المرء أنه ملأ نفسه نوراً وفرحاً ، دون أن يملك له وصفاً ..

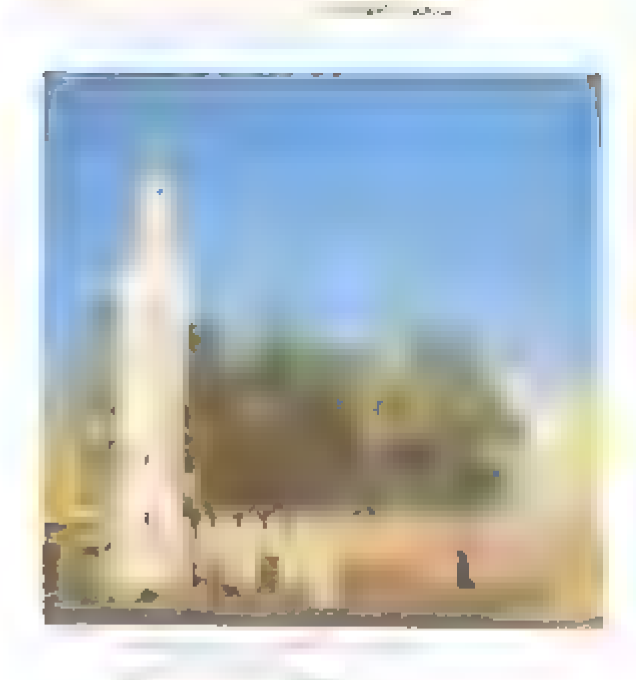
وكان المسجد – الذي بلغت مساحته بعد آخر توسيع له ١٦٣٢٦ متراً مربعاً – يضيق بمن فيه وقد بعثت الحركة بداخله كحركة الماء في الصفحة الماضية الدافقة .. جموع تدخل من بعض الأبواب، وجموع تخرج من أبواب أخرى ، في تواصل مستمر .. ووسط الحشود الزاخرة ، شققنا طريقنا الى المقصورة النبوية التي كانت يوماً حجرة الرسول عليه الصلاة والسلام في بيت السيدة عائشة ، فاحتضنت ثراه ، وثرى صاحبيه الوفيين وخليفتيه العظيمين أبي بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب . وتقوم هذه الحجرة في الركن الجنوبي الشرقي للمسجد ، وقد كانت خارج حدوده حتى سنة ٨٨ هجرية ، عندما رأى الوليد ابن عبد الملك – في العهد الأموي – أن يوسع المسجد ، وأن يدخلها فيه .. وقد أدخل كذلك بقية بيوت النبي ، بعد أن هدمها ، وكانت ممتدة في شرق المسجد الى الشمال منه .

وبعد الطواف بالمقصورة النبوية اتجهنا الى « الروضة النبوية » ، وهي البقعة التي وردت في حديث النبي ... ولاحظنا أن المنبر لم يكن واحداً ، بل اثنين .. على أننا لم نملك أن نسأل عنهما في هذه اللحظة ، ونحن مبهورون بجلال المكان ، وعظمة النبي ، وفخامة ما أحيط به من سجاجيد ورياش وزخارف .

* * *

ولما انتهينا من الصلاة الواجبة ، أسرع بعض الأصدقاء الذين كانوا في استقبالنا في ...







ساحة من ساحات [illegible]

المباني البدوية ، التي تتألف من أعمدة من الخشب ، ذات سقوف من جريد ، وقد صفت حولها أرائك خشبية عالية ، فرشت بالحصير .. وقلنا ونحن في الطريق [illegible]
[illegible] .. فقال أحد الرفاق

ورهفنا آذاننا وهو يروي كيف أقيم المسجد الأول من النبي ، وكان سقفه من الجريد المرفوع على أعمدة الخشب من جذوع النخل.. وقد اشترك النبي عليه الصلاة والسلام في بنائه ، وكان ينقل الحجارة — التي جعلت أساسا — والتي [illegible] منه العمران وهو يرده
[illegible]
فلما حاول أحد أن يأخذ عنه ما يحمل ، كان عليه الصلاة والسلام يجري له

[illegible] الروضة الحديثة [illegible]



[illegible] والمسجد [illegible] على العمل الحميد في نفوس الأنصار والمهاجرين ، فكان معلمهم مثالا للتعاون بين المسلمين — كبيرهم وصغيرهم — ورمزا للبساطة والزهد . فلما ازداد عدد المسلمين ، واستقرت الأمور بعد غزوة « خيبر » — في السنة السابعة للهجرة زاد النبي من مساحة المسجد فصارت ٢٤٧٥ مترا مربعا .

المسجد في عهد عمر وعثمان

[illegible] عمر بن الخطاب فضاعف من مساحته بعد سبع سنوات — ١١٠٠ متر مربع .

وفي عهد عثمان بن عفان ، هدم المسجد وأعيد بناؤه بالأحجار المنقوشة والجص ، واستخدم له أعمدة حجرية صب فيها حديد ورصاص لتقويتها ، وصنع السقف من الساج ، وقد أصبحت مساحته — إذ ذاك — ٤١٩٦ مترا مربعا .

المسجد في عهد الوليد بن عبد الملك

ثم أضاف الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك ، ٢٣٦٩ مترا مربعا ، وأدخل في المسجد الساحة التي كانت تشغلها بيوت زوجات النبي .

وفي هذه المرة ، جاء المسجد مثلا لفنون العمارة التي انتهى إليها المسلمون باتصالهم بثقافات وحضارات أخرى .. فكانت له أربع مآذن ، ورصفت أرضه بالرخام وزينت جدرانه بالفسيفساء ، وزخرف سقفه بالذهب ، وجعلت أعمدته من الرخام

المسجد في عهد المهدي والمستعصم

ثم زيدت مساحة المسجد ٢٤٥٠ مترا مربعا ، في عهد الخليفة العباسي المهدي بن المنصور ، في سنة ١٦٠ هجرية .

وظل المسجد كذلك نحو خمسة قرون ، ثم شب في المسجد حريق في سنة ٦٥٤ هجرية أتى على سقفه ، فعمره الخليفة العباسي « المستعصم » [illegible]

المسجد في عهد ولاة مصر

ولكن هذه العمارة لم تتم إلا على يدي الظاهر بيبرس البندقداري — والي مصر — في سنة ٦٧٠ هـ.



ولقد لقي المسجد وعمارته عناية من سلاطين مصر ، في عهد المماليك .. وكان آخر مظاهرها تجديد الملك « الأشرف قايتباي » بعض الأعمدة والسقف والمآذن في سنة ٨٧٩ .

ثم شب حريق آخر بعد سبع سنوات ، لم يسلم منه سوى الحجرة النبوية ، فبادر « قايتباي » إلى عمارة المسجد من جديد ، مع زيادة المساحة ١٢٠ مترا مربعا .. وأقام قبة على سقف الحجرة النبوية ، وقبابا أخرى ، مع إسباغ في الزخرفة . وقدر ما أنفق على هذه العملية بحوالي ١٢٠٠٠٠ دينار .

المسجد في عهد سلاطين آل عثمان

[illegible] السلاطين العثمانيين عنوا كذلك في [illegible] عمارة المسجد وجماله . ففي سنة ٩٨ هـ عمره السلطان سليم الثاني وزين المقصورة بالفسيفساء الموشاة بماء الذهب .. وأعاد السلطان محمود [illegible] سنة ١٢٣٣ هـ بناء القبة وطلاها باللون الأخضر ، ثم قام السلطان عبد الحميد الثاني – سنة ١٢٦٥ هـ – بمشروع كبير لعمارة المسجد ، استغرق ١٢ عاما ، وزين الجدران بالآيات القرآنية والأحاديث ، وأنفق في ذلك نحو ٧٥٠/٠٠٠ ليرة عثمانية . ولما





استطاعت المشروع الى المسجد ١٢٩٣ مترا مربعا فاصبحت مساحته ١٠٣٠٣ امتار مربعة .

عبد العزيز بن سعود وعمارة المسجد

وبعد ذلك بمائة سنة وثلاث ، رأى المرحوم الملك عبد العزيز بن سعود توسيع المسجد النبوي بعد ان ازداد عدد المسلمين ، وسهلت المواصلات سبل الحج . وقد استغرقت دراسة المشروع ووضع تصميماته عامين ، وكان للمهندسين المصريين نصيب كبير فيهما .. فلما بدىء التنفيذ، وكلت الاعمال الفنية الى ٢٠٠ صانع من العرب والسوريين والباكستانيين واليمنيين والحضرميين، كما استخدم ١٥٠٠ عامل سعودي ، كان العمل لهم بمثابة اعداد وتدريب في الوقت ذاته .. ووقف ٣٠ تاجرا على الاخشاب والحديد والاسمنت الى مبناه « سبع » . كما استخدمت مختلف الآلات الميكانيكية الحديثة في العمل الذي استغرق ثلاث

سنوات ، اصبحت مساحة المسجد بعدها ١٦٣٢٦ مترا مربعا .

قصة المسرين

وان محدثنا رواية للقصة بالارقام ، وقد نقلنا الكلام على بضعة كيلومترات من « المدينة » واصطحبنا على الارائك المشيدة، محدثي الساري، قائلا « لقد اعتبرنا في مكان منبر النبي خشبي، كلاهما من طراز لا يمكن أن يرجع عهده الى عهد النبي فما عهدهما ! » .

قال : « لقد كان النبي يخطب في مسجده [illegible]

[illegible]

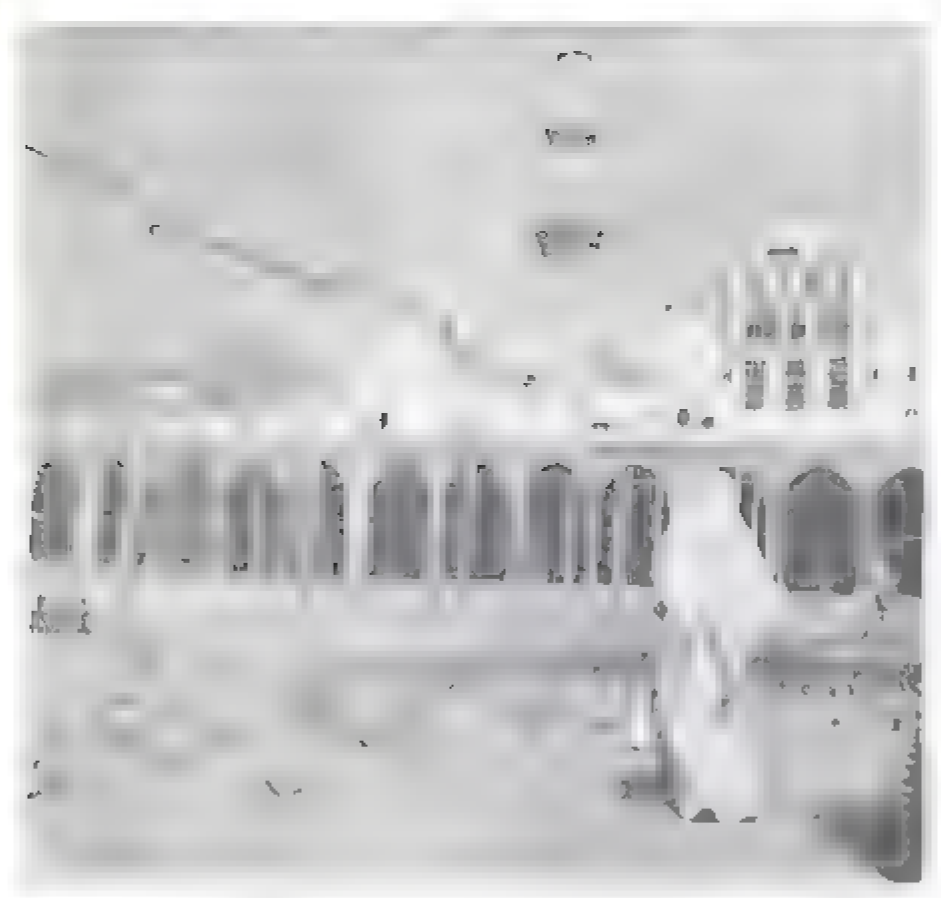
مسجد قباء

[illegible] المسجد النبوي [illegible] مسجد اشترك النبي في بنائه ، اذ اشترك عليه الصلاة والسلام في بناء مسجد « قباء » حيث نزل قبل دخوله « المدينة » في بقعة تحيط بها البساتين، وتجري فيها مياه العيون ، وتكثر فيها الآبار ، على مسافة من « المدينة » .. فقد بقي عليه الصلاة والسلام هناك اربعة ايام ، شيد فيهما اول مسجد بني اصلا ليكون مسجدا .. ويقال انه المسجد الذي نزل فيه قول الله : « لمسجد أسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه ، فيه رجال يحبون ان يتطهروا ، والله يحب المطهرين » .

ولا يزال مسجد « قباء » مقصد كل من يزور



منبر مصنوع [illegible] « حكمت » سنة ... من العصر الاسلامي ، وهناك صورة للمنبر من قبة النبي محمد



« حمام الحمى » [illegible] عند المسجد الأثري في [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible]

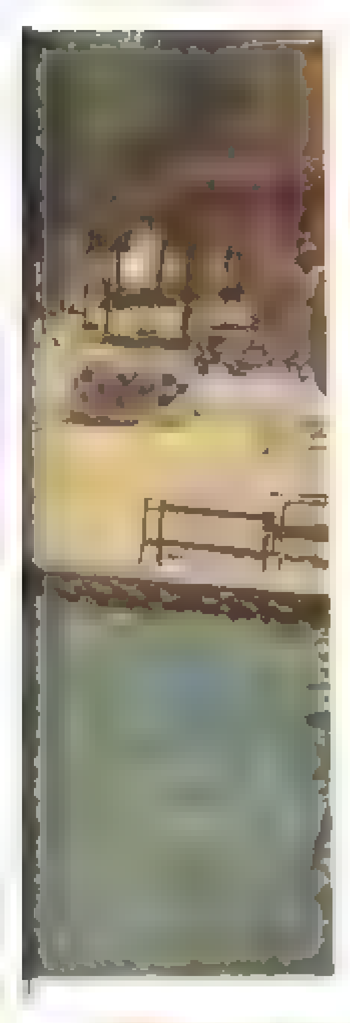
« المدينة » ، وان جدد بناءه عدة مرات .. فقد بني – في البداية – من اللبن والجريد ، ثم جدده عثمان بن عفان وجعله من الأحجار ، وزاد مساحته .. ولكن « عمر بن عبد العزيز » هدمه وأقام مكانه مسجدا أكبر حجما ، وأجمل رواء .. وكان السلطان محمود الثاني – العثماني – آخر من جدد عمارته في سنة ١٢٤٥ هـ ، أي منذ قرن وربع تقريبا .

ويقابل باب مسجد « قباء » مبنى [illegible] « الزرقاء » وبئر « أريس » . ويقول [illegible] خاتم النبي عليه الصلاة والسلام – وهو الخاتم الذي توارثه الخلفاء – سقط من أصبع عثمان بن عفان في هذه البئر ، في العام السادس لخلافته ، ولم يمكن لأحد أن يعثر عليه برغم الجهود التي [illegible] .. أما عين الزرقاء ، فتحت [illegible] المياه فيها من آبار قريبة ، أصلحها وطورها [illegible] الآن في السلالات .

قبر حمزة عم النبي

ومن المأثور عن النبي عليه الصلاة والسلام ، أنه كان يزور « قباء » في يوم السبت وقبر الشهيد « حمزة » في يوم الأربعاء من كل أسبوع .

وقد كان « حمزة بن عبد المطلب » عم النبي وأخاه في الرضاع . وكان بطلا مغوارا ، دافع عن النبي عندما كانت قريش تؤذيه وهو بينهم ، حتى لقد ضرب أبا جهل مرة بقوسه فشج رأسه ، لأنه اعتدى على النبي وسبه أثناء جلوسه عند الصفا .











كما كان اول شهيد اوفده النبي على راس اول سرية بلواء عربي ، بعد الهجرة ... وعندما قامت معركة بدر – في العام الثاني للهجرة – كان حمزة اول من نزل للقتال ، وابلى بلاء حسنا ، حتى كتب الله النصر للمسلمين ، فاوغر هذا عليه قلوب قريش ، فكان هدفا من اهداف مقاتليها عندما دارت الدائرة بالمسلمين عند جبل احد ، خارج المدينة لثأر لهزيمتها . وكانت هند بنت عتبة اشدهم حقدا على حمزة لانه قتل اباها واخاها في وقعة بدر ، فساقت عليه من يترصد به ليقتله . وبينما كان حمزة في كر وفر ، عثر فوقع على ظهره ، واذا ذاك انقض عليه حبشي عند – وكان حبشيا اسمه « وحشي » ، وله من اصابته نصيب كبير ، وظل يضربه بحربته حتى قتله ومثل بجثته . فاقبلت هند بنت عتبة فشقت عن بطنه واخرجت كبده وراحت تنهشها .. فكان حزن النبي عليه عظيما .

وقد كان لحمزة قبر لو شاء ، ثم اقيم جميعا حسية فوقه يؤديها الناس هناك من اقرب الى الوثنية . ولكن موقع القبر باق ، وبجانبه مقابر شهداء معركة احد . ان هذا لم يكن الموضع الاصلي ، الا ان حمزة دفن في البقعة التي استشهد فيها ، ثم جرف سيل قبره ، وكشف بعض جثته ، فامر النبي بنقلها من الوادي ، ودفنها على الربوة التي يقوم عليها قبره اليوم .

باب المصري يدخل الى المدينة

كتب الرحالة السويسري « بوركهارت » منذ قرن ونصف – سنة ١٨١٥ م – يقول :

« [illegible] مبنية [illegible] ، شكل [illegible] من الحجر ، ومطلية من [illegible] .. و[illegible] مسورة بطلاء وقد كانت [illegible] ، في عرضها اقرب الى ثلاثة ، و[illegible] الحجر ، وقليل من طرقها الرئيسية مرصوف بالحجر [illegible] ، ونحو [illegible] بيوت [illegible] الى [illegible] ، لا [illegible] من [illegible] منازل المدينة ، و[illegible] في كل مكان .. و[illegible] المدينة [illegible] الى [illegible] ، ولا [illegible] من [illegible] الا صورة [illegible] » .

وما اصعب تسجيل الصورة عن « المدينة » كما [illegible] .

صحيح انه لا تزال في « المدينة » بيوت قديمة بعضها متداع ، وطرق ضيقة لا تكاد الواحدة منها تتسع لشخصين يسيران جنبا الى جنب ، ولكن باب المصري مدخل الكثير من ارجاء المدينة ، وفي الطرق الواسعة ، التي تحف ببعضها الاشجار وتتوسط بعضها النافورات والشرفات .. وتقيم المباني على احدث طراز في العمارة ، وترتفع بها شامخة ، وان كان يلاحظ ان النافذات التي تجاور تلك شرفات لها بينها ..

على ان من الامور التي تسترعي الانتباه هنا ، ان طرق « المدينة » – قديمها وحديثها ، [illegible] [illegible] .

مدينة سلام

والواقع ان لاهل « المدينة » طابعا خاصا ، يعالى ان طبيعة منطقتهم ، واقامة الرسول بينهم ، ثم وجود ضريحه ومسجده عندهم ، قد تعاونت على ان تشيع في نفوسهم . فهم يمتازون بهدوء ورقة تكاد تكون ان تحسبها نوعا من الطراوة فيهم . كما انهم يمتازون بحلم واسع وصبر عميق . فابتسامة الرضا الدائم فلا حنق ولا يعقل ، وانما يرددون « [illegible] » .

ولقد صادفنا حادثا في صباح اليوم التالي لاقامتنا في « المدينة » جعلنا نعجب بأخلاقهم ايما اعجاب . فقد اطللنا من شرفة الفندق على ساحة المسجد النبوي – في الصباح الباكر – فاذا سائقان من سائقي سيارات الاجرة يتشاجران فيما بينهما ، وكان احدهما من المدينة والآخر من الرياض ، كما بدا لنا مما سمعناه من حديثهما .. وتطور التشابك بينهما الى جدل ، ثم احتد الجدل ، وعلت العبارات بالغضب ، وعند ذاك قام السائق القادم من الرياض بصفعة ليمسك بطوق السائق الذي من المدينة ، فاذا هذا يقول له : « [illegible] » .

وعندما رويت هذه الحادثة ، قال رفيق من اهل المدينة : « هكذا يسلك [illegible] اية [illegible] من [illegible] ، ولبس في ساحة الحرم النبوي وحدك [illegible]



[illegible] الزراعية [illegible]

[illegible] التي [illegible]

لهن على [illegible] فوق [illegible]

[illegible]

[illegible] .

خيرات المدينة

والى جانب هذا ، نجد في اهل [illegible] من الارض بالواقع ، فهم لا [illegible] في [illegible] ولا [illegible] ، [illegible] هو

النمو في هذه الحياة الاقتصادية في المدينة برغم [illegible] في مختلف العصور [illegible] البرتقال ، والنارنج ، والليمون ، والعنب والجوافة ، والتين ، والرمان ، والتوت والترنج وكافة انواع الخضر .

وصل هذه الخيرات كانت كافية الى [illegible] على [illegible] في [illegible] الا [illegible] وعلى [illegible]





صناعة حفظ الفواكه والخضر وتعليبها .. ولكن الذي حدث هو ان الصناعات التموينية القديمة — كصناعة الأواني الفخارية وصناعة التبغ المعسل — ظلت على حالها الذاتي ، حتى رأت الحكومة من سوء مصيرها للتصدير ، منذ عشر سنوات .. ثم العمل اخيرا على استيراد مزيد من الآلات وتوسيع المصنع بعد ان ازداد انتاجه والطلب على انتاجه .

وينتج المصنع الحالي التبغ المعسل ، والتبغ المخلوط « العجمي » ، والتبغ المخلوط بالحلوى على هيئة « قندان » ، والتبغ المخلوط في مخلوط سكري مثل « الكوسوب » ، ومعسل التبغ الذهبي .

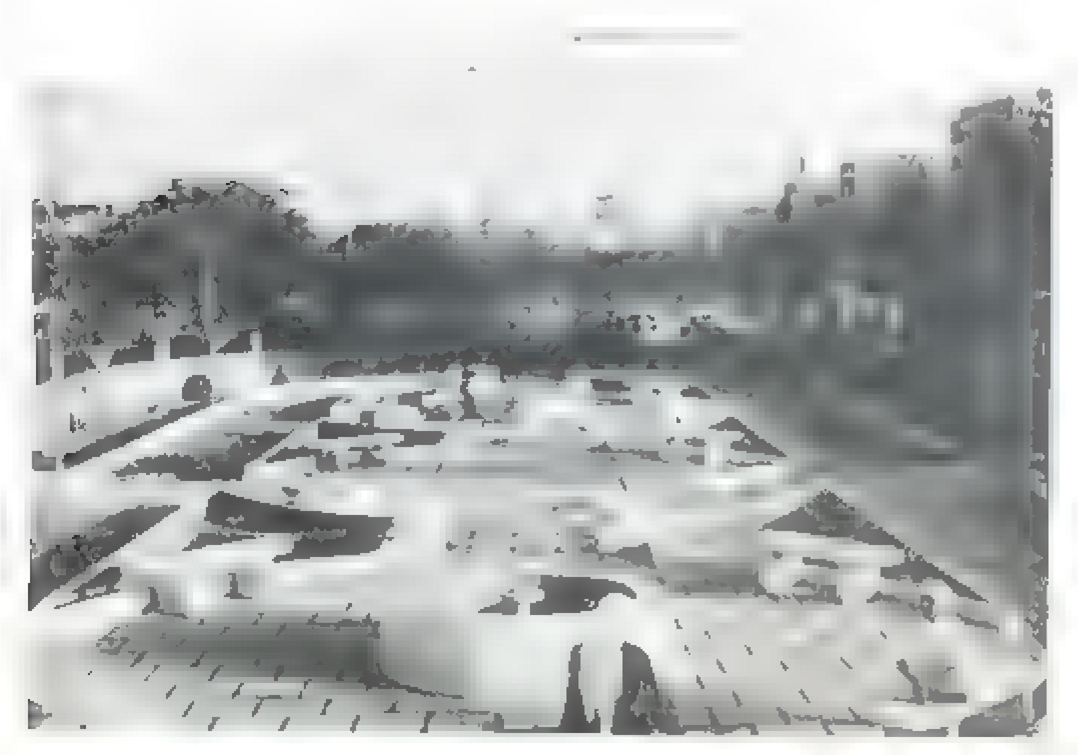
ومن المنتظر بعد توسيعه ان يتولى — الى جانب هذا — تصنيع مختلف النخيل لانتاج الخل والكحول والاعلاف والخميرة ، وتحويل نفايات التمور الى سماد عضوي ، وصناعة عصير التمر على شكل مشروبات غازية (مثل الكوكاكولا) ، وانتاج الكحول للاغراض الطبية من كحول التمر المخمر .. كما يجري المصنع حاليا تجارب لاستخدام « نوى » التمر في بعض الصناعات — مثل العلف الحيواني — واستخدام مسحوق النوى في صناعات مثل منتجات المخابز والحلوى .

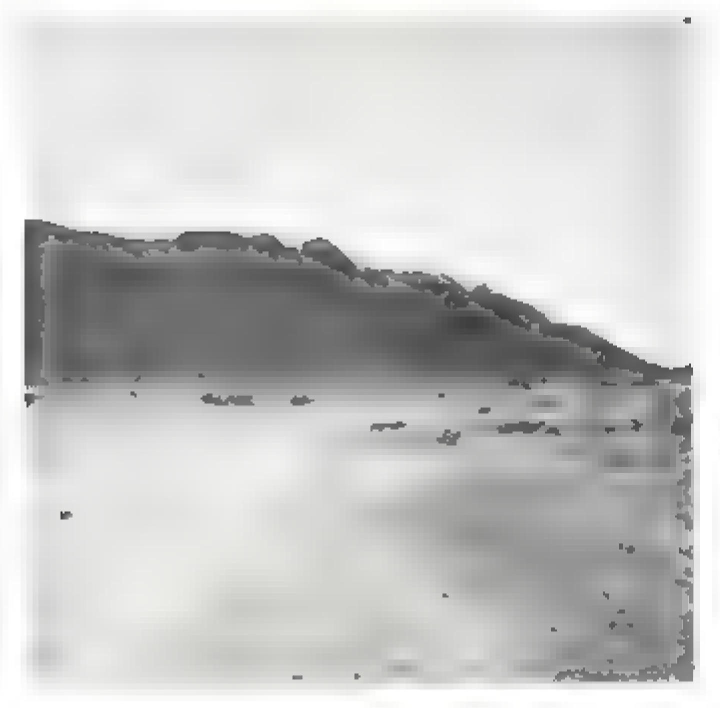
ومثل هذا البرنامج الواسع ، خليق بأن يجعله مقرا لتصنيع محصولات التمر المختلفة من اجزاء اخرى من البلاد غير المدينة .

مزرعة نموذجية وبساتين

كذلك كان الاهتمام بالغا في الزراعة .. ولكن الحكومة أقامت منذ عشر سنوات وحدة زراعية سمتها مزرعة نموذجية لاجراء التجارب على بعض انواع النباتات التي يمكن ان تنمو في اراضي المدينة ، والتي ستعمل مساعدة على زيادة الدخل القومي ، وتكون مواد للتصنيع ، وقد افلحت زراعة شجر السكر هناك ، ولا تزال التجارب تجري لاستنبات قصب السكر .

وتقوم الوحدة الزراعية في « المدينة » بتقديم الخدمات للمزارعين واصحاب البساتين .. فهي تساعدهم على مكافحة الآفات الزراعية ، وتعقد الندوات في المواسم لتوجيه المزارعين وارشادهم ،





منطقة « جبل أحد »

وتقدم لهم البذور و « الشتلات » بالمجان وبأسعار رخيصة .. كما تبيع الزراعة النموذجية قسم للمواشي والماشية بجنس سلالة أحسن السلالات وتوزعها على الأهالي للإكثار من الثروة الحيوانية .

والبقعة التي أقيمت عليها الزراعة النموذجية تضم بئرا لها قصة طريفة .. فتلك هي بئر رومة .. وكانت لامرأة يهودية قبل الإسلام ، فاشتراها عثمان بن عفان — في زمن الرسول — وباع ماءها للمسلمين .. أو — كما قال لنا راوي القصة — « حبسها وقفا [illegible] »

على أن هذه البئر لم تجف أو تعطل ، بالرغم من ارتفاع منسوب المياه فيها ، وحفرت على مقربة منها بئر أخرى ، أقامت عليها الحكومة مضخة لرفع الماء وري الزراعة ..

ونذكر من أصحاب البساتين عيون بساتينهم بنابلة فائقة . وقد أتيح لنا أن نزور بستانا منها في قرية « قربان » إحدى قرى المدينة — وكان فيما مضى ، الحد الفاصل بين بساتين اليهود وبساتين الأنصار ..

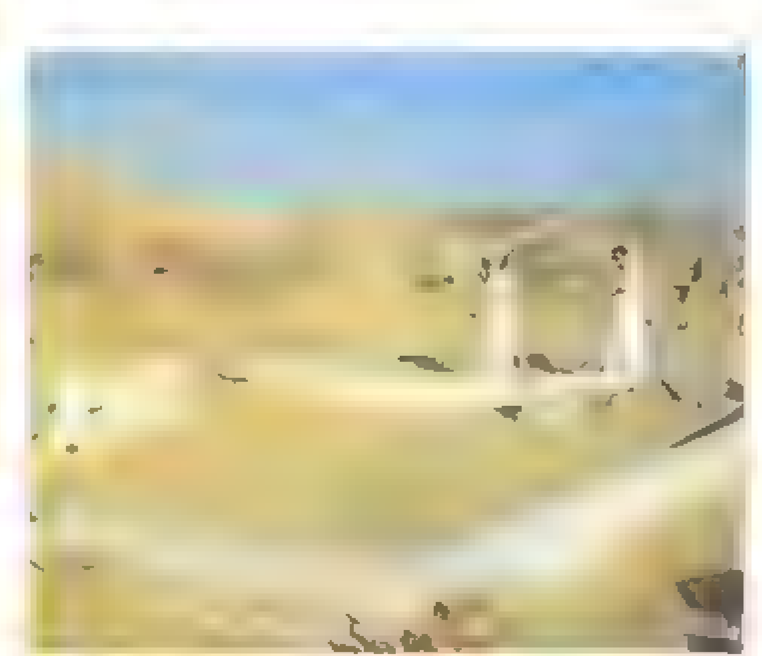
وصحبنا السيد عبد الرحمن الزاهد ، صاحب هذا البستان ، يتنقل بنا فيه ، وسط الأشجار وكرومه .. وقد بلغ من عنايته ، أنه أقام في طرف من البستان بيتا أقام أمامه حوض للسباحة ، يستمد ماءه من بئر أقيمت عليها مضخة رفع من الماء ما يكفي لري البستان والفائض على الحوض .

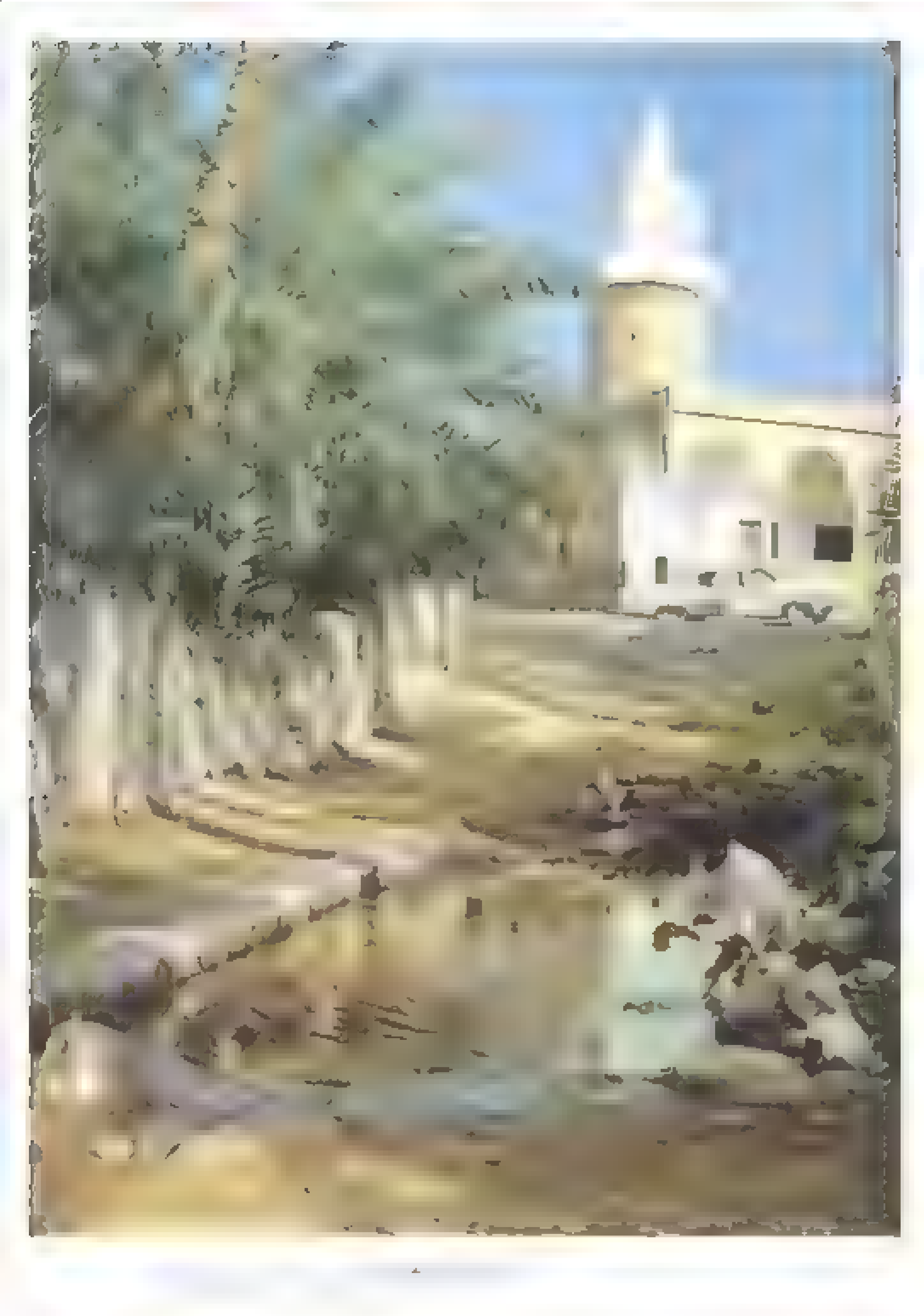
ولقد روى لنا صاحب البستان — وهو في الوقت ذاته مدير الكلام في المدينة — أن المنطقة التي تقع البستان في أحد أطرافها ، ذكرت في بعض الروايات القديمة لليهود ، على أنها تقوم على كنوز ، علاوة على القول أنها آثار حضارة عامرة قبل الإسلام .

ولقد سمعنا هذا الكلام من مصادر أخرى عن « المدينة » ، لا سيما موقع « يثرب » القديمة .. فقد كانت هذه المنطقة مهد حضارة كان الأوس والخزرج واليهود من سكانها .. ولا نستبعد أن يكون بحثها آثار تلقي أضواء على تاريخ شبه الجزيرة العربية بأسرها ، أو الشمال الحجاز .. على الأقل .









يثرب

والواقع أن « يثرب » كانت ذات يوم مركز أسواق رائجة وعامرة .. وكان اليهود من أوائل العناصر التي استقرت بها ، فرارا مما كان يحيق بهم من مظالم في فلسطين إبان حكم الرومان والبيزنطيين . ولكن قبيلتي الأوس والخزرج استقرتا فيها ، خلال هجرتهما إلى الشمال بعد انهيار سد « مأرب » في اليمن . ولم تلبثا أن خرجتا على سلطان اليهود ، ولكنهما تحولتا تنازل كل منهما الأخرى ، في سبيل الاستئثار بالسلطان ، حتى هاجر الرسول إلى « يثرب » ، وآخى بين القبيلتين .

المدينة عاصمة المسلمين الأولى

وكما كان مولد النبي نقطة تحول في تاريخ مكة فإن هجرته كانت نقطة تحول في تاريخ المدينة ، إذا أصبحت عاصمة أول دولة للإسلام . وظلت كذلك إلى عهد « علي بن أبي طالب » ، إذ نازعه معاوية الحكم وأقام بالشام ، بينما اضطر علي إلى الاستقرار في « الكوفة » ، فتحول بالتالي « المدينة » إلى أن قام « عبد الله بن الزبير » بحركته ضد الأمويين ، فلما فوجئ « يزيد بن معاوية » بحمل المدينة ، ثم لا يلبث أن ينتزع مكة ويقضي على ابن الزبير سنة ٧٣ هـ .

عناية الخلفاء بالمدينة

وكان وجود قبر النبي في « المدينة » ، سببا في عناية الخلفاء وأمراء المؤمنين بها ، مما أدى إلى ازدهارها ماديا وأدبيا ولكن اعتمادها على مكاسبها المدنية نود أهلها — لا سيما وقد اختلطت بهم عناصر كثيرة من المسلمين الذين وفدوا للإقامة جوار قبر الرسول — أن يتركوا الشئون عناية ولاة أمور المسلمين ، وأن يتباروا في الإنفاق على أنفسهم ..

السكة الحجازية ، بين دمشق والمدينة

ثم قدر للمدينة أن تجد حافزا للازدهار ، عندما رأى السلطان عبد الحميد الثاني أن يربط أرجاء إمبراطوريته بسكة من الخطوط الحديدية وتضمن المشروع مد خط من دمشق إلى « المدينة » تيسيرا لسالكي الحج فتهافتت التبرعات من كافة أرجاء العالم الإسلامي ، حتى بلغت ثلاثة أرباع مليون ليرة عثمانية .

واستغرق إنشاء خط « دمشق — المدينة » ثماني سنوات ، وقد افتتح سنة ١٩٠٧ م ، وأدت سهولة المواصلات إلى ازدياد الحجاج ، ولما كانت « المدينة » أحد الطرفين الرئيسيين للخط ، فقد انتعشت أحوالها ، لا سيما إذ أصبح هذا الخط شريانا للتجارة بين شبه الجزيرة العربية والشام . وتضاعف من أمر الازدهار أن ثمن الأراضي في « المدينة » ارتفع إلى أكثر من ثلاثة أمثال ما كان عليه .. وزاد عدد سكانها زيادة سريعة ، فقفز من ٢٠٫٠٠٠ في سنة ١٩٠٧ ميلادية إلى حوالي ٨٠٫٠٠٠ في سنة ١٩١٤ .

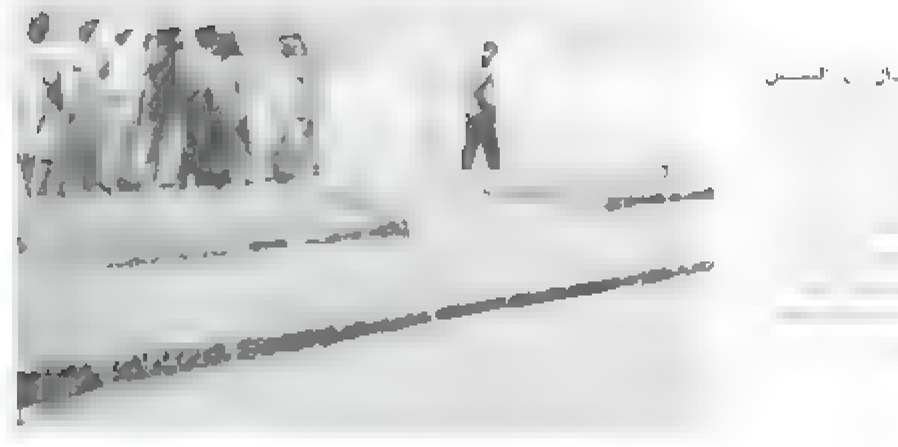
ولكن قيام الحرب العالمية الأولى في ذلك العام ، وثورة الهاشميين على الدولة العثمانية ، أدى إلى تخريب الخط الحديدي لقطع الإمدادات عن الشام من الجيش التركي في الحجاز . ولم تنته الحرب حتى كان كثير من أجزاء الخط قد خرب كما أن البلاد التي كان يمر خلالها مقسمة بين الانتداب الفرنسي ، والانتداب الإنجليزي ، فلم تنجح كل محاولة لإصلاح الخط بعد ذلك وربط الأجزاء الباقية منه .

على أن الحكومات العربية — بعد استقلالها — اتفقت على إصلاح الخط ، وقد رست مناقصة الإصلاح منذ أشهر على شركة ستبدأ الآن الأداء عملها

ومن المتوقع إذا ما تم إصلاح الخط ، واكتمل الطريق البري الذي ينشأ الآن بين المدينة ومكة ... أن يعود الازدهار من جديد في « مدينة النبي » .

مدرسة صناعية ثانوية

وتمتاز « المدينة » بوجود مدرسة صناعية ثانوية فيها ، بدأت في نهاية سنة ١٣٧٥ هـ كفكرة وبعد نحو ٤ سنوات تم إنشاء مبنى خاص لها على مساحة ستة كيلو مترات مربعة ، تضم ١٢ ورشة لأعمال الخراطة ، والحدادة والبرادة ،

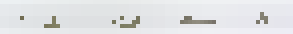


[illegible]

وصيانة السيارات ، والكهرباء ، والميكانيكا ، والنجارة ، والأعمال الصحية ، والنسيج وصناعة السجاد ، والنقش ، والتجليد .

ويزيد عدد طلبة المدرسة على ٤٠٠ طالب ، تحت رعاية نحو ٨٨ مدرساً . ويتقاضى الطالب مكافأة قدرها ١٥٠ ريالاً سعودياً ، كما تمده المدرسة بملابس العمل في « الورش » ، وبوجبة الغذاء . وقد كانت الدراسة حتى نهاية العام الدراسي الماضي خمس سنوات ، وتخرج منه ـ بموجب هذا النظام ـ دفعتان عدد طلبتهما ٣٥ ، عينوا جميعاً مدرسين في المدارس الصناعية في المملكة السعودية .

واعتباراً من هذا العام ، أصبح الطلبة يدرسون أربع سنوات ، على أن يتاح لمن يرغب في مزيد أن يلتحق بالمعهد العالي الفني في الرياض، أو أن يوفد في بعثة إلى الخارج .





ومن اسطر في المخطط الجديد للمدينة ان توجه عناية خاصة للصناعات التي تتوفر خاماتها محليا

تعليم النساء بالمدينة

والمجتمع في « المدينة » أشد تحفظا منه في أي بلد آخر في إقليم الحجاز ، والمرأة فيه محجوبة وراء الحجاب الكثيف أكرم صيانة ..

على أن هذا لم يحل دون تقدم تعليم الفتاة في « المدينة » ، وسيره بنفس سرعة التقدم في كل ميادين النشاط الأخرى هناك. ففي سنة ١٣٨٠ هـ (١٩٦٠ م) كانت في « المدينة » خمس مدارس أهلية ومدرستان أميريتان لتعليم الفتاة في المرحلة الابتدائية ، وكانت هذه المدارس تضم ١٠١٠ فتاة . وفي سنة ١٣٨١ هـ ، هبط عدد المدارس الأهلية الى ثلاث ، وإن ارتفع عدد الطالبات في المدارس الباقية الى ١٢٢٧ . وفي سنة ١٣٨٢ هـ ، هبطت المدارس الأهلية الى اثنين وزاد عدد المدارس الأميرية الى ثلاث ، وارتفع عدد الطالبات فيها جميعا الى ١١٧٧ .

كذلك أنشيء في سنة ١٣٨١ هـ (١٩٦١ م) معهد لتخريج معلمات للمرحلة الابتدائية ، ضم في أول أعوامه ٤١ طالبة ، وفي العام الثاني ٢٦ ، ويقدر عدد طالباته في هذا العام الدراسي بأكثر من ١٠٠

المكتبات العامة

وفي « المدينة » عدد من المكتبات العامة ، التي تضم كثيرا من المخطوطات والآلاف من الكتب المطبوعة ، ولعل أشهر وأكبر هذه المكتبات « مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بك الحسيني » .. ومن السهل أن يدرك أنها أنشئت في العهد العثماني ، والواقع أن تاريخها يرجع الى سنة ١٢٧٠ هـ ، أي أنها تجاوزت القرن بأربع عشرة سنة .

وتحتل « المكتبة » مبنى أقيم على موقع دار الحسن بن علي ، رضي الله عنه ، خلف المسجد



المكتبة المصرية

النبوي . ويدلف اليها الزائر خلال فناء تتوسطه نافورة من رخام .. وقد فرشت الحجرة الرئيسية فيها بالسجاد الفاخر ، وعلوها قبة آية في فن الزخرفة العربي . كما أن خزاناتها تضم ٧٠٠٠ مجلد ، منها ٢٠٠٠ من المخطوطات القديمة — تعتبر تحفا في فن الحضارة العربي .

وقد أصبحت هذه المكتبة تابعة لوزارة الأوقاف السعودية ، وأسبغ الراغبين في القراءة ... دون الاستعارة — أن يترددوا عليها ..

مستشفى الملك

وكان جامعة الطالب في المدينة النبوية مستشفى الملك .. وهو أكبر مستشفيات « المدينة » التي تضم ٢٤٠ سريرا ، ويقوم على العلاج فيه سبعة أطباء اختصاصيين (في الأسنان ، والجراحة ، والأمراض الباطنية وأمراض الأطفال ، والأنف والأذن والحنجرة والرمد ، والعلاج بالأشعة) وستة من الأطباء العموميين غير ذوي الاختصاص .

وقد يبدو أن ٢٤٠ سريرا عدد صغير لمستشفى



يضم المستشفى الرئيسي في مدينة ما ، ولكنا نستطيع أن نقول اذا أدركنا أن عدد سكان المدينة لا تكاد تزيد على [illegible] — أي ما يعادل سكان بلدة صغيرة — وان هناك مستشفى آخر يضم مركز استقبال للمرضى ، ومستشفى ثالثا للولادة

عند « بدر »

وانطلقت بنا السيارة — بعد الظهر — في الطريق الى « جدة » ، على أمل أن نزور قرية « بدر » ، حسب الحركة التاريخية ، عندما نمر .. ولكن الأرض شاءت ألا نصلها الا وقد جنحت الشمس الى الغروب ، مما اضطرنا الى أن نقرر المبيت في القرية ..

وحاولنا أن نعثر على فندق نمضي فيه ليلتنا .. ولكن البحث انتهى الى أن نستضيف من الزائرين الطيبين ، في أحد المقاهي القائمة على الطريق ، سررا نمنا عليها بالنوم في العراء .. وهي تجربة لا نستطيع أن نفخر بالتفرد بها ، فالمبيت على أرائك المقاهي أمر مألوف لدى الحجاج .. لا سيما أثناء رحلاتهم الى « المدينة » .

ولقد كانت غزوة « بدر » هي الغزوة الأولى التي التقى فيها الايمان بالشرك في تاريخ الاسلام .. وكان انتصار المسلمين فيها هو الفتح الأول الذي استقر به الأمر لهم ، واستمرت من بعده دعوتهم .. مع أنها كانت مثالا للبلاء والاستبسال في سبيل العقيدة ، اذ كان المحاربون المسلمون ٣٠٠ مقاتل ، وقد خرجت اليهم قريش في حشد يفوق ثلاثة أمثالهم عددا وعدة . ولكن الله ظل قريبا في نصرهم ، ليقضي ما وعد به رسوله من نصر

ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد
، ولكن ليقضي الله أمراً كان
مفعولاً ، ليهلك من هلك عن
بينة ، ويحيى من حي عن
وإذ يريكموهم إذ التقيتم
في أعينكم قليلا ، ويقللكم في
أعينهم ليقضي الله أمراً كان
مفعولا ... » !

ولقد كانت « بدر » سوقا من أسواق العرب قبل الغزوة الكبرى ، وكان الماء بها وفيرا ، والبساتين لا تقل عن بساتين الطائف كثرة وغنى ، ثم قضى عليها بعض الاهمال والعزلة دهرا ، حتى اذا شقت الطريق المعبدة بين جدة والمدينة اذا بها تمر بالقرية مباشرة .. واذا بسبل المواصلات تتاح ، انبعثت معها الفرص الانعاش وهذه الفرص قد أنعشت القرية ، اذ أصبحت الطرق الحديثة تصلها بالمدينة على بعد ١٥٠ كيلو مترا — وينبع على البحر الاحمر على بعد نحو ٢٥ كيلو مترا — وبمكة ، على بعد ٢٧٥ كيلو مترا .. فبدأت القرية تخرج من عزلتها .

كما تولتها الحكومة برعاية خاصة ، فأنشأت بها مدرسة ابتدائية تضم ٢٥٠ تلميذا ، وبها













المدرسة الوحيدة ملحقة بمبنى مسجد المدينة ، على غرار النظام الإسلامي التقليدي . ولكن الحكومة قامت بها اخيرا مبنى انيقا ستنقل اليه ابتداء من العام الدراسي الجديد .. ويتضمن برنامج وزارة المعارف لمنطقة « بدر » — وهي تضم ٧ قرى — انشاء مدرسة ابتدائية في كل قرية ، ومدرسة متوسطة ومعهد لمعلمي المرحلة الابتدائية في احدى القرى . ومن المرجح ان تختار قرية « بدر » لهذا الغرض . اما الذين يرغبون الدراسة بعد المرحلة المتوسطة فستوفدهم الوزارة الى « المدينة » ، وتمنحهم مكافآت تساعدهم على مطالب العيش .

[illegible] الرجال يرعون ... في ... و ...
وحدها ، ... [illegible] ...
كانت ... بعض ... مع ... [illegible]



صناعة الأواني الفخارية من
[illegible]

وزرعوه بعض المحصولات التي تعتمد على المطر ، لا سيما ... [illegible]

[illegible] ... مزارع ... ،
[illegible] ... لا
سيما وان كثيرا من المسلمين غير العرب — كالهنود والافريقيين — يجيئون من الزوار التي لا يكمل الحج الا بها . ولكن هذا الموقع ظل مهملا اجيالا عديدة ، حتى ان قبور الشهداء لا تكاد تبين فيه ، لولا ان احيط موقعها ببعض الاحجار المدببة . على ان اتصال الطرق ببدر مما حدث اثرا من هذه الناحية ، وقد اقيمت بها الآن عدة مبان لاستقبال الزائرين ، ومحطات لوقود السيارات .

كذلك اقيمت بها وحدة صحية ، كما انشيء مركز اجتماعي لتوجيه الاهالي وارشادهم وتدريبهم على ما يرفع مستوى معيشتهم .

مسك الختام

وكانت « بدر » مسك الختام في جولتنا بالقلم والمصور ..

وعندما كانت السيارة تنطلق بنا عائدة الى جدة احتشدت على اذهاننا عدة اسئلة .

ماذا كان يحتمل ان تكون مصير « المدينة » لو لم يهاجر اليها الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

وماذا كان يحتمل ان تكون عليه مجتمعها لو لم يتمسك اليهود بعهودهم للتعايش السلمي مع المسلمين فيخرجوا منها ؟

وماذا كان يحتمل ان تكون عليه وضعها السياسي والاقتصادي لو انها ظلت عاصمة الدولة الاسلامية .. بل ماذا كان يحتمل ان تكون عليه هذه الدولة وهل كانت حدودها تمتد وتتسع كما امتدت واتسعت حين انتقلت دمشق عاصمة الدولة في عهد الأمويين ، وبغداد في عهد العباسيين ؟

اسئلة من شأنها ان تعود الى دراسات طريفة ونافعة ، ليس مجالها في استطلاع صحفي ! . ■■

بدر الدين خليل



عندما يصبح اجهاض المراة الحامل واجبا

● ذلك اذا هي اصيبت وهي حامل، بمرض الحصبة الالمانية German Measles وميكروبها هو الفيروس المعروف باسم

هذا ما خرج به البحث
مانه ايضا حالة للولادة جاز عندها ان يكون هذه الحصبة هي سبب ما اصاب الوليد عيب من تشويه

ان الناس لايزال يذكر كيف ان مصادر ... عقار ، مثل العقار الشهير الثاليدوميد كانت مضاعفاته الام الحامل، ... الاطفال ، وخبر الحصبة الالمانية هذا، وقد يحدث ، اذاع في الاسباب احتمالات مثل هذا الفزع .

وليس حتما ان تشوه الوليد اذا اصابت امه الحامل هذه الحصبة ، ... النسوية ، والنجاة منه ، بلغ

ويزيد الاحتمال وقوع الاصابة في الشهر الاول من الحمل

وعندئذ يطبع بخطر ، على الجنين ... الاجهاض ، ... للشر ، ... الام ... امام هذا الخاطر ومعه ... على خطها الطبيب ... الطب المختص ، ... التي هي ...

ومن كل حال يجب ... ولا ... الاصابة هي بالحصبة الالمانية ...



التمساح ، كيف يبقى تحت الماء طويلا ؟

● انه التمساح الامريكي ، وقد ... تحت الماء ، فوجدوا انه

ساعتين او ثلاث ساعات في الدقيقة .

ويرجى ان يستفاد من هذا البحث في حالة الانسان ... الاكسجين على ... سواء في ... البحر، او عاليا في مركبة هواء .



دودة القطن ، هل لها ما يبيدها ؟

● وليس الحديث عن دودة القطن وحدها ، بل الحديث عن كل الآفات التي تصيب النباتات ، والثمرات ، وأخشاب الغابات ، وتكلف الانسان خسائر قد تعجز عن تقديرها الأرقام .

وأكثر الآفات من الحشرات ، والحشرات تباد اليوم بالكيماويات ، والابادة الكيماوية ليست [illegible] نفعه ثم هي كثيرا ما تؤدي الى تعود الحشرات على مقاومة هذه الكيماويات ، واكتسابه مناعة ضدها فلا تؤثر فيها .

لهذا اتجه الانسان الى الطبيعة ينظر ما تفعل ، ثم هو يقتدي بها .

والطبيعة بها من أنواع الحشرات ما لو تكاثرت لملأت الأرض . ويذكر حشرة تعرف بالذبابة الخضراء Greenfly إذا بدأت أنثى واحدة منها ، وبعضها تنسل ، بدون عائق ، مدة عام ، بلغت أنسالها ، وأنسال أنسالها حجما من نصف مليون ذبابة . ولو فعلت كل الذبابات الأخرى التي من قبيلها هذا ، لغطت سطح الأرض كله في عام .

فما الذي يمنعها ؟

حكمة الطبيعة في الحد من الانسال .

[illegible] Bacteria ، وتنشرها فيروسات Virus .

وتدخل كل هذه في حياة الحشرة فتقضي عليها ، أو تقل منها ما يهبط بمقدار أعدادها التي تتحملها صنوف الحيوانات الأخرى التي يجب أن تك[illegible] لها نصيب من الوجود على الأرض .

وقد تركز العلماء أخيرا على الفيروسات (وهي أصغر من البكتير) وسيلة لابادة الحشرات .

وهم يبحثون في الطبيعة عن هذه الفيروسات ، ثم هم يربونها في الحشرات ، ثم هم يطلقونها حيث تكون الحشرة المطلوب ابادتها .

واللطيف في هذه الفيروسات انها لا تعمل خبط عشواء ، ان لكل فيروس منها نوعا من الحشر خاصا به ، لا يصيب الا اياه .

واللطيف فيها كذلك ، انك تطلق الحشرة ، أحد الأعداد القليلة منها ، وعليها الفيروس ، وقد أصيبها به ، فتجري الحشرة بين سائر الحشرات من أخواتها ، فتعديها ، فينتشر بينها الفيروس انتشارا وبائيا .

وقد أفادوا كثيرا من هذا الفيروس في وقاية الغابات وأخشابها ، يرشونها بسوائل بها الفيروس فتهلك ديدان الحشرات التي كان أصابها الفيروس [illegible] ، ومن هذه الغابات غابات اسكوتلندا .

ومن مراكز البحوث الكبرى [illegible] الفيروسية بكمبردج A R C Virus Unit Research وبها نحو ٢٠٠ نوع من الفيروس جمعوها من أركان الدنيا .

وحديث الفيروس طويل .

فقدمنا ما قدمناه ، لنعود الى دودة [illegible] الى الدكتور كارلو [illegible]

مذاق الأشياء يختلف على البارد وعلى الساخن

● انها بحوث طريفة قام بها عالم في [illegible] الطعم .

[illegible] مذاق اللسان عند الانسان .

ويضرب مثلا عما وجد .

اذا وضعت في فمك شيئا مذاقه مر ، ووضعت معه في فمك ماء باردا ، لم تتغير الطعم .

وكذا اذا كان المذاق حلوا .

ولكن اذا وضعت بدل الماء البارد ماء ساخنا ، تغير الطعم .

ومثلا آخر :



دود فراشة ا اصابه الفيروس ، وهو ماضي بأكل النباته ، ولكن لن تمضي عليه ساعات حتى تكون الفيروس قد حوله الى سائل مائع



دودة الفراشة ، اصابها الفيروس ، فحولها الى سائل مائع ، به ملايين من الفيروس ، تلك التي نراه مصورا وحده الى الجانب

المتحدة بعض البحوث الحشرية ، في مدينة براونزفيل Brownsville بتكساس، تقدم في هذه البحوث الفيروسية تقدما كبيرا ، وابتدع لتربية الفيروس طريقة اشترتها منه شركات امريكان تومبار، الآن تصمم مصنع رائد لتكثير هذا الفيروس بكميات تكفي لرش مليون فدان من المزروعات في العام .

وهاتان الشركتان تركزان على تكثير نوعين من الفيروس خاصة ، احدهما الفيروس الذي يعدي دودة القطن ، وهي تلك الدودة التي تسبب اكثر الضرر لهذا المحصول الرئيسي الامريكي والمصري والسوري وغيرهما ، وهي [illegible] هناك كذلك على الذرة ، وعلى [illegible] ٣٠ نوعا مختلفا من الخضراوات . [illegible] اصبح اليوم ذات منافسة [illegible] المبيدات الكيماوية العادية .

فلعل الخير الكثير يأتي من وراء ذلك .

اذا وضعت في فمك شيئا مذاقه حامض ، او آخر مذاقه ملح ، ثم ماء باردا ، تغير الطعم .

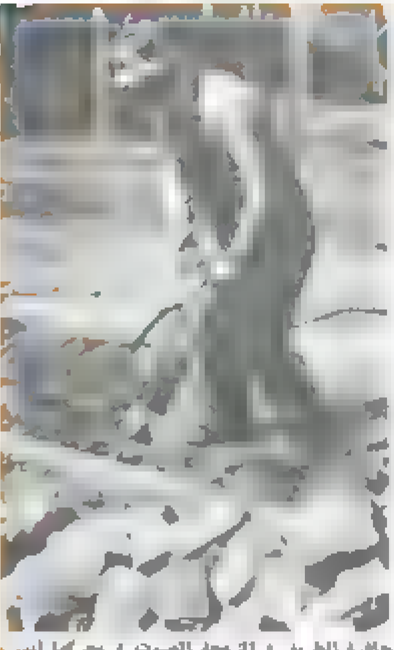
اما اذا كان الماء ساخنا ، لم تتغير الطعم

مثلا

اذا وضعت في فمك شيئا مذاقه [illegible]

حامض ، ووضعت معه شيئا مذاقه [illegible]

[illegible] لذلك اذا وضعت في فمك شيئا [illegible]



حالة الطرش ، المزعجة الصوت ، يحركها ابيه ، المتوقط بابها من الانبوب الظاهر في الصورة

يشعون الحراسانه ، ويقطعون الفولاذ ، بسلاح من ماء !

● اب مكنة حديثة ، يخرج منه الماء ، مندفعا بقوة هائلة ، تجعله يقطع في الحراسانه الى نحو ٦ بوصات ، وفي الفولاذ الى نحو نصف بوصة .

[illegible]

صناعة الاطفال في انابيب الاختبار

● هكذا هم يتحدثون غلوا في القول، وهكذا تكتب الصحف .

والحقائق العلمية لاتزال ابعد ما تكون عن هذا .

ان اشياء في هذه الحالات امكنت ، واشياء لم تمكن .

فمن التي امكنت نسوق هذا المثل :

بيضتان ملقحتان ، ماخوذتان من ارنبة من نوع في الارانب معروف ، هو الانجورا ، وضعتا في رحم ارنبة من نوع من الارانب آخر معروف ، هو الارنب البري البلجيكي .

وكانت هذه الارنبة البرية البلجيكية قد لقحها ارنب ذكر من نوعها .

ومضى الزمن على عادته . واكملت الارنبة حملا . فلما وضعت ، وضعت ٦ ارانب ، اربعة منها بلجيكية ، وارنبان من الصنف الانجوري جاءا لا شك من البيضتين اللتين وضعتا في الرحم .

ونسوق مثلا آخر :

اجنة من اجنة الفئران ، اخذت من ارحامها بعد ان اتصلت في الارحام بمشيماتها ، ووضعت في سوائل خارج الرحم ، في المختبرات تغذيها . سوائل اشبه ماتكون بسوائل الرحم . فهذه

[illegible]



أخذت تمضي في نموها ، فمضى مضى خطوة ، وبعض خطوتين ، وبعض مضى الى أن بلغ من النمو أن تكون له مخ وعينان وقلب ، وربما ظهرة لتنشأ فيه فقرات الظهر ، ثم توقف أمره ، ونرى صورة هذا الجنين في الصورة .

بقي الغرض من هذه الأبحاث .

وليس الغرض تحدي الإله ، كما يزعم أناس ، فالعلماء لم يخلقوا البيضة ، ولم يلقحوها ، وهيهات . وانما هم من بعد تلقيح ، يقلدون ما يجري في الأرحام ، باتخاذ مواد الأرحام ، أو أشباه لها ، ثم هم بعد كل ذلك أسا في الأمر ، أنه ، في بلد مثل انجلترا يخرج من كل مليون طفل يولد ٣٠٠٠٠ أجل بعض خلقهم ، وأخس في الأرحام . فالعلماء يريدون أن يعرفوا ما الذي يجري مفصلا في هذه الأرحام حتى يبعدوا عن الإنسان بعض زلل الطبيعة ، في ظلام الأرحام .

حمراء ، ولا يحصر المادة المحصورة أو لعبث به ، وهذه ميزة كبيرة .

ومن أجل هذا قد استحسنت فصلا لتلك قنابل كبيرة ، طال عليها الزمن وهي في حراساتها ، وصار من الخطر فكها فك قد يسبب من الحرارة ما يحمل ما بها من مادة ناسفة بتفجر على الفور .

ولا بد أن لا نغفل عن معنى لا يموت أبدا أن نعطي الله : أنه من ألطف ما ... والين شيء ، أعني الماء ، خلق الصم أقطع شيء ، وأقسى شيء ، وهو نقشو عشيتي الصخر ، فلا يخلت ...



« ليس في ما ننشر في هذا الباب ما يعبر عن رأي مجلة العربي سلبا و ايجابا »

لماذا يتقدمون .. ولماذا نتأخر؟!

من جريدة الحياة اللبنانية :

● مما لاحظته في رحلتي [illegible] الدول الكبرى والغرب [illegible] الاختصاص ، [illegible] بكل طاقة ، [illegible] ما [illegible] ، [illegible] لهم [illegible] حاجاتهم [illegible] [illegible] ما [illegible] اليها

[illegible] في [illegible] كل [illegible] في [illegible] [illegible] الغرب ، [illegible] العرب ، و [illegible] الاسلامية ، [illegible] [illegible] [illegible] من المعهد الذي كان يجري ابحاثه فيه الا ان عرض عليه ان ينضم الى الباحثين العاملين فيه ، وقدم اليه راتبا هو اضعاف ما كان يأخذه .

حادثة صغيرة [illegible] كيف يحرص الأجنبي على [illegible] الاختصاصيين ، وضمهم اليها .

وفهمت لماذا يتقدمون ، ونتأخر نحن .

فالعدد الكثير من الاختصاصيين في بعض البلاد العربية ، قد نزحوا عنها او اخرجوا من اعمالهم فيها ، فهم يفيدون كل أمة الا امتهم . ولقد اسند الحاكمون اعمال [illegible] الى الجهال باسم [illegible] والحزبية .

[illegible] حكامنا [illegible] [illegible] الى [illegible] ، [illegible]

بالعلم والمال يبني الناس ملكهم
لم يبن ملك على جهل واقلال

خطبة الجمعة

من جريدة « الحرية » السودانية :

● لا شك ان خطبة الجمعة [illegible] مطلوب ، ومطلوبة للهداية الى الصواب ودعوة [illegible] الى الفضيلة والاخلاق الحسنة ، [illegible] الناس في امور دينهم ودنياهم ، لكن [illegible] الذي يؤخذ على [illegible] انهم يلقون خطبة الجمعة من كتب [illegible] في [illegible] ، وهذا لا يلائم هذا الوقت الذي تغيرت فيه مصاعب الحياة واشكالها ومشاكلها

نحن اليوم [illegible] عالم [illegible] [illegible] مجتمع دائما [illegible] [illegible]

ما أحرى علماءنا وائمة جوامع مساجدنا في

النصف بالمئة

عن جريدة « فلسطين » ــ الأردن .

● [illegible] الإسكان .

ولكن هذا [illegible] الجامعة الأردنية « الموقف [illegible]

[illegible] للعلم في هذا البلد .

فالجامعة الأردنية [illegible] الخطوات التي [illegible] كانت على [illegible] موقفه .

[illegible] الثقافة والعلم

[illegible]

[illegible] .

[illegible]

وكلما كانت [illegible] جامعة [illegible] وهم [illegible] مبالغ لا قدرة للبعض عليها ..

وان [illegible] الجامعة الأردنية [illegible] يجب أن [illegible] كل ذي عقل سليم .

[illegible] الجامعة الأردنية

[illegible] الحكومة [illegible]

والحكومة على هذه الخطوة [illegible] .. والثقافة [illegible] .. !

معنى الحرية

عن مجلة « الرسالة » القاهرية

● « [illegible] معنى الحرية [illegible] في [illegible] في مجتمعنا [illegible] الأمة .

ليس معنى الحرية أن [illegible] بالكتاب الذي [illegible] المعاني [illegible] الرخيصة و[illegible] مع القيم الكريمة .

[illegible] مع [illegible] الكبرى [illegible] القوى [illegible] كما أنها [illegible] جميع [illegible] مختلف [illegible] فالثقافة [illegible] لا [illegible] هذه [illegible] هذه القيم [illegible] صورة [illegible] عن حياتنا و[illegible] .. والثقافة التي [illegible] الحيوانية لا يمكن أن تكون [illegible] أو [illegible] »

[illegible] هذه [illegible] في هذه [illegible]

[illegible] والتي [illegible]

[illegible]

[illegible] .. هذه [illegible]

[illegible]



بقلم . الدكتور جمال الدين سرور

أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة

[illegible]

طاف فريق كبير منهم البلاد سعيا الى موارد العلم.

[illegible]

ومن العوامل التي ساعدت على ذلك اهتمام الخلفاء وكبار رجال الدولة الإسلامية بنقل الكتب من الفارسية واليونانية الى العربية، فقد اتجهت ميول الخلفاء العباسيين بعد ان اختلط العرب بالفرس والروم الى معرفة علوم الفرس واليونان. فوجه ابو جعفر المنصور اهتمامه الى ترجمة الكتب. ومن أشهر المترجمين في عهده ابن المقفع الفارسي بالبصرة وقضى نحو عشر سنوات من حياته في العصر الأموي ، اما بقية حياته فقضاها في العصر [illegible]

وكان لوقوع بعض مدن الدولة الرومانية الشرقية في حوزة الرشيد اثر كبير في نشاط حركة الترجمة في عهده ، فامر بترجمة ما وصل اليه من كتب اليونان ، كما شجع البرامكة في [illegible] المترجمين باجزالهم العطايا عليهم .

استمرار نقل العلوم في عهد المأمون

كذلك نشطت في عهد الخليفة المأمون بن الرشيد ازدهار حركة النقل والترجمة من اللغات الأجنبية [illegible]

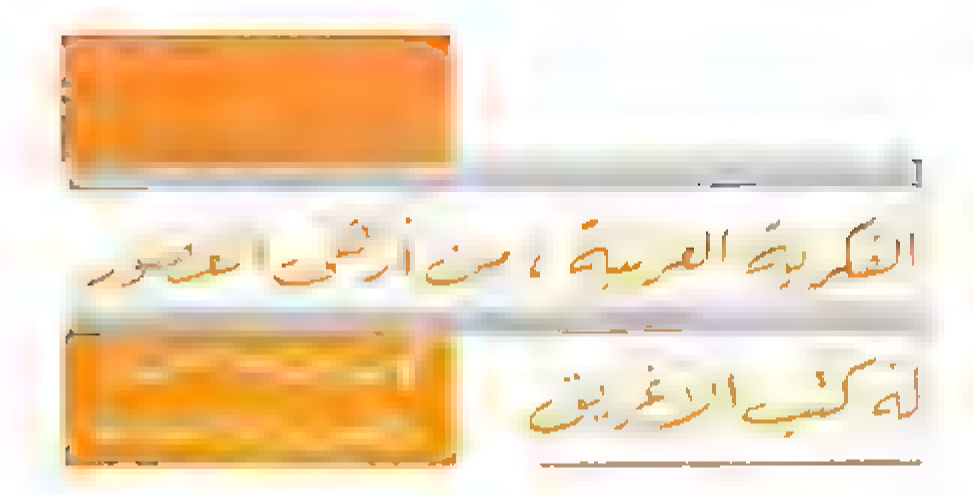
الصحاف الفرس مثل الفلسفة والهندسة والموسيقى [illegible]

[illegible] امبراطور الروم [illegible]

وقد روى ابن النديم في كتابه « الفهرست » ان المأمون كان بينه وبين امبراطور الروم مراسلات، فكتب اليه يسأله الاذن في انفاذ ما يختار من كتب العلوم القديمة التي تتوافر وجودها في بلاد الروم ، فاجابه الى ذلك بعد امتناع . فعهد المأمون الى الحجاج بن يوسف بن مطر ، وابن البطريق ، وغيرهما ، باحضار بعض الكتب من القسطنطينية. وبعد ان عقدوا اليه مزودين بالكتب التي وقع اختيارهم عليها ، امرهم بنقلها الى اللغة العربية .

المأمون يطلب كتبا من صاحب قبرص

ولما طلب الخليفة المأمون صاحب جزيرة قبرص، بعث اليه طالبا بعض كتب اليونان ، فجمع ذوي الرأي عنده واستشارهم في ارسال هذه الكتب الى الخليفة، فاشار عليه البعض بالا يرسل



اليه اى كتاب ، وقال له احد رجال الدين الرأى ان تعجل بانفاذ الكتب الى الخليفة فما دخلت هذه العلوم العقلية على دولة شرعية الا افسدتها واوقعت بين علمائها ، فذهب صاحب جزيرة قبرص المأمون الى طلبه .

حنين بن اسحق من أشهر المترجمين

ومن اشهر المترجمين فى عهد المأمون حنين بن اسحق الذى ولد سنة ١٩٤ هـ من اب عربى من قبيلة عباد التى سكنت الحيرة . وكان يدين بنصرانيته على المذهب النسطورى . وقد رحل فى بداية حياته الى بلاد الروم حيث تعلم اليونانية ثم عاد الى البصرة ولازم الخليل بن احمد ، فاخذ عنه العربية ، وكان حنين بن اسحق يجيد اربع لغات هى الفارسية واليونانية والعربية والسريانية . واهم ما اشتهر به حنين الترجمة من اليونانية الى العربية والسريانية .

اتصل حنين فى بداية امره بالخليفة المأمون ، فاسند اليه الاشراف على بيت الحكمة الذى قيل ان الرشيد هو الذى وضع أساسه ، وعمل المأمون من بعده على امداده بمختلف الكتب والمصنفات التى تحوى كل العلوم التى اشتغل بها العرب . ويعد هذا البيت اهم مجمع اسس لنشر الثقافة بين جمهور المسلمين . وكانت الترجمة من بين اعماله الرئيسية .

اهتمام الامراء فى عهد المأمون

لم تكن العناية بالترجمة مقصورة على الخلفاء العباسيين ، بل اهتم جماعة من الامراء فى عهد المأمون بنقل كثير من الكتب الى العربية ، ومن هؤلاء بنو شاكر المنجم الذين عهدوا الى حنين بن اسحق بالذهاب الى بلاد الروم ، فاحضر اليهم كثيرا من غرائب الكتب والمصنفات فى الفلسفة والهندسة والموسيقى والطب .

وقد ترجم فى عهد المأمون كثير من الكتب اليونانية نذكر منها الحكم الذهبية لفيثاغورس ، وبعض مصنفات لابقراط وجالينوس ، وكتاب السياسة المدنية لافلاطون ، وكتاب المقولات والطبيعيات لارسطو .

وكان المأمون يحض الناس على قراءة الكتب التى ترجمت فى ايامه ويرغبهم فى تعلمها ، ومن ثم نشطت الحركة العلمية فى عهده ، وتنافس اولو النباهة من العلماء والفقهاء والمحدثين والادباء والشعراء فى تحسين انتاجهم فاجزل لهم العطاء

الدراسة عند المسلمين

كان هناك نوعان من الدراسة اشتغل بهما المسلمون

اولاهما : دراسة دينية حول القرآن والحديث.
وثانيهما : دراسة دنيوية حول الطب والفلسفة والكيمياء والنحو والرياضيات والتاريخ والجغرافيا.

وقد عبر ابن خلدون فى مقدمته عن هذين النوعين تعبيرا صادقا ، فقال : ان العلوم صنفان : صنف طبيعى للانسان يهتدى اليه بفكره ، وصنف نقلى ياخذه عمن وضعه . والاول يشمل العلوم الحكمية الفلسفية ، وهى التى يمكن ان يقف عليها الانسان بطبيعة فكره ، ويهتدى بمداركها البشرية الى

موضوعاتها ومسائلها . والثاني يشمل العلوم النقلية وهي مستندة الى الخبر عن الواضع الشرعي .

ويزيد ابن خلدون على ذلك فيقول : ان العلوم العقلية او الطبيعية مشتركة بين الامم لان الانسان يهتدي اليها بطبيعة فكره ، واما العلوم النقلية فهي مختصة بالملة الاسلامية واهلها .

العصر الاموي اهتم بعلوم الدين اصلا

كانت العلوم الدينية من جمع للحديث وتفسير للقرآن الكريم واستنباط الاحكام الشرعية منهما موضع اهتمام كثير من المسلمين في العصر الاموي . اما الجدل الديني والبحث العقلي فلم يعن بهما الا القليلون في ذلك العصر .

فلما جاء العصر العباسي واصل المسلمون الاشتغال بالتفسير والحديث والفقه ، كما وجهوا اهتمامهم الى العلوم المسوحة ، فترجمت عشرات كتب في الكيمياء والرياضيات والطب والمنطق والفلسفة . واشتغل كثير من المسلمين بدراسة الكتب التي ترجمت الى العربية وعملوا على نشرها والتعليق عليها واصلاح اخطائها .

ونخص بالذكر من هؤلاء يعقوب بن اسحق الكندي الذي كانت له منزلة كبيرة عند المأمون والمعتصم، وكان ملما بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق والهندسة وعلم النجوم . وحذا في دراسته حذو ارسطو وترجم كثيرا من كتب الفلسفة وشرح او لخص

المأمون فقيه مع الفقهاء ، فيلسوف مع الفلاسفة

وقد اهتم المأمون منذ استقرت خلافته ببغداد بعقد مجالس للمناظرة بين كبار العلماء والمتكلمين الذين تناولوا اصول الدين والعقائد وحكموا عقولهم في البحث . ولا غرو فقد عرف المأمون منذ نعومة اظفاره بالجد والحرص على طلب العلم والتفقه فيه . وهو رجل مشوق العقل ، عالم مع العلماء ، فيلسوف مع الفلاسفة . وكان يرمي من مجالس المناظرات التي يجمع اليها العلماء والفقهاء ، الى ازالة الخلاف بين المتناظرين في المسائل الدينية وكسب عطف من رغبوا عن التفكير ، وبذلك يحقق كلمة الامة في المسائل الدينية التي كانت مصدر انقسامهم .

قال يحيى بن اكثم : امرني المأمون عند دخوله بغداد ان اجمع له وجوه الفقهاء والعلماء من اهل بغداد ، فاخترت له من اعلامهم اربعين رجلا ، فجلس لهم المأمون وسألهم عن مسائل وافاض في فنون الحديث والعلم . ولما انقضى هذا المجلس قال المأمون : يا ابا محمد كره هذا المجلس الذي جعلناه للنظر طوائف .. واني لارجو ان يكون مجلسنا هذا ــ بتوفيق الله وتأييده على الحياد ــ سببا لاتباع هذه الطوائف ما هو ارضى واصلح للدين . اما شاك فيتبين ويستثبت ، فيعاد طوعا واما معاند فيعود بالحجة كرها .

المأمون رحب الصدر في جدله

وكان للمأمون من الذوق العلمي والعقلي ورحابة الصدر في الجدل والمناظرة والاصغاء الى مختلف الآراء ما حفز العلماء على التعمق في البحث ليظهروا في مجالس المناظرات بمظهر يدل على كفايتهم العلمية وسعة اطلاعهم . وكان ما يدور في مجالس المأمون من الجدل والمناظرة ينتقل على السنة الناس ، فيتحادثون فيه هم كذلك .

المأمون يميل الى الاعتزال ، ويقرب المعتزلة

عرف المأمون بميله الى الحرية في التفكير مع التقيد باصول الدين ، ومن ثم اصبح الاعتزال اقرب المذاهب الى نفسه لانه اكثر حرية واكثر اعتمادا على العقل ، فقرب المعتزلة منه وصاروا ذوي نفوذ في قصره .

وكان الاعتزال قد نشأ في البصرة في اواخر عهد الدولة الاموية ، ثم انتشر منها الى سائر بلاد العراق ، لكن اصوله لم تظهر الا في مستهل العصر العباسي ، حيث اخذ الخلفاء يناصرون الحركة العلمية ويهدمون بالاساس الذي وضعه العلماء في الدولة الاموية . كما ان دعوة المعتزلة لم تظهر ظهورا بينا الا في هذا العصر ، فبعثوا الدعاة الى الامصار لنشر مبادئهم ، واعتنق مذهبهم كثير من الناس على اختلاف طبقاتهم ، وعلا شأنهم علوا كبيرا في عهد المأمون والمعتصم والواثق .

اطلاق وقهر

وقد ساوق مسألة شيوع مذهب الاعتزال بين الناس فريقان، فريق رأى ان الناس احرار في اعتقاد ما يرون، وان الدولة لا شأن لها بذلك، وعلى رأس هذا الفريق يحيى بن اكثم قاضي القضاة الذي قال للمأمون « والرأي ان تدع الناس على ما هم عليه ولا تظهر لهم انك تميل الى فرقة من الفرق فهو ذلك اصلح في السياسة ».

وهناك فريق آخر رأى حمل الناس على اعتناق ما ثبتت عندهم صحته، وادى بهم هذا الرأي الى ان تتخذ الدولة الاعتزال مذهبا لها، كما ان الاسلام دينها الرسمي. وعلى رأس هذا الفريق احمد بن ابي دؤاد الذي ولي منصب قاضي القضاة بعد عزل يحيى بن اكثم سنة ٢١٧ هـ. وكان ذلك مما ساعد على رجحان رأيه وضعف حجة الفريق الاول.

وكان المأمون مع ما يمتاز به من قوة الشخصية، يتأثر برأي من حوله، وهو الى جانب ذلك يميل الى ارغام الناس على الاخذ بما يعتقد انه الحق في مسائل الدين، ويشجعه على ذلك المعتزلة الذين غالوا في القول بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويرى كثير منهم ان المؤمنين هم الذين يعتنقون اصول الاعتزال.

المأمون ومسألة خلق القرآن

فلما استعر الجدل في عهده في مسألة خلق القرآن، القائمة على اقوى عقائد المعتزلة وهي التوحيد وعدم تعدد صفات الله، مال المأمون الى تأييد المعتزلة في القول بخلق القرآن. وصار يتكلم في هذه المسألة في مجالسه الخاصة الى سنة ٢١٢ هـ حيث اخذ يعلن رأيه للناس دون ان يضطرهم الى القول به.

ثم لم يلبث بعد ست سنوات، اي في سنة ٢١٨ هـ ان سخر قوة الدولة لحمل الناس على القول بخلق القرآن. وارسل كتابا الى والي بغداد اسحق بن ابراهيم، بين له السبب الذي اضطره الى حمل الناس على ذلك وهو ان خليفة المسلمين يرى من واجبه حفظ الدين واقامته والعمل بالحق في الرعية. وطلب المأمون من والي بغداد امتحان القضاة والمحدثين في مسألة القرآن، كما امره ان يأخذ على القضاة عهدا بالا يقبلوا شهادة من لا يقول بخلق القرآن لاعتقاده ان القاضي او الشاهد لا يوثق بعدالته والاستشهاد به اذا كانت عقيدته غير صحيحة.

المأمون يوصي اخاه المعتصم

وبلغ من حرص المأمون على التمسك بالقول بخلق القرآن انه اوصى اخاه المعتصم في كتاب العهد الذي صار به خليفة بعده بتأييد رأيه في هذه المسألة، بقوله « وخذ بسيرة اخيك في القرآن ». وليس من شك في ان المأمون كان مخطئا، ولذلك فان كتبه في خلق القرآن كانت تصدر عن عقيدة، اما اخوه المعتصم، فلم يكن لديه من قوة العلم ورزانته ما يجعله يدلي في هذه المسألة برأي خاص فكان – كما قال الصولي في كتاب الاوراق، « لا يكتب ولا يقرأ صحيفة »، واحتجبت مجالس المناظرة في عهده.

وصفوة القول ان عصر المأمون كان عصرا مجيدا في تاريخ الاسلام، فقد نبغ فيه وتقدم كثير من العلوم سواء في ذلك العلوم النقلية كالحديث والفقه واللغة والادب، او العلوم العقلية كالرياضة والمنطق والفلسفة والطب. وكان العلماء يتسابقون في تدوين هذه العلوم، كما اختصت بعض الشخصيات بنباهة في الابتكار في مختلف فروع العلوم التي اشتغل بها المسلمون. وفضلا عن ذلك فانه يتجلى في هذا العصر حرية الرأي العلمية الى حد كبير.

افول نجم المعتزلة في عهد المتوكل

حتى اذا ما ولي المتوكل الخلافة سنة ٢٣٢ هـ اضطهد المعتزلة وقضى على سلطانهم، واظهر الميل الى اهل السنة والمحدثين واعلى من شأنهم، ومن ثم اخذ نجم المعتزلة في الافول، وصار ينظر الى المحدث والفقيه نظرة تقدير اكثر مما ينظر الى الفيلسوف والمفكر الناقد، ذلك ان المعتزلة كانوا يدعون الى التحلل وتحرير العقل من كثير من القيود بعد الايمان بالله ورسوله والايمان بالقرآن، وحصر الحديث في دائرة ضيقة. اما المحدثون فيبحثون وراء الفاظ الحديث ومعانيه واسانيده ويكرهون الفلسفة والبحث العقلي. ■■

محمد جمال الدين سرور



زعيم الوجودية الألمانية يطبق فلسفته في الفن

بقلم : الدكتور زكريا ابراهيم
استاذ الفلسفة المساعد بكلية الآداب جامعة القاهرة

■ ليس بين المفكرين المعاصرين فيلسوف اتهم بالغموض والتعقيد ، ووصفت فلسفته بالغموض والإغراب ، قدر ما اتهم مارتن هيدجر (... المولود سنة ١٨٨٩) زعيم الوجودية الألمانية ولئن كان هيدجر قد اعلن مرارا سخطه على الوجودية الفرنسية المعروفة ـ خصوصا على نحو ما عبر عنها جان بول سارتر Sartre ـ إلا أننا لا نستطيع أن ننكر على كل من الفيلسوفين المفكرين اتجاها واحدا نحو فهم الكينونة البشرية من خلال الوجود الإنساني فليس ثمة اختلاف كبير ـ من حيث المنهج ـ بين كل من هيدجر وسارتر ، ما دام كل منهما انما يرمي من وراء دراسته للحقيقة البشرية الوصول الى الحكم على الوجود بما هو موجود ، أعني فهم الكينونة العامة فهما وجوديا صحيحا .

منهج الظواهر

هذا الى ان كلا من هيدجر وسارتر قد عمد الى استخدام « منهج الظواهر » Phenomenological Method في دراسته للحقيقة البشرية ، فكان بذلك تلميذا مخلصا للفيلسوف الألماني الكبير المعروف هوسرل Edmund Husserl (المتوفى سنة ١٩٣٨) الذي كان ينادي بضرورة دراسة وقائع الفكر والمعرفة دراسة وصفية خالصة ، بوصفها ظواهر معاشة نحياها في باطن شعورنا

وسنرى فيما يلي كيف حاول هيدجر تطبيق هذا

الضوء على « الظاهرة الفنية » ، فلم يتجه نحو دراسة شخصية الفنان ، أو عملية الإبداع الفني ، بل هو قد مضى مباشرة إلى « العمل الفني » محاولا وصفه باعتباره « ظاهرة جمالية » .

المصطلحات الفنية عقدت أفكار هيدجر

وقبل أن نخوض في عرض فلسفة هيدجر في الفن ، نرى لزاما علينا أن نشير إلى ما في فلسفته الخاصة من اصطلاحات فنية دقيقة قد يتعذر ترجمتها أحيانا إلى أية لغة أجنبية . وهذا هو العائق الكبير الذي اصطدم به معظم مترجمي هيدجر ، حتى لقد اضطروا في كثير من الأحيان إلى ابتداع ألفاظ عجيبة غير مألوفة كانت هي المسؤولة إلى حد كبير عن تعقيد فكر هيدجر . ولكننا لا نرى مانعا من عرض آراء هيدجر في الفن ، دون التقيد بالمصطلحات الخاصة التي اصطنعها في التعبير عن تلك الآراء ، فإن المهم هو الإخلاص لروح هذه الفلسفة ، لا التمسك ببعض القوالب اللفظية الضيقة .

هيدجر درس الفن في كتابه « المتاهات »

وقد عني هيدجر بدراسة الفن في مواضع متفرقة من إنتاجه الفلسفي ، ولكنه وقف على دراسة « الظاهرة الفنية » بحثا خاصا في كتابه المسمى « متاهات » « » ١٩٥٠ ، فقدم لنا في هذا الكتاب صفحات رائعة أطلق عليها اسم « الأصل في العمل الفني » ، وعرض فيها لدراسة مقومات « الموضوع الجمالي » . وسيكون رائدنا في هذا المقال أن نعرض الخطوط الرئيسية لهذه الدراسة ، مهتمين على وجه الخصوص بتحديد معالم فلسفة هيدجر في الفن ، دون التوقف عند التفاصيل الجزئية أو المشكلات الخاصة ، مما قد لا يهم سوى الباحث المتخصص ...

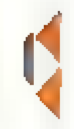
وضع المشكلة : أيهما أسبق : الفن أم العمل الفني ؟

ويبدأ هيدجر دراسته بالبحث عن الأصل في « العمل الفني » ، فيقول إن الرأي الذي قد يتبادر إلى أذهاننا لأول وهلة هو أن « الفنان » نفسه هو الأصل في « العمل الفني » . والحق أن الناس مجمعون على القول بأن نشاط الفنان هو الأصل في ظهور شتى الآثار الفنية التي نشهدها في المتاحف والمعارض والمكتبات . ولكننا مع ذلك لا نحكم على الفنان إلا بالرجوع إلى أعماله الفنية ، لأننا مؤمنون بأنه « هيهات لنا أن نحكم على الصانع ، ما لم ننظر إلى صنعة يده » . فالعمل الفني هو وحده الذي يجعل من الفنان أستاذا في حرفته ، بحيث قد يحق لنا أن نجعل من « العمل الفني » معيارا للحكم على « الفنان » . ومن هنا فإن هيدجر يقرر أنه ليس يكفي أن نقول إن الأصل في العمل الفني هو الفنان ، بل لا بد أيضا من أن نضيف إلى ذلك أن الأصل في الفنان أيضا هو العمل الفني ! ولكننا ما نكاد نتحدث عن هذا التبادل القائم بين « الفنان » و « العمل الفني » حتى نجد أنفسنا بإزاء حد ثالث قد يكون هو الأصل الذي صدر عنه الحدان السابقان ، ألا وهو « الفن » نفسه ! فهل نقول بأن « الفن » هو الأصل في « الفنان » و « العمل الفني » على السواء ؟ ... هذا ما يرد عليه هيدجر بقوله إن « الفن » لفظ لا يخرج عن كونه مفهوما مجردا نشير به إلى مجموعة من الوقائع المشخصة ، ألا وهي الأعمال الفنية والفنانون ... ولولا تلك الوقائع المشخصة التي نلتقي بها في عالم الواقع حينما نشهد أعمالا فنية ، ونلتقي بأفراد من الفنانين ، لما كان في وسعنا أن نتحدث عن « الفن » أصلا

دوران في حلقة مفرغة

بيد أنه إذا صح أنه لا يمكن أن نفهم « الفن » اللهم إلا ابتداء من « العمل الفني » ، فإن من الصحيح أيضا أنه هيهات لنا أن نفهم « العمل الفني » اللهم إلا إذا فهمنا أولا ماهية « الفن » ، وإلا ، فكيف لنا أن نحكم بأننا بإزاء « أعمال فنية » بمعنى الكلمة ، إن لم نكن نعرف من قبل ماذا عسى أن يكون « الفن » ، أو ما هي ـ على وجه التحديد ـ ماهية « الحقيقة الفنية » ؟ ولكن ، أليس في هذا « دورا » ، مثل الذي فهمه الشاعر العربي حينما قال :

مسألة الدور غدت
بيني وبين من أحب



ولا منتهى ما جف
ولا حاصل لي آنف !

فكيف نقول اذن بأن «العمل الفني» هو الأصل في فهمنا للفن ، لكي نعود فنقول ان « الفن » هو الأصل في فهمنا للعمل الفني ؟ ... ان العقل السليم ليملي علينا هنا أن نعمل على تجنب مثل هذا « الدور » ، بأن نقول مثلا ان ماهية الفن انما تتكشف لنا عن طريق عملية التحليل المقارن التي نوازن فيها بين الأعمال الفنية المختلفة ، لكي نستخرج منها بعض السمات المشتركة أو الخصائص العامة . ولكن ، كيف نعرف مقدما ان تلك « الأشياء » التي نتأملها ونوازن بينها هي بالفعل « أعمال فنية » حقا ، اذا كنا لا نعرف سلفا ما هو « الفن » ؟ ... واما اذا قيل ان في وسعنا عن طريق بعض المفاهيم العقلية العليا ان نحدد ماهية الفن ، كان رد هيدجر على هذا الزعم انه من المستحيل استخلاص ماهية الفن بالاستناد الى بعض المبادىء الأولية السابقة . والحق انه لا مفر لنا من قبول هذا « الدور » ، ما دام من الصعب أن نحاول فهم « العمل الفني » استنادا الى بعض المفاهيم السابقة ، وما دام من الضروري لنا في الوقت نفسه ان نكشف عن ماهية « الفن » في صميم « العمل الفني » نفسه . ولهذا فان هيدجر مضطر الى الكشف عن ماهية « الفن » بالرجوع الى « العمل الفني » القائم بالفعل في عالم الواقع ، وكأن كل مهمة عالم الجمال انما هي توجيه الأسئلة الى « العمل الفني » من أجل الوقوف على حقيقة « وجوده » أو طبيعة « كونه » الخاصة .

الأعمال الفنية هي
ــ في جانب منها ــ مجرد « أشياء »

اننا جميعا ــ فيما يقول هيدجر ــ لنعرف الكثير من الأعمال الفنية ، فنحن نشاهد مقاطع عديدة منها في النوادي العامة ، والكنائس ، والمنازل .. الخ . هذا الى ان الآثار الفنية المختلفة التي خلفتها لنا العصور السالفة ، أو التي ابدعتها ايدي الشعوب الحديثة ، موجودة في المتاحف التي نزورها فليس من العسير علينا أن نلتقي بها أو أن نمعن النظر فيها . وحسبنا أن نتأمل هذه الأعمال الفنية في صميم وجودها الخارجي ، دون أن نركن الى فكرة سابقة لكي نتحقق من ان هذه الأعمال معروضة بشكل قد لا يختلف كثيرا عما تعرض به باقي الأشياء . فاللوحة ــ مثلا ــ معلقة على جدار البيت ، كما تعلق البندقية أو قبعة الصيد ... وقد يحدث أحيانا أن ننقل اللوحة من مكان الى آخر ، كما حدث مثلا بالنسبة الى لوحات الكثير من المصورين ، ممن طافت آثارهم الفنية بمعظم بلاد العالم . وفي هذه الحالة أيضا تشحن الآثار الفنية في قطارات أو طائرات كما تشحن جذوع الشجر أو أكياس الفحم ! والحق انه لا يجانب الصواب اذا قلنا ان الأعمال الفنية هي ــ في جانب منها ــ مجرد « أشياء » .

وهنا قد يقال ان في مثل هذه النظرة الى « العمل الفني » حكما خارجيا مبتذلا على انتاج الفنان ، وكأننا ننظر الى « العمل الفني » نظرة خادم المتحف الذي يقوم بتنظيفه ، أو نظرة التاجر الذي يقوم بشحن الآثار أو نقلها من مكان الى آخر . وانما تكون نظرتنا الى « العمل الفني » نظرة صادقة حينما نحكم عليه من وجهة نظر « المتذوق » الذي يحيى « الخبرة الجمالية » ويعانيها في قرارة نفسه . ولكننا لو نظرنا الى « العمل الفني » من وجهة نظر المتذوق الذي يعاني « خبرة جمالية » ، فاننا مع ذلك لن نستطيع ان نغفل جانب « الشيئية » في العمل الفني . وآية ذلك ان في النصب التذكاري حجارة ، كما ان في اللوحة أصباغا لونية ، أو كما أن في السمفونية نغمات صوتية ... الخ . وربما كان في استطاعتنا أن نقول ــ بمعنى ما من المعاني ــ ان النصب التذكاري ماثل في الحجارة ، كما ان اللوحة ماثلة في الألوان ، أو كما أن السمفونية كامنة في النغمات الصوتية ، وهلم جرا .

بيد ان البعض قد يعترض علينا بقوله : انه لا موضع للحديث عن « شيئية » العمل الفني ، فان العمل الفني ليس « شيئا » كباقي الأشياء التي نلتقي بها في تجربتنا العادية ، بل هو « شيء » من نوع خاص ، أو هو شيء مكتمل يتحقق بلغة نوعية خاصة تعزله عن كل ما عداه من « أشياء » . ولا ريب ، فان « العمل الفني » يحدثنا بلغة (قابلة للفهم) عن شيء آخر غير ما يفصح عنه ظاهره ، وكأنما هو « تشبيه » أو « رمز » أو « تمثيل » . فالعمل الفني ــ بهذا المعنى ــ موضوع خاص ينقل الينا بطبيعته شيئا آخر غير « الواقعة المصنوعة » أو « الشيء المتحقق » . وهيدجر يلاحظ ان مفهوم « الرمز » أو « التشبيه » أو « التمثيل » انما

هو الإطار التقليدي الذي طالما انحصر في نطاقه تصورنا للعمل الفني . ولكنه طلب انظارنا الى ان الجانب الشيئي في العمل الفني انما هو ذلك الجانب الخصب الذي يكشف لنا عما ينطوي عليه العمل من وحدة فنية . فالشيئية هي بمثابة الدعامة الفنية التي تستند اليها مقومات « العمل الفني » باعتباره موضوعا جماليا [illegible] حرفه انما تحصر [illegible] على وجه التحديد [illegible] و [illegible] « [illegible] » العمل الفني ، اعني في خلق ذلك « الموضوع الجمالي » الذي يباشر ادراكنا الحسي من خلال صفحة المادة المباشرة . ولهذا قال هيدجر بوقف طويلا عند دراسة « العمل الفني » من حيث هو « شيء » ، حتى يكشف لنا عما في « الموضوع الجمالي » من « شيئية » او « واقعية » .

ثلاثة مفاهيم مختلفة « للشيء » ..

وهنا يتساءل هيدجر عما عسى ان يكون « الشيء » ؟ ويرد هيدجر على هذا التساؤل بقول ان اول مفهوم للشيء هو انه « الجوهر » الذي يتصف ببعض « الاعراض » او « الصفات » . فالشيء هو « النواة » التي تتجمع حولها بعض الخصائص او السمات ، او هو « الموضوع » الذي يمكن ان نحمل عليه بعض الصفات او المحمولات . وهذا هو السبب في ان اللغة اليونانية (ومن بعدها اللغة اللاتينية) قد فهمت « العبارة » على انها مركبة دائما من « موضوع » و « محمول » : فالموضوع هو « الجوهر » ، والمحمول هو « الصفات » او « الاعراض » التي يمكن ان تنسب الى هذا الموضوع .

ونظرا لان الفكر الغربي قد تصور بنية « الشيء » على غرار تركيب « القضية البسيطة » ، فقد وقع في ظنه ان كل ما في الوجود انما هو « جواهر » تتصف ببعض « الكيفيات » او « الصفات » . وهكذا اصبح « الشيء » في نظر الفكر الغربي مجرد « حامل » لبعض الكيفيات او الصفات ، وكأن ليس للشيء اية كينونة خاصة تعبر عما فيه من تلقائية وباطنية ، وكثافة .

ولكننا ما نكاد نريح من امام وجوهنا هذا النقاب الفكري القديم الذي يحجب عنا « الاشياء » ، لكي نراها وجها لوجه ، في صميم حضورها المباشر ، حتى نجد انفسنا بازاء فهم جديد « للشيء » الا وهو الفهم القائل بان « الشيء » هو « الموضوع القابل للادراك » . فالشيء هو ذلك « الموضوع » الذي يولد لدينا بعض الاحساسات ، او هو على الاصح تلك « الوحدة » التي تتألف من مجموعة او « كثرة » من « المعطيات الحسية » .

ولكن ، على حين ان المفهوم الاول للشيء قد جعل من « الاشياء » ظواهر بعيدة عنا كل البعد ، نجد ان هذا المفهوم الثاني للشيء قد جعل من « الاشياء » ظواهر قريبة منا كل القرب [illegible] هي مجرد « احساسات » داخله في صميم شعورنا .

ومن هنا فقد ظهرت الحاجة الى تفسير ثالث يتلافى ما في التفسيرين الاولين من افراط وتفريط ، وبالتالي فقد عرف البعض « الشيء » بانه « المادة المشكلة » التي تحمل « صورة معينة » . وليس من شك في ان ما نخلع على « الشيء » من صلابة وكثافة ، وتماسك ، انما هو « مادته » . فالشيء هو تلك « المادة المعينة » التي اكتسبت « صورة » او « مظهرا » خارجيا . وهذا الفهم الجديد « للشيء » باعتباره تصورا لامتزاج « المادة » و « الصورة » انما هو الفهم الذي يتلاءم ـ فيما يبدو ـ مع طبيعة الموضوعات التي نلتقي بها في تجربتنا العادية ، سواء اكانت موضوعات طبيعية ام موضوعات صناعية .

وقد يلذ لعلماء الجمال ان يطبقوا هذا المفهوم على « العمل الفني » ايضا ، فاصبحوا يتحدثون عن صورة « العمل الفني » ومادته او مضمونه وشكله ، وكأن « العمل الفني » هو مجرد « مادة » قد اكتسبت « صورة » او مجرد « شيء » قد اتحد فيه « شكل » و « مضمون » !

« العمل الفني » بين « الشيء الطبيعي » و « الموضوع النفعي »

وهنا يقدم لنا هيدجر مقارنة سريعة بين « الموضوع النفعي » و « العمل الفني » ، لكي يبين لنا كيف ان مفهوم « الصورة والمادة » انما يصدق بصفة خاصة على « الموضوع النفعي » ، لا على « العمل الفني » . فصورة [illegible] مثلا بالنسبة الى الاناء او الكأس او الفأس (او ما شاكل ذلك من موضوعات) انما هي التي تحدد تنظيم المادة التي ستستخدم في صناعة « الموضوع النفعي » ، ومعنى هذا ان الاستعمال المحدد الذي سيصنع من اجله هذا الموضوع او ذاك انما هو الذي يفرض على الصانع تلك المادة الخاصة التي سيتم على

نحوها التحام الصورة بالمادة في هذا الموضوع فليست « النفعية » مفهوما دخيلا على « الأشياء المصنوعة » ، كأوعية كالتي أو أواني أو أحذية ثم غير ذلك ، وانما « النفعية » باطنة منذ البداية في صميم عملية « صناعة » أمثال هذه الأشياء . وهذا هو السبب في أن « الموضوع النفعي » لا بد من أن يتخذ صورة « ناتج صناعي » قد تم انتاجه لتحقيق غاية من الغايات . وبهذا المعنى يمكننا أن نقول أن المادة والصورة – من حيث هما عاملان مميزان للموجود – انما تكمنان في باطن ماهية « الشيء المصنوع » . وما دام « الموضوع النفعي » قد جعل للاستعمال ، فإن من الطبيعي أن تكون الغاية المرادة من استعماله هي الأصل في انتقاء مادته وتشكيلها على هذا النحو أو ذاك . وفي هذا يختلف « الموضوع الصناعي » عن « الموضوع الطبيعي » ، فإن للأول منهما « صبغة نفعية » هي التي تتحكم في علاقة صورته بمادته ، في حين أن للثاني منهما « صبغة عفوية » تعبر عن ارتباط صورته بمادته ارتباطا تلقائيا صرفا .

والواقع أن « الموضوع الصناعي » – في نظر هيدجر – انما يحتل مركزا وسطا بين « الشيء الطبيعي » من جهة ، و « العمل الفني » من جهة أخرى ، فهو يشبه من جهة « الشيء الطبيعي » : لأنه يبدو أمامنا كمجرد شيئية لها مظهر خارجي ، وهو يشبه من جهة أخرى « العمل الفني » لأنه ناتج صناعي له صنعته اليد البشرية . ولكن هناك فارقا كبيرا بين قطعة الجرانيت التي تحتل مكانها في الطبيعة باعتبارها شيئا صلبا كثيفا مكتفيا بذاته ، وذلك الفأس الذي يستخدمه الفلاح في حرث الأرض ، بوصفه أداة خاصة تحقق غرضا معينا . ومعظم « الأشياء » التي تحيط بنا في حياتنا اليومية العادية انما هي « موضوعات » ... « نستخدمها لتحقيق بعض الأغراض فنحن محاطون من كل صوب بالآلات والأدوات هي صناعة أصحابها سببه ماهي « الأشياء » ، وفي كنا بإزاء « أشياء صناعية » لا تتمتع بأية تلقائية أو أي اكتفاء ذاتي ، كما هو الحال بالنسبة الى « الأشياء الطبيعية » . وعلى حين أن « العمل الفني » يشبه « الموضوع الصناعي » من حيث أنه وليد الانتاج البشري ، نجد أن للعمل الفني من « الحضور » و « الاكتفاء الذاتي » ما يجعله أقرب الى « الشيء الطبيعي » منه الى « الموضوع الصناعي » والظاهر أن الانسان أميل الى تصور جميع « الأشياء » على غرار « الموضوعات الصناعية » ، بدليل أنه يطبق مفهوم « الصورة والمادة » على « الأعمال الفنية » و « الأشياء الطبيعية » على حد سواء . فليس بدعا أن نرى الكثير من علماء الجمال يتحدثون عما في « العمل الفني » من « شيئية » طبيعية تلقائية ، لكي يجعلوا منه مجرد « موضوع صناعي » قد تم انتاجه لتحقيق بعض الأغراض . ولعل المهم أن « الموضوعات الصناعية » هي أقرب « الأشياء » الينا ، فضلا عن أنها تحتل مركزا وسطا بين « الأشياء الطبيعية » و « الأعمال الفنية » . فلا بأس الآن من أن نحاول فهم طبيعة « العمل الفني » استنادا من فهمنا لطبيعة « الموضوع النفعي » (أو الصناعي) .

... من « الموضوع النفعي » الى « العمل الفني » ...

وهنا يحاول هيدجر أن يكشف لنا عن طبيعة « الناتج الصناعي » أو « الموضوع النفعي » ، فيضرب لنا مثلا لذلك بزوج الأحذية الذي تضعه في قدميها أية فلاحة تعمل في الحقل . وليس من شك في أن الفلاحة التي تزاول عملها في الحقل قلما تفكر في الحذاء الذي تلبسه ، فضلا عن أنها لا تكاد تنظر اليه أو تشعر به . وكل ما في الأمر أنها تستعمل الحذاء في سيرها ووقوفها ، دون أن يخطر على بالها أن تتأمله أو أن تلاحظه . ومعنى هذا أن كل « وجود » الحذاء انما ينحصر في « قائدته » أو « استعماله » . وما دام الحذاء صالحا للاستعمال ، فإن « صلابته » تجعل منه « موضوعا نافعا » تستطيع الفلاحة أن تنتفع في قدميها أثناء سيرها فوق الأرض . ولهذا فاننا نقول ان « فائدة » الناتج الصناعي ليست سوى نتيجة « لصلابته » ، وحينما ينتهي « الاستعمال » فيهلك « الموضوع النفعي » ، أو يقلل من « فائدته » ، أو ينقص من « صلابته » ، فاننا نقول عن هذا الموضوع انه لم يعد « نافعا » وبالتالي فانه لم يعد سوى « مجرد شيء » . والسبب في ذلك ان كل « وجود » الموضوع النفعي انما يتمثل – كما قلنا – في « فائدته » ، بحيث أن « أصل » هذا الموضوع ينحصر في عملية « صناعته » ، أعني في العملية التي استطاعت بمقتضاها أن تفرض « صورة » معينة على « مادة » بعينها

فاذا ما نظرنا الآن الى أي « عمل فني » (ولنكن

مثلا لوحة المصور فان جوخ التي تمثل زوجا من الأحذية) ، الحق أن هذا العمل لا يخرج عن كونه « ساذجا » أو « شيئا مصنوعا » . ولكن ، على حين أن « صناعة » الموضوع النفعي تختفي فيه ، ما دام كل وجوده انما ينحصر في استعماله ، نجد أن « عملية ابداع » الموضوع الجمالي تظل ماثلة فيه ، وكأن كل « وجود » العمل الفني انما ينحصر في « حضوره » أو « وجوده الجمالي » ونحن نعرف كيف أنه كلما كان « الموضوع النفعي » سهل الاستعمال ، قلت ملاحظتنا له ، بمثل انا نستخدم في حياتنا العادية الكثير من الادوات ، دون أن نفكر فيها أو أن نتوقف عندها . وأما بالنسبة الى « العمل الفني » فاننا نتوقف عند « وجوده » باعتباره « موضوعا جماليا » أو « واقعة مستقلة » ، وبالتالي فاننا نرى فيه « حضورا » فنيا « نتأمله لذاتها » ، ونحكم عليها بغض النظر عن « فائدتها » أو « نفعها » .

مثـــل من المثال والبناء

ومتى كان كل من المثـــال والبناء يستخدم في صناعته الحجر [illegible] الحجارة ، [illegible] فمهما لا يريد للحجارة أن تختفي في طوايا عمله الفني ، بل هو يريد لها أن تفصح عن كل ما تنطوي عليه من دلالات جمالية . وعلى العكس من ذلك ، نجد البناء يستخدم الحجارة ، وكأنما هو يستهلكها ، لأنه لا يريد لها سوى أن تصبح عنصرا صلبا مندمجا في بناء معين ، دون أن تكون له وجوده المستقل .

ومثل من المصور والشاعر

وكذلك الحـــال بالنسبة الى المصور ، فانه يستعين بمجموعة من الألوان ، ولكنه لا « يستهلك » هذه الأصباغ اللونية ، بل هو يريد أن يصل بها الى أعلى درجة من درجات نصوعها . ولا يختلف حال الشاعر عن حـــال غيره من الفنانين ، فانه يستعين هو الآخر بالكلمات أو الألفاظ ، ولكنه لا يتكلم كأولئك الذين يتكلمون أو يكتبون في الحياة العادية المبتذلة ، فان هؤلاء يستهلكون الألفاظ بالضرورة ، في حين أن الشاعر يستخدم « اللفظ » لكي ينطق منه « قولا » ، أعني أنه لا يستعين بالكلمات كمجرد أدوات ، بل هو يبرز كل ما في « الكلمة » من « عمق » و « كثافة » و « دلالة » . والى فان « العمل الفني » ليس مجرد « نتاج صناعي » نحكم عليه بالنظر الى مدى تلاؤم صورته مع مادته ، وانما هو — على حد تعبير هيدجر — « كلي صحيح يختفي تحت واقع وجوده باعتباره عملا صنعيا » .

العمل الفني بين « الحق » و « الجمال » ..

ولنعد مرة أخرى الى لوحة فان جوخ VanGogh التي صور لنا فيها حذاء الفلاح ، لنرى ما الذي جعل من هـــذه اللوحة عملا فنيا يختلف عن أي متاع صناعي آخر ... اننا هنا بازاء حذاء صغير لا يحيط به شيء ، ولا يبدو خلفه أي طريق أو أية قطعة من الأرض . ولكننا مع ذلك لو امعنا النظر الى الجزء الداخلي من هذا الحذاء ، لاستطعنا أن نلمح آثار الاعياء مرسومة عليه . ولو اننا نظرنا الى ثقل الحذاء وصلابته ، لأمكننا أن ندرك أنه حذاء فلاح يشق طريقه كل يوم عبر الحقول بخطى [illegible] . وأما نعل الحذاء فانه يحمل آثار التربة الندية الرطبة ، وكأنما هو يشير الى ذلك الطريق الوحشي الذي يضرب فيه الفلاح مساء كل يوم عند عودته الى بيته .

ولا ريب أن المصور الذي يرسم لنا هذا الحذاء لم يكن يريد من ورائه أن يضع بين أيدينا مجرد صورة لموضوع نفعي يستخدمه الفلاح في عمله ، بل هو قد أراد أن يعبر من خلال هذه الصـــورة عن نداء الأرض الصامت ، وقلق الفلاح في بحثه عن الطعام ، وسروره بالشبع والانتصار على الحاجة ، وقشعريرته بازاء الموت الذي يتهدد كل حي ... الخ . وحينما أن نضع أنفسنا وجها لوجه بازاء لوحة فان جوخ لكي نستمع الى حديث هـــذا الموضوع الفني الذي اعتدنا في حياتنا العملية أن نستخدمه ، دون أن يخطر على بالنـــا يوما أنه يستطيع أن يحدثنـــا عن شيء آخر غير فائدته أو منفعته أو استعماله .

وهنا قد يقول معترض اننا نخلع على اللوحة صفات ليست فيها ، لأننا نسقط على العمل الفني أحاسيسنا الخاصـــة ومشاعرنا الذاتية . ولكن هيدجر يرد على هـــذا الاعتراض بقوله ان لوحة فان جوخ ليست « عملا فنيا » الا لأنها قد كشفت لنا على وجه التحديد عن « حقيقة » الحذاء الذي اعتدنا أن نستخدمه ، دون أن نقف على صميم « كينونته » . فليست لوحة فان جوخ سوى مظهر أو « فتحة » (ان صح هذا التعبير) تطل

منها على « حقيقة » امر ذلك الحذاء الذي ينتعله الفلاح ؟ وحينما يقول هيدجر ان العمل الفني هو بمثابة تفتح للوجود او انكشاف للحقيقة ، فهو يعني بذلك ان ما يستحقه الموضوع الجمالي انما هو اولا وبالذات اشعاع الحقيقة عبر الموجود الذي يصوره الفنان . ومن هنا فان هيدجر يتخلى عن فكرة « الجمال » التي اعتاد الفلاسفة نسبتها الى « العمل الفني » ، لكي ينسب اليه قيمة « الحقيقة » ، على نحو ما تدل عليها الاصول الاشتقاقية لهذه الكلمة في اللغة اليونانية و « الحقيقة » عند اليونان انما هي تفتح الوجود حين يتكشف من حيث هو كذلك .

العمل الفني بين « العالم » و « الارض » !

ولكن ، هل يكون معنى هذا ان هيدجر يعود بنا من جديد الى النظرية الجمالية القديمة التي كانت ترى في الفن مجرد محاكاة للواقع ، او مجرد نقل عن الطبيعة ؟ . هذا ما يرد عليه هيدجر بالنفي القاطع ، فان « العمل الفني » لم يكن في يوم ما من الايام مجرد صورة طبق الاصل من الواقع . ولئن كان الكثيرون ما زالوا يظنون ان ماهية الحقيقة انما تنحصر في التطابق مع الوجود الخارجي ، الا ان هيدجر لا يفهم « الحقيقة » بهذا المعنى حينما يقول ان مهمة الفن هي الكشف عن حقيقة الموجود . والا ، فهل تكون لوحة « حذاء الفلاح » التي رسمها فان جوخ « عملا فنيا » لمجرد ان صاحبها قد نجح في محاكاة صورة حذاء من الاحذية التي يلبسها الفلاحون عادة في اقدامهم ؟ او بعبارة اخرى هل تكون هذه اللوحة مجرد نقل عن الواقع وكان كل ما استطاع المصور ان يفعله هو انه احال « الواقع » الى « ناتج صناعي » عن طريق ما لديه من قدرة فنية على الابداع ؟ ام هل نقول ان المصور لا ينقل موضوعا جزئيا معينا ، بل هو يقدم لنا الماهية العامة للشيء ؟ واذا صح هذا الفرض الآخر ، فاين نجد الفنان تلك « الماهية العامة » التي يحرص على مطابقتها في عمله الفني ؟ وماذا عسى ان تكون مثلا تلك « الماهية » التي يطابق بينها المعبد اليوناني ؟ بل من ذا الذي يستطيع ان يزعم ان بناء مثل هذا المعبد قد قام على مثال « المعبد » بصفة عامة ؟ ...

ولكن ، على الرغم من كل هذه الاعتراضات ، فان هيدجر لا يرى حرجا في ان يقول بان مهمة العمل الفني ان يزيح النقاب — على طريقته الخاصة — عن « حقيقة » وجود الموضوع . ومعنى هذا انه لا بد لحقيقة الوجود (او الموضوع) من ان تتجلى عبر العمل الفني . وانما تتجلى عظمة الاعمال الفنية بقدرة الفنان على الاختفاء وراء عمله ، وكأنما هو مجرد مرحلة عابرة يجتازها العمل في سبيله الى التفتح او الانكشاف . وهذا هو السبب في ان العمل الفني الهائل انما يبدو لنا بصورة الحقيقة المتكاملة المكتفية بذاتها ، وكأنما هو عالم قائم بذاته ، مستقل عن كافة العلاقات . وينظر المرء الى مثل هذا « العمل » فلا يلمح فيه سوى « حضرة » فنية تكشف باشعاعها الخاص عن « حقيقة » ظلت — حتى تلك اللحظة — مطوية في ظلام دامس . ولما كانت « الحقيقة » انما هي بالتحديد « حقيقة » الوجود ، فان « التعبير الفني » لا بد من ان يخلو بنا الى « الوجود » .

وهنا يتوقف هيدجر عند تحليل مفهوم « الحقيقة » ، لكي يبين لنا انه لا مناص للعمل الفني من ان يتخذ صورة « تفتح » او « انكشاف » للوجود ، ولكن « الحقيقة » تظهر من مكمنها على يد الفنان ، لكي تتجلى على صورة « حضرة فنية » ولا قيام للعمل الفني اللهم الا اذا امتدت جذوره في اعماق الطبيعة ، بحيث يبدو وكأنما هو شيء من الارض . ولكن العمل الفني لا بد في الوقت نفسه من ان يظهر على صورة عالم يخلقه الفنان ، ويثبت دعائمه فوق الارض . ويضرب هيدجر مثلا لذلك فيقول ان المعبد اليوناني يضع امامنا عالما بأكمله ، ولكنه في الوقت نفسه يوطد دعائم هذا العالم فوق ارض بعينها تبدو لنا وكأنما هي تربته الاصلية . وحينما يتحقق « العمل الفني » على صورة « عالم » يحاول السيطرة على « الارض » من اجل اقامة تنظيم كل ما يحيط بها من علاقات ، فلا بد من ان ينشأ صراع بين ذلك « العالم » الذي يريد ان يتجلى ويتفتح ، وبين تلك « الارض » التي تميل الى الاختفاء والتستر . وربما كانت كل فاعلية « العمل الفني » انما تنحصر في هذا الصراع الذي ينشب بين « العالم » و « الارض » .

والواقع انه لا بد للعالم من ان يواجه الارض : فان « العالم » يمثل التفتح والظهور والتحرر ، في حين ان « الارض » تمثل الانطواء والاستغلاق والتستر ! وحينما يحاول الفنان ان يستخدم

« الأرض » الى عالم التفتح والظهور والاستجلاء ، فانه انما يقوم بجهد شاق من اجل الانتصار على ما في « الأرض » من نزوع نحو التستر والتخفي والانطواء . ولا يتحقق « وحدة » العمل الفني الا من خلال هذا الصراع الحاد الذي ينشب بين « الأرض » و « العالم » . ومعنى هذا ان « العمل الفني » لا يصل الى مرحلة التوازن التي يظهر فيها مستقرا هادئا « قارا في ذاته » (على حد تعبير فلاسفة الاسلام) ، اللهم الا بعد ان يكون قد اجتاز مرحلة الصراع الحاد بين «الأرض» و « العالم » . ولما كان من شأن « العمل الفني » — كما سبق لنا القول — ان يستقدم « الحقيقة » الى عالم النور ، فانه لا بد للابداع الجمالي من أن يجيء حاملا آثار هذا الصراع الدامي بين الظاهر والخفي ، او بين التفتح والتستر ، او بين التجلي والتستر . وهكذا يعود هيدجر فيقرر مرة اخرى ان كل مهمة «العمل الفني» انما تنحصر في تحقيق عملية « فتح الوجود » ، بحيث تتبدى « الحقيقة » امام عيوننا وكأنما هي النور الذي يبدد ظلمات الأرض . وليس « الجمال » — في نظر هيدجر — سوى مظهر من مظاهر تجلي « الحقيقة » حينما تنفتح بكل معنى الكلمة ، او حينما تتبدى بكل جلالها وبهائها .

الشعر جوهر الفنون جميعا ..

واخيرا يقف هيدجر وقفة طويلة عند صلة الفن بالحقيقة ، لكي يخلص من كل هذه الدراسة الدقيقة العميقة الى القول بأن « كل فن انما هو في جوهره ضرب من الشعر » وهيدجر هنا انما يفهم « الشعر » بمعنى واسع ، لأنه يرتد الى الأصل الاشتقاقي للكلمة اليونانية ، فيفهم « الشعر » بمعنى « الانشاء » او « الابداع » او « الخلق » .

وحينما يقرر هيدجر أن سائر الفنون من معمار وتصوير وموسيقى ونحت انما ترتد الى الشعر ، فانه لا يعني بذلك أن لفن القول ضربا من الصدارة على فنون التجسيم او التلوين او التنغيم ، بل هو يعني بذلك ان كل فن من الفنون لا بد من ان ينطوي على « عملية ابداعية » يحاول فيها الفنان أن يجعل من « الظاهر » تعبيرا عن « الباطن » ، وكأن « الظاهر » نفسها قد اصبحت « حقائق » ! فالفنان يبتدع عملا خارجيا تتجلى فيه — لأول مرة — حقيقة منخفية استطاع هو بقدرته الابداعية ان يستقدمها الى عالم النور ! ... حقا ان الابداع الفني لا يخرج عن كونه صورة من صور استخدام الأرض ، ولكن الفنان لا يستعين بالأرض الا لكي يحقق بذلك « العالم » الذي يريد ان يوطد اركانه . فالفنان لا « يخلق » تلك « الحقيقة » التي يخرجها من مكمنها ، لكي يظهرها لنا بكل وضوح في عمله الفني الخاص ، وانما كل ما هنالك انه يستقدم « الحقيقة » من طوايا « الأرض » ، لكي يخلعها على الناس في صورة « عمل فني » هو بمثابة « عالم انساني » قائم بذاته ولعل هذا ما عبر عنه المصور الالماني البرت دورر (Dürer) (١٤٧١ — ١٥٢٨) حينما قال : « ان الفن — في الحقيقة — كامن في الطبيعة ، وكل من يستطيع انتزاعه منها لا بد من ان يصبح قديرا على الاحتفاظ به . » وليس « الانتزاع » الذي تحدث عنه هذا المصور سوى عملية استخراج للحقيقة من مكامنها ، حتى تتخذ مكانها بعد التجلي على صورة « عمل محقق » تنطق بقدرة الانسان على استخدام «الأرض» الى عالمه الخاص .

و « الشعر » انما جوهر الفنون ، لأن الشعر « لغة » ، و « اللغة » هي اداة الانسان لتحقيق « العلانية » ، واظهار المتخفي او هي تجلي الوجود السري في العالم الخارجي . واذا كان « وجود » الصخرة او النبات او الحيوان لا يعرف « معنى » — على حد تعبير هيدجر — فذلك لأن كل هذه الموجودات لا تملك « لغة » تتخذ منها سبيلا الى التجلي او الاستنار . وما دامت « اللغة » هي المظهر الأكبر لخروج الانسان الى عالم العلانية ، ورفضه لكل امتزاج بالوجود المختلط المنخفي ، فليس ما يمنعنا من ان نقول ان كل فن هو في جوهره صورة من صور « اللغة » . وحسبنا أن ننظر الى فنون كل شعب من الشعوب لكي نقرأ لغة هذا الشعب في التعبير عن العالم ، والأرض ، والصراع الحاد القائم بينهما ، وشتى مظاهر تفتح الوجود . وكما ان للغة طابعا تاريخيا ، فان للفن ايضا صبغته التاريخية التي تجعل منه مظهرا لنظرة شعب ما من الشعوب في سعيه نحو اكتشاف حقيقته ، وتأكيد عالمه الخاص . ومن هنا فان سائر الفنون التاريخية التي نلتقي بها لدى شتى الشعوب انما هي مجرد محاولات قام بها البشر في بيئات مختلفة من اجل اظهار المتخفي في باطن ارضهم ، واطلاقه على صورة عالم خاص يكون ناطقا باسمهم . وهذا هو السبب في ان الفن قد

[illegible] على صورة محاولة [illegible] عالم حاضر [illegible] مظهر [illegible] الوجود و ظهور الحقيقة [illegible]

نظرة سريعة الى فلسفة هيدجر في الفن . .

تلك خلاصة سريعة لأهم معالم [illegible] فلسفة هيدجر في الفن [illegible] ونحن لا ننكر [illegible] المضطرب [illegible] الى الاخيرة [illegible] بالخطوط العريضة لهذه الفلسفة [illegible] في المتناقض [illegible] هيدجر او مقالة [illegible] على كل حال [illegible] ان نقدم للقارئ صورة [illegible] لهذه الفلسفة الجمالية التي لا تخلو من صعوبة [illegible] ولا بد [illegible] يكون القارئ قد لاحظ معنا انه لا [illegible] الى هذه الفلسفة في استقلال عن مذهب هيدجر العام فان فهم الفيلسوف الألماني الكبير ماهية الفن قد [illegible] نظرة خاصة في " الحقيقة " [illegible] ولكن [illegible] من حيث فلسفة هيدجر على مسلك [illegible] قد جرت [illegible] حول [illegible] " الفن " و " الآلهة " [illegible] وما الى ذلك من مواضيع [illegible] الاشياء [illegible] وقد استطاع هيدجر [illegible] للفن [illegible] منهجا جديدا [illegible] اصطلح على تسميته [illegible] " منهج الظواهر " او الفينومينولوجي [illegible] " الدين " او " الفن " ظاهرة [illegible] وصفا علميا دقيقا . ومهما يكن من امر الانتقادات العديدة التي وجهها بعض مؤرخي الفلسفة الى هذا المنهج فان من المؤكد ان هيدجر حين اصطنع هذا المنهج انما كان [illegible] في رغبة [illegible] الاتجاهات الحديثة في هذا المجال [illegible] الاتجاهات التي [illegible] " التجربة الفنية " [illegible]

د. زكريا ابراهيم

رثاء ثور . . !

■ انه ثور عظيم . لا [illegible]
وهو عظيم في حياته . عظيم بعد مماته .

[illegible]

وهو ثور من النوع المعروف بعصير العرق

[illegible]

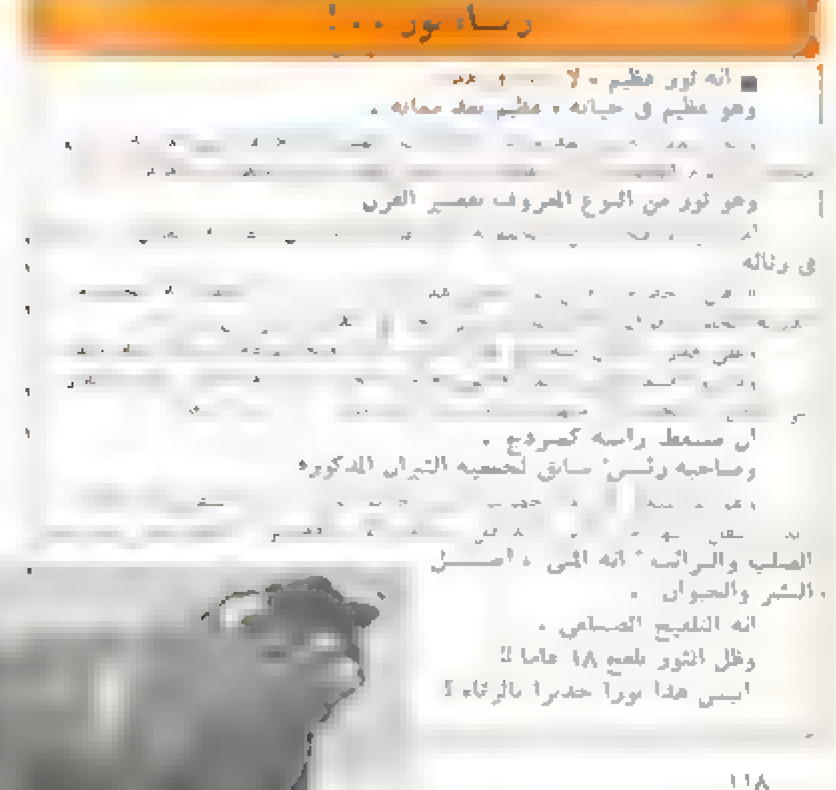
في رثائه

[illegible]

ان يسقط راسه كمروج .
وصاحبه رئيس سابق لجمعية الثيران المذكورة

[illegible]

الصلب والرائب " انه المني . اصل البشر والحيوان .
انه التلقيح الصناعي .
وظل الثور يلقح ١٨ عاما !!
أليس هذا ثورا جديرا بالرثاء ؟



يوم من
حياة إنسان

قصه بقلم : ياسين رفاعيه

● [illegible] اوراق [illegible] .

[illegible]

[illegible] !!

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

قال المصري : « لاشيء يستحق ان يحزن الانسان من اجله .. عندما ترى جنازة ميت .. لا تحزن .. ابتسم [illegible] .. واحمد الله على انك لست انت الميت » .

[illegible]

[illegible] « لماذا لاتقول انه ختام سعيد لحياة غير سعيدة .. ؟ الموت ياصاحبي بعض الاحلام .. وحياتنا حلم كبير » .

[illegible]

[illegible]

[illegible] لقد وضعت [illegible] على وجهه وهو مستلق على الاريكة امامي ولامست موسى الحلاقة من الوريد الى الوريد بيدي اليمنى .. اذكر ان ارتياحا كبيرا ارتسم على سحنته وهو يسلم الروح

ـ لا نخطئ .. في ذلك اليوم الذي القبض علي .. وبعد عدة جولات .. ولم اذهب الى السجن .. بل الى مستشفى الامراض العقليه .

ـ لانهم اتهموا انني مجنون .. [illegible] كيف انني احب صديقي الذي ذبحته حبا كبيرا .. [illegible] وهو متأثر جدا بكثير من الآراء المستوردة وله فلسفة خاصة يقول فيها : « ان [illegible] يجب ان تكون في مواجهة الموت بشجاعة » .. وهو [illegible]

[illegible] وكان يطالبني بالحاح ان اقتله . انه [illegible] .



سيذهب .. بحثت في العالم نعيل ولن اراه البيضاء بحنق .. لقد كان يصرخ « ان الجو قد تسمم .. وان الهواء قد فسد .. ولم تعد للنواصيه القدرة على ان تطير فوق الماء » .

وتركته يبكي الى ما شاء ، واستمر نحيبه الذي من ساعة ساعات ابداً . « اي الم يعانيه صاحبي حتى اضطر الى ان يبكي هذا البكاء الطويل كما لو انه طفل جرحت اصبعه » .

في تلك اللحظة لم اجد بدا من اسكاته .. فصحته .. ولقد اكتب للمحسنين والحاكم فيما بعد انه لا يهمني اسما حكمهم علي .. فقد اديت واجبي تجاه صديقي .. واني مستعد كل الاستعداد لان ادفع الثمن

وكانت سحنة الحاكم في تلك اللحظة تشبه سحنة صاحبي قبل ذبحه ... فاقترب اليه صارخا « انك ستذهب يا سيدي .. ستذهب من نارب .. ! ما هو الكتاب الذي كتب على صباه امس .. ؟ هل حملته قسرا لانك طلب رشوة كبيرة فسقط مجرما من الاعدام .. انك ستذهب .. مسكين ، انا على استعداد للحظة حتى تستريح ... كم هو مريح لك ان تموت يا سيدي ! »

« ولا ادري ماذا سررت لهم غير هذا .. واحالوني الى لجنة اطباء .. كل واحد منهم مجرب على تجارب كثيرة واكد ثلاثتين انني سليم العقل . لكن الطبيبين الاخرين اكدا انني مجنون .. بالمناسبة ، الطبيب الاول خريج جامعة .. اما الاخران فواحد منهما خريج جامعة لندن والثاني خريج جامعة باريس » .

« وهكذا ذهبت الى مستشفى الامراض العقلية .

— وهل ما زلت على استعداد لذبح انسان من جديد ؟

— اجل .. لماذا يسمح للاطباء ان يتركوا انسانا ميؤوسا من شفائه بالسرطان ولا يسمحون لي بذبح انسان يجد في الموت الخلاص ولم يجد في الحياة : الموت .

وحول الشاب بعينين ابدي نوعت طرائه « أترى ما أحق انني من انتظر صاحب الطب منحنيا .. !! »

[illegible] يزال هذا الحوار [illegible] في [illegible] الامراض [illegible]

[illegible] من حوله كما تتساقط اوراق شجرة [illegible] في الخريف

[illegible] الغصن [illegible]

[illegible] لو [illegible] عدد الاوراق .. هل [illegible] ان [illegible] الغيمة [illegible] .. ؟

[illegible] الورقة [illegible] صفراء [illegible]

[illegible] اليوم لا .. وتساقطت الورقة ..

[illegible] .. [illegible] تحت [illegible] [illegible] الشمس

[illegible] الريح الورقة بعيدا [illegible]

[illegible] .. ؟

[illegible] من ساعة [illegible] من عشرين ورقة كانت تتساقط حوله يوم كان [illegible] ذات اليمين وذات الشمال .. وكل هذه الورقات [illegible] الواحدة تلو الاخرى

اليوم .. والايام الماضية .. حتى اول الشهر .. لم [illegible] الا الشهر اكثر من ثلاثة [illegible] .. ومع ذلك فان احدا من الرفاق لم يجرؤ ان يقطعه ولو [illegible] .

— [illegible] الشوارع [illegible] من [illegible] .. [illegible] في [illegible] كما لو انه [illegible]

[illegible] .

[illegible] في [illegible] .. [illegible] في شوارع جانبية [illegible] .. كان [illegible] الاشب [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] و[illegible] في [illegible] [illegible]

— [illegible]

— [illegible] الخريف

— [illegible] شديدة هذه [illegible]

— هنا

— في الساعة [illegible] .. !

[illegible] من [illegible]

— الساعة الواحدة

[illegible] الساعة الواحدة .. [illegible] [illegible] .. و[illegible] الواحدة ؟ اين الاصدقاء ؟ .. لقد [illegible] الطريقة .. لم [illegible] احد .. كلهم [illegible] .. كلهم [illegible] .. [illegible] الساعة الواحدة [illegible] الساعة الواحدة .. الزمن .. لم يتعطل الزمن ولو لحظة واحدة .. انه [illegible] الى الامام .. الى الامام ولا ينظر الى الخلف .

انه يملك اموالا تعجز [illegible] على الحيتان لـ [illegible] ، لا تعد ، ليست له مضرة من الوجود .

وقال للحارس بعد [illegible]

ـ ماذا لا يعجب الرجل .. ؟

ويبدو ان الحارس لم يعجبه ما قال له الشاب مثل يحدق اليه متعجبا وقد ارتسم على وجهه [illegible] .

ـ اني ابدأ سائرك .. هل تسمح .. ؟

واشار الحارس بيده اشارة تدل على عدم [illegible] ، وحدق الشاب الى اسفل .. الى [illegible] يتساقط ، [illegible] المحيط بها

وبدا له مقعد الحارس الخشبي يتصدر اللوح ، فاحس لحظة بتعب وارهاق شديدين ، فيمس [illegible] لم يدركها الحارس فقال له

ـ لم افهم .. ارفع صوتك ايها الشاب .

ـ هل تسمح لي ان اجلس قليلا على مقعدك ؟؟ اني متعب جدا ..

ولم يجب الحارس لاول وهلة ، فأحس الشاب [illegible] ، ولعله تساءل عن تصرفاته الغريبة ، فهو لا يبدو امامه مثل بعض المتشردين ، ولا كالذين [illegible] يتجولون في الليل من اجل [illegible] ، او من اجل ان يكونوا [illegible] ، الا ان [illegible] الشمس يماثل [illegible] ، فيجيب [illegible] [illegible] قال الحارس

ـ تفضل

وحين اتكأ الشاب على المقعد الخشبي المريح واحس حرارة الشمس تداعب وجهه ، [illegible] لم يحس بها منذ زمن بعيد .

وسمع لحظة دوي سيارة اتيا من بعيد ، فالتفت الحارس اليه وقال بصوت [illegible]

ـ تستطيع ان تتصرف كما تريد .. ان « الدورية » تناديني ، سأعود بعد قليل .

ـ سأنتظرك .

قال الشاب ذلك وهو يلقي براسه الى [illegible]

[illegible] ، واخيرا وجد مأوى ..

وياتي الربيع ، تشرق الشمس ، تمتلئ الحقول بالازهار والورود ، تنبت [illegible]

[illegible]

[illegible]

كل ما ان هذه الاوراق تظله من شمس محرقة ، [illegible] .. وتتراخى اعصابه فيهوي رأسه

[illegible] يده ..

[illegible] ، فتح عينيه ، حرك اجفانه [illegible] [illegible] الحارس وصوت [illegible] يخترق اللوح .

ـ صباح الخير .

ـ صباح الخير .

ـ هل نمت جيدا ؟

قال الحارس بلهجة غريبة

ـ اين ؟

ـ خذ هذه الكاس من الشاي .. انك ستصحو بعد تناوله .

ومد الشاب يده الى الكاس ، فتناوله و [illegible]

[illegible]

ـ ما اسمك يا سيدي .. ؟

وتبسم الرجل الكهل : **اسمي ابو خالد .. وانت ؟**

ولم يستطع الشاب ان يجيب بشيء ، فقد عقدت الدهشة لسانه [illegible] .. لعيشه ، ثم قال بصوت مرح

ـ لا تستطيع ان تسميني خالد .

وعندئذ كان الحارس يفكر في ذلك فهو [illegible] ابناه ، وبدأ كيف مادى بعدئذ دون ان يعلم احد من هذه الى [illegible] .. [illegible] [illegible] . واخذه الحارس من [illegible]

ـ هل اعجبك الشاي .. ؟

لم اذق مثله في حياتي .

ـ انني مارع في صنعه . لي ثلاثون سنة اسير [illegible]

ـ وما اطلاعها من مائدة !! .

[illegible]

ـ يا خالد .. سأزورك هذا المساء .

ـ انتظرك كل مساء

ـ سأزورك حتى اذن انسى .

ابدا .. تستطيع ان تأتي متى اردت .

ولحقه [illegible] الشمس لشوارع المدينة ، صباح [illegible] الحارس [illegible]

، الربيع [illegible] ، ويمضي [illegible] [illegible] الاوراق اليابسة لتنبت مكانها اوراق [illegible] وخضراء

ويمضي الشاب [illegible] ، **فما زال العالم بخير .. !! »**

دمشق : ياسين رفاعية

مستشفى الأمراض العصبية

تطور علاج مرض العقل

من الكاهن والساحر إلى الروحانيين

إلى علماء الطب والعلاج النفسي المعاصر

وله كتب الدكتور محمد طلعت مدير مستشفى الامراض العصبية والنفسية بالكويت المقال الآتي

قبل وصف هذا المستشفى لا بد أن نرجع الى الماضي لنعرف المراحل التي مرت بها هذه الامراض العصبية خلال مختلف العصور .

عرف المرض العقلي من قديم الزمان ، فقد جاء ذكره في الكتابة الموجودة على أوراق البردي من عهد قدماء المصريين (حوالي ١٥٠٠ قبل الميلاد) .. وكان الاغريق يمنعون المصاب بعقله من الظهور في المدينة ، ويلزمون أهله باحكام الرقابة عليه في البيت ، واذا ما أهملوا ذلك حكم عليهم بغرامة

وفي التوراة اشارات عديدة وواضحة ، الى الامراض العقلية ، وخاصة « الصرع » الذي كان يعرف « بالمرض المقدس » ، وكان الفيلسوف اليوناني « ابقراط » (٤٦٠ – ٣٧٠ قبل الميلاد) أنكر قدسية هذا المرض ، واعتبره مرضا عاديا ، وكان يعتقد أن المخ هو مركز النشاط العقلي ،



وأن أي مرض يصيبه يؤدي الى الخلل العقلي ، ولكن ينكر ما كانت تقوم به الجماعات البدائية من ربط المصابين بالامراض العقلية وسط الغابات ليكونوا نهبا للوحوش فينالوا جزاءهم !

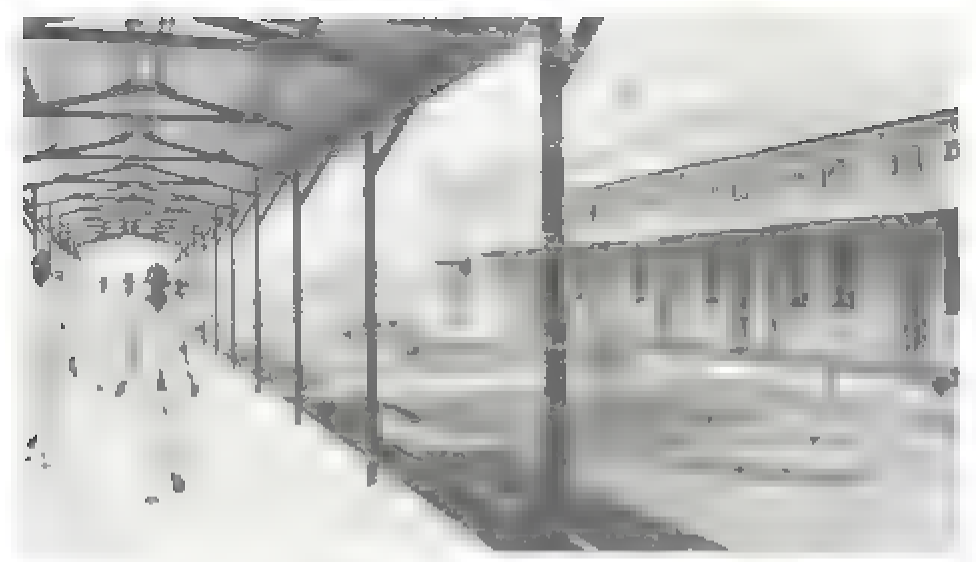
وفي القرون الاولى من تاريخ المسيحية كان هناك اتجاهان مختلفان عن المرض العقلي ، ينطوي اولهما على حجز المريض وتقييده بالسلاسل وجلده لارغامه على تناول الطعام واعتراف بأثره ، أما الاتجاه الثاني فيدعو الى حسن معاملة المرضى ، واباحة جميع وسائل العلاج الطبي التي كانت معروفة في تلك الايام ، مع اعطائه فرصة مزاولة الالعاب الرياضية والاستماع الى الموسيقى والمطالعة والتردد على المسارح وكل ما يمكن أن يدخل الآن في عداد العلاج الترفيهي .

حرق المرضى

وفي القرون الوسطى عندما دخلت البشرية في عصرها المظلم ، لم يتطور دراسة المرض العقلي بل ، على العكس ، أصابها الركود والانتكاس ، واندثرت نظرية ابقراط والسابقة وكان المبشر الكنيسة التي تمسك بها العالم المسيحي ، آخر الامر ، عندما حارب رجالها التقدم العلمي ، واتهموا كل مكتشف أو مخترع بالكفر والالحاد ، فتحولت النظرة الى المرض العقلي من الطب الى الخرافة واصبحت الاضطرابات العقلية والنفسية تفسر بتدخل الاعمال الشيطانية بالسحر والارواح النجسة ، وكان رجال الدين يعالجونها بالتعويذات والادعية بقصد طرد الشيطان ، فاذا فشلت هذه الوسائل لجأوا الى الوسائل القاسية كالسجن والتعذيب بقصد ايذاء الشيطان وارغامه على ترك جسم الانسان ، وفي كثير من الاحيان كان المصابون بعقولهم يعتبرون من السحرة واعوان الشيطان فكانوا يحاكمون ويقضى عليهم بالحرق والقتل .

ابن سينا وابو بكر الرازي

وبينما كان في أوروبا في القرون الوسطى ظلام ، كان في البلاد العربية مصادر كثيرة للاشعاع والنور وكان للطب فيها شأن رفيع . وقد أحسن الاطباء العرب معاملة المصابين بالامراض العقلية والنفسية . ومن أشهر هؤلاء ابن سينا وابو بكر الرازي ، الذي أسندت اليه رئاسة مستشفى كبير في بغداد خصص فيه جناحا لمرضى العقل ،



وازيلت الاقفاص والسلاسل

واستخدم فيه وسائل مختلفة للمعالجة منها الايحاء والتسلية .

الاتجاهات الحديثة في العلاج

وفي اواخر القرن الثامن عشر ابتدأت الاتجاهات الحديثة في علاج الامراض العقلية ، ففكت القيود والاغلال ، واطلق سراح المرضى الذين حرموا من النور والهواء والحرية .

وكان الطبيب الفرنسي « بينيل Pinel » اول من بدأ هذا الاصلاح الانساني . ثم تلى ذلك انشاء العديد من مستشفيات الامراض العقلية والعيادات الخارجية التي الحق بعضها بالمستشفيات العامة ، وكذلك تم انشاء عيادات طبية نفسية للاطفال بقصد توجيه ومعالجة النشء حيث ان المتاعب اثناء مرحلة الطفولة واضطراباتها في التمهيد للمرض النفسي او العقلي عندما يكبرون.

تطور العلاج في الكويت

ودولة الكويت – كغيرها من الدول الاخرى – مرت ببعض هذه المراحل ، فكان هناك مستشفى اطلق عليه اسم « ملجأ المجانين » ، وكان عبارة عن طابق واحد يحتوي على اربعة احواش ، كل حوش منها يتألف من بضع غرف ضيقة لا يدخلها الهواء أو النور الا من نافذة في اعالي الجدران ، عليها قضبان من الحديد . وكان السقف عبارة عن عروق من الخشب الاسود وكانت الارض رملية .. وفي وسط كل « حوش » كان قفص كبير من الحديد .

والواقع ان هذا المبنى كان اقرب الى السجن منه الى المستشفى .. فالمصابون بالامراض العقلية يحجزون فيه لابعاد اذاهم عن الناس .. والرعاية الطبية فيه معدومة لا تستحق الذكر .. وكان بعض المرضى يكبلون في الاغلال ويشدون في الحائط بواسطة السلاسل ، والبعض الاخر يوضع في الاقفاص الحديدية السالفة الذكر !

وبدأت الكويت تتطور تطورها العظيم .. ومعه بدأ تطور الصحة العقلية ، فبذلت وزارة الصحة العامة مجهودات كبيرة لتحسين وضع المبنى ، فكان عام ١٩٥٥ حداً فاصلاً بين الاسلوب القديم ، والاتجاهات الحديثة في علاج الامراض العقلية والعصبية بالكويت .

وازيلت الاقفاص والسلاسل الحديدية التي كان يحجز فيها ويقيد بها المرضى ، وفتحت الغرف الضيقة بعضها على بعض ، فاصبحت على شكل عنابر ، جهزت بالمراوح الكهربائية ومكيفات الهواء . ثم شيد ملحق جديد فيه غرف فسيحة مبنية بالشروط الصحية . وكانت هذه خطوة اولى صغيرة لاصلاح المستشفى المذكور ، فانشىء فيها عيادة خارجية وصيدلية ومختبر ومكاتب للموظفين .

مستشفى جديد

وفي نفس الوقت بدأ انشاء مستشفى جديد في



السلطة الصحية بالعباسية ، حيث ... الصباح ، ومستشفى الظلام ، والمصح الصدري ، واطلق على المستشفى الجديد اسم مستشفى الامراض العصبية والنفسية ، وذلك في نهاية عام ١٩٥٨ . وكان يسع لمائة وستة وثلاثين سريرا ، منها ١٢٠ للمرضى من الرجال ، و ١٦ للمريضات من النساء ، ويوجد بهذا المستشفى مبنى للادارة والعيادة الخارجية والصيدلية ، والمختبر الذي يجرى فيه كافة التحاليل الطبية ، وبه قسم للعلاج بالعمل Occupational therapy ومواد ترفيهية ، وقاعة لعرض الافلام السينمائية ، ومن حوله ساحة لرياضة الحدائق الواسعة والملاعب الكثيرة ، للتنس ، وكرة القدم ، وكرة السلة .

وتم اخيرا توسيع هذا المستشفى فاصبح يضم ١٤ جناحا جديدا ، تسع لـ ٤٦٥ سريرا ، منها ٣٠٠ للرجال ، و١٦٥ للنساء . وباستكمال هذه الاجنحة الجديدة الغي المستشفى القديم نهائيا ، وانتقل المرضى الى المستشفى الجديد .

انواع العلاج

ويتم العلاج في المستشفى الجديد باحدث الوسائل العلاجية التي اكتشفت في العالم ، مثل العلاج بالكهرباء ، وبالعقاقير المسكنة ، وبمضادات الاكتئاب ، ومضادات الصرع ، والعلاج العملي والترفيهي والنفسي ، وبالتعليم .

العلاج بالكهرباء

العلاج بالصدمات الكهربائية [illegible] تيار كهربائي خلال [illegible] من [illegible] على [illegible] وتعطى الصدمة الكهربائية [illegible] المريض [illegible] مع [illegible] العقاقير التي تجنب [illegible] في العضلات

العلاج بالعقاقير المسكنة

العلاج بالعقاقير المسكنة يشمل [illegible] و [illegible] والارجاكتيل Largactil والتروكسال Truxal والستلازين [illegible] [illegible] وغيرها

ولقد اثبتت هذه التركيبات نتائج طيبة جدا في علاج حالات المرض العقلي والنفسي ..

العلاج بمضادات الاكتئاب

والعلاج بمضادات الاكتئاب وهي تشمل النارديل Nardil والنياميد Niamid والتوفرانيل Tofranil والتربتيزول Tryptizol .. ولقد ثبت ان هذه العقاقير بنتائج باهرة في مرضى الاكتئاب ..

وكالعلاج بمضادات الاكتئاب علاج بمضادات الصرع ، مثل اللومينال Luminal والايبانوتين Epanutin وغيرها الكثير من العقاقير ..



والعلاج بالعمل

في شغل أوقات المرضى ببعض الأعمال اليدوية وغيرها .

وهذه الأعمال قد تتعدد وتختلف بصورة رائعة، يمضي خلالها المريض معظم ساعات النهار عاملا منتجا ، وبذلك يصل الى حالة يتمكن فيها من تركيز انتباهه عن طريق اهتمامه بما يعمل ، كما تمنح شعورا بالثقة بالنفس عن طريق انجاز عمل معين . ونظرا لانهماك المريض في هذه الأعمال فانه يبتعد عن أوهامه وأفكاره ويقرب من عالم الحقيقة والواقع .

والعلاج الترفيهي

ويعتبر أيضا جانبا هاما في علاج المرضى بالكويت ويتم هذا العلاج عن طريق الاستماع الى الاذاعات، ومشاهدة التلفزيون والافلام السينمائية مرتين في الاسبوع . ويشترك في حضورها مع المرضى الأطباء وعائلاتهم وهيئة التمريض وموظفو المستشفى .

ويقرأ المريض الصحف والمجلات ، ويتسلى بلعب الورق والدامه والشطرنج ، وبذلك يشعر انه في جو عائلي طبيعي ، وهذا يجعله يستعيد احساسه بأنه فرد عادي ليس مرهوب الجانب محتاجا لمساعدة اساسا .

اما مزاولة الألعاب الرياضية ، كالتنس وكرة القدم وكرة السلة والتنس ، فتنشط الجسم وتهدئ اصحاب النشاط الحركي الزائد. وهذه الألعاب الرياضية لا تنشط الدورة الدموية وحالة العضلات فحسب ، بل تعمل ايضا على اكساب المريض القدرة على الوقوف من الغير موقفا تعاونيا .

ويسمح للمريض بمغادرة المستشفى اما بصحبة اهلهم أو في مجموعات بصحبة بعض افراد الهيئة التمريضية، وهم يخرجون الى الرحلات الخلوية.

والعلاج النفسي

ويشمل جميع الطرق النفسية التي تستخدم لمرضى من اضطربت شخصياتهم ، سواء بدا هذا الاضطراب في صورة مرض نفسي أو مرض عقلي أو مرض سيكوسوماتي - Psychosomatic أو انحراف خلقي .

والهدف من العلاج النفسي هو

أ ـ البحث عن مصدر الاضطراب وتبصير المريض بحالته .

ب ـ ارشاد المريض الى اساليب جديدة للتوافق ومواجهة مشاكله بصورة افضل .

والعلاج باعادة التعليم

وهذه الطريقة تشمل وسائل متعددة والهدف



مما يساعد المريض على ترك حياة الخاصة والعودة الى الاحساس بالمسئولية ، والرغبة في التوافق مع زملائه واسرته والمجتمع الذي يعيش فيه . ويمنح بلعطاء المريض تدريبات اولية خاصة بالاستحمام والطهور والاكل والبول والبرد والنوم ويمتد ذلك حتى تدريبات للمريض واللعب والعمل والقراءة . ويدخل في ذلك ايضا مساعدة المريض على تغيير عاداته وتغيير اساليب السلوك المرضية واستبدالها بالاساليب السوية .

ويدخل في ذلك ايضا تثقيف المريض وتبصيره بمشكلاته وتكوين اتجاهات عقلية جديدة في نظرته لامور الحياة مما يساعد على تحسين صحته .

والمهم في التعليم من جديد الا يكون قائما على مجرد النصح والارشاد بالالفاظ والمواعظ النظرية وانما ينبغي ان يقوم على اساس الممارسة العملية للعادات والاعمال الجديدة .

ويستعان بالاجهزة الحديثة

ويستعين الاطباء في التشخيص باجهزة حديثة مثل جهاز رسم المخ الكهربائي، وهو جهاز الكتروني على درجة كبيرة من الحساسية ، وبواسطة هذا الجهاز يمكن تسجيل الموجات الكهربائية الناتجة عن النشاط العصبي للمخ . فيرقد المريض على السرير مغمض العينين ، وتثبت عدة اقطاب في مواضع خاصة على جلدة رأسه ، ثم توصل هذه الاقطاب بواسطة اسلاك الى الجهاز ، وهذا يسجل الموجات الكهربائية بواسطة اقلام تتحرك على اوراق التسجيل فيتم رسم معين ، ويكون لهذا الرسم شكل خاص في الحالات المرضية المختلفة

ومن اهم استعمالات هذا الجهاز هو تشخيص مرض الصرع بانواعه وصوره المختلفة واورام المخ وكذلك في تتبع بعض حالات اصابات الدماغ .

وجهاز اخر لعلاج التبول اللاارادي عند الأطفال.

وتوجد اجهزة اخرى تستعمل في الفحص النفسي ومن اهمها جهاز الكتروني لقياس مدى القلق النفسي



٨ اطباء و ١٢٤ ممرضا وممرضة

وقد اقتضى توسع العمل والازدياد المطرد في





لقد ركز المستشفى وعدد المرضى على العيادة الخارجية ، اقتضى كل هذا استخدام عدد من الأخصائيين في الطب العقلي والنفسي ، وكذلك استخدام بعض الأطباء العموميين وتدريبهم في ميدان الصحة النفسية ثم ابتعاثهم للخارج للحصول على دبلوم التخصص في الأمراض العصبية والنفسية، ويبلغ عدد الأطباء العاملين في المستشفى حاليا ثمانية ، ستة منهم يحملون شهادات التخصص من الجامعات المختلفة .

ومما يذكر أن عدد أفراد الهيئة التمريضية بالمستشفى القديم كان لا يتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة ، وكان العمال هم الذين يقومون بالدور الرئيسي في العناية بالمرضى وكانت مهمتهم لا تتعدى تقديم الطعام لهم أو وضعهم في السلاسل والأقفاص الحديدية أو تقييدهم بها ، أما اليوم ، وتمشيا مع الإصلاحات التي أدخلت على علاج المرضى فقد استخدم عدد من الممرضين والممرضات من الخارج ، يعاونهم عدد من المساعدين والمساعدات الذين تلقوا مبادىء التمريض العام ، ثم دربوا في المستشفى على طرق العناية الخاصة بالمرض العقلي ، حتى أصبح المستشفى اليوم يضم ١٩٣ ممرضا وممرضة من هيئة التمريض مهمة عليهم للعناية والإشراف على المرضى .

تنظيم دخول وخروج المرضى في المستشفى

لقد كانت معظم دول العالم – ولا تزال بعضها – تتخذ إجراءات معقدة في دخول وخروج المرضى من مستشفيات الأمراض العقلية . وكانت هذه الإجراءات تتضمن تدخل السلطات القضائية أو الشرطة . ولكن هنا في الكويت تتبع الاتجاهات الحديثة فتشجع دخول المرضى بمحض إرادتهم ، أو عن طريق أهلهم دون أن تتدخل من الشرطة أو السلطات القضائية . وفي حالة رفض المريض دخول المستشفى فيجوز لأهل المريض الاستعانة بالمستشفى أو بالشرطة لإحضاره إليها .

هدف العلاج

إن الهدف من تطور مستشفى الأمراض العقلية والنفسية بالكويت ليس حماية الجمهور من المرضى ، إن هذا المعنى يجعل المستشفى أقرب

الى السجن ، وانما الهدف هو جعل المستشفى مؤسسة علاجية تستخدم كل ما اتاحه التطور الطبي والنفسي والاجتماعي من وسائل الفهم والعلاج لاعادة تنظيم المريض ، ورده الى بيئته من جديد . وهذا الهدف لا يمكن ان يتحقق اذا رفعنا عن المريض كل تبعة فيما يقوم به من اعمال واعتبرناه ، بسبب المرض ، شخصا معفيا من المسؤولية تماما . والمستشفى كمجتمع علاجي يجب بحسب عيشه ان يتيح للمريض كل الفرص لكي يعيش اثناء العلاج في بيئة هي اقرب ما تكون الى البيئة الخارجية ، وعلى ذلك فان جو المستشفى يتوفر فيه العناصر التالية

روح التعاون والعلاقة الانسانية التي تربط بين العاملين في المستشفى والمقيمين فيه ، اي بين المدير والاطباء ، وبينهم وبين هيئة التمريض ، وبين هيئة التمريض والمرضى ، ثم بين المرضى انفسهم .

١ ـ الاحتفاظ بحرية المريض واحترامها وعدم حرمان المريض من حاجياته الشخصية كالملابس والممتلكات الخاصة .

٢ ـ اظهار الثقة بالمريض ولذلك لا نحجز المريض وراء ابواب موصدة او اسوار عالية بحجة الخوف من الهرب من المستشفى . على ان ذلك لا يعني مطلقا السماح بالخروج اذا شعر المريض ، وانما نقوم بذلك بالوسائل الثابتة ، على الا يكون ذلك من قبيل العقاب ، وعلى الا يمتد الى اكثر من الفترة اللازمة لرجوع المريض الى السلوك الاجتماعي [illegible] .

٣ ـ فتح ابواب المستشفى للزائرين يحضرون في مواعيد ويقضون الحياة فيه على طبيعتها ولكي يروا بانفسهم ان الحياة داخل المستشفى لا تختلف كثيرا عما الف الناس خارجه .

احترسوا من السرعه

وهل لي ان اختم المقال ، قبل ان اعود على اسباب الامراض العقلية والنفسية في الكويت لا تختلف كثيرا عنها في الدول الاخرى. فالمجتمع ـ اي مجتمع ـ يحيط الفرد بقيود وقوانين وتقاليد ومحرمات تقف حائلا في وجهه وتحول دون ارضاء كثير من حاجاته ومطالبه . هذا بالاضافة الى تعقد الحياة المدنية الحديثة ، وعصر السرعة والآلة الذي نعيش فيه ، وما يصاحب هذه الحياة من مآسي وصراع يتعدى على الفرد في سبيل الحياة ، وعلاوة على ذلك فالفرد معرض لمسببات الخطورة الاخرى الناتجة ، او فقد المركز الاجتماعي ، او الفشل في الحب او موت عزيز او الكوارث المختلفة تساعد في ظهور وتساعد الامراض في اعراضها .

ولا شك ان السرعة الحديثة في طور الكويت جعلت الانسان هنا يركض محاولا اللحاق بركب التطور ـ والسرعة هنا لها خطورة ـ وهذه السرعة تثير انواعا كثيرة من الاضطرابات النفسية والقلق والارهاق وهي التي تشكل بالتالي بذور الامراض العصبية والنفسية . ■■

محمود [illegible] رضا

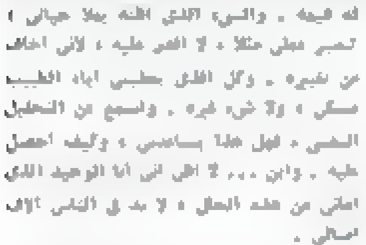




طبيب الأسرة

أنا مصاب بأعصابي

● هل هناك علاج [illegible] مصاب بأعصابي ... [illegible] والخوف والقلق ، [illegible] خطورة المرض ، و [illegible] وهذا يحدث [illegible] [illegible] هذا معروف ، [illegible] [illegible] يظهر [illegible] في كل شيء له فيه . والشيء القلق الذي يملأ حياتي ، تصبح مثلا ، لا أقدر عليه ، لأني أخاف من تغييره . وكل القلق يطلبني أمام الطبيب ... ولا شيء غيره . وأسمع عن التحليل النفسي ، فهل هذا يناسبني ، وكيف أحصل عليه . وأين ... لا أظن أنني أنا الوحيد الذي أعاني من هذه الحالة ، لا بد في الناس الآف مثلي .



— نعم ، نعم ، إن الحالة التي تشكو منها لها علاج بكل تأكيد . إن الذي بك قلق وهبوط عصابي ، وهو يعالج اليوم بالعلاج النفساني ، ومن العلاج النفساني التحليل النفساني ، ولكن هذا أسلوب من العلاج طويل قد لا يحتاجه كل مصاب بعصاب .

وهذه الأساليب الجديدة في معالجة ما طرأ على النفس من سوء لا توجد في كل بلد . وتوجد في البلاد المتحضرة ، كثير من العيادات والمستشفيات التي تعالج بالعلاج النفساني . أما العلاج بالتحليل النفسي فلا يكاد يوجد إلا في العواصم الكبرى . ولست أدري ، هل يوجد حيث أنت وسائل علاجه من هذا [illegible]

[illegible]

وطبيبك لا شك بأصحك في هذا ، أين تذهب ، وإلى من تذهب .



قصر النظر بعد الخامسة والأربعين

● سمعت أن المصابين بقصر النظر لا يزداد نظرهم قصرا بعد بلوغهم سن الخامسة والأربعين ، فهل هذا صحيح ؟

[illegible]

السن . والواقع أن قصر النظر بعد الخامسة والعشرين قليل ، ولكن ليس كثيرته بعد الخامسة والأربعين .

والمطبع يحدث في البصر على كل حال بعض ضعف ، في هذه الناحية أو تلك . وعلاج ذلك كما هو ظاهر يكون بتغيير العدسات .

هذا على فرض أن العين لم تصب بداء من داءات العيون .



الأشعة السينية ، هل تمنع الحمل ؟

● حدثتني طبيبة في رحمي ، انه ظهر لي موضعه من الحوض كان في حاجة الى اصلاح ، والى ارجاعه الى الوضع الطبيعي . وبعد ان تم ذلك ، كشف الاطباء على بأشعة س ، يريدون ان يتأكدوا من الوضع الجديد ، هل هو اصبح طبيعيا أم لا . والآن اطلب الحمل . واخشى ان الأشعة اذا سلطت في رحمي ، بعد هذه الاشعة ، فسوف يموت من اثر هذه الاشعة . فهل هذا الخوف في محله ؟

— ابدا . ابدا . الحق انه يجب عليك المبادرة في الحمل ، ذلك لأن عملية حقن المواد ، تلك التي كان لا بد من حقنها لتظهر الصور المأخوذة بالأشعة ، تساعد على فتح الانابيب ، ويكون من الاخطر للحمل ان يقع عقب ذلك مباشرة .

وليس في الطب دليل يفيد ان الاجنة تتأثر بالأشعة المذكورة . وكثير من الاطفال قد ولدوا من حمل وقع عقب التصوير بالأشعة مباشرة ، وولدوا أصحاء معافين .

ويجب ان نعني ان هذه الاشعة تزايل الحوض ، هي وآثارها ، سريعا ، بعد ساعات قليلة من تعاطيها به .

التطعيم ، في الذراع ، أم في الفخذ ؟

● هل الاصح من الوجهة الطبية تطعيم الجسم ضد الجدري في الذراع او في الرجل ؟

[illegible]

والمسألة ليست مسألة طبية في الصميم من الطب . فالغرض من التطعيم هو دخول مكروب الطعم الى الدم ، فالى الجسم ، فتحفز الجسم الى المقاومة بما يصنع من مواد مضادة للمرض ، تحارب المكروب لو انه جاء فعلا من وباء بعد ذلك .

ان الامهات تفضل لبناتها التطعيم في الفخذ ، لان التطعيم يترك علامة بيضاء مستديرة فاذا كانت في الذراع [illegible] . لا [illegible] في [illegible] لان [illegible] ولا [illegible] و [illegible] يطعمون [illegible] كل الاعوام [illegible] يختلف [illegible]

اطباء ، ماتوا بالجدري

● عرفت عن طبيبين ماتا في وباء جدري لم يمر طويلا ، احدهما جراح والآخر مولد . فكيف يحدث هذا لطبيبين ، الاطباء لا شك يحصنون من حين لحين ، والمفروض ان الطعم واق .

فان كان هذا يحدث للاطباء ، فكيف ما نحن من افراد الشعب من غير الاطباء ؟

— اما ان الاطباء يطعمون من حين لحين ، فقول مشكوك فيه جدا . ان بعض الاطباء كبعض رجال الشعب ، يعتقدون ان مناعتهم العدوى ، ومن الاطباء من يشعر ان صنعته الطبية تمنع عنه فيروس الجدري ان يقربه ، يحال ذلك واعيا او غير واع .

ان من الاطباء من يكتفون بالتطعيم الاول لدى الطفولة . ومن المؤكد ان هذا لا يحمي من المرض طول الحياة وبعض الشعوب ترى ان لها الحق في [illegible] التطعيم بالمرة اذا [illegible]

[illegible]



صورة فوتوغرافية [illegible] تجدري عندما أصاب رجلا لم يكن حقن بالمصل ولو مرة واحدة في حياته .. صورة يحمل كل ناظر لها يسعى الى مراكز الصحة طلب التطعيم ..

المرض حقنة . فالمرض لن يصيبه اذا جاء ، والحقيقة قد تكون أن المصل لم يكن صالحا . انه لتمام التطعيم لا بد أن ينشر الفيروس (المكروب) الذي بالمصل في الجلد عند خدشه ؛ ولا بد أن ينمو فيه ؛ وتظهر بوادر ذلك، ثم هو ينتشر في الجسم فيضطر ذلك الجسم الى صنع المواد الناقضة [illegible] هذا الخطر ، وما قد يصاب به الجسم منه في المستقبل .

ان التطعيم لا يقال انه نجح مؤكدا الا بهذا . فاذا ظهر بعد يومين أو ثلاثة انه لم ينجح ، وجب اعادته ، فيحصل حتى

في الأذرع من آثار . ان بعضهم يفضل بالذراع كما لو كان يطعم ارضا .

ومع هذا ، فلا ننسى أن الذراع ، اذا انفعل بفيروس الطعم انفعالا شديدا . واحتاج الى ضمادة ، كان أسهل ضمدا من الرجل . والذراع [illegible] عن الحركة ، أما الرجل فحبسها عن [illegible]

● طبيب الأسرة

أنا امرأة ، لي رحمان

● علمت عند فحصي أن لي رحمين ، لا رحما واحدة . وأدهشني ذلك ، لأني ما كنت أعلم أن امرأة يكون لها غير رحم واحدة . فهل أستطيع أن أسألك في أمر تأثير هذا على الحياة الزوجية ؟ ثم عند الحمل ، أيكون لي كل مرة طفلان ، أم لا يكون أطفال أبدا ؟

– يجب أن لك رحمين كلاهما على الصحة الكاملة . فاعلمي أنه لا يؤثر على علاقاتك الزوجية وجود رحمين مكان رحم واحدة .

أما عن الحمل فليس محتملا أنك تحملين في كلتا الرحمين معا ، ولو أن هذا غير مستبعد كل الاستبعاد . ولا تستطيعي أن تنسي أنك حامل ، كما [illegible] امرأة لها رحم واحدة ، وذلك بانقطاع العادة ، وكبر الثديين ، وزيادة التبول ، والعلامات الأخرى المعروفة .

ولكن من الممكن أيضا ، اذا وقع الحمل في رحم واحدة ، أن تأتيك العادة شهرا أو شهرين من الرحم الأخرى ، ولكن بغير الكثرة المعتادة .

وجود رحمين لا يجعل الولادة أصعب ولكن من المحتمل أن يكون الطفل في هذه الحالة ، في وضع يتطلب عناية الطبيب بخصوصه .

ومن المؤسف أن احتمال السقط وعدم تمام الحمل يزيد مع وجود الرحمين .

وأحيانا يوحد الرحمان ويجعلهما واحدا ، وعندئذ يستطيع الطبيب أن [illegible] رحما واحدة ، ويكون هذا بسبب تكرار السقط أو حتى بانقطاع الحمل .

ومع هذا ، فيجب أن تنظري بالأمل الى المستقبل . وسوف تحملين ان شاء الله حملا عاديا مكتملا ، وتلدين ولادة عادية .



بقلم الدكتور محمود اسمره

يحفل تاريخه بالأخطاء ، ولكنه مع هذا

● هناك حقيقة بسيطة واضحة أؤمن بها وهي أن المظلومين دوماً على حق ، والظالمين دوماً على باطل . وقد تكون هذه نظرة خاطئة إذا أخذناها بمطلقها ، ولكنها عندي حقيقة ثابتة

وترعرعت في نفسي منذ أن أدركت أنني واحد من هؤلاء القائمين . وهذا الإحساس جعلني أكره لا الاستعمار فقط ، بل أي نوع من أنواع السيطرة يمكن أن يمارسها أي إنسان على أي إنسان آخر . »

وأورويل من الأدباء المكفئين على ذواتهم انكفاءً يحجب عنهم رؤية الحقيقة والواقع . وهذا الانكفاء المطلق على الذات جعل أدبه محدود الآفاق : فقصصه مثلا تبدو لنا متشابهة ، إذ إنها كلها قصص عن شخصيات منبوذة . وهي شخصيات تحاول أن تعبر العجز إلى الآخرين ، وتقيم معهم علاقات ، ولكن الآخرين يصدونها ، أو يسخرون منها ، أو يتخلون عنها . وجو هذه القصص جو قاتم كئيب، هو انعكاس لنفسية أورويل الثائرة الحاقدة ، وهذا الجو بالحاحه يثقل على القارئ، ويزعجه، حتى ليتمنى أن يهرب منه .

وانغلاق أورويل على نفسه جعله يرى العالم من خلال نفسه ، فمشاكله الخاصة هي مشاكل هذا العالم . من ذلك أنه نشأ فقيرا ، وشب حاقدا لأنه ينتمي إلى الطبقة العاملة المعدمة ، فلما كبر رأى مشكلة العالم في أمرين : المال والطبقة . ومثل هذا الإيمان قد يكون مقبولا لو أنه كان بمثابة إدراك واع لأثر سوء توزيع الثروة في المجتمع . أما أن يكون انعكاسا لا واعيا لمشكلة خاصة ، فهذا هو ما نأخذه على أورويل ، لأن عدم وعيه وعيا تاما لجوانب هذه المشكلة الاجتماعية ، جعل تعبيره عنها فجا ، مليئا بالفجوات .

ولا شك أن التوزيع غير العادل للثروة من المشاكل البشرية ، ولكن تناول أورويل لهذه القضية كان تناولا فيه تعصب حاقد ، والحاقد لا يمكن أن يعي حقيقة القضية ، وقد يقوده حقده إلى تصور غير المعقول . فهذا هو في قصته « ابنة القس » (A Clergyman's Daughter) يرسم لنا صورة مديرة مدرسة خاصة ، تقسم الطلاب في مدرستها إلى ثلاثة أقسام : طلاب يمكن معاملتهم إلى أقصى حد ممكن ، وآخرون يمكن معاملتهم إلى حد ما ، وفريق ثالث لا يجوز لمسهم أبدا ، بل يجب دوما إطراؤهم وتشجيعهم ، وكتابة أحسن التقارير عنهم . وأساس هذا التقسيم واحد لا غير ، هو مدى مسارعة الوالدين إلى دفع قسط المدرسة .

وهذا الانغلاق على الذات عند أورويل جعله يعمى عن الماضي ، ويعجز عن تصور المستقبل ، فالحاضر عنده هو كل شيء ، وهذا الحاضر الذي هو حاضره ، هو الماضي والمستقبل أيضا ، وهذا واضح جدا في قصته التي اشتهرت وهي « ألف وتسعمائة وأربع وثمانون » (Nineteen Eighty-Four) ، فيها يصف المستقبل وكأنه هو الحاضر الذي كان يعيش فيه يوم كتبها ، أي عالم الحرب العالمية الثانية .

* * *

وجورج أورويل شرقي المولد ، فقد رأى النور عام ١٩٠٣ في موتيهاري بالبنغال ، حيث كان والده موظفا بسيطا في دائرة الجمارك الهندية . وكان هو الابن الأوسط بين شقيقتين . واسمه الحقيقي هو إريك بلير (Eric Blair) ، ولكنه غيره إلى اسمه الذي عرف به بعد عودته من بورما إلى انجلترة . وما كاد الصبي جورج يدرج حتى أحيل الأب على التقاعد براتب ضئيل ، وعاد إلى انجلترة . واستطاع الصبي بذكائه أن ينال منحة دراسية فتحت أمامه أبواب كلية إيتون الأرستقراطية (١٩١٧ – ١٩٢١) ، ولكنه وجد نفسه غريبا في هذا الجو الذي ينحدر فيه الطلبة من أسر نبيلة غنية ، هي الأسر التي حكمت البلاد طيلة قرون .

ويصف أورويل مأساته هنا فيقول : « كنت مقتنعا لا أملك من المال حتى القليل ، وكنت ضعيفا ، قبيح الشكل ، غير محبوب ... كنا لنا ... من ثمة مرضه .. وفي أعماق أعماقي كنت أحس أن من المستحيل أن أنجح في حياتي ، وبقي هذا الإحساس مسيطرا علي إلى أن طعنت وتجاوزت الطفولة ، وقد ... حياتي ، إلى أن ...

السلاطين ، على أن كل شيء فيه مكتوب عليه نفس ... وأن حياتي نفسها قصيرة جداً » .

ولكننا نستطيع الآن أن نعود إلى أن إحساسه هذا لم يكن قائماً على أساس ، إلا استنتاج وهو في سن الثالثة عشرة أن ينال منحتين دراسيتين ، لا منحة واحدة .

★ ★ ★

وتخرج أورويل من كلية ايتون ، ونال منحة دراسية تؤهله لدخول جامعة كمبردج ، ولكنه أدار ظهره لهذا الجو الذي كرهه . وآثر عليه وظيفة في الشرطة في الشرق الأقصى ، وإلى بورما توجه ليقضي فيها خمس سنوات (١٩٢٢ — ١٩٢٧) .

وقد أمدته هذه السنوات الخمس بتجارب أنضجته ، وخلقت منه رجلاً ، وجعلته أورويل الكاتب الذي صار إليه . وسوف نجد سجلاً رائعاً لأحاسيسه وأفكاره ، وآلامه في هذه الفترة ، في كتابه « أيام في بورما Burmese Days » الذي نشر أولاً في نيويورك عام ١٩٣٤ . ومن وحي هذه الفترة أيضاً كتب قصته الوصفية العجيبة « صيد الفيل » التي يستشهد بها عادة دارسو أورويل للتدليل على جمال أسلوبه وحيويته .

والمهم من هذا كله ، أن خلاصة تجربته في بورما هي جبروت الاستعمار وفساده ، فثار للإنسانية المظلومة الرازحة تحت سياط الجلادين . وهكذا نراه يستقيل من وظيفته ، ويقفل راجعاً إلى انجلترة ، « لأنني أدركت من أنني أكون جزءاً من نظام مسيء للعالم » . وبقي طيلة حياته يحس بتأنيب الضمير للسنوات الخمس التي قضاها عاملاً موظفاً في جهاز كرهه : « كنت أحس بالجرم ذاتي ، وأسعى للتكفير عنه » .

★ ★ ★

وقد سعى للتكفير عن إثمه بأسلوبه الذي ارتآه .

سافر إلى باريس ، وعاش فيها زمناً عرض فيه نفسه لأقسى أنواع الحرمان : فكان يغسل الصحون في فندق بباريس لقاء طعامه ، وكان ينام في أماكن رطبة قذرة يسرح فيها عليه البق ، لعله ظن أنه بهذه الطريقة يستطيع أن يكفر عن أيامه في الشرطة الانجليزية ببورما ، ولا أظن أن كثيرين يرون أن التكفير يكون بهذه الطريقة . ومن حياته هذه استوحى مادة أول كتاب صدر له ، وكان ذلك عام ١٩٣٣ (١) . وعندما صدر هذا الكتاب استقبله كبار النقاد بالمديح ، فكان بهذا حسن الحظ ، إذ من النادر أن يستقبل أقلام النقاد كاتباً ناشئاً بالتشجيع والمديح . وهكذا وجد أورويل نفسه كاتباً معروفاً منذ كتابه الأول . ولكنه مع هذا لم يكسب من عمله دخلاً طيباً ، إلا بعد النجاح الرائع الذي لقيه كتابه « مزرعة الحيوان » (١٩٤٥) .

وحاول أورويل بعد هذا أن يكفر عن إثمه بطريقة أكثر نفعاً . فزار منطقة من المناطق الانجليزية الفقيرة ليكتب عنها كتاباً يعرض فيه ما تعانيه هذه المناطق من ظلم اجتماعي وإهمال (٢) ، واشتعلت نار الحرب الأهلية في اسبانيا ، فسارع إليها لينضم إلى صف أهم المظلومين ، وأسره في المعركة ، فأصابته رصاصة كادت تودي به ، ولما شفي منها عاد إلى وطنه ، ليكتب انطباعاته عن الحرب الاسبانية (٣) .

★ ★ ★

والحرب العالمية الثانية أكبر حدث في حياة أورويل ، فهي التي أوحت له بأشهر كتابين له ، وبهذين الكتابين يعرف أورويل الآن ، وهما « مزرعة الحيوان » و « ألف وتسعمائة وأربع وثمانون » ، وبسبب ما نال هذان الكتابان من شهرة نسبتهما ، لأنهما هما أورويل .

في الشهر الذي انتهت فيه الحرب مع ألمانيا ، ظهر كتاب « مزرعة الحيوان » ، الذي كان أورويل قد كتبه بين نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٣ وفبراير (شباط) ١٩٤٤ ، وهو بإجماع الدارسين

(1) Down and out in paris and London
(2) The Road To Wigan Pier
(3) [illegible]



رائعة أورويل ، وهي اساجه ، والورول [illegible]
[illegible] هذا [illegible]
[illegible]

والكتاب [illegible] تجربة كاتبة على [illegible] ، وهو [illegible] الدكتاتورية . وقد [illegible] الكتاب اربع [illegible] [illegible] في [illegible] كتاب [illegible] على [illegible] مع الحلفاء ، وكبدها خسائر فادحة . ولكن [illegible] ان [illegible] الشر [illegible] كاتب في [illegible] ، الا ان الكتاب عند نشره نجاحا كبيرا ، فكان احسن كتاب [illegible] في هذه الفترة ، وكان رواجه في امريكا اكثر منه في انجلترا .

وهذه القصة يقرؤها الاطفال والقصة [illegible] فيها [illegible] ، [illegible] رحلات جليفر » و « [illegible] » ، لأن المعاني [illegible] في هذه القصص [illegible] عن ادراكهم بطبيعة الحال .

وخلاصة هذه القصة في كلمات [illegible]

[illegible]

تصور في [illegible] الحيوانات [illegible]

[illegible] الحيوانات [illegible] .

[illegible]

[illegible] الكاتب [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible] لا [illegible]

[illegible]

[illegible]

في [illegible] ! »

وتطور الاحوال في المزرعة ، وكم كانت [illegible] الحيوانات [illegible] وعلت نفسها [illegible] لا [illegible]

[illegible]

[illegible] أو [illegible] الذي [illegible] » لا [illegible]

[illegible] لا [illegible]

[illegible]

[illegible] ذات مساء [illegible] وقد أخذت تمشي على رجليها الخلفيتين ، وقال [illegible] ، وعلى مدار [illegible] تقول : « كل الحيوانات متساوية ، ولكن بعضها أكثر تساويا من بعضها الآخر » !

والواقع أن هذه القصة ترمز الى حقيقة لا يكاد يخلو منها مجتمع انساني . فالشعارات ترفع ، فاذا انتصرت برزت من رجالاتها فئة مستغلة تساوم على هذه الشعارات بالتشويه أو التزوير . وليس المهم في هذه القصة هذا المعنى الذي يرمز اليه أورويل ، بل أن الأهم هو الطريقة التي عرض فيها هذا المعنى على هذه الصورة الجميلة الجذابة .

* * *

وقصة « ١٩٨٤ » يصور فيها أورويل عالم المستقبل كيف يكون . ترى لماذا جعل أورويل مستقبله هذا الذي يكتب عنه بهذه الصورة القاتمة ؟ لا أحد يدري تماما . ورأيي أن أورويل بدأ بكتابة قصته هذه سنة ١٩٤٨ ، فجعل مستقبله هو هذا العدد مع عكس الرقمين الأخيرين .. فهي ربما كان معقولا .

والفكرة الأساسية هي تصوير الطغيان ، وكيف أنه هو الذي يهدد مستقبل الانسان . والطغاة في كتاب أورويل يسيطرون على المواطنين بالقدرة على ادراك الأفكار ، وعلى السيطرة عليها فهم يدركون الأفكار بوضعهم تلفازا في غرفة كل مواطن ، وهو تلفاز ذو وجهين ، وجه عند المواطن ، وآخر عند [illegible] الأفكار ، يعكس ما يدور في ذهن المواطن .

وهم يسيطرون على الأفكار عن طريق وضع لغة جديدة يحظر استعمال غيرها ، وهي لغة تجعل من المستحيل على المواطنين التعبير عن أية أفكار لا ترضى عنها السلطات ، وذلك باختصار مفردات اللغة . [illegible]

والعنف هو طابع مستقبل أورويل ، فعقاب أي مخالفة ، مهما كان نوعها ، هو الاعدام حالا . و[illegible] على كل فرد في عام ١٩٨٤ ، يصبح في رأي أورويل جبانا ، أو جاسوسا ، أو خائنا ؟!

وماذا نرى نحن في مثل هذا العالم ؟ هل يدل هذا العالم على ادراك أورويل ادراكا واعيا لمشاكل الجنس البشري ؟

لعل سوء حالة أورويل الصحية ، وتمكن مرض السل منه ، وسوداويته في هذه الفترة ، هي التي جعلته يكتب كتابا مسموما مثل هذا . ثم أن هذا العالم الذي يرسمه أورويل لنا ، ليس هو عام ١٩٨٤ كما يصوره ، بل أنه عام ١٩٤٨ ، العام الذي كتب فيه كتابه ، ولكنه جسد فيه كل ما كان يكرهه من مجتمعه . حتى أدوات الحرب التي تستعمل عنده في عام ١٩٨٤ هي نفسها أدوات حرب الحرب العالمية الثانية ؟

ومن عيوب القصة البارزة أن أورويل جعل كل الناس في مستقبله اما جبناء ، أو جواسيس ، أو خونة ، فقد سلب قصته التوازن الذي يرافق الشجاعة والتضحية ؟ فليس في القصة دفاع عن قيم ومثل ، وبدلا من هذا نجد القهر والاستسلام ، فبطل القصة عاجز عن عمل أي شيء ، عاجز حتى عن أن يحب أو يشبع [illegible] القصة .

ولما ظهرت القصة ، [illegible] في عام ١٩٤٩ ، أي قبل وفاة أورويل بسنة ، لم تلق من النجاح الا بعض ما تلقيه ، [illegible]

* * *

وقبل وفاته ببضعة أشهر تزوج للمرة الثانية ، في معركة مع [illegible] كان له بالمرصاد في الثالث والعشرين من شهر يناير (كانون الثاني) من عام ١٩٥٠ ، وهو لم يكن بعد قد بلغ السابعة والأربعين من العمر .

الأردن : محمود السمره



التربية والمجتمع

دكتور عبد الغني يوسف • مطبعة العمرة الكويت

● « هذا الكتاب الذي اقدمه للقراء عبارة عن محاولة مبسطة لتوضيح بعض المفاهيم العلمية عن التربية والمجتمع والعائلة ودور المدرسة في مجتمعنا العربي الحديث ... وقد حاولت جاهدا ان ايسر المادة واوضحها قدر الامكان لينتفع بها المدرس المثقف والمدرس ، وطالب التربية ، وكل مهتم بالدراسات الاجتماعية . »

فلسطين ومؤتمر القمة العربي

[illegible]

● يعتبر هذا الكتاب سجلا حافلا ومرتبا لوقائع مؤتمر القمة ومقرراته واهدافه وصداه في العالم ، واستعراض وتلخيص تاريخي لحركة الكيان والقضية الفلسطينية ، وتطور سيرها السياسي عبر المراحل والادوار التي مرت بها . كما دعمه المؤلف بالصور والخرائط والوثائق التي تعبر عن اهم وقائع التاريخ العربي الحديث . كما حوى الكتاب اخبارا هامة عن المناقشات التي دارت في المؤتمر اذيعت لاول مرة .

هكذا تكلم يونا

تأليف : زهير طعيمة

دار الاندلس بيروت – الثمن ٥٠٠ قرش لبناني

● يعرض هذا الكتاب مشكلة الضياع الفكري التي تكون نتيجة فقدان الحقيقة المطلقة ، وذلك في مجموعة قصصية صغيرة حافلة بالحوادث المشوقة

مدرسة النجف وتطور الحركة الاصلاحية فيها

محمد مهدي الآصفي • مطبعة النعمان • النجف الاشرف •

● « فصل من حياة الراحل الشيخ المظفر ، ودراسة عن الحياة الفكرية في النجف . »

معاهدات ليبيا

[illegible]

● يشرح هذا الكتاب نص المعاهدات الاقتصادية والسياسية التي ابرمتها المملكة الليبية المتحدة مع كل من انجلترا وامريكا وفرنسا كما يوضح الظروف التي ابرمت بمقتضاها تلك المعاهدات وطرق ابرامها . والكتاب جاء وافيا بحقائق تلك الظروف وما تبعها من مواقف سرقة المعاهدة لتتماشى مع ظروف مؤتمر القمة العربي .

وحدة الوجود العقلية

تأليف : عبد الستار الراوي

مكتبة النهضة بغداد – الثمن ٣ قروش عراقي

● هذا الكتاب على جانب هام في موضوعه اذ يبحث في تعريف العقل البشري ومقدماته ومواطن ومراكز والفكر يخلص بها مؤلفه الى فلسفة المعرفة والتعبير . وقد اعتمد المؤلف على آرائه الخاصة وتجاربه وملاحظاته بصراحة وامانة ، فجاء انه في التحديد بأسلوب سهل بسيط .

حياة حائرة

تأليف : عبد الله عبد الرحمن جفري

مطابع دار الاصفهاني – جدة

● مجموعة قصص قصيرة شيقة تدور حول الحرمان في شتى معانيه .

لماذا نعلم

تأليف : مجموعة من المربين من الشرق والغرب
ترجمة : الدكتور محمد علي العريان
عالم الكتب بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين
بالقاهرة – الثمن ٥٥ قرشا

● يضم هذا الكتاب مختارات من أحسن ما كتب في المعلم ورسالته المقدسة بأقلام شخصيات بارزة ، ويعتبر مصدرا روحيا كبيرا لطلاب المهنة والمشتغلين بالتربية والتعليم . كما تضمن كتابات بعض المعلمين عن خبراتهم العملية يبرزون فيها جانبا مشرقا من حياتهم في مهنة التعليم سواء في أنفسهم أو من شخصيات حببت اليهم المهنة أو تجربة معينة جعلتهم يؤثرون هذه المهنة على كل ما عداها .

محاضرات في التشريع الجمركي

تأليف : هاشم محمد صالح – مطبعة بغداد
بغداد – الثمن نصف دينار عراقي

● يعتبر هذا الكتاب مرجعا هاما لأسس وقوانين الجمارك في العراق ، وقد تناول المؤلف بالبحث بعض قضايا التهريب وطرق المقاومة .

التحليل الكمي شبه الميكروي

وليام ماكولوين وجورج بروكس ترجمة
الدكاترة عيسى مصطفى وعبد الحميد
مرزوق وحسن محمود وسامي ...

● هذا الكتاب جاء وليد دراسات مفصلة في الهيئات العلمية في الجمهورية العربية المتحدة والهيئات العلمية التي حبذت بينها هذا الترجيح العلمي وهو الأول من نوعه في هذا الميدان . ويتناول طريقة التحليل الكمي شبه الميكروي بالشرح والتفصيل والتحليل . والكتاب موضوع بحيث يصلح لقيد نتائج التجارب مباشرة فقد تركت فيه فراغات ليدون الطالب مشاهداته وملاحظاته عند اجراء كل تحليل في المكان المخصص لذلك ، وتعتبر هذه الطريقة من أفضل وأحدث طرق تسهيل دروس الكيمياء العلمية . ولقد بذل الأساتذة الذين قاموا بترجمة الكتاب مجهودا مشكورا لاخراجه في صورة ذات قيمة علمية مشرقة .

الاعلان

تأليف : الدكتور علي ... الانصاري
مكتبة الانجلو المصرية – الثمن ... مصري

● يعتبر هذا الكتاب أول مؤلف باللغة العربية في الاعلان ، حيث صدر على أساس علمي شامل ، وبحث فيه مؤلفه تطور فن الاعلان ووظيفة الاعلان الاقتصادية كما عرض للأساس السيكولوجي للاعلان . وعرض عرضا دقيقا فنيا طرق تحرير الاعلان الحديث كما شرح شرحا وافيا طرق التنفيذ مبرزا الجانب الفني فيه .

تجربة الشيوعية في الصين

تأليف : محمود ...
الناشر : دار الكاتب العربي بيروت
الثمن ٦٥ قرشا لبنانيا

● مؤلف هذا الكتاب أحد رواد الحركة القومية العربية الناشرين بالعراق . وهذا هو أول كتاب يجمع بين دفتيه الصين كفاح شعبها الماضي وبين حاضرها بمختلف صور الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، في المصانع وفي الحقول، حيث حجر الشيالهم – وحتى في عصر الوردة – الحقيقة بالجبال المتوزعة على أكتافهم . كما عرض المؤلف للخلاف العقائدي بين الصين والاتحاد السوفييتي . وقد كتبت فصول هذا الكتاب بروح شاهد عيان شاهدة وبحولا في معظم أرجاء الصين ودراسة دقيقة تستند الى أوثق المصادر والمراجع والاحصاءات .

حفظ صحة العين

تأليف : الدكتور حسن ...

● مؤلف هذا الكتاب طبيب عيون مشهور ، عمل رئيسا للأطباء المقيمين في الشعبة العينية لمستشفى المعهد الطبي في جامعة وسكانسن بأمريكا. وقد ضمن الكتاب خلاصة وثمرة جهده الطويل ودراساته الكثيرة في هذا الميدان شارحا طرق وقاية العين والمحافظة عليها وذلك بأسلوب مبسط سهل .



لماذا يسهر فى الغابه ؟

روحتك حتى تمكث فى الغابه الى منتصف هذه الساعه !

والتفت اليه الرجل الآخر ، وقال : ولكن تسمح صروحا

ساخره خارج البيت ؟ ! !

على سبيل التجربه !

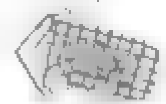
● اشتهر

ــ لست ادرى يا سى كيف سنمضى فى عملنا بدونك ، ولكن مجلس الاداره قرر ان نجرب ذلك ابتداء من اول الشهر !

ادب . . .

● حرص الاب على ان يعطى

ــ تعرفين يا خالتى ؟ . . لقد صحبت طفلة مؤدبة ، فبعد ان قبلتنى لم تمسح وجهها . . بل تركته يجف وحده !



من اين جاء الباقى ؟

● ان

« نعم . . ولكن بعد صعوبة كبيرة ، اذ فتح باب القفص ، وهرب الدجاجات فى شوارع المدينة وازقتها ومضت عدة ساعات اطاردها الى ان امسكت عشر دجاجات فقط » .



من هو حلاق اشبيلية ؟

للقارئ : محمد حسني ـ السعودية

ـ حلاق اشبيلية هو عنوان الملهاة المرحة (الكوميديا) التي كتبها الكاتب الفرنسي (بومارشيه) سنة ١٧٧٥ في باريس بهذا الاسم ، ويدور موضوع هذه الملهاة ـ التي تتسم بالمرح ـ حول مساعدة الحلاق «فيجارو» للكونت «ألمافيفا» الشاب على معشوقته الشابة «روزين» وكانت محجورة تحت رقابة ولي امرها العجوز «بارتولو» ، لأنه كان يطمع في الزواج منها رغم كبر سنه .. وما تثيره تلك الملهاة ، من مواقف مثيرة ومفاجآت طريفة مضحكة .. منها في النهاية «انتصار الحب والشباب على شذوذ العجائز ودسائسهم»

وقد زاد في ذيوع شهرة «حلاق اشبيلية» ألحان الموسيقار الإيطالي العظيم «روسيني» على أحداثها وإخراجها أوبرا بهذا الاسم عام ١٨١٦ .

[illegible]

... الكردي ـ مكة المكرمة

ـ الذي نعرفه ويعرفه الناس أن المراكز العلمية العالمية لم تهتم بالمحافظة على الآثار القديمة باعتبارها معالم وثنية أو غير وثنية ، وإلا لما وجدت مثرا ما تلقاه من رعاية واهتمام ، مصدرهما الأول والأخير قيمتها التاريخية والفنية ، باعتبارها تراثا حضاريا جديرا بالمحافظة عليه مهما اختلفت المذاهب السياسية والدينية والعصرية ، ومرجعا أثريا خالدا للأجيال تعاقبت فيها بآلاف السنين ، والأناس لم يعرفوا القنابل الذرية ولا الصواريخ ، بل لم يعرفوا استخدام البخار أو الآلات الكهربائية أو حتى آلات النحت الحديثة ، ومع ذلك خلفوا للإنسانية أعمالا باهرة ، تحدوا بها الزمن ، وكانت شاهدا لخطوة رائعة إلى الأمام في الطريق الطويل الذي قطعه البشر عبر القرون.

وآثار الحضارات القديمة التي سادت ثم بادت ، سواء كنا نجدها في صورة معابد أو أهرامات أو مسارح أو قصور ، ليست مقصورة على مصر وحدها ... نجدها في معظم الدول العربية في شمال أفريقيا ، كما نجدها في سوريا ولبنان والعراق ، وكما نجدها في الهند والصين واليابان ، وإيطاليا واليونان ، بل في كل بقعة قامت عليها إحدى الحضارات .. وما من أمة من الأمم التي كان لها نصيب من تلك الآثار إلا بذلت قصارى جهدها للمحافظة على ما بقي من أطلال حضاراتها الغابرة ، بل وتقديسها ، لا من الناحية الدينية ، وإنما من الناحية التاريخية ، باعتبارها جزءا من تراث الإنسانية كلها ، ومظهرا من مظاهر حضارة الإنسان في مختلف العصور والأزمان ..

والذين ينظرون إلى تلك الآثار التاريخية من زاوية الدين فحسب اليوم ، يغفلون النظرة ، لا يطلعون إلى أن التنكر للماضي جريمة ، خصوصا إذا كان ماضيا مشرفا وضاء ، كماضي أولئك الذين خلفوا تلك الآثار ، في أية بقعة من بقاع الأرض ، شاهدة على عظمتهم ، فإنهم هنا جديرون بالحظوة ..

في معابد أبو سمبل وغيرها من المعابد الأثرية المنتشرة في أنحاء العالم ، قد تجردت من صفتها الدينية منذ آلاف السنين ، أي منذ اندثرت الحضارات التي قامت في عهدها ، والديانات التي كانت تمارس فيها طقوسها ، وعرف الناس أن تلك الآلهة المزعومة التي كان يعبدها الجمهور لم تكن إلا حجرا وصلصالا ، وأنه لا إله إلا الله الواحد الأحد ، الذي خلق كل موجود في ذلك الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك مما كانوا لها عابدين ... والذين ... المعابد من مختلف بقاع الأرض ، أو ... [illegible] ... لا ... [illegible] ... ولا يستمدوا فيها نصر الله ، وإنما يستمدوا ما يحظى فيها من عظمة ... وروعة فنية ، لا كفر فيها ولا وثنية .

(البقية على صفحة ١٦١)

الإنسان في أمريكا قبل كولمبس

[illegible]

نهاد ... ـ سوريا

ـ المعروف لدى المؤرخين اليوم أن كولمبس لم يكن أول زائر لأمريكا ! .. بل سبقه إلى تلك القارة ... العرب ... ثم الأوروبيون ... استعمارها ، كما ... الهنود الحمر الذين صاروا ... الأصلي ... في طريق الانقراض ... [illegible] (الصفحة ٦٢)

ولقد كانت للهنود الحمر في أمريكا قبل كولمبس مدنية ودولة ... [illegible] ... أول ما عرفناها .

ماذا تتكلم موريتانيا ؟

● [illegible] هو نوع اللغة [illegible] واللهجات التي يتكلم بها الموريتانيون حاليا ، فحبذا لو حدثت لنا مجلتنا [illegible] هذا الموضوع .. وشكرا

الفاديه شكري – غزة – فلسطين

– يقول الأستاذ محمد عبد الله عمر في بحث طويل له عن « موريتانيا الجمهورية الإسلامية الإفريقية الجديدة » نشرته « العربي » في العدد ٢٥ الصادر في ديسمبر سنة ١٩٦٠

« يتكلم أهل موريتانيا لغة عربية من [illegible] اسمها « الحسانية » ، تكتب وتقرأ .. هذا فضلا عن اللهجات البربرية المختلفة »

ولقد كتب [illegible] الموريتانية في تونس [illegible] بعنوان « أضواء على موريتانيا » [illegible] عروبة [illegible] الموريتانيين [illegible] هذا الصدد

« تعتبر موريتانيا [illegible] من [illegible] العرب الأقحاح [illegible] العرب [illegible] الهجرة [illegible] العربية [illegible] ترجع في [illegible] إلى [illegible] ولا [illegible] أن تكون [illegible] من القبائل العربية [illegible] من العرب [illegible] موريتانية [illegible] أن المواطن الموريتاني [illegible] العربية [illegible] ، [illegible] العروبة ، وشهامتها ، وإباء الشمم العربي . إن الوطن الموريتاني لا يزال محافظا حتى الآن على التقاليد العربية الكريمة من إقراء الضيف وإكرام الجار [illegible] في ذلك [illegible] موريتانيا [illegible] شعر [illegible] العرب في وصف النساء والرجال [illegible] والسماحة والإقدام والشهامة والكرم ، ليس موضوعا [illegible] إذا قارن ذلك مع العادات الموريتانية [illegible] أن هذه العادات لم [illegible] في [illegible] في موريتانيا وقد اتفق جميع [illegible] من مؤرخي العرب ، كابن جرير الطبري ، والمسعودي والجرجاني وابن الأثير وابن عبد البر وابن خلكان [illegible] في موريتانيا ، [illegible] إلى أصل حميري

ثم إن الاستعمار [illegible] في موريتانيا [illegible] أصل غير عربي [illegible] العربي هو من يتكلم العربية [illegible] العربية هو شعب عربي ؟ – وعلى ذلك ، فإن موريتانيا لا [illegible] على عروبتها ، فقد كفاها لسانها [illegible] البينة . »

كيف تتكون حبة اللؤلؤ ؟

● [illegible]

طه عارف – الكويت

اللؤلؤ من نسيج الأحياء الصدفية ، [illegible] البحر ، [illegible] داخل الصدفة [illegible] .

[illegible] تغطي باطن الصدفة ، [illegible] – وهو جسم [illegible]

[illegible] إلى داخل [illegible] من أحياء البحر ، [illegible] شيء غريب [illegible] ، [illegible] العربية [illegible] الطبقة [illegible] الصدفة [illegible] الطبقة الأخرى فأخرى .. وتكون النتيجة لؤلؤة .

عدد المغتربين العرب في مختلف انحاء العالم

● [illegible]

في جميع انحاء المعمورة ، فهل نحن « العربي » في هذه الرغبة ؟

الداري ، محمد امين احمد ـ المغرب

لا يوجد احصاء رسمي دقيق لعدد المغتربين العرب في العالم ، وانما هناك احصائيات تقديرية تعتمد عليها المسئولون في جامعة الدول العربية ، وهنا نصبح ان مجموع عدد هؤلاء المغتربين يزيد على ١ مليون نسمة موزعين في مختلف البلدان طبقا للاحصاء الآتي :

الولايات المتحدة	١	غواتيملا	[illegible]	كوستاريكا	١
كندا	١	سلفادور	١	جامايكا	١
البرازيل	٢	بيرو	٥	سانتودومنكو	٣
الارجنتين	٢٥	كولومبيا	[illegible]	جواتيمالا	١٨
كوبا	٣	اوروجواي	٨	نيكاراجوا	١
المكسيك	٥٥	هندوراس	٨٠٠٠	بناما	[illegible]
شيلي	٧	باراجواي	٢	بورتوريكو	١
هاييتي	١٥	الاكوادور	٨	استراليا	٣
بوليفيا	١			نيوزيلندا	١

مدينة ؟ام مدينتان ؟

● [illegible]

الطالب ثابت سلطان العتيبي

الطائف ـ السعودية

بعد هزيمة المانيا الهتلرية في نهاية الحرب العالمية الثانية ، قسمت المانيا في عام ١٩٤٥ الى اربع مناطق احتلال هي المنطقة البريطانية ، والمنطقة الفرنسية ، والمنطقة الامريكية ، وكلها في الغرب ، ثم المنطقة السوفيتية في الوسط وفي الشرق . وقسمت العاصمة ـ برلين ـ كذلك الى اربعة قطاعات .

وفي عام ١٩٤٨ ، ضمت القطاعات الغربية في برلين لتكون « برلين الغربية » وبقي القطاع السوفييتي منها عرف بـ « برلين الشرقية » .

وبرلين الغربية لا تحكمها الحكومة الاتحادية الالمانية ، كما لا ينطبق الدستور الاتحادي الالماني فيها لا تزال خاضعة لنفس القيود ، وذلك بناء على الاتفاقات الرباعية التي عقدت بين دول الاحتلال الاربع في عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٥ بينما تتبع برلين الشرقية الحكومة الديمقراطية الالمانية

وراثة العرش في الاسلام

● [illegible]

[illegible] حسن جمال الدين

ـ [illegible] تولى معاوية بن ابي سفيان الخلافة عام ٤٠ هجرية ما وقع في صفوف المسلمين من فتن واحداث ، رأى ان يحصر الخلافة في بيته ، فغير طريقة اختيار الخليفة وامر بان تكون بالوراثة بعد ان كانت بالانتخاب واجماع المسلمين وجعل ولاية العهد لابنه يزيد لتنتقل الخلافة على العرش . فكان معاوية اول من غير نظام اختيار الخليفة وحصر الخلافة بالوراثة ، وكان يزيد ابنه اول « ولي عهد » في الاسلام ، واول من ولي الخلافة في الاسلام بالوراثة [illegible] وبذلك يكون قد بنى العرش بعد ان اخذ له العهد على وجهاء الامة في حياته

ردود خاصة

● الإخوة [illegible] من [illegible] والسيد [illegible] من حلب بسوريا ، و « الطلب » [illegible] من الكويت [illegible] فلسطين ، والسيد . ع . ع . خ . من قطر .

— مسألتكم واحدة [illegible] وعن [illegible] الإنسان في فترة [illegible] ولا [illegible]

[illegible] كافة البرامج

● الأستاذ [illegible] محمد [illegible] — السعودية .

— عرض [illegible] ولا [illegible] كل هذا [illegible] [illegible] ولكن [illegible] أحسن [illegible] [illegible] الطبيعة في [illegible] ولا [illegible] الا [illegible]

● يوسف محمد [illegible] — العراق

— الزوج [illegible] من [illegible] التي يعلم [illegible] فاذا ما [illegible] العصر أو الظهر ؟ [illegible] في ذلك [illegible]

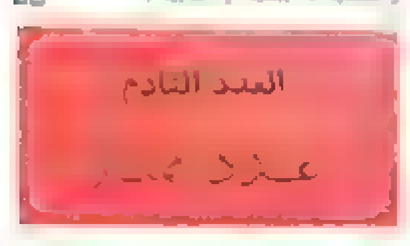
● القارئ، محمد عبد الله [illegible] الحق باوزير — مكة المكرمة

● القارئ، عبد الحميد [illegible] السنوادي. — الكويت

[illegible] على [illegible] [illegible] للتصحيح [illegible] العدد

● [illegible] عبد [illegible] و [illegible] — [illegible]

[illegible] كثيرا [illegible] والصحية [illegible]



من ينكر لماضيه .. ينكر له حاضره

ولا [illegible] الإله الواحد [illegible] القهار ..

[illegible] هذه [illegible] التي [illegible] [illegible] في [illegible] الذي [illegible] [illegible] إلى [illegible] في [illegible] تلك الآثار [illegible]

[illegible]

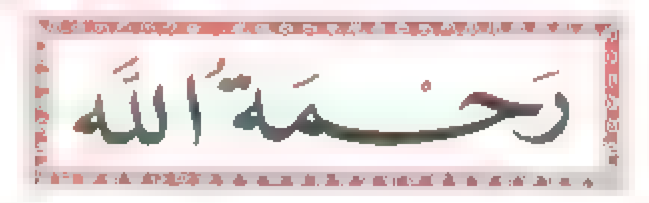
شعوب العالم [illegible] الذي

[illegible]

[illegible] خلف لنا الإنسان القديم في [illegible] الحضارة »

[illegible] من [illegible] الحضارة » .. والدليل على ذلك أن [illegible] التي [illegible] للدعوة لجمع [illegible] برئاسة ملك السويد ، [illegible] ملكي [illegible] وبلجيكا ، [illegible] [illegible] ، [illegible] إمبراطور اليابان ، ورئيس جمهورية إيطاليا [illegible] ، ونائب رئيس جمهورية الهند ، [illegible] كثيرا من الأمراء والوزراء وكبار العلماء [illegible] والإنجليز والألمان ، [illegible] للدعوة إلى [illegible] هذا التراث الذي [illegible] في فجر الحضارة وظل [illegible] رغم مرور الآلاف السنين ..

لو [illegible] هذا كله أو بعضه ، [illegible] لك أن [illegible] بهذا العمل [illegible] [illegible] ، [illegible] على [illegible] « [illegible] » من [illegible] ..



رحمة الله

■ تألق الزهور الحمراء على الشجرة الكبيرة في فناء البيت الجديد الذي أحيط بسور من الحجر .. ودفع السيد "فراي" الباب الخشبي ، ثم اجتاز الفناء إلى الشرفة ، وهو في زي ... من رجال ساحة الريف ، وقد استقر ... في يده ولكنه ... ، ويداه ... ، بدا وجهه ... من ... الخاطر ... على ... ، ... ربما ...

واذ لم يجد احدا في الغرفة ، وقف بجوار الباب الداخلي وراح ينادي : « ماتر هيرجي مارين ! .. أيها السيد الراهب »

وسرعان ما برز رجل صغير الهيئة ، نحيف الجسم ، أصلع الرأس ، في قميص طويل وشاح خفيف، واذا بوجه الزائر يشرق بالنشاط والدهشة. « أنا مرتبس ! » .. ولم يجب « مارين » ، بل ظل يحدق في وجه القادم ، القلق ما [illegible]

— ألم تكن تطلب [illegible] في الكنيسة [illegible] بالطبع ! .. أزال [illegible] ! .. [illegible]

[illegible]

وفي اللحظة التالية ، كان رجلا الفرنسة في [illegible] حار .. وما لبثا أن جلسا يتناولان الفطور في الغرفة ، وهما لا يكفان عن الحديث ، ينتقلان عبر طريف الذكريات عن المدرسة ، منتقلين منها الى الحديث عن الزمن ، والانسان ، حتى انتهيا الى الحديث عن الله وحكمته .. فقال السيد « راي » بعد أن أرسل نظره في الفضاء لحظة أو اثنتين

— [illegible] يا اخي ، انها تزوي للشيطان [illegible] ، وهو الذي يغري ويضل البشر ويستدرجه الى طريق الجحيم .. ولكني أجيب يا اخي بأنه ما من شيء يقف في طريق ارادة الله القدير .. [illegible] لارادته ، واذا [illegible] ويمضي [illegible] الأمام ، [illegible] الا بارادة الله [illegible] ، [illegible] من الأفق [illegible]

فقال هربيك مارين بصوت مبتهج : « إن الله كريم .. ونحن نعرف عفوه أزكى من الصراحة.

فقال السيد راي : « لي نفس [illegible] .. [illegible] امس امري [illegible] بنفسي [illegible] كذاب ولا مخادع [illegible] ، ومع ذلك ، فقد [illegible] الله [illegible] اليه » .

وسكت السيد راي لحظات ، ثم [illegible] حول

[illegible] ، [illegible] في [illegible] ، اني [illegible] ما كان [illegible] . وقد [illegible]

[illegible]

[illegible] ، [illegible] ، [illegible] ، [illegible] العصب [illegible] اذ وقفت أمام [illegible] وكأنني [illegible] اسماء [illegible] ، [illegible] القوم [illegible] ، [illegible] في أن [illegible]

واسمر معهم ، وأسهر عليهم .. كنت [illegible] سلطاني وعودي الى [illegible] .

وخفض السيد « راي » صوته ، وهو يستطرد قائلا

— أتذكر ما [illegible] من الشيطان .. لست [illegible] الذي [illegible] ، كان [illegible] كلف ومع بصري على فتاة ، [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فيها ثمانية أشهر من العام أو تسعة ، كلها حافلة بالخير .. كنت في عنفوان شبابي ، وفي أوج [illegible] .. ولكني ما حيي [illegible] والزهد — وقعت في شرك الشيطان كما لم أقع يوما ، [illegible] فتاة لم تكد تبلغ الخامسة عشرة أو السادسة عشرة ، من [illegible] الفلاحين .. [illegible] الى [illegible] في موسم [illegible] ، وكانت داري [illegible] في شمال القرية ، لا [illegible] سوى [illegible] [illegible] . وكانت الفتاة تمضي الى هذه [illegible] ، فيما كنت امشي في [illegible] ذات يوم — أبصرت بالفتاة [illegible] مع [illegible] من [illegible] [illegible] ، التي لم [illegible] ، [illegible] حتى [illegible] الى [illegible] ، ولكن هذه الفتاة [illegible] ، ما [illegible] أن [illegible] كانت تجمع فيها الثمار ، وهي [illegible] بالنرجس ، [illegible] طائر يتطلع الى [illegible] قبل أن [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible]

[illegible] ، وأنا [illegible] في [illegible] كالمسحور

[illegible]

[illegible]

وتوقف السيد « راي » لحظة ، ثم قال وظل السؤال لا يزال [illegible] ، لم [illegible] ، كانت كالذهب [illegible] في كل [illegible] .. [illegible] ، [illegible] القوم ، [illegible]

[illegible]

وكانت الشمس قد انحدرت للمغيب ، وخالطت الهواء غشاوة من دخان وتراب .. وعاد السيد « راي » يستأنف حديثه

— وحاولني [illegible] بعد ذلك [illegible] الأخ [illegible] [illegible] .. كنت رجلا [illegible] ، ولكني لم اشعر [illegible]

بعض اصحاب ابدى تشككى للظفر بهذه الفتاة وكان يوما من مستأجرى أرضى .. محمود صلاح عادى ! بعرت رقبته ، وبمارس سحاب ذلك ما يصادفه من أعمال لزيادة دخله . ولقد صادفت الفتاة بعد ذلك مرة او مرتين ، وما من حد منها ، لكنه لما حاولت الاقتراب منه لاذ بالفرار وحيرا ، لم جد من حيلة سوى ان نغرى أربعة او خمسة من رجالى بالترصد لابيه في ليلة حالكة الظلام ، ليمالوا عليه ضربا .

– ليمالوا عليه ضربا ؟ .. ولماذا ؟

– لا أعرف ! . الى حيلة سبه في القرى .. فاذا رأت لأحد اصحاب الارض بوسعة علاج او منته ، راح يمشى على ارجل الفصل ، واوسعه ضربا وصا . فاذا لم يصل الى غايته بذلك ، سلط عليه من يضربه ، اذ أن هذا يفتح الطريق امامه .. ولقد أصيب والد الفتاة بأذى صريح من ذلك الضرب ، وبعد ذلك ضرب بظهر الكريم لبار فبعثته نفرا للعلاج ، وارسلت الى داره بعض الغلال . وكانت زوجته قد توفيت وترك له الفتاة وطفلين صغيرين . فبعثت الى زوجته في داره ، ومن لم عنوت في بعره سخطا ، وبوطنى في اعتباره الى حمالة الاب وما ثنى لى امنيته تيرسل ، اسعورى ، وهذا اسم ابنته – لتعلم الاشتغال في سنار ..

وهنا تساءل هويدى نظرات في غير احتمال .

« ومن لم بدأت الفتاة تتردد على دارك ؟ » .

فقال السيد راى - « وهل كنت صحيحا غير ذلك ؟ وبدات تعمل .. ولم أكن غبيا ، فكم من شىء حدث في حياتي ، بما علمنى أن النصح قد يفسد الامور ، لذلك اكتفيت بتدبير المصادفات للتعرف بالفتاة ، فأسلوب من صنعة ابيها ، واستهوتها بعض النقود .. وكانت ساذجة ، فلم تكن لدى بنت شهية ، وانما كانت تصلح في صالحة على ابيه لم تلبث أن بدأت تقيم لدى .

وتفرس السيد « راى » في عينى صاحبه ، كأنه يسبر غوره ليعرف وقع القصة من نفسه ، ثم تابع الرواية .

– وفي ذات يوم ، ولقيط الحادثة قد قوم اساس بيوتهم ، أرسلت بعض الفلاحين من الداخل لازالة ... الفتاة وحود الفتاة .. لذا التصحيت يستقيم بوجهها ، وذلك في موقف او سعيد بالكبد وقد راحت تتوسل أن اترك صمرف . وكنت لكن تحرى في مروءته نظر مثلا من اندم . اصول اسماعها بالرمى ، وانسم لها على صدق حبى ، حتى اني كنت على استعداد لأن اضحى بأملاكى ، بل بحياتي من اجلها .. وراقت الفتاة وصدقتها .. وما كان قد سبق لى بالفتاة معنى لأمس ، ولكنى لم اكن اجرى ما مسابقي .. من قلم نكث من تشكك واستحيته .

★ ★ ★

وكان الظلام قد هبط في تلك الاثناء .. واقترب لهجة السيد « راى » وهو يستطرد قائلا

– والآن ، انظر ما حدث بعد ذلك .. صحبت الفتاة تأتينى كل يوم ، وكانت في البداية حريصة مسرورة لما اراه ، كنت كالاسود ، ويخيل لي اننى لم احس في حياته بصرى هناء مثله . كنت الفتى السادس لسيدى على كسرها ، وأراه احسم على صدق حبى .. بل انى كنت اتعب على تعبيها احيانا – كالمجنون – فأمرتها بالعلاج . وكانت تتولانى رغبة طاغية في ان لا ابتعد عن عينى .. ووجدت اعلق عليها الحلوى ، والعود ، والاقمشة الجميلة ، والصابون ، والعطور لم لبثت ان اتسبت الى ، شيئا فشيئا ، ثم اطعمت .. لم اذا بالفتاة التى كانت منذ ايام ساذجة ، تمتد الى الدلال ، والمفاسد ، والملاعب .. فكانت تعلت من احضانى هيجاء وتسرى كالطفل .. على اي هذا امثاله المعروفة ، فقد طلب في البداية سيطرة التفكير ، ساذجة القلب .. وكانت لاتستجم من تلبيس ايما تشتت ، ومتى اردت .. ولم تكن تسطيع حد . بل انها صارحتنى بأنها لم تعرف الهناء الا في دارى .. وكنت اذا غبت عن انظارها ايام في بعض الامور ، وجدتها - بعد عودتى - باكية ، قلقة ، مهمومة ، فالواقع انى احببتها بكل كيانها ، ولم تعد تحجم عن أن تفضى بحبها لو انى طلبت ذلك .. واستمعت ثلاث سنين على هذه الحال ، قربت خلالها في حب الفتاة ، ثم اعد احفل بأسرتى واولادى .. وكنت اعرف أن اهل القرية – من مستأجرى أرضى – قد اخذوا يتهامسون ، ولكنهم كانوا يحترمونى

وصمت السيد « راى » لحظة ، ثم واصل الحديث

— عرفت كيف أسعد هم ... كما ... ، لم نكن لنحتمل ... كانت قد ... في ... على ... وما زال ... ولكني لم ... وكف عن زيارة ... كالوردة .. وهكذا كانت ...

★ ★ ★

ونظر السيد ... إلى ... لحظات ، ثم مضى يتابع قصته :

— وفي ذات يوم ... ، وقالت ... في ... ، إذ بدا ... يتولون ... ويتحدثون عنها .. وقالت ... في ... ، واستأجر لي بيت ... ، وأعطتني كلماتها ... الفرنسي ، والتفت ... أن ... على ... ما ... ، وأن ما ... سوى أن ... من ... ، ولكنها ... في ... ، حرصت على أن أستبقيه في ... ، فما كانت ... سوى ... ، ومرة ... ، ... ، ... ، ... ، وكان ...

... و... ، و...

... هو ... لقد استطعت ... ما ... من ... لي ... أن ... على أن ... ذات ... ، .. ووجدتني ... على ... .

وأشرق وجه ... ، وهو يقول ... رحمة الله ! » .

— ... الله كان ... مني أن ... ! لقد ... في ... ، ولكن الله شاء ... كل ... ، وأن يطهر قلبي ... ، وأن تتوالى ... الصادقة في أن ... من الحياة .. ولكني لم ... من نفسي القوة على أن ... ، وفي ذات يوم ، ... في ... ، وما ... إلا ... الكان ... ، أرأيت ! ، كان الله ... ، ومن ثم ، ... ذات يوم ، ولم ... إطلاقا ... إلى ... وأولادي ... من ... إلى ... في تلك ... .

★ ★ ★

وأمسك السيد « ... » عن الحديث ليسترد أنفاسه اللاهثة ، وكأنه كان يجري شوطا طويلا ، ثم أرسل زفرة ، وقال :

لقد ... حياتي من ذلك ... ، إذ ... من ... .. و... لله وحده ! .

والتمعت عيناه وهو يستطرد :

— وكان الله كريما معي ... ، ... ، ... الزراعية ... ، و... في سبيل الاحتفاظ ... ما كان لي من أرض ... ، إنما كان من ... أن ... الأرض كلها لولا كرم الله ! .. ... كل ... .. كان ... في ... ، ... ، ... إلى ... ، .. كما ... ابني الأكبر ... في ... ولا أزال ... ، وفي العام الماضي ... ، ... أن ... أو ... ، ... الفضل في هذا سوى الله والله وحده !

وصمت لحظة ، ثم قال :

... ، ... ، ... قد ...

... ألك قلبي ... . هذه ... ...

وأمسك عن الكلام ، و... شاردة في ... ، وفي ... الكلام كانت الزهور الحمراء على الشجر تبتسم ! ■

ترجمة : محمد ... الدين خليل

(بقية المنشور على صفحة ٧)

الكويت في ايطاليا !

● من بلدة [illegible] بايطاليا [illegible] تحية ، واكتب اليكم ..

[illegible] الايطالية [illegible] مونوبولي » [illegible] الرائع [illegible] عن وطني الام [illegible] الكويت [illegible] الاستطلاع [illegible] [illegible] الايطاليين [illegible] في بلاد العرب ، [illegible]

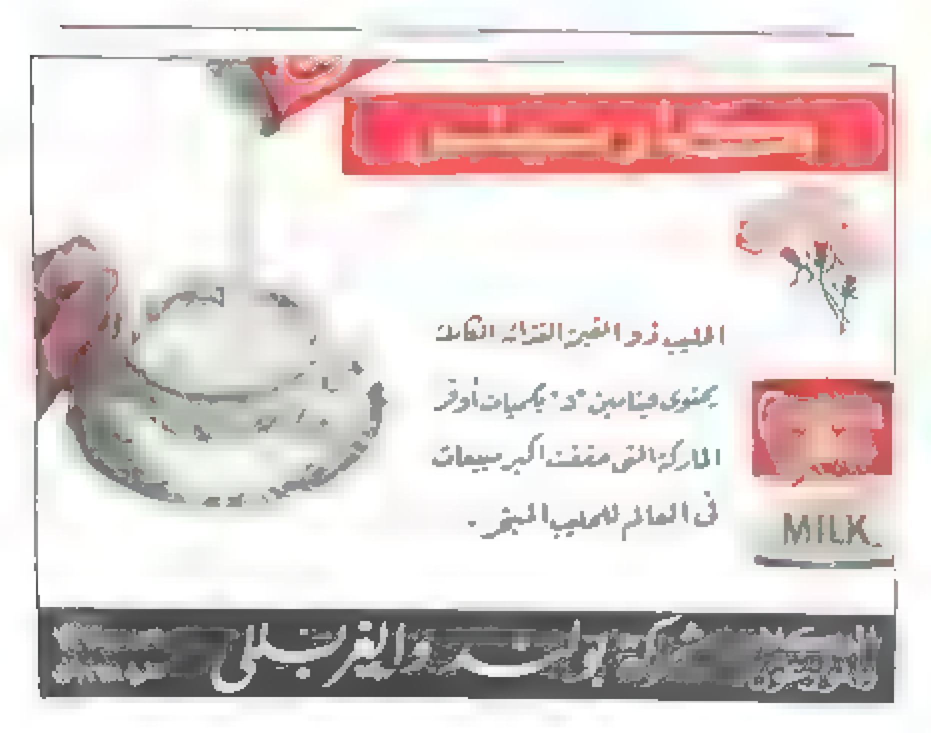
[illegible] للكويت [illegible] [illegible] الصباح عبد الله [illegible] [illegible]

[illegible] – ايطاليا

متى نرى اسطولا عربيا من ناقلات النفط ؟ ؟

● لقد كان للموضوع القيم عن ناقلات النفط الكويتي ، في العدد ٦٩ [illegible] [illegible] [illegible] الاسطول الكويتي ..

[illegible]



حضارات سادت .. ثم بادت (تتمة المنشور على صفحة ٢)

الصورة المنشورة على صفحة ٢ تبين منظرا للصيادين الاغريق على ضفاف خليج « كورنثه » بالقرب من جبل « هليكون » ، وقد ظهرت فيها احدى سفن الصيد وهي راسية عند الشاطيء ، وبدا الرجال في تفريغ حمولتها – انها سلال مملوءة بسمك الرنجة والتونة وقد تهيأت لتنقل الى سوق السمك بالمدينة ، وهو بعد قليل من الشاطيء .

ونرى في الصورة شيخا يساوم بائعا على شراء احدى السمكات الكبيرة وقد بدا عليه الشك ، كان سائدا في ذلك العصر ، ان صيادي السمك واللصوص شيء سواء .

كذلك نرى في الطرف الايسر ، فوق احدى الصخور ، صبي صغير يصيد السمك بنفسه والصنارة ، وبجانبه سلة مغمورة تقريبا في الماء يضع فيها صيده من السمك حتى يبقى حيا لحين عودته الى منزله .

وظهرت خلف الصياد الصغير سفينة حربية يملأ قلعها الريح ، وهي صورة صادقة لسفن الحرب الساحلي .

ثم انظر البومة الصغيرة التي على الشجرة ، تلك التي ركع عند جذعها احد الرجال وانشغل بتنظيف سمكاته الطازجة . ان البومة ظهرت نهارا ، وهذا جائز احيانا ، على ان هذه البوم المعروفة هي البقاء في اوكارها اغلب النهار ، ثم الخروج منها في غبش المساء .

كذلك اتضحت من الصورة عادة تلك العصور ،

وهي أن يخرج رب البيت نفسه لشراء ما يلزم أسرته ، ويعهد به لأحد عبيده يسعه به

ان بين الاساطير الشعرية الافريقية القديمة قصة لطيفة تحكي عن السمك . كان الصياد عندهم ، اذا ما وصل السمك الطازج الى السوق ، ان يدقوا جرسا يعلن الشرى ، فيسابق القوم لاسماع حسن اصواته

وذات يوم كان القوم يسعون الى شاعر يروى قصة على القيثارة وكان بينهم رجل اصم . فلما دق الناقوس اسرع الجميع الى السمك ، وانفضوا عن الشاعر ، عدا الرجل الاصم ، فانه لزم مكانه فشكر الشاعر الرجل الاصم على حسن معاملته ، لان الجميع قاموا عندما دق الجرس ، وبقي هو يسمع .

فصاح الرجل الاصم : وهل دق الجرس حقا ؟ قال الشاعر : نعم . فما سمع الاصم هذا حتى طار الى السوق مخلفا وراءه الشاعر وقيثارته





تويوتا ٧٠٠

تكفل لك توفير اموالك !

فهي تستهلك غالونا واحدا من البترول في كل ٥٥ ميلا سواء في المداخل او على الطرق الخارجية .

وقد صممت لتعيش سنوات وسنوات ، فهي الى اخطار ابدى ، حتى لو استعملتها في المسالك الوعرة .

وعلاوة على ذلك فان « تويوتا ٧٠٠ » فسيح المجال لاربعة اشخاص ، ومكان رحب للعفش . وهي خلافا لما يتعرض له غيرها من السيارات الصغيرة ، لا تتأثر مطلقا بالرياح العاتية لاتزانها ، ورزانة في سيرها السريع.

من اليوم .... استعرض « تويوتا ٧٠٠ » ولا تترك المعرض الا وانت مقتنعا . لم لاحظ توفير اموالك بسببها .

BUILT TOUGH FOR YOU
TOYOTA MOTOR, JAPAN





بأيدينا نبني أسس نهضتنا



أضخم مطار لصيانة الطائرات في الشرق الأوسط

تقوم بإنشائه

مصانع ومؤسسات



للخطوط الجوية الكويتية في مطار الكويت الدولي

المركز الرئيسي

برقيا: الخرافي

القسم الفني:

مؤسسة الخرافي للمقاولات

مؤسسة الخرافي للتجارة والعقارات

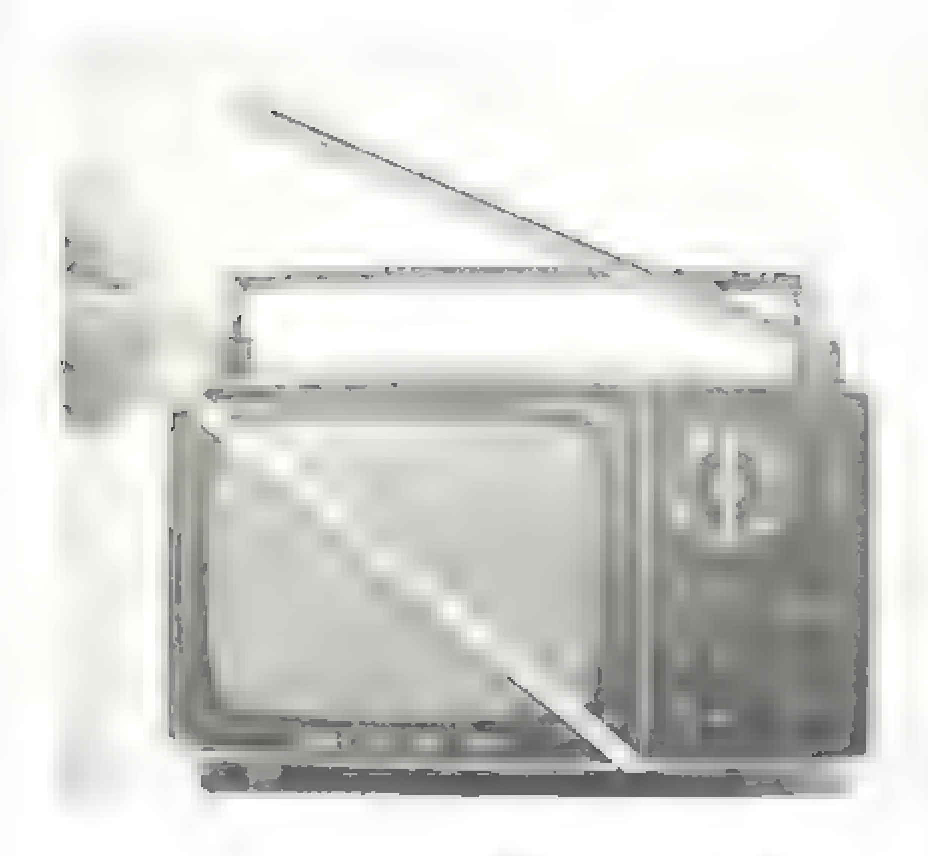
شركة الخرافي للإنشاءات

المخازن الرئيسية الشويخ












اسبيرين
في
٣
أشكال مختلفة كل منها
ذو مفعول ثلاثي
اسبيرين
١- يزيل الآلام
٢- يخفض الحرارة
٣- يعيد النشاط والعافية
BAYER
أسبيرين لا يضر القلب ولا يؤثر في المعدة


"ايدوكس
دياماتيك"
تكت حسبما للك!
EDOX
وكلاء البيع والصيانة
في البلاد التالية
شركة «ايرا» ليمتد للساعات
بين - سويسرا
ERA WATCH CO LTD
BIENNE SWITZERLAND

BRITAIN'S LEADING EXPORT CIGARETTE



تزيد صادرات بريطانيا من
سجاير روثمان كنج سايز
على صادراتها من أي نوع
آخر من السجاير .
أينما تذهب تجد روثمان :
في ١٢٠ قطراً في خمس [illegible]
[illegible]
[illegible] ٩٠ [illegible]
[illegible]
روثمان كنج سايز
الأولى في [illegible] الأولى في [illegible]



لمسة الدهشة
في شعار ستوفلز هي
رمز الجودة الفائقة لأقمص
منذ أن عرضت الأول
تصنع عينة سنة ١٠٠ عام

Stoffels



صداع، أوجاع وآلام، حمى، رشح وانفلونزا ؟

'أسبرو' يعيد لك الصحة...



إذا أصبت بألم فلا يكفي أن تخففه قليلاً. بل إنك تحتاج إلى الراحة التامة التي يحققها لك 'أسبرو'. تذكر أن 'أسبرو' هو الدواء الذي يستعمله أكبر عدد من الناس في العالم كله. أكثر من أي دواء آخر لإزالة الألم وتخفيض الحمى. اجعل 'أسبرو' في متناول يدك على الدوام.

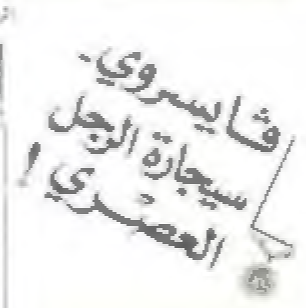
'أسبرو' يجلب لك كل راحة

١ يزيل الصداع
٢ يخفض الحمى
٣ يهدئ الأعصاب
٤ يخفف الأوجاع
٥ يقصر أجل الرشح



'أسبرو' يجلب لك كل راحة !

الرجل العصري في خلوة مريحة بمطعم «جران ڤيفور» في باريس





ڤايسروي- السيجارة الأمريكية العالمية